

نظير السيرة

المسمى بإرشاد العقلاء السالكين إلى طريق الهدى والنجاة

تأليف القاضي القضاة الإمام
أبي السعد محمد بن محمد الهادي
المستوفى سنة ١٢١٥ هـ

نفس السكينة

المسمى بإرشاد العقل السليم إلى مزايا الفقه إن الكريم

تقاضى القضاة الإمام
أبي السعود محمد بن محمد العمادى
المتوفى ٩٨٢ هـ
٩٨٢

للجزء الأول

الناشر
دار الحياة والنور العربي
بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

لقاضى القضاة الامام أبى السعود

سبحان من أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، وبين له من شعائر الشرائع كل ما جل ودق ، أنزل عليه أظهر بينات وأبهر حجج قرآناً عربياً غير ذى عوج ، مصداقاً لما بين يديه من الكتاب ، ليدبروا آياته وليتذكروا ألوالا الأبواب ، ناطقاً بكل أمر رشيد هادياً إلى صراط العزيز الخديد آمراً بعبادة الصمد المعبود ، كتاباً متشابهاً مثاقيقه من الجلود ، تكاد الرواسى لهيبته تمور ويذوب منه الحديد ويميع صم الصخور ، حقيقاً بأن يسير به الجبال ، ويسر به كل صعب محال ، معجزاً ألحم كل مصقع من مهرة قحطان ، وبكت كل مفلق من سحرة البيان ، بحيث لو اجتمعت الإنس والجن على معارضته ومباراته لعجزوا عن الإتيان بمثل آية من آياته ، نزل عليه على فترة من الرسل ، ليرشد الأمة إلى أقوم السبل ، فهداهم إلى الحق وهم في ضلال مبين ، فاضمحل دجى الباطل وسطع نور اليقين ، فمن اتبع هداه فقد فاز بمناء ، وأما من عانده وعصاه واتخذ إلهه هو اه فقد هاهم فى مواهى الردى وتردى فى مهاوى الزور ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ، صلى الله عليه وعلى آله الأختيار وصحبه الأبرار ما تناوبت الا نواء وتعاقبت الظلم والأضواء ، وعلى من تبعهم يا حسان مدى الدهور والأزمان .

وبعد : فيقول العبد الفقير إلى رحمة ربه الهادى (أبو السعود محمد بن محمد العمادى) إن الغاية القصوى من تحرير نسخة العالم وما كان حرف منها مسطوراً والحكمة الكبرى فى تخمير طينة آدم ولم يكن شيئاً مذكوراً ليست إلا معرفة الصانع المجيد وعبادة البارئ المبدى المعيد ، ولا سبيل إلى ذاك المطلب الجليل سوى الوقوف على مواقف التنزيل ، فإنه عز سلطانه وبهر برهانه وإن سطر آيات قدرته فى صحائف الأكوان ونصب رايات وحدته فى صفائح الأعراض والأعيان ، وجعل كل ذرة من ذرات العالم وكل قطرة من قطرات العلم وكل نقطة جرى عليها قلم الإبداع وكل حرف رقم فى لوح الإختراع مرآة لمشاهدة جماله ومطالعة صفات كماله حجة نيرة واضحة المكنون وآية بينة لقوم يعقلون ، برهاناً جليلاً لا ريب فيه ومنهاجاً سوياً لا يضل من ينتحيه بل ناطقاً يتلو آيات ربه ، فهل من سامع واع ومجيب صادق ، فهل له من داع يكلم الناس على قدر عقولهم ويرد جوابهم بحسب مقولهم يحاور تارة بأوضح عبارة ويلوح أخرى

بالطيف إشارة ، لكن الاستدلال بتلك الآيات والدلائل والإستشهاد بتيك الأمارات والمخايل والتنبيه لتلك الإشارات السرية والتفطن لمعاني تلك العبارات العبقريّة وما في تضاعيفها من رموز أسرار القضاء والقدر وكنوز آثار التعاجيب والعبر عما لا يطبق به عقول البشر إلا بتوفيق خلاق القوى والقدر فإذن مدار المراد ليس إلا كلام رب العباد إذ هو المظهر لتفاصيل الشعائر الدينيّة والمفسر لمشكلات الآيات التكوينيّة ، والكاشف عن خفايا حظائر القدس والمطلع على خبايا سرائر الأنس وبه تكتسب الملكات الفاخرة وبه يتوصل إلى سعادة الدنيا والآخرة كما وأنه أيضاً من علو الشأن وسمو المكان ونهاية الغموض والإعضال وصعوبة المأخذ وعزّة المثال في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية أعز من ييض الأنوق وأبعد من مناط العيوق لا يتسنى العروج إلى معارجة الرفيعة ولا يتأتى الرقي إلى مدارج المنفعة كيف لا وأنه مع كونه متضمناً لدقائق العلوم النظرية والعملية ومنطوياً على دقائق الفنون الخفية والجلية حاوياً لتفاصيل الأحكام الشرعية ومحيطاً بمناط الدلائل الأصلية والفرعية منبثقاً عن أسرار الحقائق والنعوت مخبراً بأطوار الملك والملوك عليه يدور فلك الأوامر والنواهي وإليه يستند معرفة الأشياء كما هي قد نسج على أغرب منوال وأبدع طراز واحتجبت طلعه بسبحات الإعجاز طويت حقائقه الآية عن العقول وزويت دقائقه الخفية عن أذهان الفحول يرد عيون العقول سبحانه ويخطف أبصار البصائر بريقه ولمعانه . ولقد تصدى لتفسير غوامض مشكلاته أساطين أئمة التفسير في كل عصر من الأعصار وتولى لتيسير عويصات معضلاته سلاطين أسرة التقرير والتحريير في كل قطر من الأقطار ففاصوا في لججه وخاضوا في ثبجه فنظّموا فرائده في سلك التحريير وأبرزوا فوائده في معرض التقرير وصنفوا كتباً جليلة الأقدار وألفوا زبراً جميلة الآثار .

أما المتقدمون المحققون فاقصروا على تمهيد المعاني وتشديد المباني وتبيين المرام وترتيب الأحكام حسبما بلغهم من سيد الانام عليه شرائف التحية والسلام . وأما المتأخرون المدققون فراموا مع ذلك إظهار مزايه الرائقة وإبداء خباياه الفائقة ليعاين الناس دلائل إعجازه ويشاهدوا شواهد فضله وامتيازه عن سائر الكتب الكريمة الربانية والزبر العظيمة السبحانية فدوّنوا أسفاراً بارعة جامعة لفنون المحاسن الرائعة يتضمن كل منها فوائد شريفة تقر بها عيون الأعيان وعوائد لطيفة يتشرف بها أذان الأذهان لاسيما الكشف وأنوار التنزيل المتفردان بالشأن الجليل والنعت الجميل فإن كلا منهما قد أحرز قصب السبق أي إحراز كأنه مرآة لا اجتلاء وجه الإعجاز صحائفهما مرايا المزايا الحسان وسطورهما عقود الجمان وقلائد العقيان ولقد كان في سوابق الأيام وسوائف الدهور والأعوام أو ان اشتغالي بمطالعتهما وممارستهما وزمان انتصابي لمفاوضتهما ومدارستهما يدور في خلدي على استمرار آناه الليل وأطراف النهار أن أنظم درر فوائدهما في سمط دقيق وأرتب غرر فرائدهما على ترتيب أنيق وأضيف إليها ما ألفتته في تضاعيف الكتب الفاخرة من جواهر الحقائق وصادفته في أصداف العيالم الزاخرة من زواهر الدقائق وأسلك خلاها بطريق الترصيع على نسق أنيق وأسلوب بديع حسبما يقتضيه جلالة شأن التنزيل ويستدعيه جزالة نظمه الجليل ماسنح الفكر العليل بالعناية الربانية وسمع به

النظر الكليل بالهداية السبحانية من عوارف معارف يمتد إليها أعناق الهمم من كل ماهر لبيب وغرائب
 رغائب تنووا إليها أحداق الأمم من كل نحرير أريب وتحقيقات رصينة تعيث الألفهام في مداحض
 الأقدام وتدقيقات متينة تزيل خطرات الأوهام من خواطر الأنام في معارك أفكار يشتبه فيها الشؤون
 ومدارك أنظار يختلط فيها الظنون وأبرز من وراء أستار الكمون من دقائق السر المخزون في خزائن الكتاب
 المسكون ما تطمئن إليه النفوس وتقر به العيون من خفايا الرموز وخبايا الكنوز وأهديها إلى الخزانة
 العامرة الفامرة للبحار الزاخرة بجناب من خصه الله تعالى بخلافة الأرض واصطفاه لسلطنتها في الطول
 والعرض ألا وهو السلطان الأسعد الأعظم والحقان الأجدل الأنعم مالك الإمامة العظمى والسلطان الباهر
 وارث الخلافة الكبرى كبراً عن كابر رافع رايات الدين الأزهر موضح آيات الشرع الأنور مرغم أنوف
 الفراعنة والجبابرة معفر جباه القياصرة والآكسرة فاتح بلاد المشارق والمغارب بنصر الله العزيز وجنده
 الغالب الهام الذي شرق عزمه المنير فاتته إلى المشرق الأسنى وغرب حتى بلغ مغرب الشمس أو دنا
 بخميس عز مرم متزاحم الأفواج وعسكر كحضم متلاطم الأمواج فأصبح ما بين أفق الطلوع والغروب
 وما بين نقطتي الشمال والجنوب منتظماً في سلك ولاياته الواسعة ومندرجا تحت ظلال راياته الرائعة
 فأصبحت منابر الربع المسكون مشرفة بذكر اسمه الميمون فياله من ملك استوعب ملكه البر البسيط
 واستعرق فلكه وجه البحر المحيط فكأنه فضاء ضربت فيه خيامه أو نصبت عليه ألوته وأعلامه مالك بمالك
 العالم ظل الله الظليل على كافة الأمم قاصم القياصرة وقاهر القروم سلطان العرب والعجم والروم وسلطان
 المشرقين وخاقان الخاقين الإمام المقتدر بالقدرة الربانية والخليفة المعز بالعزة السبحانية المفتخر بخدمة
 الحرمين الجليلين المعظمين وحماية المقامين الجليلين المفخمين ناشر القوانين السلطانية عاشر الخواقين العثمانية
 السلطان ابن السلطان السلطان سليمان خان بن السلطان المظفر المنصور والحقان الموقر المشهور صاحب المغازي
 المشهورة في أقطار الأمصار والفتوحات المذكورة في صحائف الأسفار السلطان سليم خان بن السلطان
 السعيد والحقان المجيد السلطان بايزيد خان لازالت سلسلة سلطنته متسلسلة إلى انتهاء سلسلة الزمان
 وأرواح أسلافه العظام متزهة في روضة الرضوان .

وكنتم أتردد في ذلك بين إقدام وإحجام لقصور شأني وعزة المرام أين الحضيض من الذرى شتان
 بين الثريا والثرى وهيات اصطليد العنقاء بالشباك واقتياد الجوزاء من بروج الأفلاك فضضت عليه الدهور
 والسنون وتغيرت الأطوار وتبدلت الشؤون فابتليت بتدبير مصالح العباد برهة في قضاء البلاد وأخرى في
 قضاء العساكر والأجناد لخال بيني وبين ما كنت أخال تراكم المهمات وتزاحم الأشغال وجوم العوارض
 والعلائق وهجوم الصوارف والعوائق والتردد إلى المغازي والأسفار والتنقل من دار إلى دار وكنتم في
 تضاعيف هاتيك الأمور أقدر في نفسي أن أنتهز نهضة من الدهور ويتسنى لي القرار وتطمئن بي الدار
 وأظفر حينئذ بوقت خال أتبتل فيه إلى جناب ذي العظمة والجلال وأوجه إليه وجهي وأسلم له سرى
 وعلايتي وأنظر إلى كل شيء بعين الشهود وأتعرف سر الحق في كل موجود تلافياً لما قد فات واستعداداً
 لما هو آت وأتصدى لتحصيل ما عزمت عليه وأنولى لتكميل ما توجهت إليه برفاهة واطمئنان وحضور

قلب وفراغ جنان فينما أنا في هذا الخيال إذ بدا لي مالم يخطر بالبال تحولت الأحوال والدهر حول فوقعت في أمر أشق من الأول أمرت بحل مشكلات الأنام فيما شجر بينهم من النزاع والخصام فلقيت معضلة طويلة الذبول وصرت كالحارب من المطر إلى السيول فبلغ السيل الزبى وغمرني أي غمر غوارب ماجرى بين زيد وعمرو فأضحت في ضيق المجال وسعة الاشغال أشهر من يضرب بها الأمثال فجعلت أتمثل بقول من قال:

لقد كنت أشكوك الحوادث برهة * وأستمرض الأيام وهي صحاح

إلى أن تغشتنى وقبت حوادث * تحقق أن السالفات منافع

فلما انصرفت عرى الآمال عن الفوز بفراغ البال ورأيت أن الفرصة على جناح الفوات وشمل الأسباب في شرف الشتات وقد مسنى الكبر وتضاءلت القوى والقدر ودنا الأجل من الحلول وأشرفت شمس الحياة على الأفول عزمت على إنشاء ما كنت أنويه وتوجهت إلى إملاء ما ظلت أبتغيه ناوياً أن أسميه عند تمامه بتوفيق الله تعالى وإنعامه ﴿إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم﴾ فشرعت فيه مع تفاقم المكاره على وتزاحم المشادة بين يدي متضرعا إلى رب العظمة والجبروت خلاق عالم الملك والملوك في أن يعصمني عن الزيغ والزلل ويقبني مصارع السوء في القول والعمل ويوفقني لتحصيل مأرومه وأرجوه ويهديني إلى تكميله على أحسن الوجوه ويجعله خير عدة وعتاد أتمتع به يوم المعاد فيامن توجهت وجوه الذل والإبتهال نحو باباه المنيع ورفعت أيدى الضراعة والسؤال إلى جنباه الرفيع أفض علينا شوارق أنوار التوفيق وأطلعنا على دقائق أسرار التحقيق وثبت أقدامنا على مناهج هداك وأنطقنا بما فيه أمرك ورضاك ولا تكلنا إلى أنفسنا في لحظة ولا آن وخذ بناصيتنا إلى الخير حيث كان جنبك على جباه الاستكابة ضارعين ولا أبواب فيضك قارعين أنت الملاذ في كل أمر مهم وأنت المعاذ في كل خطب ملم لارب غيرك ولا خير إلا خيرك بيدك مقاليد الأمور لك الخلق والامر وإليك النشور ؟

(١) سُورَةُ الْفَاتِحَةِ
تَكْوِيْنُ سَمَاءٍ وَسَمَاءٍ سَمَاءٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ①

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ② الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ③ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ④

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑥ صِرَاطَ

الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ⑦

(سورة فاتحة الكتاب وهي سبع آيات)

الفاتحة في الأصل أول ما من شأنه أن يفتح كالكتاب والثوب أطلقت عليه لكونه واسطة في فتح الكل ثم أطلقت على أول كل شيء فيه تدريج بوجه من الوجوه كالكلام التدريجي حصوله والسطور والأوراق التدريجية قراءة وعدا، والتناء للنقل من الوصفية إلى الاسمية أو هي مصدر بمعنى الفتح أطلقت عليه تسمية للمفعول باسم المصدر إشعاراً بأصالته كأنه نفس الفتح فإن تعلقه به بالذات وبالباقى بواسطة لكن لا على معنى أنه واسطة في تعلقه بالباقى ثانياً حتى يرد أنه لا يتسنى في الخاتمة لما أن ختم الشيء عبارة عن بلوغ آخره وذلك إنما يتحقق بعد انقطاع الملازمة عن أجزائه الأول بل على معنى أن الفتح المتعلق بالأول فتح له أولاً وبالذات وهو بعينه فتح للمجموع بواسطة لكونه جزءاً منه وكذا الكلام في الخاتمة فإن بلوغ آخر الشيء يعرض للآخر أولاً وبالذات وللكل بواسطة على الوجه الذي تحققته والمراد بالأول ما يعم الإضافة فلا حاجة إلى الاعتذار بأن إطلاق الفاتحة على السورة الكريمة بتأما باعتبار جزئها الأول والمراد بالكتاب هو المجموع الشخصي لا القدر المشترك بينه وبين أجزائه على ما عليه اصطلاح أهل الأصول ولا ضير في اشتها السورة الكريمة بهذا الاسم في أوائل عهد النبوة قبل تحصل المجموع بنزول الكل لماء أن التسمية من جهة الله عز اسمه أو من جهة الرسول ﷺ بالإذن فيسكني فيها تحصله باعتبار تحققه في علمه عز وجل أو في اللوح أو باعتبار أنه أنزل جملة إلى السماء الدنيا وأمله جبريل على السفارة ثم كان ينزله على النبي ﷺ نجوماً في ثلاث وعشرين سنة كما هو المشهور والإضافة بمعنى اللام كما في جزء الشيء لا بمعنى من كما في خاتم فضة لما عرفت أن المضاف جزء من المضاف إليه لا جزئي له ومدار التسمية كونه مبدءاً للكتاب على الترتيب المعهود لا في القراءة في الصلاة ولا في التعليم ولا في

النزول كما قيل أما الأول فبين إذ ليس المراد بالكتاب القدر المشترك الصادق على ما يقرأ في الصلاة حتى تعتبر في التسمية بمبدئيتها له وأما الآخران فلأن اعتبار المبدئية من حيث التعليم أو من حيث النزول يستدعي مراعاة الترتيب في بقية أجزاء الكتاب من تينك الحثيتين ولا ريب في أن الترتيب التعليمي والترتيب النزولي ليسا على نسق الترتيب المعهود وتسمى أم القرآن لكونها أصلاً ومنشأً له إما لمبدئيتها له وإما لاشتغالها على ما فيه من الثناء على الله عز وجل والتعبد بأمره ونهيه وبيان وعده ووعيده أو على جملة معانيه من الحكم النظرية والأحكام العملية التي هي سلوك الصراط المستقيم والاطلاع على معارج السعداء ومنازل الأشقياء والمراد بالقرآن هو المراد بالكتاب وتسمى أم الكتاب أيضاً كما يسمى بها اللوح المحفوظ لكونه أصلاً لكل الكائنات والآيات الواضحة الدالة على معانيها لكونها بيئة تحمل عليها المتشابهات ومناط التسمية ما ذكر في أم القرآن لا ما أورده الإمام البخاري في صحيحه من أنه يبدأ بقراءتها في الصلاة فإنه مما لا تعلق له بالتسمية كما أشير إليه وتسمى سورة الكنز لقوله ﷺ أنها أنزلت من كنز تحت العرش أو لما ذكر في أم القرآن كما أنه الوجه في تسميتها الأساس والكافية والوافية وتسمى سورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة لاشتغالها عليها وسورة الصلاة لوجوب قراءتها فيها وسورة الشفاء والشفافية لقوله ﷺ هي شفاء من كل داء والسبع المثاني لأنها سبع آيات تثنى في الصلاة أو لتكرار نزولها على ما روى أنها نزلت مرة بمكة حين فرضت الصلاة وبالمدينة أخرى حين حولت القبلة وقد صح أنها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعاً من المثاني وهو مكى بالنص (بسم الله الرحمن الرحيم) اختلف الأئمة في شأن التسمية في أوائل السور الكريمة فقليل إنها ليست من القرآن أصلاً وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه ومذهب مالك والمشهور من مذهب قدماء الحنفية وعليه قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها وقيل إنها آية فذة من القرآن أنزلت للفصل والتبرك بها وهو الصحيح من مذهب الحنفية وقيل هي آية تامة من كل سورة صدرت بها وهو قول ابن عباس وقد نسب إلى ابن عمر أيضاً رضي الله عنهم وعليه يحمل إطلاق عبارة ابن الجوزي في زاد المسير حيث قال روى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنها أنزلت مع كل سورة وهو أيضاً مذهب سعيد بن جبير والزهري وعطاء وعبد الله بن المبارك وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وهو القول الجديد للشافعي رحمه الله ولذلك يجهر بها عنده فلا عبرة بما نقل عن الجصاص من أن هذا القول من الشافعي لم يسبقه إليه أحد وقيل إنها آية من الفاتحة مع كونها قرآناً في سائر السور أيضاً من غير تعرض لكونها جزءاً منها أولاً ولا لكونها آية تامة أولاً وهو أحد قول الشافعي على ما ذكره القرطبي ونقل عن الخطابي أنه قول ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم وقيل إنها آية تامة في الفاتحة وبعض في البواقي وقيل بعض آية في الفاتحة وآية تامة في البواقي وقيل إنها بعض آية في الكل وقيل إنها آيات من القرآن متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير أن تكون جزءاً منها وهذا القول غير معزى في الكتب إلى أحد وهناك قول آخر ذكره بعض المتأخرين ولم ينسبه إلى أحد وهو إنها آية تامة في الفاتحة وليست بقرآن في سائر السور ولولا اعتبار كونها آية تامة لكان ذلك أحد محمل تردد الشافعي فإنه قد نقل عنه أنها بعض آية في الفاتحة وأما في غيرها فقوله فيها

متعدد قبيل بين أن يكون قرآنا أو لا وقيل بين أن يكون آية تامة أو لا قال الإمام الغزالي والصحيح من الشافعي هو التردد الثاني وعن أحمد بن حنبل في كونها آية كاملة وفي كونها من الفاتحة روايتان ذكرهما ابن الجوزي ونقل أنه مع مالك وغيره ممن يقول أنها ليست من القرآن هذا والمشهور من هذه الأقاويل هي الثلاث الأول والاتفاق على إثباتها في المصاحف مع الإجماع على أن ما بين الدفتين كلام الله عز وجل يقضى بنفي القول الأول وثبوت القدر المشترك بين الأخيرين من غير دلالة على خصوصية أحدهما فإن كونها جزءا من القرآن لا يستدعى كونها جزءا من كل سورة منه كالأستدعى كونها آية منفردة منه وأما ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما من أن من تركها فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله تعالى وما روى عن أبي هريرة من أنه ﷺ قال فاتحة الكتاب سبع آيات أولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وما روى عن أم سلمة من أنه ﷺ قرأ سورة الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية وإن دل كل واحد منها على نفي القول الثاني فليس شيء منها نصا في إثبات القول الثالث أما الأول فلا أنه لا يدل إلا على كونها آيات من كتاب الله تعالى متعددة بعدد السور المصدرة بها لا على ما هو المطلوب من كونها آية تامة من كل واحدة منها إلا أن يلتجأ إلى أن يقال أن كونها آية متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير أن تكون جزءا منها قول لم يقل به أحد وأما الثاني فساكت عن التعرض لحالها في بقية السور وأما الثالث فنطاق بخلافه مع مشاركته للثاني في السكوت المذكور والباء فيها متعلقة بمضمر بنبي عنه الفعل المصدر بها كما أنها كذلك في تسمية المسافر عند الحول والارتحال وتسمية كل فاعل عند مباشرة الأفعال ومعناها الإستعانة أو الملازمة تبركا أي باسم الله أقرأ أو أتلو وتقديم المعمول للإعتناء به والقصد إلى التخصيص كما في إياك نعبد وتقدير أبدا لاقتضائه اقتصار التبرك على البداية مغل بما هو المقصود أعني شمول البركة لكل وادعاء أن فيه امتثالا بالحديث الشريف من جهة اللفظ والمعنى معاً وفي تقدير أقرأ من جهة المعنى فقط ليس بشيء فإن مدار الامتثال هو البدء بالتسمية لا تقدير فعله إذ لم يقل في الحديث الكريم كل أمر ذي بال لم يقل فيه أو لم يضر فيه أبدا وهذا إلى آخر السورة الكريمة مقول على السنة العباد تلقيناً لهم وإرشاداً إلى كيفية التبرك باسمه تعالى وهداية إلى منهاج الحمد وسؤال الفضل ولذلك سميت السورة الكريمة بما ذكر من تعليم المسألة وإنما كسرت ومن حق الحروف المفردة أن تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الأمر ولام الإضافة داخلية على المظهر للفصل بينهما وبين لام الإبتداء والاسم عند البصريين من الأسماء المحذوفة الأعجاز المبنية الأوائل على السكون قد أدخلت عليها عند الإبتداء همزة لأن من دأبهم البدء بالمتحرك والوقف على الساكن ويشهد له تصريحهم على أسماء وسمى وسميت وسمى كهدى لغة فيه قال [والله أسماك سمي مباركا] أثرك الله به [إشاركاً] والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لأنه رفع للمسمى وتنويه له وعند الكوفيين من السمة وأصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقول إعلاها ورد عليه بأن همزة لم تعد داخلية على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاتهم سم وسم قال باسم الذي في كل سورة سمه وإنما لم يقل بالله للفرق بين اليمين واليمين أو لتحقيق ما هو المقصود بالإستعانة ههنا فإنها تكون تارة بذاته تعالى وحقيقتها طلب المعونة على إيقاع

الفعل وإحداثة أى إفاضة القدرة المفسرة عند الأصوليين من أصحابنا بما يتمكن به العبد من أداء ما لزمه المنقسمة إلى ممكنة وميسرة وهى المطلوبة بإيالك نستعين وتارة أخرى باسمه عز وعلا وحقيقتها طلب المعونة فى كون الفعل معتداً به شرعاً فإنه ما لم يصدر باسمه تعالى يكون بمنزلة المعدوم ولما كانت كل واحدة من الاستعانتين واقعة وجب تعيين المراد بذكر الاسم وإلا فالمتبادر من قولنا بالله عند الإطلاق لاسيما عند الوصف بالرحمن الرحيم هى الاستعانة الأولى إن قيل فليحمل الباء على التبرك وليستغن عن ذكر الاسم لما أن التبرك لا يكون إلا به قلنا ذاك فرع كون المراد بالله هو الاسم وهل التشاجر إلا فيه فلا بد من ذكر الاسم لينقطع احتمال إرادة المسمى ويتعين حمل الباء على الاستعانة الثانية أو التبرك وإنما لم يكتب الألف لكثرة الإستعمال قالوا وطولت الباء عوضاً عنها . و(الله) أصله الإله فحذفت همزته على غير قياس كما ينبىء عنه وجوب الإدغام وتعويض الألف واللام عنها حيث لزمه وجردا عن معنى التعريف ولذلك قيل يالله بالقطع فإن المحذوف القياسى فى حكم الثابت فلا يحتاج إلى التدارك بما ذكر من الإدغام والتعويض وقيل على قياس تخفيف الهمزة فيكون الإدغام والتعويض من خواص الاسم الجليل ليمتاز بذلك عما عداه امتياز مسماه عما سواه بما لا يوجد فيه من نعوت الكمال والإله فى الأصل اسم جنس يقع على كل معبود بحق أو باطل أى مع قطع النظر عن وصف الحقيقة والبطلان لا مع اعتبار أحدهما لا بعينه ثم غلب على المعبود بالحق كالنجم والصعق وأما الله بحذف الهمزة فعلم مختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره أصلاً واشتقاقه من الإلاهة والآلوهة والآلوهية بمعنى العبادة حسبما نص عليه الجوهري على أنه اسم منها بمعنى المألوه كالكتاب بمعنى المكتوب لا على أنه صفة منها بدليل أنه يوصف ولا يوصف به حيث يقال إله واحد ولا يقال شيء إله كما يقال كتاب مرقوم ولا يقال شيء كتاب والفرق بينهما أن الموضوع له فى الصفة هو الذات المبهمة باعتبار اتصافها بمعنى معين وقيامه بها فدلوا لها مركب من ذات مبهمة لم يلاحظ معها خصوصية أصلاً ومن معنى معين قائم بها على أن ملاك الأمر تلك الخصوصية فبأى ذات يقوم ذلك المعنى يصح إطلاق الصفة عليها كما فى الأفعال ولذلك تعمل عملها كاسمى الفاعل والمفعول والموضوع له فى الاسم المذكور هو الذات المعينة والمعنى الخاص فدلوه مركب من ذينك المعنيين من غير رجحان للمعنى على الذات كما فى الصفة ولذلك لم يعمل عملها وقيل اشتقاقه من إله بمعنى تحير لأنه سبحانه يحار فى شأنه العقول والأفهام وأما إله كعبدوزنا ومعنى فشتق من الإله المشتق من إله بالكسر وكذا تأله واستأله اشتقاق استنوق واستحجر من الناقة والحجر وقيل من إله إلى فلان أى سكن إليه لاطمئنان القلوب بذكره تعالى وسكون الأرواح إلى معرفته وقيل من إله إذا فرغ من أمر نزل به وآله غيره إذا أجاره إذ العائد به تعالى يفرغ إليه وهو يحجره حقيقة أو فى زعمه وقيل أصله لاه على أنه مصدر من لاه يليه بمعنى احتجب وارتفع أطلق على الفاعل مبالغة وقيل هو اسم علم للذات الجليل ابتداءً وعليه مدار أمر التوحيد فى قولنا لا إله إلا الله ولا يخفى أن اختصاص الاسم الجليل بذاته سبحانه بحيث لا يمكن إطلاقه على غيره أضلاً كاف فى ذلك ولا يقدح فيه كون ذلك الاختصاص بطريق الغلبة بعد أن كان اسم جنس فى الأصل وقيل هو وصف فى الأصل لكنه لما

غلب عليه بحيث لا يطلق على غيره أصلاً صار كالعلم ويرده امتناع الوصف به واعلم أن المراد بالمنكر في كلمة التوحيد هو المعبود بالحق فعناها لافراد من أفراد المعبود بالحق إلا ذلك المعبود بالحق وقيل أصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الألف الثانية وإدخال الألف واللام عليه وتفخيم لاهه إذا لم ينكسر ما قبله سنة وقيل مطلقاً وحذف ألفه لحن تفسد به الصلاة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر في قوله [ألا لا بارك الله في سهيل * إذا ما الله بارك في الرجال] . (والرحمن الرحيم) صفتان • مبينتان من رحم بعد جعله لازماً بمنزلة الغرائز بنقله إلى رحم بالضم كما هو المشهور وقد قيل إن الرحيم ليس بصفة مشبهة بل هي صيغة مبالغة نص عليه سيديويه في قولهم هو رحيم فلا ناو الرحمة في اللغة رقة القلب والانعطاف ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها والمراد ههنا التفضل والإحسان وإرادتهما بطريق إطلاق اسم السبب بالنسبة إلينا على مسببه البعيد أو القريب فإن أسماء الله تعالى تؤخذ باعتبار الغايات التي هي أفعال دون المبادئ التي هي انفعالات والأول من الصفات الغالبة حيث لم يطلق على غيره تعالى وإنما امتنع صرفه إلحاقاً له بالأغلب في بابه من غير نظر إلى الاختصاص العارض فإنه كما حظ وجود فعلي حظ وجود فعلة فاعتباره يوجب اجتماع الصرف وعدمه فلزم الرجوع إلى أصل هذه الكلمة قبل الاختصاص بأن تقاس إلى نظائرها من باب فعل يفعل فإذا كان كلها ممنوعة من الصرف لتحقيق وجود فعلي فيها علم أن هذه الكلمة أيضاً في أصلها مما تحقق فيها وجود فعلي فتمنع من الصرف وفيه من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قيل يارحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا وتقديمه مع كون القياس تأخير رعايته لأسلوب الترقى إلى الأعلى كما في قولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض لأنه باختصاصه به عز وجل صار حقيقة بأن يكون قريباً للاسم الجليل الخاص به تعالى ولأن ما يدل على جلائل النعم وعظائمها وأصولها أحق بالتقديم مما يدل على دقائقها وفروعها وإفراد الوصفين الشريفين بالذكر لتحريك سلسلة الرحمة . (الحمد لله) الحمد هو النعت بالجميل على الجليل اختياراً يابا كان أو مبدأه ٢ على وجه يشعر ذلك بتوجيهه إلى المنعوت وبهذه الحيثية يمتاز عن المدح فإنه خال عنها يرشدك إلى ذلك ما ترى بينهما من الاختلاف في كيفية التعلق بالمفعول في قولك حمدته ومدحته فإن تعلق الثاني بمفعوله على مناجاة تعلق عامة الأفعال بمفعولاتها وأما الأول فتعلقه بمفعوله منبئ عن معنى الإنهاء كما في قولك كلمته فإنه معرب عما يقيد به لام التبليغ في قولك قلت له ونظيره وشكرته وعبدته وخدمته فإن تعلق كل منها منبئ عن المعنى المذكور وتحقيقه أن مفعول كل فعل في الحقيقة هو الحدث الصادر عن فاعله ولا يتصور في كيفية تعلق الفعل به أي فعل كان اختلاف أصلاً وأما المفعول به الذي هو محله وموقعه فلما كان تعلقه به ووقوعه عليه على أنحاء مختلفة حسبما يقتضيه خصوصيات الأفعال بحسب معانيها المختلفة فإن بعضها يقتضي أن يلبسه ملابس تامة مؤثرة فيه كعامة الأفعال وبعضها يستدعي أن يلبسه أدنى ملابس إما بالانتهاء إليه كالإعانة مثلاً أو بالإبتداء منه كالإستعانة مثلاً اعتبر في كل نحو من أنحاء تعلقه به كيفية لا تقة بذلك النحو مغايرة لما اعتبر في النحويين الأخيرين فنظم القسم الأول من التعلق في سلك التعلق بالمفعول الحقيقي مراعاة لقوة الملابس وجعل كل واحد من القسمين الأخيرين

من قبيل التعلق بواسطة الجار المناسب له فإن قولك أعنته مشعر بانتهاء الإعانة إليه وقولك استعنته بابتدائها منه وقديكون لفعل واحد مفعولان يتعلق بأحدهما على الكيفية الأولى وبالأخر على الثانية أو الثالثة كما في قولك حدثني الحديث وسألني المال فإن التحديث مع كونه فعلاً واحداً قد تعلق بك على الكيفية الثانية وبالحديث على الأولى وكذا السؤال فإنه فعل واحد قد تعلق بك على الكيفية الثالثة وبالمال على الأولى ولا ريب في أن اختلاف هذه الكيفيات الثلاث وتباينها واختصاص كل من المفاعيل المذكورة بما نسب إليه منها مما لا يتصور فيه تردد ولا نكير وإن كان لا يتضح حق الاتضاح إلا عند الترجمة والتفسير وإن مدار ذلك الاختلاف ليس إلا اختلاف الفعل أو اختلاف المفعول وإذا لا اختلاف في مفعول الحمد والمدح تعين أن اختلافهما في كيفية التعلق لا اختلافهما في المعنى قطعاً هذا وقد قيل المدح مطلق عن قيد الإختيار يقال مدحت زيداً على حسنه ورشاقة قده وأياماً كان فليس بينهما ترادف بل أخوة من جهة الاشتقاق الكبير وتناسب تام في المعنى كالنصر والتأييد فإنهما متناسبان معنى من غير ترادف لما ترى بينهما من الاختلاف في كيفية التعلق بالمفعول وإنما مرادف النصر الإعانة ومرادف التأييد التقوية فتدبر ثم إن ما ذكر من التفسير هو المشهور من معنى الحمد واللائق بالإرادة في مقام التعظيم وأما ما ذكر في كتب اللغة من معنى الرضى مطلقاً كما في قوله تعالى عسى أن يعثلك ربك مقاماً محموداً وفي قولهم لهذا الأمر عاقبة حميدة وفي قول الأطباء بحران محمود بما لا يختص بالفاعل فضلاً عن الإختيار فبمعزل عن استحقاق الإرادة ههنا استقلالاً أو استتباعاً بحمل الحمد على ما يعم المعنيين إذ ليس في إثباته له عز وجل فائدة يعتد بها وأما الشكر فهو مقابلة النعمة بالشأن وآداب الجوارح وعقد القلب على وصف المنعم بنعت الكمال كما قال من قال | أفأدتم النعماء منى ثلاثة • يدى ولسانى والضمير المحجبا | فإذا هو أعم منهما من جهة وأخص من أخرى ونقيضه الكفران ولما كان الحمد من بين شعب الشكر أدخل في إشاعة النعمة والاعتداد بشأنها وأدل على مكانها لما في عمل القلب من الخفاء وفي أعمال الجوارح من الاحتمال جعل الحمد رأس الشكر وملاكا لأمره في قوله ﷺ الحمد رأس الشكر ماشكر الله عبد لم يحمده وارتفاعة بالابتداء وخبره الظرف وأصله النصب كما هو شأن المصادر المنصوبة بأفعالها المضمرّة التي لا تكاد تستعمل معها نحو شكر أو عجباً كأنه قيل نحمد الله حمداً بنون الحكاية ليوافق ما في قوله تعالى إياك نعبد وإياك نستعين لاتحاد الفاعل في الكل وأما ما قيل من أنه بيان الحمد له تعالى كأنه قيل كيف تحمدون فقيل إياك نعبد فمع أنه لا حاجة إليه بما لا صحة له في نفسه فإن السؤال المقدر لابد أن يكون بحيث يقتضيه انتظام الكلام وينساق إليه الأذهان والأفهام ولا ريب في أن الحامد بعد ما ساق حمده تعالى على تلك الكيفية اللائقة لا يخطر ببال أحد أن يسأل عن كيفيته على أن ما قدر من السؤال غير مطابق للجواب فإنه مسوق لتعيين المعبود لا لبيان العبادة حتى يتوهم كونه بياناً لكيفية حمدهم والاعتذار بأن المعنى نخصك بالعبادة وبه يتبين كيفية الحمد تعكيس للأمر وتحمل لتوفيق المنزل المقرر بالموهوم المقدر وبعد اللتيا والتي أن فرض السؤال من جهته عز وجل فأتت نكتت الإلتفات التي أجمع عليها السلف والخلف وإن فرض من جهة الغير يختل النظام لا ببناء الجواب على خطابه تعالى

وهذا يتضح فساد ما قيل أنه استئناف جواباً لسؤال يقتضيه إجراء تلك الصفات العظام على الموصوف بها فكأنه قيل ما شأنكم معه وكيف توجهكم إليه فأجيب بحصر العبادة والاستعانة فيه فإن تناسى جانب السائل بالكلية وبناء الجواب على خطابه عز وجل مما يجب تنزيهه ساحة التنزيل عن أمثاله والحق الذي لا يحيد عنه أنه استئناف صدر عن الحامد بمحض ملاحظة اتصافه تعالى بما ذكر من النعوت الجليلة الموجبة للإقبال الكلي عليه من غير أن يتوسط هناك شيء آخر كما ستحيط به خبراً وإثارة الرفع على النصب الذي هو الأصل للإيدان بأن ثبوت الحمد له تعالى لذاته لا لإثبات مثبت وأن ذلك أمر دائم مستمر لا حادث متجدد كما تفيد قراءة النصب وهو السرفى كون تحية الخليل للملائكة عليهم التحية والسلام أحسن من تحيتهم له في قوله تعالى قالوا سلاماً قال سلام وتعريفه للجنس ومعناه الإشارة إلى الحقيقة من حيث هي حاضرة في ذهن السامع والمراد تخصيص حقيقة الحمد به تعالى المستدعى لتخصيص جميع أفرادها به سبحانه على الطريق البرهاني لكن لا بناء على أن أفعال العباد مخلوقة له تعالى فتكون الأفراد الواقعة بمقابلة ما صدر عنهم من الأفعال الجميلة راجعة إليه تعالى بل بناء على تنزيل تلك الأفراد ودواعيها في المقام الخطابى منزلة العدم كيفاً وكما وقد قيل الإستغراق الحاصل بالقصد إلى الحقيقة من حيث تحققها في ضمن جميع أفرادها حسبما يقتضيه المقام وقرئ الحمد لله بكسر الدال اتباعاً باللام وبضم اللام اتباعاً لها بالدال بناء على تنزيل الكلمتين لكثرة استعمالهما مقترنتين منزلة كلمة واحدة مثل المغيرة ومنحدر الجبل .

- (رب العالمين) بالجر على أنه صفة لله فإن إضافته حقيقة مفيدة للتعريف على كل حال ضرورة تعيين إرادة الاستمرار وقرئ منصوباً على المدح أو بما دل عليه الجملة السابقة كأنه قيل نحمد الله رب العالمين ولا مساغ لنصبه بالحمد لقلة أعمال المصدر المحلى باللام وللزوم الفصل بين العامل والمعمول بالخبر والرب في الأصل مصدر بمعنى التربية وهى تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً وصف به الفاعل مبالغة كالعدل وقيل صفة مشبهة من ربه يربه مثل نمه ينمه بعد جعله لازماً بنقله إلى فعل بالضم كما هو المشهور سمي به المالك لأنه يحفظ ما يملكه ويربّه ولا يطلق على غيره تعالى إلا مقيد كرب الدار ورب الدابة ومنه قوله تعالى فيسقى ربه خمرأ وقوله تعالى ارجع إلى ربك وما فى الصحيحين من أنه ﷺ قال لا يقل أحدكم أطعم ربك وضئ ربك ولا يقل أحدكم ربى وليقل سيدى ومولائى فقد قيل إن النهى فيه للتنزيه وأما الأرباب فحيث لم يكن إطلاقه على الله سبحانه جاز فى إطلاقه الإطلاق والتقيد كما فى قوله تعالى أرباب متفرقون خير الآية والعالم اسم لما يعلم به كالتام والقالب غلب فيما يعلم به الصانع تعالى من المصنوعات أى فى القدر المشترك بين أجناسها وبين مجموعها فإنه كما يطلق على كل جنس جنس منها فى قولهم عالم الأفلاك وعالم العناصر وعالم النبات وعالم الحيوان إلى غير ذلك يطلق على المجموع أيضاً كما فى قولنا العالم بجميع أجزائه محدث وقيل هو اسم لاولى العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لما سواهم بطريق الاستنباع وقيل أريد به الناس فقط فإن كل واحد منهم من حيث اشتماله على نظائر ما فى العالم الكبير من الجواهر والأعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما فيه عالم على حياله ولذلك أمر بالنظر فى الأنفس كالنظر فى الآفاق فقيل وفى أنفسكم أفلا تبصرون والأول هو الآخر الأظهر وإثارة صيغة الجمع لبيان شمول ربوبيته تعالى لجميع

الأجناس والتعريف لاستغراق أفراد كل منها بأسرها إذ لو أفرد لربما توهم أن المقصود بالتعريف هو الحقيقة من حيث هي أو استغراق أفراد جنس واحد على الوجه الذي أشير إليه في تعريف الحمد وحيث صح ذلك بمساعدة التعريف نزل العالم وإن لم ينطلق على آحاد مدلوله منزلة الجمع حتى قيل أنه جمع لا واحد له من لفظه فكذا أن الجمع المعروف يستغرق آحاد مفردة وإن لم يصدق عليها كما في مثل قوله تعالى والله يحب المحسنين أى كل محسن كذلك العالم يشمل أفراد الجنس المسمى به وإن لم ينطلق عليها كأنها آحاد مفردة التقديرى ومن قضية هذا النزول تنزيل جمعه منزلة جمع الجمع فكذا أن الأقاويل يتناول كل واحد من آحاد الأقوال يتناول لفظ العالمين كل واحد من آحاد الأجناس التى لا تكاد تحصى روى عن وهب ابن منبه أنه قال لله تعالى ثمانية عشر ألف عالم والدنيا عالم منها وإنما جمع بالواو والنون مع اختصاص ذلك بصفات العقلاء وما فى حكمها من الأعلام لدلالته على معنى العلم مع اعتبار تغليب العقلاء على غيرهم واعلم أن عدم انطلاق اسم العالم على كل واحد من تلك الآحاد ليس إلا باعتبار الغلبة والاصطلاح وأما باعتبار الأصل فلا ريب فى صحة الإطلاق قطعاً لتحقيق المصداق حتماً فإنه كما يستدل على الله سبحانه بمجموع ماسواه وبكل جنس من أجناسه يستدل عليه تعالى بكل جزء من أجزاء ذلك المجموع وبكل فرد من أفراد تلك الأجناس لتحقيق الحاجة إلى المؤثر الواجب لذاته فى الكل فإن كل مظهر فى المظاهر بما عزوهان وحضر فى هذه المحاضر كأنما كان دليل لا تمح على الصانع المجيد وسبيل واضح إلى عالم التوحيد وأما شمول ربوبيته عز وجل للكل فمما لا حاجة إلى بيانه إذ لا شىء مما أحقق به نطاق الإمكان والوجود من العلويات والسفليات والمجردات والماديات والروحانيات والجسمانيات إلا وهو فى حد ذاته بحيث لو فرض انقطاع آثار التربية عنه آناً واحداً لما استقر له القرار ولا اطمأنت به الدار إلا فى مطمورة العدم ومهاوى البوار لكن يفيض عليه من الجنانب الأقدس تعالى شأنه وتقديس فى كل زمان يمضى وكل آن يمر وينقضى من فنون الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وصفاته وكمالاته مالا يحيط به فلك التعبير ولا يعلمه إلا العليم الخبير ضرورة أنه كما لا يستحق شىء من الممكنات بذاته الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء وإنما ذلك من جناب المبدأ الأول عز وعلا فكذا لا يتصور وجوده ابتداء مالم ينسد عليه جميع أنحاء عدمه الأصل لا يتصور بقاءه على الوجود بعد تحققه بعلمته مالم ينسد عليه جميع أنحاء عدمه الطارىء لما أن الدوام من خصائص الوجود الواجبى وظاهر أن ما يتوقف عليه وجوده من الأمور الوجودية التى هى علله وشرايطه وإن كانت متناهية لوجوب تنهاى ما دخل تحت الوجود لكن الأمور العدمية التى لها دخل فى وجوده وهى المعبر عنها بارتفاع الموانع ليست كذلك إذ لا استحالة فى أن يكون لشىء واحد موانع غير متناهية يتوقف وجوده أو بقاءه على ارتفاعها أى بقائها على العدم مع إمكان وجودها فى نفسها فإبقاء تلك الموانع التى لا تنهاى على العدم تربية لذلك الشىء من وجوه غير متناهية وبالجملة فآثار تربيته عز وجل الفائضة على كل فرد من أفراد الموجودات فى كل آن من آتات الوجود غير متناهية فسبحانه سبحانه ما أعظم سلطانه لا تلاحظه العيون بأنظارها ولا تطالعه العقول بأفكارها شأنه لا يضاهى وإحسانه لا يتناهى ونحن فى معرفته حائرون وفى إقامة مراسم شكره قاصرون نسألك اللهم الهداية

إلى مناهج معرفتك والتوفيق لأداء حقوق نعمتك لانحصى ثناء عليك لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب
إليك . (الرحمن الرحيم) صفتان لله فإن أريد بما فيهما من الرحمة ما يختص بالعقلاء من العالمين أو ما يفيض
٣ على الكل بعد الخروج إلى طور الوجود من النعم فوجه تأخيرهما عن وصف الربوبية ظاهر وإن أريد
ما يعم الكل في الأطوار كلها حسبما في قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء فوجه الترتيب أن الترية
لا تقتضى المقارنة للرحمة فأيرادها في عقبها للإيدان بأنه تعالى متفضل فيها فاعل بقضية رحمته السابقة
من غير وجوب عليه وبأنها واقعة على أحسن ما يكون والاقتصار على نعمته تعالى بهما في التسمية لما أنه
الأنسب بحال المتبرك المستعين باسمه الجليل والأوفق لمقاصده . (مالك يوم الدين) صفة رابعة له تعالى
٤ وتأخيرها عن الصفات الأولى مما لا حاجة إلى بيان وجهه وقرأ أهل الحرمين المحترمين ملك من الملك
الذى هو عبارة عن السلطان القاهر والإستيلاء الباهر والغلبة التامة والقدرة على التصرف الكلى في
أمور العامة بالأمر والنهي وهو الأنسب بمقام الإضافة إلى يوم الدين كما في قوله تعالى لمن الملك اليوم
لله الواحد القهار وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الماضي ومالك بالنصب على المدح أو الحال وبالرفع
منونا ومضافا على أنه خبر مبتدأ محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب واليوم في العرف عبارة عما بين
طلوع الشمس وغروبها من الزمان وفي الشرع عما بين طلوع الفجر الثاني وغروب الشمس والمراد ههنا
مطلق الوقت والدين الجزاء خيرا كان أو شرا ومنه الثاني في المثل السائر كما تدين تدان والأول في بيت
الحماسة | ولم يبق سوى العدوا * ن دناهم كما دانوا | وأما الأول في الأول والثاني في الثاني فليس
بجزاء حقيقة وإنما سمي به مشاكلة أو تسمية للشيء باسم مسببه كما سميت إرادة القيام والقراءة باسمهما
في قوله عز اسمه إذا قمتم إلى الصلاة وقوله تعالى فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ولعله هو السرفى بناء
المفاعلة من الأفعال التي تقوم أسبابها بمفعولاتها نحو عاقبت اللص ونظائره فإن قيام السرقة التي هي سبب
للعقوبة باللص نزل منزلة قيام المسبب به وهي العقوبة فصار كأنها قامت بالجانبين وصدرت عنهما فبنيت
صيغة المفاعلة الدالة على المشاركة بين الإثنين وإضافة اليوم إليه لأدنى ملازمة كإضافة سائر الظروف
الزمانية إلى ما وقع فيها من الحوادث كيوم الأحزاب وعام الفتح وتخصيصه من بين سائر ما يقع فيه من
القيام والجمع والحساب لكونه أدخل في الترغيب والترهيب فإن ما ذكر من القيام وغيرها من مبادئ
الجزاء ومقدماته وإضافة مالك إلى اليوم من إضافة اسم الفاعل إلى الظرف على نهج الإتساع المبني على إجرائه
مجرى المفعول به مع بقاء المعنى على حاله كقولهم ياسارق الليلة أهل الدار أى مالك أمور العالمين كلها في
يوم الدين وخلو إضافته عن إفادة التعريف المسوغ لوقوعه صفة للمعرفة وإنما هو إذا أريد به الحال أو
الاستقبال وأما عند إرادة الإستمرة الثبوتى كما هو اللائق بالمقام فلا ريب في كونها إضافة حقيقية
كإضافة الصفة المشبهة إلى غير معمولها في قراءة ملك يوم الدين ويوم الدين وإن لم يكن مستمر فى جميع
الآزمنة إلا أنه لتحقيق وقوعه وبقائه أبداً أجرى مجرى المتحقق المستمر ويجوز أن يراد به الماضى بهذا
الاعتبار كما يشهد به القراءة على صيغة الماضى وما ذكر من إجراء الظرف مجرى المفعول به إنما هو من
حيث المعنى لا من حيث الإعراب حتى يلزم كون الإضافة لفظية ألا ترى أنك تقول فى مالك عبده

أمس أنه مضاف إلى المفعول به على معنى أنه كذلك معنى لا أنه منصوب محلاً وتخصيصه بالإضافة إما
 لتعظيمه وتهويله أو لبيان تفرده تعالى بإجراء الأمر فيه وانقطاع العلائق المجازية بين الملاك والأُملاك
 حينئذ بالكلية وإجراء هاتيك الصفات الجليلة عليه سبحانه تعليل لما سبق من اختصاص الحمد به تعالى
 المستلزم لاختصاص استحقاقه به تعالى وتمهيد لما لحق من اقتصار العبادة والاستعانة عليه فإن كل واحدة
 منها مفصحة عن وجوب ثبوت كل واحد منها له تعالى وامتناع ثبوتها لما سواه أما الأولى والرابعة
 فظاهر لأنهما متعرضتان صراحة لكونه تعالى رباً مالكا وما سواه مربوباً مملوكاً له تعالى وأما الثانية
 والثالثة فلأن اتصافه تعالى بهما ليس إلا بالنسبة إلى ما سواه من العالمين وذلك يستدعي أن يكون الكل
 منعماً عليهم فظهر أن كل واحدة من تلك الصفات كما دلت على وجوب ثبوت الأمور المذكورة له تعالى
 دلت على امتناع ثبوتها لما عداه على الإطلاق وهو المعنى بالإختصاص . (إياك نعبد وإياك نستعين)
 الثفات من الغيبة إلى الخطاب وتلوين للنظم من باب إلى باب جار على نهج البلاغة في افتنان الكلام
 ومسلك البراعة حسبما يقتضى المقام لما أن التنقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل في استجلاب النفوس
 واستمالة القلوب يقع من كل واحد من التكلم والخطاب والغيبة إلى كل واحد من الآخرين كما في قوله
 عز وجل الله الذى أرسل الرياح فتثير سحاباً آية وقوله تعالى حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم إلى غير
 ذلك من الالتفاتات الواردة فى التنزيل لا سرار تقتضيها ومزايا تستدعيها وما استأثر به هذا المقام الجليل
 من النكت الرائقة الدالة على أن تخصيص العبادة والاستعانة به تعالى لما أجرى عليه من النعوت الجليلة
 التى أوجبت له تعالى أكمل تميز وأتم ظهور بحيث تبدل خفاء الغيبة بجلاء الحضور فاستدعى استعمال
 صيغة الخطاب والإيدان بأن حق التالى بعدما تأمل فيما سلف من تفرده تعالى بذاته الأقدس المستوجب
 للعبودية وامتياز به ذاته عما سواه بالكلية واستبداده بجلائل الصفات وأحكام الربوبية المميزة له عن جميع
 أفراد العالمين وافتقار الكل إليه فى الذات والوجود ابتداء وبقاء على التفصيل الذى مرت إليه الإشارة
 أن يترقى من رتبة البرهان إلى طبقة العيان وينتقل من عالم الغيبة إلى معالم الشهود ويلاحظ نفسه فى
 حظائر القدس حاضراً فى محاضر الأنس كأنه واقف لدى مولاه مائل بين يديه وهو يدعو بالخضوع
 والإخبات ويقرع بالضراعة باب المناجاة قائلاً من هذه شئون ذاته وصفاته نخسك بالعبادة والاستعانة
 فإن كل ما سواك كأننا ما كان بمعزل من استحقاق الوجود فضلاً عن استحقاق أن يعبد أو يستعان ولعل
 هذا هو السر فى اختصاص السورة الكريمة بوجوب القراءة فى كل ركعة من الصلاة التى هى مناجاة
 العبد لمولاه ومثناة للتبذل إليه بالكلية و(إيا) ضمير منفصل منصوب وما يلحقه من الكاف والياء والهاء
 حروف زبدت لتعيين الخطاب والتكلم والغيبة لا محل لها من الإعراب كالتاء فى أنت والكاف فى أرىتك
 وما ادعاه الخليل من الإضافة محتجاً عليه بما حكاه عن بعض العرب إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيا
 الشواب فيما لا يعول عليه وقبل هى الضمائر وإيا دعامة لها لتصيرها منفصلة وقبل الضمير هو المجموع
 وقرئ إياك بالتخفيف وبفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء والعبادة أقصى غاية التذلل
 والخضوع ومنه طريق معبد أى مذل والعبودية أدنى منها وقبل العبادة فعل ما يرضى به الله والعبودية

الرضى بما فعل الله تعالى والاستعانة طلب المعونة على الوجه الذى مر بيانه وتقديم المفعول فيهما لما ذكر من القصر والتخصيص كما فى قوله تعالى وإياى فارهبون مع ما فيه من التعظيم والاهتمام به قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتكرير الضمير المنصوب للتخصيص على تخصيصه تعالى بكل واحدة من العبادة والاستعانة وإبراز الاستلذاذ بالمناجاة والخطاب وتقديم العبادة لما أنها من مقتضيات مدلول الاسم الجليل وإن ساعده الصفات المجراة عليه أيضاً وأما الاستعانة فمن الأحكام المبنية على الصفات المذكورة ولأن العبادة من حقوق الله تعالى والاستعانة من حقوق المستعين ولأن العبادة واجبة حتما والاستعانة تابعة للمستعان فيه فى الوجوب وعدمه وقيل لأن تقديم الوسيلة على المسئول أدعى إلى الإجابة والقبول هذا على تقدير كون إطلاق الاستعانة على المفعول فيه ليتناول كل مستعان فيه كما قالوا وقد قيل إنه لما أن المسئول هو المعونة فى العبادة والتوفيق لإقامة مراسمها على ما ينبغى وهو اللائق بشأن التنزيل والمناسب لحال الخامد فإن استعانت به مسبوقة بملاحظة فعل من أفعاله ليستعينه تعالى فى إيقاعه ومن البين أنه عند استغراقه فى ملاحظة شئونه تعالى واشتغاله بأداء ما يوجب تلك الملاحظة من الحمد والثناء لا يكاد يخطر بباله من أفعاله وأحواله إلا الإقبال الكلى عليه والتوجه التام إليه ولقد فعل ذلك بتخصيص العبادة به تعالى أولاً وباستدعاء الهداية إلى ما يوصل إليه آخرأ فكيف يتصور أن يشتغل فيما بينهما بما لا يعنيه من أمور دنياه أو بما يعمها وغيرها كأنه قيل وإياك نستعين فى ذلك فإننا غير قادرين على أداء حقوقه من غير إعانة منك فوجه الترتيب حينئذ واضح وفيه من الإشعار بعلو رتبة عبادته تعالى وعزّة منالها وبكونها عند العابد أشرف المباحى والمقاصد وبكونها من مواهبه تعالى لا من أعمال نفسه ومن الملائمة لما يعقبه من الدعاء مالا يخفى وقيل الواو للحال أى إياك نعبد مستعينين بك وإيثار صيغة المتكلم مع الغير فى الفعلين للإيدان بقصور نفسه وعدم لياقته بالوقوف فى مواقف الكبرياء منفرداً وعرض العبادة واستدعاء المعونة والهداية مستقلاً وأن ذلك إنما يتصور من عصاة هو من جملتهم وجماعة هو من زميرتهم كما هو ديدن الملوك أو الإشعار باشتراك سائر الموحدين له فى الحال العارضة له بناء على تعاضد الأدلة الملجئة إلى ذلك وقرئ نستعين بكسر النون على لغة بنى تميم . (اهدنا الصراط المستقيم) ٦ أفراد لمعظم أفراد المعونة المسئولة بالذكر وتعيين لما هو الأهم أو بيان لها كأنه قيل كيف أعينكم فقيل اهدنا والهداية دلالة بلطف على ما يوصل إلى البغية ولذلك اختصت بالخير وقوله تعالى فاهدوهم إلى صراط الجحيم وارد على نهج التهم والأصل تعديته يالى واللام كما فى قوله تعالى قل هل من شركائكم من يهدى إلى الحق قل الله يهدى للحق فعومل معاملة اختار فى قوله تعالى واختار موسى قومه وعليه قوله تعالى لنهدينهم سبلنا وهداية الله تعالى مع تنوعها إلى أنواع لا تكاد تحصر منحصرة فى أجناس مترتبة منها أنفسية كإفاضة القوى الطبيعية والحيوانية التى بها يصدر عن المراء أفاعيله الطبيعية والحيوانية والقوى المدركة والمشاعر الظاهرة والباطنة التى بها يتمكن من إقامة مصالحه المعاشية والمعادية ومنها آفاقية فإما تكوينية معربة عن الحق بلسان الحال وهى نصب الأدلة المودعة فى كل فرد من أفراد العالم حسبما لوح به فيما سلف وإما تنزيلية مفصحة عن تفاصيل الأحكام النظرية والعملية بلسان المقال بإرسال الرسل

وإنزال الكتب المنطوية على فنون الهدايات التي من جملتها الإرشاد إلى مسلك الاستدلال بتلك الأدلة التكوينية الآفاقية والانفسية والتنبيه على مكانها كما أشير إليه مجملاً في قوله تعالى وفي الأرض آيات للدوقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون وفي قوله عز وعلا إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون ومنها الهداية الخاصة وهي كشف الأسرار على قلب المهدي بالوحي أو الإلهام ولكل مرتبة من هذه المراتب صاحب ينتجها وطالب يستدعيها والمطلوب إما زيادتها كما في قوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وإما الثبات عليها كما روى عن علي وأبي رضى الله عنهما اهدنا نبتنا ولفظ الهداية على الوجه الأخير مجاز قطعاً وأما على الأول فإن اعتبر مفهوم الزيادة داخلاً في المعنى المستعمل فيه كان مجازاً أيضاً وإن اعتبر خارجاً عنه مدلولاً عليه بالقرائن كان حقيقة لأن الهداية الزائدة هداية كما أن العبادة الزائدة عبادة فلا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز وقرئ أرشدنا والصراط الجادة أصله السين قلبت صاداً لما كان الطاء كصيطر في مسيطر من شرط الشيء إذا ابتلعه سميت به لأنها تسترط السابلة إذا سلكوها كما سميت لقها لأنها تلتقمهم وقد تشم الصاد صوت الزاى تحرياً للقرب من المبدل منه وقد قرئ بهن جميعاً وفصحاً من إخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الإمام وجمعه صرط ككتاب وكتب وهو كالطريق والسبيل في التذكير والتأنيث والمستقيم المستوى والمراد به طريق الحق وهي الملة الخيفية السمحة المتوسطة بين الإفراط والتفريط . (صراط الذين أنعمت عليهم) بدل من الأول بدل الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث إنه المقصود بالنسبة وفائدته التأكيد والتنصيص على أن طريق الذين أنعم الله عليهم وهم المسلمون هو العلم في الاستقامة والمشهود له بالاستواء بحيث لا يذهب الوهم عند ذكر الطريق المستقيم إلا إليه وإطلاق الإنعام لقصد الشمول فإن نعمة الإسلام عنوان النعم كلها فمن فاز بها فقد حازها بجذافيرها وقيل المراد بهم الأنبياء عليهم السلام ولعل الأظهر أنهم المذكورون في قوله عز قائلًا فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بشهادة ما قبله من قوله تعالى ولهديناهم صراطاً مستقيماً وقيل هم أصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل النسخ والتحريف وقرئ صراط من أنعمت عليهم والإنعام إيصال النعمة وهي في الأصل الحالة التي يستلذها الإنسان من النعمة وهي اللين ثم أطلقت على ما تستلذه النفس من طيبات الدنيا . ونعم الله تعالى مع استحالة إحصائها ينحصر أصولها في دنيوى وأخروى والأول قسيان وهبي وكسبي والوهبي أيضاً قسيان روحاني كنفخ الروح فيه وإمداده بالعقل وما يتبعه من القوى المدركة فإنها مع كونها من قبيل الهدايات نعم جليلة في أنفسها وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة وسلامة الأعضاء والكسبي تحلية النفس عن الرذائل وتحليتها بالأخلاق السنية والمسلكات البهية وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلي المرضية وحصول الجاه والمال . والثاني مغفرة ما فرط منه والرضى عنه وتبؤته في أعلى عليين مع المقرين والمطلوب هو القسم الأخير وما هو ذريعة إلى نيته من القسم الأول اللهم ارزقنا ذلك بفضلك العظيم ورحمتك الواسعة . (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) صفة للوصول على أنه عبارة عن إحدى الطوائف المذكورة المشهورة بالإنعام عليهم واستقامة المسلك ومن ضرورة

هذه الشهرة شهرتهم بالمغايرة لما أضيف إليه كلمة غير من المتصفين بضدى الوصفين المذكورين أعنى مطلق المغضوب عليهم والضالين فاكتمست بذلك تعرفاً مصححاً لوقوعها صفة للبرقة كما في قولك عليك بالحركة غير السكون وصفوا بذلك تكلمة لما قبله وإيداناً بأن السلامة مما ابتلي به أولئك نعمة جليلة في نفسها أى الذين جمعوا بين النعمة المطلقة التى هى نعمة الإيمان ونعمة السلامة من الغضب والضلال وقيل المراد بالموصول طائفة من المؤمنين لا بأعيانهم فيكون بمعنى النكرة كذى اللام إذا أريد به الجنس في ضمن بعض الأفراد لا بعينه وهو المسمى بالمعهود الذهنى وبالمغضوب عليهم والضالين اليهود والنصارى كما ورد في مسند أحمد والترمذى فيبقى لفظ غير على إبهامه نكرة كمثل موصوفة وأنت خير بأن جعل الموصول عبارة عما ذكر من طائفة غير معينة محل ببدلية ما أضيف إليه مما قبله فإن مدارها كون صراط المؤمنين علماً فى الاستقامة مشهوداً له بالاستواء على الوجه الذى تحققته فيما سلف ومن البين أن ذلك من حيث إضافته وانتسابه إلى كلهم لا إلى بعض مبهم منهم وبهذا تبين أن لا سبيل إلى جعل غير المغضوب عليهم بدلاً من الموصول لما عرفت من أن شأن البدل أن يفيد متبوعه مزيد تأكيد وتقرير وفضل إيضاح وتفسير ولا ريب فى أن قصارى أمر مانحن فيه أن يكتسب مما أضيف إليه نوع تعرف مصحح لوقوعه صفة للموصل وأما استحقاق أن يكون مقصوداً بالنسبة مفيداً لما ذكر من الفوائد فكلوا قرىء بالنصب على الحال والعامل أنعمت أو على المدح أو على الاستثناء إن فسر النعمة بما يعم القليلين والغضب هيجان النفس لإرادة الانتقام وعند إسناده إلى الله سبحانه يراد به غايته بطريق إطلاق اسم السبب بالنسبة إلينا على مسببه القريب إن أريد به إرادة الانتقام وعلى مسببه البعيد إن أريد به نفس الانتقام ويجوز حمل الكلام على التمثيل بأن يشبه الهيئته المنتزعة من سخطه تعالى للعصاة وإرادة الانتقام منهم لمعاصيهم بما ينتزع من حال الملك إذا غضب على الذين عصوه وأراد أن ينتقم منهم ويعاقبهم وعليهم مرتفع بالمغضوب قائم مقام فاعله والعدول عن إسناد الغضب إليه تعالى كالإنعام جرى على منهاج الآداب التنزيلية فى نسبة النعم والخيرات إليه عز وجل دون أضدادها كما فى قوله تعالى الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطمئنى ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين وقوله تعالى وإنا لا ندرى أشرايرىء فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً ولا مزبدة لتأكيد ما أفاده غير من معنى النفي كأنه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز أن أزيداً غير ضارب جواز أنا زيدا لا ضارب وإن امتنع أنا زيدا مثل ضارب والضلال هو العدول عن الصراط السوى وقرىء وغير الضالين وقرىء ولا الضالين بالهمزة على لغة من جد فى الحرب من التقاء الساكنين . (أمين) اسم فعل هو استجب وعن ابن عباس رضى الله عنهما سألت رسول الله ﷺ عن معنى آمين فقال افعل بنى على الفتح كآين لا لتقاء الساكنين وفيه لغتان مدألفه وقصرها قال ويرحم الله عبداً قال آمينا وقال آمين فزاد الله ما بيننا بعداً عن النبى ﷺ لقننى جبريل آمين عند فراغى من قراءة فاتحة الكتاب وقال إنه كالحتم على الكتاب وليست من القرآن وفاقا ولكن يسن ختم السورة الكريمة بها والمشهور عن أبى حنيفة رحمه الله أن المصلى يأتى بها مخافتة وعنه أنه لا يأتى بها الإمام لأنه الداعى وعن الحسن رحمه الله مثله وروى الإخفاء عبد الله بن مغفل وأنس بن مالك عن النبى ﷺ

الْم ٢ البقرة

وعند الشافعي رحمه الله يجهر بها لما روى وائل بن حجر أن النبي ﷺ كان إذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته عن رسول الله ﷺ أنه قال لأبي بن كعب ألا أخبرك بسورة لم ينزل في التوراة والإنجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب إنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته . وعن حذيفة بن اليان رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضياً فيقرأ صبيهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة .

﴿ سورة البقرة مدنية وهي مائتان وسبع وثمانون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (الم) الألفاظ التي يعبر بها عن حروف المعجم التي من جملتها المقطعات المرقومة في فواتح السور الكريمة أسماء لها لا ندر اجمها تحت حد الاسم ويشهد به ما يعترضها من التعريف والتكثير والجمع والتصغير وغير ذلك من خصائص الاسم وقد نص على ذلك أساطين أئمة العربية وما وقع في عبارات المتقدمين من التصريح بحرفيتها محمول على المسامحة وأما ما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه من أنه ﷺ قال من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف وفي رواية التزمذى والدارمى لا أقول الم حرف وذلك الكتاب حرف ولكن الألف حرف واللام حرف والميم حرف والذال حرف والكاف حرف فلا تعلق له بما نحن فيه قطعاً فإن إطلاق الحرف على ما يقابل الاسم والفعل عرف جديد اخترعه أئمة الصناعة وإنما الحرف عند الأوائل ما يتركب منه الكلم من الحروف المبسوطة وربما يطلق على الكلمة أيضاً تجوزاً فأريد بالحديث الشريف دفع توهم التجوز وزيادة تعيين إرادة المعنى الحقيقي ليتبين بذلك أن الحسنة الموعودة ليست بعدد الكلمات القرآنية بل بعدد حروفها المكتوبة في المصاحف كما يلوح به ذكر كتاب الله دون كلام الله أو القرآن وليس هذا من تسمية الشيء باسم مدلوله في شيء كما قبل كيف لا والمحكوم عليه بالحرفية واستتباع الحسنة إنما هي المسميات البسيطة الواقعة في كتاب الله عز وجل سواء عبر عنها بأسمائها أو بأنفسها كما في قولك السين مهملة والشين معجمة مثلثة وغير ذلك مما لا يصدق المحمول إلا على ذات الموضوع لا أسماؤها المؤلفات كما إذا قلت الألف مؤلف من ثلاثة أحرف فكما أن الحسنات في قراءة قوله تعالى ذلك الكتاب بمقابلة حروفه البسيطة وموافقة لعددتها كذلك في قراءة قوله تعالى الم بمقابلة حروفه الثلاثة المكتوبة وموافقة لعددتها لا بمقابلة أسمائها المفقوطة وإلا لفات الموافقة في العدد إذ الحكم بأن كلامها حرف واحد مستلزم للحكم بأنه مستتبع لحسنة واحدة فالعبرة في ذلك بالمعبر عنه دون المعبر به ولعل السر فيه أن استتباع الحسنة منوط بإفادة المعنى المراد بالكلمات القرآنية فكما أن سائر الكلمات الشريفة لا تفيد معانيها إلا بتلفظ حروفها بأنفسها كذلك الفواتح المكتوبة لا تفيد المعاني المقصودة بها إلا بالتعبير عنها بأسمائها فجعل ذلك تلفظاً بالمسميات كالقسم

الأول من غير فرق بينهما ألا يرى إلى ما في الرواية الأخيرة من قوله ﷺ والذال حرف والكاف حرف كيف عبر عن طرفي ذلك بإسميهما مع كونهما ملفوظين بأنفسهما ولقد روعيت في هذه التسمية نكتة رائعة حيث جعل كل مسمى لكونه من قبيل الألفاظ صدرأ لاسمه ليسكون هو المفهوم منه أثر ذى أثر خلا أن الألف حيث تعذر الابتداء بها استعيرت مكانها الهمزة وهي معربة إذ لا مناسبة بينها وبين مبنى الأصل لكنها ما لم تلها العوامل ساكنة الإعجاز على الوقف كأسماء الأعداد وغيرها حين خلت عن العوامل ولذلك قيل صاد وقاف مجموعا فيهما بين الساكنين ولم يعامل معاملة أين وكيف وهؤلاء وإن وليها عامل مسها الإعراب وقصر ما آخره ألف عند التهجي لا بتغاء الخفة لا لأن وزانه وزان لا تقصر تارة فتكون حرفا وتمد أخرى فيكون اسما لها كما في قول حسان رضى الله عنه | ما قال لا قط إلا في تشهده * لولا التشهد لم تسمع له لاء | هذا وقد تسلموا في شأن هذه الفوائج الكريمة وما أريد بها فليل إنها من العلوم المستورة والأسرار المحجوبة روى عن الصديق رضى الله عنه أنه قال في كل كتاب سر وسر القرآن أوائل السور وعن علي رضى الله عنه أن لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال عجزت العبداء عن إدراكها وسئل الشعبي عنها فقال سر الله عز وجل فلا تطلبوه وقيل إنها أسماء الله تعالى وقيل كل حرف منها إشارة إلى اسم من أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته تعالى وقيل إنها صفات الأفعال الألف آلاؤه واللام لطفه والميم مجده وملكه قاله محمد بن كعب القرظي وقيل إنها من قبيل الحساب وقيل الألف من الله واللام من جبريل والميم من محمد أى أنزل الله الكتاب بواسطة جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام وقيل هي أقسام من الله تعالى بهذه الحروف المعجمة لشرفها من حيث أنها أصول اللغات ومبادئ كتبه المنزلة ومباني أسمائه الكريمة وقيل إشارة إلى انتهاء كلام وابتداء كلام آخر وقيل ولكن الذى عليه التعويل إما كونها أسماء للسور المصدرة بها وعليه إجماع الأكثر وإليه ذهب الخليل وسيبويه قالوا سميت بها إيدانا بأنها كلمات عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الألفاظ فيكون فيه إيماء إلى الإعجاز والتحدى على سبيل الإيقاظ فلولا أنه وحى من الله عز وجل لما عجزوا عن معارضته ويقرب منه ما قاله الكلبي والسدي وفتادة من أنها أسماء للقرآن والتسمية بثلاثة أسماء فصاعداً إنما تستنكر في لغة العرب إذا ركبت وجعلت اسماً واحداً كما في حضرموت فأما إذا كانت منشورة فلا استنكار فيها والمسمى هو المجموع لا الفاتحة فقط حتى يلزم اتحاد الاسم والمسمى غاية الأمر دخول الاسم في المسمى ولا محذور فيه كما لا محذور في عكسه حسبما تحققته آنفاً وإنما كتبت في المصاحف صور المسميات دون صور الأسماء لأنه أدل على كيفية التلفظ بها وهى أن يكون على نهج التهجي دون التركيب ولأن فيه سلامة من التطويل لاسيما في الفوائج الخماسية على أن خط المصحف مما لا يناقش فيه بمخالفة القياس وإما كونها مسرودة على نمط التعديد وإليه جنح أهل التحقيق قالوا إنما وردت هكذا ليسكون لإيقاظ بمن تحدى بالقرآن وتنبها لهم على أنه منتظم من عين ما ينظمون منه كلامهم فلولا أنه خارج عن طوق البشر نازل من عند خلاق القوى والقدر لما تضاءلت قوتهم ولا تساقطت قدرتهم وهم

فرسان حلبة الحوار وأمراء الكلام في نادى الفخار دون الإتيان بما يدانيه فضلا عن المعارضة بما يساويه مع تظاهرهم في المضادة والمضاره وتهالكهم على المعازة والمعاره أو ليكون مطلع ما يتلى عليهم مستقلا بضرب من القرابة أنموذجا لما في الباقي من فنون الإعجاز فإن النطق بأنفس الحروف في تضاعيف الكلام وإن كان على طرف الثمام يتناول الخواص والعوام من الأعراب والاعجم لكن التلفظ بأسمائها إنما يتأتى من درس وخط وأما من لم يحم حول ذلك قط فأعز من يبض الأتوق وأبعد من مناط العيوق لا سيما إذا كان على نمط عجيب وأسلوب غريب منبىء عن سر سرى مبنى على نهج عبقرى بحيث يحار في فهمه أرباب العقول ويعجز عن إدراكه ألباب الفحول كيف لا وقد وردت تلك الفواتح في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم مشتملة على نصفها تقريباً بحيث ينطوى على انصاف أصنافها تحقيقاً أو تقريباً كما يتضح عند الفحص والتنقيح حسبما فصله بعض أفاضل أئمة التفسير فسبحان من دقت حكمته من أن يطالعها الأنظار وجلت قدرته عن أن يناها أيدي الأفكار وإيراد بعضها فرادى وبعضها ثنائية إلى الخامسة جري على عادة الافتتان مع مراعاة أبنية الكلم وتفريقها على السور دون إيراد كلها مرة لذلك ولما في التكرير والإعارة من زيادة إفادة وتخصيص كل منها بسورتها مما لا سبيل إلى المطالبة بوجهه وعد بعضها آية دون بعض مبنى على التوقيف البحت أما الم آية حيثما وقعت وقيل في آل عمران ليست بآية والمص آية والمر لم تعد آية والر ليست بآية في شيء من سورها الخمس وطسم آية في سورتها وطه ويس آيتان وطس ليست بآية وحم آية في سورها كلها وكهيعص آية وحم عسق آيتان وص وق ون لم تعد واحدة منها آية هذا على رأى الكوفيين وقد قيل إن جميع الفواتح آيات عندهم في السور كلها بلا فرق بينها وأما من عداهم فلم يعدوا شيئاً منها آية ثم إنها على تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد لا تشتم رائحة الإعراب ويوقف عليها وقف التمام وعلى تقدير كونها أسماء للسور أو للقرآن كان لها حظ منه إما الرفع على الإبتداء أو على الخبرية وإما النصب بفعل مضمحل كاذكر أو بتقدير فعل القسم على طريقة الله لأفعلن وأما الجر بتقدير حرفه حسبما يقتضيه المقام ويستدعيه النظام ولا وقف فيما عدا الرفع على الخبرية والتلفظ بالكل على وجه الحكاية ساكنة الإعجاز إلا أن ما كانت منها مفردة مثل ص وق ون يتأتى فيها الإعراب اللفظى أيضاً وقد قرئت بالنصب على إضمار فعل أى اذكر أو اقرأ صاد وقاف ونون وإنما لم تنون لا متناع الصرف وكذا ما كانت منه موازنة لمفرد نحو حم ويس وطس الموازنة لقابيل وهابيل حيث أجاز سيبويه فيها مثل ذلك قال باب أسماء السور من كتابه وقد قرأ بعضهم ياسين والقرآن وقاف والقرآن فكأنه جعله اسماً أجمع ثم قال اذكر ياسين انتهى وحكى السيرافى أيضاً عن بعضهم قراءة ياسين ويجوز أن يكون ذلك فى الكل تحريكا لا لتقاء الساكنين ولا مساع للنصب بإضمار فعل القسم لأن ما بعدها من القرآن والقلم محلوف بها وقد استكروها الجمع بين قسمين على مقسم عليه واحد قبل انقضاء الأول وهو السر فى جعل ما عدا الواو الأولى فى قوله تعالى والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وما خلق الذكر والآنثى عاطفة ولا مجال للعطف ههنا للمخالفة بين الأولى والثانى فى الإعراب نعم يجوز ذلك بجعل الأولى مجروراً

ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ البقرة

ياضمار الباء القسمية مفتوحا لكونه غير منصرف وقرىء ص وق بالكسر على التحريك لا لتقاء الساكنين ويجوز في طاسين ميم أن تفتح نونها وتجعل من قبيل دار أبجد ذكره سيبويه في كتابه وأما ما عدا ذلك من الفواتح فليس فيها إلا الحكاية وسيجيء تفصيل سائر أحكام كل منها مشروحة في مواقعها بإذن الله عز سلطانه أما هذه الفاتحة الشريفة فإن جعلت اسما للسورة أو القرآن فحلها الرفع إما على أنه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هذا المسمى به وإنما صحت الإشارة إلى القرآن بعضاً أو كلا مع عدم سبق ذكره لأنه باعتبار كونه بصدد الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان وإما على أنه مبتدأ أى المسمى به والأول هو الأظهر لأن ما يجعل عنوان الموضوع حقه أن يكون قبل ذلك معلوم الانتساب إليه عند المخاطب وإذ لا علم بالتسمية قبل فحقها الإخبار بها وادعاء شهرتها بإبادة التردد في أن المسمى هي السورة أو كل القرآن . (ذلك) ذا اسم إشارة واللام عماد جىء به للدلالة ٢ على بعد المشار إليه والكاف للخطاب والمشار إليه هو المسمى فإنه منزل منزلة المشاهد بالحس البصرى وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان بعلو شأنه وكونه في الغاية القاصية من الفضل والشرف أثر تنويهه بذكر اسمه وما قيل من أنه باعتبار التقصى أو باعتبار الوصول من المرسل إلى المرسل إليه في حكم المتباعد وإن كان مصححاً لا يراده لكنه بمعزل من ترجيحه على إيراد ما وضع للإشارة إلى القريب وتذكيره على تقدير كون المسمى هي السورة لأن المشار إليه هو المسمى بالاسم المذكور من حيث هو مسمى به لا من حيث هو مسمى بالسورة ولئن ادعى اعتبار الحيثية الثانية في الأولى بناء على أن التسمية لتمييز السور بعضها من بعض فذلك لتذكير ما بعده وهو على الوجه الأول مبتدأ على حدة وعلى الوجه الثانى مبتدأ ثان وقوله عز وعلا . (الكتاب) إما خبر له أو صفة أما إذا كان خبراً له فالجمله على الوجه الأول مستأنفة مؤكدة لما أفادته الجملة الأولى من نباهة شأن المسمى لأجل لها من الإعراب وعلى الوجه الثانى فى محل الرفع على أنها خبر للمبتدأ الأول واسم الإشارة مغن عن الضمير الرابط والكتاب إمام مصدر سمي به المفعول مبالغة كالخلق والتصوير للمخلوق والمصور وإما فعال بنى للمفعول كاللباس من الكتاب الذى هو ضم الحروف بعضها إلى بعض وأصله الجمع والضم فى الأمور البادية للحس البصرى ومنه الكتبية للعسكر كما أن أصل القراءة الجمع والضم فى الأشياء الخافية عليه وإطلاق الكتاب على المنظوم عبارة لما أن مآله الكتابة والمراد به على تقدير كون المسمى هي السورة جميع القرآن الكريم وإن لم يتم نزوله عند نزول السورة إما باعتبار تحققه فى علم الله عز وجل أو باعتبار ثبوته فى الروح أو باعتبار نزوله جملة إلى السماء الدنيا حسبما ذكر فى فاتحة الكتاب واللام للعمد والمعنى أن هذه السورة هو الكتاب أى العمدة القصوى منه كأنه فى إحراز الفضل كل الكتاب المعهود الغنى عن الوصف بالكمال لاشتهاره به فيما بين الكتب على طريقة قوله ﷺ الحج عرفة وعلى تقدير كون المسمى كل القرآن فالمراد بالكتاب الجنس واللام للحقيقة والمعنى أن ذلك هو الكتاب

الكامل الحقيق بأن يخص به اسم الكتاب لغاية تفوقه على بقية الأفراد في حيازة كمال الجنس كان ماعداه من الكتب السماوية خارج منه بالنسبة إليه كما يقال هو الرجل أى الكامل فى الرجولية الجامع لما يكون فى الرجال من مراضى الخصال وعليه قول من قال هم القوم كل القوم يا أم خالد فالدح كما ترى من جهة حصر كمال الجنس فى فرد من أفرادهِ وفى الصورة الأولى من جهة حصر كمال الكل فى الجزء ولا مساغ هناك لحمل الكتاب على الجنس لما أن فردهُ المَعهود هو مجموع القرآن المقابل لسائر أفرادهِ من الكتب السماوية لا بعضهُ الذى ينطلق عليه اسم الكتاب باعتبار كونه جزءاً لهذا الفرد لا باعتبار كونه جزءاً للجنس على حياله ولأن حصر الكمال فى السورة مشعر بنقصان سائر السور وإن لم يكن الحصر بالنسبة إليها لتحقق المغايرة بينهما هذا على تقدير كون الكتاب خبراً لذلك وأما إذا كان صفة له فذلك الكتاب على تقدير كون الم خبر مبتدأ محذوف إما خبر ثان أو بدل من الخبر الأول أو مبتدأ مستقل خبره ما بعده وعلى تقدير كونه مبتدأ إما خبر له أو مبتدأ ثان خبره ما بعده والجملة خبر للابتداء الأول والمشار إليه على كلا التقديرين هو المسمى سواء كان هى السورة أو القرآن ومعنى البعد ما ذكر من الإشعار بعلو شأنه والمعنى ذلك الكتاب العجيب الشأن البالغ أقصى مراتب الكمال وقيل المشار إليه هو الكتاب الموعود فعنى البعد حينئذ ظاهر خلا أنه إن كان المسمى هى السورة ينبغى أن يراد بالوعد ما فى قوله تعالى إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً كما قيل وإن كان هو القرآن فهو ما فى التوراة والإنجيل هذا على تقدير كون الم اسماً للسورة أو القرآن وأما على تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد فذلك مبتدأ والكتاب إما خبره أو صفته والخبر ما بعده على نحو ما سلف أو يقدر مبتدأ أى المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرئ الم تنزيل الكتاب وقوله تعالى . (لا ريب فيه) إما فى محل الرفع على أنه خبر لذلك الكتاب على الصور الثلاث المذكورة أو على أنه خبر ثان لالم أو لذلك على تقدير كون الكتاب خبره أو للابتداء المقدر آخرأ على رأى من يجوز كون الخبر الثانى جملة كما فى قوله تعالى فإذا هى حية تسعى وإما فى محل النصب على الخالية من ذلك أو من الكتاب والعامل معنى الإشارة وإما جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب مؤكدة لما قبلها وكلية لا نافية للجنس مفيدة للاستغراق عاملة عمل إن بحملها عليها لكونها نقيضاً لها ولازمة للاسم لزومها واسمها مبنى على الفتح لكونه مفرداً نكرة لا مضافاً ولا شبيهاً به وأما ما ذكره الزجاج من أنه معرب وإنما حذف التنوين للتخفيف فيما لا تعويل عليه وسبب بنائه تضمنه لمعنى من الاستغراقية لا أنه مركب معها تركيب خمسة عشر كما توهم وخبرها محذوف أى لا ريب موجود أو نحوه كما فى قوله تعالى لا عاصم اليوم من أمر الله والظرف صفة لاسمها ومعناه نفي الكون المطلق وسلبه عن الريب المفروض فى الكتاب أو الخبر هو الظرف ومعناه سلب الكون فيه عن الريب المطلق وقد جعل الخبر المحذوف ظرفاً وجعل المذكور خبراً لما بعده وقرئ لا ريب فيه على أن لا بمعنى ليس والفرق بينه وبين الأول أن ذلك موجب للاستغراق وهذا مجوز له والريب فى الأصل مصدر رابى إذا حصل فيك الريية وحقيقتها قلق النفس واضطرابها ثم استعمل فى معنى الشك مطلقاً أو مع تهمة لأنه يقلق النفس ويزيل الطمأنينة وفى

الحديث دع ما يريك إلى ما لا يريك ومعنى نفيه عن الكتاب أنه في علو الشأن وسطوع البرهان بحيث ليس فيه مظنة أن يرتاب في حقيقته وكونه وحياً منزلاً من عند الله تعالى لا أنه لا يرتاب فيه أحد أصلاً ألا يرى كيف جوز ذلك في قوله تعالى وإن كنتم في ريب مما نزلنا الخ فإنه في قوة أن يقال وإن كان لكم ريب فيما نزلنا أو إن ارتبتم فيما نزلنا الخ إلا أنه خولف في الأسلوب بحيث فرض كونهم في الريب لا كون الريب فيه لزيادة تنزيه ساحة التنزيل عنه مع نوع إشعار بأن ذلك من جهتهم لا من جهته العالية ولم يقصد ههنا ذلك الإشعار كما لم يقصد الإشعار بثبوت الريب في سائر الكتب ليقضى المقام تقديم الظرف كما في قوله تعالى لا فيها غول . (هدى) مصدر من هداه كالسرى والبكى وهو ● الدلالة بلطف على ما يوصل إلى البغية أى مامن شأنه ذلك وقيل هى الدلالة الموصلة إليها بدليل وقوع الضلالة في مقابلته في قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقوله تعالى وإنا أولياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ولا شك في أن عدم الوصول معتبر في مفهوم الضلال فيعتبر الوصول في مفهوم مقابلة ومن ضرورة اعتباره فيه اعتباره في مفهوم الهدى المتعدى إذ لا فرق بينهما إلا من حيث التأثير والتأثر ومحصله أن الهدى المتعدى هو التوجيه الموصول لأن اللازم هو التوجه الموصول بدليل أن مقابله الذى هو الضلال توجه غير موصول قطعاً وهذا كما ترى مبنى على أمرين اعتبار الوصول وجوباً في مفهوم اللازم واعتبار وجود اللازم وجوباً في مفهوم المتعدى وكلا الأمرين بمعزل من الثبوت أما الأول فلأن مدار التقابل بين الهدى والضلال ليس هو الوصول وعدمه على الإطلاق بل هما معتبران في مفهوميهما على وجه مخصوص به ليتحقق التقابل بينهما وتوضيحه أن الهدى لا بد فيه من اعتبار توجه عن علم إلى مامن شأنه الإيصال إلى البغية كما أن الضلال لا بد فيه من اعتبار الجور عن القصد إلى ما ليس من شأنه الإيصال قطعاً وهذه المرتبة من الاعتبار مسلمة بين الفريقين ومحقة للتقابل بينهما وإنما النزاع في أن إمكان الوصول إلى البغية هل هو كاف في تحصل مفهوم الهدى أو لا بد فيه من خروج الوصول من القوة إلى الفعل كما أن عدم الوصول بالفعل معتبر في مفهوم الضلال قطعاً إذا تقرر هذا فنقول إن أريد باعتبار الوصول بالفعل في مفهوم الهدى اعتباره مقارناً له في الوجود زماناً حسب اعتبار عدمه في مفهوم مقابلة فذلك بين البطلان لأن الوصول غاية للتوجه المذكور فينتهى به قطعاً لاستحالة التوجه إلى تحصيل الحاصل وما يبقى بعد ذلك فهو إما توجه إلى الثبات عليه وإما توجه إلى زيادته ولأن التوجه إلى المقصد تدريجى والوصول إليه دفعى فيستحيل اجتماعهما في الوجود ضرورة وأما عدم الوصول فحيث كان أمراً مستمراً مثل ما يقتضيه من الضلال وجب مقارنته له في جميع أزمنة وجوده إذ لو فارق في آن من آنات تلك الأزمنة لقارنه في ذلك الآن مقابله الذى هو الوصول فما فرضناه ضلالاً لا يكون ضلالاً وإن أريد اعتباره من حيث أنه غاية له واجبة الترتب عليه لزم أن يكون التوجه المقارن لغاية الجد في السلوك إلى مامن شأنه الوصول عند تخلفه عنه لمانع خارجى كاخترام المنية مثلاً من غير تقصير ولا جور من قبل المتوجه ولا خلل من جهة المسلك ضلالاً إذ لا واسطة بينهما مع أنه لا جور فيه عن القصد أصلاً فبطل اعتبار وجوب الوصول في مفهوم اللازم قطعاً

٤ - أبى السعود ج ١

وتبين منه عدم اعتباره في مفهوم المتعدى حتماً وأما اعتبار وجود اللازم فيه وجوباً وهو الأمر الثاني فيبانه مبنى على تمهيد أصل وهو أن فعل الفاعل حقيقة هو الذي يصدر عنه ويتم من قبله لئلا لم يكن له في تحققه في نفسه بد من تعلقه بمفعوله اعتبر ذلك في مدلول اسمه قطعاً ثم لما كان له باعتبار كيفية صدوره عن فاعله وكيفية تعلقه بمفعوله وغير ذلك آثار شتى مترتبة عليه متميزة في أنفسها مستقلة بأحكام مقتضية لإفرادها بأسماء خاصة وعرض له بالقياس إلى كل أثر من تلك الآثار إضافة خاصة ممتازة عما عداها من الإضافات العارضة له بالقياس إلى سائرهما وكانت تلك الآثار تابعة له في التحقق غير منفكة عنه أصلاً إذ لا مؤثر لها سوى فاعله عدت من متمماته واعتبرت الإضافة العارضة له بحسبها داخلية في مدلوله كالاعتماد المتعلق بالجسم مثلاً وضع له باعتبار الإضافة العارضة له من انكسار ذلك الجسم الذي هو أثر خاص لذلك الاعتماد اسم الكسر وباعتبار الإضافة العارضة له من انقطاعه الذي هو أثر آخر له اسم القطع إلى غير ذلك من الإضافات العارضة له بالقياس إلى آثاره اللازمة له وهذا أمر مطرد في آثاره الطبيعية وأما الآثار التي له مدخل في وجودها في الجملة من غير إيجاب لها ترتب عليه تارة وتفرقه أخرى بحسب وجود أسبابها الموجبة لها وعدمها كالأثار الاختيارية الصادرة عن مؤثراتها بواسطة كونه داعياً إليها بحيث كانت تلك الآثار مستقلة في أنفسها مستندة إلى مؤثراتها غير لازمة له لزوم الآثار الطبيعية التابعة له لم تعد من متمماته ولم تعتبر الإضافة العارضة له بحسبها داخلية في مدلوله كالإضافة العارضة للأمر بحسب امثال المأمور والإضافة العارضة للدعوة بحسب إجابة المدعو فإن الامتثال والإجابة وإن عدا من آثار الأمر والدعوة باعتبار ترتيبهما عليهما غالباً لكنهما حيث كانا فعلين اختياريين للمأمور والمدعو مستقلين في أنفسهما غير لازمين للأمر والدعوة لم يعدا من متمماتهما ولم يعتبر الإضافة العارضة لهما بحسبها داخلية في مدلول اسم الأمر والدعوة بل جعلنا عبارة عن نفس الطلب المتعلق بالمأمور والمدعو سواء وجد الامتثال والإجابة أولاً إذا تمهد هذا فنقول كما أن الامتثال والإجابة إعلان مستقلان في أنفسهما صادران عن المدعو والمأمور باختيارهما غير لازمين للأمر والدعوة لزوم الآثار الطبيعية التابعة للأفعال الموجبة لهما وإن كانا مترتبين عليهما في الجملة كذلك هدى المهدي أي توجهه إلى ما ذكر من المسلك فعل مستقل له صادر عنه باختياره غير لازم للهداية أعنى التوجيه إليه لزوم ما ذكر من الآثار الطبيعية وإن كان مترتباً عليها في الجملة فلما لم يعدا من متممات الأمر والدعوة ولم يعتبر الإضافة العارضة لهما بحسبها داخلية في مدلولهما علم أنه لم يعد الهدى اللازم من متممات الهداية ولم يعتبر الإضافة العارضة لهما بحسبها داخلية في مدلولها إن قيل ليس الهدى بالنسبة إلى الهداية كالاتصال بالقياس إلى أصلها فإن تعلق الأمر والدعوة بالمأمور والمدعو لا يقتضي إلا اتصافهما بكونهما مأموراً ومدعوا وليس من ضرورته اتصافهما بالامتثال والإجابة إذ لا تلازم بينهما وبين الأولين أصلاً بخلاف الهدى بالنسبة إلى الهداية فإن تعلقها بالمهدي يقتضي اتصافه به لأن تعلق الفعل المتعدى المبني للفاعل بمفعوله يدل على اتصافه بمصدره المأخوذ من المبني للمفعول قطعاً وهو مستلزم لاتصافه بمصدر الفعل اللازم وهل هو الاعتبار وجود اللازم في مدلول المتعدى حتماً قلنا كما أن تعلق الأمر والدعوة بالمأمور والمدعو لا يستدعي إلا اتصافهما بما ذكر

من غير تعرض للمثال والإجابة إيجاباً وسلباً كذلك تعلق الهداية التي هي عبارة عن الدلالة المذكورة بالمهدى لا يستدعى إلا اتصافه بالمدلولة التي هي عبارة عن المصدر المأخوذ من المبني للفعول من غير تعرض لقبول تلك الدلالة كما هو معنى الهدى اللازم ولا لعدم قبوله بل الهداية عين الدعوة إلى طريق الحق والاهتداء عين الإجابة فكيف يؤخذ في مدلولها واستلزام الاتصاف بمصدر الفعل المتعدي المبني للفعول للاتصاف بمصدر الفعل اللازم مطلقاً إنما هو في الأفعال الطبيعية كالمكسورية والانكسار والمقطوعة والانقطاع وأما الأفعال الاختيارية فليست كذلك كما تحققت فيها سلف إن قيل التعلم من قبيل الأفعال الاختيارية مع أنه معتبر في مدلول التعليم قطعاً فليكن الهدى مع الهداية كذلك قلنا ليس ذلك لكونه فعلاً اختيارياً على الإطلاق ولا لكون التعليم عبارة عن تحصيل العلم للتعلم كما قيل فإن المعلم ليس بمستقل في ذلك ففي إسناده إليه ضرب تجوز بل لأن كلا منهما مفتقر في تحققه وتحصله إلى الآخر فإن التعليم عبارة عن إلقاء المبادئ العلمية على المتعلم وسوقها إلى ذهنه شيئاً فشيئاً على ترتيب يقتضيه الحال بحيث لا يساق إليه بعض منها إلا بعد تلقيه لبعض آخر فكل منهما متمم للآخر معتبر في مدلوله وأما الهدى الذي هو عبارة عن التوجه المذكور ففعل اختياري يستقل به فاعله لا دخل للهداية فيه سوى كونها داعية إلى إيجاده باختياره فلم يكن من متماتها ولا معتبراً في مدلولها إن قيل التعليم نوع من أنواع الهداية والتعلم نوع من أنواع الاهتداء فيكون اعتباره في مدلول التعليم اعتباراً للهدى في مدلول الهداية قلنا إطلاق الهداية على التعليم إنما هو عند وضوح المسلك واستبعاد المتعلم بسلوكه من غير دخل للتعليم فيه سوى كونه داعياً إليه وقد عرفت جليلة الأمر على ذلك التقدير إن قيل أليس تخلف الهدى عن الهداية كتخلف التعلم عن التعليم فحيث لم يكن ذلك تعليمياً في الحقيقة فليكن الهداية أيضاً كذلك وليحمل تسمية مالا يستتبع الهدى بها على التجوز قلنا شتان بين التخلفين فإن تخلف التعلم عن التعليم يكون لقصور فيه كما أن تخلف الانكسار عن الضرب الضعيف لذلك وأما تخلف الهدى عن الهداية فليس لشأبه قصور من جهتها بل إنما هو لفقد سببه الموجب له من جهة المهدى بعد تكامل ما يتم من قبل الهادي وبهذا التحرير اتضح طريق الهداية وتبين أنها عبارة عن مطلق الدلالة على ما من شأنه الإيصال إلى البغية بتعريف معالمه وتبيين مسالكه من غير أن يشترط في مدلولها الوصول ولا القبول وأن الدلالة المقارنة لهما أو لأحدهما والمفارقة عنهما كل ذلك مع قطع النظر عن قيد المقارنة وعدمها أفراد حقيقية لها وأن ما في قوله تعالى إنك لا تهدي من أحببت وقوله تعالى ولو شاء لهداكم ونحو ذلك مما اعتبر فيه الوصول من قبيل المجاز وانكشف أن الدلالات التكوينية المنصوبة في الأنفس والآفاق والبيانات التشريعية الواردة في الكتب السماوية على الإطلاق بالنسبة إلى كافة البرية برها وفاجرها هدايات حقيقية فائضة من عند الله سبحانه والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله (للمتقين) أي المتصفين بالتقوى حالاً أو مآلاً وتخصيص الهدى بهم لما أنهم المقتبسون من أنواره المنتفعون بآثاره وإن كان ذلك شاملاً لكل ناظر من مؤمن وكافر وبذلك الاعتبار قال الله هدى للناس والمتقى اسم فاعل من باب الافتعال من الوقاية وهي فرط الصيانة والتقوى في عرف الشرع عبارة عن كمال التوقي عما يضره في

الآخرة قال عليه السلام جماع التقوى في قوله تعالى إن الله يأمر بالعدل والإحسان الآية وعن عمر بن عبد العزيز أنه ترك ما حرم الله وأداء ما فرض الله وعن شهر بن حوشب المتقي من يترك ما لا بأس به حذراً من الوقوع فيما فيه بأس وعن أبي يزيد أن التقوى هو التورع عن كل ما فيه شبهة وعن محمد بن حنيف أنه مجانبة كل ما يبعدك عن الله تعالى وعن سهل المتقي من تبرأ عن حوله وقدرته وقيل التقوى أن لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك وعن ميمون بن مهران لا يكون الرجل تقياً حتى يكون أشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح والسلطان الجائر وعن أبي تراب بين يدي التقوى خمس عقبات لا يتاله من لا يجاوزهن إشار الشدة على النعمة وإشار الضعف على القوة وإشار الذل على العزة وإشار الجهد على الراحة وإشار الموت على الحياة وعن بعض الحكماء أنه لا يبلغ الرجل سنام التقوى إلا أن يكون بحيث لو جعل مافي قلبه في طبق فطيف به في السوق لم يستحي ممن ينظر إليه وقيل التقوى أن تزين سرك للحق كما تزين علانيتك للخلق والتحقيق أن للتقوى ثلاث مراتب الأولى التوقي عن العذاب المخلد بالتهرؤ عن الكفر وعليه قوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف بالتقوى في الشرع وهو المعنى بقوله تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة أن يتنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق عز وجل ويتبتل إليه بكليته وهو التقوى الحقيقي المأمور به في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولهذه المرتبة عرض عريض يتفاوت فيه طبقات أصحابها حسب تفاوت درجات استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشيئة الإلهية المبنية على الحكم الآية أقصاها ما انتهى إليه همم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حيث جمعوا بذلك بين رياستي النبوة والولاية وما عاقهم التعلق بعالم الأشباح عن العروج إلى معالم الأرواح ولم يصددهم الملبسة بمصالح الخلق عن الاستغراق في شئون الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية وهداية الكتاب المبين شاملة لأرباب هذه المراتب أجمعين فإن أريد بكونه هدى للمتقين إرشاده إياهم إلى تحصيل المرتبة الأولى ونيلها فالمراد بهم المشارفون للتقوى مجازاً لاستحالة تحصيل الحاصل إشاره على العبارة المعربة عن ذلك للإيجاز وتصدير السورة الكريمة بذكر أوليائه تعالى وتفخيم شأنهم وإن أريد به إرشاده إلى تحصيل إحدى المرتبتين الأخيرتين فإن عني بالمتقين أصحاب الطبقة الأولى تعينت الحقيقة وإن عني بهم أصحاب إحدى الطبقتين الأخيرتين تعين المجاز لأن الوصول إليهما إنما يتحقق بهدايته المترتبة وكذا الحال فيما بين المرتبة الثانية والثالثة فإنه إن أريد بالهدى الإرشاد إلى تحصيل المرتبة الثالثة فإن عني بالمتقين أصحاب المرتبة الثانية تعينت الحقيقة وإن عني بهم أصحاب المرتبة الثالثة تعين المجاز واقتضى الهداية حقيقة في جميع الصور وأما إن أريد بكونه هدى لهم تثبيتهم على ما هم عليه أو إرشادهم إلى الزيادة فيه على أن يكون مفهوماً داخلاً في المعنى المستعمل فيه فهو مجاز لا محالة ولفظ المتقين حقيقة على كل حال واللام متعلقة بهدى أو بمحذوف وقع صفة له أو حالاً منه ومحل هدى الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي هو هدى أو خبر مع لا ريب فيه لذلك الكتاب أو مبتدأ خبره الظرف المقدم كما أشير إليه أو النصب على الحالية من ذلك أو من الكتاب والعامل معنى الإشارة أو من الضمير في فيه والعامل مافي الجار

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ البقرة

والمجرور من معنى الفعل المنفي كأنه قيل لم يحصل فيه الريب حال كونه هادياً على أنه قيد للنفي لا للنفي وحاصله انتفى الريب فيه حال كونه هادياً وتنكيره للتفخيم وحمله على الكتاب إما للبالغة كأنه نفس الهدى أو لجعل المصدر بمعنى الفاعل هذا والذي يستدعيه جزالة التنزيل في شأن ترتيب هذه الجمل أن تكون متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يتخلل بينها عاطف فأم جملة برأسها على أنها خبر لمبتدأ مضمير أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها دالة على أن المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يؤلفون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدى لما دلت عليه من كونه منوعاً بالكمال الفائق ثم سجل على غاية فضله بنفى الريب فيه إذ لا فضل أعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين مع ما يقدر له من المبتدأ جملة مؤكدة لكونه حقاً لا يحوم حوله شائبة شك ما ودالة على تكمله بعد كماله أو يستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل للدلول فإنه لما نبه أولاً على إعجاز المتحدى به من حيث أنه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته بالمرّة ظهر أنه الكتاب الباطن أقصى مراتب الكمال وذلك مستلزم لكونه في غاية النزاهة عن مظنة الريب إذ لا أنقص مما يعتريه الشك وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل منها من النكت الرائقة والمزايا الفائقة ما لا يخفى جلالة شأنه حسبما تحققت به (الذين يؤمنون بالغيب) إما موصول بالمتقين ٣ وحله الجر على أنه صفة مقيدة له إن فسر التقوى بترك المعاصي فقط مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية وموضحة إن فسر بما هو المتعارف شرعاً والمتبادر عرفاً من فعل الطاعات وترك السيئات معاً لأنها حينئذ تكون تفصيلاً لما انطوى عليه اسم الموصوف إجمالاً وذلك لأنها مشتملة على ماهو عماد الأعمال وأساس الحسنات من الإيمان والصلاة والصدقة فإنها أمهات الأعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتعبة لسائر القرب الداعية إلى التجنب عن المعاصي غالباً ألا يرى إلى قوله تعالى إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه السلام الصلاة عماد الدين والزكاة قنطرة الإسلام أو مادحة للموصوفين بالتقوى المفسر بما مر من فعل الطاعات وترك السيئات وتخصيص ما ذكر من الحاصل الثلاث بالذكر لإظهار شرفها وإنافتها على سائر ما انطوى تحت اسم التقوى من الحسنات أو النصب على المدح بتقدير أعنى أو الرفع عليه بتقديرهم وإمام مفصول عنه مرفوع بالابتداء خبر الجملة المصدرة باسم الإشارة كما سيأتي بيانه فالوقوف على المتقين حينئذ وقف تام لأنه وقف على مستقل ما بعده أيضاً مستقل وأما على الوجوه الأول فحسن لا استقلال الموقوف عليه غير تام لتعلق ما بعده به وتبعيته له أما على تقدير الجر على الوصفية فظاهر وأما على تقدير النصب أو الرفع على المدح فلما تقرر من أن المنسوب والمرفوع مدحا وإن خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة حيث لم يتبعاه في الإعراب وبذلك سمياً قطعاً لكنهما تابعا له حقيقة ألا يرى كيف التزموا حذف الفعل والمبتدأ في النصب والرفع وما للتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات ما قبله وتنبها على شدة الاتصال بينهما قال أبو على إذا ذكرت صفات المدح وخواف في بعضها الإعراب فقد خولف للافتنان أى للتفنن الموجب لإيقاظ السامع وتحريكه إلى الجدى في الإصغاء فإن تغيير الكلام المسوق لمعنى

من المعاني وصرفه عن سننه المسلوك ينبغي عن اهتمام جديد بشأنه من المتكلم ويستجلب من بدر غبة فيه من
المخاطب إن قيل لا ريب في أن حال الموصول عند كونه خبر المبتدأ محذوف كحاله عند كونه مبتدأ خبره
أولئك على هدى في أنه ينسبك به جملة اسمية مفيدة لا تصاف المتقين بالصفات الفاضلة ضرورة أن كلام
الضمير المحذوف والموصول عبارة عن المتقين وإن كلا من اتصافهم بالإيمان وفروعه وإحرازهم للهدى
والفلاح من النعوت الجلية فما السر في أنه جعل ذلك في الصورة الأولى من توابع المتقين وعد الوقف
غير تام وفي الثانية مقتطعا عنه وعد الوقف تاما قلنا السر في ذلك أن المبتدأ في صورتين وإن كان عبارة
عن المتقين لكن الخبر في الأولى لما كان تفصيلا لما تضمنه المبتدأ إجمالا حسبما تحققته معلوم الثبوت له
بلا اشتباه غير مفيد للسامع سوى فائدة التفصيل والتوضيح نظم ذلك في سلك الصفات مراعاة لجانب
المعنى وإن سمي قطعاً مراعاة لجانب اللفظ كيف لا وقد اشتهر في الفن أن الخبر إذا كان معلوم الانتساب
إلى الخبر عنه حقه أن يكون وصفاً له كما أن الوصف إذا لم يكن معلوم الانتساب إلى الموصوف حقه أن
يكون خبراً له حتى قالوا إن الصفات قبل العلم بها أخبار والأخبار بعد العلم بها صفات وأما الخبر في
الثانية فحيث لم يكن كذلك بل كان مشتملاً على ما لا ينبغي عنه المبتدأ من المعاني الثلاثة كما ستحيط به خبراً
مفيداً للخاطب فوادر أئمة جعل ذلك مقتطعاً عما قبله محافظة على الصورة والمعنى جميعاً والإيمان أفعال
من الأمن المتعدى إلى واحد يقال آمنته وبالنقل تعدى إلى اثنين يقال آمننيه غيري ثم استعمل في
التصديق لأن المصدق يؤمن المصدق أي يجعله آميناً من التكذيب والمخالفة واستعماله بالباء انضمامه معنى
الاعتراف وقد يطلق على الوثوق فإن الواثق يصير ذا أمن وطمأنينة ومنه ما حكى عن العرب ما آمنت
أن أجد صحابة أي ماصرت ذا أمن وسكون وكلا الوجهين حسن ههنا وهو في الشرع لا يتحقق بدون
التصديق بما علم ضرورة أنه من دين نبينا عليه الصلاة والسلام كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء
ونظائرها وهل هو كاف في ذلك أو لا بد من انضمام الإقرار إليه للتمكن منه والأول رأى الشيخ
الأشعري ومن شايعه فإن الإقرار عنده منشأ لأجراء الأحكام والثاني مذهب أبي حنيفة ومن تابعه
وهو الحق فإنه جعلهما جزأين له خلا أن الإقرار ركن محتتمل للسقوط بعذر كما عند الإكراه وهو
بمجموع ثلاثة أمور اعتقاد الحق والإقرار به والعمل بموجبه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج
فمن أخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن أخل بالإقرار فهو كافر ومن أخل بالعمل فهو فاسق اتفاقاً
وكافر عند الخوارج وخارج عن الإيمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة وقرىء يومنون بغير همزة
والغيب إما مصدر وصف به الغائب مبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة أو في فعل خفف
كقيل في قيل وهين في هين وميت في ميت لكن لم يستعمل فيه الأصل كما استعمل في نظائره وأياً ما كان
فهو ما غاب عن الحس والعقل غيبة كاملة بحيث لا يدرك بواحد منهما ابتداء بطريق البداهة وهو قسمان
قسم لا دليل عليه وهو الذي أريد بقوله سبحانه وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو وقسم نصب عليه
دليل كالصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها من الأحكام والشرائع واليوم الآخر وأحواله من
البعث والنشور والحساب والجزاء وهو المراد ههنا فالباء صلة للإيمان إما بتضمينه معنى الاعتراف أو

يجعله مجازاً من الوثوق وهو واقع موقع المفعول به وإما مصدر على حاله كالغيبه فالباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من الفاعل كما في قوله تعالى الذين يخشون ربهم بالغيب وقوله تعالى ليعلم أني لم أخنه بالغيب أي يؤمنون متلبسين بالغيبه إما عن المؤمن به أي غائبين عن النبي ﷺ غير مشاهدين لما فيه من شواهد النبوة لما روى أن أصحاب ابن مسعود رضی الله عنه ذكروا أصحاب رسول الله ﷺ وإيمانهم فقال رضي الله عنه إن أمر محمد عليه الصلاة والسلام كان بينا لمن رآه والذي لا إله غيره ما آمن مؤمن أفضل من الإيمان بغيب ثم تلا هذه الآية وإما عن الناس أي غائبين عن المؤمنين لا كالمناققين الذين إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمناً وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم وقيل المراد بالغيب القلب لأنه مستور والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كالذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم فالباء حينئذ للآلة وترك ذكر المؤمن به على التقادير الثلاثة إما للقصود إلى إحداث نفس الفعل كما في قولهم فلان يعطى ويمنع أي يفعلون الإيمان وإما للاكتفاء بما سيجيء فإن الكتب الإلهية ناطقة بتفاصيل ما يجب الإيمان به . (و يقيمون الصلاة) ●

إقامتها عبارة عن تعديل أركانها وحفظها من أن يقع في شيء من فرائضها وسننها وآدابها زيغ من أقام العود إذا قومه وعدله وقيل عن المواظبة عليها مأخوذ من قامت السوق إذا نفقت وأقمتها إذا جعلتها نافقة فإنها إذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه وقيل عن التشمير لأدائها عن غير فتور ولا توان من قولهم قام بالأمر وأقامه إذا جد فيه واجتهد وقيل عن أدائها عبر عنه بالإقامة لاشتيماله على القيام كما عبر عنه بالقنوت الذي هو القيام وبالركوع والسجود والتسبيح والاول هو الاظهر لأنه أشهر وإلى الحقيقة أقرب والصلاة فعلة من صلى إذا دعا كالزكاة من زكى وإنما كتبنا بالواو مراعاة للفظ المفخم وإنما سمي الفعل المخصوص بها لاشتيماله على الدعاء وقيل أصل صلى حرك الصلوتين وهما العظمان الثانتان في أعلى الفخذين لأن المصلى يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار اللفظ في المعنى الثاني دون الاول لا يقدح في نقله عنه وإنما سمي الداعي مصلياً تشبيهاً له في تخشعه بالراكع والساجد . (وعمارزقناهم ينفقون) الرزق في اللغة العطاء ●

ويطلق على الحظ المعطى نحو ذبح ورعى للذبوح والمرعى وقيل هو بالفتح مصدر وبالكسر اسم وفي العرف ما ينتفع به الحيوان والمعتزلة لما أحالوا تمسكين الله تعالى من الحرام لأنه منع من الانتفاع به وأمر بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام ألا يرى أنه تعالى أسند الرزق إلى ذاته إيذاناً بأنهم ينفقون من الحلال الصرف فإن إنفاق الحرام بمعزل من إيجاب المدح ودم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله تعالى بقوله قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً وأصحابنا جعلوا الإسناد المذكور للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق لهما بما روى عنه عليه السلام في حديث عمرو بن قرّة حين أتاه فقال يا رسول الله إن الله كتب على الشقوة فلا أرى أرزق إلا من دفي بكفي فأذن لي في الغناء من غير فاحشة من أنه قال عليه السلام لا إذن لك ولا كرامة ولا تعمة كذبت أي عدواً لله والله لقد رزقك الله حلالاً طيباً فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما أحل الله لك من حلاله وبأنه لو لم يكن الحرام رزقاً لم يكن المتغذى به طول عمره مرزوقاً وقد قال الله تعالى وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها والانفاق والانقاد أخوان خلا أن

وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٢﴾ البقرة

٤

في الثاني معنى الإذهاب بالكلية دون الأول والمراد بهذا الاتفاق الصرف إلى سبيل الخير فضلاً كان أو نفلاً ومن فسر بالزكاة ذكر أفضل أنواعه والأصل فيه أو خصصه بها لا اقتترانه بما هو شقيقها والجملة معطوفة على ما قبلها من الصلة وتقديم المفعول للاهتمام والمحافظة على رموس الآي وإدخال من التبعية عليه للكشف عن التبذير هذا وقد جوز أن يراد به الاتفاق من جميع المعاون التي منحهم الله تعالى من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه السلام إن علماً لا ينال به ككثرة لا ينفق منه وإليه ذهب من قال وبما خصصناهم من أنوار المعرفة يفيضون . (والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) معطوف على الموصول الأول على تقديرى وصله بما قبله وفصله عنه مندرج معه في زمرة المتقين من حيث الصورة والمعنى معاً أو من حيث المعنى فقط اندراج خاصين تحت عام إذ المراد بالاولين الذين آمنوا بعد الشرك والغفلة عن جميع الشرائع كما يؤذن به التعبير عن المؤمن به بالغيب وبالأخرين الذين آمنوا بالقرآن بعد الإيمان بالكتب المنزلة قبل كعبد الله بن سلام وأضرابه أو على المتقين على أن يراد بهم الأولون خاصة ويكون تخصيصهم بوصف الاتقاء للإيدان بتنزههم عن حالتهم الأولى بالكلية لما فيها من كمال القباحة والمباينة للشرائع كلها الموجبة للاتقاء عنها بخلاف الآخرين فإنهم غير تاركين لما كانوا عليه بالمرة بل متمسكون بأصول الشرائع التي لا تكاد تختلف باختلاف الأعصار ويجوز أن يجعل كلا الموصولين عبارة عن الكل مندرجات تحت المتقين ولا يكون توسط العاطف بينهما لاختلاف الذوات بل لاختلاف الصفات كما في قوله | إلى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتبية في المزدحم | وقوله يالهف زياة للحوادث الصابح فالغائم فالأيب الإيدان بأن كل واحد من الإيمان بما أشير إليه من الأمور الغائبة والإيمان بما يشهد بثبوتها من الكتب السماوية نعت جليل على حياله له شأن خطير مستتبع لأحكام حجة حقيق بأن يفرده موصوف مستقل ولا يجعل أحدهما تنمة للآخر وقد شفع الأول بأداء الصلاة والصدقة اللتين هما من جملة الشرائع المندرجة تحت تلك الأمور المؤمن بها تكملة له فإن كمال العلم والعمل وقرن الثاني بالإيقان بالآخرة مع كونه منظوياً تحت الأول تنبيهاً على كمال صحته وتعرضاً بما في اعتقاد أهل الكتابيين من الخلل كما سيأتي هذا على تقدير تعلق الباء بالإيمان وقس عليه الحال عند تعلقها بالمحدوف فإن كلا من الإيمان الغيبي المشفوع بما يصدقه من العبادتين مع قطع النظر عن المؤمن به والإيمان بالكتب المنزلة الشارحة لتفاصيل الأمور التي يجب الإيمان بها مقروناً بما قرن به فضيلة باهرة مستدعية لما ذكر والله تعالى أعلم وقد حمل ذلك على معنى أنهم الجامعون بين الإيمان بما يدركه العقل جملة والإتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الإيمان بما لا طريق إليه غير السمع وتكرير الموصول للتنبيه على تغاير القيليين وتباين السبيلين فليتأمل وأن يراد بالموصول الثاني بعد اندراج الكل في الأول فربق خاص منهم وهم مؤمنو أهل الكتاب بأن يخصوا بالذكر تخصيص جبريل وميكائيل به [ثر جريان ذكر الملائكة عليهم السلام تعظيماً لشأنهم وترغيباً لأنماهم وأقرانهم في تحصيل ما لهم من الكمال والإنزال النقل من الأعلى إلى الأسفل وتعلقه

أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ البقرة

- بالمعاني إنما هو بتوسط تعلقه بالآعيان المستتعبة لها فنزول ما عدا الصحف من الكتب الإلهية إلى الرسل عليهم السلام والله تعالى أعلم بأن يتلقاها الملك من جنبه عز وجل تلقياً روحانياً أو يحفظها من اللوح المحفوظ فينزل بها إلى الرسل فيلقبها عليهم عليهم السلام والمراد بما أنزل إليك هو القرآن بأسره والشريعة عن آخرها والتعبير عن إنزاله بالماضي مع كون بعضه مترقياً حينئذ لتغليب المحقق على المقدار أو لتنزيل ما في شرف الوقوع لتحقيقه منزلة الواقع كما في قوله تعالى إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مع أن الجن ما كانوا سمعوا الكتاب جميعاً ولا كان الجميع إذ ذاك نازلاً وبما أنزل من قبلك التوراة والإنجيل وسائر الكتب السالفة وعدم التعريض لذكر من أنزل إليه من الأنبياء عليهم السلام لقصد الإيجاز مع عدم تعلق الغرض بالتفصيل حسب تعلقه به في قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل الآية والإيمان بالكل جملة فرض وبالقرآن تفصيلاً من حيث إنا متعبدون بتفاصيله فرض كفاية فإن في وجوبه على الكل عيناً حرجاً بيناً وإخلاصاً بأمر المعاش وبناء الفعلين للمفعول للإيدان بتعين الفاعل والجرى على سنن الكبرياء وقد قرئنا على البناء للفاعل . (وبالأخرة هم يوقنون)
- الإيقان إتيان العلم بالشئ بنفى الشك والشبهة عنه ولذلك لا يسمى علمه تعالى يقيناً أى يعدلون علماً قطعياً مزيجاً لما كان أهل الكتاب عليه من الشكوك والأوهام التي من جملتها زعمهم أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هوداً أو نصارى وأن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودات واختلافهم في أن نعيم الجنة هل هو من قبيل نعيم الدنيا أو لا وهل هو دائم أو لا وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على الضمير تعريض بمن عداهم من أهل الكتاب فإن اعتقادهم في أمور الآخرة بمعزل من الصحة فضلاً عن الوصول إلى مرتبة اليقين والآخرة تأنيث الآخر كما أن الدنيا تأنيث الأدنى غلبتنا على الدارين فحزنا مجرى الأسماء وقرئ بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وقرئ يوقنون بقلب الواو همزة لإجراء لضم ما قبلها مجرى ضمها في وجوه ووقفت ونظيره ما في قوله [لحب المؤقذان إلى موسى * وجعدة إذ ضاءهما الوقود] وقوله تعالى (أولئك) إشارة إلى الذين حكيت خصالهم الحميدة من حيث اتصافهم بها وفيه دلالة على أنهم متميزون بذلك أكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو درجتهم وبعد منزلاتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله عز و علا (على هدى) خبره وما فيه من الإبهام المفهوم من التنكير لكمال تفخيمه كأنه قيل على أى هدى هدى لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره وإيراد كلمة الاستعلاء بناء على تمثيل حالهم في ملاستهم بالهدى بحال من يعتلى الشئ ويستولى عليه بحيث يتصرف فيه كيفما يريد أو على استعارتها لتسمكهم بالهدى استعارة تبعية متفرعة على تشبيهه باعتلاء الراكب واستوائه على مركوبه أو على جعلها قرينة للاستعارة بالكناية بين الهدى والمركوب الإيدان بقوة تمسكهم منه وكال رسوخهم فيه وقوله تعالى (من ربهم) متعلق بمحذوف وقع صفة له مبينة لفخامته الإضافية لإريان فخامته الذاتية
 - . . - أبو السعود ج ١

مؤكد لها أي على هدى كائن من عنده تعالى وهو شامل لجميع أنواع هدايته تعالى وفنون توفيقه والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم لغاية تفخيم الموصوف والمضاف إليهم وتشريفهما ولزيادة تحقيق مضمون الجملة وتقريره ببيان ما يوجب به يقتضيه وقد أدغمت النون في الراء بغنة أو بغير غنة والجملة على تقدير كون الموصولين موصولين بالمتقين مستقلة لا محل لها من الإعراب مقررة لمضمون قوله تعالى هدى للمتقين مع زيادة تأكيد كيدله وتحقيق كيف لا وكون الكتاب هدى لهم فنون ما منحوه واستقروا عليه من الهدى حسبما تحققته لاسيما مع ملاحظة ما يستتبعه من الفوز والفلاح وقيل هي واقعة موقع الجواب عن سؤال ربما ينشأ مما سبق كأنه قيل ما للنوعين بما ذكر من النعوت اختصاصا بهداية ذلك الكتاب العظيم الشأن وهل هم أحقاء بتلك الأثرة فأجيب بأنهم بسبب اتصافهم بذلك ما لكون لزام أصل الهدى الجامع لفنونه المستتبع للفوز والفلاح فأى ريب في استحقاقهم لما هو فرع من فروعه ولقد جار عن سنن الصواب من قال في تقرير الجواب إن أولئك الموصوفين غير مستبعد أن يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا وأما على تقدير كونهما مفصولين عنه فهى في محل الرفع على أنها خبر للببتدأ الذى هو الموصول الأول والثاني معطوف عليه وهذه الجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق إليه الذهن من تخصيص ما ذكر بالمتقين قبل بيان مبادئ استحقاقهم لذلك كأنه قيل ما بال المتقين مخصوصين به فأجيب بشرح ما انطوى عليه اسمهم إجمالا من نعوت الكمال وبيان ما يستدعيه من النتيجة أى الذين هذه شئونهم أحقاء بما هو أعظم من ذلك كقولك أحب الأنصار الذين قارعوا رسول الله ﷺ وبذلوا مهجتهم في سبيل الله أولئك سواد عيني وسويداء قلبي واعلم أن هذا المسلك يسلك تارة بإعادة اسم من استؤنف عنه الحديث كقولك أحسنت إلى زيد زيد حقيق بالإحسان وأخرى بإعادة صفته كقولك أحسنت إلى زيد صديقك القديم أهل لذلك ولا ريب في أن هذا أبلغ من الأول لما فيه من بيان الموجب للحكم وإيراد اسم الإشارة بمنزلة إعادة الموصوف بصفاته المذكورة مع ما فيه من الإشعار بكال تميزه بها وانتظامه بسبب ذلك في سلك الأمور المشاهدة والإيحاء إلى بعد منزلته كما مر هذا وقد جوز أن يكون الموصول الأول مجرى على المتقين حسبما فصل والثاني مبتدأ وأولئك الخ خبره ويجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا بغير المؤمنين من أهل الكتاب حيث كانوا يزعمون أنهم على الهدى ويطمعون في نيل الفلاح (وأولئك هم المفلحون) تكرير اسم الإشارة لاظهار مزيد العناية بشأن المشار إليهم وللتنبية على أن اتصافهم بتلك الصفات يقتضى نيل كل واحدة من تينك الأثرين وأن كلا منهما كاف في تميزهم بها عن عداهم ويؤيده توسيط العاطف بين الجملتين بخلاف ما في قوله تعالى أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون فإن التسجيل عليهم بكال الغفلة عبارة عما يفيد تشبيههم بالبهائم فتكون الجملة الثانية مقررة للأولى وأما الإفلاح الذى هو عبارة عن الفوز بالمطلوب فلما كان مغايرا للهدى نتيجة له وكان كل منهما في نفسه أعز مرام يتنافس فيه المتنافسون فعل ما فعل وهم ضمير فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند إليه أو مبتدأ خبره المفلحون والجملة خبر لأولئك وتعريف المفلحين للدلالة على أن المتقين هم الناس الذين بلغك أنهم المفلحون في الآخرة أو إشارة إلى ما يعرفه كل أحد من

٢٦ البقرة

حقيقة المفلحين وخصائصهم هذا وفي بيان اختصاص المتقين ببذل هذه المراتب الفائقة على فنون من
الاعتبارات الرائقة اللائقة حسبها أشير إليه في تضايف تفسير الآية الكريمة من الترتيب في اقتضائه
أثرهم والارشاد إلى اقتداء سيرهم ما لا يخفى مكانه والله ولي الهداية والتوفيق (إن الذين كفروا) كلام
مستأنف سبق لشرح أحوال الكفرة الغواة المردة العتاة لإثبات أحوال أضدادهم المتصفين بنعوت الكمال
الفائزين بمباغيتهم في الحال والمآل وإنما ترك العاطف بينهما ولم يسلك به مسلك قوله تعالى إن الأبرار لفي
نعيم وإن الفجار لفي جحيم لما بينهما من التنافي في الأسلوب والتباين في الغرض فإن الأولى مسوقة لبيان
رفعة شأن الكتاب في باب الهداية والإرشاد وأما التعرض لأحوال المهتدين به فإنما هو بطريق
الاستطراد سواء جعل الموصول موصولاً بما قبله أو مفصولاً عنه فإن الاستئناف مبني على سؤال نشأ من
الكلام المتقدم فهو من مستتبعاته لا محالة وأما الثانية فموسومة لبيان أحوال الكفرة أصالة وتراعى أمرهم
في الغواية والضلال إلى حيث لا يجديهم الإنذار والتبشير ولا يؤثر فيهم العظة والتذكير فهم ناكبون في
تبه الغي والفساد عن منهاج العقول وراكبون في مسلك المكابرة والعناد متن كل صعب وذلول وإنما
أوترت هذه الطريقة ولم يؤسس الكلام على بيان أن الكتاب هاد للأولين وغير مجد للآخرين لأن العنوان
الآخر ليس بما بورثه كمالاً حتى يتعرض له في أثناء تعداد كالاته وإن من الحروف التي تشابه الفعل في
عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الأسماء ودخول نون الوقاية عليها كاتني ولعلني ونظائرهما وإعطاء
معانيه والمتعدي خاصة في الدخول على اسمين ولذلك أعملت عمله الفرعي وهو نصب الأول ورفع الثاني
إذناً بكونه فرعاً في العمل دخيلاً فيه وعند الكوفيين لا عمل لها في الخبر بل هو باق على حاله بقضية
الاستصحاب وأجيب بأن ارتفاع الخبر مشروط بالتجرد عن العوامل وإلا لما انتصب خبر كان وقد
زال بدخولها فتعين إعمال الحرف وأثرها تأكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها
الاجوبة ويؤتى بها في مواقع الشك والإنكار لدفعه وردده قال المبرد قولك عبد الله قائم إخبار عن قيامه
وإن عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه شاك فيه وإن عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف
الموصول إما للعهد والمراد به ناس بأعيانهم كأبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة وأضرابهم وأخبار
اليهود أو للجنس وقد خص منه غير المصرين بما أسند إليه من قوله تعالى سواء عليهم الخ والكفر في اللغة
ستر النعمة وأصله الكفر بالفتح أي السترو منه قيل للزراع والليل كافر قال تعالى كثر غيث أعجب الكفار
نباتة وعليه قول لبيد في ليلة كفر النجوم غمامها ومنه المتكفر بسلاحه وهو الشاكي الذي غطى السلاح
بدنه وفي الشريعة إنكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول ﷺ به وإنما عد لبس الغيار وشذ الزنار بغير اضطراب
ونظائرهما كفر أدل لآلته على التكذيب فإن من صدق النبي ﷺ لا يكاد يجترئ على أمثال ذلك إذ لا داعي
إليه كالزنى وشرب الخمر واحتجت المعتزلة على حدوث القرآن بما جاء فيه بلفظ الماضي على وجه الأخبار

فإنه يستدعى سابقة المخبر عنه لا محالة وأجيب بأنه من مقتضيات التعلق وحدوثه لا يستدعى حدوث الكلام كما أن حدوث تعلق العلم بالمعلوم لا يستدعى حدوث العلم (سواء) هو اسم بمعنى الاستواء نعت به كما ينعت بالمصادر مبالغة قال تعالى تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم وقوله تعالى (عليهم) متعلق به ومعناه عندهم وارتفاعه على أنه خبر لأن وقوله تعالى (أأنذرتهم أم لم تنذرهم) مرتفع به على الفاعلية لأن الهمزة وأم مجردتان عن معنى الاستفهام لتحقيق الاستواء بين مدخوليهما كما جرد الأمر والنهي لذلك عن معنييهما في قوله تعالى استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وحرف النداء في قولك اللهم اغفر لنا أيها العصابة عن معنى الطلب لجرد التخصيص كأنه قيل إن الذين كفروا مستو عليهم إنذارك وعدمه كقولك إن زيداً مخنصم أخوه وابن عمه أو مبتدأ وسواء عليهم خبر قدم عليه اعتناء بشأنه والجملة خبر لأن والفعل إنما يمتنع الإخبار عنه بقاءه على حقيقته أما لو أريد به اللفظ أو مطلق الحدث المدلول عليه ضمناً على طريقة الاتساع فهو كالاسم في الإضافة والإسناد إليه كما في قوله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقوله تعالى وإذا قيل لهم لا تفسدوا وفي قولهم تسمع بالمعيدي خير من أن تراه كأنه قيل إنذارك وعدمه بيان عليهم والعدول إلى الفعل لما فيه من إيهام التجدد والتوصل إلى إدخال الهمزة ومعادها عليه لإفادة تقرير معنى الاستواء وتأكيده كما أشير إليه وقيل سواء مبتدأ ومابعد خبره وليس بذلك لأن مقتضى المقام بيان كون الإنذار وعدمه سواء لا بيان كون المستوى الإنذار وعدمه والإخبار لإعلام المخوف للاحتراز عنه إفعال من نذر بالشئ إذا علمه فحذره والمراد ههنا التخويف من عذاب الله وعقابه على المعاصي والاقتصار عليه لما أنهم ليسوا بأهل للبشارة أصلاً ولأن الإنذار أوقع في القلوب وأشد تأثيراً في النفوس فإن دفع المضار أهم من جلب المنافع فحيث لم يتأثروا به فلأن لا يرفعوا البشارة رأساً أولى وقرئ بتوسيط ألف بين الهمزتين مع تحقيقهما بتوسيطها والثانية بين بين وبتخفيف الثانية بين بين بلا توسيط وبجذف حرف الاستفهام وبجذفه وإلقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد أفلح وقرئ بقلب الثانية ألفاً وقد نسب ذلك إلى اللحن .

● (لا يؤمنون) جملة مستقلة مؤكدة لما قبلها مبينة لما فيه من إجمال ما فيه الاستواء فلا محل لها من الإعراب أو حال مؤكدة له أو بدل منه أو خبر لأن وما قبلها اعتراض بما هو علة للحكم أو خبر ثان على رأى من يجوز عند كونه جملة والآية الكريمة مما استدل به على جواز التكليف بما لا يطاق فإنه تعالى قد أخبر عنهم بأنهم لا يؤمنون فظهر استحالة إيمانهم لاستلزامه المستحيل الذي هو عدم مطابقة أخباره تعالى للواقع مع كونهم مأمورين بالإيمان باقين على التكليف ولأن من جملة ما كلفوه الإيمان بعدم إيمانهم المستمر والحق أن التكليف بالممتنع لذاته وإن جاز عقلاً من حيث أن الأحكام لا تستدعى أغراضاً لا سيما الامتثال لكونه غير واقع للاستقراء والإخبار بوقوع الشئ أو بعدمه لا ينفي القدرة عليه كإخباره تعالى عما يفعله هو أو العبد باختياره وليس ما كلفوه الإيمان بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى يلزم أن يكلفوا الإيمان بعدم إيمانهم المستمر بل هو الإيمان بجميع ما جاء به النبي ﷺ إجمالاً على أن كون الموصول عبارة عنهم ليس معلوماً لهم وفائدة الإنذار بعد العلم بأنه لا يفيد إلزام الحجة وإحراز الرسول ﷺ فضل الإبلagh ولذلك قيل سواء عليهم ولم يقل عليك كما قيل لعبدة الأصنام سواء عليكم أدعوتهم أم أتم صامتون

خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ ٢ البقرة

وفي الآية الكريمة إخبار بالغيب على ما هو به إن أريد بالموصول أشخاص بأعيانهم فهم من المعجزات الباهرة (ختم الله على قلوبهم) استئناف تعليلي لما سبق من الحكم وبيان لما يقتضيه أو بيان وتأكيده ٧ والمراد بالقلب محل القوة العاقلة من الفؤاد والختم على الشيء الاستيثاق منه بضرب الخاتم عليه صيانة له أو لما فيه من التعرض له كما في البيت الفارغ والكيس المملوء والأول هو الأنسب بالمقام إذ ليس المراد به صيانة ما في قلوبهم بل إحداث حالة تجعلها بسبب تماديهم في الغي وانهماكهم في التقليد وإعراضهم عن منهاج النظر الصحيح بحيث لا يؤثر فيها الإنذار ولا ينفذ فيها الحق أصلاً إما على طريقة الاستعارة التبعية بأن يشبه ذلك بضرب الخاتم على نحو أبواب المنازل الخالية المبنية للسكنى تشبيهه معقول بمحسوس بجماع عقلي هو الاشتغال على منع القابل عما من شأنه وحقه أن يقبله ويستعار له الختم ثم يشتق منه صيغة الماضي وإما على طريقة التمثيل بأن يشبه الهيئة المنتزعة من قلوبهم وقد فعل بها ما فعل من إحداث تلك الحالة المانعة من أن يصل إليها ما خلقت هي لأجله من الأمور الدينية النافعة وحيل بينها وبينه بالمرّة بهيئة منتزعة من محال معدة لحلول ما يحلها حلولاً مستتبعا لمصالح مهمة وقد منع من ذلك بالختم عليها وحيل بينها وبين ما أعدت لأجله بالكلية ثم يستعار لها ما يدل على الهيئة المشبهة بها فيكون كل من طرفي التشبيه مركباً من أمور عدة قد اقتصر من جانب المشبه به على ما عليه بدور الأمر في تصوير تلك الهيئة وانزعاجها وهو الختم والباقي منوى مراد قصداً بالفاظ متخيلة بها يتحقق التركيب وتلك الألفاظ وإن كان لها مدخل في تحقيق وجه الشبه الذي هو أمر عقلي منتزع منها وهو امتناع الانتفاع بما عدله بسبب مانع قوى لكن ليس في شيء منها على الأفراد تجوز باعتبار هذا المجاز بل هي باقية على حالها من كونها حقيقة أو مجازاً أو كناية وإنما التجوز في المجموع وحيث كان معنى المجموع مجموع معاني تلك الألفاظ التي ليس فيها التجوز المهود ولم تكن الهيئة المنتزعة منها مدلولاً وضعياً لها ليسكون مادل على الهيئة المشبهة بها عند استعماله في الهيئة المشبهة مستعملاً في غير ما وضع له فيندرج تحت الاستعارة التي هي قسم من المجاز اللغوي الذي هو عبارة عن الكلمة المستعملة في غير ما وضع له ذهب قدماء المحققين كالشيخ عبد القاهر وأضرابه إلى جعل التمثيل قسماً برأسه ومن رام تقليل الأقسام عد تلك الهيئة المشبهة بها من قبيل المدلولات الوضعية وجعل الكلام المفيد لها عند استعماله فيما يشبه بها من هيئة أخرى منتزعة من أمور أخرى من قبيل الاستعارة وسماء استعارة تمثيلية وإسناد إحداث تلك الحالة في قلوبهم إلى الله تعالى لاستناد جميع الحوادث عندنا من حيث الخلق إليه سبحانه وتعالى وورود الآية الكريمة ناعية عليهم سوء صنيعهم ووخامة عاقبتهم لكون أفعالهم من حيث الكسب مستندة إليهم فإن خلقها منه سبحانه ليس بطريق الجبر بل بطريق الترتيب على ما اقترهه من القبايح كما يعرب عنه قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم ونحو ذلك وأما المعتزلة فقد سلموا مسالك التأويل وذكروا في ذلك عدة من الأقاويل منها أن القوم لما أعرضوا عن الحق وتمسكوا بذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلق المجبول عليه ومنها أن المراد به تمثيل قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها

الله تعالى خالية عن الفطن أو بقلوب قدر ختم الله تعالى عليها كما في سأل به الوادى إذا هلك وطارت به العنقاء إذا طالت غيبته ومنها أن ذلك فعل الشيطان أو الكافر وإسناده إليه تعالى باعتبار كونه بإقداره تعالى وتمكينه ومنها أن أعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق إلى تحصيل إيمانهم طريق سوى الإلجاء والقسر ثم لم يفعل ذلك محافظة على حكمة التكليف عبر عن ذلك بالختم لأنه سد لطريق إيمانهم بالكلية وفيه إشعار بترامى أمرهم في الغنى والعناد وتناهى انهماكهم في الشر والفساد ومنها أن ذلك حكاية لما كانت الكفرة يقولونه مثل قولهم قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهمكنا بهم ومنها أن ذلك في الآخرة وإنما أخبر عنه بالماضى لتحقيق وقوعه ويعضده قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكياً ومنها أن المراد بالختم وسم قلوبهم بسمه يعرفها الملائكة فيبغضونهم ويتنفرون عنهم . (وعلى سمعهم) عطف على ما قبله داخل في حكم الختم لقوله عز وجل وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه لا على قلوبهم ولا اشتراكهما في الإدراك من جميع الجوانب وإعادة الجار للتأكيد والإشعار بتغاير الختمين وتقديم ختم قلوبهم للإيدان بأنها الأصل في عدم الإيمان وللإشعار بأن ختمها ليس بطريق التبعية بختم سمعهم بناء على أنه طريق إليها فالختم عليه ختم عليها بل هي محتومة بختم على حدة لو فرض عدم الختم على سمعهم فهو باق على حاله حسبما يفصح عنه قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيراً لآسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون والسمع إدراك القوة السامعة وقد يطلق عليها وعلى العضو الحامل لها وهو المراد ههنا إذ هو المختوم عليه أصالة وتقديم حاله على حال أبصارهم للاشتراك بينه وبين قلوبهم في تلك الحال أو لأن جنايتهم من حيث السمع الذى به يتلقى الأحكام الشرعية وبه ينحقق الإنذار أعظم منها من حيث البصر الذى به يشاهد الأحوال الدالة على التوحيد فيبانيها إحق بالتقديم وأنسب بالمقام قالوا السمع أفضل من البصر لأنه عز وعلا حيث ذكرهما قدم السمع على البصر ولأن السمع شرط النبوة ولذلك ما بعث الله رسولا أصم ولأن السمع وسيلة إلى استكمال العقل بالمعارف التى تتلقف من أصحابها وتوحده للأمن عن اللبس واعتبار الأصل أو لتقدير المضاف أى وعلى حواس سمعهم والكلام في إيقاع الختم على ذلك كما مر من قبل . (وعلى أبصارهم غشاوة) الأبصار جمع بصر والكلام فيه كما سمعته في السمع والغشاوة فعالة من التغشية أى التغطية بنيت لما يشتمل على الشيء كالغصاة والعمامة وتنكيرها للتفخيم والتهويل وهى على رأى سيئويه مبتدأ خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها وإثارة الاسمية للإيدان بدوام مضمونها فإن ما يدرك بالقوة الباصرة من الآيات المنصوبة في الآفاق والآلآف حيث كانت مستمرة كان تعامهم من ذلك أيضاً كذلك وأما الآيات التى تتلقى بالقوة السامعة فلما كان وصولها إليها حيناً فحيناً أوثر في بيان الختم عليها وعلى ما هى أحد طريق معرفته أعنى القلب الجملة الفعلية وعلى رأى الأخفش مرتفع على الفاعلية مما تعلق به الجار وقرىء بالنصب على تقدير فعل ناصب أى وجعل على أبصارهم غشاوة وقيل على حذف الجار وإيصال الختم إليه والمعنى وختم على أبصارهم بغشاوة وقرىء بالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشاوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وغشاوة بالعين غير المعجمة والرفع . (ولهم عذاب عظيم) وعيد وبيان لما يستحقونه

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ البقرة

في الآخرة والعذاب كالنكال بناء ومعنى يقال أعذب عن الشيء إذا أمسك عنه ومنه الماء العذب لما أنه يقيم العطش ويردعه ولذلك يسمى نقاخاً لأنه ينقخ العطش ويكسره وفراخاً لأنه يرفته على القلب ويكسره ثم اتسع فيه فأطلق على كل ألم فادح وإن لم يكن عقاباً يراد به ردع الجاني عن المعاودة وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو إزالة العذاب كالنقذية والتبريض والعظيم نقيض الحقيق والكبير نقيض الصغير فمن ضرورة كون الحقيق دون الصغير كون العظيم فوق الكبير ويستعملان في الجثث والأحداث تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته أو خطره ووصف العذاب به لتأكيد ما يفيد التنكير من التفخيم والهويل والمبالغة في ذلك والمعنى أن على أبصارهم ضرباً من الغشاوة خارجاً عما يتعارفه الناس وهي غشاوة التعامى عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يبلغ كنهه ولا يدرك غايته اللهم إنا نعوذ بك من ذلك كله يا أرحم الراحمين . (ومن الناس) شروع في بيان أن بعض من حكيت أحوالهم السالفة ليسوا بمقتصرين على ٨ ما ذكر من محض الإصرار على الكفر والعناد بل يضمون إليه فنوناً أخرى من الشر والفساد وتعدد لجناياتهم الشنيعة المستتبعة لأحوال هائلة عاجلة وآجلة وأصل ناس أناس كما يشهد له إنسان وأناس وأنس حذفت همزته تخفيفاً كما قيل لوقه في الوقه وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وأما ما في قوله | إن المنايا يطلعن على الإنسان الآمنين | فساد سموا بذلك لظهورهم وتعلق الإنسان بهم كما سمي الجن جنناً لا جنتانهم وذهب بعضهم إلى أن أصله النوس وهو الحركة انقلبت واوه ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها وبعضهم إلى أنه مأخوذ من نسي نقلت لامه إلى موضع العين فصار نيساً ثم قلبت ألفاً سموا بذلك لنسيانهم ويروى عن ابن عباس أنه قال سمي الإنسان إنساناً لأنه عهد إليه فئسى واللام فيه إمالة العهد أو للجنس المقصور على المصرين حسبما ذكر في الموصول كأنه قيل ومنهم أو من أولئك والعدول إلى الناس الإيذان بكثرتهم كما ينبي عنه التبعيض ومحل الظرف الرفع على أنه مبتدأ باعتبار مضمونه أو نعت مبتدأ كما في قوله عز وجل ومنادون ذلك أي وجمع منا الخ ومن في قوله تعالى (من يقول) موصولة أو موصوفة ومحملها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس أو وبعض من الناس الذي يقول كقوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي الآية أو فريق يقول كقوله تعالى من المؤمنين رجال الخ على أن يكون مناط الإفادة والمقصود بالانصالة انصافهم بما في حين الصلة أو الصفة وما يتعلق به من الصفات جميعاً لا كونهم ذوات أولئك المذكورين وأما جعل الظرف خبراً كما هو الشائع في موارد الاستعمال فيأباه جزالة المعنى لأن كونهم من الناس ظاهر فالإخبار به عار عن الفائدة كما قيل فإن مناه توهم كون المراد بالناس الجنس مطلقاً وكذا مدار الجواب عنه بأن الفائدة هو التنبيه على أن الصفات المذكورة تنافي الإنسانية فحق من يتصف بها أن لا يعلم كونه من الناس فيخبر به ويتعجب منه وأنت خير بأن الناس عبارة عن المعهودين أو عن الجنس المقصور على المصرين وأيا ما كان فالفائدة ظاهرة بل لأن خبرية الظرف تستدعي أن يكون انصاف هؤلاء بتلك الصفات القبيحة المفصلة في ثلاث عشرة آية عنواناً

يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠﴾ البقرة

للموضوع مفروغا عنه غير مقصود بالذات ويكون مناط الإفادة كونهم من أولئك المذكورين ولا ريب لأحد في أنه يجب حمل النظم الجليل على أجزال المعاني وأكملها وتوحيد الضمير في قول باعتبار لفظة من وجمعه في قوله (آمنّا بالله وبالיום الآخر) وما بعده باعتبار معناها والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر إلى ما لا يتناهى أو إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار إذ لا حد وراءه وتخصيصهم للإيمان بهما بالذكر مع تكرير الباء لدعاء أنهم قد حازوا الإيمان من قطريه وأحاطوا به من طرفيه وأنهم قد آمنوا بكل منهما على الاتصال والاستحكام وقد دسوا تحته مالم عليه من العقائد الفاسدة حيث لم يكن إيمانهم بواحد منهما إيمانا في الحقيقة إذ كانوا مشركين بالله بقولهم عزير ابن الله وجاحدين باليوم الآخر بقولهم . لن تمسنا النار إلا أياما معدودة . ونحو ذلك وحكاية عبارتهم لبيان كمال خبيثهم ودعارتهم فإن ما قالوا لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ذلك إيمانا فكيف وهم يقولونه تمويهها على المؤمنين واستهزائهم (وما هم بمؤمنين) رد لما ادعوه ونفى لما انتحلوه وما حجازية فإن جواز دخول الباء في خبرها لتأكيد النفي اتفاقا بخلاف التيمية وإثارة الجملة الاسمية على الفعلية الموافقة لدعواهم المردودة للمبالغة في الرد بإفادة انتفاء الإيمان عنهم في جميع الأزمنة لافي الماضي فقط كما يفيد الفعلية ولا يتوهم أن الجملة الاسمية الإيجابية تفيد دوام الثبوت فعند دخول النفي عليها يتعين الدلالة على نفي الدوام فإنها بمعونة المقام تدل على دوام النفي قطعاً كما أن المضارع الخالي عن حرف الامتناع يدل على استمرار الوجود وعند دخول حرف الامتناع عليه يدل على استمرار الامتناع لا على امتناع الاستمرار كما في قوله عز وجل ولو يعجل الله للناس الشراستعجالهم بالخير لفضى إليهم أجلهم فإن عدم قضاء الأجل لاستمرار عدم التعجيل لا لعدم استمرار التعجيل وإطلاق الإيمان عما قيدوه به الاذان بأنهم ليسوا من جنس الإيمان في شيء أصلاً فضلاً عن الإيمان بما ذكروا وقد جوز أن يكون المراد ذلك ويكون الإطلاق للظهور ومدلول الآية الكريمة أن من أظهر الإيمان واعتقاده بخلافه لا يكون مؤمناً فلا حجة فيها على الكرامية القائلين بأن من تفوه بكلمتي الشهادة فارغ القلب عما يوافقه أو ينافيه مؤمن (يخادعون الله والذين آمنوا) بيان ليقول وتوضيح لما هو غرضهم مما يقولون أو استئناف وقع جواباً عن سؤال ينساق إليه الذهن كأنه قيل ما لهم يقولون ذلك وهم غير مؤمنين فقول يخادعون الله الخ أي يخادعون وقد قرئ كذلك وإثارة صيغة المفاعلة لإفادة المبالغة في السكيفية فإن الفعل متى غلب فيه بوانع فيه قطعاً أو في الكمية كما في الممارسة والمزاولة فإنهم كانوا مداومين على الخدع والخدع أن يوم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه ليوقعه فيه من حيث لا يحتسب أو يوهمه المساعدة على ما يريد هو به ليغتر بذلك فينجوا منه بسهولة من قولهم ضب خادع وخدع وهو الذي إذا أمر الحارث يده على باب جحره يوهمه الإقبال عليه فيخرج من بابه الآخر وكلا المعنيين مناسب للمقام فإنهم كانوا يريدون بما صنعوا أن يطلعوا على أسرار المؤمنين فيذيعوها إلى المنافذين وأن يدفعوا عن أنفسهم ما يصيب سائر

فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ البقرة

- الكفرة وأياما كان نسبته إلى الله سبحانه إما على طريق الاستعارة والتشيل لإفادة كمال شناعة جنابهم أى يعاملون معاملة الخادعين وإما على طريقة المجاز العقلي بأن ينسب إليه تعالى ما حقه أن ينسب إلى الرسول ﷺ لإبانة لمكانته عنده تعالى كما ينبيء عنه قوله تعالى إن الذين يباعدونك إنما يباعدون الله يد الله فوق أيديهم وقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله مع إفادة كمال الشناعة كما مر وإما مجرد التوطئة والتمهيد لما بعده من نسبته إلى الذين آمنوا والإيذان بقوة اختصاصهم به تعالى كما في قوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه وقوله تعالى إن الذين يؤذون الله ورسوله وإبقاء صيغة المخادعة على معناها الحقيقي بناء على زعمهم الفاسد وترجمة عن اعتقادهم الباطل كأنه قيل يزعمون أنهم يخدعون الله والله يخدعهم أو على جعلها استعارة تبعية أو تمثيلا لما أن صورة صنعهم مع الله تعالى والمؤمنين وصنعه تعالى معهم بإجراء أحكام الاسلام عليهم وهم عنده أخبت الكفرة وأهل الدرك الأسفل من النار استدراجا لهم وامتنال الرسول ﷺ والمؤمنين بأمر الله تعالى في ذلك مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع المتخادعين كما قيل مما لا يرضيه الذوق السليم أما الأول فلأن المنافقين لو اعتقدوا أن الله تعالى يخدعهم بمقابلة خدعهم له لم يتصور منهم التصدى للخدع وأما الثاني فلأن مقتضى المقام إيراد حالهم خاصة وتصويرها بما يليق بها من الصورة المستهجنة وبيان أن غايتها آيلة إليهم من حيث لا يحتسبون كما يعرب عنه قوله عز و علا (وما يخدعون ● إلا أنفسهم) فالتعرض لحال الجانب الآخر مما يخجل بتوفية المقام حقه وهو حال من ضمير يخادعون أى يفعلون ما يفعلون والحال أنهم ما يضررون بذلك إلا أنفسهم فإن دائرة فعلهم مقصورة عليهم أو ما يخدعون حقيقة إلا أنفسهم حيث يغرونها بالأكاذيب فيلقونها في مهاوى الردى وقرىء وما يخادعون والمعنى هو المعنى ومن حافظ على الصيغة فيما قبل قال وما يعاملون تلك المعاملة الشبيهة بمعاملة المتخادعين إلا أنفسهم لأن ضررها لا يحيق إلا بهم أو ما يخادعون حقيقة إلا أنفسهم حيث يمتنونها بالباطل وهى أيضاً تغرم وتمنيهم الأمانى الفارغة وقرىء وما يخادعون من التخديع وما يخدعون أى يخدعون ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب أنفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته وقد يقال للروح لأن نفس الحى به والقلب أيضاً لأنه محل الروح أو متعلقه ولدم أيضاً لأن قوامها به وللباء أيضاً أشدة حاجتها إليه والمراد هنا هو المعنى الأول لأن المقصود بيان أن ضرر مخادعتهم راجع إليهم لا يتخطاهم إلى غيرهم وقوله تعالى (وما يشعرون) حال من ضمير ما يخدعون أى يقتصرون على خدع أنفسهم والحال أنهم ما يشعرون أى ● ما يحسون بذلك لتأديهم في الغواية وحذف المفعول إما لظهوره أو لعمومه أى ما يشعرون بشيء أصلا جعل لحوق وبال ما صنعوا بهم في الظهور بمنزلة الأمر المحسوس الذى لا يخفى إلا على مؤوف الحواس مختل المشاعر . (في قلوبهم مرض) المرض عبارة عما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال اللائق به ويوجب ١٠ الخلل في أفعيله ويؤدى إلى الموت استعير ههنا لما في قلوبهم من الجهل وسوء العقيدة وعداوة النبي ﷺ
- ٦٠ - أبى السعود ج ١

وغير ذلك من فنون الكفر المؤدى إلى الهلاك الروحاني والتشكير للدلالة على كونه نوعاً مبهماً غير ما يتعارفه
 الناس من الأمراض والجملة مقررة لما يفيدته قوله تعالى وما هم بمؤمنين من استمرار عدم إيمانهم أو تعليل له
 • كأنه قيل ما لهم لا يؤمنون فقيل في قلوبهم مرض يمنعهم (فزادهم الله مرضاً) بأن طبع على قلوبهم لعله
 تعالى بأنه لا يؤثر فيها التذكير والإنذار والجملة معطوفة على ما قبلها والقاء للدلالة على ترتب مضمونها
 عليه وبه اتضح كونهم من الكفرة المختوم على قلوبهم مع زيادة بيان السبب وقيل زادهم كفراً بزيادة
 التكليف الشرعية لأنهم كانوا كلماً ازداد التكليف بنزول الوحي يزدادون كفراً ويجوز أن يكون المرض
 مستعاراً لما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور عند مشاهدتهم لعزة المسلمين فزيادته تعالى إياهم
 مرضاً ما فعل بهم من إلقاء الروح وقذف الرعب في قلوبهم عند إعزاز الدين بإمداد النبي ﷺ بإنزال
 الملائكة وتأييده بفنون النصر والتسكين فقوله تعالى في قلوبهم مرض الخ حينئذ استئناف لتعليل لقوله تعالى
 يخادعون الله الخ كأنه قيل ما لهم يخادعون ويدهنون ولم لا يجاهرون بما في قلوبهم من الكفر فقيل في
 • قلوبهم ضعف مضاعف هذه حالهم في الدنيا . (ولهم) في الآخرة . (عذاب أليم) أى مؤلم يقال ألم وهو
 أليم كوجع وهو وجيع وصف به العذاب للبالغة كما في قوله [تحية بينهم ضرب وجيع] على طريقة جد
 جده فإن الألم والوجع حقيقة للألم والمضروب كما أن الجدة للجدة وقيل هو بمعنى المؤلم كالسميع بمعنى
 • المسمع وليس ذلك بثبت كما سيحىء في قوله تعالى بديع السموات والأرض . (بما كانوا يكذبون) الباء
 للسببية أو للقبالة وما مصدرية داخلية في الحقيقة على يكذبون وكلمة كانوا مقحمة لإفادة دوام كذبهم
 وتجده أى بسبب كذبهم أو بمقابلة كذبهم المتجدد المستمر الذى هو قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وهم
 غير مؤمنين فإنه إخبار بإحداثهم الإيمان فيما مضى لا إنشاء للإيمان ولو سلم فهو متضمن للإخبار بصدوره
 عنهم وليس كذلك لعدم التصديق القلبي بمعنى الإذعان والقبول قطعاً ويجوز أن يكون محمولا على الظاهر
 بناء على رأى من يجوز أن يكون لكان الناقصة مصدر كما صرح به في قول الشاعر [بذل وحلم ساد في قومه
 الفتى] وكونك إياه عليك يسير [أى لهم عذاب أليم بسبب كونهم يكذبون على الاستمرار وترتيب
 العذاب عليه من بين سائر موجباته القوية إما لأن المراد بيان العذاب الخاص بالمنافقين بناء على ظهور
 شركتهم للجاهرين فيما ذكر من العذاب العظيم حسب اشتراكهم فيما يوجبهم من الإصرار على الكفر
 كما ينبيه عنه قوله تعالى ومن الناس الخ وإما للإيذان بأن لهم بمقابلة سائر جنائياتهم العظيمة من العذاب
 مالا يوصف وإما للرمن إلى كمال سماجة الكذب نظراً إلى ظاهر العبارة الخيلة لا نفراده بالسببية مع
 إحاطة علم السامع بأن لحوق العذاب بهم من جهات شتى وإن الاختصار عليه للإشعار بنهاية قبجه
 والتنفير عنه . عن الصديق رضى الله عنه وروى مرفوعاً أيضاً إلى النبي ﷺ إياكم والكذب فإنه بجانب
 الإيمان وما روى أن إبراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات فالمراد به التعريض وإنما سمي به لشبهه به
 صورة وقيل ما موصولة والعائد محذوف أى بالذى يكذبونه وقرئ يكذبون والمفعول محذوف وهو
 إما النبي ﷺ أو القرآن وما مصدرية أى بسبب تكذيبهم إياه عليه السلام أو القرآن أو موصولة أى
 بالذى يكذبونه على أن العائد محذوف ويجوز أن يكون صيغة التفعيل للبالغة كما في بين في بان وقص

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ ۝ ٢ البقرة
 أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ۝ ٢ البقرة

في قاص أو للتكثير كما في موت البهائم وبركت الإبل وأن يكون من قولهم كذب الوحشي إذا جرى شوطاً ثم وقف لينظر ما وراءه فإن المنافق متوقف في أمره متردد في رأيه ولذلك قيل له مذبذب . (وإذا ١١ قيل لهم لا تفسدوا في الأرض) شروع في تعديد بعض من قبائحهم المتفرعة على ما حكى عنهم من الكفر والنفاق وإذا ظرف زمن مستقبل ويلزمها معنى الشرط غالباً ولا تدخل إلا في الأمر المحقق أو المرجح وقوعه واللام متعلقة بقيل ومعناها الانهاء والتبليغ والقائم مقام فاعله جملة لا تفسدوا على أن المراد بها اللفظ وقيل هو مضمريفسره المذكور والفساد خروج الشيء عن الحالة اللاتمة به والصلاح مقابله والفساد في الأرض هيج الحروب والفتن المستتعبة لزوال الاستقامة عن أحوال العباد واختلال أمر المعاش والمعاد والمراد بما نهوا عنه ما يؤدي إلى ذلك من إفساء أسرار المؤمنين إلى الكفار وإغرائهم عليهم وغير ذلك من فنون الشرور كما يقال للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار إذا أقدم على ما تلك عاقبته وهو إما معطوف على يقول فإن جعلت كلمة من موصولة فلا محل له من الإعراب ولا بأس بتخلل البيان أو الاستئناف وما يتعلق بهما بين أجزاء الصلة فإن ذلك ليس توسيطاً بالأجنبي وإن جعلت موصوفة فحله الرفع والمعنى ومن الناس من إذا نهوا من جهة المؤمنين عما هم عليه من الإفساد في الأرض . (قالوا) ● إرادة للنهين إن ذلك غير صادر عنهم مع أن مقصودهم الأصلي إنكار كون ذلك إفساداً وإدعاء كونه إصلاحاً محضاً كما سيأتي توضيحه . (إنما نحن مصلحون) أي مقصرون على الإصلاح المحض بحيث ● لا يتعلق به شائبة الإفساد والفساد مشيرين بكلمة إنما إلى أن ذلك من الوضوح بحيث لا ينبغي أن يرتاب فيه وإما كلام مستأنف سيق لتعدد شنائعهم وأما عطفه على يكذبون بمعنى ولهم عذاب أليم بكذبهم وبقولهم حين نهوا عن الإفساد إنما نحن مصلحون كما قيل فيأباه أن هذا النحو من التعليل حقه أن يكون بأوصاف ظاهرة العلية مسلبة الثبوت للموصوف غنية عن البيان لشهرة الاتصاف بها عند السامع أو لسبق ذكره صريحاً كما في قوله تعالى بما كانوا يكذبون فإن مضمونه عبارة عما حكى عنهم من قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر أول ذكر ما يستلزمه استلزماً ظاهراً كما في قوله عز وجل إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب فإن ما ذكر من الضلال عن سبيل الله مما يوجب حتماً نسيان جانب الآخرة التي من جملتها يوم الحساب وما لم يكن كذلك لحقه أن يخبر بعليته قصداً كما في قوله تعالى ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الآية وقوله ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق الآية إلى غير ذلك ولا ريب في أن هذه الشرطية وما بعدها من الشرطيتين المعطوفتين عليها ليس مضمون شيء منها معلوم الاتصاف إليهم عند السامعين بوجه من الوجوه المذكورة حتى تستحق الانتظام في سلك التعليل المذكور فإذا ن حققها أن تكون مسوقة على سنن تعديد قبائحهم على أحد الوجهين مفيدة لا تصافهم بكل واحد من تلك الأوصاف قصداً واستقلالاً كيف لا وقوله عز وجل . (ألا إنهم هم المفسدون) ينادى بذلك نداء ١٢

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ٢ البقرة

جليلاً فإنه رد من جهته تعالى لدعواهم المحكية أبلغ رد وأدله على سخط عظيم حيث سلك فيه مسلك الاستئناف المؤدى إلى زيادة تمسك الحكم في ذهن السامع وصدرت الجملة بحرفي التأكيد ألا المنبهة على تحقق ما بعدها فإن الهمة الإنكارية الداخلة على النفي تفيد تحقيق الإثبات قطعاً كما في قوله تعالى أليس الله بكاف عبده ولذلك لا يكاد يقع ما بعدها من الجملة إلا مصدرة بما يلتقي به القسم وأختها التي هي أمان طلائع القسم وقيل هما حرفان بسيطان موضوعان للتنبيه والاستفتاح وإن المقررة للنسبة وعرف الخبر ووسط ضمير الفصل لرد ما في قصر أنفسهم على الإصلاح من التعريض بالمؤمنين ثم استدرك بقوله تعالى (ولكن لا يشعرون) للإيدان بأن كونهم مفسدين من الأمور المحسوسة لكن لا حس لهم حتى يدركوه ● وهكذا الكلام في الشرطيتين الآتيتين وما بعدهما من رد مضمونهما ولولا أن المراد تفصيل جنائياتهم وتعدد خباياهم وهناتهم ثم إظهار فسادها وإبانة بطلانها لما فتح هذا الباب والله أعلم بالصواب . (وإذا قيل لهم) من قبل المؤمنين بطريق الأمر بالمعروف وإثرائهم عن المنكر إتماماً للنصح وإكالا للإرشاد . ١٣ ● (آمنوا) حذف المؤمن به لظهوره أو أريد أفعالوا الإيمان (كما آمن الناس) الكاف في محل نصب على أنه نعت لمصدر مؤكد محذوف أي آمنوا إيماناً مماثلاً لإيمانهم فمصدرية أو كافة كافي بما فيها من تكلف الحرف عن العمل وتصحيح دخولها على الجملة وتكون للتشبيه بين مضموني الجملتين أي حققوا إيمانكم كما تحقق إيمانهم واللام للجنس والمراد بالناس الكاملون في الإنسانية العاملون بقضية العقل فإن اسم الجنس كما يستعمل في مسماه يستعمل فيما يكون جامعاً للعاني الخاصة به المقصودة منه ولذلك يسلب عما ليس كذلك فيقال هو ليس بإنسان وقد جمعهما من قال إذ الناس ناس والزمان زمان أو للعهد والمراد به الرسول ﷺ ومن معه أو من آمن من أهل جلدتهم كابن سلام وأضرابه والمعنى آمنوا إيماناً مقروناً بالإخلاص متمحضاً عن شوائب النفاق مماثلاً لإيمانهم . (قالوا) مقابلين للأمر بالمعروف بالإنكار المنكر واصفين للرأجيع الرزان بضد أو صافهم الحسان . (أتؤمن كما آمن السفهاء) مشيرين باللام إلى من أشير إليهم في الناس من الكاملين أو المعهودين أو إلى الجنس بأسره وهم مندرجون فيه على زعمهم الفاسد والسفه خفة وسخافة رأى يورثهما قصور العقل ويقابله الحلم والآناة وإنما نسبوا إليه مع أنهم في الغاية القاصية من الرشد والرزانة والوقار لكمال انهماك أنفسهم في السفاهة وتماديهم في الغواية وكونهم ممن زين له سوء عمله فرآه حسناً فمن حسب الضلال هدى يسمى الهدى لا محالة ضلالاً أو لتحقير شأنهم فإن كثيراً من المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال أو للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم على تقدير كون المراد بالناس عبد الله بن سلام وأمثاله وأياماً كان فالذى يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه غفامة شأنه الجليل أن يكون صدور هذا القول عنهم بمحض من المؤمنين الناصحين لهم جواباً

عن نصيحتهم وحيث كان فخواه تسفيه أولئك المشاهير الأعلام والقدح في إيمانهم لزم كونهم مجاهرين لا منافقين وذلك مما لا يكاد يساعده السباق والسياق وعن هذا قالوا ينبغي أن يكون ذلك فيما بينهم لا على وجه المؤمنين قال الإمام الواحدى إنهم كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين فأخبر الله تعالى نبيه عليه السلام والمؤمنين بذلك عنهم وأنت خير بأن إبراز ماصدر عن أحد المتحاورين في الخلاه في معرض ما جرى بينهم في مقام المحاوره مما لا عهد به في الكلام فضلا عما هو في منصب الإعجاز فالحق الذى لا محيد عنه أن قولهم هذا وإن صدر عنهم بمحض من الناصحين لا يقتضى كونهم مجاهرين فإنه ضرب من الكفر أنيق وفن في النفاق عريق مصنوع على شاكلة قولهم واسمع غير مسمع فكما أنه كلام ذو وجهين مثلهم محتمل للشر بأن يحمل على معنى اسمع منا غير مسمع كلاماً ترضاه ونحوه وللخير بأن يحمل على معنى اسمع غير مسمع مكروها كانوا يخاطبون به رسول الله ﷺ استهزاء به مظهرين إرادة المعنى الأخير وهم مضمرون في أنفسهم المعنى الأول مطمئنون به ولذلك نهوا عنه كذلك هذا الكلام محتمل للشر كما ذكر في تفسيره وللخير بأن يحمل على ادعاء الإيمان كإيمان الناس وإنكار ما اتهموا به من النفاق على معنى أتؤمن كما آمن السفهاء والمجانين الذين لا اعتداد بإيمانهم لو آمنوا ولا تؤمن كإيمان الناس حتى تأمرونا بذلك قد خاطبوا به الناصحين استهزاء بهم مرأين لإرادة المعنى الأخير وهم معولون على الأول فرد عليهم ذلك بقوله عز قاتلاً . (ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) أبلغ رد وجهلوا أشنع تهجيل ● حيث صدرت الجملة بحر في التأكيد حسبما أشير إليه فيما سلف وجعلت السفاهة مقصورة عليهم وبالغة إلى حيث لا يدرون أنهم سفهاء ومن هذا اتضح لك سر ما مر في تفسير قوله تعالى إنا نحن مصلحون فإن حمله على المعنى الأخير كما هو رأى الجمهور مناف لحالهم ضرورة أن مشافهتهم للناصحين بادعاء كون ما نهوا عنه من الإفساد إصلاحاً كما مر إظهار منهم للشقاق وبروز بأشخاصهم من نفق النفاق والاعتذار بأن المراد بما نهوا عنه مداراتهم للشركين كما ذكر في بعض التفاسير وبالإصلاح الذى يدعونه إصلاح ما بينهم وبين المؤمنين وأن معنى قوله تعالى ألا إنهم هم المفسدون أنهم في تلك المعاملة مفسدون لمصالح المؤمنين لإشعارها بإعطاء الدنية وإنباتها عن ضعفهم الملجئ إلى توسيط من يتصدى لإصلاح ذات البين فضلاً عن كونهم مصلحين مما لا سبيل إليه قطعاً فإن قوله تعالى ولكن لا يشعرون ناطق بفساده كيف لا وأنه يقتضى أن يكون المنافقون في تلك الدعوى صادقين قاصدين للإصلاح وبآتيهم الإفساد من حيث لا يشعرون ولا ريب في أنهم فيها كاذبون لا يعاشرهم إلا مضارة الدين وخيانة للمؤمنين فإذا ن طريق حل الإشكال ليس إلا ما أشير إليه فإن قولهم إنا نحن مصلحون محتمل للحمل على الكذب وإنكار صدور الإفساد المنسوب إليهم عنهم على معنى إنا نحن مصلحون لا يصدر عنا ما تنهوننا عنه من الإفساد وقد خاطبوا به الناصحين استهزاء بهم وإرادة لإرادة هذا المعنى وهم معرجون على المعنى الأول فرد عليهم بقوله تعالى ألا إنهم هم المفسدون الآية والله سبحانه أعلم بما أودعه في تضاعيف كتابه المكشوف من السر المخزون نسأله العصمة والتوفيق والهداية إلى سواء الطريق وتفصيل هذه الآية الكريمة بلا يعلمون لما أنه أكثر طباقاً لذكر السفه الذى هو فن من فنون الجمل ولأن الوقوف على أن المؤمنين ثابتون على الحق وهم على

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ ﴿٢٠﴾ البقرة

الباطل منوط بالتمييز بين الحق والباطل وذلك مما لا يتسنى إلا بالنظر والاستدلال وأما النفاق وما فيه من الفتنة والإفساد وما يترتب عليه من كون من يتصف به مفسداً فأمر بديهى يقف عليه من له شعور ولذلك فصلت الآية الكريمة السابقة بلا يشعرون . (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) بيان لتباين أحوالهم وتناقض أفعالهم في أثناء المعاملة والمخاطبة حسب تباين المخاطبين ومساق ما صدرت به قصتهم لتحرير مذهبهم والترجمة عن نفاقهم ولذلك لم يتعرض ههنا لمتعلق الإيمان فليس فيه شائبة التكرير . روى أن عبد الله بن أبي وأصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة فقال ابن أبي انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فلما دنوا منهم أخذ بيد أبي بكر رضى الله عنه فقال مرحباً بالصدق سيد بنى تميم وشيخ الإسلام وثانى رسول الله ﷺ فى الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد عمر رضى الله عنه فقال مرحباً بسيد بنى عدى الفاروق القوى فى دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله ﷺ ثم أخذ بيد على كرم الله وجهه فقال مرحباً بابن عم رسول الله ﷺ وختنه وسيد بنى هاشم ما خلا رسول الله ﷺ فنزل وقيل قال له على رضى الله عنه يا عبد الله اتق الله ولا تنافق فإن المنافقين شر خلق الله تعالى فقال له مه لا يا أبا الحسن أفى تقول هذا والله إن إيماننا كما يمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا فقال ابن أبي لأصحابه كيف رأيتمونى فعلت فإذا رأيتموهم فافعلوا مثل ما فعلت فأثنوا عليه خيراً وقالوا ما زال بخير ما عشت فينا فرجع المسلمون إلى رسول الله ﷺ وأخبروه بذلك فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته

- أى صادفته واستقبلته وقرىء إذا لا قوا . (وإذا خلوا) من خلوت إلى فلان أى انفردت معه وقد يستعمل بالباء أو من خلا بمعنى مضى ومنه القرون الحالية وقولهم خلاك ذم أى جاوزك ومضى عنك وقد جاوز كونه من خلوت به إذا سخرت منه على أن تعديته بإلى فى قوله تعالى . (إلى شياطينهم) لتضمنه معنى الإنهاء أى وإذا أنهوا إليهم السخرية الخ وأنت خير بأن تقييد قولهم المحكى بذلك الإنهاء مما لا وجه له والمراد بشياطينهم المائلون منهم للشيطان فى التمرد والعناد المظهرون لكفرهم وإضافتهم إليهم للمشاركة فى الكفر أو كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيديوه نون الشيطان تارة أصلية فوزنه فيعال على أنه من شطن إذا بعد فإنه بعيد من الخير والرحمة ويشهد له قولهم تشيطن وأخرى زائدة فوزنه فعلان
- على أنه من شاط أى هلك أو بطل ومن أسمائه الباطل وقيل معناه هاج واحترق . (قالوا إنا معكم) أى فى الدين والاعتقاد لا نفارقكم فى حال من الأحوال وإنما خاطبهم بالجملة الاسمية المؤكدة لأن مدعاهم عدم تحقيق الثبات على ما كانوا عليه من الدين والتأكيد للإنباء عن صدق رغبتهم ووفور نشاطهم لا لإنكار الشياطين بخلاف معاملتهم مع المؤمنين فإنهم إنما يدعون عندهم إحداث الإيمان لجزمهم بعد رواج ادعاء الكمال فيه أو الثبات عليه . (إنما نحن) أى فى إظهار الإيمان عند المؤمنين . (مستهزؤون) بهم من غير أن يخطر ببالنا الإيمان حقيقة وهو استئناف مبنى على سؤال ناشئ من ادعاء المعية كأنه قيل لهم عند قولهم إنا معكم فبالكم توافقون المؤمنين فى الإتيان بكلمة الإيمان فقالوا إنما نحن مستهزؤون بهم فلا يقدح ذلك فى

اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ٢ البقرة

- كوننا معكم بل يؤكدوه وقد ضمنوا جوابهم أنهم يهينون المؤمنين ويعدون ذلك نصرة لدينهم أو تأكيد لما قبله فإن المستهزئ بالشئ مصر على خلافه أو بدل منه لأن من حقر الاسلام فقد عظم الكفر والاستهزاء بالشئ السخرية منه يقال هزأت واستهزأت بمعنى وأصله الخفة من الهز وهو القتل السريع وهزأ بهزأ مات على مكانه وتهزأ به ناقتة أى تسرع به وتحف . (الله يستهزئ بهم) أى يجازيهم على استهزائهم سمي ١٥ جزاؤه باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة إما للشاكلة في اللفظ أو المقارنة في الوجود أو يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم أو ينزل بهم الحقارة والهوان الذى هو لازم الاستهزاء أو يعاملهم معاملة المستهزئ بهم أما فى الدنيا فبإجراء أحكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالإمهال والزيادة فى النعمة على التماضى فى الطغيان وأما فى الآخرة فيما يروى أنه يفتح لهم باب إلى الجنة فيسرعون نحوه فإذا صاروا إليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون وإنما استؤنف للإيدان بأنهم قد بلغوا فى المبالغة فى استهزاء المؤمنين إلى غاية ظهرت شناعته عند السامعين وتعاضم ذلك عليهم حتى اضطروا إلى أن يقولوا مامصير أمر هؤلاء وما عاقبة حالهم وفيه أنه تعالى هو الذى يتولى أمرهم ولا يحوجهم إلى المعارضة بالمثل ويستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ الذى ليس استهزأؤهم عنده من باب الاستهزاء حيث ينزل بهم من النكال ويحل عليهم من الذل والهوان مالا يوصف وإيثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار كما يعرب عنه قوله عز قائله أولايرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين وما كانوا خالين فى أكثر الأوقات من تمتك أستار وتكشف أسرار ونزول فى شأنهم واستشعار حذر من ذلك كما أنبأ عنه قوله عز وجل يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم قل استهزؤا إن الله مخرج ما تخرجون . (ويمدهم) أى يزيدهم ويقويههم من مدالجيش وأمدّه إذا زاده وقواه ● ومنه مددت الدواة والسراج إذا أصلحتهما بالخبر والزيت وإبشاره على يزيدهم للرمز إلى أن ذلك منوط بسوء اختيارهم لما أنه إنما يتحقق عند الاستعداد وما يجرى مجراه من الحاجة الداعية إليه كما فى الأمثلة المذكورة وقرئ يمدهم من الإمداد وهو صريح فى أن القراءة المشهورة ليست من المد فى العمر على أنه يستعمل باللام كالإملاء قال تعالى ونمده من العذاب مدأ وحذف الجار وإيصال الفعل إلى الضمير خلاف الأصل لا يصار إليه إلا بدليل . (فى طغيانهم) متعلق بيمدهم والطغيان مجاوزة الحد فى كل أمر والمراد إفراطهم فى العتو وغلوهم فى الكفر وقرئ بكسر الطاء وهى لغة فيه كلفيان لغة فى لقيان وفى إضافته إليهم إيدان باختصاصه بهم وتأيد لما أشير إليه من ترتب المد على سوء اختيارهم . (يعمّهون) حال من الضمير المنصوب أو المجرور لكون المضاف مصدراً فهو مرفوع حكماً والعمه فى البصيرة كالعمى فى البصر وهو التحير والتردد بحيث لا يدري أين يتوجه وإسناده هذا المد إلى الله تعالى مع إسناده فى قوله تعالى وإخوانهم يمدونهم فى الغنى محقق لقاعدة أهل الحق من أن جميع الأشياء مستند من حيث الخلق إليه سبحانه وإن كانت أفعال العباد من حيث الكسب مستندة إليهم والمعتزلة لما تعذر عليهم لإجراء النظم الكريم على

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ قَبْلَ أَنْ يَكُونُوا مُجْرِمِينَ وَمَا كَانُوا مَهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ ٢ البقرة

مسلكه نكبوا إلى شعاب التأويل فأجابوا أولاً بأنهم لما أصروا على كفرهم خذلهم الله تعالى ومنعهم الطافه فتزايد الرين في قلوبهم فسمى ذلك مدداً في الطغيان فأسند إيلأوه إليه تعالى في المسند مجاز لغوى وفي الإسناد مجاز عقلي لأنه إسناد للفعل إلى المسبب له وفاعله الحقيقي هم الكفرة وثانياً بأنه أريد بالمد في الطغيان ترك القسرو الإلجاء إلى الإيمان كما في قوله تعالى ونذرهم في طغيانهم يعمهون فالجواز في المسند فقط وثالثاً بأن المراد به معناه الحقيقي وهو فعل الشيطان لكنه أسند إليه سبحانه مجازاً لأنه يتمكنه تعالى وإفادته .

١٦ (أولئك) إشارة إلى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات الشنيعة المميزة لهم عن عداهم أكمل تمييز بحيث صاروا كأنهم حضار مشاهدون على ما هم عليه وما فيه من معنى البعد للإيدان ببعد منزلتهم في الشر وسوء الحال ومحل الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى (الذين اشتروا الضلالة بالهدى) والجملة مسوقة لتقرير ما قبلها وبيان لكمال جهالتهم فيما حكى عنهم من الأقوال والأفعال بإظهار غاية سماحتها وتصويرها بصورة مالا يكاد يتعاطاه من له أدنى تمييز فضلاً عن العقلاء والضلالة الجور عن القصد والهدى التوجه إليه وقد استعير الأول للعدول عن الصواب في الدين والثاني للاستقامة عليه والاشتراء استبدال السلعة بالثمن أى أخذها به لا بذله لتحصيلها كما قيل وإن كان مستلزماً له فإن المعتبر في عقد الشراء ومفهومه هو الجلب دون السلب الذى هو المعتبر في عقد البيع ثم استعير لا أخذ شيء بإعطاء ما في يده عيناً كان كل منهما أو معنى لا للإعراض عما في يده محصلاً به غيره كما قيل وإن استلزمه لما مر سره ومنه قوله [أخذت بالجملة رأساً أزعر] * وبالنشأ الواضحات الدردرا [وبالطويل العمر عمرًا جديرا] * كما اشترى المسلم إذ تنصراً [فاشترى الضلالة بالهدى مستعار لا أخذها بدلاً منه أخذاً منوطاً بالرغبة فيها والإعراض عنه ولما اقتضى ذلك أن يكون ما يجرى مجرى الثمن حاصلًا للكفرة قبل العقد وما يجرى مجرى المبيع غير حاصل لهم إذ ذاك حسبما هو في البيت ولا ريب في أنهم بمعزل من الهدى مستمرون على الضلالة استدعى الحال تحقيق ما جرى مجرى العوضين فنقول وبالله التوفيق ليس المراد بما تعلق به الاشتراء ههنا جنس الضلالة الشاملة لجميع أصناف الكفرة حتى تكون حاصلة لهم من قبل بل هو فرداها الكامل الخاص بهؤلاء على أن اللام للعهد وهو عمهم المقرون بالمد في الطغيان المترتب على ما حكى عنهم من القبائح وذلك إنما يحصل لهم عند اليأس من اهتدائهم والختم على قلوبهم وكذا ليس المراد بما في حيز الثمن نفس الهدى بل هو التمكن التام منه بتعاوض الأسباب وتأخذ المقدمات المستتبعة له بطريق الاستعارة كأنه نفس الهدى بجامع المشاركة في استتباع الجدوى ولا مرية في أن هذه المرتبة من التمكن كانت حاصلة لهم بما شاهدوه من الآيات الباهرة والمعجزات القاهرة من جهة الرسول ﷺ وبما سمعوه من نصائح المؤمنين التي من جملتها ما حكى من النهي عن الإفساد في الأرض والأمر بالإيمان الصحيح وقد نبذوها وراء ظهورهم وأخذوا بدلها الضلالة الهائلة التي هي العمه في تيه الطغيان وحمل الهدى على الفطرة الأصلية الحاصلة لكل أحد ياباه أن إضاعتها غير مختصة بهؤلاء ولئن حملت على الإضاعة التامة الواصلة إلى حد الختم على القلوب المختصة

بهم فليس في إضاعتها فقط من الشناعة ما في إضاعتها مع مؤيدها من المؤيدات العقلية والنقلية على أن ذلك يقضى إلى كون ذكر ما فصل من أول السورة الكريمة إلى هنا ضائعاً وأبعد منه حمل اشتراء الضلالة بالهدى على مجرد اختيارها عليه من غير اعتبار كونه في أيديهم بناء على أنه يستعمل اتساعاً في إثبات أحد الشيتين الكائنين في شرف الوقوع على الآخر فإنه مع خلوه عن المزايا المذكورة بالمرّة محل بروق الترشيح الآتي هذا على تقدير جعل الاشتراء المذكور عبارة عن معاملتهم السابقة المحكية وهو الأنسب بتجاوب أطراف النظم الكريم وأما إذا جعل ترجمة عن جناية أخرى من جنائياتهم فالمراد بالهدى ما كانوا عليه من معرفة صحة نبوة النبي ﷺ وحقية دينه بما كانوا يشاهدونه من نعوته عليه الصلاة والسلام في التوراة وقد كانوا على يقين منه حتى كانوا يستفتحون به على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نحمد نعتة في التوراة ويقولون لهم قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به كما سيأتي ولا مساغ لحمل الهدى على ما كانوا يظهرونه عند لقاء المؤمنين فإنها ضلالة مضاعفة . (فما ربحت تجارتهم) عطف على الصلة داخل في حيزها والفاء للدلالة على ترتب مضمونه عليها والتجارة صناعة التجار وهو التصدى للبيع والشراء لتحصيل الربح وهو الفضل على رأس المال يقال ربح فلان في تجارته أى استشف فيها وأصاب الربح وإسناد عدمه الذى هو عبارة عن الخسران إليها وهو لأربابها بناء على التوسع المبني على ما بينهما من الملازمة وفائدته المبالغة في تخسيرهم لما فيه من الإشعار بكثرة الخسار وعمومه المستتبع لسرايته إلى ما يلا بسهم وإيرادهما أثر الاشتراء المستعار للاستبدال المذكور ترشيح للاستعارة وتقصير لما فاتهم من فوائد الهدى بصورة خسران التجارة الذى يتحاشى عنه كل أحد للإشباع في التخسير والتخسير ولا ينافى ذلك أن التجارة في نفسها استعارة لانهما كهم فيما هم عليه من إثبات الضلالة على الهدى وتمرنهم عليه معربة عن كون ذلك صناعة لهم راسخة إذ ليس من ضروريات الترشيح أن يكون باقياً على الحقيقة تابعاً للاستعارة لا يقصده إلا تقويتها كما في قولك رأيت أسداً وأفى البرائن فإنك لا تريد به إلا زيادة تصوير للشجاع وأنه أسد كامل من غير أن تريد بلفظ البرائن معنى آخر بل قد يكون مستعاراً من ملائم المستعار منه للملائم المستعار له ومع ذلك يكون ترشيحاً لأصل الاستعارة كما في قوله [فلما رأيت النسر عزابن داية * وعشش في وكره جاش له صدرى] فإن لفظ الوكرين مع كونه مستعاراً من معناه الحقيقي الذى هو موضع يتخذ الطائر للتفريخ للرأس واللحية أو للفودين أعنى جانبي الرأس ترشيح باعتبار معناه الأصلي لاستعارة لفظ النسر للشيب ولفظ ابن داية للشعر الأسود وكذا لفظ التعشيش مع كونه مستعاراً للحلول والنزول المستعيرين ترشيح لتينك الاستعارتين بالاعتبار المذكور وقرىء تجارتهم وتعددها لتعدد المضاف إليهم . (وما كانوا مهتدين) • أى إلى طرق التجارة فإن المقصود منها سلامة رأس المال مع حصول الربح ولئن فات الربح في صفقة فربما يتدارك في صفقة أخرى لبقاء الأصل وأما إتلاف الكل بالمرّة فليس من باب التجارة قطعاً فهو لاء الذين كان رأس مالهم الهدى قد استبدلوا بها الضلالة فأضاعوا كلنا الطلبتين فبقوا خائبين خاسرين نائين عن طريق التجارة بألف منزل فالجملة راجعة إلى الترشيح معطوفة على ما قبلها مشاركة له في الترتب على الاشتراء

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي

ظُلُمَاتٍ لَا يَبْصُرُونَ ﴿١٧﴾ ٢ البقرة

١٧ المذكور والاولى عطفها على اشتروا الخ. (مثلهم) زيادة كشف لحالهم وتصوير لهاغب تصويرها بصورة ما يؤدي إلى الخسار بحسب المآل بصورة ما يفضى إلى الخسار من حيث النفس تهويلا لها وإبانة لفظا عنها فإن التمثيل ألطف ذريعة إلى تسخير الوهم للعقل واستنزاه من مقام الاستعصاء عليه وأقوى وسيلة إلى تفهيم الجاهل الغبي وقمع سورة الجامع الأبى كيف لا وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية وإبراز لها في معرض المحسوسات الجلية وإبداء للنكر في صورة المعروف وإظهار للوحشي في هيئة المألوف والمثل في الأصل بمعنى المثل والنظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم أطلق على القول السائر الذي يمثل مضربه بمورده وحيث لم يكن ذلك إلا قولا بديعاً فيه غرابة صيرته جديرأ بالتسيير في البلاد وخليقاً بالقبول فيما بين كل حاضر وباد استعير لكل حال أو صفة أو قصة لها شأن عجيب وخطر غريب من غير أن يلاحظ بينها وبين شيء آخر تشبيهه ومنه قوله عز وجل والله المثل الأعلى أى الوصف الذى له شأن عظيم وخطر جليل وقوله تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون أى قصتها العجيبة الشأن. (كمثل الذى) • أى الذين كما فى قوله تعالى وخضتم كالذى خاضوا خلا أنه وحد الضمير فى قوله تعالى. (استوقد ناراً) • نظر أ إلى الصورة وإنما جاز ذلك مع عدم جواز وضع الائم مقام القائمين لأن المقصود بالوصف هى الجملة الواقعة صلة له دون نفسه بل إنما هو وصلة لوصف المعارف بها ولأنه حقيق بالتخفيف لاستطالته بصلته ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسره ثم اقتصر على اللام فى أسماء الماعلين والمفعولين ولأنه ليس باسم تام بل هو كجزئه فحقه أن لا يجمع ويستوى فيه الواحد والمتعدد كما هو شأن أخواته وليس الذين جمعه المصحح بل النون فيه مزيدة للدلالة على زيادة المعنى ولذلك جاء بالياء أبداً على اللغة الفصيحة أو قصد به جنس المستوقد أو الفوج أو الفريق المستوقد والنار جوهر لطيف مضى حار محرق واشتقاقها من نارينور إذانفر لأن فيها حركة واضطراباً واستيقادها طلب وقودها أى سطو عها وارتفاعها وتكبيرها للتفخيم. (فلما أضاءت ما حوله) الإضاءة فرط الإنارة كما يعرب عنه قوله تعالى هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وتجيء متعدية ولازمة والفاء للدلالة على ترتبها على الاستيقاد أى فلما أضاءت النار ما حول المستوقد أو فلما أضاء ما حوله والتأنيث لكونه عبارة عن الأماكن والأشياء أو أضاءت النار نفسها فيما حوله على أن ذلك ظرف لإشراق النار المنزل منزلتها لا لنفسها أو ما مزيدة وحوله ظرف وتأليف الحول للدوران وقيل للعام حول لأنه يدور. (ذهب الله بنورهم) النور ضمير كل نير واشتقاقه من النار والضمير للذى والجمع باعتبار المعنى أى أطفأ الله نارهم التى هى مدار نورهم وإنما علق الإذهاب بالنور دون نفس النار لأنه المقصود بالاستيقاد لا الاستدفاء ونحوه كما ينبى عنه قوله تعالى فلما أضاءت حيث لم يقل فلما شب ضرامها أو نحو ذلك وهو جواب لما أو استئناف أجيب به عن سؤال سائل يقول

صَمَّ بَكَرْ عَمًى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ البقرة

ما بالهم أشبهت حال مستوقد انطفأت ناره أو بدله من جملة التمثيل على وجه البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به إلى الجحيم والآن من الإلباس كأنه قيل فلما أضام ما حوله خمدت فبقوا في الظلمات خابطين متحيرين خائبين بعد السكدر في إحيائها وإسناد الإذهاب إلى الله تعالى إما لأن الكل بخلق الله تعالى وإما لأن الانطفاء حصل بسبب خفي أو أمر سماوي كريح أو مطر وإما للبالغة كما يؤذن به تعدية الفعل بالباء دون الهمزة لما فيه من معنى الاستصحاب والإمساك يقال ذهب السلطان بماله إذا أخذه وما أخذه الله عز وجل فأمسكه فلا مرسل له من بعده ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى الظاهر إلى النور لأن ذهاب الضوء قديجتماع بقاء النور في الجملة لعدم استلزام عدم القوى لعدم الضعيف والمراد إزالته بالكلية كما يفصح عنه قوله تعالى . (وتركهم في ظلمات لا يبصرون) فإن الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالمرّة لا سيما إذا كانت متضاعفة متراكمة متراكباً بعضها على بعض كما يفيد الجمع والتشكيك التفتيح وما بعدها من قوله تعالى لا يبصرون لا يتحقق إلا بعد أن لا يبقى من النور عين ولا أثر وإما لأن المراد بالنور ما لا يرضى به الله تعالى من النار المجازية التي هي نار الفتنة والفساد كما في قوله تعالى كلما أو قدوا نارا للحرب أطفأها الله ووصفها بإضاءة ما حول المستوقد من باب الترشيح أو النار الحقيقية التي يوقدها الغواة ليتوصلوا بها إلى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق العيث والفساد فأفأها الله تعالى وخيب آمالهم وترك في الأصل بمعنى طرح وخلي وله مفعول واحد فضمن معنى التصيير فجري مجرى أفعال القلوب قال [فتركته جزر السباع ينشئه . يقضمن حسن بنانه والمعصم] أو الظلمة مأخوذة من قولهم ما ظلمك أن تفعل كذا أي ما منعك لأنها تسد البصر وتمنعه من الرؤية وقرىء في ظلمات بسكون اللام وفي ظلمة بالتوحيد ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح كأن الفعل غير متعد والمعنى أن حالهم العجيبة التي هي اشتراؤهم الضلالة التي هي عبارة عن ظلمة الكفر والنفاق المستتبعين لظلمة سخط الله تعالى وظلمة يوم القيامة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم وظلمة العقاب السرمدي بالهدى الذي هو النور الفطري المؤيد بما شاهدوه من دلائل الحق أو بالهدى الذي كانوا حصلوه من التوراة حسبما ذكر كحال من استوقد ناراً عظيمة حتى كاد ينتفع بها فأطفأها الله تعالى وتركه في ظلمات هائلة لا يتسنى فيها الإبصار . (صم بكم عمى) أخبار لمبتدأ محذوف هو ضمير ١٨ المنافقين أو خبر واحد بالتأويل المشهور كما في قولهم هذا حلوحامض والصمم آفة مانعة من السماع وأصله الصلابة واكتناز الأجزاء ومنه الحجر الأصم والقناة الصماء وصمام القارورة سدادهما سمي به فقدان حاسة السمع لما أن سببه اكتناز باطن الصياخ وانسداده منافذه بحيث لا يكاد يدخله هواً يحصل الصوت بتموجه واليكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شأنه أن يبصر وصفوا بذلك مع سلامة مشاعرهم المعدودة لما أنهم حيث سدوا مسامعهم عن الإصاغة لما يتلى عليهم من الآيات والذكر الحكيم وأبوا أن يتلقوها بالقبول وينطقوا بها ألسنتهم ولم يحتلوا ما شاهدوا من المعجزات الظاهرة على يدى رسول

أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْصِعَهُمْ فِي ءَآذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ
حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ البقرة

الله ﷻ ولم ينظروا إلى آيات التوحيد المنصوبة في الآفاق والأنفس بعين التدبر وأصروا على ذلك بحيث لم يبق لهم احتمال الارعواء عنه صاروا كفاقدى تلك المشاعر بالكلية وهذا عند مفلق سحرة البيان من باب التمثيل البالغ المؤسس على تناسى التشبيه كما في قول من قال [ويصعد حتى يظن الجهول * بأن له حاجة في السماء] لما أن المقدر في النظم في حكم الملفوظ لا من قبيل الاستعارة التي يطوى فيها ذكر المستعار له بالكلية حتى لو لم يكن هناك قرينة لحمل على المعنى الحقيقي كما في قول زهير [لدى أسد شاكي السلاح مقذف * له لبد أظفاره لم تقلم] (فهم لا يرجعون) الفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها أي هم بسبب اتصافهم بالصفات المذكورة لا يعودون إلى الهدى الذي تركوه وضيعوه أو عن الضلالة التي أخذوها والآية نتيجة للتمثيل مفيدة لزيادة تهويل وتفظيع فإن قصارى أمر التمثيل بقاؤهم في ظلمات هائلة من غير تعرض لمشعري السمع والنطق ولا اختلال مشعرا الأبصار وقيل الضمير المقدر وما بعده للموصول باعتبار المعنى كالضمائر المتقدمة فالآية الكريمة تنمة للتمثيل وتكمل له بأن ما أصابهم ليس مجرد انطفاء نارهم وبقائهم في ظلمات كثيفة هائلة مع بقاء حاسة البصر بحالها بل اختلت مشاعرهم جميعاً واتصفوا بتلك الصفات على طريقة التشبيه أو الحقيقة فبقوا جامدين في مكاناتهم لا يرجعون ولا يدرون أيتقدمون أم يتأخرون وكيف يرجعون إلى ما ابتدأوا منه والعدول إلى الجملة الإسمية للدلالة على استمرار تلك الحالة فيهم وقرى صما بكما عموماً لما على الذم كما في قوله تعالى حمالة الحطب والمخصوص بالذم هم المنافقون والمستوقدون وإما على الحالية من الضمير المنصوب في تركهم أو المرفوع في لا يبصرون وإما على المفعولية لتركهم فالضميران للمستوقدين . (أو كصيب) تمثيل لحالهم أثر تمثيل ليعم البيان منها كل دقيق وجليل ويوفى حقها من التفظيع والتهويل فإن تفننهم في فنون الكفر والضلال وتقلهم فيها من حال إلى حال حقيق بأن يضرب في شأنه الأمثال ويرخى في حلته أعنة المقال ويمد لشرحه أطناب الإطناب ويعقد لأجله فصول وأبواب لما أن كل كلام له حظ من البلاغة وقسط من الجزالة والبراعة لا بد أن يوفى فيه حق كل من مقامى الإطناب والإيجاز فما ظنك بما في ذروة الإعجاز من التنزيل الجليل ولقد نعى عليهم في هذا التمثيل تفاصيل جنائياتهم وهو عطف على الأول على حذف المضاف لما سيأتى من الضمائر المستدعية لذلك أى كمثل ذوى صيب وكلمة أو للإبذان بتساوى القصتين في الاستقلال بوجه التشبيه وبصحة التمثيل بكل واحدة منهما وبهما معاً والصيب فيعمل من الصوب وهو النزول الذى له وقع وتأثير يطلق على المطر وعلى السحاب قال الشماخ [عفا آيه نسج الجنوب مع الصبا * وأسحم دان صادق الوعد صيب] ولعل الأول هو المراد ههنا لاستلزامه الثانى وتكثيره لما أنه أريد به نوع منه شديد هائل كالنار في التمثيل الأول وأمد به ما فيه من المبالغات من جهة مادته الأولى التي هي الصاد المستعلية والياء المشددة والباء الشديدة ومادته

- الثانية أعنى الصوب المنبئ عن شدة الانسكاب ومن جهة بنائه الدال على الثبات وقرىء أو كصائب . (من السماء) متعلق بصيب أو بمحذوف وقع صفة له والمراد بالسما هذه المظلة وهى فى الأصل كل ماعلاك من سقف ونحوه وعن الحسن أنها موج مكفوف أى ممنوع بقدرة الله عز وجل من السيلان وتعريفها للإيدان بأن انبعاث الصيب ليس من أفق واحد فإن كل أفق من آفاقها أى كل ما يحيط به كل أفق منها سما على حدة قال ومن بعد أرض بيننا وسما كما أن كل طبقة من طباقها سما قال تعالى وأوحى فى كل سما أمرها والمعنى أنه صيب عام نازل من غمام مطبق آخذ بالآفاق وقيل المراد بالسما السحاب واللام لتعريف الماهية . (فيه ظلمات) أى أنواع منها وهى ظلمة تكافئه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة لإظلال ما يلزمه من الغمام الأسخم المطبق الآخذ بالآفاق مع ظلمة الليل وجعله محلا لها مع أن بعضها غيره كظلمة الغمام والليل لما أنهما جعلتا من توابع ظلمته مبالغة فى شدته وتهويلا لأمره وإيدانا بأنه من الشدة والهول بحيث تغمر ظلمته ظلمات الليل والغمام وهو السر فى عدم جعل الظلمات هو الأصل المستتبع للبوأى مع ظهور ظرفيتها للكل إذ لو قيل أو كظلمات فيها صيب الخ لما أفاد أن للصيب ظلمة خاصة به فضلا عن كونها غالبية على غيرها .
- (ورعد) وهو صوت يسمع من السحاب والمشهور أنه يحدث من اصطكاك أجرام السحاب بعضها ببعض أو من انفلاق بعضها عن بعض عند اضطرابها بسوق الرياح إياه سواقا عنيفا . (وبرق) وهو ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقاً أى لمع وكلاهما فى الأصل مصدر ولذلك لم يجمعوا وكونهما فى الصيب باعتبار كونهما فى أعلاه ومصبه ووصول أثرهما إليه وكونهما فى الظلمات الكائنة فيه والتنوين فى الكل للتفخيم والتهويل كأنه قيل فيه ظلمات شديدة داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وارتفاع الجميع بالظرف على الفاعلية لتحقيق شرط العمل بالاتفاق وقيل بالابتداء والجملة إما صفة لصيب أو حال منه لتخصسه بالصفة أو بالعمل فيما بعده من الجار أو من المستكن فى الظرف الأول على تقدير كونه صفة لصيب والضمائر فى قوله عز وجل . (يجعلون أصابعهم فى آذانهم) للمضاف الذى أقيم مقامه المضاف إليه فإن معناه باق وإن حذف لفظه تعويلا على الدليل كما فى قوله تعالى وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون فإن الضمير للأهل المدلول عليه بما قام مقامه من القرية قال حسان رضى الله عنه [يسقون من ورد البريص عليهم * بردى يصفق بالرحيق السلسل] فإن تذكير الضمير المستكن فى يصفق لرجوعه إلى الماء المضاف إلى بردى وإلا لآثت حتما وإشارا لجعل المنبئ عن دوام الملابس واستمرار الاستقرار على الإدخال المفيد لمجرد الانتقال من الخارج إلى الداخل للمبالغة فى بيان سد المسامع باعتبار الزمان كما أن إيراد الأصابع بدل الأنامل للإشباع فى بيان سدها باعتبار الذات كأنهم سدوها بجملة لا بأناملها فحسب كما هو المعتاد ويجوز أن يكون هذا إيما إلى كمال حيرتهم وفرط دهشتهم وبلوغهم إلى حيث لا يهتدون إلى استعمال الجوارح على النهج المعتاد وكذا الحال فى عدم تعيين الأصبع المعتاد أعنى السبابة وقيل ذلك لرعاية الأدب والجملة استئناف لا محل لها من الإعراب مبنى على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل عند بيان أحوالهم الهائلة فماذا يصنعون فى تضاعيف تلك الشدة فقولهم يجعلون الخ وقوله تعالى (من الصواعق) متعلق بيجعلون أى من أجل الصواعق المقارنة للرعد من قولهم سقاه من

يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطِفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ٢ البقرة

- العيمة والصاعقة قصفة رعد هائل تنقض معها بثقة نار لا تمر بشيء إلا أتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وبنائها إما أن يكون صفة لقصفة الرعد أو للرعد والناء للبالغة كما في الرواية أو مصدر أكالعافية وقد تطلق على كل هائل مسموع أو مشاهد يقال صعقته الصاعقة إذا أهلكته بالإحراق أو بشدة الصوت وسد الأذان إنما يفيد على التقدير الثاني دون الأول وقرئ من الصواعق وليس ذلك بقلب من الصواعق لا استواء كلا البناءين في التصريف يقال صعق الديك وخطيب مصقع أي مجرب بخطبته (حذر الموت) منصوب يجعلون على العلة وإن كان معرفة بالإضافة كقوله [وأغفر عوراء الكريم ادخاره ه واصفح عن شتم اللئيم تسكر ما ولا ضير في تعدد المفعول له فإن الفعل يعمل بعلم شتى وقيل هو نصب على المصدرية أي يحذرون حذراً مثل حذر الموت والحذر والحذر هو شدة الخوف وقرئ حذار الموت والموت زوال الحياة وقيل عرض يضادها لقوله تعالى خلق الموت والحياة ورد بأن الخلق بمعنى التقدير والأعدام مقدرة (والله محيط بالكافرين) أي لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط شبه شمول قدرته تعالى لهم وانظروا ملكوته عليهم بإحاطة المحيط بما أحاط به في استحالة الفوت أو شبه الهيئة المنتزعة من شئونه تعالى معهم بالهيئة المنتزعة من أحوال المحيط مع المحاط فالاستعارة المبنية على التشبيه الأول استعارة تبعية في الصفة متفرعة على ما في مصدرها من الاستعارة والمبنية على الثاني تمثيلية قد اقتصر من طرف المشبه به على ما هو العمدة في انتزاع الهيئة المشبه بها أعنى الإحاطة والباقي منوى بالفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر في التمثيل كما مر تحريره في قوله عز وجل ختم الله على قلوبهم والجملة اعتراضية منهية على أن ما صنعوا من سد الأذان بالأصابع لا يغني عنهم شيئاً فإن القدر لا يدفعه الحذر والحيل لا ترد بأس الله عز وجل وفائدة وضع الكافرين موضع الضمير الراجع إلى أصحاب الصيب الإيدان بأن ما دهمهم من الأمور الهائلة المحكية بسبب كفرهم على مناج قوله تعالى كمثل ريح فيها صراصات حرث قوم ظلدوا أنفسهم فأهلكته فإن الإهلاك الناشئ من السخط أشد وقيل هذا الاعتراض من جملة أحوال المشبه على أن المراد بالكافرين المنافقون قد دل به على أنه لا مدفع لهم من عذاب الله تعالى في الدنيا والآخرة وإنما وسط بين أحوال المشبه مع أن القياس تقديمه أو تأخيرها لإظهار كمال العناية وفرط الاهتمام بشأن المشبه ٢ (يكاد البرق) استئناف آخر وقع جواباً عن سؤال مقدر كأنه قيل فكيف حالهم مع ذلك البرق فقيل يكاد ذلك (يخطف أبصارهم) أي يختلسها ويستلهم بسرعة وكاد من أفعال المقاربة وضعت للمقاربة الخبر من الوجود لتأخذ أسبابه وتعاوض مبادئه لكنه لم يوجد بعد لفقد شرط أو لعروض مانع ولا يكون خبرها إلا مضارعاً عارياً عن كلمة أن وشذ مجيئه اسماً صريحاً كما في قوله [فأبت إلى فهم وما كدت آيياً وكذا مجيئه مع أن حملاً لها على عسى كما في مثل قول روبة [قد كاد من طول البلى أن يحصا كما تحمل

- هي عليها بالحذف لما بينهما من المقارنة في أصل المقاربة وليس فيها شائبة الإنشائية كما في عسى وقرى ويخطف بكسر الطاء ويخطف ويخطف بفتح الياء والخاء بنقل فتحة التاء إلى الخاء وإدغامها في الطاء ويخطف بكسرهما على اتباع الياء والخاء ويخطف من صيغة التفعيل ويخطف من قوله تعالى ويتخطف الناس من حولهم (كلما أضاء لهم) كل ظرف وما مصدرية والزمان محذوف أى كل زمان أضاءه وقيل مانكرة موصوفة ● معناها الوقت والعائد محذوف أى كل وقت أضاء لهم فيه والعامل فى كلما جوابها وهو استئناف ثالث كأنه قيل ما يفعلون فى أثناء ذلك الهول أيفعلون بأبصارهم ما فعلوا بأذانهم أم لا فقيل كلما نور البرق لهم مشى ومسلكا على أن أضاء متعد والمفعول محذوف أو كلما لمع لهم على أنه لازم ويؤيده قراءة كلما أضاء (مشوا فيه) أى فى ذلك المسلك أو فى مطرح نوره خطوات يسيرة مع خوف أن يخطف أبصارهم وإشار ● المشى على ما فوقه من السعى والعدو للإشدار بعدم استطاعتهم لها (وإذا أظلم عليهم) أى خفى البرق واستتر والمظلم وإن كان غيره لكن لما كان الإظلام دائراً على استتاره أسند إليه مجازاً تحقيقاً لما أريد من المبالغة فى موجبات تخبطهم وقد جوز أن يكون متعدياً منقولاً من ظلم الليل ومنه ما جاء فى قول أبى تمام [هما أظلما حالى تمت أجليا * ظلما ميهما عن وجه أمر دأشيب | ويعضده قراءة أظلم على البناء للمفعول (قاموا) أى وقفوا فى أما كنهم على ما كانوا عليه من الهيئة متحيرين مترصدين لحففة أخرى عسى يتسنى ● لهم الوصول إلى المقصد أو الانتجاع إلى ملجأ يعصمهم وإيراد كلما مع الإضاءة وإذا مع الإظلام للإيذان بأنهم حراس على المشى مترقبون لما يصححه فكلمها وجدوا فرصة انتزعوها ولا كذلك الوقوف وفيه من الدلالة على كمال التحير وقطائر اللب مالا يوصف (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم) كلفة لولتعليق ● حصول أمر ماض هو الجزاء بحصول أمر مفروض فيه هو الشرط لما بينهما من الدوران حقيقة أو ادعاء ومن قضية مفروضة الشرط دلالتها على انتفائه قطعاً والمنازع فيه مكابر وأما دلالتها على انتفاء الجزاء فقد قيل وقيل والحق الذى لا محيد عنه أنه إن كان ما بينهما من الدوران كلياً أو جزئياً قد بنى الحكم على اعتباره فهى دالة عليه بواسطة مدلولها الوضعى لا محالة ضرورة استلزام انتفاء العلة لانتفاء المعلول أما فى مادة الدوران الكلى كما فى قوله عز وجل ولو شاء لهداكم أجمعين وقولك لو جئتني لأكرمك فظاهر لأن وجود المشيئة علة لوجود الهداية حقيقة ووجود الحجى علة لوجود الإكرام ادعاء وقد انتفيا بحكم المفروضة فانتفى معلولاها حتماً ثم إنه قد يساق الكلام لتعليل انتفاء الجزاء بانتفاء الشرط كما فى المثالين المذكورين وهو الاستعمال الشائع لكلمة لو ولذلك قيل هى لامتناع الثانى لامتناع الأول وقد يساق للاستدلال بانتفاء الثانى لكونه ظاهراً أو مسلماً على ابتغاء الأول لكونه خفياً أو متنازعا فيه كما فى قوله سبحانه لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وفى قوله تعالى لو كان خيراً ما سبقونا إليه فإن فسادهما لازم لتعدد الآلهة حقيقة وعدم سبق المؤمنين إلى الإيمان لازم لخيريته فى زعم الكفرة ولا ريب فى انتفاء اللازمين فتعين انتفاء الملزومين حقيقة فى الأول وادعاء باطلاً فى الثانى ضرورة استلزام انتفاء اللازم لانتفاء الملزوم لكن لا بطريق السببية الخارجية كما فى المثالين الأولين بل بطريق الدلالة العقلية الراجعة إلى سببية العلم بانتفاء الثانى للعلم بانتفاء الأول ومن لم يتنبه له زعم أنه لانتفاء الأول لانتفاء الثانى وأما

في مادة الدوران الجزئي كما في قولك لو طلعت الشمس لوجد الضوء فلأن الجزء المنوط بالشرط الذي هو
 طلوعها ليس وجود أي ضوء كان كضوء القمر المجامع لعدم الطلوع مثلاً بل إنما هو وجود الضوء الخاص
 الناشئ من الطلوع ولا ريب في انتفائه بانتفاء الطلوع هذا إذا بني الحكم على اعتبار الدوران وأما إذا بني
 على عدمه فإما أن يعتبر هناك تحقق مدار آخر له أولاً فإن اعتبر بالدلالة تابعة لحال ذلك المدار فإن كان بينه
 وبين انتفاء الأول منافاة تعين الدلالة كما إذا قلت لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء فإن وجود الضوء وإن
 علق صورة بعدم الطلوع لكنه في الحقيقة معلق بسبب آخر له ضرورة أن عدم الطلوع من حيث هو هو
 ليس مدار الوجود الضوء في الحقيقة وإنما وضع موضع المدار لكونه كاشفاً عن تحقق مدار آخر له فكأنه
 قيل لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء بسبب آخر كالقمر مثلاً ولا ريب في أن هذا الجزء منفك عند انتفاء
 الشرط لاستحالة وجود الضوء القمري عند طلوع الشمس وإن لم يكن بينهما أفاة تعين عدم الدلالة
 كما في قوله ﷺ في بنت أبي سلمة لو لم تكن ربيتي في حجرى ما حملت لى إنها لا بنته أختى من الرضاة فإن
 المدار المعتبر في ضمن الشرط أعنى كونها ابنة أخيه عليه السلام من الرضاة غير مناف لا انتفائه الذي هو
 كونها ربيته عليه السلام بل مجامع له ومن ضروره أنه مجامعة أثرهما أعنى الحرمة الناشئة من كونها ربيته
 عليه السلام والحرمة الناشئة من كونها ابنة أخيه من الرضاة وإن لم يعتبر هناك تحقق مدار آخر بل بني الحكم
 على اعتبار عدمه فلا دلالة لها على ذلك أصلاً كيف لا ومساق الكلام حينئذ لبيان ثبوت الجزء على كل حال
 بتعليقه بما ينافيه ليعلم ثبوته عند وقوع ما لا ينافيه بالطريق الأولى كما في قوله عز وجل لو أنتم تعلمون
 خزائن رحمته ربى إذا لم مسكتهم وقوله عليه السلام لو كان الإيمان في الثريا لنالها رجال من فارس وقول علي رضي
 الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً فإن الأجزية المذكورة قد نيطت بما ينافيها ويستدعى نقائضها فإذا
 بأنها في أنفسها بحيث يجب ثبوتها مع فرض انتفاء أسبابها أو تحقق أسباب انتفائها فكيف إذا لم يكن كذلك
 على طريقة الوصلية في مثل قوله تعالى يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ولها تفاصيل وتفاصيل حررهاها
 في تفسير قوله تعالى أولو كنا كارهين وقول عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وإن حمل
 على تعليق عدم العصيان في ضمن عدم الخوف بمدار آخر نحو الحياء والإجلال وغيرهما بما يجامع الخوف كان
 من قبيل حديث ابنة أبي سلمة وإن حمل على بيان استحالة عصيانه مبالغة كان من هذا القبيل والآية الكريمة
 واردة على الاستعمال الشائع مفيدة لكامل فظاعة حالهم وغاية هول مادهم من المشاق وأنها قد بلغت من
 الشدة إلى حيث لو تعلقت مشيئة الله تعالى بإزالة مشاعرهم لزال لتحقق ما يقتضيه اقتضاء تاماً وقيل كلفة لوفها
 لربط جزائها بشرطها مجردة عن الدلالة على انتفاء أحدهما لا انتفاء الآخر بمنزلة كلفة أن ومفعول المشيئة
 محذوف جرياً على القاعدة المستمرة فإنها إذا وقعت شرطاً وكان مفعولها مضموناً للجزء فلا يكاد يذكر
 إلا أن يكون شيئاً مستغرباً كما في قوله [فلو شئت أن أبكى دما لبكيت] * عليه ولكن ساحة الصبر أوسع
 أى لو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لفعل ولكن لم يشأ لما يقتضيه من الحكم والمصالح وقرئ لاذهب
 بأسماعهم على زيادة الباء كما في قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة والإفراد في المشهورة لأن السمع
 مصدر في الأصل والجملة الشرطية معطوفة على ما قبلها من الجمل الاستثنائية وقيل على كلاً أضاء الخ وقوله

- عز وجل (إن الله على كل شيء قدير) تعليل للشرطية وتقرير لمضمونها الناطق بقدرته تعالى على إزالة مشاعرهم بالطريق البرهاني والشيء بحسب مفهومه اللغوي يقع على كل ما يصح أن يعلم ويخبر عنه كأنما ما كان على أنه في الأصل مصدر شاء أطلق على المفعول واكتفى في ذلك باعتبار تعلق المشيئة به من حيث العلم والإخبار عنه فقط وقد خص ههنا بالممكن موجوداً كان أو معدوماً بقضية اختصاص تعلق القدرة به لما أنها عبارة عن التمكن من الإيجاد والإعدام الخاصين به وقيل هي صفة تقتضي ذلك التمكن والقادر هو الذي إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل والقدير هو الفعال لكل ما يشاء كما يشاء ولذلك لم يوصف به غير الباري جل جلاله ومعنى قدرته تعالى على الممكن الموجود حال وجوده أنه إن شاء إبقائه على الوجود أبقاه عليه فإن علة الوجود هي علة البقاء وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى رب العالمين وإن شاء إعدامه أعدمه ومعنى قدرته على المعدوم حال عدمه أنه إن شاء إيجاده أوجده وإن لم يشأ لم يوجده وقيل قدرة الإنسان هيئة بها يتمكن من الفعل والبرك وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي العجز واشتقاق القدرة من القدر لأن القادر يوقع الفعل بقدر ما تقتضيه إرادته أو بقدر قوته وفيه دليل على أن مقدور العبد مقدور لله تعالى حقيقة لأنه شيء وكل شيء مقدور له تعالى واعلم أن كل واحد من التمثيلين وإن احتمل أن يكون من قبيل التمثيل المفرق كما في قوله [كأن قلوب الطير رطباً ويابساً * لدى وكرها العناب والحشف البالي | بأن يشبه المنافقون في التمثيل الأول بالمستوقدين وهدهام الفطرى بالنار وتأيدهم إياه بما شاهدوه من الدلائل باستيقادها وتمكنهم التام من الانتفاع به بإضاءتها ما حولهم وإزالته بإذهاب النور الناري وأخذ الضلالة بمقابلته بملاستهم الظلمات الكشيفة وبقائهم فيها ويشبهوا في التمثيل الثاني بالسابلة والقرآن وما فيه من العلوم والمعارف التي هي مدار الحياة الأبدية بالصيب الذي هو سبب الحياة الأرضية وما عرض لهم بنزوله من الغيوم والأحزان وانكساف البال بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وتصامهم عما يقرع أسماعهم من الوعيد بحال من يهوله الرعد والبرق فيخاف صواعقه فيفسد أذنه عنها ولا خلاص له منها واهتزازهم لما يلع لهم من رشد يدركونه أو رقد يبرزونه بمشيمهم في مطرح ضوء البرق كلما أضاء لهم وتحيرهم في أمرهم حين عن لهم مصيبة بوقوفهم إذا أظلم عليهم لكن الحمل على التمثيل المركب الذي لا يعتبر فيه تشبيه كل واحد من المفردات الواقعة في أحد الجانبين بواحد من المفردات الواقعة في الجانب الآخر على وجه التفصيل بل ينتزع فيه من المفردات الواقعة في جانب المشبه هيئة فتشبه به هيئة أخرى منتزعة من المفردات الواقعة في جانب المشبه به بأن ينتزع من المنافقين وأحوالهم المفصلة في كل واحد من التمثيلين هيئة على حدة وينتزع من كل واحد من المستوقدين وأصحاب الصيب وأحوالهم المحكية هيئة بحياها فتشبه كل واحدة من الأوليين بما يضاهاها من الآخرين هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه نخامة شأنه الجليل لاشتراكه على التشبيه الأول إجمالاً مع أمرزائده هو تشبيه الهيئة بالهيئة وإيذاً به بأن اجتماع تلك المفردات مستتبع لهيئة عجيبة حقيقة بأن تكون مثلاً في الغرابة .

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٢ البقرة

٢١ (يا أيها الناس اعبدوا ربكم) إثر ما ذكر الله تعالى علو طبقة كتابه الكريم وتحزب الناس في شأنه إلى ثلاث فرق مؤمنة به محافظة على ما فيه من الشرائع والأحكام وكافرة قد نبذته وراء ظهرها بالمجاهرة والشقاق وأخرى مذبذبة بينهما بالمخادعة والتفاني ونعت كل فرقة منها بما لها من النعوت والأحوال وبين ما لهم من المصير والمآل أقبل عليهم بالخطاب على نهج الالتفات هزأ لهم إلى الإصغاء وتوجيها لقلوبهم نحو التلقي وجبرأ لما في العبادة من الكلفة بلذة الخطاب فأمرهم كافة بعبادته ونهاهم عن الإشراك به وبإحرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلاً له منزلة البعيد إما لإجلالاً كما في قول الداعي يا الله ويارب وهو أقرب إليه من جبل الوريد استقصاراً لنفسه واستبعاداً لها من محافل الزاني ومنازل المقربين ولما تنبها على غفلته وسوء فهمه وقد يقصد به التنبيه على أن ما يعقبه أمر خطير يعتنى بشأنه وأي اسم مهم جعل وصلة إلى نداء المعروف باللام لا على أنه المنادى أصالة بل على أنه صفة موصحة له منزلة لإبهامه والزم رفعه مع انتصاب موصوفه محلاً لإشعاراً بأنه المقصود بالنداء وأفحمت بينهما كلمة التنبيه تأكيداً لمعنى النداء وتعويصاً عما يستحقه أي من المضاف إليه ولما ترى من استقلال هذه الطريقة بضروب من أسباب المبالغة والتأكيد كثر سلوكها في التنزيل المجيد كيف لا وكل ما ورد في تضاعيفه على العباد من الأحكام والشرائع وغير ذلك خطوب جليلة حقيقة بأن تقشعر منها الجلود وقطمئن بها القلوب الآية ويتلقوها بأذان واعية وأكثرهم عنها غافلون فاقتضى الحال المبالغة والتأكيد في الإيقاظ والتنبيه والمراد بالناس كافة المكلفين الموجودين في ذلك العصر لما أن الجوع وأسماءها المحلاة باللام للعموم بدليل صحة الاستثناء منها والتأكيد بما يفيد العموم كما في قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم أجمعون واستدلال الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين بعمومها شائعاً ذائعاً وأما من عداهم ممن سيوجد منهم فغير داخلين في خطاب المشافهة وإنما دخولهم تحت حكمه لما تواتر من دينه ﷺ ضرورة أن مقتضى خطابه وأحكامه شامل للموجودين من المكلفين ولمن سيوجد منهم إلى قيام الساعة ولا يقدر في العموم ما روى عن علقمة والحسن البصري من أن كل ما نزل فيه يا أيها الناس فهو مكى إذ ليس من ضرورة نزوله بمكة شرفها الله تعالى اختصاص حكمه بأهلها ولا من قضية اختصاصه بهم اختصاصه بالكفار إذ لم يكن كل أهلها حينئذ كفرة ولا ضير في تحقق العبادة في بعض المكلفين قبل ورود هذا الأمر لما أن المأمور به القدر المشترك الشامل لإنشاء العبادة والثبات عليها والزيادة فيها مع أنها متكررة حسب تكرار أسبابها ولا في انتفاء شرطها في الآخرين منهم أعنى الإيمان لأن الأمر بها منتظم للأمر بما لا يتم إلا به وقد علم من الدين ضرورة اشتراطها به فإن أمر المحدث بالصلاة مستتبع للأمر بالتوضي لا محالة وقد قيل المراد بالعبادة ما يعم أفعال القلب أيضاً لما أنها عبارة عن غاية التذلل والخضوع وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن كل ما ورد في القرآن من العبادات فمعناها التوحيد وقيل معنى اعبدوا وحدوا وأطيعوا ولا في كون بعض من الفرقتين الأخيرتين ممن لا يجدى فيهم الإنذار بموجب النص القاطع لما أن الأمر لقطع الأعذار

- ليس فيه تكليفهم بما ليس في وسعهم من الإيمان بعدم إيمانهم أصلاً إذ لا قطع لأحد منهم بدخوله في حكم النص قطعاً وورود النص بذلك لكونهم في أنفسهم بسوء اختيارهم كذلك لأن كونهم كذلك لورود النص بذلك فلا جبر أصلاً نعم لتخصيص الخطاب بالمشركين وجه لطيف ستقف عليه عند قوله تعالى وأنتم تعملون وإيراده تعالى بعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين لتأكيد موجب الأمر بالإشعار بعليتها للعبادة (الذي خلقكم) صفة أجريت عليه سبحانه للتبجيل والتعليل إثر التعليل وقد جوز كونها للتقييد والتوضيح
- بناء على تخصيص الخطاب بالمشركين وحمل الرب على ما هو أعم من الرب الحقيقي والآلهة التي يسمونها أرباباً والخلق لإيجاد الشيء على تقدير واستواء وأصله التقدير يقال خلق النعل أي قدرها وسواها بالمقياس وقرئ خلقكم بإدغام القاف في الكاف (والذين من قبلكم) عطف على الضمير المنصوب ومتمم لما قصد من التعظيم والتعليل فإن خلق أصولهم من موجبات العبادة كخلق أنفسهم ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف أي كانوا من زمان قبل زمانكم وقيل خلقهم من قبل خلقكم فحذف الخلق وأقيم الضمير مقامه والمراد بهم من تقدمهم من الأمم السالفة كافة ومن ضرورة عموم الخطاب بيان شمول خلقه تعالى للكل وتخصيصه بالمشركين يؤدي إلى عدم التعرض لخلق من عداهم من معاصريهم وإخراج الجملة مخرج الصلة التي حقها أن تكون معلومة الانتساب إلى الموصول عندهم أيضاً مع أنهم غير معترفين بغاية الخلق وإن اعترفوا بنفسه كما ينطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله الإيذان بأن خلقهم للتقوى من الظهور بحيث لا يتأتى لأحد إنكاره وقرئ وخلق من قبلكم وقرئ والذين من قبلكم بإقحام الموصول الثاني بين الأول وصلته تأكيداً لإقحام اللام بين المضافين في لا أبالك أو يجعله موصوفاً بالظرف خبراً لمبتدأ محذوف أي الذين هم أناس كانوا من قبلكم (لعلكم تتقون) المعنى الوضعي لكلمة لعل هو إنشاء توقع أمر متردد بين الوقوع وعدمه مع رجحان الأول إما محبوب فيسمى ترجيحاً أو مكروه فيسمى إشفاقاً وذلك المعنى قد يعتبر تحققه بالفعل إماماً من جهة المتكلم كما في قولك لعل الله يرحمني وهو الأصل الشائع في الاستعمال لأن معاني الإنشاءات قائمة به وإما من جهة المخاطب تنزيلاً له منزلة المتكلم في التلبس التام بالكلام الجاري بينهما كما في قوله سبحانه فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى وقد يعتبر تحققه بالقوة بضرب من التجوز لإذنا بأن ذلك الأمر في نفسه مثنة للتوقع متصف بحيثية مصححة له من غير أن يعتبر هناك توقع الفعل من متوقع أصلاً فإن روعيت في الآية الكريمة جهة المتكلم يستحيل إرادة ذلك المعنى لامتناع التوقع من علام الغيوب عز وجل فيصار إما إلى الاستعارة بأن يشبه طلبه تعالى من عباده التقوى مع كونهم مثنة لها لتعاوض أسبابها برجاء الرجاء من المرجو منه أمراً هين الحصول في كون متعلق كل منهما متردداً بين الوقوع وعدمه مع رجحان الأول فيستعار له كلبة لعل استعارة تبعية حرفية للبالغة في الدلالة على قوة الطلب وقرب المطلوب من الوقوع وإما إلى التمثيل بأن يلاحظ خلقه تعالى إياهم مستعدين للتقوى وطلبه إياها منهم وهم متمكنون منها جامعون لأسبابها وينتزع من ذلك هيئة فتشبه بهيئة منزعة من الرجاء ورجائه من المرجو منه شيئاً سهل المنال فيستعمل في الهيئة الأولى ما حققه أن يستعمل في الثانية فيكون هناك استعارة تمثيلية قد صرح من ألفاظها بما هو العمدة في انتزاع الهيئة المشبه بها أعني كلبة الترجى والباقي منوى بالفاظ متخيلة بها

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢٢﴾ البقرة

يحصل التركيب المعتبر في التمثيل كما مر مراراً وأما جعل المشبه إرادته تعالى في الاستعارة والتمثيل فأمر مؤسس على قاعدة الاعتزال القائلة بجواز تخلف المراد عن إرادته تعالى فالجملة حال إما من فاعل خلقكم أى طالباً منكم التقوى أو من مفعوله وما عطف عليه بطريق تغليب المخاطبين على الغائبين لأنهم المأمورون بالعبادة أى خلقكم وإياهم مطلوباً منكم التقوى أو علة له فإن خلقهم على تلك الحال في معنى خلقهم لأجل التقوى كأنه قيل خلقكم لتتقوا أو كي تتقوا إما بناء على تجويز تعليل أفعاله تعالى بأغراض راجعة إلى العباد كما ذهب إليه كثير من أهل السنة وإما تنزيلاً لترتب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له فإن استتباع أفعاله تعالى لغايات ومصالح متقنة جليلة من غير أن تكون هي علة غائية لها بحيث لو لاها لما أقدم عليها بما لا نزاع فيه وتقييد خلقهم بما ذكر من الحال أو العلة لتكميل عليه للبأمر به وتأكيدها فإن إتيانهم بما خلقوا له أدخل في الوجوب وإيثار تقوى على تعبدون مع موافقته لقوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون للبلاغة في إيجاب العبادة والتشديد في إلزامها لما أن التقوى قصارى أمر العابد ومنتهى جهده فإذا لم يمتثل التقوى كان ما هو أدنى منها ألزم والإتيان به أهون وإن روعيت جهة المخاطب ففعل في معناها الحقيقي والجملة حال من ضمير عبدوا كأنه قيل عبدوا ربكم راجعين للانتظام في زمرة المتقين الفائزين بالهدى والفلاح على أن المراد بالتقوى مرتبتها الثالثة التي هي التبتل إلى الله عز وجل بالكلية والتزهد عن كل ما يشغل سره عن مراقبته وهي أقصى غايات العبادة التي يتنافس فيها المتنافسون وبالانتظام القدر المشترك بين إنشائه والثبات عليه ليرتجيه أرباب هذه المرتبة ومادونها من مرتبتي التوقي عن العذاب المخلد والتجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك كما مر في تفسير المتقين ولعل توسيط الحال من الفاعل بين وصفي المفعول لما في التقديم من فوات الإشعار بكون الوصف الأول معظم أحكام الربوبية وكونه عريقاً في إيجاب العبادة وفي التأخير من زيادة طول الكلام هذا على تقدير اعتبار تحقق التوقع بالفعل فأما إن اعتبر تحققه بالقوة فالجملة حال من مفعول خلقكم وما عطف عليه على الطريقة المذكورة أى خلقكم وإياهم حال كونكم جميعاً بحيث يرجو منكم كل راج أن تتقوا فإنه سبحانه وتعالى لما برأهم مستعدين للتقوى جامعين لمبادئها الآفاقية والآنفسية كان حالهم بحيث يرجو منهم كل راج أن يتقوا لا محالة وهذه الحالة مقارنة لخلقهم وإن لم يتحقق الرجاء قطعاً وأعلم أن الآية الكريمة مع كونها بعبارتها ناطقة بوجوب توحيدة تعالى وتحتم عبادته على كافة الناس مرشدة لهم بإشارتها إلى أن مطالعة الآيات التكوينية المنصوبة في الأنفس والآفاق مما يقضى بذلك قضاء متقناً وقد بين فيها أولاً من تلك الآيات ما يتعلق بأنفسهم من خلقهم وخلق أسلافهم لما أنه أقوى شهادة وأظهر دلالة ثم عقب بما يتعلق بمعاشهم فقبل (الذي جعل لكم الأرض فراشاً) وهو في محل النصب على أنه صفة ثانية لربكم موضحة أو مادحة أو على تقدير أخص أو أمدح أو في محل الرفع

على المدح والتعظيم بتقدير المبتدأ قال ابن مالك التزم حذف الفعل في المنصوب على المدح إشعاراً بأنه إنشاء كما في المنادى وحذف المبتدأ في المرفوع لإجراء اللوحيين على سنن واحد وأما كونه مبتدأ خبره فلا تجعلوا كما قيل فيستدعي أن يكون مناط النهي ما في حيز الصلة فقط من غير أن يكون لما سلف من خلقهم وخلق من قبلهم مدخل في ذلك مع كونه أعظم شأنًا وجعل بمعنى صير والمنصوبان بعده مفعولاه وقيل هو بمعنى خلق وانتصاب الثاني على الحالية والظرف متعلق به على التقديرين وتقديمه على المفعول الصريح لتعجيل المسرة ببيان كون ما يعقبه من منافع مخاطبين وللتشويق إليه لأن النفس عند تأخير ما حقه التقديم لا سيما بعد الإشعار بمنفعته تبقى مترقبة له فيتمكن لديها عند وروده عليها فضل تمكن أو لما في المؤخر وما عطف عليه من نوع طول فلو قدم لفات تجاوب أطراف النظم الكريم ومعنى جعلها فراشاً جعل بعضها بارزاً من الماء مع اقتضاء طبعها الرسوب وجعلها متوسطة بين الصلابة واللين صالحة للعود عليها والنوم فيها كاللبساط المفروش وليس من ضرورة ذلك كونها سطحاً حقيقياً فإن كرية شكلها مع عظم جرمها مصححة لا فتراشها وقرىء بساطاً ومهاداً . (والسماء بناء) عطف على المفعولين السابقين ● وتقدير حال الأرض لما أن احتياجهما إليها وانتفاعهم بها أكثر وأظهر أى جعلها قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يطلق على الواحد والمتعدد أو جمع سماوة أو سماء والبناء في الأصل مصدر سمي به المبني بيتاً كان أو قبة أو خباء ومنه قولهم بنى على امرأته لما أنهم كانوا إذا تزوجوا امرأة ضربوا عليها خباء جديداً . (وأنزل من السماء ماء) عطف على جعل أى أنزل من جرتها أو منها إلى السحاب ومن السحاب إلى الأرض كما روى ذلك عنه عليه الصلاة والسلام أو المراد بالسماء جهة العلو كما ينبي عنه الإظهار في موضع الإضمار وهو على الأولين لزيادة التقرير ومن لا ابتداء الغاية متعلقة بأنزل أو بمحذوف وقع حالا من المفعول أى كائناً من السماء قدم عليه لكونه نكرة وأما تقديم الظرف على الوجه الأول مع أن حقه التأخير عن المفعول الصريح فإما لأن السماء أصله ومبدؤه وإما لما مر من التشويق إليه مع ما فيه من مزيد انتظام بينه وبين قوله تعالى (فأخرج به) أى بسبب الماء (من الثمرات رزقا لكم) وذلك ● بأن أودع في الماء قوة فاعلة وفي الأرض قوة منفعة فتولد من تفاعلها أصناف الثمار أو بأن أجرى عادته بإفاضة صور الثمار وكيفيةها المتخالفة على المادة الممتزجة منها وإن كان المؤثر في الحقيقة قدرته تعالى ومشيتته فإنه تعالى قادر على أن يوجد جميع الأشياء بلا مباد ومواد كما أبدع نفوس المبادئ والأسباب لكن له عز وجل في إنشائها متقلبة في الأحوال ومتبدلة في الأقطار من بدائع حكم باهرة تجدد لا ولى الأبصار عبراً ومزيد طمأنينة إلى عظيم قدرته ولطيف حكمته ما ليس في إبداعها بغتة ومن للتبعض لقوله تعالى فأخرجنا به ثمرات ولوقوعها بين منكرين أعنى ماء ورزقا كأنه قيل وأنزل من السماء بعض الماء فأخرج به بعض الثمرات ليسكون بعض رزقكم وهكذا الواقع إذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا أخرج من الأرض كل الثمرات ولا جعل كل المرزوق ثماراً أو للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق ومن الثمرات بيان له أو حال منه كقولك أنفقت من الدراهم ألفاً ويجوز أن يكون من الثمرات مفعولاً ورزقا حالا منه أو مصدراً من أخرج لأنه بمعنى رزق وإنما شاع ورود الثمرات دون الثمار مع أن الموضع موضع

كثرة لأنه أريد بالثمرات جماعة الثمرة في قولك أدركت ثمرة بستانه ويؤيده القراءة على التوحيد أو لأن
الجموع يقع بعضها موقع بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وقوله تعالى ثلاثة قروء أو لأنها
محلة باللام خارجة عن حد القلة واللام متعلقة بمحذوف وقع صفة لرزقا على تقدير كونه بمعنى المرزوق
• أي زرقا كأنهم أكرم أو دعامة لتقوية عمل رزقا على تقدير كونه مصدراً كأنه قيل رزقا إياكم . (فلا تجعلوا
لله أنداداً) إما متعلق بالامر السابق مترتب عليه كأنه قيل إذا أمرتم بعبادة من هذا شأنه من التفرد بهذه
النعوت الجليلة والافعال الجميلة فلا تجعلوا له شريكا وإنما قيل أنداداً باعتبار الواقع لا لأن مدار النهي
هو الجمعية وقرئ نداء وإيقاع الاسم الجليل موقع الضمير لتعيين المعبود بالذات لئلا يترتب عنه بالصفات وتعليل
الحكم بوصف الألوهية التي عليها يدور أمر الوجدانية واستحالة الشركة والإيدان باستتباعها لساير
الصفات وإما معطوف عليه كما في قوله تعالى اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً والفاء للإشعار بعلمية ما قبلها
من الصفات المجرأة عليه تعالى للنهي أو الانتهاء أو لأن مآل النهي هو الأمر بتخصيص العبادة به تعالى
المترتب على أصلها كأنه قيل اعبدوه فخصوها به والإظهار في موضع الإضمار لما مر آنفاً وقيل هو نفى
منصوب بإضمار أن جواباً للأمر ويأباه أن ذلك فيما يكون الأول سبباً للثاني ولا ريب في أن العبادة
لا تكون سبباً للتوحيد الذي هو أصلها ومبناها وقيل هو منصوب بلعل نصب فأطلع في قوله تعالى لعل
أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى أي خلقكم لتتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقهم
وحيث كان مدار هذا النصب تشبيه لعل في بعد المرجو بليت كان فيه تنبيه على تقصيرهم بجعلهم المرجو
القريب بمنزلة المتضمن البعيد وقيل هو متعلق بقوله تعالى الذي جعل الخ على تقدير رفعه على المدح أي هو
الذي حفيكم بهذه الآيات العظام والدلائل النيرة فلا تتخذوا له شركاء فيه ما من لزوم كون خلقهم
وخلق أسلافهم بمعزل من مناطية النهي مع عراقتهم فيها وقيل هو خبر للبوصول بتأويل مقول في حقه
وقد عرفت ما فيه مع لزوم المصير إلى مذهب الانحرف في تنزيل الاسم الظاهر منزلة الضمير كما في قولك
زيد قام أبو عبد الله إذا كان ذلك كنيته والند المثل المساوي من ند ندوداً إذا نفر ونادته خالفته خص
بالمخالف المماثل بالذات كما خص المساوي بالمماثل في المقدار وتسمية ما يعبد المشركون من دون الله أنداداً
والحال أنهم ما زعموا أنها تماثله تعالى في صفاته ولا أنها تخالفه في أفعاله لما أنهم لما تركوا عبادته تعالى
إلى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد أنها ذوات واجبة بالذات قادرة على أن تدفع عنهم
بأس الله عز وجل وتمنحهم ما لم يرد الله تعالى بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم أن جعلوا أنداداً لمن
يستحيل أن يكون له ند واحد وفي ذلك قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل [أرباً واحداً أم ألف
رب • أدين إذا تقسمت الأمور] [تركت اللات والعزى جميعاً • كذلك يفعل الرجل البصير]
• وقوله تعالى (وأنتم تعلمون) حال من ضمير لا تجعلوا بصرف التقييد إلى ما أفاده النهي من قبح المنهى عنه
ووجوب الاجتناب عنه ومفعول تعلمون مطروح بالكلية كأنه قيل لا تجعلوا ذلك فإنه قبيح واجب
الاجتناب عنه والحال إنكم من أهل العلم والمعرفة بدقائق الأمور وإصابة الرأي أو مقدر حسبما يقتضيه
المقام نحو وأنتم تعلمون بطلان ذلك أو تعلمون أنه لا يماثله شيء أو تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت أو

وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ ٢ البقرة

تعملون أنها لا تفعل مثل أفعاله كما في قوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء أو غير ذلك وحاصله تنشيط المخاطبين وحثهم على الانتهاء عما نهوا عنه هذا هو الذي يستدعيه عموم الخطاب في النهي بجعل المهي عنه القدر المشترك المنتظم لإنشاء الانتهاء كما هو المطلوب من الكفرة وللثبات عليه كما هو شأن المؤمنين حسبها مر مثله في الأمر وأما صرف التقييد إلى نفس النهي فيستدعي تخصيص الخطاب بالكفرة لا محالة إذ لا يتسنى ذلك بطريق قصر النهي على حالة العلم بضرورة شمول التكليف للعالم والجاهل المتمكن من العلم بل إنما يتأتى بطريق المبالغة في التوبيخ والتقريع بناء على أن تعاطى القبائح من العالمين بقبحها أقبح وذلك إنما يتصور في حق الكفرة فمن صرف التقييد إلى نفس النهي مع تعميم الخطاب للمؤمنين أيضاً فقد نأى عن التحقيق إن قلت أليس في تخصيصه بالكفرة في الأمر والنهي خلاص من أمثال ما مر من التكاليف وحسن انتظام بين السباق والسياق إذ لا يحيد في آية التحدى من تجريد الخطاب وتخصيصه بالكفرة لا محالة مع ما فيه من رياء محل المؤمنين ورفع شأنهم عن جبر الانتظام في سلك الكفرة والإيذان بأنهم مستمررون على الطاعة والعبادة حسبها مر في صدر السورة الكريمة مستغنون في ذلك عن الأمر والنهي قلت بلى إنه وجه سرى ونهج سوى لا يضل من ذهب إليه ولا يزل من ثبت قدمه عليه فتأمل (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا) شروع في تحقيق أن الكتاب الكريم الذي من ٢٣ جملته ما تلى من الآيتين الكريمتين الناطقتين بوجوب العبادة والتوحيد منزل من عند الله عز وجل على رسوله ﷺ كما أن ما ذكر فيهما من الآيات التكوينية الدالة على ذلك صادرة عنه تعالى لتوضيح اتصافه بما ذكر في مطلع السورة الشريفة من النعوت الجليلة التي من جملتها نزاهته عن أن يعتريه ريب ما والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب مع أنهم جازمون بكونه من كلام البشر كما يعرب عنه قوله تعالى إن كنتم صادقين إما للإيذان بأن أقصى ما يمكن صدوره عنهم وإن كانوا في غاية ما يكون من المكابرة والعناد هو الارتياب في شأنه وأما الجزم المذكور فخارج من دائرة الاحتمال كما أن تنكيهه وتصديره بكلمة الشك للإشعار بأن حقه أن يكون ضعيفاً مشكوك الوقوع وإما للتنبيه على أن جزمهم ذلك بمنزلة الريب الضعيف لكمال وضوح دلائل الإعجاز ونهاية قوتها وإنما لم يقل وإن ارتبتم فيما نزلنا الخ لما أشير إليه فيما سلف من المبالغة في تنزيهه ساحة التنزيل عن شائبة وقوع الريب فيه حسبما نطق به قوله تعالى لا ريب فيه والإشعار بأن ذلك إن وقع فن جمتهم لا من جمته العالية واعتبار استقرارهم فيه وإحاطته بهم لا ينافي اعتبار ضعفه وقلته لما أن ما يقتضيه ذلك هو دوام ملابستهم به لا قوته وكثرته ومن في عما ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لريب وحملها على السببية ربما يوهم كونه محلاً للرب في الجملة وحاشاه ذلك وما موصولة كانت أو موصوفة عبارة عن الكتاب الكريم لا عن القدر المشترك بينه وبين أبعاضه وليس معنى كونهم

في ريب منه ارتياهم في استقامة معانيه وصحة أحكامه بل في نفس كونه وحياً منزلاً من عنده عز وجل وإيثار التنزيل المنبئ عن التدريج على مطلق الإنزال لتذكير منشأ ارتياهم وبناء التحدى عليه إرخاء للعنان وتوسيعاً للبيدان فإنهم كانوا اتخذوا نزوله منجماً وسيلة إلى إنكاره فجعل ذلك من مبادئ الاعتراف به كأنه قيل إن ارتبتم في شأن ما نزلناه على مهل وتدرج فهاثوا أنتم مثل نوبة فذة من نوبه ونجم فرد من نجومه فإنه أيسر عليكم من أن ينزل جملة واحدة ويتحدى بالكل وهذا كما ترى غاية ما يكون في التيسيت وإزاحة العمل وفي ذكره ﷺ بعنوان العبودية مع الإضافة إلى ضمير الجلالة من التشریف والتنويه والتنبيه على اختصاصه به عز وجل وانقياده لأوامره تعالى مالا يخفى وقرىء على عبادنا والمراد هو ﷺ وأمته أو جميع الأنبياء عليهم السلام ففيه إيدان بأن الارتياح فيه ارتياح فيما أنزل من قبله لكونه مصداقاً له ومهيئاً عليه والأمر في قوله تعالى (فأتوا بسورة) من باب التعجيز وإلحاق الحجر كما في قوله تعالى فأت بها من المغرب والفاء للجواب وسببية الارتياح للأمر أو الإتيان بالمأمور به لما أشير إليه من أنه عبارة عن جزمهم المذكور فإنه سبب للأول مطلقاً وللثاني على تقدير الصدق كأنه قيل إن كان الأمر كما زعمتم من كونه كلام البشر فأتوا بمثله لأنكم تقدرون على ما يقدر عليه سائر بني نوعكم والسورة الطائفة من القرآن العظيم المترجمة وأقلها ثلاث آيات وواوها أصلية منقولة من سور البلد لأنها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها أو محتوية على فنون رائقة من العلوم احتواء سور المدينة على ما فيها أو من السورة التي هي الرتبة قال [ولرهب حراب وقد سورة * في المجد ليس غرابها بمطار] فإن سور القرآن مع كونها في أنفسها رتباً من حيث الفضل والشرف أو من حيث الطول والقصر فهي من حيث انتظامها مع أخواتها في المصحف مراتب يرتقى إليها القارئ شيئاً فشيئاً وقيل وواوها مبدلة من الهزمة فمعناها البقية من الشيء ولا يخفى ما فيه ومن في قوله تعالى (من مثله) بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة لسورة والضمير لما نزلنا أي بسورة كائنة من مثله في علو الرتبة وسمو الطبقة والنظم الرائق والبيان البديع وحيازة سائر نعوت الإعجاز وجعلها تبعيضية يوم أن له مثلاً محققاً قد أريد تعجيزهم عن الإتيان ببعضه كأنه قيل فأتوا ببعض ما هو مثل له فلا يفهم منه كون المماثلة من تنمة المعجوز عنه فضلاً عن كونها مداراً للعجز مع أنه المراد وبناء الأمر على المجازاة معهم بحسب حسابهم حيث كانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا أو على التهمك بهم ياباه ما سبق من تنزيله منزلة الريب فإن مبنى التهمك على تسليم ذلك منهم وتسويفه ولو بغير جد وقيل هي زائدة على ما هو رأي الأخفش بدليل قوله تعالى فأتوا بسورة مثله بعشر سور مثله وقيل هي ابتدائية فالضمير حينئذ للنزل عليه حتماً لما أن رجوعه إلى المنزل يوم أن له مثلاً محققاً قد ورد الأمر التعجيزي بالإتيان بشيء منه وقد عرفت ما فيه بخلاف رجوعه إلى المنزل عليه فإن تحقق مثله عليه السلام في البشرية والعربية والامية يهون الخطاب في الجملة خلاً أن تخصيص التحدى يفرد بشاركه عليه السلام فيما ذكر من الصفات المنافية للإتيان بالمأمور به لا يدل على عجز من ليس كذلك من علمائهم بل ربما يوم قدرتهم على ذلك في الجملة فرادى أو مجتمعين مع أنه يستدعى عراء المنزل عما فصل من النعوت الموجبة لاستحالة وجود مثله فأين هذا من تحدى أمة جملة وأمرهم بأن يحتشدوا في حلبة المعارضة

- بجعلهم ورجلهم حسبما ينطق به قوله تعالى (وادعوا شهداءكم من دون الله) ويتعاونوا على الإتيان بقدر يسير مماثل في صفات الكمال لما أتى بجملته واحد من أبناء جنسهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة أو الناصر ومعنى دون أدنى مكان من شيء يقال هذا دون ذلك إذا كان أحط منه قليلاً ثم استعير للتفاوت في الأحوال والرتب فقبل زيد دون عمرو أى في الفضل والرتبة ثم اتسع فاستعمل في كل تجاوز حد إلى حد وتخطى حكم إلى حكم من غير ملاحظة انحطاط أحدهما عن الآخر فجري مجرى أداة الاستثناء وكلمة من إما متعلقة بادعوا فتكون لا ابتداء الغاية والظرف مستقر والمعنى ادعوا متجاوزين الله تعالى الاستظهار من حضركم كأنما من كان أو الحاضرين في مشاهدكم ومحاضركم من رؤسائكم وأشرافكم الذين تفرعون إليهم في المللات وتولون عليهم في المهمات أو القائمين بشهادتكم الجارية فيما بينكم من أمنائكم المتولين لاستخلاص الحقوق بتنفيذ القول عند الولاية أو القائمين بنصرتكم حقيقة أو زعماً من الإنس والجن ليعينوك وإخراجه سبحانه وتعالى من حكم الدعاء في الأول مع اندراجه في الحضور لتأكيد تناوله لجميع ما عداه لا لبيان استبداده تعالى بالقدرة على ما كلفوه فإن ذلك مما يؤهم أنهم لو دعوه تعالى لأجابهم إليه وأما في سائر الوجوه فللتصريح من أول الأمر ببراءتهم منه تعالى وكونهم في عدوة المحادة والمشاقة له قاصرين استظهارهم على ما سواه والالتفات لإدخال الروعة وتربية المهابة وقيل المعنى ادعوا من دون أولياء الله شهداءكم الذين هم وجوه الناس وفرسان المقالة والمناقلة للشهادة لكم أن ما أتيتم به مثله إيذاناً بأنهم يأبون أن يرضوا لأنفسهم الشهادة بصحة ما هو بين الفساد وجلى الاستحالة وفيه أنه يؤذن بعدم شمول التحدى لأولئك الرؤساء وقيل المعنى ادعوا شهداءكم فصحبوا بهم دعواكم ولا تستشهدوا بالله تعالى قائمين الله يشهد أن ماندعيه حق فإن ذلك ديدن المحجوج وفيه أنه إن أريد بما يدعون حقية ما هم عليه من الدين الباطل فلا أساس له بمقام التحدى وإن أريد مثلية ما أتوا به للتحدى به فمع عدم ملائمة لا ابتداء التحدى يوم أنهم قد تصدوا للمعارضة وأتوا بشيء مشتبهِ الحال متردد بين المثلية وعدمها وأنهم ادعوا مستشدين في ذلك بالله سبحانه إذ عند ذلك تمس الحاجة إلى الأمر بالاستشهاد بالناس والنهي عن الاستشهاد به تعالى وأنى لهم ذلك وما نبض لهم عرق ولا نبسوا بينت شفة وإما متعلقة بشهداءكم والمراد بهم الأصنام ودون بمعنى التجاوز على أنها ظرف مستقر وقع حالاً من ضمير المخاطبين والعامل ما دل عليه شهداءكم أى ادعوا أصنامكم الذين اتخذتموهم آلهة متجاوزين الله تعالى في اتخاذها كذلك وكلمة من ابتدائية فإن الاتخاذ ابتداء من التجاوز والتعبير عن الأصنام بالشهداء لتعيين مدار الاستظهار بها بتذكير ما زعموا من أنها بمكان من الله تعالى وأنها تنفعهم بشهادتها لهم أنهم على الحق فإن ما هذا شأنه يجب أن يكون ملاذاً لهم في كل أمر مهم وملجأ يؤولون إليه في كل خطب ملم كأنه قيل أولئك عدتكم فادعوهم لهذه الداهية التي دهمتكم فوجه الالتفات الإيذان بكال سخافة عقولهم حيث آثروا على عبادة من له الألوهية الجامعة لجميع صفات الكمال عبادة مالا أحقر منه وقيل لفظة دون مستعارة من معناها الوضعي الذي هو أدنى مكان من شيء لقدامه كما في قول الأعشى [تريك القذى من دونها وهى دونه | أى تريك القذى قدامها وهى قدام القذى فتكون ظرفاً لغواً معمولاً لشهداءكم لكفاية راحة الفعل فيه من غير حاجة إلى

فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ البقرة

اعتماد ولا إلى تقدير يشهدون أى ادعوا شهداءكم الذين يشهدون لكم بين يدي الله تعالى ليعينوك في المعارضة وإيرادها بهذا العنوان لما مر من الإشعار بمناط الاستعانة بها ووجه الالتفات تربية المهابة وترشيع ذلك المعنى فإن ما يقوم بهذا الأمر في ذلك المقام الخطير حقه أن يستعان به في كل مرام وفي أمرهم على الوجهين بأن يستظهروا في معارضة القرآن الذي أخرج كل منطق بالجماد من التهم بهم مالا يوصف وكلمة من ههنا تبعية لما أنهم يقولون جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لأنهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لأن الفعل إنما يقع في بعض تينك الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل وقد يقال كلمة من الداخلة على دون في جميع المواقع بمعنى في كما في سائر الظروف التي لا تتصرف وتكون منصوبة على الظرفية أبدأ ولا تنجر إلا بمن خاصة وقيل المراد بالشهداء مداره القوم ووجوه المحافل والمحاضر ودون ظرف مستقر ومن ابتدائية أى ادعوا الذين يشهدون لكم أن ما أتيتم به مثله متجاوزين في ذلك أولياء الله ومحصله شهداء مغايرين لهم إيداناً بأنهم أيضاً لا يشهدون بذلك وإنما قدر المضاف إلى الله تعالى رعاية للمقابلة فإن أولياء الله تعالى يقابلون أولياء الأصنام كما أن ذكر الله تعالى يقابل ذكر الأصنام والمقصود بهذا الأمر إرخاء العنان والاستدراج إلى غاية التبكيت كأنه قيل تركنا إلزامكم بشهداء لا ميل لهم إلى أحد الجانبين كما هو المعتاد واكتفينا بشهداءكم المعروفين بالذب عنكم فإنهم أيضاً لا يشهدون لكم حذراً من اللائمة وأنفة من الشهادة البينة البطلان كيف لا وأمر الإعجاز قد بلغ من الظهور إلى حيث لم يبق إلى إنكاره سبيل قطعاً وفيه مامر من عدم الملامة لا ابتداء التحدى وعدم تناوله لأولئك الشهداء وإيهام أنهم تعرضوا للمعارضة وأتوا بشيء احتاجوا في إثبات مثلته للتحدى به إلى الشهادة وشتان بينهم وبين ذلك (إن كنتم صادقين) أى في زعمكم أنه من كلامه عليه السلام وهو شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه أى إن كنتم صادقين فأتوا بسورة من مثله الخ واستلزام المقدم للتألي من حيث أن صدقهم في ذلك الزعم يستدعى قدرتهم على الإتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه السلام في البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والأشعار وكثرة المزولة لا ساليب النظم والنثر والمبالغة في حفظ الوقائع والأيام لا سيما عند المظاهرة والتعاون ولا ريب في أن القدرة على الشيء من موجبات الإتيان به ودواعي الأمر به (فإن لم تفعلوا) أى ما أمرتم به من الإتيان بالمثل بعد ما بذلتم في السعى غاية المجهود وجاوزتم في الجد كل حدم معهود متشبثين بالذيول راكبين متن كل صعب وذلول وإنما لم يصرح به إيداناً بعدم الحاجة إليه بناء على كمال ظهور تهاكهم على ذلك وإنما أورد في حيز الشرط مطلق الفعل وجعل مصدر الفعل المأمور به مفعولاً له للإيجاز البديع المغنى عن التطويل والتكرير مع سر سري استقل به المقام وهو الإيدان بأن المقصود بالتكليف هو إيقاع نفس الفعل المأمور به لإظهار عجزهم عنه لا لتحصيل المفعول أى المآتي به ضرورة استحالاته وأن مناط الجواب في الشرطية أعنى الأمر باتقاء النار هو عجزهم عن إيقاعه لا فوت حصول المفعول فإن مدلول لفظ

الفعل هو أنفـس الأفعال الخاصة لازمة كانت أو متعدية من غير اعتبار تعلقاتها بمفعولاتها الخاصة فإذا علق بفعل خاص متعد فإنما يقصده إيقاع نفس ذلك الفعل وإخراجه من القوة إلى الفعل وأما تعلقه بمفعوله الخصوص فهو خارج عن مدلول الفعل المطلق وإنما يستفاد ذلك من الفعل الخاص ولذلك تراهم يتوسلون بذلك إلى تجريد الأفعال المتعدية عن مفعولاتها وتنزيلها منزلة الأفعال اللازمة فيقولون مثلاً معنى فلان يعطى ويمنع بفعل الإعطاء والمنع يرشدك إلى هذا قوله تعالى فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون بعد قوله تعالى اتئوني بأخ لكم من أبيكم فإنه لما كان مقصود يوسف عليه السلام بالأمر ومرى غرضه بالتكليف منه استحضر بنيامين لم يكتف في الشرطية الداعية لهم إلى الجد في الامتثال والسعى في تحقيق المأمور به بالإشارة الإجمالية إلى الفعل الذي ورد به الأمر بأن يقول فإن لم تفعلوا بل أعاده بعينه متعلقاً بمفعوله تحقيقاً لمطلبه وإعراباً عن مقصده هذا وقد قيل أطلق الفعل وأريد به الإتيان مع ما يتعلق به إما على طريقة التعبير عن الأسماء الظاهرة بالضائر الراجعة إليها حذراً من التكرار أو على طريقة ذكر اللازم وإرادة الملزوم لما بينهما من التلازم المصحح للانتقال بمعونة قرائن الحال فتدبر وإيثار كلمة إن المفيدة للشك على إذا مع تحقق الجزم بعدم فعلهم مجازاة معهم بحسب حسابهم قبل التجربة أو النهـم بهم (ولن تفعلوا) كلمة لن لنفي المستقبل كلا خلا أن في لن زيادة تأكيد وتشديد وأصلها عند الخليل لا أن وعند الفراء لا أبدلت ألفها نونا وعند سيدييه حرف مقتضب للبعث المذكور وهي إحدى الروايتين عن الخليل والجملة اعتراض بين جزأى الشرطية مقرر لمضمون مقدمها ومؤكد لإيجاب العمل بتأليها وهذه معجزة باهرة حيث أخبر بالغيب الخاص علمه به عز وجل وقد وقع الأمر كذلك كيف لا ولو عارضوه بشيء يدانيه في الجملة لتناقله الرواة خلفاً عن سلف (فاتقوا النار) جواب للشرط على أن اتقاء النار كناية عن الاحتراز من العناد إذ بذلك يتحقق تسببه عنه وترتبه عليه كأنه قيل فإذا عجزتم عن الإتيان بمثله كما هو المقرر فاحترزوا من إنكار كونه منزلاً من عند الله سبحانه فإنه مستوجب للعقاب بالنار لكن أثر عليه الكناية المذكورة المبنية على تصوير العناد بصورة النار وجعل الاتصاف به عين الملازمة بها للبالغة في تهويل شأنه وتفضيع أمره وإظهار كمال العناية بتحذير المخاطبين منه وتغييرهم عنه وحثهم على الجد في تحقيق المسكنى عنه وفيه من الإيجاز البديع ما لا يخفى حيث كان الأصل فإن لم تفعلوا فقد صح صدقه عندكم وإذا صح ذلك كان لزومكم العناد وترككم الإيمان به سبباً لاستحقاقكم العقاب بالنار فاحترزوا منه واتقوا النار (التي وقودها الناس والحجارة) صفة للنار مورثة لها زيادة هول وفضاعة أعاذنا الله من ذلك والوقود ما يوقد به النار وترفع من الخطب وقرى بضم الواو وهو مصدر سمي به المفعول مبالغة كما يقال فلان غرقومه وزين بلده والمعنى أنها من الشدة بحيث لا تمس شيئاً من رطب أو يابس إلا أحرقت لا كثيران الدنيا تفتقر في الالتهاب إلى وقود من حطب أو حشيش وإنما جعل هذا الوصف صلة للموصول مقتضية لكون انتسابها إلى ما نسبت هي إليه معلوم للمخاطب بناء على أنهم سمعوه من أهل الكتاب قبل ذلك أو من الرسول ﷺ أو سمعوا قبل هذه الآية المدنية قوله تعالى ناراً وقودها الناس والحجارة فأشير هنا إلى ما سمعوه أولاً وكون سورة التحريم مدنية لا يستلزم كون

وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِمْ مِثْلَهَا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ البقرة

جميع آياتها كذلك كما هو المشهور وأما أن الصفة أيضاً يجب أن تكون معلومة الانتساب إلى الموصوف عند المخاطب فالخطب فيه حين لما أن المخاطب هناك المؤمنون وظاهر أنهم سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ والمراد بالحجارة الأصنام وبالناس أنفسهم حسبما ورد في قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآتية (أعدت للكافرين) أي هيئت للذين كفروا بما نزلناه وجعلت عدة لعذابهم والمراد إما جنس الكفار والمخاطبون داخلون فيهم دخولا أوليا وإما هم خاصة ووضع الكافرين موضع ضميرهم لذمهم وتعليل الحكم بكفرهم وقرئ اعتدت من العناد بمعنى العدة وفيه دلالة على أن النار مخلوقة موجودة الآن والجملة استئناف لا محل لها من الإعراب مقرر للمضمون ما قبلها ومؤكدة لإيجاب العمل به ومبينة لمن أريد بالناس دافعة لاحتمال العموم وقيل حال يا ضمير قد من النار لا من ضميرها في وقودها لما في ذلك من الفصل بينهما بالخبر وقيل صلة بعد صلة أو عطف على الصلة بترك العاطف (وبشر الذين آمنوا) أي بأنه منزل من عند الله عز وجل وهو معطوف على الجملة السابقة لكن لا على أن المقصود عطف نفس الأمر حتى يطلب له مشاكل يصح عطفه عليه بل على أنه عطف قصة المؤمنين بالقرآن ووصف ثوابهم على قصة الكافرين به وكيفية عقابهم جرياً على السنة الإلهية من شفع الترغيب بالترهيب والوعد بالوعيد وكان تغيير السبك لتخييل كمال التباين بين حال الفريقين وقرئ وبشر على صيغة الفعل مبنياً للفعول عطفاً على أعدت فيكون استئنافاً وتعليقاً التبشير بالموصول للإشعار بأنه معلل بما في حيز الصلة من الإيمان والعمل الصالح لكن لا لذاتهما فإنهما لا يكافئان النعم السابقة فضلاً من أن يقتضيا ثواباً فيما يستقبل بل يجعل الشارع ومقتضى وعده وجعل صلاته فعلاً مفيداً للحدوث بعد إيراد الكفار بصيغة الفاعل لحث المخاطبين بالالتقاء على إحداث الإيمان وتحذيرهم من الاستمرار على الكفر والخطاب للنبي ﷺ وقيل لكل من يتأتى منه التبشير كما في قوله عليه السلام بشر المشائين إلى المساجد في ظلم الليالي بالنور التام يوم القيامة فإنه عليه السلام لم يأمر بذلك واحداً بعينه بل كل أحد ممن يتأتى منه ذلك وفيه رمز إلى أن الأمر لعظمه وغمامته شأنه حقيق بأن يتولى التبشير به كل من يقدر عليه والبشارة الخبر السار الذي يظهر به أثر السرور في البشارة وتبشير الصبح أوائل ضوئه (وعملوا الصالحات) الصالحة كالحسنة في الجريان مجرى الاسم وهي كل ما استقام من الأعمال بدليل العقل والنقل واللام للجنس والجمع لإفادة أن المراد بها جملة من الأعمال الصالحة التي أشير إلى أهماتها في مطلع السورة الكريمة وطائفة منها متفاوتة حسب تفاوت حال المكلفين في مواجب التكليف وفي عطف العمل على الإيمان دلالة على تغايرهما وإشعار بأن مدار استحقاق البشارة بمجموع الأمرين فإن الإيمان أساس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء بأساس لا بناء به (أن لهم جنات) منصوب بنزع الخافض وإفضاء الفعل إليه أو مجرور بإضماره مثل الله لا فعلن والجنة هي المرة من مصدر

جنته إذا ستره تطلق على النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه قال زهير [كان عيني في غربي مقتلة • من التواضع تسقى جنة سحقاً] أى نخلًا طويلاً كأنها لفرط تكاثفها والتفافها وتغطيتها لما تحتها بالمرّة نفس السترة وعلى الأرض ذات الشجر قال الفراء الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم لحق المصدر حينئذ أن يكون مأخوذاً من الفعل المبني للمفعول وإنما سميت دار الثواب بها مع أن فيها ما لا يوصف من الغرفات والقصور لما أنها مناط نعيمها ومعظم ملاذها وجمعها مع التنكير لأنها سبع على ما ذكره ابن عباس رضى الله عنهما جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة بحسب تفاوت الأعمال وأصحابها (تجرى من تحتها الأنهار) فى حيز النصب على أنه صفة جنات فإن أريد بها الأشجار فجريان الأنهار من تحتها ظاهر وإن أريد بها الأرض المشتملة عليها فلا بد من تقدير مضاف أى من تحت أشجارها وإن أريد بها مجموع الأرض والأشجار فاعتبار التحتية بالنظر إلى الجزء الظاهر المصحح لإطلاق اسم الجنة على الكل عن مسروق إن أنهار الجنة تجري فى غير أخدود واللام فى الأنهار للجنس كما فى قولك لفلان بستان فيه الماء الجارى والتين والعنب أو عوض عن المضاف إليه كما فى قوله تعالى واشتعل الرأس شيباً أو للعهد والإشارة إلى ما ذكر فى قوله عز وعلا أنهار من ماء غير آسن الآية والنهر بفتح الهاء وسكونها المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الإضمار أو على المجاز اللغوى أراهم الجارى أنفسهم وقد أسند إليها الجريان مجازاً عقلياً كما فى سأل الميزاب (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل) صفة أخرى لجنات أخرت عن الأولى لأن جريان الأنهار من تحتها وصف لها باعتبار ذاتها وهذا وصف لها باعتبار أهلها المتنعمين بها أو خبر مبتدأ محذوف أو جملة مستأنفة كأنه حين وصفت الجنات بما ذكر من الصفة وقع فى ذهن السامع أثمارها كثمار جنات الدنيا أولاً فبين حالها وكلما نصب على الظرفية ورزقا مفعول به ومن الأولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال كأنه قيل كل وقت رزقوا رزوقاً مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة على أن الرزق مقيد بكونه مبتدأ من الجنات وابتدأه منها مقيد بكونه مبتدأ من ثمرة فصاحب الحال الأولى رزقا وصاحب الثانية ضميره المستكن فى الحال ويجوز كون من ثمرة بياناً قدم على المبين كما فى قولك رأيت منك أسداً وهذا إشارة إلى ما رزقوا وإن وقعت على فرد معين منه كقولك مشيراً إلى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فإنك إن أشرت إلى ما تمانينه بحسب الظاهر لكنك إنما تعنى بذلك النوع المعلوم المستمر فالمعنى هذا مثل الذى رزقناه من قبل أى من قبل هذا فى الدنيا ولكن لما استحکم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته وإنما جعل ثمر الجنة كثمار الدنيا لتميل النفس إليه حين تراه فإن الطباع مائلة إلى المألوف متنفرة عن غير معروف ولتبين لها مزيتها وكنه النعمة فيه إذ لو كان جنساً غير معهود لظن أنه لا يكون إلا كذلك أو مثل الذى رزقناه من قبل فى الجنة لأن طعامها متشابه الصور كما يحكى عن الحسن رضى الله عنه إن أحدهم يؤتى الصحيفة فيأكل منها ثم يؤتى بأخرى فيراها مثل الأولى فيقول ذلك فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف أو كما روى أنه عليه السلام قال والذى نفسى بيده إن الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فهاهى واصله إلى فيه حتى يبذل

الله تعالى مكانها مثلها والاول أنسب لمحافظة عموم كلما فإنه يدل على ترديدهم هذه المقالة كل مرة رزقوا
 لا فيما عدا المرة الأولى يظهرون بذلك التبجح وفرط الاستغراب لما بينهما من التفاوت العظيم من حيث
 اللذة مع اتحادهما في الشكل واللون كأنهم قالوا هذا عين ما رزقناه في الدنيا فمن أين له هذه الرتبة من
 اللذة والطيب ولا يقدح فيه ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما من أنه ليس في الجنة من أطعمة الدنيا
 إلا الاسم فإن ذلك لبيان كمال التفاوت بينهما من حيث اللذة والحسن والهيئة لا لبيان أن لا تشابه بينهما
 أصلاً كيف لا وإطلاق الأسماء منوط بالاتحاد النوعي قطعاً هذا وقد فسرت الآية الكريمة بأن مستلذات
 أهل الجنة بمقابلة ما رزقوه في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة الحال فيجوز أن يريدوا هذا ثواب
 الذى رزقناه في الدنيا من الطاعات ولا يساعده تخصيص ذلك بالثمرات فإن الجنة وما فيها من فنون
 الكرامات من قبيل الثواب (وأتوا به متشابهاً) اعتراض مقرر لما قبله والضمير المجرور على الأول راجع
 إلى ما دل عليه فحوى الكلام مما رزقوا في الدارين كما في قوله تعالى إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما
 • أى بجنسى الغنى والفقير وعلى الثانى إلى الرزق (ولهم فيها أزواج مطهرة) أى مما في نساء الدنيا من
 الأحوال المستقذرة كالحيض والدرن وذنس الطبع وسوء الخلق فإن التطهر يستعمل في الأجسام
 والأخلاق والأفعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال الذناء فعلت وفعلت وهن فاعلة
 وفواعل قال [وإذا العذارى بالدخان تقنعت * واستعجلت نصب القدور فبكت] فالجمع على اللفظ
 والإفراد على تأويل الجماعة وقرئ مطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى مطهرة ومطهرة أبلغ من طاهرة
 ومطهرة للإشعار بأن مطهر أطهر من وما هو إلا الله سبحانه وتعالى وأما التطهر فيحتمل أن يكون من
 قبل أنفسهن كما عند اغتسالهن والزوج يطلق على الذكر والأنثى وهو فى الأصل اسم للمالعين من جنسه
 وليس فى مفهومه اعتبار التوالد الذى هو مدار بقاء النوع حتى لا يصح إطلاقه على أزواج أهل الجنة
 لخلودهم فيها واستغنائهم عن الأولاد كما أن المدارية لبقاء الفرد ليست بمعتبرة فى مفهوم اسم الرزق حتى
 • يخل ذلك بإطلاقه على ثمار الجنة (وهم فيها خالدون) أى دائمون والخلود فى الأصل الثبات المديد دام
 أو لم يدم ولذلك قيل للأثافي والأحجار الخوالد وللجزء الذى يبقى من الإنسان على حاله خلد ولو كان
 وضعه الدوام لما قيد بالتأيد فى قوله عز وعلا خالدين فيها أبداً ولما استعمل حيث لا دوام فيه لكن المراد
 هم الدوام قطعاً لما يقضى به من الآيات والسنن وما قيل من أن الأبدان مؤلفة من الأجزاء المتضادة
 فى الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية إلى الانحلال والانفكاك مداره قياس ذلك العالم الكامل بما
 يشاهد فى عالم الكون والفساد على أنه يجوز أن يعيدها الخالق تعالى بحيث لا يعتورها الاستحالة ولا
 يعتبرها الانحلال قطعاً بأن تجعل أجزاؤها متفاوتة فى الكيفيات متعادلة فى القوى بحيث لا يقوى شيء
 منها عند التفاعل على إحالة الآخر متعاقبة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض وتبقى هذه النسبة منحفظة فيما
 بينها أبداً لا يعتبرها التغيير بالاكل والشرب والحركات وغير ذلك واعلم أن معظم اللذات الحسية لما كان
 مقصوراً على المساكن والمطاعم والمناكح حسبما يقضى به الاستقراء وكان ملاك جميع ذلك الدوام والثبات
 إذ كل نعمة وإن جلت حيث كانت فى شرف الزوال ومعرض الانحلال فإنها منغصة غير صافية من شوائب

إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ البقرة

الآلم بشر المؤمنين بها وبدوامها تكميلاً للبهجة والسرور اللهم وفقنا لما مضى عليك وثبتنا على ما يؤدي إلينا من العقد والعمل (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة) شروع في تنزيه ساحة التنزيل عن تعلق ريب خاص اعترافهم من جهة ما وقع فيه من ضرب الأمثال وبيان لحكمته وتحقيق للحق أثر تنزيهها عما اعترافهم من مطلق الرب بالتحدى وإلحاق الحجر وإلحام كافة البلغاء من أهل المدر والوبر روى أبو صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما أن المنافقون طعنوا في ضرب الأمثال بالنار والظلمات والرعد والبرق وقالوا الله أجل وأعلى من ضرب الأمثال وروى عطاء رضى الله عنه أن هذا الطعن كان من المشركين وروى عنه أيضاً أنه لما نزل قوله تعالى يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له الآية وقوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء الآية قالت اليهود أى قدر للذباب والعنكبوت حتى يضرب الله تعالى بهما الأمثال وجعلوا ذلك ذريعة إلى إنكار كونه من عند الله تعالى مع أنه لا يخفى على أحد من له تمييز أنه ليس بما يتصور فيه التردد فضلاً عن التكبر بل هو من أوضح أدلة كونه خارجاً عن طوق البشر نازلاً من عند خلاق القوى والقدر كيف لا وإن التمثيل كما مر ليس إلا إبراز المعنى المقصود في معرض الأمر المشهور وتحلية المعقول بحلية المحسوس وتصوير أوابد المعاني بهيئة المأنوس لاستمالة الوهم واستنزاه عن معارضته للعقل واستعصائه عليه في إدراك الحقائق الخفية وفهم الدقائق الالهية كي يتابعه فيما يقتضيه ويشايعه إلى ما يرتضيه ولذلك شاعت الأمثال في الكتب الإلهية والكلمات النبوية وذاعت في عبارات البلغاء وإشارات الحكماء ومن قضية وجوب التماثل بين الممثل والممثل به في مناط التمثيل تمثيل العظيم بالعظيم والحقير بالحقير وقد مثل في الإنجيل غل الصدر بالنخالة ومعارضة السفهاء بإثارة الزناير وجاء في عبارات البلغاء أجمع من ذرة وأجرأ من الذباب وأسمع من قراد وأضعف من بعوضة إلى غير ذلك مما لا يكاد يحصر والحياة تغير النفس وانقباضها عما يعاب به أو يذم عليه يقال حي الرجل وهو حي واشتقاقه من الحياة اشتقاق شطى وحشى ونسى من الشطى والنسى والحشى يقال شطى الفرس ونسى وحشى إذا اعتلت منه تلك الأعضاء كأن من يعتريه الحيا تعتل قوته الحيوانية وتنتقص واستحيا بمعناه خلا أنه يتعدى بنفسه وبحرف الجر يقال استحيته واستحييت منه والاول لا يتعدى إلا بحرف الجر وقد يحذف منه إحدى اليامين ومنه قوله [ألا يستحي منا الملوك ويتقى * محارمنا لا يبيء الدم بالدم] وقوله [إذا ما استحين الماء يعرض نفسه * كر عن بسبت في إناه من الورد] فكما أنه إذا أسند إليه سبحانه بطريق الإيجاب في مثل قوله ﷺ إن الله يستحي من ذى الشبهة المسلم أن يعذبه وقوله عليه السلام إن الله حي كريم يستحي إذا رفع إليه العبد يديه أن يردهما صفراً حتى يضع فيهما خيراً يراد به الترك الخاص على طريقة التمثيل حيث مثل في

الحديثين الكريمين تركه تعذيب ذى الشبهة وتخيب العبد من عطائه بترك من يتركهما حياء كذلك إذا نفي عنه تعالى في المواد الخاصة كما في هذه الآية الشريفة وفي قوله تعالى والله لا يستحي من الحق يراد به سلب ذلك الترك الخاص المضاهى لترك المستحي عنه لاسلب وصف الحياء عنه تعالى رأساً كما في قولك إن الله لا يوصف بالحياء لأن تخصيص السلب ببعض المواد يؤهم كون الإيجاب من شأنه تعالى في الجملة فالمراد هنا عدم ترك ضرب المثل المماثل لترك من يستحي من ضربه وفيه رمز إلى تعاضد الدواعي إلى ضربه وتأخذ البواعث إليه إذا استحياء إنما يتصور في الأفعال المقبولة للنفس المرضية عندها ويجوز أن يكون وروده على طريقة المشاكلة فإنهم كانوا يقولون أما يستحي رب محمد أن يضرب مثلاً بالآشياء المحقرة كما في قول من قال [من مبلغ أفناء يعرب كلهم * أنى بنيت الجار قبل المنزل] وضرب المثل استعماله في مضربه وتطبيقه به لا صنعه وإنشاؤه في نفسه وإلا لكان لإنشاء الأمثال السائرة في موارد ضربها لها دون استعمالها بعد ذلك في مضاربها لفقدان الإنشاء هناك الأمثال الواردة في التنزيل وإن كان استعمالها في مضاربها عين لإنشائها في أنفسها لكن التعبير عنه بالضرب ليس بهذا الاعتبار بل بالاعتبار الأول قطعاً وهو مأخوذ إما من ضرب الخاتم بجامع التطبيق فكما أن ضربه تطبيقه بقالبه كذلك استعمال الأمثال في مضاربها تطبيقها بها كأن المضارب قوالب تضرب الأمثال على شاكلتها لكن لا بمعنى أنها تنشأ بحسبها بعد أن لم تكن كذلك بل بمعنى أنها توردها منطبقاً عليها سواء كان إنشاؤها حينئذ كعامية الأمثال التنزيلية فإن مضاربها قوالبها أو قبل ذلك كسائر الأمثال السائرة فإنها وإن كانت مصنوعة من قبل إلا أن تطبيقها أى إيرادها منطبقاً على مضاربها إنما يحصل عند الضرب وإما من ضرب الطين على الجدار ليلتزم به بجامع الإلصاق كأن من يستعملها يلصقها بمضاربها ويجعلها ضربة لازب لا تنفك عنها لشدة تعلقها بها ومحل أن يضرب على تقدير تعدية يستحي بنفسه النصب على المفعولية وأما على تقدير تعديته بالجار فعند الخليل الخفض بإضمار من وعند سيديوه النصب بإفضاء الفعل إليه بعد حذفها ومثلاً مفعول ليضرب وما اسمية لإبهامية تزيد ما تقارنه من الاسم المنكر لإبهامها وشیاعاً كما في قولك أعطى كتاباً ما كأنه قيل مثلاً ما من الأمثال أى مثل كان فى صفة لما قبلها أو حرفية مزبدة لتقوية النسبة وتوكيدها كما في قوله تعالى فبما رحمة من الله وبعوضة بدل من مثلاً أو عطف بيان عند من يجوز في النكرات أو مفعول ليضرب ومثلاً حال تقدمت عليها لكونها نكرة أو هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل والتصيير وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى هو بعوضة والجملة على تقدير كونها موصوفة صفة لها محذوفة الصدر كما في قوله تعالى تماماً على الذى أحسن على قراءة الرفع وعلى تقدير كونها موصوفة صفة لها كذلك ومحل ما على الوجهين النصب على أنه بدل من مثلاً أو على أنه مفعول ليضرب وعلى تقدير كونها إبهامية صفة لمثلاً كذلك وأما على تقدير كونها استفهامية فهى خبر لها كأنه لما رداستبعادهم ضرب المثل قيل ما بعوضة أى مانع فيها حتى لا يضرب بها المثل بل له تعالى أن يمثل بما هو أصغر منها وأحقر كجناحها على ما وقع في قوله ﷺ لو كانت الدنيا ترن عند الله جناح بعوضة ماسق الكافر منها شربة ماء والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبعض والعصب غلب على هذا النوع كالحشر في لغة هذيل من الخنش وهو الخدش . (فا فوقها) عطف على بعوضة على

تقدير نصبها على الوجوه المذكورة وما موصولة أو موصوفة صلتها أو صفتها الظرف وأما على تقدير رفعها فهو عطف على ما الأولى على تقدير كونها موصولة أو موصوفة وأما على تقدير كونها استفهامية فهو عطف على خبرها أعني بعوضة لا على نفسها كما قيل والمعنى ما بعوضة فالذى فوقها أو فشىء فوقها حتى لا يضرب بها المثل وكذا على تقدير كونها صفة للنكرة أو زائدة وبعوضة خبر للضمير وذكر البعوضة فما فوقها من بين أفراد المثل إنما هو بطريق التمثيل دون التعيين والتخصيص فلا يخجل بالشيوع بل يقرره ويؤكد بطريق الأولوية والمراد بالفوقية إما الزيادة في المعنى الذى أريد بالتمثيل أعني الصغروا الحقارة وإما الزيادة في الحجم والجلته لكن لا بالغاً ما يبلغ بل في الجملة كالذباب والعنكبوت وعلى التقدير الأول يجوز أن يكون ما الثانية خاصة استفهامية إنكارية والمعنى إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فأى شيء فوقها في الصغر والحقارة فإذا ن له تعالى أن يمثل بكل ما يريد ونظيره في احتمال الأمرين ما روى أن رجلاً بنى خر على طنب فسقاط فقالت عائشة رضى الله عنها حين ذكر لها ذلك سمعت رسول الله ﷺ قال ما من مسلم يشاك شوكة فافوقها إلا كتبت له بهادر جنة ومحبت عنه بها خطيئة فإنه يحتمل ما يجاوز الشوكة في القلة كنخبة النملة بقوله عليه السلام ما أصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياها حتى نخبة النملة وما تجاوزها من الألم كأمثال ما حكى من الحرور (فأما الذين آمنوا) شروع في تفصيل ما يترتب على ضرب المثل من الحكم إثر تحقيق حقيقة صدوره عنه تعالى والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما يدل عليه ما قبلها كأنه قيل فيضربه فأما الذين ألح وتقدم بيان حال المؤمنين على ما حكى من الكفرة عما لا يفتقر إلى بيان السبب وفي تصدير الجملتين بأما من إحماد أمر المؤمنين وذم الكفرة ما لا يخفى وهو حرف متضمن لمعنى اسم الشرط وفعله بمنزلة مهما يكن من شيء ولذلك يجاب بالفاء وفائدته توكيد ما صدر به وتفصيل ما في نفس المتكلم من الأقسام فقد تذكّر جميعاً وقد يقتصر على واحد منها كما في قوله عز من قائل فأما الذين في قلوبهم زيغ ألح قال سيوبه أما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فهو ذاهب لا محالة وأنه منه عزيمة وكان الأصل دخول الفاء على الجملة لأنها الجزاء لكن كرهوا إيلاءها بحرف الشرط فأدخلوها الخبر وعوض المبتدأ عن الشرط لفظاً والمراد بالموصول فريق المؤمنين المعهودين كما أن المراد بالموصول الآتى فريق الكفرة لا من يؤمن بضرب المثل ومن يكفر به لا اختلال المعنى أى فأما المؤمنون . (فيعلمون أنه الحق من ربهم) كسائر ما ورد منه تعالى والحق هو الثابت الذى يحق ثبوته لا محالة بحيث لا سبيل للعقل إلى إنكاره لا الثابت مطلقاً واللام للدلالة على أنه مشهود له بالحقيقة وأن له حكماً ومصالح ومن لا ابتداء الغاية المجازية وعاملها محذوف وقع حالا من الضمير المستكن في الحق أو من الضمير العائد إلى المثل أو إلى ضربه أى كائناً وصادراً من ربهم والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم لتشيرهم وللإيدان بأن ضرب المثل تربية لهم وإرشاد إلى ما يوصلهم إلى كمالهم اللائق بهم والجملة سادة مسددة مفعولى يعلمون عند الجمهور ومسدة مفعوله الأول والثاني محذوف عند الأخفش أى يعلمون حقيقته ثابتة وأعمل الاكتفاء بحكاية عليهم المذكور عن حكاية اعترافهم بموجبه كما في قوله تعالى والراشخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا للإشعار بقوة ما بينهما من التلازم وظهوره المغنى عن الذكر . (وأما الذين كفروا) من حكيت

● أقوالهم وأحوالهم . (فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً) أوثر يقولون على لا يعلمون حسبما يقتضيه ظاهر قرينه دلالة على كمال غلوهم في الكفر وتراعى أمرهم في العتو فإن مجرد عدم العلم بحقيقته ليس بمثابة إنكارها والاستهزاء به صريحاً وتمهيداً لتعداد مانعي عليهم في تضاعيف الجواب من الضلال والفسق ونقض العهد وغير ذلك من شنائعهم المترتبة على قولهم المذكور على أن عدم العلم بحقيقته لا يعم جميعهم فإن منهم من يعلم بها وإنما يقول ما يقول مكابرة وعناداً وحمله على عدم الإذعان والقبول الشامل للجهل والعناد تعسف ظاهر هذا وقد قبل كان من حقه وأما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسمه لكن لما كان قولهم هذا دليلاً واضحاً على جهلهم عدل إليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه فتأمل وكن على الحق المبين وماذا إما مؤلفة من كلمة استفهام وقعت مبتدأ خبره ذا معنى الذي وصلته ما بعده والعائد محذوف فالأحسن أن يحىء جوابه مرفوعاً وإما منزلة منزلة اسم واحد بمعنى أى شيء فالأحسن في جوابه النصب والإرادة نزوع النفس وميلها إلى الفعل بحيث يحملها إليه أو القوة التي هي مبدؤه والأول مع الفعل والثاني قبله وكلاهما لا يتصور في حقه تعالى ولذلك اختلفوا في إرادته عز وجل فقيل إرادته تعالى لا فعله كونه غير ساه فيه ولا مكره ولا أفعال غيره أمره بها فلا تكون المعاصي بإرادته تعالى وقيل هي علمه باشتغال الأمر على النظام الأكمل والوجه الآخر أنه يدعو القادر إلى تحصيله والحق أنها عبارة عن ترجيح أحد طرفي المقدور على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه أو معنى بوجه وهي أعم من الاختيار فإنه ترجيح مع تفضيل وفي كلمة هذا تحوير للشار إليه واستبدال له ومثلاً نصب على التمييز أو على الحال كما في قوله تعالى ناقة الله لكم آية وليس مرادهم بهذه العظيمة استفهام الحكمة في ضرب المثل ولا القدح في اشتماله على الفائدة مع اعترافهم بصدوره عنه جل وعلا بل غرضهم التنبيه بادعاء أنه من الدناءة والحقارة بحيث لا يليق بأن يتعلق به أمر من الأمور الداخلة تحت إرادته تعالى على استحالة أن يكون ضرب المثل به من عنده سبحانه فقوله عز من قائل . (يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً) جواب عن تلك المقالة الباطلة ورد لها ببيان أنه مشتمل على حكمة جليلة وغاية جميلة هي كونه ذريعة إلى هداية المستعدين للهداية وإضلال المنهمكين في الغواية فوضع الفعلان موضع الفعل الواقع في الاستفهام مبالغة في الدلالة على تحققهما فإن إرادتهما دون وقوعهما بالفعل وتجايفاً عن نظم الإضلال مع الهداية في سلك الإرادة لإيهامه تساويهما في تعلقهما وليس كذلك فإن المراد بالذات من ضرب المثل هو التذكير والاهتمام كما ينبىء عنه قوله تعالى وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ونظائره وأما الإضلال فهو أمر عارض مترتب على سوء اختيارهم وأوثر صيغة الاستقبال إيداناً بالتجدد والاستمرار وقيل وضع الفعلان موضع مصدريهما كأنه قيل أراد إضلال كثير وهداية كثير وقدم الإضلال على الهداية مع تقدم حال الممتدين على حال الضالين فيما قبله ليكون أول ما يقرع أسماعهم من الجواب أمراً فظيماً يسوهم ويفت في أعضادهم وهو السر في تخصيص هذه الفائدة بالذكر وقيل هو بيان للجملتين المصدرتين بأما وتسجيل بأن العلم بكونه حقاً هدى وأن الجهل بوجه إرادته والإنكار لحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل فريق إنما هي بالنظر إلى أنفسهم لا بالقياس إلى مقابلهم فلا يقدح في

الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ البقرة

ذلك أقلية أهل الهدى بالنسبة إلى أهل الضلال حسبما نطق به قوله تعالى وقليل من عبادى الشكور ونحو ذلك واعتبار كثرتهم الذاتية دون قلتهم الإضافية لتكميل فائدة ضرب المثل وتكثيرها ويجوز أن يراد فى الأولين الكثرة من حيث العدد وفى الآخرين من حيث الفضل والشرف كما فى قول من قال [إن الكرام كثير فى البلاد وإن * قلو كما غيرهم قل وإن كثروا] وإسناد الإضلال أى خلق الضلال إليه سبحانه مبنى على أن جميع الأشياء مخلوقة له تعالى وإن كان أفعال العباد من حيث الكسب مستندة إليهم وجعله من قبيل إسناد الفعل إلى سببه بأباه التصريح بالسبب وقرئ بضل به كثير ويهدى به كثير على البناء للمفعول وتكرير به مع جواز الاكتفاء بالأول لزيادة تقرير السببيه وتأكيدها . (وما يضل به) أى بالمثل أو بضربه . (إلا ● الفاسقين) عطف على ما قبله وتكملة للجواب والرد وزيادة تعيين لمن أريد إضلالهم ببيان صفاتهم القبيحة المستتعبة له وإشارة إلى أن ذلك ليس إضلالاً ابتدائياً بل هو تثبيت على ما كانوا عليه من فنون الضلال وزيادة فيه وقرئ وما يضل به إلا الفاسقون على البناء للمفعول والفسق فى اللغة الخروج يقال فسقت الرطبة عن قشرها والفأرة من جحرها أى خرجت قال رؤبة [يذهبن فى نجد وغور أغاراً * فواسقاً عن قصدها جوارراً] وفى الشريعة الخروج عن طاعة الله عز وجل بارتكاب الكبيرة التى من جملتها الإصرار على الصغيرة وله طبقات ثلاث الأولى التغايب وهو ارتكابها أحياناً مستقبلاً لها والثانية الانهماك فى تعاطيها والثالثة المثابرة عليها مع جمود قبحها وهذه الطبقة من مراتب الكفر فلم يبلغها الفاسق لا يسلب عنه اسم المؤمن لا تصافه بالتصديق الذى عليه يدور الإيمان لقوله تعالى وإن افتتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما ذهبوا إلى أن الإيمان عبارة عن مجموع التصديق والإقرار والعمل والكفر عن تكذيب الحق وجوده ولم يتسن لهم إدخال الفاسق فى أحدهما فجعلوه قسماً بين قسمى المؤمن والكافر لمشاركتة كل واحد منهما فى بعض أحكامه والمراد بالفاسقين ههنا العاتون الماردون فى الكفر الخارجون عن حدوده من حكى عنهم ما حكى من إنكار كلام الله تعالى والاستهزاء به وتخصيص الإضلال بهم مترتباً على صفة الفسق وما أجرى عليهم من القبائح للإيدان بأن ذلك هو الذى أعدهم للإضلال وأدى بهم إلى الضلال فإن كفرهم وعدوهم عن الحق وإصرارهم على الباطل صرفت وجوه أنظارهم عن التدبر فى حكمة المثل إلى حقارة المثل به حتى رخصت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فأنكروه وقالوا فيه ما قالوا . (الذين ٢٧ ينقضون عهد الله) صفة للفاسقين للذم وتقرير مامم عليه من الفسق والنقض فسخ التركيب من المركبات الحسية كالحبل والغزل ونحوهما واستعماله فى إبطال العهد من حيث استعارة الحبل له لما فيه من ارتباط أحد كلامى المتعاهدين بالآخر فإن شفع بالحبل وأريد به العهد كان ترشيحاً للمجاز وإن قرن بالعهد كان رمزاً إلى ما هو من روادفه وتنبهها على مكانه وأن المذكور قد استعير له كما يقال شجاع يفترس أقرانه

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ البقرة

وعالم يغترف منه الناس تنبيهها على أنه أسد في شجاعته وبحر في إفاضته والعهد الموثق يقال عهد إليه كذا إذا وصاه به ووثقه عليه والمراد ههنا إما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على وجوده ووحدته وصدق رسوله عليه السلام وبه أول قوله تعالى وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى أو المعنى الظاهر منه أو المأخوذ من جهة الرسل عليهم السلام على الأمم بأنهم إذا بعث إليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا أمره وذكره في الكتب المتقدمة ولم يخالفوا حكمه كما ينبي عنه قوله عز وجل وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه ونظاره وقيل عهود الله تعالى ثلاثة الأول ما أخذه على جميع ذرية آدم عليه السلام بأن يقرؤا على ربوبيته والثاني ما أخذه على الأنبياء عليهم السلام بأن يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه والثالث ما أخذه على العلماء بأن يبينوا الحق ولا يكتموه. (من بعد ميثاقه) الميثاق إما اسم لما يقع به الوثاق والإحكام وإما مصدر بمعنى

التوثيق كالميعاد بمعنى الوعد فعلى الأول إن رجع الضمير إلى العهد كان المراد بالميثاق ما وثقه به من القبول والالتزام وإن رجع إلى لفظ الجلالة يراد به آياته وكتبه وإنذار رسله عليهم السلام والمضاف محذوف على الوجهين أى من بعد تحقق ميثاقه وعلى الثاني إن رجع الضمير إلى العهد والميثاق مصدر من المبني للفاعل فالمعنى من بعد أن وثقه بالقبول والالتزام أو من بعد أن وثقه الله عز وجل بإزالة الكتب وإنذار الرسل وإن كان مصدرأ من المبني للفعول فالمعنى من بعد كونه موثقاً إما بتوثيقهم إياه بالقبول وإما بتوثيقه تعالى إياه بإزالة الكتب وإنذار الرسل. (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) يحتمل

كل قطيعة لا يرضى بها الله سبحانه وتعالى كقطع الرحم وموالاة المؤمنين والتفرقة بين الأنبياء عليهم السلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض خير أو تعاطى شرفاته يقطع ما بين الله تعالى وبين العبد من الوصلة التي هي المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والأمر هو القول الطالب للفعول مع العلو وقيل بالاستعلاء وبه سمي الأمر الذي هو واحد الأمور تسمية للفعول بالمصدر فإنه مما يؤمر به كما يقال له شأن وهو القصد والطلب لما أنه أثر للشأن وكذا يقال له شيء وهو مصدر شاء لما أنه أثر للمشيئة ومحل أن يوصل إما النصب على أنه بدل من الموصول أو من ضميره والثاني أولى لفظاً ومعنى. (ويفسدون في الأرض) بالمنع عن الإيمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي

عليها يدور فلك نظام العالم وصلاحه. (أولئك) إشارة إلى الفاسقين باعتبار اتصافهم بما فصل من الصفات القيحة وفيه إيدان بأنهم متميزون بها أكمل تميز ومنتظمون بسبب ذلك في سلك الأمور المحسوسة وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد منزلتهم في الفساد. (هم الخاسرون) الذين خسروا بإهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحياة الأبدية واستبدال الإنكار والطعن في الآيات بالإيمان بها والتأمل في حقائقها والافتباس من أنوارها واشتراء النقص بالوفاء والفساد بالصلاح والقطيعة بالصلة

والعقاب بالثواب. (كيف تكفرون بالله) التفات إلى خطاب المذكورين مبني على إيراد ما عدد من ٢٨

هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ٢ البقرة

- قبائحهم السابقة لتزايد السخط الموجب للشفافة بالتوبيخ والتقريع والاستفهام إنكارى لا بمعنى إنكار الوقوع كما في قوله تعالى كيف يكون للبشر كين عمد عند الله وعند رسوله الخ بل بمعنى إنكار الواقع واستبعاده والتعجب منه وفيه من المبالغة ما ليس في توجيه الإنكار إلى نفس الكفر بأن يقال أتكفرون لأن كل موجود يجب أن يكون وجوده على حال من الأحوال قطعاً فإذا انتفى جميع أحوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني وقوله عز وجل . (وكنتم أمواتاً) إلى آخر الآية حال من ضمير الخطاب في • تكفرون مؤكدة للإنكار والاستبعاد بما عدد فيها من الشئون العظيمة الداعية إلى الإيمان الرادعة عن الكفر من حيث كونها نعمة عامة ومن حيث دلالتها على قدرة تامة كقوله تعالى وقد خلقكم أطواراً وكيف منصوبة على التشبيه بالظرف عند سيوييه وبالحال عند الأخفش أى في أى حال أو على أى حال تكفرون به تعالى والحال إنكم كنتم أمواتاً أى أجساماً لا حياة لها عناصر وأغذية ونظفاً ومضغاً مخلقة وغير مخلقة والأموات جمع ميت كأقوال جمع قيل وإطلاقها على تلك الأجسام باعتبار عدم الحياة مطلقاً كما في قوله تعالى بلدة ميتاً وقوله تعالى وآية لهم الأرض الميتة . (فأحياكم) بنفخ الأرواح فيكم والفاء الدلالة على التعقيب فإن الإحياء حاصل إثر كونهم أمواتاً وإن توارد عليهم في تلك الحالة أطوار مترتبة بعضها مترخ عن بعض كما أشير إليه آنفاً (ثم يميتكم) أى عند انقضاء آجالكم وكون الإمامة من دلائل القدرة ظاهر وأما كونها من النعم فلكونها • وسيلة إلى الحياة الثانية التي هي الحيوان والنعمة العظمى والتراخي المستفاد من كلمة ثم بالنسبة إلى زمان الإحياء دون زمان الحياة فإن زمان الإمامة غير مترخ عنه . (ثم يحييكم) بالنشور يوم ينفخ في الصور أو للسؤال في • القبور وأياما كان فهو مترخ من زمان الإمامة وإن كان أثر زمان الموت المستمر . (ثم إليه ترجعون) بعد • الحشر لا إلى غيره فيجازيكم بأعمالكم إن خير أغير وإن شر أفشر أو إليه تنشرون من قبوركم للحساب وهذه الأفعال وإن كان بعضها ماضياً وبعضها مستقبلاً لا يتسنى مقارنة شيء منها لما هو حال منه في الزمان لكن الحال في الحقيقة هو العلم المتعلق بها كأنه قيل كيف تكفرون بالله وأنتم عالمون بهذه الأحوال المانعة منه ومآله • التعجب من وقوعه مع تحقق ما ينفيه وإمّا انظم ما ينكرونه من الإحياء الأخير والرجع في سلك ما يعترفون به من الإحياء الأول والإمامة تنزيلاً لتمسكهم من العلم لما عاينوه من الدلائل القاطعة منزلة العلم بذلك بالفعل في إزاحة العلل والأعداء والحياة حقيقة في القوة الحساسة أو ما يقتضيها وبها سمى الحيوان حيواناً مجازي في القوة النامية لكونها من طلائعها وكذا فيما يخص الإنسان من العقل والعلم والإيمان من حيث أنه كمالها وغايتها والموت بإزائها يطلق على ما يقابل كل مرتبة من تلك المراتب قال تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال تعالى اعلوا أن الله يحيي الأرض بعد موتها وقال تعالى أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس وعند وصفه تعالى بها يراد صحة اتصافه تعالى بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا أو معنى قائم بذاته تعالى مقتض لذلك وقرىء ترجعون بفتح التاء والأول هو الالئق بالمقام . (هو الذي خلق لكم ٢٩

- ما في الأرض جميعاً) تقرير الإنكار وتأكيده من الحيتين المذكورتين غير سبكه عن سبكه ما قبله مع اتحادهما في المقصود لإبانه لما بينهما من التفاوت فإن ما يتعلق بذواتهم من الإحياء والإماتة والحشر أدخل في الحث على الإيمان والكفر عن الكفر بما يتعلق بمعايشهم وما يجري مجراها وفي جعل الضمير مبتدأ والموصول خبراً من الدلالة على الجلالة ما لا يخفى وتقديم الظرف على المفعول الصريح لتعجيل المسرة ببيان كونه نافعاً للمخاطبين وللتشويق إليه كما سلف أي خلق لأجلكم جميع ما في الأرض من الموجودات لتنتفعوا بها في أمور دنياكم بالذات أو بالواسطة وأمور دينكم بالاستدلال بها على شئون الصانع تعالى شأنه والاستشهاد بكل واحد منها على ما يلائمه من لذات الآخرة وآلامها وما يعم جميع ما في الأرض لا نفسها إلا أن يراد بها جهة السفلى كما يراد بالسماء جهة العلو نعم يعم كل جزء من أجزائها فإنه من جملة ما فيها ضرورة وجود الجزء في الكل وجميعاً حال من الموصول الثاني مؤكدة لما فيه من العموم فإن كل فرد من أفراد ما في الأرض بل كل جزء من أجزاء العالم له مدخل في استمراره على ما هو عليه من النظام اللاتق الذي عليه يدور انتظام مصالح الناس أما من جهة المعاش فظاهر وأما من جهة الدين فلما أنه ليس في العالم شيء مما يتعلق به النظر وما لا يتعلق به إلا وهو دليل على القادر الحكيم جل جلاله كما مر في تفسير قوله تعالى رب العالمين وإن لم يستدل به أحد بالفعل . (ثم استوى إلى السماء) أي قصد إليها بإرادته ومشيتته قصداً سوياً بلا صارف بلوبه ولا عاطف يثنيه من إرادة خلق شيء آخر في تضاعيف خلقها أو غير ذلك مأخوذ من قولهم استوى إليه كالسهم المرسل وتخصيصه بالذكر ههنا إما لعدم تحققه في خلق السفليات لما روى من تخلل خلق السموات بين خلق الأرض ودحوها عن الحسن رضى الله عنه خلق الله تعالى الأرض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان يلتزق بها ثم أصد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر في موضعها وبسط منها الأرضين وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما وإما لإظهار كمال العناية بإبداع العلويات وقيل استوى استولى وملك والأول هو الظاهر وكلمة ثم للإيدان بما فيه من المزية والفضل على خلق السفليات لا للتراخي الزماني فإن تقدمه على خلق ما في الأرض المتأخر عن دحوها مما لا مرية فيه لقوله تعالى والأرض بعد ذلك دحاها ولما روى عن الحسن والمراد بالسماء إما الأجرام العلوية فإن القصد إليها بالإرادة لا يستدعى سابقة الوجود وإما جهات العلو . (فسواهن) أي أتمن وقومن وخلقهن ابتداء مصونة عن العوج والفتور لا أنه تعالى سواهن بعد أن لم يكن كذلك ولا يخفى ما في مقارنة النسوية والاستواء من حسن الموقع وفيه إشارة إلى أن لا تغيير فيهن بالنمو والذبول كما في السفليات والضمير على الوجه الأول للسماء فإنها في معنى الجنس وقيل هي جمع سماء أو سماوة وعلى الوجه الثاني مهم بفسره قوله تعالى . (سبع سموات) كما في قولهم ربه رجلاً وهو على الوجه الأول بدل من الضمير وتأخير ذكر هذا الصنع البديع عن ذكر خلق ما في الأرض مع كونه أقوى منه في الدلالة على كمال القدرة القاهرة كما نبه عليه لما أن المنافع المنوطة بما في الأرض أكثر وتعلق مصالح الناس بذلك أظهر وإن كان في إبداع العلويات أيضاً من المنافع الدينية والدنيوية مالا يحصى هذا ما قالوا وسيأتي في حم السجدة مزيد تحقيق وتفصيل بإذن الله تعالى . (وهو بكل شيء عليم) اعتراض تذييلي مقرر لما قبله

وَاِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّىْ جَاعِلٌ فِى الْاَرْضِ خَلِيْفَةً قَالُوْۤا اَنْتَجْعَلُ فِيْهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيْهَا وَيَسْفِكُ
الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ اِنِّىْۤ اَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ﴿٣٠﴾ البقرة

من خلق السموات والأرض وما فيها على هذا النمط البديع المنطوى على الحكم الفائقة والمصالح اللائقة فإن عليه عز وجل بجميع الأشياء ظاهرها وباطنها بارزها وكامنها وما يليق بكل واحد منها يستدعى أن يخلق كل ما يخلفه على الوجه الرائق وقرى وهو بسكون الهاء تشبيهاً له بعضه . (وإذ قال ربك) بيان لآمر آخر من جنس الأمور المتقدمة المؤكدة للإنكار والاستبعاد فإن خلق آدم عليه السلام وما خصه به من الكرامات السنية المحكية من أجل النعم الداعية لذريته إلى الشكر والإيمان الناهية عن الكفر والعصيان وتقرير المضمون ما قبله من قوله تعالى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً وتوضيح لكيفية التصرف والانتفاع بما فيها وتلويح الخطاب بتوجيهه إلى النبي ﷺ خاصة للإيذان بأن لحوى الكلام ليس بما يهتدى إليه بأدلة العقل كالأمر المشاهدة التى نبه عليها الكفرة بطريق الخطاب بل إنما طريقه الوحي الخاص به عليه السلام وفى التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى الكمال مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام من الإنباء عن تشريفه عليه السلام ما لا يخفى وإذ ظرف موضوع لزمان نسبة ماضية وقع فيه نسبة أخرى مثلها كما أن إذا موضوع لزمان نسبة مستقبلية يقع فيه أخرى مثلها ولذلك يجب إضافتها إلى الجمل وانتصابه بمضمر صرح بمثله فى قوله عز وجل واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم وقوله تعالى واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع أنها المقصودة بالذات للبالغة فى إيجاب ذكرها لما أن إيجاب ذكر الوقت لإيجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولأن الوقت مشتمل عليها فإذا استحضرت كانت حاضرة بتفاصيلها كأنها مشاهدة عياناً وقيل ليس انتصابه على المفعولية بل على تأويل اذكر الحادث فيه بحذف الظروف وإقامة الظرف مقامه وأياماً كان فهو معطوف على مضمر آخر ينسحب عليه الكلام كأنه قيل له عليه السلام غب ما أوحى إليه ما خوطب به الكفرة من الوحي الناطق بتفاصيل الأمور السابقة الزاجرة عن الكفر به تعالى ذكرهم بذلك واذكر لهم هذه النعمة ليتنبهوا بذلك لبطلان ما هم فيه وينتبهوا عنه وأما ما قيل من أن المقدر هو اشكر النعمة فى خلق السموات والأرض أو تدبر ذلك فغير سديد ضرورة أن مقتضى المقام تذكير المخلقين بموجب الشكر وتنبيههم على ما يقتضيه وأين ذاك من مقامه الجليل ﷺ وقيل انتصابه بقوله تعالى قالوا ويأباه أنه يقتضى أن يكون هو المقصود بالذات دون سائر القصة وقيل بما سبق من قوله تعالى وبشر الذين آمنوا ولا يخفى بعده وقيل بمضمر دل عليه مضمون الآية المتقدمة مثل وبدأ خلقكم إذ قال الخ ولا ريب فى أنه لا فائدة فى تقييد بدء الخلق بذلك الوقت وقيل بخلقكم أو بأحياءكم مضمر آ وفيه ما فيه وقيل لإزائدة ويعزى ذلك إلى أبى عبيد ومعمّر وقيل أنه بمعنى قد واللام فى قوله عز قائلًا . (للائكة) للتبليغ وتقديم الجار والمجرور فى هذا الباب مطرد لما فى المقول من الطول غالباً مع ما فيه من

الاهتمام بما قدم والتشويق إلى ما أخر كما مر مراراً والملائكة جمع ملك باعتبار أصله الذي هو ملاك على أن الهمزة مزيدة كالشمايل في جمع شمال والتاء لتأكيد تأنيث الجماعة واشتقاقه من ملك لما فيه من معنى الشدة والقوة وقيل على أنه مقلوب من مالك من الآلوكه وهي الرسالة أى موضع الرسالة أو مرسل على أنه مصدر بمعنى المفعول فإنهم ساقط بين الله تعالى وبين الناس فهم رسله عز وجل أو بمنزلة رسله عليهم السلام واختلفت العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على أنها ذوات موجودة قائمة بأنفسها فذهب أكثر المتكلمين إلى أنها أجسام لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة مستدلين بأن الرسل كانوا يرونهم كذلك عليهم السلام وذهب الحكماء إلى أنها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة وأنها أكل منها قوة وأكثر علماً تجرى منها مجرى الشمس من الأضواء منقسمة إلى قسمين قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما نعتهم الله عز وجل بقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون المقربون وقسم يدبر الأمر من السماء إلى الأرض حسبما جرى عليه قلم القضاء والقدر وهم المدبرات أمراً فمنهم سماوية ومنهم أرضية وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للأبدان ونقل في شرح كثيرهم أنه عليه السلام قال أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع قدم إلا وفيه ملك ساجد أو راكع وروى أن بنى آدم عشر الجن وهما عشر حيوانات البر والكل عشر الطيور والكل عشر حيوانات البحار وهؤلاء كلهم عشر ملائكة الأرض الموكلين وهؤلاء كلهم عشر ملائكة السماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية وهكذا إلى السماء السابعة ثم كل أولئك في مقابلة ملائكة الكرسى نزر قليل ثم جميع هؤلاء عشر ملائكة سرادق واحد من سرادقات العرش التى عددها ستائة ألف طول كل سرادق وعرضه وسمكه إذا قوبلت به السموات والأرض وما فيهما وما بينهما لا يكون لها عنده قدر محسوس وما منه من مقدار شبر إلا وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم لهم زجل بالتسبيح والتقدیس ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر ثم ملائكة اللوح الذين هم أشياع لإسرافيل عليه السلام والملائكة الذين هم جنود جبريل عليه السلام لا يحصى أجناسهم ولا مدة أعمارهم ولا كفيات عباداتهم إلا بارئهم العليم الخبير على ما قال تعالى وما يعلم جنود ربك إلا هو وروى أنه عليه السلام حين عرج به إلى السماء رأى ملائكة في موضع بمنزلة شرف يمشى بعضهم تجاه بعض فسأل رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام إلى أين يذهبون فقال جبريل لا أدري إلا أنى أراهم منذ خلقت ولا أرى واحداً منهم قد رأيته قبل ذلك ثم سألاً واحداً منهم منذكم خلقت فقال لا أدري غير أن الله عز وجل يخلق في كل أربعائة ألف سنة كوكباً وقد خلق منذ خلقنى أربعائة ألف كوكب فسبحانه من إله ما أعظم قدره وما أوسع ملكوته واختلف في الملائكة الذين قيل لهم ما قيل فقيل هم ملائكة الأرض وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما أنهم المختارون مع إبليس حين بعثه الله عز وجل لمحاربة الجن حيث كانوا سكان الأرض فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء فقتلواهم إلا قليلاً قد أخرجوهم من الأرض وألحقوهم بجزائر البحار وقلل الجبال وسكنوا الأرض وخفف الله تعالى عنهم العبادة وأعطى إبليس ملك الأرض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة فكان يعبد الله تعالى تارة في الأرض

وتارة في السماء وأخرى في الجنة فأخذه العجب فكان من أمره ما كان وقال أكثر الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم في أنهم كل الملائكة لعموم اللفظ وعدم المخصص وقوله تعالى (إني جاعل في الأرض خليفة) في حين النصب على أنه مقول قال وصيغة الفاعل بمعنى المستقبل ولذلك عملت عمله وفيها ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على أنه فاعل ذلك لا محالة وهي من الجعل بمعنى النصير المتعدى إلى مفعولين فقيل أولهما خليفة وثانيهما الظرف المتقدم على ما هو مقتضى الصناعة فإن مفعولي النصير في الحقيقة اسم صار وخبره أولهما الأول وثانيهما الثاني وهما مبتدأ وخبر والأصل في الأرض خليفة ثم قيل صار في الأرض خليفة ثم مصير في الأرض خليفة فعناه بعد الدنيا والتي إني جاعل خليفة من الخلائف أو خليفة بعينه كائنا في الأرض فإن خبر صار في الحقيقة هو الكون المقدر العامل في الظروف ولا ريب في أن ذلك ليس بما يقتضيه المقام أصلاً وإنما الذي يقتضيه هو الإخبار بجعل آدم خليفة فيها كما يعرب عنه جواب الملائكة عليهم السلام فإذا نوله تعالى خليفة مفعول ثانٍ والظرف متعلق بجاعل قدم على المفعول الصريح لما مر من التشويق إلى ما أخر أو بمحذوف وقع حالاً ما بعده لكونه نكرة وأما المفعول الأول فمحذوف تعويلاً على القرينة الدالة عليه كما في قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً حذف فيه المفعول الأول وهو ضمير الأموال لدلالة الحال عليه وكذا في قوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خير آلهم حيث حذف فيه المفعول الأول لدلالة يبخلون عليه أي لا يحسبن البخلاء بخلمهم هو خير آلهم ولا ريب في تحقيق القرينة ههنا أما إن حمل على الحذف عند وقوع المحكي فهي واضحة لوقوعه في أثناء ذكره عليه السلام على ما سنفصله كأنه قيل إني خالق بشر آمن طين وجاعل في الأرض خليفة وأما إن حمل على أنه لم يحذف هناك بل قيل مثلاً وجاعل إياه خليفة في الأرض لكنه حذف عند الحكاية فالقرينة ما ذكر من جواب الملائكة عليهم السلام قال العلامة الزمخشري في تفسير قوله تعالى وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشر آمن طين إن قلت كيف صح أن يقول لهم بشر آمن وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قلت وجهه أن يكون قد قال لهم إني خالق خلقاً من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاها اقتصر على الاسم انتهى .

فحيث جاز ألا كتفاء عند الحكاية عن ذلك التفصيل بمجرد الاسم من غير قرينة تدل عليه فما ظنك بما نحن فيه ومعه قرينة ظاهرة ويجوز أن يكون من الجعل بمعنى الخلق المتعدى إلى مفعول واحد هو خليفة وحال الظرف في التعلق والتقديم كما مر فحينئذ لا يكون ما سياتي من كلام الملائكة مترتباً عليه بالذات بل بالواسطة فإنه روى أنه تعالى لما قال لهم إني جاعل في الأرض خليفة قالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة قال تعالى يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضاً فعند ذلك قالوا ما قالوا والله تعالى أعلم والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه فعيل بمعنى الفاعل والتاء للباغة والمراد به إما آدم عليه السلام وبنوه وإنما اقتصر عليه استغناء بذكره عن ذكرهم كما يستغنى عن ذكر القبيلة بذكر أبيها كضر وهاشم ومنه الخلافة في قریش وإما من يخلف أو خلف فيعمه عليه السلام وغيره من خلفاء ذريته والمراد بالخلافة إما الخلافة من جهته سبحانه في إجراء أحكامه وتنفيذ أوامره بين الناس وسياسة الخلق لكن لا الحاجة به تعالى إلى ذلك بل لقصور استعداد المستخلف عليهم وعدم لياقتهم لقبول الفيض بالذات فتختص

١١ - أبي السعود ج ١

- بالخواص من بنيه وإما الخلافة من كان في الأرض قبل ذلك فتعم حينئذ الجميع (قالوا) استئناف وقع جواباً عما ينساق إليه الأذهان كأنه قيل فإذا قالت الملائكة حينئذ فقيل قالوا (أتجعل فيها من يفسد فيها) وهو أيضاً من الجعل المتعدى إلى اثنين فقيل فيهما ما قيل في الأول والظاهر أن الأول كلمة من والثاني محذوف ثقة بما ذكر في الكلام السابق كما حذف الأول ثمة تعويلاً على ما ذكرنا قال قائلهم [لاتخلنا على عزائمك إنا] طالما قد وشى بنا الأعداء | بحذف المفعول الثاني أي لاتخلنا جازعين على عزائمك والمعنى أتجعل فيها من يفسد فيها خليفة والظرف الأول متعلق بتجعل وتقديمه لما مر مراراً أو الثاني يفسد وفائدته تأكيد الاستبعاد لما أن في استخلاف المفسد في محل إفساده من البعد ما ليس في استخلافه في غيره هذا وقد جوز كونه من الجعل بمعنى الخلق المتعدى إلى مفعول واحد هو كلمة من وأنت خير بأن مدار تعجبهم ليس خلق من يفسد في الأرض كيف لا وأن ما يعقبه من الجملة الحالية الناطقة بدعوى أحقيتهم منه يقضى ببطلانه حتماً إذ لا صحة لدعوى الأحقية منه بالخلق وهم مخلوقون بل مداره أن يستخلف لعارة الأرض وإصلاحها بإجراء أحكام الله تعالى وأوامره أو يستخلف مكان المطبوعين على الطاعة من من شأن بني نوعه الإفساد وسفك الدماء وهو عليه السلام وإن كان منزهاً عن ذلك إلا أن استخلافه مستتبغ لاستخلاف ذريته التي لاتخلو عنه غالباً وإنما أظهروا تعجبهم استكشافاً عما خفي عليهم من الحكم التي بدت على تلك المفاسد وألغتها واستخباراً عما يزيح شبهتهم ويرشد هم إلى معرفة ما فيه عليه السلام من الفضائل التي جعلته أهلاً لذلك كسؤال المتعلم عما ينقدح في ذهنه لا اعتراضاً على فعل الله سبحانه ولا شكاً في اشتماله على الحكمة والمصلحة إجمالاً ولا طعناً فيه عليه السلام ولا في ذريته على وجه الغيبة فإن منصبهم أجل من أن يظن بهم أمثال ذلك قال تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وإنما عرفوا ما قالوا إما بإخبار من الله تعالى حسبما نقل من قبل أو بتلق من اللوح أو باستنباط عما ارتكز في عقولهم من اختصاص العصمة بهم أو بقياس لأحد الثقلين على الآخر . (ويسفك الدماء) السفك والسفح والسبك والسكب أنواع من الصب والأولان مختصان بالدم بل لا يستعمل أولهما إلا في الدم المحرم أي يقتل النفوس المحرمة بغير حق والتعبير عنه بسفك الدماء لما أنه أقبح أنواع القتل وأفظعه وقرىء يسفك بضم الفاء ويسفك ويسفك من أسفك وسفك وقرىء يسفك على البناء للمفعول وحذف الراجع إلى من موصولة أو موصوفة أي يسفك الدماء فيهم . (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) جملة حالية مقررة للتعجب السابق ومؤكدة له على طريقة قول من يجد في خدمة مولاه وهو يأمر بها غيره أتستخدم العصاة وأنا مجتهد فيها كأنه قيل أتستخلف من من شأن ذريته الفساد مع وجود من ليس من شأنه ذلك أصلاً والمقصود عرض أحقيتهم منهم بالخلافة واستفسار عما رجحهم عليهم مع ما هو متوقع منهم من الموانع لا العجب والتفاخر فكأنهم شعروا بما فيهم من القوة الشهوية التي رذيلتها الإفراطية الفساد في الأرض والقوة الغضبية التي رذيلتها الإفراطية سفك الدماء فقالوا ما قالوا وذهلوا عما إذا مخرجهما القوة العقلية ومرتنهما على الخير يحصل بذلك من علو الدرجة ما يقصر عن بلوغ رتبة القوة العقلية عند انفرادها في أفاعيلها كالإحاطة بتفاصيل أحوال الجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من

وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ ٢ البقرة

القوة إلى الفعل وغير ذلك مما يبط به أمر الخلافة والتسبيح تنزيه الله تعالى وتبعيده اعتقاداً وقولاً وعملاً عما لا يليق بجناحه سبحانه من سبوح في الأرض والماء إذا أبعد فيهما وأمعن ومنه فرس سبوح أى واسع الجرى وكذلك تقدسه تعالى من قدس في الأرض إذا ذهب فيها وأبعد ويقال قدسه أى طهره فإن مطهر الشيء مبعده عن الاقذار والباء في بحمدك متعلقة بمحذوف وقع حالاً من الضمير أى تنزهك عن كل ما لا يليق بشأنك ملتبسين بحمدك على ما أنعمت به علينا من فنون النعم التي من جملتها توفيقنا لهذه العبادة فالتسبيح لإظهار صفات الجلال والحمد لتذكير صفات الإناعام واللام في لك إما مزيدة والمعنى تقدسك وإما صلة للفعل كما في سجدت لله وإما للبيان كما في سقيالك فتكون متعلقة بمحذوف أى تقدس تقديساً لك أى نصفك بما يليق بك من العلو والعزة وتنزهك عما لا يليق بك وقيل المعنى نظهر نفوسنا عن الذنوب لا جللك كأنهم قابلوا الفساد الذى أعظمه الإشرار بالتسبيح وسفك الدماء الذى هو تلويث النفس بأقبح الجرائم بتطهير النفس عن الآثام لا تمدحاً بذلك ولا إظهاراً للمنة بل بياناً للواقع (قال) استئناف ● كما سبق (إنى أعلم ما لا تعلمون) ليس المراد به بيان أنه تعالى يعلم ما لا يعلمونه من الأشياء كائناً ما كان فإن ذلك مما لا شبهة لهم فيه حتى يفتقروا إلى التنبيه عليه لاسيما بطريق التوكيد بل بيان أن فيه عليه الصلاة والسلام معانى مستدعية لاستخلافه إذ هو الذى خفى عليهم وبنوا عليه ما بنوا من التعجب والاستبعاد فاموصولة كانت أو موصوفة عبارة عن تلك المعانى والمعنى إنى أعلم ما لا تعلمونه من دواعى الخلافة فيه وإنما لم يقتصر على بيان تحققها فيه عليه السلام بأن قيل مثلاً إن فيه ما يقتضيه من غير تعرض لإحاطته تعالى به وغفلتهم عنه تفخياً لشأنه وإيداناً بابتناء أمره تعالى على العلم الرصين والحكمة المتقنة وصدور قولهم عن الغفلة وقيل معناه إنى أعلم من المصالح فى استخلافه ما هو خفى عليكم وأن هذا إرشاد للملائكة إلى العلم بأن أفعاله تعالى كلها حسنة وحكمة وإن خفى عليهم وجه الحسن والحكمة وأنت خير بأنه مشعر بكونهم غير عالمين بذلك من قبل ويكون تعجبهم مبنياً على ترددهم فى اشتغال هذا الفعل لحكمة ما وذلك مما لا يليق بشأنهم فإنهم عالمون بأن ذلك متضمن لحكمة ما ولكنهم مترددون فى أنها ماذا هل هو أمر راجع إلى محض حكم الله عز وجل أو إلى فضيلة من جهة المستخلف فبين سبحانه وتعالى لهم أولاً على وجه الإجمال والإبهام أن فيه فضائل غائبة عنهم ليستشرفوا إليها ثم أبرز لهم طرفاً منها ليعاينوه جهرة ويظهر لهم بديع صنعه وحكمته وينزاح شبهتهم بالكلية . (وعلم آدم الأسماء كلها) شروع فى تفصيل ما جرى بعد ٣١ الجواب الإجمالى تحقيقاً لمضمونه وتفسيراً لإبهامه وهو عطف على قال والابتداء بحكاية التعليم يدل بظاهره على أن مامر من المقابلة المحكية إنما جرت بعد خلقه عليه السلام بمحض منه وهو الانسب بوقوف الملائكة على أحواله عليه السلام بأن قيل إثر نفخ الروح فيه إنى جاعل إياه خليفة فقبل ما قبل

كما أشير إليه وإيراده عليه السلام باسمه العظمى لزيادة تعيين المراد بالخليفة ولأن ذكره بعنوان الخلافة لا يلائم مقام تمهيد مبادئها وهو اسم أعجمي والأقرب أن وزنه فاعل كشاخ وعاذر وعابر وفالغ لا أفعل والتصدى لا اشتقاقه من الأذمة أو الأدمة بالفتح بمعنى الأسوة أو من أديم الأرض بناء على ما روى عنه عليه السلام من أنه تعالى قبض قبضة من جميع الأرض سهلها وحزنها فخلق منها آدم ولذلك اختلفت ألوان ذريته أو من الآدم والآدمة بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق إدريس من الدرس ويعقوب من العقب وإبليس من الإبلان والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلاً يرفعه إلى الذهن من الالفاظ والصفات والأفعال واستعماله عرفاً في اللفظ الموضوع لمعنى مفرداً كان أو مركباً مخبراً عنه أو خبراً أو رابطة بينهما واصطلاحاً في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن بالزمان والمراد ههنا إما الأول أو الثاني وهو مستلزم للأول إذ العلم بالالفاظ من حيث الدلالة على المعاني مسبوق بالعلم بها والتعليم حقيقة عبارة عن فعل يترتب عليه العلم بلا تخلف عنه ولا يحصل ذلك بمجرد إضافة المعلم بل يتوقف على استعداد المتعلم لقبول القبيض وتلقيه من جهة كما مر في تفسير الهدى وهو السرفى لإثاره على الإعلام والإناء فإنهما إنما يتوقفان على سماع الخبر الذى يشترك فيه البشر والملك وبه يظهر أحقيته بالخلافة منهم عليهم السلام لما أن جبلتهم غير مستعدة للإحاطة بتفاصيل أحوال الجزئيات الجسمانية خبراً فمعنى تعليمه تعالى إياه أن يخلق فيه إذ ذاك بموجب استعداده علماً ضرورياً تفصيلاً بأسماء جميع المسميات وأحوالها وخواصها الالفة بكل منها أو يلقى في روعه تفصيلاً أن هذا فرس وشأنه كيت وكيت وذلك بعير وحاله ذيت وذيت إلى غير ذلك من أحوال الموجودات فيتلقاها عليه السلام حسبما يقتضيه استعداده ويستدعيه قابليته المتفرعة على فطرته المنطوية على طبائع متباينة وقوى متخالفة وعناصر متغايرة قال ابن عباس وعكرمة وقتادة ومجاهد وابن جبير رضى الله تعالى عنهم علمه أسماء جميع الأشياء حتى القصعة والقصيعة وحتى الجفنة والحلب وأنحى منفعة كل شيء إلى جنسه وقيل أسماء ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة وقيل معنى قوله تعالى وعلم آدم الأسماء خلقه من أجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعداً لإدراك أنواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والتمخيلات والموهومات وألهمه معرفة ذوات الأشياء وأسمائها وخواصها ومعارفها وأصول العلم وقوانين الصناعات وتفاصيل آلياتها وكيفيات استعمالها فيكون ما مر من المقالة قبل خلقه عليه السلام وقيل التعليم على ظاهره ولكن هناك جملاً مطوية عطف عليها المذكور أى خلقه فسواه ونفخ فيه الروح وعلمه الخ (ثم عرضهم على الملائكة) الضمير للمسميات المدلول عليها بالأسماء كما في قوله تعالى واشتعل الرأس شيباً والتذكير لتغليب العقلاء على غيرهم وقرئ عرضهم وعرضها أى عرض مسمياتهن أو مسمياتها في الحديث أنه تعالى عرضهم أمثال الذر ولعله عز وجل عرض عليهم من أفراد كل نوع ما يصلح أن يكون أنموذجاً يتعرف منه أحوال البقية وأحكامها (فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء) تبكيئنا لهم وإظهاراً لعجزهم عن إقامة ما علقوا به رجاءهم من أمر الخلافة فإن التصرف والتدبير وإقامة المعدلة بغير وقوف على مراتب الاستعدادات ومقادير الحقوق مما لا يكاد يمكن والإنباء إخبار فيه إعلام ولذلك يجرى بجرى كل منهما والمراد ههنا ما خلا عنه وإثاره

قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ البقرة

- على الإخبار للإبذان برفعة شأن الأسماء وعظم خطرهما فإن النبا إنما يطلق على الخبر الخطير والأمر العظيم (إن كنتم صادقين) أى فى زعمكم أنكم أحق بالخلقة من استخلفته كما ينهى عنه مقالكم والتصديق كما كما يتطرق إلى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق إليه باعتبار ما يلزمه من الأخبار فإن أدنى مراتب الاستحقاق هو الوقوف على أسماء ما فى الأرض وأما ما قيل من أن المعنى فى زعمكم أنى استخلف فى الأرض مفسدين سفاكين للدماء فليس مما يقتضيه المقام وإن أول بأن يقال فى زعمكم أنى استخلف من غالب أمره الإفساد وسفك الدماء من غير أن يكون له مزية من جهة أخرى إذ لا تعلق له بأمرهم بالإنباء وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه (قالوا) استئناف واقع موقع الجواب كأنه قيل فماذا ٣٢ قالوا حينئذ هل خرجوا عن عهدة ما كلفوه أولا فقيل قالوا (سبحانك) قيل هو علم للتسبيح ولا يكاد يستعمل إلا مضافا وقد جاء غير مضاف على الشذوذ غير منصرف للتعريف والالف والنون المزيدين كما فى قوله [سبحان من علقة الفاخر] وأما ما فى قوله [سبحانه ثم سبحانا نعوذ به] فقيل صرفه للضرورة وقيل إنه مصدر منكر كغفران لا اسم مصدر ومعناه على الأول نسبك عما لا يليق بشأنك الأقدس من الأمور التى من جملتها خلوا أفعالك من الحكم والمصالح وعنوا بذلك تسبيحا ناشئا عن كمال طمأنينة النفس والإيقان باشتغال استخلاف آدم عليه السلام على الحكم البالغة وعلى الثانى تنزهت عن ذلك تنزهها ناشئا عن ذاتك وأراد به أنهم قالوه عن إذعان لما عملوا إجمالا بأنه عليه السلام يكلف ما كلفوه وأنه يقدر على ما قد عجزوا عنه مما يتوقف عليه الخلافة وقوله عز وعلا (لا علم لنا إلا ما علمتنا) اعتراف منهم بالعجز عما كلفوه إذ معناه لا علم لنا إلا ما علمتناه بحسب قابليتنا من العلوم المناسبة لعالمنا ولا قدرة بنا على ما هو خارج عن دائرة استعدادنا حتى لو كنا مستعدين لذلك لأفضته علينا وما فى ما علمتنا موصولة محذوف من صلتها عائدها أو مصدرية ولقد نفوا عنهم العلم بالأسماء على وجه المبالغة حيث لم يقتصروا على بيان عدمه بأن قالوا مثلا لا علم لنا بها بل جعلوه من جملة ما لا يعلمونه وأشعروا بأن كونه من تلك الجملة غنى عن البيان (إنك أنت العليم) الذى لا يخفى عليه خافية وهذا إشارة إلى تحقيقهم لقوله تعالى إني أعلم ما لا تعلمون (الحكيم) أى المحكم لمصنوعاته الفاعل لها حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة وهو خبر بعد خبر أو صفة للأول وأنت ضمير الفصل لا محل له من الإعراب أوله محل منه مشارك لما قبله كما قاله الفراء أو لما بعده كما قاله الكسائى وقيل تأكيد للكاف كما فى قولك مررت بك أنت وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر إن وتلك الجملة تعليل لما سبق من قصر عليهم بما عليهم الله تعالى وما يفهم من ذلك من علم آدم عليه السلام بما خفى عليهم فكانهم قالوا أنت العالم بكل المعلومات التى من جملتها استعداد آدم عليه السلام لما نحن بمعزل من الاستعداد له من العلوم الخفية المتعلقة بما فى الأرض من أنواع المخلوقات التى عليها يدور فلك خلافة الحكيم الذى لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة ومن جملة تعليم آدم عليه السلام ما هو قابل له من العلوم الكلية والمعارف الجزئية المتعلقة بالأحكام الواردة على ما فى الأرض وبناء أمر الخلافة

قَالَ يَتَّادِمُ أَنْيُسُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ البقرة

- ٣٣ عليها (قال) استئناف كما سلف (يا آدم أنبئهم) أى أعلمهم أوثر على أنبئى كما وقع فى أمر الملائكة مع حصول المراد معه أيضاً وهو ظهور فضل آدم عليهم عليهم السلام بإبائه لما بين الأمرين من التفاوت الجلى وإيذاناً بأن علمه عليه السلام بها أمر واضح غير محتاج إلى ما يجرى مجرى الامتحان وأنه عليه السلام حقيق بأن يعلمها غيره وقرىء بقلب الهمزة ياء وبجذفها أيضاً والهاء مكسورة فيهما (بأسمائهم) التى عجزوا عن علمها واعترفوا بتقاصر فهمهم عن بلوغ مرتبتها (فلما أنبأهم بأسمائهم) الفاء فصيحة عاطفة للجملة الشرطية على محذوف يقتضيه المقام وينسحب عليه الكلام للإيذان بتقريره وغناه عن الذكر والإشعار بتحقيقه فى أسرع ما يكون كما فى قوله عز وجل فلما رآه مستقراً عنده بعد قوله سبحانه أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك وإظهار الاسماء فى موقع الإضمار لإظهار كمال العناية بشأنها والإيذان بأنه عليه السلام أنبأهم بها على وجه التفصيل دون الإجمال والمعنى فأنبأهم بأسمائهم مفصلة وبين لهم أحوال كل منهم وخواصه وأحكامه المتعلقة بالمعاش والمعاد ففعلوا ذلك لما رأوا أنه عليه السلام لم يتلعم فى شيء من التفاصيل التى ذكرها مع مساعدة ما بين الأسماء والمسميات من المناسبات والمشاكلات وغير ذلك من القرائن الموجبة لصدق مقالاته عليه السلام فلما أنبأهم بذلك (قال) عز وجل تقريراً لما مر من الجواب الإجمالى واستحضاراً له (ألم أقول لكم إني أعلم غيب السموات والأرض) لكن لا لتقرير نفسه كما فى قوله تعالى ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً ونظائره بل لتقرير ما يفيد من تحقق دواعى الخلافة فى آدم عليه السلام لظهور مصداقه وإيراد ما لا يعلنون بعنوان الغيب مضافاً إلى السموات والأرض المبالغة فى بيان كمال شمول علمه المحيط وغاية سعته مع الإيذان بأن ما ظهر من عجزهم وعلم آدم عليه السلام من الأمور المتعلقة بأهل السموات وأهل الأرض وهذا دليل واضح على أن المراد بما لا تعلنون فيما سبق ما أشير إليه هناك كأنه قيل ألم أقول لكم إني أعلم فيه من دواعى الخلافة ما لا تعلمونه فيه هو هذا الذى عاينتموه وقوله تعالى (وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) عطف على جملة ألم أقول لكم لا على أعلم إذ هو غير داخل تحت القول وما فى الموضوعين موصولة حذف عائدها أى أعلم ما تبدون وما تكتمونه وتغيير الأسلوب للإيذان باستمرار كتمهم قيل المراد بما يبدو قوهم أتجعل الخ وبما يكتمون استبطانهم أنهم أحقاء بالخلافة وأنه تعالى لا يخلق خلقاً أفضل منهم . روى أنه تعالى لما خلق آدم عليه السلام رأت الملائكة فطرته العجيبة وقالوا ليسكن ما شاء فلن يخلق ربنا خلقاً إلا كنا أكرم عليه منه وقيل هو ما أسره إبليس فى نفسه من الكبر وترك السجود فإسناد الكتمان حينئذ إلى الجميع من قبيل قوهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد من بينهم قالوا فى الآية الكريمة دلالة على شرف الإنسان ومزية العلم وفضله على العبادة وأن ذلك هو المناط للخلافة وأن التعليم يصح إطلاقه على الله تعالى وإن لم يصح إطلاق المعلم عليه لاختصاصه عادة

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ
الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ البقرة

بمن يحترف به وأن اللغات توقيفية إذا الأسماء تدل على الألفاظ بخصوص أو بعموم وتعليمها ظاهر في إلقائها على المتعلم مبيناً له معانيها وذلك يستدعى سابقة وضع وما هو إلا من الله تعالى وأن مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والإلزام التكرار وأن علوم الملائكة وكالاتهم تقبل الزيادة والحكمة منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا على ذلك قوله تعالى وما منا إلا له مقام معلوم وأن آدم أفضل من هؤلاء الملائكة لأنه عليه السلام أعلم منهم وأنه تعالى يعلم الأشياء قبل حدوثها (وإذ قلنا للملائكة) عطف على ٣٤ الظرف الأول منصوب بما نصبه من المضمر أو بناسب مستقل معطوف على ناصبه عطف القصة على القصة أي واذكر وقت قولنا لهم وقيل بفعل دل عليه الكلام أي أطاعوا وقت قولنا الخ وقد عرفت ما في أمثاله وتخصيص هذا القول بالذكر مع كون مقتضى الظاهر إirاده على منهاج ما قبله من الأقوال المحكية المتصلة به للإبذان بأن ما في حيزه نعمة جليلة مستقلة حقيقة بالذكر والتذكير على حيالها والانتفات إلى التكلم لإظهار الجلالة وتربية المهابة مع ما فيه من تأكيد الاستقلال وكذا إظهار الملائكة في موضع الإضمار والكلام في اللام وتقديمها مع مجرورها على المفعول كما مر وقرئ بضم تاء الملائكة اتباعاً لضم الجيم في قوله تعالى (اسجدوا لآدم) كما قرئ بكسر الدال في قوله تعالى الحمد لله اتباعاً لكسر اللام وهي لغة ضعيفة ● والسجود في اللغة الخضوع والنظام وفي الشرع وضع الجبهة على الأرض على قصد العبادة فليل أمر بالسجود له عليه السلام على وجه التحية والتكرمة تعظيماً له واعترافاً بفضله وأداء لحق التعليم واعتذاراً عما وقع منهم في شأنه وقيل أمر بالسجود له تعالى وإنما كان آدم قبله لسجودهم تفخيماً لشأنه أو سبباً لوجوبه فكأنه تعالى لما برأه أنموذجاً للبساعات كلها ونسخة منطوية على تعلق الدائم الروحاني بالعالم الجسماني وامتزاجهما على نمط بديع أمرهم بالسجود له تعالى لما عاينوا من عظيم قدرته فاللام فيه كما في قول حسان رضي الله عنه [أليس أول من صلى لقبلكم * وأعرف الناس بالقرآن والسنن] أو في قوله تعالى أقم الصلاة لدلوك الشمس والاول هو الأظهر وقوله عز وجل (فسجدوا) عطف على قلنا والفاء لإفادة مسارعتهم إلى الامتثال وعدم تلعثهم في ذلك روى عن وهب أن أول من سجد جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم عزرائيل ثم سائر الملائكة عليهم السلام وقوله تعالى (إلا إبليس) استثناء متصل لما أنه كان جنياً مفرداً مغموراً بألوف من الملائكة متصفاً بصفاتهم فغلبوا عليه في فسجدوا ثم استثنى استثناء واحد منهم أولان من الملائكة جنساً يتوالدون يقال لهم الجن كما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو منهم أولان الجن أيضاً كانوا مومنين بالسجود له لكن استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم أو منقطع وهو اسم أعجمي ولذلك لم ينصرف ومن جعله مشتقاً من الإبلاس وهو الباس قال إنه مشبه بالعجمة حيث لم يسم به أحد فكان كالاسم الأعجمي واعلم أن الذي تقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في سورة الأعراف من قوله

تعالى ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس الآية والتي في سورة بني إسرائيل وسورة الكهف وسورة طه من قوله تعالى وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الآية أن سجود الملائكة إنما ترتب على الأمر التنجيزي الوارد بعد خلقه وتسويته ونفخ الروح فيه البتة كما يلوح به حكاية أمثالهم بعبارة السجود دون الوقوع الذي به ورد الأمر التعليقي ولكن ماني سورة الحجر من قوله عز و علا وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون وماني سورة ص من قوله تعالى إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين إلى آخر الآية يستدعيان بظاهرهما ترتبه على ما فيهما من الأمر التعليقي من غير أن يتوسط بينهما شيء غير ما تفصح عنه الفاء الفصيحة من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه عليه السلام وقد روى عن وهب أنه كان السجود كما نفخ فيه الروح بلا تأخير وتأويل الآيات السابقة بحمل ما فيها من الأمر على حكاية الأمر التعليقي بعد تحقق المعلق به إجمالاً فإنه حينئذ يكون في حكم التنجيزي بأباه ماني سورة الأعراف من كلمة ثم المنادية بتأخروا وروا الأمر عن التصوير المتأخر عن الخلق المتأخر عن الأمر التعليقي والاعتذار بحمل التراخي على الرتبة أو التراخي في الإخبار أو بأن الأمر التعليقي قبل تحقق المعلق به لما كان في عدم إيجاب المأمور به بمنزلة العدم جعل كأنه إنما حدث بعد تحققه فحكي على صورة التنجيزي يؤدي بعد اللتيا والتي إلى أن ما جرى بينه وبينهم عليهم السلام في شأن الخلافة وما قالوا فيه وما سمعوا إنما جرى بعد السجود المسبوق بمعرفة جلالة منزلته عليه السلام وخروج إبليس من بين باللعن المؤبد لعناده وبعد مشاهدتهم لذلك كله عياناً وهل هو إلا خرق لقضية العقل والنقل والالتجاء في التفصي عنه إلى تأويل نفخ الروح بحمله على ما يعم إفاضة ما به حياة النفوس التي من جعلها تعليم الأسماء تعسف ينبي عن ضيق المجال فالذي يقتضيه التحقيق ويستدعيه النظر الاتيق بعد التصفح في مستودعات الكتاب المكنون والتفحص عما فيه من السر المخزون أن سجودهم له عليه السلام إنما ترتب على الأمر التنجيزي المتفرع على ظهور فضله عليه السلام المبني على المحاورة المسبوقة بالإخبار بخلافته المنتظم جميع ذلك في سلك ما ينط به الأمر التعليقي من التسوية ونفخ الروح إذ ليس من قضيته وجوب السجود عقيب نفخ الروح فيه فإن الفاء الجزائية ليست بنص في وجوب وقوع مضمون الجزاء عقيب وجود الشرط من غير تراخ للقطع بعدم وجوب السعي عقيب النداء لقوله تعالى إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الآية وبعدم وجوب إقامة الصلاة غيب الاطمئنان لقوله تعالى فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة بل إنما الوجوب عند دخول الوقت كيف لا والحكمة الداعية إلى ورود مانحن فيه من الأمر التعليقي أثر ذي أثر إنما هي حمل الملائكة عليهم السلام على التأمل في شأنه عليه السلام ليتدبروا في أحواله طراً ويحيطوا بما لديه خبراً ويستفهموا ماعسى يستبهم عليهم في أمره عليه السلام لا بثنائه على حكم آية وأسرار خفية طويت عن علومهم ويقفوا على جليلة الحال قبل ورود الأمر التنجيزي وتحتم الامتثال وقد قالوا بحسب ذلك ما قالوا وعانوا ما عانوا وعدم نظم الأمر التنجيزي في سلك الأمور المذكورة في السورتين عندا الحكاية لا يستلزم عدم انتظامه فيه عند وقوع المحسكي كما أن عدم ذكر الأمر التعليقي عند حكاية الأمر التنجيزي

في السورة الكريمة المذكورة لا يوجب عدم مسبوقيته به فإن حكاية كلام واحد على أساليب مختلفة حسبما يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام ليست بعزيزة في الكتاب العزيز وناهيك بما نقل في توجيه قوله تعالى بشرأ مع عدم سبق معرفة الملائكة عليهم السلام بذلك وحيث صير إليه مع أنه لم يرد به نقل فما ظنك بما قد وقع التصريح به في مواضع عديدة فلعلة قد ألقى إليهم ابتداء جميع ما يتوقف عليه الأمر التنجيزي إجمالاً بأن قيل مثلاً إني خالق بشرأ من كذا وكذا وجاعل إياه خليفة في الأرض فإذا سويته ونفخت فيه من روحي وتبين لكم شأنه فقعو له ساجدين فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح فقالوا عند ذلك ما قالوا أو ألقى إليهم خبر الخلافة بعد تحقق الشرائط المعدودة بأن قيل أثر نفخ الروح فيه إني جاعل هذا خليفة في الأرض فهناك ذكره في حقه عليه السلام مذكروا فأيده الله عز وجل بتعليم الأسماء فشاهدوا منه ما شاهدوا فعند ذلك ورد الأمر التنجيزي اعتناء بشأن المأمور به وتعييننا لوقته وقد حكى بعض الأمور في بعض المواطنين وبعضها في بعضها اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في موطن آخر والذي يحسم مادة الاشتباه أن ما في سورة ص من قوله تعالى إذ قال ربك للملائكة الخ بدل من قوله تعالى إذ يختصمون فيما قبله من قوله تعالى ما كان لي من علم بالملائكة إلا على إذ يختصمون أي بكلامهم عند اختصامهم والمراد بالملائكة الأئمة عليهم السلام وإبليس حسبما أطبق عليه جمهور الأمة وباختصامهم ما جرى بينهم في شأن خلافة آدم عليه السلام من التقاؤل الذي من جملة ما صدر عنه عليه السلام من الإنباء بالأسماء ومن قضية البدلية وقوع الاختصام المذكور في تضاعيف ما ذكر فيه تفصيلاً من الأمر التعليق وما علق به من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملائكة عليهم السلام وعناد إبليس وما تبعه من لعنه وإخراجه من بين الملائكة وما جرى بعده من الأفعال والأقوال وإذ ليس تمام الاختصام بعد سجود الملائكة ومكابرة إبليس المستتعبة لطرده من بينهم لما عرفت من أنه أحد المختصمين كما أنه ليس قبل الخلق ضرورة استحالة الإنشاء بالأسماء حينئذ فهو إذن بعد نفخ الروح وقبل السجود حتماً بأحد الطرفين والله سبحانه أعلم بحقيقة الأمر (أبي واستكبر) استئناف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء وأنه لم يكن للتردد أو للتأمل والإباء الامتناع بالاختيار والتكبر أن يرى نفسه أكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشيع أي امتنع عما أمر به واستكبر من أن يعظمه أو يتخذة وصلة في عبادة ربه وتقدير الإباء على الاستكبار مع كونه مسبباً عنه لظهوره ووضوح أثره واقتصر في سورة ص على ذكر الاستكبار اكتفاء به وفي سورة الحجر على ذكر الإباء حيث قيل أبي أن يكون مع الساجدين (وكان من الكافرين) أي في علم الله تعالى إذ كان أصله من كفره الجن فلذلك ارتكب ما ارتكبه على ما أفصح عنه قوله تعالى كان من الجن ففسق عن أمر ربه فالجملية اعتراضية مقررة لما سبق من الإباء والاستكبار أو صار منهم باستقباح أمره تعالى إياه بالسجود لآدم عليه السلام زعماء منه أنه أفضل منه والأفضل لا يحسن أن يؤمر بالخضوع للبفضول كما يفصح عنه قوله أنا خير منه حين قيل له ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العالين لا يترك الواجب وحده فالجملية معطوفة على ما قبلها وإيثار الواو على الفاء للدلالة على أن محض الإباء والاستكبار كفر لا أنهما سببان له كما تفيد الفاء .

وَقُلْنَا يَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ
الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ ٢ البقرة

٢٥ (وقلنا) شروع في حكاية ما جرى بينه تعالى وبين آدم عليه السلام بعد تمام ما جرى بينه تعالى وبين
الملائكة وإبليس من الأقوال والأفعال وقد تركت حكاية توبيخ إبليس وجوابه ولعنه واستنظامه
وإنظاره اجتزاء بما فصل في سائر السور الكريمة وهو عطف على قلنا للملائكة ولا يقدر في ذلك اختلاف
وقتهما فإن المراد بالزمان المدلول عليه بكلمة إذ زمان ممتد واسع للقولين وقيل هو عطف على إذ قلنا
يا خمار إذ وهذا تذكير لنعمة أخرى موجهة للشكر مانعة من الكفر وتصدير الكلام بالنداء في قوله تعالى
(يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) للتنبيه على الاهتمام بتلقي المأمور به وتخصيص أصل الخطاب به عليه
السلام للإيذان بأصاليته في مباشرة المأمور به واسكن من السكنى وهو اللبث والإقامة والاستقرار دون
السكون الذي هو ضد الحركة وأنت ضمير أكده المستكن ليصح العطف عليه واختلف في وقت خلق زوجة
فذكر السدي عن ابن مسعود وابن عباس وناس من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين أن الله
تعالى لما أخرج إبليس من الجنة وأسكنها آدم بقي فيها وحده وما كان معه من يستأنس به فألقى الله تعالى
عليه النوم ثم أخذ ضلعاً من جانبه الأيسر ووضع مكانه لحماً وخلق حواء منه فلما استيقظ وجدها عند
رأسه قاعدة فسالها ما أنت قالت امرأة قال ولم خلقت قالت لتسكن إلى فقالت الملائكة تجربة لعله من
هذه قال امرأة قالوا لم سميت امرأة قال لأنها من المرء أخذت فقالوا ما اسمها قال حواء قالوا لم سميت حواء
قال لأنها خلقت من شيء حتى وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بعث الله تعالى جنداً من الملائكة
فحملوا آدم وحواء على سرير من ذهب كما يحمل الملوك ولباسهما النور حتى أدخلوهما الجنة وهذا كما ترى
يدل على خلقها قبل دخول الجنة والمراد بها دار الثواب لأنها المعهودة وقيل هي جنة بآرض فلسطين أو
بين فارس وكرمان خلقها الله تعالى امتحاناً لآدم عليه السلام وحمل الإهباط على النقل منها إلى أرض
الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرأ لما أن خلقه عليه السلام كان في الأرض بلا خلاف ولم يذكر في
هذه القصة رفعه إلى السماء ولو وقع ذلك لكان أولى بالذكر والتذكير لما أنه من أعظم النعم ولأنها لو
كانت دار الخلد لما دخلها إبليس وقيل لأنها كانت في السماء السابعة بدليل اهبطوا ثم إن الإهباط الأول
كان منها إلى السماء الدنيا والثاني منها إلى الأرض وقيل الكل ممكن والأدلة النقلية متعارضة فوجب
التوقف وترك القطع (وكلا منها) أي من ثمارها وإنما وجه الخطاب إليهما تعميماً للتشريف والترفيه
ومبالغة في إزالة العليل والاعذار وإيذاناً بتساويهما في مباشرة المأمور به فإن حواء أسوة له عليه السلام
في الأكل بخلاف السكنى فإنها تابعة له فيه (رغداً) صفة للمصدر المؤكد أي أكل واسعاً رافهاً (حيث
شئتما) أي أي مكان أردتما منها وهذا كما ترى لإطلاق كلي حيث أبيح لهما الأكل منها على وجه التوسعة
البالغة المزيحة للعلل ولم يحظر عليهما بعض الأكل ولا بعض المواضع الجامعة للباكولات حتى لا يبق

فَازْلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ البقرة

- لهما عذر في تناول ما منعنا منه بقوله تعالى (ولا تقربا) بفتح الراء من قربت الشيء بالكسر أقرب به بالفتح إذا التبست به وتعرضت له وقال الجوهري قرب بالضم يقرب قرباً إذا دنا وقربته بالكسر قرباً نادون منه (هذه الشجرة) نصب على أنه بدل من اسم الإشارة أو نعت له بتأويلها بمشتق أى هذه الحاضرة من الشجرة أى لا تأكل منها وإنما علق النهى بالقربان منها مبالغة في تحريم الأكل وجوب الاجتناب عنه والمراد بها الحنطة أو العنب أو التينة وقيل هى شجرة من أكل منها أحدث والاولى عدم تعيينها من غير قاطع وقرئ هذى بالياء وبكسر شين الشجرة وتاء تقرباً وقرئ الشيرة بكسر الشين وفتح الياء (فتكونا من الظالمين) مجزوم على أنه معطوف على تقرباً أو منصوب على أنه جواب للنهى وأياما كان بالقرب أى الأكل منها بسبب لكونهما من الظالمين أى الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعصية أو نقصوا حظوظهم بمباشرة ما يحل بالكرامة والنعيم أو تعدوا حدود الله تعالى (فأزلهما الشيطان عنها) أى أصدر زلتهما أى زلتهما وحملهما ٣٦ على الزلة بسببها ونظيرة عن هذه ما فى قوله تعالى وما فعلته عن أمرى أو أزلهما عن الجنة بمعنى أذهبهما وأبعدهما عنها يقال زل عني كذا إذا ذهب عنك ويعضده قراءة أزلهما وهما متقاربان فى المعنى فإن الإزال أى الإزلاق يقتضى زوال الزال عن موضعه البتة وإزاله قوله لهما هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله مانها كاربكما عن الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ومقاسمته لهما إني لكما لمن الناصحين وهذه الآيات مشعرة بأنه عليه السلام لم يؤمر بسكنى الجنة على وجه الخلود بل على وجه التكرمة والتشريف لما قلده من خلافة الأرض إلى حين البعث إليها . واختلف فى كيفية توصله إليهما بعدما قيل له اخرج منها فإنك رجيم فقيل إنه إنما منع من الدخول على وجه التكرمة كما يدخلها الملائكة عليهم السلام ولم يمنع من الدخول للوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم يعرفه الخزنة وقيل دخل فى فم الحية فدخل معها وقيل أرسل بعض أتباعه فأزلهما والعلم عند الله سبحانه (فأخرجهما مما كانا فيه) أى من الجنة إن كان ضمير عنها للشجرة والتعبير عنها بذلك للإيذان بفخامتها وجلالتها وملاستهما له أى من المكان العظيم الذى كانا مستقرين فيه أو من الكرامة والنعيم إن كان الضمير للجنة (وقلنا اهبطوا) الخطاب لآدم وحواء عليهما السلام بدليل قوله تعالى قال اهبطا منها جميعاً وجمع الضمير لأنهما أصل الجنس فكأنهما الجنس كلهم وقيل لهما وللحية وإبليس على أنه أخرج منها ثانية بعد ما كان يدخلها للوسوسة أو يدخلها مسارقة أو اهبط من السماء وقرئ بضم الباء (بعضكم لبعض عدو) حال استغنى فيها عن الواو بالضمير أى متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله أو استئناف لا محل له من الإعراب وإفراد العدو إما للنظر إلى لفظ البعض وإما لأن وزانه وزان المصدر كالقبول (ولكم فى الأرض) التى هى محل الإهباط والظرف متعلق بما تعلق به الخبر أعنى لكم من

فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ البقرة
 قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَّبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
 يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ البقرة

- الاستقرار . (مستقر) أى استقرار أو موضع استقرار . (ومتاع) أى تمتع بالعيش وانتفاع به . (إلى حين) هو حين الموت على أن المغيا تمتع كل فرد من المخاطبين أو القيامة على أنه تمتع الجنس في ضمن بعض الأفراد والجملة كما قبلها في كونها حالا أى مستحقين للاستقرار والتمتع أو استئنافا . (فتلقى آدم من ربه كلمات) أى استقبلها بالأخذ والقبول والعمل بها حين علمها ووفق لها وقرىء بنصب آدم ورفع كلمات دلالة على أنها استقبلته بلغته وهى قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقيل سبحانه اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا إله إلا أنت ظلمت نفسى فاغفر لى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال يارب ألم تخلقنى بيدك قال بلى قال يارب ألم تنفخ فى من روحك قال بلى قال يارب ألم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال ألم تسكنى جنتك قال بلى قال يارب إن تبت وأصلحت أراجعى أنت إلى الجنة قال نعم والفاء للدلالة على أن التوبة حصلت عقيب الأمر بالهبوط قبل تحقق المأمور به والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إليه عليه السلام للتشريف والإيدان بعليته لإلقاء الكلمات المدلول عليه بتلقيها . (فتاب عليه) أى رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة والفاء للدلالة على توبته على تاقى الكلمات المتضمن لمعنى التوبة التى هى عبارة عن الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على عدم العود إليه واكتفى بذكر شأن آدم عليه السلام لما أن حواء تبع له فى الحكم ولذلك طوى ذكر النساء فى أكثر مواقع الكتاب والسنة . (إنه هو التواب) أى الرجاء على عباده بالمغفرة أو الذى يكثّر إعانتهم على التوبة وأصل التوب الرجوع فإذا وصف به العبد كان رجوعا عن المعصية وإذا وصف به البارى عز و علا أريد به الرجوع عن العقاب إلى المغفرة . (الرحيم) المبالغ فى الرحمة وفى الجمع بين الوصفين وعد بليغ للتائب بالإحسان مع العفو والغفران والجملة تعليل لقوله تعالى فتاب عليه . (قلنا) استئناف مبنى على سؤال
- ينسحب عليه الكلام كأنه قيل فإذا وقع بعد قبول توبته فليل قلنا . (اهبطوا منها جميعاً) كرر الأمر بالهبوط إيذانا بتحتم مقتضاه وتحقيقه لا محالة ودفعاً لما عسى يقع فى أميته عليه السلام من استتباع قبول التوبة للعفو عن ذلك وإظهاراً لنوع رأفة به عليه السلام لما بين الأمرين من الفرق النير كيف لا والأول مشوب بضرب سخط مزيل ببيان أن مهبطهم دار بلية وتعاد لا يخلدون فيها والثانى مقرون بوعد إيتاء الهدى المؤدى إلى النجاة والنجاح وأما ما فيه من وعيد العقاب فليس بمقصود من التكليف قصداً أولياً بل إنما هو دائر على سوء اختيار المكلفين قيل وفيه تنبيه على أن الحازم يكفيه فى الردع عن مخالفة حكم الله تعالى مخافة الإهباط المقترن بأحد هذين الأمرين فكيف بالمقترن بهما فتأمل وقيل الأول من الجنة إلى السماء الدنيا والثانى منها إلى الأرض ويأباه التعرض لاستقرارهم فى الأرض فى الأول ورجوع الضمير

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ البقرة

- إلى الجنة في الثاني وجميعاً حال في اللفظ وتأکید في المعنى كأنه قيل اهبطوا أنتم أجمعون ولذلك لا يستدعى الاجتماع على الهبوط في زمان واحد كما في قولك جاءوا جميعاً بخلاف قولك جاءوا معاً (فإما بآيتنكم منى هدى) الفاء لترتيب ما بعدها على الهبوط المفهوم من الأمر به وإما مركبة من أن الشرطية وما المزیدة المؤكدة لمعناها والفعل في محل الجزم بالشرط لأنه مبنى لا اتصاله بنون التأكيذ وقيل معرب مطلقاً وقيل مبنى مطلقاً والصحيح التفصيل إن باشرته النون بنى وإلا أعرب نحو هل يقومان وتقديم الظرف على الفاعل لما مر غير مرة والمعنى إن بآيتنكم منى هدى برسول أبعثه إليكم وكتاب أنزله عليكم وجواب الشرط قوله تعالى (فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) كما في قولك إن جئتني فإن قدرت أحسنت إليك وإيراد كلمة الشك مع تحقق الإتيان لا محالة للإيذان بأن الإيمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وإنزال الكتب بل يكفى في وجوبه إفاضة العقل ونصب الأدلة الآفاقية والآنفسية والتكسين من النظر والاستدلال أو للجرى على سنن العظماء في إيراد عسى ولعل في مواقع القطع والجزم والمعنى أن من تبع هداى منكم فلا خوف عليهم في الدارين من حقوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب أى لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا أنه يعتريهم ذلك لسكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولأنه لا يعتريهم نفس الخوف والحزن أصلاً بل يستمرون على السرور والنشاط كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظماً لجلال الله سبحانه وهيبته واستقصاراً للجد والسعى في إقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفاءهما لا بيان انتفاء دواهما كما يتوهم من كون الخبر في الجملة الثانية مضارعاً لما تقرر في موضعه أن النفي وإن دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام وإظهار الهدى مضافاً إلى ضمير الجلالة لتعظيمه وتأکید وجوب اتباعه أو لأن المراد بالثاني ما هو أعم من الهدايات التشريعية وما ذكر من إفاضة العقل ونصب الأدلة الآفاقية والآنفسية كما قيل وقرئ هدى على لغة هذيل ولا خوف بالفتح. (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) عطف على من تبع الخ قسم له كأنه قيل ومن لم يتبعه وإنما أثر عليه ما ذكر تفضيلاً لحال الضلالة وإظهاراً لكمال قبحها وإيراد الموصول بصيغة الجمع للإشعار بكثرة الكفرة والجمع بين الكفر والتكذيب للإيذان بتنوع الهدى إلى ما ذكر من النوعين وإيراد نون العظمة لترية المهابة وإدخال الروعة وإضافة الآيات إليها لإظهار كمال قبح التكذيب بها أى والذين كفروا برسولنا المرسل إليهم وكذبوا بآياتنا المنزلة عليهم وقيل المعنى كفروا بالله وكذبوا بآياته التى أنزلها على الأنبياء عليهم السلام وأظهرها بأيديهم من المعجزات وقيل كفروا بالآيات جنائنا وكذبوا بها لسانا فيكون كلا الفعلين متوجهاً إلى الجار والمجرور والآية في الأصل العلامة الظاهرة قال النابغة [توهمت آيات لها فعرفتها * لست أعوام وذا العام سابع] ويقال للمصنوعات من حيث دلالتها على الصانع تعالى وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل لأنها علامة لا انفصال ما قبلها مما بعدها وقيل لأنها تجمع كلمات منه فيكون من قولهم خرج بنو فلان بآيتهم أى

يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّيَ
فَارْتَبِعُوا ﴿٤٠﴾ البقرة

- بجماعتهم قال [خرجنا من البيتين لآحي مثلنا * بآيتنا نزجى النعاج المطافلا] واشتقاقها من أى لأنها
تبين أيا من أى أو من أوى إليه أى رجع وأصلها أوية أو أية فأبدلت عنها ألفاً على غير قياس أو أوية
● أو أوية كرمكة فأعلت أو آتية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفاً (أو لئلا) (إشارة إلى الموصوف باعتبار
اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب وفيه إشعار بتمييزهم بذلك الوصف تميزاً مصححاً للإشارة
● الحسية وما فيه من معنى البعد للإيدان ببعد منزلتهم فيه وهو مبتدأ وقوله عز وجل (أصحاب النار) أى
ملازموها وملابسوها بحيث لا يفارقونها خبره والجملة خبر للموصول أو اسم الإشارة بدل من الموصول
● أو عطف بيان له وأصحاب النار خبر له وقوله تعالى (هم فيها خالدون) في حيز النصب على الحالية لورود
التصريح به في قوله تعالى أصحاب النار خالدون فيها وقد جوز كونه حالا من النار لاشتراكه على ضميرها
والعامل معنى الإضافة أو اللام المقدرة أو في محل الرفع على أنه خبر آخر لا أولئك على رأى من جوز
وقوع الجملة خبراً ثانياً وفيها متعلق بخالدون والخلود في الأصل المكث الطويل وقد انعقد الإجماع
● على أن المراد به الدوام (بابني إسرائيل) تلوين للخطاب وتوجيه له إلى طائفة خاصة من الكفرة
المعاصرين للنبي ﷺ لتذكيرهم بفنون النعم الفائضة عليهم بعد توجيهه إلى رسول الله ﷺ وأمره بتذكير
كلهم بالنعمة العامة لبني آدم قاطبة بقوله تعالى وإذ قال ربك الخ وإذ قلنا للملائكة الخ لأن المعنى كما أشير
إليه بلغهم كلامي واذكر لهم إذ جعلنا أباهم خليفة في الأرض ومسجوداً للملائكة عليهم السلام وشرفناه
بتعليم الأسماء وقبلنا توبته والإين من البناء لأنه مبنى أي به ولذلك ينسب المصنوع إلى صانعه فيقال
أبو الحرب وبنت فكر وإسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله
وقرى إسرائيل بحذف الياء وإسرائيل بحذفها وإسرائيل بقلب الهمزة ياء وإسرائيل بهمزة مفتوحة وإسرائيل
بهمزة مكسورة بين الراء واللام وتخصيص هذه الطائفة بالذكر والتذكير لما أنهم أوفر الناس نعمة
● وأكثرهم كفراً بها (اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) بالتفكر فيها والقيام بشكرها وفيه إشعار بأنهم
قد نسوا بالكلية ولم يخطر بها بالبال لأنهم أهملوا شكرها فقط وإضافة النعمة إلى ضمير الجلالة لتشريفها
وإيجاب تخصيص شكرها به تعالى وتقييد النعمة بهم لما أن الإنسان مجبول على حب النعمة فإذا نظر إلى
مافاض عليه من النعم حمله ذلك على الرضى والشكر قيل أريد بها ما أنعم به على آبائهم من النعم التي
سيجيء تفصيلها وعليهم من فنون النعم التي أجملها إدراك عصر النبي عليه السلام وقرىء اذكروا من
الافتعال ونعمتى بإسكان الياء وإسقاطها في الدرج وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسورة ما قبلها
● (وأوفوا بعهدى) بالإيمان والطاعة (أوف بعهدكم) بحسن الإثابة والعهد يضاف إلى كل واحد من يتولى
طرفه ولعل الأول مضاف إلى الفاعل والثاني إلى المفعول فإنه تعالى عهد إليهم بالإيمان والعمل الصالح

وَأَمِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۚ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَاقِبَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي
فَأَنذَرُكُمْ ۝٤١ ٢ البقرة

بنصب الدلائل وإرسال الرسل وإنزال الكتب ووعد لهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فأول مراتبه منا هو الإتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى حقن الدماء والأموال وآخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث نغفل عن أنفسنا فضلاً عن غيرنا ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدائم وأما ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أوفوا بعهدى في اتباع محمد ﷺ أوف بعهدكم في رفع الأصار والأغلال وعن غيره أوفوا بأداء الفرائض وترك الكبائر أوف بالمغفرة والثواب أو أوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم أوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر إلى الوسائط وقيل كلاهما مضاف إلى المفعول والمعنى أوفوا بما عاهدتموني من الإيمان والتزام الطاعة أوف بما عاهدتكم من حسن الإجابة وتفصيل العهدين قوله تعالى ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل إلى قوله ولأدخلنكم جنات الخ وقرىء أوف بالتشديد للبالغة والتأكيد (وإياي فارهبون) فيما تأتون وما تذكرون خصوصاً في نقض العهد وهو آكد في إفادة ● التخصيص من إياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كأنه قيل إن كنتم راهبين شيئاً فارهبوني والرهبة خوف معه تحرز الآية متضمنة للوعد والوعيد ودالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وأن المؤمن ينبغي أن لا يخاف إلا الله تعالى. (وآمنوا ٤١) بما أنزلت) أفرد الإيمان بالقرآن بالامر به لما أنه العمدة القصوى في شأن الوفاء بالعهود (مصدقاً لما معكم) من التوراة والتعبير عنها بذلك للإيذان بعلمهم بتصديقه لها فإن المعية مثنة لتكرار المراجعة إليها والوقوف على ما في تضاعيفها المؤدى إلى العلم بكونه مصدقاً لها ومعنى تصديقه للتوراة أنه نازل حسبها نعت فيها أو من حيث أنه موافق لها في القصص والمواعيد والدعوة إلى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وأما ما يترامى من مخالفته لها في بعض جزئيات الأحكام المتفاوتة بسبب تفاوت الأعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي موافقة لها من حيث أن كلا منها حق بالإضافة إلى عصره وزمانه متضمن للحكم التي عليها يدور فلك التشريع وليس في التوراة دلالة على أبدية أحكامها المنسوخة حتى يخالفها ما ينسخها وإنما تدل على مشروعيتها مطلقاً من غير تعرض لبقائها وزوالها بل نقول هي ناطقة بنسخ تلك الأحكام فإن نطقها بصحة القرآن الناسخ لها نطق بنسخها فإذا من مناط المخالفة في الأحكام المنسوخة إنما هو اختلاف العصر حتى لو تأخر نزول المتقدم لنزل على وفق المتأخر ولو تقدم نزول المتأخر لوافق المتقدم قطعاً ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي وتقييد المنزل بكونه مصدقاً لما معهم لتأكيد وجوب الامتثال بالامر فإن إيمانهم بما معهم بما يقتضيه الإيمان بما يصدق قطعاً (ولا تكونوا أول كافرين) أي لا تسارعوا إلى الكفر به فإن وظيقتكم أن تكونوا أول من آمن به لما أنكم تعرفون شانه وحقيقته بطريق التلقي بما معكم من الكتب الإلهية كما تعرفون أبناءكم وقد كنتم تستفتحون به وتبشرون

وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ البقرة

بزمانه كما سيجيء فلا تضيعوا موضع ما يتوقع منكم ويجب عليكم ما لا يتوهم صدوره عنكم من كونكم أول كافر به ووقوع أول كافر به خبراً من ضمير الجمع بتأويل أول فريق أو فوج أو بتأويل لا يكن كل واحد منكم أول كافر به كقولك كسانا حلة ونهيمهم عن التقدم في الكفر به مع أن مشركي العرب أقدم منهم لما أن المراد به التعريض لا الدلالة على مناطق به الظاهر كقولك أما أنا فقلت بجاهل لأن المراد منهم عن كونهم أول كافر من أهل الكتاب أو ممن كفر بما عنده فإن من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه أو مثل من كفر من مشركي مكة وأول أفعال لا فعل له وقيل أصله أو آل من وآل إليه إذا نجا وخلص فأبدات الهمة واوا تخفيفاً غير قياسي أو أوّل من آل فقلت همزته واوا وأدغمت (ولا تشتروا بآياتي) أي لا تأخذوا لأنفسكم بدلاً منها (ثمناً قليلاً) من الحظوظ الدنيوية فإنها وإن جلت قليلة مستزلة بالنسبة إلى ما فات عنهم من حظوظ الآخرة بترك الإيمان قيل كانت لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله ﷺ فاختاروها على الإيمان وإنما عبر عن المشترى الذي هو العمدية في عقود المعاوضة والمقصود فيها بالثمن الذي شأنه أن يكون وسيلة فيها وقرنت الآيات التي حقها أن يتنافس فيها المتنافسون بالبلاء التي تصحب الوسائل لإيداناً بتعكيسهم حيث جعلوا ما هو المقصد الأصلي وسيلة والوسيلة مقصداً (ولإيائى فائقون) بالإيمان واتباع الحق والإعراض عن حطام الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادئ لما في الآية الثانية فصلت بالرهبة التي هي من مقدمات التقوى أولاً لأن الخطاب بها لما عم العالم والمقلد أمر فيها بالرهبة المتناولة للفريقين وأما الخطاب بالثانية فحيث خص بالعلماء أمر فيها بالتقوى الذي هو المنتهى (ولا تلبسوا الحق بالباطل) عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه الاشتباه بين المختلطين والمعنى لا تخلطوا الحق بالمنزل بالباطل الذي تختبرونه وتكتبونه حتى يشبهه أحدهما بالآخر أو لا تجعلوا الحق ملتبساً بسبب الباطل الذي تكتبونه في تضاعيفه أو تذكرونه في تأويله (وتكتموا الحق) مجزوم داخل تحت حكم النهي كأنهم أمروا بالإيمان وترك الضلال ونهوا عن الإضلال بالتلبس على من سمع الحق والإخفاء عمن لم يسمعه أو منصوب بإضمار أن على أن الواو للجمع أي لا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وبين كتمانهم ويعضده أنه في مصحف ابن مسعود وتكتمون أي وأنتم تكتمون أي كاتمين وفيه إشعار بأن استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وتكرير الحق إما لأن المراد بالآخر ليس عين الأول بل هو نعت النبي ﷺ الذي كتموه وكتبوا مكانه غيره كما سيجيء في قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم وإما لزيادة تقييد النهي عنه إذ في التصريح باسم الحق ما ليس في ضميره (وأنتم تعلمون) أي حال كونكم عالمين بأنكم لا بسون كاتمون أو وأنتم تعلمون أنه حق أو وأنتم من أهل العلم وليس إيراد الحال لتقييد النهي به كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى بل لزيادة تقييد حالهم إذا الجاهل عسى يعذر .

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ٢ البقرة
 أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ٢ البقرة

- (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أى صلاة المسلمين وزكاتهم فإن غيرهما بمعزل من كونه صلاة وزكاة ٤٣
- أمرهم الله تعالى بفروع الإسلام بعد الأمر بأصوله (واركعوا مع الراكعين) أى فى جماعتهم فإن صلاة الجماعة تفضل على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس فى المناجاة وعبر عن الصلاة بالركوع احترازاً عن صلاة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الأضبط بن قريع السعدى [لا تحقرن الضعيف عليك أن * تركع يوماً والذهب قدر فعه] (أتأمرون الناس بالبر) ٤٤
- تجريد للخطاب وتوجيه له إلى بعضهم بعد توجيهه إلى الكل والهمزة فيها تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع فى الخير من البر الذى هو الفضاء الواسع يتناول جميع أصناف الخيرات ولذلك قيل البر ثلاثة بر فى عبادة الله تعالى وبر فى مراعاة الأقارب وبر فى معاملة الأجانب (وتنسون أنفسكم) أى تتركونها من البر كالمُنسيات عن ابن عباس رضى الله عنهما أنها نزلت فى أحبار المدينة كانوا يأمرون سراً من نصحوه باتباع النبى ﷺ ولا يتبعونه طمعاً فى الهدايا والصلوات التى كانت تصل إليهم من أتباعهم وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون وقال السدى إنهم كانوا يأمرون الناس بطاعة الله تعالى وينهونهم عن معصيته وهم يتركون الطاعة ويقدمون على المعصية وقال ابن جريج كانوا يأمرون الناس بالصلاة والزكاة وهم يتركونها ومدار الإنكار والتوبيخ هى الجملة المعطوفة دون ما عطفت هى عليه (وأنتم تتلون الكتاب) تبكىتم لهم وتقريع كقوله تعالى وأنتم تعملون أى والحال أنكم تتلون التوراة الناطقة بنعوته ﷺ الآمرة بالإيمان به أو بالوعد بفعل الخير والوعيد على الفساد والعناد وترك البر ومخالفة القول العمل (أفلا تعقلون) أى أتدلونه فلا تعقلون ما فيه أوقع ما تصنعون حتى تردعوا عنه فلا إنكار متوجه إلى عدم العقل بعد تحقق ما يوجبه فالمبالغة من حيث السكيف أو ألا تتأملون فلا تعقلون فلا إنكار متوجه إلى كلا الأمرين والمبالغة حينئذ من حيث الحكم والعقل فى الأصل المنع والإمساك ومنه العقال الذى يشد به وظيف البعير إلى ذراعه لحبسه عن الحراك سمي به النور الروحانى الذى به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية لأنه يحبسه عن تعاطى ما يقبح ويعقله على ما يحسن والآية كما ترى ناعية على كل من يعط غيره ولا يتعظ بسوء صنيعه وعدم تأثيره وإن فعله فعل الجاهل بالشرع أو الأحمق الخالى عن العقل والمراد بها كما أشير إليه حثه على تزكية النفس والإقبال عليها بالتكميل لتقوم بالحقوق فتقيم غيرها لا يمنع الفاسق عن الوعظ يروى أنه كان عالم من العلماء مؤثر الكلام قوى التصرف فى القلوب وكان كثيراً ما يموت من أهل مجلسه واحداً أو اثنين من شدة تأثير وعظه وكان فى بلده عجوز لها ابن صالح رقيق القلب سريع الانفعال وكانت تحترز عليه وتمنعه من حضور مجلس الواعظ فحضره يوماً على حين غفلة منها فوقع من أمر الله تعالى ما وقع ثم إن العجوز لقيت الواعظ يوماً فى الطريق فقالت [أتهدى الأنام

وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٢ البقرة

الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ٢ البقرة

يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ ٢ البقرة

- ولا تهتدى * ألا إن ذلك لا ينفع [فياحجر الشخذ حتى متى * تسن الحديد ولا تقطع] فلما سمعوا
 ٤٥ الواعظ شق شهقة نحر من فرسه مغشياً عليه لحملوه إلى بيته فتوفي إلى رحمة الله سبحانه (واستعينوا
 بالصبر والصلاة) متصل بما قبله كأنهم لما كلفوا ما فيه مشقة من ترك الرياسة والإعراض عن المال عولجوا
 بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلوا على الله تعالى أو بالصوم الذي هو الصبر
 عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلاة والالتجاء إليها فإنها جامعة لأنواع
 العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وحرف المال فيهما والتوجه إلى السكينة والعكوف
 على العبادة وإظهار الخشوع بالجوارح وإخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة
 القرآن والتكلم بالشهادة وكف النفس عن الأطينين حتى تجابوا إلى تحصيل المآرب وجبر المصائب روى
 أنه عليه السلام كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة ويجوز أن يراد بها الدعاء (وإنها) أى الاستعانة بهما أو
 الصلاة وتخصيصها برد الضمير إليها لعظم شأنها واشتغالها على ضروب من الصبر كما في قوله تعالى وإدارأوا
 ● تجارة أو لهواً انفضوا إليها أو جملة ما أمروا بها ونهوا عنها (لكبيرة) لثقل شاقة كقوله تعالى كبر على
 ● المشركين ما تدعوهم إليه (إلا على الخاشعين) الخشوع الإخبات ومنه الخشعة للرملة المنتظمة والخشوع اللين
 والافتقار ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخشوع بالقلب وإنما لم تثقل عليهم لأنهم يتوقعون ما أعد
 لهم بمقابلتها قهون عليهم ولأنهم يستغرقون في مناجاة ربهم فلا يدركون ما يجري عليهم من المشاق
 ٤٦ والمتاعب ولذلك قال عليه السلام وقرّة عينى فى الصلاة والجملة حالية أو اعتراض تذييل (الذين يظنون
 ● أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون) أى يتوقعون لقاءه تعالى ونيل ما عنده من الثوابات والتعرض
 لعنوان الربوبية مع الإضافة إليهم الإيدان بفيضان إحسانه إليهم أو يتيقنون أنهم يحشرون إليه للجزاء
 فيعملون على حسب ذلك رغبة ورهبة وأما الذين لا يوقنون بالجزاء ولا يرجون الثواب ولا يخافون
 العقاب كانت عليهم مشقة خالصة فتثقل عليهم كالنافقين والمرائين فالتعرض للعنوان المذكور للإشمار
 بعلية الربوبية والمالكية للحكم ويؤيده أن فى مصحف ابن مسعود رضى الله عنه يعلون وكان الظن لما
 شابه العلم فى الرجحان أطلق عليه لتضمن معنى التوقع قال [فأرسلته مستيقن الظن أنه * مخالط ما بين
 الشراسيف جائف] وجعل خبر أن فى الموضعين اسماً للدلالة على تحقيق اللقاء والرجوع وتقررهما عندهم
 ٤٧ (يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) كرر التذكير للتأكيد ولربط ما بعده من الوعيد
 ● الشديد به (وأنى فضلتكم) عطف على نعمتى الخاص على العام لكانه أى فضلت آباءكم (على العالمين)
 أى على زمانهم بما منحهم من العلم والإيمان والعمل الصالح وجعلهم أنبياء وملوكاً مقسطين وهم آباءهم

وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ ٢ البقرة

وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ ٢ البقرة

- الذين كانوا في عصر موسى عليه السلام وبعده قبل أن يغيروا (واتقوا يوما) أى حساب يوم أو عذاب يوم ٤٨ (لا تجزى نفس عن نفس شيئا) أى لا تقضى عنها شيئا من الحقوق فانتصاب شيئا على المفعولية أو شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدرية وقرىء لا تجزى أى لا تغنى عنها فيتعين النصب على المصدرية وإيراده منكر مع تنكير النفس للتعميم والإفناط الكلى والجملة صفة يوما والعائد منها محذوف أى لا تجزى فيه ومن لم يجوز الحذف قال اتسع فيه لحذف الجار وأجرى المجرور مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف في قول من قال [فما أدري أغيرهم تناء * وطول العهد أم مال أصابوا] أى أصابوه (ولا يقبل منها شفاعاة ولا يؤخذ منها عدل) أى من النفس الثانية العاصية أو من الأولى والشفاعة من الشفع كأن المشفوع له كان فردا فجعله الشفع شفعاً والعدل الفدية وقيل البدل وأصله التسوية سمي به الفدية لأنها تساوى المفدى وتجزى مجزاه (ولا هم ينصرون) أى يمنعون من عذاب الله عز وجل والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة والتذكير لكونها عبارة عن العباد والأناسى والنصرة ههنا أخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر وكأنه أراد بدلالة نفي أن يدفع العذاب أحد عن أحد من كل وجه محتمل فإنه إما أن يكون قهراً أو لا والأول النصرة والثاني إما أن يكون مجاناً أو لا والأول الشفاعة والثاني إما أن يكون بأداء عين ما كان عليه وهو أن يجزى عنه أو بأداء غيره وهو أن يعطى عنه عدلاً وقد تمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لأهل الكبار والجواب أنها خاصة بالكفار والآيات الواردة في الشفاعة والأحاديث المروية فيها ويؤيده أن الخطاب معهم ولردهم عما كانوا عليه من اعتقاد أن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم (وإذ نجيناكم من آل فرعون) تذكير لتفاصيل ما أجمل في قوله تعالى نعمت التي ٤٩ أنعمت عليكم من فنون النعماء وصنوف الآلاء أى واذكروا وقت تنجيننا إياكم أى آباءكم فإن تنجيتهم تنجية لأعقابهم وقرىء أنجيتكم وأصل آل أهل لأن تصغيره أهيل وخص بالإضافة إلى أولى الأخطار كالأنبياء عليهم السلام والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالة ككسرى ملك الفرس وقبصر ملك الروم وخاقان ملك الترك ولعنوه اشتق منه تفرعن الرجل إذا عتا وتمرد وكان فرعون موسى عليه السلام مصعب بن ريان وقيل ابنه وليداً من بقايا عاد وقيل إنه كان عطاراً أصفهانياً ركبته الديون فأفلس فاضطر إلى الخروج فلاحق بالشام فلم يتسن له المقام به فدخل مصر فرأى في ظاهره حملاً من البطيخ بدرهم وفى نفسه بطيخة بدرهم فقال فى نفسه إن تيسر لى أداء الدين فهذا طريقه فخرج إلى السواد فاشترى حملاً

وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٢٠﴾ البقرة

- بدرهم فتوجه به إلى السوق فكل من لقيه من المكاسين أخذوا منه بطيخاً فدخل البلد ومامعه إلا بطيخة فذة باعها بدرهم ومضى لوجهه ورأى أهل البلد متروكين سدى لا يتعاطى أحد سياستهم وكان قد وقع بهم وباء عظيم فتوجه نحو المقابر فرأى ميتاً يدفن فتعرض لأوليائه فقال أنا أمين المقابر فلا أدعكم تدفوناه حتى تعطوني خمسة دراهم فدفعوها إليه ومضى لا خرواً آخر حتى جمع في مقدار ثلاثة أشهر مالا عظيماً ولم تعرض له أحد قط إلى أن تعرض يوماً لا ولياء ميت فطلب منهم ما كان يطلب من غيرهم فأبوا ذلك فقالوا من نصبك هذا المنصب فذهبوا به إلى فرعون فقال من أنت ومن أقامك بهذا المقام قال لم يقمى أحد وإنما فعلت ما فعلت ليحضرني أحد إلى مجلسك فأنبهك على اختلال حال قومك وقد جمعت بهذا الطريق هذا المقدار من المال فأحضره ودفعه إلى فرعون فقال ولني أمورك ترى أميناً كافياً فولاه إياها فصار بهم سيرة حسنة فانتظمت مصالح العسكر واستقامت أحوال الرعية ولبث فيهم دهر أطويلاً وترامى أمره في العدل والصلاح فلما مات فرعون أقاموه مقامه فكان من أمره ما كان وكان فرعون يوسف ريان وكان بينهما أكثر من أربعين سنة (يسومونكم) أى يبيعونكم من سامه خسفاً إذا ولاه ظملاً وأصله الذهاب في طلب الشيء (سوء العذاب) أى أفضله وأقبحه بالنسبة إلى سائر السوء مصدر من ساء يسوء ونصبه على المفعولية ليسومونكم والجملة
- حال من الضمير في نجيئناكم أو من آل فرعون أو منهما جميعاً لاشتغالها على ضميريهما (يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم) بيان ليسومونكم ولذلك ترك العطف بينهما وقرئ يذبحون بالتخفيف وإنما فعلوا بهم ما فعلوا لما أن فرعون رأى في المنام أو أخبره الكهنة أنه سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يردا جهادهم من قضاء الله عز وجل شيئاً قليل قتلوا بتلك الطريقة تسعمائة ألف مولود وتسعين ألفاً وقد أعطى الله عز وجل نفس موسى عليه السلام من القوة على التصرف ما كان يعطيه أولئك المقتولين لو كانوا أحياء
- ولذلك كانت معجزاته ظاهرة باهرة (وفي ذلكم) إشارة إلى ما ذكر من التذبيح والاستحياء أو إلى الإنجاء منه وجمع الضمير للمخاطبين فعلى الأول معنى قوله تعالى (بلاء) محنة وبلية وكون استحياء نساءهم أى استبقائهن على الحياة محنة مع أنه عفو وترك للعذاب لما أن ذلك كان للاستعمال في الأعمال الشاقة وعلى الثانى نعمة وأصل البلاء الاختبار ولكن لما كان ذلك فى حقه سبحانه محالاً وكان ما يجرى مجرى الاختبار لعباده تارة بالمحنة وأخرى بالمنحة أطلق عليهما وقيل يجوز أن يشار بذلك إلى الجملة ويراد بالبلاء
- القدر المشترك الشامل لهما (من ربكم) من جهته تعالى بتسليطهم عليكم أو بيعت موسى عليه السلام وبتوقيفه
- لتخليصكم منهم أو بهما معاً (عظيم) صفة لبلاء وتنكيرهما للتفخيم وفى الآية الكريمة تنبيه على أن ما يصيب العبد من السراء والضراء من قبيل الاختبار فعليه الشكر فى المسار والصبر على المضار (وإذ فرقنا بكم البحر) بيان لسبب التنجية وتصوير لكيفيتها إثر تذكيرها وبيان عظمها وهو لها وقد بين فى
- تضاعيف ذلك نعمة جليلة أخرى هى الإنجاء من الغرق أى واذكروا إذ فلقناه بسلوكم أو متلبساً بكم كقوله تعالى تنبت بالدهن أو بسبب إنجائكم وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت مسالك وقرئ

وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ٢ البقرة
ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ ٢ البقرة

- بالتشديد للتكثير لأن المسالك كانت اثني عشر بعدد الأسباط (فأنجيناكم) أي من الغرق يا خراجكم إلى الساحل كما يلوح به العدول إلى صيغة الأفعال بعد إيراد التخليص من فرعون بصيغة التفعيل وكذا قوله تعالى (وأغرقنا آل فرعون) أريد فرعون وقومه وإنما اقتصر على ذكرهم للعلم بأنه أولى به منهم وقيل شخصه كما روى أن الحسن رضى الله عنه كان يقول اللهم صل على آل محمد أي شخصه واستغنى بذكره عن ذكر قومه. (وأنتم تنظرون) ذلك أو غرقهم وإطباق البحر عليهم أو انفلاق البحر عن طرق يابسة مذلة أو جشتم التي قذفها البحر إلى الساحل أو ينظر بعضكم بعضاً روى أنه تعالى أمر موسى عليه السلام أن يسرى ببني إسرائيل فخرج بهم فصبجهم فرعون وجنوده وصادفهم على شاطئ البحر فأوحى الله تعالى إليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه بها فظهر فيه اثنا عشر طريقاً يابساً فسلكوها فقالوا نخاف أن يفرق بعض أصحابنا فلا نعلم ففتح الله تعالى فيها كوى فتراها وتسامعوا حتى عبروا البحر فلما وصل إليه فرعون فرآه منفلقاً اقتحمه هو وجنوده فغشيهم ما غشيهم واعلم أن هذه الواقعة كما أنها لموسى معجزة عظيمة تخر لها أطم الجبال ونعمة عظيمة لأوائل بني إسرائيل موجبة عليهم شكرها كذلك اقتصاصها على ما هي عليه من رسول الله ﷺ معجزة جليلة تطمئن بها القلوب الآبية وتنقاد لها النفوس الغبية موجبة لأعقابهم أن يتلقوها بالإذعان فلا تأثرت أوائلهم بمشاهدتها ورؤيتها ولا تذكرت أو آخرهم بتذكيرها وروايتها فيا لها من عصاة ما أعصاها وطائفة ما أطغاها. (وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة) لما عادوا إلى مصر بعد مهلك فرعون وعد الله موسى عليه السلام أن يعطيه التوراة وضرب له ميقاتاً ذا القعدة وعشر ذى الحجة وقيل وعد عليه السلام بنى إسرائيل وهو بمصر إن أهلك الله عدوهم أتاهم بكتاب من عند الله تعالى فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين وهو شهر ذى القعدة ثم زاد عشراً من ذى الحجة وعبر عنها بالليالي لأنها غرر الشهور وصيغة المفاعلة بمعنى الثلاثين وقيل على أصلها تنزيلاً لقبول موسى عليه السلام منزلة الوعد وأربعين ليلة مفعول ثانٍ لواعدنا على حذف المضاف أي بمقام أربعين ليلة وقرىء وعدنا. (ثم اتخذتم العجل) بتسويل السامري لها ومعبوداً وطم للتراخي الرتبى (من بعده) أي من بعد مضيه إلى الميقات على حذف المضاف. (وأنتم ظالمون) يائسراكم ووضعكم للشيء في غير موضعه وهو حال من ضمير اتخذتم أو اعتراض تذييلي أي وأنتم قوم عادتكم الظلم. (ثم عفونا عنكم) حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفاه درسه وقد يحى. لازماً قال [عرفت المنزل الخالي * عفا من بعد أحوال] [عفاه كل هتان * كثير الوبل هطال] وقوله تعالى (من بعد ذلك) أي من بعد اتخاذ الذي هو متناه في القبح للإيذان بكال بعد العفو بعد تلك المرتبة من الظلم. (لعلكم تشكرون) لكي تشكروا نعمة العفو وتستمروا بعد ذلك على الطاعة.

وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ ٢ البقرة
وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَيَّ يَا رَبُّكُمْ فَأَقْتُلُوا
أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ ٢ البقرة

- ٥٣ (وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ) أى التوراة الجامعة بين كونها كتاباً وحجة تفرق بين الحق والباطل وقيل أريد بالفرقان معجزاته الفارقة بين الحق والمبطل فى الدعوى أو بين الكفر والإيمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام أو النصر الذى يفرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان
- ٥٤ يريد به يوم بدر . (لعلكم تهتدون) لكى تهتدوا بالتدبر فيه والعمل بما يحويه (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ) بيان لكيفية وقوع العفو المذكور . (باقوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل) أى معبوداً . (فتوبوا)
- أى فاعزموا على التوبة . (إلى بارئكم) أى إلى من خلقكم بريئاً من العيوب والنقصان والتفاوت وميز بعضهم من بعض بصور وهينات مختلفة وأصل التركيب الخلوص عن الغير إما بطريق التنفص كما فى برى المريض أو بطريق الإنشاء كما فى برأ الله آدم من الطين والتعرض لعنوان البارئية للإشعار بأنهم بلغوا من الجهالة أقصاها ومن الغواية منهاها حيث تركوا عبادة العليم الحكيم الذى خلقهم بلطف حكيمته بريئاً من التفاوت والتنافر إلى عبادة البقر الذى هو مثل فى الغباوة وأن من لم يعرف حقوق منعمه حقيق بأن تستردهى منه ولذلك أمروا بالقتل وفك التركيب . (فاقتلوا أنفسكم) تماماً لتوبتكم بالبيع أو بقطع الشهوات وقيل أمروا أن يقتل بعضهم بعضاً وقيل أمر من لم يعبد العجل بقتل من عبده . يروى أن الرجل كان يرى قريبه فلم يقدر على المضى لأمر الله تعالى فأرسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون بها فأخذوا يقتلون من الغداة إلى العشى حتى دعا موسى وهارون عليهما السلام فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين ألفاً والفداء الأولى للتسيب والثانية للتعقيب (ذلكم)
 - إشارة إلى ما ذكر من التوب والقتل . (خير لكم عند بارئكم) لما أنه طهرة عن الشرك ووصلة إلى الحياة الأبدية والبهجة السرمدية . (فتاب عليكم) عطف على محذوف على أنه خطاب منه سبحانه على نهج الالتفات من التكلم الذى يقتضيه سباق النظم الكريم وسيافه فإن مبنى الجميع على التكلم إلى الغيبة ليكون ذريعة إلى إسناد الفعل إلى ضمير بارئكم المستتبع للإبذان بعلية عنوان البارئية والخلق والإحياء لقبول التوبة التى هى عبارة عن العفو عن القتل تقديره فعلتم ما أمرتم به فتاب عليكم وإنما لم يقل فتاب عليهم على أن الضمير للقوم لما أن ذلك نعمة أريد التذكير بها للمخاطبين لا لاسلافهم . هذا وقد جوز أن يكون فتاب عليكم متعلقاً بمحذوف على أنه من كلام موسى عليه السلام لقومه تقديره إن فعلتم ما أمرتم به فقد تاب عليكم ولا يخفى أنه بمنزلة من اللياقة بجملة شأن التنزيل كيف لا وهو حينئذ حكاية لوعده موسى عليه السلام قومه بقبول التوبة منه تعالى لا لقبوله تعالى حتماً وقد عرفت أن الآية الكريمة تفصيل لكيفية القبول المحكى فيما قبل وأن المراد تذكير المخاطبين بتلك النعمة . (إنه هو التواب الرحيم) تحليل

وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكَ الصَّعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٢٥﴾ ٢ البقرة
ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ ٢ البقرة

وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ
كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٢٧﴾ ٢ البقرة

- لما قبله أى الذى يكثر توفيق المذنبين للتوبة ويبالغ فى قبولها منهم وفى الإلغام عليهم (وإذ قلتم يا موسى ٥٥
لن تؤمن لك) تذكير لنعمة أخرى عليهم بعد ما صدر عنهم ما صدر من الجناية العظيمة التى هى اتخاذ العجل
أى لن تؤمن لأجل قولك ودعوتك أولن نقر لك والمؤمن به إعطاء الله إياه التوراة أو تكليمه إياه وأنه
نبي وأنه تعالى جعل توبتهم بقتلهم أنفسهم (حتى نرى الله جهرة) أى عيانا وهى فى الأصل مصدر قولك
● جهرت بالقراءة استعيرت للعناية لما بينهما من الاتحاد فى الوضوح والانكشاف إلا أن الأول فى المسموعات
والثانى فى المبصرات ونصبها على المصدرية لأنها نوع من الرؤية أو حال من الفاعل أو المفعول وقرئ بفتح
الهاء على أنها مصدر كالغلبة أو جمع كالكتبة فيكون حالا من الفاعل لا غير والقائلون هم السبعون المختارون
لميقات التوبة عن عبادة العجل روى أنهم لما ندموا على ما فعلوا قالوا لن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا نكون
من الخاسرين أمر الله موسى عليه السلام أن يجمع سبعين رجلا ويحضر معهم الطور يظهرون فيه تلك
التوبة فلما خرجوا إلى الطور وقع عليه عمود من الغمام وتغشاه كله فكلم الله موسى عليه السلام بأمره وينهاه
وكان كلما كلمه تعالى أوقع على جبهته نور أساطعا لا يستطيع أحد من السبعين النظر إليه وسمعوا كلامه تعالى
مع موسى عليه السلام أفعلا ولا تفعل فعند ذلك طمعو فى الرؤية فقالوا ما قالوا كما سيأتى فى سورة الأعراف
● إن شاء الله تعالى وقيل عشرة آلاف من قومه (فأخذتكم الصاعقة) لفرط العناد والتعنّت وطلب المستحيل
فإنهم ظنوا أنه سبحانه وتعالى بما يشبه الأجسام وتتعلق به الرؤية تعلقها بها على طريق المقابلة فى الجهات
والأحياز ولا ريب فى استحالة إنما الممكن فى شأنه تعالى الرؤية المنزهة عن الكيفيات بالكلية وذلك للمؤمنين
فى الآخرة وللأفراد من الأنبياء الذين بلغوا فى صفاء الجوهر إلى حيث تراءى كآتهم وهم فى جلايب من
أبدانهم قد نضوا وتجردوا عنها إلى عالم القدس فى بعض الأحوال فى الدنيا قيل جاءت نار من السماء فأحرقتهم
وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فغروا صعقوا ميتين يوما وليلة وعن وهب أنهم لم يموتوا بل لما
رأوا تلك الهيئة الهائلة أخذتهم الرعدة ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم وتنقض ظهورهم وأشرفوا على
الهلاك فعند ذلك بكى موسى عليه السلام ودعاه به فكشف الله عز وجل عنهم ذلك فرجعت إليهم عقولهم
ومشاعرهم ولم تكن صاعقة موسى عليه السلام موتاً بل غشية لقوله تعالى فلما أفاق (وأنتم تنظرون) أى
● ما أصابكم بنفسه أوباً ناره (ثم بعثناكم من بعد موتكم) بتلك الصاعقة قيد البعث به لما أنه قد يكون من الإغماء ٥٦
وقد يكون من النوم كما فى قوله تعالى ثم بعثناهم لنعلم أحوالهم (لعلكم تشكرون) أى نعمة البعث أو ما كفرتموه
● بما رأيتم من بأس الله تعالى (وظللنا عليكم الغمام) أى جعلناها بحيث تلقى عليكم ظلمها وذلك أنه تعالى صهر ٥٧

وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ مُجْتَدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ٢ البقرة

- لهم السحاب يسير بسيرهم وهم في التيه يظلمهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسرون في ضوئه
 • وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى (وأنزلنا عليكم المن والسلوى) أى الترنجيبين والسماوى وقيل كان ينزل عليهم
 المن مثل الثلج من الفجر إلى الطلوع لكل إنسان صاع وتبعث الجنوب عليهم السماوى فيذبح الرجل منه
 • ما يكفيه (كلوا) على إرادة القول أى قائلين لهم أو قيل لهم كلوا (من طيبات ما رزقناكم) من مستلذاته
 • وما موصولة كانت أو موصوفة عبارة عن المن والسلوى (وما ظلمونا) كلام عدل به عن نهج الخطاب
 السابق للإيدان باقة ضياء جنابات المخاطبين للإعراض عنهم وتعداد قبائحهم عند غيرهم على طريق المبالغة
 معطوف على مضمرة قد حذف للإيجاز والإشعار بأنه أمر محقق غنى عن التصريح به أى فظلموا بأن
 • كفروا تلك النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك . (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفران إذ لا يتخطأهم
 ضرره وتقديم المفعول للدلالة على القصر الذى يقتضيه النفي السابق وفيه ضرب تهكم بهم والجمع بين
 ٥٨ صيغتي الماضى والمستقبل للدلالة على تزايدهم في الظلم واستمرارهم على الكفر (وإذ قلنا) تذكير لنعمة
 أخرى من جنابه تعالى وكفرة أخرى لأسلافهم أى وذكروا وقت قولنا لأبائكم أثر ما أنقذناهم من التيه
 • (ادخلوا هذه القرية) منصوبة على الظرفية عند سيوبه وعلى المفعولية عند الأخفش وهى بيت المقدس
 • وقيل أريحاء (فكلوا منها حيث شئتم رغداً) أى واسعاً هنيئاً ونصبه على المصدرية أو الحالية من ضمير
 المخاطبين وفيه دلالة على أن المأمور به الدخول على وجه الإقامة والسكنى فيؤول إلى ما فى سورة
 • الأعراف من قوله تعالى اسكنوا هذه القرية . (وادخلوا الباب) أى باب القرية على ما روى من أنهم
 دخلوا أريحاء فى زمن موسى عليه السلام كما سيجىء فى سورة المائدة أو باب القبة التى كانوا يصلون
 • إليها فإنهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حياة موسى عليه السلام (سجداً) أى متطامنين مخبتين أو
 • ساجدين لله شكراً على إخراجهم من التيه . (وقولوا حطة) أى مسئلتنا أو أمر كحطة وهى فعلة
 من الحط كالجلسة وقرىء بالنصب على الأصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة أو على أنها مفعول قولوا
 • أى قولوا هذه الكلمة وقيل معناه أمرنا حطة أى أن نخط رحالنا فى هذه القرية ونقيم بها (نغفر لكم
 خطاياكم) لما تفعلون من السجود والدعاء وقرىء بالياء والتاء على البناء للمفعول وأصل خطايا
 خطائى كخضايح فعند سيوبه أبدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الألف واجتمعت همزتان
 وأبدلت الثانية ياء ثم قلبت ألفاً وكانت الهمزة بين ألفين فأبدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على
 • الياء ثم فعل بها ما ذكر (وسنزيد المحسنين) ثواباً جعل الامتثال توبة للسىء وسبباً لزيادة الثواب
 للمحسن وأخرج ذلك عن صورة الجواب إلى الوعد لإيداناً بأن المحسن بصدد ذلك وإن لم يفعله فكيف
 إذا فعله وأنه يفعله لا محالة .

فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ٢ البقرة

وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَضِيبًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُقْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ٢ البقرة

- (فبدل الذين ظلموا) بما أمروا به من التوبة والاستغفار بأن أعرضوا عنه وأوردوا مكانه (قولا) آخر بما لا خير فيه روى أنهم قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية خطأ سمعنا يعنون حنطة حراء استخفافا بأمر الله عز وجل (غير الذي قيل لهم) نعت لقولا وإنما صرح به مع استحالة تحقق التبديل بلا مغيرة ● تحقيقاً لمخالفتهم وتنصيصاً على المغيرة من كل وجه (فأنزلنا) أي عقيب ذلك (على الذين ظلموا) بما ذكر من التبديل وإنما وضع الموصول موضع الضمير العائد إلى الموصول الأول للتعليل والمبالغة في الذم والتفريع وللتصريح بأنهم بما فعلوا قد ظلموا أنفسهم بتعريضها لخطأ الله تعالى (رجزاً من السماء) أي عذاباً مقدراً منها والتنوين للتهويل والتفخيم (بما كانوا يفسقون) بسبب فسقهم المستمر حسبما يفيدده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل وتعليل إنزال الرجز به بعد الإشعار بتعليله بظلمهم للإيدان بأن ذلك فسق وخروج عن الطاعة وغلو في الظلم وأن تعذيبهم بجميع ما ارتكبه من القبائح لا بعدم توبتهم فقط كما يشعر به ترتيبه على ذلك بالفاء والرجز في الأصل ما يعاف عنه وكذلك الرجز وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روى أنه مات به في ساعة واحدة أربعة وعشرون ألفاً (وإذا استسقى موسى لقومه) ٦٠ تذكير لنعمة أخرى كفروها وكان ذلك في التيه حين استولى عليهم العطش الشديد وتغيير الترتيب لما أشير إليه مراراً من قصد إيراد كل من الأمور المعدودة في معرض أمر مستقل واجب التذكير والتذكير ولوروعى الترتيب الوقوعى لفهم أن الكل أمر واحد أمر بذكره واللام متعلقة بالفعل أي استسقى لاجل قومه (فقلنا اضرب بعصاك الحجر) روى أنه كان حجراً طورياً مكعباً حمله معه وكان ينبع من كل وجه منه ثلاث أعين يسيل كل عين في جدول إلى سبط وكانوا ستمائة ألف وسعة المعسكر اثني عشر ميلاً أو كان حجراً أهبطه الله تعالى مع آدم عليه السلام من الجنة ووقع إلى شعيب عليه السلام فأعطاه موسى عليه السلام مع العصا أو كان هو الحجر الذي فر بثوبه حين وضعه عليه ليغتسل وراه الله تعالى به عمار موه به من الأذرة فأشار إليه جبريل عليه السلام أن يحمله أو كان حجراً من الحجارة وهو لا يظهر في الحجة قيل لم يؤمر عليه السلام بضرب حجر بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو أفضينا إلى أرض لا حجارة بها حمل حجراً في مخلاته وكان يضربه بعصاه إذا نزل فيفتجر ويضربه إذا ارتحل فيبديس فقالوا إن فقد موسى عصاه متناً عطشاً فأوحى الله تعالى إليه أن لا تفرح الحجر وكله يطعمك لعلمهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام حجمه ذراع في ذراع والعصا عشرة أذرع على طوله عليه السلام

وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسِي لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ
بَقْلِهَا وَقِثَآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا قَالَ أَلَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِصْرًا
فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءَ وَبَغَضِبَ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا
يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بغيرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٢﴾ البقرة

- من آس الجنة ولها شعبتان تتقدان في الظلمة (فانفجرت) عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام قد حذف للدلالة على كمال سرعة تحقق الانفجار كأنه حصل عقيب الأمر بالضرب أى فضرب فانفجرت (منه اثنتا عشرة عيناً) وأما تعلق الفاء بمحذوف أى فإن ضربت فقد انفجرت فغير حقيق بجملة شأن
- النظم الكريم كما لا يخفى على أحد وقرى عشرة بكسر الشين وفتحها وهما أيضاً لغتان (قد علم كل أناس)
- كل سبط (مشرهم) عندهم الخاصة بهم (كلوا واشربوا) على إرادة القول (من رزق الله) هو مارزقهم من المن والسلوى والماء وقيل هو الماء وحده لأنه يؤكل ما ينبت به من الزروع والثمار ويأباه أن المأمور به أكل النعمة العتيدة لا ما سيطلبونه وإضافته إليه تعالى مع استناد الكل إليه خلقاً وملكاً إما للتشريف وإما لظهوره بغير سبب عادى وإنا لم يقل من رزقنا كما يقتضيه قوله تعالى فقلنا الخ إيداناً بأن الأمر بالآكل والشرب لم يكن بطريق الخطاب بل بواسطة موسى عليه السلام (ولا تعثوا في الأرض) العثى أشد الفساد
- ففيل لهم لا تهادوا في الفساد حال كونكم (مفسدين) وقيل إنما قيد به لأن العثى في الأصل مطلق التعدى وإن غلب في الفساد وقد يكون في غير الفساد كما في مقابلة الظالم المعتدى بفعله وقد يكون فيه صلاح راجع كقتل الخضر عليه السلام للغلام وخرقه للسفينة ونظيره العبث خلا أنه غالب فيما يدرك حساً (وإذا قلتم) تذكير لجنابة أخرى لا سلافهم وكفرانهم لنعمة الله عز وجل وإخلاصهم إلى ما كانوا فيه من الدناءة والخساسة وإسناد القول المحكى إلى أخلاقهم وتوجيه التوبيخ إليهم لما يذنبون من الاتحاد (باموسى) ان نصبر على طعام واحد (لعلمهم لم يريدوا بذلك جمع ما طلبوا مع ما كان لهم من النعمة ولا زوالها وحصول ما طلبوا مكانها إذ يأباه التعرض للوحدة بل أرادوا أن يكون هذا تارة وذلك أخرى . روى أنهم كانوا فلاحه فزعوا إلى عكرهم فأجمعوا ما كانوا فيه من النعمة العتيدة لوحدها النوعية واطرادها وتاقت أنفسهم إلى الشقاء (فادع لنا ربك) أى سله لا جلنا بدعائك إياه والفاء لسببية عدم الصبر الدعاء والتعرض لعنوان الربوبية لتمهيد مبادئ الإجابة (يخرج لنا) أى يظهر لنا ويوجدوا الجزم لجواب الأمر (بما تنبت الأرض) إسناد مجازى بإقامة القابل مقام الفاعل ومن تبعيضية والتي في قوله تعالى (من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها) بيانية واقعة موقع الحال أى كأننا من بقلها الخ وقيل بدل بإعادة الجار والبقل ما تنبت الأرض من الخضر والمراد به أطايبه التى تؤكل كالنعناع والكرفس والكراث وأشباهاها
- والقوم الحنطة وقيل الثوم وقرى قثائها بضم القاف وهو لغة فيه (قال) أى الله تعالى أو موسى عليه السلام

- إنكاراً عليهم وهو استئناف وقع جواباً عن سؤال مقدر كأنه قيل فماذا قال لهم فقيل قال (أتستبدلون) أى
- أناخذون لأنفسكم وتختارون (الذى هو أدنى) أى أقرب منزلة وأدون قدر أسهل المنال وهين الحصول لعدم كونه مرغوباً فيه وكونه تافهاً مردولاً قليل القيمة وأصل الدنو القرب فى المكان فاستعير للنخسة كما استعير البعد للشرف والرفعة فقيل بعيد المحل وبعيد الهمة وقرىء أدنا من الدناءة وقد حملت المشهورة على أن ألفها مبدلة من الهمزة (بالذى هو خير) أى بمقابلة ما هو خير فإن الباء تصحب الذاهب الزائل
- دون الآتى الحاصل كما فى التبديل فى مثل قوله عز وجل ومن يقبّل الكفر بالإيمان وقوله وبدلناهم بجنّتهم جنتين ذواتى أكل خبط وليس فيه ما يدل قطعاً على أنهم أرادوا زوال المن والسلوى بالمرّة وحصول ما لبوا مكانه لتحقيق الاستبدال فيما مر من صورة المناوبة (اهبطوا مصرأ) أمروا به بياناً
- لدناءة مطلبهم أو إسعافاً لمراهم أى انحدروا إليه من التيه يقال هبط الوادى وقرىء بضم الباء والمصر البلد العظيم وأصله الحد بين الشبثين وقيل أريد به العلم وإنما صرف لسكون وسطه أو لتأويله باليلد دون المدينة ويؤيده أنه فى مصحف ابن مسعود رضى الله عنه غير ممنون وقيل أصله مصر ايم فعرّب (فإن لكم ما ألتتم) تعليل للأمر بالهبط أى فإن لكم فيه مأساً أثموا ولعل التعبير عن الأشياء المستولة بالمألتهم جان
- بذكرها كأنه قيل فإنه كثير فيه مبتذل يناله كل أحد بغير مشقة (وضربت عليهم الذلة والمسكنة) أى جعلنا محيطتين بهم إحاطة القبة بمن ضربت عليه أو الصقنا ضربهم وجعلنا ضرباً لازباً لا تنفكان عنهم مجازاة لهم على كفرانهم من ضرب الطين على الخائط بطريق الاستعارة بالكناية واليهودى فى غالب الأمر أذلاء
- مساكين إما على الحقيقة وإما الخوف أن تضاعف جزيتهم (وباءوا) أى رجعوا (بغضب) عظيم وقوله تعالى (من الله) متعلق بمخذوف هو صفة لغضب مؤكد لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة
- الإضافية أى بغضب كائن من الله تعالى أو صاروا أحقاء به من قولهم باء فلان بفلان أى صار حقيقة بأن يقتل بمقابلته ومنه قول من قال يؤبشسع نعل كليب وأصل البوء المساواة (ذلك) إشارة إلى ماسلف من
- ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم (بأنهم) بسبب أنهم (كانوا يكفرون) على الاستمرار (بآيات الله) الباهرة التى هى المعجزات الساطعة الظاهرة على يدى موسى عليه السلام بما عد وما لم يعد
- (ويقتلون النبيين بغير الحق) كشعباً وذكراً ويحى عليهم السلام وفائدة التقييد مع أن قتل الأنبياء يستحيل أن يكون بحق إلا يذان بأن ذلك عندهم أيضاً بغير الحق إذ لم يكن أحد معتقداً بحقية قتل أحد منهم عليهم السلام وإنما حملهم على ذلك حب الدنيا واتباع الهوى والغلو فى العصيان والاعتداء كما يفصح عنه قوله تعالى (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) أى جرّم العصيان والتماذى فى العدوان إلى ما ذكر من الكفر
- وقتل الأنبياء عليهم السلام فإن صغار الذنوب إذا دووم عليها أدت إلى كبارها كما أن مداومة صغار الطاعات مؤدية إلى تحرى كبارها وقيل كررت الإشارة للدلالة على أن ما لحقهم كما أنه بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصى واعتدائهم حدود الله تعالى وقيل الإشارة إلى الكفر والقتل والباء بمعنى مع ويجوز الإشارة إلى المتعدد بالمفرد بتأويل ما ذكر أو تقدم كما فى قول روضة بن العجاج فيها خطوط من سواد وبلقى * كأنه فى الجلد توليع البلق أى كان ما ذكر والذى حسن ذلك فى المضمرات والمبهمات

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيحِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢﴾ البقرة

- ٦٢ أن تثنيها وجمعها ليسا على الحقيقة ولذلك جاء الذى بمعنى الذين (إن الذين آمنوا) أى بالسنتهم فقط وهم المنافقون بقرينة انتظامهم فى سلك الكفرة والتعبير عنهم بذلك دون عنوان النفاق للتصريح بأن تلك المرتبة وإن عبر عنها بالإيمان لا تجديهم نفعاً أصلاً ولا تنقذهم من ورطة الكفر قطعاً (والذين هادوا) أى تهودوا من هاد إذا دخل فى اليهودية ويهود إما عربى من هاد إذا تاب سموا بذلك حين تابوا من عبادة العجل وخصوا به لما كانت توبتهم توبة هائلة وإما معرب يهوداً كأنهم سموا باسم أكبر أولاد يعقوب عليه الصلاة والسلام (والنصارى) جمع نصران كندامى جمع ندمان يقال رجل نصران وامرأة نصرانة والياء فى نصرانى للبالغة كما فى أخرى سموا بذلك لأنهم نصرروا المسيح عليه السلام أو لأنهم كانوا معه فى قرية يقال لها نصران فسموا باسمها أو نسبوا إليها والياء للنسبة وقال الخليل واحد النصارى نصرى كهمرى ومهارى (والصابئين) هم قوم بين النصارى والمجوس وقيل أصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب فهو إن كان عربياً فمن صبا إذا خرج من دين إلى آخر وقرىء بالياء إما للتخفيف وإما لأنه من صبا إذا مال لما أنهم مالوا من سائر الأديان إلى مالم فيه أو من الحق إلى الباطل (من آمن بالله واليوم الآخر) أى من أحدث من هذه الطوائف إيماناً خالصاً بالمبدأ والمعاد على الوجه اللائق (وعمل) عملاً (صالحاً) حسبما يقتضيه الإيمان بما ذكر (فلهم) بمقابلة ذلك (أجرهم) الموعود لهم (عند ربهم) أى مالك أمرهم ومبلغهم إلى كمالهم اللائق فن إما فى محل الرفع على الابتداء خبره جملة فلهم أجرهم والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط كما فى قوله تعالى إن الذين فتنوا المؤمنين الآية وجمع الضمائر الثلاثة باعتبار معنى الموصول كما أن أفراد ما فى الصلة باعتبار لفظه والجملة كما هى خبر إن والعائد إلى اسمها محذوف أى من آمن منهم الخ وإما فى محل نصب على البدلية من اسم إن وما عطف عليه وخبرها فلهم أجرهم وعند متعلق بما تعلق به لهم من معنى الثبوت وفى إضافته إلى الرب المضاف إلى ضميرهم مزيد لطف بهم وإيدان بأن أجرهم متيقن الثبوت مأمون من الفوات (ولا خوف عليهم) عطف على جملة فلهم أجرهم أى لا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب (ولا هم يحزنون) حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتقويت الثواب والمراد ببيان دوام انتفاءهما لا بيان انتفاء دواهما كما يؤهمه كون الخبر فى الجملة الثانية مضارعاً لما مر من أن النفي وإن دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام هذا وقد قيل المراد بالذين آمنوا المتدينون بدين الإسلام المخلصون منهم والمنافقون فحينئذ لا بد من تفسير من آمن بمن اتصف منهم بالإيمان الخالص بالمبدأ والمعاد على الإطلاق سواء كان ذلك بطريق الثبات والدوام عليه كإيمان المخلصين أو بطريق إحداثه وإنشائه كإيمان من عدام من المنافقين وسائر الطوائف وفائدة التعميم للمخلصين مزيد ترغيب الباقيين فى الإيمان ببيان أن تأخيرهم

وإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَاءَ آيَاتِنَا كُفُّوا يَدَيْكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ٢ البقرة

ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ ٢ البقرة

في الإتصاف به غير مخل بكونهم أسوة لا أولئك المتقدمين في استحقاق الأجر وما يتبعه من الأمان الدائم وأما ما قيل في تفسيره من كان منهم في دينه قبل أن ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فيما لا سبيل إليه أصلا لأن مقتضى المقام هو الترغيب في دين الإسلام وأما بيان حال من مضى على دين آخر قبل انتساخه فلا ملابسة له بالمقام قطعاً بل ربما يخل بمقتضاه من حيث دلالتيه على حقيقته في زمانه في الجملة على أن المنافقين والصائبين لا يتسنى في حقهم ما ذكر أما المنافقون فإن كانوا من أهل الشرك فالأمر بين وإن كانوا من أهل الكتاب فمن مضى منهم قبل النسخ ليسوا بمنافقين وأما الصابئون فليس لهم دين يجوز رعايته في وقت من الأوقات ولو سلم أنه كان لهم دين سماوي ثم خرجوا عنه فمن مضى من أهل ذلك الدين قبل خروجهم منه فليسوا من الصائبين فكيف يمكن إرجاع الضمير الرابط بين اسم إن وخبرها إليهم أو إلى المنافقين وارتكاب إرجاعه إلى مجموع الطوائف من حيث هو مجموع لا إلى كل واحدة منها قصداً إلى درج الفريق المذكور فيه ضرورة أن من كان من أهل الكتاب عاملاً بمقتضى شرعه قبل نسخه من مجموع الطوائف بحكم اشتماله على اليهود والنصارى وإن لم يكن من المنافقين والصائبين مما يجب تنزيهه ساحة التنزيل عن أمثاله على أن المخلصين مع اندراجهم في حين اسم إن ليس لهم في حين خبرها عين ولا أثر فتأمل وكن على الحق المبين (وإذ أخذنا ميثاقكم) تذكير لجناية ٦٣ أخرى لأسلافهم أي واذكروا وقت أخذنا لميثاقكم بالمحافظة على مافي التوراة (ورفعنا فوقكم الطور) ● عطف على قوله أخذنا أو حال أي وقد رفعنا فوقكم الطور كأنه ظلة . روى أن موسى عليه السلام لما جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم فأبوا قبولها فأمر جبريل عليه السلام فقلع الطور فظلمه عليهم حتى قبلوا (خذوا) على إرادة القول (ما آتيناكم) من الكتاب (بقوة) بجد وعزيمة ● (واذكروا ما فيه) أي احفظوه ولا تنسوه أو تفكروا فيه فإنه ذكر بالقلب أو اعملوا به (لعلكم تتقون) ● لكي تتقوا المعاصي أو لتنجوا من هلاك الدارين أو رجاء منكم أن تنتظموا في سلك المتقين أو طلباً لذلك وقد مر تحقيقه (ثم توليتم) أي أعرضتم عن الوفاء بالميثاق (من بعد ذلك) من بعد أخذ ذلك الميثاق المؤكد ٦٤ (فلولا فضل الله عليكم ورحمته) بتوفيقكم للتوبة أو بمحمد ﷺ حيث يدعوكم إلى الحق ويهديكم إليه ● (لكنتم من الخاسرين) أي المغبونين بالأنهماك في المعاصي والخطيئة في مهاوى الضلال عند الفترة وقيل ● لولا فضل تعالى عليكم بالإمهال وتأخير العذاب لكنتم من الهالكين وهو الأنسب بما بعده وكلمة لولا إما بسيطة أو مركبة من لو الامتناعية وحرف النفي ومعناها امتناع الشيء لوجود غيره كأن لولا امتناعه لا امتناع غيره والاسم الواقع بعدها عند سببويه مبتدأ خبره محذوف وجوباً لدلالة الحال عليه وسداً للجواب

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٢٥﴾ ٢ البقرة

فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢٦﴾ ٢ البقرة

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ

أَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٢٧﴾ ٢ البقرة

- مسدده والتقدير لولا فضل الله حاصل وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف أى لولا ثبت فضل الله تعالى عليكم (ولقد علمتم) أى عرفتم (الذين اعتدوا منكم في السبت) روى أنهم أمروا بأن يتمحضوا يوم السبت للعبادة ويتجردوا لها ويتركوا الصيد فاعتدى فيه أناس منهم في زمن داود عليه السلام فاشتغلوا بالصيد وكانوا يسكنون قرية بساحل البحر يقال لها أبلة فإذا كان يوم السبت لم يبق في البحر حوت إلا برز وأخرج خرطومه فإذا مضى تفرقت فخفروا حياضاً وشرعوا إليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الأحد فالمعنى وبالله لقد علمتموهم حين فعلوا من قبيل جنائياتكم ما فعلوا فلم نهلمهم ولم تؤخر عقوبتهم بل جعلناها (فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) أى جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الطرد والصغار على أن خاسئين نعت لقردة وقيل خال من اسم كونوا عند من يجوز عمل كان في الظروف والحال وقيل من الضمير المستكن في قردة لأنه في معنى ممسوخين وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فثلثوا بالقردة كما مثلوا بالجمار في قوله تعالى كمثل الجمار يحمل أسفار أو المراد بالامر بيان سرعة التسكين وأنهم صاروا كذلك كما أراده عز وجل وقرى قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسلين بغير همز (فجعلناها) أى المسخة والعقوبة (نكالاً) عبرة تنكل الاعتبار بها أى تمنعه وتردعه ومنه النكل للقيد (لما بين يديها وما خلفها) لما قبلها وما بعدها من الأمم إذ ذكرت حالهم في زبر الأولين واشتهرت قصصهم في الآخرين أو لمعاصريهم ومن بعدهم أو لما يحضرتها من القرى وما تباعد عنها أو لأهل تلك القرية وما حوالها أو لأجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر منها (وموعظة للمتقين) من قومهم أو لكل متق سمعها (وإذ قال موسى لقومه) توبيخ آخر لا خلاف بنى إسرائيل بتذكير بعض جنائيات صدرت عن أسلافهم أى واذكروا وقت قول موسى عليه السلام لأجدادكم (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) وسببه أنه كان في بنى إسرائيل شيخ موسى فقتله بنو عمه طمعاً في ميراثه فطرحوه على باب المدينة ثم جاءوا يطالبون بدينه فأمرهم الله تعالى أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها فيخبرهم بقاتله (قالوا) استئناف وقع جواباً عما ينساق إليه الكلام كأنه قيل فإذا صنعوا هل سارعوا إلى الامتنال أو لا فقيل قالوا (أتتخذنا هزواً) بضم الزاء وقلب الهمزة واو وقرىء بالهمزة مع الضم والسكون أى أتجعلنا مكان هزؤ أو أهل هزؤ أو مهزؤاً بنا أو الهزؤ نفسه استبعاداً لما قاله واستخفافاً به (قال) استئناف كما سبق (أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) لأن الهزؤ في أثناء تبليغ أمر الله سبحانه جهل وسفه نفى عنه عليه السلام

قَالُوا أَدْعُنَا رَبَّكَ يَبْنَ لَنَا مَا لَوْنَهَا قَالَ إِنْهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ
النَّظِيرَ ﴿٢٩﴾ ٢٩ البقرة

ما توهموه من قبله على أبلغ وجه وآكده بإخراجه مخرج مالا مكروه وراه بالاستعاذة منه استفظا عاله
واستعظاما لما أقدموا عليه من العظيمة التي شافوه عليه السلام بها (قالوا) استئناف كما مر كأنه قيل فماذا
٦٨ قالوا بعد ذلك فقيل توجهوا نحو الامثال وقالوا (ادع لنا) أى لأجلنا (ربك يبين لنا ماهي) ما مبتدأ
وهي خبره والجملة في حيز النصب يبين أى يبين لنا جواب هذا السؤال وقد سألوا عن حالها وصفتها لما
فرع أسماعهم مالم يعمدوه من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيجيا فإن ما وإن شاعت في طلب مفهوم
الاسم والحقيقة كما في ما الشارحة والحقيقة لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال طيب
أو عالم وقيل كان جقه أن يستفهم بأى لكنهم لما رأوا ما مروا به على حالة مغايرة لما عليه الجنس أخرجه
عن الحقيقة فجعلوه جنساً على حياله (قال) أى موسى عليه السلام بعد مادعاه به عز وجل بالبيان وأتاه
الوحي (إنه) تعالى (يقول إنها) أى البقرة المأمور بذبحها (بقرة لا فارض ولا بكر) أى لا مسنة ولا
فتية يقال فرضت البقرة فروضاً أى أسدت من الفرض بمعنى القطع كأنها قطعت سننها وبُلت آخرها
وتركيب البكر للأولية ومنه البكرة والباكورة (عوان) أى نصف لا قمح ولا ضرع قال أطوال مثل
أعناق الهوادي * نواعم بين أباكرو وعون (بين ذلك) إشارة إلى ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك
أضيف إليه بين لاختصاصه بالإضافة إلى المتعدد (فافعلوا) أمر من جهة موسى عليه السلام متفرع على
ما قبله من بيان صفة المأمور به (ما تومرون) أى ما تومرونه بمعنى تؤمرون به كما في قوله (أمرتك الخير
فافعل ما أمرت به) فإن حذف الجار قد شاع في هذا الفعل حتى لحق بالأفعال المتعدية إلى مفعولين وهذا
الأمر منه عليه السلام لحثهم على الامثال وزجرهم عن المراجعة ومع ذلك لم يقتنعوا به وقوله تعالى
(قالوا) استئناف كما مر كأنه قيل ماذا صنعوا بعد هذا البيان الشافي والأمر المكرر فقيل قالوا (ادع
٦٩ لنا ربك يبين لنا ما لونها) حتى يتبين لنا البقرة المأمور بها (قال) أى موسى عليه السلام بعد المناجاة إلى
الله تعالى وبجىء البيان (إنه) تعالى (يقول إنها بقرة صفراء فافع لونها) إسناد البيان في كل مرة إلى الله
عز وجل لإظهار كمال المساعدة في إجابة مستوهم بقولهم يبين لنا وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة
والفقوع نصوع الصفرة وخلوصها ولذلك يؤكد به ويقال أصفر فافع كما يقال أسود حالك وأحمر قاني
وفي إسناده إلى اللون مع كونه من أحوال الملون للملاسته به مالا يخفى من فضل تأكيد كأنه قيل صفراء
شديد الصفرة صفرتها كما في جدجده وعن الحسن رضي الله عنه سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى

قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ ٢ البقرة
 قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيبَةَ فِيهَا قَالُوا أَلَكُنْ جِئْتَ
 بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ ٢ البقرة

- جملة صفر قيل ولعل التعبير عن السواد بالصفير لما أنها من مقدماته وإما لأن سواد الإبل يعلوه صفرة
 وبأباه وصفها بقوله تعالى (تسر الناظرين) كما ياباه وصفها بفقوع اللون والسرور لذة في القلب عند حصول
 ٧٠ نفع أو توقعه من السر عن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه (قالوا) استئناف كمنظاره
 ● (ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) زيادة استكشاف عن حالها كأنهم سألو إيان حقيقة بحيث تمتاز عن جميع
 ما عداها مما تشاركها في الأوصاف المذكورة والأحوال المشروحة في أثناء البيان ولذلك عللوه بقولهم
 ● (إن البقر تشابه علينا) يعنون أن الأوصاف المعدودة يشترك فيها كثير من البقر ولا نهتدي بها إلى
 تشخيص ما هو المأمور بها ولذلك لم يقولوا إن البقرة تشابهت لإيذان بأن النعوت المعدودة ليست بمشخصة
 للمأمور بها بل صادقة على سائر أفراد الجنس وقرىء إن الباقر وهو اسم لجماعة البقر والباقر والبواقر
 ويتشابه بالباء والتاء ويشابه بطرح التاء والإدغام على التذكير والتأنيث وتشابهت مخففاً ومشدداً وتشبه
 بمعنى تشبه وتشبه بالتذكير ومتشابهة ومتشابهة ومتشبهة وفيه دلالة على أنهم ميزوها عن بعض
 ما عداها في الجملة وإنما بنى اشتباهه بشرف الزوال كما بنى عنه قولهم (وإننا إن شاء الله لمهتدون) مؤكداً
 ٧١ بوجوه من التوكيد أي لمهتدون بما سألنا من البيان إلى المأمور بذبحها وفي الحديث لولم يستثنوا لما بينت
 لهم آخر الأبد (قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث) أي لم تذلل للكراب
 وسقي الحرث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية لنا كيد الأولى والفعلان صفتا ذلول كأنه
 قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرىء لا ذلول بالفتح أي حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان
 ● أي حيث هو وقرىء تسقى من أسقى (مسلمة) أي سلمها الله تعالى من العيوب أو أهلها من العمل أو
 ● خلص لها لونها من سلم له كذا إذا خلص له ويؤيده قوله تعالى (لا شية فيها) أي لا لون فيها يخالف
 لون جلدها حتى قرننها وظلفها وهي في الأصل مصدر وشاه وشياً وشية إذا خلط بلونه لوناً آخر
 ● (قالوا) عند ما سمعوا هذه النعوت (الآن جئت بالحق) أي بحقيقة وصف البقرة بحيث ميزتها عن
 جميع ما عداها ولم يبق لنا في شأنها اشتباه أصلاً بخلاف المرتين الأوليين فإن ما جئت به فيهما لم يكن في
 التعمين بهذه المرتبة ولعلمهم كانوا قبل ذلك قد رأوها ووجدوها جامعة لجميع ما فصل من الأوصاف
 المشروحة في المرات الثلاث من غير مشارك لها فيما عد في المرة الأخيرة وإلا فمن أين عرفوا اختصاص
 النعوت الأخيرة بها دون غيرها وقرىء الآن بالمد على الاستفهام والآن بحذف الهمزة وإلقاء حركتها
 ● على اللام (فذبحوها) الفاء فصيحة كما في فانفجرت أي فحصلوا البقرة فذبحوها (وما كادوا يفعلون) كاد

وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمُ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ البقرة

من أفعال المقاربة وضع لدنو الخبر من الحصول والجملة حال من ضمير ذبحوا أى فذبحوها والحال أنهم كانوا قبل ذلك بمعزل منه أو اعتراض تذييل ومآله استثقال استعصائهم واستبطاء لهم وأنهم لفرط تطولهم وكثرة مراجعاتهم ما كاد ينتهى خيط إسهابهم فيها . قيل مضى من أول الأمر إلى الامتثال أربعون سنة وقيل وما كادوا يفعلون ذلك لغلاء ثمنها . روى أنه كان في بنى إسرائيل شيخ صالح له عجلة فأتى بها الغيضة وقال اللهم إني استودعتكها لا بنى حتى يكبر وكان برأ بوالديه فتوفي الشيخ وشبت العجلة فكانت من أحسن البقر وأسمنها فساوموها اليتم وأمه حتى اشتروها بملء مسكها ذهباً لما كانت وحيدة بالصفات المذكورة وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة دنانير واعلم أنه لا خلاف في أن مدلول ظاهر النظم الكريم بقرة مطلقة مهمة وأن الامتثال في آخر الأمر إنما وقع بذبح بقرة معينة حتى لو ذبحوا غيرها ماخرجوا عن عهدة الأمر لكن اختلف في أن المراد للمأمور به أثر ذى أثر هل هي المعينة وقد أخرج البيان عن وقت الخطاب أو المهمة ثم لحقها التغير إلى المعينة بسبب تناقلهم في الامتثال وتماذيرهم في التعمق والاستكشاف فذهب بعضهم إلى الأول تمسكاً بأن الضمائر في الأجوبة أغنى إنما بقرة إلى آخره للمعينة قطعاً ومن قضيته أن يكون في السؤال أيضاً كذلك ولا ريب في أن السؤال إنما هو عن البقرة للمأمور بذبحها فتكون هي المعينة وهو مدفوع بأنهم لما تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيجاء ظنوها معينة خارجة عما عليه الجنس من الصفات والخواص فسألوا عنها فرجعت الضمائر إلى المعينة في زعمهم واعتقادهم فعينها الله تعالى تشديداً عليهم وإن لم يكن المراد من أول الأمر هي المعينة والحق أنها كانت في أول الأمر مهمة بحيث لو ذبحوا أية بقرة كانت لحصل الامتثال بدلالة ظاهر النظم الكريم وتكرير الأمر قبل بيان اللون وما بعده من كونها مسلمة الخ وقد قال عليه السلام لو اعترضوا أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم وروى مثله عن رئيس المفسرين عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ثم رجع الحكم الأول منسوخاً بالثاني والثاني بالثالث تشديداً عليهم لكن لا على وجه ارتفاع حكم المطلق بالكلية وانتقاله إلى المعين بل على طريقة تقييده وتخصيصه به شيئاً فشيئاً كيف لا ولو لم يكن كذلك لما عدت مراجعاتهم المحكية من قبيل الجنائيات بل من قبيل العبادة فإن الامتثال بالأمر بدون الوقوف على المأمور به عما لا يكاد يقضى فتكون سؤالانهم من باب الاهتمام بالامتثال (وإذ قتلتم نفساً) منصوب بمضمر كآمرت ٧٢ نظائره والخطاب للمعاصرين لرسول الله عليه السلام وإسناد القتل والتدارف إليهم لما مر من نسبة جنائيات الأسلاف إلى الأخلاف توبيخاً وتقريعاً وتخصيصهما بالإسناد دون مآمر من هئاتهم لظهور قبح القتل وإسناده إلى الغير أى اذكروا وقت قتلكم نفساً محرمة (فادارأتم فيها) أى تخاصمتم في شأنها إذ كل واحد من الخصماء يدافع الآخر أو تدافعهم بأن طرح كل واحد قتلها إلى آخر وأصله تدارأتم فادغمت الزناء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل (والله يخرج ما كنتم تكتمون) أى مظهر لما تكتمونه لا محالة والجمع ●

فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بَعْضُهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ أَلْمَوْتِ وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ البقرة

- ٧٣ بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار وإنما أعمل مخرج لأنه حكاية حال ماضية (فقلنا اضربوه) عطف على فادار أنتم وما بينهما اعتراض والالتفات لثنية المهابة والضمير للنفس والتذكير باعتبار أنها عبارة عن الرجل أو بتأويل الشخص أو القتل (يبعضها) أى ببعض البقرة أى بعض كان وقيل بأصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بأذننها وقيل بعجبها وقيل بالعظم الذى يلى الغضروف وهذا أول القصة كما ينبي عنه الضمير الراجع إلى البقرة كأنه قيل وإذ قتلتم نفساً فادار أنتم فيها فقلنا اذهبوا بقره فاضربوه ببعضها وإنما غير الترتيب عند الحكاية لتسكير التوبيخ وتثنية التقرير فإن كل واحد من قتل النفس المحرمة والاستهزاء برسول الله ﷺ والافتيات على أمره وترك المسارعة إلى الامتثال به جناية عظيمة حقيقة بأن تنعى عليهم بحياها ولو حكيت القصة على ترتيب الوقوع لما علم استقلال كل منها بما يخص بها من التوبيخ وإنما حكى الأمر بالذبح عن موسى عليه السلام مع أنه من الله عز وجل كالأمر بالضرب لما أن جناياتهم كانت بمراجعتهم إليه عليه السلام والافتيات على رأيه (كذلك يخبي الله الموتى) على إرادة قول معطوف على مقدر ينسحب عليه الكلام أى فضر به فخي وقلنا كذلك يخبي الخ فحذفت الغاء الفصيحة فى فخي مع ما عطف بها وما عطف هو عليه لدلالة كذلك على ذلك فالخطاب فى كذلك حينئذ للحاضرين عند حياة القليل ويجوز أن يكون ذلك للحاضرين عند نزول الآية الكريمة فلا حاجة حينئذ إلى تقدير القول بل تنتهى الحكاية عند قوله تعالى ببعضها مع ما قدر بعده فالجملة معترضة أى مثل ذلك الإحياء العجيب يخبي الله الموتى يوم القيامة (ويريكم آياته) ودلائله الدالة على أنه تعالى على كل شيء قدير ويجوز أن يراد بالآيات هذا الإحياء والتعبير عنه بالجمع لاشتماله على أمور بديعة من ترتب الحياة على عضو ميت وإخباره بقاتله وما يلاسه من الأمور الخارقة للعادة (لعلكم تعقلون) أى لئلى تكمل عقولكم وتعلموا أن من قدر على إحياء نفس قدر على إحياء الأنفس كلها أو تعلموا على قضية عقولكم ولعل الحكمة فى اشتراط ما اشترط فى الإحياء مع ظهور كمال قدرته على إحيائه ابتداء بلا واسطة أصلاً اشتماله على التقرب إلى الله تعالى وأداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل على الله تعالى والشفقة على الأولاد ونفع بر الوالدين وأن من حق الطالب أن يقدم قربة ومن حق المتقرب أن يتحرى الأحسن ويغالى بشمنه كما يروى عن عمر رضى الله عنه أنه ضحى بنجيبة اشتراها بثلاثمائة دينار وأن المؤثر هو الله تعالى وإنما الأسباب أمارات لا تأثير لها وأن من رام أن يعرف أعدى عدوه الساعى فى إمامته الموت الحقيقى فطريقه أن يذبح بقره نفسه التى هى قوته الشهوية حين زال عنها شره الصبا ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة راققة المنظر غير مذلة فى طلب الدنيا مسلبة عن دنسها لاسمة بها من قبائحها بحيث يتصل أثره إلى نفسه فيحيا بها حياة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارؤ والجدال (ثم قست قلوبكم) الخطاب للمعاصرى النبى ﷺ والقسوة عبارة عن الغلظ والجفاء والصلابة كما فى الحجر استعيرت لنبو قلوبهم عن التأثر
- ٧٤

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ
الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا
تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ٢ البقرة

- بالعظاات والقوارع التي تميم منها الجبال وتلين بها الصخور وإيراد الفعل المفيد لحدوث القساوة مع أن
قلوبهم لم تزل قاسية لما أن المراد بيان بلوغهم إلى مرتبة مخصوصة من مراتب القساوة حادثة وإمالان
الاستمرار على شيء بعد ورود ما يوجب الإقلاع عنه أمر جديد وصنع حادث وثم لاستبعاد القسوة
بعد مشاهدة ما يزيد عليها كقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون (من بعد ذلك) إشارة إلى ما ذكر
من إحياء القتل أو إلى جميع ما عدد من الآيات الموجبة للين القلوب وتوجيهها نحو الحق أى من بعد
سماع ذلك وما فيه من معنى البعد الإيذان ببعد منزلته وعلو طبقته وتوحيد حرف الخطاب مع تعدد
المخاطبين إما بتأويل الفريق أولان المراد مجرد الخطاب لائعين المخاطب كما هو المشهور (فهي كالحجارة)
في القساوة (أو أشد) منها (قسوة) أى هي في القسوة مثل الحجارة أوزائدة عليها فيها أو أنها مثلها
أو مثل ما هو أشد منها قسوة كالحديد لحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ويعضده القراءة بالجر
عطفًا على الحجارة وإيراد الجملة اسمية مع كون ما سبق فعلية للدلالة على استمرار قساوة قلوبهم والفاء
إما لتفريع مشابعتها لها على ما ذكر من القساوة تفريع التشبيه على بيان وجه الشبه في قولك أحر خده
فهو كالورد وإما للتعليل كما في قولك اعبد ربك فالعبادة حق له وإنما لم يقل أو أفسى منها لما في النصريح
بالشدة من زيادة مبالغة ودلالة ظاهرة على اشتراك القسوتين في الشدة واشتغال المفضل على زيادة أو
للتخيير أو لترديد بمعنى أن من عرف حالها شبهها بالحجارة أو بما هو أفسى أو من عرفها شبهها بالحجارة
أو قال هي أفسى من الحجارة وترك ضمير المفضل عليه للأمن من الالتباس (وإن من الحجارة لما يتفجر
منه الأنهار) بيان لأشدية قلوبهم من الحجارة في القساوة وعدم التأثير واستحالة صدور الخير منها يعنى
أن الحجارة ربما تتأثر حيث يكون منها ما يتفجر منه المياه العظيمة (وإن منها لما يشقق) أى يشقق
(فيخرج منه الماء) أى العيون (وإن منها لما يهبط من خشية الله) أى يتردى من الأعلى إلى الأسفل
بقضية ما أودعه الله عز وجل فيها من الثقل الداعى إلى المركز وهو مجاز من الانقياد لأمره تعالى
والمعنى أن الحجارة ليس منها فرد إلا وهو منقاد لأمره عز وعلا آت بما خلق له من غير استعصاء
وقلوبهم ليست كذلك فتكون أشد منها قسوة لاحتالة واللام في لما لام الابتداء دخلت على اسم إن
لتقدم الخبر وقرئ إن على أنها مخففة من الثقيلة واللام فارقة وقرئ يهبط بالضم (وما الله بغافل عما
تعملون) عن متعلقة بغافل وما موصولة والعائد محذوف أو مصدرية وهو وعيد شديد على ما هم عليه
من قساوة القلوب وما يترتب عليها من الأعمال السيئة وقرئ بالياء على الالتفات . وقوله تعالى

أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرِفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ
وَهُمْ يَعلَمُونَ ﴿٧٥﴾ البقرة

- ٧٥ (أفطمعون) تلوين للخطاب وصرف له عن اليهود أثر ما عدت هئاتهم ونعيت عليهم جناياتهم إلى النبي ﷺ ومن معه من المؤمنين والهمزة لإنكار الواقع واستبعاده كما في قولك أتضرب أباك لا لإنكار الوقوع كما في قوله أضرِبْ أبي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه نظام الكلام لكونه لا على قصد توجيه الإنكار إلى المعطوفين معاً كما في أفلا تبصرون على تقدير المعطوف عليه منفياً أي ألا تنظرون فلا تبصرون فالمنكر كلا الأمرين بل إلى ترتيب الثاني على الأول مع وجوب أن يترتب عليه نقيضه كما إذا قدر الأول مثبتاً أي أنتظرون فلا تبصرون فالمنكر ترتيب الثاني على الأول مع وجوب أن يترتب عليه نقيضه أي أستمعون أخبارهم وتعلمون أحوالهم فطمعون ومآل المعنى أبعد أن علمتم تفاصيل شئونهم المؤيسة
- عنهم قطعهم (أن يؤمنوا) فإنهم متبائلون في شدة الشكيمة والأخلاق الذميمة لا يتأتى من أخلاقهم إلا مثل ما أتى من أسلافهم وأن مصدرية حذف عنها الجار والأصل في أن يؤمنوا وهي مع ما في حيزها في محل النصب أو الجر على الخلاف المعروف واللام في لكم لتضمين معنى الاستجابة كما في قوله عز وجل فآمن له لوط أي في إيمانهم مستجيبين لكم أو للتعليل أي في أن يحدثوا الإيمان لأجل دعوتكم
 - وصلة الإيمان محذوفة لظهور أن المراد به معناه الشرعي وستقف على ما فيه من المزية بإذن الله تعالى (وقد كان فريق منهم) الفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه كالرھط والقوم والجار والمجرور في محل الرفع أي فريق كائن منهم وقوله تعالى (يسمعون كلام الله) خبر كان وقرئ كلام الله والجملة حالية مؤكدة للإنكار حاسمة لمادة الطمع . مثل أحوالهم الشنيعة المحكية فيما سلف على منهاج قوله تعالى وهم لكم عدو بعد قوله تعالى أفنتخذونه وذريته أولياء من دوني أي والحال أن طائفة منهم قال ابن عباس رضي الله عنهما هم قوم من السبعين المختارين للبيقات كانوا يسمعون كلامه تعالى حين كلم موسى عليه السلام بالطور وما أمر به ونهى عنه (ثم يحرفونه) عن مواضعه لا لقصور فهمهم عن الإحاطة بتفاصيله على ما ينبغي لاستيلاء الدهشة والمهابة حسبا يقتضيه مقام الكبرياء بل (من بعد ما عقلوه) أي فهموه وضبطوه بعقولهم ولم تبق لهم في مضمونه ولا في كونه كلام رب العزة ريبة أصلاً فلما رجعوا إلى قومهم أداه الصادقون إليهم كما سمعوا وهو لا قالوا سمعنا الله تعالى يقول في آخر كلامه إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا وإن شئتم فلا تفعلوا فلا بأس فتم للتراخي زماناً أورثه وقال القفال سمعوا كلام الله وعقلوا مراده تعالى منه فأولوه تأويلاً فاسداً وقيل هم رؤساء أسلافهم الذين تولوا تحريف التوراة بعد ما أحاطوا بما فيها علماً وقيل هم الذين غيروا نعت النبي ﷺ في عصره وبدلوا آية الرجم وبأباه الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل الدال على وقوع السماع والتحريف فيما سلف إلا أن يحمل ذلك على تقدمه على زمان نزول الآية الكريمة لا على تقدمه على عهده عليه الصلاة والسلام هذا الأول هو الأنسب بالسماع والكلام إذ

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَا بِعَضُفُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ البقرة

- التوراة وإن كانت كلام الله عز وعلا لكنها باسم الكتاب أشهر وأثر التحريف فيه أظهر . ووصف اليهود بتلاوتها أكثر . لا سيما رؤساؤهم المباشرون للتحريف فإن وظيفتهم التلاوة دون السماع فكان الأنسب حينئذ أن يقال يتلون كتاب الله تعالى فالمعنى أفطمعون في أن يؤمن هؤلاء بواسطتكم ويستجيبيوا لكم والحال أن أسلافهم الموافقين لهم في خلال السوء كانوا يسمعون كلام الله بلا واسطة ثم يحرفونه من بعد ما علموه يقيناً ولا يستجيبيون له هيئات ومن ههنا ظهر ما في إشار لكم على بالله من الفخامة والجزالة وقوله عز وجل (وهم يعلمون) جملة حالية من فاعل يحرفونه مفيدة لكمل قباحة حالهم مؤذنة بأن تحريفهم ذلك لم يكن بناء على نسيان ما علموه أو على الخطأ في بعض مقدماته بل كان ذلك حال كونهم عالمين مستحضرين له أو هم يعلمون أنهم كاذبون ومفترون (وإذا لقوا) جملة مستأنفة سيقت إثر بيان ما صدر عن أشباههم لبيان ما صدر عنهم بالذات من الشنائع المؤيسة عن إيمانهم من نفاق بعض وعتاب آخرين عليهم أو معطوفة على ما سبق من الجملة الحالية والضمير لليهود لما استقف على سره لا للمناقضين خاصة كما قيل تحرياً لاتحاد الفاعل في فعل الشرط والجزاء حقيقة (الذين آمنوا) من أصحاب النبي ﷺ (قالوا) أي اللاقون لكن لا بطريق تصدى الكل للقول حقيقة بل بمباشرة مناقضهم وسكوت الباقيين كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم وهذا أدخل في تقييح حال الساكتين أولاً العاتبين ثانياً لما فيه من الدلالة على نفاقهم واختلاف أحوالهم وتناقض آرائهم من إسناد القول إلى المباشرين خاصة بتقدير المضاف أي قال مناقضهم (آمنوا) لم يقتضوا على ذلك بل علموه بأنهم وجدوا نعت النبي ﷺ في التوراة وعلموا أنه النبي المبشر به وإنما لم يصرح به تعويلاً على شهادة التوبيخ الآتي (وإذا خلا بعضهم) أي بعض المذكورين وهم الساكتون منهم أي إذا فرغوا من الاشتغال بالمؤمنين متوجهين ومنضمين (إلى بعض) آخر منهم وهم مناقضهم بحيث لم يبق معهم غيرهم وهذا نص على اشتراك الساكتين في لقاء المؤمنين كما أشير إليه آنفاً إذ الخلو إنما يكون بعد الاشتغال ولأن عتابهم معلق بمحض الخلو ولولا أنهم حاضرون عند المقابلة لوجب أن يجعل سماعهم لها من تمام الشرط ولأن فيه زيادة تشنيع لهم على ما أتوا من السكوت ثم العتاب (قالوا) أي الساكتون موبخين لمناقضهم على ما صنعوا (أتحدثونهم) يعنون المؤمنين (بما فتح الله عليكم) ماموصولة والعائد محذوف أي بينه لكم خاصة في التوراة من نعت النبي ﷺ والتعبير عنه بالفتح للإيذان بأنه سر مكنون وباب مغلق لا يقف عليه أحد وتجويز كون هذا التوبيخ من جهة المناقضين لأعقابهم إراءة للتصلب في دينهم كإليه عصابة مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل واللام في قوله عز وجل (ليحاجوكم به) متعلقة بالتحديث دون الفتح والمراد تأكيد النكير وتشديد التوبيخ فإن التحديث بذلك وإن كان منكراً في نفسه لكن التحديث به لأجل هذا الغرض

أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ ٢ البقرة

بما لا يكاد يصدر عن العاقل أى أتحدثونهم بذلك ليحتجوا عليكم به فيكثرتكم والمحدثون به وإن لم يحوموا حول ذلك الغرض لكن فعلمهم ذلك لما كان مستتباً له البتة جعلوا فاعلين للغرض المذكور لإظهار الكمال

● سخافة عقولهم وركاكة آرائهم (عند ربكم) أى فى حكمه وكتابه كما يقال هو عند الله كذا أى فى كتابه وشرعه وقيل عند ربكم يوم القيامة ورد عليه بأن الإخفاء لا يدفعه إذ هم عالمون بأنهم محجوجون يومئذ حدثوا به أولم يحدثوا والاعتذار بأن إلزام المؤمنين لإيائهم وتبكيتهم بأن يقولوا لهم ألم تحدثونا بما فى كتابكم فى الدنيا من حقبة ديننا وصدق نبينا أخش فيجوز أن يكون المحذور عندهم هذا الإلزام يارجاع الضمير فى به إلى التحذير دون المحدث به ولا ريب فى أنه مدفوع بالإخفاء لا تساعده الآية الكريمة الآتية كما ستقف عليه بإذن الله عز وجل (أفلا تعقلون) من تمام التوبيخ والعتاب والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أى ألا تلاحظون فلا تعقلون هذا الخطأ الفاحش أو شيئاً من الأشياء التى من جملتها هذا فالمسكر عدم التعقل ابتداء أو أفعلون ذلك فلا تعقلون بطلانه مع وضوحه حتى تحتاجون إلى التنبيه عليه فالمسكر حينئذ عدم التعقل بعد الفعل هذا وأما ما قيل من أنه خطاب من جهة الله سبحانه للمؤمنين متصل بقوله تعالى أفنطمعوا ● والمعنى أفلا تعقلون حالهم وأن لا مطمع لكم فى إيمانهم فإياه قوله تعالى (أولا يعلمون) ٧٧ فإنه إلى آخره تجهيل لهم من جهته تعالى فيما حكى عنهم فيكون إيراد خطاب المؤمنين فى أثنا من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه على أن فى تخصيص الخطاب بالمؤمنين من التعسف وفى تميمه للنبي أيضاً ﷺ كما فى أفنطمعون من سوء الأدب ما لا يخفى والهمزة للإنكار والتوبيخ كما قبلها والواو للعطف على مقدر ينساق إليه الذهن والضمير للمؤمنين أى أيلومونهم على التحديث المذكور مخافة المحاجة ولا يعلمون (أن الله يعلم ما يسرون) أى يسرونه فيما بينهم من المؤمنين أو ما يضررونه فى قلوبهم فيثبت الحكم

● فى ذلك بالطريق الأولى (وما يعلنون) أى يظهرونه للمؤمنين أولاً أصحابهم حسبما سبق فحينئذ يظهر الله تعالى للمؤمنين ما أرادوا إخفاءه بواسطة الوحي إلى النبي ﷺ فتحصل المحاجة ويقع التبكيت كما وقع فى آية الرجم وتحريم بعض المحرمات عليهم فأى فائدة فى اللوم والعتاب ومن ههنا تبين أن المحذور عندهم هو المحاجة بما فتح الله عليهم وهى حاصلة فى الدارين حدثوا به أم لا لا بالتحديث به حتى يندفع بالإخفاء وقيل الضمير للمنافقين فقط أولهم وللمؤمنين أو لا بأثمهم المحرفين أى يفعلون ما يفعلون ولا يعلمون أن الله يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن جملته أسرارهم الكفر وإظهارهم الإيمان وإخفاء ما فتح الله عليهم وإظهار غيره وكنتم أمر الله وإظهار ما أظهره اقتراء وإنما قدم الأسرار على الإعلان للإيذان بافتضاخهم ووقوع ما يحذرونه من أول الأمر والمبالغة فى بيان شمول علمه المحيط بجميع المعلومات كان علمه بما يسرونه أقدم منه بما يعلنونه مع كونهما فى الحقيقة على السوية فإن علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شئ فى نفسه علم بالنسبة إليه تعالى وفى

وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ٢ البقرة

- هذا المعنى لا يختلف الحال بين الأشياء البارزة والكامنة ونظيره قوله عز وعلا قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه الإخفاء على الإبداء لما ذكر من السر على عكس ما وقع في قوله تعالى وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فإن الأصل في تعلق المحاسبة به هو الأمور البادية دون الخافية ويجوز أن يكون ذلك باعتبار أن مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن إذ ما من شيء يعلن إلا وهو أو مباديه قبل ذلك مضمرة في القلب يتعلق به الإسرار غالباً فتعلق علمه تعالى بحالته الأولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية (ومنه أميون) وقرئ بتخفيف الياء جمع أمي وهو من لا يقدر على الكتابة والقراءة ٧٨ واختلف في نسبته ف قيل إلى الأم بمعنى أنه شبيه بها في الجهل بالكتابة والقراءة فإنهما ليستا من شئون النساء بل من خلال الرجال أو بمعنى أنه على الحالة التي ولدته أمه في الخلو عن العلم والكتابة وقيل إلى الأمة بمعنى أنه باق على سذاجتها حال عن معرفة الأشياء كقولهم عامي أي على عادة العامة روى عن عكرمة والضحاك أن المراد بهم نصارى العرب وقيل هم قوم من أهل الكتاب رفع كتابهم لذنوب ارتكبوها فصاروا أميين وعن علي رضي الله تعالى عنه هم المجوس والحق الذي لا يحيد عنه أنهم جملة اليهود . والجملة مستأنفة مسبوقة لبيان قبائحهم إثر بيان شنائع الطوائف السالفة وقيل هي معطوفة على الجملة الحالية فإن مضمونها مناف لرجاء الخير منهم وإن لم يكن فيه ما يحسم مادة الطمع عن إيمانهم كما في مضمون الجملة الحالية وما بعدها فإن الجهل بالكتاب في منافاة الإيمان ليس بمثابة تحريف كلام الله بعد سماعه والعلم بمعانيه كما وقع من الأولين أو النفاق والنهي عن إظهار ما في التوراة كما وقع من الفرقتين الآخرين أي ومنهم طائفة جهلة غير قادرين على الكتابة والتلاوة (لا يعلمون الكتاب) أي لا يعرفون التوراة ليطلعوها ويتحققوا ما في تضاعيفها من دلائل النبوة فيؤمنوا وحمل الكتاب على الكتابة
- ياباه سباق النظم الكريم وسياقه (إلا أمانى) بالتشديد وقرئ بالتخفيف جمع أمنية أصلها أمنية أفعولة من منى بمعنى قدر أو بمعنى تلا كتمنى في قوله [تمنى كتاب الله أول ليلة] فأعلت إعلال سيد وميت ومعناها على الأول ما يقدره الإنسان في نفسه ويتمناه وعلى الثاني ما يتلووه على التقديرين فالاستثناء منقطع إذ ليس ما يتمنى وما يتلى من جنس علم الكتاب أي لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون أمانى حسبما منهم أحبارهم من أن الله سبحانه يعفو عنهم وأن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم وغير ذلك من أمانيتهم الفارغة المستندة إلى الكتاب على زعم رؤسائهم أو لا يعلمون الكتاب لكن يتلقونه قدر ما يتلى عليهم فيقبلونه من غير أن يتمكنوا من التدبر فيه وأما حمل الأمانى على الأكاذيب المختلفة على الإطلاق من غير أن يكون لها ملازمة بالكتاب فلا يساعده النظم الكريم (وإن هم إلا يظنون) مامم إلا
 - قوم قصارى أمرهم الظن والتقليد من غير أن يصلوا إلى رتبة العلم فأنى يرجى منهم الإيمان المؤسس على قواعد اليقين ولما بين حال هؤلاء في تمسكهم بحال الأمانى واتباع الظن عقب بيان حال الذين أو قعوم في تلك الورطة وبكشف كيفية إضلالهم وتعيين مرجع الكل بالآخر ف قيل على وجه الدعاء

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ البقرة

- ٧٩ عليهم (فويل) هو وأمثاله من ويح وويس وويب وويه وويك وعول من المصادر المنصوبة بأفعال من غير لفظها لا يجوز إظهارها البتة فإن أضيف نصب نحو ويك ويحك وإذا فصل عن الإضافة رفع نحو ويل له ومعنى الويل شدة الشر قاله الخليل وقال الأصمعي الويل التفجع والويح الترحم وقال سيدييه ويل لمن وقع في الهلكة وويح زجر لمن أشرف على الهلاك وقيل الويل الحزن وهل ويح وويب وويس بذلك المأني أو يئنه ويئنها فرق وقيل ويل في الدعاء عليه وويح وما بعده في الترحم عليه وقال ابن عباس رضى الله عنهما الويل العذاب الأليم وعن سفیان الثوري أنه صديداً أهل جهنم وروى أبو سعيد الخدري رضى الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال الويل واد في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يباغ قعره وقال سعيد بن المسيب أنه واد في جهنم لوسيرت فيه جبال الدنيا لما عت من شدة حره وقال ابن بريدة جبل قيع ودم وقيل صهر يج في جهنم وحكى الزهراوى أنه باب من أبواب جهنم وعلى كل حال فهو مبتدأ خبره قوله عز وعلا (الذين يكتبون الكتاب) أى المحرف أو ما كتبوه من التأويلات الزائفة
- (بأيديهم) تأكيد لدفع توهم المجاز كقولك كتبت يميني (ثم يقولون هذا) أى جميعاً على الأول
 - وبخصوصه على الثانى (من عند الله) روى أن أحبار اليهود خافوا ذهاب ما كلهم وزوال رياستهم حين قدم النبي ﷺ المدينة فاحتالوا في تعويق أسافل اليهود عن الإيمان فعمدوا إلى صفة النبي ﷺ في التوراة وكانت هي فيها حسن الوجه حسن الشعر أكل العينين ربة فغيروها وكتبوا مكانها طوال أزرق سبط الشعر فإذا سألهم سفلتهم عن ذلك قرعوا عليهم ما كتبوا فيجدونه مخالف لصفته عليه السلام فيكذبونه
 - وثم للتراخي الرتبة فإن نسبة المحرف والتأويل الزائغ إلى الله سبحانه صريحاً أشد شناعة من نفس التحريف والتأويل (ليشتروا به) أى يأخذوا لأنفسهم بمقابلته (ثمناً) هو ما أخذوه من الرشى بمقابلة ما فعلوا من التحريف والتأويل وإنما عبر عن المشتري الذى هو المقصود بالذات في عقد المعاوضة بالثمن الذى هو وسيلة فيه لإذناناً بتمكيسهم حيث جعلوا المقصود بالذات وسيلة والوسيلة مقصوداً بالذات
 - (قليلاً) لا يعاب به فإن ذلك وإن جل في نفسه فهو أقل قليلاً عندما استوجبوا به من العذاب الخالد
 - (فويل لهم) تكرير لما سبق للتأكيد وتصريح بتعليله بما قدمت أيديهم بعد الإشعار به فيما سلف بإيراد
 - بعضه في حيز الصلة وبعضه في معرض الغرض والفاء الإيذان بترتبه عليه ومن في قوله عز وجل (مما كتبت أيديهم) تعليلية متعلقة بويل أو بالاستقرار في الخبر وما موصولة اسمية والعائد محذوف أى كتبت أو مصدرية والأول أدخل في الزجر عن تعاطي المحرف والثانى في الزجر عن التحريف (وويل لهم مما يكسبون) الكلام فيه كالذى فيما قبله والتكرير لما مر من التأكيد والتشديد والقصد إلى التعليل بكل من الجانبين وعدم التعرض لقولهم هذا من عند الله لما أنه من مبادئ ترويج ما كتبت أيديهم فهو

وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ البقرة

بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ ٢ البقرة

- داخل في التعليل به (وقالوا) بيان لبعض آخر من جنائياتهم وفصله عما قبله مشعر بكونه من الأكاذيب ٨٠ التي اختلقوها ولم يكتبوها في الكتاب (لن تمسنا النار) في الآخرة (إلا أياماً معدودة) قليلة محصورة ● عدد أيام عبادتهم العجل أربعين يوماً مدة غيبة موسى عليه السلام عنهم وحكي الانصمعي عن بعض اليهود أن عدد أيام عبادتهم العجل سبعة وروى عن ابن عباس ومجاهد أن اليهود قالوا عمر الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما عذب بكل ألف سنة يوماً واحداً وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن اليهود زعمت أنهم وجدوا في التوراة أن ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة إلى أن ينتهوا إلى شجرة الزقوم وأنهم يقطعون في كل مسيرة سنة فيكملونها (قل) تبكيئاً لهم وتوبيخاً (أتخذتم) بإسقاط الهمزة ● المجتلبة لوقوعها في الدرج وإظهار الذال وقرىء بإدغامها في التاء (عند الله عهداً) خبر أو وعداً بما ترغمون ● فإن ما تدعون لا يكرن إلا بناء على وعد قوى ولذلك عبر عنه بالعهد (فلن يخلف الله عهده) الفاء فصيحة ● معربة عن شرط محذوف كما في قول من قال | قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا * ثم القفول فقد جئنا خراساناً أي إن كان الأمر كذلك فلن يخلفه والجملة اعتراضية وإظهار الاسم الجليل للإشعار بعلّة الحكم فإن عدم الإخلاف من قضية الألوهية وإظهار العهد مضافاً إلى ضميره عز وجل لما ذكر أو لأن المراد به جميع عهوده لعمومه بالإضافة فيدخل فيه العهد المعهود دخولا أولاً وفيه تحجاف عن التصريح بتحقيق مضمون كلامهم وإن كان معلقاً بما لم يكذب يشم رائحة الوجود قطعاً أعنى اتخاذ العهد (أم تقولون) مفترين ● (على الله ما لا تعلمون) وقوعه وإنما علق التوبيخ بإسنادهم إليه سبحانه ما لا يعلمون وقوعه مع أن ما أسندوه إليه تعالى من قبيل ما يعلمون عدم وقوعه للبالغة في التوبيخ والنكير فإن التوبيخ على الأدنى مستلزم للتوبيخ على الأعلى بالطريق الأولى وقولهم المحكي وإن لم يكن تصريحاً بالاقتراء عليه سبحانه لكنه مستلزم له لأن ذلك الجزم لا يكون إلا بإسناد سببه إليه تعالى وأم إما متصلة والاستفهام للتقرير المؤدى إلى التبيكيت لتحقيق العلم بالشق الأخير كأنه قيل أم لم تتخذوه بل تقولون عليه تعالى وأما منقطعة والاستفهام لإنكار اتخاذ ونفيه ومعنى بل فيها الإضراب والانتقال من التوبيخ بالإنكار على اتخاذ العهد إلى ما تفيد همزتها من التوبيخ على القول على الله سبحانه كما في قوله عز وجل قل الله أذن لكم أم على الله تفترون (بلى) إلى آخره جواب عن قولهم المحكي وإبطال له من ٨١ جهته تعالى وبيان لحقيقة الحال تفصيلاً في ضمن تشریع کلی شامل لهم ولسائر الكفرة بعد إظهار كذبهم إجمالاً وتفويض ذلك إلى النبي ﷺ لما أن الحاجة والإلزام من وظائفه عليه السلام مع ما فيه من الإشعار

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ ٢ البقرة
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ
مُعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ٢ البقرة

- بأنه أمر هين لا يتوقف على التوقيف وبلى حرف لإيجاب مختص بجواب النفي خبراً واستفهاماً (من كسب
- سيئة) فاحشة من السيئات أى كبيرة من الكبائر كدأب هؤلاء الكفرة والكسب استجلاب النفع
- وتعليقه بالسيئة على طريقة فبشرهم بعذاب أليم (وأحاطت به) من جميع جوانبه بحيث لم يبق له جانب
- من قلبه ولسانه وجوارحه إلا وقد اشتملت واستولت عليه (خطيئته) التى كسبها وصارت خاصة من
- خواصه كما تنبئ عنه الإضافة إليه وهذا إنما يتحقق فى الكافر ولذلك فسرهما السلف بالكفر حسبما
- أخرجه ابن أبى حاتم عن ابن عباس وأبى هريرة رضى الله عنهم وابن جرير عن أبى وائل ومجاهد وقتادة
- وعطاء والربيع وقيل السيئة الكفر والخطيئة الكبيرة وقيل بالعكس وقيل الفرق بينهما أن الأولى
- قد تطلق على ما يقصد بالذات والثانية تغلب على ما يقصد بالعرض لأنها من الخطأ وقرئ خطيئته
- وخطيئته على القلب والإدغام فيهما وخطيئته وخطاياها وفى ذلك إيذان بكثرة فنون كفرهم (فأولئك)
- مبتدأ (أصحاب النار) خبره والجملة خبر للمبتدأ والفاء لتضمنه معنى الشرط وإيراد اسم الإشارة المنبئ
- عن استحضار المشار إليه بماله من الأوصاف للإشعار بعليتها لصاحبة النار وما فيه من معنى البعد
- للتنبيه على بعد منزلتهم فى الكفر والخطايا وإنما أشير إليهم بعنوان الجمعية مراعاة لجانب المعنى فى كلفة
- من بعد مراعاة جانب اللفظ فى الضمائر الثلاثة لما أن ذلك هو المناسب لما أسند إليهم فى تينك الحاليتين
- فإن كسب السيئة وأحاطت خطيئته به فى حالة الانفراد وصاحبة النار فى حالة الاجتماع أى أولئك
- الموصوفون بما ذكر من كسب السيئات وإحاطة خطاياهم بهم أصحاب النار أى ملازموها فى الآخرة
- حسب ملازمهم فى الدنيا لما يستوجبها من الأسباب التى من جملتها ما هم عليه من تكذيب آيات الله تعالى
- وتحريف كلامه والافتراء عليه وغير ذلك وإنما لم يخص الجواب بحالهم بأن يقال مثلاً بلى أنهم أصحاب
- النار الخ لما فى التعميم من التهويل وبيان حالهم بالبرهان والدليل مع ما مر من قصد الإشعار بالتعليل (هم
- فيها خالدون) دائماً أبداً فأنى لهم التفتى عنها بعد سبعة أيام أو أربعين كما زعموا فلا حجة فى الآية الكريمة
- على خلود صاحب الكبيرة لما عرفت من اختصاصها بالكافر ولا حاجة إلى حمل الخلود على اللبس الطويل
- على أن فيه تهوين الخطب فى مقام التهويل (والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها
- خالدون) جرت السنة الإلهية على شفع الوعد بالوعيد مراعاة لما تقتضيه الحكمة فى إرشاد العباد من
- ٨٢ الترغيب تارة والترهيب أخرى والتبشير مرة والإنذار أخرى (وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل) شروع
- ٨٣

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ ثُمَّ أَقَرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ البقرة

- في تعداد بعض آخر من قبائح أسلاف اليهود مما ينادى بعدم إيمان أخلافهم وكلمة إذ نصب يا ضمير فعل خوطب به النبي ﷺ والمؤمنون ليؤيدهم التأمل في أحوالهم إلى قطع الطمع عن إيمانهم أو اليهود الموجودون في عهد النبوة توبيخاً لهم بسوء صنيع أسلافهم أي اذكروا إذ أخذنا ميثاقهم (لا تعبدون إلا الله) على إرادة القول أي وقلنا أو قائلين لا تعبدون إلخ وهو إخباري معنى النهي كقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وكما تقول تذهب إلى فلان وتقول كيت وكيت وهو أبلغ من صريح النهي لما فيه من إيهام أن المنهى حقه أن يسارع إلى الانتهاء عما نهى عنه فكأنه انتهى عنه فيخبر به الناهي ويؤيده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه وقيل تقديره أن لا تعبدوا إلخ لحذف الناصب ورفع الفعل كما في قوله [ألا أي هذا الزاجري أحضر الوغى * وأن أشهد للذات هل أنت مخلدى] ويعضده قراءة أن لا تعبدوا فيكون بدلا من الميثاق أو معمولا له بحذف الجار وقيل إنه جواب قسم دل عليه المعنى كأنه قيل وحلفناهم لا تعبدون إلا الله وقرىء بالياء لأنهم غيب (وبالوالدين إحساناً) متعلق بمضمر أي وتحسنون أو أحسنوا (وذى القربى واليتامى والمساكين) عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كندامى جمع نديم وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كأن الفقر أسكنه من الحرارك وأثنى عنه عن القلب (وقولوا للناس حسناً) أي قولا حسناً سماه حسناً مبالغة وقرىء كذلك وحسناً بضمين وهى لغة أهل الحجاز وحسنى كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وإرشاد (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) هما ما فرض عليهم في شريعتهم (ثم توليتهم) إن جعل ناصب الظرف خطاباً للنبي ﷺ والمؤمنين فهذا التفات إلى خطاب بنى إسرائيل جميعاً بتغليب أخلافهم على أسلافهم لجرى ذكر كلهم حينئذ على نهج الغيبة فإن الخطابات السابقة لأسلافهم محكمة داخلية في حين القول المقدر قبل لا تعبدون كأنهم استحضروا عند ذكر جنائياتهم فنعيت هى عليهم وإن جعل خطاباً لليهود المعاصرين لرسول الله ﷺ فهذا تعميم للخطاب بتنزيل الأسلاف منزلة الأخلاف كما أنه تعميم للتولى بتنزيل الأخلاف منزلة الأسلاف للتشديد في التوبيخ أي أعرضتم عن المضى على مقتضى الميثاق ورفضتموه (إلا قليلا منكم) وهم من الأسلاف من أقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن الأخلاف من أسلم كعبد الله بن سلام وأضرابه (وأنتم معرضون) جملة تذييلية أي وأنتم قوم عادتكم الإعراض عن الطاعة ومراعاة حقوق الميثاق وأصل الإعراض الذهاب عن المواجهة والإقبال إلى جانب العرض (وإذ أخذنا ميثاقكم) منصوب بفعل مضمر خوطب به اليهود قاطبة على ما ذكر من ٨٤ التغليب ونعى عليهم إخلالهم بمواجب الميثاق المأخوذ منهم في حقوق العباد على طريقة النهى لاثربيان ما فعلوا بالميثاق المأخوذ منهم في حقوق الله سبحانه وما يجرى مجراها على سبيل الأمر فإن المقصود الأصلي من النهى عن عبادة غير الله تعالى هو الأمر بتخصيص العبادة به تعالى أي واذكروا وقت أخذنا ميثاقكم

ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَى تَفْذُودُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ٢ البقرة

- في التوراة وقوله تعالى (لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) كما قبله لإخبار في معنى النهي غير السبك إليه لما ذكر من نكتة المبالغة والمراد به النهي الشديد عن تعرض بعض بني إسرائيل لبعض بالقتل والإجلاء والتعبير عن ذلك بسفك دماء أنفسهم وإخراجها من ديارهم بناء على جريان كل واحد منهم مجرى أنفسهم لما بينهم من الاتصال القوي نسباً ودينياً للمبالغة في الحمل على مراعاة حقوق الميثاق بتصوير النهي عنه بصورة تكرهها كل نفس وتنفر عنها كل طبيعة فضمير أنفسكم للمخاطبين حتماً إذ به يتحقق تنزيل المخرجين منزلتهم كما أن ضمير دياركم للمخرجين قطعاً إذ المحذور إنما هو إخراجهم من ديارهم لا من ديار المخاطبين من حيث أنهم مخاطبون كما يفسح عنه ماسياً من قوله تعالى من ديارهم وإنما الخطاب همنا باعتبار تنزيل ديارهم منزلة ديار المخاطبين بناء على تنزيل أنفسهم منزلتهم لتأكيد المبالغة وتشديد التشنيع وأما ضمير دماءكم فمحمّل للوجهين مفاداً الأول كون المسفوك دماء ادعائية للمخاطبين حقيقة ومفاد الثاني كونه دماء حقيقية للمخاطبين ادعاءً وهما متقاربان في إفادة المبالغة فتدبر وأما ما قيل من أن المعنى لا تبأشروا ما يؤدي إلى قتل أنفسكم قصاصاً أو ما يبيع سفك دماءكم وإخراجكم من دياركم أو لا تفعلوا ما يردبكم ويصرفكم عن الحياة الأبدية فإنه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تحرمون به عن الجنة التي هي داركم فإنه الجلاء الحقيقي فيما لا يساعده سياق النظم الكريم بل هو نص فيما قلناه كما ستقف عليه (ثم أقررتم) أي بالميثاق وبوجوب المحافظة عليه (وأنتم تشهدون) توكيد للإقرار كقولك أقر فلان شاهداً على نفسه وأنتم أيها الحاضرون تشهدون اليوم على إقرار أسلافكم بهذا الميثاق (ثم أنتم هؤلاء) خطاب خاص بالحاضرين فيه توبيخ شديد واستبعاد قوي لما ارتكبه بعد ما كان من الميثاق والإقرار به والشهادة عليه فأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره ومناط الإفادة اختلاف الصفات المنزل منزلة اختلاف الذات والمعنى أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون الناقضون المتناقضون حسبما تعرب عنه الجمل الآتية فإن قوله عز وجل (تقتلون أنفسكم) الخ بيان له وتفصيل لأحوالهم المنكرة المندرجة تحت الإشارة ضمناً كأنهم قالوا كيف نحن فقتل أنفسكم أي الجارين مجرى أنفسكم كما أشير إليه وقرئ تقتلون بالتشديد للتكثير (وتخرجون فريقاً منكم) الضمير إما للمخاطبين والمضاف محذوف أي من أنفسكم وإما للمقتولين والخطاب باعتبار أنهم جعلوا أنفس المخاطبين وإلا فلا يتحقق التكافؤ بين المقتولين والمخرجين في ذلك العنوان الذي عليه بدور فلك المبالغة في تأكيد الميثاق حسبما نص عليه ولا يظهر كالقباحة

- جناباتهم في نقضه (من ديارهم) الضمير للفريق وإيثار الغيبة مع جواز الخطاب أيضاً بناء على اعتبار العنوان المذكور كما مر في الميثاق للاحتراز عن توهم كون المراد لإخراجهم من ديار المخاطبين من حيث هي ديارهم لا من حيث هي ديار المخرجين وقبل هؤلاء موصول والجلتان في حين الصلة والمجموع هو الخبر لأنتم (تظاهرون عليهم) بخذف إحدى التامين وقرى. بإثباتهما وبالإدغام وتظرون بطرح إحدى التامين من تظرون ومعنى الكل تتعاونون وهي حال من فاعل تخرجون أو من مفعوله أو منهما جميعاً مبنية لكيفية الإخراج دافعة لتوهم اختصاص الحرمة بالإخراج بطريق الأصاله والاستقلال دون المظاهرة والمعاونة (بالإثم) متعلق بتظاهرون حال من فاعله أى ملتبسين بالإثم وهو الفعل الذى يستحق فاعله الذم واللوم وقيل هو ما ينفر عنه النفس ولا يطمئن إليه القلب (والعدوان) وهو التجاوز في الظلم (وإن يأتوكم أسارى) جمع أسير وهو من يؤخذ قهراً فاعيل بمعنى مفعول من الأسرى الشد أو جمع أسرى وهو جمع أسير كجرحى وجريح وقد قرىء أسرى ومحله النصب على الحالية (تفادوهم) أى تخرجوهم من الأسر بإعطاء الفداء وقرىء تفدوهم قال السدى إن الله تعالى أخذ على بنى إسرائيل في التوراة الميثاق أن لا يقتل بعضهم بعضاً ولا يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم وأياماً عبد أو أمة وجدتموه من بنى إسرائيل فاشتروه وأعتقوه وكانت قريظة حلفاء الأوس والنضير حلفاء الخزرج حين كان بينهما ما كان من العداوة والشئان فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه فإذا غلبوا خبروا ديارهم وأخرجوهم منها ثم تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون أمرنا أن نقتديهم فجمعوا له مالا فيفدونه فغيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون أمرنا أن نقتديهم وحرم عليناقتالهم ولكن نستحي أن نذل حلفاءنا فذمهم الله تعالى على المناقضة (وهو محرم عليكم لإخراجهم) هو ضمير الشأن وقع مبتدأ ومحرم فيه ضمير قائم مقام الفاعل وقع خبراً من إخراجهم والجملة خبر لضمير الشأن وقيل محرم خبر لضمير الشأن وإخراجهم مرفوع على أنه مفعول مالم يسم فاعله وقيل الضمير بهم يفسره إخراجهم أو راجع إلى ما يدل عليه تخرجون من المصدر وإخراجهم تأكيد أو بيان والجملة حال من الضمير في تخرجون أو من فريقاً أو منهما كما مر بعد اعتبار القيد بالحال السابقة وتخصيص بيان الحرمة ههنا بالإخراج مع كونه قريباً للقتل عند أخذ الميثاق لكونه مظنة للمساهلة في أمره بسبب قلة خطره بالنسبة إلى القتل ولأن مساق الكلام لزمهم وتوينخهم على جناباتهم وتناقض أفعالهم معاً وذلك مختص بصورة الإخراج حيث لم ينقل عنهم تدارك القتلى بشئ من دية أو قصاص هو السر في تخصيص التظاهر به فيما سبق وأما تأخير من الشرطية المعترضة مع أن حقه التقديم كذا ذكره الواحدى فلأن نظم أفعالهم المتناقضة في سبط واحد من الذكر أدخل في إظهار بطلانها (أفتؤمنون ببعض الكتاب) أى التوراة التى أخذ فيها الميثاق المذكور والهمزة للإنكار التوبيخى والفاء للعطف على مقدر يستدعيه المقام أى أفتفعلون ذلك فتؤمنون ببعض الكتاب وهو المفاداة (وتكفرون ببعض) وهو حرمة القتال والإخراج مع أن من قضية الإيمان ببعضه الإيمان بالباقي لكون الكل من عند الله تعالى داخل في الميثاق فمناط التوبيخ كفرهم ببعض مع إيمانهم ببعض حسبما يفيد ترتيب النظم الكريم فإن التقديم يستدعى في المقام الخطابى أصالة المقدم وتقدمه بوجه من الوجوه حتماً وإذ ليس ذلك ههنا باعتبار الإنكار والتوبيخ عليه وهو باعتبار الوقوع قطعاً

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ ٢ البقرة
 وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقَيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ
 الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ اسْتَكَبَرُوا فَعَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَقَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ٢ البقرة

- لا إيمانهم بالبعض مع كفرهم بالبعض كما هو المفهوم لو قيل أفتكفرون ببعض الكتاب وتؤمنون ببعض
 ولا مجرد كفرهم بالبعض وإيمانهم بالبعض كما يفيد أن يقال أفتجمعون بين الإيمان ببعض الكتاب
 والكفر ببعض أو بالعكس (فأجزاء من يفعل ذلك) مانافية ومن إن جعلت موصولة فلا محل ليفعل من
 الإعراب وإن جعلت موصوفة فحله الجر على أنه صفتها وذلك إشارة إلى الكفر ببعض الكتاب مع الإيمان
 ببعض أو إلى ما فعلوا من القتل والإجلاء مع مفاداة الأسارى (منكم) حال من فاعل يفعل (إلا خزي)
 استثناء مفرغ وقع خبراً للبتدأ والخزي الذل والهوان مع الفضيحة والتنكير للتفخيم وهو قتل بنى قريظة
 وإجلاء بنى النضير إلى أذرعات وأريحا من الشام وقيل الجزية (في الحياة الدنيا) في حيز الرفع على أنه
 صفة خزي أى خزي كان في الحياة الدنيا أو في حيز النصب على أنه ظرف لنفس الخزي ولعل بيان جزائهم
 بطريق القصر على ما ذكر لقطع أطعامهم الفارغة من ثمرات إيمانهم ببعض الكتاب وإظهار أنه لا أثر
 له أصلاً مع الكفر ببعض (ويوم القيامة يردون) وقرئ بالتاء أوثر صيغة الجمع نظر إلى معنى من بعد
 ما أوثر الأفراد نظراً إلى لفظها لما أن الرد إنما يكون بالاجتماع (إلى أشد العذاب) لما أن معصيتهم أشد
 المعاصي وقيل أشد العذاب بالنسبة إلى ما لهم في الدنيا من الخزي والصغار وإنما غير سبك النظم الكريم
 حيث لم يقل مثلاً وأشد العذاب يوم القيامة الإيذان بكمال التنافي بين جزاءى النشاطين وتقديم يوم القيامة
 على ذكر ما يقع فيه تهويل الخطب وتفطيع الحال من أول الأمر (وما الله بغافل عما تعملون) من
 ٨٦ القبايح التي من جملتها هذا المنكر وقرئ بالياء على نهج ردون وهو تأكيد الوعيد (أو تلك) الموصوفون
 بما ذكر من الأوصاف القبيحة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (الذين اشتروا) أى آثروا (الحياة الدنيا)
 واستبدلوها (بالآخرة) وأعرضوا عنها مع تمسكهم من تحصيلها فإن ما ذكر من الكفر ببعض أحكام
 الكتاب إنما كان لمراعاة جانب حلفائهم لما يعود إليهم منهم من بعض المنافع الدنية الدنيوية (فلا يخفف
 عنهم العذاب) دنيوياً كان أو آخروياً (ولا هم ينصرون) بدفعه عنهم شفاعة أو جبراً والجملة معطوفة
 على ما قبلها عطف الإسمية على الفعلية أو ينصرون مفسر لمحدوف قبل الضمير فيكون من عطف الفعلية
 ٨٧ على مثلها (ولقد آتينا موسى الكتاب) شروع في بيان بعض آخر من جنائياتهم وتصديره بالجملة القسمية
 لإظهار كمال الاعتناء به والمراد بالكتاب التوراة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن التوراة لما نزلت
 جملة واحدة أمر الله تعالى موسى عليه السلام بحملها فلم يطق بذلك فبعث الله بكل حرف منها ملكاً فلم
 يطيقوا بحملها فخففها الله تعالى لموسى عليه السلام لحملها (وقفينا من بعده بالرسول) يقال قفاه به إذا

وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ البقرة

- أتبعه إياه أى أرسلناهم على أثره كقوله تعالى ثم أرسلنا رسلنا تترى وهم يوشع وأشبويل وشمعون ودود وسليمان وشعيا وأرميا وعزير وحزقيلا وإلياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم عليهم الصلاة والسلام (وآتيناهم عيسى ابن مريم البينات) المعجزات الواضحات من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والإخبار بالمغيبات أو الإنجيل وعيسى بالسريانية أي شوع ومعناه المبارك ومريم بمعنى الخادم وهو بالعبرية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة [قلت لزير لم تصله مريمه * ضليل أهواء الصبا تندمه | ووزنه مفعول إذ لم يثبت فعيل (وأيديناه) أى قوبناه وقرىء وأيدناه (روح القدس) بضم الدال وقرىء بسكونها أى بالروح المقدسة وهى روح عيسى عليه السلام كقولك حاتم الجود ورجل صدق وإنما وصفت بالقدس لكرامته أولآنه عليه السلام لم تضمه الأصلاب ولا أرحام الطوامث وقيل بجبريل عليه السلام وقيل بالإنجيل كما قيل فى القرآن روحا من أمرنا وقيل باسم الله الأعظم الذى كان يحيى الموتى بذكره وتخصيصه من بين الرسل عليهم السلام بالذكر ووصفه بما ذكر من إيتاء البينات والتأييد بروح القدس لما أن بعثهم كانت لتنفيذ أحكام التوراة وتقريرها وأما عيسى عليه السلام فقد نسخ بشرعه كثير من أحكامها ولحسم مادة اعتقادهم الباطل فى حقه عليه السلام ببيان حقيقته وإظهار كمال قبح ما فعلوا به عليه السلام (أفكلما جاءكم رسول) من أولئك الرسل (بما لا تهوى أنفسكم) من الحق الذى لا يحيد عنه أى لا تحبه من هوى كفرح إذا أحب والتعبير عنه بذلك للإيذان بأن مدار الرد والقبول عندهم هو المخالفة لأهواء أنفسهم والموافقة لها لاشئ آخر وتوسيط الهمة بين الفاء وما تعلقت به من الأفعال السابقة لتوخيخهم على تعقيبهم ذلك بهذا وللتعجيب من شأنهم ويجوز كون الفاء للعطف على مقدر يناسب المقام أى ألم تطيعوهم فكلما جاءكم رسول منهم بما لا تهوى أنفسكم (استكبرتم) عن الاتباع له والإيمان بما جاء به من عند الله تعالى (فريقاً) منهم (كذبتم) من غير أن تتعرضوا لهم بشئ آخر من المضار والفاء للسببية أو للتعقيب (وفريقاً) آخر منهم (تقتلون) غير مكثفين بتكذيبهم كزكريا ويحيى وغيرهما عليهم السلام وتقديم فريقاً فى الموضعين للاهتمام وتشويق السامع إلى ما فعلوا بهم إلا للقصر وإثارة صيغة الاستقبال فى القتل لاستحضار صورته الهائلة أو للإيحاء إلى أنهم بعد على تلك النية حيث هموا بما لم ينالوه من جهته عليه السلام وسحروه وسمموا له الشاة حتى قال ﷺ مازالت أكلة خير تعاودنى فهذا أو أن قطعت أبهرى (وقالوا) بيان لفن آخر من قبائحهم على طريق الالتفات إلى الغيبة إشعاراً بإبعادهم عن رتبة الخطاب لما فصل من مخازيهم الموجبة للإعراض عنهم وحكاية نظائرهما لكل من يفهم بطلانها وقبحاتها من أهل الحق والقائلون هم الموجودون فى عصر النبي عليه الصلاة والسلام (قلوبنا غلغ) جمع أغلف مستعار من الأغلف الذى لم يختن أى مغشاة بأغشية جبلية لا يكاد يصل إليها ماء به محمد ﷺ ولا تفقهه كقولهم قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه وقيل هو تخفيف غلف جمع غلاف ويؤيده ما روى عن أبى عمرو من القراءة بضممتين يعنون أن قلوبنا أوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا
فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ ٢ البقرة

- غيره قاله ابن عباس وعطاء وقال الكلبي يعنون أن قلوبنا لا يصل إليها حديث إلا وعته ولو كان في حديثك
● خير لوعته أيضاً (بل لعنهم الله بكفرهم) رد لما قالوه وتكذيب لهم في ذلك والمعنى على الأول بل أبعدهم
الله سبحانه عن رحمته بأن خذلهم وخلصهم وشأنهم بسبب كفرهم العارض وإبطالهم لاستعدادهم بسوء
اختيارهم بالمرة وكونهم بحيث لا ينفعهم الألطاف أصلاً بعد أن خلقهم على الفطرة والتمكن من قبول
الحق وعلى الثاني بل أبعدهم من رحمته فأنى لهم ادعاء العلم الذي هو أجل آثارها وعلى الثالث بل
أبعدهم من رحمته فلذلك لا يقبلون الحق المؤدى إليها (فقليل ما يؤمنون) ما مزيدة للبالغنة أى
فإيماناً قليلاً يؤمنون وهو إيمانهم ببعض الكتاب وقيل فرماناً قليلاً يؤمنون وهو ما قالوا آمنوا
بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره وكلاهما ليس بإيمان حقيقة وقيل أريد بالقلّة
العدم والفناء لسببية اللعن لعدم الإيمان (ولما جاءهم كتاب) هو القرآن وتنكيره للتفخيم ووصفه بقوله عز
٨٩ وجل (من عند الله) أى كائن من عنده تعالى للتشريف (مصدق لما معهم) من التوراة عبر عنها بذلك
لما أن المعية من موجبات الوقوف على ما في تضاعيفها المؤدى إلى العلم بكونه مصداقاً لها وقرئ مصداقاً
● على أنه حال من كتاب لتخصيصه بالوصف (وكانوا من قبل) أى من قبل مجيئه (يستفتحون على الذين
كفروا) أى وقد كانوا قبل مجيئه يستفتحون به على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر
الزمان الذى نجد نعته في التوراة ويقولون لهم قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد
ولامرم وقال ابن عباس وقتادة والسدى نزلت في بني قريظة والنضير كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج
برسول الله ﷺ قبل مبعثه وقيل معنى يستفتحون يفتتحون عليهم ويعرفونهم بأن نبيا يبعث منهم قد قرب
أوانه والسين للبالغة كما في استعجب أى يسألون من أنفسهم الفتح عليهم أو يسأل بعضهم بعضاً أن يفتح
● عليهم وعلى التقديرين فالجملة حالية مفيدة لكال مكابرتهم وعنادهم وقوله عز وعلا (فلما جاءهم) تنكير
● للأول لطول العهد بتوسط الجملة الحالية وقوله تعالى (ما عرفوا) عبارة عما سلف من الكتاب لأن معرفة
من أنزل هو عليه معرفة له والاستفتاح به استفتاح به وإيراد الموصول دون الاكتفاء بالإضمار لبيان
كال مكابرتهم فإن معرفة ما جاءهم من مبادئ الإيمان به ودواعيه لا محالة والفناء للدلالة على تعقيب مجيئه
● للاستفتاح به من غير أن يتخلل بينهما مدة منسية له وقوله تعالى (كفروا به) جواب لما الأول كما هو
رأى المبرد أو جواباً معاً كما قاله أبو البقاء وقيل جواب الأولى محذوف للدلالة المذكور عليه فيكون
قوله تعالى وكانوا الخ جملة معطوفة على الشرطية عطف القصة على القصة والمراد بما عرفوا النبي ﷺ كما هو
المراد بما كانوا يستفتحون به فالمعنى ولما جاءهم كتاب مصدق لكتابهم كذبوه وكانوا من قبل مجيئه يستفتحون
● بمن أنزل عليه ذلك الكتاب فلما جاءهم النبي الذى عرفوه كفروا به (فلعنة الله على الكافرين) اللام للعهد

يُسْمَا أَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩٠﴾ البقرة

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ البقرة

- أى عليهم ووضع المظهر موضع المضمحل للإشعار بأن حلول اللعنة عليهم بسبب كفرهم كما أن الفاء الإيذان بترتيبها عليه أو للجنس وهم داخلون في الحكم دخولا أوليا إذ الكلام فيهم وأيا ما كان فهو محقق لمضمون قوله تعالى بل لعنهم الله بكفرهم (بئسما اشتروا به أنفسهم) ما نكرة بمعنى شئ منصوبة مفسرة لفاعل ٩٠ بئس واشتروا صفة أى بئس شيئا باعوا به أنفسهم وقيل اشتروا به في زعمهم حيث يعتقدون أنهم بما فعلوا خلصوها من العقاب ويأباه أنه لا بد أن يكون المذموم ما كان حاصلًا لهم لا ما كان زائلا عنهم والخصوص بالذم قوله تعالى (أن يكفروا بما أنزل الله) أى بالكتاب المصدق لما معهم بعد الوقوف على حقيقة وتبديل الإنزال بالمجىء للإيذان بعلو شأنه الموجب للإيمان به (بغياً) حسداً وطلباً لما ليس لهم وهو علة لأن يكفروا حتماً دون اشتروا لما قيل من الفصل بما هو أجنبي بالنسبة إليه وإن لم يكن أجنبياً بالنسبة إلى فعل الذم وفاعله ولأن البغى مما لا تعلق له بعنوان البيع قطعاً لاسيما وهو معلل بما سيأتى من تنزيل الله تعالى من فضله على من يشاؤه وإنما الذى بينه وبينه علاقة هو كفرهم بما أنزل الله والمعنى بئس شيئا باعوا به أنفسهم كفرهم المعلن بالبغى الكائن لأجل (أن ينزل الله من فضله) الذى هو الوحي (على من يشاء) أى يشاؤه ويصطفيه (من عباده) المستأهلين لتحمل أعباء الرسالة ومآله تعليل كفرهم بالمنزل بحسدهم للمنزل عليه وإيثار صيغة التفعيل هنا للإيذان بتجدد بغيم حسب تجدد الإنزال وتكثره حسب تكثره (فباؤا بغضب على غضب) أى رجعوا ملتبسين بغضب كائن على غضب مستحقين له حسب ما اقترفوا من كفر على كفر فإنهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد عليه الصلاة والسلام بعد عيسى وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من فنون كفرهم (وللكافرين) أى لهم والإظهار في موقع الإضمار للإشعار بعلية كفرهم لما حاق بهم (عذاب مهين) يراد به إهانته وإذلالهم لما أن كفرهم بما أنزل الله تعالى كان مبنياً على الحسد المبني على طمع المنزول عليهم وادعاء الفضل على الناس والاستهانة بمن أنزل عليه عليه السلام (وإذا قيل) من جانب المؤمنين (لهم) أى لليهود ٩١ وتقديم الجار والمجرور قد مر وجهه لاسيما في لام التبليغ (آمنوا بما أنزل الله) من الكتب الإلهية جميعاً والمراد به الأمر بالإيمان بالقرآن لكن سلك مسلك التعميم إيذاناً بتحتمل الامتثال من حيث مشاركته لما آمنوا به فيما في حيز الصلة وموافقته له في المضمون وتنبه على أن الإيمان بما عداه من غير إيمان به ليس بإيمان بما أنزل الله (قالوا تؤمن) أى نستمر على الإيمان (بما أنزل علينا) يعنون به التوراة وما نزل على
- ١٧٠ - أبى السعود ج ١

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ البقرة

أنبياء بنى إسرائيل لتقرير حكمها ويدسون فيه أن ما عدا ذلك غير منزل عليهم ومرادهم بضمير المتكلم إما أنفسهم فعنى الإنزال عليهم تكليفهم بما فى المنزل من الأحكام وإما أنبياء بنى إسرائيل وهو الظاهر لاشتماله على مزية الإيدان بأن عدم إيمانهم بالفرقان لما مر من بغيتهم وحسدكم على نزوله على من ليس منهم ولأن مرادهم بالموصول وإن كان هو التوراة وما فى حكمها خاصة لكن إيرادها بعنوان الإنزال عليهم مبنى على ادعاء أن ما عداها ليس كذلك على وجه التعريض كما أشير إليه فلو أريد بالإنزال عليهم ما ذكر من تكليفهم يلزم من مغايرة القرآن لما أنزل عليهم حسبما يعرب عنه قوله عز وجل (ويكفرون بما وراه) عدم كونهم مكلفين بما فيه كما يلزم عدم كونه نازلاً على واحد من بنى إسرائيل على الوجه الأخير وتجربد الموصول عند الإضمار عما عرضوا به تعسف لا يخفى والوراء فى الأصل مصدر جعل ظرفاً ويضاف إلى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه وإلى المفعول فيراد به ما يواريه وهو أمامه والجملة حال من ضمير قالوا بتقدير مبتدأ أى قالوا ما قالواهم يكفرون بما عداه وليس المراد مجرد بيان أن أفراد إيمانهم بما أنزل عليهم بالذكر لنفى إيمانهم بما وراه بل بيان أن ما يدعون من الإيمان ليس بإيمان بما أنزل عليهم حقيقة فإن قوله عز اسمه (وهو الحق) أى المعروف بالحقية التحقيق بأن يخص به اسم الحق على الإطلاق حال من فاعل يكفرون وقوله تعالى (مصدقاً) حال مؤكدة لمضمون الجملة صاحبها إما ضمير الحق وعاملها ما فيه من معنى الفعل قاله أبو البقاء وإما ضمير دل عليه الكلام وعاملها فعل مضمّر أى أحقه مصداقاً (لما معهم) من التوراة والمعنى قالوا تؤمن بما أنزل علينا وهم يكفرون بالقرآن والحال أنه حق مصدق لما آمنوا به فيلزمهم الكفر بما آمنوا به وماله أنهم ادعوا الإيمان بالتوراة والحال أنهم يكفرون بما يلزم من الكفر بها (قل) تبكيته لهم من جهة الله عز من قائل ببيان التناقض بين أقوالهم وأفعالهم بعد بيان التناقض فى أقوالهم (فلم) أصله لما حذفت عنه الألف فرقا بين الاستفهامية والخبرية (تقتلون أنبياء الله من قبل) الخطاب للحاضرين من اليهود والمؤمنين على طريق التغليب وحيث كانوا مشاركين فى العقد والعمل كان الاعتراض على أسلافهم اعتراضاً على أخلافهم وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية وهو جواب شرط محذوف أى قل لهم إن كنتم مؤمنين بالتوراة كما تزعمون فلائى شيء كنتم تقتلون أنبياء الله من قبل وهو فيها حرام وقرىء أنبياء الله مهموزاً وقوله تعالى (إن كنتم مؤمنين) تكرير للاعتراض لتأكيد الإلزام وتشديد التهديد أى إن كنتم مؤمنين فلم تقتلون وقد حذفت من كل واحدة من الشرطيتين ما حذف ثقة بما أثبت فى الأخرى وقيل لا حذف فيه بل تقديم الجواب على الشرط وذلك لا يتأتى إلا على رأى الكوفيين وأبى زيد وقيل إن نافية أى ما كنتم مؤمنين وإلا لما قتلتموهم (ولقد جاءكم موسى بالبينات) من تمام التبكيته والتوبيخ داخل تحت الأمر لا تكرير لما قص فى تضاعيف تعداد النعم التى من جملتها العفو عن عبادة العجل واللام للقسمة أى وبالله لقد جاءكم موسى ملتبساً بالمعجزات الظاهرة التى هى العصا واليد والسنون ونقص الثمرات والدم والطوفان والجراد والقمل والضفادع وخلق البحر وقد عد منها التوراة وليس بواضح فإن المجيء

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَاءَ آتَيْنَكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا
وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ يُكْفِرِهِمْ قُلْ بَلِّسَا يَا مَرْكُم بِهِ إِنَّكُمْ تُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ ٢ البقرة
قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ ٢ البقرة

- بها بعد قصة العجل (ثم اتخذتم العجل) أى لها (من بعده) أى من بعد مجيئه بها وقيل من بعد ذهابه إلى الطور فتكون التوراة حينئذ من جملة البينات وثم للتراخي في الرتبة والدلالة على نهاية قبح ما صنعوا (وأنتم ظالمون) حال من ضمير اتخذتم بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته واضعين لها في غير موضعها
- أو بإخلال بحقوق آيات الله تعالى أو اعتراض أى وأنتم قوم عادتم الظلم (وإذ أخذنا ميثاقكم) توبيخ ٩٣ من جهة الله تعالى وتكذيب لهم في ادعائهم الإيمان بما أنزل عليهم بتذكير جناباتهم الناطقة بكذبهم أى واذكروا حين أخذنا ميثاقكم (ورفعنا فوقكم الطور) قائلين (خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا) أى خذوا بما أمرتم به في التوراة واسمعوا ما فيها سمع طاعة وقبول (قالوا) استئناف مبنى على سؤال سائل كأنه قيل فإذا قالوا فليل قالوا (سمعنا) قولك (وعصينا) أمرك فإذا قابل أسلافهم مثل ذلك الخطاب المؤكد مع مشاهدتهم مثل تلك المعجزة الباهرة بمثل هذه العظيمة الشنعاء وكفروا بما في تضاعيف التوبة فكيف يتصور من أخلافهم الإيمان بما فيها (وأشربوا في قلوبهم العجل) على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه للبالغة أى تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به وحرصهم على عبادته كما يتداخل الصيغ الثوب والشراب أعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الإشراب كما في قوله تعالى إنما يأكلون في بطونهم ناراً والجملة حال من ضمير قالوا بتقديم قد (بكفرهم) بسبب كفرهم السابق الموجب لذلك قيل كانوا مجسمه أو حلولية ولم يروا جسماً أعجب منه فتمسكوا في قلوبهم ماسول لهم السامري (قل) توبيخاً لحاضري اليهود لإثباتين من أحوال رؤسائهم الذين بهم يقتدون في كل ما يأتون وما يذرون (بلسا يا مركم به إيمانكم) بما أنزل عليكم من التوراة حسبما تدعون والمخصوص بالذم محذوف أى ما ذكر من قولهم سمعنا وعصينا وعبادتهم العجل وفي إسناد الأمر إلى الإيمان تهكم بهم وإضافة الإيمان إليهم الإيذان بأنه ليس بإيمان حقيقة كما ينبي عنه قوله تعالى (إن كنتم مؤمنين) فإنه قدح في دعواهم الإيمان بما أنزل عليهم من التوراة وإبطال لها وتقريره إن كنتم مؤمنين بها عاملين فيما ذكر من القول والعمل بما فيها فبلسا يا مركم به إيمانكم بها وإذ لا يسوغ الإيمان بها مثل تلك القبايح فلستم بمؤمنين بها قطعاً وجواب الشرط كما ترى محذوف لدلالة ماسبق عليه (قل) كرر الأمر مع قرب العهد بالأمر السابق لما أنه أمر ٩٤ بتبكيته وإظهار كذبهم في فن آخر من أباطيلهم لكنه لم يحكم عنهم قبل الأمر بإبطاله بل اكتفى بالإشارة إليه في تضاعيف الكلام حيث قيل (إن كانت لكم الدار الآخرة) أى الجنة أو نعيم الدار

وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ ٢ البقرة

وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ

بِمُزْجِرٍ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ٢ البقرة

- الآخرة (عند الله خالصة) أى سالمة لكم خاصة بكم كما تدعون أنه لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو
- نصارى ونصبها على الحالية من الدار وعند ظرف للاستقرار في الخبر أعنى لكم وقوله تعالى (من دون
- الناس) في محل نصب بخالصة يقال خلص لى كذا من كذا واللام للجنس أى الناس كافة أو للعهد أى
- المسلمين (فتمنوا الموت) فإن من أيقن بدخول الجنة اشتاق إلى التخلص إليها من دار البوار وقرارة
- الأكدار لاسيما إذا كانت خالصة له كما قال على كرم الله وجهه لا أبالي أسقطت على الموت أو سقط الموت
- على وقال عمار بن ياسر بصفين [الآن ألقى الأحبه * محمداً وحزبه] وقال حذيفة بن اليمان حين احتضر
- وقد كان يتمنى الموت قبل [جاء حبيب على فاقة * فلا أفلح اليوم من قد ندم] أى على التثنية وقوله تعالى
- (إن كنتم صادقين) تكرير للكلام لتشديد الإلزام وللتنبية على أن ترتب الجواب ليس على تحقق الشرط
- في نفس الأمر فقط بل في اعتقادهم أيضاً وأنهم قد ادعوا ذلك والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق
- ٩٥ عليه أى إن كنتم صادقين فتمنوه وقوله تعالى (ولن يتمنوه أبداً) كلام مستأنف غير داخل تحت الأمر
- سبق من جهته سبحانه لبيان ما يكون منهم من الإحجام عما دعوا إليه الدال على كذبهم في دعواهم (بما
- قدمت أيديهم) بسبب ما عملوا من المعاصي الموجبة لدخول النار كالكفر بالنبي عليه السلام والقرآن
- وتحريف التوراة ولما كانت اليد من بين جوارح الإنسان مناط عامة صنائعه ومدار أكثر منافعه عبر
- بها تارة عن النفس وأخرى عن القدرة (والله عليم بالظالمين) أى بهم وإيثار الإظهار على الإضمار لذهمهم
- والتسجيل عليهم بأنهم ظالمون في جميع الأمور التي من جملتها ادعاء ما ليس لهم ونفيه عن غيرهم والجملة
- تذييل لما قبلها مقرر لمضمونه أى عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي المفضية إلى أفانين
- العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدي إلى ذلك فوقع الأمر كما ذكر فلم يتمن منهم موته أحد
- إذ لو وقع ذلك لنقل واشتهر وعن النبي ﷺ لو تمنوا الموت لغص كل إنسان بريقه فمات مكانه وما بقى
- ٩٦ يهودى على وجه الأرض (ولتجدنهم أحرص الناس) من الوجدان العقلى وهو جار مجرى العلم خلا أنه
- مختص بما يقع بعد التجربة ونحوها ومفعولاه الضمير وأحرص والتكثير في قوله تعالى (على حياة) للإيذان
- بأن مرادهم نوع خاص منها وهى الحياة المتطاولة وقرئ بالتعريف (ومن الذين أشركوا) عطف على
- ما قبله بحسب المعنى كأنه قيل أحرص من الناس ومن الذين أشركوا وإفرادهم بالذكر مع دخولهم في
- الناس للإيذان بامتيازهم من بينهم بشدة الحرص للبالغة في توبيخ اليهود فإن حرصهم وهم معترفون
- بالجزء لما كان أشد من حرص المشركين المنكرين له دل ذلك على جزمهم بمصيرهم إلى النار ويجوز أن
- يحمل على حذف المعطوف ثقة بأنباء المعطوف عليه عنه أى وأحرص من الذين أشركوا فقوله تعالى

قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ ٢ البقرة

- (يود أحدهم) بيان لزيادة حرصهم على طريقة الاستئناف ويجوز أن يكون في حيز الرفع صفة لمبتدأ محذوف خبره الظرف المتقدم على أن يكون المراد بالمشركين اليهود لقولهم عزيز بن الله أى ومنهم طائفة يود أحدهم أيهم كان أى كل واحد منهم (لو يعمر ألف سنة) وهو حكاية لودادتهم كأنه قيل ليتنى أعمر وإنما أجرى على الغيبة لقوله تعالى يود كما تقول حلف بالله ليفعلن ومحله النصب على أنه مفعول يود لإجراء له مجرى القول لأنه فعل قلبى (وما هو بمنزلة من العذاب) ما حجازية والضمير العائد على أحدهم اسمها وبمنزلة خبرها والباء زائدة و (أن يعمر) فاعل من حزه أى وما أحدهم بمن يرحله أى يبعده وينجيه من العذاب تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من المصدر وأن يعمر بدل منه وقيل هو مبهم وأن يعمر مفسره والجملة حال من أحدهم والعامل يود لا يعمر على أنها حال من ضميره لفساد المعنى أو اعتراض وأصل سنة سنة لقولهم سنوات وسنية وقيل سنة كجبهة لقولهم سانهته وسنية وتسنت النخلة إذا أتت عليها السنون (والله بصير بما يعملون) البصير فى كلام العرب العالم بكنهه الشيء الخبير به ومنه قولهم فلان بصير بالفقه أى عليم بخفيات أعمالهم فهو مجازيهم بها لا محالة وقرىء ببناء الخطاب التفاتاً وفيه تشديد للوعيد (قل من كان عدواً لجبريل) نزل فى عبادة بن صوريا من أخبار فندك حاج رسول الله ﷺ وسأله عن نزل عليه بالوحى فقال عليه السلام جبريل عليه السلام فقال هو عدونا لو كان غيره لآمننا بك وفى بعض الروايات ورسولنا وميكائيل فلو كان هو الذى يأتىك لآمننا بك وقد عادانا مراراً وأشدّها أنه أنزل على نبيينا أن بيت المقدس سيخر به بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقبه بيا بابل غلاماً مسكيناً فدفع عنه جبريل عليه السلام وقال إن كان ربكم أمره بهلاككم فإنه لا يسلطكم عليه وإلا فبأى حق تقتلونه وقيل أمره الله تعالى أن يجعل النبوة فينا فجعلها فى غيرنا وروى أنه كان لعمر رضى الله عنه أرض بأعلى المدينة وكان يمر على مدارس اليهود فكان يجلس إليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد أحببناك وإنا لنطمع فيك فقال والله ما أجيتكم لحبسكم ولا أسألكم لشك فى ديني وإنما أدخل عليكم لآزداد بصيرة فى أمر محمد ﷺ وأرى آثاره فى كتابكم ثم سأله عن جبريل عليه السلام فقالوا ذاك هو عدونا يطلع محمداً على أسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل يحجى بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما عند الله تعالى قالوا جبريل أقرب منزلة هو عن يمينه وميكائيل عن يساره وهما متعاديان فقال عمر رضى الله عنه إن كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولا تم أكفر من الخير ومن كان عدواً لأحدهما فهو عدو الآخر ومن كان عدواً لهما كان عدواً لله سبحانه ثم رجع عمر فوجد جبريل عليه السلام قد سبقه بالوحى فقال النبى ﷺ لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر رضى الله عنه لقد رأيتنى فى ديني بعد ذلك أصلب من الحجر وقرىء جبرئيل كسلسبيل وجبرئيل كجحمرش وجبرئيل وجبرئيل وجبرائيل كجبراعيل وجبرائيل كجبراعل

مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ ٢ البقرة
وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾ ٢ البقرة

- ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله (فإنه نزله) تعليل لجواب الشرط قائم مقامه والبارز الأول لجبريل عليه السلام والثاني للقرآن أضمر من غير ذكر لإيداناً بفخامة شأنه واستغنائه عن الذكر
- لكمال شهرته ونبأته لاسيما عند ذكر شيء من صفاته (على قلبك) زيادة تقرير للتنزيل ببيان محل الوحي فإنه القائل الأول له ومدار الفهم والحفظ وإيثار الخطاب على التكلم المبني على حكاية كلام الله تعالى بعينه كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لما في النقل بالعبارة من زيادة تقرير لمضمون
- المقالة (يا ذن الله) بأمره وتيسيره مستعار من تسهيل الحجاب وفيه تلويح بكمال توجه جبريل عليه السلام إلى تنزيله وصدق عزيمته عليه السلام وهو حال من فاعل نزله وقوله تعالى (مصدقا لما بين يديه)
- أي من الكتب الإلهية التي معظمها التوراة حال من مفعوله وكذا قوله تعالى (وهدي وبشرى المؤمنين)
- والعامل في الكل نزله والمعنى من عادى جبريل من أهل الكتاب فلا وجه لمعاداته بل يجب عليه محبته فإنه نزل عليك كتاباً مصدقا لكتبهم أو فالسبب في عداوته تنزيله لكتاب مصدق لكتابهم موافق له
- وم له كارهون ولذلك حرقوا كتبهم ووجدوا موافقته له لأن الاعتراف بها يوجب الإيمان به وذلك يستدعي انتكاس أحوالهم وزوال رياستهم وقيل إن الجواب فقد خلع ربة الإنصاف أو فقد كفر بما معه من الكتاب أو فليمت غيظاً أو فهو عدولي وأنا عدوله (من كان عدواً لله) أريد بعداوته تعالى ٩٨
- مخالفة أمره عناداً والخروج عن طاعته مكابرة أو عداوة خواصه ومقريبه لكن صدر الكلام بذكره الجليل تفخيماً لشأنهم وإيداناً بأن عداوته عز وعلا كما في قوله عز وجل والله ورسوله أحق أن يرضوه
- ثم صرح بالمرام فقيل (وملائكته ورسله وجبريل وميكال) وإنما أفردا بالذكر مع أنها أول من يشملهما عنوان الملكية والرسالة لإظهار فضلها كأنهما عليهما السلام من جنس آخر أشرف مما ذكر
- تنزيلاً للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الجنس وللتنبية على أن عداوة أحدهما عداوة للآخر حسماً لمادة اعتقادهم الباطل في حقهما حيث زعموا أنهما متعاديان وللإشارة إلى أن معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستتباع العداوة من جهة الله سبحانه وأن من عادى أحدهم فكأنما عادى الجميع وقوله تعالى (فإن الله عدو للكافرين) أي لهم جواب الشرط والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه أشد العقاب
- وإيثار الاسمية للدلالة على التحقق والثبات ووضع الكافرين موضع المضمر للإيدان بأن عداوة المذكورين كفر وأن ذلك بين لا يحتاج إلى الإخبار به وأن مدار عداوته تعالى لهم وسخطه المستوجب لأشد العقوبة والعذاب هو كفرهم المذكور وقرىء ميكايل كميكايل وميكايل كميكايل كميكايل
- ٩٩ وميكايل كميكايل (ولقد أنزلنا إليك آيات بينات) واضحات الدلالة على معانيها وعلى كونها من عند الله عز وجل (وما يكفر بها إلا الفاسقون) أي المتمردون في الكفر الخارجون عن حدوده فإن من

أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ ٢ البقرة
وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ
وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ٢ البقرة

- ليس على تلك الصفة من الكفرة لا يجترىء على الكفر بمثل هاتيك البيئات قال الحسن إذا استعمل
الفسق في نوع من المعاصي وقع على أعظم أفراد ذلك النوع من كفر أو غيره وعن ابن عباس رضى الله
عنهما أنه قال قال ابن صوريا لرسول الله ﷺ ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت
واللام للعهد أى الفاسقون المعهودون وهم أهل الكتاب المحرفون لكتابهم الخارجون عن دينهم أو
للجنس وهم داخلون فيه دخولا أولياً (أو كلما عاهدوا عهداً) الهمة للإنكار والواو للعطف على مقدر ١٠٠
يقضيه المقام أى أكفروا بها وهى فى غاية الوضوح وكلما عاهدوا عهداً ومن جملة ذلك ما أشير إليه فى
قوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا من قولهم للمشركين قد أظل زمان نبى يخرج
بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم وقرىء بسكون الواو على أن تقدير النظم الكريم وما يكفر بها
إلا الذين فسقوا أو نقضوا عهودهم مراراً كثيرة وقرىء عاهدوا وعهدوا وقوله تعالى عهداً إمامصدر
مؤكد لعاهدوا من غير لفظه أو مفعول له على أنه بمعنى أعطوا العهد (نبذه فريق منهم) أى راموا
بالبزام ورفضوه وقرىء نقضه وإسناد النبذ إلى فريق منهم لأن منهم من لم ينبذه (بل أكثرهم لا يؤمنون)
أى بالتوراة وهذا دفع لما يتوهم من أن النابذين هم الأقلون وأن من لم ينبذ جهاراً فهم يؤمنون بها سرّاً
(ولما جاءهم رسول) هو النبى ﷺ والتسكير للتفخيم (من عند الله) متعلق بجاء أو بمحذوف وقع صفة لرسول ١٠١
لإفادة مزيد تعظيمه بتأكيد ما أفاده التسكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية (مصدق لما معهم)
من التوراة من حيث أنه ﷺ قرر صحتها وحقق حقيقة نبوة موسى عليه الصلاة والسلام بما أنزل عليه أو
من حيث أنه عليه السلام جاء على وفق مانعت فيها (نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب) أى التوراة وهم
اليهود الذين كانوا فى عهد النبى ﷺ ممن كانوا يستفتحون به قبل ذلك لا الذين كانوا فى عهد سليمان عليه
السلام كما قيل لأن النبذ عند مجئ النبى ﷺ لا يتصور منهم وإفراد هذا النبذ بالذكر مع اندراجهم
تحت قوله عز وجل أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم لأنه معظم جناياتهم ولأنه تمهيد لذكر اتباعهم
لما تسلو الشياطين وإيثارهم له عليه والمراد بإيثارها إما إبتاء عليها بالدراسة والحفظ والوقوف على
ما فيها فالوصول عبارة عن علمائهم وإما مجرد إنزالها عليهم فهو عبارة عن الكل وعلى التقديرين فوضعه
موضع الضمير للإيذان بكال التنافى بين ما أثبت لهم فى حيز الصلة وبين ما صدر عنهم من النبذ (كتاب الله)
أى الذى أوتوه قال السدى لما جاءهم محمد ﷺ عارضوه بالتوراة فاتفقت التوراة والفرقان فنبذوا التوراة
وأخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت فلم يوافق القرآن فهذا قوله تعالى ولما جاءهم رسول من
عند الله الخ وإنما عبر عنها بكتاب الله تشریفاً لها وتعظيماً لحقها عليهم وتهويلاً لما اجتروا عليه من الكفر

وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ
النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا
إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ
مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ
مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ البقرة

بها وقيل كتاب الله القرآن نبذوه بعد ما ألزمهم تلقيه بالقبول لاسيما بعد ما كانوا يستفتحون به من قبل
فإن ذلك قبول له وتمسك به فيكون الكفر به عند مجيئه نبذاً له كأنه قيل كتاب الله الذي جاء به فإن
● مجيء الرسول معرب عن مجيء الكتاب (وراء ظهورهم) مثل لتركهم وإعراضهم عنه بالكلية مثل ما يرمى
● به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات إليه (كانهم لا يعلمون) جملة حالية أي نبذوه وراء ظهورهم مشبهين
بمن لا يعلمه فإن أريد بهم أخبارهم فالمعنى كأنهم لا يعلمونه على وجه الإيقان ولا يعرفون ما فيه من دلائل
نبوته عليه الصلاة والسلام ففيه إيدان بأن علمهم به رصين لكنهم يتجاهلون أو كأنهم لا يعلمون أنه
كتاب الله أو لا يعلمونه أصلاً كما إذا أريد بهم الكل وفي هذين الوجهين زيادة مبالغة في إعراضهم عما في
التوراة من دلائل النبوة هذا وإن أريد بما نبذوه من كتاب الله القرآن فالمراد بالعلم المنفي في قوله تعالى
كانهم لا يعلمون هو العلم بأنه كتاب الله ففيه ما في الوجه الأول من الإشعار بأنهم متيقنون في ذلك وإنما
يكفرون به مكابرة وعناداً قيل إن جيل اليهود أربع فرق ففرقة آمنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها كثروا
أهل الكتاب وهم الأقلون المشار إليهم بقوله عز وجل بل أكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهرُوا بنذالعمود
وتعدى الحدود تمردوا وفسوقاً وهم المعنيون بقوله تعالى نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهرُوا بنذالها ولكن
١٠٢ نبذوها لجهلهم بها وهم الأكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهراً ونبذوها خفية وهم المتجاهلون (واتبعوا
ما تلتوا الشياطين) عطف على جواب لما أي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحرة التي كانت تقرأها
الشياطين وهم المتمردون من الجن وتتلو حكاية حال ماضية والمراد بالاتباع التوغل والتحمض فيه والإقبال
عليه بالكلية وإلا فأصل الاتباع كان حاصله قبل مجيء الرسول ﷺ فلا يتسنى عطفه على جواب لما
● ولذلك قيل هو معطوف على الجملة وقيل على أشربوا (على ملك سليمان) أي في عهد ملكه قيل كانت
الشياطين يسترقون السمع ويضمون إلى ما سمعوا أكاذيب يلقونها ويلقونها إلى الكهنة وهم يدونونها
ويعلمونها الناس وفشا ذلك في عهد سليمان عليه السلام حتى قيل إن الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا
علم سليمان وما تم له ملكه إلا بهذا العلم وبه سخر الإنس والجن والطير والريح التي تجري بأمره وقيل
إن سليمان عليه السلام كان قد دفن كثيراً من العلوم التي خصه الله تعالى بها تحت سرير ملكه فلما مضت
على ذلك مدة توصل إليها قوم من المنافقين فكتبوا في خلال ذلك أشياء من فنون السحر تناسب تلك

الأشياء المدفونة من بعض الوجوه ثم بعد موته وإطلاع الناس على تلك الكتب أو هوهم أنه من عمل سليمان عليه السلام وأنه ما بلغ هذا المبلغ إلا بسبب هذه الأشياء (وما كفر سليمان) تنزيهه لساحته عليه السلام عن السحر وتكذيب لمن افترى عليه بأنه كان يعتقدده ويعمل به والتعرض لكونه كفراً للبالغ في إظهار نزاهته عليه السلام وكذب باهتيه بذلك (ولكن الشياطين) وقرىء بتخفيف لكن ورفع الشياطين والواو عاطفة للجملة الاستدراكية على ما قبلها وكون المخففة عند الجمهور للعطف إنما هو عند عدم الواو وكون ما بعدها مفرداً (كفروا) باستعمال السحر وتدوينه (يعلمون الناس السحر) لإغواء وإضلالا والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير كفروا أو من الشياطين فإن ما في لكن من رائحة الفعل كاف في العمل في الحال أو في محل الرفع على أنه خبر ثان للسكن أو بدل من الخبر الأول وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار التعليم وتجده أو جملة مستأنفة هذا على تقدير كون الضمير للشياطين وأما على تقدير رجوعه إلى فاعل اتبعوا فهي إما حال منه وإما استئنافية لحسب. واعلم أن السحر أنواع منها سحر الكلدانيين الذين كانوا في قديم الدهر وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون أنها هي المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة ويستحدثون الخوارق بواسطة تمزيج القوى السماوية بالقوى الأرضية وهم الذين بعث الله تعالى إبراهيم عليه الصلاة والسلام لإبطال مقالتهم وهم ثلاث فرق ففرقة منهم يزعمون أن الأفلاك والنجوم واجبة الوجود لذواتها وهم الصابئة وفرقة يقولون بإلهية الأفلاك ويتخذون لكل واحد منها هيكلًا ويشتملون بخدمتها وهم عبدة الأوثان وفرقة أثبتوا للأفلاك وللکواكب فاعلاً مختاراً لكنهم قالوا إنه أعطاها قوة عالية نافذة في هذا العالم وفوض تدبيره إليها ومنها سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية فإنهم يزعمون أن الإنسان تبلغ روحه بالتصفية في القوة والتأثير إلى حيث يقدر على الإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة وتغيير البنية والشكل ومنها سحر من يستعين بالآرواح الأرضية وهو المسمى بالعزائم وتسخير الجن ومنها التخيلات الآخذة بالعيون وتسمى الشعوذة ولا خلاف بين الأمة في أن من اعتقد الأول فقد كفر وكذا من اعتقد الثاني وهو سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية وأما من اعتقد أن الإنسان يبلغ بالتصفية وقراءة العزائم والرقى إلى حيث يخلق الله سبحانه وتعالى عقيب ذلك على سبيل جريان العادة بعض الخوارق فالمعتزلة انفقوا على أنه كافر لأنه لا يمكنه بهذا الاعتقاد معرفة صدق الأنبياء والرسل بخلاف غيرهم ولعل التحقيق أن ذلك الإنسان إن كان خيراً متشريعاً في كل ما يأتي ويذر وكان من يستعين به من الآرواح الخيرة وكانت عزائمه ورقاه غير مخالفة لأحكام الشريعة الشريفة ولم يكن فيما ظهر في يده من الخوارق ضرر شرعي لأحد فليس ذلك من قبيل السحر وإن كان شريراً غير متمسك بالشريعة الشريفة فظاهر أن من يستعين به من الآرواح الخبيثة الشريرة لا محالة ضرورة امتناع تحقق التضام والتعاون بينهما من غير اشتراك في الخبيث والشرارة فيكون كافراً قطعاً وأما الشعوذة وما يجري مجراها من إظهار الأمور العجيبة بواسطة ترتيب الآلات الهندسية وخفة اليد والاستعانة بخواص الأدوية والآحجار بإطلاق السحر عليها بطريق التجوز أو لما فيها

من الدقة لأنه في الأصل عبارة عن كل ما لطف مأخذه وخفى سببه أو من الصرف عن الجهة المعتادة لما أنه في أصل اللغة الصرف على ما حكاه الأزهري عن الفراء ويونس (وما أنزل على الملوك) عطف على السحر أى ويعلمونهم ما أنزل عليهما والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار أو هو نوع أقوى منه أو على ما تلو وما بينهما اعتراض أى واتبعوا ما أنزل الخ وهما ملكان أنزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس كما ابتلى قوم طالوت بالنهر أو تمييزاً بينه وبين المعجزة لثلايغتر به الناس أولاً لأن السحرة كثرت في ذلك الزمان واستنبطت أبواباً غريبة من السحر وكانوا يدعون النبوة فبعث الله تعالى هذين الملكين ليعلميا الناس أبواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة أولئك الكذابين وإظهار أمرهم على الناس وأما ما يحكى من أن الملائكة عليهم السلام لما رأوا ما يصعد من ذنوب بنى آدم عيروهم وقالوا الله سبحانه هؤلاء الذين اخترتهم لخلافة الأرض يعصونك فيها فقال عز وجل لوركت فيكم ماركت فيهم لعصيتموني قالوا سبحانه ما ينبغي لنا أن نعصيك قال تعالى فاخترنا من خياركم ملكين فاخترنا هاروت وماروت وكانا من أصلحهم وأعبداهم فأهبطا إلى الأرض بعد ماركب فيهما ماركب في البشر من الشهوة وغيرها من القوى ليقضيا بين الناس نهراً ويعرجا إلى السماء مساء وقد نهيا عن الإشرار والقتل بغير الحق وشرب الخمر والزنا وكانا يقضيان بينهما يوماً فإذا أمسيا ذكرا اسم الله الأعظم فصعدا إلى السماء فاختصمت إليهما ذات يوم امرأة من أجل النساء تسمى زهرة وكانت من لحم وقيل كانت من أهل فارس ملكة في بلدها وكانت خصومتها مع زوجها فلما رأياها افتتنا بها فراوداها عن نفسها فأبت فألحا عليها فقالت لا إلا أن تقضيا لى على خصمى ففعلنا ثم سألاها ما سألا فقالت لا إلا أن تقتلاه ففعلنا ثم سألاها ما سألا فقالت لا إلا أن تشربا الخمر وتسجدا للصنم ففعلنا كلا من ذلك بعد اللتيا والى ثم سألاها ما سألا فقالت لا إلا أن تعلماني ما تصعدان به إلى السماء فعلمناها الاسم الأعظم فدعت به وصعدت إلى السماء فسخها الله سبحانه كوكباً ففعلها بالعروج حسب عادتهما فلم تطعمهما أجنحتهما فعلمنا ما حل بهما وكان في عهد إدريس عليه السلام فالتجأ إليه ليشفع لهما ففعل غيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاخترنا الأول لا نقطاعه عما قليل فهما معذبان يبايل قيل معلقان بشعورهما وقيل منكوسان يضربان بسياط الحديد إلى قيام الساعة فهما لا تعويل عليه لما أن مداره رواية اليهود مع ما فيه من المخالفة لأدلة العقل والنقل ولعله من مقولة الأمثال والرموز التي قصد بها إرشاد اللبيب الأريب بالترغيب والترهيب وقيل هما رجلان سميا

● ملكين لصلاحيهما ويعضده قراءة الملكين بالكسر (ببايل) الباء بمعنى في وهى متعلقة بأنزل أو بمحذوف وقع حالا من الملكين أو من الضمير في أنزل وهى بابل العراق وقال ابن مسعود رضى الله عنه بابل أرض الكوفة وقيل جبل دماوند ومنع الصرف للعجمة والعلمية أو للتأنيث والعلمية (هاروت وماروت) عطف بيان للملكين علمان لهما ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفاً وأما من قرأ الملكين بكسر اللام أو قال كانا رجلين صالحين فقال هما اسمان لهما وقيل هما اسمتا قبيلتين من الجن هما المراد من الملكين بالكسر وقرى بالرفع على هما هاروت وماروت (وما يعلمان من أحد) من مزيدة في المفعول به لإفادة تأكيد الاستغراق الذى يفيد أحد لا لإفادة نفس الاستغراق كما في قولك

- ما جاء في من رجل وقرىء يعلمان من الإعلام (حتى يقولان إنما نحن فتنة) الفتنة الاختبار والامتحان وإفرادها مع تعددها لكونها مصدراً وحملها عليهما مواطاة للبالغين كأنهما نفس الفتنة والقصر لبيان أنه ليس لهما فيما يتعاطيان شأن سواها لينصرف الناس عن تعلبه أي وما يعلمان ما أنزل عليهما من السحر أحداً من طالبيه حتى ينصحاه قبل التعليم ويقولان له إنما نحن فتنة وابتلاء من الله عز وجل فن عمل بما تعلم منا واعتقد حقيقته كفر ومن توقي عن العمل به أو اتخذه ذريعة للاتقاء عن الاغترار بمثله بقى على الإيمان (فلا تكفر) باعتقاد حقيقته وجواز العمل به والظاهر أن غاية النفي ليست هذه المقالة فقط بل من جعلها التزام المخاطب بموجب النهي لكن لم يذكر لظهوره وكون الكلام في بيان اعتناء الملكين بشأن النصيح والإرشاد والجملة في محل النصيب على الحالية من ضمير يعلمون لا معطوفة عليه كما قيل أي ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ويحملونهم على العمل به لإغواء وإضلالا والحال أنهما ما يعلمان أحداً حتى ينهياه عن العمل به والكفر بسببه وأما ما قيل من أن ما في قوله تعالى وما أنزل الخ نافية والجملة معطوفة على قوله تعالى وما كفر سليمان جىء بها لتكذيب اليهود في القصة أي لم ينزل على الملكين لإباحة السحر وأن هاروت وماروت بدل من الشياطين على أنهما قبيلتان من الجن خصتا بالذكر لأصالتها وكون باقي الشياطين أتباعاً لهما وأن المعنى ما يعلمان أحداً حتى يقولان إنما نحن فتنة فلا تكفر فتكون مثلنا فإياه أن مقام وصف الشيطان بالكفر وإضلال الناس مما لا يلائمه وصف رؤسائهم بما ذكر من النهي عن الكفر مع ما فيه من الإخلال بنظام الكلام فإن الإبدال في حكم تنجية المبدل منه (فيتعلمون منهما) عطف على الجملة المنفية فإنها في قوة المثبتة كأنه قيل يعلمانهم بعد قولهما إنما نحن الخ والضمير لأحد حملا على المعنى كما في قوله تعالى فما منكم من أحد عنه حاجزين (ما يفرقون به) أي بسببه وباستعماله (بين المرء) وقرىء بضم الميم وكسر هاء مع الهمزة وتشديد الراء بلا همزة (وزوجه) بأن يحدث الله تعالى بينهما التباغض والفرك والنشوز عند ما فعلوا ما فعلوا من السحر على حسب جرى العادة الإلهية من خلق المسببيات عقيب حصول الأسباب العادية ابتلاء لأن السحر هو المؤثر في ذلك وقيل فيتعلمون منهما ما يعملون به فيراه الناس ويعتقدون أنه حق فيكفرون فتبين أزواجهم (وما هم بضارين به) أي بما تعلموه واستعملوه من السحر (من أحد) أي أحداً ومن مزيدة لما ذكر في قوله تعالى وما يعلمان من أحد والمعهود وإن كان زيادتها في معمول فعل منفي إلا أنه حملت الاسم في ذلك على الفعلية كأنه قيل وما يضررون به من أحد (إلا بإذن الله) لأنه وغيره من الأسباب بمعزل من التأثير بالذات وإنما هو بأمره تعالى فقد يحدث عند استعمالهم السحر فعلا من أفعاله ابتلاء وقد لا يحدثه والاستثناء مفرغ والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير ضارين أو من مفعوله وإن كان نكرة لاعتقادها على النفي أو الضمير المجرور في به أي وما يضررون به أحداً إلا مقروناً بإذن الله تعالى وقرىء بضارى على الإضافة بجعل الجار جزءاً من المجرور وفصل ما بين المضافين بالظرف (ويتعلمون ما يضرهم) لأنهم يقصدون به العمل أو لأن العلم يجر إلى العمل غالباً (ولا ينفعهم) صرح بذلك لإدناؤه بأنه ليس من الأمور المشوبة بالنفع والضرر بل هو شربحت وضرر محض لأنهم لا يقصدون به التخلص عن الاغترار بالكاذب من يدعى النبوة

وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْكَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٠٣﴾ البقرة

- مثلاً من السحرة أو تخلص الناس منه حتى يكون فيه نفع في الجملة وفيه أن الاجتناب عما لا يؤمن غوائله خير كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن أن تجر إلى الغواية وإن قال من قال [عرفت الشر لا للشر * ر لكن لتوقيه] [ومن لا يعرف الشر * ر من الناس يقع فيه] (ولقد علموا) أى اليهود الذين حكمت جناباتهم (لمن اشتراه) أى استبدل ما تناولوا الشياطين بكتاب الله عز وجل واللام الأولى جواب قسم محذوف والثانية لام ابتداء علق به علموا عن العمل ومن موصولة في حيز الرفع بالابتداء واشتراه صلتهما وقوله تعالى (ماله في الآخرة من خلاق) أى من نصيب جملة من مبتدأ وخبر ومن مزيدة في المبتدأ وفي الآخرة متعلق بمحذوف وقع حالاً منه ولو آخر عنه لكان صفة له والتقدير ماله خلاق في الآخرة وهذه الجملة في محل الرفع على أنها خبر للموصول والجملة في حيز النصب سادة مسد مفعولى علموا إن جعل متعدياً إلى اثنين أو مفعوله الواحد إن جعل متعدياً إلى واحد لجملة ولقد علموا الخ مقسم عليها دون جملة لمن اشتراه الخ هذا ما عليه الجمهور وهو مذهب سيويوه وقال الفراء وتبعه أبو البقاء أن اللام الأخيرة موطنه للقسم ومن شرطية مرفوعة بالابتداء واشتراه خبرها وماله في الآخرة من خلاق جواب القسم وجواب الشرط محذوف اكتفاء عنه بجواب القسم لأنه إذا اجتمع الشرط والقسم يحجب سابقهما غالباً فينشد
- يكون الجملتان مقسماً عليهما (ولبئس ما شروا به أنفسهم) أى باعوها واللام جواب قسم محذوف والمخصوص بالذم محذوف أى وبالله لبئسما باعوا به أنفسهم السحر أو الكفر وفيه إيذان بأنهم حيث نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم فقد عرضوا أنفسهم للمهلكة وباعوها بما لا يزيدهم إلا تباراً وتجويزاً كون الشراء بمعنى الاشتراء مما لا سبيل إليه لأن المشتري متعين وهو ما تناولوا الشياطين ولأن متعلق الذم هو المأخوذ لا المنيب وذلكما أشير إليه في تفسير قوله سبحانه لبئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله (لو كانوا يعلمون) أى يعملون بعلمهم جعلوا غير عالمين لعدم علمهم بموجب علمهم أو لو كانوا يتفكرون فيه أو يعلمون قبحه على اليقين أو حقيقة ما يتبعه من العذاب عليه على أن المثبت لهم أولاً على التوكيد القسمى العقل الغريزى أو العلم الإجمالى بقمح الفعل أو ترتب العقاب من غير تحقيق وجواب لو محذوف أى لما فعلوا ما فعلوا (ولو أنهم آمنوا) أى بالرسول الموعى إليه في قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله الخ أو بما أنزل إليه من الآيات المذكورة في قوله تعالى ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون أو بالتوراة التي أرادت بقوله تعالى نبذ فريق من الذين أتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم
- فإن الكفر بالقرآن والرسول عليه السلام كفر بها (واتقوا) المعاصى المحكية عنهم (لمثوبة من عند الله خير) جواب لو وأصله لأنثبوا مثوبة من عند الله خيراً مما شروا به أنفسهم فحذف الفعل وغير السبك إلى ما عليه النظم الكريم دلالة على ثبات المثوبة لهم والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه لإجلال البفضل من أن ينسب إليه وتنكير المثوبة للتقليل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة تشريفية لمثوبة أى لشيء مأمون المثوبة كائنة من عنده تعالى خير وقيل جواب لو محذوف أى لأنثبوا وما بعده جملة مستأنفة فإن وقوع

يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ البقرة
مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ
يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ البقرة

- الجملة الابتدائية جواباً للوغير معهود في كلام العرب وقيل لو للتمنى ومعناه أنهم من فطاعة الحال بحيث يتمنى العارف إيمانهم واتقاءهم تلهفهم عليهم وقرىءة لمثوبة وإنما سمي الجزاء ثواباً ومثوبة لأن المحسن يثوب إليه (لو كانوا يعلمون) أن ثواب الله خير نسبوا إلى الجمل لعدم العمل بموجب العلم (بأيها الذين آمنوا) ١٠٤ خطاب للمؤمنين فيه إرشاد لهم إلى الخير وإشارة إلى بعض آخر من جنائيات اليهود (لا تقولوا راعنا) ● المراجعة المبالغة في الرعى وهو حفظ الغير وتدبير أموره وتدارك مصالحه وكان المسلمون إذا ألقى عليهم رسول الله ﷺ شيئاً من العلم يقولون راعنا يا رسول الله أى راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهم كلامك ونحفظه وكانت لليهود كلمة عبرانية أو سريانية يتسابون بها فيما بينهم وهى راعينا قيل معناها اسمع لا سمعت فلما سمعوا بقول المؤمنين ذلك اقترصوه واتخذوه ذريعة إلى مقصدهم فجعلوا مخاطبون به النبي ﷺ يعنون به تلك المسبة أو نسبته ﷺ إلى الرعن وهو الحق والهوج روى أن سعد بن عبادة رضى الله عنه سمعها منهم فقال يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسى بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله ﷺ لأضربن عنقه قالوا أو لستم تقولونها فنزلت الآية ونهى فيها المؤمنون عن ذلك قطعاً لآلسنة اليهود عن التدليس وأمرؤا بما فى معناها ولا يقبل التلبيس فقيس (وقولوا انظرونا) أى انظر إلينا بالحذف ● والإيصال أو انتظرنا على أنه من نظره إذا انتظره وقرىء أنظرونا من النظرة أى أملهنا حتى نحفظ وقرىء راعونا على صيغة الجمع للتوقيف وراعنا على صيغة الفاعل أى قولاً ذارعاً كدارع ولا بن لأنه لما أشبه قو لهم راعينا وكان سبباً للسبب بالرعن انصف به (واسمعوا) وأحسنوا سماع ما يكلمكم رسول الله ﷺ ● ويلقى عليكم من المسائل بأذان واعية وأذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا إلى الاستعاذة وطلب المراجعة أو واسمعوا ما كلفتموه من النهى والأمر بجد واعتناء حتى لا ترجعوا إلى ما نهيتهم عنه أو واسمعوا سماع طاعة وقبول ولا يمكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا اسمعنا وعصينا (وللكافرين) أى اليهود الذين توسلوا بقولكم المذكور إلى كفرياتهم وجعلوه سبباً للتهاون برسول الله ﷺ وقالوا له ما قالوا (عذاب أليم) ● لما اجترأوا عليه من العظيمة وهو تذييل لما سبق فيه وعيد شديد لهم ونوع تحذير للمخاطبين عما نهوا عنه (ما يود الذين كفروا) الود حب الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل فى كل منهما ونفيه كناية عن الكراهة ١٠٥ ووضع الموصول موضع الضمير للإشعار بعلية ما فى حيز الصلة لعدم ودهم ولعل تعلقه بما قبله من حيث أن القول المنهى عنه كثيراً ما كان يقع عند تنزيل الوحي المعبر عنه فى هذه الآية بالخير فكأنه أشير إلى أن سبب تحريفهم له إلى واحكى عنهم لوقوعه فى أثناء حصول ما يكرهونه من تنزيل الخير وقيل كان فريق من اليهود يظهرون للمؤمنين محبة ويزعمون أنهم يودون لهم الخير فنزلت تكذيباً لهم فى ذلك ومن فى

مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ البقرة

- قوله تعالى (من أهل الكتاب ولا المشركين) للنبين كما في قوله عز و علا لم يكن الذين كفروا من أهل
- الكتاب والمشركين ولا مزيدة لما استعرفه (أن ينزل عليكم) في حيز النصب على أنه مفعول يود وبناء
- الفعل للمفعول للثقة بتعين الفاعل والتصريح الآتي في قوله تعالى (من خير) هو القائم مقام فاعله ومن
- مزيدة للاستغراق والتنفى وإن لم يباشره ظاهر ألكنه منسحب عليه معنى والخير الوحي وحمله على مايعمه
- وغيره من العلم والنصرة كما قيل بأباه وصفه فيما سياتى بالاختصاص وتقديم الظرف عليه مع أن حقه التأخر
- عنه لإظهار كمال العناية به لأنه المدار لعدم ودهم ومن في قوله تعالى (من ربكم) ابتدائية والتعرض
- لعنوان الربوبية للإشعار بعليته لتزليل الخير والإضافة إلى ضمير المخاطبين لتشريفهم وليست كراهمهم
- لتزيله على المخاطبين من حيث تعبدهم بما فيه وتعرضهم بذلك لسعادة الدارين كيف لا وهم من تلك
- الحثية من جملة من نزل عليهم الخير بل من حيث وقوع ذلك التنزيل على النبي ﷺ وصيغة الجمع للإيذان
- بأن مدار كراهمهم ليس معنى خاصا بالنبي ﷺ بل وصف مشترك بين الكل وهو الخلو عن الدراسة عند
- اليهود وعن الرياسة عند المشركين والمعنى أنهم يرون أنفسهم أحق بأن يوحى إليهم ويكرهون فيحسدونكم
- أن ينزل عليكم شيء من الوحي أما اليهود فبناء على أنهم أهل الكتاب وأبناء الأنبياء الناشئون في مهابط
- الوحي وأنتم أميون وأما المشركون فإدلالا بما كان لهم من الجاه والمال زعما منهم أن رياسة الرسالة كسائر
- الرياسات الدنيوية منوطة بالأسباب الظاهرة ولذلك قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
- عظيم ولما كانت اليهود بهذا الداء أشهر لاسيما في أثناء ذكر ابتلائهم به لم يلزم من نفى ودادتهم لما ذكر
- نفى ودادة المشركين له فزيدت كلمة لا لتأكيد النفي (والله يختص برحمته) جملة ابتدائية سبقت لتقرير
- ما سبق من تنزيل الخير والتنبيه على حكمته وإرغام السكارهين له والمراد برحمته الوحي كما في قوله سبحانه
- أنهم يقسمون رحمة ربك عبر عنه باعتبار نزوله على المؤمنين بالخير وباعتبار إضافته إليه تعالى بالرحمة
- قال على رضى الله عنه بنبوته خص بها محمدا ﷺ فالفعل متعد وصيغة الافعال للإنشاء عن الاصطفاء
- وإشاره على التنزيل المناسب للسياق الموافق لقوله تعالى أن ينزل الله من فضله على من يشاء لزيادة تشريفه
- ﷺ وإقناطهم مما علقوا به أطعامهم الفارغة والباء داخلة على المقصود أى يؤتى رحمته (من يشاء) من عباده
- ويجعلها مقصورة عليه لاستحقاقه الذائق الفائض عليه بحسب إرادته عز و علا تفضلا لا تنعاده إلى
- غيره وقيل الفعل لازم ومن فاعله والضمير العائد إلى من محذوف على التقديرين وقوله تعالى (والله
- ذو الفضل العظيم) تذييل لما سبق مقرر لمضمونه وفيه إيذان بأن إيتاء النبوة من فضله العظيم كقوله تعالى
- إن فضله كان عليك كبيرا وأن حرمان من حرم ذلك ليس لضيق ساحة فضله بل لمشيشته الجارية على سنن
- الحكمة البالغة وتصدير الجملتين بالاسم الجليل للإيذان بفخامة مضمونيها وكون كل منهما مستقلة
- ١٠٦ بشأنها فإن الإضمار فى الثانية منبىء عن توقفها على الأولى (مانسخ من آية أو ننسها) كلام مستأنف
- مسوق لبيان سر النسخ الذى هو فرد من أفراد تنزيل الوحي وإبطال مقالة الطاعنين فيه أثر تحقيق

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ البقرة

- حقيقة الوحي ورد كلام الكارهين له رأساً قيل نزلت حين قال المشركون أو اليهود ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينههم عنه ويأمر بخلافه والنسخ في اللغة الإزالة والنقل يقال نسخت الريح الأثر أي أزالته ونسخت الكتاب أي نقلته ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها أو بالحكم المستفاد منها أو بهما جميعاً وإنساؤها لإذهابها من القلوب وما شرطية جازمة للنسخ منتصبة به على المفعولية وقرىء ننسخ من أنسخ أي نأمرك أو جبريل بنسخها أو نجد هامسوخة ونسأها من النسء أي توخرها ونفسها بالثمد وتفسها وتفسها على خطاب الرسول ﷺ مبنياً للفاعل والمفعول وقرىء ما ننسخ من آية أو ننسكها وقرىء ما ننسك من آية أو ننسخها والمعنى أن كل آية نذهب بها على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة من إزالة لفظها أو حكمها أو كليهما معاً إلى بدل أو إلى غير بدل (نأت بخير منها) أي نوع آخر هو خير للعباد بحسب الحال في النفع والثواب من الذاهبة وقرىء بقلب الهمزة ألفاً (أو مثلها) أي فيما ذكر من النفع والثواب وهذا الحكم غير مختص بنسخ الآية التامة فما فوقها بل جار في مادونها أيضاً وتخصيصها بالذكر باعتبار الغالب والنص كما ترى دال على جواز النسخ كيف لا وتزيل الآيات التي عليها يدور تلك الأحكام الشرعية إنما هو بحسب ما يقتضيه من الحكم والمصالح وذلك يختلف باختلاف الأحوال ويتبدل حسب تبدل الأشخاص والأعصار كأحوال المعاش فرب حكم تقتضيه الحكمة في حال تقتضي في حال أخرى نقيضه فلوم يجوز النسخ لاختلاف ما بين الحكمة والأحكام من النظام (ألم تعلم) الهمزة للتقرير كما في قوله سبحانه أليس الله بكاف عبده وقوله تعالى ألم نشرح لك صدرك والخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى (إن الله على كل شيء قدير) ساد مسد مفعولي تعلم عند الجمهور ومسد مفعوله الأول والثاني محذوف عند الأخفش والمراد بهذا التقرير الاستشهاد بعلمه بما ذكر على قدرته تعالى على النسخ وعلى الإتيان بما هو خير من المنسوخ وبما هو مثله لأن ذلك من جملة الأشياء المقهورة تحت قدرته سبحانه فمن علم شمول قدرته تعالى لجميع الأشياء علم قدرته على ذلك قطعاً والالتفات بوضع الاسم الجليل موضع الضمير لثبوتية المهابة والإشعار بمناط الحكم فإن شمول القدرة لجميع الأشياء من الأحكام الألوهية وكذا الحال في قوله عز سلطانه (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض) فإن عنوان الألوهية مدار أحكام ملكوتها والجار ١٠٧ والمجرور خبر مقدم وملك السموات والأرض مبتدأ والجملة خبر لأن إثارة على أن يقال أن الله ملك السموات والأرض للقصد إلى تقوى الحكم بتكرار الإسناد وهو إما تكرير للتقرير وإعادة للاستشهاد على ما ذكر وإنما لم يعطف أن مع ما في حيزها على ما سبق من مثلها وما لزيادة التأكيد وإشعاراً باستقلال العلم بكل منهما وكفايته في الوقوف على ما هو المقصود وإما تقرير مستقل للاستشهاد على قدرته تعالى على جميع الأشياء أي ألم تعلم أن الله له السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهما إيجاداً وإعداماً وأمرأً ونهياً حسبما تقتضيه مشيئته لا معارض لا أمره ولا معقب لحكمه فمن هذا شأنه كيف يخرج عن قدرته شيء من الأشياء وقوله تعالى (وما لكم من دون الله من ولي

أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ
سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ البقرة ٢

ولا نصير) معطوف على الجملة الواقعة خبراً لأن داخل معها تحت تعلق العلم المقرر وفيه إشارة إلى تناول الخطابين السابقين للأمة أيضاً وإنما إفراده عليه السلام بهما لما أن علومهم مستندة إلى علمه عليه السلام ووضع الاسم الجليل موضع الضمير الراجع إلى اسم أن لترية المهابة والإيدان بمقارنة الولاية والنصرة للقوة والعزة والمراد به الاستشهاد بما تعلق به من العلم على تعلق إرادته تعالى بما ذكر من الإتيان بما هو خير من المنسوخ أو بمثله فإن مجرد قدرته تعالى على ذلك لا يستدعي حصوله البتة وإنما الذي يستدعيه كونه تعالى مع ذلك ولياً ونصيراً لهم فمن علم أنه تعالى وليه ونصيره على الاستقلال يعلم قطعاً أنه لا يفعل به إلا ما هو خير له فيفوض أمره إليه تعالى ولا يخطر بباله ريبة في أمر النسخ وغيره أصلاً والفرق بين الولي والنصير أن الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون أجنبياً من المنصور وما إما تسمية لا عمل لها ولكم خبر مقدم ومن ولي مبتدأ مؤخر زيدت فيه كلمة من الاستغراق وإما حجازية ولكم خبرها المنصوب عند من يميز تقديمه واسمها من ولي ومن مزيدة لما ذكر ومن دون الله في حين النصب على الحالية من اسمها لأنه في الأصل صفة له فلما قدم انتصب حالاً ومعناه سوى الله والمعنى أن قضية العلم بما ذكر من الأمور الثلاثة هو الجزم والإيقان بأنه تعالى لا يفعل بهم في أمر من أمور دينهم أو دنياهم إلا ما هو خير لهم والعمل بموجبه من الثقة به والتوكل عليه وتفويض الأمر إليه من غير إصغاء إلى أقاويل الكفرة وتشكيكاتهم التي من جملتها ما قالوا في أمر النسخ وقوله تعالى (أَمْ تَرِيدُونَ) تجريد الخطاب عن النبي ﷺ وتخصيص له بالمؤمنين وأم منقطعة ومعنى بل فيها الإضراب والانتقال من حملهم على العمل بموجب علمهم بما ذكر عند ظهور بعض مخايل المساهلة منهم في ذلك وأمارات التأثير من أقاويل الكفرة إلى التحذير من ذلك ومعنى الهمزة إنكار وقوع الإرادة منهم واستبعاده لما أن قضية الإيمان وازعة عنها وتوجيه الإنكار إلى الإرادة دون متعلقها للبالغة في إنكاره واستبعاده ببيان أنه بما لا يصدر عن العاقل إرادته فضلاً عن صدور نفسه والمعنى بل أتريدون (أن تسألوا) وأتم مؤمنون (رسولكم) وهو في تلك الرتبة من علو الشأن وتقترحوا عليه ما تشتهون غير واثقين في أموركم بفضل الله تعالى حسبما يوجبه قضية علمكم بشئونه سبحانه قيل لعلمهم كانوا يطلبون منه عليه الصلاة والسلام بيان تفاصيل الحكم الداعية إلى النسخ وقيل سأله عليه السلام قوم من المسلمين أن يجعل لهم ذات أنواط

- كما كانت للمشركين وهي شجرة كانوا يعبدونها ويلقون عليها الماء كحل والمشروب وقوله تعالى (كما سئل موسى) مصدر تشبيه أي نعت لمصدر مؤكد محذوف وما مصدرية أي سؤالاً مشبهاً بسؤال موسى عليه السلام حيث قيل له اجعل لنا إلهاً وأرنا الله جهرة وغير ذلك ومقتضى الظاهر أن يقال كما سألو موسى لأن المشبه هو المصدر من المبني للفاعل أعني سائليه المخاطبين لا من المبني للمفعول أعني مسئولية

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ البقرة

- الرسول ﷺ حتى يشبهه بمسئولية موسى عليه السلام فلعله أريد التشبيه فيهما معاً ولكنه أوجز النظم فذكر في جانب المشبه السائلية وفي جانب المشبه به المسئولية واكتفى بما ذكر في كل موضع عما ترك في الموضع الآخر كما ذكر في قوله تعالى وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله وقد جوز أن تكون ماموصولة على أن العائد محذوف أى كالسؤال الذى سئلته موسى عليه السلام وقوله تعالى (من قبل) متعلق بسئل جرى به للتأكيد وقرئ سئل بالياء وكسر السين وبتسهيل الهمزة ● بين بين (ومن يقبل الكفر) أى يختره ويأخذه لنفسه (بالإيمان) بمقابلته بدلامنه وقرئ ومن يبدل من أبدل وكان مقتضى الظاهر أن يقال ومن يفعل ذلك أى السؤال المذكور أو إرادته وحاصله ومن يترك الثقة بالآيات البينة المنزلة بحسب المصالح التى من جملتها الآيات النسخة التى هى خير محض وحق بحث واقترح غيرها (فقد ضل سواء السبيل) أى عدل وجار من حيث لا يدري عن الطريق المستقيم الموصل إلى معالم الحق والهدى وتاه فى تيه الهوى وتردى فى مهاوى الردى وإنما أُوثر على ذلك ما عليه النظم الكريم للتصريح من أول الأمر بأنه كفر وارتداد وأن كونه كذلك أمر واضح غنى عن الإخبار به بأن يقال ومن يفعل ذلك يكفر حقيقة بأن يعد من المسلمات ويجعل مقدماً للشرطية روماً للبالغة فى الزجر والإفراط فى الردع وسواء السبيل من باب إضافة الوصف إلى الموصوف لقصد المبالغة فى بيان قوة الانقصاف كأنه نفس السواء على منهاج حصول الصورة فى الصورة الحاصلة وقيل الخطاب لليهود حين سألوا أن ينزل الله عليهم كتاباً من السماء وقيل للشركيين حين قالوا لن تؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً الخ فإضافة الرسول ﷺ إليهم على القولين باعتبار أنهم من أمة الدعوة ومعنى تبدل الكفر بالإيمان وهم بمعزل من الإيمان ترك صرف قدرتهم إليه مع تمكنهم من ذلك وإيثارهم للكفر عليه (ود كثير من أهل الكتاب) هم رهط من أحبار اليهود . روى أن فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفراً من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر رضى الله عنهما بعد وقعة أحد ألم تروا ما أصابكم ولو كنتم على الحق ما هزتم فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم وأفضل ونحن أهدى منكم سبيلاً فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فإني عاهدت أن لا أكفر بمحمد عليه الصلاة والسلام ما عشت فقالت اليهود أما هذا فقد صبا وقال حذيفة أما أنا فقد رضيت بالله رباً وبمحمد نبياً وبالإسلام ديناً وبالقرآن إماماً وبالكعبة قبله وبالمؤمنين إخواناً ثم أتيا رسول الله ﷺ وأخبراه فقال أصبتم خيراً وأفلحتما فنزلت (لو يردونكم) حكاية لودادتهم ولو فى معنى التنى وصيغة الغيبة كما فى قوله حلف ليفعلن وقيل هى بمنزلة ● أن الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها وبما بعدها مصدر يقع مفعولاً لودوا التقدير ودوا ردكم وقيل هى على حقيقة وجوابها محذوف تقديره لو يردونكم كفاراً ألسروا بذلك و (من بعد إيمانكم) ● ١٩٠ - أبى السعود ج ١

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ البقرة

وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣﴾ البقرة

- متعلق بـيردونكم وقوله تعالى (كفاراً) مفعول ثان له على تضمين الرد معنى النصير أى يصير ونكم كفاراً كما فى قوله [رمى الحدثنان نسوة آل سعد * بمقدار سمدن له سمودا] [فرد شعورهن السود بيضاً * ورد وجوههن البيض سودا] وقيل هو حال من مفعوله والاول أدخل لما فيه من الدلالة صريحاً على كون الكفر المفروض بطريق القسر وإيراد الظرف مع عدم الحاجة إليه ضرورة كون المخاطبين مؤمنين واستحالة تحقق الرد إلى الكفر بدون سبق الإيذان مع توسيطه بين المفعولين لإظهار كمال شناعة ما أرادوه وغاية بعده من الوقوع إما لزيادة قبحه الصارف للعاقل عن مباشرته وإما للممانعة الإيذان له بأنه قيل من بعد إيمانكم الراسخ وفيه من تثبيت المؤمنين ما لا يخفى (حسداً) علة لود أو حال أريد به نعت الجمع أى حاسدين لكم والحسد الأسف على من له خير بخيره (من عند أنفسهم) متعلق بود أى ودوا ذلك من أجل تشبههم وحظوظ أنفسهم لا من قبل التدين والميل مع الحق ولوعلى زعمهم أو بحسد أى حسداً منبعثاً من أصل نفوسهم بالغاً أقصى مراتبه (من بعد ما تبين لهم الحق) بالمعجزات الساطعة وبما عاينوا فى التوراة من الدلائل وعلوا أنكم متمسكون به وهم منهمكون فى الباطل (فاعفوا واصفحوا) العفو ترك المؤاخذه والعقوبة والصفح ترك التثريب والتأنيب (حتى يأتى الله بأمره) الذى هو قتل بنى قريظة وإجلاء بنى النضير وإذلالهم بضرب الجزية عليهم أو الإذن فى القتال وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه منسوخ بآية السيف ولا يقدر فى ذلك ضرب الغاية لأنها لا تعلم إلا شرعاً ولا يخرج الوارد بذلك من أن يكون ناسخاً كأنه قيل فاعفوا واصفحوا إلى ورود الناسخ (إن الله على كل شئ قدير)
- ١١٠ فينتقم منهم إذا حان حينه وأن أوانه فهو تعليل لما دل عليه ما قبله (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) عطف على فاعفوا أمروا بالصبر والمداواة واللجأ إلى الله تعالى بالعبادة البدنية والمالية (وما تقدموا لأنفسكم من خير) كصلاة أو صدقة أو غير ذلك أى شئ من الخيرات تقدموه لمصلحة أنفسكم (تجدوه عند الله) أى تجدوا ثوابه وقرىء تقدموا من أقدم (إن الله بما تعملون بصير) فلا يضيع عنده عمل فهو وعد للمؤمنين وقرىء بالياء فهو وعيد للكافرين (وقالوا) عطف على ود والضمير لأهل الكتابين جميعاً
- (لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى) أى قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة أن السامع برد كلا منهما إلى قائله ونحوه وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا وليس مرادهم بأولئك من أقام اليهودية والنصرانية قبل النسخ

بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ البقرة

- والتحريف على وجهها بل أنفسهم على ما هم عليه لأنهم إنما يقولونه لإضلال المؤمنين وردهم إلى الكفر والهود جمع هائد كعوز جمع عائد وبزل جمع بازل والإفراد في كان باعتبار لفظ من والجمع في خبره باعتبار معناه وقرىء إلا من كان يهودياً أو نصرانياً (تلك أمانهم) الأمانى جميع أمنية وهي ما يتمنى كالأعجوبة والأصحوكة ● والجملة معترضة مبنية لبطلان ما قالوا وتلك إشارة إليه والجمع باعتبار صدوره عن الجميع وقيل فيه حذف مضاف أى أمثال تلك الأمنية أمانهم وقيل تلك إشارة إليه وإلى ما قبله من أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وأن يردم كفاراً ويرده قوله تعالى (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) فإنهما ليسا بما يطلب ● له البرهان ولا بما يحتمل الصدق والكذب قيل هاتوا أصله آتوا قلبت الهمزة هاء أى أحضروا حاجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة إن كنتم صادقين فى دعواكم . هذا ما يقتضيه المقام بحسب النظر الجليل والذي يستدعيه إيجاز التنزيل أن يحمل الأمر التبكيتي على طلب البرهان على أصل الدخول الذى يتضمنه دعوى الاختصاص به فإن قوله تعالى (بلى) الخ إثبات من جهة تعالى لما نفوه مستلزم لنفى ما أثبتوه وإذ ١١٢ ليس الثابت به مجرد دخول غيرهم الجنة ولو معهم ليكون المنفى مجرد اختصاصهم به مع بقاء أصل الدخول على حاله بل هو اختصاص غيرهم بالدخول كما ستعرفه بإذن الله تعالى ظهر أن المنفى أصل دخولهم ومن ضرورته أن يكون هو الذى كفوا إقامة البرهان عليه لا اختصاصهم به ليتحد مورد الإثبات والنفى وإنما عدل عن إبطال صريح ما ادعوه وسلك هذا المسلك لإبانة لغاية حرمانهم مما علقوا به أطباعهم وإظهار الكمال عجزم عن إثبات مدعاهم لأن حرمانهم من الاختصاص بالدخول وعجزهم عن إقامة البرهان عليه لا يقتضيان حرمانهم من أصل الدخول وعجزهم عن إثباته وأما نفس الدخول فحيث ثبت حرمانهم منه وعجزهم عن إثباته فهم من الاختصاص به أبعد وعن إثباته أعجز وإنما الفائر به من انتظمه قوله سبحانه (من أسلم وجهه لله) أى أخلص نفسه له تعالى لا يشرك به شيئاً عبر عنها بالوجه لأنه أشرف الأجزاء ● ويجمع المشاعر وموضع السجود ومظهر آثار الخضوع الذى هو من أخص خصائص الإخلاص أو توجهه وقصده بحسب لا يلوى عزيمته إلى شيء غيره (وهو محسن) حال من ضمير أسلم أى والحال أنه محسن فى ● جميع أعماله التى من جملتها الإسلام المذكور وحقيقة الإحسان الإتيان بالعمل على الوجه اللائق وهو حسنه الوصفى التابع لحسنه الذاتى وقد فسرهُ ﷺ بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك (فله أجره) الذى وعده له على عمله وهو عبارة عن دخول الجنة أو عما يدخل هو فيه دخولا أولاً ● وأياً ما كان فتصويره بصورة الأجر للإيدان بقوة ارتباطه بالعمل واستحالة نياله بدونه وقوله تعالى (عند ربه) حال من أجره والعامل فيه معنى الاستقرار فى الظرف والعندية للتشريف ووضع اسم الرب ● مضافاً إلى ضمير من أسلم موضع ضمير الجلالة لإظهار مزيد اللطف به وتقرير مضمون الجملة أى فله أجره

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ
الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ ٢ البقرة

- عند مالكة ومدير أموره ومبلغه إلى كماله والجملة جواب من إن كانت شرطية وخبرها إن كانت موصولة
والفاء لتضمينها معنى الشرط فيكون الرد بقوله تعالى بلى وحده ويجوز أن يكون من فاعلا لفعل مقدر
أى بلى بدخلها من أسلم وقوله تعالى فله أجره معطوف على ذلك المقدر وأياً ما كان فتعليق ثبوت الأجر
بما ذكر من الإسلام والإحسان المختصين بأهل الإيمان قاض بأن أولئك المدعين من دخول الجنة بمعزل
● ومن الاختصاص به بألف معزل (ولا خوف عليهم) في الدارين من لحوق مكروه (ولاهم يحزنون)
من فوات مطلوب أى لا يعترهم ما يوجب ذلك لا أنه يعترهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والجمع
١١٣ في الضمائر الثلاثة باعتبار معنى من كما أن الأفراد في الضمائر الأول باعتبار اللفظ (وقالت اليهود ليست
النصارى على شيء) بيان لتضليل كل فريق صاحبه بخصوصه إثر بيان تضليله كل من عداه على وجه العموم .
نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله ﷺ وأتاهم أخبار اليهود فتناظروا فارتفعت أصواتهم فقالوا
لهم لستم على شيء أى أمر يعتد به من الدين أو على شيء مامنه أصلاً مبالغته في ذلك كما قالوا أقل من لا شيء .
● وكفروا بعبسى والإنجيل (وقالت النصارى ليست اليهود على شيء) على الوجه المذكور وكفروا بموسى
● والتوراة لا أنهم قالوا ذلك بناء للأمر على منسوخية التوراة (وهم يتلون الكتاب) الواو للحال واللام
للجنس أى قالوا ما قالوا والحال إن كل فريق منهم من أهل العلم والكتاب أى كان حق كل منهم أن يعترف
● بحقيقة دين صاحبه حسبما ينطق به كتابه فإن كتب الله تعالى متصادقة (كذلك) أى مثل ذلك الذى سمعت به
والكاف في محل النصب إما على أنها نعت لمصدر محذوف قدم على عامله لإفادة القصر أى قولاً مثل ذلك
● القول بعينه لا قولاً مغايراً له (قال الذين لا يعلمون) من عبدة الأصنام والمعتلة ونحوهم من الجملة أى
قالوا لأهل كل دين ليسوا على شيء وإما على أنها حال من المصدر المضمر المعرف الدال عليه قال أى قال
● القول الذين لا يعلمون حال كونه مثل ذلك القول الذى سمعت به (مثل قولهم) إما بدل من محل الكاف
● وإما مفعول للفعل المنفى قبله أى مثل ذلك القول قال الجاهلون بمثل مقالة اليهود والنصارى وهذا توبيخ
● عظيم لهم حيث نظموا أنفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم أصلاً (فالله يحكم بينهم) أى بين اليهود
والنصارى فإن مساق النظم لبيان حالهم وإنما تعرض لمقالة غيرهم لإظهار كمال بطلان مقالهم ولأن الحاجة
● المحوجة إلى الحكم إنما وقعت بينهم (يوم القيامة) متعلق يحكم وكذا ما قبله وما بعده ولا ضير فيه لاختلاف
● المعنى (فيما كانوا فيه يختلفون) بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم أن يكذبهم
ويدخلهم النار والظرف الأخير متعلق يختلفون قدم عليه للحفاظ على رموس الآى لا بكانوا

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ البقرة

- (ومن أظلم ممن منع مساجد الله) إنكار واستبعاد لأن يكون أحد أظلم ممن فعل ذلك أو مساوياً له وإن لم يكن سبب التركيب متعرضاً لإنكار المساواة ونفيها يشهد به العرف الفاشي والاستعمال المطرد فإذ قيل من أكرم من فلان أولاً أفضل من فلان فالمراد به حتماً أنه أكرم من كل كريم وأفضل من كل فاضل وهذا الحكم عام لكل من فعل ذلك في أى مسجد كان وإن كان سبب النزول فعل طائفة معينة في مسجد مخصوص .
- روى أن النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الأذى ويمنعون الناس أن يصلوا فيه وأن الروم غزوا أهله فخرّبوه وأحرقوا التوراة وقتلوا وسبوا وقد نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما أن طيطيوس الرومى ملك النصارى وأصحابه غزوا بنى إسرائيل وقتلوا مقاتلتهم وسبوا ذراريهم وأحرقوا التوراة وخرّبوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير ولم يزل خراباً حتى بناه المسلمون في عهد عمر رضى الله عنه وإنما أوقع المنع على المساجد وإن كان الممنوع هو الناس لما أن فعلهم من طرح الأذى والتخريب ونحوهما متعلق بالمسجد لا بالناس مع كونه على حاله وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث أنها مبطلّة لدعوى النصارى اختصاصهم بدخول الجنة وقيل هو منع المشركين رسول الله ﷺ أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فتعلقها بما تقدمها من جهة أن المشركين من جملة الجاهلين القائلين لكل من عداهم ليسوا على شيء (أن يذكر فيها اسمه) ثانى مفعولى منع كقوله تعالى وما منع الناس أن يؤمنوا • وقوله تعالى وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ويجوز أن يكون ذلك بحذف الجار مع أن وأن يكون ذلك مفعولاً له أى كراهة أن يذكر فيها اسمه (وسعى في خرابها) بالهدم أو التعطيل • بانقطاع الذكر (أولئك) المانعون الظالمون الساعون في خرابها (ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين) • أى ما كان ينبغي لهم أن يدخلوها إلا بخشية وخضوع فضلاً عن الاجترار على تخريبها أو تعطيلها أو ما كان الحق أن يدخلوها إلا على حال التهيّب وارتعاد الفرائص من جهة المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلاً أن يستولوا عليها ويلوها ويمنعوهم منها أو ما كان لهم في علم الله تعالى وقضائه بالآخرة إلا ذلك فيكون وعداً للمؤمنين بالنصرة واستخلاص ما استولوا عليه منهم وقد أنجز الوعد والله الحمد . روى أنه لا يدخل بيت المقدس أحد من النصارى إلا متنكراً مسارقاً وقيل معناه النهى عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلاف الأئمة في ذلك فجوزه أبو حنيفة مطلقاً ومنعه مالك مطلقاً وفرق الشافعى بين المسجد الحرام وغيره (لهم) أى لأولئك المذكورين (في الدنيا خزي) أى خزي فظيع لا يوصف بالقتل والسبي • والإذلال بضرب الجزية عليهم (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) وهو عذاب النار لما أن سببه أيضاً وهو ما حكي من ظلمهم كذلك في العظم وتقديم الظرف في الموضعين للتشويق إلى ما يذكر بعده من الخزي والعذاب لما مر من أن تأخير ما حقه التقديم موجب لتوجه النفس إليه فيتمكن فيها عند وروده فيضلّ تمسكها كما في

وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمُوجُهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عِلْمٌ ﴿١١٥﴾ ٢ البقرة
وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قُنُوتٌ ﴿١١٦﴾ ٢ البقرة

- ١١٥ قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك وأنزل لکم من الأنعام ثمانية أزواج إلى غير ذلك (ولله المشرق والمغرب) أى له كل الأرض التى هى عبارة عن ناحيتى المشرق والمغرب لا يختص به من حيث الملك والتصرف ومن حيث المحلية لعبادته مكان منها دون مكان فإن منعم من إقامة العبادة فى المسجد الأقصى أو المسجد الحرام (فأينما تولوا) أى فى أى مكان فعلتم تولية وجوهكم شطر القبلة (فتم وجه الله) ثم اسم إشارة للمكان البعيد خاصة مبنى على الفتح ولا يتصرف سوى الجر بمن وهو خبر مقدم ووجه الله مبتدأ والجملة فى محل الجزم على أنها جواب الشرط أى هناك جهته التى أمر بها فإن إمكان التولية غير مختص بمسجد دون مسجد أو مكان دون آخر أو تم ذاته بمعنى الحضور العلى أى فهو عالم بما يفعل فيه ومثبت لكم على ذلك وقرىء بفتح التاء واللام أى فأينما توجهوا القبلة (إن الله واسع) بإحاطته بالأشياء أو برحمته يريد التوسعة على عباده (عليهم) بمصالحهم وأعمالهم فى الآماكن كلها والجملة تعليل لمضمون الشرطية وعن ابن عمر رضى الله عنهما نزلت فى صلاة المسافرين على الراحلة أينما توجهوا وقيل فى قوم عميت عليهم القبلة فصلوا إلى أنحاء مختلفة فلما أصبحوا تبينوا خطأهم وعلى هذا لو أخطأ المجتهد ثم تبين له الخطأ لم يلزمه التدارك وقيل هى توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود عن أن يكون فى جهة (وقالوا اتخذ الله ولداً) حكاية لطرف آخر من مقالاتهم الباطلة المحكية فيما سلف معطوفة على ما قبلها من قوله تعالى وقالت الخ لا على صلة من لما بينهما من الجمل الكثيرة الأجنبية والضمير لليهود والنصارى ومن شاركهم فيما قالوا من الذين لا يعملون وقرىء بغير واو على الاستئناف نزلت حين قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات الله والاتخاذ إما بمعنى الصنع والعمل فلا يتعدى إلا إلى واحد وإما بمعنى التصيير والمفعول الأول محذوف أى صير بعض مخلوقاته ولداً (سبحانه) تنزيه وتبرئة له تعالى عما قالوا وسبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه أى أسبح سبحانه أى أنزهه تنزيهاً لا ثقاً به وفيه من التنزيه البالغ من حيث الاشتقاق من السبح الذى هو الذهاب والإبعاد فى الأرض ومن جهة النقل إلى التفعيل ومن جهة العدول إلى المصدر إلى الاسم الموضوع له خاصة لاسيما العلم المشير إلى الحقيقة الحاضرة فى الذهن ومن جهة إقامته مقام المصدر مع الفعل مالا يغنى وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه أى تنزه بذاته تنزهها حقيقة به ففيه مبالغة من حيث إسناد البراءة إلى الذات المقدسة وإن كان التنزيه اعتقاد نزاهته تعالى عما لا يليق به لا إثباتها له تعالى وقوله تعالى (بل له ما فى السموات والأرض) ردلما زعموا وتنبه على بطلانه وكلمة بل للإضراب عما تقتضيه مقالاتهم الباطلة من مجانسته سبحانه وتعالى لشيء من المخلوقات ومن سرعة فئانه الموجهة إلى اتخاذ ما يقوم مقامه فإن مجرد الإمكان والفناء لا يوجب ذلك . ألا يرى أن الأجرام الفلسكية مع إمكانها وفنائها بالآخرة مستغنية

بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ٢ البقرة
وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَنْزِيلًا ءَايَةً كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ
تَشَبَّهتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ ٢ البقرة

- بدواها وطول بقائها عما يجري مجرى الولد من الحيوان أى ليس الأمر كما زعموا بل هو خالق جميع
الموجودات التى من جملتها عزيز والمسيح والملائكة (كل) التنوين عوض عن المضاف إليه أى كل ما فيها
كائنا ما كان من أولى العلم وغيرهم (له قانتون) منقادون لا يستعصى شيء منهم على تكوينه وتقديره
ومشيئته ومن كان هذا شأنه لم يتصور بجانسته شيء ومن حق الولدان يكون من جنس الوالد وإنما جرى
بما المختصة بغير أولى العلم تحقيقاً لشأنهم وإيداناً بكمال بعدهم عما نسبوا إلى بعض منهم وصيغة جمع العقلاء
في قانتون للتغليب أو كل من جعلوه الله تعالى ولداً له قانتون أى مطيعون عابدون له معترفون بربوبيته تعالى
كقوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة (بديع السموات والأرض) أى مبدعها ١١٧
ومخترعها بلا مثال يحتديه ولا قانون ينتجيه فإن البديع كما يطلق على المبتدع يطلق على المبتدع نص عليه
أساطين أهل اللغة وقد جاء بدعه كمنعه بمعنى أنشأه كابتدعه كما ذكر في القاموس وغيره ونظيره السميع
بمعنى المسمع في قوله أمن ربحانة الداعى السميع وقيل هو من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها للتخفيف
بعد نصبه على تشبيهها باسم الفاعل كما هو المشهور أى بديع سمواته من بدع إذا كان على شكل فائق وحسن
رائق وهو حجة أخرى لإبطال مقاتلهم الشنعاء تقريرها أن الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته
عنه والله سبحانه مبدع الأشياء كلها على الإطلاق منزّه عن الانفعال فلا يكون والد أو رفعه على أنه خبر
لمبتدأ محذوف أى هو بديع الخ وقرئ بالنصب على المدح وبالجر على أنه بدل من الضمير في له على رأى
من يجوز الإبدال من الضمير المجرور كما في قوله [على جوده لرضن بالماء حاتم] (وإذا قضى أمراً) أى
أراد شيئاً كقوله تعالى إنما أمره إذا أراد شيئاً وأصل القضاء الأحكام أطلق على الإرادة الإلهية المتعلقة
بوجود الشيء لإيجابها إياه البتة وقيل الأمر ومنه قوله تعالى وقضى ربك الخ (فإنما يقول له كن فيكون)
كلاهما من الكون التام أى أحدث فيحدث وليس المراد به حقيقة الأمر والامتثال وإنما هو تمثيل
لسهولة تأتى المقدورات بحسب تعلق مشيئته تعالى وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم في الباب من طاعة
المأمور المطيع للأمر القوى المطاع وفيه تقرير لمعنى الإبداع وتلويح لحجة أخرى لإبطال ما زعموه بأن
اتخاذ الولد شأن من يفتقر في تحصيل مراده إلى مباد يستدعى ترتيبها مرور زمان وتبدل أطوار وفعله
تعالى متعال عن ذلك (وقال الذين لا يعلمون) حكاية لنوع آخر من قبائحهم وهو قدحهم في أمر النبوة ١١٨
بعد حكاية قدحهم في شأن التوحيد بنسبة الولد إليه سبحانه وتعالى واختلف في هؤلاء القائلين فقال ابن
عباس رضى الله عنهما هم اليهود وقال مجاهد هم النصارى ووصفهم بعدم العلم لعدم علمهم بالتوحيد والنبوة
كما ينبغي أو لعدم علمهم بموجب عملهم أو لأن ما يحكى عنهم لا يصدر عن له شائبة علم أصلاً وقال قتادة

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ البقرة
وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ
أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ البقرة

- وأكثر أهل التفسير هم مشركوا العرب لقوله تعالى فليأتنا بآية كما أرسل الأولون وقالوا ألولا أنزل علينا
● الملائكة أو نرى ربنا (لولا يكلمنا الله) أى هلا يكلمنا بلا واسطة أمراً ونهياً كما يكلم الملائكة أو هلا
● يكلمنا تنصيهاً على نبوتك (أو تأتينا آية) حجة تدل على صدقك بلغوا من العتو والاستكبار إلى حيث
أملوا نيل مرتبة المفاضة الإلهية من غير توسط الرسول والملك ومن العناد والمكابرة إلى حيث لم يعدوا
● ما آتاهم من البينات الباهرة التي تخبر لها صم الجبال من قبيل الآيات قاتلهم الله أنى يؤفكون (كذلك)
● مثل ذلك القول الشنيع الصادر عن العناد والفساد (قال الذين من قبلهم) من الأمم الماضية (مثل
قولهم) هذا الباطل الشنيع فقالوا أرنا الله جهرة وقالوا لن نصبر على طعام واحد الآية وقالوا هل يستطيع
● ربك الخ وقالوا اجعل لنا إلهاً الخ (تشابهت قلوبهم) أى قلوب هؤلاء وأولئك في العمى والعناد وإلا لما
● تشابهت أقوالهم الباطلة (قد بينا الآيات) أى نزلناها بينة بأن جعلناها كذلك في أنفسها كما في قولهم
● سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل لا أنا بيناها بعد أن لم تكن بينة (لقوم يوقنون) أى يطلبون اليقين
ويوقنون بالحقائق لا يعترهم شبهة ولا ريب وهذا رد لطلبهم الآية وفي تعريف الآيات وجمعها وإيراد التبيين
المفصّل عن كمال التوضيح مكان الإتيان الذي طلبوه ما لا يخفى من الجزالة والمعنى أنهم اقترحوا آية فذرة ونحن
قد بينا الآيات العظام لقوم يطلبون الحق واليقين وإنما لم يتعرض لرد قولهم لولا يكلمنا الله إيداناً بأنه
● ١١٩ من ظهور البطلان بحيث لا حاجة له إلى الرد والجواب (إنا أرسلناك بالحق) أى متلبساً بالقرآن كما في
● قوله تعالى بل كذبوا بالحق لما جاءهم أو بالصدق كما في قوله تعالى أحق هو وقوله تعالى (بشيراً ونذيراً)
● حال من مفعول باعتبار تقييده بالحال الأولى أى أرسلناك متلبساً بالقرآن حال كونك بشيراً لمن آمن
بما أنزل عليك وعمل به ونذيراً لمن كفر به أو أرسلناك صادقاً حال كونك بشيراً لمن صدقك بالثواب
ونذيراً لمن كذبك بالعذاب ليختاروا لأنفسهم ما أحبوا لا قاصر لهم على الإيمان فلا عليك إن أصرروا
● وكابروا (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) ما لهم لم يؤمنوا بعد ما بلغت ما أرسلت به وقرىء لن تسأل
وما تسأل وقرىء لا تسأل على صيغة النهي إيداناً بكال شدة عقوبة الكفار وتهويلها كأنها لغاية فظاعتها
لا يقدر المخبر على إجرائها على لسانه أو لا يستطيع السامع أن يسمع خبرها وحمله على نهى النبي ﷺ
عن السؤال عن حال أبويه مما لا يساعده النظم الكريم والجحيم المتأجج من النار وفي التعبير عنهم بصاحبة
الجحيم دون الكفر والتكذيب ونحوهما وعيد شديد لهم وإيدان بأنهم مطبوع عليهم لا يرجى منهم
● ١٢٠ الإيمان قطعاً وقوله تعالى (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) بيان لكال شدة شكيمة
هاتين الطائفتين خاصة إثر بيان ما يعمهما والمشركين من الإصرار على ما هم عليه إلى الموت وإيراد لا

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ ۖ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ٢ البقرة

يٰٓبَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾ ٢ البقرة

- النافية بين المعطوفين لتأكيد النفي لما مر من أن تصلب اليهود في أمثال هذه العظائم أشد من النصارى والإشعار بأن رضى كل منهما مباين لرضى الأخرى أى ان ترضى عنك اليهود ولو خلمتهم وشأنهم حتى تتبع ملتهم ولا النصارى ولو تركتهم ودينهم حتى تتبع ملتهم فأوجز النظم ثقة بظهور المراد وفيه من المبالغة في إقناطه ﷺ من إسلامهم مالا غاية وراهه فإنهم حيث لم يرضوا عنه عليه السلام ولو خلاهم يفعلون ما يفعلون بل أملوا منه ﷺ مالا يكاد يدخل تحت الإمكان من اتباعه عليه السلام لملتهم فكيف يتوهم اتباعهم لملته عليه السلام وهذه حالتهم في أنفسهم ومقاتلتهم فيما بينهم وأما لانهم أظهروها للنبي ﷺ وشافوه بذلك وقالوا لن نرضى عنك وإن بالغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا كما قيل فلا يساعده النظم الكريم بل فيه ما يدل على خلافه فإن قوله عز وجل (قل إن هدى الله هو الهدى) صريح في أن ما وقع هذا جواباً ● عنه ليس عين تلك العبارة بل ما يستلزم مضمونها أو يلزمه من الدعوة إلى اليهودية والصراية وادعاء أن الاهتداء فيهما كقوله عز وجل حكاية عنهم كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا أى قل رداً عليهم إن هدى الله الذى هو الإسلام هو الهدى بالحق والذى يحق ويصح أن يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراه هدى وما تدعون إليه ليس بهدى بل هو هوى كما يعرب عنه قوله تعالى (ولئن اتبعت أهواءهم) أى آراءهم الزائفة الصادرة عنهم بقضية شهوات أنفسهم وهى التى عبر عنها فيما قبل بملتهم إذ هى التى ينتمون إليها وأما ما شرعه الله تعالى لهم من الشريعة على لسان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهو المعنى الحقيقى للملة فقد غيرها تغييراً (بعد الذى جاءك من العلم) أى الوحى أو الدين المعلوم صحته (مالك من الله) ● من جهته العزيزة (من ولى) يلى أمرك عموماً (ولا نصير) يدفع عنك عقابه وحيث لم يستلزم نفي الولى نفي النصير وسط لا بين المعطوفين لتأكيد النفي وهذا من باب التهيج والإلهاب والإفانئ يتوهم إمكان اتباعه عليه السلام لملتهم وهو جواب للقسم الذى وطأه اللام واكتفى به عن جواب الشرط (الذين آتيناهم ١٢١ الكتاب) هم مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه (يتلونه حق تلاوته) بمراعاة لفظه ● عن التحريف وبالتدبر في معانيه والعمل بما فيه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده أو خبر وما بعده مقرر له (أولئك) إشارة إلى الموصوفين بإيتاء الكتاب وتلاوته كما هو حقه وما فيه من معنى البعد للإيدان ببعده ● منزلتهم في الفضل (يؤمنون به) أى بكتابتهم دون المحرفين فإنهم بمعزل من الإيمان به فإنه لا يجمع الكفر ببعض منه (ومن يكفر به) بالتحريف والكفر بما يصدقه (فأولئك هم الخاسرون) حيث اشتروا ● الكفر بالإيمان (يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) ومن جملتها التوراة وذكر النعمة إنما ١٢٢

وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفْعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ٢ البقرة

وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنْتَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ٢ البقرة

- يكون يشكرها وشكرها الإيمان بجميع ما فيها ومن جملته نعت النبي ﷺ ومن ضرورة الإيمان بها
- الإيمان به عليه الصلاة والسلام (وأنى فضلتكم على العالمين) أفردت هذه النعمة بالذكر مع كونها
- ١٢٣ مندرجة تحت النعمة السالفة لإناقتها فيما بين فنون النعم (واتقوا) إن لم تؤمنوا (يوماً لا تجزى) في
- ذلك اليوم (نفس) من النفوس (عن نفس) أخرى (شيئاً) من الأشياء أو شيئاً من الجزاء (ولا يقبل
- منها عدل) أى فدية (ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون) وتخصيصهم بتكرير التذكير وإعادة التحذير
- للبالغة في النصيح والإيذان بأن ذلك فذلك القضية والمقصود من القصة لما أن نعم الله عز وجل عليهم
- ١٢٤ أعظم وكفرهم بها أشد وأقبح (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات) شروع في تحقيق أن هدى الله هو ما عليه
- النبي ﷺ من التوحيد والإسلام الذى هو ملة إبراهيم عليه السلام وأن ما عليه أهل الكتابين أهواء
- زائغة وأن ما يدعون من أنهم على ملته عليه الصلاة والسلام فرية بلا مرية ببيان ما صدر عن إبراهيم
- وأبنائه الأنبياء عليهم السلام من الأقاويل والأفاعيل الناطقة بحقية التوحيد والإسلام وبطلان الشرك
- وبصحة نبوة النبي ﷺ وبكونه ذلك النبي الذى استدعاه إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام بقولهما
- ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية فإذ منصوب على المفعولية بمضمرة مقدم خوطب به النبي ﷺ بطريق
- التلويح أى واذكر لهم وقت ابتلائه عليه السلام ليتذكروا بما وقع فيه من الأمور الداعية إلى التوحيد
- الوازنة عن الشرك فيقبلوا الحق ويتركوا ما هم فيه من الباطل وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت دون
- ما وقع فيه من الحوادث مع أنها المقصودة بالذات قد مروجها في أثناء تفسير قوله عز وجل وإذ قال ربك
- للإسلامك إني جاعل في الأرض خليفة وقيل على الظرفية بمضمرة مؤخر أى وإذ ابتلاه كان كيت وكيت
- وقيل بما سيجىء من قوله تعالى قال الحق والاول هو اللائق بحزالة التنزيل ولا يبعد أن ينتصب بمضمرة
- معطوف على اذكروا خوطب به بنو إسرائيل ليتأملوا فيما يحكى عن ينتمون إلى ملته من إبراهيم وأبنائه
- عليهم السلام من الأفعال والأقوال فيقتدوا بهم ويسيروا سيرتهم والابتلاء فى الأصل الاختبار أى
- تطلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه لأمر يشق عليه غالباً فعله أو تركه وذلك إنما يتصور حقيقة بمن
- لا وقوف له على عواقب الأمور وأما من العلم الخبير فلا يكون إلا مجازاً من تمكينه للعبد من اختيار
- أحد الأمرين قبل أن يرتب عليه شيئاً هو من مبادئه العادية كمن يختبر عبده ليتعرف حاله من الكياسة
- فيأمره بما يليق بحاله من مصالحه وإبراهيم اسم أجمعى قال السهيلي كثيراً ما يقع الاتفاق أو التقارب بين

- السرياني والعربي ألا يرى أن إبراهيم تفسيره أب راحم ولذلك جعل هو وزوجته سارة كافلين لأطفال المؤمنين الذين يموتون صغاراً إلى يوم القيامة على ما روى البخاري في حديث الرؤيا أن النبي ﷺ رأى في الروضة إبراهيم عليه السلام وحوله أولاد الناس وهو مفعول مقدم لإضافة فاعله إلى ضميره والتعرض لعنوان الربوبية تشريف له عليه السلام وإيدان بأن ذلك الابتلاء تربية له وترشيع لأمر خطير والمعنى عامله سبحانه معاملة المختبر حيث كلفه أو امر ونواهى يظهر بحسن قيامه بحقوقها قدرته على الخروج عن عهدة الإمامة العظمى وتحمل أعباء الرسالة وهذه المعاملة وتذكيرها للناس لإرشادهم إلى طريق إتقان الأمور ببنائها على التجربة وللإيدان بأن بعثة النبي ﷺ أيضاً مبنية على تلك القاعدة الرصينة واقعة بعد ظهور استحقاقه عليه السلام للنبوة العامة كيف لا وهي التي أوجب بهادعوة إبراهيم عليه السلام كما سيأتي واختلف في الكلمات فقال مجاهد في المذكورة بعدها ورد بأنه يأباه الفاء في فاتمهن ثم الاستئناف وقال طاوس عن ابن عباس رضى الله عنهما هي عشر خصال كانت فرضاً في شرعه وهن سنة في شرعنا خمس في الرأس المضمضة والاستنشاق وفرق الرأس وقص الشارب والسواك وخمس في البدن الحتان وحلق العانة ونتف الإبط وتقليم الأظفار والاستنجاء بالماء وفي الخبر أن إبراهيم عليه السلام أول من قص الشارب وأول من اختتن وأول من قلم الأظفار وقال عكرمة عن ابن عباس لم يبتل أحد بهذا الدين فأقامه كله إلا إبراهيم ابتلاه الله تعالى بثلاثين خصلة من خصال الإسلام عشر منها في سورة براءة الثائبون الخ وعشر في الأحزاب إن المسلمين والمسلمات الخ وعشر في المؤمنون وسأل سائل إلى قوله عز وجل والذين هم على صلاتهم يحافظون وقيل ابتلاه الله سبحانه بسبعة أشياء بالشمس والقمر والنجوم والاختتان على الكبر والنار وذبح الولد والهجرة فوفى بالكل وقيل هن محاجته قومه والصلاة والزكاة والصوم والضيافة والصبر عليها وقيل هي مناسك كالطواف والسعي والرمي والإحرام والتعريف وغيرهن وقيل هي قوله عليه السلام الذي خلقني فهو يهدين الآيات ثم قيل إنما وقع هذا الابتلاء قبل النبوة وهو الظاهر وقيل بعدها لأنه يقتضى سابقة الوحي وأوجب بأن مطلق الوحي لا يستلزم البعثة إلى الخلق وقرئ برفع إبراهيم ونصب ربه أي دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه إلهن أولاً (فاتمهن) أي قام بهن حق القيام وأداهن أحسن التادية من غير تفريط وتوان كما في قوله تعالى وإبراهيم الذي وفى وعلى القراءة الأخيرة فأعطاه الله تعالى ما سأله من غير نقص ويعضده ما روى عن مقاتل أنه فسر الكلمات بما سأل إبراهيم ربه بقوله رب اجعل الآيات وقوله عز وجل (قال) على تقدير انتصاب إذ بمضمرة جملة مستأنفة وقعت جواباً عن سؤال نشأ من الكلام فإن الابتلاء تمهيد لأمر معظم وظهور فضيلة المبتهل من دواعي الإحسان إليه فبعد حكايتهما ترقب النفس إلى ما وقع بعدها كأنه قيل فإذا كان بعد ذلك فقيل قال (إني جاعلك للناس إماماً) أو بيان لقوله تعالى ابتلى على رأى من جعل الكلمات عبارة عما ذكر أثره من الإمامة وتطهير البيت ورفع قواعده وغير ذلك وعلى تقدير انتصاب إذ يقال فالجملة معطوفة على ما قبلها عطفت القصة على القصة والواو في المعنى داخل على قال أي وقال ابتلى الخ والجعل بمعنى التصيير أحد مفعولي الضمير والثاني إماماً واسم الفاعل بمعنى المضارع وأؤكد منه لدلالته على أنه جاعل

وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ٢ البقرة

له البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه وللناس متعلق بجاءك أى لا جل الناس أو بمحذوف وقع
حالا من إماماً إذ لو تأخر عنه لكان صفة له والإمام اسم لمن يؤتم به وكل نبى إمام لا مته وإمامته عليه
السلام عامة مؤبدة إذ لم يبعث بعده نبى إلا كان من ذريته مأموراً باتباع ملته (قال) استئناف مبنى على
سؤال مقدر كأنه قيل فإذا قال إبراهيم عليه السلام عنده فقيل قال (ومن ذريتي) عطف على الكاف
ومن تبعية متعلقة بجاءك أى وجاعل بعض ذريتي كما تقول وزيداً لمن يقول سأكرمك أو بمحذوف
أى واجعل فريقاً من ذريتي إماماً وتخصيص البعض بذلك لبداية استحالة إمامة الكل وإن كانوا على الحق
وقيل التقدير وماذا يكون من ذريتي والذرية نسل الرجل فعولة من ذروت أو ذريت والأصل ذرووة
أو ذروية فاجتمع فى الأولى وآوان زائدة وأصلية فقلبت الأصلية ياء فصارت كالثانية فاجتمعت واو
وياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء فى الياء فصارت ذرية أو فعيلة منهما والأصل
فى الأولى ذرووة فقلبت الواو ياء لما سبق من اجتماعهما وسبق إحداهما بالسكون فصارت ذرية كالثانية
فأدغمت الياء فى مثلها فصارت ذرية أو فعيلة من الذر بمعنى الخلق والأصل ذريثة تخففت الهمزة بإبدالها ياء
كهزمة خطيئة ثم أدغمت الياء الزائدة فى المبدلة أو فعيلة من الذر بمعنى التفريق والأصل ذريرة قلبت الراء
الأخيرة ياء لتوالى الأمثال كما فى تسرى وتفضى وتظنى فأدغمت الياء فى الياء كما مر أو فعولة منه والأصل
ذرووة فقلبت الراء الأخيرة ياء لجاء الإدغام وقرئ بكسر الذال وهى لغة فيها وقرأ أبو جعفر المدنى بالفتح
وهى أيضاً لغة فيها (قال) استئناف مبنى على سؤال ينساق إليه الذهن كما سبق (لا ينال عهدى الظالمين) ليس
هذا رداً لدعوته عليه الصلاة بل إجابة خفية لها وعدة إجمالية منه تعالى بتشرىف بعض ذريته عليه السلام بنيل
عهد الإمامة حسبما وقع فى استدعائه عليه السلام من غير تعيين لهم بوصف يميز لهم عن جميع من عداهم فإن
التنصيص على حرمان الظالمين منه بمعزل من ذلك التمييز إذ ليس معناه أنه ينال كل من ليس بظالم منهم ضرورة
استحالة ذلك كما أشير إليه ولعل إيثار هذه الطريقة على تعيين الجامعين لمبادئ الإمامة من ذريته إجمالاً أو
تفصيلاً وإرسال الباقيين لئلا ينتظم المقتدون بالآئمة من الأئمة فى ملك المحرومين وفى تفصيل كل فرقة من
الإطناب مالا يخفى مع ما فى هذه الطريقة من تخيب الكفرة الذين كانوا يتمنون النبوة وقطع أطعامهم
الفارغة من نيلها وإنما أوثر النيل على الجعل إيماء إلى أن إمامة الأنبياء عليهم السلام من ذريته عليه السلام
كما سمعيل وإسحق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وداود وسليمان وأيوب ويونس وزكريا ويحيى
وعيسى وسيدنا محمد ﷺ تسليماً كثيراً ليست بجعل مستقل بل هى حاصلة فى ضمن إمامة إبراهيم عليه السلام
تنال كلا منهم فى وقت قدره الله عز وجل وقرئ الظالمون على أن عهدى مفعول قدم على الفاعل اهتماماً
ورعاية للفواصل وفيه دليل على عصاة الأنبياء عليهم السلام من الكبائر على الإطلاق وعدم صلاحية
الظالم الإمامة وقوله تعالى (وإذ جعلنا البيت) أى الكعبة المعظمة غلب عليها غلبة النجم على الثريا معطوف

- على إذا بتلى على أن العامل فيه هو العامل فيه أو مضمحل مستقل معطوف على المضمحل الأول والجعل إما بمعنى التصيير ف قوله عز وجل (مثابة) أى مرجعاً يثوب إليه الزوار بعد ما تفرقوا عنه أو أمثالهم أو موضع ثواب
- يثابون بحججه واعتباره مفعوله الثانى وإما بمعنى الإبداع فهو حال من مفعوله واللام فى قوله تعالى (للناس) متعلقة بمحذوف وقع صفة لمثابة أى مثابة كائنة للناس أو جعلنا أى جعلناه لأجل الناس وقرىء مثابات باعتبار تعدد الثائبين (وأمنأ) أى أمنأ كما فى قوله تعالى حرماً أمنأ على إيقاع المصدر موقع اسم الفاعل للبالغة أو على تقدير المضاف أى ذا أمن أو على الإسناد المجازى أى أمنأ من حجه من عذاب الآخرة من حيث إن الحج يجب ما قبله أو من دخله من التعرض له بالعقوبة وإن كان جانباً حتى يخرج على ما هو رأى أبى حنيفة ويجوز أن يعتبر الأمن بالقياس إلى كل شئ كائناً ما كان ويدخل فيه أمن الناس دخولا أولياً وقد اعتيد فيه أمن الصيد حتى أن الكلب كان يهم بالصيد خارج الحرم فيفر منه وهو يتبعه فإذا دخل الصيد الحرم لم يتبعه الكلب (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) على إرادة قول هو عطف على جعلنا أو حال من فاعله أى وقفنا أو قائلين لهم اتخذوا الخ وقيل هو بنفسه معطوف على الأمر الذى يتضمنه قوله عز وجل مثابة للناس كأنه قيل ثوبوا إليه واتخذوا الخ وقيل على المضمحل العامل فى إذوقيل هى جملة مستأنفة والخطاب على الوجوه الأخيرة له عليه السلام ولأمنته والأول هو الأليق بجزالة النظم الكريم والأمر صريحاً كان أو مفهوماً من الحكاية للاستحباب ومن تبعيضية والمقام اسم مكان وهو الحجر الذى عليه أترقدمه عليه السلام والموضع الذى كان عليه حين قام ودعا الناس إلى الحج أو حين رفع قواعد البيت وهو موضعه اليوم والمراد بالمصلى إما موضع الصلاة أو موضع الدعاء روى أنه ﷺ أخذ بيد عمر رضى الله عنه فقال هذا مقام إبراهيم فقال عمر رضى الله عنه أفلا نتخذ مصلى فقال لم أؤمر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الأمر بركعتي الطواف لما روى جابر رضى الله عنه أنه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد إلى مقام إبراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وللشافعى فى وجوبهما قولان وقيل مقام إبراهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج عرفة والمزدلفة والجار واتخاذها مصلى أن يدعى فيها ويتقرب إلى الله تعالى وقرىء واتخذوا على صيغة الماضى عطفاً على جعلنا أى واتخذ الناس من مكان إبراهيم الذى وسم به لاهتمامه به وإسكان ذريته عنده قبله يصلون إليها (وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل) أى أمرناهما أمراً مؤكداً (أن طهرا بيتى) بأن طهرا على أن مصدرية
- حذف عنها الجار حذفاً مطرداً لجواز كون صلتهما أمراً ونهياً كما فى قوله عز وجل وأن أقم وجهك للدين حنيفاً لأن مدار جواز كونها فعلاً إنما هو دلالة على المصدر وهى متحققة فيهما وجوب كونها خبرية فى صلة الموصول الاسمى إنما هو للتوصل إلى وصف المعارف بالجل وهى لا يوصف بها إلا إذا كانت خبرية وأما الموصول الحر فى فليس كذلك ولما كان الخبر والإنشاء فى الدلالة على المصدر سواء ساغ وقوع الأمر والنهى صلة حسب وقوع الفعل فيتجرد عند ذلك عن معنى الأمر والنهى نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى الماضى والاستقبال أو أى طهرا على أن مفسرة لتضمن العهد معنى القول وإضافة البيت إلى ضمير الجلالة للتشريف وتوجيه الأمر بالتطهير ههنا إليهما عليهما السلام لا ينافى ما فى سورة الحج من تخصيصه بإبراهيم

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ البقرة

- عليه السلام فإن ذلك واقع قبل بناء البيت كما يفصح عنه قوله تعالى وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت وكان
إسماعيل عليه السلام حينئذ بمنزل من مثابة الخطاب وظاهر أن هذا بعد بلوغه مبلغ الأمر والنهي وتمام
البناء بمباشرته كما ينبي عنه إirاده أثر حكاية جعله مثابة للناس الخ والمراد تطهيره من الأول والثاني والانجاس
وطواف الجنب والحائض وغير ذلك مما لا يليق به (للطائفين) حوله (والعاكفين) المجاورين المقيمين
- عنده أو المعتسكفين أو القائمين في الصلاة كما في قوله عز وجل للطائفين والقائمين (والركع السجود) جمع
راكع وساجد أي للطائفين والمصلين لأن القيام والركوع والسجود من هيئات المصلي ولتقارب
الآخرين ذاتا وزماناً ترك العاطف بين موصوفيهما أو إخلاصه لهؤلاء لئلا ينشأ غيرهم وفيه إيماء إلى أن
١٢٦ ملايسة غيرهم به وإن كانت مع مقارنة أمر مباح من قبيل تلويثه وتدنيسه (وإذ قال إبراهيم) عطف
● على ما قبله من قوله وإذ جعلنا الخ إما بالذات أو بعامله المضمر كامر (رب اجعل هذا بلداً آمناً) ذا أمن
كعيشة راضية أو آمناً أهله كليله نائم أي اجعل هذا الوادي من البلاد الآمنة وكان ذلك أول ما قدم عليه
السلام مكة كما روى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهم أنه عليه الصلاة والسلام لما أسكن لإسماعيل
وهاجر هناك وعاد متوجهاً إلى الشام تبعته هاجر فجعلت تقول إلى من تكلنا في هذا البلقع وهو لا يرد عليها
جواباً حتى قالت آله أمرك بهذا فقال نعم قالت إذن لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى إذا استوى على ثنية
كداء أقبل على الوادي فقال ربنا إني أسكنت الآية وتعريف البلد مع جعله صفة لهذا في سورة إبراهيم
إن حمل على تعدد السؤال لما أنه عليه السلام سأل أولاً كلا الأمرين البلدية والأمن فاستجيب له في أحدهما
وتأخر الآخر إلى وقت المقدرة له لما تقتضيه الحكمة الباهرة ثم كرر السؤال حسبها هو المعتاد في الدعاء
والإتهال أو كان المسئول أولاً البلدية ومجرد الأمن المصحح للسكنى كما في سائر البلاد وقد أجيب إلى
ذلك وثانياً الأمن المعهود أو كان هو المسئول أولاً أيضاً وقد أجيب إليه لكن السؤال الثاني لاستدامته
والاقتصار على سؤاله مع جعل البلد صفة لهذا لأنه المقصد الأصلي أو لأن المعتاد في البلدية الاستمرار
بعد التحقق بخلاف الأمن وإن حمل على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر أن
المسئول كلا الأمرين وقد حكى ذلك ههنا واقتصر هناك على حكاية سؤال الأمن اكتفاء عن حكاية
سؤال البلدية بحكاية سؤال أفئدة الناس تهوى إليه كما سيأتي تفصيله هناك بإذن الله عز وجل
● (وارزق أهله من الثمرات) من أنواعها بأن تجعل بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك أو يجبي إليه من الأقطار
الشاسعة وقد حصل كلاهما حتى أنه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد روى
عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الطائف كانت من أرض فلسطين فلما دعا إبراهيم عليه الصلاة والسلام
بهذه الدعوة رفعها الله تعالى فوضعها حيث وضعها رزقا للحرث وعن الزهري أنه تعالى نقل قرية من

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ٢ البقرة

- قرى الشام فوضعها بالطائف لدعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) بدل من أهله بدل البعض خصهم بالدعاء لإظهار الشرف الإيمان وإبانة لخطره واهتماما بشأن أهله ومراعاة لحسن الأدب وفيه ترغيب لقومه في الإيمان وزجر عن الكفر كما أن في حكايته ترغيباً وترهيباً لقريش وغيرهم من أهل الكتاب (قال) استئناف مبنى على السؤال كما مر مراراً وقوله تعالى (ومن كفر) عطف على مفعول فعل محذوف تقديره أرزق من آمن ومن كفر وقوله تعالى (فأمتعه) معطوف على ذلك الفعل أو في محل رفع بالابتداء وقوله تعالى فأمتعه خبره أى فأنا أمتعه وإنما دخلته الفاء تشبيهاً له بالشرط والكفر وإن لم يكن سبباً للتمتع المطلق لكنه يصلح سبباً لتقليله وكونه موصولاً بعذاب النار وقيل هو عطف على من آمن عطف تلقين كأنه قيل قل وارزق من كفر فإنه أيضاً مجاب كأنه عليه السلام قاس الرزق على الإمامة فنبه تعالى على أنه رحمة دينية شاملة للبر والفاجر بخلاف الإمامة الحاصلة بالخواص وقرى. فأمتعه من أمتع وقرى. فتمتعه (قليلاً) متممياً قليلاً أو زماناً قليلاً (ثم أضطره إلى عذاب النار) أى ألزه إليه لئلا المضطر للكفره وتضييعه ما تمعه به من النعم وقرى. ثم فاضطره على وفق قراءة فتمتعه وقرى. فأمتعه قليلاً ثم اضطره بلفظ الأمر فيهما على أنهما من دعاء إبراهيم عليه السلام وفي قال ضميره وإنما فصله عما قبله لكونه دعاء على الكفرة وتغيير سبكه للإيدان بأن الكفر سبب لا مضطر أزم إلى عذاب النار وأما رزق من آمن فإنما هو على طريقة التفضل والإحسان وقرى. بكسر الهمزة على لغة من يكسر حرف المضارعة وأطره يادغام الضاد في الطاء وهى لغة مرذولة فإن حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها بلا عكس (وبئس المصير) المخصوص بالذم محذوف أى بئس المصير النار أو عذابها (وإذ يرفع إبراهيم ١٢٧ القواعد من البيت) عطف على ما قبله من قوله عز وعلا وإذ قال إبراهيم على أحد الطريقتين المذكورتين في وإذ جعلنا وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة المنبئة عن المعجزة الباهرة والقواعد جمع قاعدة وهى الأساس صفة غالبية من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من مقابل القيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها لأنه ينقلها من هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع والمرتفع حقيقة وإن كان هو الذى بنى عليها لكنهما لما التأما صاراً شيئاً واحداً فكأنها نمت وارتفعت وقيل المراد بها سافات البناء فإن كل ساف قاعدة لما يبنى عليها ويرفعها بناء بعضها على بعض وقيل المراد برفعها رفع مكانة البيت وإظهار شرفه ودعاء الناس إلى حجه وفى إيهامها أولاً ثم تبينها من تفخيم شأنها ما لا يخفى وقيل المعنى وإذ يرفع إبراهيم ما قعد من البيت واستوطاً يعنى يجعل هيئة القاعدة المستوطاة مرتفعة عالية بالبناء روى أن الله عز وجل أنزل البيت بقوة من يواقيت الجنة له بابان من زمر دشرقي وغربي وقال لآدم أهبط لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشى فتوجه آدم من أرض الهند إليه ماشياً وتلقته الملائكة فقالوا برحمتك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالني عام وحج آدم عليه السلام أربعين حجة من أرض الهند إلى مكة على رجله فكان على ذلك إلى أن رفعه الله أيام الطوفان إلى السماء الرابعة فهو البيت المعمور

وكان موضعه خالياً إلى زمن إبراهيم عليه السلام فأمره سبحانه بينائه وعرفه جبريل عليه السلام بمكانه وقيل بعث الله السكينة لتدله عليه فتبعها إبراهيم عليه السلام حتى أتيا مكة المعظمة وقيل بعث الله تعالى سمحاً على قدر البيت وسار إبراهيم في ظلها إلى أن وافت مكة المعظمة فوقفت في موضع البيت فتودى أن ابن على ظلها ولا تزد ولا تنقص وقيل بناء من خمسة أجبل طور سيناء وطور زبتا ولبنان والجودي وأسس من حراء وجاء جبريل عليه السلام بالحجر الأسود من السماء وقيل تمخض أبو قبيس فانشق عنه وقد خبي فيه في أيام الطوفان وكان ياقوته يبيض من يواقيت الجنة فلما لمست الحوض في الجاهلية أسود وقال الفاسي في مثير الغرام في تاريخ البلد الحرام والذي يتحصل من جملة ما قيل في عدد بناء الكعبة أنها بنيت عشر مرات منها بناء الملائكة عليهم السلام ذكره النووي في تهذيب الأسماء واللغات والأزرق في تاريخه وذكر أنه كان قبل خلق آدم عليه السلام ومنها بناء آدم عليه السلام ذكره البيهقي في دلائل النبوة وروى فيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال بعث الله عز وجل جبريل إلى آدم عليهما السلام فقال له ولحواء ابني إلى بيتاً فخط جبريل وجعل آدم يحفر وحواء تنقل التراب حتى إذا أصاب الماء نودي من تحته حسبك آدم فلما بنياه أوحى إليه أن يطوف به فقبل له أنت أول الناس وهذا أول بيت وهكذا ذكره الأزرق في تاريخه وعبد الرزاق في مصنفه ومنها بناء بنى آدم عند ما رفعت الخيمة التي عزى الله تعالى بها آدم عليه السلام وكانت ضربت في موضع البيت فبنى بنوه مكانها بيتاً من الطين والحجارة فلم يزل معموراً يعمرونه هم ومن بعدهم إلى أن مسه الغرق في عهد نوح عليه السلام ذكره الأزرق بسنده إلى وهب بن منبه ومنها بناء الخليل عليه السلام وهو منصوص عليه في القرآن مشهور في ما بين قاص ودان ومنها بناء العمالة ومنها بناء جرهم ذكرهما الأزرق بسنده إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومنها بناء قصي بن كلاب ذكره الزبير بن بكار في كتاب النسب ومنها بناء قريش وهو مشهور ومنها بناء عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ومنها بناء الحجاج بن يوسف وما كان ذلك بناء لكلها بل الجدار من جدرانها وقال الحافظ السهيلي أن بناءها لم يكن في الدهر إلا خمس مرات الأولى حين بناها شيث عليه السلام انتهى والله سبحانه أعلم (وإسماعيل) عطف على إبراهيم ولعل تأخيرها عن المفعول للإيدان بأن الأصل في الرفع هو إبراهيم وإسماعيل تبع له قيل إنه كان يناوله الحجارة وهو بينها وقيل كانا يبنيان من طرفين (ربنا تقبل منا) على إرادة القول أي بقولان وقد قرئ به على أنه حال منهما عليهما السلام وقيل على أنه هو العامل في إذ والجملة معطوفة على ما قبلها والتقدير ويقولان ربنا تقبل منا إذ يرفعان أي وقت رفعهما وقيل وإسماعيل مبتدأ خبره قول محذوف وهو العامل في ربنا تقبل منا فيكون إبراهيم هو الرافع وإسماعيل هو الداعي والجملة في محل النصب على الحالية أي وإذ يرفع إبراهيم القواعد والحال أن إسماعيل يقول ربنا تقبل منا والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن إفاضة ما فيه صلاح المربوب مع الإضافة إلى ضميرهما عليهما السلام لتحريك سلسلة الإجابة وترك مفعول تقبل مع ذكره في قوله تعالى ربنا وتقبل دعاء ليعم الدعاء وغيره من القرب والطاعات التي من جملتها ما هما بصده من البناء كما يعرب عنه جعل الجملة الدعائية حالية (إنك أنت السميع) لجميع المسموعات التي من جملتها دعاؤنا (العليم) بكل

رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ٢ البقرة

رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ٢ البقرة

المعلومات التي من زمرتها نياتنا في جميع أعمالنا والجملة لتعليل لاستدعاء التقبل لا من حيث إن كونه تعالى سميعاً لدعائهما عليهما بنياتهما مصحح للتقبل في الجملة بل من حيث إن عليه تعالى بصحة نياتهما وإخلاصهما في أعمالهما مستدع له بموجب الوعد تفضلاً وتأكيده الجملة لغرض كمال قوة يقينهما بمضمونها وقصر نفق السمع والعلم عليه تعالى لإظهار اختصاص دعائهما به تعالى وانقطاع رجائهما عما سواه بالكلية واعلم أن الظاهر أن أول ما جرى من الأمور المحكية هو الابتلاء وما يتبعه ثم دعاء البلدية والأمن وما يتعلق به ثم رفع قواعد البيت وما يتلوه ثم جملة مثابة للناس والأمر بتطهيره ولعل تغيير الترتيب الوقوعي في الحكاية لنظم الشئون الصادرة عن جنبه تعالى في سلك مستقل ونظم الأمور الواقعة من جهة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام من الأفعال والأقوال في سلك آخر وأما قوله تعالى ومن كفر الخ فإنما وقع في تضاعيف الأحوال المتعلقة بإبراهيم لاقتضاء المقام واستيجاب ماسبق من الكلام ذلك بحيث لم يكن بد منه أصلاً كما أن وقوع قوله عليه السلام ومن ذريتي في خلال كلامه سبحانه لذلك (ربنا واجعلنا مسلمين ١٢٨ لك) مخلصين لك أو مستسلمين من أسلم إذا استسلم وانقاد وأياً ما كان فالمطلوب الزيادة والثبات على ما كان عليه من الإخلاص والإذعان وقرىء مسلمين على صيغة الجمع يادخال هاجر معهما في الدعاء أو لأن التثنية من مراتب الجمع (ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) أي واجعل بعض ذريتنا وإنما خصصهم بالدعاء لأنهم أحق بالشفقة ولأنهم إذا صلحوا صلح الأتباع وإنما خصصهم لما علياً أن منهم ظلمة وأن الحكمة الإلهية لا تقتضي اتفاق الكل على الإخلاص والإقبال الكلي على الله عز وجل فإن ذلك مما يخجل بأمر المعاش ولذلك قيل لولا الحق لحربت الدنيا وقيل أراد بالامة المسلمة أمة محمد ﷺ وقد جوز أن يكون من مبينة قدمت على المبين وفصل بها بين العاطف والمعطوف كما في قوله تعالى ومن الأرض مثلهن والأصل وأمة مسلمة لك من ذريتنا (وأرنا) من الرؤية بمعنى الإبصار أو بمعنى التعريف أي بصرنا أو عرفنا (مناسكنا) أي متعبداً في الحج أو مذابحنا والنسك في الأصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرىء أرنا قياساً على نخذ في نخذ وفيه إجحاف لأن الكسرة منقولة من الهمة الساقطة دليل عليها وقرىء بالاختلاس (وتب علينا) استجابة لندريتهما وحكايتها عنهما لترغيب الكفرة في التوبة والإيمان أو توبة لهما عما فرط منهما سهواً ولعلمهما قالا هضماً لأنفسهما وإرشاداً لندريتهما (إنك أنت التواب الرحيم) وهو لتعليل الدعاء ومزيد استدعاء للإجابة قيل إذا أراد العبد أن يستجاب له فليدع الله عز وجل بما يناسبه من أسمائه وصفاته (ربنا وابعث فيهم) أي في الأمة المسلمة ١٢٩

وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢﴾ البقرة

- (رسولا منهم) أى من أنفسهم فإن البعث فيهم لا يستلزم البعث منهم ولم يبعث من ذريتهما غير النبي ﷺ فهو الذى أجيب به دعوتهما عليهما السلام روى أنه قيل له قد استجيب لك وهو فى آخر الزمان قال عليه السلام أنا دعوة أبى إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أوى وتخصيص إبراهيم عليه السلام بالاستجابة له لما أنه الأصل فى الدعاء وإسماعيل تبع له عليه السلام (يتلو عليهم آياتك) يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى إليه من البينات (ويعلمهم) بحسب قوتهم النظرية (الكتاب) أى القرآن (والحكمة) وما يكمل به نفوسهم من أحكام الشريعة والمعارف الحقة (ويزكيهم) بحسب قوتهم العملية أى يطهرهم عن دنس الشرك وفنون المعاصى (إنك أنت العزيز) الذى لا يقهر ولا يغلب على ما يريد (الحكيم) الذى لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تعليل للدعاء وإجابة المستول فإن وصف الحكمة مقتضى لإفاضة ما تقتضيه الحكمة من الأمور التى من جملتها بعث الرسول ووصف العزة مستدع لا متناع وجود المانع بالمرّة (ومن يرغب عن ملة إبراهيم) إنكار واستبعاد لأن يكون فى العقلاء من يرغب عن ملته التى هى الحق الصريح والدين الصحيح أى لا يرغب عن ملته الواضحة الغراء (إلا من سفه نفسه) أى أذلها واستمتمها واستخف بها وقيل خسر نفسه وقيل أوبق أو أهلك أو جهل نفسه قال المبرد وتعلب سيفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما ورد فى الخبر الكبير أن تسفه الحق وتغصص الناس وقيل معناه ضل من قبل نفسه وقيل أصله سفه نفسه بالرفع فنصب على التمييز نحو غبن رأيه وألم رأسه ونحو قوله [ونأخذ بعده بذناب عيش * أجب الظهر ليس له سنام] وقوله [وما قوى بشعبة بن سعد * ولا بفزارة الشعر الرقاب] ذلك لأنه إذا رغب عما لا يرغب عنه أحد من العقلاء فقد بالغ فى إذلال نفسه وإذالتها وإهانتها حيث خالف بها كل نفس عاقلة روى أن عبد الله بن سلام دعا ابنى أخيه سلمة ومهاجر إلى الإسلام فقال لهما قد علمنا أن الله تعالى قال فى التوراة إني باعث من ولد إسماعيل نبياً اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فأسلم سلمة وأبى مهاجر ففزلت (ولقد اصطفيناه فى الدنيا) أى اخترناه بالنبوة والحكمة من بين سائر الخلق وأصله اتخاذ صفوة الشيء كما أن أصل الاختيار اتخاذ خيره واللام لجواب قسم محذوف والواو اعتراضية والجملة مقررّة لمضمون ما قبلها أى وبالله لقد اصطفيناه وقوله تعالى (وإنه فى الآخرة لمن الصالحين) أى من المشهود لهم بالثبات على الاستقامة والخير والصلاح معطوف عليها داخل فى حيز القسم مؤكداً لمضمونها مقررّاً لما تقرر ولا حاجة إلى جعله اعتراضاً آخر أو حالاً مقدرة فإن من كان صفوة للعباد فى الدنيا مشهوداً له بالصلاح فى الآخرة كان حقيقاً بالاتباع لا يرغب عن ملته إلا سفیه أو متسفه أذل نفسه بالجهل والإعراض عن النظر والتأمل وإيثار الاسمية لما أن انتظامه فى زمرة صالحى أهل الآخرة أمر مستمر فى الدارين لا أنه

إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ ٢ البقرة

وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ٢ البقرة

يحدث في الآخرة والتأكيد بأن واللام لما أن الأمور الآخروية خفية عند المخاطبين لحاجتها إلى التأكيد أشد من الأمور التي تشهد آثارها وكلية في متعلقة بالصالحين على أن اللام للتعريف وليست بموصولة حتى يلزم تقديم بعض الصلة عليها على أنه قد يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قوله [ربيته حتى إذا تمعددا * كان جزائي بالعصا أن أجلدًا] أو بمحذوف من لفظه أي وأنه لصالح في الآخرة لمن الصالحين أو من غير لفظه أي أعني في الآخرة نحو لك بعد رعيًا وقيل هي متعلقة باصطفيناه على أن في النظم الكريم تقديمًا وتأخيرًا تقديره ولقد اصطفيناه في الدنيا والآخرة وإنه لمن الصالحين (إذ قال له) ظرف لاصطفيناه لما أن المتوسط ليس بأجنبي بل هو مقرر له لأن اصطفاه في الدنيا ١٣١ إنما هو النبوة وما يتعلق بصالح الآخرة أو تعليل له أو منصوب بالذكر كأنه قيل اذكر ذلك الوقت لتقف على أنه المصطفى الصالح المستحق للإمامة والتقدم وأنه مانال مانال إلا بالمبادرة إلى الإذعان والانقياد لما أمر به وإخلاص سره على أحسن ما يكون حين قال له (ربه أسلم) أي لربك (قال أسلمت لرب العالمين) وليس الأمر على حقيقته بل هو تمثيل والمعنى أخطر بياله دلائل التوحيد المؤدية إلى المعرفة الداعية إلى الإسلام من الكوكب والقمر والشمس وقيل أسلم أي أذعن وأطع وقيل اثبت على ما أنت عليه من الإسلام والإخلاص أو استقم وفوض أمورك إلى الله تعالى فالأمر على حقيقته والاتفات مع التعرض لعنوان الربوبية والإضافة إليه عليه السلام لإظهار مزيد اللطف به والاعتناء بربيته وإضافة الرب في جوابه عليه الصلاة والسلام إلى العالمين للإيذان بكمال قوة إسلامه حيث أيقن حين النظر بشمول ربوبيته للعالمين قاطبة لا لنفسه وحده كما هو المأمور به (ووصى بها إبراهيم بنيه) شروع ١٣٢ في بيان تكميله عليه السلام لغيره إثر بيان كماله في نفسه وفيه توكيد لوجوب الرغبة في ملته عليه السلام والتوصية التقدم إلى الغير بما فيه خير وصلاح للسليين من فعل أو قول وأصلها الوصلة يقال وصاه إذا وصله وفصاه إذا فصله كأن الموصى يصل فعله بفعل الوصى والضمير في بها لليلة أو قوله أسلمت لرب العالمين بتأويل الكلمة كما عبر بها عن قوله تعالى إني براء عما تعبدون إلا الذي فطرني في قوله عز وجل وجعلها كلمة باقية في عقبه وقرىء أوصى والاول أبلغ (ويعقوب) عطف على إبراهيم أي وصى بها هو أيضًا وقرىء بالنصب عطفًا على بنيه (يا بني) على إضمار القول عند البصريين ومتعلق بوصى عند الكوفيين لأنه في معنى القول كما في قوله [رجلان من ضبة أخبرانا * أنا رأينا رجلًا عريانا] فهو عند الأولين بتقدير القول وعند الآخرين متعلق بالإخبار الذي هو في معنى القول وقرىء أن يا بني وبنو إبراهيم عليه السلام كانوا أربعة إسماعيل وإسحاق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل أربعة وعشرين وكان بنو يعقوب اثني عشر روبين وشمعون ولاوى ويهوذا ويشسوخور وزبولون وزوانا وفتونا

أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ
وَالْإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ البقرة

- وكوزا وأوشير وبنيامين ويوسف عليه السلام (إن الله اصطفى لكم الدين) دين الإسلام الذي هو
- صفوة الأديان ولا دين غيره عنده تعالى (فلا تموتن إلا وأنتن مسلمون) ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الإسلام والمقصود الأمر بالثبات على الإسلام إلى حين الموت أى فائدتوا عليه ولا تفارقوه أبداً كقولك لا تصل إلا وأنت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على أن موتهم لا على الإسلام موت لاخير فيه وأن حقه أن لا يحل بهم وأنه يجب أن يحذروه غاية الحذر ونظيره مت وأنت شهيد روى أنه اليهود ١٣٣ قالوا الرسول الله ﷺ ألسنت تعلم أن يعقوب أوصى باليهودية يوم مات فنزلت (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت) أم منقطعة مقدرة بيل والهمزة والخطاب لأهل الكتاب الراغبين عن ملة إبراهيم وشهداء جمع شهيد أو شاهد بمعنى الحاضر وإذ ظرف لشهداء والمراد بحضور الموت حضور أسبابه وتقديم يعقوب عليه السلام للاهتمام به إذ المراد بيان كيفية وصيته لبنيه بعد ما بين ذلك إجمالاً ومعنى بل الإضراب والانتقال عن توبيخهم على رغبتهم عن ملة إبراهيم عليه السلام إلى توبيخهم على إقراءهم على يعقوب عليه السلام باليهودية حسبما حكى عنهم وأما تعميم الإقراء ههنا لسائر الأنبياء عليهم السلام كما قيل فيأباه تخصيص يعقوب بالذكر وما سياتى من قوله عز وجل أم تقولون إن إبراهيم الخ ومعنى الهمزة إنكار وقوع الشهود عند احتضاره عليه السلام وتبكيته وقوله تعالى (إذ قال) بدل من إذ حضر
- أى ما كنتم حاضرين عند احتضاره عليه السلام وقوله (لبنيه ما تعبدون من بعدى) أى أى شئ تعبدونه بعد موتى فن أين لكم أن تدعوا عليه عليه السلام ما تدعون رجماً بالغيب وعند هذا تم التوبيخ والإنكار والتبكيك ثم بين أن الأمر قد جرى حينئذ على خلاف ما زعموا وأنه عليه السلام أراد بسؤاله ذلك تقرير بنيه على التوحيد والإسلام وأخذ ميثاقهم على الثبات عليهما إذ به يتم وصيته بقوله فلا تموتن إلا وأنتن مسلمون وما يسأل به عن كل شئ مالم يعرف فإذا عرف خص العقلاء بمن إذا سئل عن شئ بعينه
- وإن سئل عن وصفه قيل ما زيد أفضيه أم طيب فقوله تعالى (قالوا) استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ
- عن حكاية سؤال يعقوب عليه السلام كأنه قيل فإذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا (نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق) حسبما كان مراد أبيهم بالسؤال أى نعبد الإله المتفق على وجوده وإلهيته ووجوب عبادته وعد إسماعيل من آبائه تغليبا للأب والجد لقوله عليه الصلاة والسلام عم الرجل صنو أبيه وقوله عليه السلام في العباس هذا بقية آبائي وقرىء أليك على أنه جمع بالواو والنون كما في قوله [فلما تبين أصواتنا * بكين وفديننا بالآلينا] وقد سقطت النون بالإضافة أو مفرد إبراهيم عطف بيان له
- وإسماعيل وإسحق معطوفان على أليك (إلهاً واحداً) بدل من إله آبائك كقوله تعالى بالناسية ناصية كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ودفع التوهم الناشئ من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور أو نصب

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ٢ البقرة
وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ ٢ البقرة

- على الاختصاص (ونحن له مسلمون) حال من فاعل نعبد أو من مفعوله أو منهما معاً ويحتمل أن يكون
- اعتراضاً محققاً لمضمون ما سبق (تلك أمة) مبتدأ وخبر والإشارة إلى إبراهيم ويعقوب وبنهما الموحدين ١٣٤
- والامة هي الجماعة التي تؤمها فرق الناس أي يقصدونها ويقتدون بها (قد خلت) صفة للخبر أي مضت
- بالموت وانفردت عن عداها وأصله صارت إلى الخلاء وهي الأرض التي لا أنيس بها (لها ما كسبت)
- جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب أو صفة أخرى لامة أو حال من الضمير في خلت وما موصولة أو
- موصوفة والعائد إليها محذوف أي لها ما كسبته من الأعمال الصالحة المحكية لا تتخطاها إلى غيرها فإن
- تقديم المسند يوجب قصر المسند إليه عليه كما هو المشهور (ولكم ما كسبتم) عطف على نظيرتها على
- الوجه الأول وجملة مبتدأة على الوجهين الآخرين إذ لا رابط فيها ولا بد منه في الصفة ولا مقارنة في
- الزمان ولا بد منها في الحال أي لكم ما كسبتموه لا ما كسبه غيركم فإن تقديم المسند قد يقصده قصره على
- المسند إليه كما قيل في قوله تعالى لكم دينكم ولي دين أي ولي ديني لادينكم وحمل الجملة الأولى على هذا القصر
- على معنى أن أولئك لا ينفعهم إلا ما اكتسبوا كما قيل مما لا يساعده المقام إذ لا يتوهم متوهم انتفاعهم
- بكسب هؤلاء حتى يحتاج إلى بيان امتناعه وإنما الذي يتوهم انتفاع هؤلاء بكسبهم فبين امتناعه بأن أعمالهم
- الصالحة مخصوصة بهم لا تتخطاهم إلى غيرهم وليس هؤلاء إلا ما كسبوا فلا ينفعهم انتسابهم إليهم وإنما
- ينفعهم اتباعهم لهم في الأعمال كما قال عليه السلام يا بني هاشم لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم
- (ولا تسألون عما كانوا يعملون) إن أجرى السؤال على ظاهره فالجملة مقررمة لمضمون ما مر من الجملتين
- تقريراً ظاهرًا وإن أريد به مسيبه أعنى الجزاء فهو تميم لما سبق جار مجرى النتيجة له وأياً ما كان فالمراد
- تخيب المخاطبين وقطع أطباعهم الفارغة عن الانتفاع بحسنات الامة الخالية وإنما أطلق العمل لإثبات
- الحكم بالطريق البرهاني في ضمن قاعدة كلية هذا وقد جعل السؤال عبارة عن المؤاخذه والموصول عن
- السيئات فقبل أي لا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تتأبون بحسناتهم ولا ريب في أنه مما لا يليق بشأن التنزيل
- كيف لا وهم مزهونون من كسب السيئات فمن أين يتصور تحميلها على غيرهم حتى يتصدى لبيان انتفاعه
- (وقالوا) شروع في بيان فنون كفرهم وهو إضلالهم لغيرهم لإثريان ضلالهم في أنفسهم والضمير ١٣٥
- لأهل الكتابين على طريقة الالتفات المؤذن باستيجاب حالهم لإبعادهم من مقام المخاطبة والإعراض
- عنهم وتعديد جنائهم عند غيرهم أي قالوا للوثنيين (كونوا هوداً أو نصارى) ليس هذا القول مقولاً
- لكلهم أو لأمي طائفة كانت من الطائفتين بل هو موزع عليهما على وجه خاص يقتضيه حالهما اقتضاء مغنياً
- عن التصريح به أي قالت اليهود كونوا هوداً أو النصارى كونوا نصارى ففعل بالنظم الكريم ما فعل بقوله
- تعالى وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى اعتماداً على ظهور المرام (تهتدوا) جواب

فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ٢ البقرة

- (فإن آمنوا) الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن ما تقدم من إيمان المخاطبين على الوجه المحرر مظنة لإيمان ١٣٧
 أهل الكتابين لما أنه مشتمل على ما هو مقبول عندهم (بمثل ما آمنتم به) أي بما آمنتم به على الوجه الذي فصل على
 أن المثل مقحم كما في قوله تعالى وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله أي عليه ويعضده قراءة ابن مسعود بما
 آمنتم به وقراءة أبي بالذي آمنتم به ويجوز أن تكون الباء للاستعانة على أن المؤمن به محذوف لظهوره بمروره
 آخفاً أو على أن الفعل مجرى مجرى اللازم أي فإن آمنوا بما مر مفصلاً أو فإن فعلوا الإيمان بشهادة مثل
 شهادتك وأن تكون الأولى زائدة والثانية صلة لأنتم وما مصدرية أي فإن آمنوا إيماناً مثل إيمانكم بما ذكر
 مفصلاً وأن تكون للبابسة أي فإن آمنوا ملتبسين بمثل ما آمنتم ملتبسين به أو فإن آمنوا إيماناً ملتبساً بمثل
 ما آمنتم إيماناً ملتبساً به من الإذعان والإخلاص وعدم التفريق بين الأنبياء عليهم السلام فإن ما وجد فيهم
 وصدر عنهم من الشهادة والإذعان وغير ذلك مثل ما للؤمنين لا عينه بخلاف المؤمن به فإنه لا يتصور فيه التعدد
 (فقد اهتدوا) إلى الحق وأصابوه كما اهتديتم وحصل بينكم الاتحاد والاتفاق وأما ما قيل من أن المعنى
 فإن تحروا الإيمان بطريق يهدي إلى الحق مثل طريقكم فقد اهتدوا فإن وحدة المقصد لا تأتي تعدد الطريق
 فيأباه أن مقام تعيين طريق الحق وإرشادهم إليه بعينه لا يلائم تجويز أن يكون له طريق آخر ورأه (وإن
 تولوا) أي أعرضوا عن الإيمان على الوجه المذكور بأن أخلوا بشيء من ذلك كأن آمنوا ببعض وكفروا
 ببعض كما هو دينهم ودينهم (فإنما هم في شقاق) المشاقة والشقاق من الشق كالمخالفة والخلاف من الخلف
 والمعاداة والعداء من العدو أي الجانب فإن أحد المخالفين يعرض عن الآخر صورة أو معنى ويؤليه
 خلفه ويأخذ في شق غير شقه وعدوة غير عدوته والتنوين للتفخيم أي هم مستقرون في خلاف عظيم
 بعيد من الحق وهذا لدفع ما يتوهم من احتمال الوفاق بسبب إيمانهم ببعض ما آمن به المؤمنون والجملة
 إما جواب الشرط كما هي على أن المراد مشاققتهم الحادثة بعد توليتهم عن الإيمان بجواب الشرطية الأولى
 وإنما أوترت الجملة الاسمية للدلالة على ثباتهم واستقرارهم في ذلك وإما بتأويل فاعلموا إنما هم في شقاق .
 هذا هو الذي يستدعيه نخامة شأن التنزيل الجليل وقد قيل قوله تعالى فإن آمنوا الخ من باب التعميز
 والتبكيك على مناهج قوله تعالى فاتوا بسورة من مثله والمعنى فإن حصلوا ديناً آخر مثل دينكم مائلاً له
 في الصحة والسادد فقد اهتدوا وإذا لا إمكان له فلا إمكان لا هتدائهم ولا ريب في أنه مما لا يليق بحمل
 النظم الكريم عليه ولما دل تنكير الشقاق على امتناع الوفاق وأن ذلك مما يؤدي إلى الجدال والقتال
 لا محالة عقب ذلك بتسليية رسول الله ﷺ وتفريح المؤمنين بوعده النصر والغلبة وضمأن التأييد والإعزاز
 وعبر بالسین الدالة على تحقق الوقوع البتة فقل (فسيكفيكم الله) أي سيكفيك شقاقهم فإن الكفاية
 لا تتعلق بالأعيان بل بالأفعال وقد أنجز عز وجل وعده الكريم بقتل بنى قريظة وسبيهم وإجلاء بنى

صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ البقرة

قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ البقرة

- النصير وتلوين الخطاب بتجريد النبي ﷺ مع أن ذلك كفاية منه سبحانه للكل لما أنه الأصل والعمدة في ذلك والإيدان بأن القيام بأمر الحروب وتحمل المؤن والمشاق ومقاساة الشدائد في مناهضة الأعداء من وظائف الرؤساء فنعمته تعالى في الكفاية والنصر في حقه عليه السلام أتم وأكمل (وهو السميع العليم) تذييل لما سبق من الوعد وتأكيده والمعنى أنه تعالى يسمع ما تدعون به ويعلم ما نيتك من إظهار الدين فيستجيب لك ويوصلك إلى مرادك أو وعيد للكفرة أى يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرونه في قلوبهم مما لا خير فيه وهو معاقبهم عليه ولا يخفى ما فيه من تأكيد الوعد السابق فإن وعيد الكفرة وعد المؤمنين (صبغة الله) الصبغة من الصبغ كالجلسة من الجلوس وهى الحالة التى يقع عليها الصبغ عبر بها عن الإيمان بما ذكر على الوجه الذى فصل لكونه تطهيراً للمؤمنين من أضرار الكفر وحلية تزنيهم بآثاره الجميلة وامتداد خلا في قلوبهم كأن شأن الصبغ بالنسبة إلى الثوب كذلك وقيل للشاكلة التقديرية فإن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويزعمون أنه تطهير لهم وبه يحق نصرانيتهم وإضافتها إلى الله عز وجل مع استناده فيما سلف إلى ضمير المتكلمين للتشريف والإيدان بأنها عطية منه سبحانه لا يستقل العبد بتحصيلها فهى إذن مصدر مؤكد لقوله تعالى آمنا داخل معه في حيز قولوا منتصب عنه انتصاب وعد الله عما تقدمه لكونه بمثابة فعله كأنه قيل صبغة الله صبغة وقيل هى منصوبة بفعل الإغراء أى ألزموا صبغة الله وإنما وسط بينهما الشرطيتان وما بعدهما اعتناء ببيان أنه الإيمان الحق وبه الاهتمام ومسارعة إلى تسليته عليه الصلاة والسلام (ومن أحسن من الله) مبتدأ وخبر والإستفهام للإنكار والنفي وقوله تعالى (صبغة) نصب على تمييز من أحسن منقول من المبتدأ والتقدير ومن صبغته أحسن من صبغته تعالى فالتفضيل جار بين الصبغتين لا بين فاعليهما أى لا صبغة أحسن من صبغته تعالى على معنى أنها أحسن من كل صبغة على ما أشير إليه في قوله تعالى ومن أظلم ممن منع الخ وحيث كان مدار التفضيل على تعميم الحسن الحقيقي والفرضى المبنى على زعم الكفرة لم يلزم منه أن يكون فى صبغة غيره تعالى حسن فى الجملة الجملة اعتراضية مقرر لما فى صبغة الله من معنى التبجح والابتهاج (ونحن له) أى الله الذى أولانا تلك النعمة الجليلة (عابدون) شكرأ لها ولسائر نعمه وتقديم الظرف للاهتمام ورعاية الفواصل وهو عطف على آمنا داخل معه تحت الأمر وإيثار الاسمية للإشعار بدوام العبادة أو على فعل الإغراء بتقدير القول أى ألزموا صبغة الله وقولوا نحن له عابدون فقوله تعالى ومن أحسن من الله صبغة حيث يجرى مجرى التعليل للإغراء (قل أتحاجوننا) تجريد الخطاب للنبي ﷺ عقيب الكلام الداخلى تحت الأمر الوارد بالخطاب العام لما أن المأمور به من الوظائف الخاصة به عليه الصلاة والسلام وقرىء بإدغام النون والهمزة للإنكار والتوبيخ أى أتحادلوننا (فى الله) أى فى دينه وتدعون أن دينه الحق هو اليهودية

أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ
أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ ٢ البقرة

- والنصرانية وتبنون دخول الجنة والاهتداء عليهما وتقولون تارة لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى وتارة كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا (وهو ربنا وربكم) جملة حالية وكذلك ما عطف عليها أي
- أجادلونا والحال أنه لا وجه للجدالة أصلاً لأنه تعالى ربنا أي مالك أمرنا وأمركم (ولنا أعمالنا) الحسنة الموافقة لأمره (ولكم أعمالكم) السيئة المخالفة لحكمه (ونحن له مخلصون) في تلك الأعمال لا نبغى بها إلا وجهه فأنى لكم المحاجة وادعاء حقيقة ما أنتم عليه والطمع في دخول الجنة بسببه ودعوة الناس إليه وكلمة أم في قوله تعالى (أم تقولون) إما معادلة للهمزة في قوله تعالى أجادلونا داخلية في حيز الأمر على ١٤٠ معنى أي الأمرين تأتون إقامة الحجة وتنوير البرهان على حقيقة ما أنتم عليه والحال ما ذكر أم التشبث بذيل التقليد والافتراء على الأنبياء وتقولون (إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا كانوا هوداً أو نصارى) فنحن بهم مقتدون والمراد إنكار كلا الأمرين والتوبيخ عليهما وإما منقطعة مقدرة بيل والهمزة دالة على الإضراب والانتقال من التوبيخ على المحاجة إلى التوبيخ على الافتراء على الأنبياء عليهم السلام وقرىء أم يقولون على صيغة الغيبة فهي منقطعة لا غير غير داخلية تحت الأمر واردة من جهته تعالى توبيخاً لهم وإنكاراً عليهم لا من جهته عليه السلام على نهج الالتفات كما قيل هذا وأما ما قيل من أن المعنى أجادلونا في شأن الله واصطفائه نبياً من العرب دونكم لما روى أن أهل الكتاب قالوا الأنبياء كلهم منا فلو كنت نبياً لكنت منا فزلت ومعنى قوله تعالى وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم أنه لا اختصاص له تعالى بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده فلا يبعد أن يكرمنا بأعمالنا كما أكرمكم بأعمالكم كأنه ألزمهم على كل مذهب ينتحونه إلخافاً وتبكيئاً فإن كرامة النبوة إما تفضل من الله تعالى على من يشاء فالكل فيه سواء وإما إفاضة حق على المستحقين لها بالمواظبة على الطاعة والتجلى بالإخلاص فكما أن لكم أعمالاً ربما يعتبرها الله تعالى في إعطائها فلنا أيضاً أعمال ونحن له مخلصون أي لا أنتم فع عدم ملامته لسباق النظم الكريم وسياقه لاسيما على تقدير كون كلمة أم معادلة للهمزة غير صحيح في نفسه لما أن المراد بالأعمال من الطرفين ما أشير إليه من الأعمال الصالحة والسيئة ولا ريب في أن أمر الصلاح والسوء يدور على موافقة الدين المبني على البعثة ومخالفته فكيف يتصور اعتبار تلك الأعمال في استحقاق النبوة واستعدادها المتقدم على البعثة بمراتب (قل أنتم أعلم أم الله) إعادة الأمر ليست لمجرد تأكيد التوبيخ وتشديد الإنكار عليهم بل الإيذان بأن ما بعده ليس متصلاً بما قبله بل بينهما كلام للخطابين مترتب على ما سبق مستتبعا لما لحق قد ضرب عنه الذكر صفحاً لظهوره وهو تصريحهم بما وبخوا عليه من الافتراء على الأنبياء عليهم السلام كما في قوله عز وجل قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون قال فما خطبكم أيها المرسلون وقوله عز قاتلاً قال أسجدلن خلقت طيناً قال أرايتك هذا الذي كرمت على فإن تكرير قال في الموضعين وتوسطه بين قولي قائل واحد

٢٢ أبو السمود ج ١

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَنْهَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ ٢ البقرة
سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْتُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ أَلَّا كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي
مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ٢ البقرة

للإيدان بأن بينهما كلاماً لصاحبه متعلقاً بالاول والثاني بالتبعية والاستتباع كما حرر في محله أى كذبهم
في ذلك وبكتهم قاتلاً إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون وقد نبي عن إبراهيم عليه السلام كلا الأمرين حيث قال
ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً واحتج عليه بقوله تعالى وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده
وهؤلاء المعطوفون عليه عليه السلام أتباعه في الدين وفاقاً فكيف تقولون ما تقولون سبحان الله عما
تصفون (ومن أظلم) إنكار لأن يكون أحد أظلم (من كتم شهادة) ثابتة (عنده) كائنة (من الله) وهى
شهادته تعالى له عليه السلام بالحنيفية والبراءة من اليهودية والنصرانية حسبما تلى آنفاً فعنده صفة لشهادة
وكذا من الله جىء بهما لتعليل الإنكار وتأكيده فإن ثبوت الشهادة عنده وكونها من جناب الله عز
وجل من أقوى الدواعى إلى إقامتها وأشد الزواجر عن كتمانها وتقديم الأول مع أنه متأخر في الوجود
لمراعاة طريقة الترقى من الأدنى إلى الأعلى والمعنى أنه لا أحد أظلم من أهل الكتاب حيث كنتموا هذه
الشهادة وأثبتوا نقيضها بما ذكر من الافتراء وتعليل الأظلمية بمطلق الكتمان للإيماء إلى أن مرتبة من
يردها ويشهد بخلافها في الظلم خارجة عن دائرة البيان أولاً أحد أظلم منا لو كتمانها فالمراد بكتمتهم عدم
إقامتها في مقام المحاجة وفيه تعريض بغاية أظلمية أهل الكتاب على نحو ما أشير إليه وفي إطلاق الشهادة
مع أن المراد بها ما ذكر من الشهادة المعنية تعريض بكتانهم شهادة الله عز وجل للنبي ﷺ في التوراة
والإنجيل (وما الله بغافل عما تعملون) من فنون السيئات فيدخل فيها كتمانهم لشهادته سبحانه وافتراؤهم
على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام دخولا أولياً أى هو محيط بجميع ما تأتون وما تذكرون فبما قبكم بذلك
أشد عقاب وقرىء عما يعملون على صيغة الغيبة فالضمير إما لمن كتم باعتبار المعنى وإما لأهل الكتاب
وقوله تعالى ومن أظلم إلى آخر الآية مسوق من جهة تعالى لوصفهم بغاية الظلم وتهديدهم بالوعيد (تلك
أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون) تكرير للبالغة في الزجر عما هم
عليه من الافتخار بالآباء والاتكال على أعمالهم وقيل الخطاب السابق لهم وهذا لنا تحذير عن الاقتداء
بهم وقيل المراد بالآمة الأولى الأنبياء عليهم السلام والثانية أسلاف اليهود (سيقول السفهاء) أى
الذين خفت أحلامهم واستمهنوا بالتقليد والإعراض عن التدبر والنظر من قولهم ثوب سفیه إذا كان
خفيف النسج وقيل السفیه البهات الكذاب المتعمد خلاف ما يعلم وقيل الظلوم الجهول والمراد بالسفهاء هم
اليهود على ما روى عن ابن عباس ومجاهد رضى الله عنهم قالوه إنكاراً للنسخ وكراهة للتحويل حيث كانوا
يأنسون بموافقة عليه الصلاة والسلام لهم في القبلة وقيل هم المنافقون وهو الأنسب بقوله عز وجل ألا
لأنهم هم السفهاء وإنما قالوه لجرد الاستهزاء والطعن لا لاعتقادهم حقبة القبلة الأولى وبطلان الثانية إذ ليس

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا
 الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا
 عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عَمَّا يَتَّبِعُ إِنْ كَانَ اللَّهُ يَرَاهُ لَرَءً وَفَ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ٢ البقرة

- كلهم من اليهود وقيل هم المشركون ولم يقولوه كراهة للتحويل إلى مكة بل طعننا في الدين فإنهم كانوا يقولون رغب عن قبله آباءه ثم رجع إليها وليرجعوا إلى دينهم أيضاً وقيل هم القادحون في التحويل منهم جميعاً فيكون قوله تعالى (من الناس) أى الكفرة لبيان أن ذلك القول المحكى لم يصدر عن كل فرد
- فرد من تلك الطوائف الثلاث بل عن أشقيائهم المعتادين للخوض في فنون الفساد وهو الأظهر إذ لو أريد بهم طائفة مخصوصة منهم لما كان لبيان كونهم من الناس مزيد فائدة وتخصيص سفهاً بهم بالذكر لا يقتضى تسليم الباقيين للتحويل وارتضاءهم إياه بل عدم التفوه بالقدح مطلقاً أو بالعبارة المحكية (ما ولاهم) أى
- أى شئ صرفهم والاستفهام للإنكار والنفي (عن قبلتهم) القبلة فعلة من المقابلة كالوجهة من المواجهة وهى الحال التى يقابل الشئ غيره عليها كالجلسة للحالة التى يقع عليها الجلوس يقال لا قبله له ولا دبره إذا لم يهتد لجهة أمره غلبت على الجهة التى يستقبلها الإنسان فى الصلاة والمراد بها ههنا بيت المقدس وإضافتها إلى ضمير المسلمين ووصفها بقوله تعالى (التي كانوا عليها) أى ثابتين مستمرين على التوجه إليها ومراعاتها واعتقاد
- حقيقتها لتأكيد الإنكار فإن الاختصاص بالشئ والاستمرار عليه باعتقاد حقيقته مما ينافى الانصراف عنه فإن أريد بالقائلين اليهود فدار الإنكار كراهمهم للتحويل عنها وزعمهم أنه خطأ وإن أريد بهم المشركون فمداره مجرد القصد إلى الطعن فى الدين والقدح فى أحكامه وإظهار أن كلا من التوجه إليها والانصراف عنها واقع بغير داع إليه لا لكراهمهم الانصراف عنها أو التوجه إلى مكة وتعليق الإنكار بما بوليهم عنها لا بما يوجههم إلى غيرها مع تلازمهما فى الوجود لما أن ترك الدين القديم أبعد عند العقول وإنكار سببه أدخل لا الإيذان بأن المنكرين هم اليهود دبتاه على أن المنكر عندهم هو التحويل عن خصوصية بيت المقدس الذى هو القبلة الحقة عندهم لا التوجه إلى خصوصية قبلة أخرى أوهم المشركون بناء على أن المنكر عندهم ترك القبلة القديمة على وجه الطعن والقدح لا التوجه إلى الكعبة لأنه الحق عندهم فإنه بمعزل عن ذلك كيف لا والمنافقون من أحد الفريقين لا محالة والإخبار بذلك قبل الوقوع مع كونه من دلائل النبوة حيث وقع كما أخبر لتوطين النفوس وإعداد ما يبيد كبرهم فإن مفاجأة المكروه على النفس أشق وأشد
- والجواب العتيد لثغيب الخضم الألد أردو قوله عز وجل (قل لله المشرق والمغرب) استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل فإذا أقول عند ذلك فقيل قل الخ أى الله تعالى ناحيتا الأرض أى الجهات كلها ملكا وملكاً وتصرفاً فلا اختصاص لناحية منها لذاتها بكونها قبله بدون ما عداها بل إنما هو بأمر الله سبحانه ومشيتته (يهدى من يشاء) أن يهديه مشيئة تابعة للحكم الخفية التى لا يعلمها إلا هو (إلى صراط مستقيم) موصل
- إلى سعادة الدارين وقد هدانا إلى ذلك حيث أمرنا بالتوجه إلى بيت المقدس تارة وإلى الكعبة أخرى حسبما تقتضيه مشيئته المقارنة لحكم آية ومصالح خفية (وكذلك جعلناكم) توجيه الخطاب إلى المؤمنين ١٤٣

بين الخطابين المختصين بالرسول ﷺ لتأييد ما في مضمون الكلام من التشريف وذلك إشارة إلى مصدر جعلناكم لا إلى جعل آخر مفهوم مما سبق كإفيل وتوحيد الكاف مع القصد إلى المؤمنين لما أن المراد مجرد الفرق بين الحاضر والمنقضى دون تعيين المخاطبين وما فيه من معنى البعد للإيدان بعلو درجة المشار إليه وبعد منزلته في الفضل وكالتميز به وانتظامه بسببه في سلك الأمور المشاهدة والكاف لتأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة ومحملها في الأصل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف وأصل التقدير جعلناكم أمة وسطاً جعلنا كائناتنا مثل ذلك الجعل فقدم على الفعل لإفادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنسبة المذكورة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتاً له أي ذلك الجعل البديع جعلناكم (أمة وسطاً) لا جعلنا آخر أدنى منه والوسط في الأصل اسم لما يستوى نسبة الجوانب إليه كمرکز الدائرة ثم استعير للخصال المحمودة البشرية لكن لا لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والأعواز والأوساط محمية محوطة كإفيل واستشهد عليه بقول ابن أوس الطائي [كانت هي الوسط المحمى فاكنتفت * بها الحوادث حتى أصبحت طرفاً] فإن تلك العلاقة بمعزل من الاعتبار في هذا المقام إذ لا ملازمة بينها وبين أهلية الشهادة التي جعلت غاية للجعل المذكور بل لكون تلك الخصال أوساطاً للخصال الذميمة المكتنفة بها من طرفي الإفراط والتفريط كالعفة التي طرفاها الفجور والخمود وكالشجاعة التي طرفاها الظهور والجبن وكالحكمة التي طرفاها الجرأة والبلاهة وكالعدالة التي هي كيفية متشابهة حاصلة من اجتماع تلك الأوساط المحفوفة بأطرافها ثم أطلق على المنتصف بها ما لفظه كأنه نفسها وسوى فيه بين المفرد والجمع والمذكور والمؤنث رعاية لجانب الأصل كدأب سائر الأسماء التي بوصف بها وقدر وعيت ههنا نكتة رائعة هي أن الجعل المشار إليه عبارة عما تقدم ذكره من هدايته تعالى إلى الحق الذي عبر عنه بالصرائط المستقيم الذي هو الطريق السوي الواقع في وسط الطرق الجائرة عن القصد إلى الجوانب فإننا إذا فرضنا خطوطاً كثيرة واصله بين نقطتين متقابلتين فالخط المستقيم إنما هو الخط الواقع في وسط تلك الخطوط المنحنية ومن ضرورة كونه وسطاً بين الطرق الجائرة كون الأمة المهديّة إليه أمة وسطاً بين الأمم السالكة إلى تلك الطرق الزائغة أي متصفة بالخصال الحميدة خياراً وعدولاً مزكّين بالعلم والعمل (لتكونوا شهداء على الناس) بأن الله عز وجل قد أوضح السبل وأرسل الرسل فبلغوا ونصحوا وذكروا فهل من مدكروهي غاية للجعل المذكور مترتبة عليه فإن العدالة كما أشير إليه حيث كانت هي الكيفية المتشابهة المتألّفة من العفة التي هي فضيلة القوة الشهوية البهيمية والشجاعة التي هي فضيلة القوة الغضبية السبعية والحكمة التي هي فضيلة القوة العقلية الملكية المشار إلى رتبته بقوله عز وجل ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً كان المنتصف بها واقفاً على الحقائق المودعة في الكتاب المبين المنطوي على أحكام الدين وأحوال الأمم أجمعين حاوياً لشرائط الشهادة عليهم . روى أن الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء عليهم السلام فيطالبهم الله تعالى بالبينّة وهو أعلم إقامة للحجة على المنكرين وزيادة لحزبهم بأن كذبهم من بعدهم من الأمم فيؤتى بأمة محمد ﷺ فيشهدون فيقول الأمم من أين عرفتم فيقولون علمنا ذلك بأخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى عند ذلك بالنبي ﷺ ويسأل عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بعد التهم وذلك قوله عز قاتلاً (ويكون الرسول عليكم شهيداً) وكلمة

- الاستعلاما في الشهيد من معنى الرقيب والمهيمن وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يقبل فيه الشهادة إلا من العدول الاختيار وتقديم الظرف للدلالة على اختصاص شهادته عليه السلام بهم (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها) جرد الخطاب للنبي ﷺ رمزاً إلى أن مضمون الكلام من الأسرار الحقيقية بأن يخص معرفته به عليه السلام وليس الوصول صفة للقبلة بل هو مفعول ثانٍ للجعل وما قيل من أن الجعل تحويل الشيء من حالة إلى أخرى فالملتبس بالحالة الثانية هو المفعول الثاني كما في قولك جعلت الطين خزفاً فينبغي أن يكون المفعول الأول هو الوصول والثاني هو القبلة فكلام صناعي ينساق إليه الذهن بحسب النظر الجليل ولكن التأمل اللائق يهدي إلى العكس فإن المقصود إفادته ليس جعل الجهة قبلة لا غير كما يفيد ما ذكر بل هو جعل القبلة المحققة الوجود هذه الجهة دون غيرها والمراد بالوصول هي الكعبة فإنه عليه الصلاة والسلام كان يصلي إليها أولاً ثم لما هاجر أمر بالصلاة إلى الصخرة تألفاً لليهود أو هي الصخرة لما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما من أن قبلته عليه السلام بمكة كانت بيت المقدس إلا أنه كان يجعل الكعبة بينه وبينه وعلى هذه الرواية لا يمكن أن يراد بالقبلة الأولى الكعبة وأما الصخرة فيتأتى إرادتها على الروایتين والمعنى على الأول وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها أثرى أثر وهو الكعبة وعلى الثاني وما جعلناها التي كنت عليها قبل هذا الوقت وهي الصخرة (إلا لنعلم) استثناء مفرغ من أعم العمل أي وما جعلنا ذلك لشيء من الأشياء إلا لنتحج الناس أي نعاملهم معاملة من يمتحنهم ونعلم حينئذ (من يتبع الرسول) في التوجه إلى ما أمر به من الدين أو القبلة والالتفات إلى الغيبة مع إرادته عليه السلام بعنوان الرسالة للإشعار بعلّة الاتباع (من ينقلب على عقبيه) يرتد عن دين الإسلام أو لا يتوجه إلى القبلة الجديدة أو لنعلم الآن من يتبع الرسول من لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الأول ما رددناك إلى ما كنت عليه إلا لنعلم الثابت على الإسلام والناكص على عقبيه لقلقه وضعف إيمانه والمراد بالعلم ما يدور عليه فلك الجزء من العلم الحالي أي ليتعلق علمنا به موجوداً بالفعل وقيل المراد علم الرسول عليه السلام والمؤمنين وإسناده إليه سبحانه لما أنهم خواصه وليتميز الثابت عن المتزلزل كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز الذي هو مسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على بناء المجحول من صيغة الغيبة والعلم إما بمعنى المعرفة أو متعلق بما في من من معنى الاستفهام أو مفعوله الثاني من ينقلب الخ أي لنعلم من يتبع الرسول متميزاً من ينقلب على عقبيه (وإن كانت لكبيرة) أي شاقة ثقيلة وإن هي المخففة من الثقيلة دخلت على ناسخ المبتدأ والخبر واللام هي الفارقة بينها وبين النافية كما في قوله تعالى إن كان وعد ربنا لمفعولاً وزعم الكوفيون أنها نافية واللام بمعنى إلا أي ما كانت إلا كبيرة والضمير الذي هو اسم كان راجع إلى ما دل عليه قوله تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة أو التولية أو التحويلة أو الردة أو القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع على أن كان مزيدة كما في قوله [وأخوان لنا كانوا كرام] وأصله وإن هي لكبيرة كقوله إن زيد لمنطلق (إلا على الذين هدى الله) أي إلى سر الاحكام الشرعية المبنية على الحكم والمصالح إجمالاً وتفصيلاً وهم المهديون إلى الصراط المستقيم الثابتون على الإيمان واتباع الرسول عليه السلام (وما كان الله ليضيع إيمانكم) أي ماصح وما استقام له

قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ
وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ البقرة

أن يضيع ثباتكم على الإيمان بل شكر صنيعكم وأعد لكم الثواب العظيم وقيل لإيمانكم بالقبلة المنسوخة
وصلاتكم إليها لما روى أنه عليه السلام لما توجه إلى الكعبة قالوا كيف حال إخواننا الذين مضوا وهم
يصلون إلى بيت المقدس فنزلت واللام في ليضيع إما متعلقة بالخبر المقدر لكان كما هو رأى البصرية
وانتصاب الفعل بعدها بأن المقدرة أى ما كان الله مريداً أو متصدياً لأن يضيع الخ ففي توجيه النفي إلى
إرادة الفعل تأكيد ومبالغة ليس في توجهه إلى نفسه وإما مزيدة للتأكيد ناصبة للفعل بنفسها كما هو
● رأى الكوفية ولا يقدح في ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة حروف الجر في عملها وقوله تعالى (إن الله
بالناس لرؤوف رحيم) تحقيق وتقرير للحكم وتعليل له فإن اتصافه عز وجل بهما يقتضى لا محالة أن لا يضيع
أجورهم ولا يدع ما فيه صلاحهم والباء متعلقة برؤوف وتقديمه على رحيم مع كونه أبلغ منه لما مر في وجه
تقديم الرحمن على الرحيم وقيل الرحمة أكثر من الرأفة في الكمية والرأفة أقوى منها في الكيفية لأنها
عبارة عن إيصال النعم الصافية عن الآلام والرحمة إيصال النعمة مطلقاً وقد يكون مع الآلام كقطع
العضو المتأكل وقرىء رؤوف بغير مد كندس (قد نرى تقلب وجهك في السماء) أى تردده وتصرف نظرك
في جهتها تطلعاً للوحى وذلك أن رسول الله ﷺ كان يقع في روعه ويتوقع من ربه عز وجل أن يحوله
إلى الكعبة لأنها قبله إبراهيم وأدعى للعرب إلى الإيمان لأنها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولخالفه اليهود
● فكان يراعى نزول جبريل بالوحى بالتحويل (فلنولينك قبلة) الفاء الدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها
وهي في الحقيقة داخلة على قسم محذوف يدل عليه اللام أى فوالله لنولينك أى لنعطينكم ولنمكنكم
من استقبالها من قولك وليته كذا أى صيرته والياء له أو لنجعلنك تلى جهتها أو لنحولنك على أن نصب
● قبله بحذف الجار أى إلى قبلة وقيل هو متعدد إلى مفعولين (ترضاه) تحبها وتشتاق إليها لمقاصد دينية
● وافقت مشيئته تعالى وحكمته (فول وجهك) الفاء لتفريع الأمر بالتولية على الوعد الكريم وتخصيص
● التولية بالوجه لما أنه مدار التوجه ومعياره وقيل المراد به كل البدن أى فاصرفه (شطر المسجد الحرام)
أى نحوه وهو نصب على الظرفية من ول أو على نزع الخافض أو على أنه مفعول ثان له وقيل الشطر
في الأصل اسم لما انفصل من الشيء ودار شطوره إذا كانت منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وإن
لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم أى محرم فيه القتال أو ممنوع من الظلمة أن يتعرضوا له وفي ذكر المسجد
الحرام دون الكعبة إيدان بكفاية مراعاة الجهة لأن في مراعاة العين من البعيد حرجاً عظيماً بخلاف
القريب . روى عن البراء بن عازب أن نبي الله ﷺ قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشرة شهراً ثم
وجه إلى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله ﷺ في

وَلَيْنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ البقرة

- مسجد بنى سلبه وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمى المسجد مسجداً القبليتين (وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) خص الرسول ﷺ بالخطاب تعظيماً لجناحه وإيذاناً بإسعاف مرأته ثم عمم الخطاب للمؤمنين مع التعرض لاختلاف أمتهم تأكيداً للحكم وتصريحاً بعمومه لكافة العباد من كل حاضر وباد وحشاً للأمة على المتابعة وحيثما شرطية وكنتم في محل الجزم بها وقوله تعالى فولوا جوابها وتكون هي منصوبة على الظرفية بكنتم نحو قوله تعالى أيأما تدعوا فله الأسماء الحسنى (وإن الذين أوتوا الكتاب) من فريقي اليهود والنصارى (ليعلمون أنه) أى التحويل أو التوجه المفهوم من التولية (الحق) لا غير لعلمهم بأن عاداته سبحانه وتعالى جارية على تخصيص كل شريعة بقبلة ومعابنتهم لما هو مسطور في كتبهم من أنه عليه الصلاة والسلام يصلى إلى القبليتين كما يشعر بذلك التعبير عنهم بالاسم الموصول بإيتاء الكتاب وإن مع اسمها وخبرها ساد مسد مفعولى يعلمون أو مسد مفعوله الواحد على أن العلم بمعنى المعرفة وقوله تعالى (من ربهم) متعلق بمحذوف وقع حالا من الحق أى كائناً من ربهم أو صفة له على رأى من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته أى الكائن من ربهم (وما الله بغافل عما تعملون) وعدد وعيد للفر يقين والخطاب للكل تغليباً وقرئ على صيغة الغيبة فهو وعيد لأهل الكتاب (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب) وضع ١٤٥ الموصول موضع المضمر للإيذان بكمال سوء حالهم من العناد مع تحقق ما يرغمهم منه من الكتاب الناطق بحقية ما كبروا في قبوله (بكل آية) أى حجة قطعية دالة على حقية التحويل واللام موطئة للقسم وقوله تعالى (ماتبعوا قِبْلَتَكَ) جواب للقسم المضمر ساد مسد جواب الشرط والمعنى أنهم ما تركوا قِبْلَتَكَ لشبهة تزيلها الحجة وإنما خالفوك مكابرة وعناداً وتجريده الخطاب للنبي ﷺ بعد تعميمه للأمة لما أن الحاجة والإتيان بالآية من الوظائف الخاصة به عليه السلام وقوله تعالى (وما أنت بتابع قبلتهم) جملة معطوفة على الجملة الشرطية لا على جوابها مسوقة لقطع أطعاهم الفارغة حيث قالت اليهود لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن تكون صاحبنا الذى ننظره تغريراً له عليه الصلاة والسلام وداعاً في رجوعه وإيثار الجملة الاسمية للدلالة على دوام مضمونها واستمراره وإفراد قبلتهم مع تعددها باعتبار اتحادها في البطلان ومخالفة الحق ولئلا يتوهم أن مدار النفي هو التعدد وقرئ بتابع قبلتهم على الإضافة (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) فإن اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل فريق فيما هو فيه (ولئن أتبت أهواءهم) الزائفة المتخالفة (من بعد ما جاءك من العلم) بيطلاهما وحقبة ما أنت عليه وهذه الشرطية الفرضية واردة على منهاج التهنيت والإلهاب للثبات على الحق أى ولئن أتبت أهواءهم فرضاً (إنك إذا لمن الظالمين) وفيه لطف للسامعين وتحذير لهم عن

الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَلَكْتَبَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ البقرة

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ البقرة

- متابعة الهوى فإن من ليس من شأنه ذلك إذا نهى عنه ورتب على فرض وقوعه مراتب من الانتظام في سلك الراسخين في الظلم فما ظن من ليس كذلك وإذن حرف جواب وجزاء توسط بين اسم إن وخبرها لتقرير ما بينهما من النسبة إذ كان حقها أن تتقدم أو تتأخر فلم تتقدم لئلا يتوهم أنها لتقرير النسبة التي بين الشرط وجوابه المحذوف لأن المذكور جواب القسم ولم تتأخر لرعاية الفواصل ولقد بولغ في التأكيد من وجوه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستعظاما لصدور الذنب من الأنبياء عليهم السلام (الذين آتيناكم الكتاب) أى علماءهم إذ هم العمد في إيتائه ووضع الموصول موضع المضمرة مع قرب العهد للإشعار بعلية ما في حيز الصلة للحكم والضمير المنصوب في قوله تعالى (يعرفونه) للرسول ﷺ والالتفات إلى الغيبة للإيدان بأن المراد ليس معرفتهم له عليه السلام من حيث ذاته ونسبه الزاهر بل من حيث كونه مسطورا في الكتاب منعوتا فيه بالنعوت التي من جملتها أنه عليه السلام يصل إلى القبلتين كأنه قيل الذين آتيناكم الكتاب يعرفون من وصفناه فيه وبهذا يظهر جزالة النظم الكريم وقيل هو إضمار قبل الذكر للإشعار بفخامة شأنه عليه الصلاة والسلام أنه علم معلوم بغير إعلام فتأمل وقيل الضمير للعلم أو سببه الذى هو الوحي أو القرآن أو التحويل ويؤيد الأول قوله عز وجل (كما يعرفون أبناءهم) أى يعرفونه عليه الصلاة والسلام بأوصافه الشريفة المكتوبة في كتابهم ولا يشبهه عليهم كما لا يشبهه أبناؤهم وتخصيصهم بالذكر دون ما يعم البنات لكونهم أعرف عندهم منهم بسبب كونهم أحب إليهم عن عمر رضى الله عنه أنه سأل عبد الله بن سلام رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ فقال أنا أعلم به منى بابني قال ولم قال لأنى لست أشك فيه أنه نبي فأما ولدى ففعل والدته خانت فقبل عمر رأسه رضى الله عنهما (وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) هم الذين كبروا وعاندوا الحق والباقيون هم الذين آمنوا منهم فإنهم يظهر الحق ولا يكتمونه وأما الجبهة منهم فليست لهم معرفة بالكتاب ولا بما في تضاعيفه فها هم بصدد الإظهار ولا بصدد الكتم وإنما كفرهم على وجه التقليد (الحق) بالرفع على أنه مبتدأ وقوله تعالى (من ربك) خبره واللام للعهد والإشارة إلى ما عليه النبي ﷺ أو إلى الحق الذى يكتمونه أو للجنس والمعنى أن الحق ما ثبت أنه من الله تعالى كالذى أنت عليه لا غيره كالذى عليه أهل الكتاب أو على أنه خبر مبتدأ محذوف أى هو الحق وقوله تعالى من ربك إما حال أو خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على أنه بدل من الأول أو مفعول ليعلمون وفي التعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام من إظهار اللطف به عليه السلام مالا يخفى (فلا تكونن من الممترين) أى الشاكين في كتابهم الحق عالمين به وقيل في أنه من ربك وليس المراد به نهى الرسول ﷺ عن الشك فيه لأنه غير متوقع

وَلِكُلِّ وِجْهَةً هُوَ مُوَلِّيَهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ ٢ البقرة

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ ٢ البقرة

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأَتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ ٢ البقرة

- منه عليه السلام وليس بقصد واختيار بل لإماتة تحقيق الأمر وأنه بحيث لا يشك فيه ناظر أو أمر الأمة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الأبلغ (واكل) أى ولكل أمة من الأمم على أن التنوين ١٤٨ عوض من المضاف إليه (وجهة) أى قبله وقد قرئ كذلك أو لكل قوم من المسلمين جانب من جوانب الكعبة (هو موليا) أحد المفعولين محذوف أى موليا وجهه أو الله موليا إياه وقرئ ولـ لكل وجهة بالإضافة والمعنى ولكل وجهة الله موليا أهلها واللام مزيدة للتأكيد وجبر ضعف العامل وقرئ موليا أى مولى تلك الجهة قدوليا (فاستبقوا الخيرات) أى تسابقوا إليها بنزع الجار كما فى قوله [ثنائى عليكم آل حرب ومن يمل * سواكم فى مهتد غير مائل] وهو أبلغ من الأمر بالمسارعة لما فيه من الحث على إحراز قصب السبق والمراد بالخيرات جميع أنواعها من أمر القبله وغيره بما ينال به سعادة الدارين أو الفاضلات من الجهات وهى المسامنة للكعبة (أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً) أى فى أى موضع تكونوا من موافق أو مخالف مجتمع الأجزاء أو متفرقها يحشركم الله تعالى إلى المحشر للجزاء أو أينما تكونوا من أعماق الأرض وقلل الجبال يقبض أرواحكم أو أينما تكونوا من الجهات المختلفة المتقابلة يجعل صلواتكم كأنها صلاة إلى جهة واحدة (إن الله على كل شىء قدير) فيقدر على الإماتة والإحياء والجمع فهو تعليل للحكم السابق (ومن حيث خرجت) تأكيد لحكم التحويل وتصريح بعدم تفاوت الأمر فى حالتى السفر والحضر ١٤٩ ومن متعلقة بقوله تعالى (فول) أو بمحذوف عطف هو عليه أى من أى مكان خرجت إليه للسفر فول (وجهك) عند صلاتك (شطر المسجد الحرام) أو افعل ما أمرت به من أى مكان خرجت إليه فول الخ (وإنه) أى هذا الأمر (للحق من ربك) أى الثابت الموافق للحكمة (وما الله بغافل عما تعملون) فيجازيكم بذلك أحسن جزاء فهو وعد للؤمنين وقرئ يعملون على صيغة الغيبة فهو وعيد للكافرين (ومن حيث خرجت) إليه فى أسفارك ومغازيك من المنازل القريبة والبعيدة (فول وجهك شطر المسجد الحرام) الكلام فيه كما مر آنفاً (وحيثما كنتم) من أقطار الأرض مقيمين أو مسافرين حسبما يعزب عنه إثارة ١٥٠
- ٢٣ - أبى السعود ج ١

كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ البقرة

- كنتم على خرجتم فإن الخطاب عام لكافة المؤمنين المنتشرين في الآفاق من الحاضرين والمسافرين فلو قيل
- وحيشا خرجتم لما تناول الخطاب المقيمين في الأماكن المختلفة من حيث إقامتهم فيها (فولوا وجوهكم)
 - من محالكم (شطره) والتكرير لما أن القبلة لها شأن خطير والنسخ من مظان الشبهة والفتنة فبالحرى أن يؤكد أمرها مرة غيب أخرى مع أنه قد ذكر في كل مرة حكمة مستقلة (لئلا يكون للناس عليكم حجة)
 - متعلق بقوله تعالى فولوا وقيل بمحذوف يدل عليه الكلام كأنه قيل فعلنا ذلك لئلا الخ والمعنى أن التولية عن الصخرة تدفع احتجاج اليهود بأن المنعوت في التوراة من أوصافه أنه يحول إلى الكعبة واحتجاج المشركين بأنه يدعى ملة إبراهيم ويخالف قبلته (إلا الذين ظلموا منهم) وهم أهل مكة أي لئلا يكون لاحد من الناس حجة إلا المعاندين منهم الذين يقولون ماتحول إلى الكعبة إلا ميلا إلى دين قومه وحباً لبلده أو بداله فرجع إلى قبلة آبائه ويوشك أن يرجع إلى دينهم وتسمية هذه الكلمة الشنعاء حجة مع أنها أخش الأباطيل من قبيل ما في قوله تعالى حجتهم داخضة حيث كانوا يسوقونها مساق الحجة وقيل الحجة بمعنى مطلق الاحتجاج وقيل الاستثناء للبالغة في نفي الحجة رأساً كالذي في قوله [ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم *]
 - بهم فلول من قراع الكتائب | ضرورة أن لا حجة للظالم وقرىء إلا الذين بحرف التنبيه على أنه استئناف (فلا تخشوم) فإن مطاعهم لا تضركم شيئاً (واخشوني) فلا تخالفوا أمري (ولا تم نعمتي عليكم واعلمكم تهتدون) علة لمحذوف يدل عليه النظم الكريم أي وأمرتكم بما مرا تمام النعمة عليكم لما أنه نعمة جليلة ولا رادق اهتدائكم لما أنه صراط مستقيم مؤد إلى سعادة الدارين كما أشير إليه في قوله عز وجل يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وفي التعبير عن الإرادة بكلمة لعل الموضوع للزجى على طريقة الاستعارة التبعية من الدلالة على كمال العناية بالهداية مالا يخفى أو عطف على علة مقدرة أي واخشوني لأحفظكم عنهم وأتم الخ أو على قوله تعالى لئلا يكون الخ وتوسط قوله تعالى فلا تخشوم الخ بينهما للسرعة إلى التسلية والتثبيت وفي الخبر تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الإسلام
 - (كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم) متصل بما قبله والظرف الأول متعلق بالفعل قدم على مفعوله الصريح لما في صفاته من الطول والظرف الثاني متعلق بمضمر وقع صفة لرسولاً مبينة لتمام النعمة أي ولا تم نعمتي عليكم في أمر القبلة أو في الآخرة إتماماً كانتا كإتمامي لها بإرسال رسول كائن منكم فإن إرسال الرسول لا سيما المجانس لهم نعمة لا يكافئها نعمة قط وقيل متصل بما بعده أي كما ذكرتم بالإرسال فاذكروني الخ
 - وإينار صيغة المتكلم مع الغير بعد التوحيد فيما قبله افتنان وجريان على سنن الكبرياء (يتلو عليكم آياتنا)
 - صفة ثانية لرسول كاشفة لجمال النعمة (ويذكركم) عطف على يتلو أي يحملكم على ما تصيرون به أذكيا
 - (ويعلمكم الكتاب والحكمة) صفة أخرى مترتبة في الوجود على التلاوة وإنما وسط بينهما التزكية التي

فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا ۚ (١٥٢) البقرة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣) البقرة

وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ (١٥٤) البقرة

- هي عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعالم المترتب على التلاوة والإيذان بأن كلامنا من الأمور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلوروعى ترتيب الوجود كما في قوله تعالى وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم لتبادر إلى الفهم كون الكل نعمة واحدة كما مر نظيره في قصة البقرة وهو السر في التعبير عن القرآن تارة بالآيات وأخرى بالكتاب والحكمة رمزاً إلى أنه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما في تضاعيف الأحاديث الشريفة من الشرائع وقوله عز وجل (ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) صريح في ذلك فإن الموصول مع كونه عبارة عن الكتاب والحكمة قطعاً قد عطف تعليمه على تعليمهما وما ذلك إلا لتفصيل فنون النعم في مقام يقتضيه كما في قوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ عقيب قوله تعالى نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا والمراد بعدم علمهم أنه ليس من شأنهم أن يعلموه بالفكر والنظر وغير ذلك من طرق العلم لانهصار الطريق في الوحي (فاذكروني) الفاء للدلالة على ترتيب الأمر على ما قبله من موجباته أي فاذكروني ١٥٢ بالطاعة (أذكركم) بالثواب وهو تحريض على الذكر مع الإشعار بما يوجبه (واشكروا لي) ما أنعمت به عليكم من النعم (ولا تكفرون) بجحدها وعصيان ما أمرتكم به (يا أيها الذين آمنوا) وصفهم بالإيمان ١٥٣ لئلا تعداد ما يوجبه ويقتضيه تنشيطاً لهم وحثاً على مراعاة ما يعقبه من الأمر (استعينوا) في كل ما تأتون وما تذكرون (بالصبر) على الأمور الشاقة على النفس التي من جملتها معاداة الكفرة ومقابلتهم المؤدية إلى مقاتلتهم (والصلاة) التي هي أم العبادات ومنعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين (إن الله مع الصابرين) تعليل للأمر بالاستعانة بالصبر خاصة لما أضاف إلى التعليل وأما الصلاة فحيث كانت عند المؤمنين أجلاً المطالب كما ينبغي عنه قوله عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلاة لم يفتقر الأمر بالاستعانة بها إلى التعليل ومعنى المعية الولاية الدائمة المستتعبة للنصرة وإجابة الدعوة ودخول مع على الصابرين لما أنهم المباشرون للصبر حقيقة فهم متبوعون من تلك الحثيثة (ولا تقولوا) عطف على استعينوا الخ مسوق ١٥٤ لبيان أن لا غائلة للأمر به وأن الشهادة التي ربما يؤدي إليها الصبر حياة أبدية (لمن يقتل في سبيل الله أموات) أي هم أموات (بل أحياء) أي بل هم أحياء (ولكن لا تشعرون) بحياتهم وفيه رمز إلى أنها ليست مما يشعر به بالمشاعر الظاهرة من الحياة الجسدية وإنما هي أمر روحاني لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن رحمه الله أن الشهداء أحياء عند الله تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيفصل إليهم الروح والفرح كما تعرض النار على آل فرعون غدواً وعشياً فيفصل إليهم الألم والوجع قلت رأيت في المنام سنة

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ
الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٢ البقرة

الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ٢ البقرة
أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ٢ البقرة

تسع وثلاثين وتسعمائة أنى أزور قبور شهداء أحد رضى الله تعالى عنهم أجمعين وأنا أتلو هذه الآية وما
فى سورة آل عمران وأرددها متفكراً فى أمرهم وفى نفسى أن حياتهم روحانية لا جسمانية فبينما أنا على
ذلك إذ رأيت شاباً منهم قاعداً فى قبره تام الجسد كامل الخلقة فى أحسن ما يكون من الهيئة والمنظر ليس
عليه شيء من اللباس قهعبداً منه مافوق السرة والباقي فى القبر خلا أنى أعلم يقيناً أن ذلك أيضاً كما ظهر
ولمّا لا يظهر لكونه عورة فنظرت إلى وجهه فرأيت به نظراً إلى متبسم كأنه ينبهنى على أن الأمر بخلاف
رأى فسبحان من علت كلمته وجلت حكمته وقيل الآية نزلت فى شهداء بدر وكانوا أربعة عشر وفيها
دلالة على أن الأرواح جواهر قائمة بأنفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه
جمهور الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وبه نطقت الآيات والسنن وعلى هذا فتخصيص
الشهداء بذلك لما يستدعيه مقام التحريض على مباشرة مبادئ الشهادة ولا اختصاصهم بمزيد القرب من
الله عز و علا (ولنبلونكم) لنصيبنكم إصابتهم من يختبر أحوالكم أتصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء
١٥٥ (بشيء من الخوف والجوع) أى بقليل من ذلك فإن ما وقاهم عنه أكثر بالنسبة إلى ما أصابهم بألف مرة
وكذا ما يصيب به معانديهم وإنما أخبر به قبل الوقوع ليوطنوا عليه نفوسهم ويزداد يقينهم عند مشاهدتهم
له حسبما أخبر به وليعلموا أنه شيء يسير له عاقبة حميدة (ونقص من الأموال والأنفس والثمرات) عطف
على شيء وقيل على الخوف وعن الشافعى رحمه الله الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان ونقص
من الأموال الزكاة والصدقات ومن الأنفس الأمراض ومن الثمرات موت الأولاد وعن النبى ﷺ إذا
مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة أقبضتم روح ولد عبدى فيقولون نعم فيقول عز وجل أقبضتم ثمرة
قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدى فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله عز و علا ابنوا
لعبدى بيتاً فى الجنة وسموه بيت الحمد (وبشر الصابرين) (الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه
١٥٦ راجعون) الخطاب للرسول ﷺ أو لكل من يتأتى منه البشارة والمصيبة ما يصيب الإنسان من مكروه
لقوله عليه السلام كل شيء يؤذى المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر هو الاسترجاع باللسان بل بالقلب
بأن يتصور ما خلق له وأنه راجع إلى ربه ويتذكر نعم الله تعالى عليه ويرى أن ما أبقي عليه أضعاف
١٥٧ ما استرده منه فيكون ذلك على نفسه ويستسلم والمبشر به محذوف دل عليه ما بعده (أولئك) إشارة إلى
الصابرين باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت ومعنى البعد فيه الإيذان بعلور تبتهم (عليهم صلوات من

إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرَّةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ البقرة

- رَبِّهِمْ وَرَحْمَةً) الصلاة من الله سبحانه المغفرة والرافة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والجمع بينها وبين الرحمة المبالغة كما في قوله تعالى رافعة ورحمة رءوف رحيم والتنوين فيهما للتفخيم والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم لإظهار مزيد العناية بهم أى أولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت الجليلة عليهم فنون الرافعة الفائضة من مالك أمورهم ومبلغهم إلى كالاتهم اللاتفة بهم وعن النبي ﷺ من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبتها وأحسن عقابه وجعل له خلفاً صالحاً يرضاه (وأولئك) إشارة إليهم إما بالاعتبار السابق والتكرير لإظهار كمال العناية بهم وإما باعتبار حيازتهم لما ذكر من الصلوات والرحمة المترتب على الاعتبار الأول فعلى الأول المراد بالاهتداء فى قوله عز وجل (هم المهتدون) هو الاهتداء للحق والصواب مطلقاً لا الاهتداء لما ذكر من الاسترجاع والاستسلام خاصة لما أنه متقدم عليهما فلا بد لتأخيرهما عما هو نتيجة لهما من داع يوجبهما وليس بظاهر والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله كأنه قيل وأولئك هم المختصون بالاهتداء لكل حق وصواب ولذلك استرجعوا واستسلموا لقضاء الله تعالى وعلى الثانى هو الاهتداء والفوز بالمطالب والمعنى أولئك هم الفائزون بمباغيهم الدينية والدنيوية فإن من نال رافعة الله تعالى ورحمته لم يفته مطلب (إن الصفا والمروة) علمان لجبلين بمكة المعظمة كالصمان والمقطم ١٥٨ (من شعائر الله) من أعلام مناسكه جمع شعيرة وهى العلامة (فمن حج البيت أو اعتمر) الحج فى اللغة القصد والاعتبار الزبارة غلبا فى الشريعة على قصد البيت وزيارته على الوجهين المعروفين كالبيت والنجم فى الأعيان وحيث أظهر البيت وجب تجريده عن التعلق به (فلا جناح عليه أن يطوف بهما) أى فى أن يطوف بهما أصله يتطوف قلبت التاء طاء فأدغمت الطاء فى الطاء وفى إيراد صيغة التفعّل إيذان بأن من حق الطائف أن يتكلف فى الطواف ويذل فيه جهده وهذا الطواف واجب عندنا والشافعى وعن مالك رحمهما الله أنه ركن وإيراده بعدم الجناح المشعر بالتخيير لما أنه كان فى عهد الجاهلية على الصفا صنم يقال له أساف وعلى المروة آخر اسمه نائلة وكانوا إذا سعوا بينهما مسحوا بهما فلما جاء الإسلام وكسر الأصنام تخرج المسلمون أن يطوفوا بينهما لذلك فزلات وقيل هو تطوع ويعضده قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما (ومن تطوع خيراً) أى فعل طاعة فرضاً كان أو نفلاً أو زاد على ما فرض عليه من حج أو عمرة أو طواف وخيراً حيثنذ نصب على أنه صفة لمصدر محذوف أى تطوعاً خيراً أو على حذف الجار وإيصال الفعل إليه أو على تضمين معنى فعل وقرىء يطوع وأصله يتطوع مثل يطوف وقرىء ومن يتطوع بخير (فإن الله شاكر) أى مجاز على الطاعة عبر عن ذلك بالشكر مبالغة فى الإحسان إلى العباد (عليهم) مبالغ فى العلم بالأشياء فيعلم مقادير أعمالهم وكيفياتها فلا ينقص من أجورهم شيئاً وهو علة لجواب الشرط قائم مقامه كأنه قيل ومن تطوع خيراً أجازاه الله وأثابه فإن الله شاكر عليم

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴿٢٥٥﴾ البقرة

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٢٥٦﴾ البقرة

- ١٥٩ (إن الذين يكتمون) قيل نزلت في أحبار اليهود الذين كتموا ما في التوراة من نعوت النبي ﷺ وغير ذلك من الأحكام وعن ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن والسدي والربيع والأصم أنها نزلت في أهل الكتاب من اليهود والنصارى وقيل نزلت في كل من كتم شيئاً من أحكام الدين لعموم الحكم لكل والأقرب هو الأول فإن عموم الحكم لا يابى خصوص السبب والكتم والكتمان ترك إظهار الشيء قصداً مع مساس الحاجة إليه وتحقيق الداعي إلى إظهاره وذلك قد يكون بمجرد دستره وإخفائه وقد يكون بإزالته ووضع شيء آخر في موضعه وهو الذي فعله هؤلاء (ما أنزلنا من البينات) من الآيات الواضحة الدالة
- على أمر محمد ﷺ (والهدى) أى والآيات الهادية إلى كنه أمره ووجوب اتباعه والإيمان به عبر عنها بالمصدر مبالغة ولم يجمع مراعاة للأصل وهى المرادة بالبينات أيضاً والعطف لتغاير العنوان كما في قوله عز وجل هدى للناس وبينات الخ وقيل المراد بالهدى الأدلة العقلية ويأباه الإنزال والكتم (من بعد ما بيناه للناس) متعلق بيكتمون والمراد بالناس الكل لا الكاتمون فقط واللام متعلقة ببيناه وكذا الظرف في قوله تعالى (في الكتاب) فإن تعلق جازين بفعل واحد عند اختلاف المعنى لما لا ريب في جوازه أو الأخير متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله أى كائنا في الكتاب وتبينه لهم تلخيصه وإيضاحه بحيث يتلقاه كل أحد منهم من غير أن يكون له فيه شبهة وهذا عنوان مغاير لكونه بينا في نفسه وهدى مؤكداً لقبح الكتم أو تفهيمه لهم بواسطة موسى عليه السلام والأول أنسب بقوله تعالى في الكتاب والمراد بكتمه إزالته ووضع غيره في موضعه فإنهم يحو افنته عليه الصلاة والسلام وكتبوا مكانه ما يخالفه كما ذكرناه في تفسير قوله عز وعلا فويل للذين يكتبون الكتاب الخ (أولئك) إشارة إليهم باعتبار ما وصفوا به للإشعار بعليته لما حاق بهم وما فيه من معنى البعد للإيدان يترامى أمرهم وبعد منزلتهم
 - في الفساد (يلعنهم الله) أى يطردهم ويبعدهم من رحمته والالتفات إلى الغيبة بإظهار اسم الذات الجامع للصفات لترية المهابة وإدخال الروعة والإشعار بأن مبدأ صدور اللعن عنه سبحانه صفة الجلال المغايرة لما هو مبدأ الإنزال والتبيين من وصف الجمال والرحمة (ويلعنهم اللاعنون) أى الذين يتأتى منهم اللعن أى الدعاء عليهم باللعن من الملائكة ومؤمنى الثقلين والمراد بيان دوام اللعن واستمراره وعليه يدور الاستثناء المتصل في قوله تعالى (إلا الذين تابوا) أى عن الكتمان (وأصلحوا) أى ما أفسدوا بأن
 - أزالوا الكلام المحرف وكتبوا مكانه ما كانوا أزالوه عند التحريف (ويتوبوا) للناس معانيه فإنه غير الإصلاح المذكور أو يتوبوا لهم ما وقع منهم أولاً وآخرأ فإنه أدخل في إرشاد الناس إلى الحق وصرّفهم عن طريق الضلال الذى كانوا أوقعهم فيه أو يتوبوا بتهمتهم ليحوأ به سمة ما كانوا فيه ويقتدى بهم أضربهم

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ البقرة

خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ البقرة

وَاللَّهُمَّ إِنَّكَ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ البقرة

- وحيث كانت هذه التوبة المقرونة بالإصلاح والتبیین مستلزمة للتوبة عن الكفر مبنية عليها لم يصرح بالإيمان وقوله تعالى (فأولئك) إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة للإشعار بعليته للحكم والفاء لتأكيد ذلك (أتوب عليهم) أى بالقبول وإفاضة المغفرة والرحمة وقوله تعالى (وأنا التواب الرحيم) أى المبالغ في قبول التوب ونشر الرحمة اعتراض تذييلي محقق لمضمون ما قبله والالتفات إلى التكلم للافتتان في النظم الكريم مع ما فيه من التلويح والرمز إلى مامر من اختلاف المبدأ في فعلية تعالى السابق واللاحق (إن الذين كفروا) جملة مستأنفة سبقت لتحقيق بقاء اللعن فيما وراء الاستثناء وتأکید دوامه واستمراره ١٦١ على غير التائبين حسبما يفيد الكلام والاقتصار على ذكر الكفر في الصلة من غير تعرض لعدم التوبة والإصلاح والتبیین مبنى على ما أشير إليه فكما أن وجود تلك الأمور الثلاثة مستلزم للإيمان الموجب لعدم الكفر كذلك وجود الكفر مستلزم لعدمها جميعاً أى إن الذين استمروا على الكفر المستتبع للكتمان وعدم التوبة (وماتوا وهم كفار) لا يرفعون عن حالتهم الأولى (أولئك) الكلام فيه كما فيها قبله (عليهم) أى مستقر عليهم (لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) من يعتد بلغتهم وهذا بيان لدوامها الثبوتى بعد بيان دوامها التجددى وقيل الأول لغتهم أحياء وهذا لغتهم أمواتاً وقرىء والملائكة والناس أجمعون عطفاً على محل اسم الله لأنه فاعل في المعنى كقولك أعجبنى ضرب زيد وعمرو تريد من أن ضرب زيد وعمرو وكأنه قيل أولئك عليهم أن لغتهم الله والملائكة الخ وقيل هو فاعل لفعل مقدر أى ويلعنهم الملائكة (خالدين فيها) أى في اللعنة أو في النار على أنها أضمرت من غير ذكر ١٦٢ تفخيماً لشأنها وتحويلاً لأمرها (لا يخفف عنهم العذاب) إما مستأنف لبيان كثرة عذابهم من حيث الكيف إثر بيان كثرتهم من حيث الكم أو حال من الضمير في خالدين على وجه التداخل أو من الضمير في عليهم على طريقة الترادف (ولا هم ينظرون) عطف على ما قبله جار فيه ما جرى فيه وإيثار الجملة الاسمية لإفادة دوام النقي واستمراره أى لا يمهلون ولا يؤجلون أو لا ينتظرون ليعتذروا أو لا ينظر إليهم نظر رحمة (ولهمكم) خطاب عام لسكافة الناس أى المستحق منكم للعبادة (إله واحد) أى فرد ١٦٣ في الإلهية لاصحة لتسمية غيره إلهاً أصلاً (لا إله إلا هو) خبر ثان للابتداء أو صفة أخرى للخبر أو اعتراض وأياً ما كان فهو مقرر للوحدانية ومزيج لما عسى يتوهم أن في الوجود إلهاً لكن لا يستحق العبادة (الرحمن الرحيم) خبران آخران للابتداء أو لمبتدأ محذوف وهو تقرير للتوحيد فإنه تعالى حيث كان مولياً لجميع النعم أصولها وفروعها جليلها ودقيقها وكان ماسواً كائناً ما كان مفتقراً إليه في وجوده وما تنفرع عليه من كالاته تحققت وحدانيته بلا ريب وانحصر استحقاق العبادة فيه تعالى قطعاً قبل كان للبشر كين

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ مِمَّا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ البقرة

حول الكعبة المكرمة ثلثمائة وستون صنفا فلما سمعوا هذه الآية تعجبوا وقالوا إن كنت صادقا فأت بآية نعرف بها صدقك فنزلت (إن في خلق السموات والأرض) أى في إبداعهما على ما هما عليه مع ما فيهما من التعجيب العبر وبدائع صنائع يعجز عن فهمها عقول البشر وجمع السموات لما هو المشهور من أنها طبقات متخالفة الحقائق دون الأرض (واختلاف الليل والنهار) أى اعتقابهما وكون كل منهما خلفا للآخر كقوله تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خلفا أو اختلاف كل منهما فى أنفسهما ازديادا وانتقاصا على ما قدره الله تعالى (والفلك التى تجرى فى البحر) عطف على ما قبله وتأنيثه لما بتأويل السفينة أو بأنه جمع فإن ضمة الجمع مغايرة لضمة الواحد فى التقدير إذ الأولى كما فى حمر والثانية كما فى قفل وقرىء بضم اللام (بما ينفع الناس) أى متلبسة بالذى ينفعهم مما يحمل فيها من أنواع المنافع أو بنفعهم (وما أنزل الله من السماء من ماء) عطف على الفلك وتأخير عن ذكرها مع كونه أعم منها نفعاً لما فيه من مزيد تفصيل وقيل المقصود الاستدلال بالبحر وأحواله وتخصيص الفلك بالذكر لأنه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدم على ذكر المطر والسحاب لأن منشأهما البحر فى غالب الأمر ومن الأولى ابتدائية والثانية يمانية أو تبعضية وأياً ما كان فتأخيرها لما مر مراراً من التشويق والمراد بالسماء الفلك أو السحاب أو جهة العلو (فأحيا به الأرض) بأنواع النبات والأزهار وما عليها من الأشجار (بعد موتها) باستيلاء اليبوسة عليها حسبما تقتضيه طبيعتها كما يوزن به إيراد الموت فى مقابلة الإحياء (وبث فيها) أى فرق ونشر (من كل دابة) من العقلاء وغيرهم والجملة معطوفة على أنزل داخله تحت حكم الصلة وقوله تعالى فأحيا الخ متصل بالمعطوف عليه بحيث كانا فى حكم شيء واحد كأنه قيل وما أنزل فى الأرض من ماء وبث فيها الخ أو على أحيا بمحذف الجار والمجرور العائد إلى الموصول وإن لم تتحقق الشرائط المعهودة كما فى قوله [وإن لسانى شهدة يشتمى بها * ولكن على من صبه الله علقم] أى علقم عليه وقوله [لعل الذى أصعدتنى أن يردنى * إلى الأرض إن لم يقدر الخير قادره] على معنى فأحيا بالماء الأرض وبث فيها من كل دابة فإنهم ينفون بالخصب ويعيشون بالحيا (وتصريف الرياح) عطف على ما أنزل أى تقليبها من مهب إلى آخر أو من حال إلى أخرى وقرىء على الأفراد (والسحاب) عطف على تصريف أو الرياح وهو اسم جنس واحده سحابة سمي بذلك لانسحابه فى الجو (المسخر بين السماء والأرض) صفة للسحاب باعتبار لفظه وقد يعتبر معناه فى وصف بالجمع كما فى قوله تعالى سحاباً ثقلاً وتسخير تقليبه فى الجو بواسطة الرياح حسبما تقتضيه مشيئة الله تعالى ولعل تأخير تصريف الرياح وتسخير السحاب فى الذكر عن جريان الفلك وإنزال الماء مع انعكاس الترتيب الخارجى لما مر فى قصة البقرة من الإشعار باستقلال كل من الأمور المذكورة فى

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ البقرة

- كونها آية ولو روعى الترتيب الخارجى لربما توهم كون المجموع المترتب بعضه على بعض آية واحدة (آيات) اسم إن دخلته اللام لتأخره عن خبرها والتشكيك للتفخيم كما وكيفاً أى آيات عظيمة كثيرة ● دالة على القدرة القاهرة والحكمة الباهرة والرحمة الواسعة المقتضية لاختصاص الألوهية به سبحانه (لقوم يعقلون) أى يتفكرون فيها وينظرون إليها بغيون العقول وفيه تعريض بحمل المشركين الذين افترحوا على النبي ﷺ آية تصدقه في قوله تعالى وإلهكم إله واحد وتسجيل عليهم بسخافة العقول وإلا فمن تأمل في تلك الآيات وجد كلا منها ناطقة بوجوده تعالى ووحدانيته وسائر صفاته الكمالية الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى واستغنى بها عن سائرهما فإن كل واحد من الأمور المعدودة قد وجد على وجه خاص من الوجوه الممكنة دون ما عداه مستتبعا لآثار معينة وأحكام مخصوصة من غير أن تقتضى ذاته وجوده فضلا عن وجوده على نمط معين مستتبعا لحكم مستقل فإذا لم يبدله حتما من موجود قادر حكيم بوجهه حسبما تقتضيه حكمته وتستدعيه مشيئته متعال عن معارضة الغير إذ لو كان معه آخر يقدر على ما يقدر عليه لزم إما اجتماع المؤثرين على أثر واحد أو التمانع المؤدى إلى فساد العالم (ومن الناس من يتخذ من دون الله) بيان لكمال ١٦٥ ركاكة آراء المشركين أثر تقرير وحدانيته سبحانه وتحرير الآيات الباهرة المملجة للعقلاء إلى الاعتراف بها الفائضة باستحالة أن يشاركه شيء من الموجودات في صفة من صفات الكمال فضلا عن المشاركة في صفة الألوهية والكلام في إعرابه كما فصل في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر إلخ ومن دون الله متعلق يتخذ أى من الناس من يتخذ من دون ذلك الإله الواحد الذى ذكرت شئونه الجليلة وإشار الاسم الجليل لتعيينه تعالى بالذات غب تعيينه بالصفات (أندادا) أى أمثالا وهم رؤساؤهم الذين يتبعونهم فيما يأتون وما يذرون لاسيما في الأوامر والنواهي كما يفصح عنه ماسياتى من وصفهم بالتبرى من المتبعين وقيل هى الأصنام وإرجاع ضمير العقلاء إليها في قوله عز و علا (يحبونهم) مبنى على آرائهم الباطلة في شأنها من وصفهم بما لا يوصف به إلا العقلاء والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحنة القلب ثم اشتق منه الحب لأنه أصابها ورسخ فيها والفعل منها حب على حد مد لكن الاستعمال المستفيض على أحب حبا ومحبة فهو محب وذاك محبوب ومحب قليل وحاب أقل منه ومحبة العبد لله سبحانه إرادة طاعته في أوامره ونواهيه والاعتناء بتحصيل مرضيه فمعنى يحبونهم يطيعونهم ويعظمونهم والجملة في حين النصب إما صفة لأندادا أو حالا من فاعل يتخذ وجمع الضمير باعتبار معنى من كما أن إفراده باعتبار لفظها (كحب الله) مصدر تشبيهى أى نعت لمصدر مؤكد للفعل السابق ومن قضية كونه مبنيا للفاعل كونه أيضا كذلك والظاهر اتحاد فاعلها فانهم كانوا يقررون به تعالى أيضا ويتقربون إليه فالمعنى يحبونهم حبا كائنات كحبهم لله تعالى أى يسوون بينه تعالى وبينهم في الطاعة والتعظيم وقيل فاعل الحب المذكور هم

إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ البقرة

- المؤمنون فالمعنى حبا كائناً كحب المؤمنين له تعالى فلا بد من اعتبار المشابهة بينهما في أصل الحب لا في وصفه كما أو كيفاً لما سيأتى من التفاوت البين وقيل هو مصدر من المبني للمفعول أى كما يحب الله تعالى ويعظم وإنما استغنى عن ذكر من يحبه لأنه غير ملبس وأنت خير بأنه لا مشابهة بين محبتهم لأناداهم وبين محبته تعالى فالمصير حينئذ ما أسلفناه في تفسير قوله عز قاتلاً كما سئل موسى من قبل وإظهار الاسم الجليل في مقام الإضمار لترية المهابة وتفخيم المضاف وإبانة كمال قبح ما ارتكبه (والذين آمنوا أشد حبا لله) جملة مبتدأة جىء بها توطئة لما يعقبها من بيان رخاوة حبهم وكونه حسرة عليهم والمفضل عليه محذوف أى المؤمنون أشد حبا له تعالى منهم لأناداهم ومآله أن حب أولئك له تعالى أشد من حب هؤلاء لأناداهم فيه من الدلالة على كون الحب مصدراً من المبني للفاعل ما لا يخفى وإنما لم يجعل المفضل عليه حبهم لله تعالى لما أن المقصود بيان انقطاعه وانقلابه بغضاً وذلك إنما يتصور في حبهم لأناداهم لكونه منوطاً بمبان فاسدة ومباد موهومة يزول بزوالها . قيل ولذلك كانوا يعدلون عنها عند الشدائد إلى الله سبحانه وكانوا يعبدون صنماً أياً ما فإذا وجدوا آخر ففضوه إليه وقد أكلت باهلة إلهها عام المجاعة وكان من حيس وأنت خير بأن مدار ذلك اعتبار اختلال حبهم لها في الدنيا وليس الكلام فيه بل في انقطاعه في الآخرة عند ظهور حقيقة الحال ومعاينة الآهوال كإسيأتى بل اعتباره مخلاً بما يقضيه مقام المبالغة في بيان كمال قبح ما ارتكبه وغاية عظم ما اقترفه وإثبات الإظهار في موضع الإضمار لتفخيم الحب والإشعار بعلته (ولو يرى الذين ظلموا) أى باتخاذ الانداد ووضعها موضع المعبود (إذ يرون العذاب) المعد لهم يوم القيامة أى لو علموا إذا عاينوه وإنما أوتر صيغة المستقبل لجر يانها مجرى الماضى
- في الدلالة على التحقق في إخبار علام الغيوب (أن القوة لله جميعاً) ساد مسد مفعولى يرى (وأن الله شديد العذاب) عطف عليه وفائدته المبالغة في تهويل الخطب وتفضيع الأمر فإن اختصاص القوة به تعالى لا يوجب شدة العذاب لجواز تركه عفواً مع القدرة عليه وجواب لو محذوف للإيدان بخروجه عن دائرة البيان إما لعدم الإحاطة بكنهه وإما لضيق العبارة عنه وإما لإيجاب ذكره ما لا يستطيعه المعبر أو المستمع من الضجر والتفجع عليه أى لو علموا إذ رأوا العذاب قد حل بهم ولم ينقذهم منه أحد من أناداهم أن القوة لله جميعاً ولا دخل لأحد في شيء أصلاً لوقعوا من الحسرة والندم فيما لا يسكاد بوصف وقرىء ولو ترى بالتاء الفوقانية على أن الخطاب للرسول ﷺ أو لكل أحد ممن يصلح للخطاب
- فالجواب حينئذ لرأيت أمراً لا يوصف من الهول والفظاعة وقرىء إذ يرون على البناء للمفعول (وأن الله شديد العذاب) على الاستئناف وإضمار القول (إذ تبرأ الذين اتبعوا) بدل من إذ يرون أى إذ تبرأ الرؤساء (من الذين اتبعوا) من الاتباع بأن اعترفوا ببطلان ما كانوا يدعونه في الدنيا وبدعونهم إليه من فنون الكفر والضلال واعتزلوا عن مخالطتهم وقابلوهم باللعن كقول إبليس إني كفرت بما أشركتمونى من قبل وقرىء بالعكس أى تبرأ الاتباع من الرؤساء والواو في قوله عز وجل (ورأوا

وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدَّبُهُمْ فَلَنَكُونَنَّ أَكْثَرًا فَتَتَّبِعُنَا وَمِنَّا كَافِرٌ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ البقرة

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّهُمْ وَمَا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا يَتَّبِعُونَ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ البقرة

- العذاب) حالية وقد مضى وقيل عاطفة على تبرأ والضمير في رأوا للموصوفين جميعاً (وتقطعت بهم الأسباب) والوصل التي كانت بينهم من التبعية والمتبوعية والاتفاق على الملة الزائغة والأغراض الداعية إلى ذلك وأصل السبب الحبل الذي يرتقي به الشجر ونحوه والجملة معطوفة على تبرأ وتوسط الحال بينهما للتنبيه على علة التبري وقد جوز عطفها على الجملة الحالية (وقال الذين اتبعوا) حين عابوا ١٦٧
- تبرؤ الرؤساء منهم وندموا على ما فعلوا من اتباعهم لهم في الدنيا (لو أن لنا كرة) أي ليت لنا رجعة
 - إلى الدنيا (فتتبرأ منهم) هناك (كما تبرأوا منا) اليوم (كذلك) إشارة إلى مصدر الفعل الذي بعده
 - لا إلى شيء آخر مفهوم مما سبق وما فيه من معنى البعد للإيدان بعلو درجة المشار إليه وبعد منزلته مع كمال تميزه عما عداه وانتظامه في سلك الأمور المشاهدة والكاف مقحمة لتأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة ومحله النصب على المصدرية أي ذلك الإراء الفظيع (يربهم الله أعمالهم حسرات عليهم) أي ندامات شديدة فإن الحسرة شدة الندم والسكد وهي تألم القلب وانحساره عما يؤلمه واشتقاقها من قولهم بعير حسيرو أي منقطع القوة وهي ثالث مفاعيل يرى إن كان من رؤية القلب وإلا فهي حال والمعنى أن أعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون إلا حسرات مكان أعمالهم (وما هم بخارجين من النار)
 - كلام مستأنف لبيان حالهم بعد دخولهم النار والأصل وما يخرجون والعدول إلى الاسمى لإفادة دوام نفي الخروج والضمير للدلالة على قوة أمرهم فيما أسند إليهم كما في قوله [هم يفرشون اللبد كل طمرة]
 - وأجرد سباق يند المغاليا (يا أيها الناس كلوا مما في الأرض) أي بعض ما فيها من أصناف المأكولات ١٦٨
 - التي من جعلتها ماحر متموه اقترأ على الله من الحرث والأنعام قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت في قوم من ثقيف وبنى عامر بن صعصعة وخزاعة وبنى مدلج حرموها على أنفسهم ما حرموها من الحرث والبحائر
 - والسوائب والوصائل والحام وقوله تعالى (حلالاً) حال من الموصول أي كلوه حال كونه حلالاً أو
 - مفعول لاكلوا على أن من ابتدائية وقد جوز كونه صفة لمصدر مؤكد أي أكلا حلالاً ويؤيد الأولين
 - قوله تعالى (طيباً) فإنه صفة له ووصف الأكل به غير معتاد وقيل نزلت في قوم من المؤمنين حرموها
 - على أنفسهم رفيع الأطعمة والملابس ويرده قوله عز وجل (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أي لا تقتدوا بها في اتباع الهوى فإنه صريح في أن الخطاب للكفرة. كيف لا وتحريم الحلال على نفسه تزهداً ليس من باب اتباع خطوات الشيطان فضلاً عن كونه تقولا واقترأ على الله تعالى وإنما الذي نزل فيهم ما في

إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ البقرة

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلَى نَتَّبِعُ مَا أَفْنَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ البقرة

- سورة المائدة من قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم الآية وقرىء خطوات بسكون الطاء وهما لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرىء بضميتين وهمزة جعلت الضمة على الطاء كأنها على الواو وبفتحتين على أنها جمع خطوة وهي المرة من الخطو (لأنه لكم عدو مبين) تعليل للنهي أي ظاهر العدواة عند ذوى البصيرة وإن كان يظهر الولاية لمن يغويه ولذلك سمي ولياً في قوله تعالى أولياؤهم الطاغوت (إنما يأمركم بالسوء والفحشاء) استئناف لبيان كيفية عداوته وتفصيل لفنون شره وإفساده وانحصار معاملته معهم في ذلك والسوء في الأصل مصدر ساءه يسوؤه سوءاً ومساءة إذا أضرته يطلق على جميع المعاصي سواء كانت من أعمال الجوارح أو أفعال القلوب لا شراك كلها في أنها تسوء صاحبها والفحشاء أفصح أنواعها وأعظمها مساءة (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) عطف على الفحشاء أي وبأن تفتروا على الله بأنه حرم هذا وذلك ومعنى ما لا تعلمون ما لا تعلمون أن الله تعالى أمر به وتعليق أمره بتقوهم على الله تعالى ما لا يعلمون وقوعه منه تعالى لا بتقوهم عليه ما يعلمون عدم وقوعه منه تعالى مع أن حالهم ذلك للبالغ في الزجر فإن التحذير من الأول مع كونه في القبح والشناعة دون الثاني تحذير عن الثاني على أبلغ وجه وآكده والإيذان بأن العاقل يجب عليه أن لا يقول على الله تعالى ما لا يعلم وقوعه منه تعالى مع الاحتمال فضلاً عن أن يقول عليه ما يعلم عدم وقوعه منه تعالى قالوا وفيه دليل على المنع من اتباع الظن رأياً وأما اتباع المجتهد لما أدى إليه ظنه فستند إلى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله) التفات إلى الغيبة تسجيلاً بكامل ضلالهم وإيذاناً بإيجاب تعداد ما ذكر من جنائياتهم لصرف الخطاب عنهم وتوجيهه إلى العقلاء وتفصيل مساوى أحوالهم لهم على نهج المبائة أي إذا قيل لهم على وجه النصيحة والإرشاد اتبعوا كتاب الله الذي أنزله (قالوا) لا تتبعه (بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا) أي وجدناهم عليه إما على أن الطرف متعلق بمحذوف وقع حالاً من آباءنا وألفينا متعد إلى واحد وإما على أنه مفعول ثان له مقدم على الأول نزلت في المشركين أمروا باتباع القرآن وسائر ما أنزل الله تعالى من الحجج الظاهرة والبيانات الباهرة فجنحوا للتقليد والموصول إما عبارة عما سبق من اتخاذ الأنداد وتحريم الطيبات ونحو ذلك وإما باق على عمومته وما ذكر داخل فيه دخولا أولاً وقيل نزلت في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا لأنهم كانوا خيراً منا وأعلم فعلى هذا يعم ما أنزل الله تعالى التوراة لأنها أيضاً تدعو إلى الإسلام وقوله عز وجل (أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون) استئناف مسوق من جهته تعالى رداً لمقاتلهم الحمقاء وإظهاراً لبطلان آرائهم والهمزة لإنكار الواقع واستقباحه والتعجب منه لا

لإنكار الوقوع كالتى فى قوله تعالى أولو كناكارهين وكلمة لو فى أمثال هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشيء فى الزمان الماضى لا انتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه بل هى لبيان تحقق ما يفيد الكلام السابق بالذات أو بالواسطة من الحكم الموجب أو المنفى على كل حال مفروض من الأحوال المقارنة له على الإجمال بإدخالها على أبعدها منه وأشدّها منافاة له ليظهر بثبوته أو انتفائه معه ثبوته أو انتفائه مع ما عداه من الأحوال بطريق الأولوية لما أن الشيء متى تحقق مع المنافى القوى فلأن يتحقق مع غيره أولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الأحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الأحوال المغايرة لها وهذا معنى قولهم أنها لا تستقصاء الأحوال على سبيل الإجمال وهذا المعنى ظاهر فى الخبر الموجب والمنفى والأمر والنهى كما فى قولك فلان جواد يعطى ولو كان فقيراً وبخيل لا يعطى ولو كان غنياً وقولك أحسن إليه ولو أساء إليك ولا تهنه ولو أهانك لبقائه على حاله وأما فيما نحن فيه ففيه نوع خفاء ناشئ من ورود الإنكار عليه لكن الأصل فى الكل واحد إلا أن كلمة لو فى الصور المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور قبلها وأن ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو نفس مدلوله وأن الجملة حال من ضميره أو مما يتعلق به وأن ما فى حيز لو باقى على ما هو عليه من الاستبعاد غالباً بخلاف ما نحن فيه لما أن كلمة لو متعلقة فيه بفعل مقدر يقتضيه المذكور وأن ما يقصد بيان تحققه على كل حال مدلوله لا مدلول المذكور من حيث هو مدلوله وأن الجملة حال مما يتعلق به لا بما يتعلق بالمذكور من حيث هو متعلق به وأن المقصود بالأصلى إنكار مدلوله باعتبار مقارنته للحالة المذكورة وأما تقدير مقارنته لغيرها فلتوسيع الدائرة وأن ما فى حيز لو لا يقصد استبعاده فى نفسه بل يقصد الإشعار بأنه أمر محقق إلا أنه أخرج مخرج الاستبعاد معاملة مع المخاطبين على معتقدهم لئلا يلبسوا من التصريح بنسبة آباءهم إلى كمال الجاهالة والضلالة جلد النمر فيركبوا متن العناد ومبالغة فى الإنكار من جهة اتباعهم لآبائهم حيث كان منكر أمستقبهاً عند احتمال كون آباءهم كما ذكر احتمالاً بعيداً فلأن يكون منكر عند تحقق ذلك أولى والتقدير أيتبعون ذلك لولم يكن آباؤهم لا يعقلون شيئاً من الدين ولا يهتدون للصواب ولو كانوا كذلك فالجملة فى حيز النصب على الحالية من آباءهم على طريقة قوله تعالى أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً كأنه قيل أيتبعون دين آباءهم حال كونهم غافلين وجاهلين ضالين إنكاراً لما أفاده كلامهم من الاتباع على أى حالة كانت من الحالات غير أنه اكتفى بذكر الحالة الثانية تنبيهاً على أنها هى الواقعة فى نفس الأمر وتعويل على اقتضاها للحالة الأولى اقتضاء بينا فإن اتباعهم الذى تعلق به الإنكار حيث تحقق مع كون آباءهم جاهلين ضالين فلأن يتحقق مع كونهم عاقلين ومهتدين أولى إن قلت الإنكار المستفاد من الاستفهام الإنكارى بمنزلة النفي ولا ريب فى أن الأولوية فى صورة النفي معتبرة بالنسبة إلى النفي ألا يرى أن الأولى بالتحقق فيما ذكر من مثال النفي عند الحالة المسكوت عنها أعنى عدم النفي هو عدم الإعطاء لانفسه فكان ينبغى أن يكون الأولى بالتحقق فيما نحن فيه عند الحالة المسكوت عنها وهى حالة كون آباءهم عاقلين ومهتدين إنكار الاتباع لانفسه إذ هو الذى يدل عليه أيتبعون الخ فلم اختلفت الحال بينهما قلت لما أن مناط الأولوية هو الحكم الذى أريد بيان تحققه على كل حال وذلك

وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْرٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٧١﴾ ٢ البقرة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٧٢﴾ ٢ البقرة

في مثال النفي عدم الإعطاء المستفاد من الفعل المنفي المذكور وأما فيما نحن فيه فهو نفس الاتباع المستفاد من الفعل المقدر إذ هو الذي يقتضيه الكلام السابق أعنى قولهم بل تتبع الخ وأما الاستفهام فخارج عنه وارد عليه لإنكار ما يفيد واستقبح ما يقتضيه لأنه من تمامه كما في صورة النفي وكذا الحال فيما إذا كانت الهمزة لإنكار الوقوع ونفيه مع كونه بمنزلة صريح النفي كما سيأتي تحقيقه في قوله تعالى أولو كنا كارهين ١٧١ وقيل الواو حالية ولكن التحقيق أن المعنى يدور على معنى العطف في سائر اللغات أيضاً (ومثل الذين كفروا) جملة ابتدائية واردة لتقرير ما قبلها بطريق التصوير وفيها مضاف قد حذف لدلالة مثل عليه ووضع الموصول موضع الضمير الراجع إلى ما يرجع إليه الضمائر السابقة لذهمهم بما في حيز الصلة وللإشعار بعلّة ما أثبت لهم من الحكم والتقدير مثل ذلك القائل وحاله الحقيقة لغرابتها بأن تسمى مثلاً وتسير في الاتفاق فيما ذكر من دعوته إياهم إلى اتباع الحق وعدم رفعهم إليه رأساً لأنهما كهم في التقليد وإخلاصهم إلى ما هم عليه من الضلالة وعدم فهمهم من جهة الداعي إلى الدعاء من غير أن يلقوا أذهانهم إلى ما يلقى عليهم (كمثل الذي ينطق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء) من البهائم فإنها لا تسمع إلا صوت الراعي وهتفه بها من غير فهم لكلامه أصلاً وقيل إنما حذف المضاف من الموصول الثاني لدلالة كلمة ما عليه فإنها عبارة عنه مشعرة مع ما في حيز الصلة بما هو مدار التمثيل أي مثل الذين كفروا فيما ذكر من انهما كهم فيما هم فيه وعدم التدبر فيما ألقى إليهم من الآيات كمثل بهائم الذي ينطق بها وهي لا تسمع منه إلا جرس النغمة ودوى الصوت وقيل المراد تمثيلهم في اتباع آباتهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ماتحته وقيل تمثيلهم في دعائهم الأصنام بالناعق في نفعه وهو تصويته على البهائم وهذا غنى عن الإضمار لكن لا يساعده قوله إلا دعاء ونداء فإن الأصنام بمعزل من ذلك وقد عرفت أن حسن التمثيل فيما إذا تشابه أفراد الطرفين (صم بكم عمى) بالرفع على الذم أي هم صم الخ (فهم لا يعقلون) شيئاً لأن طريق التعقل هو التدبر في مبادئ الأمور المعقولة والتأمل في ترتيبها وذلك إنما يحصل باستماع آيات الله ومشاهدة حججه الواضحة والمفاوضة مع من يؤخذ منه العلوم فإذا كانوا صما بكما عمياً فقد انسد عليهم أبواب التعقل وطرق الفهم بالكلية (يأياها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) أي مستلذاته (واشكروا لله) الذي رزقكموها والالتفات لترية المهابة (إن كنتم إياه تعبدون) فإن عبادته تعالى لا تتم إلا بالشكر له وعن النبي ﷺ يقول الله عز وجل إني والإنس والجن في نبأ عظيم أخلق ويعبد غيري وأرزق ويشكر غيري

إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ البقرة

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يَكْتُمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ البقرة

- (إنما حرم عليكم الميتة) أى أكلها أو الانتفاع بها وهى التى ماتت على غير ذكاة أو السمك والجراد خارجان عنها ١٧٣
- بالعرف أو استثناء الشرع وخرج الطحال من الدم (والدم ولحم الخنزير) إنما خص لحمه مع أن سائر أجزائه ●
- أيضاً فى حكمه لأنه معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر أجزائه بمنزلة التابع له (وما أهل به لغير الله) أى رافع ●
- به الصوت عند ذبحه للصنم والإهلال أصله رؤية الهلال لكن لما جرت العادة برفع الصوت بالتكبير عندها سمي ذلك إهلالاً ثم قيل لرفع الصوت وإن كان لغيره (فمن اضطر غير باغ) بالاستئذان على مضطر آخر (ولا عاد) سد الرق والجوعة وقيل غير باغ على الوالى ولا عاد بقطع الطريق وعلى هذا لا يباح للعاصى بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعى وقول أحمد رحمهما الله (فلا إثم عليه) فى تناوله (إن الله غفور) لما فعل (رحيم) ●
- بالرخصة إن قيل كلمة إنما تنفيد قصر الحكم على ما ذكره من حرام لم يذكر قلنا المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحله لا مطلقاً أو قصر حرمة على حالة الاختيار كأنه قيل إنما حرم عليكم هذه الأشياء
- مالم تضطروا إليها (إن الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب) المشتمل على فنون الأحكام التى من ١٧٤
- جملتها أحكام المحللات والمحرمات حسبما ذكر آنفاً وقال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى رؤساء اليهود حين كتموا نعت النبى ﷺ (ويشترون به) أى يأخذون بدله (ثمناً قليلاً) عوضاً حقيراً وقدمر ●
- سر التعبير عن ذلك بالثمن الذى هو وسيلة فى عقود المعاوضة وقوله تعالى (أولئك) إشارة إلى الموصول ●
- باعتبار انصافه بما فى حيز الصلة من الوصفين الشنيعين المميزين لهم عن عداهم أكمل تمييز الجاعلين إياهم بحيث كأنهم حصار مشاهدون على ما هم عليه وما فيه من معنى البعد للإيدان بغاية بعد منزلتهم فى الشر ●
- والفساد وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (ما يأكلون فى بطونهم إلا النار) والجملة خبر لأن أو اسم ●
- الإشارة مبتدأ ثان أو بدل من الأول والخبر ما يأكلون الخ ومعنى أكلهم النار أنهم يأكلون فى الحال ما يستتبع النار ويستلزمها فكأنه عين النار وأكله أكلها كقوله [أكلت دماً إن لم أركع بضرة] ●
- بعيدة مهوى القرط طيبة النشر [أو يأكلون فى المآل يوم القيامة عين النار عقوبة على أكلهم الرشا فى الدنيا وفى بطونهم متعلق بياكلون وفائدته تأكيد الأكل وتقريره ببيان مقر المأكول وقيل معناه ملء بطونهم كما فى قولهم أكل فى بطنه وأكل فى بعض بطنه ومنه كلاً فى بعض بطنكم تعفوا فلا بد من الالتجاء إلى تعليقه بمحذوف وقع حالاً مقدره من النار مع تقديمه على حرف الاستثناء وإلا فتعليقه بياكلون يودى إلى قصر ما يأكلونه إلى الشبع على النار والمقصود قصر ما يأكلونه مطلقاً عليهم

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ٢ البقرة
 ذَلِكَ بِأَنَّهُ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ ٢ البقرة
 لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
 وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ
 السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ
 فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ٢ البقرة

- (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) عبارة عن غضبه العظيم عليهم وتعرض بحرمانهم ما أتبع للمؤمنين
- من فنون الكرامات السنية والزلفى (ولا يذكهم) لا يثنى عليهم (ولهم) مع ما ذكر (عذاب أليم)
- ١٧٥ مؤلم (أولئك) إشارة إلى ما أشير إليه بنظيره بالاقتدار المذكور خاصة لأمع ما يتلو من أحوالهم
- الفضيلة إذ لا دخل لها في الحكم الذي يراد إثباته ههنا فإن المقصود تصوير ما يثبته من المعاملة بصورة
- قبيحة تنفر منها الطباع ولا يتعاطاها عاقل أصلاً ببيان حقيقة ما يذوه وإظهار كنه ما أخذوه وإبداء فظاعة
- تبعاته وهو مبتدأ خبره الموصول أى أولئك المشترون بكتاب الله عز وجل ثمناً قليلاً ليسوا بمشتريين
- للثمن وإن قل بل هم (الذين اشتروا) بالنسبة إلى الدنيا (الضلالة) التى ليست مما يمكن أن يشتري قطعاً
- (بالهدى) الذى ليس من قبيل ما يبذل بمقابلة شيء وإن جل (والعذاب) أى اشتروا بالنظر إلى الآخرة
- العذاب الذى لا يتوهم كونه مما يشتري (بالمغفر) التى يتنافس فيها المتنافسون (فما أصبرهم على النار) تعجيب
- من حالهم الهائلة التى هى ملاستهم بما يوجب النار إيجاباً قطعياً كأنه عينها . وما عند سببويه نكرة تامة
- مفيدة لمعنى التعجب مرفوعة بالابتداء وتخصصها كتخصيص شرفى شر أهر ذا ناب خبرها ما بعدها أى شيء .
- ما عظيم جعلهم صابرين على النار وعند الفراء استفهامية وما بعدها خبرها أى أى شيء أصبرهم على النار وقيل
- هى موصولة وقيل موصوفة بما بعدها والخبر محذوف أى الذى أصبرهم على النار أو شيء أصبرهم على النار
- ١٧٦ أمر عجيب فظيع (ذلك) العذاب (بأن الله نزل الكتاب) أى جنس الكتاب (بالحق) أى ملتبساً به فلا
- جرم يكون من يرفضه بالتكذيب والكتمان ويركب متن الجمل والغواية مبتلى بمثل هذا من أفاضل العذاب
- (وإن الذين اختلفوا فى الكتاب) أى فى جنس الكتاب الإلهى بأن آمنوا ببعض كتب الله تعالى وكفروا
- ببعضها أو فى التوراة بأن آمنوا ببعض آياتها وكفروا ببعض كآيات المغيرة المشتملة على أمر بعثه النبي
- ﷺ ونعوته الكريمة فعنى الاختلاف التخلف عن الطريق الحق أو الاختلاف فى تأويلها أو فى القرآن
- بأن قال بعضهم إنه سحر وبعضهم إنه شعر وبعضهم أساطير الأولين كما حكى عن المفسرين (لنى شقاق بعيد)
- ١٧٧ عن الحق والصواب مستوجب لأشد العذاب (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب)

- البر اسم جامع لمراضى الخصال والخطاب لأهل الكتابين فإنهم كانوا أكثروا الخوض في أمر القبلة حين حولت إلى السكبة وكان كل فريق يدعى خيرية التوجه إلى قبلته من القطرين المذكورين وتقديم المشرق على المغرب مع تأخر زمان الملة النصرانية إما لرعاية ما بينهما من الترتيب المنفرع على ترتيب الشروق والغروب وإما لأن توجه اليهود إلى المغرب ليس لكونه مغرباً بل لكون بيت المقدس من المدينة المنورة واقعاً في جانب الغرب فقليل لهم ليس البر ما ذكرتم من التوجه إلى تينك الجهتين على أن البر خبر ليس مقدماً على اسمها كما في قوله [سلي إن جهلت الناس عني وعنهم * فليس سواء عالم وجهول] وقوله [أليس عظيماً أن تلم ملة * وليس علينا في الخطاب مقل] وإنما أخر ذلك لما أن المصدر المؤول أعرف من المحلى باللام لأنه يشبه الضمير من حيث أنه لا يوصف ولا يوصف به والآخر أعرف أحق بالاسمية ولأن في الاسم طولاً فلوروعى الترتيب المعمود لغات تجاوب أطراف النظم الكريم وقرى برفع البر على أنه اسمها وهو أقوى بحسب المعنى لأن كل فريق يدعى أن البر هذا فيجب أن يكون الرد موافقاً لدعواهم وما ذلك إلا بكون البر اسماً كما يفصح عنه جعله مخبراً عنه في الاستدراك بقوله عز وجل (ولكن البر من آمن بالله) وهو تحقيق للحق بعد بيان بطلان الباطل وتفصيل لحصول البر بما لا يختلف باختلاف الشرائع وما يختلف باختلافها أي ولكن البر المعمود الذي يحق أن يهتم بشأنه ويجد في تحصيله بر من آمن بالله وحده إيماناً بريئاً من شائبة الإشراك لا كما يمان اليهود والنصارى والمشركون بقولهم عزير ابن الله وقولهم المسيح ابن الله (واليوم الآخر) أي على ما هو عليه لا كما يزعمون من أن النار لا تمسهم إلا أياماً معدودة وأن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم ففيه تعريض بأن إيمان أهل الكتابين حيث لم يكن كما ذكر من الوجه الصحيح لم يكن إيماناً وفي تعليق البر بهما من أول الأمر عقيب ففيه عن التوجه إلى المشرق والمغرب من الجزالة ما لا يخفى كأنه قيل ولكن البر هو التوجه إلى المبدأ والمعاد اللذين هما المشرق والمغرب في الحقيقة (والملائكة) أي وآمن بهم وبأنهم عباد مكرمون متوسطون بينه تعالى وبين أنبيائه بإلقاء الوحي وإنزال الكتب (والكتاب) أي بحسب الكتاب الذي من أفراد الفرقان الذي نبذوه وراء ظهورهم وفيه تعريض بكتبتهم نعوت النبي ﷺ واشترائهم بما أنزل الله تعالى ثمناً قليلاً (والنبيين) جميعاً من غير تفرقة بين أحد منهم كما فعل أهل الكتابين ووجه توسيط الكتاب بين حملة الوحي وبين النبيين واضح وسيأتي في قوله تعالى كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله (وآتى المال على حبه) حال من الضمير في آتى والضمير المجرور للمال أي آتاه كائناً على حب المال كما في قوله ﷺ حين سئل أي الصدقة أفضل أن تؤتبه وأنت صحيح شحيح وقول ابن مسعود رضى الله عنه أن تؤتبه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتحشى الفقر ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقة قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل الضمير لله تعالى أي آتاه كائناً على محبته تعالى لا على قصد الشر والفساد ففيه نوع تعريض لباذل الرشى وأخذها لتغيير التوراة وقيل للمصدر أي كائناً على حب الإبتاء (ذوى القربى) مفعول أول لآتى قدم عليه مفعوله الثاني أعني المال للاهتمام به أو لأن في الثاني مع ما عطف عليه طولاً ولوروعى الترتيب لغات تجاوب الأطراف

- في الكلام وهو الذى اقتضى تقديم الحال أيضاً وقيل هو المفعول الثانى (واليتامى) أى المحاويج منهم على
- ما يدل عليه الحال وتقديم ذوى القربى عليهم لما أن إيتاءهم صدقة وصلة (والمساكين) جمع مسكين وهو
- الدائم السكون لما أن الخلة أسكنته بحيث لا حراك به أو دائم السكون إلى الناس (وابن السبيل) أى
- المسافر سمي به لملازمته إياه كما سمي القاطع ابن الطريق وقيل الضيف (والسائلين) الذين ألجأتهم الحاجة
- والضرورة إلى السؤال قال عليه الصلاة والسلام أعطوا السائل ولو جاء على فرس (وفى الرقاب) أى
- وضعه فى فك الرقاب بمعاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل فى فك الأسارى وقيل فى ابتياع
- الرقاب وإعتاقها وأياً ما كان فالعدول عن ذكرهم بعنوان مصحح للبالسكية كالذين من قبلهم إما للإيذان
- بعدم قرار ملكهم فيما أوتوا كما فى الوجهين الأولين أو بعدم ثبوته رأساً كما فى الوجه الأخير وإما
- للإشعار برسوخهم فى الاستحقاق والحاجة لما أن فى للظرفية المنبئة عن محليتهم لما يؤتى (وأقام الصلاة) أى
- المفروضة منها (وأتى الزكاة) أى المفروضة على أن المراد بما مر من إيتاء المال التنفل بالصدقات قدم
- على الفريضة مبالغة فى الحث عليه أو المراد بهما المفروضة والأول لبيان المصارف والثانى لبيان وجوب
- الأداء (والموفون بعهدهم) عطف على من آمن فإنه فى قوة أن يقال ومن أوفوا بعهدهم وإيثار صيغة
- الفاعل للدلالة على وجوب استمرار الوفاء والمراد بالعهد ما لا يحرم حلالاً ولا يحل حراماً من العمود
- الجارية فيما بين الناس وقوله تعالى (إذا عاهدوا) للإيذان بعدم كونه من ضروريات الدين (والصابرين)
- نصب على الاختصاص غير سبكه عما قبله تنبيهاً على فضيلة الصبر ومزيبته وهو فى الحقيقة معطوف
- على ما قبله . قال أبو على إذا ذكرت صفات للهدح أو الذم فخولاف فى بعضها الإعراب فقد خولف
- للافتنان ويسمى ذلك قطعاً لأن تغيير المألوف يدل على زيادة ترغيب فى استماع المذكور ومزبد
- اهتمام بشأنه كما مر فى صدر السورة وقد قرئ والصابرون كما قرئ والموفين (فى البأساء) أى فى
- الفقر والشدة (والضراء) أى المرض والزمانة (وحين البأس) أى وقت مجاهدة العدو فى مواطن
- الحرب وزيادة الحين للإشعار بوقوعه أحياناً وسرعة انقضائه (أولئك) إشارة إلى المذكورين باعتبار
- اتصافهم بالنعوت الجميلة المعدودة وما فيه من معنى البعد لما مر مراراً من التنبيه على علو طبقتهم وسمو
- رتبهم (الذين صدقوا) أى فى الدين واتباع الحق وتحرى البر حيث لم تغيرهم الأحوال ولم تزلزلهم
- الأحوال (وأولئك هم المتقون) عن الكفر وسائر الرذائل وتكرير الإشارة لزيادة تنويه شأنهم
- وتوسيط الضمير الإشارة إلى انحصار التقوى فيهم والآية الكريمة كما ترى حاوية لجميع الكمالات
- البشرية برمتها تصريحاً أو تلويحاً لما أنها مع تكثير فوائدها وتشعب شجونها منحصرة فى خلال ثلاث
- صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة مع العباد وتهذيب النفس وقد أشير إلى الأولى بالإيمان بما فصل وإلى
- الثانية بإيتاء المال وإلى الثالثة بإقامة الصلاة الخ ولذلك وصف الحائزون لها بالصدق نظراً إلى إيمانهم
- واعتقادهم وبالتقوى اعتباراً بمعاشرتهم مع الخلق ومعاملتهم مع الحق وإليه يشير قوله ﷺ من

يَنَّا بِهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرُّ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى
فَمَنْ عَنِ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ
فَمَنْ آعَدْتُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ البقرة

- عمل بهذه الآية فقد استكمل الإيمان (يا أيها الذين آمنوا) شروع في بيان بعض الأحكام الشرعية ١٧٨
على وجه التلافي لما فرط من المخالين بما ذكر من أصول الدين وقواعده التي عليها بني أساس المعاش
والمعاد (كتب عليكم) أي فرض وألزم عند مطالبة صاحب الحق فلا يقدر فيه قدرة الولي على
العفو فإن الوجوب إنما اعتبر بالنسبة إلى الأحكام أو القاتلين (القصاص في القتل) أي بسبب قتلهم
كما في قوله ﷺ إن امرأة دخلت النار في هرة ربطتها أي بسبب ربطها إياها (الحرب بالحر والعبد بالعبد
والأنثى بالأنثى) كان في الجاهلية بين حين من أحياء العرب دماء وكان لا أحدهما طول على الآخر
فأقسموا لقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالأنثى فلما جاء الإسلام تحاكموا إلى رسول الله ﷺ فنزلت
فأمرهم أن يتوبوا وليس فيها دلالة على عدم قتل الحر بالعبد عند الشافعي أيضاً لأن اعتبار المفهوم
حيث لم يظهر للتخصيص بالذكر وجه سوى اختصاص الحكم بالمنطوق وقد رأيت الوجه ههنا وإنما
يتمسك في ذلك هو ومالك رحمهما الله بما روى على رضى الله عنه أن رجلاً قتل عبده فجعله رسول
الله ﷺ ونفاه سنة ولم يقده وبما روى عنه رضى الله عنه أنه قال من السنة أن لا يقتل مسلم بذي عهد
ولا حر بعبد وبأن أبا بكر وعمر رضى الله عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين أظهر الصحابة من
غير تكبير وبالقياس على الأطراف وعندنا يقتل الحر بالعبد لقوله تعالى أن النفس بالنفس فإن
شريعة من قبلنا إذا قصت علينا من غير دلالة على نسخها فالعمل بها واجب على أنها شريعة لنا ولأن
القصاص يعتمد المساواة في العصمة وهي بالدين أو بالدار وهما سيان فيهما وقرئ كتب على البناء
للفاعل ونصب القصاص (فمن عني له من أخيه شيء) أي شيء من العفو لأن عفا لازم وفائدته الإشعار
بأن بعض العفو بمنزلة كله في إسقاط القصاص وهو الواقع أيضاً في العادة إذ كثيراً ما يقع العفو من
بعض الأولياء فهو شيء من العفو وقيل معنى عني ترك شيء مفعول به وهو ضعيف إذ لم يثبت
عفا بمعنى تركه بل أعفاه وحمل العفو على المحو كما في قول من قال [ديار عفاها جور كل معاند]
وقوله [عفاها كل حنان * كثير الوبل هطال] فيكون المعنى فمن عني له من أخيه شيء صرف للعبارة
المتدولة في الكتاب والسنة عن معناها المشهور المعهود إلى ما ليس بمعهود فيهما وفي استعمال الناس فإنهم
لا يستعملون العفو في باب الجنایات إلا فيما ذكر من قبل وعفا يعدى بعن إلى الجاني والذنب قال تعالى
عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فإذا تعدى إلى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى كأنه قيل فمن عني له عن
جنايته من جهة أخيه يعنى ولي الدم وإيراده بعنوان الأخوة الثابتة بينهما بحكم كونهما من بني آدم عليه
السلام لتحريك سلسلة الرقة والعطف عليه (فاتباع بالمعروف) فالأمر اتباع أو فليكن اتباع والمراد

وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ٢ البقرة
كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ
حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ ٢ البقرة

- وصية العاني بالمساحة ومطالبة الدية بالمعروف من غير تعسف وقوله عز وجل (وأداء إليه بإحسان) حث
- للدفع عنه على أن يؤديها بإحسان من غير مماثلة وبخس (ذلك) أي ما ذكر من الحكم (تخفيف من
- ربكم ورحمة) لما فيه من التسهيل والنفع وقيل كتب على اليهود القصاص وحده وحرم عليهم العفو والدية
- وعلى النصارى العفو على الإطلاق وحرم عليهم القصاص والدية وخيرت هذه الأمة بين الثلاث تيسيراً
- عليهم وتنزيلاً للحكم على حسب المنازل (فمن اعتدى بعد ذلك) بأن قتل غير القاتل بعد ورود هذا الحكم
- أو قتل القاتل بعد العفو أو أخذ الدية (فله) باعتدائه (عذاب أليم) أما في الدنيا فبالاقتصاص بما قتله
- ١٧٩ يغير حق وأما في الآخرة فبالنار (ولكم في القصاص حياة) بيان لمحاسن الحكم المذكور على وجه بديع
- لاتنال غايته حيث جعل الشيء محلاً لضده وعرف القصاص ونكر الحياة ليدل على أن في هذا الجنس
- نوعاً من الحياة عظيماً لا يبلغه الوصف وذلك لأن العلم به يردع القاتل عن القتل فيقتسب حياة نفسه ولأنهم
- كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتشور الفتنة بينهم فإذا اقتصر من القاتل سلم الباقيون فيكون
- ذلك سبباً لحياتهم وعلى الأول فيه إضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بالحياة هي الآخروية فإن
- القاتل إذا اقتصر منه في الدنيا لم يؤخذ به في الآخرة والظرفان إما خبران لحياة أو أحدهما خبر والآخر
- صلة له أو حال من المستكن فيه وقرئ في القصص أي فيما قص عليكم من حكم القتل حياة أو في القرآن
- حياة للقلوب (يا أولى الألباب) أي ذوى العقول الخالصة عن شوب الأوهام خوطبوا بذلك بعد
- ما خوطبوا بعنوان الإيمان بتشيطاً لهم إلى التأمل في حكمة القصاص (لعلكم تتقون) أي تقون أنفسكم من
- المساهلة في أمره والإهمال في المحافظة عليه والحكم به والإذعان له أو في القصاص فتكفوا عن القتل المؤدى
- إليه (كتب عليكم) بيان لحكم آخر من الأحكام المذكورة (إذا حضر أحدكم الموت) أي حضر أسبابه
- وظهر أماراته أو دنا نفسه من الحضور وتقديم المفعول لإفادة كمال تمكن الفاعل عند النفس وقت
- وروده عليها (إن ترك خيراً) أي مالا وقيل مالا كثيراً لما روى عن علي رضي الله عنه أن مولى له أراد
- أن يوصي وله سبعة مائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى إن ترك خيراً أو إن هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك وعن
- عائشة رضي الله عنها أن رجلاً أراد الوصية وله عيال وأربع مائة دينار فقالت ما أرى فيه فضلاً وأراد آخر
- أن يوصي فسألته كم مالك فقال ثلاثة آلاف درهم قالت كم عيالك قال أربعة قالت إنما قال الله تعالى إن ترك
- خيراً وإن هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك (الوصية الوالدين والأقربين) مرفوع بكتب آخر عما بينهما
- لما مر مرار وإيثار تذكير الفعل مع جواز تأنيثه أيضاً للفصل أو على تأويل أن يوصى أو الإيصاء ولذلك
- ذكر الضمير في قوله تعالى فمن بدله بعد ما سمعه وإذا ظرف محض والعامل فيه كتب لكن لا من حيث

فَمَنْ بَدَلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَأَنَّمَا إِنَّمَا عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ البقرة

- صدور الكتب عنه تعالى بل من حيث تعلقه بهم تعلقاً فعلياً مستتباً لوجوب الأداء كما ينبى عنه البناء للفعول وكتابة الإيجاب ولا مساع لجعل العامل هو الوصية لتقدمه عليها وقيل هو مبتدأ خبره الوالدين والجملة جواب الشرط بإضمار الفاء كما في قوله [من يفعل الحسنات الله يشكرها] ورد بأنه إن صح فن ضرورة الشعر ومعنى كتب فرض وكان هذا الحكم في بدء الإسلام ثم نسخ عند نزول آية الموارث بقوله عليه السلام إن الله قد أعطى كل ذى حق حقه إلا وصية لوارث فإنه وإن كان من أخبار الآحاد لكن حيث تلقته الأمة بالقبول انتظم في سلك المتواتر في صلاحيته للنسخ عند أئمتنا على أن التحقيق أن النسخ حقيقة هي آية الموارث وإنما الحديث مبين لجهة نسخها ببيان أنه تعالى كان قد كتب عليكم أن تؤدوا إلى الوالدين والأقربين حقوقهم بحسب استحقاقهم من غير تبين لمراتب استحقاقهم ولا تعيين لمقادير أنصابتهم بل فوض ذلك إلى آرائكم حيث قال (بالمعروف) أى بالعدل فالآن قدر فع ذلك الحكم عنكم لتبيين طبقات استحقاق كل واحد منهم وتعيين مقادير حقوقهم بالذات وأعطى كل ذى حق منهم حقه الذى يستحقه بحكم القرابة من غير نقص ولا زيادة ولم يدع ثمة شيئاً فيه مدخل لرأيكم أصلاً حسبما يعرب عنه الجملة المنفية بلا النافية للجنس وتصديرها بكلمة التنبيه لإذاتحقق هذا ظهر لك أن ما قيل من أن آية الموارث لا تعارضه بل تحققه وتؤكد من حيث أنها تدل على تقديم الوصية مطلقاً والحديث من الآحاد وتلقى الأمة إياه بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما أوصى به الله عز وجل من توريث الوالدين والأقربين بقوله تعالى يوصيكم الله أو بإيصال المحتضر لهم بتوفير ما أوصى به الله تعالى عليهم بمعزل من التحقيق وكذا ما قيل من أن الوصية للوارث كانت واجبة بهذه الآية من غير تعيين لأنصابتهم فلما نزلت آية الموارث بياناً للانصباء بلفظ الإيصال فهم منها بتنبية النبي ﷺ أن المراد منه هذه الوصية التى كانت واجبة كانه قيل إن الله تعالى أوصى بنفسه تلك الوصية ولم يفوضها إليكم فقام الميراث مقام الوصية فكان هذا معنى النسخ لا أن فيها دلالة على رفع ذلك الحكم فإن مدلول آية الوصية حيث كان تفويضاً للأمر إلى آراء المكلفين على الإطلاق وتسنى الخروج عن عمدة التكليف بأداء ما أدى إليه آراؤهم بالمعروف فتكون آية الموارث الناطقة بمراتب الاستحقاق وتفاصيل مقادير الحقوق القاطعة بامتناع الزيادة والنقص بقوله تعالى فريضة من الله ناسخة لها رافعة لحكمها بما لا يشتبه على أحد وقوله تعالى (حقاً على المتقين) مصدر مؤكد أى حق ذلك حقاً (فمن بدله) أى غيره من الأوصياء ١٨١ والشهود (بعد ما سمعه) أى بعد ما وصل إليه وتحقق لديه (فإنما إنهم) أى إنهم الإيصال المغير أو إثم التبديل (على الذين يبذلونه) لأنهم خانوا وخالفوا حكم الشرع ووضع الموصول في موضع الضمير الراجع إلى من لتأكيد الإيذان بعلية ما في حيز الصلة الأولى وإيثار الجمع للإشعار بتعداد المبدلين أنواعاً أو كثرتهم أفراداً والإيذان بشمول الإثم لجميع الأفراد (إن الله سميع عليم) وعيد شديد للمبدلين

فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ البقرة
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ البقرة
أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ
طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ البقرة

- ١٨٢ (فمن خاف من موص) أى توقع وعلم من قولهم أخاف أن يرسل السماء وقرىء من موص (جنفاً) أى ميلاً بالخطأ فى الوصية (أو إثمًا) أى تعمدًا للجنف (فأصلح بينهم) أى بين الموصى لهم بإجرائهم على منهاج الشريعة الشريفة (فلا إثم عليه) أى فى هذا التبديل لأنه تبديل باطل إلى حق بخلاف الأول (إن الله غفور رحيم) وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الإثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام) بيان لحكم آخر من الأحكام الشرعية وتكرير النداء لإظهار مزيد الاعتناء والصيام والصوم فى اللغة الإمساك عما تنزع إليه النفس ومنه قوله تعالى إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم الآية وقيل هو الإمساك عن الشيء مطلقاً ومنه صامت الريح إذا أمسكت عن الهبوب والفرس إذا أمسكت عن العدو قال [خيل صيام وخيل غير صائمة ه تحت العجاج وأخرى تعلك اللججا] وفى الشريعة هو الإمساك نهاراً مع النية عن المفطرات المعهودة التى هى معظم ما تشتهيه النفس (كما كتب) فى حيز النصب على أنه نعت للمصدر المؤكد أى كتاباً كائناً كما كتب أو على أنه حال من المصدر المعرفة أى كتب عليكم الصيام المكتب مشبهاً بما كتب فما على الوجهين مصدرية أو على أنه نعت لمصدر من لفظ الصيام أى صوماً مماثلة للصوم المكتوب على من قبلكم فما موصولة أو على أنه حال من الصيام
- أى حال كونه مماثلاً لما كتب (على الذين من قبلكم) من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والائمه من لدن آدم عليه السلام وفيه تأكيد للحكم وترغيب فيه وتطيب لآنف المحاطين به فإن الشاق إذا عم سهل عمله والمراد بالمماثلة إما المماثلة فى أصل الوجوب وإما فى الوقت والمقدار كما يروى أن صوم رمضان كان مكتوباً على اليهود والنصارى أما اليهود فقد تركته وصامت يوماً من السنة زعموا أنه يوم غرق فرعون وكذبوا فى ذلك فإنه كان يوم عاشوراء وأما النصارى فإنهم صاموا رمضان حتى صادفوا أحراً شديداً فاجتمعت آراء علمائهم على تعيين فصل واحد بين الصيف والشتاء فجعلوه فى الربيع وزادوا عليه عشرة أيام كفارة لما صنعوا فصار أربعين ثم مرض ملكهم أو وقع فيهم موتان فزادوا عشرة أيام فصار خمسين (لعلكم تتقون) أى المعاصى فإن الصوم يكسر الشهوة الداعية إليها كما قال عليه الصلاة والسلام فعليه بالصوم فإن الصوم له وجاء أو تتقون الإخلال بأدائه لأصاليته أو تصلون بذلك إلى رتبة التقوى .
- ١٨٤ (أياماً معدودات) مؤقنات بعدد معلوم أو قلائل فإن القليل من المال يعد عدداً والكثير يهال هيلاً والمراد بها إمار رمضان أو ما وجب فى بدء الإسلام ثم نسخ به من صوم عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر وانتصابه

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ سورة البقرة

- ليس بالصيام كما قيل لوقوع الفصل بينهما بأجنبي بل بمضمر دل هو عليه أعنى صوموا إما على الظرفية أو المفعولية اتساعاً وقيل بقوله تعالى كتب على أحد الوجهين وفيه أن الأيام ليست محلاً له بل المكتوب فلا تتحقق الظرفية ولا المفعولية المتفرعة عليها اتساعاً (فمن كان منكم مريضاً) أى مرضاً يضرب الصوم ● أو يعسر معه (أو على سفر) مستمرين عليه وفيه تلويح ورمز إلى أن من سافر في أثناء اليوم لم يفطر ● (فعدة) أى فعلية صوم عدة أيام المرض والسفر (من أيام آخر) إن أفطر لحذف الشرط والمضاف ● ثقة بالظهور وقرئ بالنصب أى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب وإليه ذهب الظاهرية وبه قال أبوهريرة رضى الله عنه (وعلى الذين يطبقونه) أى وعلى المطيقين للصيام إن أفطروا ● (فدية) أى إعطاء فدية وهى (طعام مسكين) وهو نصف صاع من بر أو من غيره عند أهل العراق ● ومد عند أهل الحجاز وكان ذلك فى بدء الإسلام لما أنه قد فرض عليهم الصوم وما كانوا متعددين له فاشتد عليهم فخص لهم فى الإفطار والفدية وقرئ يطبقونه أى يكفونه أو يقلدونه ويتطوقونه ويتطوقونه بإدغام التاء فى الطاء ويطبقونه بمعنى يتطيقونه وأصلهما يطوقونه ويتطوقونه من فاعل وتفعيل من الطوق فأدغمت الياء فى الواو بعد قلبها ياء كة ولهم تدبر المكان وما بها ديار وفيه وجهان أحدهما نحو معنى يطبقونه والثانى يكفونه أو يتكفونه على جهد منهم وعسروهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء الإفطار والفدية وهو حينئذ غير منسوخ ويجوز أن يكون هذا معنى يطبقونه أى يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم (فمن تطوع خيراً) فزاد فى الفدية (فهو) أى التطوع أو الخير الذى تطوعه (خيراً) وأن تصوموا ● أيها المطيقون أو المطوقون وتحملوا على أنفسكم وتجهدوا طاقتكم أو المرخصون فى الإفطار من المرضى والمسافرين (خير لكم) من الفدية أو من تطوع الخير أو منهما أو من التأخير إلى أيام آخر والانتفاء إلى الخطاب للهز والتشبيط (إن كنتم تعلمون) أى ما فى صومكم مع تحقق المبيع الإفطار من الفضيلة والجواب ● محذوف ثقة بظهوره أى اخترتموه أو سارتم إليه وقيل معناه إن كنتم من أهل العلم والتدبير علمتم أن الصوم خير من ذلك (شهر رمضان) مبتدأ سياتى خبره أو خبر لمبتدأ محذوف أى ذلك شهر رمضان أو ١٨٥ بدل من الصيام على حذف المضاف أى صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على إضمار صوموا أو على أنه مفعول تصوموا أو بدل من أياما معدودات ورمضان مصدر مرض أى احترق من الرمضاء فأضيف إليه الشهر وجعل علماً ومنع الصرف للتعريف والالف والنون كما قيل ابن داية للغراب فقوله عليه السلام من صام رمضان الحديث وأراد على حذف المضاف للأمن من الالتباس وإنما سمي بذلك إما لارتماضهم فيه من الجوع والعطش أو لارتماض الذنوب بالصيام فيه أو لوقوعه فى أيام رمض الحر عند

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ
يُرْشَدُونَ ﴿١٨٦﴾ البقرة

- نقل اسماء المشهور عن اللغة القديمة (الذي أنزل فيه القرآن) خبر للبستدأ على الوجه الأول وصفة لشهر رمضان على الوجوه الباقية ومعنى إنزاله فيه أنه ابتدئ إنزاله فيه وكان ذلك ليلة القدر أو أنزل فيه جملة إلى السماء الدنيا ثم نزل منجماً إلى الأرض حسبما تقتضيه المشيئة الربانية أو أنزل في شأنه القرآن وهو قوله عز وجل كتب عليكم وعن النبي ﷺ نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين منه والإنجيل لثلاث عشرة منه والقرآن لأربع وعشرين (هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) حالان من القرآن أى أنزل حال كونه هدية للناس بما فيه من الإعجاز وغيره وآيات واضحة
- مرشدة إلى الحق فارقة بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والأحكام (فمن شهد منكم الشهر) أى حضر فيه ولم يكن مسافراً ووضع الظاهر موضع الضمير للتعظيم والمبالغة في البيان والفاء للتفريع والترتيب أو لتضمن المبتدأ معنى الشرط أو زائدة على تقدير كون شهر رمضان مبتدأ والموصول صفة له وهذه الجملة خبر له وقيل هى جزائية كأنه قيل لما كتب عليكم الصيام في ذلك الشهر فمن حضر فيه (فليصمه) أى فليصم فيه بحذف الجار وإيصال الفعل إلى المجرور اتساعاً وقيل من شهد منكم هلال الشهر فليصمه على أنه مفعول به كقولك شهدت الجمعة أى صلاتها فيكون مابعد مخصصاً له كأنه قيل (ومن كان مريضاً)
- وإن كان مقيماً حاضراً فيه (أو على سفر) وإن كان صحيحاً (فعدة من أيام أخر) أى فعلية صيام أيام أخر لأن المريض والمسافر ممن شهد الشهر ولعل التكرير لذلك أو لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه (بريد الله) بهذا الترخيص (بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) لغاية رأفته وسعة رحمته (ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون) علل لفعل محذوف يدل عليه ما سبق أى ولهذه الأمور شرع مأمور من أمر الشاهد بصوم الشهر وأمر المرخص لهم بمراعاة عدة ما أفطروه ومن الترخيص في إباحة الفطر فقوله تعالى لتكملوا عدة الأمر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما عليه من كيفية القضاء ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وتعدية فعل التكبير بعلى لتضمنه معنى الحمد كأنه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ويجوز أن تكون معطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم أو لتعلموا ما تعملون ولتكملوا الخ ويجوز عطفها على اليسر أى يريد بكم لتكملوا الخ كقوله تعالى يريدون ليطفئوا الخ والمعنى بالتكبير تعظيمه تعالى بالحمد والشاء عليه وقيل تكبير يوم العيد وقيل التكبير عند الإلهال وما تحتل المصدرية
- ١٨٦ والموصولة أى على هدايته إياكم أو على الذي هداكم إليه وقرئ ولتكملوا بالثبديد (وإذا سأل عبادي عني) في تلوين الخطاب وتوجيهه إلى رسول الله ﷺ ما لا يخفى من تشریفه ورفع محله (فإنى قريب) أى فقل لهم إنى قريب وهو تمثيل لكمال علمه بأفوال العباد وأقوالهم وإطلاعه على أحوالهم بحال من قرب مكانه روى أن أعرابياً قال لرسول الله ﷺ أقرب ربنا فتناجيه أم بعيد فتناديه فنزلت (أجيب دعوة

أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْبَيْتِ وَلَا تَبْشِرُوا هُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ البقرة

- الداع إذا دعان (تقرير للقرب وتحقيق له ووعده للداعى بالإجابة) فليستجيبوا (الى) إذا دعوتهم للإيمان والطاعة كما أجيبهم إذا دعوني لمهامهم (وليؤمنوا بي) أمر بالثبات على ما هم عليه (لعلمهم يرشدون) راجعين إصابة الرشد أى الحق وقرىء بفتح الشين وكسرها ولما أمرهم الله تعالى بصوم الشهر ومرعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الكريمة الدالة على أنه تعالى خير بأحوالهم سميع لا قواهم مجيب لدعائهم مجازيهم على أعمالهم تأكيداً له وحثاً عليه ثم شرع في بيان أحكام الصيام فقال (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) روى أن المسلمين كانوا إذا أمسوا حل لهم الأكل والشرب والجماع إلى أن يصلوا العشاء الأخيرة أو يرقدوا ثم إن عمر رضى الله عنه باشر بعد العشاء فتندم وأتى النبي ﷺ واعتذر إليه فقام رجال فاعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت . ليلة الصيام الليلة التي يصبح منها صائماً والرفث كناية عن الجماع لأنه لا يكاد يخلو من رفث وهو الإفصاح بما يجب أن يكنى عنه وعدى إلى لتضمنه معنى الإفضاء والإنهاء وإشارته ههنا لاستقباح ما ارتكبه ولذلك سمى خيانة وقرىء الرفوث وتقديم الظرف على القائم مقام الفاعل لما مر مراراً من التشويق فإن ما حقه التقديم إذا أخرجت النفس مترتبة إليه فيتمكن عندها وقت وروده فضل تمكن (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) استئناف مبين لسبب الإحلال وهو صعوبة الصبر عنهن مع شدة المخالطة وكثرة الملابس بهن وجعل كل من الرجل والمرأة لباساً للآخر لا اعتناقهما واشتغال كل منهما على الآخر بالليل قال [إذا ما الضجيع ثنى عطفها] تثنت فكانت عليه لباساً [أو لأن كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور] علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم (استئناف آخر مبين لما ذكر من السبب والاختيان أبلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب ومعنى تختانون تطلبونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب (فتاب عليكم) عطف على علم أى تاب عليكم لما تبتم بما اقترتموه (وعفا عنكم) أى محاذرة عنكم (فالآن) لما نسخ التحريم (باشروهن) المباشرة إلزاق البشرة بالبشرة كنى بها عن الجماع الذى يستلزمها وفيه دليل على جواز نسخ الكتاب للسنة (وابتغوا ما كتب الله لكم) أى واطلبوا ما قدره الله لكم وقرره في اللوح من الولد وفيه أن المباشر ينبغى أن يكون غرضه الولد فإنه الحكمة في خلق الشهوة وشرع النكاح لإفضاء الشهوة وقيل فيه نهى عن العزل وقيل عن غير المأتى والتقدير وابتغوا المحل الذى كتب

وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٨﴾ البقرة

- الله لكم (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخطيط الأبيض من الخطيط الأسود من الفجر) شبه أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق وما يمتد معه من غلس الليل بخيطين الأبيض والأسود واكتفى ببيان الخطيط الأبيض بقوله تعالى من الفجر عن بيان الخطيط الأسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة إلى التمثيل ويجوز أن يكون من للتبعض فإن ما يبدو بعض الفجر وما روى من أنها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال إلى خيطين أبيض وأسود وطفقوا يأكلون ويشربون حتى يتبيننا لهم فنزلت فلعل ذلك كان قبل دخول رمضان وتأخير البيان إلى وقت الحاجة جائز أو اكتفى أولاً باشتارهما في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة إلى الصبح دلالة على جواز تأخير الغسل إليه وصحة صوم من أصبح جنباً (ثم أتوا الصيام إلى الليل) بيان لآخر وقته (ولا تبشروهن وأتم عاكفون في المساجد) أى معتكفون فيها والمراد بالمباشرة الجماع وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج إلى امرأته فيبشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على أن الاعتكاف يكون في المسجد غير مختص ببعض دون بعض وأن الوطء فيه حرام ومفسد له لأن النهى في العبادات يوجب الفساد (تلك حدود الله) أى الأحكام المذكورة حدود وضعها الله تعالى لعباده (فلا تقربوها) فضلاً عن تجاوزها نهى أن يقرب الحد الحائز بين الحق والباطل مبالغته في النهى عن تخطيها كما قال ﷺ إن لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فنرتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه ويجوز أن يراد بحدود الله تعالى محارمه ومناهيه (كذلك) أى مثل ذلك التبیین البليغ (بين الله آياته) الدالة على الأحكام التي شرعها (للناس لعلمهم يتقون) مخالفة أمره ونواهيه (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) نهى عن أكل بعضهم أموال بعض على خلاف حكم الله تعالى بعد النهى عن أكل أموال أنفسهم في نهار رمضان أى لا يأكل بعضهم أموال بعض بالوجه الذي لم يبيحه الله تعالى وبين نصب على الظرفية أو الحالية من أموالكم (وتدلوها إلى الحكام) عطف على المنهى عنه أو نصب بإضمار أن والإدلاء الإلقاء أى ولا تلقوا حكو منها إلى الحكام (لتأكلوا) ● بالتحاكم إليهم (فريقاً من أموال الناس بالإثم) بما يوجب إثماً كشهادة الزور واليمين الفاجرة أو متلبسين بالإثم (وأنتم تعلمون) أنكم مبطلون فإن ارتكاب المعاصي مع العلم بها أقبح . روى أن عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة أرض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله ﷺ بأن يحلف امرؤ القيس فهم به فقرأ عليه الصلاة والسلام إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً الآية فارتدع عن اليمين فسلم الأرض إلى عبدان فنزلت . وروى أنه اختصم إليه خصمان فقال عليه السلام إنما أنا بشر مثلكم وأنتم تختصمون إلي ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع منه فن قضيت له بشيء من حق أخيه وإنما أقضى له قطعة من نار فبكيا فقال كل واحد منهما حق لصاحبي

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَأَتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ٢ البقرة

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ٢ البقرة

- فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه (يسألونك عن الاهلة) سأله معاذ ١٨٩
ابن جبل و ثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو رقيقاً كالخيط ثم يزيد حتى يستوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ (قل هي مواقيت للناس والحج) كانوا قد سألوه عليه الصلاة والسلام عن الحكمة في اختلاف ●
حال القمر وتبدل أمره فأمره الله العزيز الحكيم أن يجيبهم بأن الحكمة الظاهرة في ذلك أن تكون معالم للناس في عبادتهم لاسيما الحج فإن الوقت مراعى فيه أداء وقضاء وكذا في معاملاتهم على حسب ما يتفقون عليه والمواقيت جمع ميعات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان أن المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها إلى منتهاها والزمان مدة مقسومة إلى الماضي والحال والمستقبل والوقت الزمان المفروض لأمر (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) كانت الأنصار إذا أحرموا لم يدخلوا داراً ولا فسطاطاً ●
من بابه وإنما يدخلون ويخرجون من نقب أو فرجة ورامها ويعدون ذلك برأفين لهم أنه ليس ببر فقيل (ولكن البر من اتقى) أى بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله أنهم سألوا عن الأمرين ●
أو أنه لما ذكر أنها مواقيت للحج ذكر عقيبها ما هو من أفعالهم في الحج استطراداً أو أنهم لما سألوا عما لا يعنهم ولا يتعلق بعلم النبوة فإنه عليه الصلاة والسلام مبعوث لبيان الشرائع لايبيان حقائق الأشياء وتركوا السؤال عما يعنهم ويختص بعلم الرسالة عقب بذكره جواب ما سألوا عنه تنبيهاً على أن اللائق بهم أن يسألوا عن أمثال ذلك ويهتموا بالعلم بها أو أريد به التنبيه على تعكيسهم في السؤال وكونه من قبيل دخول البيت من ورائه والمعنى وليس البر بأن تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك ولم يجترأ على مثله (وأتوا البيوت من أبوابها) إذ ليس في العدول برأو باشروا الأمور من وجوها ●
(واتقوا الله) في تغيير أحكامه أو في جميع أموركم أمر بذلك صريحاً بعد بيان أن البر بر من اتقى ●
إظهاراً لزيادة الاعتناء بشأن التقوى وتمهيداً لقوله تعالى (لعلمكم تفلحون) أى لكى تظفروا بالبر ●
والهدى (وقاتلوا في سبيل الله) أى جاهدوا لإعزاز دينه وإعلاء كلمته وتقديم الظرف على المفعول ١٩٠ ●
الصريح لإبراز كمال العناية بشأن المقدم (الذين يقاتلونكم) قيل كان ذلك قبل ما أمروا بقتال المشركين ●
كافة المقاتلين منهم والمهاجرين وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والراهبنة والنساء أو الكفرة جميعاً فإن الكل بصدد قتال المسلمين ويؤيد الأول ما روى أن المشركين صدوا رسول الله ﷺ عام الحديبية وصالحوه على أن يرجع من قابل فيخلوا له مكة شرفها الله تعالى ثلاثة أيام فرجع لعمره القضاء بخاف المسلمون أن لا يفوالهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ويعضده لإيراده في أثناء بيان أحكام الحج (ولا تعتدوا) بابتداء

وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ
عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقْتَلُوا فِيهِ فَإِن قَتَلْتُمُوهُمْ فَافْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ البقرة

فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ البقرة

وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ البقرة
الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ مَّنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ
مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ البقرة

- القتال أو بقتال المعاهد والمفاجأة به من غير دعوة أو بالمثلة وقتل من نهيتهم عن قتله من النساء والصبيان
١٩١ ومن يجرى مجراهم (إن الله لا يحب المعتدين) أى لا يريد بهم الخير وهو تعليل للنهى (واقتلوهم حيث
ثقفتموهم) أى حيث وجدتموهم من حل أو حرم وأصل الثقف الحذق فى إدراك الشيء علماً أو عملاً
وفيه معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال [فإما تثقفونى فاقتلونى * فمن أثقف فليس إلى خلود]
● (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) أى من مكة وقد فعل بهم ذلك يوم الفتح بمن لم يسلم من كفارها
● (والفتنة أشد من القتل) أى المحنة التى يفتن بها الإنسان كالإخراج من الوطن أصعب من القتل
● لدوام تعبها وبقاء تألم النفس بها وقيل شركهم فى الحرم وصددهم لكم عنه أشد من قتلهم إياهم فيه (ولا
تقاتلوهم عند المسجد الحرام) أى لا تقاتلوهم بالقتل هناك ولا تهتكوا حرمة المسجد الحرام (حتى يقاتلوكم
● فيه فإن قاتلوكم) ثمة (فاقتلوهم) فيه ولا تبالوا بقتالهم ثمة لأنهم الذين هتكوا حرمة فاستحقوا أشد العذاب
وفى العدول عن صيغة المفاعلة التى بها ورد النهى والشرط عدة بالنصر والغلبة وقرىء ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم
● فإن قتلوكم فاقتلوهم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو أسد (كذلك جزاء الكافرين) يفعل بهم مثل
١٩٢ ما فعلوا بغيرهم (فإن انتهوا) عن القتال والكفر بعد ما رآوا قتالكم (فإن الله غفور رحيم) يغفر لهم ما قد سلف
١٩٣ (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) أى شرك (ويكون الدين لله) خالصاً ليس للشيطان فيه نصيب (فإن انتهوا)
● بعدمقاتلتكم عن الشرك (فلا عدوان إلا على الظالمين) أى فلا تعتدوا عليهم إذ لا يحسن الظلم إلا لمن ظلم
فوضع الالة موضع الحكم وتسمية الجزاء بالعدوان للشاكلة كما فى قوله عز وجل فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه أو أنكم إن تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وتنعكس الحال عليكم والفاء الأولى للتعقيب والثانية للجزاء
١٩٤ (الشهر الحرام بالشهر الحرام) قاتلوهم المشركون عام الحديبية فى ذى القعدة فقبل لهم عند خروجهم لعمرة
القضاء فى ذى القعدة أيضاً وكراهتهم القتال فيه هذا الشهر الحرام بذلك الشهر الحرام وهتك بهتكم فلا
● تبالوا به (والحرمت قصاص) أى كل حرمة وهى ما يجب المحافظة عليه يجرى فيها القصاص فلما هتكوا
● حرمة شهركم بالصدف فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة فاقتلوهم إن قاتلوكم كما قال تعالى (فمن اعتدى

وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ البقرة
وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ
الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ
نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ
أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ البقرة

- عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) وهو فذلكم مقرر لما قبلها (واتقوا الله) في شأن الانتصار
- واحذروا أن تعتدوا إلى ما لم يرخص لكم (واعلموا أن الله مع المتقين) فيحرسهم ويصلح شئونهم بالنصر
- والتمكين (وانفقوا في سبيل الله) أمر بالجهاد بالمال بعد الأمر به بالأنفس أى ولا تمسكوا كل الإمساك ١٩٥
- (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) بالإسراف وتضييع وجه المعاش أو بالكف عن الغزو والإنفاق فيه
- فإن ذلك مما يقوى العدو ويسلطهم عليكم ويؤيده ماروى عن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه أنه قال لما أعز الله الإسلام وكثر أهله رجعنا إلى أهالينا وأموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت أو بالإمساك وحب المال فإنه يؤدى إلى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكاً وهو فى الأصل انتهاء الشيء فى الفساد والإلقاء طرح الشيء وتعديته إلى لتضمنه معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالأيدي الأنفس والتهلكة مصدر كالنصرة والنسرة وهى والهلك والهلاك واحد أى لا توقعوا أنفسكم فى الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها
- آخذة بأيديكم أو لا تلقوا بأيديكم أنفسكم إليها لحذف المفعول (وأحسنوا) أى أعمالكم وأخلاقكم أو
- تفضلوا على الفقراء (إن الله يحب المحسنين) أى يريد بهم الخير وقوله تعالى (وأتموا الحج والعمرة لله) ١٩٦
- بيان لوجوب إتمام أفعالهما عند التصدي لأدائهما وإرشاد للناس إلى تدارك ما عسى يعتريهم من العوارض المحلة بذلك من الإحصار ونحوه من غير تعرض لحالهما فى أنفسهما من الوجوب وعدمه كما فى قوله تعالى ثم أتموا الصيام إلى الليل فإنه بيان لوجوب مد الصيام إلى الليل من غير تعرض لوجوب أصله وإنما هو بقوله تعالى كتب عليكم الصيام الآية كما أن وجوب الحج بقوله تعالى والله على الناس حج البيت الآية فإن الأمر بإتمام فعل من الأفعال ليس أمراً بأصله ولا مستلزماً له أصلاً فليس فيه دليل على وجوب العمرة قطعاً وادعاء أن الأمر بإتمامهما أمر بإنشائهما تامين كاملين حسبما تقتضيه قراءة وأقيموا الحج والعمرة وأن الأمر للوجوب مالم يدل على خلافه دليل بما لا سداد له ضرورة أن ليس البيان مقصوراً على أفعال الحج المفروض حتى يتصور ذلك بل الحق أن تلك القراءة أيضاً محمولة على المشهورة ناطقة بوجوب إقامة أفعالها كما ينبغى من غير تعرض لحالهما فى أنفسهما فالمعنى أكملوا أركانها وشرائطها وسائر أفعالها المعروفة شرعاً لوجه الله تعالى من غير إخلال منكم بشيء منها . هذا وقد قيل لإتمامهما أن تحرم

- بهما من دويبة أهلك روى ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم وقيل أن تفرد لكل واحد منها سفرأ كما قال محمد حجة كوفية وعمرة كوفية أفضل وقيل هو جعل نفقتهما حلالا وقيل أن تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشيء من الأغراض الدنيوية وأيا ما كان فلا تعرض في الآية الكريمة لوجوب العمرة أصلا وأما ما روى أن ابن عباس رضى الله عنهما قال إن العمرة لقرينة الحج وقول عمر رضى الله عنه هديت لسنة نبيك حين قال له رجل وجدت الحج العمرة مكتوبين على أهلت بهما وفي رواية فأهلت بهما جميعاً فبمعزل من إفادة الوجوب مع كونه معارضاً بما روى عن جابر أنه قال يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن أن تعتمر خير لك وبقوله عليه السلام الحج جهاد والعمرة تطوع فتدبر (فإن أحصرتم) أى منعتم من الحج يقال حصره العدو وأحصره إذا حبسه ومنعه من المضى لوجهه مثل صده وأصدده والمراد منع العدو عند مالك والشافعى رضى الله عنهما لقوله تعالى فإذا أمنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس لا حصر إلا حصر العدو وكل منع من عدو أو مرض أو غيرهما
- عند أبي حنيفة رضى الله عنه لما روى عن النبي ﷺ من كسر أو عرج فعليه الحج من قابل (فما استيسر من الهدى) أى فعليكم أو قالوا يجب ما استيسر أو فاهدوا ما استيسر والمعنى أن المحرم إذا أحصر وأراد أن يتحلل تحلل بذبح هدى تيسر عليه من بدنة أو بقرة أو شاة حيث أحصر عند الأكثر وعندنا يبعث به إلى الحرم ويجعل للبعوث بيده يوم أماره فإذا جاء اليوم وظن أنه ذبح تحلل لقوله تعالى (ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله) أى لا تحلقوا حتى تعلموا أن الهدى المبعوث إلى الحرم بلغ مكانه الذى يجب أن ينحر فيه وحمل الأولون بلوغ الهدى محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلالاً كان أو حرماً و مرجعهم في ذلك أن رسول الله ﷺ ذبح عام الحديبية بها وهى من الحل قلنا كان محصره عليه الصلاة والسلام طرف الحديبية الذى إلى أسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهرى أن رسول الله ﷺ نحر هديه في الحرم وقال الواقدي الحديبية هى طرف الحرم على تسعة أميال من مكة والمحل بالكسر يطلق على
- المسكان والزمان والهدى جمع هدية كجدى وجدية وقرىء من الهدى جمع هدية كطى ومطية (فمن كان منكم مريضاً) مرضاً محوجاً إلى الخلق (أو به أذى من رأسه) كجراحة أو قل (فقدية) أى فعليه فدية
- إن حلق (من صيام أو صدقة أو نسك) بيان لجنس الفدية وأما قدرها فقد روى أنه ﷺ قال لكعب بن عجرة لعلك أذاك هو أمك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلاثة أيام أو تصدق بفرق على ستة مساكين
- أو أنسك شاة والفرق ثلاثة أصع (فإذا أمنتم) أى الإحصار أو كنتم في حال أمن أو سعة (فمن تمتع بالعمرة إلى الحج) أى فمن انتفع بالتقرب إلى الله تعالى بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في أشهره وقيل من استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الإحرام إلى أن يحرم بالحج (فما استيسر من الهدى) أى فعليه دم استيسر عليه بسبب التمتع وهو دم جبران يذبحه إذا أحرم بالحج ولا يأكل منه
- عند الشافعى وعندنا هو كالأضحية (فمن لم يجد) أى الهدى (فصيام ثلاثة أيام في الحج) أى في أشهره بين الإحرامين وقال الشافعى في أيام الاشتغال بأعماله بعد الإحرام وقبل التحلل والأحب أن يصوم سابع ذى الحجة وثامنه وتساعه فلا يصح يوم النحر وأيام التشريق (وسبعة إذا رجعت) أى نفرتم وفرغتم من

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْتِيَنَّكُمْ أَلْبَابُ ۖ ﴿١٩٧﴾ البقرة

- أعماله وفي أحد قولي الشافعي إذا رجعتكم إلى أهليكم وقرىء وسبعة بالنصب عطفاً على محل ثلاثة أيام (تلك عشرة) فذلك الحساب وفائدتها أن لا يتوهم أن الواو بمعنى أو كما في قولك جالس الحسن وابن سيرين وأن يعلم العدد جملة كما علم تفصيلاً فإن أكثر العرب لا يعرف الحساب وأن المراد بالسبعة هو العدد المخصوص دون الكثرة كما يراد بها ذلك أيضاً (كاملة) صفة مؤكدة لعشرة تفيد المبالغة في المحافظة على العدد أو مبينة لكمال العشرة فإنها أول عدد كامل إذ به ينتهي الأحاد ويتم مراتبها أو مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدى (ذلك) إشارة إلى التمتع عندنا وإلى الحكم المذكور عند الشافعي (لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عند الشافعي ومن كان مسكنه وراء الميقات عندنا وأهل الحل عند طاوس وغير أهل مكة عند مالك (واتقوا الله) في المحافظة على أوامره ونواهيه لا سيما في الحج (واعلموا أن الله شديد العقاب) لمن لم يتق به كي يصدكم العلم به عن العصيان وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لثبوت المهابة وإدخال الروعة (الحج) أي وقته (أشهر معلومات) معروفة ١٩٧ بين الناس هي شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عندنا وتسعة بليلة النحر عند الشافعي وكله عند مالك ومدار الخلاف أن المراد بوقته وقت إحرامه أو وقت أعماله أو مناسكه أو ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقاً فإن مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة وأبو حنيفة وإن صحح الإحرام به قبل شوال فقد استكرهه وإنما سمي شهرين وبعض شهر أشهر إقامة للبعض مقام الكل أو إطلاقاً للجمع على ما فوق الواحد وصيغة جمع المذكر في غير العقلاء تجيء بالآلف والتاء (فمن فرض فيهن الحج) أي أوجبه على نفسه بالإحرام فيهن أو بالتلبية أو بسوق الهدى (فلا رفت ولا فسوق) أي لا جماع أو فلا خش من الكلام ولا خروج من حدود الشرع بارتكاب المحظورات وقيل بالسباب والتنازع بالألقاب (ولا جدال) أي لا مراء مع الخدم والرفقة (في الحج) أي في أيامه والإظهار في مقام الإضمار لإظهار كمال الاعتناء بشأنه والإشعار بعلّة الحكم فإن زيارة البيت المعظم والتقرب بها إلى الله عز وجل من موجبات ترك الأمور المذكورة وإثارة النفي للمبالغة في النهي والدلالة على أن ذلك حقيق بأن لا يكون فإن ما كان منكراً مستقبهاً في نفسه ففي تضاعيف الحج أقبح كلبس الحرير في الصلاة والتطريب بقراءة القرآن لأنه خروج عن مقتضى الطبع والعادة إلى محض العبادة وقرىء الأولان بالرفع على معنى لا يكون رفت ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الإخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك أن قریشاً كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارفع الخلاف بأن أمروا بأن يقفوا أيضاً بعرفات (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) فيجزي به خير جزاء وهو حث على فعل الخير إثر النهي عن الشر (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) أي تزودوا للمعادكم التقوى فإنه خير زاد وقيل نزلت في أهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ مِنْ عَرْفَتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ البقرة

ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ البقرة

- نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فأمرنا أن يتزودوا ويتقوا الإبرام في السؤال والتثقل على الناس (واتقون يا أولى الألباب) فإن قضية اللب استشعار خشية الله عز وجل وتقواه حثهم على التقوى ثم أمرهم بأن يكون المقصود بذلك هو الله تعالى فيتبرءوا من كل شيء سواه وهو مقتضى العقل المعرى
- ١٩٨ عن شوائب الهوى فلذلك خص بهذا الخطاب أولو الألباب (ليس عليكم جناح أن تبتغوا) أى فى أن تبتغوا أى تطلبوا (فضلا من ربكم) عطاء ورزقا منه أى الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقهم فى الجاهلية يقيمونها أيام مواسم الحج وكانت معاشهم منها فلما جاء الإسلام تأثروا منه
- فزلت (فإذا أفضتم من عرفات) أى دفعتم منها بكثرة من أفضت الماء إذا صببته بكثرة وأصله أفضتم أنفسكم فحذف المفعول حذفه من دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كأذرعات وإنما نون وكسرو فيه علمية وتأنيت لما أن تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذهب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وههنا ليس كذلك لأن التأنيت إما بالناء المذكورة وهى ليست بناء التأنيت وإنما هى مع الألف التى قبلها علامة جمع المؤنث أو بناء مقدرة كما فى سعاد ولا سبيل إليه لأن المذكورة تأبى تقديرها لما أنها كالبدل منها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وإنما سمي الموقف عرفة لأنه نعت لإبراهيم عليه السلام فلما أبصره عرفه أو لأن جبريل عليه السلام كان يدور به فى المشاعر فلما رآه قال عزفت أو لأن آدم وحواء التقيا فيه فتعارقا أو لأن الناس يتعارفون فيه وهى من الأسماء المرتجلة إلا من يجعلها جمع عارف قيل وفيه دليل على وجوب الوقوف بها لأن الإفاضة لا تكون إلا بعده وهى مأمور بها بقوله تعالى ثم أفيضوا وقد قال النبي ﷺ الحج عرفة فمن أدرك عرفة فقد أدرك الحج أو مقدمة للذكر المأمور به وفيه نظر إذ الذكر غير واجب والأمر به غير مطلق (فاذكروا الله) بالتلبية والتلهيل والدعاء وقيل بصلاة العشائين (عند المشعر الحرام) هو جبل يقف عليه الإمام ويسمى قزح وقيل ما بين مازى عرفة ووادى محسر ويؤيد الأول ما روى جابر أنه عليه الصلاة والسلام لما صلى الفجر يعنى بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى أتى المشعر الحرام فدعا فيه وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى أسفر وإنما سمي مشعرا لأنه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمة ومعنى عند المشعر الحرام ما يليه ويقرب منه فإنه أفضل وإلا فالمزدلفة كلها موقف إلا وادى محسر (واذكروه كما هداكم) أى كما علمكم أو اذكروه
- ذكرنا حسنا كما هداكم هداية حسنة إلى المناسك وغيرها وما مصدرية أو كافة (وإن كنتم من قبله) من قبل ما ذكر من هدايته إياكم (لمن الضالين) غير العاملين بالإيمان والطاعة وإن هى المخففة واللام
- ١٩٩ هى الفارقة وقيل هى نافية واللام بمعنى إلا كما فى قوله عز وعلا وإن نظنك لمن الكاذبين (ثم أفيضوا

فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ ﴿٢٠٠﴾ البقرة
وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ البقرة
أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ البقرة

- من حيث أفاض الناس) أى من عرفة لا من المزدلفة والخطاب لقريش لما كانوا يهفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعاً عليهم فأمرُوا بأن يساووهم وهم لتفاوت ما بين الإفاضتين كإلى قولك أحسن إلى الناس ثم لا تحسن إلا إلى كريم وقيل من مزدلفة إلى منى بعد الإفاضة من عرفة إليها والخطاب عام وقرىء الناس بكسر السين أى الناسى على أن يراد به آدم عليه السلام من قوله تعالى ففسى والمعنى أن الإفاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه (واستغفروا الله) من جاهلييتكم فى تغيير المناسك (إن الله غفور رحيم) يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فهو تعليل للاستغفار أو للأمر به (فإذا قضيتُم مناسككم) ٢٠٠ عباداتكم المتعلقة بالحج وفرغتم منها (فاذكروا الله كذكركم آبائكم) أى فاكثرُوا ذكره تعالى وبالغوا فى ذلك كما تفعلون بذكر آبائكم ومفاخرهم وأيامهم وكانت العرب إذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن أيامهم (أو أشد ذكرًا) إما مجرور معطوف على الذكر بجعله ذا كرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله ذكرًا كأنتم مثل ذكركم آبائكم أو كذكر أشد منه وأبلغ أو على ما أضيف إليه بمعنى أو كذكر قوم أشد منكم ذكرًا أو منصوب بالعطف على آبائكم وذكرًا من فعل المذكر بمعنى أو كذكركم أشد مذكور من آبائكم أو بمضمر دل عليه المعنى تقديره أو كونوا أشد ذكرًا لله منكم لآبائكم (فمن الناس) تفصيل للذاكرين إلى من لا يطلب بذكر الله إلا الدنيا وإلى من يطلب به خير الدارين والمراد به الحث على الإكثار والانتظام فى سلك الآخرين (من يقول) أى فى ذكره (ربنا آتنا فى الدنيا) أى اجعل إيتاءنا ومنحتنا فى الدنيا خاصة (وماله فى الآخرة من خلاق) أى من حظ ونصيب لاقتصارهم على الدنيا فهو بيان لحاله فى الآخرة أو من طلب خلاق فهو بيان لحاله فى الدنيا وتأكيده قصر دعائه على المطالب الدنيوية (ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة) هى الصحة والكفاف والتوفيق ٢٠١ للخير (وفى الآخرة حسنة) هى الثواب والرحمة (وقنا عذاب النار) بالعفو والمغفرة وروى عن على رضى الله عنه أن الحسنة فى الدنيا المرأة الصالحة وفى الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء وعن الحسن أن الحسنة فى الدنيا العلم والعبادة وفى الآخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشبهات والذنوب المؤدية إلى النار (أولئك) إشارة إلى الفريق الثانى باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجميلة ٢٠٢ وما فيه من معنى البعد لما مررأ من الإشارة إلى علو درجاتهم وبعد منزلاتهم فى الفضل وقيل إليهما معاً فالتنوين فى قوله تعالى (لهم نصيب مما كسبوا) على الأول للتفخيم وعلى الثانى للتنويع أى لكل منهم نوع نصيب

وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَآتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ البقرة
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ ۖ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ البقرة

- من جنس ما كسبوا أو من أجله كقوله تعالى ما خطيئاتهم أغرقوا أو مادعوا به نعطيهم منه ما قدرناه وتسمية الدعاء كسباً لما أنه من الأعمال (والله سريع الحساب) يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة أعمالهم في مقدار لحظة واحذروا من الإخلال بطاعة من هذا شأن قدرته أو يوشك أن يقيم القيامة ويحاسب الناس فبادروا
- ٢٠٣ إلى الطاعات واكتساب الحسنات (واذكروا الله) أي كبروه في أعقاب الصلوات وعند ذبح القرابين ورمى الجمار وغيرها (في أيام معدودات) هي أيام التشريق (فمن تعجل) أي استعجل في النفر أو النفر فإن التفعّل والاستفعال يجنبان لآزمين ومتعدين يقال تعجل في الأمر واستعجل فيه وتعجله واستعجله
- والأول أوفق للتأخر كما في قوله [قد يدرك المتأني بعض حاجته] وقد يكون من المستعجل الزلل (في يومين) أي في تمام يومين بعد يوم النحر هو يوم القر ويوم الرموس واليوم بعده ينفر إذا فرغ من رمي الجمار (فلا إثم عليه) بتعجله (ومن تأخر) في النفر حتى رمى في اليوم الثالث قبل الزوال أو بعده وعند الشافعي
- بعده فقط (فلا إثم عليه) بما صنع من التأخر والمراد التخيير بين التذجل والتأخر ولا يقدح فيه أفضلية الثاني وإنما ورد بنى الإثم تصريحاً بالرد على أهل الجاهلية حيث كانوا مختلفين فمن مؤثم للمتعجل ومؤثم
- للمتأخر (لمن اتقى) خبر لمبتدأ محذوف أي الذي ذكر من التخيير ونفى الإثم عن المتعجل والمتأخر أو من الأحكام لمن اتقى لأنه الحاج على الحقيقة والمنفعة به أو لأجله حتى لا يتضرر بترك ما يهمله منهما
- (واتقوا الله) في مجامع أموركم بفعل الواجبات وترك المحظورات ليعبأ بكم وتنظموا في سلك المغتصمين بالأحكام المذكورة والرخص أو احذروا الإخلال بما ذكر من الأحكام وهو الأنسب بقوله عز وجل
- (واعلموا أنكم إليه تحشرون) أي للجزاء على أعمالكم بعد الإحياء والبعث وأصل الحشر الجمع وضم المتفرق وهو تأكيد للأمر بالتقوى وموجب للامتثال به فإن من علم بالحشر والمحاسبة والجزاء كان
- ٢٠٤ ذلك من أقوى الدواعي إلى ملازمة التقوى (ومن الناس من يعجبك قوله) تجريد للخطاب وتوجيه له إليه عليه الصلاة والسلام وهو كلام مبتدأ سيق لبيان تحزب الناس في شأن التقوى إلى حزبين وتعيين
- ما ل كل منهما ومن موصولة أو موصوفة وإعرابه كما بين في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر أي ومنهم من يروفك كلامه ويعظم موقعه في نفسه لما تشاهد فيه من ملاءمة الفحوى ولطف
- الأداء والتعجب حيرة تعرض للإنسان بسبب عدم الشعور بسبب ما يتعجب منه (في الحياة الدنيا) متعلق بقوله أي ما يقوله في حق الحياة الدنيا ومعناها فإنها الذي يريده بما يدعيه من الإيمان ومحبة الرسول ﷺ وفيه إشارة إلى أن له قولاً آخر ليس بهذه الصفة أو يعجبك أي يعجبك قوله في الدنيا بحلاوته

وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾ البقرة
وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ البقرة
وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ البقرة

- وفصاحته لا في الآخرة لما أنه يظهر هناك كذبه وقبحه وقيل لما يرهقه من الحبسة واللكنة وأنت خبير بأنه لا مبالغة حينئذ في سوء حاله فإن مآله بيان حسن كلامه في الدنيا وقبحه في الآخرة وقيل معنى في الحياة الدنيا مدة الحياة الدنيا أى لا يصدر منه فيها إلا القول الحسن (ويشهد الله على ما في قلبه) أى بحسب إدعائه حيث يقول الله يعلم أن ما في قلبي موافق لما في لسانى وهو عطف على يعجبك وقرىء ويشهد الله فالمراد بما في قلبه ما فيه حقيقة ويؤيده قراءة ابن عباس رضى الله عنهما والله يشهد على ما في قلبه على أن كلمة على لكون المشهود به مضرراً له فالجملعة اعتراضية وقرىء ويستشهد الله (وهو ألد الخصام) أى شديد العداوة والخصومة للسلبيين على أن الخصام مصدر وإضافة ألد إليه بمعنى في كقوله لم ثبت العذر أو أشد الخصوم لهم خصومة على أنه جمع خصم كصعب وصعاب قيل نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالى رسول الله ﷺ ويدعى الإسلام والمحبة وقيل في المنافقين والجملعة حال من الضمير المجرور في قوله أو من المستكن في يشهد وعطف على ما قبلها على القراءتين المتوسطتين (وإذا تولى) أى من مجلسك وقيل إذا صار والياً (سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل) ٢٠٥ كما فعله الأخنس بشقيف حيث يتهم وأحرق زروعهم وأهلك مواشيهم أو كما يفعله ولادة السوء بالقتل والإتلاف أو بالظلم حتى يمنع الله تعالى بشؤمه القطر فيهلك الحرث والنسل وقرىء ويهلك الحرث والنسل على إسناد الهلاك إليهما عطفاً على سعى وقرىء بفتح اللام وهى لغة وقرىء على البناء للفعول من الإهلاك (والله لا يحب الفساد) أى لا يرضيه ويبغضه ويغضب على من يتعاطاه وهو اعتراض نذيلي (وإذا قيل له) على نهج العظة والنصيحة (اتق الله) واترك ما تبشره من الفساد أو النفاق واحذر سوء مغبته (أخذته العزة بالإثم) أى حملته الأنفة وحمية الجاهلية على الإثم الذى نهى عنه لجأجا وعناداً من قولك أخذته بكذا إذا حملته عليه أو ألزمته إياه (فحسبه جهنم) مبتدأ وخبر أى كافيه جهنم وقيل جهنم فاعل لحسبه ساد مسد خبره وهو مصدر بمعنى الفاعل وقوى لاعتقاده على الفاء الرابطة للجملعة بما قبلها وقيل حسب اسم فعل ماض أى كفته جهنم (ولبئس المهاد) جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف لظهوره وتعيينه والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ للجنب والجملعة اعتراض (ومن الناس من يشرى نفسه) ٢٠٧ مبتدأ وخبر كما مر أى يبيعها ببذلها في الجهاد ومشاق الطاعات وتعرضها للمهلك في الحروب أو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وإن ترتب عليه القتل (ابتغاء مرضات الله) أى طالباً لرضاه وهذا كمال التقوى وإبراده قسيماً للأول من حيث أن ذلك يأنف من الأمر بالتقوى وهذا يأمر بذلك وإن أدى إلى الهلاك وقيل نزلت في صهيب بن سنان الرومى أخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال إنى شيخ كبير

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ البقرة
 فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ البقرة
 هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ
 الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ البقرة

- لا أنفعكم إن كنت معكم ولا أضركم إن كنت عليكم غفلوني وما أنا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه
- ماله فأتى المدينة فيشرى حينئذ بمعنى يشترى لجريان الحال على صورة الشرى (والله رءوف بالعباد)
- ٢٠٨ ولذلك يكلفهم التقوى ويعرضهم للثواب والجللة اعتراض تذييل (يأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم)
- أى الاستسلام والطاعة وقيل الإسلام وقرىء بفتح السين وهى لغة فيه وبفتح اللام أيضاً وقوله تعالى
- (كافة) حال من الضمير فى ادخلوا أو من السلم أو منهما معاً كما فى قوله | خرجت بها تمشى تجر وراءنا
- على أثرنا ذيل مرط مرجل | وهى فى الأصل اسم لجماعة تكف مخالفتها ثم استعملت فى معنى
- جميعاً وتأوها ليست للتأنيث حتى يحتاج إلى جعل السلم مؤنثاً مثل الحرب كما فى قوله عز وجل وإن جنحوا
- للسلم فاجنح لها وفى قوله | السلم تأخذ منها ما رزيت به • والحرب يكفيك من أنفاسها جرع | وإنما هى
- للتنقل كما فى عامة وخاصة وقاطبة والمعنى استسلموا لله تعالى وأطيعوه جملة ظاهر أو باطناً والخطاب للنافقين
- أو ادخلوا فى الإسلام بكليته ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمنى أهل الكتاب فإنهم كانوا يراعون
- بعض أحكام دينهم القديم بعد إسلامهم أو فى شرائع الله تعالى كلها بالإيمان بالأنبياء عليهم السلام
- والكتب جميعاً والخطاب لأهل الكتاب كلهم ووصفهم بالإيمان إما على طريقة التغليب وإما بالنظر إلى
- إيمانهم القديم أو فى شعب الإسلام وأحكامه كلها فلا يخلوا بشيء منها والخطاب للمسلمين وإنما خوطب
- أهل الكتاب بعنوان الإيمان مع أنه لا يصح الإيمان إلا بما كلفوه الآن إيذاناً بأن ما يدعونه لا يتم
- بدونه (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) بالتفرق والتفريق أو بمخالفة ما أمرتم به (إنه لكم عدو مبين)
- ٢٠٩ ظاهر العداوة أو مظهر لها وهو تعليل للنهى أو الانتهاء (فإن ذللت) أى عن الدخول فى السلم وقرىء
- بكسر اللام وهى لغة فيه (من بعد ما جاء تكلم) الآيات (البينات) والحجج القطعية الدالة على حقيقته
- الموجبة للدخول فيه (فأعلموا أن الله عزيز) غالب على أمره لا يعجزه الانتقام منكم (حكيم) لا يترك
- ٢١٠ ما تقتضيه الحكمة من مؤاخذة المجرمين المستعصين على أوامره (هل ينظرون) استفهام إنكارى فى معنى
- النفي أى ما ينتظرون بما يفعلون من العناد والمخالفة فى الامتثال بما أمروا به والانهاء عما نهوا عنه (إلا
- أن يأتيهم الله) أى أمره وبأسه أو يأتيهم الله بأمره وبأسه فحذف الماتى به لدلالة الحال عليه والانتفات
- إلى الغيبة للإيذان بأن سوء صنيعهم موجب للإعراض عنهم وحكاية جنائهم لمن عداهم من أهل
- الإنصاف على طريقة المباشرة وإيراد الانتظار للإشعار بأنهم لانهما كهم فيما هم فيه من موجبات العقوبة

سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَمَا آتَيْنَهُمْ مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ البقرة

زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ البقرة

- كأنهم طالبون لها مترقبون لوقوعها (في ظلل) جمع ظلة كقلال في جمع قلة وهي ما أظلك وقرىء في
- ظلال كقلال في جمع قلة (من الغمام) أى السحاب الأبيض وإنما أتاهم العذاب فيه لما أنه مظنة الرحمة
- فإذا أتى منه العذاب كان أظطع وأقطع للمطامع فإن إتيان الشر من حيث لا يحتسب صعب فكيف بإتيانه
- من حيث يرجى منه الخير (والملائكة) عطف على الاسم الجليل أى وبأتيهم الملائكة فإنهم وسائط في
- إتيان أمره تعالى بل هم الآتون بياسه على الحقيقة وتوسيط الظرف بينهما للإيذان بأن الآتى أو لامن
- جنس ما يلبس الغمام ويترتب عليه عادة وأما الملائكة وإن كان إتيانهم مقارناً لما ذكر من الغمام لكن
- ذلك ليس بطريق الاعتياد وقرىء بالجر عطفاً على ظلل أو الغمام (وقضى الأمر) أى أنهم أمر إهلاكمهم
- وفرغ منه وهو عطف على يأتيهم داخل في حين الانتظار وإنما عدل إلى صيغة الماضي دلالة على تحققه
- فكأنه قد كان أو جملة مستأنفة جىء بها إنباء عن وقوع مضمونها وقرىء وقضاء الأمر عطفاً على الملائكة
- (وإلى الله) لا إلى غيره (ترجع الأمور) بالتأنيث على البناء للمفعول من الرجوع وقرىء بالتذكير وعلى
- البناء للفاعل بالتأنيث من الرجوع (سل بنى إسرائيل) الخطاب للرسول ﷺ أو لكل أحد من أهل الخطاب ٢١١
- والمراد بالسؤال تبيكيتهم وتقريعهم بذلك وتقرير المجىء البينات (كم آتيناهم من آية بينة) معجزة ظاهرة على
- أيدي الأنبياء عليهم السلام وآية ناطقة بحقيقة الإسلام المأمور بالدخول فيه وكم خبرية أو استفهامية مقرر
- ومحملها النصب على المفعولية أو الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر وآية مبرزها (ومن يبدل نعمة الله)
- التى هى آياته الباهرة فإنها سبب للهدى الذى هو أجل النعم وتبديلها جعلها سبباً للضلالة وإزدباد الرجس
- أو تحريفها وتأويلها الزائغ (من بعد ما جاءته) ووصلت إليه وتمسك من معرفتها والتصریح بذلك مع أن
- التبديل لا يتصور قبل المجىء للإشعار بأنهم قد بدلوها بعد ما وقفوا على تفصيلها كما فى قوله عز وجل ثم
- يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل وإنما حذف للإيذان بعدم الحاجة إلى
- التصریح به لظهوره (فإن الله شديد العقاب) تعليل للجواب كأنه قيل ومن يبدل نعمة الله عاقبه أشد عقوبة
- فإنه شديد العقاب وإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وإدخال الروعة (زين للذين كفروا الحياة الدنيا) ٢١٢
- أى حسنت فى أعيانهم وأشربت محبتها فى قلوبهم حتى تهلكوا عليها وهاقوا فيها معرضين عن غيرها
- والتزيين من حيث الخلق والإيجاد مستند إلى الله سبحانه كما يعرب عنه القراءة على البناء للفاعل إذ
- ما من شئ إلا وهو خالقه وكل من الشيطان والقوى الحيوانية وما فى الدنيا من الأمور البهية والأشياء
- الشبيهة مزین بالعرض (ويسخرون من الذين آمنوا) عطف على زين وإيثار صيغة الاستقبال للدلالة

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ
الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي
مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ البقرة

- على استمرار السخرية منهم وهم فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب رضى الله عنهم كانوا يستردلونهم ويستهمون بهم على رفضهم الدنيا وإقبالهم على العقبي ومن ابتدائية فكأنهم جعلوا السخرية مبتدأة
- منهم (والذين اتقوا) هم الذين آمنوا بعينهم وإنما ذكروا بعنوان التقوى للإيذان بأن إعراضهم عن الدنيا للاتقاء عنها لكونها محلة بقتلهم إلى جناب القدس شاغلة عنه (فوقهم يوم القيامة) لأنهم في أعلى
- عليين وهم في أسفل سافلين أو لأنهم في أوج الكرامة وهم في حضيض الذل والمهانة أو لأنهم يتناولون عليهم في الآخرة فيسخرهم منهم كما سخرهم في الدنيا والجملة معطوفة على ما قبلها وإيثار الاسمية
- للدلالة على دوام مضمونها (والله يرزق من يشاء) أى في الدارين (بغير حساب) بغير تقدير فيوسع
- ٢١٣ في الدنيا استدراجاً تارة وابتلاء أخرى (كان الناس أمة واحدة) متفقين على كلمة الحق ودين الإسلام
- وكان ذلك بين آدم وإدريس أو نوح عليهم السلام أو بعد الطوفان (فبعث الله النبيين) أى فاختلّفوا فبعث
- الخ وهى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه وقد حذف تعويلاً على ما يذكر عقبيه (مبشرين ومنذرين) عن كعب الذى علمته من عدد الانبياء عليهم السلام مائة وأربعة وعشرون ألفاً والمرسل منهم ثلثمائة وثلاثة
- عشر والمذكور في القرآن ثمانية وعشرون وقيل كان الناس أمة واحدة متفقة على الكفر والضلال في فترة
- إدريس أو نوح فبعث الله النبيين فاختلّفوا عليهم والاول هو الانسب بالنظم الكريم (وأنزل معهم
- الكتاب) أى جنس الكتاب أو مع كل واحد منهم ممن له كتاب كتابه الخاص به لأمع كل واحد منهم
- على الإطلاق إذ لم يكن لبعضهم كتاب وإنما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم وعموم النبيين لا ينافي
- خصوص الضمير العائد إليه بمعونة المقام (بالحق) حال من الكتاب أى ملتبساً بالحق أو متعلق بأنزل
- كقوله عز وعلا وبالحق أنزلناه وبالحق نزل (ليحكم) أى الكتاب وأالله سبحانه وتعالى أو كل واحد من
- النبيين (بين الناس) أى المذكورين والإظهار في موضع الإضمار لزيادة التعيين (فيما اختلفوا فيه) أى
- في الحق الذى اختلفوا فيه أو فيما التبس عليهم (وما اختلف فيه) أى في الحق أو في الكتاب المنزل
- ملتبساً به والواو حالية (إلا الذين أوتوه) أى الكتاب المنزل لإزالة الاختلاف وإزاحة الشقاق والتعبير
- عن الإنزال بالإيثار للتنبيه من أول الأمر على كمال تمسكهم من الوقوف على ما في تضاعيفه من الحق فإن
- الإنزال لا يفيد تلك الفائدة أى عكسوا الأمر حيث جعلوا ما أنزل لإزالة الاختلاف سبباً لاستحكامه
- ورسوخه (من بعد ما جاءتهم البينات) أى رسخت في عقولهم ومن متعلقة بمحذوف يدل عليه الكلام
- أى فاختلّفوا وما اختلف فيه الخ وقيل بالملفوظ بناء على عدم منع إلا عنه كما في قولك ما قام إلا زيد يوم

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُ الْبَاسَاءِ وَالضَّرَاءِ
وَزُلْزُلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٥﴾ البقرة
يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ
السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ البقرة

- الجمعة (بغياً بينهم) متعلق بما تعلقت به من أى اختلفوا بغياً وتهالكا على الدنيا (فهدى الله الذين
- آمنوا بالكتاب (لما اختلفوا فيه) أى للحق الذى اختلف فيه من اختلف (من الحق) بيان لما
- وفى إبهامه أولاً وتفسيره ثانياً ما لا يخفى من التفخيم (بإذنه) بأمره أو بتيسيره ولطفه (والله يهدى
- من يشاء إلى صراط مستقيم) موصل إلى الحق وهو اعتراض مقرر لمضمون ماسبق (أم حسبتم) ٢١٤
- خطب به رسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين حثاً لهم على الثبات على المصابرة على مخالفة الكفرة
- وتحمل المشاق من جهنم لإثريان اختلاف الأمم على الأنبياء عليهم السلام وقد بين فيه مآل اختلافهم
- ومآل الأنبياء ومن معهم من قبلهم من مكابدة الشدائد ومقاساة الهموم وأن عاقبة أمرهم النصر وأم
- منقطعة والهمزة فيها للإنكار والاستبعاد أى بل أحسبتم (أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا
- من قبلكم) من الأنبياء ومن معهم من المؤمنين أى والحال أنه لم يأتكم مثلهم بعد ولم تقتلوا بما ابتلوا
- به من الأحوال الهائلة التى هى مثل فى الفظاعة والشدّة وهو متوقع ومنتظر (مستهم) استشاف وقع جواباً
- عما ينساق إليه الذهن كأنه قيل كيف كان مثلهم فقيل مستهم (البأساء) أى الشدة من الخوف والفاقة
- (والضراء) أى الآلام والأمراض (وزلزلوا) أى أزعجوا إزعاجاً شديداً بما دهمهم من الأحوال
- والإفزاز (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه) أى انتهى أمرهم من الشدة إلى حيث اضطرم الضجر
- إلى أن يقول الرسول وهو أعلم الناس بشئون الله تعالى وأوثقهم بنصره والمؤمنون المقتدون بآثاره
- المستضيئون بأنواره (متى) أى متى يأتى (نصر الله) طلباً وتمنيآله واستطالة لمدة الشدة والعناء وقرئ حتى
- يقول بالرفع على أنه حكاية حال ماضية وهذا كما ترى غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية كيف لا
- والرسول مع علو كعبهم فى الثبات والاصطبار حيث عيل صبرهم وبلغوا هذا المبلغ من الضجر والضجيج
- علم أن الأمر بلغ إلى غاية لا مطمح وراءها (ألا إن نصر الله قريب) على تقدير القول أى فقيل لهم حينئذ
- ذلك إسعافاً لهم والمراد بالقرب القرب الزمانى وفى إثارة الجملة الاسمية على الفعلية المناسبة لما قبلها
- وتصديرها بحرف التنبيه والتأكيد من الدلالة على تحقيق مضمونها وتقديره ما لا يخفى واختيار حكاية الوعد
- بالنصر لما أنها فى حكم إنشاء الوعد لرسول الله ﷺ والاقتصار على حكايتها دون حكاية نفس النصر مع
- تحقيقه للإيدان بعدم الحاجة إلى ذلك لاستحالة الخلف ويجوز أن يكون هذا وارداً من جهته تعالى عند الحكاية
- على نهج الاعتراض لا وارداً عند وقوع المحكى وفيه رمز إلى أن الوصول إلى جناب القدس لا يتسنى إلا
- برفض الذات ومكابدة المشاق كما ينبيء عنه قوله ﷺ حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات (يسألونك ٢١٥

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ البقرة

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ البقرة

ماذا ينفقون) أى من أصناف أموالهم (قل ما أنفقتم من خير) ما إما شرعية وإما موصولة حذف العائد إليها
 أى ما أنفقتموه من خير أى خير كان ففيه تجوز الإلتفاف من جميع أنواع الأموال وبيان لما فى السؤال إلا أنه
 ● جعل من جملة ما فى حيز الشرط أو المصلحة وأبرز فى معرض بيان المصرف حيث قيل (فلو الدين والأقربين)
 للإبذان بأن الأهم بيان المصارف المعدودة لأن الاعتداد بالإلتفاف بحسب وقوعه فى موقعه وعن ابن عباس
 رضى الله عنهم أنه جاء عمرو بن الجحوح وهو شيخ هرم له مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا تنفق من أموالنا وأين
 ● نضعها فنزلت (واليتامى) أى المحتاجين منهم (والمساكين وابن السبيل) ولم يتعرض للسائلين والرقاب إما
 ● اكتفاء بما ذكر فى المواقع الأخر وإما بناء على دخولهم تحت عموم قوله تعالى (وما تفعلوا من خير) فإنه
 ● شامل لكل خير واقع فى أى مصرف كان (فإن الله به عليم) فىوفى ثوابه وليس فى الآية ما ينافيه فرض
 ٢١٦ الزكاة لينسخ به كما نقل عن السدى (كتب عليكم القتال) ببناء الفعل للمفعول ورفع القتال أى قتال الكفرة
 وقرىء ببنائه للفاعل وهو الله عز وجل ونصب القتال وقرىء كتب عليكم القتال أى قتل الكفرة والواو
 ● فى قوله تعالى (وهو كره لكم) حاله أى والحال أنه مكروه لكم طبعاً على أن الكره مصدر وصف به
 المفعول مبالغة أو بمعنى المفعول كالحبب بمعنى المحبوز وقرىء بالفتح على أنه بمعنى المضموم كالضعف
 ● والضعف أو على أنه بمعنى الإكراه مجازاً كأنهم أكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم (وعسى
 أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) وهو جميع ما كلفوه من الأمور الشاقة التى من جملتها القتال فإن
 ● النفوس تكرهه وتفر عنه والجملة اعتراضية دالة على أن فى القتال خيراً لهم (وعسى أن تحبوا شيئاً وهو
 شر لكم) وهو جميع ما نهوا عنه من الأمور المستلذة وهو معطوف على ما قبله لا محل لها من الإعراب
 ● (والله يعلم) ما هو خير لكم فلذلك يأمركم به (وأنتم لا تعلمون) أى لا تعلمونه ولذلك تكرهونه أو
 ٢١٧ والله يعلم ما هو خير وشر لكم وأنتم لا تعلمونهما فلا تتبعوا فى ذلك رأيكم وامثلوا بأمره تعالى (يسألونك
 عن الشهر الحرام) روى أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن جحش على سرية فى جمادى الآخرة قبل
 قتال بدر بشهرين ليتصدوا غير القریش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمى وثلاثة معه فقتلوه وأسروا
 اثنين واستاقوا العير بما فيها من تجارة الطائف وكان ذلك أول يوم من رجب وهم يظنون أنه من جمادى

- الآخرة فقالت قريش وقد استحل محمد الشهر الحرام شهراً يأمن فيه الخائف ويذعر فيه الناس إلى معاشهم فوقف رسول الله ﷺ العير وعظم ذلك على أصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله ﷺ العير والأسارى وعن ابن عباس رضى الله عنهما لما نزلت أخذ رسول الله ﷺ الغنيمة والمعنى يسألك الكفار أو المسلمون عن القتال في الشهر الحرام على أن قوله عز وجل (قتال فيه) بدل اشتغال من الشهر وتنكيره لما أن سؤالهم كان عن مطلق القتال الواقع في الشهر الحرام لا عن القتال المعبود ولذلك لم يقل يسألونك عن القتال في الشهر الحرام وقرئ عن قتال فيه بتكرير العامل كما في قوله تعالى للذين استضعفوا من آمن منهم وقرئ قتل فيه (قل) في جوابهم (قتال فيه كبير) جملة من مبتدأ وخبر محلها النصب بقل وإنما جاز وقوع قتال مبتدأ مع كونه نكرة لتخصيصه إما بالوصف إن تعلق الظرف بمحذوف وقع صفة له أى قتال كائن فيه وإما بالعمل إن تعلق به وإنما أوتر التنكير احترازاً عن توهم التعيين وإذناً بأن المراد مطلق القتال الواقع فيه أى قتال كان . عن عطاء أنه سئل عن القتال في الشهر الحرام لحلف بالله ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام إلا أن يقاتلوا فيه وما نسخت وأكثر الأقاويل أنها منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (وصد عن سبيل الله)
- مبتدأ قد تخصص بالعمل فيما بعده أى ومنع عن الإسلام الموصل للعبد إلى الله تعالى (وكفر به) عطف على صد عامل فيما بعده مثله أى وكفر بالله تعالى وحيث كان الصد عن سبيل الله فرداً من أفراد الكفر به تعالى لم يقدح العطف المذكور في حسن عطف قوله تعالى (والمسجد الحرام) على سبيل الله لأنه ليس بأجنبي محض وقيل هو أيضاً معطوف على صد بتقدير المضاف أى وصد المسجد الحرام (وإخراج أهله) وهو النبي ﷺ والمؤمنون (منه) أى من المسجد الحرام وهو عطف على وكفر به (أكبر عند الله) خبر للأشياء المعدودة أى كبار السائلين أكبر عند الله مما عنوا بالسؤال وهو ما فعلته السرية خطأ وبناء على الظن وأفضل يستوى فيه الواحد والجمع والمذكور والمؤنث (والفتنة) أى ما أرتكبه من الإخراج والشرك وصد الناس عن الإسلام ابتداء وبقاء (أكبر من القتل) أى أفضح من قتل الحضرمي (ولا يزالون يقاتلونكم) بيان لاستحكام عداوتهم وإصرارهم على الفتنة في الدين (حتى يردوكم عن دينكم) الحق إلى دينهم الباطل وإضافة الدين إليهم لتذكير تأكد ما بينهما من العلاقة الموجبة لامتناع الاقتراق (إن استطاعوا) إشارة إلى تصلبهم في الدين وثبات قدمهم فيه كأنه قيل وأنى لهم ذلك (ومن يرتدد منكم عن دينه) تحذير من الارتداد أى ومن يفعل ذلك يضلّهم وإغوائهم (فيمت وهو كافر) بأن لم يرجع إلى الإسلام وفيه ترغيب في الرجوع إلى الإسلام بعد الارتداد (فأولئك) إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الارتداد والموت عليه وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعد منزلتهم في الشر والفساد والجمع للنظر إلى المعنى أى أولئك المصرون على الارتداد إلى حين الموت (حبطت أعمالهم) الحسنة التي كانوا عملوها في حالة الإسلام حبوطاً لا تلافى له قطعاً (في الدنيا والآخرة) بحيث لم يبق لها حكم من الأحكام الدنيوية والآخروية (وأولئك) الموصوفون بما ذكر سابقاً ولاحقاً من القبائح (أصحاب النار) أى ملابسوها وملازموها (هم فيها خالدون) كدأب

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ البقرة

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ وَالِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ البقرة

٢١٨ سائر الكفرة (إن الذين آمنوا) نزلت في أصحاب السرية لما ظن بهم أنهم إن سلموا من الإثم فلا أجر لهم (والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله) كرر الموصول مع أن المراد بهما واحد لتفخيم شأن الهجرة والجهاد فكأنهما مستقلان في تحقيق الرجاء (أو لك) المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة (برجون) بما لهم من مبادئ الفوز (رحمة الله) أي ثوابه أثبت لهم الرجاء دون الفوز بالمرجو للإيدان بأنهم عالمون بأن العمل غير موجب للأجر وإنما هو على طريق التفضل منه سبحانه لا لأن في فوزهم اشتباها (والله غفور) مبالغ في مغفرة ما فرط من عباده خطأ (رحيم) يحزل لهم الأجر والثواب والجملة

٢١٩ اعتراض محقق لمضمون ما قبلها (يسألونك عن الخمر والميسر) تواردت في شأن الخمر أربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعتاب تتخذون منه سكراً ورزقا حسناً فطفق المسلمون يشربونها ثم إن عمر ومعاذاً ونفراً من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين قالوا أفنتا يا رسول الله في الخمر فإنها مذهبة للعقل فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناساً منهم فشربوا فسكروا فأم أحدهم فقراً قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى الآية فقل من يشربها ثم دعا عتب بن مالك سعد أبي وقاص في نفر فلما سكروا تفاخروا وتناشدوا حتى أنشد سعد شعراً فيه هجاء الأنصار فضربه أنصاري بلحى بعير فشجه موشحة فشكا إلى رسول الله ﷺ فقال اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت إنما الخمر والميسر إلى قوله تعالى فهل أتم منتهون فقال عمر رضي الله عنه انتهينا يا رب وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة منها في بئر فبئيت في مكانها منارة لم أؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف فبئت فيه الكلام لم أرعه وعن ابن عمر رضي الله عنهما لو أدخلت أصبعي فيها لم تتبعني وهذا هو الإيمان والتقى حقاً رضوان الله تعالى عليهم أجمعين . والخمر مصدر خمره أي ستره سمي به من عصير العنب ما غلى واشتد وقذف بالزبد لتغطيتها العقل والتمييز كأنها نفس الستركا سميت سكرأ لأنها تسكرهما أي تحجزهما والميسر مصدر ميمى من يسر كالموعد والمرجع يقال يسرته إذا قرته واشتقاقه إما من اليسر لأنه أخذ المال يسر من غير كد وتعب وإما من اليسار لأنه سلب له وصفته أنه كانت لهم عشرة أقداح هي الأزلام والأقلام الفذ والتوأم والرقب والجلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيع والسفيح والوغد لكل منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة أجزاء وقيل ثمانية وعشرين إلا الثلاثة هي المنيع والسفيح والوغد للفذ سهم وللتوأم

- سهمان والرقيب ثلاثة وللحلس أربعة وللنافس خمسة وللسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الرابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا قدحا فنخرج له قدح من ذوات الأنصاء أخذ النصيب المعين لها ومن خرج له من تلك الثلاثة غرم ثمن الجزور مع حرمانه وكانوا يدفعون تلك الأنصاء إلى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لا يدخل فيه ويسمونهم البرم وفي حكمه جميع أنواع القهار من الردو والسطرنج وغيرهما وعن النبي ﷺ أنه قال إياكم وهاتين اللعبتين المشؤمتين فإنهما مياسر العجم وعن علي كرم الله وجهه أن الرد والسطرنج من الميسر وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر . والمعنى يسألونك عن حكمهما وعمّا في تعاطيهما (قل فيهما إثم كبير) أي في تعاطيهما ذلك لما أن الأول مسلبة للعقول التي هي قطب الدين والدنيا مع كون كل منهما متلفة للأموال (ومنافع للناس) من كسب الطرب واللذة ومصاحبة الفتيان وتشجيع الجبان وتقوية الطبيعة وقرىء إثم كثير بالمثلثة وفي تقديم بيان لإثمه ووصفه بالكبر وتأخير ذكر منافعه مع تخصيصها بالناس من الدلالة على غلبة الأول ما لا يخفى على مانطق به قوله تعالى (وإثمهما أكبر من نفعهما) أي المفساد المترتبة على تعاطيهما أعظم من الفوائد المترتبة عليه وقرىء أقرب من نفعهما (ويسألونك ماذا ينفقون) عطف على يسألونك عن الخراج عطف القصة على القصة أي شيء ينفقونه قيل هو عمرو بن الجوح أيضاً سأل أو لامن أي جنس ينفق من أجناس الأموال فلما بين جواز الإنفاق من جميع الأجناس سأل ثانياً من أي أصنافها تنفق أمن خيارها أم من غيرها أو سأل عن مقدار ما ينفقه منه فقيل (قل العفو) بالنصب أي ينفقون العفو أو انفقوا العفو وقرىء بالرفع على أن ما استفهامية وذا موصولة صلتها ينفقون أي الذي ينفقونه العفو قال الواحدى أصل العفو في اللغة الزيادة وقال القفال العفو ماسهل ويسر مما فضل من الكفاية وهو قول قتادة وعطاء والسدى وكانت الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين يكسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفضل وروى أن رجلاً أتى النبي ﷺ ببليضة من ذهب أصابها في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة فأعرض عنه فكرر ذلك مراراً حتى قال عليه السلام مفضباهاتها فأخذها فخذفها عليه خذفالو أصابته لشجته ثم قال يأتي أحدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس إنما الصدقة عن ظهر غنى (كذلك) إشارة إلى مصدر الفعل الآتي وما فيه من معنى البعد للإيدان بعلو درجة المشار إليه في الفضل مع كمال تميزه وانتظامه بسبب ذلك في سلك الأمور المشاهدة والكاف لتأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة وإفراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين باعتبار القبيل أو الفريق أو لعدم القصد إلى تعيين المخاطب كما مر وحله النصيب على أنه نعمت لمصدر محذوف أي مثل ذلك البيان الواضح الذي هو عبارة عما مضى في أجوبة الأسئلة المارة (يبين الله لكم الآيات) الدالة على الأحكام الشرعية المذكورة لا بياناً أدنى منه وقد مر تمام تحقيقه في قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطاً وتبيين الآيات تنزيلها مبينة الفحوى واضحة المدلول لا أنه تعالى بينها بعد أن كانت مشبهة ملتبسة وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة (لعلكم تتفكرون) لكي تتفكروا فيها

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَلْيَخُونَكُمُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتْكُمُ إِنَّا اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ البقرة
وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمَنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا
الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ
وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ بَآيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ البقرة

٢٢٠ وتفقوا على مقاصدها وتعملوا بما في تضاعيفها وقوله تعالى (في الدنيا والآخرة) متعلق إما بيبين أى
يبين لكم فيما يتعلق بالدنيا والآخرة الآيات وإما بمحذوف وقع حالا من الآيات أى يبينها لكم كائنة
فيها أى مبينة لأحوالكم المتعلقة بهما وإنما قدم عليه التعليل لمزيد الاعتناء بشأن التفكير وإما بقوله
تعالى تتفكرون أى تتفكرون فى الأمور المتعلقة بالدنيا والآخرة فى الأحكام الواردة فى أجوبة
الأسئلة المارة فتختارون منها ما يصلح لكم فيها وتجتنبون عن غيره وهذا التخصيص هو المناسب لمقام
تعداد الأحكام الجزئية ويجوز التعميم لجميع الأمور المتعلقة بالدنيا والآخرة فذلك حينئذ إشارة إلى
مأمور من البيانات كلاً أو بعضاً لا إلى مصدر ما بعده فإنه حينئذ فعل مستقل ليس بعبارة عن تلك البيانات
والمراد بالآيات غير مذكور والمعنى مثل ذلك البيان الوارد فى الأجوبة المذكورة يبين الله لكم الآيات
والدلائل لعلكم تتفكرون فى أموركم المتعلقة بالدنيا والآخرة وتأخذون بما يصلح لكم وينفعكم فيها
● وتذرون ما يضركم حسبما تقتضيه تلك الآيات المبينة (ويسألونك عن اليتامى) عطف على ما قبله من نظيره
روى أنه لما نزلت إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً الآية تحامى الناس عن مخالطة اليتامى وتمهد أموالهم
● فشق عليهم ذلك فذكروه للنبي ﷺ فنزلت (قل إصلاح لهم خير) أى التعرض لأحوالهم وأموالهم على
● طريق الإصلاح خير من مجانبتهم اتقاء (وإن تخالطوهم) وتعاشروهم على وجه ينفعهم (فأخوانكم)
أى فهم إخوانكم أى فى الدين الذى هو أقوى من العلاقة النسبية ومن حقوق الأخوة وموجبها المخالطة
● بالإصلاح والنفع وقد حمل المخالطة على المصاهرة (والله يعلم المفسد من المصلح) العلم بمعنى المعرفة المتعدية
إلى واحد ومن لتضمينه معنى التمييز أى يعلم من يفسد فى أمورهم عند المخالطة أو من يقصد بمخالطته الخيانة
والإفساد بمنزلة من يصلح فيها أو يقصد الإصلاح فيجازى كلاهما بعمله فقيه وعد وعيد خلا أن فى
● تقديم المفسد مزيد تهديد وتأكيد للوعيد (ولو شاء الله لا أغنتكم) أى لو شاء أن يغنتكم أى يكلفكم
● ما يشق عليكم من العنت وهو المشقة لفعل ولم يجوز لكم مداخلتهم (إن الله عزيز) غالب على أمره لا يعز
● عليه أمر من الأمور التى من جملتها إعانتكم فهو تعليل لمضمون الشرطية وقوله عز وجل (حكيم) أى
فاعل لأفعاله حسبما تقتضيه الحكمة الداعية إلى بناء التكليف على أساس الطاقة دليل على ما تفيد كلمة لو من
٢٢١ انتفاء مقدمها (ولا تنكحوا المشركات) أى لا تزوجوهن وقرىء بضم التاء من الإنكاح أى لا تزوجوهن

- من المسلمين (حتى يؤمن) والمراد بهم إما ما يعبر عن الكنايات أيضاً حسبما يقتضيه عموم التعليلين الآتين لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله إلى قوله سبحانه عما يشركون فالآية منسوخة بقوله تعالى والمحصنات من الذين أتوا الكتاب من قبلكم وأما غير الكنايات فهي ثابتة وروى أن رسول الله ﷺ بعث مرثد بن أبي مرثد الغنوى إلى مكة ليخرج منها ناساً من المسلمين وكان يهوى امرأة في الجاهلية أسماها عناق فأتته فقال لا تخلو فقال وبحك إن الإسلام حال بيننا فقالت هل لك أن تزوج بى قال نعم ولكن أرجع إلى النبی ﷺ فاستأمره فاستأمره فزلت (ولامة مؤمنة) تعليل للنهي عن مواصلتهم وترغيب في مواصلة المؤمنات صدر بلام الابتداء الشبيهة بلام القسم في إفاضة التأكيد مبالغة في الحمل على الانزجار وأصل أمة أمو حذفت لامها على غير قياس وعوض منه تاء التأنيث ودليل كون لامها واو أرجوعها في الجمع قال الكلبي [أما الإمام فلا يدعوني ولداً] إذا تداعى بنو الأموات بالعار وظهورها في المصدر يقال هي أمة بينة الأموة وأقرت له بالأموة وقد وقعت مبتدأ لما فيها من لام الابتداء والوصف أى ولامة مؤمنة مع ما بها من خساسة الرق وقلة الخطر (خير) بحسب الدين والدنيا (من مشركة) أى امرأة مشركة مع ما لها من شرف الحرية ورفع الشأن (ولو أعجبكم) قد مر أن كلمة لوفى أمثال هذه المواقع ليست لبيان انتفاء الشيء في الماضي لا انتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذفت ثقة بدلالة ما قبلها عليه من انصباب المعنى على تقديره بل هي لبيان تحقق ما يفيد الكلام السابق من الحكم على كل حال مفروض من الأحوال المقارنة له على الإجمال بإدخالها على أبعدها منه وأشدّها منافاة له ليظهر بثبوته معه ثبوته مع ما عداه من الأحوال بطريق الأولوية لما أن الشيء متى تحقق مع المتأني القوي فلأن يتحقق مع غيره أولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الأحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الأحوال المغايرة لها وهذا معنى قولهم إنها لا تستقصاء الأحوال على وجه الإجمال كأنه قيل لو لم تعجبكم ولو أعجبكم والجملة في حيز النصب على الحالية من مشركة إذ المآل ولامة مؤمنة خير من امرأة مشركة حال عدم إعجابها وحال إعجابها إياكم بإجمالها وما لها ونسبها وبغير ذلك من مبادئ الإعجاب وموجبات الرغبة فيها أى على كل حال وقد اقتصر على ذكر ما هو أشد منافاة للخيرية تنبهاً على أنها حيث تحققت معه فلأن تتحقق مع غيره أولى وقيل الواو الحالية وليس بواضح وقيل اعتراضية وليس بسديد والحق أنها عاطفة مستتعبة لما ذكر من الاعتبار اللطيف نعم يجوز أن تكون الجملة الأولى مع ما عطف عليها مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها فتدبر
- (ولا تنكحوا المشركين) من الإنكاح والمراد بهم الكفار على الإطلاق لما مر أى لا تزوجوا منهم
- المؤمنات سواء كن حرائر أو إماء (حتى يؤمنوا) ويتركوا ما هم فيه من الكفر (ولعبد مؤمن) مع ما به من ذل المملوكية (خير من مشرك) مع ماله من عز المالكية (ولو أعجبكم) بما فيه من دواعي الرغبة فيه الراجعة إلى ذاته وصفاته (أولئك) استئناف مقرر لمضمون التعليلين السابقين أى أولئك المذكورون من المهركات والمشركين (يدعون) من يقارنهم ويعاشرهم (إلى النار) أى إلى ما يؤدى إليها من الكفر والفسوق فلا بد من الاجتناب عن مقارنتهم ومقاربتهم (والله يدعو) بواسطة عباده

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ
فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ البقرة

- المؤمنون من يقارنهم (إلى الجنة والمغفرة) أى إلى الاعتقاد الحق والعمل الصالح الموصولين إليهما وتقديم
- الجنة على المغفرة مع أن حق التخلية أن تقدم على التحلية لرعاية مقابلة النار ابتداء (بإذنه) متعلق يدعو
- أى يدعو ملتبساً بتوفيقه الذى من جملة إرشاد المؤمنين لمقارنهم إلى الخير ونصيحتهم لإيادهم فهم أحقاه
- بالمواسلة (وبين آياته) المشتملة على الأحكام الفائقة والحكم الراقية (لنفس لعلهم يتذكرون) أى لى
- يتذكروا ويعملوا بما فيها فيفوزوا بما دعوا إليه من الجنة والغفران هذا وقد قيل معنى والله يدعو وأولياء
- الله يدعوهم وهم المؤمنون على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه تشريفاً لهم وأنت خير بأن
- الضمير فى المعطوف على الخبر أعنى قوله تعالى وبين الله تعالى فيلزم التفكيك وقيل معناه والله يدعو
- بأحكامه المذكورة إلى الجنة والمغفرة فإنها موصلة لمن عمل بها إليهما وهذا وإن كان مستدعياً لاتحاد مرجع
- الضميرين الكائنين فى الجملة المتعاطفتين الواقعتين خبراً للبند لكن يفوت حينئذ حسن المقابلة بينه وبين
- قوله تعالى أولئك يدعوون إلى النار ولعل الطريق الأسلم ما أوضحناه أولاً وإيراد التذكير هنا للإشعار بأنه
- ٢٢٢ واضح لا يحتاج إلى التفسير كما فى الأحكام السابقة (ويسألونك عن المحيض) عطف على ما تقدم من مثله وعل
- حكاية هذه الأسئلة الثلاثة بالعطف لوقوع الكل عند السؤال عن الخمر وحكاية ما عداها بغير عطف لوقوع
- كل من ذلك فى وقت على حدة والمحيض مصدر من حاضت المرأة كالمجيء والمبيت روى أن أهل الجاهلية
- كانوا لا يسألون المحيض ولا يؤاكلونهم كدأب اليهود والمجوس واستمر الناس على ذلك إلى أن سأل
- عن ذلك أبو الدرداء فى نفر من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فنزلت (قل هو أذى) أى شئ يستقذر
- منه ويؤذى من يقربه نفرة منه وكراهة له (فأعزلوا النساء فى المحيض) أى فاجتنبوا مجامعتهم فى حالة
- المحيض قيل أخذ المسلمون بظاهر الاعتزال فأخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الأعراب يارسول
- الله البرد شديد والياب قليلة فإن أثرناهن هلك سائر أهل البيت وإن استأثرنا بها هلكت المحيض فقال
- ﷺ إنما أمرتم أن تعتزلوا مجامعتهم إذا حضن ولم يأمركم بإخراجهن من البيوت كفعل الأعاجم وقيل
- إن النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالمحيض واليهود كانوا يفرطون فى الاعتزال فأمر المسلمون
- ● بالاعتصاف بين الأمرين (ولا تقربوهن حتى يطهرن) تأكيد لحكم الاعتزال وتنبه على أن المراد به عدم
- قربانهم لا عدم القرب منهم وبيان لغايته وهو انقطاع الدم عند أبى حنيفة رحمه الله فإن كان ذلك فى
- أكثر المدة حل القربان كما انقطع وإلا فلا بد من الاغتسال أو من مضى وقت صلاة وعند الشافعى رحمه
- ● الله أن يغتسل بعد الانقطاع كما تفصح عنه القراءة بالتشديد وينبى عنه قوله عز وجل (فإذا تطهرن)
- ● فإن التطهر هو الاغتسال (فأتوهن من حيث أمركم الله) من المأتى الذى حلله لكم وهو القبل (إن
- ● الله يحب التوابين) مما عسى يتدر منهم من ارتكاب بعض ما نهوا عنه ومن سائر الذنوب (ويحب المتطهرين)
- المتزهين عن الفواحش والاعتذار وفى ذكر التوبة إشعار بمساس الحاجة إليها بارتكاب بعض الناس لما

نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَقَوُهُ
وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ البقرة

وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ البقرة

- نہوا عنه وتکریر الفعل لمزید العناية بأمر التطهر (نساؤکم حرت لکم) أى مواضع حرت لکم شہن ٢٢٣
- بہا لما بین ما یلتقی فی أرحامہن و بین البذور من المشابہة من حیث أن کلا منہما مادۃ لما یحصل منہ (فأتوا حرتکم) لما عبر عنہن بالحرت عبر عن مجامعتہن بالإتیان وهو بیان لقولہ تعالی فأتوہن من حیث أمرکم اللہ (أنی شئتم) من أى جهة شئتم . روى أن الیہود كانوا یزعمون أن من أتى امرأته فی قبلہا من دبرہا ●
- یأتی ولده أحول فذكر ذلك لرسول اللہ ﷺ فنزلت (وقدموا لأنفسکم) أى ما یدخر لکم من الثواب ●
- وقیل هو طلب الولد وقیل هو التسمیة عند المباشرة (واتقوا اللہ) بالاجتناب عن معاصیہ الی من جملتها ●
- ماعد من الأمور (واعلموا أنکم ملاقوہ) فتعرضوا لتحصیل ما تنتفعون بہ حیثئذ واجتنبوا اقتراف ●
- ما تفتضحون بہ (وبشر المؤمنین) الذین تلقوا ما خوطبوا بہ من الأوامر والنواہی بحسن القبول والامثال ●
- بما یقصر عنہ البیان من الکرامة والنعیم المقیم أو بكل ما یدشر بہ من الأمور الی تسربہا القلوب وتقربہا العیون وفیہ مع ما فی تلوین الخطاب وجعل المبشر رسول اللہ ﷺ من المبالغة فی تشریف المؤمنین ما لا یخفی (ولا تجعلوا اللہ عرضة لأیمانکم) قیل نزلت فی عبد اللہ بن رواحہ حین حلف أن لا یکلم ختنتہ ٢٢٤
- بشیر بن النعمان ولا یصلح یدنہ و بین أختہ وقیل فی الصدیق رضی اللہ عنہ حین حلف أن لا ینفق علی مسطح لحوضہ فی حدیث الإفک والعرضة فعلۃ بمعنی مفعول کالقبضة والغرفة تطلق علی ما یمرض دون الشیء فیصیر حاجزاً عنہ كما یقال فلان عرضة للخیر و علی المعرض للأمر كما فی قولہ [فلا تجعلونی عرضة للوائم] فالمعنی علی الوجه الأول لا تجعلوا اللہ مانعاً للأمر الحسنۃ الی تحلفون علی ترکہا وعبر عنہا بالآیمان للملابستہا كما فی قولہ علیہ السلام لعبد اللہ بن سمرۃ إذا حلفت علی یمین فرأیت غیرہا خیراً
- منہا فأت الذی هو خیر وكفر عن یمینک وقولہ تعالی (أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بین الناس) عطف ●
- بیان لأیمانکم أو بدل منہا لما عرفت أنها عبارة عن الأمور المحلوف علیہا واللام فی لأیمانکم متعلقة بالفعل أو بعرضۃ لما فیہا من معنی الاعتراض أى لا تجعلوا اللہ لبرکم وتقواکم وإصلاحکم بین الناس عرضة أى برزخاً حاجزاً بأن تحلفوا بہ تعالی علی ترکہا أو لا تجعلوہ تعالی عرضة أى شیئاً یمترض الأمور المذكورة ویحجزہا بما ذکر من الحلف بہ تعالی علی ترکہا وقد جوز أن تكون اللام للتعلیل ویتعلق أن تبروا الخ بالفعل أو بعرضۃ فیکون الآیمان بمعناها وأنت خیر بأنہ یؤدی إلی الفصل بین العامل ومعمولہ بأجنبی و علی الوجه الثانی لا تجعلوا اللہ معرضاً لأیمانکم تبتذلونہ بکثرة الحلف بہ ولذلك ذم من نزلت فیہ ولا تطع کل حلاف مہین بأشنع المذاق وجعل الحلاف مقدمتها وأن تبروا حیثئذ علة للنہی أى إرادة أن تبروا وتتقوا وتصلحوا لأن الحلاف مجترى علی اللہ سبحانه غیر معظم لہ فلا یکون برأ متقیاً ثقة

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ البقرة
 لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ البقرة
 وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ البقرة

- بين الناس فيكون بمنزل من التوسط في إصلاح ذات البين (والله سميع) يسمع أيمانكم (عليم) يعلم نياتكم لحفظوا على ما كلفتموه (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) اللغو ماسقط من الكلام عن درجة الاعتبار والمراد به في الأيمان مالا عقد معه ولا قصد كما ينبى عنه قوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان وهو المعنى بقوله عز وجل (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) وقد اختلف فيه فعندنا هو أن يحلف على شئ يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه فإنه لا قصد فيه إلى الكذب وعند الشافعى رحمه الله هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم من غير إخطار الحلف بالبال فالمعنى على الأول لا يؤاخذكم الله أى لا يعاقبكم بلغو اليمين الذى يخلفه أحدكم ظاناً أنه صادق فيه ولكن يعاقبكم بما اقترفته قلوبكم من إثم القصد إلى الكذب في اليمين وذلك في الغموس وعلى الثانى لا يلزمكم الكفارة بما لا قصد معه إلى اليمين ولكن يلزمكموها بما نوت قلوبكم وقصدت به اليمين ولم يكن كسب اللسان فقط (والله غفور) حيث لم يؤاخذكم باللغو مع كونه ناشئاً من عدم التثبت وقلة المبالاة (حلیم) حيث لم يعجل بالمؤاخذة والجملة اعتراض مقرر لمضمون قوله تعالى لا يؤاخذكم الخ وفيه إيدان بأن المراد بالمؤاخذة المعاقبة لإيجاب الكفارة إذ هى التى تتعلق بها المغفرة والحلم دونه (للذين يؤلون من نسائهم) الإيلاء الحلف وحقه أن يستعمل بعلى واستعماله بمن لتضمينه معنى البعد أى للذين يحلفون متباعدين من نسائهم ويحتمل أن يراد لهم من نسائهم (تربص أربعة أشهر) كقولك لى منك كذا وقرىء ألوا من نسائهم وقرىء يقسمون من نسائهم والإيلاء من المرأة أن يقول والله لا أقربك أربعة أشهر فصاعداً على التقيد بالأشهر أو لا أقربك على الإطلاق ولا يكون فيما دون ذلك وحكمه أنه إن فاء إليها في المدة بالوطء إن أمكن أو بالقول إن عجز عنه صح النى وحسن القادر ولزمت كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وإن مضت الأربعة بآنت بتطبيقه والتربص الانتظار والتوقف أضيف إلى الظرف اتساعاً أى لهم أن ينتظروا
- فى هذه المدة من غير مطالبة ببق أو طلاق (فإن فاءوا) أى رجعوا عن اليمين بالحنث والفاء للتفصيل كما إذا قلت أنا نزيلكم هذا الشهر فإن أحمدتكم أقت عندكم إلى آخره وإلا لم ألبث إلا ريثما أتحوّل (فإن الله غفور رحيم) يغفر للولى بفيئته التى هى كتبته لئتم حنثه عند تكفيره أو ما قصد بالإيلاء من ضرار المرأة (وإن عزموا الطلاق) وأجمعوا عليه (فإن الله سميع) بما جرى منهم من الطلاق وما يتعلق به من الدمدمة والمقاولة التى لا تخلو عنها الحال عادة (عليم) بنياتهم وفيه من الوعيد على الإصرار وترك الفبئة ما لا يخفى .

وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ البقرة

- (والمطلقات) أى ذوات الأقراء من الحرائر المدخول بهن لما قد بين أن لعدة على غير المدخول بها ٢٢٨ وأن عدة من لا تحيض لصغر أو كبر أو حمل بالأشهر ووضع الحمل وأن عدة الأمة قرآن أو شهران (يتربصن) خبر فى معنى الأمر مفيد للتأكيد بإشعاره بأن المأمور به مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى الإتيان به فكأنهن امتثلن بالأمر بالتربص فتخبر به موجوداً متحققاً وبنائه على المبتدأ مفيد لزيادة تأكيد (بأنفسهن) الباء للتعدية أى يقيمونها ويحملنها على ما لا تشتهيه بل يشق عليها من التربص وفيه مزيد حث لهن على ذلك لما فيه من الإنباء عن الاتصاف بما يستنكفن منه من كون نفوسهن طوامح إلى الرجال فيحملن ذلك على الإقدام على الإتيان بما أمرن به (ثلاثة قروء) نصب على الظرفية أو المفعولية بتقدير متى أى تربصن مدة ثلاثة قروء أو تربصن مضي ثلاثة قروء وهو جمع قرء والمراد به الحيض بدليل قوله ﷺ دعى الصلاة أيام أقرائك وقوله ﷺ طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان وقوله تعالى واللاتى يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر ولأن المقصود الأصل من العدة استبراء الرحم ومداره الحيض دون الطهر ويقال أقرأت المرأة إذا حاضت وقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن معناه مستقبلات لعدتهن وهى الحيض الثلاث وإيراد جمع الكثرة فى مقام جمع القلة بطريق الاتساع فإن إيراد كل من الجمعين مكان الآخر شائع ذائع وقرئ ثلاثة قروء بغير همز (ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن) من الحيض والولد استعجالاً فى العدة وإبطالاً لحق الرجعة وفيه دليل على قبول قولهن فى ذلك نفياً وإثباتاً (إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر) جواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله دلالة واضحة أى فلا يجترئن على ذلك فإن قضية الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر الذى يقع فيه الجزاء والعقوبة منافية له قطعاً (وبعولتهن) البعولة جمع بعول وهو فى الأصل السيد المالك والناء لتأنيث الجمع كما فى الحزونة والسهولة أو مصدر بتقدير مضاف أى أهل بعولتهن أى أزواجهن الذين طلقوهن طلاقاً رجعياً كما ينبى عنه التعبير عنهم بالبعولة والضمير لبعض أفراد المطلقات (أحق بردهن) إلى ملكهم بالرجعة إليهن (فى ذلك) أى فى زمان التربص وصيغة التفضيل لإفادة أن الرجل إذا أراد الرجعة والمرأة تأبأها وجب إثارة قوله على قولها لا أن لها أيضاً حقاً فى الرجعة (إن أرادوا) أى الأزواج بالرجعة (إصلاحاً) لما بينهم وبينهن وإحساناً إليهن ولم يريدوا مضارتهن وليس المراد به شرطية قصد الإصلاح بصحة الرجعة بل هو الحث عليه والزجر عن قصد الضرر (ولهن) عليهن من الحقوق (مثل الذى) لهم (عليهن بالمعروف) من الحقوق التى يجب مراعاتها ويتحتم المحافظة عليها (والرجال عليهن درجة) أى زيادة فى الحق لأن حقوقهم فى أنفسهن وحقوقهن فى المهر
- ٢٩ - أبى السعود ج ١

الطَّلَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ البقرة

- والكفاف وترك الضرر ونحوها أو مزية في الفضل لما أنهم قوامون عليهن حراس لهن ولما في أيديهن
- يشاركون فيها هو الغرض من الزواج ويستبدون بفضيلة الرعاية والإنفاق (والله عزيز) بقدر على
 - ٢٢٩ الاتِّتَامُ مَنْ يَخَالَفُ أَحْكَامَهُ (حكيم) تنطوي شرائعه على الحكم والمصالح (الطلاق) هو بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم والمراد به الرجعى لما أنه السابق الأقرب حكمه ولما روى أنه عليه السلام سئل عن الثالثة فقال عليه السلام أو تسريح بإحسان وهو مبتدأ بتقدير مضاف خبره ما بعده أى عدد الطلاق الذى يستحق الزوج
 - فيه الرد والرجعة حسبا بين آنفاً (مرتان) أى اثنان وإيثار ما ورد به النظم الكريم عليه للإيدان بأن
 - حكمهما أن يقع مرة بعد مرة لا دفعة واحدة وإن كان حكم الرد ثابتاً حينئذ أيضاً (فإمساك) أى فالحكم
 - بعدهما إمساك لهن بالرجعة (بمعروف) أى بحسن عشرة ولطف معاملة (أو تسريح بإحسان) بالطلقة
 - الثالثة كما روى عنه عليه السلام أو بعدم الرجعة إلى أن تنقضى العدة فتبين وقيل المراد به الطلاق الشرعى وبالمرتين مطلق التكرير لا التثنية بعينها كما فى قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين أى كرة بعد كرة والمعنى أن التطليق الشرعى تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع بين الطلقتين أو الثلاث فإن ذلك بدعة عندنا فقوله تعالى فإمساك الخ حكم مبتدأ وتخيير مستأنف والفاء فيه للترتيب على التعليم كأنه قيل إذا علمت كيفية التطليق
 - فأمركم أحد الأمرين (ولا يحل لكم أن تأخذوا) منهن بمقابلة الطلاق (بما آتيتموهن) أى من الصدقات وتخصيصها بالذكر وإن شاركنها فى الحكم سائر أموالهن إما لرعاية العادة أو للتنبيه على أنه إذا لم يحل لهم أن يأخذوا مما آتوهن بمقابلة البضع عند خروجه عن ملككم فلأن لا يحل أن يأخذوا مما لا تعلق له بالبضع
 - أولى وأحرى (شيئاً) أى نزرأ يسيراً فضلاً عن الكثير وتقديم الظرف عليه لما مر مراراً والخطاب مع
 - الحكام وإسناد الأخذ والإيتاء إليهم لأنهم الأمرون بهما عند المرافعة وقيل مع الأزواج وما بعده
 - مع الحكام وذلك مما يشوش النظم الكريم على القراءة المشهورة (إلا أن يخافا) أى الزوجان وقرىء
 - يظننا وهو مؤيد لتفسير الخوف بالظن (أن لا يقيما حدود الله) أى أن لا يراعى ما واجب أحكام الزوجية
 - وقرىء يخافا على البناء للفعول وإبدال أن بصلته من الضمير بدل الاشتغال وقرىء تخافا وتقيما بناء الخطاب
 - (فإن خفت) أيها الحكام (أن لا يقيما) أى الزوجان (حدود الله) بمشاهدة بعض الآمارات والمخايل (فلا جناح عليهما) أى على الزوجين (فيما افتدت به) لا على الزوج فى أخذ ما افتدت به ولا عليها فى إعطائه إياه
 - وروى أن جميلة بنت عبد الله بن أبى بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فأتى رسول الله عليه السلام فقالت لا أنا ولا ثابت لا يجمع رأسى ورأسه شيء والله ما أعيب عليه فى دين ولا خلق ولكن أكره الكفر بعد الإسلام ما أطيقه بغضاً لى رفعت جانب الحياء فرأيت أنه قبل فى عدة فإذا هو أشدم سواداً

فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ، فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا
 إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ، وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ البقرة
 وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنِ أَجَلَهُنَّ فَأُمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سِرِّهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ
 ضِرَارًا لَتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ، وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ
 اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ
 شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ البقرة

- وأقصرهم قامة وأقبحهم وجهاً فنزلت فاختلفت منه بجدية كان أصدقها إياها (تلك) أى الأحكام المذكورة
- (حدود الله فلا تعتدوها) بالمخالفة والرفض (ومن يتعد حدود الله فأولئك) المتعدون والجمع باعتبار معنى
- الموصول (هم الظالمون) أى لا أنفسهم بتعريضها لخط الله تعالى وعقابه ووضع الاسم الجليل في
- المواقع الثلاثة الأخيرة موقع الضمير لتربية المهابة وإدخال الروعة وتعقيب النهي بالوعيد للبالة في التهديد
- (فإن طلقها) أى بعد الطلقتين السابقتين (فلا تحل) هى (له من بعد) أى من بعد هذا الطلاق (حتى ٢٣٠
- تنكح زوجاً غيره) أى حتى تزوج غيره فإن النكاح أيضاً يسند إلى كل منهما وتعلق بظاهره من اقتصر
- على العقد والجمهور على اشتراط الإصابة لما روى أن امرأة رفاة قالت لرسول الله ﷺ إن رفاة طلقنى
- فبت طلاقى وإن عبد الرحمن بن الزبير تزوجنى وأن مامعه مثل هدية الثوب فقال ﷺ أريدن إن ترجعى
- إلى رفاة قالت نعم قال ﷺ لا إلا أن تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك وبمثله تجوز الزيادة على الكتاب
- وقيل النكاح بمعنى الوطء والعقد مستفاد من لفظ الزوج والحكمة من هذا التشريع الردع عن المسارعة
- إلى الطلاق والعود إلى المطلقة ثلاثاً والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل مكروه عندنا ويروى عدم
- الكراهة فيما لم يكن الشرط مصرحاً به وفاسد عند الأكثرين لقوله ﷺ لعن الله المحلل والمحلل له (فإن
- طلقها) أى الزوج الثانى (فلا جناح عليهما) أى على الزوج الأول والمرأة (أن يتراجعا) أن يرجع كل
- منهما إلى الآخر بالعقد (إن ظنا أن يقيما حدود الله) التى أوجب مراعتها على الزوجين من الحقوق ولا
- وجه لتفسير الظن بالعلم لما أن العواقب غير معلومة ولأن أن الناصبة للتوقع المنافى للعلم ولذلك لا يكاد
- يقال علمت أن يقوم زيد (وتلك) إشارة إلى الأحكام المذكورة إلى هنا (حدود الله) أى أحكامه المعينة
- المحمية من التعرض لها بالتغير والمخالفة (يبينها) بهذا البيان اللاتق أو سيدينها فيما سياتى بناء على أن بعضها
- يلحقه زيادة كشف وبيان بالكتاب والسنة والجملة خبر ثان عند من يجوز كونه جملة كافى قوله تعالى فإذا
- هى حية تسعى أو حال من حدود الله والعامل معنى الإشارة (لقوم يعلمون) أى يفهمون وتخصيصهم
- بالذكر مع عموم الدعوة والتبليغ لما أنهم المنتفعون بالبيان أو لأن ما سيلحق ببعض النصوص من البيان
- لا يقف عليه إلا الراعون في العلم (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) أى آخر عدتهن فإن الأجل كما ينطلق ٢٣١

- على المدة ينطلق على منهاها والبلوغ هو الوصول إلى الشيء وقد يقال للدنونه اتساعا وهو المراد ههنا لقوله عز وجل (فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف) إذ لا مكان للإمساك بعد تحقق بلوغ الأجل أى فراجعوهن بغير ضرار أو خلوهن حتى ينقضى أجلهن بإحسان من غير تطويل وهذا كما ترى لإعادة للحكم في بعض صورته اعتناء بشأنه ومبالغة في إيجاب المحافظة عليه (ولا تمسكوهن ضرارا) تأكيد للأمر بالإمساك بمعروف وتوضيح لمعناه وزجر صريح عما كانوا يتعاطونه أى لا تراجعوهن لإرادة الإضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى إذا شارفت انقضاء الأجل يراجعها لا لرغبة فيها بل ليطول عليها العدة فنهى عنه بعد ما أمر بضده لما ذكر وضرار أنصب على العلية أو الحالية أى لا تمسكوهن للضرارة أو مضارين واللام في قوله (لتعتدوا) متعلقة بضرار أى لتظلموهن بالإلجاء إلى الافتداء (ومن يفعل ذلك) أى ما ذكر من الإمساك المؤدى إلى الظلم وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد منزلته في الشر والفساد (فقد ظلم نفسه) في ضمن ظلمه لمن يتعرضها للعقاب (ولا تتخذوا آيات الله) المنطوية على الأحكام المذكورة أو جميع آياته وهى داخلة فيها دخولا أولياً (هزوا) أى مهزوا بها بأن تعرضوا عنها وتهاونوا في المحافظة على ما فى تضاعيفها من الأحكام والحدود من قولهم لمن لم يجد فى الأمر أنت هازى. كأنه نهى عن الهزؤ بها وأريد ما يستلزمه من الأمر بضده أى جدوا فى الأخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها وإلا فقد أخذتموها هزوا ولعباً ويجوز أن يراد به النهى عن الإمساك ضرارا فإن الرجعة بلا رغبة فيها عمل بموجب آيات الله تعالى بحسب الظاهر دون الحقيقة وهو معنى الهزء وقيل كان الرجل ينسكح ويطلق ويعتق ثم يقول إنما كنت ألعب فنزلت ولذلك قال ﷺ ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والعتاق (واذكروا نعمة الله عليكم) حيث هداكم إلى ما فيه سعادتك الدينية والدنيوية أى قابلوها بالشكر والقيام بحقوقها والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من نعمة الله أى كائنة عليكم أو صفة لها على رأى من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته أى الكائنة عليكم ويجوز أن يتعلق بنفسها إن أريد بها الإناعام لأنها اسم مصدر كنبات من أنبت ولا يقدح فى عمله تاء التأنيث لأنه مبنى عليها كما فى قوله [فلولا رجاء النصر منك ورهبة عذابك قد كانوا لنا كما لموارد] (وما أنزل عليكم) عطف على نعمة الله وما موصولة حذف عائدها من الصلة ومن فى قوله عز وجل (من الكتاب والحكمة) بيانية أى من القرآن والسنة أو القرآن الجامع للعنوانين على أن العطف لتغاير الوصفين كما فى قوله [إلى الملك القرم وابن الهمام] وفى إبهامه أولا ثم بيانه من التفضيم ما لا يخفى وفى إفراده بالذكر مع كونه أول ما دخل فى النعمة المأمور بذكرها لإبانته بخطره ومبالغة فى البعث على مراعاة ما ذكر قبله من الأحكام (يعظكم به) أى بما أنزل حال من فاعل أنزل أو من مفعوله أو منهما معاً (واتقوا الله) فى شأن المحافظة عليه والقيام بحقوقه الواجبة (واعلموا أن الله بكل شىء عليم) فلا يخفى عليه شىء مما تأتون وما تذررون فيؤاخذكم بأفانين العقاب

وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضَوْا بَيْنَهُمْ
بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ وَأَظْهَرُ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ البقرة

- (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) بيان لحكم ما كانوا يفعلونه عند بلوغ الأجل حقيقة بعد بيان ٢٣٢
حكم ما كانوا يفعلونه عند المشاركة إليه والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة إذا نشب يعضها
ولم يخرج والمراد المنع والخطاب إما للأولياء لما روى أنها نزلت في معقل بن يسار حين عضل أخته جملاً
أن ترجع إلى زوجها الأول بالنكاح وقيل نزلت في جابر بن عبد الله حين عضل أخته عم له وإسناد
التطليق إليهم لتسبيهم فيه كما ينبي عنه تصديهم للعضل ولعل التعرض لبلوغ الأجل مع جواز الزوج
بالزوج الأول قبله أيضاً لوقوع العضل المذكور حينئذ وليس فيه دلالة على أن ليس للمرأة أن تزوج
نفسها وإلا لما احتيج إلى نهى الأولياء عن العضل لما أن النهى لدفع الضرر عنهن فإنهن وإن قدرن على
تزويج أنفسهن لكنهن يحتزن عن ذلك مخافة اللوم والقطيعة وإما للأزواج حيث كانوا يعضلون
مطلقاتهم ولا يدعونهم يتزوجن ظلماً وقسراً لحماية الجاهلية وإما للناس كافة فإن إسناد ما فعله واحد
منهم إلى الجميع شائع مستفيض والمعنى إذا وجد فيكم طلاق فلا يقع فيما بينكم عضل سواء كان ذلك من قبل
الأولياء أو من جهة الأزواج أو من غيرهم وفيه تهويل لأمر العضل وتحذير منه وإيدان بأن وقوع
ذلك بين ظهرانهم وهم ساكتون عنه بمنزلة صدوره عن الكل في استتباع اللائمة وسراية الغائلة (أن
ينكحن) أي من أن ينكحن فحلله النصب عند سيديويه والفراء والجر عند الخليل على الخلاف المشهور
وقيل هو بدل اشتغال من الضمير المنصوب في تعضلوهم وفيه دلالة على صحة النكاح بعبارتهن (أزواجهن)
إن أريد بهم المطلقون فالزوجة إما باعتبار ما كان وإما باعتبار ما يكون وإلا فبالاعتبار الأخير (إذا
تراضوا) ظرف للتعضلو وصيغة التذكير باعتبار تغليب الخطاب على النساء والتقيد به لأنه المعتاد
لا لتجوز المنع قبل تمام التراضي وقيل ظرف لأن ينكحن وقوله تعالى (بينهم) ظرف للتراضي مفيد
لرسوخه واستحكامه (بالمعروف) الجميل عند الشرع المستحسن عند الناس والباء إما متعلقة بمحذوف
وقع حالاً من فاعل تراضوا أو نعتاً لمصدر محذوف أي تراضيا كائناً بالمعروف وإما بتراضوا أي يراضوا
بما يحسن في الدين والمرء وفيه إشعار بأن المنع من الزوج بغير كفؤ أو بما دون مهر المثل ليس من باب
العضل (ذلك) إشارة إلى ما فصل من الأحكام وما فيه من معنى البعد لتعظيم المشار إليه والخطاب لجميع
المكلفين كما فيما بعده والتوحيد إما باعتبار كل واحد منهم وإما بتأويل القبيل والفريق وإما لأن الكاف
لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضى دون تعيين المخاطبين أو الرسول ﷺ كما في قوله تعالى يا أيها
النبي إذا طلقتم النساء الدلالة على أن حقيقة المشار إليه أمر لا يكاد يعرفه كل أحد (يوعظ به من كان منكم
يؤمن بالله واليوم الآخر) فيسارع إلى الامتثال بأوامر ونواهيه لإجلاله وخوفاً من عقابه وقوله تعالى

وَالْوَلَدُ يُرَضَعُ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ
وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارُّ وَالِدَةُ يَوْلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِيَوْلَدِهِ وَعَلَى
الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ
أَنْ تَسْرِعُوا وَلَدُكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ
اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ البقرة

- منكم إما متعلق بكان عند من يجوز عملها في الظروف وشبهها وإما بمحذوف وقع حالا من فاعل يؤمن أي
- كائناً منكم (ذلكم) أي الاتعاظ به والعمل بمقتضاه (أزكى لكم) أي أنمى وأنفع (وأطهر) من أدناس الآثام
 - وأضرار الذنوب (والله يعلم) ما فيه من الزكاء والطهر (وأنتم لا تعلمون) ذلك أو والله يعلم ما فيه صلاح أموركم
 - من الأحكام والشرائع التي من جملتها ما بينه ههنا وأنتم لا تعلمونها فدعوا رأيكم وامثلوا أمره تعالى ونهيه في
 - كل ما تأتون وما تذكرون (والوالدات يرضعن أولادهن) شروع في بيان الأحكام المتعلقة بأولادهن خصوصاً
 - واشتراكاً وهو أمر أخرج مخرج الخبر مبالغة في الحمل على تحقيق مضمونه ومعناه الندب أو الوجوب
 - إن خص بمادة عدم قبول الصبي ثدي الغير أو فقدان الظئر أو عجز الوالد عن الاستئجار والتعبير عنهن
 - بالعنوان المذكور لهن عطفهن نحو أولادهن والحكم عام للمطلقات وغيرهن وقيل خاص بهن إذ الكلام
 - فيهن (حولين كاملين) التأكيد بصفة الكمال لبيان أن التقدير تحقيق لا تقريبي مبني على المسامحة المعتادة
 - (لمن أراد أن يتم الرضاعة) بيان لمن يتوجه إليه الحكم أي ذلك لمن أراد إتمام الرضاعة وفيه دلالة على
 - جواز النقص وقيل اللام متعلقة بيرضعن فإن الأب يجب عليه الإرضاع كالنفقة والام ترضع له كما يقال
 - أرضعت فلانة لفلان ولده (وعلى المولود له) أي الوالد فإن الولد يولد له وينسب إليه وتغيير العبارة
 - للإشارة إلى المعنى المقتضى لوجوب الإرضاع ومؤنة المرضعة عليه (رزقهن وكسوتهن) أجرة لهن
 - واختلاف في استئجار الأم وهو غير جائز عندنا مادامت في النكاح أو العدة جائز عند الشافعي رحمه
 - الله (بالمعروف) حسبما يراه الحاكم وينبغي به وسعه (لا تكلف نفس إلا وسعها) تعليل لإيجاب المؤن
 - بالمعروف أو تفسير للمعروف وهو نص على أنه تعالى لا يكلف العبد مالا يطيقه وذلك لا ينافي بإمكانه
 - (لا تضار والدة يولدها ولا مولود له بولده) تفصيل لما قبله وتقرير له أي لا يكلف كل واحد منهما الآخر
 - مالا يطيقه ولا يضاره بسبب ولده وقرى لا تضار بالرفع بدلاً من لا تكلف وأصله على القراءتين لا تضار
 - بالكسر على البناء للفاعل وبالفتح على البناء للفعول وعلى الوجه الأول يجوز أن يكون بمعنى تضروا الباء
 - من صلته أي لا يضر الوالدان بالولد فيفرط في تعهده ويقصر فيما ينبغي له وقرى لا تضار بالسكون مع
 - التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على أنه من ضاره يضير وهو إضافة الولد إلى كل منهما لاستعطفهما
 - إليه وللتنبية على أنه جذبر بأن يتفقا على استصلاحه ولا ينبغي أن يضرا به أو يتضارا بسببه (وعلى الوارث

وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنكُمُ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ البقرة

- (مثل ذلك) عطف على قوله تعالى وعلى المولود له رزقهن الخ وما بينهما تعليل أو تفسير معترض والمراد به وارث الصبي من كان ذارحم محرم منه وقيل عصباته وقال الشافعي رحمه الله هو وارث الأب وهو الصبي أى تمان المرضعة من ماله عند موت الأب ولا نزاع فيه وإنما الكلام فيما إذا لم يكن للصبي مال وقيل الباقي من الأبوين من قوله عليه الصلاة والسلام واجعله الوارث منا وذلك إشارة إلى ماوجب على الأب من الرزق والكسوة (فإن أراد) أى الوالدان (فصلاً) أى فطاماً عن الرضاع قبل تمام الحولين والتسكير للإيدان بأنه فصال غير معتاد (عن تراض) متعلق بمحذوف ينساق إليه الذهن أى صادراً عن تراض (منهما) أى من الوالدين لا من أحدهما فقط لا احتمال لإقدامه على ما يضر بالولد بأن تمل المرأة الإرضاع ويبخل الأب بإعطاء الأجرة (وتشاور) فى شأن الولد وتفحص عن أحواله وإجماع منهما على استحقاقه للفظام والتشاور من المشورة وهى استخراج الرأى من شرت العسل إذا استخرجته وتسكيرهما للتفخيم (فلا جناح عليهما) فى ذلك لما أن تراضيهما إنما يكون بعد استقرار رأيهما أو اجتهدهما على أن صلاح الولد فى الفطام وقلبا يتفقان على الخطأ (وإن أردتم) بيان لحكم عدم اتفاقهما على الفطام والالتفات إلى خطاب الآباء لهم إلى الامتثال بما أمروا به (أن تسترضعوا أولادكم) بحذف المفعول الأول استغناء عنه أى أن تسترضعوا المراضع لا أولادكم يقال أرضعت المرأة الصبي واسترضعتها إياه وقيل إنما يتعدى إلى الثانى بحرف الجر يقال استرضعت المرأة للصبي أى أن تسترضعوا المراضع لا أولادكم لحذف حرف الجر أيضاً كما فى قوله تعالى وإذا كالوهم أى كالواهم (فلا جناح عليكم) أى فى الاسترضاع وفيه دلالة على أن للأب أن يسترضع للولد ويمنع الأم من الإرضاع (إذا سلمتم) أى إلى المراضع (ما أتيتن) أى ما أردتم إتيانه كما فى قوله تعالى فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وقرئ ما أتيتن من أتى إليه إحساناً إذا فعله وقرئ ما أتيتن أى من جهة الله عز وجل كما فى قوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وفيه مزيد بعث لهم إلى التسليم (بالمعروف) متعلق بسلمتم أى بالوجه المتعارف المستحسن شرعاً وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه وليس التسليم بشرط للصحة والجواز بل هو نداء إلى ما هو اللائق والأولى فإن المراضع إذا أعطين ما قدر لهن ناجزاً يداً بيد كان ذلك أدخل فى استصلاح شئون الأطفال (واتقوا الله) فى شأن مراعاة الأحكام المذكورة (واعلموا أن الله بما تعملون بصير) فيجازيكم بذلك وإظهار الاسم الجليل فى موضع الإضمار لثرية المهابة وفيه من الوعيد والتهديد ما لا يخفى (والذين) ٢٣٤ على حذف المضاف أى وأزواج الذين (يتوفون منكم) أى تقبض أرواحهم بالموت فإن التوفى هو القبض يقال توفيت مالى من فلان واستوفيته منه أى أخذته وقبضته والخطاب لكافة الناس بطريق التلويح (ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً) أو على حذف العائد إلى المبتدأ فى الخبر

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْتُمْ سَتَدْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْرِضُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ البقرة

أى يترصدن بعدهم كما فى قولهم السمن منوان بدرهم أى منوان منه وقرىء يتوفون بفتح الياء أى يستوفون آجالهم وتأنيت العشر باعتبار الليالى لأنها غرر الشهور والآيام ولذلك تراهم لا يكادون يستعملون التذكير فى مثله أصلاً حتى أنهم يقولون صمت عشر أو من البين فى ذلك قوله تعالى إن لبئتم إلا عشراً ثم إن لبئتم إلا يوماً ولعل الحكمة فى هذا التقدير أن الجنين إذا كان ذكراً يتحرك غالباً لثلاثة أشهر وإن كان أنثى يتحرك لأربعة فاعتبر أقصى الأجلين وزيد عليه العشر استظهاراً لإذ ربما تضعف الحركة فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضى تساوى المسلمة والكتابية والحررة والامة فى هذا الحكم ولكن القياس اقتضى التنصيف فى الامة وقوله عز وجل وأولات الاحمال خص الحامل منه وعن على وابن عباس رضى الله عنهم أنها تعتد بأبعد الأجلين احتياطاً (فإذا بلغن أجلهن) أى انقضت عدتهن (فلا جناح عليكم)
 • أيها الحكم والمسلمون جميعاً (فيما فعلن فى أنفسهن) من التزين والتعرض للخطاب وسائر ما حرم على المعتدة (بالمعروف) بالوجه الذى لا ينكره الشرع وفيه إشارة إلى أنهم لو فعلن ما ينكره الشرع فعليه ٢٣٥ أن يكفوهن عن ذلك وإلا فعليه الجناح (والله بما تعملون خبير) فلا تعملوا خلاف ما أمرتم به (ولا جناح عليكم) خطاب للكل (فيما عرضتم به) التعريض والتلويح لإيهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازاً كقول السائل جئتكم لأسلم عليكم وأصله إمالة الكلام عن نهجه إلى عرض منه أى جانب والكنية
 • هى الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للبضياف (من خطبة النساء) الخطبة بالكسر كالقعدة والجلسة ما يفعله الخاطب من الطلب والاستلطاف بالقول والفعل فقيل هى مأخوذة من الخطب أى الشأن الذى له خطر لما أنها شأن من الشئون ونوع من الخطوب وقيل من الخطاب لأنها نوع مخاطبة تجرى بين جانب الرجل وجانب المرأة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة والتعريض لخطبتهن أن يقول لها إنك جميلة أو صالحة أو نافعة ومن غرضى أن أتزوج ونحو ذلك مما يوم أنه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه إن رغب فيه ولا يصرح بالنكاح (أو أكننتم فى أنفسكم)
 • أى أضمرتم فى قلوبكم فلم تذكروه تصريحاً ولا تعريضاً (علم الله أنكم ستذكرونهن) ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن إظهار الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ لهم على قلة التثبت (ولكن لا تواعدهن سرا) استدرارك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن أى فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحاً بل اكتفوا بما رخص لكم من التعريض والتعبير عن النكاح بالسر لأن مسببه الذى هو الوطء مما يسره وإيثاره على اسمه للإيدان بأنه مما ينبغى أن يسره ويكتم وحمله على الوطء ربما يوم الرخصة فى المحذور الذى هو التصريح بالنكاح وقيل انتصاب سراً على الظرفية أى لا تواعدوهن فى السر على أن المراد بذلك

لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ البقرة

- المواعدة بما يستهجن وفيه ما فيه (إلا أن تقولوا أقولا معروفا) استثناء مفرغ مما يدل عليه النهى أى لا تواعدة من مواعدة ما إلا مواعدة معروفة غير منكرة شرعاً ما يكون بطريق التعريض والتلويح أو إلا مواعدة بقول معروف أو لا توعدوهن بشيء من الأشياء إلا بأن تقولوا أقولا معروفا وقيل هو استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لا دانه إلى جعل التعريض موعوداً وليس كذلك (ولا تعزموا عقدة النكاح)
- من عزم الأمر إذا قصده قصداً جازماً وحقيقته القطع بدليل قوله ﷺ لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروى لمن لم يبيت الصيام والنهى عنه للمبالغة فى النهى عن مباشرة عقد النكاح أى لا تعزموا عقد عقدة النكاح (حتى يبلغ الكتاب أجله) أى العدة المكتوبة المفروضة آخرها وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح أى لا تبرموا ولا تلزموها ولا تقدموا عليها فيكون نهياً عن نفس الفعل لا عن قصده (واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم) من ذوات الصدور التى من جملتها العزم على ما نهيتهم عنه (فاحذروه) بالاجتناب عن العزم ابتداء أو إقلا عنه بعد تحققه (واعلموا أن الله غفور) يغفر لمن يقطع عن عزمه خشية منه تعالى (حليم) لا يعاجلكم بالعقوبة فلا تستدلوا بتأخيرها على أن ما نهيتهم عنه من العزم ليس مما يستتبع المؤاخظة وإظهار الاسم الجليل فى موضع الإضمار لإدخال الروعة (لا جناح عليكم) أى لا تبعه من مهر ٢٣٦ وهو الأظهر وقيل من وزر إذ لا بدعة فى الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبى ﷺ يكثّر النهى عن الطلاق فظن أن فيه جناحاً فنفى ذلك (إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن) أى ما لم تجمعهن وقرىء تماسوهن بضم التاء فى جميع المواضع أى مدة عدم مساسكم إياهن على أن ما مصدرية ظرفية بتقدير المضاف ونقل أبو البقاء أنها شرطية بمعنى أن فيكون من باب اعتراض الشرط على الشرط فيكون الثانى قيد الأول كافى قولك إن تأتني إن تحسن إلى أكرمك أى إن تأتني محسناً إلى والمعنى إن طلقتموهن غير ماسين لهن وهذا المعنى أقعد من الأول لما أن ما الظرفية إنما يحسن موقعها فيما إذا كان المظروف أمراً ممتداً منطبقاً على ما أضيف إليها من المدة أو الزمان كما فى قوله تعالى خالدين فيها مادامت السموات والأرض وقوله تعالى وكنت عليهم شهيداً مادامت فيهم ولا يخفى أن التطبيق ليس كذلك وتعليق الظرف بنفى الجناح ربما يؤهم إمكان المسيس بعد الطلاق فالوجه أن يقدر الحال مكان الزمان والمدة (أو تفرضوا لهن فريضة) أى إلا أن تفرضوا لهن أو حتى تفرضوا لهن عند العقد مهرأ على أن فريضة فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية إلى الاسمية وانتصابه على المفعولية ويجوز أن يكون مصدرأ صيغة وإعراباً والمعنى أنه لا تبعه على المطلق بمطالبة المهر أصلاً إذا كان الطلاق قبل المسيس على كل حال إلا فى حال تسمية المهر فإن عليه حينئذ نصف المسمى وفى حال عدم تسميته عليه المتعة لانصف مهر المثل وأما إذا كان بعد المساس فعليه فى صورة التسمية تمام المسمى وفى صورة عدمها تمام مهر المثل وقيل كلمة أو عاطفة مدخولها على

وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ البقرة

- ما قبلها من الفعل المجزوم على معنى ما لم يكن منكم مسيس ولا فرض مهر (ومتعوهن) عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أى فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في إيجاب المنة جبراً بإحاش الطلاق وهى
- درع وملحفة وخمار على حسب الحال كما يفصح عنه قوله تعالى (على الموسع قدره وعلى المقتر قدره) أى ما يليق بحال كل منهما وقرىء بسكون الدال وهى جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب مبنية لمقدار المنة بالنظر إلى حال المطلق إيساراً وإقتاراً أو حال من فاعل متعوهن بحذف الرابط أى على الموسع منكم الخ أو على جعل الآف واللام عوضاً من المضاف إليه عند من يجوز به أى على موسعكم الخ وهذا إذا لم يكن مهر مثلها أقل من ذلك فإن كان أقل فلها الأقل من نصف مهر المثل ومن المنة ولا ينقص
- عن خمسة دراهم (متاعاً) أى تمتيعاً (بالمعروف) أى بالوجه الذى تستحسنه الشريعة والمروءة (حقاً)
- صفة لمتاعاً أو مصدر مؤكد أى حق ذلك حقاً (على المحسنين) أى الذين يحسنون إلى أنفسهم بالمسارعة إلى الامتثال أو إلى المطلقات بالتتمتع بالمعروف وإنما سموا محسنين اعتباراً للشارفة وترغيباً وتحريضاً
- ٢٣٧ (وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن) قبل ذلك (فريضة) أى وإن طلقتموهن من قبل المسيس حال كونكم مسمين لهن فيما سبق أى عند النكاح مهراً على أن الجملة حال من فاعل طلقتموهن ويجوز أن تكون حالا من مفعوله لتحقق الرابط بالنسبة إليهما ونفس الفرض من المبنى للفاعل أو للمفعول وإن لم يقارن حالة التطليق لكن اتصاف المطلق بالفارضية فيما سبق مما لا ريب في مقارنته لها وكذا الحال
- في اتصاف المطلقة بكونها مفروضاً لها فيما سبق (فنصف ما فرضتم) أى فلهن نصف ما سميتم لهن من المهر أو فالواجب عليكم ذلك وهذا صريح في أن المتني في الصورة السابقة إنما هو تبعه المهر وقرىء بالنصب أى فادوا نصف ما فرضتم ولعل تأخير حكم النسمية مع أنها الأصل في العقد والأكثر في الوقوع لما أن الآية الكريمة نزلت في أنصاري تزوج امرأة من بنى حنيفة وكانت مفوضة فطلقها قبل الدخول بها
- فتخاصموا إلى رسول الله ﷺ فقال له ﷺ عند إظهار أن لا شيء له متعها بقلنسوتك (إلا أن يعفون) استثناء مفرغ من أعم الأحوال أى فلهن نصف المفروض معيناً في كل حال إلا حال عفوهم فإنه يسقط ذلك حينئذ بعد وجوبه وظاهر الصيغة في نفسها يحتمل التذكير والتأنيث وإنما الفرق في الاعتبار والتحقيق فإن الواو في الأولى ضمير والنون علامة الرفع وفي الثانية لام الفعل والنون ضمير والفعل مبنى ولذلك لم يؤثر فيه أن تأثيره فيما عطف على محله من قوله تعالى (أو يعفو) بالنصب وقرىء بسكون الواو (الذى بيده عقدة النكاح) أى يترك الزوج المالك لعقده وحله ما يعود إليه من نصف المهر الذى ساقه إليها كاملاً على ما هو المعتاد تكراراً فإن ترك حقه عليها عفو بلا شبهة أو سمي ذلك عفواً في صورة عدم السوق

حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ البقرة

- مشكلة أو تغليباً لحال السوق على حال عدمه فرجع الاستثناء حينئذ إلى منع الزيادة في المستثنى منه كما أنه في الصورة الأولى إلى منع النقصان فيه أى فلهن هذا القدر بلا زيادة ولا نقصان في جميع الأحوال إلا في حال عفو هن فإنه حينئذ لا يكون هن القدر المذكور بل ينتفي ذلك أو ينحط أو في حال عفو الزوج فإنه حينئذ يكون هن الزيادة على ذلك القدر هذا على التفسير الأول وأما على التفسير الثاني فلا بد من المصير إلى جعل الاستثناء منقطعاً لأن في صورة عفو الزوج لا يتصور الوجوب عليه هذا عندنا وفي القول القديم للشافعي رحمه الله أن المراد عفو الولى الذى بيده عقدة نكاح الصغيرة وهو ظاهر المأخذ خلا أن الأول أنسب بقوله تعالى (وأن تعفوا أقرب للتقوى) إلى آخره فإن إسقاط حق الصغيرة ليس في شيء من التقوى وعن جبير بن مطعم أنه تزوج امرأة وطلقها قبل الدخول وأكمل لها الصداق وقال أنا أحق بالعفو وقرىء بالياء (ولا تنسوا الفضل بينكم) أى لا تركوا أن يتفضل بعضكم على بعض كالشيء المنسى وقرىء بكسر الواو والخطاب في الفعلين للرجال والنساء جميعاً بطريق التغليب (إن الله بما تعملون بصير) فلا يكاد يضيع ما عملتم من الفضل والإحسان (حافظوا على الصلوات) أى داوموا ٢٣٨ على أدائها لا وقتها من غير إخلال بشيء منها كما تنبى عنه صيغة المفاعلة المفيدة للبالغة ولعل الأمر بها في تضاعيف بيان أحكام الأزواج والأولاد قبل الإتمام للإيدان بأنها حقيقة بكمال الاعتناء بشأنها والمثابرة عليها من غير اشتغال عنها بشأنهم بل بشأن أنفسهم أيضاً كما يفصح عنه الأمر بها في حالة الخوف ولذلك أمر بها في خلال بيان ما يتعلق بهم من الأحكام الشرعية المتشابهة الآخذ بعضها بحجة بعض (والصلاة الوسطى) أى المتوسطة بينها أو الفضلى منها وهى صلاة العصر لقوله ﷺ يوم الأحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله تعالى بيوتهم ناراً وقال ﷺ إنها الصلاة التى شغل عنها سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها بتجاراتهم ومكاسبهم واجتماع ملائكة الليل وملائكة النهار حينئذ وقيل هى صلاة الظهر لأنها في وسط النهار وكانت أشق للصلوات عليهم لما أن رسول الله ﷺ كان يصليها بالهاجرة فكانت أفضلها لقوله ﷺ أفضل العبادات أحزها وقيل هى صلاة الفجر لأنها بين صلاتي الليل والنهار والواقعة في الحد المشترك بينهما ولأنها مشهودة كصلاة العصر وقيل هى صلاة المغرب لأنها متوسطة من حيث العدد ومن حيث الوقوع بين صلاتي النهار والليل ووتر النهار ولا تنقص في السفر وقيل هى صلاة العشاء لأنها بين الجهرتين الواقعتين في طرفي الليل وعن عائشة وابن عباس رضى الله عنهما أنه ﷺ كان يقرأ والصلاة الوسطى وصلاة العصر فتكون حينئذ إحدى الأربع قد خصت بالذكر مع العصر لا تفرادها بالفضل وقرىء وعلى الصلاة الوسطى وقرىء بالنصب على المدح وقرىء الوسطى (وقوموا لله) أى في الصلاة (قانتين) ذاكرين له تعالى في القيام لأن القنوت هو الذكر فيه وقيل هو إكمال الطاعة وإتمامها بغير إخلال بشيء من أركانها وقيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح .

فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ البقرة
وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ وَيُذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتْنَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ البقرة

- ٢٣٩ (فإن خفتهم) أى من عدو أو غيره (فرجالاً) جمع راجل كقيام وقائم أو راجل بمعنى راجل وقرىء بضم الراء مع التخفيف وبضمها مع التشديد أيضاً وقرىء فرجلاً أى راجلاً (أو ركبناً) جمع راكب أى فصلوا راجلين أو راكبين حسبما يقتضيه الحال ولا تخلوا بهما ما أمكن الوقوف في الجملة وقد جوز الشافعى رحمه الله أداءها حال المسابقة أيضاً (فإذا أمنتهم) بزوال الخوف (فأذكروا الله) أى فصلوا صلاة الا من عبر عنها بالذكر لأنه معظم أركانها (كما علمكم) متعلق بمحذوف وقع وصفاً لمصدر محذوف أى ذكر أكاننا كما علمكم أى كتعليمه إياكم (ما لم تكونوا تعلمون) من كيفية الصلاة والمراد بتشبيهه أن تكون الصلاة المؤداة موافقة لما عليه الله تعالى وإيرادها بذلك العنوان لتذكير النعمة أو اشكروا الله تعالى شكرياً يوازي تعليمه إياكم ما لم تكونوا تعلمونه من الشرائع والأحكام التى من جملتها كيفية إقامة الصلاة حالتى الخوف والامن هذا وفى إيراد الشرطية الأولى بكلمة أن المفيدة لمشكوكية وقوع الخوف وندرتة وتصدير الشرطية الثانية بكلمة إذا المنبئة عن تحقق وقوع الا من وكثرتة مع الإيجاز فى جواب الأولى والإطناب فى جواب الثانية المبنيين على تنزيل مقام وقوع الماء وربه فيهما منزلة مقام وقوع الامر تنزيلاً مستديماً لإجراء مقتضى المقام الأول فى كل منهما مجرى مقتضى المقام الثانى من الجزالة ولطف الاعتبار ما فيه عبرة
- ٢٤٠ لاولى الأبصار (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً) عود إلى بيان بقية الأحكام المفصلة فيما سلف إثر بيان أحكام وسط بينهما لما أشير إليه من الحكمة الداعية إلى ذلك (وصية لأزواجهم) أى يوصون أوليوصوا أو كتب الله عليهم وصية ويؤيد هذا قراءة من قرأ كتب عليكم الوصية لأزواجكم وقرىء بالرفع على تقدير مضاف فى المبتدأ أو الخبر أى حكم الذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم أو الذين يتوفون أهل وصية لأزواجهم أو كتب عليهم وصية أو عليهم وصية وقرىء مناع لأزواجهم بدل وصية (متاعاً إلى الحول) منصوب بيوصون إن أضمرته وإلا فالوصية أو بمناع على القراءة الأخيرة (غير إخراج) بدل منه أو مصدر مؤكد كما فى قولك هذا القول غير ما تقول أو حال من أزواجهم أى غير مخرجات والمعنى يجب على الذين يتوفون أن يوصوا قبل الاحتضار لأزواجهم بأن يتمتعن بعدم حولا بالنفقة والسكنى وكان ذلك أول الإسلام ثم نسخت المدة بقوله تعالى أربعة أشهر وعشراً فإنه وإن كان متقدماً فى التلاوة متأخراً فى النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع أو الثمن وكذلك السكنى عندنا وعند الشافعى هى باقية (فإن خرجن) عن منزل الأزواج باختيارهن (فلا جناح عليكم) أيها الأئمة (فيما فعلن فى أنفسهن من معروف) لا ينكره الشرع كالتزين والتعطيب وترك الحداد والتعرض للخطاب وفيه دلالة على أن المحظور إخراجها عند إرادة القرار وملزمة مسكن الزوج والحداد من غير أن يجب

وَالْمُطَلَّقَاتِ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ البقرة

كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ البقرة

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ البقرة

- عليها ذلك وأنها كانت مخيرة بين الملازمة مع أخذ النفقة وبين الخروج مع تركها (والله عزيز) غالب على أمره يعاقب من خالفه (حكيم) يراعى في أحكامه مصالح عباده (وللمطلقات) سواء كن مدخولاً بهن ٢٤١ أولاً (متاع) أى مطلق المنعة الشاملة للواجبة والمستحبة وأوجها سعيد بن جبير وأبو العالية والزهرى للكل وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة وقيل اللام للعهد والمراد غير المدخول بهن والتكرير للتأكيد (بالمعروف) شرعاً وعادة (حقاً على المتقين) أى مما ينبغي (كذلك) أى مثل ذلك البيان الواضح (يبين) ٢٤٢ الله لكم آياته) الدالة على أحكامه التى شرعها لعباده (لعلكم تعقلون) لئلى تفهموا ما فيها وتعملوا بموجبها ● (ألم تر) تقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأرباب الأخبار وتعجب من شأنهم البديع فإن ٢٤٣ سماعهم لها بمنزلة الرؤية النظرية أو العلية أو لكل أحد من له حظ من الخطاب إيذاناً بأن قصتهم من الشهرة والشبوع بحيث يحق لكل أحد أن يحمل على الإقرار برؤيتهم وسماع قصتهم ويعجب بها وإن لم يكن ممن رآهم أو سمع بقصتهم فإن هذا الكلام قد جرى مجرى المثل فى مقام التعجب لما أنه شبه حال غير الرأى لشيء عجيب بحال الرأى له بناء على ادعاء ظهور أمره وجلالته بحيث استوى فى إدراكه الشاهد والغائب ثم أجرى الكلام معه كما يجرى مع الرأى قصداً إلى المبالغة فى شهرته وعراقته فى التعجب وتعدية الرؤية بإلى فى قوله تعالى (إلى الذى خرجوا من ديارهم) على تقدير كونها بمعنى الإبصار ● باعتبار معنى النظر وعلى تقدير كونها إدراكاً قلبياً لتضمنين معنى الوصول والانتهاى على معنى ألم ينته عليك إليهم (وهم ألو ف) أى ألو ف كثيرة قيل عشرة آلاف وقيل ثلاثون وقيل سبعون ألفاً والجملة ● حال من ضمير خرجوا وقوله عز وجل (حذر الموت) مفعول له روى أن أهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا منها هاربين فأماهم الله ثم أحياهم ليعتبروا ويعلموا أن لا مفر من حكم الله عز سلطانه وقضائه وقيل مر عليهم حز قيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت أوصالهم فلوى شدقيه وأصابه تعجباً مما رأى من أمرهم فأوحى إليه ناد فيهم أن قوموا بإذن الله فنادى فإذا هم قيام يقولون سبْحانَكَ اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت وقيل هم قوم من بنى إسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد فهربوا حذراً من الموت فأماهم الله تعالى ثمانية أيام ثم أحياهم وقوله عز وجل (فقال لهم الله موتوا) إما عبارة عن تعلق إرادته تعالى بموتهم دفعة وإما تمثيل لأمانته تعالى لإياهم ميتة نفس واحدة فى أقرب وقت وأدناه وأسرع زمان وأوحاه بأمر أمر مطاع لأمور مطيع كما فى قوله تعالى

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ البقرة

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ
وَالِيَهُ تَرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ البقرة

- إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون (ثم أحيام) عطف إما على مقدر يستدعيه المقام أى فماتوا ثم أحيام وإنما حذف الدلالة على الاستغناء عن ذكره لاستحالة تخلف مراده تعالى عن إرادته وإما على قال لما أنه عبارة عن الإمانة وفيه تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض لأسباب الشهادة وأن الموت حيث لم يكن منه بد ولم ينفع منه المفر فأولى أن يكون في سبيل الله تعالى (إن الله لذو فضل) عظيم (على الناس) قاطبة أما أولئك فقد أحيام ليعتبروا بما جرى عليهم فيفوزوا بالسعادة العظمى وأما الذين سمعوا قصتهم فقد هدام إلى مسلك الاعتبار والاستبصار (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) أى لا يشكرون فضله كما ينبغي ويجوز أن يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار وإظهار الناس في مقام الإضمار
- ٢٤٤ لمزبد التشنيع (وقاتلوا في سبيل الله) عطف على مقدر يعينه ما قبله كأنه قيل فاشكروا فضله بالاعتبار بما قص عليكم وقاتلوا في سبيله لما علمتم أن الفرار لا ينجى من الحمام وأن المقدر لا مرد له فإن كان قدحان الآجل فموت في سبيل الله عز وجل وإلا فنصر عز ووثواب (واعلموا أن الله سميع) يسمع مقالة السابقين والمتخلفين (عليم) بما يضمرونه في أنفسهم وهو من وراء الجزاء خيراً وشرّاً فسارعوا إلى الامتنال
- ٢٤٥ واحذروا المخالفة والمساهلة (من ذا الذى يقرض الله) من استفهامية مرفوعة المحل بالابتداء وذا خبره والموصول صفة له أو بدل منه وإقراض الله تعالى مثل لتقديم العمل العاجل طلباً للثواب الآجل والمراد ههنا إما الجهاد الذى هو عبارة عن بذل النفس والمال في سبيل الله عز وجل ابتغاء لمرضاته وإما مطلق العمل الصالح المنتظم له انتظاماً أولياً (قرضاً حسناً) أى إقراضاً مقروناً بالإخلاص وطيب النفس
- أو مقرضاً حلالاً طيباً (فيضاعفه له) بالنصب على جواب الاستفهام حملاً على المعنى فإنه في معنى أيقرضه وقرىء بالرفع أى يضاعف أجره وجزاءه جعل ذلك مضاعفة له بناء على ما بينهما من المناسبة بالسببية والمسببية ظاهراً وصيغة المفاعلة للبالغة وقرىء فيضعفه بالرفع والنصب (أضعافاً) جمع ضعف ونصبه على أنه حال من الضمير المنصوب أو مفعول بأن يضمن المضاعفة معنى التصيير أو مصدر مؤكد
- على أن الضعف اسم للبصدر والجمع للتوین (كثيرة) لا يعلم قدرها إلا الله تعالى وقيل الواحد بسبعمائة
- (والله يقبض ويبسط) أى يقتر على بعض ويوسع على بعض أو يقتر تارة ويوسع أخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كي لا يبدل أحوالكم ولعل تأخير البسط عن القبض في الذكر للإيمان إلى أنه يعقبه في الوجود تسلياً للفقراء وقرىء يبسط بالصاد لمجاورة الطاء (وإليه ترجعون) فيجازيكم على ما قدمتم من الأعمال خيراً وشرّاً .

أَلَمْ تَر إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٩﴾ البقرة

- (ألم تر) تقربر وتعجيب كما سبق قطع عنه للإيدان باستقلاله في التعجب مع أن له مزيداً تباط بما وسط بينهما ٢٤٦
- من الأمر بالقتال (إلى الملائم بنى إسرائيل) الملائم القوم وجوههم وأشرافهم وهو اسم للجماعة لا واحده ●
- من لفظه كالمهبط والقوم سمو بذلك لما أنهم يملئون العيون مهابة والمجالس بهاء أولانهم مليشون بما يبتغى منهم ومن تبعيضية ومن في قوله تعالى (من بعد موسى) ابتدائية وعاملها مقدر وقع حالاً من الملائم أى كائنين ●
- بعض بنى إسرائيل من بعد وفاة موسى ولا ضير في اتحاد الحرفين لفظاً عند اختلافهما معنى (إذ قالوا) ●
- منصوب بمضمر يستدعيه المقام أى ألم تر إلى قصة الملائم أو حديثهم حين قالوا (لنبي لهم) هو يوشع بن نون بن إفرائيم بن يوسف عليهما السلام وقيل شمعون بن صعبة بن علقمة من ولد لاوى بن يعقوب عليهما السلام وقيل أشمويل بن بال بن علقمة وهو بالعبرانية إسماعيل . قال مقاتل هو من نسل هرون عليه السلام وقال مجاهد أشمويل بن هلقايا (أبعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله) أى أنهض للقتال معنا ●
- أمير أنصدر في تدبير أمر الحرب عن رأيه وقرىء نقاتل بالرفع على أنه حال مقدر أى أبعث لنا مقدرين القتال أو استئناف مبنى على السؤال وقرىء يقاتل بالياء مجزوماً ومرفوعاً على الجواب للأمر والوصف للملك (قال) استئناف وقع جواباً عن سؤال ينساق إليه الذهن كأنه قيل فإذا قال لهم النبي حينئذ فليل قال (هل عسيتم إن كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا) فصل بين عسى وخبره بالشرط للاعتناء به أى ●
- هل قاربتم أن لا تقاتلوا كما أتوقعه منكم والمراد تقرير أن المتوقع كائن وإنما لم يذكر في معرض الشرط ما التمسوه بأن قيل هل عسيتم أن بعثت لكم ملكاً الخ مع أنه أظهر تعلقاً بكلامهم بل ذكر كتابة القتال عليهم للبالغة في بيان تخلفهم عنه فإنهم إذا لم يقاتلوا عند فرضية القتال عليهم بإيجاب الله تعالى فلأن لا يقاتلوا عند عدم فرضيته أولى ولأن إيراد ما ذكره ربما يؤهم أن سبب تخلفهم عن القتال هو المبعوث لانفس القتال وقرىء عسيتم بكسر السين وهى ضعيفة (قالوا) استئناف كما سبق (وما لنا أن لا نقاتل) ●
- أى أى سبب لنا فى أن لا نقاتل (فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) أى والحال أنه قد عرض لنا ما يوجب القتال إيجاباً قوياً من الإخراج عن الديار والأوطان والاعتراب من الأهل والأولاد وإفراد الأبناء بالذكر لمزيد تقوية أسباب القتال وذلك أن جالوت رأس العمالقة وملكهم وهو جبار من أولاد عمليق بن عاد كان هو ومن معه من العمالقة يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وظهروا على بنى إسرائيل وأخذوا ديارهم وسبوا أولادهم وأسروا من أبناء ملوكهم أربع مائة

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ البقرة

- وأربعين نفساً وضربوا عليهم الجزية وأخذوا توراتهم (فلما كتب عليهم القتال) بعد سؤال النبي ﷺ ذلك وبعث الملك (تولوا) أى أعرضوا وتخلفوا لكن لافى ابتداء الأمر بل بعدمشاهدة كثرة العدو وشوكته كما سيجى تفصيله وإنما ذكر ههنا مال أمرهم إجمالاً لإظهار لما بين قولهم وفعلهم من التنافي والتباين (إلا قليلاً منهم) وهم الذين اكتفوا بالغرفة من النهر وجاوزوه وهم ثمانمائة وثلاثة عشر
- بعدد أهل بدر (والله عليم بالظالمين) وعيد لهم على ظلمهم بالتولى عن القتال وترك الجهاد وتنافى أقوالهم ٢٤٧ وأفداهم والجملة اعتراض تذييلي (وقال لهم نبيهم) شروع فى تفصيل ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من الأقوال والأفعال إثر الإشارة الإجمالية إلى مصير حالهم أى قال لهم بعد ما أوحى إليه ما أوحى (إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً) طالوت علم عبرى كداود وجعله فعلوتامن الطول بأباه منع صرفه وملكاً حال منه روى أنه عليه السلام لما دعا ربه أن يجعل لهم ملكاً أتى بعضاً يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها إلا طالوت (قالوا) استئناف كما مر (أنى يكون له الملك علينا) أى من أين يكون أو كيف يكون ذلك (ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال) الواو الأولى حالية والثانية عاطفة جامعة للجملةتين فى الحكم أى كيف يتملك علينا والحال أنه لا يستحق التملك لوجود من هو أحق منه ولعدم ما يتوقف عليه الملك من المال وسبب هذا الاستبعاد أن النبوة كانت مخصوصة بسبط معين من أسباط بنى إسرائيل وهو سبط لاوى بن يعقوب عليه السلام وسبط المملكة بسبط يهوذا ومنه داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من أحد هذين السبطين بل من ولد بنيامين قيل كان راعياً وقيل دباغاً وقيل سقاء (قال إن الله اصطفاه عليكم) لما استبعدوا تملكه بسقوط نسبه وبفقره رد عليهم ذلك أولاً بأن ملاك الأمر هو اصطفاء الله تعالى وقد اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم وثانياً بأن العمدة فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة أمور السياسة وجسامة البدن ليعظم خطره فى القلوب ويقدر على مقاومة الأعداء ومكابدة الحروب وقد خصه الله تعالى منهما بحظ وافر وذلك قوله عز وجل (وزاده بسطة فى العلم) أى العلم المتعلق بالملك أو به وبالديانات أيضاً وقيل قد أوحى إليه ونبيه (والجسم) قيل بطول القامة فإنه كان أطول من غيره برأسه ومنكبيه حتى أن الرجل القائم كان يمد يده فينال رأسه وقيل بالجمال وقيل بالقوة (والله يؤتى ملكه من يشاء) لما أنه مالك الملك والمملوك فعال لما يريد فله أن يؤتیه من يشاء من عباده (والله واسع) يوسع على الفقير ويغنيه (عليم) بمن يليق بالملك بمن لا يليق به وإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة .

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ البقرة

- (وقال لهم نبيهم) توسيطه فيما بين قوليه المحكيين عنه عليه السلام للإشعار بعدم اتصال أحدهما ٢٤٨
 بالآخر وتحال كلام من جهة المخاطبين متفرع على السابق مستمتع لللاحق كأنهم طلبوا منه عليه السلام
 آية تدل على أنه تعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم . روى أنهم قالوا ما آية ملكه فقال (إن آية ملكه
 أن يأتيكم التابوت) أي الصندوق وهو فعلوت من التوب الذي هو الرجوع لما أنه لا يزال يرجع
 إليه ما يخرج منه وتاؤه مزبدة لغير التأنيث كملكوت ورهبوت والمشهور أن يوقف على تائه من غير
 أن تقلب هاء ومنهم من يقلبها إياها والمراد به صندوق التوراة وكان قد رفعه الله عز وجل بعد وفاة
 موسى عليه السلام سخطاً على بني إسرائيل لما عصوا واعتدوا فلما طلب القوم من نبيهم آية تدل على
 ملك طالوت قال لهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت من السماء والملائكة يحفظونه فأتاهم كما وصف والقوم
 ينظرون إليه حتى نزل عند طالوت وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما وقال أرباب الأخبار إن الله
 تعالى أنزل على آدم تابوتاً فيه تماثيل الأنبياء عليهم السلام من أولاده وكان من عود الشمشاد نحواً من
 ثلاثة أذرع في ذراعين فكان عند آدم عليه السلام إلى أن توفي فتوارثه أولاده واحد بعدواحد إلى أن
 وصل إلى يعقوب عليه السلام ثم بقي في أيدي بني إسرائيل إلى أن وصل إلى موسى عليه السلام فكان
 عليه الصلاة والسلام يضع فيه التوراة وكان إذا قاتل قدمه فكانت تسكن إليه نفوس بني إسرائيل وكان
 عنده إلى أن توفي ثم تداولته أيدي بني إسرائيل وكانوا إذا اختلفوا في شيء تحاكموا إليه فيحكمهم ويحكم
 بينهم وكانوا إذا حضروا القتال يقدمونه بين أيديهم ويستفتحون به على عدوهم وكانت الملائكة تحمله
 فوق العسكر ثم يقاتلون العدو فإذا سمعوا من التابوت صيحة استيقنوا النصر فلما عصوا وأفسدوا
 سلط الله عليهم العمالة فغلبوهم على التابوت وسلبوه وجعلوه في موضع البول والغائط فلما أراد الله
 تعالى أن يملك طالوت عليهم البلاء حتى أن كل من بال عنده ابتلى بالبواسير وهلك من بلادهم
 خمس مدائن فعلم الكفار أن ذلك بسبب استهانتهم بالتابوت فأخرجوه وجعلوه على ثورين فأقبل
 الثوران يسيران وقد وكل الله تعالى بهما أربعة من الملائكة يسوقونهما حتى أتوا منزل طالوت فلما ألوا
 نبيهم البينة على ملك طالوت قال لهم النبي إن آية ملكه أنكم تجدون التابوت في داره فلما وجدوه عنده أقنوا
 بملكه (فيه سكينة من ربكم) أي في إتيانه سكون لكم وطمانينة كائنة من ربكم أو في التابوت ما تسكنون
 إليه وهو التوراة المودعة فيه بناء على ما مر من أن موسى عليه السلام إذا قاتل قدمه فسكن إليه نفوس
 بني إسرائيل وقيل السكينة صورة كانت فيه من زبرجد أو ياقوت لها رأس وذنب كرأس الهر وذنبه
 وجناحان فتن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمشون معه فإذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن
 أعلى رضي الله عنه كان لها وجه كوجه الإنسان وفيها ریح هفافة (وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون)
 ٣١ أبو السعود ج ١

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ
فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا
مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ
قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ البقرة

- هي رضاء الألواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة وكان قدر رفعه الله تعالى بعد وفاة موسى عليه السلام وألهمها أبناؤهما أو أنفسهما والآل مقحم لتفخيم شأنهما أو أنبياء بني إسرائيل (تحمله الملائكة) حال من التابوت أي إن آية ملكه إتيانه حال كونه محمولا للملائكة وقد مراكبته ذلك ولعل حمل الملائكة على الرواية الأخيرة عبارة عن سوقهم للثورين الحاملين له (إن في ذلك) إشارة إلى ما ذكر من شأن التابوت فهو من تمام كلام النبي عليه السلام لقومه أو إلى نقل القصة وحكايتها فهو ابتداء كلام من جهة الله تعالى جرى به قبل تمام القصة إظهار الكمال العناية به وإفراد حرف الخطاب مع تعدد مخاطبين على التقديرين بتأويل الفريق أو غيره كما سلف (لآية) عظيمة (لكم) دالة على ملك طالوت أو على نبوة محمد ﷺ حيث أخبر بهذه التفاصيل على ما هي عليه من غير سماع من البشر (إن كنتم مؤمنين) أي مصدقين بتمليككم ٢٤٩ عليكم أو بشيء من الآيات وإن شرطية والجواب محذوف ثقة بما قبله وقيل هي بمعنى إذ (فلما فصل طالوت بالجنود) أي انفصل بهم عن بيت المقدس والأصل فصل نفسه ولما اتحد فاعله ومفعوله شاع استعماله محذوف المفعول حتى نزل منزلة القاصر كالفصل وقيل فصل فصولا وقد جوز كونه أصلا برأسه ممتازا من المتعدي بمصدره كوقف وقوفا ووقفه ووقفا وكصد صدودا وصدده صدأ ورجع رجوعا ورجعه رجعا والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من طالوت أي ملتبسا بهم ومصاحبيا لهم روى أنه قال لقومه لا يخرج معي رجل بني بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشغول بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يين عليها ولا أبتغى إلا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع إليه من اختاره ثمانون ألفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسألوا أن يجرى الله تعالى لهم نهرا فبعد ما ظهر له ما تعلقت به مشيئته تعالى من جهة النبي عليه السلام أو بطريق الوحي عند من يقول بنبوته (قال إن الله مبتليكم بنهر) بفتح الهاء وقرى بسكونها (فمن شرب منه) أي ابتداء شربه من النهر بأن كرع لأنه الشرب منه حقيقة (فليس مني) أي من جملي وأشياعي المؤمنين وقيل ليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كأنه بعضه لكمال اختلاطهما (ومن لم يطعمه) أي لم يذقه من طعام الشيء إذا ذاقه ما كولا كان أو مشروباً أو غيرهما قال [وإن شئت حرمت النساء سواكم] وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا برداً أي نوما (فإنه مني) إلا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله تعالى فمن شرب منه فليس مني وإنما أخر عن الجملة الثانية لإبراز كمال العناية بها ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والغرفة ما يغرف وقرى بفتح الغين على أنها مصدر والباء متعلقة باغتراف أو بمحذوف وقع صفة لغرفة أي غرفة كائنه بيده يروى أن الغرفة كانت

- تكفى الرجل لشربه وأدواته ودوابه وأما الذين شربوا منه فقد اسودت شفاههم وغلبهم العطش (فشربوا
- منه) عطف على مقدر يقتضيه المقام أى فابتلوا به فشربوا منه (إلا قليلاً منهم) وهم المشار إليهم فيما سلف بالاستثناء من التولى وقرىء إلا قليل منهم ميلاً إلى جانب المعنى وضرباً عن عدوة اللفظ جانباً فإن قوله تعالى فشربوا منه فى قوة أن يقال فلم يطيعوه فحق أن يرد المستثنى مرفوعاً كما فى قول الفرزدق | وعض زمان يا ابن مروان لم يدع * من المال إلا مسحت أو مجلف | فإن قوله لم يدع فى حكم لم يبق (فلما جاوزه) أى النهر (هو) أى طالوت (والذين آمنوا معه) عطف على الضمير المتصل المؤكد بالمنفصل
- رالظرف متعلق بجاوز لا بآمنوا وقيل الواو حالية والظرف متعلق بمحذوف وقع خبراً من الموصول كأنه قيل فلما جاوزه والحال أن الذين آمنوا كانوا معه وهم أولئك القليل وفيه إشارة إلى أن من عداهم بمعزل من الإيمان (قالوا) أى بعض من معه من المؤمنين لبعض (لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده)
- أى بمحاربتهم ومقاومتهم فضلاً عن أن يكون لنا غلبة عليهم لما شاهدوا منهم من الكثرة والشدة . قيل كانوا مائة ألف مقاتل شاكى السلاح (قال) استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل فإذا قال مخاطبهم فقيل
- قال (الذين يظنون أنهم ملاقوا الله) قيل أى الخالص منهم الذين يتيقنون لقاء الله تعالى بالبعث ويتوقعون ثوابه وإفراهم بذلك الوصف لا ينافى إيمان الباقيين فإن درجات المؤمنين فى التيقن والتوقع متفاوتة أو الذين يعلمون أنهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله تعالى وقيل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة
- والضمير فى قالوا للمخجلين عنهم كأنهم قالوه اعتذاراً عن التخلف والنهر بينهما (كم من فئة) أى فرقة وجماعة من الناس من فأوت رأسه إذا شققها أو من فاء إليه إذا رجع فوزنها على الأول ففة وعلى الثانى فلة (قليلة غلبت فئة كثيرة) وكم خبرية كانت أو استفهامية مفيدة للتكثير وهى فى حيز الرفع بالابتداء
- خبرها غلبت أى كثير من الفئات القليلة غلبت الفئات الكثيرة (ياذن الله) أى بحكمه وتيسيره فإن دوران كافة الأمور على مشيئته تعالى فلا يذل من نصره وإن قل عدده ولا يعز من خذله وإن كثر أسبابه وعدده وقدر وعى فى الجواب نكتة بدیعة حيث لم يقل أطاقت بفئة كثيرة حسبما وقع فى كلام أصحابهم
- مبالغة فى رد مقاتلتهم وتسكين قلوبهم وهذا كما ترى جواب ناشئ من كمال ثقتهم بنصر الله تعالى وتوفيقه ولا دخل فى ذلك لظن لقاء الله تعالى بالبعث لاسيما بالاستشهاد فإن العلم به ربما يورث اليأس من الغلبة ولا لتوقع ثوابه تعالى ولا ريب فى أن ما ذكر فى حيز الصلة ينبغى أن يكون مداراً للحكم الوارد على الموصول فلا أقل من أن يكون وصفاً ملائماً له فلعل المراد بلقائه تعالى لقاء نصره وتأييده عبر عنه بذلك مبالغة كما
- عبر عن مقارنة نصره تعالى بمقارنته سبحانه حيث قيل (والله مع الصابرين) فإن المراد به معية نصره وتوفيقه حتماً وحملها على المعية بالإثابة كما فعل ياباه أنهم إنما قالوه تنميماً لجوابهم وتأيداً له بطريق الاعتراض التذييل تشجيعاً لأصحابهم وتثبيتاً لهم على الصبر المؤدى إلى الغلبة ولا تعلق له بما ذكر من المعية بالإثابة قطعاً وكذا الحال إذا جعل ذلك ابتداء كلام من جهة الله تعالى جرى به تقريراً لكلامهم والمعنى قال الذين يظنون أو يعلمون من جهة النبى أو من جهة الثابوت والسكينة أنهم ملاقوا نصر الله العزيزكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة ياذن الله تعالى فنحن أيضاً نغلب جالوت وجنوده وإيراد خبر أن اسماً مع أن اللقاء

وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ

الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ البقرة

فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ
النَّاسَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ البقرة

- ٢٥٠ مستقبل للدلالة على تقررهِ وتحقيقهِ (ولما برزوا) أى ظهر طالوت ومن معه من المؤمنين وصاروا إلى
- براز من الأرض في موطن الحرب (لجالوت وجنوده) وشاهدوا ما هم عليه من العدد والعدد وأيقنوا
 - أنهم غير مطيعين بهم عادة (قالوا) أى جميعاً عند تقوى قلوب الفريق الأول منهم بقول الفريق الثاني
 - متضرعين إلى الله تعالى مستعينين به (ربنا أفرغ علينا صبراً) على مقاساة شدايد الحرب وافتحام موارد
 - الصعبة الضيقة وفي التوسل بوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى الكمال وإيثار الإفراغ العرب عن
 - الكثرة وتنكير الصبر المفصح عن التفخيم من الجزالة مالا يخفى (وثبت أقدامنا) في مداحض القتال
 - ومنزال النزال وثبات القدم عبارة عن كمال القوة والرسوخ عند المقارعة وعدم التزلزل وقت المقاومة
 - لا مجرد التقرر في حيز واحد (وانصرتنا على القوم الكافرين) بقهرهم وهزمهم ووضع الكافرين في
 - موضع الضمير العائد إلى جالوت وجنوده للإشعار بعلّة النصر عليهم ولقد راعوا في الدعاء ترتيباً بديعاً
 - حيث قدموا سؤال إفراغ الصبر الذى هو ملاك الأمر ثم سؤال تثبيت القدم المنفرع عليه ثم سؤال
- ٢٥١ النصر الذى هو الغاية القصوى (فهزموهم) أى كسروهم بلا مكث (ياذن الله) بنصره وتأيدته إجابة
- لدعائهم وإيثار هذه الطريقة على طريقة قوله عز وجل فأتاهم الله ثواب الدنيا الخ للمحافظة على مضمون
 - قولهم غلبت فئة كثيرة ياذن الله (وقتل داود جالوت) كان أيشى أبو داود فى عسكر طالوت معه نسته
 - من بنيه وكان داود عليه السلام سابعهم وكان صغيراً يرعى الغنم فأوحى الله تعالى إلى نبيهم أنه الذى يقتل
 - جالوت فطلبه من أبيه فجاء وقد مر في طريقه بثلاثة أحجار قال له كل منها احملها فإنك بنا تقتل جالوت
 - فحملها فى مخلاته قيل لما أبطا على أبيه خبر إخوته فى المصاف أرسل داود إليهم ليأتيه بخبرهم فأتاهم وهم فى
 - القراع وقد برز جالوت بنفسه إلى البراز ولا يكاد يبارزه أحد وكان ظله ميلاً فقال داود لآخوته أما فيكم
 - من يخرج إلى هذا الأقفى فزجروه فنجا ناحية أخرى ليس فيها إخوته وقد مر به طالوت وهو يحرض
 - الناس على القتال فقال له داود ما تصنعون بمن يقتل هذا الأقفى قال طالوت أنكحه بنتى وأعطيه شطر
 - مملكتى فبرز له داود فرماه بما معه من الأحجار بالمقلع فأصابه فى صدره فنفذ الأحجار منه وقتلت بعده
 - ناساً كثيراً وقيل إنما كلمته الأحجار عند بروزه لجالوت فى المعركة فأنجز له طالوت ما وعده وقيل إنه حسده
 - وأخرجه من مملكته ثم ندم على ما صنعه فذهب يطلبه إلى أن قتل وملك داود عليه السلام وأعطى النبوة
 - وذلك قوله تعالى (وأتاه الله الملك) أى ملك بنى إسرائيل فى مشارق الأرض المقدسة ومغازيها (والحكمة)
 - أى النبوة ولم يجتمع فى بنى إسرائيل الملك والنبوة قبله إلا له بل كان الملك فى سبط والنبوة فى سبط

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ البقرة

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْتُمْ وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ البقرة

- آخر وما اجتمعوا قبله على ملك قط (وعليه بما يشاء) أى بما يشاء الله تعالى تعليمه إياه لا بما يشاء داود عليه السلام كما قيل لأن معظم ما عليه تعالى إياه مما لا يكاد يخطر ببال أحد ولا يقع فى أمنية بشر ليمكن من طلبه ومشيتهم كالسرديات بالانه الحديد ومنطق الطير والدواب ونحو ذلك من الأمور الخفية (ولولا دفع الله الناس بعضهم) الذين يباشرون الشر والفساد (ببعض) آخر منهم بردهم عما هم عليه بما قدر الله تعالى من القتل كما فى القصة المحكية أو غيره وقرىء دفاع الله على أن صيغة المبالغة للمبالغة (لفسدت الأرض) وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الأرض (ويصلحها) وقيل لولا أن الله ينصر المسلمين على الكافرين لفسدت الأرض بعيثهم وقتلهم المسلمين أو لولم يدفعهم بالمسلمين لعم الكفر ونزلت السخطة فاستوصل أهل الأرض قاطبة (ولكن الله ذو فضل) عظيم لا يقادر قدره (على العالمين) كافة وهذا إشارة إلى قياس استثنائى مؤلف من وضع نقيض المقدم منتج لنقيض التالى خلا أنه قد وضع موضعه ما يستتبعه ويستتبعه أعنى كونه تعالى ذا فضل على العالمين إيداناً بأنه تعالى متفضل فى ذلك الدفع من غير أن يجب عليه ذلك وأن فضله تعالى غير منحصر فيه بل هو فرد من أفراد فضله العظيم كأنه قيل ولكنه تعالى يدفع فساد بعضهم ببعض فلا تفسد الأرض وتنظم به مصالح العالم وتنصلح أحوال الأمم (تلك) إشارة إلى ما سلف ٢٥٢ من حديث الألف وخبر طالوت على التفصيل المرقوم وما فيه من معنى البعد للإيدان بعلو شأن المشار إليه (آيات الله) المنزلة من عنده تعالى والجملة مستأنفة وقوله تعالى (تتلوها عليكم) أى بواسطة جبريل عليه السلام إما حال من الآيات والعامل معنى الإشارة وإما جملة مستقلة لا محل لها من الإعراب (بالحق) فى حيز النصب على أنه حال من مفعول تتلوها أى ملتبسة باليقين الذى لا يرتاب فيه أحد من أهل الكتاب وأرباب التواريخ لما يجدونها موافقة لما فى كتبهم أو من فاعله أى تتلوها عليكم ملتبيين بالحق والصواب أو من الضمير المجرور أى ملتبساً بالحق والصدق (ولأنك لمن المرسلين) أى من جملة الذين أرسلوا إلى الأمم لتبليغ رسالاتنا وإجراء أوامرنا وأحكامنا عليهم فإن هذه المعاملة لا تجرى بيننا وبين غيرهم فهى شهادة منه سبحانه برسالاته عليه الصلاة والسلام لآثار بيان ما يستوجبها والتأكيد من مقتضيات مقام الجاحدين بها (تلك الرسل) استئناف فيه رمز إلى أنه عليه الصلاة والسلام من ٢٥٣

- أفاضل الرسل عليهم الصلاة والسلام إثر بيان كونه من جملتهم والإشارة إلى الجماعة الذين من جملتهم النبي ﷺ فاللام في المآل للاستغراق وما فيه من معنى البعد للإيدان بعلو طبقتهم وبعد منزلاتهم وقيل إلى الذين ذكرت قصصهم في السورة وقيل إلى الذين ثبت عليه ﷺ بهم (فضلنا بعضهم على بعض)
- في مراتب الكمال بأن خصصناه حسبما تقتضيه مشيئتنا بما أثر جليلة خلا عنها غيره (منهم من كلم الله)
- تفصيل للتفضيل المذكور إجمالاً أي فضله بأن كلمه تعالى بغير سفير وهو موسى عليه الصلاة والسلام حيث كلمه تعالى ليلة الخيرة وفي الطور وقرىء كلم الله بالنصب وقرىء كلم الله من المكاملة فإنه كلم الله تعالى كما أنه تعالى كلمه ويؤيده كلم الله بمعنى مكالمه وإيراد الاسم الجليل بطريق الالتفات لترية المهابة والرمز إلى ما بين التكليم والرفع وبين ما سبق من مطلق التفضيل وما لحق من إيتاء البينات والتأييد
- بروح القدس من التفاوت (ورفع بعضهم درجات) أي ومنهم من رفعه على غيره من الرسل المتفاوتين في معارج الفضل بدرجات قاصية ومراتب نائية وتغيير الأسلوب لترية ما بينهم من اختلاف الحال في درجات الشرف والظاهر أنه رسول الله ﷺ كما نبىء عنه الإخبار بكونه عليه الصلاة والسلام منهم فإن ذلك في قوة بعضهم فإنه قد خص بالدعوة العامة والحجج الجمة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهور والفضائل العلية والعملية الفاتنة للحصر والإبهام لتفخيم شأنه والإشعار بأنه العلم الفرد الغني عن التعيين وقيل إنه إبراهيم عليه الصلاة والسلام حيث خصه تعالى بكرامة الخلة وقيل
- لإدريس عليه السلام حيث رفعه مكاناً علياً وقيل أولو العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام (وآتيناه عيسى ابن مريم البينات) الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والإخبار بالمغيبات أو الإنجيل (وأيدناه) أي قويناه (روح القدس) بضم الدال وقرىء بسكونها أي بالروح المقدسة كقولك رجل صدق وهي روح عيسى وإنما وصفت بالقدس للكرامة أولاً أنه عليه السلام لم تضمه الأضلاب والأرحام الطوامث وقيل بمجبريل وقيل بالإنجيل كما مر وإفراذه عليه السلام بما ذكر لرد ما بين أهل الكتابين في شأنه عليه السلام من التفريط والإفراط والآية ناطقة بأن الأنبياء عليهم السلام متفاوتة الأقدار فيجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع (ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم) أي جاءوا من بعد الرسل من الأمم المختلفة أي لو شاء الله عدم اقتتالهم ما اقتتلوا بأن جعلهم متفقين على اتباع الرسل المتفقة على كلمة الحق ففعل المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء على القاعدة
- المعروفة وقيل تقديره ولو شاء هدى الناس جميعاً ما اقتتل الخ وليس بذلك (من بعد ما جاءتهم) من جهة أولئك الرسل (البينات) المعجزات الواضحة والآيات الظاهرة الدالة على حقية الحق الموجبة لاتباعهم الزاجرة عن الإعراض عن سبيلهم المؤدى إلى الاقتتال فمن متعلقة باقتتل (ولكن اختلفوا) استدراك من الشرطية أشير به إلى قياس استثنائي مؤلف من وضع نقيض مقدمها منتج لنقيض تاليها إلا أنه قد وضع فيه الاختلاف موضع نقيض المقدم المترتب عليه للإيدان بأن الاقتتال ناشئ من قبلهم لا من جهته تعالى
- ابتداء كأنه قيل ولكن لم يشأ عدم اقتتالهم لأنهم اختلفوا اختلافاً فاحشاً (فمنهم من آمن) بما جاءت به أولئك الرسل من البينات وعملوا به (ومنهم من كفر) بذلك كفرأ لا أروعاه له عنه فاقتضت الحكمة

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ
وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ البقرة

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ البقرة

- عدم مشيئته تعالى لعدم اقتناهم فاقتلوا بموجب اقتضاء أحوالهم (ولو شاء الله) عدم اقتناهم بعد هذه
- المرتبة أيضاً من الاختلاف والشقاق المستتبين للاقتتال بحسب العادة (ماقتلوا) وما نبض منهم عرق
- النطاول والتعادي لما أن الكل تحت ملكوته تعالى فالتكرير ليس للتأكيد كما ظن بل للتنبيه على أن اختلافهم ذلك ليس موجب لعدم مشيئته تعالى لعدم اقتناهم كما يفهم ذلك من وضعه في الاستدراك موضعه بل هو سبحانه مخار في ذلك حتى لو شاء بعد ذلك عدم اقتناهم ماقتلوا كما يفصح عنه الاستدراك بقوله عز وجل (ولكن الله يفعل ما يريد) أي من الأمور الوجودية والعدمية التي من جملتها عدم مشيئته عدم اقتناهم
- فإن الراك أيضاً من جملة الأفعال أي يفعل ما يريد حسبما يريد من غير أن يوجه عليه موجب أو يمنعه منه مانع وفيه دليل بين على أن الحوادث تابعة لمشيئته سبحانه خير أكان أو شرأ إيماناً كان أو كفرأ (يا أيها ٢٥٤ الذين آمنوا أنفقوا) في سبيل الله (مما رزقناكم) أي شيئاً مما رزقناكموه على أن ماموصولة حذف عائدها
- والتعرض لوصوله منه تعالى للبحث على الإنفاق كما في قوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والمراد به الإنفاق الواجب بدلالة ما بعده من الوعيد (من قبل أن يأتي يوم لا يبيع فيه ولا خلة ولا شفاع) كلمة
- من متعلقة بما تعلقت به أختها ولا ضمير فيه لا اختلاف معنيهما فإن الأولى تبعيضية وهذه لا ابتداء الغاية أي أنفقوا بعض ما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا تقدرون على تلافي ما فرطتم فيه إذ لا تباع فيه حتى تتبايعوا ما تنفقونه أو تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يسامحكم به أخلاقكم أو يعينوكم عليه ولا شفاع إلا لمن أذن له الرحمن ورضي له قولا حتى تتوسلوا بشفاع يشفعون لكم في حط ما في ذمتكم وإنما رفعت الثلاثة مع قصد التعميم لأنها في التقدير جواب هل فيه بيع أو خلة أو شفاع وقرئ بفتح الكل (والكافرون)
- أي والتاركون للزكاة وإيثاره عليه للتغليظ والتهديد كما في قوله تعالى ومن كفر مكان ومن لم يحج والإيذان بأن ترك الزكاة من صفات الكفار قال تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة (هم الظالمون) أي
- الذين ظلموا أنفسهم بتعريضها للعقاب ووضعوا المال في غير موضعه وصرفوه إلى غير وجهه (الله لا إله إلا هو) مبتدأ وخبر أي هو المستحق للعبودية لا غير وفي إضمار خبر لا مثل في الوجود أو يصح أن يوجد خلاف للنجاح معروف (الحى) الباقي الذى لا سبيل عليه للموت والفناء وهو إما خبر ثان أو خبر مبتدأ محذوف أو بدل من لا إله إلا هو أو بدل من الله أو صفة له ويعضده القراءة بالنصب على المدح
- لا اختصاصه بالنعمة (القيوم) فاعول من قام بالأمراً إذا حفظه أي دائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقيل

- هو القائم بذاته المقيم لغيره (لا تأخذه سنة ولا نوم) السنة ما يتقدم النوم من الفتور قال عدى بن الرقاع العاملي [وسنان أقصده النعاس فرنقت * في عينه سنة وليس بنائم] والنوم حالة تعرض للحيوان من استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات الأبخرة المتصاعدة بحيث تقف المشاعر الظاهرة عن الإحساس رأساً والمراد بيان انتفاء اعتراء شيء منهما له سبحانه لعدم كونهما من شأنه تعالى لأنهما قاصران بالنسبة إلى القوة الإلهية فإنه بمنزلة من مقام التنزيه فلا سبيل إلى حمل النظم الكريم على طريقة الكبالة والترقي بناء على أن القادر على دفع السنة قد لا يقدر على دفع النوم القوى كما في قولك فلان يقظ لا تغلبه سنة ولا نوم وإنما تأخير النوم للحفاظة على ترتيب الوجود الخارجى وتوسيط كلمة لا للتخصيص على شمول النفي لكل منهما كما في قوله عز وجل ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة الآية وأما التعبير عن عدم الاعتراء والعروض بعدم الأخذ فلبراعة الواقع إذ عروض السنة والنوم لمعروضهما وإنما يكون بطريق الأخذ والاستيلاء وقيل هو من باب التكميل والجملة تأكيد لما قبلها من كونه تعالى حياً قيوماً فإن من يعتربه أحدهما يكون موقوف الحياة قاصراً في الحفظ والتدبير وقيل استئناف مؤكداً لما سبق وقيل حال مؤكدة من الضمير المستكن في القيوم (له ما في السموات وما في الأرض) تقرير لقيوميته تعالى واحتجاج به على تفرده في الألوهية والمراد بما فيهما ما هو أعم من أجزائهما الداخلة فيهما ومن الأمور الخارجة عنهما المتمكنة فيهما من العقلاء وغيرهم (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) بيان لكبرياء شأنه وأنه لا يداينه أحد ليقدر على تغيير ما يريد شفاعاً وضراعة فضلاً عن أن يدافعه عناداً أو مناصبة (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أى ما قبلهم وما بعدهم أو بالعكس لأنك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضى أو أمور الدنيا وأمر الآخرة أو بالعكس أو ما يحسونه وما يعقلونه أو ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في السموات والأرض بتغليب ما فيهما من العقلاء على غيرهم أو لما دل عليه من ذا الذى من الملائكة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام (ولا يحيطون بشيء من علمه) أى من معلوماته (إلا بما شاء) أن يعلموه وعطفه على ما قبله لما أنهما جميعاً دليل على تفرده تعالى بالعلم الذاتى التام الدال على وحدانيته (وسع كرسيه السموات والأرض) الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكأنه منسوب إلى الكرسي الذى هو الملبد وليس ثمة كرسي ولا قاعد ولا قعود وإنما هو تمثيل لعظمة شأنه عز وجل وسعة سلطانه وإحاطة علمه بالأمور قاطبة على طريقة قوله عز قائلوا ما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه وقيل كرسيه مجاز عن علمه أخذاً من كرسي العالم وقيل عن ملكه أخذاً من كرسي الملك فإن الكرسي كلما كان أعظم تكون عظمة القاعد أكثر وأوفر فغير عن شمول علمه أو عن بسطة ملكه وسلطانه بسعة كرسيه وإحاطته بالأقطار العلوية والسفلية وقيل هو جسم بين يدي العرش يحيط بالسموات السبع لقوله ﷻ ما السموات السبع والأرضون السبع مع الكرسي إلا حلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك الثامن وعن الحسن البصرى أنه العرش (ولا يؤده) أى لا يثقله ولا يشق عليه (حفظهما) أى حفظ السموات والأرض وإنما يتعرض لذكر ما فيهما لما أن حفظهما مستتبع لحفظه (وهو العلى) المتعالى بذاته عن الأشياء والأنداد (العظيم)

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ
بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ البقرة

الذى يستحق بالنسبة إليه كل ما سواه ولما ترى من انطواء هذه الآية الكريمة على أمهات المسائل الإلهية المتعلقة بالذات العلية والصفات الجلية فإنها ناطقة بأنه تعالى موجود منفرد بالإلهية متصف بالحياة واجب الوجود لذاته موجد لغيره لما أن القيوم هو القائم بذاته المقيم لغيره منزّه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور لا مناسبة بينه وبين الأشباح ولا يعتريه ما يعترى النفوس والأرواح مالك الملك والملوك ومبدع الأصول والفروع ذو البطش الشديد لا يشفع عنده إلا من أذن له فيه العالم وحده بجميع الأشياء جليها وخفيها كليها وجزئها واسع الملك والقدرة لكل ما من شأنه أن يملك ويقدر عليه لا يشق عليه شاق ولا يشغله شأن عن شأن متعال عما تناله الأوهام عظيم لا تحديق به الأفهام تفردت بفضائل رائقة وخواص فائقة خلت عنها أخواتها قال ﷺ إن أعظم آية في القرآن آية الكرسي من قرأها بعث الله تعالى ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته إلى الغد من تلك الساعة وقال عليه الصلاة والسلام ما قرئت هذه الآية في دار إلا هجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة يا على علمها ولدك وأهلك وجيرانك فما نزلت آية أعظم منها وقال ﷺ من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد ومن قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه الله تعالى على نفسه وجاره وجار جاره والآيات حوله وقال عليه الصلاة والسلام سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا نخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيدا أيام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن سورة البقرة وسيد البقرة آية الكرسي وتخصيص سيادته ﷺ للعرب بالذكر في أثناء تعداد السیادات الخاصة لا يدل على نفي ما دلت عليه الأخبار المستفيضة وانعقد عليه الإجماع من سيادته ﷺ لجميع أفراد البشر .

(لا إكراه في الدين) جملة مستأنفة جاء بها إثريان تفرده سبحانه وتعالى بالشئون الجليلة الموجهة للإيمان به ٢٥٦ وحده إيداناً بأن من حق العاقل أن لا يحتاج إلى التكليف والإلزام بل يختار الدين الحق من غير تردد وتلعم وقيل هو خبر في معنى النهي أى لا تكرهوا في الدين فقبل منسوخ بقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل خاص بأهل الكتاب حيث حصنوا أنفسهم بأداء الجزية وروى أنه كان لأنصارى من بنى سالم بن عوف ابنان قد تنصرا قبل مبعثه ﷺ ثم قدما المدينة فلزمهما أبوهما وقال والله لا أدعكما حتى تسلميا فأيا فاختصموا إلى رسول الله ﷺ فنزلت نخلهما (قد تبين الرشد من الغي) ● استئناف تعليلي صدر بكلمة التحقيق لزيادة تقرير مضمونه كما في قوله عز وجل قد بلغت من لدنى عذراً أى إذ قد تبين بما ذكر من نعوته تعالى التى يمتنع توهم اشتراك غيره فى شىء منهما الإيمان الذى هو الرشد الموصل إلى السعادة الأبدية من الكفر الذى هو الغي المؤدى إلى الشقاوة السرمدية (فمن يكفر ●

اللَّهُ وَلِيَّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاءُ لَهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ
مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ البقرة

- بالتاغوت) هو بناء مبالغة من الطغيان كالمكوت والجبروت قلب مكان عينه ولا مه فقيل هو في الأصل مصدر وإليه ذهب الفارسي وقيل اسم جنس مفرد مذكر وإنما الجمع والتأنيث لإرادة الألهة وهو رأى سيديوه وقيل هو جمع وهو مذهب المبرد وقيل يستوى فيه المفرد والجمع والتذكير والتأنيث أى فمن يعمل أثراً ما تميز الحق من الباطل بموجب الحجج الواضحة والآيات البينة ويكفر بالشيطان أو بالأصنام أو بكل ما عبد من دون الله تعالى أو صد عن عبادته تعالى لما تبين له كونه بمزل من استحقاق العبادة (ويؤمن بالله) وحده لما شاهد من نعمه الجليلة المقتضية لاختصاص الألوهية به عز وجل الموجبة للإيمان والتوحيد وتقديم الكفر بالطاغوت على الإيمان به تعالى لتوقفه عليه فإن التخلية متقدمة على التحلية (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أى بالغ في التمسك بها كأنه وهو ملتبس به يطلب من نفسه الزيادة فيه والثبات عليه (لا انفصام لها) الفصم الكسر بغير إبانة كما أن الفصم هو الكسر بإبانة ونفي الأول يدل على انتفاء الثانى بالأولوية والجملة إما استئناف مقرر لما قبلها من وثاقة العروة وإما حال من العروة والعامل استمسك أو من الضمير المستتر فى الوثقى ولها فى حيز الخبر أى كائن لها والكلام تمثيل مبنى على تشبيه الهيئة العقلية المنتزعة من ملازمة الاعتقاد الحق الذى لا يحتمل النقيض أصلاً لثبوتها بأبراهين النيرة القطعية بالهيئة الحسية المنتزعة من التمسك بالحبل المحكم المأمون انقطاعه فلا استعارة فى المفردات ويجوز أن تكون العروة الوثقى مستعارة للاعتقاد الحق الذى هو الإيمان والتوحيد لا للنظر الصحيح المؤدى إليه كما قيل فإنه غير مذكور فى حيز الشرط والاستمسك بها مستعاراً لما ذكر من الملازمة أو ترشيحاً للاستعارة الأولى (والله سميع) بالأقوال (عليم) بالعزائم والعقائد والجملة اعتراض تذييل
- ٢٥٧ حامل على الإيمان رادع عن الكفر والنفاق بما فيه من الوعد والوعيد (الله ولي الذين آمنوا) أى معينهم أو متولى أمورهم والمراد بهم الذين ثبت فى علمه تعالى إيمانهم فى الجملة مآلاً أو حالاً (يخرجهم)
- تفسير للولاية أو خبر ثان عند من يجوز كونه جملة أو حال من الضمير فى ولي (من الظلمات) التى هى أعم من ظلمات الكفر والمعاصى وظلمات الشبه بل مما فى بعض مراتب العلوم الاستدلالية من نوع ضعف وخفاء بالقياس إلى مراتبها القوية الجليلة بل مما فى جميع مراتبها بالنظر إلى مرتبة العيان كما ستعرفه (إلى النور) الذى يعم نور الإيمان ونور الإيقان بمراتبه ونور العيان أى يخرج بهدأته وتوفيقه كل واحد منهم من الظلمة التى وقع فيها إلى ما يقابلها من النور وإفراد النور لوحدة الحق كما أن جمع الظلمات لتعدد فنون الضلال (والذين كفروا) أى الذين ثبت فى علمه تعالى كفرهم (أولياؤهم الطاغوت) أى الشياطين وسائر المضلين عن طريق الحق فالوصول مبتدأ أو أولياؤهم مبتدأ ثان والطاغوت خبره والجملة خبر للأول والجملة الحاصلة معطوفة على ما قبلها ولعل تغيير السبك للاحتراز عن وضع الطاغوت فى

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُبْعَثُ
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ
فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ البقرة

- مقابلة الاسم الجليل ولقصد المبالغة بتكرير الإسناد مع الإيماء إلى التباين بين الفريقين من كل وجه حتى من جهة التعبير أيضاً (يخرجونهم) بالوساوس وغيرها من طرق الإضلال والإغواء (من النور) الفطري الذي جبل عليه الناس كافة أو من نور البينات التي يشاهدونها من جهة النبي ﷺ بتنزيل تمكينهم من الاستضاءة بها منزلة نفسها (إلى الظلمات) ظلمات الكفر والانهماك في الغي وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الإسلام والجملة تفسير لولاية الطاغوت أو خبر ثان كما مر وإسناد الإخراج من حيث السببية إلى الطاغوت لا يقدح في استناده من حيث الخلق إلى قدرته سبحانه (أولئك) إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما يتبعه من القبائح (أصحاب النار) أي ملاسوها وملازموها بسبب ما لهم من الجرائم (هم فيها خالدون) ما كئون أبداً (ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه) استشهاد على ٢٥٨ ما ذكر من أن الكفرة أولياؤهم الطاغوت وتقرير له على طريقة قوله تعالى ألم تر أنهم في كل واديهيمون كما أن ما بعده استشهاد على ولايته تعالى للؤمنين وتقرير لها وإنما بدى بهذا الرعاة الاقتران بينه وبين مدلوله ولا استقلاله بامر عجيب حقيق بأن يصدر به المقال وهو اجترأوه على الحاجة في الله عز وجل وما أتى بها في أثنائها من العظيمة المنادية بكال حماقته ولأن فيما بعده تعدداً وتفصيلاً يورث تقديمه انتشار النظم على أنه قد أشير في تضاعيفه إلى هداية الله تعالى أيضاً بواسطة إبراهيم عليه السلام فإن ما يحكى عنه من الدعوة إلى الحق وإدحاض حجة الكافر من آثار ولايته تعالى وهزمة الاستفهام لإنكار النفي وتقرير المنفى أي ألم تنظر أو ألم ينته عليك إلى هذا الطاغوت المارد كيف تصدى لإضلال الناس وإخراجهم من النور إلى الظلمات أي قد تحققت الرؤية وتقررت بناء على أن أمره من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على أحد من له حظ من الخطاب فظهر أن الكفرة أولياؤهم الطاغوت وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام تشریف له وإبذان بتأييده في الحاجة (أن آناه الله الملك) أي لآل آناه إياه حيث أبطره ذلك وحمله على الحاجة أو حاجه لأجله وضعاً للحاجة التي هي أقبح وجوه الكفر موضع ما يجب عليه من الشكر كما يقال عاديته لأن أحسنت إليك أو وقت أن آناه الله الملك وهو حجة على من منع إيتاء الله الملك للكافر (إذ قال إبراهيم) ظرف لحاج أو بدل من آناه على الوجه الأخير (ربى الذي يحيى ويميت) بفتح ياء ربى وقرئ بمحذوها * روى أنه ﷺ لما كسر الأصنام سجنه ثم أخرجه فقال من ربك الذي تدعوا إليه قال ربى الذي يحيى ويميت أى يخلق الحياة والموت فى الأجساد (قال) استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل كيف حاجه فى هذه المقالة القوية الحققة فقيل قال (أنا أحى وأميت) روى أنه دعا برجلين فقتل أحدهما وأطلق الآخر فقال ذلك (قال إبراهيم) استئناف كما سلف كأنه قيل

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ البقرة

- فإذا قال إبراهيم لمن في هذه المرتبة من الحماقة وبماذا ألحظه فقيل قال (فإن الله يأتي بالشمس من المشرق)
- حسبما تقتضيه مشيئته (فأت بها من المغرب) إن كنت قادر أعلى مثل مقدوراته تعالى لم يلتفت عليه السلام إلى إبطال مقالة اللعين إيداناً بأن بطلانها من الجلاء والظهور بحيث لا يكاد يخفى على أحد وأن التصدي لإبطالها من قبيل السعي في تحصيل الحاصل وأتى بمثال لا يجد اللعين فيه مجالاً للتنمويه والتلبيس (فهت الذي كفر) أي صار مهوياً وقرىء على بناء الفاعل على أن الموصول مفعوله أي فغلب إبراهيم الكافر وأسكنه وإيراد الكفر في حيز الصلة للإشعار بعلّة الحكم والتنصيص على كون المحاجة كفراً (والله لا يهدي القوم الظالمين) تذييل مقرر لمضمون ما قبله أي لا يهدي الذين ظلموا أنفسهم بتعريضها للعذاب المخلد بسبب إعراضهم عن قبول الهداية إلى مناهج الاستدلال أو إلى سبيل النجاة أو إلى طريق الجنة يوم القيامة (أو كالذي مر على قرية) استشهاد على ما ذكر من ولايته تعالى للمؤمنين وتقرير له معطوف على الموصول السابق وإيثار أو الفارقة على الواو الجامعة للاحتراز عن توهم اتحاد المستشهد عليه من أول الأمر والكاف إما اسمية كما اختاره قوم جيء بها للتنبيه على تعدد الشواهد وعدم انحصارها فيما ذكر كما في قولك الفعل الماضي مثل نصر وإما زائدة كما ارتضاه آخرون والمعنى أولم تر إلى مثل الذي أولى الذي مر على قرية كيف هداه الله تعالى وأخرجه من ظلمة الاشتباه إلى نور البيان والشهود أي قدر أيت ذلك وشاهدته فإذن لا ريب في أن الله ولي الذين آمنوا الخ. هذا وأما جعل الهمزة لمجرد التعجب على أن يكون المعنى في الأول ألم تنظر إلى الذي حاج الخ أي انظر إليه وتعجب من أمره وفي الثاني أو أريت مثل الذي مر الخ إيداناً بأن حاله وما جرى عليه في الغرابة بحيث لا يرى له مثل كما استقر عليه رأى الجمهور فغير خليف بجزالة التنزيل ونخامة شأنه الجليل فتدبروا المار هو عزيز بن شريحاً قاله قتادة والربيع وعكرمة وناجية بن كعب وسليمان بن يزيد والضحاك والسدي رضي الله عنهم وقيل هو أرميا بن حلقيا من سبط هرون عليه السلام قاله وهب وعبيد الله بن عمير وقيل أرميا هو الخضر بعينه . قال مجاهد كان المار رجلاً كافراً بالبعث وهو بعيد والقرية بيت المقدس قاله وهب وعكرمة والربيع وقيل هي دير هرقل على شط دجلة وقال الكلبي هي دير سابور آباد وقال السدي هي ديار سلما باد والاول هو الأظهر والأشهر روى أن بني إسرائيل لما بالغوا في تعاطي الشر والفساد وجاوزوا في العتو والطغيان كل حد معتاد سلط الله تعالى عليهم بمختصر البابل فصار إليهم في ستمائة ألف راية حتى وطئ الشام وخرب بيت المقدس وجعل بني إسرائيل أثلاثاً ثلث منهم قتلهم وثلث منهم أقرم بالشام وثلث منهم سبهم وكانوا مائة ألف

- غلام يافع وغير يافع قسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل ملك منهم أربعة غلبة وكان عزيز من جملتهم فلما نجاه الله تعالى منهم بعد حين مر بجواره على بيت المقدس فرآه على أفطنع مرأى وأوحش منظر وذلك قوله عز وجل (وهى خاوية على عروشها) أى ساقطة على سقوفها بأن سقطت العروش ثم الحيطان من خوى البيت إذا سقط أو من خوت الأرض أى تهدمت والجملة حال من ضمير مرأو من قرية عند من يجوز الحال من النكرة مطلقاً (قال) أى تلهفا عليها وتشوقاً إلى عمارتها مع استنصار اليأس عنها (أنى يحيى هذه الله) وهى على ما يرى من الحالة العجيبة المبينة للحياة وتقديمها على الفاعل للاعتناء بها من حيث أن الاستبعاد ناشئ من جهتها لا من جهة الفاعل وأنى نصب على الظرفية إن كانت بمعنى متى وعلى الحالية من هذه إن كانت بمعنى كيف والعامل يحيى وأياً ما كان فالمراد استبعاد عمارتها بالبناء والسكان من بقايا أهلها الذين تفرقوا أبداً ومن غيرهم وإنما عبر عنها بالإحياء الذى هو علم فى البعد عن الوقوع عادة تهويلاً للخطاب وتأكيذاً للاستبعاد كما أنه لأجله عبر عن خرابها بالموت حيث قيل (بعد موتها) وحيث كان هذا التعبير معرباً عن استبعاد الإحياء بعد الموت على أبلغ وجه وآكده أراه الله عز وجل أثر ذى أثر أبعد الأمرين فى نفسه ثم فى غيره ثم أراه ما استبعده صريحاً مبالغة فى إزاحة ما عسى يختلج فى خلدته وأما محل إحيائها على إحياء أهلها فبأب التعرض لحال القرية دون حالهم والاقتصار على ذكر موتهم دون كونهم تراباً وعظاماً مع كونه أدخل فى الاستبعاد لشدة مباينته للحياة وغاية بعده عن قبولها على أنه لم يتعلق إرادته تعالى بإحيائهم كما تعلقت بعمارتها ومعاينة المار لها كما ستحيط به خبراً (فأما ناه الله) والبشه على الموت (مائة عام) روى أنه لما دخل القرية ربط حماره فطاف بها ولم يربها أحدًا فقال ما قال وكانت أشجارها قد أثمرت فتناول من التين والعنب وشرب من عصيره ونام فأما ناه الله تعالى فى منامه وهو شاب وأما حماره وبقية تينه وعنبه وعصيره عنده ثم أعمى الله تعالى عنه عيون المخلوقات فلم يره أحد فلما مضى من موته سبعون سنة وجه الله عز وعلا ملكاً عظيماً من ملوك فارس يقال له يوشك إلى بيت المقدس ليعمره ومعه ألف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة ألف عامل فجعلوا يعمرونه وأهلك الله تعالى بخت نصر ببعوضة دخلت دماغه ونجى الله تعالى من بقى من بنى إسرائيل وردداهم إلى بيت المقدس وتراجع إليه من تفرق منهم فى الأكناف فعمروه ثلاثين سنة وكثروا وكانوا كأحسن ما كانوا عليه فلما تمت المائة من موت عزيز أحياء الله تعالى وذلك قوله تعالى (ثم بعثه) وإيناره على أحياء للدلالة على سرعته وسهولة تأتية على البارى تعالى كأنه بعثه من النوم وللإيدان بأنه أعاده كهينته يوم موته عاقلاً قاهماً مستعداً للنظر والاستدلال (قال) استنكاف مبنى على السؤال كأنه قيل فإذا قال له بعد بعثه فقيل قال (كم لبثت) ليظهر له عجزه عن الإحاطة بشئونه تعالى وأن إحياءه ليس بعد مدة يسيرة ربما يتوهم أنه هين فى الجملة بل بعد مدة طويلة وينحسم به مادة استبعاده بالمرّة ويطلع فى تضاعيفه على أمر آخر من بدائع آثار قدرته تعالى وهو إبقاء الغذاء المتسارع إلى الفساد بالطبع على ما كان عليه دهر أطويلاً من غير تغير ما وكم نصب على الظرفية يميزها محذوف أى كم وقتاً لبثت والقائل هو الله تعالى أو ملك مأمور بذلك من قبله تعالى قيل نودى من السماء يا عزيز كم لبثت بعد الموت (قال لبثت يوماً أو

بعض يوم) قاله بناء على التقريب والتخمين أو استقصار أمدته لبثه وأما ما يقال من أنه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر إلى الشمس يوماً فالتفت إليها فرأى منها بقية فقال أو بعض يوم على وجه الإضراب فبمعزل من التحقيق إذ لا وجه للجزم بتمام اليوم ولو بناء على حساب الغروب

- لتحقق نقصان من أوله (قال) استئناف كما سلف (بل لبثت مائة عام) عطف على مقدر أى ما لبثت
- ذلك القدر بل هذا المقدار (فانظر) لتعاین امرآ آخر من دلائل قدرتنا (إلى طعامك وشرابك لم يتسنه) أى لم يتغير في هذه المدة المتطاولة مع تداعيه إلى الفساد . روى أنه وجد تينه وعنبه كما جنى وعصيره كما عصر والجملة المنفية حال بغيره واو كقوله تعالى لم يمسه سواه إما من الطعام والشراب وإفراد الضمير لجر يائهما مجرى الواحد كالغذاء وإما من الأخير اكتفاء بدلالة حاله على حال الأول ويؤيده قراءة من قرأ وهذا شرابك لم يتسن والهاء أصلية أو هاء سكت واشتقاقه من السنة لما أن لامها هاء أو واو وقيل أصله لم يتسن من الحما المسنون فقلبت نونه حرف علة كما في تقضى البازى وقد جوز أن يكون معنى لم يتسنه لم يمر عليه السنون التى مرت لاحقيقة بل تشبهاً أى هو على حاله كأنه لم يلبث مائة عام وقرئ لم يسنه
- بإدغام الناء فى السين (وانظر إلى حمارك) كيف نخرت عظامه وتفرقت وتقطعت أوصاله وتمزقت لبتين لك ما ذكر من اللبث المديد وقطعتن به نفسك وقوله عز وجل (ولنجعلك آية للناس) عطف على مقدر متعلق بفعل مقدر قبله بطريق الاستئناف مقرر لمضمون ما سبق أى فعلنا ما فعلنا من إحيائك بعد ما ذكر
- لتعاین ما استبعدته من الإحياء بعد دهر طويل ولنجعلك آية للناس الموجودين فى هذا القرن بأن يشاهدوك وأنت من أهل القرون الخالية يأخذوا منك ما طوى عنهم منذ أحقاب من علم التوراة كما سيأتى أو متعلق بفعل مقدر بعده أى ولنجعلك آية لهم على الوجه المذكور فعلنا ما فعلنا فهو على التقديرين دليل على ما ذكر
- من اللبث المديد ولذلك فرق بينه وبين الأمر بالنظر إلى حماره وتكرير الأمر فى قوله تعالى (وانظر إلى العظام) مع أن المراد عظام الحمار أيضاً لما أن المأمور به أولاً هو النظر إليها من حيث دلالتها على ما ذكر
- من اللبث المديد وثانياً هو النظر إليها من حيث تعثرها بالحياة ومباديهها أى وانظر إلى عظام الحمار لتشاهد كيفية الإحياء فى غيرك بعد ما شاهدت نفسه فى نفسك (كيف ننشزها) بالزأى المعجمة أى نرفع بعضها إلى بعض وردها إلى أملاكها من الجسد فتركبها تركيباً لا نقاباً بها وقال الكسائى نليناها ونعظمها ولعل من فسر بنحيبها أراد بالإحياء هذا المعنى وكذا من قرأ ننشرها بالراء من أنشر الله تعالى الموتى أى أحيائها لا معناه الحقيقي لقوله تعالى (ثم نكسوها لحماً) أى نسترها به كما يستر الجسد باللباس وأما من قرأ ننشرها بفتح النون وضم الشين فلعله أراد به ضد الطى كما قال الفراء فالمعنى كيف نبسطها والجملة إما حال من العظام أى وانظر إليها مركبة مكسوة لحماً أو بدل اشتمال أى وانظر إلى العظام كيفية إنشازها وبسط اللحم عليها ولعل عدم التعرض لكيفية نفخ الروح لما أنها بما لا تقتضى الحكمة بيانه . روى أنه نودى أيتها العظام البالية إن الله يأمرك أن تجتمعى فاجتمع كل جزء من أجزائها التى ذهب بها الطير والسباع وطارت بها الرياح من كل سهل وجبل فانضم بعضها إلى بعض والتصق كل عضو بما يليق به الضلع بالضلع والذراع بمحملها والرأس بموضعها ثم الأعصاب والعروق ثم انبسط عليه اللحم

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُنحِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِكَ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَبْطِئَنَّ قَلْبِي
قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ
سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٣٠﴾ البقرة

- ثم الجلد ثم خرجت منه الشعور ثم نفخ فيه الروح فإذا هو قائم ينطق (فلما تبين له) أى ماذا، عليه الأمر بالنظر إليه من كيفية الإحياء بمبادئه والفاء للعطف على مقدر يستدعيه الأمر المذكور وإنما حذف للإبذان بظهور تحققه واستغنائه عن الذكر والإشعار بسرعة وقوعه كما في قوله عز وجل فلما رآه مستقراً عنده بعد قوله أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك كأنه قيل فأنشزها الله تعالى وكساها لحماً
- فنظر إليها فتبين له كيفيته فلما تبين له ذلك أى اتضح اتضاحاً تاماً (قال أعلم أن الله على كل شيء) من الأشياء التى من جملتها ما شاءه في نفسه وفي غيره من تعاجيب الآثار (قدير) لا يستعصى عليه أمر من الأمور وإيثار صيغة المضارع للدلالة على أن علمه بذلك مستمر نظراً إلى أن أصله لم يتغير ولم يتبدل بل إنما تبدل بالعيان وصفه وفيه إشعار بأنه إنما قال ما قال بناء على الاستبعاد العادى واستعظام الأمر وقد قيل فاعل تبين مضمرة يفسره مفعول أعلم أى فلما تبين له أن الله على كل شيء قد ير قال أعلم أن الله على كل شيء قد ير فتدبر وقرىء تبين له على صيغة المجهول وقرىء قال أعلم على صيغة الأمر . روى أنه ركب حماره وأتى محلته وأنكره الناس وأنكر الناس وأنكر المنازل فانطلق على وهم منه حتى أتى منزله فإذا هو يبعجوز عيماً مقعدة قد أدركت زمن عزير فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير قالت نعم وأين ذكرى عزير قد فقدناه منذ كذا وكذا فبكت بكاء شديداً قال فإني عزير قالت سبحان الله أنى يكون ذلك قال قد أماننى الله مائة عام ثم بعثنى قالت إن عزيراً كان رجلاً مستجاب الدعوة فادع الله لى يرد على بصرى حتى أراك فدعا ربه ومسح بيده عينيها فصحتا فأخذ بيدها فقال لها قومى يا ذن الله فقامت صحيحة كأنها نشطت من عقال فنظرت إليه فقالت أشهد أنك عزير فانطلقت إلى محلة بنى إسرائيل وهم فى أنديتهم وكان فى المجلس ابن لعزير قد بلغ مائة وثمانى عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت انظروا فإني بدعائه رجعت إلى هذه الحالة فهض الناس فأقبلوا إليه فقال ابنه كان لأبى شامة سوداء بين كتفيه مثل الهلال فكشف فإذا هو كذلك وقد كان قتل بخت نصر بيوت المقدس من قراء التوراة أربعين ألف رجل ولم يكن يومئذ بينهم نسخة من التوراة ولا أحد يعرف التوراة فقرأها عليهم عن ظهر قلبه من غير أن يخرم منها حرفاً فقال رجل من أولاد المسييين ممن ورد بيت المقدس بعد مهلك بخت نصر حدثنى أبى عن جدى أنه دفن التوراة يوم سبيننا فى خاية فى كرم فإن أرىتمونى كرم جدى أخرجهما لكم فذهبوا إلى كرم جده ففتشوا فوجدوها فعارضوها بما أملى عليهم عزير من ظهر القلب فما اختلفا فى حرف واحد فعند ذلك قالوا هو ابن الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً (وإذ قال إبراهيم) ٢٦٠ دليل آخر على ولايته تعالى للؤمنين وإخراجه لهم من الظلمات إلى النور وإنما لم يسلك به مسلك

- الاستشهاد كما قبله بأن يقال أو كالذي قال رب الخ لجرى ذكره عليه السلام في أثناء المحاجة ولأنه لا دخل لنفسه عليه السلام في أصل الدليل كدأب عزيز عليه السلام فإن ما جرى عليه من إحيائه بعد مائة عام من جملة الشواهد على قدرته تعالى وهدايته والظرف منتصب بمضمر صرح بمثله في نحو قوله تعالى واذكروا إذ جعلكم خلفاء أئى واذكر وقت قوله عليه السلام وما وقع حينئذ من تعاجيب صنع الله تعالى لتقف على ما مر من ولايته تعالى وهدايته وتوجيه الأمر بالذكر في أمثال هذه المواقف إلى الوقت دون ما وقع فيه من الوقائع مع أنها المقصودة بالتذكير لما ذكر غير مرة من المبالغة في إيجاب ذكرها لما أن إيجاب ذكر الوقت إيجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولأن الوقت مشتمل عليها مفصلة فإذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها بحيث لا يشذ عنها شيء مما ذكر عند الحكاية أو لم يذكر كأنها مشاهدة عياناً (رب)
- كلة استعطاف قدمت بين يدي الدعاء مبالغة في استدعاء الإجابة (أرنى) من الرؤية البصرية المتعدية إلى واحد وبدخول همزة النقل طلبت مفعولاً آخر هو الجملة الاستفهامية المتعلقة لها فإنها تعلق كما يعلق النظر البصرى أى اجعلنى مبصراً (كيف تحي الموتى) بأن يحييها وأنا أنظر إليها وكيف فى محل نصب على التشبيه بالظرف عند سيبويه وبالحال عند الأخفش والعامل فيها يحيى أى فى أى حال أو على أى حال يحيى قال القرطبي الاستفهام بكيف إنما هو سؤال عن حال شيء متقرر الوجود عند السائل والمستول فالاستفهام هنا عن هيئة الإحياء المتقرر عند السائل أى بصرفى كيفية إحيائك للموتى وإنما سأل عليه السلام ليتأكد إيقانه بالعيان ويزداد قلبه اطمئناناً على اطمئناناً وأما ما قيل من أن نمرود لما قال أنا أحيى وأميت قال إبراهيم عليه السلام إن إحياء الله تعالى برد الأرواح إلى الأجساد فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر على أن يقول نعم فانتقل إلى تقرير آخر ثم سأل ربه أن يريه ذلك فإياه تعليل السؤال بالاطمئنان (قال) استئناف كما مر غير مرة (أو لم تؤمن) عطف على مقدر أى ألم تعلم ولم تؤمن بأنى قادر على الإحياء كيف أشاء حتى تسألنى إرادته قاله عز وعلا وهو أعلم بأنه عليه السلام أثبت الناس إيماناً وأقوام يقيناً ليجيب بما أجاب به فيكون ذلك لطفاً للسامعين (قال بلى) علمت وآمنت بأنك قادر على الإحياء على أى كيفية شئت (ولكن) سألت ما سألت (ليطمئن قلبي) بمضامة العيان إلى الإيمان والإيقان وازداد بصيرة بمشاهدته على كيفية معينة (قال فخذ) الفاء لجواب شرط محذوف أى إن أردت ذلك فخذ (أربعة من الطير) قيل هو اسم لجمع طائر كركب وسفر وقيل جمع له كتاجر وتجر وقيل هو مصدر سمي به الجنس وقيل هو تخفيف طير بمعنى طائر كهين فى هين ومن متعلقة بفخذ أو بمحذوف وقع صفة لأربعة أى أربعة كائنة من الطير قيل هى طاوس وديك وغراب وحمامة وقيل نسر يدل الأخير وتخصيص الطير بذلك لأنه أقرب إلى الإنسان وأجمع لخواص الحيوان ولسهولة تأتى ما يفعل به من التجزئة والتفريق وغير ذلك (فصرهن) من صارهن يصوره أى أماله وقرىء بكسر الصاد من صارهن يصيره أى أملهن واضممنهن وقرىء فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره ويصره إذا جمعه وقرىء فصرهن من التصرية بمعنى الجمع أى اجمعن (إليك) لتأملها وتعرف شياتها مفصلة حتى تعلم بعد الإحياء أن جزءاً من أجزائها لم ينتقل من موضعه الأول أصلاً . روى أنه أمر بأن يذبحها وينتفريشها ويقطعها ويفرق

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ البقرة

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ البقرة

- أجزاءها ويخلط ريشها ودماها ولحومها ويمسك رموسها ثم أمر بأن يجعل أجزاءها على الجبال وذلك قوله تعالى (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً) أى جزئهن وافرّق أجزاءهن على ما يحضرتك من الجبال قيل كانت أربعة أجبل وقيل سبعة لجعل على كل جبل ربعا أو سبعة من كل طائر وقرى جزوا بضمّتين وجزأ بالتشديد بطرح همزته تخفيفاً ثم تشديده عند الوقف ثم إجرأ الوصل مجرى الوقف (ثم ادعهم بأتينك) فى حيز الجزم على أنه جواب الأمر ولكنه بنى لاتصاله بنون جمع مؤنث (سبعياً) أى سابعات مسرعات أو ذوات سعى طيراناً أو مشياً وإنما اقتصر على حكاية أوامره عز وجل من غير تعرض لامتناله عليه السلام ولما ترتب عليه من عجائب آثار قدرته تعالى كما روى أنه عليه السلام نادى فقال تعالين يا ذن الله لجعل كل جزء منهن يطير إلى صاحبه حتى صارت جثثاً ثم أقبلن إلى رموسهن فانضمت كل جثة إلى رأسها فعادت كل واحدة منهن إلى ما كانت عليه من الهيئة للإبذان بأن ترتب تلك الأمور على الأمر الجليل واستحالة تخلفها عنها من الجلاء والظهور بحيث لا حاجة له إلى الذكر أصلاً وناهيك بالقصة دليلاً على فضل الخليل وبين الضراعة فى الدعاء وحسن الأدب فى السؤال حيث أراه الله تعالى ما سأله فى الحال على أيسر ما يكون من الوجوه وأرى عزيزاً ما أراه بعد ما أماته مائة عام (واعلم أن الله عزيز) غالب على أمره لا يعجزه شيء عما يريد (حكيم) ذو حكمة بالغته فى أفعاله فليس بناء أفعاله على الأسباب العادية لعجزه عن إيجادها بطريق آخر خارق للعادات بل لكونه متضمناً للحكم والمصالح .
- (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله) أى فى وجوه الخيرات من الواجب والنفل (كمثل حبة) ٢٦١ لا بد من تقرير مضاف فى أحد الجانبين أى مثل نفقهم كمثل حبة أو مثلهم كمثل باذر حبة (أتبت سبع سنابل) أى أخرجت سافاً تشعب منها سبع شعب لكل واحدة منها سنبل (فى كل سنبل مائة حبة) كما يشاهد ذلك فى الذرة والدخن فى الأراضى المغلة بل أكثر من ذلك وإسناد الإنبات إلى الحبة مجازى كما سنده إلى الأرض والريبع وهذا التمثيل تصوير للأضعاف كأنها حاضرة بين يدي الناظر (والله يضاعف) تلك المضاعفة أو فوقها إلى ما شاء الله تعالى (لمن يشاء) أن يضاعف له بفضله على حسب حال المنفق من إخلاصه وقبته ولذلك تفاوتت مراتب الأعمال فى مقادير الثواب (والله واسع) لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة (عليم) بنية المنفق ومقدار إنفاقه وكيفية تحصيل ما أنفق (الذين ينفقون) ٢٦٢ أموالهم فى سبيل الله (جملة مبتدأة) جىء بها لبيان كيفية الإنفاق الذى بين فضله بالتمثيل المذكور (ثم

قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ البقرة

يَتَابِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْتَطِلُوا صَدَقَتُنَا بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَنُفِلَ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ البقرة

- لا يتبعون ما أنفقوا) أى ما أنفقوه أو إنفاقهم (منأ ولا أذى) المن أن يعتد على من أحسن إليه يا حسانه ويريه أنه أوجب بذلك عليه حقاً والأذى أن يتطاول عليه بسبب إنعامه عليه وإنما قدم المن لكثرة وقوعه وتوسيط كلمة للدلالة على شمول النفي لاتباع كل واحد منهما وثم لإظهار علو رتبة المعطوف
- قيل نزلت في عثمان رضى الله عنه حين جهز جيش العسرة بألف بعير بأفتابها وأحلاسها وعبدالرحمن ابن عوف رضى الله عنه حين أتى النبي ﷺ بأربعة آلاف درهم صدقة ولم يكذب بخبرها شيئا من المن والأذى (لهم أجرهم) أى حسبما وعد لهم في ضمن التمثيل وهو جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبراً عن
- الموصول وفي تكرير الإسناد وتقيد الأجر بقوله (عند ربهم) من التأكيد والتشريف ما لا يخفى
- وتحلية الخبر عن الفاء المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها للإيدان بأن ترتب الأجر على ما ذكر من الإنفاق وترك اتباع المن والأذى أمر بين لا يحتاج إلى التصريح بالسببية وأما إيهام أنهم أهل لذلك وإن لم يفعلوا فكيف بهم إذا فعلوا فإياه مقام الترغيب في الفعل والحث عليه (ولا خوف عليهم) في الدارين
- من حقوق مكروه من المكروه (ولا هم يحزنون) لقوات مطلوب من المطالب قل أو جل أى لا يعتريهم ما يوجب له أنه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا أنه لا يعتريهم خوف وحزن أصلاً بل يستمرون على النشاط والسرور كيف لا واستفهام الخوف والخشية استعظاماً لجلال الله و
- واستقصاراً للجد والسعى في إقامة حقوق العبودية من خواص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفاعهما لا بيان انقضاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعاً لما أن النفي وإن دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام (قول معروف) أى كلام جميل تقبله القلوب
- ولا تنكره رده السائل من غير إعطاء شيء (ومغفرة) أى ستر لما وقع من السائل من الإلحاف في المسألة وغيره مما ينقل على المستول وصفح عنه وإما صرح الابتداء بالنكرة في الأول لا اختصاصها بالوصف
- وفي الثاني بالعطف أو بالصفة المقدرة أى ومغفرة كائنة من المستول (خير) أى للسائل (من صدقة يتبعها أذى) لكونها مشوبة بضرر ما يتبعها وخلوص الأولين من الضرر والجملة مستأنفة مقررة لاعتبار ترك اتباع المن والأذى وتفسير المغفرة بنيل مغفرة من الله تعالى بسبب الرد الجليل أو بعفو السائل بناء على اعتبار الخيرية بالنسبة إلى المستول يؤدي إلى أن يكون في الصدقة الموصوفة بالنسبة إليه خير في الجملة مع بطلانها بالمرء (والله غنى) لا يحوج الفقراء إلى تحمل مؤنة المن والأذى ويزرقهم من جهة أخرى (حليم) لا يعاجل أصحاب المن والأذى بالعقوبة لا أنهم لا يستحقونها بسببها والجملة تذييل
- لما قبلها مشتمل على الوعد والوعيد مقرر لاعتبار الخيرية بالنسبة إلى السائل قطعاً (بأيها الذين آمنوا)

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَفَاتَتْ أَكْطُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ البقرة

- أقبل عليهم بالخطاب لإثبات ما بين بطريق الغيبة مبالغة في إيجاب العمل بموجب النهي (لا تبطلوا
- صدقاتكم بالمن والاذى) أى لا تحبطوا أجرها بواحد منهما (كالذى) فى محل النصب إما على أنه نعت
- لمصدر محذوف أى لا تبطلوها إبطالا كإبطال الذى (ينفق ماله رثاء الناس) وإما على أنه حال من فاعل
- لا تبطلوا أى لا تبطلوها مشابهين الذى ينفق أى الذى يبطل إنفاقه بالربا وقيل من ضمير المصدر
- المقدر على ما هو رأى سيئويه وانتصاب رثاء إما على أنه علة لينفق أى لأجل رثائهم أو على أنه حال من
- فاعله أى ينفق أى مرثيا والمراد به المنافق لقوله تعالى (ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) حتى يرجوا
- ثوابا أو يخشى عقابا (فثله) الفاء لربط ما بعدها بما قبلها أى فثل المرائى فى الإنفاق وحالته العجيبة
- (كمثل صفوان) أى حجر أملس (عليه تراب) أى شيء يسير منه (فأصابه وابل) أى مطر عظيم القطر
- (فتركه صلدا) أملس ليس عليه شيء من الغبار أصلا (لا يقدر أن على شيء مما كسبوا) لا ينتفعون بما
- فعلوا رثاء ولا يحدون له ثوابا قطعاً كقوله تعالى لجعلناه هباء منثوراً والجملة استئناف مبنى على السؤال
- كأنه قيل فإذا يكون حالهم حينئذ قليل لا يقدر أن الخ ومن ضرورة كون مثلهم كما ذكر كون مثل من
- يشبههم وهم أصحاب المن والاذى كذلك والضمير ان الأخيران للوصول باعتبار المعنى كما فى قوله عز
- وجل وخضتم كالذى خاضوا لما أن المراد به الجنس أو الجمع أو الفريق كما أن الضمائر الأربعة السابقة
- له باعتبار اللفظ (واه لا يهدى القوم الكافرين) إلى الخير والرشاد والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله
- وفيه تعريض بأن كلام من الربا والمن والاذى من خصائص الكفار ولا بد للمؤمنين أن يجتنبوها (ومثل ٢٦٥
- الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله) أى لطلب رضاه (وتثبيتاً من أنفسهم) أى ولتثبيت بعض
- أنفسهم على الإيمان فمن تبعية كما فى قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه فإن المال شقيق الروح فمن
- بذل ماله لوجه الله تعالى فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه فقد ثبتها كلها أو تصديقاً للإسلام
- وتحقيقاً للجزاء من أصل أنفسهم فمن ابتدائية كما فى قوله تعالى حسداً من عند أنفسهم ويحتمل أن يكون
- المعنى وتثبيتاً من أنفسهم عند المؤمنين أنها صادقة الإيمان مخرصة فيه ويعضده قراءة من قرأ أو تبيناً من
- أنفسهم وفيه تنبيه على أن حكمة الإنفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال الذى هو رأس كل
- خطيئة (كمثل جنة برية) البرية بالحركات الثلاث وقد قرئت بها المكان المرتفع أى مثل نفقتهم فى
- الزكاة كمثل بستان كائن بمكان مرتفع مأمون من أن يصطلبه البرد للطفة هوائه بهبوب الرياح الملطفة
- له فإن أشجار الربا تكون أحسن منظرأ وأزكى ثمراً وأما الأراضي المنخفضة فقلما تسلم ثمارها من البرد
- لكثافة هوائها بركون الرياح وقرىء كمثل حبة (أصابها وابل) مطر عظيم القطر (فأتت أكلمها) ثمرتها
- وقرىء بسكون الكاف تخفيفاً (ضعفين) أى مثل ما كانت تثمر فى سائر الأوقات بسبب ما أصابها من

أَيُّودُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ
وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ
لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ البقرة

- الواو ابل والمراد بالضعف المثل وقيل أربعة أمثال ونصبه على الحال من أكلها أى مضاعفاً (فإن لم يصبها واو ابل فطل) أى فطل يكفيها لجودتها وكرم منبتها ولطافة هوائها وقيل فيصيبها طل وهو المطر الصغير القطر وقيل فالذى يصيبها طل والمعنى أن نفقات هؤلاء زاكية عند الله تعالى لا تضيع بحال وإن كانت تنفوت باعتبار ما يقارنها من الأحوال ويجوز أن يعتبر التمثيل بين حالهم باعتبار ما صدر عنهم من النفقة الكثيرة والقليلة وبين الجنة المعهودة باعتبار ما أصابها من المطر الكثير واليسير فكما أن كل واحد من المطرين يضعف أكلها فكذلك نفقتهم جلت أو قلت بعد أن يطلب بها وجه الله تعالى زاكية زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عند الله (والله بما تعملون بصير) لا يخفى عليه شيء منه وهو ترغيب في الإخلاص
- ٢٦٦ مع تحذير من الرياء ونحوه (أيود أحدكم) الود حب الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل استعمالهما والهمزة لإنكار الوقوع كما في قوله أأضرب أبى لا لإنكار الواقع كما في قولك أأضرب أباك على أن مناط الإنكار ليس جميع ما تعلق به الود بل إنما هو إصابة الإعصار وما يتبعها من الاحتراق (أن تكون له جنة)
- وقرىء جنات (من نخيل وأعنان) أى كائنة منهما على أن يكون الأصل والركن فيها هذين الجنسيتين الشريفتين الجامعين لفنون المنافع والباقي من المستتبعات لا على أن لا يكون فيها غيرهما كما ستعرفه والجنة تطلق على الأشجار الملتفة المتكاثفة قال زهير | كأن عيني في غربي مفئلة • من النواضح تسقى جنة سخفاً |
- وعلى الأرض المشتعلة عليها والاول هو الأنسب بقوله عز وجل (تجرى من تحتها الأنهار) على الثاني لا بد من تقدير مضاف أى من تحت أشجارها وكذا لا بد من جعل إسناد الاحتراق إليها فيه يأتى مجازياً والجملة في محل الرفع على أنها صفة جنة كما أن قوله تعالى من نخيل وأعنان كذلك أو في محل نصب على أنها حال منها لأنها موصوفة (له فيها من كل الثمرات) الظرف الأول خبر والثاني حال والثالث مبتدأ أى صفة للمبتدأ قائمة مقامه أى له رزق من كل الثمرات كما في قوله تعالى وما منا إلا له مقام معلوم أى وما منا أحد إلا له الخ وليس المراد بالثمرات العموم بل إنما هو التكثير كما في قوله تعالى وأوتيت من كل شيء (وأصابه الكبر) أى كبر السن الذى هو مظنة شدة الحاجة إلى منافعها ومثنة كمال العجز عن تدارك أسباب المعاش والواو حالية أى وقد أصابه الكبر (وله ذرية ضعفاء) حال من الضمير فى أصابه أى أصابه الكبر والحال أن له ذرية صغار لا يقدر على الكسب وترتيب مبادئ المعاش وقرىء ضعاف (فأصابها إعصار) أى ريح عاصفة تستدير فى الأرض ثم تنعكس منها ساطعة إلى السماء على هيئة العمود (فيه نار) شديدة (فاحترقت) عطف على فأصابها وهذا كما ترى تمثيل لحال من يعمل أعمال البر والحسنات ويضم إليها ما يحبطها من القوادح ثم يجدها يوم القيامة عند كمال حاجته إلى ثوابها هباء منثوراً في التحسر

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا
الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ البقرة
الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَسِعَ عِلْمُهُ ﴿٢٦٨﴾ البقرة

- والتأسف عليها (كذلك) توحيد الكاف مع كون المخاطب جمعاً قد مر وجهه مراراً أى مثل ذلك البيان
- الواضح الجارى فى الظهور مجرى الأمور المحسوسة (يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) كى تتفكروا
- فيها وتعتبروا بما فيها من العبر وتعملوا بموجبها (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم) بيان ٢٦٧
- لحال ما ينفق منه لآثر بيان أصل الإنفاق وكيفيته أى أنفقوا من حلال ما كسبتم وجياده لقوله تعالى
- لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون (ومما أخرجنا لكم من الأرض) أى من طيبات ما أخرجنا لكم من
- الحبوب والثمار والمعادن لحذف لدلالة ما قبله عليه (ولا تيمموا) بفتح التاء أصله ولا تقيموا وقرئـ
- بضمها وقرئـ ولا تأمروا والكل بمعنى القصد أى لا تقصدوا (الخبث) أى الردىء الخسيس وهو كالطيب
- من الصفات الغالبة التى لا تذكر موصوفاتها (منه تنفقون) الجار متعلق بتنفقون والضمير للخبث
- والتقديم للتخصيص والجملة حال من فاعل تيمموا أى لا تقصدوا الخبيث قاصرين الإنفاق عليه أو من
- الخبيث أى مختصاً به الإنفاق وأياً ما كان فالتخصيص لتوبيخهم بما كانوا يتعاطونه من إنفاق الخبيث
- خاصة لا لتسوية إنفاقه مع الطيب عن ابن عباس رضى الله عنهما أنهم كانوا يتصدقون بحشف التمر
- وشراره فنهوا عنه وقيل متعلق بمحذوف وقع حالا من الخبيث والضمير للبال المدلول عليه بحسب المقام
- أو البوصولين على طريقة قوله | كأنه فى الجلد توليع البهق | أو للثاني وتخصيصه بذلك لما أن التفاوت
- فيه أكثر وتنفقون حال من الفاعل المذكور أى ولا تقصدوا الخبيث كائناً من المال أو مما كسبتم وما
- أخرجنا لكم أو مما أخرجنا لكم منفقين إياه وقوله تعالى (ولستم بآخذيهِ) حال على كل حال من واو تنفقون
- أى والحال أنكم لا تأخذونه فى معاملتكم فى وقت من الأوقات أو بوجه من الوجوه (إلا أن تغمضوا
- فيه) أى إلا وقت إغماضكم فيه أو إلا بإغماضكم فيه وهو عبارة عن المساحة بطريق الكناية أو الاستعارة
- يقال أغمض بصره إذا غمضه وقرئـ على البناء للفعول على معنى إلا أن تحملوا على الإغماض وتدخلوا
- فيه أو توجدوا مغمضين وقرئـ تغمضوا وتغمضوا بضم الميم وكسرها وقيل تم الكلام عند قوله تعالى ولا
- تيمموا الخبيث ثم استؤنف ف قيل على طريقة التوبيخ والتقريع منه تنفقون والحال أنكم لا تأخذونه
- إلا إذا أغمضتم فيه ومآله الاستفهام الإنكارى فكأنه قيل أمته تنفقون الخ (واعلموا أن الله غنى) عن
- إنفاقكم وإنما يأمركم به لمنفعتكم وفى الأمر بأن يعلموا ذلك مع ظهور عليهم به توبيخ لهم على ما يصنعون من
- إعطاء الخبيث وإيدان بأن ذلك من آثار الجهل بشأنه تعالى فإن إعطاء مثله إنما يكون عادة عند اعتقاد
- المعطى أن الأخذ محتاج إلى ما يعطيه بل مضطر إليه (حميد) مستحق للحمد على نعمه العظام وقيل حامد
- بقبول الجيد والإثابة عليه (الشيطان يعدكم الفقر) الوعد هو الإخبار بما سيكون من جهة الخبر مترتباً ٢٦٨

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ البقرة

- على شيء من زمان أو غيره يستعمل في الشر استعماله في الخير قال تعالى النار وعدها الله الذين كفروا أي
يعدكم في الإنفاق الفقر ويقول إن عاقبة إنفاقكم أن تفتقروا وإنما عبر عن ذلك بالوعد مع أن الشيطان
لم يصف مجيء الفقر إلى جهته للإبذان بمبالغته في الإخبار بتحقيق مجيئه كأنه نزل في تقرر الوقوع منزلة
أفعاله الواقعة بحسب إرادته أو لوقوعه في مقابلة وعده تعالى على طريقة المشاكلة وقرىء بضم الفاء
والسكون وبضمتين وبفتحتين (ويأمركم بالفحشاء) أي بالخصلة الفحشاء أي ويغريكم على البخل ومنع
الصدقات إغراء الأمر للأمور على فعل المأمور به والعرب تسمى البخيل فاحشاً قال طرفة بن العبد أرى
الموت يعتام الكرام ويصطفى عقيقة مال الفاحش المتشدد [وقيل بالمعاصي والسيئات (والله يعدكم)
أي في الإنفاق (مغفرة) لذنوبكم والجار في قوله تعالى (منه) متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة
لفخامتها التي أفادها تنكيرها أي مغفرة أي مغفرة كائنة منه عز وجل (وفضلاً) صفته محذوفة لدلالة
المذكور عليها كما في قوله تعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لنظائره أي وفضلاً كائناً منه تعالى أي خلفاً
● مما أنفقتم زائداً عليه في الدنيا وفيه تكذيب للشيطان وقيل ثواباً في الآخرة (والله واسع) قدرة وفضلاً
● فيحقق ما وعدكم به من المغفرة وإخلاف ما تنفقونه (عليم) مبالغ في العلم فيعلم إنفاقكم فلا يكاد يضيع
أجركم أو يعلم ما سيكون من المغفرة والفضل فلا احتمال للخلف في الوعد والجملة تذييل مقرر لمضمون
٢٦٩ ما قبله (يؤتي الحكمة) قال مجاهد الحكمة هي القرآن والعلم والفقه روى عن ابن نجيم أنها الإصابة في القول
والعمل وعن إبراهيم النخعي أنها معرفة معاني الأشياء وفهمها وقيل هي معرفة حقائق الأشياء وقيل
هي الإقدام على الأفعال الحسنة الصائبة وعن مقاتل أنها تفسر في القرآن بأربعة أوجه فتارة بمواعظ
القرآن وأخرى بما فيه من عجائب الأسرار ومرة بالعلم والفهم وأخرى بالنبوة ولعل الأنسب بالمقام
ما ينتظم الأحكام المبينة في تضاعيف الآيات الكريمة من أحد الوجهين الأولين ومعنى إبتائها تبينها
● والتوفيق للعلم والعمل بها أي يبينها ويوفق للعلم والعمل بها (من يشاء) من عباده أن يؤتيها إياه بموجب
سعة فضله وإحاطة عليه كما آتاكم ما بينه في ضمن الآي من الحكم البالغة التي يدور عليها فلك منافعكم فاغتنموا
وسارعوا إلى العمل بها والموصول مفعول أول ليؤتي قدم عليه الثاني للعناية به والجملة مستأنفة مقررة
● لمضمون ما قبلها (ومن يؤت الحكمة) على بناء المفعول وقرىء على البناء للفاعل أي ومن يؤته الله الحكمة
● والإظهار في مقام الإضمار لإظهار الاعتناء بشأنها والإشعار بعلّة الحكم (فقد أوتي خيراً كثيراً) أي أي
● خير كثير فإنه قد خير له خير الدارين (وما يذكر) أي وما يتعظ بما أوتي من الحكمة أو وما يتفكر فيها
● (إلا أولوا الأبواب) أي العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون إلى مشايعة الهوى وفيه من
الترغيب في المحافظة على الأحكام الواردة في شأن الإنفاق ما لا يخفى والجملة إما حال أو اعتراض تذييلي

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ البقرة
 إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ
 سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ البقرة

- (وما أنفقتم من نفقة) بيان لحكم كل شئ لجميع أفراد النفقات وما في حكمها اثر بيان حكم ما كان منها في ٢٧٠
 سبيل الله وما إما شرطية أو موصولة حذف عاندها من الصلة أى وما أنفقتموه من نفقة أى أى نفقة
 كانت فى حق أو باطل فى سر أو علانية قليلة أو كثيرة (أو نذرتم) النذر عقد الضمير على شئ والتزامه
 وفعله كضرب ونصر (من نذر) أى نذر كان فى طاعة أو معصية بشرط أو بغير شرط متعلق بالمال
 أو بالأفعال كالصيام والصلاة ونحوهما (فإن الله يعلمه) الفاء على الأول داخله على الجواب وعلى الثانى
 مزيدة فى الخبر وتوحيد الضمير مع تعدد متعلق العلم لاتحاد المرجع بناء على كون العطف بكلمة أو كما
 فى قولك زيد أو عمرو أكرمه ولا يقال أكرمتها ولهذا صير إلى التأويل فى قوله تعالى إن يكن غنياً
 أو فقيراً فالله أولى بهما بل يعاد الضمير تارة إلى المقدم رعاية للأولية كما فى قوله عز وإذا رأوا
 تجارة أو هوا انفضوا إليها وأخرى إلى المؤخر رعاية للقرب كما فى هذه الآية الكريمة وفى قوله تعالى
 ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً وحمل النظم على تأويلهما بالمذكور ونظائره أو على حذف
 الأول ثقة بدلالة الثانى عليه كما فى قوله تعالى والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل
 الله وقوله نحن بما عندنا وأنت بما عندك زاض والرأى مختلف | ونحوهما مما عطف فيه بالواو الجامعة
 تعسف مستغنى عنه نعم يجوز إرجاع الضمير إلى ما على تقدير كونها موصولة وتصدير الجملة بأن لنا كيد
 مضمونها لإفادة لتحقيق الجزاء أى فإنه تعالى يجازيك عليه البتة إن خير أخير وإن شرأ فشر فهو ترغيب
 وترهيب ووعد ووعيد (وما للظالمين) بالإيقاع والنذر فى المعاصى أو بمنع الصدقات وعدم الوفاء بالنذر
 أو بإيقاع الحبس أو بالرياء والمن والأذى وغير ذلك مما ينتظمه معنى الظلم الذى هو عبارة عن وضع الشئ
 فى غير موضعه الذى يحق أن يوضع فيه (من أنصار) أى أعوان ينصرونهم من بأس الله وعقابه لاشفاعة
 ولا مدافعة وإيراد صيغة الجمع لمقابلة الظالمين أى وما لظالم من الظالمين من نصير من الأنصار والجملة
 استثناف مقرر لما فى قبله من الوعيد مفيد لفظاعة حال من يفعل ما يفعل من الظالمين لتحصيل الأعوان ورعاية
 الخللان (إن تبدوا الصدقات فنعما هي) نوع تفصيل لمعض ما أجمل فى الشرطية وبيان له ولذلك ترك العطف ١٧١
 بينهما أى إن تظهروا الصدقات فنعما شيئاً إبداءها بعد أن لم يكن رياء وسمعة وقرىء بفتح النون وكسر
 العين على الأصل وقرىء بكسر النون وسكون العين وقرىء بكسر النون وإخفاء حركة العين وهذا فى
 الصدقات المفروضة وأما فى صدقة التطوع فالإخفاء أفضل وهى التى أريدت بقوله تعالى (وإن تخفوها)
 أى تعطوها خفية (وتؤتوها الفقراء) ولعل التصريح بإيتائها الفقراء مع أنه واجب فى الإبداء أيضاً
 لما أن الإخفاء مظنة الالتباس والاشتباه فإن الغنى ربما يدعى الفقر ويقدم على قبول الصدقة سرّاً ولا

لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِسْكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا
ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٧﴾ البقرة

- يفعل ذلك عند الناس (فهو خير لكم) أى فالإخفاء خير لكم من الإبداء وهذا في التطوع ومن لم يعرف بالمال وأما في الواجب فالأمر بالعكس لدفع التهمة . عن ابن عباس رضى الله عنهما صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفاً وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفاً
- (ويكفر عنكم من سيئاتكم) أى والله يكفر أو الإخفاء ومن تبعية أى شيئاً من سيئاتكم كما سترتموها وقيل مزيدة على رأى الأخفش وقرئ بالتاء مرفوعاً ومجزوماً على أن الفعل للصدقات وقرئ بالنون مرفوعاً عطفاً على محل ما بعد الفاء أو على أنه خبر مبتدأ محذوف أى ونحن نكفر أو على أنها جملة مبتدأة من فعل وفاعل وقرئ مجزوماً عطفاً على محل الفاء وما بعده لأنه جواب الشرط (والله بما تعملون) من
- ٢٧٧ الإسرار والإعلان (خبير) فهو ترغيب في الإسرار (ليس عليك هدام) أى لا يجب عليك أن تجعلهم مهدين إلى الإتيان بما أمروا به من المحاسن والانهاء عما نهوا عنه من القبائح المعدودة وإنما الواجب عليك الإرشاد
- إلى الخير والحث عليه والنهي عن الشر والردع عنه بما أوحى إليك من الآيات والذكر الحكيم (ولكن الله يهدي) هداية خاصة موصلة إلى المطلوب حتماً (من يشاء) هدايته إلى ذلك ممن يتذكر بما ذكر ويتبع الحق ويختار الخير والجملة معترضة جىء بها على تلوين الخطاب وتوجيهه إلى رسول الله ﷺ مع الالتفات إلى الغيبة فيما بين الخطابات المتعلقة بالمكلفين مبالغة في حملهم على الامتثال فإن الإخبار بعدم وجوب تدارك
- أمرهم على النبي ﷺ مؤذن بوجوبه عليهم حسبما ينطق به ما بعده من الشرطية وقيل لما كثر فقراء المسلمين نهى رسول الله ﷺ المسلمين عن التصديق على المشركين كي تحملهم الحاجة على الدخول في الإسلام فنزلت أى ليس عليك هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لأجل دخولهم في الإسلام فلا التفات حينئذ في الكلام وضمير الغيبة للمعهودين من فقراء المشركين بل فيه تلوين فقط وقوله تعالى (وما تنفقوا من خير)
- على الأول التفات من الغيبة إلى خطاب المكلفين لزيادة هزم نحو الامتثال وعلى الثاني تلوين للخطاب بتوجيهه إليهم وصرفه عن النبي ﷺ وما شرطية جازمة لتنفقوا منتزعة به على المفعولية ومن تبعية متعلقة بمحذوف وقع صفة لاسم الشرط مبنية ومخصصة له أى أى شيء تنفقوا كائن من مال (فلا أنفسكم) أى فهو لأنفسكم لا ينفق به غيركم فلا تمنوا على من أعطيتموه ولا تؤذوه ولا تنفقوا من الحديث أو
- فنفعه الديني لكم لا لغيركم من الفقراء حتى تمنعوه ممن لا ينفع به من حيث الدين من فقراء المشركين (وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله) استثناء من أعم العلل أو أعم الأحوال أى ليست نفقتكم لشيء من الأشياء إلا لا ابتغاء وجه الله أو ليست في حال من الأحوال إلا حال ابتغاء وجه الله فما بالكم تمنون
- بها وتنفقون الحديث الذي لا يوجد مثله إلى الله تعالى وقيل هو نفى في معنى النهي (وما تنفقوا من خير يوف إليكم) أى أجره وثوابه أضعافاً مضاعفة حسبما فصل فيما قبل فلا عذر لكم في أن ترغبوا عن إنفاقه

لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ
التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ البقرة
الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا
هُمْ يُخْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ البقرة

- على أحسن الوجوه وأجملها فهو تأكيد وبيان للشرطية السابقة أو يوف إليكم ما يخلفه وهو من نتائج
دعائه عليه السلام بقوله اللهم اجعل للنفق خلفاً وللتمسك تلفاً وقيل حجت أسماء بنت أبي بكر فأتتها
أمها تسألها وهي مشرعة فأبت أن تعطياها وعن سعيد بن جبير أنهم كانوا يتقون أن يرضخوا القراء باتهم من
المشركين وروى أن ناساً من المسلمين كانت لهم أصهار في اليهود ورضاع كانوا ينفقون عليهم قبل الإسلام
فلما أسلموا كرهوا أن ينفقوا فزلت وهذا في غير الواجب وأما الواجب فلا يجوز صرفه إلى الكافر وإن
كان ذمياً (وأنتم لا تظلمون) لا تنقصون شيئاً مما وعدتم من الثواب المضاعف أو من الخلف (للفقراء) ٢٧٣
متعلق بمحذوف ينساق إليه الكلام كما في قوله عز وجل في تسع آيات إلى فرعون أي اعمدوا للفقراء أو اجعلوا
ما تنفقونه للفقراء أو صدقاتكم للفقراء (الذين أحصروا في سبيل الله) بالغزو والجهاد (لا يستطيعون)
لا اشتغالهم به (ضرباً في الأرض) أي ذهاباً فيها للكسب والتجارة وقيل هم أهل الصفة كانوا رضى الله عنهم نحواً
من أربع مائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغفرون أوقاتهم بالتعلم والجهاد وكانوا يخرجون
في كل سرية بعثهم رسول الله ﷺ (يحسبهم الجاهل) بحالهم (أغنياء من التعفف) أي من أجل تعففهم عن
المسألة (تعرفهم بسيماهم) أي تعرف فقرهم واضطرارهم بما تعين منهم من الضعف ورثانة الحال والخطاب
لرسول عليه السلام أو لكل أحد ممن له حظ من الخطاب مبالغة في بيان وضوح فقرهم (لا يسألون الناس
إلحافاً) أي إلحاحاً وهو أن يلزم السائل المستول حتى يعطيه من قولهم لحفى من فضل لحافه أي أعطاني
من فضل ما عنده والمعنى لا يسألونهم شيئاً وإن سألوا الحاجة اضطرتهم إليه لم يلحوا وقيل هو نفي لكلا
الأمرين جميعاً على طريقة قوله [على لا حب لا يهتدى لمناره] أي لا منار ولا اهتداء (وما تنفقوا من
خير فإن الله به عليم) فيجازيكم بذلك أحسن جزاء فهو ترغيب في التصديق لاسيما على هؤلاء (الذين
ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية) أي يعمون الأوقات والأحوال بالخير والصدقة وقيل
نزلت في شأن الصديق رضى الله عنه حيث تصدق بأربعين ألف دينار عشرة آلاف منه بالليل وعشرة
بالنهار وعشرة سراً وعشرة علانية وقيل في علي رضى الله عنه حين لم يكن عنده إلا أربعة دراهم فتصدق
بكل واحد منها على وجه من الوجوه المذكورة ولعل تقديم الليل على النهار والسر على العلانية للإيذان
بمزية الإخفاء على الإظهار وقيل في رباط الخيل والإنفاق عليها (فلهم أجرهم عند ربهم) خبر للموصول
والفاء للدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها وقيل للعطف والخبر محذوف أي ومنهم الذين الخ ولذلك جوز
٣٤٠ - أبو السعود ج ١

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاتَّقَها
فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ البقرة

- ٢٧٥ الوقف على علانية (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) تقدم تفسيره (الذين يأكلوا الربا) أى يأخذونه
والتعبير عنه بالأكلا لما أنه معظم ما قصد به ولشيوعه في المطعومات مع ما فيه من زيادة تشنيع لهم وهو
الزيادة في المقدار أو في الأجل حسبما فصل في كتب الفقه وإنما كتب بالواو كالصلوة على لغة من يفخم
● في أمثاله وزيدت الألف تشبيهاً بواو الجمع (لا يقومون) أى من قبورهم إذا بعثوا (إلا كما يقوم الذى
يتخبطه الشيطان) أى إلا قياماً كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان
● فيصرع والخبط الضرب بغير استواء خبط العشواء (من المس) أى الجنون وهذا أيضاً من زعماتهم
أن الجنى يمسّه فيختلط عقله فلذلك يقال جن الرجل وهو متعلق بما قبله من الفعل المنفى أى لا يقومون
من المس الذى بهم بسبب أكلهم الربا أو يقوم أو يتخبطه فيسكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين
لا لاختلال عقولهم بل لأن الله تعالى أربى في بطونهم ما أكلوا من الربا فأثقلهم فصاروا مخبلين
● ينهضون ويسقطون تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف (ذلك) إشارة إلى ما ذكر من حالهم وما
● فى اسم الإشارة من معنى البعد للإيدان بفضاعة المشار إليه (بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا) أى ذلك
العقاب بسبب أنهم نظمو الربا والبيع فى سلك واحد لإفضائهما إلى الربح فاستحلوه كاستحلاله وقالوا
يجوز بيع درهم بدرهمين كما يجوز بيع ما قيمته درهم بدرهمين بل جعلوا الربا أصلاً فى الحل وقاسوا به
البيع مع وضوح الفرق بينهما فإن أحد الدرهمين فى الأول ضائع حتماً وفى الثانى منجبر بمساس
● الحاجة إلى السلعة أو بتوقع رواجها (وأحل الله البيع وحرم الربا) إنكار من جهة الله تعالى لتسويتهم
ولإبطال للقياس لوقوعه فى مقابلة النص مع ما أشير إليه من عدم الاشتراك فى المناط والجملة ابتدائية
● لاحتلالها من الإعراب (فمن جاءه موعظة) أى فمن بلغه وعظ وزجر كالنهي عن الربا ونهى عنه جاءته
(من ربه) متعلق بجاءه أو بمحذوف وقع صفة لموعظة والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة للإشعار
● بكون مجيء الموعظة للربوبية (فانتهى) عطف على جاءه أى فانتعظ بلا تراخ وتبع النهى (فله ما سلف)
أى ما تقدم أخذه قبل التحريم ولا يسترده منه وما مرتفع بالظرف إن جعلت من موصولة
● وبالا ابتداءً إن جعلت شرطية على رأى سيبويه لعدم اعتماد الظرف على ما قبله (وأمره إلى الله) يجازيه
● على انتهائه إن كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم فى شأنه ولا اعتراض لكم عليه (ومن
● عاد) أى إلى تحليل الربا (فأولئك) إشارة إلى من عاد والجمع باعتبار المعنى كما أن الأفراد فى عاد باعتبار
● اللفظ وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعد منزلتهم فى الشر والفساد (أصحاب النار) أى ملازموها
● (هم فيها خالدون) ما كثر فيها أبداً والجملة مقررّة لما قبلها .

يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ البقرة
 إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا
 خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ البقرة

يُنَاقِشُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَذَرُّوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ البقرة
 فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلُمُونَ
 وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ البقرة

- (يمحق الله الربا) أى يذهب ببركته ويملك المال الذى يدخل فيه (ويربى الصدقات) يضاعف ثوابها ٢٧٦
 ويبارك فيها ويزيد المال الذى أخرجت منه الصدقة . روى عنه عليه السلام إن الله يقبل الصدقة ويربها كما يربى
 أحدهم مهره وعنه عليه الصلاة والسلام ما نقصت زكاة من مال قط (والله لا يحب) أى لا يرضى لأن الحب
 مختص بالتوايين (كل كفار) مصر على تحليل المحرمات (أثيم) منهمك فى ارتكابه (إن الذين آمنوا) بالله ٢٧٧
 ورسوله وبما جاءهم به (وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) تخصيصهما بالذكر مع اندراجهما
 فى الصالحات لاناقتما على سائر الأعمال الصالحة على طريقة ذكر جبريل وميكال عقيب الملائكة عليهم
 السلام (لهم أجرهم) جملة من مبتدأ وخبر واقعة خبراً لأن أى لهم أجرهم الموعود لهم وقوله تعالى (عند
 ربهم) حال من أجرهم وفى التعرض لعنوان الربوبية مع الإفاضة إلى ضميرهم مزيد لطف وتشريف لهم
 (ولا خوف عليهم) من مكروه آت (ولا هم يحزنون) من محبوب فات (بأيها الذين آمنوا اتقوا الله) ٢٧٨
 أى قوا أنفسكم عقابه (وذروا ما بقى من الربا) أى واتركوا بقايا ما شرطتم منه على الناس تركاً كلياً
 (إن كنتم مؤمنين) على الحقيقة فإن ذلك مستلزم لامتنال ما أمرتم به البتة وهو شرط حذف جوابه ثقة
 بما قبله أى إن كنتم مؤمنين فاتقوا وذروه الخ . روى أنه كان لثقيف مال على بعض قریش فطالبوهم عند
 المحل بالمال والربا فنزلت (فإن لم تفعلوا) أى ما أمرتم به من الاتقاء وترك البقايا إمام مع إنكار حرمة ٢٧٩
 وإمام مع الاعتراف بها (فأذنوا بحرب من الله ورسوله) أى فاعلموا بها من أذن بالشئ إذا علم به أما على
 الأول فكحرب المرتدين وأما على الثانى فكحرب البغاة . وقرئ فآذنوا أى فاعلموا غيركم قيل هو من
 الأذان وهو الاستماع فإنه من طرق العلم وقرئ فأيقنوا وهو مؤيد لقراءة العامة وتسكير حرب للنفخيم
 ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لها مؤكدة لفخامتها أى بنوع من الحرب عظيم لا يقادر قدره كائن
 من عند الله ورسوله روى أنه لما نزلت قالت ثقيف لا بد لنا بحرب الله ورسوله (وإن تبتم) من الارتباء
 مع الإيمان بحرماتها بعد ما سمعتموه من الوعيد (فلكم رؤوس أموالكم) تأخذونها كلها (لا تظلمون)
 غرامكم بأخذ الزيادة والجملة إما مستأنفة لا محل لها من الإعراب أو حال من الضمير فى لكم والعامل
 ما تضمنه الجار من الاستقرار (ولا تظلمون) عطف على ما قبله أى لا تظلمون أتم من قبلهم بالمطل

وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ البقرة
وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ البقرة

والنقص ومن ضرورة تعليق هذا الحكم بتوبتهم عدم ثبوته عند عدمها لأن عدمها إن كان مع إنكار
الحرمة فهم مرتدون وما لهم المكسوب في حال الردة فيء للمسلمين عند أبي حنيفة رضى الله عنه وكذا
سائر أموالهم عند الشافعى وعندنا هو لورثتهم ولا شيء لهم على كل حال وإن كان مع الاعتراف بها فإن
كان لهم شوكة فهم على شرف القتل لم تسلم لهم رموسهم فكيف برموس أموالهم وإلا فكذلك عند ابن
عباس رضى الله عنهما فإنه يقول من عامل الربا يستتاب وإلا ضرب عنقه وأما عند غيره فهم محبسون
إلى أن تظهر توبتهم لا يمكنون من التصرفات أصلاً فما لم يتوبوا لم يسلم لهم شيء من أموالهم بل إنما
يسلم بموتهم لورثتهم (وإن كان ذو عسرة) أى إن وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة على أن كان تامة
● وقرىء ذاعسرة على أنها ناقصة (فنظرة) أى فالحكم نظرة أو فعليكم نظرة أو فلتكن نظرة وهى الإنظار
والإمهال وقرىء فناظره أى فالمستحق ناظره أى منتظره أو فصاحب نظره على طريق النسب وقرىء
● فناظره أمراً من المفاعلة أى فسأخه بالنظرة (إلى ميسرة) أى إلى يسار وقرىء بضم السين وهما لغتان
كشركة ومشاركة وقرىء بهما مضافين بحذف التاء عند الإضافة كما فى قوله [وأخلفوك عداً] الذى
● وعدوا [(وأن تصدقوا)] بحذف إحدى التائين وقرىء بتشديد الصاد أى وأن تصدقوا على معسرى
● غرمائكم بالإبراء (خير لكم) أى أكثر ثواباً من الإنظار أو خير مما تأخذونه لمضاعفة ثوابه ودوامه
فهو ندى إلى أن تصدقوا برموس أموالهم كلاً أو بعضاً على غرمائهم المعسرين كقوله تعالى وأن
تعفوا أقرب للتقوى وقيل المراد بالتصدق الإنظار لقوله عليه السلام لا يحمل دين رجل مسلم فيؤخره
● إلا كان له بكل يوم صدقة (إن كنتم تعلمون) جوابه محذوف أى إن كنتم تعلمون أنه خير لكم عملتموه
٢٨١ (واتقوا يوماً) هو يوم القيامة وتنكيره للتفخيم والتهويل وتعليق الاتقاء به للبالغة فى التحذير عما فيه
● من الشدائد والأهوال (ترجعون فيه) على البناء للمفعول من الرجوع وقرىء على البناء للفاعل من الرجوع
● والاول أدخل فى التهويل وقرىء بالياء على طريق الالتفات وقرىء تردون وكذا تصيرون (إلى الله)
● لمحاسبة أعمالكم (ثم توفى كل نفس) من النفوس والتعميم للبالغة فى تهويل اليوم أى تعطى كلاً (ما
● كسبت) أى جزاء ما عملت من خير أو شر (وهم لا يظلمون) حال من كل نفس تفيد أن المعاقبين وإن
كانت عقوباتهم مؤبدة غير مظلومين فى ذلك لما أنه من قبل أنفسهم وجمع الضمير لأنه أنسب بحال الجزاء
كما أن الأفراد أوفق بحال الكسب عن ابن عباس رضى الله عنهما أنها آخراية نزل بها جبريل عليه
السلام وقال ضعها فى رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله ﷺ بعدها أحداً وعشرين يوماً
وقيل أحداً وثمانين وقيل سبعة أيام وقيل ثلاث ساعات .

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْعًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُقُوكُمْ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ٢ البقرة

- (يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين) شروع في بيان حال المداينة الواقعة في تصاعيف المعاوضات الجارية ٢٨٢
- فيما بينهم ببيع السلع بالنقود بعد بيان حال الربا أي إذا دايين بعضكم بعضاً وعامله نسيئة معطياً أو أخذاً وفائدة ذكر الدين دفع توهم كون التداين بمعنى المجازاة أو التنبية على تنوعه إلى الحال والمؤجل وأنه الباعث على الكتابة وتعين المرجع للضمير المنصوب المتصل بالامر (إلى أجل) متعلق بتداينتم أو بمحذوف وقع ●
- صفة لدين (مسمى) بالأيام أو الأشهر ونظائرهما مما يفيد العلم ويرفع الجهالة لا بالحصاد والدياس ●
- ونحوهما مما لا يرفعها (فاكتبوه) أي الدين بأجله لأنه أوثق وأرفع للنزاع والجمهور على استحبابه وعن ●
- ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا أباح في السلف (وليكتب بينكم كاتب) ●
- بيان لكيفية الكتابة المأمور بها وتعيين لمن يتولاها إثر الأمر بها إجمالاً وحذف المفعول إما لتعيينه أو ●
- للقصد إلى إيقاع نفس الفعل أي ليفعل الكتابة وقوله تعالى بينكم للإيدان بأن الكاتب ينبغي أن يتوسط بين المتداينين ويكتب كلامهما ولا يكتفي بكلام أحدهما وقوله تعالى (بالعدل) متعلق بمحذوف هو صفة لكاتب ●
- أي كاتب كائن بالعدل أي وليكن المتصدى للكتابة من شأنه أن يكتب بالسوية من غير ميل إلى أحد الجانبين لا يزيد ولا ينقص وهو أمر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يحجى كتابه موثقاً به معدلاً بالشرع ●
- ويجوز أن يكون حالاً منه أي ملتبساً بالعدل وقيل متعلق بالفعل أي وليكتب بالحق (ولا يأب كاتب) ●
- أي ولا يمتنع أحد من الكتاب (أن يكتب) كتاب الدين (كما علمه الله) على طريقة ما علمه من كتبه الوثائق ●
- أو كما بينه بقوله تعالى بالعدل أو لا يأب أن ينفع الناس بكتابه كما نفعه الله تعالى بتعليم الكتابة كقوله تعالى وأحسن كما أحسن الله إليك (فليكتب) تلك الكتابة المعلمة أمر بها بعد النهي عن إبانها تأكيداً لها ويجوز ●
- أن تتعلق الكاف بالامر على أن يكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة (وليملل الذي ●

- عليه الحق) الإملال هو الإملاء أى وليكن المملى من عليه الحق لأنه المشهود عليه فلا بد أن يكون
- هو المقر (وليتق الله ربه) جمع ما بين الاسم الجليل والنعت الجميل للمبالغة في التحذير أى وليتق المملى
 - دون الكاتب كما قيل لقوله تعالى (ولا يبخس منه) أى من الحق الذى يملكه على الكاتب (شيثاً) فإنه
 - الذى يتوقع منه البخس خاصة وأما الكاتب فيتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه النقص فلو أريد نهيته لنهى
 - عن كليهما وقد فعل ذلك حيث أمر بالعدل وإنما شدد في تكليف المملى حيث جمع فيه بين الأمر بالاتقاء
 - والنهى عن البخس لما فيه من الدواعى إلى المأبى عنه فإن الإنسان مجبول على دفع الضرر عن نفسه
 - وتخفيف ما في ذمته بما أمكن (فإن كان الذى عليه الحق) صرح بذلك في موضع الإضمار لزيادة الكشف
 - والبيان لا لأن الأمر والنهى لغيره (سفيها) ناقص العقل مبذراً مجازفاً (أو ضعيفاً) صديقاً أو شيخاً مختلاً
 - (أو لا يستطيع أن يمل هو) أى غير مستطيع للإملاء بنفسه لخرس أو عى أو جهل أو غير ذلك من
 - العوارض (فليملل وليه) أى الذى بلى أمره ويقوم مقامه من قيم أو وكيل أو مترجم (بالعدل) أى من
 - غير نقص ولا زيادة لم يكاف بعين ما كلف به من عليه الحق لأنه يتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه البخس
 - (واستشهدوا شهيدين) أى اطلبوهما ليتحملا الشهادة على ما جرى بينكم من المدانة وتسميتهما شهيدين
 - لتزيل المشارف منزلة الكائن (من رجالكم) متعلق باستشهدوا ومن ابتدائية أو بمحذوف وقع صفة
 - لشهيدين ومن تبعيضية أى شهيدين كائنين من رجال المسلمين الأحرار إذ الكلام في معاملاتهم فإن خطابات
 - الشرع لا تنتظم العبيد بطريق العبارة كما بين في موضعه وأما إذا كانت المدانة بين الكفرة أو كان من
 - عليه الحق كافراً فيجوز استشهاد الكافر عندنا (فإن لم يكونا) أى الشهيدين جميعاً على طريقة نفي الشمول
 - لا شمول النفي (رجلين) إما لإعوازهما أو لسبب آخر من الأسباب (فرجل وامرأتان) أى فليشهد
 - رجل وامرأتان أو فرجل وامرأتان يكفون وهذا فيما عدا الحدود والقصاص عندنا وفي الأموال خاصة
 - عند الشافعى (من ترضون) متعلق بمحذوف وقع صفة لرجل وامرأتان أى كائنون مرضيين عندكم
 - وتخصيصهم بالوصف المذكور مع تحقق اعتباره في كل شهيد لقلة اتصاف النساء به وقيل نعت لشهيدين
 - أى كائنين ممن ترضون ورد بأنه يلزم الفصل بينهما بالأجنبي وقيل بدل من رجالكم بتكرير العامل ورد
 - بما ذكر من الفصل وقيل متعلق بقوله تعالى فاستشهدوا فيلزم الفصل بين اشتراط المرأتين وبين تعليله
 - وقوله عز وجل (من الشهداء) متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير المحذوف الراجع إلى الموصول
 - أى ممن ترضونهم كائنين من بعض الشهداء لعليكم بعد انهم وثقتكم بهم وإدراج النساء في الشهداء بطريق
 - التغليب (أن تفضل إحداها فتذكر إحداها الأخرى) تعليل لاعتبار العدد في النساء والعلة في الحقيقة
 - هي التذكير ولكن الضلال لما كان سبباً له نزل منزلته كما في قولك أعددت السلاح أن يحمى عدو فأدفعه
 - كأنه قيل أن تذكر إحداها الأخرى إن ضلت الشهادة بأن نسيتهما ولعل لإيثار ما عليه النظم الكريم على
 - أن يقال أن تفضل إحداها فتذكرها الأخرى لنا كيد الإيهام والمبالغة في الاحتراز عن توهم اختصاص
 - الضلال بإحداها بعينها والتذكير بالأخرى وقرئ فتذكر من الأذكاء وقرئ فتذا كرو قرئ أن تفضل
 - على الشرط فتذكر بالرفع كقوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه (ولا ياب الشهداء إذا ما دعوا) لا داء

وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنْ مَقْبُوضَةً فَإِنْ مِنْ بَعْضِكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ رِءُوسٌ لِلْقَلْبِ وَأَلَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ البقرة

- الشهادة أو لتحملها وتسميتهم شهداء قبل التحمل لما مر من تنزيل المشارف منزلة الواقع وما يزيد عن فتادة أنه كان الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم أحد فنزلت (ولا تساموا) أي لا تملوا من كثرة مدايناتكم (أن تكتبوه) أي الدين أو الحق أو الكتاب وقيل كنى به عن الكسل الذي هو صفة المنافق كما ورد في قوله تعالى وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى وقد قال النبي ﷺ لا يقول المؤمن كسلت (صغيراً أو كبيراً) حال من الضمير أي حال كونه صغيراً أو كبيراً أي قليلاً أو كثيراً أو مجحلاً أو مفصلاً (إلى أجله) متعلق بمحذوف وقع حالا من الهاء في تكتبوه أي مستقراً في الذمة إلى وقت حلوله الذي أقربه المديون (ذلكم) إشارة إلى ما أمر به من الكتب والخطاب للبؤمين (أقسط) أي أعدل (عند الله) أي في حكمه تعالى (وأقوم للشهادة) أي أثبت لها وأعون على إقامتها وهما مبنيان من أقسط وأقام فإنه قياسي عند سيبويه أو من قاسط بمعنى ذى قسط وقويم وإنما صحت الواو في أقوم كما صحت في التعجب لجوده (وأدنى أن لا ترتابوا) وأقرب إلى انتفاء ريكم في جنس الدين وقدره وأجله وشهوده ونحو ذلك (إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم) استثناء منقطع من الأمر بالكتابة أي لكن وقت كون تداينكم أو تجارتكم تجارة حاضرة بحضور البدلين تديرونها بينكم بتعاطيها يدأييد (فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها) أي فلا بأس بأن لا تكتبوها لبعده عن التنازع والنسيان وقرىء برفع تجارة على أنها اسم كان وحاضرة صفتها وتديرونها خبرها أو على أنها تامة (وأشهدوا إذا تبايعتم) أي هذا التبايع أو مطلقاً لأنه أحوط والأوامر الواردة في الآية الكريمة للندب عند الجمهور وقيل للوجوب ثم اختلف في إحكامها ونسخها (ولا يضار كاتب ولا شهيد) نهى عن المضارة محتمل للبناءين كما ينبي عنه قراءة من قرأ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الإجابة والتغيير والتحريف في الكتابة والشهادة أو نهى الطالب عن الضرار بهما بأن يجعلهما عن مهمهما أو يكلفهما الخروج عما حد لهما أو لا يعطى الكاتب جعله وقرىء بالرفع على أنه نفى في معنى النهى (وإن تفعلوا) ما نهيتهم عنه من الضرار (فإنه) أي فعلكم ذلك (فسوق بكم) أي خروج عن الطاعة ملتبس بكم (واتقوا الله) في مخالفة أوامره وتواهيه التي من جملتها نهيه عن المضارة (ويعلمكم الله) أحكامه المتضمنة لمصالحكم (والله بكل شيء عليم) فلا يكاد يخفى عليه حالكم وهو مجازيكم بذلك كرر لفظ الجلالة في الجمل الثلاث لإدخال الروعة وترتبة المهابة والتنبيه على استقلال كل منها بمعنى على حياله فإن الأولى حث على التقوى والثانية وعد بالإنعام والثالثة تعظيم لشأنه تعالى (وإن كنتم على سفر) أي مسافرين أو متوجهين إليه ٢٨٣ (ولم تجدوا كاتباً) في المدائنة وقرىء كتاباً وكتباً وكتاباً (فرهان مقبوضة) أي فالذى يستوثق به أو

لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ البقرة

- فعليكم أو فليؤخذ أو فالمشروع رهن مقبوضة وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في شرعية الارتهان كما حسبه مجاهد والضحاك لأنه عليه السلام رهن درعه في المدينة من يهودى بعشرين صاعاً من شعير أخذه لأهله بل لإقامة التوثيق بالارتهان مقام التوثيق بالسكينة في السفر الذي هو مظنة إغواها وإنما لم يتعرض لحال الشاهد لما أنه في حكم الكاتب توثيقاً وإعوازاً والجمهور على وجوب القبض في تمام الرهن غير مالك وقرىء فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرىء بكون الهاء تخفيفاً (فإن أمن بعضكم بعضاً) أى بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به واستغنى بأمانته عن الارتهان وقرىء فإن أو من بعضكم أى آمنه الناس ووصفوه بالأمانة قيل فيكون انتصاب بعضاً حينئذ على نزع الخافض أى على متاع بعض (فليؤد الذي أؤتمن) وهو المديون وإنما عبر عنه بذلك العنوان لتعيينه طريقاً للإعلام وللمحله على الأداء (أمانته) أى دينه وإنما سمي أمانة لانتهاه عليه بترك الارتهان به وقرىء أئتمن بقلب الهمزة ياء وقرىء بإدغام الياء في التاء وهو خطأ لأن المنقلبة من الهمزة لا تدغم لأنها في حكمها (وليتق الله ربه) في رعاية حقوق الأمانة وفي الجمع بين عنوان الألوهية وصفة الربوبية من التأكيد والتحذير ● (ولا تكتموا الشهادة) أيها الشهود أو المديونون أى شهادة تكتم على أنفسكم عند المعاملة (ومن يكتمها فإنه آثم قلبه) آثم خبر إن وقلبه مرفوع به على الفاعلية كأنه قيل يأثم قلبه أو مرفوع بالاقتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر إن وإسناد الإثم إلى القلب لأن الكتمان مما اقترفه ونظيره نسبة الزنا إلى العين والأذن أول للبالغه لأنه رئيس الأعضاء وأفعاله أعظم الأفعال كأنه قيل تمكن الإثم في نفسه وملك أشرف مكان فيه وفاق سائر ذنوبه . عن ابن عباس رضى الله عنهما إن أكبر الكبائر الإشراك بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرىء قلبه بالنصب كما في سفه نفسه ٢٨٤ وقرىء آثم قلبه أى جعله آثماً (والله بما تعملون عليم) فيجازيكم به إن خيراً أو خيراً وإن شراً فشر (لله ما في السموات وما في الأرض) من الأمور الداخلة في حقيقتهم والخارجة عنهما المتمكنة فيهما من أولى العلم وغيرهم أى كلها له تعالى خلقاً وملكاً وتصرفاً لاشركة لغيره في شئ منها بوجه من الوجوه (وإن تبدوا ما في أنفسكم) من السوء والعزم عليه بأن تظهروه للناس بالقول أو بالفعل (أو تخفوه) بأن تكتموا منهم ولا تظهروه بأحد الوجهين ولا يندرج فيه ما لا يخلو عنه البشر من الوسوس وأحاديث النفس التي لا عقد ولا عزيمة فيها إذ التكليف بحسب الوسع (يحاسبكم به الله) يوم القيامة وهو حجة على منكرى الحساب من المعتزلة والروافض وتقديم الجار والمجرور على الفاعل للاعتناء به وأما تقديم الإبداء على الإخفاء على عكس ما في قوله عز وجل قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله فلما أن المعلق بما في أنفسهم ههنا هو المحاسبة والأصل فيها الأعمال البادية وأما العلم فتعلقه بها كتعلقه بالأعمال الخافية

ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۚ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ البقرة

- كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته متعال عن أن يكون بطريق حصول الصور بل وجود كل شيء في نفسه في أي طور كان علم بالنسبة إليه تعالى وفي هذا لا يختلف الحال بين الأشياء البارزة والكامنة خلا أن مرتبة الإخفاء متقدمة على مرتبة الإبداء إذ ما من شيء يبدى إلا وهو أو مباديه قبل ذلك مضمرة في النفس فتعلق علمه تعالى بحالته الأولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية وقد مر في تفسير قوله تعالى أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون (فيغفر) بالرفع على الاستئناف أي فهو يغفر بفضله (لمن يشاء) أن يغفر له (ويعذب) بعدله (من يشاء) أن يعذبه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وتقديم المغفرة على التعذيب لتقدم رحمته على غضبه وقرئ بجزم الفعلين عطفاً على جواب الشرط وقرئ بالجزم من غير فاء على أنهما بدل من الجواب بدل البعض أو الاشتغال ونظيره الجزم على البدلية من الشرط في قوله [متى تأتينا نلهم بنافي ديارنا] تجد حطياً جزلاً وناراً تاججاً وإدغام الراء في اللام لحن (والله على كل شيء قدير) تذييل مقرر لمضمون ما قبله فإن كمال قدرته تعالى على جميع الأشياء موجب لقدرته سبحانه على ما ذكر من المحاسبة وما فرع عليه من المغفرة والتعذيب (آمن الرسول) لما ذكر في فاتحة السورة الكريمة أن ما أنزل إلى الرسول ٢٨٥ ﷺ من الكتاب العظيم الشأن هدى للمتصفين بما فصل هناك من الصفات الفاضلة التي من جملتها الإيمان به وبما أنزل قبله من الكتب الإلهية وأنهم حازون لإثرتي الهدى والفلاح من غير تعيين لهم بخصوصهم ولا تصريح بتحقيق انصافهم بها إذ ليس فيما يذكر في حيز الصلة حكم بالفعل وعقب ذلك ببيان حال من كفر به من المجاهرين والمنافقين ثم شرح في تضاعيفها من فنون الشرائع والأحكام والمواعظ والحكم وأخبار سؤال الأمم وغير ذلك ما تقتضيه الحكمة شرحه عين في خاتمتها المتصفون بها وحكم بانصافهم بها على طريق الشهادة لهم من جهته عز وجل بكال الإيمان وحسن الطاعة وذكر ﷺ بطريق الغيبة مع ذكره هناك بطريق الخطاب لما أن حق الشهادة الباقية على مر الدهور أن لا يخاطب بها المشهود له ولم يتعرض ههنا لبيان فوزهم بمطالبهم التي من جملتها ما حكى عنهم من الدعوات الآتية لإيداناً بأنه أمر محقق غنى عن التصریح به لا سيما بعد ما نص عليه فيما سلف وإيراده ﷺ بعنوان الرسالة المنبئة عن كونه ﷺ صاحب كتاب مجيد وشرع جديد تمهيد لما يعقبه من قوله تعالى (بما أنزل إليه) ومزید توضیح لاندراجہ فی الرسل المؤمن بهم عليهم السلام والمراد بما أنزل إليه ما يعم كله وكل جزء من أجزائه ففيه تحقيق لكيفية إيمانه ﷺ وتعيين لعنوانه أي آمن عليه السلام بكل ما أنزل إليه (من ربه) إيماناً تفصيلياً متعلقاً بجميع ما فيه من الشرائع والأحكام والقصص والمواعظ وأحوال الرسل والكتب وغير ذلك من حيث إنه منزل منه تعالى وأما الإيمان بحقيقة أحكامه وصدق أخباره ونحو ذلك فمن فروع الإيمان به من الحيثية المذكورة وفي هذا الإجمال لإجلال لمحله ﷺ وإشعار بأن تعلق إيمانه بتفاصيل ما أنزل إليه وإحاطته بجميع ما انطوى
- ٣٥ - أبو السعود ج ١

عليه من الظهور بحيث لا حاجة إلى ذكره أصلاً وكذا في التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام تشریف له وتنبيه على أن إنزاله إليه تربية وتكميل له عليه السلام (والمؤمنون) أى الفريق المعروفون بهذا الاسم فاللام عهدية لا موصولة لإفضائها إلى خلو الكلام عن الجدوى وهو مبتدأ وقوله عز وجل (كل) مبتدأ ثان وقوله تعالى (آمن) خبره والجملة خبر للمبتدأ الأول والرابط بينهما الضمير الذى ناب منابه التنوين وتوحيد الضمير فى آمن مع رجوعه إلى كل المؤمنين لما أن المراد بيان إيمان كل فرد فرد منهم من غير اعتبار الاجتماع كما اعتبر ذلك فى قوله تعالى وكل أتوه داخرين وتغيير سبك النظم الكريم عما قبله لتأكيد الإشعار بما بين إيمانه عليه السلام المبني على المشاهدة والعيان وبين إيمانهم الناشئ عن الحجة والبرهان من التفاوت البين والاختلاف الجلى كأنهما مختلفان من كل وجه حتى فى هيئة التركيب الدال عليهما وما فيه من تكرير الإسناد لما فى الحكم بإيمان كل واحد منهم على الوجه الآتى من نوع خفاء محجج إلى التقوية والتأكيد أى كل واحد منهم آمن (بأق) وحده من غير شريك له فى الألوهية والمعبودية (وملائكته) أى من حيث أنهم عباد مكرمون له تعالى من شأنهم التوسط بينه تعالى وبين الرسل بإزالة الكتب وإلقاء الوحي فإن مدار الإيمان بهم ليس من خصوصيات ذواتهم فى أنفسهم بل هو من إضافتهم إليه تعالى من الحيثية المذكورة كما يلوح به الترتيب فى النظم (وكتبه ورسله) أى من حيث مجيئهما من عنده تعالى لإرشاد الخلق إلى ما شرع لهم من الدين بالأمر والنواهي لكن لا على الإطلاق بل على أن كل واحد من تلك الكتب منزل منه تعالى إلى رسول معين من أولئك الرسل عليهم الصلاة والسلام حسبما فصل فى قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم الآية ولا على أن مناط الإيمان خصوصية ذلك الكتاب أو ذلك الرسول بل على أن الإيمان بالكل مندرج فى الإيمان بالكتاب المنزل إلى الرسول ﷺ ومستند إليه لما تلى من الآية الكريمة ولا على أن أحكام الكتب السالفة وشرائعها باقية بالكلية ولا على أن الباقي منها معتبر بالإضافة إليها بل على أن أحكام كل واحد منها كانت حقة ثابتة إلى ورود كتاب آخر ناسخ له وأن ما لم ينسخ منها إلى الآن من الشرائع والأحكام ثابتة من حيث إنها من أحكام هذا الكتاب المصون عن النسخ إلى يوم القيامة وإنما لم يذكر ههنا الإيمان باليوم الآخر كما ذكر فى قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين لا ندراجه فى الإيمان بكتبه وقرىء وكتابه على أن المراد به القرآن أو جنس الكتاب كما فى قوله تعالى فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب والفرق بينه وبين الجمع أنه شائع فى أفراد الجنس والجمع فى جموعه ولذلك قيل الكتاب أكثر من الكتب وهذا نوع تفصيل لما أجهل فى قوله تعالى بما أنزل إليه من ربه اقتصر عليه لإبذانا بكفايته فى الإيمان الإجمالى المتحقق فى كل فرد من أفراد المؤمنين من غير نفي لزيادة ضرورة اختلاف طبقاتهم وتفاوت إيمانهم بالأمور المذكورة فى مراتب التفصيل تفاوتاً فاحشاً فإن الإجمال فى الحكاية لا يوجب الإجمال فى المحكى كيف لا وقد أجهل فى حكاية إيمانه عليه السلام بما أنزل إليه من ربه مع بداهة كونه متعلقاً بتفاصيل ما فيه من الجلال والجلال ثم إن الأمور المذكورة

حيث كانت من الأمور الغيبية التي لا يوقف عليها إلا من جهة العليم الخبير كان الإيمان بها مصداقاً لما ذكر في صدر السورة الكريمة من الإيمان بالغيب وأما الإيمان بكتبه تعالى فأشارة إلى ما في قوله تعالى يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك هذا هو اللائق بشأن التنزيل والحقيق بمقداره الجليل وقد جوز أن يكون قوله تعالى والمؤمنون معطوفاً على الرسول فيوقف عليه والضمير الذي عوض عنه التنوين راجع إلى المعطوفين معاً كأنه قيل آمن الرسول والمؤمنون بما أنزل إليه من ربه ثم فصل ذلك وقيل كل واحد من الرسول والمؤمنين آمن بالله الخ خلا أنه قدم المؤمن به على المعطوف اعتناءً بشأنه وإبذاناً بأصالته عليه السلام في الإيمان به ولا يخفى أنه مع خلوه عما في الوجه الأول من كمال إجلال شأنه عليه السلام وتفضيل إيمانه محل بجزالة النظم الكريم لأنه إن حمل كل من الإيمانين على ما يليق بشأنه عليه السلام من حيث الذات ومن حيث التعلق بالتفاصيل استحال إسنادهما إلى غيره عليه السلام وضاع التكرير وإن حمل على ما يليق بشأن آحاد الأمة كان ذلك خطأً لرتبته العلية عليه السلام وأما حملهما على ما يليق بكل واحد من نسباً إليه من الآحاد ذاتاً وتعلقاً بأن يحمل بالنسبة إلى الرسول ﷺ على الإيمان العياني المتعلق بجميع التفاصيل وبالنسبة إلى آحاد الأمة على الإيمان المكتسب من جهته عليه السلام اللائق بحالهم في الإجمال والتفصيل فاعتساف بين ينبغي تنزيهه ساحة التنزيل عن أمثاله وقوله تعالى (لا تفرق بين أحد من رسله) في حين النصب بقول مقدر على صيغة الجمع رعاية للجانب المعنى منصوب على أنه حال من ضمير آمن أو مرفوع على أنه خبر آخر لكل أي يقولون لا تفرق بينهم بأن تؤمن ببعضهم ونكفر بآخرين بل تؤمن بصحة رسالة كل واحد منهم قيدوا به إيمانهم تحقيقاً للحق وتخطئة لاهل الكتابين حيث أجمعوا على الكفر بالرسول ﷺ واستقلت اليهود بالكفر بعيسى عليه السلام أيضاً على أن مقصودهم الأصل في إبراز إيمانهم بما كفروا به من رسالته عليه السلام لا إظهار موافقتهم لهم فيما آمنوا به وهذا كما ترى صريح في أن القائمين بآحاد المؤمنين خاصة إذ لا يمكن أن يسند إليه عليه السلام أن يقول لا أفرق بين أحد من رسله وهو يريد به إظهار إيمانه برسالة نفسه وتصديقه في دعواها وعدم التعرض لنفي التفريق بين الكتب لاستلزام المذكور إياه وإتمامه يعكس مع تحقق التلازم من الطرفين لما أن الأصل في تفريق المفرقين هو الرسل وكفرهم بالكتب متفرع على كفرهم بهم وقرىء بالياء على إسناد الفعل إلى كل وقرىء لا يفرقون حملاً على المعنى كما في قوله تعالى وكل أتوه داخرين فالجملة نفسها حال من الضمير المذكور وقيل خبر ثان لكل كما قيل في القول المقدر فلا بد من اعتبار الكلية بعد النفي دون العكس إذ المراد شمول النفي لآل النفي الشمول والكلام في همزة أحد وفي دخول بين عليه قد مر تفصيله عند قوله تعالى لا تفرق بين أحد منهم وفيه من الدلالة صريحاً على تحقق عدم التفريق بين كل فرد فرد منهم وبين من عداه كائناً من كان ما ليس في أن يقال لا تفرق بين رسله وإيثار إظهار الرسل على الإضمار الواقع مثله في قوله تعالى وما أوتى النبيون من ربهم لا تفرق بين أحد منهم إما للاحتراز عن توهم اندارج الملائكة في الحكم أو للإشعار بعلّة عدم التفريق أو للإيماء إلى عنوانه لأن الاعتبار عدم التفريق من حيث الرسالة دون سائر الحثيات الخاصة (وقالوا) عطف على آمن وصيغة الجمع باعتبار جانب المعنى وهو حكاية لامثالهم بالأمر إثر حكاية

لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ
أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا
بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ البقرة

- إيمانهم (سمعنا) أى فهمنا ما جاءنا من الحق وتيقنا بصحته (وأطعنا) مافيه من الأوامر والنواهي وقيل
- سمعنا أجبنا دعوتك وأطعنا أمرك (غفرانك ربنا) أى اغفر لنا غفرانك أو نسألك غفرانك ذنوبنا
- المتقدمة أو مالا يخلو عنه البشر من التقصير فى مراعاة حقوقك وتقديم ذكر السمع والطاعة على طلب
- الغفران لما أن تقديم الوسيلة على المستول أدعى إلى الإجابة والقبول والتعرض لعنوان الربوبية مع
- الإضافة إليهم للبالغة فى التضرع والجوار (وإليك المصير) أى الرجوع بالموت والبعث لا إلى غيرك
- ٢٨٦ وهو تذييل لما قبله مقرر للحاجة إلى المغفرة لما أن الرجوع للحساب والجزاء وقوله تعالى (لا يكلف الله
- نفساً إلا وسعها) جملة مستقلة جىء بها إثر حكاية تلقيهم لتكاليفه تعالى بحسن الطاعة إظهاراً لما له تعالى
- عليهم فى ضمن التكليف من محاسن آثار الفضل والرحمة ابتداء لا بعد السؤال كما سيجىء. هذا وقد روى
- أنه لما نزل قوله تعالى وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله الآية اشتد ذلك على أصحاب رسول
- الله ﷺ فأتوه عليه السلام ثم بركوا على الركب فقالوا أى رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطبق الصلاة
- والصوم والحج والجهاد وقد أنزل إليك هذه الآية ولا نطبقها فقال رسول الله ﷺ أتريدون أن تقولوا كما
- قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير فقراها
- القوم فأنزل الله عز وجل آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه إلى قوله تعالى غفرانك ربنا وإليك المصير
- فستوهم الغفران المعلق بمشيئته عز وجل فى قوله فيغفر لمن يشاء ثم أنزل الله تعالى لا يكلف الله نفساً
- إلا وسعها تهويناً للخطب عليهم ببيان أن المراد بما فى أنفسهم ما عزموا عليه من سوء خاصة لا ما يعم
- الخواطر التى لا يستطيع الاحتراز عنها والتكليف إلزام مافيه كلفة ومشقة والوسع ما يوسع الإنسان ولا
- يضيق عليه أى سنته تعالى أنه لا يكلف نفساً من النفوس إلا ما يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها دون مدى
- الطاقة والمجهود فضلاً منه تعالى ورحمة لهذه الأمة كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر
- وقرىء وسعها بالفتح وهذا يدل على عدم وقوع التكليف بالحال لا على امتناعه وقوله تعالى (لها ما كسبت
- وعليها ما اكتسبت) للترغيب فى المحافظة على مواجب التكليف والتحذير عن الإخلال بها ببيان أن
- تكليف كل نفس مع مقارنته لنعمة التخفيف والتيسير تتضمن مراعاة منفعة زائدة وأنها تعود إليها لا
- إلى غيرها ويستتبع الإخلال به مضرة تحقيق بها لا بغيرها فإن اختصاص منفعة الفعل بفاعله من أقوى
- الدواعى إلى تحصيله واقتصار مضرته عليه من أشد الزواجر عن مباشرته أى لها ثواب ما كسبت من
- الخير الذى كلفت فعله لا لغيرها استقلالاً أو اشتراكاً ضرورة شمول كلمة مال كل جزء من أجزاء مكسوبها
- وعليها لا على غيرها بأحد الطريقين المذكورين عقاب ما اكتسبت من الشر الذى كلفت تركه وإيراد

- الاكتساب في جانب الشر لما فيه من اعتمال ناشئ من اعتناء النفس بتحصيل الشر وسعيها في طلبه (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) شروع في حكاية بقية دعواتهم إثريان سر التكليف أى لا تؤاخذنا بما صدر عنا من الأمور المؤدية إلى النسيان أو الخطأ من تفريط وقلة مبالاة ونحوهما بما يدخل تحت التكليف أو بأنفسهما من حيث ترتبهما على ما ذكر أو مطلقاً إذ لا امتناع في المؤاخذة بهما عقلاً فإن المعاصي كالسوموم فكما أن تناولها ولو سهواً أو أخطأ مؤد إلى الهلاك فتعاطى المعاصي أيضاً لا يبعد أن يفضى إلى العقاب وإن لم يكن عن عزيمة ووعدته تعالى بعدمه لا يوجب استحالة وقوعه فإن ذلك من آثار فضله ورحمته كما ينبي عنه الرفع في قوله عليه السلام رفع عن أمتي الخطأ والنسيان . وقد روى أن اليهود كانوا إذا نسوا شيئاً عجلت لهم العقوبة فدجاؤهم بعد العلم بتحقيق الموعود للاستدامة والاعتداد بالنعمة في ذلك كما في قوله تعالى ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك (ربنا ولا تحمل علينا إصراً) عطف على ما قبله وتوسيط النداء بينهما لإبراز مزيد الضراعة والإصرار العبء الثقيل الذى يأصر صاحبه أى يجبسه مكانه والمراد به التكاليف الشاقة وقيل الإصرار الذنب الذى لا توبة له فالمعنى اعصمنا من اقترافه وقرى آصارا وقرى ولا تحمل بالتشديد للبالغة (كما حملته على الذين من قبلنا) فى حيز النصب على أنه صفة لمصدر محذوف أى حملاً مثل حملك إياه على من قبلنا أو على أنه صفة لإصرار أى إصراراً مثل الإصرار الذى حملته على من قبلنا وهو ما كلفه بنو إسرائيل من بجمع النفس فى التوبة وقطع موضع النجاسة وخمسين صلاة فى يوم وليلة وصرف ربع المال للزكاة وغير ذلك من التشديدات فإنهم كانوا إذا أتوا بخطيئة حرم عليهم من الطعام بعض ما كان حلالاً لهم قال الله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقد عصم الله عز وجل بفضله ورحمته هذه الأمة عن أمثال ذلك وأنزل فى شأنهم ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم وقال ﷺ بعثت بالحنيفية السمحة وعن العقوبات التى عوقب بها الأولون من المسخ والخسف وغير ذلك قال ﷺ رفع عن أمتي الخسف والمسخ والفرق (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) عطف على ما قبله واستعفاء عن العقوبات التى لا تطاق بعد الاستعفاء عما يؤدى إليها التفريط فيه من التكاليف الشاقة التى لا يكاد من كلفها يخلو عن التفريط فيها كأنه قيل لا تكلفنا تلك التكاليف ولا تعاقبنا بتفريطنا فى المحافظة عليها فيكون التعبير عن إزاله العقوبات بالتحميل باعتبار ما يؤدى إليها وقيل هو تكرير الأول وتصوير للإصر بصورة مالا يستطيع مبالغة وقيل هو استعفاء عن التكليف بما لا تنفى به الطاقة البشرية حقيقة فيكون دليلاً على جواز عقله وإلا لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل إلى مفعول ثان (واعف عنا) أى آثار ذنوبنا (واغفر لنا) واستر عيوبنا ولا تفضحنا على رهوس الأَشهاد (وارحنا) وتعطف بنا وتفضل علينا وتقديم طلب العفو والمغفرة على طلب الرحمة لما أن التخليئة سابقة على التحلية (أنت مولانا) سيدنا ونحن عبيدك ● أو ناصرنا أو متولى أمورنا (فانصرنا على القوم الكافرين) فإن من حق المولى أن ينصر عبده ومن يتولى أمره على الأعداء والمراد به عامة الكفرة وفيه إشارة إلى أن إعلاء كلمة الله والجهاد فى سبيله تعالى حسباً أمر فى تضاعيف السورة الكريمة غاية مطالبهم . روى أنه عليه الصلاة والسلام لما دعا

بهذه الدعوات قيل له عند كل دعوة قد فعلت . وعنه ﷺ أنزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بالفي عام من قرأهما بعد العشاء الأخيرة أجزأتاه عن قيام الليل . وعنه ﷺ من قرأ آيتين من سورة البقرة كفتاه وهو حجة على من استكبره أن يقول سورة البقرة وقال ينبغي أن يقال السورة التي يذكر فيها البقرة كما قال ﷺ السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فإن تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال ﷺ السحرة .

(تم الجزء الأول ويليه الجزء الثاني وأوله سورة آل عمران)



فهرست

الجزء الأول من تفسير أبو السعود

صفحة

٣ - مقدمة قاضي القضاة أبو السعود

(الجزء الأول)

٧ - ١ - سورة الفاتحة

٢٠ - ٢ - سورة البقرة

تفسير قوله تعالى

٧١ - إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها

٩٧ - أنأثرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم

١٠٥ - وإذا استسقى موسى لقومه

١١٦ - أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد

ما عقلوه وهم يعلمون

١٣٠ - ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون

١٤٢ - ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير

١٥٤ - وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن

(الجزء الثاني)

١٧٠ - سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها

١٨١ - إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما

١٩٢ - ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر

٢٠٣ - يسألونك عن الألهة قل هي موافقت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها

٢١٠ - واذكروا الله في أيام معدودات

صفحة

- ٢١٨- يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما
٢٣٠- والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة
٢٣٧- ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت

(الجزء الثالث)

- ٢٤٥- تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض
٢٥١- قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حميد
٢٦٤- ليس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء
٢٧١- وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كتاباً فإيهان مقبوضة

(تم فهرس الجزء الأول)

نفس السعوى

المستقى لإرشاد العقل السليم إلى مزايا الفقه الزيدى الحكيم

تقاضى القضاة الإمام
أبى السعود محمد بن محمد العامدى
المتوفى سنة ٩٥١ هجرية

الجزء الثانى

الناشر
دار احياء التراث العربى
بيروت - لبنان

٣ — سورة آل عمران

مدنية وهي مائتا آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

آل عمران ١

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ٢ آل عمران

(سورة آل عمران مدنية وهي مائتا آية)

٢٠١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (ألم الله لا إله إلا هو) قد سلف أن ما لا تكون من هذه الفوائج مفردة كصاد وقاف ونون ولا موازنة لمفرد كحاميم وطاسين وياسين الموازنة لقاييل وهاييل وكطاسين ميم الموازنة لدارا بمجرد حسبما ذكره سيديويه في الكتاب فطريق التلفظ بها الحكاية فقط ساكنة الأعجاز على الوقف سواء جعلت أسماء أو مسرودة على نمط التعديد وإن لزمتها التقاء الساكنين لما أنه مغتفر في باب الوقف قطعاً لحق هذه الفاتحة أن يوقف عليها ثم يبدأ بما بعدها كما فعله أبو بكر رضي الله عنه رواية عن عاصم وأما ما فيها من الفتح على القراءة المشهورة فإنما هي حركة همزة الجلالة ألقيت على الميم لتدل على ثبوتها إذ ليس إسقاطها للدرج بل للتخفيف فهي يبقاء حركتها في حكم الثابت المبتدأ به والميم يكون الحركة لغيرها في حكم الوقف على السكون دون الحركة كما توهم واعتراض بأنه غير معبود في الكلام وقيل هي حركة لالتقاء السواكن التي هي الياء والميم ولا م الجلالة بعد سقوط همزتها وأنت خير بأن سقوطها مبنى على وقوعها في الدرج وقد عرفت أن سكون الميم وقفي موجب لا نقطاعها عما بعدها مستدع لثبات الهمزة على حالها لا كما في الحروف والأسماء المبنية على السكون فإن حقها الاتصال بما بعدها وضماً واستعمالاً فتسقط بها همزة الوصل وتحرك أعجازها لالتقاء الساكنين ثم إن جعلت مسرودة على نمط التعديد فلا محل لها من الإعراب كسائر الفوائج وإن جعلت اسماً للسورة فمحلهما إما الرفع على أنها خبر مبتدأ محذوف وإما النصب على إضمار فعل يليق بالمقام ذكر أو اقرأ أو نحوهما وأما الرفع بالابتداء أو النصب بتقدير فعل القسم أو الجر بتقدير حرفه فلا مسأغ لشيء منها لما أن ما بعدها غير صالح للخبرية ولا للإقسام عليه فإن الاسم الجليل مبتدأ وما بعده خبره والجملة مستأنفة أي هو المستحق للمعبودية لا غير وقوله عز وجل (الحى القيوم) خبر آخر له أو لمبتدأ محذوف أي هو الحى القيوم لا غيره وقيل هو صفة للبتدأ أو بدل منه أو من الخبر الأول أو هو الخبر وما قبله اعتراض بين المبتدأ والخبر مقرر لما يفيد الاسم الجليل أو حال منه وأياً ما كان فهو كالدليل على اختصاص استحقاق المعبودية به سبحانه وتعالى لما مر من أن معنى الحى الباقي الذى لا سبيل عليه للبوت والفناء ومعنى القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه ومن ضرورة اختصاص ذينك الوصفين به تعالى اختصاص استحقاق المعبودية به تعالى لاستحالة

تحققه بدونهما وقد روى أن رسول الله ﷺ قال اسم الله الأعظم في ثلاث سور في سورة البقرة الله لا إله إلا هو الحى القيوم وفي آل عمران الم الله لا إله إلا هو الحى القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحى القيوم وروى أن بنى إسرائيل سألو موسى عليه السلام عن اسم الله الأعظم قال الحى القيوم ويروى أن عيسى عليه السلام كان إذا أراد إحياء الموتى يدعو يا حى يا قيوم ويقال إن آصف بن برخيا حين أتى بعرش بلقيس دعا بذلك وقرئ الحى القيوم وهذا رد على من زعم أن عيسى عليه السلام كان رباً فإنه روى أن وفد نجران قدموا على رسول الله ﷺ وكانوا ستين راكباً فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم ثلاثة منهم أكابر إليهم يتول أمرهم أحدهم أميرهم وصاحب مشورتهم العاقب واسمه عبدالمسيح وثانيهم وزيرهم ومشيرهم السيد واسمه الأيهم وثالثهم حبرهم وأسقفهم وصاحب مدارسهم أبو حارثة بن علقمة أحد بنى بكر بن وائل وقد كان ملوك الروم شرفوه ومولوه وأكرموا لما شاهدوا من علمه واجتهاده في دينهم وبنوا له كنائس فلما خرجوا من نجران ركب أبو حارثة بغلته وكان أخوه كرز بن علقمة إلى جنبه فيبنا بغلة أبي حارثة تسير إذ عثرت فقال كرز تعساً للأبعد يريد به رسول الله ﷺ فقال له أبو حارثة بل تعست أملك فقال كرز ولم يا أخى قال إنه والله النبي الذى كنا ننتظره فقال له كرز فما يمنعك عنه وأنت تعلم هذا قال لأن هؤلاء الملوك أعطونا أموالاً كثيرة وأكرمونا فلو آمانا به لأخذوا منا كلها فوقع ذلك في قلب كرز وأخبره إلى أن أسلم فكان يحدث بذلك فأتوا المدينة ثم دخلوا مسجد رسول الله ﷺ بعد صلاة العصر عليهم ثياب الخبرات جيب وأردية فاخرة يقول بعض من رآهم من أصحاب النبي ﷺ ما رأينا وفداً مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا ليصلوا فى المسجد فقال عليه السلام دعوهم فصلوا إلى المشرق ثم تكلم أولئك الثلاثة مع رسول الله ﷺ فقالوا تارة عيسى هو الله لأنه كان يحيى الموتى ويبرئ الأسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهينة الطير فينفخ فيه فيطير وتارة أخرى هو ابن الله إذ لم يكن له أب يعلم وتارة أخرى إنه ثالث ثلاثة لقوله تعالى فعلنا وقلنا ولو كان واحداً لقال فعلت وقلت فقال لهم رسول الله ﷺ أسلموا قالوا أسلمنا قبلك قال ﷺ كذبتم يمنعكم من الإسلام دعاؤكم لله تعالى ولدأ قالوا إن لم يكن ولدأ لله فمن أبوه فقال ﷺ أستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا ويشبه أباه فقالوا بلى قال أستم تعلمون أن ربنا حى لا يموت وأن عيسى يأتى عليه الفناء قالوا بلى قال عليه السلام أستم تعلمون أن ربنا قيوم على كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال عليه السلام فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً قالوا لا فقال عليه السلام أستم تعلمون أن الله تعالى لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء قالوا بلى قال عليه السلام فهل يعلم عيسى من ذلك إلا ما علم قالوا بلى قال عليه السلام أستم تعلمون أن ربنا صور عيسى فى الرحم كيف شاء وأن ربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث قالوا بلى قال عليه السلام أستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ووضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذى كما يغذى الصبي ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحديث قالوا بلى قال عليه السلام فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا وأبوا إلا جحوداً فأنزل الله عز وجل من أول السورة إلى نيف وثمانين آية تقريراً لما احتج به عليه السلام عليهم وأجاب

نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٢٣﴾ آل عمران
 مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
 ذُو انتِقَامٍ ﴿٢٤﴾ آل عمران

- ٣ به عن شبههم وتحقيقاً للحق الذي يمترون (نزل عليك الكتاب) أى القرآن عبر عنه باسم الجنس
 إذنا بأكمال تفوقه على بقية الأفراد في حيازة كمالات الجنس كأنه هو الحقيق بأن يطلق عليه اسم الكتاب
 دون ما عاده كما يلوح به التصريح باسمى التوراة والإنجيل وصيغة التفعيل للدلالة على التنجيم وتقديم
 الظرف على المفعول لما مر من الاعتناء بالمقدم والنشويق إلى المؤخر والجملة إما مستأنفة أو خبر آخر عن
 الاسم الجليل أو هى الخبر وقوله تعالى لا إله إلا هو اعتراض أو حال وقوله عز وجل الحى القيوم صفة
 أو بدل كما مر وقرئ نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب فالظاهر حينئذ أن تكون مستأنفة
 • وقيل يجوز كونها خبراً بحذف العائد أى نزل الكتاب من عنده (بالحق) حال من الفاعل أو المفعول
 أى نزله محققاً في تنزيهه على ما هو عليه أو ملتبساً بالعدل في أحكامه أو بالصدق في أخباره التى من جملتها
 • خبر التوحيد وما يليه وفي وعده ووعيده أو بما يحقق أنه من عند الله تعالى من الحجج البينة (مصدقاً)
 حال من الكتاب بالاتفاق على تقدير كون قوله تعالى بالحق حالاً من فاعل نزل وأما على تقدير حالته
 من الكتاب فهو عند من يجوز تعدد الحال بلا عطف ولا بدلية حال منه بعد حال وأما عند من يمنعه فقد
 قيل إنه حال من محل الحال الأولى على البدلية وقيل من المستكن في الجار والمجرور لأنه حينئذ يتحمل
 ضميراً لقيامه مقام عامله المتحمل له فيكون حالاً متداخلة وعلى كل حال فهى حال مؤكدة وفائدة تقييد
 التنزيل بها حث أهل الكتابين على الإيمان بالمنزل وتنبيههم على وجوبه فإن الإيمان بالمصدق موجب
 • للإيمان بما يصدقه حتماً (لما بين يديه) مفعول لمصدق واللام دعامة لتقوية العمل نحو فعال لما يريد أى
 مصدقاً لما قبله من الكتب السالفة وفيه إيماء إلى حضورها وكالظهور أمرها بين الناس وتصديقه إياها
 في الدعوة إلى الإيمان والتوحيد وتنزيهه الله عز وجل عما لا يليق بشأنه الجليل والأمر بالعدل والإحسان
 وكذا في أنباء الأنبياء والأئمة الخالية وكذا في نزوله على النعت المذكور فيها وكذا في الشرائع التى
 لا تختلف باختلاف الأمم والأعصار ظاهر لا ريب فيه وأما في الشرائع المختلفة باختلافها فمن
 حيث إن أحكام كل واحد منها واردة حسبما تقتضيه الحكمة التشريعية بالنسبة إلى خصوصيات الأمم
 • المكلفة بها مشتملة على المصالح اللائقة بشأنهم (وأنزل التوراة والإنجيل) تعيين لما بين يديه وتبيين
 لرفعة محله تأكيداً لما قبله وتمهيداً لما بعده إذ بذلك يترقى شأن ما يصدقه رفعة ونباهة ويزداد في القلوب
 قبولاً ومهابة ويتفاحش حال من كفر بهما في الشناعة واستتباع ما سيذكر من العذاب الشديد والانتقام
 أى أنزلها جملة على موسى وعيسى عليهما السلام وإنما لم يذكر لأن الكلام في الكتابين لا فيمن
 أنزل عليه وهما اسمان أعجميان الأول عبرى والثانى سريانى ويعضده القراءة بفتح همزة الإنجيل فإن
 ٤ أفعيل ليس من أبنية العرب والتصدى لاشتقاقهما من الورى والنجل تعسف (من قبل) متعلق بأنزل

- أى أنزلها من قبل تنزيل الكتاب والتصريح به مع ظهور الأمر للبالغة في البيان (هدى للناس) في حيز النصب على أنه علة الإنزال أى أنزلها لهداية الناس أو على أنه حال منهما أى أنزلها حال كونهما هدى لهم والإفراد لما أنه مصدر جعلاً نفس الهدى مبالغة أو حذف منه المضاف أى ذوى هدى ثم إن أريد هدايتهما بجميع ما فهمنا من حيث هو جميع فالمراد بالناس الأمم الماضية من حين نزولها إلى زمان نسخهما وإن أريد هدايتهما على الإطلاق وهو الأنسب بالمقام فالناس على عمومهم لما أن هدايتهما بما عدا الشرائع المنسوخة من الأمور التي يصدقهما القرآن فيها ومن حملتها البشارة بنزوله وبمبعث النبي ﷺ تعم الناس قاطبة (وأنزل الفرقان) الفرقان في الأصل مصدر كالغفران أطلق على الفاعل مبالغة والمراد به ههنا إما جنس الكتب الإلهية عبر عنها بوصف شامل لما ذكر منها وما لم يذكر على طريق التعميم بالتعميم إثر تخصيص بعض مشاهيرها بالذكر كما في قوله عز وجل فأنبئنا فيها نبأً وعنباً إلى قوله تعالى وفاكهة وإما نفس الكتب المذكورة أعيد ذكرها بوصف خاص لم يذكر فيما سبق على طريقة العطف بتكرير لفظ الإنزال تنزيلاً للتغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي كما في قوله سبحانه ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ وإما الزبور فإنه مشتمل على المواعظ الفارقة بين الحق والباطل الداعية إلى الخير والرشاد الزاجرة عن الشر والفساد وتقديم الإنجيل عليه مع تأخره عنه نزولاً لقوة مناسبتها للتوراة في الاشتمال على الأحكام والشرائع وشيوع اقترانهما في الذكر وإما القرآن نفسه ذكر بنعت مباح له بعد ما ذكر باسم الجنس تعظيماً لشأنه ورفعاً لمكانه وقديماً أولاً تنزيلاً التدريجى إلى الأرض وثانياً إنزاله الدفعى إلى السماء الدنيا أو أريد بالإنزال القدر المشترك العارى عن قيد التدرج وعدمه وإما المعجزات المقرونة بإنزال الكتب المذكورة الفارقة بين الحق والمبطل (إن الذين كفروا بآيات الله) وضع موضع الضمير العائد إلى مافصل من الكتب المنزلة أو منها ومن المعجزات وآيات مضافة إلى الاسم الجليل تعييناً لحثية كفرهم وتهويل الأمر وتأكيداً لاستحقاقهم العذاب الشديد وإيداناً بأن ذلك الاستحقاق لا يشترط فيه الكفر بالكل بل يكفي فيه الكفر ببعض منها والمراد بالموصول إما أهل الكتابين وهو الأنسب بمقام المحاجة معهم أو جنس الكفرة وهم داخلون فيه دخولاً أولاً أى إن الذين كفروا بما ذكر من آيات الله الناطقة بالحق لاسيما بتوحيده تعالى وتنزيهه عما لا يليق بشأنه الجليل كلاً أو بعضاً مع ما بها من النعوت الموجبة للإيمان بها بأن كذبوا بالقرآن أصالة وبسائر الكتب الإلهية تبعاً لما أن تكذيب المصدق موجب لتكذيب ما يصدقه حتماً وأصالة أيضاً بأن كذبوا بآياتها الناطقة بالتوحيد والتنزيه وآياتها المبشرة بنزول القرآن ومبعث النبي ﷺ وغيرها (لهم) بسبب كفرهم بها (عذاب) مرتفع إما على الفاعلية من الجار والمجرور أو على الابتداء والجملة خبر إن والتنوين للتفخيم أى أى عذاب (شديد) لا يقادر قدره وهو وعيد جىء به إثر تقرير أمر التوحيد الذاتى والوصفى والإشارة إلى ما ينطق بذلك من الكتب الإلهية حملاً على القبول والإذعان وزجراً عن الكفر والعصيان (والله عزيز) لا يغال بفعول ما يشاء ويحكم ما يريد (ذو انتقام) عظيم خارج عن أفراد جنسه وهو افتعال من النعمة وهى السطوة والتسلط يقال انتقم منه إذا عاقبه بمجانته والجملة اعتراض تنذير مقرر للوعيد

إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٣﴾ ط عمران
هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ط عمران

وؤكد له (إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء) استئناف كلام سبق لبيان سعة علمه تعالى وإحاطته بجميع ما في العالم من الأشياء التي من جملتها ما صدر عنهم من الكفر والفسوق سرّاً وجهرّاً إثر بيان كمال قدرته وعزته تربية لما قبله من الوعيد وتنبيهاً على أن الوقوف على بعض المغيبات كما كان في عيسى عليه السلام بم عزل من بلوغ رتبة الصفات الإلهية وإنما عبر عن علمه عز وجل بما ذكر بعدم خفائه عليه كما في قوله سبحانه وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء إيداناً بأن علمه تعالى بمعلوماته وإن كانت في أقصى الغايات الخفية ليس من شأنه أن يكون على وجه يمكن أن يقارنه شائبة خفاء بوجه من الوجوه كما في علوم المخلوقين بل هو في غاية الوضوح والجلال والجملة المنفية خبر لإن وتكرير الإسناد لتقوية الحكم وكلمة في متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء مؤكدة لعمومه المستفاد من وقوعه في سياق النفي أي لا يخفى عليه شيء ما كان في الأرض ولا في السماء أعم من أن يكون ذلك بطريق الاستقرار فيهما أو الجزئية منهما وقيل متعلقة بيخفى وإنما عبر بهما عن كل العالم لأنهما قطراه وتقديم الأرض على السماء لإظهار الاعتناء بشأن أحوال أهلها وتوسيط حرف النفي بينهما للدلالة على الترقى من الأدنى إلى الأعلى باعتبار القرب والبعد منا المستدعين للتفاوت بالنسبة إلى علومنا وقوله عز وجل (هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء) جملة مستأنفة ناطقة ببعض أحكام قيوميته تعالى وجريان أحوال الخلق في أطوار الوجود حسب مشيئته المبينة على الحكم البالغة مقررة لكمال علمه مع زيادة بيان لتعلقه بالأشياء قبل دخولها تحت الوجود ضرورة وجوب علمه تعالى بالصور المختلفة المترتبة على التصوير المترتب على المشيئة قبل تحققها بمراتب وكلمة في متعلقة يصوركم أو بمحذوف وقع حالا من ضمير المفعول أي يصوركم وأنتم في الأرحام مضغ وكيف معمول ليشاء والجملة في محل النصب على الحالية إما من فاعل يصوركم أي يصوركم كائناً على مشيئته تعالى أي مريداً أو من مفعوله أي يصوركم كائنين على مشيئته تعالى تابعين لها في قبول الأحوال المتغيرة من كونكم نطفاً ثم علقاً ثم مضغاً غير مخلقة ثم مخلقة وفي الإضافة بالصفات المختلفة من الذكورة والأنوثة والحسن والقبح وغير ذلك من الصفات وفيه من الدلالة على بطلان زعم من زعم ربوبية عيسى عليه السلام وهو من جملة أبناء النواصيت المتقلبين في هذه الأطوار على مشيئة الباري عز وجل وكالركاكة عقولهم ما لا يخفى وقرئ يصوركم على صيغة الماضي من الفعل أي صوركم لنفسه وعبادته (لا إله إلا هو) إذ لا يتصف بشيء مما ذكر من الشئون العظيمة الخاصة بالالوهية أحد ● ليتوهم ألوهيته (العزیز الحكيم) المتناهي في القدرة والحكمة ولذلك يخلقكم على ما ذكر من النمط البديع ●

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ آل عمران

- (هو الذي أنزل عليك الكتاب) شروع في إبطال شبههم الناشئة عما نطق به القرآن في نعت عيسى عليه السلام بطريق الاستئناف إثر بيان اختصاص الربوبية ومناطها به سبحانه وتعالى تارة بعد أخرى وكون كل من عداه مقهوراً تحت ملكوته تابعاً لمشيئته . قيل إن وفد نجران قالوا لرسول الله ﷺ ألست تزعم يا محمد أن عيسى كلمة الله وروح منه قال ﷺ بلى قالوا لحسبنا ذلك فعفى عليهم ذنبهم وفتنهم وبين أن الكتاب مؤسس على أصول رصينة وفروع مبنية عليها ناطقة بالحق قاضية بطلان ما هم عليه من الضلال والمراد بالإيزال القدر المشترك المجرد عن الدلالة على قيد التدرج وعدمه ولام الكتاب للعمد وتقديم الظرف عليه لما أشير إليه فيما قبل من الاعتناء بشأن بشارته عليه السلام بتشريف الإيزال عليه ومن التشويق إلى ما أنزل فإن النفس عند تأخير ما حقه التقديم لا سيما بعد الإشعار برفعة شأنه أو بمنفعته تبقى مترقبة له فيتمكن لديها عند وروده عليها فضل تمكن وليتصل به تقسيمه إلى قسميه (منه آيات) ●
- الظرف خبر وآيات مبتدأ أو بالعكس بتأويل مر تحقيقه في قوله تعالى ومن الناس من يقول الآية والأول أوفق بقواعد الصناعة والثاني أدخل في جزالة المعنى إذ المقصود الأصلي انقسام الكتاب إلى القسمين المعبودين لا كونهما من الكتاب فتذكر والجملة مستأنفة أو في حيز النصب على الحالية من الكتاب أي هو الذي أنزل الكتاب كائناً على هذه الحال أي منقسماً إلى محكم ومتشابه أو الظرف هو الحال وحده وآيات مرتفع به على الفاعلية (محكمات) صفة آيات أي قطعية الدلالة على المعنى المراد ●
- محكمة العبارة محفوفة من الاحتمال والاشتباه (هن أم الكتاب) أي أصل فيه وعمدة يرد إليها غيرها ● فالمراد بالكتاب كله والإضافة بمعنى في كما في واحد العشرة لا بمعنى اللام فإن ذلك يؤدي إلى كون الكتاب عبارة عما عدا المحكمات والجملة إما صفة لما قبلها أو مستأنفة وإنما أفرد الأم مع تعدد الآيات لما أن المراد بيان أصلية كل واحدة منها أو بيان أن الكل بمنزلة آية واحدة كما في قوله تعالى وجعلناها وابنها آية للعالمين وقيل اكتفى بالمفرد عن الجمع كما في قول الشاعر [بها جيف الحصرى فأما عظامها فيبيض وأما جلدها ففصيلب] أي وأما جلودها (وأخر) نعت لمحذوف معطوف على آيات أي وآيات ●
- أخر وهي جمع أخرى وإنما لم ينصرف لأنه وصف معدول عن الآخر أو عن آخر من (متشابهات) ● صفة لآخر وفي الحقيقة صفة للمحذوف أي محتملات لمعان متشابهة لا يمتاز بعضها من بعض في استحقاق الإرادة بها ولا يتضح الأمر إلا بالنظر الدقيق والتأمل الأنيق فالتشابه في الحقيقة وصف لتلك المعاني وصف به الآيات على طريقة وصف الدال بوصف المدلول وقيل لما كان من شأن الأمور المتشابهة أن يعجز العقل عن التمييز بينها سمي كل ما لا يهتدى إليه العقل متشابهاً وإن لم يكن ذلك بسبب التشابه

كما أن المشكل في الأصل مداخل في أشكاله وأمثاله ولم يعلم بعينه ثم أطلق على كل غامض وإن لم يكن غموضه من تلك الجهة وإنما جعل ذلك كذلك ليظهر فضل العلماء ويزداد حرصهم على الاجتهاد في تدبرها ونحصيل العلوم التي نيط بها استنباط ما أريد بها من الأحكام الحقة فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج مقاصدها الرائفة ومعانيها اللائقة المداخل العالية ويعرجوا بالتوفيق بينها وبين المحكمات من اليقين والاطمئنان إلى المعارج القاصية وأما قوله عز وجل الر كتاب أحكمت آياته فعناه أنها حفظت من اعتراء الخلل أو من النسخ أو أيدت بالحجج القاطعة الدالة على حقيقتها أو جعلت حكيمة لانطوائها على جلائل الحكم البالغة ودقائقها وقوله تعالى كتاباً متشابهاً مثاني معناه متشابهه الأجزاء أي يشبه بعضها بعضاً في صحة المعنى وجزالة النظم وحقية المدلول (فأما الذين في قلوبهم زيغ) أي ميل عن الحق إلى الأهواء الباطلة . قال الراغب، الزيغ الميل عن الاستقامة إلى أحد الجانبين وفي جعل قلوبهم مقراً للزيغ مبالغة في عدوهم عن سنن الرشاد وإصرارهم على الشر والفساد (فيتبعون ما تشابه منه) معرضين عن المحكمات أي يتعلقون بظاهر المتشابه من الكتاب أو بتأويل باطل لا تحرياً للحق بعد الإيمان بكونه من عند الله تعالى بل (ابتغاء الفتنة) أي طالب أن يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه كما نقل عن الوفد (وابتغاء تأويله) أي وطلب أن يؤلوه حسبما يشتهونه من التأويلات الزائفة والحال أنهم بمعزل من تلك الرتبة وذلك قوله عز وجل (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) فإنه حال من ضمير فيتبعون باعتبار العلة الأخيرة أي يتبعون المتشابه لا ابتغاء تأويله والحال أنه مخصوص به تعالى وبمن وفقه له من عباده الراسخين في العلم أي الذين ثبتوا وتمسكوا فيه ولم يتزلزلوا في مزال الأقدام في تعليل الاتباع بابتغاء تأويله دون نفس تأويله وتجريد التأويل عن الوصف بالصحة أو الحقيقة لإبذان بأنهم ليسوا من التأويل في شيء وأن ما يبتغونه ليس بتأويل أصلاً لا أنه تأويل غير صحيح قد يعذر صاحبه ومن وقف على إلا الله ففسر المتشابه بما استأثر الله عز وعلا بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الأعداد كعدد الزبانية أو بما دل القاطع على عدم إرادة ظاهره ولم يدل على ما هو المراد به (يقولون آمنا به) أي بالمتشابه وعدم التعرض لإيمانهم بالمحكم لظهوره أو بالكتاب والجملة على الأول استئناف موضح لحال الراسخين أو حال منه وعلى الثاني خبر لقوله تعالى والراسخون وقوله تعالى (كل من عند ربنا) من تمام المقول مقرر لما قبله ومؤكده أي كل واحد منه ومن المحكم أو كل واحد من متشابهه ومحكمه منزل من عنده تعالى لا مخالفة بينهما أو آمنا به وبحقيقته على مراده تعالى (وما يذكر) حق التذكر (إلا أولو الألباب) أي العقول الخالصة عن الركون إلى الأهواء الزائفة وهو تذييل سيق من جهته تعالى مدحا للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر وإشارة إلى ما به استعدوا للاهتمام إلى تأويله من تجرد العقل عن غواشي الحس وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث إنها جواب عما تشبث به النصارى من نحو قوله تعالى وكتبته ألقاها إلى مريم وروح منه على وجه الإجمال وسيجيء الجواب المفصل بقوله تعالى إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون .

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨٨﴾ آل عمران
رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٨٩﴾ آل عمران

- (ربنا لا تزغ قلوبنا) من تمام مقالة الراسخين أى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق إلى اتباع المتشابه ٨
بتأويل لا تترضيه قال ﷺ قلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه على الحق وإن شاء
أزاعه عنه وقيل معناه لا تبلىنا بلبلايا تزغ فيها قلوبنا (بعد إذ هديتنا) أى إلى الحق والتأويل الصحيح
أولاً إلى الإيمان بالقسمين وبعد نصب بلا تزغ على الظرف وإذ فى محل الجر بإضافته إليه خارج من الظرفية
أى بعد وقت هدايتك إيانا وقيل إنه بمعنى أن (وهب لنا من لدنك) كلا الجارين متعلق بهب وتقديم
الأول لما مر مراراً ويجوز تعلق الثانى بمحذوف هو حال من المفعول أى كائنة من لدنك ومن لا ابتداء
الغاية المجازية ولدن فى الأصل ظرف بمعنى أول غاية زمان أو مكان أو غيرها من الذوات نحو من
لدن زيد وابست مرادفة لعند إذ قد تكون فضلة وكذا لدى وبعضهم يخصها بظرف المكان وتضاف إلى
صريح الزمان كما فى قوله [تنتفض الرعدة فى ظهري] * من لدن الظهر إلى العصر | ولا تقطع عن
الإضافة بحال وأكثر ما تضاف إلى المفردات وقد تضاف إلى أن وصلتها كما فى قوله | ولم تقطع أصلاً
من لدن أن وليتنا * قرابة ذى رحم ولاحق مسلم | أى من لدن ولايتك إيانا وقد تضاف إلى الجملة
الاسمية كما فى قوله | تذكر نعماء لدن أنت يافع | وإلى الجملة الفعلية أيضاً كما فى قوله | لزمننا لدن سالمتمونا
وفاتكم * فلا يك منكم للخلاف جنوح | وقلما تخلو عن من كما فى البيتين الأخيرين (رحمة) واسعة
تزلفنا إليك ونفوز بها عندك أو توفيقاً للشبات على الحق وتأخير المفعول الصريح عن الجارين لما مر
مراراً من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر فإن ماحقه التقديم إذا أخرتبقى النفس مترتبة لوروده
لا سيما عند الإشعار بكونه من المنافع باللام فإذا أوردته يتمكن عندها فضل تمكن (إنك أنت الوهاب)
تعليل للسؤال أو لإعطاء المسئول وأنت إما مبتدأ أو فصل أو تأكيد لاسم إن وإطلاق الوهاب ليقنوا
كل موهوب وفيه دلالة على أن الهدى والضلال من قبله تعالى وأنه متفضل بما ينعم به على عباده من غير
أن يجب عليه شئ. (ربنا إنك جامع الناس ليوم) أى الحساب يوم أو الجزاء يوم حذف المضاف وأقيم
مقامه المضاف إليه تهويلاً له وتفظيلاً لما يقع فيه (لاريب فيه) أى فى وقوعه ووقوع ما فيه من الحشر
والحساب والجزاء ومقصودهم بهذا عرض كمال افتقارهم إلى الرحمة وأنها المقصد الأسنى عندهم والتأكيد
لإظهار مأم عليه من كمال الطمأنينة وقوة اليقين بأحوال الآخرة (إن الله لا يخلف الميعاد) تعليل
لمضمون الجملة المؤكدة أو لانتفاء الريب والتأكيد لما مر وإظهار الاسم الجليل مع الالتفات لإبراز
كمال التعظيم والإجلال الناشئ من ذكر اليوم المهيّب الهائل بخلاف ما فى آخر السورة الكريمة فإنه
مقام طلب الإنعام كما سياتى وللإشعار بعلة الحكم فإن الألوهية منافية للإخلاف وقد جوز أن تكون
الجملة مسوقة من جهته تعالى لتقرير قول الراسخين والميعاد مصدر كالميعات واستدل به الوعيدية

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿٢٣﴾ آل عمران

كَذَابٍ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٣﴾ آل عمران

١٠. وأجيب بأن وعيد الفساق مشروط بعدم العفو بدلائل مفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقاً (إن الذين كفروا) إثر ما بين الدين الحق والتوحيد وذكر أحوال الكتب الناطقة به وشرح شأن القرآن العظيم وكيفية إيمان العلماء الراسخين به شرع في بيان حال من كفر به والمراد بالموصول جنس الكفرة الشامل لجميع الأصناف وقيل وفد نجران أو اليهود من قريظة والنضير أو مشركو العرب (لن تغني عنهم) أي لن تنفعهم وقرئ بالتذكير وبسكون الياء جداً في استثقال الحركة على حروف اللين (أموالهم) التي يبذلونها في جلب المنافع ودفع المضار (ولا أولادهم) الذين بهم ينتصرون في الأمور المهمة وعليهم يعملون في الخطوب الملته وتأخير الأولاد عن الأموال مع توسط حرف النفي بينهما إما لعراقة الأولاد في كشف الكروب أو لأن الأموال أول عدة يفزع إليها عند نزول الخطوب (من الله) من عذابه تعالى (شيئاً) أي شيئاً من الإغنياء وقيل كلمة من بمعنى البدل والمعنى بدل رحمة الله أو بدل طاعته كما في قوله تعالى إن الظن لا يغني من الحق شيئاً أي بدل الحق ومنه قوله ولا ينفع ذا الجد منك الجد أي لا ينفعه جده بذلك أي بدل رحمتك كما في قوله تعالى وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفي وأنت خير بأن احتمال سد أموالهم وأولادهم مسد رحمة الله تعالى أو طاعته بما لا يخطر ببال أحد حتى يتصدى لنفيه والأول هو الأليق بتفطيع حال الكفرة وتهويل أمرهم والانسب بما بعده من قوله تعالى (وأولئك هم وقود النار) ومن قوله تعالى فأخذهم الله أي أولئك المتصفون بالكفر حطب النار وحصبها الذي تسعر به فإن أريد بيان حالهم عند التسعير فإثارة الجملة الاسمية للدلالة على تحقق الأمر وتقرره وإلا فهو للإيذان بأن حقيقة حالهم ذلك وأن أحوالهم الظاهرة بمنزلة العدم فهم حال كونهم في الدنيا وقود النار بأعيانهم وفيه من الدلالة على كمال ملاستهم بالنار ما لا يخفى وهم يحتمل الابتداء وأن يكون ضمير الفصل والجملة إما مستأنفة مقررة لعدم الإغنياء أو معطوفة على خبر إن وأياً ما كان ففيها تعيين للعذاب الذي بين أن أموالهم وأولادهم لا تغني عنهم منه شيئاً وقرئ وقود النار بضم الواو وهو مصدر أي أهل وقودها (كذاب آل فرعون) الدأب مصدر دأب في العمل إذا كدح فيه وتعب غالب استعماله في معنى الشأن والحال والعادة ومحل الكاف الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف وقد جوز النصب بأن تغني أو بالوقود أي لن تغني عنهم كما لم تغن عن أولئك أو توقدهم النار كما توقدهم وأنت خير بأن المذكور في تفسير الدأب إنما هو التكذيب والأخذ من غير تعرض لعدم الإغنياء لاسيما على تقدير كون من بمعنى البدل كما هو رأي المجوز ولا يقداد النار فيحمل على التعليل وهو خلاف
- ١١

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتْغْلِبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ آل عمران

- الظاهر على أنه يلزم الفصل بين العامل والمعمول بالأجنبي على تقدير النصب بلن تغنى وهو قوله تعالى وأولئك هم وقود النار إلا أن يجعل استثناء معطوفا على خبر إن فالوجه هو الرفع على الخبرية أى دأب هؤلاء فى الكفر وعدم النجاة من أخذ الله تعالى وعذابه كدأب آل فرعون (والذين من قبلهم) أى من قبل آل فرعون من الأمم الكافرة فالموصول فى محل الجر عطفاً على ما قبله وقوله تعالى (كذبوا بآياتنا) بيان وتفسير لدأبهم الذى فعلوا على طريق الاستئناف المبني على السؤال كأنه قيل كيف كان دأبهم فقيل كذبوا بآياتنا وقوله تعالى (فأخذهم الله) تفسير لدأبهم الذى فعل بهم أى فأخذهم الله وعاقبهم ولم يجدوا من بأس الله تعالى محيصاً فدأب هؤلاء الكفرة أيضاً كدأبهم وقيل كذبوا الخ حال من آل فرعون والذين من قبلهم على إضمار قد أى دأب هؤلاء كدأب أولئك وقد كذبوا الخ وأما كونه خبر عن الموصول كما قيل فما يذهب برونق النظم الكريم والاتفات إلى التكلم أولاً للجري على سنن الكبرياء وإلى الغيبة ثانياً بإظهار الجلالة لترية المهابة وإدخال الروعة (بذنوبهم) إن أريد بها تكذيبهم بالآيات فالباء للسببية جىء بها تأكيداً لما تفيد الفاء من سببية ما قبلها لما بعدها وإن أريد بها سائر ذنوبهم فالباء للبالسة جىء بها للدلالة على أن لهم ذنوباً أخرى فأخذهم ملتبسين بذنوبهم غير تائبين عنها كما فى قوله تعالى وتزهق أنفسهم وهم كافرون والذنب فى الأصل التلو والتابع وسمى الجريمة ذنباً لأنها تتلو أى تتبع عقابها فاعلموا (والله شديد العقاب) تذييل مقرر لمضمون ما قبله من الأخذ وتكملة له (قل للذين كفروا) ١٢ المراد بهم اليهود لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن يهود المدينة لما شاهدوا غلبة رسول الله ﷺ على المشركين يوم بدر قالوا والله إنه النبى الأمى الذى بشرنا به موسى وفى التوراة نعتة وهو با اتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى ننظر إلى واقعة له أخرى فلما كان يوم أحد شكوا وقد كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد إلى مدة فنقضوه وانطلق كعب بن الأشرف فى ستين راكباً إلى أهل مكة فأجمعوا أمرهم على قتال رسول الله ﷺ فنزلت وعن سعيد بن جبير وعكرمة وعن ابن عباس رضى الله عنهم أن النبى ﷺ لما أصاب قريشاً ببدر ورجع إلى المدينة جمع اليهود فى سوق بنى قينقاع فحذرهم أن ينزل بهم منازل بقريش فقالوا لا يغرنك أنك لقيت قوماً أغماراً لا علم لهم بالحرب فأصابت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت أننا نحن الناس فنزلت أى قل لهم (ستغلبون) البتة عن قريب فى الدنيا وقد صدق الله عز وجل وعده بقتل بنى قريظة وإجلاء بنى النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من أوضح شواهد النبوة وأما ما روى عن مقاتل من أنها نزلت قبل بدر وأن الموصول عبارة عن مشركى مكة ولذلك قال لهم النبى ﷺ يوم بدر إن الله غالبكم وحاشركم إلى جهنم وبئس المهاد فيؤدى إلى انقطاع الآية الكريمة عما بعدها لنزوله بعد وقعة بدر (وتحشرون) أى فى الآخرة (إلى جهنم) وقرىء الفعلان بالياء على أنه عليه السلام أمر بأن يحكى لهم ما أخبر الله تعالى به من وعيدهم بعبارة أنه كانه قيل أد إليهم هذا القول (وبئس المهاد) إما من تمام ما يقال لهم أو استئناف لتهويل جهنم وتفظيع حال أهلها والخصوص بالذم

قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتَيْنِ اتَّعْتَا فِتْنَةً تَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ آل عمران

- ١٣ محذوف أى وبئس المهاد جهنم أو ما مهدوه لأنفسهم (قد كان لكم) جواب قسم محذوف وهو من تمام القول للمأمور به جى به لتقرير مضمون ما قبله وتحقيقه والخطاب لليهود أيضاً والظرف خبر كان على أنها ناقصة ولتوسطه بينها وبين اسمها ترك التأنيت كما في قوله [إن امرأه منكن واحدة * بعدى وبعدك في الدنيا لمغرور] على أن التأنيت ههنا غير حقيقى أو هو متعلق بكان على أنها تامه وإنما قدم على فاعلها لما مر مراراً من الاعتناء بما قدم والتشويق إلى ما أخرأى والله قد كان لكم أيها المغترون بعددهم وعددهم (آية) عظيمة دالة على صدق ما أقول لكم لأنكم ستغلبون (في فتنين) أى فرقتين أو جماعتين فإن المغلوبة منهما كانت مدلة بكثرتها معجبة بعزتها وقد لقيها مألقيها فسيصيبكم ما يصيبكم ومحل الظرف الرفع على أنه
- صفة لآية وقيل النصب على خبرية كان والظرف الأول متعلق بمحذوف وقع حالاً من آية (التقنا) في حيز الجر على أنه صفة فتنين أى تلاقنا بالقتال يوم بدر (فتة) بالرفع خبر مبتدأ محذوف أى إحداها فتة كما في قوله [إذا مت كان الناس حزبين شامت * وآخر من بالذى كنت أصنع] أى أحدهما شامت والآخر من وقوله [حتى إذا ما استقل النجم في غلس * وغودر البقل ملوى ومحسود] والجملة مع ما عطف عليها مستأنفة لتقرير ما في الفتنين من الآية وقوله تعالى (تقاتل في سبيل الله) في محل الرفع على أنه صفة فتة كاملة كأنه قيل فتة مؤمنة ولكن ذكر مكانه من أحكام الإيمان ما يليق بالمقام مدحا لهم واعتداداً بقتالهم وإيداناً بأنه المدار في تحقق الآية وهى رؤية القليل كثير أقرىه يقاتل على تأول
 - الفتة بالقوم أو الفريق (وأخرى) نعت لمبتدأ محذوف معطوف على ما حذف من الجملة الأولى أى وفتة أخرى وإنما نكرت والقياس تعريفها كقرينتها لوضوح أن التفريق لنفس المثنى المقدم ذكره وعدم الحاجة إلى التعريف وقوله تعالى (كافرة) خبر المبتدأ المحذوف وإنما لم توصف هذه الفتة بما يقابل صفة الفتة الأولى إسقاطاً لقتالهم عن درجة الاعتبار وإيداناً بأنهم لم يتصدوا للقتال لما اعتراهم من الرعب والهيبه وقيل كل من المتعاطفين بدل من الضمير في التقنا وما بعدهما صفة فلا بد من ضمير محذوف عائد إلى المبدل منه مسوغ لوصف البدل بالجملة العارية عن ضميره أى فتة منهما تقاتل الخ وفتة أخرى كافرة ويجوز أن يكون كل منهما مبتدأ وما بعدهما خبر أى فتة منهما تقاتل الخ وفتة أخرى كافرة وقيل كل منهما مبتدأ محذوف الخبر أى منهما فتة تقاتل الخ وقرى فتة بالجر على البدلية من فتنين بدل بعض من كل وقد مر أنه لا بد من ضمير عائد إلى المبدل منه ويسمى بدلاً تفصيلياً كما في قول كثير عزة [وكنت كذى رجلين رجل صحيحة * ورجل رعى فيها الزمان فشلت] وقرى فتة الخ بالنصب على المدح أو الذم أو على الحالية من ضمير التقنا كأنه قيل التقنا مؤمنة وكافرة فيكون فتة وأخرى توطئة لما هو الحال حقيقة إذ المقصود بالذكر وصفهما كما في قولك جاءنى زيد رجلاً صالحاً (يرونهم) أى يرى الفتة الأخيرة الفتة الأولى وإيثار

صيغة الجمع للدلالة على شمول الرؤية لكل واحد واحد من آحاد الفئة والجملة في محل الرفع على أنها صفة للفئة الأخيرة أو مستأنفة مبنية لكيفية الآية (مثلهم) أى مثل عدد الرائيين قريباً من ألفين إذ كانوا قريباً من ألف . كانوا تسعمائة وخمسين مقاتلاً رأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وفيهم أبو سفيان وأبو جهل وكان فيهم من الخيل والإبل مائة فرس وسبعمائة بعير ومن أصناف الأسلحة عدد لا يحصى . عن محمد بن أبي الفرات عن سعد بن أوس أنه قال أسر المشركون رجلاً من المسلمين فسألوهم كم كنتم قال ثلثمائة وبضعة عشر قالوا ما كنا نراكم إلا تضعفون علينا أو مثلي عدد المرتين أى ستمائة ونيفاً وعشرين حيث كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً سبعة وسبعون رجلاً من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون من الأنصار رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وكان صاحب راية رسول الله ﷺ والمهاجرين على بن أبي طالب رضى الله عنه وصاحب راية الأنصار سعد بن عباد الخزرجى وكان فى العسكر تسعون بعيراً وفرسان أحدهما للقناد بن عمرو والآخر لمرثد بن أبى مرثد وست أدرع وثمانية سيوف وجميع من استشهد يومئذ من المسلمين أربعة عشر رجلاً ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار رضوان الله تعالى عليهم أجمعين أراهم الله عز وجل كذلك مع قتلهم إياهم وهم يمجبنوا عن قتالهم مدداً لهم منه سبحانه كما أمدهم بالملائكة عليهم السلام وكان ذلك عند التقاء الفئتين بعد أن قتلهم فى أعينهم عند ترائيها ليجتريا عليهم ولا يهربوا من أول الأمر حين ينجيهم الهرب وقيل يرى الفئة الأولى الفئة الأخيرة مثل أنفسهم مع كونهم ثلاثة أمثالهم ليثبتوا ويطمئنون بالنصر الموعود فى قوله تعالى فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين والاول هو الاولى لأن رؤية المثليين غير المتعينة من جانب المؤمنين بل قد وقعت رؤية المثل بل أقل منه أيضاً فإنه روى أن ابن مسعود رضى الله عنه قال قد نظرنا إلى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ثم نظرنا إليهم فرأيناهم يزيدون علينا رجلاً واحداً ثم قتلهم الله تعالى أيضاً فى أعينهم حتى رأتهم عدداً يسيراً أقل من أنفسهم . قال ابن مسعود رضى الله عنه لقد قللوا فى أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل إلى جنبى تراهم سبعين قال أراهم مائة فأسرنا منهم رجلاً قللناكم كنتم قال ألفاً فلورأيد رؤية المؤمنين المشركين أقل من عددهم فى نفس الأمر كما فى سورة الأنفال لكانت رؤيتهم إياهم أقل من أنفسهم أحق بالذكر فى كونها آية من رؤيتهم مثلهم على أن إبانة آثار قدرة الله تعالى وحكمته للكفرة بإراءتهم القليل كثيراً والضعيف قوياً وإلقاء الرعب فى قلوبهم بسبب ذلك أدخل فى كونها آية لهم وحجة عليهم وأقرب إلى اعتراف المخاطبين بذلك لكثرة مخالطتهم الكفرة المشاهدين للحال وكذا تعلق الفعل بالفاعل أشد من تعلقه بالمفعول فجعل أقرب المذكورين السابقين فاعلاً وأبعدهما مفعولاً سواء جعل الجملة صفة أو مستأنفة أولى من العكس هذا ما تقتضيه جزالة التنزيل على قراءة الجمهور ولا ينبغي جعل الخطاب لمشركى مكة كما قيل أما إن جعل الوعيد عبارة عن هزيمة بدر كما صرحوا به فظاهر لاسترة به وأما إن جعل عبارة عن هزيمة أخرى فلأن الفئة التى شاهدت تلك الآية الهائلة هم المخاطبون حينئذ فالتعبير عنهم بفئة مبهمه تارة وموصوفة أخرى ثم إسناد المشاهدة إليهم مع كون إسنادها إلى المخاطبين أوقع فى إلزام الحجة وأدخل فى التبكيت مما لا داعى إليه وبهذا يتبين حال جعل الخطاب الثانى للمؤمنين وأما قراءة تروهم بتاء

زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ
الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْثِ ذَلِكَ مَتْنَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَعَآبِ ﴿١٤﴾ آل عمران

- الخطاب فظاهرها وإن اقتضى توجيه الخطاب الثاني إلى المشركين لكنه ليس بنص في ذلك لأنه وإن اندفع به المحذور الأخير فالأول باق بحاله فلعل رؤية المشركين نزلت منزلة رؤية اليهود لما بينهم من الاتحاد في الكفر والاتفاق في الكلمة لاسيما بعد ما وقع بينهم بواسطة كعب بن الأشرف من العهد والميثاق فأسندت الرؤية إليهم مبالغة في البيان وتحقيقاً لعروض مثل تلك الحالة لهم فتدبر وقيل المراد جميع الكفرة ولا ريب في صحته وسداده وقرىء يرونهم وترونها على البناء للمفعول من الإراءة أى يريهم أو يريكم الله تعالى كذلك (رأى العين) مصدر مؤكد ليرونهم إن كانت الرؤية بصرية أو مصدر تشبيهي إن كانت قلبية أى رؤية ظاهرة مكشوفة جارية مجرى رؤية العين (والله يؤيد) أى يقوى (بنصره من يشاء) أن يؤيده من غير توسيط الأسباب العادية كما أيد الفئة المقاتلة في سبيله بما ذكر من النصر وهو من تمام القول المأمور به (إن في ذلك) إشارة إلى ما ذكر من رؤية القليل كثيراً المستتبعة لغلبة القليل العديم العدة على الكثير الشاكي السلاح وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلة المشار إليه في الفضل (لعبرة) العبارة فعلة من العبور كالركبة من الركوب والجلسة من الجلوس والمراد بها الاتعاظ فإنه نوع من العبور أى لعبرة عظيمة كائنه (لاولى الأَبصار) لذوى العقول والبصائر وقيل لمن أبصرهم وهو إما من تمام الكلام الداخلة تحت القول مقرر لما قبله بطريق التذييل وإما وارد من جهة تعالى تصديقاً لمقاتلته عليه الصلاة والسلام (زين للناس) كلام مستأنف سيق لبيان حقارة شأن الحظوظ الدنيوية بأصنافها وتزهيد للناس فيها وتوجيه رغباتهم إلى ما عنده تعالى إثر بيان عدم نفعها للكفرة الذين كانوا يتعززون بها والمراد بالناس الجنس (حب الشهوات) الشهوة نزوع النفس إلى ما تريده والمراد ههنا المشتبهات عبر عنها بالشهوات مبالغة في كونها مشتهاة مرغوبة بأفهامها كأنها نفس الشهوات أو إيذاناً بأنهم ما هم في جهابحيث أحبوا شهواتها كما في قوله تعالى إني أحببت حب الخير أو استرذالها فإن الشهوة مسترذلة مذمومة من صفات البهائم والمزین هو البارى سبحانه وتعالى إذ هو الخالق لجميع الأفعال والدواعى والحكمة في ذلك ابتلاؤهم قال تعالى إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم الآية فإنها ذريعة لنيل سعادة الدارين عند كون تعاطيها على نهج الشريعة الشريفة وسيلة إلى بقاء النوع وإيثار صيغة المبني للمفعول للجري على سنن الكبرياء وقرىء على البناء للفاعل وقيل المزین هو الشيطان لما أن مساق الآية الكريمة على ذمها وفرق الجبائى بين المباحات فأسند تزينتها إليه تعالى وبين المحرمات فنسب تزينتها إلى الشيطان (من النساء والبنين) في محل النسب على أنه حال من الشهوات وهى مفسرة لها في المعنى وقيل/ من لبيان الجنس وتقديم النساء على البنين لعراقتهم في معنى الشهوة فإنهم حبايل الشيطان وعدم التعرض للبنات لعدم الاطراد في حبهن (والقناطر المقنطرة) جمع قنطار وهو المال الكثير وقيل مائة ألف دينار وقيل ملء مسك ثور وقيل

قُلْ أُوْنِيْكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذٰلِكُمْ لِلَّذِيْنَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرٰى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا وَاَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّٰهِ وَاللّٰهُ بِصِيْرٍ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ آل عمران

- سبعون ألفاً وقيل أربعون ألف مثقال وقيل ثمانون ألفاً وقيل مائة رطل وقيل ألف ومائتا مثقال وقيل ألفا دينار وقيل مائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم وقيل دية النفس واختلاف في أن وزنه فعلال أو فععال ولفظ المقنطرة مأخوذ منه للتأكيد كقولهم بدرة مبدرة وقيل المقنطرة المحكمة المحصنة وقيل الكثيرة المنضدة بعضها على بعض أو المدفونة وقيل المضروبة المنقوشة (من الذهب والفضة) ● بيان للقناطر أو حال (والخيل) عطف على القناطر قيل هي جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط ● الواحد فرس وقيل واحد خائل وهو مشتق من الخيلاء (المسومة) أي المعلمة من الدومة وهي العلامة أو المرعية من أسام الدابة وسومها إذا أرسلها وسيبها الرعى أو المطهمة التامة الخلق (والأنعام) أي الإبل والبقر والغنم (والحرث) أي الزرع مصدر بمعنى المفعول (ذلك) أي ما ذكر من الأشياء المعهودة (متاع الحياة الدنيا) أي ما يتمتع به في الحياة الدنيا أياما قلائل فتفتى سريعاً (والله عنده حسن المآب) ● حسن المرجع وفيه دلالة على أن ليس فيما عدد عاقبة حميدة وفي تكرير الإسناد يجعل الجلالة مبتدأ وإسناد الجملة الظرفية إليه زيادة تأكيد وتفخيم ومزيد اعتناء بالترغيب فيما عند الله عز وجل من النعيم المقيم والزهيد في ملاذ الدنيا وطيباتها الفانية (قل أُوْنِيْكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذٰلِكُمْ) إنر ما بين شأن مخرقات الدنيا وذكر ما عنده ١٥ تعالى من حسن المآب إجمالاً أمر النبي ﷺ بتفاصيل ذلك الجمل للناس مبالغة في الترغيب والخطاب للجميع والهمزة للتقرير أي أخبركم بما هو خير مما فصل من تلك المستلذات المزيّنة لكم وإبهام الخير لتفخيم شأنه والتشويق إليه وقوله تعالى (للذين اتقوا عند ربهم جنات) استئناف مبين لذلك المبهم على أن جنات مبتدأ ● والجار والمجرور خبر أو على أن جنات مرتفع به على الفاعلية عند من لا يشترط في ذلك اعتماد الجار على ما فصل في محله والمراد بالتقوى هو التبتل إلى الله تعالى والإعراض عما سواه على ما تنبى عنه النعوت الآتية وتعليق حصول الجنات وما بعدها من فنون الخيرات به للترغيب في تحصيله والثبات عليه وعند نصب على الحالية من جنات أو متعلق بما تعلق به الجار من معنى الاستقرار مفيد لكمال علو رتبة الجنات وسمو طبقتها والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المتقين لإظهار مزيد اللطف بهم وقيل اللام متعلقة بخير وكذا الظرف وجنات خبر مبتدأ محذوف والجملة مبينة لخير ويؤيده قراءة جنات بالجر على البدلية من خير ولا يخفى أن تعليق الإخبار والبيان بما هو خير لطائفه بما يؤم أن هناك خيراً آخر لآخرين (تجرى) في محل الرفع والجر صفة لجنات على حسب القراءتين (من تحتها الأنهار) متعلق بتجى فإن أريد بالجنات نفس الأشجار كما هو الظاهر لجريانها من تحتها ظاهر وإن أريد بها مجموع الأرض والأشجار فهو باعتبار جزئها الظاهر كما مر تفصيله مراراً (خالدين فيها) حال مقدرة من المستكن في للذين والعامل ● ما فيه من معنى الاستقرار (وأزواج مطهرة) عطف على جنات أي مبرأة مما يستقذر من النساء من

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ١٦ ٢٣ عمران
 الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِتَّةِينَ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ١٧ ٢٣ عمران
 شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ
 الْحَكِيمُ ١٨ ٢٣ عمران

- الأحوال البدنية والطبيعية (ورضوان) التنوين للتفخيم وقوله تعالى (من الله) متعلق بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة أى رضوان وأى رضوان لا يقادر قدره كائن من الله عز وجل وقرئ بضم الراء (والله بصير بالعباد) وبأعمالهم فيثيب ويعاقب حسبما يليق بها أو بصير بأحوال الذين اتقوا ولذلك أعد لهم ما ذكر وفيه إشعار بأنهم المستحقون للتسمية باسم العبد (الذين يقولون ربنا إننا آمنّا) في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل من أولئك المتقون الفائزون بهذه الكرامات السنية ف قيل هم الذين الخ أو النصب على المدح أو الجر على أنه تابع للمتقين نعمتاً أو بدلاً أو للعباد كذلك والاول أظهر وقوله تعالى والله بصير بالعباد حينئذ معترضة وتأكيد الجملة لإظهار أن إيمانهم ناشئ من وفور الرغبة وكمال النشاط وفي ترتيب الدعاء بقولهم (فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار) على مجرد الإيمان دلالة على كفايته في استحقاق المغفرة والوقاية من النار (الصابرين) هو على تقدير كون الموصول في محل الرفع منصوب على المدح بإضمار أعنى وأما على تقدير كونه في محل النصب أو الجر فهو نعت له والمراد بالصبر هو الصبر على مشاق الطاعات وعلى البأساء والضراء وحين البأس (والصادقين) في أقوالهم ونياتهم وعزائمهم (والقانتين) المداومين على الطاعات الموابطين على العبادات (والمنفقين) أموالهم في سبيل الله تعالى (والمستغفرين بالأسحار) قال مجاهد وقتادة والكلبي أى المصلين بالأسحار وعن زيد بن أسلم هم الذين يصلون الصبح في جماعة وقال الحسن مدوا الصلاة إلى السحر ثم استغفروا وقال نافع كان ابن عمر رضى الله عنه يحكي الليلة ثم يقول يا نافع أسحرنا فأقول لا فيعاود الصلاة فإذا قلت نعم قعد يستغفر الله ويدعو حتى يصبح وعن الحسن كانوا يصلون في أول الليل حتى إذا كان السحر أخذوا في الدعاء والاستغفار وتخصيص الأسحار بالاستغفار لأن الدعاء فيها أقرب إلى الإجابة إذ العبادة حينئذ أشق والنفس أصفى والروح أجمع لاسيما للمجتهدين وتوسيط الواو بين الصفات المعدودة للدلالة على استقلال كل منها وكما لهم فيها أو لتغاير الموصوفين بها (شهد الله أنه) بفتح الهمزة أى بأنه أو على أنه (لا إله إلا هو) أى بين وحدانيته بنصب الدلائل التكوينية في الآفاق والأنفس وإنزال الآيات التشريعية الناطقة بذلك عبر عنه بالشهادة على طريقة الاستعارة إيذاناً بقوته في إثبات المطلوب وإشعاراً بإنكار المنكر وقرئ أنه بكسر الهمزة إما بإجراء شهد مجرى قال وإما بجعل الجملة اعتراضاً وإيقاع الفعل على قوله تعالى إن الدين الخ على قراءة أن بفتح الهمزة كما سيأتى وقرئ شهداء الله بالنصب على أنه

- حال من المذكورين أو على المدح وبالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وما له الرفع على المدح أى هم شهداء لله وهو إما جمع شهيد كظرفاء في جمع ظريف أو جمع شاهد كشعراء في جمع شاعر (والملائكة) عطف على الاسم
- الجليل بحمل الشهادة على معنى مجازي شامل للإقرار والإيمان بطريق عموم المجاز لئى أقر وأبذل (وأولوا العلم) أى آمنوا به واحتجوا عليه بما ذكر من الأدلة التكوينية والتشريعية قبل المراد بهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل المهاجرون والأنصار وقيل علماء مؤمنى أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه وقيل جميع علماء المؤمنين الذين عرفوا وحدانيته تعالى بالدلائل القاطعة وارتفاعهما على القراءتين الأخيرتين قيل بالعطف على الضمير في شهداء لوقوع الفصل بينهما وأنت خير بأن ذلك على قراءة النصب على الحالية يؤدى إلى تقييد حال المذكورين بشهادة الملائكة وأولى العلم وليس فيه كثير فائدة فالوجه حينئذ كون ارتفاعهما بالا بتدما والخبر محذوف لدلالة الكلام عليه أى والملائكة وأولوا العلم شهداء بذلك ولك أن تحمل القراءتين على المدح نصبا ورفعا حينئذ يحسن العطف على المستتر على كل حال وقوله تعالى (قائماً بالقسط) أى مقبياً للعدل في جميع أموره بيان لكماله تعالى في أفعاله لإثر بيان كماله في ذاته
- وانتصابه على الحالية من الله كما في قوله تعالى وهو الحق مصداقاً وإنما جاز لإفراجه مع عدم جواز جاء زيد وعمرو راكباً لعدم اللبس كقوله تعالى ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة ولعل تأخير عن المعطوفين للدلالة على علو رتبتهما وقرب منزلتهما والمسارعة إلى إقامة شهود التوحيد اعتناء بشأنه ورفعا لمحله والسر في تقديمه على المعطوفين مع ما فيه من الإيدان بأصالته تعالى في الشهادة به كما مر في قوله تعالى آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه أو من هو وهو الآخر والعامل فيها معنى الجملة أى تفردوا وأحقه لأنّها حال مؤكدة أو على المدح وقيل على أنه صفة للنبى أى لا إله قائماً بالحق والفصل بينهما من قبيل توسعاتهم وهو مندرج في المشهود به إذا جعل صفة أو حالا من الضمير أو نصبا على المدح منه وقرىء القائم بالقسط على البدلية من هو فيلزم الفصل بينهما كما في الصفة أو على أنه خبر لمبتدأ محذوف وقرىء قياً بالقسط (لا إله إلا هو)
- تكرر للتأكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة أدلة التوحيد والحكم به بعد إقامة الحجة وليجرب عليه قوله تعالى (العزیز الحكيم) فيعلم أنه المنعوت بهما ووجه الترتيب تقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته تعالى ورفعهما على البدلية من الضمير أو الوصفية لفاعل شهد أو الخبرية لمبتدأ مضمرة وقدروى في فضلها أنه عليه السلام قال يجهل بصاحبها يوم القيامة فيقول الله عز وجل إن لعبدى هذا عندى عهداً وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدي الجنة وهو دليل على فضل علم أصول الدين وشرف أهله وروى عن سعيد بن جبيرة أنه كان حول البيت ثلاثمائة وستون صنماً فلما نزلت هذه الآية الكريمة خررن سجداً وقيل نزلت في نصارى نجران وقال الكلبي قدم على النبي ﷺ حبران من أحبار الشام فلما أبصرا المدينة قال أحدهما ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذى يخرج في آخر الزمان فلما دخلا عليه عليه السلام عرفاه بالصفة فقال له عليه السلام أنت محمد قال نعم قالوا وأنت أحمد قال عليه السلام أنا محمد وأحمد قالوا فإنا نسألك عن شيء فإن أخبرتنا به آمنا بك وصدقناك قال عليه السلام سلا فقالا أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله عز وجل فأنزل

إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَقِيَّتِهِمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِعَايَةِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٠﴾ آل عمران
 فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ
 فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣١﴾ آل عمران /

- ١٩ الله تعالى هذه الآية الكريمة فأسلم الرجلان (إن الدين عند الله الإسلام) جملة مستأنفة مؤكدة للأولى أى لادين مرضياً لله تعالى سوى الإسلام الذى هو التوحيد والتدرع بالشرعية الشريفة وعن قتادة أنه شهادة أن لا إله إلا الله والإقرار بما جاء من عند الله تعالى وقرىء إن الدين عند الله للإسلام وقرىء إن الدين الخ على أنه بدل من أنه بدل الكل إن فسر الإسلام بالإيمان أو بما يتضمنه وبدل الاشتغال إن فسر بالشرعية أو على أن شهد واقع عليه على تقدير قراءة إنه بالكسر كما أشير إليه (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا الإسلام الذى جاء به النبي ﷺ وأنكروا نبوته والتعبير عنهم بالموصول وجعل إيتاء الكتاب صلة له لزيادة تقبيح حالهم فإن الاختلاف ممن أوتى ما يزيله ويقطع شافته في غاية القبح والسماجة وقوله تعالى (إلا من بعد ما جاءهم العلم) استثناء مفرغ من أعم الأحوال أو أعم الأوقات أى وما اختلفوا في حال من الأحوال أو في وقت من الأوقات إلا بعد أن علموا بأنه الحق الذى لا يحيد عنه أو بعد أن علموا حقيقة الأمر وتمسكوا من العلم بها بالحجج النيرة والآيات الباهرة وفيه من الدلالة على تراعى حالهم في الضلالة مالا مزيد عليه فإن الاختلاف بعد حصول تلك المرتبة مما لا يصدر عن العاقل وقوله تعالى (بغياً بينهم) أى حسداً كانوا بينهم وطلباً للرياسة لا لشبهة وخفاء في الأمر تشنيع إثر تشنيع (ومن يكفر بآيات الله) أى بآياته الناطقة بما ذكر من أن الدين عند الله تعالى هو الإسلام ولم يعمل بمقتضاها أو بآية آية كانت من آياته تعالى على أن يدخل فيها مانحن فيه دخولا أولياً (فإن الله سريع الحساب) قائم مقام جواب الشرط علة له أى ومن يكفر بآياته تعالى فإنه تعالى يجازيه ويعاقبه عن قريب فإنه سريع الحساب أى يأتى حسابه عن قريب أو يتم ذلك بسرعة وإظهار الجلالة لتربية المهابة وإدخال الروعة وفي ترتيب العقاب على مطلق الكفر بآياته تعالى من غير تعرض لخصوصية حالهم من كون كفرهم بعد إيتاء الكتاب وحصول الاطلاع على مافيه وكون ذلك للبغي دلالة على كمال شدة عقابهم (فإن حاجوك) أى في كون الدين عند الله الإسلام أو جادلوك فيه بعد ما أقت عليهم الحجج (فقل أسلمت وجهي) أى أخلصت نفسي وقلبي وجملي وإنما عبر عنها بالوجه لأنه أشرف الأعضاء الظاهرة ومظهر القوى والمشاعر وجمع معظم ما يقع به العبادة من السجود والقراءة وبه يحصل التوجه إلى كل شئ (الله) لا أشرك به فيها غيره وهو الدين القويم الذى قامت عليه الحجج ودعت إليه الآيات والرسول عليهم السلام (ومن اتبعن) عطف على المتصل في أسلمت وحسن ذلك لمكان الفصل الجارى
- ٢٠

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ
مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ آل عمران

- يجرى التأكيد بالمنفصل أى وأسلم من اتبعنى أو مفعول معه (وقل للذين أوتوا الكتاب) أى من اليهود والنصارى وضع الموصول موضع الضمير لرعاية التقابل بين وصفى المتعاطفين (والأمةين) أى الذين لا كتاب لهم من مشركى العرب (أأسلمتم) متبعين لى كما فعل المؤمنون فإنه قد أتاكم من البينات ما يوجب ويقتضيه لا محالة فهل أسلمتم وعلمتم بقضيتها أو أنتم على كفركم بعد كما يقول من لخص لصاحبه المسألة ولم يدع من طرق التوضيح والبيان مسلكاً إلا سلكه فهل فهمتها على منهاج قوله تعالى فهل أنتم منتبهون لآثر تفصيل الصوارف عن تعاطى الخرو والميسر وفيه من استقصارهم وتعييرهم بالمعاندة وقلة الإنصاف وتوبيخهم بالبلادة وكلة القريحة ما لا يخفى (فإن أسلموا) أى كما أسلمتم وإنما لم يصرح به كما فى قوله تعالى فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به حسبما لباب لإطلاق اسم الإسلام على شئ آخر بالكلية (فقد اهتدوا) أى فازوا بالخط الأوفر ونجوا عن مهاوى الضلال (وإن تولوا) أى أعرضوا عن الاتباع وقبول الإسلام (فإنما عليك البلاغ) قائم مقام الجواب أى لم يضروك شيئاً إذ ما عليك إلا البلاغ وقد فعلت على أبلغ وجه . روى أن رسول الله ﷺ لما قرأ هذه الآية على أهل الكتاب قالوا أسلمنا فقال عليه السلام لليهود أشهدون أن عيسى كلمة الله وعبدته ورسوله فقالوا معاذ الله وقال عليه الصلاة والسلام للنصارى أشهدون أن عيسى عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله أن يكون عيسى عبداً وذلك قوله عز وجل وإن تولوا (والله بصير بالعباد) عالم بجميع أحوالهم وهو تذييل فيه وعد ووعد (إن الذين يكفرون بآيات الله) أى آية كانت فدخل ٢١ فيهم الكافرون بالآيات الناطقة بحقية الإسلام على الوجه الذى مر تفصيله دخولا أولاً (ويقتلون النبيين بغير حق) هم أهل الكتاب قتل أولوهم الأنبياء عليهم السلام وقتلوا أتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا قاتلهم الله تعالى حائمين حول قتل النبي ﷺ لولا أن عصم الله تعالى ساحته المنيعة وقد أشير إليه بصيغة الاستقبال وقرىء بالتشديد للتكثير والتقيد بغير حق للإيذان بأنه كان عندهم أيضاً بغير حق (ويقتلون الذين يأمرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ) أى بالعدل ولعل تكرير الفعل الإشعار بما بين القتلين من التفاوت أو باختلافهما فى الوقت عن أبى عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله أى الناس أشد عذاباً يوم القيامة قال رجل قتل نبياً أو رجلاً أم بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأها ثم قال يا أبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار فى ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلاً من عباد بنو إسرائيل فأمرُوا قتلهم بالمعروف ونهوا عن المنكر فقتلوا جميعاً من آخر النهار وقرىء ويقاثلون الذين (فبشرهم بعذاب أليم) خبر إن والفاء لتضمن اسمها معنى الشرط فإنها بالنسخ لا تغير معنى الابتداء بل تزيده تأكيداً وكذا الحال فى النسخ بأن المفتوحة كما فى قوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شئ فإن الله خمسُه وكذا النسخ بلسكن كما فى قوله [فوالله ما فارقتكم عن ملالة] ولكن ما يقضى فسوف يكون وإنما يتغير معنى الابتداء

أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٢﴾ آل عمران
 أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بِهِمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ
 مِنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ آل عمران

- في النسخ بليت ولعل وقد ذهب سيدي به والآخرش إلى منع دخول الفاء عند النسخ مطلقاً فالخبر عندهما
- ٢٢ قوله تعالى (أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) كما في قولك الشيطان فاحذر عدو مبین
 وعلى الأول هو استئناف واسم الإشارة مبتدأ وما فيه من معنى البعد الدلالة على تراعى أمرهم في الضلال
 وبعد منزلتهم في فظاعة الحال والموصول بما في حيز صلتها خبره أى أولئك المتصفون بتلك الصفات القبيحة
 أو المبتلون بأسوأ الحال الذين بطلت أعمالهم التي عملوها من البر والحسنات ولم يبق لها أثر في الدارين بل
 بقى لهم اللعنة والحزى في الدنيا وعذاب اليم في الآخرة (وما لهم من ناصرين) ينصرونهم من بأس الله
 وعذابه في إحدى الدارين وصيغة الجميع لرعاية ما وقع في مقابلته لا لنفي تعدد الانصار من كل واحد منهم كما
- ٢٣ في قوله تعالى وما للظالمين من أنصار (ألم تر) تعجيب لرسول الله ﷺ أو لكل من يتأتى منه الرؤية من
 حال أهل الكتاب وسوء صنيعهم وتقرير لما سبق من أن اختلافهم في الإسلام إنما كان بعد ما جاءهم العلم
 بحقيقته أى ألم تنظر (إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب) أى التوراة على أن اللام للعهد وحمله على جنس
 الكتب الإلهية تطويل للساقفة لإتمام التقريب حينئذ يكون التوراة من جملتها لأن مدار التشنيع والتعجيب
 إنما هو إعراضهم عن المحاكاة إلى مادعوا إليه وهم لم يدعوا إلا إلى التوراة والمراد بما أوتوه منها ما بين لهم
 فيها من العلوم والأحكام التي من جملتها ما علوه من نعوت النبي ﷺ وحقية الإسلام والتعبير عنه بالنصيب
 للإشعار بكمال اختصاصه بهم وكونه حقاً من حقوقهم التي يجب مراعاتها والعمل بموجبها وما فيه من التنكير
 للتفخيم وحمله على التحقير لا يساعده مقام المبالغة في تقييد حالهم (يدعون إلى كتاب الله) الذي أوتوا نصيباً
 منه وهو التوراة والإظهار في مقام الإضمار لإيجاب الإجابة وإضافته إلى الاسم الجليل لتشريفه وتأكيد
 وجوب المراجعة إليه والجملة استئناف مبين لمحل التعجيب مبنى على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل
 ماذا يصنعون حتى ينظر إليهم فقيل يدعون إلى كتاب الله تعالى وقيل حال من الموصول (ليحكم بينهم)
 وذلك أن رسول الله ﷺ دخل مدارسهم فدعاهم إلى الإيمان فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على
 أى دين أنت قال عليه الصلاة والسلام على ملة إبراهيم قالوا إن إبراهيم كان يهودياً فقال ﷺ لهما إن بيننا
 وبينكم التوراة فهلوا إليها فأبوا وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه وقيل كتاب الله القرآن فإنهم قد
 علوا أنه كتاب الله ولم يشكوا فيه وقرئ ليحكم على بناء المجهول فيكون الاختلاف بينهم بأن أسلم
 بعضهم كعبد الله بن سلام وأضرابه وعاداهم الآخرون (ثم يتولى فريق منهم) استبعاد لتوليهم بعد
 عليهم بوجوب الرجوع إليه (وهم معرضون) إما حال من فريق لتخصصه بالصفة أى يتولون من المجلس
 وهم معرضون بقلوبهم أو اعتراض أى وهم قوم يبدنهم الإعراض عن الحق والإصرار على الباطل .

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن نَّمَسِّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ آل عمران
فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ آل عمران
قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُنْزِلُ مَنْ
تَشَاءُ يَدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ آل عمران

- (ذلك) إشارة إلى ما سر من التولي والإعراض وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (بأنهم) أي حاصل بسبب أنهم ٢٤
- (قالوا لن نمسنا النار) باقتراف الذنوب وركوب المعاصي (إلا أياما معدودات) وهي مقدار عبادتهم العجل
- ورسخ اعتقادهم على ذلك وهو نوا عليهم الخطوب (وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون) من قولهم ذلك وما
- أشبهه من قولهم (إن آباءنا الأنبياء يشفعون لنا) وإن الله تعالى وعدي يعقوب عليه السلام أن لا يعذب أولاده
- إلا تحلة القسم ولذلك ارتكبوا ما ارتكبوا من القبائح (فكيف) رد لقولهم المذكور ولإبطال لما غرهم ٢٥
- باستعظام ما سيدهمهم وتهويل ما سيحقق بهم من الأهوال أي فكيف يكون حالهم (إذا جمعناهم ليوم) أي
- لجزاء يوم (لا ريب فيه) أي في وقوعه ووقوع ما فيه . روى أن أول راية ترفع يوم القيامة من رايات الكفر
- راية اليهود فيفضحهم الله عز وجل على رؤوس الأشهاد ثم يأمر بهم إلى النار (ووفيت كل نفس ما كسبت)
- أي جزاء ما كسبت من غير نقص أصلا كما يزعمون وإنما وضع المكسوب موضع جزائه الإيذان بكال
- الاتصال والتلازم بينهما كأنهما شيء واحد وفيه دلالة على أن العبادة لا تحبط وأن المؤمن لا يخلد في النار لأن
- توفية جزاء إيمانه وعمله لا تكون في النار ولا قبل دخوله فيها فإن هي بعد الخلاص منها (وهم) أي كل الناس
- المدلول عليهم بكل نفس (لا يظلمون) بزيادة عذاب أو بنقص ثواب بل يصيب كلا منهم مقدار ما كسبه
- (قل اللهم) الميم عوض عن حرف النداء ولذلك لا يجتمعان وهذا من خصائص الاسم الجليل كدخوله عليه ٢٦
- مع حرف التعريف وقطع همزته ودخول تاء القسم عليه وقيل أصله يا الله أمنا بخير أي أقصدنا به نخفف
- بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته (مالك الملك) أي مالك جنس الملك على الإطلاق ملكا
- حقيقياً بحيث تتصرف فيه كيفما تشاء إجماداً وإعداداً وإحياء وإماتة وتعذيباً وإثابة من غير مشارك ولا
- ممانع وهو نداء ثان عند سيدي به فإن الميم عنده تمنع الوصفية (تؤتي الملك) بيان لبعض وجوه التصرف
- الذي تستدعيه مالكية الملك وتحقيق الاختصاص بها به تعالى حقيقة وكون مالكية غير دبطر بق المجاز كما ينبغي
- عنه إشار إلى إيتاء الذي هو مجرد الإعطاء على التملك المؤذن بثبوت المالكية حقيقة (من تشاء) أي إيتاءه
- إياه (وتنزع الملك من تشاء) أي نزعه منه فالملك الأول حقيقي عام وملوكيته حقيقية والآخران مجازيان
- خاصان ونسبتهما إلى صاحبهما مجازية وقيل الملك الأول عام والآخران بعضان منه فتأمل وقيل المراد
- بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم إلى آخرين (وتعز من تشاء) أن تعزه في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما
- بالنصر والتوفيق (وتنزل من تشاء) أن تنزله في إحداهما أو فيهما من غير ممانعة من الغير ولا مدافعة (بيدك
- الخير) تعريف الخير للتعميم وتقديم الخبر للتخصيص أي بقدرتك الخير كله لا بقدره أحد غيرك تتصرف

تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ
وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ آل عمران

فيه قبضاً وبسطاً حسبما تقتضيه مشيئتكم وتخصيص الخير بالذكر لما أنه مقضى بالذات وأما الشر فقضى بالعرض إذ ما من شر جزئى إلا وهو متضمن للخير كلي أو لأن في حصول الشر دخلاً لصاحبه في الجملة لأنه من أجزية أعماله وأما الخير ففضل محض أو لرعاية الأدب أو لأن الكلام فيه فإنه روى أن رسول الله ﷺ لما خط الخندق عام الأحزاب وقطع لكل عشرة من أهل المدينة أربعين ذراعاً وأخذوا يحفرونه خرج من بطن الخندق صخرة كالتل لم تعمل فيها المعاول فوجها سليمان إلى رسول الله ﷺ يخبره فجاء عليه السلام وأخذ منه المعول فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتها لكان مصباحاً في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال أضاءت لي منها قصور الحيرة كأنها أبواب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال أضاءت لي منها القصور الحجر من أرض الروم ثم ضرب الثالثة فقال أضاءت لي قصور صنعاء وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة على كلها فأبشروا فقال المنافقون ألا تعجبون بمن يكم ويعدم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا فنزلت (إنك على كل شيء قدير) لتعليل لما سبق وتحقيق له (تولج الليل في النهار) أي تدخله فيه بتعقيبه إياه أو بنقص الأول وزيادة الثاني (وتولج النهار في الليل) على أحد

- الوجهين (وتخرج الحي من الميت) أي تنشئ الحيوانات من موادها أو من النطفة وقيل تخرج المؤمن
- من الكافر (وتخرج الميت من الحي) أي تخرج النطفة من الحيوان وقيل تخرج الكافر من المؤمن (وترزق من تشاء بغير حساب) قال أبو العباس المقرئ ورد لفظ الحساب في القرآن على ثلاثة أوجه بمعنى
- /التعب قال تعالى وترزق من تشاء بغير حساب وبمعنى العدد قال تعالى إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب وبمعنى المطالبة قال تعالى فامن أو أمسك بغير حساب والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل ترزق أو من مفعوله وفيه دلالة على أن من قدر على أمثال هاتيك الأفاعيل العظام المحيرة للعقول والأفهام فقدرته على أن ينزع الملك من العجم ويؤتيه العرب ويعزهم أهون من كل هين .
- عن علي رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ إن فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتين من آل عمران شهد الله أنه لا إله إلا هو إلى قوله تعالى إن الدين عند الله الإسلام /وقل اللهم مالك الملك إلى قوله بغير حساب /معلقات ما بينهن وبين الله تعالى حجاب قلن يارب تهبطنا إلى أرضك وإلى من يعصيك قال الله تعالى إني خلقت أنه لا يقروكن أحد دبر كل صلاة إلا جعلت الجنة مثواه على ما كان منه واسكنته في حظيرة القدس ونظرت إليه بعيني كل يوم سبعين مرة وقضيت له سبعين حاجة أدناها المغفرة وأعدته من كل عدو وحاسد ونصرته عليهم وفي بعض الكتب أنا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فإن العباد أطاعوني جعلتهم لهم رحمة وإن العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا

لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ آل عمران
قُلْ إِنْ تُخَفُّوْا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوْهُ يُعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ آل عمران

- تشتغلوا بسبب الملوك ولكن توبوا إلى أعظمهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام / كما تكونوا يول عليكم /
(لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء) نهوا عن موالاتهم لقراية أوصداقة جاهلية ونحوها من أسباب ٢٨
المصادقة والمعاشرة كما في قوله سبحانه يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء وقوله تعالى
لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء حتى لا يكون حبهم ولا بغضهم إلا لله تعالى أو عن الاستعانة بهم في الغزو
وسائر الأمور الدينية (من دون المؤمنين) في موضع الحال أي متجاوزين المؤمنين إليهم استقلالاً أو
اشتراراً وفيه إشارة إلى أنهم الأحقاء بالموالاة وأن في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة (ومن
يفعل ذلك) أي اتخاذهم أولياء والتعبير عنه بالفعل للاختصار أو لإيهام الاستهجان بذكره (فليس من
الله) أي من ولايته تعالى (في شيء) يصح أن يطلق عليه اسم الولاية فإن موالاة المتعادين بما لا يكاد
يدخل تحت الوقوع قال [تود عدوى ثم تزعم أنني صديقك ليس النوك عنك بعازب] أو الجملة اعتراضية
وقوله تعالى (إلا أن تتقوا) على صيغة الخطاب بطريق الالتفات استثناء مفرغ من أعم الأحوال والعامل
فعل النهي معتبراً فيه الخطاب كأنه قيل لا تتخذوهم أولياء ظاهراً أو باطناً في حال من الأحوال إلا حال
اتقائكم (منهم) أي من جمعهم (تقاة) أي انقاء أو شيئاً يجب اتقاؤه على أن المصدر واقع موقع المفعول
فإنه يجوز إظهار الموالاة حينئذ مع اطمئنان النفس بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر
العصا وإظهار ما في الضمير كما قال عيسى عليه السلام كن وسطاً وامش جانباً وأصل تقاة وقية ثم أبدلت
الواو تاء كتخمة وتهمة وقلت الياء ألفاً وقرئ تقية (ويحذركم الله نفسه) أي ذاته المقدسة فإن جواز
إطلاق لفظ النفس مراداً به الذات عليه سبحانه بلا مشاكلة مما لا كلام فيه عند المتقدمين وقد صرح
بعض محققى المتأخرين بعدم الجواز وإن أريد به الذات إلا مشاكلة وفيه من التهديد ما لا يخفى عظمه
وذكر النفس الإيذان بأن له عقاباً هائلاً لا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة (وإلى الله المصير) تذييل
مقرر لمضمون ما قبله وتحقيق لوقوعه حتماً (قل إن تخفوا ما في صدوركم) من الضمائر التي من جملتها ٢٩
ولاية الكفرة (أو تبدوه) فيما بينكم (يعلمه الله) فيؤاخذكم بذلك عند مصيركم إليه وتقديم الإخفاء
على الإبداء قد مر سره في تفسير قوله تعالى وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه وقوله تعالى يعلم ما يسرون
وما يعلنون (ويعلم ما في السموات والأرض) كلام مستأنف غير معطوف على جواب الشرط وهو
من باب إيراد العام بعد الخاص تأكيداً له وتقريراً (والله على كل شيء قدير) فيقدر على عقوبتكم بما
لا مزيد عليه إن لم تنتهوا عما نهيتهم عنه وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لزيادة المهابة وتهويل

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا
وَيُحْذِرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ آل عمران

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ آل عمران

- الخطب وهو تذييل لما قبله مبين لقوله تعالى ويحذركم الله نفسه بأن ذاته المقدسة المتميزة عن سائر الذوات المتصفة بما لا يتصف به شيء منها من العلم الذاتي المتعلق بجميع المعلومات متصفة بالقدرة الذاتية الشاملة لجميع المقدورات بحيث لا يخرج من ملكوته شيء قط (يوم تجد كل نفس) أى من النفوس المكلفة (ما عملت من خير محضراً) عندها بأمر الله تعالى وفيه من التحويل ما ليس في حاضر (وما عملت من سوء) عطف على ما عملت والإحضر معتبر فيه أيضاً إلا أنه خص بالذكر في الخير للإشعار بكون الخير مراداً بالذات وكون إحضار الشر من مقتضيات الحكمة التشريعية (تود) عامل في الظرف والمعنى تود وتنمى
- يوم تجد صحائف أعمالها من الخير والشر أو أجزيتها محضرة (لو أن بينها وبينه) أى بين ذلك اليوم (أمداً بعيداً) لغاية هوله وفى إسناد الودادة إلى كل نفس سواء كان لها عمل سيء أو لا بل كانت متمحصنة في الخير من الدلالة على كمال فظاعة ذلك اليوم وهول مطلعه ما لا يخفى اللهم إنا نعوذ بك من ذلك ويجوز أن يكون انتصاب يوم على المفعولية بإضمار اذكروا وتود ما حال من كل نفس أو استئناف مبنى على السؤال أى اذكروا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير وشر محضراً وادة أن بينها وبينه أمداً بعيداً أو كأن سائلاً قال حين أمروا بذكر ذلك اليوم فإذا يكون إذ ذاك فقيل تودلو أن بينها الخ أو تجد مقصور على ما عملت من خير وتود خبر ما عملت من سوء ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت
 - حينئذ يجوز كونها شرطية لكن الحمل على الخبر أوقع معنى لأنها حكاية حال ماضية وأوفق للقراءة المشهورة (ويحذركم الله نفسه) تكرير لما سبق وإعادة له لكن لا للتأكيد فقط بل لإفادة ما يفيد
 - قوله عز وجل (والله رءوف بالعباد) من أن تحذيره تعالى من رأفته بهم ورحمته الواسعة وأن رأفته بهم لا تمنع تحقيق ما حذرهموه من عقابه وأن تحذيره ليس مبنيّاً على تناسي صفة الرأفة بل هو متحقق مع تحققها أيضاً كما في قوله تعالى يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم فالجمله على الأول اعتراض وعلى
 - الثاني حال وتكرير الاسم الجليل لتربية المهابة (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني) المحبة ميل النفس إلى الشيء لكمال أدركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها إليه والعبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا الله عز وجل وأن كل ما يراه كما لا من نفسه أو من غيره فهو من الله وبالله وإلى الله لم يكن حبه إلا الله وفي الله وذلك مقتضى إرادة طاعته والرغبة فيما يقربه إليه فلذلك فسرت المحبة بإرادة الطاعة وجعلت مستلزماً
 - لا اتباع الرسول ﷺ في عبادته والحرص على مطاوعته (يحيبكم الله) أى يرض عنكم (ويغفر لكم ذنوبكم) أى يكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقرّبكم من جناب عزه ويؤمّنكم في جوار قدسه
 - عبر عنه بالمحبة بطريق الاستعارة أو المشاكلة (والله غفور رحيم) أى لمن يتجيب إليه بطاعته ويتقرب إليه

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٢٢﴾ آل عمران
إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ آل عمران

باتباع نبيه عليه الصلاة والسلام فهو تذييل مقرر لما قبله مع زيادة وعد الرحمة ووضع الاسم الجليل موضع الضمير للإشعار باستتباع وصف الألوهية للمغفرة والرحمة . روى أنها نزلت لما قالت اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا إنا نعبد المسيح حباً لله تعالى وقيل في أقوام زعموا على عهده عليه الصلاة والسلام أنهم يحبون الله تعالى فأمرُوا أن يجعلوا لقولهم مصداقاً من العمل وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي ﷺ وقف على قريش وهم في المسجد الحرام يسجدون للأصنام وقد علقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها الشنوف فقال رسول الله ﷺ يا معشر قريش لقد خالفتم ملة إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام فقالت قريش إنما نعبدها حباً لله تعالى ليقرّبونا إلى الله زلفى فقال الله تعالى لنبيه عليه السلام والصلوة والسلام قل إن كنتم تحبون الله تعالى وتعبدون إلا صنّام لنقرّبكم إليه فاتبعوني أى اتبعوا شريعتي وسنتي يحببكم الله فأنا رسول الله إليكم وحبته عليكم (قل ٢٣ أطيعوا الله والرسول) أى فى جميع الأوامر والنواهي فيدخل فى ذلك الطاعة فى اتباعه عليه الصلاة والسلام دخولا أولاً وإيثار الإظهار على الإضمار بطريق الالتفات لتعيين حيثية الإطاعة والإشعار بعلمتها فإن الإطاعة المأمور بها لإطاعته عليه الصلاة والسلام من حيث إنه رسول الله لا من حيث ذاته ولا ريب فى أن عنوان الرسالة من موجبات الإطاعة ودواعيها (فإن تولوا) إما من تمام مقول القول ● فهى صيغة المضارع المخاطب بحذف إحدى التامين أى تتولوا وإما كلام متفرع عليه مسوق من جهة تعالى فهى صيغة الماضى الغائب وفى ترك ذكر احتمال الإطاعة كما فى قوله تعالى فإن أسلموا تلويح إلى أنه غير محتمل منهم (فإن الله لا يحب الكافرين) نفي المحبة كناية عن بغضه تعالى لهم وسخطه عليهم أى لا يرضى ● عنهم ولا يثنى عليهم وإيثار الإظهار على الإضمار لتعميم الحكم لكل الكفرة والإشعار بعلمته فإن سخطه تعالى عليهم بسبب كفرهم والإيذان بأن التولى عن الطاعة كفر وبأن محبته عز وجل مخصوصة بالمؤمنين (إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين) لما بين الله تعالى أن الدين المرضى عنده ٢٣ هو الإسلام والتوحيد وأن اختلاف أهل الكتابين فيه إنما هو للبغي والحسد وأن الفوز برضوانه ومغفرته ورحمته منوط باتباع الرسول ﷺ وطاعته شرعاً فى تحقيق رسالته وكونه من أهل بيت النبوة القديمة فبدأ ببيان جلالة أقدار الرسل عليهم الصلاة والسلام كافة وأتبعه ذكر مبدأ أمر عيسى عليه الصلاة والسلام وأمه وكيفية دعوته للناس إلى التوحيد والإسلام تحقيقاً للحق وإبطالاً لما عليه أهل الكتابين فى شأنهما من الإفراط والتفريط ثم بين بطلان محاجتهم فى إبراهيم عليه الصلاة والسلام وادعائهم الانتهاء إلى ملته ونزه ساحته العلية عما هم عليه من اليهودية والنصرانية ثم نص على أن جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام دعاة إلى عبادة الله عز وجل وحده وطاعته منزّهون عن احتمال الدعوة إلى عبادة

ذُرِّيَّةَ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ آل عمران

أنفسهم أو غيرهم من الملائكة والنبیین وأن أهمهم قاطبة ماورون بالإيمان بمن جاءهم من رسول مصدق لما معهم تحقيقاً لوجوب الإيمان برسول الله ﷺ وكتابه المصدق لما بين يديه من التوراة والإنجيل وتحتم الطاعة له حسبما سيأتي تفصيله وتخصيص آدم عليه الصلاة والسلام بالذكر لأنه أبو البشر ومنشأ النبوة وكذا حال نوح عليه السلام فإنه آدم الثاني وأما ذكر آل إبراهيم فلتزغيب المعترفين باصطفائهم في الإيمان بنبوته النبي ﷺ واستمالهم نحو الاعتراف باصطفائه بواسطة كونه من زمريتهم مع مامر من التنبيه على كونه عليه الصلاة والسلام عريقاً في النبوة من زمرة المصطفين الأخيار وأما ذكر آل عمران مع اندراجهم في آل إبراهيم فلاظهار مزيد الاعتناء بتحقيق أمر عيسى عليه الصلاة والسلام لكمال رسوخ الخلاف في شأنه فإن نسبة الاصطفاء إلى الأب الأقرب أدل على تحققه في الآل وهو الداعي إلى إضافة الآل إلى إبراهيم دون نوح وآدم عليهم الصلاة والسلام والاصطفاء أخذ ما صفا من الشيء كالاستصفاة مثل به اختياره تعالى لإياهم النفوس القدسية وما يليق بها من الملكات الروحانية والكمالات الجسمانية المستتعبة للرسالة في نفس المصطفى كما في كافة الرسل عليهم الصلاة والسلام أو فيمن يلابسه وينشأ منه كما في مريم وقيل اصطفى آدم عليه الصلاة والسلام بأن خلقه بيده في أحسن تقويم وبتعليم الأسماء وإسجاد الملائكة إياه وإسكان الجنة واصطفى نوحاً عليه الصلاة والسلام بكونه أول من نسخ الشرائع إذ لم يكن قبل ذلك تزويج المحارم حراماً وباطالة عمره وجعل ذريته هم الباقين واستجابة دعوته في حق الكفرة والمؤمنين وحله على متن الماء والمراد بآل إبراهيم لإسماعيل وإسحق والأنبياء من أولادهما الذين من جملتهم النبي ﷺ وأما اصطفاء نفسه عليه الصلاة والسلام ففهوم من اصطفائهم بطريق الأولوية وعدم التصريح به للإيدان بالغنى عنه لكمال شهرة أمره في الخلقة وكونه إمام الأنبياء وقدوة الرسل عليهم الصلاة والسلام وكون اصطفاء آل به دعوته بقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية ولذلك قال عليه الصلاة والسلام أنا دعوة أبي إبراهيم . وبآل عمران عيسى وأمه مريم ابنة عمران بن ماثان بن عازار بن أبي بور بن رب بابل بن ساليان بن يوحنا بن يوشيا بن أمون بن منشا بن حزقيا بن أحز بن يوشم بن عزيا هو بن يهورام بن يهو شافاط بن أسا بن رجبعم بن سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ابن ييشا بن عوفيد بن بو عز بن سلمون بن نحشون بن عمي فوذ بن رم بن حصرون بن بارص بن يهوذا بن يعقوب عليه الصلاة والسلام وقيل موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام ابنا عمران بن يصر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب عليه الصلاة والسلام وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة فيكون اصطفاء عيسى عليه الصلاة والسلام حينئذ بالاندرج في آل إبراهيم عليه السلام والأول هو الأظهر بدليل تعقيبه بقصة مريم واصطفاء موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام بالانتظام في سلك آل إبراهيم عليه السلام انتظاماً ظاهراً والمراد بالعالمين أهل زمان كل واحد منهم أى اصطفى كل واحد منهم على عالمي زمانه (ذرية) نصب على البدلية من الآلين أو على الحالية منهما وقد مر بيان اشتقاقها في قوله تعالى ومن ذريتي وقوله

إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ آل عمران

- تعالى (بعضها من بعض) في محل النصب على أنه صفة لذرية أي اصطفى الآلين حال كونهم ذرية متسلسلة متشعبة البعض من البعض في النسب كما ينبيء عنه التعرض لكونه ذرية وقيل بعضها من بعض في الدين
- فالاستمالة على الوجه الأول تقريبية وعلى الثاني برهانية (واقه سميع) لأقوال العباد (عليم) بأعمالهم البادية والخفية فيصطفى من بينهم لخدمته من تظهر استقامته قولاً وفعلًا على نهج قوله تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالته والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها (إذ قالت امرأة عمران) في حين النصب على ٣٥ المفعولية بفعل مقدر على طريقة الاستئناف لتقرير اصطفاء آل عمران وبيان كيفيته أي اذ كرلهم وقت قولها الخ وقدر مراراً وجه توجيه الذكر إلى الأوقات مع أن المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث وقيل هو منصوب على الظرفية لما قبله أي سميع لقولها المحكى عليم بضميرها المنوي وقيل هو ظرف للمعنى الاصطفاء المدلول عليه باصطفى المذكور كأنه قيل واصطفى آل عمران إذ قالت الخ فكان من عطف الجمل على الجمل دون عطف المفردات على المفردات ليلزم كون اصطفاء الكل في ذلك الوقت وامرأة عمران هي حنة بنت فاقوذا جدة عيسى عليه الصلاة والسلام وكانت لعمران بن يصر بنت اسمها مريم أكبر من موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام فظن أن المراد زوجته وليس بذلك فإن قضية كفالة زكريا عليه الصلاة والسلام قاضية بأنها زوجة عمران بن ماثان لأنه عليه الصلاة والسلام كان معاصراً له وقد تزوج إيشاع أخت حنة أم يحيى عليه الصلاة والسلام وأما قوله عليه الصلاة والسلام في شأن يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام هما ابنا خالة فقيل تأويله أن الأخت كثيرًا ما تطلق على بنت الأخت وبهذا الاعتبار جعلهما عليهما الصلاة والسلام ابني خالة وقيل كانت إيشاع أخت حنة من الأم وأخت مريم من الأب على أن عمران نكح أولاً أم حنة فولدت له إيشاع ثم نكح حنة بناء على حل نكاح الربائب في شريعتهم فولدت مريم فكانت إيشاع أخت مريم من الأب وخالتها من الأم لأنها أخت حنة من الأم روى أنها كانت عجوزاً عاقراً فبينما هي ذات يوم في ظل شجرة إذ رأت طائراً يطعم فرخه فحنت إلى الولد وتمنته وقالت اللهم إن لك على نذراً إن رزقتني ولداً أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سددته وكان هذا النذر مشروعا عندهم في الغلمان ثم هلك عمران وهي حامل وحينئذ فقولها (رب إنني نذرت لك ما في بطني)
- لا بد من حمله على التكرير لئلا أكيد نذرها وإخراجه عن صورة التعليق إلى هيئة التنجيز والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن إفاضة ما فيه صلاح المربوب مع الإضافة إلى ضميرها لتحريك سلسلة الإجابة ولذلك قيل إذا أراد العبد أن يستجاب له دعاؤه فليدع الله بما يناسبه من أسمائه وصفاته وتأكيده بالجملة لإبراز وفور الرغبة في مضمونها وتقديم الجار والمجرور لكمال الاعتناء به وإنما عبر عن الولد بما لإبهام أمره وقصوره عن درجة العقلاء (محراً) أي معتقاً لخدمة بيت المقدس لا يشغله شأن آخر أو مخلصاً للعبادة ونصبه

فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَئِنَّكَ كَرِهْتَ لَأُنْثَىٰ وَلِئِنْ سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرِّيَتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ آل عمران

- على الحالية من الموصول والعامل فيه نذرت وقيل من ضميره في الصلة والعامل معنى الاستقرار فإنها في قوة ما استقر في بطنى ولا يخفى أن المراد تقييد فعلها بالتحريم ليحصل به التقرب إليه تعالى لا تقييد مالا دخل لها فيه من الاستقرار في بطنها (فتقبل منى) أى مآذرتة والتقبل أخذ الشيء على وجه الرضا وهذا في الحقيقة استدعاء للولد إذ لا يتصور القبول بدون تحقق المقبول بل الولد الذكر لعدم قبول الأنثى (إنك أنت السميع) لجميع المسموعات التى من جملتها تضرعى ودعائى (العليم) بكل المعلومات التى من زمرتها ما فى ضميرى لا غير وهو تعليل لاستدعاء القبول لا من حيث إن كونه تعالى سميعاً لدعائها علياً بما فى ضميرها مصحح للتقبل فى الجملة بل من حيث أن علمه تعالى بصحة نيتها وإخلاصها مستدع لذلك تفضلاً وإحساناً وتأكيدها لعل لعل قوة يقينها بمضمونها وقصر صفى السمع والعلم عليه تعالى لعل اختصاص دعائها به تعالى وانقطاع حبل رجائها عما عداه بالكلية مبالغة فى الضراعة والابتهال
- ٣٦ (فلما وضعتها) أى ما فى بطنها وتأنيث الضمير العائد إليه لما أن المقام يستدعى ظهور أنوثته واعتباره فى حيز الشرط إذ عليه يترتب جواب لما أعنى قوله تعالى (قالت رب إنى وضعتها أنثى) لا على وضع ولد ما كأنه قيل فلما وضعت بنتاً قالت الخ وقيل تأنيثه لأن ما فى بطنها كان أنثى فى علم الله تعالى أو لأنه مؤول بالحيلة أو النفس أو النسمة وأنت خير بأن اعتبار شيء بما ذكر فى حيز الشرط لا يكون مداراً لترتب الجواب عليه وقوله تعالى أنثى حال مؤكدة من الضمير أو بدل منه وتأنيثه للسارة إلى عرض مادهمها من خيبة الرجاء أو لما مر من التأويل بالحيلة أو النسمة فالحال حينئذ مبينة وإنما قالته تحزناً وتحسراً على خيبة رجائها وعكس تقديرها لما كانت ترجو أن تلد ذكراً ولذلك نذرتة محرراً للسدانة والتأكيد الرد على اعتقادها الباطل (والله أعلم بما وضعت) تعظيم من جهته تعالى لموضوعها وتفخيم لشأنه وتجهيل لها بقدره أى والله أعلم بالشيء الذى وضعت وما علق به من عظام الأمور وجعله وابنه آية للعالمين وهى غافلة عن ذلك والجملة اعتراضية وقرىء وضعت على خطاب الله تعالى لها أى إنك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما أودع الله فيه من علو الشأن وسمو المقدار وقرىء وضعت على صيغة التكلم مع الالتفات من الخطاب إلى الغيبة لإظهار الغاية الإجلال فيكون ذلك منها اعتذاراً إلى الله تعالى حيث أتت بمولود لا يصلح لما نذرتة من السدانة أو تسليية لنفسها على معنى لعل الله تعالى فيه سرراً وحكمة ولعل هذه الأنثى خير من الذكر
- فوجه الالتفات حينئذ ظاهر وقوله تعالى (وليس الذكر كالأُنثى) اعتراض آخر مبين لما فى الأول من تعظيم الموضوع ورفع منزلته واللام فى الذكر والأنثى للعهد أى ليس الذكر الذى كانت تطلبه وتنخيل فيه كما لا قصاره أن يكون كواحد من السدانة كالأُنثى التى وهبت لها فإن دائرة عليها وأمنيتها لا تكاد تحيط بما فيه من جلال الأمور هذا على القراءتين الأولى ولين وأما على التفسير الأخير للقراءة

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنْصَرِمُ أَتَىٰ لِكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ

حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ آل عمران

- الآخيرة فعناه وليس الذكر كمذه الأنثى في الفضيلة بل أدنى منها وأما على التفسير الأول لها فعناه تأكيد الاعتذار ببيان أن الذكر ليس كالأنثى في الفضيلة والمزية وصلاحيه خدمة المتعبدات فإنهن بمعزل من ذلك فاللام للجنس وقوله تعالى (وإني سميتها مريم) عطف على إني وضعتها أنثى وغرضها من عرضها على ●
علام الغيوب التقرب إليه تعالى واستدعاء العصمة لها فإن مريم في لغتهم بمعنى العابدة قال القرطبي معناه خادم الرب وإظهار أنها غير راجعة عن نيتها وإن كان ما وضعته أنثى وأنها وإن لم تكن خليفة بسدانة بيت المقدس فلتسكن من العابدات فيه (وإني أعيدها بك) عطف على إني سميتها وصيغة المضارع للدلالة ●
على الاستمرار أي أجبرها بحفظك وقرىء بفتح ياء المتكلم في المواضع التي بعدها همزة مضمومة إلا في موضعين بعدى أوف آتوني أفرغ (وذريتها) عطف على الضمير وتقديم الجار والمجرور عليه لإبراز ●
كمال العناية به (من الشيطان الرجيم) أي المطرود وأصل الرجم الرمي بالحجارة . عن النبي ﷺ ●
ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسّه حين يولد فيستهل صارخا من مسه إلا مريم وابنها ومعناه أن الشيطان يطمع في إغواء كل مولود بحيث يتأثر منه إلا مريم وابنها فإن الله عصمهما ببركة هذه الاستعاذة (فتقبلها) أي أخذ مريم ورضى بها في النذر مكان الذكر (رهبها) مالكها ومبلغها إلى كمالها اللائق وفيه ٢٧
من تشریفها مالا يخفى (بقبول حسن) قيل الباء زائدة والقبول مصدر مؤكد للفعل السابق بحذف الزوائد ●
أي تقبلها قبولا حسنا وإنما عدل عن الظاهر للإيذان بمقارنة التقبل لكمال الرضا وموافقته للعناية الذاتية فإن صيغة التفعّل مشعرة بحسب أصل الوضع بالتكلف وكون الفعل على خلاف طبع الفاعل وإن كان المراد بها في حقه تعالى ما يترتب عليه من كمال قوة الفعل وكثير ثمره وقيل القبول ما يقبل به الشيء كالسقوط والدود لما يسقط به ويلد وهو اختصاصه تعالى إياها بإقامتها مقام الذكر في النذر ولم تقبل قبلها أنثى أو بأن/تسلها من أمها عقيب الولادة قبل أن تنشأ وتصلح للسدانة . روى أن حنة حين ولدتها لفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار أبناء هارون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم فإن بني مائان كانت رموس بنى إسرائيل وملوكهم وقيل لأنهم وجدوا أمرها وأمر عيسى عليه الصلاة والسلام في الكتب الإلهية فقال زكريا عليه الصلاة والسلام أنا أحق بها عندي خالتها فأبوا إلا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا إلى نهر فالقوا فيه أقلامهم فطفأ قلم زكريا ورسبت أقلامهم فتكفلها وقيل هو مصدر وفيه مضاف مقدر أي فتقبلها بذى قبول أي بأمر ذى قبول حسن وقيل تقبل بمعنى استقبل كقصي بمعنى استقصى وتعجل بمعنى استعجل أي استقبلها في أول أمرها حين ولدت بقبول حسن (وأنبتها) مجاز عن ●

هَٰذَاكَ دَعَا زَكْرِيَّا رَبَّهُ وَقَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ آل عمران

- تربيتها بما يصلحها في جميع أحوالها (نباتا حسنا) مصدر مؤكد للفعل المذكور بحذف الزوائد وقيل بل
- لفعل مضمّر موافق له تقديره فنبتت نباتاً حسناً (وكفلها زكريا) أي جعله عليه الصلاة والسلام كافلاً لها وضامناً لمصالحها قائماً بتدبير أمورها لا على طريقة الوحي بل على ما ذكر من التفصيل فإن رغبته عليه الصلاة والسلام في كفالتها وطفو قلبه ورسوب أقدامهم وغير ذلك من الأمور الجارية بينهم كلها من آثار قدرته تعالى وقرىء أكفلها وقرىء زكرياء بالنصب والمد وقرىء بتخفيف الفاء وكسرهما ورفع زكرياء بمدوداً وقرىء وتقبلها ربها وأنبتها وكفلها على صيغة الأمر في الكل ونصب ربها على الدعاء أي فاقبلها يا ربها وربها تربية حسنة واجعل زكريا كافلاً لها فهو تعيين لجهة التربية قيل بنى عليه الصلاة والسلام لها محراباً في المسجد أي غرفة يصعد إليها بسلم وقيل المحراب أشرف المجالس ومقدمها كأنها وضعت في أشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب . روى أنه كان لا يدخل عليها إلا هو وحده وإذا خرج غلق عليها سبعة أبواب (كلما دخل عليها زكريا المحراب) تقديم الظرف على الفاعل لإظهار كمال العناية بأمرها ونصب المحراب على التوسع وكلية كلما ظرف على أن ما مصدرية والزمان محذوف أو نكرة موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف والعامل فيها جوابها أي كل زمان دخوله عليها أو كل وقت دخل عليها فيه (وجد عندها رزقا) أي نوعاً منه غير معتاد إذ كان ينزل ذلك من الجنة وكان يجد عندها في الصيف فاكهة الشتاء وفي الشتاء فاكهة الصيف ولم ترضع ثدياً قط (قال) استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فإذا قال زكريا عليه الصلاة والسلام عند مشاهدة هذه الآية فقل
- قال (يا مريم أنى لك هذا) أي من أين يحى لك هذا الذى لا يشبه أرزاق الدنيا والأبواب مغلقة دونك وهو دليل على جواز الكرامة للأولياء ومن أنكرها جعل هذا إلهاماً وتأسيساً لرسالة عيسى عليه الصلاة والسلام وأما جملة معجزة لذكرى عليه الصلاة والسلام فيأباه اشتباه الأمر عليه السلام وإنما خاطبها عليه الصلاة والسلام بذلك مع كونها بمعزل من رتبة الخطاب لما علم بما شاهده أنها مؤيدة من عند الله تعالى بالعلم والقدرة (قالت) استئناف كما قبله كأنه قيل فإذا صنعت مريم وهي صغيرة
- لا قدرة لها على فهم السؤال ورد الجواب فقل (هو من عند الله) فلا تعجب ولا تستبعد (إن الله يرزق من يشاء) أن يرزقه (بغير حساب) أي بغير تقدير لكثرة أو بغير استحقاق تفضلاً منه تعالى وهو تعليل لكونه من عند الله إما من تمام كلامهما فيكون في محل النصب وإما من كلامه عز وجل فهو مستأنف روى أن فاطمة الزهراء رضی الله عنها أهدت إلى رسول الله ﷺ رغيفين وبضعة لحم فرجع بها إليها فقال هللى يابنية فكشفت عن الطبق فإذا هو مملوء خبزاً ولحماً فقال لها أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذى جعلك شبيهة بسيدة بنى إسرائيل ثم جمع علياً والحسن والحسين وجميع أهل بيته رضوان الله عليهم أجمعين فأكلوا وشبعوا وبقي الطعام كما هو فأوسعت على جيرانها (هناك) كلام مستأنف وقصة مستقلة سبقت في أضعاف

فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا
وَحْصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ آل عمران

- حكاية مريم لما بينهما من قوة الارتباط وشدة الاشتياك مع مافي إيرادها من تقرير ماسيقت له حكايتها من بيان اصطفاء آل عمران فإن فضائل بعض الأقرباء أدلة على فضائل الآخرين وهنا ظرف مكان واللام للدلالة على البعد والكاف للخطاب أى في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب أو في ذلك الوقت إذ يستعار هنا وثمة وحيث للزمان (دعا ذكر ياربى) لما رأى كرامة مريم على الله ومنزلاتها ● منه تعالى رغب في أن يكون له من إيشاع ولد مثل ولد حنة في النجابة والكرامة على الله تعالى وإن كانت عاقراً عجوزاً فقد كانت حنة كذلك وقيل لما رأى الفواكه في غير إبانها تنبه لجواز ولادة المعجوز العاقر من الشيخ الفاني فأقبل على الدعاء من غير تأخير كما ينبىء عنه تقديم الظرف على الفعل لا على معنى أن ذلك كان هو الموجب للإقبال على الدعاء فقط بل كان جزءاً أخيراً من العلة النامة التى من جملتها كبر سنه عليه الصلاة والسلام وضعف قواه وخوف مواليه حسباً فصل في سورة مريم (قال) تفسير ● للدعاء وبيان لكيفيته لا محل له من الإعراب (رب هب لى من لدنك) كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنيهما فاللام صلة له ومن لا بداء الغاية مجازاً أى أعطى من محض قدرتك من غير وسط معتاد (ذرية طيبة) كما وهبتها لحنة ويجوز أن يتعلق من بمحذوف وقع حالاً من ذرية أى كائنة من لدنك والذرية النسل تقع على الواحد والجمع والذكر والأنثى والمراد ههنا ولد واحد فالنأنيت في الصفة لتأنيث لفظ الموصوف كما في قول من قال | أبوك خليفة ولدته أخرى هـ وأنت خليفة ذاك الكمال | وهذا إذا لم يقصد به واحد معين أما إذا قصد به المعين امتنع اعتبار اللفظ نحو طلحة وحمزة فلا يجوز أن يقال جاءت طلحة وذهبت حمزة (إنك سميع الدعاء) أى مجيبه وهو تعليل لما قبله وتحريك لسلسلة الإجابة (فنادته الملائكة) ٢٩ كان المنادى جبريل عليه الصلاة والسلام كما تفصح عنه قراءة من قرأ فناده جبريل والجمع كما في قولهم فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وماله غير فرس وثوب قال الزجاج أى أتاه النداء من هذا الجنس الذين هم الملائكة وقيل لما كان جبرائيل عليه الصلاة والسلام رئيسهم عبر عنه باسم الجماعة تعظيماً له وقيل الرئيس لا بد له من أتباع فأسند النداء إلى الكل مع كونه صادراً عنه خاصة وقرئ. فناده بالإمالة (وهو قائم) جملة حالية من مفعول النداء مقرر لما أفاده الفاء من حصول البشارة عقيب الدعاء وقوله تعالى (يصلى) إما صفة لقائم أو خبر ثان عند من يرى تعدده عند كون الثانى جملة كما في قوله تعالى فإذا هى حية تسعى أو حال أخرى منه على القول بتعدد بلا عطف ولا بدلية أو حال من المستكن في قائم وقوله تعالى (في المحراب) أى في المسجد أو في غرفة مريم متعلق بصلى أو بقائم على تقدير كون يصلى حالاً من ضمير قائم لأن العامل فيه وفي الحال حينئذ شىء واحد فلا يلزم الفصل بالأجنبي كما يلزم على التقادير الباقية (أن الله يبشرك بيحيى) أى بأن الله وقرئ. بكسر الهمزة على تقدير القول أو لإجراء النداء مجراه لكونه

قَالَ رَبِّ أُنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَآمَرَأْتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٣﴾ آل عمران

نوعامنه وقرىء يبشرك من الإخبار ويبشرك من الثلاثي وأياً ما كان ينبغي أن يكون هذا الكلام إلى آخره محكياً بعبارة عن الله عز وجل على منهاج قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية كما يلوح به مراجعته عليه الصلاة والسلام في الجواب إليه تعالى بالذات لا بواسطة الملك والعدول عن إسناد التبشير إلى نون العظمة حسباً وقع في سورة مريم للجري على سنن الكبرياء كما في قول الخلفاء أمير المؤمنين يرسم لك بكذا وللإيدان بأن ما حكى هناك من النداء والتبشير وما يترتب عليه من المحاورة كان كل ذلك بتوسط الملك بطريق الحكاية عنه سبحانه لا بالذات كما هو المتبادر وبهذا يتضح اتحاد المعنى في السورتين الكريمتين فتأمل ويحيى اسم أعجمي وإن جعل عربياً فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل . روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وإنما سمي يحيى لأن الله تعالى أحيا به عقر أمه وقال قتادة لأنه تعالى أحيا قلبه بالإيمان قال القرطبي كان اسمه في الكتاب الأول حيا ولا بد من تقدير مضاف يعود إليه الحال أى بولادة يحيى فإن التبشير لا يتعلق بالآعيان (مصدقا) حال مقدرة من يحيى (بكلمة من الله) أى يعيسى عليه الصلاة والسلام وإنما سمي كلمة لأنه وجد بكلمة كن من غير أب فشابه البديعيات التى هى عالم الأمور ومن لا بداء الغاية مجازاً متعلقة بمحذوف وقع صفة لكلمة أى بكلمة كائنة منه تعالى قيل هو أول من آمن به وصدق بأنه كلمة الله وروح منه وقال السدى لقيت أم يحيى أم عيسى فقالت يا مريم أشعرت بحبلى فقالت مريم وأنا أيضاً حبلى قالت فأنى وجدت ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك فذلك قوله تعالى مصدقا بكلمة الخ وقال ابن عباس رضى الله عنهما إن يحيى كان أكبر من عيسى عليهما الصلاة والسلام بستة أشهر وقيل بثلاث سنين وقتل قبل رفع عيسى عليهما الصلاة والسلام بمدة يسيرة وعلى كل تقدير يكون بين ولادة يحيى وبين البشارة بها زمان مديد لما أن مريم ولدت وهى بنت ثلاث عشرة سنة

● أو بنت عشر سنين وقيل بكلمة من الله أى بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدة لقصيدته (وسيداً) عطف على مصدقا أى رئيساً يسود قومه ويفوقهم فى الشرف وكان قائماً للناس قاطبة فإنه لم يلم بخطيئة ولم يهم بمعصية فيألفها من سيادة ما أسناها (وحصوراً) عطف على ما قبله أى مبالغاً فى حصر النفس وحبسها عن الشهوات مع القدرة . روى أنه مر فى صباه بصبيان فدعوه إلى اللعب فقال ما للعب خلقت

● (ونبيأ) عطف على ما قبله مترتب على ما عدد من الخصال الحميدة (من الصالحين) أى ناشئاً منهم لأنه كان من أصلاب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أو كائناً من جملة المشهورين بالصلاح كما فى قوله تعالى وإنه فى الآخرة لمن الصالحين والمراد بالصلاح ما فوق الصلاح الذى لا بد منه فى منصب النبوة البتة

٤٠ من أقاصى مراتبه وعليه مبنى دعاء سليمان عليه السلام وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين (قال) استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل فإذا قال زكريا عليه الصلاة والسلام حينئذ فقيل قال (رب) لم يخاطب الملك المنادى له بملايسة أنه المباشر للخطاب وإن كان ذلك بطريق الحكاية عنه تعالى بل جرى على نهج دعائه السابق مبالغة فى التضرع والمناجاة وجداً فى التبتل إليه تعالى واحترازاً عما عسى يوم

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا زَمْزًا وَاذْكُرَ رَبَّكَ كَثِيرًا
وَسَبِّحْ بِالنَّعْثِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٤١﴾ آل عمران

- خطاب الملك من توهّم أن عليه سبحانه بما يصدر عنه يتوقف على توسطه كما يتوقف وقوف البشر على ما يصدر عنه سبحانه على توسطه في عامة الأحوال وإن لم يتوقف عليه في بعضها (أنى يكون لى غلام) ● فيه دلالة على أنه قد أخبر بكونه غلاماً عند التبشير كما في قوله تعالى إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى وأنى بمعنى كيف أو من أين وكان تامة وأنى واللام متعلقتان بها وتقديم الجار على الفاعل لما مر مراراً من الاعتناء بما قدم والتشويق إلى ما أخر أى كيف أو من أين يحدث لى غلام ويجوز أن تتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من غلام إذ لو تأخر لكان صفة له أو ناقصة واسمها ظاهر وخبرها إما أنى واللام متعلقة بمحذوف كما مر أو هو الخبر وأنى منصوب على الظرفية (وقد بلغنى الكبر) حال من ياء المتكلم ● أى أدركنى كبر السن وأثر فى كقولهم أدركته السن وأخذته السن وفيه دلالة على أن كبر السن من حيث كونه من طلائع الموت طالب للإنسان لا يكاد يتركه قيل كان له تسع وتسعون سنة وقيل اثنتان وتسعون وقيل مائة وعشرون وقيل ستون وقيل خمس وستون وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون ولا مرآته ثمان وتسعون (وامرأتى عاقر) أى ذات عقر وهو أيضاً حال من ياء لى عند من يجوز تعدد الحال أو من ياء بلغنى أى كيف يكون لى ذلك والحال أنى وامرأتى على حالة منافية له كل المنافاة وإنما قاله عليه الصلاة والسلام مع سبق دعائه بذلك وقوة يقينه بقدرة الله تعالى عليه لا سيما بعد مشاهدته عليه الصلاة والسلام للشواهد السالفة استعظماً لقدرة الله سبحانه وتعجبياً منها واعتداداً بنعمته عز وجل عليه فى ذلك لا استبعاداً له وقيل بل كان ذلك للاستبعاد حيث كان بين الدعاء والبشارة ستون سنة وكان قد نسى دعاءه وهو بعيد وقيل كان ذلك استفهاماً عن كيفية حدوثه (قال) استئناف كما سلف (كذلك) ● إشارة إلى مصدر يفعل فى قوله عز وجل (الله يفعل ما يشاء) أى ما يشاء أن يفعله من تعاجيب الأفاعيل ● الحارقة للمعادات فالله مبتدأ ويفعل خبره والكاف فى محل النصب على أنها فى الأصل نعت لمصدر محذوف أى الله يفعل ما يشاء أن يفعله فعلاً مثل ذلك الفعل العجيب والصنع البديع الذى هو خلق الولد من شيخ فان ويجوز عاقر فقدم على العامل لإفادة القصر بالنسبة إلى ما هو أدنى من المشار إليه واعتبرت الكاف مفعلة لتأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة وقد مر تحقيقه فى تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطاً أو على أنها حال من ضمير المصدر المقدر معرفة أى يفعل الفعل كائناً مثل ذلك أو فى محل الرفع على أنها خبر والجلالة مبتدأ أى على نحو هذا الشأن البديع شأن الله تعالى ويفعل ما يشاء بيان لذلك الشأن المبهم أو كذلك خبر لمبتدأ محذوف أى الأمر كذلك وقوله تعالى الله يفعل ما يشاء بيان له (قال) ٤١ رب اجعل لى آية) أى علامة تدلنى على تحقق المستول ووقوع الحبل وإنما سألتها لأن العلوق أمر خفى لا يوقف عليه فأراد أن يطلعه الله تعالى عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة من حين حصولها بالشكر ولا

وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ آل عمران

يؤخره إلى أن يظهر ظهوراً معتاداً ولعل هذا السؤال وقع بعد البشارة بزمان مديد إذ به يظهر ما ذكر من كون التفاوت بين سنى يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام بستة أشهر أو ثلاث سنين لأن ظهور العلامة كان عقيب تعيينها لقوله تعالى في سورة مريم فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم الآية اللهم إلا أن تكون المجاورة بين زكريا ومريم في حالة كبرها وقد عدت من جملة من تكلم في الصغر بموجب قولها المحكى والجعل إبداعى واللام متعلقة به والتقديم لما مر مراراً من الاعتناء بما قدم والتشويق إلى ما أخر أو محذوف وقع حالاً من آية وقيل هو بمعنى التصيير المستدعى لمفعولين أولهما آية وثانيهما لى والتقديم لأنه لا مسوغ لكون آية مبتدأ عند انحلال الجملة إلى مبتدأ وخبر سوى تقديم الجار فلا يتغير حالهما بعد دخول الناسخ (قال آيتك ألا تكلم الناس) أى أن لا تقدر على تكليمهم (ثلاثة أيام) أى متوالية لقوله تعالى في سورة مريم ثلاث ليال سويماً مع القدرة على الذكر والتسبيح وإنما جعلت آيته ذلك لتخليص المدة لذكر الله تعالى وشكره قضاء لحق النعمة كأنه قيل آية حصول المطلوب ووصول النعمة أن تحبس لسانك إلا عن شكرها وأحسن الجواب ما اشتق من السؤال (إلا رمزاً) أى إشارة بيد أو رأس أو نحوهما وأصله التحرك يقال ارتجز أى تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وهو استثناء منقطع لأن الإشارة ليست من قبيل الكلام أو متصل على أن المراد بالكلام ما فهم منه المرام ولا ريب في كون الرمز من ذلك القبيل وقرئ رمزاً بفتحين على أنه جمع رامز كجمع وبضمين على أنه جمع رموز كرسى على أنه حال منه ومن الناس معاً بمعنى مترامزين كقوله متى ما تلقى فردين ترجف * روايف أليتك وتستطارا (واذكر ربك) أى في أيام الحبسة شكراً لحصول التفضل والإنعام كما يؤذن به التعرض لعنوان الربوبية (كثيراً) أى ذكر كثيراً أو زماناً كثيراً (وسبح) أى سبحه تعالى أو افعل التسبيح (بالعشى) أى من الزوال إلى الغروب وقيل من العصر إلى ذهاب صدر الليل (والإبكار) من طلوع الفجر إلى الضحى . قيل المراد بالتسبيح الصلاة بدليل تقييده بالوقت كما في قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقيل الذكر اللسانى كما أن المراد بالذكر الذكر القلبى وقرئ الأبكار بفتح الهمزة على أنه جمع بكر كسحر وأسحار (وإذ قالت الملائكة) شروع في شرح بقية أحكام اصطفاء آل عمران إثر الإشارة إلى نبذ من فضائل بعض أقاربهم أعنى زكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام لاستدعاء المقام إياهما حسبما أشير إليه وقرئ بتذكير الفعل والمراد بالملائكة جبريل عليه الصلاة والسلام وقد مر ما فيه من الكلام وإذ منصوب بمضمر معطوف على المضمر السابق عطف القصة على القصة وقيل معطوف على الظرف السابق أعنى قوله إذ قالت امرأة عمران منصوب بناصبه فتدبر أى واذكر أيضاً من شواهد اصطفايتهم وقت قول الملائكة عليهم الصلاة والسلام (يامريم) وتكرير التذكير للإشعار بمزيد الاعتناء بما يحكى من أحكام الاصطفاء والتنبية على استقلالها وانفرادها عن الأحكام السابقة فإنها من أحكام التربية الجسدية اللائقة بحال صغر مريم وهذه من باب التربية

يَمْرِمُ أَفْتِنِي لِرَبِّكَ وَأَتَجِدِي وَارَكَمِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ آل عمران
 ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيماً وَمَا
 كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ آل عمران

- الروحانية بالتكاليف الشرعية المتعلقة بحال كبرها . قبل كلوها شفاها كرامة لها أو إرهاباً لنبوة عيسى عليه الصلاة والسلام لمكان الإجماع على أنه تعالى لم يستثنى امرأة وقيل ألهموها (إن الله اصطفاك) أولاً حيث تقبلت منك بقبول حسن ولم يتقبل غيرك أنثى ورباك في حجر زكريا عليه السلام ورزقك من رزق الجنة وخصك بالكرامات السنية (وطهرتك) أي بما يستقذر من الأحوال والأفعال وبما قدفك به اليهود بانطاق الطفل (واصطفاك) آخرأ (على نساء العالمين) بأن وهب لك عيسى عليه الصلاة والسلام من غير أب ولم يكن ذلك لأحد من النساء وجعلك آية للعالمين فعلى هذا ينبغي أن يكون تقديم حكاية هذه المقالة على حكاية بشارتها بعيسى عليه الصلاة والسلام لما مر مراراً من التنبيه على أن كلا منهما مستحق للاستقلال بالتذكير ولوروعى الترتيب الخارجى لتبادر كون الكل شيئاً واحداً وقيل المراد بالاصطفاءين واحد والتكرير للتأكيد وتبيين من اصطفاها عليهن فحينئذ لا إشكال في ترتيب النظم الكريم إذ يحمل حينئذ الاصطفاء على ما ذكر أولاً وتجعل هذه المقالة قبل بشارتها بعيسى عليه الصلاة والسلام إيداناً بكونها قبل ذلك متوفرة على الطاعات والعبادات حسبما أمرت بها مجتهدة فيها مقبلة على الله تعالى متبلة إليه تعالى منسلخة عن أحكام البشرية مستعدة لفيضان الروح عليها (يا مريم) تكرر النداء ٤٣ للإيدان بأن المقصود بالخطاب ما يرد بعده وأن ما قبله من تذكير النعم كان تمهيداً لذكره وترغيباً في العمل بموجبه (افتنى لربك) أي قومي في الصلاة أو أطبى القيام فيها له تعالى والتعرض لعنوان ربوبيته تعالى لها لإشعار بعله وجوب الامتثال بالأمر (واسجدي واركعي مع الراكعين) أمرت بالصلاة بالجماعة بذكر أركانها مبالغة في إيجاب رعايتها وإيداناً بفضيلة كل منها وإصالته وتقديم السجود على الركوع إما ليكون الترتيب في شريعتهم كذلك وإما لكون السجود أفضل أركان الصلاة وأقصى مراتب الخضوع ولا يقتضى ذلك كون الترتيب الخارجى كذلك بل اللائق به الترقى من الأدنى إلى الأعلى وإما ليقترن اركعى بالراكعين للإشعار بأن من لا ركوع في صلاتهم ليسوا مصلين وأما ما قيل من أن الواو لا توجب الترتيب فغايتة التصحيح لا الترجيح وتجريد الأمر بالركنين الأخيرين عما قيد به الأول لما أن المراد تقييد الأمر بالصلاة بذلك وقد فعل حيث قيد به الركن الأول منها وقيل المراد بالقنوت إدامة الطاعات كما في قوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً وبالسجود الصلاة لما مر من أنه أفضل أركانها وبالركوع الخشوع والإخبات . قيل لما أمرت بذلك قامت في الصلاة حتى ورمت قدمها وسالت دماً وقيحاً (ذلك) إشارة إلى ما سلف من الأمور البديعة وما فيه من معنى البعد للتنبيه على علو شأن المشار ٤٤ إليه وبعد منزلته في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (من أنباء الغيب) أي من الأنباء المتعلقة بالغيب

إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ بِشْرُكَ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ آل عمران

- والجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب وقوله تعالى (نوحيه إليك) جملة مستقلة مبنية للأولى وقيل الخبر هو الجملة الثانية ومن أنباء الغيب إما متعلق بنوحيه أو حال من ضميره أى نوحى من أنباء الغيب أو نوحيه حال كونه من جملة أنباء الغيب وصيغة الاستقبال للإيدان بأن الوحي لم ينقطع بعد (وما كنت لديهم) أى عند الذين اختلفوا وتنازعوا فى تربية مريم وهو تقرير وتحقيق لكونه حياً على طريقة التكم بمنكريه كما فى قوله تعالى وما كنت بجانب الغربى الآية وما كنت ثاوياً فى أهل مدين الآية فإن طريق معرفة أمثال هاتيك الحوادث والواقعات إما المشاهدة وإما السماع وعدمه محقق عندهم فبقى احتمال المعاينة المستحيلة
- ضرورة فنفيت تهكما بهم (إذ يلقون أقلامهم) ظرف للاستقرار العامل فى لديهم وأقلامهم أقداهم
- التى اقترعوا بها وقيل اقترعوا بأقلامهم التى كانوا يكتبون بها التوراة تبركا (أيهم يكفل مريم) متعلق بمحذوف دل عليه يلقون أقلامهم أى يلقونها ينظرون أو ليعلموا أيهم يكفلها (وما كنت لديهم إذ يختصمون) أى فى شأنها تنافساً فى كفالتها حسبما ذكر فيما سبق وتكرير ما كنت لديهم مع تحقق المقصود بعطف إذ يختصمون على إذ يقولون كما فى قوله عز وجل نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى للدلالة على أن كل واحد من عدم حضوره عليه الصلاة والسلام عند إلقاء الأقلام وعدم حضوره عند الاختصاص مستقل بالشهادة على نيوته عليه الصلاة والسلام لاسيما إذا أريد باختصاصهم
- ٤٥ تنازعهم قبل الاقتراع فإن تغيير الترتيب فى الذكر مؤكده . (إذ قالت الملائكة) شروع فى قصة عيسى عليه الصلاة والسلام وهو بدل من وإذ قالت الملائكة منصوب بنصبه وما بينهما اعتراض جىء به تقريراً لما سبق وتنبيها على استقلاله وكونه حقيقة بأن يعد على حياله من شواهد النبوة وترك العطف بينهما بناء على اتحاد المخاطب والمخاطب وإيداناً بتقارن الخطابين أو تقاربهما فى الزمان وقيل منصوب بمضمر معطوف على ناصبه وقيل بدل من إذ يختصمون كأنه قيل وما كنت حاضراً فى ذلك الزمان المديد الذى وقع فى طرف منه الاختصاص وفى طرف آخر هذا الخطاب إشعاراً بإحاطته عليه الصلاة والسلام بتفاصيل أحوال مريم من أولها إلى آخرها والقائل جبريل عليه الصلاة والسلام
- وإيراد صيغة الجمع لما مر (يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه) من لا ابتداء الغاية مجازاً متعلقة بمحذوف
- وقع صفة لكلمة أى بكلمة كائنة منه عز وجل (اسمه) ذكر الضمير الراجع إلى الكلمة لكونها
- عبارة عن مذكر وهو مبتدأ خبره (المسيح) وقوله تعالى (عيسى) بدل منه أو عطف بيان وقيل
- خبر آخر وقيل خبر مبتدأ محذوف وقيل منصوب بإضمار أعنى مدحا وقوله تعالى (ابن مريم) صفة لعيسى وقيل المراد بالاسم مابه يتميز المسمى عن سواه فالخبر حينئذ مجموع الثلاثة إذ هو المميز له عليه الصلاة والسلام تمييزاً عن جميع من عداه والمسيح لقبه عليه الصلاة والسلام وهو من الألقاب

وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ آل عمران
قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ آل عمران

- المشرفة كالصديق وأصله بالعبرية مشيحاً ومعناه المبارك وعيسى معرب من أيشوع والتصدى لاشتقاقهما من المسح والعيس وتعليله بأنه عليه الصلاة والسلام مسح بالبركة أو بما يطهره من الذنوب أو مسحه جبريل عليهما الصلاة والسلام أو مسح الأرض ولم يقم في موضع أو كان عليه الصلاة والسلام يمسح ذا العاهة فيبرأ بأنه كان في لونه عيس أى يياض يعلوه حمرة من قبيل الرقيم على الماء وإنما قيل ابن مريم مع كون الخطاب لها تنبيها على أنه يولد من غير أب فلا ينسب إلا إلى أمه وبذلك فضلت على نساء العالمين (وجها في الدنيا والآخرة) الوجه ذو الجاه وهو القوة والمنعة والشرف وهو حال مقدرة من كلمة فإنها وإن كانت نكرة لكنها صالحة لأن ينتصب بها الحال وتذكيرها باعتبار المعنى والوجهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة (ومن المقربين) أى من الله عز وجل وقيل هو إشارة إلى رفعه إلى السماء وصحبة الملائكة وهو عطف على الحال الأولى وقد عطف عليه قوله تعالى (ويكلم الناس في المهد وكهلاً) أى يكلمهم حال كونه طفلاً وكهلاً كلام الأنبياء ٤٦ من غير تفلوت والمهد مصدر سمى به ما يمهّد للصبي أى يسوى من مضجعه وقيل إنه شابأرفع والمراد وكهلاً بعد نزوله وفي ذكر أحواله المختلفة المتنافية إشارة إلى أنه بمعزل من الألوهية (ومن الصالحين) حال أخرى من كلمة معطوفة على الأحوال السالفة أو من الضمير في يكلم (قالت) استئناف مبنى على السؤال ٤٧ كأنه قيل فماذا قالت مريم حين قالت لها الملائكة ما قالت فقيل قالت متضرعة إلى ربها (رب أنى يكون) أى كيف يكون أو من أين يكون (لى ولد) على وجه الاستبعاد العادى والتعجب واستعظام قدرة الله عز وجل وقيل على وجه الاستفهام والاستفسار بأنه بالتزوج أو بغيره ويكون إما نامة وأنى واللام متعلقان بها وتأخير الفاعل عن الجار والمجرور لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر ويجوز أن تتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من ولد إذ لو تأخر لكان صفة له وإما ناقصة واسمها ولد وخبرها إما أنى واللام متعلقة بمضمر وقع حالا كما مر أو خبر وأنى نصب على الظرفية وقوله تعالى (ولم يمسسني بشر) جملة حالية محققة للاستبعاد أى والحال أنى على حالة منافية للولادة (قال) استئناف كما سلف والقائل هو الله تعالى أو جبريل عليه الصلاة والسلام (كذلك الله يخلق ما يشاء) الكلام في إعرابه كما مر في قصة زكريا بعينه خلا أن أراد بخلق ههنا مكان يفعل هناك لما أن ولادة العذراء من غير أن يمسها بشراً بدع وأغرب من ولادة عجوز عاقر من شيخ فإن فكان الخلق المنبئ عن الاختراع أنسب بهذا المقام من مطلق الفعل ولذلك عقب ببيان كيفيته فقيل (إذا قضى أمراً) من الأمور أى أراد شيئاً كما في قوله تعالى إنما أمره إذا أراد شيئاً وأصل القضاء الإحكام أطلق على الإرادة الإلهية القطعية المتعلقة بوجود الشيء لإيجابها إياه

وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾ آل عمران
 وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ
 الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخْرِى الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ
 وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ آل عمران

- البتة وقيل الأمر ومنه قوله تعالى وقضى ربك (فإنما يقول له كن) لا غير (فيكون) من غير ريث وهو كما ترى تمثيل لكمال قدرته تعالى وسهولة تأتى المقدورات حسبما تقتضيه مشيئته وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم فيها من طاعة المأمور المطيع للأمر القوى المطاع وبيان لأنه تعالى كما يقدر على خلق الاشياء مدرجا بأسباب ومواد معنادة يقدر على خلقها دفعة من غير حاجة إلى شيء من الأسباب والمواد (وعلمه ٤٨)
- (الكتاب) أى الكتابة أو جنس الكتب الإلهية (والحكمة) أى العلوم وتهذيب الاخلاق (والتوراة والإنجيل) أفرادهما بالذكر على تقدير كون المراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة لزيادة فضلهما وإنافتهما على غيرهما والجملة عطف على يبشرك أو على وجهها أو على يخلق أو هو كلام مبتدأ سيق تطليبا لقلبها وإزاحة لما أهمها من خوف اللاتمة لما علمت أنها تلد من غير زوج وقرى. ونعلمه بالذون (ورسولا إلى بنى إسرائيل) منصوب بمضمر يعود إليه المعنى معطوف على يعلمه أى ويجعله رسولا إلى بنى إسرائيل أى كلهم وقال بعض اليهود إنه كان مبعوثا إلى قوم مخصوصين ثم قيل كان رسولا حال الصبا وقيل بعد البلوغ وكان أول أنبياء بنى إسرائيل يوسف عليه الصلاة والسلام وآخرهم عيسى عليه الصلاة والسلام وقيل أولهم موسى وآخر عيسى عليهم الصلاة والسلام وقوله تعالى (أنى قد جئتكم) معمول لرسولا لما فيه من معنى النطق أى رسولا ناطقا بأنى الخ وقيل منصوب بمضمر معمول لقول مضمر معطوف على يعلمه أى ويقول أرسلت رسولا بأنى قد جئتكم الخ وقيل معطوف على الأحوال السابقة ولا يقدح فيه كونها فى حكم الغيبة مع كون هذا فى حكم التكلم لما عرفت من أن فيه معنى النطق كأنه قيل حال كونه وجهها ورسولا ناطقا بأنى الخ وقرى. ورسول بالجر عطفاً على كلمة والباء فى قوله تعالى (بآية) متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل الفعل على أنها للבלاسة والتنوين للتفخيم دون الوحدة لظهور تعددها ● وكثرتها وقرى. بآيات ، أو مجئكم على أنها للتعددية ومن فى قوله تعالى (من ربكم) لا ابتداء الغاية مجازاً متعلقة بمحذوف وقع صفة لآية أى قد جئتكم ملتبساً بآية عظيمة كائنة من ربكم أو أتيتكم بآية عظيمة كائنة منه تعالى والتعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين لتأكيد إيجاب الامثال بما سياتى من الأوامر وقوله تعالى (أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير) بديل من قوله تعالى أنى قد جئتكم وحله النصب على نزع الجار عند سيبويه والفراء والجر على رأى الخليل والكسائى أو بديل من آية وقيل منصوب بفعل مقدر أى أعنى أنى الخ وقيل مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى هى أنى أخلق لكم وقرى. بكسر الهمزة على الاستئناف أى أقدر لكم أى لأجل تحصيل إيمانكم ودفع تكذيبكم إياى من

وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۝٣٠ آل عمران

- الطين شيئاً مثل صورة الطير (فأنفخ فيه) الضمير للكاف أى فى ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير وقرىء فأنفخ
- فيها على أن الضمير للهيئة المقدرة أى أخلق لكم من الطين هيئة كههيئة الطير فأنفخ فيها (فيكون طيراً)
- حياً طياراً كسائر الطيور (بإذن الله) بأمره تعالى أشار عليه الصلاة والسلام بذلك إلى أن إحياءه من الله تعالى لا منه . قيل لم يخلق غير الخفاش . روى أنه عليه الصلاة والسلام لما ادعى النبوة وأظهر المعجزات طالبوه بخلق الخفاش فأخذ طيناً وصوره ونفخ فيه فإذا هو يطير بين السماء والأرض قال وهب كان يطير مادام الناس ينظرون إليه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتاً ليمتيز من خلق الله تعالى قيل إنما طلبوا خلق الخفاش لأنه أكمل الطير خلقاً وأبلغ دلالة على القدرة لأن له ثدياً وأسناناً وهى تحيض وتطهر وتلد كسائر الحيوان وتضحك كما يضحك الإنسان وتطير بغير ريش ولا تبصر فى ضوء النهار ولا فى ظلمة الليل وإنما ترى فى ساعتين ساعة بعد الغروب وساعة بعد طلوع الفجر وقيل خلق أنواعاً من الطير (وأبرىء الأكمة)
- أى الذى ولد أعمى أو المسحوح العين (والأبرص) البتلى بالبرص لم تكن العرب تنفر من شيء نفرها منه ويقال له الوضع أيضاً وتخصيص هذين الداءين لأنهما مما أعيى الأطباء وكانوا فى غاية الحذقة فى زمنه عليه الصلاة والسلام فأراهم الله تعالى المعجزة من ذلك الجنس روى أنه عليه الصلاة والسلام بما كان يجتمع عليه ألوف من المرضى من أطاق منهم أتاه ومن لم يطق أتاه عيسى عليه الصلاة والسلام وما يداويه إلا بالدعاء (وأحيى الموتى بأذن الله) كرره مبالغته فى دفع وهم من توهم فيه اللاهوتية . قال الكلبي كان عليه الصلاة والسلام يحيى الموتى يياحى ياقيوم . أحياء أزر وكان صديقاً له فعاش وولد له ومر على ابن عجوز ميت فدعا الله تعالى فنزل عن سريريه حياً ورجع إلى أهله وبقى وولد له وبنت العاشر أحياءها وولدت بعد ذلك فقالوا إنك يحيى من كان قريب العهد من الموت فلعلمهم لم يموتوا بل أصابهم سكتة فأحى لنا سام بن نوح فقال دلوني على قبره ففعلوا فقام على قبره فدعا الله عز وجل فقام من قبره وقد شاب رأسه فقال عليه السلام كيف شئت ولم يكن فى زمانكم شيب قال يا روح الله لما دعوتنى سمعت صوتاً يقول أجب روح الله فظننت أن الساعة قد قامت فمن هول ذلك شئت فسأله عن النزع قال يا روح الله إن مرارته لم تذهب من حنجرتى وكان بينه وبين موته أكثر من أربعة آلاف سنة وقال للقوم صدقوه فإنه نبي الله فأمن به بعضهم وكذبه آخرون فقالوا هذا سحر فأرنا آية فقال يا فلان أكلت كذا ويا فلان خبيء لك كذا وذلك قوله تعالى (وأنبئكم بما تآكلون وما تدخرون فى بيوتكم) أى بالمغيبات من أحوالكم التى لا تشكون فيها وقرىء تدخرون بالذال والتخفيف (إن فى ذلك) إشارة إلى ما ذكر من الأمور العظام (لآية) عظيمة وقرىء لايات (لكم) دالة على صحة رسالتى دلالة واضحة (إن كنتم مؤمنين) جواب الشرط محذوف لانصباب المعنى إليه أو دلالة المذكور عليه أى انتفعتم بها أو إن كنتم ممن يتأق منهم الإيمان دلتمكم على صحة رسالتى والإيمان بها (ومصدقاً لما بين ٥٠

إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ آل عمران
فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا
بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ آل عمران

يدى من التوراة) عطف على المضمر الذى تعلق به قوله تعالى بآية أى قد جئتمكم ملتبساً بآية الخ ومصداقاً لما بين يدى الخ أو على رسولاً على الأوجه الثلاثة فإن مصداقاً فيه معنى النطق كما فى رسولاً أى ويجعله مصداقاً ناطقاً بأنى أصدق الخ أو يقول أرسلت رسولاً بأنى قد جئتمكم الخ ومصداقاً الخ أو حال كونه مصداقاً ناطقاً بأنى أصدق الخ أو منصوب بإضمار فعل دل عليه قد جئتمكم أى وجئتمكم مصداقاً الخ وقوله من التوراة إما حال من الموصول والعامل مصداقاً وإما من ضميره المستتر فى الظرف الواقع صلة والعامل الاستقرار المضمر فى الظرف أو نفس الظرف لقيامه مقام الفعل (ولأحل لكم) معمول لمضمر دل عليه ما قبله أى وجئتمكم لأحل الخ وقيل عطف على معنى مصداقاً كقولهم جئته معذراً أو لأجلب رضاه كأنه قيل قد جئتمكم لأصدق ولأحل الخ وقيل عطف على بآية أى قد جئتمكم بآية من ربكم ولأحل لكم (بعض الذى حرم عليكم) أى فى شريعة موسى عليه الصلاة والسلام من الشحوم والثروب والسمك ولحوم الإبل والعمل فى السبت قيل أحل لهم من السمك والطير ما لا صهنة له واختلف فى إحلال السبت وقرىء حرم على تسمية الفاعل وهو ما بين يدى أو الله عز وجل وقرىء حرم بوزن كرم وهذا يدل على أن شرعه كان ناسخاً لبعض أحكام التوراة ولا يخل ذلك بكونه مصداقاً لما أن النسخ فى الحقيقة بيان وتخصيص فى الأزمان وتأخير المفعول عن الجار والمجرور لما مر مراراً من المبادرة إلى ذكر ما يسر المخاطبين والتشويق إلى ما أخر (وجئتمكم بآية من ربكم) شاهدة على صحة رسالتى وقرىء بآيات (فاتقوا الله) فى عدم قبولها ومخالفة مدلولها (وأطيعون) فيما أمركم به وأنهاكم عنه بأمر الله تعالى وتلك الآية هى قولى (إن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) فإنه الحق الصريح الذى أجمع عليه الرسل قاطبة فيكون آية يئنه على أنه عليه الصلاة والسلام من جملتهم وقرىء أن الله بالفتح بدلاً من آية أو قد جئتمكم بآية على أن الله ربى وربكم وقوله فاتقوا الله وأطيعون اعتراض والظاهر أنه تكرير لما سبق أى قد جئتمكم بآية بعد آية مما ذكرت لكم من خلق الطير وإبراء الأكمة والأبرص والإحياء والإنباء بالخفيات ومن غيره من ولادى بغير أب ومن كلامى فى المهد ومن غير ذلك والأول لتهديد الحجة والثانى لتقريبها إلى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله فاتقوا الله أى لما جئتمكم بالمعجزات الباهرة والآيات الظاهرة فاتقوا الله فى المخالفة وأطيعون فيما أدعوكم إليه ومعنى قراءة من فتح ولأن الله ربى وربكم فاعبدوه كقوله تعالى لا يلاف قريش الخ ثم شرع فى الدعوة وأشار إليها بالقول المجمل فقال إن الله ربى وربكم إشارة إلى أن استكمال القوة النظرية بالاقتقاد الحق الذى غايته التوحيد وقال فاعبدوه إشارة إلى استكمال القوة العملية فإنه يلزم الطاعة التى هى الإتيان بالأوامر والانتهاى عن المنهى ثم قرر ذلك بأن بين أن الجمع بين الأمرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه الصلاة والسلام قل آمنت بالله ثم استقم (فلما أحس عيسى منهم الكفر) شروع فى بيان مآل

أحواله عليه السلام إثر ما أشير إلى طرف منها بطريق النقل عن الملائكة والفناء فصيحة تفصح عن تحقق جميع ما قالته الملائكة وخروجه من القوة إلى الفعل حسبما شرحت كما في قوله تعالى فلبار آه مستقراً عنده بعد قوله تعالى أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك كأنه قيل لعمليته فولدته فكان كيت وكيت وقال ذيت وذيت وإنما لم يذكر اكتفاء بحكاية الملائكة وإيداناً بعدم الخلف وثقة بما فصل في المواضع الأخر وأما عدم نظم بقية أحواله عليه الصلاة والسلام في سلك النقل فإما للاعتناء بأمرها أو لعدم مناسبتها لمقام البشارة لما فيها من ذكر مقاساته عليه الصلاة والسلام للشدائد ومعاناته للبهائم والمراد بالاحساس الإدراك القوى الجاري مجرى المشاهدة والكفر بإصرارهم عليه وعتوهم ومكابرتهم فيه مع العزيمة على قتله عليه الصلاة والسلام كما نبى عنه الإحساس فإنه إنما يستعمل في أمثال هذه المواقع عند كون متعلقه أمراً محذوراً مكرهاً كما في قوله عز وجل فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون وكلمة من متعلقة بأحس والضمير المحرور لبنى إسرائيل أى ابتداء الإحساس من جهتهم وتقديم الجار والمجرور على المفعول المخرج لما مر غير مرة من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر وقيل متعلقة بمحذوف وقع حالا من الكفر (قال) أى لخلص أصحابه لاجتماع بنى إسرائيل لقوله تعالى كما قال عيسى ابن مريم للحواريين الآية وقوله تعالى فأمّنت طائفة من بنى إسرائيل وكفرت طائفة ليس بنص في توجيه الخطاب إلى الكل بل يكفي فيه بلوغ الدعوة إليهم (من أنصاري) الأنصار جمع نصير كإشراف جمع شريف (إلى الله) متعلق بمحذوف وقع حالا من الباء أى من أنصاري متوجهاً إلى الله ملتجئاً إليه أو بأنصاري متضمناً معنى الإضافة كأنه قيل من الذين يضيفون أنفسهم إلى الله عز وجل ينصروننى كما ينصرنى وقيل إلى بمعنى فى أى فى سبيل الله وقيل بمعنى اللام وقيل بمعنى مع (قال) استئناف مبنى على سؤال ينساق إليه الذهن كأنه قيل فإذا قالوا فى جوابه عليه الصلاة والسلام فليل (الحواريون) جمع حواري يقال فلان حواري فلان أى صفوته وخالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص ألوانهن ونقائهن سمي به أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام لخلوص نياتهم ونقاء سرائرهم وقيل لما عليهم من آثار العبادة وأنوارها وقيل كانوا ملوكاً يلبسون البيض وذلك أن واحداً من الملوك صنع طعاماً وجمع الناس عليه وكان عيسى عليه الصلاة والسلام على قصعة لا يزال يأكل منها ولا تنقص فذكر واذلك للملك فاستداه عليه الصلاة والسلام فقال له من أنت قال عيسى ابن مريم فترك ملكه وتبعه مع أقاربه فأولئك هم الحواريون وقيل كانوا اصيادين يصطادون السمك يلبسون الثياب البيض فيهم شمعون ويعقوب ويوحنا فربهم عيسى عليه الصلاة والسلام فقال لهم أتم تصيدون السمك فإن اتبعتموني صرتم بحيث تصيدون الناس بالحياة الأبدية قالوا من أنت قال عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله فطلبوا منه المعجزة وكان شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة فما اصطاد شيئاً فأمره عيسى عليه الصلاة والسلام بإلقائها فى الماء مرة أخرى ففعل فاجتمع فى الشبكة من السمك ما كادت تتمزق واستعانوا بأهل سفينة أخرى وملئوا السفينتين فعند ذلك آمنوا بعيسى عليه السلام وقيل كانوا اثني عشر رجلاً آمنوا به عليه الصلاة والسلام واتبعوه وكانوا إذا جاعوا قالوا جمعنا يا روح الله فيضرب بيده الأرض فيخرج منها لكل واحد رغيفاً وإذا عطشوا قالوا

٦٠ أبو السمود ج ٢ ،

رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ١٢٣ عمران
وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٥٤﴾ ١٢٣ عمران

عطشنا فيضرب بيده الأرض فيخرج منها الماء فيشربون فقالوا من أفضل منا قال عليه الصلاة والسلام
أفضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه فصاروا يغسلون الثياب بالآجرة فسموا حواريين وقبل
إن أمه سلمته إلى صباغ فأراد الصباغ يوماً أن يشتغل ببعض مهماته فقال له عليه الصلاة والسلام ههنا
ثياب مختلفة قد جعلت لكل واحد منها علامة معينة فاصبغها بتلك الألوان فغاب لجعل عليه الصلاة
والسلام كلها في جب واحد وقال كوني ياذن الله كما أريد فرجع الصباغ فسأله فأخبره بما صنع فقال
أفسدت على الثياب قال قم فانظر لجعل يخرج ثوباً أحمر وثوباً أخضر وثوباً أصفر إلى أن أخرج الجميع
على أحسن ما يكون حسبما كان يريد فتعجب منه الحاضرون وآمنوا به عليه الصلاة والسلام وهم الحواريون
قال القفال ويجوز أن يكون بعض هؤلاء الحواريين الاثني عشر من الملوك وبعضهم من صيادي السمك
وبعضهم من القصارين وبعضهم من الصباغين والكل سموا بالحواريين لأنهم كانوا أنصار عيسى عليه
الصلاة والسلام وأعدائه والمخلصين في طاعته ومحبته (نحن أنصار الله) أي أنصار دينه ورسوله (آمنا
بالله) استئناف جار مجرى العلة لما قبله فإن الإيمان به تعالى موجب لنصرة دينه والذب عن أوليائه والمحاربة
مع أعدائه (واشهد بأننا مسلمون) مخلصون في الإيمان منقادون لما تريد منا من نصرتك طلبوا منه عليه
الصلاة والسلام الشهادة بذلك يوم القيامة يوم يشهد الرسل عليهم الصلاة والسلام لأمرهم وعليهم إيداناً
٥٣ بأن مرضى غرضهم السعادة الآخروية (ربنا آمنا بما أنزلت) تضرع إلى الله عز وجل وعرض لحالهم عليه
تعالى بعد عرضها على الرسول مبالغة في إظهار أمرهم (واتبعنا الرسول) أي في كل ما يأتي ويذر من أمور
الدين فيدخل فيه الاتباع في النصرة دخولا أولاً (فاكتبنا مع الشاهدين) أي مع الذين يشهدون بوحدة نيتك
أو مع الأنبياء الذين يشهدون لاتباعهم أو مع أمة محمد عليه الصلاة والسلام فإنهم شهداء على الناس قاطبة
٥٤ وهو حال من مفعول اكتبنا (ومكروا) أي الذين علم عيسى عليه الصلاة والسلام كفرهم من اليهود
بأن وكلوا به من يقتله غيلة (ومكر الله) بأن رفع عيسى عليه الصلاة والسلام وألقى شبهه على من
قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث إنه في الأصل حيلة يجلب بها غيره إلى مضرة لا يمكن إسناده
إليه سبحانه إلا بطريق المشاكلة . روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ملك بنى إسرائيل لما
قصد قتله عليه الصلاة والسلام أمره جبريل عليه الصلاة والسلام أن يدخل بيتاً فيه روزنة فرفعه
جبريل من تلك الروزنة إلى السماء فقال الملك لرجل خبيث منهم ادخل عليه فاقتله فدخل البيت فالتقى
الله عز وجل شبهه عليه فخرج يخبرهم أنه ليس في البيت فقتلوه وصلبوه وقبل إنه عليه الصلاة والسلام
جمع الحواريين ليلة وأوصاهم ثم قال ليس كفرن بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ويبغى بدراهم يسيرة
فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فوافق أحدهم فقال لهم ماتجمعون لي إن دلتكم على المسيح فجعلوا

إِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَرَأءُ مِنَ الدِّينِ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ آل عمران

له ثلاثين درهما فأخذها ودلهم عليه فألقى الله عز وجل عليه شبه عيسى عليه الصلاة والسلام ورفعاه إلى السماء فأخذوا المناق وهو يقول أنا دليلكم فلم يلتفتوا إلى قوله وصلبوه ثم قالوا وجهه يشبه وجه عيسى وبدنه يشبه بدن صاحبنا فإن كان هذا عيسى فأين صاحبنا وإن كان صاحبنا فأين عيسى فوق بينهم قتال عظيم وقيل لما صلب المصلوب جاءت مريم ومعهما امرأة أبرأها الله تعالى من الجنون بدعاء عيسى عليه الصلاة والسلام وجعلنا تبكيان على المصلوب فأنزل الله تعالى عيسى عليه الصلاة والسلام فجاءهما فقال علام تبكيان فقالتا عليك فقال إن الله تعالى رفعني ولم يصبني إلا خير وإن هذا شيء شبه لهم قال محمد بن إسحق إن اليهود عذبوا الحواريين بعد رفع عيسى عليه الصلاة والسلام ولقوا منهم الجهد فبلغ ذلك ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيته فقيل له إن رجلا من بني إسرائيل عن تحت أمرك كان يخبرهم أنه رسول الله وأراهم إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وفعل وفعل فقال لو علمت ذلك ما خليت بينهم وبينه ثم بعث إلى الحواريين فانتزعهم من أيديهم وسألهم عن عيسى عليه الصلاة والسلام فأخبروه فبايعهم على دينهم وأنزل المصلوب فغيبه وأخذ الخشبة فأكرمها ثم غزا بني إسرائيل وقتل منهم خلقاً عظيماً ومنه ظهر أصل النصرانية في الروم ثم جاء بعده ملك آخر يقال له ططليوس وغزا بيت المقدس بعد رفع عيسى عليه الصلاة والسلام بنحو من أربعين سنة فقتل وسبي ولم يترك في مدينة بيت المقدس حجراً على حجر فخرج عند ذلك قريظة والنضير إلى الحجاز قال أهل التورايخ حملت مريم بعيسى عليه الصلاة والسلام وهي بنت ثلاث عشرة سنة وولدت له بيت لحم من أرض أورشليم لمضي خمس وستين سنة من غلبة الإسكندر على أرض بابل وأوحى الله تعالى إليه على رأس ثلاثين سنة ورفعاه إليه من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وعاشت أمه بعد رفعه ست سنين (والله خير الماكرين) أقوام مكرراً وأنفذهم كيداً وأقدرهم على إيصال الضرر من حيث لا يحتسب وإظهار الجلالة في موقع الإضمار لتربية المهابة والجملة تنذيل مقرر لمضمون ما قبله (إذ قال الله) ظرف لمكر الله أو لمضمر نحو وقع ذلك (يا عيسى ٥٥ إني متوفيك) أي مستوفى أجلك ومؤخرك إلى أجلك المسمى عاصماً لك من قتلهم أو قابضك من الأرض من توفيت مالى أو متوفيك نائماً إذ روى أنه رفع وهو نائم وقيل بميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن أو بميتك من الشهوات العائقة عن العروج إلى عالم الملكوت وقيل أماته الله تعالى سبع ساعات ثم رفعه إلى السماء وإليه ذهب النصارى . قال القرطبي والصحيح أن الله تعالى رفعه من غير وفاة ولا نوم كما قال الحسن وابن زيد وهو اختيار الطبري وهو الصحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما وأصل القصة أن اليهود لما عزموا على قتله عليه الصلاة والسلام اجتمع الحواريون وهم اثنا عشر رجلاً في غرفة فدخل عليهم المسيح من مشكاة الغرفة فأخبر بهم إبليس جميع اليهود فركب

فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ آل عمران

- منهم أربعة آلاف رجل فأخذوا باب الغرفة فقال المسيح للحواريين أيكم يخرج ويقتل ويكون معي في الجنة فقال واحد منهم أنا يا بني الله فالتقى عليه مدرعة من صوف وعمامة من صوف وناولته عكازة وألقى عليه شبه عيسى عليه الصلاة والسلام فخرج على اليهود فقتلوه وصلبوه وأما عيسى عليه الصلاة والسلام فكساه الله الريش والنور وألبسه النور وقطع عنه شهوة المطعم والمشرب وذلك قوله تعالى إني متوفيك فطار مع الملائكة ثم إن أصحابه حين رأوا ذلك تفرقوا ثلاث فرق فقالت فرقة كان الله فينا ثم صعد إلى السماء وهم البعقورية وقالت فرقة أخرى كان فينا ابن الله ماشاء الله ثم رفعه الله إليه وهم النسطورية وقالت فرقة أخرى منهم كان فينا عبد الله ورسوله ماشاء الله ثم رفعه الله إليه وهؤلاء هم المسلمون فظهرت عليهم الفرقتان الكافرتان فقتلوه فلم يزل الإسلام منطمساً إلى أن بعث الله تعالى محمداً ﷺ (ورافكك إلى) أي إلى محل كرامتي ومقر ملائكتي (ومطهرك من الذين كفروا) أي من سوء جوارهم وخبث محبتهم ودفن معاشرتهم (وجاعل الذين اتبعوك) قال قتادة والربيع والشعبي ومقاتل والكلبي هم أهل الإسلام الذين صدقوه واتبعوا دينه من أمة محمد ﷺ دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من النصارى (فوق الذين كفروا) وهم الذين مكروا به عليه الصلاة والسلام ومن يسير بسيرتهم من اليهود فإن أهل الإسلام فوقهم ظاهرين بالعزة والمنعة والحجة وقيل هم الحواريون فينبغي أن تحمل فوقيتهم على فوقية المسلمين بحكم الاتحاد في الإسلام والتوحيد وقيل هم الروم وقيل هم النصارى فالمراد بالاتباع مجرد الادعاء والمحبة وإلا فأولئك الكفرة بمعزل من اتباعه عليه الصلاة والسلام (إلى يوم القيامة) غاية للجعل أو للاستقرار المقدر في الطرف لاعلى معنى أن الجعل أو الفوقية تنتهى حينئذ ويتخلص الكفرة من الدلة بل على معنى أن المسلمين يعلونهم إلى تلك الغاية فأما بعدها فيفعل الله تعالى بهم ما يريد (ثم إلى مرجعكم) أي رجوعكم بالبعث وثم للتراخي وتقديم الجار والمجرور للقصر المفيد لنا كيد الوعد والوعيد والضمير لعيسى عليه الصلاة والسلام وغيره من المتبعين له والكافرين به على تغليب المخاطب على الغائب في ضمن الالتفات فإنه أبلغ في التبشير والإنذار (فأحكم بينكم) يومئذ إثر رجوعكم إلى (فيما كنتم فيه تختلفون) من أمور الدين وفيه متعلق بتختلفون وتقديمه عليه لرعاية الفواصل (فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً) تفسير للحكم الواقع بين الفريقين وتفصيل لكيفيته والبداية ببيان حال الكفرة لما أن مساق الكلام لتهديدهم وزجرهم عما هم عليه من الكفر والعناد وقوله تعالى (في الدنيا والآخرة) متعلق بأعذبهم لا بمعنى إيقاع كل واحد من التعذيب في الدنيا والتعذيب في الآخرة وإحداثهما يوم القيامة بل بمعنى إتمام مجموعهما يومئذ وقيل إن المرجع أعم من الديوى والآخروى وقوله تعالى إلى يوم القيامة غاية للفوقية لا للجعل والرجوع متراخ عن الجعل وهو غير محدود لاعتن الفوقية المحدودة على نهج قولك سأعيرك سكنى هذا البيت شهراً ثم أخلع عليك خلعة فيلزم تأخر الخلع عن الإعارة لا عن الشهر (وما لهم من ناصرين) يخلصونهم من عذاب الله تعالى في الدارين وصيغة الجمع لمقابلة ضمير الجمع أي

وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ آل عمران
 ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ آل عمران
 إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ آل عمران
 الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ آل عمران

- ليس لواحد منهم ناصر واحد . (وأما الذين آمنوا) بما أرسلت به (وعملوا الصالحات) كما هو ديدن ٥٧
- المؤمنين (فيوفهم أجورهم) أى يعطيهم إياها كاملة ولعل الالتفات إلى الغيبة للإيذان بما بين مصدرى ●
- التعذيب والإثابة من الاختلاف من حيث الجلال والجمال وقرىء فنوفهم جريا على سنان العظمة
- والكبرياء (والله لا يحب الظالمين) أى يغيظهم فإن هذه الكناية قاشية في جميع اللغات جارية بحرى الحقيقة ●
- وإيراد الظلم للإشعار بأنهم بكفرهم متعدون متجاوزون عن الحدود واضعون للكفر مكان الشكر والإيمان
- والجملة تذييل لما قبله مقرر لمضمونه (ذلك) إشارة إلى ما سلف من نبأ عيسى عليه الصلاة والسلام وما ٥٨
- فيه من معنى البعد للدلالة على عظم شأن المشار إليه وبعد منزلته في الشرف وعلى كونه في ظهور الأمر
- ونباهة الشأن بمنزلة المشاهد المعاین وهو مبتدأ وقوله عز وجل (نتلوه) خبره وقوله تعالى (عليك) متعلق ●
- بنتلوه وقوله تعالى (من الآيات) حال من الضمير المنصوب أو خبر بعد خبر أو هو الخبر وما بينهما ●
- حال من اسم الإشارة أو ذلك خبر لمبتدأ مضمرة أى الأمر ذلك ونتلوه حال كما مر وصيغة الاستقبال
- إما لاستحضار الصورة أو على معناها إذ التلاوة لم تتم بعد (والذكر الحكيم) أى المشتغل على الحكم ●
- أو الحكم الممنوع من طرق الخلل إليه والمراد به القرآن فمن تبعيضية أو بعض مخصوص منه فن بيانية
- وقيل هو اللوح المحفوظ فن ابتدائية (إن مثل عيسى) أى شأنه البديع المنتظم لغرابته في سلك الأمثال ٥٩
- (عند الله) أى في تقديره وحكمه (كمثل آدم) أى كحاله العجيبة التى لا يرتاب فيها مرتاب ولا ينازع ●
- فيها منازع (خلقه من تراب) تفسير لما أبهم في المثل وتفصيل لما أجمل فيه وتوضيح للتشثيل ببيان وجه ●
- الشبه بينهما وحسم لمادة شبه الخصوم فإن إنكار خلق عيسى عليه الصلاة والسلام بلا أب ممن اعترف
- بخلق آدم عليه الصلاة والسلام بغير أب وأم مما لا يكاد يصح والمعنى خلق قالبة من تراب (ثم قال له ●
- كن) أى أنشأه بشرا كما في قوله تعالى ثم أنشأناه خلقاً آخر أو قدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز
- كون ثم لتراخى الإخبار لا لتراخى الخبر به (فيكون) حكاية حال ماضيه روى أن وفد نجران قالوا
- لرسول الله ﷺ مالك تشتم صاحبنا قال وما أقول قالوا تقول إنه عبد قال أجل هو عبد الله ورسوله
- وكلمته ألقاها إلى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت إنساناً من غير أب فحيث سلمت أنه لا أب
- له من البشر وجب أن يكون أبوه هو الله فقال عليه الصلاة والسلام إن آدم عليه الصلاة والسلام
- ما كان له أب ولا أم ولم يلزم من ذلك كونه ابناً لله سبحانه وتعالى فكذا حال عيسى عليه الصلاة والسلام
- (الحق من ربك) خبر مبتدأ محذوف أى هو الحق أى ما قصصنا عليك من نبأ عيسى من عليه الصلاة والسلام ٦٠

فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ
وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٣١﴾ JT عمران

وأمه والظرف إما حال أى كائناً من ربك أو خبر ثان أى كائن منه تعالى وقيل هما مبتدأ وخبر أى الحق
المذكور من الله تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطب لتشريفه عليه الصلاة
والسلام والإيدان بأن تنزيل هذه الآيات الحققة الناطقة بكنه الأمر تربية له عليه الصلاة والسلام ولطف
● به (فلا تكن من الممترين) فى ذلك والخطاب إما للنبي ﷺ على طريقة الإلهاب والتيسير لزيادة التثييت
والإشعار بأن الامتراء فى المحذورية بحيث ينبغى أن ينهى عنه من لا يكاد يمكن صدوره عنه فكيف بمن
٦١ هو بصدد الامتراء وإما لكل من له صلاحية الخطاب (فمن حاجك) أى من النصارى إذ هم المتصدون
● للمحاجة (فيه) أى فى شأن عيسى عليه السلام وأمه زعماء منهم أنه ليس على الشأن المحكى (من بعدما جاءك
من العلم) أى ما يوجب إيجاباً قطعياً من الآيات البينات وسمعوا ذلك منك فلم يرعوا أعمامهم عليه من الغي
● والضلال (فقل) لهم (تعالوا) أى هلموا بالراى والعزيمة (ندع أبناءنا وأبنائكم) اكتفى بهم عن ذكر البنات
● لظهور كونهم أعز منهن وأما النساء فتعلقن من جهة أخرى (ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) أى ليدع
كل منا ومنكم نفسه وأهله وألصقهم بقلبه إلى المباهلة ويحملهم عليها وتقديمهم على النفس فى أثناء المباهلة
التي هى من باب المهالك ومظان التلف مع أن الرجل يخاطر لهم بنفسه ويحارب دونهم للإيدان بكمال أمانه
عليه الصلاة والسلام وتتمام ثقته بأمره وقوة يقينه بأنه لن يصيبهم فى ذلك شائبة مكروه أصلاً وهو السرفى
تقديم جانبه عليه السلام على جانب المخاطبين فى كل من المقدم والمؤخر مع رعاية الأصل فى الصيغة فإن
● غير المتكلم تبع (ثم نبتهل) أى نتباهل بأن نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة وأصلها الترك
● له فى الإسناد من قولهم بهلت الناقة أى تركتها بلا صرار (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) عطف على نبتهل
مبين لمعناه روى أنهم لما دعوا إلى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعقاب وكان ذار أيهم يابعد
المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمد أنبى مرسل ولقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم
والله ما باهل قوم نبياً قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم اتهمكن فإن أبيتن إلا ألف دينكم
والإقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم فأتوا رسول الله ﷺ وقد غدا محتضناً
الحسين آخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى خلفها رضى الله عنهم أجمعين وهو يقول إذا أنا دعوت
فأمنوا فقال أسقف نجران يا معشر النصارى إني لأرى وجوها لو سألو الله تعالى أن يزيل جبلا من
مكانه لأزاله فلا تباهلوا قتلوكوا ولا يبق على وجه الأرض نصراى إلى يوم القيامة فقالوا يا أبا القاسم
رأينا أن لا نباهلك وأن نفرك على دينك وثبت على ديننا قال ﷺ فإذا أبيتن المباهلة فأسلوا يكن لكم
ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فأبوا قال عليه الصلاة والسلام فإني أنا جزكم فقالوا ما لنا نجرب العرب
طاقة ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تحيفنا ولا تردنا عن ديننا على أن تودى إليك كل عام ألفى حلة

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَنْ إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ آل عمران
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ آل عمران

قُلْ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَانُوا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا
وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ آل عمران

ألفاً في صفر وألفاً في رجب وثلاثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك وقال والذي نفسى بيده
إن الهلاك قد تدلى على أهل نجران ولو لا عنوا لمسخوا قردة وخنزير ولاضطرم عليهم الوادى ناراً
ولا ستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رؤوس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى
يهلكوا (إن هذا) أى ما قص من نبأ عيسى وأمه عليهما السلام (لهو القصص الحق) دون ما عدها ٦٢
من أكاذيب النصارى فهو ضمير الفصل دخلته اللام لكونه أقرب إلى المبتدأ من الخبر وأصلها أن تدخل
المبتدأ وقرىء هو بسكون الهاء والقصص خبر إن والحق صفة أو هو مبتدأ والقصص خبره والجمله
خبر لأن (وما من إله إلا الله) صرح فيه بمن الاستغرافية تأكيد للرد على النصارى في تثليثهم (وإن
الله هو العزيز) القادر على جميع المقدورات (الحكيم) المحيط بالمعلومات لا أحد يشاركه في القدرة
والحكمة ليشاركه في الألوهية (فإن تولوا) عن التوحيد وقبول الحق الذى قص عليك بعد ما عاينوا ٦٣
تلك الحجج النيرة والبراهين الساطعة (فإن الله عليم بالمفسدين) أى بهم وإنما وضع موضعه ما وضع
للإيدان بأن الإعراض عن التوحيد والحق الذى لا محيد عنه بعد ما قامت به الحجج لإفساد للعالم وفيه
من شدة الوعيد ما لا يخفى (قل يا أهل الكتاب) أمر بخطاب أهل الكتابين وقيل بخطاب وفد نجران ٦٤
وقيل بخطاب يهود المدينة (تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم) لا يختلف فيها الرسل والكتب وهى (أن
لا نعبد إلا الله) أى نوحده بالعبادة ونخلص فيها (ولا نشرك به شيئاً) ولا نجعل غيره شريكاً له فى
استحقاق العبادة ولا نراه أهلاً لأن يعبد (ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله) بأن نقول عزير
ابن الله والمسيح ابن الله ولا نطيع الأخبار فيما أحدثوا من التحريم والتحليل لأن كلا منهم بعضنا بشر
مثلنا روى أنه لما نزلت اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله قال عدى بن حاتم ما كنا نعبدهم
يا رسول الله فقال عليه السلام أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال عليه
السلام هو ذاك (فإن تولوا) عما دعوتهم إليه من التوحيد وترك الإشراك (فقلوا) أى قل لهم أنت
والمؤمنون (اشهدوا بأننا مسلمون) أى لزمتمكم الحجة فاعترفوا بأننا مسلمون دونكم أو اعترفوا بأنكم
كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل عليهم السلام - تنبيه - انظر إلى ماروعى فى هذه
القصة من المبالغة فى الإرشاد وحسن التدرج فى الحاجة حيث بين أولاً أحوال عيسى عليه السلام
وما توارد عليه من الأطوار المنافية للإلهية ثم ذكر كيفية دعوته للناس إلى التوحيد والإسلام فلما ظهر
عنادهم دعوا إلى المبالغة بنوع من الإعجاز ثم لما عرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد دعوا إلى ما اتفق

يَأْهَلُ الْكِتَابِ لِمُتَحَاجِّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ آل عمران

هَآأَنَّمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ آل عمران

مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ آل عمران
 إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ آل عمران
 وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ آل عمران

- عليه عيسى عليه السلام والإنجيل وسائر الأنبياء عليهم السلام والكتب ثم لما ظهر عدم إجدائه أيضاً
 ٦٥ أمر بأن يقال لهم أشهدوا بأننا مسلمون (يا أهل الكتاب) من اليهود والنصارى (لم تحاجون في إبراهيم)
 أى فى ملته وشريعته . تنازعت اليهود والنصارى فى إبراهيم عليه السلام وزعم كل منهم أنه عليه السلام
 منهم وترافعوا إلى رسول الله ﷺ فنزلت والمعنى لم تدعون أنه عليه السلام كان منكم (وما أنزلت
 التوراة) على موسى عليه الصلاة والسلام (والإنجيل) على عيسى عليه الصلاة والسلام (إلا من بعده)
 حيث كان بينه وبين موسى عليهما السلام ألف سنة وبين موسى وعيسى عليهما السلام ألف سنة فكيف
 يمكن أن يتفوه به عاقل (أفلا تعقلون) أى ألا تتفكرون فلا تعقلون بطلان مذهبكم أو أقولون
 ٦٦ ذلك فلا تعقلون بطلانه (هأنتم هؤلاء) جملة من مبتدأ وخبر صدرت بحرف التنبيه ثم بيئت بجملة
 مستأنفة إشعاراً بكال غفلتهم أى أنتم هؤلاء الأشخاص الحق حيث (حاججتم فيما لكم به علم) فى
 الجملة حيث وجدتموه فى التوراة والإنجيل (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) أصل إذ لا ذكر لدين
 إبراهيم فى أحد الكتابين قطعاً وقيل هؤلاء بمعنى الذى وحاججتم صلته وقيل هأنتم أصله أنتم على
 ٦٧ على الاستفهام للتعجب قلبت الهمزة هاء (والله يعلم) ما حاججتم فيه أو كل شىء فيدخل فيه ذلك دخولا
 أولياً (وأنتم لا تعلمون) أى محل النزاع أو شيئاً من الأشياء التى من جملتها ذلك (ما كان إبراهيم يهودياً
 ولا نصرانياً) تصرّح بما نطق به البرهان المقرر (ولكن كان حنيفاً) أى مانعاً عن العقائد الزائفة
 كلها (مسلياً) أى متقاداً لله تعالى وليس المراد أنه كان على ملة الإسلام وإلا لاشتراك الإلزام (وما كان
 من المشركين) تعريض بأنهم مشركون بقولهم عزيز ابن الله والمسيح ابن الله وردلادعاء المشركين أنهم
 ٦٨ على ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام (إن أولى الناس بإبراهيم) أى أقربهم إليه وأخصهم به (الذين اتبعوه)
 أى فى زمانه (وهذا النبى والذين آمنوا) لموافقتهم له فى أكثر ما شرع لهم على الأصالة وقرىء والنبى
 بالنصب عطفاً على الضمير فى اتبعوه وبالجر عطفاً على إبراهيم (واقه ولى المؤمنين) ينصرون ويحازيهم
 ٦٩ الحسنى بإيمانهم وتخصيص المؤمنين بالذكر ليثبت الحكم فى النبى ﷺ بدلالة النص (ودت طائفة من

يَتَأْهَلِ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ آل عمران
يَتَأْهَلِ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ آل عمران
وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَآكْفُرُوا ءَاخِرَهُ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ آل عمران

وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّكُمْ
عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ آل عمران

- أهل الكتاب لو بضلونكم) نزلت في اليهود حين دعوا حذيفة وعماراً ومعاذاً إلى اليهودية ولو بمعنى أن
- (وما يضلون إلا أنفسهم) جملة حالية جيء بها للدلالة على كمال رسوخ المخاطبين وثباتهم على ما هم عليه من
- الدين القويم أي وما يتخطأهم الإضلال ولا يعود وباله إلا إليهم لما أنه يضاعف به عذابهم وقيل وما
- يضلون إلا أمثالهم ويأباه قوله تعالى (وما يشعرون) أي باختصاص وباله وضرره بهم (بأهل الكتاب ٧٠
- لم تكفروا بآيات الله) أي بما نطق به التوراة والإنجيل ودلت على نبوة محمد ﷺ (وأنتم تشهدون)
- أي والحال أنكم تشهدون أنها آيات الله أو بالقرآن وأنتم تشهدون نفعه في الكتابين أو تعلمون بالمعجزات
- أنه حق (بأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) بتحريفكم وإبراز الباطل في صورته أو بالتقصير
- في التمييز بينهما وقرىء تلبسون بالشديد وتلبسون بفتح الباء أي تلبسون الحق مع الباطل كما في قوله عليه
- السلام كلابس ثوبي زور (وتكتمون الحق) أي نبوة محمد ﷺ ونفعه (وأنتم تعلمون) أي حقيقته (وقالت ٧٢
- طائفة من أهل الكتاب) وهم رؤساؤهم ومفسدوهم لأعقابهم (آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا) أي
- أظهروا الإيمان بالقرآن المنزل عليهم (وجه النهار) أي أوله (واكفروا) أي اظهروا ما أنتم عليه من
- الكفر به (آخره) مرآتين لهم لأنكم آمنتم به بادية الرأي من غير تأمل ثم تأملتم فيه فوقفتم على خلل
- رأيكم الأول فرجعتم عنه (لعلهم) أي المؤمنون (يرجعون) عما هم عليه من الإيمان به كما رجعتكم والمراد
- بالطائفة كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف قال لأصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما أنزل عليهم من
- الصلاة إلى الكعبة وصلوا إليها أول النهار ثم صلوا إلى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم أعلم منا وقد
- رجعوا فيرجعون وقيل هم اثنا عشر رجلاً من أخبار خبير تفاولوا بأن يدخلوا في الإسلام أول النهار
- ويقولوا آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمداً بالنعمة الذي ورد في التوراة لعل أصحابه
- يشكون فيه (ولا تؤمنوا) أي لا تقرروا بتصديق قلبي (إلا لمن تبع دينكم) أي لأهل دينكم ولا تظهروا ٧٣
- إيمانكم وجه النهار إلا لمن كان على دينكم من قبل فإن رجوعهم أرجى وأهم (قل إن الهدى هدى
- الله) يهدي به من يشاء إلى الإيمان ويثبت عليه (أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتكم) متعلق بمحذوف أي

يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ آل عمران

وَمَنْ أَهْلُ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بِيَدِينَ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ آل عمران

- دبرتم ذلك وقلتم لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو بلا تؤمنوا أى ولا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لأشياكم ولا تفشوه إلى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا إلى المشركين لئلا يدعوم إلى الإسلام وقوله تعالى قل إن الهدى هدى الله اعتراض مفيد لسكون كيدهم غير مجد لطائل أو خبر إن على أن هدى الله بدل من الهدى وقرىء أن يؤتى على الاستفهام التقريعى وهو مؤيد للوجه الأول أى الآن يؤتى أحد الخ دبرتم وقرىء أن على أنها نافية فيكون من كلام الطائفة أى ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم (أو يحاجوكم عند ربكم) عطف على أن يؤتى على الوجهين الأولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حججتكم والواو ضمير أحد لأنه فى معنى الجمع إذ المراد به غير أتباعهم (قل إن الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء والله واسع عليم) رد لهم وإبطال لما زعموه بالحجة الباهرة (يختص برحمته) أى يجعل رحمته مقصورة على (من يشاء والله ذو الفضل العظيم) كلاهما تذييل لما قبله مقرر لمضمونه (ومن أهل الكتاب) شروع فى بيان خيانتهم فى المال بعد بيان خيانتهم فى الدين والجار والمجرور فى محل الرفع على الابتداء حجباً من تحقيقه فى تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الخ خبره قوله تعالى (من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك) على أن المقصود بيان اتصافهم بمضمون الجملة الشرطية لا كونهم ذوات المذكورين كأنه قيل بعض أهل الكتاب بحيث إن تأمنه بقنطار أى بمال كثير يؤده إليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشى ألفاً ومائتى أوقية ذهباً فأداه إليه (وممنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك) كفضاحص بن عازوراء استودعه قرشى آخر ديناراً فجحدته وقيل المأمونون على الكثير النصارى إذ الغالب فيهم الأمانة والخائنون فى القليل اليهود إذ الغالب فيهم الخيانة (إلا مادمت عليه قائماً) استثناء مفرغ من أعم الأحوال أو الأوقات أى لا يؤده إليك فى حال من الأحوال أو فى وقت من الأوقات إلا فى حال دوام قيامك أو فى وقت دوام قيامك على رأسه مبالغاً فى مطالبته بالتقاضى وإقامة البيئة (ذلك) إشارة إلى ترك الأداء المدلول عليه بقوله تعالى لا يؤده وما فيه من معنى البعد الإيدان بكال غلوم فى الشر والفساد (بأنهم) أى بسبب أنهم (قالوا ليس علينا فى الأميين) أى فى شأن من ليس من أهل الكتاب (سبيل) أى عتاب ومؤاخذه (ويقولون على الله الكذب) بادعائهم ذلك (وهم يعلمون) أنهم كاذبون مفترون على الله تعالى وذلك لأنهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل فى التوراة فى حقهم حرمة وقيل عامل اليهود رجلاً من قریش فلما أسلدوا تفاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا أنه كذلك فى كتابهم وعن النبي ﷺ أنه قال عند نزولها كذب أعداء الله

بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ آل عمران
 إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ
 اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ آل عمران
 وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُنَ السِّنْتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ
 هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ آل عمران

- ٧٦ مامن شيء في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي إلا الأمانة فإنها مؤادة إلى البر والفاجر (بلى) لإثبات ما نفوه أي
- بلى عليهم فيهم سبيل وقوله تعالى (من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين) استئناف مقرر للجملة التي
 - سد بلى مسدها والضمير المجرور لمن أو لله تعالى وعموم المتقين نائب مناب الراجع من الجزء إلى من
 - ومشعر بأن القوى ملاك الأمر عام للوفاء وغيره من أداء الواجبات والاجتناب عن المأهى (إن الذين
 - يشترون) أي يستبدلون ويأخذون (بعهد الله) أي بدل ما عاهدوا عليه من الإيمان بالرسول ﷺ
 - والوفاء بالأمانات (وأيمانهم) وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه (ثمنًا قليلاً) هو
 - حطام الدنيا (أولئك) الموصوفون بتلك الصفات القبيحة (لا خلاق) لا نصيب (لهم في الآخرة)
 - من نعمهم (ولا يكلمهم الله) أي بما يسرهم أو بشيء أصلاً وإنما يقع ما يقع من السؤال والتوبيخ والتقريع
 - في أثناء الحساب من الملائكة عليهم السلام أولاً ينتفعون بكلمات الله تعالى وآياته والظاهر أنه كناية
 - عن شدة غضبه وسخطه نعوذ بالله من ذلك لقوله تعالى (ولا ينظر إليهم يوم القيامة) فإنه مجاز عن
 - الاستهانة بهم والسخط عليهم متفرع على الكناية في حق من يجوز عليه النظر لأن من اعتد بالإحسان
 - التفت إليه وأعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والإحسان وإن لم يكن ثمة نظر
 - ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجرد المعنى الإحسان مجازاً عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر
 - ويوم القيامة متعلق بالفعلين وفيه تهويل للوعيد (ولا يزكّيهم) أي لا يثنى عليهم أولاً يطهرهم من أضرار
 - الأوزار (ولهم عذاب أليم) على ما فعلوه من المعاصي قيل إنها نزلت في أبي رافع ولبابة بن أبي الحقيق
 - وحبي بن أخطب حرقوا التوراة وبدلوا نعت رسول الله ﷺ وأخذوا الرشوة على ذلك وقيل نزلت في
 - في الأشعث بن قيس حيث كان بينه وبين رجل نزاع في بئر فاخصما إلى رسول الله ﷺ فقال له شاهدك
 - أو يمينه فقال الأشعث إذن يحلف ولا يبالي فقال ﷺ من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي
 - الله وهو عليه غضبان وقيل في رجل أقام سلعة في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يكن اشتراها به (وإن
 - منهم) أي من اليهود المحرفين (لفريقاً) ككعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وأضرابهما (يلوون
 - ألسنتهم بالكتاب) أي يفتلون بها بقراءته فيميلونها عن المنزل إلى المحرف أو يعطفونها بشبه الكتاب
 - وقرىء يلوون بالتشديد ويلون بقلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها وإلقاء حركتها على ما قبلها

مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ عَلِيمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ آل عمران

- من الساكن (لتحسبوه) أى المحرف المدلول عليه بقوله تعالى بلوون الخ وقرئ بالياء والضمير للمسلمين
- (من الكتاب) أى من جملة وقوله تعالى (وما هو من الكتاب) حال من الضمير المنصوب أى والحال
- أنه ليس منه فى نفس الأمر وفى اعتقادهم أيضاً (ويقولون) مع ما ذكر من اللى والتحريف على طريقة
- التصريح لا بالتورية والتعريض (هو) أى المحرف (من عند الله) أى منزل من عند الله (وما هو من عند الله) حال من ضمير المبتدأ فى الخبر أى والحال أنه ليس من عنده تعالى فى اعتقادهم أيضاً وفيه
- من المبالغة فى تشنيعهم وتقبيح أمرهم وكال جرأتهم ما لا يخفى وإظهار الاسم الجليل والكتاب فى محل الإضمار لتحويل ما أقدموا عليه من القول (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) أنهم كاذبون ومفترون
- على الله تعالى وهو تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه وعن ابن عباس رضى الله عنهما هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الأشرف وغيروا التوراة وكتبوا كتاباً بدلوا فيه صفة رسول الله ﷺ ثم أخذت قريظة ما كتبوا يخلطوه بالكتاب الذى عندهم (ما كان لبشر) بيان لاقتراثهم على الأنبياء عليهم السلام حيث قال نصارى نجران إن عيسى عليه السلام أمرنا أن نتخذة رباً حاشاه عليه السلام وإبطال له لئلا يبين اقتراثهم على الله سبحانه وإبطاله أى ما صح وما استقام لأحد وإنما قيل لبشر
- إشعاراً بعلّة الحكم فإن البشرية منافية للأمر الذى أسنده الكفرة إليهم (أن يؤتبه الله الكتاب) الباطق
- بالحق الأمر بالتوحيد الناهى عن الإشراك (والحكم) الفهم والعلم أو الحكمة وهى السنة والنبوة (ثم يقول) ذلك البشر بعدما شرفه الله عز وجل بما ذكر من التشريفات وعرفه الحق وأطلعته على شئونه
- العالية (للناس كونوا عباداً لى) الجار متعلق بمحذوف هو صفة عباداً أى عباداً كائنين (من دون الله) متعلق بلفظ عباداً لما فيه من معنى الفعل أو صفة ثابته له ويحتمل الحالية لتخصيص النكرة بالوصف
- أى متجاوزين الله تعالى سواء كان ذلك استقلالاً أو اشتراكاً فإن التجاوز متحقق فيهما حتماً قيل إن أبا رافع القرظى والسيد النجرانى قالاً لرسول الله ﷺ أتريد أن نعبدك ونتخذك رباً فقال عليه السلام معاذ الله أن يعبد غير الله تعالى وأن تأمر بعبادة غيره تعالى فما بذلك بعثنى ولا بذلك أمرنى فنزلت وقيل
- قال رجل من المسلمين يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك قال عليه السلام لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله تعالى ولكن أكرموا نبيكم واعبروا الحق لاهله (ولكن كونوا)
- أى ولكن يقول كونوا (ربانيين) الربانى منسوب إلى الرب بزيادة الالف والنون كالحياتى والرقباتى وهو الكامل فى العلم والعمل الشديد التمسك بطاعة الله عز وجل ودينه (بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) أى بسبب مشاركتكم على تعليم الكتاب ودراسته أى قراءته فإن جعل خبر كان مضارعاً لإفادة الاستمرار التجددى وتكرير بما كنتم الإيذان باستقلال كل من استمرار التعليم واستمرار

وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ آل عمران
وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا
مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا
وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ آل عمران

- القرأة بالفضل وتحصيل الربانية وتقديم التعليم على الدراسة لزيادة شرفه عليها أولاً لأن الخطاب الأول
لرؤسائهم والثاني لمن دونهم وقرىء تعلمون بمعنى هالمين وتدرسون من التدريس وتدرسون من الإدراس
بمعنى التدريس كأكرم بمعنى كرم ويجوز أن تكون القراءة المشهورة أيضاً بهذا المعنى على تقدير بما
تدرسونه على الناس (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً) بالنصب عطفاً على ثم يقول ولا
مزبدة لتأكيد معنى النفي في قوله تعالى ما كان لبشر أى ما كان لبشر أن يستنبته الله تعالى ثم يأمر الناس
بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً وتوسيط الاستدراك بين المعطوفين بالمسارعة إلى تحقيق
الحق ببيان ما يليق بشأنه وبحق صدوره عنه إثر تزييه عما لا يليق بشأنه ويمتنع صدوره عنه وأما ما قبل
من أنها غير مزبدة على معنى أنه ليس له أن يأمر بعبادته ولا يأمر باتخاذ أكفائه أرباباً بل ينهى عنه وهو
أدنى من العبادة فيقضى بفساده ما ذكر من توسط الاستدراك بين الجملتين المتعاطفتين ضرورة أنهما
حينئذ في حكم جملة واحدة وكذا قوله تعالى (أيا أمركم بالكفر) فإنه صريح في أن المراد بيان انتفاء كلا
الأمرين قصداً لا بيان انتفاء الأول لا انتفاء الثاني ويعضده قراءة الرفع على الاستئناف وتجوز الحالية
بتقدير المبتدأ أى وهو لا يأمركم إلى آخره بين الفساد لما عرفته آنفاً وقوله تعالى (بعد إذ أنتم مسلمون)
يدل على أن الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون للسجود له عليه السلام (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين) ٨١
منصوب بمضمر خوطب به النبي ﷺ أى اذكروا وقت أخذه تعالى ميثاقهم (لما آتيتكم من كتاب وحكمة
ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) قيل هو على ظاهره وإذا كان هذا حكم الأنبياء
عليهم السلام كان الأمر بذلك أولى وأحرى وقيل معناه أخذ الميثاق من النبيين وأمرهم واستغنى بذكرهم
عن ذكرهم وقيل إضافة الميثاق إلى النبيين إضافة إلى الفاعل والمعنى وإذا أخذ الله الميثاق الذى وثقه الأنبياء
على أمرهم وقيل المراد أولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو إسرائيل أو سماهم نبيين تهكأ بهم لأنهم
كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد ﷺ لأننا أهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام فى لما موطنة
للقسم لأن أخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما تحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط
وتحتمل الخبرية وقرىء لما بالكسر على أن ما مصدرية أى لأجل إيتائى إياكم بعض الكتاب ثم ليجىء
رسول مصدق أخذاً للميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه أو موصولة والمعنى أخذه الذى آتيتكموه وجاءكم
رسول مصدق له وقرىء لما بمعنى حين آتيتكم أول من أجل ما آتيتكم على أن أصله لمن ما بالإدغام مخفف
إحدى الميمات الثلاث استقفاً (قال) أى الله تعالى بعد ما أخذ الميثاق (أأقرتم) بما ذكر (وأخذتم)

فَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٣﴾ آل عمران

أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبِغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٤﴾ آل عمران
قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا
أُوْنِي مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٥﴾ آل عمران

- على ذلكم (إصرى) أى عهدى سعى به لأنه يؤصر أى يشد وقرىء بضم الهمزة إما لغة كعبر و عبر أو جمع إصار وهو ما يشد به (قالوا) استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل فإذا قالوا عند ذلك فقل قالوا (أقرنا) وإنما لم يذكر أخذهم الإصر اكتفاء بذلك (قال) تعالى (فاشهدوا) أى فليشهد بعضكم على بعض بالإقرار
- وقيل الخطاب فيه للملائكة (وأنا معكم من الشاهدين) أى وأنا أيضاً على إقراركم ذلك وتشاهدكم شاهد
- ٨٢ ● وإدخال مع على المخاطبين لما أنهم المباشرون للشهادة حقيقة وفيه من التأكيد والتحذير ما لا يخفى (فن تولى) أى أعرض عما ذكر (بعد ذلك) الميثاق والتوكيد بالإقرار والشهادة فعنى البعد فى اسم الإشارة لتفخيم الميثاق (فأولئك) إشارة إلى من والجمع باعتبار المعنى كما أن الأفراد فى تولى باعتبار اللفظ وما فيه من معنى البعد للدلالة على ترمى أمرهم فى السوء وبعد منزلتهم فى الشر والفساد أى فأولئك المتولون
- المتصفون بالصفات القبيحة (هم الفاسقون) المتمردون الخارجون عن الطاعة من الكفرة فإن الفاسق من كل طائفة من كان متجاوزاً عن الحد (أفغير دين الله يبعون) عطف على مقدر أى أيتولون فيبعون غير دين الله وتقديم المفعول لأنه المقصود إنكاره أو على الجملة المنتدمة والهمزة متوسطة بينهما
- للإنكار وقرىء بتاء الخطاب على تقدير وفل لهم (وله أسلم من فى السموات والأرض) جملة حالية مفيدة لو كادة الإنكار (طوعاً وكرهاً) أى طائعين بالنظر واتباع الحجة وكرهين بالسيف ومعاينة ما يلجىء إلى الإسلام كنتق الجبل وإدراك الفرق والإشراف على الموت أو مختارين كالملائكة والمؤمنين
- والمؤمنين ومسخرين كالسكفرة فإنهم لا يقدرّون على الامتناع عما قضى عليهم (وإليه يرجعون) أى من فيهما والجمع باعتبار المعنى وقرىء بتاء الخطاب والجملة إما معطوفة على ما قبلها منصوبة على الحالية
- ٨٤ ● وإما مستأنفة سبقت للتهديد والوعيد (قل آمنا بالله) أمر للرسول ﷺ بأن يخبر عن نفسه ومن معه من المؤمنين بالإيمان بما ذكر وجمع الضمير فى قوله تعالى (وما أنزل علينا) وهو القرآن لما أنه منزل عليهم أيضاً بتوسط تبليغه إليهم أو لأن المنسوب إلى واحد من الجماعة قد ينسب إلى الكل أو عن نفسه فقط وهو الأنسب بما بعده والجمع لإظهار جلالة قدره عليه السلام ورفعة محله بأمره بأن يتكلم عن نفسه على ديدن الملوك ويجوز أن يكون الأمر عاماً والأفراد لتشریفه عليه السلام والإيدان بأنه عليه السلام أصل فى ذلك كما فى قوله تعالى يا أيها النبي إذا طلقتم النساء (وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط) من الصحف والنزول كما يعدى إلى لانهائه إلى الرسل يعدى بعلى لأنه من

وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٨٥﴾
 كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾

آل عمران ٢٣

آل عمران ٢٣

- فرق ومن رام الفرق بأن على لكون الخطاب للنبي ﷺ وإلى لكون الخطاب للمؤمنين فقد تعسف ألا يرى إلى قوله تعالى بما أنزل إليك الخ وقوله آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا الخ وإنما قدم المنزل على الرسول ﷺ على ما أنزل على سائر الرسل عليهم السلام مع تقدمه عليه نزولاً لأنه المعرف له والعيار عليه والأسباط جمع سبط وهو الخافد والمراد بهم حفدة يعقوب عليه السلام وأبناؤه الاثنا عشر وذرايرهم فإنهم حفدة إبراهيم عليه السلام (وما أوتي موسى وعيسى) من التوراة والإنجيل وسائر المعجزات الظاهرة بأيديهما كما ينفي عنه إثبات الإيتاء على الإنزال الخاص بالكتاب وتخصيصهما بالذكر لما أن الكلام مع اليهود والنصارى (والنبيون) عطف على موسى وعيسى عليهما السلام أى وما أوتي النبيون من المذكورين وغيرهم (من ربهم) من الكتب والمعجزات (لا نفرق بين أحد منهم) كدأب اليهود والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض بل تؤمن بصحة نبوة كل منهم وبحقيقة ما أنزل إليهم في زمانهم وعدم التعرض لنفي التفريق بين الكتب لاستلزام المذكور إياه وقد مر تفصيله في تفسير قوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله وهمزة أحد إما أصلية فهو اسم موضوع لمن يصلح أن يخاطب يستوى فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ولذلك صح دخول بين عليه كما في مثل المال بين الناس وإمام بدلة من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه لوقوعه في حيز النفي وصحة دخول بين عليه باعتبار معطوف قد حذف لظهوره أى بين أحد منهم وغيره كما في قول النابغة | فإكان بين الخير إذ جاء سالماً * أبو حجر
- إلا ليال قلائل [أى بين الخير وبينى (ونحن له مسلمون) أى منقادون أو مخلصون له تعالى أنفسنا لنجعل له شريكاً فيها وفيه تعريض بإيمان أهل الكتاب فإنه بمعزل من ذلك (ومن يبتغ غير الإسلام) أى غير التوحيد والانقياد لحكم الله تعالى كدأب المشركين صريحاً والمدعين للتوحيد مع إشراكهم كأهل الكتابين (ديناً) ينتحل إليه وهو نصب على أنه مفعول لـيبتغ وغير الإسلام حال منه لما أنه كان صفة له فلما قدمت عليه انتصبت حالاً أو هو المفعول وديناً تمييز لما فيه من الإبهام أو بدل من غير الإسلام (فلن يقبل) ذلك (منه) أبداً بل يرد أشد رد وأقبحه وقوله تعالى (وهو في الآخرة من الخاسرين) إما حال من الضمير المجرور أو استئناف لا محل له من الإعراب أى من الواقعيين في الخسران والمعنى أن المعرض عن الإسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بإبطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها وفي ترتيب الرد والخسران على مجرد الطلب دلالة على أن حال من تدين بغير الإسلام واطمأن بذلك أفضع وأقبح واستدل به على أن الإيمان هو الإسلام إذ لو كان غيره لم يقبل والجواب أنه ينفي قبول كل دين يغيره لاقبول كل ما يغيره (كيف يهدي الله) إلى الحق ٨٦

- أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ آل عمران
- خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٨٨﴾ آل عمران
- إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨٩﴾ آل عمران
- إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾ آل عمران

- (قوما كفروا بعد إيمانهم) قيل هم عشرة رهط ارتدوا بعد ما آمنوا ولحقوا بمكة وقيل هم يهود قريظة والنضير ومن دان بدينهم كفروا بالنبي ﷺ بعد أن كانوا مؤمنين به قبل مبعثه (وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات) استبعاد لأن يهديهم الله تعالى فإن الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وإنكار له وذلك يقتضي أن لا تقبل توبة المرتد وقوله تعالى وشهدوا عطف على إيمانهم باعتبار انحلاله إلى جملة فعلية كما في قوله تعالى إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله الخ فإنه في قوة أن يقال بعد أن آمنوا أو حال من ضمير كفروا بإضمار قد وهو دليل على أن الإقرار باللسان خارج عن حقيقة الإيمان (والله لا يهدي القوم الظالمين) أي الذين ظلوا أنفسهم بالإخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الإيمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم أعرض عنه والجملة اعتراضية أو حالية (أولئك) إشارة إلى المذكورين باعتبار اتصافهم بما مر من الصفات الشنيعة وما فيه من معنى البعد لما مر مراراً وهو مبتدأ وقوله تعالى (جزأؤهم) مبتدأ ثان وقوله تعالى (أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) خبره والجملة خبر لأولئك وهذا يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق بينهم وبين غيرهم أنهم مطبوع على فلوهم ممنوعون عن الهدى آيسون من الرحمة رأساً بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون أو الكل فإن الكافر أيضاً يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه (خالدين فيها) في اللعنة أو العقوبة أو النار وإن لم تذكر لدلالة الكلام عليها
- (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) أي يمهلون (إلا الذين تابوا من بعد ذلك) أي من بعد الارتداد (وأصلحوا) أي ما أفسدوا أو دخلوا في الصلاح (فإن الله غفور رحيم) فيقبل توبتهم ويتفضل عليهم وهو تعليل لما دل عليه الاستثناء وقيل نزلت في الحرث بن سويد حين ندم على رده فأرسل إلى قومه أن يسألوا هل لي من توبة فأرسل إليه أخوه الحلاس الآية فرجع إلى المدينة فتاب (إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً) كاليهود كفروا بعبسى عليه السلام والإنجيل بعد الإيمان بموسى عليه السلام والتوراة ثم ازدادوا كفراً حيث كفروا بمحمد عليه الصلاة والسلام والقرآن أو كفروا به عليه السلام بعد ما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفراً بالإصرار عليه والطعن فيه والصد عن الإيمان ونقض الميثاق أو كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفراً بقولهم تتربص به رب المنون أو نرجع إليه فتناقضه بإظهار الإيمان (لن تقبل توبتهم) لأنهم لا يتوبون إلا عند إشرافهم على الهلاك فكفى عن

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ

أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٩١﴾

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾

آل عمران ٣

- عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظاً في شأنهم وإبرازاً لحالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة أولان توبتهم لا تكون إلا نفاقاً لا رتدادهم وازديادهم كفرأ ولذلك لم تدخل فيه الفاء (وأولئك هم الضالون) الثابتون
- على الضلال (إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به) ٩١
- لما كان الموت على الكفر سبباً لا متنازع قبول الفدية زبدت الفاء ههنا للإشعار به وملء الشيء ما يملأ به وذهباً تمييز وقرىء بالرفع على أنه بدل من ملء أو خبر لمخدوف ولو افتدى محمول على المعنى كأنه قبل فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهباً أو معطوف على مضمرة تقديره فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً لو تصدق به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الآخرة أو المراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو أن للذين ظلموا من الأرض جميعاً ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيراً لأن المثلين في حكم شيء واحد (أولئك) إشارة إلى المذكورين باعتبار اتصافهم بالصفات الشنيعة المذكورة
- (لهم عذاب أليم) مؤلم اسم الإشارة مبتدأ والظرف خبره ولا عتاده على المبتدأ ارتفع به عذاب أليم على
- الفاعلية (وما لهم من ناصرين) في دفع العذاب عنهم أو في تخفيفه ومن مزيدة للاستغراق وصيغة الجمع
- لمراعاة الضمير أي ليس لواحد منهم ناصر واحد (ان تنالوا البر) من ناله نيلاً إذا أصابه والخطاب للذوقين ٩٢
- وهو كلام مستأنف سيق لبيان ما ينفع المؤمنين ويقبل منهم لاثريان مالا ينفع الكفرة ولا يقبل منهم أي لن تبلغوا حقيقة البر الذي يتنافس فيه المتنافسون ولن تدرکوا شأوه ولن تلحقوا بزمرة الأبرار أو
- لن تنالوا بر الله تعالى وهو ثوابه ورحمته ورضاه وجنته (حتى تنفقوا) أي في سبيل الله عز وجل رغبة
- فيما عنده ومن في قوله تعالى (مما تحبون) تبعيضية ويؤيده قراءة من قرأ بعض مما تحبون وقيل بيانية وما موصولة أو موصوفة أي مما تهوون ويعجبكم من كرائم أموالكم وأحبها إليكم كافي قوله تعالى أنفقوا من طيبات ما كسبتم أو مما يعمها وغيرها من الأعمال والمهجة على أن المراد بالإفاق مطلق البذل وفيه من الإيذان بعزة منال البر مالا يخفى وكان السلف رضى الله عنهم إذا أحبوا شيئاً جعلوه لله عز وجل وروى أنها لما نزلت جاء أبو طلحة فقال يا رسول الله إن أحب أموالى إلى يبرحاء فضعها يا رسول الله حيث أراك الله فقال عليه السلام بخ ذلك مال رايح أو رايح وإنى أرى أن تجعلها في الأقرب بين فقسها في أقاربها وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل على رسول الله ﷺ أسامة بن زيد فكان زيداً وجد في نفسه وقال إنما أردت أن أتصدق به فقال رسول الله ﷺ أما إن الله تعالى قد قبلها منك . قيل وفيه دلالة على أن إنفاق أحب الأموال على أقرب الأقارب أفضل وكتب عمر رضى الله عنه إلى أبي موسى الأشعري أن يشتري له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فلما جاءت إليه أعجبهته

كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ
قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾

آل عمران ٣

- فقال إن الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فأعتقها . وروى أن عمر بن عبد العزيز كانت لزوجته جارية بارعة الجمال وكان عمر راغباً فيها وكان قد طلبها منها مراراً فلم تعطها إياه ثم لما ولى الخلافة زينتها وأرسلها إليه فقالت قد وهبتكما يا أمير المؤمنين فلتخدمك قال من أين ملكتها قالت جئت بها من بيت أبي عبد الملك ففتش عن كيفية تملكه إياها فقبل إنه كان على فلان العامل ديون فلما توفي أخذت من تركته ففتش عن حال العامل وأحضر ورثته وأرضاهم جميعاً بإعطاء المال ثم توجه إلى الجارية وكان يهواها هو شديداً فقال أنت حرة لوجه الله تعالى فقالت لم يا أمير المؤمنين وقد أزحت عن أمرها كل شبهة قال لست إذن بمن نهى النفس عن الهوى (وما تنفقوا من شيء) ما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة به
- على المفعولية ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف هو صفة لاسم الشرط أى أى شيء تنفقوا كائن من الأشياء فإن المفرد فى مثل هذا الموضع واقع موقع الجمع وقيل محل الجار والمجرور النصب على التمييز أى أى شيء تنفقوا طيباً تحبونه أو خبيثاً تكرهونه (فإنه الله به عليم) تعليل لجواب الشرط واقع موقعه أى فبجازيكم بحسبه جيداً كان أو رديئاً فإنه تعالى عليم بكل شيء تنفقونه علماً كاملاً بحيث لا يخفى عليه شيء من ذاته وصفاته وتقديم الجار والمجرور لرعاية الفواصل وفيه من الترغيب فى إنفاق الجيد والنهي عن إنفاق الرديء ما لا يخفى (كل الطعام) أى كل أفراد المطعوم أو كل أنواعه (كان حلالاً لبني إسرائيل) أى حلالاً لهم فإن الحل مصدر نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كما فى قوله تعالى لا هن حل لهم (إلا ما حرم إسرائيل على نفسه) استثناء متصل من اسم كان أى كان كل المطعومات حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل أى يعقوب عليه السلام على نفسه وهو لحوم الإبل وألبانها قيل كان به وجع النساء فنذر لئن شفى لا يأكل أحب الطعام إليه وكان ذلك أحبه إليه وقيل فعل ذلك للتداوى بإشارة الأطباء واحتج به من جوز للنبي الاجتهاد وللبائع أن يقول كان ذلك بأذن من الله تعالى فيه فهو كتحريمه ابتداء (من قبل أن تنزل التوراة) متعلق بقوله تعالى كان حلالاً ولا ضير فى توسط الاستثناء بينهما وقيل متعلق بحرم وفيه أن تقييد تحريمه عليه السلام بقبلية تنزيل التوراة ليس فيه مزيد فائدة أى كان ما عدا المستثنى حلالاً لهم قبل أن تنزل التوراة مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيتهم عقوبة لهم وتشديداً وهو رد على اليهود فى دعواهم البراءة عما نعى عليهم قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الأيتين بأن قالوا لسنا أول من حرمت عليه وإنما كانت محرمة على نوح وإبراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الأمر إلينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وتبكيتم لهم فى منع النسخ والطعن فى دعوى الرسول ﷺ موافقته لإبراهيم عليه السلام بتحليله لحوم الإبل وألبانها (قل فأتوا بالتوراة

- فَمِنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ ٢٣ آل عمران
- قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ ٢٣ آل عمران
- إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ ٢٣ آل عمران

فَاتْلُوهَا) أمر عليه السلام بأن يحاجهم بكتابهم الناطق بأن تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث مترتب على ظالمهم وبغيرهم كلما ارتكبوا معصية من المعاصي التي افترفوها حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم وبكافهم لإخراجه وتلاوته ليبيحتهم وبلقمهم الحجر ويظهر كذبهم وإظهار اسم التوراة لكون الجملة كلاماً مع اليهود منقطعاً عما قبله وقوله تعالى (إن كنتم صادقين) أى فى دعواكم أنه تحريم قديم وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه أى إن كنتم صادقين فأتوا بالتوراة فاتلوها فإن صدقكم عما يدعوكم إلى ذلك البتة. روى أنهم لم يحسروا على إخراج التوراة فبهتوا وانقلبوا صاغرين وفى ذلك من الحجة النيرة على صدق النبي ﷺ وجواز النسخ الذى يحدونه مالا يخفى والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها (فمن افترى على الله الكذب) أى اختلقه عليه سبحانه بزعمه أنه حرم ما ذكر قبل نزول التوراة ٩٤ على نبي إسرائيل ومن تقدمهم من الأمم (من بعد ذلك) من بعد ما ذكر من أمرهم بإحضار التوراة وتلاوتها وما ترتب عليه من التبعات والإلزام والتقييد به للدلالة على كمال القبح (فأولئك) إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة والجمع باعتبار معناه كما أن الأفراد فى الصلة باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للإيدان ببعد منزلتهم فى الضلال والطغيان أى فأولئك المصرون على الافتراء بعد ما ظهرت حقيقة الحال وضافت عليهم حلبة الحاجة والجدال (هم الظالمون) المفرطون فى الظلم والعدوان المبعدون فيهما والجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب مسوقة من جهته تعالى لبيان كمال عتوهم وقيل هى فى محل النصب داخلة تحت القول عطفاً على قوله تعالى فأتوا بالتوراة (قل صدق الله) أى ظهر ٩٥ وثبت صدقه تعالى فيما أنزل فى شأن التحريم وقيل فى قوله تعالى ما كان إبراهيم يهودياً الخ أو صدق فى كل شأن من الشئون وهو داخل فى ذلك دخولا أولاً وفيه تعريض بكذبهم الصريح (فاتبعوا ملة إبراهيم) أى ملة الإسلام التى هى فى الأصل ملة إبراهيم عليه السلام فإنكم ما كنتم متبعين لملته كما تزعمون أو فاتبعوا مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التى اضطركم إلى التحريف والمكابرة وتلفيق الأكاذيب لتسوية الأغراض الدينية الدنيوية والزمتمكم تحريم طيبات محللة لإبراهيم عليه السلام ومن تبعه والفاء للدلالة على أن ظهور صدقه تعالى موجب للاتباع وترك ما كانوا عليه (حنيفاً) أى مائلاً عن الأديان الزائفة كلها (وما كان من المشركين) أى فى أمر من أمور دينه أصلاً وفرعاً وفيه تعريض بإشراك اليهود وتصريح بأنه عليه السلام ليس بينه وبينهم علاقة دينية قطعاً والغرض بيان أن النبي ﷺ على دين إبراهيم عليه السلام فى الأصول لأنه لا يدعو إلا إلى التوحيد والبراءة عن كل معبود سواه سبحانه وتعالى والجملة تذييل لما قبلها (إن أول بيت وضع للناس) شروع فى بيان كفرهم ببعض آخر ٩٦

فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ
إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾

٢٣ آل عمران

من شعائر ملته عليه السلام لآثر بيان كفرهم بكون كل المطعومات حلاله عليه السلام روى أنهم قالوا
بيت المقدس أعظم من الكعبة لأنه مهاجر الأنبياء وفي الأرض المقدسة وقال المسلمين بل الكعبة أعظم
فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فنزلت أي إن أول بيت وضع للعبادة وجعل متعبداً لهم والواضع هو الله
تعالى ويؤيده القراءة على البناء للفاعل وقوله تعالى (الذي بيكه) خبر لأن وإنما أخبر بالمعرفة مع كون
اسمها نكرة لتخصصها بسببين الإضافة والوصف بالجملة بعدها أي للبيت الذي بيكه أي فيها وفي ترك
الموصوف من التفتيح ما لا يخفى وبكة لغة في مكة فإن العرب تعاقب بين الباء والميم كما في قولهم
ضربة لازب ولازم والنميط والنبيط في اسم موضع بالدهناء وقولهم أمر راتب وراثم وسيد رأسه
وسمدها وأغبطت الحمى وأغطت وهي علم للبلد الحرام من بكة إذا زحمة لازدحام الناس فيه وعن
قتادة بيك الناس بعضهم بعضاً أو لأنها تبك أعناق الجبارة أي تدقم لم يقصدها جبار إلا قصمه الله
عن وجل وقيل بكة اسم لبطن مكة وقيل لموضع البيت وقيل للمسجد نفسه ومكة اسم للبلد كله وأيد
هذا بأن التباك وهو الازدحام إنما يقع عند الطواف وقيل مكة اسم للمسجد والمطاف وبكة اسم للبلد
لقوله تعالى للذي بيكه مباركاً روى أنه عليه السلام سئل عن أول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام
ثم ييب المقدس وسئل كم بينهما فقال أربعون سنة وقيل أول من بناه إبراهيم عليه الصلاة والسلام
وقيل آدم عليه السلام وقد استوفينا ما فيه من الأقاويل في سورة البقرة وقيل أول بيت وضع بالشرف
لا بالزمان (مباركا) كثير الخير والنفع لما يحصل لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله من
الثواب وتكفير الذنوب وهو حال من المستكن في الظرف لأن التقدير للذي بيكه هو العامل فيه
ما قدر في الظرف من فعل الاستقرار (وهدي للعالمين) لأنه قبلتهم ومتعبد لهم ولأن فيه آيات عجيبة دالة
على عظيم قدرته تعالى وبالغ حكمته كما قال (فيه آيات بينات) واضحات كأنحراف الطيور عن موازاة البيت
على مدى الأعصار ومخالطة ضواري السباع الصبوح في الحرم من غير تعرض لها وقهر الله تعالى لكل جبار
قصده بسوء كأصحاب الفيل والجملة مفسرة للمدى أو حال أخرى (مقام إبراهيم) أي أثر قدميه عليه السلام
السلام في الصخرة التي كان عليه السلام يقوم عليها وقت رفع الحجارة لبناء الكعبة عند ارتفاعه أو عند
غسل رأسه على ما روى أنه عليه السلام جاء زائرًا من الشام إلى مكة فقالت له امرأة إسماعيل عليه السلام
انزل حتى أغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعت على شقه الإيمن فوضع قدمه عليه حتى
غسلت شق رأسه ثم حولته إلى شقه الأيسر حتى غسلت الشق الآخر فبقى أثر قدميه عليه وهو إما مبتدأ
حذف خبره أي منها مقام إبراهيم أو بدل من آيات بدل البعض من الكل أو عطف بيان إما وحده
باعتبار كونه بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالاته على قدرة الله تعالى وعلى نبوة إبراهيم عليه

- الصلاة والسلام كقوله تعالى إن إبراهيم كان أمة قانتاً أو باعتبار اشتماله على آيات كثيرة فإن كل واحد من أثر قدميه في صخرة صماء وغوصه فيها إلى الكعبيين وإلانة بعض الصخور دون بعض وإبقائه دون سائر آيات الأنبياء عليهم السلام وحفظه مع كثرة الأعداء ألوف سنة آية مستقلة ويؤيده القراءة على التوحيد وإما بما يفهم من قوله عز وجل (ومن دخله كان آمناً) فإنه وإن كان جملة مستأنفة ابتدائية أو شرطية لكنها في قوة أن يقال وأمن من دخله فتكون بحسب المعنى والمآل معطوفة على مقام إبراهيم ولا يخفى أن الاثنين نوع من الجمع فيكتفي بذلك أو يحمل على أنه ذكر من تلك الآيات اثنتان وطوى ذكر ماعداهما دلالة على كثرتها ومعنى أمن داخله أمنه من التعرض له كما في قوله تعالى أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة إبراهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمناً وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ إلى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب مامسته حتى يخرج منه ولذلك قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى من لزمه القتل في الحل بقصاص أو ردة أو زنى فالتجأ إلى الحرم لم يتعرض له إلا أنه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر إلى الخروج وقيل أمنه من النار وعن النبي ﷺ من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمناً وعنه عليه الصلاة والسلام الحجون والبقيع يؤخذ بأطرافهما ويثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضي الله عنه وقف رسول الله ﷺ على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله تعالى من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين ألفاً وجوهم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفاً وجوهم كالقمر ليلة البدر وعن النبي ﷺ من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت عنه جهنم مسيرة مائتي عام (ولله على الناس حج البيت) جملة من مبتدأ هو حج البيت وخبر هو لله وقوله تعالى على الناس متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار أو بمحذوف هو حال من الضمير المستكن في الجار والعامل فيه ذلك الاستقرار ويجوز أن يكون على الناس هو الخبر والله متعلق بما تعلق به الخبر ولا سبيل إلى أن يتعلق بمحذوف هو حال من الضمير المستكن في على الناس لاستلزامه تقديم الحال على العامل المعنوي وذلك بما لا مساغ له عند الجمهور وقد جوزة ابن مالك إذا كانت هي ظرفاً أو حرف جر وعاملها كذلك بخلاف الظرف وحرف الجر فإنهما يتقدمان على عاملها المعنوي واللام في البيت للعمود وحجه قصده الزيارة على الوجه المخصوص المعهود وكسر الحاء لغة نجد وقيل هو اسم للبصر وقرئ بفتحها (من استطاع إليه سبيلاً) في محل الجر على أنه بدل من الناس بدل البعض من الكل مخصص لعمومه فالضمير العائد إلى المبدل منه محذوف أي من استطاع منهم وقيل بدل الكل على أن المراد بالناس هو البعض المستطيع فلا حاجة إلى الضمير وقيل في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ مضمرة أي هم من استطاع الخ وقيل في حيز النصب بتقدير أعنى وقيل كلمة من شرطية والجزاء محذوف لدلالة المذكور عليه وكذا العائد إلى الناس أي من استطاع منهم إليه سبيلاً فله عليه حج البيت وقد رجح هذا بكون ما بعده شرطية والضمير المجرور في إليه راجع إلى البيت أو إلى حج والجار متعلق بالسبيل قدم عليه اهتماماً بشأنه كما في قوله عز وجل فهل إلى خروج من سبيل وهل إلى مرد من سبيل لما فيه من معنى

قُلْ يَتَاهُلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿١٧٧﴾ آل عمران

الإفضاء والإيصال كيف لا وهو عبارة عن الوسيلة من مال أو غيره فإنه قد روى أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال السبيل الزاد والراحلة وروى ابن عمر رضى الله عنهما أن رجلاً قال يا رسول الله ما السبيل قال الزاد والراحلة وهو المراد بما روى أنه عليه السلام فسرا لاستطاعة بالزاد والراحلة وهكذا روى عن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم وعليه أكثر العلماء خلا أن الشافعى أخذ بظاهره فأوجب الاستنابة على الزمن القادر على أجرة من ينوب عنه والظاهر أن عدم تعرضه عليه السلام لصحة البدن لظهور الأمر كيف لا والمفسر في الحقيقة هو السبيل الموصل لنفس المستطيع إلى البيت وإذا لا يتصور بدون الصحة وعن ابن الزبير أنه على قدر القوة ومذهب مالك أن الرجل إذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك أنه إذا قدر أن يؤجر نفسه فهو مستطيع (ومن كفر) وضع من كفر موضع من لم يحج تأكيذاً لوجوبه وتشديداً على تاركه ولذلك قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً وروى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أنه عليه السلام قال في خطبته أيها الناس إن الله فرض الحج على من استطاع إليه سبيلاً ومن لم يفعل فليمت على أى حال شاء يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً (فإن الله غنى عن العالمين) وعن عبادتهم وحيث كان من كفر من جملتهم داخل فيها دخولاً أولاً

● اكتفى بذلك عن الضمير الرابط بين الشرط والجزاء ولقد حازت الآية الكريمة من فنون الاعتبارات المعربة عن كمال الاعتناء بأمر الحج والتشديد على تاركه ما لا مزيد عليه حيث أوثرت صيغة الخبر الدالة على التحقق أو برزت في صورة الجملة الاسمية الدالة على الثبات والاستمرار على وجه يفيد أنه حق واجب لله سبحانه في ذم الناس لا انفكاك لهم عن أدائه والخروج عن عهده وسلك بهم مسلك التعميم ثم التخصيص والإبهام ثم التبیین والإجمال ثم التفصيل لما في ذلك من مزيد تحقيق وتقرير وعبر عن تركه بالكفر الذى لا قبيح وراءه وجعل جزاءه استغناء تعالى المؤذن بشدة المقت وعظم السخط لا عن تاركه فقط فإنه قد ضرب عنه صفحاً إسقاطاً له عن درجة الاعتبار واستهجاناً بذكره بل عن جميع العالمين ممن فعل وترك ليدل على نهاية شدة الغضب . هذا وقال ابن عباس والحسن وعطاء رضى الله عنهم ومن كفر أى جحد فرض الحج وزعم أنه ليس بواجب وعن سعيد بن المسيب نزات في اليهود فإنهم قالوا الحج إلى مكة غير واجب وروى أنه لما نزل قوله تعالى والله على الناس حج البيت جمع رسول الله ﷺ أهل الأديان كلهم فخطبهم فقال إن الله كتب عليكم الحج فحجوا فأمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا تؤمن به ولا نصلى إليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن النبي ﷺ حجوا قبل أن لا تحجوا فإنه قد هدم البيت مرتين ويرفع إلى السماء في الثالثة وروى حجوا قبل أن يمنع البر جانبهم وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل أن ينبت في البادية شجرة لا تأكل منها دابة إلا نفقت وعن عمر رضى الله عنه لو ترك الناس الحج عاماً واحداً ما نواظروا ~~القول~~ يا هل الكتاب هم اليهود والنصارى

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَن ءَٰمَنَ تَبَغُّوهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۚ وَمَا ٱللَّهُ بِغَفْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾

آل عمران ٣

- ولإنما خوطبوا بعنوان أهلية الكتاب الموجبة للإيمان به وبما يصدقه من القرآن العظيم مبالغة في تقييح حالهم في كفرهم بها وقوله عز وجل (لم تكفرون بآيات الله) توبيخ وإنكار لأن يكون لكفرهم بها سبب من الأسباب وتحقيق لما يوجب الاجتناب عنه بالكلية والمراد بآياته تعالى ما يعم الآيات القرآنية التي من جملتها ما نل في شأن الحج وغيره وما في التوراة والإنجيل من شواهد نبوته عليه السلام وقوله تعالى (والله شهيد على ما تعملون) حال من فاعل تكفرون مفيدة لتشديد التوبيخ وتأكيد الإنكار وإظهار الجلالة في موقع الإضمار لثبوت المماهة وتهويل الخطب وصيغة المبالغة في شهيد للتشديد في الوعيد وكلمة ما إما عبارة عن كفرهم أو هي على عمومها وهو داخل فيها دخولا أولياً والمعنى لا شيء سبب تكفرون بآياته عز وجل والحال أنه تعالى مبالغ في الاطلاع على جميع أعمالكم وفي مجازاتكم عليها ولا ريب في أن ذلك يسد جميع أنحاء ما تاتونه ويقطع أسبابه بالكلية (قل يا أهل الكتاب) أمر بتوبيخهم بالإضلال لئلا يبيحهم ٩٩ بالضلال والتكرير للمبالغة في حمله عليه السلام على تقريرهم وتوبيخهم وترك عطفه على الأمر السابق للإيذان باستقلالهم كما أن قطع قوله تعالى (لم تصدون) عن قوله تعالى لم تكفرون الإشعار بأن كل واحد من كفرهم وصددهم شناعة على حيالها مستقلة في استتباع اللائمة والتقريع وتكرير الخطاب بعنوان أهلية الكتاب لتأكيد الاستقلال وتشديد التشنيع فإن ذلك العنوان كما يستدعي الإيمان بما هو مصدق لما معهم يستدعي ترغيب الناس فيه فصددهم عنه في أقصى مراتب القباحة ولكون صددهم في بعض الصور بتحريف الكتاب والكفر بآيات الدالة على نبوته عليه السلام وقرىء تصدون من أصدده (عن سبيل الله) أي دينه الحق الموصل إلى السعادة الأبدية وهو التوحيد وملة الإسلام (من آمن) مفعول لتصدون قدم عليه الجار والمجرور للاهتمام به . كانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصددهم عنه ويمنعون من أراد الدخول فيه بمجدهم ويقولون إن صفته عليه السلام ليست في كتابهم ولا تقدمت البشارة به عندهم وقيل أنت اليهود الأوس والخزرج فدكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا إلى ما كانوا فيه (تبغونها) على إسقاط الجار وإيصال الفعل إلى الضمير كافي قوله [فتولى غلامهم ثم نادى * أظليما أصيدكم أم حمارا] بمعنى أصيدكم أي تطلبون لسبيل الله التي هي أقوم السبل (عوجا) اعوجاجا بأن تلبسوا على الناس وتوهموا أن فيه مبلا عن الحق بنفي النسخ وتغيير صفة الرسول ﷺ عن وجهها ونحو ذلك والجملة حال من فاعل تصدون وقيل من سبيل الله (وأنتم شهداء) حال من فاعل تصدون باعتبار تقييده بالحال الأولى أو من فاعل تبغونها أي والحال أنكم شهداء تشهدون بأنها سبيل الله لا يحوم حولها شائبة اعوجاج وأن الصد عنها إضلال قال ابن عباس رضي الله عنهما أي شهداء أن في التوراة أن دين الله الذي لا يقبل غيره هو الإسلام أو وأنتم عدول فيما بينكم يثقون بأقوالكم ويستشهدونكم في القضايا

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ

٣ آل عمران

كُفْرِينَ ﴿١٠٠﴾

● وعظائم الأمور (وما الله بغافل عما تعملون) اعتراض تذييلي فيه تهديد ووعيد شديد قيل لما كان صدمه للمؤمنين بطريق الخفية ختمت الآية الكريمة بما يحسم مادة حيلتهم من إحاطة عليه تعالى بأعمالهم كما أن كفرهم بآيات الله تعالى لما كان بطريق العلانية ختمت الآية السابقة بشهادته تعالى على ما يعملون (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين) تلوين للخطاب وتوجيه له إلى المؤمنين تحذيراً لهم عن طاعة أهل الكتاب والافتتان بفتنتهم إثر توبيخهم بالإغواء والإضلال ردعاً لهم عن ذلك وتعليق الرد بطاعة فريق منهم للبالغة في التحذير عن طاعتهم وإيجاب الاجتناب عن مصاحبتهم بالكلية فإنه في قوة أن يقال لا تطيعوا فريقاً الخ كما أن تعميم التوبيخ فيما قبله للبالغة في الزجر أو للمحافظة على سبب النزول فإنه روى أن نفرأ من الأوس والخزرج كانوا جلوساً يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الحسد للمسلمين فغاظه ما رأى منهم من تألف القلوب واتحاد الكلمة واجتماع الرأي بعد ما كان بينهم ما كان من العداوة والشئان فأمر شاباً يهودياً كان معه بأن يجلس إليهم ويذكرهم يوم بعث وكان ذلك يوماً عظيماً اقتتل فيه الحيان وكان الظفر فيه للأوس وينشدهم ما قيل فيه من الأشعار ففعل فتفاخر القوم وتغاضبوا حتى توثبوا وقالوا السلاح السلاح فاجتمع من القبيلتين خلق عظيم فعند ذلك جاءهم النبي ﷺ وأصحابه فقال أئذعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله تعالى بالإسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم فعملوا أنهم انزعجة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضاً وانصرفوا مع رسول الله ﷺ قال الإمام الواحدي اصطفوا للقتال فنزلت الآية إلى قوله تعالى لعلمكم تهتدون لحجاء النبي ﷺ حتى قام بين الصفيين فقرأهن ورفع صوته فلما سمعوا صوت رسول الله ﷺ أنصتوا له وجعلوا يستمعون له فلما فرغ ألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضاً وجعلوا يبيكون وقوله تعالى كافرين [ما مفعول ثان ليردوكم على تضمين الرد معنى التصيير كما في قوله [رمى الحدثنان نسوة آل سعد * بمقدار سمدن له سموداً] [فرد شعورهن السود بيضاً * ورد وجوههن البيض سوداً] أو/ حال من مفعوله والاول أدخل في تنزيه المؤمنين عن نسبتهم إلى الكفر لما فيه من التصريح بكون الكفر المفروض بطريق القسر وإيراد الظرف مع عدم الحاجة إليه ضرورة سبق الخطاب بعنوان المؤمنين واستحاله تحقق الرد إلى الكفر بدون سبق الإيمان مع توسيطه بين المفعولين لإظهار كمال شناعة الكفر وغاية بعده من الوقوع إما الزيادة قبحة الصارف العاقل عن مباشرته أو للممانعة الإيمان له كأنه قيل بعد إيمانكم الراسخ وفيه من تثبيت المؤمنين ما لا يخفى .

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ، وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾

آل عمران ٣

يَتْلَاهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾

- (وكيف تكفرون) استفهام إنكارى بمعنى إنكار الوقوع كما فى قوله تعالى كيف يكون للمشركين ١٠١ عهد الخ لا بمعنى إنكار الواقع كما فى قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً الخ وفى توجيه الإنكار والاستبعاد إلى كيفية الكفر من المبالغة ما ليس فى توجيهه إلى نفسه بأن يقال أتكفرون لأن كل موجود لابد أن يكون وجوده على حال من الأحوال فإذا أنكر ونفى جميع أحوال وجوده فقد انتفى وجوده بالكلية على الطريق البرهاني وقوله تعالى (وأنتم تتلى عليكم آيات الله) جملة وقعت حالا من ضمير المخاطبين فى تكفرون مؤكدة للإنكار والاستبعاد بما فيها من الشئون الداعية إلى الثبات على الإيمان الوازنة عن الكفر وقوله تعالى (وفىكم رسوله) معطوف عليها داخل فى حكمها فإن تلاوة آيات الله تعالى عليهم وكون رسوله عليه الصلاة والسلام بين أظهرهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم بتحقيق الحق وإزاحة الشبه من أقوى الزواجر عن الكفر وعدم إسناد التلاوة إلى رسول الله ﷺ للإيذان باستقلال كل منهما فى الباب (ومن يعتصم بالله) أى ومن يتمسك بدينه الحق الذى بينه بآياته على لسان رسوله عليه الصلاة والسلام وهو الإسلام والتوحيد المعبر عنه فيما سبق بسبيل الله (فقد هدى) جواب للشرط وقد لإفادة معنى التحقيق كأن الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلًا ومعنى التوقع فيه ظاهر فإن المعتصم به تعالى متوقع للهدى كما أن قاصد الكريم متوقع للندى (إلى صراط مستقيم) موصل إلى المطلوب والتنوين للتفخيم والوصف بالاستقامة للتصريح بالرد على الذين يبغيون له عوجاً وهذا وإن كان هو دينه الحق فى الحقيقة والاهتداء إليه هو الاعتصام به بعينه لكن لما اختلف الاعتباران وكان العنوان الأخير مما يتنافس فيه المتنافسون أبرز فى معرض الجواب للحث والترغيب على طريقة قوله تعالى فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز (بأيها الذين آمنوا) تكرير الخطاب بعنوان الإيمان ١٠٢
- تشریف إثر تشریف (اتقوا الله) الاتقاء افتعال من الوقاية وهى فرط الصيانة (حق تقاته) أى حق تقواه وما يجب منها وهو است فراغ الوسع فى القيام بالموجب والاجتناب عن المحارم كما فى قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضى الله عنه هو أن يطاع ولا يعصى ويذكر ولا ينسى ويشكر ولا يكفر وقد روى مرفوعاً إليه عليه السلام وقيل هو أن لا تأخذه فى الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه أو ابنه أو أبيه وقيل هو أن ينزه الطاعة عن الالتفات إليها وعن توقع المجازاة وقد مرت تحقيق الحق فى ذلك عند قوله عز وجل هدى للمتقين والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد وأصلها وقية قلبت واوها المضمومة ناء كما فى تهمة وتحممة وياؤها المفتوحة ألفاً (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) أى مخلصون نفوسكم

وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾

آل عمران ٢٣

لله تعالى لا يجملون فيها شركة لما سواه أصلاً كما في قوله تعالى ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو استثناء مفرغ من أعم الأحوال أى لا يمتحن على حال من الأحوال إلا حال تحقق إسلامكم وثباتكم عليه كما ينبيء عنه الجملة الاسمية ولو قيل إلا مسلمين لم يفد فائدتها والعامل في الحال ما قبل إلا بعد النقص وظاهر النظم الكريم وإن كان نهياً عن الموت المقيد بقيد هو الكون على أى حال من غير حال الإسلام لكن المقصود هو النهى عن ذلك المقيد عند الموت المستلزم للأمر بضده الذى هو الكون على حال الإسلام حينئذ وحيث كان الخطاب للمؤمنين كان المراد لإيجاب الثبات على الإسلام إلى الموت وتوجيه النهى إلى الموت للبالغة فى النهى عن قيده المذكور فإن النهى عن المقيد فى أمثاله نهى عن القيد ورفع له من أصله بالكلية مفيد لما لا يفيد النهى عن نفس القيد فإن قولك لا تصل إلا وأنت خاشع يفيد من البالغة فى إيجاب الخشوع فى الصلاة ما لا يفيد فيه قولك لا تترك الخشوع فى الصلاة لما أن هذا نهى عن ترك الخشوع فقط وذلك نهى عنه وعماً يقارنه ومفيد لكون الخشوع هو العمدة فى الصلاة وأن الصلاة بدونه حقها أن لا تفعل وفيه نوع تحذير عما وراء الموت وقوله عز وجل (واعتصموا بحبل الله) أى بدين الإسلام أو بكتابه لقوله عليه الصلاة والسلام القرآن حبل الله المتين لا تنقضى عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدى إلى صراط مستقيم إما تمثيل للحالة الحاصلة من استظهارهم به ووثوقهم بحمايته بالحالة الحاصلة من تمسك المتدلى من مكان رفيع بحبل وثيق مأمون الانقطاع من غير اعتبار مجازى المفردات وإما استعارة للحبل لما ذكر من الدين أو الكتاب والاعتصام ترشيح لما أو مستعار للوثوق به والاعتماد عليه (جميعاً) حال من فاعل اعتصموا أى مجتمعين فى الاعتصام (ولا تفرقوا) أى لا تنفروا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كأهل الكتاب أو كما كنتم متفرقين فى الجاهلية يحارب بعضكم بعضاً أو لا يتحدثوا ما يوجب التفريق ويزيل الألفة التى أنتم عليها (واذكروا نعمة الله) مصدر مضاف إلى الفاعل وقوله تعالى (عليكم) متعلق به أو بمحذوف وقع حالاً منه وقوله تعالى (إذ كنتم) ظرف له أو للاستقرار فى عليكم أى اذكروا إنعامه عليكم أو اذكروا إنعامه مستقراً عليكم وقت كونكم (أعداء) فى الجاهلية بينكم الإحن والعداوات والحروب المتواصلة وقيل هم الأوس والخزرج كانوا أخوين لأب وأم فوقت بين أولادها العداوة والبغضاء وتطاولت الحروب فيما بينهم مائة وعشرين سنة (فألف بين قلوبكم) بتوفيقكم للإسلام (فأصبحتم) أى فصرتم (بنعمته) التى هى ذلك التأليف (إخواناً) خبر أصبحتم أى إخواناً متحابين مجتمعين على الأخوة فى الله متراحين متناصحين متفقين على كلمة الحق وقيل معنى فأصبحتم فدخلتم فى الصباح فالباء حينئذ متعلقة بمحذوف وقع حالاً من الفاعل وكذا إخواناً أى فأصبحتم

وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

آل عمران ٣

- ملتبسين حال كونكم إخواناً (وكنتم على شفا حفرة من النار) شفا الحفرة وشقتها حرقها أى كنتم مشرفين
- على الوقوع في نار جهنم لكفركم إذ لو أدرككم الموت على تلك الحالة لوقعتم فيها (فأنقذكم) بأن هداكم للإسلام (منها) الضمير للحفرة أو للنار أو للشفا والتأنيث للمضاف إليه كما في قوله [كما شرقت صدر القناة من الدم] أو لأنه بمعنى الشفة فإن شفا البئر وشقتها جانبا كالجانب والجانبه وأصله شفو قلبت الواو ألفاً في المذكر وحذفت في المؤنث (كذلك) إشارة إلى مصدر الفعل الذى بعده وما فيه من معنى البعد للإيدان بعلو درجة المشار إليه وبعد منزلته في الفضل وكالتميزه به عما عداه وانتظامه بسببه في سلك الأمور المشاهدة والكاف مقحمة لتأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة ومحلها النصب على أنها صفة لمصدر محذوف أى مثل ذلك النبيين الواضح (يبين الله لكم آياته) أى دلائله (لعلكم تهتدون) طلباً
- لثباتكم على الهدى وازديادكم فيه / ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير (أمرهم الله سبحانه بتكميل ١٠٤ الغير وإرشاده إثر أمرهم بتكميل النفس وتهذيبها بما قبله من الأوامر والنواهي تثبيتاً للكل على مراعاة ما فيها من الأحكام بأن يقوم بعضهم بمواجبها ويحافظ على حقوقها وودها ويذكرها الناس كافة ويردعهم عن الإخلال بها والجمهور على إسكان لام الأمر وقرىء بكسرها على الأصل وهو من كان التامة ومن تبعيضية متعلقة بالأمر أو بمحذوف وقع حالا من الفاعل وهو أمة ويدعون صفتها أى لتوجد منكم أمة داعية إلى الخير والأمة هي الجماعة التي يؤمها فرق الناس أى يقصدونها ويقتدون بها أو من الناقصة وأمة اسمها ويدعون خبرها أى لتكن منكم أمة داعية إلى الخير وأياً ما كان فتوجيه الخطاب إلى الكل مع إسناد الدعوة إلى البعض لتحقيق معنى فرضيتها على الكفاية وأنها واجبة على الكل لكن بحيث إن أقامها البعض سقطت عن الباقيين ولو أخل بها الكل أثموا جميعاً لا بحيث يتحتم على الكل إقامتها على ما ينبي عنه قوله عز وجل وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية ولأنها من عظام الأمور وعزائمها التي لا يتولاها إلا العلماء بأحكامه تعالى ومراتب الاحتساب وكيفية إقامتها فإن من لا يعلمها يوشك أن يأمر بمنكر وينهى عن معروف ويغفل في مقام اللين ويلين في مقام الغلظة وينسك على من لا يزيد الإنكار إلا التماذى والإصرار وقيل من بيانية كما في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم الآية والأمر من كان الناقصة والمعنى كونوا أمة يدعون الآية كقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس الآية ولا يقتضى ذلك كون الدعوة فرض عين فإن الجهاد من فروض الكفاية مع ثبوته بالخطابات العامة والدعاء إلى الخير عبارة عن الدعاء إلى ما فيه صلاح ديني أو دنيوي فعطف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه بقوله تعالى (ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) مع اندراجهما فيه من باب عطف الخاص على العام لإظهار فضلهم وإناقتهما على سائر الخيرات كعطف جبريل وميكال على الملائكة عليهم السلام وحذف المفعول الصريح من الأفعال الثلاثة إما للإيدان بظهوره أى يدعون الناس ويأمرونهم وينهونهم

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾

- وإما المقصد إلى إيجاد نفس الفعل كما في قولك فلان يعطى ويمنع أى يفعلون الدعاء إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (وأولئك) إشارة إلى الأمة المذكورة باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الفاضلة وكما تميزهم بذلك عن عدائهم وانتظامهم بسببه في سلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والإفراد في كاف الخطاب إما لأن الخطاب كل من يصلح للخطاب وإما لأن التعيين غير مقصود أى أولئك الموصوفون بتلك الصفات الكاملة (هم المفلحون) أى هم الاختصاص بكال الفلاح وهم ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند إليه أو مبتدأ خبره المفلحون والجملة خبر لا أولئك وتعريف المفلحون إما للعهد أو للإشارة إلى ما يعرفه كل أحد من حقيقة المفلحين . روى عن رسول الله ﷺ أنه سئل عن خير الناس فقال أمرهم بالمعروف ونهواهم عن المنكر وأتقاهم لله وأوصلهم للرحم وعنه عليه السلام من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعنه عليه السلام والذي نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أوليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً من عنده ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم وعن علي رضى الله عنه أفضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شأنا الفاسقين وغضب الله غضب الله له والأمر بالمعروف في الوجوب والتدب تابع للأمر به وأما النهي عن المنكر فواجب كله فإن جميع ما أنكره الشرع حرام والعاصي يجب عليه النهي عما ارتكبه إذ يجب عليه تركه وإنكاره فلا يسقط بترك أحدهما وجوب شيء منهما والتوبيخ في قوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم إنما هو على نسيان أنفسهم لا على أمرهم بالبر وعن السلف مروا بالخير وإن لم تفعلوا (ولا تكونوا كالذين تفرقوا) هم أهل الكتابين حيث تفرقت اليهود فرقا والنصارى فرقا (واختلفوا) باستخراج التأويلات الزائفة وكنم الآيات الناطقة وتحريفها بما أدخلوا إليه من حطام الدنيا الدنيئة (من بعد ما جاءهم البينات) أى الآيات الواضحة المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه واتحاد الكلمة فالنهي متوجه إلى المتصدين الدعوة أصالة وإلى أعقابهم تبعاً ويجوز تعميم الموصول للمختلفين من الأمم السالفة المشار إليهم بقوله عز وجل وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات وقيل هم المبتدعة من هذه الأمة وقيل هم الحرورية وعلى كل تقدير فالنهي عنه إنما هو الاختلاف في الأصول دون الفروع إلا أن يكون مخالفاً للنصوص البينة أو الإجماع لقوله عليه الصلاة والسلام / اختلاف أمتي رحمة قوله عليه السلام من اجتهد فأصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر واحد (وأولئك)
- إشارة إلى المذكورين باعتبار اتصافهم بما في حيز الصلة وهو مبتدأ وقوله تعالى (لهم) خبره وقوله تعالى (عذاب عظيم) مرتفع بالظرف على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ أو مبتدأ والظرف خبره والجملة خبر للمبتدأ الأول وفيه من التأكيد والمبالغة في وعيد المتفرقين والتشديد في تهديد المشبهين بهم ما لا يخفى

يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا
الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾

آل عمران ٢٣

وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾

آل عمران ٢٣

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْلَوَهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾

آل عمران ٢٣

- (يوم تبيض وجوه) أى وجوه كثيرة وقرىء تبيض (وتسود وجوه) كثيرة وقرىء تسود وعن عطاء ١٠٦
- تبيض وجوه المهاجرين والأنصار وتسود وجوه بنى قريظة والنضير ويوم منصوب على أنه ظرف للاستقرار فى لهم أى لبثت العذاب العظيم لهم أو على أنه مفعول لمضمر خوطب به المؤمنون تحذيراً لهم عن عاقبة التفريق بعد مجيء البينات وترغيباً فى الاتفاق على التمسك بالدين أى اذكروا يوم تبيض الخ وياض الوجه وسواده كنياتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم أهل الحق بياض الوجه والصحيفة وإشراق البشرة وسعى النور بين يديه وبيمينه وأهل الباطل بأضداد ذلك (فأما الذين أسودت وجوههم) تفصيل لأحوال الفريقين بعد الإشارة إليها إجمالاً وتقديم بيان هؤلاء لما أن المقام مقام التحذير عن التشبه بهم مع ما فيه من الجمع بين الإجمال والتفصيل والإفضاء إلى ختم الكلام بحسن حال المؤمنين كما بدى بذلك عند الإجمال (أ. كفرتكم بعد إيمانكم) على إرادة القول أى فيقال لهم ذلك والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر أنهم أهل الكتابين وكفرهم بعد إيمانهم كفرهم برسول الله ﷺ بعد إيمان أسلافهم أو إيمان أنفسهم به قبل مبعثه عليه الصلاة والسلام أو جميع الكفرة حيث كفروا بعد ما أفروا بالتوحيد يوم الميثاق أو بعد ما تمسكوا من الإيمان بالنظر الصحيح والدلائل الواضحة والآيات البينة وقيل المرتدون وقيل أهل البدع والآهواء والفناء فى قوله عز وعلا (فذوقوا العذاب) أى العذاب المعهود والموصوف بالعظم الدلالة على أن الأمر بذوق العذاب على طريق الإهانة مترتب على كفرهم المذكور كما أن قوله تعالى (بما كنتم تكفرون) صريح فى أن نفس الذوق معلل بذلك والجمع بين صيغتي الماضى والمستقبل للدلالة على استمرار كفرهم أو على مضيه فى الدنيا (وأما الذين أبيضت وجوههم فى رحمة الله) أعنى الجنة والنعيم الخلد عبر عنها بالرحمة تنبيهاً على أن المؤمن وإن استغرق عمره فى طاعة الله تعالى فإنه لا يدخل الجنة إلا برحمته تعالى وقرىء أبيضت كما قرىء أسودت (هم فيها خالدون) استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من السياق كأنه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون وتقديم الظرف للدحفا على رءوس الآى (تلك) إشارة إلى الآيات المشتملة على تنعيم الأبرار وتعذيب الكفار ومعنى البعد للإيذان بعلو شأنها ١٠٨ وسمو مكانها فى الشرف وهو مبتدأ وقوله تعالى (آيات الله) خبره وقوله تعالى (تنلوها) جملة حالية من الآيات والعامل فيها معنى الإشارة أو هى الخبر وآيات الله بدل من اسم الإشارة والالتفات إلى التكلم

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾
 كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ
 أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾

٣ آل عمران

٣ آل عمران

بنون العظمة مع كون التلاوة على لسان جبريل عليه السلام لإبراز كمال العناية بالتلاوة وقرىء بتلوها
 على إسناد الفعل إلى ضميره تعالى وقوله تعالى (عليك) متعلق بتلوها وقوله تعالى (بالحق) حال مؤكدة
 من فاعل نتلوها أو من مفعوله أى ملتبسين أو ملتبسة بالحق والعدل ليس في حكمها شائبة جور بنقص
 ثواب المحسن أو بزيادة عقاب المسيء أو بالعقاب من غير جرم بل كل ذلك موفى لهم حسب استحقاقهم
 بأعمالهم بموجب الوعد والوعيد وقوله تعالى (وما الله يريد ظلماً للعالمين) تذييل مقرر لمضمون ما قبله
 على أبلغ وجه وآكده فإن تنكير الظلم وتوجيه النفي إلى إرادته بصيغة المضارع دون نفسه وتعليق الحكم
 بأحاد الجمع المعروف والالتفات إلى الاسم الجليل لإشعار آبعة الحكم ببيان لكمال نزاهته عز وجل عن
 الظلم بما لا مزيد عليه أى ما يريد فرداً من أفراد الظلم لفرد من أفراد العالمين في وقت من الأوقات
 فضلاً عن أن يظلمهم فإن المضارع كما يفيد الاستمرار في الإثبات يفيد في النفي بحسب المقام كما أن الجملة
 الاسمية تدل بمعونة المقام على دوام الثبوت وعند دخول حرف النفي تدل على دوام الانتفاء لا على
 انتفاء الدوام وفي سبك الجملة نوع إيماء إلى التعريض بأن الكفرة هم الظالمون ظلوا أنفسهم بتعريضها
 للعذاب الخالد كما في قوله تعالى إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون (ولله ما في
 السموات وما في الأرض) أى له تعالى وحده من غير شركة أصلاً ما فيهما من المخلوقات القائمة للحصر
 ملكاً وخلقاً أحياء وإماتة وإثابة وتعذيباً وإيراد كلمة ما إما لتغليب غير العقلاء على العقلاء وإما لتزيلهم
 منزلة غيرهم إظهاراً لحقارتهم في مقام بيان عظمته تعالى (والى الله) أى إلى حكمه وقضائه لا إلى غيره
 شركة أو استقلالاً (ترجع الأمور) أى أمورهم فيجأزى كلا منهم بما وعد له وأوعده من غير دخل
 في ذلك لا حد قط فالجملة مقرر لمضمون ماورد في جزاء الفريقين وقيل هى معطوفة على ما قبلها مقرر
 ١١٠ لمضمونه فإن كون العالمين عبيده تعالى ومخلوقه ومرزوقه يستدعى إرادة الخير بهم (كنتم خير أمة)
 كلام مستأنف سيق لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الاتفاق على الحق والدعوة إلى الخير وكنتم من
 كان الناقصة التى تدل على تحقق شيء بصفة في الزمان الماضى من غير دلالة على عدم سابق أو لاحق كما
 في قوله تعالى وكان الله غفوراً رحيماً وقيل كنتم كذلك في علم الله تعالى أو في اللوح أو فيما بين الأمم
 السالفة وقيل معناه أنتم خير أمة (أخرجت للناس) صفة لأمة واللام متعلقة بأخرجت أى أظهرت
 لهم وقيل بخير أمة أى كنتم خير الناس للناس فهو صريح في أن الخيرية بمعنى النفع للناس وإن فهم ذلك
 من الإخراج لهم أيضاً أى أخرجت لأجلهم ومصلحتهم قال أبو هريرة رضى الله عنه معناه كنتم خير
 الناس للناس تأتون بهم في السلاسل فتدخلونهم في الإسلام وقال قتادة هم أمة محمد ﷺ لم يؤمر نبي

لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقْسِلُوكُمْ يُؤْلَوْكُمْ أَلَا دَبَارٌ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١١١﴾

- قبله بالقتال فهم يقاتلون الكفار فيدخلونهم في الإسلام فهم خير أمة للناس (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) استئناف مبين لكونهم خير أمة كما يقال زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم أو خبر ثانٍ لكنتم وصيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار وخطاب المشافهة وإن كان خاصاً بمن شاهد الوحى من المؤمنين لكن حكمه عام للكل قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد أمة محمد ﷺ وقال الزجاج أصل هذا الخطاب لأصحاب رسول الله ﷺ وهو يعمر سائر أمته وروى الترمذى عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه سمع النبي ﷺ يقول في قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس أنتم تتعبدون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى وظاهر أن المراد بكل أمة أو أمتهم وأو آخرهم لا أو أمتهم فقط فلا بد أن تكون أعقاب هذه الأمة أيضاً داخلة في الحكم وكذا الحال فيما روى أن مالك بن الصيف ووهب ابن يهوذا اليهوديين مرا بنفر من أصحاب النبي ﷺ فيهم ابن مسعود وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة رضوان الله عليهم فقالا لهم نحن أفضل منكم وديننا خير مما تدعوننا إليه . وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما كنتم خير أمة الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ إلى المدينة وروى عن الضحاك أنهم أصحاب رسول الله ﷺ خاصة الرواة والدعاة الذين أمر الله المسلمين بطاعتهم (وتؤمنون بالله) أى إيماناً متعلقاً بكل ما يجب أن يؤمن به من رسول وكتاب وحساب وجزاء وإنما لم يصرح به تفصيلاً لظهور أنه الذى يؤمن به المؤمنون والإيمان بأنه هو الإيمان بالله تعالى حقيقة وأن ما خلا عن شيء من ذلك كإيمان أهل الكتاب ليس من الإيمان به تعالى فى شيء قال تعالى ويقولون تؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً وإنما أخرج ذلك عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مع تقدمه عليهما وجوداً ورتبة لأن دلالتهما على خيريتهما للناس أظهر من دلالته عليهما وليقترن به قوله تعالى (ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم) أى لو آمنوا كإيمانكم لكان ذلك خيراً لهم مما هم عليه من الرياسة واستتباع العوام ولازادات رياستهم وتمتعهم بالحظوظ الدنيوية مع الفوز بما وعدوه على الإيمان من إتياء الأجر مرتين وقيل بما هم فيه من الكفر فالخيرية إنما هى باعتبار زعمهم وفيه ضرب تهكم بهم وإنما لم يتعرض للمؤمن به أصلاً للإشعار بظهور أنه الذى يطلق عليه اسم الإيمان لا يذهب الوهم إلى غيره ولو فصل المؤمن به ههنا أو فيما قبل لربما فهم أن لأهل الكتاب أيضاً إيماناً فى الجملة لكن إيمان المؤمنين خير منه وهيئات ذلك (منهم المؤمنون) جملة مستأنفة سبقت جواباً عما نشأ من الشرطية الدالة على انتفاء الخيرية لا انتفاء الإيمان عنهم كأنه قيل هل منهم من آمن أو كلمهم على الكفر فقيل منهم المؤمنون المعهودون للفائزون بخير الدارين كعبد الله بن سلام وأصحابه (وأكثرهم الفاسقون) المتمردون فى الكفر الخارجون عن الحدود (لن يضرركم إلا أذى) استثناء مفرغ من المصدر ١١١ العام أى لن يضرركم أبداً ضرراً ما إلا ضرر أذى لا يبالى به من طعن وتهديد لا أثر له (وإن يقاتلوكم يولوكم الدبار) أى ينهزمون من غير أن ينالوا منكم شيئاً من قتل أو أسر (ثم لا ينصرون) عطف

ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُخَفُّوْا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحُبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءَ وَ بَغَضِبِ مِنَ اللَّهِ
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ
ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾

آل عمران

لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ آل عمران

على الشرطية وثم للتراخي في الرتبة أى لا ينصرون من جهة أحد ولا يمنعون منكم قتلا وأخذاً وفيه تثبيت لمن آمن منهم فإنهم كانوا يؤذونهم بالتلمى بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم وبشارة لهم بأنهم لا يقدر على أن يتجاوزوا الاذى بالقول إلى ضرر يعا به مع أنه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وأن عاقبة أمرهم الخذلان والذل وإنما لم يعطف نفي منصوريتهم على الجزاء لأن المقصود هو الوعد بنفي النصر مطلقاً ولو عطف عليه لكان مقيداً بمقاتلتهم كتولية الأدبار وكتم بين الوعدين كأنه قيل ثم شأنهم الذى أخبركم عنه وأبشركم به أنهم يخذلون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعد ذلك بجناح ولا يقوون على ساق ولا يستقيم لهم أمر وكان كذلك حيث اتى بنو قريظة والنضير وبنو قينقاع ويهود خيبر مالمقوا (ضربت عليهم الذلة) أى هدر النفس والمال والأهل أو ذل التمسك بالباطل (أينما تخفوا) أى وجدوا ● (إلا بحبل من الله وحبل من الناس) استثناء من أعم الأحوال أى ضربت عليهم الذلة ضرب القبة على من هى عليه فى جميع الأحوال إلا حال كونهم معتصمين بذمة الله أو كتابه الذى أتاهاهم وذمة المسلمين أو بذمة الإسلام واتباع سبيل المؤمنين (وباءوا بغضب من الله) أى رجعوا مستوجبين له والتشكير للتفخيم والتهويل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لغضب مؤكدة لما أفاده التشكير من الفخامة والهلل أى كائن من الله عز وجل (وضربت عليهم المسكنة) فهى محيطة بهم من جميع جوانبهم واليهود كذلك فى غالب الحال مساكين تحت أيدى المسلمين والنصارى (ذلك) إشارة إلى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة عليهم والبوء بالغضب العظيم (بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله) أى ذلك الذى ذكر كائن بسبب كفرهم المستمر بآيات الله الناطقة بنبو محمد ﷺ وتحريفهم لها وبسائر الآيات القرآنية (ويقتلون الأنبياء بغير حق) أى فى اعتقادهم أيضاً وإسناد القتل إليهم مع أنه فعل أسلافهم لرضاهم به كما أن التحريف مع كونه من أفعال أجهارهم ينسب إلى كل من يسير بسيرتهم (ذلك) إشارة إلى ما ذكر من الكفر والقتل (بما عصوا وكانوا يعتدون) أى كائن بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله تعالى على الاستمرار فإن الإصرار على الصغائر يفضى إلى مباشرة الكبائر والاستمرار عليها يؤدى إلى الكفر وقبل معناه أن ضرب الذلة والمسكنة فى الدنيا واستيجاب الغضب فى الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم ● واعتدائهم من حيث أنهم مخاطبون بالفروع من حيث المواخذة (ليسوا سواء) جملة مستأنفة سبقت تمهيداً لعدد محاسن مؤمنى أهل الكتاب وتذكيراً لقوله تعالى منهم المؤمنون والضمير فى ليسوا لأهل الكتاب جميعاً لا للفاسقين منهم خاصة وهو اسم ليس وخبره سواء وإنما أفرد لأنه فى الأصل مصدر

- والمراد بنفي المساواة بنفي المشاركة في أصل الاتصاف بالقبايح المذكورة لأن في المساواة في مراتب الاتصاف بها مع تحقق المشاركة في أصل الاتصاف بها أى ليس جميع أهل الكتاب متشاركين في الاتصاف بما ذكر من القبايح والابتلاء بما يترتب عليها من العقوبات وقوله تعالى (من أهل الكتاب أمة قائمة) ● استئناف مبين لكيفية عدم تساويهم ومزبل لما فيه من الإبهام كما أن ما سبق من قوله تعالى تأمرون بالمعروف الآية مبين لقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس وضع أهل الكتاب موضع الضمير العائد إليهم لتحقق ما به الاشتراك بين الفريقين والإيذان بأن تلك الأمة ممن أوتي نصيباً وافراً من الكتاب لا من أرذلهم والقائمة المستقيمة العادلة من أمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين أسلموا منهم كعبد الله بن سلام وثعلبة بن سعيد وأسيدين عبيد وأضرابهم وقيل هم أربعون رجلاً من أهل نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثلاثة من الروم كانوا على دين عيسى وصدقوا محمداً عليهما الصلاة والسلام وكان من الأنصار فيهم عدة قبل قدوم النبي ﷺ منهم أسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن مسلمة وأبوقيس صرمة ابن أنس كانوا موحدين يغتسلون من الجنابة ويقومون بما يعرفون من شرائع الحنيفية حتى بعث الله النبي ﷺ فصدقوه ونصروه وقوله تعالى (يتلون آيات الله) في محل الرفع على أنه صفة أخرى لأمة وقيل ● في محل النصب على أنه حال منهم التخصص بالنعت والعامل فيه الاستقرار الذي يتضمنه الجار أو من ضميرها في قائمة أو من المستكن في الجار لوقوع خبره خبراً لأمة والمراد بآيات الله القرآن وقوله تعالى (آناه الليل) ● ظرف ليتلون أى في ساعاته جمع أى بزة عصا أو أى بزة معى أو أى بزة ظبي أو أى بزة نحى أو أنو بزة جرو (وهم يسجدون) أى يصلون إذ لا تلاوة في السجود قال ﷺ ألا إنى نهيت أن أقرأ أركعاً ● وساجداً وتخصيص السجود بالذكر من بين سائر أركان الصلاة لكونه أدل على كمال الخضوع والتسليم بتلاوتهم آيات الله في الصلاة مع أنها مشتملة عليها قطعاً لزيادة تحقيق المخالفة وتوضيح عدم المساواة بينهم وبين الذين وصفوا آنفاً بالكفر بها وهو السرفى تقديم هذا النعت على نعت الإيمان والمراد بصلاتهم التمجيد إذ هو أدخل في مدحهم وفيه يتسنى لهم التلاوة فإنها في المكتوبة وظيفه الإمام واعتبار حائهم عند الصلاة على الأفراد بأباه مقام المدح وهو الأنسب بالعدول عن إيرادها باسم الجنس المتبادر منه الصلاة المكتوبة والتعبير عن وقتها بالآناه المهمة وقيل صلاة العشاء لأن أهل الكتاب لا يصلونها لما روى أن رسول الله ﷺ أخرها ليلة ثم خرج فإذا الناس ينتظرون الصلاة فقال أما أنه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الآية وإيراد الجملة اسمية للدلالة على الاستمرار وتكرير الإسناد لتقوية الحكم وتأكيده وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والجملة حال من فاعل يتولون وقيل هى مستأنفة والمعنى أنهم يقومون تارة ويسجدون أخرى يبتغون الفضل والرحمة بأنواع ما يكون في الصلاة من الخضوع لله عز وجل كما في قوله تعالى والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً وقيل المراد بالسجود هو الخضوع كما في قوله تعالى والله يسجد ما في السموات والأرض .

يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ

آل عمران ٢٣

وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾

آل عمران ٢٣

وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾

- ١١٤ (يؤمنون بالله واليوم الآخر) صفة أخرى لأمة مبينة لمباينتهم اليهود من جهة أخرى أى يؤمنون بها على الوجه الذى نطق به الشرع والإطلاق للإيدان بالغنى عن التقييد لظهور أنه الذى يطلق عليه الإيمان بهما لا يذهب الوهم إلى غيره وللتعريض بأن إيمان اليهود بهما مع قولهم عزير ابن الله وكفرهم ببعض الكتب والرسل ووصفهم اليوم الآخر بخلاف صفته ليس من الإيمان بهما فى شيء أصلاً ولو قيد بما ذكر لربما توهم أن المنتفى عنهم هو القيد المذكور مع جواز إطلاق الإيمان على إيمانهم بالأصل وهيمات (ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) صفتان أخريان لأمة أجريننا عليهم تحقيقاً لمخالفتهم اليهود فى الفضائل المتعلقة بتكميل الغير لاثربيان مباينتهم لهم فى الخصائص المتعلقة بتكميل النفس وتعريضاً بمداهناتهم فى الاحتساب بل بتعكيسهم فى الأمر بإضلال الناس وصددهم عن سبيل الله
- فإنه أمر بالمنكر ونهى عن المعروف (ويسارعون فى الخيرات) صفة أخرى لأمة جامعة لفنون المحاسن المتعلقة بالنفس وبالغير . والمسارة فى الخير فرط الرغبة فيه لأن من رغب فى الأمر سارع فى توليه والقيام به وآثر الفور على التراخى أى يبادرون مع كمال الرغبة فى فعل أصناف الخيرات اللازمة والمتعدية وفيه تعريض بتباطؤ اليهود فيها بل بمبادتهم إلى الشرور وإيثار كلته فى على ما وقع فى قوله تعالى وسارعوا إلى مغفرة الخ للإيدان بأنهم مستقرون فى أصل الخير متقبلون فى فئونه المترتبة
- فى دابات الفضل لا أنهم خارجون عنها منتهون إليها (وأولئك) إشارة إلى الأمة باعتبار اتصافهم بما فصل من النعوت الجليلة وما فيه من معنى البعد للإيدان بعلو درجاتهم وسمو طبقتهم فى الفضل وإيثاره على الضمير للإشعار بعله الحكم والمدح أى أولئك المنعوتون بتلك الصفات الفاضلة بسبب اتصافهم بها (من الصالحين) أى من جملة من صلحت أحوالهم عند الله عز وجل واستحقوا رضاه وثناءه
- (وما يفعلوا من خير) كائناً ما كان بما ذكر أو لم يذكر (فلن يكفروهم) أى إن يعدموا ثوابه البتة عبر عنه بذلك كما عبر عن توفية الثواب بالشكر لإظهار الكمال تنزهه سبحانه وتعالى عن ترك إلتايتهم بته ويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبايح وتعديته إلى مفعولين بتضمين معنى الحرمان وإيثار صيغة البناء للمفعول للجري على سنن الكبرياء وقرىء الفعلان على صيغة الخطاب (والله عليم بالمتقين) تذييل مقرر لمضمون ما قبله فإن علمه تعالى بأحوالهم يستدعى توفية أجورهم لا محالة والمراد بالمتقين إما الأمة المعهودة بوضع موضع الضمير العائد إليهم مدحا لهم وتعييننا لعنوان تعلق العلم بهم وإشعاراً بمناط إلتايتهم وهو التقوى المنظوى على الخصائص السالفة وأما جنس المتقين عموماً وهم مندرجون تحت حكمه اندارجاً أولياً .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾

آل عمران ٢٣

مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾

آل عمران ٢٣

- (إن الذين كفروا) أى بما يجب أن يؤمن به . قال ابن عباس رضى الله عنهما هم بنو قريظة والنضير فإن ١١٦ معاندتهم كانت لأجل المال وقيل هم مشركو قريش فإن أبا جهل كان كثير الافتخار بماله وقيل أبو سفيان وأصحابه فإنه انفق مالا كثيرا على الكفار يوم بدر واحد وقيل هم الكفار كافة فإنهم فآخروا بالأموال والأولاد حيث قالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين فرد الله عز وجل عليهم وقال (لن تغني عنهم) أى لن تدفع عنهم (أموالهم ولا أولادهم من الله) أى من عذابه تعالى (شيئا) أى شيئا يسيرا منه • أوشيناً من الإغناء (وأولئك أصحاب النار) أى مصاحبوها على الدوام وملازموها (هم فيها خالدون) • أبداً (مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا) بيان لكيفية عدم إغناء أموالهم التي كانوا يقولون عليها ١١٧ في جلب المنافع ودفع المضار ويلقون بها أطعمهم الفارغة وما موصولة اسمية حذف عائدها أى حال ما ينفقه الكفرة قربة أو مفاخرة وسمعة أو المنافقون رياء وخوفا وقصته العجيبة التي تجري مجرى المثل في الغرابة (كمثل ريح فيها صر) أى برد شديد فإنه في الأصل مصدر وإن شاع لإطلاقه على الريح الباردة • كالصرصر وقيل كلمة في تجريدية كما في قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة (أصاب حرت قوم ظلوا أنفسهم) بالكفر والمعاصي فبأموالهم بغضب من الله وإنما وصفوا بذلك لأن الإهلاك عن سخط أشد وأفظع (فأهلكته) عقوبة لهم ولم تدع منه أثرا ولا عثيراً والمراد تشبيه ما أنفقوا في ضياعه • وذهابه بالكلية من غير أن يعود إليهم نفع ما حرت كفار ضربته صر فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما بوجه من الوجوه وهو من التشبيه المركب الذي مر تفصيله في تفسير قوله تعالى كمثل الذي استوقد نارا ولذلك لم يبال بإبلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرت ويجوز أن يراد مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرت وقرئ تنفقون (وما ظلمهم الله) بما • بين من ضياع ما أنفقوا من الأموال (ولكن أنفسهم يظلمون) لما أنهم أضاعوها بإففاقها لا على ما ينبغي وتقديم المفعول لرعاية الفواصل لا للتخصيص إذ الكلام في الفعل باعتبار تعلقه بالفاعل لا بالمفعول أى ما ظلمهم الله ولكن ظلوا أنفسهم وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقد جوز أن يكون المعنى وما ظلم الله تعالى أصحاب الحرت بإهلاكه ولكنهم ظلوا أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة ويأباه أنه قد مر التعرض له تصريحاً وإشعاراً وقرئ ولكن بالتشديد على أن أنفسهم اسمها ويظلمون خبرها والعائد محذوف للفاصلة أى ولكن أنفسهم يظلمونها وأما تقدير ضمير الشأن فلا سبيل إليه لاختصاصه بالشعر ضرورة كما في قوله [ولكن من يبصر جفونك يعشق]

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخْذُوا بِطَانَةٍ مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ
 مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ آل عمران
 هَآئِنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا الْقُكُومُ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا
 عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ آل عمران

- ١١٨ (يأتيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة) بطانة الرجل ووليجهته من يعرفه أسرارها ثقة به شبه ببطانة الثوب
 كما شبه بالشعار قال عليه السلام الأنصار شعار والناس دثار قال ابن عباس رضى الله عنهما كان رجال من المؤمنين
 يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال مجاهد نزلت في
 قوم من المؤمنين كانوا يواصلون المنافقين فنهوا عن ذلك ويؤيده قوله تعالى وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا
 ● عضوا عليكم الأنامل من الغيظ وهي صفة المنافق وأباً ما كان فالحكم عام للكفرة كافة (من دونكم) أى
 من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا أو بمحذوف وقع صفة لبطانة أى كائنة من دونكم مجاوزة لكم
 ● (لا يألونكم خبالاً) جملة مستأنفة مبينة لحالهم داعية إلى الاجتناب عنهم أو صفة بطانة يقال ألا فى الأمر
 إذا قصر فيه ثم استعمل معدى إلى المفعولين فى قولهم لا آلوكم نصحاً ولا آلوكم جهداً على تضمين معنى
 ● المنع والنقص والخبال الفساد أى لا يقصرون لكم فى الفساد (ودوا ما عنتم) أى تمنوا عنتم أى مشقتكم
 ● وشدة ضرركم وهو أيضاً استئناف مؤكد للنهى موجب لزيادة الاجتناب عن المنهى عنه (قد بدت البغضاء
 من أفواههم) استئناف آخر مفيد لمزيد الاجتناب عن المنهى عنه أى قد ظهرت البغضاء فى كلامهم لما أنهم
 لا يتمايلون مع مبغضهم فى ضبط أنفسهم وتحاملهم عليها أن ينفلت من أسنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين
 وقرئ قد بدا البغضاء والأفواه جمع فم وأصله فوه فلامه هاء يدل على ذلك جمعه على أفواه وتصغيره
 ● على فويه والنسبة إليه فوهى (وما تخفى صدورهم أكبر) بما بدا لأن بدوه ليس عن روية واختيار
 ● (قد بينا لكم الآيات) الدالة على وجوب الإخلاص فى الدين وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين
 ● (إن كنتم تعقلون) أى إن كنتم من أهل العقل أو إن كنتم تعقلون ما بين لكم من الآيات والجواب
 ١١٩ محذوف لدلالة المذكور عليه (هأنتم أولاء) جملة من مبتدأ وخبر صدرت بحرف التنبيه لإظهار اكتمال
 ● العناية بمضمونها أى أنتم أولاء المخطئون فى موالاتهم وقوله تعالى (تحبونهم ولا يحبونكم) بيان
 لخطئهم فى ذلك وهو خبر ثان لأنتم أو خبر لا أولاء والجملة خبر لأنتم كقولك أنت زيد تحبه أو صلة
 له أو حال والعامل معنى الإشارة ويجوز أن ينتصب أولاء بفعل يفسره ما بعده وتكون الجملة خبراً
 ● (وتؤمنون بالكتاب كله) أى بجنس الكتب جميعاً وهو حال من ضمير المفعول فى لا يحبونكم
 والمعنى لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتبهم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتبكم وفيه توبيخ بأسم
 ● فى باطلهم أصلب منكم فى حقكم (وإذا لقوكم قالوا آمنا) نفاقاً (وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ)
 ● أى من أجله تأسفوا وتحسروا حيث لم يجدوا إلى التشفى سبيلاً (قل موتوا بغيظكم) دعاء عليهم بدوام الغيظ

إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾

آل عمران

وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

آل عمران

- زيادته بتضاعف قوة الإسلام وأهله إلى أن يهلكوا به أو باشتداده إلى أن يهلكهم (إن الله عليم بذات الصدور) فيعلم ما في صدوركم من العداوة والبغضاء والحق وهو يحتمل أن يكون من المقول أى وقل لهم إن الله تعالى عليم بما هو أخفى مما تخفونه من عض الانامل غيظاً وأن يكون خارجاً عنه بمعنى لا تتعجب من إطلاعى إياك على أسرارهم فإنى عليم بذات الصدور وقيل هو أمر لرسول الله ﷺ بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله تعالى أن يهلكوا غيظاً بإعزاز الإسلام وإذلالهم به من غير أن يكون ثمة قول كأنه قيل حدث نفسك بذلك (إن تمسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها) بيان لنتائج عداوتهم إلى حد حسد واما نالهم من خير ومنفعة وشتوا بما أصابهم من ضرر وشدة وذكر المس مع الحسنة والإصابة مع السيئة إما للإيذان بأن مدار مساوئهم أدنى مراتب إصابة الحسنة ومناطق فرحهم تمام إصابة السيئة وإما لأن المس مستعار لمعنى الإصابة (وإن تصبروا) أى على عزائهم أو على مشاق التكاليف (وتتقوا) ما حرم الله تعالى عليكم ونهاكم عنه (لا يضركم كيدهم) مكرم وحيلتهم التى دبروها لأجلكم وقرىء لا يضركم بكسر الضاد وجزم الراء على جواب الشرط من ضاره يضيره بمعنى ضره يضره وضمة الراء فى القراءة المشهورة للاتباع كضمة مد (شيئاً) نصب على المصدرية أى لا يضركم شيئاً من الضرر بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولأن المجد فى الأمر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون جريئاً على الخصم (إن الله بما يعملون) فى عدوايتكم من الكيد (محيط) علماً فيعاقبهم على ذلك وقرىء بالتاء الفوقانية أى بما تعملون من الصبر والتقوى فيجازيكم بما أنتم أهله (وإذ غدوت) كلام مستأنف سيق للاستشهاد بما فيه من استتباع عدم الصبر والتقوى للضرر على أن وجودهما مستتبع لما وعد من النجاة من مضرة كيد الأعداء وإذ نصب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي ﷺ خاصة مع عموم الخطاب فيما قبله وما بعده له وللمؤمنين لاختصاص مضمون الكلام به عليه السلام أى واذكر لهم وقت غدوك ليتذكروا ما وقع فيه من الأحوال الناشئة عن عدم الصبر فيعملوا أنهم إن لموا الصبر والتقوى لا يضرهم كيد الكفرة وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع أنها المقصودة بالذات للبالغلة فى إيجاب ذكرها واستحضار الحادثة بتفاصيلها كما سلف بيانه فى تفسير قوله تعالى وإذ قال ربك للملائكة الخ والمراد به خروجه عليه السلام إلى أحد وكان ذلك من منزل عائشة رضى الله عنها وهو المراد بقوله تعالى (من أهلك) أى من عند أهلك (تبوى المؤمنين) أى تنزلهم أو تهيم وتسوى لهم (مقاعد) ويؤيد قراءة من قرأ تبوى المؤمنين والجملة حال من فاعل غدوت لكن لا على أنها حال مقدره أى ناوياً وقاصداً للتبوءة كما قبل

إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ آل عمران ٣

بل على أن المقصود تذكير الزمان الممتد المتسع لا ابتداء الخروج والنبوة وما يترتب عليها إذ هو المذكور للقصة وإنما عبر عنه بالغدو الذي هو الخروج غدوة مع كون خروجه عليه السلام بعد صلاة الجمعة كما يستعرفه إذ حينئذ وقعت النبوة التي هي العمدة في الباب إذ المقصود بتذكير الوقت تذكير مخالفتهم لأمر النبي ﷺ ونزايهم عن أحيازهم المعينة لهم عند النبوة وعدم صبرهم وبهذا يتبين خلل رأى من احتج به على جواز أداء صلاة الجمعة قبل الزوال واللام في قوله تعالى (للقتال) إما متعلقة بتبويء أى لا جل القتال وإما بمحذوف وقع صفة لمقاعد أى كائنة ومقاعد القتال أما كنهه ومواقفه فإن استعمال المقعد والمقام بمعنى المكان اتساعاً شائع ذائع كما في قوله تعالى في مقعد صدق وقوله تعالى قبل أن تقوم من مقامك روى أن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء فاستشار رسول الله ﷺ أصحابه ودعا عبد الله بن أبي بن سلول ولم يكن دعاه قبل ذلك فاستشاره فقال عبد الله وأكثر الانصار يارسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم فو الله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصابنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم فإن أقاموا أقاموا بشر محبس وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وإن رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يارسول الله اخرج بنا إلى هؤلاء الأكلاب لا يرون أننا قد جئنا عنهم فقال رسول الله ﷺ إني قد رأيت في منامي بقرأ مذبحه حولي فأواتها خيراً ورأيت في ذباب سيني ثلثاً فأواته هزيمة ورأيت كأنني أدخلت يدي في درع حصينة فأواتها المدينة فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة فتدعهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر وأكرمهم الله تعالى بالشهادة يومئذ اخرج بنا إلى أعدائنا وقال النعمان بن مالك الانصارى رضى الله عنه يارسول الله لا تحرمنى الجنة فوالذى بعثك بالحق لا أدخلن الجنة ثم قال بقولى أشهد أن لا إله إلا وأنى لا أفر من الزحف فلم يزالوا به عليه السلام حتى دخل فلبس لأمته فلما رآوه كذلك ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله والوحى يأتيه وقالوا اصنع يارسول الله ما رأيت فقال ما ينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة وأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال لسنة ثلاث من الهجرة فشى على رجله فجعل يصف أصحابه للقتال فكأنما يقوم بهم القدح إن رأى صدرأ خارجاً قال تأخروا وكان نزوله في غدوة الوادى وجعل ظهره وعسكره إلى أحد وأمر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا

● ولا تبرحوا من مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم (والله سميع) لا أقوالكم (عليم) بضمائرهم والجملة اعتراض للإبذان بأنه قد صدر عنهم هناك من الأقوال والأفعال ما لا ينبغي صدوره عنهم .

١٢٢ (إذ همت) بدل من إذ غدوت مبين لما هو المقصود بالتذكير أو ظرف لسميع عليم على معنى أنه تعالى جامع بين سماع الأقوال والعلم بالضمائر في ذلك الوقت إذ لا وجه انقييد كونه تعالى سميعاً عليها بذلك الوقت . قال الفراء معنى قولك ضربت وأكرمت زيداً أن زيداً منصوب بهما وأنهما تسلطاً عليه معاً

● (طائفتان منكم أن تفشلا) متعلق بهمت والباء محذوفة أى بأن تفشلا أى تجبنأ وتضعفا وهما حيان من

آل عمران

وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾

إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزْلَلِينَ ﴿١٢٤﴾ آل عمران

الأنصار بنو سلفة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس وهما الجناحان من عسكر رسول الله ﷺ وكانوا ألف رجل وقيل تسعمائة وخمسين وعدم رسول الله ﷺ الفتح إن صبروا فلما قاربوا عسكر الكفرة وكانوا ثلاثة آلاف اتخذ عبد الله بن أبي بلثه الناس فقال يا قوم علام نقتل أنفسنا وأولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الأنصاري فقال أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم فقال عبد الله لو تعلم قتالا لا تبعناكم فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله تعالى فمضوا مع رسول الله ﷺ وعن ابن عباس رضي الله عنهما أضرما أن يرجعوا فزم الله لهم على الرشد فقتلوا والظاهر أنها ما كانت إلا همة وحديث نفس قلما تخلوا النفس عنه عند الشدائد (والله وليهما) أي عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة والجملة اعتراض ويجوز أن تكون حالا من فاعل همت أو من ضميره في تفشلا مفيدة لاستبعاد فشلهما أو مهمما به مع كونهما في ولاية الله تعالى وقرىء والله وليهم كما في قوله تعالى وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا (وعلى الله) وحده دون ما عداه مطلقاً استقلالاً أو اشتراكاً (فليتوكل المؤمنون) في جميع أمورهم فإنه حسبهم وإظهار الاسم الجليل للتبرك والتعليل فإن الألوهية من موجبات التوكل عليه تعالى واللام في المؤمنين للجنس فيدخل فيه الطائفتان دخولا أولياً وفيه إشعار بأن وصف الإيمان من دواعي التوكل وموجباته (واقعد نصركم الله بدير) ١٢٣ جملة مستأنفة سبقت لإيجاب الصبر والتقوى بتذكير ما ترتب عليهما من النصر إثر تذكير ما ترتب على عدمهما من الضرر وقيل لإيجاب التوكل على الله تعالى بتذكير ما يوجهه وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل اسمه بدر بن كعدة فسمى باسمه وقيل سمي به لصفائه كالبدور واستدارته وقيل هو اسم الموضع أو الوادي وكانت وقعة بدر في السابع عشر من شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة (وأنتم أذلة) حال من مفعول نصركم وأذلة جمع ذليل وإنما جمع جمع قلة للإبذان باتصافهم حينئذ بوصف القلة والأذلة إذ كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان ضعف حالهم في الغاية خرجوا على النواضح يتعقب النفر منهم على البعير الواحد ولم يكن في العسكر إلا فرس واحد وقيل فرسان البقداد ومرئد وتسعون بعيراً وست أدرع وثمانية سيوف وكان العدو زهاء ألف ومعهم مائة فرس وشك وشوكة (فاتقوا الله) اقتصر على الأمر بالتقوى مع كونه مشفوعاً بالصبر فيما سبق وما لحق الإشعار بإصاليته وكون الصبر من مباديه اللازمة له ولذلك قدم عليه في الذكر وفي ترتيب الأمر بالتقوى على الإخبار بالنصر إيدان بأن نصرهم المذكور كان بسبب تقواهم أي إذا كان الأمر كذلك فاتقوا الله كما اتقيتم يومئذ (لعلكم تشكرون) أي راجين أن تشكروا ما ينعم به عليكم بتقواكم من النصرة كما شكرتم فيما قبل أو لعلكم ينعم الله عليكم بالصبر كما فعل ذلك من قبل فوضع الشكر موضع سببه الذي هو الإنعام (إذ تقول) تلوين للخطاب بتخصيصه رسول ١٢٤ الله ﷺ لتشریفه والإيدان بأن وقوع النصر كان يبشّرته عليه السلام وإذ ظرف لنصركم قدم عليه الأمر

بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ

٣٢٢ عمران

مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾

- بالتقوى لإظهار كمال العناية به والمراد به الوقت الممتد الذي وقع فيه ما ذكر بعده وما طوى ذكره تعويلاً على شهادة الحال مما يتعلق به وجود النصر وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها
- أي نصركم وقت قولك (للمؤمنين) حين أظهروا العجز عن المقاتلة قال الشعبي بلغ المؤمنين أن كرز بن جابر الحنفي يريد أن يمد المشركين فشق ذلك على المؤمنين فنزل حينئذ ثم حكى ههنا (أن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف) الكفاية سد الخلة والقيام بالأمر والإمداد في الأصل إعطاء الشيء حالا بعد حال قال المفضل ما كان منه بطريق التقوية والإعانة يقال فيه أمدّه يمدّه إمداداً وما كان بطريق الزيادة يقال فيه مده يمدّه مدّاً ومنه والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر وقيل المد في الشر كما في قوله تعالى ويمدهم في طغيانهم يعمهون وقوله ونمده من العذاب مدّاً والإمداد في الخير كما في قوله تعالى وأمددناكم بأموال وبنين والتعرض لعنوان الربوبية ههنا وفيما سيأتي مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين لإظهار العناية بهم والإشعار بعلّة الإمداد والمعنى إنكار عدم كفاية الإمداد بذلك المقدار ونفيه وكلمة لن للإشعار بأنهم كانوا حينئذ كالأيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم (من الملائكة) بيان أوصفة لآلاف أو لما أضيف إليه أي كائنين من الملائكة (منزلين) صفة لثلاثة آلاف وقيل حال من الملائكة وقرئ منزلين بالتشديد للتكثير أو للتدريج قيل أمدّه الله تعالى أولاً بألف ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم خمسة آلاف وقرئ مبنيّاً للماعل من الصيغتين أي منزلين النصر (بلى) إيجاب لما بعد لن وتحقيق له أي بلى يكفيكم ذلك ثم وعد لهم الزيادة بشرط الصبر والتقوى حثاً لهم عليهما وتقوية لقلوبهم فقال (إن تصبروا) على لقاء العدو ومناهضتهم (وتتقوا) معصية الله ومخالفة نبيه عليه الصلاة والسلام (ويأتوكم) أي المشركين (من فورهم هذا) أي من ساعتهم هذه وهو في الأصل مصدر فارت القدر أي اشتد غلبانها ثم استعير للسرعة ثم أطلق على كل حالة لا ريث فيها أصلاً ووصفه بهذا لتأكيد السرعة بزيادة تعييده وتقريبه ونظم لإتيانهم بسرعة في سلك شرطى الإمداد المستتبين له وجوداً وعندما أعنى الصبر والتقوى مع تحقق الإمداد لا بحالة سواء أسرعوا أو أبطنوا التحقيق سرعة الإمداد لا لتحقيق أصله أو لبيان تحققه على أي حال فرض على أبلغ وجه وآكده بتعليقه بأبعد التقادير ليعلم تحققه على سائرهما بالطريق الأولى فإن هجوم الأعداء وإتيانهم بسرعة من مظان عدم لحوق المسدد عادة فعلق به تحقق الإمداد إيذاناً بأنه حيث تحقق مع ما ينافيه عادة فلأن يتحقق بدونه أولى وأحرى كما إذا أردت وصف درع بغاية الحصانة تقول إن أبستها وبارزت بها الأعداء فضربوك بأيد شداد وسيوف حداد لم تتأثر منها قطعاً (يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) من التسويم الذي هو إظهار سيما الشيء أي معلمين أنفسهم أو خيلهم فقد روى أنهم كانوا بعمائم بيض إلا جبريل عليه السلام فإنه كان بعمامة صفراء على مثال الزبير بن العوام وروى

وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ

الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾

آل عمران ٢٣

أنهم كانوا على خيل باق قال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل بلق عليهم عمامم بيض قد أرسلوها بين أكتافهم وقال هشام بن عروة عمامم صفر وقال قتادة والضحاك كانوا قد أعلوا بالعمم في نواصي الخيل وأذناها روى أن النبي ﷺ قال لا أصحابه تسوموا فإن الملائكة قد تسومت وقرئ مسومين على البناء للمفعول ومعناه معلمين من جهته سبحانه وقيل مرسلين من التسويم بمعنى الإسامة (وما جعله ١٢٦ الله) كلام مبتدأ غير داخل في حيز القول مسوق من جنابه تعالى لبيان أن الأسباب الظاهرة بمعزل من التأثير وأن حقيقة النصر مختص به عز وجل ليشق به المؤمنون ولا يقنطوا منه عند فقدان أسبابه وأماراته معطوف على فعل مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام فإن الإخبار بوقوع النصر على الإطلاق وتذكير وقته وحكاية الوعد بوقوعه على وجه مخصوص هو الإمداد بالملائكة مرة بعد أخرى وتعيين وقته فيما مضى يقضى بوقوعه حينئذ قضاء قطعياً لكن لم يصرح به تعويلاً على تعاضد الدلائل وتأخذ الإمارات والمخايل وإيذاناً بكال الغنى عنه بل احترازاً عن شائبة التكرير أو عن إيهام احتمال الخلف في الوعد المحتوم كأنه قيل عقيب قوله تعالى يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فأمدمكم هم وما جعله الله الخ والجعل متعد إلى واحد هو الضمير العائد إلى مصدر ذلك الفعل المقدر وأما عوده إلى المصدر المذكور أعنى قوله تعالى أن يمدكم أو إلى المصدر المدلول عليه بقوله تعالى يمددكم كما قيل فغير حقيق بجزالة التنزيل لأن الهيئته البسيطة متقدمة على المركبة فيبيان العلة الغائبة لوجود الإمداد كما هو المراد بالنظم الكريم حقه أن يكون بعد بيان وجوده في نفسه ولا ريب في أن المصدر بن المذكورين غير معتبرين من حيث الوجود والوقوع كمصدر الفعل المقدر حتى يتصدى لبيان أحكام وجودهما بل الأول معتبر من حيث الكفاية والثاني من حيث الوعد على أن الأول هو الإمداد بثلاثة آلاف والواقع هو الإمداد بخمسة آلاف وقوله تعالى (إلا بشرى لكم) استثناء مفرغ من أعم العلل وتلوين الخطاب لتشريف المؤمنين ولإيذان بأنهم المحتاجون إلى البشارة وتسكين القلوب بتوفيق الأسباب الظاهرة وأن رسول الله ﷺ غنى عنه بماله من التأيد الروحاني أي وما جعل إمدادكم بإزال الملائكة عياناً لشيء من الأشياء إلا للبشرى لكم بأنكم تنصرون (ولتطمئن قلوبكم به) أي بالإمداد وتسكن إليه كما كانت السكينة لبني إسرائيل كذلك فكلها علة غائية للجعل وقد نصب الأول لاجتماع شرائطه من اتحاد الفاعل والزمان وكونه مصدراً مسوقاً للتعليل وبقي الثاني على حاله لفقدانها وقيل للإشارة أيضاً إلى أصالته في العلية وأهميته في نفسه كما في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وفي قصر الإمداد عليهما إشعار بأن الملائكة عليهم السلام لم يباشروا يومئذ القتال وإنما كان إمدادهم بقوة قلوب المباشرين بتكثير السواد ونحوه كما هو رأى بعض السلف رضي الله عنه وقيل الجعل متعد إلى

٢٣ آل عمران

لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبُهُمْ فَيُنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾

٢٣ آل عمران

لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَلَنَهُمْ ظُلْمُونَ ﴿١٢٨﴾

- اثنين وقوله عز وجل لا بشرى لكم استثناء من أعم المفاعيل أى وما جعله الله تعالى شيئاً من الأشياء
 إلا بشارة لكم فاللام فى قوله تعالى ولتطمئن متعلقة بمحذوف تقديره ولتطمئن قلوبكم به فعل ذلك
 ● (وما النصر) أى حقيقة النصر على الإطلاق فيندرج فى حكمه النصر المعمود إندرجا أولياً (إلا من
 عند الله) أى إلا كائن من عنده تعالى من غير أن يكون فيه شركة من جهة الأسباب والعقد وإنما
 هى مظاهر له بطريق جريان سنته تعالى أو وما النصر المعمود إلا من عنده تعالى لا من عند الملائكة
 ● فإنهم بمعزل من التأثير وإنما قصارى أمرهم ما ذكر من البشارة وتقوية القلوب (العزى) أى الذى
 لا يغالب فى حكمه وأفضيته وإجراء هذا الوصف عليه تعالى للإشعار بعلّة اختصاص النصر به تعالى
 ● كما أن وصفه بقوله (الحكيم) أى الذى يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة للإيدان
 ١٢٧ بعلّة جعل النصر بإزال الملائكة فإن ذلك من مقتضيات الحكم البالغة (ليقطع) متعلق بقوله تعالى ولقد
 نصركم وما بينهما تحقيق لحقيقته وبيان لكيفية وقوعه والمقصود على التعليل بما ذكر من البشرى والاطمئنان
 إنما هو الإمداد بالملائكة على الوجه المذكور فلا يقدح ذلك فى تعليل أصل النصر بالقطع وما عطف عليه
 أو بما تعلق به الخبر فى قوله عز وعلا وما النصر إلا من عند الله على تقدير كونه عبارة عن النصر المعمود
 وقد أشير إلى أن المعلن بالبشارة والاطمئنان إنما هو الإمداد الصورى لا ما فى ضمنه من النصر المعنوى
 الذى هو ملاك الأمر وأما تعلقه بنفس النصر كما قيل فع ما فيه من الفصل بين المصدر ومعموله بأجنبى
 هو الخبر مغل بسداد المعنى كيف لا ومعناه قصر النصر المخصوص المعلن بعلة معينة على الحصول من
 جهته تعالى وليس المراد إلا قصر حقيقة النصر أو النصر المعمود على ذلك والمعنى لقد نصركم الله يومئذ أو
 ● وما النصر الظاهر عند إمداد الملائكة إلا ثابت من عند الله ليقطع أى يهلك وينقص (طرفاً من الذين كفروا)
 أى طائفة منهم بقتل وأسر وقد وقع ذلك حيث قتل من رؤسائهم وصناديدهم سبعون وأسر سبعون
 ● (أو يكبتهم) أى يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فإن الكبت شدة غيظ أو وهن يقع فى القلب من كبتة بمعنى كبده
 إذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل الكبت الإصابة بمكروه وقيل هو الصرع للوجه واليدين فالتاء
 ● حينئذ غير مبدلة وأو للتنويع (فينقلبوا خائبين) أى فيهنزوا منقطعى الآمال غير فائزين من مبتغاهم
 ١٢٨ بشىء كما فى قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً (ليس لك من الأمر شيء) اعتراض
 وسط بين المعطوف عليه المتعلق بالعاجل والمعطوف المتعلق بالآجل لتحقيق أن لا تأثير للمصورين لآثر
 بيان أن لا تأثير للناصرين وتخصيص النفى برسول الله ﷺ على طريق تلوين الخطاب للدلالة على الانتفاء
 من غيره بالطريق الأول وإنما خص الاعتراض بموقعه لأن ما قبله من القطع والكبت من مظان أن يكون
 ● فيه لرسول الله ﷺ ولسائر مبشرى القتال مدخل فى الجملة (أو يتوب عليهم أو يعذبهم) عطف على يكبتهم

والمعنى أن مالك أمرهم على الإطلاق هو الله عز وجل نصركم عليهم ليهلكهم أو يكتبهم أو يتوب عليهم إن أسلموا أو يعذبهم إن أصرّوا وليس لك من أمرهم شيء إنما أنت عبد ما مور يا نذارهم وجهادهم والمراد بتعذيبهم التعذيب الشديد الآخرى المخصوص بأشد الكفرة كفراً وإلا فطلق التعذيب الآخرى متحقق في الفريقين الأولين أيضاً ونظم التوبة والتعذيب المذكور في سلك العلة الغائبة للنصر المترتبة عليه في الوجود من حيث إن قبول توبتهم فرع تحققها الناشئ من علمهم بحقيقة الإسلام بسبب غلبة أهله المترتبة على النصر وأن تعذيبهم بالعذاب المذكور مترتب على إصرارهم على الكفر بعد تبين الحق على الوجه المذكور هذا وقيل إن عتبة بن أبي وقاص شجّر رسول الله ﷺ يوم أحد وكسر ربا عيته فجعل ﷺ يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم فنزلت ليس لك من الأمر شيء الآية كأنه نوع معاتبة على إنكاره عليه السلام لفلاحهم وقيل أراد أن يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه بأن منهم من يؤمن فقله تعالى أو يتوب عليهم حينئذ معطوف على الأمر أو على شيء يا ضمير أن أي ليس لك من أمرهم أو من التوبة عليهم أو من تعذيبهم شيء أو ليس لك من أمرهم شيء أو التوبة عليهم أو تعذيبهم ونقل عن الفراء وابن الأنباري أن أو بمعنى إلا أن والمعنى ليس لك من أمرهم شيء إلا أن يتوب الله عليهم فتفرح به أو يعذبهم فتتشق منهم وأياً ما كان فهو كلام مستأنف سيق لبيان بعض الأمور المتعلقة بغزوة أحد إثر بيان بعض ما يتعلق بغزوة بدر لما بينهما من التناسب الظاهر لأن كلا منهما مبني على اختصاص الأمر كله بالله تعالى ومنه عن سلبه عن سواه وأما تعلق كل القصة بغزوة أحد على أن قوله تعالى إذ تقول بدل ثان من إذ غدوت وأن ما حكى عن رسول الله ﷺ قد وقع يوم أحد وأن الإمداد الموعود كان مشروطاً بالصبر والتقوى فلما لم يفعلوا لم يتحقق الموعود كما قيل فلا يساعده النظم الكريم أما أولاً فلأن المشروط بالصبر والتقوى إنما هو الإمداد بخمسة آلاف لا بثلاثة آلاف مع أنه لم يقع الإمداد يومئذ ولا بملك واحد وأما ثانياً فلأنه كان ينبغي حينئذ أن ينعى عليهم جناباتهم وحرمانهم بسببها تلك النعمة الجليلة ودعوى ظهوره مع عدم دلالة السباق والسباق عليه بل مع دلائلهم على خلافه مما لا يكاد يسمع وأما ثالثاً فلأنه لا سبيل إلى جعل الضمير في قوله تعالى وما جعله الله إلح عائداً إلى الإمداد الموعود لأنه لم يتحقق فكيف يبين علته الغائبة ولا إلى الوعد به على معنى أنه تعالى إنما جعل ذلك الوعد لبشارتك وأطمئنان قلوبكم فلم تفعلوا ما شرط عليكم من الصبر والتقوى فلم يقع إنجاز الموعود لما أن قوله تعالى وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم صريح في أنه قد وقع الإمداد الموعود لكن أثره إنما هو مجرد البشارة والاطمئنان وقد حصل وأما النصر الحقيقي فليس ذلك إلا من عنده تعالى وجعله استثناء مقررأ لعدم وقوع الإمداد على معنى أن النصر الموعود مخصوص به تعالى فلا ينصر من خالف أمره بترك الصبر والتقوى اعتساف بين يجب تنزيه التنزيل عن أمثاله على أن قوله تعالى ليقطع طرفاً الآية متعلق حينئذ بما تعلق به قوله تعالى من عند الله من الثبوت والاستقرار ضرورة أن تعلقه بقوله تعالى ولقد نصركم الله بيد الآية مع كون ما بينهما من التفصيل متعلقاً بوقعة أحد من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه فلا بد من اعتبار وجود النصر قطعاً لأن تفصيل الأحكام المترتبة على وجود شيء

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ آل عمران
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم مَّذْنَبًا كَمَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم مِّنْ بَيْنِ يَدَيْكُم تَغْلِبُونَ ﴿١٣٠﴾ آل عمران
وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ آل عمران

- بصدد بيان انتفائه عما لم يعمد في كلام الناس فضلا عن الكلام المجيد فالحق الذي لا محيد عنه أن قوله تعالى
إذ تقول ظرف لنصركم وأن ما حكى في أثنائه إلى قوله تعالى خائبين متعلق بيوم بدر قطعاً وما بعده محتمل
● للوجهين المذكورين وقوله تعالى (فإنهم ظالمون) تعليل على كل حال لقوله تعالى أو يعذبهم مبين لكون
١٢٩ ذلك من جهتهم وجزاء لظلمهم (ولله ما في السموات وما في الأرض) كلام مستأنف سيق لبيان اختصاص
ملكوت كل الكائنات به عز وجل إثر بيان اختصاص طرف من ذلك به سبحانه تقريراً لما سبق وتكملة
له وتقديم الجار للقصر وكلمة ما شاملة للعقلاء أيضاً تغليباً أي له ما فيهما من الموجودات خلقاً وملكاً
● لا مدخل فيه لأحد أصلاً فله الأمر كله (يغفر لمن يشاء) أن يغفر له مشيئة مبنية على الحكم والمصالح
● (ويعذب من يشاء) أن يعذبه بعمله مشيئة كذلك وإيثار كلمة من في الموضوعين لاختصاص المغفرة والتعذيب
بالعقلاء وتقديم المغفرة على التعذيب للإيذان بسبق رحمته تعالى غضبه وبأنها من مقتضيات الذات دونه
فإنه من مقتضيات سيئات العصاة وهذا صريح في نفي وجوب التعذيب والتقيد بالتوبة وعدمها كالمنافي له
● (والله غفور رحيم) تذييل مقرر لمضمون قوله تعالى يغفر لمن يشاء مع زيادة وفي تخصيص التذييل به دون
١٣٠ قرينة من الاعتناء بشأن المغفرة والرحمة ما لا يخفى (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا) كلام مبتدأ مشتمل
على ما هو ملك الأمر في كل باب لا سيما في باب الجهاد من التقوى والطاعة وما بعدهما من الأمور المذكورة
على نهج الترغيب والترهيب جرى به في تضاعيف القصة مسارعة إلى إرشاد الخاطبين إلى ما فيه وإيذاناً بكمال
وجوب المحافظة عليه فيما هم فيه من الجهاد فإن الأمور المذكورة فيه مع كونها مغاطاً للفوز في الدارين
على الإطلاق عمدة في أمر الجهاد عليها يدور فلك النصر والغلبة كيف لا ولو حافظوا على الصبر والتقوى
وطاعة الرسول ﷺ لما لقوا ما لقوا ولعل إيراد النهي عن الربا في أثنائها لما أن الترغيب في الإنفاق في
السراء والضراء الذي عمدته الإنفاق في سبيل الجهاد متضمن للترغيب في تحصيل المال فكان مظنة مبادرة
الناس إلى طرق الاكتساب ومن جملتها الربا فنهوا عن ذلك والمراد بأكله أخذه وإنما عبر عنه بالأكل لما
● أنه معظم ما يقصد بالأخذ واشيوعه في المأكولات مع ما فيه من زيادة تشنيع وقوله عز وجل (أضعافاً
مضاعفة) ليس لتقيد النهي به بل لمراعاة ما كانوا عليه من العادة توبيخاً لهم بذلك إذ كان الرجل يربي
إلى أجل فإذا حل قال للمدين زدني في المال حتى أزيدك في الأجل فيفعل وهكذا عند محل كل أجل
● فيستغرق بالشئ الطفيف ماله بالسكينة ومحله النصب على الحالية من الربا وقرئ مضعفة (واتقوا الله)
١٣١ فيما نهيتهم عنه من الأمور التي من جملتها الربا (لعلكم تفلحون) راجع للفلاح (واتقوا النار التي أعدت

آل عمران ٣

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ آل عمران

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ

آل عمران ٣

الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾

- للكافرين) بالتمحيز عن متابعتهم وتعاطي ما يتعاطونه كان أبو حنيفة رحمه الله تعالى يقول هي أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين إن لم يتقوه في اجتناب محارمه (وأطيعوا الله) ١٣٢ في كل ما أمركم به ونهاكم عنه (والرسول) الذي يبلغكم أوامره ونواهيه (لعلكم ترحمون) راجين لرحمته . ● عقب الوعيد بالوعد ترهيباً عن المخالفة وترغيباً في الطاعة وإيراد لعل في الموضوعين للإشعار بعزة منال الفلاح والرحمة قال محمد بن إسحق هذه الآية معاتبة للذين عصوا رسول الله ﷺ حين أمرهم بما أمرهم يوم أحد (وسارعوا) عطف على أطيعوا وقرئ بغير واو على وجه الاستئناف أى بادروا وأقبلوا ١٣٣ وقرئ سابقوا (إلى مغفرة من ربكم وجنة) أى إلى ما يؤدى إليهما وقيل إلى الإسلام وقيل إلى التوبة ● وقيل إلى الإخلاص وقيل إلى الجهاد وقيل إلى أداء جميع الواجبات وترك جميع المنهيات فيدخل فيها ما مر من الأمور المأمور بها والمنهى عنها دخولاً أولاً وتقديم المغفرة على الجنة لما أن التخلية متقدمة على التولية ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لمغفرة أى كائنة من ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين لإظهار مزيد اللطف بهم وقوله تعالى (عرضها السموات والأرض) أى كعرضهما ● صفة لجنة وتخصيص العرض بالذكر للبالغ في وصفها بالسعة والبسطة على طريقة التمثيل فإن العرض في العادة أدنى من الطول وعن ابن عباس رضى الله عنهما كسيع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض (أعدت للمتقين) في حيز الجر على أنه صفة أخرى لجنة أو في محل النصب على الحالية منها لتخصيصها ● بالصفة أى هيئت لهم وفيه دليل على أن الجنة مخلوقة الآن وأنها خارجة عن هذا العالم (الذين ينفقون) ١٣٤ في محل الجر على أنه نعت للمتقين مادح لهم أو بدل منه أو بيان أو في حيز النصب أو الرفع على المدح ومفعول ينفقون محذوف ليتناول كل ما يصلح للإنفاق أو متروك بالكلية كما في قولك يعطى ويمنع (في السراء والضراء) في حالتي الرخاء والشدة واليسر والعسر أو في الأحوال كلها إذا الإنسان لا يخلو عن مسرة أو مضرة أى لا يخلو في حال ما يوافق ما قدره عليه من قليل أو كثير (والكاظمين الغيظ) عطف على الموصول والعدول إلى صيغة الفاعل للدلالة على الاستمرار وأما الإنفاق فحيث كان أمراً متجدداً عبر عنه بما يفيد الحدوث والتجدد والكاظم الحبس يقال كظم غيظه أى حبسه قال المبرد تأويله أنه كتمه على امتلأته منه يقال كظمت السقاء إذا ملأته وشددت عليه أى المسكين عليه الكافين عن إمضائه مع القدرة عليه وعن النبي ﷺ من كظم غيظاً وهو قادر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً (والعافين عن الناس) ●

وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ
الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَوْ يُصِرُّ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾

آل عمران

أى التاركين عقوبة من استحق مؤاخذته . روى أنه ينادى مناد يوم القيامة أين الذين كانت أجورهم
على الله تعالى فلا يقوم إلا من عفا وعن النبي ﷺ إن هؤلاء فى أمتى قليل إلا من عصم الله وقد كانوا
كثيراً فى الأمم التى مضت وفى هذين الوصفين إشعار بكمال حسن موقع عفوهِ عليه الصلاة والسلام عن
الرماة وترك مؤاخذتهم بما فعلوا من مخالفة أمره عليه السلام وندب له عليه السلام إلى ترك ما عزم عليه
من مجازاة المشركين بما فعلوا بحمزة رضى الله عنه حيث قال حين رآه قد مثل به لا مثلاً بسبعين مكانك
(والله يحب المحسنين) اللام إما للجنس وهم داخلون فيه دخولا أولياً وإما للعهد عبرتهم بالمحسنين إيذاناً
بأن النعوت المعدودة من باب الإحسان الذى هو الإتيان بالأعمال على الوجه اللائق الذى هو حسنها
الوصفى المستلزم لحسنها الذاتى وقد فسرهُ عليه السلام بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه
يراك والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها (والذين) مرفوع على الابتداء وقيل مجرور معطوف على ما قبله
١٣٥ من صفات المتقين وقوله تعالى والله يحب المحسنين اعتراض بينهما مشير إلى ما بينهما من التفاوت فإن درجة
الأولين من التقوى أعلى من درجة هؤلاء وحظهم أوفى من حظهم أوعلى نفس المتقين فيكون التفاوت
أكثر وأظهر (إذا فعلوا فاحشة) أى فعلة بالغة فى القبح كالزنا (أو ظلموا أنفسهم) بأن أتوا ذنباً أى ذنب
كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة أو الفاحشة ما يتعدى إلى الغير وظلم النفس ما ليس كذلك
قيل قال المؤمنون يا رسول الله كانت بنو إسرائيل أكرم على الله تعالى منا كان أحدهم إذا أذنب أصبحت
كفارة ذنبه مكتوبة على عتبة داره افعل كذا فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل إن نهران التمارأته امرأة
حسنة تطلب منه تمرأ فقال لها هذا التمر ليس بمجد وفي البيت أجود منه فذهب بها إلى بيته فضمها إلى نفسه
وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك وأتى النبي ﷺ وذكر له ذلك فنزلت وقيل جرى مثل هذا
بين أنصارى وامرأة رجل ثقفى كان بينهما مؤاخاة فندم الأنصارى وحنأ على رأسه التراب وهام على وجهه
وجعل يسبح فى الجبال تائباً مستغفراً ثم أتى النبي ﷺ فنزلت وأياً ما كان فإطلاق اللفظ ينتظم ما فعله
● الزناة انتظاماً أولياً (ذكروا الله) تذكروا حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء أو وعيده أو حكمه
● وعقابه (فاستغفروا لذنوبهم) بالتوبة والندم والغاء للدلالة على أن ذكره تعالى مستتبع للاستغفار لا محالة
● (ومن يغفر الذنوب) استفهام إنكارى والمراد بالذنوب جنسها كما فى قولك فلان يلبس الثياب ويركب
● الخيل لا كلها حتى يخل بما هو المقصود من استحالة صدور مغفرة فرد منها عن غيره تعالى وقوله تعالى (إلا
الله) بدل من الضمير المستكن فى يغفر أى لا يغفر جنس الذنوب أحد إلا الله خلا أن دلالة الاستفهام
على الانتفاء أقوى وأبلغ لإيذانه بأن كل أحد ممن له حظ من الخطاب يعرف ذلك الانتفاء فيسارع إلى
الجواب به والمراد به وصفه سبحانه بغاية سعة الرحمة وعموم المغفرة والجملة معترضة بين المعطوفين أو

أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾

آل عمران ٢٣

قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١٣٧﴾

آل عمران ٢٣

- بين الحال وصاحبها لتقرير الاستغفار والحث عليه والإشعار بالوعد بالقبول (ولم يصروا) عطف على فاستغفروا وتأخير عنه مع تقدم عدم الإصرار على الاستغفار رتبة لإظهار الاعتناء بشأن الاستغفار واستحقاقه للمسارعة إليه عقيب ذكره تعالى أو حال من فاعله أى ولم يقيموا أو غير مقيمين (على ما فعلوا) أى ما فعلوه من الذنوب فاحشة كانت أو ظلماً أو على فعلهم . روى عن النبي ﷺ أنه قال ما أصر من استغفروا إن عاد في اليوم سبعين مرة وأنه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار (وهم يعلمون) حال من فاعل يصروا أى لم يصروا على ما فعلوا وهم عالمون بقبوحه والنهي عنه والوعيد عليه والتقييد بذلك لما أنه قد يعذر من لا يعلم ذلك إذا لم يكن عن تقصير في تحصيل العلم به (أو لئلا) إشارة إلى المذكورين ١٣٦ آخرأ باعتبار اتصافهم بآثار من الصفات الحميدة وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعد منزلاتهم وعلو طبقتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى (جزاؤهم) بدل اشتمال منه وقوله تعالى (مغفرة) خبر له أو جزاؤهم مبتدأ ثان ومغفرة خبر له والجملة خبر لأولئك وهذه الجملة خبر لقوله تعالى والذين إذا فعلوا الخ على الوجه الأول وهو الأظهر الأنسب بنظم المغفرة المنبثقة عن سابقة الذنب في سلك الجزاء إذ على الوجهين الآخرين يكون قوله تعالى أولئك الخ جملة مستأنفة مبينة لما قبلها كاشفة عن حال كلا الفريقين المحسنين والتائبين ولم يذكر من أوصاف الأولين ما فيه شائبة الذنب حتى يذكر في مطلع الجزاء الشامل لهما المغفرة وتخصيص الإشارة بالآخرين مع اشتراكهما في حكم لإعداد الجنة لهما تعسف ظاهر (من ربههم) متعلق بمحذوف وقع صفة لمغفرة مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أى كائنة من جمته تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم للإشعار بعلو الحكم والتشريف (وجنات تجري من تحتها الأنهار) عطف على مغفرة والتذكير المشعر بكونها أدنى من الجنة السابقة بما يؤيد رجحان الوجه الأول (خالدين فيها) حال مقدرة من الضمير في جزاؤهم لأنه مفعول به في المعنى لأنه في قوة يحجزهم الله جنات خالدين فيها ولا مساغ لأن يكون حالا من جنات في اللفظ وهى لأصحابها في المعنى إذ لو كان كذلك لبرز الضمير (ونعم أجر العاملين) المخصوص بالمدح محذوف أى ونعم أجر العاملين ذلك أى ما ذكر من المغفرة والجنات والتعبير عنهما بالأجر المشعر بأنهما يستحقان بمقابلة العمل وإن كان بطريق التفضل لمزيد الترغيب في الطاعات والزجر عن المعاصي والجملة تذييل مختص بالتائبين حسب اختصاص التذليل السابق بالأوليين وناهيك مضمونهما دليلا على ما بين الفريقين من التفاوت النير والتباين البين شتان بين المحسنين الفائزين بمحبة الله عز وجل وبين العاملين الخائزين لأجرتهم وعمالهم (قد خلت من قبلكم سُنَنٌ) رجوع إلى تفصيل بقية القصة بعد تمهيد مبادئ الرشد والصلاح وترتيب مقدمات الفوز والفلاح

٢٣ آل عمران

هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾

٢٣ آل عمران

وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾

والخلو المضى والسنن الوقائع وقيل الائم والظرف إما متعلق بخلت أو بمحذوف وقع حالا من سنن أى قد مضت من قبل زمانكم أو كانت من قبلكم وقائع سننها الله تعالى فى الائم المكذبة بما فى قوله تعالى وقتلوا تقتيلا سنة الله فى الذين خلوا الخ والفاء فى قوله تعالى (فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) للدلالة على سببية خلوها للسير والنظر أو للأمر بهما وقيل المعنى على الشرط أى إن شككتم فسيروا الخ وكيف خبر مقدم لكان معلق لفعل النظر والجملة فى محل النصب بعد نزع الخافض لأن الأصل استعماله بالجار (هذا) إشارة إلى ما سلف من قوله تعالى قد خلت إلى آخره (بيان للناس) أى تبين لهم على أن اللام متعلقة بالمصدر أو كائن لهم على أنها متعلقة بمحذوف وقع صفة له وتعريف الناس للهدى وهم المكذبون أى هذا إيضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب فإن الأمر بالسير والنظر وإن كان خاصاً بالمؤمنين لكن العمل بموجبه غير مختص بواحد دون واحد ففيه حمل للمكذبين أيضاً على أن ينظروا فى عواقب من قبلهم من أهل التكذيب ويعتبروا بما يعاينون من آثار دمارهم وإن لم يكن الكلام مسوقاً لهم (وهدى وموعظة) أى وزيادة بصيرة وموعظة لكم وإنما قيل (للمتقين) الإيذان بعله الحكم فإن مدار كونه هدى وموعظة لهم إنما هو تقواهم ويجوز أن يراد بالمتقين الصائرين إلى التقوى . والهدى والموعظة على ظاهرهما أى هذا بيان لما لأمر الناس وسوء مغيبته وهداية لمن اتقى منهم وزجر لهم عما هم عليه من التكذيب وأن يراد به ما يعمهم وغيرهم من المتقين بالفعل ويراد بالهدى والموعظة أيضاً ما يعم ابتداءهما وزيادة فيهما وإنما قدم كونه بياناً للمكذبين مع أنه غير مسوق له على كونه هدى وموعظة للمتقين مع أنه المقصود بالسياق لأن أول ما يترتب على مشاهدة آثار هلاك أسلافهم ظهور حال أخلافهم وأما زيادة الهدى أو أصله فأمر مترتب عليه وتخصيص البيان للناس مع شموله للمتقين أيضاً لما أن المراد به مجرد البيان العارى عن الهدى والعظة والاقتصار عليهما فى جانب المتقين مع ترتبهما على البيان لما أنهما المقصد الأصلي ويجوز أن يكون تعريف الناس للجنس أى هذا بيان للناس كافة وهدى وموعظة للمتقين منهم خاصة وقيل كلمة هذا إشارة إلى ما لخص من أمر المتقين والتائبين والمصرين وقوله تعالى قد خلت الآية اعتراض للبعث على الإيمان وما يستحق به ما ذكر من أجر العاملين وأنت خير بأن الاعتراض لا بد أن يكون مقرر المضمون ما وقع فى خلاله ومعاينة آثار هلاك المكذبين مما لا تعلق له بحال أحد الأوصاف الثلاثة للمؤمنين وإن كان باعتماداً على الإيمان زاجراً عن التكذيب وقيل إشارة إلى القرآن ولا يخفى بعده (ولا تهنوا ولا تحزنوا) تشجيع المؤمنين وتقوية لقلوبهم وتسلية عما أصابهم يوم أحد من القتل والفرح وكان قد قتل يومئذ خمسة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير صاحب راية رسول الله ﷺ وعبد الله بن جحش ابن عمه النبي ﷺ وعثمان بن شماس وسعد مولى عتبة

إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾

آل عمران ٣

- رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ومن الأنصار سبعون رجلا رضى الله عنهم أى لا تضعفوا عن الجهاد بما نالكم من الجراح ولا تحزنوا على من قتل منكم (وأنتم الأعلون) جملة حالية من فاعل الفعلين أى والحال أنكم الأعلون الغالبون دون عدوكم فإن مصير أمرهم إلى الدمار حسبا شاهدتم من أحوال أسلافهم فهو تصريح بالوعد بالنصر والغلبة بعد الإشعار به فيما سبق أو وأنتم المعهودون بغاية علو الشأن لما أنكم على الحق وقتالكم الله عز وجل وقتلاككم فى الجنة وهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلهم فى النار وقيل وأنتم الأعلون حالا منهم حيث أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم اليوم (إن كنتم مؤمنين) متعلق بالنهاى أو بالأعلون وجوابه محذوف لدلالة ما تعلق به عليه أى إن كنتم مؤمنين فلا تنهوا ولا تحزنوا فإن الإيمان يوجب قوة القلب والثقة بصنع الله تعالى وعدم المبالاة بأعدائه أو إن كنتم مؤمنين فأنتم الأعلون فإن الإيمان يقتضى العلو لا محالة أو إن كنتم مصدقين بوعد الله تعالى فأنتم الأعلون وأيا ما كان فالمقصود تحقيق المعلق بناء على تحقق المعلق به كما فى قول الأجير إن كنت عملت لك فأعطى أجرى ولذلك قيل معناه إذ كنتم مؤمنين وقيل معناه إن بقيتم على الإيمان (إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله) ١٤٠
- القرح بالفتح والضم لغتان كالضعف والضعف وقد قرىء بهما وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم ألمها وقرىء بفتحين وقيل القرحة والقرح كالطرد والطرده والمعنى إن نالوا منكم يوم أحد فقد نلتهم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فأنتم أحق بأن لا تضعفوا فإنكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسلمين كان يوم أحد فإن المسلمين نالوا منهم قبل أن يخالفوا أمر رسول الله ﷺ قتلوا منهم نيفاً وعشرين رجلاً منهم صاحب لوأثمهم وجرحوا عدداً كثيراً وعقروا عامة خيلهم بالنبل (وتلك الأيام) إشارة إلى الأيام الجارية فيما بين الأمم الماضية والآتية كافة لا إلى الأيام المعهودة خاصة من يوم بدر ويوم أحد بل هى داخلة فيها دخولا أولياً والمراد بها أوقات الظفر والغلبة (نداولها بين الناس) نصرهما بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء أخرى كقول من قال [فيوما علينا ويوما لنا] ويوما نساء ويوما نسر | والمداولة كالمعاورة يقال داولته بينهم فتداولوه أى عاورته فتعاوره واسم الإشارة مبتدأ والأيام إما صفة له أو بدل منه أو عطف بيان له فتداولها خبره أو خبر فتداولها حال من الأيام والعامل معنى اسم الإشارة أو خبر بعد خبر وصيغة المضارع الدالة على التجدد والاستمرار للإيدان بأن تلك المداولة سنة مسلوكة فيما بين الأمم قاطبة سابقتها ولاحقها وفيه ضرب من النسبية وقوله عز وجل (وليعلم الله الذين آمنوا) إما من باب التثنية أى ليعاملكم معاملة من يريد أن يعلم الخالصين الثابتين على الإيمان من غيرهم أو العلم فيه مجاز عن التمييز بطريق إطلاق اسم السبب على المسبب أى ليميز الثابتين على الإيمان من غيرهم كما فى قوله تعالى ما كان الله لينذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز
- ١٢٠ - أبو السعود ج ٢٤

وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾

آل عمران ٣

الحديث من الطيب أو هو على حقيقته معتبر من حيث تعلقه بالمعلوم من حيث إنه وجود بالفعل لإذهو الذى يدور عليه فلك الجزاء لا من حيث إنه موجود بالقوة وإطلاق الإيمان مع أن المراد هو الرسوخ والإخلاص فيه للإيدان بأن اسم الإيمان لا ينطلق على غيره والالتفات إلى الغيبة بإسناده إلى اسم الذات المستجمع للصفات لتربية المهابة والإشعار بأن صدور كل واحد مما ذكر بصدد التعليل من أفعاله تعالى باعتبار منشأ معين من صفاته تعالى مغاير لمنشأ الآخر والجملة علة لما هو فرد من أفراد مطلق المداولة التى نطق بها قوله تعالى نداؤها بين الناس من المداولة المعهودة الجارية بين فريق المؤمنين والكافرين واللام متعلقة بما دل عليه المطلق من الفعل المقيد بالوقوع بين الفريقين المذكورين أو بنفس الفعل المطلق باعتبار وقوعه بينهما والجملة معطوفة على علة أخرى لها معتبرة إما على الخصوص والتعيين محدوفة لدلالة المذكورة عليها لكونها من مبادئها كأنه قيل نداؤها بينكم وبين عدوكم ليظهر أمركم وليعلم الخ فإن ظهور أعمالهم وخروجها من القوة إلى الفعل من مبادئ تمييزهم عن غيرهم وهو واجب تعلق العلم الأزلى بهما من تلك الحيثية وكذا الحال فى باب التمثيل فتأمل وإما على العموم والإيهام للتنبيه على أن العمل غير منحصرة فيما عدد من الأمور وأن العبد يسوءه ما يجرى عليه من النوائب ولا يشعر بأن الله تعالى جعل له فى ذلك من الالطاف الخفية ما لا يخطر بالبال كأنه قيل نداؤها بينكم ليكون من المصالح كيت وكيت وليعلم الخ وفيه من تأكيد التسلية ومزيد التبصرة ما لا يخفى وتخصيص البيان بعله هذا الفرد من مطلق المداولة دون سائر أفرادها الجارية فيما بين بقية الأمم تعييناً أو إيهاماً لعدم تعلق الغرض العلمى ببيانها ولك أن تجعل المحذوف المبهم عبارة عن علل سائر أفرادها للإشارة إجمالاً إلى أن كل فرد من أفرادها له علة داعية إليه كأنه قيل نداؤها بين الناس كافة ليسكون كيت وكيت من الحكم الداعية إلى تلك الأفراد وليعلم الخ فاللام الأولى متعلقة بالفعل المطلق باعتبار تقييده بتلك الأفراد والثانية باعتبار تقييده بالفرد المعهود وقيل هى متعلقة بمحذوف مؤخر تقديره وليعلم الله الذين آمنوا فعل ذلك (ويتخذ منكم شهداء) جمع شهيد أى ويكرم ناساً منكم بالشهادة وهم شهداء أحد فن ابتدائية أو تبعيضية متعلقة يتخذ أو بمحذوف وقع حالا من شهداء أو جمع شاهد أى ويتخذ منكم شهداء معدلين بما ظهر منهم من الثبات على الحق والصبر على الشدائد وغير ذلك من شواهد الصدق ليشهدوا على الأمم يوم القيامة فن بيانية لأن تلك الشهادة وظيفة الكل دون المستشهادين فقط وأياً ما كان فى لفظ الاتخاذ المنبئ عن الاصطفاء والتقريب من تشريفهم وتقدير شأنهم ما لا يخفى وقوله تعالى (والله لا يحب الظالمين) اعتراض مقرر لمضمون ما قبله ونفى الحجة كناية عن البغض ونفى إيقاعه على الظالمين تعريض بمحبته تعالى لمقابلتهم والمراد بهم إما غير الثابتين على الإيمان فالتقرير من حيث أن بغضه تعالى لهم من دواعى إخراج المخلصين المصطفين للشهادة من بينهم وإما الكفرة الذين أدبل لهم فالتقرير من حيث إن ذلك ليس بطريق النصرة لهم فإنها مختصة بأوليائه تعالى بل لما ذكر من الفوائد العائدة إلى المؤمنين وقوله تعالى (وليمحص الله الذين آمنوا) أى ليصفهم ويظهرهم من

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ آل عمران

- الذنوب عطف على يتخذ وتكرير اللام لتذكير التعليل لوقوع الفصل بينهما بالاعتراض وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لإبراز مزيد الاعتناء بشأن التمحيص وهذه الأمور الثلاثة علل للمداولة المعهودة باعتبار كونها على المؤمنين قدمت في الذكر لأنها المحتاجة إلى البيان ولعل تأخير العلة الأخيرة عن الاعتراض لئلا يتوهم اندراج المذنبين في الظالمين أو ليقترن بقوله عز وجل (ويمحق الكافرين) فإن التمحيص فيه محو الآثار وإزالة الأوصار كما أن المحق عبارة عن النقص والإذهاب قال المفضل وهو أن يذهب الشيء بالكلية حتى لا يرى منه شيء ومنه قوله تعالى يحق الله الربا أي يستأصله وهذه علة للمداولة باعتبار كونها على الكافرين والمراد بهم الذين جاربوا رسول الله ﷺ يوم أحد وأصروا على الكفر وقد محقهم الله عز وجل جميعاً (أم حسبتم) كلام مستأنف سيق لبيان ماهي الغاية القصوى من المداولة ١٤٢ والنتيجة لما ذكر من تمييز المخلصين وتمحيصهم واتخاذ الشهداء وإظهار عزة منالها والخطاب للذين انهزموا يوم أحد وأم منقطعة وما فيها من كلمة بل للإضراب عن التسلية ببيان العلل فيما القوا من الشدة إلى تحقيق أنها من مبادئ الفوز بالمطلب الأسنى والهمزة للإنكار والاستبعاد أي بل أحسبتم (أن تدخلوا الجنة) ● وتفوزوا بنعيمها وقوله تعالى (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) حال من ضمير تدخلوا مؤكدة للإنكار ● فإن رجاء الأجر بغير عمل ممن يعلم أنه منوط به مستبعد عند العقول وعدم العلم كناية عن عدم المعلوم لما بينهما من اللزوم المبني على لزوم تحقق الأول لتحقيق الثاني ضرورة استحالة تحقق شيء بدون علمه تعالى به وإشارتها على التصريح للبالغة في تحقيق المعنى المراد فإنها لإثبات لعدم جهادهم بالبرهان وللإيدان بأن مدار ترتب الجزاء على الأعمال إنما هو علم الله تعالى بها كأنه قيل والحال أنه لم يوجد الذين جاهدوا منكم وإنما وجه النفي إلى الموصوفين مع أن المنفي هو الوصف فقط وكان يكفي أن يقال ولما يعلم الله جهادكم كناية عن معنى ولما تجاهدوا للبالغة في بيان انتفاء الوصف وعدم تحققه أصلاً وفي كلمة لما إيدان بأن الجهاد متوقع منهم فيما يستقبل إلا أنه غير معتبر في تأكيد الإنكار وقرىء يعلم بفتح الميم على أن أصله يعلن فحذفت النون أو على طريقة اتباع الميم لما قبلها في الحركة لإبقاء تفخيم اسم الله تعالى ومنكم حال من الذين (ويعلم الصابرين) منصوب بإضمار أن على أن الواو للجمع كما في قولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن أي لا يكن منك أكل السمك وشرب اللبن والمعنى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة والحال أنه لم يتحقق منكم الجهاد والصبر أي الجمع بينهما وإيثار اسم الفاعل على الموصول للدلالة على أن المعتبر هو الاستمرار على الصبر والحفاظة على الفواصل وقيل مجزوم معطوف على المجزوم قبله قد حرك لا لتقاء الساكنين بالفتح للرخفة والاتباع كما مر ويؤيده القراءة بالكسر على ما هو الأصل في تحريك الساكن وقرىء يعلم بالرفع على أن الواو للحال وصاحبها الموصول والمبتدأ محذوف أي وهو يعلم الصابرين كأنه قيل ولما تجاهدوا وأنتم صابرون .

وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ ٣ آل عمران

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ٣ آل عمران

- ١٤٣ (ولقد كنتم تمنون الموت) أى تمنون الحرب فإنها من مبادئ الموت أو الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرأ وكانوا يتمنون أن يشهدوا مع رسول الله ﷺ مشهداً لينالوا ما ناله شهداء بدر من الكرامة فألحوا على رسول الله ﷺ في الخروج ثم ظهر منهم خلاف ذلك (من قبل أن تلقوه) متعلق بتمنون مبين لسبب إقدامهم على التتأى أى من قبل أن تشاهدوه وتعرفوا هولاء وشدة وقرىء تلاقوه (فقد رأيتموه) أى ماتتمونه من أسباب الموت أو الموت بمشاهدة أسبابه وقوله تعالى (وأنتم تنظرون) حال من ضمير المخاطبين وفى إشار الرؤية على الملاقة وتقييدها بالنظر مزيد مبالغة فى مشاهدتهم له والفاء فصيحة كأنه قيل إن كنتم صادقين فى تمنىكم ذلك فقد رأيتموه معانين له حين قتل بين أيديكم من قتل من إخوانكم وأقاربكم وشارفتم أن تقتلوا فلم فعلتم ما فعلتم وهو توبيخ لهم على تمنى الحرب وتسببهم لها ثم جنبهم وانهمامهم لا على تمنى الشهادة بناء على تضمنها الغلبة الكفار لما أن مطلب من يتمناها نيل
- ١٤٤ كرامة الشهداء من غير أن يخطر بباله شيء غير ذلك فلا يستحق العتاب من تلك الجهة (وما محمد إلا رسول) مبتدأ وخبر ولا عمل لما بالاتفاق لا تنقاض نفيه بإلا وقوله تعالى (قد خلت من قبله الرسل) صفة لرسول منبثة عن كونه فى شرف الخلو فإن خلو مشاركيه فى منصب الرسالة من شواهد خلوه عليه الصلاة والسلام لاحالة كأنه قيل قد خلت من قبله أمثاله فسيخلو كما خلوا والقصر قلبى فإنهم لما انقلبوا على أعقابهم فكأنهم اعتقدوا أنه عليه الصلاة والسلام رسول لا كسائر الرسل فى أنه يخلو كما خلوا ويجب التمسك بدينه بعده كما يجب التمسك بدينهم بعدهم بأنهم ليس إلا رسولا كسائر الرسل فسيخلو كما خلوا ويجب التمسك بدينه كما يجب التمسك بدينهم وقيل هو قصر لإفرادهم لما استعظموا عدم بقاءه عليه الصلاة والسلام لهم نزلوا منزلة المستبشرين هلاكاً كما أنهم يعتقدون فيه عليه الصلاة والسلام وصفين الرسالة والبعد عن الهلاك فرد عليهم بأنه مقصور على الرسالة لا يتجاوزها إلى البعد عن الهلاك فلا بد حينئذ من جعل قوله تعالى قد خلت الخ كلاماً مبتدأ مسوقاً لتقرير عدم براءته عليه الصلاة والسلام من الهلاك وبيان كونه أسوة لمن قبله من الرسل عليهم السلام وأياً ما كان فالكلام يخرج على خلاف مقتضى الظاهر (أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) إنكار لارتدادهم وانقلابهم عن الدين بخلوه بموت أو قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكاً به وقيل الفاء للسببية والهمزة لإنكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله سبباً لانقلابهم بعد وفاته مع كونه سبباً فى الحقيقة لثباتهم على الدين وإيراد الموت بكلمة إن مع علمهم به البتة لتنزيل المخاطبين منزلة المترددين فيه لما ذكر من استعظامهم إياه وهكذا الحال فى سائر الموارد فإن كلمة إن فى كلام الله تعالى لا تجرى على ظاهرها قط ضرورة عليه تعالى بالوقوع

أو اللأو وقوع بل تحمل على اعتبار حال السامع أو أمر آخر يناسب المقام وتقديم تقدير الموت مع أن تقدير القتل هو الذى ثار منه الفتنة وعظم فيه الحنة لما أن الموت فى شرف الوقوع فزجر الناس عن الانقلاب عنده وحملهم على التثبت هناك أهم ولأن الوصف الجامع بينه وبين الرسل عليهم السلام هو الخلو بالموت دون القتل . روى أنه لما التقى الفئتان حمل أبو دجانة فى نفر من المسلمين على المشركين فقاتل قتالا شديداً وقاتل على بن أبى طالب رضى الله عنه قتالا عظيماً حتى التوى سيفه وكذا سعد بن أبى وقاص فقتلوا جماعة من المشركين وهزمهم فلما نظر الرماة إليهم ورأوا أنهم قد انهزموا أقبلوا على النهب ولم يلتفتوا إلى نهى أميرهم عبد الله بن جبير فلم يبق منهم عنده إلا ثمانية نفر فلما رآهم خالد بن الوليد قد اشتغلوا بالغنيمة حمل عليهم فى مائتين وخمسين فارساً من المشركين من قبل الشعب وقتلوا من بقى من الرماة ودخلوا خلف أفضية المسلمين ففرقهم وهزمهم وحملوا على أصحاب رسول الله ﷺ وقتلوا حتى أصيب هناك نحو ثلاثين رجلاً كل منهم يحشوا بين يديه ويقول وجهى لوجهك وقاه ونفسى لنفسك فداءً وعليك سلام الله غير مودع ورمى عبد الله بن قيس الحارثى رسول الله ﷺ بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه الكريم فذب عنه مع حب بن عمير رضى الله عنه وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قيس وهو يزعم أنه قتل النبى ﷺ فقال قتلت محمداً وصرخ صارخ قيل إنه إبليس ألا إن محمداً قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول ﷺ يدعو إلى عباد الله قال كعب بن مالك كنت أول من عرف رسول الله ﷺ من المسلمين فنادت بأعلى صوتى يا معشر المسلمين هذا رسول الله ﷺ فانحاز إليه ثلاثون من أصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقيون وقال بعضهم لبت بن أبى يأخذلنا أماناً من أبى سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبياً لما قتل أرجعوا إلى إخوانكم وإلى دينكم فقال أنس بن النضر وهو عم أنس بن مالك يا قوم إن كان قتل محمداً فإن رب محمداً لا يموت وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله ﷺ فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا كراماً على مامات عليه ثم قال اللهم إني أعترز إليك بما يقول هؤلاء وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه وقاتل حتى قتل وتجويزهم لقتله عليه الصلاة والسلام مع قوله تعالى والله يعصمك من الناس لما أن كل آية ليس يسمعها كل أحد ولا كل من يسمعها يستحضرها فى كل مقام لاسيما فى مثل ذلك المقام الهائل وقد غفل عمر رضى الله عنه عن هذه الآية الكريمة عند وفاته عليه الصلاة والسلام وقام فى الناس فقال إن رجلاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ توفى وإن رسول الله مامات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران فعاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع والله ليرجعن رسول الله ﷺ ولا قطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أن رسول الله ﷺ مات ولم يزل يكرر ذلك إلى أن قام أبو بكر رضى الله عنه فحمد الله عز وجل وأثنى عليه ثم قال أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ثم تلا وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية قال الراوى والله لكان الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ حتى تلاها أبو بكر وقال عمر رضى الله عنه والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر رضى الله عنه يتلو فمقرت حتى ماتت على رجلي وعرفت أن رسول الله ﷺ قدم مات (ومن ينقلب على عقبيه) يادباره عما كان يقبل عليه رسول الله ﷺ من أمر الجهاد وغيره ●

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ
ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾

آل عمران

- وقيل بار تداده عن الإسلام وما ارتد يومئذ أحد من المسلمين إلا ما كان من المنافقين (فلن يضر الله)
- بما فعل من الانقلاب (شيئاً) أى شيئاً من الضرر وإنما يضر نفسه بتعريضها للسخط والعذاب
- (وسيجزى الله الشاكرين) أى الثابتين على دين الإسلام الذى هو أجل نعمة وأعز معروف سموا بذلك لأن الثبات عليه شكر له وعرفان لحقه وفيه إيمان إلى كفران المنقلبين . وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن المراد بهم الطائعون لله تعالى من المهاجرين والأنصار وعن علي رضى الله عنه أبو بكر وأصحابه رضى الله عنهم وعنه رضى الله عنه أنه قال أبو بكر من الشاكرين ومن أحباء الله تعالى وإظهار الاسم الجليل فى موقع الإضمار لإبراز مزيد الاعتناء بشأن جزائهم (وما كان لنفس أن تموت) كلام مستأنف سبق للتنبيه على خطئهم فيما فعلوا حذراً من قتلهم وبناء على الإرجاف بقتله عليه الصلاة والسلام ببيان أن موت كل نفس منوط بمشيئة الله عز وجل لا يكاد يقع بدون تعلقها به وإن خاضت موارد الخوف واقتحمت مضائق كل هول مخوف وقد أشير بذلك إلى أنها لم تكن متعلقة بموتهم فى الوقت الذى حذروه فيه ولذلك لم يقتلوا حينئذ لإحجامهم عن مباشرة القتال وكلية كان ناقصة اسمها أن تموت وخبرها الظرف على أنه متعلق بمحذوف وقوله تعالى (إلا بإذن الله) استثناء مفرغ من أعم الأسباب أى وما كان الموت حاصلًا لنفس من النفوس بسبب من الأسباب إلا بمشيئته تعالى على أن الإذن مجاز منها لكونها من لوازمه أو إلا بإذنه لملك الموت فى قبض روحها وسوق الكلام مساق التمثيل بتصوير الموت بالنسبة إلى النفوس بصورة الأفعال الاختيارية التى لا يتسنى للفاعل إيقاعها والإقدام عليها بدون إذنه تعالى أو بتنزيل إقدامها على مبادئه أعنى القتال منزلة الإقدام على نفسه للبالغة فى تحقيق المرام فإن موتها حيث استحال وقوعه عند إقدامها عليه أو على مبادئه وسعيها فى إيقاعه فلأن يستحيل عند عدم ذلك أولى وأظهر وفيه من التحريض على القتال ما لا يخفى (كتاباً) مصدر مؤكد لمضمون ما قبله أى كتبه الله كتاباً (مؤجلاً) موقفاً بوقت معلوم لا يتقدم ولا يتأخر ولو ساعة وقرىء مؤجلاً بالواو بدل الهمزة على قياس التخفيف وبعد تحقيق أن مدار الموت والحياة محض مشيئة الله عز وجل من غير أن يكون فيه مدخل لأحد أصلاً أشير إلى أن توفية ثمرات الأعمال دائرة على إرادتهم ليصرفوها عن الأغراض الدنية إلى المطالب السنية فقليل (ومن يرد) أى بعمله (ثواب الدنيا تؤته) بنون العظمة على طريق الالتفات (منها) أى من ثوابها ما نشاء أن تؤته إياه كما فى قوله عز وجل من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وهو تعريض بمن شغلهم الغنائم يومئذ قد مر تفصيله (ومن يرد) أى بعمله (ثواب الآخرة تؤته منها) أى من ثوابها ما نشاء من الأضعاف حسبما جرى به الوعد الكريم (وسنجزى الشاكرين) نعمة الإسلام الثابتين عليه الصارفين لما آتاهم الله تعالى من القوى والقدر إلى ما خلقت هي لأجله من طاعة الله تعالى لا يلويهم

وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا
أَسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾

آل عمران ٣

- عن ذلك صارف أصلاً والمراد بهم إما المجاهدون المعهودون من الشهداء وغيرهم وإما جنس الشاكرين
وهم داخلون فيه دخولا أولاً والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله ووعد بالزيادة عليه وفي تصديرها
بالسين وإيهام الجزاء من التأكيد والدلالة على نخامة شأن الجزاء وكونه بحيث يقصر عنه البيان مالا يخفى
وقرى. الأفعال الثلاثة بالياء (وكأين) كلام مبتدأ ناع عليهم تقصيرهم وسوء صنيعهم في صدودهم عن سنن ١٤٦
الربانيين المجاهدين في سبيل الله مع الرسل الخالية عليهم السلام وكأين لفظة مركبة من كاف التشبيه وأى
حدث فيها بعد التركيب معنى التكثير كما حدث في كذا وكذا والنون تنوين أثبتت في الخط على غير قياس
وفيها خمس لغات هي إحداهن والثانية كائن مثل كاعن والثالثة كآين مثل كعين والرابعة كيتن بياء ساكنة
بعدها همزة مكسورة وهي قلب ما قبلها والخامسة كان مثل كعن وقد قرىء بكل منها وحملها الرفع بالابتداء
وقوله تعالى (من نبي) تمييز لها لأنها مثل كم الخبرية وقد جاء تمييزها منصوباً كما في قوله [أطرد اليأس
بالرجاء فكأين] أملاح يسره بعد عسر | وقوله تعالى (قاتل معه ربيون كثير) خبر لها على أن الفعل
مسند إلى الظاهر والرابط هو الضمير المجرور في معه وقرىء قتل وقتل على صيغة المبني للدفعول مخففة
ومشددة والرى منسوب إلى الرب كالرباني وكسر الراء من تغييرات النسب وقرىء بضمها وبفتحها
أيضاً على الأصل وقيل هو منسوب إلى الربة وهي الجماعة أى كثير من الأنبياء قاتل معه لإعلاء كلمة الله
وإعزاز دينه علماء أتقياء أو عابدون أو جماعات كثيرة فالظرف متعلق بقاتل أو بمحذوف وقع حالاً من
قاتل كما في القراءتين الأخيرتين إذ لا احتمال فيهما لتعلقه بالفعل أى قتلوا أو قتلوا كائنين معه في القتال
لا في القتل قال سعيد بن جبيرة ما سمعنا بنبي قتل في القتال وقال الحسن البصري وجماعة من العظماء لم يقتل
نبي في حرب قط وقيل الفعل مسند إلى ضمير النبي والظرف متعلق بمحذوف وقع حالاً منه والرابط هو
الضمير المجرور الراجع إليه وهذا واضح على القراءة المشهورة بلا خلاف أى كم من نبي قاتل كائناً معه في
القتال ربيون كثير وأما على القراءتين الأخيرتين فغير ظاهر لا سيما على قراءة التشديد وقد جوز به بعضهم
وأيده بأن مدار التوبيخ اتخذهم للإرجاف بقتله عليه السلام أى كم من نبي قاتل كائناً معه في القتال أو في
القتال ربيون الخ وقوله تعالى (فما وهنوا) عطف على قاتل على أن المراد به عدم الوهن المتوقع من القتال
كما في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم يزعج فإن الإتيان بالشئ بعد ورود ما يوجب الإقلاع عنه وإن
كان استمراراً عليه بحسب الظاهر لكنه بحسب الحقيقة صنع جديد مصحح لدخول الفاء المرتبة له على ما قبله
أى فافترأ وما انكسرت همهم (لما أصابهم) في أثناء القتال وهو علة للنفي دون النفي نعم بشعر بعلته
قوله تعالى (في سبيل الله) فإن كون ذلك في سبيله عز وجل بما يقوى قلوبهم ويزيل وهمهم وما موصولة
أو موصوفة فإن جعل الضمير ان لجميع الربيين فهي عبارة عما عد القتل من الجراح وسائر المكارم المعترية

وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾

آل عمران ٢٣

للكل وإن جعلنا للبعض الباقيين بعد ما قتل الآخرون كما هو الأنسب بمقام توبيخ المنخذلين بعد ما استشهد الشهداء فهي عبارة عما ذكر مع ما اعتراهم من قتل إخوانهم من الخوف والحزن وغير ذلك هذا على القراءة المشهورة وأما على القراءةتين الأخيرتين فإن أسند الفعل إلى الربيين فالضميران للباقيين منهم حتماً وإن أسند إلى ضمير النبي كما هو الأنسب بالتوبيخ على الانخذال بسبب الإرجاف بقتله عليه الصلاة والسلام فهما للباقيين أيضاً إن اعتبر كون الربيين مع النبي في القتل وللجميع إن اعتبر كونهم معه في القتال (وما ضعفوا) عن العدو وقيل عن الجهاد وقيل في الدين (وما استكانوا) أى وما خضعوا للعدو وأصله استمكن من السكون لأن الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريد والالف من إشباع الفتحة أو استكون من الكون لأنه يطلب أن يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما أصابهم من الوهن والانكسار عند استيلاء الكفرة عليهم والارجاف بقتل النبي ﷺ وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين أرادوا أن يعتضدوا بآبى المنافق في طلب الأمان من أبى سفيان (والله يحب الصابرين) أى على مقاساة الشدائد ومعاناة المسكاره في سبيل الله فينصرهم ويعظم قدرهم والمراد بالصابرين إما المجهودون والإظهار في موضع الإضمار للثناء عليهم بحسن الصبر والإشعار بعلّة الحكم وإما الجئس وهم داخلون فيه دخولا أولاً والجملة تذييل لما قبلها (وما كان قولهم) كلام مبين لمحاسنهم القولية معطوف على ما قبله من الجمل المبينة لمحاسنهم الفعلية وقولهم بالنصب خبر لكان واسمها أن وما بعدها في قوله تعالى (إلا أن قالوا) والاستثناء مفرغ من أعم الأشياء ما كان قولهم عند أى لقاء للعدو واقتحام مضائق الحرب وإصابة ما أصابهم من فنون الشدائد والآهوال شيء من الأشياء إلا أن قالوا (ربنا اغفر لنا ذنوبنا) أى صغائرنا (وإسرافنا في أمرنا) أى تجاوزنا الحد في ركوب الكبائر أضافوا الذنوب والإسراف إلى أنفسهم مع كونهم ربانيين برءاء من التفریط في جنب الله تعالى هضمها واستقصاراً لهممهم وإسناداً لما أصابهم إلى أعمالهم وقدموا الدعاء بمغفرتها على ما هو الأهم بحسب الحال من الدعاء بقولهم (وثبت أقدامنا) أى في مواطن الحرب بالثبوت والتأييد من عندك أو ثبتنا على دينك الحق (وانصُرنا على القوم الكافرين) تقريباً له إلى حين القبول فإن الدعاء المقرون بالخضوع الصادر عن زكاء وطهارة أقرب إلى الاستجابة والمعنى لم يزلوا مواظبين على هذا الدعاء من غير أن يصدر عنهم قول يوم شائبة الجزع والخور والتزلزل في مواقف الحرب ومراصد الدين وفيه من التعريض بالمنهزمين مالا يخفى وقرأ ابن كثير وعاصم في رواية عنهما برفع قولهم على أنه الاسم والخبر أن وما في حيزها أى ما كان قولهم حينئذ شيئاً من الأشياء إلا هذا القول المنبئ عن أحاسن المحاسن وهذا كما ترى أقعد بحسب المعنى وأوفق بمقتضى المقام لما أن الإخبار بكون قولهم المطلق خصوصية قولهم المحكى عنهم مفصلاً كما تفيد قراءتهما أكثر إفادة للسامع

فَعَاتَتْهُمْ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ آل عمران
يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ آل عمران

من الأخبار بكون خصوصية قولهم المذكور قولهم لما أن مصب الفائدة وموقع البيان في الجمل الخبرية هو الخبر فلا حق بالخبرية ماهو أكثر إفادة وأظهر دلالة على الحدث وأوفر اشتمالا على نسب خاصة بعيدة من الوقوع في الخارج وفي ذهن السامع ولا يخفى أن ذلك ههنا في أن مع ما في حيزها أتم وأكمل وأما ما تفيد من الاضافة من النسبة المطلقة الإجمالية في حيث كانت سهلة الحصول خارجا وذهنا كان حقها أن تلاحظ ملاحظة إجمالية وتجعل عنوانا للموضوع لا مقصودا بالذات في باب البيان وإنما اختار الجمهور ما اختاره لقاعدة صناعية هي أنه إذا اجتمع معرفتان فالأعرف منهما أحق بالاسمية ولا ريب في أعرفية أن قالوا الدلالة على جهة النسبة وزمان الحدث ولأنه يشبه المضمر من حيث أنه لا يوصف ولا يوصف به وقولهم مضاف إلى مضمر فهو بمنزلة العلم فتأمل (فأتاهم الله) بسبب دعائهم ذلك (ثواب الدنيا) أي النصر والغنيمة ١٤٨ والعز والذكر الجميل (وحسن ثواب الآخرة) أي وثواب الآخرة الحسن وهو الجنة والنعيم المخلد وتخصيص وصف الحسن به للإيذان بفضله ومنزته وأنه المعتمد به عنده تعالى (والله يحب المحسنين) تذييل مقرر لمضمون ما قبله فإن محبة الله تعالى للعبد عبارة عن رضاه عنه وإرادة الخير به فهي مبدأ لكل سعادة واللام إما للعهد وإنما وضع المظهر موضع ضمير المعهودين للإشعار بأن ما حكى عنهم من الأفعال والأقوال من باب الإحسان وإما للجنس وهم داخلون فيه دخولا أوليا وهذا أنسب بمقام ترغيب المؤمنين في تحصيل ما حكى عنهم من المناقب الجليلة (يأتيها الذين آمنوا) شروع في زجرهم عن متابعة الكفار ببيان استتباعها ١٤٩ لخسران الدنيا والآخرة إثر ترغيبهم في الاقتداء بأنصار الانبياء عليهم السلام ببيان إفضائه إلى فوزهم بسعادة الدارين وتصدير الخطاب بالنداء والتنبيه لإظهار الاعتناء بما في حيزه ووصفهم بالإيمان لتذكير حالهم وتنبئتهم عليها بإظهار مباينتها لحال أعدائهم كما أن وصف المنافقين بالكفر في قوله تعالى (إن تطيعوا الذين كفروا) لذلك قصد إلى مزيد التنفير عنهم والتحذير عن طاعتهم قال على رضى الله عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم فوقع قوله تعالى (يردوكم على أعقابكم) جوابا للشرط مع كونه في قوة أن يقال إن تطيعوهم في قولهم ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم يدخلوكم في دينهم باعتبار كونه تمهيدا لقوله تعالى (فتنقلبوا خاسرين) أي الدنيا والآخرة غير فائزين بشيء منهما واقعين في العذاب الخالد على أن الارتداد على العقب علم في انتكاس الأمر ومثل في الحور بعد الكور وقيل المراد بهم اليهود والنصارى حيث كانوا يستغفرونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقاً لما غلب ولما أصابه وأصحابه ما أصابهم وإنما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما عليه ويوماً له وقيل أبو سفيان وأصحابه والمراد بطاعتهم استئمانهم والاستكانة لهم وقيل الموصول على عمومه والمعنى نهى المؤمنين عن طاعتهم في أمر من الأمور حتى لا يستجروهم إلى الارتداد عن الدين ١٣٠ أبو السعود ج ٢ ،

٢٣ آل عمران

بَلِ اللَّهِ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾

سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَهُمُ النَّارُ

٢٣ آل عمران

وَيُبْسِ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾

وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا بَعْدَ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَا حُجِبُونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ

٢٣ آل عمران

وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾

- ١٥٠ فلا حاجة على هذه التقادير إلى مامر من البيان (بل الله مولاكم) لإضراب عما يفهم من مضمون الشرطية كأنه قيل فليسوا أنصاركم حتى تطيعوهم بل الله ناصركم لا غيره فأطيعوه واستغنوا به عن موالاتهم وقرىء بالانصب كأنه قيل فلا تطيعوهم بل أطيعوا الله ومولاكم نصب على أنه صفة له (وهو خير الناصرين)
- ١٥١ مخصوه بالطاعة والاستعانة (سنلقى) بنون العظمة على طريقة الالتفات جرياً على سنن الكبرياء لتربية المهابة وقرىء بالياء والسين لتأكيد الإلقاء (في قلوب الذين كفروا الرعب) بسكون العين وقرىء بضمها على الأصل وهو ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم أحد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا إلى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئاً قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستأصلوهم فعند ذلك ألقى الله تعالى في قلوبهم الرعب فأمسكوا فلا بد من كون نزول الآية في تضاعيف الحرب أو عقيب انقضائه وقيل هو ما ألقى في قلوبهم من الرعب يوم الأحزاب (بما أشركوا بالله) متعلق بلقى دون الرعب وما مصدرية أي بسبب إشراكهم به تعالى فإنه من موجبات خذلانهم
- ونصر المؤمنين عليهم وكلاهما من دواعي الرعب (مالم ينزل به) أي بإشراكه (سلطاناً) أي حجة سميت به لوضوحها وإنارتها أو لقوتها أو لحدتها ونفوذها وذكر عدم تنزيلها مع استحالة تحققها في نفسها من قبيل قوله [ولا ترى الضب بها ينحجر] أي لا ضب ولا انحجار وفيه إيدان بأن المتبع في الباب هو البرهان
- السامى دون الآراء والأهواء الباطلة (وماوهم) بيان لأحوالهم في الآخرة إثر بيان أحوالهم في الدنيا
- وهى الرعب أى ما يأوون إليه فى الآخرة (النار) لاملجأ لهم غيرها (وبئس مثنوى الظالمين) أى مثنواهم وإنما وضع موضعه المظهر المذكور للتغليظ والتعليل والإشعار بأنهم فى إشراكهم ظالمون واضعون للشيء فى غير موضعه والمخصوص بالذم محذوف أى بئس مثنوى الظالمين النار وفى جعلها مثنواهم بعد جعلها ماوهم نوع رمز إلى خلودهم فيها فإن المثنوى مكان الإقامة المبنية عن المكث وأما المأوى فهو المكان الذى يأوى إليه الإنسان (ولقد صدقكم الله وعده) نصب على أنه مفعول ثان لصدق صريحاً وقيل بنزع الجار أى فى وعده نزلت حين قال ناس من المؤمنين عند رجوعهم إلى المدينة من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله تعالى بالنصر وهو ما وعدهم على لسان نبيه عليه السلام من النصر حيث قال للرماة لا تبرحوا مكانكم

- فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وفي رواية أخرى لا تبرحوا عن هذا المكان فإننا لا نزال غالبين ما دمت في هذا المكان وقد كان كذلك فإن المشركين لما أقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم قتلاً ذريعاً وذلك قوله تعالى (إذ تحسونهم) ●
- أى تقتلونهم قتلاً كثيراً فاشياً من حسه إذا أبطل حسه وهو ظرف لصدقكم وقوله تعالى (يا ذنه) أى بتيسيره وتوفيقه لتحقيق أن قتلهم بما وعدهم الله تعالى من النصر وقيل هو ما وعدهم بقوله تعالى إن تصبروا وتنفقوا الآية وقد مر تحقيق أن ذلك كان يوم بدر كيف لا والموعود بما ذكر إمداده عز وجل بإزالة الملائكة عليهم السلام وتقييد صدق وعده تعالى بوقت قتلهم يا ذنه تعالى صريح في أن الموعود هو النصر المعنوى والتيسير لا الإمداد بالملائكة وقيل هو ما وعدته تعالى بقوله سنلقى الخ وأنت خير بأن إلقاء الرعب كان عند تركهم القتال ورجوعهم من غير سبب أو بعد ذلك في الطريق على اختلاف الروايتين وأياً ما كان فلا سبيل إلى كونه مغياً بقوله تعالى (حتى إذا فشلتم) أى جبنتم وضعف رأيكم ●
- أو ملتم إلى الغنيمة فإن الحرص من ضعف القلب (وتنازعتم في الأمر) فقال بعض الرماة حين انهزم المشركون وولوا هاربين والمسلمون على أعقابهم قتلاً وضرباً فما موقفنا ههنا بعد هذا وقال أميرهم عبد الله بن جبير رضى الله عنه لا نخالف أمر الرسول ﷺ فنبت مكانه في نفر دون العشرة من أصحابه ونفر الباقيون للنهب وذلك قوله تعالى (وعصيت من بعد ما أراكم ماتحبون) أى من الظفر ●
- والغنيمة وانهمزام العدو فلما رأى المشركون ذلك حملوا عليهم من قبل الشعب وقتلوا أمير الرماة ومن معه من أصحابه حسبما فصل في تفسير قوله تعالى أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم وجواب إذا محذوف وهو منعكم نصره وقيل هو امتحنكم ويرده جعل الابتداء غاية للصرف المترتب على منع النصر وقيل هو انقسمتم إلى قسمين كما ينبي عنه قوله تعالى (منكم من يريد الدنيا) وهم الذين تركوا المركز ●
- وأقبلوا على النهب (ومنكم من يريد الآخرة) وهم الذين ثبتوا مكانهم حتى نالوا شرف الشهادة هذا على تقدير كون إذا شرطية وحتى ابتدائية داخلية على الجملة الشرطية وقيل إذا اسم كما في قولهم إذا يقوم زيد يقوم عمرو وحتى حرف بمعنى إلى متعلقة بقوله تعالى صدقكم باعتبار تضمنه معنى النصر كأنه قيل لقد نصركم الله إلى وقت فشلكم وتنازعكم الخ وعلى هذا فقوله تعالى (ثم صرفكم عنهم) ●
- عطف على ذلك وعلى الأول عطف على الجواب المحذوف كما أشير إليه والجلتان الظرفيتان اعتراض بين المتعاطفين أى كفكم عنهم حتى حالت الحال ودالت الدولة وفيه من اللطف بالمسلمين ما لا يخفى (ليبتليكم) أى بعاملكم معاملة من يمتحنكم بالمصائب ليظهر ثباتكم على الإيمان عندها (ولقد عفا عنكم) ●
- تفضلاً ولما علم من ندمكم على المخالفة (والله ذو فضل على المؤمنين) تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومؤذن بأن ذلك العفو بطريق التفضل والإحسان لا بطريق الوجوب عليه أى شأنه أن يتفضل عليهم بالعفو أو هو متفضل عليهم في جميع الأحوال أدب لهم أو أدب عليهم إذا ابتلاء أيضاً رحمة والتذكير للتفخيم والمراد بالمؤمنين إما المخاطبون والإظهار في موقع الإضمار للتشريف والإشعار بعملة الحكم وإما الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا أولاً .

إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلَوْنِ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُثْرِكُمْ فَأَتْبَبَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلًا تَحْزَنُوا
عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

آل عمران

ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنٌ نُعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ
يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ
يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ
فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبَيِّنَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ
مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾

آل عمران

- ١٥٣ (إذ تصعدون) متعلق بصرفكم أو بقوله تعالى ليبتليكم أو بمقدر كما ذكرنا والإصعاد الذهاب والإبعاد
في الأرض وقرى تصعدون من الثلاثى أى في الجبل وقرى تصعدون من التفعّل بطرح إحدى التاءين
● وقرى يصعدون بالالتفات إلى الغيبة (ولا تلون على أحد) أى لا تلتفتون إلى ما وراءكم ولا يقف
واحد منكم لواحد وقرى تلون بواو واحدة بقلب الواو المضمومة همزة وحذفها تخفيفاً وقرى يلون
● كيف تصعدون (والرسول يدعوكم) كان عليه الصلاة والسلام يدعوهم إلى عباد الله إلى عباد الله أنا رسول
الله من يكره له الجبة وإيراده عليه السلام بعنوان الرسالة للإبذان بأن دعوته عليه السلام كانت بطريق
● الرسالة من جهته سبحانه لإشباعاً في توبيخ المنهزمين (في أخراكم) في ساقتمكم وجماعتكم الأخرى (فأنا بكم)
● عطف على صرفكم أى فجازاكم الله تعالى بما صنعتم (غما) موصولا (بغم) من الاغتمام بالقتل والجرح
وظفر المشركين والإرجاف بقتل الرسول ﷺ وفوت الغنيمة فالتشكيك للتشكيك أو غما بمقابلة غم
● أذقتموه رسول الله ﷺ بعصيانكم له (لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم) أى لتتمرنوا على الصبر
في الشدائد فلا تحزنوا على نفع فات أو ضرات وقيل لازائدة والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر
والغنيمة وعلى ما أصابكم من الجراح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في أنا بكم للرسول ﷺ أى وإساكم
في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتمتم بما نزل عليه ولم يترككم على عصيانكم تسلياً لكم وتنقيساً
● عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر وما أصابكم من الجراح وغير ذلك (والله خبير بما تعملون)
١٥٤ أى عالم بأعمالكم وبما قصدتم بها (ثم أنزل عليكم) عطف على قوله تعالى فأنا بكم والخطاب للمؤمنين
● حقاً (من بعد الغم) أى الغم المذكور والتصريح بتأخر الإنزال عنه مع دلالة ثم عليه وعلى تراخيه عنه
● لزيادة البيان وتذكير عظم النعمة كما في قوله تعالى ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا الآية (أمنة) أى أمناً
● نصب على المفعولية وقوله تعالى (نعاساً) بدل منها أو عطف بيان وقيل مفعول له أو هو المفعول وأمنة
● حال منه متقدمة عليه أو مفعول له أو حال من المخاطبين على تقدير مضاف أى ذوى أمنة أو على أنه جمع
آمن كبار وبررة وقرى بسكون الميم كأنها مرة من الأمن وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر

- غير مرة من الاعتناء بشأن المقدم والتشويق إلى المؤخر وتخصيص الخوف من بين فنون الغم بالإزالة لأنه المهم عندهم حينئذ لما أن المشركين لما انصرفوا كانوا يتوعدون المسلمين بالرجوع فلم يأمنوا كرتهم وكانوا تحت الحيف متأهبين للقتال فأنزل الله تعالى عليهم الأمانة فأخذهم النعاس . قال ابن عباس رضى الله عنهما أمنهم يومئذ بنعاس تغشاهم بعد خوف وإنما ينعس من أمن والخائف لا ينام وقال الزبير رضى الله عنه كنت مع النبي ﷺ حين اشتد الخوف فأنزل الله علينا النوم والله إنى لأسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشائى ما أسمعته إلا كالحلم يقول لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا وقال أبو طلحة رضى الله عنه رفعت رأسى يوم أحد فجعلت لا أرى أحداً من القوم إلا وهو يميد تحت حجفته من النعاس . قال وكنت ممن أتى عليه النعاس يومئذ فكان السيف يسقط من يدي فأخذه ثم يسقط السوط من يدي فأخذه
- وفيه دلالة على أن من المؤمنين من لم يلق عليه النعاس كما ينبي عنه قوله عز وجل (يغشى طائفة منكم) قال ابن عباس هم المهاجرون وعامة الأنصار ولا يقدر ذلك في عموم الإنزال للكل والجملة في محل نصب على أنها صفة لنعاساً وقرئ بالتاء على أنها صفة لأمنة وفيه أن الصفة حقها أن تتقدم على البدل وعطف البيان وأن لا يفصل بينها وبين الموصوف بالمفعول له وأن المعهود أن يحدث عن البدل دون المبدل منه (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم) أى أوقعتهم في الهموم والأحزان أو ما بهم إلا هم أنفسهم وقصد خلاصها من قولهم همى الشيء أى كان من همى وقصدى والقصر مستفاد بمعونة المقام وطائفة مبتدأ وما بعدها إما خبرها وإنما جاز ذلك مع كونها نكرة لاعتمادها على واو الحال كما فى قوله [سرينا ونجم قد أضاء فذ بدا] محياك أخفى ضوءه كل شارق [أو لوقوعها فى موضع التفصيل كما فى قوله [إذا ما بكى من خلفها انصرفت له] بشق وشق عندنا لم يحول [ولما صفتها والخبر محذوف أى ومعكم طائفة أو وهناك طائفة وقيل تقديره ومنكم طائفة وفيه أنه يقتضى دخول المنافقين فى الخطاب يأنزال الأمانة وأياً ما كان فالجملة إما حالية مبينة لفضاعة الهول مؤكدة لعظم النعمة فى الخلاص عنه كما فى قوله تعالى أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم وإمامستانفة مسوقة لبيان حال المنافقين وقوله عز وجل (يظنون بالله) حال من ضمير أهمتهم أو من طائفة لتخصصها بالصفة أو صفة أخرى لها أو خبر
- بعد خبر أو استئناف مبين لما قبله وقوله تعالى (غير الحق) فى حكم المصدر أى يظنون به تعالى غير الظن
- الحق الذى يجب أن يظن به سبحانه وقوله تعالى (ظن الجاهلية) بدل منه وهو الظن المختص بالملة
- الجاهلية والإضافة كما فى حاتم الجود ورجل صدق وقوله تعالى (يقولون) بدل من يظنون لما أن مسئلتهم كانت صادرة عن الظن أى يقولون لرسول الله ﷺ على صورة الاسترشاد (هل لنا من الأمر) أى من
- أمر الله تعالى ووعدته من النصر والظفر (من شيء) أى من نصيب قط أو هل لنا من التدبير من شيء وقوله تعالى (قل إن الأمر كله لله) أى الغلبة بالآخرة لله تعالى ولأوليائه فإن حزب الله هم الغالبون أو إن التدبير كله لله فإنه تعالى قد دبر الأمر كما جرى فى سابق قضائه فلا مرد له وقرئ كله بالرفع على الابتداء
- وقوله تعالى (يخفون فى أنفسهم) أى يضمرون فيها أو يقولون فيما بينهم بطريق الحفية (مالا يبدون لك) استئناف أو حال من ضمير يقولون وقوله تعالى قل إن الأمر الخ اعراض بين الحال وصاحبها

إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾

٢٣ آل عمران

- أى يقولون ما يقولون مظهرين أنهم مسترشدون طالبون للنصر مبطنين الإنكار والتكذيب وقوله تعالى
- (يقولون) استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل أى شئ يخفون فقيل يحدثون أنفسهم أو يقول بعضهم لبعض فيما بينهم خفية (لو كان لنا من الأمر شئ) كما وعد محمد عليه الصلاة والسلام من أن الغلبة لله تعالى ولأوليائه وأن الأمر كله لله أو لو كان لنا من التدبير والرأى شئ (ما قتلنا همناً) أى ما غلبنا أو ما قتل من قتل منا في هذه المعركة على أن النفي راجع إلى نفس القتل لا إلى وقوعه فيها فقط ولما برحنا من منازلنا
 - كما رآه ابن أبى ويؤيده تعيين مكان القتل وكذا قوله تعالى (قل لو كنتم فى بيوتكم) أى لو لم تخرجوا إلى أحد وقعدتم بالمدينة كما تقولون (لبرز الذين كتب عليهم القتل) أى فى اللوح المحفوظ بسبب من الأسباب الداعية إلى البروز (إلى مضاجعهم) إلى مصارعهم التى قدر الله تعالى قتلهم فيها وقتلوا هنالك البتة ولم تنفع العزيمة على الإقامة بالمدينة قطعاً فإن قضاء الله تعالى لا يردو حكمه لا يعقب وفيه مبالغة فى رد مقاتليهم الباطلة حيث لم يقتصر على تحقيق نفس القتل كما فى قوله عز وجل أينما تكونوا يدرككم الموت بل عين مكانه أيضاً ولا ريب فى تعيين زمانه أيضاً لقوله تعالى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون .
 - روى أن ملك الموت حضر مجلس سليمان عليه الصلاة والسلام فنظر إلى رجل من أهل المجلس نظرة هائلة فلما قام قال الرجل من هذا فقال سليمان عليه السلام ملك الموت قال ارسلنى مع الريح إلى عالم آخر فإنى رأيت منه مرأى هائلاً فأمرها عليه السلام فألقته فى قطر سمح من أقطار العالم فالبث أن عاد ملك الموت إلى سليمان عليه السلام فقال كنت أمرت بقبض روح ذلك الرجل فى هذه الساعة فى أرض كذا فلما وجدته فى مجلسك قلت متى يصل هذا إليها وقد أرسلته بالريح إلى ذلك المكان فوجدته هناك فقضى أمر الله عز وجل فى زمانه ومكانه من غير إخلال بشئ من ذلك وقرئ كتب على البناء للفاعل ونصب القتل وقرئ كتب عليهم القتال وقرئ لبرز بالتشديد على البناء للفعول (وليبتلى الله مافى صدوركم) أى ليعاملكم معاملة من يبتلى مافى صدوركم من الإخلاص والنفاق ويظهر مافىها من السرائر وهو علة لفعل مقدر قبلها معطوفة على علل لها أخرى مطوية للإبذان بكثرة ما كانه قيل فعل ما فعل لمصالح جهة وليبتلى الخ وجعلها عللاً لبرز يأباه الذوق السليم فإن مقتضى المقام بيان حكمة ما وقع يومئذ من الشدة والحوال لا بيان حكمة البروز المفروض أو لفعل مقدر بعدها أى والابتلاء المذكور فعل ما فعل لا لعدم العناية
 - بأمر المؤمنين ونحو ذلك وتقدير الفعل مقدماً خال عن هذه المزية (وليمحص مافى قلوبكم) من مخفيات الأمور ويكشفها أو يخلصها من الوسوس (والله عليم بذات الصدور) أى السرائر والضمائر الخفية التى لا تكاد تفارق الصدور بل تلازمها وتصاحبها والجملة إما اعتراض للتنبيه على أن الله تعالى غنى عن الابتلاء وإنما يبرز صورة الابتلاء لتمرين المؤمنين وإظهار حال المنافقين أو حال من متعلق الفعلين أى
- ١٥٥ فعل ما فعل للابتلاء والتحريض والحال أنه تعالى غنى عنهما محيط بمخفيات الأمور وفيه وعد ووعد (إن

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرًى
لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّمُ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا

آل عمران

تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾

- الذين تولوا منكم يوم النقي الجمعان) وهم الذين انهزموا يوم أحد حسبما مرت حكايته (إنما استزلهم
- الشيطان) أى إنما كان سبب انهزامهم أن الشيطان طلب منهم الزلل (يبعث ما كسبوا) من الذنوب والمعاصي التي هي مخالفة أمر النبي ﷺ وترك المركز والحرص على الغنيمة أو الحياة فخرموا التأييد وقوة القلب وقيل استزال الشيطان توليهم وذلك بذنوب تقدمت لهم فإن المعاصي يجر بعضها إلى بعض كالطاعة وقيل استزلهم بذنوب سبقت منهم وكرهوا القتل قبل إخلاص التوبة والخروج من المظلمة (ولقد عفا الله عنهم) لتوبتهم واعتذارهم (إن الله غفور) للذنوب (حلیم) لا يعاجل بعقوبة المذنب ليتوب والجملة
- تعليل لما قبلها على سبيل التحقيق وفي إظهار الجلالة تربية للهبابة وتأکید للتعليل (يا أيها الذين آمنوا ١٥٦ لا تكونوا كالذين كفروا) وهم المنافقون القائلون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلناهمنا وإنما ذكر في صدر الصلة كفرهم تصريحاً بمباينة حالهم لحال المؤمنين وتنفيراً عن مماثلتهم أثر ذى أثر وقوله تعالى (وقالوا
- لأخوانهم) تعين لوجه الشبه والمماثلة التي نهوا عنها أى قالوا لأجلهم وفي حقهم ومعنى أخوتهم اتفاقهم نسباً أو مذهباً (إذا ضربوا في الأرض) أى سافروا فيها وأبعدوا للتجارة أو غيرها وإيثار إذا المفيدة
- لمعنى الاستقبال على إذا المفيدة لمعنى المضى لحكاية الحال الماضية إذ المراد بها الزمان المستمر المنتظم للحال الذي عليه يدور أمر استحضار الصورة . قال الزجاج إذا ههنا توب عما مضى من الزمان وما يستقبل يعنى أنها مجرد الوقت أو بقصد بها الاستمرار وظرفيتها لقولهم إنما هى باعتبار ما وقع فيها بل التحقيق أنها ظرف له لا لقولهم كأنه قيل قالوا لأجل ما أصاب إخوانهم حين ضربوا الخ (أو كانوا) أى إخوانهم (غزاً) جمع غاز كعنى جمع عاف قال [ومغبرة الآفاق خاشعة الصوى * لها قلب عنى الحياض أجون] وقرى بتخفيف الزاى على حذف التاء من غزاة وإفراد كونهم غزاة بالذكر مع اندراجهم تحت الضرب في الأرض لأنه المقصود بيانه في المقام وذكر الضرب في الأرض توطئة له وتقديمه لكثرة وقوعه على أنه قد يوجد بدون الضرب في الأرض إذ المراد به السفر البعيد وإنما لم يقل أو غزو والإيذان باستمرار إقصافهم بعنوان كونهم غزاة أو بانقضائه ذلك أى كانوا غزاة فيما مضى وقوله تعالى (لو كانوا عندنا) أى مقيمين (ما ماتوا وما قتلوا)
- مفعول لقالوا ودليل على أن هناك مضمراً قد حذف ثقة به أى إذا ضربوا في الأرض فماتوا أو كانوا غزاً فقتلوا وليس المقصود بالنهي عدم مماثلتهم في النطق بهذا القول بل في الاعتقاد بمضمونه والحكم بموجبه كما أنه المنكر على قائله ألا يرى إلى قوله عز وجل (ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم) فإنه الذي جعل حسرة فيها قطعاً وإليه أشير بذلك كما نقل عن الزجاج أنه إشارة إلى ظنهم أنهم لو لم يحضروا القتال لم يقتلوا وتعلقه بقالوا ليس باعتبار نطقهم بذلك القول بل باعتبار ما فيه من الحكم والاعتقاد واللام

وَلَيْنَ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَمَغْفِرَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

آ٢٣ عمران

وَلَيْنَ مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾

آ٢٣ عمران

لام العاقبة كما في قوله تعالى ليكون لهم عدواً وحزناً أى قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم والمراد بالتعليل المذكور بيان عدم ترتب فائدة ما على ذلك أصلاً وقيل هو تعليل للنهي بمعنى لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده ليجمعه الله تعالى حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم فذلك كما مر إشارة إلى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد ويجوز أن يكون إشارة إلى ما دل عليه النهي أى لا تكونوا مثلهم ليجمع الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فإن مضافكم لهم في القول والاعتقاد ما يغمهم ويغنيهم (والله يحيى ويميت) رد لقولهم الباطل إثر بيان غائلته أى هو المؤثر في الحياة والممات وحده من غير أن يكون الإقامة أو للسفر مدخل في ذلك فإنه تعالى قد يحيى المسافر والغاوى مع اقتحامهما للموارد الختوف ويميت المقيم والقاعد مع حيازتهما لأسباب السلامة (والله بما تعملون بصير) تهديد للؤمنين على أن يماثلوهم وقرىء بالياء على أنه وعيد للذين كفروا وما يعملون عام متناول لقولهم المذكور ولنشئه الذى هو اعتقادهم ولما ترتب على ذلك من الأعمال ولذلك تعرض لعنوان البصر لالعنوان السمع وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لتربية المهابة وإلقاء الروعة والمبالغة في التهديد والتشديد في الوعيد ١٥٧ (ولئن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ) شروع في تحقيق أن ما يحذرون ترتبه على الغزو والسفر من القتل والموت في سبيل الله تعالى ليس مما ينبغي أن يحذر بل مما يجب أن يتنافس فيه المتنافسون إثر إبطال ترتبه عليهما واللام هي الموطئة للقسم وما في قوله تعالى (لمغفرة من الله ورحمة) لام الابتداء والتنوين في الموضعين للتقليل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة للبند وأقدحفت صفة رحمة دلالة المذكور عليها والجملة جواب للقسم ساد مسد جواب الشرط والمعنى أن السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الأجل أصلاً ولئن وقع ذلك بأمر الله تعالى لنفحة يسيرة من مغفرة ورحمة كائنتين من الله تعالى بمقابلة ذلك (خير مما يجمعون) أى الكفرة من منافع الدنيا وطيباتها مدة أعمارهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما خير من طلاع الأرض ذهبية حمراء وقرىء بالتاء أى ما يجمعونه أنهم لولم تموتوا والاقتصار على بيان خير يتهما من ذلك بلا تعرض للإخبار بمحصولهما لهم للإيذان بعدم الحاجة إليه بناء على استحالة التخيب منه تعالى بعد الإطماع وقد قيل لا بد من حذف آخر أى لمغفرة لكم من الله الخ وحينئذ يكون أيضاً إخراج المقدر مخرج الصفة دون الخبر لنحو ما ذكر من ادعاء الظهور والغنى عن الإخبار به وتغيير الترتيب الواقع في قولهم ما ماتوا وما قتلوا المبني على كثرة الوقوع وقتله للبالة في الترتيب في الجهاد ببيان زيادة مزية القتل في سبيل الله وإنافته في استجلاب المغفرة والرحمة وفيه دلالة واضحة على ما مر من أن المقصود بالنهي إنما هو ١٥٨ عدم مماثلتهم في الاعتقاد بضمون القول المذكور والعمل بموجبه لا في النطق به وإضلال الناس به (ولئن مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ) أى على أى وجه اتفق هلاككم حسب تعلق الإرادة الإلهية وقرىء مِتُّمْ بكسر الميم من مات

فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَغَالِبُكُمْ إِنَّ اللَّهَ يَنْصُرُكُمْ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٩﴾
 إِن يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَغَالِبُكُمْ إِنَّ اللَّهَ يَنْصُرُكُمْ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١٦٠﴾
 آل عمران ١٥٩

- يمات (إلى الله) أى إلى المعبود بالحق العظيم الشأن الواسع الرحمة الجزيل الإحسان (تحشرون) لا إلى غيره فيوفيكم أجوركم ويجزل لكم عطاءكم والكلام فى لامي الجملة كما مر فى أختها (فبما رحمة من الله لنت لهم) ١٥٩
- تلوين للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله ﷺ والفاء لترتيب مضمون الكلام على ما يبنى عنه السياق من استحقاقهم اللأمة والتعنيف بموجب الجبلية البشرية أو من سعة ساحة مغفرته تعالى ورحمته والباء متعلقة بلنت قدمت عليه للقصر وما مزيدة للتوكيد أو نكرة ورحمة بدل منها مبين لإبهامها والتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لرحمة أى فبرحمة عظيمة لهم كائنه من الله تعالى وهى ربطه على جأشه وتخصيصه بمكارم الأخلاق كنت لين الجانب لهم وعاملتهم بالرفق والتلطاف بهم حيث اغتممت لهم بعدما كان منهم ما كان من مخالفة أمرك وإسلامك للعدو (ولو) لم تكن كذلك بل (كنت فظاً) جافياً فى المعاشرة قولاً وفعلًا وقال الراغب الفظ هو الكريه الخلق وقال الواحدي هو الغليظ الجانب السيء الخلق (غليظ القاب) قاسيه وقال الكلبي فظاً فى القول غليظ القلب فى الفعل (لا نفصوا من حولك) لتفرقوا من عندك ولم يسكنوا إليك وتردوا فى مهاوى الردى والفناء فى قوله عز وجل (فاعف عنهم) لترتيب العفو أو الأمر به على ما قبله
- أى إذا كان الأمر كما ذكر فاعف عنهم فيما يتعلق بحقوقك كما عفا الله عنهم (واستغفر لهم) الله فيما يتعلق بحقوقه تعالى إتماماً للشفقة عليهم وإكالا للبر بهم (وشاورهم فى الأمر) أى فى أمر الحرب إذ هو المعهود أو فيه وفى أمثاله مما تجرى فيه المشاورة عادة استظهاراً بأرائهم وتطبيعاً لقلوبهم وتمهيداً لسنة المشاورة للأمة وقرئ وشاورهم فى بعض الأمر (فإذا عزمتم) أى عقيب المشاورة على شئ واطمأننت به نفسك (فتوكل على الله) فى إمضاء أمرك على ما هو أرشد لك وأصلح فإن عليه محض به سبحانه وتعالى وقرئ فإذا عزمتم على صيغة التكلم أى عزمتم لك على شئ وأرشدتكم إليه فتوكل على ولا تشاور بعد ذلك أحداً والانتفات لتربية المهابة وتعليل التوكل أو الأمر به فإن عنوان الألوهية الجامعة لجميع صفات الكمال مستدع للتوكل عليه تعالى أو الأمر به (إن الله يحب المتوكلين) عليه تعالى فينصرهم ويرشدهم إلى ما فيه خير لهم
- وصلاح والجملة لتعليل التوكل عليه تعالى وقوله تعالى (إن ينصركم الله فلا غالب لكم) جملة مستأنفة سبقت ١٦٠ بطريق تلوين الخطاب تشریفاً للمؤمنين لإيجاب توكلهم عليه تعالى وحثهم على اللجأ إليه وتحذيرهم عما يفضى إلى خذلانه أى إن ينصركم كما نصركم يوم بدر فلا أحد يغلبكم على طريق نفي الجنس المنتظم لنفي جميع أفراد الغالب ذاتاً وصفة ولوقيل فلا يغلبكم أحد لدل على نفي الصفة فقط ثم المفهوم من ظاهر النظم

وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾

آل عمران

الكريم وإن كان نبي مغلوبيتهم من غير تعرض لنفي المساواة أيضاً وهو الذي يقتضيه المقام لكن المفهوم منه فهما قطعياً هو نفي المساواة وإثبات الغالبية للمخاطبين فإذا قلت لا أكرم من فلان أو لا أفضل منه فالمفهوم منه حتماً أنه أكرم من كل كريم وأفضل من كل فاضل وهذا أمر مطرد في جميع اللغات ولا اختصاص له بالنبي الصريح بل هو مطرد فيما ورد على طريق الاستفهام الإنكاري كما في قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً في مواقع كثيرة من التنزيل وبما هو نص قاطع فيما ذكرنا ما وقع في سورة هود حيث قيل بعده في حقهم لا جرم أنهم في الآخرة هم الآخسرون فإن كونهم أخسر من كل خاسر يستدعي قطعاً كونهم أظلم من كل ظالم (وإن يخذلكم) كما فعل يوم أحد وقرئ يخذلكم من أخذه إذا جعله مخذولاً (فن ذا الذي ينصركم) استفهام إنكاري مفيد لا تنفاه الناصر ذاتاً وصفة بطريق المبالغة (من بعده) أي من بعد خذلانه تعالى أو من بعد الله تعالى على معنى إذا جاوزتموه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) تقديم الجار والمجرور على الفعل لإفادة قصره عليه تعالى والفاء لترتيبه أو ترتيب الأمر به على ما مر من غلبة المخاطبين على تقدير نصرته تعالى لهم ومغلوبيتهم على تقدير خذلانه تعالى إياهم فإن العلم بذلك مما يقتضي قصر التوكل عليه تعالى لا محالة والمراد بالمؤمنين إما الجنس والمخاطبون داخلون فيه دخلاً أولاً وإمام خاصة بطريق الالتفات وأياً ما كان ففيه تشریف لهم بعنوان الإيمان اشتراكاً أو استقلالاً وتعليل لتحتم التوكل عليه تعالى فإن وصف الإيمان بما يوجب قطعاً (وما كان لنبي) أي وما صح لنبي من الأنبياء ولا استقام له (أن يغل) أي يخون في المغنم فإن النبوة تنافيه منافاة بينة يقال غل شيئاً من المغنم يغل غللاً وأغل إغلالاً إذا أخذه خفية والمراد إما تنزيهه ساحة رسول الله ﷺ عما ظن به الرماة يوم أحد حين تركوا المركز وأفاضوا في الغنيمة وقالوا نخشى أن يقول رسول الله ﷺ من أخذ شيئاً فهو له ولا يقسم الغنائم كالم يقسمها يوم بدر فقال لهم النبي ﷺ ألم أعهد إليكم أن لا تركوا المركز حتى يأتكم أمرى فقالوا تركنا بقية إخواننا وقوفاً فقال عليه السلام بل ظننتم أنا نغل ولا نقسم بينكم وإما المبالغة في النهي لرسول الله ﷺ على ما روى أنه بعث طلحة فغنم النبي ﷺ بعد غنائم غنائم فقسمها بين الحاضر ولم يترك للطلائع شيئاً فنزلت . والمعنى ما كان لنبي أن يعطى قوماً من العسكر ويمنع آخرين بل عليه أن يقسم بين الكل بالسوية وعبر عن حرمان بعض الغزاة بالغلول تغليظاً وأما ما قيل من أن المراد تنزيهه عليه السلام عما نقوه به بعض المنافقين إذ روى أن قطيفة حراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله ﷺ أخذها فبعيد جداً وقرئ على البناء للمفعول والمعنى ما كان له أن يوجد غللاً أو ينسب إلى الغلول (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) يأت بالذي غله بعينه يحمله على عنقه كما ورد في الحديث الشريف وروى أنه عليه السلام قال ألا لا أعرفن أحداً يأتي بغير لهرغاء وبقرة لها خوار وبشاة لها ثغاء فينادي يا محمداً يا محمد فأقول لا أملك لك من الله شيئاً فقد بلغتك أو يأت

أَفَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا وَهُ جَهَنَّمُ وَيَتَّبِعُ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ آل عمران ٢٣

هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ آل عمران ٢٣

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ آل عمران ٢٣

- بما احتمل من إثمه ووباله (ثم توفي كل نفس ما كسبت) أى تعطى وافياً جزاء ما كسبت خيراً أو شراً كثيراً أو يسيراً ووضع المكسوب موضع جزائه تحقيقاً للعدل ببيان ما بينهما من تمام التناسب كما وكيفاً كأنهما شئ واحد وفى إسناد التوفية إلى كل كاسب وتعليقها بكل مكسوب مع أن المقصود بيان حال الغال عند إتيانه بما غله يوم القيامة من الدلالة على نخامة شأن اليوم وهول مطلعه والمبالغة فى بيان فظاعة حال الغال ما لا يخفى فإنه حيث وفى كل كاسب جزاء ما كسبه ولم ينقص منه شئ وإن كان جرمه فى غاية القلة والحقارة فلأن لا ينقص من جزاء الغال شئ وجرمه من أعظم الجرائم وأظهر وأجلى (وهم) أى كل الناس المدلول عليهم بكل نفس (لا يظلمون) بزيادة عقاب أو بنقص ثواب (أفمن اتبع رضوان الله) أى سعى ١٦٢ فى تحصيله وانتحى نحوه حيثما كان بفعل الطاعات وترك المنكرات كالنبي ومن يسير يسيرته (كمن باء) أى رجع (بسخط) عظيم لا يقادر قدره كائن (من الله) تعالى بسبب معاصيه كالغال ومن يدين بدينه والمراد تأكيد نفي الغلول عن النبي عليه الصلاة والسلام وتقريره بتحقيق المبينة الكلية بينه وبين الغال حيث وصف كل منهما بنقيض ما وصف به الآخر فقبول رضوانه تعالى بسخطه والاتباع بالبوء والجمع بين الهمزة والفاء لتوجيه الإنكار إلى ترتب توهم المماثلة بينهما والحكم بها على ما ذكر من حال الغال كأنه قيل أبعد ظهور حاله يكون من ترقى إلى أعلى عليين كمن تردى إلى أسفل سافلين وإظهار الاسم الجليل فى موضع الإضمار لإدخال الروعة وترية المهابة (وماواه جهنم) إما كلام مستأنف مسوق لبيان مآل أمر من باء بسخطه تعالى وإما معطوف على قوله تعالى باء بسخط عطف الصلة الاسمية على الفعلية وأياً ما كان فلا محل له من الإعراب (وبئس المصير) اعتراض تذييلي والمخصوص بالذم محذوف أى وبئس المصير جهنم والفرق بينه وبين المرجع أن الأول يعتبر فيه الرجوع على خلاف الحالة الأولى بخلاف الثانى (هم) راجع إلى ١٦٣ الموصولين باعتبار المعنى (درجات عند الله) أى طبقات متفاوتة فى عليه تعالى وحكمه شهبوا فى تفاوت الأحوال وتباينها بالدرجات مبالغة وإيداناً بأن بينهم تفاوتاً كالدراجات أو ذود درجات (والله بصير بما يعملون) من الأعمال ودرجاتها فيجازيهم بحسبها (لقد من الله) جواب قسم محذوف أى والله لقد من ١٦٤ أى أنعم (على المؤمنين) أى من قومه عليه السلام (إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم) أى من نسبهم أو من جنسهم عربياً مثلهم ليفقهوا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله فى الصدق والأمانة مفتخرين به وفى ذلك شرف لهم عظيم قال الله تعالى وإنه لذكر لك ولقومك وقرئ من أنفسهم أى أشرفهم فإنه عليه السلام

أَوْ لَمَّا أَصَبْتُمْ مِصْبِيَّةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنِّي هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ

١٦٥

كان من أشرف قبائل العرب وبطونها وقرىء لمن من الله على المؤمنين إذ بعث الخ على أنه خبر لمبتدأ محذوف أى منه إذ بعث الخ أو على أن إذ فى محل الرفع على الابتداء بمعنى لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه وتخصيصهم بالامتنان مع عموم نعمة البعثة للأسود والأحر لما مر من مزيد انتفاعهم بها وقوله تعالى من أنفسهم متعلق بمحذوف وقع صفة لرسولا أى كائنات من أنفسهم وقوله تعالى (يتلو عليهم آياته) صفة أخرى أى يتلو عليهم القرآن بعدما كانوا أهل جاهلية لم يطرق أسماعهم شىء من الوحى (ويزكيهم) عطف على يتلو أى يطهرهم من دنس الطبائع وسوء العقائد أو ضارا الأوزار (ويعلمهم الكتاب والحكمة) أى القرآن والسنة وهو صفة أخرى لرسولا مترتبة فى الوجود على التلاوة وإنما وسط بينهما التزكية التى هى عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للإيدان بأن كل واحد من الأمور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلوروى ترتيب الوجود كما فى قوله تعالى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم لتبادر إلى الفهم عد الجميع نعمة واحدة وهو السر فى التعبير عن القرآن بالآيات تارة وبالكتاب والحكمة أخرى رمزاً إلى أنه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فى ذلك شمول الحكمة لما فى مطاوى الأحاديث الكريمة من الشرائع كما سلف فى سورة البقرة (وإن كانوا من قبل) أى من قبل بعثته عليه السلام وتزكيته وتعليمه (لنى ضلال مبين) أى بين لا ريب فى كونه ضلالاً وإن هى المخففة من المثقلة وضمير الشأن محذوف واللام فارقة بينها وبين النافية والظرف الأول لغو متعلق بكان والثانى خبرها وهى مع خبرها خبر لأن المخففة التى حذف اسمها أعنى ضمير الشأن وقيل هى نافية واللام بمعنى إلا أى وما كانوا من قبل إلا فى ضلال مبين وأياً ما كان فالجمله إما حال من الضمير المنصوب فى يعلمهم أو مستأنفة وعلى التقديرين فهى مبينة لكمال النعمة وتامها (أو لما أصابتم مِصْبِيَّةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنِّي هَذَا) كلام مبتدأ مسوق لإبطال بعض ماصدر عنهم من الظنون الفاسدة والأقاويل الباطلة الناشئة منها إثر إبطال بعض آخر منها والهمزة للتقريع والتقرير والواو عاطفة لمدخولها على محذوف قبلها ولما ظرف لقلتم مضاف إلى ما بعده وقد أصبتم فى محل الرفع على أنه صفة لمِصْبِيَّةٍ والمراد بها ما أصابهم يوم أحد من قتل سبعين منهم وبمثليها ما أصاب المشركين يوم بدر من قتل سبعين منهم وأسر سبعين وأنى هذا مقول قلتم وتوسيط الظرف وما يتعلق به بينه وبين الهمزة مع أنه المقصود إنكاره والمعطوف بالواو حقيقة لتأكيد النكير وتشديد التقريع فإن فعل القبيح فى غير وقته أقبح والإنكار على فاعله أدخل والمعنى أحياناً أصابكم من المشركين نصف ما قد أصابهم منكم قبل ذلك جزعتم وقلتم من أين أصابنا هذا وقد تقدم الوعد بالنصر على توجيه الإنكار والتقريع إلى صدور ذلك القول عنهم فى

وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبَعَتْكُمْ
هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَنِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾

آل عمران ٢٣

آل عمران ٢٣

وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ فَيَا ذُنَّ اللَّهِ وَلْيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾

- ذلك الوقت خاصة بناء على عدم كونه مظنة له داعياً إليه بل على كونه داعياً إلى عدمه فإن كون مصيبة
عدوهم ضعف مصيبتهم مما يهون الخطب ويورث السلوة أو أفعلتم ما فعلتم ولما أصابتكم غائلته فلم أنى
هذا على توجيه الإنكار إلى استبعادهم الحادثة مع مباشرتهم لسيبها وتذكير اسم الإشارة في أنى
هذا مع كونه إشارة إلى المصيبة ليس لكونها عبارة عن القتل ونحوه بل لما أن إشارتهم ليست إلا إلى
ما شاهدهوه في المعركة من حيث هو هو من غير أن يخطر ببالهم تسميته باسم ما فضلاً عن تسميته باسم
المصيبة وإنما هي عند الحكاية وقوله عز وجل (قل هو من عند أنفسكم) أمر لرسول الله ﷺ بأن
يجيب عن سؤالهم الفاسد إثر تحقيق فسادهم بالإنكار والتفريع ويبيّنهم ببيان أن ما نالهم إنما نالهم من
جهنم بتركهم المركز وحرصهم على الغنيمة وقيل باختيارهم الخروج من المدينة ويأباه أن الوعد بالنصر
كان بعد ذلك كما ذكر عند قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده الآية وأن عمل النبي ﷺ بموجبه قد رفع
الخطر عنه وخفف جنايتهم فيه على أن اختيار الخروج والإصرار عليه كان من أكرمهم الله تعالى بالشهادة
يومئذ وأين هم من التفوه بمثل هذه الكلمة وقيل بأخذهم الفداء يوم بدر قبل أن يؤذن لهم والأول هو
الأظهر الأقوى وإنما يعضده توسط خطاب الرسول ﷺ بين الخطابين المتوجهين إلى المؤمنين وتفويض
التبكيك إليه عليه السلام فإن توبيخ الفاعل على الفعل إذا كان بمن نهاء عنه كان أشد تأثيراً (إن الله على
كل شيء قدير) ومن جملة النصر عند الطاعة والخذلان عند المخالفة وحيث خرجتم عن الطاعة أصابكم
منه تعالى ما أصابكم والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها داخل تحت الأمر (وما أصابكم) رجوع إلى ١٦٦
خطاب المؤمنين إثر خطابه عليه السلام بسر يقتضيه وإرشاد لهم إلى طريق الحق فيما سألوا عنه وبيان
لبعض ما فيه من الحكم والمصالح ودفع لما عسى أن يتوهم من قوله تعالى هو من عند أنفسكم من استقلالهم
في وقوع الحادثة والعدول عن الإضمار إلى ما ذكر للتحويل وزيادة التقرير ببيان وقته بقوله تعالى (يوم
التقى الجمعان) أى جمعكم وجمع المشركين (فيا ذن الله) أى فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار سمي ذلك
إذناً لكونها من لوازمه (وليعلم المؤمنين) عطف على قوله تعالى فيا ذن الله عطف المسبب على السبب
والمراد بالعلم التمييز والإظهار فيما بين الناس (وليعلم الذين نافقوا) عطف على ما قبله من مثله وإعادة الفعل ١٦٧
لتشريف المؤمنين وتزجيهم عن الانتظام في قرن المنافقين وللايذان باختلاف حال العلم بحسب التعلق
بالفريقين فإنه متعلق بالمؤمنين على نهج تعلقه السابق وبالمنافقين على وجه جديد وهو السرف في إيراد الأولين
بصيغة اسم الفاعل المنبئة عن الاستمرار والآخرين بموصول صلته فعل دال على الحدوث والمعنى وما

- أصابكم يومئذ فهو كائن تمييز الثابتين على الإيمان والذين أظهروا النفاق (وقيل لهم) عطف على نافقوا داخل معه في حيز الصلة أو كلام مبتدأ قال ابن عباس رضى الله عنهما هم عبد الله بن أبي وأصحابه حيث انصرفوا يوم أحد عن رسول الله ﷺ فقال لهم عبد الله بن عمرو بن حرام أذكركم الله أن لا تأخذوا نبيكم وقومكم ودعاهم إلى القتال وذلك قوله تعالى (تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا) قال السدي ادفعوا عنا العدو بتشكيش سوادنا إن لم تقاتلوا معنا وقيل أو ادفعوا عن أهلكم وبلدكم وحرمةكم إن لم تقاتلوا في سبيل الله تعالى وترك العطف بين تعالوا وقاتلوا لما أن المقصود بهما واحد وهو الثاني وذكر الأول توطئة له
- وترغيب فيه لما فيه من الدلالة على التظاهر والتعاون (قالوا) استئناف وقع جواباً عن سؤال ينسحب عليه الكلام كأنه قيل فماذا صنعوا حين خيروا بين الخصلتين المذكورتين فقيل قالوا (لونعلم قتالا لا تبعناكم) أى لو نحسن قتالا ونقدر عليه وإنما قالوه دغلاً واستهزاء وإنما عبر عن نفي القدرة على القتال بنفي العلم به لما أن القدرة على الأفعال الاختيارية مستلزمة للعلم بها أو لولعلم ما يصح أن يسمى قتالا لا تبعناكم ولكن ما أتم بصدده ليس بقتال أصلاً وإنما هو إلقاء النفس إلى التهلكة وفي جعلهم التالى مجرداً لا يتابع دون القتال الذى هو المقصود بالدعوة دليل على كمال تثبطهم عن القتال حيث لا ترضى نفوسهم بجعله تالياً لمقدم مستحيل الوقوع
- (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان) الضمير مبتدأ وأقرب خبره واللام في للكفر وللإيمان متعلقة به وكذا يومئذ ومنهم وعدم جواز تعلق حرفين متحدين لفظاً ومعنى بعامل واحد بلا عطف أو بدلية وإنما هو فيما عدا أفعال التفضيل من العوامل لاتحاد حيثية عملها وأما أفعال التفضيل فحيث دل على أصل الفعل وزادته جرى مجرى عاملين كأنه قيل قيل قربهم للكفر زائدة على قربهم للإيمان وقيل تعلق الجارين به لشبههما بالظرفين أى هم للكفر يومئذ إذ قالوا ما قالوا أقرب منهم للإيمان فإنهم كانوا قبل ذلك يتظاهرون بالإيمان وما ظهرت منهم أماراة مؤذنة بكفرهم فلما انخذلوا عن عسكر المسلمين وقالوا ما قالوا اتبعوا بذلك عن الإيمان المظنون بهم واقربوا من الكفر وقيل هم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان لأن تقبل سواد المسلمين بالانخذال تقوية للشركين وقوله تعالى (يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم) جملة مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها وذكر الأفواه والقلوب تصوير لنفاقهم وتوضيح لمخالفة ظاهرهم لباطنهم وما عبارة عن القول والمراد به إما نفس الكلام الظاهر في اللسان تارة وفي القلب أخرى فالمثبت والمنفى متحدان ذاتاً وإن اختلفا مظهرأ وإما القول الملفوظ فقط فالمنفى حينئذ منشؤه الذى لا ينفك عنه القول أصلاً وإنما عبر عنه به إبانة لما بينهما من شدة الاتصال أى يتفوهون بقول لا وجود له أو لمنشئه في قلوبهم أصلاً من الأباطيل التى من جملتها ما حكى عنهم آنفاً فإنهم أظهروا فيه أمرين ليس في قلوبهم شيء منهما أحدهما عدم العلم بالقتال والآخر الاتباع على تقدير العلم به وقد كذبوا فيهما كذباً بينا حيث كانوا عالمين به غير ناوين للاتباع بل كانوا مصرين مع ذلك على الانخذال عازمين على الارتداد وقوله عز وجل (واقلعوا أذانهم) زيادة تحقيق لكفرهم ونفاقهم ببيان اشتغال قلوبهم بما يخالف أقوالهم من فنون الشر والفساد إثر بيان خلوها عما يوافقها وصيغة التفضيل لما أن بعض ما يكتُمونه من أحكام النفاق وذم المؤمنين وتخطئة آرائهم والشهادة بهم وغير ذلك يعلمه المؤمنون على وجه الإجمال وأن تفاصيل ذلك

الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾

آل عمران ٢٣

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾

آل عمران ٢٣

- وكيفياته مختصة بالعلم الإلهي (الذين قالوا) مرفوع على أنه بدل من واو يكتُمون أو خبر لمبتدأ محذوف ١٦٨
- وقيل مبتدأ خبره قل فادروا بمحذوف العائد تقديره قل لهم الخ أو منصوب على الذم أو على أنه نعت للذين نافقوا أو بدل منه وقيل مجرور على أنه بدل من ضمير أفواهم أو قلوبهم كما في قوله [على جوده لضم بالماء حاتم] والمراد بهم عبد الله بن أبي وأصحابه (إخوانهم) أي لا جملهم وهم من قتل يوم أحد من جنسهم أو من أقاربهم فيندرج فيهم بعض الشهداء (وقعدوا) حال من ضمير قالوا بتقدير قد أي قالوا وقد قعدوا عن القتال بالانخزال (لو أطاعونا) أي فيما أمرناهم به ووافقونا في ذلك (ماقتلوا) كالم نقتل وفيه إيذان بأنهم أمروهم بالانخزال حين انخزلوا وأغروهم كما غروا وحمل القعود على ما استصوبه ابن أبي عند المشاورة من الإقامة بالمدينة ابتداء وجعل الإطاعة عبارة عن قبول رأيه والعمل به يرده كون الجملة حالية فإنها لتعيين ما فيه العصيان والمخالفة مع أن ابن أبي ليس من القاعدين فيها بذلك المعنى على أن تخصيص عدم الطاعة بإخوانهم ينادى باختصاص الأمر أيضاً بهم فيستحيل أن يحمل على ما خوطب به النبي ﷺ عند المشاورة (قل) تسكيناً لهم وإظهار الكذبهم (فادروا عن أنفسكم الموت) جواب لشرط قد حذف
- تعويلاً على ما بعده من قوله تعالى (إن كنتم صادقين) كما أنه شرط حذف جوابه لدلالة الجواب المذكور عليه أي إن كنتم صادقين فيما ينبيء عنه قولكم من أنكم قادرون على دفع القتل عن أنفسكم فادفعوا عن أنفسكم الموت الذي كتب عليكم معلقاً بسبب خاص مؤقتاً بوقت معين بدفع سببه فإن أسباب الموت في إمكان المدافعة بالحيل وامتناعها سواء وأنفسكم أعز عليكم من إخوانكم وأمرها أهم لديكم من أمرهم والمعنى أن عدم قتلهم كان بسبب أنه لم يكن مكتوباً عليكم لا بسبب أنكم دفعتموه بالقة ودمع كتابته عليكم فإن ذلك مما لا سبيل إليه بل قد يكون القتال سبباً للنجاة والقعود مؤدياً إلى الموت . روى أنه مات يوم قالوا ما قالوا سبعون منافقاً وقيل أريد إن كنتم صادقين في مضمون الشرطية والمعنى أنهم لو أطاعوك وقعدوا القتل قاعدون كما قتلوا مقاتلين فقله تعالى فادروا عن أنفسكم الموت حينئذ استهزاء بهم أي إن كنتم رجالا مدفاعين لأسباب الموت فادروا جميع أسبابه حتى لا تموتوا كما درأتم في زعمكم هذا السبب الخاص (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً) كلام مستأنف مسوق لبيان أن القتل الذي يحذرونه ويحذرون ١٦٩
- الناس منه ليس بما يحذر بل هو من أجل المطالب التي يتنافس فيها المتنافسون إثريان أن الحذر لا يجدي ولا يغني وقرئ ولا تحسبن بكسر السين والمراد بهم شهداء أحد وكانوا سبعين رجلاً أربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطالب ومصعب بن عمير وعثمان بن شهاب وعبد الله بن جحش وباقيهم من الأنصار رضوان الله تعالى عليهم أجمعين والخطاب لرسول الله ﷺ أو لكل أحدهم له حظ من الخطاب وقرئ بالياء على

فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾

آل عمران ٢٣

- الإسناد إلى ضميره عليه السلام أو ضمير من يحسب وقيل إلى الذين قتلوا والمفعول الأول محذوف لأنه في الأصل مبتدأ جازا الحذف عند القرينة والتقدير ولا يحسبهم الذين قتلوا أمواتاً أي لا يحسن الذين قتلوا أنفسهم أمواتاً على أن المراد من توجيهه النهي إليهم تنبيه السامعين على أنهم أحقاء بأن يسلموا بذلك ويشعروا بالحياة الأبدية والكرامة السنية والنعيم المقيم لكن لا في جميع أوقاتهم بل عند ابتداء القتل إذ بعد تبين حالهم لم لا يبقى الاعتبار تسليتهم وتبشيرهم فائدة ولا لتنبيه السامعين وتذكيرهم وجه وقرئ قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين (بل أحياء) أي بل هم أحياء وقرئ منصوباً أي بل أحسبهم أحياء على أن الحسبان بمعنى اليقين كما في قوله [حسبت التقى والمجد خير تجارة] رباحاً إذا مال المرء أصبح ثاقلاً
- أو على أنه وارد على طريق المشاكلة (عند ربهم) في محل الرفع على أنه خبر ثان للبتدأ المقدر أو صفة لأحياء أو في محل النصب على أنه حال من الضمير في أحياء وقيل هو ظرف لأحياء أو للفعل بعده والمراد بالعندية التقرب والزلفى وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن الترية والتبليغ إلى الكمال مع الإضافة إلى ضميرهم مزبد تكريمة لهم (يرزقون) أي من الجنة وفيه تأكيد لكونهم أحياء وتحقيق لمعنى حياتهم .
- قال الإمام الواحدى الأصح في حياة الشهداء ما روى عن النبي ﷺ من أن أرواحهم في أجواف طيور خضر وأنهم يرزقون ويأكلون ويتنعمون . وروى عنه عليه السلام أنه قال لما أصيب لإخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طيور خضر تدور في أنهار الجنة وروى ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتسرح من الجنة حيث شاءت وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش وفيه دلالة على أن روح الإنسان جسم لطيف لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه إداركه وتألمه والتذاذه ومن قال بتجريد النفوس البشرية يقول المراد أن نفوس الشهداء تتمثل بطيور أخضر أو تتعلق بها فتلتذ بها ذكر وقيل المراد أنها تتعلق بالأفلاك والكواكب فتلتذ بذلك وتكتسب زيادة كمال (فرحين بما آتاهم الله من فضله) وهو
- ١٧٠ ● شرف الشهادة والفوز بالحياة الأبدية والزلفى من الله عز وجل والتمتع بالنعيم المخلد عاجلاً (ويستبشرون)
- يسرون بالبشارة (بالذين لم يلحقوا بهم) أي بإخوانهم الذين لم يقتلوا بعد في سبيل الله فيلحقوا بهم (من خلفهم) متعلق بيلحقوا والمعنى أنهم بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم أو بمحذوف وقع حالاً من فاعل يلحقوا أي لم يلحقوا بهم حال كونهم متخلفين عنهم باقين في الدنيا (أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)
- بدل من الذين بدل اشتغال مبين لكون استبشارهم بحال إخوانهم لا بذواتهم وأن هي المخففة من أن واسمها ضمير الشأن المحذوف وخبرها الجملة المنفية أي ويستبشرون بما تبين لهم من حسن حال إخوانهم الذين تركوهم وهو أنهم عند قتلهم يفوزون بحياة أبدية لا يكدرها خوف وقوع محذور ولا حزن فوات مطلوب أو لا خوف عليهم في الدنيا من القتل فإنه عين الحياة التي يجب أن يرغب فيها فضلاً

يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾

آل عمران

الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾

آل عمران

الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾

آل عمران

- عن أن تخاف وتحذر أى لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا أنه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والمراد بيان دوام انتفاء الخوف والحزن لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر فى الجملة الثانية مضارعاً فإن النفي وإن دخل على نفي المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام (يستبشرون ١٧١ بنعمة) كرر لبيان أن الاستبشار المذكور ليس بمجرد عدم الخوف والحزن بل به وبما يقارنه من نعمة عظيمة لا يقادر قدرها وهى ثواب أعمالهم وقد جوز أن يكون الأول متعلقاً بحال إخوانهم وهذا بحال أنفسهم بياناً لبعض ما أجمل فى قوله تعالى فرحين بما آتاهم الله من فضله (من الله) متعلق بمحذوف وقع صفة لنعمة مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أى كائنة منه تعالى (وفضل) أى زيادة عظيمة كما فى قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة (وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين) بفتح أن عطف على فضل منتظم معه فى سلك المستبشر به والمراد بالمؤمنين إما الشهداء والتعبير عنهم بالمؤمنين للإيدان بسمو رتبة الإيمان وكونه مناطاً لما نالوه من السعادة وإما كافة أهل الإيمان من الشهداء وغيرهم ذكرت توفية أجورهم على إيمانهم وعدت من جملة ما يستبشر به الشهداء بحكم الأخوة فى الدين وقرىء بكسرها على أنه استئناف معترض دال على أن ذلك أجر لهم على إيمانهم مشعر بأن من لا إيمان له أعماله محبطة لا أجر لها وفيه من الحث على الجهاد والترغيب فى الشهادة والبعث على ازدياد الطاعة وبشرى المزمين بالفلاح ما لا يخفى (الذين استجابوا لله والرسول من بعدما أصابهم القرح) صفة مادحة للمؤمنين ١٧٢ لا مخصصة أو نصب على المدح أو رفع على الابتداء والخبر قوله تعالى (الذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم) بجملة ومن للبيان والمقصود من الجمع بين الوصفين المدح والتعليل لا التقيد لأن المستجيبين كلهم محسنون ومتقون . روى أن أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأراد أن يرهبهم ويريمهم من نفسه وأصحابه قوة فندب أصحابه للخروج فى طلب أبي سفيان وقال لا يخرجن معنا إلا من حضر يومنا بالأمس فخرج ﷺ مع جماعة حتى بلغوا حراء الأسد وهى من المدينة على ثمانية أميال وكان بأصحابه القرح فتحاملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الأجر وألقى الله تعالى الرعب فى قلوب المشركين فذهبوا فزلت (الذين قال لهم الناس) يعنى الركب الذين ١٧٣

فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضِّلَ لَمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ٢٣ عمران

- استقبلوهم من عبد قيس أو نعيم بن مسعود الأشجعي وإطلاق الناس عليه لما أنه من جنسهم وكلامه كلامهم يقال فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وماله سوى فرس فرد وغير ثوب واحد أو لأنه انضم إليه ناس من المدينة وأذا عوا كلامه (إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) روى أن أبا سفيان نادى عند انصرافه من أحد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل إن شئت فقال عليه السلام إن شاء الله تعالى فلما كان القابل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مر الظهران فالتقى الله تعالى في قلبه الرعب وبداله أن يرجع فمر به ركب من بني عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب إن ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمراً فسأله ذلك والتزم له عشرأ من الإبل وضمنها منه سهيل بن عمرو فخرج نعيم ووجد المسلمين يتجهزون للخروج فقال لهم أتوكم في دياركم فلم يفلت منكم أحد إلا شريد أقروا أن تخرجوا وقد جمعوا لكم ففروا فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لأخرجن ولو لم يخرج معي أحد فخرج في سبعين راكباً كلهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل . قيل هي الكلمة التي قالها إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين ألقى في النار (فراهم إيماناً) الضمير المستكن للقول أو لمصدر قال أو لفاعله
- إن أريد به نعيم وحده والمعنى أنهم لم يلتفتوا إلى ذلك بل ثبت به يقينهم بالله تعالى وازداد اطمئنانهم وأظهروا حمية الإسلام وأخلصوا النية عنده وهو دليل على أن الإيمان يتفاوت زيادة ونقصاناً فإن ازدياد اليقين بالإلف وكثرة التأمل وتناصر الحجج بما لا ريب فيه ويعضده قول ابن عمر رضي الله عنهما قلنا يا رسول الله الإيمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار
- (وقالوا حسبنا الله) أي حسبنا الله وكافياً من أحسبه إذا كفاه والدليل على أنه بمعنى المحسب أنه لا يستفيد بالإضافة تعريفاً في قولك هذا رجل حسبك (ونعم الوكيل) أي نعم الموكول إليه والمخصوص بالمدح
- محذوف أي الله عز وجل (فانقلبوا) عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أي فخرجوا إليهم ووافوا الموعد . روى أنه عليه الصلاة والسلام وافي بجيشه بدرأ وأقام بها ثمانى ليال وكانت معهم تجارات فباعوها
- وأصابوا خيراً كثيراً والباء في قوله تعالى (بنعمة) متعلقة بمحذوف وقع حالا من الضمير في فانقلبوا
- والتنوين للتفخيم أي فرجعوا من مقصدهم ملتبسين بنعمة عظيمة لا يقادر قدرها وقوله عز وجل (من الله) متعلق بمحذوف وقع صفة لنعمة مؤكدة لفخامتها الذاتية التي يفيدتها التنكير بالفخامة الإضافية
- أي كائنة من الله تعالى وهي العافية والثبات على الإيمان والزيادة فيه وحذر العدو منهم (وفضل) أي ربح في التجارة وتنكيره أيضاً للتفخيم (لم يمسسهم سوء) حال أخرى من الضمير في فانقلبوا أو من المستكن في الحال كأنه قيل منعمين حال كونهم سالمين عن السوء والحال إذا كان مضارفاً منفياً بلم وفيه ضمير ذي الحال جاز فيه دخول الواو كما في قوله تعالى أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شيء وعنده ما في هذه الآية
- الكريمة وفي قوله تعالى ورده الله الذين كفروا بغضهم لم ينالوا خيراً (واتبعوا) في كل ما أتوا من قول وفعل (رضوان الله) الذي هو مناط الفوز بخير الدارين (والله ذو فضل عظيم) حيث تفضل عليهم

إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ آل عمران
وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا
فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ آل عمران

بالتثبيت وزيادة الإيمان والتوفيق للمبادرة إلى الجهاد والتصلب في الدين وإظهار الجراءة على العدو وحفظهم
عن كل ما يسوؤهم مع إصابة النفع الجليل وفيه تحسير لمن تخلف عنهم وإظهار لخطأ رأيهم حيث حرّموا
أنفسهم ما فاز به هؤلاء وروى أنهم قالوا هل يكون هذا غزواً فأعطاهم الله تعالى ثواب الغزو ورضى عنهم
(إنما ذلكم) إشارة إلى المشبط أو إلى من حمله على التثبيط والخطاب للمؤمنين وهو مبتدأ وقوله تعالى ١٧٥
(الشیطان) إما خبره وقوله تعالى (يخوف أوليائه) جملة مستأنفة مبينة لشيظنته أو حال كما في قوله تعالى
فذلك بيوتهم خاوية الخ وإما صفته والجملة خبره ويجوز أن تكون الإشارة إلى قوله على تقدير مضاف
أى إنما ذلكم قول الشيطان أى إبليس والمستكن في يخوف إما المقدر وإما الشيطان بحذف الراجع إلى
المقدر أى يخوف به والمراد بأوليائه إما أبو سفيان وأصحابه فالمفعول الأول محذوف أى يخوفكم أوليائه
كما هو قراءة ابن عباس وابن مسعود ويؤيده قوله تعالى (فلا تخافوهم) أى أوليائه (وخافون) في مخالفة
أمرى وإما القاعدون فالمفعول الثانى محذوف أى يخوفهم الخروج مع رسول الله ﷺ والضمير البارز
في فلا تخافوهم للناس الثانى أى فلا تخافوهم فتعدوا عن القتال وتجنبوا وخافونى فجاهدوا مع رسولى
وسارعوا إلى ما يأمركم به والخطاب لفريقى الخارجين والقاعدين والفاء لترتيب النهى أو الانتهاء على
ما قبلها فإن كون المخوف شيطانياً مما يوجب عدم الخوف والنهى عنه (إن كنتم مؤمنين) فإن الإيمان
يقتضى إثبات خوف الله تعالى على خوف غيره ويستدعى الأمن من شر الشيطان وأوليائه (ولا يحزنك) ١٧٦
تولين للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله ﷺ لتسريفة بتخصيصه بالتسليّة والإيذان بأصالته في تدبير
أمر الدين والاهتمام بشئونه (الذين يسارعون في الكفر) أى يقعون فيه سريعا لغاية حرصهم عليه
وشدة رغبتهم فيه وإشارة كلفة في على ما وقع في قوله تعالى وسارعوا إلى مغفرة الآية للإشعار باستقرارهم
في الكفر ودوام ملاستهم له في مبدأ المسارعة ومنتهاها كما في قوله تعالى أولئك يسارعون في الخيرات
فإن ذلك مؤذن بملاستهم للخيرات وتقلبهم في فنونها في طرفي المسارعة وتضاعفها وأما إثارة كلفة إلى
في قوله تعالى وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة الخ فلأن المغفرة والجنة منتهى المسارعة وغايتها والمراد
بالموصول المنافقون من المتخلفين وطائفة من اليهود حسبما عين في قوله تعالى يأياها الرسول لا يحزنك
الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا وقيل قوم
ارتدوا عن الإسلام والتعبير عنهم بذلك للإشارة بما في حيز الصلة إلى مظنة وجود المنهى عنه واعتباره
لرسول الله ﷺ أى لا يحزنوك بمسارعتهم في الكفر ومبادرتهم إلى تمشية أحكامه ومظاهرهم لأهله
وتوجيه النهى إلى جمعتهم مع أن المقصود نهيهم عليه الصلاة والسلام عن التأثر منهم للبالغة في ذلك لما أن

٢٣ آل عمران

إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْعًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾

- النهى عن التأثير نهى عن التأثير بأصله ونفى له بالمرّة وقد يوجه النهى إلى اللازم والمراد هو النهى عن الملزوم كما في قولك لا أرينك ههنا وقرأ لا يحزنك من أحزن المنقول من حزن بكسر الزاى والمعنى واحد وقيل معنى حزنه جعل فيه حزناً كما في دهنه أى جعل فيه دهنًا ومعنى أحزنه جعله حزناً وقيل معنى حزنه أحدث له الحزن ومعنى أحزنه عرضه للحزن (إنهم لن يضرروا الله) تعليل للنهى وتكميل للتسليّة
- بتحقيق نفى ضررهم أبداً أى لن يضرروا بذلك أولياء الله البتة وتعليل نفى الضرر به تعالى لتشريفهم والإيدان
 - بأن مضارّتهم بمنزلة مضارّته سبحانه وفيه مزيد مبالغة في التسليّة وقوله تعالى (شيئاً) في حيز النصب على المصدرية أى شيئاً من الضرر والتشكير لتأكيد ما فيه من القلة والحقارة وقيل على نزع الجار أى بشىء ما أصلاً وقيل المعنى لن ينقصوا بذلك من ملكة تعالى وسلطانه شيئاً كما روى أبو ذر عن رسول الله ﷺ أنه قال يقول الله تعالى لو أن أولكم وآخركم وجنكم وإنسكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ولو أن أولكم وآخركم وجنكم وإنسكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً والاول هو الانسب بمقام التسليّة والتعليل (يريد الله أن لا يجعل لهم حظاً في الآخرة)
 - استئناف مبين لسرا بتلاّهم بما هم فيه من الانهماك في الكفر وفي ذكر الارادة من الإيدان بكال خلوص الداعى إلى حرمانهم وتعذيبهم حيث تعلقت بهما إرادة أرحم الراحمين مالا يخفى وصيغة الاستقبال للدلالة على دوام الإرادة واستمرارها أى يريد الله بذلك أن لا يجعل لهم في الآخرة حظاً من الثواب
 - ولذلك تركهم في طغيانهم يعمهون إلى أن يهلكوا على الكفر (ولهم) مع ذلك الحرمان الكلى (عذاب عظيم) لا يقادر قدره قيل لما دلت المسارعة في الشىء على عظم شأنه وجلالة قدره عند المسارع وصف عذابه بالعظم رعاية للنسبة وتنبهاً على حقارة ما سارعوا فيه وخساسته في نفسه والجملة إمامة مبتدأة مبيّنة لحظهم من العقاب إثريان أن لاشىء لهم من الثواب وإما حال من الضمير في لهم أى يريد الله حرمانهم من الثواب
- ١٧٧ معدّ لهم عذاب عظيم (إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان) أى أخذوه بدلا منه رغبة فيما أخذوه وإعراضاً عما تركوه وقدم تحقيق القول في هذه الاستعارة في تفسير قوله عز وجل أولئك الذين اشتروا الضلالة
- بالهدى مستوفى (لن يضرروا الله شيئاً) تفسيره كما مر غير أن فيه تعريضاً ظاهر أباقتصار الضرر عليهم كأنه قيل وإنما يضرّون أنفسهم فإن جعل الموصول عبارة عن المسارعين المعهودين بأن يرادوا بشراء الكفر بالإيمان إثاره عليه إما بأخذه بدلا من الإيمان الحاصل بالفعل كما هو حال المرتدين أو بالقوة القرينة منه الحاصلة بمشاهدة دلالة في التوراة كما هو شأن اليهود ومناقضهم فالتكرير لتقرير الحكم وتأكيده ببيان علته بتغيير عنوان الموضوع فإن ما ذكر في حيز الصلة من الاشتراء المذكور صريح في حقوق ضرره بأنفسهم وعدم تعديده إلى غيرهم أصلاً كيف لا وهو علم في الخسران الكلى والحرمان الأبدى دال على كمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم فكيف يتأتى منهم ما يتوقف على قوة الحزم ورزانة الرأى ورصانة التدبير من مضارة حزب الله تعالى وهى أعز من الأبلق الفرد وأمنع من عقاب الجوّ وإن أجرى الموصول على

وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمِلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ

مُهِينٌ

١٧٨

عمومه بأن يراد بالاشتراء المذكور القدر المشترك الشامل للبعينين المذكورين ولأخذ الكفر بدلا مما نزل منزلة نفس الإيمان من الاستعداد القريب له الحاصل بمشاهدة الوحي الناطق وملاحظة الدلائل المنصوبة في الآفاق والأنفس كما هو دأب جميع الكفرة فالجملة مقررمة لمضمون ما قبلها تقرير القواعد الكلية لما اندرج تحتها من جزئيات الأحكام هذا وقد جوز كون الموصول الأول عاماً للكفار والثاني خاصاً بالمعويدين وأنت خير بأنه مع خلوه عن النكت المذكورة مما لا يليق بفخامة شأن التنزيل لما أن صدور المسارعة في الكفر بالمعنى المذكور وكونها مظنة لإيراث الحزن لرسول الله ﷺ كما يفهم من النهي عنه إنما يتصور ممن علم اتصافه بها وأما من لا يعرف حاله من الكفرة الكائنين في الآماكن البعيدة فإسناد المسارعة المذكورة إليهم باعتبار كونها من مبادئ حزنه عليه السلام مما لا وجه له وقوله تعالى (ولهم عذاب أليم) جملة مبتدأة مبينة لكمال فظاعة عذابهم بذكر غاية إيلامه بعد ذكر نهاية عظمه . قيل لما جرت العادة باغتياب المشتري بما اشتراه وسروره بتحصيله عند كون الصفقة رابحة وتآلمه عند كونها خاسرة وصف عذابهم بالإيلام مراعاة لذلك (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خيراً لأنفسهم) عطف على ١٧٨ قوله تعالى ولا يحزنك الذين الآية والفعل مسند إلى الموصول وأن بما في حيزها سادة مسند مفعوليه عند سيوييه لتمام المقصود بها وهو تعلق الفعل القلبي بالنسبة بين المبتدأ والخبر أو مسداً أحدهما والآخر محذوف عند الاختفش وما مصدرية أو موصولة حذف عائدها ووصلها في الكتابة لا تباع الإمام أي لا يحسبن الكافرون أن إملأنا لهم أو أن مانمليه لهم خيراً لأنفسهم أو لا يحسبن الكافرون خيرية إملأنا لهم أو خيرية مانمليه لهم ثابتة أو واقعة ومآله نهيمهم عن السرور بظاهر إملأته تعالى لهم بناء على حسابان خيريته لهم وتحسيرهم ببيان أنه شربحت وضرر محض كما أن مآل المعطوف عليه نهى الرسول ﷺ عن الحزن بظاهر حال الكفرة بناء على توهم الضرر من قبلهم وتسليته عليه السلام ببيان عجزهم عن ذلك بالكلية والمراد بالموصول إما جنس الكفرة فيندرج تحت حكمه الكلى أحكام المعويدين اندراجاً أولياً وإما المعويدون خاصة فإيثار الإظهار على الإضمار لرعاية المقارنة الدائمة بين الصلة وبين الإملأ الذي هو عبارة عن إملأهم وتخليتهم وشأنهم دهرأ طويلاً فإن المقارن له دائماً إنما هو الكفر المستمر لا المسارعة المذكورة ولا الاشتراء المذكور فإنهما من الأحوال المتجددة المنقضية في تضاعيف الكفر المستمر وقرىء لا تحسبن بالتاء والخطاب لرسول الله ﷺ وهو الأنسب بمقام التسلية أو لكل من يتأق منه الحسابان قصداً إلى إشاعة فظاعة حالهم والموصول مفعول وإنما نملي لهم إما بدل منه وحيث كان التعويل على البديل وهو ساد مسد المفعولين كما في قوله تعالى أم تحسب أن أكثرهم يسمعون اقتصر على مفعول واحد كما في قولك جعلت المتاع بعضه فوق بعض وإما مفعول ثان بتقدير مضاف إما فيه أي لا تحسبن

مَا كَانَ اللَّهُ لِيُذِرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَتَعَامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾

آل عمران

الذين كفروا أصحاب أن الإملاء خير لأنفسهم أو في المفعول الأول أى لا تحسبن حال الذين كفروا أن الإملاء خير لأنفسهم ومعنى التفضيل باعتبار زعمهم (إنما نملى لهم ليزدادوا إثماً) استئناف مبين لحكمة الإملاء وما كافة واللام لام الإرادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ بفتح الهمزة ههنا على إيقاع الفعل عليه وكسرها فيما سبق على أنه اعتراض بين الفعل ومعموله مفيد لمزيد الاعتناء بإبطال الحسبان وورده على معنى لا يحسبن الكافرون أن إملاءنا لهم لازدياد الإثم حسبنا هو شأنهم بل إنما هو لتلافي ما فرط منهم بالتوبة والدخول في الإيمان (ولهم) في الآخرة (عذاب مهين) لما تضمن الإملاء التمتع بطيبات الدنيا وزينتها وذلك مما يستدعى التعزز والتعبر وصف عذابهم بالإهانة ليكون جزاؤهم جزاء وفاقاً والجملة إما مبتدأة مبنية لحالهم في الآخرة إثر بيان حالهم في الدنيا وإما حال من الواو أى ليزدادوا إثماً معداً لهم عذاب مهين وهذا متعين على القراءة الأخيرة (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه) كلام مستأنف ١٧٩ مسوق لوعده المؤمنين ووعدته المنافقين بالعقوبة الدنيوية التى هى الفضيحة والخزى إثر بيان عقوبتهم الآخروية والمراد بالمؤمنين المخلصون وأما الخطاب فقد قيل إنه لجمهور المصدقين من أهل الإخلاص وأهل النفاق ففيه التفات فى ضمن التلوين والمراد بما هم عليه اختلاط بعضهم بعضاً واستواؤهم فى إجراء أحكام الإسلام عليهم إذ هو القدر المشترك بين الفريقين وقيل إنه للكفار والمنافقين وهو قول ابن عباس والضحاك ومقاتل والكلبي وأكثر المفسرين ففيه تلوين فقط ولعل المنافقين عطف تفسيري للكفار وإلا فلا شركة بين المؤمنين والمنافقين فى أمر من الأمور والمراد بما هم عليه مامر من القدر المشترك فإنه كما يجوز نسبته إلى الفريقين معاً يجوز نسبته إلى كل منهما لا الكفر والنفاق كما قيل فإن المؤمنين ما كانوا مشاركين لهم فى ذلك حتى لا يتركوا عليه وقيل إنه للمؤمنين خاصة وهو قول أكثر أهل المعاني ففيه تلوين والتفات كما مر والتعرض لإيمانهم قبل الخطاب للإشعار بعلّة الحكم والمراد بما هم عليه مامر غير مرة والأول هو الأقرب وإليه جنح المحققون من أهل التفسير لكونه صريحاً فى كون المراد بما هم عليه ما ذكر من القدر المشترك بين الفريقين من حيث هو مشترك بينهما بخلاف القولين الأخيرين فإنهما بمعزل من ذلك كيف لا والمفهوم مما عليه المنافقين هو الكفر والنفاق ومما عليه المؤمنون هو الإيمان والإخلاص لا القدر المشترك بينهما ولئن فهم ذلك فإنما يفهم من حيث الانتساب إلى أحدهما لا من حيث الانتساب إليهما معاً وعليه يدور أمر الاختلاط المحجوج إلى الإفراز واللام فى ليندرام متعلقة بالخبر المقدر لكان كما هو رأى البصرية وانتصاب الفعل بعدها بأن المقدره أى ما كان الله مريداً أو متصدياً لأن يذر المؤمنين الخ ففى توجيه التنى إلى إرادة الفعل تأكيد ومبالغة ليست فى توجيهه إلى نفسه

- وإما مزيدة للتأكيد ناصبة للفعل بنفسها كما هو رأى الكوفية ولا يقدح في ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة حروف الجر في عملها وقوله عز وجل (حتى يميز الخبيث من الطيب) غاية لما يفيدُه النفي المذكور ● كأنه قيل ما يتركهم الله تعالى على ذلك الاختلاط بل يقدر الأمور ويرتب الأسباب حتى يعزل المنافق من المؤمن وفي التعبير عنهما بما ورد به النظم الكريم تسجيل على كل منهما بما يليق به وإشعار بعلّة الحكم وإفراد الخبيث والطيب مع تعدد ما أريد بكل منهما وتكثيره لاسيما بعد ذكر ما أريد بأحدهما أعني المؤمنين بصيغة الجمع للإيذان بأن مدار إفراز أحد الفريقين من الآخر هو اتصافهما بوصفهما لا خصوصية ذاتهما وتعدد أحدهما كما في مثل قوله تعالى ذلك أدنى أن لا تقولوا ونظيره قوله تعالى تذهل كل مرضعة عما أرضعت حيث قصد الدلالة على الاتصاف بالوصف من غير تعرض لكون الموصوف من العقلاء أو غيرهم وتعليل الميز بالخبيث المعبر به عن المنافق مع أن المتبادر مما سبق من عدم ترك المؤمنين على الاختلاط تعليقه بهم وإفرازهم عن المنافقين لما أن الميز الواقع بين الفريقين إنما بالتصرف في المنافقين وتغييرهم من حال إلى حال مغايرة للأولى مع بقاء المؤمنين على ما كانوا عليه من أصل الإيمان وإن ظهر مزید إخلاصهم لا بالتصرف فيهم وتغييرهم من حال إلى حال أخرى مع بقاء المنافقين على ما هم عليه من الاستنار ولأن فيه مزید تأكيد للوعيد كما أشير إليه في قوله تعالى والله يعلم المفسد من المصلح وإنما لم ينسب عدم الترك إليهم لما أنه مشعر بالاعتناء بشأن من نسب إليه فإن المتبادر منه عدم الترك على حالة غير ملائمة كما يشهد به الذوق السليم وقرئ حتى يميز من التمييز وقوله تعالى (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) تمهيد لبيان الميز الموعود على طريق تجريد الخطاب للمخلصين تشریفاً لهم وقوله عز وجل (ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) إشارة إلى كيفية وقوعه على سبيل الإجمال وإظهار الاسم الجليل في الموضعين لترية المهابة فالمعنى ما كان الله ليترك المخلصين على الاختلاط بالمنافيين بل يرتب المبادئ حتى يخرج المنافقين من بينهم وما يفعل ذلك بإطلاعكم على ما في قلوبهم من الكفر والنفاق ولكنه تعالى يوحى إلى رسوله عليه السلام فيخبره بذلك وبما ظهر منهم من الأقوال والأفعال حسبما حكى عنهم بعضه فيما سلف فيفضحهم على رءوس الأشهاد ويخلصكم من خسة الشركاء وسوء جوارهم والتعرض للاجتناب للإيذان بأنه الوقوف على أمثال تلك الأسرار الغيبية لا يتأتى إلا بمن رشحه الله تعالى لمنصب جليل تقاصرت عنه همم الأمم واصطفاه على الجماهير لإرشادهم وتعميم الاجتناب لسائر الرسل عليهم السلام للدلالة على أن شأنه عليه السلام في هذا الباب أمر متين له أصل أصيل جار على سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين الرسل الخالية عليهم السلام وتعميم الأمر في قوله تعالى (فآمنوا بالله ورسوله) مع أن سوق النظم الكريم للإيمان بالنبي ﷺ لإيجاب الإيمان به بالطريق البرهاني ● والإشعار بأن ذلك مستلزم للإيمان بالكل لأنه مصدق لما بين يديه من الرسل وهم شهداء بصحة نبوته عليه الصلاة والسلام والمأمور به الإيمان بكل ما جاء به عليه الصلاة والسلام فيدخل فيه تصديقه عليه السلام فيما أخبر به من أحوال المنافقين دخولا أولاً هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم وقد جوز أن يكون المعنى لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بأن يكلفكم التكليف الصعبة التي لا يصبر عليها إلا الخالص الذين امتحن الله تعالى قلوبهم كبذل الأرواح في الجهاد وإنفاق الأموال في سبيل الله تعالى

وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ آل عمران

- فيجعل ذلك عياراً على عقائدكم وشاهداً بضائركم حتى يعلم بعضكم بما في قلب بعض بطريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور فإن ذلك مما استأثر الله تعالى به وأنت خير بأن الاستدراك باجتهاد الرسل المنبي عن مزيد مزيتهم وفضل معرفتهم على الخلق إثر بيان قصور تبتم عن الوقوف على خفايا السرائر صريح في أن المراد لإظهار تلك السرائر بطريق الوحي لا بطريق التكليف بما يؤدي إلى خروج أسرارهم عن رتبة الخفاء وأقرب من ذلك حمل الآية الكريمة على أن تكون مسوقة لبيان الحكمة في إملائه تعالى للكفرة إثر بيان شريته لهم فالمعنى ما كان الله ليذر المخلصين على الاختلاط أبداً كما تركهم كذلك إلى الآن لسر يقتضيه بل يفرز عنهم المنافقين ولذلك فعله يومئذ حيث خلى الكفرة وشأنهم فأبرز لهم صورة الغلبة فأظهر من في قلوبهم مرض ما فيها من الخبايا وافتضحوا على رؤوس الأشهاد وقيل قال الكافرون إن كان محمد صادقاً فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فزلات (وإن تؤمنوا) أي بما ذكر حق الإيمان (وتتقوا) أي عدم مراعاة حقوقه أو النفاق (فلكم) بمقابلة ذلك الإيمان والتقوى (أجر عظيم) ١٨٠ لا يبلغ كنهه (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خير لهم) بيان لحال البخل ووخامة عاقبته وتخطئة لأهله في توهم خيريته حسب بيان حال الإملاء وإيراد ما بخلوا به بعنوان إيتاء الله تعالى إياه من فضله للبالغ في بيان سوء صنيعهم فإن ذلك من موجبات بذله في سبيله كما في قوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والفعل مسند إلى الموصول والمفعول الأول محذوف لدلالة الصلة عليه وضمير الفصل راجع إليه أي لا يحسبن الباخلون بما آتاهم الله من فضله من غير أن يكون لهم مدخل فيه أو استحقاق له هو خيراً لهم من إنفاقه وقيل الفعل مسند إلى ضمير النبي ﷺ أو إلى ضمير من يحسب والمفعول الأول هو الموصول بتقدير مضاف والثاني ما ذكر كما هو كذلك على قراءة الخطاب أي ولا يحسبن بخل الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم (بل هو شر لهم) التنصيص على شريته لهم مع انفهامها من نفي خيريته للبالغ في ذلك والتنوين للتفخيم وقوله تعالى (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) بيان لكيفية شريته أي سيلزمون وبال ما بخلوا به إلزام الطوق على أنه حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه للإيذان بكال المناسبة بينهما وروى عن النبي ﷺ أنه قال ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جعل الله له شجاعاً في عنقه يوم القيامة وقيل يجعل ما بخل به من الزكاة حية في عنقه تنهشه من قرنه إلى قدمه وتقرر رأسه وتقول أنا مالك (ولله) وحده لا لأحد غيره استقلالاً أو اشتراكاً (ميراث السموات والأرض) أي ما يتوارثه أهلها من مال وغيره من الرسالات التي يتوارثها أهل السموات والأرض فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله أو أنه يرث منهم ما يسكونه ولا ينفقونه في سبيله تعالى عند هلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والندامة (والله بما تعملون) من المنع والبخل (خبير) فيجازيكم على ذلك وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾

آل عمران ٢

آل عمران ٣

ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾

- لزية المهابة والالفتات المبالغة في الوعيد والإشعار باشتداد غضب الرحمن الناشئ من ذكر قبائحهم وقرىء بالياء على الظاهر (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء) قالته اليهود لما سمعوا قوله ١٨١ تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً وروى أنه عليه السلام كتب مع أبي بكر رضى الله عنه إلى يهود بني قينقاع يدعوهم إلى الإسلام وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضاً حسناً فقال فنحاص إن الله فقير حتى سألنا القرض فلطمه أبو بكر رضى الله عنه في وجهه وقال لولا الذى بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه إلى رسول الله ﷺ وجحد ما قاله فتزلت والجمع حينئذ مع كون القائل واحداً لرضا الباقيين بذلك والمعنى أنه لم يخف عليه تعالى وأعدله من العذاب كفاه والتعبير عنه بالسمع للإيذان بأنه من الشناعة والسماجة بحيث لا يرضى قائله بأن يسمعه سامع والتوكيد القسمى للتشديد في التهديد والمبالغة في الوعيد (سنكتب ما قالوا) أى سنكتب ما قالوه من العظيمة الشنعاء في صحائف الحفظه أو سنحفظه ونثبته ● في علمنا لا ننساه ولا نهمله كما يثبت المكتوب والسين للتأكيدي أن يفوتنا أبداً تدوينه وإثباته لكونه في غاية العظم وال هول كيف لا وهو كفر بالله تعالى واستهزاء بالقرآن العظيم والرسول الكريم ولذلك عطف عليه قوله تعالى (وقتلهم الأنبياء) إيذاناً بأنهم أفي العظم أخوان وتنبهاً على أنه ليس بأول جريمة ارتكبوها ● بل لهم فيه سوابق وأن من اجترأ على قتل الأنبياء لم يستبعد منه أمثال هذه العظائم والمراد بقتلهم الأنبياء رضاهم بفعل أسلافهم وقوله تعالى (بغير حق) متعلق بمحذوف وقع حالاً من قتلهم أى كائناً بغير حق في اعتقادهم أيضاً كما هو في نفس الأمر وقرىء سيكتب على البناء للفاعل وسيكتب على البناء للمفعول وقتلهم بالرفع (ونقول ذوقوا عذاب الحريق) أى ومنتقم منهم بعد الكتابة بأن نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق ● كما أذقم المسلمين الغصص وفيه من المبالغات ما لا يخفى وقرىء ويقول بالياء ويقال على البناء للمفعول (ذلك) إشارة إلى العذاب المذكور وما فيه من معنى البعد للدلالة على عظم شأنه وبعد منزلته في الهول ١٨٢ والفضاعة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (بما قدمت أيديكم) أى بسبب ما اقترتموه من قتل الأنبياء والتفوه ● بمثل تلك العظيمة وغيرها من المعاصي والتعبير عن النفس بالأيدي لما أن عامة أفاعيلها تراول بهن ومحل أن في قوله تعالى (وأن الله ليس بظلام للعبيد) الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف والجملة اعتراض تذييلي ● مقرر لمضمون ما قبلها أى والأمر أنه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع أن تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة أهل السنة فضلاع كونه ظالماً بالغالبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم كما يعبر عن ترك الإثابة على الأعمال بإضاعتها مع أن الأعمال غير موجهة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها وصيغة

الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بَقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ ٢٣ عمران
فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ ٢٣ عمران

المبالغة لنا كيد هذا المعنى يبرز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في صورة المبالغة في الظلم وقيل هي لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده على أنها للمبالغة كما لا كيفاً هذا وقد قيل محل أن الجر بالعطف على ما قدمت وسببته للعذاب من حيث أن نفي الظلم مستلزم للعدل المقضى لإثابة المحسن ومعاقبة المسيء وفساده ظاهر فإن ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعاً ولا عقلاً حتى ينتهض نفي الظلم سبباً للتعذيب حسبما ذكره القائل في سورة الأنفال وقيل سببية ذنوبهم لعذابهم مقيدة بانضمام انتفاء ظلمه تعالى إليها إذ لولاها لا يمكن أن يعذبهم بغير ذنوبهم وأنت خير بأن إمكان تعذيبه تعالى لعبيده بغير ذنب بل وقوعه لا ينافي كون تعذيب هؤلاء الكفرة بسبب ذنوبهم حتى يحتاج إلى اعتبار عدمه معه وإنما يحتاج إلى ذلك أن لو كان المدعى أن جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب المعذبين (الذين قالوا) ١٨٣ نصب أو رفع على الذم وهم كعب بن الأشرف ومالك بن صيفي وحيي بن أخطب وفتحاص بن عازوراء ووهب بن يهودا (إن الله عهد إلينا) أي أمرنا في التوراة وأوصانا (أن لا تؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار) كما كان عليه أمر أنبياء بني إسرائيل حيث كان يقرب بالقربان فيقوم النبي فيدعو فتزل نار من السماء فتأكله أي تحمله إلى طبعها بالإحراق وهذا من مفترياتهم وأباطيلهم فإن أكل النار القربان لم يوجب الإيمان إلا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات سواء ولما كان محصل كلامهم الباطل أن عدم إيمانهم برسول الله ﷺ لعدم إتيانه بما قالوا ولو تحقق الإتيان به لتحقق الإيمان رد عليهم بقوله تعالى (قل) أي تبسكتاً لهم وإظهاراً لكدبهم (قد جاءكم رسل) كثيرة العدد كبيرة المقدار (من قبلي بالبينات) أي المعجزات الواضحة (وبالذي قلتم) بعينه من القربان الذي تأكله النار (فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين) فيما يدل عليه كلامكم من أنكم تؤمنون لرسول يأتكم بما اقترحتموه فإن زكريا ويحيى وغيرهما من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد جاءوكم بما قلتم مع معجزات أخر فها لكم لم تؤمنوا لهم حتى اجترأتم على قتلهم (فإن كذبوك) شروع في تسليية رسول الله ﷺ إثر ما أوحى إليه ما يحزنه عليه الصلاة والسلام من مقالات الكفرة من المشركين واليهود وقوله تعالى (فقد كذب رسل من قبلك) تعليل لجواب الشرط أي فقتل فقد كذب الخ ومن متعلقة بكذب أو بمحذوف صفة لرسل أي كائنة من قبلك (جاءوا بالبينات) أي المعجزات الواضحات صفة لرسل (والزبر) هو جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرته إذا حسنته وقيل زبر المواعظ والزواجر من زبرته إذا زجرته (والكتاب المنير) قيل أي التوراة والإنجيل والزبور والكتاب في عرف القرآن ما يتضمن الشرائع والأحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة المواقع وقرى وبالزبر بإعادة الجار دلالة على أنها مغايرة بالذات

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَن زُحِرَ عَنِ النَّارِ
وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَّعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾
لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا
أَذَى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَلَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

آل عمران

آل عمران

- الليينات (كل نفس ذائقة الموت) وعدا ووعدا للصدق والمكذب وقرىء ذائقة الموت بالتنوين وعدمه ١٨٥
- كما في قوله [ولا ذا كراهة إلا قليلا] (وإنما توفون أجوركم) أى تعطون أجزية أعمالكم على التهام والكمال
- (يوم القيامة) أى يوم قيامكم من القبور وفى لفظ التوفية إشارة إلى أن بعض أجورهم يصل إليهم قبله
 - كما يبنى عنه قوله عليه الصلاة والسلام القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران (فمن زحزح
 - عن النار) أى بعد عنها يومئذ ونجى والزحزحة فى الأصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة (وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ
 - فَقَدْ فَازَ) بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبي ﷺ من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل
 - الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتى إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه (وما الحياة الدنيا)
 - أى لذاتها وزخارفها (إلا متاع الغرور) شبهت بالمتاع الذى يدلس به على المستام ويفرح حتى يشتره وهذا من
 - آثارها على الآخرة فأما من طلب بها الآخرة فهى له متاع بلاغ والغرور إما مصدر أو جمع غار (لتبلون) شروع ١٨٦
 - فى تسلية رسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين عما سيلقونه من جهة الكفرة من المكارة إثر تسليتهم
 - عما قد وقع منهم ليوطنوا أنفسهم على احتماله عند وقوعه ويستعدوا للقاءه ويقابلوه بحسن الصبر والثبات
 - فإن هجوم الأوجال مما يزلزل أقدام الرجال والاستعداد للكروب مما يهون الخطوب وأصل الابتلاء
 - الاختبار أى تطلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه لأمر يشق عليه غالباً ملاسته ومقارفته وذلك إنما
 - يتصور حقيقة مما لا وقوف له على عواقب الأمور وأما من جهة العلم الخبير فلا يكون إلا مجازاً من تمكنه
 - للعبد من اختيار أحد الأمرين أو الأمور قبل أن يرتب عليه شيئاً هو من مبادئ العادية كما مر والجملة
 - جواب قسم محذوف أى والله لتبلون أى لتعاملن معاملة المختبر ليظهر ما عندكم من الثبات على الحق
 - والأعمال الحسنة وفائدة التوكيد إما تحقيق معنى الابتلاء تهويناً للخطب وإما تحقيق وقوع المبتلى به
 - مبالغة فى الحث على ما أريد منهم من التهيؤ والاستعداد (فى أموالكم) بما يقع فيها من ضروب الآفات
 - المؤدية إلى هلاكها وأما إنفاقها فى سبيل الخير مطلقاً فلا يليق نظماً فى سلك الابتلاء لما أنه من باب
 - الأضعاف لا من قبيل الاتلاف (وأنفسكم) بالقتل والأسر والجراح وما يرد عليها من أصناف المتاعب
 - والمخاوف والشدائد ونحو ذلك وتقديم الأموال لكثرة وقوع الهلكة فيها (ولتسمعن من الذين أوتوا
 - الكتاب من قبلكم) أى من قبل إيتائكم القرآن وهم اليهود والنصارى عبر عنهم بذلك للإشعار بمدار
 - الشقاق والإيذان بأن بعض ما يسمعونهم منهم مستند على زعمهم إلى الكتاب كما فى قوله تعالى إن

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَتُوا بِهِ ۖ ثُمَّ قَلِيلًا فَيُنَسَّ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾

آل عمران

- الله عهد إلينا الخ والتصریح بالقبلية لنا كيد الإشعار وتقوية المدارفان قدم نزول كتابهم بما يؤيد تمسكهم به (ومن الذين أشركوا أذى كثيراً) من الطعن في الدين الخفيف والقدح في أحكام الشرع الشريف وصد من أراد أن يؤمن وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الأشرف وأضرابه من هجاء المؤمنين وتخريض المشركين على مضادة رسول الله ﷺ ونحو ذلك مما لا خير فيه (وإن تصبروا) أى على تلك الشدائد والبلوى عند ورودها وتقابلوها بحسن التجميل (وتتقوا) أى تبتلوا إلى الله تعالى بالكلية معرضين عما سواه بالمرة بحيث يتساوى عندكم وصول المحبوب ولقاء المكروه (فإن ذلك) إشارة إلى الصبر والتقوى وما فيه من معنى البعد للإيدان بعلو درجتكما وبعد منزلتهما وتوحيد حرف الخطاب إما باعتبار كل واحد من المخاطبين وإما لأن المراد بالخطاب مجرد التنبيه من غير ملاحظة خصوصية أحوال المخاطبين (من عزم الأمور) من معزوماتها التى يتنافس فيها المتنافسون أى مما يجب أن يعزم عليه كل أحد لما فيه من كمال المزية والشرف أو مما عزم الله تعالى عليه وأمر به وبالعزم فيه يعنى أن ذلك عزمة من عزمات الله تعالى لا بد أن تصبروا وتتقوا والجملة تعليل لجواب الشرط واقع موقعه كأنه قيل وإن تصبروا وتتقوا فهو خير لكم أو فافعلوا أو فقد أحسنتم أو فقد أصبتم فإن ذلك الخ ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى صبر المخاطبين وتقواهم فالجملة حينئذ جواب الشرط وفى إيراد الأمر بالصبر والتقوى فى صورة الشرطية ١٨٧ من إظهار كمال اللطف بالعباد ما لا يخفى (وإذ أخذ الله) كلام مستأنف سيق لبيان بعض أذياتهم وهو كتمانهم ما فى كتابهم من شواهد نبوته عليه الصلاة والسلام وغيرها وإذ منصوب على المفعولية بمضمرة أمر به النبي ﷺ خاصة بطريق تجريد الخطاب إثر الخطاب الشامل له عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين لكون مضمونه من الوظائف الخاصة به عليه الصلاة والسلام وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع أنها المقصودة بالذات للبالغة فى إيجاب ذكرها على ما مر بيانه فى تفسير قوله تعالى وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل الخ أى اذكروا وقت أخذه تعالى (ميثاق الذين أوتوا الكتاب) وهم علماء اليهود والنصارى ذكروا بعنوان إيتاء الكتاب مبالغة فى تقبيح حالهم (لتبينته) حكاية لما خوطبوا به والضمير للكتاب وهو جواب لقسم نبيء عنه أخذ الميثاق كأنه قيل لهم بالله لتبينته (للناس) وتظهرن جميع ما فيه من الأحكام والأخبار التى من جملتها أمر نبوته عليه الصلاة والسلام وهو المقصود بالحكاية وقرىء بالياء لأنهم غيب (ولا تكتُمونه) عطف على الجواب وإنما لم يؤكد بالنون لكونه منقياً كما فى قولك والله لا يقوم زيد وقيل اكتفى بالتأكيد فى الأول لأنه تأكيد له وقيل هو حال من ضمير المخاطبين إما على إضمار مبتدأ بعد الواو أى وأنتم لا تكتُمونه وإما على رأى من جوز دخول الواو على المضارع المنقى عند وقوعه حالاً أى لتبينته غير كاتمين والنهى عن الكتمان بعد الأمر بالبيان

لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسِبْنَهُمْ بِمَقَازَةٍ مِّنَ
الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾

آل عمران ٢٣

- إما للبالغة في إيجاب الأمور به وإما لأن المراد بالبيان المأمور به ذكر الآيات الناطقة بنبوته عليه الصلاة والسلام وبالكتمان المنهى عنه إلقاء التأويلات الزائفة والشبهات الباطلة وقرىء بالياء كما قبله (فنبذوه) ●
- النبذ الرمي والإبعاد أى طرخوا ما أخذ منهم من الميثاق الموثق بفنون التاكيد والاقوه (وراء ظهورهم) ●
- ولم يراعوه ولم يلتفتوا إليه أصلاً فإن نبذ الشيء وراء الظهر مثل في الاستهانة به والإعراض عنه بالكلية كما أن جملة نصب العين علم في كمال العناية به وفيه من الدلالة على تحتم بيان الحق على علماء الدين وإظهار ما منجوه من العلم للناس أجمعين وحرمة كتبانه لغرض من الأغراض الفاسدة أو لطمع في عرض من الأعراض الفانية الكاسدة ما لا يخفى وعن النبي ﷺ من كنتم علماء عن أهله ألجم بلجام من نار وعن طاوس أنه قال لو هب بن منبه إلى أرى الله سوف يعذبك بهذه الكتب وقال والله لو كنت نبياً فكنت العلم كما تكتمه لرأيت أن الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لأحد من العلماء أن يسكت على علمه ولا يحل لجاهل أن يسكت على جملة حتى يسأل وعن علي رضي الله عنه ما أخذ الله على أهل الجمل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا (واشتروا به) أى بالكتاب الذى أمروا ببيانه ونهوا عن كتبانه فإن ذكر نبذ الميثاق يدل على ذلك دلالة واضحة وإيقاع الفعل على الكل مع أن المراد به كنتم بعضه كدلائل نبوته عليه الصلاة والسلام ونحوها لما أن ذلك كنتم للكل إذ به يتم الكتاب كما أن رفض بعض أركان الصلاة رفض لكلها أو بمنزلة كنتم الكل من حيث إنهما سيان في الشناعة واستتجار العقاب كما في قوله تعالى وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والاشتراء مستعار لاستبدال متاع الدنيا بما كنتموه أى تركوا ما أمروا به وأخذوا بدله (ثمناً قليلاً) أى شيئاً تافهاً حقيراً من حطام الدنيا وأعراضها وفي تصوير هذه المعاملة بعقد المعاوضة لاسيما بالاشتراء المؤذن بالرغبة في المأخوذ والإعراض عن المعطى والتعبير عن المشتري الذى هو العمدة في العقد والمقصود بالمعاملة بالثمن الذى شأنه أن يكون وسيلة إليه وجعل الكتاب الذى حقه أن يتنافس فيه المتنافسون مصحوباً بالباء الداخلة على الآلات والوسائل من نهاية الجزالة والدلالة على كمال فظاعة حالهم وغاية قبحها بإيثارهم الدنىء الحقيق على الشريف الخطير وتعكيسهم بمعلمهم المقصد الأصلى وسيلة والوسيلة مقصداً ما لا يخفى جلالة شأنه ورفعة مكانه (فبئس ما يشترون) مانكرة منصوبة مفسرة لفاعل ●
- بئس ويشترون صفتهم والمخصوص بالذم محذوف أى بئس شيئاً يشترونه ذلك الثمن (لا تحسبن) الخطاب ١٨٨
- لرسول الله ﷺ أو لكل أحد ممن يصلح له (الذين يفرحون بما أتوا) أى بما فعلوا كما في قوله تعالى ●
- إنه كان وعده ما تبا ويدل عليه قراءة أبى يفرحون بما فعلوا وقرىء بما أتوا بمعنى أعطوا وبما أتوا أى أى بما أتوه من علم التوراة. قال ابن عباس رضى الله عنهما هم اليهود حرفوا التوراة وفرحوا بذلك وأحبوا أن يوصفوا بالديانة والفضل روى أن رسول الله ﷺ سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا

الحق وأخبروه بخلافه وأروه أنهم قد صدقوه واستحمدوا إليه وفرحوا بما فعلوا وقيل فرحوا بكتان
النصوص الناطقة بنبوته عليه الصلاة والسلام وأجوا أن يحمدوا بأنهم متبعون ملة إبراهيم عليه السلام
فالوصول عبارة عن المذكورين أو عن مشاهيرهم وضع موضع ضميرهم والجملة مسوقة لبيان ما تستتبعه
أعمالهم المحكية من العقاب الأخرى إثر بيان قباحتها وقد أدمج فيها بيان بعض آخر من شنائعهم وهو
إصرارهم على ما هم عليه من القبائح وفرحهم بذلك ومحبتهم لأن يوصفوا بما ليس فيهم من الأوصاف الجميلة
وقد نظم ذلك في سلك الصلة التي حقها أن تكون معلومة الثبوت للوصول عند المخاطب إيذاناً بشهرة اتصافهم
بذلك وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بأنهم رأوا المصلحة في ذلك واستحمدوا به وقيل هم المنافقون
● كافة وهو الأنسب بظاهر قوله تعالى (ويحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا) لشهرة أنهم كانوا يفرحون بما فعلوا
من إظهار الإيمان وقلوبهم مطمئنة بالكفر ويستحمدون إلى المسلمين بالإيمان وهم عن فعله بألف معزل
وكانوا يظهرون محبة المؤمنين وهم في الغاية القاصية من العداوة فالوصول عبارة عن طائفة معهودة من
المذكورين وغيرهم فإن أكثر المنافقين كانوا من اليهود ولعل الأولى لإجراء الوصول على عمومها شاملاً
لكل من يأتي بشيء من الحسنات فيفرح به فرح إعجاب ويود أن يمدحه الناس بما هو عار منه من الفضائل
● منتظماً للمعويدين انتظاماً أولياً وأياً ما كان فهو مفعول أول لتحسين وقوله تعالى (فلا تحسبنهم) تأكيداً
● والفاء زائدة والمفعول الثاني قوله تعالى (بمفاضة من العذاب) أي ملتبسين بنجاة منه على أن المفاضة مصدر
ميمى ولا يضر تأنيهاً بالناء لما أنها مبنيّة عليها وليست للدلالة على الوحدة كما في قوله [فلولا رجاء النصر
منك ورهبة * عقابك قد كانوا لنا بالموارد] ولا سيبل إلى جعلها اسم مكان على أن الجار متعلق بمحذوف
وقع صفة لها أي بمفاضة كائنة من العذاب لأنها ليست من العذاب وتقدير فعل خاص ليصح به المعنى أي
بمفاضة منجية من العذاب مع كونه خلاف الأصل تعسف مستغنى عنه وقرئ بضم الباء في الفعلين على
أن الخطاب شامل للمؤمنين أيضاً وقرئ بياء الغيبة وفتح الباء فيهما على أن الفعل له عليه الصلاة والسلام
أو لكل أحد من يتأق من الحساب ومفعولاه كما ذكر وقرئ بضم الباء في الثاني فقط على أن الفعل للوصول
والمفعول الأول محذوف لكونه عين الفاعل والثاني بمفاضة أي لا يحسبن الذين يفرحون أنفسهم فازين
وقوله تعالى فلا يحسبنهم تأكيداً للمفعول والفاء زائدة كما مروى يجوز أن يحمل الفعل الأول على حذف المفعولين
معاً اختصاراً للدلالة مفعولي الثاني عليهما على عكس ما في قوله [بأي كتاب أو بأية سنة * ترى حبيهم عاراً
على وتحسب] حيث حذف فيه مفعولاً الثاني للدلالة مفعولي الأول عليهما أو على أن الفعل الأول
لرسول ﷺ أو أكل حاسب ومفعولاه الأول الوصول والثاني محذوف لدلالة مفعول الفعل الثاني عليه
والفعل الثاني مسند إلى ضمير الوصول والفاء للعطف لظهور تفرع عدم حسابهم على عدم حسابانه عليه
السلام ومفعولاه الضمير المنسوب وقوله تعالى بمفاضة وتصدير الوعيد بنهيم عن الحساب المذكور للتنبيه
على بطلان آرائهم الركيكة وقطع أطماعهم الفارغة حيث كانوا يزعمون أنهم ينجون بما صنعوا من
عذاب الآخرة كما نجوا به من المؤاخذه الدنيوية وعليه كان مبنى فرحهم وأمانيه عليه السلام فالتعريض
● بحسابهم المذكور لا احتمال وقوع الحساب من جهته عليه السلام (ولهم عذاب أليم) بعد ما أشير

٢٣ آل عمران

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ ٢٣ آل عمران

- إلى عدم نجاتهم من مطلق العذاب حقق أن لهم فرداً منه لا غاية له في المدة والشدة كما تلوح به الجملة الاسمية والتفكير التفخيمي والوصف (ولله) أى خاصة (ملك السموات والأرض) أى السلطان القاهر ١٨٩
- فيهما بحيث يتصرف فيهما وفيما فيهما كيفما يشاء ويريد إيجاداً وإعداماً وإحياء وإماتة تعذيباً وإثابة من غير أن يكون لغيره شائبة دخل في شيء من ذلك بوجه من الوجوه فالجملة مقررّة لما قبلها وقوله تعالى (والله على كل شيء قدير) تقرير لاختصاص ملك العالم الجثامى المعبر عنه بقطريه به سبحانه وتعالى فإن كونه تعالى قادراً على الكل بحيث لا يشذ من ملكوته شيء من الأشياء يستدعى كون ما سواه كائناً ما كان مقدوراً له ومن ضرورته اختصاص القدرة به تعالى واستحالة أن يشاركه شيء من الأشياء في القدرة على شيء من الأشياء فضلاً عن المشاركة في ملك السموات والأرض وفيه تقرير لما مر من ثبوت العذاب الأليم لهم وعدم نجاتهم منه أثر تقرير وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لتربية المهابة والإشعار بمناط الحكم فإن شمول القدرة لجميع الأشياء من أحكام الألوهية مع ما فيه من الإشعار باستقلال كل من الجملتين بالتقرير (إن في خلق السموات) جملة مستأنفة سيقّت لتقرير ما سبق من اختصاصه تعالى بالسلطان ١٩٠
- القاهر والقدرة التامة صدرت بكلمة التأكيد اعتناء بتحقيق مضمونها أى في إنشائها على ما هي عليه في ذواتها وصفاتها من الأمور التي يحار في فهم أجلاها العقول (والأرض) على ما هي عليه ذاتاً وصفة ●
- (واختلاف الليل والنهار) أى في تعاقبهما في وجه الأرض وكون كل منهما خلفه للآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين لحركات السموات وسكون الأرض أوفى تفاوتهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة إليها قرباً وبعداً بحسب الأزمنة أوفى اختلافهما وتفاوتهما بحسب الأمكنة إما في الطول والقصر فإن البلاد القريبة من القطب الشمالى أيامها الصيفية أطول ولياليها الصيفية أقصر من أيام البلاد البعيدة منه ولياليها وإما في أنفسها فإن كرية الأرض تقتضى أن يكون بعض الأوقات في بعض الأمكنة ليلاً وفي مقابلة نهاراً وفي بعضها صباحاً وفي بعضها ظهراً أو عصرأ أو غير ذلك والليل قيل إنه اسم جنس يفرق بين واحده وجمعه بالتاء كتمر وتمرّة والليالى جمع جمع والصحيح أنه مفرد ولا يحفظ له جمع والليالى جمع ليلة وهو جمع غريب كأنهم توهموا أنها ليلة كما في كيكه وكياكى كأنها جمع كيكاة والنهار اسم لما بين طلوع الفجر وغروب الشمس قاله الراغب وقال ابن فارس هو ضياء ما بينهما وتقديم الليل على النهار إما لأنه الأصل فإن غرر الشهور تظهر في الليالى وإما لتقدمه في الخلفية حسبما ينبى عنه قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار أى نزله منه فيخلفه (لآيات) ●
- اسم إن دخلته اللام لتأخره عن خبرها والتفكير للتفخيم كما وكيفاً أى آيات كثيرة عظيمة لا يقدر قدرها دالة على تعاقب شئونه التي من جملتها ما مر من اختصاص الملك العظيم والقدرة التامة به سبحانه وعدم

الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا
مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾

آل عمران

التعرض لما ذكر في سورة البقرة من الفلك والمطر وتصريف الرياح والسحاب لما أن المقصود ههنا بيان استبداده تعالى بما ذكر من الملك والقدرة فاكتفى بمعظم الشواهد الدالة على ذلك وأما هناك فقد قصد في ضمن بيان اختصاصه تعالى بالألوهية بيان انصافه تعالى بالرحمة الواسعة فنظمت دلائل الفضل والرحمة في سلك دلائل التوحيد فإن ما فصل هناك من آيات رحمته تعالى كما أنه من آيات ألوهيته ووحدته (لأولى الألباب) أي لذوى العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم المتجردين عن العلائق النفسانية المتخلصين من العوائق الظلمانية المتأملين في أحوال الحقائق وأحكام النعوت المراقبين في أطوار الملك وأسرار الملكوت المتفكرين في بدائع صنائع الملك الخلاق المتدبرين في روائع حكمه المودعة في الأنفس والآفاق الناظرين إلى العالم بعين الاعتبار والشهود المتفحصين عن حقيقة سر الحق في كل موجود المشابرين على مراقبته وذكره غير ملتفتين إلى شيء مما سواه إلا من حيث إنه مرآة لمشاهدة جماله وآلة لملاحظة صفاته كماله فإن كل ما ظهر في مظاهر الإبداع وحضر محاضر التكوين والاختراع - بيل سوى إلى عالم التوحيد ودليل قوى على الصانع المجيد ناطق بآيات قدرته فهل من سامع واع ومخبر بأنباء عليه وحكمته فهل له من داع يكلم الناس على قدر عقولهم ويرد جوابهم بحسب مقولهم يحاور تارة بأوضح عبارة ويلوح أخرى بالطف إشارة مراعيًا في الحوار إلهامهم وتصريحهم وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم فتأمل في هذه الشئون والأسرار إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار .

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال هل لك يا عائشة أن تأذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله إني لأحب قربك وأحب هوائك قد أذنت لك فقام إلى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكن من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس لحمد الله تعالى وأثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد بليت الأرض فأتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله أتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال أفلا أكون عبداً شكوراً ثم قال ومالي لا أبكي وقد أنزل الله تعالى علي في هذه الليلة إن في خلق السموات والأرض الخ ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وروى ويل لمن لا كها بين فسيه ولم يتأملها وعن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر إلى السماء ثم يقول إن في خلق السموات والأرض (الذين يذكرون الله) الموصول إما موصول بأولى الألباب مجرور على أنه نعت كاشف له بما في حيز الصلة وإما مفصول عنه مرفوع أو منصوب على المدح أو مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف وقيل هو مرفوع على الابتداء والخبر هو القول المقدر قبل قوله تعالى ربنا وفيه من تفكيك النظم الجليل مالا يخفى وأياً ما كان فقد أشير بما في حيز صلته أن

المراد بهم الذين لا يغفلون عنه تعالى في عامة أوقانهم لاطمئنان قلوبهم بذكره واستغراق سرائرهم في مراقبته لما أيقنوا بأن كل ما سواه فائض منه وعائد إليه فلا يشاهدون حالا من الأحوال في أنفسهم وإليه أشير بقوله عز وجل (قياماً وقيوداً وعلى جنوبهم) ولا في الآفاق وإليه أشير بما بعده إلا وهم يعاينون في ذلك شأننا من شئونه تعالى فالمراد به ذكره تعالى مطلقاً سواء كان ذلك من حيث الذات أو من حيث الصفات والأفعال وسواء قارنه الذكر اللساني أو لا وأما ما يحكى عن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة رضى الله عنهم من أنهم خرجوا يوم العيد إلى المصلى فجعلوا يذكرون الله تعالى فقال بعضهم أما قال الله تعالى الذين يذكرون الله قياماً وقيوداً فقاموا يذكرون الله على أقدامهم فليس مرادهم به تفسير الآية وتحقيق مصداقها على التعيين وإنما أرادوا به التبرك بنوع موافقة لها في ضمن الإتيان بفرد من أفراد مدلولها وأما حمل الذكر على الصلاة في هذه الأحوال حسب الاستطاعة كما قال عليه السلام لعمران بن الحصين صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب تومىء إيماء فيما لا يساعده سباق النظم الجليل ولا سياقه والقيام والقعود جمع قائم وقاعد كقيام ورقود جمع قائم وراقود وانتصابهما على الحالية من ضمير يذكرون أى يذكرونه قائمين وقاعدين وقوله تعالى وعلى جنوبهم متعلق بمحذوف معطوف على الحاليين أى وكائنين على جنوبهم أى مضطجعين والمراد تعميم الذكر للأوقات كما مروى تخصيص الأحوال المذكورة بالذكر ليس لتخصيص الذكر بها بل لأنها الأحوال المعهودة التى لا يتخلو عنها الإنسان غالباً (ويتفكرون في خلق السموات والأرض) عطف على يذكرون منتظم معه في حيز الصلة ● فلا محل له من الإعراب وقيل محله النصب على أنه معطوف على الأحوال السابقة وليس بظاهر وهو بيان لتفكيرهم في أفعاله سبحانه إثر بيان تفكيرهم في ذاته تعالى على الإطلاق وإشارة إلى نتيجه التى يؤدى إليها من معرفة أحوال المعاد حسبما نطقت به أسنة الرسل وآيات الكتب فكما أنها آيات تشريعية هادية للخلق إلى معرفته تعالى ووجوب طاعته كذلك المخلوقات آيات تكوينية مرشدة لهم إلى ذلك فالأولى منبهات لهم على الثانية ودواع إلى الاستشهاد بها كهذه الآية الكريمة ونحوها بما ورد في مواضع غير محصورة من التنزيل والثانية مؤيدات للأولى وشواهد دالة على صحة مضمونها وحقية مكنونها فإن من تأمل في تضاعيف خلق العالم على هذا النمط البديع قضى باتصاف خالقه تعالى بجميع ما نطقت به الرسل والكتب من الوجوب الذاتى والوحدة الذاتية والملك القاهر والقدرة التامة والعلم الشامل والحكمة البالغة وغير ذلك من صفات الكمال وحكم بأن من قدر على إنشائه بلا مثال يحتذيه أو قانون ينتجيه فهو على إعادته بالبعث أقدر وحكم بأن ذلك ليس إلا لحكمة باهرة هى جزاء المسكفين بحسب استحقاقهم المنوط بأعمالهم أى علومهم واعتقاداتهم التابعة لأنظارتهم فيما نصب لهم من الحجج والدلائل والآمارات والمخايل وسائر أعمالهم المتفرعة على ذلك فإن العمل غير مختص بعمل الجوارح بل متناول للعمل القلبي بل هو أشرف أفرادها لما أن لكل من القلب والقالب عملاً خاصاً به ومن قضية كون الأولى أشرف من الثانى كون عمله أيضاً أشرف من عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفته تعالى التى هى أول الواجبات على العباد والغاية

القصوى من الخلق على ما نطق به عز وجل وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون أى ليعرفون كما أعرب عنه قوله عليه الصلاة والسلام يقول الله تعالى كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف خلقت الخلق لأعرف وإنما طريقها النظر والتفكير فيما ذكر من شئونه تعالى وقد روى عنه عليه السلام أنه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فإنه كان يرفع له كل يوم مثل عمل أهل الأرض قالوا وإنما كان ذلك التفكير فى أمر الله تعالى ولذلك قال عليه السلام لا عبادة مثل التفكير وقد عرفت أنه مستتبع لتحقيق ما جاءت به الشريعة الحقة وإلا لما فسر النبي ﷺ قوله تعالى وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً بقوله عليه الصلاة والسلام أيكم أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله تعالى فإن التورع عن محارمه سبحانه موقوف على معرفة الحلال والحرام المنوطة بالكتاب والسنة لحيث تنصادق الآيات التكوينية وتتوافق الأدلة السمعية والعقلية وهو السر فى نظم ما حكى عن المتفكرين من الأمور المستدعية للإيمان بالشريعة فى سلك نتيجة تفكيرهم كما ستقف عليه وإظهار خلق السموات والأرض مع كفاية الإضمار لإبراز كمال العناية ببيان حالهم والإبذان بكون تفكيرهم على وجه التحقيق والتفصيل وعدم التعرض لإدراج اختلاف الملوين فى سلك التفكير مع ذكره فيما سلف إما للإبذان بظهور اندراجهم فيه لما أن ذلك من الأحوال التابعة لأحوال السموات والأرض كما أشير إليه وإما للإشعار بمسارعتهم إلى الحكم بالنتيجة بمجرد تفكيرهم فى بعض الآيات من غير حاجة إلى بعض آخر منها فى إثبات المطلوب والخلق مصدر على حاله أى يتفكرون فى إنشائهما وإبداعهما بما فيهما من عجائب المصنوعات وقيل بمعنى المخلوق على أن الإضافة بمعنى فى أى يتفكرون فيما خلق فيهما أعم من أن يكون بطريق الجزئية منهما أو بطريق الحلول فيهما أو على أنها بيانية (ربنا ما خلقت هذا باطلا) كلمة هذا إشارة إلى السموات والأرض متضمنة لضرب من التعظيم كما فى قوله تعالى إن هذا القرآن يهدى للتي هى أقوم والتذكير لما أنهما باعتبار تعلق الخلق بهما فى معنى المخلوق وباطلا إما صفة لمصدر مؤكد محذوف أو حال من المفعول به أى ما خلقت هذا المخلوق البديع العظيم الشأن عبثاً عارياً عن الحكمة خالياً عن المصلحة كما ينبئ عنه أوضاع الغافلين عن ذلك المعرضين عن التفكير فيه بل منتظماً لحكم جليلة ومصالح عظيمة من جهاتها أن يكون مداراً للمعاش العباد ومناراً يرشدهم إلى معرفة أحوال المبدأ والمعاد حسبما أفصحت عنه الرسل والكتب الإلهية كما تحققته مفصلاً والجملة بتامها فى حيز النصب بقول مقدر هو على تقدير كون الموصول نعتاً لأولى الأبواب استئناف مبين لنتيجة التفكير ومدلول الآيات ناشئ مما سبق فإن النفس عند سماع تخصيص الآيات المنصوبة فى خلق العالم بأولى الأبواب ثم وصفهم بذكر الله تعالى والتفكير فى محال تلك الآيات تبقى مترتبة لما يظهر منهم من آثارها وأحكامها كأنه قيل فإذا يكون عند تفكيرهم فى ذلك وماذا يترتب عليه من النتيجة فقيل يقولون كيت وكيت مما ينبئ عن وقوفهم على سر الخلق المؤدى إلى معرفة صدق الرسل وحقية الكتب الناطقة بتفاصيل الأحكام الشرعية على التفصيل الذى وقفت عليه هذا وأما جعله حالاً من المستكن فى الفعل كما أطبق عليه الجمهور فمألا يساعده جزالة النظم الكريم لما أن ما فى حيز الصلة وما هو قيد له حقه أن يكون من مبادئ

آل عمران ٢

(١٩٢)

رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾
رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا

آل عمران ٣

(١٩٣)

سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقُّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾

- الحكم الذى أجرى على الموصل ودواعى ثبوته له كذكرهم الله عز وجل فى عامة أوقاتهم وتفكرهم فى خلق السموات والأرض فإنهما مما يؤدى إلى اجتلاء تلك الآيات والاستدلال بها على المطلوب ولارىب فى أن قولهم ذلك ليس من مبادئ الاستدلال المذكور بل من نتائج المترتبة عليه فاعتباره قيداً لما فى حين الصلة مما لا يلىق بشأن التنزيل الجليل نعم هو حال من ذلك على تقدير كون الموصل مرفوعاً أو منصوباً على المدح أو مرفوعاً على أنه خبر لمبتدأ محذوف إذ لا اشتباه فى أن قولهم ذلك من مبادئ مدحهم ومحاسن مناقبهم وفى إبراز هذا القول فى معرض الحال دون الخبر إشعار بمقارنته لتفكرهم من غير تلغم وتردد فى ذلك وقوله تعالى (سبحانك) أى تنزيهاً لك عما لا يلىق بك من الأمور التى من جملتها خلق ما لا حكمة فيه اعتراض مؤكّد لمضمون ما قبله ومهد لما بعده من قوله تعالى (فقننا عذاب النار) فإن معرفة سر خلق العالم وما فيه من الحكمة البالغة والغاية الحميدة والقيام بما تقتضيه من الأعمال الصالحة وتنزيه الصانع تعالى عن العبث من دواعى الاستعاذة مما يحيق بالخليلين بذلك من وجهين أحدهما الوقوف على تحقق العذاب فالفاء لترتيب الدعاء على ما ذكر والثانى الاستعداد لقبول الدعاء فالفاء لترتيب المدعو على الوقاية على ذلك كأنه قيل وإذ قد عرفنا شرك وأطعنا أمرك ونزهنالك عما لا ينبغى فقننا عذاب النار الذى هو جزاء الذين لا يعرفون ذلك (ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيت) مبالغة فى استعداد الوقاية وبيان لسببه وتصدير ١٩٢ الجملة بالنداء للبالغة فى التضرع والجوار وتأكيدها لإظهار كمال اليقين بمضمونها والإيدان بشدة الخوف وإظهار النار فى موضع الإضمار لتحويل أمرها وذكر الإدخال فى مورد العذاب لتعيين كيفيته وتبيين غاية فظاعته . قال الواحدى للإخزاء معانٍ متقاربة يقال أخزاء الله أى أبعدوه وقيل أهانوه وقيل أهلكه وقيل فضحه . قال ابن الأنبارى الخزى لغة الهلاك بتلف أو بانقطاع حجة أو بوقوع فى بلاء والمعنى فقد أخزيتهم خزباً لا غاية وراءه كقولهم من أدرك مرعى الصمان فقد أدرك أى المرعى الذى لا مرعى بعده وفيه من الإشعار بفضاعة العذاب الروحانى ما لا يخفى وقوله تعالى (وما للظالمين من أنصار) نذيل لإظهار نهاية فظاعة حالهم ببيان خلود عذابهم بفقدان من ينصرهم ويقوم بتخليصهم وغرضهم تأكيد الاستعداد ووضع الظالمين موضع ضمير المدخلين لدمهم والإشعار بتعليل دخولهم النار بظلمهم ووضعهم الأشياء فى غير مواضعها وجمع الأنصار بالنظر إلى جمع الظالمين أى ما ظالم من الظالمين نصير من الأنصار والمراد به من ينصر بالمداينة والقهر فليس فى الآية دلالة على نفي الشفاعة على أن المراد بالظالمين هم الكفار (ربنا إننا ١٩٣ سمعنا منادياً ينادى للإيمان) حكاية لدعاء آخرهم مبنى على تأملهم فى الدليل السمعى بعد حكاية دعائهم السابق المبني على التفكير فى الأدلة العقلية وتصدير مقدمة الدعاء بالنداء لإظهار كمال الضراعة والابتهال

رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ آل عمران

والتأكيد للإيذان بصدور المقال عنهم بوفور الرغبة وكال النشاط والمراد بالنداء الدعاء وتعديتهما بإلى لتضمنهما معنى الإنهاء وباللام لاشتغالها على معنى الاختصاص والمراد بالمنادى الرسول ﷺ وتنوينه للتفخيم وإيثاره على الداعي للدلالة على كمال اعتنائه بشأن الدعوة وتبليغها إلى الداني والقاصي لما فيه من الإيذان برفع الصوت وينادى صفة لمنادياً عند الجمهور كما في قولك سمعت رجلاً يقول كيت وكيت ولو كان معرفة لكان حالاً منه كما إذا قلت سمعت زيداً يقول الخ ومفعول ثان لسمعنا عند الفارسي وأتباعه وهذا أسلوب بديع يصار إليه للبالغ في تحقيق السماع والإيذان بوقوعه بلا واسطة عند صدور المسموع عن المتكلم ولتنوّل إلى تفصيله واستحضار صورته وقد اختص النظم الكريم بمزية زائدة على ذلك حيث عبر عن المسموع منه بالمنادى ثم وصف بالنداء للإيمان على طريقة قولك سمعت متكلماً يتكلم بالحكمة لما أن التفسير بعد الإبهام والتقييد بعد الإطلاق أوقع عند النفس وأجدر بالقبول وقيل المنادى القرآن العظيم (أن آمنوا) أى آمنوا على أن تفسيرية أو بأن آمنوا على أنها مصدرية (بربكم) بما لكم ومتولى أموركم ومبلغكم إلى الكمال وفي إطلاق الإيمان ثم تقييده تفخيم لشأنه (فآمنّا) أى فآمنّا بأمره وأجبنا نداءه (ربنا) تكرير للتضرع وإظهار لجمال الخضوع وعرض للاعتراف بربوبيته مع الإيمان به والفاء في قوله تعالى (فاغفر لنا) لترتيب المغفرة أو الدعاء بها على الإيمان به تعالى والإقرار بربوبيته فإن ذلك من دواعي المغفرة والدعاء بها (ذنوبنا) أى كبائرنا فإن الإيمان يجب ما قبله (وكفر عنا سيئاتنا) أى صغائرنا فإنها مكفرة عن مجتنب الكبائر (وتوفنا مع الأبرار) أى مخصوصين بصحبهم مغنمين لجوارهم معدودين من زميرتهم وفيه إشعار بأنهم كانوا يحبون لقاء الله ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ١٩٤ والأبرار جمع بار أو بر كأصحاب وأرباب (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك) حكاية لدعاء آخر لهم مسبوق بما قبله معطوف عليه لتأخر التحلية عن التخلية وتكرير النداء لما مر مراراً والمراد بالموعود الثواب وعلى إمام متعلقة بالوعد كما في قولك وعد الله الجنة على الطاعة أى وعدتنا على تصديق رسلك أو بمحذوف وقع صفة لمصدر مؤكد محذوف أى وعدتنا وعداً كائناتاً على السنة رسلك وقيل التقدير منزلاً على رسلك أو محمولا على رسلك ولا يخفى أن تقدير الأفعال الخاصة في مثل هذه المواقف تعسف وجمع الرسل مع أن المنادى هو الرسول ﷺ وحده لما أن دعوته عليه السلام لاسيما في باب التوحيد وما أجمع عليه الكل من الشرائع منظوية على دعوة الكل فتصديقه تصديق لهم عليهم السلام كيف لا وقد أخذ منهم الميثاق بالإيمان به عليه السلام لقوله تعالى وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب الآية وكذا الموعود على لسانه من الثواب موعود على السنة الكل وإيثار الجمع لإظهار كمال الثقة بإنجاز الموعود بناء على كثرة الشهود (ولا تخزينا يوم القيامة) قصدوا بذلك تذكير وعده تعالى بقوله يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه مظهرين أنهم آمن معه رجاء للانتظام في سلوكهم يومئذ وقوله تعالى (إنك لا تخلف الميعاد) تعليل لتحقيق ما نظموا في سلك الدعاء وهذه الدعوات وما في تضاعيفها من كمال الضراعة

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مَّن ذَكَرَ أَوْ أُنْثِيَ بَعْضُكُمْ مِّن بَعْضٍ فَأَلَدِينَ
هَاجِرُوا وَأَخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَوْذُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقَتِلُوا لَا كُفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دَخَلَتْهُمْ
جَنَّتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ آل عمران

والابتهاال ليست لخوفهم من إخلاف الميعاد بل لخوفهم من أن لا يكونوا من جملة الموعددين بتغير
الحال وسوء الخاتمة والمآل فرجعوا إلى الدعاء بالثبوت أولدبالغة في التبعد والخشوع والميعاد الوعد
وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه البعث بعد الموت وفي الآثار عن جعفر الصادق من حزه أمر
فقال ربنا خمس مرات أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد وقرأ هذه الآية (فاستجاب لهم ربهم) ١٩٥
الاستجابة بمعنى الإجابة وقال تاج القراء الإجابة عامة والاستجابة خاصة بإعطاء المستول وتعدى
باللام وبنفسها كما في قوله [فلم يستجبه عند ذاك مجيب] وهو عطف على الاستئناف المقدر فيما سلف
مترتب على ما في حيزه من الأدعية كما أن قوله عز وجل ثم قيل للذين ظلموا الخ عطف على قيل المقدر
قبل الآن أى قيل لهم الآن آمنتم به ثم قيل الآية وكما أن قوله تعالى في سورة الأعراف ونطبع
على قلوبهم معطوف على ما دل عليه معنى أو لم يهد لهم الخ كأنه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع الخ
ولا ضير في اختلافهما صيغة لما أن صيغة المستقبل هناك الدلالة على الاستمرار المناسب لمقام الدعاء
وصيغة الماضي ههنا للإيدان بتحقيق الاستجابة وتقررهما كما لا ضير في الاختلاف بين قوله تعالى إذ
تستغيثون ربكم وبين ما عطف عليه من قوله تعالى فاستجاب لكم كما سيأتى ويجوز أن يكون معطوفا على
مضمرة ينساق إليه الذهن أى دعوا بهذه الأدعية فاستجاب الخ وأما على تقرير كون المقدر حالا فهو
عطف على يتفكرون باعتبار مقارنته لما وقع حالا من فاعله أعنى قوله تعالى ربنا ربنا الخ فإن الاستجابة
مترتبة على دعواتهم لا على مجرد تفكيرهم وحيث كانت هى من أوصافهم الجميلة المترتبة على أعمالهم بالآخرة
استحقت الانتظام فى سلك محاسنهم المعدودة فى أثناء مدحهم وأما على تقدير كون الموصول نعتاً لأولى
الآلئاب فلا مساغ لهذا العطف أصلاً لما عرفت من أن حق ما فى حين الصلة أن يكون من مبادئ جريان
الحكم على الموصول وقد عرفت أن دعواتهم السابقة ليست كذلك فإين الاستجابة المتأخرة عنها وفى
التعرض لعنوان الربوبية المنبثقة عن التبليغ إلى الكمال مع الإضافة إلى ضميرهم من تشریفهم وإظهار اللطف
بهم ما لا يخفى (أنى لا أضيع عمل عامل منكم) أى بأتى وهكذا قرأ أبى رضى الله عنه والباء للسببية كأنه
قيل فاستجاب لهم ربهم بسبب أنه لا يضيع عمل عامل منهم أى سنته السنية مستمرة على ذلك والاتفات
إلى التكلم والخطاب لإظهار كمال الاعتناء بشأن الاستجابة وتشریف الداعين بشرف الخطاب والمراد
تأكيداً ببيان سببها والإشعار بأن مدارها أعمالهم التى قدموها على الدعاء لا مجرد الدعاء وتعميم الوعد
لسائر العاملين وإن لم يبلغوا درجة أولى الآلئاب لتأكيد استجابة الدعوات المذكورة والتعبير عن
ترك الإثابة بالإضاعة مع أنه ليس بإضاعة حقيقية إذ الأعمال غيره وجهه للثواب حتى يلزم من تخلفه

عنها ضياعها لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه من القبايح وإبراز الإثابة في معرض الامور الواجبة عليه وقرىء بكسر الهمزة على إرادة القول أي قائلًا أني أخ فلا التفات حينئذ وقرىء لا أضيع بالتشديد ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لعامل أي عامل كائن منكم وقوله تعالى (من ذكر أو أنى) بيان لعامل وتأكيده لعمومه وقوله تعالى (بعضكم من بعض) جملة معترضة مهيئة لسبب انتظام النساء في سلك الرجال في الوعد فإن كون كل منهما من الآخر لتشعبهما من أصل واحد أو لفرط الاتصال بينهما أو لاتفاقهما في الدين والعمل مما يستدعى الشركة والاتحاد في ذلك . روى أن أم سلمة رضى الله عنها قالت لرسول الله ﷺ إني أسمع الله تعالى يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت وقوله تعالى (فالذين هاجروا) ضرب تفصيل لما أجمل في العمل وتعداد لبعض أحاسن أفراد على وجه المدح والتعظيم أي فالذين هاجروا الشرك أو الأوطان والعشائر للدين وقوله تعالى (وأخرجوا من ديارهم) على الأول عبارة عن نفس الهجرة وعلى الثاني عن كيفيةها وكونها بالقسروا الاضطرار (وأودوا في سبيل) أي بسبب إيمانهم بالله ومن أجله وهو متناول لكل أذية نالتهم من قبل المشركين (وقاتلوا) أي الكفار في سبيل الله تعالى (وقتلوا) استشهدوا في القتال وقرىء بالعكس لما أن الواو لا تستدعى الترتيب أو لأن المراد قتل بعضهم وقتال آخرين إذ ليس المعنى على اتصاف كل فرد من أفراد الموصول المذكور بكل واحد مما ذكر في حين الصلة بل على اتصاف الكل بالكل في الجملة سواء كان ذلك باتصاف كل فرد من الموصول بواحد من الأوصاف المذكورة أو باثنين منها أو بأكثر إما بطريق التوزيع أو بطريق حذف بعض الموصولات من البين كما هو رأى الكوفيين كيف لا ولو أدير الحكم على اتصاف كل فرد بالكل لكان قد أضيع عمل من اتصف بالبعض وقرىء وقتلوا بالتشديد (لا كفرن عنهم سبائهم) جواب قسم محذوف أي والله لا كفرن والجملة القسمية خبر للابتداء الذي هو الموصول وهذا تصريح بوعده ما سأله الداعون بخصوصه بعد ما وعد ذلك عموما وقوله تعالى (ولا دخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار) إشارة إلى ما عبر عنه الداعون فيما قبل بقولهم وآتينا ما وعدتنا على رسلك وتفسير له (ثواباً) مصدر مؤكد لما قبله فإن تكفير السيئات وإدخال الجنة في معنى الإثابة وقوله تعالى (من عند الله) متعلق بمحذوف هو صفة له مبينة لشرفه أي لا يثيبهم إثابة كائنة أو تنويها كائناً من عنده تعالى بالغاً إلى المرتبة القاصية من الشرف وقوله تعالى (والله عنده حسن الثواب) اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله والإسم الجليل مبتدأ خبره عنده و حسن الثواب مرتفع بالظرف على الفاعلية لاعتداده على المبتدأ أو هو مبتدأ ثان والظرف خبره والجملة خبر للمبتدأ الأول والعندية عبارة عن الاختصاص به تعالى مثل كونه بقدرته تعالى وفضله بحيث لا يقدر عليه غيره بحال شيء يكون بحضرة أحد لا يد عليه لغيره فالاختصاص مستفاد من التثنية سواء جعل عنده خبراً مقدماً لحسن الثواب أولاً وفي تصدير الوعد الكريم بعدم إضاعة العمل ثم تعقيبه بمثل هذا الإحسان الذي لا يقادر قدره من لطف المسلك المنبئ عن عظم شأن المحسن مالا يخفى .

آل عمران

لَا يَغُرَّتْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾

آل عمران

مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَيُبْسُ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾

لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزْلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

آل عمران

وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾

- (لا يغرتك تقلب الذين كفروا في البلاد) بيان لقبح ما أوتى الكفرة من حظوظ الدنيا وكشف عن حقارة ١٩٦ شأنها وسوء مغبتها لإثريان حسن ما أوتى المؤمنون من الثواب والخطاب للنبي ﷺ على أن المراد تنبيهته على ما هو عليه كقوله تعالى فلا تطع المكذبين أو على أن المراد نهى المؤمنين كما يوجه الخطاب إلى مداره القوم ورؤسائهم والمراد أفناؤهم أو لكل أحد من يصلح للخطاب من المؤمنين والنهي للخطاب وإنما جعل للتقلب مبالغته أى لا تنظر إلى ما عليه الكفرة من السعة ووفور الحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى منهم من التبسط في المكاسب والمتاجر والمزارع . روى أن بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون إن أعداء الله تعالى فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهدة فزلت وقرى ولا يغرنك بالنون الخفيفة (متاع قليل) خبر لمبتدأ محذوف أى هو متاع قليل لا قدر له في جنب ما ذكر ١٩٧ من ثواب الله تعالى قال عليه السلام ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر به يرجع فإذا لا يجدى وجوده لو أجديه ولا يضر فقده أنه لفافديه (ثم ما واهم) أى مصيرهم الذى يأوون ● إليه لا يبرحونه (جهنم) التى لا يوصف عذابها وقوله تعالى (ويبس المهاد) ذم لها وإيدان بأن مصيرهم إليها مما جنته أنفسهم وكسبته أيديهم والخصوص بالذم محذوف أى بئس ما مهدوا لأنفسهم جهنم (لكن ١٩٨ الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) بيان لكمال حسن حال المؤمنين غيب بيان وتكرير له إثر تقرير مع زيادة خلودهم في الجنات ليم بذلك سرورهم ويزداد تبجحهم ويتكامل به سوء حال الكفرة وإبراد التقوى في حين الصلة للإشعار بكون الحاصل المذكورة من باب التقوى والمراد به الاتقاء من الشرك والمعاصي فالوصول لمبتدأ والظرف خبره وجنات مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ أو الظرف خبر لجنات والجملة خبر للوصول وخالدين فيها أى في الجنات حال مقدرة من الضمير أو من جنات لتخصصها بالوصف والعامل ما في الظرف من معنى الاستقرار (نزلًا من عند الله) وقرى ● بسكون الزاى وهو ما يعد للنازل من طعام وشراب وغيرهما قال أبو الشعر الضبي [وكنا إذا الجبار بالجيش ضافناه جعلنا القنا والمرهفات له نزلًا] وانتصابه على الحالية من جنات لتخصصها بالوصف والعامل فيه ما في الظرف من معنى الاستقرار وقيل هو مصدر مؤكد كأنه قيل رزقاؤه عطاء من عند الله (وما عند الله خير) مبتدأ وخبر وقوله تعالى (الأبرار) متعلق بمحذوف هو صفة لخير أى ما عنده تعالى ● من الأمور المذكورة الدائمة خير كائن للأبرار أى ما يثقل قلبه فيه الفجاء من المتاع القليل الزائل والتعبير عنهم بالأبرار للإشعار بأن الصفات المعدودة من أعمال البر كما أنها من قبيل التقوى والجملة تذييل لما قبلها

وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ
بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ ٢٣٢ عمران
يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ آمَنُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ٢٣٣ عمران

- ١٩٩ (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) جملة مستأنفة سبقت لبيان أن أهل الكتاب ليس كلهم كمن
حكيت هتاهم من نبد الميثاق وتحريف الكتاب وغير ذلك بل منهم من له مناقب جليلة . قيل هم عبد الله
ابن سلام وأصحابه وقيل هم أربعون من أهل نجران واثناون وثلاثون من الحبشة وثمانية من الروم
كانوا نصارى فأسلموا وقيل المراد به أصحاب النجاشي فإنه لما مات نعا جبريل إلى النبي عليه السلام فقال
عليه السلام اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم فخرج إلى البقيع فنظر إلى أرض الحبشة
فأبصر سرير النجاشي وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا إلى هذا يصلى على علج نصراني
لم يره قط وليس على دينه فزلت وإنما دخلت لام الابتداء على اسم إن لفصل الطرف بينهما كما في قوله
تعالى وإن منكم لمن ليبطئن (وما أنزل إليكم) من القرآن (وما أنزل إليهم) من الكتابين وتأخير إيمانهم
بهما عن إيمانهم بالقرآن في الذكر مع أن الأمر بالعكس في الوجود لما أنه عيار ومهيمن عليهما فإن
إيمانهم بهما إنما يعتبر بتبعية إيمانهم به إذ لا عبرة بأحكامهما المنسوخة ومالم ينسخ منها إنما يعتبر من
حيث ثبوته بالقرآن ولتعلق ما بعده بهما والمراد بإيمانهم بهما إيمانهم بهما من غير تحريف ولا كتم
كما هو ديدن المحرفين وأتباعهم من العامة (خاشعين لله) حال من فاعل يؤمن والجمع باعتبار المعنى
(لا يشترون بآيات الله ثمنًا قليلًا) تصريح بمخالفتهم للحرفين والجملة حال كما قبله ونظمها في سلك
محاسنهم ليس من حيث عدم الاشتراء فقط بل لتضمن ذلك لإظهار ما في الكتابين من شواهد نبوته
عليه السلام (أولئك) إشارة إليهم من حيث اتصافهم بما عد من صفاتهم الحميدة ومافيه من معنى البعد
الدلالة على علو رتبهم وبعد منزلتهم في الشرف والفضيلة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (لهم) وقوله
(أجرهم) أى المختص بهم الموعود لهم بقوله تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين وقوله تعالى يؤتكم
كفلين من رحمته مرتفع بالظرف على الفاعلية أو على الابتداء والظرف خبره والجملة خبر لأولئك وقوله
تعالى (عند ربهم) نصب على الحالية من أجرهم والمراد به التشريف كالصفة (إن الله سريع الحساب)
لنفوذ عليه بجميع الأشياء فهو عالم بما يستحقه كل عامل من الأجر من غير حاجة إلى تأمل والمراد بيان
٢٠٠ سرعة وصول الأجر الموعود إليهم (بأيها الذين آمنوا) إثر ما بين في تضاعيف السورة الكريمة فنون
الحكم والأحكام ختمت بما يوجب المحافظة عليها فقل (اصبروا) أى على مشاق الطاعات وغير ذلك من
المكاره والشدائد (وصابروا) أى غالبوا أعداء الله تعالى بالصبر في مواطن الحروب وأعدى عدوكم
بالصبر على مخالفة الهوى وتخصيص المصاهرة بالأمر بعد الأمر بمطلق الصبر لكونها أشد منه وأشق
(ورابطوا) أى أقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين للغزو مستعدين له قال تعالى ومن رباط

٤ - سورة النساء

مائة وست وسبعون آية مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا
كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ النساء

- الحليل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي ﷺ من رابط يوماً وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا يفتل عن صلاته إلا لحاجة (واتقوا الله) في مخالفة أمره على الإطلاق
- فيندرج فيه ما ذكر في تضاعيف السورة الكريمة اندراجاً أولياً (لعلكم تفلحون) كي تنتظموا في زمرة المفلحين الفائزين بكل مطلوب الناجين من كل الكروب . عن النبي ﷺ من قرأ سورة آل عمران أعطى بكل آية منها أماناً على جسر جهنم . وعنه ﷺ من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس والله أعلم .

(سورة النساء مدنية وهي مائة وست وسبعون آية)

- (بسم الله الرحمن الرحيم) (يا أيها الناس) خطاب يعم حكمه جميع المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم من الموجودين حينئذ والحادثين بعد ذلك إلى يوم القيامة عند انتظامهم فيه لكن لا بطريق الحقيقة فإن خطاب المشافهة لا يتناول القاصرين عن درجة التكليف إلا عند الحنابلة بل إما بطريق تغليب الفريق الأول على الآخرين وإما بطريق تعميم حكمه لهما بدليل خارجي فإن الإجماع منعقد على أن آخر الأمة مكلف بما كلف به أولها كما نبه عنه قوله عليه السلام الحلال ما جرى على لساني إلى يوم القيامة والحرام ما جرى على لساني إلى يوم القيامة وقد فصل في موضعه وأما الأمام الدارجة قبل النزول فلا حظ لهم في الخطاب لا اختصاص الأوامر والنواهي بمن يتصور منه الامتثال وأما اندراجهم في خطاب ما عداهما بماله دخل في تأكيد التكليف وتقوية الإيجاب فستعرف حاله ولفظ الناس ينتظم الذكور والإناث حقيقة وأما صيغة جمع المذكر في قوله تعالى (اتقوا ربكم) فواردة على طريقة التغليب لعدم تناولها حقيقة للإناث عند غير الحنابلة وأما إدخالهن في الأمر بالتقوى بما ذكر من الدليل الخارجي وإن كان فيه مراعاة جانب الصيغة لكنه يستدعي تخصيص لفظ الناس ببعض أفراده والأمور به إما مطلق التقوى التي هي التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك وإما التقوى فيما يتعلق بحقوق أبناء الجنس أي اتقوه في مخالفة أوامره ونواهيه على الإطلاق أو في مخالفة تكاليفه الواردة ههنا وأياً ما كان فالتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين لتأييد الأمر وتأكيد إيجاب الامتثال به على طريقة الترغيب

- والترهيب وكذا وصف الرب بقوله تعالى (الذى خلقكم من نفس واحدة) فإن خلقه تعالى إياهم على هذا النمط البديع لإنبائه عن قدرة شاملة لجميع المقدورات التي من جملتها عقابهم على معاصيهم وعن نعمة كاملة لا يقادر قدرها من أقوى الدواعي إلى الاتقاء من موجبات نعمته وأتم الزواجر عن كفران نعمته وكذا جعله تعالى إياهم صنواً مفرعة من أرومة واحدة هي نفس آدم عليه السلام من موجبات الاحتراز عن الإخلال بمراعاة ما بينهم من حقوق الأخوة وتعميم الخطاب في ربكم وخلقكم للأمم السالفة أيضاً مع اختصاصه فيما قبل بالأمورين بناء على أن تذكير شمول ربوبيته تعالى وخلقه للكل من مؤكدات الأمر بالتقوى وموجبات الامتثال به تفكيكاً للنظم الكريم مع الاستغناء عنه لأن خلقه تعالى للأمورين من نفس آدم عليه السلام حيث كان بواسطة ما بينهم وبينه عليه السلام من الآباء والأمهات كان التعرض لخلقهم متضمناً للتعرض لخلق الوسايط جميعاً وكذا التعرض لربوبيته تعالى لهم متضمن للتعرض لربوبيته تعالى لأصولهم قاطبة لا سيما وقد نطق بذلك قوله عز وجل (وخلق منها زوجها) فإنه مع ما عطف عليه صريح في ذلك وهو معطوف إما على مقدر ينبي عنه سوق الكلام لأن تفريع الفروع من أصل واحد يستدعي إنشاء ذلك الأصل لا محالة كأنه قيل خلقكم من نفس واحدة خلقها أولاً وخلق منها زوجها الخ وهو استئناف مسوق لتقرير وحدة المبدأ وبيان كيفية خلقهم منه وتفصيل ما أجمل أولاً أو صفة لنفس مفيدة لذلك وإما على خلقكم داخل معه في حيز الصلة مقرر ومبين لما ذكر وإعادة الفعل مع جواز عطف مفعوله على مفعول الفعل الأول كما في قوله تعالى يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم الخ لإظهار ما بين الخلقين من التفاوت فإن الأول بطريق التفريع من الأصل والثاني بطريق الإنشاء من المادة فإنه تعالى خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام . روى أنه عز وجل لما خلقه عليه السلام وأسكنه الجنة ألقى عليه النوم فبينما هو بين النائم واليقظان خلق حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى فلما انقبه وجدها عنده وتأخير ذكر خلقها عن ذكر خلقهم لما أن تذكير خلقهم أدخل في تحقيق ما هو المقصود من حملهم على الامتثال بالأمر بالتقوى من تذكير خلقها وتقديم الجار والمجرور للاعتناء ببيان مبدئيته عليه السلام لها مع ما فيه من التشويق إلى المؤخر
- كما مر مراراً وإيرادها بعنوان الزوجية تمهيد لما بعده من التناسل (وبث منهما) أى نشر من تلك النفس
- وزوجها المخلوقة منها بطريق التوالد والتناسل (رجالاً كثيراً) نعت لرجالاً مؤكداً لما أفاده التشكيك من الكثرة
- والإفراد باعتبار معنى الجمع أو العدد وقيل هو نعت لمصدر مؤكد للفعل أى بثاً كثيراً (ونساء) أى كثيرة وترك التصريح بها للاكتفاء بالوصف المذكور وإيثارها على ذكورها وإناثاً لتأكيد الكثرة والمبالغة فيها بترشيح كل فرد من الأفراد المبثوثة لمبدئية غيره وقرئ وخالق وبث على حذف المبتدأ أى وهو خالق وبث (واتقوا الله الذى تساءلون به) تكرر للأمر وتذكير لبعض آخر من موجبات الامتثال به فإن سؤال بعضهم بعضاً بالله تعالى بأن يقولوا أسألك بالله وأنشدك الله على سبيل الاستعطاف يقتضى الاتقاء من مخالفة أو أمره ونواهيه وتعليق الاتقاء بالاسم الجليل لمزيد التأكيد والمبالغة في الحمل على الامتثال بتربية المهابة وإدخال الروعة ولوقوع التساؤل به لا غيره من أسمائه تعالى وصفاته وتساؤلون أصله تتساءلون فطرح إحدى التامين تخفيفاً وقرئ يادغام تاء التفاعل في السين لتقاربهما في الهمس

وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾

٤ النساء

- وقرىء تسألون من الثلاثى أى تسألون به غيركم وقد فسر به القراءة الأولى والثانية وحمل صيغة التفاعل على اعتبار الجمع كما فى قولك رأيت الهلال وتراهمناه وبه فسر عم يتساءلون على وجه وقرىء تسألون بنقل حركة الهمزة إلى السين (والأرحام) بالنصب عطفاً على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرأ وينصره قراءة تسألون به وبالأرحام فإنهم كانوا يقرنونها فى السؤال والمناشدة بالله عز وجل ويقولون أسألك بالله وبالرحم أو عطفاً على الاسم الجليل أى اتقوا الله والأرحام وصلوها ولا تقطعوها فإن قطيعتهما مما يجب أن يتقى وهو قول مجاهد وقتادة والسدى والضحاك والفراء والزجاج وقد جوز الواحدى نصبه على الإغراء أى والزمو الأرحام وصلوها وقرىء بالجر عطفاً على الضمير المجرور وبالرفع على أنه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والأرحام كذلك أى مما يتقى أو يتساءل به ولقد نبه سبحانه وتعالى حيث قرنها باسمه الجليل على أن صلتها بمكان منه كما فى قوله تعالى أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً وعنه عليه السلام الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله (إن الله كان عليكم رقيباً) أى مراقباً وهى صيغة مبالغة من رقب يرقب رقباً ورقباً ورقباً ورقيباً إذا أحداً النظر لا يريد تحقيقه أى حافظاً مطلقاً على جميع ما يصدر عنكم من الأفعال والأقوال وعلى ما فى ضمائرهم من النيات يريد أن يجازاتكم بذلك وهو تعليل للأمر وجوب الامتثال به وإظهار الاسم الجليل لتأكيد تقديم الجار والمجرور لرعاية الفواصل (وأتوا اليتامى أموالهم) شروع فى تفصيل موارد الاتقاء ومطابقته بتكليف ما يقابلها أمراً ونهياً عقيب الأمر بنفسه مرة بعد أخرى وتقديم ما يتعلق باليتامى لإظهار كمال العناية بأمرهم وللاستفهام بالأرحام إذ الخطاب للأولياء والأوصياء وقبلما تفوض الوصاية إلى الأجانب . واليتيم من مات أبوه من اليتيم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة وجمعه على يتامى إما لأنه لما جرى مجرى الأسماء جمع على بتأنيهم ثم قلب فقيل يتامى أو لأنه لما كان من وادى الآفات جمع على يتامى ثم جمع يتامى على يتامى والاشتقاق يقتضى صحة إطلاقه على الكبار أيضاً واختصاصه بالصغار مبنى على العرف وأما قوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم فتعليم للشريعة لا تعيين لمعنى اللفظ أى لا يجرى على اليتيم بعده حكم اليتام والمراد بإيتاء أموالهم قطع المخاطبين أطعامهم الفارغة عنها وكف أكفهم الخاطفة عن اختزالها وتركها على حالها غير متعرض لها بسوء حتى تأتيمهم وتصل إليهم سالمة كما ينبى عنه ما بعده من النهى عن التبديل والاكل لا الإعطاء بالفعل فإنه مشروط بالبلوغ وإيناس الرشد على ما ينطق به قوله تعالى حتى إذا بلغوا الآية وإنما عبر عما ذكر بالإيتاء مجازاً للإيدان بأنه ينبغى أن يكون مرادهم بذلك إيصالها إليهم لا مجرد ترك التعرض لها فالمراد بهم إما الصغار على ما هو المتبادر والأمر خاص بمن يتولى أمرهم من الأولياء والأوصياء وشمول حكمه لأولياء من كان بالغاً عند نزول الآية بطريق الدلالة دون العبارة وأما من جرى عليه اليتيم فى الجملة مجازاً أعم من

أن يكون كذلك عند النزول أو بالغاً فالأمر شامل لأولياء الفريقين صيغة موجب عليهم ما ذكر من حفظ أموالهم والتحفظ عن إضاعتها مطلقاً وأما وجوب الدفع إلى الكبار فاستفاد مما سيأتي من الأمر به وقيل المراد بهم الصغار وبالإيتاء الإعطاء في الزمان المستقبل وقيل أطلق اسمهم على الكبار بطريق الإيتاء لقرب عهدهم باليتيم حثاً لأولياء على المسارعة إلى دفع أموالهم إليهم أول ما بلغوا قبل أن يزول عنهم اسمهم المعروف بالإيتاء بمعنى الإعطاء بالفعل وبأبائهما ماسياً من قوله تعالى وابتلوا اليتامى الخ فإن مافيه من الأمر بالدفع وارد على وجه التكليف الابتدائي لا على وجه تعيين وقته أو بيان شرطه فقط كما هو مقتضى القولين وأما تعميم الاسم للصغار والكبار مجازاً بطريق التغليب مع تعميم الإيتاء للإيتاء حالاً وللإيتاء مآلاً وتعميم الخطاب لأولياء كلا الفريقين على أن من بلغ منهم فوليّه مأمور بالدفع إليه بالفعل وأن من لم يبلغ بعد فوليّه مأمور بالدفع إليه عند بلوغه رشيداً فمع ماسيق تكلف لا يخفى فالأنسب ما تقدم من حمل إيتاء أموالهم إليهم على ما يؤدى إليه من ترك التعرض لها بسوء كما يلوح به التعبير عن الإعطاء بالفعل بالدفع سواء أريد باليتامى الصغار أو ما يعم الصغار والكبار حسبما ذكر آنفاً وأما ما روى من أن رجلاً من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له فلما بلغ طلب منه ماله فمنعه فنزلت فلما سمعها قال أطلعنا الله وأطلعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فقبح قادح في ذلك لما أن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب (ولا تبدلوا الخبيث بالطيب) نهى عن أخذ مال اليتيم على الوجه المخصوص بعد النهى الضمى عن أخذه على الإطلاق وتبدل الشيء بالشيء واستبداله به أخذ الأول بدل الثاني بعد أن كان حاصله أو في شرف الحصول يستعملان أبدأ بإفضائهما إلى الحاصل بأنفسهما وإلى الزائل بالبلاء كما في قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالإيمان الخ وقوله تعالى استبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير وأما التبديل فيستعمل تارة كذلك كما في قوله تعالى وبدلناهم بجنّتهم جنّتين الخ وأخرى بالعكس كما في قولك بدلت الحلقة بالخاتم إذا أذبتها وجعلتها خاتماً نص عليه الأزهري وتارة أخرى بإفضائه إلى مفعوليّه بنفسه كما في قوله تعالى بيد الله سيئاتهم حسنات والمراد بالخبيث والطيب إن كان هو الحرام والحلال فالمنهى عنه استبدال مال اليتيم بمال أنفسهم مطلقاً كما قاله الفراء والزجاج وقيل معناه لا تذروا أموالكم الحلال وتأكلوا الحرام من أموالكم فالمنهى عنه أكل ماله مكان ما لهم المحقق أو المقدر وقيل هو اختزال ماله مكان حفظه وأياً ما كان فإنما عبر عنهما بهما تنفيراً عما أخذوه وترغيباً فيما أعطوه وتصويراً لمعاملتهم بصورة ما لا يصدر عن العاقل وإن كان هو الردى والجيد فمورد النهى ما كانوا عليه من أخذ الجيد من مال اليتيم وإعطاء الردى من مال أنفسهم وبه قال سعيد بن المسيب والنخعي والأزهري والسدي وتخصيص هذه المعاملة بالنهى لخروجها مخرج العادة لا لإباحة ماعداها وأما التعبير عنها بتبدل الخبيث بالطيب مع أنها تبدل به أو تبدل الطيب بالخبيث فلا يبدان بأن الأولياء حقهم أن يكونوا في المعاملات طاملين لليتيم لا لأنفسهم مراعين لجانبه قاصدين لجلب المحبوب إليه مشتري كان أو ثمناً لا لسلب المسلوب عنه (ولا تأكلوا أموالكم إلى أموالكم) نهى عن منكر آخر كانوا يتعاطونه أى لا تأكلوها مضمومة إلى أموالكم ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وقد خص من ذلك مقدار أجر المثل عند كون

وَأِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٤﴾ النساء

- الولي فقير! (إنه) أى الا كل المفهوم من النهى (كان حوباً) أى ذنباً عظيماً وقرىء بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوباً وقرىء حاباً وهو أيضاً مصدر كقال قولاً وقالاً (كبيراً) مبالغة في بيان عظم ذنب الا كل المذكور كأنه قيل من كبار الذنوب العظيمة لا من أفنائها (وإن خفتم ألا تقسطوا في ٣ اليتامى) الإقساط العدل وقرىء بفتح التاء ففيل هو من قسط أى جار ولا مزبدة كما في قوله تعالى لتلا يعلم وقيل هو بمعنى أقسط فإن الزجاج حكى أن قسط يستعمل استعمال أقسط والمراد بالخوف العلم كما في قوله تعالى فمن خاف من موص جنفاً عبر عنه بذلك إيداناً بكون المعلوم مخوفاً محذوراً لا معناه الحقيقي لأن الذى علق به الجواب هو العلم بوقوع الجور المخوف لا الخوف منه وإلا لم يكن الامر شاملاً لمن يصر على الجور ولا يخافه وهذا شروع في النهى عن منكر آخر كانوا يباشرونه متعلق بأنفس اليتامى أصالة وبأموالهم تبعاً عقيب النهى عما يتعلق بأموالهم خاصة وتأخير عنه لقلة وقوع المنهى عنه بالنسبة إلى الأول ونزوله منه بمنزلة المركب من المفرد وذلك أنهم كانوا يتزوجون من تحمل لهم من اليتامى اللاتي يلونهن لكن لا لرغبة فيهن بل في مالهن ويسيثون في الصحبة والمعاشرة ويتربصون بهن أن يمتن فيرنوهن وهذا قول الحسن وقيل هي اليتيمة تكون في حجر وإيها فيرغب في مالها وجمالها ويريد أن ينكحها بأدنى من سنة نسائها فنوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن في إكمال الصداق وأمروا أن ينكحوا ما سواهن من النساء وهذا قول الزهري رواية عن عروة عن عائشة رضى الله عنها وأما اعتبار اجتماع عدد كثير منهن كما أطبق عليه أكثر أهل التفسير حيث قالوا كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال ويكون وإيها فيتزوجها ضناً بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن الخ فلا يساعده الامر بنكاح غيرهن فإن المحذور حينئذ يندفع بتقليل عددهن أى وإن خفتم أن لا تعدلوا في حق اليتامى إذا تزوجتم بهن بإساءة العشرة أو بنقص الصداق (فانكحوا ما طاب لكم) ما موصولة أو موصوفة ● ما بعدها صلتها أو صفتها أو ثرت على من ذهاباً إلى الوصف وإيداناً بأنه المقصود بالذات والغالب في الاعتبار لا بناء على أن الإناث من العقلاء يجرى مجرى غير العقلاء لإخلاله بمقام الترغيب فيهن وقرأ ابن أبي عيطة من طاب ومن في قوله تعالى (من النساء) بيانية وقيل تبعية والمراد بهن غير اليتامى ● بشهادة قرينة المقام أى فانكحوا من استطابتهن نفوسكم من الأجنيبات وفي إشار الامر بنكاحهن على النهى عن نكاح اليتامى مع أنه المقصود بالذات مزيد لطف في استنزاهم عن ذلك فإن النفس مجبولة على الحرص على ما منعت منه كما أن وصف النساء بالطيب على الوجه الذى أشير إليه فيه مبالغة في الاستمالة إليهن والترغيب فيهن وكل ذلك للاعتناء بهن فهم عن نكاح اليتامى وهو السر في توجيه النهى الضمنى إلى النكاح المترقب مع أن سبب النزول هو النكاح المحقق لما فيه من المسارعة إلى دفع الشر قبل وقوعه

فرب واقع لا يرفع والمبالغة في بيان حال النكاح المحقق فإن محظورية المترقب حيث كانت للجور المترقب فيه فمحظورية المحقق مع تحقق الجور فيه أولى وقيل المراد بالطيب الحل أى ما حل لكم شرعاً لأن ما استطابوه شامل للمحرمات ولا مخصص له بمن عداهن وفيه فرار من محذور ووقوع فيما هو أقطع منه لأن ما حل لهم يحمل وقد تقرر أن النص إذا تردد بين الإجمال والتخصيص يحمل على الثاني لأن العام المخصوص حجة في غير محل التخصيص والمحمل ليس بحجة قبل ورود البيان أصلاً ولئن جعل قوله تعالى حرمت عليكم الخ دالاً على التفصيل بناء على ادعاء تقدمه في التنزيل فليجمل دالاً على التخصيص (مثنى وثلاث ورباع) معدولة عن أعداد مكررة غير منصرفة لما فيها من العدلين عدلها عن صيغها وعدلها عن تكررها وقيل للعدل والصفة فإنها بنيت صفات وإن لم تكن أصولها كذلك وقرئ وثلاث ورباع على القصر من ثلاث ورباع ومحملن النصب على أنها حال من فاعل طاب مؤكدة لما أفاده وصف الطيب من الترغيب فيهن والاستمالة إليهن بتوسيع دائرة الإذن أى فأنكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثاً ثلاثاً وأربعاً أربعاً حسبما يريدون على معنى أن لكل واحد منهم أن يختار أى عدد شاء من الأعداد المذكورة لا أن بعضها لبعض منهم وبعضها لبعض آخر كما في قولك اقسموا هذه البكرة درهمين درهمين وثلاثاً ثلاثاً وأربعة أربعة ولو أفردت لفهم منه تجويز الجمع بين تلك الأعداد دون التوزيع ولو ذكرت بكلمة أولفات تجويز الاختلاف في العدد هذا وقد قيل في تفسير الآية الكريمة لما نزلت الآية في اليتامى وما فى أكل أموالهم من الحوب الكبير أخذ الأولياء يتخرجون من ولايتهم خوفاً من لحوق الحوب بترك الإقساط مع أنهم كانوا لا يتخرجون من ترك العدل في حقوق النساء حيث كان تحت الرجل منهم عشر منهن فقليل لهم إن خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتخرجتم منها غافوا أيضاً ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لأن من تخرج من ذنب أو تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متخرج ولا تائب عنه وقيل كانوا لا يتخرجون من الزنى وهم يتخرجون من ولاية اليتامى فقليل إن خفتم الجور في حق اليتامى غافوا الزنى فأنكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات ولا يخفى أنه لا يساعدهما جزالة النظم الكريم لا بقتنائهما على تقديم نزول الآية الأولى وشيوعها بين الناس مع ظهور توقف حكمها على ما بعدها من قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم إلى قوله تعالى وكفى بالله حسيباً (فإن خفتم ألا تعدلوا) أى فيما بينهن ولو فى أقل الأعداد المذكورة كما خفتموه في حق اليتامى أو كما لم تعدلوا في حقهن أو كما لم تعدلوا فيما فوق هذه الأعداد (فواحدة) أى قالزموها أو فاخترأوا واحدة وذروا الجميع بالكفية وقرئ بالرفع أى فامنعوا واحدة أو فحسبكم واحدة (أو ما ملكت أيمانكم) أى من السرارى بالغة ما بلغت من مراتب العدد وهو عطف على واحدة على أن اللزوم والاختيار فيه بطريق التسرى لا بطريق النكاح كما فيها عطف عليه لاستلزامه ورود ملك النكاح على ملك اليمين بموجب اتحاد المخاطبين في الموضوعين بخلاف ما سيأتى من قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فما ملكت أيمانكم فإن المأمور بالنكاح هناك غير المخاطبين بملك اليمين وإنما سوى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين السرارى من غير حصر في عدد لقلة تبعتهن

وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴿٤﴾ النساء

- وخفة مؤتتهن وعدم وجوب القسم فيهن وقرىء أو من ملكت أيمانكم وما في القراءة المشهورة للإيذان بقصور رتبتهن عن رتبة العقلاء (ذلك) إشارة إلى اختيار الواحدة والتسرى (أدنى ألا تعولوا) العول الميل من قولهم عال الميزان عولا إذا مال وعال في الحكم أى جار والمراد هنا الليل المحذور المقابل للعدل أى ما ذكر من اختيار الواحدة والتسرى أقرب بالنسبة إلى ما عداهما من أن لا تميلا وما يلاحظ محظورا لا تنفائه رأسا بانتفاء محله فى الأول وانتفاء خطره فى الثانى بخلاف اختيار العدد فى المهار فإن الميل المحذور متوقع فيه لتحقيق المحل والخطر ومن ههنا تبين أن مدار الأمر هو عدم العول لا تحقيق العدل كما قيل وقد فسر بأن لا يكثر عيالك على أنه من عال الرجل عياله يعولهم أى مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤنة على طريقة الكناية ويؤيده قراءة أن لا تعيلا من أعال الرجل إذا كثر عياله ووجه كون التسرى مظنة قلة العيال مع جواز الاستكثار من السرارى أنه يجوز العزل عنهم بغير رضاهن ولا كذلك المهار والجملة مستأنفة جارية مما قبلها مجرى التعليل (وأتوا النساء) أى اللاتى أمر بنكاحهن ٤ (صدقاتهن) جمع صدقة كسكرة وهى المهر وقرىء بسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلة فى ظلة (نحلة) قال ابن عباس وقتادة وابن جريج وابن زيد فريضة من الله تعالى لأنها فرضه الله فى النحلة أى الملة والشرعة والديانة فانتصابها على الحالية من الصدقات أى أعطوهن مهورهن حال كونها فريضة منه تعالى وقال الزجاج تدبنا فانتصابها على أنها مفعول له أى أعطوهن ديانة وشرعة وقال الكلبي نحلة أى هبة وعطية من الله تعالى وتفضلا منه عليهن فانتصابه على الحالية منها أيضاً وقيل عطية من جهة الأزواج من نحلة كذا إذا أعطاه إياه ووجهه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلاو التعبير عن إيتاء المهور بالنحلة مع كونها واجبة على الأزواج لإفادة معنى الإيتاء عن كمال الرضا وطيب الخاطر وانتصابها على المصدرية لأن الإيتاء والنحلة بمعنى الإعطاء كأنه قيل واتحلوا النساء صدقاتهن نحلة أى أعطوهن مهورهن عن طيبة أنفسكم أو على الحالية من ضمير أتوا أى آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبى النفوس بالإعطاء أو من الصدقات أى منحولة معطاة عن طيبة الأنفس فالخطاب للأزواج وقيل للأولياء لأنهم كانوا يأخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئاً لك النافجة لمن يولد له بنت يعنون تأخذ مهرها فتنفج به مالك أى تعظمه (فإن طبن لكم عن شيء منه) الضمير للصدقات وتذكيره لإجرائه مجرى ذلك فإنه قد يشاربه إلى المتعدد كما فى قوله عز وجل قل أو نبشكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات المعدودة وقد روى عن رؤية أنه حين قيل له فى قوله [فيها خطوط من سواد وبلق] كأنه فى الجلد توابع البهق [إن أردت الخطوط ينبغى أن تقول كأنها وإن أردت السواد والبلق ينبغى أن تقول كأنهما قال لكنى أردت كأن ذلك أول للصادق الواقع موقعه صدقاتهن كأنه قيل وأتوا النساء صدقاتهن كما فى قوله تعالى فأصدق وأكن حيث عطف أكن على ما دل عليه المذكور ووقع موقعه كأنه قيل إن آخرتنى أصدق وأكن واللام متعلقة بالفعل وكذا عن لكن

وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا

مَعْرُوفًا ﴿٥٦﴾

٤ النساء

بتضمينه معنى التجاني والتجاوز ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء أى كائن من الصداق وفيه بعث
 ● لمن على تقليل الموهوب (نفساً) تمييز والتوحيد لما أن المقصود بيان الجنس أى إن وهن لكم شيئاً من
 الصداق متجافياً عنه نفوسهن طيبات غير مخبرات بما يضطرهن إلى البذل من شكاسة أخلاقكم وسوء
 معاشرتكم لكن عدل عن لفظ الهبة والسماحة إلى ما عليه النظم الكريم لإيداناً بأن العمدة في الأمر إنما
 ● هو طيب النفس وتجايفها عن الموهوب بالمرّة (فكلوه) أى أخذوا ذلك الشيء الذى طابت به نفوسهن
 ● وتصرفوا فيه تملكا وتخصيص الاكل بالذكر لأنه معظم وجوه التصرفات المالية (هينئاً مريئاً) صفتان
 من هتؤ الطعام ومرؤ إذا كان سائغاً لا تنغيص فيه وقيل الهنىء الذى يلذه الاكل والمرىء ما يحمد عاقبته
 وقيل ما ينساخ في مجراه الذى هو المرء وهو ما بين الخلقوم إلى فم المعدة سمي بذلك لمرؤ الطعام فيه أى
 إنسياغه ونصبهما على أنهما صفتان للبصر أى أكلا هينئاً مريئاً أو على أنهما حالان من الضمير المنصوب
 أى كلوه وهو هنىء مرىء وقد يوقف على كلوه ويبتدأ هينئاً مريئاً على الدعاء وعلى أنهما صفتان أقيمتا
 مقام المصدرين كأنه قيل هنا ومرأ وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الإباحة وإزالة التبعة . روى
 ● أن ناساً كانوا يتأثمون أن يقبل أحدهم من زوجته شيئاً مما ساقه إليها فنزلت (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم)
 رجوع إلى بيان بقية الأحكام المتعلقة بأموال اليتامى وتفصيل ما أجمل فيما سبق من شرط إيتائها ووقته
 وكيفيته إثر بيان بعض الأحكام المتعلقة بأنفسهن أغنى نكاحهن وبيان بعض الحقوق المتعلقة بغيرهن
 من الأجنبيةات من حيث النفس ومن حيث المال استطراداً والخطاب للأولياء نهوا أن يؤتوا المبدزين
 من اليتامى أموالهم مخافة أن يضيئوها وإنما أضيف إليهم وهى اليتامى لانظراً إلى كونها تحت ولايتهم
 كما قيل فإنه غير مصحح لا تصافها بالوصف الآتى بل تنزىلاً لا اختصاصاً بأصحابها منزلة اختصاصها بالأولياء
 فكان أموالهم عين أموالهم لما بينهم وبينهم من الاتحاد الجنسى والنسبى مبالغة في حملهم على المحافظة عليها
 كما في قوله تعالى ولا تقتلوا أنفسكم أى لا يقتل بعضكم بعضاً حيث عبر عن بنى نوعهم بأنفسهم مبالغة
 في زجرهم عن قتلهم فكان قتلهم قتل أنفسهم وقد أيد ذلك حيث عبر عن جعلها مناطاً لمعاش أصحابها
 ● بجعلها مناطاً لمعاش الأولياء فقيل (التي جعل الله لكم قياماً) أى جعلها الله شيئاً تقوون به وتنتعشون
 على حذف المفعول الأول فلو ضيعتموه لضعتم ثم زيد في المبالغة حتى جعل ما به القيام قياماً فكانها في
 أنفسها قيامكم وانتعاشكم وقيل إنما أضيفت إلى الأولياء لأنها من جنس ما يقيم به الناس معاشهم حيث
 لم يقصد بها الخصوصية الشخصية بل الجنسية التى هى معنى ما يقام به المعاش وتميل إليه القلوب ويدخر
 لاوقات الاحتياج وهى بهذا الاعتبار لا تختص باليتامى وأنت خير بأن ذلك بمعزل من حمل الأولياء
 على المحافظة المذكورة كيف لا والوحدة الجنسية المالية ليست مختصة بما بين أموال اليتامى وأموال

وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾

٤ النساء

- الأولياء بل هي متحققة بين أموالهم وأموال الأبناء فإذا لا وجه لا اعتبارها أصلاً وقرىء اللاتي واللواتي وقرىء قوماً بمعنى قياماً كما جاء عوداً بمعنى عياداً وقرىء قوماً بكسر القاف وهو ما يقام به الشيء أو مصدر قاوم وقرىء بفتحها (وارزقوهم فيها واكسوهم) أى واجعلوها مكاناً لرزقهم وكسوهم بأن • تنجروا وتزجروا حتى تكون نفقاتهم من الأرباح لا من صلب المال وقيل الخطاب لكل أحد كانتاً من كان والمراد نهيهم عن أن يفوض أمر ماله إلى من لا رشد له من نسائه وأولاده وولادته وغير ذلك ولا يخفى أن ذلك محل بجزالة النظم الكريم (وقولوا لهم قولاً معروفاً) أى كلاماً ليناً طيباً به نفوسهم • وعن سعيد بن جبير ومجاهد وابن جريج عدوهم عدة جملة بأن تقولوا إذا صلحتم ورشدتم سلمنا إليكم أموالكم وكل ما سكنت إليه النفس لحسنه شرعاً أو عقلاً من قول أو عمل فهو معروف وما أنكرته لقبحه شرعاً أو عقلاً فهو منكر (وابتلوا اليتامى) شروع في تعيين وقت تسليم أموال اليتامى إليهم وبين شرطه ٦ بعد الأمر بإيتائهم على الإطلاق والنهى عنه عند كون أصحابها سفهاء أى واختبروا من ليس منهم بين السفه قبل البلوغ بتتبع أحوالهم في صلاح الدين والاهتداء إلى ضبط المال وحسن التصرف فيه وجربوهم بما يليق بحالهم فإن كانوا من أهل التجارة فبأن تعطوهم من المال ما يتصرفون فيه يبيعاً وابتاعاً وإن كانوا ممن له ضياع وأهل وخدم فبأن تعطوهم منه ما يصرفونه إلى نفقة عبيدهم وخدمهم وأجرائهم وسائر مصارفهم حتى تتبين لكم كيفية أحوالهم (حتى إذا بلغوا النكاح) بأن يحتلوا لأنهم يصلحون عنده للنكاح • (فإن آنستم) أى شاهدتم وتبينتم وقرىء أحسستم بمعنى أحسستم كما في قول من قال | خلا أن العتاق من المطايا | أحسن به ومن إليه شوس | (منهم رشداً) أى اهتداء إلى وجوه التصرفات من غير عجز وتبذير وتقديم الجار والمجرور على المفعول للاهتمام بالمقدم والنشويق إلى المؤخر أو للاعتداد بمبدئياته والتنويع للدلالة على كفاية رشد في الجملة وقرىء بفتح الراء والشين وبضمهما (فادفعوا إليهم أموالهم) من غير تأخير عن حد البلوغ وفي إنباط الدفع على الإيتاء الوارد في أول الأمر إيدان بتفاوتهما بحسب المعنى كما أشير إليه فيما سلف ونظم الآية الكريمة أن حتى هي التي تقع بعدها الجمل كالتى في قوله | فما زالت القتلى تمج دماءها | بدجلة حتى ماء دجلة أشكل | وما بعدها جملة شرطية جعلت غاية للابتلاء وفعل الشرط بلغوا وجوابه الشرطية الثانية كأنه قيل وابتلوا اليتامى إلى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع أموالهم إليهم بشرط إنباس الرشد منهم وظاهر الآية الكريمة أن من بلغ غير رشيد إما بالتبذير أو بالعجز لا يدفع إليه ماله أبداً وبه أخذ أبو يوسف ومحمد وقال أبو حنيفة ينتظر إلى خمس وعشرين سنة لأن البلوغ بالنسبة ثمانى عشرة سنة فإذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير أحوال الإنسان لما قاله عليه الصلاة

لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾

٤ النساء

- والسلام مروم بالصلاة لسبع دفع إليه ماله أونس منه رشد أو لم يؤنس (ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا) أى مسرفين ومبادرين كبرهم أو لإسرافكم ومبادرتم كبرهم تفرطون فى إنفاقها وتقولون تنفق كما نشتهى قبل أن يكبر اليتامى فينتزعوها من أيدينا والجملة تأكيد للأمر بالدفع وتقدير لها وتمهيد لما بعدها من قوله تعالى (ومن كان غنياً فليستعفف) الخ أى من كان من الأولياء والأوصياء غنياً فليتنزه
- عن أكلها وليقتنع بما آتاه الله تعالى من الغنى والرزق إشفافاً على اليتيم وإبقاء على ماله (ومن كان) من الأولياء والأوصياء (فقيراً فليأكل بالمعروف) بقدر حاجته الضرورية وأجرة سعيه وخدمته وفى لفظ الاستعفاف والأكل بالمعروف ما يدل على أن اللوصى حقاً لقيامه عليها عن النبي ﷺ أن رجلاً قال له إن فى حجرى يتيماً أفأكل من ماله قال بالمعروف غير متأثر مالا ولا وادى مالك بماله وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن ولى يتيم قال له أفأشرب من لبن إبله قال إن كنت تبغى ضالتها وتلوط حوضها وتنهأ جرباها وتسقيها يوم ورودها فأشرب غير مضل بنسل ولا ناهك فى الحلب وعن محمد بن كعب يتقرم كما تتقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة الأجير فيما لا بد منه وعن الشعبي يأكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضى وعن مجاهد يستسلف فإذا أيسر أدى وعن سعيد بن جبير إن شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب وأخذ القوت ولا يجاوزه فإن أيسر قضاه وإن أعسر فهو فى حل وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنى أنزلت نفسى من مال الله تعالى منزلة ولى اليتيم إن استغنيت استعفت وإن افتقرت أكلت بالمعروف وإذا أيسرت قضيت . واستعف أبلغ من عف كأنه يطلب زيادة العفة (فإذا دفعتم إليهم أموالهم) بعد مراعاتهم الشرائط المذكورة وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح للاهتمام به (فأشهدوا عليهم) بأنهم تسلبوها وقبضوها وبرئت عنها ذمكم لما أن ذلك أبعد من التهمة وأننى للخصومة وأدخل فى الأمانة وبراءة الساحة وإن لم يكن ذلك واجباً عند أصحابنا
- فإن الوصى مصدق فى الدفع مع اليمين خلافاً للمالك والشافعى رحمهما الله (وكفى بالله حسيباً) أى محاسباً
- ٧ ● فلا تخالفوا ما أمركم به ولا تجاوزوا ما حد لكم (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) شروع فى بيان أحكام الموارث بعد بيان أحكام أموال اليتامى المنتقلة إليهم بالإرث والمراد بالأقربين المتوارثون منهم ومن فى مائة متعلقة بمحذوف وقع صفة لنصيب أى لهم نصيب كائن مما ترك وقد جوز تعلقها بنصيب (وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) لإيراد حكمهن على الاستقلال دون الدرج فى تضاعيف أحكامهم بأن يقال للرجال والنساء الخ للاعتناء بأمرهن والإيذان بأصالتن فى استحقاق الإرث والإشارة من أول الأمر إلى تفاوت ما بين نصيبى الفريقين والمبالغة فى إبطال حكم الجاهلية فإنهم ما كانوا يورثون النساء والأطفال ويقولون إنما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة روى أن أوس بن ثابت الأنصارى

وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾

٤ النساء

وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا

٤ النساء

سَدِيدًا ﴿٩﴾

- خلف زوجته أم كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة أو قتادة وعرفطة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فجاءت أم كحة إلى رسول الله ﷺ فشكت إليه فقال ارجعي حتى أنظر ما يحدثه الله تعالى فنزلت فأرسل إليهما إن الله قد جعل لمن نصيباً ولم يبين فلا تفرقا من مال أوس شيئاً حتى يبين فنزل بوصيكم الله الخ فأعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي لابن العم وهو دليل على جواز تأخير البيان عن الخطاب وقوله تعالى (مما قل منه أو كثر) بدل من ما الأخيرة بإعادة الجار وإليها يعود الضمير المجرور وهذا ● البدل مراد في الجملة الأولى أيضاً محذوف للتعويل على المذكور وفائدته دفع توهم اختصاص بعض الأموال ببعض الورثة كالخيل وآلات الحرب للرجال وتحقيق أن لكل من الفريقين حقاً من كل ما جل ودق (نصيياً مفروضاً) نصب على أنه مصدر مؤكد كقوله تعالى فريضة من الله كأنه قيل قسمة مفروضة ● أو على الحالية إذ المعنى ثبت لهم نصيب كائن مما ترك الوالدان والأقربون حال كونه مفروضاً أو على الاختصاص أى أعنى نصيباً مقطوعاً مفروضاً واجباً لهم وفيه دليل على أن الوارث لو أعرض عن نصيبه لم يسقط حقه (وإذا حضر القسمة) أى قسمة التركة وإنما قدمت مع كونها مفعولاً لأنها المبحوث ٨ عنها ولأن في الفاعل تعدداً فلوروعى الترتيب يفوت تجاوب أطراف الكلام (أولو القربى) من لا يرث (واليتامى والمساكين) من الأجانب (فأرزقوهم منه) أى أعطوهم شيئاً من المال المقسوم المدلول عليه ● بالقسمة وقيل الضمير لما وهو أمر نذب كلف به البالغون من الورثة تطييباً لقلوب الطوائف المذكورة وتصدقا عليهم وقيل أمر وجوب ثم اختلف في نسخه (وقولوا لهم قولا معروفاً) وهو أن يدعوا لهم ● ويستقلوا ما أعطوهم ويعتذروا من ذلك ولا يمتنوا عليهم (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً ٩ خافوا عليهم) أمر الأولياء بأن يخشوا الله تعالى ويتقوه في أمر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذرائعهم الضعاف بعد وفاتهم أو لمن حضر المريض من العواد عند الإيصاء بأن يخشوا ربهم أو يخشوا أولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقةً على أولادهم فلا يتركوه أن يضرهم بصرف المال عنهم أو للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الأقارب واليتامى والمساكين متصورين أنهم لو كانوا أولادهم بقوا خلفهم ضعافاً مثلهم هل يجوزون حرمانهم أو للبوصين بأن ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزها صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم أنهم لو شارفوا أن يخلفوا ورثة ضعافاً خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الأمر عليه إشارة إلى المقصود منه والعلة فيه وبعث على

إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ النساء
يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ
وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ
لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَتْهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ
وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ؕ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنْ
اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

النساء

- الترحم وأن يجب لأولاد غيره ما يجب لأولاد نفسه وتهديد للخالف بحال أولاده وقرىء ضعفاء وضعافى
- وضعافى (فليستقوا الله) فى ذلك والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها (وليقلوا قولاً سديداً) أمرهم بالتقوى التى هى غاية الخشية بعد ما أمرهم بها مراعاة للبدا والمنتهى إذ لا نفع للأول بدون الثانى ثم أمرهم بأن يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لأولادهم بالشفقة وحسن الأدب أو للمريض ما يصدده عن الإسراف فى الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلية الشهادة أو لحاضرى القسمة عذراً ووعداً حسناً أو يقولوا فى الوصية ما لا يؤدى إلى تجاوز الثلث وقوله تعالى (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً) أى على وجه الظلم أو ظالمين استئناف جىء به لتقرير مضمون ما فصل من الأمر والنواهى (إنما يأكلون فى بطونهم) أى ملء بطونهم (ناراً) أى ما يجرى إلى النار ويؤدى إليها وعن أبى بردة أنه عليه السلام قال يبعث الله تعالى قوماً من قبورهم تتأجج أفواههم ناراً فقبل من هم فقال عليه السلام ألم تر أن الله يقول إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً (وسيصلون سعيراً) أى سيدخلون ناراً هائلة مبهمة الوصف وقرىء بضم الياء مخففاً ومشدداً من الإصلاء والتصلية يقال صلى النار قاسى حرها وصلبته شويته وأصلبته وصلبته ألقبته فيها والسعير فاعيل بمعنى مفعول من سمرت النار إذا ألهبتها . روى أن آكل مال اليتيم يبعث يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وأنفه وأذنيه وعينه فيعرف الناس أنه كان يأكل مال اليتيم فى الدنيا وروى أنه لما نزلت هذه الآية ثقل ذلك على الناس فاحترزوا عن مخالطة اليتامى بالسكينة فصعب الأمر على اليتامى فنزل قوله تعالى وإن تخالطوهم الآية
- ١١ / (يوصيكم الله) شروع فى تفصيل أحكام الموارث المحملة فى قوله تعالى للرجال نصيب الخ وأقسام الورثة ثلاثة قسم لا يسقط بحال وهم الآباء والأولاد والأزواج فهؤلاء قسمان والثالث الكلالة أى
- يأمركم ويعهد إليكم (فى أولادكم) أولاد كل واحد منكم أى فى شأن ميراثهم بدىء بهم لأنهم أقرب
- الورثة إلى الميت وأكثرهم بقاء بعد المورث (الذكر مثل حظ الأنثيين) جملة مستأنفة جىء بها لتبيين الوصية وتفسيرها وقيل محلها النصب ببوصيكم على أن المعنى يفرض عليكم ويشترع لكم هذا الحكم وهذا قريب مما رآه الفراء فإنه يجرى ما كان بمعنى القول من الأفعال مجراه فى حكاية الجملة بعده ونظيره

- قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة الآية وقوله تعالى للذكر لا بد له من ضمير عائد إلى الأولاد محذوف ثقة بظهوره كما في قولهم السمن منوان بدرهم أى للذكر منهم وقيل الألف واللام قائم مقامه والأصل لذكرهم ومثل صفة لموصوف محذوف أى للذكر منهم حظ مثل حظ الأنثيين والبداءة ببيان حكم الذكر لإظهار مزيبته على الأنثى كما أنها المناط في تضعيف حظه وإيثار اسمى الذكر والأنثى على ما ذكر أولاً من الرجال والنساء للتخصيص على استواء الكبار والصغار من الفريقين في الاستحقاق من غير دخل للبلوغ والكبر في ذلك أصلاً كما هو زعم أهل الجاهلية حيث كانوا لا يورثون الأطفال كالنساء (فإن كن) أى الأولاد والتأنيث باعتبار الخبر وهو قوله تعالى (نساء) أى خالصاً ليس ● معهن ذكر (فوق اثنتين) خبر ثان أو صفة لنساء أى نساء زائدات على اثنتين (فلهن ثلثا مترك) أى المتوفى المدلول عليه بقرينة المقام (وإن كانت) أى المولودة (واحدة) أى امرأة واحدة ليس معها أخ ● ولا أخت وعدم التعرض للموصوف لظهوره عما سبق (فلها النصف) عما ترك وقرىء واحدة على كان ● التامة واختلف في اثنتين فقال ابن عباس حكمهما حكم الواحدة لأنه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الجمهور حكمهما حكم ما فوقهما لأنه تعالى لما بين أن حظ الذكر مثل حظ الأنثيين إذا كان معه أنثى وهو الثلثان اقتضى ذلك أن فرضهما الثلثان ثم لما أوم ذلك أن يزداد النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله تعالى فإن كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك أن البنت الواحدة لما استحققت الثلث مع أخيها الأقوى منها في الاستحقاق فلأن تستحقه مع مثلها أولى وأحرى وأن البنتين أمس رحماً من الأخنتين وقد فرض الله ● لهما الثلثين حيث قال تعالى فلمهما الثلثان مما ترك (ولا بويه) أى لا بوى الميت . غير النظم الكريم لعدم اختصاص حكمه بما قبله من الصور (لكل واحد منهما) بدل منه بتكرير العامل وسط بين المبتدأ الذى هو قوله تعالى (السدس) وبين خبره الذى هو لا بويه ونقل الخبرية إليه تنصيصاً على استحقاق كل منهما ● السدس وتأكيده بالتفصيل بعد الإجمال وقرىء السدس بسكون الدال تخفيفاً وكذلك الثلث والربع والثلثين (عما ترك) متعلق بمحذوف وقع حالا من السدس والعامل الاستقرار المعتبر في الخبر أى كأنما عما ● ترك المتوفى (إن كان له ولد) أو ولد ابن ذكر أو كان أو أنثى واحداً أو متعدداً غير أن الأب في صورة ● الأنوثة بعد ما أخذ فرضه المذكور يأخذ ما بقى من ذوى الفروض بالعصوبة (فإن لم يكن له ولد) ولا ولد ● ابن (وورثه أبواه) لحسب (فلأمه الثلث) مما ترك والباقي للأب وإنما لم يذكر لعدم الحاجة إليه لأنه لما فرض انحصار الوارث في أبويه وعين نصيب الأم علم أن الباقي للأب وتخصيص جانب الأم بالذكر وإحالة ● جانب الأب على دلالة الحال مع حصول البيان بالعكس أيضاً لما أن حظها أخصر واستحقاقه أتم وأوفر أو لأن استحقاقه بطريق العصوبة دون الفرض هذا إذا لم يكن معهما أحد الزوجين أما إذا كان ● معهما ذلك فللأم ثلث ما بقى بعد فرض أحدهما لا ثلث الكل كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما فإنه يفضى إلى تفضيل الأم على الأب مع كونه أقوى منها في الإرث بدليل أضعافه عليها عند انفردهما عن أحد الزوجين ● وكونه صاحب فرض وعصبة وذلك خلاف وضع الشرع (فإن كان له أخوة) أى عدد من له أخوة من غير اعتبار التلث سواء كانت من جهة الأبوين أو من جهة أحدهما وسواء كانوا ذكوراً أو إناثاً أو

- مختلطين وسواء كان لهم ميراث أو كانوا محجوبين بالآب (فلأمه السدس) وأما السدس الذي حجبوها عنه فهو للآب عند وجوده ولهم عند عدمه وعليه الجمهور وعند ابن عباس رضى الله عنهما أنه لهم على كل حال خلا أن هذا الحجب عنده لا يتحقق بما دون الثلاث وبالأخوات الخالص وقرىء فلأمه بكسر الهمزة اتباعاً لما قبلها (من بعد وصية) خبر مبتدأ محذوف والجملة متعلقة بما تقدم جميعاً لا بما يليها وحده
- أى هذه الأنصباء للورثة من بعد إخراج وصية (يوصى بها) أى الميت وقرىء مبنياً للمفعول مخففاً
- ومبنياً للفاعل مشدداً وفائدة الوصف الترغيب في الوصية والنذب إليها (أودين) عطف على وصية إلا أنه غير مقيد بما قيدت به من الوصف بل هو مطلق يتناول ما ثبت بالبينة أو الإقرار في الصحة وإثارة أو المفيدة للإباحة على الواو للدلالة على تساويهما في الوجوب وتقديمهما على القسمة بمجموعين أو منفردين وتقديم الوصية على الدين ذكر أع تأخرها عنه حكماً لإظهار كمال العناية بتنفيذها لكونها مظنة للتفريط
- في أداها ولا طرادها بخلاف الدين (آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً) الخطاب للورثة فآباؤكم مبتدأ وأبناؤكم عطف عليه ولا تدرون خبره وأيهم مبتدأ وأقرب خبره ونفعاً نصب على التمييز منه وهو منقول من الفاعلية كأنه قيل أيهم أقرب لكم نفعه والجملة في حيز النصب بلا تدرون والجملة الكبيرة اعتراضية مؤكدة لوجوب تنفيذ الوصية أى أصولكم وفروعكم الذين يتوفون لا تدرون أيهم أنفع لكم أمن يوصى ببعض ماله فيعرضكم لثواب الآخرة بتنفيذ وصيته أم من لا يوصى بشئ فيوفر عليكم عرض الدنيا وليس المراد بنفي الدراية عنهم بيان اشتباه الأمر عليهم وكون أنفعية كل من الأول والثاني في حيز الاحتمال عندهم من غير رجحان أحدهما على الآخر كما في قوله عليه الصلاة والسلام مثل أمي مثل المطر لا يدري أوله خير أم آخره فإن ذلك بمنزل من إفادة التأكيد المذكور والترغيب في تنفيذ الوصية بل تحقيق أنفعية الأول في ضمن التعريض بأن لهم اعتقاداً بأنفعية الثاني مبنياً على عدم الدراية وقد أشير إلى ذلك حيث عبر عن الأنفعية بأفريقية النفع تذكيراً للمناط زعمهم وتعييناً لمنشأ خطتهم ومبالغة في الترغيب المذكور بتصوير الثواب الآجل بصورة العاجل لما أن الطباع مجبولة على حب الخير الحاضر كأنه قيل لا تدرون أيهم أنفع لكم فتحكمون نظراً إلى ظاهر الحال وقرب المال بأنفعية الثاني مع أن الأمر بخلافه فإن ثواب الآخرة لتحقق وصوله إلى صاحبه ودوام تمتعه به مع غاية قصر مدة ما بينهما من الحياة الدنيا أقرب وأحضر وعرض الدنيا لسرعة نفاذه وفنائه أبعد وأقصى وقيل الخطاب للورثين والمعنى لا تعلمون من أنفع لكم ممن يرثكم من أصولكم وفروعكم عاجلاً وآجلاً فتحروا في شأنهم ما أوصاكم الله تعالى به ولا تعتمدوا إلى تفضيل بعض وحرمان بعض روى أن أحد المتوالدين إذا كان أرفع درجة من الآخر في الجنة سأل الله تعالى أن يرفع إليه صاحبه فيرفع إليه بشفاعته قيل فالجملة الاعتراضية حينئذ مؤكدة لأمر القسمة وأنت خير بأنه مشعر بأن مدار الإرث ما ذكر من أفريقية النفع مع أنه
- العلاقة النسبية (فريضة من الله) نصبت نصب مصدر مؤكد لفعل محذوف أى فرض الله ذلك فرضاً أو
- لقوله تعالى يوصيكم الله فإنه في معنى يأمركم ويفرض عليكم (إن الله كان عليماً) أى بالمصالح والرب
- (حكيماً) في كل ما قضى وقدر فيدخل فيه الأحكام المذكورة دخولا أولاً .

وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوَصُّونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ٤ النساء

- ١٢ (ولكم نصف ماترك أزواجكم) من المال شروع في بيان أحكام القسم الثاني من الورثة ووجه تقديم حكم ميراث الرجال مما لا حاجة إلى ذكره (إن لم يكن هن ولد) أي ولد وارث من بطنها أو من صلب بنيتها أو بنى بنيتها وإن سفل ذكر كان أو أنثى واحداً كان أو متعدداً لأن لفظ الولد ينتظم الجميع منكم أو من غيركم والباقي لورثتهن من ذوى الفروض والعصبات أو غيرهم وليت المال إن لم يكن هن وارث آخر أصلاً (فإن كان هن ولد) على نحو مافصل والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن ذكر تقدير عدم الولد وبيان حكمه مستلبع لتقدير وجوده وبيان حكمه (فلكم الربع مما تركن) من المال والباقي لباقي الورثة (من بعد وصية) متعلق بكتنا الصورتين لا بما يليه وحده (يوصين بها) في محل الجر على أنه صفة لوصية وفائدتها مامر من ترغيب الميت في الوصية وحث الورثة على تنفيذها (أو دين) عطف على وصية سواء كان ثبوته بالبينة أو بالإقرار وإثار أو على الواو لما مر من الدلالة على تساويهما في الوجوب والتقدم على القسمة وكذا تقديم الوصية على الدين ذكر لما ذكر من إبراز كمال العناية بتنفيذها (ولهن الربع مما تركن إن لم يكن لكم ولد) على التفصيل المذكور آنفاً والباقي لبقية ورثتهن من أصحاب الفروض والعصبات أو ذوى الأرحام أو ليت المال إن لم يكن لكم وارث آخر أصلاً (فإن كان لكم ولد) على النحو الذى فصل (فلهن الثمن مما تركن) من المال والباقي للباقيين (من بعد وصية توصون بها أو دين) الكلام فيه كما فصل في نظيره فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما فرض للمرأة كما في النسب لمزيتها عليها وشرفه الظاهر ولذلك اختص بتشريف الخطاب وهكذا قياس كل رجل وامرأة اشتراكاً في الجهة والقرب ولا يستثنى منه إلا أولاد الأم والمعتق والمعتقة وتستوى الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن (وإن كان رجل) شروع في بيان أحكام القسم الثالث من الورثة المحتمل للسقوط ووجه تأخيرها عن الأولين بين والمراد بالرجل الميت وقوله تعالى (يورث) على البناء للمفعول من ورث لا من أورث خبر كان أي يورث منه (كلالة) الكلالة في الأصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الإعياء استعيرت للقرابة من غير جهة الوالد والولد لضعفها بالإضافة إلى قرابتهما وتطلق على من لم يخلف ولداً ولا والداً وعلى من ليس بوالد ولا ولد من المخلفين بمعنى ذى كلالة كما تطلق القرابة على ذوى القرابة وقد جوز كونها صفة كالهجاجة والفقاقة للأحق فنصبتها إما على أنها مفعول له أي يورث منه لا لجل القرابة المذكورة أو على أنها حال من ضمير

يورث أى حال كونه ذا كلاله أو على أنها خبر لكان ويورث صفة لرجل أى إن كان رجل موروث ذا كلاله ليس له والد ولا ولد وقرىء يورث على البناء للفاعل مخففاً ومشدداً فانصباب كلاله إما على أنها حال من ضمير الفعل والمفعول محذوف أى يورث وارثه حال كونه ذا كلاله وإما على أنها مفعول به أى يورث ذا كلاله وإما على أنه مفعول له أى يورث لأجل الكلاله (أو امرأة) عطف على رجل مقيد بما قيد به أى أو امرأة تورث كذلك ولعل فصل ذكرها عن ذكره للإيدان بشرفه وأصلاته في الأحكام (وله) أى للرجل ففيه تأكيد للإيدان المذكور حيث لم يتعرض لها بعد جريان ذكرها أيضاً وقيل الضمير لكل منهما (أخ وأخت) أى من الأم فحسب وقد قرىء كذلك فإن أحكام بنى الأعيان والعلات هى التى ذكرت في آخر السورة الكريمة والجملة في محل النصب على أنها حال من ضمير يورث أو من رجل على تقدير كون يورث صفة له ومساقها لتصوير المسألة وذكر الكلاله لتحقيق جريان الحكم المذكور وإن كان مع من ذكر ورثة أخرى بطريق الكلاله وأما جريانه في صورة وجود الأم أو الجدة مع أن قرابتهما ليست بطريق الكلاله فبالإجماع (فلكل واحد منهما) من الأخ والأخت (السدس) من غير تفضيل للذكر على الأنثى لأن الإدلاء إلى الميت بمحض الأنوثة (فإن كانوا أكثر من ذلك) أى أكثر من الأخ أو الأخت المنفردين بواحد أو بأكثر والفاء لما مر من أن ذكر احتمال الانفراد مستتبع لذكر احتمال التعدد: (فهم شركاء في الثلث) يقسمونه بالسوية والباقي لبقية الورثة من أصحاب الفروض والعصبات هذا وأما تجويز أن يكون يورث في القراءة المشهورة مبنياً للمفعول من أورث على أن المراد به الوارث والمعنى وإن كان رجل يجعل وارثاً لأجل الكلاله أو ذا كلاله أى غير والد أو ولد ولذلك الوارث أخ أو أخت فلكل واحد من ذلك الوارث وأخيه أو أخته السدس فإن كانوا أكثر من ذلك أى من الإثنين بأن كانوا ثلاثة أو أكثر فهم شركاء في الثلث الموزع للثنتين لا يزداد عليه شيء فبمعزل من السداد أما أولاً فلأن الاعتبار على ذلك التقدير إنما هى الأخوة بين الوارث وبين شريكه في الإرث من أخيه أو أخته لا ما بينه وبين مورثه من الأخوة التى عليها يترتب حكم الإرث وبها يتم تصوير المسألة وإنما الاعتبار بينهما الوراثية بطريق الكلاله وهى عامة لجميع صور القرابات التى لا تكون بالولادة فلا يكون نصيبه ولا نصيب شريكه مما ذكر بعينه ومن ادعى اختصاصها بالأخوة لأم متمسكا بالإجماع على أن المراد بالكلاله ههنا أولاد الأم فقد اعترف ببطلان رأيه من حيث لا يحتسب كيف لا ومبناه إنما هو الإجماع على أن المراد بالأخوة فى قوله تعالى وله أخ أو أخت هو الأخوة لأم خاصة حسبما شهدت به القراءة المحكية والآية الآتية فى آخر السورة الكريمة ولولا أن الرجل عبارة عن الميت والأخوة معتبرة بينه وبين ورثته لما أمكن كون الكل أولاد الأم ثم إن الكلاله كما نهت عليه باقية على إطلاقها ليس فيها شائبة اختصاص بأولاد الأم فضلاً عن الإجماع على ذلك وإلا لاقتصر البيان على حكم صورة انحصار الورثة فيهم وإنما الإجماع فيما ذكر من أن المراد بالأخ والأخت من كان لأم خاصة وأنت خبير بأن ذلك فى قوة الإجماع على أن يورث من ورث لا من أورث فتدبرو أما ثانياً فلأنه يقتضى أن يكون الاعتبار فى استحقاق الورثة فى الفرض المذكور أخوة بعضهم لبعض من جهة الأم فقط لما ذكر من الإجماع مع

تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾

٤ النساء

- ثبوت الاستحقاق على تقدير الأخوة من الجهتين وأما ثالثاً فلأن حكم صورة انفرد الوارث عن الأخ والأخت يبقى حينئذ غير مبين وليس من ضرورة كون حظ كل منهما السدس عند الإجماع كونه كذلك عند الانفرد ألا يرى أن حظ كل من الأختين الثلث عند الاجتماع والنصف عند الانفرد وأما رابعاً فلأن تخصيص أحد الورثة بالتوريث وجعل غيره تابعاً له فيه مع اتحاد الكل في الإدلاء إلى المورث مما لا عهد به (من بعد وصية يوصى بها أو دين) الكلام فيه كالذي مر في نظائره خلا أن الدين ههنا موصوف بوصف الوصية جرياً على قاعدة تقييد المعطوف بما قيد به المعطوف عليه لاتفاق الجمهور على اعتبار عدم المضارة فيه أيضاً وذلك إنما يتحقق فيما يكون ثبوته بالإقرار في المرض كأنه قيل أو دين يوصى به (غير مضار) حال من فاعل فعل مضمر يدل عليه المذكور وما حذف من المعطوف اعتماداً عليه كما أن رجالاً في قوله تعالى يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال على قراءة المبني للمفعول فاعل لفعل ينبي عنه المذكور ومن فاعل الفعل المذكور والمحذوف اكتفاء به على قراءة البناء للفاعل أى يوصى بما ذكر من الوصية والدين حال كونه غير مضار للورثة أى بأن يوصى بما زاد على الثلث أو تكون الوصية لقصد الإضرار بهم دون القرابة وبأن يقر في المرض بدين كاذباً وتخصيص هذا القيد بهذا المقام لما أن الورثة مظنة لتفريط الميت في حقهم (وصية من الله) مصدر مؤكد لفعل محذوف وتوينه للتفخيم ومن متعاقبة بمضمر وقع صفة له مؤكدة لفخامته الذاتية بالفخامة الإضافية أى يوصيكم بذلك وصية كائنة من الله كقوله تعالى فريضة من الله ولعل السر في تخصيص كل منهما بمحله الإشعار بما بين الأحكام المتعلقة بالأصول والفروع وبين الأحكام المتعلقة بغيرهم من التفاوت حسب تفاوت الفريضة والوصية وإن كانت كلاًهما واجبة المراعاة أو منصوب بغير مضار على أنه مفعول به فإنه اسم فاعل معتمد على ذى الحال أو منى معنى فيعمل في المفعول الصريح ويعضده القراءة بالإضافة أى غير مضار لوصية الله وعهده لافى شأن الأولاد فقط كما قيل إذ لا تعلق لهم بالمقام بل فى شأن الورثة المذكورة ههنا فإن الأحكام المفصلة كلها مندرجة تحت قوله تعالى يوصيكم الله جارية مجرى تفسيره وبيانه ومضارها الإخلال بحقوقهم ونقصها بما ذكر من الوصية بما زاد على الثلث والوصية لقصد الإضرار دون القرابة والإقرار بالدين كاذباً وإيقاعها على الوصية مع أنها واقعة على الورثة حقيقة كما فى قوله يا سارق الليلة أهل الدار للبلابة فى الزجر عنها بإخراجها مخرج مضارة أمر الله تعالى ومضادته وجعل الوصية عبارة عن الوصية بالثلث فادونه يقتضى أن يكون غير مضار حالاً من ضمير الفعل المتعلق بالوصية فقط وذلك يؤدى إلى الفصل بين الحال وعاملها بأجنبي هو المعطوف على وصية مع أنه لا تنحصر به مادة المضارة لبقاء الإفرا بالدين على إطلاقه (والله عليم) بالمضار وغيره (حليم) لا يعاجل بالعقوبة فلا يغتر بالإمهال وإيراد الاسم الجليل مع كفاية الإضمار لإدخال الروعة وترية المهابة (تلك) إشارة إلى الأحكام التى تقدمت فى شئون البناتى والموارث وغير ١٣
- ٢٠٠ أبو السعود ج ٢

وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾ ٤ النساء
وَالَّذِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاَسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ
فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ ٤ النساء

- ذلك (حدود الله) أى شرائعه المحدودة التى لا تجوز مجاوزتها (ومن يطع الله ورسوله) فى جميع الأوامر
- والنواهي التى من جملتها ما فصل ههنا وإظهار الاسم الجليل لما ذكر آنفاً (يدخله جنات) نصب على الظرفية
- عند الجمهور وعلى المفعولية عند الأخفش (تجرى من تحتها الأنهار) صفة لجنات منصوبة حسب انتصابها
- (خالدين فيها) حال مقدرة من مفعول يدخله وصيغة الجمع بالنظر إلى جمعية من بحسب المعنى كأن أفراد
- الضمير بالنظر إلى إفراده لفظاً (وذلك) إشارة إلى ما مر من دخول الجنات الموصوفة بما ذكر على وجه
- الخلود وما فيه من معنى البعد للإيدان بكال علو درجته (الفوز العظيم) الذى لا فوز وراه وصف
- الفوز وهو الظفر بالخير بالعظم إما باعتبار متعلقه أو باعتبار ذاته فإن الفوز بالعظيم عظيم والجملة اعتراض
- (ومن يعص الله ورسوله) ولو فى بعض الأوامر والنواهي قال مجاهد فيما اقتصر من الموارد وقال ١٤
- عكرمة عن ابن عباس من لم يرض بقسم الله تعالى ويتعد ما قال الله تعالى وقال الكلبي يعنى ومن يكفر
- بقسمة الله الموارد ويتعد حدوده استحلالاً وإظهاراً فى موقع الإضمار للبالغة فى الزجر تهويل
- الأمر وترية المهابة (ويتعد حدوده) شرائعه المحدودة فى جميع الأحكام فيدخل فيها ما نحن فيه دخولا
- أولياً (يدخله) وقرئ بنون العظمة فى الموضعين (ناراً) أى عظيمة هائلة لا يقادر قدرها (خالداً فيها)
- حال كما سبق ولعل إتيان الإفراد ههنا نظراً إلى ظاهر اللفظ واختيار الجمع هناك نظراً إلى المعنى للإيدان
- بأن الخلود فى دار الثواب بصفة الاجتماع أوجب للأنس كما أن الخلود فى دار العذاب بصفة الانفراد
- أشد فى استجلاب الوحشة (وله عذاب مهين) أى وله مع عذاب الحريق الجسماني عذاب آخر مبهم
- لا يعرف كنهه وهو العذاب الروحاني كما يؤذن به وصفه والجملة حالية (واللآتي يأتين الفاحشة من ١٥
- نسائكم) شروع فى بيان بعض آخر من الأحكام المتعلقة بالنساء إثر بيان أحكام الموارد واللآتي جمع
- التى بحسب المعنى دون اللفظ وقيل جمع على غير قياس والفاحشة الفعلة القبيحة أريد بها الزنا لزيادة قبحة
- والإتيان الفعل والمباشرة يقال أتى الفاحشة أى فعلها وبشرها وكذا جاءها ورهقها وغشيها وقرئ
- بالفاحشة فالإتيان بمعناه المشهور ومن متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل يأتين أى اللآتي يفعلن الزنا
- كائنات من نسائكم أى من أزواجكم كفى قوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم وقوله تعالى من نسائكم
- اللآتي دخلتم بهن وبه قال السدى (فاستشهدوا عليهن أربعة منكم) خبر للوصول والفاء للدلالة على
- سببية ما فى حيز الصلة للحكم أى فاطلبوا أن يشهد عليهن يأتينها أربعة من رجال المؤمنين وأحرارهم (فإن
- شهدوا) عليهن بذلك (فأمسكوهن فى البيوت) أى فاحبسوهن فيها واجعلوها سجناً عليهن (حتى يتوفاهن)
- أى إلى أن يستوفى أرواحهن (الموت) وفيه تهويل للموت وإبراز له فى صورة من يتولى قبض الأرواح

وَالَّذَانِ يَأْتِيَتَهَا مِنْكَ فَقَاذُومَاهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١٦﴾ ٤ النساء
 إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
 وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ ٤ النساء

- وتوفئها أو يتوفاهن ملائكة الموت (أو يجعل الله لمن سبيلا) أى يشرع لمن حكما خاصا بهن ولعل التعبير عنه بالسبيل للإبذان بكونه طريقا مسلوكا فليس فيه دلالة على كونه أخف من الحبس كما قاله أبو مسلم (واللذان يأتيناها منكم) هما الزانى والزانية بطريق التغليب قال السدى أريد بهما البكران منهما كما ١٦ ينبىء عنه كون عقوبتهما أخف من الحبس المخلد وبذلك يندفع التكرار خلا أنه يبقى حكم الزانى المحصن مبهما لا اختصاص العقوبة الأولى بالمحصنات وعدم ظهور إلحاقه بأحد الحكامين دلالة لخفاء الشركة فى المناط (فأذوهما) أى بالتوبيخ والتفريع وقيل بالضرب بالنعال أيضاً وظاهر أن إجراء هذا الحكم أيضاً إنما يكون بعد الثبوت لكن ترك ذكره تعويلا على ما ذكر آنفاً (فإن تابا) عما فعلا من الفاحشة ● بسبب ما لقيتا من زواج الأذية وقوارع التوبيخ كما ينبىء عنه الفاء (وأصلحا) أى أعمالهما (فأعرضوا ● عنهما) بقطع الأذية والتوبيخ فإن التوبة والصلاح مما يمنع استحقاق الذم والعقاب وقد جوز أن يكون الخطاب للشهود الواقفين على هاتهما ويراد بالإيذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع إلى الولاية وبالإعراض عنهما ترك التعرض لهما بالرفع إليهم قيل كانت عقوبة الفريقين المذكورين فى أوائل الإسلام على ما مر من التفصيل ثم نسخ بالحد لما ورى أن النبى ﷺ قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لمن سبيلا الثيب ترجم والبكر تجلد وقيل هذه الآية سابقة على الأولى نزولا وكانت عقوبة الزناة مطلقاً الأذى ثم الحبس ثم الجلد ثم الرجم وقد جوز أن يكون الأمر بالحبس غير منسوخ بأن يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بإمسأكن فى البيوت بعد إقامة الحد صيانة لمن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال ولا يخفى أنه مما لا يساعده النظم الكريم وقال أبو مسلم وقد عزاه إلى مجاهد إن الأولى فى السحاقيات وهذه فى اللواتين وما فى سورة النور فى الزناة والزواني متمسكا بأن المذكور فى الأولى صيغة الإناث خاصة وفى الثانية صيغة الذكور ولا ضرورة إلى المصير إلى التغليب على أنه لا إمكان له فى الأولى وبأباه الأمر باستشهاد الأربعة فإنه غير معهود فى الشرع فيما عدا الزنا (إن الله كان تواباً) مبالغاً فى قبول التوبة (رحيماً) واسع الرحمة وهو تعليل للأمر ● بالإعراض (إنما التوبة على الله) استئناف مسوق لبيان أن قبول التوبة من الله تعالى ليس على إطلاقه ١٧ كما ينبىء عنه وصفه تعالى بكونه تواباً رحيماً بل هو مقيد بما سينطق به النص الكريم فقوله تعالى التوبة مبتدأ وقوله تعالى (للذين يعملون السوء) خبره وقوله تعالى على الله متعلق بما يتعلق به الخبر من الاستقرار فإن تقديم الجار والمجرور على عامله المعنوى مما لا نزاع فى جوازه وكذا الظرف أو بمحدوف وقع حالاً من ضمير المبتدأ المستكن فيما تعلق به الخبر على رأى من جوز تقديم الحال على عاملها المعنوى عند كونها ظرفاً

أو حرف جر كما سبق في تفسير قوله تعالى والله على الناس حج البيت وأيا ما كان فعنى كون التوبة عليه سبحانه صدور القبول عنه تعالى وكلمة على للدلالة على التحقق البتة بحكم جرى العادة وسبق الوعد حتى كأنه من الواجبات عليه سبحانه وهذا مراد من قال كلمة على بمعنى من وقيل هي بمعنى عند وعن الحسن يعنى التوبة التي يقبلها الله تعالى وقيل هي التوبة التي أوجب الله تعالى على نفسه بفضله قبولها وهذا يشير إلى أن قوله تعالى على الله صفة للتوبة بتقدير متعلقه معرفة على رأى من جوز حذف الموصول مع بعض صلته أى إنما التوبة الكائنة على الله والمراد بالسوء المعصية صغيرة كانت أو كبيرة وقيل الخبر على الله وقوله تعالى للذين متعلق بما تعلق به الخبر أو بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن في متعلق الخبر وليس فيه ما في الوجه الأول من تقديم الحال على العامل المعنوى إلا أن الذى يقتضيه المقام ويستدعيه النظام هو الأول لما أن ما قبله من وصفه تعالى بكونه تواباً رحيماً إنما يقتضى بيان اختصاص قبول التوبة منه تعالى بالمدكورين وذلك إنما يكون بجعل قوله تعالى للذين الخ خبراً ألا يرى إلى قوله عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات الخ فإنه ناطق بما قلنا كأنه قيل إنما التوبة لهؤلاء لا لهؤلاء (بجمالة) متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يعملون أى يعملون السوء ملتبسين بها أى جاهلين سفهاء أو يعملون على أن الباء سببية أى يعملونه بسبب الجمالة لأن ارتكاب الذنب مما يدعو إليه الجهل وليس المراد به عدم العلم بكونه سوء أبلى عدم التفكير في العاقبة كما يفعله الجاهل قال قتادة اجتمع أصحاب الرسول ﷺ فرأوا أن كل شيء عصى به ربه فهو جمالة عمدأ كان أو خطأ وعن مجاهد من عصى الله تعالى فهو جاهل حتى ينزع عن جماله وقال الزجاج يعنى بقوله بجمالة اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية (ثم يتوبون من قريب) أى من زمان قريب وهو ما قبل حضور الموت كما ينبى عنه ما سياتى من قوله تعالى حتى إذا حضر أحدهم الموت الخ فإنه صريح فى أن وقت الاحتضار هو الوقت الذى لا تقبل فيه التوبة فبقى ما وراءه فى حيز القبول وعن ابن عباس رضى الله عنهما قبل أن ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن إبراهيم النخعى مالم يؤخذ بكظمه وهو مجرى النفس وروى أبو أيوب عن النبي ﷺ إن الله تعالى يقبل توبة العبد مالم يغرر وعن عطاء ولو قبل موته بفراق ناقة وعن الحسن أن إبليس قال حين أهبط إلى الأرض وعزتك لا أفارق ابن آدم مادام روحه فى جسده فقال تعالى وعزتي لا أغلق عليه باب التوبة مالم يغرر ومن تبعضية أى يتوبون بعض زمان قريب كأنه سعى ما بين وجود المعصية وبين حضور الموت زماناً قريباً فى أى جزء تاب من أجزاء هذا الزمان فهو تائب

● (فأولئك) إشارة إلى المذكورين من حيث اتصافهم بما ذكر وما فيه من معنى البعد باعتبار كونهم بانقضاء ذكرهم فى حكم البعيد والخطاب للرسول ﷺ أو لكل أحد ممن يصلح للخطاب وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (يتوب الله عليهم) وما فيه من تكرير الإسناد لتقوية الحكم وهذا وعد بقبول توبتهم إثر بيان أن التوبة لهم والفاء للدلالة على سببيتها للقبول (وكان الله عليهما حكيمًا) مبالغة فى العلم والحكمة فيبني أحكامه وأفعاله على أساس الحكمة والمصلحة والجملة اعتراضية مقررة لمضمون ما قبلها وإظهار الاسم الجليل فى موضع الإضمار للإشعار بعلّة الحكم فإن الألوهية منشأ لا تصافه تعالى بصفات الكمال

وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنِّ وَلَا
 الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾
 ٤ النساء
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ
 إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا
 شَيْعًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾
 ٤ النساء

- (وليس التوبة للذين يعملون السيئات) تصريح بما فهم من قصر القبول على توبة من تاب من قريب ١٨
 وزيادة تعيين له ببيان أن توبة من عدام بمنزلة العدم وجمع السيئات باعتبار تكرار وقوعها في الزمان
 للمديد لأن المراد بها جميع أنواعها وبما مر من السوء نوع منها (حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت
 الآن) حتى حرف ابتداء والجملة الشرطية بعدها غاية لما قبلها أى ليس قبول التوبة للذين يعملون السيئات
 إلى حضور موتهم وقولهم حينئذ إني تبت الآن وذكر الآن لمزيد تعيين الوقت وإيثار قال على تاب لإسقاط
 ذلك عن درجة الاعتبار والتجاشى عن تسميته توبة (ولا الذين يموتون وهم كفار) عطف على الموصول
 الذى قبله أى ليس قبول التوبة لهؤلاء ولا لهؤلاء ولا لما ذكر هؤلاء مع أنه لا توبة لهم رأساً مبالغة في بيان
 عدم قبول توبة المسوفين وإيداناً بأن وجودها كعدمها بل في تكرير حرف النفي في المعطوف إشعار
 خفي بكون حال المسوفين في عدم استتباع الجدوى أقوى من حال الذين يموتون على الكفر والمراد
 بالموصولين إما الكفار خاصة وإما الفساق وحدثهم وتسميتهم في الجملة الحالية كفاراً للتغليظ كما في قوله
 تعالى ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين وأما ما يعم الفريقين جميعاً فالتسمية حينئذ للتغليب ويجوز أن
 يراد بالاول الفسقة والثانى الكفرة ففيه مبالغة أخرى (أولئك) إشارة إلى الفريقين وما فيه من معنى
 البعد للإيدان بترامى حالهم في الفظاعة وبعد منزلتهم في السوء وهو مبتدأ خبره (أعتدنا لهم) أى
 هيأنا لهم (عذاباً أليماً) تكرير الإسناد لما مر من تقوية الحكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول
 الصريح لإظهار الإعتناء بكون العذاب معداً لهم وتكثير العذاب ووصفه للتفخيم الذاتى والوصفى /
 (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها) كان الرجل إذا مات فريته يلقى ثوبه على امرأته أو على ١٩
 خباتها ويقول أرث امرأته كما أرث ماله فيصير بذلك أحق بها من كل أحد ثم إن شاء زوجها بلا صداق
 غير الصداق الأول وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها ولم يعطها منه شيئاً وإن شاء عضلها لتفتدى بما
 ورثت من زوجها وإن ذهبت المرأة إلى أهلها قبل إلقاء الثوب فهي أحق بنفسها فنها عن ذلك وقيل لهم
 لا يحل لكم أن تأخذوهن بطريق الإرث على زعمكم كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك أو مكراهات عليه
 وقيل كانوا يمسكونهن حتى يمتن ويرثوا منهم فقيل لهم لا يحل لكم ذلك وهن غيرراضيات بامساككم
 وقرىء لا تحل بالناء الفوقانية على أن ترثوا بمعنى الورثة وقرىء كرها بضم الكاف وهى لغة كالضعف
 والضعف وكان الرجل إذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر وضيق عليها

وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ أَحَدَهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْعًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهَيْئَتِنَا وَإِنَّمَا مِثْلُنَا ۝٢٠

٤ النساء

- لتفتدى منه بما لها وتختلع فقيل لهم (ولا تعضلوهم) عطفاً على ترثوا ولا لنا كيد النفي والخطاب الأزواج والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المرأة بولدها إذا اختنقت رحمها فخرج بعضه وبقي بعضه أى ولا أن تضيقوا عليهن (لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) أى من الصداق بأن يدفعن إليكم بعضه اضطراراً فتأخذوه منهن وإنما لم يتعرض لفعلهن إيداناً بكونه بمنزلة العدم لصدوره عنهن اضطراراً وإنما عبر عن ذلك بالذهاب به لا بالأخذ ولا بالإذهاب للبالغة في تقييده ببيان تضمنه لا مريم كل منهما محذور
- شنيع الأخذ والإذهاب منهن لأنه عبارة عن الذهاب مستصحباً به (إلا أن يأتين بفاحشة مينة) على صيغة الفاعل من بين بمعنى تبين وقرىء على صيغة المفعول وعلى صيغة الفاعل من أبان بمعنى تبين أى بينة القبح من النشوز وشكاسة الخلق وإيذاء الزوج وأهله بالذناء والسلطة ويعضده قراءة أبى إلا أن يفحش عليكم وقيل الفاحشة الزنا وهو استثناء من أعم الأحوال أو أعم الأوقات أو أعم العلل أى ولا يحل لكم عضلن في حال من الأحوال أو في وقت من الأوقات أو لعل من العلل إلا في حال إتيانن بفاحشة أو إلا في وقت إتيانن أو إلا لإتيانن بها فإن السبب حينئذ يكون من جهتهن وأنتم معذورون في طلب الخلع (وعاشروهن بالمعروف) خطاب للذين يسيئون العشرة معهن والمعروف ما لا ينكره الشرع والمروءة والمراد ههنا النصفة في المبيت والنفقة والإجمال في المقال ونحو ذلك (فإن كرهتموهن) وسنتم محبتن بمقتضى الطبيعة من غير أن يكون من قبلن ما يوجب ذلك من الأمور
- المذكورة فلا تفارقوهن بمجرد كراهة النفس واصبروا على معاشرتهن (فحسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) علة للجزاء أقيمت مقامه للإيدان بقوة استلزامها إياه كأنه قيل فإن كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيراً كثيراً ليس فيما تحبونه وعسى تامة رافعة لما بعدها مستغنية عن تقدير الخبر أى فقد قربت كراهتكم شيئاً وجعل الله فيه خيراً كثيراً فإن النفس ربما تكره ما هو أصلح في الدين وأحد عاقبة وأدنى إلى الخير وتحب ما هو بخلافه فليكن نظركم إلى ما فيه خير وصلاح دون ما تهوى أنفسكم وذكر الفعل الأول مع الاستغناء عنه وانحصار العلية في الثاني للتوسل إلى تعميم مفعوله ليفيد أن ترتيب الخير الكثير من الله تعالى ليس مخصوصاً بمكرهه دون مكروه بل هو سنة إلهية جارية على الإطلاق حسب اقتضاء الحكمة وأن مانحن فيه مادة من موادها وفيه من البالغة في الحمل على ترك المفارقة وتعميم الإرشاد ما لا يخفى وقرىء ويجعل مرفوعاً على أنه خبر لمبتدأ محذوف والجملة حالية تقديره وهو أى ذلك الشئ يجعل الله فيه خيراً كثيراً وقيل تقديره والله يجعل بوضع المظهر موضع المضمرة وتنوين خيراً لتفخيمه الذاتي ووصفه بالكثرة لبيان غيامته الوصفية والمراد به ههنا الولد الصالح وقيل الألفة والمحبة (وإن أردتم استبدال زوج) أى تزوج امرأة ترغبون فيها (مكان زوج) ترغبون عنها بأن تطلقوها (وآتيتم إحداهن) أى إحدى الزوجات فإن المراد بالزوج هو الجنس

وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ ٤ النساء
وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ ٤ النساء

- والجملة حالية ياخمار قد لا معطوفة على الشرط أى وقد آتيتم التى تريدون أن تطلقوها (قنطارا) أى مالا
- كثيراً (فلا تأخذوا منه) أى من ذلك القنطار (شياً) يسيراً فضلاً عن الكثير (أتأخذونه بهتاناً وإثماً ميبناً) استثناء مسوق لتقرير النهى والتنفير عن المنهى عنه والاستفهام للإنكار والتوبيخ أى أتأخذونه باهتين وآثمين أو للبهتان والإثم فإن أحدهم كان إذا تزوج امرأة بهت التى تحتها بفاحشة حتى يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه إلى تزوج الجديدة فهواً عن ذلك والبهتان الكذب الذى يبهت المكذوب عليه ويدعشه وقد يستعمل فى الفعل الباطل ولذلك فسرهننا بالظلم وقوله عز وجل (وكيف تأخذونه) ٢١ إنكار لأخذه إثر إنكار وتنفير عنه غب تنفير وقد بولغ فيه حيث وجه الإنكار إلى كيفية الأخذ إذناً بأنه مما لا سبيل له إلى التحقق والوقوع أصلاً لأن ما يدخل تحت الوجود لا بد أن يكون على حال من الأحوال فإذا لم يكن لشيء حال أصلاً لم يكن له حظ من الوجود قطعاً وقوله عز وجل (وقد أفضى بعضهم إلى بعض) حال من فاعل تأخذونه مفيدة لتأكيد النكير وتقدير الاستبعاد أى على أى حال أو فى أى حال تأخذونه والحال أنه قد جرى بينكم وبينهن أحوال منافية له من الخلوة وتقرر المهر وثبوت حق خدمتهن لكم وغير ذلك (وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً) عطف على ما قبله داخل فى حكمه أى أخذن منكم عهداً وثيقاً وهو حق الصحبة والمعاشرة أو ما أوثق الله تعالى عليهم فى شأنهن بقوله تعالى فامسك بمعروف أو تسريح بإحسان أو ما أشار إليه النبي ﷺ بقوله أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله تعالى (ولا تنكحوا ما نكح آبائكم) شروع فى بيان من يحرم نكاحها من النساء ومن لا يحرم ٢٢ وإنما خص هذا النكاح بالنهى ولم ينظم فى سلك نكاح المحرمات الآتية مبالغة فى الزجر عنه حيث كانوا مصرين على تعاطيه قال ابن عباس وجمهور المفسرين كان أهل الجاهلية يتزوجون بأزواج آبائهم فهوا عن ذلك واسم الآباء ينتظم الأجداد مجازاً فنثبت حرمة ما نكحوها نصاً وإجماعاً ويستقل فى إثبات هذه الحرمة نفس النكاح إذا كان صحيحاً وأما إذا كان فاسداً فلا بد فى إثباتها من الوطء أو ما يجرى مجراه من التقبيل والمس بشهوة ونحوهما بل هو المثبت لها فى الحقيقة حتى لو وقع شيء من ذلك بحكم ملك اليمين أو بالوجه المحرم ثبتت به الحرمة عندنا خلافاً للشافعى فى المحرم أى لا تنكحوا التى نكحها آبائكم وإيثار ما على من للذهاب إلى الوصف وقيل ما مصدرية على إرادة المفعول من المصدر (من النساء) ● بيان لما نكح على الوجهين (إلا ما قد سلف) استثناء مما نكح مفيد للبالغة فى التحريم بإخراج الكلام مخرج التعليق بالمحال على طريقة قوله [ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب] والمعنى لا تنكحوا حلال آبائكم إلا من ماتت منهن والمقصود سد طريق الإباحة بالكلية ونظيره قوله تعالى حتى بلغ الجمل فى سم الخياط وقيل هو استثناء مما يستلزمه النهى ويستوجب مباشرة المنهى عنه

حَرَمْتُ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبُكُمْ اللَّاتِي فِي جُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾

٤ النساء

كانه قيل لا تسكحوا ما نسكح آباؤكم من النساء فإنه موجب للعقاب إلا ما قد مضى فإنه معفو عنه وقيل هو استثناء منقطع معناه لكن ما قد سلف لا مؤاخذه عليه لا أنه مقرر ويأباهما قوله تعالى (إنه كان فاحشة ومقتاً) فإنه تعليل لله وبيان لسكون المنهى عنه في غاية القبح مبغوضاً أشد البغض وأنه لم يزل في حكم الله تعالى وعليه موصوفاً بذلك ما رخص فيه لأمة من الأمم فلا يلائم أن يوسط بينهما ما يهون أمره من ترك المؤاخذه على ما سلف منه (وساء سبيلاً) في كلمة ساء قولان أحدهما أنها جارية مجرى بئس في الذم والعمل ففيها ضمير مبهم يفسره ما بعده والخصوص بالذم محذوف تقديره وساء سبيلاً سبيل ذلك النكاح كقوله تعالى بئس الشراب أى ذلك الماء وثانيهما أنها كسائر الأفعال وفيها ضمير يعود إلى ما عاد إليه ضمير أنه وسبيلاً تمييز والجملة إما مستأنفة لا محل لها من الإعراب أو معطوفة على خبر كان محكية بقول مضمرة هو المعطوف في الحقيقة تقديره ومقولا في حقه ساء سبيلاً فإن السنة الأم كافة لم تزل ناطقة بذلك في الأعصار والأمصا قبل مراتب القبح ثلاث القبح الشرعى والقبح العقلى والقبح العادى وقد وصف الله تعالى هذا النكاح بكل ذلك فقوله تعالى فاحشة مرتبة قبحة العقلى وقوله تعالى ومقتاً مرتبة قبحة الشرعى وقوله تعالى وساء سبيلاً مرتبة قبحة العادى وما اجتمع فيه هذه المراتب فقد بلغ أقصى مراتب القبح (حرمت عليكم أمهاتكم وبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ) ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن وما يقصده من التمتع بهن وبيان امتناع ورود ملك النكاح عليهن وانتفاء محليتهن له رأساً وأما حرمة التمتع بهن بملك اليمين في المواد التى يتصور فيها قرار الملك كما في بعض المعطوفات على تقدير رهن فثابتة بدلالة النص لا اتحاد المدار الذى هو عدم محلية أبضاعهن لذلك لا بعبارة به شهادة سباق النظم الكريم وسياقه وإنما لم يوجب المدار المذكور امتناع ورود ملك اليمين عليهن رأساً ولا حرمة سببه الذى هو العقد أو ما يجرى مجراه كما أوجب حرمة عقد النكاح وامتناع ورود حكمه عليهن لأن مورد ملك اليمين ليس هو البضع الذى هو مورد ملك النكاح حتى يفوت بفوات محليته له كملك النكاح فإنه حيث كان مورده ذلك فات بفوات محليته له قطعاً وإنما مورده الرقبة الموجودة في كل رقيق فيتحقق بتحقيق محله حتماً ثم يزول بوقوع العتق في المواد التى سبب حرمتها محض القرابة النسبية كالمذكورات ويبقى في البواقي على حاله مستتباً لجميع

- أحكامه المقصودة منه شرعاً وأما حل الوطء فليس من تلك الأحكام فلا ضير في تخلفه عنه كما في المجوسية والأمهات تعم الجدات وإن علون والبنات تتناول بناتهن وإن سفلان والأخوات ينتظمن الأخوات من الجهات الثلاث وكذا الباقيات والعمة كل أنثى ولدها من ولد والدك والخالة كل أنثى ولدها من ولد والدتك قريباً أو بعيداً وبنات الأخ وبنات الأخت تتناول القريى والبعدى (وأمهاتكم اللاقى • أَرْضِعْنَكُمْ وَأَخْوَانَكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ) نزل الله تعالى الرضاعة منزلة النسب حتى سمي المرضعة أما للرضيع والمراضعة أختاً وكذلك زوج المرضعة أبوه وأبواه جداه وأخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم إخوته وأخواته لأبيه وأم المرضعة جدته وأختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم أخوته وأخواته لأبيه وأمه ومن ولدها من غيره فهم أخوته وأخواته لأمه ومنه قوله عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وهو حكم كللى جار على عموميه وأما أم أخيه لأب واخت ابنه لأم وأم أم ابنه وأم عمه وأم خاله لأب فليست حرمتهن من جهة النسب حتى يحل بعمومه ضرورة حلهن في صور الرضاع بل من جهة المصاهرة ألا يرى أن الأولى موطوءة أبيه والثانية بنت موطوءته والثالثة أم موطوءته والرابعة موطوءة جده الصحيح والخامسة موطوءة جده الفاسد (وأمهات نسائكم) • شروع في بيان المحرمات من جهة المصاهرة إثر بيان المحرمات من جهة الرضاعة التي لها لحة كبحمة النسب والمراد بالنساء المنكوحات على الإطلاق سواء كن مدخولاً بهن أولاً وعليه جمهور العلماء روى عن النبي ﷺ أنه قال في رجل تزوج امرأة ثم طلقها قبل أن يدخل بها أنه لا بأس بأن يتزوج ابنتها ولا يحل له أن يتزوج أمها وعن عمر وعمران بن الحصين رضى الله عنهما أن الأم تحرم بنفس العقد وعن مسروق هي مرسله فأرسلوا ما أرسل الله وعن ابن عباس أبهموا ما أبهم الله خلا أنه روى عنه وعن علي وزيد وابن عمر وابن الزبير رضى الله عنهم أنهم قرءوا وأمهات نسائكم اللاقى دخلتم بهن وعن جابر روايتان وعن سعيد بن المسيب عن زيد أنه إذا ماتت عنده فأخذ ميراثها كره أن يخلف على أمها وإذا طلقها قبل أن يدخل بها فإن شاء فعل أقام الموت في ذلك مقام الدخول كما قام مقامه في باب المهر والعدة ويلحق بهن الموطوءات بوجه من الوجوه المعدودة فيما سبق والمسوسات ونظائرهن والأمهات تعم المرضعات كما تعم الجدات حسبما ذكر (وربائبكم اللاقى في حجوركم) الربائب جمع ربيبة فعيل بمعنى مفعول والتاء • للنقل إلى الاسمىة والريبب ولد المرأة من آخر سمي به لأنه يربيه غالباً كما يرب ولده وإن لم يكن ذلك أمراً مطرداً وهو المعنى بكونهن في الحجور فإن شأنهن الغالب المعتاد أن يكن في حضنة أمهاتهن تحت حماية أزواجهن لا كونهن كذلك بالفعل وفائدة وصفهن بذلك تقوية علة الحرمة وتكملها كما أنها النكته في إيرادهن باسم الربائب دون بنات النساء فإن كونهن بصدد احتضانهم لهن وفي شرف القلب في حجورهم وتحت حمايتهم وتربيتهم مما يقوى الملازمة والشبه بينهما وبين أولادهم ويستدعى إجراءهن مجرى بناتهن لا تقييد الحرمة بكونهن في حجورهم بالفعل كما روى عن علي رضى الله عنه وبه أخذ داود ومذهب جمهور العلماء ما ذكر أولاً بخلاف ما في قوله تعالى (من نسائكم اللاقى دخلتم بهن) فإنه لتقييدها به قطعاً فإن • ٢١ - أبو السعود ج ٢ .

كلمة من متعلقة بمحذوف وقع حالا من ربائبكم أو من ضميرها المستكن في الظرف لأنه لما وقع صلة تحمل ضمير أي وربائبكم الآتي استقرار في حجوركم كائنات من نسائكم الخ ولا مساغ لجعله حالا من أمهات أو ما أضيفت هي إليه خاصة وهو بين لا ستره به ولا مع ما ذكر أو لا ضرورة أن حالته من ربائبكم أو من ضمير ما تقتضى كون كلمة من ابتدائية وحالته من أمهات أو من نسائكم تستدعى كونها بيانية وإدعاء كونها اتصالية منتظمة لمعنى الابتداء والبيان أو جعل الموصول صفة للنساء مع اختلاف عاملهما بما يجب تنزيهه ساحة التنزيل عن أمثاله مع أنه سعى في إسكات ما نطق به النبي ﷺ واتفق عليه الجمهور حسبما ذكر فيما قبل وأما ما نقل من القراءة فضعيفة الرواية وعلى تقدير الصحة محمولة على النسخ ومعنى الدخول بهن لإدخالهن الستر والباء للتعدية وهي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب

- وفي حكمه اللبس ونظائره كما مر (فإن لم تكونوا) أي فيما قبل (دخلتم بهن) أصلا (فلا جناح عليكم) أي في نكاح الربائب وهو تصريح بما أشعر به ما قبله والفاء الأولى لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن بيان حكم الدخول مستتبع لبيان حكم عدمه (وحلائل أبنائكم) أي زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحملها للزوج أو لحلولها في محله وقيل لحل كل منهما إزار صاحبه وفي حكمهن مزيئاتهم ومن يجزين مجراهن من الممسوسات ونظائره من وقوله تعالى (الذين من أصلا بكم) لإخراج الأديعاء دون أبناء الأولاد والأبناء من الرضاع فإنهم وإن سفلوا في حكم الأبناء الصلبية (وأن تجمعوا بين الأخنتين) في حيز الرفع عطفاً على ما قبله من المحرمات والمراد به جمعهم في النكاح لا في ملك اليمين وأما جمعهما في الوطء بملك اليمين فلحق به بطريق الدلالة لاتحادهما في المدار ولقوله عليه الصلاة والسلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجمعن مائه في رحم أخنتين بخلاف نفس ملك اليمين فإنه ليس في معنى النكاح في الإفضاء إلى الوطء ولا مستلزماً له ولذلك يصح شراء المجوسية دون نكاحها حتى لو وطئها لا يحل له وطء إحداها حتى يحرم عليه وطء الأخرى بسبب من الأسباب وكذا لو تزوج أخت أمته الموطوءة لا يحل له وطء إحداها حتى يحرم عليه الأخرى لأن المنكوحة موطوءة حكماً فكأنه جمعهما وطأ وإسناد الحرمة إلى جمعهما لا إلى الثانية منهما بأن يقال وأخوات نسائكم للاحتراز عن إفادة الحرمة المؤبدة كما في المحرمات السابقة ولكونه بمنزلة من الدلالة على حرمة الجمع بينهما على سبيل المعية ويشترك في هذا الحكم الجمع بين المرأة وعمتها ونظائرها فإن مدار حرمة الجمع بين الأخنتين إفضاؤه إلى قطع ما أمر الله بوصله وذلك متحقق في الجمع بين هؤلاء بل أولى فإن العمة والحالة بمنزلة الأم فقوله عليه السلام لا تنسك المرأة على عمها ولا على خالتها ولا على ابنة أخيها ولا على ابنة أختها من قبيل بيان التفسير لا بيان التغيير وقيل هو مشهور يجوز به الزيادة على الكتاب (إلا ما قد سلف) استثناء منقطع أي لكن ما قدمضي لا تؤخذون به ولا سبيل إلى جملة متصلها بقصد التأكيد والمبالغة كما مر فيما سلف لأن قوله تعالى (إن الله كان غفوراً رحيماً) تعليل لما أفاده الاستثناء فيتحتم الانقطاع وقال عطاء والسدي معناه إلا ما كان من يعقوب عليه السلام فإنه قد جمع بين ليا أم يهوذا وبين راحيل أم يوسف عليه الصلاة والسلام ولا يساعده التعليل لأن ما فعله يعقوب عليه السلام كان حلالاً في شريعته وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان أهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ
 أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً
 وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيهَا تَرْضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ ٤ النساء

تعالى إلا امرأة الأب والجمع بين الاختين وروى هشام بن عبد الله عن محمد بن الحسن أنه قال كان أهل
 الجاهلية يعرفون هذه المحرمات إلا اثنتين نكاح امرأة الأب والجمع بين الاختين ألا يرى أنه قد عقب
 النهي عن كل منهما بقوله تعالى إلا ما قد سلف وهذا يشير إلى كون الاستثناء فيهما على سنن واحد وبأباه
 اختلاف التعليلين (والمحصنات) بفتح الصاد وهن ذوات الأزواج أحصنهن الزوج أو الأزواج أو ٢٤
 الأولياء أى أعفهن عن الوقوع فى الحرام وقرىء على صيغة اسم الفاعل فإنهن أحصن فروجهن عن غير
 أزواجهن أو أحصن أزواجهن وقيل الصيغة للفاعل على القراءة الأولى أيضاً وفتح الصاد محمول على الشذوذ
 كما فى نظيره ملقح ومسهب من ألحق وأسهب قيل قد ورد الإحصان فى القرآن بإزاء أربعة معان الأول
 الزوج كما فى هذه الآية السكينة الثانى العفة كما فى قوله تعالى محصنين غير مسافحين الثالث الحرية كما فى قوله تعالى
 ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات والرابع الإسلام كما فى قوله تعالى فإذا أحصن قيل فى
 تفسيره أى أسلن وهى معطوفة على المحرمات السابقة وقوله تعالى (من النساء) متعلق بمحذوف وقع حالا
 منها أى كائنات من النساء وفائدته تأكيد كيدعموها لا يدفع توهم شمول الرجال بناء على كونها صفة الأنفس كما
 توهم (إلا ما ملكت أيمانكم) استثناء من المحصنات استثناء النوع من الجنس أى ملكتموه وإسناد الملك
 إلى الأيمان لما أن سببه الغالب هو الصفة الواقعة بها وقد اشتهر ذلك فى الأرقاء لسيافى إناثهم وهن المرادات
 ههنا رعاية للمقابلة بينه وبين ملك النكاح الوارد على الحرائر والتعبير عنهن بما إسقاطهن بما فيهن من قصور
 الرق عن رتبة العقلاء وهى إما عامة حسب عموم صلتها فلا استثناء حينئذ ليس لإخراج جميع أفرادها من
 حكم التحريم بطريق شمول النفي بل بطريق نفي الشمول المستلزم لإخراج بعضها أى حرمت عليكم المحصنات
 على الإطلاق إلا المحصنات اللاتى ملكتموهن فإنهن لسن من المحرمات على الإطلاق بل فيهن من لا يحرم
 نكاحهن فى الجملة وهن المسيبات بغير أزواجهن أو مطلقاً حسب اختلاف الرايين وإما خاصة بالمذكورات
 فالمعنى حرمت عليكم المحصنات إلا اللاتى سبين فإن نكاحهن مشروع فى الجملة أى لغير ملاكهن وأما حلمن
 لهم بحكم ملك اليمين ففهوم بدلالة النص لاتحاد المناط لا بعبارته لما عرفت من أن مساق النظم الكريم لبيان
 حرمة التمتع بالمحرمات المعدودة بحكم ملك النكاح وإنما ثبوت حرمة التمتع بهن بحكم ملك اليمين بطريق
 دلالة النص وذلك مما لا يجرى فيه الاستثناء قطعاً وأما عدهن من ذوات الأزواج مع تحقق الفرقة بينهما
 وبين أزواجهن قطعاً بالتباين أو بالسبب على اختلاف الرايين فبنى على اعتقاد الناس حيث كانوا حينئذ
 غافلين عن الفرقة ألا يرى إلى ما روى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه من أنه قال أصبنا يوم أوطاس
 سباباً لهن أزواج فكرهنا أن نقع عليهن فسالنا النبي ﷺ وفى رواية عنه قلنا يا رسول الله كيف نقع على

نساء قد عرفنا أنسابهن وأزواجهن فنزلت والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم فاستحللناهن وفي رواية أخرى عنه ونادى منادى رسول الله ﷺ ألا لا توطأ حامل حتى تضع ولا حائل حتى تحيض فأباح وطأهن بعد الاستبراء وليس في ترتيب هذا الحكم على نزول الآية الكريمة ما يدل على كونها مسوقة له فإن ذلك إنما يتوقف على إفاذتها له بوجه من وجوه الدلالة على إفاذتها بطريق العبارة أو نحوها . هذا وقد روى عن أبي سعيد رضي الله عنه أنه قال إنها نزلت في نساء كن يهاجرن إلى رسول الله ﷺ ولهن أزواج فيتزوجهن بعض المسلمين ثم يقدم أزواجهن مهاجرين فنهى عن نكاحهن فالمحصنات حينئذ عبارة عن مهاجرات يتحقق أو يتوقع من أزواجهن الإسلام والمهاجرة ولذلك لم يزل عنهن اسم الإحصان والنهي لتحریم المحقق وتعرف حال المتوقع وإلا فما عداهن بمعزل من الحرمة واستحقاق إطلاق الاسم عليهن كيف لا وحين انقطعت العلاقة بين المسبوبة وزوجها مع اتحادهما في الدين فلأن تنقطع ما بين المهاجرة وزوجها أحق وأولى كما يفصح عنه قوله عز وجل فإن علمتموهن مؤمنات فلا تزجوهن إلى الكفار لانهن حل لهن ولا هم يحلون لهن الآية (كتاب الله) مصدر مؤكد أي كتب الله (عليكم) تحريم هؤلاء كتابا وفرضه فرضا وقيل منصوب على الإغراء بفعل مضمر أي الزموا كتاب الله وعليكم متعلق إما بالمصدر وإما بمحذوف وقع حالا منه وقيل هو إغراء آخر مؤكداً قبله قد حذف مفعوله لدلالة المذكور عليه أو بنفس عليكم على رأي من جوز تقديم المنصوب في باب الإغراء كما في قوله [بأيها المأمع دولي دونكا . [أني رأيت الناس يحمدونكا] وقرئ كتب الله بالجمع والرفع أي هذه فرائض الله عليكم وقرئ كتب الله بلفظ الفعل (وأحل لكم) عطف على حرمت عليكم الخ وتوسط قوله تعالى كتاب الله عليكم بينهم .

● للبالغة في الحمل على المحافظة على المحرمات المذكورة وقرئ على صيغة المبني للفاعل فيكون معطوفاً على الفعل المقدر وقيل بل على حرمت الخ فانهما جملتان متقابلتان مؤسستان للتحريم والتحليل المنوطين بأمر الله تعالى ولا ضمير في اختلاف المسند إليه بحسب الظاهر لا سيما بعد ما أكدت الأولى بما يدل على أن المحرم هو الله تعالى (ما وراء ذلكم) إشارة إلى ما ذكر من المحرمات المعدودة أي أحل لكم نكاح ما سواهن انفراداً وجمعاً ولعل إظهار اسم الإشارة المتعرض لوصف المشار إليه وعنوانه على الضمير المتعرض للذات فقط لتذكير ما في كل واحدة منهن من العنوان الذي عليه بدور حكم الحرمة في فهم مشاركة من في معناه لهن فيها بطريق الدلالة فإن حرمة الجمع بين المرأة وعمتها وبينها وبين خالتها ليست بطريق العبارة بل بطريق الدلالة كما سلف وقيل ليس المراد بالإحلال الإحلال مطلقاً أي على جميع الأحوال حتى يرد أنه يلزم منه حل الجمع بين المرأة وعمتها وبينها وبين خالتها بل إنما هو لإحلالهن في الجملة أي على بعض الأحوال ولا ريب في حل نكاحهن بطريق الإنفراد ولا يقدح في ذلك حرمة بطريق الجمع ألا يرى أن حرمة نكاح المعتدة المطلقة ثلاثاً والخامسة ونكاح الأمة على الحرمة ونكاح الملاعنة لا يقدح في حل نكاحهن بعد العدة وبعد التحليل وبعد تطليق الرابعة وانقضاء العدة وبعد تطليق الحرمة وبعد كذاب الملاعن نفسه وأنت خير بأن الحل يجب أن يتعلق ههنا بما يتعلق به الحرمة فيما سلف وقد

● يتعلق ههنا بالجمع فلا بد أن يتعلق الحل ههنا به أيضاً (أن تبتغوا) متعلق بالفعل المذكورين على أنه

- مفعول له لكن لا باعتبار ذاتهما بل باعتبار بيانهما وإظهارهما أى بين لكم تحريم المحرمات المعدودة وإحلال ما سواهن إرادة أن تبتغوا بأموالكم والمفعول محذوف أى تبتغوا النساء أو متروك أى تفعلوا
- الابتغاء (بأموالكم) بصرفها إلى مهورهن أو بدل اشتغال مما وراء ذلكم بتقدير ضمير المفعول (محصنين)
- حال من فاعل تبتغوا والإحصان العفة وتحصين النفس عن الوقوع فيما يوجب اللوم والعقاب (غير مسالخين) حال ثانية منه أو حال من الضمير في محصنين والسفاح الزنا والفجور من السفح الذى هو صب المني سمي به لأنه الغرض منه ومفعول الفعلين محذوف أى محصنين فروجكم غير مسالخين الزواني
- وهى فى الحقيقة حال مؤكدة لأن المحصن غير مسافح البتة ومافى قوله تعالى (فما استمتعتم به منهن) إما عبارة عن النساء أو عما يتعلق بهن من الأفعال وعلى التقديرين ففى إما شرطية ما بعدها شرطها وإما موصولة ما بعدها صلتها وأياً ما كان ففى مبتدأ خبرها على تقدير كونها شرطية إما فعل الشرط أو جوابه أو كلاهما على الخلاف المعروف وعلى تقدير كونها موصولة قوله تعالى (فأتوهن أجورهن) والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط ثم على تقدير كونها عبارة عن النساء فالعائد إلى المبتدأ هو الضمير المنصوب فى فأتوهن سواء كانت شرطية أو موصولة ومن بيانية أو تبعيضية محملاً للنصب على الحالية من الضمير المجرور فى به والمعنى فأتى فرد استمتعتم به أو فالفرد الذى استمتعتم به حال كونه من جنس النساء أو بعضهن فأتوهن أجورهن وقد روى تارة جانب اللفظ فأفرد الضمير أولاً وأخرى جانب المعنى لجمع ثانياً وثالثاً وأما على تقدير كونها عبارة عما يتعلق بهن فمن ابتدائية متعلقة بالاستمتاع والعائد إلى المبتدأ محذوف والمعنى أى فعل استمتعتم به من جهتهن من نكاح أو خلوة أو نحوهما أو فالفعل الذى استمتعتم به من قبلهن من الأفعال المذكورة فأتوهن أجورهن لأجله أو بمقابلته والمراد بالأجور المهور
- فإنها أجور أبضاعهن (فريضة) حال من الأجور بمعنى مفروضة أو نعت لمصدر محذوف أى إيتاء مفروضاً أو مصدر مؤكد أى فرض ذلك فريضة أى لهن عليكم (ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به) أى لا إثم عليكم فيما تراضيتن به من الحط عن المهر أو الإبراء منه على طريقة قوله تعالى فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه إثر قوله تعالى وآتوا النساء صدقاتهن وقوله تعالى إلا أن يعفون وتعميمه للزيادة على المسمى لا يساعده رفع الجناح عن الرجال لأنها ليست مظنة الجناح إلا أن يجعل الخطاب للأزواج تغليبا فإن أخذ الزيادة على المسمى مظنة الجناح على الزوجة وقيل فيما تراضيتن به من نفقة ونحوها وقيل من مقام أو فراق ولا يساعده قوله تعالى (من بعد الفريضة) إذ لا تعلق لهما بالفريضة إلا أن يكون الفراق بطريق المخالعة وقيل نزلت فى المتعة التى هى النكاح إلى وقت معلوم من يوم أو أكثر سميت بذلك لأن الغرض منها مجرد الاستمتاع بالمرأة واستمتاعها بما يعطى وقد أبيضت ثلاثة أيام حين فتحت مكة شرفها الله تعالى ثم نسخت لما روى أنه عليه السلام أباحها ثم أصبح يقول يا أيها الناس إني كنت أمرتكم بالاستمتاع من هذه النساء إلا إن الله حرم ذلك إلى يوم القيامة وقيل أبيض مرتين وحرم مرتين وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه رجع عن القول بجوازه عند موته وقال اللهم إني أتوب إليك من قولى بالمتعة وقولى فى الصرف (إن الله كان عليماً) بمصالح العباد (حكياً) فيما شرع لهم من الأحكام ولذلك شرع لكم هذه الأحكام اللانفقة بحالكم

وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْنَتِكُمُ
 الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ
 بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَفَّحَاتٍ وَلَا مُتَّخَذَاتٍ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَيْنَ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَحِشَةٍ
 فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا
 خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٥﴾

٤ النساء

- ٢٥ (ومن لم يستطع منكم) من إما شرطية ما بعدها شرطها أو موصولة ما بعدها صلتها والظرف متعلق
 ● بمحذوف وقع حالا من فاعل يستطع أى حال كونه منكم وقوله تعالى (طولا) أو غنى وسعة أى اعتلاء
 ● ونىلا وأصله الزيادة والفضل مفعول ليستطع . وقوله عز وجل (أن ينكح المحصنات المؤمنات) إما
 مفعول صريح لطولا فإن أعمال المصدر المنون شائع ذائع كما في قوله تعالى أو إطعام في يوم ذى مسغبة يتقيا
 ذا مقربة كأنه قيل ومن لم يستطع منكم أن ينال نكاحهن وإما بتقدير حرف الجر أى ومن لم يستطع منكم
 غنى إلى نكاحهن أو لنكاحهن فالجار في محل النصب صفة لطولا أى طولا موصلا إليه أو كائن له أو على
 نكاحهن على أن الطول بمعنى القدرة فى القاموس الطول والطائل والطائلة الفضل والقدرة والغنى والسعة
 ومحل أن بعد حذف الجار نصب عند سيبويه والفراء وجر عند الكسائى والآخرش وإما بدل من طولا
 لأن الطول فضل والنكاح قدرة وإما مفعول ليستطع وطولا مصدر مؤكد له لأنه بمعناه إذا استطاعة
 هى الطول أو تمييز أى ومن لم يستطع منكم نكاحهن استطاعة أو من جهة الطول والغنى أى لا من جهة
 الطبيعة والمزاج فإن عدم الاستطاعة من تلك الجهة لا تعلق له بالمقام والمراد بالمحصنات الحرائر بدليل
 مقابلتهن بالملوكات فإن حريتهن أحصتهن عن ذل الرق والابتذال وغيرهما من صفات القصور والنقصان
 ● وقوله عز وجل (فما ملكت أيمانكم) إما جواب للشرط أو خبر للموصول والفاء لتضمنه معنى الشرط
 والجار متعلق بفعل مقدر حذف مفعوله وما موصولة أى فلينكح امرأة أو أمة من النوع الذى ملكته
 أيمانكم وهو فى الحقيقة متعلق بمحذوف وقع صفة لذلك المفعول المحذوف ومن تبعية أى فلينكح
 امرأة كائنه من ذلك النوع وقيل من زائدة والموصول مفعول للفعل المقدر أى فلينكح ما ملكته أيمانكم
 ● وقوله تعالى (من فتياتكم المؤمنات) فى محل النصب على الحالية من الضمير المقدر فى ملكت الراجع
 إلى ما وقيل هو المفعول للفعل المقدر على زيادة من وما ملكت متعلق بنفس الفعل ومن لا ابتداء الغاية أو
 بمحذوف وقع حالا من فتياتكم ومن للتبعية أى فلينكح فتياتكم كائنات بعض ما ملكت أيمانكم
 والمؤمنات صفة لفتياتكم على كل تقدير وقيل هو المفعول للفعل المقدر وما ملكت على ما تقدم آنفاً
 ومن فتياتكم حال من العائد المحذوف وظاهر النظم الكريم يفيد عدم جواز نكاح الأمة للمستطيع كما
 ذهب إليه الشافعى رحمه الله تعالى وعدم جواز نكاح الأمة الكتابية أصلاً كما هو رأى أهل الحجاز
 وقد جوزها أبو حنيفة رحمه الله تعالى متمسكا بالعمومات فحمل الشرط والوصف هو الأفضلية ولا

- نزاع فيها لأحد وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال وبما وسع الله على هذه الأمة نكاح
- الأمة واليهودية والنصرانية وإن كان موسراً وقوله تعالى (والله أعلم بآيمانكم) جملة معترضة جىء بها لتأنيسهم بنكاح الإماء واستتزالهم من رتبة الاستنكاف منه ببيان أن مناط التفاضل ومدار التفاخر هو الإيمان دون الأَحساب والأَنْساب على ما نطق به قوله عز قائلها يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم والمعنى أنه تعالى أعلم منكم بمراتبكم في الإيمان الذى به تنتظم أحوال العباد وعليه يدور فلك المصالح فى المعاش والمعاد ولا تعلق له بخصوص الحرية والرق فرب أمة يفوق إيمانها إيمان الحرائر وقوله تعالى (بعضكم من بعض) إن أريد به الاتصال من حيث الدين فهو بيان لتناسبهم من تلك الحيثية لإثبات بيان تفاوتهم فى ذلك وإن أريد به الاتصال من حيث النسب فهو اعتراض آخر مؤكداً للتأنيس من جهة أخرى والخطاب فى الموضعين إما لمن كفى الخطاب الذى يعقبه قد روى فيما سبق جانب اللفظ وهما جانب المعنى والاتفات للاهتمام بالترغيب والتأنيس وإما لغيرهم من المسلمين كالخطابات السابقة لحصول الترغيب بخطابهم أيضاً وأياما كان لإعادة الأمر بالنكاح على وجه الخطاب فى قوله تعالى (فانكحوهن) مع انقضاءه من قوله تعالى فيما ملكت أيمانكم حسبما ذكر لزيادة الترغيب فى نكاحهن وتقبيده بقوله تعالى (بإذن أهلن) وتصديره بالفاء للإبذان بترتبته على ما قبله أى وإذ قد وقفتم على جليلة الأمر فانكحوهن بإذن مواليهن ولا تترفعوا عنهن وفى اشتراط إذن الموالى دون مباشرتهم للعقد إشعار بجواز مباشرتهن له (وآتوهن أجورهن) أى مهورهن (بالمعروف) متعلق بآتوهن أى أدوا إليهن مهورهن بغير مظل وضرار وإلجاء إلى الاقتضاء واللزحسبما يقتضيه الشرع والعادة ومن ضرورته أن يكون الأداء إليهن بإذن الموالى فيكون ذكر إيتائهن لبيان جواز الأداء إليهن لا لكون المهور لهن وقيل أصله آتوا مواليهن فحذف المضاف وأوصل الفعل إلى المضاف إليه (محصنات) حال من مفعول فانكحوهن أى حال كونهن عفائف عن الزنا (غير مسالحات) حال مؤكدة أى غير مجاهرات به (ولا متخذات أخدان) عطف على مسالحات ولا لتأكيد ما فى غير من معنى النفي الخدن الصاحب قال أبو زيد الأخدان الأصدقاء على الفاحشة والواحد خدن وخدين والجمع للمقابلة بالانقسام على معنى أن لا يكون لواحدة منهن خدن لا على معنى أن لا يكون لها أخدان أى غير مجاهرات بالزنا ولا مسرات له وكان الزنا فى الجاهلية منقسماً إلى هذين القسمين (فإذا أحصن) أى بالتزويج وقرىء على البناء للفاعل أى أحصن فزوجهن أو أزواجهن (فإن أتبن بفاحشة) أى فعلن فاحشة وهى الزنا (فعليهن) فتابت عليهن شرعاً (نصف ما على المحصنات) أى الحرائر الأبكار (من العذاب) من الحد الذى هو جلد مائة فنصفه خمسون كما هو كذلك قبل الإحصان فالمراد بيان عدم تفاوت حدهن بالإحصان كتفاوت حد الحرائر فالقاء فى فإن أتبن جواب إذا والثانية جواب أن والشرط الثانى مع جوابه مترتب على وجود الأول كما فى قولك إذا أتيتنى فإن لم أكرمك فعبدى حر (ذلك) أى نكاح الإماء (لمن خشى العنت منكم) أى لمن خاف وقوعه فى الإثم الذى تودى إليه غلبة الشهوة وأصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر يعترى الإنسان بعد

يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ النساء

صلاح حاله ولا ضرر أعظم من موقعة المآثم بارتكاب الفحش القباح وقيل أريد به الحد لأنه إذا هويها يخشى أن يواقعها فيحد والأول هو اللائق بحال المؤمن دون الثاني لإيهامه أن المحذور عنده الحد لا ما يوجب (وأن تصبروا) أى عن نكاحن متعفين كافين انفسكم عما تشتميه من المعاصي (خير لكم) من نكاحن وإن سبقت كلمة الرخصة فيه لما فيه من تعريض الولد للرق قال عمر رضى الله عنه أيما حر تزوج بأمة فقد أرق نصفه وقال سعيد بن جبير ما نكاح الأمة من الزنا إلا قريب ولأن حق المولى فيها أقوى فلا يتخلص للزوج خلوص الحرائر ولأن المولى يقدر على استخدامها كيفما يريد في السفر والحضر وعلى بيعها للحاضر والبادى وفيه من اختلال حال الزوج وأولاده ما لا مزيد عليه ولأنها متهنة مبتدلة خراجة ولاجة وذلك كله ذل ومهانة سارية إلى الناكح والعزة هي اللائقة بالمؤمنين ولأن مهرها ما ولاها فلا تقدر على التمتع به ولا على هبته للزوج فلا ينظم أمر المنزل وقد قال ﷺ الحرائر صلاح البيت والإماء هلاك البيت (والله غفور) مبالغ في المغفرة فيغفر لمن لم يصبر عن نكاحن ما في ذلك من الأمور المنافية لحال المؤمنين (رحيم) مبالغ في الرحمة ولذلك رخص لكم في نكاحن (يريد الله ليبين لكم) استئناف مسوق لتقرير ما سبق من الأحكام وبيان كونها جارية على مناهج الممتدين من الأنبياء والصالحين قيل أصل النظم الكريم يريد الله أن يبين لكم فزادت اللام لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للإرادة ومفعول يبين محذوف ثقة بشهادة السباق والسياق أى يريد الله أن يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم وأفاضل أعمالكم أو ما تعبدكم به من الحلال والحرام وقيل مفعول يريد محذوف تقديره يريد الله تشريع ما شرع من التحريم والتحليل لأجل التبيين لكم وهذا مذهب البصريين ويعزى إلى سيبويه وقيل إن اللام بنفسها ناصبة للفعل من غير إضمار أن وهى وما بعدها مفعول للفعل المتقدم فإن اللام قد تقام مقام أن في فعل الإرادة والأمر فيقال أردت لاذهب وأن أذهب وأمرت أن تقوم وأن تقوم قال تعالى يريدون ليطفئوا نور الله وفي موضع يريدون أن يطفئوا وقال تعالى وأمرنا لنسلم وفي موضع وأمرت أن أسلم وفي آخر وأمرت لأعدل بينكم أى أن أعدل بينكم وهذا مذهب الكوفيين ومنعه البصريون وقالوا إن وظيفة اللام هي الجرو والنصب فيما قالوا بإضمار أن أى أمرنا بما أمرنا لنسلم ويريدون ما يريدون ليطفئوا وقيل يؤول الفعل الذى قبل اللام بمصدر مرفوع بالا ابتداء ويجعل ما بعده خبرا له كما في تسمع بالمعيدي خير من أن تراه أى أن تسمع به ويعزى هذا الرأي إلى بعض البصريين (ويهديكم سنن الذين من قبلكم) من الأنبياء والصالحين لتقتدوا بهم (ويتوب عليكم) إذا تبتم إليه تعالى عما يقع منكم من التقصير والتفريط في مراعاة ما كلفتموه من الشرائع فإن المكلف قلما يخلو من تقصير يستدعى تلافيه بالتوبة ويغفر لكم ذنوبكم أو يرشدكم إلى ما يردعكم عن المعاصي ويحكمكم على التوبة أو إلى ما يكون كفارة لسيناتكم وليس الخطاب لجميع المكلفين حتى يتخلف مراده تعالى عن إرادته فيمن لم يتب منهم بل لطائفة معينة حصلت لهم هذه التوبة (والله عليم) مبالغ في العلم بالأشياء التي من جملتها

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ ٤ النساء

يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ٤. النساء

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ٤ النساء

- ما شرع لكم من الأحكام (حكيم) مراعى في جميع أفعاله الحكمة والمصلحة (والله يريد أن يتوب عليكم) ٢٧ جملة مبتدأة مسوقة لبيان كمال منفعة ما أَراده الله تعالى وكال مضررة ما يريد الفجرة لا لبيان إرادته تعالى لتوبته عليهم حتى يكون من باب التكرير للتقرير ولذلك غير الأسلوب إلى الجملة الاسمية دلالة على دوام الإرادة ولم يفعل ذلك في قوله تعالى (ويريد الذين يتبعون الشهوات) للإشارة إلى الحدوث وللإيماء إلى كمال المباينة بين مضموني الجملتين كما مر في قوله تعالى : الله ولى الذين آمنوا الآية والمراد بمتبعي الشهوات الفجرة فإن اتباعها الاتمار بها وأما المتعاطى لما سوغه الشرع من المشتبهات دون غيره فهو متبع له لهما وقيل هم اليهود والنصارى وقيل هم المجوس حيث كانوا يحلون الأخوات من الأب وبنات الأخ وبنات الأخت فلما حرمهن الله تعالى قالوا فإنكم تحلون بنت الخالة وبنت العمّة مع أن العمّة والخالة عليكم حرام فانكحوا بنات الأخ والأخت فزلت (أن تميلوا) عن الحق بموافقتهن على اتباع الشهوات ● واستحلال المحرمات وتكونوا زناة مثلهم وقرىء بالياء التحتانية والضمير للذين يتبعون الشهوات (ميلاً عظيمًا) أى بالنسبة إلى ميل من اقتراف خطيئة على ندرة بلا استحلال (يريد الله أن يخفف عنكم) بما ٢٨ مر من الرخص ما في عهدكم من مشاق التكالييف والجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب (وخلق الإنسان ضعيفاً) عاجزاً عن مخالفة هواه غير قادر على مقابلة دواعيه وقواه حيث لا يصبر عن اتباع الشهوات ولا يستخدم قواه في مشاق الطاعات وعن الحسن أن المراد ضعف الحلقة ولا يساعده المقام فإن الجملة اعتراض تذييلي مسوق لتقرير ما قبله من التخفيف بالرخصة في نكاح الإماء وليس لضعف البنية مدخل في ذلك وإنما الذى يتعلق به التخفيف فى العبادات الشاقة وقيل المراد به ضعفه فى أمر النساء خاصة حيث لا يصبر عنهن وعن سعيد بن المسيب ما أيس الشيطان من بنى آدم قط إلا أتاها من قبل النساء فقد أتى على ثمانون سنة وذهبت إحدى عيني وأنا أعشوا بالآخرى وإن أخوف ما أخاف على فتنه النساء وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما وخلق الإنسان على البناء للفاعل والضمير لله عز وجل وعنه رضى الله عنه ثمانى آيات فى سورة النساء هن خير لهذه الأمة بما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليعين لكم والله يريد أن يتوب عليكم يريد الله أن يخفف عنكم إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عَدُوًّا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ٤ النساء

- ينسبكم بالباطل) شروع في بيان بعض الحرمات المتعلقة بالأموال والأنفس إثر بيان الحرمات المتعلقة بالآبضاع وتصدير الخطاب بالنداء والتنبية لإظهار كمال العناية بمضمونه والمراد بالباطل ما يخالف الشرع كالغصب والسرقة والخيانة والقمار وعقود الربا وغير ذلك مما لم يبيحه الشرع أى لا يأكل بعضكم أموال بعض بغير طريق شرعى (إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) استثناء منقطع وعن متعلقة بمحذوف وقع صفة لتجارة أى إلا أن تكون التجارة صادرة عن تراض كما في قوله [إذا كان يوماً ماذا كواكب أشنعاً] أى إذا كان اليوم يوماً ما الخ أو إلا أن تكون الأموال أموال أموال تجارة وقرىء تجارة بالرفع على أن كان تامة أى ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض أى وقوعها أو ولكن وجود تجارة عن تراض غير منهى عنه وتخصيصها بالذكر من بيان سائر أسباب الملك لكونها معظمها وأغلبها وقوعا وأوقعها لذوى المروءات والمراد بالتراضى مرضاة المتبايعين فيما تعاقدا عليه في حال المبايعة وقت الإيجاب والقبول عندنا وعند الشافعى رحمه الله حالة الاقتراق عن مجلس العقد (ولا تقتلوا أنفسكم) أى من كان من جنسكم من المؤمنين فإن كلهم كنفس واحدة وعن الحسن لا تقتلوا إخوانكم والتعبير عنهم بالأنفس للبالغة في الزجر عن قتلهم بتصويره بصورة ما لا يكاد يفعله عاقل أو لا تهلكوا أنفسكم بتعريضها للعقاب باقتراف ما يفضى إليه فإنه القتل الحقيقى لها كما يشعر به إيراد عقيب النهى عن أكل الحرام فيكون مقررراً للنهى السابق وقيل لا تقتلوا أنفسكم بالبخع كما يفعله بعض الجملية أو بارتكاب ما يؤدى إلى القتل من الجنايات وقيل يالقاتها في التهلكة وأيد بما روى عن عمرو بن العاص أنه تأوله بالتيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبى ﷺ وقرىء ولا تقتلوا بالتشديد للتكثير وقد جمع في التوضيعة بين حفظ النفس وحفظ المال لما أنه شقيقها من حيث أنه سبب لقوامها وتحصيل كمالها واستيفاء فضائلها وتقديم النهى عن التعرض له لكثرة وقوعه (إن الله كان بكم رحيمًا) تعليل للنهى بطريق الاستئناف أى مبالغاً في الرحمة والراقة ولذلك نهاكم عما نهى فإن في ذلك رحمة عظيمة لكم بالزجر عن المعاصى وللذين هم في معرض التعرض لهم بحفظ أموالهم وأنفسهم وقيل معناه إنه كان بكم يا أمة محمد رحيمًا حيث أمر بنى إسرائيل بقتلهم أنفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصاً لخطاياهم ولم يكفكم تلك التكاليف الشاقة (ومن يفعل ذلك) إشارة إلى القتل خاصة أو لما قبله من أكل الأموال وما فيه من معنى البعد للإيدان ببعد منزلتهما في الفساد (عدواناً وظلماً) أى إفراطاً) في التجاوز عن الحد وإتياناً بما لا يستحقه وقيل أريد بالعدوان التعدى على الغير وبالظلم الظلم على النفس بتعريضها للعقاب ومحلبها النصب على الحالالية أو على العلية أى معتدياً وظالماً أو للعدوان والظلم وقرىء عدواناً بكسر العين (فسوف نصليه) جواب للشرط أى ندخله وقرىء بالتشديد من صلى وافتتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله تعالى ولذلك من حيث إنه سبب للصلى (ناراً) أى ناراً مخصوصة هائلة شديدة العذاب (وكان ذلك) أى لإصلاؤه النار (على الله يسيراً) لتحقيق الداعى وعدم التصارف وإظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة وتأكيد استقلال الاعتراض التذييل

إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ٤ النساء
وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا
اَكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ ٤ النساء

- (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) أي كبائر الذنوب التي نهاكم الشرع عنها ما ذكر ههنا وما لم يذكر وقرئ ٣١
- كبير على إرادة الجنس (نكفر عنكم) بنون العظيمة على طريقة الالتفات وقرئ بالياء بالإسناد إليه ●
- تعالى والتكفير إمالة المستحق من العقاب ثواب أزيد أو بتوبة أي تغفر لكم (سيئاتكم) صفاتكم ونعمها ●
- عنكم . قال المفسرون الصلاة إلى الجمعة والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن من الصغائر إذا اجتنب الكبائر واختلف في الكبائر والأقرب أن الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه الحد أو صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمة بقاطع وعن النبي ﷺ أنها سبع الإشراف بالله تعالى وقتل النفس التي حرمها الله تعالى وقذف المحصنات وأكل مال اليتيم والربا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن علي رضي الله عنه التعقب بعد الهجرة مكان عقوق الوالدين وزاد ابن عمر رضي الله عنهما السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا قال له الكبائر سبع قال هي إلى سبع مائة أقرب منها إلى سبع وروى عنه إلى سبعين إذ لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وقيل أريد به أنواع الشرك لقوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقيل صغر الذنوب وكبرها بالإضافة إلى ما فوقها وما تحتها وبحسب فاعلمها بل بحسب الأوقات والأماكن أيضاً فأكبر الكبائر الشرك وأصغر الصغائر حديث النفس وما بينهما وسأيط يصدق عليه الأمران فن عن له أمران منها ودعت نفسه إليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن أكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق على اجتناب الأكبر من الثواب (وندخلكم مدخلا) بضم الميم اسم مكان هو الجنة (كراماً) أي حسناً مرضياً أو مصدر ميمي أي ادخالا مع كرامة وقرئ بفتح الميم وهو أيضاً يحتمل المكان والمصدر ونصبه على الثاني بفعل مقدر مطارع للذكور أي ندخلكم فتدخلون مدخلا أو دخولا كريماً كما في قوله [وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع . من المال إلا مسحت أو مجلف] أي لم تدع فلم يبق إلا مسحت الخ (ولا تتمنوا ٣٢ ما فضل الله به بعضكم على بعض) أي عليكم ولعل إشاراً إليهم عليه للتفادي عن المواجهة بما يشق عليهم . قال القفال لما نهاهم الله تعالى عن أكل أموال الناس بالباطل وقتل الأنفس عقبه بالنهي عما يؤدي إليه من الطمع في أموالهم وتمنيها وقيل نهاهم أولاً عن التعرض لأموالهم بالجوارح ثم عن التعرض لها بالقلب على سبيل الحسد لتطهير أعمالهم الظاهرة والباطنة فالمعنى لا تتمنوا ما أعطاه الله تعالى بعضكم من الأمور الدنيوية كالجاه والمال وغير ذلك مما يجري فيه التنافس دونكم فإن ذلك قسمة من الله تعالى صادرة عن تدبير لا تق باحوال العباد مترتب على الإحاطة بجلال شئونهم ودقائقها فعلى كل أحد من المفضل عليهم أن يرضى بما قسم الله له ولا يتمنى حظ المفضل ولا يحسده عليه لما أنه معارضة لحكم القدر المؤسس على

وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِيَّ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَنُكَ فَأَتَوْهُم نَصِيبُهُمْ إِنَّ
 اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

٤ النساء

الحكم البالغة لا لأن عدمه خير له ولا لأنه لو كان خلافه لكان مفسدة له كما قيل إذ لا يساعده ماسياتي
 من الأمر بالسؤال من فضله تعالى فإنه ناطق بأن المنهى عنه تمنى نصيب الغير لا تمنى ما زاد على نصيبه مطلقاً
 هذا وقد قيل لما جعل الله تعالى في الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين قالت النساء نحن أحوج أن يكون
 لنا سهمان وللرجال سهم واحد لا ناضع معافاهم أقرباء وأقدر على طلب المعاش منا فزلت وهذا هو الأنسب
 بتعليل النهي بقوله عز وجل (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) فإنه صريح في جريان
 التمثيل بين فريق الرجال والنساء ولعل صيغة المذكر في النهي لما عبر عنهن بالبعض والمعنى لكل من الفريقين
 في الميراث نصيب معين المقدار مما أصابه بحسب استعدادة وقد عبر عنه بالاكْتِسَابِ على طريقة الاستعارة
 التبعية للمبنية على تشبيه اقتضاء حاله لنصيبه باكتسابه إياه تأكيداً لاستحقاق كل منهما لنصيبه وتقوية
 لاختصاصه به بحيث لا يتخطاه إلى غيره فإن ذلك مما يوجب الانتهاء عن التمثيل المذكور وقوله تعالى (واسألوا
 الله من فضله) عطف على النهي وتوسط التعليل بينهما لتقرير الانتهاء مع ما فيه من الترغيب في الامتثال
 بالأمر كأنه قيل لا تمنوا ما يختص بغيركم من نصيبه المكتسب له واسألوا الله تعالى من خزائن نعمه التي
 لا تفادها وحذف المفعول الثاني للتعميم أي واسألوه ما تريدون فإنه تعالى يعطيه كره أو لكونه معلوماً
 من السياق أي واسألوه مثله وقيل من زائدة والتقدير واسألوه فضله وقد جاء في الحديث لا يتمنين
 أحدكم مال أخيه ولكن ليقول اللهم ارزقني مثله وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله
 ﷺ قال سلوا الله من فضله فإنه يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج وحمل النصيب على الأجر
 الآخرى وإبقاء الاكتساب على حقيقته يجعل سبب النزول ماروى أن أم سلمة رضي الله عنها قالت
 ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الأجر مثل ما لهم على أن المعنى لكل من
 الفريقين نصيب خاص به من الأجر مترتب على عمله فللرجال أجر بمقابلة ما يليق بهم من الأعمال كالجهاد
 ونحوه وللنساء أجر بمقابلة ما يليق بهن من الأعمال كحفظ حقوق الأزواج ونحوه فلا تمنى النساء خصوصية
 أجر الرجال وليسألن من خزائن رحمته تعالى ما يليق بهن من الأجر لا يساعده سياق النظم الكريم المتعلق
 بالموارث وفضائل الرجال (إن الله كان بكل شيء عليماً) ولذلك جعل الناس على طبقات ورفع بعضهم
 على بعض درجات حسب مراتب استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشيئة المبنية على الحكم الآتية
 (ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون) جملة مبتدأة مقررة لمضمون ما قبلها ولكل مفعول
 ثان لجعلنا قدم عليه لتأكيد الشمول ودفع توهم تعلق الجهل بالبعض دون البعض كما في قوله تعالى لكل
 جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً أي ولكل تركه جعلنا ورثة متفاوتة في الدرجة يلونها ويمحزون منها أنصباهم
 بحسب استحقاقهم المنوط بما بينهم وبين المورث من العلاقة وما ترك بيان لكل قد فصل بينهما بما عمل فيه

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَصْلَحَ تَقَاتُلُكُمْ حَفِظْتُ لَكُمْ لِكَيْ لَا تَحْفَظُوا أَنْفُسَكُمْ تَخَافُونَ نُسُوزَهُمْ فَعِظُوهُمْ وَاجْهَرُوا فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضَرُّوهُمْ فَإِنْ أَطَعْتُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِمْ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ٤ النساء

- كافصل في قوله تعالى قل أغير الله اتخذوليا فاطر السموات والأرض بين لفظ الجلالة وبين صفته بالعامل فيما أضيف إليه أعني غير أو لكل قوم جعلناهم موالى أى ورثا أنصيب معينه غير أنصيب قوم آخرين بما ترك الوالدان والأقربون على أن جعلنا موالى صفة لكل والضمير الراجع إليه محذوف والكلام مبتدأ وخبر على طريقة قولك لكل من خلقه الله إنسانا من رزق الله أى حظ منه وأما ما قيل من أن المعنى لكل أحد جعلنا موالى بما ترك أى ورثا منه على أن من صلة موالى لأنه فى معنى الوارث وفى ترك ضمير مستكن عائد إلى كل وقوله تعالى الوالدان والأقربون استئناف مفسر للموالى كأنه قيل من هم فقيل الوالدان الخ فقيه تفكيك للنظم الكريم لأن بيان الموالى بما ذكر يفوت الإبهام المصحح لا اعتبار النفاوت بينهم وبه يتحقق الانتظام كما أشير إليه فى تقرير الوجهين الأولين مع ما فيه من خروج الأولاد من الموالى إذ لا يتناولهم الأقربون كما لا يتناول الوالدين (والذين عقدت أيمانكم) هم موالى الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله تعالى وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض وعند أبى حنيفة رحمه الله إذا أسلم رجل على يد رجل وتعاقدوا على أن يرثه ويعقل عنه صح وعليه عقله وله إرثه إن لم يكن له وارث أصلا وإسناد العقد إلى الإيمان لأن المعتاد هو المباشرة بها عند العقد والمعنى عقدت أيمانكم عهودهم لحذف العهود وأقيم المضاف إليه مقامه وقرئ عقدت بالتشديد وعقدت بمعنى عاهدتهم أيمانكم وما ستموه وهو مبتدأ مضمن لمعنى الشرط ولذلك صدر الخبر أعنى قوله تعالى (فأتوهم نصيبهم) بالفاء أو منصوب بمضمير يفسره ما بعده كقولك زيد أفاضه أو مرفوع معطوف على الوالدان والأقربون وقوله تعالى فأتوهم الخ جملة مبنية للجملة قبلها ومؤكدة لها والضمير للوالى (إن الله كان على كل شىء) ● من الأشياء التى من جملتها الإنباء والمنع (شهادة) فقيه وعد ووعيد/ (الرجال قوامون على النساء) كلام ٣٤ مستأنف مسوق لبيان سبب استحقات الرجال الزيادة فى الميراث تفصيلا لإثر بيان تفاوت استحقاتهم إجمالا وإيراد الجملة اسمية والخبر على صيغة المبالغة للإبذان بعراقهم فى الاتصاف بما أسند إليهم ورسوخهم فيه أى شأنهم القيام عليهم بالأمر والنهى قيام الولاية على الرعية وعلل ذلك بأمرين وهى وكسبى فقيل (بما فضل الله بعضهم على بعض) الباء سببية متعلقة بقوامون أو بمحذوف وقع حالا من ضميره وما مصدرية والضمير البارز لكلا الفريقين تغليباً أى قوامون عليهم بسبب تفضيل الله تعالى إياهم عليهم أو ملتبسين بتفضيله تعالى الخ ووضع البعض موضع الضميرين للإشعار بغاية ظهور الأمر وعدم الحاجة إلى التصريح بالمفضل والمفضل عليه أصلا ولمثل ذلك لم يصرح بما به التفضيل من صفات كاله التى هى كمال العقل وحسن التدبير ورزانة الرأى ومزبد القوة فى الأعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والإمامة والولاية وإقامة الشعائر والشهادة فى جميع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة وغير ذلك (وبما) ●

وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ، وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾

٤ النساء

- أنفقوا من أموالهم الباء متعلقة بما تعلقت به الأولى وما مصدرية أو موصولة حذف عائدها من الصلة ومن تبعيضية أو ابتدائية متعلقة بأنفقوا أو بمحذوف وقع حالاً من العائد المحذوف أى وبسبب إيفاقهم من أموالهم أو بسبب ما أنفقوه من أموالهم أو كانتاً من أموالهم وهو ما أنفقوه من المهر والنفقة روى أن سعد ابن الربيع أحد نقباء الأنصار رضى الله عنهم نشرزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير فلطمها فانطلق بها أبوها إلى رسول الله ﷺ وشكا فقال عليه السلام لتقتص منه فنزلت فقال عليه السلام أردنا أمراً
- وأراد الله أمراً والذي أراده الله خير (فالصالحات) شروع في تفصيل أحوالهن وبيان كيفية القيام عليهن
- بحسب اختلاف أحوالهن أى فالصالحات منهن (قانتات) أى مطيعات لله تعالى قائمات بحقوق الأزواج
- (حافظات للغيب) أى ما وجب الغيب أى لما يجب عليهن حفظه في حال غيبة الأزواج من الفروج والأموال
- عن النبي ﷺ خير النساء امرأة إن نظرت إليها سرتك وإن أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظك في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل لأسرارهم وإضافة المال إليها للإشعار بأن ماله في حق التصرف في حكم مالها
- كما في قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم الآية (بما حفظ الله) ما مصدرية أى بحفظه تعالى إياهن بالأمر بحفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له أو موصولة أى بالذى حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرىء بما حفظ الله بالنصب على حذف المضاف أى بالأمر الذى حفظ حق الله تعالى وطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال (واللاتى تخافون نشوزهن) خطاب الأزواج وإرشاد لهم إلى طريق القيام عليهن والخوف حالة تحصل في القلب عند حدوث أمر مكروه أو عند الظن أو العلم بحدوثه وقد يراد به أحدهما أى تظنون عصيانهن وترفعن عن مطاوعتهن من الذنوه وهو المرتفع من الأرض (فمنظوهن) فأنصحوهن بالترغيب والترهيب (واجرهوهن) بعد ذلك إن لم ينفع الوعظ والنصيحة (في المضاجع) أى فى المراقدة فلا تدخلوهن تحت اللحف ولا تباشروهن فيكون كناية عن الجمع وقيل المضاجع المبايت أى لا تبايتوهن وقرىء فى المضجع وفى المضطجع (واضربوهن) إن لم ينجح ما فعلتم من العظة والهجرا ن ضرباً غير مبرح ولا شائن (فإن أطعنكم) بذلك كما هو الظاهر لأنه منتهى ما بعد زاجراً (فلا تبغوا عليهن سبيلاً) بالتوبيخ والاذية أى فاذيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كأنه لم يكن
- فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له (إن الله كان عليماً كبيراً) فاحذروه فإنه تعالى أقدر عليكم منكم على من تحت أيديكم أو أنه تعالى على علو شأنه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم عند توبتكم فأنتم أحق بالعفو عن أزواجكم عند إطاعتهم لكم أو أنه يتعالى ويكبر أن يظلم أحداً أو ينقص حقه وعدم التعرض لعدم إطاعتهم لهم للإبذان بأن ذلك ليس مما ينبغي أن يتحقق أو يفرض تحقيقه وأن الذى يتوقع منهن ويليق بشأنهن لا سيما بعد ما كان من الزواجر هو الإطاعة ولذلك صدرت الشرطية بالفاء المنبثقة عن سببية ما قبلها لما بعدها (وإن خفتم شقاق بينهما) تلوين للخطاب وتوجيه له إلى الأحكام وارد على بناء

وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَالِ الَّذِينَ إِحْسَنُوا وَيَذَى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ
وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجُنُبِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ
اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾

٤ النساء

- الأمر على التقدير المسكوت عنه أعنى عدم الإطاعة المؤدى إلى المخاصمة والمرافعة إليهم والشقاق المخالفة
إما لأن كلا منهما يريد ما يشق على الآخر وإما لأن كلا منهما فى شق أى جانب غير شق الآخر والخوف
ههنا بمعنى العلم قاله ابن عباس والجزم بوجود الشقاق لا ينافى بعث الحكمين لأنه لرجاء إزالته لا لتعرف
وجوده بالفعل وقيل بمعنى الظن وضمير التثنية للزوجين وإن لم يجر لها ذكر لجرى ما يدل عليها وإضافة
الشقاق إلى الطرف إما على إجرائه مجرى المفعول به كما فى قوله [يا سارق الليلة] أو مجرى الفاعل كما فى
قولك نهارة صائم أى إن علمت أو ظننت تأكد المخالفة بحيث لا يقدر الزوج على إزالتها (فاعبثوا) أى
● إلى الزوجين لإصلاح ذات البين (حكما) رجلا وسطا صالحا للحكومة والإصلاح (من أهله) من
● أهل الزوج (وحكما) آخر على صفة الأول (من أهلها) فإن الأقارب أعرف بيوطن الأحوال
وأطلب للإصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الأجانب جاز واختلف فى أنهما هل يليان
الجمع والتفريق إن رأيا ذلك ففعل لهما ذلك وهو المروى عن على رضى الله عنه وبه قال الشعبي وعن
الحسن يجمعان ولا يفرقان وقال مالك لهما أن يتخالعا إن كان الإصلاح فيه (إن يريدان) أى الحكمان
● (إصلاحا) أى إن قصدا لإصلاح ذات البين وكانت نيتهم صحيحة وقلوبهم ناصحة لوجه الله تعالى (يوفق
● الله بينهما) يوقع بين الزوجين الموافقة واللفة واللى فى نفوسهما المودة والرافة وعدم التعرض لذكر
عدم إرادتهما الإصلاح لما ذكر من الإيذان بأن ذلك ليس مما ينبغى أن يفرض صدوره عنهما وأن
الذى يليق بشأنهما ويتوقع صدوره عنهما هو إرادة الإصلاح وفيه مزيد ترغيب للحكمين فى الإصلاح
وتحذير عن المساهلة كيلا ينسب اختلال الأمر إلى عدم إرادتهما فإن الشرطية الناطقة بدوران وجود
التوفيق على وجود الإرادة منبئة عن دوران عدمه على عدمها . وقيل كلا الضميرين للحكمين أى إن
قصدا لإصلاح يوفق الله بينهما فتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل كلاهما للزوجين أى إن أرادا
إصلاح ما بينهما من الشقاق أوقع الله تعالى بينهما اللفة والوافق وفيه تنبيه على أن من أصلح نيته فيما
يتوخاه وفقه الله تعالى لمبتغاه (إن الله كان عليهما خبيراً) بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق
ويوقع الوفاق (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) كلام مبتدأ مسوق لبيان الأحكام المتعلقة بحقوق
٣٦ الوالدين والأقارب ونحوهم أثر بيان الأحكام المتعلقة بحقوق الأزواج صدر بما يتعلق بحقوق الله عز
وجل التى هى أكد الحقوق وأعظمها تنبيها على جلالة شأن حقوق الوالدين بنظمها فى سلكها كما فى سائر
المواقع وشيئاً نصب على أنه مفعول أى لا تشركوا به شيئاً من الأشياء صنما أو غيره أو على أنه مصدر
أى لا تشركوا به شيئاً من الإشراك جليلاً أو خفياً (وبالوالدين إحساناً) أى أحسنوا بهما إحساناً

الَّذِينَ يَخْلُونُ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٣٧﴾

٤ النساء

وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾

٤ النساء

- (وبذى القربى) أى بصاحب القرابة من أخ أو عم أو خال أو نحو ذلك (واليتمى والمساكين) من
- الأجانِب (والجار ذى القربى) أى الذى قرب جواره وقيل الذى له مع الجوار قرب واتصال بنسب
- أودين وقرىء بالنصب على الاختصاص تعظيما لحق الجار ذى القربى (والجار الجنب) أى البعيد أو الذى لا قرابة له وعنه عليه الصلاة والسلام الجيران ثلاثة تجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الإسلام وجار له حق واحد وهو حق الجوار وهو الجار من أهل الكتاب وقرىء والجار الجنب (والصاحب بالجنب) أى الرفيق فى أمر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فإنه صحبك وحصل بجانبك ومنهم من قعد بجانبك فى مسجد أو مجلس أو غير ذلك من أدنى
- حجة التأميت بينك وبينه وقيل هى المرأة (وابن السبيل) هو المسافر المنقطع به أو الضيف (وما ملكك أيمانكم) من العبيد والإماء (إن الله لا يحب من كان مختالا) أى متكبرا يأنف عن أقاربه وجيرانه
- ٣٧ وأصحابه ولا يلتفت إليهم (فخوراً) يتفاخر عليهم والجملة تعليل للأمر السابق (الذين يبخلون ويأمرُونَ الناس بالبخل) بضم الباء وسكون الخاء وقرىء بفتح الأول وبفتحهما وبضمهما والموصول بدل من قوله تعالى من كان أو نصب على الذم أو رفع عليه أى هم الذين أو مبتدأ خبره محذوف تقديره الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون أحقاء بكل ملامة (يكتمون ما آتاهم الله من فضله) أى من المال والغنى أو من نعمته عليه السلام التى يدينها لهم فى التوراة وهو أنسب بأمرهم للباس بالبخل فإن أحبارهم كانوا يكتمونها ويأمرُونَ أعقابهم بكتمها (وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً) وضع الظاهر موضع المضمَر إشعاراً بأن من هذا شأنه فهو كافر بنعمة الله تعالى ومن كان كافراً بنعمة الله تعالى فله عذاب يهينه كما أهان النعمة بالبخل والإخفاء والآية نزلت فى طائفة من اليهود كانوا يقولون للأَنْصَار بطريق النصيحة لا تنفقوا أو الكرم فإننا نخشى عليكم الفقر وقيل فى الذين كتموا نعت رسول الله ﷺ والجملة اعتراض
- ٣٨ تذييل مقرر لما قبلها (والذين ينفقون أموالهم رياء الناس) أى للفخار وليقال ما أسخام وما أجودهم لا لا ابتغاء وجه الله تعالى وهو عطف على الذين يبخلون أو على الكافرين وإنما شاركوهم فى الذم والوعيد لأن البخل والسرف الذى هو الإنفاق فيما لا ينبغي من حيث أنهما طرفا تفريط وإفراط سواء فى القبح واستتباع اللاتمة والذم ويجوز أن يكون العطف بناء على إجراء التغاير الوصفى مجرى التغاير الذاتى كما فى قوله [إلى الملك القرم وابن الهمام] وليت الكتاب فى المزدحم] أو مبتدأ خبره محذوف يدل عليه
- قوله تعالى ومن يكن الخ كأنه قيل والذين ينفقون أموالهم رياء الناس (ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر)

وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيماً ﴿٣٩﴾ ٤ النساء
إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيماً ﴿٤٠﴾ ٤ النساء

- ليتحروا بالإففاق مرضيه تعالى وثوابه وهم مشركو مكة المنفقون أموالهم في عداوة رسول الله ﷺ وقيل المنافقون (ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً) أى فقرينهم الشيطان وإنما حذف الإيذان بظهوره ● واستغناؤه عن التصريح به والمراد به إبليس وأعوانه حيث حملوهم على تلك القبائح وزينوها لهم كما في قوله تعالى إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ويجوز أن يكون وعيداً لهم بأن الشيطان يقرن بهم في النار (وماذا عليهم) أى على من ذكر من الطوائف (لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله) أى ٣٩ ابتغاء لوجه الله تعالى وإنما لم يصرح به تعويلاً على التفصيل السابق واكتفاء بذكر الإيمان بالله واليوم الآخر فإنه يقتضى أن يكون الإففاق لا ابتغاء وجهه تعالى وطلب ثوابه البتة أى وما الذى عليهم أو أى تبعة ووبال عليهم فى الإيمان بالله والإففاق فى سبيله وهو توبيخ لهم على الجمل بمكان المنفعة والاعتقاد فى الشيء بخلاف ما هو عليه وتحريض على التفكير لطلب الجواب لعله يودى بهم إلى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على أن المدعو إلى أمر لا ضرر فيه ينبغي أن يجيب إليه احتياطاً فكيف إذا كان فيه منافع لا تحصى وتقديم الإيمان بهما لأهميته فى نفسه ولعدم الاعتداد بالإففاق بدونه وأما تقديم إنفاقهم رثاء الناس على عدم إيمانهم بهما مع كون المؤخر أقبح من المقدم فلرعاية المناسبة بين إنفاقهم ذلك وبين ما قبله من بخلهم وأمرهم للناس به (وكان الله بهم) وبأحوالهم المحققة (عليها) فهو وعيد لهم بالعقاب أو بأعمالهم ● المفروضة فهو بيان لإثابته تعالى إياهم لو كانوا قد آمنوا وأنفقوا كما ينبى عنه قوله تعالى (إن الله لا يظلم ٤٠ مثقال ذرة) المثقال مفعال من الثقل كالمقدار من القدر وانتصابه على أنه نعت للفعال قائم مقامه سواء كان الظلم بمعنى النقص أو بمعنى وضع الشيء فى غير موضعه أى لا ينقص من الأجر ولا يزيد فى العقاب شيئاً مقدار ذرة أو على أنه نعت للبصدر المحذوف نائب منابه أى لا يظلم ظلماً مقدار ذرة وهى النملة الصغيرة أو كل جزء من أجزاء الهباء فى الكوة وهو الأنسب بمقام المبالغة فإن قلته فى الثقل أظهر من قلة النملة فيه وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه أدخل يده فى التراب ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة (وإن تك حسنة) أى وإن تك مثقال ذرة حسنة أنك لتأيت الخبر أو لإضافته إلى الذرة وحذف النون من غير قياس تشبيهاً بحروف العلة وتخفيفاً لكثرة الاستعمال وقرئ حسنة بالرفع على أن كان تامة (يضاعفها) أى يضاعف ثوابها جعل ذلك مضاعفة لنفس الحسنة تنبيهاً على كمال الاتصال بينهما ● كأنهما شئ واحد وقرئ يضاعفهما وكلاهما بمعنى واحد وقرئ يضاعفها بنون العظمة على طريقة الالتفات . عن عثمان النهدي أنه قال لأبى هريرة رضى الله عنه بلغنى عنك أنك تقول سمعت رسول الله ﷺ يقول يقول إن الله تعالى يعطى عبده المؤمن بالحسنة ألف ألف حسنة قال أبو هريرة لا بل سمعته يقول يقول

فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ۚ ﴿٤١﴾
يَوْمَ يَذُّوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ۚ ﴿٤٢﴾ ٤ النساء

- يعطيه ألقى الف حسنة ثم تلا هذه الآية الكريمة والمراد الكثرة لا التحديد (ويؤت من لدهنه) ويعط صاحبها من عنده على نهج التفضل زائداً على ما وعده في مقابلة العمل (أجرأ عظيماً) عطاء جزيل
- ٤١ وإنما سماه أجرأ لكونه تابعاً للأجر مزيداً عليه (فكيف) محملاً إما الرفع على أنها خبر لمبتدأ محذوف وإما النصب بفعل محذوف على التشبيه بالحال كما هو رأى سيويه أو على التشبيه بالظرف كما هو رأى الأخفش أى فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم أو كيف يصنعون (إذا جئنا) يوم القيامة (من كل أمة) من الأمم (بشاهد) يشهد عليهم بما كانوا عليه من فساد العقائد وقبائح الأعمال وهو نبههم كما في قوله تعالى وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم والعامل في الظرف مضمون
- المبتدأ والخبر من هول الأمر وعظم الشأن أو الفعل المقدر ومن متعلقة بجئنا (وجئنا بك) يا محمد (على هؤلاء) إشارة إلى الشهداء المدلول عليهم بما ذكر (شهاداً) تشهد على صدقهم لعلك بعقائدهم لا استجماع شرعك لجامع قواعدهم وقيل إلى المكذبين المستفهم عن حالهم تشهد عليهم بالكفر والمصيان
- كما يشهد سائر الأنبياء على أممهم وقيل إلى المؤمنين كما في قوله تعالى لتكنوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً (يوم يذو الذين كفروا وعصوا الرسول) استئناف لبيان حالهم التي أشير إلى شدتها ٤٢ وفظاعتها بقوله تعالى فكيف فإن أريد بهم المكذبون لرسول الله ﷺ فالتعبير عنهم بملو صول لاسيما بعد الإشارة إليهم بهؤلاء لدمهم بما في حيز الصلة والإشعار بعلته ما اعتراهم من الحال الفظيعة والأمر الهائل وإبراده عليه السلام بعنوان الرسالة لتشريفه وزيادة تقبيح حال مكذبه فإن حق الرسول أن يؤمن به ويطاع لا أن يكفر به ويعصى وإن أريد بهم جنس الكفرة فهم داخلون في زميرهم دخولا أولياً والمراد بالرسول حينئذ الجنس المنتظم للنبي عليه السلام انتظاماً أولياً وأياماً كان فقيه من تهويل الأمر وتفضيع الحال مالا يقادر قدره وقوله تعالى وعصوا عطف على كفروا داخل معه في الصلة والمراد معاصيهم المغايرة لكفرهم فقيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بفروع الشرائع في حق المؤاخذه وقيل حال من ضمير كفروا وقيل صلة لموصول آخر أى يود في ذلك اليوم الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الرسول أو الذين كفروا وقد عصوا الرسول أو الذين كفروا والذين عصوا الرسول ولو في قوله تعالى (لو تسوى بهم الأرض) إن جعلت مصدرية فالجمله مفعول ليود أى يودون أن يذفوا فتسوى بهم الأرض كالموتى وقيل يودون أنهم لم يبعثوا أو لم يحلقوا وكأنهم والأرض سواء وقيل تصير البهائم تراباً فيودون حالها وإن جعلت جارية على بابها فالمفعول محذوف لدلالة الجملة عليه أى يودون تسوية الأرض بهم وجواب لو أيضاً محذوف لإبذاناً بغاية ظهوره أى لسروا بذلك وقوله تعالى (ولا يكتُمون الله حديثاً) عطف على يود أى ولا يقدرّون على كتمانها لأن جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾

٤ النساء

أى يودون أن يدفنوا فى الأرض وهم لا يكتُمون منه تعالى حديثاً ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين إذ روى أنهم إذا قالوا ذلك ختم الله على أفواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الأمر عليهم فيتمنون أن تسوى بهم الأرض وقرىء تسوى على أن أصله تنسوى فأدغم التاء فى السين وقرىء تسوى بحذف التاء الثانية يقال سويته قدسوى (بأياها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى ٤٣ تعلموا ما تقولون) لما نهوا فيما سلف عن الإشراف به تعالى نهوا ههنا عما يؤدى إليه من حيث لا يحسبون فإنه روى أن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه صنع طعاماً وشراباً حين كانت الخمر مباحة فدعاهم من الصحابة رضى الله عنهم فأكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب فتقدم أحدهم ليصلى بهم فقرأ أعبد ما تعبدون فزلت وتصدير الكلام بحر فى النداء والتنبيه للبالغه فى حملهم على العمل بموجب النهى وتوجيه النهى إلى قربان الصلاة مع أن المراد هو النهى عن إقامتها للبالغه فى ذلك وقيل المراد النهى عن قربان المساجد لقوله عليه السلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وبأباه قوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون فالمعنى لا تقيموها فى حالة السكر حتى تعلموا قبل الشروع ما تقولون إذ بتلك التجربة يظهر أنهم يعلمون ما يسقروا منه فى الصلاة وحمل ما تقولون على ما فى الصلاة يستدعى تقدم الشروع فيها على غاية النهى وحمل العلم على ما بالقوة على معنى حتى تكونوا بحيث تعلمون ما ستقروا فى الصلاة تطويل بلا طائل لأن تلك الحيثية إنما تظهر بما ذكر من التجربة على أن إتيان ما تقولون على ما تقروا حينئذ يكون عارياً عن الداعى وقيل المراد بالسكر سكر النعاس وغلبة النوم وأباً ما كان فليس مرجع النهى هو المقيد مع بقاء القيد مرخصاً بحاله بل إنما هو القيد مع بقاء المقيد على حاله إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً كأنه قيل بآياها الذين آمنوا لا تسكروا فى أوقات الصلاة وقد روى أنهم كانوا بعد ما زلت الآية لا يشربون الخمر فى أوقات الصلاة فإذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون إلا وقد ذهب عنهم السكر وعلوا ما يقولون (ولا جنباً) عطف على قوله تعالى وأنتم سكارى فإنه فى حيز النصب كأنه قيل لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنباً والجنب من أصابه الجنابة يستوى فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لجريانه مجرى المصدر (إلا عابري سبيل) استثناء مفرغ من أعم الأحوال محله النصب على أنه حال من ضمير لا تقربوا باعتبار تقيده بالحال الثانية دون الأولى والعامل فيه فعل النهى أى لا تقربوا الصلاة جنباً فى حال من الأحوال إلا حال كونكم مسافرين على معنى أن فى حالة السفر ينتهى حكم النهى لكن لا بطريق شمول النهى لجميع صورها بل بطريق نفى الشمول فى الجملة من غير دلالة على انتفاء خصوصية البعض المستثنى ولا على بقاء خصوصية

- البعض الباقي ولا على ثبوت نقيضه لا كلياً ولا جزئياً فإن الاستثناء لا يدل على ذلك عبارة نعم يشير إلى مخالفة حكم ما بعده لما قبله إشارة إجمالية يكتفي بها في المقامات الخطائية لا في إثبات الأحكام الشرعية فإن ملاك الأمر في ذلك إنما هو الدليل وقد ورد عقبيه على طريقة البيان وقيل هو صفة جنباً على أن إلا بمعنى غير أي وإلا جنباً غير عابري سبيل ومن حمل الصلاة على مواضعها فسر العبور بالاجتياز بها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي رحمه الله وعندنا لا يجوز ذلك إلا أن يكون الماء والطريق فيه وقيل إن رجلاً من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد وكان يصيبهم الجنابة ولا يجدون مراً إلا في المسجد فرخص لهم ذلك (حتى تغتسلوا) غاية للنهي عن قربان الصلاة حالة الجنابة ولعل تقديم الاستثناء عليه للإيدان من أول الأمر بأن حكم النهي في هذه الصورة ليس على الإطلاق كما في صورة السكر تشويهاً إلى البيان وروماً لزيادة تفرره في الأدهان وفي الآية الكريمة إشارة إلى أن المصلي حقه أن يتحرز عما يليه ويشغل قلبه وأن يزي نفسه عما يندسها ولا يكتفي بأدنى مراتب التزكية عند إمكان أعاليها (وإن كنتم مرضى) شروع في تفصيل ما أجمل في الاستثناء وبيان ماهو في حكم المستثنى من الأعذار والاقتصار فيما قبل على استثناء السفر مع مشاركة الباقي له في حكم الترخيص للإشعار بأنه العذر الغالب المنبئ عن الضرورة التي عليها يدور أمر الرخصة كأنه قيل ولا جنباً إلا مضطرين وإليه مرجع ما قيل من أنه جعل عابري سبيل كناية عن مطلق المعذورين والمراد بالمرض ما يمنع من استعمال الماء مطلقاً سواء كان ذلك بتعذر الوصول إليه أو بتعذر استعماله (أو على سفر) عطف على مرضى أي أو كنتم على سفر ما طال أو قصر وإبراده صريحاً مع سبق ذكره بطريق الاستثناء لبناء الحكم الشرعي عليه وبيان كلفيته فإن الاستثناء كما أشير إليه بمعزل من الدلالة على ثبوته فضلاً عن الدلالة على كلفيته وتقديم المرض عليه للإيدان بأصالة واستقلاله بأحكام لا توجد في غيره كالاشتداد باستعمال الماء ونحوه (أو جاء أحد منكم من الغائط) هو المكان الغائر المظلم والمحجى منه كناية عن الحدث لأن المعتاد أن من يريد بهذه إلى ليوارى شخصه عن أعين الناس وإسناد المحجى منه إلى واحد منهم من مخاطبين دونهم للتفادي عن التصريح بنسبتهم إلى ما يستحي منه أو يستهجن التصريح به وكذلك إشار الكناية فيما عطف عليه من قوله عز وجل (أو لمستم النساء) على التصريح بالجماع ونظمهما في سلك سببي سقوط الطهارة والمصير إلى التيمم مع كونهما سببي وجوبها ليس باعتبار انفسهما بل باعتبار قيدهما المستفاد من قوله تعالى (فلم تجدوا ماء) بل هو السبب في الحقيقة وإنما ذكر اتهميداً له وتنبهاً على أنه سبب الرخصة بعد انعقاد سبب الطهارة الصغرى والكبرى كأنه قيل أو لم تكونوا مرضى أو مسافرين بل كنتم فافدين للماء بسبب من الأسباب مع تحقق ما يوجب استعماله وتخصيص ذكره بهذه الصورة مع أنه معتبر في صورة المرض والسفر أيضاً للندرة وقوعه فيها واستغنائها عن ذكره إلا أن الجنابة معتبرة فيهما قطعاً فيعلم من حكمها حكم الحدث الأصغر بدلالة النص لأن تقدير النظم لا تقربوا الصلاة في حال الجنابة إلا حال كونكم مسافرين فإن كنتم كذلك أو كنتم مرضى إلخ ولما قيل من أن عموم إعواز الماء في حق المسافر غالب والعجز عن استعمال الماء القائم مقام عدمه في حق المريض مغن عن ذكره لفظاً وما قيل من أن هذا القيد راجع إلى الكل وأن قيد وجوب التطهر المكفى عنه بالمحجى من الغائط والملاسة

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ النساء

- معتبر في الكل لما لا يساعده النظم الكريم (فتيمة و صعيداً طيباً) فعمدوا شيئاً من وجه الأرض طاهراً قال الزجاج الصعيد وجه الأرض تراباً أو غيره وإن كان صخرأ لا تراب عليه لو ضرب التيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي رحمه الله لا بد أن يعلق باليد شيء من التراب (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) أى إلى المرفقين لما روى أنه ﷺ تيمم ومسح يديه إلى مرفقيه ولأنه بدل من الوضوء فيتقدر بقدره (إن الله كان عفواً غفوراً) تعليل للترخيص والتيسير وتقرير لهما فإن من عادته المستمرة أن يعفو عن الخطائين ويغفر للذنبين لا بد أن يكون ميسراً لا معسراً وقيل هو كناية عنهما فإن الترفيه والمسامحة من روادف العفو وتوابع الغفران (ألم تر إلى الذين أوتوا ٤٤ نصيباً من الكتاب) كلام مستأنف مسوق لتعجيب المؤمنين من سوء حالهم والتحذير عن موالاتهم والخطاب لكل من ينأت منه الرؤية من المؤمنين وتوجيهه إليه ههنا مع توجيهه فيما بعد إلى الكل معاً للإيدان بكال شهرة شناعة حالهم وأنها بلغت من الظهور إلى حيث يتعجب منها كل من يراها والرؤية بصرية أى ألم تنظر إليهم فإنهم أحقاء أن تشاهدكم وتتعجب من أحوالهم وتجويز كونها قلبية على أن إلى لتضمنها معنى الانتهاء لما فعلوه بأباه مقام تشهير شنائعهم ونظمها في سلك الأمور المشاهدة والمراد بهم أحبار اليهود . روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنها نزلت في حبرين من أحبار اليهود كانا يأتیان رأس المنافقين عبد الله بن أبي ورهطه يثبطانهم عن الإسلام وعنه رضى الله عنه أيضاً أنها نزلت في رفاعه بن زيد ومالك بن دخشم كانا إذا تكلم رسول الله ﷺ لويأ لسانهما وعاباه والمراد بالكتاب هو التوراة وحمله على جنس الكتاب المنتظم لها انتظاماً أولاً تطويل للمسافة وبالذى أوتوه ما بين لهم فيها من الأحكام والعلوم التى من جهلتها ما علوه من نعوت النبي ﷺ وحقية الإسلام والتعبير عنه بالنصيب المنبى عن كونه حقاً من حقوقهم التى يجب مراعاتها والمحافظة عليها للإيدان بكال ركافة آرائهم حيث ضيعوه تضييعاً وتنوينه تفخيماً مؤيداً للتشنيع عليهم والتعجيب من حالهم فالتعبير عنهم بالموصول للتنبيه بما فى حيز الصلة على كمال شنائعهم والإشعار بمكان ما طوى ذكره فى المعاملة المحكية عنهم من الهدى الذى هو أحد العوضين وكلمة من متعلقة إما بأوتوا أو بمحذوف وقع صفة لنصيباً مبينة لفخامته الإضافية إثر بيان فخامته الذاتية أى نصيباً كائناً من الكتاب وقوله تعالى (يشترُونَ الضلالة) قيل هو حال مقدرة من واو أوتوا ولا ريب فى أن اعتبار تقدير اشتراهم المذكور فى الإيتاء بما لا يليق بالمقام وقيل هو حال من الموصول أى ألم تنظر إليهم حال اشتراهم وأنت خبير بأنه خال عن إفادة أن مادة التشنيع والتعجيب هو الاشتراء المذكور وما عطف عليه والذى تقتضيه جزالة النظم الكريم أنه استئناف مبين لمناط التشنيع ومدار التعجيب المفهومين من صدر الكلام على وجه الإجمال والإبهام مبنى على سئوال نشأ منه كأنه قيل ما ذا يصنعون حتى ينظر إليهم فقليل يأخذون الضلالة ويتركون ما أوتوه من الهداية وإنما طوى المتروك لغاية ظهور الأمر لاسيما بعد الإشعار المذكور والتعبير عن ذلك بالاشتراء الذى هو عبارة عن

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾
 ٤ النساء
 مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا
 لَيًّا بِالسِّنِّهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ
 وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾
 ٤ النساء

استبدال السلعة بالثمن أى أخذها بدلا منه أخذاً ناشأ عن الرغبة فيها والإعراض عنه للإبذان بكال
 رغبتهم فى الضلالة التى حقها أن يعرض عنها كل الإعراض وإعراضهم عن الهداية التى يتنافس فيها
 المتنافسون وفيه من التسجيل على نهاية سخافة عقولهم وغاية ركاكة آرائهم ما لا يخفى حيث صورت حالهم
 بصورة ما لا يكاد يتعاطاه أحد ممن له أدنى تمييز وليس المراد بالضلالة جنسها الحاصل لهم من قبل حتى
 يخل بمعنى الاشتراء المنبئ عن تأخرها عنه بل هو فردها الكامل وهو عنادهم وتماديهم فى الكفر بعد
 ما علموا بشأن النبى ﷺ و يتقنوا بحقيقة دينه وأنه هو النبى العربى المبشر به فى التوراة ولا ريب فى أن
 هذه الرتبة لم تكن حاصلة لهم قبل ذلك وقد مر فى أوائل سورة البقرة (ويريدون) عطف على يشعرون
 شريك له فى بيان محل التشنيع والتعجيب وصيغة المضارع فيهما للدلالة على الاستمرار التجددى فإن تجدد
 حكم اشترائهم المذكور وتكرر العمل بموجبه فى قوة تجدد نفسه وتكرره أى لا يكتفون بضلال أنفسهم
 بل يريدون بما فعلوا من كتمان نعمته عليه السلام (أن تضلوا) أنتم أيضاً أيها المؤمنون (السبيل) المستقيم
 ٤٥ الموصل إلى الحق (والله أعلم) أى منكم (بأعدائكم) جميعاً ومن جملتهم هؤلاء وقد أخبركم بعداوتهم لكم
 وما يريدون بكم لتكسبوا على حذر منهم ومن مخالطتهم أو هو أعلم بحالهم ومآل أمرهم والجملة معترضة لتقرير
 ارادتهم المذكورة (وكفى بالله ولياً) فى جميع أموركم ومصالحكم (وكفى بالله نصيراً) فى كل المواقف فتقوا به
 واكتفوا بولايته ونصرته ولا تتولوا غيره أو لا تبالوا بهم وبما يسومونكم من سوء فإنه تعالى يكفيكم
 مكرم وشرم ففيه وعد ووعد والباء مزيدة فى فاعل كفى لتأكيد الاتصال الإسنادى بالاتصال الإضافى
 وتكرير الفعل فى الجملتين مع إظهار الجلالة فى مقام الإضمار لاسيما فى الثانى لتقوية استقلالهما المناسب
 للاعتراض وتأكيد كفايته عز وجل فى كل من الولاية والنصرة والإشعار بعليتهما فإن الألوهية من
 ٤٦ موجباتها لا محالة (من الذين هادوا) قيل هو بيان لأعدائكم وما بينهما اعتراض وفيه أنه لا وجه لتخصيص
 عليه سبحانه بطائفة من أعدائهم لاسيما فى معرض الاعتراض الذى حقه العموم والإطلاق وانتظام ما هو
 المقصود فى المقام انتظاماً أولياً كما أشير إليه وقيل هو صلة لنصير أى نصركم من الذين هادوا كما فى قوله تعالى
 فمن ينصرنى من الله وفيه ما فيه من تحجير واسع نصرته عز وجل مع أنه لا داعى إلى وضع الموصول وضع
 ضمير الاعتداء لأن ما فى حيز الصلة ليس بوصف ملائم للنصر وقيل هو خبر مبتدأ محذوف وقع قوله
 تعالى (يحرفون الكلم عن مواضعه) صفة له أى من الذين هادوا قوم أو فريق يحرفون الكلم وفيه أنه يقتضى
 كون الفريق السابق بمحذوف من التعريف الذى هو المصدق لاشتوائهم فى الحقيقة فالنصير يلقب بشأن

- التنزيل الجليل أنه بيان للحوادث الأول المتناول بحسب المفهوم لأهل الكتابين قد وسط بينهما ما وسط لمزيد الاعتناء ببيان محل التشنيع والتعجيب والمسارعة إلى تنفير المؤمنين منهم وتحذيرهم عن مخالطتهم والاهتمام بحملهم على الثقة بالله عز وجل والاكتفاء بولايته ونصرته وأن قوله تعالى يحرفون وما عطف عليه بيان لاشتراكهم المذكور وتفصيل لفنون ضلالتهم وقد روعيت في النظم الكريم طريقة التفسير بعد الإبهام والتفصيل إثر الإجمال وما للزيادة تقرير يقتضيه الحال والكلم اسم جنس واحدة كلمة كتمر وتمررة وتذكير ضميره باعتبار أفراد لفظاً وجمعية مواضعه باعتبار تعدده معنى وقرىء بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة وقرىء يحرفون الكلام والمراد به ههنا إما ما في التوراة خاصة وإما ما هو أعم منه وما سيحكي عنهم من الكلمات المعمودة الصادرة عنهم في أثناء المحاورة مع رسول الله ﷺ ولا مسامحة لإرادة تلك الكلمات خاصة بأن يحمل عطف قوله تعالى (ويقولون سمعنا وعصينا) الخ على ما قبله عطفاً تفسيرياً
- لما استقف على سره فإن أريد به الأول كما هو رأى الجمهور فتحريفه إزالته عن مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها من التوراة كتحرifهم في نعمت النبي ﷺ أسمر أربعة عن موضعه في التوراة بأن وضعوا مكانه آدم طوالاً وتحرifهم الرجم بوضعهم بدله الحد أو صرفه عن المعنى الذي أنزله الله تعالى فيه إلى مالا صحة له بالتأويلات الزائفة الملائمة لشهواتهم الباطلة وإن أريد به الثاني فلا بد من أن يراد بمواضعه ما يليق به مطلقاً سواء كان ذلك بتعيينه تعالى صريحاً كواضع ما في التوراة أو بتعيين العقل أو الدين كواضع غيره وأياً ما كان فقوله سمعنا وعصينا ينبغي أن يجري على إطلاقه من غير تقييد بزمان أو مكان ولا تخصيص بمادة دون مادة بل وأن يحمل على ما هو أعم من القول الحقيقي وما يترجم عنه عنادهم ومكابرتهم ليندرج فيه ما نطقت به ألسنة حاظم عند تحريف التوراة فإن من لا يتفوه بتلك العظيمة لا يكاد يتجاسر على مثل هذه الجناية ولا يحمل على ما قالوه في مجلس النبي ﷺ من القبايح خاصة يستدعى اختصاص حكم الشرطية الآتية وما بعدها بهم من غير تعرض لتحرifهم التوراة مع أنه معظم جنايتهم المعدودة ومن ههنا انكشف لك السر الموعود فتأمل أي يقولون في كل أمر يخالف لأهوائهم الفاسدة سواء كان بمحضر النبي ﷺ أولاً بلسان المقال أو الحال سمعنا وعصينا عناداً وتحقيقاً للخالف وقوله تعالى (واسمع غير مسمع) عطف على سمعنا وعصينا داخل تحت القول أي ويقولون ذلك في أثناء مخاطبته ﷺ خاصة وهو كلام ذو وجهين محتمل للسر بأن يحمل على معنى اسمع حال كونك غير مسمع كلاماً أصلاً بصمم أو موت أي مدعوا عليك بلا سمعت أو غير مسمع كلاماً ترضاه حينئذ يجوز أن يكون نصبه على المفعولية . وللخير بأن يحمل على اسمع منا غير مسمع مكروها كانوا يخاطبون به النبي ﷺ استهزاء به مظهرين له ﷺ إرادة المعنى الأخير وهم مضمررون في أنفسهم المعنى الأول مطمئنون به (وراعنا) عطف على اسمع غير مسمع أي ويقولون في أثناء خطابهم له ﷺ هذا أيضاً يوردون كلا من العظام الثلاث في مراقبها وهي أيضاً كلمة ذات وجهين محتملة للخير بحملها على معنى أرقبنا وانظرنا نكلمك وللشر بحملها على السب بالرعونة أي الحق أو يجرأتها بحري ما يوجبها من كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعيناً كانوا يخاطبون به ﷺ بذلك بنوون الشتيمة والإهانة ويظهرون التوقير والاحترام بمصيرهم إلى مسلك النفاق في

القولين الآخرين مع تصريحهم بالعصيان في الأول لما قالوا من أن جميع الكفرة كانوا يوافقونه بالكفر
 والعصيان ولا يوافقونه بالسب ودعاء السوء وقيل كانوا يقولون الأول فيما بينهم وقيل يجوز أن لا ينطقوا
 بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كأنهم نطقوا به (لياً بالسنتهم) أى فتلابها وصرفاً للكلام عن نهجه
 إلى نسبة السب حيث وضعوا غير مسمع موضع لا أسمعت مكرها وأجروا راعنا المشابهة لراعينا مجرى
 انظرنا أو فتلابها وضماً لما يظهرونه من الدعاء والتوقير إلى ما يضررونه من السب والتحقير (وطعننا في
 الدين) أى قد حافيه بالاستهزاء والسخرية وانتصابهما على العلبة ليقولون باعتبار تعلقه بالقولين الآخرين
 أى يقولون ذلك لصرف الكلام عن وجهه إلى السب والطعن في الدين أو على الحالية أى لاوين وطاعنين
 في الدين (ولو أنهم) عندما سمعوا شيئاً من أوامر الله تعالى ونواهيه (قالوا) بلسان المقال أو بلسان
 الحال مكان قولهم سمعنا وعصينا (سمعنا وأطعنا) إنما أعيد سمعنا مع أنه متحقق في كلامهم وإنما الحاجة
 إلى وضع أطعنا مكان عصينا لا للتنبيه على عدم اعتباره بل على اعتبار عدمه كيف لا وسماعهم سماع الرد
 ومرادهم بحكاية إعلام عصيانهم للأمر بعد سماعه والوقوف عليه فلا بد من إزالته وإقامة سماع القبول
 مقامه (واسمع) أى لو قالوا عند مخاطبة النبي ﷺ بدل قولهم اسمع غير مسمع اسمع (وانظرنا) أى
 ولو قالوا ذلك بدل قولهم راعنا ولم يدسوا تحت كلامهم شراً وفساداً أى لو ثبت أنهم قالوا هذا مكان
 ما قالوا من الأقوال (لكن) قولهم ذلك (خير أ لهم) بما قالوا (وأقوم) أى أعدل وأسد في نفسه وصيغة
 التفضيل إما على بابها واعتبار أصل الفضل في المفضل عليه بناء على اعتقادهم أو بطريق التكميم وإما بمعنى
 اسم الفاعل وإنما قدم في البيان حاله بالنسبة إليهم على حاله في نفسه لأن همهم مقصورة على ما ينفعهم
 (ولكن لعنهم الله بكفرهم) أى ولكن لم يقولوا ذلك واستمروا على كفرهم فخذلهم الله تعالى وأبعدهم عن
 الهدى بسبب كفرهم بذلك (فلا يؤمنون) بعد ذلك (إلا قليلاً) قيل أى إلا إيماناً قليلاً لا يجابه وهو
 الإيمان ببعض الكتب والرسل أو إلا زماناً قليلاً وهو زمان الاحتضار فإنهم يؤمنون حين لا ينفعهم
 الإيمان قال تعالى وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته وكلاهما ليس بإيمان قطعاً وقد جوز
 أن يراد بالقلة العدم بالكلية على طريقة قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى أى إن كان
 الإيمان المعدوم إيماناً فهم يحدثون شيئاً من الإيمان فهو في المعنى تعليق بالحال وأنت خبير بأن الكل يأباه
 ما يعقبه من الأمر بالإيمان بالقرآن الناطق بهذا لإفضائه إلى التكليف بالحال الذي هو إيمانهم بعدم إيمانهم
 المستمر أما على الوجه الأخير فظاهر وأما على الأولين فلأن أمرهم بالإيمان المنجز بجميع الكتب والرسل
 تكليف لهم بإيمانهم بعدم إيمانهم ببعض الكتب والرسل وبعدم إيمانهم إلى وقت الاحتضار فالوجه أن
 يحمل القليل على من يؤمن بعد ذلك لكن لا يجعل المستثنى منه ضمير الفاعل في لا يؤمنون لإفضائه إلى
 وقوع إيمان من لعنه الله تعالى وخذله مع ما فيه من نسبة القراءة إلى الاتفاق على غير المختار بل يجعله ضمير
 المفعول في لعنهم أى ولكن لعنهم الله إلا فريقاً قليلاً فإنه تعالى لم يلغ عنهم فلم ينسده عليهم باب الإيمان وقد
 آمن بعد ذلك فريق من الأخبار كعبد الله بن سلام وكعب وأضرابهما كما سيأتي .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَلِكْتَبَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا
عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾

٤ النساء

- (يأيها الذين أوتوا الكتاب) تلوين للخطاب وتوجيهه لإمالي من حكيت أحوالهم وأقوالهم خاصة بطريق الالتفات ووصفهم تارة بإيتاء الكتاب أى التوراة وأخرى بإيتاء نصيب منها لتوفية كل من المقامين حقه فإن المقصود فيما سبق بيان أخذهم الضلالة وإزالة ما أوتوه بمقابلتها بالتحريف وليس ما أزالوه بذلك كلها حتى يوصفوا بإيتائه بل هو بعضها فوصفوا بإيتائه وأما همنا فالمقصود تأكيد إيجاب الامتثال بالأمر الذى يعقبه والتحذير عن مخالفته من حيث إن الإيمان بالمصدق موجب للإيمان بما يصدقه والكفر بالثاني مقتضى للكفر بالأول قطعاً ولا ريب فى أن المحذور عندهم إنما هو لزوم الكفر بالتوراة نفسها لا ببعضها وذلك إنما يتحقق بجعل القرآن مصدقاً لكلها وإن كان مناط التصديق بعضاً منها ضرورة أن مصدق البعض مصدق للكل المتضمن له حتماً . وإما إليهم وإلى غيرهم قاطبة وهو الأظهر وأياما كان تفصيل ما فصل لما كان من مظان إقلاع كل من الفريقين عما كانوا عليه من الضلالة عقب ذلك بالأمر بالمبادرة إلى سلوك حجة الهداية مشفوعاً بالوعيد الشديد على المخالفة فقبل (آمنوا بما نزلنا) من القرآن عبر عنه بالموصول ●
تشریفاً له بما فى حيز الصلة وتحقيقاً لكونه من عنده عز وجل (مصدقاً لما معكم) من التوراة عبر عنها بذلك للإيذان بكمال وقوفهم على حقيقة الحال فإن المعية المستدعية لدوام تلاوتها وتكرار المراجعة إليها من موجبات العثور على ما فى تضاعيفها المؤدى إلى العلم بكون القرآن مصدقاً لها ومعنى تصديقه إياها نزوله حسبما نعت لهم فيها أو كونه موافقاً لها فى القصص والمواعيد والدعوة إلى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن المعاصى والفواحش وأما ما يترامى من مخالفته لها فى جزئيات الأحكام بسبب تفاوت الأمم والأعصار فليست بمخالفة فى الحقيقة بل هى عين الموافقة من حيث إن كلا منها حق بالإضافة إلى عصره متضمن للحكمة التى عليها يدور فلك التشريع حتى لو تأخر نزول المتقدم لنزل على وفق المتأخر ولو تقدم نزول المتأخر لوافق المتقدم قطعاً ولذلك قال ﷺ لو كان موسى حياً لما سمعه إلا اتباعى (من) ●
قبل أن نطمس وجوهاً متعلق بالأمر مفيد للسارعة إلى الامتثال به والجد فى الانتهاء عن مخالفته بما فيه من الوعيد الشديد الوارد على أبلغ وجهه وآكده حيث لم يعلق وقوع المتوعد به بالمخالفة ولم يصرح بوقوعه عندها تنبيهاً على أن ذلك أمر محقق غنى عن الإخبار به وأنه على شرف الوقوع متوجه نحو مخاطبين وفى تنكير الوجوه المفيد للتكثير تهويل للخطب وفى إيهامها لطف بالمخاطبين وحسن استدعاء لهم إلى الإيمان وأصل الطمس محو الآثار وإزالة الأعلام أى آمنوا من قبل أن نمحو تخطيط صورها ونزيل آثارها قال ابن عباس رضى الله عنهما نجعلها كحف البعير أو كحافر الدابة وقال قتادة والضحاك نعميها كقولها تعالى فطمسنا أعينهم وقيل نجعلها منابت الشعر كوجوه القردة (فردها على أدبارها) ●
فنجعلها على هيئة أدبارها وأقفاؤها مطموسة مثلاً فالفاء للنسيب أو ننكسها بعد الطمس فردها إلى موضع

الآقاء والآقاء إلى موضعها وقد اكتفى بذكر أشدهما فالقاء للتعقيب وقيل المراد بالوجه الوجهاء على أن الطمس بمعنى مطلق التغيير أى من قبل أن تغير أحوال وجهاتهم فنسلب إقبالهم ووجهاتهم ونكسوم صغاراً وأدباراً أو نردم من حيث جاءوا منه وهى أذرع الشأم فالمراد بذلك إجلال بنى النضير ولا يخفى أنه لا يساعده مقام تشديد الوعيد وتعميم التهديد للجميع فالوجه ماسبق من الوجوه وقد اختلف فى أن الوعيد هل كان بوقوعه فى الدنيا أو فى الآخرة فقبل كان بوقوعه فى الدنيا ويؤيده ما روى أن عبد الله ابن سلام رضى الله تعالى عنه لما قدم من الشام وقد سمع هذه الآية أتى رسول الله ﷺ قبل أن يأتى أهله فأسلم وقال يا رسول الله ما كنت أرى أن أصل إليك حتى يتحول وجهى إلى قفأى وفى رواية جاء إلى النبي ﷺ ويده على وجهه وأسلم وقال ما قال وكذا ما روى أن عمر رضى الله عنه قرأ هذه الآية على كعب الأحبار فقال كعب يارب آمنت يارب أسلمت مخافة أن يصيبه وعيدها ثم اختلفوا فقبل لأنه منتظر بعد ولا بد من طمس فى اليهود ومسوخ وهو قول المبرد وفيه أن انصراف العذاب الموعود عن أولئهم وهم الذين باشروا أسباب نزوله وموجبات حلوله حيث شاهدوا شواهد النبوة فى رسول الله ﷺ فكذبوها وفى التوراة غر فوها وأصرروا على الكفر والضلالة وتعلق بهم خطاب المشاهدة بالوعيد ثم نزوله على من وجد بعد مئات من السنين من أعقابهم الضالين يا ضلالهم العالمين بما مهدوا من قوانين الغواية بعيد من حكمة الله تعالى العزيز الحكيم. وقيل إن وقوعه كان مشروطاً بعدم الإيمان وقد آمن من أحبارهم المذكوران وأضرابهما فلم يقع وفيه أن لإسلام بعضهم إن لم يكن سبباً لتأكد نزول العذاب على الباقين لتشديد التكرار والعناد بعد ازدياد الحق وضوحاً وقيام الحجة عليهم بشهادة أمثالهم العدول فلا أقل من أن لا يكون سبباً لرفعه عنهم وقيل كان الوعيد بوقوع أحد الأمرين كما ينطق به قوله تعالى (أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت) فإن لم يقع الأمر الأول فلا نزاع فى وقوع الثانى كيف لا وهم ملعونون بكل لسان فى كل زمان وتفسير اللعن بالمسخ ليس بمقرر البتة وأنت خير بأن المتبادر من اللعن المشبه بلعن أصحاب السبت هو المسخ وليس فى عطفه على الطمس والرد على الأدبار شائبة دلالة على عدم إرادة المسخ ضرورة أنه تغيير مغاير لما عطف عليه على أن المتوعد به لا بد أن يكون أمراً حادثاً مترتباً على الوعيد محذوراً عندهم ليسكون مزجراً عن مخالفة الأمر ولم يعهد أنه وقع عليهم لعن بهذا الوصف إنما الواقع عليهم ما تداولته الألسنة من اللعن المستمر الذى ألفوه وهو بمعزل من صلاحية أن يكون حكماً لهذا الوعيد أو مزجراً للعنيد وقيل إنما كان الوعيد بوقوع ما ذكر فى الآخرة عند الحشر وسيقع فيها لا محالة أحد الأمرين أو كلاهما على سبيل التوزيع وأما ما روى عن عبد الله بن سلام وكعب فمبنى على الاحتياط اللاتق بشأنهما والحق أن النظم الكريم ليس بنص فى أحد الوجهين بل المتبادر منه بحسب المقام هو الأول لأنه أدخل فى الزجر وعليه مبنى ما روى عن الخبرين لكن لما لم يتضح وقوعه علم أن المراد هو الثانى والله تعالى أعلم وأياً ما كان فلعل السر فى تخصيصهم بهذه العقوبة من بين العقوبات خراعة المشاكلة بينهما وبين ما أوجها من جنائهم التى هى التحريف والتغيير والله هو العليم الخبير (وكان أمر الله) أى ما أمر به كائناتاً ما كان أو أمره بإيقاع شيء ما من الأشياء (مفعولاً) نافذاً كائناتاً لا محالة فدخل فيه ما أوعدهم به

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا

عَظِيمًا ٤ النساء

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ٤ النساء

- دخولاً أولاً فالجمللة اعتراض تذييلي مقرر لما سبق ووضع الاسم الجليل موضع الضمير بطريق الالتفات لتربية الملمة وتعليل الحكم وتقوية مافي الاعتراض من الاستقلال (إن الله لا يغفر أن يشرك به) كلام ٤٨ مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من الوعيد وتأكيده وجوب الامثال بالآمر بالإيمان ببيان استحالة المغفرة بدونه فإنهم كانوا يفعلون ما يفعلون من التحريف ويطمعون في المغفرة كما في قوله تعالى تخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى أى على التحريف ويقولون سيغفر لنا والمراد بالشرك مطلق الكفر المنتظم لكفر اليهود انتظاماً أولاً فإن الشرع قد نص على إشراك أهل الكتاب قاطبة وقضى بخلود أصناف الكفرة في النار ونزوله في حق اليهود كما قال مقاتل وهو الأنسب بسباق النظم الكريم وسياقه لا يقتضى اختصاصه بكفرهم بل يكفي اندراجهم فيه قطعاً بل لا وجه له أصلاً لاقتضائه جواز مغفرة ما دون كفرهم في الشدة من أنواع الكفر أى لا يغفر الكفر لمن اتصف به بلاتوبة وإيمان لأن الحكمة التشريعية مقتضية لسد باب الكفر وجواز مغفرته بلا إيمان مما يؤدي إلى فتحه ولأن ظلمات الكفر والمعاصي إنما يسترها نور الإيمان فمن لم يكن له إيمان لم يغفر له شيء من الكفر والمعاصي (ويغفر ما دون ذلك) عطف على خبر إن وذلك إشارة إلى الشرك وما فيه من معنى البعد مع قربته في الذكر للإيذان ببعد درجته وكونه في أقصى مراتب القبح أى ويغفر ما دونه في القبح من المعاصي صغيرة كانت أو كبيرة تفضلاً من لدنه وإحساناً من غير توبة عنها لكن لا لكل أحد بل (لمن يشاء) أى لمن يشاء أن يغفر له من اتصف به فقط لا بما فوقه فإن مغفرتهما لمن اتصف بهما سواء في استحالة الدخول تحت المشيئة المبنية على الحكمة التشريعية فإن اختصاص مغفرة المعاصي من غير توبة بأهل الإيمان من متممات الترغيب فيه والزجر عن الكفر ومن علق المشيئة بكلا الفعلين وجعل الموصول الأول عبارة عن من لم يتب والثاني عن من تاب فقد ضل سواء الصواب كيف لا وأن مساق النظم الكريم لإظهار كمال عظم جريمة الكفر وامتيازها عن سائر المعاصي ببيان استحالة مغفرته وجواز مغفرتها فلو كان الجواز على تقدير التوبة لم يظهر بينهما فرق الإجماع على مغفرتهما بالتوبة ولم يحصل ما هو المقصود من الزجر البالغ عن الكفر والطغيان والحمل على التوبة والإيمان (ومن يشرك بالله) إظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لزيادة تقبيح الإشراك وتفضيع حال من يتصف به (فقد افترى إثماً عظيماً) أى افترى واختلق مرتكباً إثماً لا يقادر قدره ويستحق دونه جميع الآثام فلا تتعلق به المغفرة قطعاً (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم) تعجب من حالهم المنافية لما هم عليه من الكفر ٤٩ والطغيان والمراد بهم اليهود الذين يولون نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل ناس من اليهود جاءوا بأطفالهم إلى رسول الله ﷺ فقالوا هل على هؤلاء ذنب فقال ﷺ لا قالوا ما نبي إلا كهيئتهم ما حملنا بالنهار كفر

أَنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٠﴾
 أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
 هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾

٤ النساء

عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار أى انظر إليهم فتعجب من ادعائهم أنهم أذكيا عند الله تعالى مع ما هم عليه من الكفر والإثم العظيم أو من ادعائهم التكفير مع استحالة أن يغفر للكافر شيء من كفره أو معاصيه وفيه تحذير من إعجاب المرء بنفسه وبعمله (بل الله يزكى من يشاء) عطف على مقدر ينساق إليه الكلام كأنه قيل هم لا يزكونها في الحقيقة لكذبهم وبطلان اعتقادهم بل الله يزكى من يشاء تركبته من يستأهلهم من المرتضين من عباده المؤمنين إذ هو العلم الحبير بما ينطوى عليه البشر من المحاسن والمساوى وقد وصفهم الله بما هم متصفون به من القبايح وأصل التزكية نفي ما يستقبح بالفعل أو القول (ولا يظلمون) عطف على جملة قد حذفت تعويلا على دلالة الحال عليها وإيذاناً بأنها غنية عن الذكر أى يعاقبون بتلك الفعل القبيحة ولا يظلمون في ذلك العقاب (فتيلاً) أى أدنى ظلم وأصغره وهو الخيط الذى فى شق النواة يضرب به المثل فى القلة والحقارة وقيل التقدير يثاب المازكون ولا ينقص من ثوابهم شيء أصلاً ولا يساعده مقام الوعيد (انظر كيف يفترون على الله الكذب) كيف نصب إماماً على التشبيه بالظرف أو بالحال على الخلاف المشهور بين سيديويه والآخرين والعامل يفترون وبه تتعلق على أى فى أى حال أو على أى حال يفترون عليه تعالى الكذب والمراد بيان شناعة تلك الحال وكال فظاعها والجملة فى محل النصب بعد نزع الخافض والنظر متعلق بها وهو تعجيب لثرتعجيب وتنبيه على أن ما ارتكبه متضمن لآمرين عظيمين موجبين للتعجيب ادعائهم الاتصاف بما هم متصفون بنقيضه واقتراؤهم على الله سبحانه فإن ادعائهم الزكاء عنده تعالى متضمن لادعائهم قبول الله وارتضائه إياهم تعالى عن ذلك علواً كبيراً ولكون هذا أشنع من الأول جرماً وأعظم قبحاً لما فيه من نسبته سبحانه وتعالى إلى ما يستحيل عليه بالكلية من قبول الكفر وارتضائه لعباده ومغفرة كفر الكافر وسائر معاصيه وجه النظر إلى كيفية تشديد اللشنيع وتأكيده للتعجيب والتصريح بالكذب مع أن الافتراء لا يكون إلا كذباً للبالغة فى تقييح حالهم (وكفى به) أى باقتراؤهم هذا من حيث هو افتراء عليه تعالى مع قطع النظر عن مقارنته لتزكية أنفسهم وسائر آثامهم العظام (إثماً مبيناً) ظاهراً بيناً كونه إثماً والمعنى كفى بذلك وحده فى كونهم أشد إثماً من كل كفار أئيم أو فى استحقاقهم لأشد العقوبات لما مر سره وجعل الضمير لزعمهم بما لا مسامحة له لإخلاله بهويل أمر الافتراء فتدبر (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب) تعجيب من حال أخرى لهم ووصفهم بما ذكر من إتياء النصيب لما مر من منافاته لما صدر عنهم من القبايح وقوله عز وجل (يؤمنون بالجبتي والطاغوت) استئناف مبين لمادة التعجب مبنى على سؤال ينساق إليه الكلام كأنه قيل ماذا يفعلون حين ينظر إليهم فقيل يؤمنون الخ والجبتي الأصنام وكل ما عبد من دون الله تعالى فقليل أصله الجبس وهو الذى

٤ النساء

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ نَجِدَ لَهُ نَصِيراً ﴿٥٢﴾

٤ النساء

أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً ﴿٥٣﴾

- لاخير عنده فأبدل السين تاء وقيل الجبت الساحر بلغة الحبشة والطاغوت الشيطان قبل هو في الأصل كل ما يطفئ الإنسان . روى أن حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف اليهوديين خرجا إلى مكة في سبعين راكبا من اليهود ليحالفوا قريشا على محاربة رسول الله ﷺ وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه ﷺ فقالوا أنتم أهل كتاب وأنتم أقرب إلى محمد منكم إلينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا نطعمن إليكم ففعلوا فهذا إيمانهم بالجبت والطاغوت لأنهم سجدوا للأصنام وأطاعوا إبليس فيها فعلوا وقال أبو سفيان لكعب إنك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لا نعلم فأبنا أهدى طريقا نحن أم محمد فقال ماذا يقول محمد قال يأمر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني وذكروا أفعالهم فقال أنتم أهدى سبيلا وذلك قوله تعالى (ويقولون الذين كفروا) أى لا جلمهم وفى حقهم (هؤلاء) يعنونهم (أهدى من الذين آمنوا سبيلا) أى أقوم ديناً وأرشد طريقة وإبرادهم بعنوان الإيمان ليس من قبل القائلين بل من جهة الله تعالى تعريفاً لهم بالوصف الجميل وتخطئة لمن رجع عليهم المتصفين بأفحج القبايح (أولئك) إشارة إلى القائلين وما فيه من معنى البعد مع قربهم في الذكر للإشعار ببعد منزلتهم ٥٢ فى الضلال وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (الذين لعنهم الله) أى أبعدهم عن رحمته وطردهم والجملة مستأنفة ● لبيان حالهم وإظهار مصيرهم ومآلهم (ومن يلعن الله) أى يبعده عن رحمته (فلن تجد له نصيراً) يدفع عنه العذاب دنيوياً كان أو آخروياً لا بشفاعاة ولا بغيرها وفيه تنصيص على حرمانهم عما طلبوا من قريش وفى كلمة لن وتوجيه الخطاب إلى كل أحد ممن يتسنى له الخطاب وتوحيد النصير منكرراً والتعبير عن عدمه بعدم الوجدان المنبئ عن سبق الطلب مسنداً إلى المخاطب العام من الدلالة على حرمانهم الأبدى بالكلية ما لا يخفى (أم لهم نصيب من الملك) شروع فى تفصيل بعض آخر من قبائحهم وأم منقطعة وما فيها من بل الإضراب ٥٣ والانتقال من ذمهم بتزكيتهم أنفسهم وغيرهما مما حكى عنهم إلى ذمهم بادعائهم نصيباً من الملك وبخلهم المفرط وشحهم البالغ والهمزة لإنكار أن يكون لهم ما يدعون وإبطال ما زعموا أن الملك سيصير إليهم وقوله تعالى (فإذن لا يؤتون الناس نقيراً) بيان لعدم استحقاقهم له بل لاستحقاقهم الحرمان منه بسبب أنهم من البخل والدناءة بحيث لو أوتوا شيئاً من ذلك لما أعطوا الناس منه أقل قليل ومن حق من أوتي الملك أن يؤثر الغير بشيء منه فالفاء للسببية الجزائية لشرط محذوف أى إن جعل لهم نصيب منه فإذن لا يؤتون الناس مقدار نقير وهو ما ظهر التواء من النقرة يضرب به المثل فى القلة والحقارة وهذا هو البيان الكاشف عن كنه حالهم وإذا كان شأنهم كذلك وهم ملوك فما ظنك بهم وهم أذلاء متفارقون ويمحوز أن لا تكون الهمزة لإنكار الوقوع بل لإنكار الواقع والتوبيخ عليه أى لعدده منكرراً غير لائق بالوقوع على أن الفاء للعطف والإنكار متوجه إلى مجموع المعطوفين على معنى أنهم نصيب وافر من الملك حيث

أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَوَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ۝٤

٤ النساء

فِيهِمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ۝٥

٤ النساء

كانوا أصحاب أموال وبساتين وقصور مشيدة كالملوك فلا يؤتون الناس مع ذلك نفيرا كما تقول اغنى
لا يراعى أباه ألك هذا القدر من المال فلا تنفق على أهلك شيئا وفائدة إذن تأكيد الإنكار والتوبيخ
حيث يجعلون ثبوت النصيب سببا للنسب مع كونه سببا للإعطاء وهي ملغاة عن العمل كأنه قيل فلا يؤتون
الناس إذن وقرىء فلا يؤتوا بالنصب على إعمالها (أم يحسدون الناس) منقطعة أيضا مفيدة للاتصال
من توبيخهم بما سبق إلى توبيخهم بالحسد الذي هو شر الرذائل وأقبحها لا سيما على ما هم بمعزل من
استحقاقه واللام في الناس للعمد والإشارة إلى رسول الله ﷺ والمؤمنين وحمله على الجنس إيدانا بجيازتهم
الكالات البشرية فكلانهم هم الناس لا غير لا يلائمه ذكر حديث آل إبراهيم فإن ذلك لتذكير ما بين
الفريقين من العلاقة الموجبة لاشتراكهما في استحقاق الفضل والهمزة لإنكار الواقع واستقباحه فإنهم
كانوا يطمعون أن يكون النبي الموعود منهم فلما خص الله تعالى بتلك الكرامة غيرهم حسدوهم أى بل
● يحسدونهم (على ما آتاهم الله من فضله) يعنى النبوة والكتاب وازداد العزو والنصير بما في قوله تعالى
● (فقد آتينا) تعليل للإنكار والاستقباح والإزام لهم بما هو مسلم عندهم وحسم لمادة حسدكم واستبعادهم المبنيين
على توهم عدم استحقاق المحسود لما أوتى من الفضل ببيان استحقاقه له بطريق الورانة كإبراهيم عن كابر
ولجاء الكلام على سنن الكبرياء بطريق الالتفات لإظهار كمال العناية بالأمرو المعنى أن حسدكم المذكور
● فى غاية القبح والبطلان فإنا قد آتينا من قبل هذا (آل إبراهيم) الذين هم أسلاف محمد ﷺ أو أبناء أعمامه
● (الكتاب والحكمة) أى النبوة (وآتيناهم) مع ذلك (ملكا عظيما) لا يقادر قدره فكيف يستبعدون
نبوته ﷺ ويحسدونه على إيتائهم وتكرير الإيتاء لما يقتضيه مقام التفضيل مع الإشعار بما بين النبوة
والملك من المغايرة فإن أريد به الإيتاء بالذات فالمراد بآل إبراهيم أنبياءهم خاصة والضمير المنصوب
فى الفعل الثانى لبعضهم إما بحذف المضاف أو بطريق الاستخدام لما أن الملك لم يؤت كلهم . قال ابن
عباس رضى الله عنهما الملك فى آل إبراهيم ملك يوسف وداود وسليمان عليهم السلام وإن أريد به
ما يعمه وغيره من الإيتاء بالواسطة وهو اللائق بالمقام والأوفق لما قبله من نسبة إيتاء الفضل إلى الناس
فالمراد بآل إبراهيم كلهم فإن تشريف البعض بما ذكر من إيتاء النبوة والملك تشريف للكل لا اعتنائهم بآثاره
واقتراسهم من أنواره وفى تفصيل ما أوتوه وتكرير الفعل ووصف الملك بالعظم وتنكيره التفضيلى
من تأكيد الإلزام وتشديد الإنكار ما لا يخفى هذا هو المتبادر من النظم الكريم وإليه جنح جمهور أئمة
التفسير لكن الظاهر حينئذ أن يكون قوله تعالى (فهم من آمن به ومنهم من صد عنه) حكاية لما صدر
● عن أسلافهم عقيب وقوع المحكى من غير أن يكون له دخل فى الإلزام الذى سيق له الكلام أى فن جنس

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا يَتَنَبَّأُونَ نَارًا كَلَّمًا فَضُجَّتْ جُلُودُهُمْ بِدَلَنَّهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا
الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾

٤ النساء

- هؤلاء الحاسدين وآبائهم من آمن بما أوتى آل إبراهيم ومنهم من أعرض عنه وأما جعل الضميرين لما ذكر من حديث آل إبراهيم فيستدعي تراخي الآية الكريمة عما قبلها نزولاً كيف لا وحكاية إيمانهم بالحديث المذكور وإعراضهم عنه بصيغة الماضي إنما يتصور بعد وقوع الإيمان والإعراض المتأخرين عن سماع الحديث المتأخر عن نزوله وكذا جعلهم رسول الله ﷺ إذ الظاهر بيان حالهم بعد هذا الإلزام وحمله على حكاية حالهم السابقة لا تساعده الفاء المرتبة لما بعدها على ما قبلها ولا يبعد كل البعد أن تكون الهمة لتقرير حسدهم وتوبيخهم بذلك ويكون قوله تعالى فقد آتينا الآية تعليلاً له بدلالته على إعراضهم عما أوتى آل إبراهيم وإن لم يذكر كونه بطريق الحسد كأنه قيل بل يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ولا يؤمنون به وذلك ديدنهم المستمر فإنما قد آتينا آل إبراهيم ما آتينا فمنهم أي من جنسهم من آمن بما آتيناهم ومنهم من أعرض عنه ولم يؤمن به والله سبحانه أعلم وفيه تسلية لرسول الله ﷺ (وكني بجنهم سعيراً) ناراً مسعرة يعذبون بها والجملة تذييل لما قبلها (إن الذين كفروا بآياتنا) إن أريد بهم ٥٦ الذين كفروا برسول الله ﷺ فالمراد بالآيات إما القرآن أو ما يعم كله وبعضه أو ما يعم سائر معجزاته أيضاً وإن أريد بهم الجنس المتناول لهم تناولا أوليا فالمراد بالآيات ما يعم المذكورات وسائر الشواهد التي أوتيتها الأنبياء عليهم السلام (سوف نصليهم ناراً) قال سيبويه سوف كلمة تذكير للتهديد والوعيد وينوب عنها السين وقد يذكران في الوعد فيفيدان التأكيد أي ندخلهم ناراً عظيمة هائلة (كلما فضجت جلودهم) أي احترقت وكلما ظرف زمان والعامل فيه (بدلناهم جلوداً غيرها) من قبيل بدله بخوفه أمانة لا من قبيل يبدل الله سبحانه حسنات أي أعطيناهم مكان كل جلد محترق عند احترافه جلوداً جديداً مغايراً للمحترق صورة وإن كان عينه مادة بأن يزال عنه الاحتراق ليعود لإحساسه للعذاب والجملة في محل النصب على أنها حال من ضمير نصليهم وقد يجوز كونها صفة لناراً على حذف العائد أي كلما فضجت فيها جلودهم فعنى قوله تعالى (ليذوقوا العذاب) ليدوم ذوقه ولا ينقطع كقوله للعزير أعزك الله وقيل يخلق مكانه جلوداً آخر والعذاب للنفس العاصية لا لآلة إدراكها قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يبدلون جلوداً بيضاء كأمثال القراطيس وروى أن هذه الآية قرئت عند عمر رضي الله تعالى عنه فقال للقاريء أعدها فأعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها يبدل في ساعة مائة مرة فقال عمر رضي الله عنه هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقول وقال الحسن تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قبل لهم عودوا فيعودون كما كانوا وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ إن بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع وعن أبي هريرة أنه قال قال رسول الله ﷺ حرس الكافر أوتاب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام والتعبير عن إدراك العذاب بالذوق ليس لبيان قلته بل

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا ظِلِيلًا ﴿٥٧﴾

٤ النساء

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ
اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾

٤ النساء

ليبان أن إحساسهم بالعذاب في كل مرة كإحساس الذائق بالمذوق من حيث إنه لا يدخله نقصان لدوام
الملازمة أو للإشعار بمرارة العذاب مع إيلامه أو للتنبيه على شدة تأثيره من حيث إن القوة الذائقة أشد
الحواس تأثراً أو على سرايته للباطن ولعل السرفى بتبديل الجلود مع قدرته تعالى على إبقاء إدراك العذاب
وذوقه بحاله مع الاحتراق ومع إبقاء أبدانهم على حالها مصونة عن الاحتراق أن النفس ربما تتوهم زوال
الإدراك بالاحتراق ولا تستبعد كل الاستبعاد أن تكون مصونة عن التألم والعذاب بصيانة بدنهما عن
الاحتراق (إن الله كان عزيزاً) لا يمتنع عليه ما يريده ولا يمانعه أحد (حكيماً) يعاقب من يعاقبه على
وفق حكمته والجملة تعليل لما قبلها من الإصلاء والتبديل وإظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتحويل
الأمر وتربية المهابة وتعليل الحكم فإن عنوان الألوهية مناط لجميع صفات كماله تعالى (والذين آمنوا
وعملوا الصالحات) عقب بيان سوء حال الكفرة ببيان حسن حال المؤمنين تكميلاً لمساءة الأولين
ومسرة الآخرين أي الذين آمنوا بآياتنا وعملوا بمقتضياتها وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (سندخلهم جنات
نجرى من تحتها الأنهار) وقرئ سيدخلهم بالياء رداً على الاسم الجليل وفي السين تأكيد للوعد (خالدين
فيها أبداً) حال مقدرة من الضمير المنصوب في سيدخلهم وقوله عز وعلا (لهم فيها أزواج مطهرة) أي
بما في نساء الدنيا من الأحوال المستفجرة البدنية والأدناس الطبيعية في محل النصب على أنه حال من
جنات أو حال ثانية من الضمير المنصوب أو على أنه صفة لجنات بعد صفة أوفى محل الرفع على أنه خبر
للوصول بعد خبر (وندخلهم ظلاً ظليلاً) أي فيناناً لا جوب فيه دائماً لا تنسخه شمس اللهم ارزقنا
ذلك بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين والظليل صفة مشتقة من لفظ الظل للتأكيد كافي ليل أيل ويوم
أيوم وقرئ بدخلهم بالياء وهو عطف على سيدخلهم لا على أنه غير الإدخال الأول بالذات بل بالعنوان
كما في قوله تعالى ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ (إن الله
يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) في تصدير الكلام بكلمة التحقيق وإظهار الاسم الجليل وإيراد
الأمر على صورة الإخبار من الفخامة وتأكيده وجوب الامتثال به والدلالة على الاعتناء بشأنه مالا
مزيد عليه وهو خطاب يعم حكمه المكلفين قاطبة كما أن الأمانات تعم جميع الحقوق المتعلقة بدمهم من
حقوق الله تعالى وحقوق العباد سواء كانت فعلية أو قولية أو اعتقادية وإن ورد في شأن عثمان بن طلحة
ابن عبد الدار سادن الكعبة المعظمة وذلك أن رسول الله ﷺ حين دخل مكة يوم الفتح أغلق عثمان
رضي الله عنه باب الكعبة وصعد السطح وأبى أن يدفع المفتاح إليه وقال لو علمت أنه رسول الله لم

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ٤ النساء

- أمنعه فلوى على بن أبي طالب يده وأخذه منه وفتح ودخل النبي ﷺ وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فأمر علياً أن يرده إلى عثمان ويعتذر إليه فقال عثمان لعلي أكرهت وأذيت ثم جئت ترفو فقال لقد أنزل الله تعالى في شأنك قرآناً فقرأ عليه الآية فقال عثمان أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فهبط جبريل عليه الصلاة والسلام وأخبر رسول الله ﷺ أن السدانة في أولاد عثمان أبداً وقرىء الأمانة على التوحيد والمراد الجنس لا المعبود وقيل هو أمر للولاية بأداء الحقوق المتعلقة بذمهم من المناصب وغيرها إلى مستحقة كما أن قوله تعالى (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) أمر لهم بإيصال الحقوق المتعلقة بدمهم الغير إلى أصحابها وحيث كان المأمور به ههنا مختصاً بوقت المرافعة قيد به بخلاف المأمور به أولاً فإنه لما لم يتعلق بوقت دون وقت أطلق إطلاقاً فقوله تعالى أن تحكموا عطف على أن تودوا قد فصل بين العاطف والمعطوف بالظرف المعمول له عند الكوفيين والمقدر يدل هو عليه عند البصريين لأن ما بعد أن لا يعمل فيما قبلها عندهم أى وأن تحكموا إذا حكمتم الخ وقوله تعالى بالعدل متعلق بتحكموا أو بمقدر وقع حالاً من فاعله أى ملتبسين بالعدل والإنصاف (إن الله نعماء يعظكم به) ما إمام منصوبة موصوفة ببعظكم به أو مرفوعة موصولة به ● كأنه قيل نعم شيئاً يعظكم به أو نعم الشيء الذى يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف أى نعماء يعظكم به ذلك وهو المأمور به من أداء الأمانات والعدل فى الحكومات وقرىء نعماء بفتح النون والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها متضمنة لمزبد لطاف بالمخاطبين وحسن استدعاء لهم إلى الامتثال بالأمر وإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة (إن الله كان سمياً) لا قوالكم (بصيراً) بأفعالكم فهو وعد ووعد وإظهار الجلالة لما ذكر آنفاً فإن فيه تأكيداً أكمل من الوعد والوعيد (يأيتها الذين آمنوا) بعد ما أمر الولاية بطريق العموم أو بطريق الخصوص بأداء الأمانات والعدل فى الحكومات أمر سائر الناس بطاعتهم لكن لا مطلقاً بل فى ضمن طاعة الله تعالى وطاعة رسول الله ﷺ حيث قيل (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) وهم أمراء الحق وولاية العدل كالحلفاء الراشدين ومن يقتدى بهم من المهتدين وأما أمراء الجور فبمعزل من استحقاق العطف على الله تعالى والرسول ﷺ فى وجوب الطاعة لهم وقيل هم علماء الشرع لقوله تعالى ولوروده إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ويأباه قوله تعالى (فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله) إذ ليس للمقلد أن ينازع المجتهد فى حكمه إلا أن يجعل الخطاب لأولى الأمر بطريق الالتفات وفيه بعد وتصدير الشرطية بالفاء لترتيبها على ما قبلها فإن بيان حكم طاعة أولى الأمر عند موافقتها لطاعة الله تعالى وطاعة الرسول ﷺ يستدعى بيان حكمها عند المخالفة أى إن اختلفتم أنتم وأولو الأمر منكم فى أمر من أمور الدين فراجعوا فيه إلى كتاب الله (والرسول) أى إلى سنته وقد استدل ●

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى
الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ۚ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ ٤ النساء

به منكر و القياس وهو في الحقيقة دليل على حججه كيف لاورد المختلف فيه إلى المنصوص عليه إنما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو المعنى بالقياس ويؤيده الأمر به بعد الأمر بطاعة الله تعالى وبطاعة رسوله ﷺ فإنه يدل على أن الأحكام ثلاثة ثابت بالكتاب وثابت بالسنة وثابت بالرد إليهما بالقياس (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) متعلق بالأمر الأخير الوارد في محل النزاع إذ هو المحتاج إلى التحذير من المخالفة وجواب الشرط محذوف عند جمهور البصريين ثقة بدلالة المذكور عليه أي إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فردوه إلخ فإن الإيمان بهما يوجب ذلك أما الإيمان بالله تعالى فظاهر وأما الإيمان باليوم الآخر فلما فيه من العقاب على المخالفة (ذلك) أي الرد المأمور به (خير) لكم وأصلح (وأحسن) في نفسه (تأويلاً) أي عاقبة ومآلاً وتقديم خيريته لهم على أحسنيته في نفسه لما مر من تعلق أنظارهم بما ينفعهم والمراد بيان اتصافه في نفسه بالخيرية الكاملة والحسن الكامل في حد ذاته من غير اعتبار فضله على شيء يشاركه في أصل الخيرية والحسن كما ينبغي عنه التحذير السابق (ألم تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ) تلوين للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله ﷺ تعجباً له من حال الذين يتحالفون مامر من الأمر المحتوم ولا يطيعونه الله ولا رسوله ووصفهم بادعاء الإيمان بالقرآن وبما أنزل من قبله أعنى التوراة لتأكيد التعجب وتشديد التوبيخ والاستعجاب ببيان كمال المباهنة بين دعواهم وبين ما صدر عنهم وقرىء الفعلان على البناء للفاعل وقوله عز وجل (يريدون أن يتحاكوا إلى الطاغوت) استئناف سيق إيمان محل التعجب مبنى على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل ماذا يفعلون فقيل يريدون الخ روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن منافقاً خاصم يهودياً فدعاه اليهودى إلى رسول الله ﷺ ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف ثم إنهما احتكما إلى رسول الله ﷺ ففضى لليهودى فلم يرض به المذاق فدعاه إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال اليهودى فضى لى رسول الله ﷺ فلم يرض بقضائه فقال عمر للمنافق أهكذا قال نعم فقال عمر مكانكما حتى أخرج إليكما فدخل فاشتعل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا أفضى لمن لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله فنزلت فمبط جبريل عليه الصلاة والسلام وقال إن عمر فرق بين الحق والباطل فقال رسول الله ﷺ أنت الفاروق فالطاغوت كعب بن الأشرف سمي به لإفراطه في الطغيان وعداوة رسول الله ﷺ وأعلى التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه أو جعل اختيار التحاكم إلى غير النبي ﷺ على التحاكم إليه تحاكماً إلى الشيطان وقال الضحك المراد بالطاغوت كهنة اليهود وسحرتهم وعن الشعبي أن المنافق دعا خصمه إلى كاهن في جهة فتحاكما إليه وعن السدى أن الحادثة وقعت في قتل بين بنى قريظة والنضير فتحاكم المسلمون من الفريقين إلى النبي ﷺ وأبى المنافقون منهما إلا التحاكم إلى أبى بردة الكاهن الأسلمى فتحاكما إليه فيكون الاقتصار حينئذ

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ ٤ النساء
فَكَيفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِقُونَ بِاللَّهِ إِنَّ أَرْدَنَّا إِلَّا
إِحْسَنًا وَتَوَفِّيْنَا ﴿٦٢﴾ ٤ النساء

- في معرض التعجيب والاستقبح على ذكر إرادة التحاكم دون نفسه مع وقوعه أيضاً للتنبيه على أن إرادته بما يقضى منه العجب ولا ينبغي أن يدخل تحت الوقوع فما ظنك بنفسه وهذا أنسب بوصف المنافقين بادعاء الإيمان بالتوراة فإنه كما يقتضى كونهم من منافقي اليهود يقتضى كون ماصدر عنهم من التحاكم ظاهر المنافاة لادعاء الإيمان بالتوراة وليس التحاكم إلى كعب بن الأشرف بهذه المثابة من الظهور وأيضاً فالمبتدأ من قوله تعالى (وقد أمروا أن يكفروا به) كونهم مأمورين بكفره في الكتابين وما ذاك إلا الشيطان وأولياؤه المشهورون بولايتهم كالكهنة ونظائرهم لا من عداهم ممن لم يشتهر بذلك وقرىء أن يكفروا بها على أن الطاغوت جمع كما في قوله تعالى أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم والجملة حال من ضمير يريدون مفيدة لتأكيد التعجيب وتشديد الاستقبح كالوصف السابق وقوله عز و علا (ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً) عطف على يريدون داخل في حكم التعجيب فإن اتباعهم لمن يريد إضلالهم وإعراضهم عن من يريد هدايتهم أعجب من كل عجيب وضلالاً إما مصدر مؤكد للفعل المذكور بحذف الزوائد كما في قوله تعالى وأنبتنا نباتاً حسناً أى إضلالاً بعيداً وإما مصدر مؤكد لفعله المدلول عليه بالفعل المذكور أى فيضلوا إضلالاً وأياما كان فوصفه بالبعد الذى هو نعت موصوفة للبالغة وقوله تعالى (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول) تكملة لمادة التعجيب ببيان إعراضهم صريحاً عن التحاكم إلى كتاب الله تعالى ورسوله لإثريان إعراضهم عن ذلك في ضمن التحاكم إلى الطاغوت وقرىء تعالوا بضم اللام على أنه حذف لام الفعل تخفيفاً كما في قولهم ما باليت بالة أصلها بالية كعافية وكما قالوا في آية إن أصلها أية فحذفت اللام ووقعت واو الجمع بعد اللام في تعالى فضمت فصار تعالوا ومنه قول أهل مكة للبراة تعالى بكسر اللام وعليه قول أبى فراس الحمداني | أيا جارتى ما أنصف الدهر بيننا ٥ تعالى أقاسمك الهوم تعالى | (رأيت المنافقين) إظهار المنافقين في مقام الإضمار للتسجيل عليهم بالنفاق وضمهم به والإشعار بعلّة الحكم والرؤية بصرية وقوله تعالى (يصدون عنك) حال من المنافقين وقيل الرؤية قلبية والجملة مفعول ثان لها والأول هو الأنسب بظهور حالهم وقوله تعالى (صدوداً) مصدر مؤكد لفعله أى يعرضون عنك إعراضاً وأى إعراض وقيل هو اسم للمصدر الذى هو الصد والأظهر أنه مصدر لصد اللازم والصد مصدر للتعدي يقال صد عنه صدوداً أى أعرض عنه وصدّه عنه صدأ أى منعه منه وقوله تعالى (فكيف) شروع في بيان غائلة جنائهم المحكية ووخامة عاقبتها أى كيف يكون حالهم (إذا أصابتهم مصيبة) أى وقت إصابة المصيبة إياهم بافتضاحهم بظهور نفاقهم (بما قدمت أيديهم) بسبب ما عملوا من الجنایات التى من جملتها التحاكم إلى الطاغوت والإعراض عن حكمك (ثم جاءوك) للاعتذار عما صنعوا

أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ ٤ النساء
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ
وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾ ٤ النساء

- من القبائح وهو عطف على أصابتهم والمراد تفضيع حالهم وتهويل ما دهمهم من الخطب واعتراهم من
● شدة الأمر عند إصابة المصيبة وعند المجيء للاعتذار (يخلفون بالله) حال من فاعل جاءوك (إن أردنا
إلا إحساناً وتوفيقاً) أى ما أردنا بتحاكنا إلى غيرك إلا الفصل بالوجه الحسن والتوفيق بين الخصمين
ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطاً لحكمك فلا تؤاخذنا بما فعلنا وهذا وعيد لهم على ما فعلوا وأنهم سيندمون
عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار وقيل جاء أولياء المنافق يطلبون بدمه وقد أهدر الله
تعالى فقالوا ما أردنا أى ما أراد صاحبنا المقتول بالتحاكم إلى عمر رضى الله تعالى عنه إلا أن يحسن إليه
ويوفق بينه وبين خصمه (أولئك) إشارة إلى المنافقين وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم في
● الكفر والنفاق وهو مبتدأ خبره (الذين يعلم الله ما في قلوبهم) أى من فنون الشرور والفسادات المنافية
● لما أظروا لك من الأكاذيب (فأعرض عنهم) جواب شرط محذوف أى إذا كان حالهم كذلك فأعرض
عن قبول معذرتهم وقيل عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم ولا تظهر لهم عليك بما في بواطنهم ولا تهتك
● سترهم حتى يبقوا على وجل وحذر (وعظهم) أى ازجرهم عن النفاق والكيد (وقل لهم في أنفسهم)
في حق أنفسهم الخبيثة وقلوبهم المنطوية على الشرور التي يعلمها الله تعالى أوفى أنفسهم خالياً بهم ليس
● معهم غيرهم مساراً بالنصيحة لأنها في السر انجع (قولا بليغاً) مؤثراً واصلاً إلى كنه المراد مطابقاً لما
سبق له من المقصود فالظرف على التقديرين متعلق بالأمر وقيل متعلق ببليغاً على رأى من يميز تقديم
معمول الصفة على الموصوف أى قل لهم قولا بليغاً في أنفسهم مؤثراً في قلوبهم يغتمون به اغتماماً
ويستشعرون منه الخوف استشعاراً وهو التوعد بالقتل والاستئصال والإيذان بأن ما في قلوبهم من
مكنونات الشر والنفاق غير خاف على الله تعالى وأن ذلك مستوجب لأشد العقوبات وإنما هذه المكافأة
والتاخير لإظهارهم الإيمان والطاعة وإضمارهم الكفر ولئن أظهِروا الشقاق وبرزوا بأشخاصهم من
● نفق النفاق ليمسهم العذاب إن الله شديد العقاب (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله) كلام مبتدأ
جىء به تمهيداً لبيان خطئهم في الاشتغال بستر جنائهم بالاعتذار بالأباطيل وعدم تلافيها بالتوبة أى
وما أرسلنا رسولا من الرسل لشيء من الأشياء إلا ليطاع بسبب إذنه تعالى في طاعته وأمره المرسل إليهم
بأن يطيعوه ويتبعوه لأنه مؤدعته تعالى فطاعته طاعة الله تعالى ومعصيته معصيته تعالى من يطع الرسول
● فقد أطاع الله أو بتفسير الله تعالى وتوفيقه في طاعته (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم) وعرضوها لعذاب على
● عذاب النفاق بترك طاعتك والتحاكم إلى غيرك (جاءوك) من غير تأخير كما يفصح عنه تقديم الظرف
متوسلين بك في التنصل عن جنائهم القديمة والحادثة ولم يزدادوا جناية على جناية بالقصد إلى سترها

فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

٤ النساء

- بالاعتذار الباطل والأيان الفاجرة (فاستغفروا الله) بالتوبة والإخلاص وبالغوا في التضرع إليك
- حتى انتصبت شفيعاً لهم إلى الله تعالى واستغفرت لهم وإنما قيل (واستغفر لهم الرسول) على طريقة
- الالتفات تفخيم الشأن رسول الله ﷺ وتعظيماً لاستغفاره وتنبهوا على أن شفاعته في حيز القبول (لوجدوا
- الله تواباً رحيماً) لعلوه مبالغاً في قبول توبتهم والتفضل عليهم بالرحمة وإن فسر الوجدان بالمصادفة كان
- قوله تعالى تواباً حالاً ورحيماً بدل منه أو حالاً من الضمير فيه وأياً ما كان ففيه فضل ترغيب للسامعين
- في المسارعة إلى التوبة والاستغفار ومزيد تنديم لأولئك المنافقين على ما صنعوا لما أن ظهروا بتبشير قبول
- التوبة وحصول الرحمة لهم ومشاهدتهم لآثارها نعمة زائدة عليهما موجبة لكمال الرغبة في تحصيلها وتمام
- الحسرة على فواتها (فلا وربك) أي فوربك ولا مزيدة لتأكيد معنى القسم لا لتأكيد النفي في جوابه ٦٥
- أعنى قوله (لا يؤمنون) لأنها تزداد في الإثبات أيضاً كما في قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم ونظائره
- (حتى يحكموك) أي يتحاكموا إليك ويترافعوا إليك وإنما جيء بصيغة التحكيم مع أنه ﷺ حاكم بأمر
- الله سبحانه إيداناً بأن حقهم أن يجعلوه حكماً فيما بينهم ويرضوا بحكمه وإن قطع النظر عن كونه حاكماً على
- الإطلاق (فيما شجر بينهم) أي فيما اختلف بينهم من الأمور واختلط ومنه الشجر لتداخل أغصانه (ثم
- لا يجدوا) عطف على مقدر ينساق إليه الكلام أي فتقضى بينهم ثم لا يجدوا (في أنفسهم حرجاً) ضيقاً
- (مما قضيت) أي مما قضيت به أو من قضائك وقيل شكاً من أجله إذ الشاك في ضيق من أمره (و يسلموا)
- أي ينقادوا لأمرك ويدعوا له (تسليماً) تأكيد للفعل بمنزلة تكريره أي تسليماً تاماً بظاهرهم وباطنهم
- يقال سلم لأمر الله وأسلم له بمعنى وحقيقته سلم نفسه له وأسلمها إذا جعلها سالمة له خالصة أي ينقادوا لحكمك
- إنقياداً لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت في شأن المنافق واليهودى وقيل في شأن الزبير ورجل
- من الأنصار حين اختصما إلى رسول الله ﷺ في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال ﷺ
- اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك فغضب الأنصارى وقال لأن كان ابن عمك فتغير وجه رسول
- الله ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر واستوف حقه ثم أرسله إلى جارك كان قد
- أشار على الزبير برأى فيه سعة له ولخصمه فلما أحفظ رسول الله ﷺ له استوعب للزبير حقه في صريح
- الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد بن الأسود فقال لمن القضاء فقال الأنصارى قضى لابن عمته ولوى
- شذقه ففطن يهودى كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون أنه رسول الله ثم يتهمون به في قضاء
- يقضى بينهم وإيم الله لقد اذنبنا ذنباً مرة في حياة موسى فدعانا إلى التوبة منه وقال اقتلوا أنفسكم ففعلنا
- فبلغ قتلانا سبعين ألفاً في طاعة ربنا حتى رضى عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس أما والله إن الله ليعلم
- منى الصدق لو أمرنى محمد أن أقتل نفسى لقتلتها . وروى أنه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ

٤ النساء

فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا ﴿٦٦﴾

٤ النساء

وَإِذَا لَا تَأْتِيَنَّهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾

٤ النساء

وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ

٤ النساء

وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾

- رضى الله عنهم فقال رسول الله ﷺ والذي نفسى بيده إن من أمتى رجالا الإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسى فتزلت في شأن هؤلاء (ولو أنا كتبنا عليهم أن يقتلوا أنفسهم أو اخرجوا من دياركم) أى لو أوجبنا عليهم مثل ما أوجبنا على بنى إسرائيل من قتلهم أنفسهم أو خروجهم من ديارهم حين استتابتهم من عبادة العجل وأن مصدرية أو مفسرة لأن كتبنا فى معنى أمرنا (ما فعلوه) أى المكتوب المدلول عليه
- بكتبنا أو أحد مصدرى الفعلين (إلا قليل منهم) أى إلا أناس قليل منهم وهم المخلصون من المؤمنين وروى عن عمر رضى الله عنه أنه قال والله لو أمرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذى لم يفعل بنا ذلك وقيل معنى اقتلوا أنفسكم تعرضوا بها للقتل بالجهاد وهو بعيد وقرئ إلا قليلا بالنصب على الاستثناء أو إلا فعلا قليلا (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به) من متابعة الرسول ﷺ وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به ظاهراً وباطناً وسميت أوامر الله تعالى ونواهيها مواعظ لاقتراها بالوعد والوعيد (لكان) أى فعلهم ذلك (خير لهم) عاجلاً وآجلاً (وأشد تثبيثاً) لهم على الإيمان وأبعد من الاضطراب فيه وأشد تثبيثاً لثواب أعمالهم (وإذا لا تيناهم من لدنا أجرًا عظيمًا) جواب لسؤال مقدر كأنه قيل وماذا يكون لهم بعد التثبيت
 - ٦٧ فقيل وإذن لو ثبتوا لا تيناهم فإن إذن جواب وجزاء (ولهدينهم صراطاً مستقيماً) يصلون بسلوكة إلى
 - ٦٨ عالم القدس ويفتح لهم أبواب الغيب قال ﷺ من عمل بما علم ورثه الله تعالى علم ما لم يعلم (ومن يطع الله والرسول) كلام مستأنف فيه فضل ترغيب في الطاعة ومزيد تشويق إليها ببيان أن نتيجتها أقصى ما ينتهى إليه هم الأمام وأرفع ما يمتد إليه أعناق عزائمهم من مجاورة أعظم الخلائق مقداراً وأرفعهم مناراً متضمن لتفسير ما أبهم في جواب الشرطية السابقة وتفصيل ما أجل فيه والمراد بالطاعة هو الانقياد
 - التام والامثال الكامل لجميع الأوامر والنواهي (فأولئك) إشارة إلى المطيعين والجمع باعتبار معنى من كما أن الأفراد في فعل الشرط باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع القرب في الذكر للإيذان بعلود رجعتهم وبعد منزلتهم في الشرف وهو مبتدأ خبره (مع الذين أنعم الله عليهم) والجملة جواب الشرط وترك ذكر المنعم به للإشعار بقصور العبارة عن تفصيله وبيانه (من النبيين) بيان للمنعم عليهم والتعرض لمعية سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع أن الكلام فى بيان حكم طاعة نبينا ﷺ لجريان ذكرهم فى

- سبب النزول مع ما فيه من الإشارة إلى أن طاعته ﷺ متضمنة لطاعتهم لاشتغال شريعته على شرائعهم التي لا تتغير بتغير الأعصار روى أن نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا يا نبي الله إن صرنا إلى الجنة تفضلنا بدرجات النبوة فلا نراك وقال الشعبي جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله وهو يبكي فقال ما يبكيك يا فلان فقال يا رسول الله بالله الذي لا إله إلا هو لآنت أحب إلى من نفسي وأهلي ومالي وولدي وإنى لا أذكرك وأنا في أهلي فيأخذني مثل الجنون حتى أراك وذكرت موتى وأنتك ترفع مع البدين وإنى إن أدخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك فلم يرد النبي ﷺ فنزلت وروى أن ثوبان مولى رسول الله ﷺ كان شديد الحب له عليه الصلاة والسلام قليل الصبر عنه فأتاه يوماً وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله ﷺ عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير أنى إذا لم أراك اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة حتى أفتاك فذكرت الآخرة خفت أن لا أراك هناك لأنى عرفت أنك ترفع مع البدين وإن أدخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وإن لم أدخل فذاك حين لا أراك أبداً فنزلت فقال عليه الصلاة والسلام والذي نفسى بيده لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وأبويه وأهله وولده والناس أجمعين وحكى ذلك عن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم وروى أن أنسا قال يا رسول الله الرجل يحب قوماً ولما يلحق بهم قال عليه الصلاة والسلام المرء مع من أحب (والصديقين) ●
- أى المتقدمين فى تصديقهم المبالغين فى الصدق والإخلاص فى الأقوال والأفعال وهم أفاضل أصحاب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأمائل خواصهم المقربين كآبى بكر الصديق رضى الله عنه (والشهداء) ●
- الذين بذلوا أرواحهم فى طاعة الله تعالى وإعلاء كلمته (والصالحين) الصارفين أعمارهم فى طاعته وأموالهم فى مرضاته وليس المراد بالمعوية الاتحاد فى الدرجة ولا مطلق الاشتراك فى دخول الجنة بل كونهم فيها بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وزيارته متى أرادوا إن بعد ما بينهما من المسافة (وحسن أو أوثق رفيقاً) الرفيق صاحب مأخوذ من الرفق وهو لين الجانب واللطافة فى المعاشرة قولاً وفعلًا فإن جعل أولئك إشارة إلى النبيين ومن بعدهم على أن ما فيه من معنى البعد لما مر مراراً فرفيقاً إما تمييز أو حال على معنى أنهم وصفوا بالحسن من جهة كونهم رفقاء للمطيعين أو حال كونهم رفقاء لهم وإفراده لما أنه كالصديق والخليط والرسول يستوى فيه الواحد والمتعدد أو لأنه أريد حسن كل واحد منهم رفيقاً وإن جعل إشارة إلى المطيعين فهو تمييز على معنى أنهم وصفوا بحسن الرفيق من النبيين ومن بعدهم لا بنفس الحسن فلا يجوز دخول من عليه كما يجوز فى الوجه الأول والمجمل تذييل مقرر لما قبله مؤكداً للترغيب والتشويق قيل فيه معنى التعجب كأنه قيل وما أحسن أولئك رفيقاً ولا استقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن يسكون السين (ذلك) إشارة إلى ما للمطيعين من عظيم الأجر ومزيد الهداية ومرافقة هؤلاء ٧٠ المنعم عليهم أو إلى فضلهم ومزيتهم وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو رتبته وبعد منزلته فى الشرف وهو مبتدأ وقوله تعالى (الفضل) صفته وقوله تعالى (من الله) خبره أى ذلك الفضل العظيم من الله ●

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ اَنْفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾
 وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُّبِطَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالِ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾
 وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلْبِيتُنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ
 فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾

٤ النساء

- تعالى لا من غيره أو الفضل خبره ومن الله متعلق بمحذوف وقع حالاً منه والعامل فيه معنى الإشارة أى
 ذلك الذى ذكر الفضل كأنما من الله تعالى لا أن أعمال المكلفين توجبها (وكفى بالله علماً) بجزاء من أطاعه
 ٧١ وبمقادير الفضل واستحقاق أهله (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم) الحذر والحذر واحد كالآثر والآثر
 والشبه والشبه أى تيقظوا واحترزوا من العدو ولا تمسكنوه من أنفسكم يقال أخذ حذره إذا تيقظ
 واحترز من المخوف كأنه جعل الحذر آله التىبقى بها نفسه وقيل هو ما يحذر به من السلاح والحزم أى
 استعدوا للعدو (فانفروا) بكسر الفاء وقرئ بضمها أى اخرجوا إلى الجهاد عند خروجكم (ثبات) جمع
 ثبة وهى الجماعة من الرجال فوق العشرة ووزنها فى الأصل فعلة كخطمة حذفت لامها وعوض عنها تاء
 التأنيث وهل هى واو أو ياء فيه قولان قيل إنها مشتقة من ثبا يثبو كحلا يخلو أى اجتمع وقيل من ثبتت على
 الرجل إذا أُنبت عليه كأنك جمعت محاسنه ويجمع أيضاً على ثبين جبراً لما حذف من عجزه ومحلهما نصب
 على الحالية أى انفروا جماعات متفرقة سرية بعد سرية (أو انفروا جميعاً) أى مجتمعين كوكبة واحدة ولا
 ٧٢ تتخاذلوا فتلقوا بأنفسكم إلى التهلكة (وإن منكم لمن ليبطئن) أى ليتناقلن ولينخلفن عن الجهاد من بطأ بمعنى
 أبطأ كعتم بمعنى أعم والخطاب لعسكر رسول الله ﷺ كلهم المؤمنين منهم والمنافقين والمبطلون منافقوهم
 الذين تناقلوا وتحلفوا عن الجهاد أو ليبطئن غيره ويثبطنه من بطأ منقولاً من بطؤ كثقل من ثقل كإبطأ ابن
 أبى ناسأ يوم أحد والأول أنسب لما بعده واللام الأولى للابتداء دخلت على اسم إن للفصل بالخبر والثانية
 جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع إليه ما استكن فى ليبطئن والتقدير وإن منكم لمن
 أقسم بالله ليبطئن (فإن أصابكم مصيبة) كقتل وهزيمة (قال) أى المبطل. فرحاً بصنعه وحامداً لرأيه (قد
 أنعم الله على) أى بالقعود (إذ لم أكن معهم شهيداً) أى حاضرأ فى المعركة فيصينى ما أصابهم والفاء فى الشرطية
 لترتيب مضمونها على ما قبلها فإن ذكر التبطئة مستتبع لذكر ما يترتب عليها كما أن نفس التبطئة مستتبعه
 ٧٣ لشيء ينتظر المبطل. وقوعه (ولئن أصابكم فضل) كفتح وغنيمة (من الله) متعلق بأصابتكم أو بمحذوف
 وقع صفة لفضل أى فضل كائن من الله تعالى ونسبة لإصابة الفضل إلى جناب الله تعالى دون إصابة المصيبة
 من العادات الشريفة التنزيلية كما فى قوله سبحانه وإذا مرضت فهو يشفين وتقديم الشرطية الأولى لما أن
 مضمونها لمقصدهم أوفق وأثر نفاقهم فيها أظهر (ليقولن) ندامة على تثبطه وقعوده وتهاكها على حطام
 الدنيا وتحسرا على فواته وقرئ أيقولن بضم اللام إعادة للضمير إلى معنى من وقوله تعالى (كان لم تكن

فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ
فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

٤ النساء

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ
نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

٤ النساء

- بينكم وبينه مودة) اعتراض وسط بين الفعل ومفعوله الذي هو (باليتمنى كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً) لئلا يفهم من مطلع كلامه أن تمنيه لمعية المؤمنين لنصرتهم ومظاهرتهم حسبما يقتضيه ما في البين من المودة بل هو للحرص على المال كما ينطق به آخره وليس لإثبات المودة في البين بطريق التحقيق بل بطريق التهمك وقيل الجملة التشبيهية حال من ضمير ليقولن أى ليقولن مشبهها بمن لا مودة بينكم وبينه وقيل هي داخلة في المقول أى ليقولن المثبط لمن يثبطه من المنافقين وضعة المؤمنين كأن لم تكن بينكم وبين محمد مودة حيث لم يستصحبكم في الغزو حتى تفوزوا بما فاز باليتمنى كنت معهم وغرضه إلقاء العدو بينهم وبينه عليه الصلاة والسلام وتأكيدها وكان مخففة من الثقله واسمها ضمير الشأن وهو محذوف وقرىء لم يكن بالياء والمنادى في باليتمنى محذوف أى يا قوم وقيل يا أطلق للتنبية على الاتساع وقوله تعالى فأفوز نصب على جواب التمنى وقرىء بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى فأننا أفوز في ذلك الوقت أو على أنه معطوف على كنت داخل معه تحت التمنى (فليقاتل في سبيل الله) قدم الظرف على الفاعل للاهتمام به (الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة) أى يبيعونها بها وهم المؤمنون فالفاء جواب شرط مقدر أى إن بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المحلصون الباذلون أنفسهم في طلب الآخرة أو الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة وهم المبطلون فالفاء للتعقيب أى لتركوا ما كانوا عليه من التثبط والتفان وليعقبوه بالقتال في سبيل الله (ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه) بنون العظمة التفاتاً (أجرأ عظيماً) لا يقادر قدره وتعقيب القتال بأحد الأمرين للإشعار بأن المجاهد حقه أن يوطن نفسه بإحدى الحسنيين ولا يخطر بباله القسم الثالث أصلاً وتقديم القتل للإيذان بتقدمه في استتباع الأجر . روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال تكفل الله تعالى لمن جاهد في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيله وتهديق كلمته أن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر وغنيمة (وما لكم) خطاب للامورين بالقتال على طريقة الالتفات مبالغة في التحريض عليه وتأكيدها لوجوبه وهو مبتدأ وخبر وقوله عز وجل (لا تقاتلون في سبيل الله) حال عاملها ما في الظرف من معنى الفعل والاستفهام للإنكار والنفي
- أى أى شيء لكم غير مقاتلين أى لا عذر لكم في ترك المقاتلة (والمستضعفين) عطف على اسم الله أى في سبيل المستضعفين وهو تخليصهم من الأسر ووصونهم عن العدو أو على السبيل بحذف المضاف أى في

الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ
الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾

٤ النساء

- خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فإن سبيل الله يعم أبواب الخير وتخليص ضعفة المؤمنين من أيدي الكفرة أعظمها وأخصها (من الرجال والنساء والولدان) بيان للمستضعفين أحوال منهم وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين أو لضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتننين وإنما ذكر الولدان معهم تكميلاً للاستعطف واستجلاب الرحمة وتنبهاً على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ أذاهم الصبيان لإرغام آبائهم وأمهاتهم وإيذاناً بإجابة الدعاء الآتي واقتراب زمان الخلاص ببيان شركتهم في التضرع إلى الله تعالى كل ذلك للبالغة في الحث على القتال وقيل المراد بالولدان العبيد والإماء إذ يقال لهما الوليد والوليدة وقد غلب الذكور على الإناث فأطلق الولدان على الولائد أيضاً (الذين) محله الجر على أنه صفة للمستضعفين أو لما في حيز البيان أو النصب على الاختصاص (يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها) بالشرك الذي هو ظلم عظيم وبأذية المسلمين وهي مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما أسند إليه فإن اسم الفاعل والمفعول إذا أجرى على غير من هو له كان كالفعل في التذكير والتأنيث بحسب ما عمل فيه (واجعل لنا من لدنك ولياً) كلا الجارين متعلق باجعل لاختلاف معنيهما وتقديم المجرورين على المفعول الصريح لإظهار الاعتناء بهما وإبراز الرغبة في المؤخر بتقديم أحواله فإن تأخير ما حقه التقديم عما هو من أحواله المرغبة فيه كما يورث شوق السامع إلى وروده ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بمصوله لا محالة وتقديم اللام على من للسارة إلى إبراز كون المستول نافعاً لهم مرغوباً فيه لديهم ويجوز أن تتعلق كلمة من بمحذوف وقع حالاً من ولياً قدمت عليه لكونه نكرة وكذا الكلام في قوله تعالى (واجعل لنا من لدنك نصيراً) قال ابن عباس رضى الله عنهما أى ول علينا والياً من المؤمنين يوالينا ويقوم بمصالحنا ويحفظ علينا ديننا وشرعنا وينصرنا على أعدائنا ولقد استجاب الله عز وجل دعاءهم حيث يسر لبعضهم الخروج إلى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي وأعز ناصر ففتح مكة على يدي نبيه ﷺ فتولاهم أى تول ونصرهم آية نصره ثم استعمل عليهم عتاب بن أسيد فحامهم ونصرهم حتى صاروا أعز أهلها وقيل المراد واجعل لنا من لدنك ولاية ونصرة أى كن أنت ولينا وناصرنا وتكرير الفعل ومتعلقه للبالغة في التضرع والابتهاال (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله) كلام مبتدأ سيق لترغيب المؤمنين في القتال وتشجيعهم ببيان كمال قوتهم بإمداد الله تعالى ونصرته وغاية ضعف أعدائهم أى المؤمنون إنما يقاتلون في دين الله الحق الموصل لهم إلى الله عز وجل وفي إعلاء كلمته فهو وليهم وناصرهم لا محالة (والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) أى فيما يوصلهم إلى الشيطان فلا ناصر لهم سواه والفاء في قوله تعالى (فقاتلوا أولياء الشيطان) لبيان استتباع ما قبلها لما بعدها وذكرهم بهذا العنوان للدلالة على أن ذلك نتيجة لقتالهم في سبيل الشيطان والإشعار بأن المؤمنين أولياء الله تعالى لما أن قتالهم في سبيله وكل

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ النساء

- ذلك لما كيد رغبة المؤمنين في القتال وتقوية عزائمهم عليه فإن ولاية الله تعالى علم في العزة والقوة كما أن ولاية الشيطان مثل في الذلة والضعف كأنه قيل إذا كان الأمر كذلك فقاتلوا بأولياء الله أو أولياء الشيطان ثم صرح بالتعليل فقيل (إن كيد الشيطان كان ضعيفاً) أى في حد ذاته فكيف بالقياس إلى قدرة الله تعالى ولم يتعرض لبيان قوة جنابه تعالى إيذاناً بظهورها قالوا فائدة إدخال كان في أمثال هذه المواقع التأكيد ببيان أنه منذ كان كان كذلك فالمعنى إن كيد الشيطان منذ كان كان موصوفاً بالضعف (ألم تر إلى الذين قيل ٧٧ لهم كفوا أيديكم) تعجيب لرسول الله ﷺ من إحجامهم عن القتال مع أنهم كانوا قبل ذلك راغبين فيه حرصاً عليه بحيث كادوا يباشرونه كما ينبغي عنه الأمر بكف الأيدي فإن ذلك مشعر بكونهم بصدد بسطها إلى العدو بحيث يكادون يسطون بهم قال الكلبي إن جماعة من أصحاب النبي ﷺ منهم عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن الأسود الكندي وقدامة بن مظعون الجمحي وسعد بن أبي وقاص الزهري رضي الله تعالى عنهم كانوا يلقون من مشركي مكة قبل الهجرة أذى شديداً فيشكون ذلك إلى النبي ﷺ ويقولون انذن لنا في قتالهم ويقول لهم النبي ﷺ كفوا أيديكم (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فإني لم أومر بقتالهم وبناء القول للمفعول مع أن القائل هو النبي ﷺ الإيذان بكون ذلك بأمر الله سبحانه وتعالى ولأن المقصود بالذات والمعتبر في التعجيب إنما هو كمال رغبتهم في القتال وكونهم بحيث احتاجوا إلى النهي عنه وإنما ذكر في حين الصلاة الأمر بكف الأيدي لتحقيقه وتصويره على طريقة الكناية فلا يتعلق ببيان خصوصية الأمر غرض وكانوا في مدة إقامتهم بمكة مستمرين على تلك الحالة فلما هاجروا مع رسول الله ﷺ إلى المدينة وأمروا بالقتال في وقعة بدر كرهه بعضهم وشق ذلك عليه لكن لا شك في الدين ولا رغبة عنه بل نفوراً عن الأخطار بالأرواح وخوفاً من الموت بموجب الجبلية البشرية وذلك قوله تعالى (فلما كتب عليهم القتال) الخ وهو عطف على قيل لهم كفوا أيديكم باعتبار مدلوله الكنائي إذ حينئذ يتحقق التباين بين مدلولي المعطوفين وعليه يدور أمر التعجيب كأنه قيل ألم تر إلى الذين كانوا حرصاً على القتال فلما كتب عليهم كرهه بعضهم وقوله تعالى (إذا فريق منهم يخشون الناس) جواب لما على أن فريق مبتدأ ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة له ويخشون خبره وتصديره بإذا المفاجأة لبيان مسارعته إلى الخشية أثر ذي أثر من غير تلعم وتردد أي فاجأ فريق منهم أن يخشوا الكفار أن يقتلوه ولعل توجيه التعجيب إلى الكل مع صدور الخشية عن بعضهم للإيذان بأنه ما كان ينبغي أن يصدر عن أحدهم ما ينافي حالتهم الأولى وقوله تعالى (كخشية الله) مصدر مضاف إلى المفعول محله النصب على أنه حال من فاعل يخشون أي يخشونهم مشبهين لأهل خشية الله تعالى وقوله تعالى (أو أشد خشية) عطف عليه بمعنى أو أشد خشية من أهل

أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ قَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾

٤ النساء

- خشية الله أو على أنه مصدر مؤكد على جعل الخشية ذات خشية مبالغة كما في جدجده أي يخشونهم خشية مثل خشية الله أو خشية أشد خشية من خشية الله وأياً ما كان فكلمة أو إما للتنويع على معنى أن خشية بعضهم خشية الله وخشية بعضهم أشد منها وإما للإيهام على السامع وهو قريب مما في قوله تعالى وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون يعني أن من يبصرهم يقول إنهم مائة ألف أو يزيدون (وقالوا) عطف على جواب لما أي فلما كتب عليهم القتال فاجأ فريق منهم خشية الناس وقالوا (ربنا لم كتبت علينا القتال) في هذا الوقت لا على وجه الاعتراض على حكمه تعالى والإكثار لإيجابه بل على طريق تمني التخفيف (لولا آخر تنال إلى أجل قريب) استزادة في مدة الكف واستمهال إلى وقت آخر حذراً من الموت وقد جوز أن يكون هذا مما نطقت به السنة حالهم من غير أن يتفوهوا به صريحاً (قل) أي تزهيداً لهم فيما يؤملونه بالعود من المناع الفائ وترغيباً فيما ينالونه بالقتال من النعيم الباقي (متاع الدنيا) أي ما يتمتع وينتفع به في الدنيا (قليل) سريع التقضي وشيك الانصرام وإن أخرتم إلى ذلك الأجل (والآخرة) أي ثوابها الذي من جملته الثواب الممنوط بالقتال (خير) أي لكم من ذلك المتاع القليل لكثيرته وعدم انقطاعه وصفائه عن الكدورات وإنما قيل (لمن اتقى) حثا لهم على اتقاء العصيان والإخلال بمواجب التكليف (ولا تظلمون قليلاً) عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أي تجزون فيها ولا تنقصون أدنى شيء من أجور أعمالكم التي من جملتها مسعاكم في شأن القتال فلا ترغبوا عنه والقتيل ما في شق النواة من الخيط يضرب به المثل في القلة والحقارة وقرى يظلمون بالياء إعادة للضمير إلى ظاهر من (أينما تكونوا يدرككم الموت) كلام مبتدأ مسوق من قبله تعالى بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن رسول الله ﷺ إلى مخاطبين اعتناء بالزامهم إثر بيان حقارة الدنيا وعلو شأن الآخرة بواسطة ﷺ فلا محل له من الإعراب أو في محل نصب داخل تحت القول المأمور به أي أينما تكونوا في الحضر والسفر يدرككم الموت الذي لأجله تكرهون القتال زعمائكم أنه من مظانه وتحبون القعود عنه على زعم أنه منجاة منه وفي لفظ الإدراك إشعار بأنهم في الحرب من الموت وهو مجد في طلبهم وقرى بالرفع على حذف الفاء كما في قوله [من يفعل الحسنات الله يشكرها] أو على اعتبار وقوع أينما كنتم في موقع أينما تكونوا أو على أنه كلام مبتدأ وأينما تكونوا متصل بلا تظلمون أي لا تنقصون شيئاً مما كتب من آجالكم أينما تكونوا في ملاحم الحروب ومعارك الخطوب (ولو كنتم في بروج مشيدة) في حصون رفيعة أو قصور محصنة وقال السدي وقتادة بروج السماء يقال شاد البناء وأشاده وشيده رفعه وقرى مشيدة بكسر الياء وصفها لها بفعل فاعلها مجازاً كما في قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر إذا رفعه أو طلاه بالشيد وهو الجص وجواب لو محذوف اعتماداً على دلالة

مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

٤ النساء

- ما قبله عليه أى ولو كنتم فى بروج مشيدة يدرككم الموت والجملة معطوفة على أخرى مثلها أى لو لم تكونوا فى بروج مشيدة ولو كنتم الخ وقد اطردها حذفها لدلالة المذكور عليها دلالة واضحة فإن الشيء إذا تحقق عند وجود المانع فلأن يتحقق عند عدمه أولى وعلى هذه النكتة يدور ما فى الوصلية من التأكيد والمبالغة وقد مر تحقيقه فى تفسير قوله تعالى أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون (وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله) كلام مبتدأ جرى به عقيب ما حكى عن المسلمين لما بينهما من المناسبة فى اشتغالهما على إسناد ما يكرهونه إلى بعض الأمور وكرهاتهم له بسبب ذلك والضمير لليهود والمنافقين . روى أنه كان قد بسط عليهم الرزق فلما قدم النبي ﷺ المدينة فدعاهم إلى الإيمان فكفروا أمسك عنهم بعض الإمساك فقالوا مازلنا نعرف النقص فى ثمارنا ومزارعنا منذ قدم هذا الرجل وأصحابه وذلك قوله تعالى (وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك) أى وإن تصبهم نعمة ورخاء نسبوها إلى الله تعالى وإن تصبهم بلية من جدد وغلاء أضافوها إليك كما حكى عن أسلافهم بقوله تعالى وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه فأمر النبي ﷺ بأن يرد زعمهم الباطل ويرشدهم إلى الحق ويلقهم الحجر ببيان إسناد الكل إليه تعالى على الإجمال إذ لا يجترئون على معارضة أمر الله عز وجل حيث قيل (قل كل من عند الله) أى كل واحدة من النعمة والبلية من جهة الله تعالى خلقاً وإيجاداً من غير أن يكون لى مدخل فى وقوع شيء منهما بوجه من الوجوه كما تزعمون بل وقوع الأولى منه تعالى بالذات تفضلاً ووقوع الثانية بواسطة ذنوب من ابتلى بها عقوبة كما سيأتى بيانه فهذا الجواب المجمل فى معنى ما قيل ردأ على أسلافهم من قوله تعالى ألا إنما طائرهم عند الله أى إنما سبب خيرهم وشرهم أو سبب إصابتهم السيئة التى هى ذنوبهم عند الله تعالى لا عند غيره حتى يسندوها إليه ويطيروا به وقوله تعالى (فما لهؤلاء القوم) الخ كلام معترض بين المبين وبيانه مسوق من جهته تعالى لتعيرهم بالجهل وتقصيص حالهم والتعجيب من كمال غباوتهم والفاء لترتيبه على ما قبله وقوله تعالى (لا يكادون يفقهون حديثاً) حال من هؤلاء والعامل فيها ما فى الظرف من معنى الاستقرار أى وحيث كان الأمر كذلك فأى شيء حصل لهم حال كونهم بمعزل من أن يفقهوا حديثاً أو استئناف مبنى على سؤال نشأ من الاستفهام كأنه قيل ما بالهم وماذا يصنعون حتى يتعجب منه أو يسأل عن سببه فقيل لا يكادون يفقهون حديثاً من الأحاديث أصلاً فيقولون ما يقولون إذ لو فقهوا شيئاً من ذلك لفهموا هذا النص وما فى معناه وما هو أوضح منه من النصوص القرآنية الناطقة بأن الكل فائض من عند الله تعالى وأن النعمة منه تعالى بطريق التفضل والإحسان والبلية بطريق العقوبة على ذنوب العباد لاسيما النص الوارد عليهم فى صحف موسى وإبراهيم الذى وفى أن لا تزر وازرة وزر أخرى ولم يسندوا جنابة أنفسهم إلى غيرهم وقوله تعالى (ما أصابك من حسنة) الخ بيان للجواب المجمل المأمور به وأجراؤه ٧٩

مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ﴿٨٠﴾

على لسان النبي ﷺ ثم سوق البيان من جمته عز وجل بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه إلى كل واحد من الناس والالتفات لمزيد الاعتناء به والاهتمام برد مقالتهم الباطلة والإيذان بأن مضمونه مبنى على حكمة دقيقة حقيقة بأن يتولى بيانها علام الغيوب وتوجيه الخطاب إلى كل واحد منهم دون كلهم كما في قوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم للبالة في التحقيق بقطع احتمال سببية معصية بعضهم لعقوبة الآخرين أي ما أصابكم من نعمة من النعم (فن الله) أي فهم منه تعالى بالذات تفضلاً وإحساناً من غير استيجاب لها من قبلك كيف لا وأن كل ما يفعله المرء من الطاعات التي يفرض كونها ذريعة إلى إصابته نعمة ما فهم بحيث لا تكاد تكفي نعمة حياته المقارنة لأدائها ولا نعمة إقداره تعالى إياه على أدائها فضلاً عن استيجابها لنعمة أخرى ولذلك قال ﷺ ما أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله تعالى قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا (وما أصابكم من سيئة) أي بلية من البلايا (فن نفسك) أي فهم منها بسبب اقترافها المعاصي الموجبة لها وإن كانت من حيث الإيجاد منتسبة إليه تعالى نازلة من عنده عقوبة كقوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وعن عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر وقيل الخطاب لرسول الله ﷺ كاقبله وما بعده لكن لا لبيان حاله ﷺ بل لبيان حال الكفرة بطريق التصوير ولعل ذلك لإظهار كمال السخط والغضب عليهم والإشعار بأنهم لفرط جهلهم وبلاذتهم بمعزل من استحقاق الخطاب لاسيما بمثل هذه الحكمة الأنيقة (وأرسلناك للناس رسولا) بيان لجلالة منصبه ﷺ ومكانته عند الله عز وجل بعد بيان بطلان زعمهم الفاسد في حقه ﷺ بناء على جهلهم بشأنه الجليل وتعريف الناس للاستغراق والجار إما متعلق برسول الله عليه للاختصاص الناظر إلى قيد العموم أي مرسلات لكل الناس لا لبعضهم فقط كما في قوله تعالى وما أرسلناك إلا كافة للناس ولما بالفعل فرسولا حال مؤكدة وقد جوز أن يكون مصدراً مؤكداً كما في قوله [لقد كذبوا] ما فهمت عندهم * بسرولا أرسلتهم برسول أي يارسال بمعنى رسالة (وكفى بالله شهيداً) أي على رسالتك بنصب المعجزات التي من جملتها هذا النص الناطق والوحى الصادق والالتفات لتربية المهابة وتقوية الشهادة والجملة اعتراض تذييلي (من يطع الرسول فقد أطاع الله) بيان لأحكام رسالته ﷺ إثرياً ببيان تحققها وثبوتها وإنما كان كذلك لأن الأمر والنهي في الحقيقة هو الله تعالى وإنما هو ﷺ مبلغ لأمره ونهيه فراجع الطاعة وعدمها هو الله سبحانه . روى أنه ﷺ قال من أحبني فقد أحب الله ومن أطاعني فقد أطاع الله فقال المنافقون ألا تسمعون إلى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى أن يعبد غير الله ما يريد إلا أن تتخذة رباً كما اتخذت النصارى عيسى فزلت . والتعبير عنه ﷺ بالرسول دون الخطاب للإيذان بأن مناط كون طاعته ﷺ طاعة له تعالى ليس خصوصية ذاته ﷺ بل من حيثية رسالته وإظهار الجلالة لتربية المهابة وتأكيد وجوب الطاعة بذكر عنوان الألوهية وحمل الرسول على الجنس المنتظم له ﷺ انتظاماً أولاً بأياه تخصيص الخطاب

وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾

٤ النساء

أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوْ جَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾

٤ النساء

- به ﷺ في قوله تعالى (ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفياً) وجواب الشرط محذوف والمذكور تعليل له أى ومن أعرض عن الطاعة فأعرض عنه إنما أرسلناك رسولا مبلغاً لا حفياً مهميننا تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم بحسبها وحفيظاً حال من الكاف وعليهم متعلق به قدم عليه رعاية للفصلة وجمع الضمير باعتبار معنى من كما أن الأفراد في تولى باعتبار لفظه (ويقولون) شروع في بيان معاملتهم ٨١ مع الرسول ﷺ بعد بيان وجوب طاعته أى يقولون إذا أمرتهم بشيء (طاعة) أى أمرنا وشأننا طاعة أو منا طاعة والأصل النصب على المصدر والرفع للدلالة على الثبات كسلام (فإذا برزوا من عندك) أى خرجوا من مجلسك (بيت طائفة منهم) أى من القائلين المذكورين وهم رؤساؤهم (غير الذى تقول) أى زورت طائفة منهم وسوت خلاف ما قالت لك من القبول وضمن الطاعة لأنهم مصرون على الرد والعصيان وإنما يظهرون ما يظهرون على وجه النفاق أو خلاف ما قلت لها والتبيت إما من البتوتة لأنه قضاء الأمر وتدبيره بالليل يقال هذا أمر بيت لليل وإمام بيت الشعر لأن الشاعر يدبره ويسوبه وتذكير الفعل لأن تأنيث الطائفة غير حقيقى وقرئ بإدغام التاء في الطاء لقرب المخرج وإسناده إلى طائفة منهم لبيان أنهم المتصدون له بالذات والباقيون أتباع لهم في ذلك لا لأن الباقيين ثابتون على الطاعة (والله يكتب ما يبيتون) أى يكتبه في جملة ما يوحى إليك فيطلعك على أسرارهم فلا يحسبوا أن مكرهم يخفى عليكم فيجدوا بذلك إلى الإضرار بكم سبيلاً أو يثبتته في صحائفهم فيجازيهم عليه وأيا ما كان فالجملة اعتراضية (فأعرض عنهم) أى لا تبال بهم وبما صنعوا أو تحاف عنهم ولا تتصد للانتقام منهم والفاء لسببية ما قبلها لما بعدها (وتوكل على الله) فى كل ما تاتى وما تذر لاسيما فى شأنهم وإظهار الجلالة فى مقام الإضمار للإشعار بعله الحكم (وكفى بالله وكيلاً) فيكفيك معرفتهم وينتقم لك منهم والإظهار ههنا أيضاً لما مر والتنبيه على استقلال الجملة واستغنائها عما عداها من كل وجه (أفلا يتدبرون القرآن) إنكار واستقباح لعدم تدبرهم القرآن ٨٢ وإعراضهم عن التأمل فيما فيه من موجبات الإيمان وتدبر الشيء تأمله والنظر فى أذاره وما يؤول إليه فى عاقبته ومنتهاه ثم استعمل فى كل تفكر ونظر والفاء للعطف على مقدر أى أيعرضون عن القرآن فلا يتأملون فيه ليعلموا كونه من عند الله تعالى بمشاهدة ما فيه من الشواهد التى من جملتها هذا الوحى الصادق والنص الناطق بتفاهم المحكى على ما هو عليه (ولو كان) أى القرآن (من عند غير الله) كما يزعمون (لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) بأن يكون بعض أخباره غير مطابق للواقع إذ لا علم بالأمور الغيبية ماضية كانت أو مستقبلية لغيره سبحانه وحيث كانت كلها مطابقة للواقع تعين كونه من عنده تعالى . قال الزجاج ولولا أنه من عند الله تعالى لكان ما فيه من الأخبار بالغيب مما يسره المنافقون وما يبيتونه مختلفاً بعضه حق وبعضه

وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّهُ
الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ٤ النساء

باطل لأن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى وقال أبو بكر الأصم إن هؤلاء المنافقين كانوا يتواطؤون في
السر على أنواع كثيرة من الكيد والمكر وكان الله تعالى يطلع الرسول ﷺ على ذلك ويخبره بها مفصلة
فقليل لهم إن ذلك لو لم يحصل بإخبار الله تعالى لما اطرده الصدق فيه ولوقع فيه الاختلاف فلما لم يقع ذلك
قط علم أنه بإعلامه تعالى هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم وأما حمل الاختلاف على
التناقض وتفاوت النظم في البلاغة بأن كان بعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعاني وبعضه على معنى
فاسد غير ملتئم وبعضه بالغأحد الإعجاز وبعضه قاصر عنه يمكن معارضته كما جنح إليه الجمهور فيما لا يساعده
السباق ولا السياق ومن رام التقريب وقال لعل ذكره ههنا للتنبيه على أن اختلاف ما سبق من الأحكام
ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف في الحكم والمصالح المقتضية لذلك فقد أبعد عن الحق بمراحل
(وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به) يقال أذاع السر وأذاع به أى أشاعه وأفشاه وقيل
معنى أذاعوا به فعلوا به الإذاعة وهو أبلغ من أذاعوه وهو كلام مسوق لدفع ماعسى يتوهم في بعض المواد
من شائبة الاختلاف بناء على عدم فهم المراد ببيان أن ذلك لعدم وقوفهم على معنى الكلام لا لتخلف
مدلوله عنه وذلك أن ناساً من ضعفة المسلمين الذين لا خبرة لهم بالأحوال كانوا إذا أخبرهم الرسول
ﷺ بما أوحى إليه من وعد بالظفر أو تخويف من الكفرة يذيعونه من غير فهم لمعناه ولا ضبط لفحواه
على حسب ما كانوا يفهمونه ويحملونه عليه من المحامل وعلى تقدير الفهم قد يكون ذلك مشروطاً بأمور
تفوت بالإذاعة فلا يظهر أثره المتوقع فيكون ذلك منشأ لتوهم الاختلاف فتعنى عليهم ذلك وقيل (ولو
ردوه) أى ذلك الأمر الذى جاءهم (إلى الرسول) أى عرضه على رأيه ﷺ مستكشفين لمعناه وما ينبغى
له من التدبير والانتفات لما أن عنوان الرسالة من موجبات الرد والمراجعة إلى رأيه ﷺ (وإلى أولى
الأمر منهم) وهم كبراء الصحابة البصراء في الأمور رضى الله تعالى عنهم (لعله) أى لعلم الرادون
معناه وتدبيره وإنما وضع موضع ضميرهم الموصول فقبل (الذين يستنبطونه منهم) للإيذان بأنه ينبغى
أن يكون قصدهم رده إليهم استكشاف معناه واستيضاح فحواه أى لعلم أولئك الرادون الذين يستنبطونه
أى يتلقونه ويستخرجون علمه وتدبيره منهم أى من جهة الرسول ﷺ وأولى الأمر من صحابته رضوان
الله عليهم أجمعين ولما فعلوا في حقه ما فعلوا فلم يقع فيه ما وقع من الاشتباه وتوهم الاختلاف وقيل لعلمه
الذين يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمور الحرب ومكايدها فكلمة من في منهم بيانية
وقيل لأنهم كانوا إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله ﷺ من أمن وسلامة أو خوف وخلل أذاعوا به
وكانت إذاعتهم مفسدة ولوردوا ذلك الخبر إلى رسول الله ﷺ وإلى أولى الأمر لعلم تدبير ما أخبروا به
الذين يستنبطونه أى يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمور الحرب ومكايدها وقيل

فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾

٤ النساء

- كانوا يقفون من رسول الله ﷺ وأولى الأمر على أمن ووثوق بالظهور على بعض الأعداء أو على خوف فيذيعونه فينتشر فيبلغ الأعداء فتعود إذاعتهم مفسدة ولوردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر وفوضوه إليهم وكانوا كأن لم يسمعوا العلم الذين يستنبطون تديره كيف يدبرونه وما يأتون وما يذرون فيه وقيل كانوا يسمعون من أفواه المنافقين شيئاً من الخبر عن السرايا مظنوناً غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالأعلى المؤمنين ولوردوه إلى الرسول ﷺ وإلى أولى الأمر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع أو لا يذاع لعلم صحته وهل هو مما يذاع أو لا يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول وأولى الأمر أي يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهمهم فساق النظم الكريم حينئذ لبيان جناية تلك الطائفة وسوء تدبيرهم إثر بيان جناية المنافقين ومكرهم والخطاب في قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) للطائفة المذكورة على طريقة الالتفات أي لولا فضله تعالى عليكم ورحمته يارشادكم إلى طريق الحق الذي هو المراجعة في مظان الاشتباه إلى الرسول ﷺ وإلى الأمر (لا تبعتم الشيطان) وعملتم بآراء المنافقين فيما تأتون وما تذكرون ولم تهتدوا إلى سنن الصواب (إلا قليلاً) وهم أولو الأمر الواقفون على أسرار الكتاب الراسخون في معرفة أحكامه فلا يستثناء منقطع وقيل ولولا فضله تعالى عليكم ورحمته بإرسال الرسول وإزالة الكتاب لا تبعتم الشيطان وبقية على الكفر والضلالة إلا قليلاً منكم قد تفضل عليه بعقل راجح اهتدى به إلى طريق الحق والصواب وعصمه من متابعة الشيطان كقس ابن ساعدة الأيادي وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وأضرابهم فالخطاب للكل والاستثناء متصل وقيل المراد بالفضل والرحمة النصرة والظفر بالأعداء أي ولولا حصول النصرة والظفر على التواتر والتتابع لا تبعتم الشيطان وتركتم الدين إلا قليلاً منكم وهم أولو البصائر الناقدة والنيات القوية والعزائم الماضية من أفاضل المؤمنين الواقفين على حقيقة الدين البالغين إلى درجة حق اليقين المستغنين عن مشاهدة آثار حقيقته من الفتح والظفر وقيل إلا اتباعاً قليلاً (فقاتل في سبيل الله) تلوين للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله ﷺ بطريق الالتفات وهو جواب شرط محذوف ينساق إليه النظم الكريم أي إذا كان الأمر كما حكى من عدم طاعة المنافقين وكيدهم وتقصير الآخرين في مراعاة أحكام الإسلام فقاتل أنت وحدك غير مكترث بما فعلوا وقوله تعالى (لا تكلف إلا نفسك) أي إلا فعل نفسك استئناف مقرر لما قبله فإن اختصاص تكليفه ﷺ بفعل نفسه من موجبات مباشرة للقتال وحده وفيه دلالة على أن ما فعلوا من التنبط لا يضره ﷺ ولا يؤاخذ به وقيل هو حال من فاعل قاتل أي فقاتل غير مكلف إلا بنفسك وقرىء لا تكلف بالجزم على النهي وقيل على جواب الأمر وقرىء بنون العظمة أي لا تكلفك إلا فعل نفسك لا على معنى لا تكلف أحداً إلا بنفسك (وحرّض المؤمنين) عطف على الأمر السابق داخل في حكمه فإن كون حال الطائفتين كما
- ٢٧٠ — أبو الصمود ج ٢

مَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا
وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتِنًا ﴿٨٥﴾

٤ النساء

وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾

٤ النساء

- حكى سبب للأمر بالقتال وحده وبتهريض خالص المؤمنين والتهريض على الشيء الحث عليه والترغيب فيه قال الراغب كأنه في الأصل إزالة الحرص وهو ما لاخير فيه ولا يعتد به أى رغبتهم في القتال ولا تعنف بهم وإنما لم يذكر الحرص عليه لغاية ظهوره وقوله تعالى (عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) عدة منه سبحانه وتعالى محققة الإنجاز بكف شدة الكفرة ومكرهم فإن ما صدر بلعل وعسى مقرر الوقوع من جهته عز وجل وقد كان كذلك حيث روى أن رسول الله ﷺ واعد أباسفيان بعد حرب أحد موسم بدر الصغرى في ذى القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس إلى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج رسول الله ﷺ في سبعين راكباً ووافوا الموعد وألقى الله تعالى في قلوب الذين كفروا الرعب فرجعوا من مر الظهران وروى أن رسول الله ﷺ وافي بجيشه بدرأ وأقام بها ثمانى ليال وكانت معهم تجارات فباعوها وأصابوا خيراً كثيراً وقد مر في سورة آل عمران (والله أشد بأساً) أى من فريش (وأشد تنكيلاً) أى تعذيباً وعقوبة تنكل من يشاهدها عن مباشرة ما يؤدى إليها والجملة اعتراض تذييل مقرر لما قبلها وإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة وتكرير الخبر لتأكيد التشديد وقوله تعالى (من يشفع شفاعته حسنة يكن له نصيب منها) أى من ثوابها جملة مستأنفة سيقى لبيان أن له ﷺ فيما أمر به من تهريض المؤمنين حظاً موفوراً فإن الشفاعة هى التوسط بالقول في وصول شخص إلى منفعة من المنافع الدنيوية أو الآخروية أو خلاصه من مضرة ما كذلك من الشفع كان المشفوع له كان فرداً لجعله الشفيع شفعاً والحسنة منها ما كانت في أمر مشروع روعى بها حق مسلم ابتغاء لوجه الله تعالى من غير أن يتضمن غرضاً من الأغراض الدنيوية وأى منفعة أجل بما قد حصل للمؤمنين به تهريضه ﷺ على الجهاد من المنافع الدنيوية والآخروية وأى مضرة أعظم مما تخلصوا منه بذلك من التثبط عنه ويندرج فيها الدعاء للمسلم فإنه شفاعته إلى الله سبحانه وعليه مساق آية التحية الآتية روى أنه ﷺ قال من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك وهذا بيان لمقدار النصيب الموعود (ومن يشفع شفاعته سيئة) وهى ما كانت بخلاف الحسنة (يكن له كفل منها) أى نصيب من وزرها
- مساو لها في المقدار من غير أن ينقص منه شيء. (وكان الله على كل شيء مقيناً) أى مقتدرأ من أقات على الشيء إذا اقتدر عليه أو شهيداً حفيظاً واشتقاقه من القوت فإنه يقوى البدن ويحفظه والجملة تذييل مقرر لما قبلها على كلا المعنيين (وإذا حييتم بتحية) ترغيب في فرد شائع من أفراد الشفاعة الحسنة لئلا يرغب فيها على الإطلاق وحذر عما يقابلها من الشفاعة السيئة وإرشاد إلى توفية حق الشفيع وكيفية أدائه فإن تحية الإسلام من المسلم شفاعته منه لأخيه إلى الله تعالى والتحية مصدر حي أصلها تحية كتسمية من سمي

٨٥

٨٦

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ النساء

- رأصل الأصل تحيى ثلاث ياءات فحذفت الأخيرة وعوض عنها تاء التانيث وأدغمت الأولى فى الثانية بعد نقل حركتها إلى الحاء قال الراغب أصل التحية الدعاء بالحياة وطولها ثم استعملت فى كل دعاء وكانت العرب إذا اتى بعضهم بعضاً يقول حياك الله ثم استعملها الشرع فى السلام وهى تحية الإسلام قال تعالى تحيتهم فيها سلام وقال تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله قالوا فى السلام مزينة على التحية لما أنه دعاء بالسلامة من الآفات الدينية والدنيوية وهى مستلزمة لطول الحياة وليس فى الدعاء بطول الحياة ذلك ولأن السلام من أسمائه تعالى فالبداءة بذكره مما لا ريب فى فضله ومزيبته أى إذا سلم عليكم من جهة المؤمنين (لحيوا بأحسن منها) أى بتحية أحسن منها بأن تقولوا وعليكم السلام ورحمة الله إن اقتصر المسلم على الأول وبأن تزيدوا وبركاته إن جمعها المسلم وهى النهاية لانتظامها لجميع فنون المطالب التى هى السلامة عن المضار ونيل المنافع ودوامها ونماؤها (أوردوها) أى أجيبوها بمثلها روى أن رجلاً قال أحدهم لرسول الله ﷺ السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال الآخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال الآخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فأين ما قال الله تعالى وتلا الآية فقال ﷺ إنك لم تترك لى فضلاً فرددت عليك مثله وجواب التسليم واجب وإنما التخيير بين الزيادة وتركها وعن النخعي أن السلام سنة والرد فربضة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الرد واجب وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه إلا نزع الله منهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد فى الخطبة وتلاوة القرآن جهر أو رواية الحديث وعند دراسة العلم والأذان والإقامة ولا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغنى والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعارى فى الحمام وغيره قالوا ويسلم الرجل على امرأته لا على الأجنبية والسنة أن يسلم الماشى على القاعد والراكب على الماشى وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والقليل على الكثير وإذا التقيا ابتدرا وعن أبى حنيفة رضى الله عنه لا يجهر بالرد يعنى الجهر الكثير وعن النبي ﷺ إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم أى وعليكم ما قلتم حيث كان يقول بعضهم السام عليكم وروى لا تبدأ اليهودى بالسلام وإذا بدأك فقل وعليك وعن الحسن أنه يجوز أن يقول للكافر وعليك السلام دون الزيادة وقيل التحية بالأحسن عند كون المسلم مسلماً ورد مثلها عند كونه كافراً (إن الله كان على كل شىء حسيباً) فيحاسبكم على كل شىء من أعمالكم التى من جملتها ما أمرتم به من التحية فحافظوا على مراعاتها حسبما أمرتم به (الله لا إله إلا هو) مبتدأ وخبر وقوله تعالى (ليجمعنكم إلى يوم القيامة) جواب قسم محذوف أى والله ليحشرنكم من قبوركم إلى حساب يوم القيامة وقيل إلى بمعنى فى والجملة القسمية إما مستأنفة لا محل لها من الإعراب أو خبر ثان للمبتدأ وهى الخبر ولا إله إلا هو اعتراض وقوله تعالى (لا ريب فيه) أى فى يوم القيامة أو فى الجمع حال من اليوم أو صفة للبصير
- أى جمعاً لا ريب فيه (ومن أصدق من الله حديثاً) إنكار لأن يكون أحد أصدق منه تعالى فى وعده وسائر

فَالْكَرَّ فِي الْمُنَافِقِينَ فَتَنِينَ وَاللَّهُ أَرْكَسُهُمْ بِمَا كَسَبُوا أُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾

٤ النساء

- ٨٨ أخباره وبيان لاستحالته كيف لا والكذب محال عليه سبحانه دون غيره (فالكفر) مبتدأ وخبر والاستفهام
- للإنكار والنفي والخطاب لجميع المؤمنين لكن مافيه من معنى التوبيخ متوجه إلى بعضهم وقوله تعالى (في المنافقين) متعلق إما بما تعلق به الخبر أى شئ كائن لكم فيهم أى فى أمرهم وشأنهم لحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وإما بما يدل عليه قوله تعالى (فتنين) من معنى الاقتران أى فالكم تفترقون فى المنافقين وإما بمحذوف وقع حالا من فتنين أى كائنتين فى المنافقين لأنه فى الأصل صفة فلما قدمت انتصبت حالا كما هو شأن صفات النكرات على الإطلاق أو من الضمير فى تفترقون وانتصاب فتنين عند البصريين على الحالية من المخاطبين والعامل مافى لكم من معنى الفعل كما فى قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين وعند الكوفيين على خبرية كان مضمرة أى فالكم فى المنافقين كنتم فتنين والمراد إنكار أن يكون للمخاطبين شئ مصحح لاختلافهم فى أمر المنافقين وبيان وجوب بت القول بكفرهم وإجرائهم بحرى المجاهرين بالكفر فى جميع الأحكام وذكرهم بعنوان النفاق باعتبار وصفهم السابق . روى أنهم قوم من المنافقين استأذنوا رسول الله ﷺ فى الخروج إلى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة فرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فى أمرهم وقيل هم قوم هاجروا من مكة إلى المدينة ثم بدلهم فرجعوا وكتبوا إلى رسول الله ﷺ إنا على دينك وما أخرجنا إلا اجتواء المدينة والاشتياق إلى بلدنا وقيل هم ناس أظهروا الإسلام وقعدوا عن الهجرة وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله ﷺ يوم أحد ثم رجعوا ويأباه ماسياتى من جعل هجرتهم غاية للنهى عن توليهم وقيل هم العريون الذين أغاروا على السرح وقتلوا راعى رسول الله ﷺ ويرده ماسياتى من الآيات الناطقة بكيفية المعاملة معهم من السلم والحرب وهؤلاء قد أخذوا وفعل بهم ما فعل من المثلة والقتل ولم ينقل فى أمرهم اختلاف المؤمنين (والله أركسهم) حال من المنافقين مفيدة لتأكيد الإنكار السابق واستبعاد وقوع المنكر ببيان وجود النافي بعد بيان عدم الداعى وقيل من ضمير المخاطبين والواو أى شئ يدعوكم إلى الاختلاف فى كفرهم مع تحقق ماوجب اتفاقكم على كفرهم وهو أن الله تعالى قدرهم فى الكفر كما كانوا
 - (بما كسبوا) بسبب ما كسبوه من الارتداد والحق بالمشركين والاحتياى على رسول الله ﷺ والعائد إلى الموصول محذوف وقيل ماضدية أى بكسبهم وقيل معنى أركسهم نكسهم بأن صيرهم للنار وأصل الركن رد الشئ مقلوباً وقرئ ركسهم مشدداً وركسهم أيضاً مخففاً (أريدون أن تهتدوا من أضل الله) تجريد للخطاب وتخصيص له بالقائلين بإيمانهم من الفتنين وتوبيخ لهم على زعمهم ذلك وإشعار بأنه يؤدى إلى محاولة المحال الذى هو هداية من أضله الله تعالى وذلك لأن الحكم بإيمانهم وادعاء اهتدائهم وهم بمعزل من ذلك سعى فى هدايتهم وإرادة لها ووضع الموصول موضع ضمير المنافقين لتشديد الإنكار

وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ ٤ النساء
إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ
أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَالْقَوَّاءُ
إِلَيْكُمْ أَلَسَلَّمْ قَبْلَ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ ٤ النساء

- وتأكيد استحالة الهداية بما ذكر في حيز الصلة وتوجيه الإنكار إلى الإرادة لا إلى متعلقها بأن يقال أنهم دون الخ للبالغ في إنكاره ببيان أنه مما لا يمكن إرادته فضلاً عن إمكان نفسه وحمل الهداية والإضلال على الحكم بهما ياباه قوله تعالى (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً) أي ومن يخالف فيه الضلال كائناً من كان ● فلن تجد له سبيلاً من السبل فضلاً عن أن تهديه إليه وفيه من الإفصاح عن كمال الاستحالة ما ليس في قوله تعالى ومن يضلل الله فماله من هاد ونظاره وحمل إضلاله تعالى على حكمه وقضائه بالضلال محل بحسن المقابلة بين الشرط والجزاء وتوجيه الخطاب إلى كل واحد من المخاطبين للإشعار بشمول عدم الوجدان للكل على طريق التفصيل والجملة إما حال من فاعل تريدون أو تهتدوا والرابط هو الواو واعتراض تذييلي مقرر للإنكار السابق ومؤكد لاستحالة الهداية فينبذ يجوز أن يكون الخطاب لكل أحد ممن يصلح له من المخاطبين أولاً ومن غيرهم (ودوا لو تكفرون) كلام مستأنف مسوق لبيان غلوهم وتماديهم في الكفر ٨٩ وتصديهم لإضلال غيرهم لاثربيان كفرهم وضلالهم في أنفسهم وكلية لو مصدرية غنية عن الجواب وهي مع ما بعده انصب على المفعولية أي ودوا أن تكفروا وقوله تعالى (كما كفروا) نصب على أنه نعت لمصدر محذوف أي كفراً مثل كفرهم أحوال من ضمير ذلك المصدر كما هو رأى سيبويه وقوله تعالى (فتكفرون) (سواء) عطف على تكفرون داخل في حكمه أي ودوا أن تكفروا فتكفروا سواء مستويين في الكفر والضلال وقيل كلية على بابها وجوابها محذوف كفعال ودوا التقدير ودوا كفركم لو تكفرون كما كفروا لسروا بذلك (فلا تتخذوا منهم أولياء) الفاء جواب شرط محذوف وجمع أولياء مراعاة جمع المخاطبين فإن المراد نهى أن يتخذ واحد من المخاطبين ولياً واحداً منهم أي إذا كان حالهم ما ذكر من ودادة كفركم فلا توالوهم (حتى يهاجروا في سبيل الله) أي حتى يؤمنوا ويحققوا إيمانهم بهجرة كائنة لله تعالى ورسوله ﷺ لا لغرض من أغراض الدنيا (فإن تولوا) أي عن الإيمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة (فخذوهم) أي إذا قدرتم عليهم (واقتلوهم حيث وجدتموهم) من الحل والحرم فإن حكمهم حكم سائر المشركين أسراً وقتلاً (ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً) أي جانبوهم بجانب كلية ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة أبداً (إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق) استثناء من قوله تعالى فخذوهم واقتلوهم ٩٠ أي إلا الذين يتصلون وينتهون إلى قوم عاهدوكم ولم يحاربوكم وهم الأسليون كان رسول الله ﷺ وقت

سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوا بِنُفُسِهِمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلًّا مَا رُدُّوْا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ نَحْذَوْهُمْ وَأَقْلَوْهُمْ حَيْثُ تُقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿٩١﴾

٤ النساء

- خروجه من مكة قد وادع هلال بن عويمر الأسلمي على أنه لا يعينه ولا يعين عليه وعلى أن من وصل إلى هلال ولجأ إليه فله من الجوار مثل الذي لهلال وقيل هم بنو بكر بن زيد مناة وقيل هم خزاعة (أو جاءوكم) عطف على الصلة أي أو الذين جاءوكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى من المأمور بأخذهم وقتلهم فريقان أحدهما من ترك المحاربين ولحق بالمعاهدين والآخر من أتى المؤمنين وكف عن قتال الفريقين أو على صفة قوم كأنه قيل إلا الذين يصلون إلى قوم معاهدين أو إلى قوم كافين عن القتال لكم والقتال عليكم والأول هو الأظهر لما سيأتي من قوله تعالى فإن اعتزلوكم الخ فإنه صريح في أن كفهم عن القتال أحد سببي استحقاقهم لنفي التعرض لهم وقرئ جاءوكم بغير عاطف على أنه صفة بعد صفة أو بيان ليصلون أو استئناف (حصرت صدورهم) حال بإضمار قد بدليل أنه قرئ حصرة صدورهم وحصرات صدورهم وحصرات صدورهم وقيل صفة لموصوف محذوف هو حال من فاعل جاءوا أي أو جاءوكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاءوكم وهم بنو مدلج جاءوا رسول الله ﷺ غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض (أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم) أي من أن يقاتلوكم أو لأن يقاتلوكم أو كراهة أن يقاتلوكم الخ (ولو شاء الله لسلطهم عليكم) جملة مبتدأة جارية مجرى التعليل لاستثناء الطائفة الأخيرة من حكم الأخذ والقتل ونظمتهم في سلك الطائفة الأولى الجارية مجرى المعاهدين مع عدم تعلقتهم بنا ولا بمن عاهدونا كالطائفة الأولى أي ولو شاء الله لسلطهم عليكم ببسط صدورهم وتقوية قلوبهم وإزالة الرعب عنها (فلقاتلوكم) عقيب ذلك ولم يكفوا عنكم واللام جواب لو على التكرير أو الإبدال من الأولى
- وقرئ فلقاتلوكم بالتخفيف والتشديد (فإن اعتزلوكم) ولم يتعرضوا لكم (فلم يقاتلوكم) مع ما علمتم من تمسكهم من ذلك بمشيئة الله عز وجل (وألقوا إليكم السلم) أي الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام (فاجعل الله لكم عليهم سبيلا) طريقاً بالأسر أو بالقتل فإن مكافئهم عن قتالكم وأن يقاتلوا قومهم أيضاً وإلقاء السلم وإن لم يعاهدوكم كافية في استحقاقهم لعدم تعرضكم لهم (ستجدون آخريين يريدون أن يأمنوا بكم ويأمنوا قومهم) هم قوم من أسد وغطفان كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا عهدهم ليأمنوا قومهم وقيل هم بنو عبد الدار وكان دينهم ما ذكر (كلما ردوا إلى الفتنة) أي دعوا إلى الكفر وقتال المسلمين (أركسوا فيها) قلبوا فيها أقبح قلب وأشنعها وكانوا فيها شرأ من كل عدو شرير (فإن لم يعتزلوكم) بالكف عن التعرض لكم بوجه ما (ويلقوا إليكم السلم) أي لم يلقوا إليكم الصلح والعهد بل نبذوه إليكم (ويكفوا أيديهم) أي لم يكفوها عن قتالكم (نحذوهم وأقلوهم حيث تقفتموهم) أي تمسكنتم منهم (وأولئك) الموصوفون بما عدد من

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنَ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾

٤ النساء

- الصفات القبيحة (جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً) حجة واضحة في الإيقاع بهم قتلا وسيياً لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر وإضرارهم بأهل الإسلام أو تسلطاً ظاهراً حيث أذن لكم في أخذهم وقتلهم (وما كان لمؤمن) أى وما صح له ولا لاق بحاله (أن يقتل مؤمناً) بغير حق فإن الإيمان زاجر ٩٢
- عن ذلك (إلا خطأ) فإنه ربما يقع لعدم دخول الاحتراز عنه بالكلية تحت الطاقة البشرية وانتصابه إماماً على أنه حال أى وما كان له أن يقتل مؤمناً في حال من الأحوال إلا في حال الخطأ أو على أنه مفعول له أى وما كان له أن يقتله لعله من العلل إلا للخطأ أو على أنه صفة للبصير أى لاقتلا خطأ وقيل إلا بمعنى ولا والتقدير وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً عمداً ولا خطأ وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع أى لكن إن قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يقارنه القصد إلى الفعل أو إلى الشخص أو لا يقصده به زهوق الروح غالباً أو لا يقصد به محذور كرمى مسلم في صف الكفار مع الجهل بإسلامه وقرى خطأ بالمدو خطأ كعصا بتخفيف الهمزة . روى أن عياش بن أبي ربيعة وكان أخا أبي جهل لأمه أسلم وهاجر إلى المدينة خوفاً من أهله وذلك قبل هجرة النبي ﷺ فأقسمت أمه لا تأكل ولا تشرب ولا يأويها سقف حتى يرجع فخرج أبو جهل ومعه الحرث بن زيد بن أبي أنيسة فأتياه وهو في أطم فقتل منه أبو جهل في الذروة والغارب وقال أليس محمد يحنك على صلاة الرحم انصرف وبر أمك وأنت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فوسحاً من المدينة كتفاه وجلده كل واحد منهما مائة جلدة فقال للحرث هذا أخى فمن أنت يا حرث لله على إن وجدت خالياً أن أقتلك وقدمابه على أمه فخلعت لا يحل كتافه أو يرتد ففعل بلسانه ثم هاجر بعد ذلك وأسلم الحرث وهاجر فلقية عياش بظهر قباء ولم يشعر بإسلامه فأنحى عليه فقتله ثم أخبر بإسلامه فأتى رسول الله ﷺ فقال قتلته ولم أشعر بإسلامه فزلت (ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقية) أى فعله أو فوجبه تحرير رقية أى إعناق نسمة عبر عنها بها كما يعبر عنها بالراس (مؤمنة) أى محكوماً بإسلامها وإن كانت صغيرة (ودية مسلمة إلى أهله) مؤداة إلى ورثته يقسمونها كسائر الموارث لقول ضحاك بن سفيان الكلابي كتب إلى رسول الله ﷺ يأمرني أن أورث امرأة أشيم الضبابي من عقل زوجها (إلا أن يصدقوا) أى إلا أن يتصدق أهله عليه سعى العفو عنها صدقة حثاً عليه وتنبئها على فضله وعن النبي ﷺ كل معروف صدقة وقرى إلا أن يتصدقوا وهو متعلق بعليه أو بمسلمة أى تجب الدية أو يسلمها إلى أهله إلا وقت تصدقهم عليه فهو في محل النصب على الظرفية أو إلا حال كونهم متصدقين عليه فهو حال من الأهل أو القتاتل (فإن كان) أى المقتول (من قوم عدو لكم) كفار محاربين (وهو مؤمن) ولم يعلم به القاتل لكونه بين أظهر قومه

وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا

عَظِيمًا ﴿٩٣﴾

٤ النساء

- بأن أسلم فيما بينهم ولم يفارقهم أو بأن أتاهم بعدما فارقهم لمهم من المهمات (فتحرير رقبة مؤمنة) أى فعل
- قاتله الكفارة دون الدية إذ لا ورائته بينه وبين أهله لأنهم محاربون (وإن كان) أى المقتول المؤمن (من قوم) كفرة (بينكم وبينهم ميثاق) أى عهد موقت أو مؤبد (فدية) أى فعل قاتله دية (مسجلة إلى أهله) من أهل الإسلام إن وجدوا ولعل تقديم هذا الحكم ههنا مع تأخيره فيما سلف للإشعار بالمسارعة إلى تسليم الدية تحاشياً عن توهم نقض الميثاق (وتحرير رقبة مؤمنة) كما هو حكم سائر المسلمين ولعل لإفراجه بالذكر مع اندراجها في حكم ما سبق من قوله تعالى ومن قتل مؤمناً خطأ الخ لبيان أن كونه فيما بين المعاهدين لا يمنع وجوب الدية كما منعه كونه فيما بين المحاربين وقيل المراد بالمقتول الذمى أو المعاهد
- لئلا يلزم التكرار بلا فائدة ولا التورث بين المسلم والكافر وقد عرفت عدم لزومهما (فمن لم يجد) أى رقبة ليحررها بأن لم يملكها ولا ما يتوصل به إليها من الثمن (فصيام) أى فعله صيام (شهرين متتابعين)
- لم يتخلل بين يومين من أيامهما لإفطار (توبة) نصب على أنه مفعول له أى شرع لكم ذلك توبة أى قبولاً لها من تاب الله عليه إذا قبل توبته أو مصدر مؤكد لفعل محذوف أى تاب عليكم توبة وقيل على أنه حال من الضمير المجرور في عليه بحذف المضاف أى فعله صيام شهرين ذا توبة وقوله تعالى (من الله) متعلق بمحذوف وقع صفة لتوبة أى كائنة منه تعالى (وكان الله علياً) بجميع الأشياء التى من جملتها حاله (حكياً) فى كل ما شرع وقضى من الشرائع والأحكام التى من جملتها ما شرعه فى شأنه
- (ومن يقتل مؤمناً متعمداً) لما بين حكم القتل خطأ وفصل أقسامه الثلاثة عقب ذلك ببيان القتل عمداً ٩٣
- خلا أن حكمه الدينوى لما بين فى سورة البقرة اقتصر ههنا على حكمه الآخرى . روى أن مقيس بن ضبابة الكنانى وكان قد أسلم هو وأخوه هشام وجد أخاه قتيلاً فى بنى النجار فأتى رسول الله ﷺ وذكر له القصة فأرسل عليه السلام معه زبير بن عياض الفهرى وكان من أصحاب بدر إلى بنى النجار يأمرهم بتسليم القاتل إلى مقيس ليقبض منه إن علموه وبأداء الدية إن لم يعلموه فقالوا سمعاً وطاعة لله تعالى ولرسوله عليه السلام ما نعلم له قاتلاً ولكننا نودى ديتة فأتوه بمائة من الإبل فانصرفا راجعين إلى المدينة حتى إذا كانا ببعض الطريق أتى الشيطان مقيساً فوسوس إليه فقال أتعبد دية أخيك فيكون مسبة عليك أقتل الذى معك فيكون نفسك بنفسك وفضل الدية فتغفل الفهرى فرماه بصخرة فشدخه ثم ركب بعيراً من الإبل واستاق بقيتها راجعاً إلى مكة كافراً وهو يقول [قتلته به فرأى وحملت عقله * سراة بنى النجار أصحاب قارع] [وأدركت ثأرى واضطجعت موسداً * وكنت إلى الأوثان أول راجع] فزلت وهو الذى استثناه رسول الله ﷺ يوم الفتح عن أمنه فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة وقرله تعالى متعمداً حال من فاعل يقتل وروى عن الكسائى سكون التاء كأنه فر من توالى الحركات (فجزاؤه) الذى يستحقه بجنابته

- (جهنم) وقوله تعالى (خالداً فيها) حال مقدرة من فاعل فعل مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل لجزاؤه أن يدخل جهنم خالداً فيها وقيل هو حال من ضمير يجزاها وقيل من مفعول جازاه وأيد ذلك بأنه أنسب بعطف ما بعده عليه لموافقته له صيغة ولا يخفى أن ما يقدر للحال أو للعطف عليه حقه أن يكون مما يقتضيه المقام اقتضاء ظاهراً ويدل عليه الكلام دلالة بينة وظاهر أن كون جزائه مذكراً لا يقتضى وقوع الجزاء البتة كما ستقف عليه حتى يقدر يجزاها أو جازاه بطريق الإخبار عن وقوعه وأما قوله تعالى (وغضب الله عليه) فعطف على مقدر يدل عليه الشرطية دلالة واضحة . كأنه قيل بطريق الاستئناف تقريراً وتأكيذاً لمضمونها حكم الله بأن جزاءه ذلك وغضب عليه أى انتقم منه (ولعنه) أى أبعده عن الرحمة بجعل جزائه مذكراً وقيل هو وما بعده معطوف على الخبر بتقدير أن وحمل الماضى على معنى المستقبل كما فى قوله تعالى ونفخ فى الصور ونظائرهما أى لجزاؤه جهنم وأن يغضب الله عليه الخ (وأعد له) فى جهنم (عذاباً عظيماً) لا يقدر قدره ولما ترى فى الآية السكرية من التهديد الشديد والوعيد الأكيد وفنون الإبراق والإرعاد وقد تأيدت بما روى من الأخبار الشداد كقوله ﷺ والذى نفسى بيده لزوال الدنيا عند الله أهون من قتل مؤمن وقوله ﷺ لو أن رجلاً قتل بالشرق وآخر رضى بالمغرب لأشرك فى دمه وقوله ﷺ من أغان على قتل مؤمن ولو بشر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله تعالى وبنحو ذلك من القوارع تمسكت الخوارج والمعتزلة بها فى خلود من قتل المؤمن عمداً فى النار ولا متمسك لهم فيها إلا لما قيل من أنها فى حق المستحل كما هو رأى عكرمة وأضرابه بدليل أنها نزلت فى مقيس بن ضبابه الكنانى المرتد حسبما مرت حكايته فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب بل لأن المراد بالخلود هو المسك الطويل لا الدوام لتظاهر النصوص الناطقة بأن عصاة المؤمنين لا يدوم عذابهم وما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه لا توبة لقاتل المؤمن عمداً وكذا ما روى عن سفيان أن أهل العلم كانوا إذا سئلوا قالوا لا توبة له محمول على الاقتداء بسنة الله تعالى فى التشديد والتغليظ وعليه يحمل ما روى عن أنس رضى الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال أى الله أن يجعل لقاتل المؤمن توبة كيف لا وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلاً سأل عن لقاتل المؤمن توبة قال لا وسأله آخر ألقاتل المؤمن توبة فقال نعم فقل له قلت لذلك كذا ولهذا كذا قال كان الأول لم يقتل بعد فقلت ما قلت كيلا يقتل وكان هذا قد قتل فقلت له ما قلت لثلاثين وأس وقد روى عنه جواز المغفرة بلا توبة أيضاً حيث قال فى قوله تعالى لجزاؤه جهنم الآية هى جزاؤه فإن شاء عذبه وإن شاء غفر له وروى مرفوعاً عن النبي ﷺ أنه قال هو جزاؤه أن جازاه وبه قال عون بن عبد الله وبكر بن عبد الله وأبو صالح قالوا قد يقول الإنسان لمن يجره عن أمر إن فعلته لجزاؤك القتل والضرب ثم إن لم يجازه بذلك لم يكن ذلك منه كذباً قال الواحدى والأصل فى ذلك أن الله عز وجل يجوز أن يخلف الوعيد وإن امتنع أن يخلف الوعد بهذا وردت السنة عن رسول الله ﷺ فى حديث أنس رضى الله عنه أنه ﷺ قال من وعده الله تعالى على عمله ثواباً فهو منجزه له ومن أوعده على عمله عقاباً فهو بالخيار والتحقيق أنه لا ضرورة إلى تفريع

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ
مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَنَنْ أَلَّهُ
عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

٤ النساء

- ما نحن فيه على الأصل المذكور لأنه إخبار منه تعالى بأن جزاءه ذلك لا بأنه يحزبه بذلك كيف لا وقد قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ولو كان هذا إخباراً بأنه تعالى يحزى كل سيئة بمثلها لعارضة قوله تعالى ويعفو عن كثير (يا أيها الذين آمنوا) إثر ما بين حكم القتل بقسميه وأن ما يتصور صدوره عن المؤمن إنما هو القتل خطأ شرع في التحذير عما يؤدي إليه من قلة المبالاة في الأمور (إذا ضربتم في سبيل الله) أي سافرتم في الغزو ولما في إذا من معنى الشرط صدر قوله تعالى (فتبينوا) بالفاء أي فاطلبوا بيان الأمر في كل ما تأتون وما تذكرون ولا تعجلوا فيه بغير تدبر وروية وقرىء فتبينوا أي اطلبوا لإثباته وقوله تعالى (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام) نهى عما هو نتيجة لترك المأمور به وتعيين لمادة مهمة من المواد التي يجب فيها التبيين وقرىء السلم بغير ألف وبكسر السين وسكون اللام أي لا تقولوا بغير تأمل لمن حياكم بتحية الإسلام أو لمن ألقى إليكم مقاليد الاستسلام والانقياد (لست مؤمناً) وإنما أظهرت ما أظهرت متعوذاً بل اقبلوا منه ما أظهره وعاملوه بموجبه وقرىء مؤمناً بالفتح أي مبذولاً لك الأمان وهذا أنسب بالقراءتين الأخريتين والاقتصار على ذكر تحية الإسلام في القراءة الأولى مع كونها مقرونة بكلمتي الشهادة كما سيأتي في سبب النزول للبالغة في النهي والزجر والتنبيه على كمال ظهور خطئهم ببيان أن تحية الإسلام كانت كافية في المكافة والانزجار عن التعرض لصاحبها فكيف وهي مقرونة بهما وقوله تعالى (تبتغون عرض الحياة الدنيا) حال من فاعل لا تقولوا مني عما يحملهم على العجلة وترك التأني لكن لا على أن يكون النهي راجعاً إلى القيد فقط كما في قولك لا تطلب العلم تبغى به الجاه بل إليهما جميعاً أي لا تقولوا له ذلك حال كونكم طالبين لماله الذي هو حطام سريع النفاد وقوله تعالى (فعند الله مغانم كثيرة) تعليل للنهي عن ابتغاء ماله بما فيه من الوعد الضمني كأنه قيل لا تبتغوا ماله فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها فيغنيسكم عن ارتكاب ما ارتكبتموه وقوله تعالى (كذلك كنتم من قبل فن الله عليكم) تعليل للنهي عن القول المذكور ولعل تأخيرها لما فيه من نوع تفصيل ربما يخل بتقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم مع ما فيه من مراعاة المقارنة بين التعليل السابق وبين ما علل به كما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين أسودت وجوههم الخ وتقديم خبر كان للقصر المفيد لتأكيد المشابهة بين طرفي التشبيه وذلك إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة والفاء في فن للعطف على كنتم أي مثل ذلك الذي ألقى إليكم السلام كنتم أنتم أيضاً في مبادئ إسلامكم لا يظهر منكم للناس غير ما ظهر منه لكم من تحية الإسلام ونحوها فن الله عليكم بأن قبل منكم تلك المرتبة وعصم بها دماءكم وأموالكم ولم يأمر بالتفحص عن سرائركم والفاء في قوله تعالى (فتبينوا)

فصيحة أى إذا كان الأمر كذلك فاطلبوا بيان هذا الأمر البين وقيسوا حاله بحالكم وافعلوا به ما فعل
بكم فى أوائل أموركم من قبول ظاهر الحال من غير وقوف على تواطؤ الظاهر والباطن هذا هو الذى
تقتضيه جزالة التنزيل وتستدعيه غفامة شأنه الجليل ومن حسب أن المعنى أول ما دخلتم فى الإسلام
سمعت من أفواهكم كلمة الشهادة فخصنت دماءكم وأموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطاة قلوبكم لاسفستكم
فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالإيمان والتقدم فيه وإن صرتم أعلاما فيه فمليكم أن تفعلوا
بالداخلين فى الإسلام كما فعل بكم وأن تعتبروا ظاهر الإسلام فى المكافاة ولا تقولوا الخ فقد أبعد عن
الحق لأن المراد كما عرفت بيان أن تحصين الدماء والأموال حكم مترتب على ما فيه الممانعة بينه وبينهم
من مجرد النفوة بكلمة الشهادة وإظهار أن ترتبه عليه فى حقهم يقتضى ترتبه عليه فى حقه أيضاً إلزاماً
لهم وإظهار الخطأ لهم ولا يخفى أن ذلك إنما يتأتى بتفسير منه تعالى عليهم المترتب على كونهم مثله بتمحصين
دمائهم وأموالهم حسبما ذكر حتى يظهر عندهم وجوب تحصين دمه وماله أيضاً بحكم للمشاركة فيما يوجب
وحيث لم يفعل ذلك بل فسره بما فسره به لم يبق فى النظم الكريم ما يدل على ترتب تحصين دمائهم
وأموالهم على ما ذكر فمن أين له أن يقول فخصنت دماءكم وأموالكم حتى يتأتى البيان وارتكاب تقديره
بناء على اقتضاء ما ذكر فى تفسير المن إياه بناء على أساس واه كيف لا وإنما ذكره بصدد التفسير وإن
كان أمراً متفرعاً على ما فيه الممانعة مبنياً عليه فى حقهم لكنه ليس بحكم أريد إثباته فى حقه بناء على ثبوته
فى حقهم كالتحصين المذكور حتى يستحق أن يتعرض له ولا بأمر له دخل فى وجوب اعتبار ظاهر
الإسلام من الداخلين فيه حتى يصح نظامه فى سلمك ما فرع عليه قوله فعليكم أن تفعلوا الخ وحمل الكلام
على معنى إنكم فى أول الأمر كنتم مثله فى قصور الرتبة فى الإسلام فمن الله عليكم وبلغتم هذه الرتبة
العالية منه فلا تستقصروا حالته نظراً إلى حالتكم هذه بل اعتدوا بها نظراً إلى حالتكم السابقة يرد أنه
قتله لم يكن لاستقصار إسلامه بل لتوهم عدم مطابقة قلبه للسانه فإن الآية الكريمة نزلت فى شأن مرداس
ابن نهيك من أهل فدك وكان قد أسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله ﷺ عليهم غالب
ابن فضالة الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقتهم بإسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل وصعد
فلما تلاحقوا وكبروا كبر وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله أسامة بن زيد واستاق
غنمه فأخبروا رسول الله ﷺ فوجد وجداً شديداً وقال فقتلتموه إرادة مامعه فقال أسامة إنه قال بلسانه
دون قلبه وفى رواية إنما قالها خوفاً من السلاح فقال ﷺ هلا شققت عن قلبه وفى رواية أفلا شققت
عن قلبه ثم قرأ الآية على أسامة فقال يا رسول الله استغفرلى فقال كيف بلا إله إلا الله قال أسامة
فما زال ﷺ يعيدها حتى وددت أن لم أكن أسلمت إلا يومئذ ثم استغفرلى وقال اعتق رقبة وقيل نزلت فى
رجل قال يا رسول الله كنا نطلب القوم وقد همهم الله تعالى فقصدت رجلاً فلما أحس بالسيف قال إني
مسلم فقتلته فقال رسول الله ﷺ أقتلت مسلماً قال إنه كان متعوذاً فقال ﷺ أفلا شققت عن قلبه (إن
الله كان بما تعملون) من الأعمال الظاهرة والخفية وبكيفياتها (خبيراً) فيجازيكم بحسبها إن خير أئمة
وإن شر أئمة فلا تنهونوا فى القتل واحتاطوا فيه الجملة لتعليل لما قبلها بطريق الاستئناف وقرئ بفتح

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى
وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾

٤ النساء

- ٩٥ أن على أنها معمولة لتبينوا أو على حذف لام التعليل (لا يستوى القاعدون) بيان لتفاوت طبقات المؤمنين بحسب تفاوت درجات مساعيهم في الجهاد بعد مامر من الأمر به وتحريض المؤمنين عليه ليأنف القاعد عنه و يترفع بنفسه عن انحطاط رتبته فيمتزله رغبة في ارتفاع طبقته والمراد بهم الذين أذن لهم في القعود عن الجهاد اكتفاء بغيرهم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هم القاعدون عن بدر والخارجون إليها وهو الظاهر الموافق لتاريخ النزول لا ما روى عن مقاتل من أنهم الخارجون إلى تبوك فإنه عما لا يوافق التاريخ ولا يساعده الحال إذ لم يكن للتخلفين يومئذ هذه الرخصة وقوله تعالى (من المؤمنين) متعلق بمحذوف وقع حالا من القاعدين أي كائنين من المؤمنين وفائدتها الإيذان من أول الأمر بعدم إخلال وصف القعود بإيمانهم والإشعار بعلّة استحقاقهم لما سيأتي من الحسنى (غير أولى الضرر) صفة للقاعدون جريانه مجرى النكرة حيث لم يقصد به قوم بأعيانهم أو بدل منه وقرئ بالنصب على أنه حال منه أو استثناء وبالجر على أنه صفة للمؤمنين أو بدل منه والضرر المرض أو العاهة من عمى أو عرج أو زمانة أو نحوها وفي معناه العجز عن الأبهة عن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه أنه قال كنت إلى جنب رسول الله ﷺ فغشيت السكينة ف وقعت نخذه على نخذي حتى خشيت أن ترضا ثم سرى عنه فقال اكتب فكتبت لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن أم مكتوم وكان أعمى يارسل الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيت السكينة كذلك ثم سرى عنه فقال اكتب لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر (والمجاهدون) لإيرادهم بهذا العنوان دون الخروج المقابل لوصف المعطوف عليه كما وقع في عبارة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وكذا تقييد المجاهدة بكونها (في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم) لمدحهم بذلك والإشعار بعلّة استحقاقهم لعلو المرتبة مع ما فيه من حسن موقع السبيل في مقابلة القعود وتقديم القاعدين في الذكر والإيذان من أول الأمر بأن القصور الذي ينبت عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابلتهم فإن مفهوم عدم الاستواء بين الشيتين المتفاوتتين زيادة ونقصانا وإن جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب قصور القاصر وعليه قوله تعالى هل يستوى الذين الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور إلى غير ذلك وأما قوله تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لأن صلته ملكة أصلية المفضول وقوله عز وجل (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة) استئناف مسوق لتفصيل ما بين الفريقين من التفاضل المفهوم من ذكر عدم استوائهما إجمالا ببيان كيفيته وكيته مبنى على سؤال ينساق إليه المقال كأنه قيل كيف وقع ذلك فقيل فضل الله الخ وأما تقدير ما لهم لا يستوون فإنما يليق بعمل الاستئناف

دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةٌ وَرَحْمَةٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩٦﴾

- تعليلاً لعدم الاستواء مسوقاً لإثباته وفيه تعكيس ظاهر فإن الذي يحق أن يكون مقصوداً بالذات إنما هو بيان تفاضل الفريقين على درجات متفاوتة . وأما عدم استوائهما فقصارى أمره أن يكون توطئة لذكره ولام المجاهدين والقاعدين للعهد فقيد كون الجهاد في سبيل الله معتبر في الأول كما أن قيد عدم الضرر معتبر في الثاني ودرجة نصب على المصدرية لوقوعها موقع المرة من التفضيل أى فضل الله تفضيلة أو على نزاع الخافض أى بدرجة وقيل على التمييز وقيل على الحالية من المجاهدين أى ذوى درجة وتنوينها للتفخيم وقوله تعالى (وكلا) مفعول أول لما يعقبه قدم عليه لإفادة القصر تأكيداً للوعد أى كل واحد من المجاهدين والقاعدين (وعد الله الحسنى) أى المثوبة الحسنى وهى الجنة لا أحدهما فقط كما فى قوله تعالى وأرسلناك للناس رسولا على أن اللام متعلقة برسولا والجملة اعتراض جمى به تداركا لما عسى يورهم تفضيل أحد الفريقين على الآخر من حرمان المفضول وقوله عز وجل (وفضل الله المجاهدين على القاعدين) عطف على قوله تعالى فضل الله الخ واللام فى الفريقين مغنية لهما عن ذكر القبود التى تركت على سبيل التدرج وقوله تعالى (أجرأ عظيما) مصدر مؤكد لفضل على أنه بمعنى أجر وإيثار على ما هو مصدر من فعله للإشعار بكون ذلك التفضيل أجراً لأعمالهم أو مفعول ثان له بتضمينه معنى الإعطاء أى أعطاهم زيادة على القاعدين أجرأ عظيما وقيل هو منصوب بنزع الخافض أى فضلهم بأجر عظيم وقوله تعالى (درجات) بدل من أجرأ بدل الكل مبين لكمية التفضيل وقوله تعالى (منه) متعلق بمحذوف ٩٦ وقع صفة لدرجات دالة على غناتها وجلالة قدرها أى درجات كائنة منه تعالى قال ابن محيريز هـ سبعون درجة ما بين كل درجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين خريفاً وقال السدى هـ سبعمائة درجة وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله تعالى للمجاهدين فى سبيله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ويجوز أن يكون انتصاب درجات على المصدرية كما فى قولك ضربه أسوأ أى ضربات كأنه قيل فضلهم تفضيلات وقوله تعالى (ومغفرة) بدل من أجرأ بدل البعض لأن بعض الأجر ليس من باب المغفرة أى مغفرة لما يفرط منهم من الذنوب التى لا كفرها سائر الحسنات التى يأتى بها القاعدون أيضاً حتى تعد من خصائصهم وقوله تعالى (ورحمة) بدل الكل من أجرأ مثل درجات ويجوز أن يكون انتصابها بإضمار فعلهما أى غفر لهم مغفرة ورحمهم رحمة هذا ولعل تكرير التفضيل بطريق العطف المنبئ عن المغايرة وتقييده تارة بدرجة وأخرى بدرجات مع اتحاد المفضل والمفضل عليه حسبما يقتضيه الكلام ويستدعيه حسن النظام إما لتنزيل الاختلاف العنوانى بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات منزلة الاختلاف الذاتى تمهيداً لسلوك طريق الإبهام ثم التفسير روما لمزيد التحقيق والتقرير كما فى قوله تعالى فلما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ كأنه قيل فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة لا يقادر قدرها ولا يبلغ كنهها وحيث كان تحقق هذا البون البعيد بينهما موها لحرمان القاعدين قيل وكلا وعد الله الحسنى ثم أريد تفسير ما أفاده

إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ اللَّهُمَّ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ٤ النساء

التنكير بطريق الإبهام بحيث يقطع احتمال كونه لوحيد فليل ما قيل والله در شأن التنزيل وإمالا لاختلاف بالذات بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات على أن المراد بالتفضيل الأول ما خولهم الله تعالى عاجلا في الدنيا من الغنمة والظفر والذكر الجميل الحقيق بكونه درجة واحدة وبالتفضيل الثاني ما أنعم به في الآخرة من الدرجات العالية الفاتنة للحصر كما ينبي عنه تقديم الأول وتأخير الثاني وتوسيط الوعد بالجنة بينهما كأنه قيل وفضلهم عليهم في الدنيا درجة واحدة وفي الآخرة درجات لا تحصى وقد وسط بينهما في الذكر ما هو متوسط بينهما في الوجود أعنى الوعد بالجنة توضيحا لحالهما ومسارعة إلى تسليمة المفضل والله سبحانه أعلم . هذا ما بين المجاهدين وبين القاعدين غير أولى الضرر وأما أولوا الضرر فهم مساوون للمجاهدين عند القائلين بمفهوم الصفة وبأن الاستثناء من النفي إثبات وأما عند من لا يقول بذلك فلا دلالة لعبارة النص عليه وقد روى عن رسول الله ﷺ لقد خلفتم في المدينة أقواما ما سرتهم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت أفئدتهم تهوى إلى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر أو غيره وبعبارة أخرى إن في المدينة لأقواما ما سرتهم من مسير ولا قطعتم من واد إلا كانوا معكم فيه قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال نعم وهم بالمدينة حبسهم العذر قالوا هذه المساواة مشروطة بشرطة أخرى سوى الضرر قد ذكرت في قوله تعالى ليس على الضعفاء ولا على المرضى إلى قوله إذا نصحوهم ورسولهم وقيل القاعدون الأول هم الأضرأ والثاني غيرهم وفيه من تفكيك النظم الكريم ما لا يخفى ولا ريب في أن الأضرأ أفضل من غيرهم درجة كما لا ريب في أنهم دون المجاهدين بحسب الدرجة الدنيوية (وكان الله غفورا رحيما) تذييل مقرر لما وعد من المغفرة والرحمة (إن الذين توفاهم الملائكة) بيان لحال القاعدين عن الهجرة إثر بيان حال القاعدين عن الجهاد وتوفاهم يحتمل أن يكون ماضيا ويؤيده قراءة من قرأ توفاهم وأن يكون مضارعا قد حذف منه إحدى التامين وأصله تتوفاهم على حكاية الحال الماضية والقصد إلى استحضار صورتها ويعضده قراءة من قرأ توفاهم على مضارع

- وفيت بمعنى أن الله تعالى يوفي الملائكة أنفسهم فيتوفونها أي يمكثهم من استيفائها فيستوفونها (ظالمى أنفسهم)
- حال من ضمير توفاهم فإنه وإن كان مضافا إلى المعرفة إلا أنه نسكرة في الحقيقة لأن المعنى على الانفصال وإن كان موصولا في اللفظ كما في قوله تعالى غير محلى الصيد وهديا بالغ الكعبة وثاني عطفه أي محلين الصيد وبالغ الكعبة وثانيا عطفه كأنه قيل ظالمين أنفسهم وذلك بترك الهجرة واختيار مجاورة الكفرة الموجبة للإخلال بأمور الدين فإنها نزلت في ناس من مكة قد أسلدوا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة (قالوا) أي الملائكة للمتوفين تقرير ألهم بتقصيرهم في إظهار إسلامهم وإقامة أحكامه من الصلاة ونحوها وتوبيخها لهم بذلك (فيم كنتم) أي في أي شيء كنتم من أمور دينكم (قالوا) استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية سؤال الملائكة كأنه قيل فإذا قالوا في الجواب فقيل قالوا متجانفين عن الإقرار

إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ النساء
فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ النساء

- الصريح بما هم فيه من التقصير متعللين بما يوجب على زعمهم (كنا مستضعفين في الأرض) أي في أرض مكة عاجزين عن القيام بواجب الدين فيما بين أهلها (قالوا) لإبطالا لتعلمهم وتبكيئاً لهم (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) إلى قطر آخر منها تقدر أن فيه على إقامة أمور الدين كما فعله من هاجر إلى المدينة وإلى الحبشة وأما حمل تدللهم على إظهار العجز عن الهجرة وجعل جواب الملائكة تكذيباً لهم في ذلك فيرده أن سبب العجز عنها لا ينحصر في فقدان دار الهجرة بل قد يكون لعدم الاستطاعة للخروج بسبب الفقر أو لعدم تمكن الكفرة منه فلا يكون بيان سعة الأرض تكذيباً لهم ورداً عليهم بل لابد من بيان استطاعتهم أيضاً حتى يتم التبكيث وقيل كانت الطائفة المذكورة قد خرجوا مع المشركين إلى بدر منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة وأشباههم ما فقتلوا فيها فضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم وقالوا لهم ما قالوا فيكون ذلك منهم تقريراً وتوبيخاً لهم بما كانوا فيه من مساعدة الكفرة وانتظامهم في عسكرهم ويكون جوابهم بالاستضعاف تعللاً بأنهم كانوا مقهورين تحت أيديهم وأنهم أخرجوهم كارهين فرد عليهم بأنهم كانوا بسبيل من الخلاص عن قهرهم متمكنين من المهاجرة (فأولئك) الذين حكيت أحوالهم الفظيعة (مأواهم) أي في الآخرة (جهنم) كما أن مأواهم في الدنيا دار الكفر لترتهم الفريضة المحتومة فأواهم مبتدأ وجنهم خبره والجملة خبر لا أولئك وهذه الجملة خبر إن والفاء فيه لتضمن اسمها معنى الشرط وقوله تعالى قالوا فيم كنتم حال من الملائكة بإضمار قد عند من يشترطه أو هو الخبر والعائد منه محذوف أي قالوا لهم والجملة المصدرة بالفاء معطوفة عليه مستنتجة منه وبما في حيزه (وساءت مصيراً) أي مصيرهم أي جهنم وفي الآية الكريمة إرشاد إلى وجوب المهاجرة من موضع لا يتمكن الرجل من إقامة أمور دينه بأي سبب كان وعن النبي ﷺ من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض استوجبت له الجنة وكان رفيق أبيه إبراهيم ونبيه محمد ﷺ (إلا المستضعفين) استثناء ٩٨
- منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والإشارة إليه ومن في قوله تعالى (من الرجال والنساء والولدان) متعلقة بمحذوف وقع حالا من المستضعفين أي كائنين منهم وذكر الولدان إن أريد بهم الممالك أو المراهقون ظاهر وأما إن أريد بهم الأطفال فللبالغة في أمر الهجرة وإيهام أنها بحيث لو استطاعها غير المكلفين لوجب عليهم والإشعار بأنهم لا محيص لهم عنها البتة تجب عليهم كما بلغوا حتى كانوا واجبة عليهم قبل البلوغ لو استطاعوا وأن قومهم يجب عليهم أن يهاجروا بهم متى أمكنت وقوله تعالى (لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً) صفة للمستضعفين فإن ما فيه من اللام ليس للتعريف أو حال منه أو من الضمير المستكن فيه وقيل تفسير لنفس المستضعفين لكثرة وجوه الاستضعاف واستطاعة الحيلة وجدان أسباب الهجرة ومبادئها واهتمام السبيل معرفة طريق الموضع المهاجر إليه بنفسه أو بدليل (فأولئك) ٩٩

وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ٤ النساء
وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا أَعْدَاؤُكُمْ مُبِينًا ﴿١٠١﴾ ٤ النساء

- إشارة إلى المستضعفين الموصوفين بما ذكر من صفات العجز (عسى الله أن يعفو عنهم) جىء بكلمة الإطماع ولفظ العفو لإيداناً بأن الهجرة من تأكيد الوجوب بحيث ينبغي أن يعد تركها ممن تحقق عدم وجوبها عليه ذنباً
- ١٠٠ يجب طلب العفو عنه رجاء وطمعاً لا جزماً وقطعاً (وكان الله عفواً غفوراً) تذييل مقرر لما قبله (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً) ترغيب في المهاجرة وتأنيس لها أى يجد فيها متحولات ومهاجراً وإنما عبر عنه بذلك تأكيذاً للترغيب لما فيه من الإشعار بكون ذلك المتحول بحيث يصل فيه المهاجر من الخير والنعمة إلى ما يكون سبباً لرغم أنف قومه الذين هاجروهم والرغم الذل والهوان وأصله لصوق الأنف بالرغام وهو التراب وقيل يجد فيها طريقاً يرغم بسلوكه قومه أى يفارقهم على رغم أنوفهم (وسعة) أى من الرزق
- (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت) أى قبل أن يصل إلى المقصد وإن كان ذلك خارج باباً كما ينبغي عنه إنبات الخروج من بيته على المهاجرة وهو عطف على فعل الشرط وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وقيل هو حركة الهاء نقلت إلى الكاف على نية الوقف كما في قوله [من عزي سبني لم أضربه] عجبت والدهر كثير عجبته [وقرئ بالنصب على إضمار أن كما في قوله [والحق بالحجاز فاستريحاً] (فقد وقع أجره على الله) أى ثبت ذلك عنده تعالى ثبوت الأمر الواجب . روى أن رسول الله ﷺ لما بعث بالآيات المتقدمة إلى مسلمي مكة قال جندب بن ضمرة لبنيه وكان شيخاً كبيراً أحملوني فإني لست من المستضعفين وإنى لأهتدى الطريق والله لا أبيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجهم إلى المدينة فلما بلغ التنعيم أشرف على الموت فصفق يمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بأيعك رسولك فمات حميداً فبلغ خبره أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا لو توفى بالمدينة لكان أنتم أجراً فنزلت . قالوا كل هجرة في غرض ديني من طلب علم أو حج أو جهاد أو نحو ذلك فهي هجرة إلى الله عز وجل وإلى
- رسول الله ﷺ (وكان الله غفوراً) مبالغاً في المغفرة فيغفر له ما فرط منه من الذنوب التي من جملتها القعود
- ١٠١ عن الهجرة إلى وقت الخروج (رحيماً) مبالغاً في الرحمة فيرحمه بإكمال ثواب هجرته (وإذا ضربتم في الأرض) شروع في بيان كيفية الصلاة عند الضرورات من للسفر ولقاء العدو والمرض والمطر وفيه تأكيد لعزيمة المهاجر على المهاجرة وترغيب له فيها لما فيه من تخفيف المؤنة أى إذا سافرت أى مسافرة كانت ولذلك لم يقيد بما قيد به المهاجرة (فليس عليكم جناح) أى حرج ومأثم (أن تقصروا) أى في أن تقصروا والقصر خلاف المد يقال قصرت الشيء أى جعلته قصيراً بحذف بعض أجزائه أو أوصافه فتعلق القصر حقيقة وإنما هو ذلك الشيء لا بعضه فإنه متعلق الحذف دون القصر وعلى هذا فقوله تعالى

(من الصلوة) ينبغي أن يكون مفعولاً لتقصروا على زيادة من حسبها رآه الأخفش وأما على تقدير أن تكون تبيضية ويكون المفعول محذوفاً كما هو رأى سيويه أى شيئاً من الصلاة فينبغى أن يصار إلى وصف الجزء بصفة الكل أو يراد بالقصر معنى الحبس يقال قصرت الشيء إذا حبسته أو يراد بالصلاة الجنس ليكون المقصور بعضاً منها وهى الرباعيات أى فليس عليكم جناح فى أن تقصروا بعض الصلاة بتنصيفها وقرئ تقصروا من الإقصار وتقصروا من التقصير والكل بمعنى وأدنى مدة السفر الذى يتعلق به القصر عند أبى حنيفة مسيرة ثلاثة أيام ولياليها بسير الإبل ومشى الأقدام بالافتصاد وعند الشافعى مسيرة يومين وظاهر الآية الكريمة التخيير وأفضلية الإتمام وبه تعلق الشافعى وبما روى عن النبى ﷺ أنه أتى فى السفر وعن عائشة رضى الله عنها أنها أتت تارة وقصرت أخرى وعن عثمان رضى الله عنه أنه كان يتم ويقصر وعندنا يجب القصر لا محالة خلا ان بعض مشايخنا سماه عزيمة وبعضهم رخصة إسقاط بحيث لا مساغ للإتمام لا رخصة ترفيه إذ لا معنى للتخيير بين الأخف والأثقل وهو قول عمر وعلى وابن عباس وابن عمرو وجابر رضوان الله عليهم وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك وقد روى عن عمر رضى الله عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم ﷺ وعن أنس رضى الله عنه أخر جنا مع النبى ﷺ من المدينة إلى مكة فكان يصلى ركعتين ركعتين حتى رجعنا إلى المدينة وعن عمران بن حصين رضى الله عنه ما رأيت النبى ﷺ يصلى فى السفر إلا ركعتين وصلى بمكة ركعتين ثم قال أتومأ فإنا قوم سفر وحين سمع بن مسعود أن عثمان رضى الله عنه صلى بمى أربع ركعات استرجع ثم قال صليت مع رسول الله ﷺ بمى ركعتين وصليت مع أبى بكر رضى الله عنه بمى ركعتين وصليت مع عمر رضى الله عنه بمى ركعتين فليت حظى من أربع ركعات ركعتان متقبلتان وقد اعتذر عثمان رضى الله عنه عن إتمامه بأنه تأهل بمكة وعن الزهرى أنه إنما أتى لأنه أزمع الإقامة بمكة وعن عائشة رضى الله عنها أول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فأقرت فى السفر وزيدت فى الحضر وفى صحيح البخارى أنها قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ركعتين فى الحضر والسفر فأقرت صلاة السفر وزيدت فى صلاة الحضر وأما ما روى عنها من الإتمام فقد اعتذرت عنه وقالت أنا أم المؤمنين فحيث حللت ففى دارى وإنما ورد ذلك بنى الجناح لما أنهم ألفوا الإتمام فكانوا مظنة أن يخطر ببالهم أن عليهم نقصاناً فى القصر فصرح بنى الجناح عنهم لتطيب به نفوسهم ويطمئنوا إليه كما فى قوله تعالى فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما مع أن ذلك الطواف واجب عندنا ركن عند الشافعى وقوله تعالى (إن خفتن أن يفتنكم الذين كفروا) جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه أى إن خفتن أن يتعرضوا لكم بما تكرهونه من القتال وغيره فليس عليكم جناح الخ وهو شرط معتبر فى شرعية ما يذكر بعده من صلاة الخوف المؤداة بالجماعة وأما فى حق مطلق القصر فلا اعتبار له اتفاقاً لنظائر السنن على مشروعيته حسبما وقفت على تفصيلها وقد ذكر الطحاوى فى شرح الآثار مسنداً إلى يعلى بن أمية أنه قال قلت لعمر بن الخطاب رضى الله عنه إنما قال الله فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتن أن يفتنكم الذين كفروا وقد

وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقْبْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةً مِنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِنَتَكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٠٢﴾

٤ النساء

أمن الناس فقال عمر رضى الله عنه عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله ﷺ فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وفيه دليل على عدم جواز الإكمال لأن التصديق بما لا يحتمل التملك إسقاط محض لا يحتمل الرد كما حقق في موضعه ولا يتوهم أنه يخالف للكتاب لأن التقيد بالشرط عندنا إنما يدل على ثبوت الحكم عند وجود الشرط وأما عدمه عند عدمه فساكت عنه فإن وجد له دليل ثبت عنده أيضاً وإلا يبقى على حاله لعدم تحقق دليله لا لتحقيق دليل عدمه وناهيك بما سمعت من الأدلة الواضحة وأما عند القائلين بالمفهوم فلأنه إنما يدل على نفي الحكم عند عدم الشرط إذا لم يكن له فائدة أخرى وقد خرج الشرط ههنا مخرج الأغلب كما في قوله تعالى ولا تكرر هو أفتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً بل نقول إن الآية الكريمة مجملة في حق مقدار القصر وكيفيته وفي حق ما يتعلق به من الصلوات وفي مقدار مدة الضرب الذى نيط به القصر فكل ما ورد عنه ﷺ من القصر في حال الأمن وتخصيصه بالرباعيات على وجه التنصيف وبالضرب في المدة المعينة بيان لإجمال الكتاب وقد قيل إن قوله تعالى إن خفتم الخ متعلق بما بعده من صلاة الخوف منفصل عما قبله فإنه روى عن أبي أيوب الأنصارى رضى الله عنه أنه قال نزل قوله تعالى وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ثم سألوا رسول الله ﷺ بعد حول فنزل إن خفتم الخ أى إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا فليس عليكم جناح الخ وقد قرئ من الصلاة أن يفتنكم بغير إن خفتم على أنه مفعول له لما دل عليه الكلام كأنه قيل شرع لكم ذلك كراهة أن يفتنكم الخ فإن استمرار الاشتغال بالصلاة مظنة لاقتدارهم على إيقاع الفتنة وقوله تعالى (إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً) تعليل لذلك باعتبار تعلله بما ذكر أو لما يفهم من الكلام من كون فتنتهم متوقعة فإن كمال عداوتهم للؤمنين من موجبات التعرض لهم بسوء وقوله تعالى (وإذا كنت فيهم) بيان لما قبله من النص المجمل الوارد في مشروعية القصر بطريق التفريع وتصوير لكيفيته عند الضرورة التامة وتخصيص البيان بهذه الصورة مع الاكتفاء فيما عداها بالبيان بطريق السنة لمزيد حاجتها إليه لما فيها من كثرة التغير عن الهيئة الأصلية ومن ههنا ظهر لك أن مورد النص الشريف على المقصورة وحكم ما عداها مستفاد من حكمها والخطاب لرسول الله ﷺ بطريق التجريد وبظاهرة يتعلق من لا يرى صلاة الخوف بعده ﷺ ولا يخفى أن الأئمة بعده نوابه ﷺ قوام بما كان يقوم به فيتناولهم حكم الخطاب الوارد له ﷺ كما في قوله تعالى خذ من أموالهم صدقة وقد روى أن سعيد بن العاص لما أراد

- أن يصلي بطبرستان صلاة الخوف قال من شهد منكم صلاة الخوف مع رسول الله ﷺ فقام حذيفة بن اليمان رضى الله عنه فوصف له ذلك فصلى بهم كما وصف وكان ذلك بحضرة الصحابة رضى الله عنهم فلم ينكره أحد فخل محل الإجماع وروى في السنن أنهم غزوا مع عبد الرحمن بن سمرة بابل فصلى بهم صلاة الخوف (فاقت لهم الصلاة) أى أردت أن تقيم بهم الصلاة (فلتقم طائفة منهم معك) بعد أن جعلتهم طائفتين ولتقف الطائفة الأخرى بإزاء العدو ليحرسوكم منهم وإنما لم يصرح به لظهوره (وليأخذوا) أى الطائفة القائمة معك (أسلحتهم) أى لا يضعوها ولا يلقوها وإنما عبر عن ذلك بالأخذ للإيدان بالاعتناء باستصحابها كأنهم يأخذونها ابتداء (إذا سجدوا) أى القائمون معك وأتموا الركعة (فليكونوا من ورائكم) أى فلينصرفوا إلى مقابلة العدو للحراسة (ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا) بعد وهى الطائفة الواقعة تجاه العدو للحراسة وإنما لم تعرف لما أنها لم تذكر فيما قبل (فليصلوا معك) الركعة الباقية ولم يبين فى الآية الكريمة حال الركعة الباقية لكل من الطائفتين وقد بين ذلك بالسنة حيث روى عن ابن عمرو بن مسعود رضى الله عنهم أن النبي ﷺ حين صلى صلاة الخوف صلى بالطائفة الأولى ركعة وبالطائفة الأخرى ركعة كما فى الآية الكريمة ثم جاءت الطائفة الأولى وذهبت هذه إلى مقابلة العدو حتى قضت الأولى الركعة الأخيرة بلا قراءة وسلموا ثم جاءت الطائفة الأخرى وقضوا الركعة الأولى بقراءة حتى صار لكل طائفة ركعتان (وليأخذوا) أى هذه الطائفة (حذرهم وأسلحتهم) لعل زيادة الأمر بالحذر فى هذه المرة لكونها مظنة لوقوف الكفرة على كون الطائفة القائمة مع النبي ﷺ فى شغل شاغل وأما قبلها فربما يظنونهم قائمين للحرب وتكليف كل من الطائفتين بما ذكر لما أن الاشتغال بالصلاة مظنة لإلقاء السلاح والإعراض عن غيرها ومثنة لهجوم العدو كما ينطق به قوله تعالى (ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) فإنه استئناف مسوق لتعليل الأمر المذكور والخطاب للفریقین بطريق الالتفات أى تمنوا أن ينالوا منكم غرة وينتهزوا فرصة فيشددوا عليكم شدة واحدة والمراد بالأمعة ما يتمتع به فى الحرب لا مطلقاً وهذا الأمر الوجوب لقوله تعالى (ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم) حيث رخص لهم فى وضعها إذا ثقل عليهم استصحابها بسبب مطر أو مرض وأمروا مع ذلك بالتيقظ والاحتياط فقل (وخذوا حذرکم) لئلا يهجم العدو عليكم غيلة روى الكلبي عن أبي صالح أن رسول الله ﷺ غزا محارباً وبنى أنمار فنزلوا ولا يرون من العدو أحداً فوضع الناس أسلحتهم وخرج رسول الله ﷺ لحاجة له وقد وضع سلاحه حتى قطع الوادى والسما ترش فحال الوادى بينه وبين أصحابه فجلس رسول الله ﷺ فبصر به غورث بن الحرث المحاربى فقال قتلى الله إن لم أقتلك ثم انحدر من الجبل ومعه السيف فلم يشعر به رسول الله ﷺ إلا وهو قائم على رأسه وقد سل سيفه من غمده فقال يا محمد من يعصمك منى الآن فقال رسول الله ﷺ الله عز وجل ثم قال اللهم اكفنى غورث بن الحرث بما شئت ثم أهوى بالسيف إلى رسول الله ﷺ ليضربه فأكب لوجهه من زلحة زلخها بين كفيه فبدر سيفه فقام رسول الله ﷺ فأخذه ثم قال يا غورث من يمنعك منى الآن قال لا أحد قال ﷺ تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأعطيك سيفك قال لا ولكن أشهد أن لا أقاتلك أبداً ولا أهين عليك عدواً

فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾

٤ النساء

وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۚ إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾

٤ النساء

- فأعطاه رسول الله ﷺ سيفه فقال غوث والله لآنت خير مني فقال رسول الله ﷺ أنا أحق بذلك منك فرجع غوث إلى أصحابه فقص عليهم قصته فآمن بعضهم قال وسكن الوادي فقطع عليه رسول الله ﷺ إلى أصحابه وأخبرهم بالخبر وقوله تعالى (إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً) تعليل للأمر بأخذ الحذر أعد لهم عذاباً مهيناً بأن يخذلهم وينصرهم عليهم فاهتموا بأموركم ولا تهملوا في مباشرة الأسباب كي يحل بهم عذابه بأيديكم وقيل لما كان الأمر بالحذر من العدو ومهما لتوقع غلبته واعتزازه نفي ذلك الإيهام بأن الله تعالى ينصرهم ويهين عدوهم لتقوى قلوبهم (فإذا قضيت الصلاة) أي صلاة الخوف أي أدبتموها على الوجه المبين وفرغتم منها (فادكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم) أي فداوموا على ذكر الله تعالى وحافظوا على مراقبته ومناجاته ودعائه في جميع الأحوال حتى في حال المسابقة والقتال كما في قوله تعالى إذا لقيتهم فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون (فإذا اطمانتم) سكنت قلوبكم من الخوف وأمنتم بعد ما وضعت الحرب أوزارها (فأقيموا الصلاة) أي الصلاة التي دخل وقتها حينئذ أي أدوها بتعديل أركانها ومراعاة شرائطها وقيل المراد بالذكر في الأحوال الثلاثة الصلاة فيها أي فإذا أردتم أداء الصلاة فصلوا قياماً عند المسابقة وقعوداً جاثين على الركب عند المراماة وعلى جنوبكم متخفين بالجراح فإذا اطمانتم في الجملة فاقضوا ما صليتم في تلك الأحوال التي هي أحوال القلق والازعاج وهو رأى الشافعي رحمه الله وفيه من البعد ما لا يخفى (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) أي فرضاً مؤقتاً قال مجاهد وقته الله عليهم فلا بد من إقامتها في حالة الخوف أيضاً على الوجه المشروح وقيل مفروضاً
- ١٠٤ مقديراً في الحضر أربع ركعات وفي السفر ركعتين فلا بد أن تؤدي في كل وقت حسبما قدر فيه (ولا تهنوا في ابتغاء القوم) أي لا تضعفوا ولا تتوانوا في طلب الكفار بالقتال والتعرض لهم بالحرب وقوله تعالى (إن تكونوا تألمون فإنهم يآلمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون) تعليل للنهي وتشجيع لهم أي ليس ما تقاسونه من الآلام مختصاً بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم ثم إلهم يصبرون على ذلك فما لكم لا تصبرون مع أنكم أولى به منهم حيث ترجون من الله من إظهار دينكم على سائر الأديان ومن الثواب في الآخرة ما لا يخطر ببالهم وقرئ أن تكونوا بفتح الهمزة أي لا تهنوا لأن تكونوا تألمون وقوله تعالى فإنهم تعليل للنهي عن الوهن لأجله والآية نزلت في بدر الصغرى (وكان الله عليماً) مبالغاً في العلم فيعلم أعمالكم وضمائمكم (حكيماً) فيما يأمر وينهى لجدوا في الامتثال بذلك فإن فيه عواقب حميدة

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً ﴿١٠٥﴾ ٤ النساء

وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً ﴿١٠٦﴾ ٤ النساء

وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً ﴿١٠٧﴾ ٤ النساء

يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ

وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً ﴿١٠٨﴾ ٤ النساء

- (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق) روى أن رجلاً من الأنصار يقال له طعمة بن أبيرق من بني ظفر سرق ١٠٥ درعا من جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينثر من خرق فيه فخبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتفتت الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها وماله بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودي فأخذوها فقال دفعها إلى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وشهدوا ببراءته وسرقة اليهودي فهم رسول الله ﷺ أن يفعل فنزلت وروى أن طعمة هرب إلى مكة وارتد ونقب حائطاً بمكة ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله وقيل نزل على رجل من بني سليم من أهل مكة يقال له الحجاج بن علاط فنقب بيته فسقط عليه حجر فلم يستطع الدخول ولا الخروج فأخذ ليقتل فقبل دعه فإنه قد لجأ إليك فتركوه وأخرجوه من مكة فالتحق بتجار من قضاة نحو الشام فنزلوا منزلاً فسرق بعض متاعهم وهرب فأخذوه ورجوه بالحجارة حتى قتلوه وقيل إنه ركب سفينة إلى جدة فسرق فيها كيساً فيه دنانير فأخذ وألقى في البحر (لتحكم بين الناس بما أراك الله) أي بما عرفك وأوحى به إليك (ولا تكن للخائنين) أي لأجلهم والذنب ● عنهم وهم طعمة ومن يعينه من قومه أو هو ومن يسير بسيرته (خصيماً) مخاصماً للبراء أي لاتخاصم اليهود لأجلهم والنهي معطوف على أمر ينسحب عليه النظم الكريم كأنه قيل فاحكم به ولا تكن الخ (واستغفر ١٠٦ الله) مما هممت به تعويلاً على شهادتهم (إن الله كان غفوراً رحيماً) مبالغاً في المغفرة والرحمة لمن يستغفره ● (ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) أي يخونونها بالمعصية كقوله تعالى علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم ١٠٧ جعلت معصية العصاة خيانة منهم لأنفسهم كما جعلت ظمناً لها الرجوع ضرراً إليهم والمراد بالموصول إما طعمة وأمثاله وإما هو ومن عاونه وشهد ببراءته من قومه فإنهم شركاء له في الإثم والخيانة (إن الله لا يحب ● من كان خواناً) مفرطاً في الخيانة مصرأ عليها (أثيماً) منهمكاً فيه وتعليق عدم المحبة الذي هو كناية عن ● البغض والسخط بالمباغ في الخيانة والإثم ليس لتخصيصه به بل لبيان إفراط طعمة وقومه فيهما (يستخفون ١٠٨ من الناس) يستترون منهم حياء وخوفاً من ضررهم (ولا يستخفون من الله) أي لا يستحيون منه سبحانه ● وتعالى وهو أحق بأن يستحيأ منه ويخاف من عقابه (وهو معهم) ظالم بهم وبأحوالهم فلا طريق إلى ●

هَاتَيْنِ هَتُولَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾

٤ النساء

وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٠﴾

٤ النساء

وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُ عَلَى نَفْسِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾

٤ النساء

وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿١١٢﴾

٤ النساء

- الاستخفاء منه سوى ترك ما يستقبحه ويؤاخذ به (اذبيتون) يدبرون ويزورون (مالا يرضى من القول)
- من رمى البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور (وكان الله بما يعملون) من الأعمال الظاهرة والخافية
- ١٠٩ (محيطاً) لا يعزب عنه شيء منها ولا يفوت (ها تم هؤلاء) تلوين للخطاب وتوجيه له إليهم بطريق الالتفات ليداناً بأن تعديد جنائهم يوجب مشافهمهم بالتوبيخ والتقريع والجملة مبتدأ وخبر وقوله تعالى (جادلتم عنهم في الحياة الدنيا) جملة مبينة لوقوع أولاء خبراً ويجوز أن يكون أولاء اسماً موصولاً بمعنى الذين وجادلتم الخ صلة له والمجادلة أشد الخصامة والمعنى هبوا أنكم خاضتم عن طعمة وأمثاله في الدنيا
- (فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة) فمن يخاصم عنهم يومئذ عند أمذيتهم وعقابهم (أم من يكون عليهم وكيلاً)
- ١١٠ حافظاً ومحامياً من بأس الله تعالى وانتقامه (ومن يعمل سوءاً) قبيحاً يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي (أو يظلم نفسه) بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل السوء مادون الشرك والظلم الشرك وقيل
- هما الصغيرة والكبيرة (ثم يستغفر الله) بالتوبة الصادقة (يجد الله غفوراً) لذنوبه كائنة ما كانت (رحيماً) متفضلاً عليه وفيه مزيد ترغيب لطعمة وقومه في التوبة والاستغفار لما أن مشاهدة التائب لا تار المغفرة
- ١١١ والرحمة نعمة زائدة كما مر (ومن يكسب إثماً) من الآثام (فإنما يكسبه على نفسه) حيث لا يتعدى ضرره
- ووباله إلى غيره فليحترز عن تعريضها للعقاب والعذاب عاجلاً وآجلاً (وكان الله عليماً) مبالغاً في العلم
- ١١٢ (حكيماً) مراعيّاً للحكمة في كل ما قدر وقضى ولذلك لا يحمل وازرة وزر أخرى (ومن يكسب خطيئة) صغيرة أو مالا عمد فيه من الذنوب وقرىء ومن يكسب بكسر الكاف وتشديد السين وأصله يكتسب
- (أو إثماً) كبيرة أو ما كان عن عمد (ثم يرم به) أى يقذف به ويسنده وتوحيد الضمير مع تعدد المرجع لمكان أو وتذكيره لتغليب الإثم على الخطيئة كأنه قيل ثم يرم بأحدهما وقرىء يرم بهما وقيل الضمير
- للكسب المدلول عليه بقوله تعالى يكسب وثم للزراخي في الرتبة (بريئاً) أى مما رماه به ليحمله عقوبته
- العاجلة كما فعله طعمة يزيد (فقد احتمل) أى بما فعل من تحميل جريرته على البريء (بهتاناً) وهو
- الكذب على الغير بما يهت منه ويتحير عند سماعه لفظاعته وهوله وقيل هو الكذب الذى يتحير فى
- عظمه (وإنما مبيناً) أى بيناً فاحشاً وهو صفة لإثماً وقد اكتفى في بيان عظم البهتان بالتنكير التفضيلى

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضْلُوكَ وَمَا يُضْلُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

٤ النساء

- كانه قيل بهتاناً لا يقادر قدره وإنما مبيناً على أن وصف الإثم بما ذكر بمنزلة وصف البهتان به لانهما عبارة عن أمر واحد هو رمى البريء بجناية نفسه قد عبر عنه بهما توبيلاً لآمره وتفظيلاً لحاله فدار العظم والفخامة كون المرمى به للراى فإن رمى البريء بجناية ما خطيئة كانت أو إثم بهتان وإثم في نفسه أما كونه بهتاناً فظاهر وأما كونه إثمًا فلأن كون الذنب بالنسبة إلى من فعله خطيئة لا يلزم منه كونه بالنسبة إلى من نسبته إلى البريء منه أيضاً كذلك بل لا يجوز ذلك قطعاً كيف لا وهو كذب محرم في جميع الأديان فهو في نفسه بهتان وإثم لا محالة ويكون تلك الجناية للراى يتضاعف ذلك شدة ويزداد قبحاً لكن لا انضمام جنايته المكسوبة إلى رمى البريء وإلا لكان الرمى بغير جناية مثله في العظم والمجر دأشهاله على تبرئة نفسه الخاطئة وإلا لكان الرمى بغير جناية مع تبرئة نفسه كذلك في العظم بل لاشتماله على قصد تحميل جنايته على البريء وإجراء عقوبتها عليه كما ينبى عنه إثبات الاحتمال على الاكتساب ونحوه لما فيه من الإيذان بانعكاس تقديره مع ما فيه من الإشعار بثقل الوزر وصعوبة الأمر نعم بما ذكر من انضمام كسبه وتبرئة نفسه إلى رمى البريء تزداد الجناية قبحاً لكن تلك الزيادة وصف للجموع لا للإثم (ولولا فضل الله ١١٣ عليك ورحمته) يا علامك مأم عليه بالوحي وتبهيك على الحق وقيل بالنبوة والعصمة (لهمت طائفة منهم) أى من بنى ظفر وهم الذابون عن طعمة وقد جوز أن يكون المراد بالطائفة كلهم ويكون الضمير راجعاً إلى الناس وقيل هم وفد بنى ثقيف قد هوا على رسول الله ﷺ وقالوا جئناك لنبايعك على أن لا تكسر أصنامنا ولا تعشرنا فردهم رسول الله ﷺ (أن يضلوك) أى بأن يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بكنه الأمر والجملة جواب لولا وإثمانى همهم مع أن المنفى إنما هو تأثيره فقط إيذاناً بانتفاء تأثيره بالكلية وقيل المراد هو الهم المؤثر ولا ريب في انتفائه حقيقة وقيل الجواب محذوف أى لأضلوك وقوله تعالى لهمت جملة مستأنفة أى لقد همت طائفة الخ (وما يضلون إلا أنفسهم) لاقتصار وبال مكرم عليهم من غير أن يصيبك منه شيء والجملة اعتراض وقوله تعالى (وما يضرونك من شيء) عطف عليه ومحل الجار والمجرور النصب على المضدرية أى وما يضرونك شيئاً من الضرر لما أنه تعالى عاصمك وأما ما خطر ببالك فكان عملائك بظاهر الحال ثقة بأقوال القائلين من غير أن يخطر ببالك أن الحقيقة على خلاف ذلك (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة) أى القرآن الجامع بين العنوانين وقيل المراد بالحكمة السنة (وعليك) بالوحي من خفيات الأمور التي من جملتها وجوه إبطال كيد المنافقين أو من أمور الدين وأحكام الشرع (مالم تكن تعلم) ذلك إلى وقت التعليم (وكان فضل الله عليك عظيماً) إذ لا فضل أعظم من النبوة العامة والرياسة التامة.

لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ
ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾

٤ النساء

وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ
جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾

٤ النساء

- ١١٤ (لاخير في كثير من نجواهم) أى في كثير من تناجي الناس (إلا من أمر) أى إلا في نجوى من أمر (بصدقة أو معروف) وقيل المراد بالنجوى المتناجون بطريق المجاز وقيل النجوى جمع نجى نقله الكرماني وأيا ما كان فلا استثناء متصل ويجوز الانقطاع أيضاً على معنى لكن من أمر بصدقة الخ ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل فينتظم أصناف الجميل وفنون أعمال البر وقد فسرهمنا بالقرض وإغاثة الملهوف وصدقة التطوع على أن المراد بالصدقة الصدقة الواجبة (أو إصلاح بين الناس) عند وقوع المشاقة والمعاودة بينهم من غير أن يجاوز في ذلك حدود الشرع الشريف وبين إمام متعلق بنفس إصلاح يقال أصلحت بين القوم أو بمحذوف هو صفة له أى كأن بين الناس عن أبي أيوب الأنصاري رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال له ألا أدلك على صدقة خير لك من حمر النعم فقال بلى يا رسول الله قال تصلح بين الناس إذا تفسدوا وتقرب بينهم إذا تباعدوا قالوا ولعل السر في أفراد هذه الأقسام الثلاثة بالذكر أن عمل الخير المتعدى إلى الناس إما لإيصال المنفعة أو لدفع المضرة والمنفعة إما جسمانية كأعطاء المال وإليه الإشارة بقوله تعالى إلا من أمر بصدقة وإما روحانية وإليه الإشارة بالأمر بالمعروف وأما دفع الضرر فقد أشير إليه بقوله تعالى أو إصلاح بين الناس (ومن يفعل ذلك) إشارة إلى الأمور المذكورة أعنى الصدقة والمعروف والإصلاح فإنه يشار به إلى متعدد وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بها للإبذان ببعد منزلتها ورفعة شأنها وترتيب الوعد على فعلها إثر بيان خيرية الأمر بها لما أن المقصود الأصلي هو الترغيب في الفعل وبيان خيرية الأمر به للدلالة على خيريته بالطريق الأولى لما أن مدار حسن الأمر وقبحه حسن المأمور به وقبحه فحيث ثبت خيريه الأمر بالأمور المذكورة فخيرية فعلها أثبت وفيه تحريض للأمر بها على فعلها أو إشارة إلى الأمر بها كأنه قيل ومن يأمر بها والكلام في ترتيب الوعد على فعلها كالذي مر في الخيرية
- فإن استتباع الأمر بها للأجر العظيم إنما هو لكونه ذريعة إلى فعلها فاستتباعه له أولى وأحق (ابتغاء مرضاة الله) علة للفعل والتقيد به لأن الأعمال بالنيات وأن من فعل خيراً لغير ذلك لم يستحق به غير الحرمان (فسوف تؤتيه) بنون العظمة على الالتفات وقرئ بالياء (أجر عظيم) يقصر عنه الوصف
- (ومن يشاقق الرسول) التعرض لعنوان الرسالة لإظهار كمال شناعة ما اجترأوا عليه من المشاقة والمخالفة
- وتعليل الحكم الآن بذلك (من بعد ما تبين له الهدى) ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات الدالة على نبوته (ويتبع غير سبيل المؤمنين) أى غير ما هم مستمرون عليه من عقد وعمل وهو الدين القيم (نوله

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا
بَعِيدًا ﴿١١٦﴾

٤ النساء

إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴿١١٧﴾

٤ النساء

لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا تَخْذَنْ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾

٤ النساء

- ما تولى (أى نجعله والياً لما تولاه من الضلال ونخذه بأن نخلى بينه وبين ما اختاره (ونصله جهنم) أى ندخله إياها وقرى بفتح النون من صلاه (وساءت مصيراً) أى جهنم وفيها دلالة على حجبة الإجماع وحرمة مخالفته (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) قد مر تفسيره فيما سبق وهو ١١٦ تكرير للتأكيد والتشديد أو لقصة طعمة وقد مر موته كافراً . وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن شيخاً من العرب جاء إلى رسول الله ﷺ فقال إني شيخ منهمك في الذنوب إلا أنى لم أشرك بالله شيئاً منذ عرفته وآمنت به ولم أتخذ من دونه ولياً ولم أوقع المعاصي جراءة على الله تعالى وما توهمت طرفة عين أنى أعجز الله هرباً وإنى لنادم تائب مستغفر فأتى حالى عند الله تعالى فنزلت (ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً) عن الحق فإن الشرك أعظم أنواع الضلالة وأبعدها عن الصواب والاستقامة كما أنه افتراء وإثم عظيم ولذلك جعل الجزاء في هذه الشرطية فقد ضلّ الخ وفيما سبق فقد افتقر إثمًا عظيمًا حسبما يقتضيه سباق النظم الكريم وسياقه (إن يدعون من دونه) أى ما يعبدون من دونه عز وجل (إلا ١١٧ إنا أنا) يعنى اللات والعزى ومناة ونحوها عن الحسن أنه لم يكن من أحياء العرب حى إلا كان لهم صنم يعبدونه يسمونه أنثى بنى فلان قيل لأنهم كانوا يقولون فى أصنامهم هن بنات الله وقيل لأنهم كانوا يلبسونها أنواع الحلى ويزينونها على هيأت النسوان وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وقيل تسميتهن إنا أنا لتأنيث أسمائهن أو لأنهن فى الأصل جماد والجمادات تؤنث من حيث إنها ضاهت الإناث لانفعالها وإيرادها بهذا الاسم للتنبيه على فرط حماقة عبدها وتناهى جهلهم والإناث جمع أنثى كربات وربى وقرى على التوحيد وأنا أيضاً على أنه جمع أنثى كقلب وقلب أو جمع إناث كثمار وتمر وقرى وثنا واثناً بالتحفيف والتخفيف جمع وثن كقولك أسد وأسود وأسود على الأصل وقلب الواو ألفاً نحو أجوه فى وجوه (وإن يدعون) وما يعبدون بعبادتها (إلا شيطاناً مريداً) إذ هو الذى أمرهم بعبادتها وأغراهم عليها فكانت طاعتهم له عبادة والمريد والمراد هو الذى لا يعلق بخير وأصل التركيب للبلاسة ومنه صرح بمرد وشجرة مرداء للتي تنثر ورقها (لعنه الله) صفة ثانية لشيطاناً (وقال لا تخذن من عبادك نصيباً مفروضاً) عطف على الجملة المتقدمة أى شيطاناً مريداً جامعاً بين لعنة الله وهذا القول الشنيع الصادر عنه عند اللعن ولقد برهن على أن عبادة الأصنام غاية الضلال بطريق التعليل بأن ما يعبدونها يفعل ولا

وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مَنِينَهِمْ وَلَا مَرَنَّهُمْ فَلْيَبْتَكَنْ إِذَا نَعِمَ وَلَا مَرَنَّهُمْ فَلْيَبْتَكَنْ خَلَقَ اللَّهُ وَمَنْ
يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴿١١٩﴾

٤ النساء

٤ النساء

يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾

٤ النساء

أُولَئِكَ مَا وَلَّهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾

يفعل فعلا اختيارياً وذلك يناقى الألوهية غاية المناقاة ثم استدل عليه بأن ذلك عبادة للشيطان وهو أفضح الضلال من وجوه ثلاثة الأول أنه منهمك في الغي لا يكاد يعلق بشيء من الخير والهدى فتكون طاعته ضللاً بعيداً عن الحق والثاني أنه ملعون لضلالة فلا تستتبع مطاوعته سوى اللعن والضلال والثالث أنه في غاية السعي في إهلاكهم وإضلالهم فوالاة من هذا شأنه غاية الضلال فضلاع عبادته والمغرض المقطوع أي نصيباً قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطاء (ولا ضلنهم ولا منينهم) الأمانى الباطلة كطول الحياة وأن لا بعث ولا عقاب ونحو ذلك (ولا مرنهم فليبتكن آذان الأنعام) أي فليقطعنها بموجب أمرى ويشقنها من غير تلعم في ذلك ولا تأخير وذلك ما كانت العرب تفعله بالبحائر والسواحب (ولا مرنهم فليغيرن) يمتثلن به (خلق الله) عن نهجه صورة أو صفة وينتظم فيه ما قيل من فقه عين الحامى وخصاء العبيد والوشم والوشم ونحو ذلك وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقاً لكن الفقهاء رخصوا في البهائم لمكان الحاجة وهذه الجمل المحكية عن اللعين مما نطق به لسانه مقالاً أو حالاً وما فيها من اللامات كلها للقسمة والأمور به في الموضوعين محذوف ثقة بدلالة النظم عليه (ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله) يباين ما يدعوا إليه على ما أمر الله تعالى به ومجاوزته عن طاعة الله تعالى إلى طاعته (فقد خسر ١٢٠ خسرانا مبيناً) لأنه ضيع رأس ماله بالكلية واستبدل بمكانه من الجنة مكانه من النار (يعدم) أي مالا يكاد ينجزه (ويمنهم) أي الأمانى الفارغة أو يفعل لهم الوعد والتنمية على طريقة فلان يعطى ويمنع والضميران لمن والجمع باعتبار معناها كما أن الأفراد في يتخذ وخسر باعتبار لفظها (وما يعدهم الشيطان إلا غروراً) وهو إظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد إما بإلقاء الخواطر الفاسدة أو بالسنة أوليائه وغروراً إما مفعول ثان للوعد أو مفعول لا تجله أو نعت لمصدر محذوف أي وعداً ذا غرور أو مصدر على غير لفظ المصدر لأن يعدهم في قوة يغرم بوعده والجملة اعتراض وعدم التعرض للتنمية لأنها باب من الوعد (أولئك) إشارة إلى أولياء الشيطان وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعد منزلاتهم في الخسران وهو مبتدأ وقوله تعالى (ما واهم) مبتدأ ثان وقوله تعالى (جهنم) خبر للثاني والجملة خبر الأول (ولا يجدون عنها محيصاً) أي معدلاً ومهرباً من حاص الحمار إذا عدل وقيل خلص ونجا وقيل الحيص هو الروغان بنفور وعنها متعلق بمحذوف وقع حالاً من محيصاً أي كائناً عنها ولا مساع لتعلقه بمحيصاً أما إذا كان اسم مكان فظاهر وأما إذا كان مصدراً فلأنه لا يعمل فيما قبله .

١٢١

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾

٤ النساء

لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾

٤ النساء

- (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) مبتدأ خبره قوله تعالى (سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار ١٢٢ خالدين فيها أبداً) قرن وعيد الكفرة بوعد المؤمنين زيادة لمسة هؤلاء ومساءة أولئك (وعد الله حقاً) ● أي وعده وعداً وحق ذلك حقاً فالأول مؤكد لنفسه لأن مضمون الجملة الاسمية وعدو الثاني مؤكداً لغيره ويجوز أن ينتصب الموصول بمضمر يفسره ما بعده وينصب وعد الله بقوله تعالى سندخلهم لأنه في معنى نعدم إدخال جنات الخ وحقاً على أنه حال من المصدر (ومن أصدق من الله قِيلاً) جملة مؤكدة بليغة ● والمقصود من الآية معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لا ولياته والمبالغة في تأكيد ترغيباً للعباد في تحصيله والقبيل مصدر كالقول والقال وقال ابن السكيت القبيل والقال اسمان لا مصدران ونصبه على التمييز وقرئ يا شمام الصاد وكذا كل صاكنة بعدها دال (ليس بآمانيتكم ولا ١٢٣ آمانى أهل الكتاب) أي ليس ما وعد الله تعالى من الثواب يحصل بآمانيتكم أيها المسلمون ولا بآمانى أهل الكتاب وإنما يحصل بالإيمان والعمل الصالح ولعل نظم آمانى أهل الكتاب في سلك آمانى المسلمين مع ظهور حالها للإبذان بعدم إجداء آمانى المسلمين أصلاً كما في قوله تعالى ولا الذين يموتون وهم كفار كما سلف وعن الحسن ليس الإيمان بالتقوى ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل إن قوما ألهمهم آمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا الوأحسنوا الظن به لا أحسنوا العمل وقيل إن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنجن أولى بالله تعالى منكم فقال المسلمون نحن أولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضى على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب للمشركين ويؤيده تقدم ذكرهم أي ليس إلا مرباً مانى المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم إن كان الأمر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيراً منهم وأحسن حالاً وقولهم لا وتين مالا وولداً ولا آمانى أهل الكتاب وهو قولهم إن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى وقولهم إن تمسنا النار إلا أياماً معدودة ثم قرر ذلك بقوله تعالى (من يعمل سوءاً يجز به) عاجلاً أو آجلاً لما روى أنه لما نزلت قال أبو بكر رضى الله تعالى عنه فن بنجو مع هذا يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ أما تحزن أو تمرض أو يصيبك البلاء قال بلى يا رسول الله قال هو ذاك (ولا يجد له من دون الله) أي مجاوزاً لموا الالة ● الله ونصرته (وليا) بواليه (ولا نصيراً) بنصره في دفع العذاب عنه.

وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ

٤ النساء

نَقِيرًا (١٢٤)

وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ

٤ النساء

خَلِيلًا (١٢٥)

- ١٢٤ (ومن يعمل من الصالحات) أى بعضها أو شيئاً منها فإن كل أحد لا يتمكن من كمالها وليس مكلفاً بها (من ذكر أو أنثى) فى موضع الحال من المستكن فى يعمل ومن للبيان أو من الصالحات فمن للابتداء أى كائنه من ذكر الخ (وهو مؤمن) حال شرط اقتران العمل بها فى استدعاء الثواب المذكور تذييل على أنه لا اعتداد به دونه (فأولئك) إشارة إلى من بعنوان اتصافه بالإيمان والعمل الصالح والجمع باعتبار معناها كما أن الأفراد فيما سبق باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة من الإشعار بعلو رتبة المشار إليه وبعد منزلته فى الشرف (يدخلون الجنة) وقرئ: يدخلون مبنياً للمفعول من الإدخال (ولا يظلمون نقيراً) أى لا ينقصون شيئاً حقيراً من ثواب أعمالهم فإن النقيير علم فى القلة والحقارة وإذا لم ينقص ثواب المطيع فلأن لا يزداد عقاب العاصى أولى وأحرى كيف لا والمجازى أرحم الراحمين وهو السر فى
- ١٢٥ الاختصار على ذكره عقيب الثواب (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله) أى أخلص نفسه له تعالى لا يعرف له رباً سواه وقيل بذل وجهه له فى السجود وقيل أخلص عمله له عز وجل وقيل فوض أمره إليه تعالى وهذا إنكار واستبعاد لأن يكون أحد أحسن ديناً ممن فعل ذلك أو مساوياً له وإن لم يكن سببك التركيب متعرضاً لإنكار المساواة ونفيها يرشدك إليه العرف المطرد والاستعمال الفاشى فإنه إذا قيل من أكرم من فلان أو لا أفضل من فلان فالمراد به حتماً أنه أكرم من كل كريم وأفضل من كل فاضل وعليه مساق قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى ونظائره وديننا نصب على التمييز من أحسن منقول من المبتدأ والتقدير ومن دينه أحسن من دين من أسلم الخ فالتفضيل فى الحقيقة جار بين الدينين لا بين صاحبيهما
- فقيه تنبيه على أن ذلك أقصى ما تنتهى إليه القوة البشرية (وهو محسن) أى آت بالحسنات تارك للسيئات أو آت بالأعمال الصالحة على الوجه اللائق الذى هو حسنها الوصفى المستلزم لحسنها الذاتى وقد فسره
- عليه السلام بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك والجملة حال من فاعل أسلم (واتبع ملة إبراهيم) الموافقة لدين الإسلام المتفق على صحتها وقبولها (حنيفاً) مائلاً عن الأديان الزائغة وهو حال من فاعل اتبع أو من إبراهيم (واتخذ الله إبراهيم خليلًا) اصطفاؤه وخصه بكرامات تشبه كرامات الخليل عند خليله وإظهاره عليه السلام فى مواقع الإضمار لتفخيم شأنه والتنصيص على أنه الممدوح وتأكيده استقلال الجملة الاعتراضية والخلة من الخلال فإنه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلال فإن كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر أو من الخل وهو الطريق فى الرمل فإنهما يتوافقان فى الطريقة أو من الخلة

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ ٤ النساء
وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّى النِّسَاءَ الَّتِي
لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ آلِ الدِّينِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ
بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ ٤ النساء

بمعنى الخصلة فإنهما يتوافقان في الخصال وفائدة الاعتراض جملة من جعلتها الرغيب في اتباع ملته عليه السلام فإن من بلغ من الزاني عند الله تعالى مبلغاً مصححاً لتسميته خليلاً حقيق بأن يكون اتباع طريقته أهم ما يمتد إليه أعناق الهمم وأشرف ما يرمى نحوه أحداق الأمم قيل إنه عليه الصلاة والسلام بعث إلى خليل له بمصر في أزمة أصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان إبراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت وليكنه يريد لها للأضياف وقد أصابنا ما أصاب الناس من الشدة فرجع غلبانه عليه الصلاة والسلام فاجتازوا ببطحاء لينة فملئوا منها الغرائر حياء من الناس وجاؤا بها إلى منزل إبراهيم عليه الصلاة والسلام وألقوها فيه وتفرقوا وجاء أحدهم فأخبر إبراهيم بالقصة فاغتم لذلك غمّاً شديداً لاسيما لاجتماع الناس ببابه رجاء الطعام فغلبه عيناه وعمدت سارة إلى الغرائر فإذا فيها أجود ما يكون من الحواري فاخترت وفي رواية فاطمعت الناس وانتبه إبراهيم عليه السلام فاشتم رائحة الخبز فقال من أين لكم قالت سارة من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله تعالى خليلاً (ولله ما في السموات وما في ١٢٦ الأرض) جملة مبتدأة سيقّت لتقرير وجوب طاعة الله تعالى على أهل السموات والأرض ببيان أن جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقاً وملكاً لا يخرج عن ملكوته شيء منها فيجازى كلا بموجب أعماله خيراً وشرّاً وقيل لبيان أن اتخاذه عز وجل لإبراهيم عليه السلام خليلاً ليس لاحتياجه سبحانه إلى ذلك في شأن من شأنه كما هو دأب الأدميين فإن مدار خلقتهم افتقار بعضهم إلى بعض في مصالحهم بل لمجرد تكرّمه وتشريفه عليه السلام وقيل لبيان أن الخلّة لا تخرج عن رتبة العبودية وقيل لبيان أن اصطفاؤه عليه السلام للخلّة بمحض مشيئته تعالى أي له تعالى ما فيهما جميعاً يختار منهما ما يشاء لمن يشاء وقوله عز وجل (وكان الله بكل شيء محيطاً) تذييل مقرر لمضمون ما قبله على الوجوه المذكورة فإن إحاطته تعالى علماً ● وقدره بجميع الأشياء التي من جعلتها ما فيهما من المكلفين وأعمالهم مما يقرر ذلك أكمل تقرير (ويستفتونك ١٢٧ في النساء) أي في حقهم على الإطلاق كما ينبغي عنه الأحكام الآتية لافي حق ميراثهن خاصة فإنه ﷺ قد سئل عن أحوال كثيرة مما يتعلق بهن فما بين حكمه فيما سلف أحيل بيانه على ما ورد في ذلك من الكتاب ومالم يبين حكمه بعد بين ههنا وذلك قوله تعالى (قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب) بإسناد ● الإفتاء الذي هو تبين المبهم وتوضيح المشكل إليه تعالى وإلى ما تلى من الكتاب فيما سبق باعتبارين على طريقة قولك أغنانى زيد وعطاؤه بعطف ما على المبتدأ أو ضميره في الخبر لمكان الفصل بالمفعول والجار

- والمجورور وإيثار صيغة المضارع للإيذان باستمرار التلاوة ودوامها وفي الكتاب إمام متعلق بيتلى أو محذوف وقع حالا من المستكن فيه أى يتلى كأننا فيه ويجوز أن يكون ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره على أن المراد به اللوح المحفوظ والجملة معترضة مسوقة لبيان عظم شأن المتلو عليهم وأن العدل في الحقوق المبينة فيه من عظام الأمور التي تجب مراعاتها والمحافظة عليها فما يتلى حينئذ متناول لما تلى وما سيتلى ويجوز أن يكون مجروراً على القسم المنبئ عن تعظيم المقسم به وتفخيّمه كأنه قيل قل الله يفتيكم فيهم وأقسم بما يتلى عليكم في الكتاب فالمراد بقوله تعالى يفتيكم بيانه السابق واللاحق ولا مساع لعطفه على المجرور من فيهم لا اختلاله لفظاً ومعنى وقوله تعالى (في يتامى النساء) على الوجه الأول وهو الأظهر متعلق بيتلى أى ما يتلى عليكم في شأنهم وعلى الآخرين بدل من فيهم وهذه الإضافة بمعنى من لأنها إضافة الشيء إلى جنسه وقرىء يياى على قلب همزة أيامى ياء (اللآتى لا تؤتونهن ما كتب لهن) أى ما فرض لهن من الميراث وغيره (وترغبون) عطف على الصلة جملة مثبتة على جملة منفية وقيل حال من فاعل تؤتونهن بتأويل وأنتم ترغبون ولا ريب في أنه لا يظهر لتقييد عدم الإيتاء بذلك فائدة إلا إذا أريد بما كتب لهن صداقهن (أن تنكحوهن) أى في أن تنكحوهن لا لأجل التمتع من بل لأكل ما لهن أو في أن تنكحوهن بغير إكمال الصداق وذلك ما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها من أنها اليتيمة تكون في حجر وليها هو وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد أن ينكحها بأدنى من سنة نسائها فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن في إكمال الصداق أو عن أن تنكحوهن وذلك ما روى عنها رضى الله تعالى عنها أنها يتيمة يرغب وليها عن نكاحها ولا ينكحها فيعضلها طعماً في ميراثها وفي رواية عنها رضى الله تعالى عنها هو الرجل يكون عنده يتيمة ووارثها وشريكها في المال حتى في العنق فيرغب أن ينكحها ويكره أن يزوجه رجل فيشركه في ماله بما شركته فيعضلها فالمراد بما كتب لهن على الوجه الأول والآخر ميراثهن وبما يتلى في حقهن قوله تعالى وآتوا اليتامى أموالهم وقوله تعالى ولا تأكلوا أموالهم من النصوص الدالة على عدم التعرض لأموالهم وعلى الوجه الثاني صداقهن وبما يتلى فيهن قوله تعالى وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى الآية (والمستضعفين من الولدان) عطف على يتامى النساء وما يتلى في حقهم قوله تعالى يوصيكم الله الخ وقد كانوا في الجاهلية لا يورثونهم كما لا يورثون النساء وإنما يورثون الرجال القوام بالأموال . روى أن عيينة بن حصن الفزاري جاء إلى رسول الله ﷺ فقال أخبرنا بأنك تعطى الابنة النصف والأخت النصف وإنما كنا نورث من يشهد القتال ويجوز الغنيمة فقال ﷺ كذلك أمرت (وأن تقوموا لليتامى بالقسط) بالجر عطف على ما قبله وما يتلى في حقهم قوله تعالى ولا تبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ونحو ذلك مما لا يكاد يحصر هذا على تقدير كون في يتامى النساء متعلقاً بيتلى وأما على تقدير كونه بدلاً من فيهم فالوجه نصبه عطفاً على موضع فيهم أى يفتيكم أن تقوموا ويجوز نصبه بإضمار فعل أى ويأمركم وهو خطاب للولادة أو الأولياء والأوصياء (وما تفعلوا) في حق المذكورين (من خير) حسبما أمرتم به أو ما تفعلوه من خير على الإطلاق فيندرج فيه ما يتعلق بهم اندارجاً أولياً (فإن الله كان به عليماً) فيجازيكم بحسبه .

وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ ٤ النساء

- (وإن امرأة خافت) شروع في بيان ما لم يبين فيما سلف من الأحكام أى إن توقعت امرأة (من بعلمها ١٢٨) نشوزاً) أى تجافياً عنها وترفعاً عن صحبتها كراهة لها ومنعاً لحقوقها (أو إعراضاً) بأن يقل محادثتها ● ومؤانستهما لما يقتضى ذلك من الدواعى والأسباب (فلا جناح عليهما) حينئذ (أن يصلحا بينهما صلحاً) ● أى فى أن يصلحا بينهما بأن تحط له المهر أو بعضه أو القسم كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت أن يفارقها رسول الله ﷺ فوهبت يومها لعائشة رضى الله عنها أو بأن تهب له شيئاً تستميله وقرىء يصلحا من يتصالحا ويصلحا من يصطلحا ويصلحا من المفاعلة وصلحاً إما منصوب بالفعل المذكور على كل تقدير على أنه مصدر منه بحذف الزوائد وقد يعبر عنه باسم المصدر كأنه قيل إصلاحاً أو تصلحاً أو اصطلاحاً حسبما قرىء الفعل أو بفعل مترتب على المذكور أى فيصلح حالهما صلحا وبينهما ظرف للفعل أو حال من صلحا والتعرض لنفي الجناح عنهما مع أنه ليس من جانبها الأخذ الذى هو المظنة للجناح لبيان أن هذا الصلح ليس من قبيل الرشوة المحرمة للمعطى والأخذ (والصلح خير) أى من الفرقة أو من سوء العشرة ● أو من الخصومة فاللام للعهد أو هو خير من الخيور فاللام للجنس والجملة اعتراض مقرر لما قبله وكذا قوله تعالى (وأحضرت الأنفس الشح) أى جعلت حاضرة له مطبوعة عليه لا تنفك عنه أبداً فلا المرأة ● تسمح بحقوقها من الرجل ولا الرجل بجود بحسن المعاشرة مع دمايتها فإن فيه تحقيقاً للصلح وتقريراً له بحث كل منهما عليه لكن لا بالنظر إلى حال نفسه فإن ذلك يستدعى التمدادى فى المما كسة والشقاق بل بالنظر إلى حال صاحبه فإن شح نفس الرجل وعدم ميلها عن حالتها الجبلية بغير استمالة بما يحمل المرأة على بذل بعض حقوقها إليه لاستمالاته وكذا شح نفسها بحقوقها مما يحمل الرجل على أن يقتنع من قبلها بشيء يسير ولا يكلفها بذل الكثير فيتحقق بذلك الصلح (وأن تحسنا) فى العشرة (وتتقوا) النشوز ● والإعراض وإن تعاضدت الأسباب الداعية إليهما وتصبروا على ذلك مراعاة لحقوق الصحبة ولم تضطروهن إلى بذل شيء من حقوقهن (فإن الله كان بما تعملون) أى من الإحسان والتقوى أو بما تعملون ● جميعاً فدخل ذلك فيه دخلاً أولياً (خبيراً) فيجازيكم ويبيحكم على ذلك البتة لا استحالة أن يضيع أجر المحسنين وفى خطاب الأزواج بطريق الالتفات والتعبير عن رعاية حقوقهن بالإحسان ولفظ التقوى المنبى عن كون النشوز والإعراض مما يتوقى منه وترتيب الوعد الكريم عليه من لطف الاستمالة والترغيب فى حسن المعاملة مالا يخفى روى أنها نزلت فى عمرة بنت محمد بن مسلمة وزوجها سعد بن الربيع تزوجها وهى شابة فلما علاها الكبر تزوج شابة وآثرها عليها وجفاها فأتت رسول الله ﷺ وشكت إليه ذلك وقيل نزلت فى أبى السائب كانت له امرأة قد كبرت وله منها أولاد فأراد أن يطلقهم أو يتزوج غيرهما فقالت لا تطلقنى ودعنى على أولادى فاقسم لى من كل شهرين إن شئت وإن شئت فلا تقسم لى فقال إن كان

وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ
وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾

٤ النساء

وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يَغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعْنِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَسْعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾

٤ النساء

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ
اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ ٤ النساء

- ١٢٩ يصلح ذلك فهو أحب إلى فأتى رسول الله ﷺ فذكر له ذلك فترأت (ولأن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء) أي محال أن تعدلوا على أن تعدلوا بينهما بحيث لا يقع ميل ما إلى جانب إحداهن في شأن من الشئون البتة وقد كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك وفي رواية وأنت أعلم بما لا أملك يعني فرط محبته لعائشة رضى الله عنها (ولو حرصتم) أي على إقامة العدل وبالغتم في ذلك (فلا تميلوا كل الميل) أي فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور واعدلو ما استطعتم فإن عجزكم عن حقيقة العدل إنما يصحح عدم تكليفكم بها لا بما دونها من المراتب الداخلة تحت استطاعتكم (فتدروها) أي التي ملتم عنها (كالمعلقة) التي ليست ذات بعل أو معلقة وقرىء كالمسجونة وفي الحديث من كانت له امرأتان يميل مع إحداها جاء يوم القيامة وأحدشقيه مائل (وأن تصلحوا) ما كنتم تفسدون من أمورهن (وتتقوا) الميل فيما يستقبل (فإن الله كان غفوراً) يغفر لكم ما فرط منكم من الميل (رحيماً) يتفضل عليكم برحمته (وإن يتفرقا) وقرىء يتفارقا أي وإن يفارق كل منهما صاحبه بأن لم يتفق بينهما وفاق بوجه مامن الصلح وغيره (يغن الله كلا) منهما أي يجعله مستغنياً عن الآخر ويكفه مهماته (من سعته) من غناه وقدرته وفيه زجر لهما عن المفارقة رغبا لصاحبه (وكان الله واسعا حكيما) مقتدراً متقناً في أفعاله وأحكامه وقوله تعالى (ولله ما في السموات وما في الأرض) أي من الموجودات كائناً ما كان من الخلاق وأرزاقهم وغير ذلك جملة مستأنفة منبهة على كمال سعته وعظم قدرته (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) أي أمرناهم في كتابهم وهم اليهود والنصارى ومن قبلهم من الأمم واللام في الكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا أو بأوتوا (وإياكم) عطف على الموصول (أن اتقوا الله) أي وصيناكم منكم ومنهم بأن اتقوا الله على أن أن مصدرية حذف عنها الجار ويجوز أن تكون مفسرة لأن التوصية في معنى القول فقوله تعالى (وإن تكفروا فإن لله ما في السموات وما في الأرض) حينئذ من تنمة القول المحكى أي ولقد قلنا لهم ولكم اتقوا الله وإن تكفروا إلى آخر الآية وعلى تقدير كون أن مصدرية مبنى الكلام لإرادة القول أي أمرناهم وإياكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم إن تكفروا الآية وقيل هي جملة مستأنفة خوطب بها هذه الأمة وأياها ما كان فالترتب على كفرهم ليس مضمون قوله تعالى فإن لله الآية بل هو الأمر بعلمه كأنه قيل وإن تكفروا فاعلموا أن لله ما في السموات وما في الأرض

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَكَفٰى بِاللّٰهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ ٤ النساء

اِنْ يَشَآءْ يَذْهَبْكُمْ اَيُّهَا النَّاسُ وَيَاْتِ بِآخَرِيْنَ وَكَانَ اللّٰهُ عَلٰى ذٰلِكَ قَدِيْرًا ﴿١٣٣﴾ ٤ النساء

مَنْ كَانَ يُرِيْدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللّٰهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللّٰهُ سَمِيْعًا بَصِيْرًا ﴿١٣٤﴾ ٤ النساء

- من الخلائق قاطبة مفتقرون إليه في الوجود وسائر النعم المتفرعة عليه لا يستغنون عن فيضه طرفة عين
- خفقه أن يطاع ولا يعصى ويتقى عقابه ويرجى ثوابه وقد قرر ذلك بقوله تعالى (وكان الله غنياً) أى عن
- الخلق وعبادتهم (حميداً) محموداً في ذاته حمدوه أو لم يحمدوه فلا يتضرر بكفرهم ومعاصيهم كما لا ينفع
- بشكرهم وتقواهم وإنما وصاهم بالتقوى لرحمته لا لحاجته (وقه ما في السموات وما في الأرض) كلام ١٣٢
- مبتدأ مسوق للخطابين توطئة لما بعده من الشرطية غير داخل تحت القول المحكى أى له سبحانه ما فيهما
- من الخلائق خلقاً وملاكاً يتصرف فيهم كيفما يشاء لإيجاداً وإعداماً وإحياء وإماتة (وكفى بالله وكيلاً)
- في تدبير أمور الكل وكل الأمور فلا بد من أن يتوكل عليه لا على أحد سواه (إن يشأ يذهبكم أيها
- الناس) أى يفتنكم ويستأصلكم بالمرّة (ويأت بآخرين) أى ويوجد دفعة مكانكم قوماً آخرين من
- البشر أو خلقاً آخرين مكان الإنس ومفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزء أى إن يشأ إفناءكم
- وإيجاد آخرين يذهبكم الخ يعنى أن إبقاءكم على ما أنتم عليه من العصيان إنما هو لكمال غناه عن طاعتكم
- ولعدم تعلق مشيئته المبنية على الحكم البالغة بإفنائكم لا لعجزه سبحانه تعالى عن ذلك علواً كبيراً (وكان
- الله على ذلك) أى على إفناءكم بالمرّة وإيجاد آخرين دفعة مكانكم (قديراً) بليغ القدرة وفيه لاسيما في
- توسيط الخطاب بين الجزاء وما عطف عليه من تهديد التهديد ما لا يخفى وقيل هو خطاب لمن عادى
- رسول الله ﷺ من العرب أى إن يشأ يمتكم ويأت بأناس آخرين يوالونه فعناؤه هو معنى قوله تعالى وإن
- تولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ويروى أنها لما نزلت ضرب رسول الله ﷺ بيده على
- ظهر سلمان وقال إنهم قوم هذا يريد أبناء فارس (من كان يريد ثواب الدنيا) كالمجاهد يريد بجماذه الغنيمة ١٣٤
- (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) أى فعنده تعالى ثوابهما له إن أراد فإله يطلب أخسهما فليطلبهما
- كمن يقول ربنا آتتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة أو ليطلب لأشرفهما فإن من جاهد خالصاً لوجه
- الله تعالى لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة ما في جنبه كلا شيء أى فعند الله ثواب الدارين فيعطى كلا
- ما يريد كقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه الآية (وكان الله سميعاً بصيراً) عالماً
- بجميع المسموعات والمبصرات فيندرج فيها ما صدر عنهم من الأقوال والأعمال المتعلقة بمراداتهم
- اندراجاً أولياً .

النساء

٤ النساء

- ١٣٥ (بأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط) مبالغين في العدل وإقامة القسط في جميع الأمور مجتهدين في ذلك حق الاجتهاد (شهداء لله) بالحق تقيمون شهادتكم لوجه الله تعالى وهو خير ثان وقيل حال (ولو على أنفسكم) أى ولو كانت الشهادة على أنفسكم بأن تقرروا عليها على أن الشهادة عبارة عن الإخبار بحق الغير سواء كان ذلك عليه أو على ثالث بأن تكون الشهادة مستتبعة لضرر ينالك من جهة المشهود عليه (أو الوالدين والأقربين) أى ولو كان على والديكم وأقاربكم (إن يكن) أى المشهود عليه (غنيا) يبتغى في العادة رضاه ويتقى سخطه (أو فقيرا) يترحم عليه غالباً وقرىء إن يكن غنى أو فقير على أن كان تامة وجواب الشرط محذوف لدلالة قوله تعالى (فأله أولى بهما) عليه أى فلا تمتنعوا عنها طلباً لرضا الغنى أو ترحموا على الفقير فإن الله تعالى أولى بحسنى الغنى والفقير المدلول عليهما بما ذكره ولو لا أن الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها وقرىء أولى بهم (فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) أى مخافة أن تعدلوا عن الحق فإن اتباع الهوى من مظان الجور الذى حقه أن يخاف ويحذر وقيل كراهة أن تعدلوا بين الناس أو إرادة أن تعدلوا عن الحق (وإن تلوا) أى ألسنتكم عن شهادة الحق أو حكومة العدل بأن تأتوا بها لا على وجهها وقرىء وإن تلوا من الولاية والنصدي أى وإن وليتم إقامة الشهادة (أو تعرضوا) أى عن إقامتها رأساً (فإن الله كان بما تعملون) من لى الألسنة والإعراض بالكلية أو من جميع الأعمال التى من جهاتها ما ذكر (خبيراً) فيجازيكم لا محالة على ذلك فهو على القراءة المشهورة وعيد محض وعلى القراءة الأخيرة متضمن للوعيد (بأيها الذين آمنوا) خطاب لكافة المسلمين فعنى قوله تعالى (آمنا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل) انبتوا على الإيمان بذلك وداوموا عليه وازدادوا فيه طمأنينة ويقيناً أو آمنوا بما ذكر مفصلاً بناء على أن إيمان بعضهم إجمالى والمراد بالكتاب الثانى الجنس المنتظم لجميع الكتب السماوية لقوله تعالى وكتبه وبالإيمان به الإيمان بأن كل كتاب من تلك الكتب منزل منه تعالى على رسول معين لإرشاد أمته إلى ما شرع لهم من الدين بالأوامر والنواهي لكن لا على أن مدار الإيمان بكل واحد من تلك الكتب خصوصية ذلك الكتاب ولا على أن أحكام تلك الكتب وشرائعها باقية بالكلية ولا على أن الباقي منها معتبر بالإضافة إليها بل على أن الإيمان بالكل

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزَادُوا كُفْرًا لَّهُمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا
لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾



٤ النساء

بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٢٨﴾

٤ النساء

مندرج تحت الإيمان بالكتاب المنزل على رسوله وأن أحكام كل منها كانت حقة ثابتة إلى ورود مانسوخها وأن ما لم ينسخ منها إلى الآن من الشرائع والأحكام ثابتة من حيث أنها من أحكام هذا الكتاب الجليل المصون عن النسخ والتبدل كما مر في تفسير خاتمة سورة البقرة وقرىء نزل وأنزل على البناء للمفعول وقيل هو خطاب لمؤمني أهل الكتاب لما أن عبد الله بن سلام وابن أخته سلامة وابن أخيه سلمة وأسداً وأسيداً ابني كعب وثعلبة بن قيس ويامين بن يامين أتوا رسول الله ﷺ وقالوا يا رسول الله إنا تؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال ﷺ بل آمنوا بالله ورسوله ومحمد وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فزلت فأمنوا كلهم فأمرهم بالإيمان بالكتاب المتناول للتوراة مع أنهم مؤمنون بها من قبل ليس لكون المراد بالإيمان ما يعم إنشاء والثبات عليه ولا لأن متعلق الأمر حقيقة هو الإيمان بما عداها كأنه قيل آمنوا بالكل ولا تخصوه ببعض بل لأن الأمور به إنما هو الإيمان بها في ضمن الإيمان بالقرآن على الوجه الذي أشير إليه آنفاً لإيمانهم السابق ولأن فيه حلالهم على التسوية بينها وبين سائر الكتب في التصديق لا شراك الكل فيما يوجبه وهو النزول من عند الله تعالى وقيل خطاب لأهل الكتابين فالمعنى آمنوا بالكل لا ببعض دون بعض وأمر كل طائفة بالإيمان بكتابه في ضمن الأمر بالإيمان بجنس الكتاب لما ذكر وقيل هو للمنافقين فالمعنى آمنوا بقلوبكم لا بألسنتكم فقط (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر) أى بشيء من ذلك (فقد ضل ضللاً بعيداً) عن المقصد بحيث لا يكاد يعود إلى طريقه وزيادة الملائكة واليوم الآخر في جانب الكفر لما أن بالكفر بأحدهما لا يتحقق الإيمان أصلاً وجمع الكتب والرسل لما أن الكفر بكتاب أو برسول كفر بالكل وتقديم الرسول فيما سبق لذكر الكتاب بعنوان كونه منزلاً عليه وتقديم الملائكة والكتب على الرسل لأنهم وسائط بين الله عز وجل وبين الرسل في إنزال الكتب (إن الذين آمنوا) قال قتادة هم اليهود آمنوا بموسى (ثم كفروا) بعبادتهم العجل (ثم آمنوا) عند عوده ١٣٧ إليهم (ثم كفروا) بعبسى والإنجيل (ثم ازدادوا كفراً) بكفرهم بمحمد ﷺ وقيل هم قوم تكرروا منهم الارتداد وأصروا على الكفر وازدادوا تمادياً في الغى (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً) لما أنه يستبعد منهم أن يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الإيمان فإن قلوبهم قد ضربت بالكفر وتمرن على الردة وكان الإيمان عندهم أهون شيء وأدونه لأنهم لو أخلصوا الإيمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان محذوف أى مريداً ليغفر لهم وقوله عز وجل (بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً) يدل على أن المراد ١٣٨ بالمذكورين الذين آمنوا في الظاهر نفاقاً وكفروا في السرمة بعد أخرى ثم ازدادوا كفراً ونفاقاً ووضع

الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَتُغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ النساء
وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ
حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ
فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

٤ النساء

- ١٣٩ بشر موضع أنذرته كما بهم (الذين يتخذون الكافرين أولياء) في محل النصب أو الرفع على الذم بمعنى
● أريد بهم الذين أوهم الذين وقيل نصب على أنه صفة للمنافقين وقوله تعالى (من دون المؤمنين) حال
من فاعل يتخذون أى يتخذون الكفرة أنصاراً متجاوزين ولاية المؤمنين وكانوا يوالونهم ويقول بعضهم
● لبعض لا يتم أمر محمد ﷺ فقولوا لليهود (أيبغون عندهم العزة) إنكار لرأيهم وإبطال له وبيان لخبيّة
رجائهم وقطع لا طامعهم الفارغة والجملة معترضة مقررة لما قبلها أى أيطالبون بموالاتة الكفرة القوة
● والغلبة . قال الواحدى أصل العزة الشدة ومنه قيل للأرض الشديدة الصلبة عزاز وقوله تعالى (فإن
العزة لله جميعاً) تعليل لما يفيد الاستفهام الإنكارى من بطلان رأيهم وخبيّة رجائهم فإن انحصار
جميع أفراد العزة فى جنبه عز وعلا بحيث لا ينالها إلا أولياؤه الذين كتب لهم العزة والغلبة قال تعالى
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين يقضى بطلان التعزز بغيره سبحانه وتعالى واستحالة الانتفاع به وقيل
هو جواب شرط محذوف كأنه قيل إن يبتغوا عندهم عزة فإن العزة لله وجميعاً حال من المستكن فى قوله
١٤٠ تعالى لله لا عتماده على المبتدأ (وقد نزل عليكم) خطاب للمنافقين بطريق الالتفات مفيد لتشديد التوبيخ
الذى يستدعيه تعداد جنائياتهم وقرىء مبنياً للمفعول من التنزيل والإزال ونزل أيضاً مخففاً والجملة حال
من ضمير يتخذون أيضاً مفيدة لكمال قباحة حالهم ونهاية استعصامهم عليه سبحانه ببيان أنهم فعلوا ما فعلوا
من موالاتة الكفرة مع تحقق ما يمنعهم من ذلك وهو ورود النهى الصريح عن مجالستهم المستلزم للنهى عن
موالاتهم على أبلغ وجه وآكده إثر بيان انتفاء ما يدعونه إليه بالجملة المعترضة كأنه قيل تتخذونهم أولياء
● والحال أنه تعالى قد نزل عليكم قبل هذا بمكة (فى الكتاب) أى القرآن الكريم (أن إذا سمعتم آيات الله
يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره) وذلك قوله تعالى وإذا رأيت الذين
يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم الآية وهذا يقتضى الانزجار عن مجالستهم فى تلك الحالة القبيحة فكيف
بموالاتهم والاعتزاز بهم وأن هى المخففة من أن وضمير الشأن الذى هو اسمها محذوف والجملة الشرطية
خبرها وقوله تعالى يكفر بها حال من آيات الله وقوله تعالى ويستهزأ بها عطف عليه داخل فى حكم الحالية
وإضافة الآيات إلى الاسم الجليل لتشریفها وإبانه خطرها وتهويل أمر الكفر بها أى نزل عليكم فى الكتاب
أنه إذا سمعتم آيات الله مكفورا بها ومستهزا بها وفيه دلالة على أن المنزل على النبی ﷺ وإن خوطب به خاصة
منزل على الأمة وأن مدار الإعراض عنهم هو العلم بخوضهم فى الآيات ولذلك عبر عن ذلك تارة بالرؤية

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُفْرٍ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُمْ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾

٤ النساء

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾

٤ النساء

- وأخرى بالسمع وأن المراد بالإعراض إظهار المخالفة بالقيام عن مجالسهم لا الإعراض بالقلب أو بالوجه فقط والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله تعالى يكفر بها ويستهنأ بها (إنكم إذا مثلهم) جملة مستأنفة سبقت لتلليل الهمي غير داخلة تحت التنزيل وإذن ملغاة عن العمل لوقوعها بين المبتدأ والخبر أي لا تقعدوا معهم في ذلك الوقت إنكم إن فعلتموه كنتم مثلهم في الكفر واستتباع العذاب وإفراد المثل لأنه كالمصدر أو للاستغناء بالإضافة إلى الجمع وقرئ شاذاً مثلهم بالفتح لإضافته إلى غير متمكن كما في قوله تعالى مثل ما أنكم تنطقون وقيل هو منصوب على الظرفية أي في مثل حالهم وقوله تعالى (إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً) تعليل لكونهم مثلهم في الكفر ببيان ما يستلزمه من شركتهم لهم في العذاب والمراد بالمنافقين إما المخاطبون وقد وضع موضع ضميرهم المظهر تسجيلاً بنفاقهم وتعليلاً للحكم بما أخذ الاشتقاق وإما الجنس وهم داخلون تحته دخولا أولياً وتقديم المنافقين على الكافرين لتشديد الوعيد على المخاطبين ونصب جميعاً مثل ما قبله (الذين يتربصون بكم) تلوين للخطاب وتوجيه له إلى ١٤١ المؤمنين بتعدد بعض آخر من جنائيات المنافقين وقبائحهم وهو إما بدل من الذين يتخذون أوصفة للمنافقين فقط إذ هم المتربصون دون الكافرين أو مرفوع أو منصوب على الذم أي ينتظرون أمركم وما يحدث لكم من ظفر أو إخفاق والفاء في قوله تعالى (فإن كان لكم فِتْحٌ مِّنَ اللَّهِ) لترتيب مضمونه على ما قبلها • فإن حكاية تربصهم مستتعة لحكاية ما يقع بعد ذلك كما أن نفس التربص يستدعي شيئاً ينتظر المتربص وقوعه (قالوا) أي لكم (ألم نكن معكم) أي مظاهرين لكم فأسهموا لنا في الغنيمة (وإن كان للكافرين نصيب) من الحرب فإنها سجال (قالوا) أي للكفرة (ألم نستحذ عليكم) أي ألم نغلبكم ونتمكن من قتالكم وأسركم فأبقينا عليكم (ونمنعكم من المؤمنين) بأن ثبطناهم عنكم وخیلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا في قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم وإلا لكانت نهيبة للنواب فها تواتوا نصيباً لنا مما أصبتم وتسمية ظفر المسلمين فتحاً وما للكافرين نصيباً لتعظيم شأن المسلمين وتحسيس حظ الكافرين وقرئ ونمنعكم بإضمار أن (فإنه يحكم بينكم يوم القيامة) حكماً يليق بشأن كل منكم من الثواب والعقاب وأما في الدنيا فقد أجرى على من تفوه بكلمة الإسلام حكمه ولم يضع السيف على من تكلم بها نفاقاً (ولأن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً) حينئذ كما قد يجعل ذلك في الدنيا بطريق الابتلاء والاستدراج أو في الدنيا على أن المراد بالسبيل الحجة (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) كلام مبتدأ سبق لبيان طرف ١٤٢

مَذْبَذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ ٤ النساء
يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ
عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٤٤﴾ ٤ النساء

- آخر من قبائح أفعالهم أى يفعلون ما يفعل المخادع من إظهار الإيمان وإبطان نقيضه والله فاعل بهم ما يفعل
الغالب في الخداع حيث تركهم في الدنيا معصوى الدماء والأموال وأعد لهم في الآخرة الدرك الأسفل
من النار وقد مر التحقيق في صدر سورة البقرة وقيل يعطون على الصراط نوراً كما يعطى المؤمنون فيمضون
● بنورهم ثم يطفأ نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا فنقبس من نوركم (وإذا قاموا إلى الصلاة
● قاموا كسالى) متناقلين كالمكره على الفعل وقرئ بفتح الكاف وهما جمعا كسلان (يراون الناس)
ليحسبوهم مؤمنين والمرادة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم أو للمقابلة فإن المرائى يرى غيره عمله وهو
يريه استحسانه والجملة إما استئناف مبنى على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل فاذا يريدون بقيامهم إليها
● كسالى فقيل يراون الخ أو حال من ضمير قاموا (ولا يذكرون الله إلا قليلا) عطف على يراون أى
لا يذكرونه سبحانه إلا ذكراً قليلاً وهو ذكرهم باللسان فإنه بالإضافة إلى الذكر بالقلب قليل أو إلا
زماناً قليلاً أو لا يصلون إلا قليلاً لأنهم لا يصلون إلا بمرأى من الناس وذلك قليل وقيل لا يذكرونه
١٤٣ تعالى في الصلاة إلا قليلاً عند التكبير والتسليم (مذبذبين بين ذلك) حال من فاعل يراون أو منصوب
على الذم وذلك إشارة إلى الإيمان والكفر المدلول عليهما بمعونة المقام أى مرددين بينهما متحيرين قد
ذبذبهم الشيطان وحقيقة المذبذب ما يذب ويدفع عن كلا الجانبين مرة بعد أخرى وقرئ بكسر الذا
أى مذبذبين قلوبهم أو رأيهم أو دينهم أو هو بمعنى متذبذبين كما جاء صلصل بمعنى تصلصل وفي مصحف
ابن مسعود رضى الله عنه متذبذبين وقرئ مدبذبين بالدال غير المعجمة وكان المعنى أخذ بهم تارة في
● دبة أى طريقة وأخرى في أخرى (لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) أى لا منسوبين إلى المؤمنين ولا منسوبين
إلى الكافرين أو لا صائرين إلى الأولين ولا إلى الآخرين فحلحله نصب على أنه حال من ضمير مذبذبين
● أو على أنه بدل منه أو بيان وتفسير له (ومن يضلل الله) لعدم استعداده للهداية والتوفيق (فلن تجد له
سبيلاً) موصلاً إلى الحق والصواب فضلاً عن أن تهديه إليه والخطاب لكل من يصلح له كائناً من كان
١٤٤ (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين) نهوا عن موالاته الكفرة صريحاً
● وإن كان في بيان حال المنافقين مزجرة عن ذلك مبالغة في الزجر والتحذير (أتريدون أن تجعلوا لله
عليكم سلطاناً مبيناً) أى أتريدون بذلك أن تجعلوا الله عليكم حجة بينة على أنكم منافقون فإن موالاتهم
أوضح أدلة النفاق أو سلطاناً يسلط عليكم عقابه وتوجيه الإنكار إلى الإرادة دون متعلقها بأن يقال
أجعلون الخ للبالغة في إنكاره وتهويل أمره ببيان أنه مما لا يصدر عن العاقل إرادته فضلاً عن صدور
نفسه كما في قوله عز وجل أم تريدون أن تسألوا رسولكم .

- ٤ النساء إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾
- ٤ النساء إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾
- ٤ النساء مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾
- ٤ النساء لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾

- (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار) وهو الطبقة التي في قعر جهنم وإنما كان كذلك لأنهم أخبث الكفرة حيث ضموا إلى الكفر الاستهزاء بالإسلام وأهله وخداعهم وأما قوله ﷺ ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان ونحوه فن باب التشديد والتنهيد والتغليظ مبالغة في الزجر وتسمية طبقاتها السبع دركات لكونها متداركة متتابعة بعضها تحت بعض وقرىء بفتح الراء وهو لغة كالسطر والسطر ويعضده أن جمعه أدراك (ولن تجد لهم نصيراً) يخلصهم منه والخطاب كما سبق (إلا الذين تابوا) أي عن النفاق وهو استثناء من ١٤٦ المنافقين بل من ضميرهم في الخبر (وأصلحو) ما أفسدوا من أحوالهم في حال النفاق (واعتصموا بالله) أي وثقوا به وتمسكوا بدينه (وأخلصوا دينهم) أي جعلوه خالصاً (لله) لا يبتغون بطاعتهم إلا وجهه (فأولئك) إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للإيدان ببعد منزلة وعلو الطبقة (مع المؤمنين) أي المؤمنين المعروفين الذين لم يصدر عنهم نفاق أصلاً منذ آمنوا وإلا فهم أيضاً مؤمنون أي معهم في الدرجات العالية من الجنة وقد بين ذلك بقوله تعالى (وسوف يؤتي الله المؤمنين أجراً عظيماً) لا يقادر قدره فيساهمونهم فيه (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم) استئناف ١٤٧ مسوق لبيان أن مدار تعذيبهم وجوداً وعدمياً وإنما هو كفرهم لا شيء آخر فيكون مقرر لما قبله من إثباتهم عن توبتهم وما استفهامية مفيدة للنفي على أبلغ وجه وأكده أي شيء يفعل الله سبحانه بتعذيبكم أيتشفى به من الغيظ أم يدرك به النار أم يستجلب به نفعاً أم يستدفع به ضرراً كما هو شأن الملوك وهو الغنى المتعالي عن أمثال ذلك وإنما هو أمر يقتضيه كفرهم فإذا زال ذلك بالإيمان والشكر انتفى التعذيب لا محالة وتقديم الشكر على الإيمان لما أنه طريق موصل إليه فإن النظر يدرك أولاً ما عليه من النعم الذاتية والافاقية فيشكر شكراً مبهماً ثم يترقى إلى معرفة المنعم فيؤمن به وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه (وكان الله شاكراً) الشكر من الله سبحانه هو الرضا باليسير من طاعة عباده وأضعاف الثواب بمقابلاته (عليماً) مبالغة في العلم بجميع المعلومات التي من جملتها شكركم وإيمانكم فيستحيل أن لا يوفيهكم أجوركم (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول) عدم محبته تعالى لشيء كناية عن سخطه والباء متعلقة بالجهر ١٤٨ ومن بمحذوف وقع حالا من السوء أي لا يحب الله تعالى أن يجهر أحد بالسوء كائناً من القول (إلا من

إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ ٤ النساء

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ ٤ النساء

أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾ ٤ النساء

- ظلم) أى لا جهر من ظلم بأن يدعو على ظالمه أو يتظلم منه ويذكره بما فيه من السوء فإن ذلك غير مسخوط عنده سبحانه وقيل هو أن يبدأ بالشذيمة فيرد على الشاتم ولما انتصر بعد ظلمه الآية وقيل ضاف رجلا قوما فلم يطعموه فاشتكاكم فعوتب على الشكاية فنزلت وقرئ إلا من ظلم على البناء للفاعل فالاستثناء منقطع أى ولكن الظالم يرتكب ما لا يحبه الله تعالى فيجهر بالسوء (وكان الله سميعاً) لجميع المسموعات
- فيندرج فيها كلام المظلوم والظالم (علماً) بجميع المعلومات التى من حملتها حال المظلوم والظالم فالجملة تذييل مقرر لما يفيد الاستثناء (إن تبدوا خيراً) أى خير كان من الأقوال والأفعال (أو تخفوه أو تعفوا عن سوءه) مع ماسوخ لكم من مواخذة المسىء والتنصيص عليه مع اندراجها في إبداء الخير وإخفائه لما أنه الحقيق بالبيان وإنما ذكر إبداء الخير وإخفائه بطريق النسب له كما ينبيء عنه قوله عز وجل (فإن الله كان عفواً قديراً) فإن إرادته في معرض جواب الشرط يدل على أن العمدية هو العفو مع القدرة أى كان مبالغاً في العفو مع كمال قدرته على المؤاخظة وقال الحسن يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم أن تقتدوا بسنة الله تعالى وقال الكلبي هو أقدر على عفو ذنوبكم منكم على عفو ذنوب من ظلمكم ١٤٩ وقيل عفواً عمن عفواً قديراً على إيصال الثواب إليه (إن الذين يكفرون بالله ورسوله) أى يؤدى إليه مذهبهم ويقتضيه رأيهم لأنهم يصرحون بذلك كما ينبيء عنه قوله تعالى (ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله) أى بأن يؤمنوا به تعالى ويكفروا بهم لكن لا بأن يصرحوا بالإيمان به تعالى وبالكفر بهم قاطبة
- بل بطريق الاستلزام كما يحكيه قوله تعالى (ويقولون تؤمن ببعض ونكفر ببعض) أى تؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعضهم كما قالت اليهود تؤمن بموسى والتوراة وعزير ونكفر بما وراء ذلك وما ذاك إلا كفر بالله تعالى ورسوله وتفريق بين الله تعالى ورسوله في الإيمان لأنه تعالى قد أمرهم بالإيمان بجميع الأنبياء عليهم السلام وما من نبي من الأنبياء إلا وقد أخبر قومه بحقية دين نبينا ﷺ وعليهم أجمعين
- فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بالكل وبالله تعالى أيضاً من حيث لا يحتسب (ويريدون) بقولهم ذلك (أن يتخذوا بين ذلك) أى بين الإيمان والكفر (سبيلاً) يسلكونه مع أنه لا واسطة بينهما قطعاً
- ١٥١ إذ الحق لا يختلف وماذا بعد الحق إلا الضلال (أولئك) الموصوفون بالصفات القبيحة (هم الكافرون) الكاملون في الكفر لا عبرة بما يدعونه ويسمونه إيماناً أصلاً (حقاً) مصدر مؤكد لمضمون الجملة أى حق ذلك أى كونهم كاملين في الكفر حقاً أو صفة لمصدر الكافرين أى هم الذين كفروا كفراً حقاً أى

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٥٢﴾

٤ النساء

يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَإِنَّا لَبَيْنَا مُوسَى سُلْطٰنًا مُبِينًا ﴿١٥٣﴾

٤ النساء

- ثابتاً يقيناً لا ريب فيه (واعتدنا للكافرين) أى لهم وإنما وضع المظهر مكان المضمّر ذماً لهم وتذكيراً لوصفهم أو لجميع الكافرين وهم داخلون في زميرهم دخولا أولياً (عذاباً مهيناً) سيدوقونه عند حلوله (والذين آمنوا بالله ورسوله) أى على الوجه الذى بين في تفسير قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا آمنوا ١٥٢ بالله ورسوله الآية (ولم يفرقوا بين أحد منهم) بأن يؤمنوا ببعضهم ويكفروا بآخرين كما فعله الكفرة ودخول بين على أحد قد مرت حقيقة في سورة البقرة بما لا مزيد عليه (أولئك) المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة (سوف يؤتيهم أجورهم) الموعودة لهم وتصديره بسوف لنا كيد الوعد والدلالة على أنه كائن لا محالة وإن تراخى وقرىء يؤتيهم بنون العظمة (وكان الله غفوراً) لما فرط منهم (رحيماً) مبالغاً في الرحمة عليهم بتضعيف حسناتهم (يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء) نزلت ١٥٣ في أحبار اليهود حين قالوا الرسول الله ﷺ إن كنت نبياً فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى عليه الصلاة والسلام وقيل كتاباً محرراً بخط سماوى على اللوح كما نزلت التوراة أو كتاباً نعاينه حين ينزل أو كتاباً إلينا بأعيننا بأنك رسول الله وما كان مقصدهم بهذه العظيمة إلا التحكم والتعنت قال الحسن ولو سألوهم لى يتبينوا الحق لأعطاهم وفيما آتاهم كفاية (فقد سألوا موسى أكبر من ذلك) جواب شرط مقدر أى إن استكبرت ماسألوه منك فقد سألوا موسى شيئاً أكبر منه وقيل تعليل للجواب أى فلا تبال بسؤالهم فقد سألوا موسى أكبر منه وهذه المسألة وإن صدرت عن أسلافهم لكنهم لما كانوا معتمدين بهم في كل ما يأتون وما يذرون أسندت إليهم والمعنى أن لهم في ذلك عرقاً راسخاً وأن ما اقترحوا عليك ليس أول جهالاتهم (فقالوا أرنا الله جهرة) أى أرناه نره جهرة أى عياناً أو مجاهرين معانين له والفاء تفسيرية (فأخذتهم الصاعقة) أى النار التى جاءت من السماء فأهلكتهم وقرىء الصعقة (بظلمهم) أى بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحالة التى كانوا عليها وذلك لا يقتضى امتناع الرؤية مطلقاً (ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات) أى المعجزات التى أظهرها لفرعون من العصا واليد البيضاء وقلق البحر وغيرها لا التوراة لأنها لم تنزل عليهم بعد (فعفونا عن ذلك) ولم نستأصلهم وكانوا أحقاه به قيل هذا استدعاء لهم إلى التوبة كأنه قيل إن أولئك الذين أجمعوا تابوا فعفونا عنهم فتوبوا أتم أيضاً حتى نعفو عنكم (وآتيناهم موسى سلطاناً مبيناً) سلطاناً ظاهراً عليهم حيث أمرهم بأن يقتلوا

وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ

٤ النساء

وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفِّرِهِمْ بِعَايَتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ

٤ النساء

طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾

- ١٥٤ أنفسهم توبة عن معصيتهم (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم) أى بسبب ميثاقهم ليعطوه على ما روى أنهم امتنعوا عن قبول شريعة التوراة فرفع الله تعالى عليهم الطور فقبلوها أو ليخافوا فلا ينقضوه على ما روى أنهم هموا بنقضه فرفع الله تعالى عليهم الجبل فخافوا وأقلعوا عن النقض وهو الانسب بما سيأتى من قوله عز وجل وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً (وقلنا لهم) على لسان موسى عليه السلام والطور مظل عليهم (ادخلوا الباب) قال قتادة كنا نحدث أنه باب من أبواب بيت المقدس وقيل هو إيليا وقيل هو أريحا وقيل هو اسم قرية وقيل باب القبة التي كانوا يصلون إليها فإنهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه السلام (سجداً) أى متطاعين خاضعين (وقلنا لهم لا تعدوا) أى لا تظلموا باصطياد الحيتان (في السبت) وقرئ لا تعتدوا ولا تعدوا بفتح العين وتشديد الدال على أن أصله تعتدوا فأدغمت التاء في الدال لتقاربهما في المخرج بعد نقل حركتها إلى العين (وأخذنا منهم) على الامتثال بما كلفوه (ميثاقاً غليظاً) مؤكداً وهو العهد الذى أخذه الله عليهم في التوراة قيل لأنهم أعطوا الميثاق على أنهم إن هموا بالرجوع عن الدين قاله تعالى يعذبهم بأى أنواع العذاب أراد (فبما نقضهم ميثاقهم) مازيدة للتأكيد أو نكرة تامة ونقضهم بدل منها والباء متعلقة بفعل محذوف أى فبسبب نقضهم ميثاقهم ذلك فعلنا بهم ما فعلنا من اللعن والمسح وغيرهما من العقوبات النازلة عليهم أو على أعقابهم . روى أنهم اعتدوا في السبت في عهد داود عليه السلام فلعنوا ومسحوا قرده وقيل متعلقة بجرنا على أن قوله تعالى فبظلم بدل من قوله تعالى فيها وما عطف عليه فيكون التحريم معللاً بالكل ولا يخفى أن قولهم إنا قتلنا المسيح وقولهم على مريم البهتان متأخر عن التحريم ولا مساغ لتعلقها بما دل عليه قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم لأنه رد لقلوبهم قلوبنا غلغف فيكون من صلة قوله تعالى وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره (وكفرهم بآيات الله) أى بالقرآن أو بما فى كتابهم (وقتلهم الأنبياء بغير حق) كزكريا ويحيى عليهم السلام (وقولهم قلوبنا غلغف) جمع أغلف أى هى مغشاة بأغشية جبلية لا يكاد يصل إليها ما جاء به محمد ﷺ أو هو تخفيف غلف جمع غلاف أى هى أوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره قاله ابن عباس وعطاء وقال الكلبي يعنون أن قلوبنا بحيث لا يصل إليها حديث إلا وعته ولو كان فى حديثك خير لوعته أيضاً (بل طبع الله عليها بكفرهم) كلام معترض بين المعطوفين جىء به على وجه الاستطراد مسارعة إلى رد زعمهم الفاسد أى ليس كفرهم وعدم وصول الحق إلى قلوبهم لكونها غلغفاً بحسب الجلة بل الأمر بالعكس حيث ختم الله عليها بسبب كفرهم أو ليست قلوبهم كما زعموا بل هى مطبوع عليها

٤ النساء

وَيَكْفُرْهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بَهْتَنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾

وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ ٤ النساء

- بسبب كفرهم (فلا يؤمنون إلا قليلا) منهم كعبد الله بن سلام وأضرابه أو إلا إيماناً قليلا لا يعبا به .
- (وبكفرهم) أى بعيسى عليه السلام وهو عطف على قولهم وإعادة الجار أطول ما بينهما بالاستطراد وقد ١٥٦
- جوز عطفه على بكفرهم فيكون هو وما عطف عليه من أسباب الطبع وقيل هذا المجموع معطوف على مجموع ما قبله وتكرير ذكر الكفر للإيذان بتكرار كفرهم حيث كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم الصلاة والسلام (وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً) لا يقادر قدره حيث نسبوها إلى ما هي عنه بألف منزل
- (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله) نظم قولهم هذا في سلك سائر جنائياتهم التي نعتت ١٥٧
- عليهم ليس بمجرد كونه كاذبا بل لتضمنه لا بهتانهم بقتل النبي عليه السلام والاستهزاء به فإن وصفهم له بعنوان الرسالة إنما هو بطريق التهمك به عليه السلام كما في قوله تعالى يأها الذي نزل عليه الذكر الخ ولإنبائه عن ذكرهم له عليه السلام بالوجه القبيح على ما قيل من أن ذلك وضع للذكر الجليل من جمته تعالى مكان ذكرهم القبيح وقيل هو نعت له عليه السلام من جمته تعالى مدحا له ورفعاً لمحله عليه السلام وإظهاراً لغاية جراتهم في تصديهم لقتله ونهاية وقاحتهم في افتخارهم بذلك (وما قتلوه وما
- صلبوه) حال أو اعتراض (ولكن شبه لهم) روى أن رهطا من اليهود سبوه عليه السلام وأمه فدعا عليهم فسخرهم الله تعالى قرده وخنازير فأجمعت اليهود على قتله فأخبره الله تعالى بأنه يرفعه إلى السماء فقال لأصحابه أيكم يرضى بأن يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم أنا فالتقى الله تعالى عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافق عيسى عليه السلام فلما أرادوا قتله قال أنا أدلكم عليه فدخل بيت عيسى عليه السلام فرفع عيسى عليه السلام وألقى شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون أنه عيسى عليه السلام وقيل إن طيطانوس اليهودي دخل بيتا كان هو فيه فلم يجدده وألقى الله تعالى عليه شبهه فلما خرج ظن أنه عيسى عليه السلام فأخذ وقتل وأمثال هذه الخوارق لا تستبعد في عصر النبوة وقيل إن اليهود لما هموا بقتله عليه السلام فرفعه الله تعالى إلى السماء خاف رؤساء اليهود من وقوع الفتنة بين عوامهم فأخذوا إنسانا وقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس وأظهروا لهم أنه هو المسيح وما كانوا يعرفونه إلا بالاسم لعدم مخالطته عليه السلام لهم إلا قليلا وشبه مسنداً إلى الجار والمجرور كأنه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى عليه السلام والمقتول أو في الأمر على قول من قال لم يقتل أحد ولكن أرجف بقتله فشاع بين الناس أو إلى ضمير المقتول لدلالة إنا قتلنا على أن ثم مقتولا (وإن الذين اختلفوا فيه) أى في شأن عيسى عليه السلام فإنه لما وقعت تلك الواقعة
- اختلف الناس فقال بعض اليهود إنه كان كاذباً فقتلناه حتما وتردد آخرون فقال بعضهم إن كان هذا عيسى

٤ النساء

بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾

وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ٤ النساء

- فأين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه عليه السلام إن الله يرفعني إلى السماء إنه رفع إلى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت (لني شك منه) لني تردد والشك كما يطلق على ما لم يترجح أحد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك أكد بقوله تعالى (ما لهم به من علم إلا اتباع الظن) استثناء منقطع أى لكنهم يتبعون الظن ويجوز أن يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذى تسكن إليه النفس جزماً كان أو غيره فالاستثناء حينئذ متصل (وما قالوه يقيناً) أى قتلاً يقيناً كما زعموا بقولهم إنا قتلنا المسيح وقيل معناه وما علموه يقيناً كما فى قول من قال [كذلك تخبر عنها العالمات بها * وقد قتلت بعلى ذلكم يقيناً] من قولهم قتلت الشيء علماً ونحوه علماً إذا تبائع عليك فيه وفيه تهكم بهم لإشعاره بعلمهم فى الجملة وقد نفى ذلك عنهم بالكلية (بل رفعه الله إليه) رد وإنكار لقتله وإثبات لرفعه (وكان الله عزيزاً) لا يغالب فيما يريد (حكياً) فى جميع أفعاله فدخل فيها تدبيراته تعالى فى أمر عيسى عليه السلام دخولا أولاً (وإن من أهل الكتاب) أى من اليهود والنصارى وقوله تعالى (إلا ليؤمنن به قبل موته) جملة قسمية وقعت صفة لموصوف محذوف إليه يرجع الضمير الثانى والاول لعيسى عليه السلام أى وما من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن بعيسى عليه السلام قبل أن تزهر روحه بأنه عبد الله ورسوله ولات حين إيمان لا تقطاع وقت التكليف ويعضده أنه قرى ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لما أن أحداً فى معنى الجمع وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه فسرهم كذلك فقال له عكرمة فإن أتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال فإن خر من فوق بيت أو احترق أو أكله سبع قال يتكلم بها فى الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به وعن شهر بن حوشب قال لى الحجاج آية ما قرأتها إلا تخالج فى نفسى شيء منها يعنى هذه الآية وقال لى أوقى بالأسير من اليهود والنصارى فأضرب عنقه فلا أسمع منه ذلك فقلت إن اليهودى إذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله أتاك عيسى عليه السلام نبياً فكذبت به فيقول آمنت أنه عبد نبى وتقول للنصرانى أتاك عيسى عليه السلام نبياً فزعمت أنه الله أو ابن الله فيؤمن أنه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه إيمانه قال وكان متكئاً فاستوى جالساً فنظر إلى وقال من سمعت هذا قلت حدثني محمد بن على بن الحنفية فأخذ ينسكت الأرض بقضيبه ثم قال لقد أخذتها من عين صافية والإخبار بحالهم هذه وعيد لهم وتحريض على المسارعة إلى الإيمان به قبل أن يضطروا إليه مع انتفاء جدواه وقيل كلا الضميرين لعيسى والمعنى وما من أهل الكتاب الموجودين عند نزول عيسى عليه السلام أحد إلا ليؤمنن به قبل موته . روى أنه عليه السلام ينزل من السماء فى آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهى ملة الإسلام ويهلك الله فى زمانه الدجال وتقع الأمانة

فَظَلَمَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ النساء
وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلَهُمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ النساء
لَكِنَّ الرَّاخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ
وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ٤ النساء

- حتى ترتع الاسود مع الإبل والنور مع البقر والذئب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون ويدفونه وقيل الضمير الأول يرجع إلى الله تعالى وقيل إلى محمد ﷺ (ويوم القيامة يكون) أي عيسى عليه السلام (عليهم) على أهل الكتاب (شهيداً) فيشهد على اليهود بالكذب وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً (فبظلم من الذين ١٦٠ هادوا) لعل ذكركم بهذا العنوان للإيدان بكال عظم ظلمهم بتذكير وقوعه بعد ما هادوا أي تابوا من عبادة العجل مثل تلك التوبة الهائلة المشروطة ببخس النفوس لثريان عظمه في حد ذاته بالتنوين التفخيمي أي بسبب ظلم عظيم خارج عن حدود الأشباه والأشكال صادر عنهم (حرماً عليهم طيبات أحلت لهم) ولما قبلهم لا بشيء غيره كما زعموا فإنهم كانوا كلوا ارتكبوا معصية من المعاصي التي افترفوها يحرم عليهم نوع من الطيبات التي كانت محلة لهم ولمن تقدمهم من أسلافهم عقوبة لهم وكانوا مع ذلك يفترون على الله سبحانه ويقولون لسنا بأول من حرمت عليه وإنما كانت على نوح وإبراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الأمر إلينا فكذبهم الله عز وجل في مواقع كثيرة وبكسهم بقوله تعالى كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين أي في ادعائكم أنه تحریم قديم. روى أنه عليه السلام لما كلفهم إخراج التوراة لم يحسر أحد على إخراجها لما أن كون التحريم بظلمهم كان مسطوراً فيها فبهم تواروا قلبوا أصاغرين (وبصدهم عن سبيل الله كثيراً) أي ناساً كثيراً أو صداً كثيراً (وأخذهم ١٦١ الربا وقد نهوا عنه) فإن الربا كان محرماً عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على أن النهي يدل على حرمة المهي عنه (وأكلهم أموال الناس بالباطل) بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة (وأعدنا للكافرين منهم) أي للبصرين على الكفر لا لمن تاب وآمن من بينهم (عذاباً أليماً) سيدوقونه في الآخرة كما ذاقوا في الدنيا عقوبة التحريم (لكن الراسخون في العلم منهم) استدراك من قوله تعالى واعتدنا الخ وبيان لكون بعضهم على خلاف ١٦٢ حالهم عاجلاً وآجلاً أي لكن الثابتون في العلم منهم المنتقون المستبصرون فيه غير التابعين للظان كأولئك الجبهة والمراد بهم عبد الله بن سلام وأصحابه (والمؤمنون) أي منهم وصفوا بالإيمان بعد ما وصفوا بما يوجب من الرسوخ في العلم بطريق العطف المنبئ عن المغايرة بين المعطوفين تنزيلاً للاختلاف العنوافي منزلة الاختلاف الذاتي وقوله تعالى (يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) حال من المؤمنون مبينة لكيفية إيمانهم وقيل اعتراض مؤكداً قبله وقوله عز وجل (والمقيمون الصلوة) قيل نصب بإضمار

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
وَأِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ

زَبُورًا ﴿١٦٦﴾

٤ النساء

فعل تقديره وأعني المقيمين الصلاة على أن الجملة معترضة بين المبتدأ والخبر وقيل هو عطف على ما أنزل
إليك على أن المراد بهم الأنبياء عليهم السلام أى يؤمنون بالكتب وبالأنبياء أو الملائكة قال مكي أى
ويؤمنون بالملائكة الذين صفتهم إقامة الصلاة لقوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقيل عطف
على الكاف فى إليك أى يؤمنون بما أنزل إليك وإلى المقيمين الصلاة وهم الأنبياء وقيل على الضمير
المجروح فى منهم أى لكن الراسخون فى العلم منهم ومن المقيمين الصلاة وقرئ بالرفع على أنه معطوف
على المؤمنون بناء على ما مر من تنزيل التغيرات العنوانى منزلة التغيرات الذاتى وكذا الحال فيما سأتى من
المعطوفين فإن قوله تعالى (والمؤتون الزكاة) عطف على المؤمنون مع اتحاد الكل ذاتاً وكذا الكلام
● فى قوله تعالى (والمؤمنون بالله واليوم الآخر) فإن المراد بالكل مؤمنو أهل الكتاب قد وصفوا أولاً
● بكونهم راسخين فى علم الكتاب إيداناً بأن ذلك موجب للإيمان حتماً وأن من عداهم إنما بقوا مصرين
على الكفر لعدم رسوخهم فيه ثم بكونهم مؤمنين بجميع الكتب المنزلة على الأنبياء ثم بكونهم عاملين
بما فيها من الشرائع والأحكام واكتفى من بينها ذكر إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة المستتبعين لسائر العبادات
البدنية والمالية ثم بكونهم مؤمنين بالمبدأ والمعاد تحقيقاً لحيازتهم الإيمان بقطريه وإحاطتهم به من
طرفيه وتعريضاً بأن من عداهم من أهل الكتاب ليسوا بمؤمنين بأحد منهما حقيقة فإنهم بقولهم
عزير ابن الله مشركون بالله سبحانه وبقولهم إن تمسنا النار إلا أياماً معدودة كافرون باليوم الآخر وقوله
● تعالى (أولئك) إشارة إليهم باعتبار انصافهم بما عدد من الصفات الجميلة وما فيه من معنى البعد للإشعار
● بعلو درجتهم وبعد منزلتهم فى الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى (سنؤتيهم أجراً عظيماً) خبره والجملة
خبر للمبتدأ الذى هو الراسخون وما عطف عليه والسين لتأكيد الوعد وتنكير الأجر للتفخيم وهذا
أنسب بتجاوب طرفى الاستدراك حيث أوعد الأولون بالعذاب الأليم ووعد الآخرون بالأجر
العظيم كأنه قيل لئلا يثر قوله تعالى وأعدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً لكن المؤمنون منهم سنؤتيهم أجراً
عظيماً وأما ما جنح إليه الجمهور من جعل قوله تعالى يؤمنون بما أنزل إليك الخ خبراً للمبتدأ فى كال
السداد خلا أنه غير متعرض لتقابل الطرفين وقرئ سيؤتيهم بالياء مراعاة لظاهر قوله تعالى والمؤمنون
● بالله (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والأنبياء من بعده) جواب لأهل الكتاب عن سؤالهم
رسول الله عليه الصلاة والسلام أن ينزل عليهم كتاباً من السماء واحتجاج عليهم بأنه ليس بدعا من
الرسول وإنما شأنه فى حقيقة الإرسال وأصل الوحى كشافاً سائر مشاهير الأنبياء الذين لا ريب لأحد
فى نبوتهم والكاف فى محل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف أى إحياء مثل إحيائنا إلى نوح أو على أنه

وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى

٤ النساء

تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾

حال من ذلك المصدر المقدر معرفا كما هو رأى سيديوه أى أوحينا الإيحاء حال كونه مشبها بإيحاءنا الخ ومن بعده متعلق بأوحينا وإنما بدىء بذكر نوح لأنه أبو البشر وأول نبى شرع الله تعالى على لسانه الشرائع والأحكام وأول نبى عذبت أمته لردم دعوته وقد أهلك الله بدعائه أهل الأرض (وأوحينا إلى إبراهيم) عطف على أوحينا إلى نوح داخل معه فى حكم التشبيه أى وكما أوحينا إلى إبراهيم (ولإسماعيل وإسحق ويعقوب والاسباط) وهم أولاد يعقوب عليهم السلام (وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان) خصوا بالذكر مع ظهور انتظامهم فى سلك النبیین تشریفاً لهم وإظهاراً لفضلهم كفى قوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال وتصريحاً بمن ينتمى إليهم اليهود من الأنبياء وتكرير الفعل لمزيد تقرير الإيحاء والتنبية على أنهم طائفة خاصة مستقلة بنوع مخصوص من الوحي (وآتيناه داود زبوراً) قال القرطبي كان فيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الأحكام وإنما هى حكم ومواعظ وتحميد وتمجيد وثناء على الله تعالى وقرىء بضم الزاء وهو جمع زبر بمعنى زبور والجملة عطف على أوحينا داخل فى حكمه لأن إيتاء الزبور من باب الإيحاء أى وكما آتيناه داود زبوراً وإيثاره على وأوحينا إلى داود لتحقيق المماثلة فى أمر خاص هو إيتاء الكتاب بعد تحقيقها فى مطلق الإيحاء ثم أشير إلى تحقيقها فى أمر لازم لها لزوماً كلياً وهو الإرسال فإن قوله تعالى (ورسلاً) نصب بمضمر يدل عليه أوحينا معطوف ١٦٤ عليه داخل معه فى حكم التشبيه كما قبله أى وكما أرسلنا رسلاً لا بما يفهمه قوله تعالى (قد قصصناهم عليك) أى وقصصنا رسلاً كما قالوا وفرعوا عليه أن قوله تعالى قد قصصناهم على الوجه الأول منصوب على أنه صفة لرسلاً وعلى الوجه الثانى لا محل له من الإعراب فإنه عما لا سبيل إليه كما ستقف عليه وقرىء برفع رسل وقوله تعالى (من قبل) متعلق بقصصنا أى قصصنا من قبل هذه السورة أو اليوم (ورسلاً لم نقصصهم عليك) عطف على رسلاً منصوب بنصبه وقيل كلاهما منصوب بنزع الخافض والتقدير كما أوحينا إلى نوح وإلى رسل الخ . والحق أن يكون انتصابهما بأرسلنا فإن فيه تحقيقاً للمماثلة بين شأنه عليه الصلاة والسلام وبين شئوون من يعترفون بنبوته من الأنبياء عليهم السلام فى مطلق الإيحاء ثم فى إيتاء الكتاب ثم فى الإرسال فإن قوله تعالى إنا أوحينا إليك منتظم لمعنى آتيناك وأرسلناك حتماً كأنه قيل إنا أوحينا إليك إيحاء مثل ما أوحينا إلى نوح ومثل ما أوحينا إلى إبراهيم ومن بعده وآتيناك الفرقان إيتاء مثل ما آتيناه داود زبوراً وأرسلناك إرسالاً مثل ما أرسلنا رسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً آخرين لم نقصصهم عليك من غير تفاوت بينك وبينهم فى حقيقة الإيحاء وأصل الإرسال فالللكفرة يسألونك شيئاً لم يعطه أحد من هؤلاء الرسل عليهم السلام ومن ههنا اتضح أن رسلاً لا يمكن نصبه بقصصنا فإن ناصبه يجب أن يكون معطوفاً على أوحينا داخلاً معه فى حكم التشبيه الذى عليه يدور فلك الاحتجاج على الكفرة ولا ريب فى أن قصصنا لا تعلق له بشئ من الإيحاء والإيتاء حتى يمكن اعتباره فى ضمن

رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ٤ النساء

- قوله تعالى إنا أوحيانا إليك ثم يعتبر بينه وبين المذكور مماثلة مصححة للتشبيه على أن تقديره في رسلا
- الأول يقتضى تقدير نفيه في الثانى وذلك أشد استحالة وأظهر بطلانا (وكلم الله موسى) برفع الجلالة
 - ونصب موسى وقرىء على القلب وقول تعالى (تكليما) مصدر مؤكد رافع لاحتمال المجاز قال الفراء العرب تسمى ما وصل إلى الإنسان كلاماً بأى طريق وصل مالم يؤكد بالمصدر فإذا أكد به لم يكن إلا حقيقة الكلام والجملة إما معطوفة على قوله تعالى إنا أوحيانا إليك عطف القصة على القصة لاعتنا وما عطف عليه وإما حال بتقدير قد كما ينبىء عنه تغيير الأسلوب بالاتفات والمعنى أن التكليم بغير واسطة منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم فلم يكن ذلك قادحا في نبوة سائر الأنبياء عليهم السلام فكيف يتوهم كون نزول التوراة عليه عليه السلام جملة قادحا في صحة نبوة من أنزل عليه الكتاب مفصلا مع ظهور أن نزولها كذلك لحكم مقتضية لذلك من جهاتها أن بنى إسرائيل كانوا في العناد وشدة الشكيمة بحيث لو لم يكن نزولها كذلك لما آمنوا بها ومع ذلك ما آمنوا بها إلا بعد اللثام والى وقد فضل الله تعالى نبينا محمداً ﷺ بأن أعطاه مثل ما أعطى كل واحد منهم ﷺ تسليما كثيرا (رسلا مبشرين ومنذرين)
 - نصب على المدح أو بإضمار أرسلنا أو على الحال بأن يكون رسلا موطئاً لما بعده أو على البدلية من رسلا الأول أى مبشرين لأهل الطاعة بالجنة ومنذرين للعصاة بالنار (لئلا يكون للناس على الله حجة) أى معذرة يعتذرون بها قائلين لولا أرسلت إلينا رسولا فيبين لنا شرائعك ويعلمنا ما لم نكن نعلم من أحكامك لقصور القوة البشرية عن إدراك جزئيات المصالح وعجز أكثر الناس عن إدراك كلياتها كما في قوله عز وجل ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك الآية وإنما سميت حجة مع استحالة أن يكون لأحد عليه سبحانه حجة في فعل من أفعاله بل له أن يفعل ما يشاء كما يشاء للتنبيه على أن المعذرة في القبول عنده تعالى بمقتضى كرمه ورحمته لعباده بمنزلة الحجة القاطعة التى لا مرد لها ولذلك قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قال النبي ﷺ ما أحد أغير من الله تعالى ولذلك حرم الفواحش مظهر منها وما بطن وما أحب إليه المدح من الله تعالى ولذلك مدح نفسه وما أحد أحب إليه العذر من الله تعالى ولذلك أرسل الرسل وأنزل الكتب فاللام متعلقة بأرسلنا وقيل بقوله تعالى مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وللناس خبرها وعلى الله متعلق بمحذوف وقع حالا من حجة أى كائنة على الله أو هو الخبر وللناس حال على الوجه المذكور ويجوز أن يتعلق كل منهما بما يتعلق به الآخر الذى هو الخبر ولا يجوز التعلق بحجة لأن معمول المصدر لا يتقدم عليه وقوله تعالى (بعد الرسل) أى بعد إرسالهم وتبليغ الشرائع إلى الأمم على أسنتهم متعلق بحجة أو بمحذوف وقع صفة لها لأن الظروف يوصف بها الأحداث كما يخبر بها عنها نحو القتال يوم الجمعة (وكان الله عزيزا) لا يغالب فى أمر من أموره ومن قضيته الامتناع عن الإجابة إلى مسألة المتعنتين (حكيم) فى جميع أفعاله التى من جملتها إرسال الرسل وإنزال الكتب فإن تعدد الرسل والكتب واختلافها فى كيفية النزول وتغايرها

لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ النساء

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ النساء

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ النساء

في بعض الشرائع والأحكام إنما هو لتفاوت طبقات الأمم في الأحوال التي عليها يدور فلك التكليف فكما أنه سبحانه وتعالى برأهم على أنحاء شتى وأطوار متباينة حسبما تقتضيه الحكمة التكوينية كذلك تعبدكم بما يليق بشأنهم وتقتضيه أحوالهم المتخالفة واستعداداتهم المتغيرة من الشرائع والأحكام حسبما تستدعيه الحكمة التشريعية وراعى في إرسال الرسل وإنزال الكتب وغير ذلك من الأمور المتعلقة بمعاشهم ومعادهم ما فيه مصلحتهم فسؤال تنزيل الكتاب جملة اقتراح فاسد إذ حينئذ تتعاقم التكالييف فيثقل على المكلف قبولها والخروج عن عهدها وأما التنزيل المنجم الواقع حسب الأمور الداعية إليه فهو أيسر قبولاً وأسهل امتثالاً (لكن الله يشهد) بتخفيف الذنوب ورفع الجلالة وقرىء بتشديد الذنوب ونصب الجلالة ١٦٦ وهو استدراك عما يفهم مما قبله كأنهم لما تعنتوا عليه بما سبق من السؤال واحتج عليهم بقوله تعالى إنا أوحينا إليك كما أوحينا الخ قيل إنهم لا يشهدون بذلك لكن الله يشهد (بما أنزل إليك) على البناء للفاعل ● وقرىء على البناء للمفعول والباء صلة للشهادة أى يشهد بحقيقة ما أنزل إليك من القرآن المعجز الناطق بنبوته ك وقيل لما نزل قوله تعالى إنا أوحينا إليك قالوا ما نشهدك بهذا فنزل لكن الله يشهد (أنزله بعلمه) أى ما تيسراً ● بعلمه الخاص الذى لا يعلمه غيره وهو تأليفه على نمط بديع يعجز عنه كل بليغ أو بعلمه بحال من أنزله عليه واستعداده لاقتباس الأنوار القدسية أو بعلمه الذى يحتاج إليه الناس فى معاشهم ومعادهم فالجارو والمجرور على الأولين حال من الفاعل وعلى الثالث من المفعول والجملة فى موقع التفسير لما قبلها وقرىء نزل وقوله تعالى (والملائكة يشهدون) أى بذلك مبتدأ وخبر والجملة عطف على ما قبلها وقيل حال من مفعول أنزله ● أى أنزله والملائكة يشهدون بصدقه وحقيقته (وكفى بالله شهيداً) على صحة نبوته ك حيث نصب لها معجزات باهرة وحججاً ظاهرة مغنية عن الاستشهاد بغيرها (إن الذين كفروا) أى بما أنزل الله تعالى وشهد به ١٦٧ أو بكل ما يجب الإيمان به وهو داخل فيه دخولا أولياً والمراد بهم اليهود حيث كفروا به (وصدوا عن سبيل الله) وهو دين الإسلام من أراد سلوكه بقولهم مانع فى كتابنا وقرىء صدوا مبنيّاً للمفعول (قد ضلوا) بما فعلوا من الكفر والصد عن طريق الحق (ضلالاً بعيداً) لأنهم جمعوا بين الضلال والإضلال ولأن المضل يكون أعرق فى الضلال وأبعد من الإقلاع عنه (إن الذين كفروا) ١٦٨ أى بما ذكر آنفاً (وظلموا) أى محمداً ﷺ بإنكار نبوته وكتمان نعوته الجليلة ووضع غيرها مكانها أو الناس بصددهم عما فيه صلاحهم فى المعاش والمعاد (لم يكن الله ليغفر لهم) لاستحالة تعلق المغفرة بالكافر ● (ولا ليهديهم طريقاً).

٤ النساء

إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ كُرُّ الرُّسُولِ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَعَامِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ

٤ النساء

لِللَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾

- ١٦٩ (إلا طريق جهنم) لعدم استعدادهم للهداية إلى الحق والأعمال الصالحة التي هي طريق الجنة والمراد بالهداية المفهومة من الاستثناء بطريق الإشارة خلقه تعالى لأعمالهم السيئة المؤدية بهم إلى جهنم عند صرف قدرتهم واختيارهم إلى اكتسابها أو سوقهم إليها يوم القيامة بواسطة الملائكة والطريق على عمومها والاستثناء متصل وقيل خاص بطريق الحق والاستثناء منقطع (خالدين فيها) حال مقدرة من الضمير المنصوب
- والعامل فيها مادل عليه الاستثناء دلالة واضحة كأنه قيل يدخلهم جهنم خالدين فيها الخ وقوله تعالى (أبدًا)
 - نصب على الظرفية رافع لاحتمال حمل الخلود على المكث الطويل (وكان ذلك) أي جعلهم خالدين في جهنم (على الله يسيرًا) لاستحالة أن يتعذر عليه شيء من مراداته تعالى (يا أيها الناس) بعد ما حكى لرسول الله ﷺ عمل اليهود بالباطيل واقتراحهم الباطل تعنتا ورد عليهم ذلك بتحقيق نبوته عليه الصلاة والسلام وتقرير رسالته ببيان أن شأنه عليه الصلاة والسلام في أمر الوحي والإرسال كشئون من يعترفون بنبوته من مشاهير الأنبياء عليهم السلام وأكد ذلك بشهادته سبحانه وشهادة الملائكة أمر المكلفون كافة على طريق تلوين الخطاب بالإيمان بذلك أمراً مشفوعاً بالوعد بالإجابة والوعيد على الرد
 - تنبيهها على أن الحجة قد لظمت ولم يبق بعد ذلك لأحد عذر في عدم القبول وقوله عز وجل (قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم) تكرير للشهادة وتقرير لحقية المشهود به وتمهيد لما يعقبه من الأمر بالإيمان وإيراده عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة لتأكيد وجوب طاعته والمراد بالحق هو القرآن الكريم والباء متعلقة بجاءكم فهي للتعدية أو بمحذوف وقع حالا من الرسول أي ملتبساً بالحق ومن أيضاً متعلقة إما بالفعل وإما بمحذوف هو حال من الحق أي جاءكم به من عنده تعالى أو جاءكم بالحق كائنًا من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين للإيذان بأن ذلك لثريبتهم وتبليغهم إلى كمالهم اللائق بهم ترغيباً لهم في الامتثال بما بعده من الأمر والفاء في قوله عز وجل (فآمنوا) للدلالة على إيجاب ما قبلها لما بعدها أي فآمنوا به وبما جاء به من الحق وقوله تعالى (خير لكم) منصوب على أنه مفعول لفعل واجب الإضمار كما هو رأي الخليل وسيبويه أي اقصدوا أو اتوا أمراً خيراً لكم مما أنتم فيه من الكفر أو على أنه نعت لمصدر محذوف كما هو رأي الفراء أي آمنوا إيماناً خيراً لكم أو على أنه خبر كان المضمر الواقعة جواباً للأمر لاجزاء للشرط الصناعي وهو رأي الكسائي وأبي عبيدة أي يكن الإيمان خيراً لكم (وإن تكفروا) أي إن تصروا وتستمروا على الكفر به (فإن لله ما في السموات والأرض) من الموجودات سواء كانت داخلية في حقيقتهم وبذلك يعلم حال أنفسهم على أبلغ وجه وآكده وأخارجة عنهم مستقرة فيهما من العقلاء وغيرهم فيدخل في جملتهم المخاطبون دخولا أولاً أي كلها له عز وجل

يَٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ ۖ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَعَامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾

٤ النساء

- خلقاً وملكا وتصرفاً لا يخرج من ملكوته وقهره شيء منها فن هذا شأنه فهو قادر على تعذيبكم بكفركم لا محالة أو فن كان كذلك فهو غني عنكم وعن غيركم لا يتضرر بكفركم ولا ينتفع بإيمانكم وقيل فن كان كذلك فله عبيد يعبدونه وينقادون لأمره (وكان الله عليماً) مبالغاً في العلم فهو عالم بأحوال الكل فيدخل في ذلك عليه
- تعالى بكفرهم دخولا أولاً (حكيمياً) مراعيًا للحكمة في جميع أفعاله التي من جملتها تعذيبه تعالى لإيائهم بكفرهم.
 - (يا أهل الكتاب) تجريد للخطاب وتخصيص له بالنصارى زجراً لهم عما هم عليه من الكفر والضلال ١٧١
 - (لا تغلوا في دينكم) بالإفراط في رفع شأن عيسى عليه السلام وادعاء ألوهيته وأما غلو اليهود في حط رتبته عليه السلام ورميهم له بأنه ولد لغير رشدة فقد نعى عليهم ذلك فيما سبق (ولا تقولوا على الله إلا الحق) أي لا تصفوه بما يستحيل انصافه به من الحلول والاتحاد واتخاذ الصاحبة والولد بل نزوه عن جميع ذلك (إنما المسيح) قد مر تفسيره في سورة آل عمران وقرئ بكسر الميم وتشديد السين كالسكيت
 - على صيغة المبالغة وهو مبتدأ وقوله تعالى (عيسى) بدل منه أو عطف بيان له وقوله تعالى (ابن مريم)
 - صفة له مفيدة لبطلان ما وصفوه عليه السلام به من بنوته لله تعالى وقوله تعالى (رسول الله) خبر للابتداء
 - والجملة مستأنفة مسوقة لتعليل النهي عن القول الباطل المستلزم للأمر بضده أعني الحق أي أنه مقصور على رتبة الرسالة لا يتخطاها (وكلمته) عطف على رسول الله أي يكون بكلمته وأمره الذي هو كمن من غير واسطة أب ولا نطفة (ألقاها إلى مريم) أي أوصلها إليها وحصلها فيها بنفخ جبريل عليه السلام
 - وقيل أعلمها إياها وأخبرها بها بطريق البشارة وذلك قوله تعالى إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وقيل الجملة حال من ضميره عليه السلام المستكن فيما دل عليه وكلمته من معنى المشتق الذي هو العامل فيها وقد مقدرة معها (وروح منه) قيل هو الذي نفخ جبريل عليه السلام في درع مريم فحملت
 - بأذن الله تعالى سمي النفخ روحاً لأنه ريج يخرج من الروح ومن لا ابتداء الغاية مجازاً لا تبعيضية كما زعمت النصارى يحكى أن طبيباً حاذقاً نصرانياً للرشيدي ناظر على بن حسين الواقدي المروزي ذات يوم فقال له إن في كتابكم ما يدل على أن عيسى عليه السلام جزء منه تعالى وتلا هذه الآية فقرأ الواقدي ومنخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه فقال إذن يلزم أن يكون جميع تلك الأشياء جزءاً منه تعالى علواً كبيراً فانقطع النصراني فأسلم وفرح الرشيدي فرحاً شديداً ووصل الواقدي بصلة فاخرة . وهي متعلقة بمحذوف وقع صفة لروح أي كائنة من جمته تعالى جعلت منه تعالى وإن كانت بنفخ جبريل عليه السلام لكون النفخ بأمره سبحانه وقيل سمي روحاً لإحيائه الأموات وقيل لإحيائه القلوب كما سمي به القرآن

لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنكِفَ عَنْ عِبَادَتِهِ
وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾

٤ النساء

لذلك في قوله تعالى وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا وقيل أريد بالروح الوحي الذي أوحى إلى
مريم بالبشارة وقيل جرت العادة بأنهم إذا أرادوا وصف شيء بغاية الطهارة والنظافة قالوا إنه روح فلما
كان عيسى عليه السلام متكوناً من النفخ لا من النطفة وصف بالروح وتقديم كونه عليه السلام رسول
الله في الذكر مع تأخره عن كونه كلمته تعالى وروحه منه في الوجود لتحقيق الحق من أول الأمر بما هو
● نص فيه غير محتمل للتأويل وتعيين مآل ما يحتمله وسد باب التأويل الزائع (فآمنوا بالله) وخصوه
● بالالوهية (ورسله) أجمعين وصفهم بالرسالة ولا تخرجوا بعضهم عن سلكهم بوصفه بالالوهية (ولا
تقولوا ثلاثة) أي الآلهة ثلاثة الله والمسيح ومريم كما ينبي عنه قوله تعالى أنت قلت للناس اتخذوني وأمي
إلهين من دون الله أو الله ثلاثة إن صح أنهم يقولون الله جوهر واحد ثلاثة أقانيم أقنوم الأب وأقنوم الابن
● وأقنوم روح القدس وأنهم يريدون بالأول الذات وقيل الوجود وبالثاني العلم وبالثالث الحياة (انتهوا)
● أي عن التثليث (خير لكم) قد مر وجوه انتصابه (إنما الله إله واحد) أي بالذات منزّه عن التعدد
● بوجه من الوجوه فالله مبتدأ وإله خبره وواحد نعت أي منفرد في ألوهيته (سبحانه أن يكون له ولد)
● أي أسبحه تسبيحاً من أن يكون له ولد أو سبحوه تسبيحاً من ذلك فإنه إنما يتصور فيمن يماثله شيء
ويتطرق إليه فناء والله سبحانه منزّه عن أمثاله وقرئ أن يكون أي سبحانه ما يكون له ولد وقوله تعالى
● (له ما في السموات وما في الأرض) جملة مستأنفة مسوقة لتعليل التنزيه وتقديره أي له ما فيهما من
الموجودات خلقاً وملكا وتصرفاً لا يخرج عن ملكوته شيء من الأشياء التي من جملتها عيسى عليه
● السلام فكيف يتوهم كونه ولداً له تعالى (وكفى بالله وكيلاً) إليه بكل كل الخلق أمورهم وهو غني عن العالمين
فأني يتصور في حقه اتخاذ الولد الذي هو شأن العجزة المحتاجين في تدبير أمورهم إلى من يخلفهم ويقوم مقامهم
١٧٢ (لن يستنكف المسيح) استئناف مقرر لما سبق من التنزيه والاستنكاف الأنفة والترفع من نكفت الدهم
● إذا نحيته عن وجهك بالأصبع أي لن يأنف ولن يترفع (أن يكون عبد الله) أي عن أن يكون عبداً له
تعالى مستمراً على عبادته وطاعته حسبما هو وظيفة العبودية كيف وأن ذلك أقصى مراتب الشرف
والاقتصار على ذكر عدم استنكافه عليه السلام عنه مع أن شأنه عليه السلام المباهاة به كما يدل عليه أحواله
ويفصح عنه أقواله أو لا يرى أن أول مقالة قالها للناس قوله إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً
لوقوعه في موقع الجواب عما قاله الكفرة . روى أن وفد نجران قالوا الرسول الله ﷺ لم تعيب صاحبنا
قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال وأي شيء أقول قالوا تقول إنه عبد الله قال إنه ليس بعار أن يكون عبداً
لله قالوا بلى فنزلت وهو السر في جعل المستنكف عنه كونه عليه السلام عبداً له تعالى دون أن يقال عن
عبادة الله ونحو ذلك مع إفادة فائدة جلية هي كمال نزاهته عليه السلام عن الاستنكاف بالكلية فإن كونه
عبداً له تعالى حالة مستمرة مستتبعة لدوام العبادة قطعاً فعدم الاستنكاف عنه مستلزم لعدم الاستنكاف

- عن عبادته تعالى كما أشير إليه بخلاف عبادته تعالى فإنها حالة متجددة غير مستلزمة للدوام يكفي في اتصاف موصوفها بها تحققها مرة فعدم الاستنكاف عنها لا يستلزم عدم الاستنكاف عن دوامها (ولا الملائكة المقربون) عطف على المسيح أى ولا يستنكف الملائكة المقربون أن يكونوا عبيد الله تعالى وقيل إن أريد بالملائكة كل واحد منهم لم يحتج إلى التقدير واحتج بالآية من زعم فضل الملائكة على الأنبياء عليهم السلام وقال مساقه لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضى أن يكون المعطوف أعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم مستلزماً لعدم استنكافه عليه السلام وأجيب بأن مناط كفر النصارى ورفعهم له عليه السلام عن رتبة العبودية لما كان اختصاصه عليه السلام وامتيازاه عن سائر أفراد البشر بالولادة من غير أب وبالعالم بالمغيبات وبالرفع إلى السماء عطف على عدم استنكافه عن عبوديته تعالى عدم استنكاف من هو أعلى درجة منه فيما ذكر فإن الملائكة مخلوقون من غير أب ولا أم وعالمون بما لا يعلمه البشر من المغيبات ومقارهم السموات العلولا نزاع لأحد في علو درجتهم من هذه الحثية وإنما النزاع في علوها من حيث كثرة الثواب على الطاعات وبأن الآية ليست للرد على النصارى فقط بل على عبدة الملائكة أيضاً فلا اتجاه لما قالوا حينئذ وإن سلم اختصاصها بالرد على النصارى فلعله أريد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير والتفصيل لا باعتبار التكبير والتفضيل كما في قولك أصبح الأمير لا يخالفه رئيس ولا مرموس ولئن سلم إرادة التفضيل فغاية الأمر الدلالة على أفضلية المقربين منهم وهم الكروبيون الذين حول العرش أو من هو أعلى منهم رتبة من الملائكة عليهم السلام على المسيح من الأنبياء عليهم السلام وليس يلزم من ذلك فضل أحد الجنسين على الآخر مطلقاً وهل التشاجر إلا فيه (ومن يستنكف عن عبادته) أى عن طاعته فيشمل جميع الكفرة لعدم طاعتهم له تعالى وإنما جعل المستنكف عنه ههنا عبادته تعالى لا ماسبق لتعليق الوعيد بوصف ظاهر الثبوت للكفرة فإن عدم طاعتهم له تعالى بما لا سبيل لهم إلى إنكار اتصافهم به . إن قيل لم عبر عن عدم طاعتهم له تعالى بالاستنكاف عنها مع أن ذلك منهم كان بطريق إنكار كون الأمر من جهته تعالى لا بطريق الاستنكاف قلنا لأنهم كانوا يستنكفون عن طاعة رسول الله ﷺ وهل هو إلا استنكاف عن طاعة الله تعالى إذ لا أمر له عليه الصلاة والسلام سوى أمره تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله (ويستكبر) الاستكبار الأنفة عما لا ينبغي أن يؤنف عنه وأصله طلب الكبر لنفسه بغير استحقاق له لا بمعنى طلب تحصيله مع اعتقاد عدم حصوله فيه بل بمعنى عد نفسه كبيراً واعتقاده كذلك وإنما عبر عنه بما يدل على الطلب للإيذان بأن ما له محض الطلب بدون حصول المطلوب وقد عبر عن مثل ذلك بنفس الطلب في قوله تعالى يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً فإنهم ما كانوا يطلبون ثبوت العوج لسبيل الله مع اعتقادهم لاستقامتها بل كانوا يعدونها ويعتقدونها معوجة ويحكمون بذلك ولكن عبر عن ذلك بالطلب لما ذكر من الإشعار بأن ليس هناك شيء سوى الطلب والاستكبار دون الاستنكاف المنبئ عن توهم لحقوق العار والنقص من المستنكف عنه (فسيحشرهم إليه جميعاً) أى المستنكفين ومقابلهم المدلول عليه بذكر عدم استنكاف المسيح والملائكة عليهم السلام وقد ترك ذكر أحد الفريقين في المفصل تعويلاً على إنباء التفصيل عنه وثقة

فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا
وَأَسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ ٤ النساء
يَنَاءِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بِرَهْنٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿١٧٤﴾ ٤ النساء

بظهور اقتضاء حشر أحدهما لحشر الآخر ضرورة عموم الحشر للخلاق كافة كما ترك ذكر أحد الفريقين في التفصيل عند قوله تعالى فأما الذين آمنوا بالله الآية مع عموم الخطاب لهما اعتماداً على ظهور اقتضاء إثابة أحدهما لعقاب الآخر ضرورة شمول الجزاء لكل وقيل الضمير للمستنكفين وهناك مقدر معطوف عليه والتقدير فسيحشرهم وغيرهم وقيل المعنى فسيحشرهم إليه يوم يحشر العباد لمجازاتهم وفيه إن الأنسب بالتفصيل الاتي اعتبار حشر الكل في الإجمال على نهج واحد وقرئ فسيحشرهم بكسر الشين وهي لغة ١٧٣ وقرئ فسنحشرهم بنون العظمة بطريق الالتفات (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بيان لحال الفريق المطوى ذكره في الإجمال قدم على بيان حال ما يقابله لإثابة لفضله ومسارة إلى بيان كون حشره أيضاً معتبراً في الإجمال وإبراده بعنوان الإيمان والعمل الصالح لا بوصف عدم الاستنكاف المناسب لما قبله وما بعده للتنبيه على أنه المستتبع لما يعقبه من الثمرات (فيوفيهم أجورهم) من غير أن ينقص منها شيئاً أصلاً (ويزيدهم من فضله) بتضعيفها أضعافاً مضاعفة ويأعطاء ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (وأما الذين استنكفوا) أي عن عبادته عز وجل (واستكبروا فيعذبهم) بسبب استنكافهم واستكبارهم (عذاباً أليماً) لا يحيط به الوصف (ولا يجدون لهم من دون الله ولياً) بلى ١٧٤ أمورهم ويدبر مصالحهم (ولا نصيراً) بنصرهم من بأسه تعالى وينجيهم من عذابه (بأيها الناس) تلوين للخطاب وتوجيه له إلى كافة المكلفين إثرياً بطلان ما عليه الكفرة من فنون الكفر والضلال وإلزامهم بالبراهين القاطعة التي تخزلها صم الجبال وإزاحة شبههم الواهية بالبينات الواضحة وتنبيه لهم على أن الحججة قد تمت فلم يبق بعد ذلك علة لمتعلل ولا عذر لمتعذر (قد جاءكم) أي وصل إليكم وتقرر في قلوبكم بحيث لا سبيل لكم إلى الإنكار (برهان) البرهان ما يبرهن به على المطلوب والمراد به القرآن الدال على صحة نبوة النبي ﷺ المثبت لما فيه من الأحكام التي من جملتها ما أشير إليه بما أثبتته الآيات الكريمة من حقيقة الحق وبطلان الباطل وروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ عبر عنه به لما معه من المعجزات التي تشهد بصدقه وقيل هو المعجزات التي أظهرها وقيل هو دين الحق الذي أتى به وقوله تعالى (من ربكم) إما متعلق بجاءكم أو بمحذوف وقع صفة مشرفة لبرهان مؤكدة لما أفاده التلويح من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أي كائن منه تعالى على أن من لا ابتداء الغاية مجازاً وقد جوز على الثاني كونها تبعية بضمير المحذوف المضاف أي كائن من براهين ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين لإظهار اللطف بهم والإيذان بأن مجيئه إليهم لتريتهم وتكليمهم (وأزلنا إليكم نوراً مبيناً) أريد به أيضاً القرآن الكريم عبر عنه تارة بالبرهان لما أشير إليه آنفاً وأخرى بالنور النير بنفسه المنور غيره إيداناً

فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللّٰهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ ۖ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾

٤ النساء

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللّٰهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِيْهَا إِن لَّمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا أُتْنَيْنِ فَلَهُمَا النِّصْلَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حِظِّ الْأُنثَيْنِ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمْ أَن تَصَلُّوا وَلََّهٗ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾ ٤ النساء

بأنه بين بنفسه مستغن في ثبوت حقيقته وكونه من عند الله تعالى بإعجازه غير محتاج إلى غيره مبين لغيره من الأمور المذكورة وإشعاراً بهدائه للخلق وإخراجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان وقد سلك به مسلك العطف المبني على تغاير الطرفين تنزيلاً للبغيارة العنوانية منزلةً للمغايرة الذاتية وعبر عن ملاسته للمخاطبين تارة بالجمي المسند إليه المنبي عن كمال قوته في البرهانية كأنه يجيء بنفسه فيثبت أحكامه من غير أن يجيء به أحد ويجيء على شبه الكفرة بالإبطال وأخرى بالإزالة الموقوع عليه الملائم لحقيقة كونه نوراً توقيراً له باعتبار كل واحد من عنوانيه حظه اللائق به وإسناداً لنزله إليه تعالى بطريق الالتفات لكمال تشریفه هذا على تقدير كون البرهان عبارة عن القرآن العظيم وأما على تقدير كونه عبارة عن الرسول ﷺ أو عن المعجزات الظاهرة على يده أو عن الدين الحق فالأمرهين وقوله تعالى إليكم متعلق بأنزلنا فإن أنزله بالذات وإن كان إلى النبي ﷺ لكنه منزل إليهم أيضاً بواسطة عليه الصلاة والسلام وإنما اعتبر حاله بالواسطة دون حاله بالذات كما في قوله تعالى إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس ونظائره لإظهار كمال اللطف بهم والتصریح بوصوله إليهم مبالغاً في الأعذار وتقديمه على المفعول الصريح مع أن حقه التأخر عنه لما مر غير مرة من الاهتمام بما قدم والتشويق إلى ما أخر وللحفاظة على فواصل الآي الكريمة (فأما الذين آمنوا بالله) حسبما يوجه البرهان الذي أتاكم (واعتصموا به) أي عصموا به ١٧٥ أنفسهم عما يريدها من زيغ الشيطان وغيره (فسيدخلهم في رحمة منه وفضل) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هي الجنة وما يتفضل عليهم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وعبر عن إفادة الفضل بالإدخال على طريقة قوله [علفتها تبنا وماء بارداً] وتوین رحمة وفضل تفخيمى ومنه متعلق بمحذوف وقع صفة مشرفة لرحمة (ويهديهم إليه) أي إلى الله عز وجل وقيل إلى المواعود وقيل إلى عبادته ● (صراطاً مستقيماً) هو الإسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة وتقديم ذكر الوعد بإدخال الجنة على الوعد بالهداية إليها على خلاف الترتيب في الوجود بين المواعدين للمسارعة إلى التبشير بما هو المقصد الأصلي قبل انتصاب صراطاً على أنه مفعول لفعل محذوف ينبى عنه يهديهم أي يعرفهم صراطاً مستقيماً (يستفتونك) أي في الكلالة استغنى عن ذكره بوروده في قوله تعالى (قل الله يفتيكم في الكلالة) وقد مر تفسيرها في مطلع السورة الكريمة والمستفتى جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه يروى

أنه أتى رسول الله ﷺ في طريق مكة عام حجة الوداع فقال إن لي أختاً فكم آخذ من ميراثها إن ماتت وقيل كان مريضاً فعاده رسول الله ﷺ فقال إنني كلاله فكيف أصنع في مالي . وروى عنه رضى الله عنه أنه قال عادنى رسول الله ﷺ وأنا مريض لا أعقل فتوضأ وصب من وضوئه على

- فعقلت فقلت يا رسول الله لمن الميراث وإنما يرثني كلاله فنزلت وقوله تعالى (إن امرؤ هلك)
- استئناف مبين للفتيا وارفع امرؤ بفعل يفسره المذكور وقوله تعالى (ليس له ولد) صفة له وقيل حال من الضمير في هلك ورد بأنه مفسر للمحذوف غير مقصود في الكلام أى إن هلك امرؤ غير ذى ولد ذكرأ
- كان أو أنثى واقتصر على ذكر عدم الولد مع أن عدم الوالد أيضاً معتبر في الكلاله ثقة بظهور الأمر ودلالة تفصيل الورثة عليه وقوله تعالى (وله أخت) عطف على قوله تعالى ليس له ولد أوحال والمراد
- بالأخت من ليست لأم فقط فإن فرضها السدس وقد مر بيانه في صدر السورة الكريمة (فلها نصف
- ماترك) أى بالفرض والباقي للعصبة أو لها بالرد إن لم يكن له عصبة (وهو) أى المرء المفروض (يرثها)
- أى أخته المفروضة إن فرض هلاكها مع بقائه (إن لم يكن لها ولد) ذكرأ كان أو أنثى فالمراد بإرثه لها إحراز جميع ما لها إذ هو المشروط بانتفاء الولد بالكلية لا إرثه لها في الجملة فإنه يتحقق مع وجود بنتها
- وليس في الآية ما يدل على سقوط الأخوة بغير الولد ولا على عدم سقوطهم وإنما دلت على سقوطهم مع الأب السنة الشريفة (فإن كانتا اثنتين) عطف على الشرطية الأولى أى اثنتين فصاعداً (فلهما
- الثلثان مما ترك) الضمير لمن يرث بالأخوة والتأنيث والتثنية باعتبار المعنى قيل وقائدة الإخبار عنها باثنتين مع دلالة ألف التثنية على الاثنيتين التنبيه على أن المعتبر في اختلاف الحكم هو العدد دون
- الصغر والكبر وغيرهما (وإن كانوا) أى من يرث بطريق الأخوة (أخوة) أى مختلطة (رجالاً
- ونساء) بدل من أخوة والأصل وإن كانوا أخوة وأخوات فغلب المذكر على المؤنث (فللذكر) أى
- فللذكر منهم (مثل حظ الاثنتين) يقتسمون التركة على طريقة التعصيب وهذا آخر ما أنزل من كتاب
- الله تعالى في الأحكام . روى أن الصديق رضى الله عنه قال في خطبته ألا إن الآية التى أنزلها
- الله تعالى في سورة النساء فى الفرائض فأولها فى الولد والوالد وثانها فى الزوج والزوجة والأخوة من
- الأم والآية التى ختم بها السورة فى الأخوة والأخوات لا يوين أولاً والآية التى ختم بها سورة
- الأنفال أنزلها فى أولى الأرحام (يبين الله لكم) أى حكم الكلاله وأحكامه وشرائعه التى من جملتها
- حكمها (أن تضلوا) أى كراهة أن تضلوا فى ذلك وهذا رأى البصريين صرح به المبرد وذهب الكسائى
- والفراء وغيرهما من الكوفيين إلى تقدير اللام ولا فى طرفى أن أى لثلاث تضلوا وقال الزجاج هو
- مثل قوله تعالى إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا أى لثلاث تزولا وقال أبو عبيد رويت
- للكسائى حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما وهو لا يدعون أحدكم على ولده أنه يوافق من الله لإجابة
- أى لثلاث يوافق فاستحسنه وليس ما ذكر من الآية والحديث نصاً فيما ذهب إليه الكسائى وأضرابه
- فإن التقدير فهما عند البصريين كراهة أن تزولا وكراهة أن يوافق الخ وقيل ليس هناك حذف ولا
- تقدير وإنما هو مفعول بين أى بين لكم ضلالكم الذى هو من شأنكم إذا خليتكم وطباعكم لتحتزوا

- عنه وتنحروا خلافه وأنت خير بأن ذلك إنما يليق بما إذا كان بيانه تعالى تعيين على طريقة مواقع الخطأ والضلال من غير تصريح بما هو الحق والصواب وليس كذلك (والله بكل شيء) من الأشياء.
- التي من جعلها أحوالكم المتعلقة بحياتكم وعبادتكم (عليهم) مبالغ في العلم فيبين لكم ما فيه مصلحتكم ومنفعتكم
 - عن رسول الله ﷺ من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثاً وأعطى من الأجر كمن اشترى محرراً وبرىء من الشرك وكان في مشيئة الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم والله أعلم.

تم بحمد الله تعالى طبع الجزء الثاني من تفسير العلامة أبي السعود
وبليه الجزء الثالث وأوله سورة المائدة



فهرست الجزء الثانى من تفسير العلامة أبى السعود

صفحة

- ٢ (٣ - سورة آل عمران)
- ١٥ قوله تعالى : قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا . عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار .
- ٢٥ قوله تعالى : إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين .
- ٤٠ قوله تعالى : فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله .
- (الجزء الرابع)
- ٥٨ قوله تعالى : كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم لإسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة
- ٧٢ قوله تعالى : من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون .
- ٨٥ قوله تعالى : وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .
- ١٠٠ قوله تعالى : إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم .
- ١١٣ قوله تعالى : يستبشرون بنعمة من الله وفضل .
- ١٢٣ قوله تعالى : لتبْلُون في أموالكم وأنفسكم .

(٤ - سورة النساء)

- ١٣٧ قوله تعالى : يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة .
- ١٥١ قوله تعالى : ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد .
- (الجزء الخامس)
- ١٦٣ قوله تعالى : والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيما نكم .
- ١٧٥ قوله تعالى : واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً .
- ١٩٢ قوله تعالى : إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها .
- ٢٠١ قوله تعالى : فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة .
- ٢١٢ قوله تعالى : فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا .
- ٢٢٤ قوله تعالى : ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغماً كثيراً وسعة .
- ٢٣٢ قوله تعالى : لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس .
- ٢٤٢ قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط .

(الجزء السادس)

- ٢٤٧ قوله تعالى : لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم .
- ٢٥٤ قوله تعالى : إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده .
- (تم فهرست الجزء الثانى من تفسير أبى السعود)

نظير السعوى

المسمى بإرشاد العقل السليم إلى مزايا الفقه ابن القيم

تأليف القاضي القضاة الإمام
أبي السعوى محمد بن محمد العادنى
المتوفى سنة ٩٥١ هجرية

الجزء الثامن

الناشر
دار إحياء التراث العربى
بيروت - لبنان

٥ - سورة المائدة

(مدنية وآياتها مائة وعشرون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي
الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾

٥ المائدة

(سورة المائدة مدنية وهي مائة وعشرون آية)

- (بسم الله الرحمن الرحيم) (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) الوفاء القيام بموجب العقد وكذا الإيفاء والعقد هو العهد الموثق المشبه بعقد الحبل ونحوه والمراد بالعقود ما يعم جميع ما ألزمه الله تعالى عباده وعقده عليهم من التكليف والأحكام الدينية وما يعقدونه فيما بينهم من عقود الأمانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به أو يحسن ديناً بأن يحمل الأمر على معنى يعم الوجوب والندب أمر بذلك أولاً على وجه الإجمال ثم شرع في تفصيل الأحكام التي أمر بالإيفاء بها وبدى بما يتعلق بضروريات معاشهم فقيل (أحلت لكم بهيمة الأنعام) البهيمة كل ذات أربع وإضافتها إلى الأنعام للبيان كثوب الخبز وإفرادها لإرادة الجنس أى أحل لكم أكل البهيمة من الأنعام وهي الأزواج الثمانية المعدودة في سورة الأنعام وألحق بها الظباء وبقر الوحش ونحوهما وقيل هي المرادة بالبهيمة ههنا لتقدم بيان حل الأنعام والإضافة لما بينهما من المشابهة والمماثلة في الاجترار وعدم الأناب وفائدتها الإشعار بعلّة الحكم المشتركة بين المضافين كأنه قيل أحلت لكم البهيمة الشبيهة بالأنعام التي بين إحلالها فيما سبق المماثلة لها في مناط الحكم وتقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل لما مر مراراً من إظهار العناية بالمقدم لما فيه من تعجيل المسرة والنشويق إلى المؤخر فإن ما حقه التقديم إذا أخر تبقى النفس مترقبة إلى وروده فيتمكن عندها فضل تمكن (إلا ما يتلى عليكم) استثناء من بهيمة الأنعام أى إلا محرم ما يتلى عليكم من قوله تعالى حرمت عليكم الميتة ونحوه أو إلا ما يتلى عليكم آية تحريمه (غير محلي الصيد) أى الاصطياد في البر أو أكل صيده وهو نصب على الحالية من ضمير لكم ومعنى عدم إحلالهم له تقرير حرمة عملاً واعتقاداً وهو شائع في الكتاب والسنة وقوله تعالى (وأنتم حرم) أى محرمون حال من الضمير في محلي وفائدة تقييد إحلال بهيمة الأنعام بما ذكر من عدم إحلال الصيد حال الإحرام على تقدير كون المراد بها الظباء ونظائرها ظاهرة لما أن إحلالها غير مطلق كأنه قيل أحل لكم الصيد حال كونكم تمتنعين عنه عند إحرامكم وأما على التقدير الأول ففائدته إتمام النعمة وإظهار الامتنان بإحلالها بتذكير احتياجهم إليه فإن حرمة الصيد في حالة الإحرام من

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعْبَرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِينَ
الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَعُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا
نُ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا
عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾

٥ المائدة

- مظان حاجتهم إلى إحلال غيره حينئذ كأنه قيل أحلت لكم الأنعام مطلقاً حال كونكم ممتنعين عن تحصيل ما يغنيكم عنها في بعض الأوقات محتاجين إلى إحلالها وفي إسناده عدم الإحلال إليهم بالمعنى المذكور مع حصول المراد بأن يقال غير محلل لكم أو محرماً عليكم الصيد حال إحرامكم من يد تربية للامتنان وتقرير الحاجة ببيان علنها القرية فإن تحريم الصيد عليهم إنما يوجب حاجتهم إلى إحلال ما يغنيهم عنه باعتبار تحريمهم له عملاً واعتقاداً مع ما في ذلك من وصفهم بما هو اللائق بهم (إن الله يحكم ما يريد) من الأحكام حسبما تقتضيه مشيئة المبنية على الحكم البالغة فيدخل فيها ما ذكر من التحليل والتحريم دخولاً أولاً ومعنى الإيفاء بهما الجريان على موجبهما عقداً وعملاً والاجتناب عن تحليل المحرمات وتحريم بعض المحلات كالبحيرة ونظائرها التي سيأتي بيانها (يا أيها الذين آمنوا اتحلوا شعائر الله) لما بين حرمته إحلال الإحرام الذي ٢ هو من شعائر الحج عقب ذلك ببيان حرمته إحلال سائر الشعائر وإضافتها إلى الله عز وجل لتشريفها وتمويل الخطب في إحلالها وهي جمع شعيرة وهي اسم لما أشعر أي جعل شعاراً أو علماً للناس من مواقيت الحج ومرامى الجمار والمطاف والمسعى والأفعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الإحرام والطواف والسعى والحلق والنحر وإحلالها أن يتهاون بحرمتها ويحال بينها وبين المتنسكين بها ويحدث في أشهر الحج ما يصد به الناس عن الحج وقيل المراد بها دين الله لقوله تعالى ومن يعظم شعائر الله أي دينه وقيل حرمان الله وقيل فرائضه التي حدها العبادة وإحلالها الإخلال بها والأول أنسب بالمقام (ولا الشهر الحرام) أي لا تحلوه بالقتال فيه وقيل بالنسبة والأول هو الأولى بحال المؤمنين والمراد به شهر الحج وقيل الأشهر الأربعة الحرم والأفراد لإرادة الجنس (ولا الهدى) بأن يتعرض له بالغصب أو بالمنع عن بلوغ محله وهو ما أهدى إلى الكعبة من إبل أو بقر أو شاء جمع هدية كجدي وجدي (ولا القلائد) هي جمع قلادة وهي ما يقلد به الهدى من نعل أو لحاء شجر ليعلم به أنه هدى فلا يتعرض له والمراد النهي عن التعرض لذوات القلائد من الهدى وهي البدن وعطفها على الهدى مع دخولها فيه لمزيد التوصية بها لمزيتها على ما عداها كما عطف جبريل وميكال على الملائكة عليهم السلام كأنه قيل والقلائد منه خصوصاً أو النهي عن التعرض لنفس القلائد مبالغة في النهي عن التعرض لأصحابها على معنى لا تحلوا قلائدها فضلاً عن أن تحلوا كما نهى عن إبداء الزينة بقوله تعالى ولا يبدن زينتهن مبالغة في النهي عن إبداء مواعفها (ولا آمين البيت الحرام) أي لا تحلوا قوماً قاصدين زيارته بأن تصدوهم عن ذلك بأي وجه كان وقيل هناك مضاف محذوف أي قتال قوم أو أذى قوم آمين الخ وقرئ ولا آمي البيت الحرام بالإضافة وقوله تعالى (يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً)

حال من المستمكن في آمين لصفة له لأن المختار أن اسم الفاعل إذا وصف بطل عمله أي قاصدين زيارته حال كونهم طالبين أن يثيبهم الله تعالى ويرضى عنهم وتنكير فضلا ورضوانا للتفخيم ومن ربهم متعلق بنفس الفعل أو بمحذوف وقع صفة لفضلا مغنية عن وصف ما عطف عليه بها أي فضلا كأنما من ربهم ورضوانا كذلك والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم لتشريفهم والإشعار بمحصول مبتغاهم وقرى، تبتغون على الخطاب فالجمله حينئذ حال من ضمير المخاطبين في لا تحلوا على أن المراد بيان مناقاة حالهم هذه للمنى عنه لا تقييد المنى بها وإضافة الرب إلى ضمير الآمين للإيماء إلى اقتصار التشريف عليهم وحرمان المخاطبين عنه وعن نيل المبتغى وفي ذلك من تعليل المنى وتأكيده والمبالغة في استنكار المنى عنه مالا يخفى ومن ههنا قيل إن المراد بالآمين هم المسلمون خاصة وبه تمسك من ذهب إلى أن الآية محكمة وقد روى أن النبي ﷺ قال سورة المائدة من آخر القرآن نزولا فأحلوا إحلالها وحرموأ حرامها وقال الحسن رحمه الله تعالى ليس فيها منسوخ وعن أبي ميسرة فيها ثمان عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقد قيل هم المشركون خاصة لأنهم المحتاجون إلى نهى المؤمنين عن إحلالهم دون المؤمنين على أن حرمة إحلالهم ثبتت بطريق دلالة النص ويؤيده أن الآية نزلت في الحطيم بن ضبيعة البكري وقد كان أتى المدينة لخلف خيله خارجها فدخل على النبي ﷺ وحده ووعدته أن يأتي بأصحابه فيسلوا ثم خرج من عنده عليه السلام فرسرح المدينة فاستاقه فلما كان في العام القابل خرج من اليمامة حاجا في حجاج بكر بن وائل ومعه تجارة عظيمة وقد قلدوا الهدى فسأل المسلمون النبي ﷺ أن يخلى بينهم وبينه فأباه النبي ﷺ فأنزل الله عز وجل يأياها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله الآية وفسر ابتغاء الفضل بطلب الرزق بالتجارة وابتغاء الرضوان بأنهم كانوا يزعمون أنهم على سداد من دينهم وأن الحج يقربهم إلى الله تعالى فوصفهم الله تعالى بظنهم وذلك الظن الفاسد وإن كان بمنزل من استتباع رضوانه تعالى لكن لا بعد في كونه مداراً للحصول بعض مقاصدهم الدنيوية وخلصهم عن المسكاره العاجلة لاسيما في ضمن مراعاة حقوق الله تعالى وتعظيم شعائره وقال قتادة هو أن يصلح معاشهم في الدنيا ولا يجعل لهم العقوبة فيها وقيل هم المسلمون والمشركون لما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن المسلمين والمشركين كانوا يحجون جميعاً فنهى الله المسلمين أن يمنعوا أحداً عن حج البيت بقوله تعالى لا تحلوا الآية ثم نزل بعد ذلك إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام وقوله تعالى ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله وقال مجاهد والشعبي لا تحلوا نسخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ولا ريب في تناول الآمين للمشركين قطعاً إما استقلالاً وإما اشتراكاً لما سيأتى من قوله تعالى ولا يجرمكم شأن قوم الخ فيتعين النسخ كلا أو بعضاً ولا بد في الوجه الأخير من تفسير الفضل والرضوان بما يناسب الفريقين فقبل ابتغاء الفضل أي الرزق للمؤمنين والمشركين عامة وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة ويجوز أن يكون الفضل على إطلاقه شاملاً للفضل الأخرى أيضاً ويختص ابتغاؤه بالمؤمنين (وإذا حللتم فاصطادوا) تصريح بما أشير إليه بقوله تعالى وأنتم حرم من انتهاء حرمة الصيد بانتفاء موجبها والأمر للإباحة بعد الحظر كأنه قيل وإذا حللتم فلا جناح عليكم في الاصطياد وقرى أحللتهم وهو لغة في حلى وقرى بكسر الفاء بالقاء حركة همزة الوصل عليها وهو

- ضعيف جداً (ولا يجر منكم) نهى عن إحلال قوم من الآمين خصوصاً به مع اندراجهم في النهى عن إحلال الكل كافة لاستقلالهم بأمور ربما يتوهم كونها مصححة لإحلالهم داعية إليه وجرم جار مجرى كسب في المعنى وفي التعدى إلى مفعول واحد وإلى اثنين يقال جرم ذنباً نحو كسبه وجرمته ذنباً نحو كسبته إياه خلا أن جرم يستعمل غالباً في كسب مالا خير فيه وهو السبب في إثاره ههنا على الثانى وقد ينقل الأول من كل منهما بالهمزة إلى معنى الثانى فيقال أجرمته ذنباً وأكسبته إياه وعليه قراءة من قرأ يجر منكم بضم الياء (شأن قوم) بفتح النون وقرىء بسكونها وكلاهما مصدر أضيف إلى مفعوله لا إلى فاعله كما قيل وهو
- شدة البغض وغاية المقت (أن صدوكم) متعلق بالشأن بإضمار لام العلة أى لأن صدوكم عام الحديبية (عن المسجد الحرام) عن زيارته والطواف به للعمرة وهذه آية بينة في عموم آمين للشركين قطعاً وقرىء إن صدوكم على أنه شرط معترض أغنى عن جوابه لا يجر منكم قد أبرز الصد المحقق فيما سبق في معرض المفروض للتوبيخ والتنبية على أن حقه أن لا يكون وقوعه إلا على سبيل الفرض والتقدير (أن تعتدوا) أى عليهم وإنما حذف تعويلاً على ظهوره وإيماء إلى أن المقصد الأصلي من النهى منع صدور الاعتداء عن المخاطبين محافظة على تعظيم الشعائر لا منع وقوعه على القوم مراعاة لجانبهم وهو ثانى مفعولى يجر منكم أى لا يكسبنكم شدة بغضكم لهم لصددهم إياكم عن المسجد الحرام اعتداكم عليهم وانتقامكم منهم للتشفي وهذا وإن كان بحسب الظاهر نهياً للشأن عن كسب الاعتداء للمخاطبين لكانه في الحقيقة نهى لهم عن الاعتداء على أبلغ وجهه وآكده فإن النهى عن أسباب الشيء ومبادئه المؤدية إليه نهى عنه بالطريق البرهاني وإبطال للسببية وقد يوجه النهى إلى المسبب ويراد النهى عن السبب كما في قوله لا أرينك ههنا يريد به نهى مخاطبه عن الحضور لديه ولعل تأخير هذا النهى عن قوله تعالى وإذا حللتم فاصطادوا مع ظهور تعلقه بما قبله للإيدان بأن حرمة الاعتداء لا تنتهى بالخروج عن الإحرام كانهاء حرمة الاصطياد به بل هى باقية ما لم تنقطع علاقتهم عن الشعائر بالكلية وبذلك يعلم بقاء حرمة التعرض لسائر الآمين بالطريق الأولى
- (وتعاونوا على البر والتقوى) لما كان الاعتداء غالباً بطريق التظاهر والتعاون أمروا إثر ما نهوا عنه بأن يتعاونوا على كل ما هو من باب البر والتقوى ومتابعة الأمر ومجانبة الهوى فدخل فيه ما نحن بصدد من التعاون على العفو والإغضاء عما وقع منهم دخولا أو لياً ثم نهوا عن التعاون في كل ما هو من مقولة الظلم والمعاصى بقوله تعالى (ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) فاندرج فيه النهى عن التعاون على الاعتداء والانتقام بالطريق البرهاني وأصل لا تعاونوا لا تتعاونوا فحذف منه إحدى التامين تخفيفاً وإنما أخر النهى عن الأمر مع تقدم التخلية على التحلية مسارعة إلى إيجاب ما هو مقصود بالذات فإن المقصود من إيجاب ترك التعاون على الإثم والعدوان إنما هو تحصيل التعاون على البر والتقوى ثم أمروا بقوله تعالى (واتقوا الله) بالاتقاء في جميع الأمور التى من جملتها مخالفة ما ذكر من الأمر والنواهي
- ثبت وجوب الاتقاء فيها بالطريق البرهاني ثم علل ذلك بقوله تعالى (إن الله شديد العقاب) أى لمن لا يتقبه فيعاقبكم لا محالة إن لم تتقوه وإظهار الاسم الجليل لما مر مراراً من إدخال الروعة وتريية المهابة وتقوية استقلال الجملة .

حُرِّمَتْ عَلَيْكَ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيةُ
وَالنَّطِيطَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكَ
فِسْقُ الْيَوْمِ الْبَاسِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ
وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ
لِإِثْرِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٦﴾

ه المائدة

- (حرمت عليكم الميتة) شروع في بيان المحرمات التي أشير إليها بقوله تعالى إلا ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه
الروح من غير ذبح (والدم) أي المسفوح منه لقوله تعالى أو دما مسفوحا وكان أهل الجاهلية يصبونه
في الأسماء ويشوونونه ويقولون لم يحرم من فزده أي من فسد له (ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به) أي
رفع الصوت لغير الله عند ذبحه كقولهم باسم اللات والعزى (والمنخنقة) أي التي ماتت بالخنق (والموقوذة)
أي التي قتلت بالضرب بالخشب ونحوه من وقذته إذا ضربته (والمتردية) أي التي تردت من علو أو إلى
بئر فماتت (والنطيطة) أي التي نطعتها أخرى فماتت بالنطح والتاء للنقل وقرى. والمنطوحة (وما أكل
السبع) أي وما أكل منه السبع فمات وقرى. بسكون الباء وقرى. وأكيل السبع وفيه دليل على أن جوارح
الصيد إذا أكلت مما صادته لم يحل (إلا ما ذكيت) إلا ما أدركتم ذكاته وفيه بقية حياة يضطرب اضطراب
المذبوح وقيل الاستثناء مخصوص بما أكل السبع والذكاة في الشرع بقطع الحلقة وموالمري. بمحدد (وما
ذبح على النصب) قيل هو مفرد وقيل جمع نصاب وقرى. بسكون الصاد وأياما كان فهو واحدا لا نصاب
وهي أحجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قرينة وقيل هي الأصنام (وأن تستقسموا
بالأزلام) جمع زلم وهو القدح أي وحرم عليكم الاستقسام بالأقداح وذلك أنهم إذا قصدوا فعلا
ضربوا ثلاثة أقداح مكتوب على أحدها أمرني ربي وعلى الثاني نهاني ربي وعلى الثالث غفل فإن
خرج الأمر مضوا على ذلك وإن خرج الناهي اجتنبوا عنه وإن خرج الغافل أجالوها مرة أخرى فعنى
الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم بالأزلام وقيل هو استقسام الجزور بالأقداح على الأنصباء المعهودة
(ذلكم) إشارة إلى الاستقسام بالأزلام ومعنى البعد فيه للإشارة إلى بعد منزلته في الشر (فسق) تمرد
وخروج عن الحدود دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد أنه طريق إليه واقتراء على الله سبحانه إن كان
هو المراد بقولهم ربي وشركوهم إنه إن كان هو الصنم وقيل ذلكم إشارة إلى تناول المحرمات المعهودة
لأن معنى تحريمها تحريم تناولها (اليوم) اللام للعهد والمراد به الزمان الحاضر وما يتصل به من الأزمنة
الماضية والآتية وقيل يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر الجمعة يوم عرفة في حجة الوداع والنبي ﷺ واقف
بعرقات على العصابة فكادت عضد الناقة تندق لثقلها فبركت وأياما كان فهو منصوب على أنه ظرف لقوله تعالى
(يئس الذين كفروا من دينكم) أي من إبطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث أو غيرها أو من أن
يغلبوا عليه لما شاهدوا من أن الله عز وجل وفي بوعده حيث أظهره على الدين كله وهو الانسب بقوله

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ

الْحِسَابِ ﴿٥﴾

٥ المائدة

- تعالى (فلا تخشوم) أى أن يظهر وا عليكم (واخشون) أى وأخلصوا إلى الخشية (اليوم أكملت لكم دينكم) بالنص والإظهار على الأديان كلها أو بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على أصول الشرائع وقوانين الاجتماع وتقديم الجار والمجرور للإيدان من أول الأمر بأن الإكمال لمنفعتهم ومصلحتهم كافي قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك وعلينا في قوله تعالى (وأتممت عليكم نعمتي) متعلق بأنتمت لا بنعمتي لأن المصدر لا يتقدم عليه معموله وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرات أى أتممتها بفتح مكود دخولها آمين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكها والنهي عن حج المشرك وطواف العريان أو بإكمال الدين والشرائع أو بالهداية والتوفيق قيل معنى أتممت عليكم نعمتي أتممت لكم وعدى بقولى ولا تتم نعمتي عليكم (ورضيت لكم الإسلام ديناً) أى اخترته لكم من بين الأديان وهو الدين عند الله لا غير .
- عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أن رجلاً من اليهود قال له يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقررونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً قال أى آية قال اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي الآية قال عمر رضى الله تعالى عنه قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذى أنزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم الجمعة أشار رضى الله تعالى عنه إلى أن ذلك اليوم عيد لنا . وروى أنه لما نزلت هذه الآية بكى عمر رضى الله تعالى عنه فقال له النبي ﷺ ما يبكيك يا عمر قال أبكاني أنا كثرة في زيادة من ديننا فإذا أكمل فإنه لا يكمل شيء إلا نقص فقال عليه الصلاة والسلام صدقت فكانت هذه الآية نعى رسول الله ﷺ
- فالأثر بعد ذلك إلا أحداً وثمانين يوماً (فن اضطر) متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب أن يجنب عنه وهو أن تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة النامة والإسلام المرضى أى فن اضطر إلى تناول شيء من هذه المحرمات (في محصة) أى جماعة يخاف معها الموت أو مباديه (غير متجانف لإثم) قبل غير مائل ومنحرف إليه بأن يأكلها تلذذاً أو مجاوزاً حد الرخصة أو ينتزعها من مضطر آخر كقوله تعالى غير باغ ولا عاد (فإن الله غفور رحيم) لا يؤاخذ به بذلك (يسألونك ماذا أحل لهم) شروع في تفصيل المحللات التي ذكر بعضها على وجه الإجمال إثريان المحرمات كأنهم سألوا عنها عند بيان أصدادها ولتضمن السؤال معنى القول أو وقع على الجملة فإذا مبدأ وأحل لهم خبره هو ضمير الغيبة لما أن يسألون بلفظ الغيبة فإنه كما يعتبر حال المحسكى عنه فيقال أقسم زيد لا أفعلن يعتبر حال الحاكي فيقال أقسم زيد ليفعلن والمستول ما أحل لهم من المطاعم (قل أحل لكم الطيبات) أى ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه كما في قوله تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث (وما علمتم من الجوارح) عطف على الطيبات بتقدير المضاف على أن ما موصولة والعائد محذوف أى وصيد ما علمتموه أو مبتدأ على أن

الْيَوْمَ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيْبَتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ
وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ
أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِّحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِلَايَمْنٍ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ
وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥٠﴾

• المائة

- ماشرطية والجواب فكلوا وقد جوز كونها مبتدأ على تقدير كونها موصولة أيضاً والخبر كلوا وإنما دخلته الفاء تشبيهاً للدخول باسم الشرط ومن الجوارح حال من الموصول أو ضميره المحذوف والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطيور وقيل سميت بها لأنها تجرح الصيد غالباً (مكبلين) أى معللين لها الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضربها بالصيد مشتق من الكلب لأن التأديب كثير ما يقع فيه أو لأن كل سبع يسمى كلباً لقوله عليه الصلاة والسلام في حق عتبة بن أبي لهب حين أراد سفر الشام فقال النبي ﷺ اللهم سلط عليه كلباً من كلابك فأكله الأسد وانتصابه على الحالية من فاعل علمتم وفائدتها المبالغة في التعليم لما أن الاسم المكلب لا يقع إلا على التحرير في علمه وقرىء مكبلين بالتخفيف والمعنى واحد (تعلمونهن) حال ثانية منه أو حال من ضمير مكبلين أو استئناف (بما علمكم الله) من الحيل وطرق التعليم والتأديب فإن العلم به إلهام من الله تعالى أو مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه أو بما عرفكم أن تعلموه من اتباع الصيد يارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وإمساك الصيد عليه وعدم أكله منه (فكلوا بما أمسكن عليكم) قد مر فيما سبق أن هذه الجملة على تقدير كون ماشرطية جواب الشرط وعلى تقدير كونها موصولة مرفوعة على الابتداء خبر لها وأما على تقدير كونها عطفاً على الطيبات فهي جملة متفرعة على بيان حل صيد الجوارح المعلبة مبينة للمضاف المقدر الذي هو المعطوف وبه يتعلق الإحلال حقيقة ومشيرة إلى نتيجة التعليم وأثره داخل تحت الأمر فالفاء فيها كما في قوله [أمرت أن أكل ما أمرت به] ومن تبعيضية لما أن البعض مما لا يتعلق به الأكل كالجلود والعظام والريش وغير ذلك وما موصولة أو موصوفة حذف عاندها وعلى متعلقة بأمسكن أى فكلوا بعض ما أمسكنه عليكم وهو الذي لم يأكل منه وأما ما أكل منه فهو مما أمسكنه على أنفسهم لقوله ﷺ لعدي بن حاتم وإن أكل منه فلا تأكل إنما أمسك على نفسه وإليه ذهب أكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط عدم الأكل في سباع الطيور لما أن تأديبها إلى هذه الدرجة متعذر وقال آخرون لا يشترط ذلك مطلقاً وقد روى عن سليمان وسعد ابن أبي وقاص وأبي هريرة رضى الله تعالى عنهم أنه إذا أكل الكلب ثلثيه وبقي ثلثه وقد ذكرت اسم الله عليه فكل (واذكروا اسم الله عليه) الضمير لما علمتم أى سموا عليه عند إرساله أو لما أمسكنه أى سموا عليه إذا أدركتم ذكاته (وانقوا الله) في شأن محرماته (إن الله سريع الحساب) أى سريع إتيان حسابه أو سريع تمامه إذا شرع فيه يتم في أقرب ما يكون من الزمان والمعنى على التقديرين أنه يؤخذكم سريعاً في كل ما جل ودق وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لتربية المهابة وتعليل الحكم (اليوم أحل

- لكم الطيبات) قيل المراد بالأيام الثلاثة وقت واحد وإنما كرر للتأكيد ولاختلاف الأحداث الواقعة فيه حسن تكريره والمراد بالطيبات ما مر (وطعام الذين أوتوا الكتاب) أى اليهود والنصارى
- واستثنى على رضى الله تعالى عنه نصارى بنى تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها إلا شرب الخمر وبه أخذ الشافعى رضى الله عنه والمراد بطعامهم ما يتناول ذبائحهم وغيرها (حل لكم) أى حلال وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا بأس وهو قول عامة التابعين وبه أخذ أبو حنيفة رضى الله عنه وأصحابه وحكم الصابئين حكم أهل الكتاب عنده وقال أصحابه هما صنفان صنف يقرمون الزبور ويعبدون الملائكة عليهم السلام وصنف لا يقرءون كتاباً ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من أهل الكتاب وأما المجوس فقد سن بهم سنة أهل الكتاب فى أخذ الجزية منهم دون أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم لقوله عليه الصلاة والسلام سنوا بهم سنة أهل الكتاب غير ناكح نسائهم ولا آكل ذبائحهم (وطعامكم حل لكم) فلا عليكم أن تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجر ذلك (والمحصنات من المؤمنات) رفع على أنه مبتدأ حذف خبره لدلالة ما تقدم عليه أى حل لكم أيضاً والمراد بهن الحرائر العفائف وتخصيصهن بالذكر للبعث على ما هو الأولى لالتنى ما عداهن فإن نكاح الإمامة المسلمات صحيح بالاتفاق وكذا نكاح غير العفائف منهن وأما الإمامة الكنائيات فمن كالمسلمات عند أبي حنيفة رضى الله عنه خلافاً للشافعى رضى الله عنه (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) أى من أيضاً حل لكم وإن كن حريات وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لا تحل الحرريات (إذا آتيتموهن أجورهن) أى مهورهن وتقييد الحل بإيتائهما للتأكيد وجوبها والحث على الأولى وقيل المراد بإيتائهما التزامها وإذا ظرفية فاملها حل المحذوف وقيل شرطية حذف جوابها أى إذا آتيتموهن أجورهن حلن لكم (محصنين) حال من فاعل آتيتموهن أى حال كونكم أعفاء بالنكاح وكذا قوله تعالى (غير مسالحين) وقيل هو حال من ضمير محصنين وقيل صفة لمحصنين أى غير مجاهرين بالزنا (ولا متخذى أخدان) أى ولا مسرلين به والخدن الصديق يقع على الذكر والأنثى وهو إما مجرور عطفاً على مسالحين وزيدت لا لتأكيد التنى المستفاد من غير أو منصوب عطفاً على غير مسالحين باعتبار أوجه الثلاثة (ومن يكفر بالإيمان) أى ومن ينكر شرائع الإسلام التى من جملتها ما بين ههنا من الأحكام المتعلقة بالحل والحرمه ويمتنع عن قبولها (فقد حبط عمله) الصالح الذى عمله قبل ذلك (وهو فى الآخرة من الخاسرين) هو مبتدأ من الخاسرين خبره وفى متعلقة بما تعلق به الخبر من الكون المطلق وقيل بمحذوف دل عليه المذكور أى خاسرة فى الآخرة وقيل بالخاسرين على أن الألف واللام للتعريف لا موصولة لأن ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وقيل يغتفر فى الظرف مالا يغتفر فى غيره كفى قوله [ريته حتى إذا تممدا] * كان جزائى بالعصا أن أجلدا] .

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾

ه المائدة

(بأيها الذين آمنوا) شروع في بيان الشرائع المتعلقة بدينهم بعد بيان ما يتعلق بدنياهم (إذا قمتم إلى الصلاة) أي أردتم القيام إليها كما في قوله تعالى فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله عبر عن إرادة الفعل بالفعل المسبب عنها مجازاً للإيجاز والتنبيه على أن من أراد الصلاة حقه أن يبادر إليها بحيث لا ينفك عن إرادتها أو إذا قصدتم الصلاة إطلاقاً لاسم أحد لازمها على لازمها الآخر وظاهر الآية الكريمة يوجب الوضوء على كل قائم إليها وإن لم يكن محدثاً لما أن الأمر للوجوب قطعاً والإجماع على خلافه وقد روى أن النبي ﷺ صلى الصلوات الخمس يوم الفتح بوضوء واحد فقال عمر رضى الله تعالى عنه صنعت شيئاً لم تكن تصنعه فقال عليه الصلاة والسلام عمداً فعلته يا عمر يعني بياناً للجواز وحمل الأمر بالنسبة إلى غير المحدث على الندب مما لا مساغ له فالوجه أن الخطاب خاص بالمحدثين بقرينة دلالة الحال واشتراط الحدث في التيمم الذي هو بدله وما نقل عن النبي ﷺ والخلفاء من أنهم كانوا يتوضئون لكل صلاة فلا دلالة فيه على أنهم كانوا يفعلونه بطريق الوجوب أصلاً كيف لا وما روى عنه عليه الصلاة والسلام من قوله من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات صريح في أن ذلك كان منهم بطريق الندب وما قيل كان ذلك أول الأمر ثم نسخ يردده قوله عليه الصلاة والسلام المائدة من آخر القرآن نزولاً فأحلوا حللها وحرّموا حرامها (فاغسلوا وجوهكم) أي أسروا عليها الماء ولا حاجة إلى الدلك خلافاً لما لك (وأيديكم إلى المرافق) الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل إلى بمعنى مع كما في قوله تعالى ويزدكم قوة إلى قوتكم وقيل هي إنما تفيد معنى الغاية مطلقاً وأما دخولها في الحكم أو خروجها منه فلا دلالة لها عليه وإنما هو أمر يدور على الدليل الخارجى كما في حفظت القرآن من أوله إلى آخره وقوله تعالى فنظرة إلى ميسرة فإن الدخول في الأول والخروج في الثانى متيقن بناء على تحقق الدليل وحيث لم يتحقق ذلك في الآية وكانت الأيدي متناولة للمرافق حكم بدخولها فيها احتياطاً وقيل إلى من حيث إفادتها للغاية تقتضى خروجها لكن لما لم تتميز الغاية ههنا عن ذى الغاية وجب إدخالها احتياطاً (وامسحوا برؤوسكم) الباء مزيدة وقيل للتبعض فإنه الفارق بين قولك مسحتم المنديل ومسحت بالمنديل وتحقيقه أنها تدل على تضمين الفعل معنى الاصاق فكانه قيل وأمسحوا المسح برؤوسكم وذلك لا يقتضى الاستيعاب كما يقتضيه ما قيل وامسحوا برؤوسكم فإنه كقوله تعالى فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في القدر الواجب فأوجب الشافعى أقل ما ينطلق عليه الاسم أخذاً باليقين وأبو حنيفة ببيان رسول الله ﷺ حيث مسح على ناصيته وقدرها

وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ

عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾

٥ المائدة

- ربع الرأس ومالك مسح الكل أخذاً بالاحتياط (وأرجلكم إلى الكعبين) بالنصب عطفًا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول أكثر الأئمة والتحديد إذ المسح لم يعهد محدوداً وقرئ بالجر على الجوار ونظيره في القرآن كثير كقوله تعالى عذاب يوم أليم ونظائره وللنحاة في ذلك باب مفرد وقائده التنبية على أنه ينبغي أن يقتصد في صب الماء عليها ويغسلها بغسلاً قريباً من المسح وفي الفصل بينه وبين أخواته إيماء إلى أفضلية الترتيب وقرئ بالرفع أى وأرجلكم مغسولة (وإن كنتم جنباً فاطهروا) أى فاغتسلوا وقرئ فاطهروا أى فطهروا أبدانكم وفي تعليق الأمر بالطهارة الكبرى بالحدث الأكبر إشارة إلى اشتراط الأمر بالطهارة الصغرى بالحدث الأصغر (وإن كنتم مرضى) مرضاً يخاف به الهلاك أو ازباده باستعمال الماء (أو على سفر) أى مستقرين عليه (أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) من لا ابتداء الغاية وقيل للتبعيض وهي متعلقة بامسحوا وقرئ فاموا صعيداً وقد مر تفسير الآية الكريمة مشبعاً في سورة النساء فليرجع إليه ولعل التكرير ليتصل الكلام في أنواع الطهارة (ما يريد الله) أى ما يريد بالأمر بالطهارة للصلاة أو بالأمر بالتيمم (ليجعل عليكم من حرج) من ضيق في الامتثال به (ولكن يريد) ما يريد بذلك (ليطهركم) أى لينظفكم أو ليطهركم عن الذنوب فإن الوضوء مكفر لها أو ليطهركم بالتراب إذا أعوزكم التطهر بالماء ففعل يريد في الموضعين محذوف واللام للعلّة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله أن يجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حتى لا يرخّص لكم في التيمم ولكن يريد أن يطهركم بالتراب إذا أعوزكم التطهر بالماء (وليتم) بشره ما هو مطهرة لأبدانكم ومكفرة لذنوبكم (نعمة عليكم) في الدين أو ليتم برخصة إنعامه عليكم بعوائمه (لعلكم تشكرون) نعمته ومن لطائف الآية الكريمة أنها مشتملة على سبعة أمور كلها مثنى طهارتان أصل وبدل والأصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وباعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وأن آلتهماء مائع وجامد وموجبهما حدث أصغر وأكبر وأن المبيع للعدول إلى البدل مرض وسفر وأن الموعد عليهما تطهير الذنوب وإتمام النعمة (واذكروا نعمة الله عليكم) بالإسلام لتذكركم المنعم وترغبكم في شكره (وميثاقه الذي واثقكم به) أى عهده المؤكد الذي أخذه عليكم وقوله تعالى (إذ قلتم سمعنا وأطعنا) ظرف لواثقكم به أو لمحذوف وقع حالاً من الضمير المجرور في به أو من ميثاقه أى كانتا وقت قولكم سمعنا وأطعنا وقائدة التقييد به تأكيد وجوب مراعاته بتذكر قبولهم والتزامهم بالمحافظة عليه وهو الميثاق الذي أخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في حال العسر واليسر والمنشط والمكره وقيل هو الميثاق الواقع ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان وإضافته إليه تعالى مع صدوره عنه عليه الصلاة والسلام لكون المرجع إليه كما نطق به قوله تعالى إن

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا
أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

• المائة

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾

• المائة

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾

• المائة

الذين يبايعونك إنما يبايعون الله وقال مجاهد هو الميثاق الذي أخذه الله تعالى على عباده حين آخرجه

● من صلب آدم عليه السلام (واتقوا الله) أى فى نسيان نعمته ونقض ميثاقه أو فى كل ماتاتون وماتذرون

● فدخل فيه ما ذكر دخولا أولياً (إن الله عليم بذات الصدور) أى بخفياتها الملايسة لها ملايسة تامة مصححة

● لإطلاق الصاحب عليها فيجازيكم عليها فاطنكم بجليات الاعمال والجملة اعراض تذييل وتعليل للأمر

● بالإتقاء وإظهار الاسم الجليل فى موقع الإضمار لثبوت المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة (ياها

● الذين آمنوا) شروع فى بيان الشرائع المتعلقة بما يجرى بينهم وبين غيرهم إثريان ما يتعلق بأنفسهم (كونوا

● قوامين لله) مقيمين لأوامره ممثلين بها معظمين لها مراعين لحقوقها (شهداء بالقسط) أى بالعدل (ولا

● يجرمنكم) أى لا يحملنكم (شأن قوم) أى شدة بغضكم لهم (على أن لا تعدلوا) فلا تشهدوا فى حقوقهم

● بالعدل أو فتعدوا عليهم بار تكاب مالا يحمل كثة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفياً وغير

● ذلك (اعدلوا هو) أى العدل (أقرب للتقوى) الذى أمرتم به صرح لهم بالأمر بالعدل وبين أنه

● بمكان من التقوى بعد ما نهام عن الجور وبين أنه مقتضى الهوى وإذا كان وجوب العدل فى حق الكفار

● بهذه المثابة فاطنكم بوجوبه فى حق المسلمين (واتقوا الله) أمر بالتقوى إثر ما بين أن العدل أقرب له

● اعتناء بشأنه وتنبيهاً على أنه ملاك الأمر (إن الله خبير بما تعملون) من الاعمال فيجازيكم بذلك وتكرير

● هذا الحكم إما لاختلاف السبب كما قيل إن الأول نزل فى المشركين وهذا فى اليهود أو لمزيد الاهتمام

● بالعدل والمبالغة فى إطفاء نائرة الغيظ والجملة تعليل لما قبلها وإظهار الجلالة لما مر مرات وحيث كان

● مضمونها منبأ عن الوعد والوعيد عقب بالوعد لمن يحافظ على طاعته تعالى وبالوعيد لمن يخل بها فقبل

● (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) التى من جملتها العدل والتقوى (لهم مغفرة وأجر عظيم) حذف

● ثانى مفعولى وعد استغناء عنه بهذه الجملة فإنه استئناف مبين له وقيل الجملة فى موقع المفعول فإن الوعد

● ضرب من القول فكأنه قيل وعدم هذا القول (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) التى من جملتها ما تليت

● من النصوص الناطقة بالأمر بالعدل والتقوى (أولئك) الموصوفون بما ذكر من الكفر وتكذيب

● الآيات (أصحاب الجحيم) ملابسوها ملايسة مؤبدة . من السنة السنية القرآنية شفع الوعد بالوعد والجمع

بين الترغيب والترهيب إيفاء لحق الدعوة بالنبشير والإنذار .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

٥ المائدة

- (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) تذكير لنعمة الإنجاء من الشر إثر تذكير نعمة إبطال الخير ١١ الذي هو نعمة الإسلام وما يتبعها من الميثاق وعليكم متعلق بنعمة الله أو بمحذوف وقع حالاً منها وقوله تعالى (إذ هم قوم) على الأول ظرف لنفس النعمة وعلى الثاني لما تعلق به عليكم ولا سبيل إلى كونه ظرفاً ● لاذكروا للتأني زمانياً أي اذكروا إنعامه تعالى عليكم أو اذكروا نعمته كائنة عليكم في وقت مهم (أن يسطوا إليكم أيديهم) أي بأن يبطشوا بكم بالقتل والإهلاك يقال بسط إليه يده إذا بطش به وبسط إليه لسانه إذا شتمه وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح للسارعة إلى بيان رجوع ضرر البسط وغائلته إليهم حملاً لهم من أول الأمر على الاعتداد بنعمة دفعه كما أن تقديم لكم في قوله عز وجل هو الذي خلق لكم ما في الأرض للبيان إلى بيان كون المخلوق من منافعهم تعجيلاً للبصرة (فكف أيديهم ● عنكم) عطف على (هم) وهو النعمة التي أريد تذكيرها وذكر أكرم للإبذان بوقوعها عند مزيد الحاجة إليها والفاء للتعقيب المفيد لتام النعمة وكما لها وإظهار أيديهم في موقع الإضمار لزيادة التقرير أي منع أيديهم أن تمد إليكم عقيب مهم بذلك لأنه كفها عنكم بعد مامدوها إليكم وفيه من الدلالة على كمال النعمة من حيث أنها لم تكن مشوبة بضرر الخوف والانزعاج الذي قلما يعرى عنه الكف بعد المد ما لا يخفى مكانه وذلك ما روى أن المشركين رأوا رسول الله ﷺ وأصحابه بعسفان في غزوة ذي أنمار وهي غزوة ذات الرقاع وهي السابعة من مغازيه عليه الصلاة والسلام قاموا إلى الظهر معاً فلما صلوا ندم المشركون ألا كانوا قد أكبوا عليهم فقالوا إن لهم بعدها صلاة هي أحب إليهم من آباتهم وأبنائهم يعنون صلاة العصر وهموا أن يوقعوا بهم إذا قاموا إليها فرد الله تعالى كيدهم بأن أنزل صلاة الخوف وقيل هو ما روى أن رسول الله ﷺ أتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلى رضى الله تعالى عنهم يستقرضهم لدية مسلمين قتلها عمرو بن أمية الضمري خطأ بحسبهما مشركين فقالوا نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونعطيك ما سألت فأجلسوه في صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش إلى راحا عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله تعالى يده ونزل جبريل عليه السلام فأخبره فخرج عليه الصلاة والسلام وقيل هو ما روى أنه ﷺ نزل منزلاً وتفرق أصحابه في العشاء يستظلون بها فعلق رسول الله ﷺ سيفه بشجرة فجاء أعرابي فأخذه وسله فقال من يمنعك مني فقال ﷺ الله تعالى فأسقطه جبريل عليه السلام من يده فأخذه الرسول ﷺ فقال من يمنعك مني فقال لا أحد أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله (واتقوا الله) عطف على اذكروا أي اتقوه في رعاية حقوق نعمته ● ولا تخلوا بشكرها أو في كل ماتاتون وما تذكرون فيدخل فيه ما ذكر دخولا أولاً (وعلى الله) أي عليه ● تعالى خاصة دون غيره استقلالاً واشتراكاً (فليتوكل المؤمنون) فإنه يكفيهم في إبطال كل خير ودفع كل شر والجملة تذييل مقرر لما قبله وإيثار صيغة أمر الغائب وإسنادها إلى المؤمنين لإيجاب التوكل على

وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾

• المائدة

المخاطبين بالطريق البرهاني وللإيذان بأن ما وصفوا به عند الخطاب من وصف الإيمان داع إلى ما أمروا به من التوكل والتقوى وازع عن الإخلال بهما وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لتعليل الحكم ١٢ وتقوية استقلال الجملة التذيلية (ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل) كلام مستأنف مشتمل على ذكر بعض ما صدر عن بني إسرائيل من الخيانة ونقض الميثاق وما أدى إليه ذلك من التبعات مسوق لتقرير المؤمنين على ذكر نعمة الله تعالى ومراعاة حق الميثاق الذي وانقهم به وتحذيرهم من نقضه أول تقرير ما ذكر من الهم بالبطش وتحقيقه على تقدير كون ذلك من بني قريظة حسبما مر من الرواية ببيان أن الغدر والخيانة عادة لهم قديمة توارثوها من أسلافهم وإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتقويم الميثاق وتهويل الخطاب في نقضه مع ما فيه من رعاية حق الاستئناف المستدعي للانقطاع عما قبله والالتفات في قوله تعالى (وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً) للجرى على سنن الكبرياء أو لأن البعث كان بواسطة موسى عليه السلام كما سيأتي وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مراراً من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر والنقيب فعيل بمعنى فاعل مشتق من النقب وهو التفتيش ومنه قوله تعالى فنقبوا في البلاد سمي بذلك لتفتيشه عن أحوال القوم وأسرارهم. قال الزجاج وأصله من النقب وهو الثقب الواسع. روى أن بني إسرائيل لما استقروا بمصر بعد مهلك فرعون أمرهم الله عز وجل بالمسير إلى أريحا أرض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال لهم إني كتبته لكم داراً وقراراً فخرجوا إليها واجاهدوا من فيها وإني ناصركم وأمر موسى عليه السلام أن يأخذ من كل سبط نقيباً أميناً يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بما أمروا به توثق عليهم فاختر النقباء وأخذ الميثاق على بني إسرائيل وتكفل إليهم النقباء وسار بهم فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسسون فرأوا أجراماً عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم بما رأوا وقد نهام موسى عن ذلك فنكثوا الميثاق إلا كالب بن يوقنا نقيب سبط يهوذا ويوشع بن نون نقيب سبط إفرائيم بن يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام قبل لما توجه النقباء إلى أرضهم للتجسس لقيهم عوج بن عنق وكان طوله ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعاً وقد عاش ثلاثة آلاف سنة وكان على رأسه حزمة حطب فأخذهم وجعلهم في الحزمة وانطلق بهم إلى امرأته وقال انظري إلى هؤلاء الذين يزعمون أنهم يريدون قتالنا فطرحهم بين يديها وقال ألا أطحنهم برجلي فقال لا بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا ففعل فجعلوا يتعرفون أحوالهم وكان لا يحمل عنقود عندهم إلا خمسة رجال أو أربعة فلما خرج النقباء قال بعضهم لبعض إن أخبرتم بني إسرائيل بخبر القوم ارتدوا عن نبي الله ولكن اكتموه

- إلا عن موسى وهرون عليهما السلام فيكونان هما يريان رأيهما فأخذ بعضهم على بعض الميثاق ثم انصرفوا إلى موسى عليه السلام وكان معهم حبة من عنبهم وقرر رجل فنكشوا عهدهم وجعل كل منهم ينيى سبطه عن قتالهم ويخبرهم بما رأى إلا كآب ويوشع وكان معسكر موسى فرمخاً في فرسخ فجاء عوج حتى نظر إليهم ثم رجع إلى الجبل فقور منه صخرة عظيمة على قدر العسكر ثم حملها على رأسه ليطبقها عليهم فبعث الله تعالى الهدهد فقور من الصخرة وسطها المحاذي لرأسه فانتقبت فوقعت في عنق عوج وطوقته فصرعته وأقبل موسى عليه السلام وطوله عشرة أذرع وكذا طول العصا فترامى في السماء عشرة أذرع فما أصاب العصا إلا كعبه وهو مصروع فقتله قالوا فأقبلت جماعة ومعهم الخناجر حتى حزوا رأسه (وقال الله) أى لبني إسرائيل فقط إذ هم المحتاجون إلى ما ذكر من الترغيب والترهيب كما ينبغي عنه الالتفات مع ما فيه من تربية المهابة وتأكيد ما يتضمنه الكلام من الوعد (إني معكم) أى بالعلم والقدرة والنصرة لا بالنصرة فقط فإن تبنيهم على علمه تعالى بكل ما يأتون وما يذرون وعلى كونهم تحت قدرته وملكوته بما يحملهم على الجد في الامتثال بما أمروا به والانتفاء عما نهوا عنه كأنه قيل إني معكم أسمع كلامكم وأرى أعمالكم وأعلم ضمائمكم فأجازيكم بذلك هذا وقد قيل المراد بالميثاق هو الميثاق بالإيمان والتوحيد بالنباء ملوك بني إسرائيل الذين ينقبون أحوالهم ويلون أمورهم بالأمر والنهي وإقامة العدل وهو الأنسب بقوله تعالى (لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي) أى بجميعهم واللام موطنه للقسم المحذوف وتأخير الإيمان عن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة مع كونهما من الفروع المترتبة عليه لما أنهم كانوا معترفين بوجوبهما مع ارتكابهم لتكذيب بعض الرسل عليهم السلام والمراعاة المقارنة بينه وبين قوله تعالى (وعزرتهم) أى نصرتمهم وقويتهم وأصله الذب وقيل التعظيم والتوقير والثناء بخير وقرىء وعزرتهم بالتخفيف (وأقرضتم الله) بالإنفاق في سبيل الخير أو بالتصدق بالصدقات المندوبة وقوله تعالى (قرضاً حسناً) إما مصدر مؤكد وارد على غير صيغة المصدر كما في قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبأها نبأاً حسناً أو مفعول ثان لأقرضتم على أنه اسم للمال المقرض وقوله تعالى (لا تكفرن عنكم سيئاتكم) جواب للقسم المدلول عليه باللام ساد مسد جواب الشرط (ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار) عطف على ما قبله داخل معه في حكم الجواب متأخر عنه في الحصول أيضاً ضرورة تقدم التخلية على التحلية (فن كفر) أى برسلي أو بشيء مما عدد في حيز الشرط والفاء لترتيب بيان حكم من كفر على بيان حكم من آمن تقوية للترغيب بالترهيب (بعد ذلك) الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم الموجب للإيمان قطعاً (منكم) متعلق بمضمر وقع حالاً من فاعل كفر ولعل تغيير السبك حيث لم يقل وإن كفرتم عطفاً على الشرطية السابقة لإخراج كفر الكل عن حيز الاحتمال وإسقاط من كفر عن رتبة الخطاب وليس المراد إحداث الكفر بعد الإيمان بل ما يعم الاستمرار عليه أيضاً كأنه قيل فن اتصف بالكفر بعد ذلك خلا أنه قصد بإيراد ما يدل على الحدوث بيان ترقبهم في مراتب الكفر فإن الاتصاف بشيء بعد ورود ما يوجب الإقلاع عنه وإن كان استمراراً عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث (فقد ضل سواء السبيل) أى وسط الطريق الواضح ضلالاً بيناً وأخطأه خطأ فاحشاً لا عذر معه أصلاً بخلاف من كفر قبل ذلك إذ ربما يمكن أن

فَمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَافِيَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ

اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ه المائدة

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ

وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ ه المائدة

- ١٣ يكون له شبهة ويتوهم له معذرة (فما نقضهم ميثاقهم) الباء سببية وما مزيدة لتأكيد الكلام وتمكينه في النفس أى بسبب نقضهم ميثاقهم المؤكد لا بشيء آخر استقلالاً أو انضماماً (للعنهم) طردناهم وأبعدناهم من رحمتنا أو مسخناهم قردة وخنازير أو أذلناهم بضرب الجزية عليهم وتخصيص البيان بما ذكر مع أن حقه أن يبين بعد بيان تحقق نفس اللعن والنقض بأن يقال مثلاً فنقضوا ميثاقهم فلنعنهم ضرورة تقدم هيئة الشيء البسيطة على هيئته المركبة للإبذان بأن تحققهما أمر جلي غنى عن البيان وإنما المحتاج إلى ذلك ما بينهما من السببية والمسببية (وجعلنا قلوبهم قاسية) بحيث لا تتأثر من الآيات والنذر وقيل أملينا لهم ولم نعالجهم بالعقوبة حتى قست أو خذلناهم ومنعناهم اللطاف حتى صارت كذلك وقرىء قسية وهى إما مبالغة قاسية وإما بمعنى رديئة من قولهم درهم قسى أى ردىء إذا كان مغشوشاً له يبدس وخشونة وقرىء بكسر القاف اتباعاً لها بالسین (يحرّفون الكلم عن مواضعه) استئناف لبيان مرتبة قساوة قلوبهم فإنه لا مرتبة أعظم مما يصحح الاجترار على تغيير كلام الله عز وجل والافتراء عليه وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقيل حال من مفعول لعنهم (ونسوا حظاً) أى تركوا انصياباً وافرا (بما ذكروا به) من التوراة أو من اتباع محمد ﷺ وقيل حرفوا التوراة وزلت أشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية (ولا تزال تطلع على خائنة منهم) أى خيانة على أنها مصدر كلاغية وكاذبة أو فعلة خائنة أى ذات خيانة أو طائفة خائنة أو شخص خائنة على أن الناء للبالغه أو نفس خائنة ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة لها خلا أن من على الوجهين الأولين ابتدائية أى على خيانة أو على فعلة خائنة كائنة منهم صادرة عنهم وعلى الوجوه الباقية تبعيضية والمعنى أن الغدر والحياة عادة مستمرة لهم ولا سلافهم بحيث لا يكادون يتركونها أو يكتتمونها فلا تزال ترى ذلك منهم (إلا قليلاً منهم) استثناء من الضمير المجرور فى منهم على الوجوه كلها وقيل من خائنة على الوجوه الثلاثة الأخيرة والمراد بهم الذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلام وأضرابه وقيل من خائنة على الوجه الثانى فالمراد بالقليل الفعل القليل ومن ابتدائية كما مر أى إلا فعلاً قليلاً كائناً منهم (فأعف عنهم واصفح) أى إن تابوا وآمنوا أو عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ بآية السيف (إن الله يحب المحسنين) تعليل للأمر وحث على الامتثال به وتنبيه على أن العفو على الإطلاق من باب الإحسان (ومن الذين قالوا إنا

يَأْهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾

٥ المائدة

نصارى (أخذنا ميثاقهم) بيان لقبائح النصارى وجناباتهم إثر بيان قبائح اليهود وخياناتهم ومن متعلقة بأخذنا إذ التقدير وأخذنا من الذين قالوا إنا نصارى ميثاقهم وتقديم الجار والمجرور للاهتمام به ولأن ذكر حال إحدى الطائفتين مما يوقع في ذهن السامع أن حال الأخرى ماذا فكأنه قيل ومن الطائفة الأخرى أيضاً أخذنا ميثاقهم وقيل هي متعلقة بمحذوف وقع خبر المبتدأ محذوف قامت صفته أو صلته مقامه أى ومنهم قوم أخذنا ميثاقهم أو من أخذنا ميثاقهم وضمير ميثاقهم راجع إلى الموصوف المقدر وأما في الوجه الأول فراجع إلى الموصول وقيل راجع إلى بنى إسرائيل أى أخذنا من هؤلاء ميثاق أولئك أى مثل ميثاقهم من الإيمان بالله والرسول وبما يتفرع على ذلك من أفعال الخير وإنما نسب تسميتهم نصارى إلى أنفسهم دون أن يقال ومن النصارى إيداناً بأنهم في قولهم نحن أنصار الله بمعزل من الصدق وإنما هو تقول محض منهم وليسوا من نصره الله تعالى في شيء أو إظهار الكمال سوء صنيعهم ببيان التناقض بين أقوالهم وأفعالهم فإن ادعاهم لنصرته تعالى يستدعى ثباتهم على طاعته تعالى ومراعاة ميثاقه (فنسوا) عقيب أخذ الميثاق من غير تلعم (حظاً) وافرأ (بما ذكروا به) في تضاعيف الميثاق من الإيمان بالله تعالى وغير ذلك حسبما مر آنفاً وقيل هو ما كتب عليهم في الإنجيل من أن يؤمنوا بمحمد ﷺ فتركوه ونبذوه وراء ظهورهم واتبعوا أهواءهم فاختلفوا وتفرقوا نسطورية ويعقوبية وملكانية أنصار الشيطان (فأغرينا) أى ألزمتنا وألصقنا من غرى بالشئ إذا ألزمه ولصق به وأغراه غيره ومنه الغراء وقوله تعالى (بينهم) إما ظرف لأغرينا أو متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله أى أغرينا (العداوة والبغضاء) كاتنة بينهم ولا سبيل إلى جعله ظرفاً لها لأن المصدر لا يعمل فيما قبله وقوله تعالى (إلى يوم القيامة) إما غاية للإغراء أو للعداوة والبغضاء أى بتعادون ويتباغضون إلى يوم القيامة حسبما تقتضيه أهواؤهم المختلفة وآراؤهم الزائفة المؤدية إلى التفرق إلى الفرق الثلاث فضمير بينهم لهم خاصة وقيل لهم لليهود أى أغرينا العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى (وسوف يذنبهم الله بما كانوا يصنعون) وعيد شديد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعد به سأخبرك بما فعلت أى يجازيهم بما عملوه على الاستمرار من نقض الميثاق ونسيان الحظ الوافر بما ذكروا به وسوف لنأكيد الوعيد والانتفات إلى ذكر الاسم الجليل لثرية المهابة وإدخال الروعة لتشديد الوعيد والتعبير عن العمل بالصنع للإيدان برسوخهم في ذلك وعن المجازاة بالتنبيه للتنبيه على أنهم لا يعلمون حقيقة ما يعملونه من الأعمال السيئة واستتباعها للعذاب فيكون ترتيب العذاب عليها في إفادة العلم بحقيقة حالها بمنزلة الإخبار بها (يأهل الكتاب) التفات إلى خطاب الفريقين على أن الكتاب جنس شامل ١٥ للتوراة والإنجيل إثر بيان أحوالهما من الخيانة وغيرها من فنون القبائح ودعوة لهم إلى الإيمان برسول الله ﷺ والقرآن وإيرادهم بعنوان أهلية الكتاب لانطواء الكلام المصدر به على ما يتعلق بالكتاب

يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ
إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾

ه المائدة

- وللبالغة في التشنيع فإن أهلية الكتاب من موجبات مراعاته والعمل بمقتضاه وبيان ما فيه من الأحكام
- وقد فعلوا من الكتم والتحريف ما فعلوا وهم يعلمون (قد جاءكم رسولنا) الإضافة للتحريف والإيدان
- بوجوب اتباعه وقوله تعالى (يبين لكم) حال من رسولنا وإيثار الجملة الفعلية على غيرها للدلالة على
- تجدد البيان أى قد جاءكم رسولنا حال كونه مبيناً لكم على التدرج حسبما تقتضيه المصلحة (كثيراً عما
- كتم تخفون من الكتاب) أى التوراة والإنجيل كبعثة محمد ﷺ وآية الرجم في التوراة وبشارة عيسى
- بأحمد عليهما السلام في الإنجيل وتأخير كثير عن الجار والمجرور لما مر مراراً من إظهار العناية بالمقدم
- لما فيه من تعجيل المسرة والتشويق إلى المؤخر لأن ماحقه التقديم إذا أخر لاسيما مع الإشعار بكونه من
- منافع المخاطب تبقى النفس مترقبة إلى وروده فيتمكن عندها إذا ورد فضل تمكن ولأن في المؤخر
- ضرب تفصيل ربما يخل تقديمه بتجاذب أطراف النظم الكريم فإن مما متعلق بمحذوف وقع صفة لكثيراً
- وماموصولة اسمية وما بعدها صلتها والعائد إليها محذوف ومن الكتاب متعلق بمحذوف هو حال من العائد
- المحذوف والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرارهم على الكتم والإخفاء أى يبين لكم
- كثير من الذى تخفونه على الاستمرار حال كونه من الكتاب الذى أتم أهله والمتمسكون به (ويعفو عن
- كثير) أى ولا يظهر كثير مما تخفونه إذا لم تدع إليه داعية دينية صيانة لكم عن زيادة الافتضاح كما يفصح
- عنه التعبير عن عدم الإظهار بالعفو وفيه حث لهم على عدم الإخفاء ترغيباً وترهيباً والجملة معطوفة على الجملة
- الحالية داخلية في حكمها وقيل يعفو عن كثير منكم ولا يؤاخذوه وقوله تعالى (قد جاءكم من الله نور) جملة
- مستأنفة مسوقة لبيان أن فائدة مجيء الرسول ليست منحصرة فيما ذكر من بيان ما كانوا يخفونه بل له
- منافع لا تحصى ومن الله متعلق بجاء ومن لا ابتداء للغاية مجازاً أو بمحذوف وقع حالا من نور وأياً ما كان
- فهو تصريح بما يشعر به إضافة الرسول من مجيئه من جنبه عز وجل وتقديم الجار والمجرور على الفاعل
- للمسارعة إلى بيان كون المجيء من جهته العالية والتشويق إلى الجأى ولأن فيه نوع تطويل يخل تقديمه
- بتجاوب أطراف النظم الكريم كما في قوله تعالى وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين
- وتنوين نور للتفخيم والمراد به وبقوله تعالى (وكتاب مبين) القرآن لما فيه من كشف ظلمات الشرك
- والشك وإبانة ما خفي على الناس من الحق والإعجاز البين والعطف لتنزيل المغايرة بالعنوان منزلة المغايرة
- بالذات وقيل المراد بالأول هو الرسول ﷺ وبالثانى القرآن (يهدى به الله) توحيد الضمير المجرور
- ١٦ لا اتحاد المرجع بالذات أو لكونهما في حكم الواحد أو أريد يهدى بما ذكر وتقديم الجار والمجرور
- للاهتمام وإظهار الجلالة لإظهار كمال الاعتناء بأمر الهداية ومحل الجملة الرفع على أنها صفة ثانية لكتاب
- أو النصب على الحالية منه لتخصصه بالصفة (من اتبع رضوانه) أى رضاه بالإيمان به ومن موصولة أو

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

٥ المائدة

- موصوفة (سبل السلام) أى طرق السلامة من العذاب والنجاة من العقاب أو سبل الله تعالى وهى شريعته التى شرعها للناس وقيل هو مفعول ثان ليهدى والحق أن انتصابه بنزع الخافض على طريقة قوله تعالى واختار موسى قومه وإنما يعدى إلى الثانى يلى أو باللام كما فى قوله تعالى إن هذا القرآن يهذى إلى هى أقوم (ويخرجهم) الضمير لمن والجمع باعتبار المعنى كما أن الأفراد فى اتباع باعتبار اللفظ (من الظلمات) أى ظلمات فنون الكفر والضلال (إلى النور) إلى الإيمان (بإذنه) بتيسيره أو بإرادته (ويهديهم إلى صراط مستقيم) هو أقرب الطرق إلى الله تعالى ومؤد إليه لا محالة وهذه الهداية عين الهداية إلى سبل السلام وإنما عطفت عليها تنزيلا للتفاير الوصفى منزلة التفاير الذاتى كما فى قوله تعالى ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) أى لا غير كما يقال الكرم هو التقوى وهم اليعقوبية القائلون بأنه تعالى قد يحل فى بدن إنسان معين أو فى روحه وقيل لم يصرح به أحد منهم لكن حيث اعتقدوا اتصافه بصفات الله الخاصة وقد اعترفوا بأن الله تعالى موجود فلزمهم القول بأنه المسيح لا غير وقيل لما زعموا أن فيه لاهوتاً قالوا لا إله إلا واحد لزعمهم أن يكون هو المسيح فذهب إليهم لازم قولهم توضيحاً لجهلهم وتفصيلاً لمعتقدهم (قل) أى تبكيتاً لهم وإظهاراً لبطلان قولهم الفاسد وإقاماً لهم الحجر والفاء فى قوله تعالى (فمن يملك من الله شيئاً) فصيحة ومن استفهامية للإنكار والنوبيخ والملك الضبط والحفظ التام عن حزم ومن متعلقة به على حذف المضاف أى إن كان الأمر كما تزعمون فمن يمنع من قدرته تعالى وإرادته شيئاً وحقيقته فمن يستطيع أن يمسك شيئاً منهما (إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعاً) ومن حق من يكون إلهاً أن لا يتعلق به ولا بشأن من شئونه بل بشيء من الموجودات قدرة غيره بوجه من الوجوه فضلاً عن أن يعجز عن دفع شيء منها عند تعلقها بهلاكه فلما كان عجزه بينا لا ريب فيه ظهر كونه بمعزل عما تقولوا فى حقه والمراد بالإهلاك الإماتة والإعدام مطلقاً لا بطريق السخط والغضب وإظهار المسيح على الوجه الذى نسبوا إليه الألوهية فى مقام الإضمار لزيادة التقرير والتنصيص على أنه من تلك الحيثية بعينها داخل تحت قهره وملكوته تعالى ونفى المالكية المذكورة بالاستفهام الإنكارى عن كل أحد مع تحقق الإلزام والتبكيك بنفيها عن المسيح فقط بأن يقال فهل يملك شيئاً من الله إن أراد الخ لتحقيق الحق بنفى الألوهية عن كل ما عداه سبحانه وإثبات المطلوب فى ضمنه بالطريق البرهانى فإن انتفاء المالكية المستلزم لاستحالة الألوهية متى ظهر بالنسبة إلى الكل ظهر بالنسبة إلى المسيح على أبلغ وجه وآكده فيظهر استحالة ألوهيته قطعاً وتعميم إرادة الإهلاك للكل مع حصول ما ذكر من التحقيق بقهرها عليه بأن يقال فمن يملك من الله شيئاً إن

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوا قُلَّ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ

الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

ه المائدة

أراد أن يهلك المسيح لنهويل الخطب وإظهار كمال العجز ببيان أن الكل تحت قهره تعالى وملكوته لا يقدر أحد على دفع ما يريد به فضلا عن دفع ما يريد بغيره والإيذان بأن المسيح أسوة لسائر المخلوقات في كونه عرضة للهلاك كما أنه أسوة لها فيما ذكر من العجز وعدم استحقاق الألوهية وتخصيص أمه بالذكر مع اندراجها في ضمن من في الأرض لزيادة تأكيد عجز المسيح ولعل نظمها في سلك من فرض إرادة إهلاكهم مع تحقق هلاكها قبل ذلك لنا كيد التبكيت وزيادة تقرير مضمون الكلام بجعل حالها أنموذجا لحال بقية من فرض إهلاكه كأنه قيل قل فمن يهلك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح وأمه ومن في الأرض وقد أهلك أمه فهل مانعه أحد فكذا حال من عداها من الموجودين وقوله تعالى (ولله ملك السموات والأرض وما بينهما) أى ما بين قطرى العالم الجسماني لا بين وجه الأرض ومقر فلك القمر فقط فيتناول ما في السموات من الملائكة عليهم السلام وما في أعماق الأرض والبحار من المخلوقات تنصبص على كون الكل تحت قهره تعالى وملكوته إثر الإشارة إلى كون البعض أى من في الأرض كذلك أى له تعالى وحده ملك جميع الموجودات والنصرف المطلق فيها لإيجاد أو إعداماً وإحياء وإماتة لا لأحد سواه استقلالاً ولا اشتراكاً فهو تحقيق لاختصاص الألوهية به تعالى إثر بيان انتفاءها عن كل ما سواه وقوله تعالى (يخلق ما يشاء) جملة مستأنفة مسوقة لبيان بعض أحكام الملك والألوهية على وجه يزيح ما اعتراه من الشبهة في أمر المسيح لولادته من غير أب وخلق الطير وإحياء الموتى وإبراء الآكهم والأبرص أى يخلق ما يشاء من أنواع الخلق والإيجاد على أن مانكرة وصوفة محلها النصب على المصدرية لا على المفعولية كأنه قيل يخلق أى خلق يشاؤه فتارة يخلق من غير أصل كخلق السموات والأرض وأخرى من أصل كخلق ما بينهما فينشئ من أصل ليس من جنسه كخلق آدم وكثير من الحيوانات ومن أصل يجانسها إما من ذكر وحده كخلق حواء أو أنثى وحدها كخلق عيسى عليه السلام أو منهما كخلق سائر الناس ويخلق بلا توسط شيء من المخلوقات كخلق عامة المخلوقات وقد يخلق بتوسط مخلوق آخر كخلق الطير على يد عيسى عليه السلام معجزة له وإحياء الموتى وإبراء الآكهم والأبرص وغير ذلك فيجب أن ينسب كله إليه تعالى لا إلى من أجرى ذلك على يده (والله على كل شيء قدير) اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وإظهار الاسم الجليل للتعليل وتقوية استقلال الجملة (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه) ١٨ حكاية لما صدر عن الفريقين من الدعوى الباطلة وبيان لبطلانها بعد ذكر ما صدر عن أحدهما وبيان بطلانها أى قالت اليهود نحن أشياع ابنه عزيز وقالت النصارى نحن أشياع ابنه المسيح كما قيل لأشباع أبي خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبيون وكما يقول أقارب الملوك عند المفاخرة نحن الملوك وقال ابن

يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾

٥ المائدة

- عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ دعا جماعة من اليهود إلى دين الإسلام وخوفهم بعقاب الله تعالى فقالوا كيف نخوفنا به ونحن أبناء الله وأحباؤه وقيل إن النصارى يتلون في الإنجيل أن المسيح قال لهم إني ذاهب إلى أبي وأيسكم وقيل أرادوا أن الله تعالى كالأب لنا في الحنو والعطف ونحن كالأبناء له في القرب والمنزلة وبالجملة أنهم كانوا يدعون أن لهم فضلا ومزية عند الله تعالى على سائر الخلق فرد عليهم ذلك وقيل لرسول الله ﷺ (قل) إلزاماً لهم وتبكيئاً (فلم يعذبكم بذنوبكم) أى إن صح ما زعمتم فلاى شيء يعذبكم في الدنيا بالقتل والأسر والمسوخ وقد عرفتم بأنه تعالى سيعذبكم في الآخرة بالنار أياماً بعدد أيام عبادتكم العجل ولو كان الأمر كما زعمتم لما صدر عنكم ماصدر ولما وقع عليكم ما وقع وقوله تعالى (بل أنتم بشر) عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أى لستم كذلك بل أنتم بشر (من خلق) أى من جنس من خلقه الله تعالى من غير مزية لكم عليهم (يغفر لمن يشاء) أن يغفر له من أولئك المخلوقين وهم الذين آمنوا به تعالى وبرسله (ويعذب من يشاء) أن يعذبه منهم وهم الذين كفروا به وبرسله مثلكم (والله ملك السموات والأرض وما بينهما) من الموجودات لا ينتمى إليه سبحانه شيء منها إلا بالملكوكة والعبودية والمقهورية تحت ملكوته يتصرف فيهم كيف يشاء إجماداً أو إعداءاً وإحياء وإماتة وإثابة وتعذيباً فأتى لهم ادعاء ما زعموا (ولإليه المصير) في الآخرة خاصة لا إلى غيره استقلالاً أو اشتراكاً فيجازى كلا من المحسن والمسيء بما يستدعيه عمله من غير صارف يشينه ولا عاطف يلويه (يا أهل الكتاب) تكرير للخطاب ١٩ بطريق الالتفات ولطف في الدعوة (قد جاءكم رسولنا يبين لكم) حال من رسولنا وإثاره على ميثناً لما مرفياً سبق أى يبين لكم الشرائع والأحكام الدينية المقرونة بالوعد والوعيد ومن جملتها ما بين في الآيات السابقة من بطلان أقوالكم الشنعاء وما سياتى من أخبار الأمم السالفة وإنما حذف تعويلاً على ظهور أن مجىء الرسول إنما هو لبيانها أو يفعل لكم البيان ويذله لكم في كل ما تحتاجون فيه إلى البيان من أمور الدين وأما تقدير مثل ما سبق في قوله تعالى كثيراً مما كنتم تحفون من الكتاب كما قيل فع كونه تكريراً من غير فائدة يرده قوله عز وجل (على فترة من الرسل) فإن فتور الإرسال وانقطاع الوحي إنما يحوج إلى بيان الشرائع والأحكام لا إلى بيان ما كنتموه وعلى فترة متعلق بجاهكم على الظرفية كما في قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان أى جاءكم على حين فتور الإرسال وانقطاع من الوحي ومزيداً احتياج إلى بيان الشرائع والأحكام الدينية أو بمحذوف وقع حالاً من ضمير يبين أو من ضمير لكم أى يبين لكم ما ذكر حال كونه على فترة من الرسل أو حال كونكم عليها أحوج ما كنتم إلى البيان ومن الرسل متعلق بمحذوف وقع صفة لفترة أى كائنة من الرسل مبتدأة من جهتهم وقوله تعالى (أن تقولوا) تعليل لمجىء الرسول بالبيان على حذف المضاف أى كراهة أن تقولوا معتذرين عن تفریطكم في مراعاة أحكام الدين (ما جاءنا من بشير ولا

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَرَّبُ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا
وَأَنْتُمْ كَانْتُمْ مَلَاةً يُؤْتِي أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾

ه المائدة

- نذير) وقد انطمست آثار الشرائع السابقة وانقطعت أخبارها وزيادة من في الفاعل للبالغة في نفي
الحجى وتنكير بشير ونذير للتقليل وهذا كما ترى يقتضى أن المقدر أو المنوى فيما سبق هو الشرائع
والأحكام لا كيفما كانت بل مشفوعة بما ذكر من الوعد والوعيد وقوله تعالى (فقد جاءكم بشير ونذير)
متعلق بمحذوف ينبي عنه الفاء الفصيحة وتبين أنه معلل به وتنوين بشير ونذير للتفخيم أى لا تعتذروا
بذلك فقد جاءكم بشير أى بشير ونذير أى نذير (والله على كل شىء قدير) فيقدر على الإرسال تترى كإفعله
بين موسى وعيسى عليهما السلام حيث كان بينهما ألف وسبعمئة سنة وألف نبي وعلى الإرسال بعد الفترة
كما فعله بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام حيث كان بينهما ستمائة سنة أو خمسمائة وتسع وستون
سنة أو خمسمائة وست وأربعون سنة وأربعة أنبياء على ما روى الكلبي ثلاثة من نبي إسرائيل وواحد من
العرب خالد بن سنان العبسى وقيل لم يكن بعد عيسى عليه السلام إلا رسول الله ﷺ وهو الأنسب بما
في تنوين فترة من التفخيم اللائق بمقام الامتنان عليهم بأن الرسول قد بعث إليهم عند كمال حاجتهم إليه
بسبب مضى دهر طويل بعد انقطاع الوحي ليهشوا إليه ويعدوه أعظم نعمة من الله تعالى وفتح باب إلى
الرحمة وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غداً بأنه لم يرسل إليهم من ينبيههم من غفلتهم (وإذ قال موسى لقومه)
جملة مستأنفة مسوقة لبيان ما فعلت بنو إسرائيل بعد أخذ الميثاق منهم وتفصيل كيفية نقضهم له وتعلقه
بما قبله من حيث إن ما ذكر فيه من الأمور التي وصف النبي ﷺ ببيانها ومن حيث اشتاله على انتفاء فترة
الرسال فيها بينهم وإذ نصب على أنه مفعول لفعل مقدر خوطب به النبي ﷺ بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن
أهل الكتاب ليعدد عليهم ماصدر عن بعضهم من الجنايات أى واذكر لهم وقت قول موسى لقومه ناصحاً
لهم ومستميلاً لهم بإضافتهم إليه (يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم) وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت
دون ما وقع فيه من الحوادث مع أنها المقصودة بالذات للبالغة في إيجاب ذكرها لما أن إيجاب ذكر
الوقت لإيجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولأن الوقت مشتمل على ما وقع فيه تفصيلاً فإذا استحضر
كان ما وقع فيه حاضراً بتفاصيله كأنه مشاهد عياناً وعليكم متعلق بنفس النعمة إذا جعلت مصدراً
وبمحذوف وقع حالا منها إذا جعلت اسماً أى اذكروا الإنعامه عليكم أو اذكروا نعمته كائنة عليكم وكذا
إذنى قوله تعالى (إذ جعل فيكم أنبياء) أى اذكروا لإنعامه تعالى عليكم في وقت جعله أو اذكروا نعمته
تعالى كائنة عليكم في وقت جعله فيما بينكم من أقر بائكم أنبياء ذوى عدد كثير وأولى شأن خطير حيث
لم يبعث من أمة من الأمم ما بعث من نبي إسرائيل من الأنبياء (وجعلكم ملوكاً) عطف على جعل فيكم
داخل في حكمه أى جعل فيكم أو منكم ملوكاً كثيرة فإنه قد تكاثر فيهم الملوك تكاثراً لا ينحذف
الظرف تعويلاً على ظهور الأمر أو جعل الكل في مقام الامتنان عليهم ملوكاً لما أن أقارب الملوك يقولون

يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾

• المائدة

قَالُوا يَمْوَسِيَّ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا نَدْخُلُونَا ﴿٢٢﴾

• المائدة

- عند المفارقة نحن الملوك وإنما لم يسلك ذلك المسلك فيما قبله لما أن منصب النبوة من عظم الخطر وعزة المطلب وصعوبة المنال ليس بحيث يليق أن ينسب إليه ولو مجازاً من ليس بمن اصطفاه الله تعالى له وقيل كانوا ملوكين في أيدي القبط فأنقذهم الله تعالى فسمى إنقاذهم ملكاً وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وقيل من له بيت وخدم وقيل من له مال لا يحتاج معه إلى تكلف الأعمال وتحمل المشاق (وآناكم مالم يوث أحد من العالمين) من فلق البحر وإغراق العدو وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى وغير ذلك مما آتاهم الله تعالى من الأمور العظام والمراد بالعالمين الأمم الخالية إلى زمانهم وقيل من عالمي زمانهم (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة) كرر النداء بالإضافة التشريفية اهتماماً بشأن الأمر ومبالغة في حثهم على الامتثال به والأرض هي أرض بيت المقدس سميت بذلك لأنها كانت قرار الأنبياء ومسكن المؤمنين وقيل هي الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الأردن وقيل هي الشام (التي كتب الله لكم) أي كتب في اللوح المحفوظ أنها تكون مسكناً لكم إن آمنتم وأطعتم لقوله تعالى لهم بعد ما عصوا فإنها محيطة عليهم وقوله تعالى (ولا تترددوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين) فإن ترتب الخيبة والخسران على الارتداد يدل على اشتراط الكتب بالمجاهدة المترتبة على الإيمان والطاعة قطعاً أي لا ترجعوا مدبرين خوفاً من الجبابرة فالجار والمجرور متعلق بمحذوف هو حال من فاعل تترددوا ويجوز أن يتعلق بنفس الفعل قيل لما سمعوا أحوالهم من النقباء بكوا وقالوا ياليتنا متنا بمصر تملأنا نجعل لنا رأساً ينصرف بنا إلى مصر أولاً ولا تترددوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق بالله تعالى وقوله فتنقلبوا إما مجزوم عطفاً على تترددوا أو منصوب على جواب النهي والخسران خسران الدين والدنيا لا سيما دخول ما كتب لهم (قالوا) ٢٢ استئناف مبنى نشأ من مساق الكلام كأنه قيل فماذا قالوا بمقابلة أمره عليه السلام ونهيه فقبل قالوا غير ممثلين بذلك (ياموسى إن فيها قوماً جبارين) متغلبين لا يتأتى منازعتهم ولا يتسنى مناصبتهم والجبار العاقى الذى يجبر الناس ويقسرم كائناً من كان على ما يريد كائناً ما كان فعال من جبره على الأمر أى أجبره عليه (وإننا لنَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا) من غير صنع من قبلنا فإنه لا طاقة لنا بإخراجهم منها (فإن يخرجوا منها) بسبب من الأسباب التي لا تعلق لنا بها (فإننا داخلون) حينئذ أتوا بهذه الشرطية مع كون مضمونها مفهوماً مما سبق من توقيت عدم الدخول بخروجهم منها تصريحاً بالمقصود وتنصيهاً على أن امتناعهم من دخولها ليس إلا لمكانهم فيها وأتوا في الجزاء بالجملة الاسمية المصدرة بحرف التحقيق دلالة على تقرر

قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ اللَّهَ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ
وَعَلَى اللَّهِ فِتْنُوكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾

• المائة

قَالُوا يَمْوَسِيَّ إِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا
قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾

• المائة

- ٢٣ الدخول وثباته عند تحقق الشرط لا محالة وإظهار الكمال الرغبة فيه وفي الامتثال بالأمر (قال رجلان) استئناف كما سبق كأنه قيل هل اتفقوا على ذلك أو خالفهم البعض فقيل قال رجلان (من الذين يخافون) أي يخافون الله تعالى دون العدو ويتقونه في مخالفة أمره ونهيه وبه قرأ ابن مسعود وفيه تعريض بأن من عداهما لا يخافونه تعالى بل يخافون العدو وقيل من الذين يخافون العدو أي منهم في النسب لا في الخوف وهما يوشع بن نون وكالب بن يوقنا من النقباء وقيل هما رجلان من الجبابرة أسلميا وسارا إلى موسى عليه السلام قالوا حينئذ لبني إسرائيل والموصول عبارة عن الجبابرة وإليهم يعود العائد المحذوف أي من الذين يخافهم بنو إسرائيل ويعضده قراءة من قرأ يخافون على صيغة المبني للمفعول أي المخوفين وعلى الأول يكون هذا من الإخافة أي من الذين يخوفون من الله تعالى بالتذكير أو يخوفهم الوعيد (أنعم الله عليهما) أي بالتثبيت وربط الجأش والوقوف على شئونه تعالى والثقة بوعده أو بالإيمان وهو صفة ثانية لرجلان أو اعتراض وقيل حال من الضمير في يخافون أو من رجلان لتخصصه بالصفة أي قالا مخاطبين لهم ومشجعين (ادخلوا عليهم الباب) أي باب بلدهم وتقديم الجار والمجرور عليه للاهتمام به لأن المقصود إنما هو دخول الباب وهم في بلدهم أي باغتهم وضاعطوهم في المضيق وامنعوهم من البروز إلى الصحراء لئلا يجردوا للحرب مجالا (فإذا دخلتموه) أي باب بلدهم وهم فيه (فإنكم غالبون) من غير حاجة إلى القتال فإننا قد رأيناهم وشاهدنا أن قلوبهم ضعيفة وإن كانت أجسادهم عظيمة فلا تخشوهم واجمؤا عليهم في المضايق فإنهم لا يقدرين فيها على الكر والفرو وقيل إنما حكى بالغلبة لما علمها من جهة موسى عليه السلام ومن قوله تعالى كتب الله لكم أو لما علما من سنته تعالى في نصرته رسله وما عهدا من صنعه تعالى لموسى عليه السلام من قهر أعدائه والأول أنسب بتعليق الغلبة بالدخول (وعلى الله) تعالى خاصة (فتوكلوا) بعد ترتيب الأسباب ولا تعتمدوا عليها فإنها بمعزل من التأثير وإنما التأثير من عند الله العزيز القدير (إن كنتم مؤمنين) أي مؤمنين به تعالى مصدقين لوعده فإن ذلك مما يوجب التوكل عليه حتما (قالوا) استئناف كما سبق أي قالوا غير مبالين بهما وبمقاتلتهما مخاطبين لموسى عليه السلام
- ٢٤ إظهار الإصرارهم على القول الأول وقصصا بمخالفتهم له عليه السلام (ياموسى إننا لن ندخلها) أي أرض الجبابرة فضلا عن دخول بابهم وهم في بلدهم (أبدا) أي دهر أطويلا (ماداموا فيها) أي في أرضهم وهو بدل من أبدأبدل البعض أو عطف بيان (فاذهب) الفاء فصيحة أي فإذا كان الأمر كذلك فاذهب

قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ هـ المائدة

قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ هـ المائدة

- (أنت وربك فقاتلا) أى فقاتلناهم إنما قالوا ذلك استهانة واستهزاء به سبحانه وبرسوله وعدم مبالاة بهما وقصدوا ذهابهما حقيقة كما ينبغي عنه غاية جهلهم وقسوة قلوبهم وقيل أراد والإرادتهما وقصدهما كما تقول كلمته فذهب يجيئني كأنهم قالوا فأريدا قتلهم واقصداهم وقيل التقدير فاذهب أنت وربك يعنيك ولا يساعده قوله تعالى فقاتلا ولم يذكر هرون ولا الرجلين كأنهم لم يحزموا بذهابهم أو لم يعباوا بقتلهم وقوله تعالى (إننا همنا قاعدون) يؤيد الوجه الأول وأرادوا بذلك عدم التقدم لا عدم التأخر
- (قال) عليه السلام لما رأى منهم مارأى من العناد على طريقة البث والحزن والشكوى إلى الله تعالى مع ٢٥ رقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزى النصرة (رب إنى لا أملك إلا نفسى وأخى) عطف على نفسى وقيل على الضمير فى إنى على معنى إنى لا أملك إلا نفسى وإن أخى لا يملك إلا نفسه وقيل على الضمير فى لا أملك للفصل (فافرق بيننا) يريد نفسه وأخاه والفاء لترتيب الفرق أو الدعاء به على ما قبله (وبين القوم الفاسقين) الخارجين عن طاعتك المصيرين على عصيانك بأن تحكم لنا بما نستحقه وعليهم بما يستحقونه وقيل بالتباعد بيننا وبينهم وتخليصنا من محبتهم (قال فإنها) أى الأرض المقدسة والفاء لترتيب ما بعدها ٢٦ على ما قبلها من الدعاء (محرمه عليهم) تحريم منع لا تحريم تعبد لا يدخلونها ولا يملكونها لأن كتابتها لهم كانت مشروطة بالإيمان والجهاد وحيث نكصوا على أديبارهم حرّموا ذلك وانقلبوا خاسرين وقوله تعالى (أربعين سنة) إن جعل ظرفا لمحرمه يكون التحريم موقتا لا مؤبدا فلا يكون مخالفا لظاهر قوله تعالى كتب الله لكم فالمراد بتحريمها عليهم أنه لا يدخلها أحد منهم فى هذه المدة لكن لا بمعنى أن كلهم يدخلونها بعدها بل بعضهم من بقى حسبما روى أن موسى عليه السلام سار بمن بقى من بنى إسرائيل إلى أريحا وكان يوشع بن نون على مقدمته ففتحها وأقام بها ما شاء الله تعالى ثم قبض عليه السلام وقيل لم يدخلها أحد من قال إن دخلها أبدا وإنما دخلها مع موسى عليه السلام النواشى من ذرياتهم فالوقت بالأربعين فى الحقيقة تحريمها على ذرياتهم وإنما جعل تحريمها عليهم لما بينهم من العلاقة التامة المتأخفة للاتحاد وقوله تعالى (يتيهون فى الأرض) أى يتحيرون فى البرية استئشاف لبيان كيفية حرمانهم أو حال من ضمير عليهم وقيل الظرف متعلق بيهون فيكون التيه موقتا والتحريم مطلقا قيل كانوا ستمائة ألف مقاتل وكان طول البرية تسعين فرسخا وقد تاهوا فى ستة فراسخ أو تسعة فراسخ فى ثلاثين فرسخا وقيل فى ستة فراسخ فى اثني عشر فرسخا روى أنهم كانوا كل يوم يسرون جادين حتى إذا أمسوا إذا هم بحيث ارتحلوا وكان القيام يظلمهم من حر الشمس ويطلع بالليل عمود من نور يضىء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا تطول شعورهم وإذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله وهذه الإنعامات عليهم مع أنهم معاقبون لما أن عقابهم كان بطريق العرك والتأديب قيل كان موسى وهرون معهم ولكن
- ٤ - أبو السعود ج ٣،

وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ
لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾

هـ المائة

- كان ذلك لها روحا وسلامة كالنار لإبراهيم وملائكة العذاب عليهم السلام وروى أن هرون مات في
التيه ومات موسى بعده فيه بسنة ودخل يوشع أريحا بعد موته بثلاثة أشهر ولا يساعده ظاهر النظم
الكريم فإنه تعالى بعد ما قبل دعوته على بنى إسرائيل وعذبهم بالتيه بعيد أن ينجى بعض المدعو عليهم
أو ذرارهم ويقدر وفاتهم في محل العقوبة ظاهراً وإن كان ذلك لها منزل روح وراحة وقد قيل إنهما
لم يكونا معهم في التيه وهو الانسب بتفسير الفرق بالمباعدة ومن قال بأنهما كانا معهم فيه فقد فسر
الفرق بما ذكر من الحكم بما يستحقه كل فريق (فلا تأس) فلا تحزن (على القوم الفاسقين) روى
أنه عليه السلام ندم على دعائه عليهم فقبل لا تندم ولا تحزن فإنهم أحقاء بذلك لفسقهم (وأتل عليهم)
عطف على مقدر تعلق به قوله تعالى وإذ قال موسى الخ وتعلقه به من حيث إنه تمهيد لما سيأتى من جنائيات
بنى إسرائيل بعد ما كتب عليهم ما كتب وجاءتهم الرسل بما جاءت به من اليبات (نبأ ابنى آدم) هما
قاييل وهاييل . ونقل عن الحسن والضحاك أنهما رجلان من بنى إسرائيل بقريضة آخر القصة وليس
كذلك أوحى الله عز وجل إلى آدم أن يزوج كلا منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قاييل أجهل واسمها
أفليبا فحسد عليها أخاه وسخط وزعم أن ذلك ليس من عند الله تعالى بل من جهة آدم عليه السلام فقال
لها عليهما السلام قربا قربانا فن أيكما قبل تزوجها ففعلا فنزلت نار على قربان هاييل فأكلته ولم تعرض
لقربان قاييل فازداد قاييل حسداً وسخطاً وفعل ما فعل (بالحق) متعلق بمحذوف وقع صفة لمصدر
محذوف أى تلاوة ملتبسة بالحق والصحة أو حالا من فاعل اتل أو من مفعوله أى ملتبسا أنت أو نبأهما
بالحق والصدق حسبما تقرر في كتب الأولين (إذ قربا قربانا) منصوب بالنبا ظرف له أى اتل قصتهما
ونبأهما في ذلك الوقت وقيل بدل منه على حذف المضاف أى اتل عليهما نبأهما نبأ ذلك الوقت ورد عليه
بأن إذ لا يضاف إليها غير الزمان كوقتئذ وحينئذ والقربان اسم لما يتقرب به إلى الله تعالى من نسك أو
صدقة كالحلوان اسم لما يحلى أى يعطى وتوحيده لما أنه في الأصل مصدر وقيل تقديره إذ قرب كل
منهما قربانا (فتقبل من أحدهما) هو هاييل قبل كان هو صاحب زرع وقرب جملاً سميماً فنزلت نار
فأكلته (ولم يتقبل من الآخر) هو قاييل قبل كان هو صاحب زرع وقرب أردأ ما عنده من القمح فلم
تعرض له النار أصلاً (قال) استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كأنه قيل فإذا قال من لم
يتقبل قربانه فقبل قال لأخيه لتضاعف سخطه وحسده لما ظهر فضله عليه عند الله عز وجل (لأقتلنك)
أى والله لأقتلنك بالنون المشددة وقرئ بالمخففة (قال) استئناف كما قبله أى قال الذى يتقبل قربانه لما
رأى أن حسده لقبول قربانه وعدم قبول قربان نفسه (إنما يتقبل الله) أى القربان (من المتقين)
لا من غيرهم وإنما يتقبل قربانى ورد قربانك لما فينا من التقوى وعدمه أى إنما أتيت من قبل نفسك لا من

لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ المائدة
إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ المائدة

قبل فلم تقتلني خلا أنه لم يصرح بذلك بل سلك مسلك التعريض حذراً من تهيج غضبه وحمل له على التقوى والإفلاع عما نواه ولذلك أسند الفعل إلى الاسم الجليل لتربية المهابة ثم صرح بتقواه على وجه يستدعي سكون غيظه لو كان له عقل وازع حيث قال بطريق التوكيد (لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ٢٨ ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك) حيث صدر الشرطية باللام المؤظفة للقسم وقدم الجار والمجرور على المفعول الصريح لإبداناً من أول الأمر برجوع ضرر البسط وغائلته إليه ولم يجعل جواب القسم السامد مسد جواب الشرط جملة فعلية موافقة لما في الشرط بل اسمية مصدرة بما الحجازية المفيدة لتأكيد النفي بما في خبرها من الباء للبالغة في إظهار برأته عن بسط اليد ببيان استمراره على نفي البسط كما في قوله تعالى وما هم بمؤمنين وفوله وما هم بخارجين منها فإن الجملة الاسمية الإيجابية كما تدل بمعونة المقام على دوام الثبوت كذلك السلبية تدل بمعونته على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وذلك باعتبار الدوام والاستمرار بعد اعتبار النفي لا قبله حتى يرد النفي على المقيد بالدوام فيرفع قيده أي والله لئن باشرت قتلي حسبما أوعدتني به وتحقق ذلك منك ما أنا بفاعل مثله لك في وقت من الأوقات ثم علل ذلك بقوله (إني أخاف الله رب العالمين) وفيه من إرشاد قاييل إلى خشية الله تعالى على أبلغ وجه وآكده مالا يخفى كأنه قال إني أخافه تعالى إن بسطت يدي إليك لأقتلك أن يعاقبني وإن كان ذلك مني لدفع عداوتك عني فإظنك بحالك وأنت البادي العادي وفي وصفه تعالى ربوبية العالمين تأكيد للخوف قيل كان هاويل أقوى منه ولكن تخرج عن قتله واستسلم خوفاً من الله تعالى لأن القتل للدفع لم يكن مباحاً حينئذ وقيل تحريماً لما هو الأفضل حسبما قال عليه السلام كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل ويأباه التعليل بخوفه تعالى إلا أن يدعى أن ترك الأولى عنده بمنزلة المعصية في استنباع الغائلة مباغة في التنزه وقوله تعالى (إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك) تعليل آخر لا متناعه عن المعارضة على أنه غرض متأخر عنه كما ٢٩ أن الأول باعث متقدم عليه وإنما لم يعطف عليه تنبيهاً على كفاية كل منهما في العلية والمعنى إني أريد باستسلامي لك وامتناعي عن التعرض لك أن ترجع بإثمى أي بمثل إثمى لو بسطت يدي إليك وإثمك ببسط يدك إلى كما في قوله عليه السلام المستبان ما قالاً فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم أي على البادي عين إثم سبه ومثل سب صاحبه بحكم كونه سبباً له وقيل معنى بإثمى إثم قتلي ومعنى بإثمك الذي لا أجله لم يتقبل قربانك وكلاهما نصب على الحالية أي ترجع ملتبساً بالإثمين حاملاً لهما ولعل مراده بالذات إنما هو عدم ملابسته الإثم لا ملابسة أخيه له وقيل المراد بالإثم عقوبته ولا ريب في جواز إرادة عقوبة العاصي ممن علم أنه لا يرعوى عن المعصية أصلاً ويأباه قوله تعالى (فتكون من أصحاب النار) فإن كونه منهم إنما يترتب على رجوعه بالإثمين لا على ابتلائه بعقوبتهما وحمل العقوبة على نوع آخر يترتب عليها

• المائدة

فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾

فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يَتْلُو بِلَتَى أُعْجِزْتُ أَنْ

• المائدة

أَكُونَنَّ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوَاءَ أُخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾

- العقوبة النارية يرده قوله تعالى (وذلك جزاء الظالمين) فإنه صريح في أن كونه من أصحاب النار تمام العقوبة وكألفها والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ولقد سلك في صرفه عما نواه من الشر كل مسلك من العظة والتذكير بالترغيب تارة والترهيب أخرى فما أورثه ذلك إلا الإصرار على الغي والانهماك في الفساد
- ٣٠ (فطوَّعت له نفسه قتل أخيه) أى وسعته وسهلت من طاع له المرتع إذا اتسع وترتيب التطويع على ما حكى من مقالات هاييل مع تحقيقه قبلها أيضاً كما يفصح عنه قوله لا قتلنك لما أن بقاء الفعل بعد تقرر ما يزيله من الدواعى القوية وإن كان استمراراً عليه بحسب الظاهر لكنه في الحقيقة أمر حادث وصنع جديد كما في قولك وعظته فلم يتعظ أولاً لأن هذه المرتبة من التطويع لم تكن حاصلة قبل ذلك بناء على ترده في قدرته على القتل لما أنه كان أقوى منه وإنما حصلت بعد وقوفه على استسلام هاييل وعدم معارضته له والتصريح بأخوته لكمال تقبيح ما سولته نفسه وقرىء فطاوَّعت على أنه فاعل بمعنى فعل أو على أن قتل أخيه كأنه دعى نفسه إلى الإقدام عليه فطاوَّعته ولم تمتنع وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله (فقتله) قيل لم يدر قايل كيف يقتل هاييل فتمثل إبليس وأخذ طائراً ووضع رأسه على حجر ثم شدخها بحجر آخر فتعلم منه فرضخ رأس هاييل بين حجرين وهو مستسلم لا يستعصى عليه وقيل اغتاله وهو نائم وكان لهاييل يوم قتل عشرون سنة واختلف في موضع قتله فقيل عند عقبه حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الأعظم وقيل في جبل بود ولما قتله تركه بالعراء لا يدرى ما يصنع به تخاف عليه السباع فعمله في جراب على ظهره أربعين يوماً وقيل سنة حتى أرواح وعكفت عليه الطيور والسباع تنظر متى يرمى به فتأكله (فأصبح من الخاسرين) ديناً ودنياً (فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يورى سواء أخيه) روى أنه تعالى بعث غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فخر له بمنقاره ورجليه حفرة فالتقاء فيهما والمستكن في يريه الله تعالى أو للغراب واللام على الأول متعلقة ببعث حتماً وعلى الثاني يبيح ويحوز تعلقها ببعث أيضاً وكيف حال من ضمير يورى والجملة ثانياً مفعولى يرى والمراد بسواء أخيه جسده الميت (قال) استئناف مبنى على سؤال نشأ من سوق الكلام كأنه قيل فإذا قال عند مشاهدة حال الغراب فقيل قال (يا ويلتى) هى كلمة جزع وتحسر والآلف بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتى احضرى فهذا أوانك والويل والويله الهلكة (أعجزت أن أكون) أى عن أن أكون (مثل هذا الغراب فأورى سواء أخى) تعجب من عدم اهتدائه إلى ما اهتدى إليه الغراب وقوله تعالى فأورى بالنصب عطف على أن أكون وقرىء بالرفع أى فأننا أورى (فأصبح من النادمين) أى على قتله لما كابد فيه من التحير في أمره وحمله على رقبته مدة طويلة . روى أنه لما قتله اسود جسده وكان أبيض فسأله آدم عن أخيه فقال

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾

٥ المائدة

ما كنت عليه وكيلا قال بل قتلته ولذلك اسود جسدك ومكث آدم بعده مائة سنة لا يضحك وقيل لما قتل قاييل هابيل هرب إلى عدن من أرض اليمن فأثاه إبليس فقال له إنما أكلت النار قربان هابيل لأنه كان يخدمها ويعبدها فإن عبدتها أيضاً حصل مقصودك فبنى بيت نار فعبدها وهو أول من عبد النار (من أجل ٣٢ ذلك) شروع فيما هو المقصود من تلاوة النبأ من بيان بعض آخر من جنایات بنی اسرائیل ومعاصيهم وذلك إشارة إلى عظم شأن القتل وإفراط قبحة المفهومين مما ذكر في تضاعيف القصة من استعظام هابيل له وكال اجتنابه عن مباشرته وإن كان ذلك بطريق الدفع عن نفسه واستسلامه لأن يقتل خوفاً من عقابه وبيان استتباعه لتحمل القاتل لإثم المقتول ومن كون قاييل بمباشرته من جملة الخاسرين دينهم ودنياهم ومن ندامته على فعله مع ما فيه من العتو وشدة الشكيمة وقساوة القلب والأجل في الأصل مصدر أجل شراً إذا جنأه استعمل في تعليل الجنایات كما في قولهم من جراك فعلته أي من أن جررته وجنيته ثم اتسع فيه واستعمل في كل تعليل وقرئ من أجل بكسر الهمزة وهي لغة فيه وقرئ من أجل بحذف الهمزة وإلقاء فتحها على النون ومن لا ابتداء الغاية متعلقة بقوله تعالى (كتبنا على بنی اسرائیل) وتقديهما عليه ● للقصر أي من ذلك ابتداء الكتب ومنه نشأ لا من شيء آخر أي قضينا عليهم وبيننا (أنه من قتل نفساً) ● واحدة من النفوس (بغير نفس) أي بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص (أو فساد في الأرض) أي ● فساد يوجب إهدار دمه وهو عطف على ما أضيف إليه غير على معنى نفي كلا الأمرين معاً كما في قولك من صلى بغير وضوء أو تيمم بطلت صلاته لا نفي أحدهما كما في قولك من صلى بغير وضوء أو ثوب بطلت صلاته ومدار الاستعمالين اعتبار ورود النفي على ما يستفاد من كلفة أو من الترديد بين الأمرين المنهي عن التخيير والإباحة واعتبار العكس ومناط الاعتبارين اختلاف حال ما أضيف إليه غير من الأمرين بحسب اشتراط نقيض الحكم بتحقيق أحدهما واشتراطه بتحقيقهما معاً ففي الأول يرد النفي على الترديد الواقع بين الأمرين قبل وروده فيفيد نفيهما معاً وفي الثاني يرد الترديد على النفي فيفيد نفي أحدهما حتماً إذ ليس قبل ورود النفي ترديد حتى يتصور عكسه وتوضيحه أن كل حكم شرط بتحقيق أحد شيئين مثلاً فنقيضه شروط بانتفاءهما معاً وكل حكم شرط بتحقيقهما معاً فنقيضه شروط بانتفاء أحدهما ضرورة أن نقيض كل شيء مشروط بنقيض شرطه ولا ريب في أن نقيض الإيجاب الجزئي كما في الحكم الأول هو السلب الكلي ونقيض الإيجاب الكلي كما في الحكم الثاني هو رفعه المستلزم للسلب الجزئي فثبت اشتراط نقيض الأول بانتفاءهما معاً واشتراط نقيض الثاني بانتفاء أحدهما ولما كان الحكم في قولك من صلى بوضوء أو تيمم صحت صلاته مشروطاً بتحقيق أحدهما مبهماً كان نقيضه في قولك من صلى بغير وضوء أو

تيمم بطلت صلاته مشروطاً بنقيض الشرط المذكور البتة وهو انتفاؤه معاً فتعين ورود النفي المستفاد من غير على الترديد الواقع بين الوضوء والتيمم بكلمة أو فانتفى تحققهما معاً ضرورة عموم النفي الوارد على المبهم وعلى هذا يدور ما قالوا إنه إذا قيل جالس العلماء أو الزهاد ثم أدخل عليه لا الناهية امتنع فعل الجميع نحو ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً إذ المعنى لا تفعل أحدهما فأيهما فعله فهو أحدهما وأما قولك من صلى بوضوء أو ثوب صححت صلاته فحيث كان الحكم فيه مشروطاً بتحقيق كلا الأمرين كان نقيضه في قولك من صلى بغير وضوء أو ثوب بطلت صلاته مشروطاً بنقيض الشرط المذكور وهو انتفاء أحدهما فتعين ورود الترديد على النفي فأفاد نفي أحدهما ولا يخفى أن إباحة القتل مشروطة بأحدهما ذكر من القتل والفساد ومن ضرورته اشتراط حرمة بانتفائهما معاً فتعين ورود النفي على الترديد لاحالة كأنه قيل من قتل نفساً بغير أحدهما (فكأنما قتل الناس جميعاً) فن قال في تفسيره أو بغير فساد فقد أبعد عن توفية النظم الكريم حقه وما في كأنما كافة مهينة لوقوع الفعل بعدها وجميعاً حال من الناس أو تأكيداً ومناط التشبيه اشتراك الفعلين في هنك حرمة الدماء والاستعصاء على الله تعالى وتجسير الناس على القتل وفي استنباع القود واستجلاب غضب الله تعالى وعذابه العظيم (ومن أحيائها) أي تسبب لبقاء نفس واحدة موصوفة بعدم ما ذكر من القتل والفساد في الأرض إما بنهي قاتلها عن قتلها أو استنقاذها من سائر أسباب الهلكة بوجه من الوجوه (فكأنما أحيى الناس جميعاً) وجه التشبيه ظاهر والمقصود تهويل أمر القتل وتفخيم شأن الإحياء بتصوير كل منهما بصورة لا تفتق به في إيجاب الرهبة والرغبة ولذلك صدر النظم الكريم بضمير الشأن المنبئ عن كمال شهرته ونباهته وتبادره إلى الأذهان عند ذكر الضمير الموجب لزيادة تقرير ما بعده في الذهن فإن الضمير لا يفهم منه من أول الأمر إلا شأن مبهم له خريف في الذهن مترقباً لما يعقبه فيتمكن عند ورود فضل تمكن كأنه قيل إن الشأن الخطير هذا (ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات) جملة مستقلة غير معطوفة على كتبنا أكدت بالتوكيد القسمي وحرف التحقيق لكمال العناية بتحقيق مضمونها وإنما لم يقل ولقد أرسلنا إليهم رسلنا الخ للتصريح بوصول الرسالة إليهم فإنه أدل على تناهيهم في العتو والمكابرة أي وبالله لقد جاءتهم رسلنا حسبما أرسلناهم بالآيات الواضحة الناطقة بتقرير ما كتبنا عليهم تأكيداً لوجوب مراعاته وتأيداً لتحتم المحافظة عليه (ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك) أي بعد ما ذكر من الكتب وتأكيدهم بالأمريارسل الرسل ترى وتجديد العهد مرة بعد أخرى ووضع اسم الإشارة موضع الضمير للإيذان بكال تميزه وانظامه بسبب ذلك في سلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للإيماء إلى علو درجته وبعد منزلته في عظم الشأن وثم للتراخي في الرتبة والاستبعاد (في الأرض) متعلق بقوله تعالى (لمسرفون) وكذا الظرف المتقدم ولا يقدح فيه توسط اللام بينه وبينهما لأنها لام الابتداء وحقها الدخول على المبتدأ وإنما دخلوها على الخبر لمكان إن فهي في حيزها الأصلي حكماً والإسراف في كل أمر التباعد عن حد الاعتدال مع عدم مبالاة به أي مسرفون في القتل غير مبالين به ولما كان إسرافهم في أمر القتل مستلزماً لتفريطهم في شأن الإحياء وجوداً وذكرراً وكان هو أقبح الأمرين وأفظعهما اكتفى بذكره في مقام التشنيع .

إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ نَجْوَى فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾

٥ المائدة

- (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) كلام مستأنف سيق ليبين حكم نوع من أنواع القتل وما يتعلق ٣٣ به من الفساد بأخذ المال ونظائره وتعيين موجهه العاجل والآجل لإثريان عظم شأن القتل بغير حق وأدرج فيه بيان ما أشير إليه إجمالاً من الفساد المبيح للقتل قيل أى يحاربون رسول الله وذكر الله تعالى للتمهيد والتنبيه على رفعة محله عنده عز وجل ومحاربة أهل شريعته وسالكى طريقته من المسلمين محاربة له ﷺ فيعم الحكم من يحاربهم ولو بعد أعصار بطريق العبارة دون الدلالة والقياس لأن ورود النص ليس بطريق خطاب المشافهة حتى يختص حكمه بالمكافئين عند النزول في تعميمه لغيرهم إلى دليل آخر وقيل جعل محاربة المسلمين محاربة لله تعالى ورسوله تعظيماً لهم والمعنى يحاربون أولياءهما وأصل الحرب السلب والمراد ههنا قطع الطريق وقيل المكابرة بطريق اللصوصية وإن كانت في مصر (ويسعون في الأرض) عطف ● على يحاربون والجار والمجرور متعلق به وقوله تعالى (فساداً) إمام مصدر وقع موقع الحال من فاعل يسعون ● أى مفسدين أو مفعول له أى للفساد أو مصدر مؤكد ليسعون لأنه في معنى مفسدون على أنه مصدر من أفسد بحذف الزوائد أو اسم مصدر . قيل نزلت الآية في قوم هلال بن عويمر الأسلمي وكان وادعه رسول الله ﷺ على أن لا يعينه ولا يعين عليه ومن أتاه من المسلمين فهو آمن لا يهاج ومن مر به هلال إلى رسول الله ﷺ فهو آمن لا يهاج فرقوم من بنى كنانة يريدون الإسلام بناس من قوم هلال ولم يكن هلال يومئذ شاهداً فقطعوا عليهم وقتلوا وأخذوا أموالهم وقيل نزلت في العرنيين وقصتهم مشهورة وقيل في قوم من أهل الكتاب بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد ففقدوا العهد وقطعوا السبيل وأفسدوا في الأرض ولما كانت المحاربة والفساد على مراتب متفاوتة ووجوه شتى من القتل بدون أخذ المال ومن القتل مع أخذه وأخذه بدون القتل ومن الإخافة بدون قتل وأخذ شرعت لكل مرتبة من تلك المراتب عقوبة معينة بطريق التوزيع فقيل (أن يقتلوا) أى حداً من غير صلب إن أفردوا القتل ولو عفا الأولياء لا يلتفت إلى ذلك ● لأنه حق الشرع ولا فرق بين أن يكون القتل بآلة جارية أولاً (أو يصلبوا) أى مع القتل إن جمعوا بين القتل والاختصاص بأن يصلبوا أحياء وتبمع بطونهم برح إلى أن يموتوا وفي ظاهر الرواية أن الإمام مخير إن شاء اكتفى بذلك وإن شاء قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وقتلهم وصلبهم وصيغة التفعيل في الفعلين للتكثير وقرئ بالتخفيف فيهما (أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف) أى أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى إن اقتصر على أخذ المال من مسلم أو ذمى وكان المقدار بحيث لو قسم عليهم أصاب كلا منهم عشرة دراهم أو ما يساويها قيمته أما قطع أيديهم فلاخذ المال وأما قطع أرجلهم فلاخافة الطريق بتفويت أمنه (أو ينفوا من الأرض) إن لم يفعلوا غير الإخافة والسعى للفساد والمراد بالنفي عندنا هو الحبس ●

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٤﴾ هـ المائة

يَتَابُهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ هـ المائة

- فإنه نفي عن وجه الأرض لدفع شرهم عن أهلها ويعزرون أيضاً لمباشرتهم منكر الإخافة وإزالة الأمن وعند الشافعي رضى الله عنه النفي من بلد إلى بلد لا يزال يطلب وهو هارب فزعا وقيل هو النفي عن بلده فقط وكانوا ينفونهم إلى دهلك وهو بلد في أقصى تهامة وناصح وهو بلد من بلاد الحبشة (ذلك) أى مافصل من الأحكام والأجزية قيل هو مبتدأ وقوله تعالى (لهم خزي) جملة من خبر مقدم على المبتدأ
- وقوله تعالى (في الدنيا) متعلق بمحذوف وقع صفة لخزي أو متعلق بخزي على الظرفية والجملة في محل الرفع على أنها خبر لذلك وقيل خزي خبر لذلك ولهم متعلق بمحذوف وقع حالا من خزي لأنه في الأصل صفة له فلما قدم انتصب حالا وفي الدنيا إما صفة لخزي أو متعلق به على مامر والخزي الذل والفضيحة (ولهم في الآخرة) غير هذا (عذاب عظيم) لا يقادر قدره لغاية عظم جنايتهم فقوله تعالى لهم خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر وفي الآخرة متعلق بمحذوف وقع حالا من عذاب لأنه في الأصل صفة له فلما قدم انتصب حالا أى كأنما في الآخرة (إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم) استثناء
 - ٣٤ مخصوص بما هو من حقوق الله عز وجل كما ينبى عنه قوله تعالى (فاعلموا أن الله غفور رحيم) أما ما هو من حقوق الأولياء من القصاص ونحوه فاللهم ذلك إن شاءوا عفوا وإن أحبوا استوفوا وإنما يسقط بالتوبة وجوب استيفائه لأجوازه وعن علي رضى الله عنه أن الحرث بن بدر جاءه تائباً بعد ما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة (يأياها الذين آمنوا اتقوا الله) لما ذكر عظم شأن القتل والفساد وبين حكمهما وأشير في تضاعيف ذلك إلى مغفرته تعالى لمن تاب من جنايته أمر المؤمنون بأن يتقوه تعالى في كل ما يأتون وما يذرون بترك ما يجب اتقاؤه من المعاصي التي من جملتها ما ذكر من القتل والفساد وبفعل الطاعات التي من زمرتها السعى في إحياء النفوس ودفع الفساد والمسارة إلى التوبة والاستغفار
 - (وابتغوا) أى اطلبوا لأنفسكم (إليه) أى إلى ثوابه والزلفى منه (الوسيلة) هي فعيلة بمعنى ما يتوسل به ويتقرب إلى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل إلى كذا أى تقرب إليه بشيء وإليه متعلق بها قدم عليها للاهتمام به وإليست بمصدر حتى لا تعمل فيما قبلها ولعل المراد بها الاتقاء المأمور به فإنه ملاك الأمر كله كما أشير إليه وذريعة لنيل كل خير ومنجاة من كل ضير فالجملة حينئذ جارية مما قبلها مجرى البيان والتأكيد أو مطلق الوسيلة وهو داخل فيها دخولا أولياً وقيل الجملة الأولى أمر بترك المعاصي والثانية أمر بفعل الطاعات وحيث كان في كل من ترك المعاصي المشتهة للنفس وفعل الطاعات المكروهة لها كلفة ومشقة عقب الأمر بهما بقوله تعالى (وجاهدوا في سبيله) بمحاربة أعدائه البارزة والكامنة
 - (لعلكم تفلحون) بنيل مرضاته والفوز بكراماته .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَافِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ
مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٩﴾

٥ المائدة

- (إن الذين كفروا) كلام مبتدأ مسوق لتأكيد وجوب الامتثال بالأوامر السابقة وترغيب المؤمنين ٣٦ في المسارعة إلى نصحيل الوسيلة إليه عز وجل قبل انقضاء أوانه ببيان استحالة توسل الكفار يوم القيامة بأقوى الوسائل إلى النجاة من العذاب فضلاً عن نيل الثواب (لو أن لهم) أى لكل واحد منهم كافي قوله ● تعالى ولو أن لكل نفس ظلمت الخ لا يجيعهم إذ ليس في ذلك هذه المرتبة من تهويل الأمر وتفضيع الحال (ما في الأرض) أى من أصناف أموالها وذخائرها وسائر منافعها قاطبة وهو اسم أن ولهم خبرها وعلمها ● الرفع بلا خلاف خلا أنه عند سيوييه رفع على الابتداء ولا حاجة فيه إلى الخبر الاشتغال صلته على المسند والمُسند إليه وقد اختصت من بين سائر ما يؤول بالاسم بالوقوع بعد لو وقيل الخبر محذوف ثم قيل بقدر مقدما أى لو ثابت كون ما في الأرض لهم وقيل بقدر مؤخر أى لو كون ما في الأرض لهم ثابت وعند المبرد والزجاج والكوفيين رفع على الفاعلية والفعل مقدر بعد لو أى لو ثبت أن لهم ما في الأرض وقوله تعالى (جميعاً) تأكيد للوصول أو حال منه (ومثله) بالنصب عطف عليه وقوله تعالى (معه) ظرف وقع ● حالا من المعطوف والضمير راجع إلى الموصول وقائده التصريح بفرض كينونتهما لهم بطريق المعية لا بطريق التعاقب تحقيقاً لكامل فظاعة الأمر مع ما فيه من نوع إشعار بكونهما شيئاً واحداً وتمهيداً ● لإفراد الضمير الراجع إليهم واللام في قوله تعالى (ليفتدوا به) متعلقة بما تعلق به خبر أن أعنى الاستقرار المقدر في لهم وبالخبر المقدر عند من يرى تقدير الخبر مقدماً أو مؤخراً وبالفعل المقدر بعد لو على رأى المبرد ومن نحائحه ولا ريب في أن مدار الافتداء بما ذكر هو كونه لهم لا ثبوت كونه لهم وإن كان مستلزماً له والباء في به متعلقة بالافتداء والضمير راجع إلى الموصول ومثله معاً وتوحيده إما لما أشير إليه وإما لإجرائه مجرى اسم الإشارة كأنه قيل بذلك كما في قوله [كأنه في الجلد توابع البق] أى كان ذلك وقيل هو راجع إلى الموصول والعائد إلى المعطوف أعنى مثله محذوف كما حذف الخبر من قيار في قوله [فإني وقيار بها لغريب] أى وقيار أيضاً غريب وقد جوز أن يكون نصب ومثله على أنه مفعول معه ناعبه الفعل المقدر بعد لو تقريراً على مذهب المبرد ومن رأى رأيه وأنت خير بأن يؤدي إلى كون الرافع للفاعل غير الناصب للمفعول معه لأن المعنى على اعتبار المعية بين ما في الأرض ومثله في الكينونة لهم لا في ثبوت تلك الكينونة وتحقيقها ولا مساغ لجعل ناصبه الاستقرار المقدر في لهم لما أن سيوييه قد نص على اسم الإشارة وحرف الجر المتضمن للاستقرار لا يعملان في المفعول معه وأن قوله هذا لك وأباك قبيح وإن جوز به بعض النحاة في الظرف وحرف الجر وقوله تعالى (من عذاب يوم القيامة) ● متعلق بالافتداء أيضاً أى لو أن ما في الأرض ومثله ثابت لهم ليجعلوه فدية لا أنفسهم من العذاب الواقع يومئذ (ما تقبل منهم) ذلك وهو جواب لو وترتيبه على كون ذلك لهم لا أجل افتدائهم به من غير ●

يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ ه المائدة

وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ه المائدة

- ذكر الافتداء بأن يقال واقتدوا به مع أن الرد والقبول إنما يترتب عليه لا هلى مباديه للإيدان بأنه أمر محقق الوقوع غنى عن الذكر وإنما المحتاج إلى الفرض قدرتهم على ما ذكر أو للمبالغة في تحقق الرد وتخفيف أنه وقع قبل الافتداء على منهاج ما في قوله تعالى أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلبارأه مستقرأ عنده حيث لم يقل فأتى به فرأه فلما الخ وما في قوله تعالى وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه من غير ذكر خروجه عليه السلام عليهن ورأيتن له والجملة الامتناعية بحالها خبر إن الذين كفروا والمراد تمثيل لزوم العذاب لهم واستحالة نجاتهم منه بوجه من الوجوه المحققة والمفروضة وعن النبي عليه الصلاة والسلام يقال للكافر أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت تفتدى به فيقول نعم فيقال له قد سئلت أيسر من ذلك وهو كلمة الشهادة وقوله تعالى (ولهم عذاب أليم) تصريح بما أشير إليه بعدم قبول فديتهم لزيادة تقريره وبيان هوله وشدته قيل محله النصب على الحالية وقيل الرفع عطفاً على خبر إن وقيل عطف على إن الذين فلا محل له كالمعطوف عليه (يريدون أن يخرجوا من النار) استئناف مسوق لبيان حالهم في أثناء مكابدة العذاب مبنى على سؤال نشأ عما قبله كأنه قيل فكيف يكون حالهم أو ماذا يصنعون فقيل يريدون الخ وقد بين في تضاعيفه أن عذابهم عذاب النار قيل إنهم يقصدون ذلك ويطلبون المخرج فيلحقهم لهب النار ويرفعهم إلى فوق فهناك يريدون الخروج ولات حين مناص وقيل يكادون يخرجون منها لقوة النار وزيادة رفعها إياهم وقيل يتمنونه ويريدونه بقلوبهم وقوله عز وجل (وما هم بخارجين منها) إما حال من فاعل يريدون أو اعتراض وأياما كان فايثار الجملة الاسمية على الفعلية مصدرية بما الحجازية الدالة بما في خبرها من الباء على تأكيد النفي لبيان كمال سوء حالهم باستمرار عدم خروجهم منها فإن الجملة الاسمية الإيجابية كما تفيد بمعونة المقام دوام الثبوت تفيد السلبية أيضاً بمعونة دوام النفي لانفي الدوام كما مر في قوله تعالى ما أنا بياسط الخ وقرئ أن يخرجوا على بناء المفعول من الإخراج (ولهم عذاب مقيم) تصريح بما أشير إليه آنفاً من عدم تنامي مدته بعد بيان شدته (والسارق والسارقة) شروع في بيان حكم السرقة الصغرى بعد بيان أحكام الكبرى وقد عرفت اقتضاء الحال لإيراد ما توسط بينهما من المقال ولما كانت السرقة معهودة من النساء كالرجال صرح بالسارقة أيضاً مع أن المعهود في الكتاب والسنة إدراج النساء في الأحكام الواردة في شأن الرجال بطريق الدلالة لمزيد الاعتناء بالبيان والمبالغة في الزجر وهو مبتدأ خبره عند سيبويه محذوف تقديره وفيما يتلى عليكم أو وفيما فرض عليكم السارق والسارقة أي حكمهما وعند المبرد قوله تعالى (فاقطعوا أيديهما) والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط إذ المعنى الذي سرق والتي سرقت وقرئ بالنصب وفضلها سيبويه على قراءة الرفع لأن الإنشاء لا يقع خبراً إلا بتأويل وإضمار والسرقة أخذ مال الغير خفية وإنما توجب القطع إذا كان الأخذ من حرز

فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾

٥ المائدة

والمأخوذ يساوى عشرة دراهم فما فوقها مع شروط فصلت في موقعها والمراد بأيديهما أيانها كما يفصح عنه قراءة ابن مسعود رضى الله تعالى عنه والسارقون والساوقات فاقطعوا أيانهم ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله تعالى فقد صغت قلوبكما اكتفاءً بثنية المضاف إليه واليد اسم لتمام الجارحة ولذلك ذهب الخوارج إلى أن المقطع هو المنسكب والجمهور على أنه الرسغ لأنه عليه الصلاة والسلام أتى بسارق فأمر بقطع يمينه منه (جزاء) نصب على أنه مفعول له أي فاقطعوا للجزاء أو مصدر مؤكد لفعله الذى يدل عليه فاقطعوا أي فجازوهما جزاء وقوله تعالى (بما كسبا) على الأول متعلق بجزاء وعلى الثانى باقطعوا وما مصدرية أى بسبب كسبهما أو موصولة أى ما كسباه من السرقة التى تباشر بالأيدي وقوله تعالى (نكالا) مفعول له أيضاً على البدلية من جزاء لانها من نوع واحد وقيل القطع معلل بالجزاء والقطع المعلل معلل بالنكال وقيل هو منصوب بجزاء على طريقة الاحوال المتداخلة فانه علة للجزاء والجزاء علة للقطع كما إذا قلت ضربته تأديباً له إحساناً إليه فإن الضرب معلل بالتأديب والتأديب معلل بالإحسان وقد أجازوا في قوله عز وجل أن يكفر بما أنزل الله بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده أن يكون بغياً مفعولاً له ناصبه أن يكفروا ثم قالوا إن قوله تعالى أن ينزل الله مفعول له ناصبه بغياً على أن التنزيل علة للبغى والبغى علة للكفر وقوله تعالى (من الله) متعلق بمحذوف وقع صفة لنكالا أى نكالا كائننا منه تعالى (والله عزيز) غالب على أمره يمتصيه كيف يشاء من غيرند ينازعه ولا ضد يمانعه (حكيم) فى شرائعه لا يحكم إلا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة ولذلك شرع هذه الشرائع المنظوبة على فنون الحكم والمصالح (فمن تاب) أى من السراق إلى الله تعالى (من بعد ظلمه) الذى هو ٣٩ سرقة والتصريح به مع أن التوبة لا تتصور قبله لبيان عظم نعمته تعالى بتذكير عظم جنايته (وأصلح) أى أمره بالتقصى عن تبعات ما باشره والعزم على ترك المعاودة إليها (فإن الله يتوب عليه) أى يقبل توبته فلا يعذبه فى الآخرة وأما القطع فلا تسقطه التوبة عندنا لأن فيه حق المسروق منه وتسقطه عند الشافعى فى أحد قوليه (إن الله غفور رحيم) مبالغ فى المغفرة والرحمة ولذلك يقبل توبته وهو تعليل لما قبله وإظهار الاسم الجليل للإشعار بعلّة الحكم وتأييد استقلال الجملة وكذا فى قوله عز وجل (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض) فإن عنوان الألوهية مدار أحكام ملكوتها والجار والمجرور خبر مقدم وملك السموات والأرض مبتدأ والجملة خبر لأن وهى مع ما فى حيزها سادة مسد مفعولى تعلم عند الجمهور وما فيه من تكرير الإسناد لتقوية الحكم والخطاب لرسول الله ﷺ بطريق التلوين وقيل لكل أحد صالح للخطاب والاستفهام الإنكارى لتقرير العلم والمراد به الاستشهاد بذلك على قدرته تعالى

يَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ
وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ
يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ
اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾

ه المائدة

- على ما سيأتي من التعذيب والمغفرة على أبلغ وجه وأتمه أى ألم تعلم أن الله له السلطان القاهر والاستيلاء
الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلى فيهما وفيما فيهما لإيجاد وإعدام وإحياء وإماتة إلى غير
● ذلك حسبما تقتضيه مشيئته (يعذب من يشاء) أن يعذبه (ويغفر لمن يشاء) أن يغفر له من غير ند يساهمه
ولا ضد يزاحمه وتقديم التعذيب على المغفرة لمراعاة ما بين سببيهما من الترتيب والجملة إما تقرير لكون
● ملكوت السموات والأرض له سبحانه أو خبر آخر لأن (والله على كل شيء قدير) فيقدر على ما ذكر من
٤١ التعذيب والمغفرة والإظهار في موقع الإضمار لما مر مراراً والجملة تذييل مقرر لما قبلها (يأتيها الرسول
لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) خوطب عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة للتشريف والإشعار
بما يوجب عدم الحزن والمسارة في الشيء الوقوع فيه بسرعة ورغبة وإثارة كلفة في على كلفة إلى الواقعة
في قوله تعالى وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة الخ لإيماء إلى أنهم مستقرون في الكفر لا يرحلون
ولأنما ينتقلون بالمسارة عن بعض فنونه وأحكامه إلى بعض آخر منها كإظهار موالاة المشركين وإبراز
آثار الكيد للإسلام ونحو ذلك كما في قوله تعالى أولئك يسارعون في الخيرات فإنهم مستمرون على
الخير مسارعون في أنواعه وأفراده والتعبير عنهم بالموصول للإشارة بما في حيز صلته إلى مدار الحزن
وهذا وإن كان بحسب الظاهر نهياً للكفرة عن أن يحزنوه عليه الصلاة والسلام بمسارعتهم في الكفر
لكنه في الحقيقة نهى له عليه الصلاة والسلام عن التأثر من ذلك والمبالاة بهم على أبلغ وجه وأكد
فإن النهى عن أسباب الشيء ومبادئه المؤدية إليه نهى عنه بالطريق البرهاني وقلع له من أصله وقديوجه
النهي إلى المسبب ويراد به النهى عن السبب كما في قوله لا أرينك هنا يريد نهى مخاطبه عن الحضور بين
يديه وقرىء لا يحزنك من أحزنه منقولاً من حزن بكسر الزاى وقرىء يسارعون يقال أسرع فيه الشيب
● أى وقع فيه سريعاً أى لا تحزن ولا تبال بهاقهم في الكفر بسرعة وقوله تعالى (من الذين قالوا آمنا
بأفواههم) بيان المسارعين في الكفر وقيل متعلق بمحذوف وقع حالاً من فاعل يسارعون وقيل من
● الموصول أى كائنين من الذين الخ والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا وقوله تعالى (ولم تؤمن قلوبهم) جملة حالية
● من ضمير قالوا وقيل عطف على قالوا وقوله تعالى (ومن الذين هادوا) عطف على من الذين قالوا الخ
● وبه يتم بيان المسارعين في الكفر بتقسيمهم إلى قسمين المنافقين واليهود فقوله تعالى (سماعون للكذب)
خبر لمبتدأ محذوف راجع إلى الفريقين أو إلى المسارعين وأما رجوعه إلى الذين هادوا فنحل بعموم

- الوعيد الآتي ومباديه للكل كما ستقف عليه وكذا جعل قوله ومن الذين الخ خبراً على أن قوله سماعون صفة لمبتدأ محذوف أى ومنهم قوم سماعون الخ لادائه إلى اختصاص ماعدد من القبانخ وما يترتب عليها من الغوائل الدنيوية والاخرية بهم فالوجه ما ذكر أولاً أى هم سماعون واللام إلام التقوية للعمل وإما لتضمنين السماع معنى القبول وإلام كى والمفعول محذوف والمعنى هم مبالغون فى سماع الكذب أو فى قبول ما يفتريه أخبارهم من الكذب على الله سبحانه وتحرير كتابه أو سماعون أخباركم وأحاديثكم ليكذبوا عليكم بأن يمسخوها بالزيادة والنقص والتبديل والتغيير أو أخبار الناس وأقوالهم الدائرة فيما بينهم ليكذبوا فيها بأن يرجفوا بقتل المؤمنين وانكسار سراياهم ونحو ذلك مما يضر بهم وأيا ما كان فالجملة مستأنفة جارية مجرى التعليل للنهى فإن كونهم سماعين للكذب على الوجوه المذكورة وإبقاء أمورهم على ما لا أصل له من الأباطيل والأراجيف مما يقتضى عدم المبالاة بهم وترك الاعتداد بما يأتون وما يذرون للقطع بظهور بطلان أكاذيبهم واختلال ما بنوا عليها من الأفاعيل الفاسدة المؤدية إلى الخزي والعذاب كما سيأتى وقرئ سماعين للكذب بالنصب على الذم وقوله تعالى (سماعون لقوم آخرين) ● خبر ثان للمبتدأ المقدر مقرر للأول ومبين لما هو المراد بالكذب على الوجهين الأولين واللام مثل ما فى سمع الله لمن حمده فى الرجوع إلى معنى من أى قبل منه حمده والمعنى مبالغون فى قبول كلام قوم آخرين وأما كونها لام التعليل بمعنى سماعون منه عليه الصلاة والسلام لأجل قوم آخرين وجههم عيوننا ليلغوهم ما سمعوا منه عليه الصلاة والسلام أو كونها متعلقة بالكذب على أن سماعون الثانى مكرر للتأكيد بمعنى سماعون ليكذبوا لقوم آخرين فلا يكاد يساعده النظم الكريم أصلاً وقوله تعالى (لم يأتوك) صفة ● أخرى لقوم أى لم يحضروا مجلسك وتجاؤا عنك تكبراً وإفراطاً فى البغضاء قيل هم يهود خيبر والسماعون بنو قريظة وقوله تعالى (يحرفون الكلم من بعد مواضعه) صفة أخرى لقوم وصفوا أولاً بغايرتهم ● للسماعين تنبيهاً على استقلالهم وأصالتهم فى رأى والتدبير . ثم بعدم حضورهم مجلس الرسول عليه الصلاة والسلام إيذاناً بكال طغيانهم فى الضلال ثم باستمرارهم على التحريف بياناً لإفراطهم فى العتو والمكابرة والاجترار على الاقتراء على الله تعالى وتعييناً للكذب الذى سمعه السماعون أى يملونه ويذبلونه عن مواضعه بعد أن وضعه الله تعالى فيها إلاماً لفظاً ياهماله أو تغيير وضعه وإلاماً معنى بحمله على غير المراد وإجرائه فى غير موره وقيل الجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب ناعية عليهم شنائعهم وقيل خبر مبتدأ محذوف ● راجع إلى القوم وقوله تعالى (يقولون) كالجملة السابقة فى الوجوه المذكورة ويجوز أن يكون حالاً من ضمير يحرفون وأما تجويز كونها صفة لسماعون أو حالاً من الضمير فيه فما لا سبيل إليه أصلاً كيف لا وأن مقول القول ناطق بأن قائله ممن لا يحضر مجلس الرسول ﷺ والمخاطب به ممن يحضره فكيف يمكن أن يقوله السماعون المترددون إليه ﷺ لمن لا يحوم حوله قطعاً وأدعاء قول السماعين لأعقابهم المخالطين للمسلمين تعسف ظاهر مغل بجزالة النظم الكريم والحق الذى لا يحيد عنه أن المحرفين والقائلين هم القوم الآخرون أى يقولون لا تباعهم السماعين لهم عند إلقاءهم إليهم أقوالهم الباطلة مشيرين إلى كلامهم الباطل (إن أوتيتهم) من جهة الرسول ﷺ (هذا نخذوه) واعملوا بموجبه فإنه الحق (وإن لم توتوه) بل أوتيتهم ●

- غيره (فاحذروا) أي فاحذروا قبوله وإياكم وإياه وفي ترتيب الأمر بالحذر على مجرد عدم إتياء المحرف من المبالغة في التحذير ما لا يخفى . روى أن شريفاً من خير زنى بشريفة وهما محصنان وحدثهما الرجم في التوراة فسكرهما وارجهما لشرهما فبعثوا رهماً منهم إلى بني قريظة ليسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك وقالوا إن أمركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وإن أمركم بالرجم فلا تقبلوا وأرسلوا الزانين معهم فأمرهم بالرجم فأبوا أن يأخذوا به فقال جبريل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صور يا ووصفه له فقال ﷺ هل تعرفون شاباً أبيض أعور يسكن فذلك يقال له ابن صور يا قالوا نعم وهو أعلم يهودي على وجه الأرض بما أنزل الله على موسى بن عمران في التوراة قال فأرسلوا إليه ففعلوا فأتاهم فقال له النبي ﷺ أنت ابن صور يا قال نعم قال ﷺ وأنت أعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال لهم أترضون به حكماً قالوا نعم فقال له رسول الله ﷺ أنشدك الله الذي لا إله إلا هو الذي فلق البحر وأنجاكم وأغرق آل فرعون وظلال عليكم الغمام وأنزل عليكم المن والسلوى ورفع فوقكم الطور وأنزل عليكم التوراة فيها حلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم الرجم على من أحسن قال نعم والذي ذكرته لو لا خشيت أن يحرقني التوراة إن كذبت أو غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هي في كتابك يا محمد قال ﷺ إذ شاهد أربعة رهاط عدول أنه أدخل فيها كما يدخل الميل في المسحلة وجب عليه الرجم قال ابن صور يا والذي أنزل التوراة على موسى هكذا أنزل الله في التوراة على موسى فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت إن كذبت أن ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله ﷺ عن أشياء كان يعرفها من أعلامه فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله النبي الأمي العربي الذي بشر به المرسلون وأمر رسول الله ﷺ بالزانين فرجا عند باب المسجد (ومن يرد الله شئاً) أي ضلته أو فضيخته كائن من كان فيندرج فيه المذكورون اندارجاً أولاً وعدم التصريح بكونهم كذلك للإشعار بكال ظهوره واستغنائه عن ذكره (فلن تملك له) فلن تستطيع له (من الله شيئاً) في دفعها والجملة مستأنفة
- مقرر لما قبلها ومبينة لعدم انفكاكهم عن القبانح المذكورة أبداً (أولئك) إشارة إلى المذكورين من المنافقين واليهود وما في اسم الإشارة من معنى البعد للإيدان ببعدهم عن الزمان وهو مبتدأ خبره قوله
- تعالى (الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) أي من رجس الكفر وخبث الضلالة لانهما كهم فيهما وإصرارهم عليهما وإعراضهم عن صرف اختيارهم إلى تحصيل الهداية بالكلية كما ينبغي عنه وصفهم بالمسارعة في الكفر أولاً وشرح فنون ضلالتهم آخرها والجملة استئناف مبين لكون إرادته تعالى لفنتهم منوطة بسوء اختيارهم وقبح صنيعهم الموجب لها لا واقعة منه تعالى ابتداء (لهم في الدنيا خزي) أما المنافقون
- فخزيهم فضيحتهم وهتك سترتهم بظهور نفاقهم فيما بين المسلمين وأما خزي اليهود فالذل والجزية والافتضاح بظهور كذبهم في كتابان نص التوراة وتنكير خزي للتنخيم وهو مبتدأ ولهم خبره وفي الدنيا متعلق بما
- تعلق به الخبر من الاستقرار وكذا الحال في قوله تعالى (ولهم في الآخرة) أي مع الخزي الدنيوي
- (عذاب عظيم) هو الخلود في النار وضمير لهم في الجملتين للمنافقين واليهود جميعاً لا اليهود خاصة كما قيل وتكرير لهم مع اتحاد المرجع لزيادة التقرير والتأكيد والجملتان استئناف مبني على سؤال نشأ من تفصيل أفعالهم وأحوالهم الموجبة للعقاب كأنه قيل فما لهم من العقوبة فقبل لهم في الدنيا الآية .

سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْثَلُونَ لِلْحَقِّ فَإِنْ جَاءَكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ هـ المائدة

- ٤٢ (سماعون للكذب) خبر آخر للمبتدأ المقدر كرر تأكيداً لما قبله وتمهيداً لما بعده من قوله تعالى (أَكْثَلُونَ لِلْحَقِّ) وهو أيضاً خبر آخر للمقدر وارد على طريقة الذم أو بناء على أن المراد بالكذب ما يفتعله الراشون عند الأكالين والسحت بضم السين وسكون الحاء في الأصل كل ما لا يحل كسبه وقيل هو الحرام مطلقاً من سحته إذا استأصله سمي به لأنه مسحوت البركة والمراد به هنا إما الرشا التي كان يأخذها المحرفون على تحريفهم وسائر أحكامهم الزائفة وهو المشهور أو ما كان يأخذه فقراؤهم من أغنيائهم من المال ليقيموا على اليهودية كما قيل وإما مطلق الحرام المنتظم لما ذكر انتظاماً أولاً وقرىء للسحت بضم السين والحاء وبفتحهما وبفتح السين وسكون الحاء وبكسر السين وسكون الحاء وعن النبي ﷺ كل لحم أنبته السحت فالنار أولى به (فإن جاءوك) لما بين تفاصيل أمورهم الواهية وأحوالهم المختلفة الموجبة لعدم المبالاة بهم وبأفعالهم حسب أمره ﷺ خو ط ب ﷺ ببعض ما يبتنى عليه من الأحكام بطريق التفريع والفاء فصيحة أى وإذا كان حالهم كما شرح فإن جاءوك متحاكين إليك فيما شجر بينهم من الخصومات (فاحكم بينهم أو أعرض عنهم) غير مبال بهم ولا خائف من جمعتهم أصلاً وهذا كما ترى تخيير له ﷺ بين الأمرين فقيل هو في أمر خاص هو ما ذكر من زنا المحصن وقيل في قتل من اليهود في بني قريظة والنضير فتحاكموا إلى رسول الله ﷺ فقال بنو قريظة إخواننا بنو النضير أبونا واحد وديننا واحد ونبينا واحد وإذا قتلوا منا قتيلاً لم يرضوا بالقود وأعطينا سبعين وسقاً من تمر وإذا قتلنا منهم قتلوا القاتل وأخذوا منا الضعف مائة وأربعين وسقاً من تمر وإن كان القتل امرأة قتلوا بها الرجل منا وبالرجل منهم الرجلين منا وبالعبد منهم الحر منا فافض بيننا فجعل ﷺ الدية سواء وقيل هو عام في جميع الحكومات ثم اختلفوا فمن قائل إنه ثابت وهو المروى عن عطاء والنخعي والشعبي وقتادة وأبي بكر الأصم وأبي مسلم وقائل إنه منسوخ وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لم ينسخ من المائدة إلا آيتان قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله نسخها قوله تعالى فاقتلوا المشركين وقوله تعالى فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم نسخها قوله تعالى وأن احكم بينهم بما أنزل الله وعليه مشايخنا (وإن تعرض عنهم) بيان لحال الأمرين إثر تخييره ﷺ بينهم وتقدير حال الإعراض للسارعة إلى بيان أن لا ضرر فيه حيث كان مظنة الضرر لما أنهم كانوا لا يتحاكمون إليه ﷺ إلا لطلب الأيسر والأهون عليهم فإذا أعرض عنهم وأبى الحكومة بينهم شق ذلك عليهم فقتلوا عدوتهم ومضاراتهم له ﷺ فأمنه الله عز وجل بقوله (فلن يضررك شيئاً) من الضرر فإن الله عاصمك من الناس (وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط) بالعدل الذي أمرت به كما حكمت بالرجم (إن الله يحب المقسطين) ومن ضرورته أن يحفظهم عن كل مكروه ومحدور.

وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ هـ المائدة
 إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبِّيُّونَ
 وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُوا وَلَا تَسْتَرُوا
 بِعَآيَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ هـ المائدة

- ٤٣ (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله) تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه والحال
 أن الحكم منصوب عليه في كتابهم الذي يدعون الإيمان به وتنبيه على أنهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة
 الحق وإقامة الشرع وإنما طلبوا به ما هو أهون عليهم وإن لم يكن ذلك حكم الله على زعمهم فقوله تعالى
 وعندهم التوراة حال من فاعل يحكمونك وقوله تعالى فيها حكم الله حال من التوراة إن جعلت مرتفعة
 بالظرف وإن جعلت مبتدأ فهو حال من ضميرها المستكن في الخبر وقيل استئناف مسوق لبيان أن عندهم
 ما يغنيهم عن التحكيم وتأنيثها لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم كمومة ودودة (ثم يتلون) عطف على
 يحكمونك داخل في حكم التعجيب وثم للتراخي في الرتبة وقوله تعالى (من بعد ذلك) أي من بعد ما حكموك
 تصریح بما علم قطعاً لتأكيد الاستبعاد والتعجيب أي ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم من بعد
 ما رضوا بحكمك وقوله تعالى (وما أولئك بالمؤمنين) تذييل مقرر لفحوى ما قبله ووضع اسم الإشارة
 موضع ضميرهم للقصد إلى إحضارهم في الذهن بما وصفوا به من القبايح إيماء إلى علة الحكم وإلى أنهم قد
 تميزوا بذلك عن غيرهم أكمل تمييز حتى انتظموا في سلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للإيدان
 ببعدهم درجتهم في العتو والمكابرة أي وما أولئك الموصوفون بما ذكر بالمؤمنين أي بكتابهم لإعراضهم
 عنه أولاً وعن حكمك الموافق له ثانياً أو بهما وقيل وما أولئك بالكاملين في الإيمان تهكيبهم (إنا أنزلنا
 التوراة) كلام مستأنف سيق لبيان علو شأن التوراة ووجوب مراعاة أحكامها وأنها لم تزل مرعية فيما
 بين الأنبياء ومن يقتدى بهم كبراً عن كبر مقبولة لكل أحد من الأحكام والمتحاكين محفوظة عن المخالفة
 والتبديل تحقيقاً لما وصف به المحرفون من عدم إيمانهم بها وتقريراً لكفرهم وظلمهم وقوله تعالى (فيها
 هدى ونور) حال من التوراة فإن ما فيها من الشرائع والأحكام من حيث إرشادها للناس إلى الحق الذي
 لا يحيد عنه هدى ومن حيث إظهارها وكشفها ما استبهى من الأحكام وما يتعلق بها من الأمور المستورة
 بظلمات الجهل نور وقوله تعالى (يحكم بها النبيون) أي أنبياء بني إسرائيل وقيل موسى ومن بعده من
 الأنبياء جملة مستأنفة مبينة لرفعة رتبته واسمها طبقته وقد جوز كونه حالاً من التوراة فيكون حالاً
 مقدرة أي يحكمون بأحكامها ويحملون الناس عليها وبه تمسك من ذهب إلى أن شريعة من قبلنا شريعة
 لنا ما لم تنسخ وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مراراً من الاعتناء بشأن المقدم والتشويق إلى
 المؤخر ولأن في المؤخر وما يتعلق به نوع طول ربما يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم وقوله

- تعالى (الذين أسلموا) صفة أجريت على النبيين على سبيل المدح دون التخصيص والتوضيح لكن لا للقصد إلى مدحهم بذلك حقيقة فإن النبوة أعظم من الإسلام قطعاً فيكون وصفهم به بعد وصفهم بها تنزلاً من الأعلى إلى الأدنى بل لتنويه شأن الصفة فإن إبراز وصف في معرض مدح العظماء منبئ عن عظم قدر الوصف لا محالة كما في وصف الأنبياء بالصالح ووصف الملائكة بالإيمان عليهم السلام ولذلك قيل أوصاف الأشراف أشراف الأوصاف وفيه رفع لشأن المسلمين وتعريض باليهود وأنهم بمعزل من الإسلام والافتداء بدين الأنبياء عليهم السلام لا سيما مع ملاحظة ما وصفوا به في قوله تعالى (للذين هادوا) وهو متعلق بيحكم أي يحكمون فيما بينهم واللام إما لبيان اختصاص الحكم بهم أعم من أن يكون لهم أو عليهم كأنه قيل لأجل الذين هادوا وإما للإيدان بنفعه للمحكوم عليه أيضاً بإسقاط التبعية عنه وإما للإشعار بكمال رضاهم به وانقيادهم له كأنه أمر نافع لكلا الفريقين فقيه تعريض بالمخرفين وقيل التقدير للذين هادوا وعليهم فحذف ما حذف لدلالة ما ذكر عليه وقيل هو متعلق بأنزلنا وقيل بهدى ونور وفيه فصل بين المصدر ومعموله وقيل متعلق بمحذوف وقع صفة لهما أي هدى ونور كائنان للذين هادوا (والربانيون والأخبار) أي الزهاد والعلماء من ولد هرون الذين التزموا طريقتهم النبيين وجانبوا دين اليهود وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الربانيون الذين يسوسون الناس بالعلم ويربونهم بصغارهم قبل كبارهم والأخبار هم الفقهاء واحده جبر بالفتح والكسر والثاني أفصح وهو رأى الفراء مأخوذة من التحجير والتحسين فإنهم يحبرون العلم ويزينونه ويدينونه وهو عطف على النبيين أي هم أيضاً يحكمون بأحكامها وتوسيط المحكوم لهم بين المعطوفين للإيدان بأن الأصل في الحكم بها وحمل الناس على ما فيها هم النبيون وإنما الربانيون والأخبار خلفاء ونواب لهم في ذلك كما ينبي عنه قوله تعالى (بما استحفظوا) أي بالذي استحفظوه من جهة النبيين وهو التوراة حيث سألوهم أن يحفظوها من التغيير والتبديل على الإطلاق ولا ريب في أن ذلك منهم عليهم السلام استخلاف لهم في إجراء أحكامها من غير إخلال بشيء منها وفي إتمامها أولاً ثم بيانها ثانياً بقوله تعالى (من كتاب الله) من تفخيمها وإجلالها ذاتاً وإضافة وتأكيدها إيجاب حفظها والعمل بما فيها مالا يخفى وإيرادها بعنوان الكتاب للإيماء إلى إيجاب حفظها عن التغيير من جهة الكتابة والباء الداخلة على الموصول متعلقة بيحكم لكن لا على أنها صلة له كالتى في قوله تعالى بها ليلزم تعلق حرفي جر متحدى المعنى بفعل واحد بل على أنها سببية أي ويحكم الربانيون والأخبار أيضاً بسبب ما حفظوه من كتاب الله حسبما وصاهم به أنبياءهم وسألوهم أن يحفظوه وليس المراد بسببية الحكمهم ذلك سببته من حيث الذات بل من حيث كونه محظوظاً فإن تعليق حكمهم بالموصول مشعر بسببية الحفظ المترتب لا محالة على ما في حيز الصلة من الاستحفاظ له وقيل الباء صلة لفعل مقدر معطوف على قوله تعالى يحكم بها النبيون عطف جملة على جملة أي ويحكم الربانيون والأخبار بحكم كتاب الله الذى سألهم أنبياءهم أن يحفظوه من التغيير (وكانوا عليه شهداء) أي رقباء يحمونه من أن يحوم حوله التغيير والتبديل بوجه من الوجوه فتغيير الأسلوب لما ذكر من المزايا وقيل بما استحفظوا بدل من

وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأَذْنَ بِالْأَذْنِ وَاللسنَّ
بِاللسنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ ۖ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾

ه المائدة

- قوله تعالى بها إعادة العامل وهو بعيد وكذا تجوز كون الضمير في استحقاق الأتباع والربانيين والأخبار
جميعاً على أن الاستحفاظ من جناب الله عز وجل أى كلفهم الله تعالى أن يحفظوه ويكونوا عليه شهداء
● وقوله تعالى وتقدس (فلا تخشوا الناس) خطاب لرؤساء اليهود وعلماهم بطريق الالتفات وأما حكام
المسلمين فيتناولهم النهى بطريق الدلالة دون العبارة والفاء لترتيب النهى على ما فصل من حال التوراة
وكونها معنى بشأنها فيما بين الأنبياء عليهم السلام ومن يقتدى بهم من الربانيين والأخبار المتقدمين
عملاً وحفظاً فإن ذلك مما يوجب الاجتناب عن الإخلال بوظائف مراعاتها والمحافظة عليها بأى وجه
كان فضلاً عن التعريف والتغيير ولما كان مدار جرائمهم على ذلك خشية ذى سلطان أو رغبة في الحظر
الديني نهوا عن كل منهما صريحاً أى إذا كان شأنها كما ذكر فلا تخشوا الناس كما كنا من كان واقتدوا في
● مراعاة أحكامها وحفظها بمن قبلكم من الأنبياء وأشياهم (واخشون) في الإخلال بحقوق مراعاتها
● فكيف بالتعرض لها بسوء (ولا تشتروا بآياتي) الاشتراء اسقيدال السلعة بالثمن أى أخذها بدلا منه
لا بذل الثمن لتحصيلها كما قيل ثم استعير لا أخذ شيء بدلا مما كان له عيناً كان أو معنى أخذاً منوطاً بالرغبة
فيما أخذ والإعراض عما أعطى وبذلكما فصل في تفسير قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
فالغنى لا تستبدلوا بآياتي التي فيها بأن تخرجوها منها أو تتركوا العمل بها وتأخذوا لأنفسكم بدلا منها
● (ثمنا قليلا) من الرشوة والجاه وسائر الحظوظ الدنيوية فإنها وإن جلت قليلة مستزلة في نفسها لا سيما
بالنسبة إلى ما فات عنهم بترك العمل بها وإنما عبر عن المشتري الذي هو العمد في عقود المعاوضة
والمقصد الأصلي بالثمن الذي شأنه أن يكون وسيلة إلى تحصيله وأبرزت الآيات التي حقها أن يتنافس
فيها المتنافسون في معرض الآلات والوسائط حيث قرنت بالبلاء التي تصحب الوسائل إيذنا بمبالغتهم
● في التعكيس بأن جعلوا المقصد الأقصى وسيلة والوسيلة الأدنى مقصداً (ومن لم يحكم بما أنزل الله)
كأننا من كان دون مخاطبين خاصة فإنهم مندرجون فيه اندراجاً أولياً أى من لم يحكم بذلك مستهيناً
● به منكراً له كما يقتضيه ما فعلوه من تحريف آيات الله تعالى اقتضاء بيناً (فأولئك) إشارة إلى من
● والجمع باعتبار معناها كما أن الأفراد فيما سبق باعتبار لفظها (هم الكافرون) لاستهانتهم به وهم إما
ضمير الفصل أو مبتدأ وما بعده خبره والجملة خبر لأولئك وقد مر تفصيله في مطلع سورة البقرة والجملة
تذييل مقرر لمضمون ما قبلها أبلغ تقرير وتحذير عن الإخلال به أشد تحذير حيث علق فيه الحكم بالكفر
بمجرد ترك الحكم بما أنزل الله تعالى فكيف وقد انضم إليه الحكم بخلافه لا سيما مع مباشرة ما نهوا عنه
من تحريفه ووضع غيره موضعه وادعاء أنه من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا (وكتبنا) عطف على أنزلنا

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۚ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ه المائدة
وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ه المائدة

- التوراة (عليهم) أى على الذين هادوا وقرىء. وأنزل الله على بنى إسرائيل (فيها) أى فى التوراة (أن
- النفس بالنفس) أى تقاد بها إذا قتلها بغير حق (والعين) تفقأ (بالعين) إذا فقت بغير حق (والأنف)
- يجمع (بالأنف) المقطوع بغير حق (والأذن) تصلم (بالأذن) المقطوعة ظلماً (والسن) تقلع (بالسن)
- المقلوعة بغير حق (والجروح قصاص) أى ذات قصاص إذا كانت بحيث تعرف المساواة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنهم كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فزلت وقرىء. وإن الجروح قصاص وقرىء. والعين إلى آخره بالرفع عطفاً على محل أن النفس لأن المعنى كتبنا عليهم النفس بالنفس إما لإجراء كتبنا مجرى قلنا وإما لأن معنى الجملة التى هى قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما يقع عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرأت سورة أنزلناها (فن تصدق) أى من المستحقين
- (به) أى بالقصاص أى فن عفا عنه والتعبير عنه بالتصدق للبالغة فى الترغيب فيه (فهو) أى التصدق
- (كفارة له) أى للتصدق يكفر الله تعالى بها ذنوبه وقيل للجاني إذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه وقرىء. فهو كفارته له أى فالمتصدق كفارته التى يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شيء وهو تعظيم لما فعل كقوله تعالى فأجره على الله (ومن لم يحكم) كائناً من كان فيتناول من لا يرى قتل الرجل بالمرأة من اليهود ثنائولاً بيننا (بما أنزل الله) من الأحكام والشرائع كائناً ما كان فيدخل فيها الأحكام المحكية دخولاً أولاً (فأولئك هم الظالمون) المبالغون فى الظلم المتعدون لحدوده تعالى الواضعون للشيء فى غير موضعه والجملة تذييل مقرر لإيجاب العمل بالأحكام المذكورة (وقفينا على ٤٦ آثارهم) شروع فى بيان أحكام الإنجيل إثرياً بيان أحكام التوراة وهو عطف على أنزلنا التوراة أى آثار البينين المذكورين يقال قفيته بفلان إذا أتبعته إياه لحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه أى قفينا
- (بعيسى ابن مريم) أى أرسلناه عقبهم (مصدقاً لما بين يديه من التوراة) حال من عيسى عليه السلام
- (وآتيناه الإنجيل) عطف على قفينا وقرىء. بفتح الهمزة (فيه هدى ونور) كما فى التوراة وهو فى محل النصب على أنه حال من الإنجيل أى كائناً فيه ذلك كأنه قيل مشتتلاً على هدى ونور وتوئين هدى ونور
- للأنفخيم ويندرج فى ذلك شواهد نبوته عليه السلام (ومصدقاً لما بين يديه من التوراة) عطف عليه داخل
- فى حكم الحالية وتكرير ما بين يديه من التوراة لزيادة التقرير (وهدى وموعظة للمتقين) عطف على مصدقاً منتظم معه فى سلك الحالية جعل كله هدى بعد ما جعل مشتتلاً عليه حيث قيل هدى وتخصيص كونه هدى وموعظة للمتقين لأنهم الممتدون بهداه والمتنفعون بمجدواه (وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل ٤٧ الله فيه) أمر مبتدأ لهم بأن يحكموا ويعملوا بما فيه من الأمور التى من جملتها دلائل رسالته عليه الصلاة

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى
اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾

ه المائدة

والسلام وشواهد نبوته وما قررت الشريعة الشريفة من أحكامه وأما أحكامه المنسوخة فليس الحكم بها
حكماً بما أنزل الله فيه بل هو إبطال وتعطيل له إذ هو شاهد بنسخها وانتهاء وقت العمل بها لأن شهادته
بصحته ما ينسخها من الشريعة شهادة بنسخها وبأن أحكامه ما قررت تلك الشريعة التي شهد بصحتها كما
سيأتي في قوله تعالى يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل الآية وقيل هو حكاية
للأمر الوارد عليهم بتقدير فعل معطوف على آتيه أي وقلنا ليحكم أهل الإنجيل الخ وقرىء وأن ليحكم
على أن أن موصولة بالأمركا في قولك أمرته بأن قم كأنه قيل وآتيناه الإنجيل وأمرنا بأن يحكم أهل
الإنجيل الخ وقرىء على صيغة المضارع ولام التعليل على أنها متعلقة بمقدر كأنه قيل وليحكم أهل الإنجيل
بما أنزل الله فيه آتيناه إياه وقد عطف على هدى وموعظة على أنهما مفعول لهما كأنه قيل وللهدى والموعظة
آتيناه إياه وللحكم بما أنزل الله فيه (ومن لم يحكم بما أنزل الله) منكر آله مستهيناً به (فأولئك هم الفاسقون)
المتوردون الخارجون عن الإيمان والجملة تذييل مقرر لمضمون الجملة السابقة ومؤكد لوجوب الامتثال
بالأمر وفيه دلالة على أن الإنجيل مشتمل على الأحكام وأن عيسى عليه السلام كان مستقلاً بالشرع
أموراً بالعمل بما فيه من الأحكام قلت أو كثرت لا بما في التوراة خاصة وحمله على معنى وليحكم بما
أنزل الله فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة خلاف الظاهر (وأنزلنا إليك الكتاب) أي الفرد الكامل
الحقيقي بأن يسمى كتاباً على الإطلاق لحيازته جميع الأوصاف الكائنة لجنس الكتاب السماوي وتفوقه
على بقية أفراد وهو القرآن الكريم فاللام للعهد والجملة عطف على أنزلنا وما عطف عليه وقوله تعالى
(بالحق) متعلق بمحذوف وقع حالاً مؤكدة من الكتاب أي ملتبساً بالحق والصدق وقيل من فاعل
أنزلنا وقيل من الكاف في إليك وقوله تعالى (مصدقاً لما بين يديه) حال من الكتاب أي حال كونه
مصدقاً لما تقدمه إما من حيث إنه نازل حسبما نعت فيه أو من حيث أنه موافق له في القصص والمواعيد
والدعوة إلى الحق والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وأما ما يترأى من مخالفته له في
بعض جزئيات الأحكام المتغيرة بسبب تغير الأعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي موافقة لها
من حيث إن كلا من تلك الأحكام حق بالإضافة إلى عصره متضمن للحكمة التي عليها يدور أمر الشريعة
وليس في المتقدم دلالة على أبدية أحكامه المنسوخة حتى يخالفه الناسخ المتأخروا إنما يدل على مشروعيتها
مطلقاً من غير تعرض لبقائها وزوالها بل نقول هو ناطق بزوالها لما أن النطق بصحته ما ينسخها نطق
بنسخها وزوالها وقوله تعالى (من الكتاب) بيان لما واللام للجنس إذ المراد هو الكتاب السماوي وهو

- بهذا العنوان جنس برأسه وإن كان في نفسه نوعاً مخصوصاً من مدلول لفظ الكتاب وعن هذا قالوا اللام للمعنى لأن ذلك لا ينتهي إلى خصوصية الفردية بل إلى خصوصية النوعية التي هي أخص من مطلق الكتاب وهو ظاهر ومن الكتاب السماوي أيضاً حيث خص بما عدد القرآن (ومهمنا عليه) أي رقيباً على سائر الكتب
- المحفوظة من التغيير لأنه يشهد لها بالصحة والثبات ويقرر أصول شرائعها وما يتأبد من فروعها ويعين أحكامها المنسوخة ببيان انتهاء مشروعيتها المستفادة من تلك الكتب وانقضاء وقت العمل بها ولا ريب في أن تمييز أحكامها الباقية على المشروعية أبداً عما انتهى وقت مشروعيتها وخرج عنها من أحكام كونه مهمنا عليه وقرىء ومهمنا عليه على صيغة المفعول أي هو من عليه وحفوظ من التغيير والتبديل كقوله عز وجل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والحافظ إما من جمته تعالى كما في قوله إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون أو الحفاظ في الأعصار والأمصار والفاء في قوله تعالى (فاحكم بينهم) لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن كون شأن القرآن العظيم حقاً مصداقاً لما قبله من الكتب المنزلة على الأمم مهمناً عليه من موجبات الحكم للأمور به أي إذا كان القرآن كما ذكر فاحكم بين أهل الكتابين عند تحاكمهم إليك (بما أنزل الله) أي بما أنزله إليك فإنه مشتمل على جميع الأحكام الشرعية الباقية في الكتب الإلهية وتقديم بينهم للاعتناء ببيان تعميم الحكم لهم ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على عليه ما في حين الصلة للحكم والالتفات بإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والإشعار بعلّة الحكم (ولا تتبع أهواءهم)
 - الزائفة (عما جاءك من الحق) الذي لا يحيد عنه وعن متعلقة بلا تتبع على تضمنين معنى العدول ونحوه
 - كأنه قيل ولا تعدل عما جاءك من الحق متبعاً أهواءهم وقيل بمحذوف وقع حالا من فاعله أي لا تتبع أهواءهم عادلاً عما جاءك وفيه أن ما وقع حالا لا بد أن يكون فعلاً عاماً ووضع الموصول موضع ضمير الموصول الأول الإيماء بما في حين الصلة من مجيء الحق إلى ما يوجب كمال الاجتناب عن اتباع الأهواء وقوله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) كلام مستأنف جرى به لحن أهل الكتابين من معاصريه
 - ﷺ على الانقياد لحكمه بما أنزل إليه من القرآن الكريم ببيان أنه هو الذي كلفوا العمل به دون غيره من الكتابين وإنما الذين كلفوا العمل بهما من مضى قبل نسخهما من الأمم السالفة والخطاب بطريق التلويح والالتفات للناس كافة لكن لا للموجودين خاصة بل للماضين أيضاً بطريق التغليب واللام متعلقة بجعلنا المتعدى لواحد وهو إخبار بجعل ماض لا إنشاء وتقديمها عليه للتخصيص ومنكم متعلق بمحذوف وقع صفة لما عوض عنه تنوين كل ولا ضمير في توسط جعلنا بين الصفة والموصوف كما في قوله تعالى أغري الله أنخذولياً فاطر السموات والخر المعنى لكل أمة كائنة منكم أيها الأمم الباقية والخالية جعلنا أي عينا ووضعنا شرعة ومنهاجا خاصين بتلك الأمة لا تكاد أمة تتخطى شرعتها التي عينت لها فالأمة التي كانت من مبعث موسى إلى مبعث عيسى عليهما السلام شرعتهما التوراة والتي كانت من مبعث عيسى إلى مبعث النبي ﷺ شرعتهما الإنجيل وأما أنتم أيها الموجودون فشرعتم القرآن ليس إلا فآمنوا به واعملوا بما فيه والشرعة والشرعية هي الطريقة إلى الماء شبه بها الدين لكونه سيلاً موصولاً إلى ما هو سبب للحياة الأبدية كما أن الماء سبب للحياة الفانية والمنهاج الطريق الواضح في الدين من نهج الأمر إذا وضع

وَأَن أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ يَمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾

ه المائدة

- وقرىءة بفتح الشين قيل فيه دليل على أنا غير متعبدين بشرائع من قبلنا والتحقيق أنا متعبدون
- بأحكامها الباقية من حيث إنها أحكام شرعنا لا من حيث أنها شرعة للأولين (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) متفقة على دين واحد في جميع الأعصار من غير اختلاف بينكم وبين من قبلكم من الأمم في شيء من الأحكام الدينية ولا نسخ ولا تحويل ومفعول المشبته محذوف تعويلا على دلالة الجزاء عليه أى ولو شاء الله أن يجعلكم أمة واحدة لجعلكم الخ وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الإسلام لا جبركم عليه (ولكن ليبلوكم) متعلق بمحذوف يستدعيه النظام أى ولكن لم يشأ ذلك أى أن يجعلكم أمة واحدة بل شاء ما عليه السنة الإلهية الجارية فيما بين الأمم ليعاملكم معاملة من يبتليكم (فيما آتاكم) من الشرائع المختلفة المناسبة لأعصارها وقرونها هل تعملون بها مدعنين لها معتقدين أن اختلافها بمقتضى المشبته الإلهية المبنية على أساس الحكم البالغة والمصالح النافعة لكم في معاشكم ومعادكم أو تزيفون عن الحق وتقبعون الهوى وتستبدلون المضرة بالجدوى وتشترون الضلالة بالهدى وبهذا اتضح أن مدار عدم المشبته المذكورة ليس مجرد الابتلاء بل العمدة في ذلك ما أشير إليه من انطواء الاختلاف على ما فيه صلاحهم معاشاً ومعاداً كما ينبيء عنه قوله عز وجل (فاستبقوا الخيرات) أى إذا كان الأمر كما ذكر
 - فسارعوا إلى ما هو خير لكم في الدارين من العقائد الحقة والأعمال الصالحة المندرجة في القرآن الكريم وابتدروها انتهازاً للفرصة وإحرازاً لسابقة الفضل والتقدم فقيه من تأكيد الترغيب في الإذعان للحق وتشديد التحذير عن الزيف مالا يخفى وقوله تعالى (إلى الله مرجعكم) استئناف مسوق مساق التعليل
 - لاستباق الخيرات بما فيه من الوعد والوعيد وقوله تعالى (جميعاً) حال من ضمير الخطاب والعامل فيه إما المصدر المنحل إلى حرف مصدرى وفعل مبنى للفاعل أو مبنى للمفعول وإما الاستقرار المقدر في الجار
 - (فيبتلكم بما كنتم فيه تختلفون) أى فيفعل بكم من الجزاء الفاصل بين الحق والمبطل مالا يبق لكم منه شائبة شك فيما كنتم فيه تختلفون في الدنيا وإنما عبر عن ذلك بما ذكر لوقوعه موقع إزالة الاختلاف
 - ٤٩ التى هى وظيفة الإخبار (وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم) عطف على الكتاب أى أنزلنا إليك الكتاب والحكم بما فيه والتعرض لعنوان إنزاله تعالى إياه لتأكيد وجوب الامتثال بالأمر أو على الحق أى أنزلناه بالحق وبأن أحكم وحكاية لإنزال الأمر بهذا الحكم بعد مامر من الأمر الصريح بذلك تأكيد له وتمهيد لما يعقبه من قوله تعالى (واحذروهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل إليك) أى يصرفوك عن بعضه ولو كان أقل قليل بتصوير الباطل بصورة الحق وإظهار الاسم الجليل لتأكيد الأمر بتحويل الخطاب وأن بصلته بدل اشتغال من ضميرهم أى احذروهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل

أَحْكَمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾
يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخْذُوا لليهود والنصرى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم
فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴿٥١﴾

هـ المائدة

- احذرهم مخافة أن يفتنوك وإعادة ما أنزل الله لنا كيد التحذير بهويل الخطب . روى أن أحبار اليهود قالوا اذهبوا بنا إلى محمد فلعننا نفته عن دينه فذهبوا إليه ﷺ وقالوا يا أبا القاسم قد عرفت أننا أحبار اليهود وأنا إن اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وأن بيننا وبين قومنا خصومة فتتجاسر عليك فتقضى لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فأبى ذلك رسول الله ﷺ فنزلت (فإن تولوا) أى أعرضوا عن الحكم بما أنزل الله تعالى وأرادوا غيره (فاعلم أنها يريد الله أن يصيهم ببعض ذنوبهم) أى بذنب توليهم عن حكم الله عز وجل وإنما عبر عنه بذلك إيداناً بأن لهم ذنوباً كثيرة هذا مع كمال عظمه واحد من جملتها وفى هذا الإبهام تعظيم للتولى كما فى قول لبيد [أو يرتبط بعض النفوس حمامها] يريد به نفسه أى نفساً كبيرة ونفساً أى نفس (وإن كثيراً من الناس لفاسقون) أى متعمدون فى الكفر مصرون عليه خارجون عن الحدود الممهودة وهو اعتراض تذييل مقرر لمضمون ما قبله (أحكم الجاهلية ييغون) ٥٠ إنكار وتعجيب من حالهم وتوبيخ لهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى يتولون عن حكمك فييغون حكم الجاهلية وتقديم المفعول للتخصيص المفيد لنا كيد الإنكار والتعجيب لأن التولى عن حكمه ﷺ وطلب حكم آخر منكر عجيب وطلب حكم الجاهلية أقبح وأعجب والمراد بالجاهلية إما الملة الجاهلية التى هى متابعة الهوى الموجبة لليل والمداينة فى الأحكام فيكون تعبيراً لليهود بأنهم مع كونهم أهل كتاب وعلم ييغون حكم الجاهلية التى هى هوى وجهل لا يصدر عن كتاب ولا يرجع إلى وحى وإما أهل الجاهلية وحكمهم ما كانوا عليه من التفاضل فيما بين القتلى حيث روى أن بنى النضير لما تحاكموا إلى رسول الله ﷺ فى خصومة قتل وقعت بينهم وبين بنى قريظة طلبوا إليه ﷺ أن يحكم بينهم بما كان عليه أهل الجاهلية من التفاضل فقال ﷺ القتلى سواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت وقرىء برفع الحكم على أنه مبتدأ وييغون خبره والراجع محذوف حذفه فى قوله تعالى وهذا الذى بعث الله رسولا وقد استضعف ذلك فى غير الشعر وقرىء بقاء الخطاب إما بالاتفات لتشديد التوبيخ وإما بتقدير القول أى قل لهم أحكم الخ وقرىء بفتح الحاء والكاف أى أحاكمها لحكام الجاهلية ييغون (ومن أحسن من الله حكماً) إنكار لأن يكون أحد حكمه أحسن من حكمه تعالى أو مساولة وإن كان ظاهر السبك غير متعرض لنفى المساواة وإنكارها وقد مر تفصيله فى تفسير قوله تعالى ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله (لقوم يوقنون) أى عندهم واللام كما فى هيت لك أى هذا الاستفهام لهم فإنهم الذين يتدبرون الأمور بأنظارهم فيعلمون يقيناً أن حكم الله عز وجل أحسن الأحكام وأعدلها (يأتيا الذين ٥١ آمنوا) خطاب يعم حكمه كافة المؤمنين من المخلصين وغيرهم وإن كان سبب ورود بعضاً منهم كما سيأتى

فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾ ه المائدة

- ووصفهم بعنوان الإيمان لحلمهم من أول الأمر على الانزجار عما نهوا عنه بقوله عز وجل (لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) فإن تذكير اتصافهم بضد صفات الفريقين من أقوى الزواجر عن موالاتهما أى لا يتخذ أحد منكم أحداً منهم ولياً بمعنى لا تصافوهم ولا تعاشرهم مصافاة الأحباب ومعاشرتهم لا بمعنى لا تجعلوهم أولياء لكم حقيقة فإنه أمر ممتنع في نفسه لا يتعلق به النهى (بعضهم أولياء بعض) أى بعض كل فريق من ذينك الفريقين أولياء بعض آخر من ذلك الفريق لامن الفريق الآخر وإنما أُوثر الإجمال في البيان تعويلاً على ظهور المراد لوضوح انتفاء الموالاتة بين فريقى اليهود والنصارى رأساً والجملة مستأنفة مسوقة لتعليل النهى وتأكيده لإيجاب الاجتناب عن المنهى عنه أى بعضهم أولياء بعض متفقون على كلمة واحدة في كل ما يأتون وما يذرون ومن ضرورته إجماع الكل على مضادتك ومضارتك بحيث يسوونكم السوء ويغنونكم الغوائل فكيف يتصور بينكم وبينهم موالاتة وقوله تعالى (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) حكم مستنتج منه فإن انحصار الموالاتة فيما بينهم يستدعى كون من يواليهم منهم ضرورة أن الاتحاد في الدين الذى عليه يدور أمر الموالاتة حيث لم يكن بكونهم ممن يواليهم من المؤمنين تعين أن يكون ذلك بكون من يواليهم منهم وفيه زجر شديد للمؤمنين عن إظهار صورة الموالاتة لهم وإن لم تكن موالاتة في الحقيقة وقوله تعالى (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) لتعليل لكون من يتولاهم منهم أى لا يهديهم إلى الإيمان بل يخليهم وشأنهم فيقعون في الكفر والضلالة وإنما وضع المظهر موضع ضميرهم تنبيهاً على أن توليهم ظلم لما أنه تعريض لأنفسهم للعذاب الخالد ووضع الشيء في غير موضعه وقوله تعالى (فترى الذين في قلوبهم مرض) بيان لكيفية توليهم وإشعار بسببه وبما يقول إليه أمرهم والفاء للإيدان بترتبه على عدم الهداية والخطاب إما للرسول ﷺ بطريق التلوين وإما لكل أحد ممن له أهلية له وفيه مزيد تشنيع للتشنيع أى لا يهديهم بل يذرهم وشأنهم فتراهم الخ وإنما وضع موضع الضمير الموصول لإشعار بما في حيز صلته إلى أن ما ارتكبه من التولى بسبب ما في قلوبهم من مرض النفاق ورخاوة العقد في الدين
- وقوله تعالى (يسارعون فيهم) حال من الموصول والرؤية بصرية وقيل مفعول ثان والرؤية قلبية والأول هو الأنسب بظهور نفاقهم أى تراهم مسارعين في موالاتهم وإنما قيل فيهم مبالغة في بيان رغبتهم فيها وتهاكهم عليها وإشراكها في على كلمة إلى الدلالة على أنهم مستقرون في الموالاتة وإنما مسارعتهم من بعض مراتبها إلى بعض آخر منها كما في قوله تعالى أولئك يسارعون في الخيرات لأنهم غارجون عنها متوجهون إليها كما في قوله تعالى وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة وقرى فيرى بيا الغيبة على أن الضمير لله سبحانه وقيل لمن تصح منه الرؤية وقيل الفاعل هو الموصول والمفعول هو الجملة على حذف أن المصدرية والرؤية قلبية أى ويرى القوم الذين في قلوبهم مرض أن يسارعوا فيهم فلما حذفت أن

وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾ هـ المائدة

- انقلب الفعل مرفوعاً كما في قول من قال [ألا أي هذا الزاجرى أحضر الوغى] والمراد بهم عبد الله بن أبي وأضرابه الذين كانوا يسارعون في موادة اليهود ونصارى نجران وكانوا يعتذرون إلى المؤمنين بأنهم لا يأمنون أن تصيبهم صروف الزمان وذلك قوله تعالى (يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة) وهو حال من ضمير يسارعون والدائرة من الصفات الغالبة التي لا يذكر معها موصوفها أى تدور علينا دائرة من دوائر الدهر ودولة من دوله بأن ينقلب الأمر وتكون الدولة للكفار وقيل نخشى أن يصيبنا مكروه من مكروه الدهر كالجذب والقحط فلا يعطونا الميرة والقرض . روى أن عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه قال لرسول الله ﷺ إن لى موالى من اليهود كثير أعددتم وإنى أبرأ إلى الله ورسوله من ولايتهم وأوالى الله ورسوله فقال عبد الله بن أبى بنى رجل أخاف الدوائر لأبرأ من ولاية موالى وهم يهودى قينقاع ولعله يظهر للمؤمنين أنه يريد بالدوائر المعنى الأخير ويضمير فى نفسه المعنى الأول وقوله تعالى (فعسى الله أن يأتي بالفتح) رد من جهة الله تعالى لهم الباطلة وقطع لأطماعهم الفارغة وتبشير للمؤمنين بالظفر فإن عسى منه سبحانه وعد محتوم لما أن الكريم إذا أطمع أطمع لاحالة فما ظنك بأكرم الأكرمين وأن يأتي فى محل النصب على أنه خبر عسى وهو رأى الا خفش أو على أنه مفعول به وهو رأى سببويه لثلا يلزم الإخبار عن الجنة بالحدث كما فى قولك عسى زيد أن يقوم والمراد بالفتح فتح مكة قاله الكلبى والسدى وقال الضحاك فتح قرى اليهود من خيبر وفدك وقال قتادة ومقاتل هو القضاء الفصل بنصره ﷺ على من خالفه وإعزاز الدين (أو أمر من عنده) بقطع شأفة اليهود من القتل والإجلاء (فيصبحوا) أى أولئك المنافقون المتعللون بما ذكر وهو عطف على يأتى داخل معه فى حين خبر عسى وإن لم يكن فيه ضمير يعود إلى اسمها فإن فاء السببية مغنية عن ذلك لما أنها تجعل الجملتين بكلمة واحدة (على ما أسروا فى أنفسهم نادمين) وهو ما كانوا يكتُمونه فى أنفسهم من الكفر والشك فى أمره ﷺ وتعليق الندامة به لا بما كانوا يظهرونه من موالاته الكفرة لما أنه الذى كان يحملهم على الموالاة ويغريهم عليها فذل ذلك على ندامتهم عليها بأصلها وسببها (ويقول الذين آمنوا) كلام مبتدأ مسوق لبيان كمال سوء حال الطائفة المذكورة وقرى بغير واو على ٥٣ أنه جواب سؤال نشأ مما سبق كأنه قيل فماذا يقول المؤمنون حينئذ وقرى ويقول بالنصب عطفاً على يصبحوا وقيل على يأتى باعتبار المعنى كأنه قيل فعسى أن يأتى الله بالفتح ويقول الذين آمنوا والأول أوجه لأن هذا القول إنما يصدر عن المؤمنين عند ظهور ندامة المنافقين لا عند إتيان الفتح فقط والمعنى ويقول الذين آمنوا مخاطبين لليهود مشيرين إلى المنافقين الذين كانوا يوالونهم ويرجون دولتهم ويظهرون لهم غاية المحبة وعدم المقارفة عنهم فى السراء والضراء عند مشاهدتهم لخبية رجائهم وانعكاس تقديرهم بوقوع ضد ما كانوا يترقبونه ويتعللون به تعجبياً للمخاطبين من حالهم وتعرضاً بهم (أهؤلاء الذين
- ٧٥ - أبو السعود ج ٣ ،

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ۖ أَذِلَّةٌ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَلِكَ فَضْلُ
اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾

ه المائدة

أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم (أى بالنصرة والمعونة كما قالوا فيما حكى عنهم وإن قوتلتم لننصرنكم
واسم الإشارة مبتدأ وما بعده خبره والمعنى إنكار ما فعلوه واستبعاده وتخطئتهم في ذلك أو يقول بعض
المؤمنين لبعض مشيرين إلى المنافقين أيضاً أهؤلاء الذين أقسموا للكفرة إنهم لمعكم فالخطاب في معكم
لليهود على التقديرين إلا أنه على الأول من جهة المؤمنين وعلى الثانى من جهة المقسمين وهذه الجملة لاجل
لها من الإعراب لأنها تفسير وحكاية لمعنى أقسموا الكن لا بالفاظهم وإلا لقليل إنا معكم وجهد الأيمان
أغلظها وهو فى الأصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير وأقسموا بالله يجهدون جهد أيمانهم فحذف
الفعل وأقيم المصدر مقامه ولا يبالى بتعريفه لفظاً لأنه مؤول بنكرة أى مجتهدين فى أيمانهم أو على
المصدر أى أقسموا لإقسام اجتماعهم فى اليمين وقوله تعالى (حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين) إما جملة
مستأنفة مسوقة من جهته تعالى لبيان مآل ما صنعوه من ادعاء الولاية والإقسام على المعية فى المنشط
والمكروه إثر الإشارة إلى بطلانه بالاستفهام الإنكارى وإما خبر ثان للبتدأ عند من يجوز كونه جملة كما
فى قوله تعالى فإذا هى حية تسمى أو هو الخبر والموصول مع ما فى حين صلته صفة لاسم الإشارة فالاستفهام
حينئذ للتقرير وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أحبط أعمالهم فما أخسرهم والمعنى بطلت أعمالهم التى عملوها
فى شأن موالاتكم وسعوا فى ذلك سعيّاً بليغاً حيث لم تكن لكم دولة فينتفعوا بها صنعوا من المساعى
وتحملوا من مكابدة المشاق وفيه من الاستمراء بالمنافقين والتقريع للمخاطبين ما لا يخفى وقيل قاله بعض
المؤمنين مخاطباً لبعض تعجباً من سوء حال المنافقين واغتراباً بها من الله تعالى على أنفسهم من التوفيق
للإخلاص أهؤلاء الذين أقسموا لكم يا غلظ الأيمان إنهم أولياؤكم ومعاضدكم على الكفار بطلت
أعمالهم التى كانوا يتكفونها فى رأى أعين الناس وأنت خير بأن ذلك الكلام من المؤمنين إنما يليق بما لو أظهر
المنافقون حينئذ خلاف ما كانوا يدعونه ويقسمون عليه من ولاية المؤمنين ومعاضدتهم على الكفار
فظهر كذبهم وافتضحوا بذلك على رموس الأَشهاد وبطلت أعمالهم التى كانوا يتكفونها فى رأى أعين
المؤمنين ولا ريب فى أنهم يومئذ أشد ادعاء وأكثر إقساماً منهم قبل ذلك فضلاً عن أن يظهر واخلاف
ذلك وإنما الذى يظهر منهم الندامة على ما صنعوا وليس ذلك علامة ظاهرة الدلالة على كفرهم وكذبهم
فى ادعائهم فإنهم يدعون أن ليست ندامتهم إلا على ما أظهروه من موالات الكفرة خشية إصابة الدائرة
(يأياها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) وقرئ يرتد بالفتح على لغة الحجاز والإدغام لغة تميم
لما نهى فيها سلف عن موالات اليهود والنصارى وبين أن موالاتهم مستدعية للارتداد عن الدين وفصل
مصير أمر من يواليهم من المنافقين شرع فى بيان حال المرتدين على الإطلاق وهذا من الكائنات التى أخبر

عنها القرآن قبل وقوعها . روى أنه ارتد عن الإسلام إحدى عشرة فرقة ثلاث في عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام بنو مدلج ورئيسهم ذو الخنار وهو الأسود العنسي كان كاهناً تنبأ باليمن واستولى على بلاده فأخرج منها عمال رسول الله ﷺ فكتب عليه الصلاة والسلام إلى معاذ بن جبل وإلى سادات اليمن فأهلكه الله تعالى على يدى فيروز الديلمي بيته فقتله وأخبر رسول الله ﷺ بقتله ليلة قتل فسر به المسلمون وتبعض عليه الصلاة والسلام من الغد وأتى خبره فى آخر شهر ربيع الأول وبنو حنيفة قوم مسيلة الكذاب تنبأ وكتب إلى رسول الله ﷺ من مسيلة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد فإن الأرض نصفها لى ونصفها لك فأجاب عليه الصلاة والسلام من محمد رسول الله إلى مسيلة الكذاب أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فخاربه أبو بكر رضى الله عنه بجنود المسلمين وقتل على يدى وحشى قاتل حمزة رضى الله عنه وكان يقول قتلت فى جاهليتى خير الناس وفى إسلامى شر الناس وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث إليه أبو بكر رضى الله عنه خالد بن الوليد فانهزم بعد القتال إلى الشام فأسلم وحسن إسلامه وسبع فى عهد أبى بكر رضى الله عنه فزاره قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قره بن سلبه القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة ابن عبد ياليل وبنو ربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المذنب التى زوجت نفسها من مسيلة الكذاب وفيما يقول أبو العلاء المعرى فى كتاب استغفر واستغفرى [أمت سجاح ووالاها مسيلة * كذابة فى بنى الدنيا وكذاب] وكندة قوم الأشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطيم بن زيد وكفى الله تعالى أمرهم على يد أبى بكر رضى الله عنه وفرقة واحدة فى عهد عمر رضى الله عنه غسان قوم جبلة بن الأيهم نصرته اللطمة وسيرته إلى بلاد الروم وقصته مشهورة وقوله تعالى (فسوف يأتى الله) جواب الشرط والعائد إلى اسم الشرط محذوف أى فسوف يأتى الله مكانهم بعد إهلاكهم (يقوم يحبهم) أى يريد بهم خيرى الدنيا والآخرة ومحل الجملة الجر على أنها صفة لقوم وقوله تعالى (ويحبونه) أى يريدون طاعته ويتحرزون عن معاصيه معطوف عليها داخل فى حكمها قيل هم أهل اليمن لما روى أن النبي عليه الصلاة والسلام أشار إلى أبى موسى الأشعرى وقال قوم هذا وقيل هم الأنصار رضى الله عنهم وقيل هم الفرس لما روى أنه عليه السلام سئل عنهم فضرب بيده الكريمة على عاتق سلمان رضى الله عنه وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الإيمان معلقاً بالثريا لناله رجال من أبناء فارس وقيل هم ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وثلاثة آلاف من أفناء الناس جاهدوا يوم القادسية (أدلة على المؤمنين) جمع ذليل لا ذلول فإن جمعه ذلل أى أرقاه رحماً متذللين ومتواضعين لهم واستعماله بعلى إما لتضمين معنى العطف والحنو أو للتنبيه على أنهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم أو لرعاية المقابلة بينه وبين ما فى قوله تعالى (أعزة على الكافرين) أى أشداء منغلبين عليهم من عزه إذا غلبه كما فى قوله عز وجل (لا يأتى الكافرين من الله شيء) أى أشداء على الكفار رحماً بينهم وهما صفتان أخريان لقوم ترك بينهما العاطف للدلالة على استقلالهم بالانحصاف بكل منهما وفيه دليل على صحة تأخير الصفة الصريحة عن غير الصريحة من الجملة والظرف كما فى قوله تعالى (وهذا كتاب أنزلناه مبارك وقوله تعالى ما يأتهم من ذكر من ربهم محدث وقوله تعالى

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾

• المائة

وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾

• المائة

- ماياتهم من ذكر من الرحمن محدث وما ذهب إليه من لا يجوز من أن قوله تعالى يحجمهم ويحبونه كلام معترض وأن مبارك خبر بعد خبر أو خبر لمبتدأ محذوف وأن من ربهم ومن الرحمن حالان مقدمتان من ضمير محدث تكلف لا يخفى وقرئ أذلة أعزة بالنصب على الحالية من قوم له خصصه بالصفة (بجاهدون في سبيل الله) صفة أخرى لقوم مترتبة على ما قبلها مبينة مع ما بعدها للكيفية عزتهم أو حال من الضمير في أعزة (ولا يخافون لومة لائم) عطف على يجاهدون بمعنى أنهم جامعون بين المجاهدة في سبيل الله وبين التصلب في الدين وفيه تعريض بالمنافقين فإنهم كانوا إذا خرجوا في جيش المسلمين خافوا أولياءهم اليهود فلا يكادون يعملون شيئاً يلحقهم فيه لوم من جهتهم وقيل هو حال من فاعل يجاهدون بمعنى أنهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين واعتراض عليه بأنهم نصوا على أن المضارع المنفي بلا أو ما كالتثبت في عدم جواز مباشرة أو الحال له واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغة لا تخفى (ذلك) إشارة إلى ما تقدم من الأوصاف الجليلة وما فيه من معنى البعد للإيدان ببعد منزلتها في الفضل (فضل الله) أي لطفه وإحسانه لا أنهم مستقلون في الاتصاف بها (يؤتاه من يشاء) إيتاءه إياه وبوقفه لكسبه وتحصيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة (والله واسع) كثير الفواضل والألطف (عليم) مبالغ في العلم بجميع الأشياء التي من جملتها من هو أهل للفضل والتوفيق والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وإظهار الاسم الجليل للإشعار بالعلة وتأكيده استقلال الجملة الاعتراضية (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) لما نهى الله عز وجل عن موالاة الكفرة وعلمه بأن بعضهم أولياء بعض لا يتصور ولا يهتم للؤمنين وبين أن من يتولاهم يكون من جملتهم بين ههنا من هو وليهم بطريق قصر الولاية عليه كأنه قيل لا تنخدعهم أولياء لأن بعضهم أولياء بعض وليسوا بأوليائكم إنما أولياؤكم الله ورسوله والمؤمنون فاخصوم بالموالاة ولا تنخطوهم إلى غيرهم وإنما أفرد الولي مع تعدده للإيدان بأن الولاية أصالة لله تعالى وولايته عليه السلام وكذا ولاية المؤمنين بطريق التبعية لولايته عز وجل (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) صفة للذين آمنوا لجريانه مجرى الاسم أو بدل منه أو نصب على المدح أو رفع عليه (وهم راكعون) حال مع فاعل الفعلين أي يعملون ما ذكر من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وهم خاشعون ومتواضعون لله تعالى وقيل هو حال مخصوصة بإيتاء الزكاة والركوع ركوع الصلاة والمراد بيان كمال رغبتهم في الإحسان ومسارعتهم إليه وروى أنها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع فطرح إليه خاتمه كأنه كان مرجافاً خائفاً غير محتاج في إخراجهم إلى كثير عمل يؤدي إلى فساد الصلاة ولفظ الجمع حينئذ لترغيب الناس في مثل فعله رضي الله عنه وفيه دلالة على أن صدقة التطوع تسمى زكاة (ومن يتول

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ
وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾

٥ المائدة

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾
قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَن ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ
أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾

٥ المائدة

٥ المائدة

- الله ورسوله والذين آمنوا) أوثر الإظهار على أن يقال ومن يتولهم رعاية لما مر من نكتة بيان أصلاته تعالى في الولاية كما ينبي عنه قوله تعالى (فإن حزب الله هم الغالبون) حيث أضيف الحزب إليه تعالى خاصة وهو أيضاً من باب وضع الظاهر موضع الضمير العائد إلى من أى فإنهم الغالبون لكنهم جعلوا حزب الله تعالى تعظيماً لهم وإثباتاً لغلبتهم بالطريق البرهاني كأنه قيل ومن يتول هؤلاء فإنهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون (بأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً) روى أن رفاعه بن زيد وسويد بن الحرث أظهرا الإسلام ثم ناققا وكان رجال من المؤمنين يوادونهما فتموا عن موالاتهما ورتب النهى على وصف يعمهما وغيرهما تعميماً للحكم وتنبيهاً على العلة وإيضاحاً بأن من هذا شأنه جدير بالمعاداة فكيف بالموالاته (من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) بيان للمستهزئين والتعرض لعنوان إتياء الكتاب لبيان كمال شنائتهم وغاية ضلالتهم لما أن إتياء الكتاب وازع لهم عن الاستهزاء بالدين المؤسس على الكتاب المصدق لكتابهم (والكفار) أى المشركين خصوصاً به لتضاعف كفرهم وهو عطف على الموصول الأول ففيه إشعار بأنهم ليسوا بمستهزئين كما ينبي عنه تخصيص الخطاب بأهل الكتاب في قوله تعالى يا أهل الكتاب هل تنقمون منا الآية وقرئ بالجر عطفاً على الموصول الأخير ويعضده قراءة أبى ومن الكفار وقرأة عبدالله ومن الذين أشركوا فهم أيضاً من جملة المستهزئين (أولياء) وجانبوهم كل المجانبية (واتقوا الله) في ذلك بترك موالاتهم أو بترك المناهى على الإطلاق فيدخل فيه ترك موالاتهم دخولاً أولياً (إن كنتم مؤمنين) أى حقاً فإن قضية الإيمان توجب الاتقاء لا محالة (وإذا ناديتكم إلى الصلاة اتخذوها) أى الصلاة أو المناداة ٥٨ ففيه دلالة على شرعية الأذان (هزواً ولعباً) بيان لاستهزائهم بحكم خاص من أحكام الدين بعد بيان استهزائهم بالدين على الإطلاق لإظهار الكمال لشقاوتهم . روى أن نصرانياً بالمدينة كان إذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمداً رسول الله يقول أحرقت الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار وأهله نيام فطارت منه شرارة في البيت فأحرقتهم وأهله جميعاً (ذلك) أى الاستهزاء المذكور (بأهم) بسبب أنهم (قوم لا يعقلون) فإن السفه يؤدي إلى الجهل بمحاسن الحق والهزؤ به ولو كان لهم عقل في الجملة لما اجتروا على تلك العظيمة (قل) أمر لرسول الله ﷺ بطريق تلوين الخطاب بعد نهى المؤمنين عن ٥٩ تولى المستهزئين بأن يحاطبهم ويبين أن الدين منزّه عما يصح صدور ما صدر عنهم من الاستهزاء ويظهر

قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ هـ المائدة

- لهم سبب ما ارتكبه وبلغهم الحجر أى قل لأولئك الفجرة (يا أهل الكتاب) وصفوا بأهلية الكتاب
- تمهيداً لما سيأتى من تبكيتهم وإلزامهم بكفرهم بكتابتهم (هل تنقمون منا) من نقم منه كذا إذا عابه وأنكره وكرهه ينقمه من حد ضرب وقرى بفتح القاف من حد علم وهى أيضاً لغة أى ماتعيون وما تنكرون
- منا (إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا) من القرآن المجيد (وما أنزل من قبل) أى من قبل إنزاله من التوراة والإنجيل المنزلين عليكم وسائر الكتب الإلهية (وأن أكثركم فاسقون) أى متمردون خارجون عن الإيمان بما ذكر فإن الكفر بالقرآن مستلزم للكفر بما يصدقه لا محالة وهو عطف على أن آمنا على أنه مفعول له لتنقمون والمفعول الذى هو الدين محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه دلالة واضحة فإن اتخاذ الدين هزواً ولعباً عين نقمه وإنكاره والإيمان بما فصل عين الدين الذى نقموا خلا أنه أبرز فى معرض علة نقمهم له تسجيلاً عليهم بكال المكابرة والتعكيس حيث جعلوه موجباً لنقمه مع كونه فى نفسه موجباً لقبوله وارتضائه فلا استثناء من أعم العلل أى ما تنقمون منا ديننا لعله من العلل إلا لأن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل من كتبكم ولأن أكثركم متمردون غير مؤمنين بواحد مما ذكر حتى لو كنتم مؤمنين بكتابتكم الناطق بصحة كتابنا لا منتم به وإسناد الفسق إلى أكثرهم لأنهم الحاملون لأعقابهم على التردد والعناد وقيل عطف عليه على أنه مفعول لتنقمون منا لكن لا على أن المستثنى بمجموع المعطوفين بل هو ما يلزمهما من المخالفة كأنه قيل ما تنقمون منا إلا مخالفتكم حيث دخلنا الإيمان وأتم خارجون عنه وقيل على حذف المضاف أى واعتقاد أن أكثركم فاسقون وقيل عطف على ما أى ما تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وبأنكم فاسقون وقيل عطف على علة محذوفة أى لقلة إنصافكم ولأن أكثركم فاسقون وقيل الواو بمعنى مع أى ما تنقمون منا إلا الإيمان مع أن أكثركم الخ وقيل هو منصوب بفعل مقدر دل عليه المذكور أى ولا تنقمون أن أكثركم فاسقون وقيل هو مرفوع على الابتداء والخبر محذوف أى وفسقكم معلوم أى ثابت والجملة حالية أو معترضة وقرىء بأن للكسورة والجملة مستأنفة مبينة لكون أكثرهم فاسقين
- ٦٠ متمردين (قل هل أنبئكم بشر من ذلك) لما أمر عليه الصلاة والسلام بإلزامهم وتبكيتهم ببيان أن مدار نقمهم للدين إنما هو اشتماله على ما يوجب ارتضائه عندهم أيضاً وكفرهم بما هو مسلم لهم أمر عليه الصلاة والسلام عقبيه بأن يبكتهم ببيان أن الحقيق بالنقم والعيب حقيقة ما هم عليه من الدين المحرف وينعى عليهم فى ضمن البيان جنائياتهم وما حاق بهم من تبعاتها وعقوباتها على منهاج التعريض لئلا يحملهم التصريح بذلك على ركوب متن المكابرة والعناد ويخاطبهم قبل البيان بما ينبىء عن عظم شأن المدين ويستدعى إقبالهم على تلقيه من الجملة الاستفهامية المشوقة إلى المخبر به والتنبئة المشعرة بكونه أمراً خطيراً لما أن النبأ هو الخبر الذى له شأن وخطر وحيث كان مناط النقم شرية المنقوم حقيقة أو اعتقاداً وكان مجرد النقم غير مفيد

- لشريته البتة قيل بشر من ذلك ولم يقل بأنقم من ذلك تحقيقاً لشريعة ماسيدكر وزيادة تقرير لها وقيل إنما قيل ذلك لوقوعه في عبارة المخاطبين حيث أتى نفر من اليهود فسألوا رسول الله ﷺ عن دينه فقال عليه الصلاة والسلام أو من بالله وما أنزل إلينا إلى قوله ونحن له مسلمون فحين سمعوا ذكر عيسى عليه السلام قالوا لا نعلم شراً من دينكم وإنما اعتبر الشريعة بالنسبة إلى الدين وهو منزّه عن شائبة الشريعة بالكلية بحجّة معهم على زعمهم الباطل المنعقد على كمال شريته ليثبت أن دينهم شر من كل شر أى هل أخبركم بما هو شر في الحقيقة مما تعتقدونه شراً وإن كان في نفسه خيراً محضاً (مثوبة عند الله) أى جزاء ثابتاً في حكمه
- وقرئ مثوبة وهي لغة فيها كشورة ومشورة وهي مختصة بالخير كما أن العقوبة مختصة بالشر وإنما وضعت ههنا موضعها على طريقة قوله [تحية بينهم ضرب وجيع] ونصّبها على التمييز من بشر وقوله عز وجل (من لعنه الله وغضب عليه) خبر لمبتدأ محذوف بتقدير مضاف قبله مناسب لما أشير إليه بكلمة ذلك أى دين من لعنه الخ أو بتقدير مضاف قبلها مناسب لمن أى بشر من أهل ذلك والجملة على التقديرين استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من الجملة الاستفهامية إماماً على حالها وهو الظاهر المناسب لسياق النظم الكريم وإما باعتبار التقدير فيها فكأنه قيل ما الذى هو شر من ذلك فقيل هو دين من لعنه الله الخ أو قيل فى السؤال من ذا الذى هو شر من أهل ذلك فقيل هو من لعنه الله ووضع الاسم الجليل موضع الضمير لترية المهابة وإدخال الروعة وتهويل أمر اللعن وماتبعه والموصول عبارة عن المخاطبين حيث أبعدهم الله تعالى من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهما كهم فى المعاصى بعد وضوح الآيات وسنوح البينات (وجعل منهم القردة والخنازير) أى مسح بعضهم قرده وهم أصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار مائدة عيسى عليه السلام وقيل كلا المسخين فى أصحاب السبت مسخت شبانهم قرده وشيوخهم خنازير وجمع الضمير الراجع إلى الموصول فى منهم باعتبار معناه كما أن أفراد الضميرين الأولين باعتبار لفظه وإيثار وضعه موضع ضمير الخطاب المناسب لأن يشكك للقصد إلى إثبات الشريعة بما عدد فى حين صلاته من الأمور الهائلة الموجبة لها على الطريقة البرهانية مع ما فيه من الاحتراز عن تهيج لجأهم (وعبد الطاغوت) عطف على صلة من وإفراد الضمير لما مر وكذا عبد الطاغوت على قراءة البناء للفعول ورفع الطاغوت وكذا عبد الطاغوت بمعنى صار معبوداً فالراجع إلى الموصول محذوف على القراءتين أى عبد فيهم أو بينهم وتقديم أوصافهم المذكورة بصدد إثبات شريعة دينهم على وصفهم هذا مع أنه الأصل المستتبّع لها فى الوجود وإن دلّ على شريته بالذات لأن عبادة الطاغوت عين دينهم البين البطلان ودلائلها عليها بطريق الاستدلال بشرية الآثار على شريعة ما يوجبها من الاعتقاد والعمل إما للقصد إلى تبكيثهم من أول الأمر بوصفهم بما لا سبيل لهم إلى الجحود لا بشريته وفضاعته ولا باتصافهم به وإما للإيدان باستقلال كل من المقدم والمؤخر بالدلالة على ما ذكر من الشريعة ولوروعى ترتيب الوجود وقيل من عبد الطاغوت ولعنه الله وغضب عليه الخ بما فهم أن علة الشريعة هو المجموع وقد قرئ عبد الطاغوت وكذا عبد الطاغوت بالإضافة على أنه نعت كفظن ويقظ وكذا عبدة الطاغوت وكذا عبد الطاغوت بالإضافة على أنه جمع عابد كخدم أو على أن أصله عبدة حذفت تاؤه للإضافة بالنصب فى الكل عطفاً على

وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾

ه المائدة

القردة والخنازير وقرى عبد الطاغوت بالجر عطفاً على من بناء على أنه مجرور بتقدير المضاف وقد قيل إن من مجرور على أنه بدل من شر على أحد الوجهين المذكورين في تقدير المضاف وأنت خير بأن ذلك مع اقتضائه إخلاء النظم الكريم عن المزايا المذكورة بالمرّة مما لا سبيل إليه قطعاً ضرورة أن المقصود الأصلي ليس مضمون الجملة الاستفهامية بل هو كما مر مقدمة سيقت أمام المقصود لهرؤ المخاطبين وتوجيه أذهانهم نحو تلقى ما يلقي إليهم عقيبها بجملة خبرية موافقة في الكيفية للسؤال الناشئ عنها وهو المقصود إفادته وعليه يدور ذلك الإلزام والتبكيك حسبما شرح فإذا جعل الموصول بما في حيز صلته من تنمة الجملة الاستفهامية فإين الذي يلقي إليهم عقيبها جواباً عما نشأ منها من السؤال ليحصل به الإلزام والتبكيك وأما الجملة الآنية فبمعزل من صلاحية الجواب كيف لا ولا بد من موافقته في الكيفية للسؤال الناشئ عن الجملة الاستفهامية وقد عرفت أن السؤال الناشئ عنها يستدعى وقوع الشر من تنمة المخبر عنه لا خبراً كما في الجملة المذكورة وسيتضح ذلك مزيداً تضاح ياذن الله تعالى والمراد بالطاغوت العجل وقيل هو الكهنة وكل من أطاعوه في معصية الله عز وجل فيعم الحكم دين النصارى أيضاً ويتضح وجه تأخير ذكر عبادته عن العقوبات المذكورة إذ لو قدمت عليها لتوهم اشتراك الفريقين في تلك العقوبات ولما كان مآل ما ذكر بصدد التبكيك أن ما هو شر مما نقموه دينهم أو أن من هو شر من أهل ما نقموه أنفسهم بحسب ما قدر من المضافين وكانت الشريعة على كلا الوجهين من تنمة الموضوع غير مقصودة الإثبات لدينهم أو لا أنفسهم عقب ذلك بإثباتها لهم على وجه يشعر بعلية ما ذكر من القبانخ لثبوتها لهم بجملة مستأنفة مسوقة من جهته سبحانه شهادة عليهم بكمال الشرارة والضلال أو داخله تحت الأمر تأكيداً للإلزام وتشديداً للتبكيك فقيل (أولئك شر مكاناً) فاسم الإشارة عبارة عن ذكرت صفاتهم الخبيثة وما فيه من معنى البعد للإيدان ببعد منزلتهم في الشرارة أى أولئك الموصوفون بتلك القبانخ والفضائح شر مكانهم جعل مكاناً شراً ليكون أبلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل شر مكاناً أى منصرفاً (وأضل عن سواء السبيل) عطف على شر مقرر له أى أكثر ضلالاً عن الطريق المستقيم وفيه دلالة على كون دينهم شراً محضاً بعيداً عن الحق لأن ما يسلكونه من الطريق دينهم فإذا كانوا أضل كان دينهم ضلالاً بيناً لا غاية وراءه وصيغة التفضيل في الموضوعين للزيادة مطلقاً لا بالإضافة إلى من يشاركونهم في أصل الشرارة والضلال (وإذا جاءوكم قالوا آمنا) نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله ﷺ ويظهرون له الإيمان نفاقاً فالحطاب لرسول الله ﷺ والجمع للتعظيم أوله مع من عنده من المسلمين أى إذا جاءوكم أظهروا الإسلام (وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) أى يخرجون من عندك ملتبسين بالكفر كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك والملتبان حالان من فاعل قالوا بالكفر وبه حالان من فاعل دخلوا

وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾

• المائدة

لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ • المائدة

وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالتَّقِينَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَقْدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

• المائدة

وخرجوا وقد وإن دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح أن يقع حالا أفادت أيضاً بما فيها من معنى التوقع أن أمارات النفاق كانت لائحة وكان الرسول ﷺ يظنه ويتوقع أن يظهره الله تعالى ولذلك قيل (والله أعلم بما كانوا يكتمون) أى من الكفر وفيه وعيد شديد لهم (وترى) خطاب لرسول الله ﷺ ٦٢ أولكل أحدين يصلح للخطاب والرؤية بصرية (كثيراً منهم) من اليهود والمنافقين وقوله تعالى (يسارعون في الإثم) حال من كثير أ وقيل مفعول ثان والرؤية قلبية والأول أنسب بحالهم وظهور نفاقهم والمسايرة المبادرة والمباشرة للشيء بسرعة وإيثار كلمة في على كلمة إلى الواقعة في قوله تعالى وسارعوا إلى مغفرة الخ لما ذكر في قوله تعالى فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم والمراد بالإثم الكذب على الإطلاق وقيل الحرام وقيل كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل هو ما يختص بهم من الآثام (والعدوان) أى الظلم المتعدى إلى الغير أو مجاوزة الحد في المعاصي (وأكلهم السحت) أى الحرام خصه بالذكر مع اندراجه في الإثم للبالغة في التقييغ (لبئس ما كانوا يعملون) أى لبئس شيئاً كانوا يعملونه والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار (لولا ينهاهم الربانيون والأحبار) قال الحسن الربانيون علماء ٦٣ الإنجيل والأحبار علماء التوراة وقيل كلهم في اليهود وهو تخصيص للذين يقتدى بهم أفناؤهم ويعلمون قباحة ما هم فيه وسوء مغيبته على نهى أسافلهم عن ذلك مع توبيخ لهم على تركه (عن قولهم الإثم وأكلهم السحت) مع علمهم بقبحهما ومشاهدتهم لمباشرتهم لهما (لبئس ما كانوا يصنعون) وهذا أبلغ مما قيل في حق عامتهم لما أن العمل لا يبلغ درجة الصنع مالم يتدرب فيه صاحبه ولم يحصل فيه مهارة تامة ولذلك ذم به خواصهم ولأن ترك الحسنة أقيح من موقعة المعصية لأن النفس تلتذ بها وتميل إليها ولا كذلك ترك الإنكار عليها فكان جديراً بأبلغ ذم وفيه بما ينعى على العلماء توانيهم في النهي عن المنكرات ما لا يخفى وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنها أشد آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن آية أخوف عندي منها (وقالت اليهود) قال ابن عباس وعكرمة والضحاك إن الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس

ما لا وأخصهم ناحية فلما عصوا الله سبحانه بأن كفروا برسول الله ﷺ وكذبوه كف عنهم ما بسط عليهم
 فعند ذلك قال فنحاص بن حازوراه (يد الله مغلوله) وحيث لم ينكر عليه الآخرون ورضوا به نسبت تلك
 العظيمة إلى الكل كما يقال بنو فلان قتلوا فلاناً وإنما القاتل واحد منهم وأرادوا بذلك لعنهم الله أنه تعالى
 عمسك يقتر بالرزق فإن كلا من غل اليد وبسطها مجاز عن محض البخل والجود من غير قصد في ذلك
 إلى إثبات يد وغل أو بسط ألا يرى أنهم يستعملونه حيث لا يتصور فيه ذلك كما في قوله [جاد الخمي
 بسط اليدين بوابل * شكرت نداء تلاعه ووهاده] وقد سلك لبيد هذا المسلك السديد حيث قال
 [وغداة ريح قد شهدت وقرة * إذ أصبحت بيد الشمال زمامها] فإنه إنما أراد بذلك إثبات القدرة
 التامة للشمال على التصرف في القرة كيفما تشاء على طريقة المجاز من غير أن يخطر بباله أن يثبت لها يداً
 ولا للقرة زماماً وأصله كناية فيمن يجوز عليه لإرادة المعنى الحقيقي كما مر في قوله تعالى ولا ينظر إليهم
 يوم القيامة في سورة آل عمران وقيل أرادوا ما حكى عنهم بقوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا
 إن الله فقير ونحن أغنياء (غلت أيديهم) دعاء عليهم بالبخل المذموم والمسكنة أو بالفقر والنكد أو بغل
 الأيدي حقيقة بأن يكونوا أسارى مغلولين في الدنيا ويسحبوا إلى النار بأغلالها في الآخرة فتكون
 المطابقة حينئذ من حيث اللفظ وملاحظة المعنى الأصلي كما في سبني سب الله دابره (ولعنوا) عطف على
 الدعاء الأول أي أبعدها من رحمة الله تعالى (بما قالوا) أي بسبب ما قالوا من الكلمة الشنعاء وقيل كلاهما
 خبر (بل يدها مبسوطتان) عطف على مقدر يقتضيه المقام أي كلا ليس كذلك بل هو في غاية ما يكون
 من الجود وإليه أشير بثنائية اليد فإن أقصى ما ينتهى إليه هم الأسخياء أن يعطوا ما يعطونه بكتنا أيديهم
 وقيل التثنية للتنبيه على منحه تعالى لنعمتي الدنيا والآخرة وقيل على إعطائه إكراماً وعلى إعطائه استدراجاً
 (ينفق كيف يشاء) جملة مستأنفة واردة لتأكيد كمال جوده وللتنبيه على سر ما ابتلوا به من الضيق
 الذي اتخذه من غاية جهلهم وضلالهم ذريعة إلى الاجترار على تلك الكفرة العظيمة والمعنى أن ذلك
 ليس لقصور في فيضه بل لأن إنفاقه تابع لمشيئته المبنية على الحكم التي عليها يدور أمر المعاش والمعاد
 وقد اقتضت الحكمة بسبب ما فيهم من شؤم المعاصي أن يضيق عليهم كما يشير إليه ما سيأتي من قوله
 عز وجل ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل الآية وكيف ظرف ليشاء والجملة في محل نصب على الحالية
 من ضمير ينفق أي ينفق كأنما على أي حال يشاء أي كأنما على مشيئته أي يريد أو ترك ذكر ما ينفقه لقصد التعميم
 (وايزيدن كثيراً منهم) وهم علماءهم ورؤساؤهم (ما أنزل إليك) من القرآن المشتمل على هذه الآيات
 وتقديم المفعول للاعتناء به وتخصيص الكثير منهم بهذا الحكم لما أن بعضهم ليس كذلك (من ربك) متعلق
 بأنزل كما أن إليك كذلك وتأخير عنه مع أن حق المبدأ أن يتقدم على المنتهى لاقتضاء المقام الاهتمام
 ببيان المنتهى لأن مدار الزيادة هو النزول إليه عليه السلام كما في قوله تعالى وأنزل لكم من السماء ماء
 والنعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام لتشريفه عليه السلام (طغياناً وكفراً)
 مفعول ثان للزيادة أي ليزيدهم طغياناً على طغيانهم وكفراً على كفرهم القديمين إما من حيث الشدة
 والغلو وإما من حيث الكم والكثرة إذ كلما نزلت آية كفروا بها فزداد طغيانهم وكفرهم بحسب المقدار

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سِيَئَاتِهِمْ وَلَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ ٥ المائدة

وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ٥ المائدة

- كما أن الطعام الصالح للأصحاء يزيد المريض مرضاً (والقينا بينهم) أى بين اليهود فإن بعضهم جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مرجئة وبعضهم مشبهة (العدواة والبغضاء) فلا يكاد تتوافق قلوبهم ولا تتطابق أفواههم والجملة مبتدأ مسوقة لإزاحة ما عسى يتوهم من ذكر طغيانهم وكفرهم من الاجتماع على أمر يؤدي إلى الإضرار بالمسلمين قيل العدواة أخص من البغضاء لأن كل عدو مبغض بلا عكس كلى (إلى يوم القيامة) متعلق بأقينا وقيل بالبغضاء (كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله) تصریح بما أشير إليه من عدم وصول غائلة ما هم فيه إلى المسلمين أى كلما أرادوا محاربة الرسول ﷺ ورتبوا مبادئها وركبوا في ذلك متن كل صعب وذلول رددهم الله تعالى وقهرهم أو كلما أرادوا حرب أحد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التوراة سلط الله تعالى عليهم بخت نصر ثم أفسدوا فسلط الله عليهم فطرس الروم ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المجوس ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المسلمين وللحرب إما صلة لأوقدوا أو متعلق بمحذوف وقع صفة لنار أى كائنة للحرب (ويسعون في الأرض فساداً) أى يجتهدون في الكيد للإسلام وأهله وإنارة الشر والفتنة فيما بينهم مما يغير ما عبر عنه بإيقاد نار الحرب وفساداً إما مفعول له أو في موقع المصدر أى يسعون للفساد أو يسعون سعي فساد (والله لا يحب المفسدين) ولذلك أطفا نائرة إفسادهم واللام إما للجنس وهم داخلون فيه دخولا أولاً وإما للعهد ووضع المظهر مقام الضمير للتعليل وبيان كونهم راسخين في الإفساد (ولو أن أهل الكتاب) أى اليهود والنصارى على أن المراد بالكتاب الجنس ٦٥ المنتظم للتوراة والإنجيل وإنما ذكروا بذلك العنوان تأكيداً للتشنيع فإن أهلية الكتاب توجب إيمانهم به وإقامتهم له لا محالة فكفرهم به وعدم إقامتهم له وهم أهله أقبح من كل قبيح وأشنع من كل شنيع ففعل قوله تعالى (آمنوا) محذوف ثقة بظهوره مما سبق من قوله تعالى هل تقفون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون وما لحق من قوله تعالى ولو أنهم أقاموا التوراة الخ أى ولو أنهم مع صدور ما صدر عنهم من فنون الجنايات قولاً وفعلآ آمنوا بما نفي عنهم الإيمان به فيندرج فيه فرض إيمانهم برسول الله ﷺ وأما إرادة إيمانهم به ﷺ خاصة فبأهاها المقام لأن ما ذكر فيما سبق وما لحق من كفرهم به ﷺ إنما ذكر مشفوعاً بكفرهم بكتابهم أيضاً قصداً إلى الإلزام والتبكيت ببيان أن الكفر به ﷺ مستلزم كفر بكتابهم فحمل الإيمان ههنا على الإيمان به ﷺ خاصة مغل بتجاوب أطراف النظم الكريم (واتقوا) ما عددنا من معاصيهم التي من جملتها مخالفة كتابهم (لكفرنا عنهم سيئاتهم) التي اقترفوها وإن كانت في غابة العظم ونهاية الكثرة ولم نؤاخذهم بها (ولادخلناهم) مع ذلك (جنات النعيم) وتكرير اللام لنا كيد الوعد وفيه تنبيه على كمال عظم ذنوبهم وكثرة معاصيهم وأن الإسلام يجب ما قبله من السيئات وإن جلت وجاوزت كل حد معهود (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل) بمراعاة ٦٦

يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ
النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾

ه المائدة

- ما فيهما من الأحكام التي من جهاتها شواهد نبوة النبي ﷺ وبشرات بعثته فإن إقامتهما إنما تكون بذلك لا بمراعاة جميع ما فيهما من الأحكام لا تنسخ بعضها بنزول القرآن فليست مراعاة الكل من إقامتهما في شيء (وما أنزل إليهم من ربهم) من القرآن المجيد المصدق لكتبهم وإيراده بهذا العنوان للإبذان بوجوب إقامته عليهم لنزوله إليهم وللتصريح ببطلان ما كانوا يدعون من عدم نزوله إلى بني إسرائيل وتقديم إليهم لما مر من قبل وفي إضافة الرب إلى ضميرهم مزيد لطف بهم في الدعوة إلى الإقامة وقيل المراد بما أنزل إليهم كتب أنبياء بني إسرائيل مثل كتاب شعيا وكتاب حزقيا وكتاب دانيال فإنها مملوءة بالمشارة ببعثته ﷺ (لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) أي لوسع عليهم أرزاقهم بأن يفيض عليهم بركات السماء والأرض أو بأن يكثر ثمرات الأشجار وغلل الزروع أو بأن يرزقهم الجنان الياقة الثمار فيجتنبوا ما تهلل منها من رءوس الأشجار وبلتقطوا ما تساقط منها على الأرض وقيل المراد بالمبالغة في شرح السعة والخصب لا تعيين الجهاتين كأنه قيل لاكلوا من كل جهة ومفعول أكلوا محذوف لقصد التعميم أو للقصد إلى نفس الفعل كما في قوله فلان يعطى ويمنع ومن في الموضعين لا بتداء الغاية وفي هاتين الشرطيتين من حشمهم على ما ذكر من الإيمان والتقوى والإقامة بالوعد بنيل سعادة الدارين ووزجرهم عن الإخلال به بما ذكر ببيان إفضائه إلى الحرمان عنها وتبليهم على أن ما أصابهم من الضنك والضيق إنما هو من شؤم جنائياتهم لا لقصور في فيض الفيض ما لا يخفى (منهم) أمة مقتصدة) جملة مستأنفة مبنية على سؤال نشأ من مضمون الجملتين المصدرتين بحرف الامتناع الدالين على انتفاء الإيمان والاتقاء وإقامة الكتب المنزلة من أهل الكتاب كأنه قيل هل كلهم كذلك مهرون على عدم الإيمان الخ فقليل منهم أمة مقتصدة إما على أن منهم مبتدأ باعتبار مضمونه أي بعضهم أمة وإما بتقدير الموصوف أي بعض كائن منهم كما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله الآية أي طائفة معتدلة وهم المؤمنون منهم كعبد الله بن سلام وأضرابه وثمانية وأربعون من النصاري وقيل طائفة حاظم أم في عداوة رسول الله ﷺ (وكثير منهم) مبتدأ لتخصصه بالصفة خبره (سأما يعملون) أي مقول في حقهم هذا القول أي بثما يعملون وفيه معنى التعجب أي ما أسوأ عملهم من العناد والمكابرة وتحريف الحق والإعراض عنه والإفراط في العداوة وهم الأجلاف المتعصبون ككعب بن الأشرف وأشباهه والروم (يا أيها الرسول) نودي ﷺ بعنوان الرسالة تشريفاً له وإبذاناً بأنها من موجبات الإتيان بما أمر به من تبليغ ما أوحى إليه (بلغ ما أنزل إليك) أي جميع ما أنزل إليك من الأحكام وما يتعلق بها
- كأنما ما كان وفي قوله تعالى (من ربك) أي مالك أمورك ومبلغك إلى كمالك اللائق بك عدة ضمنية بحفظه
- ﷺ وكلامه أي بلغه غير مراقب في ذلك أحداً ولا خائف أن ينالك مكره أبداً (وإن لم تفعل) ما أمرت به من تبليغ الجميع بالمعنى المذكور كما ينبغي عنه قوله تعالى (فما بلغت رسالته) فإن ما لا تتعلق به الأحكام

قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَٰكِن يَدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أَنزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ ٥ المائدة

- أصلاً من الأسرار الخفية ليست مما يقصد تبليغه إلى الناس أى فما بلغت شيئاً من رسالته وانسلخت مما شرفت به من عنوان الرسالة بالمرّة لما أن بعضها ليس أولى بالأداء من بعض فإذا لم تؤد بعضها فكأنك أغفلت أداءها جميعاً كما أن من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلمها لإدلاء كل منها بما يدلّه غيرها وكونها لذلك في حكم شيء واحد ولا ريب في أن الواحد لا يكون مبلغاً غير مبلغ مؤمناً به غير مؤمن به ولأن كتمان بعضها إضاعة لما أدى منها أكثره بعض أركان الصلاة فإن غرض الدعوة ينتقض بذلك وقيل فكأنك ما بلغت شيئاً منها كقوله تعالى فكأنما قتل الناس جميعاً من حيث أن كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب وقرئ فما بلغت رسالاتي وعن ابن عباس رضى الله عنهما إن كنت آية لم تبلغ رسالاتي وروى عن رسول الله ﷺ بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعاً فأوحى الله إلى إن لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وذلك قوله تعالى (والله يعصمك من الناس) فإنه كما ترى عدة كريمة ● بعصمته من لحوق ضررهم بروحه العزيز باعثة له ﷺ على الجذ في تحقيق ما أمر به من التبليغ غير مكثوث بعداوتهم وكيدهم وعن أنس رضى الله عنه أنه ﷺ كان يحرس حتى نزلت فأخرج رأسه من قبة آدم فقال انصرفوا يا أيها الناس فقد عصمني الله من الناس وقوله تعالى (إن الله لا يهدي القوم الكافرين) ● تعليل لعصمته تعالى له ﷺ أى لا يمكنهم مما يريدون بك من الأضرار وإيراد الآية الكريمة في تضعيف الآيات الواردة في حق أهل الكتاب لما أن الكل قوارع يسوء الكفار سماعها ويشق على الرسول ﷺ مشافهتهم بها وخصوصاً ما يتلوها من النص الناعى عليهم كمال ضلالهم ولذلك أعيد الأمر فقيلاً (قل ٦٨ يا أهل الكتاب) مخاطباً للفريقين (لستم على شيء) أى دين يعتد به ويلقب بأن يسمى شيئاً لظهور بطلانه ● ووضوح فساده وفي هذا التعبير من التحقير والتصغير مالا غاية وراهه (حتى تقيموا التوراة والإنجيل) ● أى تراعوهما وتحافظوا على ما فيهما من الأمور التي من جهلتهادلائل رسالة الرسول ﷺ وشواهد نبوته فإن إقامتهما إنما تكون بذلك وأما مراعاة أحكامهما المنسوخة فليست من إقامتهما في شيء بل هي تعطيل لهما ورد لشهادتهما لأنهما شاهدان بنسخها وانتهاء وقت العمل بها لأن شهادتهما بصحة ما ينسخها شهادة بنسخها وخرجها عن كونها من أحكامهما وأن أحكامهما ما قرره النبي الذي بشر فبهما بيعته وذكر في تضعيفهما نعمته فاذا إن إقامتهما بيان شواهد النبوة والعمل بما قرره الشريعة من الأحكام كما يفصح عنه قوله تعالى (وما أنزل إليكم من ربكم) أى القرآن المجيد بالإيمان به فإن إقامة الجميع لا تتأتى بغير ذلك ● وتقديم إقامة الكتابين على إقامته مع أنها المقصودة بالذات لرعاية حق الشهادة واستتزالهم عن رتبة الشقاق وإيراده بعنوان الإنزال إليهم لما مر من التصريح بأنهم مأمورون بإقامته والإيمان به لا كما يزعمون من اختصاصه بالعرب وفي إضافة الرب إلى ضميرهم ما أشير إليه من اللطف في الدعوة وقيل المراد بما

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾

• المائة

أنزل إليهم كتب أنبياء بني إسرائيل كما مر وقيل الكتب الإلهية فإنها بأسرها آمرة بالإيمان لمن صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له . روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن جماعة من اليهود قالوا لرسول الله ﷺ ألسنت تقرأ أن التوراة حق من عند الله تعالى فقال ﷺ بلى فقالوا فإننا مؤمنون بها ولا تؤمن بغيرها فنزلت وقوله تعالى (ولينزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً) جملة مستأنفة مبينة لشدة شكيمتهم وغلوم في المكابرة والعناد وعدم إفادة التبليغ نفعاً وتصديرها بالقسم لتأكيد مضمونها وتحقيق مدلولها والمراد بالكثير المذكور علماءهم وزرؤساؤهم ونسبة الإنزال إلى رسول الله ﷺ مع نسبته فيما مر إليهم للإنباء عن انسلاخهم عن تلك النسبة (فلا تأس على القوم الكافرين) أى لا تتأسف ولا تحزن عليهم لإفراطهم في الطغيان والكفر بما تبليغه إليهم فإن غائلته آيلة إليهم وتبعته حاققة بهم لا تتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم ووضع المظهر موضع المضمحل للتسجيل عليهم بالرسوخ في الكفر (إن الذين آمنوا) كلام مستأنف مسوق لترغيب من عدا المذكورين في الإيمان والعمل الصالح أى الذين آمنوا بالسنتهم فقط وهم المنافقون وقيل أعم من أن يواطئوا قلوبهم أولاً (والذين هادوا) أى دخلوا في اليهودية (والصابئون والنصارى) جمع نصران وقد مر تفصيله في سورة البقرة وقوله تعالى والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخر عما في حين إن والتقدير إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كيت وكيت والصابئون كذلك كقوله [فإني وقيارها لغريب] وقوله [وإلا فاعلموا أنا وأنتم * بغاة ما بقينا في شقاق] خلا أنه وسط بين اسم إن وخبرها دلالة على أن الصابئين مع ظهور ضلالهم وزيفهم عن الأديان كلها حيث قبلت توبتهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح فغيرهم أولى بذلك وقيل الجملة الآتية خبر للمبتدأ المذكور وخبر إن . مقدار كما في قوله [نحن بما عندنا وأنتم بما * عندك راض والرائى مختلف] وقيل النصارى مرفوع على الابتداء وقوله تعالى والصابئون عطفاً عليه وهو مع خبره عطف على الجملة المصدرة بأن ولا مساع لعطفه وحده على محل إن واسمها لا شراط ذلك بالفراغ عن الخبر وإلا لا ترفع الخبر بأن والابتداء معاً واعتذر عنه بأن ذلك إذا كان المذكور خبراً لها وأما إذا كان خبر المعطوف محذوفاً فلا محذور فيه ولا على الضمير في هادوا لعدم التأكيد والفصل ولا سفلزامة كون الصابئين هوداً وقرى . والصابئون بياء صريحة وتخفيف الهمزة وقرى . والصابئون وهو من صبا يصبوا لأنهم صبوا إلى اتباع الهوى والشهوات في دينهم وقرى . والصابئين وقرى . يأبها الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون وقوله تعالى (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً) إمامي محل الرفع على أنه مبتدأ خبره (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط وجمع الضمائر الأخيرة باعتبار معنى الموصول كما أن أفراد مافى صلته باعتبار لفظه والجملة

لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلِّمًا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾

٥ المائدة

خبر إن والعائد إلى اسمها محذوف أى من آمن منهم وإما فى محل النصب على أنه بدل من اسم إن وما عطف عليه والخبر قوله تعالى فلا خوف والفاء كما فى قوله عز وعل إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم الآية فالمعنى على تقدير كون المراد بالذين آمنوا المنافقين وهو الأظهر من أحدث من هذه الطوائف إيماناً خالصاً بالمبدأ والمعاد على الوجه اللائق لا كما يزعمه أهل الكتاب فإن ذلك بمعزل من أن يكون إيماناً بهما وعمل عملاً صالحاً حسبما يقتضيه الإيمان بهما فلا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب ولا هم يحزنون حين يحزن المقصرون على تضییع العمر وتقويت الثواب والمراد بيان دوام انتقامهم لا بيان انتفاء دوامهما كما يورمه كون الخبر فى الجملة الثانية مضارعاً لما مر مراراً لأن النفي وإن دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام وأما على تقدير كون المراد بالذين آمنوا مطلق المتدينين بدين الإسلام المخلصين منهم والمنافقين فالمراد بمن آمن من اتصف منهم بالإيمان الخالص بالمبدأ والمعاد على الإطلاق سواء كان ذلك بطريق الثبات والدوام عليه كما هو شأن المخلصين أو بطريق إحداثه وإنشائه كما هو حال من عداهم من المنافقين وسائر الطوائف وفائدة التعميم للمخلصين المبالغة فى ترغيب الباقين فى الإيمان ببيان أن تأخرهم فى الاتصاف به غير مغل بكونهم أسوة لأولئك الأقدمين الأعلام وأما ما قيل المعنى من كان منهم فى دينه قبل أن ينسخ مصداقاً بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملاً بمقتضى شرعه فيما لا سبيل إليه أصلاً كما مر تفصيله فى سورة البقرة (لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل) كلام مبتدأ مسوق لبيان بعض آخر من جنایاتهم المنادية باستبعاد الإيمان ٧٠ منهم أى بالله لقد أخذنا ميثاقهم بالتوحيد وسائر الشرائع والأحكام المكتوبة عليهم فى التوراة (وإرسالنا إليهم رسلاً) ذوى عدد كثير وأولى شأن خطير ليقروهم على مراعاة حقوق الميثاق ويطلوهم على ما أتون ويذرون فى دينهم ويتعمدوهم بالعظة والتذكير وقوله تعالى (كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم) جملة شرطية مستأنفة وقعت جواباً عن سؤال نشأ من الأخبار بأخذ الميثاق وإرسال الرسل وجواب الشرط محذوف كأنه قيل فإذا فعلوا بالرسول فقبل كلما جاءهم رسول من أولئك الرسل بما لا تحبهم أنفسهم المنهمكة فى الغنى والفساد من الأحكام الحققة والشرائع عصوه وعادوه وقوله تعالى (فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون) جواب مستأنف عن استفسار كيفية ما أظهموه من آثار المخالفة المفهومة من الشرطية على طريقة الإجمال كأنه قيل كيف فعلوا بهم فقبل فريقاً منهم كذبوهم من غير أن يتعرضوا لهم بشيء آخر من المضار وفريقاً آخر منهم لم يكتفوا بتكذيبهم بل قتلوهم أيضاً وإنما أوتر عليه صيغة المضارع على حكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها الهائلة للتعجب منها وللتنبية على أن ذلك ديدنهم المستمر والدحافة على رموس الآلى الكريمة وتقديم فريقاً فى الموضوعين للاهتمام به وتشويق السامع إلى ما فعلوا به لا للقصر هذا وأما

وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بِصِيرٌ بِمَا
يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾

ه المائدة

جعل الشرطية صفة لرسلا كما ذهب إليه الجمهور فلا يساعده المقام أصلاً ضرورة أن الجملة الخبرية إذا
جعلت صفة أو صلة ينسخ ما فيها من الحكم وتجعل عنواناً للموصوف تنمة له في إثبات أمر آخر له ولذلك
يجب أن يكون الوصف معلوم الانسحاب إلى الموصوف عند السامع قبل جعله وصفاً له ومن هنا قالوا
إن الصفات قبل العلم بها أخبار والأخبار بعد العلم بها أوصاف ولا ريب في أن ماسيق له النظم إنما هو
بيان أنهم جعلوا كل من جاءهم من رسل الله تعالى عرضة للقتل أو التكذيب حسبما يفيد جعلها استئنافاً
على أبلغ وجه وأكده لا يبين أنه تعالى أرسل إليهم رسلاً موصوفين بكون كل منهم كذلك كما هو مقتضى
جعلها صفة (وحسبوا أن لا تكون فتنة) أي حسب بنو إسرائيل أن لا يصيبهم من الله تعالى بما أتوا
من الداهية الدهياء والخطة الشنعاء بلاء وعذاب وقرى لا تكون بالرفع على أن هي الخففة من أن
واسمها ضمير الشأن المحذوف وأصله أنه لا تكون فتنة وتعليق فعل الحسبان بها وهي للتحقيق لتنزيله
منزلة العلم لكمال قوته وأن بما في حيزها ساد مسد مفعوليه (فعموا) عطف على حسبوا والقاء للدلالة
على ترتب ما بعدها على ما قبلها أي أمنوا بأس الله تعالى قتيادوا في فنون الغي والفساد وعموا عن الدين
بعد ما هداهم الرسل إلى معالمه الظاهرة وبيدوا لهم مناهجه الواضحة (وصموا) عن استماع الحق الذي ألقوه
عليهم ولذلك فعلوا بهم ما فعلوا وهذا إشارة إلى المرة الأولى من مرتي لإفساد بني إسرائيل حين خالفوا
أحكام التوراة وركبوا المحارم وقتلوا شعياً وقيل حسبوا أرمياء عليهما السلام لا إلى عبادتهم العجل
كما قيل فإنها وإن كانت معصية عظيمة ناشئة عن كمال العمى والصمم لكنها في عصر موسى عليه السلام
ولا تعلق لها بما حكى عنهم مما فعلوا بالرسل الذين جاءهم بعده عليه السلام بأعصار (ثم تاب الله
عليهم) حين تابوا ورجعوا عما كانوا عليه من الفساد بعد ما كانوا يبابل دهر أطويلا تحت قهر بخت نصر
أسارى في غاية الذل والمهانة فوجه الله عز وجل ملكاً عظيماً من ملوك فارس إلى بيت المقدس
ليعمره ونجى بقايا بني إسرائيل من أسر بخت نصر بعد مهلكة وردم إلى وطنهم وتراجع من تفرق منهم في
الآكناف فعمروه ثلاثين سنة فكثروا وكانوا كأحسن ما كانوا عليه وقيل لما ورث بهم ابن إسفنديار
الملك من جده كستاسف ألقى الله عز وجل في قلبه شفقة عليهم فردم إلى الشام وملك عليهم دانيال عليه
السلام فاستولوا على من كان فيها من أتباع بخت نصر فقامت فيهم الأنبياء فرجعوا إلى أحسن ما كانوا
عليه من الحال وذلك قوله تعالى ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأما ما قيل من أن المراد قبول توبتهم عن عبادة
العجل فقد عرفت أن ذلك لا تعلق له بالمقام ولم يسند التوبة إليهم كسائر أحوالهم من الحسبان والعمى
والصمم تجافياً عن التصريح بنسبة الخير إليهم وإنما أشير إليها في ضمن بيان توبته تعالى عليهم تمهيداً لبيان
نقضهم إياها بقوله تعالى (ثم عموا وصموا) وهو إشارة إلى المرة الآخرة من مرتي لإفسادهم وهو اجتراؤهم
على قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم السلام لا إلى طلبهم الرؤية كما قيل لما عرفت سره فإن فنون

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَءِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ

أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾

٥ المائدة

- الجنايات الصادرة عنهم لا تكاد تقناهي خلا أن انحصار ما حكي عنهم ههنا في المرتين وترتبه على حكاية ما فعلوا بالرسول عليهم السلام يقضى بأن المراد ما ذكرناه والله عنده علم الكتاب وفريء عموا وصموا بالضم على تقدير عمائم الله وصمهم أى رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نركته إذا ضربته بالنيزك وركبته إذا ضربته بركبته وقوله تعالى (كثير منهم) بدل من الضمير في الفعلين وقيل خبر مبتدأ محذوف
- أى أو تلك كثير منهم (والله بصير بما يعملون) أى بما عملوا وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية
 - استحضاراً لصورتها الفظيعة ورعاية للفواصل والجملة تذييل أشير به إلى بطلان حسابناهم المذكور ووقوع العذاب من حيث لم يحتسبوا إشارة لإجمالية الكفَى بها تعويلاً على ما فصل نوع تفصيل في سورة بنى إسرائيل والمعنى حسبوا أن لا يصيبهم عذاب ففعلوا ما فعلوا من الجنايات العظيمة المستوجبة لأشد العقوبات والله بصير بتفاصيلها فكيف لا يؤاخذهم بها ومن أين لهم ذلك الحسبان الباطل ولقد وقع ذلك في المرة الأولى حيث سلط الله تعالى عليهم بخت نصر عامل لهراسب على بابل وقيل جالوت الجزرى وقيل سنجاريب من أهل نينوى والأول هو الأظهر فاستولى على بيت المقدس فقتل من أهله أربعين ألفاً ممن يقرأ التوراة وذهب بالبقية إلى أرضه فبقوا هناك على أقصى ما يكون من الذل والنكد إلى أن أحدثوا توبة صحيحة فردهم الله عز وجل إلى ما حكي عنهم من حسن الحال ثم عادوا إلى المرة الآخرة من الإفساد فبعث الله تعالى عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه خيبرود وقيل خيبروس ففعل بهم ما فعل قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرايينهم فوجد فيه دماً يغلي فسالهم فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه ألوفا منهم ثم قال إن لم تصدقوني ما تركت منكم أحداً فقالوا إنه دم يحيى عليه السلام فقال بمثل هذا ينتقم الله تعالى منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربى وربك ما أصاب قومك من أجلك فاهداً بأذن الله تعالى قبل أن لا أبقي أحداً منهم فهدأ (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح

٧٢ ابن مريم) شروع في تفصيل قبائح النصارى وإبطال أقوالهم الفاسدة بعد تفصيل قبائح اليهود وهؤلاء هم الذين قالوا إن مريم ولدت لها قيل هم المملوكانية والماريعقوية منهم وقيل هم اليعقوبية خاصة قالوا ومعنى هذا أن الله تعالى حل في ذات عيسى واتحد بذاته تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً (وقال المسيح) حال من فاعل قالوا بتقدير قد مفيدة لمزيد تقييح حالهم ببيان تكذيبهم للمسيح وعدم انزجارهم عما أصروا عليه بما أوعدهم به أى قالوا ذلك وقد قال المسيح مخاطباً لهم (يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم) فإنى عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقى وخالقكم (لأنه) أى الشأن (من يشرك بالله) أى شيئاً في عبادته أو فيما يختص به من صفات الألوهية (فقد حرم الله عليه الجنة) فلن يدخلها أبداً كما لا يصل المحرم عليه إلى

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

• المائة

- المحرم فإنها دار الموحدين وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضممار لتحويل الأمر وتربية المهابة (وماواه
- النار) فإنها هي المعدة للبشركين وهذا بيان لا بتلاثمهم بالعقاب إثر بيان حرمانهم الثواب (وما للظالمين من أنصار) أى ما لهم من أحد ينصرهم بإتقادهم من النار إما بطريق المغالبة أو بطريق الشفاعة والجمع لمراعاة المقابلة بالظالمين واللام إما للعمد والجمع باعتبار معنى من كما أن الأفراد في الضمائر الثلاثة باعتبار لفظها وإما للجنس وهم داخلون فيه دخولا أولياً ووضعها على الأول موضع الضمير للتسجيل عليهم بأنهم ظلموا بالإشراك وعدلوا عن طريق الحق والجملة تذييل مقرر لما قبله وهو إما من تمام كلام عيسى عليه السلام وإما وارد من جهته تعالى تأكيداً لمقالته عليه السلام وتقريراً لمضمونها وقد قيل إنه من كلامه عز وجل على معنى أنهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى عليه السلام فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قوهم وزده وأنكره وإن كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره أو من قول عيسى عليه السلام على معنى لا ينصركم أحد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول وأنت خبير بأن التعبير عما حكى عنه عليه السلام من مقابلته لقوهم الباطل بصريح الرد والإنكار والوعيد بحرمان الجنة ودخول النار بمجرد عدم مساعدته على ذلك ونفى نصرته له مع خلوه عن الفائدة تصوير للقوى بصورة الضعيف وتهوين للخطب في مقام تهويله بل ربما يوهم ذلك بحسب الظاهر ما لا يليق بشأنه عليه السلام من توهم المساعدة والنصرة لا سيما مع ملاحظة قوله وإن كانوا معظمين له إلخ إلا أن يحمل الكلام على التهمك بهم وكذا الحال على تقدير كونه من تمام كلامه عليه السلام فإن زجره عليه السلام إياهم عن قوهم الفاسد بما ذكر من عدم الناصر والمساعد بعد زجره إياهم بما مر من الرد الأكيد والوعيد الشديد بم عزل من الإفادة والتأثير ولا سبيل ههنا إلا الاعتذار بالتهكم (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) شروع في بيان كفر طائفة أخرى منهم ومعنى قوهم ثالث ثلاثة ورابع أربعة ونحو ذلك أحد هذه الأعداد مطلقاً لا الثالث والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور أن ينصب ما بعده بأن يقال ثالث ثلاثة ورابع أربعة وإنما ينصبه إذا كان ما بعده دونه بمرتبة كما في قولك عاشر تسعة وتاسع ثمانية قيل إنهم يقولون إن الإلهية مشتركة بين الله سبحانه وتعالى وعيسى ومريم وكل واحد من هؤلاء إله ويؤكد قوله تعالى لليسع أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله فقوله تعالى ثالث ثلاثة أى أحد ثلاثة آلهة وهو المتبادر من ظاهر قوله تعالى (وما من إله إلا إله واحد) ● أى والحال أنه ليس في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث إنه مبدأ جميع الموجودات إلا إله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشراكة ومن مزيدة للاستغراق وقيل إنهم يقولون الله جوهر واحد ثلاثة أقانيم أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس وإنهم يريدون بالآول الذات وقيل

٥ المائدة

أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾

مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظِرْ

٥ المائدة

كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِّي يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾

- الوجود وبالثاني العلم وبالثالث الحياة فعنى قوله تعالى وما من إله إلا إله واحد إلا إله واحد بالذات منزّه عن شائبة التعدد بوجه من الوجوه (وإن لم ينتهوا عما يقولون) من الكفر الشنيع ولم يوحّدوا وقوله تعالى (ليمس الذين كفروا) جواب قسم محذوف ساد مسد جواب الشرط أى وبالله إن لم ينتهوا ليمسهم وإنما وضع موضع ضميرهم الموصول لتكرير الشهادة عليهم بالكفر فمن في قوله تعالى (منهم) بيانية أو ليمس الذين بقوا منهم على ما كانوا عليه من الكفر فمن تبعضية وإنما جرى بالفعل المنهى عن الحدوث تنبيهاً على أن الاستمرار عليه بعد ورود ما ينهى عليه بالقلع من نص عيسى عليه السلام وغيره كفر جديد وغلو زائد على ما كانوا عليه من أصل الكفر (عذاب أليم) أى نوع شديد الألم من العذاب وهمزة الاستفهام في قوله تعالى (أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه) لإنكار الواقع واستبعاده لا لإنكار الوقوع ٧٤ وفيه تعجيب من إصرارهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى ألا ينتهون عن تلك العقائد الزائفة والآقاويل الباطلة فلا يتوبون إلى الله تعالى ويستغفرونه بالتوحيد والتزبه عما نسبوه إليه من الاتحاد والحلول فدار الإنكار والتعجيب عدم الانتهاء وعدم التوبة معاً أو أيسمعون هذه الشهادات المكررة والتشديدات المقررة فلا يتوبون عقيب ذلك فدارهما عدم التوبة عقيب تحقق ما يوجبها من سماع تلك القوراع الهائلة وقوله عز وجل (والله غفور رحيم) جملة حالية من فاعل يستغفرونه مؤكدة للإنكار والتعجيب من إصرارهم على الكفر وعدم مسارعتهم إلى الاستغفار أى والحال أنه تعالى مبالغ في المغفرة فيغفر لهم عند استغفارهم ويمنحهم من فضله (ما المسيح ابن مريم إلا رسول) استئناف مسوق لتحقيق ٧٥ الحق الذى لا يحيد عنه وبيان حقيقة حاله عليه السلام وحال أمه بالإشارة أولاً إلى أشرف ماله من نعوت الكمال التى بها صاروا من زمرة أكمل أفراد الجنس وآخر إلى الوصف المشترك بينهما وبين جميع أفراد البشر بل أفراد الحيوان استنزاهم بطريق التدرج عن رتبة الإصرار على ما تقولوا عليهما وإرشاداً لهم إلى التوبة والاستغفار أى هو مقصور على الرسالة لا يكاد يتخطاها وقوله تعالى (قد خلت من قبله الرسل) صفة لرسول منبئة عن اتصافه بما ينافى الألوهية فإن خلو الرسل السالفة عليهم السلام منذر بخلوه المقتضى لاستحالة ألوهيته أى ما هو إلا رسول كالرسل الخالية من قبله خصه الله تعالى ببعض من الآيات كما خص كلا منهم ببعض آخر منها فإن أحيى الموتى على يده فقد أحيى العصا فى يد موسى عليه السلام وجعلت حية تسمى وهو أعجب منه وإن خلق من غير أب فقد خلق آدم من غير أب ولا أم وهو أغرب منه وكل ذلك من جنابه عز وجل وإنما موسى وعيسى مظاهر لشئونه وأفعاله (وأمه صديقة) أى وما أمه أيضاً إلا كسائر النساء اللاتي يلازم الصدق أو التصديق ويبالغن في الاتصاف به فارتبتهما

قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ • المائدة
قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ
وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ • المائدة

- إلا رتبة بشرين أحدهما نبي والآخر صحابي فمن أين لكم أن تصفوهما بما لا يوصف به سائر الأنبياء وخواصهم
● (كانا يا كلان الطعام) استئناف مبين لما أشير إليه من كونهما كسائر أفراد البشر في الاحتياج إلى ما يحتاج
● إليه كل فرد من أفرادهم بل من أفراد الحيوان وقوله تعالى (انظر كيف نبين لهم الآيات) تعجيب من حال
الذين يدعون لهم الربوبية ولا يراعون عن ذلك بعد ما بين لهم حقيقة حالهما بياناً لا يحوم حوله شائبة
ريب وكيف معمول لنبيين والجملة في حيز النصب معلقة لا نظراً أي انظر كيف نبين لهم الآيات الباهرة
● المنادية ببطلان ما تقولوا عليهما نداء يكاد يسمعه صم الجبال (ثم انظر أني يوفكون) أي كيف يصرفون
عن استماعها والتأمل فيها والكلام فيه كما فيها قبله وتكرير الأمر بالنظر للبالغ في التعجيب وشم لإظهار
ما بين العجيبين من التفاوت أي إن بياننا للآيات أمر بديع في بابه بالغ لأقصى الغايات القاصية من التحقيق
٧٦ والإيضاح وإعراضهم عنها مع انتفاء ما يصححه بالمرّة وتعاضد ما يوجب قبولها أعجب وأبدع (قل) أمر
● له عليه الصلاة والسلام بالزامهم وتبكيتهم إثر تعجيبه من أحوالهم (أتعبدون من دون الله) أي متجاوزين
● إياه وتقديمه على قوله تعالى (ما لا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً) لما مر مراراً من الاهتمام بالمقدم والنشويق
إلى المؤخر والموصول عبارة عن عيسى عليه السلام وإشارته على كلمة من لتحقيق ما هو المراد من كونه
بمعزل من الألوهية رأساً ببيان انتظامه عليه السلام في سلك الأشياء التي لا قدرة لها على شيء أصلاً
وهو عليه السلام وإن كان يملك ذلك بتسليمه تعالى إياه لكنه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر به
الله تعالى من البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة وتقديم الضرر على النفع لأن التحرز عنه أهم من
● تحري النفع ولأن أدنى درجات التأثير دفع الشر ثم جلب الخير وقوله تعالى (والله هو السميع العليم)
حال من فاعل أتعبدون مؤكداً للإنكار والتوبيخ ومقرر للإلزام والتبكيك والرباط هو الواو أي أتشركون
بالله تعالى ما لا يقدر على شيء من ضرركم ونفعكم والحال أن الله تعالى هو المختص بالإحاطة النامة بجميع
المسموعات والمعلومات التي من جملتها ما أنتم عليه من الأقوال الباطلة والعقائد الزائفة والأعمال
٧٧ السيئة وبالقدرة الباهرة على جميع المقدورات التي من جملتها مضاركم ومنافعكم في الدنيا والآخرة (قل)
يا أهل الكتاب) تلويح للخطاب وتوجيه له إلى فريقي أهل الكتاب بطريق الالتفات على لسان النبي
ﷺ بعد إبطال مسلك كل منهما للبالغ في زجرهم عما سلكوه من المسلك الباطل وإرشادهم إلى الأمم
● المنشأة (لا تغلوا في دينكم) أي لا تتجاوزوا الحد وهو نهى للنصارى عن رفع عيسى عن رتبة الرسالة إلى
ما تقولوا في حقه من العظيمة واليهود عن وضعهم له عليه السلام عن رتبته العلية إلى ما تقولوا عليه من
الكلمة الشنعاء وقيل هو خاص بالنصارى كما في سورة النساء فذكرهم بعنوان أهلية الكتاب لتذكير أن

لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾

كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾

- الإنجيل أيضاً ينههم عن الغلو وقوله تعالى (غير الحق) نصب على أنه نعمت لمصدر محذوف أى لا تغلوا
- فى دينكم غلوا غير الحق أى غلوا باطلاً أو حال من ضمير الفاعل أى لا تغلوا مجاوزين الحق أو من دينكم
- أى لا تغلوا فى دينكم حال كونه باطلاً وقيل نصب على الاستثناء المتصل وقيل على المنقطع (ولا تتبعوا أهواء
- قوم قد ضلوا من قبل) هم أسلافهم وأئمتهم الذين قد ضلوا من الفريقين أو من النصارى على القولين
- قبل مبعث النبي ﷺ فى شريعتهم (وأضلوا كثيراً) أى قوماً كثيراً ممن شايعهم فى الزيف والضلال أو
- إضلالاً كثيراً والمفعول محذوف (وضلوا) عند بعثة النبي ﷺ وتوضيح حجة الحق وتبيين مناهج
- الإسلام (عن سواء السبيل) حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه وقيل الأول إشارة إلى ضلالهم عن مقتضى
- العقل والثانى إلى ضلالهم عما جاء به الشرع (لعن الذين كفروا) أى لعنهم الله عز وجل وبناء الفعل للمفعول ٧٨
- للجرى على سنن الكبرياء (من بنى إسرائيل) متعلق بمحذوف وقع حالا من الموصول أو من فاعل كفروا
- وقوله تعالى (على لسان داود وعيسى ابن مريم) متعلق بلعن أى لعنهم الله تعالى فى الزبور والإنجيل
- على لسانهما وقيل إن أهل آية لما اعتدوا فى السبت دعا عليهم داود عليه السلام وقال اللهم العنهم واجعلهم
- آية فسخهم الله قرده وأصحاب المائدة لما كفروا قال عيسى عليه السلام اللهم عذب من كفر بعدما أكل من المائدة
- عذاباً لم تعذبه أحداً من العالمين والعنهم كما لعنت أصحاب السبت فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف
- رجل ما فهم امرأة ولا صبي (ذلك) إشارة إلى اللعن المذكور وإيثاره على الضمير للتنبيه على كمال ظهوره
- وامتيازهم عن نظائره وانتظامه بسببه فى سلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد الإيذان بكال فظاعته
- وبعد درجته فى الشناعة والهول وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (بما عصوا وكانوا يعتدون) والجملة مستأنفة واقعة
- موقع الجواب عما نشأ من الكلام كأنه قيل بآى سبب وقع ذلك فقيل ذلك اللعن الهائل الفظيع بسبب عصيانهم
- واعتدائهم المستمر كما يفيد الجمع بين صيغتي الماضى والمستقبل وينبئ عنه قوله تعالى (كانوا لا يتناهون ٧٩
- عن منكر فعلوه) فإنه استئناف مفيد بعبارة لا استمرار عدم التناهى عن المنكر ولا يمكن استمراره
- إلا باستمرار تعاطى المنكرات وليس المراد بالتناهى أن ينهى كل واحد منهم الآخر عما يفعله من المنكر
- كما هو المعنى المشهور لصيغة التفاعل بل مجرد صدور النهى عن أشخاص متعددة من غير اعتبار أن يكون
- كل واحد منهم ناهياً ومنهياً عما كفى تراو الهلال وقيل التناهى بمعنى الانتهاء يقال تنهى عن الأمر وانتهى
- عنه إذا امتنع عنه وتركه فالجملة حينئذ مفسرة لما قبلها من المعصية والاعتداء ومفيدة لاستمرارهما صريحاً
- وعلى الأول مفيدة لاستمرار انتفاء النهى عن المنكر بأن لا يوجد فيما بينهم من يتولاه فى وقت من الأوقات
- ومن ضروره استمرار فعل المنكر حسبما سبق وعلى كل تقدير فما يفيد تنكير المنكر من الوحدة

تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ لَهُمْ خِلْدُونَ ﴿٨٠﴾

وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾

- نوعية لا شخصية فلا يقدح وصفه بالفعل الماضي في تعلق النهي به لما أن متعلق الفعل إنما هو فرد من أفراد ما يتعلق به النهي والانتفاء من مطلق المنكر باعتبار تحققه في ضمن أي فرد كان من أفراد على أن المضى المعبر في الصفة إنما هو بالنسبة إلى زمان الزول لا إلى زمان النهي حتى يلزم كون النهي بعد الفعل فلا حاجة إلى تقدير المعادة أو المثل أو جعل الفعل عبارة عن الإرادة على أن المعادة كالنهي لا تتعلق بالمنكر المفعول فلا بد من المصير إلى أحد ما ذكر من الوجهين أو إلى تقدير المثل أو إلى جعل الفعل عبارة عن إرادته وفي كل ذلك تعسف لا يخفى (لبئس ما كانوا يفعلون) تقييح لسوء أفعالهم وتعجب منه بالتوكيد القسمي كيف لا وقد أدام إلى ما شرح من اللعن الكبير وليس في تسببه بذلك دلالة على خروج كفرهم عن السببية مع الإشارة إلى سببته له فيما سبق من قوله تعالى لعن الذين كفروا فإن إجراء الحكم على الموصول مشعر بعملية ما في حيز الصلة لما أن ما ذكر في حيز السببية مشتمل على كفرهم أيضاً (ترى كثير منهم)
- أى من أهل الكتاب ككعب بن الأشرف وأضرابه حيث خرجوا إلى مشركي مكة ليتفقوا على محاربة النبي ﷺ والرؤية بصرية وقوله تعالى (يتولون الذين كفروا) حال من كثيراً لكونه موصوفاً أى يوالون المشركين بغضاً لرسول الله ﷺ والمؤمنين وقيل من منافق أهل الكتاب يتولون اليهود وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد والحسن وقيل يوالون المشركين ويصافونهم (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم) لبئس شيئاً قدموا ليردوا عليه يوم القيامة (أن سخط الله عليهم) هو المخصوص بالذم على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه تنبيهاً على كمال التعلق والارتباط بينهما كأنهما شيء واحد ومبالغة في الذم أى موجب سخطه تعالى ومحل الرفع على الابتداء والجملة قبله خبره والرباط عند من يشترطه هو العموم أو لا حاجة إليه لأن الجملة عين المبتدأ أو على أنه خبر لمبتدأ محذوف بنبى عنه الجملة المتقدمة كأنه قيل ما هو أو أى شيء هو فقيل هو أن سخط الله عليهم وقيل المخصوص بالذم محذوف وما اسم تام معرفة في محل رفع بالفاعلية لفعل الذم وقدمت لهم أنفسهم جملة في محل الرفع على أنها صفة للمخصوص بالذم قائمة مقامه والتقدير لبئس الشيء شيء قدمته لهم أنفسهم فقوله تعالى أن سخط الله عليهم بدل من شيء المحذوف وهذا مذهب سيويه (وفي العذاب) أى عذاب جهنم (هم خالدون) أبداً لا يبدون (ولو كانوا)
- أى الذين يتولون المشركين من أهل الكتاب (يؤمنون بالله والنبي) أى نبيهم (وما أنزل إليه) من الكتاب أو لو كان المنافقون يؤمنون بالله ونبيينا إيماناً صحيحاً (ما اتخذوهم) أى المشركين أو اليهود (أولياء)
- فإن الإيمان بما ذكر وازع عن توليهم قطعاً (ولكن كثيراً منهم فاسقون) خارجون عن الدين والإيمان بالله ونبيهم وكتابهم أو منحدرون في النفاق مفرطون فيه .

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ فَيَقُولُونَ قَسْبِيسِينَ وَرَهْبَانًا أَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾

هـ المائدة

- (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) جملة مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها من قبائح اليهود وعراقبتهم في الكفر وسائر أحوالهم الشنيعة التي من جملتها موالاتهم للبشركين أكدت بالتوكيد القسمي اعتناء ببيان تحقق مضمونها والخطاب إما لرسول الله ﷺ أو لكل أحد صالح له إيداناً بأن حالهم بما لا يخفى على أحد من الناس والوجدان متعدل إلى اثنين أحدهما أشد الناس والثاني اليهود وما عطف عليه وقيل بالعكس لأنهما في الأصل مبتدأ وخبر ومصب الفائدة هو الخبر لا المبتدأ ولا ضير في التقديم والتأخير إذا دل على الترتيب دليل وهما دليل واضح عليه وهو أن المقصود بيان كون الطائفتين أشد الناس عداوة للمؤمنين لا كون أشد عداوة لهم الطائفتين المذكورتين وأنت خير بأنه معزل من الدلالة على ذلك كيف لا والإفادة في الصورة الثانية أتم وأكمل مع خلوها عن تعسف التقديم والتأخير إذ المعنى أنك إن قصدت أن تعرف من أشد الناس عداوة للمؤمنين وتتبع أحوال الطوائف طرأ أو أحطت بما لديهم خبراً أو بالغت في تعرف أحوالهم الظاهرة والباطنة وسعيت في تطلب ما عندهم من الأمور البارزة والكامنة لتجدن الأشد تنك الطائفتين لا غير فتأمل واللام الداخلة على الموصول متعلقة بعداوة مقوية لعملها ولا يضر كونها مؤنثة بالناء مبنية عليها كما في قوله ورهبة عقابك وقيل متعلقة بمحذوف هو صفة لعداوة أي كائنة للذين آمنوا وصفهم الله تعالى بذلك لشدة شكيمتهم وقضا عاف كفرهم وانهم اكهم في اتباع الهوى وقربهم إلى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على التمرد والاستعصاء على الأنبياء والاجترأ على تكذيبهم ومناصبتهم وفي تقديم اليهود على المشركين بعد لزهما في قرن واحد إشعار بتقدمهم عليهم في العداوة كما أن في تقديمهم عليهم في قوله تعالى ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا إيداناً بتقدمهم عليهم في الحرص (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا) أعيد الموصول مع صلته روماً لزيادة التوضيح والبيان (الذين قالوا إنا نصارى) عبر عنهم بذلك لإشعاراً بقرب مودتهم حيث يدعون أنهم أنصار الله وأوداء أهل الحق وإن لم يظهر واعتقاد حقيقة الإسلام وعلى هذه النكتة مبنى الوجه الثاني في تفسير قوله تعالى ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم والكلام في مفعولي لتجدن وتعلق اللام كالذي سبق والعدول عن جعل ما فيه التفاوت بين الفريقين شيئاً واحداً قد تفاوتا فيه بالشدة والضعف أو بالقرب والبعد بأن يقال آخراً ولتجدن أضعفهم عداوة الخ أو بأن يقال أولاً لتجدن أبعد الناس مودة الخ للإيدان بكال تبين ما بين الفريقين من التفاوت ببيان أن أحدهما في أقصى مراتب النقيضين والآخر في أقرب مراتب النقيض الآخر (ذلك) أي كونهم أقرب مودة للمؤمنين (بأن منهم) أي بسبب أن منهم (فسييسين) وهم علماء النصارى وعبادهم ورؤسائهم والقسيس صيغة مبالغة من تقسس الشيء إذا تتبعه وطلبه بالليل سوابه لمبالغتهم في تتبع العلم قاله الراغب وقيل القس بفتح القاف تتبع الشيء ومنه سمي عالم النصارى قسيساً لتبعه العلم وقيل قص الأثروقه بمعنى وقيل

وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا
ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾

ه المائدة

وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ ه المائدة

- لأنه أعجمي وقال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم وقيل ضيغت النصارى الإنجيل وما فيه وبقي منهم رجل يقال له قسيسا لم يبدل دينه فن راعى هديه ودينه قيل له قسيس (ورهبانا) وهو جمع راهب كراكب وركبان وفارس وفرسان وقيل إنه يطلق على الواحد وعلى الجمع وأنشده في قول من قال [لوعايت رهبان دير في قلل] لا قبل الرهبان يعدو ونزل [والترهب التبعيد في الصومعة قال الراغب الرهبانية الغلوفي تحمل التبعيد من فرط الخوف والتسكير لإفادة الكثرة ولا بد من اعتبارها في القسيسين أيضا إذ هي التي تدل على مودة جنس النصارى للمؤمنين فإن اتصاف أفراد كثيرة لجنس بمصلحة مظنة لاتصاف الجنس بها وإلا فمن اليهود أيضا قوم مهتدون ألا يرى إلى عبد الله بن سلام وأضرابه قال تعالى من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون الخ لكنهم لما لم يكونوا في الكثرة كالذين من النصارى لم يتعد حكمهم إلى جنس اليهود (وأنهم لا يستكبرون) عطف على أن منهم أي وبأنهم لا يستكبرون عن قبول الحق إذا فهموا ويتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وهذه الخصلة شاملة لجميع أفراد الجنس فسببها لأقربيتهم مودة للمؤمنين واضحة وفيه دليل على أن التواضع والإقبال على العلم والعمل والإعراض عن الشهوات محمود وإن كان ذلك من كافر (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول) عطف على لا يستكبرون أي ذلك بسبب أنهم لا يستكبرون وأن أعينهم تفيض من الدمع عند سماع القرآن وهو بيان لرقه قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم إلى قبول الحق وعدم إبطائهم إياه (ترى أعينهم تفيض من الدمع) أي تمتلئ بالدمع فاستعير له الفيض الذي هو الانصباب عن امتلاء مبالغة أو جعلت أعينهم من فرط البكاء كأنها تفيض بأنفسها (مما عرفوا من الحق) من الأولى لا ابتداء الغاية والثانية لتبيين الموصول أي ابتداء الفيض ونشأ من معرفة الحق وحصل من أجله وبسببه ويحتمل أن تكون الثانية تبعية لأن ما عرفوه بعض الحق وحيث أبكاهم ذلك فما ظنك بهم لو عرفوا كله وقرءوا القرآن وأحاطوا بالسنة وقرءوا ترى أعينهم على صيغة المبني للمفعول (يقولون) استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية حالهم عند سماع القرآن كأنه قيل ماذا يقولون فقيل يقولون (ربنا آتنا) بهذا أو بمن أنزل هذا عليه أو بهما وقيل حال من الضمير في عرفوا أو من الضمير المجزور في أعينهم لما أن المضاف جزؤه كما في قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا (فاكتبنا مع الشاهدين) أي الذين شهدوا بأنه حق أو بنبوته أو مع أمته الذين هم شهداء على الأمم يوم القيامة وإنما قالوا ذلك لأنهم وجدوا ذكرهم في الإنجيل كذلك (وما لنا لا تؤمن بالله وما جاءنا من الحق) كلام مستأنف قالوه تحقيقاً لإيمانهم وتقريراً له بإنكار سبب انتفائه ونفيه بالكلية على أن قوله تعالى لا تؤمن حال من الضمير في لنا والعامل ما فيه من الاستقرار أي شيء حصل لنا

فَأَنشَبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا أَجَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ • المائدة

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ • المائدة

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَبِيبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ • المائدة

- غير مؤمنين على توجيه الإنكار والنفي إلى السبب والمسبب جميعاً كما في قوله تعالى ومالي لا أعبد الذي فطرني ونظائره لا إلى السبب فقط مع تحقق المسبب كما في قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون وأمثاله فإن همزة الاستفهام كما تكون تارة لإنكار الواقع كما في أنضرب أباك وأخرى لإنكار الوقوع كما في أضرب أبي كذلك ما الاستفهامية قد تكون لإنكار سبب الوقوع ونفيه فقط كما في الآية الثانية وقوله تعالى مالكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققاً فإن كلام من عدم الإيمان وعدم الرجاء أمر محقق قد أنكر ونفى سببه وقد يكون الإنكار سبب الوقوع ونفيه فيسريان إلى المسبب أيضاً كما في الآية الأولى فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضاً قطعاً فإن عدم العبادة أمر مفروض حتماً وقوله تعالى (ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) حال أخرى من الضمير المذكور بتقدير مبتدأ والعامل فيها هو العامل في الأولى مقيداً بها أى شئ حصل لنا غير مؤمنين ونحن نطمع في صحبة الصالحين أو من الضمير في لا تؤمن على معنى أنهم أنكروا على أنفسهم عدم إيمانهم مع أنهم يطمعون في صحبة المؤمنين وقيل معطوف على تؤمن على معنى وما لنا نجتمع بين ترك الإيمان وبين الطمع المذكور (فأنابهم الله بما قالوا) ٨٥ أى عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان أى معتقده وقرئ فاتأثم الله (جنات تجري من تحتها الأنهار • خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين) أى الذين أحسنوا النظر والعمل أو الذين اعتادوا الإحسان في الأمور . والآيات الأربع روى أنها نزلت في النجاشي وأصحابه بعث إليه رسول الله ﷺ بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن أبي طالب والمهاجرين معه وأحضر القسيسين والرهبان فأمر جعفر أن يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل نزلت في ثلاثين أو سبعين رجلاً من قومه وفدوا على رسول الله ﷺ فقرأ عليهم سورة مريم فبكوا وآمنوا (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) عطف التكذيب بآيات الله على الكفر مع أنه ضرب منه لما أن القصد إلى بيان حال المكذبين وذكرهم بمقابلة المصدقين بهاجماً بين الترغيب والترهيب (بأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) أى ما طاب ولذ منه كأنه لما تضمن ماسلف من مدح النصارى على الترهيب ترغيب المؤمنين في كسر النفس ورفض الشهوات عقب ذلك بالهني عن الإفراط في الباب أى لا تمتنعوها أنفسكم كنع التحريم أو لا تقولوا حرمانها على أنفسنا مبالغاً منكم في العزم على تركها زهداً منكم وتقشفاً وروى أن رسول الله ﷺ وصف القيامة لأصحابه يوماً فبالغ وأشبع الكلام في الإنذار فرقوا واجتمعوا في بيت
- ١٠٠ - أبو السعود ج ٣ ،

وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

• المائدة

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِهِ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ

• المائدة

تَسْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

- عثمان بن مظعون واتفقوا على أن لا يزالوا صائمين قائمين وأن لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقرّبوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسبحوا في الأرض ويجبوا هذا كيرهم فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم إني لم أومر بذلك إن لا نفسكم عليكم حقاً فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدم وآتي النساء فمن رغب
- هن ستنى فليس منى فتزلت (ولا تعتدوا) أي ولا تتعدوا حدود ما أحل لكم إلى ما حرم عليكم أو ولا تسرفوا في تناول الطيبات أو جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلماً فهي عن مطلق الاعتداء ليدخل تحته
 - النهي عن تحريمها دخولا أولاً لوروده عقبيه أو أريدوا لا تعتدوا بذلك (إن الله لا يحب المعتدين) تعليل لما قبله (وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً) أي ما أحل لكم وطاب مما رزقكم الله لحلالاً مفعول كلوا وما رزقكم إما حال منه تقدمت عليه لكونه نكرة أو متعلق بكلوا ومن ابتدائية أو هو المفعول وحلالاً حال من الموصول أو من طائفة المحذوف أو صفة لمصدر محذوف أي أكلا حلالاً وعلى الوجوه كلها لولم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة (واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون) تأكيد
 - ٨٨ للوصية بما أمر به فإن الإيمان به تعالى يوجب المبالغة في التقوى والانتها عما نهى عنه (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم وهو عندنا أن يحلف على شيء يظن أنه كذلك وليس كما يظن وهو قول مجاهد قيل كانوا حلفوا على تحريم الطيبات على ظن أنه قربة فلما نزل النهي قالوا كيف بأيماننا فتزلت وعند الشافعي رحمه الله تعالى ما يبدو من المرة من غير قصد كقوله لا والله وبلى والله وهو قول عائشة رضي الله تعالى عنها وفي أيمانكم صلة يؤاخذكم أو اللغو لأنه مصدر أو حال منه
 - (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان) أي بتعقيدكم الأيمان وتوثيقها عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتموه إذا حنثتم أو بنكث ما عقدتم فحذف العلم به وقرئ بالتخفيف وقرئ عافدتم بمعنى عقدتم (فكفارتهم) أي فكفارة نكثته وهي الفعلة التي من شأنها أن تكفر الخطيئة وتسترها واستدل بظاهرها على جواز التكفير قبل الحنث وعندنا لا يجوز ذلك لقوله ﷺ من حلف على يمين ورأى غيرها
 - خيراً فليأت الذي هو خير ثم ليكفر عن يمينه (إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم) أي من أفصده في النوع أو المقدار وهو نصف صاع من بر لكل مسكين ومحله النصب لأنه صفة مفعول

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ
لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴿٩٠﴾

• المائدة •

- محذوف تقديره أن تطعموا عشرة مساكين طعاماً كائناً من أوسط ما تطعمون أو الرفع على أنه بدل من
إطعام وأهلون جمع أهل كارضون جمع أرض وقرىء أهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الحالات
الثلاث كالآلأب وهذا أيضاً جمع أهل كالأراضى في جمع أرض والليالى في جمع ليل وقبل جمع أهلة (أو
كسوتهم) عطف على إطعام أو على محل من أوسط على تقدير كونه بدلاً من إطعام وهو ثوب يغطي
العورة وقيل ثوب جامع قبض أو رداء أو إزار وقرىء بضم الكاف وهي لغة كقدوة في قدوة وأسوة في
أسوة وقرىء أو كآسوتهم على أن الكاف في محل الرفع تقديره أو إطعامهم كآسوتهم بمعنى أو كمثل
ما تطعمون أهليكم إسرافاً وتقدير أو آسون بينهم وبينهم إن لم تطعموهم الأوسط (أو تحرير رقبة) أى
أو إعتاق إنسان كيفما كان وشرط الشافعى رضى الله تعالى عنه فيه الإيمان قياساً على كفارة القتل ومعنى
أو إيجاب إحدى الخصال مطلقاً وخيار التعيين للمكلف (فمن لم يجد) أى شيئاً من الأمور المذكورة
(فصيام) أى فكفاره صيام (ثلاثة أيام) والتتابع شرط عندنا لقراءة ثلاثة أيام متتابعات والشافعى
رضى الله عنه لا يرى الشواذ حجة (ذلك) أى الذى ذكر (كفارة إيمانكم إذا حلفتم) أى وحنثتم (واحفظوا
إيمانكم) بأن تضنوا بها ولا تبدلوها كما يشعر به قوله تعالى إذا حلفتم وقيل بأن تبرأ فيها ما استطعتم ولم
يفت بها خير أو بأن تكفروها إذا حنثتم وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاوناً بها
(كذلك) إشارة إلى مصدر الفعل الآتى لا إلى تبين آخر مفهوم مما سبق والكاف مقحمة لتأكيد ما أقاده
اسم الإشارة من الفخامة ومحله فى الأصل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف وأصل التقدير يبين الله
تبييناً كائناً مثل ذلك التبيين فقدم على الفعل لإفادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للسكتة المذكورة
فصار نفس المصدر لا نعتاً له وقد مر تفصيله فى قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطاً أى ذلك البيان
البديع (يبين الله لكم آياته) أعلام شريعته وأحكامه لا بياناً أدنى منه وتقديم لكم على المفعول لما مر مراراً
(لعلكم تشكرون) نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج (بأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب) ٩٠
أى الأصنام المنصوبة للعبادة (والأزلام) سلف تفسيرها فى أوائل السورة الكريمة (رجس) قدر
تعاف عنه العقول وإفراده لأنه خبر الخبر وخبر المعطوفات محذوف ثقة بالذكور أو المضاف محذوف
أى شأن الخمر والميسر الخ (من عمل الشيطان) فى محل الرفع على أنه صفة رجس أى كائن من عمله لأنه
مسبب من تسويله وتزيينه (فاجتنبوه) أى الرجس أو ما ذكر (لعلكم تفلحون) أى راجين فلاحكم
وقيل لكى تفلحوا بالاجتناب عنه وقد مر تحقيقه فى تفسير قوله تعالى لعلكم تتقون ولقد أكد تحريم
الخمر والميسر فى هذه الآية الكريمة بفنون التأكيد حيث صدرت الجملة بإنما وقرنا بالأصنام والأزلام
وسمى رجساً من عمل الشيطان تنبيهاً على أن تعاطيها شرباً ومأزراً بالاجتناب عن عيניהما وجعل ذلك

إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ
وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾

• المائدة

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا إِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾

لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾

• المائدة

سبباً يرجى منه الفلاح فيكون ارتكابهما خيبة ومحقة ثم قرر ذلك ببيان ما فيهما من المفاسد الدنيوية

والدينية المقتضية للتحريم ف قيل (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر)

• وهو إشارة إلى مفاسدهما الدنيوية (ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة) إشارة إلى مفاسدهما الدينية

وتخصيصهما بإعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال للتنبيه على أن المقصود بيان حالهما وذكر الأصنام

والأزلام للدلالة على أنها مثلها في الحرمة والشرارة لقوله ﷺ شارب الخمر كعابد الوثن وتخصيص

الصلاة بالإفراد مع دخولها في الذكر للتعظيم والإشعار بأن الصاد عنها كالصاد عن الإيمان لما أنها

عماده ثم أعيد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتباً على ما تقدم من أصناف الصوارف ف قيل

• (فهل أنتم منتهون) إيذاناً بأن الأمر في الزجر والتحذير وكشف ما فيهما من المفاسد والشرور قد باغ

• ٩٢ الغاية وأن الاعتذار قد انقطعت بالكلية (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) عطف على اجتنبوه أي

• أطيعوهما في جميع ما أمرا به ونهيا عنه (واحذروا) أي مخالفتهما في ذلك فدخل فيه مخالفة أمرهما

• ونهيهما في الخمر والميسر دخولاً أولياً (فإن توليتم) أي أعرضتم عن الامتثال بما أمرتم به من الاجتناب

• عن الخمر والميسر وعن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ والاحتراز عن مخالفتهما (فأعلموا) إنما على

رسولنا البلاغ المبين) وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه وخرج عن عهدة الرسالة أي خروج وقامت عليكم

الحجة وانتهت الاعتذار وانقطعت العلل وما بق بعد ذلك إلا العقاب وفيه من عظم التهديد وشدة الوعيد

• ما لا يخفى وأما ما قيل من أن المعنى فأعلموا أنكم لم تضروا بتوليكم الرسول لأنه ما كلف إلا البلاغ المبين

• بالآيات وقد فعل وإنما ضررتم أنفسكم حين أعرضتم عما كلفتموه فلا يساعده المقام إذ لا يتوهم منهم

• ٩٣ ادعاء أنهم بتوليهم يضرونه ﷺ - في يرد عليهم بأنهم لا يضرونه وإنما يضرون أنفسهم (ليس على

• الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح) أي إثم وجر (فيما طعموا) أي تناولوا أكلًا أو شرباً فإن

استعماله في الشرب أيضاً مستفيض منه قوله تعالى ومن لم يطعمه فإنه مني قيل لما أنزل الله تعالى تحريم

الخمر بعد غزوة الأحزاب قال رجال من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام أصيب فلان يوم بدر وفلان

يوم أحد وهم يشربونها ونحن نشهد أنهم في الجنة وفي رواية أخرى لما نزل تحريم الخمر والميسر قالت الصحابة

رضي الله تعالى عنهم يا رسول الله فكيف يا خواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر وفي

- رواية أخرى قال أبو بكر رضى الله تعالى عنه يا رسول الله كيف ياخواننا الذين ماتوا وقد شربوا الخمر وفعلوا القهار فنزلت وليست كلمة مافي ما طعموا عبارة عن المباحات خاصة وإلا لزم تقييد إباحتها باتقاء ما عداها من المحرمات لقوله تعالى (إذا ما اتقوا) واللازم منتف بالضرورة بل هي على عمومها موصولة كانت أو موصوفة وإنما تخصصت بذلك القيد الطارىء عليها والمعنى ليس عليهم جناح فيما تناولوه من المأكول والمشروب كائناً ما كان إذا اتقوا أن يكون في ذلك شيء من المحرمات وإلا لم يكن نفي الجناح في كل ما طعموه بل في بعضه ولا محذور فيه إذ اللازم منه تقييد إباحة الكل بأن لا يكون فيه محرم لا تقييد إباحة بعضه باتقاء بعض آخر منه كما هو اللازم من الأول (وآمنوا وعملوا الصالحات) أى واستمروا على الإيمان والأعمال الصالحة وقوله تعالى (ثم اتقوا) عطف على اتقوا داخل معه في حيز الشرط أى اتقوا ما حرم عليهم بعد ذلك مع كونه مباحاً فيما سبق (وآمنوا) أى بتحريمه وتقديم الاتقاء عليه إما للاعتناء به أو لأنه الذى يدل على التحريم الحادث الذى هو المؤمن به أو استمروا على الإيمان (ثم اتقوا) أى ما حرم عليهم بعد ذلك مما كان مباحاً من قبل على أن المشروط بالاتقاء في كل مرة إباحة كل ما طعموه في ذلك الوقت لا إباحة كل ما طعموه قبله لا تنسخ إباحة بعضه حينئذ (وأحسنوا) أى عملوا الأعمال الحسنة الجميلة المنتظمة لجميع ما ذكر من الأعمال القلبية والقلبية وليس تخصيص هذه المرات بالذكر لتخصيص الحكم بها بل لبيان التعدد والتكرار بالغاً ما بلغ والمعنى أنهم إذا اتقوا المحرمات واستمروا على ما هم عليه من الإيمان والأعمال الصالحة وكانوا في طاعة الله ومراعاة أوامره ونواهيه بحيث كلما حرم عليهم شيء من المباحات اتقوه ثم وثم فلا جناح عليهم فيما طعموه في كل مرة من المطاعم والمشارب إذ ليس فيها شيء محرم عند طعمه وأنت خير بأن ما عدا اتقاء المحرمات من الصفات الجميلة المذكورة لا تدخل لها في انتفاء الجناح وإنما ذكرت في حيز إذا شهادة باتصاف الذين سئل عن حالهم بها ومدحها لهم بذلك وحداً لا حوالهم وقد أشير إلى ذلك حيث جعلت تلك الصفات تبعاً للاتقاء في كل مرة تميزاً بينها وبين ما له دخل في الحكم فإن مساق النظم الكريم بطريق العبارة وإن كان لبيان حال المتصفين بما ذكر من النعوت فيما سياتى بقضية كلمة إذا ما لكنه قد أخرج مخرج الجواب عن حال الماضين لإثبات الحكم في حقهم في ضمن التشريع الكلى على الوجه البرهاني بطريق دلالة النص بناء على كمال اشتغالهم بالاتصاف بها فكانه قيل ليس عليهم جناح فيما طعموه إذا كانوا في طاعته تعالى مع ما لهم من الصفات الحميدة بحيث كلما أمروا بشيء تلقوه بالامتثال وإنما كانوا يتعاطون الخمر والميسر في حياتهم لعدم تحريرها إذ ذاك ولو حرما في عصرهم لا تقوما بالمرّة هذا وقد قيل التكرير باعتبار الأوقات الثلاثة أو باعتبار الحالات الثلاث استعمال الإنسان التقوى بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله عز وجل ولذلك جرى بالإحسان في الكرة الثالثة بدل الإيمان إشارة إلى ما قاله عليه الصلاة والسلام في تفسيره أو باعتبار المراتب الثلاث المبدأ والوسط والمنتهى أو باعتبار ما يتقى فإنه ينبغي أن يترك المحرمات توقياً من العقاب والشبهات توقياً من الوقوع في الحرام وبعض المباحات حفظاً للنفس عن الخسة وتهذيباً لها عن دنس الطبيعة وقيل التكرير لمجرد التأكيد كما في قوله تعالى كلا سوف تعملون ثم كلا سوف تعملون ونظائره وقيل المراد بالأول اتقاء الكفر والثاني

يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوَنُكُمُ اللَّهُ شَيْءً مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ ءَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾

• المائة

- ٩٤ (والله يحب المحسنين) تذييل مقرر لمضمون ما قبله أبلغ تقرير (بأيها الذين آمنوا ليبلونكم الله) جواب قسم محذوف أى والله ليعاملنكم معاملة من يختبركم ليتعرف أحوالكم (بشيء من الصيد) أى من صيد البر ما كولا أو غير ما كولا ما عدا المستثنيات من الفواسق فاللام للعمد نزلت عام الحديبية ابتلاه الله تعالى بالصيد وهم محرمون كانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث كانوا متمكنين من صيدها أخذاً بأيديهم ● وطعننا برماحهم وذلك قوله تعالى (تناله أيديكم ورماحكم) فهموا بأخذها فزلات وروى أنه عن لهم حمار وحش لحمل عليه أبو اليسر بن عمرو فطعن به برمح وقله فقبل له فقلته وأنت محرم فأتى رسول الله ﷺ وسأله عن ذلك فأنزل الله تعالى الآية فالتأكيـد القسمى في ليبلونكم إنما هو لتحقيق أن ما وقع من عدم توحش الصيد عنهم ليس إلا لا بتلاهم لا لتحقيق وقوع المبلى به كالأقدام الراسخين كالأقدام قبل الابتلاء وتنكير شيء لتحقيق المؤذن بأن ذلك ليس من الفتن الهائلة التي تزل فيها أقدام الراسخين كالأقدام بقتل النفس وإتلاف الأموال وإنما هو من قبيل ما ابتلى به أهل أيلة من صيد البحر وقائدته التنبيه على أن من لم يثبت في مثل هذا كيف يثبت عند شدائد المحن فن في قوله تعالى من الصيد بيانية قطعاً أى شيء حقير هو الصيد وجعلها تبعيضية يقتضى اعتبار قلته وحقارته بالنسبة إلى كل الصيد لا بالنسبة إلى عظامم البلايا ● فيعبرى الكلام عن التنبيه المذكور (أعلم الله من يخافه بالغيب) أى ليميز الخائف من عقابه الأخرى وهو غالب مترقب لقوة إيمانه فلا يتعرض للصيد من لا يخافه كذلك لضعف إيمانه فيقدم عليه وإنما عبر عن ذلك بعلم الله تعالى إلزاماً له إيداناً بمدار الجزاء ثواباً وعقاباً فإنه أدخل في حلمهم على الخوف وقيل المعنى ليعلم الله تعالى بمن يخافه بالفعل فإن علمه تعالى بأنه سيخافه وإن كان متعلقاً به قبل خوفه لكن تعلقه بأنه خائف بالفعل وهو الذى يدور عليه أمر الجزاء إنما يكون عند تحقق الخوف بالفعل وقيل هناك مضاف محذوف والتقدير ليعلم أولياء الله وقرىء ليعلم من الإعلام على حذف المفعول الأول أى ليعلم الله عباده الخ والعلم على القراءتين متعد إلى واحد وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لترية المهابة ● وإدخال الروعة (فمن اعتدى بعد ذلك) أى بعد بيان أن ما وقع ابتلاء من جهته تعالى لما ذكر من الحكمة لا بعد تحريمه أو النهى عنه كما قاله بعضهم إذ النهى والتحريم ليس أمراً حادثاً يترتب عليه الشرطية بالفاء ولا بعد الابتلاء كما اختاره آخرون لأن نفس الابتلاء لا يصلح مداراً للتشديد العذاب بل ربما يتوهم كونه عذراً مسوغاً لتخفيفه وإنما الموجب للتشديد بيان كونه ابتلاء لأن الاعتداء بعد ذلك مكابرة صريحة وعدم مبالاة بتدبير الله تعالى وخروج عن طاعته وانخلاع عن خوفه وخشيته بالكلية أى فمن تعرض للصيد بعد ما بينا أن ما وقع من كثرة الصيد وعدم توحشه منهم ابتلاء مؤدلى تمييز المطيع من العاصى (فله عذاب

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنْ
النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِمَّنْ هَذَا يَبْلُغُ الْكَعْبَةَ أَوْ كَفَّرَةً طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ
صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَنْمَا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو

انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

• المائدة

الليم) لما ذكر من أنه مكابرة محضه ولأن من لا يملك زمام نفسه ولا يراعى حكم الله تعالى في أمثال هذه
البلايا الهينة لا يكاد يراعيه في عظام المداحض والمراد بالعذاب الاليم عذاب الدارين قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما يوسع ظهره وبطنه جلدأ وينزع ثيابه (بأيها الذين آمنوا) شروع في بيان ما يتدارك ٩٥
به الاعتداء من الأحكام إثر بيان ما يلحقه من العذاب والتصريح بالنهي في قوله تعالى (لا تقتلوا الصيد
وأنتم حرم) مع كونه معلوما لاسيما من قوله تعالى غير محلي الصيد وأنتم حرم لتأكيد الحرمة وترتيب
ما يعقبه عليه واللام في الصيد للعمد حسبا سلف وحرم جمع حرام وهو المحرم وإن كان في الحل وفي حكمه
من في الحرم وإن كان حلالا كروح جمع رداح والجملة حال من فاعل لا تقتلوا أي لا تقتلوه وأنتم محرمون
(ومن قتله) أي الصيد المهود وذكر القتل في الموضعين دون الذبح للإيذان بكونه في حكم الميتة (منكم)
متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل قتله أي كائنا منكم (متعمدا) حال منه أيضا أي ذا كرا لإحرامه
عالمًا بحرمة قتل ما يقتله والتقييد بالتعمد مع أن محظورات الإحرام يستوى فيها العمد والخطأ لما أن الآية
نزلت في المتعمد كما مر من قصة أبي اليسر ولأن الأصل فعل المتعمد والخطأ لاحق به للتغليظ وعن
الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه لا أرى في الخطأ
شيئا أخذًا باشرائط التعمد في الآية وهو قول داود وعن مجاهد والحسن أن المراد بالتعمد هو تعمد القتل
مع نسيان الإحرام أما إذا قتله عمداً وهو ذا كرا لإحرامه فلا حكم عليه وأمره إلى الله عز وجل لأنه
أعظم من أن يكون له كفارة (فجزاء مثل ما قتل) برفعهما أي فعلية جزاء مماثل لما قتله وقرىء برفع الأول
ونصب الثاني على إعمال المصدر وقرىء بجر الثاني على إضافته إلى مفعوله وقرىء فجزاؤه مثل ما قتل على
الابتداء والخبرية وقرىء بنصبهما على تقدير فليجز جزاء أو فعلية أن يجزى جزاء مثل ما قتل والمراد
به عند أبي حنيفة وأبي يوسف رضي الله عنهما المثل باعتبار القيمة يقوم الصيد حيث صيد أو في أقرب
الأمكن إليه فإن بلغت قيمته قيمة هدى يخير الجاني بين أن يشتري بها ما قيمته قيمة الصيد فيهديه إلى
الحرم وبين أن يشتري بها طعاماً فيعطى كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعاً من غيره وبين أن يصوم
عن طعام كل مسكين يوماً فإن فضل مالا يبلغ طعام مسكين تصدق به أو صام عنه يوماً كاملاً إذ لم يعهد
في الشرع صوم مادونه فيكون قوله تعالى (من النعم) بيانا للهدى المشتري بالقيمة على أحد وجوه التخيير
فإن من فعل ذلك يصدق عليه أنه جزى بمثل ما قتل من النعم وعند مالك والشافعي رحمهما الله تعالى ومن
يرى رأيهما هو المثل باعتبار الخلقة والهيئة لأن الله تعالى أو حجب مثل المقتول مقبداً بالنعم فمن اعتبر

المثل بالقيمة فقد خالف النص وعن الصحابة رضى الله عنهم أنهم أوجبوا في النعامة بدنة وفي الطي شاة وفي حمار الوحش بقرة وفي الأرنب عناقا وعن النبي ﷺ أنه قال الضبع صيد وفيه شاة إذا قتله المحرم ولنا أن النص أوجب المثل والمثل المطلق في الكتاب والسنة وإجماع الأمة والمعقول يراد به إما المثل صورة ومعنى وإما المثل معنى وأما المثل صورة بلا معنى فلا اعتبار له في الشرع أصلا وإذا لم يمكن إرادة الأول إجماعا تعينت إرادة الثاني لكونه معهودا في الشرع كما في حقوق العباد ألا يرى أن المماثلة بين أفراد نوع واحد مع كونها في غاية القوة والظهور لم يعتبرها الشرع ولم يحمل الحيوان عند الإلتلاف مضمونا بفرد آخر من نوعه مماثل له في عامة الأوصاف بل مضمونا بقيمته مع أن المنصوص عليه في أمثاله إنما هو المثل قال تعالى فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم فحيث لم تعتبر تلك المماثلة القوية مع تيسر معرفتها وسهولة مراعاتها فلذلك تعتبر ما بين أفراد أنواع مختلفة من المماثلة الضعيفة الخفية مع صعوبة مأخذها وتيسر المحافظة عليها أولى وأحرى ولأن القيمة قد أريدت فيما لا نظير له إجماعا فلم يبق غيره مرادا إذ لا عموم للبشر في مرافع الإثبات والمراد بالمروى إيجاب النظر باعتبار القيمة لا باعتبار العين ثم الموجب الأصلي للجناية والجزاء المماثل للمقتول إنما هو قيمته لكن لا باعتبار أن يعمد الجاني إليها فيصرفها إلى المصارف ابتداء بل باعتبار أن يجعلها معيارا فيقدر بها إحدى الخصال الثلاث فيقيمها مقامها فقوله تعالى مثل ما قتل وصف لازم للجزاء غير مفارق عنه بحال وأما قوله تعالى من النعم فوصف له معتبر في ثانی الحال بناء على وصفه الأول الذي هو المعيار له ولما بعده من الطعام والصيام فخهما أن يعطفا على الوصف المفارق لأعلى الوصف اللازم فضلا عن العطف على الموصوف كما سيأتي بإذن الله تعالى وما يرشدك إلى أن المراد بالمثل هو القيمة قوله عز وجل (يحكم به) أى بمثل ما قتل (ذوا عدل منكم) أى حكمان عادلان من المسلمين لكن لا لأن التقويم هو الذي يحتاج إلى النظر والاجتهاد من العدول دون الأشياء المشاهدة التي يستوى في معرفتها كل أحد من الناس فإن ذلك ناشئ من الغفلة عما أرا دوا بما به المماثلة بل لأن ما جعلوه مدار المماثلة بين الصيد وبين النعم من ضرب مشاكلة ومضاهاة في بعض الأوصاف والهيئات مع تحقق التباين بينهما في بقية الأحوال مما لا يهتدى إليه من أساطين أئمة الاجتهاد وصناديد أهل الهداية والإرشاد إلا المؤيدون بالقوة القدسية ألا يرى أن الإمام الشافعي رضى الله عنه أوجب في قتل الحمامة شاة بناء على ما أثبت بينهما من المماثلة من حيث أن كلا منهما يحب ويهدر مع أن النسبة بينهما من سائر الحيثيات كما بين الضب والنون فكيف يفرض معرفة أمثال هذه الدقائق العويصة إلى رأى عدلين من آحاد الناس على أن الحكم بهذا المعنى إنما يتعلق بالأشخاص فبعد ما عين بمقابلة كل نوع من أنواع الصيد نوع من أنواع النعم يتم الحكم ولا يبقى عند وقوع خصوصيات الحوادث حاجة إلى حكم أصلا وقرئ يحكم به ذو عدل على إرادة جنس العادل دون الوحدة وقيل بل على إرادة الإمام والجملة صفة لجزاء أو حال منه لتخصسه بالصفة وقوله تعالى (هديا) حال مقدرة من الضمير في به أو من جزاء ما ذكر من تخصسه بالصفة أو بدل من مثل فيمن نصبه أو من محله فيمن جره أو نصب على المصدر أى يهديه هديا والجملة صفة أخرى لجزاء (بالغ الكعبة) صفة لهديا لأن الإضافة غير حقيقية (أو كفارة) عطف على محل من النعم على أنه خبر

أَحْلَلْنَا لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ مَتَّعْنَا لَكُمُ وَاللَّسْيَارَةَ وَحَرَّمْ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾

• المائدة

- مبتدأ محذوف والجملة صفة ثانية لجزء كما أشير إليه وقوله تعالى (طعام مساكين) عطف بيان لكفارة
- عند من لا يخصه بالمعارف أو بدل منه أو خبر مبتدأ محذوف أى هى طعام مساكين وقوله تعالى (أو عدل ذلك صياماً) عطف على طعام الخ كأنه قيل فعليه جزاء مماثل للقتول هو من النعم أو طعام مساكين أو صيام أيام بعدد مخيئت تكون المائدة وصفاً لازماً للجزاء يقدر به الهدى والطعام والصيام أما الأولان فبلا واسطة وأما الثالث فبواسطة الثانية فيختار الجاني كلامها بدلاً من الآخرين هذا وقد قيل إن قوله تعالى أو كفارة عطف على جزاء فلا يبقى حينئذ في النظم الكريم ما يقدر به الطعام والصيام والالتجاء إلى القياس على الهدى تعسف لا يخفى هذا على قراءة جزاء بالرفع وعلى سائر القراءات فقوله تعالى أو كفارة خبر مبتدأ محذوف والجملة معطوفة على جملة هو من النعم وقرئ أو كفارة طعام مساكين بالإضافة لتبيين نوع الكفارة وقرئ طعام مسكين على أن التبيين يحصل بالواحد الدال على الجنس وقرئ أو عدل بكسر العين والفرق بينهما أن عدل الشيء ما عادله من غير جنسه كالصوم والإطعام وعدله ما عدل به في المقدار كأن المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول وذلك إشارة إلى الطعام وصياماً تمييز للعدل والخيار في ذلك للجاني عند أبي حنيفة وأبي يوسف رحمهما الله وللحكيم عند محمد رحمه الله (ليذوق وبال أمره) متعلق بالاستقرار في الجار والمجرور أى فعليه جزاء ليذوق الخ وقيل بفعل يدل عليه الكلام كأنه قيل شرع ذلك عليه ليذوق وبال أمره أى سوء عاقبة هتك حرمة الإحرام والوبال في الأصل المكروه والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله ومنه قوله تعالى فأخذناه أخذاً وببلاً ومنه الطعام الويل وهو الذي لا تستمره المعدة (عفا الله عما سلف) من قتل الصيد محرماً قبل أن يسألوا رسول الله ﷺ وقيل عما سلف منه في الجاهلية لأنهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرماً (ومن عاد) إلى قتل الصيد بعد النهي عنه وهو محرم (فينتقم الله منه) خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء كقوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً أى فذلك لا يخاف الخ وقوله تعالى ومن كفر فأمتعه أى فأنا أمتعه والمراد بالانتقام العقاب في الآخرة وأما الكفارة فعن عطاء إبراهيم وسعيد بن جبيرة والحسن أنها واجبة على العائد وعن ابن عباس رضى الله عنهما وشريح أنه لا كفارة عليه تعلقاً بالظاهر (والله عزيز) غالب لا يغالب (ذو انتقام) شديد فينتقم من أصر على المعصية والاعتداء (أحل لكم) الخطاب للحرمين (صيد البحر) أى ما يصاد في المياه كلها بحر أو كان أو نهراً أو غدير أو هو مالا (أحل لكم) إلا في الماء ما كولا أو غير ما كولا (وطعامه) أى وما يطعم من صيده وهو تخصيص بعد تعميم والمعنى أحل لكم التعرض لجميع ما يصاد في المياه والانتفاع به وأكل ما يؤكل منه وهو السمك عندنا وعند ابن أبي ليلى جميع ما يصاد فيه على أن تفسير الآية عنده أحل لكم صيد حيوان البحر وأن تطعموه وقرئ

جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَدَ ذَلِكَ لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ هـ المائة

- وطعمه وقيل صيد البحر ما صيد فيه وطعامه ما قذفه أو نصب عنه (متاعا لكم) نصب على أنه مفعول له مختص بالطعام كما أن نافلة في قوله تعالى ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة حال مختصة يعقوب عليه السلام
- أي أحل لكم طعامه متميماً للقيم منكم يأكلونه طرياً (وللسيارة) منكم يتزودونه قديداً وقيل نصب على أنه مصدر مؤكد لفعل مقدر أي متعمكم به متاعا وقيل مؤكداً بمعنى أحل لكم فإنه في قوة متعمكم به متميماً
- كقوله تعالى كتاب الله عليكم (وحرم عليكم صيد البر) وقرئ على بناء الفعل للفاعل ونصب صيد البر وهو ما يفرخ فيه وإن كان يعيش في الماء في بعض الأوقات كطير الماء (مادتم حرماً) أي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام وظاهره يوجب حرمة ما صاده الحلال على المحرم وإن لم يكن له مدخل فيه وهو قول عمرو ابن عباس رضي الله عنهم وعن أبي هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير رضي الله عنهم أنه يحل له أكل ما صاده الحلال وإن صاده لأجله إذا لم يشر إليه ولم يدل عليه وكذا ما ذبحه قبل إحرامه وهو مذهب أبي حنيفة لأن الخطاب للمحرمين فكأنه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه
- مصيد غيرهم وعند مالك والشافعي وأحمد لا يباح ما صيدله (واتقوا الله) فيما نهاكم عنه أوفي جميع المعاصي التي من جملتها ذلك (الذي إليه تحشرون) لا إلى غيره حتى يتوهم الخلاص من أخذه تعالى بالالتجاء إليه
- ٩٧ (جعل الله الكعبة) قال مجاهد سميت كعبة لكونها مكعبة مربعة وقيل لانفرادها من البناء وقيل لارتفاعها من الأرض وتوثقها وقوله تعالى (البيت الحرام) عطف بيان على جهة المدح دون التوضيح كما تجيء
- الصفة كذلك وقيل مفعول ثان لجعل وقوله تعالى (قياماً للناس) نصب على الحال ويرده عطف ما بعده على المفعول الأول كما سيجي ببل هذا هو المفعول الثاني وقيل الجعل بمعنى الإنشاء والخلق وهو حال كما مر ومعنى كونه قياماً لهم أنه مدار لقيام أمر دينهم ودينام إذ هو سبب لاتعاشهم في أمور معاشهم ومعادهم يلوه بالخائف ويأمن فيه الضعيف ويرجى فيه التجار ويتوجه إليه الحجاج والعمار وقرئ قيا
- على أنه مصدر على وزن شبع أعل عينه بما أعل في فعله (والشهر الحرام) أي الذي يؤدي فيه الحج وهو ذوالحجة وقيل جنس الشهر الحرام وهو ما بعده عطف على الكعبة فالمفعول الثاني محذوف ثقة بما مر
- أي وجعل الشهر الحرام (والهدى والقلاند) أيضاً قياماً لهم والمراد بالقلاند ذوات القلاند وهي البدن خصت بالذكر لأن الثواب فيها أكثر وبها الحج بها أظهر (ذلك) إشارة إلى الجعل المذكور خاصة أو مع ما ذكر من الأمر بحفظ حرمة الإحرام وغيره ومحل النصيب بفعل مقدر يدل عليه السياق وهو العامل
- في اللام بعده أي شرع ذلك (لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض) فإن تشريع هذه الشرائع المستتبعة لدفع المضار الدينية والدينية قبل وقوعها وجلب المنافع الأولية والاخرية من أوضح الدلائل على حكمة الفاعل وعدم خروج شيء عن علمه المحيط وقوله تعالى (وأن الله بكل شيء عليم)

أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٨﴾

• المائدة

مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾

• المائدة

قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْتِوِي الْأَلْبَابَ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴿١٠٠﴾

• المائدة

تعميم إثر تخصيص للناس كيد ويجوز أن يراد بما في السموات والأرض الأعيان الموجودة فيهما وبكل شيء الآدمر المتعلقة بتلك الموجودات من العوارض والأحوال التي هي من قبيل المعاني (اعلموا أن الله شديد العقاب) وعيد لمن انتهك محارمه أو أصر على ذلك وقوله تعالى (وأن الله غفور رحيم) وعد لمن حافظ على مراعاة حرمانه تعالى أو أقبل عن الانتهاك بعد تعاطيه ووجه تقديم الوعيد ظاهر (ماعلى الرسول إلا البلاغ) تشديد في إيجاب القيام بما أمر به أى الرسول قد أتى بما وجب عليه من التبليغ بما لا مزيد عليه وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم من بعد في التفریط (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) فيؤاخذكم بذلك نقيض أو قاطع (قل لا يستوى الخبيث والطيب) حكم عام في نفي المساواة ١٠٠ عند الله تعالى بين الرديء من الأشخاص والأعمال والأموال وبين جيدها قصد به الترغيب في جيد كل منها والتحذير عن رديئها وإن كان سبب النزول شريح بن ضبعة البكرى الذى مرت قصته في تفسير قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله الخ وقيل نزل في رجل سأل رسول الله ﷺ إن الخمر كانت تجارتي وإني اعتقدت من بيعها مالا فهل ينفعني من ذلك المال إن عملت فيه بطاعة الله تعالى فقال النبي ﷺ إن أنفقت في حج أو جهاد أو صدقة لم يعدل جناح بعوضة إن الله لا يقبل إلا الطيب وقال عطاء والحسن رضى الله عنهما الخبيث والطيب الحرام والحلال وتقديم الخبيث في الذكر للإشعار من أول الأمر بأن القصور الذى ينبى عنه عدم الاستواء فيه لا في مقابلة فإن مفهوم عدم الاستواء بين الشيتين المتفاوتين زيادة ونقصانا وإن جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب قصور القاصر كما في قوله تعالى هل يستوى الأعمى والبصير إلى غير ذلك وأما قوله تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لما أن صلته ملصقة لصفة المفضل (ولو أعجبك كثرة الخبيث) أى وإن سررك كثرت الخطاب لكل واحد من الذين أمر النبي ﷺ بخطابهم والواو لعطف الشرطية على مثلها المقدر وقيل للحال وقدر أى لو لم تعجبك كثرة الخبيث ولو أعجبتك وكلتاها في موقع الحال من فاعل لا يستوى أى لا يستويان كائنين على كل حال مفروض كما في قولك أحسن إلى فلان وإن أساء إليك أى أحسن إليه إن لم يسيء إليك وإن أساء إليك أى كائنا على كل حال مفروض وقد حذف الأولى حذفاً مطرداً لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة فإن الشيء إذا تحقق مع المعارض فلان يتحقق بدونه أولى وعلى هذا السر يدور مافى لو وأن الوصلتين من المبالغة والتأكيد وجواب لو محذوف في الجملتين لدلالة ما قبلهما عليه وسيأتى تمام

يُنَاسِبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدِّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدِّلَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥١﴾

ه المائدة

- تحقيقه في مواقع عديدة بإذن الله عز وجل (فاتقوا الله يا أولى الألباب) أى في تحرى الحديث وإن كثروا آثروا عليه الطيب وإن قل فإن مدار الاعتبار هو الجودة والرداءة لا الكثرة والقلة فالمحمود القليل
- خير من المذموم الكثير بل كلما كثر الحديث كان أجبت (لعلكم تفلحون) راجين أن تنالوا الفلاح
- ١٠١ (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء) هو اسم جمع على رأى الخليل وسيبويه وجمهور البصريين كطرفاء وقصباء أصله شيء بهمز تين بينهما ألف فقلبت الكلمة بتقديم لامها على فائها فصار وزنها لفعاء ومنعت الصرف لألف التانيث الممدودة وقيل هو جمع شيء على أنه مخفف من شيء كمين مخفف من مين والأصل أشياء كأنه ناء بزنة أفعلاء فاجتمعت همزتان لام الكلمة والتي للتانيث إذا الألف كالهزمة فخففت الكلمة بأن قلبت الهزمة الأولى ياء لانكسار ما قبلها فصارت أشياء فاجتمعت ياءان أولاهما عين الكلمة مخذفت تخفيفاً فصارت أشياء وزنها أفلاء ومنعت الصرف لألف التانيث وقيل إنما حذفت من أشياء الياء المنقلبة من الهزمة التي هي لام الكلمة وفتحت الياء المكسورة لتسلم ألف الجمع فوزنها أفلاء وقوله تعالى (إن تبدل لكم تسؤكم) صفة لأشياء داعية إلى الانتهاء عن السؤال عنها وحيث كانت المساواة في هذه الشرطية معلقة بإبدائها لا بالسؤال عنها عقببت بشرطية أخرى ناطقة باستلزام السؤال عنها لإبدائها الموجب للمحذور قطعاً
- فقيل (وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدل لكم) أى تلك الأشياء الموجهة للمساواة بالوحي كما ينبغي عنه تقييد السؤال بحين النزول والمراد بها ما يشق عليهم ويغصمهم من التكاليف الصعبة التي لا يطيقون بها والأسرار الخفية التي يفتضحون بظهورها ونحو ذلك مما لا خير فيه فكما أن السؤال عن الأمور الواقعة مستتبع لإبدائها كذلك السؤال عن تلك التكاليف مستتبع لإيجابها عليهم بطريق التشديد لإساءتهم الأدب واجترائهم على المسألة والمراجعة وتجاوزهم عما يليق بشأنهم من الاستسلام لأمر الله عز وجل من غير بحث فيه ولا تعرض لكيفيته وكتبته أى لا تكثروا مساواة رسول الله ﷺ عما لا يعينكم من نحو تكاليف شاقة وعليكم إن أفناكم بها وكلفكم إياها حسبما أوحى إليه ولم تطبقوا بها نحو بعض أمور مستورة تكرهون بروزها وذلك مثل ما روى عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال خطبنا رسول الله ﷺ فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال إن الله تعالى كتب عليكم الحج فقام رجل من بني أسد يقال له عكاشة بن محصن وقيل هو سرافة بن مالك فقال أفى كل عام يا رسول الله فأعرض عنه حتى أعاد مسأله ثلاث مرات فقال رسول الله ﷺ ويحك وما يؤمنك أن أقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكم فارتكنوا ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بأمر فخذوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ومثل ما روى عن أنس وأبي هريرة رضي الله عنهما أنه سأل الناس رسول الله ﷺ عن أشياء حتى أحفوه في المسألة فقام رسول الله ﷺ مغضباً خطيباً

لحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال سلوني فوالله ما تسألوني عن شيء ما دمت في مقامى هذا إلا بينته لكم فأشفق أصحاب النبي ﷺ أن يكون بين يدي أمر قد حضر قال أنس رضى الله عنه لجمعت ألفت يميناً وشمالاً فلا أجد رجلاً إلا وهو لاف رأسه في ثوبه يبكي فقام رجل من قريش من بنى سهم يقال له عبد الله بن حذافة وكان إذا لاحى الرجال يدعى إلى غير أبيه وقال يا بنى الله من أبى فقال ﷺ أبوك حذافة بن قيس الزهري وقام آخر وقال أين أبى قال ﷺ فى النار ثم قام عمر رضى الله عنه فقال رضينا بالله تعالى رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً نبياً نعوذ بالله تعالى من الفتن إنا حديثو عهد بجاهلية وشرك فاعف عنا يا رسول الله فسكن غضبه ﷺ (عفا الله عنها) استئناف مسوق لبيان أن نهيم عنها لم يكن لمجرد صياتهم عن المساءة بل لأنها في نفسها معصية مستتعبة للبوأخذة وقد عفا عنها وفيه من حثهم على الجدى فى الانتهاء عنها ما لا يخفى وضمير عنها للسؤال المدلول عليها بلا تسألوا أى عفا الله تعالى عن مسائلكم السالفة حيث لم يفرض عليكم الحج فى كل عام جزاء بمسألتكم وتجاوز عن عقوبتكم الاخرية بسائر مسائلكم فلا تعودوا إلى مثلها وأما جعله صفة أخرى لأشياء على أن الضمير لها بمعنى لا تسألوا عن أشياء عفا الله عنها ولم يكلفكم إياها فملا سبيل إليه أصلاً لاقتضائه أن يكون الحج قد فرض أولاً فى كل عام ثم نسخ بطريق العفو وأن يكون ذلك معلوماً للمخاطبين ضرورة أن حق الوصف أن يكون معلوم الثبوت للوصوف عند المخاطب قبل جعله وصفاً له وكلاهما ضرورى الانتفاء قطعاً على أنه يستدعى اختصاص النهى بمسألة الحج ونحوها إن سلم وقوعها مع أن النظم الكريم صريح فى أنه مسوق للنهى عن السؤال عن الأشياء التى يسوؤهم إبداءها سواء كانت من قبيل الأحكام والتكاليف الموجبة لمسألتهم بإنشائها وإيجابها بسبب السؤال عقوبة وتشديداً كمسألة الحج لولا عفو الله تعالى عنها أو من قبيل الأمور الواقعة قبل السؤال الموجبة للمساءة بالإخبار بها كمسألة من قال أين أبى . إن قلت تلك الأشياء غير موجبة للمساءة البتة بل هى محتملة لإيجاب المسرة أيضاً لأن إيجابها للأولى إن كان من حيث وجودها ففى من حيث عدمها موجبة الأخرى قطعاً وليست إحدى الحثيتين محقة عند السائل وإنما غرضه من السؤال ظهورها كيف كانت بل ظهورها بحيثية إيجابها للمسرة فلم يعبر عنها بحيثية إيجابها للمساءة قلت لتحقيق المنهى عنه كما ستعرفه مع ما فيه من تأكيد النهى وتشديده لأن تلك الحثية هى الموجبة للانتهاج والانزجار لاحتية إيجابها للمسرة ولا حثية ترددها بين الإيجابين . إن قيل الشرطية الثانية ناطقة بأن السؤال عن تلك الأشياء الموجبة للمساءة مستلزم لإبدائها البتة كما مر فلم تخلف الإبداء عن السؤال فى مسألة الحج حيث لم يفرض فى كل عام قلنا لو وقع السؤال قبل ورود النهى وما ذكر فى الشرطية إنما هو السؤال الواقع بعد وروده إذ هو الموجب للتغليظ والتشديد ولا تخلف فيه . إن قيل ما ذكرته إنما يتمشى فيما إذا كان السؤال عن الأمور المترددة بين الوقوع وعدمه كما ذكر من التكاليف الشاقة وأما إذا كان عن الأمور الواقعة قبله فلا يكاد يتسنى لأن ما يتعلق به الإبداء هو الذى وقع فى نفس الأمر ولا مرد له سواء كان السؤال قبل النهى أو بعده وقد يكون الواقع ما يوجب المسرة كما فى مسألة عبد الله بن حذافة فيكون هو الذى يتعلق به الإبداء لا غيره فيتمين للتخلف حتا قلنا لا احتمال للتخلف فضلاً عن التمين فإن المنهى عنه فى الحقيقة إنما هو السؤال عن الأشياء الموجبة

قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكَ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾
 مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ
 الْكَذِبَ وَآكَرَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾

• المائة

• المائة

- للمساءة الواقعة في نفس الأمر قبل السؤال كسؤال من قال أين أبي لا عما يعمها وغيرها مما ليس بواقع لكنه محتمل للوقوع عند المكلفين حتى يلزم التخلف في صورة عدم الوقوع وجملة الكلام أن مدلول النظم الكريم بطريق العبارة إنما هو النهي عن السؤال عن الأشياء التي يوجب إبدؤها المساءة البتة إما بأن تكون تلك الأشياء بمرضية الوقوع فتبدي عند السؤال بطريق الإنشاء عقوبة وتشديداً كما في صورة كونها من قبيل التكاليف الشاقة وإما بأن تكون واقعة في نفس الأمر قبل السؤال فتبدي عنده بطريق الإخبار بها فالتخلف ممتنع في الصورتين معاً ومنشأ توهمه عدم الفرق بين المنهى عنه وبين غيره بناء على عدم امتياز ما هو موجود أو بمرضية الوجود من تلك الأشياء في نفس الأمر وما ليس كذلك عند المكلفين وملاحظتهم للكل باحتمال الوجود والعدم وقائدة هذا الإيهام الانتهاء عن السؤال عن تلك الأشياء على الإطلاق حذار إبداء المكروه (واقه غفور حلیم) اعتراض تذييلي مقرر لعفوه تعالى أي
- ١٠٢ مبالغ في مغفرة الذنوب والإغضاء عن المعاصي ولذلك عفا عنكم ولم يؤاخذكم بعقوبة ما فرط منكم (قد سألها قوم) أي سألوا هذه المسألة لكن لا عينها بل مثلها في كونها محظورة ومستتعبة للوبال وعدم التصريح بالمثل للبالغة في التحذير (من قبلكم) متعلق بسألها (ثم أصبحوا بها) أي بسببها أو بمرجوعها
- ١٠٣ (كافرين) فإن بنى إسرائيل كانوا يستفتون أنبياءهم في أشياء فإذا أمروا بها تركوها فلم يتركوا (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) رد وإبطال لما ابتدعه أهل الجاهلية حيث كانوا إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بجرأ أذنأ أي شقوها وحرروا ركوبها ودرها ولا تطرد عن ماء ولا عن مرعى وكان يقول الرجل إذا قدمت من سفرى أو برئت من مرضى فناقى سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل إذا اعتق عبداً قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث وإذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم وإن ولدت ذكراً فهو لأهلهم وإن ولدت ذكراً وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لأهلهم وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع وما وضع ولذلك عصى إلى مفعول واحد هو بحيرة وما عطف عليها ومن مزيدة لتأكيد النفي فإن الجعل التكويني كما يحى تارة متعدياً إلى مفعولين وأخرى إلى واحد كذلك الجعل التشريعي يحى مرة متعدياً إلى مفعولين كما في قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس وأخرى إلى واحد كما في الآية الكريمة (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) حيث يفعلون ما يفعلون ويقولون الله أمرنا بهذا وإمامهم عمرو بن لحي فإنه أول من فعل هذه الأفاعيل الباطلة هذا شأن رؤسائهم وكبرائهم (وأكثرهم) وهم أراذلهم الذين يتبعونهم من

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا
أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾
يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فَإِنِيتُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾
٥ المائدة

- معاصري رسول الله ﷺ كما يشهد به سياق النظم الكريم (لا يعقلون) أنه افتراء باطل حتى يخالفهم ويهتدوا إلى الحق بأنفسهم فيبقون في أسر التقليد وهذا بيان لقصور عقولهم وعجزهم عن الاهتداء بأنفسهم وقوله عز وجل (وإذا قيل لهم) أي للذين عبر عنهم بأكثرهم على سبيل الهداية والإرشاد (تعالوا إلى ١٠٤ ما أنزل الله) من الكتاب المبين للحلال والحرام (وإلى الرسول) الذي أنزل هو عليه لتقفوا على حقيقة الحال وتميزوا الحرام من الحلال (قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) بيان لعنادهم واستعصانهم على الهدى إلى الحق وانقيادهم للداعي إلى الضلال (أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون) قيل الواو للعالم دخلت عليها الهمة للإنكار والتعجب أي أحسبهم ذلك ولو كان آباؤهم جملة ضالين وقيل للعطف على شرطية أخرى مقدرة قبلها وهو الأظهر والتقدير أحسبهم ذلك أو يقولون هذا القول لو لم يكن آباؤهم لا يعقلون شيئاً من الدين ولا يهتدون للصواب ولو كانوا لا يعلمون الخ وكتناهما في موقع الحال أي أحسبهم ما وجدوا عليه آباءهم كائنين على كل حال مفروض وقد حذفت الأولى في الباب حذفاً مطرداً لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة كيف لا وأن الشيء إذا تحقق عند المانع فلأن يتحقق عند عدمه أولى كما في قولك أحسن إلى فلان وإن أساء إليك أي أحسن إليه وإن أساء إليك وإن أساء أي أحسن إليه كائناً على كل حال مفروض وقد حذفت الأولى لدلالة الثانية عليها دلالة ظاهرة إذا الإحسان حيث أسره عند المانع فلأن يؤثر به عند عدمه أولى وعلى هذا السر يدور مافي إن ولو الوصليتين من المبالغة والتأكيد وجواب لو محذوف لدلالة ما سبق عليه أي لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون حسبهم ذلك أو يقولون ذلك وما في لو من معنى الامتناع والاستبعاد إنما هو بالنظر إلى زعمهم لا إلى نفس الأمر وفائدته المبالغة في الإنكار والتعجب ببيان أن ما قالوه موجب للإنكار والتعجب إذا كان كون آباءهم جملة ضالين في حين الاحتمال البعيد فكيف إذا كان ذلك واقعاً لا ريب فيه وقيل مآل الوجهين واحد لأن الجملة المقدرة حال فكذا ما عطف عليها وأنت خير بأن الحال على الوجه الأخير مجموع الجملتين لا الأخيرة فقط وأن الواو للعطف لا للحال وقد مر التحقيق في قوله تعالى أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون فتدبر (يا أيها الذين آمنوا ١٠٥ عليكم أنفسكم) أي أزموا أمر أنفسكم وإصلاحها وقرى بالرفع على الابتداء أي واجبة عليكم أنفسكم وقوله عز وجل (لا يضرركم من ضل إذا اهتديتم) إما مجزوم على أنه جواب للأمر أو نهي مؤكد له وإنما ضمت الراء اتباعاً للضمة المضادة المنقولة إليها من الراء المدغمة إذ الأصل لا يضرركم ويؤيده القراءة بفتح الراء وقراءة من قرأ لا يضرركم بكسر الضاد وضمها من ضاره بضميره ويضوره وإما مرفوع على أنه كلام

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ
مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصْبَحْتُمْ مَصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسُبُونَهُمَا
مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ آرَبْتُمْ لَا تَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَدَةَ
اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٥٦﴾

هـ المائة

مستأنف في موقع التعليل لما قبله وبعضه قراءة من قرأ لا يضيركم أى لا يضركم ضلال من ضل إذا كنتم
مهتمين ولا يتوهم أن فيه رخصة في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع استطاعتها كيف لا
ومن جملة الاهتمام أن ينكر على المنكر حسبما تنبى به الطاقة قال عليه السلام من رأى منكراً فاستطاع أن
يغيره فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وقد روى أن الصديق رضى الله تعالى عنه
قال يوماً على المنبر يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية وتضعونها غير موضعها ولا تدرون ما هي وإنى
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الناس إذا رأوا منكراً فلم يغيروه عمهم الله بعقاب فأمرؤا بالمعروف
وانهوا عن المنكر ولا تغفروا بقول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا الخ فيقول أحدكم على نفسه والله
لتأمرن بالمعروف وتنهن عن المنكر أو ليستعملن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب ثم ليدعون
خباياكم فلا يستجاب لهم وعنه عليه السلام ما من قوم عمل فيهم منكر أو سن فيهم قبيح فلم يغيروه ولم ينكروه
إلا وحق على الله تعالى أن يعصمهم بالعقوبة جميعاً ثم لا يستجاب لهم والآية نزلت لما كان المؤمنون
يتحسرون على الكفرة وكانوا يتمنون إيمانهم وهم من الضلال بحيث لا يكادون يرفعون عنه بالأمر
والنهي وقبل كان الرجل إذا أسلم لامه وقالوا له سقت آباءك وضلائهم أى نسبهم إلى السفاهة والضلال
فنزلات تلمية له بأن ضلال آباءه لا يضره ولا يشينه (إلى الله) لا إلى أحد سواه (مرجعكم) رجوعكم
● يوم القيامة (جميعاً) بحيث لا يتخلف عنه أحد من المهتمين وغيرهم (فينبشكم بما كنتم تعملون) في الدنيا
● من أعمال الهداية والضلال فهو وعد ووعد للفريقين وتنبيه على أن أحداً لا يؤخذ بعمل غيره (يا أيها
الذين آمنوا) استئناف مسوق لبيان الأحكام المتعلقة بأمور دينهم إثر بيان الأحوال المتعلقة بأمور
● دينهم وتصديره بمر في النداء والتنبيه لإظهار كمال العناية بمضمونه وقوله عز وجل (شهادة بينكم) بالرفع
والإضافة إلى الظرف توسعاً إما باعتبار جريانها بينهم أو باعتبار تعلقها بما يجري بينهم من الخصومات
● مبتدأ وقوله تعالى (إذا حضر أحدكم الموت) أى شارفه وظهرت علامته ظرف لها وتقديم المفعول
لإفادة كمال تمكن الفاعل عند النفس وقت وروده عليها فإنه أدخل في تهوين أمر الموت وقوله تعالى
● (حين الوصية) بدل منه لا ظرف للموت كما توهم ولا لحضوره كما قيل فإن في الإبدال تنبيهاً على أن الوصية
● من المهمات المقررة التي لا ينبغي أن يتهاون بها المسلم ويذهل عنها وقوله تعالى (اثنان) خبر للابتداء بتقدير
المضاف أى شهادة بينكم حينئذ شهادة اثنين أو فاعل شهادة بينكم على أن خبرها محذوف أى فيما نزل
عليكم أن يشهد بينكم اثنان وقرىء شهادة بالرفع والتنوين والإعراب كما سبق وقرىء شهادة بالنصب

- والتتوين على أن حاملها مضمّر هو العامل في اثنان أيضاً أى ليقم شهادة بينكم اثنان (ذوا عدل منكم) أى من أقاربكم لأنهم أعلم بأحوال الميت وأنصح له وأقرب إلى تحرّى ما هو أصلح له وقيل من المسلمين ومما صفتان لاثنان (أو آخران) عطف على اثنان تابع له فيما ذكر من الخبرة والفاعلية أى أو شهادة آخرين أو أن يشهد بينكم آخران أو ليقم شهادة بينكم آخران وقوله تعالى (من غيركم) صفة لآخران أى كائنان من غيركم أى من الأجانب وقيل من أهل الذمة وقد كان ذلك في بدء الإسلام لعزّة وجود المسلمين لا سيما في السفر ثم نسخ وعن مكحول أنه نسخها قوله تعالى وأشهدوا ذوى عدل منكم (إن أنتم) مرفوع بمضمّر يفسره ما بعده تقديره إن ضربتم فلما حذف الفعل انفصل الضمير وهذا رأى جمهور البصريين وذهب الأخفش والكوفيون إلى أنه مبتدأ بناء على جواز وقوع المبتدأ بعد أن الشرطية كجواز وقوعه بعد إذا ف قوله تعالى (ضربتم في الأرض) أى سافرتم فيها لا محل له من الإعراب عند الأولين لكونه مفسراً ومرفوع على الخبرة عند الباقيين وقوله تعالى (فأصابتكم مصيبة الموت) عطف على الشرطية وجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه أى إن سافرتم ففارقكم الانجل حينئذ وما معكم من الأقارب أو من أهل الإسلام من يتولى أمر الشهادة كما هو الغالب المعتاد في الأسفار فليشهد آخران أو فاستشهدوا آخرين أو فانشاهدان آخران كذا قيل والآنسب أن يقدر عين ماسبق أى فآخران على معنى شهادة بينكم شهادة آخرين أو فأن يشهد آخران على الوجوه المذكورة ثمة وقوله تعالى (تحبسونهما) استئناف وقع جواباً عما نشأ من اشتراط العدالة كأنه قيل فكيف نصنع إن ارتبنا بالشاهدين فقبل تحبسونهما أى تقفونهما وتصبرونهما للتحليف (من بعد الصلوة) وقيل هو صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف اعتراض فائدته الدلالة على أن اللائق إشهاد الأقارب أو أهل الإسلام وأما إشهاد الآخرين فعند الضرورة الملجئة إليه وأنت خير بأه يقضى اختصاص الحبس بالآخرين مع شموله للأوليين أيضاً قطعاً على أن اعتبار اتصافهما بذلك بأباه مقام الأمر بإشهادهما إذ ماله فآخران شأنهما الحبس والتحليف وإن أمكن إتمام التقريب باعتبار قيد الارتياح بهما كما يفيد الاعتراض الآتى والمراد بالصلوة صلاة العصر وعدم تعيينها لتعينا عندم التحليف بعدها لأنه وقت اجتماع الناس ووقت تصادم ملائكة الليل وملائكة النهار ولأن جميع أهل الأديان يعظمونه ويحبتون فيه الحلف الكاذب وقد روى أن النبي ﷺ وقتئذ حلف من حلف كما سيأتى وقيل بعد أى صلاة كانت لأنها داعية إلى النطق بالصدق ونهاية عن الكذب والزور
- إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر (فيقسمان بالله) عطف على تحبسونهما وقوله تعالى (إن ارتبتم) شرطية محذوفة الجواب لدلالة ماسبق من الحبس والإقسام عليه سيقى من جهته تعالى معترضة بين القسم وجوابه للتنبيه على اختصاص الحبس والتحليف بحال الارتياح أى إن ارتاب بهما للوارث منكم بخيانته وأخذ شيء من الزكاة فاحبسوها وحلفوهما بالله وقوله تعالى (لا تشتري به ثمناً) جواب للقسم وليس هذا من قبيل ما اجتمع فيه قسم وشرط فاكثرتي بذكر جواب سابقهما عن جواب الآخر كما هو الواقع غالباً فإن ذلك إنما يكون عند سد جواب السابق مسد جواب اللاحق لاتحاد مضمونهما كما

فَإِنْ عَثَرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَاعْتَرَا يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ
فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَدَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَدَتَيْهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ هـ المائة

في قولك والله إن أتيتني لأكرمنك ولا ريب في استحالة ذلك ههنا لأن القسم وجوابه كلاهما وقد عرفت
أن الشرط من جهة تعالى والاشتراء هو استبدال السلعة بالثمن أى أخذها بدلا منه لا بذله لتحصيلها كما
قيل وإن كان مستلزما له فإن المعتبر في عقد الشراء ومفهومه هو الجلب دون السلب المعتبر في عقد البيع
ثم استعير لأخذ شيء بإزالة ما عنده عيناً كان أو معنى على وجه الرغبة في المأخوذ والإعراض عن الزائل
كما هو المعتبر في المستعار منه حسبما مر تفصيله في تفسير قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
والضمير في به لله والمعنى لا نأخذ لأنفسنا بدلا من الله أى من حرمة عرضاً من الدنيا بأن نهتكها ونزيلها
بالحلف الكاذب أى لا نخلف بالله كاذبين لأجل المال وقيل الضمير للقسم فلا بد من تقدير مضاف البتة
أى لا نستبدل بصحة القسم بالله أى لا نأخذ لأنفسنا بدلا منها عرضاً من الدنيا بأن نزيل عنه وصف
الصدق ونصفه بالكذب أى لا نخلف كاذبين كما ذكرنا فلا سداد للمعنى سواء أريد به القسم الصادق
أو الكاذب أما إن أريد به الكاذب فلأنه يفوت حينئذ ما هو المعتبر في الاستعارة من كون الزائل شيئاً
مرغوباً فيه عند الخالف كحرمة اسم الله تعالى ووصف الصحة والصدق في القسم ولا ريب في أن القسم
الكاذب ليس كذلك وأما إن أريد به الصادق فلأنه وإن أمكن أن يتوسل باستعماله إلى عرض الدنيا
كالقسم الكاذب لكن لا محذور فيه وأما التوسل إليه بترك استعماله فلا إمكان له ههنا حتى يصح التبرؤ
منه وإنما يتوسل إليه باستعمال القسم الكاذب وليس استعماله من لوازم ترك استعمال الصادق ضرورة
جواز تركهما معاً حتى يتصور جعل ما أخذ باستعماله مأخوذاً بترك استعمال الصادق كما في صورة تقدير
المضاف فإن إزالة وصف الصدق عن القسم مع بقاء الموصوف مستلزمة لثبوت وصف الكذب له البتة
● فتأمل وقوله تعالى (ولو كان) أى المقسم له المدلول عليه بفحوى الكلام (ذاقربي) أى قريباً منا تأكيداً
لتبرئهم من الحلف كاذباً ومبالغة في التنزه عنه كأنهما قالوا لا نأخذ لأنفسنا بدلا من حرمة اسمه تعالى
مالا ولو انضم إليه رعاية جانب الأقرباء فكيف إذا لم يكن كذلك وصيانة أنفسهما وإن كانت أهم من
رعاية الأقرباء لكنها ليست ضمنية للبال بل هي راجعة إليه وجواب لو محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه
أى لا نشترى به ثمناً والجملة معطوفة على أخرى مثلها كما فصل في تفسير قوله تعالى ولو أعجبك الخ وقوله
● عز وجل (ولا نكنتم شهادة الله) أى الشهادة التي أمرنا الله تعالى بإقامتها معطوف على لا نشترى به داخل
معه في حكم القسم وعن الشعبي أنه وقف على شهادة ثم ابتدأ الله بالمد على حذف حرف القسم وتوحيص
● حرف الاستفهام منه وبغير مد كقولهم الله لا يفعل (إنا إذا لمن الآثمين) أى إن كنتمناها وقرئ للمؤمنين
١٠٧ بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وإدخال النون فيها (فإن عثر) أى اطلع بعد التحليف (على أنهما
استحقا إثماً) حسبما اعترفاه بقولهما إنا إذا لمن الآثمين أى فعلا ما يوجب إثماً من تحريف وكم بأن ظهر

- بأيديهما شيء من التركة وأدعيا استحقاقهما له بوجه من الوجوه كما وقع في سبب النزول حسبما سيأتي (فأخران) أي رجلان آخران وهو مبتدأ خبره (يقومان مقامهما) ولا محذور في الفصل بالخبر بين ●
- المبتدأ وبين وصفه الذي هو الجار والمجرور بعده أي يقومان مقام اللذين عثر على خيانتهم وليس المراد بمقامهما مقام أداء الشهادة التي تولياها ولم يؤدياها كما هي بل هو مقام الحبس والتحليف على الوجه المذكور لإظهار الحق وإبراز كذبهما فيما ادعيا من استحقاقهما لما في أيديهما (من اللذين استحق) على ●
- البناء للفاعل على قراءة على وابن عباس وأبي رضى الله عنهم أي من أهل الميت اللذين استحق (عليهم ● الأوليان) من بينهم أي الأقربان إلى الميت الوارثان له الأحقان بالشهادة أي باليمين كما ستعرفه ومفعول استحق محذوف أي استحقا عليهم أن يجر دوهما للقيام بها لأنها حقهما ويظهروا بهما كذب الكاذبين وهما في الحقيقة الآخران القائمان مقام الأولين على وضع المظهر مقام المضمرة وقرىء على البناء للمفعول وهو الأظهر أي من اللذين استحق عليهم الإثم أي جنى عليهم وهم أهل الميت وعشيرته فالأوليان مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف كأنه قيل ومن هما فقيل الأوليان أو هو بدل من الضمير في يقومان أو من آخران وقد جوز ارتقاؤه باستحق على حذف المضاف أي استحق عليهم انتداب الأولين منهم للشهادة وقرىء الأولين على أنه صفة للذين الحججور أو منصوب على المدح ومعنى الأولية التقدم على الأجانب في الشهادة لكونهم أحق بها وقرىء الأولين على التثنية وانتصابه على المدح وقرىء الأولان (فيقسمان ● بالله) عطف على يقومان (لشهادتنا) المراد بالشهادة اليمين كما في قوله تعالى فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله أي ليميننا على أنهما كاذبان فيما ادعيا من الاستحقاق مع كونها حقة صادقة في نفسها (أحق) بالقبول ● (من شهادتهما) أي من يمينهما مع كونها كاذبة في نفسها لما أنه قد ظهر للناس استحقاقهما للإثم ويميننا منزلة عن الريب والريبة فصيغة التفضيل مع أنه لا حقيقة في يمينهما رأساً إنما هي لإمكان قبولها في الجملة باعتبار احتمال صدقهما في ادعاء تملكهما لما ظهر في أيديهما (وما اعتدينا) عطف على جواب القسم أي ●
- ما تجاوزنا فيها الحق أو ما اعتدينا عليهما بإبطال حقهما (إنا إذا لمن الظالمين) استئناف مقرر لما قبله أي إنا إن اعتدينا في يميننا لمن الظالمين أنفسهم بتعريضها لخط الله تعالى وعذابه بسبب حكمة اسم الله تعالى أو لمن الواضعين الحق في غير موضعه ومعنى النظم الكريم أن المحتضر ينبغي أن يشهد على وصيته عدلين من ذوى نسبه أو دينه فإن لم يجدهما بأن كان في سفر فأخران من غيرهم ثم إن وقع ارتياب بهما أقسم على أنهما ما كتبا من الشهادة ولا من التركة شيئاً بالتغليظ في الوقت فإن اطلع بعد ذلك على كذبهما بأن ظهر بأيديهما شيء من التركة وأدعيا تملكه من جهة الميت حلف الورثة وعمل بأيمانهم ولعل تخصيص الاثنين لخصوص الواقعة فإنه روى أن تميم بن أوس الداري وعدى بن يزيد خرجا إلى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل بن أبي مریم مولى عمرو بن العاص وكان مسلماً مهاجراً فلما قدموا الشام مرض بديل فكتب كتاباً فيه جميع ماله وطرحه في مناعه ولم يخبرهما بذلك وأوصى إليهما بأن يدفعا مناعه إلى أهلهم ومات ففتشاه فوجداه فيه إناء من فضة وزنه ثلثمائة مثقال منقوشاً بالذهب فغيباه ودفعنا المتاع إلى أهلهم فأصابوا فيه الكتاب فطلبوا منهما الإناء فقالا ما ندري إنما أوصى إلينا بشيء وأمرنا أن ندفعه إليكم

ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانُ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

• المائدة

ففعّلنا وما لنا بالإِنَاء من علم فرفعوهما إلى رسول الله ﷺ فنزل يأبى الذين آمنوا الآية فاستحلفهما بعد صلاة العصر عند المنبر بالله الذى لا إله إلا هو أنهما لم يختاناً شيئاً مما دفع ولا كتبا لحلفا على ذلك فحلفا ﷺ سبيلهما ثم إن الإِنَاء وجد بمكة فقال من بيده اشتريته من تميم وعدى وقيل لما طالت المدة أظهره فبلغ ذلك بنى سهم فطلبوه منهما فقالا كنا اشتريناه من بديل فقالوا ألم نقل لكما هل باع صاحبنا من متاعه شيئاً فقلتما لا قال ما كان لنا بينة ففكرهنا أن نقر به فرفعوهما إلى رسول الله ﷺ فنزل قوله عز وجل فإن عثر الآية فقام عمرو بن العاص والمطلب بن أبى وداعة السهميان لحلفا بالله بعد العصر أنهما كذبا وخاما فدفع الإِنَاء إليهما وفى رواية إلى أولياء الميت وأعلم أنهما إن كانا وارثين لبديل فلا نسخ إلا فى وصف اليمين فإن الوارث لا يحلف على البنات وإلا فهو منسوخ (ذلك) كلام مستأنف سيق لبيان أن ما ذكر مستتبع للنافع وأرد على مقتضى الحكمة والمصلحة أى الحكم الذى تقدم تفصيله (أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها) أى أقرب إلى أن يؤدى الشهود الشهادة على وجهها الذى تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة خوفاً من العذاب الأخرى وهذه كما ترى حكمة شرعية التحليف بالتغليظ المذكور

• وقوله تعالى (أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم) بيان للحكمة شرعية رد اليمين على الورثة معطوف على مقدر ينبى عنه المقام كأنه قيل ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها ويخافوا عذاب الآخرة بسبب اليمين الكاذبة أو يخافوا الافتضاح على رموس الأشهاد بإبطال أيمانهم والعمل بأيمان الورثة فيزجروا عن الخيانة المؤدية إليه فأى الخوفين وقع حصل المقصد الذى هو الإتيان بالشهادة على وجهها وقيل هو عطف على يأتوا على معنى أن ذلك أقرب إلى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو إلى أن يخافوا الافتضاح برد اليمين على الورثة فلا يحلفوا على موجب شهادتهم إن لم يأتوا بها على وجهها فيظهر كذبهم بنكولهم وأما ما قيل من أن المعنى إن ذلك أقرب إلى أحد الأمرين اللذين أيهما وقع كان فيه الصلاح أداء الشهادة على الصدق والامتناع عن أدائها على الكذب فيأباه المقام إذ لا تعلق له بالحادثة أصلاً ضرورة أن الشاهد مضطر فيها إلى الجواب فلا امتناع عن الشهادة الكاذبة مستلزم للإتيان بالصادقة قطعاً فليس هناك أمران أيهما وقع كان فيه الصلاح حتى يتوسط بينهما كلمة أو وإنما يتأتى ذلك فى شهود لم يتهموا بخيانة على أن إضافة الامتناع عن الشهادة الكاذبة إلى خوف رد اليمين على الورثة ونسبة الإتيان بالصادقة إلى غيره مع أن ما يقتضى أحدهما يقتضى الآخر لا محالة تحكم بحت فتأمل (واتقوا الله) فى مخالفة أحكامه

• التى من جملتها هذا الحكم (واسمعوا) ما تؤمرون به كأننا ما كان سمع طاعة وقبول (والله لا يهدى القوم الفاسقين) الخارجين عن الطاعة أى فإن لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم فاسقين والله لا يهدى القوم الفاسقين

• أى إلى طريق الجنة أو إلى ما فيه نفعهم .

يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ المائدة

- (يوم يجمع الله الرسل) نصب على أنه بدل اشتمال من مفعول اتقوا لما بينهما من الملازمة فإن مدار البدلية ١٠٩ ليس ملازمة الظرفية والمظروفية ونحوها فقط بل هو تعلق ما مصحح لا انتقال الذهن من المبدل منه إلى البدل بوجه إجمالي كما فيما نحن فيه فإن كونه تعالى خالق الأشياء كافة مالك يوم الدين خاصة كاف في الباب مع أن الأمر بتقوى الله تعالى يتبادر منه إلى الذهن أن المتقى أى شأن من شتونه وأى فعل من أفعاله وقبل هناك مضاف محذوف به بتحقيق الاشتمال أى اتقوا عقاب الله فحينئذ يجوز انتصابه منه بطريق الظرفية وقيل منصوب بمضمر معطوف على اتقوا وما عطف عليه أى واحذروا أو اذكروا يوم الخ فإن تذكير ذلك اليوم الهائل بما يضطرهم إلى تقوى الله عز وجل وتلقى أمره بسمع الإجابة والطاعة وقيل هو ظرف لقوله تعالى لا يهدي أى لا يهديهم يومئذ إلى طريق الجنة كما يهدي إليه المؤمنين وقيل منصوب بقوله تعالى واسمعوا بحذف مضاف أى اسمعوا خبر ذلك اليوم وقيل منصوب بفعل مؤخر قد حذف الدلالة على ضيق العبارة عن شرحه وبيانه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة النامة والدواهي العامة كأنه قيل يوم يجمع الله الرسل فيقول الخ يكون من الأحوال والآهوال مالا ينفى ببيانه نطاق المقال وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لتربية المهابة وتشديد التهويل وتخصيص الرسل بالذكر ليس لاختصاص الجمع بهم دون الأمم كيف لا وذلك يوم يجمع له الناس وذلك يوم مشهود وقد قال الله تعالى يوم ندعو كل أناس بإمامهم بل لإبانة شرفهم وأصالتهم والإيدان بعدم الحاجة إلى التصريح بجمع غيرهم بناء على ظهور كونهم أتباعاً لهم وإظهار سقوط منزلتهم وعدم لياقتهم بالانتظام في سلك جمع الرسل كيف لا وهم عليهم السلام يجمعون على وجه الإجلال وأولئك يستعجبون على وجوههم بالأغلال (فيقول) لهم ● مشيراً إلى خروجهم عن عهدة الرسالة كما ينبغي حسبما يعرب عنه تخصيص السؤال بجواب الأمم إعراباً واضحاً وإلا لصدر الخطاب بأن يقال هل بلغتم رسالاتي وماذا في قوله عز وجل (ماذا أجبتهم) عبارة عن مصدر الفعل فهو نصب على المصدرية أى أى إجابة أجبتهم من جهة أمكم إجابة قبول أو إجابة رد وقبل عبارة عن الجواب فهو في محل النصب بعد حذف الجار عنه أى بأى جواب أجبتهم وعلى التقديرين ففي توجيه السؤال عما صدر عنهم وهم شهود إلى الرسل عليهم السلام كسؤال المودة بمحضر من الوائد والعدول عن إسناد الجواب إليهم بأن يقال ماذا أجابوا من الأنباء عن كمال تحقير شأنهم وشدة الغيظ والسخط عليهم مالا يخفى (قالوا) استئناف مبنى على سؤال نشأ من سوق الكلام كأنه قيل فإذا يقول ● الرسل عليهم السلام هنالك فقيل يقولون (لا علم لنا) وصيغة الماضي للدلالة على التقرر والتحقق كما في قوله تعالى ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب الأعراف ونظائرهما وإنما يقولون ذلك تقوى أيضاً الأمر إلى علمه تعالى وإحاطته بما اعتراهم من جهتهم من مقاساة الأهوال ومعاناة المصوم والأوجال وعرضاً لمعجزهم عن بيانه لكثيرته وفضاعته (إنك أنت علام الغيوب) تعليل لذلك أى فتعلم ما أجابوا وأظهروا ● لنا وما لم نعلمه مما أضمره في قلوبهم وفيه إظهار للشكاة ورد للأمر إلى علمه تعالى بما لقوا من قبلهم من

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكُرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ
النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ
الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي
وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنَّا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١١٠﴾

• المائدة

المخطوب وكابدوا من الكروب والتجاء إلى ربهم في الانتقام منهم وقيل المعنى لا علم لنا بما أحدثوا بعدنا
وإنما الحكم للخالق بقدر ذلك بأنهم يعرفونهم بسيماهم فكيف يخفى عليهم أمرهم وأنت خير بأن مرادهم
حينئذ أن بعضهم كانوا في زمانهم على الحق ثم صاروا كفرة وعن ابن عباس ومجاهد والسدي رضى الله
عنهم أنهم يفرعون من أول الأمر ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعد ما ثابت لإيهم عقولهم بالشهادة
على أنهم ولا يلائمه التعليل المذكور وقيل المراد به المبالغة في تحقيق فضيحتهم وقرئ علام الغيوب
بالنصب على النداء أو الاختصاص بالمدح على أن الكلام قد تم عند قوله تعالى أنت أي إنك أنت المنعوت
١١٠. نعت كالك المعروف بذلك (إذ قال الله يا عيسى ابن مريم) شروع في بيان ما جرى بينه تعالى وبين واحد
من الرسل المجموعين من المفاوضة على التفصيل إثر بيان ما جرى بينه تعالى وبين الكل على وجه الإجمال
ليكون ذلك كالآلة نموذج لتفاصيل أحوال الباقين وتخصيص شأن عيسى عليه السلام بالبيان تفصيلاً من
بين شئون سائر الرسل عليهم السلام مع دلالتها على كمال هول ذلك اليوم ونهاية سوء حال المكذبين
بالرسل لما أن شأنه عليه السلام متعلق بكلا الفريقين من أهل الكتاب الذين نعت عليهم في السورة
الكريمة جناباتهم فتفصيله أعظم عليهم وأجلب لحسرتهم وندامتهم وأفت في أعضادهم وأدخل في صرهم
عن غيهم وعنادهم وإذ بدل من يوم يجمع الله الخ وصيغة الماضي لما ذكر من الدلالة على تحقق الوقوع
● وإظهار الاسم الجليل في مقام الإضمار لما مر من المبالغة في التهويل وكلمة على في قوله تعالى (اذكر نعمتي
عليك وعلى والدتك) متعلقة بنفس النعمة إن جعلت مصدراً أي اذكر إنعامي عليك أو بمحذوف هو
حال منها إن جعلت اسماً أي اذكر نعمتي كائنة عليك وليس المراد بأمره عليه السلام يومئذ بذكر النعمة
المنتظمة في سلك التعبد تكليفه عليه السلام شكرها والقيام بمواجبها ولات حين تكليف مع خروجه
عليه السلام عن عهد الشكر في أوانه أي خروج بل إظهار أمره عليه السلام بتعداد تلك النعم حسبما
بينه الله تعالى اعتداداً بها وتلذذاً بذكرها على رءوس الأشهاد لتكون حكاية ذلك على ما أنبأ عنه النظم
الكريم توبيخاً ومزجراً للكفرة المختلفين في شأنه عليه السلام إفراطاً وتفریطاً وإبطالاً لقولها جميعاً
● (إذ أيدتك) ظرف لنعمتي أي اذكر إنعامي عليك وقت تأييدي لك أو حال منها أي اذكرها كائنة وقت
● تأييدي لك وقرئ أيدتك والمعنى واحد أي قوتك (بروح القدس) مجبريل عليه السلام لتثبيت الحجة

- أوبالكلام الذى يحى به الدين وإضافته إلى القدس لأنه سبب الطهر عن أضرار الآثام أو يحى به الموتى أو النفوس حياة أبدية وقيل الأرواح مختلفة الحقائق فنها طاهرة نورانية ومنها خبيثة ظلمانية ومنها مشرقة ومنها كدرة ومنها حرة ومنها نذلة وكان روحه عليه السلام طاهرة مشرقة نورانية علوية وأياً ما كان فهو نعمة عليهما (تكلم الناس فى المهد وكهلا) استئناف مبين لتأييده عليه السلام أو حال من الكاف وذكر
- تكليمه عليه السلام فى حال السكولة لبيان أن كلامه عليه السلام فى تينك الحالين كان على نسق واحد بديع صادر عن كمال العقل مقارناً لرزانة الرأى والتدبير وبه استدلل على أنه عليه السلام سينزل من السماء لما أنه عليه السلام رفع قبل التكمل قال ابن عباس رضى الله عنهما أرسله الله تعالى وهو ابن ثلاثين سنة ومكث فى رسالته ثلاثين شهراً ثم رفعه الله تعالى إليه (وإذ علمت لك الكتاب) عطف على قوله تعالى إذ
- أيدتك منصوب بما نصبه أى اذكر نعمتى عليكما وقت تعليمى لك الكتاب (والحكمة) أى جنسهما (والتوراة والإنجيل) خصا بالذكر مما ناوله الكتاب والحكمة إظهاراً لشرفهما وقيل الخط والحكمة
- الكلام المحكم الصواب (وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير) أى تصور منه هيئة مماثلة لهيئة الطير (يا ذنى) بتسبيل وتيسير لا على أن يكون الخلق صادراً عنه عليه السلام حقيقة بل على أن يظهر ذلك على يده عليه السلام عند مباشرة الأسباب مع كون الخلق حقيقة لله تعالى كما ينبى عنه قوله تعالى (فتنفخ فيها) أى فى
- الهيئة المصورة (فتكون) أى تلك الهيئة (طيراً يا ذنى) فإن إذنه تعالى لولم يكن عبارة عن تكوينه تعالى للطير بل عن محض تبسيـره مع صدور الفعل حقيقة عما أسند إليه لكان هذا تكويناً من جهة الهيئة وتكرير قوله يا ذنى فى الطير مع كونه شيئاً واحداً للتنبيه على أن كلا من التصوير والنفخ أمر معظم بديع لا يتسنى ولا يترتب عليه شىء إلا بإذنه تعالى (وتبرىء الأكمه والأبرص يا ذنى) عطف على تخلق (وإذ تخرج الموتى يا ذنى) عطف على إذ تخلق أعيد فيه إذ لكون إخراج الموتى من قبورهم لاسيما بعد ما صارت
- رمياً معجزة باهرة ونعمة جليلة حقيقة بتذكير وقتها صريحاً قيل أخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية وتكرير قوله يا ذنى فى المواضع الأربعة للاعتناء بتحقيق الحق ببيان أن تلك الحوارق ليست من قبل عيسى عليه الصلاة والسلام بل من جمته سبحانه قد أظهرها على يديه معجزة له ونعمة خصها به وأما ذكره فى سورة آل عمران مرتين لما أن ذلك موضع الإخبار وهذا موضع تعداد النعم (وإذ كففت بنى إسرائيل عنك) عطف على إذ تخرج أى منعت اليهود الذين أرادوا بك السوء عن التعرض لك (إذ جثتهم بالبينات) بالمعجزات الواضحة مما ذكر وما لم يذكر كالإخبار بما ياكلون وما يدخرون فى بيوتهم ونحو ذلك وهو ظرف لكففت لكن لا باعتبار الجحى بها فقط بل باعتبار ما يعقبه من قوله تعالى (فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين) فإن قولهم ذلك مما يدل على أنهم قصدوا اغتياله عليه السلام المخرج إلى الكف أى كففتهم عنك حين قالوا ذلك عند مجيئك إليهم بالبينات وإنما وضع موضع ضميرهم الموصول لذنهم بما فى حيز الصلة فكلمة من بيانية وهذا إشارة إلى ما جاء به والتذكير لأن إشارتهم إلى مارأوه من نفس المسمى من حيث هو أو من حيث هو سحر لا من حيث هو مسمى بالبينات وقرئ إن هذا إلا ساحر

وَإِذَا أُوحِيَتْ إِلَى الْخَوَارِثِ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَّسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَآشَهِدُ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ هـ المائدة
 إِذْ قَالَ الْخَوَارِثُ يَنْعِيسِي ابْنُ مَرْثَمٍ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ
 قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ هـ المائدة

- ١١١ مبين فهذا حينئذ إشارة إلى عيسى عليه السلام (وإذا أوحيت إلى الخواريث) عطف على ما قبله من أخواتها الواقعة ظروفًا للنعمة التي أمر بذكرها وهي وإن كانت في الحقيقة عين ما يفيد الجمل التي أضيف إليها تلك الظروف من التأيد بروح القدس وتعليم الكتاب والحكمة وسائر الخوارق المعدودة ولكنها لمغايرتها لها بعنوان منبئ عن غاية الإحسان أمر بذكرها من تلك الحيثية وجعلت عاملة في تلك الظروف لكفاية المغايرة الاعتبارية في تحقيق ما اعتبر في مدلول كلمة إذ من تعدد النسبة فإنه ظرف موضوع لزمان نسبتين ماضيتين واقعتين فيه إحداهما معلومة الوقوع فيه للمخاطب دون الأخرى فيراد إفادة وقوعها أيضاً له فيضاف إلى الجملة المفيدة للنسبة الأولى ويجعل ظرفاً معمولاً للنسبة الثانية ثم قد تكون المغايرة بين النسبتين بالذات كما في قولك اذكر إحساني إليك إذ أحسنت إلى تريد تنبيه المخاطب على وقوع إحسانك إليه وقت وقوع إحسانه إليك وهما نسبتان متغايرتان بالذات وقد تكون بالاعتبار كما في قولك اذكر إحساني إليك إذ منعتك من المعصية تريد تنبيهه على كون منعه منها إحساناً إليه لا على إحسان آخر واقع حينئذ من هذا القبيل عامة ما وقع في التنزيل من قوله تعالى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً الآية وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم إلى غير ذلك من النظائر ومعنى إيمانه تعالى إليهم أمره تعالى بإيائهم في الإنجيل على لسانه عليه السلام وقيل إلهامه تعالى إيائهم كما في قوله تعالى وأوحينا إلى أم موسى وأن في قوله تعالى (أن آمنوا بى وبرسولى) مفسرة لما في الإيماء من معنى القول وقيل مصدرية وإيراده عليه السلام بعنوان الرسالة للتنبيه على كيفية الإيمان به عليه السلام كأنه قيل آمنوا بوحدانيته في الألوهية والربوبية ورسالة رسولى ولا تزبلوه عن حيزه خطأ ولا رفعاً وقوله تعالى (قالوا) استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كأنه قيل فماذا قالوا حين أوحى إليهم ذلك فقيل قالوا (آمنوا) أى بما ذكر من وحدانيته تعالى ورسالة رسوله كما يؤذن به قولهم (واشهد بأننا مسلمون) أى مخلصون في إيماننا من أسلم وجهه لله وهذا القول منهم بمقتضى وحيه تعالى وأمره لهم بذلك نعمة جليلة كسائر النعم الفائضة عليه عليه الصلاة والسلام وكل ذلك نعمة على والدته أيضاً . روى أنه عليه السلام لما علم أنه سيؤمر بذكر هاتيك النعم العظام جعل يلبس الشعر ويأكل كل الشجر ولا يدخر شيئاً لغد يقول لكل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت أينما أمسى بات (إذ قال الخواريث) كلام مستأنف مسوق لبيان بعض ماجرى بينه عليه السلام وبين قومه منقطع عما قبله كما ينبغي عنه الإظهار في موقع الإضمار وإذ منصوب بمضمر خوطب به النبي ﷺ بطريق تلوين الخطاب والالتفات لكن لا لأن الخطاب السابق لعيسى عليه
- ١١٢

قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ
الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾

هـ المائدة

- السلام فإنه ليس بخطاب وإنما هو حكاية خطاب بل لأن الخطاب لمن خوطب بقوله تعالى واتقوا الله الآية فتأمل كأنه قيل للنبي ﷺ عقيب حكاية ما صدر عن الحواريين من المغالاة المعدودة من نعم الله تعالى الفائضة على عيسى عليه السلام اذكر للناس وقت قولهم الخ وقيل هو ظرف لقولوا أريد به التنبيه على أن ادعاءهم الإيمان والإخلاص لم يكن عن تحقيق وإيقان ولا يساعده النظم الكريم (يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء) اختلف في أنهم هل كانوا مؤمنين أولاً فقيل كانوا كافرين شاكين في قدرة الله تعالى على ما ذكروا وفي صدق عيسى عليه السلام كاذبين في دعوى الإيمان والإخلاص وقيل كانوا مؤمنين وسؤالهم للاطمئنان والتثبت للإزاحة الشك وهل يستطيع سؤال عن الفعل دون القدرة عليه تعبيراً عنه بلازمه وقيل الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والإرادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك بمعنى هل يجيبك واستطاع بمعنى أطاع كاستجاب بمعنى أجاب وقرىء هل تستطيع ربك أى سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عنه وهى قراءة على وعائشة وابن عباس ومعاذ رضى الله عنهم وسعيد بن جبير فى آخرين والمائدة الخوان الذى عليه الطعام من ماله إذا أعطاه ورفده كأنها تميد من تقدم إليه ونظيره قولهم شجرة مطعمة وقال أبو عبيد هى فاعلة بمعنى مفعولة كعيشة راضية (قال) استئناف مبنى على سؤال ناشئ مما قبله كأنه قيل فإذا قال لهم عيسى عليه السلام حين قالوا ذلك فقيل قال (اتقوا الله) أى من أمثال هذا السؤال (إن كنتم مؤمنين) أى بكمال قدرته تعالى وبصحة نبوتى أو إن صدقتم فى ادعاء الإيمان والإسلام فإن ذلك مما يوجب التقوى والاجتناب عن أمثال هذه الاقتراحات وقيل أمرهم بالتقوى ليصير ذلك ذريعة للحصول المسئول كقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة (قالوا) استئناف كما سبق (نريد أن نأكل منها) تمهيد عذر وبيان لما دعاهم إلى ١١٣ السؤال أى لسنارىد بالسؤال إزاحة شبهتنا فى قدرته سبحانه على تنزيلها أو فى صحة نبوتك حتى يقدح ذلك فى الإيمان والتقوى بل نريد أن نأكل منها أى أكل تبرك وقيل أكل حاجة وتمتع (وتطمئن قلوبنا) بكمال قدرته تعالى وإن كنا مؤمنين به من قبل فإن انضمام علم المشاهدة إلى العلم الاستدلالي مما يوجب ازدياد الطمأنينة وقوة اليقين (ونعلم) أى علماً يقينياً لا يحوم حوله شائبة شبهة أصلاً وقرىء ليعلم على البناء للفعول (أن قد صدقتنا) أن هى المخففة من أن وضمير الشأن محذوف أى ونعلم أنه قد صدقتنا فى دعوى النبوة وأن الله يجيب دعوتنا وإن كنا عالمين بذلك من قبل (ونكون عليها من الشاهدين) نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بنى إسرائيل ليزداد المؤمنون منهم بشهادتنا طمأنينة ويقيناً ويؤمن بسببها كفارهم أو من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر وعليها متعلق بالشاهدين إن جعل اللام للتعريف وبيان لما يشهدون عليه

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا
وَعَايَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾

• المائدة

قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَيَأْتِيْ أَعْدَبُهُ عَذَابٌ لَا أَعْدَبُهُ أَحَدًا مِنَ
الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾

• المائدة

- إن جعلت موصولة كأنه قيل على أى شيء يشهدون فقيل عليها فإن ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول ١١٤ أو هو حال من اسم كان أو هو متعلق بمحذوف يفسره من الشاهدين (قال عيسى ابن مريم) لما رأى عليه السلام أن لهم غرضاً صحيحاً في ذلك وأنهم لا يقلعون عنه أزمع على استدعائها واستنزائها وأراد أن يلزمهم الحجّة بكما لها . روى أنه ﷺ اغتسل ولبس المسح و صلى ركعتين فطأ رأسه وغض بصره ثم قال (اللهم ربنا) ناداه سبحانه وتعالى مرتين مرة بوصف الألوهية الجامعة لجميع الكمالات ومرة بوصف الربوبية المنبئة عن التزنية إظهاراً لغاية التضرع ومبالغة في الاستدعاء (أنزل علينا) تقديم الظرف على قوله (مائدة) لما مر مراراً من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر وقوله (من السماء) متعلق بأنزل أو بمحذوف هو صفة لمائدة أى كائنة من السماء نازلة منها وقوله (تكون لنا عيداً) في محل النصب على أنه صفة لمائدة واسم تكون ضمير المائدة وخبرها إما عيداً ولنا حال منه أو من ضمير تكون عند من يجوز إعمالها في الحال وإما لنا وعيداً حال من الضمير في لنا لأنه وقع خبراً فيحمل ضميراً أو من ضمير تكون عند من يرى ذلك أى يكون يوم نزولها عيداً نعظمه وإنما أسند ذلك إلى المائدة لأن شرف اليوم مستعار من شرفها وقيل العيد السرور العائد لذلك سمي يوم العيد عيداً وقرئ تكن بالجزم على جواب الأمر كما في قوله تعالى فهب لي من لدنك ولياً يرثني خلا أن قراءة الجزم هناك متواترة وههنا من الشواذ (لأولنا وآخرنا) بدل من لنا بإعادة العامل أى عيداً لمتقدمينا ومتأخرينا . روى أنها نزلت يوم الأحد ولذلك اتخذه النصراني عيداً وقيل للرؤساء منا والاتباع وقيل يأكل منها أولنا وآخرنا وقرئ لأولنا وآخرنا بمعنى الأمة والطائفة (وآية) عطف على عيداً (منك) متعلق بمحذوف هو صفة لآية أى كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتك (وارزقنا) أى المائدة أو الشكر عليها (وأنت خير الرازقين) تذييل جار مجرى التعليل أى خير من يرزق لأنه خالق الأرزاق ومعطئها بلا عوض وفي إقباله عليه السلام على الدعاء بتكرير النداء المنبئ عن كمال الضراعة والابتهاال وزيادته مالم يخطر ببال السائلين من الأمور الداعية إلى الإجابة والقبول دلالة واضحة على أنهم كانوا مؤمنين وأن سؤالهم كان لتحصيل الطمأنينة كما في قول إبراهيم عليه السلام رب أرني كيف تحيي الموتى وإلا لما قبل اعتذارهم بما ذكروه ولما أضاف إليه من ١١٥ عنده ما يؤكده ويقربه إلى القبول (قال الله) استئناف كما سبق (إني منزلها عليكم) ورود الإجابة منه تعالى بصيغة التفعيل المنبئة عن التكثير مع كون الدعاء منه عليه السلام بصيغة الإفعال لإظهار كمال

اللطيف والإحسان كما في قوله تعالى قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب الخ بعد قوله تعالى إنا أنجانا من هذه الخ مع ما فيه من مراعاة ما وقع في عبارة السائلين وفي تصدير الجملة بكلمة التحقيق وجعل خبرها اسماً تحقيق للوعد وإيدان بأنه تعالى منجز له لا محالة من غير صارف يثنيه ولا مانع يلويه وإشعار بالاستمرار

أى إني منزل المائدة عليكم مرات كثيرة وقرىء بالتخفيف وقيل الإنزال والتنزيل بمعنى واحد (فن يكفر بعد) أى بعد تنزيلها (منكم) متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يكفر (فإني أعذبه) بسبب كفره بعد معاينة هذه الآية الباهرة (عذاباً) اسم مصدر بمعنى التعذيب وقيل مصدر يحذف الزوائد واتصابه على المصدرية بالتقديرين المذكورين وجوز أن يكون مفعولاً به على الاتساع وقوله تعالى (لا أعذبه) في محل النصب على أنه صفة لعذابا والضمير له أى أعذبه تعذيباً لا أعذب مثل ذلك التعذيب (أحداً من العالمين) أى من عالمي زمانهم أو من العالمين جميعاً قيل لما سمعوا هذا الوعيد الشديد خافوا أن يكفر بعضهم فاستغفروا وقالوا لا نريد لها فلم تنزل وبه قال مجاهد والحسن رحمهما الله والصحيح الذى عليه جماهير الأمة ومشاهير الأئمة أنها قد نزلت . روى أنه عليه السلام لما دعا بما دعا وأجيب بما أجيب إذا بسفرة حمراء نزلت بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون إليها حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه الصلاة والسلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها مثله وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فإذا سمعك مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسماً وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون رأس الحواريين ياروح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله تعالى بالقدرة العالية كواما سألتهم واشكروا يمدكم الله ويزدكم من فضله فقالوا ياروح الله لو أرىتنا من هذه الآية آية أخرى فقال باسمك احيي ياذن الله فاضطربت ثم قال لها عودى كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا ففسخوا فردة وخنازير وقيل كانت تأتهم أربعين يوماً غيا مجتمع عليها الفقراء والأغنياء والصغار والكبار يأكلون حتى إذا فاء النى طارت وهم ينظرون في ظلها ولم يأكل منها فقير إلا غنى مدة عمره ولا مريض إلا برىء ولم يمرض أبداً ثم أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه الصلاة والسلام أن اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الأغنياء والأصحاء فاضطرب الناس لذلك ففسخ منهم من مسخ فأصبحوا خنازير يسمعون في الطرقات والكناسات ويأكلون العذرة في الحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا إلى عيسى عليه السلام وبكوا على المسوخين فلما أبصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكّت وجعلت تطيف به وجعل يدعوهم بأسمائهم واحد بعد واحد فيبكون ويشيرون برؤسهم ولا يقدر على الكلام فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن عيسى عليه السلام قال لهم صوموا ثلاثين يوماً ثم سلوا الله ما شئتم يعطكم فصاموا فلما فرغوا قالوا إنا لو عملنا لأحد فقضينا عمله لأطعمنا وسألوا الله تعالى المائدة فأقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات حتى وضعتها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولهم قال كعب نزلت منكوسة تطير بها

وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ
 سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا
 أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ه المائدة

الملائكة بين السماء والأرض عليها كل الطعام إلا اللحم وقال قتادة كان عليها ثمر من ثمار الجنة وقال عطية العوفي
 نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شيء وقال الكلبي ومقاتل نزلت سمكة وخمسة أرغفة فأكلوا ما شاء الله تعالى
 والناس ألف ونيف فلما رجعوا إلى قراهم ونشروا الحديث ضحك منهم من لم يشهد وقالوا ويحكم أنما سحر أعينكم
 فمن أراد الله به الخير ثبتته على بصيرة ومن أراد فتنته رجع إلى كفره ففسخوا خنازير فكشوا كذلك ثلاثة
 أيام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ (وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم)
 معطوف على إذ قال الحواريون منصوب بما نصبه من المضمر المخاطب به النبي ﷺ أو بمضمر مستقل
 معطوف على ذلك أي اذكر للناس وقت قول الله عز وجل له عليه السلام في الآخرة توبيخاً للكفرة وتبكيئاً
 لهم بإقراره عليه السلام على رموس الأشهاد بالعبودية وأمره لهم بعبادته عز وجل وصيغة الماضي لما مر من
 ● الدلالة على التحقق والوقوع (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين) الاتخاذ إمامتعد إلى مفعولين فالهين
 ثانيهما وإما إلى واحد فهو حال من المفعول وليس مدار أصل الكلام أن القول متيقن والاستفهام لتعيين القائل
 كما هو المتبادر من إبلاء الهمة المبتدأ على الاستعمال الفاشي وعليه قوله تعالى أنت فعلت هذا بألهتنا ونظائره
 بل على أن المتيقن هو الاتخاذ والاستفهام لتعيين أنه بأمره عليه السلام أو من تلقاء أنفسهم كما في قوله
 ● تعالى أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل وقوله تعالى (من دون الله) متعلق بالاتخاذ ومحله نصب
 على أنه حال من فاعله أي متجاوزين الله أو بمحذوف هو صفة لإلهين أي كائنين من دونه تعالى وأياً ما كان
 فالمراد اتخاذهما بطريق إشراكهما به سبحانه كما في قوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً
 وقوله عز وجل ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله إلى قوله
 سبحانه وتعالى عما يشركون إذ به يتأني التويخ ويتسنى التفريع والتبكييت ومن توهم أن ذلك بطريق
 الاستقلال ثم اعتذر عنه بأن النصارى يعتقدون أن المعجزات التي ظهرت على يد عيسى ومريم عليهما
 الصلاة والسلام لم يخلقها الله تعالى بل هما خلقاها فصح أنهم اتخذوهما في حق بعض الأشياء إلهين مستقلين
 ولم يتخذوه تعالى إلهاً في حق ذلك البعض فقد أبعد عن الحق بما حل وأما من تعمق فقال إن عبادته تعالى
 مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده تعالى مع عبادتهما كأنه عبدهما ولم يعبده تعالى فقد غفل عما يجديه
 واشتغل بما لا يعنيه كدأب من قبله فإن توبيخهم إنما يحصل بما يعتقدونه ويعترفون به صريحاً لا بما يلزمه
 ● يضرب من التأويل وإظهار الاسم الجليل لكونه في حيز القول المسند إلى عيسى عليه السلام (قال) استئناف
 مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل فإذا يقول عيسى عليه السلام حينئذ فقول ولا يثار
 ● صيغة الماضي لما مر مراراً (سبحانك) سبحانه علم للتسبيح واتصافه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه

مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ
فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾

٥ المائدة

- وفيه من المبالغة في التنزيه من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والإبعاد في الأرض ومن جهة النقل إلى صيغة التفعيل ومن جهة العدول من المصدر إلى الاسم الموضوع له خاصة المشير إلى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة إقامته مقام المصدر مع الفعل مالا يخفى أى أنزهك تنزيهاً لا تقاً بك من أن أقول ذلك أو من أن يقال في حقك ذلك وأما تقدير من أن يكون لك شريك في الألوهية فلا يساعده سباق النظم الكريم وسياقه وقوله تعالى (ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق) استئناف مقرر للتنزيه ومبين للنزه منه وما عبارة عن القول المذكور أى ما يستقيم وما ينبغي لى أن أقول قولاً لا يحق لى أن أقوله وإثبات ليس على الفعل المنفى لظهور دلالة على استمرار انتفاء الحقيقة وإفادة التأكيد بما فى حيزه من الباء فإن اسمه ضميره العائد إلى ما وخبره بحق والجار والمجرور فيما بينهما للتبيين كما فى سقيا لك ونحوه وقوله تعالى (إن كنت فلتته فقد علمته) استئناف مقرر لعدم صدور القول المذكور عنه عليه السلام بالطريق البرهاني فإن صدوره عنه مستلزم لعلمه تعالى به قطعاً فحيث انتفى عنه تعالى به انتفى صدوره عنه حتماً ضرورة أن عدم اللازم مستلزم لعدم المزموم (تعلم ما فى نفسى) استئناف جار مجرى التعليل لما قبله كأنه قيل لأنك تعلم ما أخفيه فى نفسى فكيف بما أعلنه وقوله تعالى (ولا أعلم ما فى نفسك) بيان للواقع وإظهار لقصوره أى ولا أعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله فى نفسك للشاكلة وقيل المراد بالنفس هو الذات ونسبة المعلومات إليها لما أنها مرجع الصفات التى من جملتها العلم المتعلق بها فلم يكن كمنسبتها إلى الحقيقة وقوله تعالى (إنك أنت علام الغيوب) تعليل لمضمون الجملتين منطوقاً ومفهوماً وقوله تعالى (ما قلت لهم إلا ١١٧ ما أمرتنى به) استئناف مسوق لبيان ما صدر عنه قد أدرج فيه عدم صدور القول المذكور عنه على أبغ وجه وآ كده حيث حكم بانتفاء صدور جميع الأقوال المغايرة للأمور به فدخل فيه انتفاء صدور القول المذكور دخولا أولاً أى ما أمرتهم إلا بما أمرتنى به وإنما قيل ما قلت لهم نزولاً على قضية حسن الأدب ومراعاة لما ورد فى الاستفهام وقوله تعالى (أن آعبدوا الله ربى وربكم) تفسير للأمور به وقيل عطف بيان للضمير فى به وقيل بدل منه وليس من شرط البديل جواز طرح المبدل منه مطلقاً ليلزم بقاء الموصول بلا عائد وقيل خبر مضمراً أو مفعوله مثل هو أو أعنى (وكنت عليهم شهيداً) رقيباً أراعى أحوالهم وأحلامهم على العمل بموجب أمرك وأنعمهم عن المخالفة أو مشاهداً لأحوالهم من كفر وإيمان (مادمت فيهم) مامصدرية ظرفية تقدر بمصدر مضاف إليه زمان ودمت صلتها أى كنت شهيداً عليهم مدة دواى فيما بينهم (فلما توفيتنى) بالرفع إلى السماء كما فى قوله تعالى (إنى متوفيك ورافعك إلى فإن التوفى أخذ الشئ واقباً والموت نوع منه قال تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها وانى لم تمت فى منامها) (كنت أنت الرقيب عليهم) لا غيرك فأنات ضمير الفصل أو تأكيد وقرىء الرقيب بالرفع على أنه خبر أنت والجمله خبر لكان وعليهم

إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ هـ المائدة
 قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ هـ المائدة

- متعلق به أى أنت كنت الحافظ لأعمالهم والمرافق فنعت من أردت عصمته عن المخالفة بالإرشاد إلى الدلائل والتنبية عليها بإرسال الرسل وإنزال الآيات وخذلت من خذلت من الضالين فقالوا ما قالوا (وأنت على كل شئ شهيد) اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وفيه إيذان بأنه تعالى كان هو الشهيد على الكل
- ١١٨ حين كونه عليه السلام فيما بينهم وعلى متعلقة بشهيد والتقديم لمراعاة الفاصلة (إن تعذبهم فإنهم عبادك) وقد استحقوا ذلك حيث عبدوا غيرك (وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز) أى القوى القادر على جميع
- المقدورات ومن جملتها الثواب والعقاب (الحكيم) الذى لا يريد ولا يفعل إلا ما فيه حكمة ومصلحة
- فإن المغفرة مستحسنة لكل مجرم فإن عذبت فعدل وإن غفرت ففضل وعدم غفران الشرك إنما هو بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته لئمنع التردد وقيل التردد بالنسبة إلى فرقتين والمعنى إن تعذبهم أى من كفر منهم وإن تغفر لهم أى من آمن منهم (قال الله) كلام مستأنف ختم به حكاية ما حكى عما يقع يوم
- يجمع الله الرسل عليهم الصلاة والسلام وأشير إلى تذييله وما له أى يقول الله تعالى يومئذ عقيب جواب عيسى عليه السلام مشيراً إلى صدقه فى ضمن بيان حال الصادقين الذين هو فى زمرتهم وصيغة الماضى لما مر فى
- نظائره مراراً وقوله تعالى (هذا) إشارة إلى ذلك اليوم وهو مبتدأ خبره ما بعده أى هذا اليوم الذى حكى
- به ما يقع فيه إجمالاً وبعضه تفصيلاً (يوم ينفع الصادقين) بالرفع والإضافة والمراد بالصادقين كما ينبى عنه الاسم المستمرون فى الدارين على الصدق فى الأمور الدينية التى معظمها التوحيد الذى نحن بصدده والشرائع والأحكام المتعلقة به من الرسل الناطقين بالحق والصدق الداعين إلى ذلك وبه تحصل الشهادة بصدق عيسى عليه السلام ومن الأمم المصدقين لهم المقتدين بهم عقداً وعملاً وبه يتحقق المقصود بالحكاية من ترغيب السامعين فى الإيمان برسول الله ﷺ لا كل من صدق فى أى شئ كان ضرورة أن الجاني
- المعترف فى الدنيا بجنايته لا ينفعه يومئذ اعترافه وصدقه (صدقهم) أى صدقهم فيما ذكر من أمور الدين فى الدنيا إذ هو المستتبع للنفع يومئذ واعتبار استمراره فى الدارين مع أنه لا حاجة إليه كما عرفت ولا دخل له فى استنباع النفع والجزاء مما لا وجه له وهذه القراءة هى التى أطبق عليها الجمهور وهى الأليق بسباق النظم الكريم وسياقه وقد قرئ يوم بالنصب إما على أنه ظرف لقال فهذا حينئذ إشارة إلى قوله تعالى أنت قلت الخ وإما على أنه خبر لهذا فهو حينئذ إشارة إلى جواب عيسى عليه السلام أى هذا الجواب منه عليه السلام واقع يوم ينفع الخ أو إلى السؤال والجواب معاً وقيل هو خبر ولكنه بنى على الفتح وليس بصحيح عند البصريين لأنه مضاف إلى متمكن وقرئ يوم بالرفع والتنوين كقوله تعالى واقفوا يوماً لا تنجزى الآية (لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً) استئناف مسوق لبيان النفع المذكور كأنه قيل

لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ ه المائدة

- ما لهم من النفع فليلهم نعمهم دائم وثواب خالد وقوله تعالى (رضى الله عنهم) استئناف آخر لبيان أنه عز وجل أفاض عليهم غير ما ذكر من الجنات ما لا قدر لها عنده وهو رضوانه الذي لا غاية وراءه كما ينبغي.
- عنه قوله تعالى (ورضوا عنه) إذ لا شيء أعز منه حتى يمتد إليه أعناق الهمم (وذلك) إشارة إلى نيل رضوانه
- تعالى وقيل إلى نيل الكل (الفوز العظيم) لما أن عظم شأن الفوز تابع لعظم شأن المطلوب الذي تعلق به الفوز وقد عرفت أن لا مطلب وراء ذلك أصلاً وقوله تعالى (لله ملك السموات والأرض وما فيهن) ١٢٠ تحقيق للحق وتنبيه على كذب النصارى وفساد ما زعموا في حق المسيح وأمه أى له تعالى خاصة ملك السموات والأرض وما فيهما من العقلاء وغيرهم يتصرف فيها كيف يشاء إيجاداً أو إعداماً أو إحياء وإماتة وأمرأ ونهياً من غير أن يكون لشيء من الأشياء مدخل في ذلك وفي إشارته على من المختصة بالعقلاء على تقدير تناولها لكل مراعاة للأصل وإشارة إلى تساوى الفريقين في استحالة الربوبية حسب تساويهما في تحقق الربوبية وعلى تقدير اختصاصها بغير العقلاء تنبيه على كمال قصورهم عن رتبة الألوهية وإماتة بهم بتغليب غيرهم عليهم (وهو على كل شيء) من الأشياء (قدير) مبالغ في القدرة. عن رسول الله ﷺ
- من قرأ سورة المائدة أعطى من الأجر عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودى ونصرانى يتنفس في الدنيا.

٦ — سورة الأنعام

(مكية وهي مائة وخمس وستون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ

٦ الأنعام

يَعْدِلُونَ ﴿١﴾

(سورة الأنعام)

(مكية غير ست آيات أو ثلاث من قوله تعالى قل تعالوا اتل . وهي مائة وخمس وستون آية)

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (الحمد لله) تعليق الحمد المعروف بلام الحقيقة أو لا باسم الذات الذي عليه يدور كافة ما يوجه من صفات الكمال وإليه يؤول جميع نعوت الجلال والجمال للإبذان بأه عز وجل هو المستحق له بذاته لما مر من اقتضاء اختصاص الحقيقة به سبحانه لاقتصاص جميع أفرادها عليه بالطريق البرهاني ووصفه تعالى ثانياً بما ينبي عن تفصيل بعض موجباته المنتظمة في سلك الإجمال من عظام الآثار وجلال الأفعال من قوله عز وجل (الذي خلق السموات والأرض) للتنبيه على استحقاقه تعالى له واستقلاله به باعتبار أفعاله العظام وآلائه الجسام أيضاً وتخصيص خلقهما بالذكر لاشتمالهما على جملة الآثار العلوية والسفلية وعامة الآلاء الجليلة والخفية التي أجلها نعمة الوجود الكافية في إيجاب حمده تعالى على كل موجود فكيف بما يتفرع عليها من فنون النعم الانفسية والأفانية المنوط بها مصالح العباد في المعاش والمعاد أي أنشأهما على ما هما عليه من النمط الفائق والطرز الرائق منطويين من أنواع البدائع وأصناف الروائع على ما تتحير فيه العقول والأفكار من تعاجيب العبر والآثار تبصرة وذكرى لا ولى الأَبصار وجمع السموات لظهور تعدد طبقاتها واختلاف آثارها وحركاتها وتقديم الشرف وأعلو مكانها وتقديمها وجوداً على الأرض كما هي (وجعل الظلمات والنور) عطف على خلق مترتب عليه ليكون جملتهما مسبوقاً بخلق منشئهما ومحلها داخل معه في حكم الإشعار بعلّة الخور فكما أن خلق السموات والأرض وما بينهما لكونه أثراً عظيماً ونعمة جليلة موجب لاختصاص الحمد بخالقهما جل وعلا كذلك جعل الظلمات والنور لكونه أمراً خطيراً ونعمة عظيمة مقتض لاختصاصه بجاعلها والجعل هو الإنشاء والإبداع كالخلق خلا أن ذلك مختص بالإنشاء التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما في الآية الكريمة وللنبي أيضاً كما في قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الآية وأياً ما كان فهو لإنشاء عن ملابسة مفعوله بشيء آخر بأن يكون فيه أوله أو منه أو نحو ذلك ملابسة مصححة لأن يتوسط بينهما شيء من الظروف لغواً كان أو مستقراً لكن لا على أن يكون عمدة في الكلام بل قيداً فيه كما في قوله عز وجل وجعل بينهما برزخاً وقوله تعالى وجعل فيها رواسي وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك ولياً

الآية فإن كل واحد من هذه الظروف إما متعلق بنفس الجعل أو بمحذوف وقع حالاً من مفعوله تقدمت عليه لكونه نكرة وأياً ما كان فهو قيد في الكلام حتى إذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجعل متعدياً إلى اثنين هو ثانيهما كما في قوله تعالى يجعلون أصابعهم في آذانهم وربما يشتبه الأمر فيظن أنا عمدة فيه وهو في الحقيقة قيد بأحد الوجهين كما سلف في قوله تعالى إني جاعل في الأرض خليفة حيث قيل إن الظرف مفعول ثان لجاعل وقد أشير هناك إلى أن الذي يقضى به الذوق السليم وتقضيه جزالة النظم الكريم أنه متعلق بجاعل أو بمحذوف وقع حالاً من المفعول وأن المفعول الثاني هو خليفة وأن الأول محذوف على ما مر تفصيله وجمع الظلمات لظهور كثرة أسبابها ومحالها عند الناس ومشاهدتهم لها على التفصيل وتقديمها على النور لتقدم الإعدام على الملكات مع ما فيه من رعاية حسن المقابلة بين القرينتين وقوله تعالى (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) معطوف على الجملة السابقة الناطقة بما مر من موجبات اختصاصه تعالى بالحمد المستدعى لاقتصار العبادة عليه كما حقق في تفسير الفاتحة الكريمة مسوق لإنكار ما عليه الكفرة واستبعاده من مخالفتهم لمضمونها واجترائهم على ما يقضى ببطلانه بديهية العقول والمعنى أنه تعالى مختص باستحقاق الحمد والعبادة باعتبار ذاته وباعتبار ما فصل من شئونه العظيمة الخاصة به الموجهة لقصر الحمد والعبادة عليه ثم هؤلاء الكفرة لا يعملون بموجبه يعدلون به سبحانه أي يسوون به غيره في العبادة التي هي أقصى غايات الشكر الذي رأسه الحمد مع كون كل ما -واه مخلوقاً له غير متصف بشئ - من مبادئ الحمد وكلية ثم لاستبعاد الشرك بعد وضوح ما ذكر من الآيات التكوينية القاضية ببطلانه لا بعد بيانه بالآيات التنزيلية والموصول عبارة عن طائفة الكفار جار مجرى الاسم لهم من غير أن يجعل كفرهم بما يجب أن يؤمن به كلاً أو بعضاً عنواناً للوضوح فإن ذلك محال باستبعاد ما أسند إليهم من الإشراك والباء متعلقة يعدلون ووضع الرب موضع ضميره تعالى لزيادة التشنيع والتقبيح والتقديم لمزيد الاهتمام والمسارة إلى تحقيق مدار الإنكار والاستبعاد والمحافظة على القواصل وترك المفعول لظهوره أو لتوجيه الإنكار إلى نفس الفعل بتنزيله منزلة اللازم إذاناً بأنه المدار في الاستبعاد والاستنكار لا خصوصية المفعول هذا هو التحقيق بجزالة التنزيل والخلق بفخامة شأنه الجليل وأما جعل الباء صلة لكفروا على أن يعدلون من العدول والمعنى أن الله تعالى حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته فيرده أن كفروا به تعالى لاسيما باعتبار ربوبيته تعالى لهم أشد شناعة وأعظم جناية من عدوهم عن حمده عز وجل لتحقيقه مع إغفاله أيضاً فجعل أهون الشرين عمدة في الكلام مقصوداً للإفادة وإخراج أعظم ما مخرج القيد المفروغ عنه مما لا عهد له في الكلام السديد فكيف بالنظم التنزيلي هذا وقد قيل إنه معطوف على خلق السموات والمعنى أنه تعالى خلق ما خلق مما لا يقدر عليه أحد سواه ثم هم يعدلون به سبحانه ما لا يقدر على شيء منه لكن لا على قصد أنه صلة مستقلة ليسكون بمنزلة أن يقال الحمد لله الذي هدولوا به بل على أنه داخل تحت الصلة بحيث يكون الكل صلة واحدة كأنه قيل الحمد لله الذي كان منه تلك النعم العظام ثم من الكفرة الكفر وأنت خير بأن ما ينظم في سلك الصلة المنبئة عن موجبات حمده عز

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٦﴾ الأنعام

وجل حقه أن يكون له دخل في ذلك الإنشاء ولو في الجملة ولا ريب في أن كفرهم بمعزل منه وادعاء أن له دخلا فيه لدلالته على كمال الجود كأنه قيل الحمد لله الذي أنعم بمثل هذه النعم العظام على من لا يحمدُه تعسف لا يساعده النظام وتمكيس يأباه المقام كيف لا ومساق النظم الكريم كما تفصح عنه الآيات الآتية تشنيع الكفرة وتوبيخهم ببيان غاية إساءتهم مع نهاية إحسانه تعالى إليهم لا بيان نهاية إحسانه تعالى إليهم مع غاية إساءتهم في حقه تعالى كما يقتضيه الادعاء المذكور وهذا اتضح أنه لا سبيل إلى جعل المعطوف من روادف المعطوف عليه لما أن حق الصلة أن تكون غير مقصودة الإفادة فما ظنك بما هو من روادفها وقد عرفت أن المعطوف هو الذي سبق له الكلام فتأمل وكن على الحق المبين (هو الذي خلقكم من طين) استئناف مسوق لبيان بطلان كفرهم بالبعث مع مشاهدتهم لما يوجب الإيمان به لئلا يبان بطلان إشراكهم به تعالى مع معاندهم لموجبات توحيده وتخصيص خلقهم بالذكر من بين سائر دلائل صحة البعث مع أن ما ذكر من خلق السموات والأرض من أوضحها وأظهرها في قوله تعالى أو ليس الذي خلق السموات والأرض يقادر على أن يخلق مثلهم لما أن محل النزاع بعثهم فدلالة بدء خلقهم على ذلك أظهر وهم يشنون أنفسهم أعرف والتعاضى عن الحجة النيرة أقبح والاتفات لمزيد التشنيع والتوبيخ أى ابتداء خلقكم منه فإنه المادة الأولى للكل لما أنه منشأ آدم الذي هو أبو البشر وإنما نسب هذا الخلق إلى المخاطبين لا إلى آدم عليه السلام وهو المخلوق منه حقيقة بأن يقال هو الذي خلق أباكم الخ مع كفاية علمهم بخلقهم عليه السلام منه في إيجاب الإيمان بالبعث وبطلان الامتراء لتوضيح مناهج القياس ولللباقة في إزاحة الاشتباه والالتباس مع ما فيه من تحقيق الحق والتنبيه على حكمة خفية هي أن كل فرد من أفراد البشر له حظ من أنفائه عليه السلام منه حيث لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت أنموذجا منظويا على فطرة سائر آحاد الجنس انطواء إجماليا مستتبعا لجرى أنارها على الكل فكأن خلقه عليه السلام من الطين خلقا لكل أحد من فروعه منه ولما كان خلقه على هذا النمط السارى إلى جميع أفراد ذريته أبدع من أن يكون ذلك مقصورا على نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور إليه وأدل على عظم قدرة الخلاق العليم وكمال علمه وحكمته وكان ابتداء حال المخاطبين أولى بأن يكون معيارا لانتهاها فعل ما فعل الله در شأن التنزيل وعلى هذا السردار قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم الخ وقوله تعالى وقد خلقناكم من قبل ولم تكن شيئا كما سيأتى وقيل المعنى خلق أباكم منه على حذف المضاف وقيل معنى خلقهم منه خلقهم من النطفة الحاصلة من الأغذية المتكونة من الأرض وأيا ما كان ففيه من وضوح الدلالة على كمال قدرته تعالى على البعث ما لا يخفى فإن من قدر على إحياء مالم يشمر رائحة الحياة قط كان على إحياء ما قارنها مدة أظهر قدرة (ثم قضى) أى كتب لموت كل واحد منكم (أجلا) خاصا به أى حدا معيناً من الزمان يفنى عند حلوله لا محالة وكلمة ثم للإيدان بتفاوت ما بين خلقهم وبين تقدير آجالهم حسبما تقتضيه الحكم البالغة (وأجل مسمى) أى حد معين لبعثكم جميعاً وهو مبتدأ لتخصصه بالصفة كفاي قوله تعالى ولعبد مؤمن ولو قوره

وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرُّكُمْ وَجَهْرُكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٦﴾

٦ الأنعام

- في موقع التفصيل كما في قول من قال [إذا ما بكى من خلفها انصرفت له * بشق وشق عندنا لم يحول] وتنوينه لفخيم شأنه وتهويل أمره ولذلك أوثر تقديمه على الخبر الذي هو (عنده) مع أن الشائع المستفيض هو التأخير كما في قولك عندي كلام حق ولي كتاب نفيس كأنه قيل وأى أجل مسمى مثبت معين في علمه لا يتغير ولا يقف على وقت حلوله أحداً بجملاً ولا مفصلاً وأما أجل الموت فعلوم إجمالاً وتقريباً بناء على ظهور أماراته أو على ما هو المعتاد في أعمار الإنسان وتسميته أجلاً لأنها هي باعتبار كونه غاية لمدة لبثهم في القبور لا باعتبار كونه مبدأ لمدة القيامة كما أن مدار التسمية في الأجل الأول هو كونه آخر مدة الحياة لا كونه أول مدة الممات لما أن الأجل في اللغة عبارة عن آخر المدة لا عن أولها وقيل الأجل الأول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث من البرزخ فإن الأجل كما يطلق على آخر المادة يطلق على كلها وهو الأوفق لما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله تعالى قضى لكل أحد أجلين أجلاً من مولده إلى موته وأجلاً من موته إلى مبعثه فإن كان براتقياً وصولاً للرحم زيد له من أجل البعث في أجل العمر وإن كان فاجراً قاطعاً نقص من أجل العمر وزيد في أجل البعث وذلك قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب فعنى عدم تغير الأجل حينئذ عدم تغير آخره والأول هو الأشهر الالتيق بتفخيم الأجل الثاني المنوط باختصاصه بعلمه تعالى والآنسب بهويله المبني على مقارنته للطامة الكبرى فإن كون بعضه معلوماً للخلق ومضيه من غير أن يقع فيه شيء من الدواهي كما يستلزمه الحمل على المعنى الثاني محل بذلك قطعاً ومعنى زيادة الأجل ونقصه فيما روى تأخير الأجل الأول وتقديمه (ثم أنتم تمترون) استبعاد واستنكار لامترائهم في البعث بعد معاينتهم لما ذكر من الحجج الباهرة الدالة عليه أي تمترون في وقوعه وتحقيقه في نفسه مع مشاهدتكم في أنفسكم من الشواهد ما يقطع مادة الامتراء بالكلية فإن من قدر على إفاضة الحياة وما ينفرع عليها من العلم والقدرة وسائر الكمالات البشرية على مادة غير مستعدة لشيء منها أصلاً كان أوضح اقتداراً على إفاضة المادة قد استعدت لها وقارتها مدة ومن هنا تبين أن ما قيل من أن الأجل الأول هو النوم والثاني هو الموت أو أن الأول أجل الماضين والثاني أجل الباقين أو أن الأول مقدار ماضى من عمر كل أحد والثاني مقدار ما بقى منه مما لا وجه له أصلاً لما رأيت من أن مساق النظم الكريم استبعاد امترائهم في البعث الذي عبر عن وقته بالأجل المسمى لحيث أريد به أحد ما ذكر من الأمور الثلاثة في أي شيء يمترون ووصفهم بالامتراء الذي هو الشك وتوجيه الاستبعاد إليه مع أنهم جازمون بانتفاء البعث مصرون على إنكاره كما ينبغي عنه قولهم أنذا امتنا وكنا تراباً وعظاماً أننا لمبعوثون ونظائره للدلالة على أن جزمهم المذكور في أقصى مراتب الاستبعاد والاستنكار وقوله تعالى (وهو الله) جملة من مبتدأ وخبر معطوفة على ما قبلها مسوقة لبيان شمول أحكام إلهيته تعالى لجميع المخلوقات وإحاطة علمه بتفاصيل أحوال العباد وأعمالهم المؤدية إلى الجزاء إثر الإشارة إلى تحقق المعاد في تضاعيف بيان كيفية خلقهم وتقدير آجالهم وقوله تعالى (في السموات وفي الأرض) متعلق بالمعنى

الوصفي الذي ينبئ عنه الاسم الجليل إما باعتبار أصل اشتقاقه وكونه علماً للمعبود بالحق كأنه قيل وهو المعبود فيهما وإما باعتبار أنه اسم اشتهر بما اشتهرت به الذات من صفات الكمال فلو حظ معه منها ما يقتضيه المقام من المالكية الكلية والتصرف الكامل حسبما تقتضيه المشيئة المبنية على الحكم البالغة فعلق به الظرف من تلك الحيشة فصار كأنه قيل وهو المالك أو المتصرف المدبر فيهما كما في قوله تعالى وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وليس المراد بما ذكر من الاعتبارين أن الاسم الجليل يحمل على معناه اللغوي أو على معنى المالك أو المتصرف أو نحو ذلك بل مجرد ملاحظة أحد المعاني المذكورة في ضمنه كالملاحظة مع اسم الأسد في قوله أسد على الخ ما اشتهر به من وصف الجراءة التي اشتهر بها مسماء لجرى مجرى جريه على وبهذا تبين أن ما قيل بصدد التصوير والتفسير أي هو المعروف بذلك في السموات وفي الأرض أو هو المعروف المشتهر بالصفات الكمالية أو هو المعروف بالإلهية فيهما أو نحو ذلك بمعزل من التحقيق فإن المعتبر مع الاسم هو نفس الوصف الذي اشتهر به إذ هو الذي يقتضيه المقام حسبما بين آنفاً لا اشتغاره به ألا يرى أن كلمة على في المثال المذكور لا يمكن تعليقها باشتهار الاسم بالجراءة قطعاً وقيل هو متعلق بما يفيد التركيب الحصري من التوحد والتفرد كأنه قيل وهو المتوحد بالإلهية فيهما وقيل بما تقر عند الكل من إطلاق هذا الاسم عليه خاصة كأنه قيل وهو الذي يقال له الله فيهما لا يشرك به شيء في هذا الاسم على الوجه الذي سبق من اعتبار معنى التوحد أو القول في لغوى الكلام بطريق الاستنباع لأعلى حمل الاسم الجليل على معنى المتوحد بالإلهية أو على تقدير القول وقد جوز أن يكون الظرف خبراً ثانياً على أن كونه سبحانه فيهما عبارة عن كونه تعالى مبالغاً في العلم بما فيهما بناء على تنزيل عليه المقدس عن حصول الصور والأشباح لكونه حضورياً منزلة كونه تعالى فيهما وتصويره به على طريقة التمثيل المبني على تشبيه حالة علمه تعالى بما فيهما بحالة كونه تعالى فيهما فإن العالم إذا كان في مكان كان عالمه وبما فيه على وجه لا يخفى عليه منه شيء فعلى هذا يكون قوله عز وجل (يعلم سرهم وهم) أي ما أسررتهم وما جهرتهم به من الأقوال أو ما أسررتهم وما أعلنتهم كائناتاً ما كان من الأقوال والأعمال بياناً وتقريراً لمضمونه وتحقيقاً للمعنى المراد منه وتعليق عليه عز وجل بما ذكر خاصة مع شموله لجميع ما فيهما حسبما تفيد الجملة السابقة لانسحاق النظم الكريم إلى بيان حال المخاطبين وكذا على الوجه الثاني فإن ملاحظة الاسم الجليل من حيث المالكية الكلية والتصرف الكامل الجارى على النمط المذكور مستتعبة للملاحظة عليه المحيط حتماً فيكون هذا بياناً وتقريراً له بلا ريب وأما على الأوجه الثلاثة الباقية فلا سبيل إلى كونه بياناً لكن لما قيل من أنه لا دلالة لاستواء السر والجهر في علمه تعالى على ما اعتبر فيهما من المعبودية والاختصاص بهذا الاسم إذ ربما يعبد ويختص به من ليس له كمال العلم فإنه باطل قطعاً إذ المراد بما ذكر هو المعبودية بالحق والاختصاص بالاسم الجليل ولا ريب في أنهما بما لا يتصور فيمن ليس له كمال العلم بديهة بل لأن ما ذكر من العلم غير معتبر في مدلول شيء من المعبودية بالحق والاختصاص بالاسم حتى يكون هذا بياناً له وبهذا تبين أنه ليس ببيان على الوجه الثالث أيضاً لما أن التوحد بالإلهية لا يعتبر في مفهومه العلم الكامل ليكون هذا بياناً له بل هو معتبر فيها صدق عليه المتوحد وذلك غير كاف

وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٥٠﴾
فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥١﴾

في البيانية وقيل هو خبر بعد خبر عند من يجوز كون الخبر الثاني جملة كافي قوله تعالى فإذا هي حية تسعى وقيل هو الخبر والاسم الجليل بدل من هو وبه يتعلق الظرف المتقدم ويكفي في ذلك كون المعلوم فيهما كافي قولك رميت الصيد في الحرم إذا كان هو فيه وأنت خارجه ولعل جعل سرم وجهرم فيهما لتوسيع الدائرة وتصوير أنه لا يعزب عن علمه شيء منهما في أى مكان كان لأنهما قد يكونان في السموات أيضاً وتعميم الخطاب لأهلها تعسف لا يخفى (ويعلم ماتكسبون) أى ما تفعلونه لجلب تقع أو دفع ضرر من الأعمال المكتسبة بالقلوب أو بالجوارح سرراً أو علانية وتخصيصها بالذكر مع إندراجها فيما سبق على التفسير الثاني للسر والجهر لإظهار كمال الاعتناء بها لأنها التى يتعلق بها الجزاء وهو السرى إعادة يعلم (وما تأتيتهم من آية من آيات ربهم) كلام مستأنف وارد لبيان كفرهم بآيات الله وإعراضهم عنها بالكلية بعد ما بين في الآية الأولى إشرافهم بالله سبحانه وإعراضهم عن بعض آيات التوحيد وفى الآية الثانية أمثراؤهم فى البعث وإعراضهم عن بعض آياته والانتفات للإشعار بأن ذكر قبائحهم قد اقتضى أن يضرب عنهم الخطاب صفحاً وتعدد جناباتهم لغيرهم ذمهم وتقييماً لحالهم فنافية وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية أو للدلالة على الاستمرار التجددى ومن الأولى مزيدة للاستفراق والثانية تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة لآية وإضافة الآيات إلى اسم الرب المضاف إلى ضميرهم لتفخيم شأنها المستتبع لنزول ما اجترأوا عليه فى حقها والمراد بها إما الآيات التنزيلية فإتيانها نزولها والمعنى ما ينزل إليهم آية من الآيات القرآنية التى من جملتها هاتيك الآيات الناطقة بما فصل من بدائع صنع الله عز وجل المنبثقة عن جريان أحكام ألوهيته تعالى على كافة الكائنات وإحاطة علمه بجميع أحوال المخلوق وأهمهم الموجهة للإقبال عليها والإيمان بها (إلا كانوا عنها معرضين) أى على وجه التكذيب والاستهزاء كما استشف عليه وأما الآيات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها من تعاجيب المهنوعات فإتيانها ظهورها لهم والمعنى ما يظهر لهم آية من الآيات التكوينية التى من جملتها ما ذكر من جلائل شئونه تعالى الشاهدة بوحدانيته إلا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدى إلى الإيمان بكونها وإثارة على أن يقال إلا أعرضوا عنها كما وقع مثله فى قوله تعالى وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر الدلالة على استمرارهم على الإعراض حسب استمرار إتيان الآيات وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه مراعاة للفواصل والجملة فى محل النصب على أنها حال من مفعول تأتى أو من فاعله المتخصص بالوصف لاشتغالها على ضمير كل منهما وأياما كان ففيها دلالة بينة على كمال مسارعتهم إلى الإعراض وإيقاعهم له فى آن الإتيان كما يفصح عنه كلمة لما فى قوله تعالى (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم) فإن الحق عبارة عن القرآن الذى أعرضوا عنه حين أعرضوا عن كل آية آية منه عبر عنه بذلك إبانة لكمال قبح ما فعلوا به فإن تكذيب الحق بما لا يتصور صدوره

أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا

آخَرِينَ ﴿٦﴾

٦ الأنعام

عن أحد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن لا على أنها شيء مغاير له في الحقيقة واقع عقبيه أو حاصل بسببه بل على أن الأول هو عين الثاني حقيقة وإنما الترتيب بحسب التغاير الاعتباري وقد لتحقيق ذلك المعنى كما في قوله تعالى فقد جاءوا ظلماً وزوراً بعد قوله تعالى وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فإن ما جاءه وهى فعلوه من الظلم والزور عين قولهم المحكى لكنه لما كان مغايراً له مفهوماً وأشنع منه حالاً رتب عليه بالفاء ترتيب اللازم على الملازم تهويلاً لا مراً كذلك مفهوم التكذيب بالحق حيث كان أشنع من مفهوم الإعراض المذكور أخرج مخرج اللازم البين البطلان فرتب عليه بالفاء إظهاراً لغاية بطلانه ثم قيد ذلك بكونه بلا تأمل تاكيداً لشناعته وتمهيداً لبيان أن ما كذبوا به أثر ذى أثر له عواقب جليلة ستبدولهم البتة والمعنى أنهم حيث أعرضوا عن تلك الآيات عند إتيانها فقد كذبوا بما لا يمكن تكذيبه أصلاً من غير أن يتدبروا في حاله ومآله ويقفوا على مافى تضعيفه من الشواهد الموجبة لتصديقه كقوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كما ينبى عنه قوله تعالى (فسوف يأتهم أنباء ما كانوا به يستهزئون) فإن ما عبارة عن الحق المذكور عبر عنه بذلك تهويلاً لا مراً بإيهامه وتعليلاً للحكم بما في حيز الصلة وأنباؤه عبارة عما سيحقق بهم من العقوبات العاجلة التى نطقت بها آيات الوعيد وفى لفظ الأنباء إيذان بغاية العظم لما أن النبأ لا يطلق إلا على خبر عظيم الوقع وحملها على العقوبات الآجلة أو على ظهور الإسلام وعلو كلمته ياباه الآيات الآتية وسوف لنا كيد مضمون الجملته وتقريره أى فسيأتهم البتة وإن تأخر مصداق أنباء الشيء الذى كانوا يكذبون به قبل من غير أن يتدبروا فى عواقبه وإنما قيل يستهزئون إيذاناً بأن تكذيبهم كان مقروناً بالاستهزاء كما أشير إليه هذا على أن يراد بالآيات الآية القرآنية وهو الأظهر وأما إن أريد بها الآيات التكوينية فالفاء داخلة على علة جواب شرط محذوف والإعراض على حقيقته كأنه قيل إن كانوا معرضين عن تلك الآيات فلا تعجب فقد فعلوا بما هو أعظم منها ما هو أعظم من الإعراض حيث كذبوا بالحق الذى هو أعظم الآيات ولا مساغ لحل الآيات فى هذا الوجه على كلها أصلاً وأما ما قيل من أن المعنى أنهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا بالقرآن فما ينبغى تنزيه التنزيل عن أمثاله (ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن) استئناف مسوق لتعيين ما هو المراد بالأنباء التى سبق بها الوعيد وتقرير إتيانها بطريق الاستشهاد وهمزة الإنكار لتقرير الرؤية وهى عرفانية مستدعية لمفعول واحد وكم استفهامية كانت أو خبرية معلقة لها عن العمل مفيدة للتكثير سادة مع مافى حيزها مسد مفعولها منصوبة بأهلكنا على المفعولية على أنها عبارة عن الأشخاص ومن قرن يميز لها على أنه عبارة عن أهل عصر من الأعصار سمو بذلك لاقرانهم برهة

- من الدهر كافي قوله عليه الصلاة والسلام خير القرون قرني ثم الذين يلونهم الحديث وقيل هو عبارة عن مدة من الزمان والمضاف محذوف أى من أهل قرن وأما انتصابها على المصدرية أو على الظرفية على أنها عبارة عن المصدر أو عن الزمان فتعسف ظاهر ومن الأولى ابتدائية متعلقة بأهلكنا أى ألم يعرفوا بمعابنة الآثار وسماع الأخبار كم أمة أهلكنا من قبل أهل مكة أى من قبل خلقهم أو من قبل زمانهم على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه كعاد وثمود وأضرابهم وقوله تعالى (مكنناهم في الأرض) استئناف لبيان كيفية الإهلاك وتفصيل مبادئه مبنى على سؤال نفى من صدر الكلام كأنه قيل كيف كان ذلك فقيل مكانهم الخ وقيل هو صفة لقرن لما أن النكرة مفتقرة إلى تخصيص فإذا وليها ما يصلح تخصيصاً لها تعين وصفيته لها وأنت خير بأن تنوينه التفعيلى مغن له عن استدعاء الصفة على أن ذلك مع اقتضائه أن يكون مضمونه ومضمون ما عطف عليه من الجمل الأربع أمراً مفروغاً عنه غير مقصود بسياق النظم مؤد إلى اختلال النظم الكريم كيف لا والمعنى حينئذ ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن موصوفين بكذا وكذا ويا هلا كنا إياهم بذنوبهم وأنه بين الفساد وتمكين الشيء في الأرض جعله قاراً فيها ولما لزمه جعلها مقراً له ورد الاستعمال بكل منهما فقيل تارة مكنته في الأرض ومنه قوله تعالى ولقد مكنناهم فيما إن مكنناهم فيه وأخرى مكن له في الأرض ومنه قوله تعالى إنا مكننا له في الأرض حتى أجرى كل منهما مجرى الآخر ومنه قوله تعالى (مالم نمكن لكم) بعد قوله تعالى مكنناهم في الأرض كأنه قيل في الأول مكنناهم أو في الثاني مالم نمكنكم وما نكرة موصوفة بما بعدها من الجملة المنفية والعايد محذوف محلها النصب على المصدرية أى مكنناهم تمكيناً لم نمكنه لكم والالتفات لما في مواجعتهم بضعف الحال مزيد بيان لشأن الفريقين ولدفع الاشتباه من أول الأمر عن مرجعى الضميرين (وأرسلنا السماء) أى المطر أو السحاب أو المظلة لأنها مبدأ المطر (عليهم) متعلق بأرسلنا (مدراراً) أى مغزاراً حال من السماء (وجعلنا الأنهار) أى صيرناها فقوله تعالى (تجرى من تحتهم) مفعول ثان لجعلنا أو أنشأناها فهو حال من مفعوله ومن تحتهم متعلق بتجرى وفيه من الدلالة على كونها مسخرة لهم مستمرة على الجريان على الوجه المذكور مالم يس فى أن يقال وأجرينا الأنهار من تحتهم وليس المراد بتعداد هاتيك النعم العظام الفائضة عليهم بعد ذكر تمكينهم بيان عظم جنائيتهم فى كفرانها واستحقاقهم بذلك لأعظم العقوبات بل بيان حيازتهم لجميع أسباب نيل المآرب ومبادئ الأمن والنجاة من المكروه والمعاطب وعدم إغناء ذلك عنهم شيئاً والمعنى أعطيناهم من البسطة فى الأجسام والامتداد فى الأعمار والسعة من الأموال والاستظهار بأسباب الدنيا فى استجلاب المنافع واستدفاع المضار مالم نعط أهل مكة ففعلوا ما فعلوا (فأهلكناهم بذنوبهم) أى أهلكنا كل قرن من تلك القرون بسبب ما ينحصرهم من الذنوب فما أغنى عنهم تلك العدد والأسباب فسيحل بهؤلاء مثل ما حل بهم من العذاب وهذا كما ترى آخر ما به الاستشهاد والاعتبار وأما قوله سبحانه (وأنشأنا من بعدهم) أى أحدثنا من بعد إهلاك كل قرن (قرناً آخرين) بدلاً من الهالكين فليبان كمال قدرته تعالى وسعة سلطانه وأن ما ذكر من إهلاك الأمم الكثيرة

وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلْيُسْوِهْ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ

٦ الأنعام

مُبِينٌ ﴿٧﴾

وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴿٨﴾

٦ الأنعام

- ٧ لم ينقص من ملكه شيئاً بل كلما أهلك أمة أنشأ بدلها أخرى (ولو أنزلنا عليك) جملة مسنأة سيقت بطريق تلويح الخطاب ليبان شدة شكيمتهم في المكابرة وما يتفرع عليها من الأقاويل الباطلة لإثريان إعراضهم عن آيات الله تعالى وتكذيبهم بالحق واستحقاقهم بذلك لنزول العذاب ونسبة التنزيل همناً إليه عليه السلام مع نسبة إثبات الآيات وحجج الحق فيما سبق إليهم للإشعار بقدهم في نبوته عليه السلام في ضمن قدحهم فيما نزل عليه صريحاً وقال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحرث وعبد الله بن أبي أمية ونوفل ابن خويلد حيث قالوا الرسول الله ﷺ أن تؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة يشهدون أنه من عند الله تعالى وأنتك رسوله (كتاباً) إن جعل اسماً كالإمام فقوله تعالى (في قِرطاس) متعلق بمحذوف وقع صفة له أي كتاباً كائناً في صحيفة وإن جعل مصدرأ بمعنى المكتوب فهو متعلق بنفسه (فلسوه) أي الكتاب وقيل القِرطاس وقوله تعالى (بأيديهم) مع ظهور أن اللبس لا يكون عادة إلا بالأيدى لزيادة التعيين ودفع احتمال التجوز الواقع في قوله تعالى وأنا لمسنا السماء أي تفحصنا أي فسوه بأيديهم بعد ما رآوه بأعينهم بحيث لم يبق لهم في شأنه اشتباه ولم يقدرُوا على الاعتذار بتسكير الأبصار (لقال الذين كفروا) أي لقالوا وإنما وضع الموصول موضع الضمير للتنصيص على اتصافهم بما في حيز الصلة من الكفر الذي لا يخفى حسن موقعه باعتبار مفهومه اللغوي أيضاً (إن هذا) أي ما هذا مشيرين إلى ذلك الكتاب (إلا سحر مبين) أي بين كونه سحراً آمناً وعناداً للحق بعد ظهوره كما هو دأب المفهم المحجوج وديدن المكابر اللجوج (وقالوا لولا أنزل عليه ملك) شروع في قدحهم في نبوته عليه السلام صريحاً بعد ما أشير إلى قدحهم فيها ضمناً وقيل هو معطوف على جواب لو وليس بذلك لما أن تلك المقالة الشنعاء ليست بما يقدر صدوره عنهم على تقدير تنزيل الكتاب المذكور بل هي من أباطيلهم المحققة وخرافاتهم الملفقة التي يتعللون بها كلما ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل أي هلا أنزل عليه السلام ملك بحيث نراه ويكلمنا أنه نبي حسبنا نقل عنهم فيما روى عن الكلبي ومقاتل ونظيره قولهم لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً ولما كان مدار هذا الاقتراح على شيئين إنزال الملك كما هو وجعله معه عليه السلام نذيراً أجيب عنه بأن ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الوجود أصلاً لا شتماله على أمرين متباينين لا يجتمعان في الوجود لما أن إنزال الملك على صورته يقتضى انتفاء جعله نذيراً وجعله نذيراً يستدعى عدم إنزاله على صورته لا محالة وقد أشير إلى الأول بقوله تعالى (ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر) أي لو أنزلنا ملكاً على هيئته حسبما اقترحوه والحال أنه من هول المنظر بحيث لا تطبق بمشاهدته قوى الأحاد البشرية ألا يرى أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يشاهدون الملائكة ويفاضونهم على الصور

- البشرية كضيف إبراهيم ولوط وخهم داود عليهم السلام وغير ذلك وحيث كان شأنهم كذلك وهم مؤيدون بالقوى القدسية فما ظنك بمن عدام من العوام فلو شاهدوه كذلك لقضى أمر هلاكهم بالكلية واستحال جملة نذيراً وهو مع كونه خلاف مطلوبهم مستلزم لإخلاء العالم عما عليه يدور نظام الدنيا والآخرة من إرسال الرسل وتأسيس الشرائع وقد قال سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وفيه كما ترى إيدان بأنهم في ذلك الاقتراح كالباحث عن حثفه بظلفه وأن عدم الإجابة إليه للبقيا عليهم وبناء الفعل الأول في الجواب للفاعل الذى هو نون العظمة مع كونه في السؤال مبنياً للمفعول لتحويل الأمر وترية المهابة وبناء الثانى للمفعول للجرى على سنن الكبرياء وكلمة ثم في قوله تعالى (ثم لا ينظرون) أى لا يملون بعد نزوله طرفة عين فضلا عن أن يندروا به كما هو المقصود بالإندار للتنبيه على تفاوت ما بين قضاء الأمر وعدم الإنظار فإن مفاجأة العذاب أشد من نفس العذاب وأشق وقيل في سبب إهلاكهم أنهم إذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله ﷺ في صورته وهى آية لا شىء أبين منها ثم لم يؤمنوا لم يكن بد من إهلاكهم وقيل أنهم إذا رأوه يزول الاختيار الذى هو قاعدة التكليف فيجب إهلاكهم وإلى الثانى بقوله تعالى (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) على أن الضمير الأول للنذير المفهوم من ٩ فحوى الكلام بمعونة المقام وإنما لم يجعل للملك المذكور قبله بأن يعكس ترتيب المفعولين ويقال ولو جعلناه نذيراً لجعلناه رجلا مع فهم المراد منه أيضاً لتحقيق أن مناط إبراز الجعل الأول في معرض الفرض والتقدير ومدار استلزامه للثانى إنما هو ملكية النذير لا نذيرية الملك وذلك لأن الجعل حقه أن يكون مفعوله الأول مبتدأ والثانى خبراً لكونه بمعنى التصيير المنقول من صار الداخلى على المبتدأ والخبر ولا ريب فى أن مصب الفائدة ومدار اللزوم بين طرفى الشرطية هو محمول المقدم لا موضوعه فحيث كانت امتناعية أريد بها بيان انتفاء الجعل الأول لاستلزامه المحذور الذى هو الجعل الثانى وجب أن يجعل مدار الاستلزام فى الأول مفعولاً ثانياً لا محالة ولذلك جعل مقابله فى الجعل الثانى كذلك إبانة لكمال التنافى بينهما الموجب لانتفاء اللزوم والضمير الثانى للملك لا لما رجع إليه الأول والمعنى لو جعلنا النذير الذى اقترحوه ملكاً لملئنا ذلك الملك رجلاً لما مر من عدم استطاعة الأحاد لمعاينة الملك على هيكله وفى إيدان رجلاً على بشر أيدان بأن الجعل بطريق التمثيل لا بطريق قلب الحقيقة وتعيين لما يقع به التمثيل وقوله تعالى (وللبسنا عليهم) عطف على جواب لو مبنى على الجواب الأول وقرئ بحذف لام الجواب اكتفاء بما فى المعطوف عليه يقال لبست الأمر على القوم ألبسه إذا شبهته وجعلته مشكلاً عليهم وأصله الستر بالثوب وقرئ الفعلان بالتشديد للبالغة أى ولخاطنا عليهم بتمثيله رجلاً (ما يلبسون) على أنفسهم حينئذ بأن يقولوا له إنما أنت بشر ولست بملك ولو استدل على ملكيته بالقرآن المعجز الناطق بها أو بمعجزات أخر غير ملجئة إلى التصديق لكذبوه كما كذبوا النبی عليه الصلاة والسلام ولو أظهر لهم صورته الأصلية لزم الأمر الأول والتعبير عن تمثيله تعالى رجلاً باللبس إما لكونه فى سورة اللبس

وَلَقَدْ اسْتَهْزَىٰ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ خَاقَ الَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٦ الأنعام

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٦ الأنعام

قُلْ لِّمَن مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُنْتُ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ

الْقِيٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ٦ الأنعام

- أو لكونه سبباً للبسم أو لوقوعه في صحبته بطريق المشاكلة وفيه تأكيد لاستحالة جعل النذير ملكاً كأنه قيل لو فعلناه لفعلنا ما لا يليق بشأننا من لبس الأمر عليهم وقد جوز أن يكون للعنف واللبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على أنفسهم الساعة في كفرهم بآيات الله البينة (ولقد استهزى برسول من قبلك) تسليية لرسول الله ﷺ عما يلقاه من قومه وفي تصدير الجملة بلام القسم وحرف التحقيق من الاعتناء بها ما لا يخفى وتووين رسل للتفخيم والتكثير ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسول أي وبالله لقد استهزى برسول أولى شأن خطير وذوى عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه (خاق) عقيب أي أحاط أو نزل أو حل أو نحو ذلك فإن معناه يدور على الشمول والالزوم ولا يكاد يستعمل إلا في الشر والحق ما يشتمل على الإنسان من مكروه فعله وقوله تعالى (بالذين سَخِرُوا مِنْهُمْ) أي استهزوا بهم من أولئك الرسل عليهم السلام متعلق بحاق وتقديمه على فاعله الذي هو قوله تعالى (ما كانوا به يستهزئون) للسارعة إلى بيان حقوق الشربهم وما إما موصولة مفيدة للتحويل أي فأحاط بهم الذي كانوا يستهزمون به حيث أهلكوا لأجله وإما مصدرية أي فتل بهم وبال استهزأهم وتقديم الجار والمجرور على الفعل لرعاية الفواصل (قل سيروا في الأرض) بعد بيان ما فعلت الأمم الحالية وما فعل بهم خوطب رسول الله ﷺ بإنذار قومه وتذكيرهم بأحوالهم الفظيعة تحذيراً لهم عما هم عليه وتكملة للتسليية بما في ضمنه من العدة اللطيفة بأنه سيحقق بهم مثل ما حاق بأضرابهم الأولين ولقد أنجز ذلك يوم بدر أي إنجاز أي سيروا في الأرض لتعرف أحوال أولئك الأمم (ثم انظروا) أي تفكروا (كيف كان عاقبة المكذبين) وكلمة ثم إما لأن النظر في آثار الهالكين لا يتسنى إلا بعد انتهاء السير إلى أما كنهم وإما لإبانة ما بينهما من التفاوت في مراتب الوجوب وهو الأظهر فإن وجوب السير ليس إلا لكونه وسيلة إلى النظر كما يفصح عنه العطف بالفاء في قوله عز وجل فانظروا الآية وأما أن الأمر الأول لإباحة السير للتجارة ونحوها والثاني لإيجاب النظر في آثارهم وثمر لتباعد ما بين الواجب والمباح فلا يناسب المقام وكيف معلقة لفعل النظر ومحل الجملة نصب بنزع الخافض أي تفكروا في أنهم كيف أهلكوا بعذاب الاستئصال والعاقبة مصدر كالعافية وفظاؤها وهي منتهى الأمر ومآله ووضع المكذبين موضع المستهزين لتحقيق أن مدار إصابة ما أصابهم هو التكذيب لينزجر السامعون عنه لا عن الاستهزاء فقط مع بقاء التكذيب بحاله بناء على توهم أنه المدار في ذلك (قل) لهم بطريق الإلجاء

- والتسكيت (لمن مافى السموات والأرض) بمن العقلاء وغيرهم أى لمن الكائنات جميعاً خلقاً وملكا
- وتصرفا وقوله تعالى (قل لله) تقرير لهم وتنبيه على أنه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يتأتى لأحد أن يجيب بغيره كما نطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله وقوله تعالى (كتب على نفسه الرحمة) جملة مستقلة داخلية تحت الأمر ناطقة بشمول رحمته الواسعة لجميع الخلق شمول ملكه وقدرته لكل مسوقة لبيان أنه تعالى رءوف بعباده لا يعجل عليهم بالعقوبة ويقبل منهم التوبة والإنابة وأن ماسبق ذكره وما لحق من أحكام الغضب ليس من مقتضيات ذاته تعالى بل من جهة الخلق كيف لا ومن رحمته أن خلقهم على الفطرة السليمة وهداهم إلى معرفته وتوحيده بنصب الآيات الانفسية والآفاقية وإرسال الرسل وإنزال الكتب المشحونة بالدعوة إلى موجبات رضوانه والتحذير عن مقتضيات سخطه وقد بدلوا فطرة الله تبديلا وأعرضوا عن الآيات بالمرء وكذبوا بالكتب واستهزؤا بالرسول وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين ولولا شمول رحمته لسلك بهؤلاء أيضاً مسلك الغابرين ومعنى كتب الرحمة على نفسه أنه تعالى قضاه أو أوجبها بطريق التفضل والإحسان على ذاته المقدسة بالذات لا بتوسط شيء أصلاً وقيل هو ما روى عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لما قضى الله تعالى الخلق كتب فى كتاب فهو عنده فوق العرش إن رحمتى سبقت غضبى وعنه فى رواية أنه ﷺ قال لما قضى الله تعالى الخلق كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش إن رحمتى غلبت غضبى وعن عمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لكعب ما أول شيء ابتدأه الله تعالى من خلقه فقال كعب كتب الله كتاباً لم يكتبه بقلم ولا مداد كتابة الزبرجد واللؤلؤ والياقوت إني أنا الله لا إله إلا أنا سبقت رحمتى غضبى ومعنى سبق الرحمة وغلبتها أنها أقدم تعلقاً بالخلق وأكثر وصولاً إليهم مع أنها من مقتضيات الذات المفيدة للخير وفى التعبير عن الذات بالنفس حجة على من ادعى أن لفظ النفس لا يطلق على الله تعالى وإن أريد به الذات إلا مشاكلة لما ترى من انتفاء المشاكلة ههنا بنوعها وقوله تعالى (ليجمعنكم إلى يوم القيامة) جواب قسم محذوف والجملة استئناف مسوق للوعيد على إشراكهم وإغفالهم النظر أى والله ليجمعنكم فى القبور مبعوثين أو محشورين إلى يوم القيامة فيجازيكم على شرككم وسائر معاصيكم وإن أمهلكم بموجب رحمته ولم يعاجلكم بالعقوبة الدنيوية وقيل إلى بمعنى اللام أى ليجمعنكم ليوم القيامة كقوله تعالى إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه وقيل هى بمعنى فى أى ليجمعنكم فى يوم القيامة (لا ريب فيه) أى فى اليوم أو فى الجمع وقوله تعالى (الذين خسروا أنفسهم) أى بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الأصلية والعقل السليم والاستعداد القريب الحاصل من مشاهدة الرسول ﷺ واستماع الوحي وغير ذلك من آثار الرحمة فى موضع النصب أو الرفع على الذم أى أعنى الذين ألح أو هم الذين ألح أو هو مبتدأ والخبر قوله تعالى (فهم لا يؤمنون) والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط والإشعار بأن عدم إيمانهم بسبب خسранهم فإن إبطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك فى التقليد وإغفال النظر أدى بهم إلى الإصرار على الكفر والامتناع من الإيمان والجملة تذييل مسوق من جهة تعالى لهم لتقبيح حا غير داخل

وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ ٦ الأنعام

قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَخْخَذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ

أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ ٦ الأنعام

قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ٦ الأنعام

- ١٣ تحت الأمر (وله) أى الله عز وجل خاصة (ماسكن في الليل والنهار) نزل الملوان منزلة المكان فعبّر عن نسبة الأشياء الزمانية إليهما بالسكنى فيهما وتعديته بكلمة في كما في قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم أو السكون مقابل الحركة والمراد ماسكن فيهما أو تحرك فاكنتى بأحد الضدين عن الآخر ● (وهو السميع) المبالغ في سماع كل مسموع (العليم) المبالغ في العلم بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء من الأقوال والأفعال (قل) لهم بعد ما بكتهم بما سبق من الخطاب (أغير الله أتخذ ولياً) أى معبوداً بطريق الاستقلال أو الاشتراك وإنما سلطت الهمزة على المفعول الأول لاعلى الفعل إيذاناً بأن المنكر هو اتخاذ غير الله ولياً لا اتخاذ الولي مطلقاً كما في قوله تعالى أغير الله أبغى رباً وقوله تعالى أغير الله تأمرونى أعبد الخ (فاطر السموات والأرض) أى مبدعهما بالجر صفة للجلالة مؤكدة للإنكار لأنه بمعنى الماضى ولذلك قرئ فطر ولا يضر الفصل بينهما بالجملة لأنها ليست بأجنبية إذ هي عاملة في عامل الموصوف أو بدل فإن الفصل بينه وبين المبدل منه أسهل لأن البدل على نية تكرير العامل وقرئ بالرفع والنصب على المدح وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى اختصم إلى أعرايان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أى ابتدأتها (وهو يطعم ولا يطعم) أى يرزق الخلق ولا يرزق وتخصيص الطعام بالذكر لشدة الحاجة إليه أو لأنه معظم ما يصل إلى المرزوق من الرزق ومحل الجملة النصب على الحالية فإن مضى منها مقرر لوجوب اتخاذ سبحانه وتعالى ولياً وقرئ ولا يطعم بفتح الباء وبكسر القراءة الأولى أيضاً على أن الضمير لغير الله والمعنى أشرك بمن هو فاطر السموات والأرض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وبنائهما للفاعل على أن الثانى بمعنى يستطعم أو على معنى أنه يطعم تارة ولا يطعم أخرى ● كقوله تعالى يقبض ويبسط (قل) بعد بيان أن اتخاذ غيره تعالى ولياً مما يقضى بطلانه بديهة العقول ● (إنى أمرت) من جنباه عز وجل (أن أكون أول من أسلم) وجهه الله مخلصاً له لأن النبي إمام أمته في الإسلام كقوله تعالى وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين وقوله تعالى سبحانه تكذب إليك وأنا أول المؤمنين (ولا تكونن) أى وقيل لى ولا تكونن (من المشركين) أى فى أمر من أمور الدين وممنه أمرت بالإسلام ونهيت عن الشرك وقد جوز عطفه على الأمر (قل إنى أخاف إن عصيت ربي) أى بمخالفة أمره ونهيه أى عصيان كان فيدخل فيه ما ذكر دخولا أولاً وفيه بيان لكمال اجتنابه ● عن المعاصى على الإطلاق وقوله تعالى (عذاب يوم عظيم) أى عذاب يوم القيامة مفعول خاف

مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ، وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ٦ الأنعام

وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ٦ الأنعام

وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ، وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ٦ الأنعام

قُلْ أَى شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ، وَمَنْ يَنْبَلِغْ إِلَيْكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّى بَرِئٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٦ الأنعام

والشرطية معترضة بينهما والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه وفيه قطع لأطامهم الفارغة وتعريض بأنهم عصاة مستوجبون للعذاب العظيم (من يصرف عنه) على البناء المفعول أى العذاب وقرئ على ١٦ البناء للفاعل والضمير لله سبحانه وقد قرئ بالإظهار والمفعول محذوف وقوله تعالى (يومئذ) ظرف ● للصرف أى فى ذلك اليوم العظيم وقد جوز أن يكون هو المفعول على قراءة البناء للفاعل محذوف المضاف أى عذاب يومئذ (فقد رحمه) أى نجاه وأنعم عليه وقيل فقد أدخله الجنة كما فى قوله تعالى فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز والجملة مستأنفة مؤكدة لتحويل العذاب وضمير عنه ورحمه لمن وهو عبارة عن غير العاصي (وذلك) إشارة إلى الصرف أو الرحمة لأنها مؤولة بأن مع الفعل وما فيه من معنى البعد للإيدان ● بعلو درجته وبعد مكانه فى الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (الفوز المبين) أى الظاهر كونه فوزاً ● وهو الظفر بالبغية والألف واللام لقصره على ذلك (وإن يمسسك الله بضر) أى ببليّة كمرض وفقر ونحو ١٧ ذلك (فلا كاشف له) أى فلا قادر على كشفه عنك (إلا هو) وحده (وإن يمسسك بخير) من صحة ونعمة ● ونحو ذلك (فهو على كل شىء قدير) ومن جملة ذلك فيقدر عليه فيمسك به ويحفظه عليك من غير أن ● يقدر على دفعه أو على رفعه أحد كقوله تعالى فلا راد لفضله وحمله على تأكيد الجوابين يأباه الفاء . تذكرة : روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال أهدى للنبي ﷺ بغلة أهداها له كسرى فركبها بحبل من شعر ثم أردفني خلفه ثم سار بي ميلاً ثم التفت إلى فقال يا غلام فقلت ليبيك يا رسول الله فقال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله فقد مضى القلم بما هو كائن فلو جهد الخلائق أن ينفعوك بما لم يقضه الله لك لم يقدرُوا عليه ولو جهدوا أن يضروك بما لم يكتب الله عليك ما قدرُوا عليه فان استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين فافعل فإن لم تستطع فاصبر فإن فى الصبر على ما تكره خيراً كثيراً واعلم أن النصر مع الصبر وأن مع الكرب فرجا وأن مع العسر يسراً (وهو القاهر فوق عباده) تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة (وهو الحكيم) ١٨ فى كل ما يفعله ويأمر به (الخبير) بأحوال عباده وخفايا أمورهم واللام فى المواضع الثلاثة للقصر (قل أى ١٩

الَّذِينَ اتَّيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ ٦ الأنعام

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِعَايَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾ ٦ الأنعام

- شئ. أكبر شهادة) روى أن قريشاً قالوا لرسول الله ﷺ يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أن ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فأرنا من يشهد لك أنك رسول الله فنزلت فأى مبتدأ أو أكبر خبره وشهادة نصب على التمييز وقوله تعالى (قل الله) أمره ﷺ بأن يتولى الجواب بنفسه إما للإيدان بتعيينه وعدم قدرتهم على أن يجيبوا بغيره أو لأنهم ربما يتلعثمون فيه لا لتردد في أنه أكبر من كل شئ بل في كونه شهيداً في هذا الشأن وقوله تعالى (شهيد) خبر مبتدأ محذوف أى هو شهيد (بينى وبينكم) ويجوز أن يكون الله شهيد بينى وبينكم هو الجواب لأنه إذا كان هو الشهيد بينه وبينهم كان أكبر شئ شهادة شهيداً له ﷺ وتكرير البين لتحقيق المقابلة (وأوحى إلى) أى من جهته تعالى (هذا القرآن) الشاهد بصحة رسالتى (لا نذركم به) بما فيه من الوعيد والافتصار على ذكر الإنذار لما أن الكلام مع الكفرة (ومن بلغ) عطف على ضمير مخاطبين أى لا نذركم به يا أهل مكة وسائر من بلغه من الأسود والأحمر أو من الثقلين أو لا نذركم به أيها الموجودون ومن سيوجد إلى يوم القيامة وهو دليل على أن أحكام القرآن نعم الموجودين يوم نزوله ومن سيوجد بعد إلى يوم القيامة خلا أن ذلك بطريق العبارة في الكل عند الحنابلة وبالإجماع عندنا في غير الموجودين وفي غير المكلفين يومئذ كما مر في أول سورة النساء (أنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى) تقرير لهم مع إنكار واستبعاد (قل لا أشهد) بذلك وإن شهدتم به فإنه باطل صرف (قل) تكرير للأمر للتأكيد (إنما هو إله واحد) أى بل إنما أشهد أنه تعالى لا إله إلا هو (وانتى برى عما تشركون) من الأصنام أو من إشرائككم (الذين آتيناهم الكتاب) جواب عما سبق من قولهم لقد سألنا عنك اليهود والنصارى آخر عن تعيين الشهيد مسارة إلى إلزامهم بالجواب عن تحكهم بقولهم فأرنا من يشهد لك الخ والمراد بالوصول اليهود والنصارى وبالكتاب الجنس المنتظم للتوراة والإنجيل وإيرادهم بعنوان إيتاء الكتاب للإيدان بمدار ما أسند إليهم بقوله تعالى (يعرفونه) أى يعرفون رسول الله ﷺ من جهة الكتابين بحليته ونعوته المذكورة فيهما (كما يعرفون أبناءهم) بعلام بحيث لا يشكون في ذلك أصلاً. روى أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة قال عمر رضى الله عنه لعبد الله بن سلام أنزل الله تعالى على نبيه هذه الآية وكيف هذه المعرفة فقال يا عمر لقد عرفته فيكم حين رأيته كما أعرف ابني ولأننا أشد معرفة بمحمد منى بابنى لأننى لا أدرى ما صنع النساء
- وأشهد أنه حق من الله تعالى (الذين خسروا أنفسهم) من أهل الكتابين والمشركين بأن ضيعوا فطرة الله التى فطر الناس عليها وأعرضوا عن اليينات الموجبة للإيمان بالكلية (فهم لا يؤمنون) لما أنهم مطبوع على قلوبهم ومحل الوصول الرفع على الابتداء وخبره الجملة المصدرة بالفاء لشبه الوصول بالشرط وقيل على أنه خبر مبتدأ محذوف أى هم الذين خسروا الخ وقيل على أنه نعت للوصول الأول وقيل النصب على الذم فقوله تعالى فهم لا يؤمنون على الوجوه الأخيرة عطف على جملة الذين آتيناهم الكتاب الخ (ومن

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاءُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾

٦ الأنعام

- أظلم من اقترى على الله كذباً (بوصفهم النبي الموعود في السكتابين بخلاف أوصافه ﷺ فإنه اقترأ على الله سبحانه وبقولهم الملائكة بنات الله وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحو ذلك وهو إنكار واستبعاد لأن يكون أحد أظلم من فعل ذلك أو مساوياً له وإن كان سبك التركيب غير متعرض لإنكار المساواة وفيها يشهد به العرف الفاشي والاستعمال المطرد فإنه إذا قيل من أكرم من فلان أو لأفضل من فلان فالمراد به حتماً أنه أكرم من كل كريم وأفضل من كل فاضل إلا يرى إلى قوله عز وجل لا جرم أنهم في الآخرة هم الآخسرون بعد قوله تعالى ومن أظلم من اقترى على الله كذباً الخ والسري في ذلك أن النسبة بين الشيتين إنما تنصور غالباً لا سيما في باب المغالبة بالتفاوت زيادة ونقصانا فإذا لم يكن أحدهما أزيد يتحقق النقصان لا محالة (أو كذب بآياته) كأن كذبوا بالقرآن الذي من جملته الآية الناطقة بأنهم يعرفونه ﷺ كما يعرفون أبناءهم وبالمعجزات وسموها سحراً وحرفوا التوراة وغيروا نعوته ﷺ فإن ذلك تكذيب بآياته تعالى وكلمة أو للإيدان بأن كلا من الافتراء والتكذيب وحده بالغ غاية الإفراط في الظلم فكيف وهم قد جمعوا بينهما فأثبتوا مانفاه الله تعالى ونفوا ما أثبتته قائلهم الله أنى يؤفكون (أنه) الضمير للشأن ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفائدة تصدير الجملة به الإيدان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره في الذهن فإن الضمير لا يفهم منه من أول الأمر إلا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقباً لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن فمكانه قيل إن الشأن الخطير هذا هو (لا يفلح الظالمون) أى لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب وإذا كان حال الظالمين هذا فما ظلك بمن في الغاية القاصية من الظلم (ويوم نحشرهم جميعاً) منصوب على الظرفية بمضمر مؤخر قد ٢٢ حذف إيداناً بضيق العبارة عن شرحه وبيانه وإيماء إلى عدم استطاعة السامعين لسماعه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة والداهية التامة كأنه قيل ويوم نحشرهم جميعاً (ثم نقول) لهم ما نقول كان من الأحوال والأحوال ما لا يحيط به دائرة المقال وتقدير صيغة الماضي للدلالة على التحقق ولحسن موقع عطف قوله تعالى ثم لم تكن الخ عليه وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم أى واذكر لهم للتخويف والتحذير يوم نحشرهم الخ وقيل وليتقوا أولي حذرنا يوم نحشرهم الخ والضمير للكل وجميعاً حال منه وقرىء يحشرهم جميعاً ثم يقول بالياء فيهما (للذين أشركوا) أى نقول لهم خاصة للتوبيخ والتفريع على رموس الأثهاد (أين شركاءكم) أى ألهتكم التي جعلتموها شركاء لله سبحانه وإضافتها إليهم لما أن شركتها ليست إلا بتسميتهم وتقولهم الكاذب كما ينهى عنه قوله تعالى (الذين كنتم تزعمون) أى تزعمونها شركاء لحذف المفعولان معاً وهذا السؤال المنبئ عن غيبة الشركاء مع عموم الحشر لها لقوله تعالى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله وغير ذلك من النصوص إنما يقع بعد ما جرى بينها وبينهم من التبرؤ من الجانبين وقطع ما بينهم من الأسباب والعلاقات حسبما يحكيه قوله تعالى فزيلنا بينهم الخ ونحو ذلك من الآيات السكرية إما بعدم حضورها حينئذ في الحقيقة بإبعادها من ذلك الموقف وإما بتنزيل

٦ الأنعام

ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾

٦ الأنعام

أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾

عدم حضورها بعنوان الشركه والشفاعة منزلة عدم حضورها في الحقيقة إذ ليس السؤال عنها من حيث ذواتها بل إنما هو من حيث أنها شركاء كما يعرب عنه الوصف بالموصول ولا ريب في أن عدم الوصف بوجوب عدم الموصوف من حيث هو موصوف فهي من حيث هي شركاء غائبة لا محالة وإن كانت حاضرة من حيث ذواتها أصناماً كانت أو غيرها وأما ما يقال من أنه يحال بينها وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بها الرجا فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم فربما يشعر بعدم شعورهم بحقيقة الحال وعدم انقطاع حبال رجايم عنها بعد وقد عرفت أنهم شاهدوها قبل ذلك وانصرفت عروة أطماهم عنها بالكلية على أنها معلومة لهم من حين الموت والابتلاء بالعذاب في البرزخ وإنما الذي يحصل يوم الحشر الانكشاف الجلي واليقين القوي المترتب على المحاضرة والمحاورة (ثم لم تكن فتنتهم) بتأنيث الفعل ورفع فتنتهم على أنه اسم له والخبر (إلا أن قالوا) وقرئ بنصب فتنتهم على أنها الخبر والاسم إلا أن قالوا والتأنيث للخبر كما في قولهم من كانت أمك وقرئ بالتذكير مع رفع الفتنة ونصبها ورفعها أنسب بحسب المعنى والجملة عطف على ما قدر عاملاً في يوم نحشرهم كما أشير إليه فيما سلف والاستثناء مفرغ من أعم الأشياء وفتنهم إما كفرهم مراداً به عاقبته أي لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه مدة أعمارهم وافتخروا به شيئاً من الأشياء إلا جحوده والتبرؤ منه بأن يقولوا (والله ربنا ما كنا مشركين) وأما جوابهم عبر عنه بالفتنة لأنه كذب ووصفه تعالى بربوبيته لهم للبالغه في التبرؤ من الإشراك وقرئ ربنا على النداء فهو لإظهار الضراعة والابتهاال في استدعاء قبول المعذرة وإنما يقولون ذلك مع علمهم بأنه بمعزل من النفع رأساً من فرط الحيرة والدهش وحمله على معنى ما كنا مشركين عند أنفسنا وما علمنا في الدنيا أنا على خطأ في معتقدنا مما لا ينبغي أن يتوهم أصلاً فإنه بما يوم أن لهم عذراً ما وأن لهم قدرة على الاعتذار في الجملة وذلك مغل بكمال هول اليوم قطعاً على أنه قد قضى بطلانه قوله تعالى (انظر كيف كذبوا على أنفسهم) فإنه تعجيب من كذبهم الصريح بإنكار صدور الإشراك عنهم في الدنيا أي انظر كيف كذبوا على أنفسهم في قولهم ذلك فإنه أمر عجيب في الغاية وأما حمله على كذبهم في الدنيا فتمحل يجب تنزيهه ساحة التنزيل عنه وقوله تعالى (وضل عنهم ما كانوا يفترون) عطف على كذبوا داخل معه في حكم التعجيب وما مصدرية أو موصولة قد حذف عائدها والمعنى انظر كيف كذبوا باليمين الفاجرة المغلظة على أنفسهم بإنكار صدور ما صدر عنهم وكيف ضل عنهم أي زال وذهب افتراؤهم أو ما كانوا يفترونه من الإشراك حتى نفوا صدوره عنهم بالكلية وتبرؤوا منه بالمرّة وقيل ما عبارة عن الشركاء وإيقاع الاقتراء عليها مع أنه في الحقيقة واقع على أحوالها من الإلهية والشركه والشفاعة ونحوها للبالغه في أمرها كأنها نفس المفترى وقيل الجملة كلام مستأنف غير داخل في حيز التعجيب .

وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ ءَايَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ ٦ الأنعام

- (ومنهم من يستمع إليك) كلام مبتدأ مسوق لحكاية ما صدر في الدنيا عن بعض المشركين من أحكام الكفر ٢٥ ثم بيان ما سيصدر عنهم يوم الحشر تقريراً لما قبله وتحقيقاً لمضمونه والضمير للذين أشركوا وحل الظرف الرفع على أنه مبتدأ باعتبار مضمونه أو بتقدير الموصوف كما في قوله تعالى ومنادون ذلك أي وجمع منا الخ ومن موصولة أو موصوفة محمل الرفع على الخبرية والمعنى وبعضهم أو وبعض منهم الذي يستمع إليك أو فريق يستمع إليك على أن مناط الإفادة اتصافهم بما في حيز الصلة أو الصفة لا كونهم ذوات أولئك المذكورين وقد مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الخ . روى أنه اجتمع أبو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وأبو جهل وأضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله ﷺ فقالوا للنضر وكان صاحب أخبار يا أبا قتيلة ما يقول محمد فقال والذي جعلها بينه ما أدري ما يقول إلا أنه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين مثل ما حدثتكم من القرون الماضية فقال أبو سفيان إني لأراه حقاً فقال أبو جهل كلا فنزلت (وجعلنا على قلوبهم أكنة) من الجعل بمعنى الإنشاء وعلى متعلقة به وضمير قلوبهم راجع إلى من وجمعيته بالنظر إلى معناها كما أن أفراد ضمير يستمع بالنظر إلى لفظها وقد روى جانب المعنى في قوله تعالى ومنهم من يستمعون إليك الآية والأكنة جمع كنان وهو ما يستر به الشيء وتوحيدهم للتفخيم والجملة إمامسة تفتة للإخبار بما تضمنه من الختم أو حال من فاعل يستمع بإضمار قد عند من يقدرها قبل الماضي الواقع حالا أي يستمعون إليك وقد ألقينا على قلوبهم أغطية كثيرة لا يقدر قدرها خارجة عما يتعارف به الناس (أن يفقهوه) أي كراهة أن يفقهوا ما يستمعونه من القرآن المدلول عليه بذكر الاستماع ويجوز أن يكون مفعولاً لما ينبي عنه الكلام أي منعناهم أن يفقهوه (وفي آذانهم وقراً) صمماً وثقلاً مانعاً من سماعه والكلام فيه كما في قوله تعالى على قلوبهم أكنة وهذا تمثيل معرب عن كمال جهلهم بشئون النبي عليه الصلاة والسلام وفرط نبوة قلوبهم عن فهم القرآن الكريم ومع أسماهم له وقد مر تحقيقه في أول سورة البقرة وقيل هو حكاية لما قالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر الآية وأنت خير بآن مرادهم بذلك الإخبار بما اعتقدوه في حق القرآن والنبي ﷺ جهلاً وكفراً من اتصافهما بأوصاف مانعة من التصديق والإيمان ككون القرآن سحراً وشعراً وأساطير الأولين وقس على ما تخيلوه في حق النبي ﷺ لا الإخبار بأن هناك أمراً وراء ذلك قد حال بينهم وبين إدراكه حائل من قبلهم حتى يمكن حمل النظم الكريم على ذلك (وإن يروا كل آية) من الآيات القرآنية أي يشاهدوها بسماعها (لا يؤمنوا بها) على عموم النفي لا على نفي العموم أي كفروا بكل واحدة منها لعدم اجتلائهم إياها كما هي لما مر من حالهم (حتى إذا جاءوك يجادلونك) هي حتى التي تقع بعدها الجمل والجملة هي قوله تعالى إذا جاءوك (يقول الذين كفروا) وما بينهما حال من فاعل جاءوا وإنما وضع الموصول موضع الضمير ذماً لهم بما في حيز الصلة وإشعاراً بعلّة الحكم أي بلغوا من
- ١٦٥ - أبو السعود ج ٢

وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ٦ الأنعام

وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِعَايَتِ رَبِّنَا وَنَكُوبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ ٦ الأنعام

- التكذيب والمكابرة إلى أنهم إذا جاموك مجادلين لك لا يكتفون بمجرد عدم الإيمان بما سمعوا من الآيات الكريمة بل يقولون (إن هذا) أي ما هذا (إلا أساطير الأولين) فإن عدا حسن الحديث وأصدقها الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من قبيل الأباطيل والخرافات رتبة من الكفر لا غاية وراءها ويجوز أن تكون حتى جارة وإذا ظرفية بمعنى وقت مجيئهم ومجادلونك حال كما سبق وقوله تعالى يقول الذين كفروا الخ تفسير للمجادلة والأساطير جمع أسطورة أو أسطورة أو جمع أسطار وهو جمع سطر بالتحريك وأصل الكل السطر بمعنى الخط (وهم ينهون عنه) الضمير المرفوع للذكورين والمجرور للقرآن أي لا يقنعون بما ذكر من تكذيبه وعده من قبيل الأساطير بل ينهون الناس عن استماعه لئلا يقفوا على حقيقته فيؤمنوا به (وينأون عنه) أي يتباعدون عنه بأنفسهم إظهاراً لغاية نفورهم عنه وتأكيذاً لنهيهم عنه فإن اجتناب الناهی عن المنهى عنه من متهمة النهي ولعل ذلك هو السر في تأخير النأي عن النهي وقيل الضمير المجرور للنبي ﷺ وقيل المرفوع لأبي طالب ولعل جمعيته باعتبار استتباعه لا تباعه فإنه كان ينهى قريشاً عن التعرض لرسول الله ﷺ وينأى عنه فلا يؤمن به وروى أنهم اجتمعوا إليه وأرادوا برسول الله ﷺ سوءاً فقال [والله إن يصلوا إليك بجمعهم * حتى أوسد في الزراب دينا] [فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة * وأبشر بذاك وقر منه عيوننا] [ودعوتني وزعمت أنك ناصحى * ولقد صدقت وكنت ثم أميننا] [وعرضت ديناً لا محالة أنه * من خير أديان البرية دينا] [لولا الملامة أو حذارى سبة * لوجدتني سمحاً بذاك ميينا] فنزلت (وإن يهلكون) أي ما يهلكون بما فعلوا من النهي والنأي (إلا أنفسهم) بتعريضها لأشد العذاب وأفظمه عاجلاً وآجلاً وهو عذاب الضلال والإضلال وقوله تعالى (وما يشعرون) حال من ضمير يهلكون أي يقصرون الإهلاك على أنفسهم والحال أنهم ما يشعرون أي لا ياهلاكم أنفسهم ولا باقتصار ذلك عليها من غير أن يضروا بذلك شيئاً من القرآن والرسول ﷺ والمؤمنين وإنما عبر عنه بالإهلاك مع أن المنفى عن غيرهم مطلق الضرر إذ غاية ما يؤدي إليه ما فعلوا من القدح في القرآن الكريم الممانعة في تمشي أحكامه وظهور أمر الدين للإيدان بأن ما يحيق بهم هو الهلاك لا الضرر المطلق على أن مقصدهم لم يكن مطلق الممانعة فيما ذكر بل كانوا ييغون الغوائل لرسول الله ﷺ والمؤمنين ويجوز أن يكون الإهلاك معتبراً بالنسبة إلى الذين يضلونهم بالنهي فقصره على أنفسهم حينئذ مع شموله للفريقين مبنى على تنزيل عذاب الضلال عند عذاب الإضلال منزلة العدم (ولو ترى إذ وقفوا على النار) شروع في حكاية ما سيصدر عنهم يوم القيامة من القول المناقض لما صدر عنهم في الدنيا من القبايح المحكية مع كونه كذباً في نفسه والخطاب إما لرسول الله ﷺ أو لكل أحد

بَلْ بَدَأَهُمْ مَا كَانُوا يُحْكُمُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ ٦ الأنعام

- من أهل المشاهدة والبيان قصداً إلى بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الشناعة والفظاعة إلى حيث لا يختص استغرابها براءدون راء عن اعتاد مشاهدة الأمور العجيبة بل كل من يتأتى منه الرؤية بتعجب من هولها وفظاعتها وجواب لو محذوف ثقة بظهور موإيداً بقصور العبارة عن تفصيله وكذا مفعول ترى لدلالة ما في حيز الظرف عليه أى لو ترام حين يوقفون على النار حتى يعاينوها لرأيت ما لا يسهه التعبير وصيغة الماضى للدلالة على التحقق أو حين يطلعون عليها اطلاقاً وهى تحتهم أو يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها من قولهم وقفته على كذا إذا فهمته وعرفته وقرىء وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوا (فقالوا ● ياليتنا نرد) أى إلى الدنيا تمنياً الرجوع والخلاص وهيئات ولات حين مناص (ولا تكذب بآيات ربنا) ● أى بآياته الناطقة بأحوال النار وأهوالها الأمرة باتقانها إذهى التى تخطر حينئذ ببالهم ويتحسرون على ما فرطوا فى حقها أو بجميع آياته المنتظمة لتلك الآيات انتظاماً أولياً (ونكون من المؤمنين) بها العاملين ● بمتعضاها حتى لا ترى هذا الموقف الهائل أو نكون من فريق المؤمنين الناجين من العذاب الفائزين بحسن المآب ونصب الفعلين على جواب التثنية بإضمار أن بعد الواو وإجرائها مجرى الفاء ويؤيده قراءة ابن مسعود وابن إسحق فلا تكذب والمعنى إن رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين وقيل ينسبك من أن المصدرية ومن الفعل بعدها مصدر ويقدر قبله مصدر متوهم فيعطف هذا عليه كأنه قيل ليت لنا رداً وانتفاء تكذيب وكوننا من المؤمنين وقرىء برفعهما على أنه كلام مستأنف كقوله دعنى ولا أعود أى وأنا لا أعود تركنى أو لم تتركنى أو عطف على نرد أو حال من ضميره فيكون داخلاً فى حكم التثنية كالوجه الأخير للنصب وتعلق التكذيب الآتى به لما تضمنه من العدة بالإيمان وعدم التكذيب كمن قال ايتنى رزقت ما لا فأ كافئك على صنيعك فإنه متمن فى معنى الواعد فلورزق ما لا ولم يكافىء صاحبه يكون مكذباً لا محالة وقرىء برفع الأول ونصب الثانى وقد مر وجههما (بل بدأهم ما كانوا يخفون من قبل) إضراب ٢٨ عما ينبى عنه التثنية من الوعد بتصديق الآيات والإيمان بها أى ليس ذلك عن عزيمة صادقة ناشئة عن رغبة فى الإيمان وشوق إلى تحصيله والاتصاف به بل لأنه ظهر لهم فى وقفهم ذلك ما كانوا يخفونه فى الدنيا من الداهية الدهياء وظنوا أنهم واقعوا فلخوفها وهول مطلعها قالوا ما قالوا والمراد بها النار التى وقفوا عليها إذهى التى سبق الكلام لتحويل أمرها والتعجيب من فظاعة حال الموقوفين عليها وبإخفائها تكذيبهم بها فإن التكذيب بالشئ كفر به وإخفاء له لا محالة وإيشاره على صريح التكذيب الوارد فى قوله عز وجل هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون وقوله تعالى هذه النار التى كنتم بها تكذبون مع كونه أنسب بما قبله من قولهم ولا تكذب بآيات ربنا لمراعاة ما فى مقابلته من البدو هذا هو الذى تستدعيه جزالة النظم الكريم وأما ما قيل من أن المراد بما يخفون كفرهم ومعاصيهم أو قبائحهم وفضائحهم التى كانوا يكتتمونها من الناس فنظير فى محضهم وبشهادة جوارحهم عليهم أو شرهم الذى يجحدون به فى بعض مواقف القيامة بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ثم يظهر بما ذكر من شهادة الجوارح عليهم أو ما أخفاه رؤساء

٦ الأنعام

وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾

وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ

٦ الأنعام

بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾

- الكفرة عن اتباعهم من أمر البعث والنشور أو ما كتبه علماء أهل الكتابين من محبة نبوة النبي ﷺ ونعوته الشريفة عن عوامهم على أن الضمير المجرور للعوام والمرفوع للخواص أو كفرهم الذي أخفوه عن المؤمنين والضمير المجرور للمؤمنين والمرفوع للنافقين فبعد الإغضاء عما في كل منها من الاعتساف والاختلال لا سبيل إلى شيء من ذلك أصلاً لما عرفت من أن سوق النظم الشريف أتويل أمر النار وتقطيع حال أهلها وقد ذكر وقوفهم عليها وأشار إلى أنه اعترافهم عند ذلك من الخوف والخشية والحيرة والدهشة ما لا يحيط به الوصف ورتب عليه تمنيمهم المذكور بإلغاء القاضية بسببية ما قبلها لما بعدها فإسقاط النار بعد ذلك من تلك السببية وهي في نفسها أدهى الدواهي وأزجر الزواجر ولا سند لها إلى شيء من الأمور المذكورة التي دونها في الهول والجزع مع عدم جريان ذكرها ثمة أمر يجب تنزيهه ساحة التنزيل عن أمثاله وأما ما قبل من أن المراد جزاء ما كانوا يخفون فن قبيل دخول البيوت من ظهورها وأبوابها مفتوحة فتأمل (ولوردوا) ●
- أى من موقفهم ذلك إلى الدنيا حسبما تمنوه وغاب عنهم ما شاهدوه من الأحوال (لعادوا لما نهوا عنه) ● من فنون القبايح التي من جملتها التكذيب المذكور ونسوا ما عاينوه بالكلية لاقتصار أنظارهم على الشاهد ٢٩
- دون الغائب (ولأنهم لكاذبون) أى لقوم ديدنهم الكذب في كل ما يأتون وما يذرون (وقالوا) عطف على عادوا داخل في حين الجواب وتوسيط قوله تعالى ولأنهم لكاذبون بينهما لأنه اعتراض مسوق لتقرير ما أفاده الشرطية من كذبهم المخصوص ولو أخر لا وهم أن المراد تكذيبهم في إنكارهم البعث والمعنى لوردوا إلى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وقالوا (إن هي) أى ما الحياة (إلا حياتنا الدنيا وما نحن
- بمبعوثين) بعد ما فارقنا هذه الحياة كأن لم يروا ما رأوا من الأحوال التي أولها البعث والنشور (ولو ترى إذ وقفوا على ربهم) الكلام فيه كالذى مر في نظيره خلا أن الوقوف ههنا مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده للمعقاب وقيل عرفوا ربهم حق التعريف وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقوله تعالى (قال) استئناف مبنى على سؤال نشأ من الكلام السابق كأنه قيل فإذا قال لهم ربهم
- إذ ذاك فقيل قال (أليس هذا) مشيراً إلى ما شاهدوه من البعث وما يتبعه من الأمور العظام (بالحق) ●
- تقريباً لهم على تكذيبهم لذلك وقولهم عند سماع ما يتعلق به ما هو بحق وما هو إلا باطل (قالوا) استئناف ●
- كما سبق (بلى وربنا) أكدوا اعترافهم باليمين إظهاراً لكمال يقينهم بحقيقته وإيضاحاً بصدور ذلك عنهم بالرغبة والنشاط طمعاً في نفعه (قال) استئناف كما مر (فذوقوا العذاب) الذى عاينتموه وإلغاء لترتيب التعذيب على اعترافهم بحقيقته ما كفر وأبه في الدنيا لکن لا على أن مدار التعذيب هو اعترافهم بذلك بل هو كفرهم السابق ●
- بما اعترفوا بحقيقته الآن كما نطق به قوله عز وجل (بما كنتم تكفرون) أى بسبب كفركم في الدنيا بذلك أو

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرْتُنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا
وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٣١﴾

٦ الأنعام

وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَهْوٌ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ ٦ الأنعام

- بكل ما يجب الإيمان به فدخل كفرهم به دخولا أولياً ولعل هذا التوبيخ والتفريع إنما يقع بعد ما وقفوا على النار فقالوا ما قالوا إذ الظاهر أنه لا يبقى بعد هذا الأمر إلا العذاب (قد خسروا الذين كذبوا بقاء الله) ٣١
- هم الذين حكيت أحوالهم لكن وضع الموصول موضع الضمير للإيذان بتسبب خسارهم بما في حيز الصلة من التكذيب ببقاءه تعالى بقيام الساعة وما يترتب عليه من البعث وأحكامه المنفرعة عليه واستمرارهم على ذلك فإن كلمة حتى في قوله تعالى (حتى إذا جاءتهم الساعة) غاية لتكذيبهم لا لخسارهم فإنه أبدى
- لا حذله (بغتة) البغت والبغتة مفاجأة للشيء بسرعة من غير شعور به يقال بغتة بغتاً وبغتة أى فجأة وانتصابها إما على أنها مصدر واقع موقع الحال من فاعل جاءتهم أى مباغتة أو من مفعوله أى مبغوتين وإما على أنها مصدر مؤكد على غير الصدر فإن جاءتهم فى معنى بغتتهم كقولهم أتيتهم ركضاً أو مصدر مؤكد لفعل محذوف وقع حالا من فاعل جاءتهم أى جاءتهم الساعة تبغتهم بغتة (قالوا) جواب إذا
 - (يا حسرتنا) تعالى فهذا أوانك والحسرة شدة الندم وهذا التحسر وإن كان يعترهم عند الموت لكن لما كان ذلك من مبادئ الساعة سمى باسمها ولذلك قال عليه الصلاة والسلام من مات فقد قامت قيامته أو جعل مجيء الساعة بعد الموت كالواقع بغير فترة لسرعته (على ما فرطنا فيها) أى على تفرطنا فى شأن الساعة وتقصيرنا فى مراعاة حقها والاستعداد لها بالإيمان بها واكتساب الأعمال الصالحة كما فى قوله تعالى على ما فرطت فى جنب الله وقيل الضمير للحياة الدنيا وإن لم يجر لها ذكر لكونها معلومة والتفريط التقصير فى الشيء مع القدرة على فعله وقيل هو التضييع وقيل الفرط السبق ومنه الفارط أى السابق ومعنى فرط خلى السبق لغيره فالتضعيف فيه للسلب كما فى جللت البعير وقوله تعالى (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم) حال من فاعل قالوا فائدته الإيذان بأن عذابهم ليس مقصوراً على ما ذكر من الحسرة على ما فات وزال بل يقاسون مع ذلك تحمل الأوزار الثقال والإيذاء إلى أن تلك الحسرة من الشدة بحيث لا تزول ولا تنسى بما يكابدونه من فنون العقوبات والسر فى ذلك أن العذاب الروحاني أشد من الجسماني نعوذ برحمة الله عز وجل منهما والوزر فى الأصل الحمل الثقيل سمي به الإثم والذنب لغاية ثقله على صاحبه وذكر الظهور كذكر الأيدي فى قوله تعالى فيما كسبت أيديكم فإن المعتاد حمل الأثقال على الظهور كما أن المؤلف هو الكسب بالأيدي والمعنى أنهم يتحسرون على ما لم يعملوا من الحسنات والحال أنهم يحملون أوزار ما عملوا من السيئات (ألا ساء ما يزرون) تذييل مقرر لما قبله واتكلم له أى بنس شيئاً يزرونه وزرهم (وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو) لما حقق فيما سبق أن وراء الحياة الدنيا حياة أخرى يلقون فيها من الخطوب ما يلقون بين بعده حال تلك الحياتين فى أنفسهما واللعب

قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَعَاثَتْ اللَّهُ
بِمُحْضَدُونَ ﴿٣٣﴾

٦ الأنام

عمل يشغل النفس ويفطرها عما تنتفع به والله صرفها عن الجد إلى الهزل والمعنى إما على حذف المضاف
أو على جمل الحياة الدنيا نفس اللعب والله مبالغة كما في قول الخنساء فإنما هي إقبال وإدبار أي وما أعمال
الدنيا أي الأعمال المتعلقة بها من حيث هي أي أو وما هي من حيث إنها محل لكسب تلك الأعمال
إلا لعب يشغل الناس ويلهمهم بما فيه من منفعة سريرة الزوال ولذة وشيكة الاضمحلال عما يعقبهم
● منفعة جليلة باقية ولذة حقيقية غير متناهية من الإيمان والعمل الصالح (والدار الآخرة) التي هي محل
● الحياة الأخرى (خير للذين يتقون) الكفر والمعاصي لأن منافعها خالصة عن المضار ولذاتها غير منقصة
● بالآلام مستمرة على الدوام (أفلا تعقلون) ذلك حتى تنقوا ما أنتم عليه من الكفر والعصيان والفناء
٢٣ للعطف على مقدر أي أتفعلون فلا تعقلون أو ألا تفكرون فتعقلون وقرئ يعقلون على الغيبة (قد
نعلم أنه ليحزنك الذي يقولون) استئناف مسوق لتسلية رسول الله ﷺ عن الحزن الذي يعتريه بما حكي
عن الكفرة من الإصرار على التكذيب والمبالغة فيه ببيان أنه عليه الصلاة والسلام بمكانة من الله عز
وجل وأن ما يفعلون في حقه فهو راجع إليه تعالى في الحقيقة وأنه ينتقم منهم لا محالة أشد انتقام وكلمة قد
لنا كيد العلم بما ذكر المفيد لنا كيد الوعيد كما في قوله تعالى قد يعلم ما أنتم عليه وقوله تعالى قد يعلم الله المعوقين
ونحوهما يا خراجها إلى معنى التكثير حسبما يخرج إليه ربما في مثل قوله [وإن تمس مهجور الفناء فر بما]
أقام به بعد الوفود وفود [جريا على سنن العرب عند قصد الإفراط في التكثير تقول لبعض قواد
العساكرم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي وعنده مقاب حمة يريد بذلك التماذي في تكثير
فرسانه ولكنه يروم إظهار براءته عن التزيد وإبراز أنه عن يقلل كثير ما عنده فضلا عن تكثير القليل
وعليه قوله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وهذه طريقة إنما تسلك عند كون الأمر من
الوضوح بحيث لا تحوم حوله شائبة ريب حقيقة كما في الآيات الكريمة المذكورة أو ادعاء كما في البيت
وقوله [قد أترك القرن مصفراً أنامله] وقوله [ولكنه قد يهلك المال نائله] والمراد بكثرة عليه تعالى
كثرة تعلقه وهو متعدد إلى اثنين وما بعده ساد مسددهما واسم إن ضمير الشأن وخبرها الجملة المفسرة له
والموصول فاعل يحزنك وعائده محذوف أي الذي يقولونه وهو ما حكي عنهم من قولهم إن هذا إلا أساطير
● الأولين ونحو ذلك وقرئ ليحزنك من أحزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى (فإنهم لا يكذبونك)
تعليل لما يشعر به الكلام السابق من النهي عن الاعتداد بما قالوا لكن لا بطريق التشاغل عنه وعده هينا
والإقبال التام على ما هو أهم منه من استعظام وجودهم بآيات الله عز وجل كما قيل فإنه مع كونه بمعزل
من التسلية بالكلية بما يوم كونه حزنه عليه الصلاة والسلام لخاصة نفسه بل بطريق التسلي بما يفيد من
بلوغه عليه الصلاة والسلام في جلالة القدر ورفعة المحل والزلفى من الله عز وجل إلى حيث لا غاية وراءه
حيث لم يقتصر على جعل تكذيبه ﷺ تكذيباً لا ياتيه سبحانه على طريقة قوله تعالى من يطع الرسول

وَلَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُم نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾

٦ الأنعام

- فقد أطاع الله بل نفى تكذيبهم عنه ﷺ وأثبت لآياته تعالى على طريقة قوله تعالى إن الذين يبايعونك إنما يبيعون الله إذنا بكال القرب واضمحلال شئونه ﷺ في شأن الله عز وجل نعم فيه استعظام لجناياتهم منبئ عن عظم عقوبتهم كأنه قيل لا تعتد به و كله إلى الله تعالى فإنهم في تكذيبهم ذلك لا يكذبونك في الحقيقة (ولكن الظالمين بآيات الله يحدون) أي ولكنهم بآياته تعالى يكذبون فوضع المظهر موضع المضمهر تسجيلا عليهم بالرسوخ في الظلم الذي جحدوه من فتنه والالتفات إلى الاسم الجليل لترية الممابة واستعظام ما أقدموا عليه من جحد آياته تعالى وإيراد الجحد في مورد التكذيب للإبذان بأن آياته تعالى من الوضوح بحيث يشاهد صدقها كل أحد وأن من ينكرها فإنما ينكرها بطريق الجحد الذي هو عبارة عن الإنكار مع العلم بخلافه كما في قوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم وهو المعنى بقول من قال أنه نفى ما في القلب إثباته أو إثبات ما في القلب نفيه والباء متعلقة بيجحدون يقال جحد حقه وبحقه إذا أنكره وهو يعلمه وقيل هو لتضمنين الجحد معنى التكذيب وأبأ ما كان فتقديم الجار والمجرور للقصر وقيل المعنى فإنهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يحدون بالسنتهم ويعضده ماروى من أن الأخنس بن شريق قال لأبي جهل يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فإنه ليس عندنا أحد غيرنا فقال له والله إن محمداً لصادق وما كذب قط ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فإذا يكون لسائر قريش فنزلت وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يسمى الأمين فعرفوا أنه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يحدون وقيل فإنهم لا يكذبونك لأنك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يحدون بآيات الله كما يروى أن أبا جهل كان يقول لرسول الله ﷺ ما تكذبك وإنك عندنا لصادق ولكننا نكذب ما جئتنا به فنزلت وكان صدق المخبر عند الخبيث بمطابقة خبره لا اعتقاده والأول هو الذي تستدعيه الجزالة التنزيلية وقرئ لا يكذبونك من الإكذاب فقيل كلاهما بمعنى واحد كما كثر وكثر وأنزل ونزل وهو الاظهر وقيل معنى أكذبه وجده كاذباً ونقل عن الكسائي أن العرب تقول كذبت الرجل أي نسبت الكذب إليه وأكذبه أي نسبت الكذب إلى ما جاء به لا إليه .
- وقوله تعالى (ولقد كذبت رسل من قبلك) افتنان في تسليته عليه الصلاة والسلام فإن عموم البلية ربما ٣٤ يهون أمرها بعض تهوين وإرشاد له عليه الصلاة والسلام إلى الاقتداء بمن قبله من الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام في الصبر على ما أصابهم من أهمهم من فنون الأذية وعدة ضمنية له عليه الصلاة والسلام بمثل ما منحوه من النصر وتصدير الكلام بالقسم لتأكيد التسلية وتنوين رسل للتفخيم والتكثير ومن إماما متعلقة بكذبت أو بمحذوف وقع صفة لرسل أي وبالله لقد كذبت من قبل تكذيبك رسل أولو شأن خطير وذوو عدد كثير أو كذبت رسل كانوا من زمان قبل زمانك (فصبروا على ما كذبوا) مامصدرية وقوله

وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ
فَتَأْتِيهِمْ بَغَايَةٌ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْخَاطِلِينَ ﴿٣٥﴾ ٦ الأنعام

- تعالى (وَأَوْذُوا) عطف على كذبوا داخل في حكمه فانسبك منهما مصدران من المبني للمفعول أى فصبروا على تكذيبهم وإيذاهم فتأس بهم واصطبر على ما نالك من قومك والمراد بإيذاهم إما عين تكذيبهم وإما ما يقارنه من فؤن الإيذاء لم يصرح به ثقة باستلزام التكذيب إيابه غالباً وأياماً كان ففيه تأكيد للتسليية
- وقيل عطف على صبروا وقيل على كذبت وقيل هو استئناف وقوله تعالى (حتى أتاهم نصرنا) غاية للصبر وفيه إيذان بأن نصره تعالى إياهم أمر مقرر لا مرد له وأنه متوجه إليهم لابد من إتيانه البتة والالتفات إلى نون العظمة لإبراز الاعتناء بشأن النصر وقوله تعالى (ولا مبدل لكلمات الله) اعتراض مقرر لما قبله من إتيان نصره إياهم والمراد بكلماته تعالى ما ينبيء عنه قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون وقوله تعالى كتب الله لأغلبن أنا ورسلي من المواعيد السابقة للرسول عليهم الصلاة والسلام الدالة على نصره رسول الله أيضاً لا نفس الآيات المذكورة ونظائرها فإن الإخبار بعدم تبدلها إنما يفيد عدم تبدل المواعيد الواردة إلى رسول الله ﷺ خاصة دون المواعيد السابقة للرسول عليهم الصلاة والسلام ويجوز أن يراد بكلماته تعالى جميع كلماته التي من جملتها تلك المواعيد الكريمة ويدخل فيها المواعيد الواردة في حقه عليه الصلاة والسلام دخولاً أولاً والالتفات إلى الاسم الجليل للإشعار بعلو الحكم فإن الأولوية من موجبات أن لا يغالبه أحد في فعل من الأفعال ولا يقع منه تعالى خلف في قول من الأقوال وقوله تعالى (ولقد جاءك من نبي المرسلين) جملة قسمية جيء بها لتحقيق ما منحوا من النصر وتأكيده ما في ضمنه من الوعد لرسول الله ﷺ أو لتقرير جميع ما ذكر من تكذيب الأمم وما ترتب عليه من الأمور والجار والمجرور في محل الرفع على أنه فاعل إما باعتبار مضمونه أى بعض نبي المرسلين أو بتقدير الموصوف أى بعض من نبي المرسلين كما مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله الآية وأياماً كان فالمراد بنبيهم عليهم السلام على الأول نصره تعالى إياهم بعد اللتيا والتي وعلى الثاني جميع ما جرى بينهم وبين أمهم على ما ينبيء عنه قوله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا الآية وقيل في محل النصب على الحالية من المستكن في جاء العائد إلى ما يفهم من الجملة السابقة أى ولقد جاءك هذا الخبر كائناً من نبي المرسلين (وإن كان كبر عليك إعراضهم) كلام مستأنف مسوق لنا كيد لإيجاب الصبر المستفاد من التسليية ٣٥
- بيان أنه أمر لا محيد عنه أصلاً أى إن كان عظم عليك وشق إعراضهم عن الإيمان بما جئت به من القرآن الكريم حسبما يفصح عنه ما حكى عنهم من تسميتهم له أساطير الأولين وتنايهم عنه ونهيهم الناس عنه وقيل إن الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف أتى رسول الله ﷺ في محضر من قرئش فقال يا محمد اتنا بآية من عند الله كما كانت الأنبياء تفعل وأنا أصدقك فأبى الله أن يأتي بآية بما اقترحوا فأعرضوا عن رسول

إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾

٦ الأنعام

- الله ﷻ فمدق ذلك عليه لما أنه عليه الصلاة والسلام كان شديد الحرص على إيمان قومه فكان إذا سألوا آية يود أن ينزلها الله تعالى طمعاً في إيمانهم فنزلت فقوله تعالى إعراضهم مرتفع بكبر وتقديم الجار والمجرور عليه لما مراراً من الاهتمام بالمقدم والنشويق إلى المؤخر والجملة في محل النصب على أنها خبر لكان مفسرة لاسمها الذي هو ضمير الشأن ولا حاجة إلى تقدير قد وقيل اسم كان إعراضهم وكبر جملة فعلية في محل النصب على أنها خبر لها مقدم على اسمها لأنه فعل رافع لضمير مستتر كما هو المشهور وعلى التقديرين فقوله تعالى (فإن استطعت) الخ شرطية أخرى محذوفة الجواب وقعت جواباً للشرط الأول والمعنى إن شق عليك إعراضهم عن الإيمان بما جئت به من البينات وعدم عدم لها من قبيل الآيات وأحببت أن يجيبهم إلى ما سألوه اقتراحاً فإن استطعت (أن تبغى نفقاً) أى سرباً ومنفذاً (في الأرض) تنفذ فيه إلى جوفها ● (أو سلماً) أى مصعداً (في السماء) تعرج به فيها (فتأتيهم) منهما (بآية) مما اقترحوه فافعل وقد جوز أن يكون ابتغواهما نفس الإتيان بالآية فالقاء في فتأتيهم حينئذ تفسيرية وتنوين آية للتفخيم أى فإن استطعت أن تبغيهما فتجعل ذلك آية لهم فافعل والظرفان متعلقان بمحذوفين هما نعتان لنفقاً وسلماً والأول للمجرد التأكيذ النفق لا يكون إلا في الأرض أو تبغى وقد جوز تعلقهما بمحذوف وقع حالاً من فاعل تبغى أى أن تبغى نفقاً كأنما أنت في الأرض أو سلماً كأنما في السماء وفيه من الدلالة على تبالغ حرصه عليه الصلاة والسلام على إسلام قومه وتراميه إلى حيث لو قدر على أن يأتي بآية من تحت الأرض أو من فوق السماء لفعل رجاء لإيمانهم مالا يخفى وإيشار الابتغاء على الاتخاذ ونحوه للإيذان بأن ما ذكر من النفق والسلم مما لا يستطيع ابتغاؤه فكيف باتخاذ (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) أى ولو شاء الله تعالى أن يجمعهم على ما أتم عليه من الهدى لفعله بأن يوفقهم الإيمان فيؤمنوا معكم ولكن لم يشأ لعدم صرف اختيارهم إلى جانب الهدى مع تمسكهم النام منه في مشاهدتهم للآيات الداعية إليه لأنه تعالى لم يوفقهم له مع توجههم إلى تحصيله وقيل لو شاء الله لجمعهم عليه بأن يأتيهم بآية ملجئة إليه ولكن لم يفعله لخروجه عن الحكمة وقوله تعالى (فلا تكونن من الجاهلين) نهى لرسول الله ﷺ عما كان عليه من الحرص الشديد على إسلامهم والميل إلى إتيان ما يقترحونه من الآيات طمعاً في إيمانهم مرتب على بيان عدم تعلق مشيئته تعالى بهدايتهم والمعنى وإذا عرفت أنه تعالى لم يشأ هدايتهم وإيمانهم بأحد الوجهين فلا تكونن بالحرص الشديد على إسلامهم أو الميل إلى نزول مقترحاتهم من الجاهلين بدقائق شئونه تعالى التي من جملتها ما ذكر من عدم تعلق مشيئته تعالى بإيمانهم أما اختياراً فلعدم توجههم إليه وأما اضطراراً فلخروجه عن الحكمة التشريعية المؤسسة على الاختيار ويجوز أن يراد بالجاهلين على الوجه الثاني المقترحون ويراد بالنهي منعه عليه الصلاة والسلام من المساعدة على اقتراحهم وإيرادهم بعنوان الجهل دون الكفر ونحوه لتحقيق مناط النهي الذي هو الوصف الجامع بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم (إنما يستجيب ٣٦

وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾

٦ الأنعام

الذين يسمعون (تقرير لما مر من أن على قلوبهم أكنة مانعة من الفقه وفي آذانهم وقراً حاجزاً من السماع وتحقيق لكونهم بذلك من قبيل الموتى لا يتصور منهم الإيمان البتة والاستجابة الإجابة المقارنة للقبول أى إنما يقبل دعوتك إلى الإيمان الذين يسمعون ما يلقى إليهم سماع تفهم وتدبردون الموتى الذين هؤلاء منهم كقوله تعالى إنك لا تسمع الموتى وقوله تعالى (والموتى يبعثهم الله) تمثيل لاختصاصه تعالى بالقدرة على توفيقهم للإيمان باختصاصه تعالى بالقدرة على بعث الموتى من القبور وقيل بيان لاستمرارهم على الكفر وعدم إقلاعهم عنه أصلاً على أن الموتى من القبور وقيل بيان مستعار للكفرة بناء على تشبيه جهلهم بموتهم أى وهؤلاء الكفرة يبعثهم الله تعالى من قبورهم (ثم إليه يرجعون) للجزاء فحينئذ يستجيبيون وأما قبل ذلك فلا سبيل إليه وقرئ يرجعون على البناء للفاعل من رجوع رجوعاً والمشهورة أو في بحق المقام لأنبائه عن كون مرجعهم إليه تعالى بطريق الاضطرار (وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه) حكاية لبعض آخر من أباطيلهم بعد حكاية ما قالوا في حق القرآن الكريم وبيان ما يتعلق به والفائلون رؤساء قريش وقيل الحرث بن عامر بن نوفل وأصحابه ولقد بلغت بهم الضلالة والطغيان إلى حيث لم يقتنعوا بما شاهدوا من البينات التي تخبر لها صم الجبال حتى اجترعوا على ادعاء أنها ليست من قبيل الآيات وإنما هي ما اقترحوه من الخوارق الملبجة أو المعقبة للعذاب كما قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء الآية والتنزيل بمعنى الإنزال كما ينهى عنه القراءة بالتخفيف فيما سياتى وما يفيد التعريض لعنوان ربوبيته تعالى له عليه الصلاة والسلام من الإشعار بالعلية إنما هو بطريق التعريض بالتهكم من جهتهم وإطلاق الآية في قوله تعالى (قل إن الله قادر على أن ينزل آية) مع أن المراد بها ما هو من الخوارق المذكورة لا آية ما من الآيات لفساد المعنى مجازاة معهم على زعمهم ويجوز أن يراد بها آية موجبة لهلاكهم كما ينزال ملائكة العذاب ونحوه على أن تنوينا للتفخيم والتوبيخ كما أن إظهار الاسم الجليل لتربية المهابة مع ما فيه من الإشعار بعلية القدرة الباهرة والاقتصار في الجواب على بيان قدرته تعالى على تنزيلها مع أنها ليست في حيز الإنكار الإبدان بأن عدم تنزيله تعالى إياها مع قدوته عليه لحكمة بالغة يجب معرفتها وهم عنها غافلون كما ينهى عنه الاستدراك بقوله تعالى (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أى ليسوا من أهل العلم على أن المفعول مطروح بالكلية أو لا يعلمون شيئاً على أنه محذوف مدلول عليه بقرينة المقام والمعنى أنه تعالى قادر على أن ينزل آية من ذلك أو آية أى آية ولكن أكثرهم لا يعلمون فلا يدرون أن عدم تنزيلها مع ظهور قدرته عليه لما أن في تنزيلها قلماً لأساس التكليف المبني على قاعدة الاختيار أو استئصالاً لهم بالكلية فيقترحونها جهلاً ويتخذون عدم تنزيلها ذريعة إلى التكذيب وتخصيص عدم العلم بأكثرهم لما أن بعضهم واقفون على حقيقة

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ امثالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾

٦ الأنعام

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَاءِ اللَّهُ يُضِلِّهِ وَمَنْ يَشَاءُ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾

٦ الأنعام

- الحال وإنما يفعلون ما يفعلون مكابرة وعناداً وقوله تعالى (وما من دابة في الأرض) الخ كلام مستأنف ٣٨ مسوق لبيان كمال قدرته عز وجل وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدلائل على أنه تعالى قادر على تنزيل الآية وإنما لا ينزلها محافظة على الحكم البالغة وزيادة من لنا كيد الاستغراق وفي متعلقة بمحذوف هو وصف لدابة مفيد لزيادة التعميم كأنه قيل وما فرد من أفراد الدواب يستقر في قطر من أقطار الأرض وكذا زيادة الوصف في قوله تعالى (ولا طائر يطير بجناحيه) مع ما فيه من زيادة التقرير أي ولا طائر من الطيور يطير في ناحية من نواحي الجو بجناحيه كما هو المشاهد المعتاد وقرئ ولا طائر بالرفع عطفاً على محل الجار والمجرور كأنه قيل وما دابة ولا طائر (إلا أمم) أي طوائف متخالفة والجمع باعتبار المعنى كأنه قيل وما من دواب ولا طير إلا أمم (أمثالكم) أي كل أمة منها مثلكم في أن أحوالها محفوظة وأمورها مقننة ومصالحها مرعية جارية على سنن السداد ومنظمة في سلك التقديرات الإلهية والتدبيرات الربانية (ما فرطنا في الكتاب من شيء) يقال فرط الشيء أي ضيعه وتركه قال ساعدة بن حوية معه سقاء لا يفرط حمله أي لا يتركه ولا يفارقه ويقال فرط في الشيء أي أهمل ما ينبغي أن يكون فيه وأغفله فقوله تعالى في الكتاب أي في القرآن على الأول ظرف لغو وقوله تعالى من شيء مفعول لفرطنا ومن مزيدة للاستغراق أي ما تركنا في القرآن شيئاً من الأشياء المهمة التي من جملتها بيان أنه تعالى مراعى لمصالح جميع مخلوقاته على ما ينبغي وعلى الثاني مفعول للفعل ومن شيء في موضع المصدر أي ما جعلنا الكتاب مفرطاً فيه شيئاً من التفريط بل ذكرنا فيه كل ما لا بد من ذكره وأياً ما كان فالجمللة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها وقيل الكتاب اللوح فالمراد بالاعتراض الإشارة إلى أن أحوال الأمم مستقصاة في اللوح المحفوظ غير مقصورة على هذا القدر المجمل وقرئ فرطنا بالتخفيف وقوله تعالى (ثم إلى ربهم يحشرون) بيان لأحوال الأمم المذكورة في الآخرة بعد بيان أحوالها في الدنيا وإيراد ضميرها على صيغة جمع العقلاء لإجرائها مجزأهم والتعبير عنها بالأمم أي إلى مالك أمورهم يحشرون يوم القيامة كدأبكم لا إلى غيره فيجازيهم فينصف بعضهم من بعض حتى يبلغ من عدله أن يأخذ للجها من القرناء وقيل حشرها موتها وبأباه مقام تهويل الخطب وتفضيع الحال وقوله تعالى (والذين كذبوا بآياتنا) متعلق بقوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء ٣٩ والموصول عبارة عن المعبودين في قوله تعالى ومنهم من يستمع إليك الآيات ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده أي أوردنا في القرآن جميع الأمور المهمة وأزحنا به العلل والأعذار والذين كذبوا بآياتنا

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ الأنعام

بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٦﴾ الأنعام

- التي هي منه (صم) لا يسمعونها سمع تدبر وفهم فلذلك يسمونها أساطير الأولين ولا يعدونها من
- الآيات ويقترحون غيرها (وبكم) لا يقدرّون على أن ينطقوا بالحق ولذلك لا يستجيبون دعوتك بها
- وقوله تعالى (في الظلمات) أي في ظلمات الكفر أو ظلمات الجهل والعناد والتقليد إما خبر ثان للبتدأ على أنه عبارة عن العمى كما في قوله تعالى صم بكم عمى وإما متعلق بمحذوف وقع حالا من المستكن في الخبر كأنه قيل ضالون كائنين في الظلمات أو صفة لبكم أي بكم كائنون في الظلمات والمراد به بيان كمال عراقتهم في الجهل وسوء الحال فإن الأصم إذا كان بصيراً ربما يفهم شيئاً بإشارة غيره وإن لم يفهمه بعبارة غيره وكذا يشعر غيره بما في ضميره بالإشارة وإن كان معزولاً عن العبارة وأما إذا كان مع ذلك أعمى أو كان في الظلمات فينسند عليه باب الفهم والتفهم بالكلية وقوله تعالى (من يشأ الله يضلله) تحقيق للحق وتقرير لما سبق من حالهم ببيان أنهم من أهل الطبع لا يتأتى منهم الإيمان أصلاً فن مبتدأ خبره ما بعد ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة من وقوعها شرطاً وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة في تعلقها به أي من يشأ الله إضلاله أي أن يخلق فيه الضلال يضلله أي يخلق فيه لكن لا ابتداء بطريق الجبر من غير أن يكون له دخل ما في ذلك بل عند صرف اختياره إلى كسبه وتحصيله وقس عليه قوله تعالى (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) لا يضل من ذهب إليه ولا يزل من ثبت قدمه عليه (قل أرايتكم) أمر لرسول الله ﷺ بأن يسكتهم ويلقمهم الحجة بما لا سبيل لهم إلى النكير والكاف حرف جى به لتأكيد الخطاب لا محل له من الإعراب ومبنى التركيب وإن كان على الاستخبار عن الرؤية فليبية كانت أو بصرية لكن المراد به الاستخبار عن متعلقها أي أخبروني (إن أنا كم عذاب الله) حسبما أتى الأمم السابقة من أنواع العذاب الديوى (أو أتكم الساعة) التي لا يحصى عنها البنة (أغير الله تدعون) هذا مناط الاستخبار ومحط التبيكيت وقوله تعالى (إن كنتم صادقين) متعلق بأرايتكم مؤكداً للتبيكيت كاشف عن كذبهم وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه أي إن كنتم صادقين في أن أصنامكم آلهة كما أنها دعواكم المعروفة أو إن كنتم قوماً صادقين فأخبروني أغير الله تدعون إن أنا كم عذاب الله الخ فإن صدقهم بأي معنى كان من موجبات إخبارهم بدعائهم غيره سبحانه وأما جعل الجواب ما يدل عليه قوله تعالى أغير الله تدعون أعني فادعوه على أن الضمير لغير الله فدخل بجزالة النظم الكريم كيف لا والمطلوب منهم إنما هو الإخبار بدعائهم غيره تعالى عند إتيان ما يتأتى لأنفس دعائهم إياه وقوله تعالى (إبل إياه تدعون) عطف على جملة منفية بنى عنها الجملة التي تعلق بها الاستخبار إنباء جليلاً كأنه قيل لا غيره تعالى تدعون بل إياه تدعون وقوله تعالى (فيكشف ما تدعون إليه) أي إلى كشفه عطف على تدعون أي فيكشفه إثر دعائكم وقوله تعالى (إن شاء) أي إن شاء كشفه لبيان أن قبول دعائهم غير مطرد بل هو تابع

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَاسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ ٦ الأنعام

فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ٦ الأنعام

فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا

هُمْ مُبْتَلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ٦ الأنعام

- لمشيئته المبنية على حكم خفية قد استأثر الله تعالى بعلمها فقد يقبله كما في بعض دعواتهم المتعلقة بكشف العذاب الديني وقد لا يقبله كما في بعض آخر منها وفي جميع ما يتعلق بكشف العذاب الآخروي الذي من جملة الساعة وقوله تعالى (وتنسون ما تذكرون) أي تتركون ما تذكرون به تعالى من الأصنام تركاً كلياً عطف على تدعون أيضاً وتوسيط الكشف بينهما مع تقاربهما وتأخر الكشف عنهما لإظهار كمال العناية بشأن الكشف والإيدان بترتبه على الدعاء خاصة وقوله تعالى (ولقد أرسلنا) كلام مستأنف مسوق لبيان أن منهم من لا يدعو الله تعالى عند إتيان العذاب أيضاً لتأديهم في الغي والضلال لا يتأثرون بالزواج التكوينية كما لا يتأثرون بالزواج التنزيلية وتصديره بالجملة القسمية لإظهار مزيد الاهتمام بمضمونه ومفعول أرسلنا محذوف لما أن مقتضى المقام بيان حال المرسل إليهم لا حال المرسلين أي وبالله لقد أرسلنا رسلاً (إلى أمم) كثيرة (من قبلك) أي كائنة من زمان قبل زمانك (فأخذناهم) أي فكذبوا رسلاًهم فأخذناهم (بالباساء) أي بالشدة والفقر (والضراء) أي الضروا الآفات وهما صيغتان تأنيت لا مذكر لهما (لعلهم يتضرعون) أي لكي يدعوا الله تعالى في كشفها بالتضرع والتذلل ويتوبوا إليه من كفرهم ومعاصيهم (فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا) أي فلم يتضرعوا حينئذ مع تحقق ما يستدعيه (ولكن قست قلوبهم) ٤٣ استدراك عما قبله أي فلم يتضرعوا إليه تعالى برقة القلب والخضوع مع تحقق ما يدعونه إليه ولكن ظهر منهم نقيضه حيث قست قلوبهم أي استمرت على ما هي عليه من القساوة أو ازدادت قساوة كقوله لم يكرمني إذ جنته ولكن أهانني (وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) من الكفر والمعاصي فلم يخطرأ يبالهم أن ما اعتراهم من البأساء والضراء ما اعتراهم إلا لأجله وقيل الاستدراك لبيان أنه لم يكن لهم في ترك التضرع عذر سوى قسوة قلوبهم والإعجاب بأعمالهم التي زينها الشيطان لهم وقوله تعالى (فلانسا وماذكروا به) عطف على مقدر ينساق إليه النظم الكريم أي فأنهم كفوا فيه ونسوا ماذكروا به من البأساء والضراء فلما نسوا (فتحنا عليهم أبواب كل شيء) من فنون النعماء على مناجاة الاستدراج لما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال يكر بالقوم ورب الكعبة وقرى فتحنا بالتشديد للتكثير وفي ترتيب الفتح على النسيان المذكور إشعار بأن التذكر في الجملة غير خال عن النفع وحتى في قوله تعالى (حتى إذا فرحوا بما أوتوا) هي التي يبتدأها الكلام دخلت على الجملة الشرطية كما في قوله تعالى حتى إذا جاء أمرنا الآية ونظائره وهي

فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ ٦ الأنعام

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظُرْ
كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ ٦ الأنعام

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ ٦ الأنعام

- مع ذلك غاية لقوله تعالى فتحنا أو لما يدل هو عليه كأنه قيل ففعلوا ما فعلوا حتى إذا اطمأنوا بما أتيح لهم وبطروا وأشروا (أخذناهم بغتة) أى نزل بهم عذابنا فجأة ليكون أشد عليهم وقمأ وأقطع هو لا (فإذا هم مبلسون) متحسرون غاية الحسرة آيسون من كل خير واجهون وفي الجملة الاسمية دلالة على استقرارهم على تلك الحالة الفظيعة (فقطعت دابر القوم الذين ظلموا) أى آخرهم بحيث لم يبق منهم أحد من دبره دبراً ودبوراً أى تبعه ووضع الظاهر موضع الضمير للإشعار بعملة الحكم فإن هلاكهم بسبب ظلمهم الذى هو وضع الكفر موضع الشكر وإقامة المعاصى مقام الطاعات (والحمد لله رب العالمين) على ما جرى عليهم من النكال فإن إهلاك الكفار والعصاة من حيث إنه تخليص لأهل الأرض من شؤم عقائدهم الفاسدة وأعمالهم الخبيثة نعمة جليلة مستجلبة للحمد لا سيما مع ما فيه من إعلاء كلمة الحق التى نطقت بها رسلهم عليهم السلام (قل أرايتم) أمر لرسول الله ﷺ بتكرير التبكيت عليهم وتثنية الإلزام بعد تكملة الإلزام الأول ببيان أنه أمر مستمر لم يزل جارياً فى الأمم وهذا أيضاً استخبار عن متعلق الرؤية وإن كان بحسب الظاهر استخباراً عن نفس الرؤية (إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم) بأن أصمكم وأعماكم بالكلية (وختم على قلوبكم) بأن غطى عليها بما لا يبقى لكم معه عقل وفهم أصلاً وتصيرون مجانين ويجوز أن يكون الختم عطفاً تفسيرياً للأخذ المذكور فإن السمع والبصر طريقان للقلب منهما يرد ما يرد من المدركات فأخذها سد لبابه بالكلية وهو السر فى تقديم أخذها على ختمها وأما تقديم السمع على الإبصار فلأنه مورد الآيات القرآنية وإفراده لما أن أصله مصدر وقوله تعالى (من إله) مبتدأ وخبر ومن استفهامية وقوله تعالى (غير الله) صفة للخبر وقوله تعالى (يأتىكم به) أى بذاك على أن الضمير مستعار لاسم الإشارة أو بما أخذ وختم عليه صفة أخرى له والجملة متعلق الرؤية ومناط الاستخبار أى أخبرونى إن سلب الله مشاعركم من إله غيره تعالى يأتىكم بها وقوله تعالى (انظر كيف نصرف الآيات) تعجيب لرسول الله ﷺ من عدم تأثرهم بما عاينوا من الآيات الباهرة أى انظر كيف نكررها ونقررها مصروفة من أسلوب إلى أسلوب تارة بترتيب المقدمات العقلية وتارة بطريق الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير (ثم هم يصدفون) عطف على نصرف داخل فى حكمه وهو العمدة فى التعجيب وثم لاستبعاد صدوفهم أى إعراضهم عن تلك الآيات بعد تصريفها على هذا النمط البديع الموجب للإقبال عليها (قل أرايتكم) تبكيت آخر لهم بالجائهم إلى الاعتراف باختصاص للعذاب بهم (إن أناكم عذاب الله) أى

وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾

٦ الأنعام

- عذابه العاجل الخاص بكم كما أتى من قبلكم من الأمم (بغثة) أى فجأة من غير أن يظهر منه مخايل الإتيان
- وحيث تضمن هذا معنى الخفية قبل بقوله تعالى (أوجرة) أى بعد ظهور أماراته وعلائمه وقيل ليلاً أو نهاراً كما فى قوله تعالى بياناً أو نهاراً لما أن الغالب فيما أتى ليلاً البغثة وفيما أتى نهاراً الجهرة وقرىء بغثة أوجرة وهما فى موضع المصدر أى إتيان بغثة أو إتيان جهرة وتقديم البغثة لكونها أهول وأفظع وقوله تعالى (هل يهلك) متعلق الاستخبار والاستفهام للتقرير أى قل لهم تقريراً لهم باختصاص الهلاك بهم
- أخبروني إن أتاكم عذابه تعالى حسبما تستحقونه هل يهلك بذلك العذاب إلا أنتم أى هل يهلك غيركم من لا يستحقه وإنما وضعه ووضع (إلا القوم الظالمون) تسجيلاً عليهم بالظلم وإيداناً بأن مناط إهلاكهم ظلمهم الذى هو وضعهم الكفر موضع الإيمان وقيل المراد بالظالمين الجنس وهم داخلون فى الحكم دخولا أولياً قال الزجاج هل يهلك إلا أنتم ومن أشبهكم ويأباه تخصيص الإتيان بهم وقيل الاستفهام بمعنى الذى فتعلق الاستخبار حينئذ مخدوف كأنه قيل أخبروني إن أتاكم عذابه تعالى بغثة أو جهرة ماذا يكون الحال ثم قيل بياناً لذلك ما يهلك إلا القوم الظالمون أى ما يهلك بذلك العذاب الخاص بكم إلا أنتم فمن قيد إهلاكهم بهلك التعذيب والسخط لتحقيق الحصر بإخراج غير الظالمين لما أنه ليس بطريق التعذيب والسخط بل بطريق الإثابة ورفع الدرجة فقد أهمل ما يجديه واشتغل بما لا يعينه وأخل بجزالة النظم الكريم وقرىء هل يهلك من الثلاثى (وما نرسل المرسلين) كلام مستأنف مسوق لبيان وظائف منصب الرسالة على ٤٨ الإطلاق وتحقيق ما فى عهدة الرسل عليهم السلام وإظهار أن ما يقترحه الكفرة عليه عليه السلام ليس مما يتعلق بالرسالة أصلاً وصيغة المضارع لبيان أن ذلك أمر مستمر جرت عليه العادة الإلهية وقوله تعالى (إلا مبشرين ومنذرين) حالان مقدرتان من المرسلين أى ما نرسلهم إلا مقدرتين تبشيرهم وإنذارهم فقيهما معنى العلة الغائية قطعاً أى لبشروا قومهم بالثواب على الطاعة وإنذروهم بالعذاب على المعصية أى ليخبروهم بالخبر السار والخبر الضار دينياً كان أو أخروبياً من غير أن يكون لهم دخل ما فى وقوع المخبر به أصلاً وعليه يدور القصر والإلزام أن لا يكون بيان الشرائع والأحكام من وظائف الرسالة والفاء فى قوله تعالى (فمن آمن وأصلح) لترتيب ما بعدها على ما قبلها ومن موصولة والفاء فى قوله تعالى (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) لشبه الموصول بالشرط أى لا خوف عليهم من العذاب الذى أنذروه دينياً كان أو أخروبياً ولا هم يحزنون بفوات ما بشروا به من الثواب العاجل والآجل وتقديم نفى الخوف على نفى الحزن لمراعاة حق المقام وجمع الضمائر الثلاثة الراجعة إلى من باعتبار معناها كما أن أفراد الضميرين السابقين باعتبار لفظها أى لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا أنه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والمراد بيان دوام انتفائها لا بيان انتفاء دوامها كما بوجه كون الخبر فى الجملة الثانية مضارعاً

وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايُنِنَا يَمْسُهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ ٦ الأنعام

قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا

مَأْيُوحَتِي إِلَى قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ ٦ الأنعام

لما تقرر في موضعه من أن النفي وإن دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب
المقام ألا يرى أن الجملة الاسمية تدل بمعونة المقام على استمرار الثبوت فإذا دخل عليها حرف النفي
دلت على استمرار الانتفاء لا على انتفاء الاستمرار كذلك المضارع الخالي عن حرف النفي يفيد
استمرار الثبوت فإذا دخل عليه حرف النفي يفيد استمرار الانتفاء لا انتفاء الاستمرار ولا بعد في
ذلك فإن قولك ما زيداً ضربت مفيد لاختصاص النفي بالنفي الاختصاص كما بين في محله وقوله عز وجل
(والذين كذبوا) عطف على من آمن داخل في حكمه وقوله تعالى (بآياتنا) إشارة إلى أن ما ينطق به الرسل
عليهم السلام عند التبشير والإنذار ويبلغونه إلى الأمم آياته تعالى وأن من آمن به فقد آمن بآياته تعالى
ومن كذب به فقد كذب بها وفيه من الترغيب في الإيمان به والتحذير عن تكذيبه ما لا يخفى والمعنى ما نرسل
المرسلين إلا ليخبروا أممهم من جهتنا بما سيقع منا من الأمور السارة والضارة لا ليقعوها استقلالاً
من تلقاء أنفسهم أو استدعاء من قبلنا حتى يقترحوا عليهم ما يقترحون فإذا كان الأمر كذلك فمن آمن
بما أخبروا به من قبلنا تبشيراً أو إنذاراً في ضمن آياتنا وأصلح ما يجب لإصلاحه من أعماله أو دخل في
الصلاح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا التي بلغوها عند التبشير والإنذار (بمسهم
العذاب) أي العذاب الذي أنذروه عاجلاً أو آجلاً أو حقيقة العذاب وجنسه المنتظم له انتظاماً أولاً
(بما كانوا يفسقون) أي بسبب فسقهم المستمر الذي هو الإصرار على الخروج عن التصديق والطاعة
٥٠ (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله) استئناف مبني على ما أسس من السنة الإلهية في شأن إرسال الرسل
وإنزال الكتب مسوق لإظهار تبرئه ﷺ عما يدور عليه مقترحاتهم أي قل للكفرة الذين يقترحون
عليك تارة تنزيل الآيات وأخرى غير ذلك لا أدعي أن خزائن مقدوراته تعالى مفوضة إلى أنصرف
فيها كيفما أشاء استقلالاً أو استدعاء حتى تقترحوا على تنزيل الآيات وإنزال العذاب أو قلب الجبال ذهباً
● أو غير ذلك مما لا يليق بشأني وجعل هذا تبرؤاً عن دعوى الإلهية بما لا وجه له قطعاً وقوله تعالى (ولا
أعلم الغيب) عطف على محل عندي خزائن الله أي ولا أدعي أيضاً أني أعلم الغيب من أفعاله تعالى حتى
● تسألوني عن وقت الساعة أو وقت نزول العذاب أو نحوهما (ولا أقول لكم إنني ملك) حتى تكلفوني
من الأقاويل الخارقة للعادات ما لا يطبق به البشر من الرقي في السماء ونحوه أو تعدوا عدم اتصافي
بصفاتهم قادحاً في أمرى كما ينبغي عنه قولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق والمعنى
أنى لا أدعي شيئاً من هذه الأشياء الثلاثة حتى تقترحوا على ما هو من آثارها وأحكامها وتجعلوا عدم
إجابتى إلى ذلك دليلاً على عدم صحة ما أدعيه من الرسالة التي لا تعلق لها بشيء مما ذكر قطعاً بل إنما هي

وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّهُمْ
يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾

٦ الأنعام

- عبارة عن تلقى الوحي من جهة الله عز وجل والعمل بمقتضاه فحسب حسبما ينبي عنه قوله تعالى (إن أتبع إلا ما يوحى إلى) لا على معنى تخصيص اتباعه ﷺ بما يوحى إليه دون غيره بتوجيه القصر إلى المفعول بالقياس إلى مفعول آخر كما هو الاستعمال الشائع الوارد على توجيه القصر إلى ما يتعلق بالفعل باعتبار النفي في الأصل والإثبات في القيد بل على معنى تخصيص حاله ﷺ باتباع ما يوحى إليه بتوجيه القصر إلى نفس الفعل بالقياس إلى ما يفرضه من الأفعال لكن لا باعتبار النفي والإثبات معاً في خصوصية فإن ذلك غير ممكن قطعاً بل باعتبار النفي فيما يتضمنه من مطلق الفعل والإثبات فيما يقارنه من المعنى المخصوص فإن كل فعل من الأفعال الخاصة كنصر مثلاً ينحل عند التحقيق إلى معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل وإلى معنى خاص يقومه فإن معناه فعل النصر يرشدك إلى ذلك قولهم معنى فلان يعطى ويمنع بفعل الإعطاء والمنع فورد القصر في الحقيقة ما يتعلق بالفعل بتوجيه النفي إلى الأصل والإثبات إلى القيد كأنه قيل ما أفعل إلا اتباع ما يوحى إلى من غير أن يكون لى مدخل ما فى الوحي أو فى الموحى بطريق الاستدعاء أو بوجه آخر من الوجوه أصلاً (قل هل يستوى الأعمى والبصير) مثل للضال والمتمدى على الإطلاق والاستفهام إنكارى والمراد إنكار استواء من لا يعلم ما ذكر من الحقائق ومن يعلمها وفيه من الإشعار بكال ظهورها ومن التنفير عن الضلال والترغيب فى الاهتداء ما لا يخفى وتكرير الأمر لثنية التبكيت وتأكيده الإلزام وقوله تعالى (أفلا تتفكرون) تفریع وتویيح داخل تحت الأمر والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى ألا تسمعون هذا الكلام الحق فلا تتفكرون فيه أو أن تسمعون فلا تتفكرون فيه فمناط التوبيخ فى الأول عدم الأمرين معاً وفى الثانى عدم التفكير مع تحقق ما يوجهه (وأنذره الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم) بعد ما حكى لرسول الله ﷺ أن من الكفرة قوم لا يتعظون بتصرف الآيات الباهرة ولا يتأثرون بمشاهدة المعجزات القاهرة قد إيفت مشاعرهم بالكلية والتحقوا بالأموات وقرر ذلك بأن كرر عليهم من فنون التبكيت والإلزام ما يلزمهم الحجر أى إلزام فابوا إلا الإباء والنكير وما نفع فيهم عظة ولا تذكير وما أفادهم الإنذار إلا الإصرار على الإنكار أمر عليه الصلاة والسلام بتوجيه الإنذار إلى من يتوقع منهم التأثر فى الجملة وهم المجوزون منهم للحشر على الوجه الآتى سواء كانوا جازمين بأصله كآهل الكتاب وبعض المشركين المعترفين بالبعث المترددين فى شفاعة آبائهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كالأولين أو فى شفاعة الأصنام كالآخرين أو مترددين فيهما معاً كبعض الكفرة الذين يعلم من حالهم أنهم إذا سمعوا بحديث البعث يخافون أن يكون حقاً وأما المنكرون للحشر رأساً والقائلون به القاطعون بشفاعة آبائهم أو بشفاعة الأصنام فهم خارجون بمن أمر بإنذارهم وقد قيل هم المفرطون فى الأعمال من المؤمنين ولا يساعده سباق النظم الكريم ولا سباقه بل فيه ما يقضى باستحالة صحته كما ستقف عليه

وَلَا تَطْرُدُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ
وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾

٦ الأنعام

والضمير المجرور لما يوحى أو لما دل هو عليه من القرآن والمفعول الثاني الإنذار إما العذاب الآخرى
المدلول عليه بما في حيز الصلة وإما مطلق العذاب الذي ورد به الوعيد والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة
عن المالكية المطلقة والتصرف الكلى لتربية المهابة وتحقيق المخافة وقوله تعالى (ليس لهم من دونه ولي
ولا شفيع) في حيز النصب على الحالية من ضمير يحشروا ومن متعلقة بمحذوف وقع حالا من اسم ليس
لأنه في الأصل صفة له فلما قدم عليه انتصب حالا خلا أن الحال الأولى لإخراج الحشر الذي لم يقيد
بها عن حيز الخوف وتحقيق أن ما ينط به الخوف هو الحشر على تلك الحالة لا الحشر كيفما كان ضرورة
أن المعترفين به الجازمين بنصرة غيره تعالى بمنزلة المنكرين له في عدم الخوف الذي عليه يدور أمر الإنذار
وأما الحال الثانية فليست لإخراج الولي الذي لم يقيد بها عن حيز الانتفاء لفساد المعنى لاستلزام ثبوت
ولايته تعالى لهم كما في قوله تعالى ومالك من دون الله من ولي ولا نصير بل لتحقيق مدار خوفهم وهو
فقدان ما علقوا به رجاءهم وذلك إنما هو ولاية غيره سبحانه وتعالى في قوله تعالى ومن لا يجب داعي
الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء والمعنى أنذر به الذين يخافون أن يحشروا غير
منصورين من جهة أنصارهم على زعمهم ومن هذا اتضح أن لا سبيل إلى كون المراد بالخائفين المفرطين
من المؤمنين إذ ليس لهم ولي سواه تعالى ليخافوا الحشر بدون نصرته وإنما الذي يخافونه الحشر بدون
نصرته عز وجل وقوله تعالى (لعلمهم يتقون) تعليل للأمر أي أنذرهم لكي يتقوا الكفر والمعاصي أو
٥٢ حال من ضمير الأمر أي أنذرهم راجياً تقواهم أو من الموصول أي أنذرهم مرجوا منهم التقوى (ولا
تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) لما أمر ﷺ بإنذار المذكورين لينتظموا في سلك المتقين نهى
ﷺ عن كون ذلك بحيث يؤدي إلى طردهم روى أن رؤساء من المشركين قالوا الرسول الله ﷺ لو طردت
هؤلاء الأعداء وأرواح جبابهم يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان وأضرابهم رضى
الله تعالى عنهم جلسنا إليك وحادثناك فقال ﷺ ما أنا بطارد المؤمنين فأقولوا فاقمهم عنا إذا جئنا فإذا قمنا
فأقدمهم معك إن شئت قال ﷺ نعم طمعاً في إيمانهم . وروى أن عمر رضى الله تعالى عنه قال له عليه
الصلاة والسلام لو فعلت حتى ننظر إلى ما يصيرون وقيل إن عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن
عدي والحارث بن نوفل وقرصة بن عبيد وعمر بن نوفل وأشراف بن عبد مناف من أهل الكفرة أتوا
أبا طالب فقالوا يا أبا طالب لو أن ابن أخيك محمداً يطرد منا والينا وحلفاءنا وهم عبيدنا وعتقاؤنا كان أعظم
في صدورنا وأدنى لاتباعنا إياه فأتى أبا طالب إلى النبي ﷺ لحدثه بالذي كلبوه فقال عمر رضى الله عنه لو
فعلت ذلك حتى ننظر ما الذي يريدون وإلى ما يصيرون وقال سلمان وخباب فينا نزلت هذه الآية جاء
الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وعباس بن مرداس وذو وهم من المؤلفة قلوبهم

وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ
بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾

٦ الأنعام

- فوجدوا النبي ﷺ جالسا مع أناس من ضعفاء المؤمنين فلما رأوهم حوله ﷺ حقروهم فاتوه عليه الصلاة والسلام فقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المسجد ونفيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم لخالسناك وحادثناك وأخذنا عنك فقال ﷺ ما أنا بطارد المؤمنين قالوا فإننا نحب أن نجعل لنا معك مجلسا نعرف لنا به العرب فضلنا فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا مع هؤلاء الأعداء فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت قال ﷺ نعم قالوا فاكتب لنا كتابا فدعا بالصحيفة وبعلى رضى الله تعالى عنه ليكتب ونحن نقعد في ناحية فنزل جبريل عليه السلام بالآية فرمى عليه السلام بالصحيفة ودعانا فأقيناؤه جلسنا عنده وكنا ندنونه حتى تمس ركبتنا ركبته وكان يقوم عنا إذا أراد القيام فزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا إلى أن نقوم عنه وقال الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أمرنى أن أصبر نفسى مع قوم من أمتى معكم المحبا ومعكم الملمات والمراد بذكر الوقتين الدوام وقيل صلاة الفجر والعصر وقرىء بالعدوة وقوله تعالى (يريدون وجهه) حال من ضمير يدعون أى يدعونه تعالى ●
- مخلصين له فيه وتقييده به لنا كيد عليته للنهى فإن الإخلاص من أقوى موجبات الإكرام المضاد للطرد وقوله تعالى (ما عليك من حسابهم من شيء) اعتراض وسط بين النهى وجوابه تقرير أنه ودفعاً لما عسى يتوهم كونه مسوغاً لطردهم من أفابل الطاعنين في دينهم كدأب قوم نوح حيث قالوا ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادی الراى أى ما عليك شيء ما من حساب إيمانهم وأعمالهم الباطنة حتى تصدى له وتبنى على ذلك ما تراه من الأحكام وإنما وظيفتك حسبها هو شأن منصب النبوة اعتبار ظواهر الأعمال وإجراء الأحكام على موجبها وأما بواطن الأمور فحسابها على العليم بذات الصدور كقوله تعالى إن حسابهم إلا على ربى وذكر قوله تعالى (وما من حسابك عليهم من شيء) مع أن الجواب قد تم بما قبله للغة في بيان انتفاء كون حسابهم عليه ﷺ بنظمه في سلك ما لا شبهة فيه أصلاً وهو انتفاء كون حسابهم ﷺ عليهم على طريقة قوله تعالى لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وأما ما قبل من أن ذلك لتنزىل الجملتين منزلة جملة واحدة لتأدية معنى واحد على نهج قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى فغير حقيق بجملة شأن التنزىل وتقديم عليك في الجملة الأولى للقصد إلى إيراد النهى على اختصاص حسابهم به ﷺ إذ هو الداعى إلى تصديده ﷺ لحسابهم وقيل الضمير للشركين والمعنى إنك لا تأخذ بحسابهم حتى يهلك إيمانهم ويدعوك الحرص عليه إلى أن تطرد المؤمنين وقوله تعالى (فطردهم) جواب النهى وقوله تعالى (فتكون من الظالمين) جواب النهى وقد جوز عطفه على فطردهم على طريقة التسبيب وليس بذاك (وكذلك فتنا بعضهم ببعض) استئناف مبين لما نشأ عنه ما سبق من النهى وذلك إشارة إلى ٥٣ مصدر ما بعده من الفعل الذى هو عبارة عن تقديمه تعالى لفقراء المؤمنين في أمر الدين بتوفيقهم للإيمان

وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُمْ
عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بَظَاهِرٍ لِّمَن يَنظُرُ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦﴾

٦ الأثام

مع ما هم عليه في أمر الدنيا من كمال سوء الحال وما فيه من معنى البعد للإبذان بعلو درجة المشار إليه وبعد منزلته في الكمال والكاف مقحمة لنا كيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة ومحلها في الأصل النصب على أنه نعت لمصدر مؤكد محذوف والتقدير فتننا بعضهم ببعض فتونا كأننا مثل ذلك الفتون ثم قدم على الفعل لإفادة القصر المفيد لعدم القصور فقط واعتبرت الكاف مقحمة فصار نفس المصدر المؤكد لانعتا له والمعنى ذلك الفتون الكامل البديع فتننا أي ابتلينا بعض الناس ببعضهم لا فتونا غيره حيث قدمنا الآخرين في أمر الدين على الأولين المتقدمين عليهم في أمر الدنيا تقدماً كلياً واللام في قوله تعالى (ليقولوا) للعائبة أي ليقول البعض الأولين مشيرين إلى الآخرين محقرين لهم نظراً إلى ما بينهما من التفاوت الفاحش الديني وتعامياً عما هو مناط التفضيل حقيقة (أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) بأن وفقهم لإصابة الحق ولما يسعدهم عنده تعالى من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء وغرضهم بذلك إنكار وقوع المن راساً على طريقة قولهم لو كان خيراً ما سبقونا إليه لاحتقير المؤمنون عليهم مع الاعتراف بوقوعه بطريق الاعتراض عليه تعالى وقوله تعالى (أليس الله بأعلم بالشاكرين) رد لقولهم ذلك وإبطال له وإشارة إلى أن مدار استحقاق الإنعام معرفة شأن النعمة والاعتراف بحق المنعم والاستفهام لتقرير علمه الباطح بذلك أي أليس الله بأعلم بالشاكرين لنعمه حتى تستبعدوا إنعامه عليهم وفيه من الإشارة إلى أن أولئك الضعفاء عارفون بحق نعم الله تعالى في تنزيل القرآن والتوفيق للإيمان شاكرون له تعالى على ذلك مع التعريض بأن القائلين بمعزل من ذلك كله مالا يخفى (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا) هم الذين نهى عن طردهم وصفوا بالإيمان بآيات الله عز وجل كما وصفوا بالمداومة على عبادته تعالى بالإخلاص تنبيهاً على إحرازهم لفضيلتي العلم والعمل وتأخير هذا الوصف مع تقدمه على الوصف الأول لما أن مدار الوعد بالرحمة والمغفرة هو الإيمان بها كما أن مناط النهي عن الطرد فيها سبق هو المداومة على العبادة وقوله تعالى (فقل سلام عليكم) أمر بتبشيرهم بالسلامة عن كل مكروه بعد إنذار مقابلتهم وقيل بتبليغ سلامه تعالى إليهم وقيل بأن يبدأهم بالسلام وقوله تعالى (كتب ربكم على نفسه الرحمة) أي قضاهما وأوجبها على ذاته المقدسة بطريق التفضل والإحسان بالذات لا بتوسط شيء ما أصلاً تبشير لهم بسعة رحمته تعالى وببيل المطالب لئلا تبشيرهم بالسلامة عن المكروه وقوله التوبة منهم وفي التعريض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم إظهار اللطف بهم والإشعار بعلو الحكم وقيل إن قوماً جاءوا إلى النبي ﷺ فقالوا إنا أصبنا ذنوباً عظيماً فلم يرد عليهم شيئاً فانصرفوا فنزلت وقوله تعالى (أنه من عمل منكم سوءاً) بدل من الرحمة وقرئ بكسر إله على أنه تفسير للرحمة بطريق الاستئناف وقوله تعالى (بجهالة) حال من فاعل عمل أي عمله وهو جاهل بحقيقة ما يتبعه من المضار والتقييد بذلك للإبذان بأن المؤمن لا يباشر ما يعلم أنه

٦ الأنعام

وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾

قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا آتِبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ

٦ الأنعام

إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾

قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ

٦ الأنعام

الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ ﴿٥٧﴾

- يؤدي إلى الضرر أو عمله ملتبساً بجهالة (ثم تاب من بعده) أي من بعد عمله أو من بعد سقمه (واصلح)
- أي ما أفسده تداركاً وعزماً على أن لا يعود إليه أبداً (فأنه غفور رحيم) أي فأمره أنه غفور رحيم أو فله أنه غفور رحيم وقرئ: فإنه بالكسر على أنه استئناف وقع في صدر الجملة الواقعة خبراً لمن على أنها موصولة أو جواباً لها على أنها شرطية (وكذلك نفصل الآيات) قد مر آنفاً ما فيه من الكلام أي هذا التفصيل ٥٥
- البديع نفصل الآيات في صفة أهل الطاعة وأهل الإجمام المصيرين منهم والآخرين (ولتستبين سبيل المجرمين) بتأنيث الفعل بناء على تأنيث الفاعل وقرئ: بالتذكير بناء على تذكيره فإن السبيل بما يذكر ويؤنث وهو عطف على علة محذوفة للفعل المذكور لم يقصد تعليله بها بعينها وإنما قصد الإشعار بأن له فوائد جمة من جملتها ما ذكر أو علة لفعل مقدر هو عبارة عن المذكور فيكون مستأنفاً أي ولتستبين سبيلهم فعمل ما نفعل من التفصيل وقرئ: بنصب السبيل على أن الفعل متعد وتاؤه للخطاب أي ولتستوضح أنت يا محمد سبيل المجرمين فتعلمهم بما يليق بهم (قل إنني نهيت) أمر ﷺ بالرجوع إلى مخاطبة المصيرين على الشرك ٥٦
- إثر ما أمر بمعاملة من عاداهم من أهل الإنذار والتبشير بما يليق بحالهم أي قل لهم قطعاً لأطعامهم الفارغة عن ركونه ﷺ إليهم وبياناً لكون ما هم عليه من الدين هوى محضاً وضلالاً بحيث لا يصرفت وزجرت بمناصب
- لي من الأدلة وأنزل على من الآيات في أمر التوحيد (أن أعبد الذين تدعون) أي عن عبادة ما تعبدونه
- (من دون الله) كأنما ما كان (قل) كرر الأمر مع قرب العهد اعتناء بشأن المأمور به أو لإدانة باختلاف
- المقولين من حيث إن الأول حكاية لما من جهته تعالى من النهي والثاني حكاية لما من جهته ﷺ من الانتهاء عما ذكر من عبادة ما يعبدونه وإنما قيل (لا أتبع أهواءكم) استجهاً لهم وتنصيماً على أنهم فيما هم فيه تابعون لأهواء باطلة وليسوا على شيء مما ينطلق عليه الدين أصلاً وإشعاراً بما يوجب النهي والانتهاء
- وقوله تعالى (قد ضللت إذا) استئناف مؤكد لانتهائه عما نهى عنه مقرر لكونهم في غاية الضلال
- والغواية أي إن اتبعتم أهواءكم فقد ضللت وقوله تعالى (وما أنا من المهتدين) عطف على ما قبله والعدول
- إلى الجملة الاسمية للدلالة على الدوام والاستمرار أي دوام النفي واستمراره لانفي الدوام والاستمرار
- كما مر مراراً أي ما أنا في شيء من الهدى حين أكون في عداهم وقوله تعالى (قل إنني على بينة) تحقيق ٥٧
- للحق الذي عليه رسول الله ﷺ وبيان لاتباعه إياه إثر إبطال الباطل الذي عليه الكفرة وبيان عدم

قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعِجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٦﴾ الأنعام

- اتباعه له والبيئة الحجة الواضحة التي تفصل بين الحق والباطل والمراد بها القرآن والوحى وقيل هي الحجج العقلية أو ما يعتمدها ولا يساعده المقام والتنوين للتفخيم وقوله تعالى (من ربي) متعلق بمحذوف هو صفة بيئة مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية وفي التعرض لعنوان الرواية مع الإضافة إلى ضميره ﷺ من التشریف ورفع المنزلة مالا يخفى وقوله تعالى (وكذبتم به) إما جملة مستأنفة أو حالية بتقدير قد أو بدونه جىء بها لاستقباح مضمونها واستبعاد وقوعه مع تحقق ما يقتضيه عدمه من غاية وضوح البيئة والضمير المجرور للبيئة والتذكير باعتبار المعنى المراد والمعنى إني على بيئة عظيمة
- كافتة من ربي وكذبتم بها وبما فيها من الأخبار التي من جملتها الوعيد بمجىء العذاب وقوله تعالى (ما عندى ما تستعجلون به) استئناف مبين لخطئهم في شأن ما جعلوه منشأ لتكذيبهم بها وهو عدم مجىء ما وعد فيها من العذاب الذي كانوا يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد إن كنتم صادقين بطريق الاستهزاء أو بطريق الإلزام على زعمهم أى ليس ما تستعجلونه من العذاب الموعود في القرآن وتعملون تأخره ذريعة إلى تكذيبه في حكمى وقدرتى حتى أجىء به وأظهر لكم صدقه أو ليس أمره بمفوض إلى (إن الحكم) أى ما الحكم في ذلك تعجيلاً وتأخيراً أو ما الحكم في جميع الأشياء فيدخل فيه ما ذكر دخولا أولاً
- (إلا الله) وحده من غير أن يكون لغيره دخل ما فيه بوجه من الوجوه وقوله تعالى (يقص الحق) أى يتبعه بيان لشئونه تعالى في حكم المعهود أو في جميع أحكامه المنتظمة له انتظاماً أولاً أى لا يحكم إلا بما هو حق فيثبت حقيقة التأخير وقرئ يقضى فانتصاب الحق حينئذ على المصدرية أى يقضى القضاء الحق أو على المفعولية أى يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع إذا صنعها وأصل القضاء الفصل بتمام الأمر وأصل الحكم المنع فكأنه يمنع الباطل عن معارضة الحق أو الخصم عن التعدى على صاحبه (وهو خير الفاصلين) اعتراض تذييل مقرر لمضمون ما قبله مشير إلى أن قص الحق ههنا بطريق خاص هو الفصل بين الحق والباطل هذا هو الذى تستدعيه جزالة التنزيل وقد قيل إن المعنى إني من معرفة ربي وأنه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق وكذبتم به أنتم حيث أشركتم به تعالى غيره وأنت خير بأن مساق النظم الكريم فيما سبق وما لحق على وصفهم بتكذيب آيات الله تعالى بسبب عدم مجىء العذاب الموعود فيها فتكذيبهم به سبحانه في أمر التوحيد مما لا تعلق له بالمقام أصلاً (قل لو أن عندى) ٥٨
- أى في قدرتى ومكنتى (ما تستعجلون به) من العذاب الذى ورد به الوعيد بأن يكون أمره مفوضاً إلى من جهته تعالى (لقضى الأمر بيني وبينكم) أى بأن ينزل ذلك عليكم إثر استعجالكم بقولكم متى هذا الوعد ونظائره وفي بناء الفعل للمفعول من الإيذان بتعين الفاعل الذى هو الله تعالى وتهويل الأمر ومراعاة حسن الأدب مالا يخفى فاقيل في تفسيره لأهلكستكم عاجلاً غضباً لربى ولتخلصت منكم
- سريعاً بمعزل من توفية المقام حقه وقوله تعالى (والله أعلم بالظالمين) اعتراض مقرر لما أفادته الجملة الامتناعية من انتفاء كون أمر العذاب مفوضاً إليه ﷺ المستتبع لانتفاء قضاء الأمر وتعليل له والمعنى

وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا
يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ ٦ الأنعام
وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ
مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ ٦ الأنعام

- واقفه تعالى أعلم بحال الظالمين وبأنهم مستحقون للإمهال بطريق الاستدراج لتشديد العذاب ولذلك
لم يفرض الأمر إلى فلم يقض الأمر بتعجيل العذاب والله أعلم (وعنده مفاتيح الغيب) بيان لاختصاص ٥٩
المقدورات الغيبية به تعالى من حيث العلم إثر بيان اختصاص كلها به تعالى من حيث القدرة والمفاتيح
إما جمع مفتاح بفتح الميم وهو الخزن فهو مستعار لمكان الغيب كأنها مخازن خزنت فيها الأمور الغيبية
يغلق عليها ويفتح وإما جمع مفتاح بكسر ها وهو المفتاح ويؤيده قراءة من قرأ مفاتيح الغيب فهو مستعار
لما يتوصل به إلى تلك الأمور بناء على الاستعارة الأولى أى عنده تعالى خاصة خزائن غيوبه أو
ما يتوصل به إليها وقوله عز وجل (لا يعلمها إلا هو) تأكيد لمضمون ما قبله وإيدان بأن المراد هو الاختصاص
من حيث العلم لا من حيث القدرة والمعنى أن ما تستعجلونه من العذاب ليس مقدوراً لي حتى ألزمكم
بتعجيله ولا معلوما لدى لا خبركم وقت نزوله بل هو مما يختص به تعالى قدرة وعلماً فينزله حسبما تقتضيه
مهيئته المبنية على الحكم والمصالح وقوله تعالى (ويعلم ما في البر والبحر) بيان لتعلق علمه تعالى بالمشاهدات
إثر بيان تعلقه بالمغيبات تكملة له وتنبيهاً على أن الكل بالنسبة إلى علمه المحيط سواء في الجلاء أى يعلم
ما فهم ما من الموجودات مفصلة على اختلاف أجناسها وأنواعها وتكثر أفرادها وقوله تعالى (وما تسقط
من ورقة إلا يعلمها) بيان لتعلقه بأحوالها المتغيرة بعد بيان تعلقه بذواتها فإن تخصيص حال السقوط
بالذكر ليس إلا بطريق الاكتفاء بذكرها عن ذكر سائر الأحوال كما أن ذكر حال الورقة وما عطف عليها
خاصة دون أحوال سائر ما فهم ما من فنون الموجودات الفاتحة للحصر باعتبار أنها أنموذج لأحوال سائرها
وقوله تعالى (ولا حبة) عطف على ورقة وقوله تعالى (في ظلمات الأرض) متعلق بمحذوف هو صفة حبة
مفيدة لكمال نفوذ علمه تعالى أى ولا حبة كائنة في بطون الأرض إلا يعلمها وكذا قوله تعالى (ولا رطب
ولا يابس) معطوفان عليها داخلان في حكمها وقوله تعالى (إلا في كتاب مبين) بدل من الاستثناء الأول
بدل الكل على أن الكتاب المبين عبارة عن علمه تعالى أو بدل الاشتغال على أنه عبارة عن الألواح المحفوظ
وقرىء الأخير بالرفع عطفاً على محل من ورقة وقيل رفعهما بالابتداء والخبر إلا في كتاب مبين وهو
الأنسب بالمقام لشمول الرطب واليابس حينئذ لما ليس من شأنه السقوط وقد نقل قراءة الرفع في ولا حبة أيضاً
(وهو الذى يتوفاكم بالليل) أى ينمكم فيه على استعارة التوفى من الإماتة للإقامة لما بين الموت والنوم ٦٠
من المشاركة في زوال الإحساس والتمييز وأصله قبض الشيء بتمامه (ويعلم ما جرحتم بالنهار) أى ما كسبتم

وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴿٦١﴾

٦ الأنعام

- فيه والمراد بالليل والنهار الجنس المتحقق في كل فرد من أفرادهما إذ بالتوفي والبعث الموجد فيهما يتحقق قضاء الأجل المسمى المترتب عليها لا في بعضها والمراد بعلمه تعالى ذلك عليه قبل الجرح كما يلوح به تقديم ذكره على البعث أى يعلم ما تجرحون بالنهار وصيغة الماضي الدلالة على التحقق وتخصيص التوفي بالليل والجرح بالنهار مع تحقق كل منهما فيما خص بالآخر للجري على سنن العادة (ثم يبعثكم فيه) أى يوقظكم في النهار عطف على يتوفاكم وتوسيط قوله تعالى ويعلم الخ بينهما لبيان ما في بعثهم من عظيم الإحسان إليهم بالتنبيه على أن ما يكتسبونه من السيئات مع كونها موجبة لإبقائهم على التوفي بل لإهلاكهم بالمرءة فيفيض عليهم الحياة ويمهلهم كما ينبىء عنه كلمة التراخي كأنه قيل هو الذى يتوفاكم في جنس الليالي ثم يبعثكم في جنس النهار مع علمه بما ستجرحون فيها (ليقضى أجل مسمى) معين لكل فرد بحيث لا يكاد يتخطى أحد ما عين له طريقة عين (ثم إليه مرجعكم) أى رجوعكم بالموت لا إلى غيره أصلاً (ثم يبعثكم بما كنتم تعملون) بالمجازاة بأعمالكم التى كنتم تعملونها فى تلك الليالي والأيام وقيل الخطاب مخصوص بالكفرة والمعنى أنكم ملقون كالجيف بالليل كاسبون الآثام بالنهار وأنه تعالى مطلع على أعمالكم يبعثكم الله من القبور فى شأن ما قطعتم به أعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضى الأجل الذى سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على أعمالهم وفيه ما لا يخفى من التكلف والإخلال لإفضائه إلى كون البعث معللاً بقضاء الأجل المضروب له (وهو القاهر فوق عباده) أى هو المنتصرف فى أمورهم لا غيره يفعل بهم ما يشاء إجماداً وإعداماً وإحياءاً وأماتة وتعذيباً وإثابة إلى غير ذلك (ويرسل عليكم) خاصة أيها المكلفون (حفظه) من الملائكة وهم الكرام الكاتبون وعليكم متعلق يرسل لما فيه من معنى الاستيلاء وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مراراً من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر وقيل متعلق بمحذوف هو حال من حفظه إذ لو تأخر لكان صفة أى كائنين عليكم وقيل متعلق بحفظه والمحفوظ محذوف على كل حال أى يرسل عليكم ملائكة يحفظون أعمالكم كائنة ما كانت وفى ذلك حكمة جميلة ونعمة جليلة لما أن المكلف إذا علم أن أعماله تحفظ عليه وتعرض على ربه وس الإشهاد كان ذلك أجز له عن تعاطى المعاصى والقبائح وأن العبد إذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحششه احتشامه من خدمه الواقفين على أحواله وحتى فى قوله تعالى (حتى إذا جاء أحدكم الموت) هى التى يبتدأ بها الكلام وهى مع ذلك تجعل ما بعدها من الجملة الشرطية غاية لما قبلها كأنه قيل ويرسل عليكم حفظه يحفظون أعمالكم مدة حياتكم حتى إذا انتهت مدة أحدكم كائن من كان وجاءه أسباب الموت ومباده (توفته رسلنا) الآخرون المفوض إليهم ذلك وهم ملك الموت وأعوانه وانتهى هناك حفظ الحفظه وقرئ توفاه ماضياً أو مضارعاً بطرح إحدى التامين (وهم) أى الرسل (لا يفرون) أى بالتواني والتأخير وقرئ مخففاً من الإفراط أى

ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمْ الْحَقَّ ۖ لَا لَهُ الْحُكْمُ ۖ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾

٦ الأنعام

قُلْ مَنْ يُنْجِيكُمْ مِنَ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ

٦ الأنعام

مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾

٦ الأنعام

قُلِ اللَّهُ يُنْجِيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾

لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة أو نقصان والجملة حال من رسلنا وقيل مستأنفة سيقت لبيان اعتنائهم بما أمروا به وقوله تعالى (ثم ردوا) عطف على توفته والضمير للكل المدلول عليه بأحكم وهو السر في ٦٢ بجنبه بطريق الالتفات تغليبا أو لإفراد أولا والجمع آخر لوقوع التوفي على الانفراد والرد على الاجتماع أي ثم ردوا بعد البعث بالحشر (إلى الله) أي إلى حكمه وجزائه في موقف الحساب (مولاهم) أي مالكمم الذي يلي أمورهم على الإطلاق لا ناصرهم كما في قوله تعالى وأن الكافرين لا مولى لهم (الحق) الذي لا يقضى إلا بالعدل وقرئ بالنصب على المدح (ألا له الحكم) يومئذ صورة ومعنى لا لأحد غيره بوجه من الوجوه (وهو أسرع الحاسبين) يحاسب جميع الخلائق في أسرع زمان وأقصره لا يشغله حساب عن حساب ولا شأن عن شأن وفي الحديث أن الله تعالى يحاسب الكل في مقدار حلب شاة (قل من ينجيكم ٦٣ من ظلمات البر والبحر) أي قل تقرير آلهم بانحطاط شركائهم عن رتبة الإلهية من ينجيكم من شدائد هما الهائلة التي تبطل الحواس وتدهش العقول ولذلك استعير لها الظلمات المبطلة لحاسة البصر يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذوكوا كب أو من الخسف في البر والفرق في البحر وقرئ ينجيكم من الإنجاء والمعنى واحد وقوله تعالى (تدعونه) نصب على الحالية من مفعول ينجيكم والضمير لمن أي من ينجيكم منها حال كونكم داعين له أو من فاعله أي من ينجيكم منها حال كونه مدعوا من جهةكم وقوله تعالى (تضرعا وخفية) إما حال من فاعل تدعونه أو مصدر مؤكد له أي تدعونه متضرعين جهارا ومسررين أو تدعونه دعاء إعلان وإخفاء وقرئ خفية بكسر الخاء وقوله تعالى (لئن أنجيتنا) حال من الفاعل أيضا على تقدير القول أي تدعونه قائلين لئن أنجيتنا (من هذه) الشدة والورطة التي عبر عنها بالظلمات (لنكونن من الشاكرين) أي الراغبين في الشكر المداومين عليه لأجل هذه النعمة أو جميع النعماء التي من جملتها هذه وقرئ لئن أنجانا مراعاة لقوله تعالى تدعونه (قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب) أمر الله بتقرير الجواب ٦٤ مع كونه من وظائفهم للإيذان بأنه متعين عندهم ولبناء قوله تعالى (ثم أنتم تشركون) عليه أي الله تعالى وحده ينجيكم مما تدعونه إلى كشفه من الشدائد المذكورة وغيرها من الغوم والكرب ثم أنتم بعد ما تشاهدون هذه النعم الجليلة تشركون بعبادته تعالى غيره وقرئ ينجيكم بالتخفيف .

قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصْرُفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾
وَكَذَبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾

- ٦٥ وقوله تعالى (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً) استئناف مسوق لبيان أنه تعالى هو القادر على إلقائهم في الممالك إثر بيان أنه هو المنجى لهم منها وفيه وعيد ضمنى بالعذاب لإشراكهم المذكور على طريقة قوله عز وجل أفامنتم أن يخسف بكم جانب البر إلى قوله تعالى أم امنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى الآية وعليكم متعلق بيبعث وتقديمه على مفعوله الصريح للاعتناء به والمسارعة إلى بيان كون المبعوث بما يضرهم ولتحويل أمر المؤخر وقوله تعالى (من فوقكم) متعلق به أيضاً أو بمحذوف وقع صفة لعذاب أي عذاباً كائناً من جهة الفوق كما فعل بمن فعل من قوم لوط وأصحاب الفيل وأضرابهم (أو من تحت أرجلكم) أو من جهة السفلى كما فعل بفرعون وقارون وقيل من فوقكم أ كبركم ورؤسائكم ومن تحت أرجلكم سفلاتكم وعبيدكم وكلية أو لمنع الخلو دون الجمع فلا منع لما كان من الجهتين معاً كما فعل بقوم نوح (أو يلبسكم شيعاً) أي يخلطكم فرقا متحزبين على أهواء شتى كل فرقة مشايعة لإمام فينشب بينكم القتال فتختلطوا
- في الملاحم كقول الحماسي [وكتيبة لبستها بكتيبة * حتى إذا التبست نفضت لها يدي] (ويذيق بعضكم بأس بعض) عطف على يبعث وقرئ بنون العظمة على طريقة الالتفات لتحويل الأمر والمبالغة في التحذير والبعض الأول الكفار والآخر المؤمنون فقيه وعد ووعيد عن رسول الله ﷺ أنه قال عند قوله تعالى عذاباً من فوقكم أعوذ بوجهك وعند قوله تعالى أو من تحت أرجلكم أعوذ بوجهك وعند قوله تعالى أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض هذا أهون أو هذا أيسر وعنه ﷺ أنه قال سألت ربي أن لا يبعث على أتقى عذاباً من فوقهم أو من تحت أرجلهم فأعطاني ذلك وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني ذلك (انظر كيف نصرّف الآيات) من حال إلى حال (لعلهم يفقهون) كي يفقهوا ويفقهوا على جليلة الأمر فيرجعوا عما هم عليه من المكابرة والعناد (وكذب به) أي بالعذاب الموعود أو القرآن
- ٦٦ المجيد الناطق بمجيئه (قومك) أي المعاندون منهم ولعل لإيرادهم بهذا العنوان للإيذان بكآل سوء حالهم فإن تكذيبهم بذلك مع كونهم من قومه ﷺ مما يقضى بغاية عتوهم ومكابرتهم وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مرّ من إظهار الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر وقوله تعالى (وهو الحق) حال من الضمير المجرور أي كذبوا به والحال أنه الواقع لا محالة أو إنه الكتاب الصادق في كل ما نطق به وقيل هو استئناف وأياً ما كان فقيه دلالة على عظم جنايتهم ونهاية قبحها (قل) لهم منبهاً على ما يشول إليه أمرهم وعلى أنك قد أدبت ما عليك من وظائف الرسالة (لست عليكم بوكيل) بحفيظ وكل إلى أمركم لا منعكم من التكذيب وأجبركم على التصديق إنما أنا منذر وقد خرجت عن العهدة حيث أخبرتكم بما سترونه

٦ الأنعام

لِكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾

وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾

٦ الأنعام

٦ الأنعام

وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾

- (لكل نبأ) أى لكل شيء ينبا به من الأنباء التى من جملتها عذابكم أو لكل خبر من الأخبار التى من جملتها ٦٧ خبر مجيئه (مستقر) أى وقت استقراره ووقوع البتة أو وقت استقراره بوقوع مدلوله (وسوف تعلمون) ● أى حال نيتكم فى الدنيا أو فى الآخرة أو فيهما معاً وسوف للتأكيد كما فى قوله تعالى واتعلمن نبأه بعد حين (وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا) أى بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها كما هو دأب قريش ٦٨ وديدهم (فأعرض عنهم) بترك مجالستهم والقيام عنهم وقوله تعالى (حتى يخوضوا فى حديث غيره) غاية للإعراض أى استمر على الإعراض إلى أن يخوضوا فى حديث غير آياتنا والتذكير باعتبار كونها حديثاً فإن وصف الحديث بمغايرتها مشير إلى اعتبارها بعنوان الحديثية وقيل باعتبار كونها حديثاً ● الشيطان) بأن يشغلك فتنسى النهى فتجالسهم ابتداء أو بقاء وقرئ ينسينك من التنسية (فلا تقعد بعد الذكرى) أى بعد تذكر النهى (مع القوم الظالمين) أى معهم فوضع المظهر موضع المضمهر نعيماً عليهم ● أنهم بذلك الخوض ظالمون واضعون للتكذيب والاستهزاء موضع التصديق والتعظيم راسخون فى ذلك (وما على الذين يتقون) روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن المسلمين حين نهوا عن مجالستهم عند ٦٩ خوضهم فى الآيات قالوا لئن كنا نقول كلما استهزأوا بالقرآن لم نستطع أن نجلس فى المسجد الحرام ونطوف بالبيت فزلت أى ما على الذين يتقون قبائح أعمال الخائضين وأحوالهم (من حسابهم) أى بما يحاسبون عليه من الجرائر (من شيء) أى شيء ما على أنه فى محل الرفع على أنه مبتدأ وما تميميه أو اسم لها وهى حجازية ومن مزبدة للاستغراق ومن حسابهم حال منه وعلى الذين يتقون فى محل الرفع على أنه خبر للمبتدأ أو لما الحجازية على رأى من لا يجيز إعمالها فى الخبر المقدم مطلقاً أو فى محل النصب على رأى من يجوز إعمالها فى الخبر المقدم عند كونه ظرفاً أو حرف جر (ولكن ذكرى) استدراك من النفي السابق أى ولكن عليهم أن يذكروهم ويمنعهم عما هم عليه من القبائح بما أمكن من العظة والتذكير ويظهروا لهم الكراهة والتكيز ومحل ذكرى إما النصب على أنه مصدر مؤكد للفعل المحذوف أى عليهم أن يذكروهم تذكيراً أو الرفع على أنه مبتدأ محذوف الخبر أى ولكن عليهم ذكرى (لعلهم يتقون) أى يجتنبون الخوض حياء أو كراهة لمساكنهم وقد جوز كون الضمير للبوصول أى يذكروهم رجاء أن يثبتوا على تقواهم أو يزدادوها.

وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذَ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

٦ الأتنام

- ٧٠ (وذر الذين اتخذوا دينهم) الذي كلفوه وأمرؤا بإقامة مواجبه (لعباً ولهواً) حيث سخرؤا به واستهزؤوا أو بنؤا أمر دينهم على مالا يكاد يتعاطاه العاقل بطريق الجد وإنما يصدر عنه لو صدر بطريق اللعب واللهو كعبادة الأصنام وتحريم البحائر والسؤائب ونحو ذلك والمعنى أعرض عنهم ولا تبال بأفعالهم وأقوالهم وقيل هو تهديد لهم كقوله تعالى ذرم ياكلؤا ويتمتعؤا الآية (وغرتهم الحية الدنيا) واطمأنؤا بها حتى زعمؤا أن لا حية بعدها أبداً (وذكر به) أى بالقرآن من يصلح للتذكير (أن تبسل نفس بما كسبت) أى لا تبسل كقوله تعالى أن تبسلوا الآية أو مخافة أن تبسل أو كراهة أن تبسل نفوس كثيرة كما فى قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت وترتمن لسوء عملها وأصل الإبسال والبسل المنع ومنه أسد بأسل لأن فريسته لا تغفل منه أو لأنه تمتنع والبأسل الشجاع لا تمتناعه من قرنه وهذا بسل عليك أى حرام بمنوع وقد جوز أن يكون الضمير المجزؤ فى به راجعاً إلى الإبسال مع عدم جريان ذكره كما فى ضمير الشأن وتكون الجملة بدلاً منه مفسرأله لما فى الإبهام أولاً والتفسير ثانياً من التفخيم وزيادة التقرير كما فى قوله [على جوده لضعن بالماء حاتم | بجر حاتم على أنه بدل من ضمير جوده فالمعنى وذكر بارتهاؤ النفوس وحبسها بما كسبت وقوله تعالى (ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع) استئناف مسوق للإخبار بذلك وقيل فى محل النصب على أنه حال من ضمير كسبت وقيل فى محل الرفع على أنه وصف لنفس والأظهر أنه حال من نفس فإنه فى قوة نفس كافرة أو نفوس كثيرة كما فى قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت ومن دون الله متعلق بمحذوف هو حال من ولي كما بين فى تفسير قوله تعالى وأنذر به الآية وقيل هو خبر لليس فيكون لها حينئذ متعلقاً بمحذوف على البيان (وإن تعدل) أى إن تفد تلك النفس (كل عدل) أى كل فداء على أنه مصدر مؤكد (لا يؤخذ منها) على إسناد الفعل إلى الجار والمجزؤ ولا إلى ضمير العدل كما فى قوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل فإنه المقضى به لا المصدر كما نحن فيه (أولئك) إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للإيدان ببعد درجاتهم فى سوء الحال ومحل الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى (الذين أبسلؤا بما كسبؤا) والجملة مستأنفة سبقت إثر تحذيرهم من الإبسال المذكور لبيان أنهم المبتلؤن بذلك أى أولئك المتخذؤن دينهم لعباً ولهواً المغترؤن بالحياة الدنيا هم الذين أبسلؤا بما كسبؤا وقوله تعالى (لهم شراب من حميم) استئناف آخر مبين لكيفية الإبسال المذكور وعاقبته مبنى على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل ماذا لهم حين أبسلؤا بما كسبؤا فقيل لهم شراب من ماء مغلى يتجرجر فى بطونهم وتتقطع به أمعاؤهم (وعذاب أليم) بنار تشتعل بأبدانهم (بما كانوا يكفرون) أى بسبب كفرهم المستمر فى الدنيا وقد جوز أن يكون لهم شراب الخ حالا من ضمير أبسلؤا وترتيب

قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُزِدْ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ الْأَصْحَابُ يَدْعُوهُ ۖ إِلَىٰ الْهُدَىٰ آمَنَّا قُلْ إِنْ هُدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمِرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾

٦ الأنعام

- ما ذكر من العذابين على كفرهم مع أنهم معذبون بسائر معاصيهم أيضاً حسبما ينطق به قوله تعالى بما كسبوا لأنه العدة في إيجاب العذاب واللام في باب التحذير أو أريد بكفرهم ما هو أعم منه ومن مستتبعاته من المعاصي والسيئات هذا وقد جوز أن يكون أو تلك إشارة إلى النفوس المدلول عليها بنفس محل الرفع بالابتداء والموصول الثاني صفته أو بدل منه ولهم شراب الخ خبره والجملة مسوقة لبيان تبعة الإيسال (قل أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا) قيل نزلت في أبي بكر رضي الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن إلى عبادة الأصنام فتوجه الأمر إلى رسول الله ﷺ حينئذ للإيذان بما بينهما من الاتصال والاتحاد تنويعاً لشأن الصديق رضي الله تعالى عنه أي أنعبد متجاوزين عبادة الله الجامع لجميع صفات الألوهية التي من جملة القدرة على الفع والضر ما لا يقدر على نفعنا إذا عبدناه ولا على ضرنا إذا تركناه وأدنى مراتب المعبودية القدرة على ذلك وقوله تعالى (ونزد على أعقابنا) عطف على ندعوا داخل في حكم الإنكار والنفي أي ونزد إلى الشرك والتعبير عنه بالرد على الأعقاب لزيادة تقييده بتصويره بصورة ما هو علم في القبح مع ما فيه من الإشارة إلى كون الشرك حالة قد تركت ونبتذ وراه الظاهر وإيثار نزد على نرتد لتوجيه الإنكار إلى الارتداد برد الغير تصريحاً بمخالفة المضلين وقطعاً لأطعامهم الفارغة وإيذاناً بأن الارتداد من غير راد ليس في حيز الاحتمال ليحتاج إلى نفيه وإنكاره وقوله تعالى (بعد إذ هدانا الله) أي إلى الإسلام وانقذنا من الشرك متعلق ببرد مسوق لتأكيد النكير لا لتحقيق معنى الرد وتصويره فقط وإلا لكفي أن يقال بعد إذ اهتدينا كأنه قيل ونزد إلى الشرك باضلال المضل بعد إذ هدانا الله الذي لا هادي سواه وقوله تعالى (كالذي استهوت الشياطين) في محل النصب على أنه حال من مرفوع نرد أي أنرد على أعقابنا مشبهين بالذي استهوته مردة الجن واستغوته إلى المهامه والمهلك أو على أنه نعت لمصدر محذوف أي أنرد رداً مثل رد الذي استهوته الخ والاستهواء استعمال من هوى في الأرض إذا ذهب فيها كأنها طلبت هويه وحرصت عليه وقرى استهواه بألف مائة وقوله تعالى (في الأرض) إما متعلق باستهوته أو بمحذوف هو حال من مفعوله أي كائناً في الأرض وكذا قوله تعالى (حيران) حال منه على أنها بدل من الأولى أو حال الثانية عند من يحجزها أو من الذي أو من المستكن في الظرف أي تأثماً ضالاً عن الجادة لا يدري ما يصنع وقوله تعالى (له أصحاب) جملة في محل النصب على أنها صفة لحيران أو حال من الضمير فيه أو مستأنفة سبقت لبيان حاله وقوله تعالى (يدعونه إلى الهدى) صفة لأصحاب أي لذلك المستهوى رفقة يهدونه إلى الطريق المستقيم تسمية له بالمصدر مبالغة كأنه نفس الهدى (آمننا) على إرادة القول على أنه بدل من يدعونه أو حال من فاعله أي يقولون آمننا وفيه إشارة

وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوا هُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾
 وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ
 يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

٦ الأنعام

إلى أنهم مهتدون ثابتون على الطريق المستقيم وأن من يدعو به ليس من يعرف الطريق المستقيم ليدعى إلى
 إتيانه وإنما يدرك سميت الداعي ومورد النعيق فقط (قل إن هدى الله) الذي هدانا إليه وهو الإسلام
 (هو الهدى) وحده وما عداه ضلال محض وغى بحث كقوله تعالى فإذا بعد الحق إلا الضلال ونحوه
 وتكرير الأمر للاعتناء بشأن المأمور به ولأن ما سبق للزجر عن الشرك وهذا حث على الإسلام وهو
 توطئة لما بعده فإن اختصاص الهدى بهداه تعالى مما يوجب الامتثال بالأمر والوارد بعده (وأمرنا)
 عطف على أن هدى الله هو الهدى داخل تحت القول واللام في (نسلم لرب العالمين) لتعليل الأمر المحكي
 وتعيين ما أريد به من الأمر الثلاثة كما في قوله تعالى قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا الآية
 كأنه قيل أمرنا وقيل لنا أسلموا لأجل أن نسلم وقيل هي بمعنى الباء أى أمرنا بأن نسلم وقيل زائدة أى
 ٧٢ أمرنا أن نسلم على حذف الباء وقوله تعالى (وأن أقيموا الصلوة واتقوه) أى الله تعالى في مخالفة أمره عطف
 على نسلم على الوجوه الثلاثة على أن المصدرية إذا وصلت بالأمر بتجرد هو عن معنى الأمر نحو تجرد
 الصلة الفعلية عن معنى المضى والاستقبال فالمعنى على الأول أمرنا أى قيل لنا أسلموا وأقيموا الصلاة واتقوا
 الله لأجل أن نسلم ونقيم الصلاة ونتقيه تعالى وعلى الأخيرين أمرنا بأن نسلم ونقيم الصلاة ونتقيه تعالى
 والتعرض لوصف ربوبيته تعالى للعالمين لتعليل الأمر وتأكيده وجوب الامتثال به كما أن قوله تعالى
 ٧٣ (وهو الذى إليه تحشرون) جملة مستأنفة موجهة للامتثال بما أمر به من الأمور الثلاثة (وهو الذى
 خلق السموات والأرض) أريد بخلقهما خلق ما فيهما أيضاً وعدم التصريح بذلك لظهور اشتغالها على
 جميع العلويات والسفليات وقوله تعالى (بالحق) متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خلق أو من مفعوله
 أو صفة لمصدره المؤكد له أى قائماً بالحق أو متلبساً بالحق أو خلقاً متلبساً به وقوله تعالى (ويوم يقول
 كن فيكون قوله الحق) استئناف لبيان أن خلقه تعالى لما ذكر من السموات والأرض ليس مما يتوقف
 على مادة أو مدة بل يتم بمحض الأمر التكويني من غير توقف على شيء آخر أصلاً وأن ذلك الأمر
 المتعلق بكل فرد فرد من أفراد المخلوقات في حين معين من أفراد الأحيان حق في نفسه متضمن للحكمة
 ويوم ظرف لمضمون جملة قوله الحق والواو بحسب المعنى داخل عليها وتقديمه عليها للاعتناء به من حيث
 إنه مدار الحقيقة وترك ذكر المقول له للثقة بغاية ظهوره والمراد بالقول كلمة كن تحقيقاً أو تمثيلاً كما هو
 المشهور فالمعنى وأمره المتعلق بكل شيء يريد خلقه من الأشياء في حين تعلقه به لاقبله ولا بعده من أفراد
 الأحيان الحق أى المشهود له بالحقيقة المعروف بها هذا وقد قيل قوله مبتدأ والحق صفة ويوم يقول
 خبره مقدماً عليه كقولك يوم الجمعة القتال وانتصابه بمعنى الاستقرار وحاصل المعنى قوله الحق كأن

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَسْأَلُكَ أَنْتَ أَخَذَ أَصْنَامًا إِلَهَةً إِنِّي أَرَأَيْتَ قَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٧٤﴾ ٦ الأنعام
وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ٦ الأنعام

- حين يقول لشي من الأشياء كن فيكون ذلك الشيء وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات أو على الضمير في واتقوه أو بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدأ وخبر أو فاعل يكون على معنى حين يقول لقوله الحق أى لقضائه الحق كن فيكون والمراد حين يكون الأشياء ويحدثها أو حين تقوم القيامة فيكون التكوين حشر الأجساد وإحياءها فتأمل حق التأمل (وله الملك يوم ينفخ في الصور) تقييد اختصاص الملك به تعالى بذلك اليوم مع عموم الاختصاص لجميع الأوقات لغاية ظهور ذلك بانقطاع العلائق المجازية الكائنة في الدنيا المصححة للمالكية المجازية في الجملة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار (عالم الغيب والشهادة) أى هو عالمهما (وهو الحكيم) فى كل ما يفعله (الخبير) بجميع الأمور
- الجلية والخفية (وإذ قال إبراهيم) منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي عليه الصلاة والسلام ٧٤ معطوف على قل أندعو لا على أقيموا كما قيل لفساد المعنى أى واذكر لهم بعد ما أنكرت عليهم عبادة ما لا يقدر على نفع وضرو حقت أن الهدى هو هدى الله وما يتبعه من شئونه تعالى وقت قول إبراهيم الذى يدعون أنهم على ملته موبخاً (لأبيه آزر) على عبادة الأصنام فإن ذلك مما يبيكتهم وينادى بفساد طريقتهم وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع أنها المقصودة لما مر مراراً من المبالغة في إيجاب ذكرها وآزر بزة آدم وعابر وعازر وفالغ وكذلك تارح ذكره محمد بن اسحق والضحاك والكلبى وكان من قرية من سواد الكوفة ومنع صرفه للعجمة والعلمية وقيل اسمه بالسريانية تارح وآزر لقبه المشهور وقيل اسم صنم لقب هو به للزومه عبادته فهو عطف بيان لأبيه أو بدل منه وقال الضحاك معناه الشيخ الهرم وقال الزجاج الخطي. وقال الفراء وسليمان التيمي المعوج فهو نعت له كما إذا جعل مشتقاً من الأزر أو الوز أو أريد به عابد آزر على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وقرئ آزر على النداء وهو دليل العلمية إذ لا يحذف حرف النداء إلا من الأعلام (أنتخذ) متمد إلى مفعولين ● هما (أصناماً آلهة) أى أتجعلها لنفسك آلهة على توجيه الإنكار إلى اتخاذ الجنس من غير اعتبار الجمعية وإنما إيراد صيغة الجمع باعتبار الوقوع وقرئ آزر أ بفتح الهمزة وكسرهما بعد همزة الاستفهام وزاء ساكنة وراء منوبة منصوبة وهو اسم صنم ومعناه أن عبد آزر أ ثم قيل تنتخذ أصناماً آلهة تذيلاً لذلك وتقريراً وهو داخل تحت الإنكار لكونه بياناً له وقيل الأزر القوة والمعنى لأجل القوة والمظاهرة
- تنتخذ أصناماً آلهة لإنكاراً لتعززه بها على طريقة قوله تعالى أيتبعون عديم العزة (إنى أراك وقومك) الذين يتبعونك فى عبادتها (فى ضلال) عن الحق (مبين) أى بين كونه ضلالاً لا اشتباه فيه أصلاً والرؤية إما علمية فالظرف مفعولها الثانى وإما بصرية فهو حال من المفعول والجملة تعليل للإنكار والتوبيخ (وكذلك نرى إبراهيم) هذه الإراءة من الرؤية البصرية المستعارة للمعرفة ونظر البصيرة أى عرفانه ٧٥

فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٦٦﴾ الأنعام

وبصرناه وصيغة الاستقبال حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها وذلك إشارة إلى مصدر نرى لا إلى إرادة أخرى مفهومة من قوله إني أراك وما فيه من معنى البعد للإيدان بعلو درجة المشار إليه وبعد منزلته في الفضل وكال تميزه بذلك وانتظامه بسببه في سلك الأمور المشاهدة والكاف لنا كيد ما أقاده اسم الإشارة من الفخامة ومعلمها في الأصل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف وأصل التقدير نرى إبراهيم إرادة كائنة مثل تلك الإرادة فقدم على الفعل لإفادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار المشار إليه نفس المصدر المؤكد لا نعتاً له أي ذلك التبصير البديع نبصره عليه السلام (ملكوت السموات والأرض) أي ربوبيته تعالى ومالكيته لهما وسلطانه القاهر عليهما وكونهما بما فيهما مربوباً ومملوكاً له تعالى لا تبصيراً آخر أدنى منه والملكوت مصدر على زنة المبالغة كالرهبوت والجبروت ومعناه الملك العظيم والسلطان القاهر ثم هل هو مختص بملك الله عز سلطانه أولاً فقد قيل وقيل والاول هو الاظهر وبه قال الراغب وقيل ملكوتهما وبجائبهما وبدائعهما روى أنه كشف له عليه السلام عن السموات والأرض حتى العرش وأسفل الأرضين وقيل آياتهما وقيل ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الأرض الجبال والأنشجار والبحار وهذه الأقوال لا تقتضي أن تكون الإرادة بصرية إذ ليس المراد بإرادة ما ذكر من الأمور الحسية مجرد تمكينه عليه السلام من إحصائها ومشاهدتها في أنفسها بل إطلاعه عليه السلام على حقائقها وتعريفها من حيث دلالتها على شئونه عز وجل ولا ريب في أن ذلك ليس بما يدرك حساً كما ينبغي عنه اسم الإشارة المفصح عن كون المشار إليه أمراً بديعاً فإن الإرادة البصرية المعتادة بمعزل من تلك المثابة وقرئ ترى بالتباء وإسناد الفعل إلى الملكوت أي تبصره عليه السلام دلالة الربوبية واللام في قوله تعالى (وليكون من المؤمنين) متعلقة بمحذوف مؤخر والجملة اعتراض مقرر لما قبلها أي وليكون من زمرة الراسخين في الإيقان البالغين درجة عين اليقين من معرفة الله تعالى فعلنا ما فعلنا من التبصير البديع المذكور لا لأمراً آخر فإن الوصول إلى تلك الغاية القاصية كالمرتبة على ذلك التبصير لا عينه وليس القصر لبيان انحصار فائدته في ذلك كيف لا وإرشاد الخلق وإلزام المشركين كما سيأتي من فوائده بلا مزية بل لبيان أنه الأصل الأصل والمبطل والباقي من مستتبعاته وقيل هي متعلقة بالفعل السابق والجملة معطوفة على علة أخرى محذوفة ينسحب عليها الكلام أي ليستدل بها وليكون الخ فينبغي أن يراد بملكوتهما بدائعهما وآياتهما لأن الاستدلال من غايات إراءتها لا من غايات إرادة نفس الربوبية وقوله تعالى (فلما جن عليه الليل) على الأول وهو الحق المبين عطف على قال إبراهيم داخل تحت ما أمر بذكره بالأمر بذكر وقته وما بينهما اعتراض مقرر لما سبق وما لحق فإن تعريفه عليه السلام ربوبيته ومالكيته للسموات والأرض وما فيهما وكون الكل مقهوراً تحت ملكوته مفتقراً إليه في الوجود وسائر ما يترتب عليه من الكالات وكونه من الراسخين في معرفة شئونه تعالى الواصلين إلى ذروة عين اليقين بما يقضى بأن يحكم عليه السلام باستحالة إلهية ما سواه

فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾

٦ الأنعام

فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُنْقِومُ إِنِّي بُرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾

٦ الأنعام

- سبحانه من الأصنام والكواكب وعلى الثاني هو تفصيل لما ذكر من إرادة ملكوت السموات والأرض وبيان لكيفية استدلاله عليه السلام ووصوله إلى رتبة الإيقان ومعنى جن عليه الليل ستر مظلما وقوله تعالى (رأى كوكبا) جواب لما فإن رؤيته إنما تتحقق بزوال نور الشمس عن الحس وهذا صريح في أنه لم يكن في ابتداء الطلوع بل كان غيبته عن الحس بطريق الاضمحلال بنور الشمس والتحقيق أنه كان قريبا من الغروب كما ستعرفه قيل كان ذلك الكوكب هو الزهرة وقيل هو المشتري وقوله تعالى (قال هذا ربى) استئناف مبنى على سؤال نشأ من الشرطية السابقة المتفرعة على بيان إرادته عليه السلام ملكوت السموات والأرض فإن ذلك مما يحمل السامع على استكشاف مظهر منه عليه السلام من آثار تلك الإرادة وأحكامها كأنه قيل فماذا صنع عليه السلام حين رأى الكوكب فقيل قال على سبيل الوضع والفرض هذا ربى مجازة مع أبيه وقومه الذين كانوا يعبدون الأصنام والكواكب فإن المستدل على فساد قول يحكيه على رأى خصمه ثم يكر عليه بالإبطال ولعل سلوك هذه الطريقة في بيان استحالة ربوبية الكواكب دون بيان استحالة إلهية الأصنام لما أن هذا أخفى بطلانا واستحالة من الأول فلو صدق بالحق من أول الأمر كما فعله في حق عبادة الأصنام لتبادوا في المكابرة والعناد والجوا في طغيانهم بعمودين وقيل قاله عليه السلام على وجه النظر والاستدلال وكان ذلك في زمان مرأته وأول أوان بلوغه وهو مبنى على تفسير الملكوت بأياتهما وعطف قوله تعالى ليكون على ما ذكر من العلة المقدره وجعل قوله تعالى فلما جن الخ تفصيلا لما ذكر من الإراءة وبيانا لكيفية الاستدلال وأنت خير بأن كل ذلك مما يخل بجزالة النظم الجليل وجلالة منصب الخليل عليه الصلاة والسلام (فلما أفل) أى غرب (قال لا أحب الأفلين) أى الأرباب المنتقلين من مكان إلى مكان المتغيرين من حال إلى حال المحتجبين بالاستار فإنهم بمعزل من استحقاق الربوبية قطعاً (فلما رأى القمر بازغا) أى مبتدئاً في الطلوع إثر غروب الكوكب ٧٧ (قال هذا ربى) على الأسلوب السابق (فلما أفل) كما أفل النجم (قال لئن لم يهدينى ربى) إلى جنبه الذى هو الحق الذى لا يحيد عنه (لا أكون من القوم الضالين) فإن شيئاً مما آتته لا يليق بالربوبية وهذا مبالغة منه عليه السلام في إظهار النصفة ولعله عليه السلام كان إذ ذاك في موضع كان في جانبه الغربى جبل شاخ يستتر به الكوكب والقمر وقت الظهر من النهار أو بعده بقليل وكان الكوكب قريباً منه وأفق الشرق مكشوف أولاً وإلا فطلوع القمر بعد أفل الكوكب ثم أفوله قبل طلوع الشمس كما ينبى عنه قوله تعالى (فلما رأى الشمس بازغة) أى مبتدئة في الطلوع مما لا يكاد يتصور (قال) أى على النهج السابق ٧٨

إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ٦ الأُنعام
وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحْجِّجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ
رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ ٦ الأُنعام

- (هذا ربى) وإنما لم يؤنث لما أن المشار إليه والمحكوم عليه بالربوبية هو الجرم المشاهد من حيث هو
- لا من حيث هو مسمى باسم من الأسماء فضلاً عن حيثية تسميته بالشمس أولئك كبر الخبر وصيانة
- الرب عن وصمة التأنيث وقوله تعالى (هذا أكبر) تأكيد لما رآه عليه السلام من إظهار النصفة مع
- إشارة خفية إلى فساد دينهم من جهة أخرى ببيان أن الأكبر أحق بالربوبية من الأصغر (فلما أفلت)
- هي أيضاً كما أفل الكوكب والقمر (قال) غطاباً للكل صادعاً بالحق بين أظهرهم (يا قوم إني برىء
- مما تشركون) أى من الذى تشركونه من الأجرام المحدثة المتغيرة من حالة إلى أخرى المسخرة لمحدثها
- أو من إشراككم وترتيب هذا الحكم ونظيره على الأقل دون البزوغ والظهور من ضروريات سوق
- الاحتجاج على هذا المساق الحكيم فإن كلا منهما وإن كان فى نفسه انتقالاً منافياً لاستحقاق معروضه
- للربوبية قطعاً لكن لما كان الأول حالة موجبة لظهور الآثار والأحكام ملائمة لتوهم الاستحقاق فى
- الجملة رتب عليها الحكم الأول على الطريقة المذكورة وحيث كان الثانى حالة مقتضية لانطباس الآثار
- وبطلان الأحكام المنافيين للاستحقاق المذكور منافاة بينة يكاد يعترف بها كل مكابر عنيد رتب عليها
- مراتب ثم لما تبرأ عليه السلام منهم توجه إلى مبدع هذى المصنوعات ومنشئها فقال (إني وجهت وجهى
- للذى فطر السموات) التى هذه الأجرام التى تعبدونها من أجزائها (والأرض) التى تغيب هى فيها
- (حنيفاً) أى مائلاً عن الأديان الباطلة والعقائد الزائفة كلها (وما أنا من المشركين) فى شىء من الأفعال
- والأقوال (وحاجه قومه) أى شرعوا فى مغالبتة فى أمر التوحيد (قال) استئناف وقع جواباً عن
- سؤال نشأ من حكاية محاجتهم كأنه قيل فماذا قال عليه السلام حين حاجوه فقيل قال منكراً لما اجترأوا
- عليه من محاجته مع قصورهم عن تلك الرتبة وعزة المطلب وقوة الخصم (أتعاجونى فى الله) بإدغام نون
- الجمع فى نون الوقاية وقرئ بحذف الأولى وقوله تعالى (وقد هدان) حال من ضمير المتكلم مؤكدة
- للإنكار فإن كونه عليه السلام مهدياً من جهة الله تعالى ومؤيداً من عنده بما يوجب استحالة محاجته
- عليه السلام أى أتجادلونى فى شأنه تعالى ووحدانيته والحال أنه تعالى هدانى إلى الحق بعد ما سلكت
- طريقته بالفرض والتقدير وتبين بطلانها تبيناً تاماً كما شاهدتموه وقوله تعالى (ولا أخاف ما تشركون
- به) جواب عما خوفوه عليه السلام فى أثناء المحاجة من إصابة مكروه من جهة أصنامهم كما قال لهود عليه
- السلام قومه إن نقول إلا اعتراك بعض آلها تنابؤاً ولعلمهم فعلوا ذلك حين فعل عليه السلام بآلهتهم
- ما فعل وما موصولة اسمية حذف عائدها وقوله تعالى (إلا أن يشاء ربى شيئاً) استثناء مفرغ من أعم
- الأوقات أى لا أخاف ما تشركونه به سبحانه من معبوداتكم فى وقت من الأوقات إلا فى وقت مشيئته

وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَلَا تُفَرِّقِينَ أَحَقَّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾

٦ الأنعام

- تعالى شيئاً من إصابة مكروه في من جهتها وذلك إما هو من جهته تعالى من غير دخل لأهتكم فيه أصلاً وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام إظهار منه لا تقباده لحكمه سبحانه وتعالى واستسلام لأمره واعتراف بكونه تحت ملكوته وربوبيته وقوله تعالى (وسمع ربى كل شيء علماً) ● كأنه تعليل للاستثناء أى أحاط بكل شيء علماً فلا يبعد أن يكون في عليه تعالى أن يحق في مكروه من قبلها بسبب من الأسباب وفي الإظهار في موضع الإضمار تأكيد للبعنى المذكور واستلذاذ بذكره تعالى (أفلا تتذكرون) أى أتعرضون عن التأمل في أن آلهتكم جمادات غير قادرة على شيء مامن نفع ولا ضرر ● فلا تتذكرون أنها غير قادرة على إضرارى وفي إيراد التذكّر دون التفكير ونظائره إشارة إلى أن أمر أصنامهم مركوز في العقول لا يتوقف إلا على التذكّر وقوله تعالى (وكيف أخاف ما أشركتم) استئناف ٨١ مسوق لنفي الخوف عنه عليه السلام بحسب زعم الكفرة بالطريق الإلزامى كما سيأتى بعد نفيه عنه بسبب الواقع ونفس الأمر والاستفهام لإنكار الوقوع ونفيه بالكلية كما في قوله تعالى كيف يكون للشركين عهد عند الله الآية لا لإنكار الواقع واستبعاده مع وقوعه كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله الخ وفي توجيه الإنكار إلى كيفية الخوف من المبالغة ما ليس في توجيهه إلى نفسه بأن يقال أخاف لما أن كل موجود يجب أن يكون وجوده على حال من الأحوال وكيفية من الكيفيات قطعاً فإذا انتفى جميع أحواله وكيفياته فقد انتفى وجوده من جميع الجهات بالطريق البرهاني وقوله تعالى (ولا تخافون أنكم أشركتم بالله) حال من ضمير أخاف بتقدير مبتدأ والواو كافية في الربط من غير حاجة إلى الضمير العائد إلى ذى الحال وهو مقرر لإنكار الخوف ونفيه عنه عليه السلام ومفيد لاعتراهم بذلك فإنهم حيث لم يخافوا في محل الخوف فلأن لا يخاف عليه السلام في محل الأمن أولى وأحرى أى وكيف أخاف أنا ما ليس في حيز الخوف أصلاً وأنتم لا تخافون غائلة ما هو أعظم المخوفات وأهولها وهو إشراككم بالله الذى ليس كمثل شيء في الأرض ولا في السماء ما هو من جملة مخلوقاته وإنما عبر عنه بقوله تعالى (ما لم ينزل به) أى بإشراكه (عليكم سلطاناً) على طريقة النهكم مع الإيذان بأن الأمور الدينية لا يعول فيها إلا على الحجة المنزلّة من عند الله تعالى وفي تعليق الخوف الثانى بإشراكهم من المبالغة ومراعاة حسن الأدب ما لا يخفى هذا وأما ما قيل من أن قوله تعالى ولا تخافون الخ معطوف على أخاف داخل معه في حكم الإنكار والتعجيب فما لا سبيل إليه أصلاً لافضائه إلى فساد المعنى قطعاً كيف لا وقد عرفت أن الإنكار بمعنى النفي بالكلية فيؤول المعنى إلى نفي الخوف عنه عليه الصلاة والسلام ونفي نفيه عنهم وأنه بين الفساد وحمل الإنكار في الأول على معنى نفي الوقوع وفي الثانى على استبعاد الواقع بما لا مسامح له على أن قوله تعالى (فأى الفريقين أحق بالأمن) ناطق ببطلانه حتماً فإنه كلام مرتب على إنكار خوفه عليه الصلاة ●

الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ٦ الأنعام

وَتِلْكَ جُنُودُنَا إِن تَبَيَّنَّا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۖ نَرْفَعُ دَرَجَتَهُ مِمَّنْ نَّشَاءُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ٦ الأنعام

- والسلام في محل الأمن مع تحقق عدم خوفهم في محل الخوف مسوق لاجتماعهم إلى الاعتراف باستحقاقه عليه الصلاة والسلام لما هو عليه من الأمن وبعدم استحقاقهم لما هم عليه وإنما جرى بصيغة التفضيل المشعرة باستحقاقهم له في الجملة لاستئزاهم عن رتبة المكابرة والاعتساف بسوق الكلام على سنن الانصاف والمراد بالفريقين الفريق الأمن في محل الأمن والفريق الأمن في محل الخوف فإثارة ما عليه النظم الكريم على أن يقال فأينا أحق بالأمن أنا أم أنتم لتأكيد الإلجاء إلى الجواب الحق بالتنبيه على علة الحكم والتفادي عن التصريح بنقضهم لا مجرد الاحتراز عن تزكية النفس (إن كنتم تعلمون) المفعول إما محذوف تمويلاً على ظهوره بمعونة المقام أي إنه كنتم تعلمون من أحق بذلك أو قصداً إلى التعميم أي إن كنتم تعلمون شيئاً وإما متروك بالمرة أي إن كنتم من أولى العلم وجواب الشرط محذوف أي فأخبروني (الذين آمنوا) استئناف من جهته تعالى مبين للجواب الحق الذي لا محيد عنه أي الفريق الذين آمنوا (ولم يلبسوا إيمانهم) ذلك أي لم يخلطوه (بظلم) أي بشرك كما يفعله الفريق المشركون حيث يزعمون أنهم يؤمنون بالله عز وجل وأن عبادتهم للأصنام من تيمات إيمانهم وأحكامه لكونها لأجل التقريب والشفاعة كما قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وهذا معنى الخلط (أو لك) إشارة إلى الموصول من حيث اتصافه بما في حيز الصلة وفي الإشارة إليه بعد وصفه بما ذكر إيدان بأنهم تميزوا بذلك عن غيرهم وانتظموا في سلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف وهو مبتدأ ثان وقوله تعالى (لهم الأمن) جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر وقعت خبراً لأولئك وهو مع خبره خبر للمبتدأ الأول الذي هو الموصول ويجوز أن يكون أولئك بدلاً من الموصول أو عطف بيان له ولهم خبراً للموصول والأمن فاعلاً للظرف لا عتماده على المبتدأ ويجوز أن يكون لهم خبراً مقدماً والأمن مبتدأ والجملة خبراً للموصول ويجوز أن يكون أولئك مبتدأ ثانياً ولهم خبره والأمن فاعلاً له والجملة خبر للموصول أي أولئك الموصوفين بما ذكر من الإيمان الخالص عن شوب الشرك لهم الأمن فقط (وهم مهتدون) إلى الحق ومن عدام في ضلال مبين . روى أنه لما نزلت الآية شق ذلك على الصحابة رضوان الله عليهم وقالوا أينما لم يظلم نفسه فقال عليه الصلاة والسلام ليس ما تظنون إنما هو ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم وليس الإيمان به أن يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الإشراك به وليس من قضية الخلط بقاء الأصل بعد الخلط حقيقة وقيل المراد بالظلم المعصية التي تفسق صاحبها والظاهر هو الأول لوروده مورد الجواب عن حالة الفريقين (وتلك) ٨٣ إشارة إلى ما احتج به إبراهيم عليه السلام من قوله تعالى فلما جن وقيل من قوله أتحاجوني إلى قوله مهتدون وما في اسم الإشارة من معنى البعد لتفخيم شأن المشار إليه والإشعار بعلو طبقته وسمو منزلته

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ
وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾

٦ الأنعام

- في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى (حجتنا) خبره وفي إضافتها إلى نون العظمة من التفعيم ما لا يخفى
- وقوله تعالى (آتيناهم إبراهيم) أى أرشدناه إليها أو علمناه إياها في محل النصب على أنه حال من حجتنا
- والعامل فيها معنى الإشارة كما في قوله تعالى فذلك بيوتهم خاوية بما ظلموا أو في محل الرفع على أنه خبر ثان أو هو الخبر وحجتنا بدل أو بيان المبتدأ وإبراهيم مفعول أول لا تينا قدم عليه الثاني لكونه ضميراً
- وقوله تعالى (على قومه) متعلق بحجتنا إن جعل خبراً لتلك أو بمحذوف إن جعل بدلاً أى آتيناهم إبراهيم
- حجة على قومه وقيل بقوله آتيناه (نرفع) بنون العظمة وقرئ بالياء على طريقة الالتفات وكذا الفعل
- الآتى (درجات) أى رتباً عظيمة عالية من العلم والحكمة وانتصابها على المصدرية أو الظرفية أو على
- نزع الخافض أى إلى درجات أو على التمييز والمفعول قوله تعالى (من نشاء) وتأخيرها على الوجوه الثلاثة الأخيرة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر ومفعول المشيئة محذوف أى من نشاء
- رفعه حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة وإيثار صيغة الاستقبال للدلالة على أن ذلك سنة مستمرة
- جارية فيما بين المصطفين الأخيار غير مختصة بإبراهيم عليه السلام وقرئ بالإضافة إلى من والجملة
- مستأنفة مقررة لما قبلها لا محل لها من الإعراب وقيل هي في محل النصب على أنها حال من فاعل آتيناه
- أى حال كوننا رافعين الخ (إن ربك حكيم) في كل ما فعل من رفع وخفض (علم) بحال من يرفعه
- واستعداده له على مراتب متفاوتة والجملة تعليل لما قبلها وفي وضع الرب مضافاً إلى ضميره عليه السلام
- موضع نون العظمة بطريق الالتفات في تضاعيف بيان أحوال إبراهيم عليه السلام إظهار لمزيد لطف
- وعناية به عليه السلام (ووهبنا له إسحق ويعقوب) عطف على قوله تعالى وتلك حجتنا الخ فإن عطف ٨٤
- كل من الجملة الفعلية والاسمية على الأخرى مما لا نزاع في جوازه ولا مساغ لعطفه على آتيناه لأن له محلاً
- من الإعراب نصباً ورفعاً حسبما بين من قبل فلو عطف هذا عليه لكان في حكمه من الحالية والخبرية
- المستدعيتين للرباط ولا سبيل إليه ههنا (كلاً) مفعول لما بعده وتقديمه عليه للقصر لكن لا بالنسبة إلى
- غيرهما مطلقاً بل بالنسبة إلى أحدهما أى كل واحد منهما (هدينا) لا أحدهما دون الآخر وترك ذكر
- المهدي إليه لظهور أنه الذى أوتى إبراهيم وأنها مقتديان به (ونوحاً) منصوب بضمير يفسره (هدينا
- من قبل) أى من قبل إبراهيم عليه السلام عهدها نعمة على إبراهيم عليه السلام لأن شرف الوالد سار
- إلى الولد (ومن ذريته) الضمير لإبراهيم لأن مساق النظم الكريم لبيان شئونه العظيمة من إيتاء الحجة
- ورفع الدرجات وهبة الأولاد الأنبياء وإبقاء هذه الكرامة في نسله إلى يوم القيامة كل ذلك لإلزام من
- ينتمى إلى ملته عليه السلام من المشركين واليهود وقيل لنوح لأنه أقرب ولأن بونس ولو طأ ليسا من
- ذرية إبراهيم فلو كان الضمير له لاختص بالمعدودين في هذه الآية والتي بعدها وأما المذكورون في الآية
- الثالثة فعطف على نوحاً وروى عن ابن عباس أن هؤلاء الأنبياء كلهم مضافون إلى ذرية إبراهيم وإن كان

٦ الأسماء

وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾

٦ الأسماء

وِإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾

- منهم من لم يلحقه بولادة من قبل أم ولا أب لأن لوطاً ابن أخى إبراهيم والعرب تجعل العم أباكاً أخبر الله تعالى عن أبناء يعقوب أنهم قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق مع أن إسماعيل عم يعقوب (داود وسليمان) منصوبان بمضمر مفهوم مما سبق وكذا ما عطف عليهما وبه يتعلق من ذريته وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بشأنه مع ما في المفاعيل من نوع طول ربما يخل تأخيرها بتجاوب
- النظم الكريم أى وهديتنا من ذريته داود وسليمان (وأيوب) هو ابن أموص من أسباط عيص بن إسحاق (ويوسف وموسى وهرون) أو بمحذوف وقع حالا من المذكورين أى وهديتناهم حال كونهم من من ذريته (وكذلك) إشارة إلى ما يفهم من النظم الكريم من جزاء إبراهيم عليه السلام ومحل الكاف
- النصب على أنه نعت لمصدر محذوف وأصل التقدير (نجزى المحسنين) جزاء مثل ذلك الجزاء والتقديم للقصر وقد مر تحقيقه مراراً والمراد بالمحسنين الجنس وبمائلة جزائهم لجزائه عليه السلام مطلق المشابهة في مقابلة الإحسان بالإحسان والمكافأة بين الأعمال والأجزاء من غير بخش لا المماثلة من كل وجه
- ضرورة أن الجزاء بكثرة الأولاد الأنبياء بما اختص به إبراهيم عليه السلام والأقرب أن لام المحسنين للعهد وذلك إشارة إلى مصدر الفعل الذى بعده وهو عبارة عما أوتى المذكورون من فنون الكرامات وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو طبقته والكاف لتأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة وعلمها في الأصل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف وأصل التقدير ونجزى المحسنين المذكورين جزاء كاملاً
- مثل ذلك الجزاء فقدم على الفعل لإفادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار المشار إليه نفس المصدر المؤكد لا نعتاً له أى وذلك الجزاء البديع ونجزى المحسنين المذكورين لا جزاء آخر أدنى منه والإظهار في موضع الإضمار للثناء عليهم بالإحسان الذى هو عبارة عن الإتيان بالأعمال الحسنة على الوجه اللائق الذى هو حسن الوصفى المقارن لحسنها الذاتى وقد فسر عليه الصلاة والسلام بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك والجملة اعتراض مقرر لما قبلها (وزكريا) هو
- ابن آذن (ويحيى) ابنه (وعيسى) هو ابن مريم وفيه دليل بين على أن الذرية تتناول أولاد البنات
- (وإيلاس) قيل هو إدريس جد نوح فيكون البيان مخصوصاً بمن في الآية الأولى وقيل هو من أسباط هرون أخى موسى عليهما السلام (كل) أى كل واحد من أولئك المذكورين (من الصالحين) أى من الكاملين في الصلاح الذى هو عبارة عن الإتيان بما ينبغى والتحرز عما لا ينبغى والجملة اعتراض جىء به للثناء عليهم بالصلاح (وإسماعيل وإسحاق) هو ابن أخطوب بن العجوز وقرىء واليسع وهو على القراءتين
- علم أعجمى أدخل عليه اللام ولا اشتقاق له ويقال إنه يوشع بن نون وقيل إنه منقول من مضارع وسم واللام كافى يزيد فى قول من قال [رأيت الوليد بن يزيد مباركاً شديداً بأعباء الخلافة كاهله] (ويونس)

وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ٦ الأنعام
 ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ٦ الأنعام
 أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا
 قَوْمًا لَيَكْفُرُنَّ بِهَا يَكْفُرِينَ ﴿٨٩﴾ ٦ الأنعام

- هو ابن متى (ولوطاً) هو ابن هاران بن أخى إبراهيم عليه السلام (وكلاً) أى وكل واحد من أولئك
- المذكورين (فضلنا) بالنبوة لا بعضهم دون بعض (على العالمين) على عالمي عصرهم والجملة اعتراض
- كأختها وقوله تعالى (ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم) إما متعلق بما تعلق به من ذريته ومن ابتدائية ٨٧
- والمفعول محذوف أى وهدينا من آبائهم وذرياتهم وإخوانهم جماعات كثيرة وإما معطوف على كلاهما
- تبعية أى وفضلنا بعض آبائهم الخ (واجتبيناهم) عطاف على فضلنا أى اصطفييناهم (وهديناهم إلى صراط
- مستقيم) تكرر للتأكيد وتمهيد لبيان ما هددوا إليه (ذلك) إشارة إلى ما يفهم من النظم الكريم من ٨٨
- مصادر الأفعال المذكورة وقيل إلى مادانوا به وما فى ذلك من معنى البعد لما مر مراراً (هدى الله) الإضافة
- للشريف (يهدى به من يشاء من عباده) وهم المستعدون للهداية والإرشاد وفيه إشارة إلى أنه تعالى
- متفضل بالهداية (ولو أشركوا) أى هؤلاء المذكورون (لحبط عنهم) مع فضلهم وعلو طبقاتهم (ما كانوا
- يعملون) من الأعمال المرضية الصالحة فكيف بمن عداهم وهم هم وأعمالهم أعمالهم (أولئك) إشارة إلى ٨٩
- المذكورين من الأنبياء الثمانية عشر والمعطوفين عليهم عليهم السلام باعتبار اتصافهم بما ذكر من الهداية
- وغيرها من النعوت الجليلة الثابتة لهم وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة من الايدان بعلو طبقتهم وبعد
- منزلتهم فى الفضل والشرف وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب) أى جنس الكتاب
- المتحقق فى ضمن أى فرد كان من أفراد الكتب السماوية والمراد بإيئاته التفهيم التام بما فيه من الحقائق
- والتحكين من الإحاطة بالجلال والدقائق أعم من أن يكون ذلك بالإيزال ابتداء أو بالإيراث بقاء
- فإن المذكورين لم ينزل على كل واحد منهم كتاب معين (والحكم) أى الحكمة أو فصل الأمر على
- ما يقتضيه الحق والصواب (والنبوة) أى الرسالة (فإن يكفر بها) أى هذه الثلاثة أو بالنبوة الجامعة
- للباقيين (هؤلاء) أى كفار قریش فإنهم بكفروهم برسول الله ﷺ وما أنزل عليه من القرآن كفرون بما
- يصدقه جميعاً وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مراراً من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر
- (فقد وكلنا بها) أى أمرنا بمراعاها ووقفنا للإيمان بها والقيام بحقوقها (قوما ليسوا بها بكافرين) أى فى
- وقت من الأوقات بل مستمرين على الإيمان بها فإن الجملة الاسمية الإيجابية كالتفيد دوام الثبوت كذلك
- السلبية تفيد دوام النفي بمعونة المقام لأننى الدوام كما حقق فى مقامه قال ابن عباس ومجاهد رضى الله تعالى
- عنهما المانصار وأهل المدينة وقيل أصحاب النبي ﷺ وقيل كل مؤمن من بنى آدم وقيل الفرس فإن

أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْنَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾

٦ الأنعام

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾

٦ الأنعام

كلا من هؤلاء الطوائف موفقون للإيمان بالأنبياء وبالكتب المنزلة إليهم عاملون بما فيها من أصول الشرائع وفروعها الباقية في شريعتنا وبه يتحقق الخروج عن عمدة التوكيل والتكليف دون المنسوخة منها فإنها بالتساخاخرجة عن كونها من أحكامها وقد مرت تحقيقه في تفسير سورة المائدة وقيل هم الأنبياء المذكورون فالمراد بالتوكيل الأمر بما هو أعم من إجراء أحكامها كما هو شأنهم في حق كتابهم ومن اعتقاد حقيقتهم كما هو شأنهم في حق سائر الكتب التي من جهاتها القرآن الكريم وقبلهم الملائكة فالتوكيل هو الأمر بإزالتها وحفظها واعتقاد حقيقتها وأيا ما كان فتسكير قوما للتفخيم والباء الأولى صلة لكافرين قدمت عليه محافظة على الفواصل والثانية لتأكيد النفي وأما تقديم صلة وكلنا على مفعوله الصريح فلما ذكر آنفاً من الاهتمام بالمقدم والنشوب إلى المؤخر ولأن فيه نوع طول ربما يؤدي تقديمه إلى الإخلال بتجاوب النظم الكريم أو إلى الفصل بين الصفة والموصوف وجواب الشرط محذوف يدل عليه المذكور أي فإن يكفر بها هؤلاء فلا اعتداد به أصلاً فقد وفقنا للإيمان بها قوما نغما ليسوا بكافرين بها قطعاً بل مستمررون على الإيمان بها والعمل بما فيها فني إيمانهم بها مندوحة عن إيمان هؤلاء ومن هذا نبين أن الوجه أن يكون المراد بالقوم إحدى الطوائف المذكورة إذ يإيمانهم بالقرآن والعمل بأحكامه تتحقق الغنية عن إيمان الكفرة به والعمل بأحكامه وأما الأنبياء والملائكة عليهم السلام فإيمانهم به ليس من قبيل إيمان آحاد الأمة كما أشير إليه (أولئك) إشارة إلى الأنبياء المذكورين وما فيه من معنى البعد للإبذان بعلور تبينهم وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (الذين هدى الله) أي إلى الحق والنهج المستقيم والالتفات إلى الاسم الجليل للإشعار بعلّة الهداية (فبهدهم اقتده) أي فاختص هدهم بالاقتداء ولا تقتد بغيرهم والمراد بهدهم طريقةهم في الإيمان بالله تعالى وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع القابلة للنسخ فإنها بعد النسخ لا تبقى هدى وإلهاء في اقتده للوقف حقها أن تسقط في الدرج واستحسن إثباتها فيه أيضاً إجراء له مجرى الوقف واقتداء بالإمام وقرىء بإشباعها على أنها كناية المصدر (قل لا أسألكم عليه) أي على القرآن أو على التبليغ فإن مساق الكلام يدل عليهما وإن لم يجر ذكرهما (أجرأ) من جهنكم كما لم يسأله من قبلي من الأنبياء عليهم السلام وهذا من جملة ما أمر ﷺ بالاقتداء بهم فيه (إن هو) أي ما القرآن (إلا ذكرى للعالمين) أي عظة وتذكير لهم كافة من جهته سبحانه فلا يخص بقوم دون آخرين (وما

- قدروا الله) لما بين شأن القرآن العظيم وأنه نعمة جليلة منه تعالى على كافة الأمم حسبما ينطق به قوله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين عقب ذلك ببيان غمطهم إياها وكفرهم بها على وجه سرى ذلك إلى الكفر بجميع الكتب الإلهية وأصل القدر السبر والحزر يقال قدر الشيء بقدره بالضم قدراً إذا سبره وحزره ليعرف مقداره ثم استعمل في معرفة الشيء في مقداره وأحواله وأوصافه وقوله تعالى (حق قدره) نصب على المصدرية وهو في الأصل صفة للبصر أى قدره الحق فلما أضيف إلى موصوفة انتصب على ما كان ينتصب عليه موصوفه أى ما عرفوه تعالى حق معرفته في اللطف بعباده والرحمة عليهم ولم يراعوا حقوقه تعالى في ذلك بل أدخلوا بها إخلالاً (إذا قالوا) منكرين لبعثة الرسل وإنزال الكتب ● كافرين بنعمته الجليلة فيهما (ما أنزل الله على بشر من شيء) فنفي معرفتهم لقدره سبحانه كناية عن حطهم لقدره الجليل ووصفهم له تعالى بنقيض نعمته الجليل كما أن نفي المحبة في مثل إن الله لا يحب الكافرين كناية عن البغض والسخط وإلا فنفي معرفة قدره تعالى يتحقق مع عدم التعرض لحطه بل مع السعى في تحصيل المعرفة كما في قول من يتأجى مستقصراً لمعرفته وعبادته سبحانه ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك أو ما عرفوه حق معرفته في السخط على الكفار وشدة بطشه تعالى بهم حسبما ينطق به القرآن حين اجترأوا على التفوه بهذه العظيمة الشنعاء فالتفتي بمعناه الحقيقي والقائلون هم اليهود وقد قالوه مبالغة في إنكار إنزال القرآن على رسول الله ﷺ فالزموا بما لا سبيل لهم إلى إنكاره أصلاً حيث قيل (قل من أنزل للكتاب الذي جاء به موسى) أى قل لهم ذلك على طريقة التبكيت وإلزام الحجر وروى أن مالك بن الصيف من أخصاب اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله ﷺ أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها أن الله يبغض الخبر السمين فأنت الخبر السمين قد سمعت من مالك الذي قطعك اليهود فضحك القوم فغضب ثم النفث إلى عمر رضى الله عنه فقال ما أنزل الله على بشر من شيء فتزعموه وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف وقيل هم المشركون وإلزامهم إنزال التوراة لما أنه كان عندهم من المشاهير الذائعة ولذلك كانوا يقولون لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم ووصف الكتاب بالوصول إليهم لزيادة التقرير وتشديد التبكيت وكذا تقييده بقوله تعالى (نوراً وهدى) فإن كونه يئناً بنفسه وديننا لغيره مما يؤكد الإلزام أى تأكيد وانتصابهما على الحالية من الكتاب والعامل أنزل أو من الضمير في به والعامل جاء واللام في قوله تعالى (لناس) إما متعلق بهدى أو بمحذوف هو صفة له أى هدى كائنناً للناس وليس المراد بهذا مجرد إلزامهم بالاعتراف بإنزال التوراة فقط بل بإنزال القرآن أيضاً فإن الاعتراف بإنزالها مستلزم للاعتراف بإنزاله قطعاً لما فيها من الشواهد الناطقة به وقد نعى عليهم ما فعلوا بهما من التحريف والتغيير حيث قيل (تجعلونه قراطيس) أى تضعونه في قراطيس مقطعة وورقات مفرقة بمحذوف الجار بناء على تشبيه القراطيس بالظرف المهبط أو تجعلونه نفس القراطيس المقطعة وفيه زيادة توبيخ لهم بسوء صنيعهم كأنهم أخرجوه من جنس الكتاب ونزلوه منزلة القراطيس الحالية عن الكتابة والجملة حال كما سبق وقوله تعالى (تبدونها) صفة لقراطيس وقوله تعالى (وتخفون كثيراً) ●

وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ لِّدَى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٦﴾

٦ الأنعام

معطوف عليه والعائد إلى الموصول محذوف أى كثيراً منها وقيل كلام مبتدأ لا محل له من الإعراب والمراد بالكثير نعوت النبي عليه الصلاة والسلام وسائر ما كتموه من أحكام التوراة وقرىء الأفعال الثلاثة بالياء حملاً على قالوا وما قدروا وقوله تعالى (وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) قيل هو حال من فاعل تجعلونه بإضمار قد أو بدونه على اختلاف الرايين قلت فينبغي أن يجعل ماعبرة عما أخذوه من الكتاب من العلوم والشرائع ليكون التقييد بالحال مفيداً لتأكيد التوبيخ وتشديد التشنيع فإن ما فعلوه بالكتاب من التفريق والتقطيع لما ذكر من الإبداء والإخفاء شناعة عظيمة في نفسها ومع ملاحظة كونه مأخذاً لعلومهم ومعارفهم أشنع وأعظم لا عما تلقوه من جهة النبي ﷺ زيادة على ما في التوراة وبياناً لما التبس عليهم وعلى آباؤهم من مشكلاتها حسبما ينطق به قوله تعالى إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون كما قالوا لأن تلقىهم لذلك من القرآن الكريم ليس بما يزجرهم عما صنعوا بالتوراة أما ما ورد فيه زيادة على ما فيها فلا أنه لا تعلق له بها نفيّاً ولا إثباتاً وأما ما ورد بطريق البيان فلا أن مدار ما فعلوا بها من التبديل والتحريف ليس ما وقع فيها من التباس الأمر واشتباه الحال حتى يقلعوا عن ذلك بإيضاحه وبيانه فتكون الجملة حينئذ خالية عن تأكيد التوبيخ فلا تستحق أن تقع موقع الحال بل الوجه حينئذ أن تكون استئنافاً مقررأ لما قبلها من مجيء الكتاب بطريق التكملة والاستطراد والتحديد لما يعقبه من مجيء القرآن ولا سبيل إلى جعل ماعبرة عما كتموه من أحكام التوراة كما يفصح عنه قوله تعالى قد جاءكم رسولنا بين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب فإن ظهوره وإن كان مزجراً لهم عن الكتم مخافة الافتضاح ومصححاً لوقوع الجملة في موقع الحال لكن ذلك مما يعلمه الكاتمون حتماً هذا وقد قيل الخطاب لمن آمن من قريش كما في قوله تعالى لتنذر قومأ ما أنذر آباؤهم وقوله تعالى (قل الله) أمر لرسول الله ﷺ بأن يجيب عنهم إشعاراً بتعين الجواب بحيث لا يحيد عنه وإيداناً بأنهم أخطأوا ولم يقدرُوا على التكلم أصلاً (ثم ذرهم في خوضهم) في باطلهم الذي يخوضون فيه ولا عليك بعد الإزام الحجة وإلزام الحجر (يلعبون) حال من الضمير الأول والظرف صلة للفعل المقدم أو المؤخر أو متعلق بمحذوف هو حال من مفعول الأول أو من فاعل الثاني أو الضمير الثاني لأنه فاعل في الحقيقة والظرف متصل بالاول (وهذا كتاب أنزلناه) تحقيق لنزول القرآن الكريم بعد تقرير إنزال ما بشر به من التوراة وتكذيب لهم في كتمانهم الشنعاء إثر تكذيب (مبارك) أى كثير الفوائد وجم المنافع (مصدق الذى بين يديه) من التوراة لنزوله حسبما وصف فيها أو الكتب التى قبله فإنه مصدق لكل فى إثبات التوحيد والأمر به ونفى الشرك والنهى عنه وفى سائر أصول الشرائع التى لا تنسخ (ولتنذر أُمَّ القري) عطف على ما دل عليه مبارك أى للبركات ولإنذارك أهل مكة وإنما ذكرت باسمها المنبئ عن كونها أعظم القري شأناً وقبلة لأنها قاطبة إيداناً بأن إنذار أهلها أصل مستتبع لإنذار أهل الأرض كافة وقرىء

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلَ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾

٦ الأنعام

وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

٦ الأنعام

- لينذر بالباء على أن الضمير للكتاب (ومن حولها) من أهل المدر والوبر في المشارق والمغارب (والذين يؤمنون بالآخرة) وبما فيها من أفانين العذاب (يؤمنون به) أي بالكتاب لأنهم يخافون العاقبة ولا يزال الخوف يحملهم على النظر والتأمل حتى يؤمنوا به (وهم على صلواتهم محافظون) تخصيص محافظتهم على الصلاة بالذكر من بين سائر العبادات التي لا بد للمؤمنين من أدائها للإيمان بإناقها من بين سائر الطاعات وكونها أشرف العبادات بعد الإيمان (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً) فزعم أنه تعالى ٩٣ بعثه نبياً كمسيلة الكذاب والاسود العنسى أو اختلق عليه أحكاماً من الحل والحرم كعمرو بن لحي ومتابعيه أي هو أظلم من كل ظالم وإن كان سبك التركيب على نفي الاظلم منه وإنكاره من غير تعرض لنفي المساوي وإنكاره فإن الاستعمال القاشي في قولك من أفضل من زيد أولاً أكرم منه على أنه أفضل من كل فاضل وأكرم من كل كريم وقد مر تمام الكلام فيه (أو قال أوحى إلى) من جهته تعالى (ولم يوح إليه) أي والحال أنه لم يوح إليه (شيء) أصلاً كعبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب للنبي ﷺ فلما نزلت ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين فلما بلغ ثم أنشأناه خلقاً آخر قال عبد الله تبارك الله أحسن الخالقين تعجباً من تفصيل خلق الإنسان ثم قال ﷺ اكتبها كذلك فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقاً فقد أوحى إلى كما أوحى إليه ولئن كان كاذباً فقد قلت كما قال (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا (ولو ترى إذ الظالمون) حذف مفعول ترى لدلالة الظرف عليه ● أي ولو ترى الظالمين إذ هم (في غمرات الموت) أي شدائده من غمره إذا غشيته (والملائكة باسطوا أيديهم) بقبض أرواحهم كالمقتاضي الملظ الملح يسط يده إلى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة من غير إهمال وتنفيس أو باسطوها بالعذاب قائلين (أخرجوا أنفسكم) أي أخرجوا أرواحكم إلينا من أجسادكم أو خلاصوا أنفسكم من العذاب (اليوم) أي وقت الإمانة أو الوقت الممتد بعده إلى مالا نهاية له (تجرون عذاب الهون) أي العذاب المتضمن لشدة وإهانة فإضافته إلى الهون وهو الهوان لمرافقته فيه (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) كاتخاذ الولد له ونسبة الشريك إليه وادعاء النبوة والوحى كاذباً (وكنتم عن آياته تستكبرون) فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون بها (ولقد جئتمونا) للحساب (فرادى) ٩٤

إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾

٦ الأنعام

فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ ٦ الأنعام

- منفردين عن الأموال والأولاد وغير ذلك مما آثرتموه من الدنيا أو عن الأعوان والأصنام التي كنتم
تزعمون أنها شفعاؤكم وهو جمع فرد والآلف للتأنيث ككسالى وقرىء فرداً كرجال وفرداً ككلمات
● وفردى كسكرى (كما خلقناكم أول مرة) بدل من فرادى أى على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد أو
حال ثانية عند من يجوز تعددها أو حال من الضمير في فرادى أى مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة
● غرلاً بهما أو صفة مصدر جئتمونا أى مجئنا خلقنا لكم أول مرة (وتركتهم ما خولناكم) تفضلناهم عليكم
● في الدنيا فشفغلتهم به عن الآخرة (وراء ظهوركم) ما قدمتم منه شيئاً ولم تحملوا فقيراً (وما نرى معكم شفعاؤكم
● الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء) أى شركاء الله تعالى في الربوبية واستحقاق العبادة (لقد تقطع بينكم) أى
وقع التقطع بينكم كما يقال جمع بين الشئيين أى أوقع الجمع بينهما وقرىء بينكم بالرفع على إسناد الفعل
إلى الظرف كما يقال قوتل أمامكم وخلفكم أو على أن البين اسم للفصل والوصل أى تقطع وصلكم وقرىء
● ما بينكم (وضل عنكم) أى ضاع أو غاب (ما كنتم تزعمون) أنها شفعاؤكم أو أن لا بعث ولا جزاء
٩٥ (إن الله فالق الحب والنوى) شروع في تقرير بعض أفعيله تعالى الدالة على كمال علمه وقدرته ولطف
صنعه وحكمته إثر تقرير أدلة التوحيد والخلق الشق بإبانة أى شاق الحب بالنبات والنوى بالشجر وقيل
المراد به الشق الذي في الحبوب والنوى أى خالفهما كذلك كما في قولك ضيق فم الركبة ووسع أسفلها
● وقيل الفلق بمعنى الخلق قال الواحدى ذهبوا بالفلق مذهب قاطر (يخرج الحي من الميت) أى يخرج ما ينمو
من الحيوان والنبات مما لا ينمو من النطفة والحب والجملة مستأنفة مبينة لما قبلها وقيل خبر ثان لأن وقوله
● تعالى (ويخرج الميت) كالنطفة والحب (من الحي) كالحيوان والنبات عطف على فالق الحب لا على يخرج
● على الوجه الأول لأن إخراج الميت من الحي ليس من قبيل فلق الحب والنوى (ذلكم) القادر العظيم
● الشأن هو (الله) المستحق للعبادة وحده (فأنى تؤفكون) فكيف تصرفون عن عبادته إلى غيره ولا
٩٦ سبيل إليه أصلاً (فالق الإصباح) خبر آخر لأن أول مبتدأ محذوف والإصباح مصدر سمي به الصبح وقرىء
بفتح الهمزة على أنه جمع صبح أى فالق عمود الفجر عن بياض النهار وأسفاره أو فالق ظلمة الإصباح وهى
● الغيب الذى يلى الصبح وقرىء فالق بالنصب على المدح (وجعل الليل سكناً) يسكن إليه التعب بالنهار
لا استراحته فيه من سكن إليه إذا اطمأن إليه استئناساً به أو يسكن فيه الخلق من قوله تعالى لتسكنوا فيه
وقرىء جاعل الليل فاتتصاب سكناً بفعل دل عليه جاعل وقيل بنفسه على أن المراد به الجعل المستمر في
الأزمنة المتجددة حسب تجددتها لا الجعل الماضى فقط وقيل اسم الفاعل من الفعل المتعدي إلى اثنين
يعمل في الثانى وإن كان بمعنى الماضى لأنه لما أضيف إلى الأول تعين نصبه للثانى لتعذر الإضافة بعد ذلك

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾

٦ الأنعام

وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ ٦ الأنعام

- (والشمس والقمر) معطوفان على الليل وعلى القراءة الأخيرة قبل هما معطوفان على محله والأحسن
- نصبهما حينئذ بفعل مقدر وقد قرنا بالجر وبالرفع أيضاً على الابتداء والخبر محذوف أى بجمولان (حسباناً)
- أى على أدوار مختلفة يحسب بها الأوقات التى ينط بها العبادات والمعاملات أو محسوبان حسباناً والحسبان بالضم مصدر حسب كما أن الحساب بالكسر مصدر حسب (ذلك) إشارة إلى جعلهما كذلك وما فيه من
- معنى البعد للإبذان بعلو رتبة المشار إليه وبعد منزلته أى ذلك التسيير البديع (تقدير العزيز) الغالب القاهر
- الذى لا يستعصى عليه شئ من الأشياء التى من جعلتها تسييرها على الوجه المخصوص (العليم) بجميع
- المعلومات التى من جعلها ما فى ذلك التسيير من المنافع والمصالح المتعلقة بمعاش الخلق ومعادهم (وهو الذى ٩٧
- جعل لكم النجوم) شروع فى بيان نعمته تعالى فى الكواكب لإثبات نعمته تعالى فى النيرين والجعل متعدد
- إلى واحد واللام متعلقة به وتأخير المفعول الصريح عن الجار والمجرور لما مر غير مرة من الاهتمام بالمقدم
- والتشويق إلى المؤخر أى أنشأها وأبدعها لا جملكم فقوله تعالى (لتهتدوا بها) بدل من المجرور بإعادة
- العامل بدل اشتمال كما فى قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن ليوثهم سقفاً والتقدير جعل لكم النجوم
- لا هتدائكم لكن لا على أن غاية خلقها اهتداؤهم فقط بل على طريقة لإفراد بعض منافعها وغاياتها بالذكر
- حسبما يقتضيه المقام وقد جوز أن يكون مفعولاً ثانياً للجعل وهو بمعنى التصيير أى جعلها كائنة لا هتدائكم
- فى أسفاركم عند دخولكم المفاوز أو البحار كما ينبى عنه قوله تعالى (فى ظلمات البر والبحر) أى فى
- ظلمات الليل فى البر والبحر وإضافتها إليهما لللازمة فإن الحاجة إلى الاهتداء بها إنما يتحقق عند ذلك
- أو فى مشتهات الطرق عبر عنها بالظلمات على طريقة الاستعارة (قد فصلنا الآيات) أى بينا الآيات
- المتلوة المذكرة لنعمته التى هذه النعمة من جعلها أو الآيات التكوينية الدالة على شئونه تعالى مفصلة (لقوم
- يعلمون) أى معانى الآيات المذكورة ويعلمون بموجبها أو يتفكرون فى الآيات التكوينية فيعلمون حقيقة
- الحال وتخصيص التفصيل بهم مع عمومته للكل لأنهم المنتفعون به (وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة) ٩٨
- تذكير لنعمة أخرى من نعمته تعالى دالة على عظم قدرته ولطيف صنعه وحكمته أى أنشأكم مع كثر تكلم من
- نفس آدم عليه السلام (فمستقر ومستودع) أى فلككم استقراراً فى الأصلاب أو فوق الأرض واستيداع
- فى الأرحام أو تحت الأرض أو موضع استقرار واستيداع فيها ذكر والتعبير عن كونهم فى الأصلاب
- أو فوق الأرض بالاستقرار لأنهما مقرهم الطبيعى كما أن التعبير عن كونهم فى الأرحام أو تحت
- الأرض بالاستيداع لما أن كلا منهما ليس بمقرهم الطبيعى وقد حمل الاستيداع على كونهم فى الأصلاب
- وليس بواضح وقرئ فمستقر بكسر القاف أى فنكم مستقر ومنكم مستودع فإن الاستقرار منا

وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ٦ الأنعام

- بخلاف الاستيداع (قد فصلنا الآيات) المبينة لتفاصيل خلق البشر من هذه الآية ونظائرها (لقوم يفقهون) غوامض الدقائق باستعمال الفطنة وتدقيق النظر في لطائف صنع الله عز وجل في أطوار تخليق بني آدم بما تحار في فهمه الالباب وهو السر في إشار يفقهون على يعلمون كما ورد في شأن النجوم
- ٩٩ (وهو الذي أنزل من السماء ماء) تذكير لنعمة أخرى من نعمه تعالى منبهة عن كمال قدرته تعالى وسعة رحمته أي أنزل من السحاب أو من سميت السماء ماء خاصاً هو المطر وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مراراً (فأخرجنا به) التفت إلى التكلم لإظهار الكمال العناية بشأن ما أنزل الماء لأجله أي
- فأخرجنا بعظمتنا بذلك الماء مع وحدته (نبات كل شيء) من الأشياء التي من شأنها النمو من أصناف النجم والشجر وأنواعها المختلفة في الكم والكيف والخواص والآثار اختلافاً متفاوتاً في مراتب الزيادة والنقصان حسبما يفصح عنه قوله تعالى يسقي بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل وقوله تعالى
- (فأخرجنا منه خضراً) شروع في تفصيل ما أجمل من الإخراج وقد بدى بتفصيل حال النجم أي فأخرجنا من النبات الذي لا ساق له شيئاً غصناً أخضر يقال شيء أخضر وخضر كأور وعور وأكثر ما يستعمل
- الخضر فيما تكون خضرته خلقية وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة وقوله تعالى (نخرج منه) صفة لخضراً وصيغة المضارع لاستحضار الصورة لما فيها من الغرابة أي نخرج من ذلك الخضر (حباً متراكباً) هو السنبل المنتظم للحبوب المتراكبة بعضها فوق بعض على هيئة مخصوصة وقرى يخرج منه
- حب متراكب وقوله تعالى (ومن النخل) شروع في تفصيل حال الشجر إثر بيان حال النجم فقوله تعالى
- من النخل خبر مقدم وقوله تعالى (من طلعمها) بدل منه بإعادة العامل كما في قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر يخرج من النخل كأنه نعلان مطبقان والحمل بينهما
- منضود وقوله تعالى (قنوان) مبتدأ أي وحاصلة من طلع النخل قنوان ويجوز أن يكون الخبر محذوفاً لدلالة أخرجنا عليه أي ومخرجة من طلع النخل قنوان ومن قرأ يخرج منه حب متراكب كان قنوان
- عنده معطوفاً على حب وقيل المعنى وأخرجنا من النخل نخلاً من طلعمها قنوان أو ومن النخل شيء من طلعمها قنوان وهو جمع قنوه وهو عنقود النخلة كصنو وصنوان وقرى بضم القاف كذب وذوبان
- وبفتحها أيضاً على أنه اسم جمع لأن فعلاً ليس من أبنية الجمع (دانية) سهلة المجتئ قرية من القاطف فإنها وإن كانت صغيرة يناها القاعد تأتي بالثمر لا ينتظر الطول أو ملتفة متقاربة والافتصار على ذكرها
- لدلائها على مقابلها كقوله تعالى سراييل تقيمكم الحر ولزيادة النعمة فيها (وجنات من أعناب) عطف على نبات كل شيء أي وأخرجنا به جنات كائنة من أعناب وقرى جنات بالرفع على الابتداء أي ولكم

وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٠﴾

٦ الأنعام

- أو ثمة جنات وقد جوز عطفه على قنوان كأنه قبيل وحاصلة أو مخرجة من النخل قنوان وجنات من نبات وأعناب ولعل زيادة الجنات ههنا من غير اكتفاء بذكر اسم الجنس كما فيما تقدم وما تأخر لما أن الانتفاع بهذا الجنس لا يتأتى غالباً إلا عند اجتماع طائفة من أفراده (والزيتون والرمان) منصوبان على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم أو على العطف على نبات وقوله تعالى (مشبهها وغير متشابهه) حال من الزيتون اكتفى به عن حال ماء عطف عليه كما يكتفى بخبر المعطوف عليه عن خبر المعطوف في نحو قوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه وتقديره والزيتون مشبهها وغير متشابهه والرمان كذلك وقد جوز أن يكون حالاً من الرمان لقربه ويكون المحذوف حال الأول والمعنى بعضه متشابهها وبعضه غير متشابهه في الهيئة والمقدار واللون والطعم وغير ذلك من الأوصاف الدالة على كمال قدرة صانعها وحكمة منشئها ومبدعها (انظروا إلى ثمره إذا أثمر) أى انظروا إليه نظر اعتبار واستبصار إذا أخرج ثمره كيف يخرج ضئيلاً لا يكاد ينتفع به وقرىء إلى ثمره (وينعه) أى وإلى حال نضجه كيف يصير إلى كماله اللائق به ويكون شيئاً جامعاً لمنافع جمّة والينع في الأصل مصدر ينعت الثمرة إذا أدركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرىء بالضم وهى لغة فيه وقرىء يانعة (إن في ذلكم) إشارة إلى ما أمر بالنظر إليه وما فى اسم الإشارة من معنى البعد الإيذان بعلو رتبة المشار إليه وبعد منزلته (آيات لقوم يؤمنون) أى لآيات عظيمة أو كثيرة دالة على وجود القادر الحكيم ووحدته فإن حدوث هاتيك الأجناس المختلفة والأنواع المتشعبة من أصل واحد وانتقالها من حال إلى حال على نمط بديع يحار في فهمه إلا لباب لا يكاد يكون إلا بإحداث صانع يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته من الوجوه الممكنة على غيره ولا يعوقه عن ذلك ضد يناويه أو ينافويه ولذلك عقب بتوبيخ من أشرك به والرد عليه حيث قيل (وجعلوا لله شركاء) ١٠٠ أى جعلوا في اعتقادهم لله الذى شأنه مافصل في تضاعيف هذه الآيات الجليلة شركاء (الجن) أى الملائكة حيث عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسموا جنّاً لا جتناهم تحقيراً لشأنهم بالنسبة إلى مقام الألوهية أو الشاطين حيث أطاعوهم كما أطاعوا الله تعالى أو عبدوا الأوثان بتسويلهم وتحريضهم أو قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشیطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأى التنوية ومفعولاً جعلوا قوله تعالى شركاء الجن قدم ثانيتها على الأول لاستعظام أن يتخذ الله سبحانه شريكاً ما كنا ما كان والله متعلق بشركاء قدم عليه للنسبة المذكورة وقيل هما لله شركاء والجن بدل من شركاء مفسر له نص عليه الفراء وأبو إسحاق أو منصوب بمضمر وقع جواباً على سؤال مقدر نشأ من قوله تعالى وجعلوا لله شركاء كأنه قيل من جعلوه شركاء لله تعالى فقيل الجن أى جعلوا الجن ويؤيده قراءة أبى حيوة ويزيد بن قطيب الجن بالرفع على تقديرهم الجن في جواب من قال من الذين جعلوهم شركاء لله تعالى وقد قرىء بالجر على أن الإضافة للتبيين

بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنِّي يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾

٦ الأنعام

- (وخلقهم) حال من فاعل جعلوا بتقدير قد أو بدونه على اختلاف الرايين مؤكدة لما في جعلهم ذلك من كمال القباحة والبطلان باعتبار علمهم بمضمونها أى وقد علموا أنه تعالى خالقهم خاصة وقيل الضمير للشركاء أى والحال أنه تعالى خلق الجن فكيف يعملون مخلوقه شريكاً له تعالى وقرىء خلقهم عطفاً على الجن أى وما يخلفونه من الأصنام أو على شركاء أى وجعلوا له اختلاقهم الإلفك حيث نسبوه إليه تعالى (وخرقوا له) أى افتعلوا وافتروا له يقال خلق الإلفك واختلقه وخرقه واخترقه بمعنى وقرىء خرقوا بالتشديد للتكثير وقرىء وخرقوا له أى زوروا (بنين وبنات) فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت طائفة من العرب الملائكة بنات الله (بغير علم) أى بحقيقة ما قالوه من خطأ أو صواب بل رمياً بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية أو بغير علم بمرتبة ما قالوه وأنه من الشناعة والبطلان بحيث لا يقادر قدره والباء متعلقة بمحذوف هو حال من فاعل خرقوا أو نعت المصدر مؤكداً له أى خرقوا ملتبسين بغير علم أو خرقوا كائناً بغير علم (سبحانه) استئناف مسوق لتزيينه عز وجل عما نسبوه إليه وسبحانه علم للتسبيح الذى هو التبعيد عن السوء اعتقاداً وقولاً أى اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبيح فى الأرض والماء إذا أبعد فيهما وأمعن ومنه فرس سبوح أى واسع الجرى وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه أى أصبح سبحانه أى أنزهه عما لا يليق به عقداً وعملاً تزيهاً خاصاً به حقيقةً بشأنه وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق من السبيح ومن جهة النقل إلى التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس إلى الاسم الموضوع له خاصة لاسيما العلم المشير إلى الحقيقة الخاطرة فى الذهن ومن جهة إقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران لأنه سمع له فعل من الثلاث كما ذكر فى القاموس أريد به التنزه التام والتباعد الكلى فقيه مبالغة من حيث إسناد التنزه إلى ذاته المقدسة
- أى تنزه بذاته تنزهاً لا نفقاً به وهو الأنسب بقوله سبحانه (وتعالى) فإنه معطوف على الفعل المضمر
- لا محالة ولما فى السبحان والتعالى من معنى التباعد قيل (عما يصفون) أى تباعد عما يصفونه من أن له شريكاً
- ١٠١ أولداً (بديع السموات والأرض) أى مبدعهما ومخترعهما بلا مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه فإن البديع كما يطلق على المبدع يطلق على المبدع نص عليه أئمة اللغة كالصريح بمعنى المصرخ وقد جاء بدعه كمنعه بمعنى أنشأه كابتدعه على ما ذكر فى القاموس وغيره ونظيره السميع بمعنى المسمع فى قوله [أمن رجالة الداعي السميع] وقيل هو من إضافة الصفة المشبهة إلى الفاعل للتخفيف بعد نصبه تشبيهاً لها باسم الفاعل كما هو المشهور أى بديع سمواته وأرضه من بدع إذا كان على نمط عجيب وشكل فائق وحسن رائع أو إلى الظرف كما فى قولهم ثبت الغدر بمعنى أنه عديم النظر فيهما والأول هو الوجه والمعنى أنه تعالى مبدع لقطرى العالم العلوى والسفلى بلا مادة فاعل على الإطلاق منزّه عن الانفعال بالمرّة والوالد عنصر الولد منفعل

ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ٦ الأنعام

- بانتقال مادته عنه فكيف يمكن أن يكون له ولد وقرىء بديع بالنصب على المدح وبالجر على أنه بدل من الاسم الجليل أو من الضمير المجرور في سبحانه على رأى من يجيزه وارتفاعه في القراءة المشهورة على أنه خبر مبتدأ محذوف أو فاعل تعالى وإظهاره في موضع الإضمار لتعليل الحكم وتوسيط الظرف بينه وبين الفعل للاهتمام ببيان أو مبتدأ خبره قوله تعالى (أنى يكون له ولد) وهو على الأولين جملة ● مستقلة مسوقة كما قبلها لبيان استحالة ما نسبوه إليه تعالى وتقرير تنزهه عنه وقوله تعالى (ولم تكن له صاحبة) حال مؤكدة للاستحالة المذكورة فإن انتفاء أن يكون له تعالى صاحبة مستلزم لانتفاء أن يكون له ولد ضرورة استحالة وجود الولد بلا والدة وإن أمكن وجوده بلا والد وانتفاء الأول مما لا ريب فيه لا جد فن ضرورته انتفاء الثانى أى من أين أو كيف يكون له ولد كما زعموا والحال أنه ليس له على زعمهم أيضاً صاحبة يكون الولد منها وقرىء لم يكن بتذكير الفعل للفصل أولاً لأن الاسم ضميره تعالى والخبر هو الظرف وصاحبة مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ أو الظرف خبر مقدم وصاحبة مبتدأ مؤخر والجملة خبر للسكون وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون الاسم ضمير الشأن لصاحبة الجملة حيث لا تكون مفسرة لضمير الشأن لعل الوجه الأول لما بين في موضعه أن ضمير الشأن لا يفسر إلا بجملة صريحة وقوله تعالى (وخلق كل شيء) إما جملة مستأنفة أخرى سيقى لتحقيق ما ذكر من الاستحالة أو حال أخرى ● مقرر لها أى أنى يكون له ولد والحال أنه خلق كل شيء انتظمه التكوين والإيجاد من الموجودات التى من جملتها ما سموه ولداً له تعالى فكيف يتصور أن يكون المخلوق ولداً لحالقه (وهو بكل شيء) من شأنه أن يعلم كائناً ما كان مخلوقاً أو غير مخلوق كما ينبىء عنه ترك الإضمار إلى الإظهار (عليم) مبالغ في العلم أزلاً وأبداً ● حسبما يعرب عنه العدول إلى الجملة الاسمية فلا يخفى عليه خافية مما كان وما سيكون من الذوات والصفات والأحوال التى من جملتها ما يجوز عليه تعالى وما لا يجوز من المحالات التى ما زعموه فرد من أفرادها والجملة استئناف مقرر لمضمون ما قبلها من الدلائل القاطعة ببطلان مقاتلهم الشنعاء التى اجترعوا عليها بغير علم (ذاكم) إشارة إلى المنعوت بما ذكر من جلائل النعوت وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو شأن الميمار ١٠٢ ● إليه وبعد منزلته في العظمة والخطاب للبشر كين المعهودين بطريق الالتفات وهو مبتدأ وقوله تعالى (الله) ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء) أخبار أربعة مترادفة أى ذلك الموصوف بتلك الصفات العظيمة هو الله المستحق للعبادة خاصة مالك أمركم لا شريك له أصلاً خالق كل شيء مما كان وما سيكون فلا تكرار إذ المعتبر في عنوان الموضوع إنما هو خالقيته لما كان فقط كما ينبىء عنه صيغة الماضى وقيل الخبر هو الأول والبواقي أبدال وقيل الاسم الجليل بدل من المبتدأ والبواقي أخبار وقيل يقدر لكل من الأخبار الثلاثة مبتدأ وقيل يجعل الكل بمنزلة اسم واحد وقوله تعالى (فأعبدوه) حكم مترتب على مضمون الجملة فإن من جمع هذه الصفات كان هو المستحق للعبادة خاصة وقوله تعالى (وهو على كل شيء وكييل) عطف على الجملة ● ٢٢٥ - أبو السعود ج ٣

لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ٦ الأنعام

قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ ﴿١٠٤﴾ ٦ الأنعام

وَكَذَلِكَ نَصْرَفُ الْأَيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٦ الأنعام

- المتقدمة أى هو مع ما فصل من الصفات الجليلة متولى أمور جميع مخلوقاته التى أنتم من جملتها فكلوا أموركم إليه وتوسلوا بعبادته إلى نجاح مآربكم الدنيوية والأخرية (لا تدركه الأبصار) البصر حاسة النظر وقد تطلق على العين من حيث إنها محلها وإدراك الشيء عبارة عن الوصول إليه والإحاطة به أى لا تصل إليه الأبصار ولا تحيط به كما قال سعيد بن المسيب وقال عطاء كلت أبصار المخلوقين عن الإحاطة به فلا متمسك فيه لمنكرى الرؤية على الإطلاق وقد روى عن ابن عباس ومقاتل رضى الله عنهم لا تدركه الأبصار فى الدنيا وهو يرى فى الآخرة (وهو يدرك الأبصار) أى يحيط بها علمه إذ لا تخفى عليه خافية ● (وهو اللطيف الخبير) فيدرك ما لا تدركه الأبصار ويجوز أن يكون تعليلاً للحكمين السابقين على طريقة ألف أى لا تدركه الأبصار لأنه اللطيف وهو يدرك الأبصار لأنه الخبير فيكون اللطيف مستفاداً من ١٠٤ مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها وقوله تعالى (قد جاءكم بصائر من ربكم) استئناف وارد على لسان النبي ﷺ والبصائر جمع بصيرة وهى النور الذى به تستبصر النفس كما أن البصر نور به تبصر العين والمراد بها الآية الواردة ههنا أو جميع الآيات المنتظمة لها انتظاماً أولياً ومن لا ابتداء الغاية مجازاً سواء تعلقت بجاء أو بمحذوف هو صفة لبصائر والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين لإظهار كمال اللطف بهم أى قد جاءكم من جهة ما تسلكونه ومبلغكم إلى كمالكم الاتق بكم من الوخى ● الناطق بالحق والصواب ما هو كالبصائر للقلوب أو قد جاءكم بصائر كائنة من ربكم (فمن أبصر) أى الحق ● بتلك البصائر وآمن به (فلنفسه) أى فلنفسه أبصر أو فإبصاره لنفسه لأن نفعه مخصوص بها (ومن عمى) أى ومن لم يبصر الحق بعد ما ظهر له بتلك البصائر ظهوراً بيناً وضل عنه وإنما عبر عنه بالعمى ● تقييحاً له وتنفيراً عنه (فعليها) أى فعلها عمى أو فعما عليها أو وبال عماه (وما أنا عليكم بحفيظ) وإنما ١٠٥ أما منذر والله هو الذى يحفظ أعمالكم ويجازيكم عليها (وكذلك نصرف الآيات) أى مثل ذلك التصريف البديع نصرف الآيات الدالة على المعانى الرائقة الكاشفة عن الحقائق الفائقة لا تصريفاً أدنى منه وقوله تعالى (وليقولوا درست) علة لفعل قد حذف تعويلاً على دلالة السباق عليه أى وليقولوا درست نفعل ما نفعل من التصريف المذكور واللام للعاقبة والواو اعتراضية وقيل هى عاطفة على علة محذوفة واللام متعلقة بنصرف أى مثل ذلك التصريف نصرف الآيات لنلزمهم الحجة وليقولوا الخ وقيل اللام لام الأمر وتنصره القراءة بسكون اللام كأنه قيل وكذلك نصرف الآيات وليقولوا هم ما يقولون فإنه لا احتفال بهم ولا اعتداد بقولهم وهذا أمر معناه الوعيد والتهديد وعدم الاكتراث بقولهم ورد عليه بأن ما بعده بإياه ومعنى درست قرأت وتعلمت وقرىء درست أى دارست العلماء ودرست أى قدمت

اتَّبِعْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ الأنعام
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ الأنعام
وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ
ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ الأنعام

- هذه الآيات وعفت كما قالوا أساطير الأولين ودرست بضم الراء مبالغة في درست أى اشتد دروسها ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت أو عفيت ودارست وفسروها بدارست اليهود ومحمد ﷺ وراز الإضمار لاشتهارهم بالدراسة وقد جوز إسناد الفعل إلى الآيات وهو في الحقيقة لأهلها أى دارس أهل الآيات وحملتها محمد ﷺ وهم أهل الكتاب ودرس أى درس محمد ودارسات أى هى دارسات أى قديمات أودات درس كعبشة راضية وقوله تعالى (ولنبينه) عطف على ليقولوا واللام على الأصل لأن التبيين غاية التصريف والضمير الآيات باعتبار المعنى أو للقرآن وإن لم يذكر أو للمصدر أى ولنفعل التبيين واللام في قوله تعالى (لقوم يعلمون) متعلقة بالتبيين وتخصيصه بهم لما أنهم المنتفعون به قال ابن عباس هم أولياؤه الذين هدام إلى سبيل الرشاد ووصفهم بالعلم للإيدان بغاية جهل الأولين وخلوهم عن العلم بالمرّة (اتبع ما أوحى ١٠٦ إليك من ربك) لما حكى عن المشركين قدحهم في تصريف الآيات عقب ذلك بأمر ﷺ بالثبات على ما هو عليه وبعدم الاعتداد بهم وبأباطيلهم أى دم على ما أنت عليه من اتباع ما أوحى إليك من الشرائع والأحكام التى عمدتها التوحيد وفى التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره ﷺ من إظهار اللطف به ما لا يخفى وقوله تعالى (لا إله إلا هو) اعتراض بين الأمرين المتعاطفين مؤكدا لإيجاب اتباع الوحى لاسيما فى أمر التوحيد وقد جوز أن يكون حالا من ربك أى منفردا فى الألوهية (وأعرض عن المشركين) لا تحتفل بهم وبأقاويلهم الباطلة التى من جملتها ما حكى عنهم آنفا ومن جعله منسوخا بآية السيف حمل الإعراض على ما يعم الكف عنهم (ولو شاء الله) أى عدم إشارتهم حسبها هو القاعدة ١٠٧ المستمرة فى حذف مفعول المشيئة من وقوعها شرطاً وكون مفعولها مضمون الجزاء (ما أشركوا) وهذا دليل على أنه تعالى لا يريد إيمان الكافر لكن لا بمعنى أنه تعالى يمنع عنه مع توجهه إليه بل بمعنى أنه تعالى لا يريد منه لعدم صرف اختياره الجزئى نحو الإيمان وإصراره على الكفر والجملة اعتراض مؤكدا للإعراض وكذا قوله تعالى (وما جعلناك عليهم حفيظاً) أى رقيباً مهيمناً من قبلنا تحفظ عليهم أعمالهم وكذا قوله تعالى (وما أنت عليهم بوكيل) من جهتهم تقوم بأمرهم وتدبر مصالحهم وعليهم فى الموضعين متعلق بما بعده قدم عليه للاهتمام به أو لرعاية الفواصل (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله) أى ١٠٨ لا تشتموهم من حيث عبادتهم لألهتهم كأن تقولوا تبا لكم ولما تعبدونه مثلاً (فيسبوا الله عدواً) تجاوزاً عن الحق إلى الباطل بأن يقولوا لكم مثل قولكم لهم (بغير علم) أى بجهالة بالله تعالى وبما يجب أن يذكر

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعُرُكُمْ
أَنَّهُآ إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾

٦ الأنعام

به وقرىء. عدوا يقال عدا يعدو عدوا وعدوا وعداء وعدوانا . روى أنهم قالوا الرسول الله ﷺ عند نزول قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لئن لم يكن من سب آلهتنا أو لنهجون إهلك وقيل كان المسلمون يسبونهم فنوا عن ذلك لئلا يستنفع سبهم سبه سبحانه وتعالى وفيه أن الطاعة إذا أدت إلى معصية راجحة وجب تركها فإن ما يؤدي إلى الشر شر (كذلك) أي مثل ذلك التزيين القوي (زينا لكل أمة عملهم) من الخير والشر بإحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقاً أو تخذيباً ويجوز أن يراد بكل أمة أمم الكفرة إذ الكلام فيهم وبعملهم شرهم وفسادهم والمشيبه به تزيين سب الله تعالى لهم (ثم إلى ربهم) مالك أمرهم (مرجعهم) أي رجوعهم بالبعث بعد الموت (فينبئهم) من غير تأخير (بما كانوا يعملون) في الدنيا على الاستمرار من السيئات المزيينة لهم وهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعد ساء خبرك بما فعلت وفيه نكتة سرية مبنية على حكمة آية وهي أن كل ما يظهر في هذه النشأة من الأعيان والأعراض فإنما يظهر بصورة مستعارة مخالفة لصورته الحقيقية التي بها يظهر في النشأة الآخرة فإن المعاصي عموم قاتلة قد برزت في الدنيا بصورة ماتستحسنها نفوس العصاة كما نطقت به هذه الآية الكريمة وكذا الطاعات فإنها مع كونها أحسن الأحاسن قد ظهرت عندهم بصورة مكروهة ولذلك قال ﷺ حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فأعمال الكفرة قد برزت لهم في النشأة بصورة مزينة يستحسنها الفؤاد ويستحبها الطغاة وستظهر في النشأة الآخرة بصورتها الحقيقية المنكرة الهائلة فعند ذلك يعرفون أن أعمالهم ماذا فعبث عن إظهارها بصورها الحقيقية بالإخبار بها لما أن كلا منهما سبب للعلم بحقيقتها كما هي فليتدبر قوله تعالى (وأقسموا بالله) روى أن قريشاً اقترحوا بعض آيات فقال رسول الله ﷺ فإن فعلت بعض ما تقولون أتصدقونني فقالوا نعم وأقسموا لئن فعلته لئؤمن جميعاً فسأل المسلمون رسول الله ﷺ أن ينزلها طمعا في إيمانهم فنهى ﷺ بالدعاء فنزلت وقوله تعالى (جهداً أيماهم) مصدر في موقع الحال أي أقسموا به تعالى جاهدين في أيماهم (لئن جاءتهم آية) من مقترحاتهم أو من جنس الآيات وهو الأنسب بحالهم في المكابرة والعناد وتراعى أمرهم في العتو والفساد حيث كانوا لا يعدون ما يشاهدونه من المعجزات الباهرة من جنس الآيات (ليؤمن بها) وما كان مرمى غرضهم في ذلك إلا التحكم على رسول الله ﷺ في طلب المعجزة وعدم الاعتداد بما شاهدوا منه من البينات الحقيقة بأن تقطع بها الأرض وتسير بها الجبال (قل إنما الآيات) أي كما هي داخل فيها ما اقترحوه دخولا أولاً (عند الله) أي أمرها في حكمه وقضائه خاصة يتصرف فيها حسب مشيئته المبنية على الحكم البالغة لا تتعلق بها ولا بشأن من شئونها قدرة أحد ولا مشيئته لاستقلاله ولا اشتراكا بوجه من الوجوه حتى يمكنني أن أتصدى لاستنزائها بالاستدعاء وهذا كما ترى سد لباب الاقتراح على أبلغ وجه وأحسنه

وَنُقَلِّبُ أَفْعَدَّتْهُمْ وَأَبْصَرْتُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ الأنعام

- بيان علو شأن الآيات وصعوبة منالها وتعالها من أن تكون عرضة للسؤال والاقتراح وأما ما قيل من أن المعنى إنما الآيات عند الله تعالى لا عندى فكيف أجيبكم إليها أو آتاكم بها وهو القادر عليها لا أنا حتى آتاكم بها فلا مناسبة له بالمقام كيف لا وليس مقترحهم مجيئها بغير قدرة الله تعالى وإرادته حتى يجابوا بذلك وقوله تعالى (وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون) كلام مستأنف غير داخل تحت الأمر مسوق من جهة تعالى لبيان الحكمة الداعية إلى ما أشعر به الجواب السابق من عدم مجيء الآيات خو طب به المسلمون إما خاصة بطريق التلويح لما كانوا راغبين في نزولها طمعاً في إسلامهم وإمامة عليه السلام بطريق التعميم لما روى عنه عليه السلام من الهم بالدعاء وقد بين فيه أن إيمانهم فاجرة وإيمانهم مما لا يدخل تحت الوجود وإن أجيب إلى ما سألوه عليه السلام واستفهامية إنكارية لكن لا على أن مرجع الإنكار هو وقوع المشعر به بل هو نفس الإشعار مع تحقق المشعر به في نفسه أى وأى شئ يعلمكم أن الآية التي يقترحونها إذا جاءت لا يؤمنون بل يبقون على ما كانوا عليه من الكفر والعناد أى لا تعلمون ذلك فتتمنون مجيئها طمعاً في إيمانهم فكأنه بسط عذر من جهة المسلمين في تمنيم نزول الآيات وقيل (لا مزيدة) فيتوجه الإنكار إلى الإشعار والمشعر به جميعاً أى أى شئ يعلمكم إيمانهم عند مجيء الآيات حتى تمنوا مجيئها طمعاً في إيمانهم فيكون تخطئة لرأى المسلمين وقيل أن بمعنى لعل يقال ادخل السوق أنك تشتري اللحم وعنك وعلك ولعلك كلها بمعنى ويؤيده أنه قرىء لعلها إذا جاءت لا يؤمنون على أن الكلام قد تم قبله والمفعول الثانى ليشعركم محذوف كما في قوله تعالى وما يدريك لعله يزكى والجملة استئناف لتعليل الإنكار وتقريره أى أى شئ يعلمكم حالهم وما سيكون عند مجيء الآيات لعلها إذا جاءت لا يؤمنون بها فالكم تمنون مجيئها فإن تمنيه إنما يليق بما إذا كان إيمانهم بها محقق الوجود عند مجيئها لا مرجو العدم وقرىء عليه السلام بالكسر على أنه استئناف حسبما سبق مع زيادة تحقيق لعدم إيمانهم وقرىء لا تؤمنون بالفوقانية فالخطاب في وما يشعركم للمشركين وقرىء وما يشعرهم أنها إذا جاءت لا يؤمنون فرجع الإنكار إقدام المشركين على الإقسام المذكور مع جهلهم بحال قلوبهم عند مجيء الآيات وبكونها حينئذ كما هي الآن (ونقلب أفعدتهم وأبصارهم) عطف على لا يؤمنون داخل في حكم ما يشعركم مقيد بما قيد به أى وما يشعركم أنا نقلب أفعدتهم عن إدراك الحق فلا يفقهونه وأبصارهم عن اجتلائه فلا يبصرونه لكن لا مع توجهها إليه واستعدادها لقبوله بل لكمال نبوها عنه وإعراضها بالسلبية ولذلك أخر ذكره عن ذكر عدم إيمانهم لإشعاراً بأصالتهم في الكفر وحسباً لتوهم أن عدم إيمانهم ناشئ من تقلبيه تعالى مشاعرهم بطريق الإجبار (كالم يؤمنوا به) أى بما جاء من الآيات (أول مرة) أى عند ورود الآيات السابقة والكاف في محل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف منصوب بلا يؤمنون ومما صدرية أى لا يؤمنون بل يكفرون كقرأ كائناً ككفرهم أول مرة وتوسط قلب الالف والابصار بينهما لأنه من متمات عدم إيمانهم (ونذرهم) عطف على لا يؤمنون داخل في حكم الاستفهام الإنكارى مقيد بما قيد به مبين لما هو المراد بتقلب الأفدة

وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَيْنَا وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبَلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾

٦ الأقسام

والأبصار ومعرب عن حقيقته بأنه ليس على ظاهره بأن يقلب الله سبحانه مشاعرهم عن الحق مع توجههم إليه واستعدادهم له بطريق الإيجاب بل بأن يخليهم وشأنهم بعد ما علم فساد استعدادهم وفرط نفورهم عن الحق وعدم تأثير اللطف فيهم أصلاً ويطبع على قلوبهم حسماً يقتضيه استعدادهم كما أشرنا إليه وقوله تعالى (في طغيانهم) متعلق بنذرهم وقوله تعالى (يعمهمون) حال من الضمير المنصوب في نذرهم أي ندعهم في طغيانهم متحيرين لانهديمهم هداية المؤمنين أو مفعول ثان لنذرهم أي نصيرهم عامين وقرىء يقلب ويذر بالياء على إسنادهما إلى ضمير الجلالة وقرىء قلب بالتاء والبناء للمفعول على إسناده إلى أفئدتهم (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة) تصریح بما أشعر به قوله عز وجل وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون من الحكمة الداعية إلى ترك الإجابة إلى ما اقترحوه من الآيات إثرياً بيان أنها في حكمه تعالى وقضائه المبني على الحكم البالغة لا مدخل لأحد في أمرها بوجه من الوجوه وبيان لكذبهم في إيمانهم الفاجرة على أبلغ وجه وأكده أي ولو أننا لم نفتصر على إيتاء ما اقترحوه ههنا من آية واحدة من الآيات بل نزلنا إليهم الملائكة كما سأله

● بقولهم لولا أنزل علينا الملائكة وقولهم لوما تأتينا بالملائكة (وكلمهم الموتى) وشهدوا بحقيقة الإيمان بعد أن

● أحييناهم حسماً اقترحوه بقولهم فأتوا بآبائنا (وحشرنا) أي جمعنا (عليهم كل شيء قبلاً) بضمين وقرىء بسكون الباء أي كفلاء بصحة الأمر وصدق النبي ﷺ على أنه جمع قبيل بمعنى الكفيل كـ رغيف ورغف وقضيب وقضب وهو الأنسب بقوله تعالى أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً أي لو لم نفتصر على ما اقترحوه بل زدنا على ذلك بأن أحضرنا لديهم كل شيء بتأني منه الكفالة والشهادة بما ذكر لا فرادى بل بطريق المعية أو جماعات على أنه جمع قبيل وهو جمع قبيلة وهو الأقرب لعدم كل شيء وشموله للأصناف والأصناف أي حشرنا كل شيء نوعاً نوعاً وصنفاً صنفاً وفوجاً فوجاً وانتصابه على الحالية وجمعيته باعتبار الكل المجموعى اللازم لكل الأفراد أو مقابلة وعياناً على أنه مصدر كقبلاً وقد قرىء كذلك وانتصابه على الوجهين على أنه مصدر في موقع الحال وقد نقل عن المبرد وجماعة من أهل اللغة أن الأخير بمعنى الجهة كافي قولك لي قبل فلان حق وأن انتصابه على الظرفية (ما كانوا ليؤمنوا) أي ما صح وما استقام لهم الإيمان لتأديهم في العصيان وغلوم في التردد والطغيان وأما سبق القضاء عليهم بالكفر فمن الأحكام المترتبة على ذلك حسماً يبنى عنه قوله عز وجل ونذرهم في طغيانهم يعمهون وقوله تعالى (إلا أن يشاء الله) استثناء مفرغ من أعم الأحوال والاتفات إلى الاسم الجليل لتربية المهابة وإدخال الروعة أي ما كانوا ليؤمنوا بعد اجتماع ما ذكر من الأمور الموجبة للإيمان في حال من الأحوال الداعية إليه المنعمة لموجباته المذكورة إلا في حال مشيئته تعالى لإيمانهم أو من أعم العلل أي ما كانوا ليؤمنوا لعل من العلل المعدودة وغيرها إلا لمشيئته تعالى له وأياً ما كان فليس المراد بالاستثناء بيان أن إيمانهم على خطر الوقوع بناء على كون مشيئته

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾

٦ الأنعام

- تعالى أيضاً كذلك بل بيان استحالة وقوعه بناء على استحالة وقوعها كأنه قيل ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله وهيات ذلك وحالهم حالهم بدليل ماسبق من قوله تعالى ونقلب أقدتهم الآية كيف لا وقوله عز وجل (ولكن أكثرهم يجهلون) استدراك من مضمون الشرطية بعد ورود الاستثناء لا قبله ولا ريب في أن الذي يجهلونه سواء أريد بهم المسلمون وهو الظاهر أو المقسمون ليس عدم إيمانهم بلامشيتة الله تعالى كما هو اللازم من حمل النظم الكريم على المعنى الأول فإنه ليس بما يعتقده الأولون ولا بما يدعيه الآخرون بل إنما هو عدم إيمانهم لعدم مشيئته إيمانهم ومرجعه إلى جهلهم بعدم مشيئته إياه فالمعنى أن حالهم كما شرح ولكن أكثر المسلمين يجهلون عدم إيمانهم عند مجيء الآيات لجهلهم عدم مشيئته تعالى لإيمانهم فيتمنون مجيئها طمعاً فيما لا يكون فالجملته مقرر لمضمون قوله تعالى وما يشعركم الخ على القراءة المشهورة أو ولكن أكثر المشركين يجهلون عدم إيمانهم عند مجيء الآيات لجهلهم عدم مشيئته تعالى لإيمانهم حينئذ فيقسمون بالله جهد إيمانهم على ما لا يكاد يكون فالجملته على القراءة السابقة بيان مبتدأ المنشأ خطأ المقسمين ومناط إقسامهم وتقريره على قراءة لا تؤمنون بالتاء الفوقانية وكذا على قراءة وما يشعرهم أنها إذا جاءتهم لا يؤمنون (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً) كلام مبتدأ مسوق لتسليية رسول الله ﷺ عما كان يشاهده من ١١٢ عداوة قريش له عليه الصلاة والسلام وما بنوا عليها بما لا خير فيه من الأقاويل والأفاعيل ببيان أن ذلك ليس مختصاً بك بل هو أمر ابتلي به كل من سبقك من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومحل الكاف النصب على أنه نعت لمصدر محذوف أشير إليه بذلك منصوب بفعله المحذوف مؤكداً لما بعده وذلك إشارة إلى ما يفهم مما قبله أي جعلنا لكل نبي عدواً والتقديم على الفعل المذكور للقصر المفيد للبالغة أي مثل ذلك الجعل الذي جعلنا في حقك حيث جعلنا لك عدواً يضادونك ويضارونك ولا يؤمنونك ويغونك الغوائل ويدبرون في إبطال أمرك كما يد جعلنا لكل نبي تقدمك عدواً فعلوا بهم ما فعل بك أعداؤك لا جعلنا أنقص منه وفيه دليل على أن عداوة الكفرة الأنبياء عليهم السلام بخلقه تعالى للابتلاء (شياطين الإنس والجن) أي مرادة الفريقين على أن الإضافة بمعنى من البيانية وقيل هي إضافة الصفة إلى الموصوف والاصل الإنس والجن الشياطين وقيل هي بمعنى اللام أي الشياطين التي الإنس والتي للجن وهو بدل من عدواً والجعل متعد إلى واحد أو إلى اثنين وهو أول مفعوليه قدم عليه الثاني مسارعة إلى بيان العداوة واللام على التقديرين متعلقة بالجعل أو محذوف هو حال من عدواً وقوله تعالى (يوحى بعضهم إلى بعض) بعض (بعض) كلام مستأنف مسوق لبيان أحكام عداوتهم وتحقيق وجه الشبه بين المشبه والمشبه به أو حال من الشياطين أو نعت لعدواً وجمع الضمير باعتبار المعنى فإنه عبارة عن الأعداء كما في قوله [إذا أنام أنفع صديقي بوده] فإن عدوى لم يضرهمو بغضى | والوحى عبارة عن الإيماء والقول السريع أى يلقي

وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْعَدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرَضُوهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ ٦ الأنعام
أَفَغَيْرَ اللَّهِ أُبْتَغَى حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ
يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ ٦ الأنعام

- وهو - وس شياطين الجن إلى شياطين الإنس أو بعض كل من الفريقين إلى بعض آخر (زخرف القول)
- أى المموء منه المزين ظاهره الباطل باطنه من زخرفه إذا زينه (غروراً) مفعول له ليوحى أى ليغروهم أو مصدر فى موقع الحال أى غارين أو مصدر مؤكد لفعل مقدر هو حال من فاعل يوحى أى يغرون
- غروراً (ولو شاء ربك) رجوع إلى بيان الشئون الجارية بينه وبين قومه المفهومة من حكاية ما جرى بين الأنبياء عليهم السلام وبين أممهم كما ينبي عنه الالتفات والتعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام المعربة عن كمال اللطف فى التسلية أى ولو شاء ربك عدم الأمور المذكورة لا إيمانهم كما قيل فإن القاعدة المستمرة أن مفعول المشيئة إنما يحذف عند وقوعها شرطاً وكون مفعولها مضمون الجزاء وهو قوله تعالى (ما فعلوه) أى ما فعلوا ما ذكر من عداوتك وإيحاء بعضهم إلى بعض مزخرفات الأقاويل
- الباطلة المتعلقة بأمرك خاصة لا بما يعمه وأمر الأنبياء عليهم السلام أيضاً كما قيل فإن قوله تعالى (فذرهم وما يفترون) صريح فى أن المراد بهم الكفرة المعاصرون له عليه الصلاة والسلام أى إذا كان ما فعلوه من أحكام عداوتك من فنون المفساد بمشيئته تعالى فازكهم واقتراءهم أو وما يفترونه من أنواع المكاييد ١١٣
- فإن لهم فى ذلك عقوبات شديدة ولك عواقب حميدة لا بقاء مشيئته تعالى على الحكم البالغة البتة (ولتصغى إليه) أى إلى زخرف القول وهو على الوجه الأول علة أخرى للإيحاء معطوفة على غروراً وما بينهما اعتراض وإنما لم ينصب لفقد شرطه إذ الغرور فعل الموحى وصغو الأفتدة فعل الموحى إليه أى يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول ليغروهم به ولتميل إليه (أفتدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) إنما خص بالذكر عدم إيمانهم بالآخرة دون ما عداها من الأمور التى يجب الإيمان بها وهم بها كافرون إشعاراً بما هو المدار فى صغو أفتدتهم إلى ما يلقى إليهم فإن لذات الآخرة محفوفة فى هذه النشأة بالمكارة وآلامها مزينة بالشهوات فالذين لا يؤمنون بها وبأحوال ما فيها لا يدرون أن وراء تلك المكارة لذات ودون هذه الشهوات آلاماً وإنما ينظرون إلى ما بدا لهم فى الدنيا بآدى الرأى فهم مضطرون إلى حب الشهوات التى من جملها مزخرفات الأقاويل وموهات الأباطيل وأما المؤمنون بها فحيث كانوا واقفين على حقيقة الحال ناظرين إلى عواقب الأمور لم يتصور منهم الميل إلى تلك المزخرفات لعلمهم بيطالانها ووخامة عاقبتها وأما على الوجهين الآخرين فهو علة لفعل محذوف يدل عليه المقام أى ولكون ذلك جعلنا ما جعلنا والمعتزلة جعلوا اللام لام العاقبة أو لام القسم أو لام الأمر وضعفه فى غاية الظهور (وليبرضوه) لا نفسم بعد ما مالت إليه أفتدتهم (وليقترفوا) أى يكتسبوا بموجب ارتضائهم له (ماهم مقترفون) ١١٤ له من القبائح التى لا يلقى ذكرها (أفغير الله أبتغى حكماً) كلام مستأنف وارد على إرادة القول والهمزة

للإنكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه الكلام أى قل لهم أأميل إلى زخارف الشياطين فأبتغى حكماً غير الله بحكم بيننا ويفصل المحق من المبطل وقيل إن مشركي قريش قالوا الرسول الله ﷺ اجعل بيننا وبينك حكماً من أحابار اليهود أو من أساقفة النصارى ليخبرنا عنك بما في كتابهم من أمرك فنزلت وإسناد الابتغاء المنكر إلى نفسه ﷺ لا إلى المشركين كما في قوله تعالى أغير دين الله يبغون مع أنهم الباغون لإظهار كمال النصفة أو لمراعاة قولهم اجعل بيننا وبينك حكماً وغير إما مفعول أبتغى وحكما حال منه وإما بالعكس وأياً ما كان فتقديمه على الفعل الذى هو المعطوف بالفاء حقيقة كما أشير إليه للإبذان بأن مدار الإنكار هو ابتغاء غيره تعالى حكماً لا مطلق الابتغاء وقيل حكماً تمييز لما في غير من الإبهام كقولهم إن لنا غيرها إبلا قالوا الحكم أبلغ من الحاكم وأدل على الرسوخ لما أنه لا يطلق إلا على العادل وعلى من تكرر منه الحكم بخلاف الحاكم وقوله تعالى (وهو الذى أنزل إليكم الكتاب) جملة حالية مؤكدة لإنكار ابتغاء غيره تعالى حكماً ونسبة الإنزال إليهم خاصة مع أن مقتضى المقام إظهار تساوى نسبته إلى المتحاكمين لاستمالتهم نحو المنزل واستئزاهم إلى قبول حكمه بإبهام قوة نسبته إليهم أى غيره تعالى أبتغى حكماً والحال أنه هو الذى أنزل إليكم وأنتم أمة أمية لا تدرن ما تأتون وما تذرون القرآن الناطق بالحق والصواب الحقيق بأن يخص به اسم الكتاب (مفصلاً) أى مبيناً فيه الحق والباطل والحلال والحرام وغير ذلك من الأحكام بحيث لم يبق فى أمور الدين شئ من التخليط والإبهام فأى حاجة بعد ذلك إلى الحكم وهذا كما ترى صريح فى أن القرآن الكريم كافى فى أمر الدين مغنى عن غيره ببيانه وتفصيله وأما أن يكون لإعجازه دخل فى ذلك كما قيل فلا وقوله تعالى (والذين آتيناكم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق) كلام مستأنف غير داخل تحت القول المقدر مسوق من جهته سبحانه لتحقيق حقيقة الكتاب الذى ينطبه أمر الحكمة وتقرير كونه منزلاً من عنده عز وجل ببيان أن الذين وثقوا بهم ورضوا بحكمتهم حسبما نقل آنفاً من علماء اليهود والنصارى عالمون بحقيقته ونزوله من عنده تعالى وفى التعبير عن التوراة والإنجيل باسم الكتاب إيماء إلى ما بينهما وبين القرآن من المجانسة المقتضية للاشتراك فى الحقيقة والنزول من عنده تعالى مع ما فيه من الإعجاز وإيراد الطائفتين بعنوان إيتاء الكتاب للإبذان بأنهم علموه من جهة كتابهم حيث وجدوه حسبما نعت فيه وعاینوه موافقاً له فى الأصول ومالا يختلف من الفروع ومخبراً عن أمور لا طريق إلى معرفتها سوى الوحى والمراد بالموصول إما علماء الفريقين وهو الظاهر فالإيتاء هو التفهيم بالفعل وإما الكل وهم داخلون فيه دخولاً أولياً فهو أعم مما ذكر ومن التفهيم بالقوة ولا ريب فى أن الكل متمكنون من ذلك وقبل المراد مؤمنو أهل الكتاب وقرىء منزل من الإنزال والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره ﷺ لتشريفه عليه الصلاة والسلام والباء فى قوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف وقع حالاً من الضمير المستكن فى منزل أى ملتبساً بالحق (فلا تكونن من المترين) أى فى أنهم يعلمون ذلك لما لا تشاهد منهم آثار العلم وأحكام المعرفة فالفاء لترتيب النهى على الإخبار بعلم أهل الكتاب بشأن القرآن أو فى أنه منزل من ربك بالحق فيكون من باب التهييج والإلهاب كقوله تعالى ولا تكونن من

وَمَتَّ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ٦ الأنعام
وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا
يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ ٦ الأنعام

المشركين وقيل الخطاب في الحقيقة للأمة وإن كان له عليه السلام صورة وقيل الخطاب لكل أحد على معنى
أن الأدلة قد تعاضدت وتظاهرت فلا ينبغي لأحد أن يمتري فيه والفاء على هذه الوجوه لترتيب النهي
١١٥ على نفس عليهم بحال القرآن (ومتت كلمة ربك) شروع في بيان كمال الكتاب المذكور من حيث ذاته إثر
بيان كماله من حيث إضافته إليه تعالى بكونه منزلاً منه بالحق وتحقيق ذلك بعلم أهل الكتاب به وإنما
عبر عنه بالكلمة لأنها الأصل في الاتصاف بالصدق والعدل وبها تظهر الآثار من الحكم وقرئ كلمات
● ربك (صدقا وعدلا) مصدران نصباً على الحال وقيل على التمييز وقيل على العلة وقوله تعالى (لا مبدل
لكلماته) إما استئناف مبين لفضلها على غيرها إثر بيان فضلها في نفسها وإما حال أخرى من فاعل تمت على
أن الظاهر مغن عن الضمير الرابط والمعنى أنها بلغت الغاية القاصية صدقاً في الأخبار والمواعيد وعدلاً
في الأفضية والأحكام لا أحديديل شيئاً من ذلك بما هو أصدق وأعدل ولا بما هو مثله فكيف يتصور
● ابتغاء حكم غيره تعالى (وهو السميع) لكل ما يتعلق به السمع (العليم) بكل ما يمكن أن يعلم فيدخل في
ذلك أقوال المتحاكين وأحوالهم الظاهرة والباطنة دخولا أولاً وهذا وقد قيل المعنى لا أحد يقدر على
أن يحرفها كما فعل بالتوراة فيكون ضماناً لها من الله عز وجل بالحفظ كقوله تعالى إنا نحن نزلنا الذكر وإنا
١١٦ له لحافظون أو لا نبي ولا كتاب بعدها بنسخها (وإن طمع أكثر من في الأرض) لما تحقق اختصاصه
تعالى بالحكمة لاستقلاله بما يوجبها من إنزال الكتاب الكامل الفاصل بين الحق والباطل وتتمام صدق
كلامه وكمال عدالة أحكامه وامتناع وجود من يبدل شيئاً منها واستبداده تعالى بالإحاطة التامة بجميع
المسموعات والمعلومات عقب ذلك ببيان أن الكفرة متصفون بتقائص تلك الكمالات من النقائص التي
هي الضلال والإضلال واتباع الظنون الفاسدة الناشئة من الجهل والكذب على الله سبحانه وتعالى إمامة
لكمال مباينة حالهم لما يرومونه وتحذيراً عن الركوب إليهم والعمل بآرائهم والمراد بمن في الأرض الناس
● وبأكثرهم الكفار وقيل أهل مكة والأرض أرضها أي إن تطعمهم بأن جعلت منهم حكماً (يضلوك عن
● سبيل الله) عن الطريق الموصل إليه أو عن الشريعة التي شرعها لعباده (إن يتبعون إلا الظن) وهو
ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق فهم على آثارهم يهتدون أو جهالاتهم وآراؤهم الباطلة على أن المراد بالظن
ما يقابل العلم والجملة استئناف مبني على سؤال نشأ من الشرطية كأنه قيل كيف يضلون فقيل لا يتبعون
في أمور دينهم إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً فيضلون ضلالاً ميبئاً ولا ريب في أن الضلال
● المتهدى للإرشاد إنما يرشد غيره إلى مسلك نفسه فهم ضالون مضلون وقوله تعالى (وإن لم إلا يخرصون)
عطف على ما قبله داخل في حكمه أي يكذبون على الله سبحانه فيما ينسبون إليه تعالى كاتخاذ الولد وجعل

٦ الأنعام إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾

٦ الأنعام فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِعَايَنَتِهِ ۚ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾

- عبادة الأوثان ذريعة إليه تعالى وتحليل الميتة وتحريم البحائر ونظائرها أو بقدر أنهم على شيء. وأنى لهم ذلك ودونه مناط العيوق وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين (إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله ١١٧ وهو أعلم بالمهتدين) تقرير لمضمون الشرطية وما بعدها وتأكيده لما يفيد من التحذير أى هو أعلم بالفرقيين فاحذر أن تكون من الأولين ومن موصولة أو موصوفة في محل النصب لا بنفس أعلم فإن أفعل التفضيل لا ينصب الظاهر في مثل هذه الصور بل بفعل دل هو عليه أو استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرىء يضل بضم الياء على أن من فاعل ليضل ومفعوله محذوف ومحلها النصب بما ذكر من الفعل المقدر أى هو أعلم يعلم من يضل الناس فيكون تأكيده للتحذير عن طاعة الكفرة وأما أن الفاعل هو الله تعالى ومن منصوبة بما ذكر أى يعلم من يضل أو مجزورة بإضافة أعلم إليها أى أعلم المضلين من قوله تعالى من يضل الله أو من قولك أضلته إذا وجدته ضالاً فلا يساعده السباق والسباق والتفضيل في العلم بكثرته وإحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) أمر مترتب على النهي عن اتباع المضلين الذين من جملة ١١٨ لإضلالهم تحليل الحلال وتحريم الحرام وذلك أنهم كانوا يقولون للمسلمين إنكم تعبدون الله فما قتله الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم أنتم ف قيل للمسلمين كلوا مما ذكر اسمه تعالى خاصة على ذبحه لا بما ذكر عليه اسم غيره فقط أو مع اسمه تعالى أو مات حنط أنفه (إن كنتم بآياته) التي من جملتها الآيات الواردة في هذا الشأن (مؤمنين) فإن الإيمان بها يقتضى استباحة ما أحله الله والاجتناب عما حرمه وجواب الشرط ● محذوف لدلالة ما قبله عليه (وما لكم أن لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه) إنكار لأن يكون لهم شيء يدعوهم ١١٩ إلى الاجتناب عن أكل ما ذكر عليه اسم الله تعالى من البحائر والسوائب ونحوها وقوله تعالى (وقد فصل لكم) الخ جملة حالية مؤكدة للإنكار كما في قوله تعالى وما لنا أن لا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا أى وأي سبب حاصل لكم في أن لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه أو وأي غرض يحملك على أن لا تأكلوا ويمنعكم من أكله والحال أنه قد فصل لكم (ما حرم عليكم) بقوله تعالى قل لا أجد فيما أوحى إلى محرماً الخ فبقى ما عدا ذلك على الحل لا بقوله تعالى حرمت عليكم الميتة الخ لأنها مدنية وأما التأخر في التلاوة فلا يوجب التأخر في النزول وقرىء الفعلان على البناء للمفعول وقرىء الأول على البناء للفاعل والثاني للمفعول (إلا ما اضطررتم إليه) مما حرم فإنه أيضاً حلال حينئذ (وإن كثيراً) أى من ●

وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ ٦ الأثام

وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجْدِلُواكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ٦ الأثام

أَوْ مَنْ كَانَ مِثًّا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَاهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُينَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ٦ الأثام

- الكفار (ليضلون) الناس بتحريم الحلال وتحليل الحرام كعمرو بن لحي وأضرابه وقرىء بـ (بأهوائهم)
- الزائفة وشهواتهم الباطلة (بغير علم) مقتبس من الشريعة الشريفة مستند إلى الوحي (إن ربك هو أعلم بالمتعدين) المتجاوزين لحدود الحق إلى الباطل والحلال إلى الحرام (وذرُوا ظاهر الإثم وباطنه) أى ما يعلن من الذنوب وما يسر أو ما يعمل منها بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الأخدان (إن الذين يكسبون الإثم) أى يكتسبونه من الظاهر والباطن (سيجزَوْنَ بما كانوا يقتربون)
- ١٢١ كائنًا ما كان فلا بد من اجتنابهما والجملة تعليل للأمر (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) ظاهر في تحريم متروك التسمية عمداً كان أو نسياناً وإليه ذهب داود وعن أحمد بن حنبل مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله ﷺ ذبيحة المسلم حلال وإن لم يذكر اسم الله عليه وقرئ أبو حنيفة بين العمد والنسيان وأوله بالمينة أو بما ذكر عليه اسم غيره تعالى لقوله (وإنه لفسق) فإن الفسق ما أهل به لغير الله والضمير لما ويجوز أن يكون للأكل المدلول عليه بلاتاً كالأكل والجملة مستأنفة وقيل حالية (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم)
- المراد بالشياطين إبليس وجنوده فيأخاؤهم وسوستهم إلى المشركين وقيل مرادة الجوس فيأخاؤهم إلى أوليائهم ما أنهبوا إلى قریش بالكتاب أن محمداً وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله ثم يزعمون أن ما يقتلونه حلال وما يقتله الله حرام (ليجادلوكم) أى بالوساوس الشيطانية أو بما نقل من أباطيل الجوس وهو يؤيد التأويل بالمينة (وإن أطعتموهم) فى استحلال الحرام وساعدتموهم على أباطيلهم (إنكم لمشركون)
- ضرورة أن من ترك طاعة الله إلى طاعة غيره واتبعه فى دينه فقد أشرك به تعالى بل أثره عليه سبحانه
- ١٢٢ (أو من كان ميثاً) وقرئ ميثاً على الأصل (فأحييناه) تمثيل مسوق لتنفير المسلمين عن طاعة المشركين لئلا تحذيرهم عنها بالإشارة إلى أنهم مستضيئون بأنوار الوحي الإلهي والمشركون خابطون فى ظلمات الكفر والطغيان فكيف يعقل إطاعتهم لهم والهمزة للإنكار والنفى والواو لعطف الجملة الاسمية على مثلها الذى يدل عليه الكلام أى أنتم مثلهم ومن كان ميثاً فأعطيناه الحياة وما يتبعها من القوى المدركة والمحركة (وجعلناه) مع ذلك من الخارج (نورا) عظيماً (يمشى به) أى بسببه والجملة استئناف مبنى على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل فاذا يصنع بذلك النور فقيل يمشى به (فى الناس) أى فيما بينهم آمنهم
- جهنهم أو صفة له (كمن مثله) أى صفته العجيبة وهو مبتدأ وقوله تعالى (فى الظلمات) خبره على أن

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْثَرَ جُجْرِمِيهَا لِيَمَّكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾

٦ الأنعام

- المراد بهما اللفظ لا المعنى كما في قولك زيد صفته أسمر وهذه الجملة صلة لمن وهي مجرورة بالكاف وهي مع مجرورها خبر لمن الأولى وقوله تعالى (ليس بخارج منها) حال من المستكن في الظرف وقبل من الموصول أى غير خارج منها بحال وهذا كما ترى مثل أريد به من بقى في الضلالة بحيث لا يفارقها أصلاً كما أن الأول مثل أريد به من خلقه الله تعالى على فطرة الإسلام وهداه بالآيات البينة إلى طريق الحق يسلكه كيف يشاء لكن لا على أن يدل على كل واحد من هذه المعاني بما يليق به من الالفاظ الواردة في المثليين بواسطة تشبيهه بما يناسبه من معانيها فإن الفاظ المثل باقية في معانيها الأصلية بل على أنه قد انتزعت من الأمور المتعددة المعبرة في كل واحد من جانبي الممثلين هيئة على حدة ومن الأمور المتعددة المذكورة في كل واحد من جانبي المثليين هيئة على حدة فشبهت بهما الأوليان ونزلنا منزلتيهما فاستعمل فيهما ما يدل على الآخرين بضرب من التجوز وقد أشير في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم الآية إلى أن التمثيل قسم برأسه لا سبيل إلى جعله من باب الاستعارة حقيقة وأن الاستعارة التمثيلية من عبارات المتأخرين نعم قد يجرى ذلك على سنن الاستعارة بأن لا يذكر المشبه كهذين التمثيلين ونظائرهما وقد يجرى على منهاج التشبيه كما في قوله [وما الناس إلا كالديار وأهلها بها يوم حلوها وغدوا بلافح] (كذلك) أى مثل ذلك التزيين البليغ (زين) أى من جهة الله تعالى بطريق الخلق عند إجماع الشياطين أو من جهة الشياطين بطريق الزخرفة والتسويل (للكافرين) التابعين للوساوس الشيطانية الأخذين بالزخرفات التي يوحونها إليهم (ما كانوا يعملون) ما استمروا على عمله من فنون الكفر والمعاصي التي من جملتها ما حكى عنهم من القبايح فإنها لو لم تكن مزينة لهم لما أصروا عليها ولما جادلوا بها الحق وقيل الآية نزلت في حمزة رضى الله عنه وأبى جهل وقيل في عمر أو عمار رضى الله عنهما وأبى جهل (وكذلك) قيل معناه كما جعلنا في مكة أكبر مجرميها ليمكروا فيها (جعلنا في كل قرية) من سائر القرى ١٢٣ (أكبر مجرميها ليمكروا فيها) ومفعولاً جعلنا أكبر مجرميها على تقديم المفعول الثاني والظرف لغو أو هما الظرف وأكبر على أن مجرميها بدل أو مضاف إليه فإن أفعال التفضيل إذا أضيف جازا لإفراد والمطابقة ولذلك قرئ أكبر مجرميها وقيل أكبر مجرميها مفعوله الأول والثاني ليمكروا فيها ولا يخفى أن أى معنى يراد من هذه المعاني لا بد أن يكون مشهور التحقق عند الناس معهوداً فيما بينهم حتى يصلح أن تصرف الإشارة عن سباق النظم الكريم وتوجه إليه ويجعل مقياساً لنظائره بإخراجه مخرج المصدر التشبيهي وظاهر أن ليس الأمر كذلك ولا سبيل إلى توجيهها إلى ما يفهم من قوله تعالى كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وإن كان المراد بهم أكبر مكة لأن مآل المعنى حينئذ بعد اللتيا والتي كما جعلنا أعمال أهل مكة مزينة لهم جعلنا في كل قرية أكبر مجرميها الخ فإذاً الأقرب أن ذلك إشارة إلى الكفرة المعمودين باعتبار اتصافهم بصفاتهم والإفراد بتأويل الفريق أو المذكور ومحل الكاف النصب على أنه المفعول الثاني لجعلنا قدم

وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ ٦ الأنعام

عليه لإفادة التخصيص كما في قوله تعالى كذلك كنتم من قبل الآية والأول أكابر مجرميها والظرف لغو
 أى ومثل أولئك الكفرة الذين هم صناديد مكة ومجرموها جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها أى جعلناهم
 متصفين بصفات المذكورين مزيناً لهم أعمالهم مصرين على الباطل مجادلين به الحق ليذكروا فيها أى ليفعلوا
 ● المكفر فيها وهذا تسلية لرسول الله ﷺ وقوله تعالى (وما يمسكرون إلا بأنفسهم) اعتراض على سبيل
 ● الوعد لرسول الله ﷺ والوعيد للكفرة أى وما تحقيق غائلة مكرهم إلا بهم (وما يشعرون) حال من ضمير
 يمسكرون مع اعتبار ورود الاستثناء على النفي أى إنما يمسكرون بأنفسهم والحال أنهم ما يشعرون بذلك
 ١٢٤ أصلاً بل يزعمون أنهم يمسكرون بغيرهم وقوله تعالى (وإذا جاءتهم آية) رجوع إلى بيان حال مجرمي أهل
 مكة بعد ما بين بطريق التسلية أن حال غيرهم أيضاً كذلك وأن عاقبة مكر الكل ما ذكر فإن العظيمة المنتقلة
 ● إنما صدرت عنهم لاعتبار سائر المجرمين أى إذا جاءتهم آية بواسطة الرسول ﷺ (قالوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى
 مثل ما أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ) قال ابن عباس رضى الله عنهما حتى يوحى إلينا ويأتينا جبريل عليه السلام فيخبرنا
 أن محمداً صادق كما قالوا أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً وعن الحسن البصري مثله وهذا كما ترى صريح في
 أن ما علق بإيتاء ما أُوتِيَ الرسل عليهم الصلاة والسلام هو إيمانهم برسول الله ﷺ وبما أنزل إليه إيماناً
 حقيقياً كما هو المتبادر منه عند الإطلاق خلافاً أنه يستدعى أن يحمل ما أُوتِيَ رسل الله على مطلق الوحي
 ● ومخاطبة جبريل عليه السلام في الجملة وأن تصرف الرسالة في قوله تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالته)
 عن ظاهرها وتحمل على رسالة جبريل عليه السلام بالوجه المذكور ويراد بجعلها تبليغها إلى المرسل
 إليه لا وضعها في موضعها الذى هو الرسول ليتأتى كونه جواباً عن اقتراحهم ورداً له بأن يكون معنى
 الاقتراح لَنْ نُؤْمِنَ بِكَونِ تِلْكَ آيَةٍ نَازِلَةٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى الرَّسُولِ حَتَّى يَأْتِنَا بِالذَّاتِ عَيَانًا كَمَا يَأْتِي
 الرَّسُولَ فَيُخْبِرُنَا بِذَلِكَ وَمَعْنَى الرَّدِّ اللَّهُ أَعْلَمُ مِنْ يَلِيقُ بِإِرْسَالِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِ لِأَمْرِ مِنَ الْأُمُورِ
 إِذْنًا بِأَنَّهُمْ بِمَعْزُولٍ مِنْ اسْتِحْقَاقِ ذَلِكَ التَّشْرِيفِ وَفِيهِ مِنَ التَّحَلُّلِ مَا لَا يَخْفَى وَقَالَ مُقَاتِلٌ نَزَلَتْ فِي أَبِي جَهْلٍ
 حِينَ قَالَ زَاهِنًا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ فِي الشَّرَفِ حَتَّى إِذَا صَرْنَا كَفَرْنَا رَهَانًا قَالُوا أَمَّا نَبِيُّ يُوْحَى إِلَيْهِ وَاللَّهُ لَا نَرْضَى
 بِهِ وَلَا نَتَّبِعُهُ أَبَدًا حَتَّى يَأْتِنَا وَحْيٌ كَمَا يَأْتِيهِ وَقَالَ الضَّحَّاكُ سَأَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْقَوْمِ أَنْ يَخْصُ بِالرَّسَالَةِ وَالْوَحْيِ
 كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِ بَلْ يَرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشُورَةً وَلَا يَخْفَى أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ
 هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ وَإِنْ كَانَ مَنْاسِباً لِلرَّدِّ الْمَذْكُورِ لَكِنَّهُ يَقْتَضِي أَنْ يَرَادَ بِالْإِيمَانِ الْمَعْلُوقُ بِإِيْتَاءِ مَا أُوتِيَ الرَّسُلُ
 بِمَجْرَدِ تَصْدِيقِهِمْ بِرِسَالَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الْجُمْلَةِ مِنْ غَيْرِ شُمُولِ لِكَاثِفَةِ النَّاسِ وَأَنْ تَكُونَ كَلِمَةً حَتَّى
 فِي قَوْلِ اللَّعِينِ حَتَّى يَأْتِنَا وَحْيٌ كَمَا يَأْتِيهِ الْخُتَابَةُ لِعَدَمِ الرِّضَا لِعَدَمِ الْإِتْبَاعِ فَإِنَّهُ مَقْرَرٌ عَلَى تَقْدِيرِ إِيْتَاءِ
 الْوَحْيِ وَعَدَمِهِ فَالْمَعْنَى لَنْ نُؤْمِنَ بِرِسَالَتِهِ أَصْلًا حَتَّى نُؤْتَى نَحْنُ مِنَ الْوَحْيِ وَالنَّبُوءَةِ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ أَوْ

فَن يرد الله أن يهديه، يشرح صدره للإسلام، ومن يرد أن يضله، يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء، كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ﴿١٢٥﴾ ٦ الأنعام

- إيتاء مثل إيتاء رسل الله وأما ما قيل من أن الوليد بن المغيرة قال لرسول الله ﷺ لو كانت النبوة حقاً لكنت أولى بها منك لأنى أكبر منك سنأ وأكثر منك مالا وولداً فنزلت فلا تعلق له بكلامهم المردود إلا أن يراد بالإيمان المعلق بما ذكر مجرد الإيمان بكون الآية النازلة وحياً صادقاً لا الإيمان بكونها نازلة إليه عليه الصلاة والسلام فيكون المعنى وإذا جاءتهم آية نازلة إلى الرسول قالوا لن تؤمن بنزولها من عند الله حتى يكون نزولها إلينا لا إليه لأننا نحن المستحقون دونه فإن ملخص معنى قوله لو كانت النبوة حقاً الخ لو كان ما تدعيه من النبوة حقاً لكنت أنا النبي لأنى وإذ لم يكن الأمر كذلك فليست بحق وماله تعليق الإيمان بحقية النبوة بكون نفسه نبياً ومثل ما أوتى نصب على أنه نعت لمصدر محذوف وما مصدرية أى حتى تؤتاها إيتاء مثل إيتاء رسل الله وإضافة الإيتاء إليهم لأنهم منكرون لإيتائه ﷺ وحيث نصب على المفعولية توسعاً لأنفس أعلم لما عرفت من أنه لا يعمل في الظاهر بل بفعل دل هو عليه أى هو أعلم يعلم الموضع الذى يضعها فيه والمعنى أن منصب الرسالة ليس بما ينال بكثرة المال والولد وتعاوض الأسباب والعدد وإنما ينال بفضائل نفسانية يخصها الله تعالى بمن يشاء من خلص عباده وقرىء رسالاته (سيصيب الذين أجروا) استئناف آخر ناع عليهم ما سيلقونه من فنون الشر بعد ما نعى عليهم حرمانهم بما أمولوه والسين للنأ كيد ووضوح الموصول موضع الضمير للإشعار بأن إصابة ما يصيبهم لإجرامهم المستتبع لجميع الشرور والقبائح أى يصيبهم البتة مكان ما تمنوه وعلقوا به أطماعهم الفارغة من عزة النبوة وشرف الرسالة (صغار) أى ذلة وحقارة بعد كبرهم (عند الله) أى يوم القيامة وقيل من عند الله (وعذاب شديد) فى الآخرة أو فى الدنيا (بما كانوا يمكرون) أى بسبب مكرهم المستمر أو بمقابلاته وحيث كان هذا من معظم مواد إجرامهم صرح بسببته (فن يرد الله أن يهديه) أى يعرفه طريق الحق ويوفقه للإيمان (يشرح صدره للإسلام) فيتسع له ويتفتح وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهينة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه وإليه أشار عليه الصلاة والسلام حين سئل فقال نور يقذفه الله فى قلب المؤمن فينشرح له ويتفتح فقالوا هل لذلك من أمارة يعرف بها فقال نعم الإنابة إلى دار الخلود والإعراض عن دار الغرور والاستعداد للوثة قبل نزوله (وهن يرد أن يضله) أى يخلق فيه الضلال بصرف اختياره إليه (يجعل صدره ضيقاً حرجاً) بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يكاد يدخله الإيمان وقرىء ضيقاً بالتخفيف وحرجاً بكسر الراء أى شديد الضيق والأول مصدر وصف به مبالغة (كأنما يصعد) ما هذه مهينة لدخول كأن على الجمل الفعلية (فى السماء) شبه للبالغة فى ضيق صدره بمن يزاول ما لا يكاد يقدر عليه فإن صعود السماء مثل فيما هو خارج عن دائرة الاستطاعة وفيه تنبيه على أن الإيمان يمتنع منه كما يمتنع منه الصعود وقيل معناه كأنما يتصاعد إلى السماء نبوا عن الحق وتباعدوا فى الحرب منه وأصل يصعد يتصعد وقد قرىء به وقرىء يصاعد وأصله يتصاعد (كذلك) أى مثل ذلك الجمل الذى هو جعل الصدر حرجاً

وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ٦ الأنعام

لَهُمْ دَأْوُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُمْ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ ٦ الأنعام

وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشُرُ الْجَنِّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْنَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوًى لَكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ٦ الأنعام

- على الوجه المذكور (يجعل الله الرجس) أى العذاب أو الخذلان قال مجاهد الرجس ما لا خير فيه وقال
- الزجاج الرجس اللعنة فى الدنيا والعذاب فى الآخرة (على الذين لا يؤمنون) أى عليهم ووضع الموصول موضع المضمر للإشعار بأن جعله تعالى معلل بما فى حيز الصلة من قال نبوهم عن الإيهان وإصرارهم على الكفر
- ١٢٦ (وهذا) أى البيان الذى جاء به القرآن أو الاسلام أو ما سبق من التوفيق والخذلان (صراط ربك) أى طريقه الذى ارتضاه أو عادته وطريقته التى اقتضتها حكمته وفى التعرض لعنوان الربوبية لإيدان بأن تقويم ذلك الصراط للتربية وإفاضة الكمال (مستقيماً) لا عوج فيه أو عادلاً مطرداً وهو حال مؤكدة كقوله تعالى وهو الحق مصداقاً والعامل فيها معنى الإشارة (قد فصلنا الآيات) بينها مفصلة (لقوم يذكرون) يتذكرون ما فى تضاعيفها فيعملون أن كل ما يحدث من الحوادث خير أكان أو شراً فإنما يحدث بقضاء الله تعالى وخلقه وأنه تعالى عالم بأحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم وتخصيص القوم المذكورين بالذكر
- ١٢٧ لأنهم المتفعولون بتفصيل الآيات (لهم دار السلام) أى للمتذكرين دار السلامة من كل المكارهِ وهى الجنة (عند ربهم) أى فى ضمانه أو ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره تعالى (وهو وإيهم) أى مولايم
- ١٢٨ وانصرهم (بما كانوا يعملون) بسبب أعمالهم الصالحة أو متوليهم بحزائنها يتولى إيصاله إليهم (ويوم يحشرهم جميعاً) منصوب بمضمر إما على المفعولية أو الظرفية وقرئ بنون العظمة على الالتفات لتحويل الأمر والضمير المنصوب لمن يحشر من الثقلين أى واذكر يوم يحشر الثقلين قائلاً (يامعشر الجن) أو ويوم يحشرهم يقول يامعشر الجن أو ويوم يحشرهم ويقول يامعشر الجن يكون من الأحوال والآهوال
- ما لا يساعده الوصف لفظاعته والمعشر الجماعة والمراد بمعشر الجن الشياطين (قد استكبرتم من الإنس) أى من إغوائهم وإضلالهم أو منهم بأن جعلتموهم أتباعكم فخشروا معكم كقولهم استكبر الأمير من الجنود وهذا بطريق التوبيخ والتقريع (وقال أولياؤهم) أى الذين أطاعوهم ومن فى قوله تعالى (من الإنس) إما لبيان الجنس أى أولياؤهم الذين هم الإنس أو متعلقة بمحذوف هو حال من أولياؤهم أى
- كائنين من الإنس (ربنا استمتع بعضنا ببعض) أى انتفع الإنس بالجن بأن دلوم على الشهوات وما يتوصل به إليها وقيل بأن ألقوا إليهم من الأراجيف والسحر والكهانة والجن بالإنس بأن أطاعوهم وحصلوا مرادهم بقبول ما ألقوه إليهم وقيل استمتع الإنس بهم أنهم كانوا يعوذون بهم فى المفاز

وَكَذَلِكَ نُؤَيِّنُ بِعُضِّ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾
يَمْعَشَرُ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ الرَّيَّانُكُمْ رَسُولٌ مِّنْكُمْ يَفْضُونُ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا
قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ٦ الأنعام

- والخاوف واستمتاعهم بالإنس اعترافهم بأنهم قادرون على إيجارهم (وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا) وهو يوم القيامة قالوه اعترافاً بما فعلوا من طاعة الشياطين واتباع الهوى وتكذيب البعث وإظماراً للتدائمة عليها وتحسراً على حالهم واستسلاماً لربهم ولعل الاختصار على حكاية كلام الضالين للإيذان بأن المضلين قد ألحموهم بالمرة فلم يقدرُوا على التكلم أصلاً (قال) استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية كلامهم كأنه قيل فماذا قال الله تعالى حينئذ فقيل قال (النار مثواكم) أى منزلكم أو ذات ثوابكم كما أن دار السلام مثوى المؤمنين (خالدين فيها) حال والعامل مثواكم إن جعل مضدراً ومعنى الإضافة إن جعل مكاناً (إلا ما شاء الله) قال ابن عباس رضى الله عنهما استثنى الله تعالى قوماً قد سبق في علمه أنهم يسلمون ويصدقون النبي ﷺ وهذا مبنى على أن الاستثناء ليس من المحكى وما بمعنى من وقيل المعنى إلا الأوقات التى ينقلون فيها من النار إلى الزمهرير فقد روى أنهم يدخلون وأدياً فيه من الزمهرير ما يميز بعض أوصالهم من بعض فيتعاونون ويطلبون الرد إلى الجحيم وقيل يفتح لهم وهم في النار باب إلى الجنة فيسرعون نحوه حتى إذا صاروا إليه سعد عليهم الباب وعلى التقديرين فلا استثناء بهم وقيل إلا ما شاء الله قبل الدخول كأنه قيل النار مثواكم أبداً إلا ما أمه لكم ولا يخفى بعده (إن ربك حكيم) في أفاعيله (عليم) بأحوال الثقلين وأعمالهم وبما يليق بها من الجزاء (وكذلك) أى مثل ما سبق من تمكين الجن من إغواء الإنس وإضلالهم ١٢٩ (نولى بعض الظالمين) من الإنس (بعضاً) آخر منهم أى نجعلهم بحيث يتولونهم بالإغواء والإضلال أو نجعل بعضهم قرناء بعض في العذاب كما كانوا كذلك في الدنيا عند اقراف ما يؤدى إليه من القبايح (بما كانوا يكسبون) بسبب ما كانوا مستمرين على كسبه من الكفر والمعاصي (يا معشر الجن والإنس) ١٣٠ شروع في حكاية ما سيكون من توبيخ المعشرين وتقريرهم بتفريطهم فيما يتعلق بخاصة أنفسهم لإثارة حكاية توبيخ معشر الجن بإغواء الإنس وإضلالهم وبيان مآل أمرهم (ألم يأتكم) أى فى الدنيا (رسل) أى من عند الله عز وجل لكن لا على أن يأتى كل رسول كل واحدة من الأمم بل على أن يأتى كل أمة رسول خاص بها أى ألم يأت كل أمة منكم رسول معين وقوله تعالى (منكم) متعلق بمحذوف وقع صفة لرسل أى كائنة من جملةكم لكن لا على أنهم من جنس الفريقين معاً بل من الإنس خاصة وإنما جعلوا منهم إماماً لتأكيد وجوب اتباعهم والإيذان بتقاربهما ذاتاً واتحادهما تكليفاً وخطاباً كأنهما جنس واحد ولذلك تمكن أحدهما من إضلال الآخر وإما لأن المراد بالرسول ما يعمر رسل الرسل وقد ثبت أن الجن قد استمعوا القرآن وأنذروا به قومهم حيث نطق به قوله تعالى وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن

ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَفْلُونَ ﴿١٣١﴾

- إلى قوله تعالى ولولا إلى قومهم منذرين وقوله تعالى (يقصون عليكم آياتي) صفة أخرى لرسول محقة لما هو المراد من إرسال الرسل من التبليغ والإنذار وقد حصل ذلك بالنسبة إلى الثقلين (وينذرونكم) بما في تضاعيفها من القوارع (لقاء يومكم هذا) يوم الحشر الذي قد عاينوا فيه ما أعد لهم من أفانين العقوبات الهائلة (قالوا) استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام السابق كأنه قيل فماذا قالوا عند ذلك التوبيخ الشديد فقيل قالوا (شهدنا على أنفسنا) أي بإتيان الرسل وإنذارهم وبمقابلتهم إياهم بالكفر والتكذيب وباستحقاقهم بسبب ذلك للعذاب المخلد حسبما فصل في حكاية جوابهم عن سؤال خزنة النار حيث قالوا بلى قد جاء ما نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير وقد أجهل ههنا في الحكاية كما أجهل في حكاية جوابهم حيث قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين وقوله تعالى (وغرهم الحياة الدنيا) مع ما عطف عليه اعتراض لبيان ما أدام في الدنيا إلى ارتكابهم للقبائح التي ارتكبوها وألجأهم بعد ذلك في الآخرة إلى الاعتراف بالكفر واستيجاب العذاب وضم لهم بذلك أي واغتروا في الدنيا بالحياة الدنيئة والذات الخسيسة الفانية وأعرضوا عن النعيم المقيم الذي بشرت به الرسل واجتروا على ارتكاب ما يحرم إلى العذاب المؤبد الذي أنذروهم إياه (وشهدوا) في الآخرة (على أنفسهم أنهم كانوا) في الدنيا (كافرين) أي بالآيات والنذر التي أتت بها الرسل على التفصيل المذكور آنفاً واضطروا إلى الاستسلام لأشد العذاب كما ينبي عنه ما حكى عنهم بقوله تعالى وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير وفيه من تحسيرهم وتحذير السامعين عن مثل صنيعهم مالا مزيد عليه
- (ذلك) إشارة إلى ما ذكر من شهادتهم على أنفسهم بالكفر واستيجاب العذاب والخطاب الرسول ﷺ بطريق التلوين وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (أن لم يكن ربك مهلك القرى) بحذف اللام على أن أن مصدرية أو مخففة من أن وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف وقوله تعالى (بظلم) متعلق إما بمهلك أي بسبب ظلم أو بمحذوف وقع حالا من القرى أي ملتبسة بظلم فإن ملابسة أهلها للظلم ملابسة للقرية له بواسطتهم وأما كونه حالا من ربك أو من ضميره في مهلك كما قيل فيأباه أن غفلة أهلها مأخوذة في معنى الظلم وحقيقته لا محالة فلا يحسن تقييده بقوله تعالى (وأهلها غافلون) والمعنى ذلك ثابت لا انتفاء كون ربك أو لأن الشأن لم يكن ربك مهلك القرى بسبب أي ظلم فعلوه من أفراد الظلم قبل أن ينهوا عنه وينبهوا على بطلانه برسول وكتاب وإن قضى به بديهة العقول وينذروا عاقبة جنائياتهم أي لولا انتفاء كونه تعالى معذباً لهم قبل إرسال الرسل وإنزال الكتب لما أمكن التوبيخ بما ذكر ولما شهدوا على أنفسهم بالكفر واستيجاب العذاب ولا اعتذروا بعدم إتيان الرسل كما في قوله تعالى ولو أنا أهلكنهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى وإنما علل ما ذكر بانتفاء التعذيب الدنيوي الذي هو إهلاك القرى قبل الإنذار مع أن التهريب في تعليقه بانتفاء مطلق التعذيب من غير بعث الرسل أنتم على ما نطق به قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا لبيان كمال

وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾

٦ الأنعام

وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءْ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ

قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾

٦ الأنعام

إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾

٦ الأنعام

- نزاهته سبحانه وتعالى عن كلا التعذيبين الدنيوي والآخرى معاً من غير إنذار على أبلغ وجه وآكده حيث اقتصر على نفي التعذيب الدنيوي عنه تعالى ليثبت نفي التعذيب الآخرى عنه تعالى على الوجه البرهاني بطريق الأولوية فإنه تعالى حيث لم يعذبهم بعذاب يسير منقطع بدون إنذار فلأن لا يعذبهم بعذاب شديد مغلد أولى وأجلى ولو علل بما ذكر من نفي التعذيب لا نصرف بحسب المقام إلى ما فيه الكلام من نفي التعذيب الآخرى ونفي التعذيب الدنيوي غير متعرض له لا صريحاً ولا دلالة ضرورة أن نفي الأعلى لا يدل على نفي الأدنى ولأن ترتب التعذيب الدنيوي على الإنذار عند عدم تأثر المنذرين منه معلوم مشاهد عند السامعين فيستدلون بذلك على أن التعذيب الآخرى أيضاً كذلك فينزعرون عن الإخلال بما واجب الإنذار أشد انزعاجاً وهذا هو الذي تستدعيه جزالة النظم الكريم وأما جعل ذلك إشارة إلى إرسال الرسل عليهم السلام وإنذارهم وخبر المبتدأ محذوف كما أطبق عليه الجمهور فبمعزل من مقتضى المقام والله سبحانه أعلم (ولكل) أى من المكلفين من الثقلين ١٣٢ (درجات) متفاوتة وطبقات متباينة (مما عملوا) من أعمالهم صالحة كانت أو سيئة فإن أعمالهم درجات في أنفسهم أو من جزاء أعمالهم فإن كل جزاء مرتبة معينة لهم أو من أجل أعمالهم (وما ربك بغافل عما يعملون) فيخفى عليه عمل من أعمالهم أو قدر ما يستحقون بها من ثواب أو عقاب وقرىء بالتاء تغليظاً للخطاب على الغيبة (وربك الغنى) مبتدأ وخبر أى هو المعروف بالغنى عن كل ما - واه كائناً من كان وما كان فيدخل ١٣٣ فيه غناه عن العباد وعن عبادتهم وفي التعرض لوصف الربوبية في الموضعين لاسيما في الثاني لكونه موقع الإضمار مع الإضافة إلى ضميره ﷻ من إظهار اللطف به ﷻ وتنزيهه ساحته عن توم شمول الوعيد الآتي لها أيضاً ما لا يخفى وقوله تعالى (ذو الرحمة) خبر آخر أو هو الخبر والغنى صفة أى يترحم عليهم بالتكليف تكميلاً لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على أن ما سلف ذكره من الإرسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتمهيد لقوله تعالى (إن يشأ يذهبكم) أى ما به حاجة إليكم إن يشأ يذهبكم أيها العصاة وفي تلوين الخطاب من تشديد الوعيد ما لا يخفى (ويستخلف من بعدكم) أى من بعد إذهابكم (ما يشاء) من الخلق وإثارة ما على من لإظهار كمال الكبرياء وإسقاطهم عن رتبة العقلاء (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) أى من نسل قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفاتكم وهم أهل سفينة نوح عليه الصلاة والسلام لكنه أبقاكم ترحموا عليكم وما في كما مصدرية ومحل الكاف النصب على أنه مصدر تشبيه على غير الصدر فإن يستخلف في معنى ينشئ كأنه قيل وينشئ إنشاء كائناً كائناً الخ أو نعت لمصدر الفعل المذكور أى يستخلف استخلاقاً كائناً كائناً الخ والشرطية استئناف مقرر لمضمون ما قبلها من الغنى والرحمة (إن ما توعدون) ١٣٤

قُلْ يَتَّقُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾

٦ الأنعام

وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ ٦ الأنعام

- أى الذى توعدونه من البعث وما يتفرع عليه من الأمور الهائلة وصيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار
- التجددى (لآت) لواقع لا محالة كقوله تعالى إن ماتو عدون لواقع وإيثاره عليه لبيان كمال سرعة وقوعه
- بتصويره بصورة طالب حيث لا يفوته هارب حسبا يعرب عنه قوله تعالى (وما أنتم بمعجزين) أى بفاتنين ذلك وإن ركبتم فى الحرب متن كل صعب وذلول كما أن إيثار صيغة الفاعل على المستقبل للإيذان بكال قرب الإتيان والمراد بيان دوام انتفاء الإعجاز لا بيان انتفاء دوام الإعجاز فإن الجملة الاسمية كما تدل على دوام الثبوت تدل بمعونة المقام إذا دخل عليها حرف النفي على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام كما
- ١٣٥ حقق فى موضعه (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم) لآثر ما بين لهم حالهم وآلهم بطريق الخطاب أمر رسول الله ﷺ بطريق التلوين بأن يواجههم بتشديد التهديد وتكرير الوعيد ويظهر لهم ما هو عليه من غاية النصب فى الدين ونهاية الوثوق بأمره وعدم المبالاة بهم أى اعملوا على غاية تمسكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة إذا تمكنت أبلغ التمكن أو على جهنمكم وحالتكم التى أنتم عليها من قولهم مكان ومكانة كقيام ومقامة وقرى مكاناتكم والمعنى اثبتوا على كفرهم ومعاداتكم (إنى عامل) ما أمرت به من الثبات على الإسلام والاستمرار على الأعمال الصالحة والمصابرة وإيراد التهديد بصيغة الأمر مبالغة فى الوعيد كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيجمله بالأمر على ما يؤدى إليه وتسجيل بأن المهدد لا يتأنى منه إلا الشر كالذى أمر به بحيث لا يجد إلى التفتى عنه سبيلا (فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار) سوف لنا كيد مضمون الجملة والعلم عرفانى ومن إماما استفهامية معلقة لفعل العلم محلها الرفع على الابتداء (وتكون) باسمها وخبرها خبر لها وهى مع خبرها فى محل نصب لسدها مسد مفعول تعلمون أى فسوف تعلمون أينا تكون له العاقبة الحسنى التى خلق الله تعالى هذه الدار لها وإماما موصولة فجعلها النصب على أنها مفعول لتعلمون أى فسوف تعلمون الذى له عاقبة الدار وفيه مع الإنذار لإنصاف فى المقال وتنبية على كمال وثوق المندر بأمره وقرى بالياء لأن تأنيث العاقبة غير حقيقى (لأنه) أى الشأن (لا يفلح الظالمون) وضع الظلم موضع الكفر إيذانا بأن امتناع الفلاح يترتب على أى فرد كان من أفراد الظلم فما ظنك بالكفر الذى هو أعظم أفرادها (وجعلوا) شروع فى تقبيح أحوالهم الفظيعة بحكاية أقوالهم وأفعالهم الشنيعة وهم مشركو العرب كانوا يعينون أشياء من حرث ونتاج لله تعالى وأشياء منهما لأهلهم فإذا رأوا ما جعلوه لله تعالى زاكيا ناميا يزيد فى نفسه خيرا رجعوا فجعلوه لأهلهم وإذا زكا ما جعلوه لأهلهم تركوه معتلين بأن الله تعالى غنى وما ذاك إلا لحب آلهم وإيثارهم لها والجعل إماما متعد إلى واحد فالجاران فى قوله تعالى

وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءُهُمْ لِيُرُدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

٦ الأنعام

- (لله ما ذرأ) متعلقان به ومن في قوله تعالى (من الحرث والأنعام) بيان لما وفيه تنبيه على فرط جهالتهم حيث أشركوا الخالق في خلقه جماداً لا يقدر على شيء ثم رجحوه عليه بأن جعلوا الزكي له أي عينوا له تعالى بما خلقه من الحرث والأنعام (نصيياً) يصرفونه إلى الضيفان والمساكين وتأخيرهم عن المجريين لما مر مراراً من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر وإما إلى مفعولين أولهما ما ذرأ على أن من تبعية أي جعلوا بعض ما خلقه نصيباً له وما قيل من أن الأول نصيباً والثاني لا يساعده سداد المعنى وحكاية جعلهم له تعالى نصيباً تدل على أنهم جعلوا شركائهم أيضاً نصيباً ولم يذكر اكتفاء بقوله تعالى (فقالوا هذا الله بزعيمهم وهذا شركائنا) وقرئ بضم الزاء وهو لغة فيه وإنما قيد به الأول للتنبيه على أنه في الحقيقة ليس يجعل الله تعالى غير مستتبغ لشيء من الثواب كالتطوعات التي يبتغى بها وجه الله تعالى لا لما قيل من أنه للتنبيه على أن ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله تعالى به فإن ذلك مستفاد من الجعل ولذلك لم يقيد به الثاني ويجوز أن يكون ذلك تمهيداً لما بعده على معنى أن قولهم هذا الله مجرد زعم منهم لا يعملون بمقتضاه الذي هو اختصاصه به تعالى فقوله تعالى (فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم) بيان وتفصيل له أي فما عينوه لشركائهم لا يصرف إلى الوجوه التي يصرف إليها ما عينوه الله تعالى من قرى الضيفان والتصدق على المساكين وما عينوه الله تعالى إذا وجدوه زاكياً يصرف إلى الوجوه التي يصرف إليها ما عينوه لأهلهم من إيفاق عليهم أو ذبح نسائك عندها والإجراء على سديتها ونحو ذلك (سواء ما يحكمون) فيما فعلوا من إيفار آلهتهم على الله تعالى وعملهم بما لم يشرع لهم وما بمعنى الذي والتقدير سواء الذي يحكمون حكمهم فيكون حكمهم مبتدأ وما قبله الخبر وحذف للدلالة على محكمون عليه (وكذلك) ومثل ذلك ١٣٧
- (الذين) وهو تزيين الشرك في قسمة القربان بين الله تعالى وبين آلهتهم أو مثل ذلك التزيين البالغ الممهود من الشياطين (زين لكثير من المشركين قتل أولادهم) بواهم ونحرم لأهلهم . كان الرجل يحلف في الجاهلية أن ولده كذا غلاماً لينحرن أحدهم كالحلف عبد المطلب وهو مشهور (شركاؤهم) أي أولياؤهم من الجن أو من السدنة وهو فاعل زين آخر عن الظرف والمفعول لما مر غير مرة وقرئ على البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب الأولاد وجر الشركاء بإضافة القتل إليه مفصولاً بينهما بمفعوله وقرئ على البناء للمفعول ورفع قتل وجر أولادهم ورفع شركاؤهم بإضمار فعل دل عليه زين كأنه لما قيل زين لهم قتل أولادهم قيل من زينهم فقيل زينهم شركاؤهم (ليردوهم) أي يهلكوهم بالإغواء (وليلبسوا عليهم دينهم) وليختلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين إسماعيل عليه السلام أو ما وجب عليهم أن يتدينوا به واللام للتعليل إن كان التزيين من الشياطين وللعاقبة إن كان من السدنة (ولو شاء الله) أي عدم فعلهم ذلك (ما فعلوه) أي ما فعل المشركون ما زين لهم من القتل أو الشركاء التزيين أو الإرداء واللبس أو الفريقان جميع ذلك على إجراء الضمير مجرى اسم الإشارة (فذرهم وما يفترون) الفاء

وَقَالُوا هَذِهِ أُنْعَمٌ وَّحَرْتُ حَجْرًا لَا يَطْعُمَهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَمٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾
 ٦ الأنعام
 وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُن مِّمَّةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾
 ٦ الأنعام

- فصيحة أى إذا كان ما فعلوه بمشيئة الله تعالى فدعهم واقتراءهم أو وما يفترونه من الإلفك فإن فيما شاء الله تعالى حكماً بالغة إنما نلّى لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى (وقالوا) حكاية لنوع آخر من أنواع كفرهم (هذه) إشارة إلى ما جعلوه لأنفسهم والتأنيث للخبر (أنعام وحرث حجر) أى حرام فعل بمعنى مفعول كالذبيح يستوى فيه الواحد والكثير والذكر والأنثى لأن أصله المصدر ولذلك وقع صفة لأنعام وحرث وقرىء حجر بالضم وبضمين وخرج أى ضيق وأصله خرج وقيل هو مقلوب من حجر (لا يطعمها إلا من نشاء) يعنون خدم الأوثان من الرجال دون النساء والجملة صفة أخرى لأنعام وحرث (بزعمهم) متعلق بمحذوف هو حال من فاعل قالوا أى قالوه ملتبسين بزعمهم الباطل من غير حجة (وأنعام) خبر مبتدأ محذوف والجملة معطوفة على قوله تعالى هذه أنعام الخ أى قالوا مشيرين إلى طائفة أخرى من أنعامهم وهذه أنعام (حرمت ظهورها) يعنون بها البحائر والسوائب والحوامى (وأنعام) أى وهذه أنعام كما مر وقوله تعالى (لا يذكرون اسم الله عليها) صفة لأنعام لكنه غير واقع في كلامهم المحكى كنظائره بل مسوق من جهة تعالى تعييناً للوصف وتمييزاً له عن غيره كما في قوله تعالى وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله على أحد التفاسير كأنه قيل وأنعام ذبحت على الأصنام فإنها التى لا يذكر عليها اسم الله وإنما يذكر عليها اسم الأصنام وقيل لا يحجون عليها فإن الحج لا يعرى عن ذكر الله تعالى وقال مجاهد كانت لهم طائفة من أنعامهم لا يذكرون اسم الله عليها ولا فى شيء من شأنها لا إن ركبوا ولا إن حلبوا ولا إن نتجوا ولا إن باعوا ولا إن حملوا (اقتراء عليه) نصب على المصدر إما على أن ما قالوه تقول على الله تعالى وإما على تقدير عامل من لفظه أى اقتروا اقتراء والجار متعلق بقالوا أو باقتروا المقدر أو محذوف هو صفة له لا باقتراء لأن المصدر المؤكد لا يعمل أو على الحال من فاعل قالوا
- أى مقترين أو على العلة أى للاقتراء فالجار متعلق به (سيجزيهم بما كانوا يفترون) أى بسببه أو بدله وفى إبهام الجزاء من التهويل ما لا يخفى (وقالوا) حكاية لفن آخر من فنون كفرهم (ما فى بطون هذه الأنعام) يعنون به أجنة البحائر والسوائب (خالصة لذكورنا) حلال لهم خاصة والتاء للنقل إلى الاسمىة أو للبالغة أو لأن الخالصة مصدر كالعافية وقع موقع الخالص مبالغة أو بحذف المضاف أى ذو خالصة أو للتأنيث بناء على أن ما عبارة عن الأجنة والتذكير فى قوله تعالى (ومحرم على أزواجنا) أى جنس أزواجنا وهن الإناث باعتبار اللفظ وفيه كما ترى حمل للنظم الكريم على خلاف المعهود الذى هو الحمل على اللفظ أولاً وعلى المعنى ثانياً كما فى قوله تعالى ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أحوال ونظائره وأما العكس فقد

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا
وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾

٦ الأنعام

وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ، وَالزَّيْتُونَ
وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلًّا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا
إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾

٦ الأنعام

- قالوا إنه لا نظير له في القرآن وهذا الحكم منهم إن ولد ذلك حياً وهو الظاهر المعتاد (وإن يكن ميتة)
- أى إن ولدت ميتة (فهم) أى الذكور والإناث (فيه) أى فيما فى بطون الأنعام وقيل المراد بالميتة ما يعم
- الذكر والأنثى فقلب الأول على الثانى (شركاء) يأكلون منه جميعاً وقرئ خاصة بالنصب على أنه مصدر
- مؤكد والخبر لذكورنا أو حال من الضمير الذى فى الطرف لامن الذى فى ذكورنا ولا من الذكور لأنه
- لا يتقدم على العامل المعنوى ولا على صاحبه المجرور وقرئ خاصة بالرفع والإضافة إلى الضمير على أنه
- بدل من ما أو مبتدأ ثان (سيجزئهم وصفهم) أى جزاء وصفهم الكذب على الله تعالى فى أمر التحليل
- والتحریم من قوله تعالى وتصف ألسنتهم الكذب (إنه حكيم عليم) تعليل للوعيد بالجزاء فإن الحكيم
- العليم بما صدر عنهم لا يكاد يترك جزاءهم الذى هو من مقتضيات الحكمة (قد خسر الذين قتلوا ١٤٠
- أولادهم) جواب قسم محذوف وقرئ بالشدید وهم ربعة ومضر وأضرابهم من العرب الذين كانوا
- يتدون بناتهم مخافة السبى والفقر أى خسروا دينهم ودينام (سفها بغير علم) متعلق بقتلوا على أنه علة
- له أى لخفة عقلم وجهلم بأن الله هو الرزاق لهم ولأولادهم أو نصب على الحال ويؤيده أنه قرئ
- سفهاً أو مصدر (وحرّموا ما رزقهم الله) من البهائم والسوايب ونحوهما (افترأ على الله) نصب
- على أحد الوجوه المذكورة وإظهار الاسم الجليل فى موقع الإضممار لإظهار كمال عتوهم وطغيانهم
- (قد ضلوا) عن الطريق المستقيم (وما كانوا مهتدين) إليه وإن هدوا بفنون الهدايات أو وما كانوا مهتدين
- من الأصل لسوء سيرتهم فالجمله حينئذ اعتراض وعلى الأول عطف على ضلوا (وهو الذى أنشأ جنات ١٤١
- معروشات) تمهيد لما سيأتى من تفصيل أحوال الأنعام أى هو الذى أنشأ من غير شركة لاحد فى ذلك
- بوجه من الوجوه والمعروشات من الكروم المرفوعات على ما يحملها (وغير معروشات) وهن الملقيات
- على وجه الأرض وقيل المعروشات ما غرسه الناس وعرشوه وغير المعروشات ما نبتت فى البوادي والجبال
- (والنخل والزروع) عطف على جنات أى أنشأهما (مختلفاً أكله) وقرئ أكله بسكون الكاف أى ثمره
- الذى يؤكل فى الهيئة والكيفية والضمير إما للنخل والزروع داخل فى حكمه أو للزروع والباقي مقيس عليه
- أو للجميع على تقدير أكل ذلك أو كل واحد منهما ومختلفاً حال مقدرة إذ ليس كذلك وقت الإنشاء
- (والزيتون والرمان) أى أنشأهما وقوله تعالى (متشابهاً وغير متشابه) نصب على الحالية أى يتشابه بعض

وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُّوْا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ

مُبِينٌ ﴿١٤٢﴾

٦ الأنعام

ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالِدُكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْاُنْثَيْنِ اَمَّا اَشْتَمَلَتْ

عَلَيْهِ اَرْحَامُ الْاُنْثَيْنِ نَبَعُوْنِي يَعْلَمُ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ﴿١٤٣﴾

٦ الأنعام

- أفرادهما في اللون والهيئة أو الطعم ولا يتشابه بعضهما (كلوا من ثمره) أى من ثمر كل واحد من ذلك (إذا أُمِر) وإن لم يدرك ولم ينع بعد وقبل فائدة رخصة المالك في الأكل منه قبل أداء حق الله تعالى
- (وأتوا حقه يوم حصاده) أريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد بطريق الوجوب من غير تعيين المقدار لا الزكاة المقدرة فإنها فرضت بالمدينة والسورة مكية وقيل الزكاة والآية مدنية والأمر بإيتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الأداء وليعلم أن الوجوب بالإدراك لا بالتصفية وقرى يوم حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه (ولا تسرفوا) أى في التصديق كما روى عن ثابت بن قيس أنه صرم خمسمائة نخلة
- ففرق ثمرها كلها ولم يدخل منه شيئاً إلى منزله كقوله تعالى ولا تبسطها كل البسط الآية (لأنه لا يحب المسرفين) أى لا يرتضى إسرافهم (ومن الأنعام حمولة وفرشاً) شروع في تفصيل حال الأنعام وإبطال ما تقولوا على الله تعالى في شأنها بالتحريم والتحليل وهو عطف على مفعول أنشأ ومن متعلقة به أى وأنشأ من الأنعام ما يحمل عليه الأثقال وما يفرش اللذخ أو ما يفرش المصنوع من شعره وصوفه ووبره
- وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الأرض كأنها فرش مفروش عليها (كلوا مما رزقكم الله) ماعبارة عما ذكر من الحمولة والفرش ومن تبعيضية أى كلوا بعض ما رزقكم الله تعالى أى حلاله
- وفيه تصريح بأن إنشاءها لا جلمهم ومصلحتهم (ولا تتبعوا) في أمر التحليل والتحريم بتقليد أسلافكم
- المجازفين في ذلك من تلقاء أنفسهم المقتربين على الله سبحانه (خطوات الشيطان) فإن ذلك منهم بإغوائه
- ١٤٣ واستتباعه إياهم (لأنه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة (ثمانية أزواج) الزوج ما معه آخر من جنسه يزوجه ويحصل منهما النسل والمراد بها الأنواع الأربعة وإيرادها بهذا العنوان وهذا العدد تمهيد لما سيق له الكلام من الإنكار المتعلق بتحريم كل واحد من الذكر والأنثى وبما في بطنها وهو بدل من حمولة وفرشاً منصوب بما نصبهما وجعله مفعولاً لكلوا على أن قوله تعالى ولا تتبعوا الآية معترض بينهما أو حالاً من ما معنى مختلفة أو متعددة ياباه جزالة النظم الكريم لظهور أنه مسوق لتوضيح حال الأنعام بتفصيلها أولاً إلى حمولة وفرش ثم بتفصيلها إلى ثمانية أزواج حاصلة من تفصيل الأولى إلى الإبل والبقر وتفصيل الثاني إلى الضأن والمعز ثم تفصيل كل من الأقسام الأربعة إلى الذكر والأنثى كل ذلك لتحرير المواد التي تقولوا فيها عليه سبحانه وتعالى بالتحليل والتحريم ثم تبكيهم بإظهار كذبهم وإفترائهم
- في كل مادة من تلك المواد بتوجيه الإنكار إليها مفصلة واثنتين في قوله سبحانه وتعالى (من الضأن اثنتين) بدل من ثمانية أزواج منصوب بناصبه وهو العامل في من أى أنشأ من الضأن زوجين الكبش والنعجة

وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلَّذَاكِرِينَ حَرَّمَ أَمْ الْإِنثَيْنِ أَمْ أَلْأُنثَيْنِ أَمْ أَلْأُنثَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْكُمُ اللَّهُ بِهِذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾

٦ الأنعام

- وقرىء اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس كالإبل وجمعه ضئنين كما مير أو جمع ضائن كناجر وتجر
- وقرىء بفتح الهمزة (ومن المعز اثنين) عطف على مثله شريك له في حكمه أى وأنشأ من المعز زوجين
- التيس والعنز وقرىء بفتح العين وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرىء ومن المعزى وهذه الأزواج الأربعة تفصيل للفرش ولعل تقديمها في التفصيل مع تأخر أصلها في الإجمال لكون هذين النوعين عرضة للأكل الذى هو معظم ما يتعلق به الحل والحرم وهو السرفى الافتصار على الأمر به في قوله تعالى كلوا مما رزقكم الله من غير تعرض للانتفاع بالحل والحرم وذلك مما حرموه في السائمة وأخواتها (قل) تلوين للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله ﷺ إثر تفصيل أنواع الأنعام التى أنشأها أى قل تبكيئاً لهم وإظهاراً لانقطاعهم عن الجواب (الذاكرين) من ذينك النوعين وهما الكبش والنبس (حرم) أى الله عز وجل كما تزعمون أنه هو المحرم (أم الاثنين) وهما النعجة والعنز ونصب الذاكرين والاثنين بحرم وهو مؤخر عنهما بحسب المعنى وإن توسط بينهما صورة وكذا قوله تعالى (أم ما اشتملت عليه أرحام الاثنين) أى أم ما حملت إناث النوعين حرم ذكر أكان أو أنثى وقوله تعالى (نبئوني بعلم) الخ تكرير للإلزام وتثنية للتبكيئ والإلزام أى أخبروني بأمر معلوم من جهة الله تعالى من الكتاب أو أخبار الأنبياء يدل على أنه تعالى حرم شيئاً ما ذكر أو نبئوني تنبيهاً ملائمة بعلم صادرة عنه (إن كنتم صادقين) أى فى دعوى التحريم عليه سبحانه وقوله تعالى (ومن الإبل اثنين) عطف على قوله تعالى ١٤٤ من الضأن اثنين أى وأنشأ من الإبل اثنين هما الجمل والناقة (ومن البقر اثنين) ذكر أو أنثى (قل) إلخاماً لهم فى أمر هذين النوعين أيضاً (الذاكرين) منهم (حرم أم الاثنين أم ما اشتملت عليه أرحام الاثنين) من ذينك النوعين والمعنى إنكار أن الله سبحانه حرم عليهم شيئاً من الأنواع الأربعة وإظهار كذبهم فى ذلك وتفصيل ما ذكر من الذكور والإناث وما فى بطونها للبالغة فى الرد عليهم بإيراد الإنكار على كل مادة من مواد اقترائهم فإنهم كانوا يحرمون ذكور الأنعام تارة وإناثها تارة وأولادها كيفما كانت تارة أخرى مستدين ذلك كله إلى الله سبحانه وإنما عقب تفصيل كل واحد من نوعى الصغار ونوعى الكبار بما ذكر من الأمر بالاستفهام والإنكار مع حصول التبكيئ بإيراد الأمر عقيب تفصيل الأنواع الأربعة بأن يقال قل آذاكور حرم أم الإناث أم ما اشتملت عليه أرحام الإناث لما فى التثنية والتكرير من المبالغة فى التبكيئ والإلزام وقوله تعالى (أم كنتم شهداء) تكرير للإلزام كقوله تعالى نبئوني بعلم وأم منقطعة ومعنى الهمزة الإنكار والتوبيخ ومعنى بل الإضراب عن التوبيخ بما ذكر إلى التوبيخ بوجه
- ٢٥٠ - أبو المهرود ٣٣٠

قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٥﴾

٦ الأنعام

- آخر أى بل أكنتم حاضرين مشاهدين (إذ وصاكم الله بهذا) أى حين وصاكم بهذا التحريم إذ أنتم لا تؤمنون بنى فلا طريق لكم حسبما يقود إليه مذهبكم إلى معرفة أمثال ذلك إلا المشاهدة والسمع وفيه من تركيك عقولهم والنهكهم بهم ما لا يخفى (فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً) فنسب إليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبارؤم المفقرون لذلك أو عمرو بن لحي بن قمة وهو المؤسس لهذا الشر أو الكل لا اشتراكهم فى الاقتراء عليه سبحانه وتعالى أى فإى فريق أظلم من فريق افتروا الخ ولا يقدح فى أظلمية الكل كون بعضهم مخترعين له وبعضهم مقتدين بهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما سبق من تبكيته وإظهار كذبهم واقتراثهم أى هو أظلم من كل ظالم وإن كان المنفى صريحاً بالأظلمية دون المساواة كما مر غير مرة (ليضل الناس) متعلق بالاقتراء (بغير علم) متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل افترى أى افترى عليه تعالى جاهلاً بصدور التحريم عنه تعالى وإنما وصفوا بعدم العلم بذلك مع أنهم عالمون بعدم صدوره عنه تعالى إيذاناً بخروجهم فى الظلم عن الحدود والنهايات فإن من افترى عليه تعالى بغير علم بصدوره عنه تعالى مع احتمال الصدور عنه إذا كان أظلم من كل ظالم فما ظنك بمن افترى عليه تعالى وهو يعلم أنه لم يصدر عنه ويجوز أن يكون حالا من فاعل يضل أى ملتبساً بغير علم بما يودى بهم إليه (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) كأنه من كان إلى ما فيه صلاح حالهم جاهلاً أو أجلاً وإذا كان هذا حال المتصفين بالظلم فى الجملة فما ظنك بمن هو فى أقصى غاياته
- (قل) أمر رسول الله ﷺ بعد إلزام المشركين وتبكيتهم وبيان أن ما يتقولونه فى أمر التحريم افتراء بحت لا أصل له قطعاً بأن يبين لهم ما حرمه عليهم وفى قوله تعالى (لا أجد فيما أوحى إلى محرماً) إيذان بأن مناط الحل والحرم هو الوحي وأنه ﷺ قد تتبع جميع ما أوحى إليه وتفحص عن المحرمات فلم يجد غير ما فصل وفيه مبالغة فى بيان انحصارها فى ذلك ومحرمات صفة لمحذوف أى لا أجد ريثما تصفحت ما أوحى إلى طعاماً محرماً من المطاعم التى حرموها (على طاعم) أى أى طاعم كان من ذكر أو أنثى رداً على قولهم محرم على أزواجنا وقوله تعالى (يطعمه) لزيادة التقرير (إلا أن يكون) أى ذلك الطعام (ميتة) وقرئ تكون بالناء لتأنيث الخبر وقرئ ميتة بالرفع على أن كان تامة وقوله تعالى (أو دمًا مسفوحاً) حينئذ عطف على أن مع ما فى حيزه أى إلا وجود ميتة أو دمًا مسفوحاً أى مصبوحاً كالدماء التى فى العروق
- لا كالطحال والكبد (أو لحم خنزير فإنه) أى الخنزير (رجس) أى لحمه قدر لتعوده أكل النجاسات أو خبيث (أو فسقاً) عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض مقرر لحرمته (أهل لغير الله به) صفة له موضحة أى ذبح على اسم الأصنام وإنما سمي ذلك فسقاً لتوغله فى الفسق ويجوز أن يكون فسقاً مفعولاً له لأهل وهو عطف على يكون والمستكن راجع إلى ما رجع إليه المستكن فى يكون (فمن اضطر) أى

وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ
ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ٦ الأنعام

- أصابه الضرورة الداعية إلى أكل الميتة بوجه من الوجوه المضطرة (غير باغ) في ذلك على مضطر آخر
- مثله (ولا عاد) قدر الضرورة (فإن ربك غفور رحيم) مبالغ في المغفرة والرحمة لا يؤاخذ به بذلك وليس
- التقييد بالحال الأول لبيان أنه لو لم يوجد القيد لتحقق الحرمة المبحوث عنها بل للتحذير من حرام آخر
- هو أخذه حق مضطر آخر فإن من أخذ لحم الميتة من يد مضطر آخر فأكله فإن حرمة ليست باعتبار
- كونه لحم الميتة بل باعتبار كونه حقاً للمضطر الآخر وأما الحال الثانية فلتحقيق زوال الحرمة المبحوث
- عنها قطعاً فإن التجاوز عن القدر الذي يسد به الرمق حرام من حيث إنه لحم الميتة وفي التعرض لوصفي
- المغفرة والرحمة إيذان بأن المعصية باقية لكنه تعالى يغفر له ويرحمه والآية محكمة لأنها تدل على أنه
- ﷺ لم يجد فيما أوحى إليه إلى تلك الغاية غيره ولا ينافيه ورود التحريم بعد ذلك في شيء آخر فلا يصح
- الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الأشياء التي هي غيرها إلا مع الاستصحاب
- (وعلى الذين هادوا) خاصة لا على من عداهم من الأولين والآخرين (حرمان كل ذي ظفر) أي كل ١٤٦
- ماله أصبع من الإبل والسباع والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمى الحافر ظفراً مجازاً والمسبب
- عن الظلم هو تعميم التحريم حيث كان بعض ذوات الظفر حلالاً لهم فلما ظلموا أعم التحريم كلها وهذا تحقيق
- لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل بإبطال ما يخالفه من فرية اليهود وتكذيبهم في ذلك فإنهم كانوا
- يقولون لسنا أول من حرمت عليه وإنما كانت محرمة على نوح وإبراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الأمر إلينا
- (ومن البقر والغنم حرمانا عليهم شحومهما) لا لحومهما فإنها باقية على الحل والشحوم الثروب وشحوم الكلى
- والإضافة لزيادة الربط (إلا ما حملت ظهورهما) استثناء من الشحوم مخرج لما علق من الشحم بظهورهما
- عن حكم التحريم (أو الحوايا) عطف على ظهورهما أي ما حملته الحوايا وهي جمع حاوية أو حاويات كقاصعاء
- وقواصع أو حوية كسفينة وسفائن (أو ما اختلط بعظم) عطف على ما حملت وهو شحم الآلية واختلاطه
- بالعظم اتصاله بعجب الذنب وقيل هو كل شحم متصل بالعظم من الأضلاع وغيرها (ذلك) إشارة إلى
- الجزء أو التحريم فهو على الأول نصب على أنه مصدر مؤكد لما بعده وعلى الثاني على أنه مفعول ثان له
- أي ذلك التحريم (جزيناهم ببغيهم) بسبب ظلمهم وهو قتلهم الأنبياء بغير حق وأكلهم الربا وقد نهوا عنه
- وأكلهم أموال الناس بالباطل كقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وكانوا كلما
- أتوا بمعصية عوقبوا بتحريم شيء مما أحل لهم وهم ينكرون ذلك ويدعون أنها لم تزل محرمة على الأمم
- فرد ذلك عليهم وأكده بقوله تعالى (وإننا لصادقون) أي في جميع أخبارنا التي من جملتها هذا الخبر ولقد
- ألقمهم الحجر قوله تعالى كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل
- التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين روى أنه ﷺ لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا أن

قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَدْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤١﴾

١٤٧ يخرجوا التوراة كيف وقد بين فيها جميع ما يحذرون أو ضح بيان (فإن كذبوك) قيل الضمير لليهود دلائلهم أقرب ذكر أول ذكر المشركين بعد ذلك بعنوان الإشراف وقيل للمشركين فالمعنى على الأول إن كذبتك اليهود في الحكم المذكور وأصروا على ما كانوا عليه من ادعاء قدم التحريم (فقل) لهم (ربكم ذو رحمة واسعة) لا يؤاخذكم بكل ما تنهون من المعاصي ويهملكم على بعضها (ولا يرد بأسه) بالكلية (عن القوم المجرمين) فلا تنكروا ما وقع منه تعالى من تحريم بعض الطيبات عليكم عقوبة وتشديداً وعلى الثاني فإن كذبك المشركون فيما فصل من أحكام التحليل والتحريم فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لا يعاجلكم بالعقوبة على تكذيبكم فلا تغتروا بذلك فإنه إهمال لا إهمال وقيل ذو رحمة للطبعين وذو بأس شديد على المجرمين فأقيم مقامه قوله تعالى ولا يرد بأسه الخ لتضمنه التنبيه على إنزال البأس عليهم مع الدلالة على أنه لا حق بهم البتة من غير صارف يصرفه عنهم أصلاً (سيقول الذين أشركوا) حكاية لغير آخر من كفرهم وإخباره قبل وقوعه ثم وقوعه حسبما أخبر به كما يحكيه قوله تعالى عند وقوعه وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء صريح في أنه من عند الله (لو شاء الله ما أشركنا) أي لو شاء خلاف ذلك مشيئة إرضاء لما فعلنا الإشراف نحن (ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء) أرادوا به أن ما فعلوه حق مرضى عند الله تعالى لا الاعتذار من ارتكاب هذه القبائح بإرادة الله تعالى إياها منهم حتى ينتهض ذمهم به دليلاً للمعتزلة ألا يرى إلى قوله تعالى (كذلك كذب الذين من قبلهم) أي مثل ما كذبك هؤلاء في أنه تعالى منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب متقدمهم الرسل فإنه صريح فيما قلنا وعطف آباؤنا على الضمير للفصل بلا (حتى) ذاقوا بأسنا) الذي أنزلنا عليهم بتكذيبهم (قل هل عندكم من علم) من أمر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم (فتخرجوه لنا) أي فتظروه لنا (إن تتبعون إلا الظن) أي ما تتبعون في ذلك إلا الظن الباطل الذي لا يغني عن الحق شيئاً (وإن أنتم إلا تخرون) تكذبون على الله عز وجل وليس فيه دلالة على المنع من اتباع الظن على الإطلاق بل فيما يعارضه قطعي (قل فله الحجة البالغة) الفاء جواب شرط محذوف أي وإذا قد ظهر أن لا حجة لكم فله الحجة البالغة أي البينة الواضحة التي بلغت غاية المنانة والثبات أو بلغ بها صاحبها محبة دعواه والمراد بها الكتاب والرسول والبيان وهي من الحجج بمعنى القصد كأنها تقصد لإثبات الحكم وتطلبه (فلو شاء) هدايتكم جميعاً (لهذا كم أجمعين) بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن

قُلْ هَلْ شُهَدَاءُ كُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ
 الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايِنِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ٦ الانعام
 قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ
 مِنْ إِمْلَاقٍ تَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ
 الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ٦ الانعام

- لم يشأ هداية الكل بل هداية البعض الصارفين مهمهم إلى سلوك طريق الحق وضلال آخرين صرفوا
 اختيارهم إلى خلاف ذلك من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم (قل هلم شهداءكم) أى أحضروهم ١٥٠
 وهو اسم فعل لا يتصرف على لغة أهل الحجاز وفعل بؤث ويجمع على لغة بنى تميم على رأى الجمهور وقد
 خالفهم البعض فى فعليته وليس بشئ. وأصله عند البصريين هالم من لم إذا قصد حذف الألف لتقدير
 السكون فى اللام فإنه الأصل وعند الكوفيين هل أم فحذفت الهمزة بإلقاء حركتها على اللام وهو بعيد
 لأن هل لا تدخل الأمر ويكون متعدياً كما فى الآية ولازماً كما فى قوله تعالى هلم إلينا (الذين يشهدون
 أن الله حرم هذا) وهم قدوتهم الذين ينصرون قولهم وإنما أمروا باستحضارهم ليلزمهم الحجة ويظهر
 بانقطاعهم ضلالهم وأنه لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالإضافة ووصفوا بما يدل على
 أنهم شهداء معروفون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم (فإن شهدوا) بعد ما حضروا بأن الله حرم هذا
 (فلا تشهد معهم) أى فلا تصدقهم فإنه كذب بحت وافتراء صرف وبين لهم فسادهم فإن تسليمهم منهم موافقة
 لهم فى الشهادة الباطلة (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا) من وضع المظهر مقام المضمر للدلالة على
 أن من كذب بآيات الله تعالى وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير وأن من اتبع الحجة لا يكون إلا
 مصداقاً بها (والذين لا يؤمنون بالآخرة) كعبدة الأوثان عطف على الموصول الأول بطريق عطف
 الصفة على الصفة مع اتحاد الموصوف كما فى قوله [إلى الماجد القرم وابن إلهاه م وليث الكتاب فى المزدحم]
 فإن من يكذب بآياته تعالى لا يؤمن بالآخرة وبالعكس (وهم برهم يعدلون) أى يجعلون له عدلاً عطف
 على لا يؤمنون والمعنى لا تتبع أهواء الذين يجمعون بين تكذيب آيات الله وبين الكفر بالآخرة وبين
 الإشراف به سبحانه لكن لا على أن يكون مدار النهى الجمع المذكور بل على أن أولئك جامعون لها متصفون
 بكلها (قل تعالوا) لما ظهر بطلان ما ادعوا من أن إشرافهم وإشراف آبائهم وتحريم ما حرموه بأمر الله ١٥١
 تعالى ومشيئته بظهور عجزهم عن إخراج شئ يتمسك به فى ذلك وإحضار شهداء يشهدون بما ادعوا فى
 أمر التحريم بعد ما كلفوه مرة بعد أخرى عجزاً بيننا أمر رسول الله ﷺ بأن يبين لهم من المحرمات ما
 يقتضى الحال بيانه على الأسلوب الحكيم إيذاناً بأن حقهم الاجتناب عن هذه المحرمات وأما الاطعمة
 المحرمة فقد بينت بقوله تعالى قل لا أجد الآلة وتعالى أمر من تعالى والأصل فيه أن يقوله من فى مكان

- عال لمن هو في أسفل منه ثم اتسع فيه بالتعميم كأن الغنيمة في الأصل إصابة الغنم من العدو ثم استعملت في إصابة كل ما يصاب منهم اتساعاً ثم في الفوز بكل مطلب من غير مشقة (أتل) جواب الأمر وقوله تعالى (ما حرم ربكم) منصوب به على أن ما موصولة والعائد محذوف أي أقرأ الذي حرمه ربكم أي الآيات المشتملة عليه أو مصدرية أي الآيات المشتملة على تحريمه أو يحرم على أنها استفهامية والجملة مفعول لأتل لأن التلاوة من باب القول كأنه قيل أقل أي شيء حرم ربكم (عليكم) متعلق بحرم على كل حال وقيل بآتل والاول أنسب بمقام الاعتناء بإيجاب الانتهاء عن المحرمات المذكورة وهو السرف في التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم فإن تذكير كونه تعالى رباً لهم ومالكاً لا يرمهم على الإطلاق من أقوى الدواعي إلى انتهائهم عما نهى الله عنه أشد انتهاء وأنه في قوله تعالى (أن لا تشركوا به) مفسرة لفعل التلاوة المعلق بما حرم ولا ناهية كما ينبغي عنه عطف ما بعده من الأوامر والنواهي عليه وليس من ضرورة كون المعطوف عليه تفسير تلاوة المحرمات بحسب منطوقه كون المعطوفات أيضاً كذلك حتى يمتنع انتظام الأوامر في سلك العطف عليه بل يكفي في ذلك كونها تفسيراً لها باعتبار لوازمها التي هي النواهي المتعلقة بأضداد ما تعلقت هي به فإن الأمر بالشئ مستلزم للنهي عن ضده بل هو عينه عند البعض كأن الأوامر ذكرت وقصد لوازمها فإن عطف الأوامر على النواهي الواقعة بعد أن المفسرة لتلاوة المحرمات مع القطع بأن المأمور به لا يكون محرماً دليل واضح على أن التحريم راجع إلى الأضداد على الوجه المذكور فكانه قيل أتل ما حرم ربكم أن لا تشركوا ولا تسيئوا إلى الوالدين خلا أنه قد أخرج مخرج الأمر بالإحسان إليهما بين النهين المكتنفين له للبالغة في إيجاب مراعاة حقوقهما فإن مجرد ترك الإساءة إليهما غير كاف في قضاء حقوقهما ولذلك عقب به النهي عن الإشرار الذي هو أعظم المحرمات وأكبر الكبائر ههنا وفي سائر المواقع وقيل أن ناصبة ومحلها النصب بعلينكم على أنه للإغراء وقيل النصب على البدلية ما حرم وقيل من عائدها المحذوف على أن لازمته وقيل الجر بتقدير اللام وقيل الرفع بتقدير المتلو أن لا تشركوا أو المحرم أن لا تشركوا بزيادة لا وقيل والذي عليه التعويل هو الأول لأن أمور من جملتها أن في إخراج المفسر على صورة النهي مبالغة في بيان التحريم وقوله تعالى (شيئاً) نصب على المصدرية أو المفعولية أي لا تشركوا به شيئاً من الإشرار أو شيئاً من الأشياء (وبالوالدين) أي واحسنوا بهما (إحساناً) وقد مر تحقيقه (ولا تقتلوا أولادكم) تكليف متعلق بحقوق الأولاد عقب به التكليف المتعلق بحقوق الوالدين أي لا تقتلوا بالوآد (من إملاق) أي من أجل فقر كما في قوله تعالى خشية إملاق وقيل هذا في الفقر الناجز وذافي المتوقع وقوله تعالى (نحن نرزقكم وإياهم) استئناف مسوق لتعليل النهي وإبطال سببية ما اتخذوه سبباً لمباشرة المنهى عنه وضمنان منه تعالى لأرزاقهم أي نحن نرزق الفريقين لأنهم فلا تخافوا الفقر بناء على عجزكم عن تحصيل الرزق وقوله تعالى (ولا تقربوا الفواحش) كقوله تعالى ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة الآية إلا أنه جرى ههنا بصيغة الجمع قصداً إلى النهي عن أنواعها ولذلك أبدل عنها قوله تعالى (ما ظهر منها وما بطن) أي ما يفعل منها علانية في الحوانيت كما هو دأب أراذلهم وما يفعل سراً باتخاذ الأخدان كما هو عادة أشرافهم وتعليق النهي بقربانها إما للبالغة في الزجر

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ. وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ
لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ. وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ
بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾

٦ الأنعام

- عنها لقوة الدواعي إليها وإما لأن قربانها داع إلى مباشرتها وتوسيط النهي عنها بين النهي عن قتل الأولاد والنهي عن القتل مطلقاً كما وقع في سورة بني إسرائيل باعتبار أنها مع كونها في نفسها جناية عظيمة في حكم قتل الأولاد فإن أولاد الزنا في حكم الأموات وقد قال ^{عليه السلام} في حق العزل إن ذاك وأدخني ومن ههنا تبين أن حمل الفواحش على الكبائر مطلقاً وتفسير ما ظهر منها وما بطن بما فسر به ظاهر الإثم وباطنه فيما سلف من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله) أي حرم قتلها ● بأن عصمها بالإسلام أو بالعهد فيخرج منها الحربى وقوله تعالى (إلا بالحق) استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي لا تقتلونها في حال من الأحوال إلا حال ملاستكم بالحق الذي هو أمر الشرع بقتلها وذلك بالكفر بعد الإيمان والزنا بعد الإحصان وقتل النفس المعضومة أو من أعم الأسباب أي لا تقتلونها بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق وهو ما ذكر أو من أعم المصادر أي لا تقتلونها قتلها إلا قتلها كانتاً بالحق وهو القتل بأحد الأمور المذكورة (ذلكم) إشارة إلى ما ذكر من التكليف الخمسة وما في ذلك من معنى البعد للإبذان بعلو طبقاتها من بين التكليف الشرعية وهو مبتدأ وقوله تعالى (وصاكم به) أي أمركم به ربكم أمراً مؤكداً خبره والجملة استئناف جىء به تعجيداً للهدوء تأكيداً للإيجاب المحافظة على ما كلفوه ولما كانت الأمور المنهى عنها مما تقضى بديممة العقول بقبولها فصارت الآية الكريمة بقوله تعالى (علمكم تعقلون) أي تستعملون عقولكم التي تعقل نفوسكم وتحبسها عن مباشرة القبائح المذكورة (ولا تقربوا مال اليتيم) توجيه النهي إلى قربانه لما مر من المبالغة في النهي عن أكله وإخراج ١٥٢ القربان النافع عن حكم النهي بطريق الاستثناء أي لا تتعرضوا له بوجه من الوجوه (إلا بالتي هي أحسن) ● إلا بالحصلة التي هي أحسن ما يكون من الحفظ والتميز ونحو ذلك والخطاب الأولياء والأوصياء لقوله تعالى (حتى يبلغ أشده) فإنه غاية لما يفهم من الاستثناء لا للنهي كأنه قيل احفظوه حتى يصير بالغاً ● رشيداً فحينئذ سلوه إليه كما في قوله تعالى فإن أنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم والأشدد جمع شدة كنعمة وأنعم أو شد ككلب وأكلب أو شد كصر وأصر وقيل هو مفرد كأنك (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط) أي بالعدل والتسوية (لا تكلف نفساً إلا وسعها) إلا ما يسعها ولا يعسر عليها وهو اعتراض جىء به عقيب الأمر بالعدل للإبذان بأن مراعاة العدل كما هو عسير كأنه قيل عليكم بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم (وإذا قلتم) قولاً في حكومة أو شهادة أو نحوهما (فاعدلو) فيه (ولو كان) أي المقول له أو عليه (ذا قربى) أي ذا قرابة منكم ولا تملوا انخوم أصلاً وقد مرت تحقيق معنى لوفى مثل هذا الموضع ● مراراً (وبعهد الله أوفوا) أي ما عهد إليكم من الأمور المحدودة أو أي عهد كان فيدخل فيه ما ذكر ●

وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَيْنَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ
بِهِ لَعَلَّكُمْ تُتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾

٦ الأنعام

ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ
يُلْقِئَ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ يَوْمَانُونَ ﴿١٥٤﴾

٦ الأنعام

- دخولاً أولاً أو ما عاهدتم الله عليه من الإيمان والنذور وتقديمه للاعتناء بشأنه (ذلكم) إشارة إلى
- ما فصل من التكليف ومعنى البعد لما ذكر فيما قبل (وصاكم به) أمركم به أمر مؤكداً (لعلكم تذكرون) تذكرون ما في تضاعيفه وتعملون بمقتضاه وقرئ بتشديد الذال وهذه أحكام عشرة لا تختلف باختلاف الأمم والأعصار . عن ابن عباس رضي الله عنهما هذه آيات محكمات لم ينسخن شيء من جميع الكتب
- وهن محرمات على بني آدم كلهم وهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الأحبار والذي نفس كعب بيده إن هذه الآيات لأول شيء في التوراة بسم الله الرحمن الرحيم قل
- ١٥٣ تعالوا الآيات (وأن هذا صراطي) إشارة إلى ما ذكر في الآيتين من الأمر والنهي قاله مقاتل وقبل إلى ما ذكر في السورة فإنها بأسرها في إثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرئ صراطي بفتح الپاء ومعنى إضافته إلى ضميره ﷺ انتسابه إليه ﷺ من حيث السلوك لا من حيث الوضع كما في صراط الله والمراد بيان أن ما فصل من الأوامر والنواهي غير مختصة بالمتلو عليهم بل متعلقة به ﷺ أيضاً وأنه ﷺ
- مستمر على العمل بها ومراعاتها وقوله تعالى (مستقيماً) حال مؤكدة ومحل أن مع ما في حيزها الجرح محذوف
- لام العلة أي ولأن هذا صراطي أي مسلكي مستقيماً (فاتبعوه) كقوله تعالى وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً وتعليل اتباعه بكونه صراطه ﷺ لا بكونه صراط الله تعالى مع أنه في نفسه كذلك من حيث أن سلوكه ﷺ فيه داع للخلق إلى الاتباع إذ بذلك يتضح عندهم كونه صراط الله عز وجل وقرئ بكسر الهمزة على الاستئناف وقرئ أن هذا مخففة من أن على أن اسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف
- وقرئ صراطي وقرئ هذا صراطي وقرئ وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك (ولا تتبعوا السبل) الأديان المختلفة أو طرق البدع والضلالات (فتفرق بكم) محذوف إحدى التاءين والباء للتجديده
- أي فتفرقكم حسب تفرقها أبداً سباً فو كما ترى أبلغ من تفرقكم كما قيل من أن ذهب به لما فيه من الدلالة على الاستصحاب أبلغ من أذهبه (عن سبيله) أي سبيل الله الذي لا عوج فيه ولا حرج وهو دين الإسلام الذي ذكر بعض أحكامه وقيل هو اتباع الوحي وإقفاء البرهان وفيه تنبيه على أن صراطه
- ﷺ عين سبيل الله تعالى (ذلكم) إشارة إلى ما مر من اتباع سبيله تعالى وترك اتباع سائر السبل (وصاكم به لعلكم تتقون) اتباع سبل الكفر والضلالة (ثم آتينا موسى الكتاب) كلام مسوق من جهته تعالى تقريراً للوصية وتحقيقاً لها وتمهيداً لما يعقبه من ذكر إنزال القرآن المجيد كما ينبي عنه تغيير الأسلوب بالانتهاف إلى التكلم معطوف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام كأنه قيل بعد قوله تعالى ذلكم

وَهَذَا كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكًا فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ٦ الأنعام

أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ ٦ الأنعام

- وصاكم به بطريق الاستئناف تصديقا له وتقريراً لمضمونه فعلنا ذلك ثم آتينا الخ كما أن قوله تعالى ونطبع على قلوبهم معطوف على ما يدل عليه معنى أو لم يهد الخ كأنه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع الخ وأما عطفه على ذلكم وصاكم به ونظمه معه في سلك الكلام الملقن كما أجمع عليه الجمهور فيما لا يليق بجزالة النظم الكريم فندبر وشم لازاخي في الأخبار كما في قولك بلغني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت أمس أعجب أو للفاوت في الرتبة كأنه قيل ذلكم وصاكم به قديماً وحديثاً ثم أعظم من ذلك أما آتينا موسى النوراة فإن إيتاءها مشتملة على الوصية المذكورة وغيرها أعظم من التوصية بها فقط (تماماً) للكرامة والنعمة أي إتماماً لها على أنه مصدر من أتم بحذف الزوائد (على الذي أحسن) أي على من أحسن القيام به كأننا من كان ويؤيده أنه قرىء على الذين أحسنوا وتماماً على المحسنين أو على الذي أحسن تبليغه وهو موسى عليه السلام أو تماماً على ما أحسنه موسى عليه السلام أي أجاده من العلم والشرائع أي زيادة على علمه على وجه التتميم وقرىء بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي على الذي هو أحسن دين وأرضاه أو آتينا موسى الكتاب تماماً أي تاماً كاملاً على أحسن ما يكون عليه الكتاب (وتفصيلاً لكل شيء) وبياناً مفصلاً لكل ما يحتاج إليه في الدين وهو عطف على تماماً ونصبهما إما على العلية أو على المصدرية كما أشير إليه أو على الحالية وكذا قوله تعالى (وهدي ورحمة) وضمير (لعلمهم) لبنى إسرائيل المدلول عليهم بذكر موسى وإيتاء الكتاب والباء في قوله تعالى (بلفاء ربهم) متعلقة بقوله تعالى (يؤمنون) قدمت عليه محافظة على الفواصل قال ابن عباس رضي الله عنهما كي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعذاب (وهذا) أي الذي نليت عليكم ١٥٥ أو أمره ونواهيته أي القرآن (كتاب) عظيم الشأن لا يقادر قدره وقوله تعالى (أنزلناه مبارك) أي كثير المنافع ديناً ودنياً صفتان لكتاب وتقديم وصف الإنزال مع كونه غير صريح لأن الكلام مع منكره أو خبر أن آخران لاسم الإشارة أي أنزلناه مشتملاً على فنون الفوائد الدينية والدينية التي فصلت عليكم طائفة منها والفاء في قوله تعالى (فاتبعوه) لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن عظم شأن الكتاب في نفسه وكونه منزلاً من جنابه عز وجل مستقبلاً للنافع الدينية والدينية موجب لاتباعه أي إيجاب (واتقوا) مخالفته (لعلكم ترحمون) بواسطة اتباعه والعمل بموجبه (أن تقولوا) علة لأنزلناه المدلول عليه بالماذكور ١٥٦ لا لنفسه لازوم الفصل حينئذ بين العامل والمعمول بأجنبي هو مبارك وصفاً كان أو خبراً أي أنزلناه كذلك كراهة أن تقولوا يوم القيامة لولم ننزله (إنما أنزل الكتاب) الناطق بتلك الأحكام العامة لكل الأمم (على طائفتين) كائنتين (من قبلنا) وهما اليهود والنصارى وتخصيص الإنزال بكتائبيهما لأنهما الذي اشتهر حينئذ فيما بين الكتب السماوية بالاشتغال على الأحكام لاسيما الأحكام المذكورة (وإن كنا) ٢٦٥ - أبو السعود ج ٣،

أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيْنَهُم مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى
وَرَحْمَةً فَمَن أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا
سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

٦ الأنعام

- إن هي المخففة من إن واللام فارقة بينهما وبين النافية وضمير الشأن محذوف ومرادهم بذلك دفع ما يرد عليهم من أن نزوله عليهما لا ينافي عموم أحكامه فلم يعملوا بأحكامه العامة أي وإنه كنا (عن دراستهم لغافلين) لا ندري ما في كتابهم إذ لم يكن على لغتنا حتى نتلقى منه تلك الأحكام العامة ونحافظ عليها وإن لم يكن منزلاً عليهما وبهذا تبين أن معذرتهم هذه مع أنهم غير مأمورين بما في الكتابين لاشتغالهما على الأحكام المذكورة المتناولة لكافة الأمم كما أن قطع تلك المعذرة بإزالة القرآن لاشتغاله أيضاً عليها لا على سائر الشرائع والأحكام فقط (أو تقولوا) عطف على تقولوا وقرىء كلاهما بالياء على الالتفات
- ١٥٧ من خطاب فاتبعوه واتقوا (لو أنما أنزل علينا الكتاب) كما أنزل عليهم (لكننا أهدى منهم) إلى الحق الذي هو المقصد الأقصى أو إلى ما في تضاعيفه من جلائل الأحكام والشرائع ودقائقها لحدة أذهاننا وثقابة أفهامنا ولذلك تلقفنا من فنون العلم كالقصص والأخبار والخطب والأشعار ونحو ذلك طرفاً صالحاً ونحن أميون وقوله تعالى (فقد جاءكم) متعلق بمحذوف يبنى عنه الفاء الفصيحة إما معتل به أي لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم الخ وإما شرط له أي إن صدقتم فيما كنتم تعدون من أنفسكم من كونكم أهدى من الطائفتين على تقدير نزول الكتاب عليكم فقد حصل ما فرضتم وجاءكم (بينه) وأي بينة أي حجة واضحة لا يكتننه كنهها وقوله تعالى (من ربكم) متعلق بجاءكم أو بمحذوف هو صفة لبينة أي بينة كائنة منه تعالى وأياً ما كان فقيه دلالة على فضلها الإضافي كما أن في تنوينها التفخيمي دلالة على فضلها الذاتي وفي التعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم مزيد تأكيد لإيجاب الاتباع
- (وهدى ورحمة) عطف على بينة وتنوينهما أيضاً تفخيمي عبر عن القرآن بالبينه لإدناها بكال تمسكهم من دراسته ثم بالهدى والرحمة تنبيهاً على أنه مشتمل على ما اشتمل عليه التوراة من هداية الناس ورحمتهم بل هو عين الهداية والرحمة (فمن أظلم) الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن مجيء القرآن المشتمل على الهدى والرحمة موجب لغاية أظلمية من يكذبه أي وإذا كان الأمر كذلك فمن أظلم (من كذب بآيات الله) وضع الموصول موضع ضميرهم بطريق الالتفات تنصيهاً على اتصافهم بما في حيز الصلة وإشعاراً بعملة الحكم وإسقاطاً لهم عن رتبة الخطاب وعبر عما جاءهم بآيات الله تهويلاً للأمر وتنبيهاً على أن تكذيب أي آية كانت من آيات الله تعالى كاف في الأظلمية فما ظنك بتكذيب القرآن المنطوي على الكل والمعنى إنكار أن يكون أحد أظلم ممن فعل ذلك أو مساوياً له وإن لم يكن سبب التركيب متعرضاً لإنكار المساواة ونفيها فإذا قيل من أكرم من فلان أولاً أفضل منه فالمراد به حتماً بحكم العرف الفاشي والاستعمال المطرد أنه أكرم من كل كريم وأفضل من كل فاضل وقد مر مراراً (وصدَفَ عنها)

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ أَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾

٦ الأنعام

- أى صرف الناس عنها فجمع بين الضلال والإضلال (سنجزى الذين يصدفون) الناس (عن آياتنا) وعيد لهم ببيان جزاء إضلالهم بحيث يفهم منه جزاء ضلالهم أيضاً ووضع الموصول موضع المضمر
- لتحقيق مناط الجزاء (سوء العذاب) أى العذاب السيئ الشديد النكابة (بما كانوا يصدفون) أى بسبب ما كانوا يفعلون الصدف والصرف على التجدد والاستمرار وهذا تصريح بما أشعر به لإجراء الحكم على الموصول من عليه ما فى حيز الصلة (هل ينظرون) استئناف مسوق لبيان أنه لا يتأتى منهم الإيمان بإزال ١٥٨
- ما ذكر من البينات والهدى وأنهم لا يرفعون عن التماذى فى المكابرة واقتراح ما ينافى الحكمة التشريعية من الآيات الملجئة وأن الإيمان عند إتيانها بما لا فائدة له أصلاً مبالغته فى التبليغ والإنذار وإزاحة العلل والأعذار أى ما ينتظرون (إلا أن تأتيمهم الملائكة أو يأتى ربك) حسبما اقترحوا بقولهم لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا وبقولهم أو تأتى بالله والملائكة قبلاً وبقولهم لولا أنزل عليه ملك ونحو ذلك أو إلا أن تأتيمهم ملائكة العذاب أو يأتى أمر ربك بالعذاب والانتظار محمول على التمثيل كما سيجىء وقرئ
- يأتيمهم بالياء لأن تأنيث الملائكة غير حقيقى (أو يأتى بعض آيات ربك) أى غير ما ذكرنا اقترحوا بقولهم أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً ونحو ذلك من عظام الآيات التى علقوا بها إيمانهم والتعبير عنها بالبعض للتحويل والتفخيم كما أن إضافة الآيات فى الموضعين إلى اسم الرب المنبئ عن المالكية الكلية لذلك وإضافته إلى ضميره ﷻ للتشريف وقيل المراد بالملائكة ملائكة الموت وإتيانه سبحانه وتعالى لإتيان كل آياته بمعنى آيات القيامة والهلاك الكلى بقرينة ما بعده من إتيان بعض آياته تعالى على أن المراد به أشرط الساعة التى هى الدخان ودابة الأرض وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها وأجوج وأجوج ونزول عيسى عليه السلام ونار تخرج من عدن كما نطق به الحديث الشريف المشهور وحيث لم يكن إتيان هذه الأمور ما ينتظرونه كإتيان ما اقترحوه من الآيات فإن تعليق إيمانهم بإتيانها انتظار منهم له ظاهر أحمل الانتظار على التمثيل المبني على تشبيه حالهم فى الإصرار على الكفر والتماذى فى العناد إلى أن تأتيمهم تلك الأمور الهائلة التى لا بد لهم من الإيمان عند مشاهدتها البتة بحال المنتظرين لها وأنت خبير بأن النظم الكريم بسباقه المنبئ عن تماديهم فى تكذيب آيات الله تعالى وعدم الاعتداد بها وسياقه الناطق بعدم نفع الإيمان عند إتيان ما ينتظرونه يستدعى أن يحمل ذلك على أمور هائلة مخصوصة بهم إما بأن تكون عبارة عما اقترحوه أو عن عقوبات مترتبة على جناباتهم كإتيان ملائكة العذاب وإتيان أمره تعالى بالعذاب وهو الأنسب لما سياتى من قوله تعالى قل انتظروا إنا منتظرون وأما حمله على ما ذكر من إتيان ملائكة الموت وإتيان كل آيات القيامة وظهور أشرط الساعة مع شمول إتيانها

لكل بروفاجر واشتغال غائلتها على كل مؤمن وكافر فيما لا يساعده المقام على أن بعض أشرط الساعة ليس
 ● مما يفسد به باب الإيمان والطاعة نعم يجوز حمل بعض الآيات في قوله عز وجل (يوم يأتي بعض آيات
 ربك) على ما يعم مقتضياتهم وغيرها من الدواهي العظام السالبة للاختيار الذي عليه يدور فلك التكليف
 فإنه بمنزلة الكبرى من الشكل الأول فيتم التقریب عند وقوعها بدخول ما ينتظر ونه في ذلك دخولا أولياً
 ● ويوم منصوب بقوله تعالى (لا ينفع) فإن امتناع عمل ما بعد لا فيما قبلها عند وقوعها جواب القسم وقرئ
 ● يوم بالرفع على الابتداء والخبر هو الجملة والعائد محذوف أى لا ينفع فيه (نفساً) من النفوس (إيمانها)
 حينئذ لانكشاف الحال وكون الأمر عياناً ومعلوم قبول الإيمان أن يكون بالغيب كقوله تعالى فلم يك
 ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا وقرئ لا تنفع بالتاء الفوقانية لا اكتساب الإيمان من ملازمة المضاف إليه
 ● تأنيثاً وقوله تعالى (لم تكن آمنت من قبل) أى من قبل إتيان بعض الآيات صفة لنفساً فصل بينهما
 ● بالفاعل لاشتغاله على ضمير الموصوف ولا ضمير فيه لأنه غير أجنبى منه لا اشتراكهما في العامل (أو كسبت
 في إيمانها خيراً) عطف على آمنت بإيراد التريديد على النفي المفيد لكفاية أحد النفيين في عدم النفع
 والمعنى أنه لا ينفع الإيمان حينئذ نفساً لم تقدم إيمانها أو قدمته ولم تكسب فيه خيراً ومن ضرورته
 اشتراط النفع بتحقيق الأمرين أى الإيمان المقدم والخير المكسوب فيه معاً بمعنى أن النافع هو تحققهما
 والإيمان المؤخر لغو وتحصيل للحاصل لا أنه هو النافع وتحقيقهما شرط في نفعه كما لو كان المقدم غير
 المؤخر بالذات فإن قولك لا ينفع الصوم والصدقة من لم يؤمن قبلهما معناه أنهما ينفعانه عند وقوعهما
 بعد الإيمان وقد استدلل به أهل الاعتزال على عدم اعتبار الإيمان المجرد عن الأعمال وليس بناهض
 ضرورة صحة حمله على نفي التريديد المستلزم لعمومه المفيد بمنطوقه لاشتراط عدم النفع بعدم الأمرين
 معاً وبمفهومه لاشتراط النفع بتحقيق أحدهما بطريق منع الخلود دون الانفصال الحقيقي فالمعنى أنه لا ينفع
 الإيمان حينئذ نفساً لم يصدر عنها من قبل أحد الأمرين إما الإيمان المجرد أو الخير المكسوب فيه فيتحقق
 النفع بأيهما كان حسبما تنطق به النصوص الكريمة من الآيات والأحاديث وما قيل من أن عدم الإيمان
 السابق مستلزم لعدم كسب الخير فيه بالضرورة فيكون ذكره تكراراً بلا فائدة على أن الموجب للخلود
 في النار هو عدم الأول من غير أن يكون للثاني دخل ما في ذلك قطعاً فيكون ذكره بصدد بيان ما يوجب
 الخلود لغواً من الكلام - لغو من الكلام مبنى على توهم أن المقصود بوصف النفس بالعدمين المذكورين
 مجرد بيان إيجابهما للخلود فيها وعدم نفع الإيمان الحادث في إيجابها عنه وليس كذلك وإلا لكفى في البيان
 أن يقال لا ينفع نفساً إيمانها الحادث بل المقصد الأصلي من وصفها بذنوبك العدمين في أثناء بيان عدم نفع
 الإيمان الحادث تحقيق أن موجب النفع إحدى ملكتيهما أعني الإيمان السابق والخير المكسوب فيه بما
 ذكر من الطريقة والترغيب في تحصيلهما في ضمن التحذير من تركهما ولا سبيل إلى أن يقال كما أن عدم
 الأول مستقل في إيجاب الخلود في النار فيلغو ذكر عدم الثاني كذلك وجوده مستقل في إيجاب الخلاص
 عنها فيكون ذكر الثاني لغواً لما أنه قياس مع الفارق كيف لا والخلود فيها أمر لا يتصور فيه تعدد العلل
 وأما الخلاص عنها مع دخول الجنة فله مراتب بعضها مترتب على نفس الإيمان وبعضها على فروعه

إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِبَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾

٦ الأنعام

المتفاوتة كما وكيفاً وإنما لم يقتصر على بيان ما يوجب أصل النفع وهو الإيمان السابق مع أنه هو المقابل لما لا يوجبه أصلاً أعنى الإيمان الحادث بل قرن به ما يوجب النفع الزائد أيضاً إرشاداً إلى تحرى الأعلى وتنبيهاً على كفاية الأدنى وإقناطاً للكفرة عما علقوا به أطباعهم الفارغة من أعمال البر التي عملوها في الكفر من صلة الأرحام وإعتاق الرقاب وفك العناة وإغاثة الملهوفين وقرى الأضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم ببيان أن كل ذلك لغو بحث لا يثبتانه على غير أساس حسبي نطق به قوله تعالى والذين كفروا أعمالهم كرماد اشتدت به الريح الآية ونحو ذلك من النصوص الكريمة وأن الإيمان الحادث كما لا ينفعهم وحده لا ينفعهم بانضمام أعمالهم السابقة واللاحقة ولك أن تقول المقصود بوصف النفس بما ذكر من العدمين التعريض بحال الكفرة في تدمرهم وتفریطهم في كل واحد من الأمرين الواجبين عليهم وإن كان وجوب أحدهما منوطاً بالآخر كما في قوله عز وجل فلا صدق ولا صلى تسجيلاً بكال طغيانهم وإبذناً بتضاعف عقابهم لما تقرر من أن الكفار مخاطبون بفروع الشرائع في حق المواخذة كما ينبي عنه قوله تعالى فويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة إذا تحققت هذا وقفت على أن الآية الكريمة أحق بأن تكون حجة على المعتزلة من أن تكون حجة لهم هذا وقد قيل إنها من باب اللف التقديرى أى لا ينفع نفساً إيمانها ولا كسبها في الإيمان لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فيه وليس بواضح فإن مبنى اللف التقديرى أن يكون المقدر من متمات الكلام ومقتضيات المقام قد ترك ذكره تعويلاً على دلالة الملفوظ عليه واقتضائه إياه كما مر في تفسير قوله عز وجل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً فإنه قد طوى في المفصل ذكر حشر المؤمنين ثقة بأبناء التفصيل عنه أعنى قوله تعالى فأما الذين آمنوا الآية ولا ريب في أن ما قدره هنا ليس بما يستدعيه قوله تعالى أو كسبت في إيمانها خيراً ولا هو من مقتضيات المقام لأنه ليس بما وعدوه وعلقوه بإتيان ما ذكر من الآيات كالإيمان حتى يرد عليهم ببيان عدم نفعه إذ ذاك على أن ذلك مشعر بأن لهم بعد ما أصابهم من الدواهي ما أصابهم بقاء على السلامة وزماناً يأتى منهم الكسب والعمل فيه وفيه من الإخلال بمقام تهويل الخطب وتفضيع الحال ما لا يخفى وقد أجيب عن الاستدلال بوجوه آخر قصارى أمرها إسقاط الآية الكريمة عن رتبة المعارضة للنصوص القطعية المانوية القوية الدلالة على ما ذكر من كفاية الإيمان المجرد عن العمل في الانجاء من العذاب الخالد ولو بعد اللتياء والى لما تقرر من أن الظنى بمعزل من معارضة القطعى (قل) لهم بعد بيان حقيقة الحال على وجه التهديد (انتظروا) ما تنتظرونه من إتيان أحد الأمور الثلاثة لتروا أى شئ تنتظرون (إنا منتظرون) لذلك ● لنشاهد ما يحل بكم من سوء العاقبة وفيه تأييد لكون المراد بما ينتظرونه إتيان ملائكة العذاب أو إتيان أمره تعالى بالعذاب كما أشير إليه وعدة ضمنية لرسول الله ﷺ والمؤمنين بمعابنتهم لما يحق بالكفرة من العقاب ولعل ذلك هو الذى شاهدوه يوم بدر والله سبحانه أعلم (إن الذين فرقوا دينهم) استئناف ١٥٩

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٦﴾ ٦ الأنعام

قُلْ إِنِّي هَدَيْتِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦٧﴾ ٦ الأنعام

- لبیان أحوال أهل الكتابین إثر بیان حال المشرکین أى بددوه وبعضوه فتمسک بكل بعض منه فرقة
- منهم وقرىء فارقوا أى باينوا فإن ترک بعضه وإن كان بأخذ بعض آخر منه ترك للكل ومفارقة له (وكانوا شیعاً) أى فرقا تشیع كل فرقة إماماً لها قال ﷺ افرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلهم فى الهاوية إلا واحدة وافرقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة كلهم فى الهاوية إلا واحدة وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلهم فى الهاوية إلا واحدة واستثناء الواحدة من فرق كل من أهل الكتابین إنما هو بالنظر إلى العصر الماضى قبل الذبح وأما بعده فالكل فى الهاوية وإن اختلفت أسباب دخولهم فعنى قوله تعالى (لست منهم فى شيء) لست من البحث عن تفرقهم والتعرض لمن يعاصرك منهم بالمناقشة والمؤاخذه وقيل من قتالهم فى شيء سوى تبليغ الرسالة وإظهار شعائر الدين الحق الذى أمرت بالدعوة إليه فيكون منسوخاً بآية السيف وقوله تعالى (إنما أمرهم إلى الله) تعليل للنفي المذكور أى هو يتولى وحده أمر أولام وأخرام ويدبره كيف يشاء حسبما تقتضيه الحكمة يؤاخذهم فى الدنيا متى شاء ويأمر بقتالهم إذا أراد وقيل المفرقون أهل البدع والآهواء الزائغة من هذه الأمة ويرده أنه ﷺ مأمور بمؤاخذتهم والاعتذار بأن معنى لست منهم فى شيء حينئذ أنت برىء منهم ومن مذهبهم وهم برآء منك ياباه التعليل المذكور (ثم ينبئهم) أى يوم القيامة (بما كانوا يفعلون) عبر عن إظهاره بالتنبئة لما بينهما من الملازمة فى أنهما سببان للعلم تنبيهاً على أنهم كانوا جاهلين بحال ما ارتكبوه غافلين عن سوء عاقبته أى يظهر لهم على رموس الأشهاد ويعلمهم أى شيء شنيع كانوا يفعلونه فى الدنيا على الاستمرار ويرتب عليه ما يليق به من الجزاء
 - ١٦٠ وقوله تعالى (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) استئناف مبين لمقادير أجزية العاملين وقد صدر ببيان أجزية المحسنين المدلول عليهم بذكر أصدادهم قال عطاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم يريد من عمل من المصدقين حسنة كتبت له عشر حسنات أى من جاء يوم القيامة بالأعمال الحسنة من المؤمنين إذ لا حسنة بغير إيمان فله عشر حسنات أمثالها تفضلاً من الله عز وجل وقرىء عشر بالتنوين وأمثالها بالرفع على الوصف وهذا أقل ما وعد من الأضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك
 - قيل المراد بذكر العشر بيان الكثرة لا الحصر فى العدد الخاص (ومن جاء بالسئنة) أى بالأعمال السيئة
 - كائناً من كان من العاملين (فلا يجزى إلا مثلاً) بحكم الوعد واحدة بواحدة (وهم لا يظلمون) بنقص
 - ١٦١ الثواب وزيادة العقاب (قل إننى هدانى ربى) أمر رسول الله ﷺ بأن يبين لهم ما هو عليه من الدين الحق الذى يدعون أنهم عليه وقد فارقوه بالكلية وتصدير الجملة بحرف التحقيق لإظهار كمال الاعتناء بمضمونها والتعرض لعموان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره ﷺ لما بدت تشرىفه أى قل لأولئك المفرقين أرشدنى ربى بالوحي وبما نصب فى الآفاق والانفس من الآيات التكوينية (إلى صراط مستقيم) موصل إلى الحق

قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ٦ الأنعام

لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ٦ الأنعام

قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ آبِغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ ٦ الأنعام

- وقوله تعالى (ديناً) بدل من إلى صراط فإن محله النصب كما في قوله تعالى ويهديك صراطاً مستقيماً أو
- مفعول لفعل مضممر يدل عليه المذكور (قيماً) مصدر نعت به مبالغة والقياس قوما كعوض فاعل لإعلال فعله كالقيام وقرىء قيماً وهو فاعل من قام كسيد من ساد وهو أبلغ من المستقيم باعتبار الزنة وإن كان هو أبلغ منه باعتبار الصيغة (ملة إبراهيم) عطف بيان لدينا (حنيفاً) حال من إبراهيم أى ما تلا عن الأديان الباطلة وقوله تعالى (وما كان من المشركين) اعتراض مقرر لنزاهته ﷺ عما عليه المفرقون لدينه من عقد وعمل أى ما كان منهم فى أمر من أمور دينهم أصلاً وفرعاً صرح بذلك رداً على الذين يدعون أنهم على ملته عليه السلام من أهل مكة واليهود والمشركين بقولهم عزيز ابن الله والنصارى المشركين بقولهم المسيح ابن الله (قل إن صلاتي ونسكي) أعيد الأمر لما أن المأمور به متعلق بفروع الشرائع وما سبق ١٦٢
- أصولها أى عبادتى كلها وقيل وذبحى جمع بينه وبين الصلاة كما في قوله تعالى فصل لربك وانحر وقيل صلاتي وحجى (ومحياى ومماتى) أى وما أنا عليه فى حياتى وما أكون عليه عند موتى من الإيمان والطاعة أوطاعات الحياة والخيرات المضافة إلى المهمات كالوصية والتدبير وقرىء محياى بسكون الياء لإجراء اللوصل مجرى الوقف (لله رب العالمين) (لا شريك له) خالصة له لا أشرك فيها غيره (وبذلك) إشارة إلى الإخلاص ١٦٣
- وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو مرتبته وبعد منزلته فى الفضل أى بذلك الإخلاص (أمرت) لا بشيء
- غيره وقوله تعالى (وأنا أول المسلمين) لبيان مسارعته عليه السلام إلى الامتثال بما أمر به وأن ما أمر به ليس من خصائصه عليه السلام بل الكل مأمورون به ويقتدى به عليه السلام من أسلم منهم (قل أغير ١٦٤
- الله أبغى رباً) آخر فأشركه فى العبادة (وهو رب كل شيء) جملة حالية مؤكدة للإنكار أى والحال أن كل ما سواه مربوب له مثلى فكيف يتصور أن يكون شريكاً له فى العبودية (ولا تكسب كل نفس إلا عليها)
- كانوا يقولون للمسلمين اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم إما بمعنى ليس كتب علينا ما عملتم من الخطايا لا عليكم وإما بمعنى لنحمل يوم القيامة ما كتب عليكم من الخطايا فهذا رد له بالمعنى الأول أى لا تكون جنابة نفس من النفوس إلا عليها ومحال أن يكون صدورها عن شخص وقرارها على شخص آخر حتى يتأنى ما ذكرتم وقوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) رد له بالمعنى الثانى أى لا تحمل يومئذ نفس حاملة حمل نفس أخرى حتى يصح قولكم (ثم إلى ربكم مرجعكم) تلوين للخطاب وتوجيه له إلى الكل لتأكيد الوعد وتقديد الوعيد أى إلى مالك أموركم ورجوعكم يوم القيامة (فينتكم) يومئذ (بما كنتم فيه تختلفون)
- ببيان الرشد من الغى وتمييز الحق من الباطل .

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْخَلِيفَةَ فِي الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ
إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

٦ الأنعام

- ١٦٥ (وهو الذى جعلكم خلائف الأرض) حيث خلفتم الأمم السالفة أو يخلف بعضكم بعضاً أو جعلكم خلفاء الله تعالى فى أرضه تنصرفون فيها على أن الخطاب عام (ورفع بعضكم) فى الشرف والغنى (فوق بعض درجات) كثيرة متفاوتة (ليبلوكم فيما آتاكم) من المال والجاه أى ليعاملكم معاملة من يبتليكم لينظر ماذا تعملون من الشكر وضده (إن ربك) تجريد الخطاب لرسول الله ﷺ مع إضافة اسم الرب إلى ضميره ﷺ لإبراز مزيد اللطف به ﷺ (سريع العقاب) أى عقابه سريع الإتيان لمن لم يراع حقوق ما آتاه الله تعالى ولم يشكره لأن كل آت قريب أو سريع التمام عند إرادته لتعالیه عن استعمال المبادئ والآلات (وإنه لغفور رحيم) لمن راعاها كما ينبغي وفى جعل خبر هذه الجملة من الصفات الذاتية الواردة على بناء المبالغة مؤكداً باللام مع جعل خبر الأولى صفة جارية على غير من هى له من التنبيه على أنه تعالى غفور رحيم بالذات مبالغ فيهما فاعل للعقوبة بالعرض مساح فيها ما لا يخفى والله أعلم . عن رسول الله ﷺ أنزلت على سورة الأنعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الأنعام صلى عليه واستغفر له أولئك السبعون ألف ملك بعدد كل آية من سورة الأنعام يوماً وليلة والله تعالى أعلم .

٧ - سورة الأعراف

(مكية وآياتها مائتان وخمس)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧ الأعراف

الْمَصِّ

كَتَبْنَا أَنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِيُنْذِرَ بِهِ ۖ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠١﴾ ٧ الأعراف

(سورة الأعراف)

- (مكية غير ثمانى آيات من قوله واسألهم إلى قوله وإذ نتقنا الجبل وآياتها مائتان وخمس)
- (بسم الله الرحمن الرحيم) (المص) إما مسرود على نمط التعديد بأحد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الإعراب وإما اسم للسورة فمحله الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف والتقدير هذا المص أى مسمى به وتذكير اسم الإشارة مع تأنيث المسمى لما أن الإشارة إليه من حيث إنه مسمى بالاسم المذكور لا من حيث أنه مسمى بالسورة وإنما صححت الإشارة إليه مع عدم سبق ذكره لما أنه باعتبار كونه بصدد الذكر صار فى حكم الحاضر المشاهد وقوله عز وجل (كتاب) على الوجه الأول خبر مبتدأ محذوف وهو ما ينبنى عنه تعديد الحروف كأنه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف مراداً به السورة كتاب الخ أو اسم إشارة أشير به إليه تنزيلاً لحضور المؤلف منه منزلة حضور نفس المؤلف أى هذا كتاب الخ وعلى الوجه الثانى خبر بعد خبر جىء به لإثبات كونه مترجماً باسم بديع منبىء عن غرابته فى نفسه إبانة لجلالة محله ببيان كونه فرداً من أفراد الكتب الإلهية حائزاً للكلمات المختصة بها وقد جوز كونه خبراً أو المص مبتدأ أى المسمى بالمص كتاب وقد عرفت ما فيه من أن ما يجعل عنواناً للوضع حقه أن يكون قبل ذلك معلوم الانتساب إليه عند المخاطب وإذ لا عهد بالتسمية قبل لحقهم الإخبار بها (أنزل إليك) أى من جهته تعالى بنى الفعل للفعول جرياً على سنن الكبرياء وإيداناً بالاستغناء عن التصريح بالفاعل لغاية ظهور تعيينه وهو السر فى ترك ذكر مبدأ الإنزال كما فى قوله جل ذكره بلغ ما أنزل إليك من ربك ونظائره والجملة صفة لكتاب مشرفة له ولمن أنزل إليه وجعله خبراً له على معنى كتاب عظيم الشأن أنزل إليك خلاف الأصل (فلا يكن فى صدرك حرج) أى شك كما فى قوله تعالى فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك خلا أنه عبر عنه بما يلازمه من الحرج فإن الشاك يعتربه ضيق الصدر كما أن المتيقن يعتربه انشراحه وانفساحه مبالغة فى تنزيه ساحته عليه الصلاة والسلام عن نسبة الشك إليه ولو فى ضمن النهى فإنه من الأحوال القلبية التى يستحيل اعتراؤها إياه ﷺ وما قد يقع من نسبته إليه فى ضمن النهى فعلى طريقة التهيج والإلهاب والمبالغة فى التنفير والتحذير بإيهام أن ذلك من القبح والشرية بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه
- ٢٧٥ - تفسير أبى السعود ج ٢

اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٧﴾ الأعراف

- أصلاً فكيف بمن يمكن ذلك منه والتنوين للتحقير والجار في قوله تعالى (منه) متعلق بخرج يقال خرج منه أى ضاق به صدره أو بمحذوف وقع صفة له أى خرج كائن منه أى لا يكن فيك شك ما فى حقيقته أو فى كونه كتاباً منزلاً إليك من عنده تعالى فالفاء على الأول لترتيب النهى أو الانتهاء على مضمون الجملة فإنه مما يوجب انتفاء الشك فيما ذكر بالكلية وحصول اليقين به قطعاً وأما على الثانى فهى لترتيب ما ذكر على الإخبار بذلك لا على نفسه فتدبر وتوجيه النهى إلى الحرج مع أن المراد نهيه عليه الصلاة والسلام عنه إما لما مر من المبالغة فى تنزيهه عليه الصلاة والسلام عن الشك فيما ذكر فإن النهى عن الشئ مما يورم إمكان صدور المنهى عنه عن المنهى وإما للمبالغة فى النهى فإن وقوع الشك فى صدره عليه الصلاة والسلام سبب لا تصافه عليه الصلاة والسلام به والنهى عن السبب نهى عن المسبب بالطريق البرهاني ونفى له من أصله بالمرّة كما فى قوله تعالى ولا يجرمكم شأن قوم الآية وليس هذا من قبيل لا أرى نك ههنا فإن النهى هناك وارد على المسبب مراداً به النهى عن السبب فيكون المآل نهيه عليه الصلاة والسلام عن تعاطى ما يورث الحرج فتأمل وقيل الحرج على حقيقته أى لا يكن فيك ضيق صدر من تبليغه مخافة أن يكذبوك وأن تقصر فى القيام بحقه فإنه عليه الصلاة والسلام كان يخاف تكذيب قومه له وإعراضهم عنه فكان يضيق صدره من الأداء ولا يندسط له فآمنه الله تعالى ونهاه عن المبالاة بهم فالفاء حينئذ لترتيب على مضمون الجملة أو على الإخبار به فإن كلا منهما موجب للإقدام على التبليغ وزوال الخوف قطعاً وإن كان إيجابه الثانى بواسطة الأول وقوله تعالى (لتنذر به) أى بالكتاب المنزل متعلق بأنزل وما بينهما اعتراض توسط بينهما تقريراً لما قبله وتمهيداً لما بعده وحسباً لتوهم أن مورد الشك هو الإنزال للإنذار وقيل متعلق بالنهى فإن انتفاء الشك فى كونه منزلاً من عنده تعالى موجب للإنذار به قطعاً وكذا انتفاء الخوف منهم أو العلم بأنه موفق للقيام بحقه موجب للتجاسر على ذلك وأنت خير بأنه لا يتأتى التفسير الأول لأن تعليل النهى عن الشك بما ذكر من الإنذار والتذكير مع إيهامه لإمكان صدوره عنه عليه الصلاة والسلام مشعر بأن المنهى عنه ليس محذوراً لذاته بل لإفضائه إلى فوات الإنذار والتذكير لا أقل من الإيذان بأن ذلك معظم غائلته ولأريب فى فساده وأما على التفسير الثانى فإتأتى التعليل بالإنذار ● لا بتذكير المؤمنين إذ ليس فيه شائبة خوف حتى يجعل غاية لا تنفائه وقوله تعالى (وذكرى للمؤمنين) فى حيز النصب يا ضمير فعلة معطوفاً على تنذر أى وتذكر المؤمنين تذكيراً أو الجر عطفاً على محل أن تنذر أى الإنذار والتذكير وقيل مرفوع عطفاً على كتاب أو خبر لمبتدأ محذوف وتخصيص التذكير بالمؤمنين الإيذان باختصاص الإنذار بالكفرة أى لتنذر به المشركين وتذكر المؤمنين وتقديم الإنذار لأنه أهم بحسب المقام (اتبعوا ما أنزل إليكم) كلام مستأنف خوطب به كافة المكلفين بطريق التلويح وأمرُوا باتباع ما أمر النبي ﷺ قبله بتبليغه بطريق الإنذار والتذكير وجعله منزلاً إليهم بواسطة إنزاله إليه عليه الصلاة والسلام أثر ذكر ما يصححه من الإنذار والتذكير لتأكيد وجوب اتباعه وقوله تعالى

٧ الأعراف

وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾

- (من ربكم) متعلق بأنزل على أن من لا ابتداء الغاية مجازاً أو بمحذوف وقع حالا من الموصول أو من ضميره في الصلة وفي التعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين مزيد لطف بهم وترغيب لهم في الامتثال بما أمروا به وتأكيده لوجوبه وجعل ما أنزل ههنا عاماً للسنة القولية والفعلية بعيد نعم بمعناها حكمه بطريق الدلالة لا بطريق العبارة ولما كان اتباع ما أنزله الله تعالى اتباعاً له تعالى عقب الأمر بذلك بالنهي عن اتباع غيره تعالى فقليل (ولا تتبعوا من دونه) أى من دون ربكم الذى أنزل إليكم ما يهديكم إلى الحق ومحله النصب على أنه حال من فاعل فعل النهى أى لا تتبعوا متجاوزين الله تعالى (أولياء) من الجن والإنس بأن قبلوا منهم ما يلقونه إليكم بطريق الوسوسة والإغواء من الأباطيل ليضلوا عن الحق ويحملوا على البدع والأهواء الزائفة أو من أولياء قدم عليه لكونه نكرة إذ لو أخر عنه لكان صفة له أى أولياء كائنة غيره تعالى وقيل الضمير الموصول على حذف المضاف فى أولياء أى ولا تتبعوا من دون ما أنزل أباطيل أولياء كانه قيل ولا تتبعوا من دون دين ربكم دين أولياء وقرىء ولا تتبعوا كما فى قوله تعالى ومن يبتغ غير الإسلام ديناً وقوله تعالى (قليلاً ما تذكرون) بحذف إحدى التامين وتخفيف الذال وقرىء بتشديد ها على إدغام التاء المهموسة فى الذال المجهورة وقرىء يتذكرون على صيغة الغيبة وقليلاً نصب إما بما بعده على أنه نعت لمصدر محذوف مقدم للقصر أو لزمان كذلك محذوف وما مزيدة لتأكيد القلة أى تذكر أ قليلاً أو زماناً قليلاً تذكرون لا كثيراً حيث لا تتأثرون بذلك ولا تعملون بموجبه وتركون دين الله تعالى وتنبعون غيره ويجوز أن يراد بالقلة العدم كما قيل فى قوله تعالى قليلاً ما يؤمنون والجملة اعتراض تذييل مسوق لتقبيح حال المخاطبين والالتفات على القراءة الأخيرة للإيذان باقتضاء سوء حالهم فى عدم الامتثال بالأمر والنهى صرف الخطاب عنهم وحكاية جناباتهم لغيرهم بطريق المبالاة وإما نصب على أنه حال من فاعل لا تتبعوا وما مصدرية مرتفعة به أى لا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً تذكركم لكن لا على توجيه النهى إلى المقيد فقط كما فى قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى بل إلى المقيد والمقيد جميعاً وتخصيصه بالذكر لمزيد تقبيح حالهم بجمعهم بين المنكرين (وكم من قرية أهلكناها) ٤ شروع فى إنذارهم بما جرى على الأمم الماضية بسبب إعراضهم عن اتباع دين الله تعالى وإصرارهم على اتباع دين أوليائهم وكم خبرية للتكثير فى موضع رفع على الابتداء كما فى قولك زيد ضربته والخبر هو الجملة بعدها ومن قرية تمييز والضمير فى أهلكناها راجع إلى معنى كم أى كثير من القرى أهلكناها أو فى موضع نصب بأهلكناها كما فى قوله تعالى إنا كل شيء خلقناه بقدر والمراد بإهلاكها إزادة إهلاكها كما فى قوله تعالى إذا قمتم إلى الصلوة أى أردنا إهلاكها (لجأها) أى لجأ أهلها (بأسنا) أى عذابنا (بياتاً) ٥ مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال أى باثنين كقوم لوط (أوم قائلون) عطف عليه أى أو قائلين من القيلولة نصف النهار كقوم شعيب وإنما حذف الواو من الحال المعطوفة على أختها استئقلاً لا اجتماع العاطفين فإن واو الحال خرف عطف قد استعيرت للوصول لا اكتفاء بالضمير كما فى جاءنى زيد هو فارس

فَمَا كَانَ دَعْوُهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَاءٍ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾ ٧ الأعراف

فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ ٧ الأعراف

فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾ ٧ الأعراف

وَالْوِزْنُ يُوَمِّدُ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ ٧ الأعراف

فإنه غير فصيح وتخصيص الحاليتين بالعذاب لما أن نزول المكروه عند الغفلة والدعة أفضح وحكايته للسامعين أزر وأردع عن الاغترار بأسباب الأمن والراحة ووصف الكل بوصفي البيات والقبولة مع أن بعض المهلكين بمعزل منهما لاسيما القبولة للإيدان بكال غفلتهم وأمنهم (فما كان دعواهم) أى دعاؤهم واستغاثتهم ربهم أو ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم (إذ جاءهم بأسنا) عذابنا وطاينوا أمارته (إلا أن قالوا) جميعاً (إنا كنا ظالمين) أى إلا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وشهادتهم ببطالانه تحسراً عليه وندامة وطمعاً فى الخلاص وهيات ولات حين نجاة (فلنسألن الذين أرسل إليهم) بيان لعذابهم الآخرى إثر بيان عذابهم الدنيوى خلا أنه قد تعرض لبيان مبادئ أحوال المكلفين جميعاً لكونه أدخل فى التحويل والفاء لترتيب الأحوال الآخروية على الدنيوية ذكرها حسب ترتبها عليها وجوداً أى لنسألن الأمم قاطبة قائلين ماذا أجبت المرسلين (ولنسألن المرسلين) عما أجيبوا قال تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتهم والمراد بالسؤال توبيخ الكفرة وتقريرهم والذى نفى بقوله تعالى ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام أو الأول فى موقف الحساب والثانى فى موقف العقاب (فلنقصن عليهم) أى على الرسل حين يقولون لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب أو عليهم وعلى المرسل إليهم جميعاً ما كانوا عليه (بعلم) أى عالمين بظواهرهم وبواطنهم أو بمعلومنا منهم (وما كنا غائبين) عنهم فى حال من الأحوال فيخفى علينا شيء من أعمالهم وأحوالهم والجملة تذييل مقرر لما قبلها (والوزن) أى وزن الأعمال والتمييز بين راجحها وخفيها وجيدها وورديها ورفعها على الابتداء وقوله تعالى (يومئذ) خبره وقوله تعالى (الحق) صفة أى والوزن الحق ثابت يوم إذ يكون السؤال والقص وقيل خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل ما ذلك الوزن فقيل الحق أى العدل السوى وقرئ القسط واختلف فى كيفية الوزن والجمهور على أن صحائف الأعمال هى التى توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر إليه الخلاق إظهاراً للمعادلة وقطعاً للمعذرة كما يسألهم عن أعمالهم فتعترف بها ألسنتهم وجوارحهم ويشهد عليهم الأنبياء والملائكة والأشهاد وكما يثبت فى صحائفهم فيقرءونها فى موقف الحساب ويؤيده ما روى أن الرجل يؤتى به إلى الميزان فينشر له تسعة وتسعون سجلاً مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فتطيش السجلات وتنقل البطاقة وقيل يوزن الأشخاص لما روى عنه عليه الصلاة والسلام إنه لياتى العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقيل

وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ٧ الأعراف

- الوزن عبارة عن القضاء السوى والحكم العادل وبه قال مجاهد والأعمش والضحاك واختاره كثير من المتأخرين بناء على أن استعمال لفظ الوزن في هذا المعنى شائع في اللغة والعرف بطريق الكناية قالوا إن الميزان إنما يراد به التوصل إلى معرفة مقادير الشيء ومقادير أعمال العباد لا يمكن إظهارها بذلك لأنها أعراض قد فُتت وعلى تقدير بقائها لا تقبل الوزن وقيل إن الأعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح حتى أن الذنوب والمعاصي تنجسم هناك وتنصور بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله تعالى وإن جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وكذا قوله عليه الصلاة والسلام في حق من يشرب من إماء الذهب والفضة إنما يجر جراً في بطنه نار جهنم ولا بعد في ذلك ألا يرى أن العلم يظهر في عالم المثال على سورة اللين كما لا يخفى على من له خبرة بأحوال الحضرات الخمس وقد روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه يؤتى بالأعمال الصالحة على صور حسنة وبالأعمال السيئة على صور قبيحة فوضع في الميزان . إن قيل إن المكلف يوم القيامة إما مؤمن بأنه تعالى حكيم منزّه عن الجور فيكفيه حكمه تعالى بكيفيات الأعمال وكمياتها وإما منكر له فلا يسلم حينئذ أن رجحان بعض الأعمال على بعض الخصوصيات راجعة إلى ذوات تلك الأعمال بل يسنده إلى إظهار الله تعالى إياه على ذلك الوجه فالفائدة في الوزن أجيب بأنه ينكشف الحال يومئذ وتظهر جميع الأشياء بمقائمه على ما هي عليه وبأوصافها وأحوالها في أنفسها من الحسن والقبح وغير ذلك وتنخلع عن الصور المستعارة التي بها ظهرت في الدنيا فلا يبقى لأحد من يشاهدها شبهة في أنها هي التي كانت في الدنيا بعينها وإن كل واحد منها قد ظهر في هذه النشأة بصورته الحقيقية المستتبعة لصفاته ولا يخطر بباله خلاف ذلك والله تعالى أعلم (فن ثقلت موازينه) ●
- تنصيص للأحكام المترتبة على الوزن والموازين إما جمع ميزان أو جمع موازن على أن المراد به ماله وزن وقدر وهو الحسنات فإن رجحان أحدهما مستلزم لرجحان الآخر أي فن رجحت موازينه التي توزن بها حسناته أو أعماله التي لها قدر وزنة وعن الحسن البصري وحق لميزان توضع فيه الحسنات أن يشقل وحق لميزان توضع فيه السيئات أن يخف (فأولئك) إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بشقل الميزان ● والجمعية باعتبار معناه كما أن جمع الموازين لذلك وأما ضمير موازينه فراجع إليه باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو طبقته وبعد منزلتهم في الفضل والشرف (هم المفلحون) الفائزون بالنجاة والثواب وهم إما ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند إليه أو مبتدأ خبره المفلحون والجملة خبر لأولئك وتعريف المفلحون الدلالة على أنهم الناس الذين بلغك أنهم مفلحون في الآخرة أو إشارة إلى ما يعرفه كل أحد من حقيقة المفلحين وخصائصهم (ومن خفت موازينه) أي موازين أعماله أو أعماله التي لا وزن لها ولا اعتداد بها وهي أعماله السيئة (فأولئك) إشارة إليهم باعتبار اتصافهم بتلك الصفة القبيحة والجمعية ومعنى البعد لما مر آنفاً في نظيره وهو مبتدأ خبره

وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿٧﴾
وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنْ

السَّاجِدِينَ ﴿٨﴾ ٧ الأعراف

- (الذين خسروا أنفسهم) أى ضيعوا الفطرة السليمة التى فطروا عليها وقد أيدت بالآيات البينة وقوله
- تعالى (بما كانوا بآياتنا يظلمون) متعلق بخسر وما مصدرية وآياتنا متعلق بيظلمون على تضمين معنى التكذيب قدم عليه لمراعاة الفواصل والجمع بين صيغتي الماضى والمستقبل للدلالة على استمرار الظلم فى الدنيا أى فأولئك الموصوفون بخفة الموازين الذين خسروا أنفسهم بسبب تكذيبهم المستمر بآياتنا ظالمين (ولقد مكناكم فى الأرض) لما أمر الله سبحانه أهل مكة باتباع ما أنزل إليهم ونهاهم عن اتباع غيره وبين لهم وخامة عاقبته بالإهلاك فى الدنيا والعذاب المخلد فى الآخرة ذكرهم ما أفاض عليهم من فنون النعم الموجبة للشكر ترغيباً فى الامتثال بالأمر والهى لثرتهم أى جعلنا لكم فيها مكاناً وقراراً
- أو ملكناكم فيها وأقدرناكم على التصرف فيها (وجعلنا لكم فيها معاش) المعاش جمع معيشة وهى ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها أو ما يتوصل به إلى ذلك والوجه فى قراءته لإخلاص الياء وعن ابن عامر أنه همزة تشبيهاً له بصحائف ومدائن والجعل بمعنى الإنشاء والإبداع أى أنشأنا وأبدعنا لمصالحكم ومنافعكم فيها أسباباً تعيشون بها وكل واحد من الطرفين متعلق به أو بمحذوف وقع حالاً من مفعوله المنكر إذ لو تأخر لكان صفة له وتقديماً على المفعول مع أن حقهما التأخير عنه لما مر غير مرة من الاعتناء بشأن المقدم والتشويق إلى المؤخر فإن النفس عند تأخير ما حقه التقديم لاسيما عند كون المقدم منبثاً عن منفعة للسامع تبقى مترقبة لورود المؤخر فيتمكن فيها عند الورود فضل تمكن وأما تقديم اللام على فلما أنه المنبث عما ذكر من المنفعة فالاعتناء بشأنه أتم والمسايرة إلى ذكره أهم هذا وقد قيل إن الجعل متعدي إلى مفعولين ثانيهما أحد الطرفين على أنه مستقر قدم على الأول والظرف الآخر إما لغو متعلق بالجمل أو بالمحذوف الواقع حالاً من المفعول الأول كما مر وأنت خير بأنه لا فائدة معتد بها فى الإخبار بجعل المعاش حاصله لهم أو حاصلة فى الأرض وقوله تعالى (قليلًا ما تشكرون) أى تلك النعمة تذييل مسوق لبيان سوء حال المخاطبين وتحذيرهم وبقية الكلام فيه عين ما مر فى تفسير قوله تعالى قليلًا ما تذكرون
- (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) تذكير لنعمة عظيمة فائضة على آدم عليه السلام سارية إلى ذريته موجبة لشكرهم كافة وتأخيرها عن تذكير ما وقع قبله من نعمة التمكن فى الأرض إما لأنها فائضة على المخاطبين بالذات وهذه بالواسطة وإما للإيدان بأن كلا منهما نعمة مستقلة مستوجبة للشكر على حيالها فإن رعاية الترتيب الوقوعى ربما تودى إلى توهم عد الكل نعمة واحدة كما ذكر فى قصة البقرة وتصدير المجلتين بالقسم وحرف التحقيق لإظهار كمال العناية بهما ونسب الخلق والتصوير إلى المخاطبين مع أن المراد بهما خلق آدم عليه السلام وتصويره حتماً توفية لمقام الامتنان حقه وتأكيذاً لوجوب الشكر عليهم

بالرّض إلى أن لهم حظاً من خلقه عليه السلام وتصويره لما أنهما ليسا من الخصائص المقصورة عليه عليه السلام كسجود الملائكة له عليه السلام بل من الأمور السارية إلى ذريته جميعاً إذ الكل مخلوق في ضمن خلقه على نمطه ومصنوع على شكلته فكأنهم الذي تعلق به خلقه وتصويره أى خلقنا أبائكم آدم طيناً غير مصور ثم صورناه أبدع تصوير وأحسن تقويم سار إليكم جميعاً (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) صريح في أنه ورد بعد خلقه عليه الصلاة والسلام وتسويته ونفخ الروح فيه أمر منجز غير الأمر المعلق الوارد قبل ذلك بقوله تعالى فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وهو المراد بما حكى بقوله تعالى وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الآية في سورة البقرة وسورة بنى إسرائيل وسورة الكهف وسورة طه من غير تعرض لوقته وكلمة ثم ههنا تقتضى تراخيه عن التصوير من غير تعرض لبيان ما جرى بينهما من الأمور وقد بينا في سورة البقرة أن ذلك ظهور فضل آدم عليه السلام بعد المحاورة المسبوقه بالإخبار باستخلافه عليه السلام حسبما نطق به قوله عز وجل وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة إلى قوله وما كنتم تكتمون فإن ذلك أيضاً من جملة ما ينط به الأمر المعلق من التسوية ونفخ الروح وعدم ذكره عند الحكاية لا يقتضى عدم ذكره عند وقوع المحكى كما أن عدم ذكر الأمر المعلق عند حكاية الأمر المنجز لا يستلزم عدم مسبوقيه به فإن حكاية كلام واحد على أساليب مختلفة يقتضيه المقام ليست بميزة في الكلام العزيز فلعله قد ألقى إلى الملائكة عليهم السلام أولاً جميع ما يتوقف عليه الأمر المنجز إجمالاً بأن قيل مثلاً إني خالق بشرأ من طين وجاعل إياه خليفة في الأرض فإذا سويته ونفخت فيه من روحي وتبين لكم فضله فقعوا له ساجدين فخلقوه فسواه فنفخ فيه من روحي فقالوا عند ذلك ما قالوا أو ألقى إليهم خبر الخلافة بعد تحقق الشرائط المذكورة بأن قيل إثر نفخ الروح إني جاعل هذا خليفة في الأرض فهناك ذكروا في حقه عليه السلام ما ذكروا فأبده الله تعالى بتعليم الأسماء فشاهدوا منه عليه السلام ما شاهدوا فعند ذلك ورد الأمر المنجز اعتناء بشأن المأمور به وإيداناً بوقته وقد حكى بعض الأمور المذكورة في بعض المواطن وبعضها في بعضها اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في موطن آخر والذي يرفع غشاوة الاشتباه عن البصائر السليمة أن ما في سورة ص من قوله تعالى إذ قال ربك للملائكة الآيات بدل من قوله إذ يخضعون فيما قبله من قوله ما كان لي من علم بالملا الأعلى إذ يخضعون أى بكلامهم عند اختصاصهم ولا ريب في أن المراد بالملا الأعلى الملائكة وآدم عليهم السلام وإبليس حسبما أطبق عليه جمهور المفسرين وباختصاصهم ما جرى بينهم في شأن الخلافة من التقاول الذي من جملته ما صدر عنه عليه السلام من الإنباء بالأسماء ومن قضية البداية وقوع الاختصاص المذكور في تضاعيف ما شرح فيه مفصلاً من الأمر المعلق وما علق به من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملائكة وعناد إبليس ولعنه وإخراجه من بين الملائكة وما جرى بعده من الأفعال والأقوال وإذ ليس تمام الاختصاص بعد سجود الملائكة ومكابرة إبليس وطرده من البين لما عرفت من أنه أحد المختصين كما أنه ليس قبل الخلق ضرورة فإذن هو بعد نفخ الروح وقبل السجود بأحد الطريقين المذكورين والله تعالى أعلم (فسجدوا) أى الملائكة عليهم السلام بعد الأمر من غير تلثم (إلا إبليس) استثناء متصل

قَالَ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أُمِرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ٧ الأعراف

- لما أنه كان جنياً مفرداً مغموراً بالوف من الملائكة متصفاً بصفاتهم فغلبوا عليه في فسجدوا ثم استثنى استثناء واحد منهم أو لأن من الملائكة جنساً يتوالدون يقال لهم الجن كما مر في سورة البقرة فقوله تعالى (لم يكن من الساجدين) أي من سجد لآدم كلام مستأنف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء
- ١٢ بما بعده أي لكن إبليس لم يكن من الساجدين (قال) استئناف مسوق للجواب عن سؤال نشأ من حكاية عدم سجوده كأنه قيل فإذا قال الله تعالى حينئذ وبه يظهر وجه الالتفات إلى الغيبة إذ لا وجه لتقدير السؤال على وجه المخاطبة وفيه فائدة أخرى هي الإشعار بعدم تعلق المحكي بالمخاطبين كما في حكاية الخلق والتصوير (ما منعك أن لا تسجد) أي أن تسجد كما وقع في سورة ص ولا مزيدة مؤكدة لمعنى الفعل الذي دخلت عليه كما في قوله تعالى لتلا يعلم أهل الكتاب منهية على أن الموجب عليه ترك السجود وقيل
- الممنوع عن الشيء مصروف إلى خلافه فالمعنى ما صرفك إلى أن لا تسجد (إذ أمرتك) قيل فيه دلالة على أن مطلق الأمر للوجوب والفور وفي سورة الحجر بإبليس مالك أن لا تكون مع الساجدين وفي سورة ص ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي واختلاف العبارات عند الحكاية يدل على أن اللعين قد أدمج في معصية واحدة ثلاث معاص مخالفة الأمر ومفارقة الجماعة والإباء عن الانتظام في سلك أولئك المقربين والاستكبار مع تحقير آدم عليه السلام وقد وبخ حينئذ على كل واحدة منها لكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه اكتفاء بما ذكر في موطن آخر وإشماراً بأن كل واحدة منها كافية في التوبيخ وإظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ رأساً في سورة البقرة وسورة بني إسرائيل وسورة الكهف وسورة طه (قال) استئناف كما سبق مبنى على سؤال نشأ من حكاية التوبيخ كأنه قيل فإذا قال اللعين عند ذلك فقيل قال (أنا خير منه) متجانفاً عن تطبيق جوابه على السؤال بأن يقول منعني كذا مدعياً لنفسه بطريق الاستئناف شيئاً بين الاستلزام لمنعه من السجود على زعمه ومشعراً بأن من شأنه هذا لا يحسن أن يسجد لمن دونه فكيف يحسن أن يقوم به كما ينبغي عنه ما في سورة الحجر من قوله لم أكن لا أسجد لبشر خلقت من صلصال من حمأ مسنون فهو أول من أسس ببيان التكبر واختراع القول بالحسن والقبح العقليين وقوله تعالى (خلقتني من نار وخلقته من طين) تعليل لما ادعاه من فضله عليه ولقد أخطأ اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر وزل عنه ما من جهة الفاعل كما أنبأ عنه قوله تعالى ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أي بغير واسطة على وجه الاعتناء به وما من جهة الصورة كما نبه عليه بقوله تعالى ونفخت فيه من روحي وما من جهة الغاية وهو ملك الأمر ولذلك أمر الملائكة بالسجود له عليه السلام حين ظهر لهم أنه أعلم منهم بما يدور عليه أمر الخلافة في الأرض وأن له خواص ليست لغيره وفي الآية دليل على الكون والفساد وأن الشياطين أجسام كائنة ولعل إضافة خلق البشر إلى الطين والشياطين إلى النار باعتبار الجزء الغالب .

قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ ٧ الأعراف

٧ الأعراف

قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾

٧ الأعراف

قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾

- (قال) استئناف كما سلف والفاء في قوله تعالى (فاهبط منها) لترتيب الأمر على ما ظهر من اللعين من مخالفة ١٣
الأمر وتعليقه بالأباطيل وإصراره على ذلك أي فاهبط من الجنة والإضمار قبل ذكرها للشهرة كونه من
سكانها قال ابن عباس رضى الله عنهما كانوا في عدن لا في جنة الخلد وقيل من زمرة الملائكة المعززين
فإن الخروج من زمرة هم هبوط وأي هبوط وفي سورة الحجر فخرج منها وأما ما قيل من أن المراد الهبوط
من السماء فيرده أن وسوسته لآدم عليه السلام كانت بعد هذا الطرد فلا بد أن يحمل على أحد الوجهين
قطعا وتكون وسوسته على الوجه الأول بطريق النداء من باب الجنة كما روى عن الحسن البصري وقوله
تعالى (فما يكون لك) أي فما يصح ولا يستقيم لك ولا يليق بشأنك (أن تتكبر فيها) أي في الجنة أوفى ●
زمرة الملائكة تعليل الأمر بالهبوط فإن عدم صحة أن يتكبر فيها علة للأمر المذكور فإنها مكان المطيعين
الخاشعين ولا دلالة فيه على جواز التكبر في غيرها وفيه تنبيه على أن التكبر لا يليق بأهل الجنة وأنه تعالى
إنما طرده لتكبره لا لمجرد عصيانه وقوله تعالى (فاخرج) تأكيد الأمر بالهبوط متفرع على علته وقوله
تعالى (إنك من الصاغرين) تعليل للأمر بالخروج مشعر بأنه لتكبره أي من الأذلاء وأهل الهوان على ●
الله تعالى وعلى أوليائه لتكبرك وعن عمر رضى الله عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك
الله ومن تكبر وعدا طوره وهسه الله إلى الأرض (قال) استئناف كما مر مبنى على - والانشاء مما قبله ١٤
كانه قيل فإذا قال اللعين بعد ما سمع هذا الطرد المؤكد فقل قال (أنظرنى) أي أمهلنى ولا تمتنى (إلى يوم
يبعثون) أي آدم وذريته للجزاء بعد فناءهم وهو وقت النفخة الثانية وأراد اللعين بذلك أن يجد فسمة من
إغوائهم ويأخذ منهم ثأره وينجو من الموت لاستحالته بعد البعث (قال) استئناف كما سلف (إليك من ١٥
المنظرين) ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول مأسأله لآخرين على وجه يشعر بأن السائل
تبع لهم في ذلك صريح في أنه إخبار بالإنظار المقدر لهم ألا لا إنشاء لإنظار خاص به لإجابة لدعائه وأن
استنظاره كان طلباً لتأخير الموت إذ به يتحقق كونه من جملة من لا تأخير العقوبة كما قيل أي إنك من
جملة الذين أخرت آجالهم ألا حسبا تقتضيه الحكمة التكوينية إلى وقت فناء غير ما استثناء الله تعالى
من الخلائق وهو النفخة الأولى لا إلى وقت البعث الذى هو المسئول وقد ترك التوقيت للإيجاز ثقة بما
وقع في سورة الحجر وسورة ص كما ترك ذكر النداء والفاء في الاستنظار والإنظار تعويلا على ما ذكر
فيهما بقوله عز وجل رب أنظرنى إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم وفي
إنظاره ابتلاء للمباد وتعرض للثواب إن قلت لا ريب في أن الكلام المحكى له عند صدوره عن المتكلم حالة
٢٨٠ - أبو السمود ج ٢

مخصوصة تقتضي وروده على وجه خاص من وجوه النظم بحيث لو أخل بشيء من ذلك سقط الكلام عن رتبة البلاغة البنية فالكلام الواحد المحكي على وجوه شتى إن اقتضى الحال وروده على وجه معين من تلك الوجوه الواردة عند الحكاية فذلك الوجه هو المطابق لمقتضى الحال والبالغ إلى رتبة البلاغة دون ما عداه من الوجوه إذا تم هذا فنقول لا يخفى أن استنظار اللعين إنما صدر عنه مرة واحدة لا غير فقامه إن اقتضى إظهار الضراعة وترتيب الاستنظار على ما حاق به من اللعن والطرده على نهج استدعاء الجبر في مقابلة الكسر كما هو المتبادر من قوله رب فأنظرني حسبما حكى عنه في السورتين فاحكى ههنا يكون بمعدل من المطابقة لمقتضى الحال فعلا عن العروج إلى معارج الإعجاز قلنا مقام استنظاره مقتض لما ذكر من إظهار الضراعة وترتيب الاستنظار على الحرمان المدلول عليه بالطرود والرجم وكذا مقام الإنظار مقتض لترتيب الإخبار بالإنظار على الاستنظار وقد طبق الكلام عليه في تنك السورتين وفي كل واحد من مقامى الحكاية والمحكى جميعاً حظه وأما ههنا فحيث اقتضى مقام الحكاية مجرد الإخبار بالاستنظار والإنظار سبقت الحكاية على نهج الإعجاز والاختصار من غير تعرض لبيان كيفية كل واحد منهما عند مخاطبة والحوار إل قلت فإذا لا يكون ذلك نقلاً للكلام على ما هو عليه ولا مطابقاً لمقتضى المقام قلنا الذي يجب اعتباره في نقل الكلام إنما هو أصل معناه ونفس مدلوله الذي يفيد وأما كيفية إفادته له فليس مما يجب مراعاته عند النقل البنية بل قد تراعى وقد لا تراعى حسب اقتضاء المقام ولا يقدح في أصل الكلام تجريده عنها بل قد يراعى عند نقله كصفات وخصوصات لم يراعها المتكلم أصلاً ولا يخل ذلك بكون المنقول أصل المعنى ألا يرى أن جميع المقالات المنقولة في القرآن الكريم إنما تحكى بكيفيات واعتبارات لا يكاد يقدر على مراعاتها من تكلم بها حتماً وإلا لا يمكن صدور الكلام المعجز عن البشر فيما إذا كان المحكى كلاماً وأما عدم مطابقته لمقتضى الحال فنشوه الغفلة عما يجب توفير مقتضاه من الأحوال فإن ملاك الأمر هو مقام الحكاية وأما مقام وقوع المحكى فإن كان مقتضاه موافقاً لمقتضى مقام الحكاية يوفى كل واحد من المقامين حقه كما في سورة الحجر وسورة ص فإن مقام الحكاية فهما لما كان مقتضياً لبسط الكلام وتفصيله على الكيفيات التي وقع عليها روعى حق المقامين معاً وأما في هذه السورة الكريمة فحيث اقتضى مقام الحكاية الإعجاز روعى جانبه ألا يرى أن المخاطب المنكر إذا كان ممن لا يفهم إلا أصل المعنى وجب على المتكلم أن يجرّد كلامه عن النأ كيدوسائر الخواص والمزايا التي يقتضيها المقام ويخاطبه بما يناسبه من الوجوه لئلا يجرّد ذلك يجب أن يقصد معنى زائداً يفهمه سامع آخر بليغ هو تجريده عن الخواص رعاية لمقتضى حال المخاطب في الفهم وبذلك يرتقى كلامه عن رتبة أصوات الحيوانات كما حقق في مقامه فإذا وجب مراعاة مقام الحكاية مع إفضائها إلى تجريد الكلام عن الخواص والمزايا بالمرّة فاطنك بوجوب مراعاته مع تحلية الكلام بمزايا أخر يرتقى إلى رتبة الإعجاز لا سيما إذا وفي حق مقام وقوع المحكى في السورتين الكريمتين وكان هذا الإعجاز مبدياً عليه وثقة به (قال) استئنافاً كأمثاله (فيمَا أَغْوَيْتَنِي) الباء للقسمة كما في قوله تعالى

ثُمَّ لَا تَبْنِيهِمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ
شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾

٧ الأعراف

قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾

٧ الأعراف

وَيَتَشَادَمُ أَصْنَانُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ
الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾

٧ الأعراف

- فبعض تك لا غوينهم فإن إغواءه تعالى إياه أثر من آثار قدرته عز وجل وحكم من أحكام سلطانه تعالى فقال
الإقسام بهما واحداً فعل اللعين أقسم بهما جميعاً فحكي تارة قسمه بأحدهما وأخرى بالآخر والفاء لترتيب
مضمون الجملة على الإنظار وما مصدرية أى فأقسم يا غواثك إياي (لأقعدن لهم) أول للشيئية على أن الباء متعلقة
بفعل القسم المحذوف لا بقوله لأقعدن لهم كافي الوجه الأول فإن اللام تصد عن ذلك أى فبسبب إغواثك
إياي لأجلهم أقسم بعزتك لأقعدن لآدم وذريته ترصداً بهم كما يقعد القطاع للقطع على السابلة (صراطك
المستقيم) الموصل إلى الجنة وهو دين الإسلام فالقعود مجاز متفرع على الكناية وانتصابه على الظرفية كما في
قوله [كما غسل الطريق الثعلب] وقيل على نزع الجار تقديره على صراطك كقولك ضرب زيد الظهر والبطن
(ثم لا تبنيهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيماهم وعن شمالهم) أى من الجهات الأربع التى يعتاد هجرهم ١٧
العدو منها مثل قصده إياهم للتسويل والإضلال من أى وجه يتيسر بإتيان العدو من الجهات الأربع ولذلك
لم يذكر الفوق والتحت وعن ابن عباس رضى الله عنهما من بين أيديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من
جهة الدنيا وعن أيماهم وعن شمالهم من جهة حسناتهم وسبلاتهم وقيل من بين أيديهم من حيث يعلمون
ويقدر على التحرز منه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدر على التحرز عنه وعن أيماهم وعن شمالهم من
حيث يتيسر لهم أن يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم ومن حيث لا يتيسر لهم
ذلك وإنما عدى الفعل إلى الأولين بحرف الابتداء لأنه منهما متوجه إليهم وإلى الآخرين بحرف المجاوزة
فإن الآتى منهما كالمحرف المتجافى عنهم المار على عرضهم ونظيره جلست عن يمينه (ولا تجد أكثرهم
شاكرين) أى مطيعين وإنما قاله ظناً لقوله تعالى ولقد صدق عليهم إبليس ظنه لما رأى منهم مبدأ الشر
متعدداً ومبدأ الخير واحداً وقيل سمعه من الملائكة عليهم السلام (قال) استئناف كما سلف سراراً (أخرج
منها) أى من الجنة أو من السماء أو من بين الملائكة (مذموماً) أى مذموماً من ذامه إذا ذمه وقرئ
مذموماً كسول فى مسئول أو كسول فى مكيل من ذامه يذمه ذمماً (مدحوراً) مطروداً (لمن تبعك منهم)
اللام موطنه للقسم وجوابه (لأملأن جهنم منكم أجمعين) وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن
تبعك بكسر اللام على أنه خبر لأملأن على معنى لمن تبعك هذا الوعيد أو علة لأخرج ولأملأن جواب
قسم محذوف ومعنى منك منك ومنهم على تغليب المخاطب (ويا آدم) أى وقتلنا كما وقع فى سورة البقرة ١٩

فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ تَيْهَمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾

٧ الأعراف

وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكَا لِمَنِ النَّصِيحِينَ ﴿٢١﴾

٧ الأعراف

فَدَلَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُ تَيْهَمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾

٧ الأعراف

- وتصدير الكلام بالنداء للتنبيه على الاهتمام بتلق الأمور به وتخصيص الخطاب به عليه السلام بالإيدان بأصانته في تلقى الوحى وتعاطى الأمور به (اسكن أنت وزوجك الجنة) هو من السكن الذى هو عبارة عن اللبث والاستقرار والإقامة لا من السكون الذى هو ضد الحركة وأنت ضمير أكده المستكن لبصح العطف عليه والفاء في قوله تعالى (فكلا من حيث شئتما) لبيان المراد مما في سورة البقرة من قوله تعالى وكلا منها رغداً حيث شئتما من أن ذلك كان جمعاً مع الترتيب وقوله تعالى من حيث شئتما في معنى منها حيث شئتما ولم يذكر ههنا رغداً ثقة بما ذكر هناك وتوجيه الخطاب إليهما لتعميم النشر يف والإيدان بقساوئيهما في مباشرة الأمور به فإن حواء أسوة له عليه السلام في حق الأكل بخلاف السكن فإنها تابعة له فيه ولتعليق النهى بها صريحاً في قوله تعالى (ولا تقربا هذه الشجرة) وقرىء هذى وهو الأصل لتصغيره على ذباو الهاء بدل من الياء (فتكونا من الظالمين) إما جزم على العطف أو نصب على الجواب (فوسوس لهما الشيطان) أى فعل الوسوسة لأجلهما أو تكلم لهما كلاماً خفياً متداركاً متكرراً أو هى في الأصل الصوت الخفى كالحنيمة والخشخشة ومنه وسوس الحلى وقد سبق بيان كيفية وسوسه في سورة البقرة (ليبدى لهما) أى ليظهر لهما واللام للعاقبة أو للغرض على أنه أراد بوسوسته أن يسوءهما بانكشاف عورتيهما ولذلك عبر عنهما بالسوءة وفيه دليل على أن كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع (ماوروى عنهما من سوء آتئهما) ما غطى وستر عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر وإنما لم تقلب الواو المضمرمة همزة في المشهورة كما قلبت في أو يصل تصغير واصل لأن الثانية مدة وقرىء سواتهما بحذف الهمزة وإلقاء حركاتها على الواو وقلبها واواً وإدغام الواو الساكنة فيها (وقال) عطف على وسوس بطريق البيان (مانها كما يبكا عن هذه الشجرة) أى عن أكلها (إلا أن تكونا ملكين) أى إلا كراهة أن تكونا ملكين (أو تكونا من الخالدين) الذين لا يموتون أو يخلدون في الجنة وليس فيه دلالة على أفضلية الملائكة عليهم السلام لما أن من المعلوم أن الحقائق لا تنقلب وإنما كانت رغبتهما في أن يحصل لهما أوصاف الملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الأطعمة والأشربة وذلك بمعزل من الدلالة على الأفضلية بالمعنى المتنازع فيه (وقاسمهما إني لكأ لمن الناصحين) أى أقسم لهما وصيغة المغالبة للبالغة
- ٢١ وقيل أقسما له بالقبول وقيل قال له أنقسم بالله إنك لمن الناصحين وأقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة (فدلاهما)
- ٢٢

قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ٧ الأعراف

قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنَعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ ٧ الأعراف

قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ٧ الأعراف

- فترى لها على الأكل من الشجرة وفيه تنبيه على أنه أهبطهما بذلك من درجة عالية فإن التدلية والإدلاء
- لإعمال الشيء من الأعلى إلى الأسفل (بغرور) بما غرهما به من القسم فإنهما ظنا أن أحداً لا يقسم بالله كاذباً ●
- أو ملتبسين بغرور (فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما) أى فلما وجدا طعمها آخذين في الأكل منها ●
- أخذتهما العقوبة وشؤم المعصية قهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف في أن الشجرة كانت السنبلة أو الكرم أو غيرهما وأن اللباس كان نوراً أو ظمراً (وطافقا بخصفان) طفق من أفعال الشروع والتلبس كالأخذ وجعل وأنشأ وعلق وهب وانبرى أى أخذاً يرقدان ويلزقان ورقة فوق ورقة (عليهما ●
- من ورق الجنة) قيل كان ذلك ورق التين وقرى بخصفان من أخصف أى بخصفان أنفسهما وبخصفان من النخصيف وبخصفان أصله بخصفان (وناداهما ربهما) مالك أمرهما بطريق العتاب والتوبيخ (ألم أنهما) ●
- وهو تفسير للتداء فلا محل له من الإعراب أو معمول لقول محذوف أى وقال أو قائل ألم أنهما (عن تلكا الشجرة) ما في اسم الإشارة من معنى البعد لما أنه إشارة إلى الشجرة التي نهى عن قربانها (وأقل لكما) عطف ●
- على أمهما أى ألم أقل لكما (إن الشيطان لكما عدو مبين) وهذا عتاب وتوبيخ على الاغترار بقول العدو كما أن الأول عتاب على مخالفة النهى قيل فيه دليل على أن مطلق النهى للتحريم ولكما متعلق بعدو لما فيه من معنى الفعل أو بمحذوف هو حال من عدو ولم يحك هذا القول ههنا وقد حكى في سورة طه بقوله تعالى إن هذا عدو لك ولزوجك الآية . روى أنه تعالى قال لآدم ألم يكن فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت أن أحداً من خلقك يخالف بك كاذباً قال فبعزتي لأهبطنك إلى الأرض ثم لا تنال العيش إلا كدأفاً هبط وعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث لحرث وسقى وحصد ودرس وذرى ويعجن وخبز (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا) أى ضررناهما بالمعصية والتعريض للإخراج من الجنة (وإن لم تغفر لنا) ٢٣
- ذلك (وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وهو دليل على أن الصغار يعاقب عليهما إن لم تغفر وقال المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليهما مع اجتناب الكبار ولذلك حملوا قولهما ذلك على عادات المقرين في استعظام الصغير من السيئات واستصغار العظيم من الحسنات (قال) استئناف كما مر مراراً (اهبطوا) خطاب لآدم ٢٤
- وحوا وذريتهما أولهما ولا بليس كرر الأمر له تبعاً لهما ليعلم أنهم قرناه أبداً أو أخبرهما قال لهم مفراً كما في قوله تعالى يأها الرسل كلوا من الطيبات ولم يذكر ههنا قبول توبتهما ثقة بما ذكر في سائر المواضع (بعضكم لبعض عدو) جملة حالية من فاعل اهبطوا أى متعادين (ولكم في الأرض مستقر) أى استقرار ●
- أو موضع استقرار (ومتاع) أى تمتع وانتفاع (إلى حين) هو حين انقضاء آجالكم (قال) أعيد الاستئناف ٢٥
- إما للإيدان بعدم اتصال ما بعده بما قبله كما في قوله تعالى قال فما خطبكم أيها المرسلون إثر قوله تعالى قال ومن

يَبْنِيْ اٰدَمَ قَدْ اَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤْوِيْ سَوْءَ تِكْرٍ وَّرِيْشًا وَلِبَاسٌ اَلْتَقْوٰى ذٰلِكَ خَيْرٌ ذٰلِكَ مِنْ
ءَايٰتِ اللّٰهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُوْنَ ﴿٢٦﴾

٧ الأعراف

يَبْنِيْ اٰدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكَ الشَّيْطٰنُ كَمَا اَخْرَجَ اٰبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا
سَوْءَ تِهْمَا اِنَّهٗ يَرِيْكُمْ هُوَ وَقَبِيْلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ اِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِيْنَ اَوْلِيَاءَ لِلَّذِيْنَ لَا
يُؤْمِنُوْنَ ﴿٢٧﴾

٧ الأعراف

- يقطع من رحمة ربه إلا الضالون وقوله تعالى قال أرايتك هذا الذي كرمت على بعد قوله تعالى قال أجد
● لمن خلقت طيناً وإما لإظهار الاعتناء بمضمون ما بعده من قوله تعالى (فيها تحبون وفيها تموتون ومنها
٢٦ تخرجون) أى للجزاء كقوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى (يابني آدم)
● خطاب للباس كافة وإبراهيم بهذا العنوان مما لا يخفى سره (قد أنزلنا عليكم لباساً) أى خلقناه لكم بتدبيرات
● سماوية وأسباب نازلة منها ونظيره وأنزل لكم من الأنعام الخ وقوله تعالى وأنزلنا الحديد (يوارى سوا أنكم)
التي قصد إلبس إبداءها من أوبىكم حتى اضطرا إلى خصف الأوراق وأنتم مستغنون عن ذلك وروى
أن العرب كانوا يطوفون بالبيت عرايا ويقولون لا نطوف بثياب عصينا الله تعالى فيها فزلت ولعل ذكر
قصة آدم عليه السلام حينئذ للإيدان بأن انكشاف العورة أول سوء أصاب الإنسان من قبل الشيطان
● وأنه أغواهم في ذلك كما أغوى أبويهم (وريشاً) ولباساً تتجملون به والريش الجمل وقيل مالا ومنه
● تريش الرجل أى تمول وقرى ريشاً وهو جمع ريش كشعب وشعاب (ولباس التقوى) أى خشية الله
● تعالى وقيل الإيمان وقيل السمات الحسن وقيل لباس الحرب ورفع بالابتداء خبره جملة (ذلك خير) أو
خبر وذلك صفة كانه قيل ولباس التقوى المشار إليه خير وقرى ولباس التقوى بالنصب عطفاً على
● لباساً (ذلك) أى إنزال اللباس (من آيات الله) دالة على عظيم فضله وعميم رحمته (لعلمهم يذكرون)
٢٧ فيعرفون نعمته أو يتعظون فيتورعون عن القبائح (يابني آدم) تكرير النداء للإيدان بكال الاعتناء
● بمضمون ما صدر به وإبراهيم بهذا العنوان مما لا يخفى سببه (لا يفتننكم الشيطان) أى لا يوقعنكم في الفتنة
● والجنة بأن يمنعكم من دخول الجنة (كما أخرج أوبىكم من الجنة) نعت لمصدر محذوف أى لا يفتننكم فتنة
مثل إخراج أوبىكم وقد جوز أن يكون التقدير لا يخرج جنكم بفتنته إخراجاً مثل إخراج أوبىكم والنهى
وإن كان متوجهاً إلى الشيطان لكنه في الحقيقة متوجه إلى المخاطبين كما في قولك لا أرايتك ههنا وقد مر
● تحقيقه مراراً (ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوا أنهما) حال من أوبىكم أو من فاعل أخرج وإسناد النزاع إليه
● للنسيب وصيغة المضارع لاستحضار الصورة وقوله تعالى (إنه يراكم هو وقبيله) أى جنوده وذريته استئناف
● لتعليل النهي وتأكيده التحذير منه (من حيث لا ترونهم) من لا ابتداء غاية الرؤية وحيث ظرف لمكان انتفاء
الرؤية ولا ترونهم في محل الجر بإضافة الظرف إليه ورؤيتهم لنا من حيث لا نراهم لا تقتضى امتناع رؤيتنا

وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾

٧ الأعراف

قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾

٧ الأعراف

- لهم مطلقاً واستحالة تعلمهم لنا (إنا جعلنا الشياطين) جعل قبيله من جملته لجمع (أولياء الذين لا يؤمنون) أى جعلناهم بما وجدنا بينهم من المناسبة أو يارسا لهم عليهم وتمكينهم من لغواتهم وحملهم على ما-ولوا لهم أولياء أى قرناء مسلمين عليهم والجملة تعليل آخر لانهى وتأكيد للتحذير إثر تحذير (وإذا فعلوا فاحشة) ٢٨ جملة مبتدأة لا محل لها من الإعراب وقد جوز عطفها على الصلة والفاحشة الفعلية المتناهية في القبح والثناء لانها مجرأة على الموصوف المؤنث أو للنقل من الوصفية إلى الاسمية والمراد بها عبادة الأصنام وكشف المورة في الطراف ونحوهما (قالوا) جراباً للناهين عنها (وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) محتجين بأمرين تفادى الآباء والافتراء على الله سبحانه ولعل تقديم المقدم للإبذان منهم بأن آباءهم إنما كانوا يفلونها بأمر الله تعالى بها على أن ضمير أمرنا لهم ولا باتهم لخبثت يظهر وجه الإعراض عن الأول في رد مقالهم بقوله تعالى (قل إن الله لا يأمر بالفحشاء) فإن عادته تعالى جارية على الأمر بمحاسن الأعمال والحث على مرضى الخصال ولا دلالة فيه على أن قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه عاجلاً والعقاب آجلاً على فإن المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستقصه العقل المستقيم وقبلهما جوابا لسؤالين مترتين كأنه قيل لما فعلوا لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقل لم فعلها آباؤكم فقالوا الله أمرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد إذا قام الدليل بخلافه لا مطلقاً (أتقولون على الله ما لا تعلمون) من تمام القول بالمأمر به والهمزة لأنكار الواقع واستقبحه وتوجيه الإنكار والتوبيخ إلى قولهم عليه تعالى ما لا يعلمون صدوره عنه تعالى مع أن بعضهم يعلمون عدم صدوره عنه تعالى مبالغة في إنكار تلك الصورة فإن إسناد ما لم يعلم صدوره عنه تعالى إليه تعالى إذا كان منكر أفاً إسناد ما علم عدم صدوره عنه إليه عز وجل أشد قبحاً وأحق بالإنكار (قل) ٢٩ أمر ربى بالقسط بيان للمأمر به إثر نفي ما أسند أمره إليه تعالى من الأمور المنهى عنها والقسط العدل وهو الوسط من كل شئ. المنجاني عن طرفي الإفراط والتفريط (واقموا وجوهكم) وتوجهوا إلى عبادته مستقيمين غير عاديين إلى غيرها أو أقموا وجوهكم نحو القبلة (عند كل مسجد) في كل وقت وسجود أو مكان - سجود وهو الصلاة أو في أى مسجد حضرتم الصلاة عنده ولا تؤخروا حتى تعودوا إلى مساكنكم (وادعوه) واعبدوه (مخلصين له الدين) أى الطاعة فإن مصيركم إليه بالآخرة (كما بدأكم) أى أنشأكم ابتداء (تعودون) إليه بإعادته فيجازيكم على أعمالكم وإنما شبه الإعادة بالإبداء تقريراً لمكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون إليه وقيل حفاة عراة غر لا تعودون إليه وقبل كما بدأكم مؤمنًا وكافرًا يعيدكم

فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ
أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

٧ الأعراف

يَبْنِيءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾

٧ الأعراف

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ۖ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾

٧ الأعراف

قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ

يُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

٧ الأعراف

٣٠ (فريقاً هدى) بأن وفقهم للإيمان (وفريقاً حق عليهم الضلالة) بمقتضى القضاء السابق التابع للشبهة

● المبنية على الحكم البالغة وانتصابه بفعل مضمر يفسره ما بعده أى وخذل فريقاً (إنهم اتخذوا الشياطين

● أولياء من دون الله) تعليل لخذلانه أو تحقيق اضلالهم (ويحسبون أنهم مهتدون) فيه دلالة على أن

٣١ الكافر المخطئ والمعادن سواء في استحقاق الذم وللإفراق أن يحمله على المقصر في النظر (بابى آدم خذوا

● زينتكم) أى ثيابكم لمواراة عورتكم (عند كل مسجد) أى طواف أو صلاة ومن السنة أن يأخذ الرجل

● أحسن هيئة للصلاة وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلاة (وكلوا واشربوا) بما طاب لكم .

● روى أن نبي عامر كانوا في أيام حجهم لا يأكلون الطعام إلا قوتاً ولا يأكلون دسماً يعظمون بذلك حجهم

● فهم المسلمون بمثله فزلت (ولا تسرفوا) بتحريم الحلال أو بالتعدى إلى الحرام أو بالإفراط في الطعام

● والشره عليه وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف

● وخيلة وقال على بن الحسين بن واقد جمع الله الطب في نصف آية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا (لأنه

٣٢ لا يحب المسرفين) أى لا يرتضى فعلهم (قل من حرم زينة الله) من الثياب وما يتجمل به (التي أخرج

● لعباده) من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدرع (والطيبات من

● الرزق) أى المستلذات من المأكول والمشرب وفيه دليل على أن الأصل في المطاعم والملابس وأنواع

● التجملات الإباحة لأن الاستفهام في من إنكارى (قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا) بالأصالة والكفرة

● وإن شاركهم فيها بالتبع (خالصة يوم القيامة) لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابه على الحالية وقرئ بالرفع

● على أنه خبر بعد خبر (كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) أى مثل هذا التفصيل نفصل سائر الأحكام

٣٣ لقوم يعلمون ما في تضاعيفها من المعاني الرائقة (قل إنما حرم ربى الفواحش) أى ما تفاحش قبحه من

● الذنوب وقيل ما يتعلق منها بالفروج (ما ظهر منها وما بطن) بدل من الفواحش أى جهرها وسرها (والإثم)

● أى ما يوجب الإثم وهو تعميم بعد تخصيص وقيل هو شرب الخمر (والبغى) أى الظلم أو الكبر أو فرد بالذكر

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾
يَبْنِيْءَ آدَمَ إِمَامًا يَأْتِيَنَّكَ رُسُلٌ مِنْكَ يَقْضُونَ عَلَيْكَ آيَاتِي فَمَنْ آتَقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾

٧ الأعراف

- للبالبغة في الزجر عنه (بغير الحق) متعلق بالبغي مؤكدا له معنى (وأن تشركو بالله ما لم ينزل به سلطاناً)
- تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لا يدل عليه برهان (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) بالإلحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم والله أمرنا بها وتوجيه التحريم إلى قولهم عليه تعالى ما لا يعلمون وقوعه لا ما يعلمون عدم وقوعه قد مر سره (ولكل أمة) من الأمم المملوكة (أجل) حد معين من الزمان مضروب ٣٤ لمهلكهم (فإذا جاء أجالهم) إن جمل الضمير للأمم المدلول عليها بكل أمة فإظهار الأجل مضافاً إليه لإفادة المعنى المقصود الذي هو بلوغ كل أمة أجلها الخاص بها ومجيئه إياها بواسطة اكتساب الأجل بالإضافة عمر ما يفيد معنى الجمية كأنه قيل إذا جاءهم آجالهم بأن يجيء كل واحدة من تلك الأمم أجلها الخاص بها وإن جمل لكل أمة خاصة كما هو الظاهر فالإظهار في موقع الإضمار لزيادة التقرير والإضافة إلى الضمير لإفادة اكمل التمييز أي إذا جاءها أجلها الخاص بها (لا يستأخرون) عن ذلك الأجل (ساعة) أي شيئاً قليلاً من الزمان فإنها مثل في غاية القلة منه أي لا يتأخرون أصلاً وصيغة الاستفعال للإشعار بتعجزهم وحرمانهم عن ذلك مع طلبهم له (ولا يستقدمون) أي ولا يتقدمون عليه وهو عطف على يستأخرون
- ليكن لا لبيان انتفاء التقدم مع إمكانه في نفسه كالتأخير بل للبالبغة في انتفاء التأخير بنظمه في سلك المستحيل عقلاً كما في قوله سبحانه وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فإن من مات كافراً مع ظهور أن لا توبه له رأساً قد نظم في عدم القبول في سلك من سوفها إلى حضور الموت إيذاناً بتساوي وجود التوبة حينئذ وعدمها بالمرة وقيل المراد بالجمية الدنو بحيث يمكن التقدم في الجملة كجىء اليوم الذي ضرب لهلاكهم ساعة فيه وليس بذلك وتقديم بيان انتفاء الاستيخار لما أن المقصود بالذات بيان عدم خلاصهم من العذاب وأما ما في قوله تعالى ما تنسب من أمة أجلها وما يستأخرون من سبق السبق في الذكر فلما أن المراد هناك بيان سر تأخير إهلاكهم مع استحقاقهم له حسبما ينبي عنه قوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون فلا هم هناك بيان انتفاء السبق (بابني آدم) تلويح للخطاب وتوجيه له إلى كافة الناس اهتماماً بشأن ما في حيزه (إما ٣٥ يأتبكم) هي إن الشرطية ضمت إليهما لما لنا كيد معنى الشرط ولذلك لزم فعلها النون الثقيلة أو الخفيفة وفيه تنبيه على أن إرسال الرسل أمر حائز لا واجب عقلاً (رسل منكم) الجار متعلق بمحذوف هو صفة لرسول
- أي كائنون من جنسكم وقوله (يقضون عليكم آياتي) صفة أخرى لرسول أي يبينون لكم أحكامي
- وشرائعي وقوله تعالى (فمن آتق وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) جملة شرطية وقعت جواباً

وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ ٧ الأعراف
 فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۖ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ
 حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا
 عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ ٧ الأعراف

- ٣٦ للشرط أى فمن اتقى منكم التكذيب وأصلح عمله فلا خوف الخ وكذا قوله تعالى (والذين كذبوا
 بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) أى والذين كذبوا منكم بآياتنا وإيراد
 الاتقاء فى الأول للإبذان بأن مدار الفلاح ليس مجرد عدم التكذيب بل هو الاتقاء والاجتناب عنه
 ٣٧ وإدخال الغاء فى الجزء الأول دون الثانى للبالغة فى الوعد والمساحة فى الوعد (فمن أظلم من افتري على
 الله كذباً أو كذب آياته) أى تقول عليه تعالى ما لم يقله أو كذب ما قاله أى هو أظلم من كل ظالم وقد مر
 ● تحقيقه مراراً (أولئك) إشارة إلى الموصول والجمع باعتبار معناه كما أن أفراد الفعلين باعتبار لفظه وما
 فيه من معنى البعد للإبذان بهما في سوء الحال أى أولئك الموصوفون بما ذكر من الافتراء والتكذيب
 ● (ينالهم نصيبهم من الكتاب) أى مما كتب لهم من الأرزاق والأعمار وقيل الكتاب اللوح أى ما أنبت
 لهم فيه وأياً ما كان فمن الابتدائية متعلقة بمحذوف وقع حالا من نصيبهم أى ينالهم نصيبهم كائناً من
 الكتاب وقيل نصيبهم من العذاب وسواد الوجه وزرقة العيون وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ما
 كتب لمن يفتري على الله سواد الوجه قال تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة
 ● وقوله تعالى (حتى إذا جاءتهم رسلنا) أى ملك الموت وأعوانه (يتوفونهم) أى حال كونهم متوفين
 لأرواحهم يؤيد الأول فإن حتى وإن كانت هى التى يبتدأ بها الكلام لكنها غاية لما قبلها فلا بد أن يكون
 نصيبهم مما يتمنون بها إلى حين وفاتهم أى ينالهم نصيبهم من الكتاب إلى أن يأتهم ملائكة الموت فإذا
 ● جاءتهم (قالوا) لهم (أينما كنتم تدعون من دون الله) أى أين الآلهة التى كنتم تعبدونها فى الدنيا وما وقعت
 ● مرصولة بأين فى خط المصحف وحقها الفصل لأنها موصولة (قالوا) استئناف وقع جواباً عن سؤال
 ● ناساً من حكاية سؤال الرسل كأنه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا (ضلوا عنا) أى غابوا عنا أى لا ندرى
 ● مكانهم (وشهدوا على أنفسهم) عطف على قالوا أى اعترفوا على أنفسهم (أنهم كانوا) أى فى الدنيا
 ● (كافرين) عابدين لما لا يستحق العبادة أصلاً حيث شاهدوا حاله وضلاله ولعله أريد بوقت مجيء
 الرسل وحال التوفى الزمان الممتد من ابتداء المجيء والتوفى إلى انتهائه يوم الجزاء بـ على تحقيق المجيء
 والتوفى فى كل ذلك الزمان بقاء وإن كان حدوثهما فى أوله فقط أو قصد بيان غاية سرعة وقوع البعث
 والجزاء كأنهما حاصلان عند ابتداء التوفى كما ينبى عنه قوله يَوْمَ يُنْفَخُ من مات فقد قامت قيامته وإلا
 فهذا السؤال والجواب وما ترتب عليهما من الأمر بدخول النار وما جرى بين أهلها من التلاعن

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا دَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَعَاتِبِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾

٧ الأعراف

وَقَالَتْ أُولَهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾

إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْجَأَ الْجَحْمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾

٧ الأعراف

- والنقاول إنما يكون بعد البعث لا محالة (قال) أى الله عز وجل يوم القيامة بالذات أو بواسطة الملك ٣٨
- (ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم) أى كائنين من جملة أمم مصاحبين لهم (من الجن والإنس)
 - يعنى كفار الأمم الماضية من النوعين (فى النار) متعلق بقوله ادخلوا (كلما دخلت أمة) من الأمم
 - السابقة واللاحقة فيها (لعنت أختها) التى ضلت بالافتدائها (حتى إذا داركوا فيها جميعاً) أى تداركوا
 - وتلاحقوا فى النار (قالت أخراهم) دخولاً أو منزلة وهم الاتباع (لا ولاهم) أى لأجلهم إذ الخطاب
 - مع الله تعالى لا معهم (ربنا هؤلاء أضلونا) سنوا لنا الضلال فافتدنا بهم (فأتهم عذاباً ضعفاً) أى
 - مضاعفاً (من النار) لأنهم ضلوا وأضلوا (قال لكل ضعف) أما القادة فلما ذكر من الضلال والإضلال
 - وأما الاتباع فلكفرهم وتقليدكم (ولكن لا تعلمون) أى مالكم وما لسل كل فريق من العذاب وقرىء
 - بالياء (وقالت أولاهم) أى مخاطبين (لا أخراهم) حين سمعوا جواب الله تعالى لهم (فما كان لكم علينا
 - ٣٩ من فضل) أى فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا ولنا وإياكم متساوون فى الضلال واستحقاق العذاب
 - (فذوقوا العذاب) أى العذاب المعهود المضاعف (بما كنتم تكسبون) من قول القادة (إن الذين
 - ٤٠ كذبوا بآياتنا) مع وضوحها (واستكبروا عنها) أى عن الإيمان بها والعمل بمقتضاها (لا تفتح لهم
 - أبواب السماء) أى لا تقبل أدعيتهم ولا أعمالهم أو لا تخرج إليهم أرواحهم كما هو شأن أدعية المؤمنين
 - وأعمالهم وأرواحهم والناء فى تفتح لتأنيث الأبواب والتشديد لكثرتها وقرىء بالتخفيف وبالتخفيف
 - والياء وقرىء على البناء للفاعل ونصب الأبواب على أن الفعل الآيات والياء على أنه الله تعالى (ولا
 - يدخلون الجنة حتى يبلج الجمل فى سم الخياط) أى حتى يدخل ما هو مثل فى عظم الجرم فيما علم فى ضيق
 - المسلك وهو ثقب الإبرة وفى كون الجمل مالىس من شأنه الولوج فى سم الإبرة مبالغة فى الاستبعاد وقرىء
 - الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالخيل وهى الخيل الغليظ من القنب وقيل
 - جمل السفينة وسم بالضم والكسر وقرىء فى سم الخياط وهو الخياط أى ما يخط به كالخزام والمحزم (وكذلك)
 - أى ومثل ذلك الجزء الفظيع (نجزي المجرمين) أى جنس المجرمين وهم داخلون فى زميرتهم دخولاً أو بآياً

لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ ٧ الأعراف

وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا
كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي
رِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ٧ الأعراف

- ٤١ (لهم من جهنم مهاد) أى فراش من تحتهم والتنوين للتفخيم ومن تجريدية (ومن فوقهم غواش) أى أغطية
والتنوين للبدل عن الإعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرىء غواش على إلغاء المحذوف كما فى
● قوله تعالى وله الجوار المنشآت (وكذلك) ومثل ذلك الجزاء الشديد (نجزى الظالمين) عبر عنهم بالمجرمين
تارة وبالظالمين أخرى إشعاراً بأنهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بكل واحد من ذنوب الوصفين القبيحين
ونذكر الجرم مع الحرمان من دخول الجنة والظلم مع التعذيب بالنار للتنبيه على أنه أعظم الجرائم والجرائر
٤٢ (والذين آمنوا) أى بآياتنا أو بكل ما يجب أن يؤمن به فيدخل فيه الآيات دخولاً أولياً وقوله تعالى
● (وعملوا الصالحات) أى الأعمال الصالحة التى شرعت بالآيات وهذا بمقابلة الاستكبار عنها (لا تكلف
● نفساً إلا وسعها) اعتراض وسط بين المبتدأ الذى هو الموصول والخبر الذى هو جملة (أولئك أصحاب
الجنة) للترغيب فى اكتساب ما يؤدى إلى النعيم المقيم ببيان سهولة مناله وتيسر تحصيله وقرىء لا تكلف
نفساً وأعم الإشارة بمبتدأ وأصحاب الجنة خبره والجملة خبر للمبتدأ الأول أو اسم الإشارة بدل من المبتدأ
الأول الذى هو الموصول والخبر أصحاب الجنة وما فيه من معنى البعد الإيذان ببعد منزلتهم فى الفضل
● والشرف (هم فيها خالدون) حال من أصحاب الجنة وقد جوز كونه حالاً من الجنة لاشتراكه على ضميرها
والعامل معنى الإضافة أو اللام المقدرة أو خبر ثان لا وثلك على رأى من جوزوه وفيها متعلق بخالدون
٤٣ (ونزعنا ما فى صدورهم من غل) أى نخرج من قلوبهم أسباب الغل أو نظيرها منه حتى لا يكون بينهم
إلا التواد وصيغة الماضى الإيذان بتحقيقه وتقرره وعن على رضى الله تعالى عنه إنى لا أرجوا أن أكون
● أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم (تجرى من تحتهم الأنهار) زيادة فى لذتهم وسرورهم والجملة حال من
الضمير فى صدورهم والعامل إما معنى الإضافة وإما العامل فى المضاف أو حال من فاعل نزعنا والعامل
● نزعنا وقيل هى مستأنفة للإخبار عن صفة أحوالهم (وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا) أى لما جزاؤه هذا
● (وما كنا لنهتدى) أى لهذا المطلب الأعلى أو لمطلب من المطالب التى هذا من جهلتنا (لولا أن هدانا الله)
ووقفنا له واللام لتأكيد النفي وجواب لولا محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه ومفعول نهتدى وهدانا الثانى

وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾

٧ الأعراف

الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَفِرُونَ ﴿٤٥﴾

وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾

٧ الأعراف

- محذوف لظهور المراد أو لإرادة التعميم كما أشير إليه والجملة مستأنفة أو حالية وقرئ ما كنا لنهتدى الخ بغير واو على أنها مبينة ومفسرة للأولى (لقد جاءت رسل ربنا) جواب قسم مقدر قالوه تبجحاً واعتباطاً ● بما نالوه وابتهاجا بإيمانهم بما جاءتهم الرسل عليهم السلام والباء في قوله تعالى (بالحق) إما للتعدينية فهي متعلقة بجاءت أو لللابسة فهي متعلقة بمقدر وقع حالا من الرسل أى والله لقد جاءوا بالحق أو لقد جاءوا ملتبسين بالحق (ونودوا) أى نادتهم الملائكة عليهم السلام (أن تلکم الجنة) أن مفسرة لما فى النداء من معنى القول أو مخففة من أن وضمير الشأن محذوف ومعنى البعد فى اسم الإشارة إما لأنهم نودوا عند رؤيتهم إياها من مكان بعيد وإما لرفع منزلتها وبعد رتبته وإما للإشعار بأنها تلك الجنة التى وعدوها فى الدنيا (أورتتموها بما كنتم تعملون) فى الدنيا من الأعمال الصالحة أى أعطيتمرها بسبب أعمالكم أو بمقابلتها أعمالكم والجملة حال من الجنة والعامل معنى الإشارة على أن تلکم الجنة مبتدأ وخبر أو الجنة صفة والخبر أورتتموها (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار) تبجحاً بحالهم وشماتة بأصحاب النار وتحسيراً لهم ٤٤ ● لا لجرده الإخبار بحالهم والاستخبار عن حال مخاطبيهم (أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً) حيث نلنا هذا المال الجليل (فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً) حذف المفعول من الفعل الثانى إسقاطاً لهم عن رتبة التشريف بالخطاب عند الوعد وقيل لأن ما ساءهم من الموعد لم يكن بأسره مخصوصاً بهم وعداً كالبعث والحساب ولعیم أهل الجنة فإنهم قد وجدوا جميع ذلك حقاً وإن لم يكن وعده مخصوصاً بهم (قالوا نعم) أى وجدناه حقاً وقرئ بكسر العين وهى لغة فيه (فأذن مؤذن) قيل هو صاحب الصور (بينهم) أى بين الفريقين (أن لعنة الله على الظالمين) بأن المخففة أو المفسرة وقرئ بأن المشددة ونصب لعنة وقرئ ● إن بكسر الهمزة على إرادة القول أو لإجراء أذن مجرى قال (الذين يصدون عن سبيل الله) صفة ٤٥ ● مقررة للظالمين أوقف على الذم أو نصب عليه (ويبغونها عوجاً) أى يبغون لها عوجاً بأن يصفوها بالزيف والميل عن الحق وهو أبعد شئ منهما والعوج بالكسر فى المعانى والأعيان ما لم يكن منتصباً وبالفتح ما كان فى المنتصب كالرحم والحائط (وهم بالآخرة كافرون) غير معترفین (وبينهما حجاب) ٤٦ ● أى بين الفريقين كقوله تعالى فضرَبَ بينهم بسور أو بين الجنة والنار لينع وصول أثر إحداهما إلى الأخرى (وعلى الأعراف) أى على أعراف الحجاب وأعالیه وهو السور المضروب بينهما جمع ●

وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ ٧ الأعراف
وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجُلًا لَا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ
تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ ٧ الأعراف
أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا يَخْرَفُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ
تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ ٧ الأعراف

- عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فإنه بظهوره أعرف من غيره (رجال)
- طائفة من الموحدون قصرُوا في العمل فيجلسون بين الجنة والنار حتى يقضى الله تعالى فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالأنبياء والشهداء والاختيار والعلماء من المؤمنين أو ملائكة يرون في صور الرجال (يعرفون كلا) من أهل الجنة والنار (بسيماهم) بعلامتهم التي أعلمهم الله تعالى بها كيباض الوجه وسواده
- فعل من سام إليه إذا أرسلها في المرعى معللة أو من وسم بالقلب كالجاء من الوجه وإنما يعرفون ذلك بالإلهام أو بتعليم الملائكة (ونادوا) أي رجال الأعراف (أصحاب الجنة) حين رأوهم (أن سلام عليكم) بطريق الدعاء والتحية أو بطريق الإخبار بنجاتهم من المكارة (لم يدخلوها) حال من فاعل نادوا أو من مفعوله وقوله تعالى (وهم يطعمون) حال من فاعل يدخلوها أي نادوهم وهم لم يدخلوها حال كونهم طامعين في دخولها مترقبين له أي لم يدخلوها وهم في وقت عدم الدخول طامعون (وإذا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ) أي إلى جهنم وفي عدم التعرض لتعلق أنظارهم بأصحاب الجنة والتعبير عن تعلق أبصارهم بأصحاب النار بالصرف إشعار بأن التعلق الأول بطريق الرغبة والميل الثاني بخلافه (قالوا)
- متعوذين بالله تعالى من سوء حالهم (ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) أي في النار وفي وصفهم بالظلم دون مأم عليه حينئذ من العذاب وسوء الحال الذي هو الموجب للدعاء إشعار بأن المحذور عندهم ليس نفي العذاب فقط بل مع ما يوجب به ويؤدي إليه من الظلم (ونادى أصحاب الأعراف) كرر ذكرهم مع كفاية الإضمار لزيادة التقرير (رجالاً) من رؤساء الكفار حين رأوهم فيما بين أصحاب النار (يعرفونهم بسيماهم)
- الدالة على سوء حالهم يومئذ وعلى رياستهم في الدنيا (قالوا) بدل من نادى (ما أغنى عنكم) ما لا الاستفهامية للتوبيخ والتفريع أو نافية (جمعكم) أي أتباعكم وأشياعكم أو جمعكم للدال (وما كنتم تستكبرون) ما مصدرية أي ما أغنى عنكم جمعكم واستكباركم المستمر عن قبول الحق أو على الخلق وهو الانسب بما بعده وقرئ تستكبرون من الكثرة أي من الأموال والجنود (أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة) من تنمة قولهم للرجال والإشارة إلى ضعفاء المؤمنين الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون صريحاً أنهم لا يدخلون الجنة أو يفعلون ما ينبغي عن ذلك كما في قوله تعالى أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال (ادخلوا الجنة) تلوين للخطاب وتوجيه له إلى أولئك المذكورين أي ادخلوا الجنة على رغم

وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ

اللَّهُ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾

٧ الأعراف

الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنَسُّهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ

هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾

٧ الأعراف

وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

٧ الأعراف

- أنوفهم (لاخوف عليكم) بعد هذا (ولا أنتم تحزنون) أو قيل لأصحاب الأعراف ادخلوا الجنة بفضل الله تعالى بعد أن حبسوا وشاهدوا أحوال الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا والأظهر أن لا يكون المراد بأصحاب الأعراف المقصرين في العمل لأن هذه المقالات وما تنفرع هي عليه من المعرفة لا يطبق بمن لم يتعين حاله بعد وقيل لما عبروا أصحاب النار أقسموا أن أصحاب الأعراف لا يدخلون الجنة فقال الله تعالى أو الملائكة رداً عليهم أهؤلاء هم الذين ادخلوا ودخلوا على الاستئناف وتقديره دخلوا الجنة مقولاً في حقهم لاخوف عليكم (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة) بعد أن استقر بكل من الفريقين ٥٠ القرار واطمأنت به الدار (أن أفيضوا علينا من الماء) أي صبروه وفيه دلالة على أن الجنة فوق النار (أو بما رزقكم الله) من سائر الاثربة ليلائم الإضافة أو من الاطعمة على أن الإفاضة عبارة عن الإعطاء بكثرة (قالوا) استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل فإذا قالوا فقل قالوا (إن الله حرمهما على الكافرين) ٥١ أي منعهما منهم منعاً كلياً فلا سبيل إلى ذلك قطعاً (الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً) كتحريم البحيرة والسائبة ونحوهما والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم إلى ما لا يحسن أن يصرف إليه واللعب طلب الفرح بما لا يحسن أن يطلب (وغرتهم الحياة الدنيا) بزخارفها العاجلة (فالיום ننسأهم) نفعل بهم ما يفعل الناسى بالنسي من عدم الاعتداد بهم وتركهم في النار تركاً كلياً والفاء في فالיום فصيحة وقوله تعالى (كما نسوا لقاء يومهم هذا) في محل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف أي ننسأهم نسياناً مثل نسيانهم لقاء يومهم هذا حيث لم يخطر به بالهم ولم يعتدوا له وقوله تعالى (وما كانوا بآياتنا يمجحدون) عطف على مانسوا أي وكما كانوا منكبين بأنهم من عند الله تعالى إنكاراً مستمراً (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه) أي ٥٢ بينا معانيه من العقائد والأحكام والمواعظ والضمير للكفرة قاطبة والمراد بالكتاب الجنس أو للأعاصير منهم والكتاب هو القرآن (على علم) حال من فاعل فصلناه أي عالين بوجه تفصيله حتى جاء حكماً أو من مفعوله أي مشتملاً على علم كثير وقرىء فصلناه أي على سائر الكتب عالين بفضل (هدى ورحمة) حال من المفعول (لقوم يؤمنون) لأنهم المغتصمون لأنارهم المقتبسون من أنواره.

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾

٧ الأعراف

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾

٧ الأعراف

- ٥٣ (هل ينظرون إلا تأويله) أى ما ينتظر هؤلاء الكفرة بعدم إيمانهم به إلا ما يتول إليه أمره من تبين صدقه بظهور ما أخبر به من الوعد والوعيد (يوم يأتى تأويله) وهو يوم القيامة (يقول الذين نسوه من قبل) أى تركوه ترك المنسى من قبل (إنيان تأويله) (قد جاءت رسل ربنا بالحق) أى قد تبين أنهم قد جاءوا بالحق (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) اليوم ويدفعوا عنا العذاب (أو نرد) أى هل نرد إلى الدنيا وقرىء بالنصب عطفاً على فيشفعوا أو لأن أو بمعنى إلى أن فعلى الأول المستلزم أحد الأمرين إما الشفاعة لدفع العذاب أو الرد إلى الدنيا وعلى الثانى أن يكون لهم شفعاء إما لأحد الأمرين أو لأمر واحد هو الرد (فنعمل) بالنصب على أنه جواب الاستفهام الثانى وقرىء بالرفع أى فنحن نعمل (غير الذى كنا نعمل) أى فى الدنيا (قد خسروا أنفسهم) بصرف أعمارهم التى هى رأس مالهم إلى الكفر والمعاصى (وضل عنهم ما كانوا يفترون) أى ظهر بطلان ما كانوا يفترونه من أن الأصنام شركاء الله تعالى وشفعاؤهم يوم القيامة (إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام) شروع فى بيان مبدأ الفطرة إثر بيان مبادى الكفرة أى إن خالقكم ومالككم الذى خلق الأجرام العلوية والسفلية فى ستة أوقات كقوله تعالى ومن يومئذ دبره أو فى مقدار ستة أيام فإن المتعارف أن اليوم زمان طلوع الشمس إلى غروبها ولم تكن هى حينئذ وفى خلق الأشياء مدرجا مع القدرة على إبداءها دفعة دليل على الاختيار
- ٥٤ واعتبار للنظار وحث على التأنى فى الأمور (ثم استوى على العرش) أى استوى أمره واستولى وعن أصحابنا أن الاستواء على العرش صفة الله تعالى بلا كيف والمعنى أنه تعالى استوى على العرش على الوجه الذى عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الأجسام سمى به لارتفاعه أو للتشبيه بسرير الملك فإن الأمور والتدابير تنزل منه وقيل الملك (يغشى الليل النهار) أى يغطيه به ولم يذكر العكس للعلم به أو لأن اللفظ يحتملها ولذلك قرىء بنصب الليل ورفع النهار وقرىء بالتشديد للدلالة على التكرار (يطلبه حثيثاً) أى يعقبه سريعاً كالطالب له لا يفضل بينهما شىء والحديث فاعل من الحث وهو صفة مصدر محذوف أو حال من الفاعل أو من المفعول بمعنى حاثاً أو محثوئاً (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) أى خلقهن حال كونهن مسخرات بقضائه وأمره يقرىء كلها بالرفع على

٧ الأعراف

ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾

وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ

٧ الأعراف

الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾

- الابتداء والخبر (ألا له الخلق والأمر) فإنه الموجد للكل والمتصرف فيه على الإطلاق (تبارك الله رب العالمين) أى تعالى بالوحدانية فى الألوهية وأعظم بالتفرد فى الربوبية وتحقيق الآية الكريمة والله تعالى أعلم أن الكفرة كانوا متخذين أرباباً فبين لهم أن المستحق للربوبية واحد هو الله تعالى لأنه الذى له الخلق والأمر فإنه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدير حكيم فأبدع الأفلاك ثم زينها بالشمس والقمر والنجوم كما أشار إليه بقوله تعالى فقضاهن سبع سموات فى يومين وعمد إلى الأجرام السفلية فخلق جسماً قابلاً للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها لصور نوعية متباينة الآثار والأفعال وأشار إليه بقوله تعالى وخلق الأرض فى يومين أى مافى جهة السفلى فى يومين ثم أنشأ أنواع المواليد الثلاثة بتركيب موادها أولاً وتصويرها ثانياً كما قال بمد قوله تعالى خلق الأرض فى يومين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام أى مع اليومين الأولين لما فصل فى سورة السجدة ثم لما تم له عالم الملك عمداً إلى تديره كالمملك الجالس على سريرته فدبر الأمر من السماء إلى الأرض بتحريك الأفلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالى والأيام ثم صرح بما هو فذلك التقرير ونتيجته فقال تعالى ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ثم أمر بأن يدعوه مخلصين متذللين فقال (ادعوا ربكم) الذى قد عرفتم شئونه الجليلة ٥٥
- (تضرعاً وخفية) أى ذوى تضرع وخفية فإن الإخفاء دليل الإخلاص (إنه لا يحب المعتدين) أى لا يحب دعاء المجاوزين لما أمروا به فى كل شئ فيدخل فيه الاعتداء فى الدعاء دخولاً أولاً وقد نبه به على أن الداعى يجب أن لا يطلب مالا يلبق به كرتبة الأنبياء والصعود إلى السماء وقيل هو الصياح فى الدعاء والإسهاب فيه وعن النبي ﷺ سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل ثم قرأ إنه لا يجب المعتدين (ولا تفسدوا فى الأرض) بالكفر والمعاصى (بعد إصلاحها) يبعث الأنبياء عليهم السلام ٥٦
- وشرع الأحكام (وادعوه خوفاً وطمعاً) أى ذوى خوف نظراً إلى قصور أعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع نظراً إلى سعة رحمته ووفور فضله وإحسانه (إن رحمة الله قريب من المحسنين) فى كل شئ ومن الإحسان فى الدعاء أن يكون مقروناً بالخوف والطمع وتذكير قريب لأن الرحمة بمعنى الرحم أو لأنه صفة لمخدوف أى أمر قريب أو على تشبيهه بفعل الذى هو بمعنى مفعول أو الذى هو مصدر كالتقيض والصهيل أو للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره أو لا كتسابه التذكير من المضاف إليه كما أن المضاف يكتسب التأنيث من المضاف إليه .

وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ جَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَتْهُ لِبَلَدٍ
مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ ۖ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

٧ الأعراف

وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ ۖ وَيَاذَنْ رَيْبَهُ ۖ وَالَّذِي خَبَثَ لَا يُخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ
الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾

٧ الأعراف

- ٥٧ (وهو الذي يرسل الرياح) عطف على الجملة السابقة وقرىء الريح (بشراً) تخفيف بشر جمع بشير أى
مبشرات وقرىء بفتح الباء على أنه مصدر بشره بمعنى باشرات أو للبشارة وقرىء نشرأ بالنون المضمومة
جمع نشور أى ناشرات ونشرأ على أنه مصدر فى موقع الحال بمعنى ناشرات أو مفعول مطلق فإن الإرسال
والنشر متقاربان (بين يدي رحمة) قدام رحمة التى هى المطر فإن الصبا تثير السحاب والشمال تجمععه
والجنوب تدره والدبور تفرقه (حتى إذا أقلت) أى حملت واشتقاقه من القلة فإن المقل للشئ يستقله
(سحاباً ثقالاً) بالما جمع لأنه بمعنى السحاب (سقناه) أى السحاب وإفراد الضمير لإفراد اللفظ (بلد
ميت) أى لاجله ولمنفعته أو لإحيائه أو لسقيه وقرىء ميت (فأنزلنا به الماء) أى بالبلد أو بالسحاب أو
بالسوق أو بالريح والتذكير بتأويل المذكور وكذلك قوله تعالى (فأخرجنا به) ويحتمل أن يعود الضمير
إلى الماء وهو الظاهر وإذا كان للبلد فالباء للإلصاق فى الأول والظرفية فى الثانى وإذا كان لغيره فهى للسببية
(من كل الثمرات) أى من كل أنواعها (كذلك نخرج الموتى) الإشارة إلى إخراج الثمرات أو إلى إحياء
البلد الميت أى كما نحياه بإحداث القوة النامية فيه وتطريتها بأنواع النبات والثمرات نخرج الموتى من
الأحداث ونحياها برد النفوس إلى مواد أبدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس (لعلكم تذكرون)
٥٨ بطرح إحدى التامين أى تذكرون فتعلمون أن من قدر على ذلك قدر على هذا من غير شبهة (والبلد الطيب)
أى الأرض الكريمة التربة (يخرج نباته ياذن ربه) بمشيشته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه ووزارة
نفعه لأنه أوقعه فى مقابلة قوله تعالى (والذى خبت) من البلاد كالسبخة والحررة (لا يخرج إلا نكداً)
قليلاً عديم النفع ونصبه على الحال والتقدير والبلد الذى خبت لا يخرج نباته إلا نكداً لحذف المضاف
وأقيم المضاف إليه مقامه فصار مرفوعاً مستتراً وقرىء لا يخرج إلا نكداً أى لا يخرج منه البلد إلا نكداً
● فىكون إلا نكداً مفعوله وقرىء نكداً على المصدر أى ذا نكد ونكداً بالإسكان للتخفيف (كذلك)
● أى مثل ذلك النصريف البديع (نصرف الآيات) أى زردها ونكرها (لقوم يشكرون) نعمة الله تعالى
فيتفكرون فيها ويعتبرون بها وهذا كاترى مثل لإرسال الرسل عليهم السلام بالشرائع التى هى ماء حياة
القلوب إلى المكلفين المنقسمين إلى المقتبسين من أنوارها والمحرومين من مغايم آثارها وقد عقب ذلك
بما يحققه ويقرره من قصص الأمم الخالية بطريق الاستئناف فقيل .

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾

٧ الأعراف

قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾

٧ الأعراف

قَالَ يَتَقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾

٧ الأعراف

- (لقد أرسلنا نوحا إلى قومه) هو جواب قسم محذوف أى والله لقد أرسلنا الخ واطراد استعمال هذه اللام ٥٩ مع قد لكون مدخولها مظنة للتوقع الذى هو معنى قد فإن الجملة القسمية إنما تساق لنا كيد الجملة المقسم عليها ونوح هو ابن ملك بن متوشلح بن أخنوخ وهو لإدريس النبي عليهما السلام . قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بعث عليه الصلاة والسلام على رأس أربعين سنة من عمره ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره ألفاً ومائتين وأربعين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره ألفاً وأربعمائة وخمسين سنة (فقال يا قوم اعبدوا الله) أى اعبدوه وحده وترك التقييد به للإيذان بأنها العبادة حقيقة وأما العبادة بالإشراك فليست من العبادة فى شىء وقوله تعالى (ما لكم من إله غيره) أى من مستحق للعبادة استئناف مسوق لتعليل العبادة المذكورة أو الأمر بها وغيره بالرفع صفة لإله باعتبار محله الذى هو الرفع على الابتداء أو الفاعلية وقرئ بالجر باعتبار لفظه وقرئ بالنصب على الاستثناء وحكم غير حكم الاسم الواقع بعد إلا أى ما لكم من إله إلا إياه كقولك ما فى الدار من أحد إلا زيد أو غير زيد فمن إله إن جعل مبتدأ فلكم خبره أو خبره محذوف ولكم للتخصيص والتبيين أى ما لكم فى الوجود أو فى العالم إله غير الله (إنى أخاف عليكم) أى إن لم تعبدوه حسبما أمرت به (عذاب يوم عظيم) هو يوم القيامة أو يوم الطوفان والجملة تعليل للعبادة ببيان الصارف عن تركها إثر تعليلها ببيان الداعى إليها ووصف اليوم بالعظم لبيان عظم ما يقع فيه وتكميل الإنذار (قال الملأ من قومه) استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية قوله عليه السلام كأنه قيل فماذا قالوا له عليه السلام ٦٠ فى مقابلة نصحه فقيل قال الرؤساء من قومه والأشراف الذين يماثلون صدور المحافل بأجرامهم والقلوب بجلالهم وهيبتهم والأبصار بجمالهم وأبهتهم (إننا لنراك فى ضلال) أى ذهب عن طريق الحق والصواب والرؤية قلبية ومفعولها الضمير والظرف (مبين) بين كونه ضلالاً (قال) استئناف كما سبق (يا قوم) ٦١ ناداهم بإضافتهم إليه استمالة لقلوبهم نحو الحق (ليس بى ضلالة) أى شىء مامن الضلال قصد عليه الصلاة والسلام تحقيق الحق فى نفي الضلال عن نفسه رداً على الكفرة حيث بالغوا فى إثباته له عليه الصلاة والسلام حيث جعلوه مستقر أنى الضلال الواضح كونه ضلالاً وقوله تعالى (ولكنى رسول رب العالمين) استدراك بما قبله باعتبار ما يستلزمه من كونه فى أقصى مراتب الهداية فإن رسالة رب العالمين مستلزمة

أَبْلَغَكُمْ رَسُولَتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾

٧ الأعراف

أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾

٧ الأعراف

فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا

٧ الأعراف

عَمِينَ ﴿٦٤﴾

له لا محالة كأنه قيل ليس بشيء من الضلال ولكن في الغاية القاصية من الهداية ومن لا ابتداء الغاية مجازاً متعلقة بمحذوف هو صفة لرسول مؤكدة لما يفيد التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أى رسول وأى رسول كائن من رب العالمين (أبلغكم رسالات ربي) استئناف مسوق لتقرير رسالته وتفصيل أحكامها وأحوالها وقيل صفة أخرى لرسول على طريقة أنا الذى سمتنى أمى حيدر وقرىء أبلغكم من الإ بلاغ وجمع رسالات لاختلاف أوقاتها أو لتنوع معانيها أو لأن المراد بها ما أوحى إليه وإلى النبيين من قبله وتخصيص ربوبيته تعالى به عليه الصلاة والسلام بعد بيان عموم العالمين للإشعار بعلو الحكم الذى هو تبليغ رسالته تعالى إليهم فإن ربوبيته تعالى له عليه الصلاة والسلام من موجبات امتثاله بأمره تعالى

● بقبليغ رسالته تعالى إليهم (وأنصح لكم) عطف على أبلغكم مبين لكيفية أداء الرسالة وزيادة اللام مع تعدى النصح بنفسه للدلالة على إحاطة النصيحة لهم وأنها لمنفعتهم ومصلحتهم خاصة وصيغة المضارع للدلالة على تجدد نصيحته لهم كما يعرب عنه قوله تعالى رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً وقوله تعالى (وأعلم من الله ما لا تعلمون) عطف على ما قبله وتقرير لرسالته عليه الصلاة والسلام أى أعلم من جهة

الله تعالى بالوحي ما لا تعلمونه من الأمور الآتية أو أعلم من شئونه عز وجل وقدرته القاهرة وبطشه الشديد على أعدائه وأن بأسه لا يرد عن القوم المجرمين ما لا تعلمونه قيل كانوا لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا غافلين آمنين لا يعلمون ما عليه نوح عليه السلام بالوحي (أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم) جواب ورد لما اكتفى عن ذكره بقولهم إنا لنراك في ضلال مبين من قولهم ما نراك إلا بشراً مثلنا وقولهم لو شاء الله لآنزل ملائكة والهمزة للإنكار والواو للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام كأنه

● قيل أستمعتم وعجبتم من أن جاءكم ذكر أى وحي أو موعدة من مالك أموركم ومريكم (على رجل منكم) أى على لسان رجل من جنسكم كقوله تعالى ما وعدتنا على رسلك وقتلنا ذلك ما قلتم من

● أن الله تعالى لو شاء لآنزل ملائكة (لينذركم) علة البجى أى لينذركم عاقبة الكفر والمعاصي (ولتتقوا) عطف على العلة الأولى مترتبة عليها (ولعلكم ترحمون) عطف على العلة الثانية مترتبة عليها أى ولتعلق بكم الرحمة بسبب تقواكم وقائدة حرف الترجى التنبيه على عزة المطلب وأن التقوى غير موجب للرحمة بل هى منوطة بفضل الله تعالى وأن المتقى ينبغى أن لا يعتمد على تقواه ولا يأمن عذاب الله عز وجل

● (فكذبوه) فتموا على تكذيبه فى دعوى النبوة وما نزل عليه من الوحي الذى بلغه إليهم وأنذروهم بما فى

٦٢

٦٣

٦٤

وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ٧ الأعراف

- لضعافه واستمروا على ذلك هذه المدة المتطاولة بعد ما كرر عليه الصلاة والسلام عليهم الدعوة مراراً فلم يزدحم دعاؤه إلا فراراً حسبما نطق به قوله تعالى رب انى دعوت قومي ليلاً ونهاراً الآيات إذ هو الذى يعقبه الإنجاء والإغراق لا مجرد التكذيب (فأنجيئناه والذين معه) من المؤمنين قيل كانوا أربعين رجلاً ● وأربعين امرأة وقيل تسعة أبناء الثلاثة وستة من آمن به وقوله تعالى (فى الفلك) متعلق بالاستقرار ● فى الظرف أى استقروا معه فى الفلك أو صحبوه فيه أو بفعل الإنجاء أى أنجيئناهم فى السفينة ويجوز أن يتعلق بمضمر وقع حالا من الموصول أو من ضميره فى الظرف (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) أى استمروا على تكذيبها وليس المراد بهم الملأ المنتصدين للجواب فقط بل كل من أصر على التكذيب منهم ومن أعقابهم وتقديم ذكر الإنجاء على الإغراق للمسارة إلى الإخبار به والإيدان بسبق الرحمة التى هى مقتضى الذات وتقدمها على الغضب الذى يظهر أثره بمقتضى جرائمهم (لأنهم كانوا قوماً عمين) ● عمى القلوب غير مستبصرين قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هميت قلوبهم عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد وقرىء عامين والاول أدل على الثبات والقرار (وإلى عاد) متعلق بمضمر معطوف على قوله تعالى ٦٥ أرسلنا فى قصة نوح عليه السلام وهو الناصب لقوله تعالى (أخاهم) أى وأرسلنا إلى عاد أخاهم أى واحداً منهم فى النسب لا فى الدين كقولهم يا أخا العرب وقيل العامل فيه ما الفعل المذكور فيما سبق وأخاهم معطوف على نوحا والاول هو الاول وأياً ما كان فلعل تقديم المجرور ههنا على المفعول الصريح للتحذار عن الإضمار قبل الذكر يرشدك إلى ذلك ما سياتى من قوله تعالى ولو طأ الخ فإن قومه لما لم يعهدوا باسم معروف يقتضى الحال ذكره عليه السلام مضافاً إليهم كما فى قصة عاد وثمود ومدين خولاف فى النظم الكريم بين قصته عليه السلام وبين القصص الثلاث وقوله تعالى (هوداً) عطف بيان لأخاهم وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود ابن عاد بن عوص ابن أرم بن سام بن نوح عليه السلام وقيل هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن عم أبى عاد وإنما جعل منهم لأنهم أفهم لكلامه وأعرف بحاله فى صدقه وأمانته وأقرب إلى اتباعه (قال) ● استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية لإرساله عليه السلام إليهم كأنه قيل فماذا قال لهم فقيل قال (قال) ● يا قوم اعبدوا الله أى وحدوه كما يعرب عنه قوله (ما لكم من إله غيره) فإنه استئناف جار مجرى البيان البيان للعبادة المأمور بها والتعليل لها أو للأمر بها كأنه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئاً إذ ليس لكم إله سواه وغيره بالرفع صفة لإله باعتبار محلّه وقرىء بالجر حملاً له على لفظه (أفلا تتقون) ● إنكار واستبعاد لعدم اتقائهم عذاب الله تعالى بعد ما علموا ما حل بقوم نوح والفناء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى ألا تتفكرون أو أتغفلون فلا تتقون فالتوبيخ على المعطوفين معاً أو أتعللون ذلك فلا تتقون فالتوبيخ على المعطوف فقط وفى سورة هود أفلا تعقلون ولعله عليه السلام خاطبهم بكل منهما وقد اكتفى بحكاية كل منهما فى موطن عن حكايته فى موطن آخر كما لم يذكر ههنا ما ذكر هناك من قوله تعالى إن أتم إلا مفترون وقس على ذلك حال بقية ما ذكر وما لم يذكر من أجزاء القصة بل

قَالَ أَلَمْ لَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّكَ أَنْتَ الرَّسُولُ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ٧ الأعراف

قَالَ يَقُومُ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ ٧ الأعراف

أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ٧ الأعراف

أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ

بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَأَذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ٧ الأعراف

- ٦٦ حال نظائره في سائر القصص لاسيما في المحاورات الجارية في الاوقات المتعددة والله أعلم (قال الملأ الذين كفروا من قومه) استئناف كما مر وإنما وصف الملأ بالكفر إذ لم يكن كلمهم على الكفر كملأ قوم نوح بل كان منهم من آمن به عليه السلام ولكن كان يكتنم لإيمانه كمرئيين سعد وقيل وصفوا به ليجرد الذم (إنا لراك في سفاهة) أى متمكناً في خفة عقل راسخاً فيها حيث فارقت دين آبائك ألا إنهم هم السفاة ولكن لا يعلمون (وإنا لنظنك من الكاذبين) أى فيما ادعيت من الرسالة قالوه لعراقهم في التقليد وحرمانهم من النظر الصحيح (قال) مستعطفاً لهم ومستميلاً لقلوبهم مع ماسمع منهم ماسمع من الكلمة الشنعاء
- ٦٧ الموجبة لتغليظ القول والمشافهة بالسوء (يا قوم ليس بي سفاهة) أى شيء منها ولا شائبة من شوائبها (ولكني رسول من رب العالمين) استدراك لما قبله باعتبار ما يستلزمه ويقتضيه من كونه في الغاية القصوى من الرشد والائتانة والصدق والأمانة فإن الرسالة من جهة رب العالمين موجبة لذلك حتماً كما أنه قيل ليس بي شيء مما نسبتموني إليه ولكني في غاية ما يكون من الرشد والصدق ولم يصرح بنفي الكذب اكتفاء بما في حيز الاستدراك ومن لا ابتداء الغاية مجازاً متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسول مؤكدة لما أفاده التنوين
- ٦٨ من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية وقوله تعالى (أبلغكم رسالات ربي) استئناف سيق لتقرير رسالته وتفصيل أحواله وقبل صفة أخرى لرسول والكلام في إضافة الرب إلى نفسه عليه السلام بعد إضافته إلى العالمين وكذا في جمع الرسالات كالذي مر في قصة نوح عليه السلام وقرىء أبلغكم من الإيلاج (وأنا لكم ناصح أمين) معروف بالنصح والأمانة مشهور بين الناس بذلك وإنما جرى بالجملة الاسمية دلالة على الثبات والاستمرار وإيذاناً بأن من هذا حاله لا يحوم حوله شائبة السفاهة والكذب (أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم) الكلام فيه كالذي مر في قصة نوح عليه السلام (على رجل منكم) أى من جنسكم (لينذركم) ويحذركم عاقبة ما أنتم عليه من الكفر والمعاصي حتى نسبتموني إلى السفاهة والكذب وفي إجابة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من يشافهم بما لا خير فيه من أمثال تلك الأباطيل بما حكى عنهم من المقالات الحققة المعربة عن نهاية الحلم والرزانة وكالشفقة والرأفة من الدلالة على حيازتهم القدر الممل من مكارم الأخلاق ما لا يخفى مكانه (واذكروا إذ جعلكم خلفاء) شروع في بيان ترتيب أحكام النصيح

قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبِدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ

الصّٰدِقِيْنَ ٧

قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ

٧ الأعراف

مَا نَزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَاَنْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ٧١

- والأمانة والإنذار وتفصيلها وإذ منصوب باذكروا على المفعولية دون الظرفية وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع أنها المقصودة بالذات للبالغة في إيجاب ذكرها لما أن إيجاب ذكر الوقت إيجاب لذكر ما فيه بالطريق البرهاني ولأن الوقت مشتمل عليها فإذا استحضرت كانت هي حاضرة بتفاصيلها كأنها مشاهدة عياناً ولعله معطوف على مقدر كأنه قيل لا تعجبوا من ذلك أو تدبروا في أسركم واذكروا وقت جمعه تعالى إياكم خلفاء (من بعد قوم نوح) أي في مساكنهم أو في الأرض بأن
- جعلكم ملوكاً فإن شدد ابن عاد من ملك معمورة الأرض من رمل عاج إلى شجر همان (وزادكم في الخلق)
 - أي في الإبداع والتصوير أو في الناس (بسطة) قامة وقوة فإنه لم يكن في زمانهم مثلم في عظم الأجرام
 - قال الكسبي والسدي كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع وقامة القصير ستين ذراعاً (فاذكروا آلاء الله)
 - التي أنعم بها عليكم من فنون النعماء التي هذه من جملتها وهذا تكرير للتذكير لزيادة التقرير وتعميم أثر تخصيص (لعلكم تفلحون) كي يؤديكم ذلك إلى الشكر المؤدى إلى النجاة من الكروب والفوز بالمطلوب
 - (قالوا) مجيبين عن تلك النصائح العظيمة (أجئتنا لنعبد الله وحده) أي لنخصه بالعبادة (ونذر ما كان
 - ٧٠ يعبد آباؤنا) أنذكروا عليه عليه السلام مجيئه لتخصيصه تعالى بالعبادة والإعراض عن عبادة الآؤنان
 - انهما كافي التقليد وحباً لما ألفوه وألفوا أسلافهم عليه ومعنى المجيء إما مجيئه عليه السلام من متعبده ومنزله وإمامان السماء على التمكروا إما القصد والتصدي مجازاً كما يقال في مقابله ذهب يشتمنى من غير إرادة
 - معنى الذهاب (فأتنا بما تعدنا) من العذاب المدلول عليه بقوله تعالى أفلا تتقون (إن كنت من الصادقين)
 - أي في الإخبار بنزول العذاب وجواب إن محذوف لدلالة المذكور عليه أي فأت به (قال قد وقع
 - ٧١ عليكم) أي وجب وحق أو نزل بإصراركم هذا بناء على تنزيل المتوقع منزلة الواقع كما في قوله تعالى أتى أمر الله (من ربكم) أي من جهته تعالى وتقديم الظرف الأول على الثاني مع أن مبدأ الشيء متقدم على
 - منتهاه للسمارعة إلى بيان إصابة المكروه لهم وكذا تقديمهما على الفاعل الذي هو قوله تعالى (رجس)
 - مع ما فيه من التشويق إلى المؤخرو لأن فيه نوع طول بما عطف عليه من قوله تعالى (وغيض) فربما يخل
 - تقديمهما بتجاوب النظم الكريه والرجس العذاب من الارتجاس الذي هو الاضطراب والغضب إرادة
 - الانتقام وتنوينهما للتفخيم والنهويل (أتجادلونني في أسماء) عارية عن المسمى (سميتموها) أي سميتم بها
 - (أنتم وآباؤكم) إنكار واستقباح لإنكارهم مجيئه عليه السلام داعياً لهم إلى عبادة الله تعالى وحده وترك

فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَّعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ الأعراف

عبادة الأصنام أى أتعبدوننى فى أشياء سميتوها آلهة ليست هى إلا محض الأسماء من غير أن يكون فيها من مصداق الإلهية شيء مالا أن المستحق للمعبودية بالذات ليس إلا من أوجد الكل وأنها لو استحققت لكان ذلك يجعله تعالى إما يازال آية أو نصب حجة وكلاهما مستحيل وذلك قوله تعالى (ما نزل الله بها من سلطان) وإذ ليس ذلك فى حيز الإمكان تحقق بطلان مام عليه (فانتظروا) مترتب على قوله تعالى قد وقع عليكم أى فانتظروا ما تطلبونه بقولكم فانتظروا بما تعدنا الخ (إنى معكم من المنتظرين) لما يحل بكم والفاء فى قوله تعالى (فأنجيناه) فصيحة كما فى قوله تعالى فأنفجرت أى فوقع ما وقع فأنجيناه (والذين معه) أى فى الدين (برحمة) أى عظيمة لا يقادر قدرها وقوله تعالى (منا) أى من جهتنا متعلق بمحذوف هو نعمت لرحمة مؤكد لفخامتها الذاتية المنفصلة من تنكيرها بالفخامة الإضافية (وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) أى استأصلناهم بالكلية ودرناهم عن آخرهم (وما كانوا مؤمنين) عطف على كذبوا داخل معه فى حكم الصلة أى أصرروا على الكفر والتكذيب ولم يرعوا عن ذلك أبداً وتقديم حكاية الإنجاء على حكاية الإهلاك قد مر سره وفيه تنبيه على أن مناط النجاة هو الإيمان بالله تعالى وتصديق آياته كما أن مدار البوار هو الكفر والتكذيب وقصتهم أن عاداً قوم كانوا باليمن بالأحقاف وكانوا قد تبسطوا فى البلاد ما بين عمان إلى حضرموت وكانت لهم أصنام يعبدونها صمداً وصموداً لعلها فيبعث الله تعالى إليهم هوذا نبياً وكان من أوسطهم وأفضلهم حسباً فكذبوه وازدادوا عتواً وتجبراً فأمسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس إذا نزل بهم بلاء طلبوا إلى الله الفرج منه عند بيته الحرام مسلمهم ومشرِكهم وأهل مكة إذ ذاك العماليق أولاد عمليق ابن لاوذن بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد إلى مكة من أمثالهم سبعين رجلاً منهم قيل ابن عنز ومرثد بن سعد الذى كان يكره إسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجاً عن الحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهر آشربون الخمر وتغنيم قيننا معاوية فلما رأى طول مقامهم وذهولهم بالله وعلما قدموا له أهمه ذلك وقال قد هلك أخوالى وأصهارى وهؤلاء على مام عليه وكان يستحي أن يكلمهم خشية أن يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالنا قل شعراً نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية [ألا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا غماماً] [فيسقى أرض عاد إن عاداً * قد أمسوا لا يبنون الكلاماً] فلما غنتا به قالوا إن قومكم يتغوثن من البلاء الذى نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا القومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن إن أطعتم نبيكم وتبتم إلى الله تعالى سقيتم وأظهر إسلامه فقالوا للمعاوية احبس عنا مرثداً لا يقدم معنا فإنه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عاداً ما كنت تسقيهم فأنشأ الله تعالى سحابات ثلاثاً بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فإنها أكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد يقال له المغيب فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منهاريج عقيم فأهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة فعبدوا الله تعالى

وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُومَ عَبْدُوا اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيْنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ الْيَمِّ ﴿٧٣﴾

٧ الأعراف

- فيها إلى أن ماتوا (وإلى ثمود أخاهم صالحاً) عطف على ما سبق من قوله تعالى وإلى عاد أخاهم هوداً موافق ٧٣ له في تقديم المجرور على المنصوب وثمرود قبيلة من العرب سموها باسم أبيهم الأكبر ثمود بن عابر بن لارم ابن سام بن نوح عليه السلام وقيل إنما سموها بذلك لقلة ماتهم من النمد وهو الماء القليل وقرى بالصرف بتأويل الحى وكانت مساكنهم الحجرين الحجاز والشام إلى وادى القرى وأخوة صالح عليه السلام لهم من حيث النسب كهود عليه السلام فإنه صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود ولما كان الإخبار بإرساله عليه السلام إليهم مظنة لأن يسأل ويقال فإذا قال لهم قيل جواباً عنه بطريق الاستئناف (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) وقد مر الكلام في نظائره (قد جاءكم بينة) أى آية • وممثلة ظاهرة شاهدة بنبوتى وهى من الألفاظ الجارية مجرى الأبطال والأبرق فى الاستغناء عن ذكر موصوفاتها حالة الأفراد والجمع كالصالح أفراداً وجمعاً وكذلك الحسنة والسيئة سواء كانتا صفتين للأعمال أو المثوبة أو الحالة من الرخاء والشدة ولذلك أوليت العوامل وقوله تعالى (من ربكم) متعلق بجماعتكم • أو بمحذوف هو صفة ليننة كما مر مراراً والمراد بها الناقة وليس هذا الكلام منه عليه السلام أول ما خاطبهم إثر دعوتهم إلى التوحيد بل إنما قاله بعد ما نصحهم وذكرهم بنعم الله تعالى فلم يقبلوا كلامه وكذبوه إلا يرى إلى ما فى سورة هود من قوله تعالى هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها إلى آخر الآيات . روى أنه لما أهلكت عاد عمرت ثمود بلادها وخلفوهم فى الأرض وكثروا وعمرروا أعمار أطول الحق إن الرجل كان يبنى المسكن المحكم فيندم فى حياته فمحتوا البيوت من الجبال وكانوا فى سعة ورخاء من العيش فمحتوا على الله تعالى وأفسدوا فى الأرض وعبدوا الأوثان فبعث الله تعالى إليهم صالحاً وكانوا قوماً عرباً وصالح من أوساطهم نسباً فدعاهم إلى الله عز وجل فلم يتبعه إلا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وأنذروهم فسألوه آية فقال آية تريدون قالوا تخرج معنا إلى عيدنا فى يوم معلوم لهم من السنة فتدعوا إلهك وتدعوا آلهتنا فإن استجب لك اتبعناك وإن استجب لنا اتبعنا فقال صالح عليه السلام نعم فخرج معهم ودعوا أو ثابروا وسألوا الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو وأشار إلى صخرة منفردة فى ناحية الجبل يقال لها الكاثبة أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التى شاكلت البخت فإن فعلت صدقناك وأجبتناك فأخذ صالح عليه السلام عليهم الموائيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعاه فتمخضت الصخرة تمخض التلج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبها إلا الله تعالى وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولداً مثلها فى العظم فأمن به جندع ورهط من قومه ومنع أعقابهم ناس من رموسهم أن يؤمنوا فسكرت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء
- ٣١٥ - أبو السعود ج ٣

وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا
وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ ٧ الأعراف

- وكانت ترد غياً فإذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فارتفعها حتى تشرب كل ما فيها ثم تنفجح فيحتلبون ما شاءوا حتى تمتلئ أو انهم فيشربون ويدخرون وكانت إذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فهرب منها أنعامهم فهبط إلى بطنه وإذا وقع البرد تشتت بطن الوادي فهرب مواشيهم إلى ظهره فشق ذلك عليهم وزيبت عقرها لهم امرأتان عزيزة أم غنم وصدقة بنت المختار لما أضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقيها حتى رقي جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثاً وكان صالح عليه السلام قال لهم أدركوا الفصل عسى أن يرفع عنكم العذاب فلم يقدرُوا عليه فانفجحت الصخرة بعد رغاؤه فدخلها فقال لهم صالح تصيحبون غداً ووجوهكم مصفرة وبعد غد ووجوهكم حمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه فأنجاه الله تعالى إلى أرض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفئوا بالأنفاس فأتتهم صبيحة من السماء ورجفة من الأرض فتنقطعت قلوبهم فهلكوا وقوله تعالى (هذه ناقة الله لكم آية) استئناف مسوق لبيان البينة وإضافة الناقة إلى الاسم الجليل لتعظيمها ولجيشها من جهته تعالى بلا أسباب معدودة وسائط معتادة ولذلك كانت آية وأي آية ولكم بيان لمن هي آية له وانتصاب آية على الحالية والعامل فيها معنى الإشارة ويجوز أن يكون ناقة الله بدلاً من هذه أو عطف بيان له أو مبتدأ ثانياً ولكم خبراً عاملاً في آية (فندروها) تفريع على كونها آية من آيات الله تعالى فإن ذلك مما يوجب عدم التعرض لها (تأكل في أرض الله) جواب الأمر أي الناقة ناقة الله والأرض أرض الله تعالى فتركوها تأكل ما تأكل في أرض ربها فليس لكم أن تحولوا بينها وبينها وقرىء تأكل بالرفع على أنه في موضع الحال أي آكلة فيها وعدم التعرض للشرب إما للاكتفاء عنه بذكر الأكل أو لتعظيمه له أيضاً كما في قوله [علقمتها تبتاً وماء بارداً] وقد ذكر ذلك في قوله تعالى لها شرب ولكم شرب يوم معلوم (ولا تمسوها بسوء) نهى عن المس الذي هو مقدمة الإصابة بالشر الشامل لأنواع الأذية ونكر السوء مبالغة في النهي أي لا تعرضوا لها بشيء مما يسوءها أصلاً ولا تطاردوها ولا تريبوها إكراماً لآية الله تعالى (فياخذكم عذاب أليم) جواب النهي ويروى أن رسول الله ﷺ حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لا صحابه لا يدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذنين إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل الذي أصابهم وقال ﷺ لعلي رضي الله عنه يا علي أتدري من أشق الأولين قال الله ورسوله أعلم قال غافر ناقة صالح أتدري من أشق الآخرين قال الله ورسوله أعلم قال قاتلك (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد) أي خلفاء في الأرض أو خلفاء لهم كأمير (وبوأكم في الأرض) أي جعل لكم مباءة ومزلاً في أرض الحجر بين الحجاز والشام (تتخذون من سهولها قصوراً) استئناف مبين لكيفية النبوة أي تبنون في سهولها قصوراً رفيعة أو تبنون من سهولة الأرض بما تعلمون منها من الرهص واللبن والآجر (وتنحتون الجبال)

قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا

٧ الأعراف

مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾

٧ الأعراف

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾

فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ أَعْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ ٧ الأعراف

- أى الصخور وقرىء تنحتون بفتح الحاء وتنحاتون بإشباع الفتحة كما فى قوله [ينباع من ذفرى أسيل حرة] والنحت نحر الشيء الصلب فانتصاب الجبال على المفعولية وانتصاب قوله تعالى (يوتأ) على أنها حال مقدرة منها كما تقول خطت هذا الثوب قميصاً وقيل انتصاب الجبال على إسقاط الجار أى من الجبال وانتصاب يوتأ على المفعولية وقد جوز أن يضمن النحت معنى الاتخاذ فانتصابهما على المفعولية قيل كانوا يسكنون السهول فى الصيف والجبال فى الشتاء (فاذكروا آلاء الله) التى أنعم بها عليكم بما ذكر أو جميع آلائه التى هذه من جملتها (ولا تعثوا فى الأرض مفسدين) فإن حق آلائه تعالى أن تشكر ولا تهمل ولا يغفل عنها فكيف بالكفر والعنى فى الأرض بالفساد (قال الملأ الذين استكبروا من ٧٥ قومه) أى عتوا وتكبروا استئناف كما سلف وقرىء بالواو عطفاً على ما قبله من قوله تعالى قال يا قوم الخ واللام فى قوله تعالى (للذين استضعفوا) للتبليغ وقوله تعالى (لمن آمن منهم) بدل من الموصول بإعادة العامل بدل الكل إن كان ضمير منهم لقومه وبدل البعض إن كان للذين استضعفوا على أن من المستضعفين من لم يؤمن والاول هو الوجه إذ لا داعى إلى توجيه الخطاب أولاً إلى جميع المستضعفين مع أن المجاورة مع المؤمنين منهم على أن الاستضعاف مختص بالمؤمنين أى قالوا المؤمنين الذين استضعفهم واسترذلوهم (أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه) وإنما قالوه بطريق الاستهزاء بهم (قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون) عدلوا عن الجواب الموافق لسؤالهم بأن يقولوا نعم أو نعلم أنه مرسل منه تعالى مسارعة إلى تحقيق الحق وإظهار ما لهم من الإيمان الثابت المستمر الذى ينبى عنه الجملة الاسمية وتنبهاً على أن أمر إرساله من الظهور بحيث لا ينبغى أن يسأل عنه وإنما التحقيق بالسؤال عنه هو الإيمان به (قال الذين ٧٦ استكبروا) أعيد الموصول مع صلته مع كفاية الضمير إذ نادى بأنهم قد قالوا ما قالوه بطريق العتو والاستكبار (إنا بالذى آمنتم به كافرون) وإنما لم يقولوا إنا بما أرسل به كافرون إظهاراً لمخالفتهم إياهم ورداً لمقاتلتهم (فَعَقَرُوا النَّاقَةَ) أى نحروها أسند العقر إلى الكل مع أن المباشر بعضهم للبلابة أولاً لأن ذلك لما كان برضاهم فكانه فعله كلمهم وفيه من تهويل الأمر وتفظيعه بحيث أصابت غائلته الكل ما لا يخفى (وعتوا عن أمر ربهم) أى استكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح عليه السلام من الأمر والنهى (وقالوا) مخاطبين له عليه السلام بطريق التعجيز والإلحاح على زعمهم (يا صالح اتقنا بما تعدنا) أى من العذاب والإطلاق للعلم به قطعاً (إن كنت من المرسلين) فإن كونك من جملتهم يستدعى صدق ما تقول من

٧ الأعراف

فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٧٨﴾

فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُومُ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ٧ الأعراف

وَلَوْ طَآ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ ٧ الأعراف

- ٧٨ الوعد والوعيد (فأخذتهم الرجفة) أى الزلزلة لكن لا أثر ما قالوا ما قالوا بل بعد ما جرى عليهم ما جرى من مبادئ العذاب فى الأيام الثلاثة حسبما مر تفصيله (فأصبحوا فى دارهم) أى صاروا فى أرضهم وبلدهم
- أو فى مساكنهم (جاثمين) خامدين موتى لا حراك بهم وأصل الجثوم البروك يقال الناس جثوم أى قعود لا حراك بهم ولا ينبسون ندسة قال أبو عبيدة الجثوم للناس والطير البروك للإبل والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب ولا حركة كما يكون عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من شدة الأخذ وسرعة البطش اللهم إنا بك نعوذ من نزول سخطك وحلول غضبك وجاثمين خبر لأصبحوا والظرف متعلق به ولا مساغ لكونه خبراً وجاثمين حالاً لإفضائه إلى كون الإخبار بكونهم فى دارهم مقصوداً بالذات وكونهم جاثمين قيداً تابعاً له غير مقصود بالذات قيل حيث ذكرت الرجفة وحدثت الدار وحيث ذكرت الصيحة جمعت لأن الصيحة كانت من السماء فبلوغها أكثر وأبلغ من الزلزلة فقرن كل منهما بما هو أليق به (فتولى عنهم) إثر ما شاهد ما جرى عليهم تولى مغتم متحسر على ما فاتهم من الإيمان متحزن عليهم (وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم) بالترغيب والترهيب وبذلت فيكم وسعى ولكن لم تقبلوا منى ذلك وصيغة المضارع فى قوله تعالى (ولكن لا تحبون الناصحين) حكاية حال ماضية أى شأنكم الاستمرار على بغض الناصحين وعداوتهم خاطبهم ﷺ بذلك خطاب رسول الله ﷺ أهل قليب بدر حيث قال إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً وقيل إنما تولى عنهم قبل نزول العذاب بهم عندهم شاهدته ﷺ لعلاماته تولى ذاهب عنهم منكراً لإصرارهم على ما هم عليه وروى أن عقرهم الناقة كان يوم الأربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروى أنه خرج فى مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكى فالتفت فرأى الدخان ساطعاً فعلم أنهم قد هلكوا وكانوا ألفاً وثمانمائة دار وروى أنه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم (ولو طآ) منصوب بفعل مضمر معطوف على ما سبق وعدم التعرض للرسالة إليم مقدماً على المنصوب حسبما وقع فيما سبق وما لحق قد مر بيانه فى قصة هود عليه السلام وهو لوط بن هاران بن تارخ بن أخى إبراهيم كان من أرض بابل من العراق مع عمه إبراهيم فهاجر إلى الشام فنزل فلسطين وأنزل لوطاً الأردن وهى كورة بالشام فأرسله الله تعالى إلى أهل سدوم وهى بلد بمصر وقوله تعالى (إذ قال لقومه) ظرف للضمير المذكور أى أرسلنا لوطاً إلى قومه وقت قوله لهم الخ ولعل تقييد إرساله عليه السلام بذلك لما أن إرساله إليم لم يكن فى أول وصوله إليم وقيل هو بدل من لوطاً بدل اشتغال على أن انتصابه بأذى أى اذكر وقت قوله عليه السلام لقومه (أتأتون الفاحشة) بطريق الإنكار التوبيخى التقرىعى أى أتفعلون تلك الفعل المتناهية فى القبح المتبادية فى

إِنَّكُمْ لَنَآتُونَ الرَّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

٧ الأعراف

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ۚ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾

٧ الأعراف

- الشريعة والسبوء (ما سبقكم بها) ما عملها قبلكم على أن الباء للتعديّة كما في قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة
- من قولك سبقته بالكرة أى ضربتها قبله ومن في قوله تعالى (من أحد) مزيدة لنا كيد النفي وإفادة معنى
- الاستغراق وفي قوله تعالى (من العالمين) للتبعض والجملة مستأنفة مسوقة لنا كيد النكير وتشديد التوبيخ
- والتفريع فإن مباشرة القبيح قبيح واختراعه أقبح ولقد أنكر الله تعالى عليهم أولاً إتيان الفاحشة ثم وبخهم بأنهم أول من عملها فإن سبك النظم الكريم وإن كان على نفي كونهم مسبوقين من غير تعرض لكونهم سابقين لكن المراد أنهم سابقون لكل من عداهم من العالمين كما مر تحقيقه مراراً في نحو قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو مسوقة جواباً عن سؤال مقدر كأنه قيل من جهتهم لم لا نأتيناها فقيل بيانا للعلة وإظهاراً للزاجر ما سبقكم بها أحد لغاية قبحها وسوء سبيلها فكيف تفعلونها قال عمرو بن دينار ما نزا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط قال محمد بن إسحق كانت لهم ثمار وقرى لم يكن في الدنيا مثلها فقدمهم الناس فأدوهم فعرض لهم إبليس في صورة شيخ إن فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم منهم فأبوا فلما ألح الناس عليهم قصدوهم فأصابوا غلماناً صابحاً فاحشوا فاستحكهم فيهم ذلك قال الحسن كانوا لا يفعلون ذلك إلا بالغرباء وقال الكلبي أول من فعل به ذلك الفعل إبليس الخبيث حيث تمثل لهم في صورة شاب جميل فدعاهم إلى نفسه فم عبثوا بذلك العمل (إنكم لَنَآتُونَ الرَّجَالَ) خبر مستأنف لبيان تلك الفاحشة وقرى بهمزتين صريحتين ٨١ وبتلپين الثانية بغير مد وبمد أيضاً على أنه تأكيد للإنكار السابق وتشديد للتوبيخ وفي زيادة إن واللام مزيد توبيخ وتقرّيع كأن ذلك أمر لا يتحقق صدوره عن أحد فيؤكد تأكيداً أقوى وفي إيراد لفظ الرجال دون الغلمان والمردان ونحوهما مبالغة في التوبيخ وقوله تعالى (شهوة) مفعول له أو مصدر في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبية على أن العاقل ينبغي له أن يكون الداعي له إلى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الشهوة ويجوز أن يكون المراد الإنكار عليهم وتقرّيعهم على اشتهاهم تلك الفعلة الخبيثة المكروهة كما ينبغي عنه قوله تعالى (من دون النساء) أى متجاوزين النساء
- اللاتي هن محل الاشتها كما ينبغي عنه قوله تعالى هن أطهر لكم (بل أنتم قوم مسرفون) لإضراب عن الإنكار المذكور إلى الإخبار بمآلهم التي أفضتهم إلى ارتكاب أمثالها وهي اعتياد الإسراف في كل شيء
- أو عن الإنكار عليها إلى الذم على جميع معاصيهم أو عن محذوف أى لا عذر لكم فيه بل أنتم قوم عادتكُم الإسراف (وما كان جواب قومه) أى المستكبرين منهم المتولين للأمر والنهي المتصدين للعقد والحل ٨٢ وقوله تعالى (إلا أن قالوا) استثناء مفرغ من أعم الأشياء أى ما كان جواباً من جهة قومه شيء من الأشياء
- إلا أن لهم أى لبعضهم الآخرين المباشرين للأمور معرضين عن مخاطبته عليه السلام (أخرجوهم) أى لوطاً ومن معه من أهله المؤمنين (من قريبتكم) أى إلا هذا القول الذي يستحيل أن يكون جواباً للكلام

٧ الأعراف

فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾

٧ الأعراف

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾

وَالْإِنِّ مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُومُ عَبْدُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ فَافُوفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾

٧ الأعراف

- لوط عليه السلام وقرى برفع جواب على أنه اسم كان وإلا أن قالوا الخ خبرها وهو أظهر وإن كان الأول أقوى في الصناعة لأن الأعراف أحق بالاسمية وأياما كان فليس المراد أنه لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن مقالات لوط عليه السلام ومواعظه لإلا هذه المقالة الباطلة كما هو المتسارع إلى الأفهام بل أنه لم يصدر عنهم في المرة الأخيرة من مرات المحاورات الجارية بينهم وبينه عليه السلام إلا هذه الكلمة الشنيعة وإلا فقد صدر عنهم قبل ذلك كثير من الزهات حسبا حكى عنهم في سائر السور الكريمة وهذا هو الوجه في نظائره الواردة بطريق القصر وقوله تعالى (إنهم أناس يتطهرون) تعليل للأمر بالإخراج ووصفهم بالتطهير للاستهزاء والسخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش والخبائث والافتخار بما هم فيه من القذارة
- ٨٣ كما هو ديدن الشطار والدعار (فأنجيناه وأهله) أي المؤمنين منهم (إلا امرأته) استثناء من أهله فإنها كانت تسر بالكفر (كانت من الغابرين) أي الباقين في ديارهم المالكين فيها والتذكير للتغليب وبيان استحقاقها لما يستحقه المباشرون للفاحشة والجملة استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ عن استثنائها من حكم الإنجاء كأنه قيل فإذا كان حالها فقيل كانت من الغابرين (وأمطرنا عليهم مطراً) أي نوطاً من المطر عجباً وقد بينه قوله تعالى وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل قال أبو عبيدة مطر في الرحمة وأمطر في العذاب وقال الراغب مطر في الخير وأمطر في العذاب والصحيح أن أمطرنا بمعنى أرسلنا عليهم إرسال المطر قيل كانت المؤمنين خمس مدائن وقيل كانوا أربعة آلاف بين الشام والمدينة فأمر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل أمطر عليهم ثم خسف بهم وروى أن تاجرهم كان في الحرم فوقف الحجر له أربعين يوماً حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقف عليه وروى أن امرأته التفتت نحو ديارها فأصابها حجر فانت (فأنظر كيف كان عاقبة المجرمين) خطاب لكل من يتأني منه التأمل والنظر تعجبياً من حالهم وتحذيراً من أعمالهم (وإلى مدین أخاهم شعيباً) عطف على قوله وإلى عاد أخاهم هوداً وما عطف عليه وقد روى هنا ما في المعطوف عليه من تقديم المجرور على المنصوب أي وأرسلنا إليهم وهم أولاد مدین بن إبراهيم عليه السلام شعيب بن ميكايل بن يشجر بن مدین وقيل شعيب بن ثوبان بن مدین وقيل شعيب بن يثرون بن مدین وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا أهل بخش للكايل والموازين مع كفرهم (قال) استئناف مبني

وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا
إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثُرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾

٧ الأعراف

- على سؤال نشأ عن حكاية إرساله إليهم كأنه قيل لماذا قال لهم فليل قال (يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره) مر تفسيره مراراً (قد جاء تكلم بيته) أى معجزة وقوله تعالى (من ربكم) متعلق بجاء تكلم أو بمحذوف
- هو صلة لفاعله مؤكدة لفخامته الذاتية المستفادة من تنكيره بفخامته الإضافية أى بيته عظيمة ظاهرة كائنه من ربكم ومالك أموركم ولم يذكر معجزته عليه السلام فى القرآن العظيم كما لم يذكر أكثر معجزات النبي ﷺ فيها ما روى من محاربة عصا موسى عليه السلام الثنتين حين دفع إليه غنمه ومنها ولادة الغنم الدرع خاصة حين وعد أن يكون له الدرع من أولادها ومنها وقوع عصا آدم عليه السلام على يده فى المرات السبع لأن كل ذلك كان قبل أن يستنبأ موسى عليه السلام وقيل البيته مجيئه عليه السلام كما فى قوله تعالى يا قوم أرأيتم إن كنت على بيته من ربى أى حجة واضحة وبرهان نير عبر بهما عما آتاه الله من النبوة والحكمة (فأوفوا الكيل) أى المكيال كما وقع فى سورة هود يؤيده قوله تعالى (والميزان) فإن المتبادر منه الآلة وإن جاز كونه مصدر كالميعاد وقيل آلة الكيل والوزن على الإضمار والقاء لترتيب الأمر على مجيئ البيته ويجوز أن تكون عاطفة على اعبدوا فإن عبادة الله تعالى موجبة للاجتناب عن المناهى التى معظمها بعد الكفر البخس الذى كانوا يباشرونه (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) التى تشترونها بهما معتمدين على تمامهما أى شىء كان وأى مقدار كان فإنهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئاً إلا مكسوه قال زهير [أفى كل أسواق العراق أتأوه وفى كل ما باع اسروء مكس درهم] (ولا تفسدوا فى الأرض) أى بالكفر والخياف (بعد إصلاحها) بعد ما أصلح أسرها وأهلها الأنبياء وأتباعهم بإجراء الشرائع أو أصلحوها فيها وإضافته إليها بإضافة مكر الليل والنهار (ذلكم خير لكم) إشارة إلى العمل بما أمرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية إما الزيادة مطلقاً أو فى الإنسانية وحسن الاحدوثة وما يطلبونه من التكسب والريح لأن الناس إذا عرفوهم بالأمانة رغبوا فى معاملتهم ومتاجرهم (إن كنتم مؤمنين) أى مصدقين لى فى قولى هذا (ولا تقعدوا بكل صراط ٨٦ توعدون) أى بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وإن كان واحداً لكنه يتشعب إلى معارف وحدود وأحكام وكانوا إذا رأوا أحداً يشرع فى شىء منها منعه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعباً إنه كذاب لا يفننك عن دينك ويتوعدون لمن آمن به وقيل يقطعون الطريق (وتصدون عن سبيل الله) أى السبيل الذى قعدوا عليه فوقع المظهر موقع المضمير بياناً لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقييحاً لما كانوا عليه أو الإيمان بالله أو بكل صراط على أنه عبارة عن طرق الدين وقوله تعالى (من آمن به) مفعول تصدون على أعمال الأقرب ولو كان مفعول توعدون لقليل وتصدونهم وتوعدون حال من الضمير فى تقعدوا (وتبغونها عوجاً) أى وتطلبون لسبيل الله عوجاً بإلقاء الشبه أو بوصفها للناس بأنها معوجة وهى أبعد شىء من شائبة الاعوجاج

وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ ۖ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ
 اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾

٧ الأعراف

قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ۖ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشُعِيبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ
 لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَٰئِكَ كَافِرِينَ ﴿٨٨﴾

٧ الأعراف

- (واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم) بالبركة في النسل والمال (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين)
- ٨٧ من الأمم الماضية كقوم نوح ومن بعدهم من عاد وثمود وأضرابهم واعتبروا بهم (وإن كان طائفة منكم
- آمنوا بالذي أرسلت به) من الشرائع والأحكام (وطائفة لم يؤمنوا) أي به أولم يفعلوا الإيمان (فاصبروا
- حتى يحكم الله بيننا) أي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعد للكافرين (وهو
- ٨٨ خير الحاكمين) إذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه (قال الملأ الذين استكبروا من قومه) استئناف مبني
- على سؤال ينساق إليه المقال كأنه قيل فإذا قالوا بعد ما سمعوا هذه المواعظ من شعيب عليه السلام فقيل
- قال أشرف قومه المستكبرون متطاولين عليه عليه السلام غير مكتفين بمجرد الاستعصاء عليه والامتناع
- من الطاعة له بل بالغين من العنوا والاستكبار إلى أن قصدوا استتباعه عليه السلام فيجاءهم فيه وأتباعه
- المؤمنون واجتمعوا على إكراههم عليه بوعيد النبي وخاطبوه بذلك على طريقة التوكيد القسمي (لنخرجنك
- يا شعيب والذين آمنوا) بنسبة الإخراج إليه عليه السلام أولاً وإلى المؤمنين ثانياً بعطفهم عليه تليها
- على أصله عليه السلام في الإخراج وتبعيتهم له فيه كما ينبغي عنه قوله تعالى (معك) فإنه متعلق بالإخراج
- لا بالإيمان وتوسط النداء باسمه العلمي بين المعطوفين لزيادة التقرير والتهديد الناشئة عن غاية الوقاحة
- والطغيان أي والله لنخرجنك وأتباعك (من قريتنا) بفضأ لكم ودفعاً لفتنكم المترتبة على المساكنة
- والجوار وقوله تعالى (أو لنعودن في ملتنا) عطف على جواب القسم أي والله ليسكون أحد الأمرين
- البتة على أن المقصد الأصلي هو العود وإنما ذكر النبي والإجماع المحض القسري الإلجاء كما يفصح عنه عدم
- تعرضه عليه السلام لجواب الإخراج كأنهم قالوا لا ندعكم فيما بيننا حتى تدخلوا في ملتنا وإدخالهم له عليه
- السلام في خطاب العود مع استحالة كونه عليه السلام في ملتهم قبل ذلك إنما هو بطريق تغليب الجماعة
- على الواحد وإنما لم يقولوا أولنعيدنكم على طريقة ما قبله لما أن مرادهم أن يعودوا إليها بصورة الطوعية
- حذار الإخراج باختيار أهون الشرين لا بإعادتهم بسائر وجوه الإكراه والتعذيب (قال) استئناف كما
- سبق أي قال عليه السلام رداً لمقالتهم الباطلة وتكذيباً لهم في إيمانهم الفاجرة (أولو كنا كارهين) على أن
- الهمزة لإنكار الوقوع ونفيه لا لإنكار الواقع واستيقظها كالكافي في قوله تعالى ولو جئتكم بشيء مبين ويجوز
- أن يكون الاستفهام فيه باقياً على حاله وقد مر مراراً أن كلمة لو في مثل هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشيء في
- الزمن الماضي لانتهاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف تعويلاً على دلالة ما قبلها عليه ملاحظة
- قصديّة إلا عند القصد إلى بيان الإعراب على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيد الكلام السابق

بالذات أو بالواسطة من الحكم الموجب أو المنفي على كل حال مفروض من الأحوال المقارنة له على الإجمال بإدخالها على أبعدها منه وأشدّها منافاة له ليظهر بثبوته أو انتفائه معه ثبوته أو انتفاؤه مع ما عداه من الأحوال بطريق الأولوية لما أن الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلأن يتحقق مع غيره أولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الأحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الأحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم إنها لاستقصاء الأحوال على سبيل الإجمال وهذا المعنى ظاهر في الخبر الموجب والمنفي والأمر والنهي كما في قولك فلان جواد يعطى ولو كان فقيراً أو بخيل لا يعطى ولو كان غنياً وكقولك أحسن إليه ولو أساء إليك ولا تنهه ولو أهانك لبقائه على حاله سالماً عما يغيره وأما فيما نحن فيه ففيه نوع خفاء لتغيره بورود الإنكار عليه لكن الأصل في الكل واحد إلا أن كلمة لوفى الصور المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور قبلها وأن ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو نفس مدلوله وأن الجملة حال من ضميره أو بما يتعلق به وأن ما في حيز لو مقرر على ما هو عليه من الاستبعاد بخلاف ما نحن فيه لما أن كلمة لو متعلقة فيه بفعل مقدر يقتضيه المذكور وأن ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو مدلوله لا مدلول المذكور وأن الجملة حال من ضميره لا من ضمير المذكور كما سيأتى وأن المقصود الأصلي إنكار مدلوله من حيث مقارنته للحالة المذكورة وأما تقدير مقارنته لغيرها فلتوسيع الدائرة وأن ما في حيز لو لا يقصد استبعاده في نفسه بل يقصد الإشعار بأنه أمر مقرر إلا أنه أخرج مخرج الاستبعاد مبالغته في الإنكار من جهة أن العود بما ينكر عند كون الكراهة أمراً مستبعداً فكيف به عند كونها أمراً محققاً ومعاملة مع المخاطبين على معتقدهم لاستنزاهم من رتبة العناد وليس المراد بالكراهة مجرد كراهة المؤمنين للعود في ملة الكفر ابتداء حتى يقال إنها معلومة لهم فكيف تكون مستبعدة عندهم بل إنما هي كراهتهم له بعد وعيد الإخراج الذي جعل قريناً للقتل في قوله تعالى ولو أنا كتبنا الآية فإنهم كانوا يستبعدونها ويطمعون في أنهم حينئذ يختارون العود خشية الإخراج إذ رب مكروه يختار عند حلول ما هو أشد منه وأقطع والتقدير أنعود فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين غير مباينين بالإكراه فالجملة في محل النصب على الحالية من ضمير الفعل المقدر حسباً أشير إليه إذ ماله أنعود فيها حال عدم الكراهة وحال الكراهة إنكاراً لما تفيدته كلمة الشبهة بإطلاقها من العود على أى حالة كانت غير أنه اكتفى بذكر الحالة الثانية التي هي أشد الأحوال منافاة للعود وأكثرها بعداً منه تنبيهاً على أنها هي الواقعة في نفس الأمر وثقة بإغنائها عن ذكر الأولى إغناء واضحاً لأن العود الذي تعلق به الإنكار حين تحقق مع الكراهة على ما يوجبهم كلامهم فلأن يتحقق مع عدمها أولى إن قلت النفي المستفاد من الاستفهام الإنكارى فيما نحن فيه بمنزلة صريح النفي ولا ريب في أن الأولوية هناك معتبرة بالنسبة إلى النفي لا يرى أن الأولى بالتحقق فيما ذكر من مثال النفي عند الحالة المسكوت عنها أعنى عدم الغنى هو عدم الإعطاء لا نفسه فكان ينبغى أن يكون الأولى بالتحقق فيما نحن فيه عند عدم الكراهة عدم العود لا نفسه إذ هو الذى يدل عليه قولنا أنعود لأنه في معنى لا نعود فلم يختلف الحال بينهما قلت لما أن مناط الأولوية هو الحكم

قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهَ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ
نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ
بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾

٧ الأعراف

الذى أريد بيان تحققه على كل حال وذلك في مثال النفي عدم الإعطاء المستفاد من الفعل المنفي المذكور
وأما فيما نحن فيه فهو نفس العود المستفاد من الفعل المقدر لإذ هو الذى يقتضيه الكلام السابق أعنى قولهم
لنعودن وأما الاستفهام فخارج عنه وارد عليه لإبطال ما يفيدته ونفى ما يقتضيه لأنه من تمامه كما في صورة
النفي وتوضيحه أن بين النفيين فرقا معنويا تختلف به أحكامهما التى من جملتها ما ذكر من اعتبار الأولوية
فى أحدهما بالنسبة إلى نفسه وفى الآخر بالنسبة إلى متعلقه ولذلك لا تستقيم إقامة أحدهما مقام الآخر
على وجه الكلية الا يرى أنك لو قلت مكان أعود فيها الخ لا نعود فيها ولو كنا كارهين لاختل المعنى اختلالا
فاحشا لأن مدلول الأول نفي العود المقيد بحال الكراهة ومدلول الثانى تقييد العود المنفى بها وذلك لأن
حرف النفي يباشر نفس الفعل وينفيه وما يذكر بعده يرجع إليه من حيث هو منفي وأما همزة الاستفهام
فإنها تباشر الفعل بعد تقييده بما بعده لما أن دلالتها على الإنكار والنفي ليست بدلالة وضعية كدلالة حرف
النفي حتى يتعلق معناها بنفس الفعل الذى يليها ويكون ما بعده راجعا إليه من حيث هو منفي بل هى دلالة
عقلية مستفادة من سياق الكلام فلا بد أن يكون ما يذكر بعد الفعل من موانعه ودواعى إنكاره ونفيه
حتما ليسكون قرينة صارفة للهمزة عن حقيقتها إلى معنى الإنكار والنفي ثم لما كان المقصود نفي الحكم على
كل حال مع الاختصار على ذكر بعض منها مغن عن ذكر ما عداها لاستلزام تحققه معه تحققه مع غيره
بطريق الأولوية وكانت حال الكراهة عند كونها قيدا لنفس العود كذلك أى مغنيا عن ذكر سائر
الأحوال ضرورة أن تحقق العود فى حال الكراهة مستلزم لتحقيقه فى حال عدمها البتة وعند كونها قيدا
لنفيه بخلاف ذلك أى غير مغن عن ذكر غيرها ضرورة أن نفي العود فى حال الكراهة لا يستلزم نفيه فى
غيرها بل الأمر بالعكس فإن نفيه فى حال الإرادة مستلزم لنفيه فى حال الكراهة قطعاً استقام الأول
لإفادته نفي العود فى الحالتين مع الاختصار على ذكر ما هو مغن عن ذكر الأخرى ولم يستقم الثانى لعدم
إفادته إياه على الوجه المذكور إن قيل فما وجه استقامتهما جميعاً عند ذكر المعطوفين معاً حيث يصح أن
يقال لا نعود فيها لو لم نكن كارهين كما يصح أن يقال أعود فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين مع
أن المقدر فى حكم الملفوظ قلنا وجهها أن كلا منهما يفيد معنى صحيحاً فى نفسه لا أن معنى أحدهما عين
معنى الآخر أو متلازمان متفقان فى جميع الأحكام كيف لا ومدلول الأول أن العود منتف فى الحالتين
ومدلول الثانى مصحح لنفي العود فى الحالتين منتف وكلا المعنيين صحيح فى نفسه مصحح لنفي العود
فى الحالتين مع ذكرهما معاً غير أن الثانى مصحح لنفي العود فى الحالتين مع الاختصار على ذكر حالة
الكراهة على عكس المعنى الأول فإنه مصحح لنفيه فيهما مع الاختصار على ذكر حالة الإرادة (قد اقترينا

وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ آتَيْتُمْ شُعَبًا مِنْكُمْ إِذَا خَلَسْتُمْ ۖ ٧ الأعراف

- على الله كذباً) أى كذباً عظيماً لا يقادر قدره (إن عدنا فى ملتكم) التى هى الشرك وجواب الشرط
- محذوف لدلالة ما قبله عليه أى إن عدنا فى ملتكم (بعد إذ نجانا الله منها) فقد اقترينا على الله كذباً عظيماً
- حيث نزع حينئذ أن الله تعالى ندأ وليس كمثل شئ. وأنه قد تبين لنا أن ما كنا عليه من الإسلام باطل وأن ما كنتم عليه من الكفر حق وأى اقراء أعظم من ذلك وقيل إنه جواب قسم محذوف حذف عنه
- اللام تقديره والله لقد اقترينا الخ (وما يكون لنا) أى وما يصح وما يستقيم لنا (أن نعود فيها) فى حال
- من الأحوال أو فى وقت من الأوقات (إلا أن يشاء الله) أى إلا حال مشيئة الله تعالى أو وقت مشيئته
- تعالى أعودنا فيها وذلك مما لا يكاد يكون كما ينبىء عنه قوله تعالى (ربنا) فإن التعرض لعنوان ربوبيته تعالى
- لهم بما ينبىء عن استحالة مشيئته تعالى لا رتدادهم قطعاً وكذا قوله تعالى بعد إذ نجانا الله منها فإن تنجيته
- تعالى لهم منها من دلائل عدم مشيئته لعودهم فيها وقيل معناه إلا أن يشاء الله خذلاننا وقيل فيه دليل على
- أن الكفر بمشيئته تعالى وأياً ما كان فليس المراد بذلك بيان أن العود فيها فى حيز الإمكان وخطر
- الوقوع بناء على كون مشيئته تعالى كذلك بل بيان استحالة وقوعها كأنه قيل وما كان لنا أن نعود
- فيها إلا أن يشاء الله ربنا وهيات ذلك بدليل ما ذكر من موجبات عدم مشيئته تعالى له (وسع ربنا
- كل شئ علماً) فهو محيط بكل ما كان وما سيكون من الأشياء التى من جهاتها أحوال عباده وعزائمهم
- ونياتهم وما هو الاثاق بكل واحد منهم فحال من لطفه أن يشاء عودنا فيها بعد ما نجانا منها مع اعتصامنا
- به خاصة حسبما ينطق به قوله تعالى (على الله توكلنا) أى فى أن يثبتنا على ما نحن عليه من الإيمان ويتم
- علينا نعمته بإنجائنا من الإشرار بالكلية وإظهار الاسم الجليل فى موقع الإضمار للبالغ فى التضرع
- والجوار وقوله تعالى (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق) لإعراض عن مقاولتهم إثر ما ظهر له عليه الصلاة
- والسلام أنهم من العتو والعناد بحيث لا يتصور منهم الإيمان أصلاً وإقبال على الله تعالى بالدعاء لفصل
- ما بينهم وبينهم بما يليق بحال كل من الفريقين أى احكم بيننا بالحق والفتاحة الحكومة أو أظهر أمرنا حتى
- ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز الحق من المبطل من فتح المشكل إذا بينه (وأنت خير الفاتحين) تذييل
- مقرر لمضمون ما قبله على المعنيين (وقال الملأ الذين كفروا من قومه) عطف على قال الملأ الذين الخ ولعل
- هؤلاء غير أولئك المستكبرين ودونهم فى الرتبة شأنهم الوساطة بينهم وبين العامة والقيام بأمرهم حسبما
- يراه المستكبرون ويجوز أن يكون عين الأولى وتغيير الصلة لما أن مدار قولهم هذا هو الكفر كما أن
- مناط قولهم السابق هو الاستكبار أى قال أشرافهم الذين أصروا على الكفر لا عقابهم بعد ما شاهدوا
- صلابة شعيب عليه السلام ومن معه من المؤمنين فى الإيمان وخافوا أن يستتبوا قومهم تثبيتاً لهم عن
- الإيمان به وتنفيراً لهم عنه على طريقة التوكيد القسمى والله (لئن اتبعتم شعيباً) ودخلتم فى دينه وتركتم
- دين آبائكم (إنكم إذا لخاسرون) أى فى الدين لا شرائكم الضلالة بهداكم أو فى الدنيا لفوات ما يحصل
- لكم بالبخس والتطفيف وإذن حرف جواب وجزاء معترض بين اسم إن وخبرها والجملة سادة مسد

٧ الأعراف

فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِيمِينَ ﴿٩١﴾

٧ الأعراف الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾

فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَلْقَوْمٍ لَقَدْ أَتَلَعْتُكُمْ رَسُولًا رَّبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آتَى عَلَى قَوْمٍ

٧ الأعراف

كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرِعُونَ ﴿٩٤﴾ ٧ الأعراف

- ٩١ جواب الشرط والقسم الذي وطأته اللام (فأخذتهم الرجفة) أى الزلزلة وهكذا في سورة العنكبوت وفي سورة هود وأخذت الذين ظلموا الصيحة أى صيحة جبريل عليه السلام ولعلمنا من مبادئ الرجفة فاستند هلاكهم إلى السبب القريب تارة وإلى البعيد أخرى (فأصبحوا في دارهم) أى في مدينتهم وفي سورة هود في ديارهم (جامعين) أى ميتين لازمين لأنما كنهم لا براح لهم منها (الذين كذبوا شعيباً) استئناف لبيان ابتلائهم بشؤم قولهم فيما سبق لنخر جنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا وعقوبتهم بمقابله
- والموصول مبتدأ خبره قوله تعالى (كان لم يغنوا فيها) أى استوصلوا بالمرء وصاروا كأنهم لم يقيموا بقريتهم أصلاً أى عوقبوا بقولهم ذلك وصاروا هم المخرجين من القرية لإخراجهم لدخول بعدهم أبداً وقوله تعالى (الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين) استئناف آخر لبيان ابتلائهم بعقوبة قولهم الأخير وإعادة الموصول والصلة كما هي لزيادة التقرير والإيذان بأن ما ذكر في حيز الصلة هو الذي استوجب العقوبتين أى الذين كذبوه عليه السلام عوقبوا بمقالتهم الأخيرة فصاروا هم الخاسرين للدنيا والدين لا المتبعون له عليه الصلاة والسلام وبهذا القصر اكتفى عن التصريح بإنجائه عليه الصلاة والسلام كما وقع في سورة هود من قوله تعالى ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه الخ (فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم) قاله عليه الصلاة والسلام بعد ما هلكوا تأسفاً بهم لشدة حزنه عليهم ثم أنكر على نفسه ذلك فقال (فكيف آسى) أحزن حزناً شديداً (على قوم كافرين) أى مصرين على الكفر ليسوا أهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم أو قاله اعتذاراً عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الإبلاغ والإنذار وبذات وسعى في النصح والإشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ آسى بإمالتين (وما أرسلنا في قرية من نبي) إشارة إجمالية إلى بيان أحوال سائر الأمم لئلا يبان أحوال الأمم المذكورة تفصيلاً ومن مزيدة لتأكيد النفي والصفة محذوفة أى من نبي كذب أو كذبه أهلها
 - (إلا أخذنا أهلها) استثناء مفرغ من أعم الأحوال وأخذنا في محل نصب من فاعل أرسلنا والفعل الماضي لا يقع بعد إلا إلا بأحد شرطين إما تقدير قد كما في هذه الآية أو مقارنة قد كما في قولك ما زيد إلا قد قام والتقدير وما أرسلنا في قرية من القرى المهلكة نبياً من الأنبياء في حال من الأحوال إلا حال كوننا آخذين

ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَاءُ وَالسَّرَاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ
بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾

٧ الأعراف

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا
فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾

٧ الأعراف

أَفَأَمِّنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾

٧ الأعراف

- أهلها (بالأسماء) بالبؤس والفقر (والضراء) بالضر والمرض لكن لاعلى معنى أن ابتداء الإرسال مقارن
- للأخذ المذكور بل على أنه مستتبع له غير منفك عنه بالآخرة لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم
- عليه حسبها فعلت الأثم المذكورة (لعلمهم يتضرعون) كي يتضرعوا ويتذلّلوا ويحطوا أودية الكبر
- والعزة عن أكتافهم كقوله تعالى لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالأساء والضراء لعلهم يتضرعون
- (ثم بدلنا) عطف على أخذنا داخل في حكمه (مكان السيئة) التي أصابتهم للغاية المذكورة (الحسنة) ٩٥
- أي أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة كقوله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات
- (حتى عفوا) أي كنزوا عدداً وعدداً من عفا النبات إذا كثرت وتكاثف وأبطرهم النعمة (قالوا) غير
- واقفين على أن ما أصابهم من الأضرار من الله سبحانه (قد مس آباءنا الضراء والسراء) كما مسنا
- ذلك وما هو إلا من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء من غير أن يكون هناك داعية تؤدي
- إليهما أو تبيح تترتب عليهما ولعل تأخير السراء للإشعار بأنها تعقب الضراء فلا ضير فيها (فأخذناهم)
- إثر ذلك (بغته) فجأة أشد الأخذ وأفظعه (وهم لا يشعرون) بذلك ولا يخطر ببالهم شيئاً من المكارة
- كقوله تعالى حتى إذا فرحوا بما أوتوا الآية وليس المراد بالأخذ بغته إهلاككم طريقة عين كإهلاك عاد
- وقوم لوط بل ما يعمه وما يعضى بين الأخذ وإتمام الإهلاك أيام كذاب ثمود (ولو أن أهل القرى) ٩٦
- أي القرى المهلكة المدلول عليها بقوله تعالى في قرية وقيل هي مكة وما حولها من القرى وقيل جنس القرى
- المنتظمة لما ذكرهم هنا انتظاماً أولياً (آمنوا) بما أوحى إلى أنبيائهم معتبرين بما جرى عليهم من الابتلاء
- بالضراء والسراء (واتقوا) أي الكفر والمعاصي أو اتقوا ما نذروا به على السنة الأنبياء ولم يصبوا على
- ما فعلوا من القبائح ولم يحملوا ابتلاء الله تعالى على عادات الدهر وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما
- وحدوا الله واتقوا الشرك (لفتحننا عليهم بركات من السماء والأرض) لو سعتنا عليهم الخير ويسرناه لهم
- من كل جانب مكان ما أصابهم من فنون العقوبات التي بعضها من السماء وبعضها من الأرض وقيل
- المراد المطر والنبات وقرى لفتحنا بالتشديد للتكثير (ولكن كذبوا) أي ولكن لم يؤمنوا ولم يتقوا
- وقد اكتفى بذكر الأول لاستلزامه الثاني (فأخذناهم بما كانوا يكسبون) من أنواع الكفر والمعاصي
- التي من جملتها قولهم قد مس آباءنا الخ وهذا الأخذ عبارة عما في قوله تعالى فأخذناهم بغتة لا عين الجذب
- والقحط كما قيل فأنهما قد زالا بقيد الحسنة مكان السيئة (أفأمن أهل القرى) أي أهل القرى المذكورة ٩٧

أَوْ أَمِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ ٧ الأعراف

أَقَامُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ٧ الأعراف

أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ٧ الأعراف

- على وضع المظهر موضع المضمر للإبذان بأن مدار التوبيخ أمن كل طائفة ما أتاهم من البأس لا أمن بجمع الأمم فإن كل طائفة منهم أصابهم بأس خاص بهم لا يتعداهم إلى غيرهم كما سيأتي والهمزة لإنكار الواقع واستقبحه لا لإنكار الوقوع ونفيه كما قاله أبو شامة وغيره لقوله تعالى فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون والفاء للعطف على أخذناهم وما بينهما اعتراض توسط بينهما للسارعة إلى بيان أن الأخذ المذكور مما كسبته أيديهم والمعنى أبعث ذلك الأخذ أمن أهل القرى (أن يأتيهم بأسنا بياتاً) أي تبيناً أو وقت بيات أن مبيتاً أو مبيتين وهو في الأصل مصدر بمعنى البتوتة ويحى بمعنى التبيينت كالسلام بمعنى التسليم (وهم نائمون) حال من ضميرهم البارز أو المستتر في بياتاً (أو أمن أهل القرى) إنكار بعد إنكار للبالغة في التوبيخ والتشديد ولذلك لم يقل أأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون أو ضحى وهم يلعبون وقرى أو يسكون الواو على التردد (أن يأتيهم بأسنا ضحى) أي ضحوة النهار وهو في الأصل ضوء الشمس إذا ارتفعت (وهم يلعبون) أي يلهون من فرط الغفلة أو يشتغلون بما لا ينفعهم كأنهم يلعبون (أقاموا مكر الله) تكرير للنكير لزيادة التقرير ومكر الله تعالى استعارة لاستدراجه العبد وأخذه من حيث لا يحتسب والمراد به إتيان بأسه تعالى في الوقتين المذكورين ولذلك عطف الأول والثالث بالفاء في الإنكار فيهما متوجه إلى ترتب الأمن على الأخذ المذكور وأما الثاني فمن قسمة الأول (فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) أي الذين خسروا أنفسهم وأضاعوا فطرة الله التي فطر الناس عليها والاستعداد القريب المستفاد من النظر في الآيات (أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها) أي يخلقون من خلا قبلهم من الأمم المهلكة ويرثون ديارهم والمراد بهم أهل مكة ومن حولها وتعدية فعل الهداية باللام إما لتنزيلها منزلة اللازم كأنه قيل اغفلوا ولم يفعل الهداية لهم الخ وإما لأنها بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل على التقديرين هو الجملة الشرطية أي أولم يبين لهم مال أمرهم (أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم) أي أن الشأن لو نشاء أصبناهم مجزاء ذنوبهم أو بسبب ذنوبهم كما أصبنا من قبلهم وقرى نهت بنون العظمة فالجملة مفعوله (ونطبع على قلوبهم) عطف على ما يفهم من قوله تعالى أولم يهد كأنه قيل لا يهتدون أو يغفلون عن الهداية أو عن التفكير والتأمل أو منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على أصبناهم على أنه بمعنى طبعنا لا فضأته إلى نفي الطبع عنهم لأنه في سياق جواب لو (فهم لا يسمعون) أي أخبار الأمم المهلكة فضلاً عن التدبر والنظر فيها والاغتنام بما في تضاعيفها من الهداية

تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا
كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾

٧ الأعراف

- (تلك القرى) جملة مستأنفة جارية مجرى الفذلك لما قبلها من القصص منبهة عن غاية غواية الأمم المذكورة ١٠١
- وتماديهم فيها بعد ما أنتمهم الرسل بالمعجزات الباهرة وتلك إشارة إلى قرى الأمم المهلكة على أن اللام للهدم وهو مبتدأ وقوله تعالى (نقص عليك من أنبائها) خبره وصيغة المضارع للإيدان بعدم انقضاء القصة بعد ومن
- للتبعض أى بعض أخبارها التى فيها عظة وتذكير وقيل تلك مبتدأ والقرى خبره وما بعده حال أو خبر بعد خبر عند من يجوز كون الخبر الثانى جملة كما فى قوله تعالى فإذا هى حية تسعى وتصدير الكلام بذكر القرى وإضافة الأنباء إليها مع أن المقصود أنباء أهلها والمقصود بيان أحوالهم حسبما يعرب عنه قوله تعالى (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات) لما أن حكاية هلاكهم بالمرّة على وجه الاستئصال بحيث يشمل
- أما كنهم أيضاً بالخسف بها والرجفة وبقائها خاوية معطلة أهول وأفظع والباء فى قوله تعالى بالبينات متعلقة إما بالفعل المذكور على أنها للتعدية وإما بمحذوف وقع حالا من فاعله أى ملتبس بالبينات لكن لا بأن يأتى كل رسول بيينة واحدة بل ببينات كثيرة خاصة به معينة له حسب اقتضاء الحكمة فإن مراعاة انقسام الأحاد إلى الأحاد إنما هى فيما بين الرسل وضمير الأمم والجملة مستأنفة مبينة لكالم عتوم وعنادهم أى وبالله لقد جاء كل أمة من تلك الأمم المهلكة رسولهم الخاص بهم بالمعجزات البينة المتكررة المتواردة عليهم الواضحة الدلالة على صحة رسالته الموجبة للإيمان حتماً وقوله تعالى (فما كانوا ليؤمنوا) بيان
- لاستمرار عدم إيمانهم فى الزمان الماضى لالعدم استمرار إيمانهم وترتيب حالتهم هذه على مجىء الرسل بالبينات بالفاء لما أن الاستمرار على فعل من الأفعال بعد ورود ما يوجب الإقلاع عنه وإن كان استمراراً عليه فى الحقيقة لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث نحو وعظته فلم ينزجر ودعوته فلم يجب واللام لتأكيد النفي أى فما صححوا ما استقام لقوم من أولئك الأقوام فى وقت من الأوقات أن يؤمنوا بكل كان ذلك ممنوعاً منهم إلى أن لقوا ما لقوا الغاية عتوم وشدة شكيمتهم فى الكفر والطغيان ثم إن كان المحكى عنهم آخر حال كل قوم منهم فالمراد بعدم إيمانهم المذكور همنا لإصرارهم على ذلك بعد اللتى والتى وبما أشير إليه بقوله تعالى (بما كذبوا من قبل) تكذيبهم من لدن مجىء الرسل إلى وقت الإصرار والعناد
- وإنما لم يجعل ذلك مقصوداً بالذات كالأول بل جعل صلة الوصول إيذاناً بأنه بين بنفسه وإنما المحتاج إلى البيان عدم إيمانهم بعد تواتر البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة التى كانت تضطرهم إلى القبول لو كانوا من أصحاب العقول والموصول الذى تعلق به الإيمان والتكذيب سلباً وإيجاباً عبارة عن جميع الشرائع التى جاء بها كل رسول أصولها وفروعها وإن كان المحكى جميع أحوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكر أولاً كفرهم المستمر من حين مجىء الرسل الخ وبما أشير إليه آخر تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من جعل الموصول المذكور عبارة عن أصول الشرائع التى أجمعت عليها الرسل قاطبة ودعوا أممهم إليها أثر ذى أنير لاستحالة تبدلها وتغيرها مثل ملة التوحيد ولو أزمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجىء رسلهم

وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٦﴾

٧ الأعراف

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۖ فَظَلَمُوا بِهَا ۚ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

٧ الأعراف

الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٧﴾

- أنهم ما كانوا في زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوا كلمة التوحيد قط بل كانت كل أمة من أولئك الأمم يتسامعون بها من بقايا من قبلهم فيسكذبونها ثم كانت حالتهم بعد مجيء رسلم كحالتهم قبل ذلك كأن لم يبعث إليهم أحد وتخصيص التكذيب وعدم الإيمان بما ذكر من الأصول لظهور حال الباقي بدلالة النص فإنهم حين لم يؤمنوا بما أجمعت عليه كافة الرسل فلأن يؤمنوا بما تنفرد به بعضهم أولى وعدم جعل هذا التكذيب مقصوداً بالذات لما أن ما عليه يدور فلك العذاب والعقاب هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما يعرب عنه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وإنما ذكر ما وقع قبلها بيانا لعراقته في الكفر والتكذيب وعلى كلا التقديرين فالضمائر الثلاثة متوافقة في المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع إلى أسلافهم والمعنى فما كان الأبناء ليؤمنوا بما كذب به الآباء ولا يخفى ما فيه من التعسف وقيل المراد ما كانوا ليؤمنوا أو آحييناهم بعد إهلاكهم ورددناهم إلى دار التكليف بما كذبوا من قبل كقوله تعالى ولوردوا العادوا لما هموا عنه وقيل الباء للسببية وما مصدرية أي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل ولا يرد عليه هنا ما ورد في سورة بونس من مخالفة الجهور بجعل ما المصدرية من قبيل الأسماء كما هو رأي الأخفش وابن السراج ليرجع إليه الضمير في به (كذلك) أي مثل ذلك الطبع الشديد المحكم (يطبع الله على قلوب الكافرين) أي من المذكورين وغيرهم فلا يكاد يؤثر فيها الآيات والذنر وفيه تحذير للسامعين
- ١٠٢ وإظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لغرية المهابة وإدخال الروعة (وما وجدنا لأكثرهم) أي أكثر الأمم المذكورين واللام متعلقة بالوجدان كما في قولك ما وجدت له مالا أي ما صدف له مالا ولا لقيته
- أو بمحذوف وقع حالا من قوله تعالى (من عهد) لأنه في الأصل صفة للنكرة فلما قدمت عليها انتصبت حالا والأصل ما وجدنا عهداً كامناً لأكثرهم ومن مزيدة للاستغراق أي وما وجدنا لأكثرهم من وفاء عهد فإنهم نقضوا ما عاهدوا الله عليه عند مساس البأساء والضراء قائلين لن أنجيتنا من هذه لنكون من الشاكرين فتخصيص هذا الشأن بأكثرهم ليس لأن بعضهم كانوا يوفون بعهودهم بل لأن بعضهم كانوا لا يعهدون ولا يوفون وقيل المراد بالعهد ما عهد الله تعالى إليهم من الإيمان والتقوى بنصب الآيات وإنزال الحجيح وقيل ما عاهدوا عند خطاب الست بربكم فالمراد بأكثرهم كلهم وقيل الضمير للناس
- والجملة اعتراض فإن أكثرهم لا يوفون بالعهود بأي معنى كان (وإن وجدنا لأكثرهم) أي أكثر الأمم أي علمناهم كافي قولك وجدت زيداً إذا حافظ وقيل الأول أيضاً كذلك وإن مخففة من إن وضمير الشأن محذوف أي إن الشأن وجدناهم (لفاسقين) خارجين عن الطاعة ناقضين للعهود وعند الكوفيين أن إن ناقية واللام بمعنى إلا أي ما وجدناهم إلا لفاسقين (ثم بعثنا من بعدهم موسى) أي أرسلناه من بعد أن قضاه
- ١٠٣

وَقَالَ مُوسَىٰ يَنْفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾

٧ الأعراف

حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيَّ

إِسْرَءِيلَ ﴿١٠٥﴾

٧ الأعراف

- وقائع الرسل المذكورين أو من بعد هلاك الأمم المحكية والتصریح بذلك مع دلالة ثم على التراخي للإبذان بأن بعثه عليه الصلاة والسلام جرى على سنن السنة الإلهية من إرسال الرسل تترى وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مراراً من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر (بآياتنا) ● متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعول بعثنا أو صفة لمصدره أي بعثناه عليه الصلاة والسلام ملتبساً بآياتنا أو بعثناه بعثاً ملتبساً بها وهي الآيات التسع المفصلات التي هي العصا واليد البيضاء والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم حسبما سيأتى على التفصيل (إلى فرعون) هو لقب لكل من ملك مصر من العماقة كما أن كسرى لقب لكل من ملك فارس وقبصر لكل من ملك الروم واسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن ريان (وملئه) أي أشراف قومه وتخصيصهم بالذكر مع عموم رسالته عليه الصلاة والسلام لقومه كافة حيث كانوا جميعاً مأمورين بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة الشنعاء التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فنته الباغية لأصاليهم في تدبير الأمور واتباع غيرهم لهم في الورود والصدور (فظلوا بها) أي كفروا بها أجرى الظلم مجرى الكفر لكونهما من واحد أو ضمن معنى الكفر أو التكذيب أي ظلوا كافرين بها أو مكذبين بها أو كفروا بها مكان الإيمان الذي هو من حقها الوضوح ولهذا المعنى وضع ظلوا موضع كفروا وقيل ظلوا أنفسهم بسببها بأن عرضوا للعباد الخالد أو ظلوا الناس بصددهم عن الإيمان بها والمراد به الاستمرار على الكفر بها إلى أن لقوا من العذاب ما لقوا ألا يرى إلى قوله تعالى (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) فكما أن ظلمهم بها مستتبغ لتلك العاقبة الهائلة كذلك حكاية ظلمهم بها مستتبغ للأمر بالنظر إليها وكيف خبر كان قدم على اسمها لاقتضائه الصدارة والجملة في حيز النصب بإسقاط الخافض أي فانظر بعين عقلك إلى كيفية ما فعلنا بهم ووضع المفسدين موضع ضميرهم للإبذان بأن الظلم مستلزم للإفساد (وقال موسى) كلام مبتدأ مسوق لتفصيل ما أجمل فيما قبله من ١٠٤ كيفية إظهار الآيات وكيفية عاقبة المفسدين (يا فرعون إني رسول) أي إليك (من رب العالمين) على الوجه الذي مر بيانه (حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق) جواب عما ينساق إليه الذهن من حكاية ١٠٥ ظلمهم بالآيات من تكذيبه إياه عليه الصلاة والسلام في دعوى الرسالة وكان أصله حقيق على أن لا أقول الخ كما هو قراءة نافع فقلب للأمن من الإلباس كما في قول من قال وتشتق الرماح بالضياطرة الحر أو لأن ما لزمك فقد لزمته أو للإغراق في الوصف بالصدق والمعنى واجب على القول الحق أن أكون أنا قائله لا يرضى إلا بمثل ناظراً به أو ضمن حقيق معنى حريص أو وضع على موضع الباء لإفادة التمكن كقولهم

قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِغَايَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾ ٧ الأعراف

فَأَتَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ ٧ الأعراف

وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ ٧ الأعراف

قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ ٧ الأعراف

- رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة أبي البلاء وقرىء: حقيق أن لا أقول وقوله تعالى (قد جئتم بيئته من ربكم) استئناف مقرر لما قبله من كونه رسولا من رب العالمين وكونه حقيقاً بقول الحق ولم يكن هذا القول منه عليه الصلاة والسلام وما بعده من جواب فرعون لآثر ما ذكرهنا بل بعد ما جرى بينهما من المحاورة المحكية بقوله تعالى قال فمر بك بالآيات وقوله تعالى وما رب العالمين الآيات وقد طوى ههنا ذكره للإيجاز ومن متعلقة إما بجئتم على أنها لا بتداء الغاية مجازاً وإما بمحذوف وقع صفة لبيئته مفيدة لفخامتها الإضافية المؤكدة لفخامتها الذاتية المستفادة من التنوين التفضيحية وإضافة اسم الرب إلى المخاطبين بعد إضافته فيما قبله إلى العالمين لتأكيد وجوب الإيمان بها (فأرسل معى بنى إسرائيل) أى تغلهم حتى يذهبوا معى إلى الأرض المقدسة التى هى وطن آبائهم وكان قد استعبدتهم بعد انقراض الأسباط يستعملهم ويكلفهم الأفاعيل الشاقة فأنقذهم الله تعالى بموسى عليه الصلاة والسلام وكان بين اليوم الذى دخل يوسف مصر واليوم الذى دخله موسى عليهما السلام أربع مائة عام والفاء لترتيب الإرسال أو الأمر به على ما قبله من رسالته عليه السلام وبجيئته بالبيئته (قال) استئناف وقع جواباً عن سؤال ينساق إليه الكلام كأنه قيل فإذا قال فرعون له عليه السلام حين قال له ما قال فقليل قال (إن كنت جئت بآية) أى من عند من أرسلك كما تدعيه (فأت بها) أى فأحضرها حتى تثبت بها رسالتك (إن كنت من الصادقين) فى دعواك فإن كونك من جملة المعروفين بالصدق يقتضى إظهار الآية لا محالة (فأتى عصاه فإذا هى ثعبان مبين) أى ظاهر أمره لا يشك فى كونه ثعباناً وهو الحية العظيمة وإيشار الجملة الاسمية للدلالة على كمال سرعة الانقلاب وثبات وصف الثعبانية فيها كأنها فى الأصل كذلك. روى أنه لما ألقاها صارت ثعباناً أشعر فاغراً فاه بين لحييه ثمانون ذراعاً وضع لحيه الأسفل على الأرض والأعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فحرب منه وأحدث فانهزم الناس مزدحمين فأت منهم خمسة وعشرون ألفاً فصاح فرعون يا موسى أنشدك بالذى أرسلك خذه وأنا أو من بك وأرسل معك بنى إسرائيل فأخذه فعاد عصاه (ونزع يده) أى من جيبيه أو من تحت إبطه (فإذا هى بيضاء للناظرين) أى بيضاء بياضاً نورانياً خارجاً عن العادة يجتمع عليه النظارة تعجباً من أمرها وذلك ما يروى أنه أرى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم أدخلها جيبيه وعليه مدرعة صوف ونزعها فإذا هى بيضاء بياضاً نورانياً غلب شعاعه شعاع الشمس وكان عليه السلام آدم شديد الأدمة وقيل بيضاء للناظرين لا أنها كانت بيضاء فى جبينها (قال الملأ

- ٧ الأعراف يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾
- ٧ الأعراف قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾
- ٧ الأعراف يَا تَوَكُّلْ بِكُلِّ سَلْحٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾
- ٧ الأعراف وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾
- ٧ الأعراف قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾

- من قوم فرعون) أى الأشراف منهم وهم أصحاب مشورته (إن هذا لساحر عليم) أى مبالغ فى علم السحر ماهر فيه قالوه تصديقاً لفرعون وتقريراً للكلامه فإن هذا القول بعينه معزى فى سورة الشعراء إليه (يريد أن يخرجكم من أرضكم) أى من أرض مصر (فماذا تأمرون) بفتح النون ومافى ماذا فى محل نصب ١١٠ على أنه مفعول ثان لتأمرون بحذف الجار والاول محذوف والتقدير بأى شئ تأمروننى وهذا من كلام فرعون كما فى قوله تعالى ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب أى فإذا كان كذلك فماذا تشيرون على فى أمره وقيل قاله الملأ من قبله بطريق التبليغ إلى العامة فقوله تعالى (قالوا أرجه وأخاه) على الاول وهو الاظهر حكاية ١١١ لكلام الملأ الذين شاورهم فرعون وعلى الثانى لكلام العامة الذين خاطبهم الملأ وأباه أن الخطاب لفرعون وأن المشاورة ليست من وظائفهم أى أخره وأخاه وعدم التعرض لذكره لظهور كونه معه حسبا ينادى به الآيات الآخر والمعنى آخر أمرهما وأصدرهما عنك حتى ترى رأيك فيهما وتدبر شأنهما وقرىء أرجئه وأرجه من أرجاه وأرجاه (وأرسل فى المدائن حاشرين) قيل هى مدائن صعيد مصر وكان رؤساء السحرة ومهرتهم بأقصى مدائن الصعيد وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنهم كانوا سبعين ساحراً أخذوا السحر من رجلين مجوسيين من أهل نينوى مدينة يونس عليه السلام بالموصل ورد ذلك بأن المجوسية ظهرت بزرادشت وهو إنما جاء بعد موسى عليه الصلاة والسلام (ياتوك بكل ساحر عليم) أى ١١٢ ماهر فى السحر وقرىء بكل سحار عليم والجملة جواب الأمر (وجاء السحرة فرعون) بعد ما أرسل إليهم ١١٣ الحاشرين وإنما لم يصرح به حسبا فى قوله تعالى فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين للإيذان بمسارعة فرعون إلى الإرسال ومبادرة الحاشرين والسحرة إلى الامتثال (قالوا) استئناف منوط بسؤال نشأ من حكاية مجىء السحرة كأنه قيل فماذا قالوا له عند مجيئهم إياه فقيل قالوا مدلين بما عندهم واثقين بغلبتهم (إن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين) بطريق الإخبار بثبوت الأجر وإيجابه كأنهم قالوا لا بد لنا من أجر عظيم حينئذ أو بطريق الاستفهام التقريرى بحذف الهمزة وقرىء بإثباتها وقولهم إن كنا مجرد تعيين مناط ثبوت الأجر لا لتردد فى الغلبة وتوسيط الضمير وتحلية الخبر باللام للقصر أى إن كنا نحن الغالبين لا موسى (قال نعم) وقوله تعالى (وإنكم لمن المقربين) عطف على محذوف سد مسده حرف الإيجاب ١١٤

قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ ٧ الأعراف

قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ٧ الأعراف

وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ ٧ الأعراف

فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ ٧ الأعراف

فَغَلَبُوا هَٰنَاكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ ٧ الأعراف

وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ ٧ الأعراف

- كأنه قال إن لكم لا جراً وإنكم مع ذلك لمن المقربين للبالغة في الترغيب . روى أنه قال لهم تكونون أول من يدخل مجلسي وآخر من يخرج منه (قالوا) استئناف كما مر كأنه قيل فإذا فعلوا بعد ذلك فقيل قالوا متصددين لشأنهم مخاطبين لموسى عليه السلام (ياموسى إما أن تلقى) ما تلقى أولاً (وإما أن نكون نحن الملحقين) أى لما تلقى أولاً أو الفاعلين للإلقاء أولاً خيره عليه السلام بالبدء بالإلقاء مراعاة للأدب وإظهاراً للجلادة وأنه لا يختلف حالهم بالتقديم والتأخير ولكن كانت رغبتهم في التقديم كما ينبى عنه تغييرهم للنظم بتعريف الخبر وتوسيط ضمير الفصل وتأكيد الضمير المتصل (قال ألقوا) غير مبال بأمرهم
- أى ألقوا ما تلقون (فلبا ألقوا) ما ألقوا (سحروا أعين الناس) بأن خيلوا إليهم مالا حقيقة له (واسترهبوهم)
- أى بالغوا في إرهابهم (وجاءوا بسحر عظيم) فى بابيه . روى أنهم ألقوا حبالاً غلاظاً وخشباً طوالاً
- ١١٧ كأنها حيات ملأت الوادى وركب بعضها بعضها وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هى تلقف ما يافكون (الفاء فصيحة أى ألقاها فصار تحية فإذا هى الآية وإنما حذف الإشعار بمسارعة موسى عليه السلام إلى الإلقاء وبغاية سرعة الانقلاب كأن لفها لما يافكون قد حصل متصلاً بالامر بالإلقاء وصيغة المضارع لا استحضر صورة اللقف الهائل والإفك الصرف والقلب عن الوجه المعتاد ومأمورة أو موصوفة والعائد محذوف أى ما يافكونه ويזורونه أو مصدرية وهى مع الفعل بمعنى المفعول روى أنها لما تلقفت ملء الوادى من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت وأعدم الله تعالى بقدرته الباهرة تلك الأجرام العظام أو فرقها أجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحراً لبقيت حبالنا وعصينا (فوقع الحق) أى فثبت لظهور أمره (وبطل ما كانوا يعملون) أى ظهر بطلان ما كانوا مستمرين على عمله (فغلبوا) أى فرعون وقومه (هناك) أى فى مجلسهم (وانقلبوا صاغرين) أى صاروا أذلاء
- ١٢٠ مهوتين أو رجعوا إلى المدينة أذلاء مهوتين والأول هو الظاهر لقوله تعالى (وألقى السحرة ساجدين) فإن ذلك كان بمحض من فرعون قطعاً أى خروا سجداً كأنما ألقاهم ملق لشدة خروهم كيف لا وقد

٧ الأعراف

قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾

٧ الأعراف

رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾

قَالَ فِرْعَوْنُ ءَاْمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاْذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكْرُومُهُ فِي الْمَدِينَةِ لَتُخْرِجُوا مِنْهَا

٧ الأعراف

أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾

٧ الأعراف

لَا قِطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأُصْلِبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾

٧ الأعراف

قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾

- بهرم الحق واضطرم إلى ذلك (قالوا آمنا برب العالمين) (رب موسى وهرون) أبدلوا الثاني من ١٢١ ١٢٢
- الأول لثلاث يتوهم أن مرادهم فرعون . عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال لما آمنت السحرة اتبع موسى من بنى إسرائيل ستائة ألف (قال فرعون) منكراً على السحرة وموياً لهم على ما فعلوه (آمنتم به) ١٢٣
- بهمزة واحدة إما على الإخبار المحض المتضمن للتوبيخ أو على الاستفهام التوبيخي بحذف الهمزة كما مر في إن لنا لا جراً وقد قرئ بتحقيق الهمزتين معاً وبتحقيق الأولى وتسهيل الثانية بين أي آمنتم بالله تعالى (قبل أن آذن لكم) أى بغير أن آذن لكم كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي لا أن الإذن منه ممكن في ذلك (إن هذا لمكر مكرتموه) يعنى إن ما صنعتموه ليس بما اقتضى الحال صدوره ●
- عنكم لقوة الدليل وظهور المعجزة بل هو حيلة احتلتموها مع موأطاة موسى (فى المدينة) يعنى مصر ● قبل أن تخرجوا إلى الميعاد . روى أن موسى عليه الصلاة والسلام وأمير السحرة التقيا فقال له موسى أرأيتك إن غلبتك أتؤمن بى وتشهد أن ما جئت به الحق فقال الساحر والله لئن غلبتنى لأؤمن بك وفرعون يسمعهم وهو الذى نشأ عنه هذا القول (لتخرجوا منها أهلها) أى القبط وتخلص هى لك ولبنى إسرائيل ● وهاتان شبهتان ألقاهما إلى أسماع عوام القبط عند معاينتهم لارتفاع أعلام المعجزة ومشاهدتهم لخضوع أعناق السحرة لها وعدم تمالكهم من أن يؤمنوا بها لينعمهم بهما عن الإيمان بنبوة موسى عليه الصلاة والسلام بإراءة أن إيمان السحرة مبنى على المواضعة بينهم وبين موسى وأن غرضهم بذلك إخراج القوم من المدينة وإبطال ملكهم ومعلوم أن مفارقة الأوطان المألوفة والنعمة المعروفة مما لا يطاق به فجمع اللعين بين الشبهتين تثبيتاً للقبط على ما هم عليه وتهيجاً لعداوتهم له عليه الصلاة والسلام ثم عقبهما بالوعيد ليريه أن له قوة وقدرة على المدافعة فقال (فسوف تعلمون) أى عاقبة ما فعلتم وهذا وعيد ساقه بطريق ● الإجمال للتحويل ثم عقبه بالتفصيل فقال (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلف) أى من كل شق طرفاً ١٢٤ (ثم لأصلبكنم أجمعين) نفضيحاً لكم وتنكيلاً لأمثالكم . قيل هو أول من سن ذلك فشرعه الله تعالى ● لقطع الطريق تعظيماً لجرمهم ولذلك سماه الله تعالى محاربة لله ورسوله (قالوا) استئناف مسوق للجواب ١٢٥

وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِعَايَتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنا
مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾

٧ الأعراف

وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ
سَنُقْتِلُ أبنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾

٧ الأعراف

قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾

٧ الأعراف

- عن سؤال ينساق إليه الذهن كأنه قيل فإذا قال السحرة عند ما سمعوا وعيد فرعون هل تأثروا به أو
● تصلبوا فيما هم فيه من الدين فقيل قالوا ثابتن على ما أعددوا من الإيمان (إنا إلى ربنا منقلبون) أى بالموت
لا محالة فسواء كان ذلك من قبلك أو لا فلا نبأى بوعيدك أو إنا إلى رحمة ربنا ونوابه منقلبون إن فعلت
١٢٦ بنا ذلك كأنهم استطابوه شغفاً على لقاء الله تعالى أو إنا جميعاً إلى ربنا منقلبون فيحكم بيننا وبينك (وما
● تنقم منا) أى وما تنكر وتعيب منا (إلا أن آمناً بآيات ربنا لما جاءتنا) وهو خير الأعمال وأصل المفاخر
ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلباً لمرضااتك ثم أعرضوا عن مخاطبته لإظهار ألمنا في قلوبهم من العزيمة على
● ما قالوا وتقرير آله ففزعوا إلى الله عز وجل وقالوا (ربنا أفرغ علينا صبراً) أى افض علينا من الصبر
ما يغمرنا كما يغمر الماء أو صب علينا ما يطهرنا من أوضار الأوثان وأدناس الآثام وهو الصبر على وعيد
● فرعون (وتوفنا مسلمين) ثابتين على ما رزقنا من الإسلام غير مفتونين من الوعيد قيل فعل بهم
١٢٧ ما أوعدهم به وقيل لم يقدر عليه لقوله تعالى أنتم ومن اتبعكم الغالبون (وقال الملأ من قوم فرعون)
● مخاطبين له بعد ما شاهدوا من أمر موسى عليه السلام (أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض) أى فى
● أرض مصر بتغير الناس عليك وصرهم عن متابعتك (ويذرك) عطف على يفسدوا أو جواب الاستفهام
بالواو كافى قول الخطيئة [ألم أك جاركم ويكون بينى وبينكم المودة والإخاء] أى أكون منك ترك
موسى ويكون تركه إياك وقرى بالرفع عطفاً على أتذر أو استثناءً أو حالا وقرى بالسكون كأنه قيل
● يفسدوا ويذرك كقوله تعالى فأصدق وأكن (وآلهتك) ومعبوداتك قيل إنه كان يعبد الكواكب وقيل
صنع لقومه أصناماً وأمرهم بأن يعبدوها تقرباً إليه ولذلك قال أنا ربكم الأعلى وقرى وآلهتك أى
● عبادتك (قال) مجيباً لهم (سنقتل أبنائهم ونستحي نساءهم) كما كنا نفعل بهم ذلك من قبل ليعلم أنا على
ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم أنه المولود الذى حكم المنجمون والسكينة بذهاب ملكنا على يديه
● وقرى سنقتل بالتخفيف (وإنا فوقهم قاهرون) كما كنا لم يتغير حالنا أصلاً وهم مقهورون تحت أيدينا
١٢٨ كذلك (قال موسى لقومه) تسلية لهم وعدة بحسن العاقبة حين سمعوا قول فرعون وتضجروا منه
● (استعينوا بالله واصبروا) على ما سمعتم من أقاويله الباطلة (إن الأرض لله) أى أرض مصر أو جنس

قَالُوا أَوْزَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾

٧ الأعراف

وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾

٧ الأعراف

- الأرض وهي داخلة فيها دخولا أولياً (بورئها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) الذين أنتم منهم وفيه إيدان بأن الاستعانة بالله تعالى والصبر من باب التقوى وقرىء والعاقبة بالنصب عطفاً على اسم إن (قالوا) أي بنو إسرائيل (أوزينا) أي من جهة فرعون (من قبل أن تأتينا) أي بالرسالة يعنون بذلك قتل ١٢٩ أنبائهم قبل مولد موسى عليه الصلاة والسلام وبعده (ومن بعد ما جئتنا) أي رسولا يعنون به ما توعدهم به من إعادة قتل الأبناء وسائر ما كان يفعل بهم لعداوة موسى عليه السلام من فنون الجور والظلم والعذاب وأما ما كانوا يستعبدون به ويمتنعون فيه من أنواع الخدم والمهن كما قيل فليس مما يلحقهم بواسطته عليه السلام فليس لذكره كثير ملازمة بالمقام (قال) أي موسى عليه الصلاة والسلام لما رأى شدة جزعهم مما شاهدوه مسلياً لهم بالتصريح بما لوح به في قوله إن الأرض لله الخ (عسى ربكم أن يهلك عدوكم) الذي فعل بكم ما فعل وتوعدكم بإعادته (ويستخلفكم في الأرض) أي يجعلكم خلفاء في أرض مصر (فينظر كيف تعملون) أحسننا أم قبيحاً فيجازيكم حسبما يظهر منكم من الأعمال وفيه تأكيد للتسليية وتحقيق للأمر قيل لعل الإتيان بفعل الطمع لعدم الجزم منه عليه السلام بأنهم هم المستخلفون بأعيانهم أو أولادهم فقد روى أن مصر إنما فتحت في زمن داود عليه السلام ولا يساعده قوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها فإن المتبادر استخلاف أنفس المستضعفين لاستخلاف أولادهم وإنما جيء بفعل الطمع للجرى على سنن الكبرياء (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) شروع في ١٣٠ تفصيل مبادئ الهلاك الموعود وإيدان بأنه تعالى لم يمهلم بعد ذلك ولم يكونوا في خفض ودعة بل رتبت أسباب هلاكهم فتحولوا من حال إلى حال إلى أن حل بهم عذاب الاستئصال وتصدير الجملة بالقسم لإظهار الاعتناء بمضمونها والسنون جمع سنة والمراد بها عام القحط وفيها الغتان أشهرهما إجرأوها مجرى المذكر السالم فيرفع بالواو وينصب ويجر بالياء ويحذف نونه بالإضافة واللغة الثانية إجراء الإعراب على النون والكن مع الياء خاصة إما بإثبات تنوينها أو بحذفه قال الفراهي في اللغة مصروفة عند بني عامر وغير مصروفة عند بني تميم ووجه حذف التنوين التخفيف وحيث لا يحذف النون بالإضافة وعلى ذلك جاء قول الشاعر [دعاني من نجد فإن سنينه * لعين بنا شيباً وشيفنا مرداً] وجاء الحديث اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف وسنين كسني يوسف باللغتين (ونقص من الثمرات) بإصابة الماهات عن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة إلا ثمرة . قال ابن عباس رضي الله عنهما أما السنون فكانت لباديتهم وأهل ماشيتهم وأما نقص الثمرات فكان في أمصارهم (لعلهم يذكرون) كي يتذكروا ويتعظوا بذلك وينفروا على أن ذلك لأجل معاصيهم وينزجر واعمالهم عليه من العتو والعتاد . قال الزجاج إن أحوال

فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا
إِنَّمَا طَّيَّرُوهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾

٧ الأعراف

وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَتَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾

٧ الأعراف

- العدة ترقى القلوب وترغب فيما عند الله عز وجل وفي الرجوع إليه تعالى ألا يرى إلى قوله تعالى وإذا
مسه الشر فذودوا عريض وقد مر تحقيق القول في لعل وفي محلها في تفسير قوله تعالى لعلكم تتقون
١٣١ في أوائل سورة البقرة وقوله تعالى (فإذا جاءتهم الحسنة) الخ بيان لعدم تذكركم وتماديهم في الغي أي
● فإذا جاءتهم السعة والخصب وغيرهما من الخيرات (قالوا لنا هذه) أي لأجلنا واستحقاقنا لها (وإن تصيبهم
● سيئة) أي جدد وبلاء (يطيروا بموسى ومن معه) أي يقشعوا بهاهم ويقولوا ما أصابنا إلا بشؤمهم
وهذا كما ترى شاهد بكمال مساواة قلوبهم ونهاية جهلهم وغباوتهم فإن الهدا ترقى القلوب وتلين العرائك
لا سيما بعد مشاهدة الآيات وقد كانوا بحيث لم يؤثر فيهم شيء منها بل ازدادوا عناداً وتعريف
الحسنة وذكرها بأداة التحقيق للإيذان بكثرة وقوعها وتعلق الإرادة بها بالذات كما أن تسكير السيئة
● وإيرادها بحرف الشك للإشعار بندرة وقوعها وعدم تعلق الإرادة بها إلا بالعرض وقوله تعالى (ألا
إنما طائرهم عند الله) استئناف مسوق من قبله تعالى لرد مقالتهم الباطلة وتحقيق الحق في ذلك وتصديره
بكلمة التنبيه لإبراز كمال العناية بمضمونه أي ليس سبب خيرهم إلا عنده تعالى وهو حكمه وشيئته
المتضمنة للحكم والمصالح أو ليس سبب شؤمهم وهو أعمالهم السيئة إلا عنده تعالى أي مكتوبة لديه فإنها
● التي ساقته إليهم ما يسوؤهم لا ما عداها وقرىء إنما طيروه وهو اسم جمع طائر وقيل جمع له (ولكن
أكثرهم لا يعلمون) ذلك فيقولون ما يقولون مما حكى عنهم وإسناد عدم العلم إلى أكثرهم للإشعار بأن
بعضهم يعلمون أن ما أصابهم من الخير والشر من جهة الله تعالى أو يعلمون أن ما أصابهم من المصائب
والبلاء باليس إلا بما كسبت أيديهم ولكن لا يعملون بمقتضاه عناداً واستكباراً (وقالوا) شروع في بيان
١٣٢ بعض آخر مما أخذ به آل فرعون من فنون العذاب التي هي في أنفسهم آيات بينات وعدم ارعواهم مع
ذلك عما كانوا عليه من الكفر والعناد أي قالوا بعد ما رأوا ما رأوا من شأن العصاة السنين ونقص الثمرات
● (مهما تأتينا به) كلمة مهما تستعمل للشرط والجزاء وأصلها ما الجزاءية ضمت إليها ما المازية للتأكيد كما
ضمت إلى أين وإن في أينما تكونوا وإما نذهبن بك خلا أن ألف الأولى قلبت هاء حذراً من تكرير
المتجانسين هذا هو الرأي السديد وقيل مه كلمة يصوت بها الناهي ضمت إليها ما الشرطية ومحلها الرفع
● بالابتداء أو النصب بفعل يفسره ما بعدها أي شيء تظن أنه لدينا وقوله تعالى (من آية) بيان لهم ما وتسميتهم
لها آية لمجاراتهم على رأى موسى عليه السلام واستهزائهم بها والإشعار بأن عنوان كونها آية لا يؤثر
● فيهم وقوله تعالى (لنسحرنا بها) إظهار لكمال الطفيلان والغلو فيه وتسمية الإرشاد إلى الحق بالسحر
وتسكير الأبصار والضمير أن المجروران راجعان إلى مهما وتذكير الأول لمراعاة جانب اللفظ لإيهامه

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَاءَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾

٧ الأعراف

وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمْوَسَىٰ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٣٤﴾

٧ الأعراف

- وتأنيث الثاني للمحافظة على جانب المعنى لتبيينه بآية كما في قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له (فما نحن لك بمؤمنين) بمصدقين لك ومؤمنين لنبوتك (فأرسلنا عليهم) عقوبة ١٣٣
- لجرائمهم لاسيما لقولهم هذا (الطوفان) أي الماء الذي طاف بهم وغشى أما كنهم وحروثهم من مطر أو سيل وقيل هو الجدرى وقيل الموتان وقيل الطاعون (والجراد والقمل) قيل هو كبار القردان وقيل أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها (والضفادع والدم) روى أنهم مطر واثمانية أيام في ظلمة شديدة لا يستطيع أن يخرج أحد من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه إلى تراقبهم ولم يدخل بيوت بني إسرائيل منه قطرة وهي في خلال بيوتهم وقاض الماء على أرضهم وركد فنعمهم من الحرث والتصرف ودام ذلك سبعة أيام فقالوا له عليه الصلاة والسلام ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن تؤمن بك فدعا فكشف عنهم فببت من العشب والكلأ مالم يعمد قبله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فأكل زروعهم وثمارهم وأبوابهم وسقوفهم وثيابهم ففزعوا إليه عليه الصلاة والسلام لما ذكر فخرج إلى الصحراء وأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت إلى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله تعالى عليهم القمل فأكل ما أبقتة الجراد وكان يقع في أطعمتهم ويدخل بين ثيابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا إليه ثالثاً فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن أنك ساحر ثم أرسل الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام إلا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب إلى قدورهم وهي تغلي وإلى أفواههم عند التكلم ففزعوا إليه رابعاً وتضرعوا فأخذ عليهم العهود فدعا فكشف الله عنهم فنقضوا العهد فأرسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دماء حتى كان يجتمع القبطى والإسرائيلى على إناء فيكون ما يليه دماً وما يلي الإسرائيلى ماء على حاله ويمص من فم الإسرائيلى فيصير دماً في فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف (آيات) حال من المنصوبات
 - المذكورة (مفصلات) مبيّنات لا يشكّل على عاقل أنها آيات الله تعالى ونقمتها وقيل مفرقات بعضها من بعض لا متجان أحواهم وكان بين كل آيتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة منها أسبوعاً وقيل إنه عليه السلام لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل (فاستكبروا) أي عن الإيمان بها (وكانوا قوماً مجرمين) جملة معترضة مقررة لمضمون ما قبلها (ولما وقع عليهم الرجز) أي ١٣٤
 - العذاب المذكور على التفصيل فاللام للجنس المنتظم لكل واحدة من الآيات المفصلة أي كلما وقع عليهم عقوبة من تلك العقوبات قالوا في كل مرة (يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) أي بعهده عندك وهو
- ٣٤ - أبو السعود ج ٢، ٣

فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١٣٥﴾

فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾

وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْخُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا

يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

٧ الأعراف

- النبوّة أو بالذي عهد إليك أن تدعوه فيجيبك كما أجابك في آياتك وهو صلة لادع أحوال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلاً إليه بما عهد عندك أو متعلق بمحذوف دل عليه التماسهم مثل أسعفنا إلى ما نطلب بحق ما عندك أو قسم أجيب بقوله تعالى (لئن كشفت عنا الرجز) الذي وقع علينا (لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل) أى أقسمنا بعهده الله عندك لئن كشفت الخ (فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه)
- ١٣٥ أى إلى حد من الزمان هم بالغوه فعذبون بعده أو مهلكون (إذا هم ينكثون) جواب لما أى فلما كشفنا عنهم فاجتوا النكث من غير تأمل وتوقف (فانتقمنا منهم) أى فاردنا أن ننتقم منهم لما أسلفوا من المعاصى والجرائم فإن قوله تعالى (فأغرقناهم) عين الانتقام منهم فلا يصح دخول الفاء بينهما ويجوز أن يكون المراد مطلق الانتقام منهم والفاء تفسيرية كما في قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب الخ (فى اليم)
- فى البحر الذى لا يدرك قعره وقيل فى لجته (بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) تعليل للإغراق أى كان إغراقهم بسبب تكذيبهم بآيات الله تعالى وإعراضهم عنها وعدم تفكيرهم فيها بحيث صاروا كالغافلين عنها بالكلية والفاء وإن دلت على ترتب الإغراق على ما قبله من النكث ولكنه صرح بالتعليل إيداناً بأن مدار جميع ذلك تكذيب آيات الله تعالى والإعراض عنها ليكون ذلك مزرعة للسامعين عن تكذيب الآيات الظاهرة على يد رسول الله ﷺ والإعراض عنها (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون)
- ١٣٧ أى بالاستعباد وذبح الأبناء والجمع بين صيغتي الماضى والمستقبل للدلالة على استمرار الاستضعاف وتجدده وهم بنو إسرائيل ذكروا بهذا العنوان لإظهار أكمال لطفه تعالى بهم وعظيم إحسانه إليهم فى رفعهم من حضية المذلة إلى أوج العزة (مشارك الأرض ومغاربها) أى جانبيها الشرق والغرب حيث ملكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة والعمالة وتصرفوا فى أكتافها الشرقية والغربية كيف شاءوا وقوله تعالى (التي باركنا فيها) أى بالخصب وسعة الأرزاق صفة للشارق والمغرب وقيل للأرض وفيه ضعف
- لفصل بين الصفة والموصوف بالمعطوف كما فى قولك قام أم هند وأبوها العاقلة (وتمت كلمة ربك الحسى) وهى وعده تعالى إياهم بالنصر والتمكين كما ينبى عنه قوله تعالى ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين وقرىء كلمات لتعدد المواعيد ومعنى تمت مضت واستمرت (على

وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامِهِمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾

٧ الأعراف

إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم بِفَاعِلُونَ ﴿١٣٩﴾

٧ الأعراف

- بنى إسرائيل بما صبروا (أى بسبب صبرهم على الشدائد التى كابدوها من جهة فرعون وقومه (ودرنا)
- أى خربنا وأهلكنا (ما كان يصنع فرعون وقومه) من المهارات والقصور أى ودرنا الذى كان فرعون يصنعه على أن فرعون اسم كان يصنع خبر مقدم والجملة السكونية صلة ما والعائد محذوف وقيل اسم كان ضمير عائد إلى ما الموصولة ويصنع مسند إلى فرعون والجملة خبر كان والعائد محذوف أيضاً والتقدير ودرنا الذى كان هو يصنعه فرعون الخ وقيل كان زائدة وما يصنع فرعون الخ وقيل كان زائدة كما ذكر وما موصولة اسمية والعائد محذوف تقديره ودرنا الذى يصنعه فرعون الخ أى صنعه والعدول إلى صيغة المضارع على هذين القولين لاستحضار الصورة (وما كانوا يعرشون) من الجنات أو ما كانوا يرفعونه من البنيان كهرح هامان وقرى يعرشون بضم الراء والكسر أفصح وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله عز وجل (وجاوزنا بنى إسرائيل البحر) شروع فى قصة بنى إسرائيل ١٣٨ وشرح ما أحدثوه من الأمور الشنيعة بعد أن أنقذهم الله عز وجل من ملكة فرعون ومن عليهم من النعم العظام الموجبة للشكر وأراهم من الآيات الكبار ما تخر له شم الجبال تسلياً لرسول الله ﷺ وإيقاظاً للؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة أنفسهم ومراقبة أحوالهم وجاوز بمعنى جاوز وقرى جاوزنا بالتشديد وهو أيضاً بمعنى جاوز فعدى بالباء أى قطعنا بهم البحر . روى أنه عبر بهم موسى عليه السلام يوم عاشوراء بعد ما أهلك الله تعالى فرعون فصاموه شكراً لله عز وجل (فأتوا) أى مروا (على قوم) قيل كانوا من لحم وقيل من العماقة الكنعانيين الذين أمر موسى عليه السلام بقتالهم (يعكفون على أصنام لهم) أى يواظبون على عبادتها ويلازمونها وقرى بكسر الكاف قال ابن جريج كانت أصنامهم تماثيل بقر وهو أول شأن العجل (قالوا) عند ما شاهدوا أحوالهم (يا موسى اجعل لنا إلهاً) مثلاً نعبده (كما لهم آلهة) الكاف متعلقة بمحذوف وقع صفة لإلهاً وماموصولة ولهم صلتها وآلهة بدل من ما والتقدير اجعل لنا إلهاً كأننا كالذى استقر هو لهم (قال إنكم قوم تجهلون) تعجب عليه السلام من قولهم هذا لآثر ما شاهدوا من الآية الكبرى والمعجزة العظمى فوصفهم بالجمل المطلق إذ لا جهل أعظم مما ظهر منهم وأكد بقوله (إن هؤلاء) يعنى القوم الذين يعبدون تلك التماثيل (متبر) أى مدمر مكسر (ما هم فيه) أى من الدين ١٣٩ الباطل أى يتبر الله تعالى ويهدم دينهم الذى هم عليه عن قريب ويحطم أصنامهم ويتركها رضاءاً وإنما جرى بالجملة الاسمية للدلالة على التحقيق (وباطل) أى مضمحل بالكلية (ما كانوا يعملون) من عبادتها وإن كان قصدهم بذلك التقرب إلى الله تعالى فإنه كفر محض وليس هذا كافى قوله تعالى وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً كما توهم فإن المراد به أعمال البر التى عملوها فى الجاهلية فإنها فى أنفسها حسنات

٧ الأعراف

قَالَ أَغْيِرَ اللَّهُ أْبْيَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾

وَلَمَّا أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ

٧ الأعراف

وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾

وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَنَمِيقَتْ رَبِّيَّةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ

٧ الأعراف

هَارُونَ أَخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلَحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾

لوقارنت الإيمان لاستتبعته أجورها وإنما بطلت لمقارنتها الكفر وفي إيقاع هؤلاء اسماً لأن وتقديم الخبر من الجملة الواقعة خبراً لها وسم لعبدة الأصنام بأنهم هم الأمر وضون للتبار وأنه لا يعدوم البتة وأنه لهم هزيمة لازمة ليجزئهم عاقبة ما طلبوا ويغض إليهم ما أحبوا (قال أغير الله أبيعكم إلهاً) شروع في بيان شئون الله تعالى الموجهة لتخصيص العبادة به تعالى بعد بيان أن ما طلبوا عبادته بما لا يمكن طلبه أصلاً لكونه هالكاً باطلاً ولذلك وسط بينهما قال مع كون كل منهما كلام موسى عليه الصلاة والسلام والاستفهام للإنكار والتعجب والتوبيخ وإدخال الهمزة على غير الإيذان بأن المنكر هو كون المبعي غيره تعالى لما أنه لا اختصاص الإنكار بغيره تعالى دون إنكار الاختصاص بغيره تعالى وانتصاب غيره على أنه مفعول أبيع بحذف اللام أي أبيع لكم أي أطلب لكم غير الله تعالى وإلهاً إما تمييز أو حال أو على الحالية من إلهاً وهو المفعول لا بني على أن الأصل أبيع لكم إلهاً غير الله فغير الله صفة لإلهاً فلما قدمت صفة النكرة انتصبت حالا (وهو فضلكم على العالمين) أي والحال أنه تعالى خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على ما صنعوا من سوء المعاملة حيث قبلوا تخصيص الله تعالى لإياهم من بين أمثالهم بما لم يستحقوه تفضلاً بأن عمدوا إلى أخس شيء من مخلوقاته فجعلوه شريكاً له تعالى تباراً لهم ولما يعبدون (ولما أنجيناكم) تذكير لهم من جهته سبحانه بنعمة الإنجاء من ملكة فرعون وقرى نجيناكم من التنجية وقرى أنجاءكم فيكون مسوقاً من جهة موسى عليه الصلاة والسلام أي واذكروا وقت إنجائنا إياكم (من آل فرعون) من ملكتهم لا بمجرد تخليصكم من أيديهم وهم على حالهم في المسكنة والقدرة بل يهلكهم بالسكينة وقوله تعالى (يسومونكم سوء العذاب) من سامه خسفاً أي أولاه إياه أو كلفه إياه وهو إما استئناف لبيان ما أنجائهم منه أو حال من المخاطبين أو من آل فرعون أو منهما معاً لاشتماله على ضميريهما وقوله تعالى (يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم) بدل من يسومونكم مبين أو مفسر له (وفي ذلكم) الإنجاء أو سوء العذاب (بلاء) أي نعمة أو محنة (من ربكم) من مالك أمركم فإن النعمة والنقمة كلتاها منه سبحانه وتعالى (عظيم) لا يقادر قدره (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) روى أن موسى عليه السلام وعد بني إسرائيل وهم بمصر إن أهلك الله عدوم أناهم بكتاب فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى عليه السلام ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين يوماً وهو شهر ذى القعدة فلما أتم الثلاثين أنكر خلف فيه فتسوك

وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرِنِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

٧ الأعراف

- فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ كُنَّا نَتَشَمُّ مِنْ فَيْكِ رَائِحَةِ الْمَسْكِ فَأَفْسَدَتْهُ بِالسَّوَاكِ وَقِيلَ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رِيحَ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدِي مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ فَأَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ يَزِيدَ عَلَيْهَا عَشْرَةَ أَيَّامٍ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ لِذَلِكَ وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ) وَالتَّعْبِيرُ عَنْهَا بِاللِّبَالِ لِأَنَّهَا غَرَّرَ الشُّهُورَ وَقِيلَ أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى • بِأَنْ يَصُومَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا وَأَنْ يَعْمَلَ فِيهَا بِمَا يَقْرِبُهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ثُمَّ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ التَّوْرَةُ فِي الْعَشْرِ وَكَلَّمَ فِيهَا وَقَدْ أَجَلَ ذَكَرَ الْأَرْبَعِينَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَفَصَلَ هَهُنَا وَوَاْعَدْنَا بِمَعْنَى وَعَدْنَا وَقَدْ قَرِئَ كَذَلِكَ وَقِيلَ الصَّيْغَةُ عَلَى بَابِهَا بِنَاءٌ عَلَى تَنْزِيلِ قَبُولِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنْزِلَةَ الْوَعْدِ وَثَلَاثِينَ مَفْعُولٌ ثَانٍ لَوَاْعَدْنَا بِمَحْذُوفٍ الْمُضَافِ أَيْ لِتَمَامِ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً (فَمِ مِيقَاتِ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) أَيْ بِالْعَاقِبَةِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً (وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ) حِينَ تَوَجَّهَ إِلَى الْمُنَاجَاةِ حَسْبَ أَمْرِهِ (أَخْلَفَنِي) أَيْ كُنْ خَلِيفَتِي (فِي قَوْمِي) وَرَاقِبُهُمْ فِيمَا يَأْتُونَ وَمَا يَنْدُرُونَ (وَأَصْلَحْ) مَا يَحْتَاجُ إِلَى الْإِصْلَاحِ مِنْ أُمُورِهِمْ أَوْ كُنْ مُصْلِحًا (وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) أَيْ لَا تَتَّبِعْ مِنْ سَبِيلِ الْإِفْسَادِ وَلَا تَقْطَعْ مِنْ دَعَاكَ إِلَيْهِ (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا) لَوْقَتِنَا الَّذِي وَقْتَنَاهُ وَاللَّامُ ١٤٣ لِلْإِخْتِصَاصِ أَيْ اخْتَصَّ بِمِيقَاتِنَا (وَكَلَّمَ رَبَّهُ) مِنْ غَيْرِ وَاسْطَةِ كَمَا يَكَلِّمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَفِيهَا • رَوَى أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ يَسْمَعُ ذَلِكَ مِنْ كُلِّ جَهَةٍ تَنْبِيْهُ عَلَى أَنْ سَمَاعُ كَلَامِهِ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ مِنْ جَنْسِ سَمَاعِ كَلَامِ الْمُحَدِّثِينَ (قَالَ رَبُّهُ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ) أَيْ أَرِنِي ذَاتَكَ بِأَنْ تَمَكِّنَنِي مِنْ رُؤْيَاكَ أَوْ تَنْجِلَنِي لِي فَأَنْظُرَ إِلَيْكَ وَأَرَاكَ وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ رُؤْيَاكَ تَعَالَى جَائِزَةٌ فِي الْجُمْلَةِ لَمَّا أَنَّ طَلِبَ الْمُسْتَحِيلَ مُسْتَحِيلٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لَا سِيَّمَا مَا يَقْتَضِي الْجَهْلَ بِشُكُونِ اللَّهِ تَعَالَى وَلِذَلِكَ رَدَّهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى لَنْ تَرَانِي دُونَ لَنْ أَرِي وَلَنْ أَرِيكَ وَلَنْ تَنْظُرَ إِلَى تَنْبِيْهِ عَلَى أَنَّهُ قَاصِرٌ عَنْ رُؤْيَاكَ لِتَوْقُفِهَا عَلَى مَعْدَى الرَّائِي وَلَمْ يَوْجَدْ فِيهِ ذَلِكَ بَعْدَ وَجْعَلِ السُّؤَالَ لِتَبْكِيَّتِ قَوْمِهِ الَّذِينَ قَالُوا أَرَنَا اللَّهُ جَهْرَةً خَطَأً إِذْ لَوْ كَانَتِ الرُّؤْيَا مُنْتَعَةً لَوْ جَبَّ أَنْ يَجْهَلُوهُمْ وَيَزِيحُ شَبْهَتَهُمْ كَمَا فَعَلَ ذَلِكَ حِينَ قَالُوا اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا وَأَنْ لَا يُتَّبَعَ سَبِيلُهُمْ كَمَا قَالَ لِأَخِيهِ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ وَالِاسْتِدْلَالُ بِالْجَوَابِ عَلَى اسْتِحْجَالِهَا أَشَدَّ خَطَأً إِذْ لَا يَدُلُّ الْإِخْبَارُ بِعَدَمِ رُؤْيَاكَ إِلَّا بِأَنَّهُ لَا يَرَاهُ أَبَدًا وَأَنْ لَا يَرَاهُ غَيْرُهُ أَصْلًا فَضْلًا عَنْ أَنْ يَدُلَّ عَلَى اسْتِحْجَالِهَا وَدَعَايَ الْضَّرُورَةَ مَكَابِرَةً أَوْ جَهْلَ الْحَقِيقَةِ الرُّؤْيَا (قَالَ) اسْتِثْنَا فَمِنَى عَلَى سُؤَالِ نَشَأٍ مِنَ الْكَلَامِ كَأَنَّهُ قِيلَ فَمَاذَا قَالَ رَبُّ الْعِزَّةِ حِينَ قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ • السَّلَامُ مَا قَالُ فَقِيلَ قَالَ (لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانُهُ فَسَوْفَ تَرَانِي) اسْتِدْرَاكُ لِبَيَانِ أَنَّهُ لَا يُطَبِّقُ بِهَا فِي تَعْلِيلِهَا بِاسْتِقْرَارِ الْجَبَلِ أَيْضًا دَلِيلٌ عَلَى الْجَوَازِ ضَرْوَةً أَنَّ الْمَعْلُوقَ بِالْمُمْكِنِ مُمْكِنٌ وَالْجَبَلُ قِيلَ هُوَ جَبَلُ أَرْدَنِ (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ) أَيْ ظَهَرَتْ لَهُ عَظَمَتُهُ وَتَصَدَّى لَهُ اقْتِدَارُهُ وَأَمْرُهُ وَقِيلَ • أَعْطَى الْجَبَلَ حَيَاةً وَرُؤْيَا حَتَّى رَأَاهُ (جَعَلَهُ دَكًّا) مَدْكُوكًا مُفْتَنًا وَالدُّقُّ أَخْوَانُ كَالشُّكِّ وَالشُّقِّ •

قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي نَخَذَ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾

٧ الأعراف

وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ نَخَذَ بِقُوَّةٍ وَأَمْرٌ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأَوْرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾

٧ الأعراف

- وقرىء دكاه أى أرضاً مستوية ومنه ناقة دكاه للى لا سنام لها وقرىء دكا جمع دكاه أى قطعاً (وخر موسى
- صعباً) مغشياً عليه من هول ما رآه (فلما أفاق) الإفاقة رجوع العقل والفهم إلى الإنسان بعد ذهابهما
- بسبب من الأسباب (قال) تعظيماً لما شاهده (سبحانه) أى تنزيهاً لك من أن أسالك شيئاً بغير إذن
- منك (تبت إليك) أى من الجراءة والإقدام على السؤال بغير إذن (وأنا أول المؤمنين) أى بعظمتك
- ١٤٤ وجلالك وقيل أول من آمن بأنك لا ترى فى الدنيا وقيل بأنه لا يجوز السؤال بغير إذن منك (قال ياموسى)
- استئناف مسوق لتسليته عليه الصلاة والسلام من عدم الإجابة إلى سؤال الرؤية كأنه قيل إن منعتك
- الرؤية فقد أعطيتك من النعم العظام ما لم أعط أحداً من العالمين فاغتنمها وثابر على شكرها (إني اصطفتيك)
- أى اخترتك واتخذتك صفوة وآثرتك (على الناس) أى المعاصرين لك وهرون وإن كان نبياً كان ما موراً
- باتباعه وما كان كلياً ولا صاحب شرع (برسالاتى) أى بأسفار التوراة وقرىء برسالتى (وبكلامى)
- وبتكليمى إياك بغير واسطة (نخذ ما آتيتك) أى أعطيتك من شرف النبوة والحكمة (وكن من الشاكرين)
- ١٤٥ على ما أعطيت من جلائل النعم . قيل كان سؤال الرؤية يوم عرفة وإعطاء التوراة يوم النحر (وكتبنا
- له فى الألواح من كل شيء) أى بما يحتاجون إليه من أمور دينهم (موعظة وتفصيلاً لكل شيء) بدل من
- الجار والمجرور أى كتبنا له كل شيء من المواعظ وتفصيل الأحكام واختلاف فى عدد الألواح وفى جوهرها
- ومقدارها فقيل إنها كانت عشرة ألواح وقيل سبعة وقيل لوحين وإنما كانت من زمردة جاء بها جبريل
- عليه السلام وقيل من زبرجدة خضراء أو ياقوتة حمراء وقيل أمر الله تعالى موسى بقطعها من صخرة
- صماء لينهاه فقطعها بيده وشققها بأصابعه وعن الحسن رضى الله عنه كانت من خشب نزلت من السماء فيها
- التوراة وإن ظو لها كان عشرة أذرع وقيل أنزلت التوراة وهى سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه فى سنة
- لم يقرأها إلا أربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى عليهم السلام وعن مقاتل رضى الله عنه كتب فى
- الألواح إني أنا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا أبى شيئاً ولا تقطعوا السبيل ولا تزنوا ولا تعفوا الوالدين
- (نخذها) على إضمار قول معطوف على كتبنا أى فقلنا خذها (بقوة) بجد وعزيمة وقيل هو بدل من قوله
- تعالى نخذ ما آتيتك والضمير للألواح أول كل شيء لأنه بمعنى الأشياء أو للرسالة أو للتوراة (وأمر قومك
- يأخذوا بأحسنها) أى بأحسن ما فيها كالغفر والصبر بالإضافة إلى الاقتصاص والانتصار على طريقة الندب
- والحث على اختيار الأفضل كما فى قوله تعالى واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم أو بواجباتها فإنها

سَاصِرُفٌ عَنْ ءَايَتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا
وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَبُوا
بِعَايَتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾

٧ الأعراف

أحسن من المباح وقيل المعنى بأخذوا بها وأحسن صلة قال قطرب أى بحسنها وكلها حسن كقوله تعالى
ولذكر الله أكبر وقيل هو أن تحمل الكلمة المحتملة لمعنيين أو لمعان على أشبه محتملاتها بالحق وأقربها
إلى الصواب (سأريكم دار الفاسقين) تلوين للخطاب وتوجيه له إلى قومه عليه الصلاة والسلام بطريق
الالتفات حملا لهم على الجد في الامتثال بما أمروا به إما على نهج الوعيد والترهيب على أن المراد بدار
الفاسقين أرض مصر وديار عاد وثمود وأضرابهم فإن رؤيتهم وهى الخالية عن أهلها غاوية على عروشها
موجبة للاعتبار والانزعاج عن مثل أعمال أهلها كيلا يحل بهم ما حل بأولئك وإما على نهج الوعد
والترغيب على أن المراد بدار الفاسقين إما أرض مصر خاصة أو مع أرض الجبارة والعمالقة بالشام فإنها
أيضاً بما أتىح لبنى إسرائيل وكتب لهم حسبما ينطق به قوله عز وجل يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة
التي كتب الله لكم ومعنى الإراءة الإدخال بطريق الإيثار ويؤيده قراءة من قرأ سأورثكم بالثاء الثلاثة
كما فى قوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها وقرى سأورثكم ولعله
من أورث الزندأى سأبينها لكم وقوله تعالى (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون فى الأرض) استئناف ١٤٦
مسوق لتحذيرهم عن التكبر الموجب لعدم التفكير فى الآيات التى هى ما كتب فى ألواح التوراة من المواعظ
والأحكام أو ما يعمها وغيرها من الآيات التكوينية التى من جملتها ما وعد إرأته من دار الفاسقين ومعنى
صرفهم عنها الطبع على قلوبهم بحيث لا يكادون يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها لإصرارهم على مام عليه
من التكبر والتجبر كقوله تعالى فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح
لإظهار الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر مع أن فى المؤخر نوع طول يحل تقديمه بتجاوب أطراف
النظم الجليل أى سأطبع على قلوب الذين يعدون أنفسهم كبراء ويرون لهم على الخلق مزية وفضلا
فلا ينتفعون بآياتى التنزيلية والتكوينية ولا يفتنمون مغام آثارها فلا تسلكوا مسلكهم لتكونوا
أمنائهم وقيل المعنى سأصرفهم عن إبطالها وإن اجتهدوا كما اجتهد فرعون فى إبطال مارأه من الآيات
فأبى الله تعالى إلا إحقاق الحق وإزهاق الباطل وعلى هذا فالأنسب أن يراد بدار الفاسقين أرض الجبارة
والعمالقة المشهورين بالفسق والتكبر فى الأرض وإيرأتها للخطابين لإدخالهم الشام وإسكانهم فى
مسكنهم ومنازلهم حسبما نطق به قوله تعالى يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ويكون
قوله تعالى سأصرف عن آياتي الخ جواباً عن سؤال مقدر ناشئ من الوعد بإدخال الشام على أن المراد
بالآيات ما تلى آتفاً ونظائره وبصرفهم عنها إزالتهم عن مقام معارضتها وما نعتها لوقوع أخبارها وظهور
أحكامها وآثارها ياهلاكم على يد موسى عليه الصلاة والسلام حين سار بعد التيه بمن بقى من بنى إسرائيل

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ ٧ الأعراف
وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُمُ خُورَ أَلَمَ يَرَوْا أَنَّهُمْ لَا يَكْفِيهِمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ
سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ ٧ الأعراف

- أو بغيرياتهم على اختلاف الروايتين إلى أريحا وبوشع بن نون في مقدمته ففتحها واستقر بنو إسرائيل بالشام وملكوا مشارقها ومغاربها كأنه قيل كيف يرون دارهم وهم فيها فقيل سألهمكم وإنما عدل إلى الصرف ليزدادوا ثقة بالآيات واطمئنانا بها وقوله تعالى (بغير الحق) إما صلة للتكبر أى يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل وظلمهم المفرط أو متعلق بمحذوف هو حال من فاعله أى يتكبرون ملتبسين بغير الحق وقوله تعالى (وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها) عطف على يتكبرون داخل معه فى حكم الصلة والمراد بالآية إما المنزلة فالمراد برؤيتها مشاهدتها بسماعها أو ما يعمها وغيرها من المعجزات فالمراد برؤيتها مطلق المشاهدة المنتظمة للسمع والإبصار أى وإن يشاهدوا كل آية من الآيات لا يؤمنوا بها على عموم النفي لا على نفي العموم أى كفروا بكل واحدة منها لعدم اجتنابهم إياها كما هى وهذا كما ترى يؤيد كون الصرف بمعنى الطبع وقوله تعالى (وإن يروا سبيل الرشداً لا يتخذوه سبيلاً) عطف على ما قبله داخل فى حكمه أى لا يتوجهون إلى الحق ولا يسلكون سبيله أصلاً لا سبيله الشيطنة عليهم ومطبوعتهم على الانحراف والزيغ وقرئ بفنحتين وقرئ الرشاد وثلاثه الغات كالسقم والسقم والسقام (وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً) أى يختارونه لا أنفسهم مسلكاً مستمراً لا يكادون يعدلون عنه
- لموافقته لا هوأتهم الباطلة وإفضائه بهم إلى شهواتهم (ذلك) إشارة إلى ما ذكر من تكبرهم وعدم إيمانهم بشيء من الآيات وإعراضهم عن سبيل الرشاد وإقبالهم التام إلى سبيل الغي وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (بأنهم) أى حاصل بسبب أنهم (كذبوا بآياتنا) الدالة على بطلان ما اتصفوا به من القباح وعلى حقيقة أضدادها (وكانوا عنها غافلين) لا يتفكرون فيها وإلا لما فعلوا ما فعلوا من الأباطيل ويجوز أن يكون إشارة إلى ما ذكر من الصرف ولا يمنعه الإشعار بعلمية ما فى حيز الصلة كيف لا وقد مر أن ذلك فى قوله تعالى ذلك بما عصوا الآية يجوز أن يكون إشارة إلى ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم مع كون ذلك معللاً بالكفر بآيات الله صريحاً وقيل محل اسم الإشارة النصب على المصدر أى ساء صرفهم
- ذلك الصرف بسبب تكذيبهم بآياتنا وغفلتهم عنها (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) أى وبلقائهم الدار الآخرة أو لقائهم ما وعده الله تعالى فى الآخرة من الجزاء ومحل الموصول الرفع على الابتداء وقوله تعالى (حبطت أعمالهم) خبره أى ظهر بطلان أعمالهم التى كانوا عملوها من صلة الأرحام وإغاثة الملهوفين
- ونحو ذلك أو حبطت بعد ما كانت مرجوة النفع على تقدير إيمانهم بها (هل يجزون) أى لا يجزون (إلا ما كانوا يعملون) أى إلا جزاء ما كانوا يعملونه من الكفر والمعاصى (واتخذ قوم موسى من بعده) أى من بعد ذهابه إلى الطور (من حلبيهم) متعلق باتخذ كالجار الأول لا اختلاف معنيهما فإن الأول للابتداء

وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ

٧ الأعراف

الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

- والثاني للتبويض أو للبيان أو الثاني متعلق بمحذوف وقع حالا بما بعده إذ لو تأخر لكان صفة له وإضافة الحلي إليهم مع أنها كانت للقبط لأدنى الملايسة حيث كانوا استعاروها من أربابها قبيل الفرق فبقيت في أيديهم وأما أنهم ملكوها بعد الفرق فذلك منوط بتملك بنى إسرائيل غنائم القبط وهم مستأمنون فيها بينهم فلا يساعده قولهم حملنا أوزاراً من زينة القوم والحلي بضم الحاء وكسر اللام جمع حلى كندى وندى وقرى بكسر الحاء بالاتباع كدلى وقرى حليهم على الأفراد وقوله تعالى (عجلاً) مفعول اتخذ آخر عن المجرور لما مر من الاعتناء بالمقدم والنشوب إلى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم وقيل هو متعدد إلى اثنين بمعنى التصيير والمفعول الثاني محذوف أى إلهاً وقوله تعالى (جسداً) بدل من عجلاً أى جثثاً دم ولحم أو جسداً من ذهب لا روح معه وقوله تعالى (له خوار) أى صوت بقر وقرى بالجيم والهمزة وهو الصياح نعت لعجلاً . روى أن السامري لما صاغ العجل ألقي في فمه تراباً من أثر فرس جبريل عليه الصلاة والسلام وقد كان أخذه عند فلق البحر أو عند توجهه إلى الطور فصار حياً وقيل صاغه بنوع من الحيل فدخل الريح في جوفه فيصوت والآنسب بما في سورة طه هو الأول وإنما نسب اتخاذه إليهم وهو فعله إما لأنه واحد منهم وإما لأنهم رضوا به فكأنهم فعلوه وإما لأن المراد بالاتخاذ اتخاذهم إياه إلهاً لا صنعه وإحداثه (ألم يروا أنه لا يكلمهم) استئناف مسوق لتقريرهم وتشنيعهم وتركيب عقولهم وتفسيرهم فيما أقدموا عليه من المنكر الذي هو اتخاذ إلهاً أى ألم يروا أنه ليس فيه شيء من أحكام الألوهية حيث لا يكلمهم (ولا يهديهم سبيلاً) بوجه من الوجوه فكيف اتخذوه إلهاً وقوله تعالى (اتخذوه) أى فعلوا ذلك (وكانوا ظالمين) أى واضعين للأشياء في غير موضعها فلم يكن هذا أول منكر فعلوه والجملة اعتراض تذييلي وتكرير اتخذوه لثنية التشنيع وترتيب الاعتراض عليه (ولما سقط في ١٤٩ أيديهم) أى ندموا على ما فعلوا غاية الندم فإن ذلك كناية عنه لأن النادم المتحسر يعرضه غمًا فتصير يده مسقوطة فيها وقرى سقط على البناء للفاعل بمعنى وقع العض فيها فاليد حقيقة وقال الزجاج معناه سقط الندم في أنفسهم إما بطريق الاستعارة بالكناية أو بطريق التمثيل (ورأوا أنهم قد ضلوا) باتخاذ العجل أى تبينوا بحيث تيقنوا بذلك حتى كأنهم رأوه بأعينهم وتقديم ذكر ندمهم على هذه الرؤية مع كونه متأخراً عنها للمسارعة إلى بيانه والإشعار بغاية سرعتة كأنه سابق على الرؤية (قالوا) والله (لئن لم يرحمنا ربنا) يأنزال التوبة المكفرة (ويغفر لنا) ذنوبنا بالتجاوز عن خطيئتنا وتقديم الرحمة على المغفرة مع أن التخلية حقها أن تقدم على التولية إما للمسارعة إلى ما هو المقصود الأصلي وإما لأن المراد بالرحمة مطلق لإرادة الخير بهم وهو مبدأ لإنزال التوبة المكفرة لذنوبهم واللام في لئن موطئة للقسم كما أشير إليه وفي قوله تعالى (لنكونن من الخاسرين) لجواب القسم وما حكى عنهم من الندامة والرؤية والقول وإن كان بعد ٣٥٥ - أبو السعود ج ٢ ،

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضَبَيْنَ أَسْفًا قَالَ بِنِسْمَا خَلَقْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ
وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي
فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾

٧ الأعراف

- ١٥٠ عليه حكاية ما صدر عنهم من القول والفعل في موضع واحد (ولما رجع موسى إلى قومه) شروع في بيان ما جرى من موسى عليه السلام بعد رجوعه من الميقات لإثريان ما وقع من قومه بعده وقوله تعالى (غضبنا أسفاً) حالان من موسى عليه السلام أو الثاني من المستكن في غضبان والأسف الشديد الغضب وقيل الحزين (قال بنسما خلقتموني من بعدى) أى بنسما فعلتم من بعد غيبي حيث عبدتم العجل بعد ما رأيتم فعلى من توحيد الله تعالى ونفى الشركاء عنه وإخلاص العبادة له أو من حملكم على ذلك وكفكم عما طمحت نحوه أبصاركم حيث قلتم اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء أن يسيروا بسيرة المستخلف فالخطاب للعبدة من السامري وأشباؤه أو بنسما قتم مقامى ولم تراعوا عمدي حيث لم تكفوا العبادة عما فعلوا فالخطاب لهرون ومن معه من المؤمنين كما ينبي عنه قوله تعالى قال ياهرون ما منعك إذ رأيتم ضلوا أن لا تتبعن أفصيت أمرى ويجوز أن يكون الخطاب للكل على أن المراد بالخليفة ما يعم الأمرين المذكورين وما نكرة موصوفة مفسرة لفاعل بنس المستكن فيه والخصوص بالذم محذوف تقديره بنس خلافة خلقتمونها من بعدى خلافتكم (أعجلتم أمر ربكم) أى تركتموه غير تام على تضمين عجل معنى سبق يقال عجل عن الأمر إذا تركه غير تام أو أعجلتم وعد ربكم الذى وعدنيه من الأمرين وقدرتم موقى وغيرتم بعدى كما غيرت الأمم بعد أنبيائهم (وألقي الألواح) طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر حية الدين . روى أن التوراة كانت سبعة أسباع في سبعة ألواح فلما ألقاها انكسرت فرفعت ستة أسباعها التى كان فيها تفصيل كل شئ وبقى سبع كان فيه المواعظ والأحكام (وأخذ برأس أخيه) بشعر رأسه عليهما السلام (يجرّه إليه) حال من ضمير أخذ فعله عليه السلام توها أنه قصر في كفهم وهرون كان أكبر منه عليهما السلام بثلاث سنين وكان حمولاً ولذلك كان أحب إلى بنى إسرائيل (قال) أى هرون مخاطباً لموسى عليهما السلام (ابن أُمَّ) بحذف حرف النداء وتخصيص الأمم بالذكر مع كونهما شقيقين لما أن حق الأمم أعظم وأحق بالمراعاة مع أنها كانت مؤمنة وقد قاست فيه المخاوف والشدائد وقرىء بكسر الميم بإسقاط الياء تخفيفاً كالمندى المضاف إلى الياء وقرأة الفتح لزيادة التخفيف أو لتشبيهه بخمسة عشر (إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني) إزاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت جهدى في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلى (فلا تشمت بي الأعداء) أى فلا تفعل بي ما يكون سبباً لشمتهم بي (ولا تجعلني مع القوم الظالمين) أى معدوداً في عدادهم بالمواخذة أو النسبة إلى التقصير وهذا يؤيد كون الخطاب للكل أولاً تعتقد أنى واحد من الظالمين مع براءتى منهم ومن ظلمهم .

قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾
 ٧ الأعراف
 إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَبِيلَهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي
 الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾
 ٧ الأعراف

- (قال) استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية اعتذار هرون عليه السلام كأنه قيل فماذا قال موسى عند ذلك فقيل قال (رب اغفر لي) أى ما فعلت بأخى من غير ذنب مقرر من قبله (ولأخى) إن فرط منه تقصير ما فى كفهم عما فعلوه من العظيمة استغفر عليه السلام لنفسه ليرضى أخاه ويظهر للشامتين رضاه لئلا تتم شمتهم به ولأخيه للإيدان بأنه محتاج إلى الاستغفار حيث كان يجب عليه أن يقاتلهم (وأدخلنا فى رحمتك) بمزيد الإيناع بعد غفران ما سلف منا (وأنت أرحم الراحمين) فلا غرو فى انتظامنا فى سلك رحمتك الواسعة فى الدنيا والآخرة والجملة اعتراض تذييل مقرر لما قبله (إن الذين اتخذوا العجل) أى تموا على اتخاذه ١٥٢ واستمروا على عبادته كالسامرى وأشباعه من الذين أشربوه فى قلوبهم كما يفصح عنه كون الموصول الثانى عبارة عن التاممين فإن ذلك صريح فى أن الموصول الأول عبارة عن المصيرين (سينالهم) أى فى الآخرة (غضب) أى عظيم لا يقادر قدره مستتبع لفنون العقوبات لما أن جرمهم أعظم الجرائم وأقبح الجرائم وقوله تعالى (من ربهم) أى مالكم متعلق بينالهم أو بمحذوف هو نعت لغضب مؤكداً لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أى كائن من ربهم (وذلة فى الحياة الدنيا) هى ذلة الاغتراب التى تضرب بها الأمثال والمسكنة المنتظمة لهم ولأولادهم جميعاً والذلة التى اختص بها السامرى من الانفراد عن الناس والابتلاء بلامساس . يروى أن بقاياهم اليوم يقولون ذلك وإذا مس أحدهم أحد غيرهم حماً جميعاً فى الوقت وإيراد ما نالهم فى حيز السين مع مضيه بطريق تغليب حال الأخلاق على حال الأسلاف وقيل المراد بهم التائبون وبالغضب ما أمروا به من قتل أنفسهم واعتذر عن السين بأن ذلك حكاية عما أخبر الله تعالى به موسى عليه السلام حين أخبره بافتتان قومه واتخاذهم العجل بأنه سينالهم غضب من ربهم وذلة فيكون سابقاً على الغضب وأنت خير بأن سباق النظم الكريم وسياقه نأبيان عن ذلك نبواً ظاهراً كيف لا وقوله تعالى (وكذلك نجزي المفتريين) ينادى على خلافه فإنهم شهداء تائبون فكيف يمكن وصفهم بعد ذلك بالافتراء وأيضاً ليس يجزى الله تعالى كل المفتريين بهذا الجزاء الذى ظاهره قهر وباطنه لطف ورحمة وقيل المراد بهم أبناؤهم المعاصرون لرسول الله ﷺ فإن تعبير الأبناء بأفاعيل الآباء مشهور معروف منه قوله تعالى وإذ قتلتم نفساً آية وقوله تعالى وإذ قتلتم باموسى الآية والمراد بالغضب الغضب الآخرى وبالدلة ما أصابهم من القتل والإجلاء وضرب الجزية عليهم وقيل المراد بالموصول المتخذون حقيقة وبالضمير فى ينالهم أخلافهم ولا ريب فى أن توسيط حال هؤلاء فى تضاعيف بيان حال المتخذين من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه (والذين عملوا السيئات) أى سيئة كانت .

وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ ٧ الأعراف
وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ
يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ٧ الأعراف

وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ
مِنْ قَبْلُ وَإِنِّي أَتُهْلِكُكُمْ بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي
مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٧ الأعراف

- ١٥٣ (ثم تابوا) عن تلك السيئات (من بعدها) أى من بعد عملها (وآمَنُوا) إيماناً صحيحاً خالصاً واشتغلوا
● بإقامة ما هو من مقتضياته من الأعمال الصالحة ولم يصروا على ما فعلوا كالطائفة الأولى (إن ربك من بعدها)
● أى من بعد تلك التوبة المقرونة بالإيمان (لغفور) للذنوب وإن عظمت وكثرت (رحيم) مبالغ في إفاضة
فنون الرحمة الدنيوية والآخرية والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام للنشريف
١٥٤ (ولما سكنت عن موسى الغضب) شروع في بيان بقية الحكاية إثر ما بين تحزب القوم إلى مصر وتائب
والإشارة إلى مال كل منهما إجمالاً أى لما سكن عنه الغضب باعتذار أخيه وتوبة القوم وهذا صريح في
أن ما حكى عنهم من الندم وما يتفرع عليه كان بعد مجئ موسى عليه الصلاة والسلام وفي هذا النظم الكريم
من البلاغة والمبالغة بتنزيل الغضب الحامل له على ما صدر عنه من الفعل والقول منزلة الأمر بذلك
المغرى عليه بالتحكم والتشديد والتعبير عن سكونه بالسكوت ما لا يخفى وقرى مسكن وسكت وأسكت على
● أن الفاعل هو الله تعالى أو أخوه أو التائبون (أخذ الألواح) التى ألقاها (وفي نسختها) أى فيما نسخ
● فيها وكتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها أى من الألواح المنكسرة (وهدى) أى بيان
● للحق (ورحمة) للخلق بإرشادهم إلى ما فيه الخير والصالح (الذين هم لربهم يرهبون) اللام الأولى متعلقة
بمحذوف هو صفة لرحمة أى كائنة لهم أو هى لام الأجل أى هدى ورحمة لأجلهم والثانية لتقوية عمل
الفعل المؤخر كما في قوله تعالى إن كنتم للرؤيا تعبرون أو هى أيضاً لام العلة والمفعول محذوف أى يرهبون
١٥٥ المعاصي لأجل ربهم لا للرياء والسمعة (واختار موسى قومه) شروع في بيان كيفية استدعاء التوبة
وكيفية وقوعها واختار يتعدى إلى اثنين ثانيهما مجرور بمن أى اختار من قومه محذوف الجار وإيصال
الفعل إلى المجرور كما في قوله [اختارك الناس اذرت خلاقمهم] واعتل من كان يرجى عنده السؤل |
● أى اختارك من الناس (سبعين رجلاً) مفعول لاختار آخر عن الثانى لما مر مراراً من الاهتمام بالمقدم
● والتشويق إلى المؤخر (لميقاتنا) الذى وقتناه بعد ما وقع من قومه ما وقع لا لميقات الكلام الذى ذكر

- قبل ذلك كما قيل . قال السدى أمره الله تعالى بأن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه تعالى من عبادة العجل ووعدهم موعداً فاختار عليه السلام من قومه سبعين رجلاً وقال محمد بن إسحق اختارهم ليتوبوا إليه تعالى مما صنعوه ويسألوه التوبة على من تركوهم وراهم من قومهم قالوا اختار عليه الصلاة والسلام من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال عليه الصلاة والسلام إن لمن قعد مثل أجر من خرج فقعد كالب وبوشع وذهب مع الباقين وأمرهم أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم فخرج بهم إلى طور سيناء فلما دنوا من الجبل غشيهم غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجداً فسمعوه تعالى يكلم موسى بأمره وينهاه حسبما يشاء وهو الأمر بقتل أنفسهم توبة (فلما أخذتهم الرجفة) مما اجتمعوا عليه من طلب الرؤية فإنه يروى أنه لما انكشف الغمام أقبلوا إلى موسى عليه السلام وقالوا لن تؤمن لك حتى نرى الله جبهة فآخذتهم الرجفة أى الصاعقة أو رجفة الجبل فصعقوا منها أى ماتوا ولعلمهم أرادوا بقولهم لن تؤمن لك لن نصدقك فى أن الأمر بما سمعنا من الأمر بقتل أنفسهم هو الله تعالى حتى نراه حيث قالوا رؤيته تعالى على سماع كلامه قياساً فاسداً حين شاهد موسى تلك الحالة الهائلة (قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل) أى حين فرطوا فى النهى عن عبادة العجل وما فارقوا عبدته حين شاهدوا إصرارهم عليها (وإياي) أيضاً حين طلبت منك الرؤية أى لو شئت إهلكنا بذنوبنا لا أهلكتنا حينئذ أراد به عليه السلام تذكير العفو السابق لاستجلاب العفو اللاحق فإن الاعتراف بالذنب والشكر على النعمة مما يربط العتيد ويستجلب المزيد يعنى إنا كنا مستحقين للإهلاك ولم يكن من موافقه إلا عدم مشيتك إياه فحيث لطف بنا وعفوت عنا تلك الجرائم فلا غرو فى أن تعفو عنا هذه الجريمة أيضاً وحمل الكلام على التقى بأباه قوله تعالى (أهلكنا بما فعل السفهاء منا) أى الذين لا يعطون تفاصيل شئونك ولا يثبتون فى المداحض والهمزة إما لإنكار وقوع الإهلاك فقة بلطف الله عز وجل كما قاله ابن الأنبارى أو للاستعطاف كما قاله المبرد أى لا تهلكنا (إن هى إلا فتنك) استئناف مقرر لما قبله واعتذار عما صنعوا ببيان منشأ غلظهم أى ما الفتنه التى وقع فيها السفهاء وقالوا بسببها ما قالوا من العظيمة إلا فتنك أى محنتك وابتلاؤك حيث أسمعتهم كلامك فافتنوا بذلك ولم يثبتوا فطمعوا فيها فوق ذلك تابعين للقياس الفاسد وقوله تعالى (فضل بها من تشاء وتهدى من تشاء) إما استئناف مبين للحكم الفتنه أو حال من فتنك أى حال كونها مضللاً بها أى فضل بسببها من تشاء إضلاله فلا يهتدى إلى الثبوت وتهدى من تشاء هدايته إلى الحق فلا يتزلزل فى أمثاله فيقوى بها إيمانه (أنت ولينا) أى القائم بأمرنا
- الدينية والأخروية وناصرنا وحافظنا لا غيرك (فاغفر لنا) ما قارفناه من المعاصى والفناء لترتيب الهداء على ما قبله من الولاية كأنه قيل فن شأن الولي المغفرة والرحمة وقيل إن إقدامه عليه الصلاة والسلام على أن يقول إن هى إلا فتنك الخ جراءة عظيمة فطلب من الله تعالى غفرانها والتجاوز عنها (وارحمنا) بإحاطة آثار الرحمة الدينية والأخروية علينا (وأنت خير الغافرين) اعتراض تذييل مقرر لما قبله من الدعاء وتخصيص المغفرة بالذكر لأنها الأم بمحسب المقام .

وَكَتُبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِعِبَادَتِنَا يُوْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾

٧ الأعراف

- ١٥٦ (واكتب لنا) أى عين لنا وقيل أوجب وحقق وأثبت (في هذه الدنيا حسنة) أى نعمة وعافية
- أو خصلة حسنة . قال ابن عباس رضى الله عنهما أقبل وفادتنا وردنا بالمغفرة والرحمة (وفي الآخرة) أى واكتب لنا فيها أيضاً حسنة وهى المثوبة الحسنى والجنة (إننا هُدينا إليك) أى تبنا وأبنا إليك من هاد يهود إذا رجع وقرىء بكسر الهاء من هاده يهده إذا حركه وأماله ويحتمل أن يكون مبنياً للفاعل أو للمفعول بمعنى أملنا أنفسنا أو أملنا إليك وتجوز أن تكون القراءة المشهورة على بناء المفعول على لغة من يقول عود المريض مع كونها لغة ضعيفة بما لا يليق بشأن التنزيل الجليل والجملة استئناف مسوق لتعليل الدعاء فإن التوبة مما يوجب قبله بموجب الوعد المحثوم وتصديرها بحرف التحقيق لإظهار كمال النشاط والرغبة فى التوبة والمعنى إنا تبنا ورجعنا عما صنعنا من المعصية العظيمة التى جنتك للاعتذار عنها وعمّا وقع ههنا من طلب الرؤية فبعد من لطفك وفضلك أن لا تقبل توبة التائبين قيل لما أخذتهم الرجفة ماتوا جميعاً فأخذ موسى عليه الصلاة والسلام يتضرع إلى الله تعالى حتى أحياهم وقيل رجفوا وكادت تبين مفاصلهم وأشرفوا على الهلاك فخاف موسى عليه الصلاة والسلام فبكى فكشفها الله تعالى عنهم (قال) استئناف وقع جواباً عن سؤال ينساق إليه الكلام كأنه قيل فاذا قال الله تعالى عند دعاء موسى عليه السلام فقيل قال (عذابى أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ) لعله عز وجل حين جعل توبة عبدة العجل يقتلهم أنفسهم ضمن موسى عليه السلام دعاءه التخفيف والتيسير حيث قال واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة أى خصلة حسنة طارية عن المشقة والشدة فإن فى قتل أنفسهم من العذاب والتشديد مالا يخفى فأجاب تعالى بأن عذابى شأنه أن أصيب به من أشاء تعذيبه من غير دخل لغيرى فيه وهم ممن تناولته مشيتى ولذلك جعلت توبتهم مشوبة بالعذاب الدنيوى (ورحمى وسعت كل شيء) أى شأنها أن تسع فى الدنيا المؤمن والكافر بل كل ما يدخل تحت المشيئة من المكلفين وغيرهم وقد نال قومك نصيب منها فى ضمن العذاب الدنيوى وفى نسبة الإصابة إلى العذاب بصيغة المضارع ونسبة السعة إلى الرحمة بصيغة الماضى إيدان بأن الرحمة مقتضى الذات وأما العذاب فبمقتضى معاصى العباد والمشيئة معتبرة فى جانب الرحمة أيضاً وعدم النصريح بها للإشعار بغاية الظهور ألا يرى إلى قوله تعالى (فسأكتبها) أى أثبتها وأعينها فإنه متفرع على اعتبار المشيئة كأنه قيل فإذا كان الأمر كذلك أى كما ذكر من إصابة عذابى وسعة رحمى لكل من أشاء فسأكتبها كنية كائنة كادعوت بقولك واكتب لنا فى هذه الخ أى سأكتبها خالصة غير مشوبة بالعذاب الدنيوى (الذين يتقون) أى الكفر والمعاصى إما ابتداء أو بعد ملامستهما وفيه تعريض بقومه كأنه قيل لا لقومك لأنهم غير متقين فيكفيهم ما قدر لهم من الرحمة وإن كانت مقارنة للعذاب الدنيوى (ويؤتون

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾

٧ الأعراف

- (الزكاة) وفيه أيضاً تعريض بهم حيث كانت الزكاة شاقة عليهم ولعل الصلاة إنما لم تذكر مع إيمانها على سائر العبادات اكتفاء عنها بالاتقاء الذي هو عبارة عن فعل الواجبات بأسرها وترك المنكرات عن آخرها وإيراد إيتاء الزكاة لما مر من التعريض (والذين هم بآياتنا) جميعاً (يؤمنون) إيماناً مستمراً من غير إخلال بشيء منها وفيه تعريض بهم وبكفرهم بالآيات العظام التي جاء بها موسى عليه الصلاة والسلام وبما سيحجى بعد ذلك من الآيات البينات كتنزيل الغمام وإنزال المن والسلوى وغير ذلك وتكرير الموصول مع أن المراد به عين ما أريد بالموصول الأول دون أن يقال ويؤمنون بآياتنا عطفاً على يؤتون الزكاة كما عطف هو على يتقون لما أشير إليه من القصر بتقديم الجار والمجرور أي هم بجميع آياتنا يؤمنون لا ببعضها دون بعض (الذين يتبعون الرسول) الذي نوحى إليه كتاباً مختصاً به (النبي) أي صاحب ١٥٧ المعجزة وقيل عنوان الرسالة بالنسبة إليه تعالى وعنوان النبوة بالنسبة إلى الأمة (الأمي) بضم الهمزة نسبة إلى الأم لأنه كانه باق على حاله التي ولد عليها من أمه أو إلى أمة العرب كما قال ﷺ إنا أمة لا نحسب ولا نكتب أو إلى أم القرى وقرى بفتح الهمزة أي الذي لم يمارس القراءة والكتابة وقد جمع مع ذلك علوم الأولين والآخرين والموصول بدل من الموصول الأول بدل الكل أو منصوب على المدح أو مرفوع عليه أي أعنى الذين أو هم الذين وأما جملة مبتدأ على أن خبره يأمرهم أو أولئك هم المفلحون فغير سديد (الذي يجدونه مكتوباً) باسمه ونعوته بحيث لا يشكون أنه هو ولذلك عدل عن أن يقال يجدون اسمه أو وصفه مكتوباً (عندهم) زيد هذا لزيادة التقرير وأن شأنه عليه الصلاة والسلام حاضر عندهم لا يغيب عنهم أصلاً (في التوراة والإنجيل) اللذين تعبد بهما بنو إسرائيل سابقاً ولا حقاً والظرفان متعلقان بيجدون أو بمكتوباً وذكر الإنجيل قبل نزوله من قبيل ما نحن فيه من ذكر النبي ﷺ والقرآن الكريم قبل مجيئهما (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر) كلام مستأنف لا محل له من الإعراب قاله الزجاج متضمن لتفصيل بعض أحكام الرحمة التي وعد فيها سبق بكتبها إجمالاً فإن ما بين فيه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحلال الطيبات وتحريم الخبائث وإسقاط التكاليف الشاقة كلها من آثار رحمته الواسعة وقيل في محل نصب على أنه حال مقدرة من مفعول يجدونه أو من النبي أو من المستكن في مكتوباً أو مفسر لمكتوباً أي لما كتب (ويحل لهم الطيبات) التي حرمت عليهم بشؤم ظلمهم (ويحرم عليهم الخبائث) كالدم ولحم الخنزير والربا والرشوة (ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم) أي يخفف عنهم ما كلفوه من التكاليف الشاقة التي هي من قبيل ما كتب عليهم حينئذ من كون التوبة بقتل

قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ ۖ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ

تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾

٧ الأعراف

النفس كتممين القصاص في العمد والخطأ من غير شرع الدية وقطع الأعضاء الخاطئة وقرض موضع
 النجاسة من الجلد والثوب وإحراق الغنائم وتحريم السبت . وعن عطاء أنه كانت بنو إسرائيل إذا قاموا
 يصلون لبسوا المسوح وغلوا أيديهم إلى أعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة
 وأوثقها إلى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرىء أصارهم أصل الأصر الثقل الذي يأصر صاحبه من
 الحراك (فالذين آمنوا به) تعلم السكينة اتباعه عليه الصلاة والسلام وبيان لعلو رتبة متبعيه واعتناهم
 منافع الرحمة الواسعة في الدارين إثر بيان نعوته الجليلة والإشارة إلى إرشاده عليه الصلاة والسلام إياهم
 بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحلال الطيبات وتحريم الخبائث أي فالذين آمنوا بنبوته وأطاعوه
 ● في أوامره ونواهيه (وعزوه) أي عظموه ووقروه وأعانوه بمنع أعدائه عنه وقرىء بالتخفيف وأصله
 ● المنع ومنه التعزير (ونصروه) على أعدائه في الدين (واتبعوا النور الذي أنزل معه) أي مع نبوته وهو
 القرآن عبر عنه بالنور المنبئ عن كونه ظاهراً بنفسه ومظهراً لغيره أو مظهر للحقائق كاشفاً عنها لمناسبة
 الانبعاث ويجوز أن يكون معه متعلقاً باتباعه أي واتباعوا القرآن المنزل مع اتباعه ﷺ بالعمل بسفته
 ● وبما أمر به ونهى عنه أو اتبعوا القرآن مصاحبين له في اتباعه (أولئك) إشارة إلى المذكورين من حيث
 اتصافهم بما فصل من الصفات الفاضلة للإشعار بعليتها للحكم وما فيه من معنى البعد الإيذان بعلود رجعتهم
 ● وسوء طبعهم في الفضل والشرف أي أولئك المنعوتون بتلك النعوت الجليلة (هم المفلحون) أي هم
 الفائزون بالمطلوب الناجون عن الكروب لا غيرهم من الأمم فيدخل فيهم قوم موسى عليه الصلاة
 والسلام دخولا أولاً حيث لم ينجوا غما في توبتهم من المشقة الهائلة وبه يتحقق التحقيق ويتأتى التوفيق
 والتطبيق بين دعائه عليه الصلاة والسلام وبين الجواب لا بمجرد ما قيل من أنه لما دعا نفسه ولبنى إسرائيل
 أجيب بما هو منطوق على توبيخ بنى إسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله عز وجل وعلى كفرهم بآياته
 العظام التي أجراها على يد موسى عليه الصلاة والسلام وعرض بذلك في قوله تعالى والذين هم بآياتنا يؤمنون
 وأريد أن يكون استماع أوصاف أعقابهم الذين آمنوا برسول الله ﷺ وبما جاء به كعبدة الله بن سلام
 ١٥٨ وغيره من أهل الكتابين لطفاً بهم وترغيباً في إخلاص الإيمان والعمل الصالح (قل يا أيها الناس إني
 رسول الله إليكم) لما حكى ما في الكتابين من نعوت رسول الله ﷺ وشرف من يتبعه من أهل ما ونيهم
 لسعادة الدارين أمر عليه الصلاة والسلام ببيان أن تلك السعادة غير مختصة بهم بل شاملة لكل من يتبعه
 كائناً من كان ببيان عموم رسالته للتقلين مع اختصاص رسالة سائر الرسل عليهم السلام بأقوامهم وإرسال
 موسى عليه السلام إلى فرعون وملكه بالآيات التسع إنما كان لأمرهم بعبادة رب العالمين عز سلطانه

- وترك العظيمة التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فتنة الباغية وإرسال بني إسرائيل من الأسر والقسر وأما العمل بأحكام النوراة فنختص ببني إسرائيل (جميعاً) حال من الضمير في إليكم (الذي له ملك السموات والأرض) منصوب أو مرفوع على المدح أو مجرور على أنه صفة للجلالة وإن حيل بينهما بما هو متعلق بما أضيف إليه فإنه في حكم المتقدم عليه وقوله تعالى (لا إله إلا هو) بيان لما قبله من ملك العالم كان هو الإله لا غيره وقوله تعالى (يحي ويميت) لزيادة تقرير الوهيته والقضاء في قوله تعالى (فآمنوا بالله ورسوله) لتفريع الأمر على ما تمهد وتقرر من رسالته ﷺ وإيراد نفسه عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة على طريقة الالتفات إلى الغيبة للبيان في إيجاب الامتثال بأمره ووصف الرسول بقوله (الذي الأسمى) لمدحه عليه الصلاة والسلام بهما ولزيادة تقرير أمره وتحقيق أنه المكتوب في الكتابين ووصفه بقوله تعالى (الذي يؤمن بالله وكلماته) أي ما أنزل إليه وإلى سائر الرسل عليهم السلام من كتبه ووحيه لحمل أهل الكتابين على الامتثال بما أمروا به والتصريح بإيمانه بالله تعالى للتنبيه على أن الإيمان به تعالى لا ينفك عن الإيمان بكلماته ولا يتحقق إلا به وقرئ وكلمته على إرادة الجنس أو القرآن تنبيهاً على أن المأمور به هو الإيمان به عليه الصلاة والسلام من حيث أنزل عليه القرآن لا من حيثية أخرى أو على أن المراد بها عيسى عليه الصلاة والسلام تعريضاً لليهود وتنبيهاً على أن من لم يؤمن به لم يعتد بإيمانه (واتبعوه) أي في كل ما يأتي وما يذر من أمور الدين (لعلكم تهتدون) علة للفعلين أو حال من فاعليهما أي رجاء لاهتدائكم إلى المطلوب أو راجين له وفي تعليقه بهما إيذان بأن من صدقه ولم يتبعه بالتزام أحكام شريعته فهو بمعزل من الاهتداء مستمر على الغي والضلال (ومن قوم موسى) كلام ١٥٩ مبتدأ مسوق لدفع ما عسى يورمه تخصيص كتب الرحمة والتقوى والإيمان بالآيات بمقتضى رسول الله ﷺ من حرمان أسلاف قوم موسى عليه السلام من كل خير وبيان أن كلهم ليسوا كما حكيت أحوالهم بل منهم (أمة يهدون) أي الناس (بالحق) أي ملتبسين به أو يهدونهم بكلمة الحق (وبه) أي بالحق (يعدلون) أي في الأحكام الجارية فيما بينهم وصيغة المضارع في الفعلين لحكاية الحال الماضية وقيل هم الذين آمنوا بالنبي ﷺ وبآبائه أنه قد مر ذكرهم فيما سلف وقيل إن بني إسرائيل لما بالغوا في العتو والطغيان حتى اجترأوا على قتل الأنبياء عليهم السلام تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله تعالى أن يفرق بينهم وبين أولئك الطاغين ففتح الله تعالى لهم نفقاً في الأرض فساروا فيه ستة أشهر ونصفاً حتى خرجوا من وراء الصين وهم اليوم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وقد ذكر عن النبي ﷺ أن جبريل عليه السلام ذهب به ليلة الإسراء نحوهم فكلهم فقال جبريل عليه السلام هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي الأسمى فآمنوا به وقالوا يا رسول الله إن موسى أو صانا من أدرك منكم أحمد فليقرأ مني عليه السلام فرد محمد على موسى السلام عليهما السلام ثم أقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة

وَقَطَعْنَهُمْ اثْنَتَى عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اِثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾

٧ الأعراف

- ١٦٠ مع أن منهم من آمن بجميع الشرائع لا يخلو عن بعد (وقطعناهم) أى قوم موسى لا الأمة المذكورة منهم وقرئ بالتخفيف وقوله تعالى (اثنتى عشرة) ثانى مفعولى قطع لتضمنه معنى التصيير والتأنيث للحمل على الأمة أو القطعة أى صيرناهم اثنتى عشرة أمة أو قطعة متميزاً بعضها من بعض أو حال من مفعوله أى فرقناهم معدودين هذا العدد وقوله تعالى (أسباطاً) بدل منه ولذلك جمع أو يميزه على أن كل واحدة من اثنتى عشرة قطعة أسباط لا سبط وقرئ عشرة بكسر الشين وقوله تعالى (أُمَمًا) على الأول بدل بعد بدل أو نعت لا سباطاً وعلى الثانى بدل من أسباطاً (وأوحينا إلى موسى إذ استسقاها قومه) حين استولى عليهم العطش في التيه الذى وقعوا فيه بسوء صنيعهم لا بمجرد استسقاهاهم إياه عليه الصلاة والسلام بل باستسقاهاهم لقوله تعالى وإذا استسقى موسى قومه وقوله تعالى (أن اضرب بعصاك الحجر) مفسر لفعل الإيحاف وقد مر بيان شأن الحجر في تفسير سورة البقرة (فانبجست) عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام قد حذف تعويلاً على كمال الظهور وإيداناً بغاية مسارعة عليه السلام إلى الامتثال وإشعاراً بعدم تأثير الضرب حقيقة وتنبهاً على كمال سرعة الانبجاس وهو الانفجار كأنه حصل إثر الأمر قبل تحقق الضرب كفى قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانطلق أى فاضرب فانبجست (منه اثنتا عشرة عيناً) بعدد الأسباط وأما ما قيل من أن التقدير فإن ضربت فقد انبجست فغير حقيق بجزالة النظم النزيلي وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها (قد علم كل أناس) كل سبط عبر عنهم بذلك إيداناً بكثرة كل واحد من الأسباط (مشربهم) أى عينهم الخاصة بهم (وظللنا عليهم الغمام) أى جعلناها بحيث تلقى عليهم ظلمها تسير في التيه بسيرهم وتسكن بإقامتهم وكان ينزل بالليل عمود من نار يسرون بضوئه (وأنزلنا عليهم المن والسوى) أى الترنجيبين والسمانى . قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر إلى الطلوع لكل إنسان صاع وتبعث الجنوب عليهم السمانى فيذبح الرجل منه ما يكفيه (كلوا) أى وقلنا لهم كلوا (من طيبات ما رزقناكم) أى مستلذاته وما موصولة كانت أو موصوفة عبارة عن المن والسوى (وما ظللونا) رجوع إلى سنن الكلام الأول بعد حكاية خطاهم وهو معطوف على جملة محذوفة للإيجاز والإشعار بأنه أمر محقق غنى عن النصريح به أى فظللوا بأن كفروا بتلك النعم الجليلة وما ظللونا بذلك (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) إذ لا يتخطاهم ضرره وتقديم المفعول لإفادة القصر الذى يقتضيه النفي السابق وفيه ضرب من

وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا
تَغْفِرَ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾

٧ الأعراف

فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا
يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾

٧ الأعراف

- التحكم بهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على تواليهم فيما هم فيه من الظلم والكفر (وإذ ١٦١
قيل لهم) منصوب بمضمر خوطب به النبي ﷺ وإيراد الفعل على البناء للمفعول مع استناده إليه تعالى
كما يفصح عنه ما وقع في سورة البقرة من قوله تعالى وإذ قلنا للجرى على سنن الكبرياء والإيدان بالغي عن
التصريح به لتعين الفاعل وتغيير النظم بالأمر بالذكر للتشديد في التوبيخ أى اذكر لهم وقت قوله تعالى
لأسلافهم (اسكنوا هذه القرية) منصوب على المفعولية يقال سكنت الدار وقيل على الظرفية اتساعا
وهى بيت المقدس وقيل أريحا وهى قرية الجبارين وكان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العماقة رأسهم
عوج بن عنق وفى قوله تعالى اسكنوا إيدان بأن المأمور به فى سورة البقرة هو الدخول على لوجه السكنى
والإقامة ولذلك اكتفى به عن ذكر رغداً فى قوله تعالى (وكلوا منها) أى من مطاعمها وثمارها على أن من
تبعيضية أو منها على أنها ابتدائية (حيث شئتم) أى من نواحيها من غير أن يراحمكم فيها أحد فإن الأكل المستمر
على هذا الوجه لا يكون إلا رغداً أو اسماً وعطف كلوا على اسكنوا بالواو لمقارنتهما زماناً بخلاف الدخول
فإنه مقدم على الأكل ولذلك قيل هناك فكلوا (وقولوا حطة) أى مسئلتنا أو أمرك حطة لذنو بنا وهى
فعلة من الخط كالجلسة (وادخلوا الباب) أى باب القرية (سجداً) أى متطامنين مخبتين أو ساجدين
شكراً على إخراجهم من التيه وتقديم الأمر بالدخول على الأمر بالقول المذكور فى سورة البقرة
غير محل بهذا الترتيب لأن المأمور به هو الجمع بين الفعلين من غير اعتبار الترتيب بينهما ثم إن كان المراد
بالقرية أريحا فقد روى أنهم دخلوها حيث سار إليها موسى عليه السلام بمن بقى من بنى إسرائيل أو
بذرائعهم على اختلاف الروايتين ففتحها كما مر فى سورة المائدة وأما إن كانت بيت المقدس فقد روى
أنهم لم يدخلوها فى حياة موسى عليه السلام فقبل المراد بالباب باب القبة التى كانوا يصلون إليها (تغفر لكم
خطيأتكم) وقرىء خطاياكم كما فى سورة البقرة وتغفر لكم خطيأتكم وخطاياكم وخطيئتك على البناء للمفعول
(سنزيد المحسنين) عدة بشيئين بالمغفرة وبالزيادة وطرح الواو ههنا لا يخل بذلك لأنه استئناف مقرب
على تقدير سؤال نشأ من الإخبار بالغفران كأنه قيل فماذا لهم بعد الغفران فقيل سنزيد وكذلك زيادة
منهم زيادة بيان (فبدل الذين ظلموا منهم) بما أمروا به من التوبة والاستغفار حيث أعرضوا عنه ووضعوا ١٦٢
موضعهم (قولاً) آخر مما لا خير فيه . روى أنهم دخلوه زاحفين على أستانهم وقالوا مكان حطة حطة
وقيل قالوا بالنبطية خطأً شتمائاً يعنون حطة حمراء استخفافاً بأمر الله تعالى واستهزاءً بموسى عليه الصلاة

وَسَعَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ ٧ الأعراف

- والسلام وقوله تعالى (غير الذي قبل لهم) نعت لقولا صرح بالمغايرة مع دلالة التبديل عليها قطعاً تخفيفاً
- للمخالفة وتنصيصاً على المغايرة من كل وجه (فأرسلنا عليهم) إثر ما فعلوا ما فعلوا من غير تأخير وفي سورة
- البقرة على الذين ظلموا والمعنى واحد والإرسال من فوق فيكون كالإزال (رجزاً من السماء) عذاباً
- كائناتاً منها والمراد الطاعون . روى أنه مات منهم في ساعة واحدة أربعة وعشرون ألفاً (بما كانوا يظلمون)
- بسبب ظلمهم المستمر السابق واللاحق حسبما يفيد الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لا بسبب التبديل
- فقط كما يشعر به ترتيب الإرسال عليه بالفاء والتصريح بهذا التحليل لما أن الحكم هنا مترتب على المضمر
- دون الموصول بالظلم كما في سورة البقرة وأما التحليل بالفسق بعد الإشعار بعلية الظلم فقد موجهه هناك
- ١٦٣ والله تعالى أعلم (واسألهم) عطف على المقدر في إذ قيل أي واسأل اليهود للمعاصرين لك سؤال تقرير
- وتقرير بتقديم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله تعالى وإعلاماً لهم بأن ذلك مع كونه من علومهم الخفية التي لا يقف
- عليها إلا من مارس كتبهم قد أحاط به النبي ﷺ خبراً وإذ ليس ذلك بالتلقي من كتبهم لأنه ﷺ بمزله من
- ذلك تعين أنه من جهة الوحي الصريح (عن القرية) أي عن حالها وخبرها وما جرى على أهلها من
- الداهية الدهية وهي أيلة قرية بين مدين والطور وقيل هي مدين وقيل طبرية وللعرب تسمى المدينة قرية
- (التي كانت حاضرة البحر) أي قريبة منه مشرقة على شاطئه (إذ يعدون في السبت) أي يتجاوزون حدود
- الله تعالى بالصيد يوم السبت وإذ ظرف للبضاف المحذوف أو بدل منه وقيل ظرف لكانت أو حاضرة
- وليس بذلك إذ لا إقامة في تقييد الكون أو الحضور بوقت العدوان وقرىء يعدون وأصله يعدون
- ويعدون من الأعداد حيث كانوا يعدون آلات الصيد يوم السبت وهم منهيون عن الاشتغال فيه بغير
- العبادة (إذ تأتيهم حيتانهم) ظرف ليعدون أو بدل بعد بدل والاول هو الاول لأن السؤال عن
- عدواتهم أدخل في التقرير والحيتان جمع حوت قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها كنون ونيان لفظاً ومعنى
- وإضافتها إليهم للإشعار باختصاصها بهم لاستقلالها بما لا يكاد يوجد في سائر أفراد الجنس من الخواص
- الخارقة للعادة أو لأن المراد بها الحيتان الكائنة في تلك الناحية وإن ما ذكر من الإتيان وعدمه لا اعتبارها
- أحوالهم في عدم التعرض يوم السبت (يوم سبتهم) ظرف لتأتيهم أي تأتيهم يوم تعظيمهم لأن أمر السبت
- وهو مصدر سبتت اليهود إذا عظمت السبت بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والإضافة لاختصاصهم
- بأحكام فيه ويؤيد الأول قراءة من قرأ يوم أسبائهم وقوله تعالى (شرعاً) جمع شارع من شرع عليه
- إذا دنا وأشرف وهو حال من حيتانهم أي تأتيهم يوم سبتهم ظاهرة على وجه الماء قرية من الساحل
- (ويوم لا يسبتون) أي لا يراعون أمر السبت لكن لا بمجرد عدم المراعاة مع تحقق يوم السبت كما هو
- المتبادر بل مع انتفائهما معاً أي لا سبت ولا مراعاة كما في قوله [ولا ترى غضب بها ينجر] وقرىء

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّنَا وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾

٧ الأعراف

- لا يستبشرون من أسبت ولا يستبشرون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت ولا يندار عليهم حكم السبت ولا يؤمرون فيه بما أمروا به يوم السبت (لا تأتيتهم) كما كانت تأتيتهم يوم السبت حذاراً من صيدهم وتغيير للسبك حيث لم يقل ولا تأتيتهم يوم لا يستبشرون لما أن الإخبار يأتيانها يوم سبتهم مظنة أن يقال فإذا حالها يوم لا يستبشرون فقبل يوم لا يستبشرون لا تأتيتهم (كذلك نبلوهم) أى مثل ذلك اليلاء المجيب للظنيع نعاملهم معاملة من يختبرهم ليظهر عدواتهم وتواخذهم به وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتهما والتعجب منها (بما كانوا يفسقون) أى بسبب فسقهم المستمر المدلول عليه بالجمع بين صيقتي الماضي والمستقبل لكن لافى تلك المادة فإن فسقهم فيها لا يكون سبباً للبلوى بل بسبب فسقهم المستمر فى كل ما يأتون وما يذرون وقبل كذلك متصل بما قبله أى لا تأتيتهم مثل ما تأتيتهم يوم سبتهم فبالجملة بعده حيثند استئناف مبنى على السؤال عن حكمة اختلاف حال الحيتان بالإتيان تارة وعدمه أخرى (وإذ قالت) ١٦٤
- عطف على إذ يعدون مسوق لتأديهم فى العدوان وعدم انزجارهم عنه بعد العظات والإنذارات (أمة منهم) أى جماعة من صلحائهم الذين ركبوا فى عظمتهم متن كل صعب وذلول حتى ينسوا من احتمال القبول
 - لآخرين لا يقلعون عن التذكير رجاء للنفع والتأثير مبالغة فى الأعذار وطمعاً فى فائدة الإنذار (لم تعظون قوماً الله مهلكهم) أى مخترهم بالكلية ومطر الأرض منهم (أو معذبهم عذاباً شديداً) دون الاستئصال
 - بالمرّة وقبل مهلكهم مخزيهم فى الدنيا أو معذبهم فى الآخرة لعدم إقلاعهم عما كانوا عليه من الفسق والطغيان والترديد لمنع الخلو دون منع الجمع فإنهم مهلكون فى الدنيا ومعذبون فى الآخرة وإيثار صيغة اسم الفاعل مع أن كلا من الإهلاك والتعذيب مترقب للدلالة على تحققهما وتقررهما البتة كأنهما واقعان وإنما قالوه مبالغة فى أن الوعظ لا ينجع فيهم أو ترهيباً للقوم أو سؤالا عن حكمة الوعظ ونفعه ولعلهم إنما قالوه بمحض من القوم حشاً لهم على الاتعاط فإن بت القول بهلاكهم وعذابهم بما يلحق فى قلوبهم الخوف والحشية وقبل المراد طائفة من الفرقة الهالكة أجابوا به وعظّم ردّاً عليهم وتهكّاهم
 - وليس بذلك كما ستقف عليه (قالوا) أى الوعاظ (معذرة إلى ربكم) أى نعظمهم معذرة إليه تعالى على أنه مفعول له وهو الأنسب بظاهر قولهم لم تعظون أو نعتذر معذرة على أنه مصدر لفعل محذوف وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى مو عظمتنا معذرة إليه تعالى حتى لا تنسب إلى نوع تفریط فى النهى عن المنكر وفى إضافة الرب إلى ضمير المخاطبين نوع تعريض بالسائلين (ولعلهم يتقون) عطف على معذرة أى ورجاء لأن يتقوا بعض التقاة وهذا صريح فى أن القائلين لم تعظون الخ ليسوا من الفرقة الهالكة وإلا لوجب الخطاب .

فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ
بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾

٧ الأعراف

فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَنُوبِهِمْ أَفْسَقُوا فَكُلَّمَا أُفْزِعُوهُمْ أَكْبَسُوا لَهُمْ صَافًى فَذُقُوا خُلْسِينَ ﴿١٦٦﴾

٧ الأعراف

١٦٥ (فلما نسوا ما ذكروا به) أى تركوا ما ذكروهم به صلاحاً ثم ترك الناس الشيء وأعرضوا عنه إعرافاً

● كلباً بحيث لم يخطئ بإيالههم شيء من تلك المواضع أصلاً (أنجينا الذين ينهون عن السوء) وهم الفريقان

المذكوران وإخراج إنجائهم مخرج الجواب الذى حقه الترتيب على الشرط وهو نسيان المعتدين

المستتبعة لإهلاكهم لما أن ما فى حيز الشرط شيان النسيان والتذكير كأنه قيل فلما ذكر المذكورون

ولم يتذكر المعتدون أنجينا الأولين وأخذنا الآخرين وأما تصدير الجواب بإنجائهم فلما مر مراراً من

● المسارعة إلى بيان نجاتهم من أول الأمر مع ما فى المؤخر من نوع طول (وأخذنا الذين ظلموا)

● بالاعتداء ومخالفة الأمر (بعذاب بئس) أى شديد وزنا ومعنى من يؤس يؤس بأساً إذا اشتد وقرىء

بيئس على وزن فيعل بفتح العين وكسرها وبئس كحذر وبئس على تخفيف العين ونقل حركتها إلى الفاء

ككبد فى كبد وييس بقلب الهمزة ياء كذيب فى ذئب وييس كريس بقلب همزة بئس ياء وإدغام الياء

● فيها وييس على تخفيف ييس كمين فى هين وتكثير العذاب للتفخيم والتهويل (بما كانوا يفسقون) متعلق

بأخذنا كالباء الأولى ولا ضمير فيه لاختلافهما معنى أى أخذناهم بما ذكر من العذاب بسبب تماديهم فى

الفسق الذى هو الخروج عن الطاعة وهو الظلم والعدوان أيضاً وإجراء الحكم على الموصول وإن أشعر

بعلية ما فى حيز الصلة له لكنه صرح بالتعليل المذكور لإيداناً بأن العلة هو الاستمرار على الظلم والعدوان

مع اعتبار كون ذلك خروجاً عن طاعة الله عز وجل لا نفس الظلم والعدوان وإلا لما أخروا عن ابتداء

المباشرة ساعة ولعله تعالى قد عذبهم بعذاب شديد دون الاستئصال فلم يقلعوا عما كانوا عليه بل ازدادوا

١٦٦ فى الغى ففسخهم بعد ذلك لقوله تعالى (فلما عتوا عما نهوا عنه) أى تمردوا وتكبروا وأبوا أن يتركوا

● ما نهوا عنه (قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) صاغرين أذلاء بعداء عن الناس والمراد بالامر هو الامر

التسكوبي لا القولى وترتيب المسخ على العتو عن الانتهاء عما نهوا عنه للإيدان بأنه ليس لخصوصيات

الحوت بل العمدة فى ذلك هو مخالفة الامر والاستعصاء عليه تعالى وقيل المراد بالعذاب البئس هو

المسخ والجملة الثانية تقرير للأولى . روى أن اليهود أمروا باليوم الذى أمرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه

واختاروا السبت وهو المعنى بقوله تعالى إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه فابتلوا به وحرم عليهم

الصيد فيه وأمروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتهم يوم السبت كأنها المخاض لا يرى وجه الماء لكثرتها

ولا تأتهم فى سائر الأيام فكانوا على ذلك برهة من الدهر ثم جاءهم إبليس فقال لهم إنما نهيتهم عن أخذها

يوم السبت فاتخذوا حياءً سهلة الورود صعبة الصدور ففعلوا فجعلوا يسوقون الحيتان إليها يوم السبت

فلا تقدر على الخروج منها ويأخذونها يوم الأحد وأخذ رجل منهم حوتاً وربط فى ذنبه خيطاً إلى

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٧﴾

٧ الأعراف

وَقَطَّعْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾

٧ الأعراف

- خشبة في الساحل ثم شواه يوم الأحد فوجد جاره ربح السمك فتطالع في تنوره فقال له إني أرى الله سيعذبك فلما لم يره عذب أخذ في يوم السبت القابل حوتين فلما رأوا أن العذاب لا يعاجلهم استمروا على ذلك فصادوا وأكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحواً من سبعين ألفاً فصار أهل القرية أثلاثاً تلك استمروا على النهي وثلاث ملوا التذكير وستموه وقالوا للواغظين لم تعظون الخ وثلاث باشروا الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون نحن لانساكنكم فقسموا القرية بحدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام فأصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين أحد فقالوا إن لهم لشأنا فعلوا الجدار فنظروا فإذا هم قردة ففتحو الباب ودخلوا عليهم فعرفت القردة أنسابهم من الإنس وهم لا يعرفونها فجعل القردياً نسيبه فيشم ثيابه فيبيكي فيقول له نسيبه ألم ننمكم فيقول القردي برأسه بلى ثم ماتوا عن ثلاث وقيل صار الشبان قردة والشيوخ خنازير وعن مجاهد رضى الله عنه مسخت قلوبهم وقال الحسن البصري أكلوا والله أو خم أكلها أهلها أنقلها خزيماً في الدنيا وأطولها عذاباً في الآخرة هاه وإيم الله ما حوت أخذه قوم فأكلوه أعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله تعالى جعل موعداً والساعة أدهى وأمر (وإذ تأذن ربك) منصوب على المفعولية بمضمر معطوف على قوله تعالى واسألهم ١٦٧ وتأذن بمعنى آذن كما أن توعد بمعنى أوعد أو بمعنى عزم فإن العازم على الأمر يحدث به نفسه وأجرى بجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله فلذلك أجيب بجوابه حيث قيل (ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة) أى ● واذكر لهم وقت إيجابه تعالى على نفسه أن يسلم على اليهود البتة (من يسومهم سوء العذاب) كالإذلال ● وضرب الجزية وغير ذلك من فنون العذاب وقد بعث الله تعالى عليهم بعد سليمان عليه السلام بخت نصر غرب ديارهم وقتل مقاتلتهم وسبى نسائهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقى منهم وكانوا يؤدونها إلى المجوس حتى بعث النبي ﷺ ففعل ما فعل ثم ضرب الجزية عليهم فلا تزال مضروبة إلى آخر الدهر (إن ربك لسريع العقاب) يعاقبهم في الدنيا (وإنه لغفور رحيم) لمن تاب وآمن منهم (وقطعناهم) ١٦٨ ● أى فرقنا بني إسرائيل (في الأرض) وجعلنا كل فرقة منهم في قطر من أقطارها بحيث لا تحلوا ناحية منها ● منهم تكملة لأدبارهم حتى لا تكون لهم شوكة وقوله تعالى (أممًا) إما مفعول ثانٍ لقطعنا أو حال من مفعوله (منهم الصالحون) صفة لأممًا أو بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ومن يسير بسيرتهم (ومنهم دون ذلك) أى ناس دون ذلك الوصف أى منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم (وبلوناهم

فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَى خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾

٧ الأعراف

وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

٧ الأعراف

- ١٦٩ بالحسنات والسيئات) بالنعم والنقم (لعلمهم يرجعون) عما كانوا فيه من الكفر والمعاصي (خلف من بعدهم) أي من بعد المذكورين (خلف) أي بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شائع في الشر والخلف بفتح اللام في الخير والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله ﷺ (ورثوا الكتاب) أي التوراة من أسلافهم يقرءونها ويقفون على ما فيها (يأخذون عرض هذا الأدنى) استئناف مسوق لبيان ما يصنعون بالكتاب بعد وراثتهم إياه أي يأخذون حطام هذا الشيء الأدنى أي الدنيا وهو من الأدنى أو الدناءة والمراد به ما كانوا يأخذونه من الرشا في الحكومات وعلى تحريف الكلام وقيل حال من ولو ورثوا (ويقولون سيغفر لنا) ولا يؤاخذنا الله تعالى بذلك ويتجاوز عنه والجملة
- تحتمل العطف والحالية والفعل مسند إلى الجار والمجرور أو مصدر يأخذون (وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه) حال من الضمير في لنا أي يرجون المغفرة والحال أنهم مصرون على الذنب عائدون إلى مثله
- غير تائبين عنه (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) أي الميثاق الوارد في الكتاب (أن لا يقولوا على الله إلا الحق) عطف بيان للميثاق أو متعلق به أي بأن لا يقولوا الخ والمراد به الرد عليهم والتوبيخ على بتهم
- القول بالمغفرة بلا توبة والدلالة على أنها افتراء على الله تعالى وخروج عن ميثاق الكتاب (ودرسوا ما فيه)
- عطف على ألم يؤخذ من حيث المعنى فإنه تقرير أو على ورثوا وهو اعتراض (والدار الآخرة خير للذين يتقون) ما فعل هؤلاء (أفلا تعقلون) فتعلموا ذلك فلا تستبدلوا الأدنى للمؤدى إلى العقاب بالنعم المخلد
- وقرئ: بالياء وفي الالتفات تشديد للتوبيخ (والذين يمسكون بالكتاب) أي يتمسكون في أمور دينهم يقال مسك بالشئ وتمسك به قال مجاهد هم الذين آمنوا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه تمسكوا بالكتاب الذي جاء به موسى عليه السلام فلم يحرفوه ولم يكتموه ولم يتخذوه مأكلة وقال عطاء هم أمة محمد ﷺ وقرئ: يمسكون من الإمساك وقرئ: تمسكوا واستمسكوا موافقاً لقوله تعالى (وأقاموا الصلاة) ولعل
- التغيير في المشهورة للدلالة على أن التمسك بالكتاب أمر مستمر في جميع الأزمنة بخلاف إقامة الصلاة فإنها مختصة بأوقاتها وتخصيصها بالذكر من بين سائر العبادات لاناقتها عليها ومحل الموصول إما الجر نسقاً على الذين يتقون وقوله أفلا تعقلون اعتراض مقرر لما قبله وإما الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى (إننا لنضيع أجر المصلحين) والرابط إما الضمير المحذوف كما هو رأي جمهور البصريين والتقدير أجر المصلحين منهم وإما الألف واللام كما هو رأي الكوفيين فإنه في حكم مصلحهم كما في قوله تعالى فإن الجنة

وَإِذْ تَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَاءَ آيِّنِكُمْ بَقْوَةً وَادْكُرُوا مَا
فِيهِ حَلْكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾

٧ الأعراف

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا
بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾

٧ الأعراف

- هي المأوى أى ما واهم وقوله تعالى مفتحة لهم الأبواب أى أبوابها وإما العموم فى مصلحين فإنه من الروابط ومنه نعم الرجل زيد على أحد الوجوه وقيل الخبر محذوف والتقدير والذين يمسكون بالكتاب ماجورون أو مثابون وقوله تعالى إنا لا نضيع الخ اعتراض مقرر لما قبله (وإذ تقنا الجبل فوقهم) أى قلعهناه ١٧١
- من مكانه ورفعهاه عليهم (كأنه ظلة) أى سقيفة وهى كل ما أظلك (وظنوا) أى تيقنوا (أنه واقع بهم) ساقط عليهم لأن الجبل لا يثبت فى الجوالأنهم كانوا يوعدون به وإطلاق الظن فى الحكاية لعدم وقوع متعلقه وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لثقلها فرفع الله تعالى عليهم الطور وقيل لهم إن قبلتم ما فيها فبها وإلا ليقعن عليكم (خذوا ما آتيناكم) أى رقلنا أو قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب (بقوة) بجد وعزيمة على تحمل مشاقه ● وهو حال من الواو (وادكروا ما فيه) بالعمل ولا تتركوه كالمسنى (لعلكم تتقون) بذلك قبائح الأعمال ● وردائل الأخلاق أوراجين أن تنتظموا فى سلك المتقين (وإذ أخذ ربك) منصوب بمضمر معطوف ١٧٢
 - على ما انتصب به إذ تقنا مسوق للاحتجاج على اليهود بدت كير الميثاق العام المنتظم للناس قاطبة وتوبيخهم بنقضه ثرا الاحتجاج عليهم بتد كير ميثاق الطور وتعليق الذكربالوقت مع أن المقصود تذ كير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيانه مراراً أى واذكر لهم أخذ ربك (من بنى آدم) المراد بهم الذين ولد لهم كانتاً من كان نسلابعد نسل سوى من لم يولد له بسبب من الأسباب كالعقم وعدم الزوج والموت صغير أو إشار الأخذ على الإخراج للإيدان بالاعتناء بشأن المأخوذ لما فيه من الأنباء عن الاجتباء والاصطفاء وهو السبب فى إسناده إلى اسم الرب بطريق الالتفات مع ما فيه من التمهيد للاستفهام الآتى وإضافته إلى ضميره ﷺ للتشريف وقوله تعالى (من ظهورهم) بدل من بنى آدم بدل البعض بتكرير الجار كما فى قوله تعالى للذين استضعفوا المأمن منهم ● ومن فى الموضوعين ابتدائية وفيه مزيد تقرير لا بتناؤه على البيان بعد الإبهام والتفصيل غب الإجمال وتنبيه على أن الميثاق قد أخذ منهم وهم فى أصلاب الآباء ولم يستودعوا فى أرحام الأمهات وقوله تعالى (ذريتهم) مفعول أخذ آخر عن المفعول بواسطة الجار لاشتماله على ضمير راجع إليه ولمراعاة أصالته ومنشئته ولما مر مراراً من التشويق إلى المؤخر وقرىء ذرياتهم والمراد بهم أولادهم على العموم فيندرج فيهم اليهود المعاصرون لرسول الله ﷺ اندارجاً أولياً كما اندرج أسلافهم فى بنى آدم كذلك وتخصيصهما باليهود سلفاً وخلفاً مع أن ما أريد بيانه من بديع صنع الله تعالى عز وجل شامل لكل كافة محل بفخامة التنزيل وجزالة التمثيل (وأشهدهم على أنفسهم) أى أشهد كل واحدة من أولئك الذريات المأخوذ من ●

أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ٧ الأعراف

- ظهور آباؤهم على نفسها لا على غيرها تقرير ألهم ربوبيته التامة وما تستتبعه من المعبودية على الاختصاص وغير ذلك من أحكامها وقوله تعالى (ألسنت بربكم) على إرادة القول أى قائلنا ألسنت بربكم ومالك أمركم ومريكم على الإطلاق من غير أن يكون لأحد مدخل فى شأن من شئونكم فينتظم استحقاق المعبودية ويستلزم اختصاصه به تعالى (قالوا) استئناف مبنى على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل فإذا قالوا
- حينئذ قيل قالوا (بلى شهدنا) أى على أنفسنا بأنك ربنا وإلهنا لأرب لنا غيرك كما ورد فى الحديث الشريف وهذا تمثيل لخلقهم تعالى إياهم جميعاً فى مبدأ الفطرة مستعدين للاستدلال بالدلائل المنصوبة فى الآفاق والأنفس المؤدية إلى التوحيد والإسلام كما ينطق به قوله ﷺ كل مولود يولد على الفطرة الحديث مبنى على تشبيه الهيئة المنتزعة من تعريضه تعالى إياهم لمعرفة ربوبيته بعد تمكينهم منها بما ركز فيهم من العقول والبصائر ونصب لهم فى الآفاق والأنفس من الدلائل تمكيناً تاماً ومن تمكينهم منها تمكيناً كاملاً وتعرضهم لها تعرضاً قوياً بهيئة منتزعة من حمله تعالى إياهم على الاعتراف بها بطريق الأمر ومن مسارعتهم إلى ذلك من غير تعلم أصلاً من غير أن يكون هناك أخذ وإشهاد وسؤال وجواب كما فى قوله تعالى فقال لها والأرض اثنيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين وقوله تعالى (أن تقولوا) بالناء على تلوين الخطاب
- وصرفه عن رسول الله ﷺ إلى معاصريه من اليهود تشديداً فى الإلزام أو إليهم وإلى متقدميهم بطريق التغليب لكن لا من حيث إنهم مخاطبون بقوله تعالى ألسنت بربكم فإنه ليس من الكلام المحكى وقرئ بالياء على أن الضمير للذرية وأباً ما كان فهو مفعول له لما قبله من الأخذ والإشهاد أى فعلنا ما فعلنا كراهة أن تقولوا أو لتلا تقولوا أيها الكفرة أو يقولوا هم (يوم القيامة) عند ظهور الأمر (إنا كنا عن هذا)
- عن وحدانية الربوبية وأحكامها (غافلين) لم تنبه عليه فإنهم حيث جبلوا على ما ذكر من التيهن التام لتحقيق الحق والقوة القرينة من الفعل صاروا محجوجين عاجزين عن الاعتذار بذلك إذ لا سبيل لأحد إلى إنكار ما ذكر من خلقهم على الفطرة السليمة وقوله تعالى (أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا) عطف على تقولوا
- وأولمنع الخلودون الجمع أى هم اخترعوا الإشراك وهم سنوه (من قبل) أى من قبل زماننا (وكننا) نحن (ذرية من بعدهم) لانهتدى إلى السبيل ولا نقدر على الاستدلال بالدليل (أفتهلكننا بما فعل المبطلون)
- من آباؤنا المضلين بعد ظهور أنهم المجرمون ونحن عاجزون عن التدبير والاستعداد بالرأى أو أتواخذنا فتهلكنا الخ فإن ما ذكر من استعدادهم الكامل يسد عليهم باب الاعتذار بهذا أيضاً فإن التقليد عند قيام الدلائل والقدرة على الاستدلال بها عما لا مساغ له أصلاً هذا وقد حملت هذه المقالة على الحقيقة كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما من أنه لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام مسح ظهره فأخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة فقال ألسنت بربكم قالوا بلى فنودى يومئذ جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة وقدر روى عن عمر رضى الله عنه أنه سئل عن الآية الكريمة فقال سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها فقال إن الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة

٧ الأعراف

وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ ٧ الأعراف

وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون وليس المعنى أنه تعالى أخرج الكل من ظهره عليه الصلاة والسلام بالذات بل أخرج من ظهره عليه السلام أبناءه الصليبية ومن ظهرهم أبناءهم الصليبية وهكذا إلى آخر السلسلة لكن لما كان المظهر الأصلي ظهره عليه الصلاة والسلام وكان مساق الحديثين الشريفين بيان حال الفريقين إجمالاً من غير أن يتعلق بذكر الوسائط غرض على نسب إخراج الكل إليه وأما الآية الكريمة فحيث كانت مسوقة للاحتجاج على الكفرة المعاصرين لرسول الله ﷺ وبيان عدم إقادة الاعتذار بإسناد الإشراف إلى آباءهم اقتضى الحال نسبة إخراج كل واحد منهم إلى ظهر أبيهم من غير تعرض لإخراج الأبناء الصليبية لأدم عليه السلام من ظهره قطعاً وعدم بيان الميثاق في حديث عمر رضى الله تعالى عنه ليس بياناً لعدمه ولا مستلزماً له وأما ما قالوا من أن أخذ الميثاق لإسقاط عذر الغفلة حسبما ينطق به قوله تعالى أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ومعلوم أنه غير دافع لغفلتهم في دار التكليف إذ لا فرد من أفراد البشر يذكر ذلك فردود لكن لا بما قيل من أن الله عز وجل قد أوضح الدلائل على وحدانيته وصدق رسوله فيما أخبروا به فن أنكره كان معانداً ناقضاً للعهد ولزمته الحجة ونسيانهم وعدم حفظهم لا يسقط الاحتجاج بعد إخبار المخبر الصادق بل بأن قوله تعالى أن تقولوا الخ ليس مفعولاً له لقوله تعالى وأشهدهم وما يفرع عليه من قولهم بل شهدنا حتى يجب كون ذلك الإشهاد والشهادة محفوظاً لهم في إلزامهم بل لفعل مضمر ينسحب عليه الكلام والمعنى فعلنا ما فعلنا من الأمر بذكر الميثاق وبيانه كراهة أن تقولوا أو لثلاثا تقولوا أيها الكفرة يوم القيامة إنا كنا غافلين عن ذلك الميثاق لم ننبه عليه في دار التكليف وإلا لعلمنا بموجبه هذا على قراءة الجمهور وأما على القراءة بالياء فهو مفعول له لنفس الأمر المضمر العامل في إذ أخذ والمعنى اذكر لهم الميثاق لما أخذ منهم فيما مضى لثلاثا يعتذروا يوم القيامة بالغفلة عنه أو بتقليد الآباء هذا على تقدير كون قوله تعالى شهدنا من كلام الذرية وهو الظاهر فأما على تقدير كونه من كلامه تعالى فهو العامل في أن تقولوا ولا محذور أصلاً إذ المعنى شهدنا قولكم هذا لثلاثا تقولوا يوم القيامة الخ لا نأزركم ونكذبكم حينئذ (وكذلك) إشارة إلى مصدر الفعل المذكور بعده وما فيه من معنى البعد للإيدان بملو ١٧٤ شأن المشار إليه وبعد منزلته والكاف مقحمة مؤكدة لما أفاده اسم الإشارة من التفخامة والتقديم على الفعل لإقادة القصر ومحلّه النصب على المصدرية أى ذلك التفصيل البليغ المستتبع للمنافع الجليلة (نفسل الآيات) المذكورة لا غير ذلك (ولعلمهم يرجعون) وليرجعوا عما هم عليه من الإصرار على الباطل وتقليد الآباء فعل التفصيل المذكور قالوا وإن ابتدئنا ويجوز أن تكون الثانية عاطفة على مقدر مترتب على التفصيل أى وكذلك نفسل الآيات ليقفوا على ما فيها من المرغبات والزواجر وليرجعوا الخ (واتل عليهم) عطف ١٧٥

وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتَرَّكَهْ يَلْهَثَ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ

يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾

٧ الأعراف

- على المضمير العامل في إذ أخذ وارد على نمطه في الأنباء عن الحور بعد الكور والضلالة بعد الهدى أى
- وائل على اليهود (نبا الذى آتينا آياتنا) أى خبره الذى له شأن وخطرو هو أحد علماء بنى إسرائيل وقيل هو بلعم بن باعوراء أو بلعام بن باعر من الكنعانيين أوتى علم بعض كتب الله تعالى وقيل هو أمية بن أبى الصلت وكان قد قرأ الكتب وعلم أن الله تعالى مرسل في ذلك الزمان رسولا ورجا أن يكون هو الرسول فلما بعث الله تعالى النبي ﷺ حسده وكفر به والأول هو الأنسب بمقام توبيخ اليهود بهناتهم (فانسخ منها) أى من تلك الآيات انسلاخ الجلد من الشاة ولم يخطر لها بباله أصلا أو خرج منها بالكلية بأن كفر بها ونبذها وراء ظهره وأيا ما كان فالتعبير عنه بالانسلاخ المنبىء عن اتصال المحيط بالمحاط
 - خلقة وعن عدم الملاقاة بينهما أبدا للإبذان بكال مباينته للآيات بعد أن كان بينهما كمال الاتصال (فاتبه الشيطان) أى تبعه حتى لحقه وأدركه فصار قريبا له وهو المعنى على قراءة فاتبعه من الافتعال وفيه تلويح
 - بأنه أشد من الشيطان غواية أو أبعده خطواته (فكان من الغاوين) فصار من زمرة الضالين الراشخين في الغواية بعد أن كان من المهتدين وروى أن قومه طلبوا إليه أن يدعو على موسى عليه السلام فقال كيف أدعو على من معه الملائكة فلم يزالوا به حتى فعل فبقوا في التيه ويرده أن التيه كان لموسى عليه السلام روحا وراحة وإنما عذب به بنو إسرائيل وقد كان ذلك بدعائه عليه السلام عليهم كما مر في سورة المائدة (ولو شئنا) كلام مستأنف مسوق لبيان مناط ما ذكر من انسلاخه من الآيات ووقوعه في مهاوى الغواية ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء على القاعدة المستمرة
 - أى ولو شئنا رفعه (لرفعناه) أى إلى المنازل العالية للأبرار العالمين بتلك الآيات العالمين بموجها لكن لا بمحض مشيئتنا من غير أن يكون له دخل في ذلك أصلا فإنه مناف للحكمة التشريعية المؤسسة على تعليق الجزية بالأفعال الاختيارية للعباد بل مع مباشرته للعمل المؤدى إلى الرفع بصرف اختياره إلى تحصيله
 - كما ينبىء عنه قوله تعالى (بها) أى بسبب تلك الآيات بأن عمل بموجها فإن اختياره وإن لم يكن مؤثرا في حصوله ولا في ترتب الرفع عليه بل كلاهما بخلق الله تعالى لكن خلقه تعالى منوط بذلك البته حسب جريان العادة الإلهية وقد أشير إلى ذلك في الاستدراك بأن أسند ما يؤدى إلى نقيض التالى إليه حيث
 - قيل (ولكنه أخلد إلى الأرض) مع أن الإخلاد إليها أيضا مما لا يتحقق عند صرف اختياره إليه إلا بخلقته تعالى كأنه قيل ولو شئنا رفعه بمباشرته لسببه لرفعناه بسبب تلك الآيات التى هى أقوى أسباب الرفع ولكن لم نشأه لمباشرته لسبب نقيضه فترك في كل من المقامين ما ذكر في الآخر تعويلا على إشعار المذكور بالمطوى كما في قوله تعالى وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد

- لفضله وتخصيص كل من المذكورين بمقامه للإيذان بأن الرفع مرادله تعالى بالذات وتفضل محض عليه لادخل فيه لفعله حقيقة كيف لا وجميع أفعاله ومبادئها من نعمه تعالى وتفضلاته وإن نقيضه إنما أصابه بسوء اختياره على موجب الوعيد لا بالإرادة الذاتية له سبحانه كما قيل في وجه ذكر الإرادة مع الخير والمس مع الضر في الآية المذكورة وهو السرفى جريان السنة القرآنية على إسناد الخير إليه تعالى وإضافة الشر إلى الغير كما في قوله تعالى وإذا مرضت فهو يشفين ونظائره والإخلاص إلى الشيء الميل إليه مع الاطمئنان به والمراد بالأرض الدنيا وقيل السفالة والمعنى ولكنه أثر الدنيا الدنية على المنازل السنية أو الضعة والسفالة على الرفعة والجلالة (واتبع هواه) معرضاً عن تلك الآيات الجليلة فأنحط وأبلغ انحطاطاً وارْتدأ أسفل سافلين وإلى ذلك أشير بقوله تعالى (فثله كمثل الكلب) لما أنه أخس الحيوانات وأسفلها وقدم مثل حاله بأخس أحواله وأذلها حيث قيل (إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) أى لحاله التى هى مثل فى السوء كصفته فى أرذل أحواله وهى حالة دوام اللهث به فى حالى التعب والراحة فكأنه قيل قتردى إلى ما لا غاية وراءه فى الخسة والدناءة وإثارة الجملة الاسمية على الفعلية بأن يقال فصار مثله كمثل الكلب الخ للإيذان بدوام اتصافه بتلك الحالة الخسيسة وكال استقراره واستمراره عليها والخطاب فى فعل الشرط لكل أحد ممن له حظ من الخطاب فإنه أدخل فى إشاعة فظاعة حاله واللهث إدلاج اللسان بالتنفس الشديد أى هو ضيق الحال مكروب دائم اللهث سواء هيجته وأزعجته بالظرد العنيف أو تركته على حاله فإنه فى الكلاب طبع لا تقدر على نفث الهواء المتسخ وجلب الهواء البارد بسهولة لضعف قلبها وانقطاع قوادها بخلاف سائر الحيوانات فإنها لا تحتاج إلى التنفس الشديد ولا يلحقها الكرب والمضايقة إلا عند التعب والإعياء والشرطية مع أخذتها تفسيراً لما بهم فى المثل وتفصيل لما أجمل فيه وتوضيح للتمثيل ببيان وجه الشبه لا محل له من الإعراب على منهاج قوله تعالى خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون إثر قوله تعالى إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم وقيل هى فى محل النصب على الحالية من الكلب بناء على خروجهما من حقيقة الشرط وتحويلهما إلى معنى التسوية حسب تحول الاستفهامين المتناقضين إليه فى مثل قوله تعالى أنذرهم أم لم تنذرهم كأنه قيل لا هتأ فى الحالتين وأياً ما كان فالأظهر أنه تشبيه للهية المنتزعة عما اعتراه بعد الانسلاخ من سوء الحال واضطراب القلب ودوام القلق والاضطراب وعدم الاستراحة بحال من الأحوال باللهية المنتزعة عما ذكر من حال الكلب وقيل لما دعا بلعم على موسى عليه السلام خرج لسانه فتدلى على صدره وجعل يلهث كالكلب إلى أن هلك (ذلك) إشارة إلى ما ذكر من الحالة الخسيسة منسوبة إلى الكلب أو إلى المنسلخ وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتها فى الخسة والدناءة أى ذلك المثل السيئ (مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) وهم اليهود حيث أوتوا فى التوراة ما أوتوا من نعوت النبي ﷺ وذكر القرآن المعجز وما فيه فصدقه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وآنسوا من حكم التوراة (فأقصص القصص) القصص مصدر سمي به المفعول كالسلب واللام للعهد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أى إذا تحقق أن المثل المذكور مثل هؤلاء المكذبين فأقصصه عليهم حسبما أوحى إليك (لعلهم يتفكرون) فيقفون على جليلة الحال وينزجرون

٧ الأعراف

سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾

٧ الأعراف

مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِّمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

- ١٧٧ عمام عليه من الكفر والضلال ويعلمون أنك قد علمته من جهة الوحي فيزدادون إيقاناً بك والجملة في محل النصب على أنها حال من ضمير المخاطب أو على أنها مفعول له أي فاقصص القصص راجعاً لتفكيرهم أي أو رجاء لتفكيرهم (ساء مثلاً) استئناف مسوق لبيان كمال قبح حال المكذبين بعد بيان كونه كمال الكلب أو المنسلخ وساء بمعنى بثس وقاعها مضمرة فيها ومثلاً تمييز مفسر له والمخصوص بالذم قوله تعالى (القوم الذين كذبوا بآياتنا) وحيث وجب التصديق بينه وبين الفاعل والتمييز وجب المصير إلى تقدير مضاف إما إليه وهو الظاهر أي ساء مثلاً مثل القوم الخ أو إلى التمييز أي ساء أصحاب مثل القوم الخ وقرئ ساء مثل القوم وإعادة القوم موصوفاً بالموصول مع كفاية الضمير بأن يقال ساء مثلاً مثلهم للإيذان بأن مدار السوء مافي حيز الصلة ولربط قوله تعالى (وأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ) به فإنه إما معطوف على كذبوا داخل معه في حكم الصلة بمعنى جمعوا بين تكذيب آيات الله بعد قيام الحجة عليها وعليهم بها وبين ظلهم لأنفسهم خاصة أو منقطع عنه بمعنى وما ظلموا بالتكذيب إلا أنفسهم فإن وباله لا يتخطاها وأياً ما كان ففي يظلمون لمح إلى أن تكذبيهم بالآيات متضمن للظلم وأن ذلك أيضاً معتبر في القصر المستفاد من تقديم المفعول (من يهد الله فهو المهتدي) لما أمر النبي ﷺ بأن يقص قصص المنسلخ على هؤلاء الضالين الذين مثلهم كمثل ليتفكروا فيه ويتركوا ما هم عليه من الإخلاد إلى الضلالة ويهتدوا إلى الحق عقب ذلك بتحقيق أن الهداية والضلالة من جهة الله عز وجل وإنما العظة والتذكير من قبيل الوسائط العادية في حصول الاهتداء من غير تأثير لها فيه سوى كونها دواعي إلى صرف العبد اختياره نحو تحصيله حسبما ينط به خلق الله تعالى إياه كسائر أفعال العباد فالمراد بهذه الهداية ما يوجب الاهتداء قطعاً لكن لا لأن حقيقتها الدلالة الموصلة إلى البغية البتة بل لأنها الفرد الكامل من حقيقة الهداية التي هي الدلالة إلى ما يوصل إلى البغية أي ما من شأنه الإيصال إليها كما سبق تحقيقه في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وليس المراد مجرد الإخبار باهتداء من هداه الله تعالى حتى يتوهم عدم الإفادة بحسب الظاهر لظهور استلزام هدايته تعالى للاهتداء ويحمل النظم الكريم على تعظيم شأن الاهتداء والتنبيه على أنه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لولم يحصل له غيره لكفاه بل هو قصر الاهتداء على من هداه الله تعالى حسبما يقضى به تعريف الخبر فالعنى من يهد الله أي يخلق فيه الاهتداء على الوجه المذكور فهو المهتدي لا غير كائناتاً من كان (ومن يضل) بأن لم يخلق فيه الاهتداء بل خلق فيه الضلالة لصرف اختياره نحوها (فأولئك) الموصوفون بالضلالة على الوجه المذكور (هم الخاسرون) أي الكاملون في الخسران لا غير وإفراد المهتدي نظراً إلى لفظ من وجمع الخاسرين نظراً إلى معناها للإيذان باتحاد منهاج الهدى وتفرق

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ٧ الأعراف

- طرق الضلال (ولقد ذرأنا) كلام مستأنف مقرر لمضمون ما قبله بطريق التذييل أى خلقنا (لجهم) أى ١٧٩ لدخولها والتعذيب بها وتقديمه على قوله تعالى (كثير) أى خلقاً كثيراً مع كونه مفعولاً به لما فى توابعه من نوع طول يؤدى توسطه بينهما وتأخيرها عنها إلى الإخلال بجزالة النظم الكريم وقوله تعالى (من الجن والإنس) متعلق بمحذوف هو صفة لكثيراً أى كانتا منهما وتقديم الجن لأنهم أعرق من الإنس فى الاتصاف بما نحن فيه من الصفات وأكثر عدداً وأقدم خلقاً والمراد بهم الذين حقت عليهم الكلمة الأزلية بالشقاوة لكن لا بطريق الجبر من غير أن يكون من قبلهم ما يؤدى إلى ذلك بل لعلمه تعالى بأنهم لا يصرفون اختيارهم نحو الحق أبداً بل يصرون على الباطل من غير صارف يلويهم ولا عاطف ينشيمهم من الآيات والنذر فهذا الاعتبار جعل خلقهم مغياها كما أن جميع الفريقين باعتبار استعدادهم الكامل الفطرى للعبادة وتمسكهم التام منها جعل خلقهم مغياها كما نطق به قوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون وقوله تعالى (لهم قلوب) فى محل النصب على أنه صفة أخرى لكثيراً وقوله تعالى (لا يفقهون بها) فى محل الرفع على أنه صفة لقلوب مؤكدة لما يفيدته تنكيرها وإبهامها من كونها غير معهودة مخالفة لسائر أفراد الجنس فاقدة لكاله بالكلية لكن لا بحسب الفطرة حقيقة بل بسبب امتناعهم عن صرفها إلى تحصيله وهذا وصف لها بكال الإغراق فى القساوة فإنها حيث لم يتأت منها الفقه بحال فكأنها خلقت غير قابلة له رأساً وكذا الحال فى أعينهم وآذانهم وحذف المفعول للتعميم أى لهم قلوب ليس من شأنها أن يفقهوا بها شيئاً مما من شأنه أن يفقه فيدخل فيه ما يليق بالمقام من الحق ودلائله دخولا أولاً وتخصيصه بذلك محل بالإفصاح عن كنه حالهم (ولهم أعين لا يبصرون بها) الكلام فيه كما فيما عطف هو عليه والمراد بالإبصار والسمع المنفيين ما يختص بالعقل من الإدراك على ما هو وظيفة الثقلين لا ما يتناول مجرد الإحساس بالشبح والصوت كما هو وظيفة الأنعام أى لا يبصرون بها شيئاً من المبصرات فيندرج فيه الشواهد التكوينية الدالة على الحق اندراجاً أولاً (ولهم آذان لا يسمعون بها) أى شيئاً من المسموعات فيتناول الآيات التنزيلية تناولاً أولاً وإعادة الخبر فى الجنتين المعطوفتين مع انتظام الكلام بأن يقال وأعين لا يبصرون بها وآذان لا يسمعون بها لتقرير سوء حالهم وفى إثبات المشاعر الثلاثة لهم ثم وصفها بعدم الشعور دون سلبها عنهم ابتداء بأن يقال ليس لهم قلوب يفقهون بها ولا أعين يبصرون بها ولا آذان يسمعون بها من الشهادة بكال رسوخهم فى الجهل والغواية مالا يخفى (أولئك) إشارة إلى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم فى الضلال أى أولئك الموصوفون بالأوصاف المذكورة (كالأنعام) أى فى انتفاء الشعور على الوجه المذكور أو فى أن مشاعرهم متوجهة إلى أسباب التعيش مقصورة عليها (بل هم أضل) فإنها تدرك مامن شأنها أن تدركه من المنافع والمضار فتجتهد فى جلبها وسلبها غاية جهدها مع كونها بمعزل من الخلود وهؤلاء ليسوا

وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾

٧ الأعراف

وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾

٧ الأعراف

- كذلك حيث لا يميزون بين المنافع والمضار بل يعكسون الأمر فيتركون النعيم المقيم ويقدمون على العذاب الخالد وقيل لأنها تعرف صاحبها وتذكره وتطبعه وهؤلاء لا يعرفون ربهم ولا يذكرونه ولا يطيعونه
- وفي الخبر كل شيء أطوع لله من ابن آدم (أولئك) المنعوتون بما مر من مثلية الأنعام والشرية منها (هم الغافلون) الكاملون في الغفلة المستحقون لأن يخص بهم الاسم ولا يطلق على غيرهم كيف لا وأنهم لا يعرفون من شئون الله عز وجل ولا من شئون ما سواه شيئاً فيشركون به سبحانه وليس كمثل شيء.
 - ١٨٠ وهو السميع البصير أصنامهم التي هي من أخس مخلوقاته تعالى (ولله الأسماء الحسنى) تنبيه للمؤمنين على كيفية ذكره تعالى وكيفية المعاملة مع الخلقين بذلك الغافلين عنه سبحانه عما يليق به من الأمور ومالا يليق به إثر بيان غفلتهم التامة وضلاتهم الطامة والحسنى تأييداً لأحسن أى الأسماء التي هي أحسن الأسماء وأجلها لإبانتها عن أحسن المعاني وأشرفها (فادعوه بها) أى فسموه بتلك الأسماء (وذروا الذين يلحدون في أسمائهم) الإلحاد والحد الميل والانحراف يقال لحد وألحد إذا مال عن القصد وقرئ يلحدون من الثلاثى أى يميلون في شأنها عن الحق إلى الباطل إما بأن يسموه تعالى بما لا توقف فيه أو بما يؤهم معنى فاسداً كما في قول أهل البدو يا أبا المكارم يا أبيض الوجه يا بنى ونحو ذلك فالمراد بالترك المأمور به الاجتناب عن ذلك وبأسمائه ما أطلقوه عليه تعالى وسموه به على زعمهم لا أسمائه تعالى حقيقة وعلى ذلك يحمل ترك الإضمار بأن يقال يلحدون فيها وإما بأن يعدلوا عن تسميته تعالى ببعض أسمائه الكريمة كما قالوا وما الرحمن ما نعرف سوى رحمان اليمامة فالمراد بالترك الاجتناب أيضاً وبالأسماء أسمائه تعالى حقيقة فالمعنى سموه تعالى بجميع أسمائه الحسنى واجتنبوا الإخراج بعضها من البين وإما بأن يطلقوها على غيره تعالى كما سمو أصنامهم آلهة وإما بأن يشتقوا من بعضها أسماء أصنامهم كما اشتقوا اللات من الله تعالى والعزى من العزيز فالمراد بالأسماء أسمائه تعالى حقيقة كما في الوجه الثانى والإظهار في موقع الإضمار مع التجريد عن الوصف في الكل للإيدان بأن إلحادهم في نفس الأسماء من غير اعتبار الوصف وليس المراد بالترك حينئذ الاجتناب عن ذلك إذ لا يتوهم صدور مثل هذا الإلحاد عن المؤمنين ليؤمروا بتركه بل هو الإعراض عنهم وعدم المبالاة بما فعلوا ترقباً لنزول العقوبة بهم عن قريب كما هو المتبادر من قوله تعالى (سيجزون ما كانوا يعملون) فإنه استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من الأمر بعدم المبالاة والإعراض عن المجازاة كأنه قيل لم لا نبأى بإلحادهم ولا نتصدى لمجازاتهم فقيل لأنه سينزل بهم عقوبته وتنشفون بذلك عن قريب وأما على الوجهين الأولين فالمعنى اجتنبوا إلحادكم كيلاً يصيبكم ما أصابهم فإنه سينزل بهم عقوبة إلحادكم (ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) بيان إجمالى لحال

٧ الأعراف

وَالَّذِينَ كَذَبُوا بَعَايَتَنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾

٧ الأعراف

وَأَمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾

من عدا المذكورين من الثقلين الموصوفين بما ذكر من الضلال والإلحاد عن الحق ومحل الظرف الرفع على أنه مبتدأ إما باعتبار مضمونه أو بتقدير الموصوف وما بعده خبره كما مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس الخ أى وبعض من خلقنا أو وبعض من خلقنا أمة أى طائفة كثيرة يهدون الناس ملتبسين بالحق أو يهدونهم بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة والحق يحكون في الحكومات الجارية فيما بينهم ولا يجوزون فيها. عن النبي ﷺ أنه كان يقول إذا قرأها هذه لكم وقد أعطى القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة الآية. وعنه عليه الصلاة والسلام إن من أمتي قوماً على الحق حق ينزل عيسى وروى لا تزال من أمتي طائفة على الحق إلى أن يأتي أمر الله وروى لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون وفيه من الدلالة على صحة الإجماع ما لا يخفى والاقتصار على نعمتهم هداية الناس للإيمان بأن اهتداءهم في أنفسهم أمر محقق غنى عن التصريح به (والذين كذبوا بآياتنا) شروع في تحقيق الحق الذي به يهدى الهادون وبه يعدل العادلون وحمل الناس ١٨٢ على الاهتداء به على وجه التهيب ومحل الموصول الرفع على أنه مبتدأ خبره ما بعده من الجملة الاستقبالية وإضافة الآيات إلى نون العظمة لثربها واستعظام الإقدام على تكذيبها أى والذين كذبوا بآياتنا التي هي معيار الحق ومصدق العدل (سنستدرجهم) أى نستندهم البتة إلى الهلاك شيئاً فشيئاً ● والاستدراج استفعال من درج إما بمعنى صعد ثم اتسع فيه فاستعمل في كل نقل تدريجي سواء كان بطريق الصعود أو الهبوط أو الاستقامة وإما بمعنى مشى مشياً ضعيفاً وإما بمعنى طوى والاول هو الأنسب بالمعنى المراد الذي هو النقل إلى أعلى درجات المهالك ليبلغ أقصى مراتب العقوبة والعذاب ثم استعير لطلب كل نقل تدريجي من حال إلى حال من الأحوال الملائمة للنقل الموافقة لهواه بحيث يزعم أن ذلك ترقى في مراقب منافعه مع أنه في الحقيقة ترد في مآوى مصارعه فاستدراجهم سبحانه إياهم أن يواتر عليهم النعم مع انهما كم في الغنى فيحسبوا أنها لطف لهم منه تعالى فيزدادوا بطراً وطغياناً لكن لا على أن المطلوب تدرجهم في مراتب النعم بل هو تدرجهم في مدارج المعاصي إلى أن يحق عليهم كفة العذاب على أفطع حال وأشنعها والاول وسيلة إليه وقوله تعالى (من حيث لا يعلمون) متعلق بمضمر وقع صفة ● لمصدر الفعل المذكور أى سنستدرجهم استدراجاً كأننا من حيث لا يعلمون أنه كذلك بل يحسبون أنه أثر من الله عز وجل وتقريب منه وقيل لا يعلمون ما يراد بهم (وأمل لهم) عطف على سنستدرجهم غير ١٨٣ داخل في حكم السين لما أن الإملاء الذي هو عبارة عن الإمهال والإطالة ليس من الأمور التدرجية كالاستدراج الحاصل في نفسه شيئاً فشيئاً بل هو فعل يحصل دفعة وإنما الحاصل بطريق التدرج آثاره

وأحكامه لا نفسه كما يلوح به تغيير التعبير بتوحيد الضمير مع ما فيه من الافتنان النبي عن مزيد الاعتناء
بمضمون الكلام لا بقنائه على تجديد القصد والعزيمة وأما إن ذلك للإشعار بأنه بمحض التقدير الإلهي
والاستدراج بتوسط المدبرات فبناه دلاله نون العظمة على الشركة وأن ذلك والإلا حترز عن إيرادها في
قوله تعالى ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم الآية بل إنما إيرادها في أمثال
● هذه الموارد بطريق الجريان على سنن الكبرياء (إن كيدى متين) تقرير للوعيد وتأكيده له أي قوى
لا يدافع بقوة ولا بحيلة والمراد به إما الاستدراج والإملاء مع تبيجهما التي هي الأخذ الشديد على غرة
فتسميته كيداً لما أن ظاهره لطف وباطنه قهراً وإما نفس ذلك الأخذ فقط فالتسمية لكون مقدماته كذلك
وأما أن حقيقة الكيد هو الأخذ على خفاء من غير أن يعتبر فيه إظهار خلاف ما أبطنه فيما لا تعويل عليه
مع عدم مناسبته للمقام ضرورة استدعائه لاعتبار القيد المذكور حتماً (أولم يتفكروا ما بصاحبهم من
١٨٤ جنة) كلام مبتدأ مسوق لإنكار عدم تفكيرهم في شأنه ﷺ وجهلهم بحقيقة حاله الموجبة للإيمان به وبما
أنزل عليه من الآيات التي كذبوا بها والهمزة للإنكار والتعجيب والتوبيخ والواو لللطف على مقدر
يستدعيه سباق النظم للكريم وسياقه وما إما استفهامية إنكارية في محل الرفع بالابتداء والخبر بصاحبهم
وإما نافية اسمها جنة وخبرها بصاحبهم والجنة من المصادر التي يراد بها الهيئة كالركبة والجلسة وتنكيرها
للتقليل والتحقيق والجملة معلقة لفعل التفكير لكونه من أفعال القلوب ومحالها على الوجهين النصب على
نزع الجار أي أكذبوا بها ولم يتفكروا في أي شيء من جنون ما كانوا بصاحبهم الذي هو أعظم الأمة
المهادية بالحق وعليه أنزلت تلك الآيات أوفى أنه ليس بصاحبهم شيء من جنة حتى يؤدبهم التفكير في
ذلك إلى الوقوف على صدقه وصحة نبوته فيؤمنوا به وبما أنزل عليه من الآيات وقيل قد تم الكلام عند
قوله تعالى أولم يتفكروا أي أكذبوا بها ولم يفعلوا التفكير ثم ابتدئ فقيل أي شيء بصاحبهم من جنة
ما على طريقة الإنكار والتعجيب والتسكيت أو قيل ليس بصاحبهم شيء منها والتعبير عنه ﷺ بصاحبهم
للإيدان بأن طول مصاحبتهم له ﷺ بما يطلعهم على نزاهته ﷺ عن شائبة ما ذكر ففيه تأكيد للتكثير
وتشديد له والتعرض لنفي الجنون عنه ﷺ مع وضوح استحالة ثبوته له ﷺ لما أن التكلم بما هو خارق
لقضية العقول والعادات لا يصدر إلا عن بهمس من الجنون كيفما اتفق من غير أن يكون له أصل ومعنى
أو عن له تأييد إلهي يخبر به عن الأمور الغيبية وإذ ليس به ﷺ شائبة الأول تعين أنه ﷺ مؤيد من عند
الله تعالى وقيل إنه ﷺ علا الصفا لئلا يحمل بدعوق ريشاً نخذاً نخذاً يحذرهم بأس الله تعالى فقال قائلهم إن
صاحبكم هذا مجنون بات يهوت إلى الصباح فنزلت فالنصر يحج بنفي الجنون حينئذ الرد على عظيمتهم الشنعاء
● والتعبير عنه ﷺ بصاحبهم وارد على شاكلة كلامهم مع ما فيه من النكتة المذكورة وقوله تعالى (إن هو
إلا نذير مبين) جملة مقررة لمضمون ما قبلها ومبينة لحقيقة حاله ﷺ على منهاج قوله تعالى إن هذا إلا ملك
كريم بعد قوله تعالى ما هذا بشر أي ما هو ﷺ إلا مبالغ في الإنذار مظهر له غاية الإظهار إبراز لكمال الرأفة

أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾

٧ الأعراف

- ومبالغة في الأعداء وقوله تعالى (أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض) استئناف آخر مسوق ١٨٥
- للإنكار والتوبيخ بإخلاصهم بالتأمل في الآيات التكوينية المنصوبة في الآفاق والأنفس الشاهدة بصحة مضمون الآيات المنزلة إثر مانع عليهم إخلاصهم بالتفكير في شأنه ﷺ والهمزة لما ذكر من الإنكار والتعجب والتوبيخ والواو للعطف على المقدر المذكور أو على الجملة المنفية بلم والملكوت الملك العظيم أي أكذبوا بها أو ألم يتفكروا فيما ذكر ولم ينظروا نظر تأمل فيما يدل عليه السموات والأرض من عظم الملك وكمال القدرة (وما خلق الله) أي وفيما خلق فيهما على أنه عطف على ملكوت وتخصيصه بهما ●
- لكمال ظهور عظم الملك فيهما أو وفي ملكوت ما خلق على أنه عطف على السموات والأرض والتعميم لاشتراك الكل في الدلالة على عظم الملك في الحقيقة وعليه قوله تعالى فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وقوله تعالى (من شيء) بيان لما خلق مفيد لعدم اختصاص الدلالة المذكورة بمجالات المصنوعات ●
- دون دقائقها والمانع أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق فيهما من جليل ودقيق مما ينطلق عليه اسم الشيء ليدلهم ذلك على العلم بوحديته تعالى وبسائر شئونه التي ينطق بها تلك الآيات فيؤمنوا بها لاتحادهما في المدلول فإن كل فرد من أفراد الأكوان مما عزوهان دليل لأمح على الصانع المجيد وسبيل واضح إلى عالم التوحيد وقوله تعالى (وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم) عطف على ●
- ملكوت وأن مخففة من أن واسمها ضمير الشأن وخبرها عسى مع فاعلها الذي هو أن يكون واسم يكون أيضاً ضمير الشأن والخبر قد اقترب أجلهم والمعنى أو لم ينظروا في أن الشأن عسى أن يكون الشأن قد اقترب أجلهم وقد جوز أن يكون اسم يكون أخبارها قد اقترب على أنها جملة من فعل وفاعل هو ضمير أجلهم لتقدمه حكماً وأياً ما كان فمناط الإنكار والتوبيخ تأخيرهم للنظر والتأمل أي لعلمهم بموتون عما قريب فالحل لا يسارعون إلى التدبر في الآيات التكوينية الشاهدة بما كذبوه من الآيات القرآنية وقد جوز أن يكون الأجل عبارة عن الساعة والإضافة إلى ضميرهم للملابستهم لها من جهة إنكارهم لها وبجحهم عنها
- وقوله تعالى (فبأي حديث بعده يؤمنون) قطع لاحتمال إيمانهم رأساً ونفى له بالكلية مترتب على ما ذكر ●
- من تكذيبهم بالآيات وإخلاصهم بالتفكير والنظر والبلاء متعلقة بيؤمنون وضمير بعده للآيات على حذف المضاف المفهوم من كذبوا والتذكير باعتبار كونها قرآناً أو بتأويلها بالمذكور وإجراء الضمير مجرى اسم الإشارة والمعنى أكذبوا بها ولم يتفكروا فيما يوجب تصديقها من أحواله ﷺ وأحوال المصنوعات فبأي حديث يؤمنون بعد تكذيبه ومعه مثل هذه الشواهد القوية كلا وهيئات وقيل الضمير للقرآن والمعنى فبأي حديث بعد القرآن يؤمنون إذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان وقيل هو إنكار وتبكيك لهم مترتب على إخلاصهم بالمسارعة إلى التأمل فيما ذكر كأنه قيل لعل أجلهم قد اقترب

مَنْ يُضِلِلِ اللَّهَ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ ٧ الأعراف

يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثُقُلْتَ
فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكَ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَتَّىٰ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا
عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ٧ الأعراف

- فألهم لا يبادرون إلى الإيمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبأى حديث أحق
منه يريدون أن يؤمنوا وقيل الضمير لأجلهم والمعنى فبأى حديث بعد انقضاء أجلهم يؤمنون وقيل
لِلرَّسُولِ ﷺ على حذف مضاف أى فبأى حديث بعد حديثه يؤمنون وهو أصدق الناس وقوله تعالى
١٨٦ (مَنْ يُضِلِلِ اللَّهَ فَلَا هَادِيَ لَهُ) استئناف مقرر لما قبله منبىء عن الطبع على قلوبهم وقوله تعالى (ويذرهم
في طغيانهم) بالياء والرفع على الاستئناف أى وهو يذرهم وقرىء بنون العظمة على طريقة الالتفات أى
ونحن نذرهم وقرىء بالياء والجزم عطفاً على محل فلا هادى له كأنه قيل من يضل الله لا يهده أحد ويذرهم
● وقد روى الجزم بالنون عن نافع وأبي عمرو في الشواذ وقوله تعالى (يعمّهون) أى يترددون ويتحيرون
حال من مقول يذرهم وتوحيد الضمير في حين النفي نظر إلى لفظ من وجمعه في حين الإثبات نظر إلى
١٨٧ مدناها للتخصيص على شمول النفي والإثبات للكل (يسألونك عن الساعة) استئناف مسوق لبيان بعض
أحكام ضلالهم وطغيانهم أى عن القيامة وهى من الأسماء الغالبة وإطلاقها عليها إما لوقوعها بغتة أو لسرعة
ما فيها من الحساب أو لأنها ساعة عند الله تعالى مع طولها في نفسها قيل إن قوماً من اليهود قالوا يا محمد
أخبرنا متى الساعة إن كنت نبياً فإننا نعلم متى هى وكان ذلك امتحاناً منهم مع علمهم أنه تعالى قد استأثر
● بعلمها وقيل السائلون قرىء وقوله تعالى (أيان مرساها) بفتح الهمزة وقد قرىء بكسرها وهو ظرف
زمان متضمن لمعنى الاستفهام ويليه المبتدأ أو الفعل المضارع دون الماضى بخلاف متى حيث يليها كلاهما
قيل اشتقاقه من أى فعلان منه لأن معناه أى وقت وهو من أويت إلى الشيء لأن البعض أو إلى الكل
مقتضاه إليه ومحل الرفع على أنه خبر مقدم ومرساها مبتدأ مؤخر أى متى إرساؤها أى إثباتها وتقريرها
فإنه مصدر ميمي من أرساه إذا أثبته وأقره ولا يكاد يستعمل إلا في الشيء الثقيل كما في قوله تعالى والجبال
أرساها ومنه مرسة السفن ومحل الجملة قبل الجر على البدلية من الساعة والتحقيق أن محلها نصب بنزع
الخاص لا أنها بدل من الجار والمجرور لا من المجرور فقط كأنه قيل يسألونك عن الساعة عن أيان مرساها
وفي تعليق السؤال بنفس الساعة أو لا وبوقت وقوعها ثانياً تنبيه على أن المقصد الأصلي من السؤال نفسها
باعتبار حلولها في وقتها المعين لا وقتها باعتبار كونها محلها وقد سلك هذا المسلك في الجواب الملقن أيضاً
● حيث أضيف العلم بالمطلوب بالسؤال إلى ضميرها فأخبر باختصاصه به عز وجل حيث قيل (قل إنما علمها)
● أى علمها بالاعتبار المذكور (عند ربى) ولم يقل إنما علم وقت إرسائها ومن لم يتنبه لهذه النكتة حل

- النظم الكريم على حذف المضاف والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره ﷺ للإيهان بأن توفيقه ﷺ للجواب على الوجه المذكور من باب التربية والإرشاد ومعنى كونه عنده تعالى خاصة أنه تعالى قد استأثر به بحيث لم يخبر به أحداً من ملك مقرب أو نبي مرسل وقوله تعالى (لا يجليها لوقتها إلا هو) يبان لاستمرار تلك الحالة إلى حين قيامها وإقناط كل من إظهار أمرها بطريق الإخبار من جهته تعالى أو من جهة غيره لاقتضاء الحكمة التشريعية إياه فإنه أدعى إلى الطاعة وأزجر عن المعصية كما أن إخفاء الأجل الخاص للإنسان كذلك والمعنى لا يكشف عنها ولا يظهر للناس أمرها الذي تسألونني عنه إلا هو بالذات من غير أن يشعر به أحد من المخلوقين فيتوسط في إظهاره لهم لكن لا بأن لا يخبرهم بوقتها قبل مجيئه كما هو المستول بل بأن يقيمها فيشاهدوها عياناً كما يفصح عنه التجلية المنبئة عن الكشف التام المزيل للإيهام بالكلية وقوله تعالى لوقتها أي في وقتها قيد للتجلية بعد ورود الاستثناء عليها لا قبله كأنه قبل لا يجليها إلا هو في وقتها إلا أنه قدم على الاستثناء للتنبيه من أول الأمر على أن تجليتها ليست بطريق الإخبار بوقتها بل بإظهار عينها في وقتها الذي يسألون عنه وقوله تعالى (ثقلت في السموات والأرض) استئناف ● كما قبله مقرر لمضمون ما قبله أي كبرت وشقت على أهلها من الملائكة والتقلين كل منهم أمره خفاؤها وخروجها عن دائرة العقول وقيل عظمت عليهم حيث يشفقون منها ويخافون شدائد ما وأهوالها وقيل ثقلت فيهما إذ لا يطيقها منهما وما فيها شيء أصلاً والأول هو الأنسب بما قبله وبما بعده من قوله تعالى (لا تأتیکم إلا بغتة) فإنه أيضاً استئناف مقرر لمضمون ما قبله فلا بد من اعتبار الثقل من حيث الخفاء ● أي لا تأتیکم إلا فجأة على غفلة كما قال ﷺ إن الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقى ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه (يسألونك كأنك حفي عنها) ● استئناف مسوق لبيان خطئهم في توجيه السؤال إلى رسول الله ﷺ بناء على زعمهم أنه ﷺ عالم بالمستول عنه أو أن العلم بذلك من مواجب الرسالة إثر بيان خطئهم في أصل السؤال بأعلام شأن المستول عنه والجملة التشبيهية في محل النصب على أنها حال من الكاف جرى بها بياناً لما يدعوم إلى السؤال على زعمهم وإشعاراً بخطئهم في ذلك أي يسألونك مشبهاً حالك عندم بحال من هو حفي عنها أي مبالغ في العلم بها فعيل من حفي وحقيقته كأنك مبالغ في السؤال عنها فإن ذلك في حكم المبالغة في العلم بها لما أن من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم عليه به ومبنى التركيب على المبالغة والاستقصاء ومنه إحقاق الشارب واحتفاء البقل أي استقصاه والإحقاق أي الإلحاف فيها وقيل عن متعلقة يسألونك وقوله تعالى كأنك حفي معترض وصلة حفي محذوفة أي حفي بها وقد قرئ كذلك وقيل هو من الحفاوة بمعنى البر والشفقة فإن قريشاً قالوا له ﷺ إن بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك كأنك حفي تمنحني بهم فتخصمهم بتعليم وقتها لأجل القرابة وتزوي أمرها عن غيرهم فحفي تخفئة لهم من جهتين وقيل هو من حفي بالشيء بمعنى فرح به والمعنى كأنك فرح بالسؤال سنها تحبه مع أنك كارها لها أنه تعرض لحرم الغيب الذي استأثر الله عز وجل بعلمه (قل إنما علمها عند الله) أمر ﷺ بإعادة الجواب الأول تأكيداً للحكم وتقريراً له وإشعاراً بعلمته على الطريقة البرهانية بإيراد اسم الغلت المنبئة عن

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾
 ٧ الأعراف
 هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا
 قَرَرَتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَلَاحًا لَّنُكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ ٧ الأعراف

- استنباعها لصفات الكمال التي من جملتها العلم وتمهيدا للتعريض بجهلهم بقوله تعالى (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أي لا يعلمون ما ذكر من اختصاص علمها به تعالى فبعضهم ينكرونهارأساً فلا يعلمون شيئاً بما ذكر قطعاً وبعضهم يعلمون أنها واقعة البتة ويزعمون أنك واقف على وقت وقوعها فيسألونك عنه جهلاً وبعضهم يدعون أن العلم بذلك من مواجب الرسالة فيتخذون السؤال عنه ذريعة إلى القدح في رسالتك والمستثنى من هؤلاء هم الواقفون على جليلة الحال من المؤمنين وأما السائلون عنها من اليهود بطريق الامتحان فهم منتظمون في سلك الجاهلين حيث لم يعملوا بعلمهم وقوله تعالى (قل لا أملك ١٨٨ لنفسي نفعاً ولا ضرراً) شروع في الجواب عن السؤال ببيان عجزه عن علمها لإثبات عجز الكل عنه وإبطال زعمهم الذي بنوا عليه سؤالهم من كونه ^{مستثنى} عن علمها وإعادة الأمر لإظهار كمال العناية بشأن الجواب والتنبية على استقلاله ومقارنته للأول والتعرض لبيان عجزه عما ذكر من النفع والضرر لإثبات عجزه عن علمها بالطريق البرهاني واللام إما متعلق بأملك أو محذوف وقع حالا من نفعاً أي لا أقدر لأجل نفسي على جلب نفع ما ولا على دفع ضرر ما (إلا ما شاء الله) أن أملكه من ذلك بأن يلهمنيه فيمكنني منه
- ويقدرني عليه أو لكن ما شاء الله من ذلك كائن فالاستثناء منقطع وهذا أبلغ في إظهار العجز (ولو كنت أعلم الغيب) أي جنس الغيب الذي من جملته ما بين الأشياء من المناسبات المصححة عادة للسببية والمسببية
- ومن المباينات المستتعبة للمنافعة والمدافعة (لا استكثرت من الخير) أي لحصلت كثيراً من الخير الذي
- ينط تحصيله بالأفعال الاختيارية للبشر بترتيب أسبابه ودفع موافقه (وما مسني السوء) أي السوء الذي
- يمكن النفس عنه بالتوقي عن موجباته والمدافعة بموانعه لا سوء ما فإن منه مالا مدفع له (إن أنا إلا نذير وبشير) أي ما أنا إلا عبد مرسل للإنذار والبشارة شأني حيازة ما يتعلق بهما من العلوم الدينية والدينية لا الوقوف على الغيوب التي لا علاقة بينها وبين الأحكام والشرائع وقد كشفت من أمر الساعة ما يتعلق به الإنذار من مجيئها لا محالة واقترابها وأما تعيين وقتها فليس مما يستدعيه الإنذار بل هو مما يقدح فيه لما مر من أن إيهامه أدعى إلى الانزجار عن المعاصي وتقديم النذير على البشير لما أن المقام مقام الإنذار
- وقوله تعالى (لقوم يؤمنون) إما متعلق بهما جميعاً لأنهم ينتفعون بالإنذار كما ينتفعون بالبشارة وإما بالبشير فقط وما يتعلق بالنذير محذوف أي نذير للكافرين أي الباقيين على الكفر وبشير لقوم يؤمنون أي في أي وقت كان ففيه ترغيب للكفرة في إحداث الإيمان وتحذير عن الإصرار على الكفر والطغيان (هو الذي خلقكم) استئناف سبق لبيان كمال عظم جناية الكفرة في جراتهم على الإشراك بتذكير مبادئ

- أحوالهم المتنافية له وإيقاع الموصول خبراً لتفخيم شأن المبتدأ أى هو ذلك العظيم الشأن الذى خلقكم جميعاً وحده من غير أن يكون لغيره مدخل فى ذلك بوجه من الوجوه (من نفس واحدة) هو آدم عليه الصلاة والسلام وهذا نوع تفصيل لما أشير إليه فى مطلع السورة الكريمة إشارة إجمالية من خلقهم وتصويرهم فى ضمن خلق آدم وتصويره وبيان لكيفيته (وجعل) عطف على خلقكم داخل فى حكم الصلة ولا ضمير فى تقدمه عليه وجوداً لما أن الواو لا تستدعى الترتيب فى الوجود (منها) أى من جنسها كما فى قوله تعالى جعل لكم من أنفسكم أزواجا أو من جسدها لما يروى أنه تعالى خلق حواء من ضلع من أضلاع آدم عليه الصلاة والسلام والاول هو الأنسب إذا الجنسية هى المؤدية إلى الغاية الآتية لا الجزئية والجعل إما بمعنى التفسير فقوله تعالى (زوجها) مفعوله الاول والثانى هو الظرف المقدم وإما بمعنى الإنشاء والظرف متعلق بجعل قدم على المفعول الصريح لما مر مراراً من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر أو بمحذوف هو حال من المفعول والاول هو الاولى وقوله تعالى (ليسكن إليها) علة غائية للجعل باعتبار تعلقه بمفعوله الثانى أى ليستأنس بها ويطمنن إليها اطمئناناً مصححاً للزواج كما يلوح به تذكير الضمير ويفصح عنه قوله تعالى (فلما تغشاها) أى جامعها (حملت حملاً خفيفاً) فى مبادئ الأثر فإنه عند كونه نطفة أو دلقة أو مضغة أخف عليها بالنسبة إلى ما بعد ذلك من المراتب والتعرض لذلك خفته الإشارة إلى نعمته تعالى عليهم فى إنشائه تعالى إياهم متدرجين فى أطوار الخلق من العدم إلى الوجود ومن الضعف إلى القوة (فمرت به) أى فاستمرت به كما كانت قبل حيث قامت وقعدت وأخذت وتركت وعليه قراءة ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقرئ فمرت بالتخفيف وفارت من المورو وهو المجيء والذهاب أو من المارية فظنت الحمل وارتابت به وأما ما قيل من أن المعنى حملت حملاً خف عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذية ولم تستثقله كما يستثقله فمرت به أى فضت به إلى ميلاده من غير إخداج ولا إزلاق فيرده قوله تعالى (فلما أنقلت) إذ معناه فلما صارت ذات ثقل لكبر الولد فى بطنها ولا ريب فى أن الثقل بهذا المعنى ليس مقابلاً للخفة بالمعنى المذكور وإنما يقابلها الكرب الذى يعترى بعضهم من أول الحمل إلى آخره دون بعض أصلا وقرئ أنقلت على البناء للفعول أى أنقلها حملها (دعوا الله) أى آدم وحواء عليهما السلام لما دهمهما أمر لم يمهدها ولم يعرفا مآله فاهتما به وتضرعا إليه عز وجل وقوله تعالى (ربهما) أى مالك أمرهما الحقيق بأن يخص به الدعاء إشارة إلى أنهما قد صدرا به دعاهما كما فى قولهما ربنا ظلمنا أنفسنا الآية ومتعلق الدعاء محذوف تمويلاً على شهادة الجملة القسمية به أى دعوا الله تعالى أن يؤتيهما صالحاً ووعدا بمقابلته الشكر على سبيل التوكيد القسمى وقالوا أو قائلين (لئن آتيتنا صالحاً) أى ولداً من جنسنا سوياً (لنكونن) نحن ومن يناسل من ذريتنا (من الشاكرين) الراسخين فى الشكر على نعمائك التى من جملتها هذه النعمة وترتيب هذا الجواب على الشرط المذكور لما أنهما قد علمتا أن ما علقا به دعاهما أنموذج لسائر أفراد الجنس ومعيار لها ذاتاً وصفة وجوده مستتبع لوجودها وصلاحه مستلزم لصلاحها فالدعاء فى حقه متضمن للدعاء فى حق الكل مستتبع له كأنهما قالوا لئن آتيتنا ذريتنا أولاداً صالحاً وقيل إن ضمير آتيتنا أيضاً لهما ولكل من يناسل من ذريتهما فالوجه ظاهر وأنت خير بأن نظم السك

قُلْنَا إِنَّهُمَا صَالِحَا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ ٧ الأعراف

في سلك الدعاء أصالة ياباه مقام المبالغة في الاعتناء بشأن ماها بصدده وأما جعل ضمير لنكونن لكل فلا محذور فيه لأن توسيع دائرة الشكر غير محال بالاعتناء المذكور بل مؤكدا له وأيا ما كان فعنى قوله تعالى (فلما آتاهما صالحا) لما آتاهما ما طلباه أصالة واستنباحا من الولد وولد الولد ما تناسلوا فقوله تعالى (جعلنا) أي جعل أولادهما (له) تعالى (شركاء) على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ثقة

● بوضوح الأمر وتعويدا على ما يعقبه من البيان وكذا الحال في قوله تعالى (فيما آتاهما) أي فيما آتى أولادهما من الأولاد حيث سموهم بعبد مناف وعبد العزى ونحو ذلك وتخصيص إشرأ بهم هذا بالذكر في مقام التوبيخ مع أن إشرأ بهم بالعبادة أغلظ منه جناية وأقدم وقوعا لما أن من اتى النظم الكريم لبيان إخلالهم بالشكر في مقابلة نعمة الولد الصالح وأول كفرهم في حقه إنما هو أنه حينئذ إياه بما ذكره وقرىء شركاء أي شركة أو ذوى شركة أي شركاء إن قيل ما ذكر من حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مة إنما يصادر إليه فيما يكون للفعل ملازمة ما بالمضاف إليه أيضاً سرايته إليه حقيقة أو حكما وتتضمن نسبته إليه صورة مزينة يقتضيها المقام كما في مثل قوله تعالى وإذ نجيناكم من آل فرعون الآية فإن الإنجاء منهم مع أن تعلقه حقيقة ليس إلا بأسلاف اليهود قد نسب إلى أخلافهم بحكم سرايته إليهم توفية إقام الامتنان حقه وكذا في قوله تعالى قل فلم تقتلون أنبياء الله الآية فإن القتل حقيقة مع كونه من جناية آبائهم قد أسند إليهم بحكم رضاهم به أداء لحق مقام التوبيخ والتبكيك ولا ريب في أنهما عليهما الصلاة والسلام بريئان من سراية الجعل المذكور إليهما بوجه من الوجوه فإياه إسناده إليهما صورة قلنا وجهه الإيدان بتركهما الأولى حيث أقدمنا على نظم أولادهما في سلك أنفسهما والتزما شكرهم في ضمن شكرهما وأقسما على ذلك قبل تعرف أحوالهم ببيان أن إخلالهم بالشكر الذي وعداه وعدا مؤكداً باليمين بمنزلة إخلالهما بالذات في استيجاب الخنث والخلف مع ما فيه من الإشعار بتضاعف جانيتهما ببيان أنهم بمعلمهم المذكور أو قوعهما في ورطة الخنث والخلف وجعلوا كأنهما بإشرأ بالذات فجعلوا بين الجناية على الله تعالى والجناية عليهما عليهما السلام (فتعالى الله عما يشركون) تنزيه فيه معنى التعجب والفاء لترتيبه على ما فصل من أحكام قدرته تعالى وآثار نعمته الزاجرة عن الشرك الداعية إلى التوحيد وصيغة الجمع لما أشير إليه من تعيين الفاعل وتنزيه آدم وحواء عن ذلك وما في عما إما مصدرية أى عن إشرأ بهم أو موصولة أو موصوفة أى عما يشركونه به سبحانه والمراد بإشرأ بهم إما تسميتهم المذكورة أو مطلق إشرأ بهم المنتظم لها انتظاماً أولياً وقرىء تشركون بتاء الخطاب بطريق الالتفات وقيل الخطاب لآل قصي من قریش والمراد بالنفس الواحدة نفس قصي فإنهم خلقوا منه وكان له زوج من جنسه عربية قرشية وطلبا من الله تعالى ولداً صالحاً فأعطاهما أربعة بنين فسميهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار وضمير يشركون لهما ولأعقابهما المقتدين بهما وأما ما قيل من أنه لما حملت حواء أنماها لإبليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة أو كلب أو خنزير وما يدريك من أين يخرج تخافت من

٧ الأعراف

أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْعًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴿١٩١﴾

٧ الأعراف

وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لِمُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾

وَأِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاكُمْ عَلَيْهِمْ أَدْعَاؤُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴿١٩٣﴾ ٧ الأعراف

- ذلك فذكر ته لادم فاهمها ذلك ثم عاد إليها وقال إني من الله تعالى بمنزلة فإن دعوته أن يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبدا الحارث وكان اسمه حارثا في الملائكة فقبلت فلما ولدته سمته عبدا الحارث فيما لا تعويل عليه . كيف لا وأنه ﷺ كان عالما في علم الأسما والمسميات فعدم عليه بإبليس واسمه واتباعه إياه في مثل هذا الشأن الخطير أمر قريب من المحال والله تعالى أعلم بحقيقة الحال (أيشركون) استئناف مسوق ١٩١ لتوبيخ كافة المشركين واستقباح إشرائهم على الإطلاق وإبطاله بالكلية ببيان شأن ما أشركوه به سبحانه وتفصيل أحواله القاضية بطلان ما اعتقدوه في حقه أي أيشركون به تعالى (مالا يخلق شيئا) أي لا يقدر ● على أن يخلق شيئا من الأشياء أصلا ومن حق المعبود أن يكون خالقا لعباده لا محالة وقوله تعالى (وهم يخلقون) عطف على لا يخلق وإيراد الضميرين بجمع العقلاء مع رجوعهما إلى ما المعبر بها عن الأصنام إنما هو بحسب اعتقادهم فيها وإجرائهم لها مجرى العقلاء وتسميتهم لها آلهة وكذا حال سائر الضمائر الآتية ووصفها بالمخلوقة بعد وصفها بنفي الخالقية لإبانة كمال منافاة حالها ما اعتقدوه في حقها وإظهار غاية جهلهم فإن إشرائك ما لا يقدر على خلق شيء بما تخالفه وخالق جميع الأشياء لا يمكن أن يسوغه من له عقل في الجملة وعدم التعرض لخالقها للإبذان بتعيينه والاستغناء عن ذكره (ولا يستطيعون لهم) أي لعبدهم إذا ١٩٢ حزنهم أمرهم وخطب ملهم (نصرا) أي نصرا ما يجلب منفعة أو دفع مضرة (ولا أنفسهم ينصرون) ● إذا اعتراهم حادثة من الحوادث أي لا يدفعونها عن أنفسهم وإيراد النصر للمشاكلة وهذا بيان لعجزهم عن إيصال منفعة ما من المنافع الوجودية والعدمية إلى عبدهم وأنفسهم بعد بيان عجزهم عن إيصال منفعة الوجود إليهم وإلى أنفسهم خلا أنهم وصفوا هناك بالمخلوقة لكونهم أهلا لها وهنالم بوصفوا بالمصورية لأنهم ليسوا أهلا لها وقوله تعالى (وإن تدعوهم إلى الهدى) بيان لعجزهم عما هو أدنى من النصر المنفي ١٩٣ عنهم وأيسر وهو مجرد الدلالة على المطلوب والإرشاد إلى طريق حصوله من غير أن يحصله الطالب والخطاب للمشركين بطريق الالتفات للنبي عن مزيد الاعتناء بأمر التوبيخ والتبكي أي إن تدعوهم أيها المشركون إلى أن يهدوكم إلى ما تحصلون به المطالب أو تنجون به عن المكاره (لا يتبعوكم) إلى ● مرادكم وطلبكم وقرىء بالتخفيف وقوله تعالى (سواء عليكم أَدْعَاؤُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ) استئناف مقرر لمضمون ما قبله ومبين لكيفية عدم الاتباع أي مستو عليكم في عدم الإفادة دعاؤكم لهم وسكوتم البحث فإنه لا يتغير حالكم في الحالين كما لا يتغير حالهم بحكم الجارية وقوله تعالى أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ جملة اسمية في معنى الفعلية معطوفة على الفعلية لأنها في قوة أم صمت عدل عنها للبالغة في عدم إفادة الدعاء

إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

صَالِحِينَ ٧ الأعراف

أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَبْصُرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ ٧ الأعراف

- بيان مساواته للسكوت الدائم المستمر وما قيل من أن الخطاب للمسلمين والمعنى وإن تدعوا المشركين إلى الهدى أى الإسلام لا يتبعوكم الخ بما لا يساعده سباق النظم الكريم وسياقه أصلا على أنه لو كان كذلك لقل عليهم مكان عليكم كما في قوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم فإن استواء الدماء وعدمه إنما هو بالنسبة إلى المشركين لا بالنسبة إلى الداعين فإنهم قاتلون بفضل الدعوة (إن الذين تدعون من دون الله) تقرير لما قبله من عدم اتباعهم لهم أى إن الذين تعبدونهم من دونه تعالى من الأصنام وتسمونهم آلهة (عباد أمثالكم) أى عائلة لكم لكن لا من كل وجه بل من حيث إنها مملوكة لله عز وجل مسخرة لأمره عاجزة عن النفع والضرر وتبديها بهم في ذلك مع كون عجزها عنها أظهر وأقوى من عجزهم إنما هو لا اعترافهم بعجز أنفسهم وادعائهم لقدرتها عليهما إذ هو الذى يدعوهم إلى عبادتها والاستعانة بها وقوله تعالى (فادعوا فليستجيبوا لكم) تحقيق لمضمون ما قبله بتعجزهم وتبكيهم
- أى فادعوا في جلب نفع أو كشف ضرر (إن كنتم صادقين) في زعمكم أنهم قادرون على ما أتم عاجزون عنه وقوله تعالى (ألهم أرجل يمشون بها) الخ تبكيه لثبوت مؤكده لما يفيد الأمر التعجيزى
- ١٩٥ من عدم الاستجابة ببيان فقدان آلاتها بالكلية فإن الاستجابة من الهياكل الجسمانية إنما تتصور إذا كان لها حياة وقوى محركة ومدركة وما ليس له شيء من ذلك فهو بمعزل من الأفاعيل بالمرّة كأنه قيل ألهم هذه الآلات التى بها تتحقق الاستجابة حتى يمكن استجابتهم لكم وقد وجه الإنكار إلى كل واحدة من هذه الآلات الأربع على حدة تكريرا للتبكيه وتثنية للتقريع وإشعارا بأن انتفاء كل واحدة منها يحيا لها كاف في الدلالة على استحالة الاستجابة ووصف الأرجل بالمشى بها للإيدان بأن مدار الإنكار هو الوصف وإنما وجه إلى الأرجل لا إلى الوصف بأن يقال يمشون بأرجلهم لتحقيق أنها حيث لم يظهر منها ما يظهر من سائر الأرجل فهى ليست بأرجل في الحقيقة وكذا الكلام فيما بعده من الجوارح
- الثلاث الباقية وكلية أم في قوله تعالى (أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا) منقطعة وما فيها من الهمة لما مر من التبكيه والإلزام وبل للاضراب المفيد للانتقال من فن من التبكيه بعد تمامه إلى فن آخر منه لما ذكر من المزايا والبطش الأخذ بقوة وقرى يبطشون بضم الطاء وهى لغة فيه والمعنى بل ألهم أيد يأخذون بها ما يريدون أخذه وتأخير هذا عما قبله لما أن المشى حالهم في أنفسهم والبطش حالهم بالنسبة إلى الغير وأما تقديمه على قوله تعالى (أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَبْصُرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا)

إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ ٧ الأعراف

وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ ٧ الأعراف

وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ ٧ الأعراف

- مع أن الكل سواء في أنها من أحوالهم بالنسبة إلى الغير فلمراعاة المفاصلة بين الأيدي والأرجل ولأن إغفاء المشي والبطش أظهر والتبكيبت بذلك أقوى وأما تقديم الأعين فلما أنها أشهر من الأذان وأظهر عيناً وأثراً هذا وقد قرىء إن الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالكم على إعمال إن النافية عمل ما الحجازية أي ما الذين تدعون من دونه تعالى عباداً أمثالكم بل أدنى منكم فيكون قوله تعالى ألم الخ تقريراً لنفي المماثلة بإثبات القصور والنقصان (قل ادعوا شركاءكم) بعد ما بين أن شركاءهم لا يقدر على شيء ما أصلاً أمر رسول الله ﷺ بأن يناصبهم للحاجة ويكرر عليهم التبكيبت وإلقام الحجر أي ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم على (ثم كيّدون) جميعاً أنتم وشركاؤكم وبالغوا في ترتيب ما تقدر على من مبادئ الكيد والمكر (فلا تنظرون) أي فلا تهملوني ساعة بعد ترتيب مقدمات الكيد فإني لا أبالي بكم أصلاً (إن ولي الله الذي نزل الكتاب) تعليل لعدم المبالاة المنفهم من السوق ١٩٦ انضماماً جلياً ووصفه تعالى بتنزيل الكتاب للإشعار بدليل الولاية والإشارة إلى علة أخرى لعدم المبالاة كأنه قيل لا أبالي بكم وبشركاءكم لأن ولي هو الله الذي أنزل الكتاب الناطق بأنه ولي وناصرى وبأن شركاءكم لا يستطيعون نصر أنفسهم فضلاً عن نصركم وقوله تعالى (وهو يتولى الصالحين) تذييل مقرر لمضمون ما قبله أي ومن عادته أن يتولى الصالحين من عباده وينصرهم ولا يخذلهم (والذين ١٩٧ تدعون) أي لعبادتهم (من دونه) تعالى أو تدعونهم الاستعانة بهم على حسب ما أمركم به (لا يستطيعون نصركم) أي في أمر من الأمور أو في خصوص الأمر المذكور (ولا أنفسهم ينصرون) إذا نابهم نائبة (وإن تدعوهم إلى الهدى) إلى أن يهدوكم إلى ما تحصلون به مقاصدكم على الإطلاق أو في خصوص الكيد المعهود (لا يسمعون) أي دعاءكم فضلاً عن المساعدة والإمداد وهذا أبلغ من نفي الاتباع وقوله تعالى (وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون) بيان لعجزهم عن الإبصار بعد بيان عجزهم عن السمع وبه يتم التعليل فلا تكرار أصلاً والرؤية بصرية وقوله تعالى ينظرون إليك حال من المفعول والجملة الاسمية حال من فاعل ينظرون أي وترى الأصنام رأى العين يشبهون الناظرين إليك ويخيل إليك أنهم يبصرونك لما أنهم صنعوا لها أعيناً مركبة بالجواهر المضيئة المتألثة وصوروها بصورة من قلب حدقته إلى الشيء ينظر إليه والحال أنهم غير قادرين على الإبصار وتوحيد الضمير في تراهم مع رجوعه إلى المشركين لتوجيه الخطاب إلى كل واحد واحد منهم لا إلى الكل من حيث هو كل كالحطابات السابقة تنبيهاً على أن رؤية الأصنام على الهيئة المذكورة لا تنسني للكل معاً بل

٧ الأعراف

خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾

٧ الأعراف

وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾

٧ الأعراف

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾

- لكل من يواجهها وقيل ضمير الفاعل في تراهم لرسول الله ﷺ وضمير المفعول على حاله وقيل للمشركين على أن التعليل قد تم عند قوله تعالى لا يسمعوا أي وترى المشركين ينظرون إليك والحال أنهم لا يبصرونك كما أنت عليه وعن الحسن أن الخطاب في قوله تعالى وإن تدعوا للمؤمنين على أن التعليل قد تم عند قوله تعالى ينصرون أي وإن تدعوا أيها المؤمنون المشركين إلى الإسلام لا يلتفتوا إليكم ثم خوطب ﷺ بطريق التجربة بأنك تراهم ينظرون إليك والحال أنهم لا يبصرونك حق الإبصار تنبيهاً على أن ما فيه ﷺ من شواهد النبوة ودلائل الرسالة من الجلاء بحيث لا يكاد يخفى على الناظرين (خذ العفو) بعد ما عد من أباطيل المشركين وقبائحهم مالا يطاق تحمله أمر ﷺ بمجامع مكارم الأخلاق التي من جملتها الإغضاء عنهم أي خذ ما عفا لك من أفعال الناس وتسل ولا تكلفهم ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد أو خذ العفو من المذنبين أو الفضل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكاة (وأمر بالعرف) بالجميل المستحسن من الأفعال فإنها قريبة من قبول الناس من غير تكبر (وأعرض عن الجاهلين) من غير ممارسة ولا مكافأة قيل لما نزلت سأل رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام فقال لا أدري حتى أسأل ثم رجع فقال يا محمد إن ربك أمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق أمر الله تعالى نبيه بمكارم الأخلاق وروى أنه لما نزلت الآية ٢٠٠ السكرية قال ﷺ كيف يارب والغضب متحقق فنزل قوله تعالى (وأما ينزغنك من الشيطان نزغ) النزغ والنسغ والنخس الغرز شبهت وسوسته للناس وإغراؤه لهم على المعاصي بغرز السائق لما يسوقه وإسناده إلى النزغ من قبيل جد جده أي وإما يحملك من جهته وسوسة ما على خلاف ما أمرت به من اعتراء غضب أو نحوه (فاستعذ بالله) فالتجىء إليه تعالى من شره (إنه سميع) يسمع استعاذتك به قولاً (عليم) يعلم تضرعك إليه قلباً في ضمن القول أو بدونه فيعصمك من شره وقد جوز أن يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب على نهج الاستعارة كما في قول الصديق رضي الله عنه إن لي شيطاناً يعتريني فقيه زيادة تنفير عنه وفرط تحذير عن العمل بموجبه وفي الأمر بالاستعاذة بالله تعالى تهويل لأمره وتنبيه على أنه من الفوائت الصعبة التي لا يتخلص من مضرتها إلا بالالتجاء إلى حرم عصمته عز وجل وقيل يعلم ما فيه صلاح أمرك فيحملك عليه أو سميع بأقوال من آذاك عليم بأفعاله فيجازهه عليها (إن الذين اتقوا) استئناف مقرر لما قبله ببيان أن ما أمر به ﷺ من الاستعاذة بالله تعالى سنة مسلوكة للمتقين والإخلال بها ديدن الغاوين أي إن الذين اتصفوا بوقاية أنفسهم عما يضرها (إذا مسهم طائف من الشيطان) أدنى لمة منه على أن تنوينه للتحقير وهو اسم فاعل من طاف يطوف

٧ الأعراف

وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾

وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِيَّايَ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَإٌ

مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾

٧ الأعراف

- كانها تطوف بهم وتدور حولهم لتوقع بهم أو من طاف به الخيال بطيف طيفاً أى ألم وقرىء طيف على أنه مصدر أو تخفيف من طيف من الواوى أو البائى كمين ولين والمراد بالشيطان المجلس ولذلك جمع ضميره فيما سأتى (تذكروا) أى الاستعاذة به تعالى والتوكل عليه (فإذا هم) بسبب ذلك التذكر (مبصرون) مواقع الخطأ ومكايد الشيطان فيحترزون عنها ولا يتبعونه (وإخوانهم) أى إخوان ٢٠٢ الشيطان وهم المنهمكون فى الغى المعرضون عن وقاية أنفسهم عن المضار (يمدونهم فى الغى) أى يكون الشياطين مدداً لهم فيه ويعضدونهم بالتزيين والحمل عليه وقرىء يمدونهم من الإمداد ويمنادونهم كأنهم يعينونهم بالتسهيل والإغراء وهؤلاء بالاتباع والامتثال (ثم لا يقصرون) أى لا يمسكون عن الإغواء حتى يردوهم بالكلية ويجوز أن يكون الضمير للإخوان أى لا يرفعون عن الغى ولا يقصرون كالمعتقين ويجوز أن يراد بالإخوان الشياطين ويرجع الضمير إلى الجاهلين فيكون الخبر جارياً على من هو له (وإذا لم تأتهم آية) من القرآن عند تراخى الوحي أو آية مما اقترخوه (قالوا لولا اجتبيتها) اجتبتى الشيء بمعنى جباه لنفسه أى هلا جمعتهما من تلقاء نفسك تقولان يرون بذلك أن سائر الآيات أيضاً كذلك أو هلا تلقيتها من ربك استدعاء (قل) رداً عليهم (إنما أتبع ما يوحى إلى من ربي) من غير أن يكون لى دخل ما فى ذلك أصلاً على معنى تخصيص حاله ﷺ باتباع ما يوحى إليه بتوجيه القصر المستفاد من كلمة إنما إلى نفس الفعل بالنسبة إلى مقابله الذى كلفوه إياه ﷺ لا على معنى تخصيص اتباعه ﷺ بما يوحى إليه بتوجيه القصر إلى المفعول بالقياس إلى مفعول آخر كما هو الشائع فى موارد الاستعمال وقد مر تحقيقه فى قوله تعالى إن أتبع إلا ما يوحى إلى كأنه قيل ما أفعل إلا اتباع ما يوحى إلى منه تعالى وفى التعرض لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية والتبلغ إلى الكمال اللائق مع الإضافة إلى ضميره ﷺ من تشریفه ﷺ والتنبيه على تأييده ما لا يخفى (هذا) إشارة إلى القرآن الكريم المدلول عليه بما يوحى إلى (بصائر من ربكم) بمنزلة البصائر للقلوب بها تبصر الحق وتترك الصواب وقيل حجج بينة وبراهين نيرة ومن متعلقة بمحذوف هو صفة لبصائر مفيدة لغنائمتها أى بصائر كائنة منه تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم لتأكيد وجوب الإيمان بها وقوله تعالى (وهدى ورحمة) عطف على بصائر وتقديم الظرف عليهما وتعقيبهما بقوله تعالى (لقوم يؤمنون) للإيدان بأن كون القرآن بمنزلة البصائر للقلوب متحقق بالنسبة إلى الكل وبه تقوم الحجة على الجميع وأما كونه هدى ورحمة فمختص بالماؤمنين به إذ هم المقتدون من أنواره والمفتنمون بآثاره والجملة من تمام القول المأمور به .

وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾
 ٧ الأعراف
 وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ
 الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾
 ٧ الأعراف

إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾ ٧ الأعراف

- ٢٠٤ (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له) إرشاد إلى طريق الفوز بما أشير إليه من المنافع الجليلة التي ينطوي عليها القرآن أي وإذا قرئ القرآن الذي ذكرت شئونه العظيمة فاستمعوا له استماع تحقيق وقبول (وأنصتوا) أي واسكتوا في خلال القراءة وراعوها إلى انقضائها تعظيماً له وتكميلاً للاستماع (لعلكم ترحمون) أي تفوزون بالرحمة التي هي أقصى ثمراته وظاهر النظم الكريم يقتضي وجوب الاستماع والإنصات عند قراءة القرآن في الصلاة وغيرها وقيل معناه إذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وجمهور الصحابة رضي الله تعالى عنهم على أنه في استماع المؤتم وقد روى أنهم كانوا يتكلمون في الصلاة فأمروا باستماع قراءة الإمام والإنصات له وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قرأ في المكتوبة وقرأ أصحابه خلفه فزلت وأما خارج الصلاة فعامة العلماء على استحبابهما والآية
- ٢٠٥ إما من تمام القول للمأمور به أو استئناف من جهته تعالى فقوله تعالى (واذكر ربك في نفسك) على الأول عطف على قل وعلى الثاني فيه تجريد للخطاب إلى رسول الله ﷺ وهو عام في الأذكار كافة فإن الإخفاء أدخل في الإخلاص وأقرب من الإجابة (تضرعاً وخيفة) أي متضرعاً وخائفاً (ودون الجهر من القول) أي ومتكلاً كلاماً دون الجهر فإنه أقرب إلى حسن التفسر (بالغدو والآصال) متعلق بذكر أي أذكره في وقت الغدوات والعشيات وقرىء والإيصال وهو مصدر أصل أي دخل في الأصيل
- ٢٠٦ موافق للغدو (ولا تكن من الغافلين) عن ذكر الله تعالى (إن الذين عند ربك) وهم الملائكة عليهم السلام ومعنى كونهم عنده سبحانه وتعالى قريبهم من رحمته وفضله لتوفرهم على طاعته تعالى (لا يستكبرون عن عبادته) بل يؤدونها حسبما أمروا به (ويسبحونه) أي ينزهونه عن كل مالا يليق بجناب كبريائه (وله يسجدون) أي يخصونه بغاية العبودية والتذلل لا يشركون به شيئاً وهو تعريض بسائر المكلفين ولذلك شرع السجود عند قراءته . عن النبي ﷺ إذا قرأ ابن آدم آية السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول ياويله أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فإني النار . وعنه ﷺ من قرأ سورة الأعراف جعل الله تعالى يوم القيامة بينه وبين إبليس ستراً وكان آدم عليه السلام شقيعاً له يوم القيامة .

(تم الجزء الثالث ويليهِ الجزء الرابع وأوله سورة الأنفال)

فهرست

الجزء الثالث من تفسير قاضي القضاة أبي السعود

صفحة

٥ - سورة المائدة

- ٢ قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود .
 ١٤ قوله تعالى : ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل .
 ٢٦ قوله تعالى : واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق .
 ٣٦ قوله تعالى : يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر .
 ٤٧ قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء .
 ٦٠ قوله تعالى : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك .

(الجزء السابع)

- ٧١ قوله تعالى : لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا .
 ٨٢ قوله تعالى : جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس .
 ٩٣ قوله تعالى : يوم يجمع الله الرسل فيقول ما ذا أجبتكم .

٦ - سورة الأنعام

- ١٠٤ ١١٦ قوله تعالى : وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم .
 ١٢٩ قوله تعالى : إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبغثهم الله .
 ١٤٣ قوله تعالى : وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو .
 ١٥١ قوله تعالى : وإذا قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة .
 ١٦٤ قوله تعالى : إن الله قاطق الحب والنوى .

(الجزء الثامن)

- ١٧٤ قوله تعالى : ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة .
 ١٨٤ قوله تعالى : لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون .
 ١٩١ قوله تعالى : وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات .
 ١٩٧ قوله تعالى : قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا .

٧ - سورة الاعراف

٢٠٩ قوله تعالى : المص .

٢٢٤ قوله تعالى : يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا .

٢٣٠ قوله تعالى : وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين .

٢٣٧ قوله تعالى : وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره .

(الجزء التاسع)

٢٤٨ قوله تعالى : قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا .

٢٦٠ قوله تعالى : وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون .

٢٦٨ قوله تعالى : وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة .

٢٧٨ قوله تعالى : واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك .

٢٨٩ قوله تعالى : وإذا نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة

واذكروا ما فيه .

٣٠٢ قوله تعالى : هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها .

(تم الفهرست)

نفس السكينة

المستقى لإرشاد العقل السليم إلى مزايا الفقه ابن القيم

لقاضى القضاة الإمام
أبى السعود محمد بن محمد العادى
المتوفى سنة ٩٥١ هجرية

الجزء الرابع

الناشر
دار احياء التراث العربى
بيروت - لبنان

٨ - سورة الأنفال

مدينة وهي خمس وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا
 اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾

٨ الأنفال

(سورة الأنفال مدينة . وهي خمس وسبعون آية)

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (يسألونك عن الأنفال) النفل الغنيمة سميت به لأنها عطية من الله تعالى زائدة على ما هو أصل الأجر في الجهاد من الثواب الأخرى ويطلق على ما يعطى بطريق التسخير زيادة على السهم من المغنم وقرئ علنفال بحذف الهزة وإلقاء حركتها على اللام وإدغام نون عن في اللام . روى أن المسلمين اختلفوا في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله ﷺ كيف تقسم ولما الحكم فيها أللهاجرين أم للأنصار أم لهم جميعاً وقيل إن الشباب قد أبلوا يومئذ بلاء حسناً فقتلوا سبعين وأسروا سبعين فقالوا نحن المقاتلون ولنا الغنائم وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا رداء لكم وفئة نتحازون إليها حتى قال سعد بن معاذ لرسول الله ﷺ والله ما منعنا أن نطلب ما طلب هؤلاء زهادة في الأجر ولا جبن من العدو ولكن كرهنا أن نرى مصافك فيعطف عليك خيل من المشركين فنزلت وقيل كان النبي ﷺ قد شرط لمن كان له بلاء أن ينقله ولذلك فعل الثباني ما فعلوا من القتل والأسر فسألوه ﷺ ما شرطه لهم فقال الشيوخ المغنم قليل والناس كثير وإن تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت أصحابك فنزلت والاول هو الظاهر لما أن السؤال استعلام لحكم الأنفال بقضية كلية عن لا استعطاء لنفسها كما نطق به الوجه الأخير وادعاء زيادة عن تدسف ظاهر والاستدلال عليه بقراءة ابن مسعود وسعد بن أبي وقاص وعلى بن الحسين وزيد بن محمد الباقر وجعفر الصادق وعكرمة وعطاء يسألونك الأنفال غير منتهض فإن مبناها كما قالوا على الحذف والإيصال كما يعرب عنه الجواب بقوله عز وجل (قل الأنفال لله والرسول) أي حكمها مختص به تعالى يقسمها الرسول ﷺ كيفما أمر به من غير أن يدخل فيه رأى أحد ولو كان السؤال استعطاء لما كان هذا جواباً له فإن اختصاص حكم ما شرط لهم من الأنفال بالله والرسول لا ينافي إعطاءها إياهم بل بحقه لأنهم إنما يسألونها بموجب شرط الرسول ﷺ الصادر عنه بإذن الله تعالى لا بحكم سبق أيديهم إليها ونحو ذلك مما يخل بالاختصاص المذكور وحمل الجواب على معنى أن الأنفال بالمعنى المذكور مختصة برسول الله ﷺ لاحق فيها للنفل كائناً من كان مما لا سبيل إليه قطعاً ضرورة ثبوت الاستحقاق بالتسخير وادعاء أن ثبوته بدليل متأخر التزام التكرار للفسخ من غير علم بالناسخ

- الآخر ولا مساع للصدور إلى مذهب إليه مجاهد وعكرمة والسدي من أن الأنفال كانت لرسول الله ﷺ خاصة ليس لأحد فيها شيء بهذه الآية فنسخت بقوله تعالى فإن لله خمسة وللرسول لما أن المراد بالأنفال فيما قالوا هو المعنى الأول حتما كما نطق به قوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شيء الآية على أن الحق أنه لا نسخ حينئذ أيضاً حسبما قاله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بل بين في صدر السورة الكريمة إجمالاً أن أمرها مفوض إلى الله تعالى ورسوله ثم بين مصارفها وكيفية قسمتها على التفصيل وادعاء اقتصار هذا الحكم أعني الاختصاص برسول الله ﷺ على الأنفال المشروطة يوم بدر يجعل اللام للعمد مع بقاء استحقاق المنفل في سائر الأنفال المشروطة بأباه مقام بيان الأحكام كما ينبغي عنه إظهار الأنفال في موقع الإضمار على أن الجواب عن سؤال الموعود ببيان كونه له ﷺ خاصة بما لا يملك بشأنه الكريم أصلاً وقد روى عن سعد بن أبي وقاص أنه قال قتل أخى عمير يوم بدر فقلت به سعيد بن العاص وأخذت سيفه فأعجبني فحنت به رسول الله ﷺ فقلت إن الله تعالى قد شفى صدرى من المشركين فهب لى هذا السيف فقال لى ﷺ ليس هذا لى ولالك أطرحه فى القبض فطرحته وبى مالا يعلمه إلا الله من قتل أخى وأخذ سلبى فما جاوزت إلا قليلاً حتى نزلت سورة الأنفال فقال لى رسول الله ﷺ يا سعد إنك سألتنى السيف وليس لى وقد صار لى فأذهب فخذوه وهذا كما ترى يقتضى عدم وقوع التنفيل يومئذ وإلا لكان سؤال السيف من سعد بموجب شرطه ووعد ﷺ لا بطريق الهبة المبتدأة وحمل ذلك من سعد على مراعاة الأدب مع كون سؤاله بموجب الشرط يردده ﷺ قبل النزول وتعليقه بقوله ليس هذا لى لاستحالة أن يعد ﷺ بما لا يقدر على إنجازه وإعطاؤه ﷺ بعد النزول وترتيبه على قوله وقد صار لى ضرورة أن مناط صيرورته له ﷺ قوله تعالى الأنفال لله والرسول والفرض أنه المانع من إعطائه المستول وما هو نص فى الباب قوله عز وجل (فاتقوا الله) أى إذا كان أمر الغنائم لله تعالى ورسوله فاتقوه تعالى واجتنبوا ما كنتم فيه من المشاجرة فيها والاختلاف الموجب لسطخ الله تعالى أو فاتقوه فى كل ما تأتون وما تذكرون فبدخل فيه ما هم فيه دخولا أولاً ولو كان السؤال طلباً للشرط لما كان فيه محذور يجب اتقاؤه وإظهار الاسم الجليل لتربية الهبة وتعليل الحكم (وأصلحوا ذات بينكم) جعل ما بينهم من الحال ملابسها التامة لبيهم صاحبة له كما جعلت الأمور المضمرة فى الصدور ذات الصدور أى أصلحوا ما بينكم من الأحوال بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله تعالى وتفضل به عليكم وعن عبادة بن الصامت نزلت فىنا معشر أصحاب بدر حين اختلفنا فى النفل وسامت فيه أخلافنا فزعه الله تعالى من أيدينا فجعله لرسوله فقسمه بين المسلمين على السواء وكان فى ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات البين وعن عطاء كان الإصلاح بينهم أن دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد أكلنا وأنفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض (وأطيعوا الله ورسوله) بتسليم أمره ونهيه وتوسيط الأمر بإصلاح ذات البين بين الأمر بالتقوى والأمر بالطاعة لإظهار كمال العناية بالإصلاح بحسب المقام وليستدرج الأمر به بعينه تحت الأمر بالطاعة (إن كنتم مؤمنين) متعلق بالأوامر الثلاثة والجواب محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه أو هو الجواب على الخلاف المشهور وأياً ما كان فالمقصود بتحقيق المعلق بناء على تحقق المعلق به وفيه تنشيط للمخاطبين

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾

٨ الأنفال

الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾

٨ الأنفال

أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾

٨ الأنفال

- وحت لهم على المسارعة إلى الامتثال والمراد بالإيمان كماله أى إن كنتم كاملي الإيمان فإن كمال الإيمان يدور على هذه الخصال الثلاث طاعة الأوامر وإتقاء المعاصى وإصلاح ذات البين بالعدل والإحسان (إنما المؤمنون) جملة مستأنسة مسوقة لبيان من أريد بالمؤمنين بذكر أوصافهم الجليلة المستتبعة لما ذكر من الخصال الثلاث وفيه مزيد ترغيب لهم في الامتثال بالأوامر المذكورة أى إنما الكاملون في الإيمان المخلصون فيه (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) أى فزعت لمجرد ذكره من غير أن يذكر هناك ما يوجب الفرع من صفاته وأفعاله استعظاماً لشأنه الجليل وتهيباً منه وقيل هو الرجل يهيم بمعية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفاً من عقابه وقرىء وجلت بفتح الجيم وهى لغة وقرىء فرقت أى خافت (وإذا تليت عليهم آياته) أى آية كانت (زادتهم إيماناً) أى يقيناً وطمأنينة نفس فإن تظاهر الأدلة وتعاقد الحجج والبراهين موجب لزيادة الاطمئنان وقوة اليقين وقيل إن نفس الإيمان لا يقبل الزيادة والنقصان وإنما زيادته باعتبار زيادة المؤمن به فإنه كلما نزلت آية صدق بها المؤمن فزاد إيمانه عدداً وأما نفس الإيمان فهو بحاله وقيل باعتبار أن الأعمال تجعل من الإيمان فيزيد بزيادتها والأصوب أن نفس التصديق يقبل القوة وهى التى عبر عنها بالزيادة للفرق النير بين يقين الأنبياء وأرباب المكاشفات ويقين آحاد الأمة وعليه مبنى ما قال على رضى الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً وكذا بين ما قام عليه دليل واحد وما قامت عليه أدلة كثيرة (وعلى ربهم) مالكمهم ومدبر أمورهم خاصة (يتوكلون) يفوضون أمورهم لا إلى أحد سواه والجملة معطوفة على الصلة وقوله تعالى (الذين يقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون) مرفوع على أنه نعت للوصول الأول أو بدل منه أو بيان له أو منصوب على القطع المنبئ عن المدح ذكر أو لا من أعمالهم الحسنات أعمال القلوب من الخشية والإخلاص والتوكل ثم عقب بأعمال الجوارح من الصلاة والصدقة (أو تلك) إشارة إلى من ذكرت صفاتهم الحميدة من حيث إنهم متصفون بها وفيه دلالة على أنهم متميزون بذلك عن عداهم أكمل تميز منتظمون بسببه فى سلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للإيدان بعلو رتبته وبعد منزلته فى الشرف (هم المؤمنون حقاً) لأنهم حققوا إيمانهم بأن ضموا إليه ما فصل من أفاضل الأعمال القلبية والقالية وحقاً صفة لمصدر مجذوف أى أو تلك هم المؤمنون إيماناً حقاً أو مصدر مؤكد للجملة أى حق ذلك حقاً كقولك هو عبد الله حقاً (لهم درجات) من الكرامة والزافى وقيل درجات عالية فى الجنة وهو إما جملة مبتدأة مبنية على سؤال نشأ من تعداد مناقبهم

كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿٥﴾ ٨ الأنفال

- كأنه قيل ما لهم بمقابلة هذه الخصال فليلهم كيت وكيت أو خبر ثان لا أولئك وقوله تعالى (عند ربهم) إما متعلق بمحذوف وقع صفة لدرجات مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أى كائنة عنده تعالى أو بما يتعلق به الخبر أعنى لهم من الاستقرار وفى إضافة الظرف إلى الرب المضاف إلى ضميرهم مزيد تشريف ولطف لهم وإيدان بأن ما وعد لهم متيقن الثبوت والحصول مأمون الفوات (ومغفرة) لما فرط منهم (ورزق كريم) لا ينقضى أمده ولا ينتهى عدده وهو ما أعد لهم من نعيم الجنة
- (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق) الكاف فى محل الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال
- كحال إخراجك يعنى أن حالهم فى كراهتهم لما رأيت مع كونه حقاً كحالهم فى كراهتهم لخروجك للحرب وهو حق أو فى محل النصب على أنه صفة لمصدر مقدر فى قوله تعالى الأنفال لله أى الأنفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثباتاً مثل ثبات إخراج ربك إياك من بيتك فى المدينة أو من المدينة إخراجاً ملتبساً بالحق (وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون) أى والحال أن فريقاً منهم كارهون للخروج لئلا ينفر الطبع عن القتال
- أو لعدم الاستعداد وذلك أن غير قريش أقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكباً منهم أبو سفيان وعمر بن العاص وعمر بن هشام فأخبر جبريل رسول الله ﷺ فأخبر المسلمين فأعجبهم تلقى العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ أهل مكة خبر خروجهم فنادى أبو جهل فوق الكعبة يا أهل مكة النجاة النجاة على كل صعب وذلول غيركم أموالكم إن أصابها محمد لم تغلحوا بعدها أبداً وقد رأت أخت العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه رؤيا فقالت لأخيها إنى رأيت كأن ملكاً نزل من السماء فأخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة إلا أصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس رضى الله عنه فقال أبو جهل ما رضى رجالهم أن يقتلوا حتى تنبأ نساؤهم فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة وهم النفير فقبل له إن العير أخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس إلى مكة فقال لا واللات لا يكون ذلك أبداً حتى تنحر الجزور ونشرب الخمر ونقيم القينات والمعازف بيدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وأن محمد لم يصب العير وأنا قد أعضضناه فضى بهم إلى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوماً فى السنة فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد إن الله وعدهم إحدى الطائفتين إما العير وإما قريشاً فاستشار النبي ﷺ أصحابه فقال ما تقولون إن القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير أحب إليكم أم النفير فقالوا بل العير أحب إلينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله ﷺ ثم ردد عليهم فقال إن العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عندما غضب النبي ﷺ أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فأحسنهما ثم قام سعد بن عباد فقال انظر أمرك فامض فو الله لو سرت إلى عدن أبين ما تخلف عنك رجل من الأنصار ثم قال المقداد بن عمرو رضى الله عنه يا رسول الله امض لما أمرك الله فإننا معك حيثما أحبت لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون

يُجَدِّدُ لَوْلَاكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾ ٨ الأنفال

وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ

أَنْ يُحِثَّ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ ٨ الأنفال

مادامت عين منا تطرف فضحك رسول الله ﷺ ثم قال أشيروا علي أيها الناس وهو يريد الأنصار لأنهم قالوا له حين بايعوه على العقبة إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمامنا نمنعك مما تمنع منه أبناءنا ونساءنا فكان النبي ﷺ يتخوف أن تكون الأنصار لا ترى عليهم نصرته إلا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال أجل قال قد آمننا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا وإنا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله ﷺ وبسطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأنني الآن أنظر إلى مصارع القوم . روى أنه قيل لرسول الله ﷺ حين فرغ من بدر عليك بالعبير ليس دونها شيء فناداه العباس رضى الله عنه وهو في وثاقه لا يصلح فقال النبي ﷺ لم قال لأن الله وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك (يجادلونك في الحق) الذي هو تلقى النفي لإيثارهم عليه تلقى العبير والجملة استئناف أو حال ثانية أى أخرجك في حال مجادلتهم إياك ويجوز أن يكون حالا من الضمير في لكارهون وقوله تعالى (بعد ما تبين) منصوب بيجادلونك وما مصدرية أى بعد تبين الحق لهم بإعلامك أنهم ينصرون أيتما توجهوا ويقولون ما كان خروجنا إلا للعبير وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب وكان ذلك لكرهاتهم القتال (كأنما يساقون إلى الموت) الكاف في محل النصب على الحالية من الضمير في لكارهون أي مشبهين بالذين يساقون بالعنف والصغار إلى القتل (وهم ينظرون) حال من ضمير يساقون أى والحال أنهم ينظرون إلى أسباب الموت ويشاهدونها عياناً وما كانت هذه المرتبة من الخوف والجزع إلا لقلة عددهم وعدم تأهبهم وكونهم رجالة روى أنه لم يكن فيهم إلا فارسان (وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين) كلام مستأنف مسوق لبيان جميل صنع الله عز وجل بال مؤمنين مع ما بهم من قلة الحزم ودناءة الهمة وقصور الرأى والخوف والجزع وإذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به المؤمنون بطريق التلوين والالتفات وإحدى الطائفتين مفعول ثان ليعدكم أى اذكروا وقت وعد الله إياكم إحدى الطائفتين وتذكير الوقت مع أن المقصود تذكير ما فيه من الحوادث لما مر مراراً من المبالغة في إيجاب ذكرها لما أن إيجاب ذكر الوقت إيجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولأن الوقت مشتمل على ما وقع فيه من الحوادث بتفاصيلها فإذا استحضرت كان ما وقع فيه حاضراً مفصلاً كأنه مشاهد عياناً وقرئ يعدكم بسكون الدال تخفيفاً وصيغة المضارع للحكاية الحال

٨ الأنفال

لِيَحِقَّ الْحَقُّ وَيُبْطَلَ الْبَاطِلُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ﴿٩﴾ ٨ الأنفال

- الماضية لاستحضار صورتها وقوله تعالى (أنها لكم) بدل اشتغال من إحدى الطائفتين مبين لكيفية الوعد
- أي يعدكم أن إحدى الطائفتين كانت لكم مخصصة بكم مسخرة لكم تتسلطون عليها تسلط الملاك وتتصرفون
- فيهم كيف شئتم (وتودون) عطف على يعدكم داخل تحت الأمر بالذكر أي تحبون (أن غير ذات الشوكة تكون لكم) من الطائفتين لا ذات الشوكة وهي النفيير ورئيسهم أبو جهل وهم ألف مقاتل وغير ذات الشوكة هي العير إذ لم يكن فيها إلا أربعون فارساً ورأسهم أبو سفيان والتعبير عنهم بهذا العنوان للتنبيه على سبب ودادتهم للمقاتلة وموجب كراهتهم ونفرتهم عن موافاة النفيير والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك وشوك القناشباها (ويريد الله) عطف على تودون منتظم معه في سلك التذكير ليظهر لهم عظيم لطف الله بهم مع دناءة همهم وقصور آرائهم أي اذكروا وقت وعده تعالى إياكم إحدى الطائفتين وودادتهم لا دناهما وإرادته تعالى لا علاهما وذلك قوله تعالى (أن يحق الحق) أي يثبتته ويعليه (بكلما نه) أي بآياته المنزلة في هذا الشأن وأوامره للبلائكة بالإمداد وبما قضى من أسرهم وقتلهم وطرحهم في قلب بدر وقرىء بكلمته (ويقطع دابر الكافرين) أي آخرهم ويستأصلهم بالمرة والمعنى أنتم تريدون سفساف الأمور والله عز وعلا يريد معاليها وما يرجع إلى علو كلمة الحق وسمو رتبة الدين وشتان بين المرادين وقوله تعالى (ليحق الحق ويبطل الباطل) جملة مستأنفة سبقت لبيان الحكمة الداعية إلى اختيار ذات الشوكة ونصرهم عليها مع إرادتهم لغيرها واللام متعلقة بفعل مقدر مؤخر عنها أي لهذه الغاية الجليلة فعل مافعل لا شيء آخر وليس فيه تكرار إذاً الأول لبيان تفاوت ما بين الإرادتين وهذا إبيان الحكمة الداعية إلى ما ذكر ومعنى إحقاق الحق إظهار حقيقته لا جعله حقاً بعد أن لم يكن كذلك وكذا حال إبطال الباطل (ولو كره المجرمون) أي المشركون ذلك أي إحقاق الحق وإبطال الباطل (إذ تستغيثون ربكم) بدل من إذ يعدكم معمول لعامله فالمراد تذكير استمدادهم منه سبحانه والتجأهم إليه تعالى حين ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وإمداده تعالى حينئذ وقيل متعلق بقوله تعالى ليحق الحق على الظرفية وما قيل من أن قوله تعالى ليحق مستقبل لأنه منصوب بأن فلا يمكن عمله في إذ لأنه ظرف لما مضى ليس بشيء لأن كونه مستقبلاً إنما هو بالنسبة إلى زمان ما هو غاية له من الفعل المقدر لا بالنسبة إلى زمان الاستغاثة حتى لا يعمل فيه بل هما في وقت واحد وإنما عبر عن زمانها بإذ نظر إلى زمان النزول وصيغة الاستقبال في تستغيثون لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة وقيل متعلق بمضمر مستأنف أي اذكروا وقت استغاثتكم وذلك أنهم لما علموا أنه لا بد من القتال جعلوا يدعون الله تعالى قائلين أي رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين أغثنا وعن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نظر إلى المشركين وهم ألف وإلى أصحابه وهم ثلاثمائة وبضعة عشر فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو

وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ

٨ الأنفال

حَكِيمٌ ﴿٨﴾

- اللهم أنجز لى ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض فإزال كذلك حتى سقط رداؤه فآخذه أبو بكر رضى الله عنه فأنقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يابني الله كفالك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك (فاستجاب لكم) عطف على تستغيثون داخل معه في حكم التذكير لما عرفت
- أنه ماض وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة (أنى بمدكم) أى بأتى فحذف الجار وسلط عليه الفعل فنصب محله وقرىء بكسر الهمزة على إرادة القول أو على إجراء استجابة مجرى قال لأن الاستجابة من مقولة القول (بألف من الملائكة مردفين) أى جاءلين غيرهم من الملائكة رديفاً لأنفسهم فالمراد بهم رؤسائهم المستقبعون لغيرهم وقد اكتفى ههنا بهذا البيان الإجمالى وبين في سورة آل عمران مقدار عددهم وقيل معناه متبعين أنفسهم ملائكة آخرين أو متبعين المؤمنين أو بعضهم بعضاً من أردفته إذا جئت بعده أو متبعين بعضهم بعض المؤمنين أو أنفسهم المؤمنين من أردفته إياه فردفه وقرىء مردفين بفتح الدال أى متبعين أو متبعين بمعنى أنهم كانوا مقدمة الجيش أو ساقتهم وقرىء مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال وأصلهما مرتدفين بمعنى مترادفين فأدغمت التاء في الدال فالتقى الساكنان فحركت الراء بالكسر على الأصل أو بالضم على الاتباع وقرىء بالآف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور أن المراد بالآف الذين كانوا على المقدمة أو الساقة أو وجوههم وأعيانهم أو من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روى أخبار تدل على وقوعها (وما جعله الله) كلام مستأنف سبق إتيان أن الأسباب الظاهرة بمعزل من التأثير وإنما التأثير مختص به عز وجل ليق به المؤمنون ولا يقنطوا من النصر عند فقدان أسبابه والجعل متعد إلى مفعول واحد هو الضمير العائد إلى مصدر فعل مقدر يقتضيه المقام اقتضاء ظاهراً مغنياً عن التصريح به كأنه قيل فأمداكم بهم وما جعل إمدادكم بهم (إلا بشرى) وهو استثناء مفرغ من أعم العلل أى وما جعل إمدادكم بإنزال الملائكة عياناً لشيء من الأشياء إلا للبشرى لكم بأنكم تنصرون (ولتطمئن به) أى بالإمداد (قلوبكم) وتسكن إليه نفوسكم كما كانت السكينة لبني إسرائيل كذلك فكلاهما مفعول له للجعل وقد نصب الأول لاجتماع شرائطه وبقى الثاني على حاله لفقدانها وقيل للإشارة إلى أصلاته في العلية وأهميته في نفسه كما قيل في قوله تعالى والخيول والبغال والحمير لتركبوها وزينة وفي قصر الإمداد عليهما إشعار بعدم مباشرة الملائكة للقتال وإنما كان إمدادهم بتهوية قلوب المباشرين وتكثير سوادهم ونحوه كما هو رأى بعض السلف وقيل للجعل متعد إلى اثنين ثانيهما إلا بشرى على أنه استثناء من أعم المفاعيل أى وما جعله الله شيئاً من الأشياء إلا بشارة لكم فاللام في ولتطمئن متعلقة بمحذوف مؤخر تقديره ولتطمئن به قلوبكم فعل ذلك لا لشيء آخر (وما النصر) أى حقيقة النصر على الإطلاق (إلا من عند الله) أى إلا كان من عنده عز وجل من غير أن يكون فيه شركة

إِذْ يُغَشِّيكُمُ النَّعَاسُ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾

٨ الأنفال

- من جهة الأسباب والعدد وإنما هي مظاهر له بطريق جريان السنة الإلهية (إن الله عزيز) لا يغالب في حكمه ولا ينازع في أفضيته (حكيم) يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والمجلة لتعليل لما قبلها متضمن للإشعار بأن النصر الواقع على الوجه المذكور من مقتضيات الحكم البالغة (إذ يغشيكُم النعاس) أي يجعله غاشياً لكم ومحيطاً بكم وهو بدل ثان من إذ يبعثكم لإظهار نعمة أخرى وصيغة الاستقبال فيه وفيما عطف عليه لحكاية الحال الماضية كما في تستغيثون أو منصوب بإضمار اذكروا وقيل هو متعلق بالنصر أو بما في من عند الله من معنى الفعل أو بالجعل وليس بواضح وقرئ يغشيكُم من الإغشاء بمعنى التغشية والفاعل في الوجهين هو الباري تعالى وقرئ يغشاكم على إسناد الفعل إلى النعاس وقوله تعالى (أمنة منه) على القراءتين الأوليين منصوب على العلية بفعل مترتب على الفعل المذكور أي يغشيكُم النعاس فتنعسون أماناً كائناً من الله تعالى لا كلالاً وإعياء أو على أنه مصدر لفعل آخر كذلك أي فتأمنون أماناً كما في قوله تعالى وأنبأها نبأاً حسناً على أحد الوجهين وقيل منصوب بنفس الفعل المذكور والأمنة بمعنى الإيمان وعلى القراءة الأخيرة منصوب على العلية بيغشاكم باعتبار المعنى فإنه في حكم تنعسون أو على أنه مصدر لفعل مترتب عليه كما مر وقرئ أمنة كرحمة (وينزل عليكم من السماء ماء) تقديم الجار والمجرور على المفعول به لما مر مراراً من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر فإن ماحقه التقديم إذا آخر تبقى النفس مترتبة له فعند وروده يتمكن عندها فضل تمسكن وتقديم عليكم لما أن بيان كون التنزيل عليهم أهم من بيان كونه من السماء وقرئ بالتخفيف من الإنزال (ليطهركم به) أي من الحدث الأصغر والأكبر (ويذهب عنكم رجز الشيطان) الكلام في تقديم الجار والمجرور كما مر آنفاً والمراد برجز الشيطان وسوسته وتخويفه إياهم من العطش. روى أنهم نزلوا في كتيب أعفر تسوخ فيه الأقدام على غير ماء وناموا فاحتمل أكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فتمثل لهم الشيطان فوسوس إليهم وقال أتم يا أصحاب محمد تزعمون أنكم على الحق وأنكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنباء وقد عطشتم ولو كنتم على الحق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم إلا أن يجهدكم العطش فإذا قطع أعناقكم مشوا إليكم فقتلوا من أحبوا وساقوا بقيتكم إلى مكة لحزنوا حزناً شديداً وأشفقوا فأنزل الله عز وجل المطر فطروا ليلاً حتى جرى الوادي فاغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الأقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس وقويت القلوب وذلك قوله تعالى (وليربط على قلوبكم) أي يقويها بالثقة بلطف الله تعالى فيما بعد بمشاهدة طلائعه (ويثبت به الأقدام) فلا تسوخ في الرمل فالضمير للماء كالأول ويجوز أن يكون الربط فإن القلب إذا قوى

إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلَتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا
الرَّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾

٨ الأفعال

١٢ وتمكن فيه الصبر والجراة لا تكاد تزل القدم في معارك الحروب وقوله تعالى (إذ يوحى ربك إلى الملائكة) منصوب بمضمر مستأنف خوطب به النبي ﷺ بطريق التجريد حسبا تنطق به الكاف لما أن المأمور به عما لا يستطيعه غيره ﷺ فإن الوحي المذكور قبل ظهوره بالوحي المتلو على لسانه ﷺ ليس من النعم التي يقف عليها عامة الأمة كسائر النعم السابقة التي أمروا بذكر وقتها بطريق الشكر وقيل منصوب بقوله تعالى وثبت به الأقدام فلا بد حينئذ من عود الضمير المجرور في به إلى الربط على القلوب ليكون المعنى وثبت أقدامكم بتقوية قلوبكم وقت إيحائه إلى الملائكة وأمره بتثبيتهم إياكم وهو وقت القتال ولا يخفى أن تقييد التثبيت المذكور بوقت مبهم عندهم ليس فيه مزيد فائدة وأما انتصابه على أنه بدل ثالث من إذ يمدكم كما قيل فيأباه تخصيص الخطاب به ﷺ مع ما عرفت من أن المأمور به ليس من الوظائف العامة للكل كسائر أخواته وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره ﷺ من التنويه والتشريف ● مالا يخفى والمعنى اذكر وقت إيحائه تعالى إلى الملائكة (أنى معكم) أى بالإمداد والتوفيق في أمر التثبيت فهو مفعول يوحى وقرئ بالكسر على إرادة القول أو إجراء الوحي مجراه وما يشعر به دخول كلمة مع من متبوعة الملائكة إنما هي من حيث إنهم المباشر للثبوت صورة فلمهم الأصالة من تلك الحيثية ● كما في أمثال قوله تعالى إن الله مع الصابرين والفاء في قوله تعالى (ثبثوا الذين آمنوا) لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن إمداده تعالى إياهم من أقوى موجبات التثبيت واختلفوا في كيفية التثبيت فقالت جماعة إنما أمروا بتثبيتهم بالبشارة وتكثير السواد ونحوهما عما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم ويتأكد جدم في القتال وهو الأنسب بمعنى التثبيت وحقيقته التي هي عبارة عن الحمل على الثبات في موطن الحراب والجد في مقاساة شدائد القتال وقد روى أنه كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفونه بوجهه فيأتى ويقول إني سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشى بين الصفيين فيقول أبشروا فإن الله تعالى ناصركم وقال آخرون أمروا بمحاربة أعدائهم وجعلوا قوله تعالى (سألتى في قلوب الذين كفروا الرعب) تفسيراً لقوله تعالى أنى معكم وقوله تعالى (فأصربوا) الخ تفسيراً لقوله تعالى ثبثوا مبيناً لكيفية التثبيت وقد روى عن أبي داود المازني رضى الله عنه وكان ممن شهد بدراً أنه قال اتبعت رجلاً من المشركين يوم بدر لا ضربه فوقعت رأسه بين يدي قبل أن يصل إليه سيفي وعن سهل بن حنيف رضى الله عنه أنه قال لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا يشير بسيفه إلى المشرك فتقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف وأنت خير بأن قتلهم للكفرة مع عدم ملائمتهم لمعنى تثبيت المؤمنين مما لا يتوقف على الإمداد بإلقاء الرعب فلا يتجه ترتيب الأمر به عليه بالفاء وقد اعتذر الأولون بأن قوله تعالى سألتى الخ ليس بنص فيما ذكر بل يجوز أن يكون ذلك إثر قوله تعالى ثبثوا الذين آمنوا تلقيناً للملائكة ما يشبثونهم به

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ٨ الأنفال

ذَلِكَ فَذُوقُوا وَآلَ الْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ ٨ الأنفال

- كأنه قيل قولوا لهم سألني في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا الخ فالضاربون هم المؤمنون وأما ما قيل من أن ذلك خطاب منه تعالى للمؤمنين بالذات على طريق التلوين فبناه توهم وروده قبل القتال وأنى ذلك والسورة الكريمة إنما نزلت بعد تمام الواقعة وقوله تعالى (فوق الأعناق) أى أعاليها التى هى المذابح ● أو الهامات (واضربوا منهم كل بنان) قيل البنان أطراف الأصابع من اليدين والرجلين وقيل هى الأصابع من اليدين والرجلين وقال أبو الهيثم البنان المفاصل وكل مفصل بنانه وقال ابن عباس وابن جريج والضحاك يعنى الأطراف أى اضربوهم فى جميع الأعضاء من أعاليها إلى أسافلها وقيل المراد بالبنان الأدنى وبفوق الأعناق الأعلى والمعنى فاضربوا الصناديد والسفلة وتكرير الأمر بالضرب لمزيد التشديد والاعتناء بأمره ومنهم متعلق به أو بمحذوف وقع حالاً ما بعده (ذلك) إشارة إلى ما أصابهم ١٣ من العقاب وما فيه من معنى البعد للإيدان ببعدهما درجة فى الشدة والفظاعة والخطاب لرسول الله ﷺ أو لكل أحد ممن يليق بالخطاب ومحل الرفع على الابتداء وخبره قوله تعالى (بأنهم شاقوا الله ورسوله) ● أى ذلك العقاب الفظيع واقع عليهم بسبب مشاققتهم ومغالبتهم من لا سبيل إلى مغالبتة أصلاً واشتقاق المشاقة من الشق لما أن كلا من المشاقين فى شق خلاف شق الآخر كما أن اشتقاق المعادة والمخاصمة من العدو والخصم أى الجانب لأن كلا من المتعادين والمتخاصمين فى عدوة وخصم غير عدوة الآخر وخصمه (ومن يشاقق الله ورسوله) الإظهار فى موضع الإضمار لتربية المهابة وإظهار كمال شناعة ما اجترأوا عليه ● والإشعار بعلّة الحكم وقوله تعالى (فإن الله شديد العقاب) إما نفس الجزاء قد حذف منه العائد إلى من عند من يلزمه أى شديد العقاب له أو تعليل للجزاء المحذوف أى يعاقبه الله فإن الله شديد العقاب وأياً ما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهاني كأنه قيل ذلك العقاب الشديد بسبب مشاققتهم لله تعالى ورسوله وكل من يشاقق الله ورسوله كما تنأى من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد فإذا نهم بسبب مشاققتهم لها عقاب شديد وأما أنه وعيد لهم بما أعد لهم فى الآخرة بعد ما حاق بهم فى الدنيا كما قيل فيرده ما بعده من قوله تعالى (ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار) فإنه مع كونه ١٤ هو المسوق للوعيد بما ذكر ناطق بكون المراد بالعقاب المذكور ما أصابهم عاجلاً سواء جعل ذلككم إشارة إلى نفس العقاب أو إلى ما تنفيده الشرطية من ثبوت العقاب لهم أما على الأول فلأن الأظهر أن محل النصب بمضمرة يستدعيه قوله تعالى فذوقوه والواو فى قوله تعالى وأن للكافرين الخ بمعنى مع فالمعنى باشروا ذلكم العقاب الذى أصابكم فذوقوه عاجلاً مع أن لكم عذاب النار آجلاً فوضع الظاهر موضع الضمير لتوبيخهم بالكفر وتعليل الحكم به وأما على الثانى فلأن الأقرب أن محل الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى وأن للكافرين الخ معطوف عليه والمعنى حكم الله ذلكم أى ثبوت هذا

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ ٨ الأضال

وَمَنْ يُولِهِمْ يُؤَمِّدْ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ٨ الأضال

- العقاب لكم عاجلا وثبوت عذاب النار أجلا وقوله تعالى فذوقوه اعتراض وسط بين المعطوفين للتهديد والضمير على الأول لنفس المشار إليه وعلى الثاني لما في ضمته وقد ذكر في إعراب الآية الكريمة وجوه آخر مدار الكل على أن المراد بالعقاب ما أصابهم عاجلا والله تعالى أعلم وقرئ بكسر أن على الاستئناف (بأيها الذين آمنوا) خطاب للمؤمنين بحكم كل جار فيما سيقع من الوقائع والحروب جرى به في تضعيف القصة إظهارا للاعتناء بشأنه ومبالغة في حضهم على المحافظة عليه (إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً) الزحف الدبيب يقال زحف الصبي زحفاً إذا دب على أسته قليلا قليلا سمي به الجيش الداهم المتوجه إلى العدو لأنه أكثرته وتكاثره يرى كأنه يزحف وذلك لأن الكل يرى كجسم واحد متصل فيحس حركته بالقياس إليه في غاية البطء وإن كانت في نفس الأمر على غاية السرعة قال قائلهم | وأرعن مثل الطود تحسب أنهم • وقوف لجاج والركاب تهملج | ونصبه إما على أنه حال من مفعول لقيتم أى زاحفين نحوكم وإما على أنه مصدر مؤكد لفعل مضمر هو الحال منه أى يزحفون زحفاً وأما كونه حالا من فاعله أو منه ومن مفعوله معاً كما قيل فإياه قوله تعالى (فلا تولوهم الأدبار) إذ لا معنى لتقييد النهي عن الأدبار بتوجههم السابق إلى العدو أو بكثرتهم بل توجه العدو إليهم وكثرتهم هو الداعى إلى الأدبار عادة والمحوج إلى النهي عنه وحمله على الإشعار بما سيكون منهم يوم حنين حيث تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر ألفاً بعيد والمعنى إذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وأنتم قليل فلا تولوهم أدباركم ١٦ فضلا عن الفرار بل قابلوهم وقاتلوهم مع قلتكم فضلا عن أن تدانوهم في العدد أو تساوهم (ومن يولهم يومئذ) أى يوم اللقاء (دبره) فضلا عن الفرار وقرئ بسكون الباء (إلا متحرفاً لقتال) إما بالتوجه إلى قتال طائفة أخرى أهم من هؤلاء وإما بالفرار للسكر بأن يخيل عدوه أنه منهزم ليغره ويخرجه من بين أعوانه ثم يعطف عليه وحده أو مع من في السكين من أصحابه وهو باب من خدع الحرب ومكايدها • (أو متحيزاً إلى فئة) أى منحازاً إلى جماعة أخرى من المؤمنين لينضم إليهم ثم يقاتل معهم العدو. عن ابن عمر رضى الله عنهما قال إن سرية فروا وأنا معهم فلما رجعوا إلى المدينة استحبوا ودخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال ﷺ بل أنتم العكارون أى الكرارون من عكر أى رجع وأنا فتكم. وانهزم رجل من القادسية فأتى المدينة إلى عمر رضى الله عنه فقال يا أمير المؤمنين هلكت ففرت من الزحف فقال رضى الله عنه أنا فتك ووزن متحيز متفيعل لا متفعّل وإلا لكان متحوزاً لأنه من حاز يحوز وانتصابهما إما على الحالية وإلا لغولا عمل لها وإما على الاستثناء من المولين أى ومن يولهم دبره إلا رجلا منهم متحرفاً أو متحيزاً (فقد باء) أى رجع (بغضب) عظيم لا يقادر قدره ومن في قوله

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾

٨ الأنفال

- تعالى (من الله) متعلقة بمحذوف هو صفة لغضب مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة والهلول بالفخامة
- الإضافة أى بغضب كائن منه تعالى (وماواه جهنم) أى بدل ما أراد بفراره أن يأوى إليه من مأوى ينجيه
- من القتل (وبئس المصير) فى إيقاع البوء فى موقع جواب الشرط الذى هو التولية مقرراً بذكر المأوى والمصير من الجزالة مالا مزيد عليه . عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الفرار من الزحف من أكبر الكبائر وهذا إذا لم يكن العدو أكثر من الضعف لقوله تعالى الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة بأهل بيته والحاضرين معه فى الحرب (فلم تقتلوهم) رجوع إلى بيان بقية أحكام الواقعة وأحوالها ١٧
- وتقرير ماسبق منها وإلقاء جواب شرط مقدر يستدعيه مامر من ذكر إمداده تعالى وأمره بالتثبيت وغير ذلك كأنه قيل إذا كان الأمر كذلك فلم تقتلوهم أنتم بقوتكم وقدرتكم (ولكن الله قتلهم) بنصركم وتسلطكم عليهم وإلقاء الرعب فى قلوبهم ويجوز أن يكون التقدير إذا علمتم ذلك فلم تقتلوهم أى فاعلموا أو فأنه خبركم أنكم لم تقتلوهم وقيل التقدير إن افتخرتهم بقتلهم فلم تقتلوهم على أحد التأويلين لما روى أنهم لما انصرفوا من المعركة غالبين غانمين أقبلوا يتفاخرون يقولون قتلنا وأسرت وفعلت وتركنا فزات وقد كان رسول الله ﷺ حين طلعت قريش من العقنقل قال هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم إني أسألك ما وعدتني فأتاه جبريل عليه السلام فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما اتقى الجمعان قال لعللى رضى الله عنه أعطى قبضة من حصباء الوادى فرمى بها فى وجوههم وقال شأهت الوجوه فلم يبق مشرك إلا شغل بعينه فانهزموا وذلك قوله عز وجل بطريق تلوين الخطاب (وما رميت
- إذ رميت ولكن الله رمى) تحقيقاً لكون الرمى الظاهر على يده ﷺ حينئذ من أفعاله عز وجل وتجريد الفعل عن المفعول به لما أن المقصود الأصلى بيان حال الرمى نفيًا وإثباتًا إذ هو الذى ظهر منه مظهر وهو المنشأ لتغير المرمى به فى نفسه وتكثيره إلى حيث أصاب عينى كل واحد من أولئك الأمة الجملة شىء من ذلك أى وما فعلت أنت يا محمد تلك الرمية المستتعبة لهذه الآثار العظيمة حقيقة حين فعلتها صورة وإلا لكان أثرها من جنس آثار الأفاعيل البشرية ولكن الله فعلها أى خلقها حين باشرتها لكن لا على نهج عادته تعالى فى خلق أفعال العباد بل على وجه غير معتاد ولذلك أثرت هذا التأثير الخارج عن طوق البشر ودائرة القوى والقدر فمدار إثباتها لله تعالى ونفيها عنه ﷺ كون أثرها من أفعاله ﷺ وقرىء
- ولكن الله بالتخفيف والرفع فى المحلين واللام فى قوله تعالى (وليبللي المؤمنين منه) أى ليعطيهم من عنده
- تعالى (بلاء حسنًا) أى عطاء جميلاً غير مشوب بمقاساة الشدائد والمكاره إما متعلقة بمحذوف متأخر
- قالوا اعتراضية أى وللإحسان إليهم بالنصر والغبنة فعل ما فعل لا شىء غير ذلك مما لا يجديهم نفعاً
- وإما برمى قالوا للعطف على علة محذوفة أى ولكن الله رمى ليمحق الكافرين وليبلى الخ وقوله تعالى (إن

ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾

٨ الأفعال

إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾

٨ الأفعال

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾

٨ الأفعال

- ١٨ (الله سميع) أى لدعائهم واستغاثتهم (عليهم) أى بنياتهم وأحوالهم الداعية إلى الإجابة لتعليل الحكم (ذلكم) إشارة إلى البلاء الحسن ومحله الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى (وأن الله موهن كيد الكافرين) بالإضافة معطوف عليه أى المقصد إهلاك المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وإبطال حيلهم وقيل المشار إليه القتل والرمى والمبتدأ الأمر أى الأمر ذلكم أى القتل فيكون قوله تعالى وأن الله الآية من قبيل عطف البيان وقرئ موهن بالتثنية مخففاً ومشدداً ونصب كيد الكافرين (إن تستفتحوا) خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم بهم وذلك أنهم حين أرادوا الخروج تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين أى إن تستنصروا لأعلى الجندين (فقد جاءكم الفتح) حيث نصر أعلاهما وقد زعمتم أنكم الأعلى فالتهمكم فى الحجى. أوفقد جاءكم الهزيمة والقهر فالتهمكم فى نفس الفتح حيث وضع موضع ما يقابله (وإن تنتهوا) عما كنتم عليه من الحراب ومعاودة الرسول ﷺ (فهو) أى الانتهاء (خير لكم) أى من الحراب الذى ذقم غائلته لما فيه من السلامة من القتل والأسر ومبنى اعتبار أصل الخيرية فى المفضل عليه هو التهمكم (وإن تعودوا) أى إلى حرا به ﷺ (نعد) لما شاهدتموه من الفتح (ولن تغنى) بالناء الفوقانية وقرئ بالياء التحتانية لأن تأنيث الفته غير حقيقى وللفضل أى لن تدفع أبداً (عنكم فئتكم) جماعتكم التى تجمعونهم وتستعينون بهم (شيئاً) أى من الإغناء أو من المضار وقوله تعالى (ولو كثرت) جملة حالية وقد مر التحقيق (وأن الله مع المؤمنين) أى ولأن الله معين المؤمنين كان ذلك أو الأمر أن الله مع المؤمنين ويقرب منه بحسب المعنى قراءة الكسر على الاستئناف وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى إن تستنصروا فقد جاءكم النصر وإن تنتهوا عن التكاسل والرغبة عما يرغب فيه الرسول ﷺ فهو خير لكم من كل شىء لما أنه مناط لنيل سعادة الدارين وإن تعودوا إليه نعد عليكم بالإنكار وتهيب العدو ولن تغنى حينئذ كثرتكم إذا لم يكن الله معكم بالنصر والأمر أن الله مع الكاملين فى الإيمان (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا) بطرح إحدى التامين وقرئ بإدغامها (عنه) أى لا تتولوا عن الرسول فإن المراد هو الأمر بطاعته والنهى عن الإعراض عنه وذكر طاعته تعالى للتمهيد والتنبيه على أن طاعته تعالى فى طاعة رسوله ﷺ من يطع الرسول فقد أطاع الله وقيل الضمير للجهاد وقيل للأمر الذى دل عليه الطاعة وقوله تعالى (وأنتم تسمعون) جملة حالية واردة لنا كيد وجوب الانتهاء عن التولى مطلقاً كما فى قوله تعالى فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون لا لتقييد النهى

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ٨ الأنفال

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبِئْسَ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ٨ الأنفال

وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ٨ الأنفال

عنه بحال السماع كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى أى لا تتولوا عنه والحال أنكم تسمعون القرآن الناطق بوجوب طاعته والمواظ على الزاجرة عن مخالفته سماع فهم وإذعان (ولا تكونوا) تقرير ٢١ للهى السابق وتحذير عن مخالفته بالتنبيه على أنها مؤدية إلى انتظامهم فى سلك الكفرة بكون سماعهم كلا سماع أى لا تكونوا بمخالفة الأمر والنهى (كالذين قالوا سمعنا) بمجرد الادعاء من غير فهم وإذعان ● كالكفرة والمنافقين الذين يدعون السماع (وهم لا يسمعون) حال من ضمير قالوا أى قالوا ذلك والحال ● أنهم لا يسمعون حيث لا يصدقون ما سمعوه ولا يفهمونه حق فهمه فكأنهم لا يسمعون رأساً (إن) ٢٢ شر الدواب استئناف مسوق لبيان كمال سوء حال المشبه بهم مبالغة فى التحذير وتقريراً للهى اثر تقرير أى إن شر ما يدب على الأرض أو شر البهائم (عند الله) أى فى حكمه وقضائه (الصم) الذين لا يسمعون ● الحق (البكم) الذين لا ينطقون به وصفوا بالصمم والبكم لأن ما خلق له الأذن واللسان سماع الحق ● والنطق به وحيث لم يوجد فهم شئ من ذلك صاروا كأنهم فاقدون للجارحتين رأساً وتقديم الصم على البكم لما أن صممهم متقدم على بكمهم فإن السكوت عن النطق بالحق من فروع عدم سماعهم له كما أن النطق به من فروع سماعهم ثم وصفوا بعدم التعقل فليل (الذين لا يعقلون) تحقيقاً لكمال سوء حالهم فإن الأصم ● الأبكم إذا كان له عقل ربما يفهم بعض الأمور ويفهمه غيره بالإشارة ويهتدى بذلك إلى بعض مطالبه وأما إذا كان فاقداً للعقل أيضاً فهو الغاية فى الشرية وسوء الحال وبذلك يظهر كونهم شراً من البهائم حيث أبطلوا ما به يمتازون عنها وبه يفضلون على كثير من خلق الله عز وجل فصاروا أخس من كل خسيس (ولو علم الله فيهم خيراً) شيئاً من جنس الخير الذى من جملة صرف قوام إلى تحرى الحق واتباع ٢٣ الهدى (لأسمعهم) سماع تفهم وتدبر ولوقفوا على حقبة الرسول ﷺ وأطاعوه وآمنوا به ولكن لم يعلم فيهم شيئاً من ذلك لخلوهم عنه بالمرء فلم يسمعهم كذلك لخلوهم عن الفائدة وخروجه عن الحكمة وإليه أشير بقوله تعالى (ولو أسمعهم لتولوا) أى لو أسمعهم سماع تفهم وهم على هذه الحالة العارية عن الخير بالكلية ● لتولوا عما سمعوه من الحق ولم ينتفعوا به قط أو ارتدوا بعد ما صدقوه وصاروا كأن لم يسمعوه أصلاً وقوله تعالى (وهم معرضون) إما حال من ضمير تولوا أى لتولوا على أدبارهم والحال أنهم معرضون عما سمعوه بقلوبهم وإما اعتراض تذييل أى وهم قوم عادتهم الإعراض وقيل كانوا يقولون لرسول الله ﷺ أحى قصيا فإنه كان شيخاً مباركاً حق يشهد لك وتؤمن بك فالمعنى ولو أسمعهم كلام قصى الخ وقيل هم بنو عبد الدار بن قصى لم يسلم منهم إلا مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾

٨ الأنفال

وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ٨ الأنفال

- عنى عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيئه قاتلهم الله تعالى فقتلوا جميعاً بأحد وكانوا أصحاب اللواء وعن ابن جريج أنهم المنافقون وعن الحسن رضى الله عنه أنهم أهل الكتاب (بأيها الذين آمنوا) تكرير النداء مع وصفهم بنعت الإيمان لتشيطهم إلى الإقبال على الامتثال بما يرد بعده من الأوامر وتنبههم على أن فيهم ما يوجب ذلك (استجيبوا لله وللرسول) بحسن الطاعة (إذا دعاكم) أى الرسول إذ هو المباشر لدعوة الله تعالى (لما يحييكم) من العلوم الدينية التى هى مناط الحياة الأبدية كما أن الجهل مدار الموت الحقيقى أو هى ماء حياة القلب كما أن الجهل موجب موته وقيل لمجاهدة الكفار لأنهم لورفضوها لغلبيهم وقتلهم كما فى قوله تعالى ولكم فى القصاص حياة . روى أنه عليه السلام مر على أبى بن كعب وهو يصلى فدعاه فعجل فى صلاته ثم جاء فقال عليه السلام ما منعك من إجابتي قال كنت فى الصلاة قال ألم تخبر فيما أوحى إلى استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم الخ واختلف فيه فقيل هذا من خصائص دعائه عليه السلام وقيل لأن إجابته عليه السلام لا تقطع الصلاة وقيل كان ذلك الدعاء لأمر مهم لا يحتمل التأخير وللصلى أن يقطع الصلاة لمثله (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) تمثيل لغاية قربته تعالى من العبد كقوله تعالى ونحن أقرب إليه من حبل الوريد وتنبه على أنه تعالى مطلع من مكنونات القلوب على ما عسى يغفل عنه صاحبها أو حث على المبادرة إلى إخلاص القلوب وتصفيتها قبل إدراك المنية فإنها حائلة بين المرء وقلبه أو تصوير وتخييل لتمسكه على العبد قلبه بحيث يفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويحول بينه وبين الكفر إن أراد سعاده ويبدله بالآمن خوفاً وبالذكر نسياناً وما أشبه ذلك من الأمور المعترضة المفوتة للفرصة وقرىء بين المرء بقتل المرء على حذف الهمة وإلقاء حركتها على الراء وإجراء الوصل مجرى الوقف (وأنه) أى الله عز وجل أو الشأن (إليه تحشرون) لا إلى غيره فيجازيكم بحسب مراتب أعمالكم فسارعوا إلى طاعته
- ٢٥ تعالى وطاعة رسوله وبالغوا فى الاستجابة لهما (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) أى لا تختص إصابتها بمن يباشر الظلم منكم بل يعمه وغيره كإقرار المنكر بين أظهرهم والمداهمة فى الأمر والنهى عن المنكر واقتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل فى الجهاد على أن قوله لا تصيبن الخ إما جواب الأمر على معنى إن أصابتم لا تصيبن الخ وفيه أن جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهى ساغ فيه كقوله تعالى ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم وإما صفة لفتنة ولا للنفى وفيه شدو لأن النون لا تدخل المنفى فى غير القسم أو للنهى على إرادة القول كقول من قال [حتى إذا جن الظلام واختلفت] جاموا بمدق هل رأيت الذئب قط [وإما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وإن اختلف المعنى فيهما وقد جوز أن يكون نهياً عن التعرض للظلم بعد الأمر باتقاء الذئب فإن

وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ
بِنَصْرِهِ وَزَادَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾

٨ الأنفال

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ٨ الأنفال

- وبالله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجه الأول للتبعض وعلى الآخرين للتبيين وقائده التنبية على أن الظلم منكم أقبح منه من غيركم (واعلموا أن الله شديد العقاب) ولذلك يصيب ● بالعذاب من لم يباشر سببه (واذكروا إذا أنتم قليل) أى وقت كونكم قليلا في العدد وإيثار الجملة الاسمية ٢٦ للإيذان باستمرار ما كانوا فيه من القلة وما يتبعها من الضعف والخوف وقوله تعالى (مستضعفون) ● خبر ثان أو صفة لقليل وقوله تعالى (في الأرض) أى في أرض مكة تحت أيدي قريش والخطاب ● للمهاجرين أو تحت أيدي فارس والروم والخطاب للعرب كافة فإنهم كانوا أذلاء تحت أيدي الطائفتين وقوله تعالى (تخافون أن يتخطفكم الناس) خبر ثالث أو صفة ثانية لقليل وصف بالجملة بعد ما وصف ● بالمفرد أو حال من المستعنفون والمراد بالناس على الأول وهو الاظهر إما كفار قريش وإما كفار العرب لقربهم منهم وشدة عداوتهم لهم وعلى الثاني فارس والروم أى واذكروا وقت قتلتمكم ● وذلتمكم وهو انكم على الناس وخوفكم من اختطافهم (فأواكم) إلى المدينة أو جعل لكم ماوى تحصنون ● به من أعدائكم (وأيدكم بنصره) على الكفار أو بمظاهرة الأنصار أو بإمداد الملائكة (ورزقكم من الطيبات) من الغنائم (لعلكم تشكرون) هذه النعم الجليلة (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول) ٢٧ أصل الخون النقص كما أن أصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الأمانة لتضمنه إياه أى لا تخونوهما بتعطيل الفرائض والسنن أو بأن تضمروا خلاف ما تظهرون أو في الغلول في الغنائم روى أنه ﷺ حاصر بني قريظة إحدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح بنى النضير على أن يسيروا إلى إخوانهم بأذرع وأرجاء من الشام فأبى إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ رضى الله عنه فأبوا وقالوا أرسل إلينا أبا لبابة وكان مناصحا لهم لما أن ماله وعياله كانا في أيديهم فبعثه إليهم فقالوا ماترى هل نزل على حكم سعد فأشار إلى حلقه أنه الذبح قال أبو لبابة فما زالت قدماى حتى علمت أنى خنت الله ورسوله فنزلت فشده نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على فككت سبعة أيام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك خل نفسك قال لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذى يحلنى فجاءه ﷺ فخله فقال إن من تمام توبتى أن أخرج دار قومي التى أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالى فقال ﷺ يجوز لك الثلث أن تصدق به (وتخونوا) ● أما أنتم (فيا ينكم) وهو مجزوم معطوف على الأول أو منصوب على الجواب بالواو (وأنتم تعلمون) ● ٣ - أبي السعود ج ٤

وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ٨ الأفعال

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ

ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ٨ الأفعال

وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ

الْمَكْرِينِ ﴿٣٠﴾ ٨ الأفعال

- ٢٨ أنكم تخونون أو وأنتم علماء تميزون الحسن من القبيح (واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة) لأنها سبب الوقوع في الإثم والعقاب أو محنة من الله عز وجل ليلوكم في ذلك فلا يحملنكم جهما على الخيانة كآتي لبابة (وأن الله عنده أجر عظيم) لمن آثر رضاه تعالى عليهما وراعى حدوده فيهما فنيطوا هممكم بما يؤديكم إليه (يأياها الذين آمنوا) تكرير الخطاب والوصف بالإيمان لإظهار كمال العناية بما بعده
- ٢٩ والإيدان بأنه مما يقتضى الإيمان مراعاته والمحافظة عليه كما في الخطابين السابقين (إن تتقوا الله) أى في كل ما تأتون وما تذكرون (يجعل لكم) بسبب ذلك (فرقاناً) هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل أو نصرأ يفرق بين الحق والمبطل يعزاز المؤمنين وإذلال الكافرين أو مخرجا من الشبهات أو نجاة عما تحذرون في الدارين أو ظهوراً يشهر أمركم وينشر صيتكم من قولهم بت أفعل كذا حتى سطلع
- الفرقان أى الصبح (ويكفر عنكم سيئاتكم) أى يسترها (ويغفر لكم) ذنوبكم بالعفو والتجاوز عنها وقبل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تأخر لأنها في أهل بدر وقد غفرهما
- الله تعالى لهم وقوله تعالى (والله ذو الفضل العظيم) تعليل لما قبله وتنبيه على أن ما وعده الله تعالى لهم على التقوى تفضل منه وإحسان لا أنه بما يوجبه التقوى كما إذا وعد السيد عبده إنعاماً على عمل (وإذ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا) منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي ﷺ معطوف على قوله تعالى واذكروا
- إذ أنتم الخ مسوق لتذكير النعمة الخاصة به ﷺ بعد تذكير النعمة العامة للكل أى واذكر وقت مكرم بك (ليثبتوك) بالوفاق ويعضده قراءة من قرأ ليقيدوك أو الاثنان بالجرح من قولهم ضربه حتى أثبته
- لأحرأك به ولا براح وقرىء ليثبتوك بالتشديد وليثبتوك من البيات (أو يقتلوك) أى بسبوفهم (أو يخرجوك) أى من مكة وذلك أنهم لما سمعوا بإسلام الأنصار ومبايعتهم له ﷺ فرقوا واجتمعوا في دار الندوة يتشاورون في أمره ﷺ فدخل إبليس عليهم في صورة شيخ وقال أنا من نجد سمعت باجتماعكم فاردت أن أحضركم ولن تعدموا منى رأياً ونصحاً فقال أبو البحرى رأى أن تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون إليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بنس الراى يأتىكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم فقال هشام بن عمرو رأى أن تحملوه على جمل وتخرجوه من أرضكم فلا يضركم ما صنع فقال وبنس الراى يفسد قوماً غيركم ويقاتلكم بهم فقال أبو جهل أنا أرى أن تأخذوا

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾

٨ الأنفال

وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾

٨ الأنفال

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

٨ الأنفال

- من كل بطن غلاماً وتعطوه سيفاً فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنوهاشم على حرب قريش كلهم فإذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رأيه فأتى جبريل النبي عليه الصلاة والسلام وأخبره بالخبر وأمره بالهجرة فبيت علياً رضي الله تعالى عنه على مضجعه وخرج هو مع أبي بكر رضي الله عنه إلى الغار (ويمكرون ويمكر الله) أي يرد مكرهم عليهم أو يجازيهم عليه أو يعاملهم معاملة الماكرين وذلك بأن أخرجهم إلى بدر وقلل المسلمين في أعينهم حتى حلوا عليهم فلقوا منهم ما لقوا (والله خير الماكرين) لا يعبأ بمكرهم عند مكره وإسناد أمثال هذا إليه سبحانه بما يحسن للدشكلة ولا مساع له ابتداء لما فيه من إيهام مالا يليق به سبحانه (وإذا تتلى عليهم آياتنا) التي حقها أن يخجل لها صم ٣١ الجبال (قالوا قد سمعنا لنشأ لقلنا مثل هذا) قاله اللعين النضر بن الحرث وإسناده إلى الكل لما أنه كان رئيسهم وقاضيم الذي يقولون بقوله وبأخذون برأيه وقيل قاله الذين ائتمروا في أمره ﷺ في دار الندوة وهذا كما ترى غاية المكابرة ونهاية العناد كيف لا ولو استطاعوا شيئاً من ذلك فما الذي كان يمنعهم من المشيئة وقد تحدوا عشر سنين وقرعوا على المعجز وذاقوا من ذلك الأمرين ثم قورعوا بالسيف فلم يعارضوا بما سواه مع أنفسهم وفرط استنكافهم أن يغلبوا لاسيما في باب البيان (إن هذا إلا أساطير الأولين) أي ما يسطرونه من القصص (وإذا قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ٣٢ أو آتتنا بعذاب أليم) هذا أيضاً من أباطيل ذلك اللعين . روى أنه لما قال إن هذا إلا أساطير الأولين قال له النبي ﷺ وبل لك إنه كلام الله تعالى فقال ذلك والمعنى إن القرآن إن كان حقاً منزلاً من عندك فأمطر علينا الحجارة عقوبة على إنكارنا أو آتتنا بعذاب أليم - واه والمراد منه التهكم وإظهار اليقين والجزم التام على أنه ليس كذلك وحاشاه وقرىء الحق بالرفع على أن هو مبتدأ لافضل وقائدة التعريف فيه الدلالة على أن المعلق به كونه حقاً على الوجه الذي يدعيه ﷺ وهو تنزيله لا الحق مطلقاً لتجويزهم أن يكون مطابقاً للواقع غير منزل كالأساطير (وما كان الله ليُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) جواب لكلمتهم الشنعاء وبيان ٣٣ للوجوب لإمهالهم والتوقف في إجابة دعائهم واللام لنا أكيد للنفي والدلالة على أن تعذيبهم عذاب استئصال والنبي ﷺ بين أظهرهم خارج عن حادثه تعالى غير مستقيم في حكمه وقضائه والمراد باستغفارهم في قوله تعالى (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) إما استغفار من بقي منهم من المؤمنين أو قولهم اللهم

وَمَا لَهُمْ إِلَّا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ۖ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾

٨ الأنفال

وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ ٨ الأنفال

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ٨ الأنفال

- اغفر أو فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها
- ٣٤ مصلحون (وما لهم أن لا يعذبهم الله) بيان لاستحقاقهم العذاب بعد بيان أن المانع ليس من قبلهم أى
- وما لهم بما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون (وهم يصدون عن المسجد الحرام) أى وحالهم
 - ذلك ومن صدم عند إلقاء رسول الله ﷺ إلى الهجرة وإحصارهم عام الحديبية (وما كانوا أولياءه) حال من ضمير يصدون مفيدة لكمال قبح ما صنعوا من الصد فإن مباشرتهم للصد عنه مع عدم استحقاقهم لولاية أمره في غاية القبح وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاية البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء
 - (إن أولياءه إلا المتقون) من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره تعالى (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أنه لا ولاية لهم عليه وفيه إشعار بأن منهم من يعلم ذلك ولكنه يعاند وقيل أريد بأكثرهم كلهم كإيراد بالقلّة
 - ٣٥ العدم (وما كان صلاتهم عند البيت) أى دعاؤهم أو ما يسمونه صلاة أو ما يضمون موضعها (إلا مكاء)
 - أى صغير أفعال من مكاء مكوا إذا صفر وقرىء بالقصر كالبيكى (وتصدية) أى تصفيقا تفعلة من الصدى أو من الصد على إبدال أحد حرفي التضعيف بالياء وقرىء صلاتهم بالنصب على أنه الخبر لكان وماساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب أو عدم ولايتهم للمسجد فإنها لا تليق بمن هذه صلاته . روى أنهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون
 - ذلك إذا أراد النبي ﷺ أن يصلى يخلطون عليه ويرون أنهم يصلون أيضاً (فذوقوا العذاب) أى القتل والأسرى يوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل أن تكون للعهد والمعهود اتقنا بعذاب أليم (بما كنتم تكفرون) اعتقاداً وعملاً (إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله) نزلت في
 - ٣٦ المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلاً من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزراً أو فى أبي سفيان استأجر ليوم أحد ألفين سوى من استجاش من العرب وأنفق فيهم أربعين أوقية أو فى أصحاب العير فإنه لما أصيب قريش يوم بدر قيل لهم أعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلمنا ندرك ثأرنا منه ففعلوا
 - والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله (فسينفقونها) بتماها ولعل الأول إخبار عن إنفاقهم فى تلك الحال وهو إنفاق يوم بدر والثانى إخبار عن إنفاقهم فيما يستقبل وهو إنفاق يوم أحد ويحتمل أن يراد بهما
 - واحد على أن مساق الأول لبيان الغرض من الإنفاق ومساق الثانى لبيان عاقبته وأنه لم يقع بعد (ثم

لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي
جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾

٨ الأنفال

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾

وَقَسِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾

٨ الأنفال

وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ النَّصِيرِ ﴿٤٠﴾

٨ الأنفال

- تكون عليهم حسرة) ندما وغما لفواتها من غير حصول المقصود جعل ذاتها حسرة وهي عاقبة إفاقتها
- مبالغة (ثم يغلبون) آخر الأمر وإن كان الحرب بينهم سجالات قبل ذلك (والذين كفروا) أى تموا على
- الكفر وأصروا عليه (إلى جهنم يحشرون) أى يساقون لا إلى غيرها (ليميز الله الخبيث من الطيب) أى ٣٧
- الكافر من المؤمن أو الفاسد من الصالح واللام متعلقة يحشرون أو يغلبون أو ما أنفقه المشركون في
- عداوته ﷺ ما أنفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرىء ليميز
- بالتشديد للمبالغة (ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً) أى يضم بعضه إلى بعض حتى يتراكموا
- لفرط ازدحامهم فيجتمعه أو يضم إلى الكافر ما أنفقه ليزيد به عذابه كما للكافرين (فيجعله في جهنم) كله
- (أولئك) إشارة إلى الخبيث إذ هو عبارة عن الفريق أو إلى المنفقين وما فيه من معنى البعد الإيذان ببعد
- درجتهم في الخبيث (هم الخاسرون) الكاملون في الخسران لأنهم خسروا أنفسهم وأموالهم (قل للذين ٣٨
- كفروا) هم أبو سفيان وأصحابه أى قل لأجابه (إن ينتهوا) عما هم فيه من معاداة النبي ﷺ بالدخول في
- الإسلام (يغفر لهم ما قد سلف) من الذنوب وقرىء إن تنتهوا يغفر لكم ويغفر لكم على البناء للفاعل
- وهو الله تعالى (وإن يعودوا) إلى قتالهم (فقد مضت سنة الأولين) الذين تحزبوا على الأنبياء عليهم
- السلام بالتدبير كما جرى على أهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك (وقالت لهم) عطف على قل وقد عمم الخطاب ٣٩
- لزيادة ترغيب المؤمنين في القتال لتحقيق ما يتضمنه قوله تعالى فقد مضت سنة الأولين من الوعيد (حتى
- لا تكون فتنة) أى لا يوجد منهم شرك (ويكون الدين كله لله) وتضمحل الأديان الباطلة إما بإهلاك
- أهلها جميعاً أو برجوعهم عنها خشية القتل (فإن انتهوا) عن الكفر بقتالكم (فإن الله بما يعملون بصير)
- فيجوزهم على انتهائهم عنه وإسلامهم وقرىء بتاء الخطاب أى بما تعملون من الجهاد المخرج لهم إلى الإسلام
- وتعليقه باتنتاهم للدلالة على أنهم يشابون بالسببية كما يشاب المباشرون بالمباشرة (وإن تولوا) ولم ينتهوا ٤٠
- عن ذلك (فاعلموا أن الله مولاكم) ناصركم فتقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم (نعم المولى) لا يضيع من
- تولاه (ونعم النصير) لا يغلب من نصره .

وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ
وَأَبْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ أَجْمَعِينَ وَاللَّهُ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾

٨ الأنفال

٤١ (واعلموا أنما غنمتم) عن الكلبي أنها نزلت بيدرو وقال الواقدي كان الخنس في غزوة بني قينقاع بعد
بدر بشهر وثلاثة أيام للنصف من شوال على رأس عشرين شهراً من الهجرة وما موصولة وعاندها
محذوف أي الذي أصبتموه من الكفار عنوة وأصل الغنيمة إصابة الغنم من العدو ثم اتسع وأطلق
● على ما أصيب منهم كائناً ما كان وقوله تعالى (من شيء) بيان للوصول محله النصب على أنه حال من
عائد الوصول قصد به الاعتناء بشأن الغنيمة وأن لا يشذ عنها شيء أي ما غنمتموه كائناً بما يقع عليه
اسم الشيء حتى الخيط والمخيط خلا أن سلب المقتول للقاتل إذا نفعه الإمام وأن الأسارى يخير فيها
● الإمام وكذا الأراضى المغنومة وقوله تعالى (فإن لله خمسة) مبتدأ خبره محذوف أي فحق أو واجب
أن له تعالى خمسة وهذه الجملة خبر لا إنما الخ وقرئ بالكسر والأولى أكد وأقوى في الإيجاب لما
فيه من تكرر الإسناد كأنه قيل فلا بد من ثبات الخنس ولا سبيل إلى الإخلال به وقرئ لله خمسة
وقرئ خمسة بسكون الميم والجمهور على أن ذكر الله تعالى للتعظيم كما في قوله تعالى والله ورسوله أحق
● أن يرضوه وأن المراد قسمة الخنس على المعطوفين عليه بقوله تعالى (وللرسول ولذي القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل) وإعادة اللام في ذى القربى دون غيرهم من الأصناف الثلاثة لدفع توهم اشتراكهم
في سهم النبي ﷺ لمزيد اتصالحهم به ﷺ وهم بنو هاشم وبنو المطلب دون بني عبد شمس وبنو نوفل لما
روى عن عثمان وجبير بن مطعم رضى الله عنهما أنهما قالاً لرسول الله ﷺ هؤلاء إخوتك بنو هاشم
لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم أرايت إخواننا بني المطلب أعطيتهم وحرمتنا وإنما نحن وهم
بمنزلة واحدة فقال ﷺ إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد
وشبك بين أصابعه وكيفية قسمتها عندنا أنها كانت في عهد رسول الله ﷺ على خمسة أسهم سهم له ﷺ
وسهم للذكور من ذوى قرباه وثلاثة أسهم للأصناف الثلاثة الباقية وأما بعده ﷺ فسهمة ساقط
وكذا سهم ذوى القربى وإنما يعطون لفقرهم فهم أسوة لسائر الفقراء ولا يعطى أغنياؤهم فيقسم على
الأصناف الثلاثة ويؤيده ما روى عن أبي بكر رضى الله عنه أنه منع بني هاشم الخنس وقال إنما لكم أن
يعطى فقيركم وتزوج أيمكم ويخدم من لا خادم له منكم ومن عداهم فهو بمنزلة ابن السبيل الغنى لا يعطى
من الصدقة شيئاً ومن زيد بن علي مثله قال ليس لنا أن نبني منه قصوراً ولا نركب منه البراذين وقيل
سهم الرسول ﷺ لولى الأمر بعده وأما عند الشافعى رحمه الله فيقسم على خمسة أسهم سهم لرسول الله
ﷺ يصرف إلى ما كان يصرفه ﷺ من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح ونحو ذلك
وسهم لذوى القربى من أغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين والباقي للفرق الثلاث

إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الدِّينِيَّاتِ وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْقُصُوفِيِّ وَالرَّكْبِ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَا خِلَافَ لَكُمْ فِي الْمِيعَدِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾

٨ الأنفال

- وعند مالك رحمه الله الأمر فيه مفوض إلى اجتهاد الإمام إن رأى قسمه بين هؤلاء وإن رأى إعطاء بعضاً منهم دون بعض وإن رأى غيرهم أولى وأهم فغيرهم وتعلق أبو العالية بظاهر الآية الكريمة فقال يقسم ستة أسهم ويصرف سهم الله تعالى إلى راج الكعبة لما روى أنه ﷺ كان يأخذ منه قبضة فيجعلها لمصالح الكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة أسهم وقيل سهم الله لبیت المال وقيل هو مضموم إلى سهم الرسول ﷺ هذا شأن الخمس وأما الأخماس الأربعة فتقسم بين الغانمين للراجل سهم ولل فارس سهمان عند أبي حنيفة رضى الله عنه وثلاثة أسهم عندهما رحمهما الله . قال القرطبي لما بين الله تعالى حكم الخمس وسكت عن الباقي دل ذلك على أنه ملك للغانمين وقوله تعالى (إن كنتم آمنتم بالله) متعلق بمحذوف ينبى عنه ● المذكور أى إن كنتم آمنتم به تعالى فاعلموا أن الخمس من الغنيمة يجب التقرب به إلى الله تعالى فاقطعوا أطماعكم منه واقتنعوا بالأخماس الأربعة وليس المراد به مجرد العلم بذلك بل العلم المشفوع بالعمل والطاعة لا أمره تعالى (وما أنزلنا) عطف على الاسم الجليل أى إن كنتم آمنتم بالله وبما أنزلناه (على عبدنا) ● وقرىء عبدنا وهو اسم جمع أريد به الرسول ﷺ والمؤمنون فإن بعض منازل نازل عليهم بالذات كما ستعرفه (يوم الفرقان) يوم بدر سمي به لفرقه بين الحق والباطل وهو منصوب بأنزلنا أو بآمنتم (يوم التقى ● الجمعان) أى الفريقان من المؤمنين والكافرين وهو بدل من يوم الفرقان أو منصوب بالفرقان والمراد ما أنزل عليه ﷺ يومئذ من الوحي والملائكة والفتح على أن المراد بالإنزال مجرد الإيصال والتيسير فينظم الكل انتظاماً حقيقياً وجعل الإيمان بإنزال هذه الأشياء من موجبات العلم بكون الخمس لله تعالى على الوجه المذكور من حيث إن الوحي ناطق بذلك وإن الملائكة والفتح لما كانا من جمته تعالى وجب أن يكون ما حصل بسببهما من الغنيمة مصروفة إلى الجهات التى عينها الله تعالى (والله على كل شيء ● قدير) يقدر على نصر القليل على الكثير والدليل على العزیز كما فعل بكم ذلك اليوم (إذ أنتم بالعدوة الدنيا) ٤٢ ● بدل ثان من يوم الفرقان والعدوة بالضم شط الوادى وكذا بالفتح والكسر وقد قرىء بهما أيضاً (وهم بالعدوة القصوى) أى البعدى من المدينة وهى تأنيث الأقصى وكان القياس قلب الواو ياء كالدنيا والعليا مع كونهما من بنات الواو لكنها جاءت على الأصل كالقودوا استصوب وهو أكثر استعمالاً من القصيا (والركب) أى العير أو قوادها (أسفل منكم) أى فى مكان أسفل من مكانكم يعنى الساحل وهو نصب على ● الظرفية واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطین نفوسهم على أن لا يخلوا مراكزهم ويبدلوا منتهى جهدهم وضعف شأن المسلمين والنبات أمرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فإن العدو الدنيا كانت

إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتَهُمْ كَثِيرًا قَلِيلًا لَفَشَلْتُمْ وَلَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ

٨ الأفعال

إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾

وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَقُّتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيَقَلُّكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا

٨ الأفعال

وَالِلَّهِ اللَّهُ تَرْجِعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾

- رخوة تسوخ فيها الأرجل ولا يمشى فيها إلا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدو القصى وكذا قوله تعالى (ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد) أى لو تواعدتم أنتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم أنتم في الميعاد هبة منهم وبأساً من الظفر عليهم ليتحققوا أن ما اتفق لهم من الفتح ليس إلا صنعاً من الله عز وجل خارقاً للعادات فيزدادوا إيماناً وشكراً وتطمئن نفوسهم بفرض الخمس (ولكن) جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد (ليقضى الله أمراً كان مفعولاً) حقيقة بأن يفعل من نصر أوليائه وقهر أعدائه أو مقدراً في الأزل وقوله تعالى (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) بدل منه أو متعلق بمفعولاً أى لموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن بينة شاهد هالته لا يكون له حجة ومعذرة فإن وقعة بدر من الآيات الواضحة أو ليصدر كفر من كفر وإيمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحياة للكفر والإيمان والمراد بمن هلك ومن حي المشارف للهلاك والحياة أو من حاله في علم الله تعالى الهلاك والحياة وقرى لهلاك بالفتح وحي بفك الإدغام حملاً على المستقبل (وإن الله لسميع عليم) أى بكفر من كفر وعقابه وإيمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتغال الأمرين على القول والاعتقاد (إذ يريكم الله في منامك قليلاً) منصوب باذكر أو بدل آخر من يوم الفرقان أو متعلق بعلم أى يعلم المصالح إذ يقللهم في عينك في رؤياك وهو أن تخبر به أصحابك فيكون تثبيتاً لهم وتجميعاً على عدوهم (ولو أراكم كثيراً لفشلتم) أى لجبنتم وهبتم الإقدام (ولتنزعتم في الأمر) أى أمر القتال وتفرقت آراؤكم في الثبات والقرار (ولكن الله سلم) أى أنعم بالسلامة من الفشل والتنازع (إنه عليم بذات الصدور) يعلم ما سيكون فيها من الجراءة والجبن والصبر والجزع ولذلك دبر ما دبر (وإذ يريكمهم إذ التفتتم في أعينكم قليلاً) منصوب بمضمر خوطب به الكل بطريق التلوين والتعميم معطوف على المضمر السابق والضميران مفعولان يرى قليلاً حال من الثانى وإنما قللهم في أعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضى الله عنه لمن إلى جنبه أترام سبعين فقال أراهم مائة تثبيتاً لهم وتصديقاً لرؤيا الرسول ﷺ (ويقللهم في أعينهم) حتى قال أبو جهل إنما أصحاب محمد أكلة جزور قللهم في أعينهم قبل التحام القتال ليحترقوا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثروهم حتى رأوهم مثليهم لنفاجتهم الكثرة فيهم وتوايهاوا وهذه من عظام آيات تلك الواقعة فإن البصر قد يرى الكثير قليلاً والقليل كثيراً لكن لا على هذا الوجه ولا إلى هذا الحد وإنما ذلك بصد الله تعالى الأبصار عن إبطار بعض دون بعض مع التساوى

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ٨ الأنفال
وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ ٨ الأنفال
وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا
يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ ٨ الأنفال

- في الشرائط (ليقضى الله أمراً كان مفعولاً) كرر لاختلاف الفعل المعلن به أو لأن المراد بالامرئمة
- الالتقاء على الوجه المذكور وههنا إعزاز الإسلام وأهله وإذلال الكفر وحزبه (والى الله ترجع الامور)
- كلها يصرفها كيفما يريد لاراد لا مره ولا معقب لحكمه وهو الحكيم المجيد (بايها الذين آمنوا) صدر ٤٥
- الخطاب بحر في النداء والتنبيه لإظهار الكمال الاعتناء بمضمون ما بعده (إذا لقيتم فئة) أى حاربتم جماعة
- من الكفرة وإنما لم يوصفوا بالكفر لظهور أن المؤمنين لا يحاربون إلا الكفرة واللقاء مما غلب في
- القتال (فاثبتوا) أى للقاءهم في مواطن الحرب (واذكروا الله كثيراً) أى في تضاعيف القتال مستمدين
- منه مستعينين به مستظهرين بذكره مترقبين لنصره (لعلكم تفلحون) أى تفوزون بمرامكم وتظفرون
- بمرادكم من النصره والثبوت وفيه تنبيه على أن العبد ينبغي أن لا يشغله شيء عن ذكر الله تعالى وأن
- يلتمجى إليه عند الشدائد ويقبل إليه بكلية فارغ البال واتقأ بأن لطفه لا ينفك عنه في حال من الأحوال
- (وأطيعوا الله ورسوله) في كل ما تأتون وما تذكرون فيندرج فيه ما أمروا به ههنا اندارجاً أولياً (ولا
- تنازعوا) باختلاف الآراء كما فعلتم بيدرو أو أحد (فتفشلوا) جواب للنهى وقيل عطف عليه (وتذهب
- ريحكم) بالنصب عطف على جواب النهى وقرئ بالجزم على تقدير عطف فتفشلوا على النهى أى تذهب
- دولتكم وشوكتكم فإنها مستعاره للدولة من حيث إنها في تمشى أمرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها وجريانها
- وقيل المراد بها الحقيقة فإن النصره لا تكون إلا بريح يبعثها الله تعالى وفي الحديث نصرت بالهبا وأهلك
- عاد بالدبور (واصبروا) على شدائد الحرب (إن الله مع الصابرين) بالنصرة والكلاءة وما يفهم من
- كلمة مع من أصلهم إنما هي من حيث إنهم المباشرون للصبر فهم متبعون من تلك الحيثية ومعيتها
- تعالى إنما هي من حيث الإمداد والإعانة (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم) بعدما أمروا ٤٧
- بما أمروا به من أحسن الأعمال ونهوا عما يقابلها من قبائحها والمراد بهم أهل مكة حين خرجوا لحماية
- العير (بطراً) أى غفراً وأشراً (ورثاء الناس) ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك أنهم لما بلغوا
- جمعة أتاهم رسول أبي سفيان وقال ارجعوا فقد سلمت غيركم فأبوا إلا إظهار آثار الجلادة فلقوا ما لقوا
- حسبما ذكر في أوائل السورة الكريمة فنهى المؤمنين أن يكونوا أمثالهم مرأين بطرين وأمروا بالتقوى
- والإخلاص من حيث إن النهى عن الشيء مستلزم الأمر بضده (ويصدون عن سبيل الله) عطف على

المؤلف

وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾

٨ الأنفال

إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَوَاهُ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ

٨ الأنفال

عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾

- بطراً إن جمل مصدر في موضع الحال وكذا إن جعل مفعولاً له لكن على تأويل المصدر (والله بما يعلمون محيط) فيجازيهم عليه (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم) منصوب بمضمير خوطب به النبي ﷺ بطريق التلوين أي واذكر وقت تزيين الشيطان أعمالهم في معاداة المؤمنين وغيرها بأن وسوس إليهم (وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم) أي ألقى في روعهم وخيل إليهم أنهم لا يغلبون ولا يطافون لكثرة عددهم وعددهم وأوهمهم أن اتباعهم إياه فيما يظنون أنها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر إحدى الفئتين وأفضل الدينين ولكم خبر لا غالب أو صفته وليس صلته وإلا لا تنصب كقولك لا ضارباً زيدا عندنا (فلما تراءت الفئتان) أي تلاقى الفريقان (نكص على عقبيه) رجع الفهقري أي بطل كيدوه وعاد ما خيل إليهم أنه مجيرهم سبباً لهلاكهم (وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله) أي تبرأ منهم وخاف عليهم ويئس من حالهم لما رأى إمداد الله تعالى للمسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قریش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الأحنة فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم إبليس في صورة سراقه بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني مجيركم من كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد الحرث بن هشام فقال له إلى أين أتخذلنا في هذه الحالة فقال إني أرى ما لا ترون ودفع في صدر الحرث وانطلق فانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقه فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما أسكبوا علموا أنه الشيطان وعلى هذا يحتمل أن يكون معنى قوله إني أخاف الله أخافه أن يصينى بمكروه من الملائكة أو يهلكنى ويكون الوقت هو الوقت الموعود إذ رأى فيه ما لم يره قبله والأول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر (والله شديد العقاب) يجوز أن يكون من كلامه أو مستأنفاً من جهة الله عز وجل (إذ يقول المنافقون) منصوب بزین أو بنكص أو بشديد العقاب (والذين في قلوبهم مرض) أي الذين لم تطمئن قلوبهم بالإيمان بعد وبقي فيها نوع شبهة وقيل هم المشركون وقيل هم المنافقون في المدينة والعطف لتغاير الوصفين كما في قوله [بالهف زياطة للحرث الصابح فالغانم فالآيب] (غر هؤلاء) يعنون المؤمنين (دينهم) حتى تعرضوا لما لا طاقة لهم به فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر إلى زهاء ألف (ومن يتوكل على الله) جواب لهم من جهته تعالى ورد لمقاتلتهم (فإن الله عزيز) غالب لا يذل من توكل

وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبِرُهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾

٨ الأنفال

ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾

٨ الأنفال

كَذَٰبٍ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾

٨ الأنفال

- عليه واستجار به وإن قل (حكيم) يفعل بحكمته البالغة ما تستبعده العقول وتحار في فهمه ألباب الفعول
- وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه (ولو ترى) أى ولو رأيت فإن لو الامتناعية ترد المضارع ٥٠
- ماضياً كما أن إن ترد الماضى مضارعاً والخطاب إما لرسول الله ﷺ أو لكل أحد ممن له حظ من الخطاب
- وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ولو ترى إذ ذوقوا على النار وكلمة إذ في قوله تعالى (إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة) ظرف ل ترى والمفعول محذوف أى ولو ترى الكفرة أو حال الكفرة حين يتوفاهم الملائكة
- بيدر وتقديم المفعول للاهتمام به وقيل الفاعل ضمير عائد إلى الله عز وجل والملائكة مبتدأ وقوله تعالى (يضربون وجوههم) خبره والجملة حال من الموصول قد استغنى فيها بالضمير عن الواو وهو على الأول
- حال منه أو من الملائكة أو منهما لاشتراكه على ضميرهما (وأدبرهم) أى وأستأهمهم أو ما أقبل منهم وما
- أدبر من الأعضاء (وذوقوا عذاب الحريق) على إرادة القول معطوفاً على يضربون أو حالا من فاعله
- أى ويقولون أو قائلين ذوقوا بشارة لهم بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا
- نهبت النار منها وجواب لو محذوف للإيذان بخروجه عن حدود البيان أى لرأيت أمراً فظيماً لا يكاد
- يوصف (ذلك) إشارة إلى ما ذكر من الضرب والعذاب وما فيه من معنى البعد للإشعار بكونهما في الغاية ٥١
- القاصية من الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره (بما قدمت أيديكم) أى ذلك الضرب والعذاب واقع
- بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي ومحل أن في قوله (وأن الله ليس بظلام للعبيد) الرفع على أنه خبر
- مبتدأ محذوف أى والامر أنه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعيير عن ذلك بنفى الظلم
- مع أن تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعاً على ما تقرر من قاعدة أهل السنة فضلاً عن كونه ظلاً بالغاً
- قد مر تحقيقه في سورة آل عمران والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها وأما ما قيل من أنها
- معطوفة على ما للدلالة على أن سببته مقيدة بانضمامه إليه إذ لولا لا يمكن أن يعذبهم بغير ذنوبهم فليس
- بسبب ذنوبهم حتى يحتاج إلى اعتبار عدمه معه نعم لو كان المدعى كون جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب
- المعذبين لاحتج إلى ذلك (كذاب آل فرعون) في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف ٥٢
- مسوق لبيان أن ما حل بهم من العذاب بسبب كفرهم لا بشئ آخر من جهة غيرهم بتشبيه حالهم بحال

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَرَّيْكَ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾

٨ الأنفال

- المعروفين بالإهلاك بسبب جرائمهم لزيادة تقبيح حالهم وللتنبية على أن ذلك سنة مطردة فيما بين الأمم
- المملكة أي شأنهم الذي استمروا عليه مما فعلوا وفعل بهم من الأخذ كدأب آل فرعون المشهورين
- بقباحة الأعمال وفضاعة العذاب والنكال (والذين من قبلهم) أي من قبل آل فرعون من الأمم التي
- فعلوا من المعاصي ما فعلوا ولقوا من العقاب ما لقوا كقوم نوح وعاد وأضرابهم من أهل الكفر والعناد
- وقوله تعالى (كفروا بآيات الله) تفسير لدأبهم الذي فعلوه لا لدأب آل فرعون ونحوهم كما قيل فإن ذلك
- معلوم منه بقضية التشبيه وقوله تعالى (فأخذهم الله) تفسير لدأبهم الذي فعل بهم والفاء إبان كونه من
- لوازم جنائياتهم وتبعاتها المتفرعة عليها وقوله تعالى (بذنوبهم) لتأكيد ما أفاده الفاء من السببية مع
- الإشارة إلى أن لهم مع كفرهم ذنوباً آخر لها دخل في استتباع العقاب ويجوز أن يكون المراد بذنوبهم
- معاصيهم المتفرعة على كفرهم فتكون الباء للملابسة أي فأخذهم ملتبسين بذنوبهم غير تائبين عنها فدأبهم
- مجموع ما فعلوا وفعل بهم لا ما فعلوه فقط كما قيل قال ابن عباس رضى الله عنهما إن آل فرعون أيقنوا أن
- موسى عليه السلام نبي الله فكذبوه كذلك هؤلاء جاء محمد ﷺ بالصدق فكذبوه فأنزل الله تعالى بهم
- عقوبته كما أنزل بآل فرعون وجعل العذاب من جملة دأبهم مع أنه ليس بما يتصور مداومتهم عليه واعتيادهم
- إياه كما هو المعتبر في مدلول الدأب إما لتغليب ما فعلوه على ما فعل بهم أو لتنزيل مداومتهم على ما يوجب
- من الكفر والمعاصي منزلة مداومتهم عليه لما بينهما من الملابسة التامة وقوله تعالى (إن الله قوى شديد
- العقاب) اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من الأخذ وقوله تعالى (ذلك) الخ استئناف مسوق لتعليل
- ما يفيد النظم الكريم من كون ما حل بهم من العذاب منوطاً بأعمالهم السيئة غير واقع بلا سابقة ما يقتضيه
- وهو المشار إليه لانه لا نفس ما حل بهم من العذاب والانتقام كما قيل فإنه مع كونه معللاً بما ذكر من كفرهم
- وذنوبهم لا يتصور تعليله بجريان عادته تعالى على عدم تغيير نعمته على قوم قبل تغييرهم لحالهم وتوهم
- أن السبب ليس ما ذكر كما هو منطوق النظم الكريم بل ما استفاد من مفهوم الغاية من جريان عادته تعالى
- على تغيير نعمتهم عند تغيير حالهم بناء على تخيل أن المعلل ترتب عقابهم على كفرهم من غير تخلف عنه
- ركوب شطط هائل وإبعاد عن الحق بمراحل وتهوين لأمر الكفر بآيات الله وإسقاط له عن رتبة
- إيجاب العقاب في مقام تهويله والتحذير منه فالمعنى ذلك أي ترتب العقاب على أعمالهم السيئة دون أن
- يقع ابتداء مع قدرته تعالى على ذلك (بأن الله) أي بسبب أنه تعالى (لم يك) في حد ذاته (مغيراً نعمة
- أنعمها) أي لم ينبغ له سبحانه ولم يصح في حكمته أن يكون بحيث يغير نعمة أنعم بها (على قوم) من
- الأقوام أي نعمة كانت جلت أو هانت (حتى يغيروا ما بأنفسهم) من الأعمال والأحوال التي كانوا عليها
- وقت ملابتهم بالنعمة ويتصفوا بما ينافيها سواء كانت أحوالهم السابقة مرضية صالحة أو قريية من

كذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا
آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلُّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾

٨ الأنفال

- الصلاح بالنسبة إلى الحادثة كذاب هؤلاء الكفرة حيث كانوا قبل البعثة كفرة عبدة أصنام مستمرين على حالة مصححة لإفاضة نعمة الإمهال وسائر النعم الدنيوية عليهم فلما بعث إليهم النبي ﷺ بالبينات غيروها إلى أسوأ منها وأسخط حيث كذبوه ﷺ وعادوه ومن تبعه من المؤمنين وتحزبوا عليهم يغيغونهم الغوائل فغير الله تعالى ما أنعم به عليهم من نعمة الإمهال وعاجلهم بالعذاب والنكال وأصل يك يكن فحذفت النون تخفيفاً لشبهها بالحروف اللينة (وأن الله سميع عليم) عطف على أن الله الخ داخل معه في ● حين التعليل أي وبسبب أنه تعالى سميع عليم يسمع ويعلم جميع ما يأتون وما يذرون من الأقوال والأفعال السابقة واللاحقة فيرتب على كل منها ما يليق بها من إبقاء النعمة وتغييرها وقرىء وإن الله بكسر الهمزة فالجمله حينئذ استئناف مقرر لمضمون ما قبلها وقوله تعالى (كذاب آل فرعون والذين من قبلهم) في محل ٥٤ النصب على أنه نعت لمصدر محذوف أي حتى يغيروا ما بأنفسهم تغييراً كائناً كذاب آل فرعون أي كتغييرهم على أن دأبهم عبارة عما فعلوه فقط كما هو الأنسب بمفهوم الدأب وقوله تعالى (كذبوا بآيات ربهم) ● تفسير له بتمامه وقوله تعالى (فأهلكناهم) إخبار بترتب العقوبة عليه لا أنه من تمام تفسيره ولا ضمير في توسط قوله تعالى وأن الله سميع عليم بينهما كما مر نظيره في سورة آل عمران حيث جوزوا انتصاب محل الكاف بلن تغنى مع ما بينهما من قوله تعالى وأولئك هم وقود النار وهذا على تقدير عطف الجمله على ما قبلها أو أماً على تقدير كونها اعتراضاً فلا غبار في توسطها قطعاً وقيل في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف كما قبله فالجمله حينئذ استئناف آخر مسوق لتقرير ما سبق له الاستئناف الأول بتشبيه دأبهم بدأب المذكورين لكن لا بطريق التكرير المحض بل بتغيير العنوان وجعل الدأب في الجانبين عبارة عما يلزم معناه الأول من تغيير الحال وتغيير النعمة أخذاً ما نطق به قوله تعالى ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة الآية أي دأب هؤلاء مشأنهم الذي هو عبارة عن التغييرين المذكورين كدأب أولئك حيث غيروا حالهم فغير الله تعالى نعمته عليهم فقوله تعالى كذبوا بآيات ربهم تفسير لدأبهم الذي فعلوه من تغييرهم لحالهم وقوله تعالى فأهلكناهم تفسير لدأبهم الذي فعل ربهم من تغييره تعالى ما بهم من نعمته وأما دأب قريش فاستفاد منه بحكم التشبيه فله در شأن التنزيل حيث اكتفى في كل من التشبيهين بتفسير أحد الطرفين وإضافة الآيات إلى الرب المضاف إلى ضميرهم لزيادة تقبيح ما فعلوا بها من التكذيب والالتفات إلى نون العظمة في أهلكنا جرياً على سنن الكبرياء لتهويل الخطاب والكلام في الفاء وفي قوله تعالى (بذنوبهم) كالذي مرو عطف قوله ● تعالى (وأغرقنا آل فرعون) على أهلكنا مع اندراجهم تحته للإيدان بكال هول الإغراق وفضاعته كعطف جبريل عليه السلام على الملائكة (وكل) أي وكل من الفرق المذكورين أو كل من هؤلاء وأولئك ● أو كل من غرق في القبط وقتلى قريش (كانوا ظالمين) أي أنفسهم بالكفر والمعاصي حيث عرضوا للهلاك ●

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٨ الأفعال

الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ ٨ الأفعال

فَإِذَا تَشَفَّعْتُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَن خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ٨ الأفعال

- ٥٥ أو واضعين للكفر والتكذيب مكان الإيمان والتصديق ولذلك أصابهم ما أصابهم (إن شر الدواب) بعد ما شرح أحوال المهلكين من شرار الكفرة شرع في بيان أحوال الباقيين منهم وتفصيل أحكامهم
- وقوله تعالى (عند الله) أى فى حكمه وقضائه (الذين كفروا) أى أصروا على الكفر وجوا فيه جعلوا شر الدواب لاشر الناس إيماء إلى أنهم بمعزل من مجانسهم وإنما هم من جنس الدواب ومع ذلك شر من جميع أفرادها حسبا نطق به قوله تعالى إن هم إلا كالألنام بل هم أضل وقوله تعالى (فهم لا يؤمنون) حكم مترتب على تماديهم فى الكفر ورسوخهم فيه وتسجيل عليهم بكونهم من أصل الطبع لا يلويهم صارف ولا يثنىهم عاطف أصلا جىء به على وجه الاعتراض لأنه عطف على كفروا داخل معه فى حيز الصلة التى لاحكم فيها بالفعل وقوله تعالى (الذين عاهدت منهم) بدل من الموصول الأول أو عطف بيان له أو ٥٦ نصب على الذم أى عاهدتهم ومن للإيذان بأن المعاهدة التى هى عبارة عن إعطاء العهد وأخذة من الجانبين معتبرة ههنا من حيث أخذه ﷺ عهدهم إذ هو المناط لقباحة مانعى عليهم من النقض لا إعطاؤه ﷺ لإبائهم عهده كأنه قيل الذين أخذت منهم عهدهم وقيل هى للتبعض لأن المباشر بالذات للعهد بعضهم لا كلهم (ثم ينقضون عهدهم) عطف على عاهدت داخل معه فى حكم الصلة وصيغة الاستقبال للدلالة على تعدد النقض وتعدده وكونهم على نيته فى كل حال أى ينقضون عهدهم الذى أخذته منهم (فى كل مرة) أى من مرات المعاهدة إذ هى التى يتوقع فيها عدم النقض ويستتبع وجوده لا من مرات المحاربة كما قيل إذ لا يتوقع فيها عدم النقض بل لا يتصور أصلا حتى يستتبع فيها وجوده لكونها مظنة لعدمه فلا فائدة فى تقييد النقض بالوقوع فى كل مرة من مراتها بل لا صحة له قطعاً لأن النقض لا يتحقق إلا فى المرة الواردة على المعاهدة لا فى المرات الواقعة بعدها بلا معاهدة ولئن سلم أن المراد هى المرات الواقعة إثر المعاهدة ببقى النقض الواقع بلا محاربة كبيع السلاح ونحوه خارجا من البيان ولئن عد ذلك من المحاربة فلا محيص من لزوم خلو الكلام عن الفائدة بالمرّة لأن المحاربة بهذا المعنى عين النقض فيؤول الأمر إلى أن يقال ينقضون عهدهم فى كل مرة من مرات النقض وحمل المحاربة على محاربة غيرهم ليسكون المعنى ينقضون عهدهم فى كل مرة من مرات محاربة الأعداء مع كونه فى غاية البعد والركاكة يستلزم خروج بدتهم بالنقض من البيان (وهم لا يتقون) حال من فاعل ينقضون أى يستمرون على النقض والحال أنهم لا يتقون سبة ٥٧ الغدر ولا يبالون بما فيه من العار والنار وقوله تعالى (فإذا تَشَفَّعْتُمْ) شروع فى بيان أحكامهم بعد تفصيل أحوالهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أى فإذا كان حالهم كما ذكر فإذا تصادفتم وتظفرن

وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ ﴿٥٨﴾ ٨ الأنفال

وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ ٨ الأنفال

- ٥٨ (في الحرب) أى فى تضاعيفها (فشردهم) أى ففرق عن مناصبتك تفريقاً عنيفاً وجباً للاضطراب والاضطراب ونكل عنها بأن تفعل بهم من السكاية والتعذيب ما يوجب أن تنكل (من خلفهم) أى من وراءهم من الكفرة وفيه إيهام إلى أنهم بصدد الحرب قريب من هؤلاء وقرىء شرذبالذال المعجمة ولعله مقلوب شذر بمعنى فرق وقرىء من خلفهم أى أفعال التشريد من وراءهم والمعنى واحد لأن إيقاع التشريد فى الورا لا يتحقق إلا بتشريد من وراءهم (لعلمهم بذكرهم) يتعظون بما شاهدوا بما نزل بالناقضين فيرتدعوا عن النقص أو عن الكفر وقوله تعالى (وأما تخافن من قوم خيانة) بيان ٥٨ لأحكام المشرفين إلى نقض العهد إثر بيان أحكام الناقضين له بالفعل والخوف مستعار للعلم أى وإما تعلن من قوم من المعاهدين نقض عهدهما سيأتى بما لاحق لك منهم من دلائل الغدر ومخايل الشر (فانبذ إليهم) أى فاطرح إليهم عهدهم (على سواء) على طريق مستوف قصد بأن تظهر لهم النقص وتخبرهم إخباراً مكشوفاً بأنك قد قطعت ما بينك وبينهم من الوصلة ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد كيلا يكون من قبلك شائبة خيانة أصلاً فالجار متعلق بمحذوف هو حال من النابذ أى فانبذ إليهم ثابتاً على سواء وقيل على استواء فى العلم بنقض العهد بحيث يستوى فيه أقصاهم وأدناهم أو تستوى فيه أنت وهم فهو على الأول حال من المنبذ إليهم وعلى الثانى من الجانبين (إن الله لا يحب الخائنين) تعليل للأمر بالنبذ إما باعتبار استلزامه للنهى عن المناجزة التى هى خيانة فيكون تحذيراً لرسول الله ﷺ منها وإما باعتبار استنباعه للقتال بالآخرة فيكون حثاً له ﷺ على النبذ أولاً وعلى قتالهم ثانياً كأنه قيل وإما تعلن من قوم خيانة فانبذ إليهم ثم قاتلهم إن الله لا يحب الخائنين وهم من جملتهم لما علمت من حالهم (ولا يحسبن الذين كفروا) ٥٩ أى أنفسهم لحذف للتكرار وقوله تعالى (سبقوا) أى قاتلوا وأفلتوا من أن يظفر بهم مفعول ثانٍ ليحسبن والمراد إقناطهم من الخلاص وقطع أطعامهم الفارغة من الانتفاع بالنبذ والاقتصار على دفع هذا التوهم مع أن مقاومة المؤمنين بل الغلبة عليهم أيضاً مما تتعلق به أمانيتهم الباطلة للتنبيه على أن ذلك مما لا يحوم حوله ومهمهم وحسابانهم وإنما الذى يمكن أن يدور فى خلدكم حسابان المناص فقط وقيل الفعل مسند إلى أحد أولى من خلفهم والمفعول الأول الموصول المتناول لهم أيضاً وقيل هو الفاعل وأن محذوفة من سبقوا وهى مع ما فى حيزها سادة مسد المفعولين والتقدير ولا يحسبن الذين كفروا أن سبقوا ويعصده قراءة من قرأ أنهم سبقوا ونظيره فى الحذف قوله تعالى ومن آياته يريكم البرق خوفاً وقوله تعالى أغير الله تأمرونى أعبد الآية قاله الزجاج وقرىء بالتاء على خطاب رسول الله ﷺ وهى قراءة واضحة وقرىء ولا تحسب الذين بكسر الباء وبفتحها على حذف النون الخفيفة وقوله تعالى (إنهم لا يعجزون) أى لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزاً عن إدراكهم تعليل للنهى على طريقة الاستئناف وقرىء بفتح الهمزة على

وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ ﴿٨﴾ الأنفال

وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الأنفال

- حذف لام التمليل وقيل الفعل واقع عليه ولا زائدة وسبقوا حال بمعنى سابقين أى مفلتين هاربين وهذا على قراءة الخطاب لإزاحة ماعسى بحذر من عاقبة النبذ لما أنه يفاظ للعدو وتمكين لهم من الحرب والخلاص من أبدى المؤمنين وفيه نفي لقدرتهم على المقاومة والمقاابلة على أبلغ وجه وآ كده كما أشير إليه وقيل نزلات فيمن أفلت من فل المشركين وقرىء لا يعجزون بكسر النون ولا يعجزون بالتشديد (وأعدوا لهم) توجيه الخطاب إلى كافة المؤمنين لما أن المأمور به من وظائف الكل كما أن توجيهه فيما سبق وما لحق إلى رسول الله ﷺ ليكون مافي حيزه من وظائفه ﷺ أى أعدوا لقتال الذين نبذ إليهم العهد وهيثوا لحرابهم أو لقتال الكفار على الإطلاق وهو الأنسب بسياق النظم الكريم (ما استطعتم من قوة) من كل ما يتقوى به في الحرب كأنما كان وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه سمعته ﷺ يقول على المنبر ألا إن القوة الرمي قالها ثلاثاً ولعل تخصيصه ﷺ إياه بالذكر لإنافته على نظائره من القوى (ومن رباط الخيل) الرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله تعالى فعال بمعنى مفعول أو مصدر سميت هى به يقال ربط ربطاً ورباطاً ورباطاً مرابطة ورباطاً أو جمع ربيط كفصيل وفصال أو جمع ربط ككعب وكعاب وكلاب وقرىء ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة مع كونها من جملتها للإيدان بفضلها على بقية أفرادها كمعطف جبريل وميكائيل على الملائكة (ترهبون به) أى تخوفون وقرىء ترهبون بالتشديد وقرىء تخزون به والضمير لما استطعتم أو للإعداد وهو الأنسب ومحل الجملة النصب على الحالية من فاعل أعدوا أى أعدوا مرهبين به أو من الموصول أو من عائد المحذوف أى أعدوا ما استطعتموه مرهباً به (عدو الله وعدوكم) وهم كفار مكة خصوا بذلك من بين الكفار مع كون الكل كذلك لغاية عتوهم ومجاوزتهم الحد في العداوة (وآخرين من دونهم) من غيرهم من الكفرة وقيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس (لا تعلمونهم) أى لا تعرفونهم بأعيانهم أو لا تعلمونهم كما هم عليه من العداوة وهو الأنسب بقوله تعالى (الله يعلمهم) أى لا غيره فإن أعيانهم معلومة لغيره تعالى أيضاً (وما تنفقوا من شيء) لإعداد العتاد قل أو جل (في سبيل الله) الذى أو ضحه الجهاد (يوف إليكم) أى جزاء كاملاً (وأنتم لا تظلمون) بترك الإثابة أو بنقض الثواب والتعبير عن تركها بالظلم مع أن الأعمال غير موجبة للثواب حتى يكون ترك ترتيبه عليها ظلماً لبيان كمال نزاهته سبحانه عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وإبراز الإثابة في معرض الامور الواجبة عليه تعالى كما مرفى تفسير قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم (وإن جنحوا) الجنوح الميل ومنه الجناح ويعدى باللام ويألى أى إن مالوا (للسلم) أى للصلح بوقوع الرهبة في قلوبهم بمشاهدة ما بهم من الاستعداد وإعتاد العتاد (فاجنح لها)

وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ٨ الأنفال
وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ
إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ٨ الأنفال

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ٨ الأنفال

- أى للسلام والتأنيث لملحه على نقيضه قال [السلام تأخذ منها ما رزيت به * والحرب يكفيك من أنفاسها جرع]
- وقرى فاجنح بضم النون (وتوكل على الله) ولا تخف أن يظهر لك السلم وجوانحهم مطوية على المكر
 - والسكيد (إنه) تعالى (هو السميع) فيسمع ما يقولون في خلواتهم من مقالات الخداع (العليم) فيعلم نياتهم
 - فيؤاخذهم بما يستحقونه ويرد كيدهم في نحرم والآية خاصة باليهود وقيل عامة نسختها آية السيف (وإن ٦٢
 - يريدوا أن يخدعوك) ياظهار السلم وإبطال الحراب (فإن حسبك الله) أى فاعلم بأن محسبك الله من
 - شروهم وناصرك عليهم (هو الذى أيدك بنصره) تعليل لكفايته تعالى إياه ﷺ بطريق الاستئناف فإن
 - تأييده تعالى إياه ﷺ فيما سلف على ما ذكر من الوجه البعيد من الوقوع من دلائل تأييده تعالى فيما سياتى
 - أى هو الذى أيدك بإمداد من عنده بلا واسطة كقوله تعالى وما النصر إلا من عند الله أو بل ملائك مع خرقه
 - للمعادات (وبالمؤمنين) من المهاجرين والأنصار (وألف بين قلوبهم) مع ما كان بينهم قبل ذلك من العصبية ٦٣
 - والضعف والنهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يألف فيهم قلبان حتى صاروا بتوفيقه تعالى كنفس واحدة
 - وهذا من أبهر معجزاته ﷺ (لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً) أى لتأليف ما بينهم (ما ألفت بين قلوبهم)
 - استئناف مقرر لما قبله ومبين لعزة المطلب وصعوبة المأخذ أى تنهى التعادى فيما بينهم إلى حد لو أنفق منفق
 - فى إصلاح ذات البين جميع ما فى الأرض من الأموال والذخائر لم يقدر على التأليف والإصلاح وذكر
 - القلوب للإشعار بأن التأليف بينها لا يتسنى وإن أمكن التأليف ظاهراً (ولكن الله ألفت بينهم) قلباً وقلوباً
 - بقدرته الباهرة (إنه عزيز) كامل القدرة والغلبة لا يستعصى عليه شيء ما يريده (حكيم) يعلم كيفية تسخير
 - ما يريده وقيل الآية فى الأوس والخزرج كان بينهم إحن لا أمد لها ووقائع أفنت ساداتهم وأعاضهم
 - ودقت أعناقهم وجماهم فأنسى الله عز وجل جميع ذلك وألف بينهم بالإسلام حتى تصافوا وأصبحوا يرمون
 - عن قوس واحدة وصاروا أنصاراً (يا أيها النبي) شروع فى بيان كفايته تعالى إياه ﷺ فى جميع أموره ٦٤
 - وأمور المؤمنين أو فى الأمور الواقعة بينهم وبين الكفرة كافة لإثريان كفايته تعالى إياه ﷺ فى مادة
 - خاصة وتصديراً لجملة بحر النداء والتنبيه للتنبيه على مزيد الاعتناء بمضمونها وإيراده ﷺ بعنوان النبوة
 - للإشعار بعليتها للحكم (حسبك الله) أى كافيك فى جميع أمورك أو فيها بينك وبين الكفرة من الحراب
 - (ومن اتبعك من المؤمنين) فى محل النصب على أنه مفعول معه أى كفاك وكفى أتباعك الله ناصرأ كما فى

يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ
يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾

٨ الأنفال

- قول من قال [فحسبك والضحاك غضب مهند] وقيل في موضع الجر عطفاً على الضمير كما هو رأى الكوفيين أى كافيك وكافهم أوفى محل الرفع عطفاً على اسم الله تعالى أى كفاك الله والمؤمنون والآية نزلت في البيداء في غزوة بدر قبل القتال وقيل أسلم مع النبي ﷺ ثلاثة وثلاثون رجلاً وست نسوة ثم أسلم عمر رضي الله عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في إسلام عمر رضي الله عنه (بأيها النبي) بعد ما بين كفايته إياهم بالنصر والإمداد أمر ﷺ بترتيب مبادئ نصره وإمداده وتكرير الخطاب على الوجه المذكور لإظهار كمال الاعتناء بشأن المأمور به (حرض المؤمنين على القتال) أى بالغ في حثهم عليه وترغيبهم فيه بكل ما أمكن من الأمور المرغوبة التي أعظمها تذكير وعده تعالى بالنصر وحكمه بكفايته تعالى أو بكفايتهم وأصل التحريض الحرض وهو أن ينهك المرض حتى يشقى على الموت وقال الراغب كأنه في الأصل إزالة الحرض وهو ما لا خير فيه ولا يعتد به قلت فالأوجه حينئذ أن يجعل الحرض عبارة عن ضعف القلب الذي هو من باب نهك المرض وقيل معنى تحريضهم تسميتهم حرضاً بأن يقال إني أراك في هذا الأمر حرضاً أى محرضاً فيه لتهيجه إلى الإقدام وقرئ حرض بالصاد المهملة وهو واضح (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين) وعد كريم منه تعالى بتغليب كل جماعة من المؤمنين على عشرة أمثالهم بطريق الاستئناف بعد الأمر بتحريضهم وقوله تعالى (وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً) مع انضمام مضمونه مما قبله لكون كل منهما عادة بتأييد الواحد على العشرة لزيادة التقرير المفيدة لزيادة الاطمئنان على أنه قد يجري بين الجمعين القليلين ما لا يجري بين الجمعين الكثيرين مع أن التفاوت فيما بين كل من الجمعين القليلين والكثيرين على نسبة واحدة فبين أن ذلك لا يتفاوت في الصورتين وقوله تعالى (من الذين كفروا) بيان للألف وهذا القيد معتبر في المائتين أيضاً وقد ترك ذكره تعويلاً على ذكره ههنا كما ترك قيد الصبر ههنا مع كونه معتبراً حتماً ثقة بذكره هناك (بأنهم قوم لا يفقهون) متعلق بيغلبوا أى بسبب أنهم قوم جهلة بالله تعالى وباليوم الآخر لا يقاتلون احتساباً وامتثالاً بأمر الله تعالى وإعلاء لكلمته وابتغاء لرضوانه كما يفعل المؤمنون وإنما يقاتلون للحمية الجاهلية واتباع خطوات الشيطان وإثارة نائرة البغى والعدوان فلا يستحقون إلا القهر والخذلان وأما ما قيل من أن من لا يؤمن بالله واليوم الآخر لا يؤمن بالميعاد فالسعادة عنده ليست إلا هذه الحياة الدنيوية فيشج بها ولا يعرضها للزوال بمزاولة الحروب واقتحام موارد الخطوب فيميل إلى ما فيه السلامة فيفر فيغلب وأما من اعتقد أن لا سعادة في هذه الحياة الفانية وإنما السعادة هي الحياة الباقية فلا يبالي بهذه الحياة الدنياء ولا يقيم لها وزناً فيقدم على الجهاد بقلب قوى وعزم صحيح فيقوم الواحد من مثله مقام الكثير فكلام حق لكنه لا يلائم المقام .

أَلْفَنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ
وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾

٨ الأنفال

مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُخْجَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ
الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾

٨ الأنفال

- (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً) لما كان الوعد السابق متضمناً لإيجاب مقاومة الواحد للعشرة ٦٦ و ثباته لم كما نقل عن ابن جريج أنه كان عليهم أن لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وقد بعث رسول الله ﷺ حمزة في ثلاثين راكباً فلقى أبا جهل في ثلثمائة راكب فهزمهم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه بعد مدة فذبح وخفف عنهم بمقاومة الواحد للثلاثين وقيل كان فيهم قلة في الابتداء ثم لما كثروا نزل التخفيف والمراد بالضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين في الاهتداء إلى القتال لا الضعف في الدين كما قيل وقرئ ضعفاً بضم الضاد وهي لغة فيه كالفقير والفقر والمكث والمكث وقيل الضعف بالفتح مافي الرأي والعقل وبالضم مافي البدن وقرئ ضعفاء جمع ضعيف والمراد بعلبه تعالى بضعفهم عليه تعالى به من حيث هو متحقق بالفعل لا عليه تعالى به مطلقاً كيف لا وهو ثابت في الأزل وقوله تعالى (فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين) تفسير للتخفيف وبيان لكيفيته وقرئ تكن ههنا وفيما سبق بالناء الفوقانية (وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله) أي بتيسيره وتسهيله وهذا القيد معتبر فيما سبق من غلبة المائة المائتين والألف وغلبة العشرين المائتين كما أن قيد الصبر معتبر ههنا وإنما ترك ذكره ثقة بما مر وبقوله تعالى (والله مع الصابرين) فإنه اعتراض تذييل مقرر لمضمون ما قبله والمراد بالمعية معية نصره وتأييده ولم يتعرض ههنا لحال الكفرة من الخذلان كما لم يتعرض هناك لحال المؤمنين مع أن مدار الغلبة في صورتين مجموع الأمرين أعنى نصر المؤمنين وخذلان الكفرة اكتفاء بما ذكر في كل مقام عما ترك في المقام الآخر وما تشعر به كلمة مع من متبوعة مدخولها لأصالتهم من حيث إنهم المباشرون للصبر كما مر مراراً (ما كان لنبي) وقرئ للنبي على العهد والاول أبلغ لما فيه من بيان أن ٦٧ ما يذكر سنة مطردة فيما بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أي ماصح وما استقام لنبي من الأنبياء عليهم السلام (أن يكون له أسرى) وقرئ بتأنيث الفعل وأسارى أيضاً (حتى يشخن في الأرض) أي يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حظه ويعز الإسلام ويستولى أهله من أئمنه المرض والجرح إذا أثقله وجعله بحيث لا حراك به ولا براح وأصله الشخانة التي هي الغلظ والكشافة وقرئ بالتشديد للبالغة (تريدون عرض الدنيا) استئناف مسوق للعتاب أي تريدون حطامها بأخذكم الفداء وقرئ بريدون بالياء (والله يريد الآخرة) أي يريد لكم ثواب الآخرة الذي لا مقدار عنده الدنيا وما فيها أو يريد سبب نيل الآخرة من إعزاز دينه وقمع أعدائه وقرئ بجر الآخرة على إضممار المضاف كما في

٨ الأنفال

لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾

٨ الأنفال

فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾

٨ الأنفال

مِّنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾

- قوله [أكل امرئ تحسبين امرأه] (والله عزيز) يغلب أوليائه على أعدائه (حكيم) يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما أمر بالإيثان ونهى عن أخذ الفداء حين كانت الشوكة للشركين وخير بينه وبين المن بقوله تعالى فإما مناً بعد وإما فداءً لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين . روى أن رسول الله ﷺ أتى بسبعين أسيراً فيهم العباس وعقيل بن أبي طالب فاستشار فيهم فقال أبو بكر قومك وأهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى أصحابك وقال عمر اضرب أعناقهم فإنهم أئمة الكفر والله أغناك عن الفداء مكن علياً من عقيل وحمزة من العباس ومكنى من فلان نسيب له فلنضرب أعناقهم فقال ﷺ إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللين وإن الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تنذر على الأرض من الكافرين دياراً فخير أصحابه فأخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ فاذا هو وأبو بكر يبيكان فقال يا رسول الله أخبرني فإن وجدت بكاء بكيت وإلا تباكيت فقال أبكي على أصحابك في أخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروى أنه ﷺ قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا غير عمر وسعد بن معاذ وكان هو أيضاً من أشار بالإيثان (لولا كتاب من الله سبق) أى لولا حكم منه تعالى سبق لإثباته في اللوح المحفوظ وهو أن لا يعاقب المخطئ في اجتهاده أو أن لا يعذب أهل بدر أو قومالم يصرح لهم بالنهى وأما أن الفدية التي أخذوها ستحل لهم فلا يصلح أن يعد من موانع مساس العذاب فإن الحل اللاحق لا يرفع حكم الحرمة السابقة كما أن الحرمة اللاحقة كافي الخرم مثلاً لا ترفع حكم الإباحة السابقة على أنه قادح في تهويل مانع عليهم من أخذ الفداء (لمسكم) أى لأصابتكم (فبما أخذتم) أى لأجل ما أخذتم
- ٦٨ من الفداء (عذاب عظيم) لا يقادر قدره (فكلوا مما غنمتم) روى أنهم أمسكوا عن الغنائم فنزلت قالوا الفاء لترتيب ما بعدها على سبب محذوف أى قد أبحث لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم والظاهر أنها للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى دعوهم فكلوا مما غنمتم وقيل ما عبارة عن الفدية فإنها من جملة الغنائم ويأباه سياق النظم الكريم وسياقه (حلالاً) حال من المغنوم أو صفة للبصدر أى أكلاً حلالاً وفائدته الترغيب في أكلها وقوله تعالى (طيباً) صفة لحلالاً مفيدة لتأكيد الترغيب (واتقوا الله) أى في مخالفة أمره ونهيه
- (إن الله غفور رحيم) فيغفر لكم ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل ورود الإذن فيه ويرحمكم ويتوب عليكم إذا اتقيتموه (بأيها النبي قل لمن في أيديكم) أى في ملكيتكم كأن أيديكم قابضة عليهم (من الأسرى)
- ٧٠

وَلِإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ٨ الأنفال

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوا فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِثْقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ ٨ الأنفال

- وقرىء من الأسارى (إن يعلم الله في قلوبكم خيراً) خلوص إيمان وصحة نية (بوتكم خيراً عما أخذ منكم) من الفداء وقرىء أخذ على البناء للفاعل. روى أنها نزلت في العباس كلفه رسول الله ﷺ أن يهدى ابنه أخيه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث فقال يا محمد تركتني أتكفف قريشاً ما بقيت فقال له ﷺ فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها ما أدرى ما يصيدني في وجهي هذا فإن حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس ما يدريك فقال أخبرني به ربي قال العباس فانا أشهد أنك صادق وأن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه أحد إلا الله ولقد دفعته إليها في سواد الليل ولقد كنت مرتاباً في أمرك فأما إذا أخبرتنى بذلك فلا ريب قال للعباس بعد حين فأبدلني الله خيراً من ذلك لي الآن عشرون عبداً وإن أدناهم ليضرب في عشرين ألفاً وأعطاني زمزم ما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربي يتأول به ما في قوله تعالى (ويغفر لكم والله غفور رحيم) فإنه وعد بالمغفر مؤكداً بما بعده من الاعتراض التذييل (وإن يريدوا خيانتك) أي نكث ما بايعوك عليه من الإسلام وهذا كلام مسوق من جهة تعالى لتسليته ﷺ بطريق الوعد له والوعيد لهم (فقد خانوا الله من قبل) بكفرهم ونقض ما أخذ على كل عاقل من ميثاقه (فأمكن منهم) أي أقدرك عليهم حسبما رأيت يوم بدر فإن أعادوا الخيانة فاعلم أنه سيمكنك منهم أيضاً وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء وهو بعيد (والله عليم) فيعلم ما في نياتهم وما يستحقونه من العقاب (حكيم) يفعل كل ما يفعله حسبما تقتضيه حكمته البالغة (إن الذين آمنوا وهاجروا) هم المهاجرون هاجروا أو طانهم ٧٢ حباً لله تعالى ولرسوله (وجاهدوا بأموالهم) بأن صرفوها إلى الكراع والسلاح وأنفقوها على المحاريج (وأنفُسهم) بمباشرة القتال واقتحام المعارك والخوض في الممالك (في سبيل الله) متعلق بجاهدوا قيد لنوعى الجهاد ولعل تقديم الأموال على النفس لما أن المجاهدة بالأموال أكثر وقواطع دافعاً للحاجة حيث لا يتصور المجاهدة بالنفس بلا مجاهدة بالمال (والذين آووا ونصروا) هم الأنصار آووا المهاجرين وأنزلوهم منازلهم وبذلوا إليهم أموالهم وآثروهم على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة ونصروهم على أعدائهم (أولئك) إشارة إلى الموصوفين بما ذكر من النعوت الفاضلة وما فيه من معنى البعد لإيذان بعلو طبقهم وبعد منزلتهم في الفضيلة وهو مبتدأ وقوله تعالى (بعضهم) إما بدل منه وقوله تعالى (أولياء) بعض خبره ●

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَظْمِهِمْ أَوْلِيَاءَ بَعْضٌ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ ٨ الأنفال
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ
حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ ٨ الأنفال

وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ
أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾ ٨ الأنفال

- ولما مبتدأ ثان وأولياء بعض خبره والجملة خبر للابتداء الأول أى بعضهم أولياء بعض فى الميراث وقد
كان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الأقارب حتى نسخ بقوله تعالى وأولو
الأرحام الآية وقيل فى النصر والمظاهرة ويرده قوله تعالى فعليكم النصر بعد نفي موالاتهم (والذين آمنوا
ولم يهاجروا) كسائر المؤمنين (مالكم من ولايتهم من شيء) أى من توليتهم فى الميراث وإن كانوا من
أقرب أقاربكم (حتى يهاجروا) وقرئ بكسر الواو تشديداً بالعمل والصناعة كالكتابة والإمارة (وإن
استنصروكم فى الدين فعليكم النصر) فواجب عليكم أن تنصروهم على المشركين (إلا على قوم) منهم
(بينكم وبينهم ميثاق) معاهدة فإنه لا يجوز نقض عهدهم بنصرهم عليهم (والله بما تعملون بصير) فلا
٧٣ تخالفوا أمره كيلا يحل بكم عقابه (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) آخر منهم فى الميراث أو فى
الموازرة وهذا بمفهومه مفيد لنفي الموارثة والموازرة بينهم وبين المسلمين وإيجاب المباحة والمصارمة
● وإن كانوا أقارب (إلا تفعلوه) أى ما أمرتم به من التواصل بينكم وتولى بعضهم بعضاً حتى التوراث
● ومن قطع العلائق بينكم وبين الكفار (تكن فتنة فى الأرض) أى تحصل فتنة عظيمة فيها وهى ضعف
الإيمان وظهور الكفر (وفساد كبير) فى الدارين وقرئ كثير (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى
سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً) كلام مسوق للشاء عليهم والشهادة لهم بفوزهم
● بالقدح المعلن من الإيمان مع الوعد الكريم بقوله تعالى (لهم مغفرة ورزق كريم) لا تبعة له ولا منة فيه
٧٥ فلا تكرار لما أن مساق الأول لإيجاب التواصل بينهم (والذين آمنوا من بعد وهاجروا) بعد هجرتكم
● (وجاهدوا معكم) فى بعض مغازيكم (فأولئك منكم) أى من جملتكم أيها المهاجرون والأنصار وهم
الذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان أحقهم الله تعالى بالسابقين
وجعلهم منهم تفضلاً منه وترغيباً فى الإيمان والهجرة وفى توجيه الخطاب إليهم بطريق الالتفات من
● تشریفهم ورفع محلمهم مالا يخفى (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض) آخر منهم فى التوارث من الأجانب
● (فى كتاب الله) أى فى حكمه أو فى اللوح أو فى القرآن واستدل به على توريث ذوى الأرحام (إن الله
بكل شيء عليم) ومن جلته ما فى تعليق التوارث بالقرابة الدينية أولاً وبالقرابة النسبية آخراً من الحكم
البالغة . عن النبي ﷺ من قرأ سورة الأنفال وبراءة فأننا شفيع له يوم القيامة وشاهد أنه برى من

٩ - سورة براءة

(مدينة وآياتها ١٢٩)

بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾

٩ التوبة

النفاق وأعطى عشر حسنات بعد ذلك منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له أيام حياته والله تعالى أعلم .

(سورة براءة مدنية وهي مائة وتسع وعشرون آية)

ولها أسماء آخر : سورة التوبة والمقشقة والبحوث والمنقرة والمبعثرة والمثيرة والحافرة والخزبة والفاضحة والمنسكة والمشردة والمدممة وسورة العذاب لما فيها من ذكر التوبة ومن التبرئة من النفاق والبحث والتنقيب عن حال المنافقين وإثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويشردهم ويدمدم عليهم واشتارها بهذه الأسماء يقضى بأنها سورة مستقلة وليست بعضاً من سورة الأنفال وادعاء اختصاص الاشتجار بالقائلين باستقلالها خلاف الظاهر فيكون حكمة ترك التسمية عند النزول نزولها في رفع الأمان الذي يأبى مقامه التصدير بما يشعر ببقائه من ذكر اسمه تعالى مشفوعاً بوصف الرحمة كما روى عن ابن عيينة رضى الله عنه لا الاشتباه في استقلالها وعدمه كما يحكى عن ابن عباس رضى الله عنهما ولا رعاية ما وقع بين الصحابة رضى الله عنهم من الاختلاف في ذلك على أن ذلك ينزع إلى القول بأن التسمية ليست من القرآن وإنما كتبت للفصل بين السور كما نقل عن قدماء الحنفية وأن مناط إثباتها في المصاحف وتركها إنما هو رأى من تصدى لجمع القرآن دون التوقيف ولا ريب في أن الصحيح من المذهب أنها آية فذة من القرآن أنزلت للفصل والتبرك بها وأن لا مدخل لرأى أحد في الإثبات والترك وإنما المتبع في ذلك هو الوحي والتوقيف ولا مرية في عدم نزولها ههنا وإلا لا تمتنع أن يقع في الاستقلال اشتباه أو اختلاف فهو إما لاتحاد السورتين أو لما ذكرنا لا سبيل إلى الأول وإلا لبينه عليه السلام لتحقيق مزيد الحاجة إلى البيان لتعاقد أدلة الاستقلال من كثرة الآيات وطول المدة فيما بين نزولها بحيث لم يبينه عليه السلام تعين الثاني لأن عدم البيان من الشارع في موضع البيان بيان للعدم (براءة) خبر مبتدأ محذوف وتنوينه للتفخيم وقرئ بالنصب أى اسمعوا براءة ١ ومن في قوله تعالى (من الله ورسوله) ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لها ليفيدها زيادة تفخيم وتهويل ● أى هذه براءة مبتدأة من جهة الله تعالى ورسوله وصلة (إلى الذين عاهدتم من المشركين) وإنما لم يذكر ما تعلق به البراءة حسبما ذكر في قوله تعالى إن الله يرى من المشركين اكتفاء بما في حيز الصلة فإنه منبئ عنه إنشاء ظاهر أو احترازاً عن تكرير لفظة من وقيل هى مبتدأ لتخصيصها بالصفة وخبره إلى الذين الخ والذي تقتضيه جزالة النظم هو الأول لأن هذه البراءة أمر حادث لم يعمد عند المخاطبين ذاتها ولا عنوان ابتدائها من الله تعالى ورسوله حتى يخرج ذلك العنوان مخرج الصفة لها ويجعل المقصود بالذات والعمدة في الإخبار شيئاً آخر هو وصولها إلى المعاهدين وإنما الحقيقي بأن يعنى بإفادته حدوث تلك

فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ يُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٩﴾ التوبة

البراءة من جهته تعالى ووصولها إليهم فإن حق الصفات قبل علم المخاطب بثبوتها لموصوفاتها أن تكون أخباراً وحق الأخبار بعد العلم بثبوتها لما هي له أن تكون صفات كما حقق في موضعه وقرىء من الله بكسر النون على أن الأصل في تحريك الساكن الكسر ولكن الوجه هو الفتح في لام التعريف خاصة لكثرة الوقوع والعهد العقد الموثق باليمين والخطاب في عاهدتم للمسلمين وقد كانوا عاهدوا مشركي العرب من أهل مكة وغيرهم بإذن الله تعالى واتفاق الرسول ﷺ فنكشوا إلا بني ضمرة وبني كنانة فأمر المسلمون بنبد العهد إلى الناكثين وأمهلوا أربعة أشهر ليسيروا أين شاءوا وإنما نسبت البراءة إلى الله ورسوله مع شمولها للمسلمين واشتراكهم في حكمها ووجوب العمل بموجبها وعلقت المعاهدة بالمسلمين خاصة مع كونها بإذن الله تعالى واتفاق الرسول ﷺ للأنباء عن تنجزها وتحتملها من غير توقف على رأى المخاطبين لأنها عبارة عن إنهاء حكم الأمان ورفع الخطر المترتب على العهد السابق عن التعرض للكفرة وذلك منوط بجناب الله عز وجل لأنه أمر كسائر الأوامر الجارية على حسب حكمة تقتضيها وداعية تستدعيها تترتب عليها آثارها من غير توقف على شيء أصلاً واشتراك المسلمين في حكمها ووجوب العمل بموجبها إنما هو على طريقة الامتثال بالأمر لا على أن يكون لهم مدخل في إتمامها أو في ترتب أحكامها عليها وأما المعاهدة لمحيث كانت عقداً كسائر العقود الشرعية لا تحصل في نفسها ولا تترتب عليها أحكامها إلا بمباشرة المتعاقدين على وجوه مخصوصة اعتبرها الشرع لم يتصور صدورها عنه سبحانه وإنما الصادر عنه في شأنها هو الإذن فيها وإنما الذي يباشرها ويتولى أمرها المسلمون ولا يخفى أن البراءة إنما تتعلق بالعهد لا بالإذن فيه فنسبت كل واحدة منهما إلى من هو أصل فيها على أن في ذلك تفخيماً لشأن البراءة وتهويلاً لأمرها وتسجيلاً على الكفرة بغاية الذل والهوان ونهاية الحزى والخذلان وتنزيهاً لساحة السبحان والكبرياء عما يوم شائبة النقص والنداء تعالى عن ذلك علواً كبيراً وإدراجهم ﷺ في النسبة الأولى وإخراجهم عن الثانية لتنويه شأنه الرفيع وإجلال قدره المنيع في كلا المقامين ﷺ وإيثار الجملة الاسمية على الفعلية كأن يقال قد برى الله ورسوله من الذين أو نحو ذلك للدلالة على دوامها واستمرارها وللتوسل إلى تهويلها بالتثوين التفخيم كما أشير إليه (فسيحوا) السياحة والسيح الذهاب في الأرض والسير فيها بسهولة على مقتضى المشيئة كسيح الماء على موجب الطبيعة ففيه من الدلالة على كمال التوسعة والترفيه ما ليس في سيره ونظائره وزيادة قوله عز وجل (في الأرض) لقصد التعميم لأقطارها من دار الإسلام وغيرها والمراد بإباحة ذلك لهم وتخفيفهم وشأنهم من الاستعداد للحرب أو تحصين الأهل والمال وتحصيل المهرب أو غير ذلك لا تكليفهم بالسياحة فيها وتلوين الخطاب بصرفه عن المسلمين وتوجيهه إليهم مع حصول المقصود بصيغة أمر الغائب أيضاً للبالغة في الإعلام بالإمهال حسناً لمادة تعلمهم بالغفلة وقطعاً لشأقة اعتذارهم بعدم الاستعداد وإيثار صيغة الأمر مع تسنى إفادة ذلك المعنى بطريق الإخبار أيضاً كأن يقال مثلاً فلم أن تسيحوا أو نحو ذلك لإظهار كمال القوة والغلبة وعدم الاكتراث

وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ
فَإِنْ تَبَيَّنَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ

الِيم ﴿٣﴾

٩ التوبة

- لهم ولا استعدادهم فكان ذلك أمر مطلوب منهم والفاء لترتيب الأمر بالسياسة وما يعقبه على ما تؤذن به البراءة المذكورة من الحراب على أن الأول مترتب على نفسه والثاني بكلا متعلقيه على عنوان كونه من الله العزيز لا لترتيب الأول عليه والثاني على الأول كما في قوله تعالى قل سيروا في الأرض فلتظروا الخ كأنه قيل هذه براءة موجبة لقتالكم فاسعوا في تحصيل العدد والأسباب والغوا في إعتاد العتاد من كل باب (أربعة أشهر واعلموا أنكم) بسياحتكم في أقطار الأرض في العرض والطول وإن ركبت من كل صعب وذلول (غير معجزي الله) أي لا تفوتونه بالحرب والتحصن (وأن الله) وضع الاسم الجليل موضع المضمحل لثبوت المهابة وتهويل أمر الإخزاء وهو الإذلال بما فيه فضيحة وعار (مخزي الكافرين) أي مخزيكم ومذلكم في الدنيا بالقتل والأسرو في الآخرة بالعذاب وإيثار الإظهار على الإضمحار لذهم بالكفر بعد وصفهم بالإشراك وللإشعار بأن علة الإخزاء هي كفرهم ويجوز أن يكون المراد جنس الكافرين فيدخل فيه المخاطبون دخولا أولياً والمراد بالأشهر الأربعة هي الأشهر الحرم التي علق القتال بانسلاخها فقبل هي شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من شهر ربيع الآخر وجعلت حرماً لحرمة قتالهم فيها أو تغليب ذي الحجة والمحرم على البقية وقيل من عشر ذي القعدة إلى عشر من شهر ربيع الأول لأن الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسب الذي كان فيهم ثم صار في العام القابل في ذي الحجة وذلك قوله ﷺ إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض . روى أنه ﷺ أمر أبا بكر رضي الله تعالى عنه على موسم سنة تسع ثم أتبعه علياً رضي الله تعالى عنه على العصابة ليقرأها على أهل الموسم فقبل له ﷺ لو بعث بها إلى أبي بكر فقال ﷺ لا يؤدي عنى إلا رجل مني وذلك لأن عادة العرب أن لا يتولى أمر العهد والنقض على القبيلة إلا لرجل منها فلما دعا على سمع أبو بكر الرغاء فوقف فقال هذا رغاء ناقة رسول الله ﷺ فلما لحقه قال أمير أو مأمور قال مأمور فضيافاً كان قبل يوم التروية خطب أبو بكر رضي الله عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام على رضي الله عنه يوم النحر عند جرة العقبة فقال يا أيها الناس إني رسول رسول الله ﷺ إليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية ثم قال أمرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة وأن يتم إلى كل ذي عهد عهده (وأذان من الله ورسوله) أي إعلام منهم أفعال بمعنى الأفعال كالإعطاء بمعنى الإعطاء ورفع كرفع براءة والجملة معطوفة على مثلها وإنما قيل (إلى الناس) أي كافة لأن الأذان غير مختص بقوم دون آخرين كالبراءة الخاصة

إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٤١﴾

٩ التوبة

- بالناكثين بل هو شامل لعامة الكفرة وللمؤمنين أيضاً (يوم الحج الأكبر) هو يوم العيد لأن فيه تمام الحج ومعظم أفعاله ولأن الإعلام كان فيه ولما روى أنه ﷺ وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الأكبر وقيل يوم عرفة لقوله ﷺ الحج عرفة ووصف الحج بالأكبر لأن العمرة تسمى الحج الأصغر ولأن المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من أعماله فإنه أكبر من باقي الأعمال
- أولاً لأن ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون أولاً أنه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركون (أن الله)
- أى بأن الله وقرىء بالكسر لما أن الأذان فيه معنى القول (برىء من المشركون) أى المعاهدين الناكثين (ورسوله) عطف على المستكن في برىء أو على محل إن واسمها على قراءة الكسر وقرىء بالنصب عطفاً على اسم أن أو لأن الواو بمعنى مع أى برىء معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم (فإن تبتم)
- من الشرك والغدر التفات من الغيبة إلى الخطاب لزيادة التهديد والتشديد والفاء لترتيب مقدم الشرطية على الأذان بالبراءة المذيلة بالوعيد الشديد المؤذن بلين عريكتهم وانكسار شدة شكيمتهم (فهو) أى
- فالتوب (خير لكم) في الدارين (وإن توليتهم) عن التوبة أو ثبتتم على التولى عن الإسلام والوفاء (فاعلموا أنكم غير معجزي الله) غير سابقين ولا فائتين (وبشر الذين كفروا) تلوين للخطاب وصرف له عنهم
- إلى رسول الله ﷺ لأن البشارة (بعذاب أليم) وإن كانت بطريق التهمك إنما تليق بمن يقف على الأسرار الإلهية (إلا الذين عاهدتم من المشركون) استدراك من النبذ السابق الذى أخر فيه القتال أربعة أشهر
- ٤ كأنه قيل لا تمهلوا الناكثين فوق أربعة أشهر لكن الذين عاهدتموهم ثم لم ينكثوا عهدهم فلا تجروهم مجرى الناكثين في المسارعة إلى قتالهم بل أتموا إليهم عهدهم ولا يضرب في ذلك تخلل الفاصل بقوله تعالى وأذان من الله ورسوله بالخلأ أنه ليس بأجنبي بالكلية بل هو أمر بإعلام تلك البراءة كأنه قيل واعلموها وقيل هو استثناء متصل من المشركون الأول ويرده بقاء الثاني على العموم مع كونهم عبارة عن فريق واحد وجعله استثناء من الثاني بأباه بقاء الأول كذلك وقيل هو استدراك من المقدر في فسبحوا أى قولوا لهم سبحوا أربعة أشهر لكن الذين عاهدتم منهم (ثم لم ينقصوكم شيئاً) من شروط الميثاق ولم يقتلوا منكم
- أحداً ولم يضروكم قط وقرىء بالمعجمة أى لم ينقصوا عهدكم شيئاً من النقص وكلية ثم الدلالة على ثباتهم على عهدهم مع تمادى المدة (ولم يظاهروا) أى لم يعاونوا (عليكم أحداً) من أعدائكم فاعدت بنو بكر
- على خزاعة في غيبة رسول الله ﷺ فظاهروهم قريش بالسلاح (فأتوا إليهم عهدهم) أى أدوه إليهم كلا (إلى مدتهم) ولا تفاجسوا بالقتال عند مضى الأجل المضروب للناكثين ولا تعاملوهم معاملة من قال ابن عباس رضى الله عنهما ببقى لحى من بنى كنانة من عهدهم تسعة أشهر فأتوا إليهم عهدهم (إن الله يحب المتقين)
- تعليل لوجوب الامتثال وتنبيه على أن مراعاة حقوق العهد من باب التقوى وأن التسوية بين الوفاء

فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾

٩ التوبة

- والغادر منافية لذلك وإن كان المعاهد مشركا (فإذا انسَلَخَ) أى انقضى استعير له من الانسلاخ الواقع هـ
- بين الحيوان وجلده والأغلب إسناده إلى الجلد والمعنى إذا انقضى (الأشهر الحرم) وانفصلت عما كانت
- مشتعلة عليه سائرة له انفصال الجلد عن الشاة وانكشفت عنه انكشاف الحجاب عما وراءه كما ذكره
- أبو الهيثم من أنه يقال أهللنا شهر كذا أى دخلنا فيه ولبسناه فنحن نزداد كل ليلة لباساً منه إلى مضي نصفه
- ثم نسلخه عن أنفسنا جزءاً لجزءاً حتى نسلخه عن أنفسنا كله فينسلخ وأنشد [إذا ما سلخت الشهر أهلك مثله كفى قاتلاً سلخى الشهور وإهلاى] وتحقيقه أن الزمان محيط بما فيه من الزمانيات مشتمل عليه
- اشتغال الجلد للحيوان وكذا كل جزء من أجزائه الممتدة من الأيام والشهور والسنين فإذا مضى فكأنه
- انسَلَخَ عما فيه وفيه مزيد لطف لما فيه من التلويع بأن تلك الأشهر كانت حرزاً لأولئك المعاهدين عن
- غوائل أبدى المسلمين فنيط قتالهم بزوالها والمراد بها إما ما مر من الأشهر الأربعة فقط ووضع المظهر
- موضع المضمر ليكون ذريعة إلى وصفها بالحرمة تأكيداً لما ينبىء عنه إباحة السياحة من حرمة التعرض
- لهم مع ما فيه من مزيد الاعتناء بشأنها أوهى مع ما فهم من قوله تعالى فاتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم من تنمة
- مدة بقيت لغير الناكثين فعلى الأول يكون المراد بالمشركين فى قوله تعالى (فاقتلوا المشركين) الناكثين
- خاصة فلا يكون قتال الباقيين مفهوماً من عبارة النص بل من دلالة وعلى الثانى مفهوماً من العبارة إلا
- أنه يكون الانسلاخ وما نيظ به من القتال حينئذ شيئاً فشيئاً لا دفعة واحدة كأنه قيل فإذا تم ميقات كل
- طائفة فاقتلوه وحملها على الأشهر المعهودة الدائرة فى كل سنة لا يساعده النظم الكريم وأما أنه يستدعى
- بقاء حرمة القتال فيها إذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها فلا اعتداده لآلئها نسخت بقوله تعالى وقاتلوه حتى
- لا تكون فتنة كما توهم فإنه رجم بالغيب لأنه إن أريد به ما فى سورة الأنفال فإنه نزل عقيب غزوة بدر وقد
- صح أن المراد بالذين كفروا فى قوله تعالى قل للذين كفروا الخ أبو سفيان وأصحابه وقد أسلم فى أواسط رمضان
- عام الفتح سنة ثمان وسورة التوبة إنما نزلت فى شوال سنة تسع وإن أريد ما فى سورة البقرة فإنه أيضاً نزل
- قبل الفتح كما يعرب عنه ما قبله من قوله تعالى وأخرجوهم من حيث أخرجوكم أى من مكة وقد فعل ذلك يوم
- الفتح فكيف ينسخ به ما ينزل بعده بل لأن انعقاد الإجماع على انتساخها كاف فى الباب من غير حاجة إلى
- كون سنده منقولاً إلينا وقد صح أن النبي ﷺ حاصر الطائفتين لعشرين من الحرم (حيث وجدتموهم) من
- حل وحرم (وخذوهم) أى أيسروهم والاختيذ الأسير (واحصروهم) أى قيدوهم أو امنعوهم من التقلب
- فى البلاد. قال ابن عباس رضى الله عنهما حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام (واقعدوا لهم كل مرصد) أى كل
- كل عمر ومجتاز يجتازون منه فى أسفارهم وانتصابه على الظرفية أى اصدوهم وارقبوهم حتى لا يمروا به

وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَاجِرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

٩ التوبة

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾

٩ التوبة

- وقائده على التفسير الثاني دفع احتمال أن يراد بالحصر المحاصرة المعهودة (فإن تابوا) عن الشرك بالإيمان
- بعد ما اضطروا بما ذكر من القتل والأسر والحصر (وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) تصديقاً لتوبتهم
- وإيمانهم واكتفى بذكرهما عن ذكر بقية العبادات لكونهما رأسى العبادات البدنية والمالية (غفلوا سبيلهم)
- فدعوم وشأنهم ولا تتعرضوا لهم بشيء مما ذكر (إن الله غفور رحيم) يغفر لهم ما سلف من الكفر
- ٦ والغدر ويثيبهم بإيمانهم وطاعاتهم وهو تعليل للأمر بتخليه السبيل (وإن أحد) شروع في بيان حكم المتصددين لمبادئ التوبة من سماع كلام الله تعالى والوقوف على شعائر الدين إثر بيان حكم التائبين من الكفر والمصرين عليه وهو مرتفع بشرط مضمرة يفسره الظاهر لا بالابتداء لأن إن لا تدخل إلا على الفعل (من المشركين استجارك) بعد انقضاء الأجل المضروب أى سألك أن تؤمنه وتكون له جاراً
- (فأجره) أى أمنه (حتى يسمع كلام الله) ويتدبره ويطلع على حقيقة ما تدعو إليه والاقتصار على ذكر السماع لعدم الحاجة إلى شيء آخر في الفهم لكونهم من أهل اللسان والفصاحة وحتى سواء كانت للغاية أو للتعليل متعلقة بما بعدها لا بقوله تعالى استجارك لأنه يؤدي إلى أعمال حتى في المضمرة وذلك بما لا يكاد يرتكب في غير ضرورة الشعر كما في قوله [فلا والله لا يابى أناس * قى حتاك يا ابن أبي يزيد] كذا قيل إلا أن تعلق الإجارة بسماع كلام الله تعالى بأحد الوجهين يستلزم تعلق الاستجارة أيضاً بذلك أو بما في معناه من أمور الدين وما روى عن علي رضي الله عنه أنه أتاه رجل من المشركين فقال إن أراد الرجل منا أن يأتي محمداً بعد انقضاء هذا الأجل لسماع كلام الله تعالى أو لحاجة قتل قال لا لأن الله تعالى يقول وإن أحد من المشركين استجارك فأجره الخ فالمراد بما فيه من الحاجة هي الحاجة المتعلقة بالدين لا ما يعمها وغيرها من الحاجات الدنيوية كما ينبي عنه قوله أن يأتي محمداً فإن من يأتيه ﷺ إنما يأتيه للأمور المتعلقة بالدين (ثم أبلغه) بعد استماعه له إن لم يؤمن (مأمنه) أى مسكنه الذى يأمن فيه وهو دار قومه (ذلك)
- يعنى الأمر بالإجارة وإبلاغ المأمن (بأنهم) بسبب أنهم (قوم لا يعلمون) ما الإسلام وما حقيقته أو قوم جهلة فلا بد من إعطاء الأمان حتى يفهموا الحق ولا يبقى لهم معذرة أصلاً (كيف يكون للمشركين عهد) شروع في تحقيق حقبة ماسبق من البراءة وأحكامها المنفرعة عليها وتبيين الحكمة الداعية إلى ذلك والمراد بالمشركين الناكثون لأن البراءة إنما هي في شأنهم والاستفهام إنكارى لا بمعنى إنكار الواقع كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله الخ بل بمعنى إنكار الوقوع ويكون من الكون التام وكيف في محل
- ٧

كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُ وَأَعْلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةٌ يُرْضُونَكُمْ بِأَقْرَبِهِمْ وَتَأْتِي قُلُوبُهُمْ
وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾

٩ التوبة

- النصب على التشبيه بالحال أو الظرف وقيل من الكون الناقص وكيف خبر يكون قدم على اسمه وهو عهد لاقتضائه الصدارة وللشركيين متعلق بمحذوف وقع حالا من عهد ولو كان مؤخرًا لكان صفة له أو سيكون عند من يجوز عمل الأفعال الناقصة في الظروف وعند متعلق بمحذوف وقع صفة لعهد أو بنفسه لأنه مصدر أو سيكون كما مر ويجوز أن يكون الخبر للشركيين وعند كما ذكر أو متعلق بالاستقرار الذي تعلق به للشركيين ويجوز أن يكون الخبر عند الله وللشركيين إما تبين وإما حال من عهد وإما متعلق سيكون أو بالاستقرار الذي تعلق به الخبر ولا يبالى بتقديم معمول الخبر على الاسم لكونه حرف جر وكيف على الوجهين الأخيرين نصب على التشبيه بالظرف أو الحال كما في صورة الكون التام وهو الأولى لأن في إنكار ثبوت العهد في نفسه من المبالغة ما ليس في إنكار ثبوته للشركيين لأن ثبوته الرابطة فرع ثبوته العين فانتهاء الأصل يوجب انتفاء الفرع رأساً وفي توجيه الإنكار إلى كيفية ثبوت العهد من المبالغة ما ليس في توجيهه إلى ثبوته لأن كل موجود يجب أن يكون وجوده على حال من الأحوال قطعاً فإذا انتفى جميع أحوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني أي على أي أو في أي حال يوجد لهم عهد معتد به (عند الله وعند رسوله) يستحق أن يراعى حقوقه ويحافظ عليه إلى إتمام المدة ولا يتعرض لهم بحسبه قتلًا ولا أخذًا وأما أن يأمنوا به من عذاب الآخرة كما قيل فلا سبيل إلى اعتباره أصلاً إذ لا دخل لعهدهم في ذلك الأمن قطعاً وإن كان مرعياً عند الله تعالى وعند رسوله كعهد غير الناكثين وتكرير كلمة عند للإيذان بعدم الاعتداد به عند كل منهما على حدة (إلا الذين) استدراك من النفي المفهوم من الاستفهام المتبادر شموله لجميع المعاهدين أي لكن الذين (عاهدتم عند المسجد الحرام) وهم المستثنون فيما سلف والتعرض لكون المعاهدة عند المسجد الحرام لزيادة بيان أصحابها والإشعار بسبب وكادتها ومحلها الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) والفاء لتضمنه معنى الشرط وما إما مصدرية منصوبة المحل على الظرفية بتقدير المضاف أي فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم وإما شرطية منصوبة المحل على الظرفية الزمانية أي أي زمان استقاموا لكم فاستقيموا لهم أو مرفوعة على الابتداء والعائد محذوف أي أي زمان استقاموا لكم فيه فاستقيموا لهم فيه وقيل الاستثناء متصل محلها نصب على الأصل أو الجر على البديل من المشركين والمراد بهم الجنس لا المعبود وأياً ما كان فحكم الأمر بالاستقامة ينتهي بانتهاء مدة العهد لأن استقامتهم التي وقت بوقتها الاستقامة المسأورة بها عبارة عن مراعاة حقوق العهد وبعد انقضاء مدته لا عهد ولا استقامة فصار عين الأمر الوارد فيما سلف حيث قيل فأتوا إليهم عهدهم إلى مدتهم خلا أنه قد صرح ههنا بما لم يصرح به هناك مع كونه معتبراً قطعاً وهو تقييد الإتمام للأمور به ببقائهم على ما كانوا عليه من الوفاء (إن الله يحب المتقين) تعليل للأمر بالاستقامة وإشعار بأن القيام بموجب العهد من أحكام التقوى كما مر (كيف) تكرير لاستنكار ما مر من أن ٨

أَشْتَرُوا بِعَاقِبَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ التوبة

- يكون للشركين عهد حقيق بالمراعاة عند الله سبحانه وعند رسوله ﷺ وأما ما قيل من أنه لاستبعاد ثباتهم على العهد فكما ترى لأن ما يذكر بصدد التعليل للاستبعاد عين عدم ثباتهم على العهد لا أنه شيء يستدعيه وإنما أعيد الاستنكار والاستبعاد تأكيداً لهما وتمهيداً لتعداد العلل الموجبة لهما لإخلال تظل مافي البين من الارتباط والتقريب وحذف الفعل المستنكر للإيذان بأن النفس مستحضرة له مترتبة لورود ما يوجب استنكاره لا مجرد كونه معلوماً كما في قوله [وخبرتمانى أنما الموت بالقرى • فكيف وهاتنا هضبة وقلب] فإنه علة مصححة لا مرجحة أى كيف يكون لهم عهد معتد به عند الله تعالى وعند رسوله ﷺ (وإن يظهروا عليكم) أى وحالهم أنهم إن يظهروا عليكم أى يظفروا بكم (لا يرقبوا فيكم) أى لا يراعوا في شأنكم وأصل الرقوب النظر بطريق الحفظ والرعاية ومنه الرقيب ثم استعمل في مطلق الرعاية والمراقبة أبلغ منه كالمراعاة وفي نفي الرقوب من المبالغة ما ليس في نفيها (إلا ولا ذمة) أى حلفاً وقيل قرابة ولا عهداً أو حقاً يعاب على إغفاله مع ماسبق لهم من تأكيد الأيمان والمواثيق يعنى أن وجوب مراعاة حقوق العهد على كل من المتعاهدين مشروط بمراعاة الآخر لها فإذا لم يراعها المشركون فكيف تراعونها على منوال قول من قال [علام تقبل منهم فدية وهم • لافضة قبلوا منا ولا ذهباً] وقيل الإل من أسماء الله عز وجل أى لا يراعوا حق الله تعالى وقيل الجوار وماله الحلف لأنهم إذا تماشخوا وتحالفوا رفقوا به أصواتهم لتشهيره ولما كان تعليق عدم رعاية العهد بالظفر موهما للرعاية عند عدمه كشف عن حقيقة شئونها الجليلة والخفية بطريق الاستئناف وبين أنهم في حالة العجز أيضاً ليسوا من الوفاء
- في شيء وأن ما يظهرونه مدهانة لا مهادنة فقيل (يرضونكم بأفواههم) حيث يظهرون الوفاء والمصافاة ويعدون لكم بالإيمان والطاعة ويؤكدون ذلك بالإيمان الفاجرة ويتعللون عند ظهور خلافه بالمعاذير الكاذبة ونسبة الإرضاء إلى الإفواه للإيذان بأن كلامهم مجرد ألفاظ يتفوهون بها من غير أن يكون لها مصداق في قلوبهم (وتأبى قلوبهم) ما يفيد كلاًهم (وأكثرهم فاسقون) خارجون عن الطاعة فإن مراعاة حقوق العهد من باب الطاعة متمردون ليست لهم مروءة رادعة ولا عقيدة وزاعة ولا يتسترون
- كما يتعاطاه بفضهم بمن يتفادى عن الغدر ويتعفف عما يجزأ حدوثه السوء (اشتروا بآيات الله) بآياته الآمرة بالإيفاء بالعهود والاستقامة في كل أمر أو بجميع آياته فيدخل فيها ما ذكر دخولا أولاً أى تركوها وأخذوا بدلها (ثمناً قليلاً) أى شيئاً حقيراً من حطام الدنيا وهو أهواؤهم وشهواتهم التي اتبعوها أو ما أنفق أبو سفيان من الطعام وصرفه إلى الأعراب (فصدوا) أى عدلوا ونكبوا من صد صدوداً أو صرفوا غيرهم من صد صدأ والفاء للدلالة على سببية الاشتراء لذلك (عن سبيله) أى الدين الحق الذى لا يحيد عنه والإضافة للتشريف أو سبيل بينته الحرام حيث كانوا يصدون الحجاج والعمار عنه (لأنهم ساء ما كانوا يعملون) أى بئس ما كانوا يعملونه أو عملهم المستمر والخصوص بالذم محذوف وقد جوز أن تكون كلمة ساء على أصلها من التصرف لازمة بمعنى قبح أو متعدي والمفعول محذوف أى ساءم الذى

٩ التوبة

لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾

فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ

٩ التوبة

يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾

وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَنَلُوا آئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ

٩ التوبة

لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٢﴾

- يعملونه أو عملهم وقوله عز وعلا (لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة) ناع عليهم عدم مراعاة حقوق عهد المؤمنين على الإطلاق فلا تكرار وقيل هذا في اليهود أو في الأعراب المذكورين ومن يحذو حذوهم وأما ما قيل من أنه تفسير لقوله تعالى يعملون أو دليل على ما هو مخصوص بالذم فشعر باختصاص الذم والسوء بعملهم هذا دون غيره (وأولئك) الموصوفون بما عدد من الصفات السيئة (هم المعتدون) ● المجاوزون الغاية القصوى من الظلم والشرارة (فإن تابوا) أي عما هم عليه من الكفر وسائر العظائم ١١ والفاء للإيذان بأن تقريرهم بما نعى عليهم من مساوئ أعمالهم مزججة عنها ومظنة للتوبة (وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) أي التزموا بها وعزموا على إقامتهما (فإخوانكم) أي فهم إخوانكم وقوله تعالى (في الدين) ● متعلق بإخوانكم لما فيه من معنى الفعل أي لهم ما لكم وعليهم ما عليكم فعاملوهم معاملة الإخوان وفيه من استمالتهم واستجلاب قلوبهم مالا مزيد عليه والاختلاف بين جواب هذه الشرطية وجواب التي مرت من قبل مع اتحاد الشرط فيهما لما أن الأولى سبقت إثر الأمر بالقتل ونظائره فوجب أن يكون جوابها أمراً بخلاف ذلك وهذه سبقت بعد الحكم عليهم بالاعتداء وأشباهه فلا بد من كون جوابها حكماً بخلافه البتة (ونفصل الآيات) أي نبينها والمراد بها إما ما مر من الآيات المتعلقة بأحوال المشركين من الناكثين وغيرهم وأحكامهم حالتي الكفر والإيمان وإما جميع الآيات فيندرج فيها تلك الآيات اندارجاً أولياً (لقوم يعملون) أي ما فيها من الأحكام أو لقوم عالمين وهو اعتراض للحث على التأمل في الأحكام ● المندرجة في تضاعيفها والمحافظة عليها (وإن نكثوا) عطف على قوله تعالى فإن تابوا أي وإن لم يفعلوا ١٢ ذلك بل نقضوا (أي بآيائهم من بعد عهدهم) الموثق بها وأظهروا ما في ضمائرهم من الشر وأخرجوه من القوة إلى الفعل حسبا بنبيء عنه قوله تعالى وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا الآية أو ثبتوا على ما هم عليه من النكث لا أنهم ارتدوا بعد الإيمان كما قيل (وطعنوا في دينكم) قدحوا فيه بصريح التكذيب وتقبيح الأحكام ● (فقاتلوا أئمة الكفر) أي فقاتلوهم وإنما أوتر ما عليه النظم الكريم للإيذان بأنهم صاروا بذلك ذوى رياسة وتقدم في الكفر أحقاء بالقتل والقتال وقيل المراد بأنتمهم رؤساؤهم وصناديدهم وتخصيصهم بالذكر إما لأهمية قتلهم أو للنبع من مراقبتهم لكونهم مظنة لها أو للدلالة على استتصاهاهم فإن قتلهم غالباً يكون بعد قتل من دونهم وقرئ أئمة بتحقيق الهمزتين على الأصل والانفصاح لإخراج الثانية بين بين

أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوا بِأَوَّلَ مَرَّةٍ أَنَحْشَوْهُمْ قَالَهُ
أَحَقُّ أَنْ تَحْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

٩ التوبة

- وأما التصريح بالباء فلحن ظاهر عند الفراء (إنهم لا إيمان لهم) أى على الحقيقة حيث لا يراعونها ولا يعدون نقضها محذوراً وإن أجروها على ألسنتهم وإنما علق النبي بها كالكسك فيما سلف لا بالعهد المؤكد بها لأنها العمدة في المواثيق وجعل الجملة تعليلاً للأمر بالقتال لا يساعده تعليقه بالنكث والظعن لأن حالهم في أن لا إيمان لهم حقيقة بعد النكث والظعن كحالهم قبل ذلك وحمله على معنى عدم بقاء إيمانهم بعد النكث والظعن مع أنه لا حاجة إلى بيانه خلاف الظاهر ولعل الأولى جعلها تعليلاً لمضمون الشرط كأنه قيل وإن نكثوا وظعنوا كما هو المتوقع منهم إذ لا إيمان لهم حقيقة حتى لا ينكثوها أو لا استمرار القتال المأمور به المستفاد من سياق الكلام كأنه قيل فقاتلوهم إلى أن يؤمنوا إنهم لا إيمان لهم حتى يعقد معهم عهد آخر وقرئ بكسر الهمزة على أنه مصدر بمعنى إعطاء الأمان أى لا سبيل إلى أن تعطوهم أماناً بعد ذلك أبداً وأما العكس كما قيل فلا وجه له لإشعاره بأن معاهدتهم معنا على طريقة أن يكون إعطاء الأمان من قبلهم وذلك بين البطلان أو بمعنى الإسلام ففى كونه تعليلاً للأمر بالقتال إشكال بل استحالة لأنه إن حمل على انتفاء الإسلام مطلقاً فهو بمنزلة عزل عن العلية للقتال أو للأمر به كما قبل النكث والظعن وإن حمل على انتفائه فيما سياتى فلا يلزم جعل الانتهاء غاية للقتال فيما سيجىء فالوجه أن يجعل تعليلاً لما ذكر من مضمون الشرط كأنه قيل إن نكثوا وظعنوا وهو الظاهر من حالهم لأنه لا إسلام لهم حتى يرتدعوا عن نقض جنس إيمانهم وعن الظعن في دينكم (لعلهم ينتهون) متعلق بقوله تعالى فقاتلوا أى قاتلوهم إرادة أن ينتهوا أى ليسكن غرضكم من القتال انتهاءهم عما هم عليه من الكفر وسائر العظائم ١٣ التى يرتكبونها لا إيصال الآية بهم كما هو ديدن المؤذين (ألا تقتلون) الهمزة الداخلة على انتفاء مقاتلتهم للإنكار والتوبيخ تدل على تضييعهم على المقاتلة بطريق حملهم على الإقرار بانتفائها كأنه أمر لا يمكن أن يعترف به طائفاً لكمال شناعته فيلجئون إلى ذلك ولا يقدر على الإقرار به فيختارون المقاتلة (قوماً نكثوا أيمانهم) التى حلفوها عند المعاهدة على أن لا يعاونوا عليهم فعاونوا بنى بكر على خزاعة (وهموا بإخراج الرسول) من مكة حين تشاوروا فى أمره بدار الندوة حسبما ذكر فى قوله تعالى وإذ يترك بك الذين كفروا فيكون نعيماً عليهم جنائهم القديمة وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول ﷺ وهموا بإخراجه من المدينة (وهم يمدوكم) بالمعادة والمقاتلة (أول مرة) لأن رسول الله ﷺ جاءهم أولاً بالكتاب المبين وتهداهم به فعدلوا عن الحاجة لعجزهم عنها إلى المقاتلة أو بدعوا بقتال خزاعة حلفاء النبي ﷺ لأن إعانة بنى بكر عليهم قتال معهم (أنكثونهم) أى أنكثون أن ينالكم منهم مكروه حتى تركوا قتالهم وبخهم أولاً بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الرغبة فيها ويحقق أن من كان على تلك الصفات السيئة حقيق بأن لا تترك مصادمته ويوجب من فرط فيها (قالت أحق أن تحشوه)

قَتَلُوهُمْ يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْصِرُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَسْفِي صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ ٩ التوبة

وَيَذْهَبُ غِيظُ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ ٩ التوبة

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ٩ التوبة

- بمخالفة أمره وترك قتال أعدائه (إن كنتم مؤمنين) فإن قضية الإيمان تخصيص الحشية به تعالى وعدم المبالاة بمن سواه وفيه من التشديد مالا يخفى (قاتلوا) تجريد الأمر بالقتال بعد التوبيخ على ١٤ تركه ووعد بنصرهم وبتعذيب أعدائهم وإخزائهم وتشجيع لهم (يعذبهم الله بأيديكم ويخزىم) قتلا وأمرأ (وينصركم عليهم) أى يجمعكم جميعاً غالبين عليهم أجمعين ولذلك أخرج عن التعذيب والإخزاء (وينصف صدور قوم مؤمنين) من لم يشهد القتال وهم خزاعة قال ابن عباس رضى الله عنهما لم يطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فأسلموا فلقوا من أهلها أذى كثيراً فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يشكون إليه فقال ﷺ أبشروا فإن الفرج قريب (ويذهب غيظ قلوبهم) بما كابدوا من المكارة والمكاييد ولقد أنجز الله سبحانه ١٥ جميع ما وعدهم به على أجل مما يكون فكان إخباره ﷺ بذلك قبل وقوعه معجزة عظيمة (ويتوب الله على من يشاء) كلام مستأنف ينهى عما سيكون من بعض أهل مكة من التوبة المقبولة بحسب مشيئته تعالى المبنية على الحكم البالغة فكان كذلك حيث أسلم ناس منهم وحسن إسلامهم وقرىء بالنصب بإضمار أن ودخول التوبة فى جملة ما أجيب به الأمر بحسب المعنى فإن القتال كما هو سبب لقل شوكتهم وإلانة شكيمتهم فهو سبب للتدبر فى أمرهم وتوبتهم من الكفر والمعاصى وللإختلاف فى وجه السببية غير السبب والله تعالى أعلم (والله) إظهار لإظهار الجلالة على الإضمار لثبوت المهابة وإدخال الروعة (عليم) لا يخفى عليه ١٦ خافية (حكيم) لا يفعل ولا يأمر إلا بما فيه حكمة ومصلحة (أم حسبتم) أم منقطعة جىء بها للدلالة على الانتقال من التوبيخ السابق إلى آخر وما فيها من همزة الاستفهام الإنكارى توبيخ لهم على الحساب المذكور أى بل أ حسبتم (أن تتركوا) على ما أنتم عليه ولا تؤمروا بالجهاد ولا تبتلوا بما يحصمكم والخطاب إما لمن شق عليهم القتال من المؤمنين أو للمنافقين (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) الواو حالية ولما للنفي مع التوقع والمراد من نفي العلم نفي المعلوم بالطريق البرهاني إذ لو شمر رائحة الوجود لعلم قطعاً فلما لم يعلم لزوم عدمه قطعاً أى أم حسبتم أن تتركوا والحال أنه لم يتبين الخلف من المجاهدين منكم من غيرهم وما فى لما من التوقع منبه على أن ذلك سيكون وفائدة التعبير عما ذكر من عدم التبين بعدم علم الله تعالى أن المقصود هو التبين من حيث كونه متعلقاً للعلم ومداراً للثواب وعدم التعرض لحال المقصرين لما أن ذلك بمنزلة من الاندراج تحت إرادة أكرم الأكرمين (ولم يتخذوا) عطف على جاهدوا داخل فى حين

مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ
وَفِي النَّارِهِمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾

٩ التوبة

- الصلة أو حال من فاعله أى جاهدوا حال كونهم غير متخذين (من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) أى بطانة وصاحب سر وهو الذى تطلعه على مافى ضميرك من الأسرار الخفية من الولوج وهو الدخول ومن دون الله متعلق بالاتخاذ إن أبقي على حاله أو مفعول ثان له إن جعل بمعنى التصيير (والله خير بما تعملون) أى بجميع أعمالكم وقرىء على الغيبة وهو تذييل يريح ما يتوهم من ظاهر قوله تعالى ولما يعلم الخ أو حال متداخلة من فاعله أو من مفعوله والمعنى ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم والحال أنه يعلم جميع أعمالكم لا يخفى عليه شيء منها (ما كان للمشركين) أى ماصح وما استقام لهم على معنى نفي الوجود والنحقق لا نفي الجواز كافى قوله تعالى أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين أى ما وقع وما تحقق لهم (أن يعمروا) عمارة معتدأ بها (مساجد الله) أى المسجد الحرام وإنما جمع لأنه قبله المساجد وإمامها فعلمه كعمارها أو لأن كل ناحية من نواحيه المختلفة الجهات مسجد على حياله بخلاف سائر المساجد إذ ليس فى نواحيها اختلاف الجهة ويؤيده القراءة بالتوحيد وقيل ما كان لهم أن يعمروا شيئاً من المساجد فضلاً عن المسجد الحرام الذى هو صدر الجنس ويأباه أنهم لا يتصدون لتعمير سائر المساجد ولا يفتخرون بذلك على أنه مبنى على كون النفي بمعنى نفي الجواز واللباقة دون نفي الوجود (شاهدين على أنفسهم بالكفر) أى يظهار آثار الشرك من نصب الأوثان حول البيت والعبادة لها فإن ذلك شهادة صريحة على أنفسهم بالكفر وإن أبوا أن يقولوا نحن كفار كما نقل عن الحسن رضى الله عنه وهو حال من الضمير فى يعمروا أى محال أن يكون ماسمونه عمارة عمارة بيت الله مع ملابتهم لما ينافيها ويحبطها من عبادة غيره تعالى فإنها ليست من العمارة فى شيء وأما ما قيل من أن المعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة بيت الله تعالى وعبادة غيره تعالى فليس بمعرب عن كنه المرام فإن عدم استقامة الجمع بين المتنافيين إنما يستدعى انتفاء أحدهما لا بعينه لا انتفاء العمارة الذى هو المقصود . روى أن المهاجرين والأنصار أقبلوا على أسارى بدر يعيرونهم بالشرك وطفق على رضى الله تعالى عنه يوبخ العباس بقتال النبي ﷺ وقطيعة الرحم وأغلظ له فى القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسنا فقال ولكم محاسن قالوا نعم إنما لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقى الحجيج ونفك العاني فزلت (أولئك) الذين يدعون عمارة المسجد وما يضاهاها من أعمال البر مع ما بهم من الكفر (حبطت أعمالهم) التى يفتخرون بها بما قارنهما من الكفر فصارت هباء منثوراً (وفى النار هم خالدون) لكفرهم ومعاصيهم وإيراد الجملة الاسمية للبالغة فى الدلالة على الخلود والظرف متعلق بالخبر قدم عليه للاهتمام به ومراعاة الفاصلة وكتبتا للجمتين مستأنفة لتقرير النفي السابق . الأولى من جهة نفي استتباع الثواب والثانية من جهة نفي استدفاع العذاب

إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ
إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾

٩ التوبة

أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾

٩ التوبة

- (إنما يعمر مساجد الله) الكلام في إيراد صيغة الجمع كما مر فيما مر خلا أن إرادة جميع المساجد وإدراج ١٨
المسجد الحرام في ذلك غير مخالفة لمقتضى الحال فإن الإيجاب ليس كالسلب وقد قرىء بالإفراد أيضاً
والمراد هنا أيضاً قصر تحقق العمارة ووجودها على المؤمنين لا قصر جوازها ولياقتها أي إنما يصح ويستقيم
أن يعمرها عمارة يعتد بها (من آمن بالله) وحده (واليوم الآخر) بما فيه من البعث والحساب والجزاء ●
حسبنا نطق به الوحي (وأقام الصلاة وآتى الزكاة) على ما علم من الدين فيندرج فيه الإيمان بنبوة النبي ﷺ ●
حتماً وقيل هو مندرج تحت الإيمان بالله خاصة فإن أحد جزأى كلمتي الشهادة علم للكل أي إنما يعمرها
من جمع هذه الكمالات العلية والعملية والمراد بالعمارة ما يعمر مرة ما استقر منها وقها وتنظيفها وتزيينها
بالفرش وتنويرها بالسرج وإدامة العبادة والذكر ودراسة العلوم فيها ونحو ذلك وصيانتها بما لم تبني له
كحديث الدنيا. وعن رسول الله ﷺ الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال
ﷺ قال الله تعالى إن بيوتى في أرضي المساجد وإن زوارى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني
في بيتي لحق على المزور أن يكرم زائرهم عنه ﷺ من أئمة المسجد ألفه الله تعالى وقال ﷺ إذا زارتم الرجل
يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان وعن أنس رضي الله عنه من أسرج في مسجد سراجاً لم تزل الملائكة
وحلة العرش تستغفر له مادام في ذلك المسجد ضوءه (ولم يخش) في أمور الدين (إلا الله) فعمل بموجب ●
أمره ونهيه غير أخذ له في الله لومة لائم ولا خشية ظالم فيندرج فيه عدم الخشية عند القتال ونحو ذلك
وأما الخوف الجلي من الأمور المخوفة فليس من هذا الباب ولا بما يدخل تحت التكليف والخطاب وقيل
كانوا يخشون الأصنام ويرجونها فأريد نفي تلك الخشية عنهم (فعسى أولئك) المنعوتون بتلك النعوت ●
الجميلة (أن يكونوا من المهتدين) إلى مباحيهم من الجنة وما فيها من فنون المطالب العلية وإجرازا هتداهم ●
مع ما بهم من الصفات السنية في معرض التوقع لقطع أطباع الكفرة عن الوصول إلى مواقف الاهتداء
والارتفاع بأعمالهم التي يسبون أنهم في ذلك محسنون ولتوبيخهم بقطعهم بأنهم مهتدون فإن المؤمنين
مع ما بهم من هذه الكمالات إذا كان أمرهم دائراً بين لعل وعسى فبالكفرة وهم وأعمالهم أعمالهم وفيه
لطف للمؤمنين وترغيب لهم في ترجيح جانب الخوف على جانب الرجاء ورفض الاعتذار بالله تعالى
(أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام) أي في الفضيلة وعلو الدرجة (كن آمن بالله واليوم الآخر ١٩
وجاهد في سبيل الله) السقاية والعمارة مصدران لا يتصور تشبيههما بالأعيان فلا بد من تقدير مضاف في أحد

الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾

٩ التوبة

الجانبيين أى أجمعتم أهلها كمن آمن بالله الخ ويؤيده قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام أو أجمعتموها كإيمان من آمن الخ وعلى التقديرين فالخطاب إما للمشركين على طريقة الالتفات وهو المتبادر من تخصيص ذكر الإيمان بجانب المشبه به وإما لبعض المؤمنين المؤثرين للسقاية والعمارة ونحوهما على الهجرة والجهاد ونظائرهما وهو المناسب للاكتفاء فى الرد عليهم ببيان عدم مساواتهم عند الله للفريق الثانى وبيان أعظمية درجتهم عند الله تعالى على وجه يشعر بعدم حرمان الأولين بالكلية وجعل معنى التفضيل بالنسبة إلى زعم الكفرة لا يجدى كثير نفع لأنه إن لم يشعر بعدم الحرمان فليس بمشعر بالحرمان أيضاً أما على الأول فهو توبيخ للمشركين ومداره على إنكار تشبيه أنفسهم من حيث اتصافهم بوصفهم المذكورين مع قطع النظر عما هم عليه من الشرك بالمؤمنين من حيث اتصافهم بالإيمان والجهاد أو على إنكار تشبيه وصفهم المذكورين فى حد ذاتهما مع الإغماض عن مقارنتهما للشرك بالإيمان والجهاد وأما اعتبار مقارنتهما له كما قيل فإياه المقام كيف لا وقد بين آنفاً حيوط أعمالهم بذلك الاعتبار بالمرة وكونها بمنزلة العدم فتوبيخهم بعد ذلك على تشبيههما بالإيمان والجهاد ثم رد ذلك بما يشعر بعدم حرمانهم عن أصل الفضيلة بالكلية كما أشير إليه مما لا يساعده النظم التنزيلى ولو اعتبر ذلك لما احتجج إلى تقرير إنكار التشبيه وتأكيده بشيء آخر إذ لا شىء أظهر بطلاناً من تشبيه المعدوم بالموجود فالمعنى أجمعتم أهل السقاية والعمارة فى الفضيلة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيله أو أجمعتموها فى ذلك كالإيمان والجهاد وشتان بينهما فإن السقاية والعمارة وإن كانتا فى أنفسهما من أعمال البر والخير لكنهما وإن خلنا عن القوادح بمعزل عن صلاحية أن يشبه أهلها بأهل الإيمان والجهاد أو يشبه أنفسهما بنفس الإيمان والجهاد وذلك قوله عز وجل (لا يستوون عند الله) أى لا يساوى الفريق الأول الثانى من حيث اتصاف كل منهما بوصفهما ومن ضرورته عدم التساوى بين الوصفين الأولين وبين الآخرين لأنه المدار فى التفات بين الوصفين وإسناد عدم الاستواء إلى الموصوفين لأن الأهم بيان تفاوتهم وتوجيه النفي ههنا وإنكار فيما سلف إلى الاستواء والتشبيه مع أن دعوى المفتخرين بالسقاية والعمارة من المشركين والمؤمنين إنما هى الإفضلية دون التساوى والتشابه للبالغة فى الرد عليهم فإن نفي التساوى والتشابه نفي الإفضلية بالطريق الأولى والجملة استئناف لتقرير الإنكار المذكور وتأكيده أو حال من مفعولى الجعل والرابط هو الضمير

● كأنه قيل أسويتم بينهم حال كونهم متفاوتين عنده تعالى وقوله تعالى (والله لا يهدى القوم الظالمين) حكم عليهم بأنهم مع ظلمهم بالإشراك ومعاداة الرسول ﷺ ضالون فى هذا الجعل غير مهتدين إلى طريق معرفة الحق وتمييز الراجع من المرجوح وظالمون بوضع كل منهما موضع الآخر وفيه زيادة تقرير لعدم التساوى بينهم وقوله تعالى (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم) استئناف

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ ٩ التوبة

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ ٩ التوبة

- ليبان مراتب فضلهم لإثبات عدم الاستواء وضلال المشركين وظلمهم وزيادة الهجرة وتفصيل نوعي الجهاد للإيمان بأن ذلك من لوازم الجهاد لا أنه اعتبر بطريق التدارك أمر لم يعتبر فيما سلف أي هم باعتبار انصافهم بهذه الأوصاف الجميلة (أعظم درجة عند الله) أي أعلى رتبة وأكثر كرامة ممن لم يتصف بها ● كائناً من كان وإن حاز جميع ماعداها من الكمالات التي من جملتها السقاية والعمارة (وأولئك) أي المنعوتون ● بتلك النعوت الفاضلة وما في اسم الإشارة من معنى البعد المدلالة على بعد منزلتهم في الرفعة (هم الفائزون) ● المختصون بالفوز العظيم أو بالفوز المطلق كأن فوز من عداهم ليس بفوز بالنسبة إلى فوزهم وأما على الثاني فهو توبيخ لمن يؤثر السقاية والعمارة من المؤمنين على الهجرة والجهاد روى أن علياً قال للعباس رضي الله عنهما بعد إسلامه يا عم ألا تهاجرون ألا تلحقون برسول الله ﷺ فقال أأست في أفضل من الهجرة أسقى حاج بيت الله وأمر المسجد الحرام فلما نزلت قال ما رأي إلا تارك سقايتهما فقال ﷺ أقبلوا على سقايتهما فإن لكم فيها خيراً وروى النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله ﷺ فقال رجل ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد أن أسقى الحاج وقال آخر ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد أن أمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم فزجرهم عمر رضي الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ وهو يوم الجمعة ولكن إذا صليتم استفتيت رسول الله ﷺ فيما اختلفتم فيه فدخل فأنزل الله عز وجل هذه الآية والمعنى أجمعتم أهل السقاية والعمارة من المؤمنين في الفضيلة والرفعة كن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله أو أجمعتموها كالإيمان والجهاد وإنما لم يذكر الإيمان في جانب المشبه مع كونه متبرأ فيه قطعاً تعويلاً على ظهور الأمر وإشعاراً بأن مدار إنكار التشبيه هو السقاية والعمارة دون الإيمان وإنما لم يترك ذكره في جانب المشبه به أيضاً تقوية للإنكار وتذكيراً لأسباب الرجحان ومبادئ الأفضلية وإيضاحاً بالتلازم بين الإيمان وما تلاه ومعنى عدم الاستواء عند الله تعالى على هذا التقدير ظاهر وكذا أعظمية درجة الفريق الثاني وأما قوله تعالى والله لا يهدي القوم الظالمين فالمراد به عدم هدايته تعالى لهم إلى معرفة الراجح من المرجوح وظلمهم بوضع كل منهما موضع الآخر لعدم الهداية مطلقاً ولا الظلم عموماً والقصر في قوله تعالى وأولئك هم الفائزون بالنسبة إلى درجة الفريق الثاني أو إلى الفوز المطلق ادعاء كإمر الله أعلم (يبشرهم) وقرئ بالتخفيف (ربهم برحمة) عظيمة (منه ورضوان) كبير ٢١ (وجنات) عالية (لهم فيها) في تلك الجنات (نعيم مقيم) نعم لا تفاد لها وفي التعرض لعنوان الربوبية تأكيدهم للبشر به وتربية له (خالدين فيها) أي في الجنات (أبدًا) تأكيداً للخلود لزيادة توضيح المراد به إذ ٢٢ قد يراد به المكث الطويل (إن الله عنده أجر عظيم) لا قدر عنده لأجور الدنيا أو للأعمال التي في مقابلته ● والجملة استئناف وقع تعليلها لما سبق .

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ
وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾

٩ التوبة

قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا
وَبَنَاجِرٌ تَحْشُونَ كَسَادَهَا وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ
فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾

٩ التوبة

- ٢٣ (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء) نهى لكل فرد من أفراد المخاطبين عن موالاته فرد من المشركين بقضية مقابلة الجمع بالجمع الموجبة لانقسام الآحاد إلى الآحاد كما في قوله عز وجل وما للظالمين من أنصار لا عن موالاته طائفة منهم فإن ذلك مفهوم من النظم دلالة لا عبارة والآية نزلت في المهاجرين فإنهم لما أسروا بالهجرة قالوا إن هاجرنا قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشيرتنا وذهب تجارنا وهلك أموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه أو أبوه أو أخوه أو بعض أقربه فلا يلتفت إليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم في ذلك وقيل نزلت في التسمية الذين ارتدوا ولحقوا بمكة نهيًا عن موالاتهم . وعن النبي ﷺ لا يطعم أحدكم طعام الإيمان حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله أبعد الناس منه ويبغض في الله أقرب الناس إليه (إن استحبوا الكفر) أي اختاروه (على الإيمان) وأصرروا عليه لإصرار آليرجى معه الإقلاع عنه أصلا وتعليق النهي عن الموالاته بذلك لما أنها قبل ذلك ربما تؤدي بهم إلى الإسلام بسبب شعورهم بمحاسن الدين (ومن يتولهم) أي واحدا منهم كما أشير إليه وإفراد الضمير في الفعل لمراعاة لفظ الموصول والإيذان باستقلال كل واحد منهم في الاتصاف بالظلم لا أن المراد تولى فرد واحد وكلمة من في قوله تعالى (منكم) للجنس لا للتبعض
- ٢٤ (فأولئك) أي أولئك المتولون (هم الظالمون) بوضعهم الموالاته في غير موضعها كان ظلم غيرهم كلا ظلم عند ظلمهم (قل) تلوين للخطاب وأمر له ﷺ بأن يثبت المؤمنين ويقوى عزائمهم على الانتهاء عما نهوا عنه من موالاته الآباء والإخوان ويزهدهم فيهم وفيمن يجرى مجراهم من الأبناء والأزواج ويقطع علاقتهم عن زخارف الدنيا ودينتها على وجه التوبيخ والترهيب (إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم) لم يذكر الأبناء والأزواج فيما سلف لأن موالاته الأبناء والأزواج غير معتاد بخلاف المحبة (وعشيرتكم) أي أقرباؤكم مأخوذ من العشرة أي الصحبة وقيل من العشرة فإنهم جماعة ترجع إلى عقد كعقد العشرة وقرىء عشيرتكم وعشائركم (وأموال اقترفتوها) أي اكتسبتموها وإنما وصفت بذلك إيماء إلى عزتها عندهم لحصولها بكد البين (وتجارة) أي أمتعة اشترىتموها للتجارة والريح (تحشون كسادها) بفوات وقت رواجها بغيببتكم عن مكة المعظمة في أيام الموسم (ومساكن ترضونها) أي منازل تعجبكم الإقامة فيها من الدور والبساتين والاعراض للصفات المذكورة للإيذان بأن اللوم على محبة ما ذكر

لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شِبَعًا وَضَاقَتْ
عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾

٩ التوبة

- من زينة الحياة الدنيا ليس لتناسي ما فيها من مبادئ المحبة وموجبات الرغبة فيها وأنها مع ما لها من فنون المحاسن بمنزل عن أن يؤثر حبها على حبه تعالى وحب رسول الله ﷺ كما في قوله عز وجل ما غرك بربك الكريم (أحب إليكم من الله ورسوله) بالحب الاختياري المستتبع لآثره الذي هو الملازمة وعدم المفارقة لا الحب الجبلي الذي لا يخلو عنه البشر فإنه غير داخل تحت التكليف الدائر على الطاعة (وجهاد في سبيله) نظم حبه في سلك حب الله عز وجل وحب رسول الله ﷺ تنويعاً لشأنه وتنبيهاً على أنه مما يجب أن يحب فضلاً عن أن يكره وإذناً بأن محبته راجعة إلى محبتهما فإن الجهاد عبارة عن قتال أعدائهما لأجل عدائهم فن يحبهما يجب أن يحب قتال من لا يحبهما (فتربصوا) أي انتظروا (حتى يأتي الله بأمره) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فتح مكة وقيل هي عقوبة عاجلة أو آجلة (والله لا يهدي القوم الفاسقين) الخارجين عن الطاعة في موالاة المشركين أو القوم الفاسقين كافة فيدخل في ذمتهم هؤلاء دخولا أولاً أي لا يرشدكم إلى ما هو خير لهم وفي الآية الكريمة من الوعيد ما لا يكاد يتخلص منه إلا من تداركه لطف من ربه والله المستعان (ولقد نصركم الله) الخطاب للمؤمنين خاصة (في مواطن كثيرة) من الحروب ٢٥ وهي مواقعها ومقاماتها والمراد بها وقعات بدر وقرينة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة (ويوم حنين) عطف على محل في مواطن بحذف المضاف في أحدهما أي وموطن يوم حنين أو في أيام مواطن كثيرة ويوم حنين ولعل التغيير للإيماء إلى ما وقع فيه من قلة الثبات من أول الأمر وقيل المراد بالموطن الوقت كقتل الحسين وقيل يوم حنين منصوب بمضمر معطوف على نصركم أي ونصركم يوم حنين (إذ أعجبتكم كثرتكم) بدل من يوم حنين ولا منع فيه من عطفه على محل الظرف بناء على أنه لم يكن في المعطوف عليه كثرة ولا إعجاب إذ ليس من قضية العطف مشاركة المعطوفين فيما أضيف إليه المعطوف أو منصوب بإضمار اذكر وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفاً عشرة آلاف منهم من شهد فتح مكة من المهاجرين والأنصار وألفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وكانوا أربعة آلاف فيمن ضامهم من أمداد سائر العرب وكانوا الجمل الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين اسمه سلمة ابن سلامة الأنصاري لن تغلب اليوم من قلة فسمات رسول الله ﷺ فافتتلوا قتالا شديداً فانهزم المشركون وخلوا الذراري فأكب المسلمون على الغنائم فتنادى المشركون يا حماة السوء اذكروا الفضائح فتراجعوا فأدركت المسلمين كلمة الإعجاب فأنكشفوا وذلك قوله عز وجل (فلم تغن عنكم شيئاً) والإغناء إعطاء ما يدفع به الحاجة أي لم تعطكم تلك الكثرة ما تدفعون به حاجتكم شيئاً من الإغناء (وضاقت عليكم الأرض بما رحبت) أي برحبها وسعتها على أن ما مصدرية والباء بمعنى مع أي لا تجدون فيها مفرأ تعلمن إليه نفوسكم من شدة الرعب ولا تثبتون فيها كن لا يسمعه مكان (ثم وليتم مدبرين) روى أنه

ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ ۖ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾

٩ التوبة

ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾

٩ التوبة

- بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله ﷺ وحده ليس معه إلا عمه العباس أخذاً بلجام بغلته وابن عمه أبو سفيان ابن الحرث أخذاً بركابه وهو بركض البغلة نحو المشركين وهو يقول أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب روى أنه ﷺ كان يحمل على الكفار فيفرون ثم يحملون عليه فيقف لهم فعل ذلك بضع عشرة مرة قال العباس كنت أكف البغلة اثلاً تسرع به نحو المشركين وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على أنه ﷺ كان في الشجاعة ورباطة الجأش سباقاً للغايات القاصية وما كان ذلك إلا لكونه مؤيداً من عند الله العزيز الحكيم فعند ذلك قال يارب انقني بما وعدتني وقال للعباس وكان صبيّاً صح بالناس فنادى الأنصار نخذاً نخذاً ثم نادى يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة فكروا عنقاً واحداً وهم يقولون لبيك لبيك وذلك قوله تعالى (ثم أنزل الله سكينته على رسوله) أي رحمته التي تسكن بها القلوب وتطمئن إليها اطمئناناً كلياً
- ٢٦ ● مستنبعاً للنصر القريب وأما مطلق السكينة فقد كانت حاصلة له ﷺ قبل ذلك أيضاً (وعلى المؤمنين) عطف على رسوله وتوسط الجار بينهما للدلالة على ما بينهما من التفاوت أي المؤمنين الذين انهزموا وقيل على الذين ثبتوا مع النبي ﷺ أو على الكل وهو الأنسب ولاضير في تحقق أصل السكينة في الثابتين من قبل والتعرض لوصف الإيمان للإشعار بعلمية الإنزال (وأُنزل جنوداً لم تروها) أي بأبصاركم كما يرى بعضكم بعضاً وهم الملائكة عليهم السلام عليهم البياض على خيول بلق فنظر النبي ﷺ إلى قتال المسلمين فقال هكذا حين همى الوطيس فأخذ كفاً من الثراب فرمى به نحو المشركين وقال شأهت الوجوه فلم يبق منهم أحد إلا امتلأت به عيناه ثم قال ﷺ انهزموا ورب الكعبة واختلفوا في عدد الملائكة يومئذ فقيل خمسة آلاف وقيل ثمانية آلاف وقيل ستة عشر ألفاً وفي قتالهم أيضاً فقيل قاتلوا وقيل لم يقاتلوا إلا يوم بدر وإنما كان نزولهم لتقوية قلوب المؤمنين بإلقاء الخواطر الحسنة وتأبيدهم بذلك وإلقاء الرعب في قلوب المشركين . قال سعيد بن المسيب حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم فلما انتهينا إلى صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجالاً يهض الوجوه فقالوا شأهت الوجوه
- ارجعوا فرجعنا فركبوا أكتافنا (وعذب الذين كفروا) بالقتل والأسر والسبي (وذلك) أي ما فعل بهم مما ذكر (جزاء الكافرين) لكفرهم في الدنيا (ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) أن يتوب عليه منهم
- ٢٧ ● لحكمة تقتضيه أي يوفق للإسلام (والله غفور) يتجاوز عما سلف منهم من الكفر والمعاصي (رحيم) بتفضل عليهم ويثيبهم . روى أن ناساً منهم جاءوا رسول الله ﷺ وبايعوه على الإسلام وقالوا يا رسول الله أنت خير الناس وأبر الناس وقد سبى أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا . قيل سبى يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الإبل والغنم مالا يحصى فقال ﷺ إن عندى ما ترون إن خير القول أصدقها اختاروا

يُنَاقِهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾

٩ التوبة

- لما ذرأ بكم ونساءكم وإما أموالكم قالوا ما كنا نعدل بالأحساب شيئاً فقام النبي ﷺ فقال إن هؤلاء جاءونا مسلمين وإنا خير نام بين الذراري والأموال فلم يعدلوا بالأحساب شيئاً فمن كان يده سبي وطابت نفسه أن يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليسكن قرضاً علينا حتى نصيب شيئاً فنعطيه مكانه قالوا قد رضينا وسلمنا فقال ﷺ إنا لا ندرى لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليروا ذلك إلينا فرفعت إليه العرفاء أنهم قد رضوا (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس) وصفوا بالمصدر مباغلة كأنهم عين النجاسة أو هم ٢٨ ذوو نجس لخبث باطنهم أو لأن معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس أو لأنهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملازمة لهم . عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركاً توشأ وأهل المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم وهو تخفيف نجس ككبد في كبد كانه قيل إنما المشركون جنس نجس أو ضرب نجس وأكثر ما جاء تابعاً لرجس (فلا يقربوا المسجد الحرام) تفريع على نجاستهم وإنما نهى عن القرب ● للباغلة أو للتمنع عن دخول الحرم وهو مذهب عطاء وقيل المراد به النهي عن الدخول مطلقاً وقيل المراد المنع عن الحج والعمرة وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى ويؤيده قوله عز وجل (بعد عامهم هذا) ● فإن تقييد النهي بذلك يدل على اختصاص المنهى عنه بوقت من أوقات العام أى لا يحجوا ولا يعتمرؤا بعد حج عامهم هذا وهو عام تسعة من الهجرة حين أمر أبو بكر رضي الله عنه على الموسم ويدل عليه قول على رضي الله عنه حين نادى ببراءة ألا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عنده وعند الشافعي يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون من جميع المساجد ونهى المشركين أن يقربوه راجع إلى نهى المسلمين عن تمكينهم من ذلك وقيل المراد أن يمنعوا من تولى المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك (وإن خفتكم عيلة) أى فقرأ بسبب منعهم من ● الحج وانقطاع ما كانوا يجلبونه إليكم من الإرفاق والمكاسب وقرئ عائلة على أنها مصدر كالعافية أو حالاً عائلة (فسوف يغنيكم الله من فضله) من عطائه أو من تفضله بوجه آخر فأرسل الله تعالى السماء عليهم مدراراً أغزر بها خيرهم وأكثر ميرهم وأسلم أهل تبالة وجرش فحملوا إلى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك أعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه إليهم الناس من أقطار الأرض (إن شاء) أن يغنيكم مشيئته تابعة للحكمة الداعية إليها وإنما قيد ذلك بها لتقطع ● الأموال إلى الله تعالى ولأن الإغناء ليس مطرداً بحسب الأفراد والأحوال والأوقات (إن الله عليم) ● بمصالحكم (حكيم) فيما يعطى ويمنع .

قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ٩ التوبة

٢٩ (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) أمرهم بقتال أهل الكتابين إثر أمرهم بقتال المشركين وبمنعهم من أن يحوموا حول ما كانوا يفعلونه من الحج والعمرة غير خائفين من الفاقة المتوهمه من انقطاعهم ونهبهم في تضاعيف ذلك على بعض طرق الإغناء الموعود على الوجه الكلى وأرشدهم إلى سلوكه ابتغاء لفضله واستنجازاً لوعده والتعبير عنهم بالموصول للإيدان بعلمية ما في حيز الصلة للأمر بالقتال وبانتظامهم بسبب ذلك في سلك المشركين فإن اليهود مثنية والنصارى مثلكة فهم بمعزل من أن يؤمنوا بالله سبحانه ولا باليوم الآخر فإن عليهم بأحوال الآخرة كلاً علم فإيمانهم المبني عليه ليس بإيمان به (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) أى ما ثبت تحريمه بالوحي متلوا أو غير ما تلوا وقيل المراد برسوله الرسول الذى يزعمون اتباعه أى يخالفون أصل دينهم المنسوخ اعتقاداً وعملاً (ولا يدينون دين الحق) الثابت الذى هو ناسخ لسائر الأديان وهو دين الإسلام وقيل دين الله (من الذين أوتوا الكتاب) من التوراة والإنجيل فمن بيانية لا تبعيضية حتى يكون بعضهم على خلاف مانعت (حتى يعطوا) أى يقبلوا أن يعطوا (الجزية) أى ما تقرر عليهم أن يعطوه مشتق من جزى دينه أى قضاؤه أو لأنهم يحجزون بها من من عليهم بالإعفاء عن القتل (عن يد) حال من الضمير فى يعطوا أى عن يد مؤاتية مطيعة بمعنى منقادين أو من يدم بمعنى مسلمين بأيديهم غير باعثين بأيدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه أو عن غنى ولذلك لم تجب الجزية على الفقير العاجز أو عن بدقاهرة عليهم أى بسبب يد بمعنى عاجزين أذلاء أو عن إناعام عليهم فإن إبقاءهم جنتهم بإبذلوهم الجزية نعمة عظيمة عليهم أو من الجزية أى نقداً مسلماً عن يد إلى بدو غاية القتال ليست نفس هذا الإعطاء بل قبوله كما أشير إليه (وهم صاغرون) أى أذلاء وذلك بأن باتى بها بنفسه ماشياً غير راكب ويسلماً وهو قائم والمسلم جالس ويؤخذ بتلبيه ويقال له أد الجزية وإن كان يؤديها وهى تؤخذ عند أبي حنيفة رضى الله عنه من أهل الكتاب مطلقاً ومن مشركى العجم لا من مشركى العرب وعند أبي يوسف رضى الله عنه لا تؤخذ من العربى كتابياً كان أو مشركاً وتؤخذ من الأعجمى كتابياً كان أو مشركاً وعند الشافعى رضى الله عنه تؤخذ من أهل الكتاب عربياً أو عجمياً ولا تؤخذ من أهل الأوثان مطلقاً وذهب مالك والأوزاعى إلى أنها تؤخذ من جميع الكفار وأما المجوس فقد اتفقت الصحابة رضى الله عنهم على أخذ الجزية منهم لقوله ﷺ سنوا بهم سنة أهل الكتاب وروى عن على رضى الله عنه أنه كان لهم كتاب يدرسون فيه فأصبحوا وقد أسرى على كتابهم فرفع من بين أظهرهم واتفقوا على تحريم ذبيحتهم ومناحتهم لقوله ﷺ فى آخر ما نقل من الحديث غيرنا حتى نسائهم وآكل ذبيحتهم . ووقت الأخذ عند أبي حنيفة رضى الله عنه أول السنة وتسقط بالموت والإسلام ومقدارها على الفقير المعتمل اثنا عشر درهماً وعلى المتوسط الحال أربعة وعشرون درهماً وعلى الغنى ثمانية وأربعون درهماً ولا جزية على فقير

وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِعُونَ
قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَاهُمْ اللَّهُ أَلَّنَّ يُمُوتَ كُونَ ﴿٣٠﴾

٩ التوبة

- عاجز عن الكسب ولا على شيخ فان أوز من أوصى أو امرأة وعند الشافعي رضى الله عنه تؤخذ في آخر السنة من كل واحد دينار غنياً كان أو فقيراً كان له كسب أو لم يكن (وقالت اليهود) جملة مبتدأة سبقت ٣٠ لتقرير مامر من عدم إيمان أهل الكتابين بالله سبحانه وانتظامهم بذلك في سلك المشركين (عزير ابن الله) مبتدأ وخبر وقرىء بغير تنوين على أنه اسم أعجمي كعازر وعزار غير منصرف للمعجمة والتعريف وأما تعليله بالتقاء الساكنين أو بجمل الابن وصفاً على أن الخبر محذوف فتعسف مستغنى عنه قيل هو قول قدامتهم ثم انقطع فحكى الله تعالى ذلك عنهم ولا عبرة بإنكار اليهود وقيل قول بعض من كان بالمدينة . عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه جاء رسول الله ﷺ ناس منهم وهم سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وشاس ابن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فتخاص بن عازوراء وهو الذى قال إن الله فقير ونحن أغنياء وسبب هذا القول أن اليهود قتلوا الأنبياء بعد موسى عليه السلام فرفع الله تعالى عنهم التوراة ومحامها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسبح في الأرض فأتاه جبريل عليه السلام فقال له أين تذهب قال أطلب العلم لحفظه التوراة فأملأها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرماً فقالوا ما جمع الله التوراة في صدره وهو غلام إلا أنه ابنه قال الإمام الكلبى لما قتل بخت نصر علماءهم جميعاً وكان عزير إذ ذاك صغيراً فاستصغره ولم يقتله فلما رجع بنو إسرائيل إلى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله تعالى عزيراً ليحدثهم التوراة ويكون آية بعد ما أماته مائة عام يقال إنه أتاه ملك يأناء فيه ماء فسقاه فثلث في صدره فلما أتاهم فقال لهم إنى عزير كذبوه فقالوا إن كنت كما تزعم فأمل علينا التوراة ففعل فقالوا إن الله تعالى لم يقذف التوراة في قلب رجل إلا لأنه ابنه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن اليهود أضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فأنساهم الله تعالى التوراة ونسخها من صدورهم ورفع التابوت فتضرع عزير إلى الله تعالى وابتهل إليه فماد حفظ التوراة إلى قلبه فأنذر قومه به ثم إن التابوت نزل فعرضوا ما تلاه عزير على ما فيه فوجدوه مثله فقالوا ما قالوا (وقالت النصارى المسيح ابن الله) هو أيضاً قول بعضهم وإنما قالوه استحالة لأن يكون ولد بغير أب أولاً يفعل ما فعله من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى من لم يكن لها (ذلك) إشارة إلى ما صدر عنهم من العظيمنتين وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد درجة المشار إليه في الشناعة والفضاعة (قولهم بأفواههم) إما تأكيد لنسبة القول المذكور إليهم ونفى التجوز عنها أو إشعار بأنه قول مجرد عن البرهان وتحقيق مماثل للبهمل الموجود في الأفواه من غير أن يكون له مصداق في الخارج (يضاهون) أى في الكفر والشناعة وقرىء بغير همز (قول الذين كفروا) أى يشابه قولهم على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه عند انقلابه مرفوعاً (قول الذين كفروا) (من قبل) أى من قبلهم وهم المشركون الذين يقولون الملائكة بنات أو اللات والعزى

اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا
إِلَٰهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾

٩ التوبة

بنات الله لا قدماؤهم كما قيل إذ لا تعدد في القول حتى يتأتى التشبيه وجمله بين قولي الفريقين مع اتحاد
المقول ليس فيه مزيد مزبة وقيل الضمير للنصارى أى يضاهى قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير
الخ لأنهم أقدم منهم وهو أيضاً كما ترى فإنه يستدعى اختصاص الرد والإبطال بقوله تعالى ذلك قولهم
بأقوالهم بقول النصارى (قاتلهم الله) دعاء عليهم جميعاً بالإهلاك فإن من قاتله الله هلك أو تعجب من
● شناعة قولهم (أنى يؤفكون) كيف يصرفون من الحق إلى الباطل والحال أنه لا سبيل إليه أصلاً
● (اتخذوا) زيادة تقرير لما سلف من كفرهم بالله تعالى (أحبارهم) وهم علماء اليهود واختلف في واحده
٣١ قال الأصمعى لا أدرى أهو حبر أم حبر وقال أبو الهيثم بالفتح لا غير وكان الليث وابن السكيت يقولان
● حبر وحبر للعالم ذمياً كان أو مسلماً بعد أن كان من أهل الكتاب (ورهبانهم) وهم علماء النصارى من
● أصحاب الصوامع أى اتخذ كل واحد من الفريقين علماءهم لا الكل الكل (أرباباً من دون الله) بأن أطاعوهم
في تحريم ما أحله الله تعالى وتحليل ما حرمه أو بالسجود لهم ونحوه تسمية اتباع الشيطان عبادة له في قوله
تعالى يا أبا ب لا تعبد الشيطان وقوله تعالى بل كانوا يعبدون الجن . قال عدي بن حاتم أنبت رسول الله ﷺ
وفي عنقي صليب من ذهب وكان إذ ذاك على دين يسمى الركوسية فريق من النصارى وهو بقراً سورة
براءة فقال يا عدي أطرح هذا الوثن فطرحته فلما انتهى إلى قوله تعالى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً
من دون الله قلت يا رسول الله لم يكونوا يعبدونهم فقال ﷺ أليس يحرمون ما أحل الله فحرمونه
ويحلون ما حرم الله فتستحلونه فقلت بلى قال ذلك عبادتهم قال الربيع قلت لا بى العالمة كيف كانت
تلك الربوبية في بنى إسرائيل قال إنهم ربما وجدوا في كتاب الله تعالى ما يخالف أقوال الأَحْبَار فكانوا
● يأخذون بأقوالهم ويتركون حكم كتاب الله (والمسيح ابن مريم) عطف على رهبانهم أى اتخذوا النصارى
رباً معبوداً بعد ما قالوا إنه ابنه تعالى عن ذلك علواً كبيراً وتخصيص الاتخاذ به يشير إلى أن اليهود ما فعلوا
ذلك بعزير وتأخيرها في الذكر مع أن اتخاذهم له ﷺ رباً معبوداً أقوى من مجرد الإطاعة في أمر
التحليل والتحريم كما هو المراد باتخاذهم الأَحْبَار والرهبان أرباباً لأنه مختص بالنصارى ونسبته ﷺ
إلى أمه من حيث دلالتها على مرويته المسافية للربوبية للإيدان بكال ركاً كه رأيهم والقضاء عليهم بنهاية
● الجهل والحقارة (وما أمروا) أى والحال أن أولئك الكفرة ما أمروا في كتابهم (إلا ليعبدوا إلهاً واحداً)
عظيم الشأن هو الله سبحانه وتعالى ويطيعوا أمره ولا يطيعوا أمر غيره بخلافه فإن ذلك مغل بعبادته
تعالى فإن جميع الكتب السبوية متفقة على ذلك قاطبة وقد قال المسيح عليه السلام إنه من يشرك بالله
فقد حرم الله عليه الجنة وأما إطاعة الرسول ﷺ وسائر من أمر الله تعالى بطاعته فهى في الحقيقة إطاعة
الله عز وجل أو وما أمر الذين اتخذهم الكفرة أرباباً من المسيح والأَحْبَار والرهبان إلا ليوحدوا الله

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ ٩ التوبة
هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ٩ التوبة

- تعالى فكيف يصح أن يكونوا أرباباً وهم مأمورون مستعبدون مثلهم ولا يقدح في ذلك كون ربوبية الأحرار والرهبان بطريق الإطاعة فإن تخصيص العبادة به تعالى لا يتحقق إلا بتخصيص الطاعة أيضاً به تعالى وحيث لم يخصوها به تعالى لم يخصوا العبادة به سبحانه (لا إله إلا هو) صفة ثانية لإلهائهم ● استئناف مقرر للتوحيد (سبحانه عما يشركون) عن الإشراف به في العبادة والطاعة (يريدون أن ٣٢ يطفتوا نور الله) إطفاء النار عبارة عن إزالة لمعها الموجبة لزوال نورها لا عن إزالة نورها كما قيل لكن لما كان الغرض من إطفاء نار لا يراد بها إلا النور كالمصباح إزالة نورها جعل إطفائها عبارة عنها ثم شاع ذلك حتى كان عبارة عن مطلق إزالة النور وإن كان لغیر النار والسر في ذلك انحصار إمكان الإزالة في نورها والمراد بنور الله سبحانه إما حجته النيرة الدالة على وحدانيته وتنزهه عن الشركاء والأولاد أو القرآن العظيم الناطق بذلك أي يريد أهل الكتابين أن يردوا القرآن ويكذبوه فيما نطق به من التوحيد والتنزه عن الشركاء والأولاد والشرائع التي من جملتها ما خالفوه من أمر الحل والحرمه (بأفواههم) بأقوالهم الباطلة الخارجة منها من غير أن يكون لها مصداق تنطبق عليه أو أصل تستند إليه حسبما حكى عنهم وقيل المراد به نبوة النبي ﷺ هذا وقد قيل مثلت حالهم فيما ذكر بحال من يريد طمس نور عظيم منبث في الآفاق بنفخه (ويأبى الله) أي لا يريد (إلا أن يتم نوره) بإعلاء كلمة التوحيد وإعزاز دين الإسلام وإنما صح الاستثناء المفرغ من الموجب لكونه بمعنى النفي كما أشير إليه لوقوعه في مقابلة قوله تعالى يريدون وفيه من المبالغة والدلالة على الامتناع ما ليس في نفي الإرادة أي لا يريد شيئاً من الأشياء إلا إتمام نوره فيندرج في المستثنى منه بقاؤه على ما كان عليه فضلاً عن الإطفاء وفي إظهار النور في مقام الإضممار مضافاً إلى ضميره عز وجل زيادة اعتناء بشأنه وتشريف له على تشريف وإشعار بعلة الحكم (ولو كره الكافرون) جواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة قبلها مقدرة وكتلتها في موقع الحال أي لا يريد الله إلا إتمام نوره لو لم يكره الكافرون ذلك ولو كرهوه أي على كل حال مفروض وقد حذفت الأولى في الباب حذفاً مطرداً لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة لأن الشيء إذا تحقق عند المانع فلأن يتحقق عند عدمه أولى وعلى هذا السر يدور ما في إن ولو الوصليتين من التأكيذ وقد مر زيادة تحقيق لهذا ما رار (هو الذي أرسل رسوله) ملتبساً (بالهدى) أي القرآن الذي هو هدى للمؤمنين (ودين الحق) ٣٣ الثابت وهو دين الإسلام (ليظهره) أي رسوله (على الدين كله) أي على أهل الأديان كلهم أو ليظهر الدين الحق على سائر الأديان بنسخه إياها حسبما تقتضيه الحكمة والجملة بيان وتقرير لمضمون الجملة السابقة والكلام في قوله عز وجل (ولو كره المشركون) كما فيما سبق خلا أن وصفهم بالشرك بعد وصفهم ●

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ
عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتَنُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ
أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾

٩ التوبة

يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ
لَأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٥﴾

٩ التوبة

- ٣٤ بالكفر للدلالة على أنهم ضمو الكفر بالرسول إلى الكفر بالله (يا أيها الذين آمنوا) شروع في بيان حال
الأحبار والرهبان في إغوائهم لا راد لهم إثر بيان سوء حال الاتباع في اتخاذهم لهم أرباباً يطيعونهم في
● الأول وأمر النواهي واتباعهم لهم فيما يأتون وما يذرون (إن كثير آمن الأحبار والرهبان ليأكلون أموال
الناس بالباطل) يأخذونها بطريق الرشوة لتغيير الأحكام والشرائع والتخفيف والمساخطة فيها وإنما عبر
● عن ذلك بالآكل بناء على أنه معظم الغرض منه وتقييماً لحالهم وتنفيراً للسامعين عنهم (ويصدون) الناس
● (عن سبيل الله) عن دين الإسلام أو عن المسلك المقرر في التوراة والإنجيل إلى ما افتروه وحرّفوه بأخذ
● الرشأ أو يصدون عنه بأنفسهم بأكلهم الأموال بالباطل (والذين يكتنون الذهب والفضة) أي يجمعونها
ويحفظونها سواء كان ذلك بالدفن أو بوجه آخر والموصول عبارة إما عن الكثير من الأحبار والرهبان
فيكون مبالغة في الوصف بالحرص والضم بهما بعد وصفهم بما سبق من أخذ الرشأ والباطل في
● الأباطيل وإما عن المسلمين الكاذبين غير المنفقين وهو الأنسب بقوله عز وجل (ولا ينفقونها في سبيل
الله) فيكون نظمهم في قرن المرتشين من أهل الكتاب تغليظاً ودلالة على كونهم أسوة لهم في استحقاق
البشارة بالعذاب الأليم فالمراد بالإتفاق في سبيل الله الزكاة لما روى أنه لما نزل كبر ذلك على المسلمين فدكر
عمر لرسول الله ﷺ فقال إن الله تعالى لم يفرض الزكاة إلا ليطيب بها ما بقي من أموالكم وأمره ﷺ
ما أدى زكاه فليس يكنز أي يكنز أو عد عليه فإن الوعيد عليه مع عدم الإتفاق فيما أمر الله بالإتفاق فيه
وأما قوله ﷺ من ترك صفراء أو بيضاء كوى بها ونحوه فالمراد بها ما لم يؤد حقها لقوله ﷺ ما من
صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوى
● بها جنبه وجبينه وظهره (فبشرهم بعذاب أليم) خبر للموصول والقاء لتضمنه معنى الشرط ويجوز أن
● يكون الموصول منصوباً بفعل يفسره فبشرهم (يوم) منصوب بعذاب أليم أو بمضمر يدل عليه ذلك
● أي يعذبون أو باذكر (يحصى عليها في نار جهنم) أي يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها وأصله تحصى
النار لجعل الإحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار وأسند الفعل إلى الجار والمجرور تنبيهاً على المقصود فانتقل
من صيغة التأنيت إلى التذكير كما تقول رفعت القصة إلى الأمير فإن طرحت القصة قلت رفع إلى الأمير
ولأنما قيل عليها والمذكور شيان لأن المراد بهما دنائير ودراهم كثيرة كما قال علي رضي الله عنه أربعة آلاف

٣٤

٣٥

إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

٩ التوبة

- وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا الكلام في قوله تعالى ولا ينفقونها وقيل الضمير للأموال والكنوز فإن الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لأنهما قانون التول أو للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على أن الذهب كذلك بل أولى (فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) لأن جمعهم لها وإمساحهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعيم بالمطاعم الشبيهة والملابس البهية أو لأنهم ازوروا عن السائل وأعرضوا عنه وولوه ظهورهم أو لأنها أشرف الأعضاء الظاهرة فإنها المشتملة على الأعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد أو لأنها أصول الجهات الأربعة التي هي مقادير البدن وماخره وجنباه (هذا ما كنزتم) على إرادة القول (لا أنفسكم) لمنفعتها فكان عين مضرتها وبب تعذيبها (فذوقوا ما كنتم تكذبون) أى وبال كنزكم أو ما تكذبونه وقرئ بضم النون (إن عدة الشهور) أى عددها (عند الله) ٣٦ أى في حكمه وهو معمول لها لأنها مصدر (اثنا عشر) خبر لأن (شهرًا) تمييز مؤكد كما في قولك عندي من الدنانير عشرون دينارًا والمراد الشهور القمرية إذ عليها يدور فلك الأحكام الشرعية (في كتاب الله) في اللوح المحفوظ أو فيما أثبتته وأوجه وهو صفة اثنا عشر أى اثنا عشر شهرًا مثبتًا في كتاب الله وقوله عز وجل (يوم خلق السموات والأرض) متعلق بما في الجار والمجرور من معنى الاء تقرار أو بالكتاب على أنه مصدر والمعنى إن هذا أمر ثابت في نفس الأمر منذ خلق الله تعالى الأجرام والحركات والأزمنة (منها) أى من تلك الشهور الإثني عشر (أربعة حرم) هى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ومنه قوله ﷺ في خطبته في حجة الوداع ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهرًا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الأشهر إلى ما كانت عليه من الحل والحرمه وعاد الحج إلى ذى الحجة بعد ما كانوا أزالوه عن محله بالنسيء الذى أحدثوه في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة أبى بكر رضى الله عنه قبلها في ذى القعدة (ذلك) أى تحريم الأشهر الأربعة المعينة المعدودة وما في ذلك من معنى البعد لتفخيم المشار إليه هو (الدين القيم) المستقيم دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وكانت العرب قد تمسكت بهوراثه منهم وكانوا يعظمون الأشهر الحرم ويكرهون القتال فيها حتى أنه لولقى رجل قاتل أبيه أو أخيه لم يهجه وسوار جبا الأصم ومنصل السنة حتى أحدثوا النسيء فغيروا (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) بهنك حرمتهن وارتكاب ما حرم فيهن والمجهور على أن حرمة القتال فيهن منسوخة وأن الظلم ارتكاب المعاصي فيهن فإنه أعظم وزرأ ارتكابها في الحرم وعن عطائه أنه لا يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الأشهر الحرم إلا أن يقاتلوا وما نسخت ويؤيد الأول أنه

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِعُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ ٩ التوبة

- حصر طائفاً وغزا هوازن بجنين في شوال وذى القعدة (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة)
- أى جميعاً وهو مصدر كف عن الشيء فإن الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال (واعلموا أن الله مع للتقين) أى معكم بالنصر والإمداد فيما تباشرونه من القتال وإنما وضع المظهر ووضع مدحاً لهم بالتقوى وحشاً للقاصرين عليه وإيذاناً بأنه المدار في النصر وقيل هى بشارة و ضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم (إنما النسئ) هو مصدر نساء إذا أخره نساء ونساء ونساء ونسائنا نحو مس مساً ومسائاً ومسائاً وقرئ بهن جميعاً وقرئ بقلب الهمزة ياء وتشديد الياء الأولى فيها . كانوا إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرموا مكانه شهر آخر حتى رفضوا خصوص الأشهر واعتبروا بمجرد العدد وربما زادوا في عدد الشهور بأن يجعلوها ثلاثة عشر أو أربعة عشر ليتسع لهم الوقت ويجعلوا أربعة أشهر من السنة حراماً ولذلك نص على العدد المعين في الكتاب والسنة أى إنما تأخير حرمة شهر إلى شهر آخر (زيادة في الكفر) لأنه تحليل ما حرمه الله وتحريم ما أحله فهو كفر آخر مضمون إلى كفرهم (يضل به الذين كفروا) ضلالاً على ضلالهم القديم وقرئ على البناء للفاعل من الأفعال على أن الفعل لله سبحانه أى يخلق فيهم الضلال عند مباشرتهم لمبادئه وأسبابه وهو المعنى على القراءة الأولى أيضاً وقيل المضلون حينئذ رؤساؤهم والموصول عبارة عن أتباعهم وقرئ يضل بفتح الياء والضاد من ضلل يضل وفضل بنون العظمة (يحلونه)
- أى الشهر المؤخر (عاماً) من الأعوام ويحرمون مكانه شهر آخرى ليس بحرام (ويحرمونه) أى ما فظون على حرمة كما كانت والتعبير عن ذلك بالتحريم باعتبار إحلالهم له في العام الماضي أو لإسنادهم له إلى آلهتهم كما سيجي . (عاماً) آخر إذا لم يتعلق بتغييره غرض من أغراضهم قال الكلبي أول من فعل ذلك رجل من كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان إذا هم الناس بالصدر من الموسم يقوم فيخطب ويقول لا مرد لما قضيت وأنا الذى لا أعاب ولا أجاب فيقول له المشركون لبيك ثم يسألونه أن ينسئهم شهر أيغيرون فيه فيقول إن صفر العام حرام فإذا قال ذلك حلوا الأوتار ونزعوا الأئسنة والأزجة وإن قال حلال عقدوا الأوتار وشدوا الأزجة وأغاروا وقيل هو جنادة بن عوف الكنانى وكان مطاعاً في الجاهلية كان يقوم على جبل في الموسم فينادى بأعلى صوته إن آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم يقوم في العام القابل فيقول إن آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه وقيل هو رجل من كنانة يقال له القليس قال قائلهم [ومنا ناسى الشهر القليس] وعن ابن عباس رضى الله عنهما أول من سن النسئ عمر بن لحي
- ابن قعدة بن خندف والجملة تان تفسير للضلال أو حال من الموصول والعامل عامله (ليواطعوا) أى ليوافقوا (عدة ما حرم الله) من الأشهر الأربعة واللام متعلقة بالفعل الثانى أو بما يدل عليه مجموع الفعلين (فيحلوا ما حرم الله) بخصوصه من الأشهر المعينة (زين لهم سوء أفعالهم) وقرئ على البناء

يُنَائِبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَنْ رَضِيتُمْ
بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ ٩ التوبة
إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٩ التوبة

- للفاعل وهو الله سبحانه والمعنى جعل أعمالهم مشتهاة للطبع محبوبة للنفس وقيل خذلهم حتى حسبوا قبيح
أعمالهم حسناً فاستمروا على ذلك (والله لا يهدي القوم الكافرين) هداية موصلة إلى المطلوب البتة وإما
يهديهم إلى ما يوصل إليه عند سلوكه وهم قد صدوا عنه بسوء اختيارهم فناهوا في تبه الضلال (يأياها ٣٨
الذين آمنوا) رجوع إلى حث المؤمنين وتجريد عزائمهم على قتال الكفرة إثر بيان طرف من قبائحهم
الموجبة لذلك (مالكم) استفهام فيه معنى الإنكار والتوبيخ (إذا قيل لكم أنفروا في سبيل الله أتأفلتم)
تباطأتم وتقاستم أصله تنافلتم وقد قرئ كذلك أى أى شيء حصل أو حاصل لكم أو ما تصنعون حين
قال لكم النبي ﷺ أنفروا أى اخرجوا إلى الغزو في سبيل الله متفائلين على أن الفعل ماض لفظاً مضارع
معنى كأنه قيل تتفائلون فالعامل في الظرف الاستقرار المقدر في لكم أو معنى الفعل المدلول عليه بذلك
ويجوز أن يعمل فيه الحال أى مالكم متفائلين حين قيل لكم أنفروا وقرئ أتأفلتم على الاستفهام
الإنكارى التوبيخى فالعامل في الظرف حينئذ إنما هو الأول (إلى الأرض) متعلق بتأفلتم على تضمينه
معنى الميل والإخلاد أى أتأفلتم ماثلين إلى الدنيا وشهواتها الفانية عما قليل وكرهتم مشاق الغزو ومتاعه
المستتبع للراحلة الخالدة كقوله تعالى أخلد إلى الأرض واتبع هواه أو إلى الإقامة بأرضكم ودياركم
وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ
وقد أدركت ثمار المدينة وطابت ظلالها مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ذلك وقيل ما خرج رسول
الله ﷺ في غزوة غزاها إلا ورى بغيرها إلا في غزوة تبوك فإنه ﷺ بين لهم المقصد فيها ليستعدوا لها
(أرضيتم بالحياة الدنيا) وغروها (من الآخرة) أى بدل الآخرة ونعيمها الدائم (فما متاع الحياة الدنيا)
أظهر في مقام الإضمار لزيادة التقرير أى فما التمتع بها وبلذاتها (في الآخرة) أى في جنب الآخرة (إلا
قليل) أى مستحق لا يؤبه له وفي ترشيح الحياة الدنيا بما يؤذن بنفاستها ويستدعى الرغبة فيها وتجريد
الآخرة عن مثل ذلك مبالغة في بيان حقارة الدنيا ودناءتها وعظم شأن الآخرة وعلوها (إلا تنفروا) ٣٩
أى إن لا تنفروا إلى ما استنفرتهم إليه (يعذبكم) أى الله عز وجل (عذاباً أليماً) أى يهلككم بسبب
فطئع هائل كقحط ونحوه (ويستبدل) بكم بعد إهلاككم (قوماً غيركم) وصفهم بالمغايرة لهم التأكيد
الوعيد والتشديد في التهديد بالدلالة على المغايرة الوصفية والذاتية المستلزمة للاستئصال أى قوماً مطيعين
مؤثرين للآخرة على الدنيا ليسوا من أولادكم ولا أرحامكم كأهل اليمن وأبناء فارس وفيه من الدلالة على
٩ - أبو السعود ج ٤

إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ
لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدُوهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ
كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٩﴾

٩ التوبة

- شدة السخط مالا يخفى (ولا تنصروه شيئاً) أى لا يقدح تفاقمكم في نصرة دينه أصلاً فإنه الغنى عن كل شيء
- في كل شيء وقيل الضمير للرسول ﷺ فإن الله عز وجل وعده بالعصمة والبصرة وكان وعده مفعولاً
- لا محالة (والله على كل شيء قدير) فيقدر على إهلاككم والإتيان بقوم آخرين (إلا تنصروه فقد نصره الله)
- أى إن لم تنصروه فسينصره الله الذى قد نصره في وقت ضرورة أشد من هذه المرة فحذف الجزاء وأقيم
- سببه مقامه أو إن لم تنصروه فقد أوجب له البصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره (إذ
- أخرجه الذين كفروا) أى تسبوا وأخرجوه حيث أذن له ﷺ في ذلك حين هموا بإخراجه (ثاني اثنين) حال
- من ضميره ﷺ وقرىء بسكون الياء على لغة من يجرى الناقص مجرى المقصور في الإعراب أى أحد اثنين
- من غير اعتبار كونه ﷺ ثانياً فإن معنى قولهم ثالث ثلاثة ورابع أربعة ونحو ذلك أحد هذه الأعداد
- مطلقاً لا الثالث والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور أن ينصب ما بعده بأن يقال ثالث ثلاثة ورابع أربعة
- وقدر في قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة من سورة المائدة وجعله ﷺ ثانيهما مشى
- الصديق أمامه ودخوله في الغار أولاً لكنسه وتسوية البساط كما ذكر في الأخبار تمحل مستغنى عنه (إذ
- هما في الغار) بدل من إذ أخرجه بدل البعض إذ المراد به زمان متسع والغار ثقب في أعلى ثور وهو جبل
- في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكشافيه ثلاثاً (إذ يقول) بدل ثان أو ظرف لثاني (لصاحبه) أى الصديق
- (لا تحزن إن الله معنا) بالعون والعصمة والمراد بالمعية الولاية الدائمة التى لا تحوم حول صاحبها شائبة
- شيء من الحزن وما هو المشهور من اختصاص مع المنتبوع فالمراد بما فيه من المنتوعية هو المنتوعية في
- الأمر المباشر روى أن المشركين طلعموا فوق الغار فاشفق أبو بكر رضى الله عنه على رسول الله ﷺ فقال
- إن نصب اليوم ذهب دين الله فقال ﷺ ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله تعالى
- حمامتين فباضتا في أسفله والعنكبوت فتسجعت عليه وقال رسول الله ﷺ اللهم اعم أبصارهم فجعلوا
- يترددون حول الغار ولا يفتنون قد أخذ الله تعالى أبصارهم عنه وفيه من الدلالة على علو طبقة الصديق
- رضى الله عنه وسابقة صحبته مالا يخفى ولذلك قالوا من أنكر حجة أبى بكر رضى الله عنه فقد كفر لإنكاره
- كلام الله سبحانه وتعالى (فأنزل الله سكينته) أمنت التى تسكن عندها القلوب (عليه) على النبي ﷺ فالمراد
- بهما لا يحوم حول شائبة الخوف فضلاً أو على صاحبهما وهو الموضح وأما النبي ﷺ فكان على طمأنينة من
- أمره (وأيدوه بجنود لم تروها) صلب على نصرته والجنود هم الملائكة الموكلة بالرسول يوم بدر والاحزاب
- وحنين وقيل هم الملائكة أنزلهم الله ليحرسوه في الغار وبأباه وصفهم بعدم رؤية المخاطبين لهم وقوله عز
- وعلاً (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى) يعنى الشرك أو دعوة الكفر فإن ذلك العمل لا يتحقق بمجرد

انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾

٩ التوبة

لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشَّقَّةُ وَسَيَّحِلُّونَ بِأَلْفِهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا نَخْرِجَنَّكُمْ مَعَكُمْ يَهْلِكُونَ أَنْفُسُهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾

٩ التوبة

- الإنجاء بل بالقتل والأسر ونحو ذلك (وكلمة الله) أي التوحيد أو دعوة الإسلام (هي العليا) لا يدانيها شيء .
- وتغيير الأسلوب للدلالة على أنها في نفسها كذلك لا يتبدل شأنها ولا يتغير حالها دون غيرها من الكلام ولذلك
- وسط ضمير الفعل وقرىء بالنصب عطفاً على كلمة الذين (والله عزيز) لا يغالب (حكيم) في حكمه وتدييره
- (انفروا) تجريد للأمر بالنفور بعد التوبيخ على تركه والإنكار على المساهلة فيه وقوله تعالى (خفافاً وثقالاً) حالان من ضمير المخاطبين أي على أي حال كان من يسر وعسر حاصلين بأي سبب كان من الصحة والمرض أو الغنى والفقر أو قلة العيال وكثرتهم أو غير ذلك مما ينتظمه مساعدة الأسباب وعدمها بعد الإمكان والقدرة في الجملة وما ذكر في تفسيرهما من قولهم خفافاً لقلة عيالكم وثقالاً لكثرتها أو خفافاً من السلاح وثقالاً منه أو ركبائاً ومشاة أو شباناً وشيوخاً أو مهازبل وسماناً أو محاحاً ومراضاً ليس لتخصيص الأمرين المتقابلين بالإرادة من غير مقارنة للباقي وعن ابن أم مكتوم أنه قال لرسول الله ﷺ أعلی أن أنفر قال ﷺ نعم حتى نزل ليس على الأعمى حرج . وعن ابن عباس رضي الله عنهما نسخت بقوله عز وجل ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) لإيجاب للجهاد بهما إن أمكن
- وبأحدهما عند إمكانه وإعواز الآخر حتى إن من ساعده النفس والمال يجاهد بهما ومن ساعده المال دون النفس يغزى مكانه من حاله على عكس حاله إلى هذا ذهب كثير من العلماء وقيل هو لإيجاب للقسم الأول فقط (ذاكم) أي ما ذكر من النفي والجهاد وما في اسم الإشارة من معنى البعد للإيدان ببعده منزله في الشرف (خير لكم) أي خير عظيم في نفسه أو خير مما يبتغى بتركه من الراحة والدعة وسعة العيش والتمتع بالأموال والأولاد
- (إن كنتم تعلمون) أي تعلمون الخير علمتم أنه خير أولاً إن كنتم تعلمون أنه خير إذ لا احتمال لغير الصدق
- في أخبار الله تعالى فبادروا إليه (لو كان) صرف للخطاب عنهم وتوجيه له إلى رسول الله ﷺ تعديداً لما ٤٢ صدر عنهم من الهنات قولاً وفعلًا على طريق المباشرة وبياناً لعداءهمهم وسائر ذاعلمهم أي لو كان مادعوا إليه (عرضاً قريباً) العرض ما عرض لك من منافع الدنيا أي لو كان ذلك غنماً سهل المآخذ قريب المال
- (وسفراً قاصداً) ذا قصد بين القريب والبعيد (لا تبعوك) في النفي طمعاً في الفوز بالغنيمة وتعليق
- الاتباع بكلا الأمرين يدل على عدم تحققه عند توسط السفر فقط (ولكن بعدت عليهم الشقة) أي
- المسافة الشاقة التي تقطع بمشقة وقرىء بكسر العين والسين (وسيحلفون) أي المتخلفون عن الغزو
- وقوله تعالى (بالله) إمام متعلق بسيحلفون أو هو من جملة كلامهم والقول مراد على الوجهين أي سيعلفون

عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾ ٩ التوبة

- بالله اعتذار أعد قفولك قائلين (لو استطعنا) أو سيحلفون قائلين بالله لو استطعنا الخ أى لو كان لنا استطاعة
- من جهة العدة أو من جهة الصحة أو من جهة ما جميعاً حسبما عن لهم من الكذب والتعلل وعلى كلا
- التقديرين فقوله تعالى (لخر جئنا معكم) سادس جواب القسم والشرط جميعاً أما على الثانى فظاهر وأما
- على الأول فلأن قولهم لو استطعنا فى قوة بالله لو استطعنا لأنه بيان لقوله تعالى سيحلفون بالله وتصديق
- لهم بالإخبار بما سيكون منهم بعد القفول وقد وقع حسبما أخبر به من جملة المعجزات الباهرة وقرئ
- لو استطعنا بضم الواو تشبيهاً لها بواو الجمع كما فى قوله عز وجل فتمنوا الموت (يهلكون أنفسهم) بدل من
- سيحلفون لأن الحلف الكاذب إهلاك للنفس ولذلك قال ﷺ اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع أو حال
- من فاعله أى مهلكين أنفسهم أو من فاعل خرجنا جئ به على طريقة الإخبار عنهم كأنه قيل نهلك أنفسنا
- أى لخر جئنا معكم مهلكين أنفسنا كما فى قولك حلف ليفعلن مكان لا فعلن (والله يعلم إنهم لكاذبون)
- أى فى مضمون الشرطية وفيها ادعوا ضمناً من انتفاء تحقق المقدم حيث كانوا مستطيعين للخروج ولم يخرجوا
- ٤٣ (عفا الله عنك) صريح فى أنه سبحانه وتعالى قد عفا عنه ﷺ ما وقع منه عند استئذان المتخلفين فى التخلف
- معتذرين بعدم الاستطاعة وإذنه اعتماداً على إيمانهم ومواثيقهم لخلوها عن المزاحم من ترك الأولى
- والأفضل الذى هو الثانى والتوقف إلى انجلاء الأمر وانكشاف الحال وقوله عز وجل (لم أذن لهم)
- أى لآى سبب أذن لهم فى التخلف حين اعتلوا بعلمهم بيان لما أشير إليه بالعفو من ترك الأولى وإشارة
- إلى أنه ينبغى أن تكون أموره ﷺ منوطة بأسباب قوية موجبة لها أو مصححة وأن ما برزوه فى معرض
- التعلل والاعتذار مشفوعاً بالإيمان كان بمنزل من كونه سبباً للإذن قبل ظهور صدقه وكلنا اللامين
- متعلقة بالإذن لا اختلافهما فى المعنى فإن الأولى للتعليل والثانية للتبليغ والضمير المحرور لجميع المستأذنين
- وتوجه الإنكار إلى الإذن باعتبار شموله لكل لا باعتبار تعلقه بكل فرد دللته عدم استطاعة بعضهم
- كما ينبى عنه قوله سبحانه (حتى يتبين لك الذين صدقوا) أى فيما أخبروا به عند الاعتذار من عدم
- الاستطاعة من جهة المال أو من جهة البدن أو من جهة ما جميعاً عن لهم هناك (وتعلم الكاذبين) فى
- ذلك فتعامل كلا من الفريقين بما يستحقه وهو بيان لذلك الأولى الأفضل وتخصيصه ﷺ عليه فإن كلمة
- حتى سواء كانت بمعنى اللام أو بمعنى إلى لا يمكن تعلقها بقوله تعالى لم أذن لا استلزامه أن يكون إذنه
- ﷺ لهم معللاً أو مغياً بالتبين والعلم ويكون توجه الاستفهام إليه من تلك الحيثية وذلك بين الفساد بل
- ما يدل عليه ذلك كأنه قيل لم سارعت إلى الإذن لهم وهلا تأنيت حتى ينجلي الأمر كما هو قضية الحزم .
- قال قتادة وعمر بن ميمون اثنان فعلمهما رسول الله ﷺ لم يؤمر فيهما بشئ إذنه للنافقين وأخذه
- الفداء من الأسارى فعاتبه الله تعالى كما تسمعون وتغيير الأسلوب بأن عبر عن الفريق الأول بالموصول
- الذى صلته فعل دال على الحدوث وعن الفريق الثانى باسم الفاعل المفيد للدوام للإيدان بأن ما ظهر من
- الأولين صدق حادث فى أمر خاص غير مصحح لنظمهم فى سلك الصادقين وأن ما صدر من الآخرين

لَا يَسْتَفْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾

٩ التوبة

وإن كان كذبا حادثا متعلقا بأمر خاص لكنه أمر جار على عاداتهم المستمرة ناشئ عن رسوخهم في الكذب والتعمير عن ظهور الصدق بالتبين وعما يتعلق بالكذب بالعلم لما هو المشهور من أن مدلول الخبر هو الصدق والكذب احتمال عقلي فظهور صدقه لإنها هو تبين ذلك المدلول وانقطاع احتمال نقيضه بعد ما كان محتملا له احتمالا عقليا وأما كذبه فأمر حادث لادلالة للخبر عليه في الجملة حتى يكون ظهوره تبيناً له بل هو نقيض لمدلوله فما يتعلق به يكون علماً مستأنفاً وإسناده إلى ضميره ﷺ لا إلى المعلومين ببناء الفعل للفعول مع إسناد التبين إلى الأولين لما أن المقصود ههنا علمه ﷺ بهم ومؤاخذتهم به وجبه بخلاف الأولين حيث لا مؤاخذة عليهم ومن لم يقنعه لهذا قال حتى يتبين لك من صدق في عذره من كذب فيه وإسناد التبين إلى الأولين وتعليق العلم بالآخرين مع أن مدار الإسناد والتعلق أولاً وبالذات هو وصف الصدق والكذب كما أشير إليه لما أن المقصد هو العلم بكلا الفريقين باعتبار اتصافهما بوصفیهما المذكورين ومعاملتهمما بحسب استحقاقهما لا العلم بوصفیهما بذاتيهما أو باعتبار قيامهما بوصفیهما هذا وفي تصدير فاتحة الخطاب ببشارة العفو دون ما يوم العتاب من مراعاة جانبه ﷺ وتعمده بحسن المفاوضة ولطف المراجعة ما لا يخفى على أولى الأبواب . قال سفيان بن عيينة انظروا إلى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل ذكر المعفو ولقد أخطأ وأساء الأدب وبئسما فعل فيما قال وكتب من زعم أن الكلام كناية عن الجناية وأن معناه أخطاء وبئسما فعلت هـ أنه كناية أليس إثارتها على التصريح بالجناية للتلطيف في الخطاب والتخفيف في العتاب وهـ أن العفو مستلزم للخطأ فهل هو مستلزم لكونه من القبح واستتباع اللائمة بحيث يصحح هذه المرتبة من المشافهة بالسوء أو يسوغ إنشاء الاستقباح بكلمة بئسما المنبئة عن بلوغ القبح إلى رتبة يتمعجب منها ولا يخفى أنه لم يكن في خروجهم مصلحة للدين أو منفعة للمسلمين بل كان فيه فساد وخبال حسبما نطق به قوله عز وجل لو خرجوا إلخ وقد كرهه سبحانه كما يفصح عنه قوله تعالى ولكن كره الله انبعاثهم الآية . نعم كان الأولى تأخير الإذن حتى يظهر كذبهم أثر ذى أثر ويفتضحوا على رموس الأشهاد ولا يتمكنوا من التمتع بالعيش على الأمن والدعة ولا يتسنى لهم الابتهاج فيما بينهم بأنهم غرره ﷺ وأرضوه بالأكاذيب على أنه لم يهنا لهم عيش ولا قرت لهم عين إذ لم يكونوا على أمن واطمئنان بل كانوا على خوف من ظهور أمرهم وقد كان (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر) ٤٤ تنبيه على أنه كان ينبغي أن يستدل باستئذانهم على حالهم ولا يؤذن لهم أى ليس من عادة المؤمنين أى يستأذنونك في (أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم) وأن الخلف منهم يبادرون إليه من غير توقف على الإذن فضلا عن أن يستأذنونك في التخلف وحيث استأذنتك هؤلاء في التخلف كان ذلك مثنة للتأني في أمرهم بل دليلا على نفاقهم وقيل المستأذن فيه محذوف ومعنى قوله تعالى أن يجاهدوا كراهة أن يجاهدوا ثم

إِنَّمَا يَسْتَعِذُّكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا
يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾

٩ التوبة

وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ
الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾

٩ التوبة

- قبل المحذوف هو التخلف والمعنى لا يستأذنك المؤمنون في التخلف كراهة الجهاد فيتوجه النفي إلى القيد
وبه يمتاز المؤمن من المنافق وهو وإن كان في نفسه أمراً خفياً لا يوقف عليه بادية الأمر لكن عامة
أحوالهم لما كانت منبئة عن ذلك جمل أمراً ظاهراً مقررأ وقيل هو الجهاد أى لا يستأذنك المؤمنون في
الجهاد كراهته أن يجاهدوا بناء على أن الاستئذان في الجهاد ربما يكون لكراهته ولا يخفى أن الاستئذان
في الشيء لكراهته مما لا يقع بل لا يعقل ولو سلم وقوعه فلا يستأذن لعله لكراهته مما لا يمتاز بحسب
الظاهر من الاستئذان لعله الرغبة ولو سلم فالذى نفي عن المؤمنين يجب أن يثبت للمنافقين وظاهر أنهم
● لم يستأذنوا في الجهاد لكراهتهم له بل إنما استأذنوا في التخلف (والله عليم بالمتقين) شهادة لهم بالانظام
في سلك المتقين وعدة لهم بأجزل الثواب وتقرير لمضمون ما سبق كأنه قيل والله عليم بأنهم كذلك
٤٥ وإشعار بأن ما صدر عنهم معطل بالتقوى (إنما يستأذنك) أى في التخلف مطلقاً على الأول أو لكراهة
● الجهاد على الثاني (الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) تخصيص الإيمان بهما في الموضوعين للإيدان بأن
الباعث على الجهاد ببذل النفس والمال إنما هو الإيمان بهما إذ به يتسنى للمؤمنين استبدال الحياة الأبدية
● والنعيم المقيم الخالد بالحياة الفانية والمناع الكاسد (وارتابت قلوبهم) عطف على الصلة وإيثار صبغة
● الماضي للدلالة على تحقق الريب وتقرره (فهم) حال كونهم (في ريبهم) وشكهم المستقر في قلوبهم
● (يترددون) أى يتحيرون فإن التردد ديدن المتحير كما أن الثبات ديدن المستبصر والتعبير عنه به مما لا يخفى
٤٦ حسب موقعه (ولو أرادوا الخروج) يدل على أن بعضهم قالوا عند الاعتذار كما نريد الخروج لكن
● لم تنهأ له وقد قرب الرحيل بحيث لا يمكننا الاستعداد فقيل تكذيباً لهم لو أرادوا (لأعدوا له) أى
● للخروج في وقته (عدة) أى أهبة من الزاد والراحلة والسلاح وغير ذلك مما لا بد منه للسفر وقرئ عدة
بحذف التاء والإضافة إلى ضمير الخروج كما فعل بالعدة من قال [وأخلفوك عد الأمر الذي وعدوا] أى
● عدته وقرئ عدة بكسر العين وعدة بالإضافة (ولكن كره الله انبعاثهم) أى نهوضهم للخروج . قيل
هو استدراك عما يفهم من مقدم الشرطية فإن انتفاء إرادتهم للخروج يستلزم انتفاء خروجهم وكراهة
الله تعالى انبعاثهم تستلزم تثبطهم عن الخروج فكأنه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا والاتفاق في المعنى
لا يمنع الوقوع بين طرفي لكن بعد تحقق الاختلاف نفياً وإثباتاً في اللفظ كقولك ما أحسن إلى زيد
ولكن أساء والأظهر أن يكون استدراكاً من نفس المقدم على نهج ما في الأقيسة الاستثنائية والمعنى

لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خَلْقَكُمْ يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾

٩ التوبة

لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿٤٨﴾ ٩ التوبة

- لو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن ما أرادوه لما أنه تعالى كره انبعاثهم لما فيه من المفساد التي ستبين (فتبطهم) أي حبسهم بالجبن والكسل فتبطوا عنه ولم يستعدوا له (وقيل أقدوا مع القاعدين) تمثيل ● لإلقاء الله تعالى كراهة الخروج في قلوبهم أو لوسوسة الشيطان بالأمربالقعود أو هو حكاية قول بعضهم لبعض أو هو إذن رسول الله ﷺ لهم في القعود والمراد بالقاعدين إما المعذورون أو غيرهم وأياً ما كان فغير خال عن الذم (لو خرجوا فيكم) بيان لسر كراهته تعالى لانبعائهم أي لو خرجوا مخالطين لكم ٤٧ (ما زادوكم) أي ما أورتوكم شيئاً من الأشياء (إلا خبالاً) أي فساداً وشرأفاً لاستثناء مفرغ متصل وقيل ● منقطع وليس بذلك (ولا وضعوا خلاكم) أي ولسعوا فيما بينكم بالنائم والتضريب وإفساد ذات البين ● من وضع البعير وضماً إذا أسرع وأضعته أنا أي حملته على الإسراع والمعنى لا وضعوا ركاتهم بينكم والمراد به المبالغة في الإسراع بالنائم لأن الراكب أسرع من الماشي وقرئ ولا رقصوا من رقصت الناقة أسرع وأرقتها أنا وقرئ ولا وفضوا أي أسرعوا (يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ) يحاولون أن يفتنوكم بإيقاع ● الخلاف فيما بينكم وإلقاء الرعب في قلوبكم وإفساد نياتكم والجملة حال من ضمير أضعوا أو استئناف (وفيكم سماعون لهم) أي غمامون يسمعون حديثكم لأجل نقله إليهم أو فيكم قوم ضعفة يسمعون ● للمنافقين أي يطيعونهم والجملة حال من مفعول يَبْغُونَكُمُ أو من فاعله لاشتغالها على ضميريهما أو مستأنفة ولعلمهم لم يكونوا في كمية العدد وكيفية الفساد بحيث يخل مكانهم فيما بين المؤمنين بأمر الجهاد لإخلا لا عظيماً ولم يكن فساد خروجهم معادلاً لمنفعته ولذلك لم تقتض الحكمة عدم خروجهم فخرجوا مع المؤمنين ولكن ● حيث كان انضمام المنافقين القاعدين إليهم مستتبعا لخلال كل كره الله انبعائهم فلم يتسن اجتماعهم فاندفع فسادهم ووجه العتاب على الإذن في قعودهم مع تقرر له لا محالة وتضمن خروجهم لهذه المفساد أنهم لو قعدوا بغير إذن منه ﷺ لظهر نفاقهم فيما بين المسلمين من أول الأمر ولم يقدرُوا على مخالطتهم والسعي فيما بينهم بالأراجيف ولم يتسن لهم التمتع بالعيش إلى أن يظهر حالهم بقوارع الآيات النازلة (والله عليم بالظالمين) علماً ● محيطاً بضمائرهم وظواهرهم وما فعلوا فيها مضى وما يتأتى منهم فيما سأتى ووضع المظهر ووضع المضمحل للتسجيل عليهم بالظلم والتشديد في الوعيد والإشعار بترتبته على الظلم ولعله شامل للفريقين الساعين والقاعدين (لقد ٤٨ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ) تشتيت شملك وتفريق أصحابك منك (من قبل) أي يوم أحد حين انصرف عبد الله بن أبي بن سلول المنافق بمن معه وقد تخلف بمن معه عن تبوك أيضاً بعد ما خرج مع النبي ﷺ إلى ذي جدة أسفل من ثنية الوداع وعن ابن جريج رضى الله عنه وقفوا الرسول ﷺ على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلاً من المنافقين ليفتكوأ به ﷺ فردم الله تعالى خاسئين (وقلبوا لك الأمور) تقلب الأمر تهريفه من وجه إلى وجه ●

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَتَذُنُنِي وَأَنَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنْ جَهَنَّمُ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ ٩ التوبة
 إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ
 فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ ٩ التوبة

- وترديده لأجل التدبير والاجتهاد في المكر والحيلة يقال للرجل المنصرف في وجوه الحيل حول وقلب
 • أي اجتهدوا ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الآراء في إبطال أمرك وقرىء بالتنخيف (حتى جاء
 • الحق) أي النصر والتأييد الإلهي (وظهر أمر الله) غلب دينه وعلا شرعه (وهم كارهون) والحال أنهم
 كارهون لذلك أي على رغم منهم والآيتان لتسليية الرسول ﷺ والمؤمنين عن تخلف المتخلفين وبيان
 ما يبطلهم الله تعالى لأجله وهتك أستارهم وكشف أسرارهم وإزاحة أعذارهم تداركا لما عسى يفوت
 ٤٩ بالمبادرة إلى الإذن وإيداناً بأن ما فات بها ليس مما لا يمكن تلافيه تهويئاً للخطب (ومنها من يقول أذن
 • لي) في القعود (ولا تفتني) أي لا توقعني في الفتنة وهي المعصية والإثم يريد إني متخلف لا محالة أذنت
 أو لم تأذن فأتذن لي حتى لا أقع في المعصية بالمخالفة أو لا تلقني في الهلكة فإني إن خرجت معك هلك
 مالي وعيالي لعدم من يقوم بمصالحهم وقيل قال الجدي بن قيس قد علمت الانصار أني مشتهر بالنساء فلا
 تفتني بينات الأصفر يعني نساء الروم ولكن أعينك بمالي فارتكني وقرىء ولا تفتني من أفتنه بمعنى فتنه
 • (ألا في الفتنة) أي في عينها ونفسها وأكمل أفرادها الغنى عن الوصف بالكمال الحقيقي باختصاص اسم
 • الجنس به (سقطوا) لافي شيء مغاير لها فضلا عن أن يكون مهرباً ومخلصاً عنها وذلك بما فعلوا من
 العزيمة على التخلف والجراءة على الاستئذان بهذه الطريقة الشنيعة ومن القعود بالإذن المبني عليه وعلى
 الاعتذارات الكاذبة وقرىء بإفراد الفعل محافظة على لفظ من وفي تصدير الجملة بحرف التنبيه مع تقديم
 الظرف إيداناً بأنهم وقعوا فيها وهم يحسبون أنها منجى من الفتنة زعماء منهم أن الفتنة إنما هي التخلف
 بغير إذن وفي التعبير عن الافتتان بالسقوط في الفتنة تنزيل لها منزلة المهوأة المهلكة المفصحة عن ترديهم
 • في دركات الردى أسفل سافلين وقوله عز وجل (وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) وعيد لهم على ما فعلوا
 معطوف على الجملة السابقة داخل تحت التنبيه أي جامعة لهم يوم القيامة من كل جانب وإيثار الجملة
 الاسمية للدلالة على الثبات والاستمرار أو محيطتهم الآن تنزيلاً لشيء سيقع عن قريب منزلة الواقع
 أو وضعاً لأسباب الشيء موضعه فإن مبادئ إحاطة النار بهم من الكفر والمعاصي محيطتهم بهم الآن
 من جميع الجوانب ومن جعلها ما فروا منه وما سقطوا فيه من الفتنة وقيل تلك المبادئ المتشكلة بصور
 الأعمال والأخلاق هي النار بعينها ولكن لا يظهر ذلك في هذه النشأة وإنما يظهر عند تشكلها
 بصورها الحقيقية في النشأة الآخرة والمراد بالكافرين إما المنافقون وإيثار وضع المظهر موضع المضمّر
 للتسجيل عليهم بالكفر والإشعار بأنه معظم أسباب الإحاطة المذكورة وإما جميع الكافرين الشاملين
 • ٥. للمنافقين شمولاً أولاً (إن تصيبك) في بعض مغازيك (حسنة) من الظفر والغنيمة (تسؤم) تلك الحسنة

قُلْ لَّنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ٩ التوبة
 قُلْ هَلْ تَرَبُّصُونَ بِنَا إِلَّا لِأَحَدٍ الْحُسَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ
 أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ ٩ التوبة

- أى تورثهم مساواة لفرط حسدهم وعداوتهم لك (وإن تصبك) فى بعضها (مصيبة) من نوع شدة
- (يقولوا) متبجحين بما صنعوا حامدين لأرائهم (قد أخذنا أمرنا) أى تلافينا ما بهمننا من الأمر يعنون
- به الاعتزال عن المسلمين والقعود عن الحرب والمداراة مع الكفرة وغير ذلك من أمور الكفر والنفاق
- قولاً وفعلاً (من قبل) أى من قبل إصابتهم بالمصيبة فى وقت تداركه يشيرون بذلك إلى أن المعاملة المذكورة
- لأنها تروج عند الكفرة بوقوعها حال قوة الإسلام لا بعد إصابتهم بالمصيبة (ويتولوا) عن مجلس الاجتماع
- والتحدث إلى أهاليهم أو يعرضوا عن النبي ﷺ (وهم فرحون) بما صنعوا من أخذ الأمور بما أصابه
- ﷺ والجملة حال من الضمير فى يقولوا ويتولوا لا فى الأخير فقط لمقارنة الفرح لهما معاً وإيثار الجملة الاسمية
- للدلالة على دوام السرور وإسناد المساءة إلى الحسنة والمسرة إلى أنفسهم دون المصيبة بأن يقال وإن تصبك
- مصيبة تسرهم للإيذان باختلاف حالهم حالتى عروض المساءة والمسرة بأنهم فى الأولى مضطرون وفى
- الثانية مختارون (قل) بياناً لبطلان ما بنوا عليه مسرتهم من الاعتقاد (لن يصيبنا) أبدأ وقرئ هل ٥١
- يصيبنا وهل يصيبنا من يفعل لا من فعل لأنه واوى يقال صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب
- (إلا ما كتب الله لنا) أى أثبتته لمصلحتنا الدنيوية أو الآخروية من النصرة عليكم أو الشهادة المؤدية إلى
- النعيم الدائم (هو مولانا) ناصرنا ومتولى أمورنا (وعلى الله) وحده (فليتوكل المؤمنون) التوكل تفويض
- الأمر إلى الله والرضا بما فعله وإن كان ذلك بعد ترتيب المبادئ العادية والفاء الدلالة على السببية والأصل
- ليتوكل المؤمنون على الله قدم الظرف على الفعل لإفادة القصر ثم أدخل الفاء الدلالة على استيجابه تعالى
- للتوكل عليه كما فى قوله تعالى وإياى فارهبون والجملة إن كانت من تمام الكلام المأمور به فإظهار الاسم
- الجليل فى مقام الإضمار لإظهار التبرك واللذذ به وإن كانت مسوقة من قبله تعالى أمر المؤمنين بالتوكل
- إثر أمره ﷺ بما ذكر فالأمر ظاهر وكذا إعادة الأمر فى قوله عز وجل (قل هل ترهبون بنا) لا تقطاع ٥٢
- حكم الأمر الأول بالثانى وإن كان أمر الغائب وأما على الوجه الأول فهى لإبراز كمال العناية بشأن المأمور
- به والإشعار بما بينه وبين ما أمر به أولاً من الفرق فى السياق والترتب التمسك مع انتظار مجئ شئ خير
- كان أو شرراً والباء للتعدية وإحدى النامى محذوفة أى ما تنتظرون بنا (إلا إحدى الحسينين) أى العاقبتين
- اللتين كل واحدة منهما هى حسنى العواقب وهما النصر والشهادة وهذا نوع بيان لما أبهم فى الجواب
- الأول وكشف الحقيقة الحال بإعلام أن ما يزعمونه مضرة للمسلمين من الشهادة أنفع مما يعدونه من منفعة من
- النصر والغنيمة (ونحن نترصد بكم) إحدى السوأتين من العواقب إما (أن يصيبكم الله بعذاب من عنده)

- ٩ التوبة ﴿٥٣﴾ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٥﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٦﴾
- ٩ التوبة ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٥﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٦﴾
- ٩ التوبة ﴿٥٥﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٦﴾
- ٩ التوبة ﴿٥٦﴾

- كما أصاب من قبلكم من الأمم المملوكة والظرف صفة عذاب ولذلك حذف عامله وجوباً (أو) بعذاب
 ● (بأيدينا) وهو القتل على الكفر (فتربصوا) الفاء فصيحة أى إذا كان الأمر كذلك فتربصوا بنا ما هو
 ● عاقبتنا (إننا معكم متربصون) ما هو عاقبتكم فإذا اتى كل منا ومنكم ما يتربصه لا تشاهدون إلا ما يسرنا ولا
 ٥٣ نشاهد إلا ما يسوؤكم (قل أنفقوا) أموالكم في سبيل الله (طوعاً أو كرها) مصدران وقعا موقع الفاعل
 أى طائعين أو كارهين وهو أمر فى معنى الخبر كقوله تعالى استغفر لهم أولاً تستغفر لهم والمعنى أنفقتم
 ● طوعاً أو كرها (لن يتقبل منكم) ونظم الكلام فى سلك الأمر للبالغة فى بيان تساوى الأمرين فى عدم
 القبول كأنهم أمروا بأن يمتحنوا الحال فينفقوا على الحالين فينظروا هل يتقبل منهم فيشاهدوا عدم القبول
 وهو جواب قول جد بن قيس ولكن أعينك بمالى ونفى التقبل يحتمل أن يكون بمعنى عدم الأخذ منهم
 ● وأن يكون بمعنى عدم الإثابة عليه وقوله عز وجل (إنكم كنتم قوماً فاسقين) أى عاتين متعدين لتعليل الرد
 ٥٤ إنفاقهم (وما منعهم أن تقبل منهم) وقرئ بالتحثانية (نفقاتهم) إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله) استثناء
 من أعم الأشياء أى ما منعهم قبول نفقاتهم منهم شئ من الأشياء إلا كفرهم وقرئ يقبل على البناء للفاعل
 ● وهو الله تعالى (ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى) أى لا يأتونها فى حال من الأحوال إلا حال كونهم
 ● متثاقلين (ولا ينفقون إلا وهم كارهون) لأنهم لا يرجون بهما ثواباً ولا يخافون على تركهما عقاباً فقوله
 ٥٥ تعالى طوعاً أى من غير إلزام من جهته ﷺ لا رغبة أو هو فرضى لتوسيع الدائرة (فلا تعجبك أموالهم
 ● ولا أولادهم) فإن ذلك استدراج لهم ووبال عليهم حسبما ينبى عنه قوله عز وجل (إنما يريد الله ليعذبهم
 بها فى الحياة الدنيا) بما يكابدون لجمعها وحفظها من المناعب وما يقاسون فيها من الشدائد والمصائب
 ● (وتزهق أنفسهم وهم كافرون) فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر فى العاقبة فيكون ذلك لهم نقمة
 ٥٦ لانعمة وأصل الزهوق الخروج بصعوبة (ويحلفون بالله إنهم لمنكم) فى الدين والإسلام (وما هم منكم)
 ● فى ذلك (ولكنهم قوم يفرقون) يخافون أن يفعل بهم ما يفعل بالمشركين فيظفرون الإسلام تقية ويؤيدونه

لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغْرَبًا أَوْ مَدْخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾
وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلْزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾
وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا
إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾

٩ التوبة

٩ التوبة

٩ التوبة

- بالإيمان الفاجرة (لويجدون ملجأ) استئناف مقرر لمضمون ماسبق من أنهم ليسوا من المسلمين وأن ٥٧
التجاء هم إلى الانتفاء إليهم إنما هو للتقية اضطراراً حتى أنهم لو وجدوا غير ذلك ملجأ أى مكاناً حصيناً
يلجأون إليه من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة وإيثار صيغة الاستقبال في الشرط وإن كان المعنى على
الماضي لإفادة استمرار عدم الوجدان فإن المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس نصاً في إفادة انتفاء
استمرار الفعل كما هو الظاهر بل قد يفيد استمرار انتفائه أيضاً حسبما يقتضيه المقام فإن معنى قولك
لو تحسن إلى لشكرتك أن انتفاء الشكر بسبب استمرار انتفاء الإحسان لأنه بسبب انتفاء استمرار الإحسان
فإن الشكر يتوقف على وجود الإحسان لا على استمراره كما حقق في موضعه (أو مغارات) أى غيرانا ●
وكهوا يخفون فيها أنفسهم وقرىء بضم الميم من أغار الرجل إذا دخل الغور وقيل هو معتد من غار إذا
دخل الغور أى أمكنة يغيرون فيها أشخاصهم وأهليهم ويجوز أن يكون من أغار الثعلب إذا أسرع
بمعنى مهارب ومغار (أو مدخلا) أى نفقاً يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول وقرىء مدخلا ●
من الدخول ومدخلا من الإدخال أى مكاناً يدخلون فيه أنفسهم وقرىء متدخلا ومدخلا من التدخل
والاندخال (لولوا) أى لصرفوا وجوههم وأقبلوا وقرىء لوالوا أى لا لتجأوا (إليه) أى إلى أحد ما ذكر ●
(وهم يجمحون) أى يسرعون بحيث لا يردم شئ من الفرس الجوح وهو الذى لا يثنيه اللجام وفيه إشعار ●
بكال عتوم وطغيانهم وقرىء يجمزون بمعنى يجمحون ويشدون ومنه الجمازة (ومنهم من يلزك) بكسر ٥٨
الميم وقرىء بضمها أى يعيبك سرأ وقرىء يلزك ويلازمك مبالغة (في الصدقات) أى في شأنها وقسمتها ●
(فإن أعطوا منها) بيان لفساد لزم وأنه لا منشأ له سوى حرصهم على حطام الدنيا أى إن أعطوا منها قدر ●
ما يريدون (رضوا) بما وقع من القسمة واستحسنوها (وإن لم يعطوا منها) ذلك المقدار (إذا هم يسخطون) ●
أى يفاجئون السخط وإذا نائب مناب فاء الجزاء . قيل نزلت الآية في أبى الجواظ المناق حيث قال ألا
ترون إلى صاحبكم يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم أنه يعدل وقيل في ابن ذى الحويصرة واسمه حرقوص
ابن زهير التميمي رأس الخوارج كان رسول الله ﷺ يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب أهل مكة بتوفير
الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال ﷺ وبلك إن لم أعدل فن يعدل وقيل هم المؤلفة قلوبهم
والأول هو الأظهر (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله) أى ما أعطاهم الرسول ﷺ من الصدقات ٥٩
طبي النفوس به وإن قل وذكر الله عز وجل للتعظيم والتنبيه على أن ما فعله الرسول ﷺ كان بأمره سبحانه

إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمَلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩﴾

٩ التوبة

- (وقالوا حسبنا الله) أى كفانا فضله وصنعه بنا وما قسمه لنا (سيؤتينا الله من فضله ورسوله) بعد هذا
- حسبنا نرجو وتوكل (إنا إلى الله راغبون) فى أن يخولنا فضله والآية بأسرها فى حيز الشرط والجواب
- ٦. محذوف بناء على ظهوره أى لكان خيراً لهم (إنما الصدقات) شروع فى تحقيق حقيقة ما صنعه الرسول ﷺ من القسمة ببيان المصارف ورد لمقالة القالة فى ذلك وحسم لأطباعهم الفارغة المبنية على زعمهم الفساد
- ببيان أنهم بمعزل من الاستحقاق أى جنس الصدقات المشتملة على الأنواع المختلفة (للفقراء والمساكين) أى مخصوصة بهؤلاء الأصناف الثمانية الآتية لا تتجاوزهم إلى غيرهم كأنه قيل إنما هى لهم لا لغيرهم فإلى الذين لا علاقة بينها وبينهم يقولون فيها ما يقولون وما سوغهم أن يتكلموا فيها وفى قاسمها والفقير من له أدنى شيء والمساكين من لا شيء له هو المروى عن أبى حنيفة رضى الله عنه وقد قيل على العكس ولكل منهما وجه يدل عليه (والعاملين عليها) الساعين فى جمعها وتحصيلها (والمؤلفة قلوبهم) هم أصناف فئهم أشرف من العرب كان رسول الله ﷺ يستألفهم ليسلبوا فيرضخ لهم ومنهم قوم أسلموا ونياتهم ضعيفة فيؤلف قلوبهم بإجزال العطاء كعينة بن حصن والأقرع بن حابس والعباس بن مرداس ومنهم من يترقب بإعطائهم لإسلام نظرانهم ولعل الصنف الأول كان يعطيهم الرسول ﷺ من خمس الخنس الذى هو خالص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشيء منها على قتال الكفار وما نعى الزكاة وقد سقط سهم هؤلاء بالإجماع لما أن ذلك كان لتكثير سواد الإسلام فلما أعزه الله عز وعلا وأعلى كلمته استغنى عن ذلك
- (وفى الرقاب) أى وللصرف فى فك الرقاب بأن يعان المكاتبون بشيء منها على أداء نجومهم وقيل بأن يقدى الأسارى وقيل بأن يبتاع منها الرقاب فتعتق وأياً ما كان فالعدول عن اللام لعدم ذكرهم بعنوان مصحح للملكية والاختصاص كالذين من قبلهم أو للإيدان بعدم قرار ملكهم فيما أعطوا كما فى الوجهين الأولين أو بعدم ثبوته رأساً كما فى الوجه الأخير أو للإشعار برسوخهم فى استحقاق الصدقة لما أن
- فى للظرفية المنبثة عن إحاطتهم بها وكونهم محلاً ومركزها (والغارمين) أى الذين تداينوا لأنفسهم فى غير معصية إذالم يكن لهم نصاب فاضل عن ديونهم وكذلك عند الشافعى رضى الله عنه من غرم لإصلاح ذات البين وإطفاء الثائرة بين القبيلتين وإن كانوا أغنياء (وفى سبيل الله) أى فقراء الغزاة والحجيج والمنقطع بهم (وابن السبيل) أى المسافر المنقطع عن ماله وتكرير الظرف فى الأخيرين للإيدان بزيادة فضلهم فى الاستحقاق أو لما ذكر من إرادتهما بعنوان غير مصحح للملكية والاختصاص فهذه مصارف الصدقات فللمتصدق أن يدفع صدقته إلى كل واحد منهم وأن يقتصر على صنف منهم لأن اللام لبيان أنهم مصارف لا تخرج عنهم للإثبات الاستحقاق وقد روى ذلك عن عمر وابن عباس وحذيفة رضى الله عنهم وعند الشافعى لا يجوز إلا أن يصرف إلى ثلاثة من تلك الأصناف (فريضة من الله) مصدر مؤكد

وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً
لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

٩ التوبة

- لما دل عليه صدر الآية أى فرض لهم الصدقات فريضة ونقل عن سيدييه أنه منصوب بفعله مقدراً أى فرض الله ذلك فريضة أو حال من الضمير المستكن فى قوله للفقراء أى إنما الصدقات كاتنة لهم حال كونها فريضة أى مفروضة (والله عليم) بأحوال الناس ومراتب استحقاقهم (حكيم) لا يفعل إلا ما تقتضيه
- الحكمة من الأمور الحسنة التى من جملتها سوق الحقوق إلى مستحقها (ومنهم الذين يؤذون النبي) ٦١ نزلت فى فرقة من المنافقين قالوا فى حقه ﷺ ما لا ينبغى فقال بعضهم لا تفعلوا فإننا نخاف أن يبلغه ذلك فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد نقول ما شئنا ثم نأتية فنسكر ما قلنا ونخلف فيصدقنا بما نقول وإنما محمد أذن سامعة وذلك قوله عز وجل (ويقولون هو أذن) أى يسمع كل ما قيل من غير أن يتدبر فيه ويميز بين ما يليق بالقبول لمساعدة أمارات الصدق له وبين ما لا يليق به وإنما قالوه لأنه ﷺ كان لا يواجههم بسوء ما صنعوا ويصفح عنهم حلماً وكرماً فحملوه على سلامة القلب وقالوا ما قالوا (قل أذن خير لكم) من قبيل رجل صدق فى الدلالة على المبالغة فى الجودة والصلاح كأنه قيل نعم هو أذن ولكن نعم الأذن ويجوز أن يكون المراد أذناً فى الخير والحق وفيما ينبغى سماعه وقبوله لا فى غير ذلك كما يدل عليه قراءة رحمة بالجر عطفاً عليه أى هو أذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله وقرئ أذن بسكون الدال فيهما وقرئ أذن خير على أنه صفة أو خبر ثان وقوله عز وجل (يؤمن بالله) تفسير لكونه أذن خير لهم أى يصدق بالله تعالى لما قام عنده من الأدلة الموجبة له وكون ذلك خيراً للخطابين كما أنه خير للعالمين بما لا يخفى (ويؤمن للمؤمنين) أى يصدقهم لما علم فيهم من الخلوص واللام مزيدة للفرقة بين الإيمان المشهور وبين الإيمان بمعنى التسليم والتصديق كما فى قوله تعالى أتؤمن لك الخ وقوله تعالى فما آمن لموسى الخ (ورحمة) عطف على أذن خير أى وهو رحمة بطريق إطلاق المصدر على الفاعل للمبالغة (الذين آمنوا منكم) أى الذين أظهروا الإيمان منكم حيث يقبله منهم لكن لا تصديقاً لهم فى ذلك بل رفقاً بهم وترحماً عليهم ولا يكشف أسرارهم ولا يهتك أستارهم وإسناداً للإيمان إليهم بصيغة الفعل بعد نسبته إلى المؤمنين بصيغة الفاعل المنبثقة عن الرسوخ والاستمرار للإيدان بأن إيمانهم أمر حادث ماله من قرار وقرئ بالنصب على أنها علة لفعل دل عليه أذن خير أى يأذن لكم رحمة (والذين يؤذون رسول الله) بما نقل عنهم من قولهم هو أذن ونحوه وفى صيغة الاستقبال المشعرة بترتب الوعيد على الاستمرار على ما هم عليه إشعار بقبول توبتهم كما أفصح عنه قوله تعالى فيما سيأتى فإن يتوبوا يك خيراً لهم (لهم) بما يجترئون عليه من أذيته ﷺ كما نبى عنه بناء الحكم على الموصول (عذاب أليم) وهذا اعتراض مسوق من قبله عز وجل على نهج الوعيد غير داخل تحت الخطاب وفى تكرير الإسناد بإثبات العذاب الأليم لهم ثم جعل الجملة خبراً للموصول ما لا يخفى من المبالغة وإبراده ﷺ بعنوان الرسالة مضافاً إلى الاسم الجليل لغاية التعظيم والتنبيه على أن أذيته

يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمُ لِرِضْوَانِكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ٩ التوبة

أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ يُحَادِدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَلِدًا فِيهَا ذَلِكَ أَخْزَى الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ٩ التوبة

- ٦٢ راجعة إلى جنبه عز وجل موجبة لكامل السخط والغضب (يخلفون بالله لكم) الخطاب للمؤمنين خاصة وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن ثم يأتونهم فيعتذرون إليهم ويؤكدون معاذيرهم بالإيمان ليعذروهم ويرضوا عنهم أي يخلفون لكم أنهم ما قالوا ما نقل إليهم مما يورث أذاة النبي ﷺ وأما التخلف عن الجهاد فليس بداخل في هذا الاعتذار (ليرضوكم) بذلك وإفراد إرضائهم بالتعليل مع أن عمدة أغراضهم إرضاء الرسول ﷺ وقد قبل ﷺ ذلك منهم ولم يكذبهم للإيدان بأن ذلك بمنزل من أن يكون وسيلة إلى إرضائه ﷺ وأنه ﷺ إنما يكذبهم رفقاً بهم وستر العيوبهم لأعن الرضا بما فعلوا كما أشير إليه (والله ورسوله أحق أن يرضوه) أي أحق بالإرضاء ولا يتسنى ذلك إلا بالطاعة والمتابعة وإيفاء حقوقه ﷺ في باب الإجلال والإعظام مشهداً ومغيباً وأما ما أتوا به من الإيمان الفاجرة فإنما يرضى به من انحصر طريق علمه في الإخبار إلى أن يحى الحق ويزهق الباطل والجملة نصب على الحالية من ضمير يخلفون أي يخلفون لكم لإرضائكم والحال أنه تعالى ورسوله أحق بالإرضاء منكم أي يعرضون عما يهيمهم ويجديهم ويستغلون بما لا يعينهم وإفراد الضمير في يرضوه إما للإيدان بأن رضاه ﷺ مندرج تحت رضاه سبحانه وإرضاءه ﷺ لإرضاء له تعالى لقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وإما لأنه مستعار لاسم الإشارة الذي يشار به إلى الواحد والمتعدد بتأويل المذكور كما في قول روبة | فيها خطوط من سواد وبلق ه كأنه في الجلد توليع البق | أي كان ذلك لا يقال أي حاجة إلى الاستعارة بعد التأويل المذكور لأننا نقول لولا الاستعارة لم يتسن التأويل لما أن الضمير لا يتعرض إلا لذات ما يرجع إليه من غير تعرض لوصف من أوصافه التي من جملتها المذكورية وإنما المتعرض لها اسم الإشارة وإما لأنه عائد إلى رسوله والكلام جملتان حذف خبر الأولى لدلالة خبر الثانية عليه كما ذهب إليه سيوييه ومنه قول من قال | نحن بما عندنا وأنت بما عندك | والرائى مختلف | أو إلى الله على أن المذكور خبر الجملة الأولى وخبر الثانية محذوف كما هو رأى المبرد (إن كانوا مؤمنين) جوابه محذوف تعويلاً على دلالة ما سبق عليه أي إن كانوا مؤمنين فليرضوا الله ورسوله بما ذكر فإنهما أحق بالإرضاء (لم يعلموا) أي أولئك المنافقون والاستفهام للتوبيخ على ما أقدموا عليه من العظيمة مع علمهم بسوء عاقبتها وقرىء بالتاء على الالتفات لزيادة التفريع والتوبيخ أي ألم يعلموا بما سمعوا من رسول الله ﷺ من فنون القوارع والإنذارات (أنه) أي الشأن (من يحادد الله ورسوله) المحادة من الحد كالمشاققة من الشق والمعاداة من العدو بمعنى الجانب فإن كل واحد من مباشرى كل من الأفعال المذكورة في محل غير محل صاحبه ومن شرطية جوابها قوله تعالى (فإن له نار جهنم) على أن خبره محذوف أي لحق أن له نار جهنم وقرىء بكسر الهمزة والجملة الشرطية في محل الرفع على أنها خبر لأن وهى مع خبرها سادة مسد مفعولى يعلموا وقيل المعنى

يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُوا إِنَّا اللَّهُ مَخْرُجٌ
مَا نَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾

٩ التوبة

وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ ٩ التوبة

- فله وأن تكرير الأولى تأكيداً لطول العهد لا من باب التأكيد اللفظي المانع للأولى من العمل ودخول الغناء كما في قول من قال [لقد علم الحى اليمانون أنتى * إذا قلت أما بعد أنى خطيبها] وقد جوز أن يكون فإن له معطوفاً على أنه وجواب الشرط محذوف تقديره ألم يعلموا أنه من يحادداقه ورسوله يهلك فإن له الخ وورد بأن ذلك إنما يجوز عند كون فعل الشرط ماضياً أو مضارعاً مجزوماً بلم (خالداً فيها) حال مقدرة ● من الضمير المجرور إن اعتبر في الظرف ابتداء الاستقرار وحدوثه وإن اعتبر مطلق الاستقرار فالأمر ظاهر (ذلك) أشير إلى ما ذكر من العذاب الخالد بذلك إيداناً يبعد درجته في الهول والفظاعة (الحزى العظيم) الحزى الذل والهوان المقارن للفضيحة والندامة وهى ثمرات نفاقهم حيث يفتضحون على رموس الأشهاد بظهورها ولحوق العذاب الخالد بهم والجملة تذييل لما سبق (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم) فى ٦٤ شأنهم فإن ما نزل فى حقهم نازل عليهم (سورة تنبئهم بما فى قلوبهم) من الأسرار الخفية فضلاً عما كانوا يظهره فيما بينهم من أقاويل الكفر والنفاق ومعنى تنبئهم إياهم بما فى قلوبهم مع أنه معلوم لهم وأن المحذور عندهم اطلاع المؤمنين على أسرارهم لا اطلاع أنفسهم عليها أنها تذيع ما كانوا يخفونه عن أسرارهم فننتشر فيما بين الناس فيسمعونها من أفواه الرجال مذاعة فكانها تخبرهم بها والمراد بالتنبيه بالمبالغة فى كون السورة مشتملة على أسرارهم كأنها تعلم من أحوالهم الباطنة ما لا يعلمونه فننبئهم بها وتنمى عليهم قبائحهم وقيل معنى يحذر ليحذر وقيل الضميران الأولان للمؤمنين والثالث للمنافقين ولا يبالى بالتفكيك عند ظهور الأمر بعبود المعنى إليه أى يحذر المنافقون أن تنزل على المؤمنين سورة تخبرهم بما فى قلوب المنافقين وتهتك عليهم أسرارهم قال أبو مسلم كان إظهار الحذر منهم بطريق الاستهزاء فإنهم كانوا إذا سمعوا رسول الله ﷺ يذكر كل شىء ويقول إنه بطريق الوحي يكذبونه ويستهزئون به ولذلك قيل (قل استهزؤا) أى ● افعلوا الاستهزاء وهو أمر تهديد (إن الله مخرج) أى من القوة إلى الفعل أو من السكون إلى البروز ● (ما تحذرون) أى ما تحذرونه من إنزال السورة ومن مخازيك ومثالبكم المستكنة فى قلوبكم الفاضحة لكم على ملائ الناس والتأكيد لرد إنكارهم بذلك لالذفع ترددهم فى وقوع المحذور إذ ليس حذرهم بطريق الحقيقة (ولئن سألتهم) عما قالوا (ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب) روى أنه ﷺ كان يسير فى غزوة تبوك وبين ٦٥ يديه ركب من المنافقين يستهزئون بالقرآن وبالرسول ﷺ ويقولون انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح حصون الشام وقصورها هيئات هيئات فاطلع الله تعالى نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فانام فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا فى شىء من أمرك ولا من أمر أصحابك ولكن كنا فى شىء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر (قل) غير ملتفت إلى اعتذارهم ناعياً ●

لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبُ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا
مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾

٩ التوبة

الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ
وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾

٩ التوبة

وَعَدَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ
وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾

٩ التوبة

- عليهم جانياتهم منزلاً لهم منزلة المعترف بوقوع الاستهزاء موبخاً لهم على أخطائهم موقع الاستهزاء
- (أبائهم وآبائهم ورسوله كنتم تستهزءون) حيث عقب حرف التقرير بالاستهزاء به ولا يستقيم ذلك إلا بعد تحقق الاستهزاء وثبوته (لا تعتذروا) لا تشتغلوا بالاعتذار وهو عبارة عن محو أثر الذنب فإنه معلوم
- ٦٦ ● الكذب بين البطلان (قد كفرتم) أظهرتم الكفر بإيذاء الرسول ﷺ والطعن فيه (بعد إيمانكم) بعد إظهاركم له (إن نعف عن طائفة منكم) لتوبتهم وإخلاصهم أو تجنبهم عن الإيذاء والاستهزاء وقرىء إن يعف على إسناد الفعل إلى الله سبحانه وقرىء على البناء للمفعول مسنداً إلى الظرف بتذكير الفعل وتبأنيثه أيضاً ذهاباً إلى المعنى كأنه قيل إن ترحم طائفة (نعذب) بنون العظمة وقرىء بالياء على البناء للفاعل وبألتاء
- على البناء للمفعول مسنداً إلى ما بعده (طائفة بأنهم كانوا مجرمين) مصرين على الإجرام وهو غير التائبين أو مباشرين له وهم غير المجتنبين قال محمد بن إسحق الذي عفى عنه رجل واحد هو يحيى بن حويراث الأشجعي لما نزلت هذه الآية تاب عن نفاقه وقال اللهم إني لأزال أسمع آية تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاقى قتلاً في سبيلك لا يقول أحداً أنا غسلت أنا كفنت أنا دفنت فاصيب يوم القيامة فما أحد من المسلمين إلا عرف مصرعه غيره (المنافقون والمنافقات) التعرض لأحوال الإناث للإيذان بكال عراقتهم
- ٦٧ ● في الكفر والنفاق (بعضهم من بعض) أي متشابهون في النفاق والبعث عن الإيمان كأبعض الشيء الواحد بالشخص وقيل أريد به نفي أن يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في حلفهم بالله إنهم لمنكم وتقرير لقوله تعالى وما هم منكم وقوله تعالى (يأمرؤن بالمنكر) أي بالكفر والمعاصي (وينهون عن المعروف) أي عن الإيمان والطاعة استئناف مقرر لمضمون ما سبق ومفصح عن مضادة حالهم لحال المؤمنين أو خبر ثان
- (ويقبضون أيديهم) أي عن المبرات والإنفاق في سبيل الله فإن قبض اليد كناية عن الشح (نسوا الله) أغفلوا ذكره (فنسيهم) فتركهم من رحمته وفضله وخذلهم والتعبير عنه بالنسيان للشاكلة (إن المنافقين هم الفاسقون) الكاملون في التمرد والفسق الذي هو الخروج عن الطاعة والانسلاخ عن كل خير والإظهار
- ٩٨ في موقع الإضمار لزيادة التقرير كما في قوله تعالى (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار) أي المجاهرين

كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأُولَدًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ
بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّتْ
أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾

٩ التوبة

- (نار جهنم خالدين فيها) مقدرين الخلود فيها (هي حسبيهم) عقاباً وجزاء وفيه دليل على عظم عقابها
- وعذابها (ولعنهم الله) أي أبعدهم من رحمته وأهانهم وفي إظهار الاسم الجليل من الإيذان بشدة السخط
- مالا يخفى (ولهم عذاب مقيم) أي نوع من العذاب غير عذاب النار دائم لا ينقطع أبداً أو لهم عذاب مقيم معهم في الدنيا لا ينفك عنهم وهو ما يقاسونه من تعب النفاق الذي هم منه في بلية دائمة لا يأمنون ساعة من خوف الفضيحة ونزول العذاب إن اطلع عن أسرارهم (كالذين من قبلكم) النفات من الغيبة ٦٩
- إلى الخطاب للتشديد والكاف في محل الرفع على الخبرية أي أنتم مثل الذين من قبلكم من الأمم المهلكة
- أو في حيز النصب بفعل مقدر أي فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم (كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً
- وأولاداً) تفسير وبيان لشبههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم (فاستمتعوا) تمتعوا وفي صيغة الاستفعال
- ما ليس في صيغة التفعّل من الاستزادة والاستدامة في التمتع (بخلاقهم) بنصيبتهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه
- من الخلق بمعنى التقدير وهو ما قدر لصاحبه (فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع) الكاف في محل النصب على
- أنه نعت لمصدر محذوف أي استمتعتم كما استمتعتم (الذين من قبلكم بخلاقهم) ذم الأولين باستمتاعهم
- بحظوظهم الخسيسة من الشهوات الفانية والنهائم بها عن النظر في العواقب الحقة واللذائذ الحقيقية
- تمهيداً لذم المخاطبين بمشابهتهم لإياهم واقتفاءهم أثرهم (وخضتم) أي دخلتم في الباطل (كالذي خاضوا)
- أي كالذين بإسقاط النون أو كالفوج الذي أو كالخوض الذي خاضوه (وأولئك) إشارة إلى المتصفين
- بالآل وصاف للمعدودة من المشبهين والمشبّه بهم لا إلى الفريق الآخر فقط فإن ذلك يقتضى أن يكون
- حبوط أعمال المشبهين وخسرانهم مفهوماً ضمناً لا صريحاً ويؤدي إلى خلو تلوين الخطاب عن الفائدة
- إذ الظاهر حينئذ أولئك والخطاب لرسول الله ﷺ أو لكل من يصلح للخطاب أي أولئك الموصوفون
- بما ذكر من الأفعال الذميمة (حبطت أعمالهم) ليس المراد بها أعمالهم المعدودة كما يشعر به التعبير
- عنهم باسم الإشارة فإن غائلتها غنية عن البيان بل أعمالهم التي كانوا يستحقون بها أجوراً حسنة لو قارنت
- الإيمان أي ضاعت وبطلت بالسكينة ولم يترتب عليها أثر (في الدنيا والآخرة) بطريق المثوبة والكرامة
- أما في الآخرة فظاهر وأما في الدنيا فلأن ما يترتب على أعمالهم فيها من الصحة والسعة وغير ذلك حسبما
- ينبي عنه قوله عز وجل من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ليس
- ترتبه عليها على طريقة المثوبة والكرامة بل بطريق الاستدراج (وأولئك) أي الموصوفون بحبوط
- الأعمال في الدارين (هم الخاسرون) الكاملون في الخسران في الدارين الجامعون لمبادهيه وأسبابه طراً
- فإنه قد ذهبت رموس أموالهم التي هي أعمالهم فيما ضرهم ولم ينفعهم قط ولو أنها ذهبت فيما لا يضرهم ولا

أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ
 أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ ٩ التوبة
 وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
 وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
 حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ٩ التوبة

- ينفعهم لكفى به خسرانا وإيراد اسم الإشارة في الموضعين للإشعار بعلية الاوصاف المشار إليها للعبوط
٧٠. والخسران (ألم يأتهم) أى المنافقين (نبا الذين من قبلهم) أى خبرهم الذى له شأن وهو ما فعلوا وما فعل بهم والاستفهام للتقرير والتحذير (قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين) وهم قوم شعيب (والمؤتفكات) قريات قوم لوط انتفكت بهم أى انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وأمطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين وامتفاكهن انقلاب أحوالهن من الخير إلى الشر (أتتهم رسلمهم بالبينات) استئناف لبيان نذتهم (فما كان الله ليظلمهم) الغاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام أى فكذبوهم فأهلكهم الله تعالى فما ظلمهم بذلك وإيثار ما عليه النظم الكريم للبلاغة فى تنزيه ساحة السبحان عن الظلم أى ماصح وما استقام له أن يظلمهم ولكنهم ظلموا أنفسهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل فى قوله عز وجل (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) الدلالة على استمرار ظلمهم حيث لم يزالوا يعرضونها للعقاب بالكفر والتكذيب وتقديم المفعول لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد إلى قصر المظلومية عليهم على رأى من لا يرى التقديم موجبا للقصر فيكون كما فى قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم من غير قصر للظلم على الفاعل أو المفعول وسيجىء لهذا مزيد بيان فى قوله سبحانه إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) بيان لحسن حال المؤمنين والمؤمنات حالا ومآلا إثر بيان قبح حال أضدادهم عاجلا وآجلا والتعبير عن نسبة هؤلاء بعضهم إلى بعض بالولاية وعن نسبة أولئك بمن الاتصالية بالإبذان بأن نسبة هؤلاء بطريق القرابة الدينية المبنية على المعاهدة المستتبعة للأثار من المعونة والنصرة وغير ذلك ونسبة أولئك بمقتضى الطبيعة والعادة (يأمرؤن بالمعروف وينهون عن المنكر) أى جنس المعروف والمنكر المنتظمين لكل خير وشر (ويقومون الصلاة) فلا يزالون يذكرون الله سبحانه فهو فى مقابلة ماسبق من قوله تعالى نسوا الله (ويؤتون الزكاة) بمقابلة قوله تعالى ويقبضون أيديهم (ويطيعون الله ورسوله) أى فى كل أمر ونهى وهو بمقابلة وصف المنافقين بكالفسق والخروج عن الطاعة (أولئك) إشارة إلى المؤمنين والمؤمنات باعتبار اتصافهم بما بما سلف من الصفات الفاضلة وما فيه من معنى البعد الإشعار ببعد درجتهم فى الفضل أى أولئك المنعوتون بما فصل من النعوت الجلية (سيرهمهم الله) أى يفيض عليهم آثار رحمة من التأيد والنصرة

وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

٩ التوبة

- البتة فإن السنين مؤكدة للوقوع كما في قولك سأنتقم منك (إن الله عزيز) تعليل للوعد أى قوى قادر على
- إعزاز أوليائه وفهر أعدائه (حكيم) يبنى أحكامه على أساس الحكمة الداعية إلى إيصال الحقوق من النعمة والنقمة إلى مستحقها من أهل الطاعة وأهل المعصية وهذا وعد للمؤمنين متضمن لوعد المنافقين كما أن ماسبق في شأن المنافقين من قوله تعالى فنسيهم وعيد لهم متضمن لوعد المؤمنين فإن منع لطفه تعالى عنهم لطف في حق المؤمنين (وعد الله المؤمنين والمؤمنات) تفصيل لأنار رحمته الأخروية إثر ذكر ٧٢ رحمته الدنيوية والإظهار في موقع الإختصار لزيادة التقرير والإشعار بعلمية وصف الإيمان لحصول ما تعلق به الوعد وعدم التعرض لذكر ماسر من الأمر بالمعروف وغير ذلك للإيذان بأنه من لوازمه ومستتبعاته
- أى وعدم وعداً شاملاً لكل أحد منهم على اختلاف طبقاتهم في مراتب الفضل كيفاً وكما (جنان تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها) فإن كل أحد منهم فائز بها لا محالة (ومساكن طيبة) أى وعد بعض الخواص الكمل منهم منازل تستطيعها النفوس أو يطيب فيها العيش . في الخبر أنها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الأحمر (في جنات عدن) هى أبهى أماكن الجنات وأسناها . عن النبي ﷺ عدن دار الله لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن فى الجنة قصر يقال له عدن حوله البروج والمروج وله خمسة آلاف باب على كل باب خمسة آلاف حوراء لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد وعن ابن مسعود رضى الله عنه هى بطنان الجنة وسررتها فعدن على هذا علم وقيل هو بمعناه اللغوى أعنى الإقامة والخلود فرجع العطف إلى اختلاف الوصف وتغايره فكأنه وصفه أولاً بأنه من جنس ما هو أشرف الأماكن المعروفة عندهم من الجنات ذات الأنهار الجارية ليميل إليها طباعهم أول ما يقرع أسماعهم ثم وصفه بأنه مخوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التى لا تكاد تخلو عنها أماكن الدنيا وفيها ما تشهى النفس وتلد الأعين ثم وصفه بأنه دار إقامة وثبات فى جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو أعلى من ذلك كله فقال (ورضوان من الله) أى وشىء يسير من رضوانه تعالى (أكبر) إذ عليه يدور فوز كل خير وسعادة وبه يناط نبيل كل شرف وسيادة ولعل عدم نظمه فى سلك الوعد مع عزته فى نفسه لأنه متحقق فى ضمن كل موعود ولا أنه مستمر فى الدارين . روى أنه تعالى يقول لأهل الجنة هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى وقد أعطينا ما لم نعط أحداً من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا أى شىء أفضل من ذلك قال أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم أبداً (ذلك) إشارة إلى ماسبق ذكره وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد درجته فى العظم والفخامة (هو الفوز العظيم) دون ما يعده الناس فوزاً من حظوظ الدنيا فإنها مع قطع النظر عن فنائها وتغيرها وتنقصها وتكدرها ليست

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ٩ التوبة
يَخْلَفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ أُولَاؤُا بِمَا لَمْ يَنْتَلُوا وَمَا نَقَمُوا
إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمْ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللهُ عَذَابًا
أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ٩ التوبة

بالنسبة إلى أدنى شيء من نعيم الآخرة بمثابة جناح البعوض قال رسول الله ﷺ لو كانت الدنيا تزن عند
الله جناح بعوضة ماسقى الكافر منها شربة ماء ونعما قال من قال [تالله لو كانت الدنيا بأجمعها * تبقى علينا
٧٣ ويأتي رزقها رعداً] [ما كان من حق حر أن يدل بها * فكيف وهي متاع يضمحل غدا] (بأيها النبي
● جاهد الكفار) أي المجاهدين منهم بالسيف (والمنافقين) بالحجة وإقامة الحدود (واغلظ عليهم) في
ذلك ولا تأخذك بهم رافة . قال عطاء نسخت هذه الآية كل شيء من العفو والصفح (وما واهم جهنم)
● جملة مستأنفة لبيان أجل أمرهم إثر بيان عاجله وقيل حالية (وبئس المصير) تذييل لما قبله والمخصوص
٧٤ بالذم محذوف (يخلفون بالله ما قالوا) استئناف لبيان ما صدر عنهم من الجرائم الموجبة لما مر من الأمر
بالجهاد والغلظة عليهم ودخول جهنم روى أن رسول الله ﷺ أقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه
القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمعه من كان منهم معه ﷺ فقال الجلاس بن سويد منهم إن كان
ما يقول محمد حقاً لإخواننا الذين خلفناهم وهم ساداتنا وأشرافنا فنحن شر من الخير فقال عامر بن قيس
الأنصاري للجلاس أجل والله إن محمداً صادق وأنت شر من الحمار فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاستحضر
خلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم أنزل على عبدك ونبيك تصديق الكاذب وتكذيب الصادق
فتزل وإيثار صيغة الاستقبال في يخلفون لاستحضار الصورة أو للدلالة على تكرير الحلف وصيغة الجمع
● في قالوا مع أن القائل هو الجلاس للإيذان بأن بقيتهم برضاهم بقوله صاروا بمنزلة القائل (ولقد قالوا
● كلمة الكفر) هي ما حكى آنفاً والجملة مع ما عطف عليها اعتراض (وكفروا بعد إسلامهم) أي وأظهروا
● ما في قلوبهم من الكفر بعد إظهارهم الإسلام (وهموا بما لم ينالوا) هو الفلك برسول الله ﷺ وذلك
أنه توافق خمسة عشر منهم على أن يدفعوه ﷺ عن راحلته إذا تسنم العقبة بالليل وكان عمار بن ياسر أخذاً
بخطام راحلته يقودها وحذيفة بن اليمان خلفها يسوقها فبينما هما كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف
الإبل وبقعقة السلاح فالتفت فإذا قوم متلثمون فقال إليكم إليكم يا أعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون
هموا بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل أرادوا أن يتوجعوا عبد الله بن أبي بن سلول وإن لم يرض به رسول
● الله ﷺ (وما نقموا) أي وما أنكروا وما عابوا أو وما وجدوا ما يورث نقمتهم (إلا أن أغناهم الله
ورسوله من فضله) سبحانه وتعالى وذلك أنهم كانوا حين قدم رسول الله ﷺ المدينة في غاية ما يكون
من ضنك العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فأثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فأمر رسول
الله ﷺ بديته اثني عشر ألف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من أعم المفاعيل أو من أعم العلل أي وما

وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ ءَاتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ ٩ التوبة

فَلَمَّا ءَاتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ ٩ التوبة

فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ٩ التوبة

- أنكروا شيئاً من الأشياء إلا إغناء الله تعالى إياهم أو ما أنكروا ما أنكروا لعل من العلل إلا لإغناء الله إياهم (فإن يتوبوا) عما هم عليه من الكفر والنفاق (يك خيراً لهم) في الدارين . قيل لما تلاها رسول الله ﷺ قال الجلاس يارسول الله لقد عرض الله على التوبة والله لقد قلت وصدق عامر فتأب الجلاس وحسنت توبته (وإن يتولوا) أى استمروا على ما كانوا عليه من التولى والإعراض عن الدين أو أعرضوا عن التوبة بعد هذا العرض (يعذبهم الله عذاباً أليماً فى الدنيا) بالقتل والأسر والنهب وغير ذلك من فنون العقوبات (والآخرة) بالنار وغيرها من أفانين العقاب (وما لهم فى الأرض) مع سعتها وتباعد أقطارها وكثرة أهلها المصححة لوجدان مانئى بقوله عز وجل (من ولى ولا نصير) ينقذهم من العذاب بالشفاعة أو المدافعة (ومنهم) بيان لقبائح بعض آخر منهم (من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن) لتوتين ٧٥ الزكاة وغيرها من الصدقات (ولنكونن من الصالحين) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يريد الحج وقرىء بالنون الخفيفة فيهما . قيل نزلت فى ثعلبة بن حاطب أتى النبي ﷺ فقال يارسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا فقال ﷺ يا ثعلبة قليل تؤدى حقه خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذى بعثك بالحق لئن رزقنى الله مالا لأعطين كل ذى حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما يسمى الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل وادياً وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله ﷺ فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بشعلية فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله ﷺ الذى فيه الفرائض فقال ماهذه إلا جزية ماهذه إلا أخت الجزية وقال ارجعما حتى أرى رأيى وذلك قوله عز وجل (فلما أتاهم من فضله بخلوا به) أى منعوا حق الله منه (وتولوا) ٧٦ أى أعرضوا عن طاعة الله سبحانه فلما رجعما قال لهما رسول الله ﷺ قبل أن يكلمها يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت لجاء ثعلبة بالصدقة فقال ﷺ إن الله منعى أن أقبل منك فجعل يحشو التراب على رأسه فقال ﷺ هذا عملك قد أمرتك فلم تطعنى فقبض ﷺ فجاء بها إلى أبى بكر رضى الله عنه فلم يقبلها وجاء بها إلى عمر رضى الله عنه فى خلافته فلم يقبلها وهلك فى خلافة عثمان رضى الله عنه وقيل نزلت فيه وفى سهل بن الحرث وجد بن قيس ومعتب بن قشير والأول هو الأشهر (وهم معرضون) جملة معترضة أى وهم قوم عادتهم الإعراض أو حالية أى تولوا بإجرامهم وهم معرضون بقلوبهم (فأعقبهم) أى جعل الله ٧٧ عاقبة فعلهم ذلك (نفاقاً) راحياً (فى قلوبهم إلى يوم يلقونه) إلى يوم موتهم الذى يلقون الله تعالى عنده أو يلقون فيه جزاء عملهم وهو يوم القيامة وقيل فأورثهم البخل نفاقاً متمكناً فى قلوبهم ولا يلائمه

أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٩ التوبة

الَّذِينَ يَلْمُزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٩ التوبة

- قوله عز وجل (بما أخلفوا الله ما وعده) أى بسبب إخلالهم ما وعده تعالى من التصدق والصلاح
- (وبما كانوا يكذبون) أى وبكونهم مستمرين على الكذب فى جميع المقالات التى من جملتها وعدم المذكور وتخصيص الكذب به يؤدى إلى تخلية الجمع بين صيغتي الماضى والمستقبل عن المزية فإن تسبب الأ عقاب المذكور بالإخلال والكذب يقضى بإسناده إلى الله عز وجل إذ لا معنى لكونهما سيئين لأ عقاب البخل النفاق والتحقيق أنه لما كانت الفاء الدالة على الترتيب والتفريع منبثة عن ترتب أ عقاب النفاق المخلد على أفعالهم المحكية عنهم من المعاهدة بالتصدق والصلاح والبخل والتولى والإعراض وفيها ما لا دخل له فى الترتب المذكور كالمعاهدة أزعج ما فى ذلك من الإيهام بتعيين ما هو المدار فى ذلك والله تعالى أعلم وقرئ بتشديد الذال (ألم يعلموا) أى المنافقون أو من عاهد الله وقرئ بالياء الفوقانية خطاباً
- للمؤمنين فالحزمة على الأول للإنكار والتوبيخ والتهديد أى ألم يعلموا (أن الله يعلم سرهم ونجواهم) أى ما أسروا به فى أنفسهم وما تناجوا به فيما بينهم من المطاعن وتسمية الصدقة جزية وغير ذلك مما لا خير فيه
- وسر تقديم السر على النجوى سيظهر فى قوله سبحانه وستردون إلى عالم الغيب والشهادة (وأن الله علام الغيوب) فلا يخفى عليه شيء من الأشياء حتى اجتروا على ما اجتروا عليه من العظام وإظهار اسم الجلالة فى الموقعين لإلقاء الروعة وترية المهابة وفى إيراد العلم المتعلق بسرهم ونجواهم بصيغة الفعل الدال على الحدوث والتجدد والعلم المتعلق بالغيوب الكثيرة الدائمة بصيغة الاسم الدال على الدوام والمبالغة من الفخامة والجزالة لا يخفى وعلى الثانى لتقرير علم المؤمنين بذلك وتنبههم على أنه تعالى مؤاخذهم ومجازيهم بما
- علم من أعمالهم (الذين يلزون) نصب أو رفع على الذم ويجوز جره على البدلية من الضمير فى سرهم ونجواهم
- وقرئ بضم الميم وهى لغة أى يعيبون (المطوعين) أى المتطوعين المتبرعين (من المؤمنين) حال من
- المطوعين وقوله تعالى (فى الصدقات) متعلق بيلزون . روى أن رسول الله ﷺ حث الناس على الصدقة فأتى عبد الرحمن بن عوف بأربعين أوقية من ذهب وقيل بأربعة آلاف درهم وقال كان لى ثمانية آلاف فأقرضت ربى أربعة وأمسكت لى إلى أربعة فقال رسول الله ﷺ بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك له حتى صولحت تماضر أربعة نساته عن ربع الثمن على ثمانين ألفاً وتصدق عاصم بن عدى بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الأنصارى بصاع من تمر فقال بت لى لى أجر بالجرير على صاعين فتركت صاعاً لى إلى وجئت بصاع فأمره رسول الله ﷺ أن يثره على الصدقات فلزمهم المنافقون وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء وإن كان الله ورسوله لغنيين عن صاع أبى عقيل ولكنه أحب أن يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت (والذين لا يجحدون إلا جهدهم) عطف على المطوعين أى ويلزون

أَسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾

٩ التوبة

- الذين لا يجدون إلا طاعتهم وقرىء بفتح الجيم وهو مصدر جهد في الأمر إذا بالغ فيه وقيل هو بالضم الطاعة وبالفتح المشقة (فيسخرون منهم) عطف على يلزون أى يهزمون بهم والمراد بهم الفريق الأخير
- (سخر الله منهم) إخبار بمجازاته تعالى إياهم على ما فعلوا من السخرية والتعبير عنها بذلك للشاكلة (ولهم) أى ثابت لهم (عذاب اليم) التنوين للنهويل والنفخيم وإيراد الجملة اسمية للدلالة على الاستمرار (استغفر ٨٠ لهم أو لا تستغفر لهم) إخبار باستواء الأمرين الاستغفار لهم وتركه في استحالة المغفرة وتصويره بصورة الأمر للبالغة في بيان استوائهما كأنه ﷺ أمر بامتحان الحال بأن يستغفر تارة ويترك أخرى ليظهر له جليلة الأمر كما مر في قوله عز وجل قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم (إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) بيان لاستحالة المغفرة بعد المبالغة في الاستغفار لإثر بيان الاستواء بينه وبين عدمه . روى أن عبد الله بن عبد الله بن أبي وكان من المخلصين سأل رسول الله ﷺ في مرض أبيه أن يستغفر له ففعل ﷺ فنزلت فقال ﷺ محافضة على ما هو الأصل من أن مراتب الأعداد حدود معينة يخالف حكم كل منها حكم ما فوقها إن الله قدر خص لي فسا زيد على السبعين فنزلت سواء عليهم أاستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة في مطلق التكثير لاشتغال السبعة على جملة أقسام العدد فكأنها العدد بأسره وقيل هي أكل الأعداد لجمعها معانيها ولأن الستة أول عدد تام لتعادل أجزائها الصحيحة إذ نصفها ثلاثة وثلاثا اثنان وسدسها واحد وجملها ستة وهى مع الواحد سبعة فكانت كاملة إذ لا مرتبة بعد التمام إلا الكمال ثم السبعون غاية الكمال إذ الأحاد غايتها العشرات والسبعمائة غاية الغايات (ذلك) إشارة إلى امتناع المغفرة لهم ولو بعد المبالغة في الاستغفار أى
- ذلك الامتناع ليس لعدم الاعتداد باستغفارك بل (بأنهم) أى بسبب أنهم (كفروا بالله ورسوله)
- كفراً متجاوزاً عن الحد كما يلوح به وصفهم بالفسق في قوله عز وجل (والله لا يهدي القوم الفاسقين)
- فإن الفسق في كل شيء عبارة عن التردد والتجاوز عن حدوده أى لا يهديهم هداية موصلة إلى المقصد البتة لمخالفة ذلك للحكمة التى عليها يدور فلك التكوين والتشريع وأما الهداية بمعنى الدلالة على ما يوصل إليه فهى متحقة لا محالة ولكنهم بسوء اختيارهم لم يقبلوها فوقعوا فيها وقعوا وهو تذييل مؤكد لما قبله من الحكم فإن مغفرة الكافر إنما هى بالإقلاع عن الكفر والإقبال إلى الحق والمنهمك فيه المطبوع عليه بمعزل من ذلك وفيه تنبيه على عذر النبي ﷺ في استغفاره لهم وهو عدم يأسه من إيمانهم حيث لم يعلم أنهم مطبوعون على الغى والضلال إذ الممنوع هو الاستغفار لهم بعد تبين حالهم كما سيتلى من قوله عز وجل ما كان للنبي الآية .

فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ ٩ التوبة

فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ٩ التوبة

- ٨١ (فرح المخلفون) أى الذين خلفهم النبي ﷺ بالإذن لهم في القعود عند استئذانهم أو خلفهم الله بتبديله إياهم لما علم في ذلك من الحكمة الخفية أو خلفهم كسلمهم أو نفاقهم (بمقعدهم) متعلق بفرح أى بقعودهم وتخلفهم عن الغزو (خلاف رسول الله) أى خلفه وبعد خروجه حيث خرج ولم يخرجوا يقال أقام خلاف الحى أى بعدم طاعتها ولم يظعن ويؤيده قراءة من قرأ خلف رسول الله فانتصابه على أنه ظرف لمقعدهم إذ لا فائدة في تقييد فرحهم بذلك وقيل هو بمعنى المخالفة ويعضده قراءة من قرأ خلف رسول الله بضم الحاء فانتصابه على أنه مفعول له والعامل إما فرح أى فرحوا لا جل مخالفته ﷺ بالقعود وإما مقعدهم أى فرحوا بقعودهم لا جل مخالفته ﷺ أو على أنه حال والعامل أحد المذكورين أى فرحوا مخالفين له ﷺ أو فرحوا بالقعود مخالفين له ﷺ (وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) لا إيثار للدعة والخفض على طاعة الله تعالى فقط بل مع ما في قلوبهم من الكفر والنفاق فإن إيثار أحد الأمرين قد يتحقق بأدنى رجحان منه من غير أن يبلغ الآخر مرتبة الكراهية وإنما أوتر ما عليه النظم الكريم على أن يقال وكرهوا أن يخرجوا إلى الغزو لإيداناً بأن الجهاد في سبيل الله مع كونه من أجل الرغائب وأشرف المطالب التي يجب أن يتنافس فيها المتنافسون قد كرهوه كما فرحوا بأفحج القبائح الذي هو القعود خلاف رسول الله ﷺ (وقالوا) أى لإخوانهم تثبيتاً لهم على التخلف والقعود وتواصياً فيما بينهم بالشر والفساد أو للوثنين تشبيهاً لهم عن الجهاد ونهياً عن المعروف وإظهاراً لبعض العلل الداعية لهم إلى ما فرحوا به من القعود فقد جمعوا ثلاث خلال من خصال الكفر والضلال الفرح بالقعود وكراهية الجهاد ونهى الغير عن ذلك (لا تنفروا في الحر) فإنه لا استطاع شدته (قل) ردأ عليهم وتجهيلاً لهم (نار جهنم) التي ستدخلونها بما فعلتم (أشد حراً) مما تحذرون من الحر المعهود وتحذرون الناس منه فما لكم لا تحذرونها وتعرضون أنفسكم لها بإيثار القعود على النفي (لو كانوا يفقهون) اعتراض تذييلي من جهته سبحانه وتعالى غير داخل تحت القول المأمور به مؤكداً لمضمونه وجواب لو إما مقدر أى لو كانوا يفقهون أنها كذلك أو كيف هى أو أن ما لهم إليها لما فعلوا ما فعلوا أو لتأثروا بهذا الإلزام وإما غير منوى على أن لو مجرد التنى النبي عن امتناع تحقق مدخولها أى لو كانوا من أهل الفطنة والفقهاء كما في قوله عز وجل قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون (فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً) إخبار عن عاجل أمرهم وآجله من الضحك القليل والبكاء الطويل المؤدى إليه أعمالهم السيئة التي من جعلها مذكر من الفرح والفناء لسببية ماسبق للإخبار بما ذكر من الضحك والبكاء لأنفسهما إذ لا يتصور السببية في الأول أصلاً وقليلاً وكثيراً منصوبان على المصدرية

فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَعَذُّوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا
مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾
وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَمَاتُوا وَهُمْ
فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾

٩ التوبة

٩ التوبة

- أو الظرفية أى ضحكا قليلا وبكاء كثيرا أو زمانا قليلا وزمانا كثيرا وإخراجه في صورة الأمر للدلالة على تحتم وقوع المخبر به فإن أمر الأمر المطاع بما لا يكاد يتخلف عنه الأمور به خلا أن المقصود إفادته في الأول هو وصف القلة فقط وفي الثاني وصف الكثرة مع الموصوف . يروى أن أهل النفاق سيكون في النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم ويجوز أن يكون الضحك كناية عن الفرح واللبكاء عن الغم وأن تكون القلة عبارة عن العدم والكثرة عن الدوام (جزاء بما كانوا يكسبون) من فنون المعاصي والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار التجددى ماداموا في الدنيا وجزاء مفعول له للفعل الثاني أى ليكوا جزاء أو مصدر حذف ناصبه أى يجزون بما ذكر من البكاء الكثير جزاء بما كسبوا من المعاصي المذكورة (فإن رجعت الله) الفاء لتفريع الأمر الآتي على ما بين من أمرهم ٨٣ والفعل من الرجوع المتعدى دون الرجوع اللازم أى فإن رددك الله تعالى (إلى طائفة منهم) أى إلى المنافقين ● من المتخلفين في المدينة فإن تخلف بعضهم إنما كان لعذر عائق مع الإسلام أو إلى من بقى من المنافقين المتخلفين بأن ذهب بعضهم بالموت أو بالغيبة عن البلد أو بأن لم يستأذن البعض . عن قتادة أنهم كانوا اثني عشر رجلا قيل فيهم ما قيل (فاستأذنوك للخروج) معك إلى غزوة أخرى بعد غزوتك هذه (فقل) ● إخراجه لهم عن ديوان الغزاة وإبعاد المحلهم عن محفل صحبتك (لن تخرجوا معي أبداً وإن تقاتلوا معي ● عدواً) من الأعداء وهو إخبار في معنى النهي للبالغة وقد وقع كذلك (إنكم) تعليل لما سلف أى لا أنكم (رضىتم بالقيود) أى عن الغزو وفرحتهم بذلك (أول مرة) هى غزوة تبوك (فاقعدوا) الفاء لتفريع ● الأمر بالقيود بطريق العقوبة على ما صدر عنهم من الرضا بالقيود أى إذ رضىتم بالقيود لأول مرة فاقعدوا من بعد (مع الخالفين) أى المتخلفين الذين ديدنهم القيود والتخلف دائماً وقرىء الخالفين على القصر ● فكان محو أساميهم من دفتر المجاهدين ولزم في قرن الخالفين عقوبة لهم أى عقوبة وتذكير اسم التفضيل المضاف إلى المؤنث هو الألف كثر الدائر على الألسنة فإنك لا تكاد تسمع قائلاً يقول هى كبرى امرأة أو أولى مرة (ولا تصل على أحد منهم مات) صفة لا أحد وإنما جرى بصيغة الماضي تنبيهاً على تحقق الوقوع ٨٤ ● لا محالة (أبداً) متعلق بالنهى أى لا تدع ولا تستغفر لهم أبداً (ولا تقم على قبره) أى لا تقف عليه للدفن أو للزيارة والدعاء . روى أنه ﷺ كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض رأس النفاق عبد الله بن أبى بن سلول بعث إلى رسول الله ﷺ ليأتيه فلما دخل عليه فقال ﷺ أهلكك حب اليهود فقال

وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ

كُفِرُوا ﴿٨٥﴾

٩ التوبة

وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَعِذْكَ أُولُوا الطُّولِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا

نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾

٩ التوبة

يا رسول الله بعثت إليك لتستغفر لي لا لتؤنبني وسأله أن يكفنه في شعاره الذي بلى جلده ويصلي عليه فلما مات دعاه ابنه وكان مؤمناً صالحاً فأجابه ﷺ تسلياً له ومراعاة لجانبه وأرسل إليه قميصه فكفن فيه فلما هم بالصلاة أوصلي نزلت . وعن عمر رضي الله عنه أنه قال لما هلك عبد الله بن أبي ووضعه ليصلي عليه قام رسول الله ﷺ فقلت أتصلي على عدو الله القائل يوم كذا كذا وكذا والقائل يوم كذا كذا وكذا وكذا وعددت أيامه الخبيثة فتبسم ﷺ وصلى عليه ثم مشى معه وقام على حفرته حتى دفن فوالله ما لبث إلا يسيراً حتى نزل ولا فصل الخ فما صلى رسول الله ﷺ بعد ذلك على منافق ولا قام على قبره وإنما لم يبه عن التكفين بقميصه ﷺ لأن الضنة بالقميص كانت مظنة الإخلال بالكرم على أنه كان مكافأة لقميصه الذي كان ألبسه العباس رضي الله تعالى عنه حين أمر بيدر والخبر مشهور (إنهم كفروا بالله ورسوله)

تعليل للنهي على معنى أن الاستغفار للبيت والوقوف على قبره إنما يكون لاستصلاحه وذلك مستحيل في

● حقهم لأنهم استمروا على الكفر بالله ورسوله مدة حياتهم (وماتوا وهم فاسقون) أي متمردون في

الكفر خارجون عن حدوده كما بين من معنى الفسق (ولا تعجبك أموالهم وأولادهم) تكرير لما سبق

٨٥ وتقرير لمضمونه بالإخبار بوقوعه ويجوز أن يكون هذا في حق فريق غير الفريق الأول وتقديم الأموال

في أمثال هذه المواقع على الأولاد مع كونهم أعز منها إما لعموم مساس الحاجة إليها بحسب الذات

وبحسب الأفراد والأوقات فإنها لا بد منه لكل أحد من الآباء والأمهات والأولاد في كل وقت وحين

حتى أن من له أولاد ولا مال له فهو وأولاده في ضيق ونكال وأما الأولاد فإنما يرغب فيهم من بلغ مبالغ

الابوة وإما لأن المال مناط لبقاء النفس والأولاد لبقاء النوع وإما لأنها أقدم في الوجود من الأولاد

● لأن الأجزاء المنوية إنما تحصل من الأغذية كما سيأتي في سورة الكهف (إنما يريد الله) بما متعم به من

● الأموال والأولاد (أن يعذبهم بها في الدنيا) بسبب معاناتهم المشاق ومكابدتهم الشدائد في شأنها

● (وتزهق أنفسهم وهم كافرون) أي فيموتوا كافرين باشتغالهم بالتمتع بها والالتناء عن النظر والتدبر في

العواقب (وإذا أنزلت سورة) من القرآن ويجوز أن يراد بها بعضها (أن آمنوا بالله) أن مفسرة لما في الإنزال

● من معنى القول والوحى أو مصدرية حذف عنها الجار أي بأن آمنوا (وجاهدوا مع رسول الله) لإعزاز دينه

● وإعلاء كلمته (استأذنك أولو الطول منهم) أي ذوو الفضل والسعة والقدرة على الجهاد بدناً ومالا

● (وقالوا) عطف تفسيرى لاستأذنك مغن عن ذكر ما استأذنوا فيه يعني القعود (ذرنا نكن مع القاعد)

رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ ٩ التوبة

لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ

هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ ٩ التوبة

أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ٩ التوبة

وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ

كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ ٩ التوبة

- أى الذين قعدوا عن الغزو لما بهم من عذر (رضوا) استئناف لبيان سوء صنيعهم وعدم امتثالهم لكلا الأمرين وإن لم يردوا الأول صريحاً (بأن يكونوا مع الخوالف) مع النساء اللاتي شأنهن القعود ولزوم البيوت جمع خالفة وقيل الخالفة من لاخير فيه (وطبع على قلوبهم فهم) بسبب ذلك (لا يفقهون) مافى الإيمان بالله وطاعته فى أوامره ونواهيه واتباع رسوله ﷺ والجهاد من السعادة وما فى أضداد ذلك من الشقاوة (لكن الرسول والذين آمنوا معه) بالله وبما جاء من عنده تعالى وفيه إيذان بأنهم ليسوا من الإيمان بالله فى شىء وإن لم يعرضوا عنه صريحاً إعراضهم عن الجهاد باستئذانهم فى القعود (جاهدوا) بأموالهم وأنفسهم) أى إن تخلف هؤلاء عن الغزو فقد نهى إليه ونهض له من هو خير منهم وأخلص نية ومعتقداً وأقاموا أمر الجهاد بكلا نوعيه كقوله تعالى فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين (وأولئك) المنعوتون بالنعوت الجليلة (لهم) بواسطة نعوته المزبورة (الخيرات) أى منافع الدارين النصر والغنيمة فى الدنيا والجنة والكرامة فى العقبى وقيل الحور كقوله عز قاتلا فيهن خيرات حسان وهى جمع خيرة تخفيف خيرة (وأولئك هم المفلحون) أى الفائزون بالمطلوب لا من حاز بعضاً من الحظوظ الفانية عما قليل وتكرير اسم الإشارة تنويه لشأنهم وربهم لمكانهم (أعد الله لهم) استئناف لبيان كونهم مفلحين أى هياً لهم فى الآخرة (جنان تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) حال مقدرة من الضمير المجرور والعامل أعد (ذلك) إشارة إلى ما فهم من إعداد الله سبحانه لهم الجنات المذكورة من نيل الكرامة العظمى (الفوز العظيم) الذى لا فوز وراه (وجاء المعذرون من الأعراب ٩٠ ليؤذن لهم) شروع فى بيان أحوال منافقى الأعراب إثرياً منافق أهل المدينة والمعذرون من عذر فى الأمر إذا قصر فيه وتوانى ولم يجدو حقيقته أن يؤم أن له عذراً فيما يفعل ولا عذر له أو المعذرون بإدغام التاء فى الذال ونقل حركتها إلى العين وهم المعتذرون بالباطل وقرى المعتذرون من الإعذار وهو الاجتهاد فى العذر والاحتماد فيه قيل هم أسد وغطفان قالوا إن لنا عيالا وإن بنا لجهداً فائذن لنا فى التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا إن غزونا مملك أغارت أعراب طيء على أهلينا ومواسينا فقال ﷺ

لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾

٩ التوبة

وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾

٩ التوبة

سيغني الله تعالى عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله سبحانه وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقرىء المعتذرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن إذ التاء لا تدغم في العين إدغامها في الطاء والزاء والصاد في المطوعين وازكى واصدق وقيل أريد بهم المعتذرون بالصحة وبه فسر المعتذرون والمعتذرون أى الذين لم يضرطوا في العذر (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) وهم منافقوا الأعراب الذين لم يجشوا ولم يعتذروا فظهر أنهم كذبوا الله ورسوله في ادعاء الإيمان والطاعة (سيصيب الذين كفروا منهم) أى من الأعراب أو من المعتذرين فإن منهم من اعتذر لكسله لا لكفره (عذاب أليم) بالقتل والأسر ٩١ في الدنيا والنار في الآخرة (ليس على الضعفاء ولا على المرضى) كالهرمى والزمنى (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) لفقرهم كزينة وجهينة وبنى عذرة (حرج) إثم في التخلف (إذا نصحوا لله ورسوله) وهو عبارة عن الإيمان بهما والطاعة لهما في السر والعلن وتوليتهما في السراء والضراء والحب فيهما والبغض فيهما كما يفعل المولى الناصح بصاحبه (ما على المحسنين من سبيل) استئناف مقرر لمضمون ما سبق أى ليس عليهم جناح ولا إلى معاتبتهم سبيل ومن مزيدة للتأكيد ووضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انتظامهم بنصحهم لله ورسوله في سلك المحسنين أو تعليل لنفي الحرج عنهم أى ما على جنس المحسنين من سبيل وهم من جملتهم (والله غفور رحيم) تذييل مؤيد لمضمون ما ذكر مشير إلى أن بهم حاجة إلى المغفرة ٩٢ وإن كان تخلفهم بعذر (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم) عطف على المحسنين كما يؤذن به قوله عز وجل فيما سيأتى إنما السبيل الآية وقيل عطف على الضعفاء وهم البكاملون سبعة من الأنصار معقل بن يسار وصخر ابن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثلعة بن غنمة وعبد الله بن معقل وعلبة بن زيد أتوا رسول الله ﷺ فقالوا انذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوصة نغز معك فقال ﷺ لا أجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقر معقل وسويد ونعمان وقيل أبوه وسى الأشعري وأصحابه رضى الله تعالى عنهم (قلت لا أجد ما أحملكم عليه) حال من الكاف في أتوك بإضمار قد وما عامة لما سأله ﷺ وغيره مما يحمل عليه عادة وفي إشار لا أجد على ليس عندي من تلطيف الكلام وتطيب قلوب السائلين ● ما لا يخفى كأنه ﷺ يطلب ما يسألونه على الاستمرار فلا يجدونه (تولوا) جواب إذا (وأعينهم تفيض) أى تسيل بشدة (من الدمع) أى دمعاً فإن من البيانية مع مجرورها في حيز النصب على التمييز وهو أبلغ من يفيض دمعها لإفادتها أن العين بعينها صارت دمعاً فياضاً والجملة حالية وقوله عز اسمه (حزناً) نصب على العلية أو الحالية أو المصدرية لفعل دل عليه ما قبله أى تفيض للحزن فإن الحزن يسند إلى العين مجازاً

إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَعِذُّونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾

٩ التوبة

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَنْبَارِكُمْ وَسِيرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تَرَدُّونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾

٩ التوبة

- كالفيض أو تولوا له أو حزنين أو يحزنون حزناً فتكون هذه الجملة حالا من الضمير في تفيض (ألا يحدوا)
- على حذف لام متعلقة بحزناً أو تفيض أى لثلا يحدوا (ما ينفقون) في شراء ما يحتاجون إليه إذ لم يحدوه
- عندك (إنما السبيل) بالمعاقبة (على الذين يستأذنونك) في التخلف (وهم أغنياء) واجدون لأهبة الغزو ٩٣
- مع سلامتهم (رضوا) استئناف تعليلي لما سبق كأنه قيل ما بالهم استأذنا وهم أغنياء فقيل رضوا (بأن
- يكونوا مع الخوالف) الذين شأنهم الضعة والدناءة (وطبع الله على قلوبهم) أى خذلهم فغفلوا عن وخامة
- العاقبة (فهم) بسبب ذلك (لا يعلمون) أبدأ غائلة ما رضوا به وما يستتبعه آجلاً كما لم يعلموا بخساسة شأنه
- عاجلاً (يعتذرون إليكم) استئناف لبيان ما يتصدون له عند القول إليهم . روى أنهم كانوا بضعة وثمانين ٩٤
- رجلاً فلما رجع ﷺ إليهم جاءوا يعتذرون إليه بالباطل والخطاب لرسول الله ﷺ وأصحابه فإنهم كانوا
- يعتذرون إليهم أيضاً لا إلى رسول الله ﷺ فقط أى يعتذرون إليكم في التخلف (إذا رجعتهم) من الغزو
- منتهين (إليهم) وإنما لم يقل إلى المدينة لإيداناً بأن مدار الاعتذار هو الرجوع إليهم لا الرجوع إلى
- المدينة فلعل منهم من بادر إلى الاعتذار قبل الرجوع إليها (قل) تخصيص هذا الخطاب برسول الله
- ﷺ بعد تعميمه فيما سبق لأصحابه أيضاً لما أن الجواب وظيفته ﷺ وأما اعتذارهم فكان شاملاً للمسلمين
- شمول الرجوع لهم (لا تعتذروا) أى لا تفعلوا الاعتذار كقوله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون أولاً
- تعتذروا بما عندكم من المعاذير وأما التعرض لعنوان كذبها فلا يساعده قوله تعالى (لن تؤمن لكم) أى
- لن نصدقكم في ذلك أبدأ فإنه استئناف تعليلي للنهى مبنى على سؤال نشأ من قبلهم متفرع على ادعاء الصدق
- في الاعتذار كأنهم قالوا لم لا نعتذر فقل لأننا لا نصدقكم أبدأ فيكون عبثاً إذ لا يترتب عليه غرض
- المعتذر وقوله عز وجل (قد نبأنا الله من أخباركم) تعليل لانتفاء التصديق أى أعلننا بالوحي بعض
- أخباركم المنافية للتصديق عما باشرتموه من الشر والفساد وأضرتموه في ضمايركم وهبأتموه للإبراز في معرض
- الاعتذار من الأكاذيب وجمع ضمير المتكلم في الموضعين للبالغة في حسم أطعاهم من التصديق رأساً
- ببيان عدم رواج اعتذارهم عند أحد من المؤمنين أصلاً فإن تصديق البعض لهم ربما يطمعهم في تصديق
- الرسول أيضاً ﷺ بواسطة المصدقين والإيدان بأن افتضاحهم بين المؤمنين كافة (وسيرى الله عملكم)
- فيما سياتى أتنبيون إليه تعالى عما أنتم فيه من النفاق أم تثبتون وكأنه استنابة وإمهال للتوبة وتقديم مفعول
- الرؤية على ما عطف على فآله من قوله تعالى (ورسوله) للإيدان باختلاف حال الرؤيتين وتفاوتهما
- وللإشعار بأن مدار الوعيد هو عليه عز وجل بأعمالهم (ثم تردون) يوم القيامة (إلى عالم الغيب والشهادة)

سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا وَنَهُمْ
جَهَنَّمُ جزاءً بما كانوا يكسبون ﴿٩٥﴾

٩ التوبة

يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَتَرْضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ٩ التوبة

- للجزاء بما ظهر منكم من الأعمال ووضع المظهر موضع المضمحل لتشديد الوعيد فإن عليه سبحانه وتعالى
- بجميع أعمالهم الظاهرة والباطنة وإحاطته بأحوالهم البارزة والكامنة مما يوجب الزجر العظيم (فينبذكم)
 - عند ردكم إليه ووقوفكم بين يديه (بما كنتم تعملون) أى بما كنتم تعملونه فى الدنيا على الاستمرار من
 - الأعمال السيئة السابقة واللاحقة على أن ماموصولة والعائد إليها محذوف أو بعملكم المستمر على أنها
 - مصدرية والمراد بالتنبيه بذلك المجازاة به وإيثارها عليها مراعاة ماسبق من قوله تعالى قد نبأنا الله الخ فإن
 - المنبأ به الأخبار المتعلقة بأعمالهم وللإيذان بأنهم ما كانوا عالمين فى الدنيا بحقيقة أعمالهم وإنما يعلمونها
 - ٩٥ يومئذ (سيعلفون بالله لكم) تأكيداً لمعاذيرهم الكاذبة وتقريراً لها والسين للتأكيد والمحلوف عليه
 - محذوف يدل عليه الكلام وهو ما اعتذروا به من الأكاذيب والجملة بدل من يعتذرون أو بيان له (إذا
 - انقلبتم) أى انصرفتم من الغزو (إليهم) ومعنى الانقلاب هو الرجوع والانصراف مع زيادة معنى
 - الوصول والاستيلاء وقائدة تقييد حلفهم به الإيذان بأنه ليس لدفع ما خاطبهم النبي ﷺ به من قوله تعالى
 - لا تعتذروا الخ بل هو أمر مبتدأ (لتعرضوا) وتصفحوا (عنهم) صفح رضا فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم
 - كما يفصح عنه قوله تعالى لترضوا عنهم (فأعرضوا عنهم) لكن لا إعراض رضا كما هو طلبتهم بل إعراض
 - اجتناب ومقت كما يعرب عنه قوله عز وجل (لأنهم رجس) فإنه صريح فى أن المراد بالإعراض عنهم
 - إما الاجتناب عنهم لما فيهم من الرجس الروحاني وإما ترك استصلاحهم بترك المعاتبة لأن المقصود بها
 - التطهير بالحمل على الإنبابة وهؤلاء أرجاس لا تقبل التطهير فلا يتعرض لهم بها وقوله عز وعل (وما واهم
 - جهنم) إما من تمام التعليـل فإن كونهم من أهل النار من دواعى الاجتناب عنهم وموجبات ترك
 - استصلاحهم باللوم والعتاب وإما تعليل مستقل أى وكفهم النار عتاباً وتوبيخاً فلا تتكفوا أتم فى ذلك
 - (جزاء) نصب على أنه مصدر مؤكد لفعل مقدر من لفظه وقع حالاً أى يحجزون جزاء أو لمضمون الجملة
 - السابقة فإنها مفيدة لمعنى المجازاة قطعاً كأنه قيل يحجزون جزاء (بما كانوا يكسبون) فى الدنيا من فنون
 - ٩٦ السيئات أو على أنه مفعول له (يحلفون لكم) بدل مما سبق وعدم ذكر المحلوف به لظهوره أى يحلفون
 - به تعالى (لترضوا عنهم) بحلفهم وتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم (فإن ترضوا عنهم) حسباً راموا
 - وساعدتموهم فى ذلك (فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) أى فإن رضاكم عنهم لا يجديهم نفعاً لأن الله
 - ساخط عليهم ولا أثر لرضاكم عند محطه سبحانه ووضع الفاسقين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالخروج
 - عن الطاعة المستوجب لما حل بهم من السخط وللإيذان بشمول الحكم لمن شاركهم فى ذلك والمراد به
 - نهى المخاطبين عن الرضا عنهم والاعتراض بمعاذيرهم الكاذبة على أبلغ وجه وأكده فإن الرضا عن لا يرضى

الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾

٩ التوبة

وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُرِّ الدَّوَابِّ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ
عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾

٩ التوبة

- عنه الله تعالى مما لا يكاد يصدر عن المؤمن وقيل إنما قيل ذلك لثلاث يتوهم متوهم أن رضا المؤمنين من دواعي رضا الله تعالى . قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير وأصحابهما وكانوا ثمانين منافقا فقال النبي ﷺ للمؤمنين حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن أبي يهلف أن لا يتخلف عنه أبداً (الأعراب) هي صيغة جمع وليست بجمع للعرب قاله سيدي به لثلاث يلزم كون الجمع أخص من ٩٧ الواحد فإن العرب هو هذا الجيل الخاص سواء سكن البوادي أم القرى وأما الأعراب فلا يطلق إلا على من يسكن البوادي ولهذا نسب إلى الأعراب على لفظه فقيل أعرابي وقال أهل اللغة رجل عربي وجمعه العرب كما يقال مجوسى ويهودى ثم يحذف ياء النسب في الجمع فيقال المجوس واليهود ورجل أعرابي ويجمع على الأعراب والأعراب أى أصحاب البدو (أشد كُفْرًا وَنِفَاقًا) من أهل الحضر لجفائهم وقسوة قلوبهم • وتوحشهم ونشتمهم في معزل من مشاهدة العلماء ومفاوضتهم وهذا من باب وصف الجنس بوصف بعض أفرادها كما في قوله تعالى وكان الإنسان كفوراً إذ ليس كلهم كما ذكر على ما ستحيط به خبراً (وأجدد أن لا يعلموا) أى أحق وأخلق بأن لا يعلموا (حدود ما أنزل الله على رسوله) لبعدهم عن مجلسه ﷺ • وحرمانهم من مشاهدة معجزاته ومعانيته ما ينزل عليه من الشرائع في تضاعيف الكتاب والسنة (والله عليم) بأحوال كل من أهل الوبر والمدر (حكيم) فيما يصيب به مسيئتهم ومحسنهم من العقاب والثواب • (ومن الأعراب) شروع في بيان تشعب جنس الأعراب إلى فريقين وعدم انحصارهم في الفريق ٩٨ المذكور كما يترامى من ظاهر النظم الكريم وشرح لبعض مثالب هؤلاء المنفرعة على الكفر والنفاق بعد بيان تماديهم فيهما وحمل الأعراب على الفريق المذكور خاصة وإن ساعده كون من يحكى حاله بعضاً منهم وهم الذين يصدد الإنفاق من أهل النفاق دون فقرائهم أو أعراب أسد وغطفان وتميم كما قيل لكن لا يساعده ما سياتى من قوله تعالى ومن الأعراب من يؤمن الحق فإن أولئك ليسوا من هؤلاء قطعاً وإنما هم من الجنس أى ومن جنس الأعراب الذى نعت بنعت بعض أفرادهم (من يتخذ ما ينفق) من المال أى يعد ما يصرفه في سبيل الله ويتصدق به صورة (مغرمًا) أى غرامة وخسراناً لازماً إذ لا ينفقه احتساباً ورجاء لثواب الله تعالى ليكون له مغنياً وإنما ينفقه رياء وتقية ففى غرامة محضة وما في صيغة الانتخاذ من معنى الاختيار والانتفاع بما يتخذ إنما هو باعتبار غرض المنفق من الرياء والتقية لا باعتبار ذات النفقة أعنى كونها غرامة (ويتربص بكم الدوائر) أصل الدائرة ما يحيط بالشئ والمراد بها ما لا

وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَىٰ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ
 أَلَا إِنَّهَا قُرْبَىٰ لَهُمْ سَيَدْخِلُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ ٩ التوبة

- يحص عنه من مصائب الدهر أى ينتظر بكم دوائر الدهر ونوبه ودوله ليذهب غلبتكم عليه فليخلص عما
- ابتلى به (عليهم دائرة السوء) دعاء عليهم بنحو ما أرادوا بالمؤمنين على نهج الاعتراض كقوله سبحانه
- غلت أيديهم بعد قول اليهود ما قالوا والسوء مصدر ثم أطلق على كل ضر وشر وأضيفت إليه الدائرة ذماً
- كما يقال رجل سوء لأن من دارت عليه يذمها وهى من باب إضافة الموصوف إلى صفته فوصفت فى
- الأصل بالمصدر مبالغة ثم أضيفت إلى صفتها كقوله عز وجل ما كان أبوك امرأ سوء وقيل معنى الدائرة
- يقتضى معنى السوء فإنما هى إضافة بيان وتأكيد كما قالوا شمس النهار ولحيا رأسه وقرىء بالضم وهو
- العذاب كما قيل له سيئة (والله سميع) لما بقولونه عند الإنفاق بما لاخير فيه (عليم) بما يضمرونه من
- ٩٩ الأمور الفاسدة التى من جملتها أن يترصوا بكم الدوائر وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى (ومن الأعراب)
- أى من جنسهم على الإطلاق (من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ) أى يأخذ لنفسه على وجه الإصطفاء
- والادخار (ما ينفق) أى ينفقه فى سبيل الله تعالى (قربات) أى ذرائع إليها وللإيذان بما بينهما من كمال
- الاختصاص جعل كأنه نفس القربات والجمع باعتبار أنواع القربات أو أفرادها وهى ثلث مفعول يتخذ
- وقوله تعالى (عند الله) صفتها أو ظرف ليتخذ (وصلوات الرسول) أى وسائل إليها فإنه ﷺ كان
- يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ولذلك سن للمصدق أن يدعو للمتصدق عند أخذ صدقته لكن
- ليس له أن يصلى عليه كما فعله ﷺ حين قال اللهم صل على آل أبى أو فى فإن ذلك منصبه فله أن يتفضل
- به على من يشاء والتعرض لوصف الإيمان بالله واليوم الآخر فى الفريق الأخير مع أن مساق
- الكلام لبيان الفرق بين الفريقين فى شأن اتخاذ ما ينفقانه حالا ومآلاً وأن ذكر اتخاذ ذريعة إلى
- القربات والصلوات مغن عن التصريح بذلك لكمال العناية بإيمانهم وبيان انصافهم به وزيادة الاعتناء بتحقيق
- الفرق بين الفريقين من أول الأمر وأما الفريق الأول فانصافهم بالكفر والنفاق معلوم من سياق
- النظم الكريم صريحاً (ألا إنها قرينة لهم) شهادة لهم من جناب الله تعالى بصحة ما اعتقدوه وتصديق
- لرجائهم والضمير لما ينفق والتأنيث باعتبار الخبر مع ماسر من تعدده بأحد الوجهين والتشكيك للتفخيم
- المغنى عن الجمع أى قرينة عظيمة لا يكتنه عنها وفى إيراد الجملة اسمية وتصديرها ببحر فى التنبيه والتحقيق
- من الجزالة ما لا يخفى والاقتصار على بيان كونها قرينة لهم لأنها الغاية القصوى وصلوات الرسول من
- ذرائعها وقوله تعالى (سيدخلهم الله فى رحمته) وعد لهم بإحاطة رحمته الواسعة بهم وتفسير القرينة كما
- أن قوله عز وعلا والله سميع عليم وعيد للأولين عقيب الدعاء عليهم والسين للدلالة على تحقق ذلك وتقرره
- البتة وقوله تعالى (إن الله غفور رحيم) تعليل لتحقيق الوعد على نهج الاستئناف التحقيق قيل هذا فى
- عبد الله ذى البجادين وقومه وقيل فى بنى مقرن من مزينة وقيل فى أسلم وغفار وجهينة وروى أبوهريرة

وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ٩ التوبة
وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ
سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ ٩ التوبة

- رضي الله عنه أنه قال رسول الله ﷺ أسلم وغفار وشيء من جبهة ومزينة خير عند الله يوم القيامة من
تيم وأسدين خزيمة وهو ازن وغطفان (والسابقون الاولون من المهاجرين) بيان افضائل أشرف ١٠٠
المسلمين اثر بيان فضيلة طائفة منهم والمراد بهم الذين صلوا الى القبلتين أو الذين شهدوا بدر أو الذين
أسلوا قبل الهجرة (والانصار) أهل بيعة العقبة الأولى وكانوا سبعة نفر وأهل بيعة العقبة الثانية وكانوا
سبعين رجلاً والذي آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير وقرىء بالرفع عطفاً على والسابقون
(والذين اتبعوهم يا حسان) أي ملتبسين به والمراد به كل خصلة حسنة وهم للاحقون بالسابقين من الفريقين
على أن من تبعيضية أو الذين اتبعوهم بالإيمان والطاعة إلى يوم القيامة فالمراد بالسابقين جميع المهاجرين
والانصار ومن يمانية (رضي الله عنهم) خبر للبتداء أي رضي الله عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء أعمالهم
(ورضوا عنه) بما نالوه من رضاه المستتبع لجميع المطالب طراً (وأعد لهم) في الآخرة (جنان تجري تحتها
الأنهار) وقرىء من تحتها كما في سائر المواضع (خالدين فيها أبداً) من غير انتهاء (ذلك الفوز العظيم) الذي
لا فوز وراءه وما في اسم الإشارة من معنى البعد لبيان بعد منزلتهم في مراتب الفضل وعظم الدرجة
من مؤمنى الأعراب (ومن حولكم من الأعراب) شروع في بيان أحوال منافق أهل المدينة ومن حولها ١٠١
من الأعراب بعد بيان حال أهل البادية منهم أي من حول بلدكم (منافقون) وهم جبهة ومزينة وأسلم
وأشجع وغفار كانوا نازلين حولها (ومن أهل المدينة) عطف على من حولكم عطف مفرد على مفرد
وقوله تعالى (مردوا على النفاق) إما جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب مسوقة لبيان غلوهم في النفاق
اثر بيان اتصافهم به وإما صفة للبتداء المذكور فصل بينها وبينه بما عطف على خبره وإن صفة لمحدوف
أقيمت هي مقامه وهو مبتدأ خبره من أهل المدينة كما في قوله [أنا ابن جلا وطلاع الثنايا] والجملة عطف
على الجملة السابقة أي ومن أهل المدينة قوم مردوا على النفاق أي تمهروا فيه من مرن فلان على عمله
ومرد عليه إذا درب به وضرى حتى لان عليه ومهر فيه غير أن مرد لا يكاد يستعمل إلا في الشر فالمراد
على الوجهين الأولين شامل للفريقين حسب شمول النفاق وعلى الوجه الأخير خاص بمنافق أهل المدينة
وهو الأظهر والأنسب بذكر منافق أهل البادية أولاً ثم ذكر منافق الأعراب المجاورين للمدينة ثم
ذكر منافق أهلها والله تعالى أعلم وقوله عز شأنه (لا تعلمهم) بيان لقد دم أي لا تعرفهم أنت لكن لا بأعيانهم
وأسمائهم وأنسابهم بل بعنوان نفاقهم يعني أنهم بلغوا من المهارة في النفاق والتتوق في مراعاة التقية

وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٢﴾

٩ التوبة

- والتحامي عن مواقع التهم إلى مبلغ يخفى عليك حالهم مع ما أنت عليه من علو الكعب وسمو الطبقة في كمال الفطنة وصدق الفراسة وفي تعليق نبي العلم بهم مع أنه متعلق بحالهم مبالغه في ذلك وإيحاء إلى أن مام فيه من صفة النفاق لعراقتهم ورسوخهم فيها صارت بمنزلة ذاتياتهم أو مشخصاتهم بحيث لا يعد من لا يعرفهم بتلك الصفة عالماً بهم وحمل عدم علمه ﷺ بأعيانهم على عدم علمه ﷺ بعد مجيء هذا البيان على أنه ﷺ يعلم أن فيهم منافقين لكن لا يعلمهم بأعيانهم مع كونه خلاف الظاهر عار عما ذكر من المبالغة وقوله عز وجل (نحن نعلمهم) تقرير لما سبق من مهارتهم في فن النفاق أي لا يقف على سرائرهم المركوزة في ضمائرهم إلا من لا تخفى عليه خافية لما هم عليه من شدة الاهتمام بإبطان الكفر وإظهار الإخلاص وفي تعليق العلم بهم مع أن المقصود بيان تعلقه بحالهم مامر في تعليق نفسيهم وقوله عز شأنه (سنعذبهم) وعيد لهم وتحقيق لعذابهم حسبما علم الله فيهم من موجباته والسين للتأكيد (مرتين) عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قام خطيباً يوم الجمعة فقال أخرج يا فلان فإنك منافق أخرج يا فلان فإنك منافق فأخرج ناساً وفضحهم فهذا هو العذاب الأول والثاني إما القتل وإما عذاب القبر أو الأول هو القتل والثاني عذاب القبر أو الأول أخذ الزكاة لما أنهم يعدونها مفرماً بحقاً والثاني نهك الأبدان وإتعاها بالطاعات الفارغة عن الثواب ولعل تكرير عذابهم لما فيهم من الكفر المشفوع بالنفاق أو النفاق المؤكد بالتمرد فيه ويجوز أن يكون المراد بالمرتين مجرد التكثير كما في قوله تعالى فارجع البصر كرتين أي كرة بعد أخرى (ثم يردون) يوم القيامة (إلى عذاب عظيم) هو عذاب النار وفي تغيير السبك بإسناد عذابهم السابق إلى نون العظمة حسب إسناد ما قبله من العلم وإسناد ردهم إلى العذاب اللاحق إلى أنفسهم إيدان باختلافهما حالا وأن الأول خاص بهم وقوعاً وزماناً يتولاه سبحانه وتعالى والثاني شامل لعامة الكفرة وقوعاً وزماناً
- ١٠٢ وإن اختلفت طبقات عذابهم (وآخرون) بيان لحال طائفة من المسلمين ضعيفة المهم في أمور الدين وهو عطف على منافقون أي ومنهم يعني وعن حولكم ومن أهل المدينة قوم آخرون (اعترفوا بذنوبهم) التي هي تخلفهم عن الغزو وإيثار الدعة عليه والرضا بسوء جوار المنافقين وندوها على ذلك ولم يعتذروا بالمعاذير الكاذبة ولم يخفوا ما صدر عنهم من الأعمال السيئة كما فعله من اعتاد إخفاء ما فيه وإبراز ما ينافيه من المنافقين الذين اعتذروا بما لا خير فيه من المعاذير المؤكدة بالآيمان الفاجرة حسب ديدنهم المألوف وهم رط من المتخلفين أو ثقوا أنفسهم على سوارى المسجد عند ما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله ﷺ فدخل المسجد فصلى ركعتين حسب عادته الكريمة ورآهم كذلك فسأل عن شأنهم فقبل إنهم أقسموا أن لا يحلوا أنفسهم حتى تحلهم فقال ﷺ وأنا أقسم أن لا أحلهم حتى أومر فيهم فنزلت (خلطوا عملاً صالحاً) هو ما سبق منهم من الأعمال الصالحة والخروج إلى المغازي السابقة وغيرها وما لحق من

خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾

٩ التوبة

- الاعتراف بذنوبهم في التخلف عن هذه المرة وتذمهم وندامتهم على ذلك وتخصيصه بالاعتراف لا يناسب الخلط لاسيما على وجه يؤذن بتوارد المختلطين وكون كل منهما مخلوطاً ومخلوطاً به كما يؤذن به تبديل الواو بالباء في قوله تعالى (وآخر شيئاً) فإن قولك خلطت الماء باللبن يقتضى إيراد الماء على اللبن دون العكس وقولك خلطت الماء واللبن معناه إيقاع الخلط بينهما من غير دلالة على اختصاص أحدهما بكونه مخلوطاً به وترك تلك الدلالة للدلالة على جعل كل منهما متصفاً بالوصفين جميعاً وذلك فيما نحن فيه بورود كل من العاملين على الأخر مرة بعد أخرى والمراد بالعمل السيئ ما صدر عنهم من الأعمال السيئة أولاً وآخرها وعن الكلي التوبة والإثم وقيل الواو بمعنى الباء كما في قولهم بعث الشاء شاة ودعها بمعنى شاة بدرهم (عسى الله أن يتوب عليهم) أى يقبل توبتهم المفهومة من اعترافهم بذنوبهم (إن الله غفور رحيم) يتجاوز عن سيئات النائب ويتفضل عليه وهو تعليل لما تنفيده كلمة عسى من وجوب القبول فإنها للأطباع الذى هو من أكرم الأكرمين إيجاب وأى إيجاب (خذ من أموالهم صدقة) روى أنهم لما أطلقوا قالوا يا رسول الله ١٠٣ هذه أموالنا التى خلفتنا عنك فنصدق بها وطهرنا فقال ﷺ ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً فنزلت فليست هى الصدقة المفروضة لكونها مأموراً بها ولما روى أنه ﷺ أخذ منهم الثلث وترك لهم الثلثين فوقع ذلك بياناً لما فى صدقة من الإجمال وإنما هى كفارة لذنوبهم حسبما ينبي عنه قوله عز وجل (أطهرهم) أى عما نلطخوا به من أضرار التخلف والتأ للخطاب والفعل مجزوم على أنه جواب للأمر وقرئ بالرفع على أنه حال من ضمير المخاطب فى خذ أو صفة لصدقة والتاء للخطاب أو للصدقة والعائد على الأول محذوف ثقة بما بعده وقرئ تطهرهم من أطهره بمعنى طهره (وتزكّهم بها) بإثبات الياء وهو خبر لمبتدأ محذوف والجملة حال من الضمير فى الأمر أو فى جوابه أى وأنت تزكّهم بها أى تنمى بتلك الصدقة حسناتهم إلى مراتب المخلصين أو أموالهم أو تبالغ فى تطهيرهم هذا على قراءة الجزم فى تطهرهم وأما على قراءة الرفع فسواء جعلت التاء للخطاب أو للصدقة وكذا إذا جعلت الجملة الأولى حالاً من ضمير المخاطب أو صفة للصدقة على الوجهين فالثانية عطف على الأولى حالاً وصفة من غير حاجة إلى تقدير المبتدأ لتوجيه دخول الواو فى الجملة الحالية (وصل عليهم) أى واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم (إن صلواتك) وقرئ صلواتك مراعاة لتعدد المدعو لهم (سكن لهم) تسكن نفوسهم إليها وتطمئن قلوبهم بها ويشقون بأنه سبحانه قبل توبتهم والجملة تعليل للأمر بالصلاة عليهم (والله سميع) يسمع ما صدر عنهم من الاعتراف بالذنوب والتوبة والدعاء (عليم) بما فى ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم ومن الإخلاص فى التوبة والدعاء أو سميع بحبيب دعاءك لهم عليم بما تقتضيه الحكمة والجملة حينئذ تذييل للتعليل مقرر لمضمونه وعلى الأول تذييل لما سبق من الآيتين محقق لما فيهما.

أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾

٩ التوبة

وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾

٩ التوبة

- ١٠٤ (ألم يعلموا) وقرىء بالثناء والضمير إما للتائبين فهو تحقيق لما سبق من قبول توبتهم و تطهير الصدقة وتزكيتها لهم و تقرير لذلك وتوطين لقلوبهم ببيان أن المتولى لقبول توبتهم وأخذ صدقاتهم هو الله سبحانه وإن أسند الأخذ والتطهير والتزكية إليه ﷻ أى ألم يعلم أولئك التائبون (أن الله هو يقبل التوبة) الصحيحة الخاصة (عن عباده) المخلصين فيها ويتجاوز عن سيئاتهم كما يفصح عنه كلمة عن والمراد بهم إما أولئك التائبون ووضع المظهر في موضع المضمر للإشعار بعلية العبادة لقبولها وإما كافة العباد وهم داخلون في ذلك دخولا أولياً
- (ويأخذ الصدقات) أى يقبل صدقاتهم على أن اللام عوض عن المضاف إليه أو جنس الصدقات المندرج تحته صدقاتهم اندارجاً أولياً أى هو الذى يتولى قبول التوبة وأخذ الصدقات وما يتعلق بها من التطهير والتزكية وإن كنت أنت المباشر لها ظاهرأ وفيه من تقرير ما ذكر ورفع شأن النبي ﷺ على نهج قوله تعالى
- إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ما لا يخفى (وأن الله هو التواب الرحيم) تأكيد لما عطف عليه وزيادة تقرير لما يقرره مع زيادة معنى ليس فيه أى ألم يعلموا أنه المختص المستأثر ببلوغ الغاية القصوى من قبول التوبة والرحمة وأن ذلك سنة مستمرة له وشأن دائم والمجملتان في حيز النصب يعلما بسد كل واحدة منهما مسد مفعوليه وإما لغير التائبين من المؤمنين فقد روى أنهم قالوا لما تيب على الأولين هؤلاء الذين تابوا كانوا بالأمس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلات أى ألم يعلموا ما للتائبين من الخصال الداعية إلى التكرمة والتقريب والانتظام في سلك المؤمنين والتلقى بحسن القبول والمجالسة فهو ترغيب لهم في التوبة والصدقة وقوله تعالى (وقل اعملوا) زيادة ترغيب لهم في العمل الصالح الذى من جملة التوبة وللأولين في الثبات على مام عليه أى قل لهم بعدما بان لهم شأن التوبة اعملوا ما تشاؤون من الأعمال فظاهره
- ترخيص وتخفيف وباطنه ترغيب وترهيب وقوله عز وجل (فسيرى الله عملكم) أى خيراً كان أو شراً
- تعليل لما قبله وتأكيده للترغيب والترهيب والسين للتأكيد (ورء وله) عطف على الاسم الجليل وتأخير
- عن المفعول الإشعار بما بين الرؤيتين من التفاوت (والمؤمنون) في الخبر لو أن رجلاً عمل في صخرة
- لا باب لها ولا كوة لخرج عمله إلى الناس كائناً ما كان والمعنى إن أعمالكم غير خافية عليهم كما رأيتم وتبين لكم ثم إن كان المراد بالرؤية معناها الحقيقي فالأمر ظاهر وإن أريد بها ما لها من الجزاء خيراً أو شراً فهو خاص بالدينوى من إظهار المدح والثناء والذكر الجليل والإعزاز ونحو ذلك من الأجزئية وأضدادها
- (وستردون) أى بعد الموت (إلى عالم الغيب والشهادة) في وضع الظاهر موضع المضمر من تهويل

وَأَخْرُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ٩ التوبة
وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَسْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ ٩ التوبة

- الامر وتربية المهابة ما لا يخفى ووجه تقديم الغيب في الذكر لاسعة عالمه وزيادة خطره على الشهادة غنى عن البيان وقيل إن الموجودات الغائبة عن الحواس علل أو كالعلل للموجودات المحسوسة والعلم بالعلل علة للعلم بالمعلولات فوجب سبق العلم بالغيب على العلم بالشهادة . وعن ابن عباس رضى الله عنهما الغيب ما يسرونه من الأعمال والشهادة ما يظهرونه كقوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون فالتقديم حينئذ لتحقيق أن نسبة علمه المحيط بالسر والعلن واحدة على أبلغ وجه وآكده لا لإيهام أن علمه سبحانه بما يسرونه أقدم منه بما يعلنونه كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته منزّه عن أن يكون بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء وتحققه في نفسه علم بالنسبة إليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الأمور البارزة والكامنة وإما للإيدان بأن رتبة السر متقدمة على رتبة العلن إذ ما من شيء يعلن إلا وهو أو مباديه القرينة أو البعيدة مضمّر قبل ذلك في القاب فتعلق علمه تعالى به في حالته الأولى متقدم على تعلقه به في حالته الثانية (فينبشكم) عقيب الرد الذي هو عبارة عن الأمر الممتد إلى يوم القيامة (بما كنتم تعملون) قبل ذلك في الدنيا والمراد بالنسبة بذلك الجزاء بحسبه إن خيراً أو غيراً وإن شرّاً فشر فهو وعدو وعيد (وأخرون) ١٠٦ عطف على أخرون قبله أى ومن المتخلفين من أهل المدينة ومن حولها من الأعراب قوم آخرون غير المعترفين المذكورين (مرجون) وقرىء مرجئون من أرجيته وأرجأته أى أخرته ومنه المرجئة الذين لا يقطعون بقبول التوبة (لأمر الله) فى شأنهم . قال ابن عباس رضى الله عنهما هم كعب بن مالك ومرارة ابن الربيع وهلال بن أمية لم يسارعوا إلى التوبة والاعتذار كما فعل أبو لبابة وأصحابه من شد أنفسهم على السوارى وإظهار الغم والجزع والندم على ما فعلوا فوقفهم رسول الله ﷺ ونهى أصحابه عن أن يسلموا عليهم ويكلموهم وكانوا من أصحاب بدر فهجروهم والناس فى شأنهم على اختلاف فن قائل هلكوا وقائل عسى الله أن يغفر لهم فصاروا عندهم مرجئين لأمره تعالى (إما يعذبهم) إن بقوا على ما هم عليه من الحال وقيل إن أصرروا على النفاق وليس بذاك فإن المذكورين ليسوا من المنافقين (ولما يتوب عليهم) إن خلصت نيتهم وصحت توبتهم والجملة فى محل النصب على الحالية أى منهم هؤلاء إما معذبين وإما متوباً عليهم وقيل آخرون مبتدأ ومرجون صفته وهذه الجملة خبره (والله عليم) بأحوالهم (حكيم) فيما فعل بهم من الإرجاء وما بعده وقرىء والله غفور رحيم (والذين اتخذوا مسجداً) عطف على ما سبق ١٠٧ أى ومنهم الذين أو نصب على الذم وقرىء بغير واو لأنها قصة على حيالها (ضاراً) أى مضارة للمؤمنين وانتصابه على أنه مفعول له أو مفعول ثان لاتخذوا أو على أنه مصدر مؤكد لفعل مقدر منصوب على الحالية أى يضارون بذلك ضاراً أو على أنه مصدر بمعنى الفاعل وقع حالاً من ضمير اتخذوا أى مضارين

لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٨﴾

٩ التوبة

- للمؤمنين . روى أن بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن يأتيهم فيصل بهم في مسجدهم فلما فعله ﷺ حسدتهم إخوانهم بنو اغثم بن عوف وقالوا بنى مسجداً وأرسل إلى رسول الله ﷺ يصلى فيه ويصلى فيه أبو عامر الراهب أيضاً إذا قدم من الشام وهو الذى سماه رسول الله ﷺ الفاسق وقد كان قال لرسول الله ﷺ يوم أحد لا أجد قوماً يقاتلونك إلا قاتلتك معهم فلم يزل يفعل ذلك إلى يوم حنين فلما انهزمت هوازن يومئذ ولى هارباً إلى الشام وأرسل إلى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فإني ذاهب إلى قيصر وآت بجنود ومخرج محمداً وأصحابه من المدينة فبنوا مسجداً إلى جنب مسجد قباء وقالوا للنبي ﷺ بنيينا مسجداً لذي العلة والحاجة واليلة المطيرة والشاتبة ونحن نحب أن تصلى لنا فيه وتدعولنا بالبركة فقال ﷺ إني على جناح سفر وحال شغل وإذا قدمنا إن شاء الله تعالى صلينا فيه فلما قفل ﷺ من غزوة تبوك سأله إتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدى وعامر بن السكن ووحشى فقال لهم انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه ففعلوا
- وأمر أن يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقيامة وهلك أبو عامر الفاسق بالشام بقتلهم (وكفرأ)
 - تقوية للكفر الذى يضررونه (وتفريقاً بين المؤمنين) الذين كانوا يصلون في مسجد قباء مجتمعين فيغص بهم
 - فأرادوا أن يتفرقوا وتختلف كلمتهم (وإرصاداً) إعداداً وانتظاراً وترقباً (لمن حارب الله ورسوله)
 - وهو الراهب الفاسق أى لأجله حتى يحجى فيصلى فيه ويظهر على رسول الله ﷺ (من قبل) متعلق
 - باتخذوا أى اتخذوه من قبل أن ينافقوا بالتخلف حيث كانوا بنوه قبل غزوة تبوك أو يحارب أى حاربهما
 - قبل اتخاذ هذا المسجد (وليجلفن إن أردنا) أى ما أردنا ببناء هذا المسجد (إلا الحسنى) إلا الخصلة الحسنى
 - وهى الصلاة وذكر الله والتوسعة على المصلين أو إلا الإرادة الحسنى (والله يشهد أنهم لكاذبون) فى
 - حلفهم ذلك (لا تقم) للصلاة (فيه) فى ذلك المسجد حسبما دعوك إليه (أبدأ لمسجد أسس) أى بنى أصله
 - (على التقوى) يعنى مسجد قباء أسسه رسول الله ﷺ وصلى فيه أيام مقامه بقباء وهى يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة وقيل هو مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة وعن أبي سعيد
 - رضى الله عنه سألت النبي ﷺ عن المسجد الذى أسس على التقوى فأخذ حصباء فضرب بها الأرض وقال مسجدكم هذا مسجد المدينة واللام إما للابتداء أو للقسم المحذوف أى والله لمسجد وعلى التقديرين
 - فمسجد مبتدأ وما بعده صفته وقوله تعالى (من أول يوم) أى من أيام تأسيسه متعلق بأسس وقوله تعالى
 - (أحق أن تقوم فيه) أى للصلاة وذكر الله تعالى خبره وقوله تعالى (فيه رجال) جملة مستأنفة مبينة
 - لأحقية إقامه ﷺ فيه من جهة الحال بعد بيان أحقية له من حيث المحل أو صفة أخرى للمبتدأ أو
 - حال من الضمير فى فيه وعلى كل حال ففيه تحقيق وتقرير لاستحقاقه القيام فيه والمراد بكونه أحق نفس

أَقْنَسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مِّنْ أَسَسٍ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ
فَإِنهَارِيهِ ۚ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾

٩ التوبة

- كونه حقيقاً به إذ لا استحقاق في مسجد الضرار رأساً وإنما عبر عنه بصيغة التفضيل لفضله وكأله في نفسه أو الأفضلية في الاستحقاق المتناول لما يكون باعتبار زعم الباني ومن يشايعه في الاعتقاد وهو الأنسب بما سيأتي (يحبون أن يتطهروا) من المعاصي والخصال الذميمة لمرضاة الله سبحانه وقيل من الجنابة ● فلا ينامون عليها (والله يحب المطهرين) أي يرضى عنهم ويدنيه من جنابه إدناه المحب حبيبه . قيل لما نزلت مشى رسول الله ﷺ ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فإذا الأنصار جلوس فقال أمؤمنون أنتم فسكت القوم ثم أعادها فقال عمر رضي الله تعالى عنه يا رسول الله إنهم لمؤمنون وأما معهم فقال ﷺ أترضون بالقضاء قالوا نعم قال ﷺ أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أنشكرون في الرخاء قالوا نعم قال ﷺ مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يامعشر الأنصار إن الله عز وجل قد أثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا نتبع الغائط الأحجار الثلاثة ثم نتبع الأحجار الماء فتلا النبي ﷺ فيه رجال يحبون أن يتطهروا وقرئ أن يطهروا بالإدغام وقيل هو عام في التطهر عن النجاسات كلها وكانوا يتبعون الماء أثر البول وعن الحسن رضي الله عنه هو التطهر عن الذنوب بالتوبة وقيل يحبون أن يتطهروا بالحلمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم (أقنأس بنيانه) على بناء الفعل ١٠٩ للفاعل والنصب وقرئ على البناء للمفعول والرفع وقرئ أسس بنيانه على الإضافة جمع أساس وأساس بالفتح والكسر جمع أس وقرئ أساس بنيانه جمع أس أيضاً وأس بنيانه وهي جملة مستأنفة مبنية لخرية الرجال المذكورين من أهل مسجد الضرار والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر أي أبعد ما علم حالهم من أسس بنيان دينه (على تقوى من الله ورضوان) أي على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وابتغاء مرضاته بالطاعة والمراد بالتقوى درجتها الثانية التي هي التوقي عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك وقرئ تقوى بالتنون على أن الآلف للإلحاق دون التأنيث (خير أمن أسس بنيانه) ترك الإضمار للإيذان باختلاف البنيانين ذاتاً مع اختلافهما وصفاً وإضافة (على شفا جرف هار) الشفا الحرف والشفير والجرف ماجرفه السيل أي استأصله واحتضر ماتحته فبقى واهياً يريد الإهدام والهار الهائر المنصدع المشرف إلى السقوط من هار يهور ويهار أو هار يهير قدمت لامة على عينه فصار كغاز ورام وقيل حذفت عينه اعتباراً أي بغير موجب لخرى وجوه الإعراب على لامة (فإنهاريه في نار جهنم) مثل ما بنوا عليه أمر دينهم في البطلان وسرعة الانطلاس بما ذكر ثم رشح بأنهاره في النار ووضع بمقابلة الرضوان تنبيهاً على أن تأسيس ذلك على أمر يحفظه من النار ويوصله إلى الرضوان ومقتضياته التي أدناها الجنة وتأسيس هذا على ما هو بصدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم مصيرهم إليها لا محالة وقرئ جرف بسكون الراء (والله لا يهدي القوم الظالمين) أي لأنفسهم أو الواضعين للأشياء في غير مواضعها ●

لَا يَزَالُ بُنِيَْنُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ٩ التوبة
 إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ
 وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ
 فَاسْتَنْبِشُوا بِدَعْوِ اللَّهِ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٩ التوبة

أى لا يرشدهم إلى ما فيه نجاتهم وصلاحهم إرشاداً موجباً له لا محالة وأما الدلالة على ما يرشدهم إليه إن
 ١١٠ استرشدوا به فهو متحقق بلا اشتباه (لا يزال بنيانهم الذى بنوا) البنيان مصدر أريد به المفعول ووصفه
 بالموصول الذى صلته فعله الإيذان بكيفية بنائهم له وتأسيسه على أوهن قاعدة وأوهى أساس والإشعار
 ● بعلّة الحكم أى لا يزال مسجدهم ذلك مبنياً ومهدوماً (ريبة فى قلوبهم) أى سبب ريبة وشك فى الدين كأنه
 نفس الريبة أما حال بنيانه فظاهر لما أن اعترأهم من المؤمنين واجتماعهم فى مجمع على حياله يظهرون فيه
 ما فى قلوبهم من آثار الكفر والنفاق ويدبرون فيه أمورهم ويتشاورون فى ذلك ويلقى بعضهم إلى بعض
 ما سمعوا من أسرار المؤمنين بما يزيدهم ريبة وشكاً فى الدين وأما حال هدمه فلما أنه رسخ به ما كان فى
 قلوبهم من الشر وتضاعفت آثاره وأحكامه أو سبب ريبة فى أمرهم حيث ضعفت قلوبهم ووهى اعتقادهم
 بخفاء أمرهم على المؤمنين لأنهم أظهروا من أمرهم بعد البناء أكثر مما كانوا يظهرونه قبل ذلك وقت
 اختلاطهم بالمؤمنين وسامت ظنونهم بأنفسهم فلما هدم بنيانهم تضاعف ذلك الضعف وتقوى وصاروا
 مرتابين فى أن رسول الله ﷺ هل يتركهم على ما كانوا عليه من قبل أو يأمر بقتلهم ونهب أموالهم وقال
 الكلبي معنى ريبة حسرة وندامة وقال السدى وحيب والمبرد لا يزال هدم بنيانهم حزاة وغىظاً فى قلوبهم
 ● (إلا أن تقطع) من التفعّل بحذف إحدى التامين أى إلا أن تنقطع (قلوبهم) قطعاً وتنفرق أجزاء
 بحيث لا يبقى لها قابلية لإدراك وإضممار قطعاً وهو استثناء من أعم الأوقات أو أعم الأحوال ومحله النصب
 على الظرفية أى لا يزال بنيانهم ريبة فى كل الأوقات أو كل الأحوال إلا وقت تقطع قلوبهم أو حال تقطع
 قلوبهم حينئذ يسلمون عنها وأما ما دامت سالمة فالريبة باقية فيها فهو تصوير لا امتناع زوال الريبة عن قلوبهم
 ويجوز أن يكون المراد حقيقة تقطعها عند قتلهم أو فى القبور أو فى النار وقرئ تقطع على بناء المجهول
 من التفعّل وعلى البناء للفاعل منه على خطاب النبي ﷺ أى إلا أن تقطع أنت قلوبهم بالقتل وقرئ على
 البناء للمجهول من الثلاثى مذكراً ومؤنثاً وقرئ إلى أن تقطع قلوبهم وإلى أن تقطع قلوبهم على الخطاب
 وقرئ ولو قطعت قلوبهم على إسناد الفعل مجهولاً إلى قلوبهم ولو قطعت قلوبهم على الخطاب الرسول
 ﷺ أو لكل أحد من يصلح للخطاب وقيل إلا أن يتوبوا توبة تنقطع بها قلوبهم ندماً وأسفاً على تفریطهم
 ● (والله عليم) بجميع الأشياء التى من جملتها ما ذكر من أحوالهم (حكيم) فى جميع أفعاله التى من زمرتها
 ١١١ أمره الوارد فى حقهم (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأنفسهم وأموالهم) ترغيب المؤمنين فى الجهاد ببيان

- فضيلته إثر بيان حال المتخلفين عنه ولقد بولغ في ذلك على وجه لا مزيد عليه حيث عبر عن قبول الله تعالى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم التي بذلوها في سبيله تعالى وإثابته إياهم بمقابلتها الجنة بالشراء على طريقة الاستعارة التبعية ثم جعل المبيع الذي هو العمدة والمقصد في العقد أنفس المؤمنين وأموالهم والثمن الذي هو الوسيلة في الصفقة الجنة ولم يجعل الأمر على العكس بأن يقال إن الله باع الجنة من المؤمنين بأنفسهم وأموالهم ليدل على أن المقصد في العقد هو الجنة وما بذله المؤمنون في مقابلتها من الأنفس والأموال وسيلة إليها إيداناً بتعلق كمال العناية بهم وبأموالهم ثم إنه لم يقل بالجنة بل قيل (بأن لهم الجنة) مبالغة في تقرير وصول الثمن إليهم واختصاصه بهم كأنه قيل بالجنة الثابتة لهم المختصة بهم وأما ما يقال من أن ذلك لمدح المؤمنين بأنهم وبذلوها أنفسهم وأموالهم بمجرد الوعد لكمال ثقتهم بوعده تعالى وأن تمام الاستعارة موقوف على ذلك إذ لو قيل بالجنة لاحتل كون الشراء حقيقة لأنها صالحة للعوض بخلاف الوعد بها فليس بشيء لأن مناط دلالة ما عليه النظم الكريم على الوعد ليس كونه جملة ظرفية مصدرة بأن فإن ذلك بمنزلة من الدلالة على الاستقبال بل هو الجنة التي يستحيل وجودها في الدنيا ولو سلم ذلك يكون العوض الجنة الموعود بها لا الوعد بها (يقاثلون في سبيل الله) استئناف لكن لا لبيان ما لأجله الشراء ولا لبيان نفس الاشتراء لأن قتالهم في سبيل الله تعالى ليس باشتراء الله تعالى منهم أنفسهم وأموالهم بل هو بذل لها في ذلك بل لبيان البيع الذي يستدعيه الاشتراء المذكور كأنه قيل كيف يبيعون أنفسهم وأموالهم بالجنة فقيل يقاتلون في سبيل الله وهو بذل منهم لأنفسهم وأموالهم إلى جهة الله سبحانه وتعرض لها للهلاك وقوله تعالى (فيقتلون ويقتلون) بيان لكون القتال في سبيل الله بذلاً للنفس وأن المقاتل في سبيله باذل لها وإن كانت سالمة غائمة فإن الإسناد في الفعلين ليس بطريق اشتراط الجمع بينهما ولا اشتراط الاتصاف بأحدهما البتة بل بطريق وصف الكل بحال البعض فإنه يتحقق القتال من الكل سواء وجد الفعلان أو أحدهما منهم أو من بعضهم بل يتحقق ذلك وإن لم يصدر منهم أحدهما أيضاً كما إذا وجدت المضاربة ولم يوجد القتل من أحد الجانبين أو لم توجد المضاربة أيضاً فإنه يتحقق الجهاد بمجرد العزيمة والنفير وتكثير السواد وتقديم حالة القتالية على حالة المقتولية للإيدان بعدم الفرق بينهما في كونهما مصداقاً لكون القتال بذلاً للنفس وقرىء بتقديم المبنى للمفعول رعاية لكون الشهادة عريضة في الباب وإيداناً بعدم مبالايتهم بالموت في سبيل الله تعالى بل بكونه أحب إليهم من السلامة كما قيل في حقهم [لا يفرحون إذا نالت رماحهم * قوما وليسوا بمجازيعاً إذا نيلوا] [لا يقطع الطعن إلا في نحورهم * وما لهم عن حياض الموت تهليل] وقيل في يقاتلون الخ معنى الأمر كما في قوله تعالى تجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم (وعداً عليه) مصدر مؤكد لما يدل عليه كون الثمن مؤجلاً (حقاً) نعمت لوعداً والظرف حال منه لأنه لو تأخر لكان صفة له وقوله تعالى (في التوراة والإنجيل والقرآن) متعلق بمحذوف وقع صفة لوعداً أي وعداً مثبتاً في التوراة والإنجيل كما هو مثبت في القرآن (ومن أوفى بعهده من الله) اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من حقيقة الوعد على نهج المبالغة في كونه سبحانه أوفى بالعهود من كل وافي

الَّتِي بَيَّنَّ الْعَبِيدُونَ الْحَمْدُونَ السَّيِّحُونَ الرَّكْعُونَ السَّجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾

٩ التوبة

- فإن إخلاف الميعاد بما لا يكاد يصدر عن كرام الخلق مع إمكان صدوره عنهم فكيف بجناب الخلاق
الغنى عن العالمين جل جلاله وسبك التركيب وإن كان على إنكار أن يكون أحد أوفى بالعهد منه تعالى
من غير تعرض لإنكار المساواة ونفيها لكن المقصود به قصداً مطرداً لإنكار المساواة ونفيها قطعاً فإذا
قيل من أكرم من فلان أولاً أفضل منه فالمراد به حتماً أنه أكرم من كل كريم وأفضل من كل فاضل
● (فاستبشروا) التفات إلى الخطاب تشريفاً لهم على تشريف وزيادة لسرورهم على سرور والاستبشار
إظهار السرور والسين فيه ليس للطلب كاستوقدوا وقد والفاء لترتيب الاستبشار أو الأمر به على ما قبله أى
● فإذا كان كذلك فسروا نهاية السرور وافرحوا غاية الفرح بما فزتم به من الجنة وإنما قيل (يبيعكم) مع
أن الابتهاج به باعتبار أدائه إلى الجنة لأن المراد ترغيبهم في الجهاد الذى عبر عنه بالبيع وإنما لم يذكر
العقد بعنوان الشراء لأن ذلك من قبل الله سبحانه لا من قبلهم والترغيب إنما يكون فيما يتم من قبلهم
● وقوله تعالى (الذى بايعتم به) لزيادة تقرير بيعهم والإشعار بكونه مغايراً لسائر البياعات فإنه بيع للفانى
بالباقى ولأن كلا البدلين له سبحانه وتعالى . عن الحسن رضى الله عنه أنفساً هو خلقها وأموالاً هو رزقها .
روى أن الأنصار لما بايعوه ﷺ على العقبة قال عبد الله بن رواحة رضى الله تعالى عنه اشترط لربك
ولنفسك ما شئت قال ﷺ اشترط لربى أن تعبدوه ولا تشرکوا به شيئاً واشترط لنفسى أن تمنعوني عما
تمنعون منه أنفسكم قال فإذا فعلنا ذلك فقالنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقبل ولا نستقبله ومربر رسول
الله ﷺ أعرابى وهو يقرؤها قال كلام من قال كلام الله عز وجل قال يبيع والله مريح لا نقبله ولا نستقبله
● فخرج إلى الغزو واستشهد (وذلك) أى الجنة التى جعلت ثمناً بمقابلة ما بذلوا من أنفسهم وأموالهم (هو
الفوز العظيم) الذى لا فوز أعظم منه وما فى ذلك من معنى البعد إشارة إلى بعد منزلة المشار إليه وسمو
رتبته فى الكمال ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى البيع الذى أمروا بالاستبشار به ويجعل ذلك كأنه نفس
الفوز العظيم أو يجعل فوزاً فى نفسه فالجمله على الأول تذييل الآية الكريمة وعلى الثانى لقوله تعالى فاستبشروا
١١٢ مقرر لمضمونه (التائبون) رفع على المدح أى هم التائبون يعنى المؤمنون المذكورين كما يدل عليه القراءة
بالباء نصباً على المدح ويجوز أن يكون مجروراً على أنه صفة للتائبين وقد جوز الرفع على الابتداء والخبر
محذوف أى التائبون من أهل الجنة أيضاً وإن لم يجاهدوا كقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى ويجوز
● أن يكون خبره قوله تعالى (العابدون) وما بعده خبر بعد خبر أى التائبون من الكفر على الحقيقة هم
● الجامعون لهذه النعوت الفاضلة أى المخلصون فى عبادة الله تعالى (الحامدون) لنعمائه أو لما نالهم من السراء
● والضراء (السائحون) الصائمون لقوله ﷺ سياحة أمتى الصوم شبهها لأنه طاق عن الشهوات أو لأنه
رياضة نفسانية يتوسل بها إلى العثور على خفايا الملك والمكوت وقيل هم السائحون فى الجهاد وطلب

مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾

٩ التوبة

وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾

٩ التوبة

- العلم (الراكمون الساجدون) في الصلاة (الأمرون بالمعروف) بالطاعة والإيمان (والناهون عن المنكر) عن الشرك والمعاصي والعطف فيه للدلالة على أن المتعاطفين بمنزلة خصلة واحدة وأما قوله تعالى (والحافظون لحدود الله) أي فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع عملاً وحلاً للناس عليه فلئلا يتوهم اختصاصه بأحد الوجوهين (وبشر المؤمنين) أي الموصوفين بالنعوت المذكورة ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على أن ملاك الأمر هو الإيمان وأن المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به الإيذان بنحو وجهه عن حد البيان وفي تخصيص الخطاب بالآولين لإظهار زيادة اعتناء بأمرهم من الترغيب والتسلية (ما كان للنبي والذين آمنوا) بالله وحده أي ما صح لهم في حكم الله عز وجل وحكمته وما استقام ١١٣ (أن يستغفروا للمشركين) به سبحانه (ولو كانوا) أي المشركون (أولى قربي) أي ذوي قرابة لهم وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة أخرى قبلها محذوفة حذفاً مطرداً كما بين في قوله تعالى ولو كره الكافرون ونظائره. روى أنه ﷺ قال لعنه أبي طالب لما حضرته الوفاة يا عم قل كلمة أحاج لك بها عند الله فأبى فقال ﷺ لا أزال أستغفر لك ما لم أنه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج إلى الأبواء فزار قبر أمه ثم قام مستعبراً فقال إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي وأنزل على الآيتين (من بعد ما تبين لهم) أي للنبي ﷺ والمؤمنين (أنهم) أي المشركين (أصحاب الجحيم) بأن ماتوا على الكفر أو نزل الوحي بأنهم يموتون على ذلك (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه) بقوله واغفر لأبي أي بأن توفقه للإيمان وتهديه إليه كما يلوح به تعليله بقوله إنه كان من الضالين والجملة استئناف مسوق لتقرير ما سبق ودفع ما يترأى بحسب الظاهر من المخالفة وقرئ وما استغفر إبراهيم لأبيه وقرئ وما يستغفر إبراهيم على حكاية الحال الماضية وقوله تعالى (إلا عن موعدة) استثناء مفرغ من أعم العلل أي لم يكن استغفاره عليه السلام لأبيه آزر ناشئاً عن شيء من الأشياء إلا عن موعدة (وعدها) إبراهيم عليه الصلاة والسلام (إياه) أي أباه وقد قرئ كذلك بقوله لا تستغفرن لك وقوله سأستغفر لك ربي بناء على رجاء إيمانه لعدم تبين حقيقة أمره وإلا لما وعدها إياه كأنه قيل وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة مبينة على عدم تبين أمره كما ينبغي. عنه قوله تعالى (فلما تبين له) أي لإبراهيم بأن أوحى إليه أنه مصر على الكفر غير مؤمن أبداً وقيل بأن مات على الكفر والأول هو الأنسب بقوله تعالى (أنه عداؤه) فإن وصفه بالعداوة بما يباه حالة الموت (تبرأ

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾

٩ التوبة

إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ ٩ التوبة
لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ يَرْؤُفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ٩ التوبة

- (منه) أى تنزهه عن الاستغفار له وتجنب كل التجانب وفيه من المبالغة ما ليس في تركه ونظائره (إن إبراهيم
- لاواه) لكثير التأوه وهو كناية عن كمال الرأفة ورقة القلب (حليم) صبور على الأذى والحنه وهو استئناف لبيان ما كان يدعو عليه الصلاة والسلام إلى ما صدر عنه من الاستغفار وفيه إيذان بأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان أواها حليماً فلذلك صدر عنه ما صدر من الاستغفار قبل التبين فليس لغيره أن يأتيه به في ذلك وتأكيده لوجوب الاجتناب عنه بعد التبين بأنه عليه الصلاة والسلام تبرأ منه بعد التبين وهو في كمال رقة القلب والحلم فلا بد أن يكون غيره أكثر منه اجتناباً وتبرؤاً وأما أن الاستغفار قبل التبين لو كان غير محذور لما استثنى من الانكسار به في قوله تعالى إلا قول إبراهيم لأبيه لا تستغفرن لك فقد ١١٥ حقق في سورة مريم بإذن الله تعالى (وما كان الله ليضل قوماً) أى ليس من عادته أن يصفهم بالضلال عن طريق الحق ويهجر عليهم أحكامه (بعد إذ هدام) للإسلام (حتى يبين لهم) بالوحى صريحاً أو دلالة (ما يتقون) أى ما يجب اتقاؤه من محظورات الدين فلا ينزجروا عما نهوا عنه وأما قبل ذلك فلا يسمى ما صدر عنهم ضلالاً ولا يؤاخذون به فكأنه تسلية للذين استغفروا للمشركين قبل ذلك وفيه دليل على أن الغافل غير مكلف بما لا يستبعد بمعرفته العقل (إن الله بكل شيء عليم) تعليل لما سبق أى إنه تعالى عليم بجميع الأشياء التى من جملتها حاجتهم إلى بيان قبح ما لا يستقل العقل في معرفته فيبين لهم ذلك كما فعل ههنا (إن الله له ملك السموات والأرض) من غير شريك له فيه (يحيى ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) لما منعهم من الاستغفار للمشركين وإن كانوا أولى قربى وضمن ذلك التبرؤ منهم رأساً بين لهم أن الله تعالى مالك كل موجود ومتولى أموره والغالب عليه ولا يتأتى لهم نصر ولا ولاية إلا منه تعالى ليتوجهوا إليه بشرا شرهم متبرئين عما سواه غير قاصدين إلا إياه (لقد تاب الله على
- النبي) قال ابن عباس رضى الله عنهما هو العفو عن إذنه للنافقين في التخلف عنه (والمهاجرين والأنصار) قيل هو في حق زلات سبقت منهم يوم أحد ويوم حنين وقيل المراد بيان فضل التوبة وأنه مامن مؤمن إلا وهو محتاج إليها حتى النبي ﷺ لما صدر عنه في بعض الأحوال من ترك الأولى (الذين اتبعوه) ولم يتخلفوا عنه ولم يخلوا بأمر من أوامره (في ساعة العسرة) أى في وقتها والتعبير عنه بالساعة لزيادة تعيينه
- وهى حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب عشرة على بعير واحد ومن الزاد تزودوا

وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِقُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنَّهُ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ٩ التوبة

- التمر المدود والشعير المسوس والإهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة إلى أن اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء المتغير وفي عسرة من الماء حتى نجحوا الإبل واعتصروا فروثها وفي شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجذب والقحط والضيقة الشديدة ووصف المماجرين والانتصار بما ذكر من اتباعهم له عليه الصلاة والسلام في مثل هاتيك المراتب من الشدة للبالغة في بيان الحاجة إلى التوبة فإن ذلك حيث لم يغفروا فلأن لا يستغنى عنها غيرهم أولى وأحرى (من بعدما كاد يزيغ قلوب فريق منهم) بيان لنتاهي الشدة وبلوغها إلى ما لا غاية وراءها وهو إشراف بعضهم على أن يميلوا إلى التخلف عن النبي ﷺ وفي كاد ضمير الشأن أو ضمير القوم الراجع إليه الضمير في منهم وقرىء بتأنيث الفعل وقرىء من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين من المؤمنين كآبي لبابة وأضرابه (ثم تاب عليهم) تكرير للتأكيد وتنبية على أنه يتاب عليهم من أجل ما كابدوا من العسرة والمراد أنه تاب عليهم لكي يودتهم (لأنهم رءوف رحيم) استئناف تعليلي فإن صفة الرأفة والرحمة من دواعي التوبة والعفو ويجوز كون الأول عبارة عن إزالة الضرر والثاني عن إيصال المنفعة وأن يكون أحدهما للسوابق والآخر للواقع (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) أي ١١٨ وتاب الله على الثلاثة الذين أخر أمرهم عن أمر أبي لبابة وأصحابه حيث لم يقبل معذرتهم مثل أولئك ولا ردت ولم يقطع في شأنهم بشيء إلى أن نزل فيهم الوحي وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع وقرىء خلفوا أي خلفوا الغازين بالمدينة أو فسدوا من الخالفة وخلفو القم وقرىء على المخلفين والأول هو الأنسب لأن قوله تعالى (حتى إذا ضاقت عليهم الأرض) غاية للتخليف ولا يناسبه إلا المعنى الأول أي خلفوا وأخر أمرهم إلى أن ضاقت عليهم الأرض (بما رحبت) أي برحبها وسعتها لإعراض الناس عنهم وانقطاعهم عن مفاوضتهم وهو مثل لشدة الحيرة كأنه لا يستقر به قرار ولا تطمئن له دار (وضاقت عليهم أنفسهم) أي إذا رجعوا إلى أنفسهم لا يطمنون بشيء لعدم الأنس والسرور واستيلاء الوحشة والحيرة (وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه) أي علموا أنه لا ملجأ من محضه تعالى إلا إلى استغفاره (ثم تاب عليهم) أي وفقهم للتوبة (ليتوبوا) أو أنزل قبول توبتهم ليصيروا من جملة التوابين أو رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد أخرى ليستقيموا على توبتهم (إن الله هو التواب) المبالغ في قبول التوبة كإكفاً وإن كثرت الجنايات وعظمت (الرحيم) المتفضل عليهم بفنون الآلاء مع استحقاقهم لأنانين العقاب. روى أن ناساً من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله ﷺ منهم من بدا له وكره مكانه فلاحق به ﷺ. عن الحسن رضي الله عنه أنه قال بلغني أنه كان لأحدهم حائط كان خيراً من مائة ألف درهم فقال يا حائطاه ما خالفني إلا ظلك وانتظار ثمارك اذهب فأنت في سبيل الله ولم يكن لآخر إلا أهله فقال يا أهلاه ما بطناني ولا خلفني إلا الفتن بك فلا جرم والله لا أكابدن الشدائد حتى ألحق برسول الله ﷺ فتأبط زاده ولحق به ﷺ قال الحسن رضي الله عنه كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾

٩ التوبة

مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْعُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُنِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾

٩ التوبة

وعن أبي ذر الغفاري أن بعيره أبطأ به لحمل متاعه على ظهره واتبع أثر رسول الله ﷺ ماشياً فقال ﷺ لما رأى سواده كن أبا ذر فقال الناس هو ذاك فقال ﷺ رحم الله أبا ذر يمشى وحده ويموت وحده ويبعث وحده وعن أبي خيثمة أنه بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت إليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله ﷺ في الضح والريح ما هذا بخير فقام ورحل ناقته وأخذ سيفه ورمحه ومركب الرمح فد رسول الله ﷺ طرفه إلى الطريق فإذا براكب يزهاه السراب فقال كن أبا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله ﷺ واستغفر له ومنهم من بقى لم يلحق به ﷺ منهم الثلاثة . قال كعب رضى الله عنه لما قفل رسول الله ﷺ سلمت عليه فرد على كالمغضب بعد ما ذكرني وقال ياليت شعري ما خلف كعباً فقيل له ما خلفه إلا حسن برديه والنظر في عطفه فقال ﷺ ما أعلم إلا فضلاً وإسلاماً ونهى عن كلامنا أيها الثلاثة فتسكروا لنا الناس ولم يكلمنا أحد من قريب ولا بعيد فلما مضت أربعون ليلة أمرنا أن نعتزل نساءنا ولا نقرهن فلما تمت خمسون ليلة إذا أنا بندها من ذروة سلع أبشريا كعب بن مالك غفرت لله ساجداً وكنت كما وصفتني ربي وضاعت عليهم الأرض بما رحبت وضاعت عليهم أنفسهم وتنابت البشارة فلبست ثوبي وانطلقت إلى رسول الله ﷺ فإذا هو جالس في المسجد وحواله المسلمون فقام طلحة بن عبيد الله يهرول إلى حتى صاغني وقال لتهنك توبة الله عليك فلن أنساها لطلحة رضى الله عنه وقال رسول الله ﷺ وهو يستنير استنارة القمر أبشريا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك ثم تلا علينا الآية وعن أبي بكر الوراق أنه سئل عن التوبة النصوح فقال

١١٩ أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه (بأيها الذين

آمنوا) خطاب عام يندرج فيه التائبون اندراجاً أولياً وقيل لمن تخلف عليه من الطلقاء عن غزوة تبوك

● خاصة (اتقوا الله) في كل ماتأتون وما تزدرون فيدخل فيه المعاملة مع رسول الله ﷺ في أمر المغازی

● دخولاً أولياً (وكونوا مع الصادقين) في إيمانهم وعهودهم أو في دين الله نية وقولا وعملا أو في كل شأن

من الشئون فيدخل ما ذكر أو في توبتهم وإيمانهم فيكون المراد بهم حينئذ هؤلاء الثلاثة وأضرابهم .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه خطاب لمن آمن من أهل الكتاب أى كونوا مع المهاجرين والأنصار

١٢٠ وانتظموا في سلكهم في الصدق وسائر المحاسن وقرىء من الصادقين (وما كان لأهل المدينة) ماصح وما

وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾

٩ التوبة

وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

٩ التوبة

- استقام لهم (ومن حولهم من الأعراب) كزينة وجهينة وأشجع وغفار وأضرابهم (أن يتخلفوا عن رسول الله) عند توجهه ﷺ إلى الغزو (ولا يرغبوا) نصب وقد جوز الجزم (بأنفسهم عن نفسه)
- أى لا يصرفوها عن نفسه الكريمة ولا يصونونها عما لم يصن عنه نفسه بل يكابده معه ما يكابده من الأهوال والخطوب والكلام فى معنى النهى وإن كان على صورة الخبر (ذلك) إشارة إلى ما دل عليه الكلام من وجوب المشايعة (بأنهم) بسبب أنهم (لا يصيبهم ظمأ) أى عطش يسير (ولا نصب) ولا تعب ما (ولا نخصة) أى جماعة ما لا يستباح عنده المحرمات من مراتبها فإن الظمأ والنصب اليسيرين حين لم يخلوا من الثواب فلأن لا يخلو ذلك منه أولى فلا حاجة إلى تأكيد النفي بتكرير كلمة لا ويجوز أن يراد بها تلك المرتبة ويكون الترتيب بناء على كثرة الوقوع وقلته فإن الظمأ أكثر وقوعاً من النصب الذى هو أكثر وقوعاً من النخصة بالمعنى المذكور فتوسيط كلمة لا حينئذ ليس لتأكيد النفي بل للدلالة على استقلال كل واحد منهما بالفضيلة والاعتداد به (فى سبيل الله) وإعلاء كلمته (ولا يطئون موطئاً يغيظ الكفار) أى لا يدوسون بأرجلهم وحوافر خيولهم وأخفاف رواحلهم دوساً أو مكاناً يداس (ولا ينالون من عدو نبلا) مصدر كالقتل والأسر والنهب أو مفعول أى شيئاً ينال من قبلهم (إلا كتب لهم به) أى بكل واحد من الأمور المعدودة (عمل صالح) وحسنة مقبولة مستوجبة بحكم الوعد الكريم للثواب الجليل ونيل الزلفى والتنوين للتفخيم وكون المكتوب عين ما فعلوه من الأمور لا يمنع دخول الباء فإن اختلاف العنوان كافى فى ذلك (إن الله لا يضيع أجر المحسنين) على إحسانهم تعليل لما سلف من السكتب والمراد بالمحسنين إما المبحوث عنهم ووضع المظهر ووضع المضمر لمدحهم والشهادة عليهم بالانتظام فى سلك المحسنين وأن أعمالهم من قبيل الإحسان والإشعار بعلمية المأخذ للحكم وإما جنس المحسنين وهم داخلون فيه دخولا أولياً (ولا ينفقون نفقة صغيرة) ولو ثمرة أو علاقة سوط (ولا كبيرة) كما أنفق عثمان رضى ١٢١ الله عنه والترتيب باعتبار ما ذكر من كثرة الوقوع وقلته وتوسيط لا للتنبيص على استبعاد كل منهما بالسكتب والجزاء لالتأكيد النفى كما فى قوله عز وجل (ولا يقطعون) أى لا يجتازون فى مسيرهم (واديًا) وهو فى الأصل كل منفرج من الجبال والأكام يكون منفذاً للسيل اسم فاعل من ودى إذا سال ثم شاع فى الأرض على الإطلاق (إلا كتب لهم) أى أثبت لهم ذلك الذى فعلوه من الإنفاق والقطع (ليجزىهم الله) بذلك (أحسن ما كانوا يعملون) أحسن جزاء أعمالهم أو جزاء أحسن أعمالهم (وما كان المؤمنون ١٢٢

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ
الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾

٩ التوبة

وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ ءِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ
ءِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾

٩ التوبة

- لينفروا كافة) أى ماصح وما استقام لهم أن ينفروا جميعاً لنحو غزو أو طلب علم كما لا يستقيم لهم أن
● يتشبثوا جميعاً فإن ذلك مغل بامر المعاش (فلولا نفر) فهلا نفر (من كل فرقة) أى طائفة كثيرة (منهم)
● كاهل بلدة أو قبيلة عظيمة (طائفة) أى جماعة قليلة (ليتفقهوا فى الدين) أى يتكلفوا الفقه فيه
● ويتجشموا مشاق تحصيلها (ولينذروا قومهم) أى وليجعلوا غاية سعيهم ومرمى غرضهم من ذلك إرشاد
● القوم وإنذارهم (إذارجعوا إليهم) وتخصيصه بالذكر لأنه أهم وفيه دليل على أن التفقه فى الدين من
فروض الكفاية وأن يكون غرض المتعلم الاستقامة والإقامة لا الترفع على العباد والتبسط فى البلاد كما
● هو ديدن أبناء الزمان والله المستعان (لعلهم يحذرون) إرادة أن يحذروا عما ينذرون واستدل به على أن
أخبار الأحاد حجة لأن عموم كل فرقة يقتضى أن ينفر من كل ثلاثة نفر دوا بقرية طائفة إلى التفقه لتنذر
فرقتها كي يتذكروا ويحذروا فلولم يعتبر الأخبار مالم يتواتر لم يفد ذلك وقد قيل للآية وجه آخر وهو
أن المؤمنين لما سمعوا ما نزل فى المتخلفين سارعوا إلى النفر رغبة ورهبة وانقطعوا عن التفقه فأمرُوا
أن ينفر من كل فرقة طائفة إلى الجهاد ويبقى أعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع الفقه الذى هو الجهاد الأكبر
لأن الجدال بالحجة هو الأصل والمقصود من البعثة فالضمير فى ليتفقهوا ولينذروا لبواقي الفرق بعد
الطوائف النافرة للغزو وفى رجعوا للطوائف أى ولينذر البواقي قومهم النافرين إذا رجعوا إليهم بما
١٢٣ حصلوا فى أيام غيبتهم من العلوم (بأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) أمروا بقتال الأقرب
منهم فالأقرب كما أمر ﷺ أولاً بإنذار عشيرته فإن الأقرب أحق بالشفقة والاستصلاح قيل هم اليهود
حوالى المدينة كبنى قريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فإنهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة
● بالنسبة إلى العراق وغيره (وليجدوا فيكم غلظة) أى شدة وصبراً على القتال وقرىء بفتح الغين كسخرطة
● وبضمها وهما لغتان فيها (واعلموا أن الله مع المتقين) بالعصمة والنصرة والمراد بهم إما المخاطبون
ووضع الظاهر موضع الضمير للتنصيص على أن الإيمان والقتال على الوجه المذكور من باب التقوى
والشهادة يكونهم من زمرة المتقين وإما الجنس وهم داخلون فيه دخولاً أولياً والمراد بالمعية الولاية
١٢٤ الدائمة وقد ذكر وجه دخول مع على المتبوع فى قوله تعالى إن الله معنا (وإذا ما أنزلت سورة) من سور
● القرآن (فمنهم) أى من المنافقين (من يقول) لإخوانه ليثبتهم على النفاق أو لعوام المؤمنين وضعفتهم
● لبعدهم عن الإيمان (أيكم زادت هذه) السورة (إيماناً) وقرىء بنصب أيكم على تقدير فعل يفسره المذكور

وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ٩ التوبة
 أَوْ لَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَمَلٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٢٦﴾ ٩ التوبة
 وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَهُ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ
 بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ ٩ التوبة

أى زادت أيمانكم زادته هذه الخ وإيراد الزيادة مع أنه لا إيمان فيهم أصلاً باعتبار اعتقاد المؤمنين حسبما
 نطق به قوله تعالى إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً
 (فأما الذين آمنوا) جواب من جهته سبحانه وتحقيق للحق وتعيين لحالهم عاجلاً وآجلاً أى فأما الذين
 آمنوا بالله تعالى وبما جاء من عنده (فزادتهم إيماناً) بزيادة العلم اليقيني الحاصل من التدبر فيها والوقوف
 على ما فيها من الحقائق وانضمام إيمانهم بما فيها بإيمانهم السابق (وهم يستبشرون) بنزولها وبما فيه من المنافع
 الدينية والدنيوية (وأما الذين في قلوبهم مرض) أى كفروا وسوء عقيدة (فزادتهم رجساً إلى رجسهم) ١٢٥
 أى كفرأبها مضموماً إلى الكفر بغيرها وعقائد باطلة وأخلاقاً ذميمة كذلك (وماتوا وهم كافرون)
 واستحكم ذلك إلى أن يموتوا عليه (أولا يرون) الهمزة للإنكار والتوبيخ والواو للعطف على مقدر أى ١٢٦
 ألا ينظرون ولا يرون (أنهم) أى المنافقين (يفتنون في كل عام) من الأعوام (مرة أو مرتين) والمراد
 مجرد التكثير لا بيان الوقوع حسب العدد المزبور أى يدلون بأفانين البليات من المرض والشدة وغير
 ذلك مما يذكر الذنوب والوقوف بين يدي رب العزة فيؤدى إلى الإيمان به تعالى أو الجهاد مع رسول
 الله ﷺ فيعانون ما ينزل عليه من الآيات لاسيما القوارع الزائدة للإيمان الناعية عليه ما فيهم من القبايح
 المحزنة لهم (ثم لا يتوبون) عطف على لا يرون داخل تحت الإنكار والتوبيخ وكذا قوله تعالى (ولا هم
 يذكرون) والمعنى أولاً يرون افتتانهم الموجب لإيمانهم ثم لا يتوبون عما هم عليه من النفاق ولا هم
 يتذكرون بتلك الفتن الموجبة للتذكروا التوبة وقرئ بالناء والخطاب للمؤمنين والهمزة للعجب أى ألا
 تنظرون ولا ترون أحوالهم العجيبة التى هى افتتانهم على وجه التتابع وعدم التنبيه لذلك فقوله تعالى ثم
 لا يتوبون وباعطف عليه معطوف على يفتنون (وإذا ما أنزلت سورة) بيان لأحوالهم عند نزولها وهم ١٢٧
 فى حقل تبليغ الوحى كما أن الأول بيان لمقالاتهم وهم غائبون عنه (نظر بعضهم إلى بعض) تغاضوا
 بالعيون إنكاراً لها أو سخرية بها أو غيظاً لما فيها من مخازيهم (هل يراكم من أحد) أى قائلين هل يراكم
 أحدهم المسلمين لتنصرف مظهرين أنهم لا يصططرون على استماعها ويغلب عليهم الضحك فيفتضحون
 أو ترامقوا يتشاورون فى تدبير الخروج والانسلال لو إذا يقولون هل يراكم من أحد إن قتم من المجلس
 وإيراد ضمير الخطاب لبعث المخاطبين على الجدوى انتهاز الفرصة فإن المرء بشأنه أكثر اهتماماً منه بشأن
 أصحابه كما فى قوله تعالى وليتلافى ولا يشعرون بكم أحداً وقيل المعنى وإذا ما أنزلت سورة فى عيوب

لَقَدْ جَاءَكَ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ٩ التوبة
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ٩ التوبة

- المنافقين (ثم انصرفوا) عطف على نظر بعضهم والنراخي باعتبار وجدان الفرصة والوقوف على عدم
- رؤية أحد من المؤمنين أى انصرفوا جميعاً عن محفل الوحي خوفاً من الافتضاح أو غير ذلك (صرف
- الله قلوبهم) أى عن الإيمان حسب انصرفهم عن المجلس والجملة إخبارية أو دعائية (بأهم) أى بسبب
- ١٢٨ أنهم (قوم لا يفقهون) لسوء الفهم أو لعدم التدبر (لقد جاءكم) الخطاب للعرب (رسول) أى رسول
- رسول عظيم الشأن (من أنفسكم) من جنسكم عربى قرشى مثلكم وقرىء بفتح الفاء أى أشرفكم وأفضلكم
- (عزيز عليه ما عنتم) أى شاق شديد عليه عنتم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع
- فى العذاب وهذا من نتائج ماسلف من المجانسة (حريص عليكم) فى إيمانكم وصلاح حالكم (بالمؤمنين)
- منكم ومن غيركم (رهوف رحيم) قدم الأبلغ منهما وهى الرأفة التى هى عبارة عن شدة الرحمة محافظة على
- ١٢٩ الفواصل (فإن تولوا) تلوين للخطاب وتوجيه له إلى النبي ﷺ تسلياً له أى إن أعرضوا عن الإيمان
- بك (فقل حسبي الله) فإنه يكفيك ويعينك عليهم (لا إله إلا هو) استئناف مقرر لمضمون ما قبله
- (عليه توكلت) فلا أرجو ولا أخاف إلا منه (وهو رب العرش العظيم) أى الملك العظيم أو الجسم
- الأعظم المحيط الذى تنزل منه الأحكام والمقادير وقرىء العظيم بالرفع وعن أبى أن آخر ما نزل هاتان
- الآيتان . وعن النبي ﷺ ما نزل القرآن على إلا آية آية وحرفاً حرفاً ما خلا سورة براءة وسورة قل هو
- الله أحد فإنهما أنزلتا على ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة .

١٠ - سورة يونس عليه السلام

مكية وهى مائة وتسع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ

١٠ يونس

(سورة يونس عليه السلام مكية وهى مائة وتسع آيات)

- (بسم الله الرحمن الرحيم) (الر) بتفخيم الراء المفتوحة وقرئ بالإمالة لإجراء للأصلية مجرى المنقلبة ١
عن الياء وقرئ بين بين وهو إما مسرود على نمط التعديد بطريق التحدى على أحد الوجهين المذكورين
في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الإعراب وإما اسم للسورة كما عليه إطباق الأكثر فحله الرفع على
أنه خبر لمبتدأ محذوف أى هذه السورة مسماة بالر وهو أظهر من الرفع على الابتداء لعدم سبق العلم
بالسمية بعد لحقها الإخبار بها لاجتماع عنوان الموضوع لتوقفه على علم المخاطب بالانتساب كما مر .
والإشارة إليها قبل جريان ذكرها لما أنها باعتبار كونها على جناح الذكر وبصدده صارت فى حكم
الحاضر كما يقال هذا ما اشتري فلان أو النصب بتقدير فعل لائق بالمقام نحو اذكر أو اقرأ وكلية (تلك)
● إشارة إليها أما على تقدير كون الر مسرودة على نمط التعديد فقد نزل حضور مادتها التى هى الحروف
المذكورة منزلة ذكرها فأشير إليها كأنه قيل هذه الكلمات المؤلفة من جنس هذه الحروف المبسوطة الخ
وأما على تقدير كونه اسما للسورة فقد نوهت بالإشارة إليها بعد تنويعها بتعيين اسمها أو الأمر بذكرها
أو بقراءتها وما فى اسم الإشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتها فى الفخامة ومحل الرفع على أنه مبتدأ
● خبره قوله تعالى (آيات الكتاب) وعلى تقدير كون الر مبتدأ فهو مبتدأ ثان أو بدل من الأول والمعنى
هى آيات مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل والمقصود ببيان بعضيتها منه وصفها بما اشتهر اتصافه به من
النوع الفاضلة والصفات الكاملة والمراد بالكتاب إما جميع القرآن العظيم وإن لم ينزل الكل حينئذ إما
باعتبار تعيينه وتحققه فى علم الله عز وعلا أو فى اللوح أو باعتبار أنه أنزل جملة إلى السماء الدنيا كما هو
المشهور فإن فاتحة الكتاب كانت مسماة بهذا الاسم وبأم القرآن فى عهد النبوة ولما يحصل المجموع الشخصى
إذ ذاك فلا بد من ملاحظة كل من الكتاب والقرآن بأحد الاعتبار المذكورة وإما جميع القرآن
النازل وقتئذ المتفام بين الناس إذ ذاك فإنه كما يطلق على المجموع الشخصى يطلق على مجموع ما نزل فى كل
عصر ألا يرى إلى ما روى عن جابر رضى الله عنه أنه قال كان النبى ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد
فى ثوب واحد ثم يقول أيهم أكثر أخذاً للقرآن فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه فى اللحد فإن ما يفهمه
الناس من القرآن فى ذلك الوقت ويحافظون على التفاوت فى أخذه إنما هو المجموع النازل حينئذ من غير

أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٠﴾

١٠ يونس

- ملاحظة لتحقق المجموع الشخصي في علم الله سبحانه أو في اللوح ولا نزوله جملة إلى السماء الدنيا (الحكيم) ذى الحكمة وصف به لاشتماله على فنون الحكم الباهرة ونطقه بها أو هو من باب وصف الكلام بصفة صاحبه أو من باب الاستعارة المكنية المبنية على تشبيه الكتاب بالحكيم الناطق بالحكمة هذا وقد جعل الكتاب عبارة عن نفس السورة وكلية تلك إشارة إلى ما في ضمنها من الآي فإنها في حكم الحاضر لاسيما بعد ذكر ما يتضمنها من السورة عند بيان اسمها أو الأمر بذكرها أو بقراءتها وينبغي أن يكون المشار إليه حينئذ كل واحدة منها لاجتماعها من حيث هو جميع لأنه عين السورة فلا يكون للإضافة وجه ولا لتخصيص الوصف بالمضاف إليه حكمة فلا يتأتى ما قصد من مدح المضاف بما للمضاف إليه من صفات الكمال ولأن في بيان اتصاف كل منها بالكمال من المبالغة ما ليس في بيان اتصاف الكل بذلك والمتبادر من الكتاب عند الإطلاق وإن كان كله بأحد الوجهين المذكورين لكن صحة إطلاقه على بعضه أيضاً مما لا ريب فيها والمعهود المشهور وإن كان اتصاف الكل بأحد الاعتبارين بما ذكر من نعوت الكمال إلا أن شهرة اتصاف كل سورة منه بما اتصف به الكل مما لا ينكر وعليه يدور تحقق مدح السورة بكونها بعضاً من القرآن الكريم إذ لولا أن بعضه منعوت بنعت كله داخل تحت حكمه لما تسنى ذلك وفيه ما لا يخفى من التكلف والتعسف (أكان للناس عجباً) الهمزة لإنكار تعجبهم ولتعجب السامعين منه لكونه في غير محله والمراد بالناس كفار مكة وإنما عبر عنهم باسم الجنس من غير تعرض لكفرهم مع أنه المدار لتعجبهم كما تعرض له في قوله عز وجل قال الكافرون الخ لتحقيق ما فيه الشبهة بينهم وبين رسول الله ﷺ وتعيين مدار التعجب في زعمهم ثم تبين خطئهم وإظهار بطلان زعمهم بإيراد الإنكار والتعجب واللام متعلقة بمحذوف وقع حالاً من عجباً وقيل بعجباً على التوسع المشهور في الظروف وقيل المصدر إذا كان بمعنى اسم الفاعل أو اسم المفعول جاز تقديم معموله عليه وقيل متعلقة بكان وهو مبنى على دلالة كان الناقصة على الحدث (أن أوحينا) اسم كان قدم عليه خبرها اهتماماً بشأنه لكونه مدار الإنكار والتعجب وتشويقاً إلى المؤخر ولأن في الاسم ضرب تفصيل في مراعاة الأصل نوع إخلال بتجاوب أطراف الكلام وقرئ برفع عجب على أنه الاسم وهو نكرة والخبر أن أوحينا وهو معرفة لأن أن مع الفعل في تأويل المصدر المضاف إلى المعرفة البتة والمختار حينئذ أن تجعل كان تامة وأن أوحينا متعلقاً بعجب على حذف حرف التعليل أى أحدث للناس عجب لأن أوحينا أو من أن أوحينا أو بدلاً من عجب لكن لا على توجيه الإنكار والتعجب إلى حدوثه بل إلى كونه عجباً فإن كون الإبدال في حكم تنحية المبدل منه ليس معناه إهداره بالمرّة وإنما قيل للناس لا عند الناس للدلالة على أنهم اتخذوه أعجوبة لهم وفيه من زيادة تقبيح حالهم ما لا يخفى (إلى رجل منهم) أى إلى بشر من جنسهم كقولهم أبعث الله بشراً رسولاً أو من أفتائهم

- من حيث المال لا من عظمائهم كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وكلا الوجهين من ظهور البطلان بحيث لا مزيد عليه . أما الأول فلأن بعث الملك إنما يكون عند كون المبعوث إليهم ملائكة كما قال سبحانه قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وأما عامة البشر فهم بمعزل من استحقاق المفاوضة الملكية كيف لا وهي منوطة بالتناسب والتجانس فبعث الملك إليهم مزاحم للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والنشريع وإنما الذي تقتضيه الحكمة أن يبعث الملك من بينهم إلى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكل العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا إلى جانب . وأما الثاني فلما أن مناط الاصطفاء للنوة والرسالة هو التقدم في الاتصاف بما ذكر من النعوت الجميلة والصفات الجليلة والسبق في إحراز الفضائل العلية وحيازة الملكات السنية جلة واكتساباً ولا ريب لأحد منهم في أنه ﷺ في ذلك الشأن في غاية الغايات الفاصية ونهاية النهايات النامية وأما التقدم في الرياسات الدنيوية والسبق في نيل الحظوظ الدنية فلا دخل له في ذلك قطعاً بل له إخلال به غالباً قال ﷺ لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء (أن أنذر الناس) أن مصدرية لجواز كون صلتها أمراً كما في قوله تعالى وأن أقم وجهك وذلك لأن الخبر والإنشاء في الدلالة على المصدر سيان فساغ وقوع الأمر والنهي صلة حسب وقوع الفعل فليجرد عند ذلك عن معنى الأمر والنهي نحو تجر الصلة الفعلية عن معنى المضى والاستقبال ووجوب كون الصلة في الموصول الاسمي خبرية وإنما هو للتوصل بها إلى وصف المعارف بالجل لا لقصور في دلالة الإنشاء على المصدر أو مفسرة إذا الإيجاء فيه معنى القول وقد جوز كونها مخففة من المثقلة على حذف ضمير الشأن والقول من الخبر والمعنى أن الشأن قولنا أنذر الناس والمراد به جميع الناس كافة لا ما يريد بالاول وهو النكتة في إثبات الإظهار على الإختصار وكون الثاني عين الاول عند إعادة المعرفة ليس على الإطلاق (وبشر الذين آمنوا) بما أوحيناه وصدقوه (أن لهم) أي بأن لهم (قدم صدق) أي سابقة ● ومنزلة رفيعة (عند ربهم) وإنما عبر عنها بها إذ بها يحصل السبق والوصول إلى المنازل الرفيعة كما يعبر عن النعمة باليد لأنها تعطى بها وقبل مقام صدق والوجه أن الوصول إلى المقام إنما يحصل بالقدم وإضافتها إلى الصدق للدلالة على تحققها وثباتها وللتنبية على أن مدار نيل ما نالوه من المراتب العلية هو صدقهم فإن التصديق لا ينفك عن الصدق (قال الكافرون) هم المتعجبون وإيرادهم ههنا بعنوان الكفر ● بالاحاجة إلى ذكر سببه وترك العاطف لجريانه مجرى البيان للجملات التي دخلت عليها همزة الإنكار أو لكونه استثناء مبنياً على السؤال كأنه قيل ماذا صنعوا بعد التعجب هل بقوا على التردد والاستبعاد أو قطعوا فيه بشيء فقيل قال الكافرون على طريقة التأكيد (إن هذا) يعنون به ما أوحى إلى رسول الله ﷺ ● من القرآن الحكيم المنطوي على الإنذار والتبشير (لسحر مبين) أي ظاهر وقرىء اسأحر على أن الإشارة ● إلى رسول الله ﷺ وقرىء ما هذا إلا سحر مبين وهذا اعتراف من حيث لا يشعرون بأن ما عاينوه خارج عن طوق البشر نازل من جناب خلاق القوى والقدر ولكنهم سموه بما قالوا تآمداً في العناد كما هو ديدن

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأُمْرَ
مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٠﴾ يونس

- المكابر اللجوج ودأب المفهم المحجوج (إن ربكم) كلام مستأنف سيق لإظهار بطلان تعجبهم المذكور
وما بنوا عليه من المقالة الباطلة غب الإشارة إليه بالإنكار والتعجيب وحقق فيه حقيقة ما تعجبوا منه
وصحة ما أنكروه بالتنبيه الإجمالي على بعض ما يدل عليها من شئون الخلق والتقدير وأحوال التكوين
والتدبير وبرشدهم إلى معرفتها بأدنى تذكير لا عتراضهم به من غير تكبير لقوله تعالى قل من رب السموات
السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون وقوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والأرض
إلى قوله تعالى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله أى إن ربكم ومالك أمركم الذى تتعجبون من أن يرسل
إليكم رجلاً منكم بالإذار والتبشير وتعدون ما أوحى إليه من الكتاب الحكيم سحراً هو (الله الذى خلق
السموات والأرض) وما فيهما من أصول الكائنات (فى ستة أيام) أى فى ستة أوقات أو فى مقدار
سته أيام معهوده فإن نفس اليوم الذى هو عبارة عن زمان كون الشمس فوق الأرض مما لا يتصور
تحققه حين لا أرض ولا سماء وفى خلقها مدرجاً مع القدرة التامة على إبداعها دفعة دليل على الاختيار
واعتبار للنظار وحث لهم على التأنى فى الأحوال والأطوار وأما تخصيص ذلك بالعدد المعين فأمر قد
استأنر بعلم ما يستدعيه علام الغيوب جلّت قدرته ودقت حكمته وإثثار صيغة الجمع فى السموات لما هو
المشهور من الإيدان بأنها أجرام مختلفة الطباع متباينة الآثار والأحكام (ثم استوى على العرش) العرش
هو الجسم المحيط بسائر الأجسام سمي به لارتفاعه أو للتشبيه بسير الملك فإن الأمر والتدبير
منه تنزل وقيل هو الملك ومعنى استوائه سبحانه عليه استيلاؤه عليه أو استواء أمره عن أصحابنا أن
الاستواء على العرش صفة له سبحانه بلا كيف والمعنى أنه سبحانه استوى على العرش على الوجه الذى
عناهم منزهاً عن التمكن والاستقرار وهذا بيان لجلالة ملكه وسلطانه بعديان عظيمة شأنه وسعة قدرته بما
مر من خلقها تيك الأجرام العظام (يدبر الأمر) التدبير النظر فى أدبار الأمور وعواقبها لتقع على
الوجه المحمود والمراد ههنا التقدير على الوجه الاتم الأكمل والمراد بالأمر أمر ملكوت السموات
والأرض والعرش وغير ذلك من الجزئيات الحادثة شيئاً فشيئاً على أطوار شتى وأنحاء لا تكاد تحصى من
المناسبات والمباينات فى الذوات والصفات والأزمنة والأوقات أى يقدر ما ذكر من أمر الكائنات الذى
ماتعجبوا منه من أمر البعث والوحى فرد من جملة وشعبة من دوحته ويهيئ أسباب كل منها حدوثاً وبقاء
فى أوقاتها المعينة ويرتب مصالحها على الوجه الفائق والنمط اللائق حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه
المصلحة والجملة فى محل النصب على أنها حال من ضمير استوى وقد جوز كونها خبراً ثانياً لأن أو مستأنفة
لا محل لها من الإعراب مبنية على سؤال نشأ من ذكر الاستواء على العرش المنبئ عن إجراء أحكام الملك
وعلى كل حال فإن إثارة صيغة المضارع للدلالة على تجدد التدبير واستمراره وقوله عز وجل (ما من شئ

إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدُوَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ يونس

- بيان لاستبداده سبحانه في التقدير والتدبير ونفي للشفاعة على أبلغ الوجوه فإن نفي جميع أفراد الشفيع
بمن الاستغرافية يستلزم نفي الشفاعة على أتم الوجوه كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من أمر الله وهذا
بعد قوله تعالى يدبر الأمر جار مجرى قوله تعالى وهو يحير ولا يحار عليه عقيب قوله تعالى قل من بيده
ملكوت كل شيء وقوله تعالى (إلا من بعد إذنه) استثناء مفرغ من أعم الأوقات أى مامن شفع يشفع
لأحد في وقت من الأوقات إلا بعد إذنه المبني على الحكمة الباهرة وذلك عند كون الشفيع من المصطفين
الأخبار والمشفوع له بمن يليق بالشفاعة كقوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا
من أذن له الرحمن وقال صوابا وفيه من الدلالة على عظمة جلاله سبحانه ما لا يخفى (ذلكم) إشارة إلى
المعلوم بتلك العظمة أى ذلكم العظيم الشأن المنعوت بما ذكر من نعمت الكمال التي عليها يدور استحقاق
الالوهية (الله) وقوله تعالى (ربكم) بيان له أو بدل منه أو خبر ثان لاسم الإشارة وهذا بعد بيان أن
ربهم الله الذي خلق السموات والأرض الخ لزيادة التقرير والمبالغة في التذكير ولتفريع الأمر بالعبادة
عليه بقوله تعالى (فاعبدوه) أى وحدوه من غير أن تشركوا به شيئاً من ملك أو نبي فضلا عن جهاد لا يبصر
ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وآمنوا بما أنزله إليكم (أفلا تذكرون) أى أتعملون أن الأمر كما فصل
فلا تذكرون ذلك حتى تقفوا على فساد ما أنتم عليه فقد تدعوا عنه (إليه) لا إلى أحد سواه استقلالاً أو
اشتراكاً (مرجعكم) أى بالبعث كما ينبي عنه قوله تعالى (جميعاً) فإنه حال من الضمير المجرور لكونه
فاعلاً في المعنى أى إليه رجوعكم مجتمعين والجملة كالتعليل لوجوب العبادة (وعد الله) مصدر مؤكد
لنفسه لأن قوله عز وجل إليه مرجعكم وعد منه سبحانه بالبعث أو لفعل مقدر أى وعد الله وأياً ما كان
فهو دليل على أن المراد بالمرجع هو الرجوع بالبعث لأن ما بالموت بمنزل من الوعد كما أنه بمنزل من
الاجتماع وقرئ بصيغة الفعل (حقاً) مصدر آخر مؤكد لما دل عليه الأول (إنه يبدأ الخلق) وقرئ
يبدى (ثم يعيده) وهو استئناف علل به وجوب المرجع إليه سبحانه وتعالى فإن غاية البدء والإعادة
هو جزاء المكلفين بأعمالهم حسنة أو سيئة وقرئ بالفتح أى لأنه ويجوز كونه منصوباً بما نصب وعد
الله أى وعد الله وعداً ببدء الخلق ثم إعادته ومرفوعاً بما نصب حقاً أى حق حقاً ببدء الخلق الخ (ليجزى
الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط) أى بالعدل وهو حال من فاعل يجزى أى ملتبساً بالعدل أو متعلق
بيجزى أى ليجزىهم بقسطه ويوفهم أجورهم وإنما أجمل ذلك إيذاناً بأنه لا يني به الحصر أو بقسطهم
وعدلهم عند إيمانهم ومباشرتهم للأعمال الصالحة وهو الأنسب بقوله عز وجل (والذين كفروا لهم
شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) فإن معناه ويجزى الذين كفروا بسبب كفرهم وتكرير
الإسناد بجعل الجملة الظرفية خبراً للبوصول لتقوية الحكم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة

هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾

١٠ يونس

على مواظبتهم على الكفر وتغيير النظم الكريم للإبذان بكمال استحقاقهم للعقاب وأن التعذيب بمعزل عن الانتظام في سلك العلة الغائية للخلق بدءاً وإعادة وإنما يحق ذلك بالكفرة على موجب سوء اختيارهم وأما المقصود الأصلي من ذلك فهو الإثابة (هو الذي جعل الشمس ضياء) تنبيه على الاستدلال على وجوده تعالى ووحدته وعلمه وقدرته وحكمته بآثار صنعه في النيران بعد التنبيه على الاستدلال بما مر من إبداع السموات والأرض والاستواء على العرش وغير ذلك وبيان لبعض أفراد التدبير الذي أشير إليه إشارة إجمالية وإرشاد إلى أنه حيث دبرت أمورهم المتعلقة بمعاشهم هذا التدبير البديع فلأن يدبر مصالحهم المتعلقة بالمعاد بإرسال الرسول وإنزال الكتاب وتبيين طرائق الهدى وتعيين مهابى الردى أولى وأحرى والجعل إن جعل بمعنى الإنشاء والإبداع فضاء حال من مفعوله أى خلقها حال كونها ذات ضياء على حذف المضاف أو ضياء محضاً للبالغة وإن جعل بمعنى النصير فهو مفعوله الثانى أى جعلها ضياء على أحد الوجهين المذكورين لكن لا بعد أن كانت خالية عن تلك الحالة بل أبدعها كذلك كما فى قولهم ضيق فم الركبة ووسع أسفلها والضياء مصدر كقيام أو جمع ضوء كسياط وسوط وياؤه منقلبة من الواو لانكسار ما قبلها وقرئ ضياء بهمزتين بينهما ألف بتقديم اللام على العين (والقمر نوراً) الكلام فيه كالللام فى الشمس والضياء أقوى من النور وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور ففيه إشعار بأن نوره مستفاد من الشمس (وقدره) أى قدر له وهباً (منازل) أو قدر مسيره فى منازل أو قدره ذا منازل على تضمين التقدير معنى النصير وتخصيص القمر بهذا التقدير لاسرعة سيره ومعاينة منازلها وتعلق أحكام الشريعة به وكونه عمدة فى تواريخ العرب وقد جعل الضمير لكل منهما وهى ثمانية وعشرون منزلاً ينزل القمر كل ليلة فى واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل إلى الثامنة والعشرين فإذا كان فى آخر منازلها دق واستقوس ثم يستمر ليلتين أو ليلة إذا نقص الشهر ويكون مقام الشمس فى كل منزلة منها ثلاثة عشر يوماً وهذه المنازل هى مواقع النجوم التى نسبت إليها العرب الأسماء المستمطرة وهى الشرطان والبطين والثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجهة الزبرة الصرفة العواء السماء الغفر الزباني الإكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الأخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا وهو بطن الحوت (لتعلموا) إما بتعاقب الليل والنهار المنوطين بطلوع الشمس وغروبها أو باعتبار نزول كل منهما فى تلك المنازل (عدد السنين) التى يتعلق بها غرض على إقامة مصالح الدنية والدنيوية (والحساب) أى حساب الأوقات من الأشهر والأيام والليالى وغير ذلك مما ينط به شئ من المصالح المذكورة وتخصيص العدد بالسنين والحساب بالأوقات لما أنه لم يعتبر فى السنين المعدودة معنى مغاير لمراتب الأعداد كما اعتبر فى

إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْتَقُونَ ﴿١٠﴾ يونس

- الأوقات المحسوبة وتحقيقه أن الحساب لإحصاء ماله كمية انفصالية بتكرير أمثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة منها حد معين له اسم خاص وحكم مستقل كالسنة المنتحلة من اثني عشر شهراً قد تحصل كل من ذلك من ثلاثين يوماً قد تحصل كل من ذلك من أربع وعشرين ساعة مثلاً والعدد مجرد لإحصائه بتكرير أمثاله من غير اعتبار أن يتحصل بذلك شيء كذلك ولما لم يعتبر في السنين المعدودة تحصل حد معين له اسم خاص غير أسامي مراتب الأعداد وحكم مستقل أضيف إليها العدد وتحصل مراتب الأعداد من العشرات والمئات والالوف اعتباري لا يجدي في تحصل المعدودة نفعاً وحيث اعتبر في الأوقات المحسوبة تحصل ما ذكر من المراتب التي لها أسماء خاصة وأحكام مستقلة علق بها الحساب المنجي عن ذلك والسنة من حيث تحققها في نفسها مما يتعلق به الحساب وإنما الذي يتعلق به العدد طائفة منها وتعلقه في ضمن ذلك بكل واحدة من تلك الطائفة ليس من الحيثية المذكورة أعني حيثية تحصلها من عدة أشهر قد تحصل كل واحد منها من عدة أيام قد حصل كل منها بطائفة من الساعات فإن ذلك وظيفة الحساب بل من حيث إنها فرد من تلك الطائفة المعدودة من غير أن يعتبر معها شيء غير ذلك وتقديم العدد على الحساب مع أن الترتيب بين متعلقيهما وجوداً وعلماً على العكس لأن العلم المتعلق بعدد السنين علم إجمالي بما يتعلق به الحساب تفصيلاً وإن لم تتحد الجهة أو لأن العدد من حيث إنه لم يعتبر فيه تحصل أمر آخر حسبما حقق آنفاً نازل من الحساب الذي اعتبر فيه ذلك منزلة البسيط من المركب (ما خلق الله ذلك) أي ما ذكر من الشمس والقمر على ما حكى من الأحوال وفيه إيدان بأن معنى جعلهما على تلك الأحوال والهيئات ليس إلا خلقهما كذلك كما أشير إليه ولا يقدح في ذلك أن استفادة القمر النور من الشمس أمر حادث فإن المراد بجعله نوراً إنما هو جعله بحيث يتصف بالنور عند وجود شرائط الاتصاف به بالفعل (إلا بالحق) استثناء مفرغ من أعم الأحوال الفاعل أو المفعول أي ما خلق ذلك ملتبساً بشيء من الأشياء إلا ملتبساً بالحق مراعيًا لمقتضى الحكمة البالغة أو مراعى فيه ذلك وهو ما أشير إليه إجمالاً من العلم بأحوال السنين والأوقات المنوط به أمور معاملاتهم وعباداتهم (يفصل الآيات) أي الآيات التكوينية المذكورة أو جميع الآيات فيدخل فيها الآيات المذكورة دخلاً أولياً أو يفصل الآيات التنزيلية المنبهة على ذلك وقرئ بنون العظمة (لقوم يعلمون) الحكمة في إبداع الكائنات فيستدلون بذلك على شئون مبدعها جل وعلا أو يعلمون ما في تضاعيف الآيات المنزلة فيؤمنون بها وتخصيص التفصيل بهم لأنهم المنتفعون به (إن في اختلاف الليل والنهار) تنبيه آخر إجمالي على ما ذكر أي في تعاقبهما وكون كل منهما خلفه الآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها النابذ من لحركات السموات وسكون الأرض أو في تفاوتيهما في أنفسهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة إلينا قريباً وبعداً بحسب الأزمنة أو في اختلافهما وتفاوتيهما بحسب الأمكنة إما في الطول والقصر فإن البلاد القريبة من القطب

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأْنَأَوْا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا
غَفْلُونَ ﴿٧﴾

١٠ يونس

- الشمال أيامها الصيفية أطول ولياليها الصيفية أقصر من أيام البلاد البعيدة منه ولياليها وأما في أنفسهما
- فإن كربة الأرض تقتضي أن يكون بعض الأوقات في بعض الأماكن ليلاً وفي مقابلة نهاراً (وما خلق
 - الله في السموات والأرض) من أصناف المصنوعات (لآيات) عظيمة أو كثيرة دالة على وجود الصانع
 - تعالى ووحدته وكمال علمه وقدرته وبالفحكمة التي من جملة مقتضياتها ما أنكره من إرسال الرسول
 - ﷺ وإزالة الكتب والبعث والجزاء (لقوم يتقون) خصهم بذلك لأن الداعي إلى النظر والتدبر
 - إنما هو تقوى الله تعالى والحذر من العاقبة فهم الواقفون على أن جميع المخلوقات آيات دون غيرهم وكأى
 - من آية في السموات والأرض يمدون عليها وهم عنها معرضون (إن الذين لا يرجون لقاءنا) بيان لما ل
 - أمر من كفر بالبعث وأعرض عن البينات الدالة عليه بعد تحقيق أن مرجع الكل إليه تعالى وأنه يعيدهم
 - بعد بدتهم للجزاء ثواباً وعقاباً وتفصيل بعض الآيات الشاهدة بذلك والمراد بلفظاته إما الرجوع إليه
 - تعالى بالبعث أو لقاء الحساب كما في قوله عز وعلا إني ظننت أنى ملاق حسابه وأياً ما كان ففيه مع
 - الالتفات إلى ضمير الجلالة من تهويل الأمر لا يخفى والمراد بعدم الرجاء عدم التوقع مطلقاً المنتظم لعدم
 - الأمل وعدم الخوف فإن عدمهما لا يستدعي عدم اعتقاد وقوع المأمول والخوف أى لا يتوقعون
 - الرجوع إلينا أو لقاء حسابنا المؤدى إما إلى حسن الثواب أو إلى سوء العذاب فلا يأملون الأول وإليه
 - أشير بقوله عز وجل (ورضوا بالحياة الدنيا) فإنه منبئ عن إثار الأذى الحسيس على الأعلى النفيس
 - كقوله تعالى أَرْضَيْتُمْ بالحياة الدنيا من الآخرة ولا يخافون الثاني وإليه أشير بقوله تعالى (واطمأنوا بها)
 - أى سكنوا فيها سكون من لا براح له منها آمنين من اعتراء المزعجات غير مخطين بياهم ما يسوقهم من
 - عذابنا وقيل المراد بالرجاء معناه الحقيقي وباللقاء حسن اللقاء أى لا يأملون حسن لقاءنا بالبعث والإحياء
 - بالحياة الأبدية ورضوا بدلا منها ومغافيتها من فنون الكرامات السنية بالحياة الدنيا الدنية الفانية واطمأنوا
 - بها أى سكنوا إليها مكبين عليها قاصرين مجامع همهم على لذائذها وزخارفها من غير صارف يلويهم ولا
 - عاطف ينشيم وإثار البلاء على كلفة إلى المهيئة عن مجرد الوصول والانتفاء للإبذان بنها الملبسة ودوام
 - المصاحبة والمؤانسة وحمل الرجاء على الخوف فقطياً بأه كلمة الرضا بالحياة الدنيا فإنها منبئة عما ذكر من
 - ترك الأعلى وأخذ الأدنى واختيار صيغة الماضي في الصلتين الأخيرتين الدلالة على التحقق والتقرر كما
 - أن اختيار صيغة المستقبل في الأولى للإبذان باستمرار عدم الرجاء (والذين هم عن آياتنا) المفصلة في
 - صحائف الآل كوان حسبما أشير إلى بعضها أو آياتنا المنزلة المنبهة على الاستشهاد بها المتفقة معها في الدلالة
 - على حقيقة ما لا يرجونه من اللقاء المترتب على البعث وعلى بطلان ما رضوا به واطمأنوا إليه من الحياة
 - الدنيا (غافلون) لا يتفكرون فيها أصلاً وإن نبهوا على ذلك وذكروا بأنواع القوارع لأنهما كهم فيما يصدم

١٠ يونس

أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٠﴾

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِعْتِصِمِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ

١٠ يونس

التَّعِيمِ ﴿٩١﴾

عنها من الأحوال المعدودة وتكرير الموصول للنوسل به إلى جعل صلته جملة اسمية منبثة عمام عليه من استمرار الغفلة ودوامها وتزليل التغير الوصفي منزلة التغير الذاتي إيداناً بمغايرة الوصف الأخير للأوصاف الأولى واستقلاله باستتباع العذاب هذا وأماما قيل من أن العطف إما لتغاير الوصفين والتنبيه على أن الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأساً والانهماك في الشهوات بحيث لا يخطر ببالهم الآخرة أصلاً وإما لتغاير الفريقين والمراد بالآولين من أنكر البعث ولم يرد إلا الحياة الدنيا وبالأخرين من ألهاه حب العاجل عن التأمل في الآجل فكلام ناء عن السداد فتأمل (أو لئلك) الموصوفون بما ذكر ٨ من صفات السوء (مأوام) أى مسكنهم ومقرم الذى لا يراخ لهم منه (النار) لا ما اطمأؤا بها من الحياة الدنيا ونعيمها (بما كانوا يكسبون) من الأعمال القلبية المعدودة وما يستتبعه من أصناف المعاصى والسيئات أو بكسبهم إياها والجمع بين صيغتي الماضى والمستقبل للدلالة على الاستمرار التجددى والباء متعلقة بمضمون الجملة الأخيرة الواقعة خبراً عن اسم الإشارة وهو مع خبره خبر لإن في قوله تعالى إن الذين لا يرجون لقاءنا الخ (إن الذين آمنوا) أى فعلوا الإيمان أو آمنوا بما يشهد به الآيات التى غفل عنها ٩ الغافلون أو بكل ما يجب أن يؤمن به فيندرج فيه ذلك اندارجاً أولياً (وعملوا الصالحات) أى الأعمال الصالحة فى أنفسهم اللاتئة بالإيمان وإنما ترك ذكر الموصوف لجريانها مجرى الأسماء (يهديهم ربهم) أوثر الالتفات تشريفاً لهم بإضافة الرب وإشعاراً بعله الهداية (يايمانهم) أى يهديهم بسبب إيمانهم إلى مأوام ومقصدم وهى الجنة وإنما لم تذكر تعويلاً على ظهورها وانسياق النفس إليها لا سيما بملاحظة ما سبق من بيان مأوى الكفرة وما أوام إليه من أعمالهم السيئة ومشاهدة مالحق من التلويع والتصریح وفى النظم الكريم إشعار بأن مجرد الإيمان والعمل الصالح لا يكفي فى الوصول إلى الجنة بل لا بد بعد ذلك من الهداية الربانية وأن الكفر والمعاصى كافية فى دخول النار ثم إنه لا نزاع فى أن المراد بالإيمان الذى جعل سبباً لتلك الهداية هو إيمانهم الخاص المشفوع بالأعمال الصالحة لا الإيمان المجرد عنها ولا ما هو أعم منهما إلا أن ذلك بمعزل عن الدلالة على خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة من أن الإيمان الخالى عن العمل الصالح يفضى إلى الجنة فى الجملة ولا يخلد صاحبه فى النار فإن منطوق الآية الكريمة أن الإيمان المقرون بالعمل الصالح سبب للهداية إلى الجنة وأما أن كل ما هو سبب لها يجب أن يكون كذلك فلا دلالة لها ولا لغيرها عليه قطعاً كيف لا وقوله عز وجل الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون مناد بخلافه فإن المراد بالظلم هو الشرك كما أطبق عليه المفسرون والمعنى لم يخلطوا إيمانهم بشرك ولئن حمل على ظاهره أيضاً يدخل فى الاهتداء من آمن ولم يعمل صالحاً ثم مات قبل أن يظلم

دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَءَاخِرُ دَعْوَتِهِمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

١٠ يونس

الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾

وَلَوْ يُعِجِلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا

١٠ يونس

فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾

- بفعل حرام أو بترك واجب (تجرى من تحتهم الأنهار) أى بين أيديهم كقوله سبحانه وهذه الأنهار تجري من تحتي أو تجري وهم على سرر مرفوعة وأرائك مصفوفة والجملة مستأنفة أو خبر ثان لأن أو حال من مفعول يهديهم على تقدير كونه المهدى إليه ما يريدونه في الجنة كما قيل وقيل يهديهم ويسددهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدى إلى الثواب والجنة وقوله تجري من تحتهم الأنهار جار مجرى التفسير والبيان فإن التسك بجمل السعادة في حكم الوصول إليها وقيل يهديهم إلى إدارك الحقائق البديعة بحسب القوة العملية كما قال ﷺ من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم (في جنات النعيم) خبر آخر أو حال أخرى منه أو من الأنهار أو متعلق بتجرى أو يهدى فالمراد بالمهدى إليه إمامنا لهم في الجنة أو ما يريدونه فيها (دعواهم) أى دعاؤهم وهو مبتدأ وقوله عز وجل (فيها) متعلق به وقوله تعالى (سبحانك اللهم) خبره أى دعاؤهم هذا الكلام وهو معمول لمقدر لا يجوز إظهاره والمعنى اللهم إنا نسبحك تسبيحاً ولعلمهم يقولونه عند ما عاينوا فيها من تعاجيب آثار قدرته تعالى ونناجى رحمته ورأفته مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر تقديساً لمقامه تعالى عن شوائب العجز والنقصان وتنزيهاً لوعده الكريم عن سمات الخلف (وتحيتهم فيها) التحية التكرمة بالحالة الجليلة أصلاً أحياء الله حياة طيبة أى ما يحيى به بعضهم بعضاً أو تحية الملائكة إياهم كما في قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلاماً أو تحية الله عز وجل لهم كما في قوله تعالى سلام قولاً من رب رحم (سلام) أى سلامة عن كل مكروه (وآخر دعواهم) أى خاتمة دعائهم (أن الحمد لله رب العالمين) أى أن يقولوا ذلك نعتاً له عز وجل بصفات الإكرام إثر نعتة تعالى بصفات الجلال أى دعاؤهم منحصر فيما ذكر إذ ليس لهم مطلب مقرب حتى ينظموه في سلك الدعاء وأن هى الخففة من أن المثقلة أصله أنه الحمد لله فحذف ضمير الشأن كما في قوله [أن هالك كل من يحق وينتعل] وقرئ أن الحمد لله بالتمديد ونصب الحمد ولعل توسيط ذكر تحيتهم عند الحكاية بين دعائهم وخاتمة للتوسل إلى ختم الحكاية بالتحميد تركاً مع أن التحية ليست بأجنبية على الإطلاق ودعوى كون ترتيب الوقوع أيضاً كذلك بأن كانوا حين دخلوا الجنة وعابوا عظمة الله تعالى وكبرياه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة من الآفات والفوز بأصناف السكرات أو حياهم بذلك رب العزة فحمدوه تعالى وأثنوا عليه بأباها إضافة الأخر إلى دعواهم وقد جوز أن يكون المراد بالدعاء العبادة كما في قوله تعالى وأعتز لكم وما تدعون الخ إيداناً بأن لا تكليف في الجنة أى ما عبادتهم إلا أن يسبحوه ويحمدوه وليس ذلك بعبادة إنما يلهمونه وينطقون به تلهذاً ولا يساعده تعيين الخاتمة (ولو يعجل الله للناس) هم الذين لا يرجون لقاء الله تعالى لإنكارهم البعث وما يترتب عليه

- من الحساب والجزاء أشير إلى بعض من عظام معاصيهم المنفرة على ذلك وهو استعجالهم بما أوعدوا به من العذاب تكذيباً واستهزاء وإيرادهم باسم الجنس لما أن تعجيل الخير لهم ليس دائراً على وصفهم المذكور إذ ليس كل ذلك بطريق الاستدراج أى لو يعجل الله لهم (الشر) الذى كانوا يستعجلون به •
- فإنهم كانوا يقولون اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ونحو ذلك وقوله تعالى (استعجالهم بالخير) نصب على أنه مصدر تشبيهى وضع موضع مصدر ناصبه •
- دلالة على اعتبار الاستعجال فى جانب المشبه كاعتبار التعجيل فى جانب المشبه به وإشعاراً بسرعة إجابته تعالى لهم حتى كان استعجالهم بالخير نفس تعجيله لهم والتقدير ولو يعجل الله لهم الشر عند استعجالهم به •
- تعجيلاً مثل تعجيله لهم الخير عند استعجالهم به فحذف ما حذف تعويلاً على دلالة الباقي عليه (لقضى إليم أجلم) لآدى إليهم الأجل الذى عين لعذابهم وأميتوا وأهلكوا بالمرّة وما أمهلوا طرفة عين وفى إشار صيغة المبنى للمفعول جرى على سنن الكبرياء مع الإيذان بتعين الفاعل وقرىء على البناء للفاعل كما قرىء لقضينا واختيار صيغة الاستقبال فى الشرط وإن كان المعنى على المضى لإفادة أن عدم قضاء الأجل لاستمرار عدم التعجيل فإن المضارع المنفى الواقع موقع الماضى ليس بنص فى إفادة انتفاء استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه أيضاً بحسب المقام كما حقق فى موضعه واعلم أن مدار الإفادة فى الشرطية أن يكون التالى أمراً مغايراً للقدم فى نفسه مترتباً عليه فى الوجود كما فى قوله عز وجل لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم فإن العنت أى الوقوع فى المشقة والهلاك أمر مغاير لطاعته ﷺ لهم مترتب عليها فى الوجود أو يكون فرداً كاملاً من أفرادها ممتازاً عن البقية بأمر يخصه كما فى الآية المحذوفة فى مثل قوله تعالى ولو ترى إذ وقفوا على ربهم وقوله تعالى ولو ترى إذ وقفوا على النار وقوله تعالى ولو ترى إذ المجرمون ونظائرهما أى لرأيت أمراً هائلاً فظعياً أو نحو ذلك وكما فى قوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهورها من دابة إذا فسّر الجواب بالاستئصال فإنه فرد كامل من أفراد مطلق المؤاخذة قد عبر عنه بما لا مزيد عليه فى الدلالة على الشدة والفظاعة لخص موقعه فى معرض التالى للمؤاخذة المطلقة وأما ما نحن فيه من القضاء فليس بأمر مغاير لتعجيل الشر فى نفسه وهو ظاهر بل هو إما نفسه أو جزئى منه كسائر جزئياته من غير منزلة على البقية إذ لم يعتبر فى مفهومه ما ليس فى مفهوم تعجيل الشر من العدة والهلل فلا يكون فى ترتيبه عليه وجوداً أو عدماً مزيداً فائدة مصححة لجعله تالياً له فالحق أن المقدم ليس نفس التعجيل المذكور بل هو إرادته المستتعبة للقضاء المذكور وجوداً وعدماً كما فى قوله تعالى لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب أى لو يريد مؤاخذتهم فإن تعجيل العذاب لهم نفس المؤاخذة أو جزئى من جزئياتها غير ممتاز عن البقية فليس فى بيان ترتيبه عليها وجوداً أو عدماً مزيداً فائدة وإنما الفائدة فى بيان ترتيبه على إرادتها حسبما ذكر وأيضاً فى ترتيب التالى على إرادة المقدم ما ليس فى ترتيبه على نفسه من الدلالة على المبالغة وتهويل الأمر والدلالة على أن الأمور منوطة بإرادته تعالى المبنية على الحكم البالغة (فتذر الذين لا يرجون لقاءنا) بنون العظمة الدالة على التشديد فى الوعيد وهو عطف على مقدر تنبيه عنه الشرطية كأنه قيل لكن لا نفعل ذلك لما تقتضيه

وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾

١٠ يونس

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾

١٠ يونس

- الحكمة فتركهم إمهالا واستدراجا (في طغيانهم) الذي هو عدم رجاء اللقاء وإنكار البعث والجزاء
- وما يتفرع على ذلك من أعمالهم السيئة ومقالاتهم الشنيعة (يعمهمون) أى يترددون ويتحيرون ففي وضع
- ١٢ الموصول موضع الضمير نوع بيان للطغيان بما في حيز الصلة وإشعار بعليته للترك والاستدراج (وإذا
- مس الإنسان الضر) أى أصابه جنس الضر من مرض وفقر وغيرهما من الشدائد إصابة يسيرة (دعانا)
- لكشفه وإزالته (لجنبه) حال من فاعل دعا بشهادة ماعطف عليه من الحالين واللام بمعنى على كما في قوله
- تعالى يخرون للأذقان أى دعانا كائنا على جنبه أى مضطجعا (أو قاعداً أو قائماً) أى في جميع الأحوال
- بما ذكر وما لم يذكر وتخصيص المعدودات بالذكر لادم خلو الإنسان عنها عادة أو دعانا في جميع أحوال
- مرضه على أنه المراد بالضر خاصة مضطجعا عاجزاً عن القعود وقاعداً غير قادر على النهوض وقائماً
- لا يستطيع الحراك (فلما كشفنا عنه ضره) الذى مسه غب مادعانا حسبما ينبى عنه الفاء (مر) أى مضى
- واستمر على طريقته التى كان ينتجها قبل مساس الضر ونسى حالة الجهد والبلاء أو مر عن موقف الضراعة
- والابتهال ونأى بجانبه (كان لم يدعنا) أى كأنه لم يدعنا تخفف وحذف ضمير الشأن كما في قوله [كان لم
- يكن بين الحجون إلى الصفا] والجملة التشبيهية في محل نصب على الحالية من فاعل مر أى مر مشبهاً بمن
- لم يدعنا (إلى ضر) أى إلى كشف ضر (مسه) وهذا وصف للجنس باعتبار حال بعض أفرادهم هو
- متصف بهذه الصفات (كذلك) نصب على المصدرية وذلك إشارة إلى مصدر الفعل الآتى وما فيه من
- معنى البعد للتفخيم والكاف مقحمة للدلالة على زيادة تخامة المشار إليه لإقحاماً لا يكاد يترك في لغة العرب
- ولا في غيرها ومن ذلك قولهم مثلك لا يبخل مكان أنت لا تبخل أى مثل ذلك التزيين العجيب (زين
- للمسرفين) أى للموصوفين بما ذكر من الصفات الذميمة وإسرافهم لما أن الله تعالى إنما أعطاهم القوى
- والمشاعر ليصرفوها إلى مصارفها ويستعملوها فيما خلقت له من العلوم والأعمال الصالحة فلما صرفوها
- إلى مالا ينبغى وهى رأس مالهم فقد أنلفوها وأسرفوا إسرافاً ظاهراً والتزيين إما من جهة الله سبحانه
- على طريقة التخلية والخذلان أو من الشيطان بالوسوسة والتسويل (ما كانوا يعملون) من الإعراض
- عن الذكر والدعاء والانهماك في الشهوات وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث إن في كل منهما إيماء
- للكفرة على طريقة الاستدراج بعد الإنقاذ من الشر المقدر فى الأولى ومن الضر المقرر فى الأخرى
- ١٣ (ولقد أهلكنا القرون) أى القرون الحالية مثل قوم نوح وعاد وأضرابهم ومن في قوله تعالى (من
- قبلكم) متعلقة بأهلكنا أى أهلكناهم من قبل زمانكم والخطاب لأهل مكة على طريقة الالتفات

١٠ يونس

ثُمَّ جَعَلْنَاكَ خَلِيفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

- للبلاغة في تشديد التهديد بعد تأييده بالتوكيد القسمي (لما ظلموا) ظرف للإهلاك أى أهلكنام حين
- فعلوا الظلم بالتكذيب والتمادى في الغي والضلal من غير تأخير وقوله تعالى (وجاءتهم رسلهم) حال
- من ضمير ظلموا بإضمار قد وقوله تعالى (بالبينات) متعلق بجهاتهم على أن الباء للتعدي أو بمحذوف وقع
- حالا من رسلهم دالة على إفراطهم في الظلم وتناهيه في المكابرة أى ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم
- بالآيات البينة الدالة على صدقهم أو ملتبسين بها حين لا مجال للتكذيب وقد جوز أن يكون قوله تعالى
- وجاءتهم عطفاً على ظلموا فلا محل له من الإعراب عند سيويه وعند غيره محله الجر لأنه معطوف على
- ما هو مجرور بإضافة ظرف إليه وليس الظلم منحصراً في التكذيب حتى يحتاج إلى الاعتذار بأن الترتيب
- المذكور لا يجب كونه على وفق الترتيب الوقوعى كما في قوله تعالى ورفع أبويه على العرش وخروا له الخ
- بل هو محمول على سائر أنواع الظلم والتكذيب مستفاد من قوله تعالى (وما كانوا ليؤمنوا) على أبلغ وجه
- وآ كده فإن اللام لنا كيد النبي أى وما صح وما استقام لهم أن يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله
- تعالى إياهم لعلمه بأن الإلطاف لا تنجح فيهم والجملة على الأول عطف على ظلموا لأنه إخبار بإحداث
- التكذيب وهذا بالإصرار عليه وعلى الثاني عطف على ما عطف عليه وقيل اعراض بين الفعل وما يجرى
- مجرى مصدره التشبيه أى قوله تعالى (كذلك) فإن الجزاء المشار إليه عبارة عن مصدره أى مثل ذلك
- الجزاء القطيع أى الإهلاك الشديد الذى هو الاستئصال المرة (تجزى القوم المجرمين) أى كل طائفة
- مجرمة وفيه وعيد شديد وتهديد أكيد لأهل مكة لاشتراكهم لاؤئك المهلكين في الجرائم والجرائر
- التى هى تكذيب الرسول والإصرار عليه وتقرير لمضمون ما سبق من قوله تعالى ولو يعجل الله للناس
- الشر استعجالهم بالخير وقرىء بالياء على الالتفات إلى الغيبة وقد جوز أن يكون المراد بالقوم المجرمين
- أهل مكة على طريقة وضع الظاهر موضع ضمير الخطاب لإبذناً بأنهم أعلام في الإجمام وبأباه كل الإباء
- قوله عز وجل (ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم) فإنه صريح في أنه ابتداء تعرض لأوروم ١٤
- وأن ما بين فيه إنما هو مبادئ أحوالهم لاختبار كيفيات أعمالهم على وجه يشعر باستمالتهم نحو الإيمان
- والطاعة فحال أن يكون ذلك إثر بيان منتهى أمرهم وخطابهم بيت القول بإهلاكهم لكامل إجرامهم
- والمعنى ثم استخلفناكم في الأرض من بعد إهلاك أولئك القرون التى تسمعون أخبارها وتشاهدون آثارها
- استخلاف من يخبر (لننظر) أى لنعامل معاملة من ينظر (كيف تعملون) فهى استعارة تمثيلية وكيف
- منصوب على المصدرية بتعملون لا ينتظر فإن ما فيه من معنى الاستفهام مانع من تقدم عامله عليه أى أى
- عمل أو على الحالية أى على أى حال تعملون الأعمال اللائقة بالاستخلاف من أوصاف الحسن كقوله
- عز وجل ليلوكم أيكم أحسن عملاً ففيه إشعار بأن المراد بالذات والمقصود الأصل من الاستخلاف
- إنما هو ظهور الكيفيات الحسنة للأعمال الصالحة وأما الأعمال السيئة فبمعزل من أن تصدر عنهم لاسيما
- بعد ما سمعوا أخبار القرون المهلكة وشاهدوا آثار بعضها فضلاً عن أن ينظم ظهورها في ملك العلة الغائبة

وَإِذَا نُتِلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَأَنْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾

١٠ يونس

- للاستخلاف وقيل منصوب على أنه مفعول به أى عمل تعملون أخيراً أم شراً فنعام لكم بحسبه فلا يكون في كلمة كيف حينئذ دلالة على أن المعتبر في الجواز جهات الأعمال وكيفياتها لاذواتها كما هو رأى القائل بل تكون حينئذ مستعارة لمعنى أى شيء (وإذا نطلى عليهم) التفات من خطابهم إلى الغيبة لإعراضاً عنهم وتوجيهاً للخطاب إلى رسول الله ﷺ بتعديد جناباتهم المضادة لما أريد منهم بالاستخلاف من تكذيب الرسول والكفر بالآيات البينات وغير ذلك كدأب من قبلهم من القرون الملهمة وصيغة المضارع للدلالة على تجدد جوابهم الآن حسب تجدد التلاوة (آياتنا) الدالة على حقية التوحيد وبطالان الشرك والإضافة لشريف المضاف والترغيب في الإيمان به والترهيب عن تكذيبه (بينات) حال كونها واضحات الدلالة على ذلك وإيراد فعل التلاوة مبنياً للمفعول مسنداً إلى الآيات دون رسول الله ﷺ ببنائه للفاعل للإشعار بعدم الحاجة لتعين التالى والإيذان بأن كلامهم في نفس المتلو دون التالى (قال الذين لا يرجون لقاءنا) وضع الموصول موضع الضمير إشعاراً بعلمية ما في حيز الصلة للعظيمة المحكية عنهم وأنهم إنما اجتمعوا عليها لعدم خوفهم من عقابه تعالى يوم اللقاء لإنكارهم له ولما هو من مبادئه من البعث وذا لم يبدل أى قالوا لمن يتلوها عليهم وهو رسول الله ﷺ وإنما لم يذكر لإيذاناً بتعيينه (أنت بقرآن غير هذا) أشاروا بهذا إلى القرآن المشتمل على تلك الآيات لا إلى نفسها فقط قصدوا إلى إخراج الكل من البين أى أنت بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستعبد منه من البعث والحساب والجزاء وما نكرهه من ذم آلهتنا ومعايها والوعيد على عبادتها (أو بدله) بتغيير ترتيبه بأن تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية أخرى خالية عنها وإنما قالوه كيداً وطمعاً في المساعدة ليتوسلوا به إلى الإلزام والاستهزاء به (قل) لهم (ما يكون لى) أى ما يصح وما يستقيم لى ولا يمكننى أصلاً (أن أبدله من تلقاء نفسى) أى من قبل نفسى وهو مصدر استعمل ظرفاً وقرئ بفتح الناء وقصر الجواب ببيان امتناع ما اقترحوه على اقتراحهم الثانى للإيذان بأن استحالة ما اقترحوه أولاً من الظهور بحيث لا حاجة إلى بيانها وأن التصدى لذلك مع كونه ضائعاً ربما يعد من قبيل المجازاة مع السفهاء إذ لا يصدر مثل ذلك الاقتراح عن العقلاء ولأن ما يدل على استحالة الثانى يدل على استحالة الأول بالطريق الأولى (إن أتبع) أى ما أتبع فى شيء مما أتى وأذر (إلا ما يوحى إلى) من غير تغيير له فى شيء أصلاً على معنى قصر حاله ﷺ على اتباع ما يوحى إليه لا قصر اتباعه على ما يوحى إليه كما هو المتبادر من ظاهر العبارة كأنه قيل ما أفعل إلا اتباع ما يوحى إلى وقد مر تحقيق المقام فى سورة الأنعام وهو تعليل لصدر الكلام فإن من شأنه اتباع الوحي على ما هو عليه لا يستبد بشيء دونه قطعاً وفيه جواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا به ﷺ

قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَبْتُكُمْ بِهِ ۚ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾

١٠ يونس

بهذا السؤال من أن القرآن كلامه ﷺ ولذلك قيد التبديل في الجواب بقوله من تلقاء نفسه وسماء عصيانا عظيما مستقبعا لعذاب عظيم بقوله تعالى (إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) فإنه تعليل • لمضمون ما قبله من امتناع التبديل واقتصار أمره ﷺ على اتباع الوحي أى أخاف إن عصيته تعالى بتعاطي ما ليس لي من التبديل من تلقاء نفسه والإعراض عن اتباع الوحي عذاب يوم عظيم هو يوم القيامة أو يوم اللقاء الذي لا يرجونه وفيه إشعار بأنهم استوجبوه بهذا الاقتراح والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره ﷺ لنهويل أمر العصيان وإظهار كمال نزاهته ﷺ عنه وإيراد اليوم بالتنوين التفضيحي ووصفه بالعظم لنهويل ما فيه من العذاب وتفضيحه ولا مسامح لحل مقترحهم على التبديل والإتيان بقرآن آخر من جهة الوحي بتفسير قوله تعالى ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسه بأنه لا يتسهل لي أن أبدله بالاستدعاء من جهة الوحي ما أتبع إلا ما يوحى إلى من غير صنع ما من الاستدعاء وغيره من قبلي لأنه يرده التعليل المذكور لأن المقترح حينئذ ليس فيه معصية أصلا كما توهم فإن استدعاء تبديل الآيات النازلة حسبا تقتضيه الحكمة التشريعية بعضها ببعض لا سيما بموجب اقتراح الكفرة بما لا ريب في كونه معصية بل لأنه ليس فيه معصية الاقتراء مع أنها المقصودة بما ذكر في التعليل ألا يرى إلى ما بعده من الآيتين الكريمتين فإنه صريح في أن مقترحهم الإتيان بغير القرآن وتبديله بطريق الاقتراء وأن زعمهم في الأصل أيضاً كذلك وقوله عز وجل (قل لو شاء الله ما تلوتهم عليكم) تحقيق ١٦ لحقية القرآن وكونه من عند الله تعالى إثر بيان بطلان ما اقترحوا الإتيان به واستحالته عبارة ودلالة وإنما صدر بالأمر المستقل مع كونه داخلا تحت الأمر السابق لإظهار الكمال الاعتناء بشأنه وإيداناً باستقلاله مفهوم ما أسلوباً فإنه برهان دال على كونه بأمر الله تعالى ومشيتته كما سيأتي وما سبق مجرد إخبار باستحالة ما اقترحوه ومفعول شاء محذوف بنية عنه الجزء لا غير ذلك كما قيل فإن مفعول المشيئة إنما يحذف إذا وقعت شرطاً وكان مفعولها مضمون الجزء ولم يكن في تعليقها به غرابة كما في قوله [ولو شئت أن أبكى دماً لبكيتك] حيث لم يحذف لفقدان الشرط الأخير ولأن المستلزم للجزاء أعنى عدم تلاوته ﷺ للقرآن عليهم إنما هو مشيئته تعالى له لا مشيئته لغير القرآن والمعنى أن الأمر كله منوط بمشيئته تعالى وليس لي منه شيء قط ولو شاء عدم تلاوتي له عليكم لا بأن شاء عدم تلاوتي له من تلقاء نفسه بل بأن لم ينزله علي ولم يأمرني بتلاوته كما ينبغي عنه إبطار التلاوة على القراءة ما تلوته عليكم (ولا أدراكم به) أى ولا أعلمكم به بواسطة والتالي وهو عدم التلاوة والإدراء منتف فينتفى المقدم أعنى مشيئة عدم التلاوة ولا يخفى أنها مستلزمة لعدم مشيئة التلاوة قطعاً فانتفاؤها مستلزم لانتفاهه حتما وانتفاء عدم مشيئة التلاوة إنما يكون بتحقيق مشيئة التلاوة فثبت أن تلاوته ﷺ للقرآن بمشيئته تعالى وأمره وإنما قيدنا الإدراء بكونه

بواسطته ﷺ لأن عدم الإعلام مطلقاً ليس من لوازم الشرط الذي هو مشيئة عدم تلاوته ﷺ فلا يجوز نظمه في سلك الجزاء وفي إسناد عدم الإدراء إليه تعالى المنبيء عن استناد الإدراء إليه تعالى إيدان بأن لا دخل له ﷺ في ذلك حسبما يقتضيه المقام وقرئ. ولا أدراككم ولا أدراككم بالهمزة فيهما على لغة من يقول أعطأت وأرضأت في أعطيت وأرضيت أو على أنه من الدرء بمعنى الدفع أى ولا جعلتكم بتلاوته عليكم خصماء تدرمونى بالجدال وقرئ. ولا أنذرتكم به وقرئ. لا دراكم بلام الجواب أى لو شاء الله ما تلوته عليكم أنا ولا أعلمكم به على لسان غيرى على معنى إنه الحق الذى لا يحصى عنه لولم أرسل به أنا لأرسل به غيرى البتة أو على معنى أنه تعالى يمن على من يشاء لخصنى بهذه الكرامة (فقد لبثت فيكم عمراً) •

تعليل للملازمة المستلزمة لكون تلاوته بمشيئة الله تعالى وأمره حسبما بين آنفاً لكن لا بطريق الاستدلال عليها بعدم تلاوته ﷺ فيما سبق بسبب مشيئته تعالى إياه بل بطريق الاستشهاد عليها بما شاهدوا منه ﷺ في تلك المدة الطويلة من الأمور الدالة على استحالة كون التلاوة من جهته ﷺ بلا وحى وعمراً •

نصب على التشبيه بظرف الزمان والمعنى قد أقمت فيما بينكم دهرأ مديداً مقدار أربعين سنة تحفظون تفاصيل أحوالى طراً وتحيطون بما لدى خبراً (من قبله) أى من قبل نزول القرآن لا أعطانى شيئاً بما يتعلق به لا من حيث نظمه المعجز ولا من حيث معناه الكاشف عن أسرار الحقائق وأحكام الشرائع •

(أفلا تعقلون) أى ألا تلاحظون ذلك فلا تعقلون امتناع صدوره عن مثلى ووجوب كونه منزلاً من عند الله العزيز الحكيم فإنه غير خاف على من له عقل سليم والحق الذى لا يحيد عنه أن من له أدنى مسكة من الفعل إذا تأمل في أمره ﷺ وأنه نشأ فيما بينهم هذا الدهر الطويل من غير مصاحبة العلماء في شأن من الشئون ولا مراجعة إليهم في فن من الفنون ولا مخالطة البلغاء في المفاوضة والحوار ولا خوض معهم في إنشاء الخطب والأشعار ثم أتى بكتاب بهرت فصاحته كل فصيح قارئ وبذت بلاغته كل بليغ رائق وعلا نظمه كل منشور ومنظوم وحوى فخواه بدائع أصناف العلوم كاشف عن أسرار الغيب من وراء أستار الكون ناطق بأخبار ما قد كان وما سيكون مصدق لما بين يديه من الكتب المنزلة مهيمن عليها في أحكامها الجملة والمفصلة لا يبقى عنده شائبة اشتباه في أنه وحى منزل من عند الله هذا هو الذى اتفقت عليه كلمة الجمهور ولكن الأنسب ببناء الجواب فيما سلف على مجرد امتناع صدور التغيير والتبديل عنه ﷺ لكونه معصية موجبة للعذاب العظيم واقتصار حاله ﷺ على اتباع الوحى وامتناع الاستبداد بالرأى من غير تعرض هناك ولا ههنا لكون القرآن في نفسه أمراً خارجاً عن طوق البشر ولا لكونه ﷺ غير قادر على الإتيان بمثله أن يستشهد ههنا على المطلب بما يلائم ذلك من أحواله المستمرة في تلك المدة المتطاولة من كمال نزاهته ﷺ عما يؤم شائبة صدور الكذب والاقتراء عنه في حق أحد كائناً من كان كما ينبيء عنه تعقيبه بتظلم المفتري على الله تعالى والمعنى قد لبثت فيما بين ظهرانيكم قبل الوحى لا أتعرض لأحد فط بتحكم ولا جدال ولا أحوم حول مقال فيه شائبة شبهة فضلاً عما فيه كذب أو اقتراء ألا تلاحظون فلا تعقلون أن من هذا شأنه المطرد في هذا العهد البعيد مستحيل أن يفترى على الله عز وجل ويتحكم على كافة الخلق بالأوامر والنواهي الموجبة لسلب الأموال وسفك الدماء ونحو ذلك وأن ما أتى به وحى

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ ١٠ يونس
وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْبِئُونَ
اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ١٠ يونس

- مبين تنزيل من رب العالمين وقوله عز وجل (فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً) استفهام إنكارى معناه ١٧
الجمد أى لا أحد أظلم منه على معنى أنه أظلم من كل ظالم وإن كان سبك التركيب مفيداً لإنكار أن يكون
أحد أظلم منه من غير تعرض لإنكار المساواة ونفيها فإنه إذا قيل من أفضل من فلان أولاً أعلم منه يفهم
منه حتماً أنه أفضل من كل فاضل وأعلم من كل عالم وزيادة قوله تعالى كذباً مع أن الافتراء لا يكون إلا
كذلك للإيذان بأن ما أضافوه إليه ضمناً وحمله ﷺ عليه صريحاً مع كونه افتراء على الله تعالى كذب في
نفسه فرب افتراء يكون كذبه في الإسناد فقط كما إذا أسند ذنب زيد إلى عمرو وهذا للبالغة منه ﷺ
في التفادى عما ذكر من الافتراء على الله سبحانه (أو كذب بآياته) فكفر بها وهذا تظلم للشركين ●
بتكذيبهم للقرآن وحملهم على أنه من جهته ﷺ والفاء لترتيب الكلام على ما سبق من بيان كون القرآن
بمشيئته تعالى وأمره فلا مجال للحل الافتراء على الافتراء باتخاذ الولد والشريك أى وإذا كان الأمر كذلك
فمن افترى عليه تعالى بأن يخلق كلاماً فيقول هذا من عند الله أو يبدل بعض آياته تعالى ببعض كما تجوزون
ذلك في شأني وكذلك من كذب بآياته تعالى كما تفعلونه أظلم من كل ظالم (إنه) الضمير للشأن وقع اسماً ●
لأن والخبر ما يعقبه من الجملة ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفائدة تصديرها به
الإيذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره في الذهن فإن الضمير لا يفهم منه من أول الأمر
إلا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقباً لما يعقبه فيتمكن عند وروده عليه فضل تمكن فكانه قيل إن
الشأن هذا أى (لا يفلح المجرمون) أى لا يتجون من محذور ولا يظفرون بمطلوب والمراد جنس ●
المجرمين فيندرج فيه المفتري والمكذب إنذاراً أولاً (ويعبدون من دون الله) حكاية لجناية أخرى ١٨
لهم نشأت عنها جنايتهم الأولى معطوفة على قوله تعالى وإذا تنلى عليهم الآية عطف قصة على قصة ومن
دون متعلق يعبدون وحله النصب على الحالية من فاعله أى متجاوزين الله سبحانه لا بمعنى ترك عبادته
بالكلية بل بمعنى عدم الاكتفاء بها وجعلها قريناً لعبادة الأصنام كما يفصح عنه سياق النظم الكريم (مالا)
يضرهم ولا ينفعهم) أى مالم يضرهم من شأنه الضر والنفع من الأصنام التي هي جمادات وما موصولة أو
موصوفة وتقديم نفي الضر لأن أدنى أحكام العبادة دفع الضر الذي هو أول المنافع والعبادة أمر
حادث مسبوق بالعدم الذي هو مظنة الضر لحيث لم تقدر الأصنام على الضر لم يوجد لإحداث العبادة
سبب وقيل لا يضرهم إن تركوا عبادتها ولا ينفعهم إن عبدوها. كان أهل الطوائف يعبدون اللات وأهل
مكة عزي ومناة وهبل وأسافا ونائلة (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) عن النضر بن الحرث إذا كان
يوم القيامة يشفع لى اللات قيل لأنهم كانوا يعتقدون أن المتولى لكل إقليم روح معين من أرواح الأفلاك ●

وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾

١٠ يونس

- فعينوا لذلك الروح صنما معينا من الأصنام واشتغلوا بعبادته ومقصودهم ذلك الروح ثم اعتقدوا أن ذلك الروح يكون عند الإله الأعظم مشغلا بعبوديته وقيل إنهم كانوا يعبدون الكواكب فوضعوا لها أصناما معينة واشتغلوا بعبادتها قصداً إلى عبادة الكواكب وقيل إنهم وضعوا طلسمات معينة على تلك الأصنام ثم تقربوا إليها وقيل إنهم وضعوا هذه الأصنام على صور أنبيائهم وأكابرهم وزعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فإن أولئك الأكابر يشفعون لهم عند الله تعالى (قل) تبسكتألمهم (أتذنبون الله بما لا يعلم) أي أنخبرونه بما لا وجود له أصلاً وهو كون الأصنام شفعا لهم عند الله تعالى إذ لولا له عليه علام الغيوب وفيه تقرير لهم وتهكم بهم وبما يدعون من المحال الذي لا يكاد يدخل تحت الصحة والإمكان وقرئ: أتنبئون بالتخفيف وقوله تعالى (في السموات ولا في الأرض) حال من العائد المحذوف في يعلم مؤكدة للنفي لأن ما لا يوجد فيهما فهو منتف عادة (سبحانه وتعالى عما يشركون) عن إشراكهم المستلزم لتلك المقالة الباطلة أو عن شركائهم الذين يعتقدونهم شفعا لهم عند الله تعالى وقرئ: تشركون بقاء الخطاب على أنه من جملة القول المأمور به وعلى الأول هو اعتراض تذييل من جملة سبحانه وتعالى (وما كان الناس إلا أمة واحدة) بيان لأن التوحيد والإسلام ملة قديمة أجمعت عليها الناس قاطبة فطرة وتشريعاً وأن الشرك وفروعه جهالات ابتدعها الفؤاة خلافاً للجمهور وشقاً لعصا الجماعة وأما حمل اتخاذهم على الاتفاق على الضلال عند الفترة واختلافهم على ما كان منهم من الاتباع والإصرار فما لا احتمال له أي وما كان الناس كافة من أول الأمر إلا متفقين على الحق والتوحيد من غير اختلاف وذلك من عهد آدم عليه الصلاة والسلام إلى أن قتل قابيل هابيل وقيل إلى زمن إدريس عليه السلام وقيل إلى زمن نوح عليه السلام وقيل من حين الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين دياراً إلى أن ظهر فيما بينهم الكفر وقيل من لدن إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى أن أظهر عمرو بن لحي عبادة الأصنام فالمراد بالناس العرب خاصة وهو الأنسب بإيراد الآية الكريمة إثر حكاية ما حكى عنهم من الهنات وتنزيه ساحة الكبرياء عن ذلك (فاختلفوا) بأن كفر بعضهم وثبت آخرون على ما هم عليه بخلاف كل من الفريقين الآخر لا أن كلا منهما أحدث ملة على حدة من ملل الكفر مخالفة لملة الآخر فإن الكلام ليس في ذلك الاختلاف إذ كل منهما مبطل حينئذ فلا يتصور أن يقضى بينهما بإبقاء الحق وإهلاك المبطل والفاء التعقيب لا تنافي امتداد زمان الاتفاق إذ المراد بيان وقوع الاختلاف عقيب انصرام مدة الاتفاق لا عقيب حدوث الاتفاق (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير القضاء بينهم أو بتأخير العذاب الفاصل بينهم إلى يوم القيامة فإنه يوم الفصل (لقضى بينهم) عاجلاً (فيما فيه يختلفون) بتمييز الحق من الباطل بإبقاء الحق وإهلاك المبطل وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية والدلالة على الاستمرار.

وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾

١٠ يونس

وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسْتَهْمٍ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾

١٠ يونس

- (ويقولون) حكاية لجناية أخرى لهم معطوفة على قوله تعالى ويعبدون وصيغة المضارع لاستحضار صورة ٢٠
- مقاتلتهم الشنعاء والدلالة على الاستمرار والقائلون أهل مكة (لولا أنزل عليه آية من ربه) أرادوا آية من الآيات التي اقترحوها كأنهم لفرط العتو والفساد ونهاية التماذى في المكابرة والعناد لم يعدوا البيّنات النازلة عليه ﷺ من جنس الآيات واقترحوا غير ما مع أنه قد أنزل عليه من الآيات الباهرة والمعجزات المتكاثرة ما يضطرهم إلى الانقياد والقبول لو كانوا من أرباب العقول (فقل) لهم في الجواب (إنما الغيب لله) اللام للاختصاص العلمي دون التكويني فإن الغيب والشهادة في ذلك الاختصاص سيان والمعنى أن ما اقترحتموه وزعمتم أنه من لوازم النبوة وعلقتهم إيمانكم بنزوله من الغيوب المختصة بالله تعالى لا ووقوف لي عليه (فانتظروا) نزوله (إني معكم من المنتظرين) أي لما يفعل الله بكم لا جترأتمكم على مثل هذه العظيمة من جمود الآيات واقترحوا غير ما وجعل الغيب عبارة عن الصارف عن أنزال الآيات المقترحة يأباه ترتيب الأمر بالا انتظار على اختصاص الغيب به تعالى (وإذا أذقنا الناس رحمة) صفة وسعة (من بعد ضراء مستهم) أي خالطتهم حتى ٢١ أحسوا بسوء أثرها فيهم وإسناد المساس إلى الضراء بعد إسناد الإذاقة إلى ضمير الجلالة من الآداب القرآنية كما في قوله تعالى وإذا مرضت فهو يشفين ونظائره . قيل سلط الله تعالى على أهل مكة القحط سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا يطعنون في آياته تعالى ويعادون رسوله ﷺ ويكيدونه وذلك قوله تعالى (إذا لهم مكر في آياتنا) أي بالطعن فيها وعدم الاعتداد بها والاحتيال في دفعها وإذا الأولى شرطية والثانية جوابها كأنه قيل فاجزؤوا وقوع المكر منهم وتنكير مكر للتفخيم وفي متعلقة بالاستقرار الذي يتعلق به اللام (قل الله أسرع مكرًا) أي أعجل عقوبة أي عذابه أسرع وصولا إليكم مما يأتي منكم في دفع الحق وتسمية العقوبة بالمكر لوقوعها في مقابلة مكرهم وجوداً أو ذكراً (إن رسلنا) الذين يحفظون أعمالكم والإضافة للتشريف (يكتبون ما تمكرون) أي مكرهم أو ما تمكرونه وهو تحقيق للانتقام منهم وتنبية على أن ما دبروا في إخفائه غير خاف على الحفظه فضلاً عن العلم الخبير وصيغة الاستقبال في الفعلين للدلالة على الاستمرار التجدد والجملة تعليل من جهته تعالى لا سرعية مكره سبحانه غير داخل في الكلام الملقن كقوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا فإن كتابة الرسل لما يمسكون من مبادئ بطلان مكرهم وتخالف أثره عنه بالكيفية وفيه من المبالغة ما لا يوصف وتلويح الخطاب بصرفه عن رسول الله ﷺ إليهم للتشديد في التوبيخ وقرىء على لفظ الغيبة فيكون حينئذ تعليل لما ذكر أو الأمر

هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَاهُ مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾

١٠ يونس

- ٢٢ (هو الذي يسيركم) كلام مستأنف مسوق لبيان جناية أخرى لهم مبنية على ما مر آنفاً من اختلاف حالهم حسب اختلاف ما يعترضهم من السراء والضراء أى يمكنكم من السير تمكيناً مستمراً عند الملازمة به وقبلها (في البر) مشاة وركبانا وقرى. ينشركم من النشر ومنه قوله عز وجل بشر تنتشرون (والبحر حتى إذا كنتم في الفلك) أى السفن فإنه جمع فلك على زنة أسد جمع أسد لاعلى وزن قفل وغاية التسيير ليست ابتداء ركوبهم فيها بل مضمون الشرطية بتمامه كما بنى عنه إثبات الكون المؤذن بالدوام على الركوب المشعر بالحدوث (وجرين) أى السفن (بهم) بالذين فيها والالتفات إلى الغيبة للإيذان بما لهم من سوء الحال الموجب للإعراض عنهم كأنه يذكر لغيرهم مساوى أحوالهم ليعجبهم منها ويستدعى منه الإنكار والتفبيح وقيل ليس فيه التفات بل معنى قوله تعالى حتى إذا كنتم في الفلك إذا كان بعضكم فيها إذا الخطاب للكل ومنهم المسيرون في البر فالضمير الغائب عائد إلى ذلك المضاف المقدر كما في قوله تعالى أو كظلمات في بحر لجى يغشاه أى أو كذى ظلمات يغشاه موج (بريح طيبة) لينة الهبوب موافقة لمقصدهم (وفرحوا بها) بتلك الريح لطيبها وموافقتها (جاءتها) جواب إذا والضمير المنصوب للريح الطيبة أى تلقفتها واستولت عليها من طرف مخالف لها فإن الهبوب على وفقها لا يسمى مجيئاً لريح أخرى عادة بل هو اشتداد للريح الأولى وقيل للفلك والأول أظهر لاستلزامه للثاني من غير عكس لأن الهبوب على طريقة الريح اللينة يعد مجيئاً بالنسبة إلى الفلك دون الريح اللينة مع أنه لا يستتبع تلاطم الأمواج الموجب لمجيئها من كل مكان ولأن التهويل في بيان استيلائها على ما فرحوا به وعلقوا به حبال رجائهم أكثر (ريح عاصف) أى ذات عصف وقيل العصف مختص بالريح فلا حاجة إلى الفارق وقيل الريح قد يذكر (وجاءهم الموج) في الفلك (من كل مكان) أى من أمكنة مجىء الموج عادة ولا بعد في مجيئه من جميع الجوانب أيضاً إذ لا يجب أن يكون مجيئه من جهة هبوب الريح فقط بل قد يكون من غيرها بحسب أسباب تتفق له (وظنوا أنهم أحيط بهم) أى هلكوا فإن ذلك مثل في الهلاك أصله إحاطة العدو بالحقى أو سدت عليهم مسالك الخلاص (دعوا الله) بدل من ظنوا بدل اشتغال لما بينهما من الملازمة والتلازم أو استئناف مبنى على سؤال ينساق إليه الأذهان كأنه قيل فإذا صنعوا ففعل دعوا الله (مخلصين له الدين) من غير أن يشركوا به شيئاً من آلهتهم لا مخصصين للدعاء به تعالى فقط بل للعبادة أيضاً فإنهم بمجرد تخصيص الدعاء به تعالى لا يكونون مخلصين له الدين (لئن أنجيتنا) اللام موطئة للقسم على إرادة القول أى قائلين والله لئن أنجيتنا (من هذه) الورطة (لنكونن) البتة بعد ذلك أبدأ (من الشاكرين) لنعمك التى من جملتها هذه النعمة المستولة وقيل الجملة مفعول دعوا لأن الدعاء من قبيل القول والأول هو

فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾

١٠ يونس

الأولى لاستدعاء الثاني لاقتصار دعائهم على ذلك فقط وفي قوله لتكونن من الشاكرين من المبالغة في الدلالة على كونهم ثابتين في الشكر مثابرين عابيه منتظمين في سلك المنعوتين بالشكر الراغبين فيه مالم يس في أن يقال لشكرن (فلما أبحام) بما غشيم من الكربة والفاء للدلالة على سرعة الإجابة (إذا هم يبعون ٢٣ في الأرض) أي فاجتوا الفساد فيه وفسادوا إليه مترافين في ذلك متجاوزين عما كانوا عليه من حدود العيث من قولهم بغى الجرح إذا ترامى في الفساد وزيادة في الأرض الدلالة على شمول بغيمهم لأقطارها وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقوله تعالى (بغير الحق) تأكيدياً يفيد البغى أو معناه أنه بغير الحق عندهم أيضاً بأن يكون ذلك ظاهراً لا يخفى قبحه على أحد كما في قوله تعالى ويقتلون النبيين بغير الحق وأما ما قيل من أنه للاحتراز عن البغى بحق كتخريب الغزاة ديار الكفرة وقطع أشجارهم وإحراق زرعهم فلا يساعده النظم الكريم لا ابتذانه على كون البغى بمعنى إفساد صورة الشيء وإبطال منفعته دون ما ذكر من المعنى اللائق بحال المفسدين (بأيها الناس) توجيه للخطاب إلى أولئك الباغين للشديد في التهديد والمبالغة في الوعيد (إنما بغيمكم) الذي تتعاطونه وهو مبتدأ وقوله تعالى (على أنفسكم) خبره أي عليكم في الحقيقة لا على الذين تبغون عليهم وإن ظن كذلك وقوله تعالى (متاع الحياة الدنيا) بيان لكون ما فيه من المنفعة العاجلة شيئاً غير معتد به سريع الزوال دائم الوبال وهو نصب على أنه مصدر مؤكد لفعل مقدر بطريق الاستئناف أي تتمتعون متاع الحياة الدنيا وقيل على أنه مصدر وقع موقع الحال أي متمتعين بالحياة الدنيا والعامل هو الاستقرار الذي في الخبر لأنفس البغى لأنه يؤدي إلى الفصل بين المصدر ومعموله بالخبر ولا يخبر عن الموصول إلا بعد تمام صلته وأنت خير بأنه ليس في تقييد كون بغيمهم على أنفسهم بحال تتمتعهم بالحياة الدنيا معنى يعتد به وقيل على أنه ظرف زمان نحو مقدم الحاج أي زمن متاع الحياة الدنيا وفيه ما ربيعه وقيل على أنه مفعول لفعل دل عليه المصدر أي تبغون متاع الحياة الدنيا ولا يخفى أنه لا يدل على البغى بمعنى الطلب وجعل المصدر أيضاً بمعناه مما يحل بجزالة النظم الكريم لأن الاستئناف لبيان سوء عاقبة ما حكي عنهم من البغى المفسر بالإفساد المفرط اللائق بحالهم فأى مناسبة بينه وبين البغى بمعنى الطلب وجعل الأول أيضاً بمعناه مما يجب تنزيهه ساحة التنزيل عنه وقيل على أنه مفعول له أي لا أجل متاع الحياة الدنيا والعامل ما ذكر من الاستقرار وفيه أن المعلن بما ذكر نفس البغى لا كونه على أنفسهم وقيل أنفسهم وقيل العامل فيه فعل مدلول عليه بالمصدر أي تبغون لا أجل متاع الحياة الدنيا على أن الجملة مستأنفة وقيل على أنه مفعول صريح للمصدر وعلى أنفسكم ظرف لغو متعلق به والمراد بالنفس الجنس والخبر محذوف لطول الكلام والتقدير إنما بغيمكم على أبناء جنسكم متاع الحياة الدنيا محذور أو ظاهر الفساد أو نحو ذلك وفيه ما ربيعه من ابتذانه على ما لا يليق بالمقام

من كون البغى بمعنى الطلب نعم لو جعل نصبه على العلة أى إنما بغىكم على أبناء جنسكم لأجل متاع الحياة الدنيا محذور كما اختاره بعضهم لكان له وجه في الجملة لكن الحق الذى تقتضيه جزالة التنزيل إنما هو الأول وقرئ متاع بالرفع على أنه الخبر والظرف صلة للمصدر أو خبر ثان أو خبر لمبتدأ محذوف أى هو متاع الخ كفاي قوله تعالى إلا ساعة من نهار بلاغ أى هذا بلاغ فالمراد بأنفسهم على الوجه الأول وأبناء جنسهم وإنما عبر عنهم بذلك هنا لشفقتهم عليهم وحنأهم على ترك إثارة التمتع المذكور على حقوقهم ولا مجال للحمل على الحقيقة لأن كون بغىهم وبالا عليهم ليس بثابت عندهم حسبما يقتضيه ما حكى عنهم ولم يخبر به بعد حتى يجعل من تنمة الكلام ويجعل كونه متاعاً مقصود الإفادة على أن عنوان كونه وبالا عليهم قاذح في كونه متاعاً فضلا عن كونه من مبادئ ثبوتة للمبتدأ كما هو المتبادر من السوق وأما كون البغى على أبناء الجنس معلوم الثبوت عندهم ومتضمن لمبادئ التمتع من أخذ المال والاستيلاء على الناس وغير ذلك وأما على الوجهين الآخرين فلا موجب للعدول عن الحقيقة فإن المبتدأ إما نفس البغى أو الضمير العائد إليه من حيث هو هو لا من حيث كونه وبالا عليهم كفاي صورة كون الظرف صلة للمصدر فتدبر وقرئ متاعاً الحياة الدنيا أما نصب متاعاً فعلى ما مر وأما نصب الحياة فعلى أنه بدل من متاعاً بدل اشتغال وقيل على أنه مفعول به لما إذا لم يكن انتصابه على المصدرية لأن المصدر المؤكد لا يعمل . عن النبي ﷺ أنه قال لا تمسك ولا تعن ما كراً ولا تبغ ولا تعن باغياً ولا تنكث ولا تعن ناكثاً وكان يتلوها وقال محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغى والنكث والمكر قال تعالى إنما بغىكم على أنفسكم وما يمكرون إلا بأنفسهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه وعنه ﷺ أسرع الخير ثواباً صلة الرحم وأجمل الشر عقاباً البغى واليمين العاجزة وروى ثنتان يعجلهما الله تعالى في الدنيا البغى وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لو بغى على جبل على جبل لك الباغى (ثم إلينا مرجعكم) عطف على ما مر من الجملة المستأنفة المقدرة كأنه قيل تتمتعون متاع الحياة الدنيا ثم ترجعون إلينا وإنما غير السبك إلى الجملة الاسمية مع تقديم الجار والمجرور للدلالة على الثبات والقصر (فنتبشكم بما كنتم تعملون) في الدنيا على الاستمرار من البغى وهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعد سأخبرك بما فعلت وفيه نكتة خفية مبنية على حكمة أبية وهي أن كل ما يظهر في هذه النشأة من الأعيان والأعراض فإنما يظهر بصورة مغايرة لصورته الحقيقية التى بها يظهر في النشأة الآخرة فإن المعاصى مثلاً سموم قاتلة قد برزت في الدنيا بصورة تستحسنها نفوس العصاة وكذا الطاعات مع كونها أحسن الأحاسن قد ظهرت عندهم بصور مكروهة ولذلك قال ﷺ حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فالبغى في هذه النشأة وإن برز بصورة تشبهها البغاة وتستحسنها الغواة لثمتهم به من حيث أخذ المال والنشئ من الأعداء ونحو ذلك لكن ذلك ليس بتمتع في الحقيقة بل هو تضرر من حيث لا يحتسبون وإنما يظهر لهم ذلك عند إبراز ما كانوا يعملونه من البغى بصورة الحقيقة المضادة لما كانوا يشاهدونه على ذلك من الصورة وهو المراد بالشنبة المذكورة والله سبحانه وتعالى أعلم .

إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَظَنَ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتْنَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾

١٠ يونس

وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

١٠ يونس

- (إنما مثل الحياة الدنيا) كلام مستأنف مسوق لبيان شأن الحياة الدنيا وقصر مدة التمتع بها وقرب ٢٤ زمان الرجوع الموعود وقد شبه حالها العجيبة الشأن البديعة المثال المنتظمة لغرابتها في سلك الأمثال في سرعة تقضيها وانصرام نعيمها غيب إقبالها واغترار الناس بها بحال ما على الأرض من أنواع النبات في زوال رونقها ونضارتها فجأة وذهابها حطاما لم يبق لها أثر أصلا بعد ما كانت غضة طرية قد النف بعضها ببعض وزينت الأرض بألوانها وتقوت بعد ضعفها بحيث طمع الناس وظنوا أنها سلت من الجوائح وليس المشبه به مادخله الكاف في قوله عز وجل (كأه أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض) بل ما يفهم من الكلام فإنه من التشبيه المركب (بما يأكل الناس والأنعام) من البقول والزرع والحشيش (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها) جعلت الأرض في زينتها بما عليها من أصناف النباتات وأشكالها وألوانها المختلفة المونقة آخذة زخرفها على طريقة التمثيل بالعروس التي قد أخذت من ألوان الثياب والزينة فتزينت بها (وازيبت) أصله تزينت فأدغم وقرىء على الأصل وقرىء وازيبت كأغيت من غير إعلال والمعنى صارت ذات زينة وازبان كإياض (وظن أهلها أنهم قادرون عليها) متمكنون من حصدها ورفع غلتها (أناها أمرنا) جواب إذا أى ضرب زرعها ما يحتاجه من الآفات والعاهات (ليلا أو نهرا فجعلناها) أى زرعها وساء ما عليها (حصيدا) أى شبيها بما حصد من أصله (كان لم تغن) كأن لم يغن زرعها والمضاف محذوف للبالغة وقرىء بتذكير الفعل (بالأمس) أى فيما قبل زمان قريب فإن الأمس مثل فى ذلك كأنه قيل لم تغن آنفاً (كذلك) أى مثل ذلك التفصيل البديع (نفصل الآيات) أى الآيات القرآنية التي من جملتها هذه الآيات المنبهة على أحوال الحياة الدنيا أى نوضحها ونبينها (لقوم يتفكرون) فى تضاعيفها ويقفون على معانيها وتخصيص تفصيلها بهم لأنهم المنتفعون بها ويجوز أن يراد بالآيات ما ذكر فى أثناء التمثيل من الكائنات والفسادات وتفصيلها تضرعها على الترتيب المحكى لإيجاد وإعداد ما فيها آيات وعلامات يستدل بها من يتفكر فيها على أحوال الحياة الدنيا حالا ومآلا (والله يدعو إلى دار السلام) ترغيب للناس فى الحياة الآخرة الباقية إثر ترغيبهم عن ٢٥ الحياة الدنيا الفانية أى يدعو الناس جميعاً إلى دار السلامة عن كل مكروه وآفة وهى الجنة وإنما ذكرت

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾

١٠ يونس

وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾

١٠ يونس

- بهذا الاسم لذكر الدنيا بما يقابله من كونها معرضاً للآفات أو إلى دار الله تعالى وتخصيص الإضافة التشريفية بهذا الاسم الكريم للتنبية على ذلك أو إلى دار يسلم الله أو الملائكة فيها على من يدخلها أو يسلم بعضهم على بعض (ويهدى من يشاء) هدايته منهم (إلى صراط مستقيم) موصل إليها وهو الإسلام والتزود بالتقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على أن الأمر غير الإرادة وأن
- ٢٦ من أصر على الضلالة لم يرد الله رشده (للذين أحسنوا) أى أعمالهم أى عملوها على الوجه اللائق وهو حسنهما الوصفى المستلزام لحسنها الذاتى وقد فسرهُ رسول الله ﷺ بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك (الحسنى) أى المثوبة الحسنى (وزيادة) أى وما يزيد على تلك المثوبة تفضلاً لقوله عز اسمه ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف وأكثر
- وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة اللقاء (ولا يرهق وجوههم) أى لا يغطها (قتر) غبرة فيها سواد (ولا ذلة) أى أثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق أهل النار أو لا يرهقهم ما يوجب ذلك من الحزن وسوء الحال والتكثير للتحقير أى شئ منهما والجملة مستأنفة لبيان أمنهم من المكارة إثر بيان فوزهم بالمطالب والثانى وإن اقتضى الأول إلا أنه ذكر لإذكرا بما ينقدّم الله تعالى منه برحمته وتقديم المفعول على الفاعل للاهتمام ببيان أن المصون من الرهق أشرف أعضائهم وللتشويق إلى المؤخر فإن ما حقه التقديم إذا أخرت نفس مترقبة لوروده فعند وروده عليها يتمكن عندها فضل تمسك ولائى فى الفاعل ضرب تفصيل كما فى قوله تعالى يخرج منها اللؤلؤ والمرجان
- وقوله عز وجل وجاك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين (أولئك) إشارة إلى المذكورين باعتبار اتصافهم بالصفات المذكورة وما فى اسم الإشارة من معنى البعد للإيدان بعلو درجاتهم وسمو طقتهم أى أولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت الجميلة الفائزون بالمثوبات الناجون عن المكارة
- ٢٧ (أصحاب الجنة هم فيها خالدون) بلا زوال دائمون بلا انتقال (والذين كسبوا السيئات) أى الشرك والمعاصى وهو مبتدأ بتقدير المضاف خبره قوله تعالى (جزاء سيئة بمثلها) أى جزاء الذين كسبوا السيئات أن يجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزداد عليها كما يزداد فى الحسنه وتغيير السبك حيث لم يقل وللذين كسبوا السيئات السواى لمراعاة ما بين الفريقين من كمال التناى والتباين وإيراد الكسب للإيدان بأن ذلك إنما هو لسوء صنيعهم وبسبب جنائيتهم على أنفسهم أو الموصول معطوف على الموصول الأول كأنه

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ
مَا كُنْتُمْ إِلَّا أَنْتَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾

١٠ يونس

- قبل وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها كقولك في الدار زيد والحجرة عمرو وفيه دلالة على أن المراد بالزيادة الفضل (وترهقهم ذلة) وأي ذلة كما يذنه عنه التنوين التفتيح وفي إسناد الرهق إلى أنفسهم دون وجوههم إيدان بأنها محبطة بهم غاشية لهم جميعاً وقرى. يرهقهم بالياء التحنانية (مالهم من الله من عاصم) أي لا يعصمهم أحد من سخطه وعذابه تعالى أو مالهم من عنده تعالى من يعصمهم كما يكون المؤمنون وفي نبي العاصم من المبالغة في نفي العصمة ما لا يخفى والجملة مستأنفة أو حال من ضمير ترهقهم (كما) ما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل (لفرط سوادها وظلمتها) (مظلماً) حال من الليل والعامل فيه أغشيت لأنه العامل في قطعاً وهو موصوف بالجوار والمجورور والعامل في الموصوف عامل في الصفة أو معنى الفعل في من الليل وقرى قطعاً بسكون الطاء وهو طائفة من الليل قال [افتحى الباب وانظري في النجوم] كم علينا من قطع ليل بهم | فيجوز كون مظلماً صفة له أو حالاً منه وقرى كما نأما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم والجملة كما قبلها مستأنفة أو حال من ضمير ترهقهم (أولئك) أي الموصوفون بما ذكر من الصفات الذميمة (أصحاب البارم فيها خالدون) وحيث كانت الآية الكريمة في حق الكفار بشهادة السياق والسباق لم يكن فيها تمسك بالوعيدية (ويوم نحشرهم) كلام مستأنف مسوق لبيان بعض آخر من ٢٨ أحوالهم الفظيعة وتأخيرها في الذكر مع تقدمه في الوجود على بعض أحوالهم المحكية سابقاً للإيدان باستقلال كل من السابق واللاحق بالاعتبار ولوروعى الترتيب الخارجى لعد الكل شيئاً واحداً كما مر في قصة البقرة ولذلك فصل عما قبله ويوم منصوب على المفعولية بمضمر أي أندرم أو ذكرهم وضمير نحشرهم لكلا الفريقين الذين أحسنوا والذين كسبوا السيئات لأنه المتبادر من قوله تعالى (جميعاً) ومن أفراد الفريق الثانى بالذكر في قوله تعالى (ثم نقول للذين أشركوا) أي نقول للشركين من بينهم ولأن توبيخهم وتهديدهم على رموس الأَشهاد أفضح والإخبار بحشر الكل في تهويل اليوم أدخل وتخصيص وصف إشرائهم بالذكر في حيز الصلة من بين سائر ما اكتسبوه من السيئات لا بقاء التوبيخ والتفريع عليه مع ما فيه من الإيدان بكونه معظم جناياتهم وعمدة سيئاتهم وقيل للفريق الثانى خاصة فيكون وضع الموصول موضع الضمير لما ذكر آنفاً (مكانكم) نصب على أنه في الأصل ظرف لفعل أقيم مقامه لا على أنه اسم فعل وحرركته حركة بناء كما هو رأى الفارسي أي ألزموه حتى تنظروا ما يفعل بكم (أنتم) تأكيد للضمير المنتقل إليه من عامله لسده مسده (وشركاؤكم) عطف عليه وقرى بالنصب على أن الواو بمعنى مع (فزيلنا) من زلت الشيء عن مكانه أزيله أي أزلته والتضعيف للتكثير لا للتعدية وقرى فزايلاً بمعناه نحو كذبه وكألمته وهو معطوف على نقول وإيثار صيغة الماضي للدلالة على التحقق المورث لزيادة التوبيخ والتحسير والفاء للدلالة على وقوع التزييل ومباديه عقيب الخطاب من غير مهلة إيداناً

فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾
هَذَا تَبَلُّوْا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ ١٠ يونس

- بكال رخاوة ما بين الفريقين من العلاقة والوصلة أى ففرقنا (بينهم) قطعنا أقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا لكن لا من الجانبين بل من جانب العبد فقط لعدم احتمال شمول الشركاء للشياطين كما سيجىء نجات آماهم وانصرفت عرى أطعامهم وحصل لهم اليأس الكلى من حصول ما كانوا يرجونه من جهمهم والحال وإن كانت معلومة لهم من حين الموت والابتلاء بالعذاب لكن هذه المرتبة من اليقين إنما حصلت عند المشاهدة والمشافهة وقيل المراد بالترزيل التفريق الحسى أى فباعدنا بينهم بعد الجمع في الموقف وتبرؤ شركائهم منهم ومن عبادتهم كما في قوله تعالى أينما كنتم نشر كون من دون الله قالوا ضلوا عنّا قالوا وحينئذ في قوله تعالى (وقال شركاؤهم) حالبة بتقدير كلمة قد عند من يشترطها وبدونه عند غيره لا عاطفة
- كما في التفسير الأول لاستدعاء المحاورة المحاضرة الفائمة بالمباعدة وليس في ترتيب الترزيل بهذا المعنى على الأمر بلزوم المكان ما في ترتيبه عليه بالمعنى الأول من النكتة المذكورة ليصار لأجل رعايتها إلى تغيير الترتيب الخارجى فإن المباعدة بعد المحاورة حتماً وأما قطع الأقران والعلائق فليس كذلك بل ابتداءه حاصل من حين الحشر بل بعض مراتبه حاصل قبله أيضاً وإنما الحاصل عند المحاورة أقصاها كأشير إليه فلا اعتداد بما في تقديمه من التغيير لاسيما مع رعاية ما ذكر من النكتة ولو سلم تأخر جميع مراتبه عن المحاورة فمراعاة تلك النكتة كافية في استدعاء تقديمه عليها ويجوز أن تكون حالبة على هذا التقدير أيضاً والمراد بالشركاء قبل الملائكة وعزير والمسيح وغيرهم ممن عبدوه من أولى العلم فقيه تأييد
- لر جوع الضمير إلى الكل وقولهم (ما كنتم إيانا تعبدون) عبارة عن تبرئهم من عبادتهم وأنهم إنما عبدوا في الحقيقة أهواءهم وشياطينهم الذين أغوهم لأنها الآمرة لهم بالإشراك دونهم كقولهم سبحانه أنت ولينا من دونهم الآية وقيل الأصنام بنطقها الله الذى أنطق كل شيء فتشافهم بذلك مكان الشفاعة التي كانوا يتوقعونها (فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم) فإنه العليم الخبير (إن كنا عن عبادتكم لغافلين) أى عن عبادتكم لنا وتركنا للظهور وللإيدان بكال الغفلة عنها والغفلة عبارة عن عدم الارتضاء وإلا فعدم شعور الملائكة بعبادتهم لهم غير ظاهر وهذا يقطع احتمال كون المراد بالشركاء الشياطين كما قيل فإن ارتضاءهم
- ٢٩ ٣٠ بإشراكهم مما لا ريب فيه وإن لم يكونوا مجبرين لهم على ذلك وإن مخففة من إن واللام فارقة (هنالك) أى في ذلك المقام الدهش أو في ذلك الوقت على استعارة ظرف المكان للزمان (تبلو) أى تختبر وتذوق
- (كل نفس) مؤمنة كانت أو كافرة سعيدة أو شقية (ما أسلفت) من العمل وتعايته بكنهه مستقبلاً لأناره من نفع أو ضرر وخير أو شر وأما ما علمت من حالها من حين الموت والابتلاء بالعذاب في البرزخ فأمر بحمل وقرىء تبلو بنون العظمة ونصب كل وإبدال مامنه أى نعاملها معاملة من يبلوها ويتعرف أحوالها من السعادة والشقاوة باختبار ما أسلفت من العمل ويجوز أن يراد نصيب بالبلاء أى العذا

قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يَدِيرُ الْأَمْرَ فَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ١٠ يونس

- عاصية بسبب ما أسلفت من الشر فيكون مامنصوبة بنزع الخافض وقرىء. تلو أى تتبع لأن عملها هو الذى يهديها إلى طريق الجنة أو إلى طريق النار أو تقرأ فى صحيفة أعمالها ما قدمت من خير أو شر (وردوا) الضمير للذين أشركوا على أنه معطوف على زيلنا وما عطف عليه قوله عز وجل هنالك تبلو
- الخ اعتراض فى أثناء الحكاية مقرر لمضمونها (إلى الله) أى إلى جزائه وعقابه (مولاهم) ربهم (الحق) أى المتحقق الصادق ربوبيته لا ما اتخذوه رباً باطلا وقرىء. الحق بالنصب على المدح كقولهم الحمد لله أهل الحمد أو على المصدر المؤكد (وضل عنهم) وضاع أى ظهر ضياعه وضلاله لأنه كان قبل ذلك غير ضال أو ضل فى اعتقادهم أيضاً (ما كانوا يفترون) من أن آلهتهم تشفع لهم أو ما كانوا يدعون أنها آلهة هذا وجعل الضمير فى ردوا للنفوس المدلول عليها بكل نفس على أنه معطوف على تبلو وأن العدول إلى الماضى للدلالة على التحقق والتقرر وأن إشار صيغة الجمع للإيذان بأن ردهم إلى الله يكون على طريقة الاجتماع لا يلائمه التعرض لوصف الحقيقة فى قوله تعالى مولاهم الحق فإنه للتعريض بالمردودين حسبما أشير إليه ولئن اكتفى فيه بالتعريض ببعضهم أو حمل الحق على معنى العدل فى الثواب والعقاب فقوله عز وجل وضل عنهم ما كانوا يفترون مما لا مجال فيه للتدراك قطعاً فإن ما فيه من الضمائر الثلاثة للمشركين فيلزم التفكيك حتماً وتخصيص كل نفس بالنفوس المشتركة مع عموم البلوى لكل يأباه مقام تهويل المقام والله تعالى أعلم (قل) أى لأولئك المشركين الذين حكيت أحوالهم وبين ما يؤدى إليه أعمالهم احتجاجاً على ٣١
 - حقبة التوحيد وبطلان ما هم عليه من الإشراك (من يرزقكم من السماء والأرض) أى منهما جميعاً فإن الأرزاق تحصل بأسباب سماوية ومواد أرضية أو من كل واحدة منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان كلة من على حذف المضاف أى من أهل السماء والأرض (أم من يملك السمع والأبصار) أم منقطعة وما فيها من كلة بل للإضراب عن الاستفهام الأول لكن لا على طريقة الإبطال بل على وجه الانتقال وصرف الكلام عنه إلى استفهام آخر تنبيه على كفايته فيها هو المقصود أى من يستطيع خلقهما وتسويتهما على هذه الفطرة العجيبة أو من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من أدنى شيء يصيبهما
 - (ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) أى ومن يحيى ويميت أو ومن ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان (ومن يدبر الأمر) أى ومن يلى تدبير أمر العالم جميعاً وهو تعميم بعد تخصيص بعض ما ندرج تحته من الأمور الظاهرة بالذكر (فسيقولون) بلا تلعثم ولا تأخير (الله) إذ لا مجال للكبر لغاية وضوحه والخبر محذوف أى الله يفعل ما ذكر من الأفاعيل لا غيره (فقل) عند ذلك تبسكيتاً لهم (أفلا تتقون) الهمة لإنكار عدم الاتقاء بمعنى إنكار الواقع كما فى أنضرب أباك لا بمعنى إنكار الوقوع كما فى أنضرب أبى والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم أى أنعملون ذلك فلا تتقون

فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ١٠ يونس

كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ ١٠ يونس

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ ١٠ يونس

- أنفسكم عذابه الذى ذكر لكم بما تتعاطونه من إشراككم به ما لا يشاركه فى شيء مما ذكر من خواص الإلهية (فذلكم) فذلك لما تقدم أى ذلك الذى اعترقتم باتصافه بالنعوت المذكورة وهو مبتدأ وقوله تعالى (الله) خبره وقوله تعالى (ربكم) أى مالكم ومتولى أموركم على الإطلاق بدل منه أو بيان له وقوله تعالى (الحق) صفة له أى ربكم الثابت ربوبيته والمنتهى الوهيتة تحقّقاً لا ريب فيه (فإذا) يجوز أن يكون الكل اسماً واحداً قد غلب فيه الاستفهام على اسم الإشارة وأن يكون ذا موصولا بمعنى الذى أى ما الذى (بعد الحق) أى غيره بطريق الاستعارة وإظهار الحق إما لأن المراد به غير الأول وإما لزيادة التقرير ومراعاة كمال المقابلة بينه وبين الضلال والاستفهام إنكارى بمعنى إنكار الوقوع ونفيه أى ليس غير الحق (إلا الضلال) الذى لا يختاره أحد لحيث ثبت أن عبادة من هو منعوت بما ذكر من النعوت الجيلة حق ظهر أن ما عداها من عبادة الأصنام ضلال محض إذ لا واسطة بينهما وإنما سميت ضلالاً مع كونها من أعمال الجوارح باعتبار ابقائها على ما هو ضلال من الاعتقاد والرأى هذا على تقدير كون الحق عبارة عن التوحيد وأما على تقدير كونه عبارة عن الأول فالمراد بالضلال هو الأصنام لا عبادتها والمعنى فإذا بعد الرب الحق الثابت ربوبيته إلا الضلال أى الباطل الضائع المضمحل وإنما سمي بالمصدر مبالغة كأنه نفس الضلال والضياح وهذا أنسب بقوله تعالى وصل عنهم ما كانوا يفترون
- على التفسير الثانى (فأنى تصرفون) استفهام إنكارى بمعنى إنكار الواقع واستبعادها والتعجب منه وفيه من المبالغة ما ليس فى توجيه الإنكار إلى نفس الفعل لأن كل موجود لابد من أن يكون وجوده على حال من الأحوال قطعاً فإذا انتفى جميع أحوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني كما مر مراراً والفاء لترتيب الإنكار على ما قبله أى كيف تصرفون من الحق الذى لا محيد عنه وهو التوحيد إلى الضلال عن السبيل المستبين وهو الإشراف وعبادة الأصنام أو من عبادة ربكم الحق الثابت ربوبيته إلى عبادة الباطل الذى سمعتم ضلاله وضياحه فى الآخرة وفى إثارة صيغة المبني للفعول إيذان بأن الانصراف من الحق إلى الضلال مما لا يصدر عن العاقل بإرادته وإنما يقع عند وقوعه بالقسر من جهة
 - ٣٣ صارف خارجى (كذلك) أى كما حقت الربوبية لله تعالى أو كما أنه ليس بعد الحق إلا الضلال أو أنهم مصروفون عن الحق (حق كلة ربك) وحكمه وقضاؤه (على الذين فسقوا) أى تمردوا فى الكفر
 - ٣٤ وخرجوا من أقصى حدوده (أنهم لا يؤمنون) بدل من الكلمة أو تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب (قل

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾

١٠ يونس

- هل من شركائكم) احتجاج آخر على حقيقة التوحيد وبطلان الإشراك بإظهار كون شركائهم بمعزل من استحقاق الإلهية ببيان اختصاص خواصها من بدء الخلق وإعادته به سبحانه وتعالى وإنما لم يعطف على ما قبله إيداناً باستقلاله في إثبات المطلوب والسؤال للتبكيك والإلزام وقد جعلت عليه الإعادة وتحققها لوضوح مكانها وسنوح برهانها بمنزلة بدء الخلق فنظمت في سلمك حيث قيل (من يبدأ الخلق ثم يعيده) ●
- إيداناً بتلازمها وجوداً وعلماً يستلزم الاعتراف بها وإن صدم عن ذلك ما بهم من المكابرة والعناد ثم أمر ﷺ بأن يبين لهم من يفعل ذلك فقل له (قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده) أي هو يفعلها لا غير كائناً ما كان لا بأن ينوب ﷺ عنهم في ذلك كما قيل لأن القول بالمأمور به غير ما أريد منهم من الجواب وإن كان مستلزمه لإدليس المسئول عنه من يبدأ الخلق ثم يعيده كما في قوله تعالى قل من رب السموات والأرض قل الله حتى يكون القول بالمأمور به عين الجواب الذي أريد منهم ويكون ﷺ نائباً عنهم في ذلك بل إنما هو وجود من يفعل البدء والإعادة من شركائهم فالجواب المطلوب منهم لا لا غير نعم أمر ﷺ بأن يضمه مقالته إيداناً بتعيينه وتحققه وإشعاراً بأهم لا يجترئون على التصريح به مخافة التبكيك وإلزام الحجر لا مكابرة ولما جاف تدبر وإعادة الجملة في الجواب بتامها غير محذوفة الخبر كافي الجواب السابق لمزيد التأكيذ والتحقيق (فأني تو فكون) الإفك الصرف والقلب عن الشيء وقد يخص بالقلب عن الرأي وهو الأنسب بالمقام ●
- أي كيف تقلدون من الحق إلى الباطل والكلام فيه كما ذكر في تصرفون (قل هل من شركائكم) احتجاج ٣٥
- آخر على ما ذكر جى به إلزاماً لهم غلب إلزام وإلزاماً لإثباتهم وفصله عما قبله لما ذكر من الدلالة على استقلاله (من يهدى إلى الحق) أي بوجه من الوجوه فإن أدنى مراتب المعبودية هداية المعبود لعبده إلى ما فيه صلاح أمرهم وأما تعيين طريق الهداية وتخصيصه بنصب الحجج وإرسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر كما قيل فنحل بما يقتضيه المقام من كمال التبكيك والإلزام فإن العجز عن الهداية على وجه خاص لا يستلزم العجز عن مطلق الهداية وهدى كما يستعمل بكلمة إلى لتضمنه معنى الانتهاء يستعمل باللام للدلالة على أن المنتهى غاية الهداية وأنهم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك استعمل بها ما أسند إلى الله تعالى حيث قيل (قل الله يهدى للحق) أي هو يهدى له دون غيره وذلك بما ذكر من نصب الأدلة والحجج وإرسال الرسل وإزالة الكتب والتوفيق للنظر والتدبر وغير ذلك من فنون الهدايات والكلام في الأمر بالسؤال والجواب كما مر فيما مر (أفمن يهدى إلى الحق) وهو الله عز وجل (أحق أن يتبع أمن لا يهدى) بكسر الهاء أصله يهتدى فأدغم وكسرت الهاء لاتقاء الساكنين وقرى بكسر الباء اتباعاً لها لحركة الهاء وقرى بفتح الهاء نقلاً لحركة التاء إليها أي لا يهتدى بنفسه فضلاً عن هداية غيره وفيه من المبالغة ما لا يخفى وإنما نفي عنه الاهتداء مع أن المفهوم مما سبق نفي الهداية لما أن نفيها مستتبع لنفيه غالباً فإن من اهتدى إلى الحق

وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ١٠ يونس

لا يخلو عن هداية غيره في الجملة وأدناها كونه قدوة له بأن يراه فيسلك مسلكه من حيث لا يدري والفاء لترتيب الاستفهام على ما سبق من تحقق هدايته تعالى صريحاً وعدم هداية شركائهم المفهوم من القصر ومن عدم الجواب المنبيء عن الجواب بالعدم فإن ذلك مما يضطرهم إلى الجواب الحق لا لتوجيه الاستفهام إلى الترتيب كما يقع في بعض المواقع فإن ذلك يختص بالإنكار كما في قوله تعالى أفمن اتبع رضوان الله الخ ونحوه والهمزة متأخرة في الاعتبار وإنما تقديمها في الذكر لإظهار عراقتها في اقتضاء الصدارة كما هو رأى الجمهور حتى لو كان السؤال بكلمة أى لا خرت حتماً ألا يرى إلى قوله تعالى فأى الفريقين أحق بالأمن إثر تقدير ما يلجىء المشركين إلى الجواب من حالهم وحال رسول الله ﷺ وقرىء لا يهدى بمعنى لا يهتدى لمجيئته لازماً أولاً لا يهدى غيره وصيغة التفضيل إما على حقيقةها والمفضل عليه محذوف كما اختاره مكى والتقدير أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع من لا يهدى أم من لا يهدى أحق الخ وإما بمعنى حقيق كما اختاره أبو حيان وأياً ما كان فلا استفهام للإلزام وأن يتبع في حيز النصب أو الجر بعد حذف الجار على الخلاف المعروف أى بأن يتبع (إلا أن يهدى) استثناء مفرغ من أعم الأحوال أى لا يهتدى أولاً يهدى غيره في حال من الأحوال إلا حال هدايته تعالى له إلى الاهتداء أو إلى هداية الغير وهذا حال إشراف شركائهم من الملائكة والمسيح وعزير عليهم السلام وقيل المعنى أم من لا يهتدى من الأولاد إلى مكان فينتقل إليه إلا أن ينتقل إليه أولاً أن ينقله الله تعالى من حاله إلى أن يجعله حياً أنا مكلفاً فيهدى وقرىء إلا أن يهدى من التفعيل للبالغة (فالكلم) أى أى شئ لكم في اتخاذكم هؤلاء شركاء لله سبحانه وتعالى والاستفهام الإنكار التوبيخى وفيه تعجب من حالهم وقوله تعالى (كيف تحكمون) أى بما يقضى صريح العقل بطلانه إنكار لحكمهم الباطل وتعجب منه وتشنيع لهم بذلك والفاء لترتيب كلا الإنكارين على مآظهر من وجوب اتباع الهادى إلى الحق إن قلت التبكيت بالاستفهام السابق إنما يظهر في حق من يعكس جوابه الصحيح فيحكم بأحقية من لا يهدى بالاتباع دون من يهدى وهم ليسوا حاكين بأحقية شركائهم لذلك دون الله سبحانه وتعالى بل باستحقاقهم جميعاً مع رجحان جانبه تعالى حيث يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قلت حكمهم باستحقاقه تعالى للاتباع بطريق الاشتراك حكم منهم بعدم استحقاقه تعالى لذلك بطريق الاستقلال فصاروا حاكين باستحقاق شركائهم له دون الله تعالى من حيث لا يحتسبون (وما يتبع أكثرهم) كلام مبتدأ غير داخل في حيز الأمر مسوق من قبله تعالى لبيان عدم فهمهم لمضمون ما ألهمهم وألهمهم الحجر من البرهان النير الموجب لاتباع الهادى إلى الحق الناعى عليهم بطلان حكمهم وعدم تأثرهم من ذلك لعدم اهتدائهم إلى طريق العلم أصلاً أن ما يتبع أكثرهم في معتقداتهم ومحاوراتهم (إلا ظناً) واهياً من غير التفات إلى فرد من أفراد العلم فضلاً عن أن يسلكوا مسالك الأدلة الصحيحة الهادية إلى الحق المبينة على المقدمات اليقينية الحققة فيفهموا مضمونها ويقفوا على صحتها وبطلان ما يخالفها من أحكامهم الباطلة فيحصل التبكيت والإلزام فالمراد بالاتباع مطلق الاعتقاد الشامل لما يقارن القبول والانقياد وما لا

وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ الْكِتَابِ
لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾

١٠ يونس

- يقارنه وبالقصر ما أشير إليه من أن لا يكون لهم في أثنائه اتباع لفرد من أفراد العلم والتفات إليه ووجه تخصيص هذا الاتباع بأكثرهم الإشعار بأن بعضهم قد يتبعون العلم فيقفون على حقية التوحيد وبطلان الشرك لكن لا يقبلونه مكابرة وعناداً فيحصل بالنسبة إليهم التأثير من البرهان المزبور وإن لم يظهره وكونهم أشد كفراً وأكثر عذاباً من الفريق الأول لا يقدح فيما يفهم من خوى الكلام عرفاً من كون أولئك أسوأ حالاً من غيرهم إذ المعتبر سوء الحال من حيث الفهم والإدراك لا من حيث الكفر والعذاب أو ما يتبع أكثرهم مدة عمرهم إلا ظناً ولا يتركونه أبداً فإن حرف النفي الداخل على المضارع يفيد استمرار النفي بحسب المقام فالمراد بالاتباع حينئذ هو الإذعان والانقياد والقصر باعتبار الزمان ووجه تخصيص هذا الاتباع بأكثرهم مع مشركة المعاندين لهم في ذلك التلويح بما سيكون من بعضهم من اتباع الحق والتوبة كما سيأتي هذا وقد قيل المعنى وما يتبع أكثرهم في إقرارهم بالله تعالى إلا ظناً غير مستند إلى برهان عندهم وقيل وما يتبع أكثرهم في قولهم للأصنام أنها آلهة إلا ظناً والمراد بالآكثر الجميع فتأمل وقيل الضمير في أكثرهم للناس فلا حاجة إلى التكليف (إن الظن لا يغني عن الحق) من العلم اليقيني والاعتقاد الصحيح
- المطابق للواقع (شيثاً) من الإغناء ويجوز أن يكون مفعولاً به ومن الحق حالاً منه والجملة استئناف
 - ببيان شأن الظن وبطلانه وفيه دلالة على وجوب العلم في الأصول وعدم جواز الاكتفاء بالتقليد (إن الله عليم بما يفعلون) وعيد لهم على أفعالهم القبيحة فيندرج تحتها ما حكى عنهم من الإعراض عن البراهين القاطعة والاتباع للظنون الفاسدة اندراجاً أولياً وقرىء تفعلون بالالتفات إلى الخطاب لتشديد الوعيد
- (وما كان هذا القرآن) شروع في بيان ردهم للقرآن الكريم إثر بيان ردهم للأدلة العقلية المندرجة في ٣٧
- تضاعيفه أى وما صح وما استقام أن يكون هذا القرآن المشحون بفنون الهدايات المستوجبة للاتباع التي من جملتها هاتيك الحجج البينة الناطقة بحقية التوحيد وبطلان الشرك (أن يفترى من دون الله) أى
- افتراء من الخلق أى مفترى منهم سمي بالمصدر مبالغة (ولكن تصديق الذي بين يديه) من الكتب
 - الإلهية المشهود على صدقها أى مصداقاً لها كيف لا وهو لكونه معجزاً دونها عيار عليها شاهد بصحتها ونصبه بأنه خبر كان مقدراً وقد جوز كونه علة لفعل محذوف تقديره لكن أنزله الله تصديق الخ وقرىء
 - بالرفع على تقدير المبتدأ أى ولكن هو تصديق الخ (وتفصيل الكتاب) عطف عليه نصباً ورفعاً أى
 - وتفصيل ما كتب وأثبت من الحقائق والشرائع (لاريب فيه) خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك أى منتفياً عنه الريب أحوال من الكتاب وإن كان مضافاً إليه فإنه مفعول في المعنى أو استئناف لا محل له من الإعراب (من رب العالمين) خبر آخر أى كائناً من رب العالمين أو متعلق بتصديق أو بتفصيل أو بالفعل
 - المعمل بهما ولاريب فيه اعتراض كافى قولك زيد لاشك فيه كريم أو حال من الكتاب أو من الضمير في
- ١٩٠ - أبو السعود ج ٤

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ۚ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾

١٠ يونس

بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ ۚ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ۚ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾

١٠ يونس

- ٣٨ فيه ومساق الآية الكريمة بعد المنع عن اتباع الظل لبيان ما يجب اتباعه (أم يقولون افتراه) أي بل يقولون افتراه محمد ﷺ والهمزة لإنكار الواقع واستبعاده (قل) تبكيئاً لهم وإظهاراً لبطلان مقالهم
- الفاسدة إن كان الأمر كما تقولون (فأتوا بسورة مثله) أي في البلاغة وحسن الصياغة وقوة المعنى على وجه الافتراء فإنكم مثلي في العربية والفصاحة وأشد تمرناً مني في النظم والعبارة وقرىء بسورة مثله على
- الإضافة أي بسورة كتاب مثله (وادعوا) للظاهرة والمعاونة (من استطعتم) دعاء والاستعانة به من آلهتمكم التي تزعمون أنها مودة لكم في المهمات والملمات ومدارهم الذين تلجئون إلى آرائهم في كل ما تاتون
- وما تذكرون (من دون الله) متعلق بادعوا ودون جار نرى أداة الاستثناء وقد مر تفصيله في قوله تعالى وادعوا شهداءكم من دون الله أي ادعوا سواء تعالى من استطعتم من خلقه فإنه لا يقدر عليه أحد وإخراجه سبحانه من حكم الدعاء للتنصيص على براءتهم منه تعالى وكونهم في عدوة المضادة والمشافة
- لا لبيان استبداده تعالى بالقدر على ما كلفوه فإن ذلك مما يؤمهم لودعوه تعالى لا جابهم إليه (إن كنتم صادقين) أي في أني افتريته فإن ذلك مستلزم لإتيان بمثله وهو أيضاً مستلزم لأقدر تكتم عليه والجواب محذوف لدلالة المذكور عليه (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) إضراب وانتقال عن إظهار بطلان ما قالوا في حق القرآن العظيم بالتحدي إلى إظهاره ببيان أنه كلام ناشئ عن جهلهم بشأنه الجليل فما عبارة عن كله لاعما فيه من ذكر البعث والجزاء وما يخالف دينهم كما قيل فإنه مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن مثله أي سارعوا إلى تكذيبه أثر ذى أثر من غير أن يجتدروا فيه ويقفوا على ما في تضاعيفه من الشواهد الدالة على كونه كما وصف أنفأ ويعلموا أنه ليس بما يمكن أن يكون له نظير يقدر عليه المخلوق والتعبير عنه بما لم يحيطوا بعلمه دون أن يقال بل كذبوا به من غير أن يحيطوا بعلمه أو نحو ذلك للإبذان بكال جهلهم به وأنهم لم يعلموه إلا بعنوان عدم العلم به وبأن تكذيبهم به إنما هو بسبب عدم علمهم به لما أن إدارة الحكم على الموصول مشعرة بعملية ما في حيز الصلة له (ولما يأتهم تأويله) عطف على الصلة أو حال من الموصول أي ولم يقفوا بعد على تأويله ولم يبلغ أذهانهم معانيه الرائقة المنبئة عن علو شأنه والتعبير عن ذلك بإتيان التأويل للإشعار بأن تأويله متوجه إلى الأذهان منساق إليها بنفسه أو لم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الإخبار بالغيب حتى يتبين أنه صدق أم كذب والمعنى أن القرآن معجز من جهة النظم والمعنى ومن جهة الإخبار بالغيب وهم قد فاجتوا تكذيبه قبل أن يتدبروا نظمه ويتفكروا في معناه

وَمِنْهُمْ مَّنْ يُّؤْمِنُ بِهِ ۖ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ ١٠ يونس

- أو ينتظر واوقع ما أخبر به من الأمور المستقبلية ونفى إتيان التأويل بكلمة لما الدالة على التوقع بعد نفي الإحاطة بعلمه بكلمة لم لنا كيد الذم وتشديد التثني فإن الشناعة في تكذيب الشيء قبل علمه المتوقع إتيانه أخفى منها في تكذيبه قبل علمه مطلقاً والمعنى أنه كان يجب عليهم أن يتوقفوا إلى زمان وقوع المتوقع فلم يفعلوا وأما أن المتوقع قد وقع بعد وأنهم استمروا عند ذلك أيضاً على ما هم عليه أولاً فلا تعرض له هنا والاستشهاد عليه بعدم انقطاع الذم أو ادعاء أن قولهم افتراه تكذيب بعد التدبر ناشئ من عدم التدبر فتدبر كيف لا وهم لم يقولوه بعد التحدى بل قبله وادعاء كونه مسبقاً بالتحدى الوارد في سورة البقرة برده أنها مدنية وهذه مكية وإنما الذي يدل عليه ما سبقت عليه من قوله تعالى ومنهم من يؤمن به ومنهم الخ وقوله تعالى (كذلك) الخ وصف لحالهم المحكى وبيان لما يؤدي إليه من العقوبة أى مثل ذلك التكذيب المبني على بادي الرأي والمجازفة من غير تدبر وتأمل (كذب الذين من قبلهم) أى فعلوا التكذيب أو كذبوا ما كذبوا من المعجزات التي ظهرت على أيدي أنبيائهم أو كذبوا أنبياءهم (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) وهم الذين من قبلهم من المكذبين وإنما وضع المظهر موضع المضمحل للإيدان بكون التكذيب ظاهراً أو بعلمته لإصابة ما أصابهم من سوء العاقبة وبدخول هؤلاء الظالمين في زميرهم جرمياً ووعيداً دخولا أولاً وقوله عز وجل (ومنهم) الخ وصف لحالهم بعد إتيان التأويل المتوقع إذ حينئذ يمكن ٤٠ تنويعهم إلى المؤمن به وغير المؤمن ضرورة امتناع الإيمان بشيء من غير علم به واشتراك الكل في التكذيب والكفر به قبل ذلك حسبما أفاده قوله تعالى بل كذبوا به ما لم يحيطوا بعلمه أى ومن هؤلاء المكذبين (من يؤمن به) عند الإحاطة بعلمه وإتيان تأويله وظهور حقيقته بعدما سعوا في المعارضة ورازقواهم فيها فتضاءلت دونها أو بعد ما شاهدوا وقوع ما أخبر به كما أخبر به مراراً ومعنى الإيمان به إما الاعتقاد بحقيقته فقط أى يصدق به في نفسه ويعلم أنه حق ولكنه يعاند ويكابر وهؤلاء هم الذين أشير بقصر اتباع الظن على أكثرهم إلى أنهم يعلمون الحق على التفسير الأول كما أشير إليه فيما سلف وإما الإيمان الحقيقي أى سيؤمن به ويتوب عن الكفر وهم الذين أشير بالقصر المذكور على التفسير الثاني إلى أنهم سيتبعون الحق كما مر (ومنهم من لا يؤمن به) أى لا يصدق به في نفسه كما لا يصدق ظاهراً لفرط غباوته المانعة عن الإحاطة بعلمه كما ينبغي وإن كان فوق مرتبة عدم الإحاطة به أصلاً أو لسخافة عقله واختلال تمييزه وعجزه عن تخلص علومه عن مخالطة الظنون والأوهام التي ألفها فيبقى على ما كان عليه من الشك وهذا القدر من الإحاطة وإتيان التأويل كاف في مقابلة ما سبق من عدم الإحاطة بالمرء وهؤلاء هم الذين أريدوا فيما سلف بقوله عز وجل وما يتبع أكثرهم إلا الظن على التفسير الأول أولاً يؤمنوا به فيما سيأتي بل يموت على كفره معانداً كان أو شاكاً وهم المستمرون على اتباع الظن على التفسير الثاني من غير إذعان للحق وانقياد له (وربك أعلم بالمفسدين) أى بكلا الفريقين على الوجه الأول لا بالمعاندين فقط كما قيل لا شترا كهما في أصل الإفساد المستدعى لا شترا كهما في الوعيد أو بالمصرين الباقيين على الكفر على الوجه الثاني من المعاندين والشاكين .

وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيْعُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيْعٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ ١٠ يونس

وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ ١٠ يونس

وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ ١٠ يونس

- ٤١ (وإن كذبوك) أى إن تموا على تكذيبك وأصروا عليه حسبما أخبر عنهم بعد إلزام الحجة بالتحدى
 ● (فقل لى عملى ولكم عملكم) أى تبرأ منهم فقد أعذرت كقوله تعالى فإن عصوك فقل لى برىء والمعنى لى
 جزاء عملى ولكم جزاء عملكم حقاً كان أو باطلاً وتوحيد العمل المضاف إليهم باعتبار الاتحاد النوعى ولمراعاة
 ● كمال المقابلة (أنتم برىئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون) تأكيد لما أفادته لام الاختصاص من عدم تعدى
 جزاء العمل إلى غير عامله أى لا تؤاخذون بعملى ولا أوأخذ بعملكم ولما فيه من إيهام المتاركة وعدم
 ٤٢ التعرض لهم قيل إنه مفسوخ بآية السيف (ومنهم من يستمعون إليك) بيان لكونهم مطبوعاً على قلوبهم
 بحيث لا سبيل إلى إيمانهم وإنما جمع الضمير الراجع إلى كلمة من رعاية لجانب المعنى كما أفرد فيما سأتى
 محافظة على ظاهر اللفظ ولعل ذلك للإيحاء إلى كثرة المستمعين بناء على عدم توقف الاستماع على ما يتوقف
 عليه النظر من المقابلة وانتفاء الحجاب والظلمة أى ومنهم ناس يستمعون إليك عند قراءتك القرآن
 ● وتعليمك الشرائع (أفأنت تسمع الصم) همزة الاستفهام إنكارية والفاء عاطفة وليس الجمع بينهما لترتيب
 إنكار الإسماع على الاستماع كما هو رأى سيديوه والجمهور على أن يجعل تقديم الهمزة على الفاء لافتضاءها
 الصدارة كما تقرر فى موضعه بل لإنكار ترتبه عليه حسبما هو المعتاد لكن لا بطريق العطف على الفعل
 المذكور لأدائه إلى اختلال المعنى لأنه إما صلة أو صفة وأياً ما كان فالعطف عليه يستدعى دخول
 المعطوف فى حيزه وتوجهه إلى إنكار إليه من تلك الحيثية ولا ريب فى فساد بل بطريق العطف على مقدر
 مفهوم من لحوى النظم كأنه قيل أستمعون إليك فأنت تسمعهم لا إنكاراً لاستماعهم فإنه أمر محقق
 بل إنكاراً لوقوع الاستماع عقيب ذلك وترتبه عليه حسب العادة الكلية بل نفياً لإمكانه أيضاً كما ينهى
 ● عنه وضع الصم موضع ضميرهم ووصفهم بعدم العقل بقوله تعالى (ولو كانوا لا يعقلون) أى ولو انضم
 إلى صممهم عدم عقولهم لأن الأصم العاقل ربما تفرس إذا وصل إلى صمائه صوت وأما إذا اجتمع
 ٤٣ فقدان السمع والعقل جميعاً فقد تم الأمر (ومنهم من ينظر إليك) ويعاين دلائل نبوتك الواضحة (أفأنت)
 ● أى أعقيب ذلك أنت تهديهم وإنما قيل (تهدى العمى) تربية لإنكار هدايتهم وإبراز ألقوقعها فى معرض
 ● الاستحالة وقد أكد ذلك حيث قيل (ولو كانوا لا يبصرون) أى ولو انضم إلى عدم البصر عدم البصيرة
 فإن المقصود من الإبصار الاعتبار والاستبصار والعمدة فى ذلك هى البصيرة ولذلك يحذف الأعمى
 المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الأحق فحيث اجتمع فيهم الحق والعمى فقد انسدها عليهم باب الهدى
 وجواب لوفى الجملتين محذوف لدلالة قوله تعالى تسمع الصم وتهدى العمى عليه وكل منهما معطوفة على

إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾

١٠ يونس

جملة مقدرة مقابلة لها في الفحوى كلتاها في موضع الحال من مفعول الفعل السابق أى أفانت تسمع الصم لو كانوا يعقلون ولو كانوا لا يعقلون أفانت تهدي العمى لو كانوا يبصرون ولو كانوا لا يبصرون أى على كل حال مفروض وقد حذفت الأولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة فإن الشيء إذا تحقق عند تحقق المانع أو المانع القوي فلأن يتحقق عند عدمه أو عند تحقق المانع الضعيف أولى وعلى هذه النكتة يدور ما في لو وإن الوصليتين من التأكيد وقد مر الكلام في قوله تعالى ولو كره الكافرون ونظائره مراراً (إن الله لا يظلم الناس) إشارة إلى أن ما حكى عنهم من عدم اهتدائهم إلى طريق الحق وتعطل مشاعرهم من الإدراك ليس لأمر مستند إلى الله عز وجل من خلقهم مؤلفي المشاعر ونحو ذلك بل إنما هو من قبلهم أى لا ينقصهم (شيئاً) مما ينيط به مصالحهم الدينية والدنيوية وكالاتهم الأولوية والأخروية من مبادئ إدراكهم وأسباب علومهم من المشاعر الظاهرة والباطنة والإرشاد إلى الحق بإرسال الرسل وإنزال الكتب بل يفهم ذلك من غير إخلال بشيء أصلاً (ولكن الناس) وقرئ بالتخفيف ورفع الناس وضع الظاهر موضع الضمير لزيادة تعيين وتقرير أى لكنهم بعدم استعمال مشاعرهم فيما خلقت له وإعراضهم عن قبول دعوة الحق وتكذيبهم للرسل والكتب (أنفسهم يظلمون) أى ينقصون ما ينقصون مما يخلون به من مبادئ كمالهم وذرائع اهتدائهم وإنما لم يذكر لما أن مرعى الغرض إنما هو قصر الظلم على أنفسهم لا بيان ما يتعلق به الظلم والتعبير عن فعلهم بالنقص مع كونه تفويتاً بالكلية وإبطالا بالمرّة لمراعاة جانب قرينته وقوله عز وجل أنفسهم إماماً كيد للناس فيكون بمنزلة ضمير الفصل في قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين في قصر الظالمية عليهم وإماماً مفعول ليظلمون حسباً وقع في سائر المواقع وتقديمه عليه لجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد إلى قصر المظلومية عليهم على رأى من لا يرى التقديم موجباً للقصر فيكون كما في قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم من غير قصر للظلم لا على الفاعل ولا على المفعول وأما على رأى من يراه موجباً له فلعل إثبات قصرها دون قصر الظالمية عليهم للبالغة في بيان بطلان أفعالهم وسخافة عقولهم لما أن أقبح الأمرين عند اتحاد الفاعل والمفعول وأشدّها إنكاراً عند العقل ونفرة لدى الطبع وأوجبهما حذراً منه عند كل أحدهما المظلومية لا الظالمية على أن قصر الأولى عليهم مستلزم لما يقتضيه ظاهر الحال من قصر الثانية عليهم ضرورة أنه إذا لم يظلم أحد من الناس إلا نفسه يلزم أن لا يظلمه إلا نفسه إذ لو ظلمه غيره يلزم كون ذلك الغير ظالماً غير نفسه والمفروض أن لا يظلم أحد إلا نفسه فاكتمى بالقصر الأول عن الثاني مع رعاية ما ذكر من الفائدة وصيغة المضارع للاستمرار نفيّاً وإثباتاً فإن حرف النفي إذا دخل على المضارع يفيد بحسب المقام استمرار النفي لا نفي الاستمرار ألا يرى أن قولك ما زيداً ضربت يدل على اختصاص النفي لا على نفي الاختصاص ومساق الآية الكريمة لإلزام الحجة ويجوز أن يكون للوعيد بالمضارع المنفي للاستقبال والمثبت للاستمرار والمعنى أن الله لا يظلمهم بتعذيبهم يوم القيامة شيئاً من الظلم ولكنهم أنفسهم يظلمون ظلماً مستمراً فإن مباشرتهم

وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَانَ لَرَّ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ

اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾

وَأَمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ ١٠ يونس

- المستمرة للسينات الموجبة للتعذيب عين ظلمهم لأنفسهم وعلى الوجهين فالآية الكريمة تذييل لما سبق
- ٤٥ (ويوم يحشرهم) منصوب بمضمر وقرئ بالنون على الالتفات أى اذكر لهم أو أئذروهم يوم يحشرهم (كان لم يلبثوا) أى كأنهم لم يلبثوا (إلا ساعة من النهار) أى شيئاً قليلاً منه فإنها مثل في غاية القلة وتخصيصها بالنهار لأن ساعاته أعرف حالا من ساعات الليل والجملة في موقع الحال من ضمير المفعول أى يحشرهم مشبهين في أحوالهم الظاهرة للناس بمن لم يلبث في الدنيا ولم يتقلب في نعيمها إلا ذلك القدر اليسير فإن من أقام بها دهرأ وتمتع بمتاعها لا يخلو عن بعض آثار نعمة وأحكام بهجة منافية لما بهم من رثالة الهيئته وسوء الحال أو بمن لم يلبث في البرزخ إلا ذلك المقدار فقائدة التقيد بيان كمال يسر الحشر بالنسبة إلى قدرته تعالى ولو بعد دهر طويل وإظهار بطلان استبعادهم وإنكارهم بقولهم أنذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أننا لمبعوثون ونحو ذلك أو بيان تمام الموافقة بين النشأتين في الأشكال والصور فإن قلة اللبث في البرزخ من موجبات عدم التبدل والتغير فيسكون قوله عز وعلا (يتعارفون بينهم) بياناً وتقريراً له لأن التعارف مع طول العهد ينقلب تناكراً وعلى الأول يكون استئنافاً أى يعرف بعضهم بعضاً كأنهم لم يتفارقوا إلا قليلاً وذلك أول ما خرجوا من القبور إذ هم حينئذ على ما كانوا عليه من الهيئة المتعارفة فيما بينهم ثم ينقطع التعارف بشدة الأحوال المذهلة واعتراء الأحوال المعضلة المغيرة للصور والأشكال المبدلة لها من حال إلى حال (قد خسر الذين كذبوا بقاء الله) شهادة من الله سبحانه وتعالى على خسراتهم وتعجب منه وقيل حال من ضمير يتعارفون على إرادة القول والتعبير عنهم بالوصول مع كون المقام مقام إضمار لذمهم بما في حيز الصلة والإشعار بعليته لما أصابهم والمراد ببقاء الله إن كان مطلق الحساب والجزاء أو حسن اللقاء فالمراد بالخسران الوضعية والمعنى وضعوا في تجارتهم ومعاملاتهم واشترائهم الكفر بالإيمان والضلالة بالهدى ومعنى قوله تعالى (وما كانوا مهتدين) ما كانوا عارفين بأحوال التجارة مهتدين لطرقها وإن كان سوء اللقاء فالحسار الهلاك والضلال أى قد ضلوا وهلكوا بتكذيبهم وما كانوا مهتدين إلى طريق النجاة (وإما نرينك) أصله إن نرك وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط ومن ثمة أكد الفعل بالنون أى بنصرتك بأن نظرك (بعض الذى نعدهم) أى وعدناهم من العذاب ونعجله في حياتك فترأه والعدول إلى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة أو للدلالة على التجدد والاستمرار أى نعدهم وعداً متجدداً حسبما تقتضيه الحكمة من إندار غيب إندار وفي تخصيص البعض بالذكر رمز إلى العدة بإراءة بعض الموعود وقد أراه يوم بدر (أو نتوفينك) قبل ذلك (فإلينا مرجعهم) أى كيفما دارت الحال أريناك بعض ما وعدناهم أولاً وإلينا مرجعهم في الدنيا والآخرة فنتجز ما وعدناهم البتة

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ ١٠ يونس

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ ١٠ يونس

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ

سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ ١٠ يونس

- وقيل المذكور جواب للشرط الثاني كأنه قيل فإلينا مرجعهم فنريك في الآخرة وجواب الأول محذوف لظهوره أى فذاك (ثم الله شهيد على ما يفعلون) من الأفعال السيئة التي حكيت عنهم والمراد بالشهادة إما مقتضاها ونتيجتها وهي معاقبته تعالى لإيائهم وإما إقامتها وأداؤها بإنطاق الجوارح وإظهار اسم الجلالة لا دخال الروعة وتربية المهابة وتأكيده التهديد وقرىءة أى هناك (ولكل أمة) من الأمم الحالية (رسول) ٤٧ يبعث إليهم بشريعة خاصة مناسبة لأحوالهم ليدعوهم إلى الحق (فإذا جاء رسولهم) فبلغهم ما أرسل به ● فكذبوه وخالفوه (قضى بينهم) أى بين كل أمة ورسولها (بالقسط) بالعدل وحكم بنجاة الرسول والمؤمنين به وهلاك المكذبين كقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا (وهم لا يظلمون) فى ذلك ● القضاء المستوجب لتعذيبهم لأنه من نتائج أعمالهم أو لكل أمة من الأمم يوم القيامة رسول تنسب إليه وتدعى به فإذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والإيمان كقوله عز وجل وجيء بالنبیین والشهداء وقضى بينهم (ويقولون متى هذا الوعد) استعجالا لما وعدوا من العذاب على طريقة الاستهزاء به والإنكار ٤٨ ● حسبما يرشد إليه الجواب لا طلباً لتعيين وقت مجيئه على وجه الإلزام كفى سورة الملك (إن كنتم صادقين) أى فى أنه يأتينا والخطاب للرسول ﷺ والمؤمنين الذين يتلون عليهم الآيات المتضمنة للوعد المذكور وجواب الشرط محذوف اعتماداً على ما تقدم حسبما حذف فى مثل قوله تعالى فأتينا بما تعدنا إن كنت من الصادقين فإن الاستعجال فى قوة الأمر بالإتيان فجعل قيل فليأتنا فجعلنا إن كنتم صادقين ولما فيه من الإشعار بكون إتيانه بواسطة النبي ﷺ قيل (قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً) أى لا أقدر على شيء ٤٩ ● منهما بوجه من الوجوه وتقديم الضر لما أن مساق النظم لإظهار العجز عنه وأما ذكر النفع فلتوسيع الدائرة تكلة للعجز وما وقع فى سورة الأعراف من تقديم النفع للإشعار بأهميته والمقام مقامه والمعنى إني لا أملك شيئاً من شئوني رد أو إيراداً مع أن ذلك أقرب حصولاً فكيف أملك شئونكم حتى أنسب فى إتيان عذابكم الموعود (إلا ما شاء الله) استثناء منقطع أى ولكن ما شاء الله كأننا وحمله على الاتصال ● على معنى إلا ما شاء الله أن أملكه بأباه مقام التبرؤ من أن يكون له عليه السلام دخل فى إتيان الوعد فإن ذلك يستدعى بيان كون المتنازع فيه مما لا يشاء الله أن يملكه عليه السلام وجعل ماعبارة عن بعض الأحوال المعهودة المنوطة بالأفعال الاختيارية المفوضة إلى العباد على أن يكون المعنى لا أملك لنفسي شيئاً من الضر والنفع إلا ما شاء الله أن أملكه منهما من الضر والنفع المترتبين على أفعالي الاختيارية كالضر

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٌ أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٠﴾ ١٠ يونس

- والنفع المترتبين على الأكل والشرب عدماً ووجوداً تعسف ظاهر وقوله تعالى (لكل أمة أجل) بيان لما أبهم في الاستثناء وتقييد لما في القضاء السابق من الإطلاق المشعر بكون المقضى به أمراً منجزاً غير متوقف على شيء غير مجيء الرسول وتكذيب الأمة أى لكل أمة أمة ممن قضى بينهم وبين رسولهم أجل معين خاص بهم لا يتعدى إلى أمة أخرى مضروب لعذابهم يحل بهم عند حلوله (إذا جاء أجلهم) إن جعل الأجل عبارة عن حد معين من الزمان فعنى بجيشه ظاهر وإن أريد به ما امتد إليه من الزمان فجيشه عبارة عن انقضائه إذ هناك يتحقق بجيشه بنهايه والضمير إن جعل للأمة المدلول عليها بكل أمة فالظاهر الأجل مضافاً إليه لإفادة المعنى المقصود الذى هو بلوغ كل أمة أجلها الخاص بها وبجيشه إياها بعينها من بين الأمم بواسطة اكتساب الأجل بالإضافة عموماً بفيدته معنى الجمعية كأنه قيل إذا جاءهم أجلهم بأن يجىء كل واحد من تلك الأمم أجلها الخاص بها وإن جعل لكل أمة خاصة كما هو الظاهر فالإظهار في موقع الإضمار لزيادة التقرير والإضافة إلى الضمير لإفادة كمال التعيين أى إذا جاءها أجلها الخاص بها (فلا يستأخرون) عن ذلك الأجل (ساعة) أى شيئاً قليلاً من الزمان فإنها مثل في غاية القلة منه أى لا يتأخرون عنه أصلاً وصيغة الاستفعال للإشعار ببعجزهم عن ذلك مع طلبهم له (ولا يستقدمون) أى لا يتقدمون عليه وهو عطف على يستأخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع إمكانه في نفسه كالتأخر بل للبالغة في انتفاء التأخر بنظمه في سلك المستحيل عقلاً كما في قوله سبحانه وتعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يؤتون وهم كفار فإن من مات كافراً مع ظهور أن لا توبة له رأساً قد نظم في عدم قبول التوبة في سلك من سوفها إلى حضور الموت إيداناً بتساوى وجود التوبة حينئذ وعدمها بالمرّة كما في سورة الأعراف وقد جوز أن يراد بمجىء الأجل دنوه بحيث يمكن التقدم في الجملة كمجىء اليوم الذى ضرب له لا كمهم ساعة معينة منه لكن ليس في تقييد عدم الاستخار بدنوه مزيد فائدة وتقديم بيان انتفاء الاستخار على بيان انتفاء الاستقدام لأن المقصود الأهم بيان عدم خلاصهم من العذاب ولو ساعة وذلك بالتأخراً وأما ما في قوله تعالى ما سبق من أمة أجلها وما يستأخرون من سبق السبق في الذكر فلما أن المراد هناك بيان سر تأخير عذابهم مع استحقاقهم له حسبما ينبىء عنه قوله عز وجل ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون قالوا لهم إذا كان انتفاء السبق كما ذكر هناك (قل) لهم غيب ما بينت كيفية جريان سنة الله عز وجل فيما بين الأمم على الإطلاق ونهتهم على أن عذابهم أمر مقرر محتوم لا يتوقف إلا على مجىء أجله المعلوم إيداناً بكامل دنوه وتزويلاً منزلة إتيانه حقيقة (أرأيتم) أى أخبروني (إن أناكم عذابه) الذى تستعجلون به (بيئاتاً) أى وقت بيات واشتغال بالنوم
- (أو نهراً) أى عند اشتغالكم بمشاغلكم حسبما عين لكم من الأجل بمقتضى المشيئة التابعة للحكمة كما عين
- لسائر الأمم المهلكة وقوله عز وجل (ماذا يستعجل منه المجرمون) جواب للشرط بحذف الفاء كما في قولك إن أتيتك ماذا قطعنى والمجرمون موضوع موضع المضمر لنا كيد الإنكار ببيان مباينة حالهم

١٠ يونس

أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ ؕ آَلَعَنَّ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾

ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ١٠ يونس

- للاستعجال فإن حق الجرم أن يهلك فزعا من إتيان العذاب فضلا عن استعجاله والجملة الشرطية متعلقة بأرايتكم والمعنى أخبروني إن أناكم عذابه تعالى أى شيء تستعجلون منه سبحانه والشئ لا يمكن استعجاله بعد إتيانه والمراد به المبالغة فى إنكار استعجاله يا خراجهم من حيز الإمكان وتزيله فى الاستحالة منزلة استعجاله بعد إتيانه بناء على تنزيل تقرر إتيانه ودنوه منزلة إتيانه حقيقة كما أشير إليه وهذا الإنكار بمنزلة النهى وقوله عز وعلا أنى أمر الله فلا تستعجلوه خلا أن التنزيل هناك صريح وهنا ضمى كما فى قول من قال لغريمه الذى يتقاضاه حقه أرايت إن أعطيتك حقلك فإذا تطلب منى يريد المبالغة فى إنكار التقاضى بنظمه فى سلك التقاضى بعد الإعطاء بناء على تنزيل تقرر منزلة نفسه وقوله عز وجل (أنتم إذا ما وقع آمنتم به) إنكار ٥١ لإيمانهم بنزول العذاب بعد وقوعه حقيقة داخل مع ما قبله من إنكار استعجالهم به بعد إتيانه حكما تحت القول بالمأمور به أى أبعاد ما وقع العذاب وحل بكم حقيقة آمنتم به حين لا ينفعكم الإيمان إنكاراً لتأخيرهم إلى هذا الحد وإذناناً باستتباعه للندم والحسرة ليقلا واعمهم عليه من العناد ويتوجهوا نحو التدارك قبل فوت الوقت فتقديم الظرف للقصر وقيل ماذا يستعجل منه متعلق بأرايتكم وجواب الشرط محذوف أى تندموا على الاستعجال أو تعرفوا أخطأه والشرطية اعتراض مقرر لمضمون الاستخبار وقيل الجواب قوله تعالى أنتم إذا ما وقع الخ والاستفهامية الأولى اعتراض والمعنى أخبروني إن أناكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان ثم جىء بكلمة التراخى دلالة على الاستبعاد ثم زيد أداة الشرط دلالة على استقلاله بالاستبعاد وعلى أن الأول كالتمهيد له وجىء بإذا مؤكداً بما ترشيداً للمعنى الوقوع وزيادة للتجهيل وأنهم لم يؤمنوا إلا بعد أن لم ينفعهم الإيمان البتة وقوله تعالى (آلآن) استئناف من جهة تعالى غير داخل تحت القول الملقن مسوق لتقرير مضمون ما سبق على إرادة القول أى قيل لهم عند إيمانهم بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به إنكاراً للتأخير وتوبيخاً عليه ببيان أنه لم يكن ذلك لعدم سبق الإنذار به ولا للتأمل والتدبر فى شأنه ولا لشيء آخر مما عسى يعد عذراً فى التأخير بل كان ذلك على طريق التكذيب والاستعجال به على وجه الاستمراء وقرئ آلآن بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وقوله تعالى (وقد كنتم به تستعجلون) أى تكذيباً واستمراء جملة وقعت حالا من فاعل آمنتم المقدر لتشديد التوبيخ والتفريع وزيادة التنديم والتحسير وتقديم الجار والمجرور على الفعل لمراعاة الفواصل دون القصر وقوله تعالى (ثم قيل) الخ تأكيده للتوبيخ والعتاب ٥٢ بوعيد العذاب والعقاب وهو عطف على ما قدر قبل آلآن (الذين ظلموا) أى وضعوا الكفر والتكذيب موضع الإيمان والتصديق أو ظلموا أنفسهم بتعرضها للعذاب والهلاك ووضع الموصول موضع الضمير لذهمهم بما فى حيز الصلة والإشعار بعليته لإصابة ما أصابهم (ذوقوا عذاب الخلد) المؤلم على الدوام (هل تجزون) اليوم (إلا بما كنتم تكسبون) فى الدنيا من أصناف الكفر والمعاصى التى من جهلها ما من

وَيَسْتَنْبِغُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾
 وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ
 وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾

١٠ يونس

- ٥٣ الاستعجال (ويستنبغونك) أى يستخبرونك فيقولون على طريقة الاستهزاء أو الإنكار (أحق هو) أحق خبر قدم على المبتدأ الذى هو الضمير للاهتمام به ويؤيده قوله تعالى إنه لحق أو مبتدأ والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر والجملة فى موقع النصب يستنبغونك وقرئ أالحق هو تعريضاً بأنه باطل كأنه قيل أهو الحق لا الباطل أو أهو الذى سميتموه الحق (قل) لهم غير ملتفت إلى استهزائهم مغضياً عما قصدوا
- وبانياً للأمر على أساس الحكمة (إي وربّي) إي من حروف الإيجاب بمعنى نعم فى القسم خاصة كما أن
- هل بمعنى قد فى الاستفهام خاصة ولذلك يوصل بواوه (إنه) أى العذاب الموعود (لحق) لثابت البتة أكد الجواب بأنهم وجوه التأكيد حسب شدة إنكارهم وقوته وقد زيد تقريراً بقوله عز اسمه
- (وما أنتم بمُعْجِزِينَ) أى بفائتين العذاب بالهرب وهو لاحق بكم لا محالة وهو إما معطوف على جواب القسم أو مستأنف سيق لبيان عجزهم عن الخلاص مع ما فيه من التقرير المذكور (ولو أن لكل نفس ظلمت)
- بالشرك أو التعدى على الغير أو غير ذلك من أصناف الظلم ولو مرة حسبما يفيد كونه الصفة فعلاً (ما فى الأرض) أى ما فى الدنيا من خزائنها وأموالها ومنافعها قاطبة بما كثرت (لافتدت به) أى لجعلته فدية لها من العذاب من افتداه بمعنى فداه (وأسروا) أى النفوس المدلول عليها بكل نفس والعدول إلى صيغة الجمع مع تحقق العموم فى صورة الأفراد أيضاً لإفادة تهويل الخطاب بكون الأسرار بطريق المعية والاجتماع وإتمام براع ذلك فيما سبق لتحقيق ما يتوخى من فرض كون جميع ما فى الأرض اكل واحدة من النفوس وإيثار صيغة الجمع المذكور لجل لفظ النفس على الشخص أو لتغليب ذكر مدلوله على إنائه
- (الندامة) على ما فعلوا من الظلم أى أخفوها ولم يظهروها لكن لا للاصطبار والتجلد هيئات ولات حين اصطبار بل لأنهم بهتوا (لما رآوا العذاب) أى عند معاينتهم من فظاعة الحال وشدة الأهوال ما لم يكونوا
- يحسنون فلم بقدروا على أن ينطقوا بشيء فلما معنى حين منصوب بأسروا أو حرف شرط حذف جوابه لدلالة ما تقدم عليه وقيل أسرها رؤسائهم ممن أضلّهم حياء منهم وخوفاً من توبيخهم ولكن الأمر أشد من أن يعترفهم هناك شيء غير خوف العذاب وقيل أسروا الندامة أخلصوها لأن أسرارها إخلاصها أو لأن سر الشيء خالصته حيث تخفى ويضن بها فقيه تهكم بهم وقيل أظهروا الندامة من قولهم أسرا الشيء وأشره إذا أظهره حين عيل صرعه وفى تجلده (وقضى بينهم) أى أوقع القضاء بين الظالمين من المشرّكين وغيرهم من أصناف أهل الظلم بأن أظهر الحق سواء كان من حقوق الله سبحانه أو من حقوق العباد من الباطل وعومل أهل كل منها بما يليق به (بالقسط) بالعدل وتخصيص الظلم بالتعدى وحمل القضاء على مجرد الحكومة بين الظالمين والمظلومين من غير أن يتعرض لحال المشرّكين وهم أظلم الظالمين لا يساعده المقام فإن مقتضاه

أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْإِنَّ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ ١٠ يونس

هُوَ يَحْيَىٰ وَيُمِّيْتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ ١٠ يونس

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمُلُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ

لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ١٠ يونس

- إما كون الظلم عبارة عن الشرك أو عما يدخل فيه دخولا أولياً (وهم) أى الظالمون (لا يظلمون) فيما فعل بهم من العذاب بل هو من مقتضيات ظلمهم ولو أزمه الضرورة (ألا إن لله ما فى السموات والأرض) ٥٥
- أى ما وجد فيها داخلاً فى حقيقةها أو خارجاً عنها متمكناً فيها وكلمة ما لتغليب غير العقلاء على العقلاء فهو تقرير لكل قدرته سبحانه على جميع الأشياء وبيان لاندراج الكل تحت ملكوته يتصرف فيه كيفما يشاء إبداعاً وإعداماً وإثابة وعقاباً (ألا إن وعد الله) إظهار الاسم الجليل لتفخيم شأن الوعد والإشعار بعلّة الحكم وهو إما بمعنى الموعود أى جميع ما وعد به كائناً ما كان فيندرج فيه العذاب الذى استعجلوه وما ذكر فى أثناء بيان حاله اندراجاً أولياً أو بمعناه المصدري أى وعده بجميع ما ذكر فعنى قوله تعالى (أحق) على الأول ثابت واقع لا محالة وعلى الثانى مطابق للواقع وتصدير الجملتين بحرفى التنبيه والتحقيق للتسجيل على تحقق مضمونها المقرر لمضمون ما سلف من الآيات الكريمة والتنبيه على وجوب استحضاره والمحافظة عليه (ولكن أكثرهم) لقصور عقولهم واستيلاء الغفلة عليهم والفهم بالأحوال المحسوسة
- المعتادة (لا يعلمون) ذلك فيقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون (هو يحيى ويميت) فى الدنيا من غير ٥٦
- دخل لأحد فى ذلك (وإليه ترجعون) فى الآخرة بالبعث والحشر (يا أيها الناس) التفات ورجوع إلى ٥٧ استمالهم نحو الحق واستنزاهم إلى قبوله واتباعه غيب تحذيرهم من غوائل الضلال بما تلى عليهم من القوارع الناعية عليهم سوء عاقبتهم وإيذان بأن جميع ذلك مسوق لمصلحتهم ومنافعهم (قد جاءكم موعظة) هى الوعظ والعظة التذكير بالعواقب سواء كان بالزجر والترهيب أو بالاستمالة والرهيب وكلمة من فى قوله تعالى (من ربكم) ابتدائية متعلقة بجاءكم أو تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة لموعظة
- أى موعظة كائنة من مواظ ربكم وفى التعرض لعنوان الربوبية من حسن الموقع ما لا يخفى (وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) أى كتاب جامع لهذه الفوائد والمنافع فإنه كشف عن أحوال الأعمال حسناتها وسيئاتها مرغب فى الأولى ورادع عن الأخرى ومبين للعارف الحقيقة التى هى شفاء لما فى الصدور من الأدواء القلبية كالجهل والشك والشك والنفاق وغيرها من العقائد الزائفة وهادى إلى طريق الحق واليقين بالإرشاد إلى الاستدلال بالدلائل المنصوبة فى الآفاق والآنفس وفى بجيشه رحمة للمؤمنين حيث نجوا به من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الإيمان وتخلصوا من دركات النيران وارتقوا إلى درجات الجنان والتسكير فى الكل للتفخيم.

قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَلًا قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾

١٠ يونس

١٠ يونس

- ٥٨ (قل) تلوين للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله ﷺ ليأمر الناس بأن يغتنموا ما في بحى القرآن العظيم من الفضل والرحمة (بفضل الله وبرحمته) المراد بهما إما ما في بحى القرآن من الفضل والرحمة وإما الجنس وهما داخلان فيه دخولا أولياً والباء متعلقة بمحذوف وأصل الكلام ليفرحوا بفضل الله وبرحمته وتكرير الباء في رحمته للإيذان باستقلالها في استيجاب الفرح ثم قدم الجار والمجرور على الفعل لإفادة القصر ثم أدخل عليه الفاء لإفادة معنى السببية فصار بفضل الله وبرحمته فليفرحوا ثم قيل (فبذلك فليفرحوا) للتأكيد والتقرير ثم حذف الفعل الأول لدلالة الثانى عليه والفاء الأولى جزائية والثانية للدلالة على السببية والأصل إن فرحوا بشئ فبذلك ليفرحوا لا بشئ آخر ثم أدخل الفاء للدلالة على السببية ثم حذف الشرط ومعنى البعد في اسم الإشارة للدلالة على بعد درجة فضل الله تعالى ورحمته ويجوز أن يراد بفضل الله وبرحمته فليغتنموا فبذلك فليفرحوا ويجوز أن يتعلق الباء بجاء تكم أى جاء تكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك أى فبمجيئها فليفرحوا وقرىء فلتفرحوا وقرأ أبى فافرحوا وعن ابن كعب أن رسول الله ﷺ تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والإسلام وقيل فضله الإسلام ورحمته ما وعد عليه (هو) أى ما ذكر من فضل الله ورحمته (خير مما يجمعون) من حطام الدنيا وقرىء تجمعون
- ٥٩ أى فبذلك فليفرح المؤمنون هو خير مما تجمعون أيها المخاطبون (قل أرايتم) أى أخبروني (ما أنزل الله لكم من رزق) مأمضوية المحل بما بعدها أو بما قبلها واللام للدلالة على أن المراد بالرزق ما حل لهم وجعله منزلاً لأنه مقدر في السماء محصل هو أو ما يتوقف عليه وجوداً أو بقاء بأسباب سماوية من المطر والكواكب في الإنضاج والتلوين (لجائتم منه) أى جماعتم منه (حراماً) أى - كما كنتم - بأنه حرام (وحلالاً) أى وجعلتم بعضه حلالاً أى حكمتم بحله مع كون كله حلالاً وذلك قولهم هذه أنعام وحرث حجر الآية وقولهم ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ونحو ذلك وتقديم الحرام لظهور أثر الجعل فيه ودوران التوبيخ عليه (قل) تكرير لنا كيد الأمر بالاستخبار أى أخبروني (الله أذن لكم) فى ذلك الجعل فأنتم فيه تمتثلون بأمره تعالى (أم على الله تفترون) أم متصلة والاستفهام للتقرير والتبكيك لتحقيق العلم بالشق الأخير قطعاً كأنه قيل أم لم يأذن لكم بل تفترون عليه سبحانه فأظهر الاسم الجليل وقدم على الفعل دلالة على كمال قبح افتراءهم وتأكيدهم للتبكيك لإثر تأكيد مع مراعاة الفواصل ويجوز أن يكون الاستفهام للإنكار وأم منقطعة ومعنى بل فيها الإضراب والانتقال من التوبيخ والزجر بإنكار الإذن إلى ما تنفيده همزتها من التوبيخ على الافتراء عليه سبحانه وتقريره وتقديم الجار والمجرور على هذا يجوز أن يكون للقصر كأنه قيل بل أعلى الله تعالى خاصة تفترون

وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ

١٠ يونس

لَا يَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾

وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ
وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ

١٠ يونس

إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾

- (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب) كلام مسوق من قبله تعالى لبيان هول ما سيلقونه غير داخل ٦٠ تحت القول المأثور به والتعبير عنهم بالموصول في موقع الإضمار لقطع احتمال الشق الأول من الترديد والتسجيل عليهم بالاقتداء وزيادة الكذب مع أن الافتراء لا يكون إلا كذباً لإظهار كمال قبح ما افعلوا وكونه كذباً في اعتقادهم أيضاً وكلمة ما استفهامية وقعت مبتدأ وظن خبرها ومفعولاه محذوفان وقوله عز وجل (يوم القيامة) ظرف لنفس الظن أى أى شيء ظنهم في ذلك اليوم يوم عرض الأفعال والآقوال ● والمجازاة عليها مثقالاً بمثقال والمراد تهويله وتفضيحه بهول ما يتعلق به مما يصنع بهم يومئذ وقيل هو ظرف لما يتعلق به ظنهم اليوم من الأمور التي ستقع يوم القيامة تنزيلاً له ولما فيه من الأحوال لكمال وضوح أمره في النقرر والتحقق منزلة المسلم عندهم أى أى شيء ظنهم لما سيقع يوم القيامة أيجسسون أنهم لا يسألون عن افتراءهم أولاً يجازون عليه أو يجازون جزاء يسيراً ولا أجل ذلك يفعلون ما يفعلون كلا إنهم لفي أشد العذاب لأن معصيتهم أشد المعاصي ومن أظلم ممن اقترى على الله كذباً وقرىء على لفظ الماضي أى أى ظن ظنوا يوم القيامة وإيراد صيغة الماضي لأنه كأن فكأنه قد كان (إن الله لذو فضل) أى عظيم لا يكنته ● كنهه (على الناس) أى جميعاً حيث أنعم عليهم بالعقل المميز بين الحق والباطل والحسن والقيبح ورحمهم بإزالة الكتب وإرسال الرسل وبين لهم الأسرار التي لا تستقل العقول في إدراكها وأرشدهم إلى ما يهتدون من أمر المعاش والمعاد (ولكن أكثرهم لا يشكرون) تلك النعمة الجليلة فلا يصرفون قوامهم ومشاعرهم إلى ما خلقت له ولا يتبعون دليل العقل فيما يستبد به ولا دليل الشرع فيما لا يدرك إلا به وقد تفضل عليهم ببيان ما سيلقونه يوم القيامة فلا يلتفتون إليه فيقعون فيما يقعون فهو تذييل لما سبق مقرر لمضمونه (وما تكون في شأن) أى في أمر من شأن شأنه أى قصدت قصده مصدر بمعنى المفعول (وما تنلو منه) الضمير للشأن والظرف صفة لمصدر محذوف أى تلاوة كاتمة من الشأن إذ هي معظم شئونه عليه السلام أول التنزيل والإضمار قبل الذكر لتفخيم شأنه ومن ابتدائية أو تبعيضية أو لله عز وجل ومن ابتدائية والى في قوله تعالى (من قرآن) مزيدة لتأكيد النفي أو ابتدائية على الوجه الأول وبيانية أو تبعيضية ● على الثاني والثالث (ولا تعملون من عمل) تعميم للخطاب إثر تخصيصه بمقتدى الكل وقدر وعى في كل من ● المقامين ما يليق به حيث ذكر أولاً من الأعمال ما فيه غفامة وجلالة وثانياً ما يتناول الجليل والحقيق (إلا

أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٢﴾

- كنا عليكم شهوداً) استثناء مفرغ من أعم أحوال المخاطبين بالأفعال الثلاثة أى ما تلبسون بشيء منها
- في حال من الأحوال إلا حال كوننا رقباء مطلعين عليه حافظين له (إذ تفيضون فيه) أى تخوضون وتندفعون فيه وأصل الإفاضة الاندفاع بكثرة أو بقوة وحيث أريد بالأفعال السابقة الحالة المستمرة الدائمة المقارنة للزمان الماضى أيضاً أوثر في الاستثناء صيغة الماضى وفي الظرف كلمة إذ التى تفيد المضارع معنى الماضى
- (وما يعزب عن ربك) أى لا يبعد ولا يغيب على علمه الشامل وفي التعرض لعنوان الربوبية من الإشعار باللطيف ما لا يخفى وقرئ بكسر الزاى (من مثقال ذرة) كلمة من مزبدة لتأكيد النفي أى ما يعزب عنه
- ما يساوى فى الثقل نملة صغيرة أو هباء (فى الأرض ولا فى السماء) أى فى دائرة الوجود والإمكان فإن العامة لا تعرف سواهما ممكناً ليس فى أحدهما أو متعلقاً بهما وتقديم الأرض لأن الكلام فى حال أهلها
- والمقصود إقامة البرهان على إحاطة علمه تعالى بتفاصيلها وقوله تعالى (ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين) كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية للجنس وأصغر اسمها وفى كتاب خبرها وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لا متنازع الصرف أو على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعاً كأنه قيل لا يعزب عن ربك شيء ما لكن جميع الأشياء فى كتاب مبين فكيف يعزب عنه شيء منها وقيل يجوز أن يكون الاستثناء متصلاً ويعزب بمعنى يبين ويصدر والمعنى لا يصدر عنه تعالى شيء إلا وهو فى كتاب مبين والمراد بالكتاب المبين اللوح المحفوظ
- ٦٢ (ألا إن أولياء الله) بيان على وجه التبشير والوعد لما هو نتيجة لأعمال المؤمنين وغاية لما ذكر قبله من كونه تعالى مهيمناً على نبيه ﷺ وأمه فى كل ما يأتون وما يذرون وإحاطة علمه سبحانه بجميع ما فى السماء والأرض وكون الكل مثبتاً فى الكتاب المبين بعد ما أشير إلى فظاعة حال المقتربين على الله تعالى يوم القيامة وما سيعتريهم من الهول إشارة لإجمالية على طريق التهديد والوعيد وصدرت الجملة بمر فى التنبيه والتحقيق لزيادة تقرير مضمونها والولى لغة القريب والمراد بأولياء الله خلص المؤمنين لقربهم الروحاني منه سبحانه وتعالى كما سيفصح عنه تفسيرهم (لا خوف عليهم) فى الدارين من لحوق مكروه (ولا هم يحزنون) من فوات مطلوب
- أى لا يعترهم ما يوجب ذلك لا أنه يعترهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا أنه لا يعترهم خوف وحزن أصلاً بل يستمرون على النشاط والسرور كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظافاً لجلال الله سبحانه وهيبته واستقصاراً للجد والسعى فى إقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص والمقربين والمراد ببيان دوام انتقامهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر فى الجملة الثانية مضارعاً لما مر
- مراراً من أن النفي إن دخل على نفس المضارع يفيد الاستمرار والدوام بحسب المقام وإنما يعترهم ذلك لأن مقصدهم ليس إلا طاعة الله تعالى ونيل رضوانه المستتبع للكرامة والزلفى وذلك بما لا ريب فى حصوله ولا احتمال لفواته بموجب الوعد بالنسبة إليه تعالى وأما ما عدا ذلك من الأمور الدنيوية المترددة بين الحصول والفوات فهى بمعزل من الانتظام فى سلك مقصدهم وجوداً وعدماً حتى يخافوا من حصول

الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾

١٠ يونس

ضارها أو يحزنوا بفوات نافعها وقوله عز وجل (الذين آمنوا) أى بكل ما جاء من عند الله تعالى (وكانوا ٦٣ يتقون) أى يقولون أنفسهم عما يحق وقايتها عنه من الأفعال والتروك وقاية دائمة حسبما يفيد الجمع بين صيغتي الماضى والمستقبل بيان وتفسير لهم وإشارة إلى ما به نالوا مانالوا على طريقة الاستئناف المبني على السؤال ومحل الموصول الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف كأنه قيل من أولئك وما سبب فوزهم بتلك الكرامة فقيل هم الذين جمعوا بين الإيمان والتقوى المفضيين إلى كل خير المنحيين عن كل شر وقيل محله النصب أو الرفع على المدح أو على أنه وصف ممدوح للأولياء ولا يقدح في ذلك توسط الخبر والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منها الجامعة لما تحتهما من مرتبة التوقى عن الشرك التى يفيدها الإيمان أيضاً ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك أعنى تنزه الإنسان عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبذل إليه بالكلية وهى التقوى الحقيقى المأمور به فى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وبه يحصل الشهود والحضور والقرب الذى عليه يدور إطلاق الاسم عليه وهكذا كان حال كل من دخل معه ﷺ تحت الخطاب بقوله عز وجل ولا تعملون من عمل خلا أن لهم فى شأن التبذل والتزهد درجات متفاوتة حسب تفاوت درجات استعداداتهم الفاضلة عليهم بموجب المشيئة المبنية على الحكم الآتية أفصاها ما انتهى إليه همم الأنبياء عليهم السلام حتى جمعوا بذلك بين رياستي النبوة والولاية ولم يعقمم التعلق بعالم الاشباح عن الاستغراق فى عالم الأرواح ولم تصدمهم الملازمة بمصالح الخلق عن التبذل إلى جناب الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية فلاك أمر الولاية هو التقوى المذكور فأولياء الله هم المؤمنون المتقون ويقرب منه ما قيل من أنهم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان وتولوا القيام بحق عبودية الله تعالى والدعوة إليه ولا يخالفه ما قيل من أنهم الذين يذكر الله برؤيتهم لما روى عن سعيد بن جبير أن رسول الله ﷺ سئل من أولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم أى بسمتهم وإخبارتهم وسكيتهم ولا ما قيل من أنهم المتحابون فى الله لما روى عن عمر رضى الله عنه أنه قال سمعت النبي ﷺ يقول إن من عباد الله عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما أعمالهم فلعلنا نجهم قال هم قوم تحابوا فى الله على غير أرحام منهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس فإن ما ذكر من حسن السمات والسكينة المذكورة لله تعالى والتحاب فى الله سبحانه من الأحكام الدنيوية اللازمة للإيمان والتقوى والآثار الخاصة بهما الحقيقة بالتخصيص بالذكر لظهورها وقربها من أفهام الناس قد أورد رسول الله ﷺ كلاماً من ذلك حسبما يقتضيه مقام الإرشاد والتذكير ترغيباً للساكنين أو غيرهم من الحاضرين فيما خصه بالذكر هناك من أحكامها فلعل الحاضرين أو كانوا محتاجين إلى إصلاح الحال من جهة الأقوال والأفعال والملابس ونحو ذلك والحاضرين ثانياً مفتقرين إلى تأليف قلوبهم وعطفهم نحو المؤمنين الذين لا علاقة بينهم وبينهم من جهة النسب والقرابة وتأكيد ما بينهم من الأخوة

لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠﴾ يونس

الدينية ببيان عظم شأنها ورفع مكانتها وحسن عاقبتها ليراعوا حقوقها ويهجروا من لا يوافقهم في الدين من أرحامهم وأما ما ذكر من أنه يغبطهم الأنبياء فتصوير لحسن حالهم على طريقة التمثيل قال الكواشي وهذا مبالغة والمعنى لو فرض قوم بهذه الصفة لكانوا هؤلاء وقيل أولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وجعل قوله عز وجل الذين آمنوا وكانوا يتقون تفسير لتولهم إياه تعالى وقوله عز وجل (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) تفسير لتوليه تعالى إياهم ولا ريب في أن اعتبار القيد الأخير في مفهوم الولاية غير مناسب لمقام ترغيب المؤمنين في تحصيلها والثبات عليها وبشارتهم بآثارها وتأنجها بل مغل بذلك إذ التحصيل إنما يتعلق بالمقدور والاستبشار لا يحصل إلا بما علم وجود سببه والقيد المذكور ليس بمقدور لهم حتى يحصلوا الولاية بتحصيله ولا بمعلوم لهم عند حصوله حتى يعرفوا حصول الولاية لهم ويستبشروا بمحاسن آثارها بل التولى بالكرامة عين نتيجة الولاية فاعتباره في عنوان الموضوع ثم الإخبار بعدم الخوف والحزن مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل فالذى يقتضيه نظمه الكريم أن الأول تفسير للأولياء حسبما شرح والثاني بيان لما أولاهم من خيرات الدارين بعد بيان إنجازهم من شرورهما ومكارههما والجملة مستأنفة كما سبق كأنه قيل هل لهم وراء ذلك من نعمة وكرامة فقيل لهم ما يسرهم في الدارين وتقديم الأول لما أن التولية سابقة على التحلية مع ما فيه من مراعاة حق المقابلة بين حسن حال المؤمنين وسوء حال المفترين وتعجيل إدخال المسرة بتبشير الخلاص عن الأهوال وتوسيط البيان السابق بين بشارة الخلاص عن المحذور وبشارة الفوز بالمطلوب لإظهار كمال العناية بتفسير الأولياء مع الإيذان بأن انتفاء الخوف والحزن لا تقاومهم عما يؤدى إليهما من الأسباب والبشرى مصدر أريد به المبشربه من الخيرات العاجلة كالنصر والفتح والغنيمة وغير ذلك والأجلة الغنية عن البيان وإيثار الإبهام والإجمال للإيذان بكونه وراء البيان والتفصيل والظرفان في موقع الحال منه والعامل مافى الخبر من معنى الاستقرار أى لهم البشرى حال كونها في الحياة الدنيا وحال كونها في الآخرة أى عاجلة وآجلة أو من الضمير المحرور أى حال كونهم في الحياة الخ ومن البشرى العاجلة الثناء الحسن والذكر الجميل ومحبة الناس . عن أبي ذر رضى الله عنه قلت يا رسول الله الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال ﷺ تلك عاجل بشرى المؤمن هذا وقيل البشرى مصدر والظرفان متعلقان به . أما البشرى في الدنيا فهي البشارات الواقعة للؤمنين المتقين في غير موضع من الكتاب المبين وعن النبي ﷺ هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له وعنه ﷺ ذهب النبوة وبقيت المبشرات وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تأتيم الملائكة بالرحمة قال الله تعالى تنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة . وأما البشرى في الآخرة فتلقي الملائكة إياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم وإعطاء الصحائف بأيمانهم وما يقرءون منها وغير ذلك من البشارات فتكون هذه بشارة بما سيقع من البشارات العاجلة والأجلة المطلوبة لغاياتها لا لذواتها ولا ينبغي أن صرف البشارة الناجزة

١٠ يونس

وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾

أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ

١٠ يونس

إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾

- عن المقاصد بالذات إلى وسائلها مما لا يساعده جلاله شأن التنزيل الكريم (لا تبدل لكلمات الله) لا تغيير لأقواله التي من جملتها مواعيده الواردة بشارة للمؤمنين المتقين فيدخل فيها البشارات الواردة ههنا دخولا أولياً ويثبت امتناع الإخلاف فيها ثبوتاً قطعياً وعلى تقدير كون المراد بالبشرى الرؤيا الصالحة فالمراد بعدم تبديل كلماته تعالى ليس عدم الخلف بينها وبين نتائجها الدنيوية والأخروية بل عدم الخلف بينها وبين ما دل على ثبوتها ووقوعها فيما سيأتي بطريق الوعد من قوله تعالى لهم البشرى فتدبر (ذلك)
- إشارة إلى ما ذكر من أن لهم البشرى في الدارين (هو الفوز العظيم) الذي لا فوز وراءه وفيه تفسير لما أبهم فيما سبق وهاتيك الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شأنه وليس من شرطه أن يكون بعده كلام متصل بما قبله أو هذه تذييل والسابقة اعتراض (ولا يحزنك قولهم) تسليية للرسول ﷺ ٦٥ عما كان يلقاه من جهتهم من الأذى الناشئة عن مقالاتهم الموحشة وتبشير له ﷺ بأنه عز وجل ينصره ويعزه عليهم إثر بيان أن له ولا تبعاعه أمناً من كل محذور وفوزاً بكل مطلوب وقرىء ولا يحزنك من أحزنه وهو في الحقيقة نهى له ﷺ عن الحزن كأنه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بتكذيبهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وإبطال أمرك وسائر ما يتفوهون به في شأنك بما لا خير فيه وإنما وجه النهى إلى قولهم للبالغة في نهيه ﷺ عن الحزن لما أن النهى عن التأثير نهى عن التأثر بأصله ونفى له بالمرة وقد بوجه النهى إلى اللازم والمراد هو النهى عن الملزوم كما في قولك لا أرينك ههنا وتخصيص النهى عن الحزن بالإيراد مع شمول النهى السابق للحزن أيضاً لما أنه لم يكن فيه ﷺ شائبة خوف حتى ينهى عنه وربما كان يعتربه ﷺ في بعض الأوقات نوع حزن فسلى عن ذلك وقوله تعالى (إن العزة) تعليل للنهى على طريقة الاستئناف أى الغلبة والفهر (لله جميعاً) أى فى ملكته وسلطانه لا يملك أحد شيئاً منها أصلاً ولا غيرهم فهو يقهرهم ويعصمك منهم وينصرك عليهم وقد كان كذلك فهمى من جملة المبشرات العاجلة وقرىء بفتح أن على صريح التعليل أى لأن العزة لله (هو السميع العليم) يسمع ما يقولون فى حقك ويعلم ما يعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك (ألا إن لله من فى السموات ومن فى الأرض) أى العقلاء من الملائكة ٦٦ والقلوب وتخصيصهم بالذكر للإيدان بعدم الحاجة إلى التنصريح بغيرهم فإنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم إذا كانوا عبيداً له سبحانه مقهورين تحت قهره وملكته فما عداهم من الموجودات أولى بذلك وهو مع ما فيه من التأكيد لما سبق من اختصاص العزة بالله تعالى الموجب لسوته ﷺ وعدم مبالاته بالمشركون وبمقالاتهم تمهيد لما لحق من قوله تعالى (وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) وبرهان على بطلان

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿١٧﴾ ١٠ يونس
 قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَ كُمْ مِّنْ
 سُلٰطٰتٍ يَهْدٰٓءُ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ١٠ يونس

- ظهورهم واعمالهم المبدية عليها وما لانا فيه وشركاء مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف لظهوره أى ما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فى الحقيقة وإن سموها شركاء فافتصر على أحدهما لظهور دلالة على الآخر ويجوز أن يكون المذكور مفعول يدعون ويكون مفعول يتبع محذوفاً لانهما من قوله تعالى (إن يتبعون إلا الظن) أى ما يتبعون يقيناً إنما يتبعون ظنهم الباطل وإما موصولة معطوفة على من كأنه قيل والله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أى وله شركاؤهم وتخصيصهم بالذكر مع دخولهم فيما سبق عبارة أو دلالة للبالغة فى بيان بطلان اتباعهم وفساد ما بنوه عليه من ظنهم شركاءهم معبودين مع كونهم عبيداً له سبحانه وإما استفهامية أى وأى شيء يتبعون أى لا يتبعون شيئاً ما يتبعون إلا الظن والخيال الباطل كقوله تعالى ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها وألقى قرىء تدعون بالثناء فلا استفهام للتسكيت والنويع كأنه قيل وأى شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبیین تقريراً لكونهم متبعين لله تعالى مطيعين له وتوخيأ لهم على عدم اقتدائهم بهم فى ذلك كقوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة فقل إن يتبع هؤلاء المشركون إلا الظن ولا يتبعون ما يتبعه الملائكة والنبیون من الحق (وإن هم إلا يخرون) يكذبون فيما ينسبونه إليه
- ٦٧ سبحانه ويجزرون ويقدر أنهم شركاء تقدير باطلاً (هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً) تنبيه على تفردته تعالى بالقدرة الكاملة والنعمة الشاملة ليدلهم على توحيده سبحانه باستحقاق العبادة وتقريب لما سلف من كون جميع الموجودات الممكنة تحت قدرته وملكوته المفصح عن اختصاص العزة به سبحانه والجعل إن كان بمعنى الإبداع والخلق فبصراً حال وإلا فلکم مفعوله الثانى أو هو حال كافى الوجه الأول والمفعول الثانى لتسكنوا فيه أو هو محذوف يدل عليه المفعول الثانى من الجملة الثانية كما أن العلة الغائية مما محذوفة اعتماداً على ما فى الأولى والتقدير هو الذى جعل لكم الليل مظلماً لتسكنوا فيه والنهار مبصراً لتتحرروا فيه لمصالحكم كما سيحى نظيره فى قوله تعالى وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لضره إلا به تحذف فى كل واحد من الجانبيين ما ذكر فى الآخر كنفاء بالمذكور عن المتروك وإسناد الإبصار إلى النهار مجازى كالذى فى نهاره صائم (إن فى ذلك) أى فى جعل كل منهما كما وصف أو فهم ما فى اسم الإشارة من معنى البعد للإبذان بعدم منزلة المشار إليه وعلو رتبته (لآيات) عجيبة كثيرة أو آيات أخر غير ما ذكر (لقوم يسمعون) أى هذه الآيات المنلو ونظائرها المنبهة على تلك الآيات التكوينية الآمرة بالتأمل فها سماع تدبر واعتبار فيعملون بمقتضاها وتخصيص الآيات بهم مع أنها منصوبة لمصلحة الكل لما أنهم المنتفعون بها (قالوا) شروع فى ذكر ضرب آخر من أباطيلهم وبيان بطلانه (اتخذ الله ولداً)
- ٦٨

١٠ يونس

قُلْ إِنَّ الدِّينَ يَفْتَرُونُ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾

مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُنْذِرُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ١٠ يونس

- أى تبناه (سبحانه) تنزيهه وتقديسه له عما نسبوا إليه وتعجيب من كليتهم الحفاء (هو الغنى) على الإطلاق
- عن كل شيء في كل شيء وهو علة لتنزيهه سبحانه وإيدان بأن اتخاذا الولد من أحكام الحاجة وقوله عز وجل
- (له ما في السموات وما في الأرض) أى من العقلاء وغيرهم تقرير لغناه وتحقيق لما لكنته تعالى لكل ما سواه
- وقوله تعالى (إن عندكم من سلطان) أى حجة (بهذا) أى بما ذكر من قولهم الباطل توضيح لطلانه
- بتحقيق سلامة ما أقيم من الرهان الساطع عن المعارض فمن في قوله تعالى من سلطان زائدة لتأكيد
- النقي وهو مبتدأ والظرف المقدم خبره أو مرتفع على أنه فاعل للظرف لاعتماده على النقي وبهذا متعلق إما
- بسلطان لأنه بمعنى الحجة والبرهان وإما بمحذوف وقع صفة له وإما بما في عندكم من معنى الاستقرار
- كأنه قيل إن عندكم في هذا القول من سلطان والالتفات إلى الخطاب لمزيد المبالغة في الإلزام والإخام
- وتأكيده ما في قوله تعالى (أتقولون على الله ما لا تعلمون) من التوبيخ والتفريع على جهلهم واختلافهم
- وفيه تنبيه على أن كل مقالة لا دليل عليها فهي جمالة وأن العقائد لا بد لها من برهان قطعى وأن التقليد
- بمعزل من الاعتداد به (قل) تلوين للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله ﷺ ليبين لهم سوء مغبتهم ٦٩
- ووخامة عاقبتهم (إن الذين يفترون على الله الكذب) أى في كل أمر فيدخل ما نحن بصدده من الافتراء
- بنسبة الولد والشريك إليه سبحانه دخولا أولاً (لا يفلحون) أى لا ينجون من مكروه ولا يفوزون
- بمطلوب أصلاً وتخصيص عدم النجاة والفوز بما يندرج في ذلك من عدم النجاة من النار وعدم الفوز
- بالجنة لا يناسب مقام المبالغة في الزجر عن الافتراء عليه سبحانه (متاع في الدنيا) كلام مستأنف سيق ٧٠
- لبيان أن ما يترامى فيهم بحسب الظاهر من نيل المطالب والفوز بالخطوطة الدنيوية على الإطلاق أو في
- ضمن افتراءهم بمعزل من أن يكون من جنس الفلاح كأنه قيل كيف لا يفلحون وهم في غبطة ونعيم فقيل
- هو متاع يسير في الدنيا وليس بفوز بالمطلوب ثم أشير إلى انتفاء النجاة عن المكروه أيضاً بقوله عز وجل
- (ثم إلينا مرجعهم) أى بالموت (ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) فيبقون في الشقاء المؤبد
- بسبب كفرهم المستمر أو بكفرهم في الدنيا فأين هم من الفلاح وقيل المبتدأ المحذوف حياتهم أو تقلبهم
- وقد قيل إنه افتراءهم ولا يخفى أن المتاع إنما يطلق على ما يكون مطبوعاً عند النفس مرغوباً فيه في
- نفسه يتمتع وينتفع به وإنما عدم الاعتداد به لمرعة زواله ونفس الافتراء عليه سبحانه أقبح القبائح عند
- النفس فضلاً عن أن يكون مطبوعاً عندها وعده كذلك باعتبار إجراء حكم ما يؤدى إليه من ربايتهم عليه
- بما لا وجه له فالوجه ما ذكر أولاً وليس ببعيد ما قيل إن المحذوف هو الخبر أى لهم متاع والآية إما مسوقة
- عن جهة الله تعالى لتحقيق عدم إفلاحهم غير داخلة في الكلام المأمور به كما يقتضيه ظاهر قوله تعالى ثم إلينا
- وقوله تعالى ثم نذيقهم وإما داخلة فيه على أن النبي ﷺ مأمور بنقله وحكايته عنه عز وجل .

وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ۖ يَتَقَوَّمُ إِنَّ كَانَ كِبَرُ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِّرِي بِمَا يَتِ اللَّهُ
فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ
وَلَا تَنْظُرُونَ ﴿٧١﴾

١٠ يونس

- ٧١ (واتل عليهم) أي على المشركين من أهل مكة وغيرهم لتحقيق ماسبق من أنهم لا يفلحون وأن ما يمتنعون
● به على جناح القوات وأنهم مشرفون على العذاب الخالد (نبأ نوح) أي خبره الذي له شأن وخطر مع
قومه الذين هم أضراب قومك في الكفر والعناد ليتدبروا ما فيه من زوال ما تمتعوا به من النعيم وحلول
عذاب الفرق الموصول بالعذاب المقيم لينزجروا بذلك عما هم عليه من الكفر أو تنكسر شدة شكيمتهم
أو يعترف بعضهم بصحة نبوتك بأن عرفوا أن ماتلوه موافقاً لما ثبت عندهم من غير مخالفة بينهما أصلاً
مع علمهم بأنك لم تسمع ذلك من أحد ليس إلا بطريق الوحي وفيه من تقرير ماسبق من كون الكل
لله سبحانه واختصاص العزة به تعالى وانتفاء الخوف والحزن عن أوليائه عز وعلا قاطبة وتشجيع النبي
● ﷺ وحمله على عدم المبالاة بهم وبأقوالهم وأفعالهم مالا يخفى (إذ قال) معمول لنبأ أو بدل منه بدل
● اشتغال وأياً ما كان فالمراد بعض نبيه ﷺ لا كل ما جرى بينه وبين قومه واللام في قوله تعالى (لقومه)
● للتسليم (يا قوم إن كان كبر) أي عظم وشق (عليكم مقامي) أي نفسي كما يقال فعلته لمكان فلان أي لفلان
ومنه قوله تعالى ولئن خاف مقام ربه أي خاف ربه أو قيامي ومكثي بين ظهرانيكم مدة طويلة أو قيامي
● (وتذكيري بآيات الله) فإنهم كانوا إذا وعظوا الجماعة يقومون على أرجلهم والجماعة قعود ليطهر حالهم
● ويسمع مقالهم (فعلى الله توكلت) جواب للشرط أي دمت على تخصيص التوكل به تعالى ويجوز أن
● يراد به لإحداث مرتبة مخصوصة من مراتب التوكل (فأجمعوا أمركم) عطف على الجواب والفاء لترتيب
الأمور بالإجماع على التوكل لا لترتيب نفس الإجماع عليه أو هو الجواب وما سبق جملة معترضة والإجماع
العزم قبل هو متعدد بنفسه وقيل فيه حذف وإيصال قال السدوسي أجمعت الأمر أفصح من أجمعت عليه
وقال أبو الهيثم أجمع أمره جعله مجموعاً بعد ما كان متفرقاً وتفرقه أنه يقول مرة أفعل كذا وأخرى أفعل
● كذا وإذا عزم على أمر واحد فقد جمعه أي جعله جميعاً (وشركاءكم) بالنصب على أن الواو بمعنى مع فأتدل عليه
● القراءة بالرفع عطفاً على الضمير المنصل تنزيلاً للفصل منزلة التأكيد وإسناد الإجماع إلى الشركاء على
طريقة التهم وقيل إنه عطف على أمركم بحذف المضاف أي أمر شركائكم وقيل منصوب بفعل محذوف أي
وادعوا شركاءكم وقد قرئ كذلك وقرئ فاجمعوا من الجمع أي فاعزموا على أمركم الذي تريدون بي من
● السعي في إهلاكى واحتشدوا فيه على أي وجه يمكنكم (ثم لا يكن أمركم) ذلك (عليكم غمة) أي مستوراً
من غمه إذا ستره بل مكشوفاً مشهوراً تجاهر ونفى به فإن السر إنما يصار إليه لسد باب تدارك الخلاص
بالهرب أو نحوه فحيث استحال ذلك في حق لم يكن للسروجه وإنما خاطبهم ﷺ بذلك لإظهار أعدام المبالاة
بهم وأنهم لم يجدوا إليه سبيلاً وثقة بالله سبحانه وبما وعده من عصمته وكلامه فكلمة ثم للتراخي في

فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ مَّا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَآمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ١٠ يونس
فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْفَهُ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ١٠ يونس

- الرتبة وإظهار الأمر في موقع الإضمار لزيادة تقرير بقتضيتها مقام الأمر بالإظهار الذي يستلزمه النهي عن التستر والإسرار وقيل المراد بأمرهم ما يعترهم من جهته ﷺ من الحال الشديدة عليهم المكروهة لديهم والغممة والغم كالسكرية والسكر وثم للتراخي الزماني والمعنى لا يكن حالكم عليكم غمة وتخلصوا بإهلاككم من ثقل مقامى وتذكيرى ولا يخفى أنه لا يساعده قوله عز وجل (ثم افضوا إلى ولا تنظرون) ●
أى أدوا إلى أى أحكموا ذلك الأمر الذى تريدون به ولا تمهلونى كقوله تعالى وقضينا إليه ذلك الأمر أو أدوا إلى ما هو حق عليكم عندكم من إهلاككم كما يقضى الرجل غريمه فإن توسيط ما يحصل بعد الإهلاك بين الأمر بالعزم على مباديه وبين الأمر بقضائه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه وقرىء أفضوا بالفاء أى انتهوا إلى بشركم أو ابرزوا إلى من أفضى إذا خرج إلى الفضاء (فإن توليتم) الفاء لترتيب التولى على ٧٢
ماسبق فالمراد به إما الاستمرار عليه وإما إحداث التولى المخصوص أى إن أعرضتم عن نصيحتى وتذكيرى إثر ما شاهدتم منى من مخايل محبة ما أقول ودلائلها التى من جملتها دعوتى إياكم جميعاً إلى تحقيق ما تريدون به من السوء غير مبال بكم وبما يأتى منكم وإحجامكم من الإجابة علماً منكم بأننى على الحق المبين مؤيد من عند الله العزيز (فما سألتكم) بمقابلة وعظى وتذكيرى (من أجر) تؤدونه إلى حتى يؤدى ذلك إلى توليكم ●
إمالاتهم إياى بالطمع والسؤال وإما لثقل دفع المسئول عليكم أو حتى يضرنى توليكم المؤدى إلى الحرمان فالأول لإظهار بطلان التولى ببيان عدم ما يصححه والثانى لإظهار عدم مبالاته ﷺ بوجوده وعدمه وعلى التقديرين فالفاء الجزائية لسببية الشرط لإعلام مضمون الجزاء بالنفسه والمعنى إن توليتم فاعلموا أن ليس فى مصحح له ولا تأثر منه وقوله عز وجل (إن أجرى إلا على الله) ينتظم المعنيين جميعاً ●
خلا أنه على الأول تأكيد وعلى الثانى تعليل لاستغنائاه ﷺ عنهم أى ما ثوابى على العظة والتذكير إلا عليه تعالى يثبني به أمنتكم أو توليتم (وأمرت أن أكون من المسلمين) المتقادين لحكمه لا أخالف أمره ●
ولا أخرجوا غيره أو المستسلمين لكل ما يصيب من البلاء فى طاعة الله تعالى (فكذبوه) فأصروا على ما هم ٧٣
عليه من التكذيب بعد ما ألزمهم الحجة وبين لهم المحجة وحقق أن توليهم ليس له سبب غير الترد والعناد فلا جرم حقت عليهم كلمة العذاب (فنجيناه ومن معه فى الفلك) من المسلمين وكانوا ثمانين (وجعلناهم
خلائف) من الهالكين (وأغرقتنا الذين كذبوا بآياتنا) أى بالطوفان وتأخير ذكره عن ذكر الإنجاء ●
والاستخلاف حسبما وقع فى قوله عز وجل (الذين آمنوا) والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت
الذين ظلموا الصبيحة وغير ذلك من الآيات الكريمة لإظهار كمال العناية بشأن المقدم ولتعجيل المسرة
للسامعين وللإيدان بسبق الرحمة التى هى من مقتضيات الربوبية على الغضب الذى هو من مستبغات

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ
كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾

١٠ يونس

- جرائم المجرمين (فانظر كيف كان عاقبة المندرين) تهويل لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول ﷺ
- ٧٤ وتسلية له ﷺ (ثم بعثنا) أى أرسلنا (من بعده) أى من بعد نوح عليه السلام (رسلاً) التنكير للتفخيم
- ذاتاً ووصفاً أى رسلاً كراماً ذوى عدد كثير (إلى قومهم) أى إلى أقوامهم لكن لا بأن أرسلنا كل رسول منهم إلى أقوام الكل أو إلى قوم ما أى قوم كانوا بل كل رسول إلى قومه خاصة مثل هود إلى عاد
- وصالح إلى ثمود وغير ذلك من قصصهم ومن لم يقصص (لجاموهم) أى جاء كل رسول قومه المخصوصين به
- (بالبينات) أى المعجزات الواضحة الدالة على صدق ما قالوا والباء إما متعلقة بالفعل المذكور على أنها للتعدي أو بمحذوف وقع حالا من ضمير جاموا أى ملتبس بالبينات لكن لا بأن يأتى كل رسول ببينة واحدة بل ببينات كثيرة خاصة به معينة له حسب اقتضاء الحكمة فإن مراعاة انقسام الآحاد إلى الآحاد
- إنما هي فيما بين ضميرى جاموهم كما أشير إليه (فما كانوا ليؤمنوا) بيان لاستمرار عدم إيمانهم في الزمان الماضي
- لعدم استمرار إيمانهم كما مر مثله في هذه السورة الكريمة غير مرة أى فما صح وما استقام لقوم من أولئك الأقوام في وقت من الأوقات أن يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعاً منهم أشدة شكيمتهم في الكفر والعناد ثم إن كان المحكى آخر حال كل قوم حسبا يدل عليه حكاية قوم نوح فالمراد بعدم إيمانهم المذكور
- ههنا لإصرارهم على ذلك بعد اللتي والتيا والتى وبما أشير إليه في قوله عز وجل (بما كذبوا به من قبل) تكذيبهم من حين مجيء الرسل إلى زمان الإصرار والعناد وإنما لم يجعل ذلك مقصوداً بالذات كالأول حيث جعل صلة للموصول إيذاناً بأنه بين بنفسه غنى عن البيان وإنما المحتاج إلى ذلك عدم إيمانهم بعد تواتر البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة التي كانت تضطرم إلى القبول لو كانوا من أصحاب العقول والموصول الذي تعلق به الإيمان والتكذيب سلباً وإيجاباً عبارة عن جميع الشرائع التي جاء بها كل رسول أصولها وفروعها وإن كان المحكى جميع أحوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكر أولاً كفرهم المستمر من حين مجيء الرسل إلى آخره وبما أشير إليه آخراً تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من كون الموصول المذكور عبارة عن أصول الشرائع التي أجمعت عليها الرسل قاطبة ودعوا أممهم إليها أثر ذى أثر لاستحالة تبدلها وتغيرها مثل ملة النوح وحيد ولو ازمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجيء رسلهم أنهم ما كانوا في زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوها بكلمة التوكيد قط بل كان كل قوم من أولئك الأقوام يتسامعون بها من بقايا من قبلهم كشود من بقايا عاد وعاد من بقايا قوم نوح عليه السلام فيكذبون نائم كانت حالتهم بعد مجيء الرسل كحالتهم قبل ذلك كأن لم يبعث إليهم أحد وتخصيص التكذيب وعدم الإيمان بما ذكر من الأصول لظهور حال الباقي بدلالة النص فإنهم حيث لم يؤمنوا بما أجمعت عليه كافة الرسل فلا ن لا يؤمنوا بما تفرد به بعضهم أولى وعدم جعل هذا التكذيب مقصوداً بالذات لما أن ما عليه يدور أمر العذاب والعقاب

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾

١٠ يونس

فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧٦﴾

١٠ يونس

عند اجتماع المكذبين هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما يعرب عنه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وإنما ذكر ما وقع قبلا بياناً لرافقتهم في الكفر والتكذيب وعلى التقديرين فالضمائر الثلاثة متوافقة في المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع إلى قوم نوح عليه السلام والمعنى فما كان قوم الرسل ليؤمنوا بما كذب بمثلهم قوم نوح ولا يخفى ما فيه من التعسف وقيل الباء للسببية أى بسبب تعدد تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل ولا يخفى أن ذلك يؤدي إلى مخالفة الجمهور من جعل ما المصدرية من قبيل الأسماء كما هو رأى الأخفش وابن السراج ليرجع إليها الضمير وفي إرجاعه إلى الحق بادعاء كونه مركزاً في الأذهان ما لا يخفى من التعسف (كذلك) أى مثل ذلك الطبع المحكم (نطبع) بنون العظمة ● وقرئ بالياء على أن الضمير لله سبحانه (على قلوب المعتدين) المتجاوزين عن الحدود والمعودة في الكفر والعناد المتجافين عن قبول الحق وسلوك طريق الرشاد وذلك بخذلانهم وتخيلتهم وشأنهم لانهما كهم في الغي والضلال وفي أمثال هذا دلالة على أن الأفعال واقعة بقدره الله تعالى وكسب العبد (ثم بعثنا) ٧٥ عطف على قوله تعالى ثم بعثنا من بعده رسلاً إلى قومهم عطف قصة على قصة (من بعدهم) أى من بعد أولئك الرسل عليهم السلام (موسى وهرون) خصت بعثتهما عليهما السلام بالذكور ولم يكتف باندراج خبرهما فيما أشير إليه إشارة إجمالية من أخبار الرسل عليهم السلام مع أقوامهم وأوثر في ذلك ضرب تفصيل لإدنانا بخاطر شأن القصة وعظم وقعها كما في نبأ نوح عليه السلام (إلى فرعون ومثله) أى أشراف قومه وتخصيصهم بالذكر لأصالتهم في إقامة المصالح والمهمات ومراجعة الكل إليهم في النوازل والملمات (آياتنا) أى ملتبسين بها وهى الآيات المفصلات في الأعراف (فاستكبروا) الاستكبار ادعاء الكبر من غير استحقاق والفاء فصيحة أى فأتياهم فبلغاهم الرسالة فاستكبروا عن اتباعها وذلك قول اللعين لموسى عليه السلام ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمر ك سنين الخ (وكانوا قوماً مجرمين) اعتراض مقرر لمضمون ما قبله أى كانوا معتادين لارتكاب الذنوب العظام فإن الإجماع مؤذن بعظم الذنب ومنه الجرم أى الجنة فلذلك اجترعوا على ما جترعوا عليه من الاستهانة برسالة الله تعالى وحمل الاستكبار على الامتناع عن قبول الآيات لا يساعده قوله عز و علا (فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين) فإنه ٧٦ صريح في أن المراد باستكبارهم ما وقع منهم قبل مجيء الحق الذى سموه سحراً أعنى العصا واليد البيضاء كما ينبنى عنه سياق النظم الكريم وذلك أول ما ظهره ^{٧٦} من الآيات العظام والفاء فيه أيضاً فصيحة معربة عما صرح به في مواضع أخر كأنه قيل قال موسى قد جئتكم ببينة من ربكم إلى قوله تعالى فالتقى عصاه فإذا هى ثعبان مبين ونزع يده فإذا هى بيضاء للناظرين فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه قالوا من فرط عتوهم

قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾ ١٠ يونس

وعنادهم إن هذا السحر مبين أى ظاهر كونه سحراً أو فائق في بابه واضح فيما بين أضرابه وقرىء لساحر (قال موسى) استئناف مبنى على سؤال تنساق إليه الأذهان كأنه قيل فإذا قال لهم موسى حينئذ فقيل قال على طريقة الاستفهام الإنكارى التوبيخى (أتقولون للحق) الذى هو أبعد شئ من السحر الذى هو الباطل البحت (لما جاءكم) أى حين يجئته إياكم ووقوفكم عليه أو من أول الأمر من غير تأمل وتدبر وكلا الحالين مما ينافى القول المذكور والمقول محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه وإيداناً بأنه مما لا ينبغي أن يتفوه به ولو على نهج الحكاية أى أنقولون له ما تقولون من أنه سحر يعنى به أنه مما لا يمكن أن يقوله قائل ويتكلم به متكلم أو القول بمعنى العيب والظن من قولهم فلان يخاف الفالة وبين الناس تقاويل إذا قال بعضهم لبعض ما يسوؤه ونظيره الذكر فى قوله تعالى سمعنا قى يذكرهم الخ فيستغنى عن المفعول أى أنعميونه وقطعون فيه وعلى الوجهين فقوله عز وجل (أسحر هذا) إنكار مستأنف من جمته عليه السلام لكونه سحراً وتكذيب لقولهم وتوبيخ لهم على ذلك إثر توبيخ وتجهيل بعد تجهيل أما على الأول فظاهر وأما على الثانى فوجه إثبات إنكار كونه سحراً على إنكار كونه معيياً بأن يقال مثلاً أفیه عيب حسبما يقتضيه ظاهر الإنكار السابق التصريح بالرد عليهم فى خصوصية ما عابوه به بعد التنبيه بالإنكار السابق على أن ليس فيه شائبة عيب ما وما فى هذا من معنى القرب لزيادة تعيين المشار إليه واستحضار ما فيه من الصفات الدالة على كونه آية باهرة من آيات الله المنادية على امتناع كونه سحراً أى أسحر هذا الذى أمره واضح مكشوف وشأنه مشاهد معروف بحيث لا يرتاب فيه أحد من له عين مبصرة وتقديم الخبر للإيدان بأنه مصب الإنكار ولما استلزم كونه سحراً كون من أتى به ساحراً أكد الانكار السابق وما فيه من التوبيخ والتجهيل بقوله عز وجل (ولا يفلح الساحرون) وهو جملة حالية من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو بلا ضمير كافى قول من قال [جاء الشتاء ولست أملك عدة] وقولك جاء زيد ولم تطلع الشمس أى أتقولون للحق إنه سحر والحال أنه لا يفلح فاعله أى لا يظفر بمطلوب ولا ينجو من مكروه فكيف يمكن صدوره من مثلى من المؤيدين من عند الله العزيز الحكيم الفائزين بكل مطلب الناجين من كل محذور وقوله تعالى أسحر هذا جملة معترضة بين الحال وصاحبها أكد بها الإنكار السابق ببيان استحالة كونه سحراً بالنظر إلى ذاته قبل بيان استحالاته بالنظر إلى صدوره عنه عليه السلام هذا وأما تجوير أن يكون الكل مقول القول على أن المعنى أجنبنا بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون فما لا يساعده النظم الكريم أصلاً أما أولاً فلأن ما قالوا هو الحكم بأنه سحر من غير أن يكون فيه دلالة على ما تعسف فيه من المعنى بوجه من الوجوه فصرف جوابه ﷺ عن صريح ما خاطبوه به إلى ما لا يفهم منه أصلاً مما يجب تنزيه النظم التنزيل عن الحمل على أمثاله وأما ثانياً فلأن التعرض لعدم إفلاح السحرة على الإطلاق من وظائف من يتمسك بالحق المبين دون الكفرة المنتشبين بأذيال بعض منهم فى معارضته ﷺ ولو كان ذلك من كلامهم لناسب تخصيص عدم الإفلاح بمن زعموه ساحراً بناء على غلبة من يأتون به من السحرة وأما ثالثاً فلأن قوله عز وجل

قَالُوا أَجِئْنَا لِنُلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبَرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ
بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾

١٠ يونس

وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾

١٠ يونس

فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٨٠﴾

١٠ يونس

فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾

١٠ يونس

- ٧٨ (قالوا أجتنا) الخ مسوق لبيان أنه ﷺ ألقيهم الحجر فانقطعوا عن الإتيان بكلام له تعلق بكلامه ﷺ
- فضلا عن الجواب الصحيح واضطروا إلى التثبت بذيل التقليد الذي هو دأب كل عاجز محجوج وديدن كل معاند لجوج على أنه استئناف وقع جواباً عما قبله من كلامه ﷺ على طريقة قوله تعالى قال موسى الخ حسبنا أشير إليه كأنه قيل فاذا قالوا لموسى عليه السلام عندما قال لهم ما قال فقيل قالوا عاجزين عن المحاجة أجتنا (لنلفتنا) أى لتصرفنا فإن القتل واللفت أخوان (عما وجدنا عليه آباءنا) أى من عبادة الأصنام ولا ريب في أن ذلك إنما يتسنى بكون ما ذكر من تنمة كلامه عليه السلام على الوجه الذى شرح إذ على تقدير كونه محكياً من قبلهم يكون جوابه عليه السلام خالياً عن التبسكيت الملجئ لهم إلى العدول عن سنن المحاجة ولا ريب في أنه لا علاقة بين قولهم أجتنا الخ وبين إنكاره عليه السلام لما حكى عنهم مصححة لكونه جواباً عنه (وتكون لكم الكبرياء) أى الملك أو التكبر على الناس باستتباعهم وقرىء ويكون ●
- بالياء التحتانية وكلمة في في قوله تعالى (في الأرض) أى أرض مصر متعلقة بتكون أو بالكبرياء أو ●
- بالاستقرار في لكانا لوقوعه خبراً أو بمحذوف وقع حالا من الكبرياء أو من الضمير في لكانا لتحمله إياه (وما نحن لكما بمؤمنين) أى بمصدقين فيما جئنا به ونثنية الضمير في هذين الموضعين بعد إفراده فيما تقدم من المقامين باعتبار شمول الكبرياء لهما عليهما السلام واستلزام التصديق لأحدهما التصديق للآخر وأما اللفت والجمي له فحيث كانا من خصائص صاحب الشريعة أسند إلى موسى عليه السلام خاصة (وقال فرعون) ٧٩
- توحيد الفعل لأن الأمر من وظائف فرعون أى قال لملئه يأمرهم بترتيب مبادئ إلزامها عليهما السلام بالفعل بعد اليأس من إلزامها بالقول (أتتوني بكل ساحر عليم) بفنون السحر حاذق ما هرفيه وقرىء سحار (فلما جاء ٨٠
- السحرة) عطف على مقدر يستدعيه المقام قد حذف إيداناً بسرعة امتثالهم لأمر فرعون كما هو شأن الفاء الفصيحة في كل مقام أى فأنوا به فلما جاءوا (قال لهم موسى) لكن لا في ابتداء مجيئهم بل بعدما قالوا له عليه السلام ●
- ما حكى عنهم في السور الأخر من قولهم إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين ونحو ذلك (ألقوا ما أنتم ملقون) ●
- أى ملقون له كائناً ما كان من أصناف السحر (فلما ألقوا) ما ألقوا من العصي والحبال واسترهبوا الناس ٨١
- وجاءوا بسحر عظيم (قال) لهم (موسى) غير مكثر بهم وبما صنعوا (ما جئتم به السحر) ما موصولة ●
- ٢٢٥ - أبو السعود ج ٤

وَيُحَقِّقُ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾

١٠ يونس

فَمَاءٌ آمِنٌ لِّمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةً مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ

١٠ يونس

لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾

- وقعت مبتدأ والسحر خبره أى هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه من آيات الله سبحانه أو هو من جنس السحر يريد أن حاله بين لا يعبا به كأنه قال ما جئتم به مما لا ينبغي أن يجاء به وقرىء السحر على الاستفهام فالاستفهامية أى أى شئ جئتم به أى السحر الذى يعرف حاله كل أحد ولا يتصدى له عاقل وقرىء ما جئتم به سحر وقرىء ما أتيتم به سحر ودلائلهم على المعنى الثانى فى القراءة المشهورة أظهر (إن الله سيطلعه) أى سيمحقه بالكلية بما يظهره على يدي من المعجزة فلا يبقى له أثر أصلا أو سيظهر بطلانه للناس والسين للتأكيد (إن الله لا يصلح عمل المفسدين) أى عمل جنس المفسدين على الإطلاق فيدخل فيه السحر دخولا أوليا أو عملكم فيكون من باب وضع المظهر موضع المضمحل للتسجيل عليهم بالإفساد والإشعار بعلّة الحكم وليس المراد بعدم إصلاح عملهم عدم جعل فسادهم صلاحا بل عدم إثباته وإتمامه أى لا يثبت ولا يكمله ولا يديمه بل يمحقه ويهلكه ويسلط عليه الدمار والجملة تعليل لما سبق من قوله إن الله سيطلعه والكل
- ٨٢ اعتراض تذييل وفيه دليل على أن السحر إفساد وتمويه لا حقيقة له (ويحق الله الحق) عطف على قوله سيطلعه أى يثبت ويقرىء بكلمته (ولو كره المجرمون) ذلك والمراد بهم كل من اتصف بالإجرام من السحرة وغيرهم (فما آمن لموسى) معطوف على مقدر قد فصل فى مواقع أخرى فأتى عصاه فإذا هى تلقف ما يافكون الخ وإنما لم يذكر تعويلا على ذلك وإشارة إلى الإيجاز وإذنا بأن قوله تعالى إن الله سيطلعه بما لا يحتمل الخلف أصلا وعطفه على ذلك بالفاء مع كونه عدما مستمرا من قبيل ما فى قوله عز وجل فأتبعوا فرعون وما فى قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر والسرى ذلك أن الإتيان بالشئ بعد ورود ما يوجب الإقلاع عنه وإن كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع
- حادث أى فما آمن له عليه السلام بمشاهدة تلك الآيات القاهرة (إلا ذرية من قومه) أى إلا أولاد من أولاد قومه بنى إسرائيل حيث دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون وأجابته طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به عليه السلام أو مؤمن آل فرعون وأمراته آسية وخازنه وأمراته وما شطته وهو بعيد (على خوف) أى كائنين على خوف عظيم (من فرعون وملتهم) الضمير لفرعون والجمع لما هو المعتاد فى ضمائر العظماء ولا ياباه مقام بيان علوه فى الفساد وغلوه فى الشر والتسلط على العباد أو لأن المراد به آله كما يقال ربيعة ومضر أو للذرية أو للقوم أى على خوف من فرعون ومن أشراف بنى إسرائيل حيث كانوا يمتنعون أعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى أنفسهم (أن يفتنهم)

وَقَالَ مُوسَىٰ يَنْقُومُ إِن كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنْتُمْ مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ١٠ يونس

فَقَالُواْ عَلَىٰ ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ ١٠ يونس

وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِّنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ١٠ يونس

وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ يَٰيُوتَا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ

وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ ١٠ يونس

- أى يعذبهم وهو بدل اشتغال أو مفعول خوف فإن أعمال المصدر المنكر كثير فإى قوله عز وجل أو إيطعام في يوم ذى مسغبة يتبأ أو مفعول له بعد حذف اللام وإسناد الفعل إلى فرعون خاصة لأنه الأمر بالتعذيب (وإن فرعون لعال في الأرض) لغالب في أرض مصر (وإن لمن المفسرين) في الظلم والفساد بالقتل وسفك الدماء أو في الكبر والعنوة حتى ادعى الربوبية واسترق أسباط الأنبياء والجهلنان اعتراض تذييل مؤكد لمضمون ما سبق (وقال موسى) لما رأى تخوف المؤمنين منه (يا قوم إن كنتم آمنتم بالله) أى صدقتم به وبآياته ٨٤ (فعليه توكّلوا) وبه ثقوا ولا تخافوا أحداً غيره فإنه كافىكم كل شروضر (إن كنتم مسلمين) مستسلمين لقضاء الله تعالى مخلصين له وليس هذا من تعليل الحكم بشرطين فإن المعلن بالإيمان وجوب التوكّل عليه تعالى فإنه المقتضى له والمشروط بالإسلام وجوده فإنه لا يتحقق مع التخليط ونظيره إن أحسن إليك زيد فأحسن إليه إن قدرت عليه (فقالوا) مجيبين له عليه السلام من غير تعلّم في ذلك (على الله توكّلنا) لأنهم كانوا مؤمنين ٨٥ مخلصين ثم دعوا ربهم قائلين (ربنا لا تجعلنا فتنة) أى موقع فتنة (للقوم الظالمين) أى لا تسلطهم علينا حتى يعذبونا أو يفتنونا عن ديننا أو يفتنونا بنا ويقولوا لو كان هؤلاء على الحق لما أصيبوا وقوله تعالى (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) دعاء منهم بالإنجاء من سوء جوارهم وشؤم مصاحبهم بعد الانجاء ٨٦ من ظلمهم ولذلك عبر عنهم بالكفر بعد ما وصفوا بالظلم وفي ترتيب الدعاء على التوكّل تلويح بأن الدعاء حقه أن يبني دعاءه على التوكّل على الله تعالى (وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ) أن مفسرة لأن في الوحي ٨٧ معنى القول أى اتخذوا مباءة (لقومكما بمصر يوتا) تسكنون فيها وترجعون إليها للعبادة (واجعلوا) أنتم وقومكما (بيوتكم) تلك (قبة) مصلّى وقيل مساجد متوجهة نحو القبة بمعنى الكعبة فإن موسى عليه السلام كان يصلى إليها (وأقيموا الصلاة) أى فيها أمروا بذلك في أول أمرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم (وبشر المؤمنين) بالنصرة في الدنيا لإجابة لدعوتهم والجنة في العقبى وإنما ثنى الضمير أولاً لأن التبوؤ للقوم واتخاذ المعابد مما يتولاه رؤساء القوم بتشاور ثم جمع لأن جعل البيوت مساجد والصلاة فيها بما يفعله كل أحد ثم وحد لأن بشارة الأمة وظيفة صاحب الشريعة ووضع المؤمنين موضع ضمير القوم لمدهم بالآيمان وللإشعار بأنه المدار في التبشير .

وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوَا
عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ
الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ فَأَسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾
وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ
ءَاَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَاَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾

- ٨٨ (وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة) أى ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوها
● (وأموالاً) وأنواعاً كثيرة من المال (في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك) دعاء عليهم بلفظ الأمر بما علم
بممارسة أحوالهم أنه لا يكون غيره كقولك لعن الله إبليس وقيل اللام للعاقبة وهى متعلقة بآتيت أو للعلة
لأن إيتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولأهم لما جعلوها ذريعة إلى الضلال فكأنهم
أوتوها ليضلوا فيكون ربنا تذكيراً للأول تأكيداً أو تنبيهاً على أن المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم
● مقدمة لقوله تعالى (ربنا اطمس على أموالهم) الطمس المحو وقرىء بضم الميم أى أهلكها (واشدد على
قلوبهم) أى اجعلها قاسية واطبع عليها حتى لا تشرح للإيمان كما هو قضية شأنهم (فلا يؤمنوا) جواب
● للدعاء أو دعاء بلفظ النهى أو عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض (حتى يروا العذاب الأليم) أى
يعاينوه ويوقنوا به بحيث لا ينفعهم ذلك إذ ذاك (قال قد أجيبتم دعوتكم) يعنى موسى وهرون عليهما
● السلام لأنه كان يؤمن كما يشعر به إضافة الرب إلى ضمير المتكلم مع الغير في المواقع الثلاثة (فاستقيما)
فأثبتنا على ما أتبنا عليه من الدعوة وإلزام الحجة ولا تستعجلا فإن ما طلبتما كائن في وقته لا محالة . روى
● أنه مكث فيهم بعد الدعاء أربعين سنة (ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) أى بعبادات الله سبحانه في
تعليق الأمور بالحكم والمصالح أو سبيل الجهالة في الاستعجال أو عدم الوثوق بوعد الله تعالى وقرىء
٩٠ بالنون الخفيفة وكسرها لاتقاء الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان أيضاً (وجاوزنا بني إسرائيل
البحر) هو من جاوز المكان إذا تخبطاه وخلفه والباء للتعدية أى جعلناهم مجاوزين البحر بأن جعلناه ييسراً
وحفظناهم حتى بلغوا الشط وقرىء جاوزنا وهو من التجاوز المرادف للمجازة لا بما هو بمعنى التنفيذ
نحو ما وقع في قول الأعشى [كما جاوز السكى في الباب فيتى] وإلا لقل وجوزنا بني إسرائيل في البحر
ولخلا النظم الكريم عن الإيذان بانفصالهم عن البحر وبمقارنة العناية الإلهية لهم عند الجواز كما هو
● المشهور في الفرق بين أذهبه وذهب به (فاتبعهم) يقال تبعته حتى اتبعته إذا كان سببك فلحقته أى
● أدركهم ولحقهم (فرعون وجنوده) حتى ترامت الفتان وكاد يجتمع الجمعان (بغياً وعدواً) ظلاً واعتداءً

- أى باغين وعادين أو للبغي والعدوان وقرىء وعدوا وذلك أن موسى عليه السلام خرج ببني إسرائيل على حين غفلة من فرعون فلما سمع به تبعهم حتى لحقهم ووصل إلى الساحل وهم قد خرجوا من البحر ومسلكهم باقى على حاله ببسأ فسلكه بجنوده أجمعين فلما دخل آخرهم وهم أولهم بالخروج غشيم من اليم ما غشيم (حتى إذا أدركه الفرق) أى لحقه وألجمه (قال آمنت أنه) أى بأنه والضمير للشأن وقرىء. لأنه
- على الاستئناف بدلا من آمنت وتفسير آله (لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل) لم يقل كما قاله السجدة
 - آمنا رب العالمين رب موسى وهرون بل عبر عنه تعالى بالموصل وجعل صلته إيمان بنى إسرائيل به تعالى للإشعار برجوعه عن الاستعصاء واتباعه لمن كان يستتبعهم طمعاً فى القبول والانتظام معهم فى سلك النجاة (وأنا من المسلمين) أى الذين أسلبوا نفوسهم لله أى جعلوها سالمة خاصة له تعالى وأراد بهم
 - إما بنى إسرائيل خاصة وإما الجنس وهم داخلون فيه دخولا أولياً والجملة على الأول عطف على آمنت وإثبات الاسمية لادعاء الدوام والاستمرار وعلى الثانى يحتمل الحالية أيضاً من ضمير المتكلم أى آمنت مخلصاً لله منتظماً فى سلك الراسخين فيه ولقد كرر المعنى الواحد بثلاث عبارات حرصاً على القبول المفضى إلى النجاة وهيئات هيات بعد ما فات ما فات وأتى ما هو آت وقوله عز وجل (آلآن) مقول لقول مقدر ٩١ معطوف على قال أى فقيل آلآن وهو إلى قوله تعالى آية حكاية لما جرى منه سبحانه من الغضب على المخذول ومقابلة ما ظهره بالرد على وجه الإنكار التوبيخى على تأخيره وتقريره بالعصيان والإفساد وغير ذلك وفى حذف الفعل المذكور وإبراز الخبر المحكى فى صورة الإنشاء من الدلالة على عظم السخط وشدة الغضب ما لا يخفى كما يفسح عنه ما روى من أن جبريل دس فاه عند ذلك بحال البحر وسده به فإنه تأكيد لرد القول بالرد الفعلى ولا ينافيه تعليله بمخافة إدراك الرحمة فيما نقل أنه قال للنبي ﷺ فلورأيتنى يا محمد وأنا آخذ من حال البحر فأدسه فى فيه مخافة أن تدركه الرحمة إذ المراد بها الرحمة النبوية أى النجاة التى هى طلبية المخذول وليس من ضرورة إدراكها صحة الإيمان كما فى إيمان قوم يونس عليه السلام حتى يلزم من كراهته ما لا يتصور فى شأن جبريل عليه السلام من الرضا بالكفر إذ لا استحالة فى ترتب هذه الرحمة على مجرد النفوه بكلمة الإيمان وإن كان ذلك فى حالة البأس واليأس فيحمل دسه ﷺ على سد باب الاحتمال البعيد لكمال الغيظ وشدة الحرد فتدبر والله الموفق وحق العامل فى الطرف أن يقدر مؤخرأ ليتوجه الإنكار والتوبيخ إلى تأخير الإيمان إلى حد يمتنع قبوله فيه أى آلآن تؤمن حين ينست من الحياة وأيقنت بالملمات وقوله عز وجل (وقد عصيت قبل) حال من فاعل الفعل المقدر جىء به لتشديد التوبيخ والتقرير على تأخير الإيمان إلى هذا الآن ببيان أنه لم يكن تأخيره لعدم بلوغ الدعوة إليه ولا للتأمل والتدبر فى دلائله وآياته ولا لشيء آخر مما عسى يعد عذراً فى التأخير بل كان ذلك على طريقة الرد والاستعصاء والإفساد فإن قوله تعالى (وكنت من المفسدين) عطف على عصيت داخل فى حيز الحال أى وكنت من الغالين فى الضلال والإضلال عن الإيمان كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم

فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيَدِنَا لِنَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا
لَغَافُلُونَ ﴿٩٢﴾

١٠ يونس

وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبْأَصِدٍ وَرَزَقْنَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ
إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾

١٠ يونس

- عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فهذا عبارة عن فساد الرافع إلى نفسه والسارى إلى غيره من
الظلم والتعدى وصد بني إسرائيل عن الإيمان والاول عن عصيانه الخاص به (فاليوم تنجيك) أى
نخرجك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافياً وفي التعبير عنه بالتنجية تلويح بأن مراده
بالإيمان هو النجاة كما مروتهكم به أو نلقيك على نجوة من الأرض ليراك بنو إسرائيل وقرىء تنجيك
من الإنجاء وتنجيك بالحاء من التنحية أى نلقيك بناحية الساحل (بيدك) فى موضع الحال من ضمير
المخاطب أى تنجيك ملاسماً بيدك فقط لامع روحك كما هو مطلوبك فهو تخييب له وحسم لا طمأنة
بالمرة أو عارياً عن اللباس أو كاملاً سوياً أو بدرعك وكانت له درع من الذهب يعرف بها وقرىء
بأبدانك أى بأجزاء بدنك كلها كقولهم هوى بأجرامه أو بدرعك كأنه كان مظاهراً أيها (لتكون لمن
خلفك آية) لمن وراك علامة وهم بنو إسرائيل إذ كان فى نفوسهم من عظمتهم ما خيل إليهم أنه لا يهلك
حتى يروى أنهم لم يصدقوا موسى عليه السلام حين أخبرهم بفرقه إلى أن طابوه مطرحاً على مرم من
الساحل أو تكون لمن يأتى بعدك من الأمم إذا سمعوا ما لأمرك من شاهدك عبرة ونكالا من الطغيان
أو حجة تدلهم على أن الإنسان وإن بلغ الغاية القصوى من عظم الشأن وعلو الكبرياء وقوة السلطان فهو
مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرىء لمن خلفك فعلاً ماضياً أى لمن خلفك من الجبابرة وقرىء
لمن خلفك بالقاف أى لتكون لخلفك آية كسائر الآيات فإن أفراد سببانه إياك بالإلقاء إلى الساحل
دليل على أنه قصد منه لكشف تزويرك وإمطة الشبهة فى أمرك وبرهان نير على كمال علوه وقدرته وحكمته
وإرادته وهذا الوجه محتمل على القراءة المشهورة أيضاً وفى تعليل تنجيته بما ذكر لإبذان بأنها ليست
لإعزازه أو لفائدة أخرى عائدة إليه بل لكال الاستهانة به وتفضيحه على رموس الأشرار وزيادة تفضيحه
حاله كمن يقتل ثم يجر جسده فى الأسواق أو يدار برأسه فى البلاد واللام الأولى متعلقة بتنجيك
والثانية بمحذوف وقع حالا من آية أى كائنه لمن خلفك (وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون)
لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وهو اعتراض تذييلى جىء به عند الحكاية تقريراً لفحوى الكلام
المحكى (ولقد بوائنا بني إسرائيل) كلام مستأنف سيق لبيان النعم الفائضة عليهم إثر نعمة الإنجاء على
وجه الإجمال وإخلاصهم بشكرها وأداء حقوقها أى أسكنناهم وأنزلناهم بعد ما أنجيناهم وأهلكنا أعداءهم
(مبوا صدق) أى منزلاً صالحاً مرضياً وهو الشام ومصر ملكوهما بعد الفراعنة والعمالة وتمكنوا

٩٢

٩٣

فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾

١٠ يونس

وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَةِ اللَّهِ فَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾

١٠ يونس

إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾

١٠ يونس

- في نواحيهما حسبما نطق به قوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها
التي باركنا فيها (ورزقناهم من الطيبات) أي اللذائذ (فما اختلفوا) في أمر دينهم (حتى جاءهم العلم) أي
إلا بعد ما جاءهم العلم بقراءتهم التوراة وعليهم بأحكامها أو في أمر محمد ﷺ إلا من بعد ما علموا صدق
نبوته وتظاهر معجزاته فالمراد بالمختلفين أعقابهم الذين كانوا في عصر النبي ﷺ (إن ربك يقضي بينهم
يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) فيميز بين الحق والمبطل بالإثابة والتعذيب (فإن كنت في شك) أي ٩٤
في شك ما يسير على الفرض والتقدير فإن مضمون الشرطية إنما هو تعليق شيء بشيء من غير تعرض
لإمكان شيء منهما كيف لا وقد يكون كلاهما ممتنعاً كقوله عز وجل قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول
العابدين وقوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك ونظائرهما (بما أنزلنا إليك) من القصص التي من جملتها
● قصة فرعون وقومه وأخبار بني إسرائيل (فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك) فإن ذلك محقق
● عدم ثابت في كتبهم حسبما ألقينا إليك والمراد إظهار نبوته ﷺ بشهادة الأخبار حسبما هو المسطور
في كتبهم وإن لم يكن إليه حاجة أصلاً أو وصف أهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة نبوته ﷺ أو
تهييجهم ﷺ وزيادة تثبيته على ما هو عليه من اليقين لا تجوز صدور الشك منه ﷺ ولذلك قال ﷺ
لا أشك ولا أسأل وقبل المراد بالموصول مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وتميم الداري وكعب
وأضراهم وقيل الخطاب للنبي ﷺ والمراد أمته أو لكل من يسمع أي إن كنت أيها السامع في شك بما
أنزلنا إليك على لسان نبينا وفيه تنبيه على أن من عالجته شبهة في الدين ينبغي أن يسارع إلى حلها بالرجوع
إلى أهل العلم وقرىء فاسأل الذين يقرءون الكتاب (لقد جاءك الحق) الذي لا محيد عنه ولا ريب في
● حقيقته (من ربك) وظهر ذلك بالآيات القاطعة التي لا يحوم حولها شائبة الارتياب وفي التعرض لعنوان
● الربوبية مع الإضافة إلى ضميره ﷺ من التشریف مالا يخفى (فلا تكونن من الممترين) بالتزلزل عما أنت
● عليه من الجزم واليقين ودم على ذلك كما كنت من قبل (ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله) من باب ٩٥
التهييج والإلهاب والمراد به إعلام أن التكذيب من القبح والمحذورية بحيث ينبغي أن ينهى عنه من لا يتصور
● إمكان صدوره عنه فكيف بمن يمكن اتصافه به وفيه قطع لا طماع الكفرة (فتكون) بذلك (من
● الخاسرين) أنفساً وأعمالاً (إن الذين حقت عليهم) شروع في بيان سر إصرار الكفرة على مام عليه من ٩٦
● الكفر والضلال أي ثبتت ووجبت بمقتضى المشبهة المبنية على الحكمة البالغة (كلمة ربك) حكمه وقضاؤه

وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

١٠ يونس

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمُ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَجَّيْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿٩٨﴾

١٠ يونس

- بأنهم يموتون على الكفر ويخلدون في النار كقوله تعالى ولكن حق القول مني لا ملأن جهنم إلى آخره (لا يؤمنون) أبداً إذ لا كذب لكلامه ولا انتقاض لقضائه أى لا يؤمنون إيماناً نافعاً واقعاً في أوانه
- ٩٧ فيندرج فيهم المؤمنون عند معاينة العذاب مثل فرعون باقياً عند الموت فيدخل فيهم المرتدون (ولو جاءتهم كل آية) واضحة المدلول مقبولة لدى العقول لأن سبب إيمانهم وهو تعلق إرادته تعالى به مفقود لكن فقدانه ليس لمنع منه سبحانه مع استحقاقتهم له بل لسوء اختيارهم المتفرع على عدم استعدادهم لذلك
- ٩٨ (حتى يروا العذاب الأليم) كدأب آل فرعون وأضرابهم (فلولا كانت) كلام مستأنف لتقرير ما سبق من استحالة إيمان من حقت عليهم كلمته تعالى لسوء اختيارهم مع تمكنهم من التدارك فيكون الاستثناء
- الآتي بياناً لكون قوم يونس عليه السلام ممن لم يحق عليه الكلمة لاهتدائهم إلى التدارك في وقته ولولا
- بمعنى هلا وقرىء كذلك أى فملا كانت (قرية) من القرى المهلكة (آمنت) قبل معاينة العذاب ولم تؤخر
- إيمانها إلى حين معاينته كما فعل فرعون وقومه (ففنعها إيمانها) بأن يقبله الله تعالى منها ويكشف بسببه
- العذاب عنها (إلا قوم يونس) استثناء منقطع أى لكن قوم يونس (لما آمنوا) أول مارأوا أماراة
- العذاب ولم يؤخروا إلى حلوله (كشفتنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا) بعد ما أظلمهم وكاد يجل بهم
- ويجوز أن تكون الجملة في معنى النفي كما يفصح عنه حرف التحضيض فيكون الاستثناء متصلاً إذ المراد بالقرى أهاليها كأنه قيل ما آمنت طائفة من الأمم العاصية فنفعهم إيمانهم إلا قوم يونس عليه السلام
- فيكون قوله تعالى لما آمنوا استثناءً لبيان نفع إيمانهم ويؤيده قراءة الرفع على البدلية (ومتعنهم) بمتاع
- الدنيا بعد كشف العذاب عنهم (إلى حين) مقدر لهم في علم الله سبحانه . روى أن يونس عليه السلام
- بعث إلى نينوى من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مفاضياً فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا
- المسوح وعجوا أربعين ليلة وقيل قال لهم يونس عليه السلام أجلكم أربعون ليلة فقالوا إن رأينا أسباب
- الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلاثون أغامت السماء غيماً أسود هاملاً يدخن دخاناً شديداً ثم يهبط
- حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم
- ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب وأولادها نحن بعضها إلى بعض وعلت الأصوات
- والعجيج وأظهروا الإيمان والتوبة وتضرعوا إلى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم وكان ذلك يوم عاشوراء
- يوم الجمعة وعن ابن مسعود رضى الله عنه بلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم حتى أن الرجل كان يقتلع
- الحجر وقد وضع عليه أساس بنائه فيرده إلى صاحبه وقيل خرجوا إلى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل
- بنا العذاب فاترى فقال لهم قولوا يا حى حين لا حى ويا حى الموتى ويا حى لا إله إلا أنت فقالوا

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا فَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ١٠ يونس
وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ ١٠ يونس

- فكشفت عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا إن ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم منها وأجل أفعـل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله (ولو شاء ربك لأمن من في الأرض) تحقيق لدوران إيمان كافة ٩٩ المكلفين وجوداً وعدمًا على قطب مشيئته تعالى مطلقاً لثريان تبعية كفر الكفرة لكلمته ومفعول المشيئة محذوف لوجود ما يقتضيه من وقوعها شرطاً وكون مفعولها مضمون الجزاء وأن لا يكون في تعلقها به غرابة كما هو المشهور أى لو شاء سبحانه إيمان من في الأرض من الثقلين لأمن (كلهم) بحيث لا يشذ عنهم أحد (جميعاً) مجتمعين على الإيمان لا يختلفون فيه لكنه لا يشاؤه لكونه مخالفاً للحكمة التي عليها بنى أساس التكوين والتشريع وفيه دلالة على أن من شاء الله تعالى إيمانه يؤمن لا محالة (أفأنت تكـره الناس) على ما لم يشأ الله منهم حسبما ينبى عنه حرف الامتناع في الشرطية والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام كأنه قيل أربك لا يشاء ذلك فأنت تكـرههم (حتى يكونوا مؤمنين) فيكون الإنكار متوجهاً إلى ترتيب الإكراه المذكور على عدم مشيئته تعالى ويجوز أن تكون الفاء لترتيب الإنكار على عدم مشيئته تعالى بناء على أن الهمة متأخرة في الاعتبار وإنما قدمت لاقتضاها الصدارة كما هو رأى الجمهور وأياً ما كان فالمشيئة على إطلاقها إذ لا فائدة بل لا وجه لا اعتبار عدم مشيئة الإلجاء خاصة في إنكار الترتيب عليه أو ترتيب الإنكار عليه وفي إيلاء الاسم حرف الاستفهام إيدان بأن الإكراه أمر ممكن لكن الشأن في المكـره من هو وما هو إلا هو وحده لا يشارك فيه لأنه القادر على أن يفعل في قلوبهم ما يضطرهم إلى الإيمان وذلك غير مستطاع للبشر وفيه إيدان باعتبار الإلجاء في المشيئة كما أشير إليه (وما كان لنفس) ١٠٠ بيان لتبعية إيمان النفوس المؤمنة لمشيئته تعالى وجوداً بعد بيان الدوران الكلى عليها وجوداً وعدمًا أى ماصح وما استقام لنفس من النفوس التي علم الله تعالى أنها تؤمن (أن تؤمن إلا بإذن الله) أى بتسهيـله ومنحه للأطراف وإنما خصت النفس بمن ذكر ولم يجعل من قبيل قوله تعالى وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله لأن الاء تشاء مفرغ من أعم الأحوال أى ما كان لنفس أن تؤمن في حال من أحوالها إلا حال كونها ملابسة بإذنه تعالى فلا بد من كون الإيمان بما يتول إليه حالها كما أن الموت مآل لكل نفس بحيث لا يحيص لها عنه فلا بد من تخصيص النفس بمن ذكر فإن النفوس التي علم الله أنها لا تؤمن ليس لها حال تؤمن فيها حتى يستثنى تلك الأحوال من غيرها (ويجعل الرجس) أى الكفر بقرينة ما قبله عبر عنه بالرجس الذى هو عبارة عن القبيح المستقذر المستكره لكونه علماً فى القبح والاستكره وقيل هو العذاب أو الخذلان المزدى إليه وقرىء بنون العظمة وقرىء بالزأى أى يجعل الكفر ويبيـقيه (على الذين لا يعقلون) لا يستعملون عقولهم بالنظر فى الحقيق والآيات ولا يعقلون دلائله وأحكامه لما على قلوبهم من الطبع

قُلْ أَنْظَرُوا مَا ذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾
 فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾
 ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

- ١٠١ فلا يحصل لهم الهداية التي عبر عنها بالإذن فيبقون مغمورين بقبائح الكفر والضلال أو مغمورين بالعذاب والنكال والجملة معطوفة على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم كأنه قيل فيأذن لهم بمنح الألفاظ ويجعل الخ (قل) مخاطباً لأهل مكة بعناً لهم على التدبر في ملكوت السموات والأرض وما فيهما من تعجيب الآيات الانفسية والافاقية ليتضح لك أنهم من الذين لا يعقلون وحقت عليهم الكلمة (انظروا)
- أي تفكروا وقرئ بقل حركة الهمزة إلى لام قل (ماذا في السموات والأرض) أي أي شيء بديع فيهما من عجائب صنعه الدالة على وحدته وكمال قدرته على أن ماذا جعل بالتركيب اسماً واحداً مغلباً فيه الاستفهام على اسم الإشارة فهو مبتدأ خبره الظرف ويجوز أن يكون مامبتدأ وذا بمعنى الذي والظرف صلته والجملة خبر للابتدأ وعلى التقديرين فالابتدأ والخبر في محل النصب بإسقاط الحافض وفعل النظر معلق بالاستفهام (وما تغني) أي ما تنفع وقرئ بالتذكير (الآيات) وهي التي عبر عنها بقوله تعالى
- ماذا في السموات والأرض (والنذر) جمع نذير على أنه فاعل بمعنى منذر أو على أنه مصدر أي لا تنفع الآيات والرسل المنذرون أو الإنذارات (عن قوم لا يؤمنون) في علم الله تعالى وحكمه فما نافية والجملة إما حالية أو اعتراضية ويجوز كون ما استفهامية إنكارية في موضع النصب على المصدرية أي أي إغناء
- ١٠٢ تغني الخ فالجملة حينئذ اعتراضية (فهل ينتظرون) أي مشركو مكة وأضرابهم (إلا مثل أيام الذين خلوا)
- أي إلا يوماً مثل أيام الذين خلوا (من قبلهم) من مشركي الأمم الماضية أي مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم إذ لا يستحقون غيره من قولهم أيام العرب لوقائعها (قل) تهديداً لهم (فانتظروا) ما هو عاقبتكم
- ١٠٣ (إني معكم من المنتظرين) لذلك (ثم ننجي رسلنا) بالتشديد وقرئ بالتخفيف وهو عطف على مقدر يدل عليه قوله مثل أيام الذين خلوا وما بينهما اعتراض جيء به مسارعة إلى التهديد ومبالغة في تشديد الوعيد كأنه قيل أهلكنا الأمم ثم نجينا رسلنا المرسلات إليهم (والذين آمنوا) وصيغة الاستقبال لحكاية الأحوال الماضية لتحويل أمرها باستحضار صورها وتأخير حكاية النتيجة عن حكاية الإهلاك على عكس ما في قوله تعالى فنجيناه ومن معه في الفلك الخ ونظائره الواردة في مواقع عديدة ليتصل به قوله عز وجل (كذلك)
- أي مثل ذلك الإنجاء (حقاً علينا) اعتراض بين العامل والمعمول أي حق ذلك حقاً وقيل بدل من المحذوف الذي ناب عنه كذلك أي إنجاء مثل ذلك حقاً والكاف متعلقة بقوله تعالى (تنجي المؤمنين) أي من كل شدة وعذاب والجملة تذييل لما قبلها مقرر لمضمونه والمراد بالمؤمنين إما الجنس المتناول للرسول عليهم السلام والاتباع وإما الاتباع فقط وإنما لم يذكر إنجاء الرسل إذ أنابعدم الحاجة إليه وأياً ما كان فقيه

قُلْ يَتَّابِعُهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمُ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾

١٠ يونس

وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾

١٠ يونس

وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾

١٠ يونس

- تنبيه على أن مدار النجاة هو الإيمان (قل) لجمهور المشركين (يا أيها الناس) أوثر الخطاب باسم الجنس ١٠٤
- مصدر أجحرف التنبيه تعميماً للتبليغ وإظهار الكمال العناية بشأن ما بلغ إليهم (إن كنتم في شك من ديني)
 - الذي أعبد الله عز وجل به وأدعوكم إليه ولم تعلوا ما هو وما صفتة (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) في وقت من الأوقات (ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم) ثم بفعل بكم ما يفعل من فون العذاب أي فاعلوا
 - أنه تخصيص العبادة به ورفض عبادة ما سواه من الأصنام وغيرها مما تعبدونه جهلاً وتقديماً ترك عبادة الغير على عبادته تعالى لتقدم التخليّة على التخليّة كما في كلمة التوحيد والإبذان بالمخالفة من أول الأمر أو إن كنتم في شك من صحة ديني وسداده فاعلوا أن خلاصته إخلاص العبادة لمن بيده الإيجاد والإعدام دون ما هو بمعزل منهما من الأصنام فاعرضوها على عقولكم وأجبلوا فيها أفكاركم وانظروا فيها بعين الإنصاف لتعلموا أنه حق لا ريب فيه وفي تخصيص التوفي بالذكر متعلقاً بهم ما لا يخفى من التهديد والتعريض عما هم فيه بالشك مع كونهم قاطعين بعدم الصحة للإبذان بأن أقصى ما يمكن عروضة للعاقل في هذا الباب هو الشك في صحته وأما القطع بعدمها فما لا سبيل إليه وإن كنتم في شك من ثباتي على الدين فاعلوا أني لا أتركه أبداً (وأمرت أن أكون من المؤمنين) بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وهو تصريح بأن ما هو عليه من دين التوحيد ليس بطريق العقل الصرف بل بالإمداد السماوي والتوفيق الإلهي وحذف حرف الجر من أن يجوز أن يكون من باب الحذف المطرد مع أن وأن يكون خاصاً بفعل الأمر كما في قوله [أمرت أن أكون من المؤمنين] (وأمر أن أقيم وجهك للدين الحنيف) عطف على أن أكون خلا أن صلة أن محكية بصيغة ١٠٥
 - الأمر ولا ضير في ذلك لأن مناط جواز وصلها بصيغ الأفعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والطلبية ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي إنما هو للتوصل إلى وصف المعارف بالجمال وهي لا توصف إلا بالجمال الخبرية وليس الموصول الحرفي كذلك أي وأمرت بالاستقامة في الدين والاستعداد فيه بأداء الأمور به والانتها عن المنهى عنه أو باستقبال القبلة في الصلاة وعدم الالتفات إلى اليمين والشمال (حنيفاً) حال من الدين أو الوجه أي ما عدا عن الأديان الباطلة (ولا تكونن من المشركين) عطف على
 - أقم داخل تحت الأمر أي لا تكونن منهم اعتقاداً أولاً وعملاً وقوله عز وجل (ولا تدع) عطف على قوله ١٠٦
 - تعالى قل يا أيها الناس غير داخل تحت الأمر وقيل على ما قبله من النهي والوجه هو الأول لأن ما بعده من الجمل إلى آخر الآيتين منسقة لا يمكن فصل بعضها عن بعض كما ترى ولا وجه لادراج الكل تحت

وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ
بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾

١٠ يونس

قُلْ يَتَأَيَّأُ النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ
فَأِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾

١٠ يونس

- الأمرو هو تأكيد للنهي المذكور وتفصيل لما أجل فيه إظهاراً لكمال العناية بالأمر وكشفاً عن وجه
● بطلان ما عليه المشركون أي لا تدع (من دون الله) استقلالاً ولا اشتراكاً (ملاً ينفعك) إذا دعوته
● بدفع مكروه أو جلب محبوب (ولا يضررك) إذا تركته بسلب المحبوب دفعاً أو رفعاً أو بإيقاع المكروه
● وتقديم النفع على الضرر غنى عن بيان السبب (فإن فعلت) أي ما نهيت عنه من دعاء ملاً ينفع ولا يضرركني
● به عنه تنويعاً لشأنه بإلحاح وتنبيهاً على رفعة مكانه من أن ينسب إليه عبادة غير الله سبحانه ولو في ضمن
● الجملة الشرطية (فإنك إذا من الظالمين) جزاء للشرط وجواب لسؤال من يسأل عن تبعه ما نهى عنه
● (وإن يمسسك الله بضر) تقرير لما أورد في حيز الصلة من سلب النفع من الأصنام وتصور لا اختصاصه
● به سبحانه (فلا كاشف له) عنك كائناً من كان وما كان (إلا هو) وحده فيثبت عدم كشف الأصنام
● بالطريق البرهاني وهو بيان لعدم النفع برفع المكروه المستلزم لعدم النفع بجلب المحبوب استلزاماً
● ظاهراً فإن رفع المكروه أدنى مراتب النفع فإذا انتفى بالكلية (وإن يردك بخير) تحقيق لسلب
● الضرر الوارد في حيز الصلة أي إن يرد أن يصيبك بخير (فلا راد لفضله) الذي من جلته ما أرادك به
● من الخير فهو دليل على جواب الشرط لأنفس الجواب وفيه إيذان بأن فيضان الخير منه تعالى بطريق
● التفضل من غير استحقاق عليه سبحانه أي لا أحد يقدر على رده كائناً ما كان فيدخل فيه الأصنام دخولا
● أولياً وهو بيان لعدم ضررها بدفع المحبوب قبل وقوعه المستلزم لعدم ضررها برفعها أو بإيقاع المكروه
● استلزاماً أجلياً ولعل ذكر الإرادة مع الخير والمس مع الضرر مع تلازم الأمرين للإيذان بأن الخير مراد
● بالذات وأن الضرر إنما يمس من يمس لما يوجهه من الدواعي الخارجية لا بالقصد الأولي أو أريد معنى
● الفعلين في كل من الضرر والخير وأنه لا أراد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فإوجز الكلام بأن ذكر
● في أحدهما المس وفي الآخر الإرادة ليدل بما ذكر في كل جانب على ما ترك في الجانب الآخر على أنه قد
● صرح بالإصابة حيث قيل (يصيب به) إظهاراً لكمال العناية بجانب الخير كما ينبغي عنه ترك الاستثناء فيه
● أي يصيب بفضله الواسع المنتظم لما أرادك به من الخير وجعل الفضل عبارة عن ذلك الخير بعينه على
● أن يكون من باب وضع المظهر في موضع المضمحل لما ذكر من الفائدة بأباه قوله عز وجل (من يشاء
● من عباده) فإن ذلك ينادى بعموم الفضل وقوله عز قافلاً (وهو الغفور الرحيم) تذييل لقوله تعالى
● ١٠٨ يصيب به الخ مقرر لمضمونه والكل تذييل للشرطية الأخيرة محقق لمضمونها (قل) مخاطباً لا ولك

١٠ يونس

وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَخْرُجَ إِلَيْكَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْخَائِكِينَ ﴿١٠٩﴾

- الكفرة بعد ما بلغتهم ما أوحى إليك (بأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم) وهو القرآن العظيم المشتمل على محاسن الأحكام التي من جعلتها مأمراً نافعاً من أصول الدين واطلعت على ما في تضاعيفه من البينات والهدى ولم يبق لكم عذر (فمن اهتدى) بالإيمان به والعمل بما في مطالوبه (فإنما يهتدى لنفسه) أي منفعة
- اهتدائه لها خاصة (ومن ضل) بالكفر به والإعراض عنه (فإنما يضل عليها) أي فو بال الضلال مقصور عليها والمراد تنزيه ساحة الرسالة عن شائبة غرض عائد إليه ﷺ من جلب نفع أو دفع ضرر كما يلوح به إسناد المجيء إلى الحق من غير إشعار بكون ذلك بواسطته (وما أنا عليكم بوكيل) بحفيظ مو كول
- إلى أمركم وإنما أنا بشير ونذير (واتبع) اعتقاداً وعملاً وتبليغاً (ما يوحى إليك) على نهج التجدد والاستمرار ١٠٩ من الحق المذكور المتأكد يوماً فيوماً وفي التعبير عن بلوغه إليهم بالمجيء وإليه ﷺ بالوحي تنبيه على ما بين المرتبتين من التناهي (واصبر) على ما يترتب من مشاق التبليغ (حتى يحكم الله) بالضرورة عليهم أو بالأمراء القتال (وهو خير الحاكمين) إذ لا يمكن الخطأ في حكمه لا اطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر
- عن رسول الله ﷺ من قرأ سورة يونس أعطى له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون والحمد لله وحده .

١١ — سورة هود عليه السلام

(مكية وهي مائة وثلاث وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١١ هود

الر كَتَبْتُ أَحْكَمْتَ ءَايَتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾

(سورة هود عليه السلام)

(مكية وهي مائة وثلاث وعشرون آية)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (الر) محله الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف وقيل على أنه مبتدأ والأول هو الظاهر كما أشير إليه في سورة يونس أو النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اذكر أو اقرأ على تقدير كونه اسماً للسورة على ما عليه إطباق الأكثر أو لا محل له من الإعراب مسرود على نمط التعديد حسبما فصل في أخواته وقوله تعالى (كتاب) خبر له على الوجه الثاني ولمبتدأ محذوف على الوجه الباقية (أحكمت آياته) نظمت نظماً متقناً لا يعتريه خلل بوجه من الوجوه أو جعلت حكيمة لانطوائها على جلائل الحكم البالغة ودقائقها أو منعت من النسخ بمعنى التغيير مطلقاً أو أيدت بالحجج القاطعة الدالة على كونها من عند الله عز وجل أو على ثبوت مدلولاتها فالمراد بالآيات جميعها أو على حقيقة ما تشتمل عليه من الأحكام الشرعية فالمراد بها بعضها المشتمل عليها كما إذا فسر الأحكام بالمنع من النسخ بمعنى تبديل الحكم الشرعي خاصة وأما تفسيره بالمنع من الفساد أخذاً من قولهم أحكمت الدابة إذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجراح ففيه إيهام مالا يكاد يليق بشأن الآيات الكريمة من التداعى إلى الفساد لولا المانع وفي إسناد الأحكام على الوجوه المذكورة إلى آيات الكتاب دون نفسه لا سيما على الوجوه الشاملة لكل آية آية
- منه من حسن الموقع والدلالة على كونه في أقصى غايته منه مالا يخفى (ثم فصلت) أى جعلت فصولاً من الأحكام والدلائل والمواظع والقصص أو فصل فيها مهمات العباد في المعاش والمعاد على الإسناد المجازى والتفسير بجعلها آية آية لا يساعده المقام لأن ذلك من الأوصاف الأولية فلا يناسب عطفه على إحكامها بكلمة التراخي وأما المعنيان الأولان فهما وإن كانا مع الأحكام زماناً حيث لم تزل الآيات محكمة مفصلة لأنها أحكمت أو فصلت بعد أن لم تكن كذلك إذاً الفعلان من قبيل قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر القليل إلا أنهما حيث كانا من صفات الآيات باعتبار نسبة بعضها إلى بعض على وجه يستتبع أحكاماً مخصوصة وآثاراً معتدأ بها وبملاحظة مصالح العباد تناسب أن يشار إلى تراخي رتبة الأحكام وإن حمل جعلها آية آية على معنى تفريق بعضها عن بعض يكون من هذا القبيل إلا أنه ليس في مثابته في استتباع ما يستتبعه من الأحكام والآثار أو فرقت في التنزيل منجمة بحسب المصالح فإن أراد تنزيلها المنجم بالفعل فالتراخي زمانى وإن أراد جعلها في نفسها بحيث يكون نزولها منجماً حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة فهو رتبى لأن ذلك وصف لازم لها تحقيقاً بأن يرتب على وصف إحكامها وقرئ أحكمت

أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٣٠٢﴾
 ١١ هود
 وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُغْفِرْ لَكُمْ مَتَّعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣٠٣﴾
 ١١ هود

- آياته ثم فصلت على صيغة التكلم وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت أى فرقت بين الحق والباطل (من)
 (لن حكيم خير) صفة للكتاب وصف بها بعد ما وصف بإحكام آياته وتفصيلها الدالين على علو رتبته
 من حيث الذات إبانة للجلالة شأنه من حيث الإضافة أو خبر بعد خبر للابتداء المذكور أو المحذوف أو
 صلة للفعلين وفي بنائهما للمفعول ثم إيراد الفاعل بعنوان الحكمة البالغة والإحاطة بجلائلها ودقائقها منكرأ
 بالتنكير التفخيم وربطهما به لأعلى النهج الممهور في إسناد الأفاعيل إلى فواعلها مع رعاية حسن الطباق
 من الجزالة والدلالة على نغامتها وكونهما على أكمل ما يكون مالا يكتنه كنه (ألا تعبدوا إلا الله) ٢
 مفعول له حذف عنه اللام مع فقدان الشرط أعنى كونه فعلا لفاعل الفعل المعلن جريا على سنن القياس
 المطرد في حذف حرف الجر مع أن المصدرية كأنه قيل كتاب أحكمت آياته ثم فصلت لثلاث تعبدوا إلا
 الله أى لتتركوا عبادة غير الله عز وجل وتمحضوا في عبادته فإن الإحكام والتفصيل على ما فصل من
 المعاني ما يدعوهم إلى الإيمان والتوحيد وما يتفرع عليه من الطاعات قاطبة وقيل أن مفسرة لما في التفصيل
 من معنى القول أى قيل لا تعبدوا إلا الله (إني لكم منه) من جهة الله تعالى (نذير) أنذركم عذابه إن لم
 تتركوا ما أنتم عليه من الكفر وعبادة غير الله تعالى (وبشير) أبشركم بشوابه إن آمنتم به وتمحضتم في عبادته
 ولما ذكر شئون الكتاب من إحكام آياته وتفصيلها وكون ذلك من قبل الله تعالى وأورد معظم ما نظم
 في سلك الغاية والأمر من التوحيد وترك الإشراك وسط بينه وبين قرينه أعنى الاستغفار والتوبة ذكر
 أن من نزل عليه ذلك الكتاب مرسل من عند الله تعالى لتبليغ أحكامه وترشيحها بالمؤيدات من الوعد
 والوعيد للإيدان بأن التوحيد في أقصى مراتب الأهمية حتى أفرد بالذكر وأيد لإيجابه بالخطاب غب
 الكتاب مع تلويح بأنه كالا يتحقق في نفسه إلامقارناً للحكم برسالته ﷺ كذلك في الذكر لا ينفك أحدهما
 عن الآخر وقد روعى في سوق الخطاب بتقديم الإنذار على التبشير ماروعى في الكتاب من تقديم النفي
 على الإثبات والتخلية على التحلية ليتجاوب أطراف الكلام ويجوز أن يكون قوله تعالى ألا تعبدوا إلا
 الله كلاماً منقطعاً عما قبله وأرادا على لسانه ﷺ إغراء لهم على اختصاصه تعالى بالعبادة كأنه ﷺ قال
 ترك عبادة غير الله أى الزموه على معنى اتركوا عبادة غير الله تركا مستمرا لأننى لكم من جهة الله تعالى
 نذير وبشير أى نذير أنذركم من عقابه على تقدير استمراركم على الكفر وبشير أبشركم بشوابه على
 تقدير ترككم له وتوحيدهم ولما سبق إليهم حديث التوحيد وأكد ذلك بخطاب الرسول ﷺ على وجه
 الإنذار والتبشير شرع في ذكر ما هو من تيماته على وجه يتضمن تفصيل ما أجمل في وصف البشير والنذير
 فقيل (وأن استغفروا ربكم) وهو معطوف على أن لا تعبدوا على ما ذكر من الوجهين فعلى الأول أن ٣

إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾

- مصدرية لجواز كون صلتها أمراً أو نهياً كما في قوله تعالى وأن أقم وجهك للدين حنيفاً لأن مدار جواز كونها فعلاً إنما هو دلالة على المصدر وهو موجود فيهما ووجوب كونها خبرية في صلة الموصول الاسمي إنما هو للتوصل إلى وصف المعارف بالجل وهي لا توصف بها إلا إذا كانت خبرية وأما الموصول الحر في فليس كذلك ولما كان الخبر والإنشاء في الدلالة على المصدر سواء ساغ وقوع الأمر والنهي صلة حسبما ساغ وقوع الفعل فيتجرد عند ذلك عن معنى الأمر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضى والاستقبال (ثم توبوا إليه) عطف على استغفروا والكلام فيه كالكلام فيه والمعنى فعل ما فعل من الأحكام والتفصيل لتخصوا الله تعالى بالعبادة وتطلبوا منه ستر ما فرط منكم من الشرك ثم ترجعوا إليه بالطاعة أو تستمروا على ما أنتم عليه من التوحيد والاستغفار أو تستغفروا من الشرك وتوبوا من المعاصي وعلى الثاني أن مفسرة أى قيل في أثناء تفصيل الآيات لا تعبدوا إلا الله واستغفروه ثم توبوا إليه والتعرض لوصف الربوبية تلقين للمخاطبين وإرشاد لهم إلى طريق الابتغال في السؤال وترشيح لما يعقبه من التمتع وإيتاء الفضل بقوله تعالى (يمتعكم متاعاً حسناً) أى تمتعاً وانتصابه على أنه مصدر حذف منه الزوائد كقوله تعالى أنبتكم من الأرض نباتاً أو على أنه مفعول به وهو اسم لما يتمتع به من منافع الدنيا من الأموال والبنين وغير ذلك والمعنى يعشكم عيشاً مرضياً لا يفوتكم فيه شيء مما تشتهون ولا ينغصه شيء من المكدرات (إلى أجل مسمى) مقدر عند الله عز وجل وهو آخر أعماركم ولما كان ذلك غاية لا يطلع وراءها طامح جرى التمتع إليها مجرى التأييد عادة أو لايهلككم بعذاب الاستئصال (ويؤت كل ذي فضل) في الطاعة والعمل (فضله) جزاء فضله إما في الدنيا أو في الآخرة وهذه تسكلة لما أجمل من التمتع إلى أجل مسمى وتبيين لما عسى يعسر فهم حكمته من بعض ما يتفق في الدنيا من تفاوت الحال بين العاملين فرب إنسان له فضل طاعة وعمل لا يتمتع في الدنيا أكثر مما متع آخر دونه في الفضل وربما يكون المفضل أكثر تمتعاً فليل ويعط كل فاضل جزاء فضله إما في الدنيا كما يتفق في بعض المواد وإما في الآخرة وذلك مما لا مرد له وهذا ضرب تفصيل لما أجمل فيما سبق من البشارة ثم شرع في الإنذار فليل (وإن تولوا) أى تتولوا عما ألقى إليكم من التوحيد والالتفات والتوبة وإنما أخر عن البشارة جرياً على سنن تقدم الرحمة على الغضب أو لأن العذاب قد علق بالتولى عما ذكر من التوحيد والاستغفار والتوبة وذلك يستدعى سابقة ذكره وقرئ تولوا من ولي (فإنى أخاف عليكم) بموجب الشفقة والرافة أو أتوقع (عذاب يوم كبير) هو يوم القيامة وصف بالكبر كما وصف بالعظم في قوله تعالى ألا يظن أولئك أنهم مبعثون ليوم عظيم إما لكونه كذلك في نفسه أو وصف بوصف ما يكون فيه كما وصف بالثقل في قوله تعالى ثقلت في السموات والأرض وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بقمح أطعموا فيه الجيف وأياً ما كان ففي إضافة العذاب إليه تهويل وتفظيح له (إلى الله مرجعكم) رجوعكم بالموت ثم البعث للجزاء في مثل ذلك اليوم لا إلى غيره (وهو على كل شيء قدير) فيندرج في تلك الكلية قدرته على أماتكم ثم بعثكم وجزاءكم فيعذبكم بأفانين

أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ
إِنَّهُمْ عَلِيمٌ بِّذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾

١١ هود

- العذاب وهو تقرير لما سلف من كبر اليوم وتعليل للخوف ولما ألقى إليهم خوى الكتاب على لسان النبي ﷺ وسبق إليهم ما ينبغى أن يساق من الترغيب والترهيب وقع في ذهن السامع أنهم بعد ما سمعوا مثل هذا المقال الذى تخبر له صم الجبال هل قابلوه بالإقبال أم تبادوا فيما كانوا عليه من الإعراض والضلال فقل مصدرأ بكلمة التنبيه لإشعاراً بأن ما يعقبها من هنتام أمر يجب أن يفهم ويتعجب منه (ألا لهم يثنون صدورهم) يزورون عن الحق وينحرفون عنه أى يستمرون على ما كانوا عليه من التولى والإعراض لأن من أعرض عن شيء ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه وهذا معنى جزل مناسب لما سبق وقد نحنا نحو العلامة الزمخشري ولكن حيث لم يصلح التولى سبباً للاستخفاء في قوله عز وجل (ليستخفوا منه) التجأ ● إلى إضمار الإرادة حيث قال ويريدون ليستخفوا من الله تعالى فلا يطلع رسوله والمؤمنين على إعراضهم وجعله في قود المعنى إليه من قبيل الإضمار في قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق أى فضر ب فانفلق ولا يخفى أن انسياق الذهن إلى توسط الإرادة بين ثنى الصدور وبين الاستخفاء ليس كانسياقه إلى توسط الضرب بين الأمر به وبين الانفلاق ولعل الأظهر أن معناه يعطفون صدورهم على ما فيها من الكفر والإعراض عن الحق وعداوة النبي ﷺ بحيث يكون ذلك مخفياً مستوراً فيها كما تعطف الثياب على ما فيها من الأشياء المستورة وإنما لم يذكر ذلك استهجاناً بذكره أو إيماء إلى أن ظهوره مغن عن ذكره أو ليذهب ذهن السامع إلى كل ما لا خير فيه من الآءور المذكورة فيدخل فيه ما ذكر من توليهم عن الحق الذى ألقى إليهم دخولا أولياً حينئذ يظهر وجهه كونه سبباً للاستخفاء ويؤيده ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنها نزلت في الأخنس بن شريق وكان رجلاً حلوا المنطق حسن السياق للحديث يظهر لرسول الله ﷺ المحبة ويضمير في قلبه ما يضادها وقال ابن شداد إنها نزلت في بعض المنافقين كان إذا مر برسول الله ﷺ ثنى صدره وظهره وطأ رأسه وغطى وجهه كيلا يراه النبي ﷺ فكأنه إنما كان يصنع ما يصنع لأنه لوراه النبي ﷺ لم يمكنه التخلف عن حضور مجلسه والمصاحبة معه وربما يؤدي ذلك إلى ظهور ما في قلبه من الكفر والنفاق وقرئ يثنون صدورهم بالياء والناء من اثنون أفعل من الثنى كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة وعن ابن عباس رضى الله عنهما لثنونى وقرئ يثنون وأصله ثثنون من تفعل من الثن وهو ما هس من الكلاء وضعف يريد مطاوعة صدورهم للثنى كما يثنى الهش من النبات أو أراد ضعف إيمانهم ورخاوة قلوبهم وقرئ يثثن من اثنان أفعال منه ثم همز كما قيل أياضت وادهامت وقرئ يثنوى بوزن ترعوى (ألا حين يستغشون ثيابهم) ● أى يتغطون بها للاستخفاء على ما نقل عن ابن شداد أو حين يأوون إلى فراشهم ويتدثرون بثيابهم فإن ما يقع حينئذ حديث النفس عادة وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخى سنره ويحجى ظهره

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ

١١ هود

مُبِين ﴿١١﴾

- ويتغنى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي (يعلم ما يسرون) أي يضمرون في قلوبهم (وما يعلنون) أي يستوى بالنسبة إلى علمه المحيط سرهم وعلمهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه وإنما قدم السر على العلن نعيماً عليهم من أول الأمر ما صنعوا وإيداناً باقتضاحهم ووقوع ما يحذرونه وتحقيقاً للمساواة بين العلين على أبلغ وجه فكان علمه بما يسرونه أقدم منه بما يعلنونه ونظيره قوله تعالى قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه الإخفاء على الإبداء على عكس ما وقع في قوله تعالى وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله إذ لم يتعلق بإشعار أن المحاسبة بما يخفونه أولى منها بما يبدونه غرض بل الأمر بالعكس وأما هنا فقد تعلق بإشعار كون تعلق علمه تعالى بما يسرونه أولى منه بما يعلنونه غرض مهم مع كونهما على السوية كيف لا وعلمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة إليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الأشياء البارزة والكامنة وأما قوله تعالى وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون فحيث كان وارداً بصدد الخطاب مع الملائكة عليهم السلام المنزه مقامهم عن اقتضاء التأكيد والمبالغة في الإخبار بإحاطة علمه تعالى بالظاهر والباطن لم يسلك فيه ذلك المسلك مع أنه وقع الغنية عنه بما قبله من قوله عز وجل إني أعلم غيب السموات والأرض ويجوز أن يكون ذلك باعتبار أن مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن إذ ما من شيء يعلن إلا وهو أو مباديه قبل ذلك مضمّر في القلب فتعلق علمه سبحانه بحالته الأولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية (إنه عليم بذات الصدور) تعليل لما سبق وتقرير له واقع موقع الكبرى من القياس وفي صيغة الفعيل وتحلية الصدور بلام الاستغراق والتعبير عن الضمائر بعنوان صاحبيتهما من البراعة ما لا يصفه الواصفون كأنه قيل إنه مبالغ في الإحاطة بمضمرات جميع الناس وأسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تفارقها أصلاً فكيف يخفى عليه ما يسرون وما يعلنون ويجوز أن يراد بذات الصدور القلوب من قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور والمعنى أنه عليم بالقلوب وأحوالها فلا يخفى عليه سر من أسرارها (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها) غذاؤها اللائق بها من حيث الخلق ومن حيث الإيصال إليها بطريق طبيعي أو إرادى لتكفله إياه تفضلاً ورحمة وإنما جيء به على طريق الوجوب اعتبار السبق الوعد وتحقيقاً لوصوله إليها البتة وحلاً للكيفين على الثقة به تعالى والإعراض عن إلتعاب النفس في طلبه (ويعلم مستقرها) محل قرارها في الأضلاب (ومستودعها) موضعها في الأرحام وما يجري مجراها من البيض ونحوها وإنما خص كل من الأسمين بما خص به من المحلين لأن النطفة بالنسبة إلى الأضلاب في حيزها الطبيعي ومنشأها الخلق وأما بالنسبة إلى الأرحام وما يجري مجراها فهي مودعة فيها إلى وقت معين أو مسكنها من الأرض حين وجدت بالفعل ومودعة من المواد والمقارحين كانت بعد بالقوة ولعل تقديم محلها

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَعْبُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ ١١ هود

- باعتبار حالتها الأخيرة لرعاية المناسبة بينها وبين عنوان كونها دابة في الأرض والمعنى وما من دابة في الأرض إلا يرزقها الله تعالى حيث كانت من أماكنها يسوقه إليها ويعلم موادها المتخالفة المندرجة في مراتب الاستعدادات المتفاوتة المتطورة في الأطوار المتباينة ومقارها المتنوعة ويفيض عليها في كل مرتبة ما يليق بها من مبادئ وجودها وكالاتها المتفرعة عليه وقد فسر المستودع بأماكنها في المراتب ولا يلائم مقام التكفل بأرزاقها (كل) من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها (في كتاب مبين) أي مثبت في اللوح المحفوظ البين لمن ينظر فيه من الملائكة عليهم السلام أو المظهر لما أثبت فيه للناظرين ولما انتهى الأمر إلى أنه سبحانه محيط بجميع أحوال ما في الأرض من المخلوقات التي لا تكاد تحصى من مبدأ فطرته إلى منتهاها اقتضى الحال التعرض لمبدأ خلق السموات والأرض والحكمة الداعية إلى ذلك فقبل (وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام) السموات في يومين والأرض في يومين وما ٧ عليها من أنواع الحيوانات والنبات وغير ذلك في يومين حسبما فصل في سورة حم السجدة ولم يذكر خلق ما في الأرض لكونه من تمام خلقها وهو السر في جعل الزمان خلقه تنمة لزمان خلقها في قوله تعالى في أربعة أيام في تنمة أربعة أيام والمراد بالأيام الأوقات كما في قوله تعالى ومن يومئذ يبرزه أي في ستة أوقات أو مقدار ستة أيام فإن اليوم في المعارف زمان كون الشمس فوق الأرض ولا يتصور ذلك حين لا أرض ولا سماء وفي خلقها مدرجاً مع القدرة التامة على خلقها دفعة دليل على أنه قادر مختار واعتبر المظار وحث على التأني في الأمور وأما تخصيص ذلك بالعدد المعين فأمر استأثر بعلم ما يقتضيه علم الغيوب جاءت حكمته وإثبات صيغة الجمع في السموات لما هو المشهور من الإشارة إلى كونها أجراماً مختلفة الطبائع ومتفاوتة الآثار والأحكام (وكان عرشه) قبل خلقهما (على الماء) ليس تحته شيء غير سواء كان بينهما فرجة أو كان موضوعاً على مته كما ورد في الآثار فلا دلالة فيه على إمكان الخلا. كيف لا ولودل لدل على وجوده لا على إمكانه فقط ولا على كون الماء أول ما حدث في العالم بعد العرض وإنما يدل على أن خلقهما أقدم من خلق السموات والأرض من غير تعرض للنسبة بينهما (ليبلوكم) متعلق بخلق أي خلق السموات والأرض وما فيهما من المخلوقات التي من جملتها أنتم ورتب فيهما جميع ما تحتاجون إليه من مبادئ وجودكم وأسباب معاشكم وأودع في تضاعيفهما من تعجيب الصانع والعبر ما استدلون به على مطالبكم الدينية ليعاملكم معاملة من يبتليكم (أيكم أحسن عملاً) فيجازيكم بالثواب والعقاب غب ما تبين المحسن من المسيء وامتازت درجات أفراد كل من الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم المترتبة على أنظارهم فيما نصب من الحجج والدلائل والإمارات والمخايل ومرتبات أعمالهم المتفرعة على ذلك فإن العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره عليه السلام بقوله أيكم

احسن عقلا وأورع عر محارم الله وأسرع في طاعة الله فإن لكل من القلب والقالب عملاً مخصوصاً به
فكما أن الأول أشرف من الثاني فكذلك الحال في عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة
على العباد أثر ذى أثر وإنما طريقها النظرى التفكير في بدائع صنائع الملك الخلاق والتدبر في آياته
البنات المنصوبة في الأنفس والآفاق ولا طاعة بدون فهم مافى مطاوى الكتاب الحكيم من الأوامر
والنواهي وغير ذلك مما له مدخل في الباب وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال لا تفضلوني على يونس بن
ماتى فإنه كان يرفع له كل يوم مثل عمل أهل الأرض قالوا وإنما كان ذلك التفكير في أمر الله عز وجل
الذى هو عمل القلب لأن أحداً لا يقدر على أن يعمل في اليوم بجوارحه مثل عمل أهل الأرض وتعليق
فعل البلوى أى تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور الذى يقتضى عدم إيراد المفعول أصلاً مع
اختصاصه بأفعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظائره ولذلك أجرى مجراه بطريق
التشليل أو الاستعارة التبعية وإيراد صيغة التفضيل مع أن الابتلاء شامل للفريقين باعتبار أعمالهم
المنقسمة إلى الحسن والقبيح أيضاً لا إلى الحسن والأحسن فقط للإيدان بأن المراد بالذات والمقصود
الأصلى مما ذكر من إبداع تلك البدائع على ذلك النمط الرائع إنما هو ظهور كمال إحسان المحسنين وأن
ذلك لكونه على أتم الوجوه اللائقة وأكمل الأساليب الرائقة يوجب العمل بموجبه بحيث لا ينجيد أحد
عن سلكه المستبين بل يهتدى كل فرد إلى ما يرشد إليه من مطلق الإيمان والطاعة وإنما التفاوت بينهم في
مراتبهما بحسب القوة والضعف والكثرة والقلة وأما الإعراض عن ذلك والوقوع في مهابى الضلال
فبمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلاً عن أن ينظم ظهوره في سلك العلة الغائية لذلك الصنع البديع
وإنما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب ولا يخفى مافيه من الترغيب
● في الترقى إلى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقائصها والله تعالى أعلم (ولئن قلت
● إنكم مبعوثون من بعد الموت) على ما يوجب قضية الابتلاء ليعترتب عليه الجزاء المتفرع على ظهور مراتب
● الأعمال (ليقوان الذين كفروا) إن وجه الخطاب في قوله تعالى إنكم إلى جميع المكلفين فالوصول مع صلته
● للتخصيص أى ليقول الكافرون منهم وإن وجهه إلى الكافرين منهم فهو وارد على طريقة الذم (إن هذا
● إلا سحر مبين) أى مثله في الخديعة أو البطلان وهذا إشارة إلى القول المذكور أو إلى القرآن فإن الإخبار
عن كونهم مبعوثين وإن لم يجب كونه بطريق الوحي المتلو إلا أنهم عند سماعهم ذلك تخلصوا إلى القرآن
لأنبائه عنه في كل موضع وكونه علماً عندهم في ذلك فعمدوا إلى تكذيبه وتسميته سحراً تمادياً منهم في
العناد وتفادياً عن سنن الرشاد وقيل هو إشارة إلى نفس البعث ولا يلائم التسمية بالسحر فإنه إنما يطلق
على شيء موجود ظاهراً لا أصل له في الحقيقة ونفس البعث عندهم معدوم تحت وتعلق الآية الكريمة بها
قبلها إماماً من حيث أن البعث كما أشير إليه من تمامات الابتلاء المذكور فكانه قيل الأمر كما ذكر ومع ذلك
إن أخبرتهم بمقدمة فذة من مقدماته وقضية فردة من تماماته لا يتلعمشون في الرد ويعدون ذلك من قبيل
مالأصحة له أصلاً فضلاً عن تصديق ما هذه من تماماته وأما من حيث أن البعث خلق جديد فكانه قيل وهو
الذى خلق جميع المخلوقات ابتداء لهذه الحكمة البالغة ومع ذلك إن أخبرتهم بأنه يعيدهم تارة أخرى وهو

وَلَيْنَ أَخْرَنَاهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾

١١ هود

وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَفُورٌ ﴿٩﴾

١١ هود

- أهون عليه يقولون ما يقولون فسبحان الله عما يصفون وقرأ حمزة والكسائي إلا ساحر على أن الإشارة إلى القائل أو إلى القرآن على أسلوب شعر شاعر وقرىء بالفتح على تضمين قلت معنى ذكرت أو على أن أنك بمعنى عنك في علك أي ولئن قلت لعلكم مبعوثون على أن الرجاء والتوقع باعتبار حال المخاطبين أي توقعوا ذلك ولا تبتوا القول بإنكاره أو على أنه مجازاة معهم في الكلام على نهج المساعدة لتلايسار عوا إلى اللجاج والعناد ريثما قرع أسماعهم بت القول بخلاف ما ألفوا وألفوا عليه آباءهم من إنكار البعث ويكون ذلك أدعى لهم إلى الأمل والتدبر وما فعلوه قاتلهم الله أنى يؤفكون (ولئن أخرنا عنهم العذاب) ٨ المترتب على بعثهم أو العذاب الموعود في قوله تعالى فإن تولوا فإنى أخاف عليكم عذاب يوم كبير وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قتل جبريل عليه السلام للمستهزئين والظاهر أن المراد به العذاب الشامل للكفرة دون ما يخص ببعض منهم على أنه لم يكن موعوداً يستعجل منه المجرمون (إلى أمة معدودة) إلى طائفة من الأيام قليلة لأن ما يحصره العدد قليل (ليقولن ما يحبسهم) أى أى شئ • يمنع من المجيء فكأنه يريد فيمنعه مانع وإنما كانوا يقولونه بطريق الاستعجال استهزاء لقوله تعالى ما كانوا به يستهزئون ومرادهم إنكار المجيء والحبس رأساً لا الاعتراف به والاستفسار عن حاسبه (ألا يوم يأتهم) ذلك (ليس مصروفاً) محبوساً (عنهم) على معنى أنه لا يرفعه رافع أبداً إن أريد به عذاب الآخرة أو لا يدفعه عنكم دافع بل هو واقع بكم إن أريد به عذاب الدنيا ويوم منصوب بخبر ليس مقدماً عليه واستدل به البصريون على جواز تقديمه على ليس إذ المفعول تابع للعامل فلا يقع إلا حيث يقع متبوعه ورد بأن الظرف يجوز فيه ما لا يجوز في غيره توسعاً وبأنه قد يقدم المفعول حيث لا مجال لتقديم للعامل كما في قوله تعالى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر فإن اليتيم والسائل مع كونهما منصوبين بالفعلين المجرورين قد تقدمتا على لانهاية مع امتناع تقدم الفعلين عليهما . قال أبو حيان وقد تتبعته جملة من دواوين العرب فلم أظفر بتقديم خبر ليس عليهما ولا بتقديم معموله إلا ما دل عليه ظاهر هذه الآية الكريمة وقول الشاعر [فيأبى فابزداد إلا الجلمة • وكنت أياً في الخنا لست أقدم] (وحاق بهم) أى أحاط بهم (ما كانوا به يستهزئون) أى العذاب الذى كانوا يستعجلون به استهزاء وفى التعبير عنه بالموصول تهويل لمكانه وإشعار بعلية ماورد في حين الصلة من استهزائهم به لنزوله وإحاطته والتعبير عنها بالماضى وارد على عادة الله تعالى في أخباره لأنها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفى ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر وتقرير وقوع المخبر به ما لا يخفى (ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة) ٩ • أى أعطيناه نعمة من صحة وأمن وجدة وغيرها وأوصلناها إليه بحيث يجد لذتها (ثم نزعناها منه) أى •

وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسْتَه لِيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ ﴿١١﴾ هود

إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ هود

- سلبناه إياها وإيراد النزاع للإشعار بشدة تعلقه بها وحرصه عليها (لأنه ليشوس) شديد القنوط من روح الله قطوع رجاءه من عود أمثاله عاجلاً أو آجلاً بفضل الله تعالى لقلة صبره وعدم توكله عليه وثقته به
- (كفور) عظيم الكفران لما سلف من النعم وفيه إشارة إلى أن النزاع إنما كان بسبب كفرانهم بما كانوا يتقبلون فيه من نعم الله عز وجل وتأخيرهم عن وصف يأسهم مع تقدمه عليه لرعاية الفواصل على أن اليأس من فضل الله سبحانه وقطع الرجاء عن إضافة أمثاله في العاجل ويصل أجره في الآجل من
- باب الكفران للنعمة السالفة أيضاً (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته) كصحة بعد سقم وجدة بعد عدم وفرج بعد شدة وفي التعبير عن ملازمة الرحمة والنعماء بالذوق المؤذن بلذتهما وكونهما مما يرغب فيه وعن ملازمة الضراء بالمس المشعر بكونها في أدنى ما ينطلق عنه اسم الملاقاة من مراتبها وإسناد الأول إلى الله عز وجل دون الثاني ما لا يخفى من الجزالة والدلالة على أن مراده تعالى إنما هو إيصال الخير المرغوب فيه على أحسن ما يكون وأنه إنما يريد بعبادة اليسر دون العسر وإنما يتألم ذلك بسوء اختيارهم نيلاً يسيراً كأنما يلاصق البشرة من غير تأثير وأما نزع الرحمة فإنما صدر عنه بقضية الحكمة الداعية إلى ذلك وهي كفرانهم بها كاسبق وتنكير الرحمة باعتبار حقوق النزاع بها (ليقولن ذهب السيئات عني) أي المصائب التي تسوقني ولن يعتريني بعد أمثاله كما هو شأن أولئك الأشرار فإن الترقب لورود أمثاله مما يكدر السرور وينغص العيش (لأنه لفرح) بطر وأشر بالنعم مقتر بها (فخور) على الناس بما أوتي من النعم مشغول بذلك عن القيام بحقوقها واللام في لئن في الآيات الأربع موطنه للقسم وجوابه
- ١١ ساد مسد جواب الشرط (إلا الذين صبروا) على ما أصابهم من الضراء سابقاً أو لاحقاً إيماناً بالله واستسلاماً لقضائه (وعملوا الصالحات) شكراً على آلائه السالفة والآفة واللام في الإنسان إما لاستغراق الجنس فالاستثناء متصل أو للعهد فنقطع (أولئك) إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعدهم وبعدهم من فضل أي أولئك الموصوفون
- بتلك الصفات الحميدة (لهم مغفرة) عظيمة لذنوبهم وإن جمت (وأجر كبير) ثواب لأعمالهم الحسنة (كبير) ووجه تعلق الآيات الثلاث بما قبلهن من حيث إن إذاقة النعماء ومساها الضراء فصل من باب الابتلاء واقع موقع التفصيل من الإجمال الواقع في قوله تعالى ليلوكم أبكم أحسن عملاً والمعنى أن كلا من إذاقة النعماء ونزعها مع كونه ابتلاء للإنسان أي شكر أم يكفر لا يهتدى إلى سن الصواب بل يحيد في كلتا الحالتين عنه إلى مهاوى الضلال فلا يظهر منه حسن عمل إلا من الصابرين الصالحين أو من حيث إن إنكارهم بالبعث واستهزاءهم بالعذاب بسبب بطرهم ونفرتهم كأنه قيل إنما فعلوا ما فعلوا لأن طبيعة الإنسان مجبولة على ذلك.

فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ
مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾

١١ هود

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَاتُوا بَعْشَرَ سُورِ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَتٍ وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾

١١ هود

- (فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك) من البيانات الدالة على حقيقة نبوتك المنادية بكونها من عند الله عز ١٢
وجل لمن له أذن واعية (وضائق به صدرك) أى عارض لك ضيق صدر بتلاوته عليهم وتبليغه إليهم في
● أثناء الدعوة والمحاجة (أن يقولوا) لأن يقولوا تعامياً عن تلك البراهين التي لا تكاد تخفى صحتها على أحد
● من له أدنى بصيرة وتماذياً في العناد على وجه الاقتراح (لولا أنزل عليه كز) مال خطير مخزون يدل على
● صدقه (أو جاء معه ملك) يصدقه قيل قاله عبد الله بن أمية المخزومي . وروى عن ابن عباس رضى الله
● عنهما أن رؤساء مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهباً إن كنت رسولاً وقال آخرون اثبتنا بالملائكة
يشهدوا بنبوتك فقال لا أفدر على ذلك فنزلت فكأنه ﷺ لما طين اجترأهم على افتراح مثل هذه العظامم
غير قانع بالبيانات الباهرة التي كانت تضطرم إلى القبول لو كانوا من أرباب العقول وشاهد ركوهم
من المكابرة من كل صعب وذلول مسارعين إلى المقابلة بالتكذيب والاستهزاء وتسميتها سحراً مثل حاله
ﷺ بحال من يتوقع منه أن يضيق صدره بتلاوة تلك الآيات الساطعة عليهم وتبليغها إليهم لحمل على
الحذر منه بما في لعل من الإشفاق فليل (إنما أنت نذير) ليس عليك إلا الإنذار بما أوحى إليك غير
● مبال بما صدر عنهم من الرد والقبول (والله على كل شيء وكيل) يحفظ أحوالك وأحوالهم فتوكل عليه
● في جميع أمورك فإنه فاعل بهم ما يليق بحالهم والاقتصار على النذير في أفصى غاية من إصابة المحز (أم
يقولون افتراه) إضراب بأم المنقطعة عن ذكر ترك اعتدادهم بما يوحى ونهاونهم به وعدم اقتناعهم
بما فيه من المعجزات الظاهرة الدالة على كونه من عند الله عز وجل وعلى حقيقة نبوته ﷺ وشروع في ذكر
ارتكابهم لما هو أشد منه وأعظم وما فيها من معنى الهمزة للتوبيخ والإنكار والتعجيب والضمير المستكن
في افتراه للنبي ﷺ والبارز لما يوحى أى بل يقولون افتراه وليس من عند الله (قل) إن كان الأمر كما
● تقولون (فاتوا) أنتم أيضاً (بعشر سور مثله) في البلاغة وحسن النظم وهو نعت لسور أى أمثاله
● وتوحيده إما باعتبار مماثلة كل واحدة منها أو لأن المطابقة ليست بشرط حتى يوصف المثني بالمفرد كما
في قوله تعالى أنؤمن لبشرين مثلنا أو للإيماء إلى أن وجه الشبه ومدار المماثلة في الجميع شيء واحد هو البلاغة
المؤدية إلى مرتبة الإعجاز فكان الجميع واحد (مفتريات) صفة أخرى لسور أخرت عن وصفها بالمماثلة
● لما يوحى لأنها الصفة المقصودة بالتكليف إذ بها يظهر عجزهم وقعودهم عن المعارضة وأما وصف الافتراء
فلا يتعلق به غرض يدور عليه شيء في مقام التحدى وإنما ذكر على نهج المساهلة وإرخاء العنان ولأنه

فَلَا تَرْسَخُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ ١١ هود

لو عكس الترتيب لربما توهم أن المراد هو المماثلة في الاقتراء والمعنى فأتوا بعشر سور مماثلة له في البلاغة
مختلفات من عند أنفسكم إن صح أني اخترقته من عندى فإنكم أقدر على ذلك منى لأنكم عرب فصحاء بلغاء
قد مارستم مبادئ ذلك من الخطب والأشعار وحفظتم الوقائع والآيام وزاولتم أساليب النظم والنثر
● (وادعوا) للاستظهار في المعارضة (من استطعتم) دعاءه والاستعانة به من آهنتكم التي تزعمون أنها
معدة لكم في كل ماتاتون وما تذرون والكهنة ومدارهم الذين تلجئون إلى آرائهم في الملمات ليسعدوكم
● فيها (من دون الله) متعلق بادعوا أى متجاوزين الله تعالى (إن كنتم صادقين) في إني اقتريته فإن ذلك
١٤ يستلزم إمكان الإتيان بمثله وهو أيضاً يستلزم قدر تكلم عليه والجواب محذوف يدل عليه المذكور (فإن
لم يستجيبوا لكم) أى فإن لم يفعلوا ما كلفوه من الإتيان بمثله كقوله تعالى فإن لم تفعلوا وإنما عبر عنه
بالاستجابة إيماء إلى أنه ﷺ على كمال أمن من أمره كان أمره لهم بالإتيان بمثله دعاء لهم إلى أمر يريد
وقوعه والضمير في لكم الرسول ﷺ والجمع للتعظيم كما في قول من قال [وإن شئت حرمت النساء
سواكم] أوله وللمؤمنين لأنهم أتباع له ﷺ في الأمر بالتحدى وفيه تنبيه لطيف على أن حقهم أن
لا ينفكوا عنه ﷺ ويناصبوا معه لمعارضة المعارضين كما كانوا يفعلونه في الجهاد وإرشاد إلى أن ذلك
● مما يفيد الرسوخ في الإيمان والطمأنينة في الإيقان ولذلك رتب عليه قوله عز وجل (فاعلموا) أى اعلموا
حين ظهر لكم عجزهم عن المعارضة مع تهاكمهم عليها علماً يقيناً متاخماً لعين اليقين بحيث لا مجال معه لشائبة
ريب بوجه من الوجوه كأن ماعداه من مراتب العلم ليس بعلم لكن للإشعار بانحطاط تلك المراتب
بل بارتفاع هذه المرتبة وبه يتضح سراً يراد كلمة الشك مع القطع بعدم الاستجابة فإن تنزيل سائر المراتب
منزلة العدم مستتبع لتنزيل الجزم بعدم الاستجابة منزلة الشك فيه أو اثبتوا واستمروا على ما كنتم عليه
● من العلم (إنما أنزل) ملتبساً (بعلم الله) المخصوص به بحيث لا تحوم حوله العقول والأفهام مستبداً
● بخصائص الإعجاز من جمى النظم الرائق والإخبار بالغيب (وأن لا إله إلا هو) أى واعلموا أيضاً أن
● لا شريك له في الألوهية وأحكامها ولا يقدر على ما يقدر عليه أحد (فهل أنتم مسلمون) أى مخلصون
في الإسلام أو ثابتون عليه وهذا من باب التثبيت والترقية إلى معارج اليقين ويجوز أن يكون الخطاب
في الكل للمشركين من جهة الرسول ﷺ داخل تحت الأمر بالتحدى والضمير في لم يستجيبوا المن استعظم
أى فإن لم يستجب لكم آهنتكم وسائر من إليهم تجارون في مهماتكم وملما تم إلى المعاونة والمظاهرة فاعلموا
أن ذلك خارج عن دائرة قدرة البشر وأنه منزل من خالق القوى والقدر فايراد كلمة الشك حينئذ مع الجزم
بعدم الاستجابة من جهة آهنتهم تهكم بهم وتسجيل عليهم بكمال سخافة العقل وترتيب الأمر بالعلم على مجرد
عدم الاستجابة من حيث إنه مسبوق بالدعاء المسبوق بعجزهم واضطرارهم فكأنه قيل فإن لم يستجيبوا
لكم عند التجاؤم إليهم بعد ما اضطررتم إلى ذلك وضاعت عليكم الحيل وعبت بكم العلل أو من حيث
إن من يستمدون بهم أقوى منهم في اعتقادهم فإذا ظهر عجزهم بعدم استجابتهم وإن كان ذلك قبل ظهور

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ ١١ هود
أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَشِلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ١١ هود

عجز أنفسهم يكون عجزهم أظهر وأوضح واعلموا أيضاً أن آلهتمكم بمعزل عن رتبة الشراكة في الألوهية وأحكامها فهل أنتم داخلون في الإسلام إذ لم يبق بعد شائبة شبهة في حقيقته وفي بطلان ما كنتم فيه من الشرك فيدخل فيه الإذعان لكون القرآن من عند الله تعالى دخولا أولاً أو منقادون للحق الذي هو كون القرآن من عند الله تعالى وتاركون لما كنتم فيه من المكابرة والعناد وفي هذا الاستفهام إيجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر وإقناط من أن يجيرهم آلهتهم من بأس الله عز سلطانه هذا والاول أنسب لما سلف من قوله تعالى وضائق به صدرك ولما سيأتى من قوله تعالى فلا تلك في مرية منه وأشد ارتباطاً بما يعقبه كما ستمحيط به خبراً (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) أى ١٥ ما يزينها ويحسنها من الصحة والأمن والسعة في الرزق وكثرة الأولاد والرياسة وغير ذلك والمراد بالإرادة ما يحصل عند مباشرة الأعمال لا مجرد الإرادة القلبية لقوله تعالى (نوف إليهم أعمالهم فيها) ولإدخال كان ● عليها للدلالة على استمرارها منهم بحيث لا يكادون يريدون الآخرة أصلاً وليس المراد بأعمالهم أعمال كلهم فإنه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل أحد ينال كل ما يهواه فإن ذلك منوط بالمشيئة الجارية على قضية الحكمة كما نطق به قوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ولا كل أعمالهم بل بعضها الذى يترتب عليه الأمور المذكورة بطريق الاجتر والجزاء من أعمال البر وقد أطلقت وأريد بها ثمراتها فالمرنى نوصل إليهم ثمرات أعمالهم في الحياة الدنيا كاملة وقرىء نوف على الإسناد إلى الله عز وجل وتوف بالفوقانية على البناء للفعل ورفع أعمالهم وقرىء نوفى بالتخفيف والرفع لكون الشرط ماضياً كقوله [وإن أتاه خليل يوم مسغبة] يقول لا غائب مالى ولا حرم [وهم فيها] أى فى الحياة الدنيا (لا يبخسون) ● أى لا ينقصون وإنما عبر عن ذلك بالبخس الذى هو نقص الحق مع أنه ليس لهم شائبة حق فيها أو توه كما عبر عن إعطائه بالتوفية التى هى إعطاء الحقوق مع أن أعمالهم بمعزل من كونها مستوجبة لذلك بناء للأمر على ظاهر الحال ومحافظة على صور الأعمال ومبالغة فى نفي النقص كان ذلك نقص لحقوقهم فلا يدخل تحت الوقوع والصدور عن الكريم أصلاً والمعنى إنهم فيها خاصة لا ينقصون ثمرات أعمالهم وأجورهم انقصاً كلياً مطرداً ولا يحرمونها حرماناً كلياً وأما فى الآخرة فهم فى الحرمان المطلق واليأس المحقق كما ينطق به قوله تعالى (أولئك) الخ فإنه إشارة إلى المذكورين باعتبار إرادتهم الحياة الدنيا أو ١٦ باعتبار توفيتهم أجورهم من غير بخس أو باعتبارهما معاً وما فيه من معنى البعد الإيذان ببعد منزلتهم فى سوء الحال أى أولئك المريدون للحياة الدنيا وزينتها الموفون فيها ثمرات أعمالهم من غير بخس (الذين ● ليس لهم فى الآخرة إلا النار) لأن همهم كانت مصروفة إلى الدنيا وأعمالهم مقصورة على تحصيلها وقد

أَقْنُ كَانَ عَلَى بَيْتِنَا مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ
يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ
رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾

١١ هود

- اجتنوا ثمرها ولم يكونوا يريدون بها شيئاً آخر فلا جرم لم يكن لهم في الآخرة إلا النار وعذابها المخلد
- (وحبط ما صنعوا فيها) أى ظهر في الآخرة حبوط ما صنعوه من الأعمال التي كانت تؤدي إلى الثواب لو كانت معمولة للآخرة أو حبط ما صنعوه في الدنيا من أعمال البر إذ شرط الاعتداد بها الإخلاص
- (وباطل) أى في نفسه (ما كانوا يعملون) في أثناء تحصيل المطالب الدنيوية ولأجل أن الأول من شأنه استتباع الثواب والأجر وأن عدمه لعدم مقارنته للإيمان والنية الصحيحة وأن الثاني ليس له جهة صالحة قط علق بالأول الحبوط المؤذن بسقوط أجره بصيغة الفعل المنبئ عن الحدوث وبالثاني البطلان المفصح عن كونه بحيث لا طائل تحته أصلاً بالاسمية الدالة على كون ذلك وصفاً لازماً له ثابتاً فيه وفي زيادة كان في الثاني دون الأول إيماء إلى أن صدور أعمال البر منهم وإن كان لغرض فاسد ليس في الاستمرار والدوام كصدور الأعمال التي هي من مقدمات مطالبهم الدنية وقرىء وبطل على الفعل أى ظهر بطلانه حيث علم هناك أن ذلك وما يستتبعه من الحطوط الدنيوية مما لا طائل تحته أو انقطع أثره الدنيوى فبطل مطلقاً وقرىء وباطلاً ما كانوا يعملون على أن ما لإيهامية أو في معنى المصدر كقوله ولا خارجاً من في زور كلام وعن أنس رضى الله عنه أن المراد بقوله تعالى من كان يريد الخ اليهود والنصارى إن أعطوا سائلاً أو وصلوا راحماً عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله ﷺ فأسهم لهم في الغنائم وأنت خير بأن ذلك إنما كان بعد الهجرة والسورة مكية وقيل هم أهل الرياء يقال للقراء منهم أردت أن يقال فلان قارىء فقد قيل ذلك وهكذا الغير ممن يعمل أعمال البر لالوجه الله تعالى فعلى هذا لا بد من تقييد قوله تعالى لهم إلا النار بأن ليس لهم بسبب أعمالهم الربائية إلا ذلك والذي تقتضيه جزالة النظم الكريم أن المراد به مطلق الكفرة بحيث يندرج فيهم القادحون في القرآن العظيم اندراجاً أولياً فإنه عز وعلماً أمر نبيه ﷺ والمؤمنين بأن يزدادوا علماً ويقيناً بأن القرآن منزل بعلم الله وبأن لا قدرة لغيره على شيء أصلاً وهيجهم على الثبات على الإسلام والرسوخ فيه عند ظهور عجز الكفرة وما يدعون من دون الله عن المعارضة وتبين أنهم ليسوا على شيء أصلاً اقتضى الحال أن يتعرض لبعض شئونهم الموهمة لكونهم على شيء في الجملة من نيلهم الحطوط العاجلة واستيلائهم على المطالب الدنيوية وبيان أن ذلك بمعزل عن الدلالة عليه ولقد بين ذلك أى بيان ثم أعيد الترغيب فيما ذكر من الإيمان بالقرآن والتوحيد والإسلام ففيل (أقن كان على بينة من ربه) أى برهان نير عظيم الشأن يدل على حقيقة ما رغب في الثبات عليه من الإسلام وهو القرآن وباعتباره أو بتأويل البرهان ذكر الضمير
- (الراجع إليها) قوله تعالى (ويتلوه) أى يتبعه (شاهد) يشهد بكونه من عند الله تعالى وهو الإعجاز في

- نظمه المطرد في كل مقدار سورة منه أو ما وقع في بعض آياته من الإخبار بالغيب وكلاهما وصف تابع له شاهد بكونه من عند الله عز وجل غير أنه على التقدير الأول يكون في الكلام إشارة إلى حال رسول الله ﷺ والمؤمنين في تمسكهم بالقرآن عند تبين كونه منزلاً بعلم الله بشهادة الإعجاز (منه) أي من القرآن ● غير خارج عنه أو من جهة الله تعالى فإن كلا منهما وارد من جهته تعالى للشهادة ويجوز على هذا التقدير أن يراد بالشاهد المعجزات الظاهرة على يدى رسول الله ﷺ فإن ذلك أيضاً من الشواهد التابعة للقرآن الواردة من جهته تعالى فالمراد بمن في قوله تعالى أفن كل من اتصف بهذه الصفة الحميدة فيدخل فيه المخاطبون بقوله تعالى فاعلموا أهل أنتم دخولا أو لياً وقيل هو النبي ﷺ وقيل مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه وقيل المراد بالبينة دليل العقل والشاهد القرآن فالضمير في منه لله تعالى أو البينة القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل أو لسان النبي ﷺ على أن الضمير له أو من التلو والشاهد ملك يحفظ والأولى هو الأول ولما كان المراد بتلو الشاهد للبرهان إقامة الشهادة بصحته وكونه من عند الله تابعا له بحيث لا يفارقه في مشهد من المشاهد فإن القرآن بينة باقية على وجه الدهر مع شاهدها الذي يشهد بأمرها إلى يوم القيامة عند كل مؤمن وجاحد عطف كتاب موسى في قوله عز قائل (ومن قبله كتاب موسى) على فاعله مع كونه مقدماً عليه في النزول فكانه قيل أفن كان على بينة من ربه ويشهد به شاهد منه وشاهد آخر من قبله هو كتاب موسى وإنما قدم في الذكر المؤخر في النزول لكونه وصفاً لازماً له غير مفارق عنه ولعراقته في وصف التلو والتشكيك في بينة وشاهد للتفخيم (إماماً) أي مؤتماً ● به في الدين ومقتدى وفي التعرض لهذا الوصف بصدد بيان تلو الكتاب مالا يخفى من تفخيم شأن المتلو (ورحمه) أي نعمة عظيمة على من أنزل إليهم ومن بعدهم إلى يوم القيامة باعتبار أحكامه الباقية المؤيدة ● بالقرآن العظيم وهما حالان من الكتاب (أولئك) الموصوفون بتلك الصفة الحميدة وهو الكون على بينة من الله ولما أن ذلك عبارة عن مطلق التمسك بها وقد يكون ذلك بطريق التقليد لمن سلف من عظماء الدين من غير عثور على دقائق الحقائق وصفهم بأنهم (يؤمنون) أي يصدقونه حق التصديق حسبما تشهد ● به الشواهد الحقة المعربة عن حقيقته (ومن يكفر به) أي بالقرآن ولم يصدق بتلك الشواهد الحقة (من ● الأحزاب) من أهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله ﷺ (فالنار موعده) يردّها لا محالة حسبما نطق به قوله تعالى ليس لهم في الآخرة إلا النار وفي جعلهم موعداً لإشعار بأن له فيها مالا يوصف من أفاعين العذاب (فلاتك في مرية منه) أي في شك من أمر القرآن وكونه من عند الله عز وجل غيباً شهدت به ● الشواهد المذكورة وظهر فضل من تمسك به (إنه الحق من ربك) الذي يريك في دينك ودنياك (ولكن ● أكثر الناس لا يؤمنون) بذلك إما لقصور أنظارهم واختلال أفكارهم وإما لعنادهم واستكبارهم فن في قوله تعالى أفن كان على بينة من ربه مبتدأ حذف خبره لإغناء الحال عن ذكره وتقديره أفن كان على بينة من ربه كأولئك الذين ذكرت أعمالهم وبين مصيرهم وما لهم يعني أن بينهما تفاوتاً عظيماً بحيث لا يكاد يترامى ناراهما وإراد الفاء بعد الهمزة لإنكار ترتب توهم المماثلة على ما ذكر من صفاتهم وعدد من هوانهم كأنه قيل أبعد ظهور حالهم في الدنيا والآخرة كما وصف بتوهم المماثلة بينهم وبين من كان على أحسن ما يكون

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَدُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾

١١ هود

الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾ ١١ هود
أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءٍ يُضْعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ ١١ هود

- في العاجل والآجل كما في قوله تعالى افتخذتم من دونه أولياء أي أبعاد أن علمتموه رب السموات والأرض اتخذتم من دونه أولياء وقوله تعالى أفن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً) بأن نسب إليه ما لا يليق به كقولهم الملائكة بنات الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وقولهم لأهلهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله يعني أنهم مع كفرهم بآيات الله تعالى مفترون عليه كذباً وهذا التركيب وإن كان سبكه على إنكار أن يكون أحد أظلم منهم من غير تعرض لإنكار المساواة ونفيها ولكن المقصود به قصداً مطرداً لإنكار المساواة ونفيها وإفادة أنهم أظلم من كل ظالم كما ينفي عنه ما سبى من قوله عز وجل لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون فإذا قيل من أكرم من فلان أو لا أفضل منه فالمراد منه حتماً أنه أكرم من كل كريم وأفضل من كل فاضل (أولئك) الموصوفون بالظلم البالغ الذي هو الافتراء على الله تعالى وبهذه الإشارة حصلت الغنية عن إسناد العرض إلى أعمالهم واكتفى بإسناده إليهم حيث قيل (يعرضون) لأن عرضهم من تلك الحثيثة وبذلك العنوان عرض لأعمالهم على وجه أبلغ فإن عرض العامل بعمله أرفع من عرض عمله مع غيبته (على ربهم) الحق وفيه إيماء إلى بطلان رأيهم في اتخاذهم أرباباً من دون الله عز وجل (ويقول الأشهاد) عند العرض من الملائكة والنبیین أو من جوارحهم وهو جمع شاهد أو شهيد كاصحاب وأشراف (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) بالافتراء عليه كأن ذلك أمر واضح غنى عن الشهادة بوقوعه وإنما المحتاج إلى الشهادة تعيين من صدر عنه ذلك فلذلك لا يقولون هؤلاء كذبوا على ربهم ويجوز أن يكون المراد بالاشهاد الحضور وهم جميع أهل الموقف على ما قاله قتادة ومقاتل ويكون قولهم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ذماً لهم بذلك لإشهادهم عليهم كما يشعر بقوله تعالى ويقول دون ويشهد الخ وتوطئة لما يعقبه من قوله تعالى (ألا لعنة الله على الظالمين) بالافتراء المذكور ويجوز أن يكون هذا على الوجه الأول من كلام الله تعالى وفيه تهويل عظيم لما يحيق بهم من عاقبة ظلمهم اللهم إنا نعوذ بك من الخزي على رموس الأشهاد (الذين يصدون) أي كل من يقدر على صدّه أو يفعلون الصد (عن سبيل الله) عن دينه القويم (ويبغونها عوجاً) انحرفوا أي يصفونها بذلك وهي أبعده شيء منه أو يبغونها أهلها أن ينحرفوا عنها يقال بغيتك خيراً أو شراً أي طلبت لك وهذا شامل لتكذيبهم بالقرآن وقولهم إنه ليس من عند الله (وهم بالآخرة هم كافرون) أي يصفونها بالعوج والحال أنهم كافرون بها لأنهم يؤمنون بها ويؤمنون أن لها سيلاً سوياً يهدون الناس إليه وتكرير الضمير لتأكيد كفرهم واختصاصهم به كأن كفر غيرهم ليس بشيء عند كفرهم (أولئك)

أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ ١١ هود

لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسِرُونَ ﴿٢٢﴾ ١١ هود

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ ١١ هود

- مع ما وصف من أحوالهم الموجبة للتدمير (لم يكونوا معجزين) الله تعالى مفتاتين بأنفسهم من أخذه
- لو أراد ذلك (في الأرض) مع سعتها وإن هربوا منها كل مهرب (وما كان لهم من دون الله من أولياء)
- ينصرونهم من بأسه ولكن آخر ذلك لحكمة تقتضيه والجمع إما باعتبار أفراد الكفرة كأنه قيل وما كان لأحد منهم من ولي أو باعتبار تعدد ما كانوا يدعون من دون الله تعالى فيكون ذلك بياناً لحال آلهم
- من سقوطها عن رتبة الولاية (يضاعف لهم العذاب) استئناف يتضمن حكمة تأخير المؤاخظة وقرأ
- ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالتشديد (ما كانوا يستطيعون السمع) لفرط تصامهم عن الحق وبغضهم
- له كأنهم لا يقدرّون على السمع ولما كان قبح حالهم في عدم إذعانهم للقرآن الذي طريق تلقيه السمع أشد منه في عدم قبولهم لساير الآيات المنوطة بالابصار بالغ في نفي الأول عنهم حيث نفي عنهم الاستطاعة
- واكتفى في الثاني بنفي الإبصار فقال تعالى (وما كانوا يبصرون) لتعاميهم عن آيات الله المبسوطة في
- الأنفس والآفاق وهو استئناف وقع تعليلاً لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان لما نفي من ولاية الآلهة فإن
- ما لا يسمع ولا يبصر بمعزل من الولاية وقوله تعالى يضاعف لهم العذاب اعتراض وسط بينهما نعتاً
- عليهم من أول الأمر سوء العاقبة (أولئك) المنعوتون بما ذكر من القبائح (الذين خسروا أنفسهم) ٢١
- باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله عز سلطانه (وضل عنهم ما كانوا يفترون) من الآلهة وشفاعتها أو خسروا
- ما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة (لا جرم) فيه ثلاثة أوجه الأول ٢٢
- أن لا نافية لما سبق وجرم فعل بمعنى حق وأن مع ما في حيزه فاعله والمعنى لا ينفعهم ذلك الفعل حق (أنهم
- في الآخرة هم الآخسرون) وهذا مذهب سيبويه والثاني جرم بمعنى كسب وما بعده مفعوله وفاعله مادل
- عليه الكلام أي كسب ذلك خسراهم فالمعنى ما حصل من ذلك إلا ظهور خسراهم والثالث أن لا جرم
- بمعنى لا بدأى لا بدأنهم في الآخرة هم الآخسرون وأياً ما كان فعنائه أنهم أخسر من كل خاسر فبين أنهم
- أعظم من كل ظالم وهذه الآيات الكريمة كما ترى مقررة لما سبق من إنكار المماتلة بين من كان على بينة من
- ربه وبين من كان يريد الحياة الدنيا أبلغ تقرير فإنهم حيث كانوا أعظم من كل ظالم وأخسر من كل خاسر لم
- يتصور مماثلة بينهم وبين أحد من الظلمة الآخسرين فإظنك بالمماثلة بينهم وبين من هو في أعلى مدارج
- الكمال ولما ذكر فريق الكفار وأعمالهم وبين مصيرهم وما لهم شرع في بيان حال أضدادهم أعنى فريق المؤمنين
- وما يشول إليه أمرهم من العواقب الحميدة تكلم لما سلف من محاسنهم المذكورة في قوله تعالى أفمن كان على بينة
- من ربه الآية ليتبين ما بينهما من التباين البين حالاً وما لا فصيل (إن الذين آمنوا) أي بكل ما يجب أن يؤمن ٢٣

مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ١١ هود

- به فيندرج تحته مانحن بصدده من الإيمان بالقرآن الذي عبر عنه بالكون على بينة من الله وإنما يحصل ذلك باستماع الوحي والتدبر فيه ومشاهدة ما يؤدى إلى ذلك في الأنفس والآفاق أو فعلوا الإيمان كما في يعطى ويمنع (وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم) أى اطمأنوا إليه وانقطعوا إلى عبادته بالخضوع والتواضع من الخبت وهى الأرض المطمئنة ومعنى اخبت دخل فى الخبت كأنهم وأنجد دخل فى تهامة ونجد (أولئك) المنعوتون بتلك النعوت الجميلة (أصحاب الجنة هم فيها خالدون) دائمون وبعد بيان تباين حالهما عقلاً أريد بيان تباينهما حساً فقبل (مثل الفريقين) المذكورين أى حالهما العجيب لأن المثل لا يطلق إلا على ما فيه غرابة من الأحوال والصفات (كالأعمى والأصم والبصير والسميع) أى كحال هؤلاء فيكون ذواتهم كذواتهم والكلام وإن أمكن أن يحصل على تشبيه الفريق الأول بالأعمى وبالأصم وتشبيه الفريق الثانى بالبصير والسميع لكن الأول دخل فى المبالغة والأقرب إلى ما يشير إليه لفظ المثل والأنسب بما سبق من وصف الكفرة بعدم استطاعة السمع وبعدم الإبصار أن يحصل على تشبيه الفريق الأول بمن جمع بين العمى والأصم وتشبيه الفريق الثانى بمن جمع بين البصر والسمع على أن تكون الواو فى قوله تعالى والأصم وفى قوله والسميع لعطف الصفة على الصفة كما فى قول من قال إلى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتبية فى المزدحم | وأياً ما كان فالظاهر أن المراد بالحال المدلول عليها بلفظ المثل وهى التى بدور عليها أمر التشبيه ما يلائم الأحوال المذكورة المعتبرة فى جانب المشبه به من تعالى الفريق الأول عن مشاهدة آيات الله المنصوبة فى العالم والنظر إليها بعين الاعتبار وتصامهم عن استماع آيات القرآن الكريم وتلقيها بالقبول حسبما ذكر فى قوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وإنما لم يراع هذا الترتيب هنا لكون الأعمى أظهر وأشهر فى سوء الحال من الأصم ومن استعمال الفريق الثانى لكل من أبصارهم وأسماعهم فيما ذكر كما ينبغى المدلول عليه بما سبق من الإيمان والعمل الصالح والإخبات حسبما فسره فيما مر فلا يكون التشبيه تمثيلاً لجميع الأحوال المعدودة لكل من الفريقين مما ذكر وما يؤدى إليه من العذاب المضاعف والخسران البالغ فى أحدهما ومن النعيم المقيم فى الآخر فإن اعتبار ذلك ينزع إلى كون التشبيه تمثيلاً بأن ينزع من حال الفريق الأول فى تصامهم وتعامهم المذكورين ووقوعهم بسبب ذلك فى العذاب المضاعف والخسران الذى لا خسران فوقه هيئة فتشبه بهيئة منتزعة من فقد مشعرى البصر والسمع فتخط فى مسلكه فوقع فى مهاوى الردى ولم يجد إلى مقصده سبيلاً وينزع من حال الفريق الثانى فى استعمال مشاعرهم فى آيات الله تعالى حسبما ينبغى وفوزهم بدار الخلود هيئة فتشبه بهيئة منتزعة من له بصر وسمع يستعملهما فى مهماته فيهنى إلى سبيله وينال مرامه
- (هل يستويان) يعنى الفريقين المذكورين والاستفهام إنكارى مذكر لما سبق من إنكار المماثلة فى قوله عز وجل أفمن كان على بينة الآية (مثلاً) أى حالاً وصفة وهو تمييز من فاعل يستويان (أفلا تذكرون)
 - أى أتشكون فى عدم الاستواء وما بينهما من التباين أو أنفقولون عنه فلا تذكرونه بالتأمل فيما ضرب

لكم من المثل فيكون الإنكار وارداً على المعطوفين معاً أو أسمعون هذا فلا تنذكرون فيكون راجعاً إلى عدم التذكّر بعد تحقق ما يوجب وجوده وهو المثل المضروب كافي قوله تعالى أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم فإن الفاء هناك لإنكار الانقلاب بعد تحقق ما يوجب عدمه من علمهم بخلو الرسل قبل رسول الله ﷺ أو أفلا تفعلون التذكّر أو أفلا تعقلون ومعنى الهمزة إنكار عدم التذكّر واستبعاد صدوره عن المخاطبين وأنه ليس بما يصلح أن يقع لا من قبيل الإنكار في قوله تعالى أفإن كان على بينة من ربه وقوله تعالى هل يستويان فإن ذلك لنبي المماثلة ونبي الاستواء . ولما بين من فاتحة السورة الكريمة إلى هذا المقام أنها كتاب محكم الآيات مفصلها نازل في شأن التوحيد وترك عبادة غير الله سبحانه وأن الذي أنزل عليه نذير وبشير من جهته تعالى وقرر في تضاعيف ذلك ماله مدخل في تحقيق هذا المرام من الترغيب والترهيب وإلزام المعاندين بما يقارنه من الشواهد الحقة الدالة على كونه من عند الله تعالى وتسليّة الرسول ﷺ بما عراه من ضيق الصدر العارض له من اقتراحاتهم الشنيعة وتكذيبهم له وتسميتهم للقرآن تارة سحر وأخرى مفترى وثبितه ﷺ والمؤمنين على التمسك به والعمل بموجبه على أبلغ وجه وأبدع أسلوب شرع في تحقيق ما ذكره وتقريره بذكر قصص الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين المشتملة على ما اشتمل عليه فاتحة السورة الكريمة ليتأكد ذلك بطريقتين أحدهما أن ما أمر به من التوحيد وفروعه مما أطبق عليه الأنبياء قاطبة والثاني أن ذلك إنما عليه رسول الله ﷺ بطريق الوحي فلا يبقى في حقيقته كلام أصلاً وليتسلى بما يشاهده من معاناة الرسل قبله من أمهم ومقاساتهم الشدائد من جهتهم فقليل (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه) الواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وحرفه الباء لا الواو كما في سورة الأعراف لئلا يجتمع واوان ولا يكاد تطلق هذه اللام إلا مع قد لا لأنها مظنة التوقع وأن المخاطب إذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح هو ابن لملك بن متوشلخ بن إدريس عليهما السلام وهو أول نبي بعث بعده . قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بعث ﷺ على رأس أربعين من عمره ولبث يدعو قومه تسعةائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة وكان عمره ألفاً وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقليل وهو ابن خمسين سنة وقليل وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعةائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره ألفاً وأربعمائة وخمسين سنة (إني لكم نذير) ● بالكسر على إرادة القول أي فقال أو قالوا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالفتح على إضممار حرف الجر أي أرسلناه ملتبساً بذلك الكلام وهو إني لكم نذير بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كأن والمعنى على الكسر وهو قولك إن زيدا كالألسنة اقتصر على ذكر كونه ﷺ نذيراً لا لأن دعوته ﷺ كانت بطريق الإنذار فقط ألا يرى إلى قوله تعالى فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدرار الخ بل لأنهم لم يغتنموا مغنم إشاره ﷺ (مبين) أبين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص ● منه لأن الإنذار لإعلام المحذور لا لمجرد التخويف والازعاج بل للتحذير منه فيتعلق بكل ما وصفه

أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيُسْرِ ﴿٢٦﴾ ١١ هود
فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَزَّلَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَزَّلَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا
بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ١١ هود

- ٢٦ (ألا تعبدوا إلا الله) أى بأن لا تعبدوا على أن مصدرية والباء متعلقة بأرسلنا ولا ناهية أى أرسلناه ملتبساً بنهيهم عن الشرك إلا أنه وسط بينهما بيان بعض أوصافه وأحواله عليه السلام وهو كونه نذيراً مبيناً ليكون أدخل في القبول ولم يفعل ذلك في صدر السورة لثلا يفرق بين الكتاب ومضمونه بما ليس من أوصافه وأحواله أو مفسرة متعلقة به أو بنذير أو مفعول لمبين وعلى قراءة الفتح بدل من أنى لكم نذير مبين وتعيين لما يوجب وقوع المحذور وتبيين لوجه الخلاص وهو عبادة الله تعالى وقوله تعالى (إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم) تعليل لموجب النهي وتصريح بالمحذور وتحقيق الإنذار والمراد به يوم القيامة أو يوم الطوفان ووصفه بالآليم على الإسناد المجازى للبالغة كما في نهاره صائم وهذه المقالة وما في مضامها مما قاله عليه السلام في أثناء الدعوة على ما عزى إليه في سائر السور لما لم تصدر عنه عليه السلام مرة واحدة بل كان يكررها عليهم في تلك المدة المتطاولة على مناطق به قوله تعالى رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً الآيات عطف على فعل الإرسال المقارن لها أو القول المقدر بعده جوابهم المنعروض لأحوال المؤمنين الذين اتبعوه عليه السلام بعد التلويح والتي بالفاء التعقيبية فقيل (فقال الملأ الذين كفروا من قومه) أى الاشراف منهم من قولهم فلان ملئ بكذا أى مطبق له لا أنهم ملئوا بكفايات الأمور أو لا أنهم ملئوا القلوب هيبة والمجالس أبهة أو لا أنهم ملئوا بالاحلام والآراء الصائبة ووصفهم بالكفر لئلا يذمهم والتسجيل عليهم بذلك من أول الأمر لأن بعض أشرافهم ليسوا بكفرة (ما نراك إلا بشراً مثلاً) مرادهم ما أنت إلا بشراً مثلاً ليس فيك من رتبة تفصلك من دوننا بما تدعيه من النبوة ولو كان كذلك لرأيناه لا أن ذلك محتمل ولكن لا نراه وكذا الحال في قولهم (وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي) فالفاعلان من رؤية العين وقوله تعالى إلا بشراً مثلاً حال من المفعول وكذا قوله اتبعك في وضع الحال منه إما على حاله أو بتقدير قد عند من يشترط ذلك ويجوز أن يكون من رؤية القلب وهو الظاهر فهما المفعول الثاني وتعلق الرأي في الأول بالمثلية لا بالبشرية فقط وإنما لم يبتوا القول بذلك مع جزمهم به وإصرارهم عليه إرادة بأن ذلك لم يصدر عنهم جزافاً بل بعد التأمل في الأمر والتدبر فيه ولذلك اقتصر على ذكر الظن فيما سيأتى وتعريضاً من أول الأمر برأى المتبين فكان قولهم وما نراك جواب عما يرد عليهم من أنه عليه السلام ليس مثلهم حيث عاين دلائل نبوته واغتنم اتباعه من له عين تبصر وقلب يدرك فزعموا أن هؤلاء أراذلنا أى أخسائونا وأدانتنا جمع أراذل فإنه صار بالغلبة جارياً مجرى الاسم كالأكبر والأكبر أو جمع أراذل جمع رذل كالكالب والكلاب وكلب يعنون أنه لا عبرة باتباعهم لك إذ ليس لهم رزانة عقل ولا إصالة رأى وقد كان ذلك منهم في بادي الرأي أى ظاهره من غير تعمق من البدو أو في أوله من البدو والباء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقد

قَالَ يَتْلُو آيَاتِي إِنْ كُنْتَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا
وَأَنْتُمْ لَهَا كَاهِرُونَ ﴿٢٨﴾

١١ هود

- قرأه أبو عمرو وبها وانتصابه على الظرفية على حذف المضاف أى وقت حدوث بادی الرأي والعامل فيه اتباعك وإنما استردلوم مع كونهم أولى الأبواب الراجعة لفقرم فإنهم لما لم يعلموا إلا ظاهر الحياة الدنيا كان الأشرف عندهم الأكثر منها حظاً والأرذل من حرما ولم يفقهوا أن ذلك لا يزن عند الله جناح بعوضة وأن النعيم إنما هو نعيم الآخرة والأشرف من قازبه والأرذل من حرمه نعوذ بالله تعالى من ذلك (وما نرى لكم) أى لك ولتبعيك فغلب المخاطب على الغائبين (علينا من فضل) يعنون أن اتباعهم لك لا يدل على نبوتك ولا يجديهم فضيلة تستتبع اتباعنا لكم واقتصارهم ههنا على ذكر عدم رؤية الفضل بعد قصر بحمهم برذالهم فيما سبق باعتبار حالهم السابق واللاحق ومرادهم أنهم كانوا أراذل قبل اتباعهم لك ولا نرى فيهم وفيك بعد الاتباع فضيلة علينا (بل نظنكم كاذبين) جميعاً لكون كلامكم واحداً ودعواكم واحدة أو إياك فى دعوى النبوة وإياهم فى تصديقك واقتصارهم على الظن احتراز منهم عن نسبتهم إلى المجازفة ومجاراة معه ﷺ بطريق الإزالة على نهج الإنصاف (قال يا قوم أرايتم) أى أخبروني وفيه إيماء ٢٨ إلى ركاكة رأيهم المذكور (إن كنت على بينة) برهان ظاهر (من ربى) وشاهد يشهد بصحة دعواى (وأتانى رحمة من عنده) هى النبوة ويجوز أن تكون هى البينة نفسها جرى بها إيداناً بأنها مع كونها بينة من الله تعالى رحمة ونعمة عظيمة من عنده فوجه أفراد الضمير فى قوله تعالى (فعميت عليكم) حينئذ ظاهر وإن أريد بها النبوة وبالبينة البرهان الدال على صحتها فالأفراد لإرادة كل واحدة منهما أو لكون الضمير للبينة والاكتفاء بذلك لاستلزام خفاء النبوة أو لتقدير فعل آخر بعد البينة ومعنى عميت أخفيت وقرىء عميت ومعناه خفيت وحقيقته أن الحجة كاتجعل مبصرة وبصيرة تجعل عمياء لأن الأعمى لا يهتدى ولا يهتدى غيره وفى قراءة أبى فعماها عليكم على الإسناد إلى الله عز وجل (أنلزمكموها) أى أنكرهمكم على الاهتداء بها وهو جواب أرايتم وساد مسد جواب الشرط وقرأ أبو عمرو بإخفاء حركة الميم وحيث اجتمع ضميران منصوبان وقد قدم أعرافهما جازى الثانى الوصل والفصل فوصل كما فى قوله تعالى فسيكفيكمهم الله (وأنتم لها كارهون) لا تختارونها ولا تتأملون فيها ومحصول الجواب أخبروني إن كنت على حجة ظاهرة الدلالة على صحة دعواى إلا أنها خافية عليكم غير مسلمة عنكم أيمكنا أن نكرهمكم على قبولها وأنتم معرضون عنها غير متدبرين فيها أى لا يكون ذلك وظاهره مشعر بصدوره عنه ﷺ بطريق إظهار اليأس عن إلزامهم والفتور عن حاجتهم كقوله تعالى ولا ينفعكم نصيحى الخ لكنه محمول على أن مراده ﷺ ردهم عن الإعراض عنها وحثهم على التدبر فيها بصرف الإنكار إلى الإلزام حال كراهتهم لها لا إلى الإلزام مطلقاً هذا ويجوز أن يكون المراد بالبينة دليل العقل الذى هو ملاك الفضل وبحسبه يمتاز أفراد البشر بمعضاهن بعضوبه يناط الكرامة عند الله عز وجل والاجتهاد للرسالة وبالكون عليها التمسك به والثبات

وَيَقُومُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا إِنِ اجْرَى إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ
وَلَكِنِّي أَرِيتُكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾

١١ هود

- عليه وبخفائها على الكفرة على أن الضمير للبينة عدم إدراكهم لكونه ﷺ عليها وبالرحمة النبوة التي أنكروا اختصاصه ﷺ بها بين ظهرائهم والمعنى أنكم زعمتم أن عهد النبوة لا يناله إلا من له فضيلة على سائر الناس مستتبعة لاختصاصه به دونهم أخبروني إن امتزت عنكم بزيادة منزلة وحياسة فضيلة من ربي وآتاني بحسبها نبوة من عنده تخفيت عليكم تلك البينة ولم تصيبوها ولم تنالوها ولم تعلموا حيازتي لها وكوني عليها إلى الآن حتى زعمتم أني مثلكم وهي متحققة في نفسها أنلزمكم قبول نبوتي التابعة لها والحال أنكم كارهون لذلك فيكون الاستفهام للحمل على الإقرار وهو الأنسب بمقام الحاجة وحينئذ يكون كلامه ﷺ جواباً عن شبههم التي أدرجوها في خلال مقالهم من كونه ﷺ بشراً قصارى أمره أن يكون مثلهم من غير فضل له عليهم وقطعاً لشافة آرائهم الركيكة (ويافوم لأسألكم عليه) أي على ما قلته في أثناء
- دعوتكم (مالا) تؤدونه إلى بعد إيمانكم واتباعكم لي فيكون ذلك أجرآلي في مقابلة اهتدائكم (إن أجرى إلا على الله) الذي يثبني في الآخرة وفي التعبير عنه حين نسب إليهم بالمال مالا يخفى من المزية
 - (وما أنا بطارد الذين آمنوا) جواب عما لوحوا به بقولهم وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا من أنه لو اتبعه الأشراف لو افقروا وأن اتباع الفقراء مانع لهم عن ذلك كما صرحوا به في قولهم أتؤمن لك واتبعتك الأراذلون فكان ذلك التماساً منهم لطردهم وتعليقاً لإيمانهم به ﷺ بذلك أنفة من الانتظام معهم في
 - سلك واحد (إنهم ملاقوا ربهم) تعليل لامتناعه ﷺ عن طردهم أي إنهم فائزون في الآخرة ببقاء الله عز وجل كأنه قيل لا أطردهم ولا أبعدهم عن مجلسي لأنهم مقربون في حضرة القدس والتعرض لوصف الربوبية لثرية وجوب رعايتهم وتحتم الامتناع عن طردهم أو مصدقون في الدنيا ببقاء ربهم موقنون به عالمون أنهم ملاقوه لا محالة فكيف أطردهم وحمله على معنى أنهم يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من إيمان صحيح ثابت كما ظهر لي أو على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء إيمانهم على بادى الرأي من غير نظر وتفكير وما على أن أشق عن قلوبهم وأتعرف سر ذلك منهم حتى أطردهم إن كان الأمر كما تزعمون ياباه الجزم بترتب غضب الله عز وجل على طردهم كما سيأتى وأيضاً فهم إنما قالوا إن اتباعهم لك إنما هو بحسب بادى الرأي بلا تأمل وتفكير وهذا لا يكاد يصلح مداراً للطرد في الدنيا ولا للواخدة في الآخرة غايته أن لا يكونوا في مرتبة الموقنين وادعاء أن بناء الإيمان على ظاهر الرأي يؤدي إلى الرجوع عنه عند التأمل فكانهم قالوا إنهم اتبعوك بلا تأمل فلا يثبتون على دينك بل يرتدون عنه تعسف لا يخفى
 - (ولكني أراكم قوماً تجهلون) بكل ما ينبغي أن يعلم ويدخل فيه جهلهم ببقاء الله عز وجل وبمزالمتهم عنده وباستيجاب طردهم لغضب الله كما سيأتى وبركاكة رأيهم في التماس ذلك وتوقيف إيمانهم عليه أنفة عن الانتظام معهم في سلك واحد وزعماً منهم أن الرذالة بالفقر والشرف بالغنى وإيثار صيغة الفعل للدلالة

وَيَقُومُ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾

١١ هود

وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي
أَعْيُنُكُمْ إِن يَؤُوتُهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾

١١ هود

- على التجدد والاستمرار أو تتساقفون على المؤمنين بنسبتهم إلى الحساسة (ويا قوم من ينصرني من الله) ٣٠
- يدفع حلول سخطه عنى (إن طردتهم) فإن ذلك أمر لا مرد له لكون الطرد ظلماً موجباً لحلول السخط
 - قطعاً وإنما لم يصرح به إشعاراً بأنه غنى عن البيان لا سيما غمما قدم ما يلوح به من أحوالهم فكأنه قيل من يدفع عنى غضب الله تعالى إن طردتهم وهم بتلك المثابة من الكرامة والزلفى كما بنى عنه قوله تعالى (أفلا تذكرون) أى أتستمرون على ما أنتم عليه من الجهل المذكور فلا تذكرون ما ذكر من حالهم حتى تعرفوا أن ما تأتون به معزل عن الصواب ولكون هذه العلة مستقلة بوجه مخصوص ظاهر الدلالة على وجوب الامتناع عن الطرد أفردت عن التعليل السابق وصدرت بياقوم (ولا أقول لكم) حين أدعى النبوة (عندى ٣١ خزان الله) أى رزقه وأمواله حتى تستدلوا بعدمها على كذبي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين فإن النبوة أعز من أن تنال بأسباب دنيوية ودعواها بمعزل عن ادعاء المال والجاه (ولا أعلم الغيب) أى لا أدعى فى قولى إلى لكم نذير مبين إلى أخاف عايكم عذاب يوم أليم علم الغيب حتى تسارعوا إلى الإنكار والاستبعاد (ولا أقول إنى ملك) حتى تقولوا ما نراك إلا بشراً مثلنا فإن البشرية ليست من موانع النبوة بل من مبادئها يعنى إنكم اتخذتم فقدان هذه الأمور الثلاثة ذريعة إلى تكذيبى والحال أنى لا أدعى شيئاً من ذلك ولا الذى أدعيه يتعلق بشئ منها وإنما يتعلق بالفضائل النفسانية التى بها تتفاوت مقادير البشر (ولا أقول) مساعدة لكم كما تقولون (للذين تزدري أعينكم) أى تقتحمهم وتحقرهم من زراه إذا عابه وإسناد الازدراء إلى أعينهم بالنظر إلى قولهم وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا وإما الإشعار بأن ذلك لقصور نظرهم ولو تدبروا فى شأنهم ما فعلوا ذلك أى لا أقول فى شأن الذين استرذلتهم لفقرهم من المؤمنين (إن يؤتيهم الله خيراً) فى الدنيا أو فى الآخرة فعسى الله أن يؤتيهم خيراً الدارين
 - إن قلت هذا القول ليس مما تستنكره الكفرة ولا مما يتوهمون صدوره عنه ﷺ أصالة أو استتباعاً كادعاء الملكية وعلم الغيب وحياسة الخزان مما نفاه ﷺ عن نفسه بطريق التبرؤ والتنزه عنه فن أى وجه عطف نفيه على نفيها قلت من جهة أن كلا النفيين رد لقياسهم الباطل الذى تمسكوا به فيما سلف فإنهم زعموا أن النبوة تستتبع الأمور المذكورة وأنها لا تقضى من ليس على تلك الصفات فإن العثور على مكانها واغتنام مغائرها ليس من دأب الأراذل فأجاب ﷺ بنفى ذلك جميعاً فكأنه قال لا أقول وجود تلك الأشياء من مواجب النبوة ولا عدم المال والجاه من موانع الخير (الله أعلم بما فى أنفسهم) من الإيمان
 - وإنما اقتصر على نفي القول المذكور مع أنه ﷺ جازم بأن الله سبحانه سيؤتيهم خيراً عظيماً فى الدارين وأنهم على يقين راسخ فى الإيمان جرياً على سنن الانصاف مع القوم واكتفاء بمخالفة كلامهم وإرشاداً

قَالُوا يَنْحُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ ١١ هود

قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ ١١ هود

وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ

تَرْجِعُونَ ﴿٣٤﴾ ١١ هود

- لهم إلى مسلك الهداية بأن اللائق لكل أحد أن لا يبت القول إلا فيما يعلمه يقيناً ويبني أموره على الشواهد الظاهرة ولا يجازف فيما ليس فيه على بينة ظاهرة (إني إذا) أي إذا قلت ذلك (لن الظالمين) لهم بحط مرتبتهم ونقص حقوقهم أو من الظالمين لأنفسهم بذلك فإن وباله راجع إلى أنفسهم وفيه تعريض بأنهم ظالمون في ازدرائهم واسترذالهم وقيل إذا قلت شيئاً مما ذكر من ادعاء الملكية وعلم الغيب وحياسة الخزان وهو بعيد لأن تبعة تلك الأقوال مغنية عن التعليل بلزوم الانظام في زمرة الظالمين (قالوا يانوح قد جادلنا) خاصمتنا (فأكثر جدالنا) أي أطلته أو أتيته بأنواعه فإن لكثارت الجدال يتحقق بعد وقوع أصله فلذلك عطف عليه بالفاء أو أردت ذلك فأكثرته كما في قوله تعالى فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وما حجهم عليهم وأبرز لهم بينات واضحة المدلول وحججاً تتلقاها العقول بالقبول وألغمهم الحجر برد شبههم الباطلة ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وقالوا (فاتنا بما تعدنا) من العذاب الذي أشير إليه في قوله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم على تقدير أن لا يكون المراد باليوم يوم القيامة (إن كنت من الصادقين) فيما تقول (قال إنما يأتيكم به الله إن شاء) يعني أن ذلك ليس موكولاً إلى ولا هو بما يدخل تحت قدرتي وإنما يتولاه الله الذي كفرتم به وعصيتموه بآتيكم به عاجلاً أو آجلاً إن تعلق به مشيئته التابعة للحكمة وفيه مالا يخفى من تهويل الموعد فكأنه قبل الإتيان به أمر خارج عن دائرة القوى البشرية وإنما يفعله الله عز وجل (وما أنتم بمُعْجِزِينَ) بالهرب أو بالمداغة كما تدافعوني في الكلام
- ٣٢ (ولا ينفعكم نصحي) النصح كلمة جامعة لكل ما يدور عليه الخير من قول أو فعل وحقيقته محاض لإرادة الخير والدلالة عليه ونقيضه الغش وقيل هو إعلام موقع الغي ليتقوا وموضع الرشد ليتقوا (إن أردت أن أنصح لكم) شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه والتقدير إن أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي وهذه الجملة دليل على ما حذف من جواب قوله تعالى (إن كان الله يريد أن يغويكم) والتقدير إن كان الله يريد أن يغويكم فإن أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي هذا على ما ذهب إليه البصريون من عدم تقديم الجزاء على الشرط وأما على ما ذهب إليه الكوفيون من جوازه فقوله عز وعلا ولا ينفعكم نصحي جزاء للشرط الأول والجملة جزاء للشرط الثاني وعلى التقديرين فالجزاء متعلق بالشرط الأول وتعلقه به معلق بالشرط الثاني وهذا الكلام متعلق بقولهم قد جادلنا فأكثر جدالنا صدر عنه عليه إظهاراً للعجز عن إلزامهم بالحجج والبيانات لتماذيه في العناد وإيذاناً بأن ما سبق منه ليس بطريق الجدال والخصام بل

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَائِي وَأَنَا بِرِيٍّ مِّمَّا تَجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ ١١ هود

وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ١١ هود

وَأَصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ ١١ هود

- بطريق النصيحة لهم والشفقة عليهم وبأنه لم يأل جهداً في إرشادهم إلى الحق وهدايتهم إلى سبيله المستبين وإحاض النصح لهم ولكن لا ينفعهم ذلك عند إرادة الله تعالى لإغوائهم وتقييد عدم نفع النصح بإرادته مع أنه محقق لاحالة الإيذان بأن ذلك النصح منه مقارن للإرادة والاهتمام به ولتحقيق المقابلة بين ذلك وبين ما وقع بإذنه من إرادته تعالى لإغوائهم وإنما اقتصر في ذلك على مجرد إرادة الإغواء دون نفسه حيث لم يقل إن كان الله يغويكم مبالغة في بيان غلبة جنابه عز وعلا حيث دل ذلك على أن نصحه المقارن للاهتمام به لا يجديهم عند مجرد إرادة الله سبحانه لإغوائهم فكيف عند تحقيق ذلك وخلقه فيهم وزيادة كان للإشعار بتقدم إرادته تعالى زماناً كتقدمها رتبة وللدلالة على تجددتها واستمرارها وإنما قدم على هذا الكلام ما يتعلق بقولهم فأتنا بما تعدنا من قوله تعالى إنما يأتيكم به الله إن شاء ردا عليهم من أول الأمر وتسجيلا عليهم بحلول العذاب مع ما فيه من اتصال الجواب بالسؤال وفيه دليل على أن إرادته تعالى يصح تعلقها بالإغواء وأن خلاف مراده غير واقع وقيل معنى أن يغويكم أن يهلككم من غوى الفصيل غوى إذا بشتم وهلك (هو ربكم) خالقكم ومالك أمركم (وإليه ترجعون) فيجازيكم على أعمالكم لاحالة (أم يقولون افتراه) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يعنى نوحا عليه الصلاة والسلام ومعناه بل ٣٥ يقول قوم نوح إن نوحا افتري ما جاء به مسنداً إلى الله عز وجل (قل) (إن افتريته) بالفرض ● البحت (فعلى إجرائي) إثمى ووبال إجرائي وهو كسب الذنب وقرىء بلفظ الجمع وينصره أن فسرته ● الأولون بأنهم (وأنا برىء مما تجرمون) من إجرائكم في إسناد الافتراء إلى فلا وجه لإعراضكم عني ● ومعاداتكم لى وقال مقاتل يعنى محمداً ﷺ ومعناه بل يقول مشركو مكة افتري رسول الله ﷺ خبر نوح فكأنه إنما جرى به في تضايف القصة عند سوق طرف منها تحقيقاً لحقيقتها وتأكيذاً لوقوعها وتشويقاً للسامعين إلى استماعها لاسيما وقد قص منها طائفة متعلقة بما جرى بينه ﷺ وبين قومه من المحاجة وبقيت طائفة مستقلة متعلقة بعذابهم (وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك) أى المصرين على الكفر وهو ٣٦ إقناط له ﷺ من إيمانهم وإعلام لكونه كالحمال الذى لا يصح توقعه (إلا من قد آمن) إلا من قد وجد ● منه ما كان يتوقع من إيمانه وهذا الاستثناء على طريقة قوله تعالى إلا ما قد سلف (فلا تبتئس بما كانوا يفعلون) أى لا تحزن حزن بائس مستكين ولا تغتم بما كانوا يتعاطونه من التكذيب والاستهزاء والإيذاء في هذه المدة الطويلة فقد انتهى أفعالهم وحان وقت الانتقام منهم (واصنع الفلك) ملتبساً ٣٧ (بأعيننا) أى بحفظنا وكلاءتنا كان معه من الله عز وجل حفاظاً وحراساً يكلونه بأعينهم من التعدى ● من الكفرة ومن الزيف في الصنعة (ووحينا) إليك كيف تصنعها وتعليمنا وإلهامنا . عن ابن عباس رضى ●

وَيَصْنَعُ الْفَلَكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ
مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾

١١ هود

الله تعالى عنهما لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله تعالى إليه أن يصنعها مثل جوجو الطائر والامر
للو جوب إذ لا سبيل إلى صيانة الروح من الفرق إلا به فيجب كوجوبها واللام إما للعهد بأن يحمل على
أن هذا مسوق بوحى الله تعالى إليه عليه السلام أنه سيجعلكم بالفرق وينجيهم ومن معه بشيء سيصنعه
بأمره تعالى ووجه من شأنه كيت وكيت واسمه كذا وإما للجنس . قيل صنعها عليه الصلاة والسلام في
سنتين وقيل في أربعين سنة وكانت من خشب الساج وجعلت ثلاثة بطون حمل في البطن الأول الوحوش
والسباع والهوام وفي البطن الأوسط الدواب والأنعام وفي البطن الأعلى جنس البشر هو ومن معه
مع ما يحتاجون إليه من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه الصلاة والسلام وقيل جعل في الأول الدواب
والوحوش وفي الثاني الإنس وفي الأعلى الطير قيل كان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعاً وسمكها
ثلاثين ذراعاً وقال الحسن كان طولها ألفاً ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وقيل إن الحواريين قالوا
لعيسى عليه الصلاة والسلام لو بعثت لنا رجلاً شهد السفينة يحدّثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى إلى كتيب
من تراب فأخذ كفاً من ذلك التراب فقال أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا كعب بن حام
قال فضرب بعصاه فقال قم ياذن الله فإذا هو قائم بنفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى عليه
الصلاة والسلام أهكذا هلك قال لا مت وأنا شاب ولكني ظننت أنها الساعة فن ثمة شبت فقال
حدّثنا عن سفينة نوح قال كان طولها ألفاً ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة
للدواب والوحش وطبقة للإنس وطبقة للطير ثم قال عد ياذن الله تعالى كما كنت فعاد تراباً (ولا تخاطبني
في الذين ظلموا) أي لا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم وفيه من المبالغة ما ليس فيما لو قيل
ولا تدعني فيهم وحيث كان فيه ما يلوح بالسببية أكد التعليل فقيل (إنهم مغرّقون) أي محكوم عليهم
بالإغراق قد مضى به القضاء وجف القلم فلا سبيل إلى كفه ولزمتهم الحجة فلم يبق إلا أن يجعلوا عبرة
للدعبرين ومثلاً للآخرين (ويصنع الفلك) حكاية حال ماضية لاستحضار صورتها العجيبة وقيل تقديره
وأخذ يصنع الفلك أو أقبل يصنعها فافتصر على يصنع وأياً ما كان ففيه ملأمة للاستمرار المفهوم من الجملة
الواقعة حالاً من ضميره أعني قوله تعالى (وكلمنا مر عليه ملا من قومه سخرُوا منه) استهزؤا به لعمله السفينة
إمالةً لهم ما كانوا يعرفونها ولا كيفية استعمالها والانتفاع بها فتعجبوا من ذلك وسخرُوا منه وإما لأنه
كان يصنعها في برية بهما في أبعاد موضع من الماء وفي وقت عزته شديدة وكانوا يتضاخكون ويقولون
يانوح صرت نجاراً بعد ما كنت نبياً وقيل لأنه عليه الصلاة والسلام كان يتذرهم الفرق فلما طال مكثه فيهم
ولم يشاهدوا منه عيناً ولا أثراً عدوه من باب المحال ثم لما رأوا اشتغاله بأسباب الخلاص من ذلك فعلوا
ما فعلوا ومدار الجميع إنكار أن يكون لعمله عليه الصلاة والسلام عاقبة حميدة مع ما فيه من تحمل المشاق

فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٩﴾ ١١ هود

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ
الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ١١ هود

- العظيمة التي لا تكاد تطاق واستجها له عليه السلام في ذلك (قال إن تسخروا منا) مستجملين لنا فيما نحن فيه
- (فإننا نسخر منكم) أي نستجملكم فيما أنتم عليه وإطلاق السخرية عليه للبشاشة وجمع الضمير في منا إما لأن
- سخريتهم منه ﷺ سخرية من المؤمنين أيضاً أو لأنهم كانوا يسخرون منهم أيضاً إلا أنه اكتفى بذكر
- سخريتهم منه ﷺ ولذلك تعرض للجميع للمجازاة في قوله تعالى فإننا نسخر منكم الخ فتكافأ الكلام من الجانبين
- وتعليق استجها له ﷺ إياهم بما فعلوا من السخرية باعتبار إظهاره ومشافهته ﷺ إياهم جاهلين فيما يأتون
- ويذرون أمر مطرد لا تعلق له بسخريتهم منهم لكنه ﷺ لم يكن يتصدى لإظهاره جرياً على نهج الأخلاق
- الحميدة وإنما أظهره جزاء بما صنعوا بعد اللتياء التي فإن سخريتهم كانت مستمرة ومتجددة حسب تجديد مرورهم
- عليه ولم يكن يجيبهم في كل مرة وإلا لقليل ويقول إن تسخروا منا الخ بل إنما أجابهم بعد بلوغ أدام الغاية كما
- يؤذن به الاستئناف فكان سائلاً فقال فما صنع نوح عند بلوغهم منه هذا المبلغ فقليل قال إن تسخروا
- منا أي إن تنسبوا لنا فيما نحن بصدده من التأهب والمباشرة لأسباب الخلاص من العذاب إلى الجهل وتسخروا
- منا لأجله فإننا ننسبكم إليه فيما أنتم فيه من الإعراض عن استدفاعه بالإيمان والطاعة ومن الاستمرار على
- الكفر والمعاصي والتعرض لأسباب حلول سخط الله تعالى التي من جعلتها استجها لكم إياناً وسخريتكم منا
- والنشيبه في قوله تعالى (كما تسخرون) إما في مجرد التحقق والوقوع أو في التجدد والتكرار حسبما صدر
- عن ملاحظ ملا في الكيفيات والأحوال التي لا تليق بشأن النبي ﷺ فكلا الأمرين واقع في الحال وقيل
- نسخر منكم في المستقبل سخرية مثل سخريتكم إذا وقع عليكم الفرق في الدنيا والخرق في الآخرة ولعل
- مراده تعاملكم معاملة من يفعل ذلك لأن نفس السخرية مما لا يكاد يليق بمنصب النبوة ومع ذلك لاسداد
- له لأن حالهم إذ ذاك ليس مما يلائمه السخرية أو ما يجري مجراها فتأمل (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب
- يخزيه) وهو عذاب الفرق (ويحل عليه) حلول الدين المؤجل (عذاب مقيم) هو عذاب النار الدائم وهو
- تهديد بليغ ومن عبارة عنهم وهي إما استفهامية في حيز الرفع أو موصولة في محل النصب بتعلمون وما في
- حيزها سد مسد مفعولين أو مفعول واحد إن جعل العلم بمعنى المعرفة ولما كان مدار سخريتهم استجها لهم
- إياه ﷺ في مكابدة المشاق الفادحة لدفع ما لا يكاد يدخل تحت الصحة على زعمهم من الطوفان ومقاساة
- الشدائد في بناء السفينة وكانوا يعدونه عذاباً قبيلاً بعد استجها لهم فسوف تعلمون من يأتيه العذاب يعني أن
- ما أباشره ليس فيه عذاب لاحق في فسوف تعلمون من المعذب ولقد أصاب العلم بعد استجها لهم محزه
- ووصف العذاب بالإخزاء لما في الاستهزاء والسخرية من حقوق الحزى والعار عادة والتعرض لحلول
- العذاب المقيم للبالغة في التهديد وتخصيصه بالمؤجل وإيراد الأول بالإتيان في غاية الجزالة (حتى إذا ٤٠

جاء أمرنا) حتى هي التي ابتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهي مع ذلك غاية لقوله ويصنع وما بينهما حال من الضمير فيه وسخروا منه جواب لكلما وقال استئناف على تقدير سؤال سائل كما ذكرناه وقيل هو الجواب وسخروا منه بدل من مر أو صفة للملأ وقد عرفت أن الحق هو الأول لأن المقصود بيان تناهيهم في إيذانه عليه السلام وتحمله لأذيتهم لا مسارعة عليه السلام إلى جوابهم كلما وقع منهم ما يؤذيه من الكلام (وقار التنور) نبع منه الماء وارتفع بشدة كما تفور القدر بغليها والتور تنور الخبز وهو قول الجمهور .

● روى أنه قيل لنوح عليه الصلاة والسلام إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب ومن معك في السفينة فلما نبع الماء أخبرته امرأته فركب وقيل كان تنور آدم عليه الصلاة والسلام وكان من حجارة فصار إلى نوح وإنما نبع منه وهو أبعد شيء من الماء على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجد هاعن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان عمل السفينة في ذلك الموضع أو في الهند أو في موضع بالشام يقال له عين وردة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وعكرمة والزهرى أن التنور وجه الأرض وعن قتادة أشرف موضع في الأرض أى أعلاه وعن علي رضي الله تعالى عنه فار التنور طلع الفجر (قلنا حمل فيها) أى في السفينة وهو جواب إذا (من كل) أى من كل نوع لا بد منه في الأرض (زوجين) الزوج ماله مشاكل من نوعه فالدكر زوج للأنثى كما هي زوج له وقد يطاق على مجموعهما فيقابل الفرد ولا زال ذلك الاحتمال

● قيل (اثنين) كل منهما زوج للآخر وقرئ على الإضافة وإنما قدم ذلك على أهلهم وسائر المؤمنين لكونه عريقاً فيما أمر به من الحمل لأنه يحتاج إلى مزاولة الأعمال منه عليه السلام في تمييز بعضه من بعض وتعيين الأزواج فإنه روى أنه عليه السلام قال يارب كيف أحمل من كل زوجين اثنين لحشر الله تعالى إليه السباع والطير وغيرها فجعل يضرب بيديه في كل جنس فيقع الذكر في يده اليمنى والأنثى في اليسرى فيجعلهما في السفينة وأما البشر فأنما يدخل الفلك باختياره فيخف فيه معنى الحمل أو لا لأنها إنما تحمل بمباشرة البشر وهم إنما يدخلونها بمدحهم إياها (وأهلك) عطف على زوجين أو على اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم

● (إلا من سبق عليه القول) بأنه من المغرقين بسبب ظلمهم في قوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا الآية والمراد به ابنه كنعان وأمه وائلة فإنهما كانا كافرين والاستثناء منقطع إن أريد بالأهل الأهل إيماناً وهو الظاهر كما استعرفه أو متصل إن أريد به الأهل قرابة ويكتفي في صحة الاستثناء المعلومة عند المراجعة إلى أحوالهم والتفحص عن أعمالهم وجيء بعلی لكون السابق ضاراً لهم كما جىء باللام فيما هو نافع لهم من قوله عز وجل ولقد سبقت كتبنا العبادنا المرسلين وقوله إن الذين سبقت لهم منا الحسنی (ومن آمن) من غيرهم وإفراد الأهل منهم للاستثناء المذكور وإيثار صيغة الأفراد في أمن محافظة على لفظ من الإيذان بقتلهم كما عرّب عنه قوله عز قاتلاً (وما آمن معه إلا قليل) قيل كانوا ثمانية نوح عليه الصلاة والسلام وأهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وعن ابن إسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وعنه أيضاً أنهم كانوا عشرة سوى نساؤهم وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلاً وامرأة وأولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجمع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء واعتبار المعية في إيمانهم للإيماء إلى المعية في مقر الأمان والنجاة .

وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبُهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾

١١ هود

وَجِيءَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنِي أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ

الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾

١١ هود

- (وقال) أي نوح عليه الصلاة والسلام لمن معه من المؤمنين كما ينبيه عنه قوله تعالى إن ربّي لغفور رحيم ٤١ ولورجع الضمير إلى الله تعالى لناسب أن يقال إن ربكم ولعل ذلك بعد إدخال ما أمر بحمله في الفلك من الأزواج كأنه قيل لحمل الأزواج أو أدخلها في الفلك وقال للمؤمنين (اركبوا فيها) كما سيأتي مثله في قوله تعالى وهي تجري بهم والركوب العلو على شيء متحرك ويتعدى بنفسه واستعماله ههنا بكلمة في ليس لأن المأمور به كونهم في جوفها لا فوقها كما ظن فإن أظهر الروايات أنه عليه السلام جعل الوحوش ونظائرها في البطن الأسفل والأنعام في الأوسط وركب هو ومن معه في الأعلى بل لرعاية جانب المحلية والمساكنية في الفلك والسرفيه أن معنى الركوب العلو على شيء له حركة إما إرادية كالحيوان أو قسرية كالسفينة والعجلة ونحوهما فإذا استعمل في الأول يوفر له حظ الأصل فيقال ركبت الفرس وعليه قوله عز من قائل والخيول والبغال والحمير لتركبوها وإن استعمل في الثاني يلوح بمحلية المفعول بكلمة في فيقال ركبت في السفينة وعليه الآية الكريمة وقوله عز قائلًا فإذا ركبوا في الفلك وقوله تعالى فانطلقا حتى إذا ركبوا في السفينة خرقها (بسم الله) متعلق بركبوا حال من فاعله أي اركبوا مسمين الله تعالى أو قائلين بسم الله (مجريها ومرساها) نصب على الظرفية أي وقت إجرائها وإرسائها على أنهما اسمًا زمان أو مصدران كالإجراء والإرساء بحذف الوقت كقولك آتيك خفوق النجم أو اسمامكان انتصبا بما في بسم الله من معنى الفعل أو إرادة القول ويجوز أن يكون بسم الله مجريها ومرساها مستقلة من حيث بدأ وخبر في موضع الحال من ضمير الفلك أي اركبوا فيها مجرة ومرساء باسم الله بمعنى التقدير كقوله تعالى أدخلوها خالدين أو جملة مقتضبة على أن نوحا أمرهم بالركوب فيها ثم أخبرهم بأن إجرائها وإرساءها بسم الله تعالى فيكونان كلامين له عليه الصلاة والسلام قيل كان عليه السلام إذا أراد أن يجريها يقول بسم الله فتجري وإذا أراد أن يرسها يقول بسم الله فترسو ويجوز أن يكون الاسم مقحبا كما في قوله وصية لأزواجهم متاه إلى الحول ثم اسم السلام عليهما ويراد بالله إجرائها وإرساؤها أي بقدرته وأمره وقرى مجريها ومرسيها على صيغة الفاعل مجرورى المحل صفتين لله عز وجل ومجراها ومرساها بفتح الميم مصدرين أو زمانين أو مكانين من جرى ورسا (إن ربّي لغفور) للذنوب والخطايا (رحيم) لعباده ولذلك نجاكم من هذه الطامة والداهية العامة ولولا ذلك لما فعله وفيه دلالة على أن نجاتهم ليست بسبب استحقاقهم لها بل بفضل الله سبحانه وغفرانه ورحمته على ما عليه رأى أهل السنة (وهي تجري بهم) في موج متعلق بمحذوف دل عليه الأمر بالركوب أي فركبوا فيها مسمين وهي تجري ملتبسة بهم (في موج

قَالَ سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ
بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾

١١ هود

- (كالجبال) وهو ما ارتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة من ذلك كجبل في ارتفاعها وتراكمها وما قيل من أن الماء طبق ما بين السماء والأرض وكانت السفينة تجري في جوفه كالخوت فغير ثابت والمشهور أنه علا شواخ الجبال خمسة عشر ذراعا أو أربعين ذراعا وإثنى عشر ذراعا فذلك فهذا الجريان إنما هو قبل أن يتفاقم الخطاب بما يدل عليه قوله تعالى (ونادى نوح ابنه) فإن ذلك إنما يتصور قبل أن تنقطع العلاقة بين السفينة والبر إذ حينئذ يمكن جريان ما جرى بين نوح عليه الصلاة والسلام وبين ابنه من المفاوضة بالاستدعاء إلى السفينة والجواب بالاعتصام بالجبل وقرىء ابنها وابنه بحذف الالف على أن الضمير لامرأته وكان ربيبه وما يقال من أنه كان لغير رشدة لقوله تعالى نجاتها ما فارتكاب عزيمة لا يقادر قدرها فإن جناب الأنبياء صلوات الله تعالى عليهم وسلامه أرفع من أن يشار إليه بإصبع الطعن وإنما المراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرىء ابناء على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف حرفها وأنت خير بأنه لا يلائمه الاستدعاء إلى السفينة فإنه صريح في أنه لم يقع في حياته بأس بعد (وكان في معزل) أى في مكان عزل فيه نفسه عن أبيه وإخوته وقومه بحيث لم يتناول الخطاب بركبوا واحتاج إلى النداء المذكور وقيل في معزل عن الكفار قد انفرد عنهم وظن نوح أنه يريد مفارقتهم ولذلك دعاه إلى السفينة وقيل كان يناقض أباه فظن أنه مؤمن وقيل كان يعلم أنه كافر إلى ذلك الوقت لكنه عليه الصلاة والسلام ظن أنه عند مشاهدة تلك الأحوال ينزجر عما كان عليه ويقبل الإيمان وقيل لم يكن الذي تقدم من قوله تعالى إلا من سبق عليه القول نصاً في كون ابنه داخل تحتها بل كان كالمجمل فحملته شفقة الأبوة على ذلك (يابني) بفتح الباء اقتصاراً عليه من الالف المبدلة من ياء الإضافة في قولك يابنينا وقرىء بكسر الباء اقتصاراً عليه من ياء الإضافة أو سقطت الباء والالف لالتقاء الساكنين لأن الراء بعدهما ساكنة (اركب معنا) قرأ أبو عمرو والكسائي وحفص بإدغام الباء في الميم لتقاربهما في المخرج وإنما أطلق الركوب عن ذكر الفلك لتعنيها وللإيذان بضيق المقام حيث حال الجريض دون القريض مع اغناء المعية عن ذلك (ولا تكن مع الكافرين) أى في المكان وهو وجه الأرض خارج الفلك لافي الدين وإن كان ذلك مما يوجهه كما يوجب ركوبه معه عليه الصلاة والسلام كونه معه في الإيمان لأنه عليه الصلاة والسلام بصدد التحذير عن الهلكة فلا يلائمه النهي عن الكفر (قال سآوى إلى جبل) من الجبال (يعصمني) بارتفاعه (من الماء) زعمانه أن ذلك كسائر المياه في أزمنة السيول المعتادة التي ربما يتقى منها بالصعود إلى الربا وأنى له ذلك وقد بلغ السيل الزبى وجملاً بأن ذلك إنما كان لإهلاك الكفرة وأن لا يحيص من ذلك سوى الاتجاه إلى ملجأ المؤمنين فلذلك أراد عليه الصلاة والسلام أن يبين له حقيقة الحال ويصرفه عن ذلك الفكر المحال وكان مقتضى الظاهر أن يجيب بما ينطبق عليه كلامه ويتعرض لنفي ما أثبتته للجبل من كونه عاصماً له من الماء بأن

وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأْ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ
وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾

١١ هود

- يقول لا يعصمك منه مفيداً لنفي وصف العصمة عنه فقط من غير تعرض لنفيه عن غيره ولا لنفي الموصوف أصلاً لكنه عليه الصلاة والسلام حيث (قال لا عاصم اليوم من أمر الله) سلك طريقة نفي الجنس المنتظم لنفي جميع أفراد العاصم ذاتاً وصفة كما في قولهم ليس فيه داع ولا يجيب أى أحد من الناس للبالغة في نفي كون الجبل عاصماً بالوجهين المذكورين وزاد اليوم للتنبيه على أنه ليس كسائر الأيام التي تقع فيها الوقائع وتلم فيها الملل المتعادة التي ربما يتخلص من ذلك بالالتجاء إلى بعض الأسباب العادية وعبر عن الماء في محل إضماره بأمر الله أى عذابه الذي أشير إليه حيث قيل حتى إذا جاء أمرنا تفخيماً لشأنه وتهويلاً لأمره وتنبهاً لابنه على خطئه في تسميته ماء ويوم أنه كسائر المياه التي يتفصى منها بالهرب إلى بعض المهرب المعهودة وتعليلاً للنفي المذكور فإن أمر الله لا يغالب وعذابه لا يرد وتمهيداً لحصر العصمة في جناب الله عز جاره بالاستثناء كأنه قيل لا عاصم من أمر الله إلا هو وإنما قيل (إلا من رحم) تفخيماً لشأنه الجليل بالإيهام ثم التفسير وبالإجمال ثم التفصيل وإشعاراً بعلية رحمته في ذلك بموجب سبقها على غضبه وكل ذلك لكمال عنايته عليه الصلاة والسلام بتحقيق ما يتوخاه من نجاة ابنه ببيان شأن الداهية وقطع أطماعه الفارغة وصرفه عن التعلل بما لا يغنى عنه شيئاً وإرشاده إلى العياد بالمعاذ الحق عز حماه وقيل لا مكان يعصم من أمر الله إلا مكان من رحمه الله وهو الفلك وقيل معنى لا عاصم لا إذا عصمة إلا من رحمه الله تعالى (وحال بينهما الموج) أى بين نوح وبين ابنه فأنقطع ما بينهما من المجاورة لا بين ابنه وبين الجبل لقوله تعالى (فكان من المفرقين) إذ هو إنما يتفرع على حيلولة الموج بينه عليه الصلاة والسلام وبين ابنه لا بينه وبين الجبل لأنه بمنزل من كونه عاصماً وإن لم يحل بينه وبين الملتجئ إليه موج وفيه دلالة على هلاك سائر الكفرة على أبلغ وجه فكان ذلك أمراً مقرر الوقوع غير مفتقر إلى البيان وفي إيراد كان دون صار مبالغة في كونه منهم (وقيل يا أرض ابلعي) أى انشقي استعير له من ازرداد الحيوان ما يأكله للدلالة على أن ذلك ليس كالنشف المعتاد التدريجي (ماءك) أى ما على وجهك من ماء الطوفان دون المياه المعهودة فيها من العيون والأنهار وعبر عنه بالماء بعد ما عبر عنه فيما سلف بأمر الله تعالى لأن المقام مقام النقص والتقليل لا مقام التفخيم والتهويل (وياسماء أقلعى) أى أمسكى عن إرسال المطر يقال أقلعت السماء إذا انقطع مطرها وأقلعت الحى أى كفت (وغيض الماء) أى نقص ما بين السماء والأرض من الماء (وقضى الأمر) أى أنجز ما وعد الله تعالى نوحاً من إهلاك قومه وإنجاءه بأهله وأتم الأمر (واستوت) أى استقرت الفلك (على الجودي) هو جبل الموصل أو بالشام أو بآمل . روى أنه عليه الصلاة والسلام ركب في الفلك في عاشر رجب ونزل عنها في عاشر المحرم فصام ذلك اليوم شكراً فصار سنة (وقيل بعدد القوم الظالمين) أى هلاكهم والنعرض لوصف الظلم للإشعار بعليته للهلاك ولتذكيره ما سبق من قوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا إلههم

وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ ١١ هود
 قَالَ يَبْنَوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْعَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْظُكُ
 أَنْ تَكُونَ مِنَ الْخِٰٔٔلِينَ ﴿٤٦﴾ ١١ هود

مفرقون ولقد بلغت الآية الكريمة من مراتب الإعجاز قاصيتها وملكت من غرر المزايا ناصيتها وقد تصدى
 لتفصيل المهر المتقنون ولعمري إن ذلك فوق ما يصفه الواصفون لخرى بنا أن نوجز الكلام في هذا الباب
 ونفوض الأمر إلى تأمل أولى الألباب والله عنده علم الكتاب (ونادى نوح ربه) أى أراد ذلك بدليل الغاء
 ٤٥ في قوله تعالى (فقال رب إن ابني من أهلي) وقد وعدتني لإنجاءم في ضمن الأمر بحملهم في الفلك أو النداء
 على الحقيقة والغاء لتفصيل ما فيه من الإجمال (وإن وعدك الحق) أى وعدك ذلك أو إن كل وعد تعده حق
 لا يتطرق إليه خلف فيدخل فيه الوعد الموعود دخولا أولياً (وأنت أحكم الحاكمين) لأنك أعلمهم
 وأعد لهم أو أنت أكثر حكمة من ذوى الحكم على أن الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع وهذا الدعاء
 منه عليه الصلاة والسلام على طريقة دعاء أيوب عليه الصلاة والسلام إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت
 ٤٦ أرحم الراحمين (قال يابنوح) لما كان دعاؤه عليه الصلاة والسلام بتذكير وعده جل ذكره مبنياً على كون
 كنعان من أهله نفي أو لا كونه منهم بقوله تعالى (إنه ليس من أهلك) أى ليس منهم أصلاً لأن مدار
 الأهلية هو القرابة الدينية ولا علاقة بين المؤمن والكافر أو ليس من أهلك الذين أمرت بحملهم في
 الفلك لخروجه عنهم بالاستثناء وعلى التقديرين ليس هو من الذين وعد بإنجائهم ثم علل عدم كونه منهم
 على طريقة الاستئناف التحقيق بقوله تعالى (إنه عمل غير صالح) أصله إنه ذو عمل غير صالح فجعل نفس
 العمل مبالغة كما في قول الخنساء [فإنما هي إقبال وإدبار] وإشار غير صالح على فاسد إما لأن الفاسد ربما
 يطلق على ما فسد ومن شأنه الصلاح فلا يكون نصاً فيها هو من قبيل الفاسد المحض كالاقتل والمظالم وإما
 للتلويح بأن نجاة من نجما إنما هي لصلاحه وقرأ الكسائي ويعقوب إنه عمل غير صالح أى عملاً غير صالح
 ولما كان دعاؤه عليه الصلاة والسلام مبنياً على ما ذكر من اعتقاد كون كنعان من أهله وقد نفي ذلك
 وحقق ببيان علته فرع على ذلك النهى عن سؤال إنجائه إلا أنه جرى بالنهى على وجه عام يندرج فيه ذلك
 اندارجاً أولياً فقبل (فلا تسألني) أى إذا وقفت على جليلة الحال فلا تطلب منى (ماليس لك به علم) أى
 مطلباً لا تعلم يقيناً أن حصوله صواب وموافق للحكمة على تقدير كون ما عبارة عن المسئول الذى هو
 مفعول للسؤال أو طلباً لا تعلم أنه صواب على تقدير كونه عبارة عن المصدر الذى هو مفعول مطلق
 فيكون النهى وأراداً بصريحه في كل من معلوم الفساد بمشبهة الحال ويجوز أن يكون المعنى ماليس لك علم
 بأنه صواب أو غير صواب فيكون النهى وأراداً في مشبهة الحال ويفهم منه حال معلوم الفساد بالطريق
 الأولى وعلى التقديرين فهو عام يندرج تحته ما نحن فيه كما ذكرناه وهذا كما ترى صريح في أن نداه عليه
 الصلاة والسلام ربه عز وعلا ليس استفساراً عن سبب عدم إنجاء ابنه مع سبق وعده بإنجاء أهله وهو

قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ

١١ هود

الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾

منهم كما قيل فإن النوى عن استفسار ما لم يعلم غير موافق للحكمة إذ عدم العلم بالشئ داع إلى الاستفسار عنه لا إلى تركه بل هو دعاء منه لإنجاء ابنه حين حال الموج بينهما ولم يعلم بهلاكه بعد إما بتقريبه إلى الفلك بتلاطم الأمواج أو بتقريبها إليه وقيل أو بإنجائه في قلة الجبل وبأباه تذكير الوعد في الدعاء فإنه مخصوص بالإنجاء في الفلك وقوله تعالى لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ومجرد حيولة الموج بينهما لا يستوجب هلاكه فضلاً عن العلم به لظهور إمكان عصمة الله تعالى إياه برحمته وقد وعد بإنجاء أهله ولم يكن ابنه مجاهراً بالكفر كما ذكرناه حتى لا يجوز عليه عليه السلام أن يدعو إلى الفلك أو يدعو ربه لإنجائه واعتزاله عنه عليه الصلاة والسلام وقصده الانجاء إلى الجبل ليس بنص في الإصرار على الكفر لظهور جواز أن يكون ذلك لجهله بانحصار النجاة في الفلك وزعمه أن الجبل أيضاً يجرى مجراه أو لكراهة الاحتباس في الفلك بل قوله سأوى إلى جبل يعصمني من الماء بعد ما قال له نوح عليه الصلاة والسلام ولا تكن مع الكافرين ربما يطمعه عليه السلام في إيمانه حيث لم يقل أكون معهم أو سناوى أو يعصمنا فإن أفراد نفسه بنسبة الفعلين المذكورين ربما يشعر بانفراده من الكافرين واعتزاله عنهم وامتناله ببعض ما أمره به نوح عليه الصلاة والسلام إلا أنه عليه الصلاة والسلام لو تأمل في شأنه حتى التأمل وتفحص عن أحواله في كل ما يأتي ويذر لما اشتبه عليه أنه ليس بمؤمن وأنه المستثنى من أهله ولذلك قيل (إني أعظك أن تكون من الجاهلين) فبعد عن ترك الأولى بذلك وقرئ فلا تسألن بغير ياء الإضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء (قال رب إني أعوذ بك أن أسألك) أى أطلب منك من بعد (ماليس لي به علم) أى مطلوباً لا أعلم ٤٧ أن حصوله مقتضى الحكمة أو طلباً لا أعلم أنه صواب سواء كان معلوم الفساد أو مشتبهاً الحال أو لا أعلم أنه صواب أو غير صواب على ما أمر وهذه توبة منه عليه السلام مما وقع منه وإنما لم يقل أعوذ بك منه أو من ذلك مبالغة في التوبة وإظهار الرغبة والنشاط فيها وتبركا بذكر ما لقنه الله تعالى وهو أبلغ من أن يقول أتوب إليك أن أسألك لما فيه من الدلالة على كون ذلك أمراً هاملاً محذوراً لا يحبس منه إلا بالود بالله تعالى وأن قدرته قاصرة عن النجاة من المكروه إلا بذلك (وإلا تغفر لي) ما صدر عني من السؤال المذكور (وترحمني) بقبول توبتي (أكن من الخاسرين) أعمالاً بسبب ذلك فإن الدهول عن شكر الله تعالى لاسيما عند وصول مثل هذه النعمة الجليلة التي هي النجاة وهلاك الأعداء والاشتغال بما لا يعنى خصوصاً بمبادئ خلاص من قبل في شأنه إنه عمل غير صالح والنضرع إلى الله تعالى في أمره معاملة غير رابحة وخسران مبين وتأخير ذكر هذا النداء عن حكاية الأمر الوارد على الأرض والسماء وما يتلوه من زوال الطوفان وقضاء الأمر واستواء الفلك على الجودي والدعاء بالهلاك على الظالمين مع أن حقه أن يذكر عقيب قوله تعالى فكان من المفارقين حسبما وقع في الخارج إذ حينئذ يتصور الدعاء بالإنجاء لا بعد العلم بالهلاك ليس لما

قِيلَ يٰنُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمٌّ سَيَمَتِعُكَ ثُمَّ يَمْسَهُمْ
مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾

١١ هود

قيل من استقلاله بغرض مهم هو جعل قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وأن لا يقدم في الأمور الدينية الأصولية إلا بعد اليقين قياساً على ما وقع في قصة البقرة من تقديم ذكر الأمر بذبحها على ذكر القتل الذي هو أول القصة وكان حقها أن يقال وإذا قتلتم نفساً فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة فاضربوه ببعضها كما قرر في موضعه فإن تغيير الترتيب هناك للدلالة على كمال سوء حال اليهود بتعدد جنائياتهم المتنوعة وتثنية التقرير عليهم بكل نوع على حدة ف قوله تعالى وإذا قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة الخ لتقريرهم على الاستهزاء وترك المسارعة إلى الامتثال وما يتبع ذلك وقوله تعالى وإذا قتلتم نفساً الخ لتقرير على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الأمور العظيمة ولو قصت القصة على ترتيبها لغات الغرض الذي هو تثنية التقرير ولظن أن المجموع تقرير واحد وأما ما نحن فيه فليس مما يمكن أن يراعى فيه مثل تلك النكتة أصلاً وما ذكر من جعل القرابة الدينية غامرة للقرابة النسبية الخ لا يفوت على تقدير سوق الكلام على ترتيب الوقوع أيضاً بل لأن ذكر هذا النداء كما ترى مستدع لذكر ما مر من الجواب المستدعى لذكر ما مر من توبته عليه الصلاة والسلام المؤدى ذكرها إلى ذكر قبولها في ضمن الأمر الوارد بنزوله عليه الصلاة والسلام من الفلك بالسلام والبركات الفائضة عليه وعلى المؤمنين حسبما سيجيء مفصلاً ولا ريب في أن هذه المعاني أخذ بعضها بحجة بعض لا يكاد يفرق الآيات الكريمة المنطوية عليها بعضها من بعض وأن ذلك إنما يتم بتمام القصة ولا ريب أن ذلك إنما يكون بتمام الطوفان فلا جرم اقتضى الحال ذكر تمامها قبل هذا النداء وذلك إنما يكون عند ذكر كون كنعان من المغرقين ولهذا النكتة ازداد حسن موقع الإيجاز البليغ وفيه فائدة أخرى هي التصريح بهلاكه من أول الأمر ولو ذكر النداء الثاني عقيب قوله تعالى فكان من المغرقين لربما توهم من أول الأمر إلى أن يرد قوله إنه ليس من أهلك أنه ينجو بدعائه عليه الصلاة والسلام فنص على هلاكه من أول الأمر ثم ذكر الأمر الوارد على الأرض والسماء الذي هو عبارة عن تعلق الإرادة الربانية الأزلية بما ذكر من الغيظ والإقلاع وبين بلوغ أمر الله محله وجريان قضائه ونفوذه حكمه عليهم بهلاك من هلك ونجاة من نجا بتمام ذلك الطوفان واستواء الفلك على الجودي فقصت القصة إلى هذه المرتبة وبين ذلك أي بيان ثم تعرض لما وقع في تضاعيف ذلك مما جرى بين نوح عليه السلام وبين رب العزة جلّت حكمته فذكر بعد توبته عليه الصلاة والسلام قبولها بقوله (قيل يانوح اهبط) أي انزل من الفلك وقرىء بضم الباء (بسلام) ملتبساً بسلامة من المكاره كائنة (منا) أو بسلام وتحيية منا عليك كما قال سلام على نوح في العالمين (وبركات عليك) أي خيرات نامية في نسلك وما يقوم به معاشك ومعاشهم من أنواع الأرزاق وقرىء بركة وهذا لإعلام وبشارة من الله تعالى بقبول توبته وخلاصه من الحشران بفيضان أنواع الخيرات عليه في كل

تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ
إِنَّ الْعَقِيبَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾

١١ هود

- ما يأتي وما يذر (وعلى أمم) ناشئة (عن معك) إلى يوم القيامة متشعبة منهم فمن ابتدائية والمراد الأمم
- المؤمنة المتناسلة من معه إلى يوم القيامة (وأمم ستمتعهم) أي ومنهم على أنه خبر حذف لدلالة ما سبق عليه فإن إيراد الأمم المبارك عليهم المتشعبة منهم نكرة يدل على أن بعض من يتشعب منهم ليسوا على صفتهم يعني ليس جميع من تشعب منهم مسلماً ومباركاً عليه بل منهم أمم تمتعون في الدنيا معذبون في الآخرة وعلى هذا لا يكون الكائنون مع نوح عليه السلام مسلماً ومباركاً عليهم صريحاً وإنما يفهم ذلك من كونهم مع نوح عليه الصلاة والسلام ومن كون ذرياتهم كذلك بدلالة النص ويجوز أن تكون من بيانية أي وعلى أمم هم الذين معك وإنما سموا أمم لأنهم أمم متعزبة وجماعات متفرقة أو لأن جميع الأمم إنما تشعبت منهم فحينئذ يكون المراد بالأمم المشار إليهم في قوله تعالى وأمم ستمتعهم بعض الأمم للمتشعبة منهم وهي الأمم الكافرة المتناسلة منهم إلى يوم القيامة ويبقى أمر الأمم المؤمنة الناشئة منهم مبهم غير متعرض له ولا مدلول عليه مع ذلك في دلالة المذكور على خبره المحذوف خفاء لأن من المذكورة بيانية والمحذوفة تبعية
- أو ابتدائية فتأمل (ثم بمسهم) إما في الآخرة أو في الدنيا أيضاً (منا عذاب أليم) عن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم أخرج منهم نسلاً منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالأمم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام وبالعذاب منازل بهم (تلك) إشارة إلى ما قص ٤٩ من قصة نوح عليه الصلاة والسلام إما لكونها بتقضيها في حكم البعيد أو للدلالة على بعد منزلتها وهي مبتدأ خبره (من أنباء الغيب) أي من جنسها أي ليست من قبيل سائر الأنباء بل هي نسيج وحدثها منفردة عما عداها أو بعضها (نوحياً إليك) خبر ثان والضمير لها أي موحاة إليك أو هو الخبر ومن أنباء متعلق به فالتعبير بصيغة المضارع لاستحضار الصورة أو حال من أنباء الغيب أي موحاة إليك (ما كنت تعلمها أنت ولا قومك) خبر آخر أي مجعولة عندك وعند قومك (من قبل هذا) أي من قبل إيماننا إليك وإخبارك بها أو من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي أو من قبل هذا الوقت أو حال من الهاء في نوحياً أو الكاف في إليك أي جاهلاً أنت وقومك بها وفي ذكر جهلهم تنبيه على أنه عليه الصلاة والسلام لم يتعلمه إذ لم يخاطب غيرهم وأنهم مع كثرتهم لم يعلموه فكيف بواحد منهم (فاصبر) متفرع على الإيحاء أو العلم المستفاد منه المدلول عليه بقوله ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا أي وإذ قد أوحيناها إليك أو علمتها بذلك فاصبر على مشاق تبليغ الرسالة وأذية قومك كما صبر نوح على ما سمعته من أنواع البلايا في هذه المدة المتطاولة وهذا ناظر إلى ما سبق من قوله تعالى فلعنك تارك بعض ما يوحى إليك الخ (إن العاقبة) بالظفر في الدنيا وبالغور في الآخرة (للمتقين) كما شاهدته في نوح عليه الصلاة والسلام وقومه ولك فيه أسوة حسنة فهي

وَالْإِنِّ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥١﴾ هود
 يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥٢﴾ هود
 وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ
 وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٣﴾ هود

- تسلياً لرسول الله ﷺ وتعليل للأمر بالصبر فإن كون العاقبة الحميدة للمتقين وهو في أقصى درجات التقوى
 والمؤمنون كلهم متقون مما يسليه ﷺ ويهون عليه الخطوب ويذهب عنه ماعسى يعتريه من ضيق صدره
 وهذا على تقدير أن يراد بالتقوى الدرجة الأولى منه أعنى التوقى من العذاب المخلد بالنبرؤ من الشرك
 وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى ويجوز أن يراد الدرجة الثالثة منه وهى أنه يتنزه عما يشغل سره
 عن الحق ويتبتل إليه بشرائره وهو التقوى الحقيقى المطلوب بقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته فإن التقوى
 بهذا المعنى منطوق على الصبر المذكور فكأنه قيل فاصبر فإن العاقبة للصابرين (وإلى عاد) متعلق بمضمـ
 ● معطوف على قوله تعالى أرسلنا فى قصة نوح وهو الناصب لقوله تعالى (أخاهم) أى وأرسلنا إلى عاد أخاهم
 أى واحداً منهم فى النسب كقولهم يا أخا العرب وتقديم الجرور على المنصوب ههنا للحدار عن الإضمـ
 قبل الذكر وقيل متعلق بالفعل المذكور فيما سبق وأخاهم معطوف على نوحا وقد مر فى سورة الأعراف
 ● وقوله تعالى (هوداً) عطف بيان لأخاهم وكان ﷺ من جملتهم فإنه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود
 ابن العوص بن إرم بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام وقيل هود بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح
 ● ابن عم أبى عاد وإنما جعل منهم لأنهم أفهم لكلامه وأعرف بحاله وأرغب فى اقتفائه (قال) لما كان ذكر
 ● لإرساله ﷺ إليهم مظنة للسؤال عما قال لهم ودعاهم إليه أجيب عنه بطريق الاستئناف فقيل قال (يا قوم
 ● اعبدوا الله) أى وحدوه كما ينهى عنه قوله تعالى (مالك من إله غيره) فإنه استئناف يجرى مجرى البيان
 للعبادة المأمور بها والتعليل للأمر بها كأنه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئاً إذ ليس لكم من إله
 ● سواه وغيره بالرفع صفة لإله باعتبار محله وقرىء بالجر حملاً له على لفظه (إن أنتم) ما أنتم باتخاذكم
 ● الأصنام شركاء له أو بقولكم إن الله أمرنا بعبادتها (إلا مفترون) عليه تعالى عن ذلك علواً كبيراً
 ٥١ (يا قوم لا أسألكم عليه أجراً إن أجرى إلا على الذى فطرنى) خاطب به كل نبي قومه إزاحة لما
 عسى يتوهمونه وإحاضاً للنصيحة فإنها ما دامت مشوبة بالمطامع بمعزل عن التأثير وإيراد الموصول
 للنفعيم وجعل الصلة فعل الفطرة لكونه أقدم النعم الفائضة من جناب الله تعالى المستوجبة للشكر الذى
 ● لا يتأتى إلا بالجرىان على موجب أمره الغالب معرضاً عن المطالب الدنيوية التى من جملتها الأجر (أفلا
 تعقلون) أى أنفعلون عن هذه القضية أو ألا تفكرون فيها فلا تعقلونها أو أتجهلون كل شيء فلا تعقلون
 ٥٢ شيئاً أصلاً فإن هذا مما لا ينبغى أن يخفى على أحد من العقلاء (ويا قوم استغفروا ربكم) أى اطلبوا مغفرته

قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ ١١ هود

إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ ١١ هود

- لما سلف منكم من الذنوب بالإيمان والطاعة (ثم توبوا إليه) أي توسلوا إليه بالتوبة وأيضاً التبرؤ من الغير
- إنما يكون بعد الإيمان بالله تعالى والرغبة فيما عنده (يرسل السماء) أي المطر (عليكم مدراراً) أي كثير
- الدور (ويزدكم قوة) مضافة ومنضمة (إلى قوتكم) أي يضاعفها لكم وإنما رغبتهم بكثرة المطر لأنهم كانوا أصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله تعالى عنهم القطر وأعقم أرحام نسايتهم ثلاث سنين فوعدم عليه الصلاة والسلام كثرة الأمطار وتضاعف القوة بالتناسل على الإيمان والتوبة (ولا تتولوا) أي لا تعرضوا عما دعوتكم إليه (بحرمين) مصرين على ما كنتم عليه من الإجماع (قالوا يا هود ما جئتنا ببينة) ٥٣ أي بحجة تدل على صحة دعواك وإنما قالوه لفرط عنادهم وعدم اعتدائهم بما جاءهم من البينات الفاتنة للحصر
- (وما نحن بتاركي آلِهتنا) أي بتاركي عبادتها (عن قولك) أي صادرين عنه أي صادر أتركنا عن ذلك
- بإسناد حال الوصف إلى الموصوف ومعناه التعليل على أبلغ وجه لدلالته على كونه علة فاعلية ولا يفيد الباء واللام وهذا كقولهم المنقول عنهم في سورة الأعراف أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا (وما نحن لك بمؤمنين) أي بمصدقين في شيء مما تأتي وتذر فيندرج تحته مادعاهم إليه من التوحيد وترك
- عبادة الآلهة وفيه من الدلالة على شدة الشكيمة وتجاوز الحد في العتو ما لا يخفى (إن نقول إلا اعتراك) ٥٤ أي ما نقول إلا قولنا اعتراك أي أصابك (بعض آلِهتنا بسوء) بجنون لسبك إياها وصدك عن عبادتها
- وحطك لها عن رتبة الألوهية والمعبودية بما مر من قولك ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون والتشكيك في سوء التقليل كأنهم لم يبالغوا في السوء كما ينبغي عنه نسبة ذلك إلى بعض آلِهتهم دون كلامها والجملة مقول القول وإلا لغوا لأن الاستثناء مفرغ وهذا الكلام مقرر لما مر من قولهم وما نحن بتاركي آلِهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين فإن اعتقادهم بكونه عليه الصلاة والسلام كما قالوا وحاشاه عن ذلك يوجب عدم الاعتداد بقوله وعده من قبيل الخرافات فضلاً عن التصديق والعمل بمقتضاه يعنون أنا لأنعد كلامك إلا من قبيل ما لا يحتمل الصدق والكذب من الهذيان الصادرة عن المجانين فكيف نصدقه ونؤمن به ونعمل بوجبه ولقد سلكوا في طريقة المخالفة والعناد إلى سبيل الترقى من الأدنى إلى الأعلى حيث أخبروا أولاً عن عدم مجيئه بالبينة مع احتمال كون ما جاء به عليه الصلاة والسلام حجة في نفسه وإن لم تكن واضحة الدلالة على المراد وثانياً عن ترك الامتثال بقوله عليه الصلاة والسلام بقولهم وما نحن بتاركي آلِهتنا عن قولك مع إمكان تحقق ذلك بتصديقهم له عليه الصلاة والسلام في كلامه ثم نفوا تصديقهم له عليه الصلاة والسلام بقولهم وما نحن لك بمؤمنين مع كون كلامه عليه الصلاة والسلام مما يقبل التصديق ثم نفوا عنه تلك المرتبة أيضاً حيث قالوا ما قالوا قاتلهم الله أي يؤفكون (قال إنني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون

١١ هود

مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ ﴿٥٥﴾

إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ

١١ هود

مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾

٥٥ من دونه) أى من إشرألكم من دون الله أى من غير أن ينزل به سلطاناً كما قال فى سورة الأعراف أنجادلوني فى أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان أو بما تشركونه من آلهة غير الله أجاب به عن مقالهم الخلقاء المبنية على اعتقاد كون آلهتهم مما يضر أو ينفع وأنها بمعزل من ذلك ولما كان ما وقع أولاً منه عليه الصلاة والسلام فى حق آلهتهم من كونها بمعزل عن الألوهية إنما وقع فى ضمن الأمر بعبادة الله تعالى واختصاصه بها وقد شق عليهم ذلك وعدوه بما يورث شينا حتى زعموا أنها تصيبه عليه الصلاة والسلام بسوء مجازاة لصنيعه معها صرح عليه الصلاة والسلام بالحق وصدع به حيث أخبر ببراءته القديمة عنها بالجملة الاسمىة المصدرة بأن وأشهد الله على ذلك وأمرهم بأن يسمعوا ذلك ويشهدوا به استهانة بهم ثم أمرهم بالاجتماع والاحتشاد مع آلهتهم جميعاً دون بعض منها حسبما يشعر به قولهم بعض آلهتنا والتعاون فى إيصال الكيد إليه عليه الصلاة والسلام ونهاهم عن الإنظار والإمهال فى ذلك فقال (فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون) أى إن صح ما لو حتم به من كون آلهتكم مما يقدر على إضرار من ينال منها ويصد عن عبادتها ولو بطريق ضمني فإني برىء منها فكونوا أنتم معها جميعاً وباشروا كيدى ثم لا تمهلوني ولا تسامحوني فى ذلك فالفاء لتفريع الأمر على زعمهم فى قدرة آلهتهم على ما قالوا وعلى البراءة كليهما وهذا من أعظم المعجزات فإنه عليه الصلاة والسلام كان رجلاً مفرداً بين الجمل الغفير والجمع الكثير من عتاة عاد الغلاظ الشداد وقد خاطبهم بما خاطبهم وحقرهم وآلهتهم وهيجهم على مباشرة مبادئ المضادة والمضارة وحشهم على التصدى لأسباب المعازاة والمعاراة فلم يقدرُوا على مباشرة شئ مما كلفوه وظهر عجزهم عن ذلك ظهوراً

٥٦ بيناً كيف لا وقد التجأ إلى ركن منيع رفيع واعتصم بحبل متين حيث قال (إني توكلت على الله ربى وربكم) يعنى إنكم وإن بذلتم فى مضارتي مجهودكم لا تقدرُون على شئ مما تريدون بي فإني متوكل على الله تعالى وإنما جىء بلفظ الماضى لكونه أدل على الإنشاء المناسب للقيام ووائق بكلامتى وحفظى عن غوائلكم وهو

● مالكى وما لىكم لا يصدر عنكم شئ ولا يصيبني أمر إلا بإرادته ومشيتته ثم برهن عليه بقوله (ما من دابة إلا هو آخذٌ بناصيتها) أى إلا هو مالك لها قادر عليها بصرفها كيف يشاء غير مستعصية عليه فإن الآخذ بالناصية تمثيل لذلك (إن ربى على صراط مستقيم) تعليل لما يدل عليه التوكل من عدم قدرتهم على إضراره

● أى هو على الحق والعدل فلا يكاد يسلطكم على إذلا يضيع عنده معتصم ولا يفتات عليه ظالم والاقصصار على إضافة الرب إلى نفسه إما بطريق الاكتفاء لظهور المراد وإما لأن فائدة كونه تعالى مالكا لهم أيضاً راجعة إليه عليه الصلاة والسلام .

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أَرْسَلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ﴿٥٧﴾

١١ هود

وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾

وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾

١١ هود

- (فإن تولوا) أى تنولوا بجحذف إحدى التامين أى إن تستمروا على ما كنتم عليه من التولى والإعراض ٥٧
- (فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم) أى لم أعان على تفريط فى الإِبلاغ وكنتم محجوجين بأن بلغكم الحق
 - فأيتهم إلا التكذيب والجحود (ويستخلف ربى قوما غيركم) استئناف بالوعيد لهم بأن الله تعالى يهلكهم ويستخلف فى ديارهم وأموالهم قوما آخرين أو عطف على الجواب بالفاء ويؤيده قراءة ابن مسعود رضى الله عنه بالجزم عطفاً على الموضع كأنه قيل فإن تولوا يعذرنى ويهلككم ويستخلف مكانكم آخرين وفى اقتصار إضافة الرب عليه عليه السلام رمز إلى اللطف به والتدبير للخاطبين (ولا تضرونه) بتوليكم (شيداً) من الضرر لاستحالة ذلك عليه ومن جزم ويستخلف أسقط منه النون (إن ربى على كل شىء حفيظ)
 - أى رقيب مهيمن فلا تخفى عليه أعمالكم فيجازيكم بحسبها أو حافظ مستول على كل شىء فكيف يضره شىء
- وهو الحافظ للكل (ولما جاء أمرنا) أى نزل عذابنا وفى التعبير عنه بالأمر مضافاً إلى ضميره جل جلاله ٥٨
- وعن نزوله بالمجىء ما لا يخفى من التفتيح والنهول أو ورد أمرنا بالعذاب (نجينا هوداً والذين آمنوا معه)
 - وكأول أربعة آلاف (برحمة) عظيمة كائنة لهم (منا) وهى الإيمان الذى أنعمنا به عليهم بالتوفيق له
 - والهداية إليه (ونجيناهم من عذاب غليظ) أى كانت تلك التنجية تنجية من عذاب غليظ وهى السموم التى كانت تدخل أنوف الكفرة وتخرج من أديبارهم فتقطعهم إرباراً وقيل أريد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب أغلظ منه وأشد وهذه التنجية وإن لم تكن مقيدة بمجىء الأمر لكن مجىء بها تكملة للنعمة عليهم وتعريضاً بأن المهلكين كاعذبوا فى الدنيا بالسموم فهم معذبون فى الآخرة بالعذاب الغليظ
- (وتلك عاد) أنت اسم الإشارة باعتبار القبيلة أو لأن الإشارة إلى قبورهم وآثارهم (جحدوا بآيات ٥٩
- ربهم) كفروا بها بعدما استيقنوها (وعصوا رسله) جمع الرسل مع أنه لم يرسل إليهم غير هود عليه الصلاة والسلام تفضيلاً لحالهم وإظهاراً لكآل كفرهم وعنادهم ببيان أن عصيانهم له عليه الصلاة والسلام عصيان لجميع الرسل السابقين واللاحقين لا اتفاق كلمتهم على التوحيد لا نفرق بين أحد من رسله فيجوز أن يراد بالآيات ما أتى به هود وغيره من الأنبياء عليهم السلام وفيه زيادة ملاءمة لما تقدم من جميع الآيات وما تأخر من قوله (واتبعوا أمر كل جبار عنيد) من كبرائهم ورؤسائهم الدعاة إلى الضلال وإلى تكذيب الرسل فكأنه قيل عصوا كل رسول واتبعوا أمر كل جبار وهذا الوصف ليس كما سبق من جحود الآيات وعصيان الرسل فى الشمول لكل فرد فرد منهم فإن الاتباع للأمر من أوصاف الأسافل دون الرؤساء

وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادِ قَوْمِ
هُودٍ ﴿٦٠﴾

١١ هود

وَالِإِنِّي تُمُودُ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ وَهُوَ أَنشَأَ لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ
وَاسْتَعْمَرَ كُرْمَ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٦١﴾

١١ هود

- وعنيد فعيل من عند عنداً وإذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم إلى الهدى وأطاعوا من حذاهم إلى
الردى (وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة) إبعاداً عن الرحمة وعن كل خير أى جعلت اللعنة لازمة لهم وعبر
عن ذلك بالتبعية للبالغة فكأنها لا تفارقهم وإن ذهبوا كل مذهب بل تدور معهم حيثما داروا ولوقوعه
● في صحبة اتباعهم رؤسائهم أى أنهم لما اتبعوهم أتبعوا ذلك جزاء لصنيعهم جزاء وفاقا (ويوم القيامة)
أى أتبعوا يوم القيامة أيضاً لعنة وهى عذاب النار المحلح حذف لدلالة الأولى عليها والإيدان بكون كل
من اللغتين نوحاً برأسه لم يجمعما فى قرن واحد بأن يقال وأتبعوا فى هذه الدنيا ويوم القيامة لعنة كما فى
توله تعالى واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة إيداناً باختلاف نوعى الحسنتين فإن المراد
● بالحسنة الدنيوية نحو الصحة والكفاف والتوفيق للخير وبالحسنة الآخروية الثواب والرحمة (ألا إن
● عاداً كفروا ربهم) أى ربهم أو نعمة ربهم حلاله على نقيضه الذى هو الشكر أو جحدوه (ألا بعداً
لعاد) دعاء عليهم بالهلاك مع كونهم هالكين أى هلاك تسجيلهم عليهم باستحقاق الهلاك واستيجاب
● الدمار وتكرير حرف التنبيه وإعادة عاد للبالغة فى تفضيع حالهم والحث على الاعتبار بقصتهم (قوم
هود) عطف بيان لعاد قائده التمييز عن عاد الثانية عاد إرم والإيماء إلى أن استحقاقهم للبعد بسبب ما جرى
بينهم وبين هود عليه الصلاة والسلام وهم قومه (والى ثمود أخاهم صالحاً) عطف على ماسبق من قوله
٦١ تعالى وإلى عاد أخاهم هوداً وثمرود قبيلة من العرب سموها باسم أبيهم الأكبر ثمود بن عابر بن إرم بن سام
وقيل إنما سموها بذلك لقلة ماتهم من الثمود وهو الماء القليل وصالح عليه الصلاة والسلام هو ابن عبيد بن
أسف بن ماشج بن عبيد بن جادر بن ثمود ولما كان الإخبار بإرساله إليهم مظنة لأن يسأل ويقال ماذا قال
● لهم قبل جواباً عنه بطريق الـ تناف (قال يا قوم اعبدوا الله) أى وحده وعلل ذلك بقوله (ما لكم
● من إله غيره) ثم زيد فيما يبعثهم على الإيمان والتوحيد ومحشهم على زيادة الإخلاص فيه بقوله (هو أنشأكم
من الأرض) أى هو كونكم وخلقكم منها لا غيره قصر قلب أو قصر أفراد فإن خلق آدم عليه الصلاة
والسلام منها خلق لجميع أفراد البشر منها لما مر مراراً من أن خلقته عليه الصلاة والسلام لم تكن
مقصورة على نفسه بل كانت أنموذجاً منظوياً على خلق جميع ذرياته التى ستوجد إلى يوم القيامة انطواء
إجمالاً وقبل إن خلق آدم عليه الصلاة والسلام وإنشاء مواد النطف التى منها خلق نسله من التراب لإنشاء
جميع الخلق من الأرض فتدبر (واستعمركم) من العمر أى عمركم واستبقاكم (فيها) أو من العهارة أى

قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَنَّا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا

تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿٦٢﴾

١١ هود

قَالَ يَقُومُ آرَاءُيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِّنْهُ رَحْمَةً فَهَلْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ

فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾

١١ هود

- أقدركم على عمارتها أو أمركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى أعماركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام أعماركم أو جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها للملك (فاستغفروه ثم توبوا إليه)
- فإن ما فصل من فنون الإحسان داع إلى الاستغفار عما وقع منهم من التفريط والتوبة عما كانوا يباشرونه من القبائح وقد زيد في بيان ما يوجب ذلك فقيل (إن ربي قريب) أي قريب الرحمة كقوله تعالى إن رحمة الله قريب من المحسنين (محبب) لمن دعاه وسأله وقد روعي في النظم الكريم نكتة حيث قدم ذكر العلة الباعثة المتقدمة على الأمر بالاستغفار والتوبة وأخر عنه ذكر الغاية المتأخرة عنهما في الوجود أعنى الإجابة (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوًّا) أي كنا نرجو منك لما كنا نرى منك من دلائل السداد ومخايل الرشاد أن تكون لنا سيداً ومستهضباً في الأمور وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فاضلا خيراً أن تقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو أن تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه (قبل هذا) الذي بشارته من الدعوة إلى التوحيد وترك عبادة الآلهة أو قبل هذا الوقت فكأنهم لم يكونوا إلى الآن على يأس من ذلك ولو بعد الدعوة إلى الحق فالآن قد انصرم عنك رجاؤنا وقرأ طلحة مرجوماً بالمد والهمزة (أنتهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا) أي عبدوه والعدول إلى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية (وإننا لفي شك مما تدعوننا إليه) من التوحيد وترك عبادة الآثوان وغير ذلك من الاستغفار والتوبة (مريب) أي موقع في الريبة من أرابه أي أوقعه في الريبة أي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة أو من أراب إذا كان ذاربية وأيهما كان فالإسناد مجازي والتنوين فيه وفي شك للتخميم (قال يا قوم أرايتم) أي أخبروني (إن كنت) في الحقيقة (على بينة) ٦٢ أي حجة ظاهرة وبرهان وبصيرة (من ربي) مالكي ومتولي أمري (وآتاني منه) من جهته (رحمة) نبوة ● وهذه الأمور وإن كانت محققة الوقوع لكنها صدرت بكلمة الشك اعتباراً لحال المخاطبين ورعاية لحسن المحاوراة لاستنزاهم عن المكابرة (فمن ينصرني من الله) أي ينجيني من عذابه والعدول إلى الإظهار لزيادة التحويل والفاء لترتيب إنكار النصرة على ما سبق من إتياء النبوة وكونه على بينة من ربه على تقدير العصيان حسبما يعرب عنه قوله تعالى (إن عصيته) أي بالمساهلة في تبليغ الرسالة والمجاراة معكم فيما تأتون وتذرون فإن العصيان ممن ذلك شأنه أبعد والمواخاة عليه ألزم وإنكار نصرته أدخل (فما تزدونني) إذن باستباحتكم إياي كما ينبغي عنه قولهم قد كنت فينا مرجوًّا قبل هذا أي لا تفيدونني إذ لم يكن فيه أصل الخسران حتى يزدوه (غير تخسير) أي غير أن تعملوني خاسراً بإبطال أعمالى وتقرضنى لسخط الله تعالى أو فما

وَيَقُومُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾

١١ هود

فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾

١١ هود

- ٦٤ تريدونني بما تقولون غير أن أنسبكم إلى الخسران وأقول لكم إنكم لخاسرون فالزيادة على معناه والفاء لترتيب عدم الزيادة على انتفاء الناصر المفهوم من إنكاره على تقدير العصيان مع تحقق ما ينفيه من كونه عليه الصلاة والسلام على بينة من ربه وإبائه النبوة (وياقوم هذه ناقة الله) الإضافة للتشريف والتنبيه على أنها مفارقة لسائر ما يجانسها من حيث الخلقة ومن حيث الخلق (لكم آية) معجزة دالة على صدق نبوتى وهى حال من ناقة الله والعامل ما فى هذه من معنى الفعل ولكم حال من آية متقدمة عليها لكونها نكرة ولو تأخرت لكانت صفة لها ويجوز أن يكون ناقة الله بدلا من هذه أو عطف بيان ولكم خبراً وعاملاً فى آية (فذروها) خلوها وشأنها (تأكل فى أرض الله) ترع نباتها وتشرب ماءها وإضافة الأرض إلى الله تعالى لتربية استحقاقها لذلك وتعليل الأمر بتركها وشأنها (ولا تمسوها بسوء) بولغ فى النهى عن التعرض لها بما يضرها حيث نهى عن المس الذى هو من مبادئ الإصابة ونكر السوء أى لا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها بشئ من سوء فضلاً عن عقرها وقتلها (فياخذكم عذاب قريب) أى قريب الزول . روى أنهم طلبوا منه أن يخرج من صخرة تسمى الكاثبة ناقة عشرة مخترجة جوفاء وبراء وقالوا إن فعلت ذلك صدقناك فأخذ صالح عليه الصلاة والسلام عليهم موافقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض التوج بولدها فأنصدعت عن ناقة عشرة كما وصفوا وهم ينظرون ثم أنتجت ولداً مثلها فى العظم فأمن به جندع بن عمرو فى جماعة ومنع الباقين من الإيمان دواب ابن عمرو والحباب صاحب أوثانهم ورباب كاهنهم فكشفت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غباً فما ترفع رأسها من البئر حتى تشرب كل ما فيها ثم تنفجح فيحلبون ماشاءوا حتى تمتلئ أو انبهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادى فتهرب منها أنعامهم إلى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم إلى ظهره فشق عليهم ذلك (فعقروها) قيل زينت عقرها لهم عنيزة أم غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقسموا لهما فى سقيها جبلا اسمه قارة فرغاثلاً فقال صالح لهم أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب فلم يقدرُوا عليه وانفجرت الصخرة بعد رغانه فدخلها (فقال) لهم صالح (تمتعوا) أى عيشوا (فى داركم) أى فى منازلكم أو فى الدنيا (ثلاثة أيام) قيل قال لهم تصبغ وجوهكم غداً مصفرة وبعد غد حمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب (ذلك) إشارة إلى ما يدل عليه الأمر بالتمتع ثلاثة أيام من نزول العذاب عقبيها والمراد بما فيه من معنى البعد تفخيجه (وعد غير مكذوب) أى غير مكذوب فيه لحذف الجار اللاتساع المشهور كقولهم [ويوم شهدناه سليماً وعامراً] أو غير مكذوب كان الواعد قال له أنى بك فإن وفى به صدقه وإلا كذبه أو وعد غير كذب على أنه مصدر كالمجلود والمعقول .

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ

الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ ١١ هود

وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِئَرِهِمْ جَثَمِينَ ﴿٦٧﴾ ١١ هود

كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ ١١ هود

- (فلما جاء أمرنا) أى عذابنا أو أمرنا بنزوله وفيه ما لا يخفى من التحويل (نجينا صالحا والذين آمنوا معه) ٦٦ متعلق بنجينا أو آمنوا (برحمة) بسبب رحمة عظيمة (منا) وهى بالنسبة إلى صالح النبوة وإلى المؤمنين ● الإيمان كما مر أو ملتبسين برحمة ورافة منا (ومن خزي يومئذ) أى ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم ● بالصيحة كقوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى أنه كانت تلك التنجية تنجية من خزي يومئذ أى من ذلته ومهانتة أو ذلهم وفضيحتهم يوم القيامة كما فسر به العذاب الغليظ فيما سبق فيكون المعنى ونجيناهم من عذاب يوم القيامة بعد تنجيتنا إياهم من عذاب الدنيا وعن نافع بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف إليه هنا وفى المعارج فى قوله تعالى من عذاب يومئذ وقرئ بالتنوين ونصب يومئذ (إن ربك) ● الخطاب لرسول الله ﷺ (هو القوى العزيز) القادر على كل شيء والغالب عليه لا غيره ولشكون الأخبار ● بتنجية الأولياء لاسيما عند الانباء بحلول العذاب أم ذكرها أو لا ثم أخبر بهلاك الأعداء فقال (وأخذ الذين ظلموا) عدل عن المضمر إلى المظهر تسجيلا عليهم بالظلم وإشعارا بأبعليته لنزول العذاب بهم (الصيحة) ● أى صيحة جبريل عليه الصلاة والسلام وقيل أتهم من السماء صيحة فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء فى الأرض فنقطعت قلوبهم فى صدورهم وفى سورة الأعراف فأخذتهم الرجفة ولعلمها وقعت عقيب الصيحة المستتبعة لتوج الهواء (فأصبحوا) أى صاروا (فى ديارهم) أى بلادهم أو مساكنهم (جاثمين) ● هامين موتى لا يتحركون والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب وحركة كما يكون ذلك عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من الدلالة على شدة الأخذ وسرعة اللهم إنا نعوذ بك من حلول غضبك . قيل لما رأوا العلامات التى بينها صالح من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا إلى قتله عليه الصلاة والسلام فنجاه الله تعالى إلى أرض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع وهو يوم السبت تحنطوا وتسكنوا بالأنطاع فأتتهم الصيحة فنقطعت قلوبهم فهلكوا (كأن لم يغنوا) أى كأنهم ٦٨ فى بلادهم أو فى مساكنهم وهو فى موقع الحال أى أصبحوا جاثمين مماثلين لمن لم يوجد ولم يقم فى مقام قط (ألا إن ثمود) وضع موضع الضمير لزيادة البيان ونونه أبو بكر هنا وفى النجم وقرأ حفص هنا وفى الفرقان والعنكبوت بغير تنوين (كفروا ربهم) صرح بكفرهم مع كونه معلوما مما سبق من أحوالهم تقبيحا لحالهم وتعليللا لاستحقاقهم بالدعاء عليهم بالبعد والهلاك فى قوله تعالى (ألا بعدا لثمود) وقرأ ● الكسائي بالتنوين .

وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَّمَ قَالَتْ أَن جَاءَ بِعِجْلِ خَنِيزٍ ١١ هود
فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ

١١ هود

لوط ٧٠

- ٦٩ (ولقد جاءت رسلنا إبراهيم) وهم الملائكة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنهم جبريل وملاك وقيل هم جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام وقال الضحاك كانوا تسعة وعن محمد بن كعب جبريل ومعه سبعة وعن السدى أحد عشر على صور الغلمان الوضاء وجوههم وعن مقاتل كانوا اثني عشر ملكا وإنما أسند إليهم مطلق المجيء بالبشرى دون الإرسال لأنهم لم يكونوا مرسلين إليه عليه السلام بل إلى قوم لوط لقوله تعالى إنا أرسلنا إلى قوم لوط وإنما جاءوه لداعية البشرى ولما كان المقصود في السورة الكريمة ذكر سوء صنيع الأمم السالفة مع الرسل المرسله إليهم ولحوق العذاب بهم بسبب ذلك ولم يكن جميع قوم إبراهيم عليه الصلاة والسلام ممن لحق بهم العذاب بل إنما لحق بقوم لوط منهم خاصة غير الأسلوب المطرد فيما سبق من قوله تعالى وإلى عاد أخاهم هود وإلى ثمود أخاهم صالحاً ثم رجع إليه حيث قيل وإلى مدين أخاهم شعيباً (بالبشرى) أى ملتبسين بها قيل هى مطلق البشرى المنتظمة للبشارة بالولد من سارة لقوله تعالى فبشرناها بإسحق الآية وقوله تعالى وبشرناه بغلام حلیم وقوله وبشروه بغلام عليم وللشارة بعدم لحوق الضرر به لقوله تعالى فلما ذهب عن إبراهيم الروح وجاءته البشرى لظهور تفرع المجادلة على مجيئها كما سيأتى وقيل هى البشارة بهلاك قوم لوط وبأبائه مجادلته عليه الصلاة والسلام فى شأنهم والأظهر أنها البشارة بالولد وستعرف سر تفرع المجادلة على ذلك ولما كان الإخبار بمجيئهم بالبشرى مظنة لسؤال السامع بأنهم ما قالوا أوجب بأنهم (قالوا سلاما) أى سلينا أو نسلم عليك سلاما ويجوز أن يكون نصبه بقالوا أى قالوا قولاً ذا سلام أوذكروا سلاما (قال سلام) أى عليكم سلام أو سلام عليكم حياهم بأحسن من تحيتهم وقرىء سلم تحرم فى حرام وقرأ ابن أبى عبة قال سلاما وعنه أنه قرأ بالرفع فيهما (فالبث) أى إبراهيم (أن جاء بعجل) أى فى المجيء به أو مالبث مجيئه بعجل (حنيز) أى مشوى بالرضف فى الأخدود وقيل سمين يقطر ودكه لقوله بعجل ٧٠ سمين من حذت الفرس إذا عرقته بالجلال (فلما رأى أيديهم لا تصل إليه) لا يمدون إليه أيديهم للأكل (نكرهم) أى أنكرهم يقال نكره وأنكره واستنكره بمعنى وإنما أنكرهم لأنهم كانوا إذا نزل بهم ضيف ولم يأكل من طعامهم ظنوا أنه لم يجيئ بخير وقد روى أنهم كانوا ينسكتون بقداح كانت فى أيديهم فى اللحم ولا تصل إليه أيديهم وهذا الإنكار منه عليه الصلاة والسلام راجع إلى فعلهم المذكور وأما إنكاره المتعلق بأنفسهم فلا تعلق له برؤية عدم أكلهم وإنما وقع ذلك عند رؤيته لهم لعدم كونهم من جنس ما كان يعده من الناس ألا يرى إلى قوله تعالى فى سورة الذاريات سلام قوم منكرون (وأوجس منهم) أى أحس أو أضر من جهتهم (خيفة) لما ظن أن نزولهم لأمر أنكره الله تعالى عليه أول تعذيب قومه وإنما أخر

وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَلَبَسَ نَهْأَهَا بِأَسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبُ ﴿٧١﴾ ١١ هود

قَالَتْ يَنْوِلَنِي الْعِدُّ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ ١١ هود

- المفعول الصريح عن الظرف لأن المراد الإخبار بأنه عليه الصلاة والسلام أو جس من جهتهم شيئاً هو الخيفة لأنه أو جس الخيفة من جهتهم لا من جهة غيرهم وتحقيقه أن تأخير ما حقه التقديم يوجب ترقب النفس إليه فيتمكن عند رده عليها فضل تمكن (قالوا لا تخف) ما قالوه بمجرد ما رأوا منه مخايل الخوف إزالة له منه بل بعد إظهاره عليه الصلاة والسلام له قال تعالى في سورة الحجر قال إنا منكم وجلون ولم يذكر ذلك همنا اكتفاء بذلك (إنا أرسلنا) ظاهره أنه استئناف في معنى التعليل للنهي المذكور كما أن قوله تعالى إنا نبشركم تعليل لذلك فإن إرسالهم إلى قوم آخرين يوجب أمنهم من الخوف أي أرسلنا بالعذاب (إلى قوم لوط) خاصة إلا أنه ليس كذلك فإن قوله تعالى قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين صريح في أنهم قالوه جواباً عن سؤاله عليه الصلاة والسلام وقد أوجز الكلام اكتفاء بذلك (وأمراؤه قائمة) وراء الستر بحيث ٧١ تسمع محاورتهم أو على رءوسهم للخدمة حسبما هو المعتاد والجملة حال من ضمير قالوا أي قالوه وهي قائمة تسمع مقاتلتهم (فضحكت) سرور أبزوال الخوف أو بهلاك أهل الفساد أو بهما جميعاً وقيل بوقوع الأمر حسبما كانت تقول فيما سلف فإنها كانت تقول لإبراهيم اضمم إليك لوطاً فإني أرى أن العذاب نازل بهؤلاء القوم وقيل ضحكت حاضت ومنه ضحكت الشجرة إذا سال صمغها وهو بعيد وقرى بفتح الحاء (فبشرناها بإسحق) أي عقبنا سرورها بسرور أتم منه على السنة أرسلنا (ومن وراء إسحق يعقوب) بالنصب على أنه مفعول لما دل عليه قوله بشرناها أي ووهبنا لها من وراء إسحق يعقوب وقرى بالرفع على الابتداء خبره الظرف أي من بعد إسحق يعقوب مولود أو موجود وكلا الاسمين داخل في البشارة كيحيى أو واقع في الحكاية بعد أن ولدا فسميا بذلك وتوجيه البشارة ههنا إليها مع أن الأصل في ذلك إبراهيم عليه الصلاة والسلام وقد وجهت إليه حيث قيل وبشرناه بغلام حلیم وبشرناه بغلام عليم للإيذان بأن ما بشر به يكون منهما ولكونها عقيمة حريصة على الولد (قالت) استئناف ورد جواباً عن سؤال من سأل وقال فما فعلت إذ بشرت بذلك فقيل ٧٢ قالت (يا ويلتا) أصل الويل الخزي ثم شاع في كل أمر فظيع والآلف مبدلة من ياء الإضافة كما في يالها ويا عجباً وقرأ الحسن على الأصل وأما لها أبو عمرو وحاصم في رواية ومعناه يا ويلتي احضري فهذا أو ان حضورك رقيب هي ألف التندبة ويوقف عليها بهاء السكت (ألد وأنا عجوز) بنت تسعين أو تسع وتسعين سنة (وهذا) الذي تشاهدونه (بعلي) أي زوجي وأصل البعل القائم بالامر (شيخاً) وكان ابن مائة وعشرين سنة ونصبه على الحال والعامل معنى الإشارة وقرى بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هو شيخ أو خبر بعد خبر أو هو الخبر وبعلي بدل من اسم الإشارة أو بيان له وكلتا الجملتين وقعت حالا من الضمير في ألد لتقرير ما فيه من الاستبعاد وتعليله أي ألد وكلانا على حالة منافية لذلك وإنما قدمت بيان

قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ١١ هود

فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجْدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ ١١ هود

- حالتها على بيان حاله عليه الصلاة والسلام لأن مباينة حالها لما ذكر من الولادة أكثر إذ ربما يولد للشيوخ من الشواب أما العجائز داو هن عقام ولأن البشارة متوجهة إليها صريحاً ولأن العكس في البيان ربما يوم من أول الأمر نسبة المانع من الولادة إلى جانب إبراهيم عليه الصلاة والسلام وفيه مالا يخفى من المحذور واقتصارها الاستبعاد على ولادتها من غير تعرض لحال النافلة لأنها المستبعد وأما ولادة ولدها فلا يتعلق بها استبعاد (إن هذا) أى ما ذكر من حصول الولد من هر مين مثلنا (الشيء عجيب) بالنسبة إلى سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين عباده وهذه الجملة لتعليل الاستبعاد بطريق الاستئناف التحقيق ومقصدها استعظام نعمة الله تعالى عليها في ضمن الاستعجاب العادى لاستبعاد ذلك بالنسبة إلى قدرته سبحانه ٧٣ وتعالى (قالوا أتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) أى قدرته وحكمته أو تكوينه أو شأنه أنكرُوا عليها تعجبها من ذلك لأنها كانت ناشئة في بيت النبوة ومهبط الوحي والآيات ومظهر المعجزات والأمور الخارقة للعادات فكان حقها أن تتوقر ولا يزدحمها ما يزدحم سائر النساء من أمثال هذه الخوارق من أطفاف الله تعالى الخفية وإطائف صنعه الفائضة على كل أحد بما يتعلق بذلك مشيئته الأزلية لاسيما على أهل بيت النبوة الذين ليست مرتبتهم عند الله سبحانه كمراتب سائر الناس وأن تسمي الله تعالى وتحمده وتمجده وإلى ذلك أشاروا بقوله تعالى (رحمة الله) التي وسعت كل شيء واستتبعته كل خير وإنما وضع المظهر موضع المضمحل
- لزيادة تشریفها (وبركاته) أى خيراته النامية المتكاثرة في كل باب التي من جملتها هبة الأولاد وقيل الرحمة النبوة والبركات الآبى باط من بنى إسرائيل لأن الأنبياء منهم وكلمهم من ولد إبراهيم عليه الصلاة والسلام (عليكم أهل البيت) نصب على المدح أو الاختصاص لأنهم أهل بيت خليل الرحمن وصرف الخطاب من صيغة الواحدة إلى جمع المذكر لتعميم حكمه لإبراهيم عليه الصلاة والسلام أيضاً ليكون جوابهم لها جواباً له أيضاً إن خطر بباله مثل ما خطر ببالها والجملة كلام مستأنف علل به إنكار تعجبها كأنه قيل ليس المقام مقام التعجب فإن الله تعالى على كل شيء قدير ولستم يا أهل بيت النبوة والكرامة والزلفى كسائر الطوائف بل رحمته المستتعبة لكل خير الواسعة لكل شيء وبركاته أى خيراته النامية الفائضة منه بواسطة تلك الرحمة الواسعة لازمة لكم لا تفارقكم (إنه حميد) فاعل ما يستوجب الحمد (مجيد) كثير الخير والإحسان
 - إلى عباده والجملة لتعليل ما سبق من قوله رحمته الله وبركاته عليكم (فلما ذهب عن إبراهيم الروع) أى ما أوجس منهم من الخيفة واطمأن قلبه بعرفاتهم وعرفان سبب مجيئهم والفاء لربط بعض أحوال إبراهيم عليه الصلاة والسلام ببعض غب انفصالها بما ليس بأجنبي من كل وجه بل له مدخل تام في السباق والسباق وتأخير الفاعل عن الظرف لأنه مصب الفائدة فإن بتأخير ماحقه التقديم تبقى النفس منتظرة إلى وروده فيتمكن فيها عند وروده إليها فضل تمكن (وجاءته البشرى) إن فسرت البشرى بقولهم لا تخف فسيبية ذهاب

١١ هود

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾

يَتْلُو بَرَكِهِمْ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ ١١ هود

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ يَوْمٍ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ ١١ هود

- الخوف وجمي السرور للمجادلة المدلول عليها بقوله تعالى (يجادلنا في قوم لوط) أى جادل رسلنا في شأنهم وعدل إلى صيغة الاستقبال لاستحضار صورتها أو طفق يجادلنا ظاهرة وأما إن فسرت بيشارة الولد أو بما يعمها فلعل سببيتها لها من حيث إنها تفيد زيادة اطمئنان قلب بسلامته وسلامة أهله كافة ومجادلته لإياهم أنه قال لهم حين قالوا له إنا مهلكو أهل هذه القرية أرايتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين أتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال أرايتم إن كان فيها رجل مسلم أتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيه النجينة وأهله إن قبل المتبادر من هذا الكلام أن يكون إبراهيم عليه السلام قد علم أنهم مرسلون لإهلاك قوم لوط قبل ذهاب الروح عن نفسه ولكن لم يقدر على مجادلتهم في شأنهم لاشتغاله بشأن نفسه فلما ذهب عنه الروح فرغ لهامع أن ذهاب الروح إنما هو قبل العلم بذلك لقوله تعالى قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط قلنا كان لوط عليه السلام على شريعة إبراهيم عليه السلام وقومه مكلفين بها فلما رأى من الملائكة ما رأى خاف على نفسه وعلى كافة أمته التي من جملتهم قوم لوط ولا ريب في تقدم هذا الخوف على قولهم لا تخف وأما الذي علمه عليه السلام بعد النهي عن الخوف فهو اختصاص قوم لوط بالهلاك لا دخولهم تحت العموم فتأمل والله الموفق (إن إبراهيم لحليم) غير عجول على الانتقام من أساء إياه (أواه) كثير التأوه ٧٥
- على الذنوب والتأسف على الناس (منيب) راجع إلى الله تعالى والمقصود بتعداد صفاته الجميلة المذكورة
- بيان ما حمله عليه السلام على ما صدر عنه من المجادلة (يا إبراهيم) أى قالت الملائكة يا إبراهيم (أعرض ٧٦ عن هذا) الجدال (لأنه) أى الشأن (قد جاء أمر ربك) أى قدره الجارى على وفق قضائه الأزلى الذى هو عبارة عن الإرادة الأزلية والعناية الإلهية المقترنة لنظام الموجودات على ترتيب خاص حسب تعلقها بالآشياء في أوقاتها وهو المعبر عنه بالقدر (وإنهم آتيهم عذاب غير مردود) لا يجادل ولا بدعاء ولا بغيرهما
- (ولما جاءت رسلنا لوطاً) قال ابن عباس رضى الله عنهما انطلقوا من عند إبراهيم عليه السلام إلى لوط ٧٧
- عليه السلام وبين القريتين أربعة فراسخ ودخلوا عليه في صور غلبان مرد حسان الوجه فلذلك (سئء) بهم) أى ساءه مجيئهم لظنه أنهم أناس يخاف أن يقصدهم قومه ويعجز عن مدافعتهم وقرأ نافع وابن طامر والكسائي وأبو عمرو وسئء وسئئت يا شمام السنين الضم . روى أن الله تعالى قال للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فلما مشى معهم منطلقاً بهم إلى منزله قال لهم أما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرها قال أشهد بالله إنها لشر قرية في الأرض عملاً يقول ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك أحد فخرجت امرأته فأخبرت به قومها وقالت في بيت لوط رجالاً ما رأيت مثل وجوههم

وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْقُومُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ
أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾

١١ هود

قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾

١١ هود

قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾

١١ هود

- قط (وضاق بهم ذرعا) أى ضاق بمكانهم صدره أو قلبه أو وسعه وطاقته وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتياط فيه وقيل ضاقت نفسه عن هذا الحادث وذكر الذرع مثل وهو المساحة وكأنه قدر البدن مجازاً أى إن بدنه ضاق قدره من احتمال ما وقع وقيل الذراع اسم للجراحة من المرفق إلى الأنامل والذرع مدها ومعنى ضيق الذرع فى قوله تعالى ضاق بهم ذرعا قصرها كما أن معنى سعتها وبسطها طولها ووجه التمثيل بذلك أن القصير الذراع إذا مدها ليتناول ما يتناول الطويل الذراع تقاصر عنه ويجز عن تعاطيه فضرر مثلاً للذى قصرت طاقتها دون بلوغ الأمر (وقال هذا يوم عصيب) شديد من عصبه
- ٧٨ إذا شدة (وجاءه) أى لوطاً وهو فى بيته مع أضيافه (قومه يهرعون إليه) أى يسرعون كأنما يدفعون
- دفعاً لطلب الفاحشة من أضيافه والجملة حال من قومه وكذا قوله تعالى (ومن قبل) أى من قبل هذا الوقت
- (كانوا يعملون السيئات) أى جاءوا مسرعين والحال أنهم كانوا منهمكين فى عمل السيئات فضرروا بها
- وتمرنوا فيها حتى لم يبق عندهم قباحتها ولذلك لم يستحبوا عما فعلوا من مجيئهم مهرعين مجاهرين (قال يا قوم هؤلاء بناتى هن أطهر لكم) فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن من قبل ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفائهم لاعداء مشروعيته فإن تزويج المسلمات من الكفار كان جائزاً وقد زوج النبي ﷺ ابنتيه من عتبة بن أبي لهب وأبى العاص بن الربيع قبل الوحى وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فأراد أن يزوجهما ابنتيه وأياً ما كان فقد أراد به وقاية ضيفه وذلك غاية الكرم وقيل ما كان ذلك القول منه مجرى على الحقيقة من إرادة النكاح بل كان ذلك مبالغة فى التواضع لهم وإظهار الشدة امتعاضه مما أوردوا عليه طمعاً فى أن يستحبوا منه ويرقوا له إذا سمعوا ذلك فينزجروا عما أقدموا عليه مع ظهور الأمر واستقرار العلم عنده وعندهم
- جميعاً بأن لا مناصحة بينهم وهو الأنسب بقولهم لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق كما ستقف عليه (فاتقوا
- الله) بترك الفواحش أو بإيثارهن عليهم (ولا تخزون فى ضيفي) أى لا تفضحوني فى شأنهم فإن إخراج ضيف الرجل وجاره إخراجاً له أو لا تخجلوني من الخزاية وهى الحياء (أليس منكم رجل رشيد) يهتدى
- ٧٩ إلى الحق الصريح ويرعوى عن الباطل القبيح (قالوا) معرضين عما نصحهم به من الأمر بتقوى الله والنهى
- عن إخراجهم مجيبين عن أول كلامه (لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق) مستشهدين بعلمه بذلك يعنون إنك
- قد علمت أن لا سبيل إلى المناصحة بيننا وبينك وما عرضك إلا عرض سابر ولا مطمع لنا فى ذلك (وإنك
- ٨٠ لتعلم ما نريد) من إتيان الذكران ولما يئس عليه السلام من أروعائهم عما هم عليه من الغى (قال لو أن لى

قَالُوا يَنْلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلَوْا إِلَيْكَ فَأَسْرَبْنَا إِلَيْكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُمْ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ هود

- بكم قوة) أى لفعلت بكم ما فعلت وصنعت ما صنعت كقوله تعالى ولو أن قرآننا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى (أو آوى إلى ركن شديد) عطف على أن لى بكم إلى آخره لما فيه من معنى الفعل
- أى لو قويت على دفعكم بنفسى أو أويت إلى ناصر عزيز قوى أتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل فى الشدة والمنعة وروى عن النبى ﷺ رحم الله أخى لوطا كان يأوى إلى ركن شديد . روى أنه عليه السلام أغلق بابه دون أضيافه وأخذ يجادلهم من وراء الباب ففسروا الجدار فلما رأته الملائكة ما على لوط من الكرب (قالوا) أى الرسل لما شاهدوا عجزه عن مدافعة قومه (يالوط إننا رسل ربك لن يصلوا إليك) بضرر ٨١ ولا مكروه فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه رب العزة جل جلاله فى عقوبتهم فأذن له فقام فى الصورة التى يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الشيايا فضرب بجناحه وجوهم فطمس أعينهم وأعمى كما قال عز وعلا فطمسنا أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فإن فى بيت لوط قوما سحرة (فأسر بأهلك) بالقطع من الإسماء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث جاء فى القرآن من السرى والفاء لترتيب الأمر بالإسراء على الإخبار برسالتهم المؤذنة بورود الأمر والنهى من جنابه عز وجل إليه عليه السلام (بقطع من الليل) بطائفة منه (ولا يلتفت منكم) أى لا يتخلف أولا ينظر إلى ورائه (أحد) منك ومن أهلك وإنما نهوا عن ذلك ليجدوا فى السير فإن من يلتفت إلى ما وراءه لا يفلو عن أدنى وقفة أو ثلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم (إلا أمرأتك) استثناء من قوله تعالى فأسر بأهلك ويؤيده أنه قرى فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا أمرأتك وقرى بالرفع على البدل من أحد فالالتفات بمعنى التخلف لا بمعنى النظر إلى الخلف كيلا يلزم التناقض بين القراءتين المتواترتين فإن النصب يقتضى كونه عليه السلام غير مأمور بالإسراء بها والرفع كونه مأمورا بذلك والاعتذار بأن مقتضى الرفع إنما هو مجرد كونها معهم وذلك لا يستدعى الأمر بالإسراء بها حتى يلزم المناقضة لجواز أن تسرى هى بنفسها كما يروى أنه عليه السلام لما أسرى بأهله تبعهم فلما سمعت هذه العذاب التفت وقالت يا قوم ما فآدر كما حجر فقتلها وأن يسرى بها عليه السلام من غير أمر بذلك إذ موجب النصب إنما هو عدم الأمر بالإسراء بها لا النهى عن الإسراء بها حتى يكون عليه السلام بالإسراء بها مخالفا للنهى لا يجدى نفعا لأن انصراف الاستثناء إلى الالتفات يستدعى بقاء الأهل على العموم فيكون الإسراء بها مأمورا به قطعاً وفى حمل الآية فى إحدى القراءتين على الأهلية الدينية وفى الأخرى على النسبية مع أن فيه ما لا يخفى من التحكم والاعتساف كره على ما فر منه من المناقضة فالأولى حينئذ جعل الاستثناء على القراءتين من قوله لا يلتفت مثل الذى فى قوله تعالى ما فعلوه إلا قليل منهم فإن ابن طاهر قرأه بالنصب وإن كان الافصح الرفع على البدل ولا بعد فى كون أكثر القراء

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ ﴿٨٢﴾ ١١ هود

مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ١١ هود

- على غير الإفصح ولا يلزم من ذلك أمرها بالالتفات بل عدم نهيبها عنه بطريق الاستصلاح ولذلك علله
- على طريقة الاستئناف بقوله (إنه مصيبها ما أصابهم) من العذاب وهو أمطار الأحجار وإن لم يصبها الخسف والضمير في إنه للشأن وقوله تعالى مصيبها خبر وقوله ما أصابهم مبتدأ والجملة خبر لأن الذي اسمه ضمير الشأن وفيه ما لا يخفى من تفخيم شأن ما أصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعاً على قراءة الرفع (إن موعدهم الصبح) أى موعدهم عذابهم وهلاكهم تعليل للأمر بالإسراء والنهي عن الالتفات
 - المشعر بالحث على الإسراع (أليس الصبح قريب) تأكيد للتعليل فإن قرب الصبح داع إلى الإسراع في الإسراء للتباعد عن مواقع العذاب وروى أنه قال للملائكة متى موعدهم هلاكهم قالوا الصبح قال أريد أسرع من ذلك فقالوا ذلك وإنما جعل ميعات هلاكهم الصبح لأنه وقت الدعة والراحة فيكون حلول العذاب حينئذ أقطع ولأنه أنسب بكون ذلك عبرة للناظرين (فلما جاء أمرنا) أى وقت عذابنا وموعده
 - وهو الصبح (جعلنا عاليها) أى على قرى قوم لوط وهى التى عبر عنها بالموء تفككات وهى خمس مدائن فيها
 - أربع مائة ألف ألف (سافلها) أى قلبناها على تلك الهيئة وجعل عاليها مفعولاً أولاً للجعل وسافلها مفعولاً ثانياً له وإن تحقق القلب بالعكس أيضاً لتحويل الأمر وتفضيع الخطاب لأن جعل عاليها الذى هو مقامهم ومساكنهم سافلها أشد عليهم وأشق من جعل سافلها عاليها وإن كان مستلزماً له . روى أنه جعل جبريل عليه السلام جناحه فى أسفلها ثم رفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديك ثم قلبها عليهم وإسناد الجعل والأمطار إلى ضميره سبحانه باعتبار أنه المسبب لتفخيم الأمر وتحويل الخطاب (وأمطرنا عليها) على أهل المدائن أو شذاذهم (حجارة من سجيل) من طين متحجر كقوله حجارة من طين وأصله سنك كل فرع وقيل هو من أسجله إذا أرسله أو أدر عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل أو مثل العطية فى الإدراج أو من السجل أى مما كتب الله تعالى أن يعذبهم به وقيل أصله من سجين أى من جهنم فأبدلت نونه لاما (منضود) نضد فى السماء نضداً معداً للعذاب وقيل يرسل بعضه لآخر بعض
 - كقطار الأمطار (مسومة) معلبة للعذاب وقيل معلبة ببياض وحررة أو بسبها تتميز به عن حجارة الأرض
 - أو باسم من ترمى به (عند ربك) فى خزائنه التى لا يتصرف فيها غيره عز وجل (وما هى) أى الحجارة
 - الموصوفة (من الظالمين) من كل ظالم (ببعيد) فإنهم بسبب ظلمهم مستحقون لها وملا بسون بها وفيه وعيد شديد لأهل الظلم كافة . وعن رسول الله ﷺ أنه سأل جبريل عليه السلام فقال يعنى ظالمى أمتك مامن ظالم منهم إلا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة وقيل الضمير للقرى أى هى قريبة من ظالمى مكة يمررون بها فى مسائرهم وأسفارهم إلى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجارة بالحجر أو لإجرائه على موصوف مذكر أى بشيء بعيد أو بمكان بعيد فإنها وإن كانت فى السماء وهى فى غاية البعد من الأرض

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُومَ عَبْدُوا اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكَالَ
وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرِيكُمْ بَعْضَ الَّذِي تُكَفِّرُونَ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾
وَيَنْقُومَ أَوْفُوا الْمِكَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ
مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾

١١ هود

١١ هود

- إلا أنها حين هوت منها فهي أسرع شيء لحوقها بهم فكانها بمكان قريب منهم أو لأنه على زنة المصدر كالزفير والصهيل والمصادر يستوى في الوصف بها المذكر والمؤنث (وإلى مدين) أى أولاد مدين بن إبراهيم عليه السلام أو جعل اسماً للقبيلة بالغلبة أو أهل مدين وهو بلد بناه مدين فسمى باسمه (أخاهم) أى نسيبهم (شعيباً) وهو ابن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه والجملة معطوفة على قوله تعالى وإلى ثمود أخاهم صالحاً أى وأرسلنا إلى مدين أخاهم شعيباً (قال) استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ عن صدر الكلام فكانه قيل فإذا قال لهم فليل قال كما قال من قبله من الرسل عليهم السلام (يا قوم اعبدوا الله) وحدوه ولا تشركوا به شيئاً (ما لكم من إله غيره) تحقيق للتوحيد وتعليل للآمر به وبعد ما أمرهم بما هو ملاك أمر الدين وأول ما يجب على المكلفين نهاهم عن ترتيب مبادئ ما اعتادوه من البخس والتطفيف عادة مستمرة فقال (ولا تنقصوا المكيال والميزان) كي تتوسلوا بذلك إلى بخش حقوق الناس (إنى أراكم بخير) أى ملتبسين بثروة وسعة تغنيكم عن ذلك أو بنعمة من الله تعالى حقها أن تقابل بغير ما تاتونه من المسامحة والتفضل على الناس شكر أعليها أو أراكم بخير فلا تزيلوه بما أنتم عليه من الشر وهو على كل حال علة للنهى عقببت بعلته أخرى أغنى قوله عز وجل (وإنى أخاف عليكم) إن لم تنتهوا عن ذلك (عذاب يوم محيط) لا يشذ منه شاذ منكم وقيل عذاب يوم مهلك من قوله تعالى وأحيط بشمره وأصله من إحاطة العدو والمراد عذاب يوم القيامة أو عذاب الاستئصال ووصف اليوم بالإحاطة وهى حال العذاب على الإسناد المجازى وفيه من المبالغة ما لا يخفى فإن اليوم زمان يشتمل على ما وقع فيه من الحوادث فإذا أحاط بعذابه فقد اجتمع للعذب ما شتمل عليه منه كما إذا أحاط بنعيمه ويجوز أن يكون هذا تعليلاً للأمر والنهى جميعاً (ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط) أى بالعدل من ٨٥ غير زيادة ولا نقصان فإن الزيادة فى الكيل والوزن وإن كان تفضلاً مندوباً إليه لكنها فى الآلة محظورة كالتقص فلعل الزائد الاستعمال عند الاكتيال والناقص للاستعمال وقت الكيل وإنما أمر بتسويتها وتعديلها صريحاً بعد النهى عن نقصهما مبالغة فى الحمل على الإيفاء والمنع من البخس وتنبه على أنه لا يكفيهم مجرد الكف عن النقص والبخس بل يجب عليهم إصلاح ما أفسدوه وجعلوه معياراً لظلمهم وقانوناً لعدوانهم (ولا تبخسوا الناس) بسبب نقصهما وعدم اعتدالهما (أشياءهم) التى يشترونها بها وقد صرح بالنهى عن البخس بعد ما علم ذلك فى ضمن النهى عن نقص المعيار والأمر بإيفائه اهتماماً بشأنه وترغيباً فى إيفاء الحقوق بعد الترهيب والزجر عن نقصها ويجوز أن يكون المراد بالأمر بإيفاء المكيال

١١ هود

بَقِيتُ اللَّهُ خَيْرَ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾

قَالُوا يَشْعِيبُ أَسْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَأَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ

١١ هود

لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾

والميزان الأمر بإيفاء المكيلات والموزونات ويكون النهي عن البخس عاما للنقص في المقدار وغيره

● تعميما بعد التخصيص كما في قوله تعالى (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) فإن العثي يعم نقص الحقوق

وغيره من أنواع الفساد وقيل البخس المكس كأخذ العشور في المعاملات قال زهير بن أبي سلمى | أفى

كل أسواق العراق أتاوة * وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم | والعثي في الأرض السرقة وقطع الطريق

والغارة وقائدة الحال لإخراج ما يقصده به الإصلاح كما فعله الخضر عليه السلام من خرق السفينة وقتل

الغلام وقيل معناه ولا تعثوا في الأرض مفسدين أمر آخر تكم ومصالح دينكم (بقيت الله) أى ما أبقاه

● لكم من الحلال بعد التنزه عن تعاطي المحرمات (خير لكم) مما تجمعون بالبخس والتطفيف فإن ذلك هباء

● منشور أبى شر محض وإن زعمتم أن فيه خيرا كقوله تعالى يمحى الله الربا ويربى الصدقات (إن كنتم

مؤمنين) بشرط أن تؤمنوا فإن خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالإيمان لا محالة

أو إن كنتم مصدقين لى في مقاتليكم وقيل البقية الطاعات كقوله عز وجل والباقيات الصالحات خير عند ربك

● وقرىء تقية الله بالفوقانية وهى تقواه عن المعاصى (وما أنا عليكم بحفيظ) أحفظكم من القبايح أو أحفظ

عليكم أعمالكم فأجازيكم وإنما أنا ناصح مبلغ وقد أعذرت إذ أنذرت ولم آل في ذلك جهداً أو ما أنا

● بحافظ ومستبق عليكم نعم الله تعالى إن لم تتركوا ما أنتم عليه من سوء الصنيع (قالوا يا شعيب أسلوتك

٨٧ تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا) من الآوثان أجابوا بذلك أمره عليه السلام لإيham بعبادة الله وحده

المتضمن لنهيهم عن عبادة الأصنام ولقد بالغوا في ذلك وبلغوا أقصى مراتب الخلاعة والمجون والضلال

حيث لم يكتفوا بإنكار الوحي الأمر بذلك حتى ادعوا أن لا أمر به من العقل واللب أصلا وأنه من أحكام

الوسوسة والجنون وعلى ذلك بنوا استفهامهم وقالوا بطريق الاستهزاء أصلاتك التى هى من نتائج الوسوسة

وأفاعيل المجانين تأمرك بأن نترك عبادة الآوثان التى توارثناها أبا عن جد وإنما جعلوه عليه السلام

مأمورا مع أن الصادر عنه إنما هو الأمر بعبادة الله تعالى وغير ذلك من الشرائع لأنه عليه السلام لم يكن

يأمرهم بذلك من تلقاء نفسه بل من جهة الوحي وأنه كان يعلمهم بأنه مأمور بتبليغه إليهم وتخصيصهم

بإسناد الأمر إلى الصلاة من بين سائر أحكام النبوة لأنه ﷺ كان كثير الصلاة معروفا بذلك وكانوا إذا

رأوه يصلى يتغامزون ويتضاحكون فكانت هى من بين سائر شعائر الدين ضحكة لهم وقرىء أصولاتك

● (أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء) جواب عن أمره عليه السلام بإيفاء الحقوق ونهي عن البخس والنقص

معطوف على ما أى أو أن نترك أن نفعل في أموالنا ما نشاء من الأخذ والإعطاء والزيادة والنقص وقرىء

بالتاء في الفعلين عطفاً على مفعول تأمرك أى أصلاتك تأمرك أن تفعل أنت في أموالنا ما نشاء وتحويز

قَالَ يَتَقَوْمُ آرَءَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخْلِفَكُمْ إِلَيَّ
مَا أَنهَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ

أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

١١ هود

- العطف على ما قبل يستدعى أن يراد بالترك معنيان متخالفان والمراد بفعله عليه السلام لإيجاب الإيفاء والعدل في معاملاتهم لا نفس الإيفاء فإن ذلك ليس من أفعاله عليه السلام بل من أفعالهم وإنما نقل عطفاً على أن ترك لأن الترك ليس مأموراً به على الحقيقة بل المأمور به تكليفه عليه السلام لإياهم وأمره بذلك والمعنى أصلاتك تأمرك أن تكلفنا أن نترك ما يعبد آباؤنا وحمله على معنى أصلاتك تأمرك بما ليس في وسعك وعهدتك من أفاعيل غيرك ليسكون ذلك تعريضاً منهم بركا كراهية عليه السلام واستهزاء به من تلك الجهة بإباه دخول الهمزة على الصلاة دون الأمر ويستدعى أن يصدر عنه عليه السلام في أثناء الدعوة ما يدل على ذلك أو يوهمه وأنى ذلك فتأمل وقرئ بالنون في الأول والثاء في الثاني عطفاً على أن ترك أى أو أن نفعل نحن في أمورنا عند المعاملة ما نشاء أنت من التسوية والإيفاء (إنك لانت الحليم الرشيد) وصفوه ● عليه السلام بالوصفين على طريقة النهم وإنما أرادوا بذلك وصفه بضديهما كقول الخزنة ذق إنك أنت العزيز الكريم ويجوز أن يكون تعليلاً لما سبق من استبعاد ما ذكره على معنى إنك لانت الحليم الرشيد على زعمك وأما وصفه بهما على الحقيقة فيأباه مقام الاستهزاء اللهم إلا أن يراد بالصلاة الدين كما قيل (قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة) أى حجة واضحة وبرهان نير عبر بها عما آتاه الله تعالى من النبوة ٨٨ والحكمة رداً على مقالهم الشنعاء في جعلهم أمره ونهيه غير مستند إلى سند (من ربى) ومالك أمورى ● وإيراد حرف الشرط مع جزمه عليه السلام بكونه على ما هو عليه من البينات والحجج لا اعتبار حال المخاطبين ومراعاة حسن المحاورة معهم كما ذكرناه في نظائره (ورزقنى منه) أى من لدنه (رزقا حسناً) ● هو النبوة والحكمة أيضاً عبر عنهما بذلك تنبيهاً على أنهما مع كونهما بينة رزق حسن كيف لا وذلك مناط الحياة البدئية له ولائته وجواب الشرط محذوف يدل عليه لحوى الكلام أى أنقولون فى شأنى ما تقولون والمعنى إنكم نظمتمونى فى سلك السفهاء والغواة وعددتهم ماصدر عنى من الأمر والنواهى من قبيل ما لا يصح أن يتفوه به عاقل وجعلتموه من أحكام الوسوسة والجنون واستهزأتم بى وبأفعالى حتى قلتم إن ما أمرتكم به من التوحيد وترك عبادة الأصنام والاجتناب عن البخس والتطفيف ليس بما يأمر به أمر العقل ويقضى به قاضى الفطنة وإنما يأمر به صلاتك التى هى من أحكام الوسوسة والجنون فأخبرونى إن كنت من جهة ربى ومالك أمورى ثابتاً على النبوة والحكمة التى ليس وراءها غاية للكمال ولا مطمح لطامح ورزقنى بذلك رزقا حسناً أنقولون فى شأنى وشأن أفعالى ما تقولون مما لا خير فيه ولا شر وراءه هذا هو الجواب الذى يستدعيه السياق والسياق ويساعده النظم الكريم وأما ما قبل من أن المحذوف أيصح لى أن لا آمركم بترك عبادة الأوثان والكف عن المعاصى أو هل يسع لى مع هذا الإنعام الجامع
- ٣٠ - أبى السعود ج ٤ ،

وَيَقُومُ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ
وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾

١١هـ

- للسعادات الروحانية والجسمانية أن أخون في وحيه وأخالفه في أمره ونهيه فبمعزل من ذلك وإنما يناسب تقديره إن حمل كلامهم على الحقيقة وأريد بالصلاة الدين على معنى أدينك بأمرك أن تكلفنا بترك عبادة آلهتنا القديمة وترك التصرف المطلق في أموالنا وتخالفتنا في ذلك وتشق عصياننا وهذا مما لا ينبغي أن يصدر عنك فإنك أنت المشهور بالحلم الفاضل والرشد الكامل فيما بيننا كما كان قول قوم صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا مسروداً على ذلك الخط فأجيبوا بما أجيبوا به وعلى هذا الوجه يكون المراد بالرزق الحسن الحلال الذي آناه الله تعالى والمعنى حينئذ أخبروني إن كنت نبياً من عند الله تعالى ورزقني مالا حلالاً أستغنى به عن العالمين أيصح أن أخالف أمره وأوافقكم فيما تأتون وما تندرون (وما أريد) بنهي إياكم عما أنهاكم عنه من البخس والتطفيف (أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) أي أقصده بعد ما وليتم عنه وأستبد به دونكم يقال خالفت زيداً إلى كذا إذا قصده وهو مولى عنه وخالفته عن كذا إذا كان الأمر على العكس (إن أريد) أي ما أريد بما أباشره من الأمر والنهي (إلا الإصلاح) إلا أن أصلحكم بالنصيحة والموعظة (ما استعطت) أي مقدار ما استطعته من الإصلاح والتقييد به للاحتراز عن الاكتفاء بالإصلاح في الجملة لا عن إرادة مالميس في وسعه منه (وما توفيق) أي كوني موفقاً لتحقيق ما أنتحيه من إصلاحكم (إلا بالله) أي بتأييده ومعونته بل الإصلاح من حيث الخلق مستند إليه سبحانه وإنما أنا من مباديه الظاهرة قاله عليه السلام تحقيقاً للحق وإزاحة لما عسى يوهمه إسناد الاستطاعة إليه بإرادته من استبداده بذلك (عليه توكلت) في ذلك معرضاً عما عداه فإنه القادر على كل مقدور وما عداه عاجز محض في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار بمعزل عن مرتبة الاستمداد به والاستظهار (وإليه أنيب) أي أرجع فيما أنا بصده ويجوز أن يكون المراد وما كوني موفقاً لإصابة الحق والصواب في كل ما آتي وأذر إلا بهديته ومعونته عليه توكلت وهو إشارة إلى محض التوحيد الذاتي والفعلية وإليه أنيب أي عليه أقبل بشارش نفسي في مجامع أموري وإشارة صيغة الاستقبال على الماضي الأنسب للثبوت والتحقق كما في التوكل لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار ولا يخفى ما في جوابه عليه السلام من مراعاة لطف المراجعة ورفع الاستئصال والحفاظة على قواعد حسن المجارة والمحاربة وتمهيد معاقداً الحق بطلب التوفيق من جناب الله تعالى والاستعانة به في أموره وحسم أطماع الكفار وإظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وأما تهديدهم بالرجوع إلى الله تعالى للجزاء كما قيل فلا لأن الإنابة إنما هي الرجوع الاختياري ٨٩ بالفعل إلى الله تعالى لا الرجوع الاضطراري للجزاء أو ما يعمه (ويا قوم لا يجرمنكم) أي لا يكسبنكم من جرمتهم ذنباً مثل كسبته مالا (شقاقي) معاداتي وأصلهما أن أحد المتعادين يكون في عدوة وشق والآخر في آخر (أن يصيبكم) مفعول ثانٍ ليجرمنكم أي لا يكسبنكم معاداتكم لي أن يصيبكم

وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾

١١ هود

قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا تَمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْتَكَ وَمَا أَنْتَ

١١ هود

عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾

- (مثل ما أصاب قوم نوح) من الغرق (أو قوم هود) من الريح (أو قوم صالح) من الصيحة والرجفة وقرأ ابن كثير بضم الياء من أجرته ذنباً إذا جعلته جارماً له أي كاسباً وهو منقول من جرم المعتدى إلى مفعول واحد كما نقل أ كسبه المال من كسب المال فكما لا فرق بين كسبته مالا وأ كسبته إياه لا فرق بين جرته ذنباً وأجرته إياه في المعنى إلا أن الأول أصح وأدور على السنة الفصحاء وقرأ أبو حبة مثل ما أصاب بالفتح لإضافته إلى غير متمكن كقوله | لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت ه حامة في غصون ذات أو قال | وهذا وإن كان بحسب الظاهر نهياً للشقاق عن كسب إصابة العذاب لكنه في الحقيقة نهى للكفرة عن مشاقته عليه السلام على الطف أسلوب وأبدعه كما مر في سورة المائدة عند قوله تعالى ولا يجر منكم شنآن قوم الآية (وما قوم لوط منكم يبعيد) زماناً أو مكاناً فإن لم تعتبروا بمن قبلهم من الأمم المعدودة فاعتبروا بهم فكأنه إنما غير أسلوب التحذير بهم ولم يصرح بما أصابهم بل اكتفى بذكر قربهم إيداناً بأن ذلك مغن عن ذكره لشهرة كونه منظوماً في سمط ما ذكر من دواهي الأمم المرقومة أو ليسوا يبعيد منكم في الكفر والمعاصي فلا يبعد أن يصيبكم مثل ما أصابهم وإفراد البعيد مع تذكيره لأن المراد وما إهلاكم على نية المضاف أو وما هم بشيء بعيد لأن المقصود إفادة عدم بعدهم على الإطلاق لا من حيث خصوصية كونهم قوماً أو ما هم في زمان بعيد أو مكان بعيد ولا يبعد أن يكون ذلك لكونه على زنة المصادر كالنهيق والشهيق ولما أذرم عليه السلام بسوء عاقبة صنيعهم عقبه طمعاً في ارتدائهم عما كانوا فيه يعمدون من طغيانهم بالحمل على الاستغفار والتوبة فقال (واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه) مر تفسير مثله في أول ٩٠
- السورة (إن ربي رحيم) عظيم الرحمة للتائبين (ودود) مبالغ في فعل ما يفعل البليغ الأودة بمن يوده من اللطف والإحسان وهذا تعليل للأمر بالاستغفار والتوبة وحث عليهما (قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً
- ٩١ عما تقول) الفقه معرفة غرض المتكلم من كلامه أي ما نفهم مرادك وإنما قالوه بعد ما سمعوا منه دلائل الحق المبين على أحسن وجه وأبلغه وضائق عليهم الحيل وعيت بهم العلل فلم يجدوا إلى محاورته سبيلاً سوى الصدود عن منهاج الحق والسلوك إلى سبيل الشقاء كما هو ديدن المفحم المحجوج يقابل البيّنات بالسب والإبراق والإرصاد فجعلوا كلامه المشتمل على فنون الحكم والمواعظ وأنواع العلوم والمعارف من قبيل مالا يفهم معناه ولا يدرك لغواه وأدجوا في ضمن ذلك أن في تضاعيفه ما يستوجب أقصى ما يكون من المؤاخذه والعقاب ولعل ذلك ما فيه من التحذير من عواقب الأمم السالفة ولذلك قالوا (وإننا لنراك
- فينا) فيما بيننا (ضعيفاً) لا قوة لك ولا قدرة على شيء من الضر والنفع والإيقاع والدفع (ولولا رهطك)
- لولا مراعاة جانبهم لا لولا هم يمانعوننا ويدافعوننا (لرجمناك) فإن ممانعة الرهط وهو اسم للثلاثة إلى

قَالَ يَقَوْمُ أَرْهَطِيْ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّيْ بِمَا تَعْمَلُونَ
مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾

هود ١١

وَيَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُجْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ
وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾

هود ١١

- السبعة أو إلى العشرة لهم وهم ألوف مؤلفة عما لا يكاد يتوهم وقد أيد ذلك بقوله عز وجل (وما أنت علينا بعزير) مكرم محترم حتى نمتنع من رجلك وإنما نكف عنه للمحافظة على حرمة رهطك الذين ثبتوا على ديننا ولم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وإبلاء الضمير حرف النفي وإن لم يكن الخبر فعلياً غير خال عن الدلالة على رجوع النفي إلى الفاعل دون الفعل لاسيما مع قرينة قوله ولولا رهطك كأنه قيل وما أنت علينا بعزير بل رهطك هم الأعزة علينا وحيث كان غرضهم من عظيمتهم هذه طائداً إلى نفي ما فيه عليه السلام من القوة والعزة الربانيتين حسبما يوجهه كونه على بينة من ربه مؤيداً من عنده ويقتضيه قضية طلب التوفيق منه والتوكل عليه والإجابة إليه وإلى إسقاط ذلك كله عن درجة الاعتداده والاعتبار (قال) عليه السلام في جوابهم (يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله) فإن الاستهانة بمن لا يتعزز إلا به عز وجل استهانة بجناحه العزير وإنما أنكر عليهم أعزية رهطه منه تعالى مع أن ما أثبتوه إنما هو مطلق عزة رهطه لا أعزيتهم منه عز وجل مع الاشتراك في أصل العزة لثنية التقرير وتكرير التوبيخ حيث أنكر عليهم أولاً ترجيح جنبه الرهط على جنبه الله تعالى وثانياً بنفي العزة بالمرّة والمعنى أرهطى أعز عليكم من الله فإنه عما لا يكاد يصح والحال إنكم لم تجعلوا له تعالى حظاً من العزة أصلاً (واتخذتموه) بسبب عدم اعتدادكم بمن لا يرد ولا يصدر إلا بأمره (وراهم ظهرياً) أى شيئاً منبذاً وراء الظهر منسياً لا يبالى به منسوب إلى الظهر والكسر لتغيير النسب كالأمسى في النسبة إلى الأمس (إن ربى بما تعملون) من الأعمال السيئة التي من جملتها عدم مراعاتكم لجانبه (محيط) لا يخفى عليه منها خافية وإن جعلتموه منسياً فيجازيكم عليها ويحتمل أن يكون الإنكار للرد والتكذيب فإنهم لما ادعوا أنهم لا يكفون عن رجحه عليه السلام لقوته وعزته بل لمراعاة جانب رهطه رد عليهم ذلك بأنكم ما قدرتم الله حق قدره العزيز ٩٢ ولم تراعوا جناحه القوى فكيف تراعون جانب رهطى الأذلة (ويا قوم اعملوا) لما رأى عليه السلام إصرارهم على الكفر وأنهم لا يرعون عمام عليه من المعاصي حتى اجترأوا على العظيمة التي هي الاستهانة به ● والعزيمة على رجحه لولا حرمة رهطه قال لهم على طريقة التهديد اعملوا (على مكانتكم) أى على غاية تمسكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانه إذا تمسكن أبلغ التمسك وإنما قاله عليه السلام رداً لما ادعوا أنهم أقوياء قادرون على رجحه وأنه ضعيف فيما بينهم لاعزة له أو على ناحيتكم وجهتكم التي أنتم عليها من قولهم مكان ومكانة ك مقام ومقامه والمعنى اثبتوا على ما أنتم عليه من الكفر والمشاقة لى وسائر ما أنتم عليه مما لا خير

وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جَثَمِينَ ﴿٩٤﴾

١١ هود

كَانَ لَرَّ يَغْنَوْنَ فِيهَا إِلَّا بَعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعْدَتْ نُمُودُ ﴿٩٥﴾

١١ هود

- فيه وابدلوا جهنم في مضارقي وإيقاع مافي نيتكم وإخراج مافي أمنتكم من القوة إلى الفعل (إلى عامل) على مكاني حسبا يؤيدني الله ويوفقي بأنواع التأييد والتوفيق (سوف تعلمون) لما هددتم عليه السلام بقوله اعملوا على مكانتكم إلى عامل كان مظنة أن يسأل منهم سائل فيقول فإذا يكون بعد ذلك فقبل سوف تعلمون (من يأتيه عذاب يخزيه) وصف العذاب بالإخزاء تعريضا بما وعدوه عليه السلام به من الرجم فإنه مع كونه عذابا فيه خزي ظاهر حيث لا يكون إلا بنجاة عظيمة توجبها (ومن هو كاذب) عطف على من يأتيه لا على أنه قسيمه بل حيث أوعده بالرجم وكذبوه قيل سوف تعلمون من المعذب ومن الكاذب وفيه تعريض بكذبهم في ادعائهم القوة والقدرة على رجه عليه السلام وفي نسبته إلى الضعف والهوان وفي ادعائهم الإبقاء عليه لرعاية جانب الرهط والاختلاف بين المعطوفين بالفعلية والاسمية لأن كذب الكاذب ليس بمرتبب كإتيان العذاب بل إنما المرتبب ظهور الكذب السابق المستمر ومن إما استفهامية معلقة للعلم عن العمل كأنه قيل سوف تعلمون أينما يأتيه عذاب يخزيه وأينما كاذب وإما موصولة أي سوف تعرفون الذي يأتيه عذاب والذي هو كاذب (وارتقبوا) وانتظروا آمال ما أقول (إني معكم رقيب) منتظر فاعيل بمعنى الرقيب كالصرير أو المراقب كالعشير أو المرتقب كالرفيع وفي زيادة معكم إظهار منه عليه السلام لكمال الوثوق بأمره (ولما جاء أمرنا) أي عذابنا كما ينفي عنه قوله تعالى سوف ٩٤ تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه أو وقته فإن الارتقاب مؤذن بذلك (نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا) وهي الإيمان الذي وفقناهم له أو برحمة كائنة منا لهم وإنما ذكر بالواو كما في قصة عاد لما أنه لم يسبق فيها ذكر وعد يجري مجرى السبب المقتضى لدخول الفاء في معلوله كما في قصتي صالح ولوط فإنه قد سبق هنالك سابقة الوعد بقوله ذلك وعد غير مكذوب وقوله إن موعدهم الصبح (وأخذت الذين ظلموا) عدل إليه عن الضمير تسجيلا عليهم بالظلم وإشعارا بأن ما أخذهم إنما أخذهم بسبب ظلمهم الذي فصل فيما سبق فنونه (الصيحة) قيل صاحبهم جبريل عليه السلام فهلكوا وفي سورة الأعراف فأخذتهم الرجفة وفي سورة العنكبوت فأخذتهم الرجفة أي الزلزلة ولعلها من روادف الصيحة المستتعبة لتموج الهواء المفضي إليها كما مر فيما قبل (فأصبحوا في ديارهم جائعين) ميتين لازمين لأنهم لا يراعونهم منها ولما لم يجعل متعلق العلم في قوله تعالى سوف تعلمون من يأتيه عذاب الخ نفس مجيء العذاب بل من يجيئه ذلك جعل مجيئه بعد ذلك أمرا مسلم الوقوع غنيا عن الإخبار به حيث جعل شرطا وجعل تنجية شعيب عليه السلام وإهلاك الكفرة جوابا له ومقصود الإفادة وإنما قدم تنجيته اهتماما بشأنها وإيداناً بسبق الرحمة التي هي مقتضى الربوبية على الغضب الذي يظهر أثره بموجب جرائمهم وجرائمهم (كان لم يظنوا) أي لم يقيموا ٩٥

١١ هود

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٩٦﴾

١١ هود

إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾

- (فيها) متصرفين في أطرافها متقلبين في أكنافها (ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود) العدول عن الإضمار إلى الإظهار ليكون أدل على طغيانهم الذي أدام إلى هذه المرتبة وليكون أنسب بمن شبه هلاكهم هلاككم أعنى ثمود وإنما شبه هلاككم هلاكهم لأنهما أهاكنا بنوع من العذاب وهو الصيحة غير أن هؤلاء صيحه هم من فوقهم وأولئك من تحتهم وقرئ بعدت بالضم على الأصل فإن الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون سبب الهلاك والبعد مصدر لها والبعد مصدر للكسور (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) وهي الآيات التسع المفصلات التي هي العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الثمرات والأنفس ومنهم من جعلها آية واحدة وعد منها لإظلال الجبل وليس كذلك فإنه لقبول أحكام التوراة حين أباه بنو إسرائيل والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من مفعول أرسلنا أو نعتاً لمصدره المؤكد أي أرسلناه حال كونه ملتبساً بآياتنا أو أرسلناه إرسالاً ملتبساً بها (وسلطان مبين) هو المعجزات الباهرة منها أو هو العصا والإفراد بالذكر لإظهار شرفها لكونها أبهرها والمراد بالآيات ماعداها أو هما عبارتان عن شيء واحد أي أرسلناه بالجامع بين كونه آياتنا وبين كونه سلطاناً له على نبوته واضحا في نفسه أو موضحاً لإياها من أبان لازماً ومتعدياً أو هو الغلبة والاستيلاء كقوله تعالى ونجعل لك سلطاناً ويجوز أن يكون المراد ما بينه عليه السلام في تضاعيف دعوته حين قال له فرعون من ربك فقال بالقرون الأولى من الحقائق الرائقة والدقائق اللائقة وجعله عبارة عن التوراة أو إدراجها في جملة الآيات يردده قوله عز وجل (إلى فرعون وملئه) فإن نزولها إنما كان بعد مم لك فرعون وقومه قاطبة ليعمل بها بنو إسرائيل فيما يأتون وما يذرون وأما فرعون وقومه فإنما كانوا مأمورين بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة الشنعاء التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فتنة الباغية وإرسال بني إسرائيل من الأسر والقسر وتخصيص ملته بالذكر مع عموم رسالته عليه السلام لقومه كافة لأصالتهم في الرأي وتدير الأمور واتباع غيرهم لهم في الورود والصدور وإنما لم يصرح بكفر فرعون بآيات الله تعالى وانهما كه فيما كان عليه من الضلال والإضلال بل اقتصر على ذكر شأن ملته فليل (فاتبعوا أمر فرعون) أي أمره بالكفر بما جاء به موسى عليه السلام من الحق المبين للإبذان بوضوح حاله فكان كفره وأمر ملته بذلك أمر محقق الوجود غير محتاج إلى الذكر صريحاً وإنما المحتاج إلى ذلك شأن ملته المتردد بين هاد إلى الحق وداع إلى الضلال فنعى عليهم سوء اختيارهم وإيراد الفاء في اتباعهم المترتب على أمر فرعون المبني على كفره المسبوق بتبليغ الرسالة للإشعار بمفاجأتهم في الإتيان ومسارعة فرعون إلى الكفر وأمرهم به فكان ذلك كله لم يترأخ عن الإرسال والتبليغ بل وقع جميع ذلك في وقت واحد فوق وقع أثر ذلك اتباعهم ويجوز أن يراد بأمر فرعون شأنه المشهور وطريقته الزائفة فيكون معنى فاتبعوا فاستمروا على الاتباع والفاء

١١ هود

يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾

١١ هود

وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾

١١ هود

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾

مثل ما في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر فإن الإتيان بالشئ بعد ورود ما يوجب الإقلاع عنه وإن كان استمراراً عليه لكننه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث فتأمل وترك الإضمار لدفع توهم الرجوع إلى موسى عليه السلام من أول الأمر ولزيادة تقبيح حال المتبعين فإن فرعون علم في الفساد والإفساد والضلال والإضلال فاتباعه لفرط الجهالة وعدم الاستبصار وكذا الحال في قوله تعالى (وما أمر فرعون برشيد) الرشد ضد الغي وقد يراد به محمودية العاقبة فهو على الأول بمعنى المرشد أو ذى الرشد حقيقة لغوية والإسناد مجازي وعلى الثاني مجاز والإسناد حقيقي (يقدم قومه) جميعاً من الأشراف ٩٨ وغيرهم (يوم القيامة) أى يتقدمهم من قدمه بمعنى تقدمه وهو استئناف لبيان حاله في الآخرة أى كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم إلى النار وهم يتبعونه أو لتوضيح عدم صلاح مآل أمره وسوء عاقبته (فأوردتهم النار) أى يوردهم وإثارة صيغة الماضي للدلالة على تحقيق الوقوع لا محالة شبه فرعون بالفارط الذى يتقدم الواردة إلى الماء وأتباعه بالواردة والنار بالماء الذى يردونه ثم قيل (وبئس الورد المورود) أى بئس الورد الذى يردونه النار لأن الورد إنما يراد لتسكين العطش وتبريد الآكباد والنار على ضد ذلك (وأتبعوا) أى الملاح الذين اتبعوا أمر فرعون (في هذه) أى في الدنيا (لعنة) عظيمة حيث يلعنهم ٩٩ من بعدهم من الأمم إلى يوم القيامة (ويوم القيامة) أيضاً حيث يلعنهم أهل الموقف قاطبة فهى تابعة لهم حينما ساروا دائرة مهمهم أينما داروا في الموقف فكما اتبعوا فرعون اتبعتهم اللعنة في الدارين جزاء وفاقا واكتفى ببيان حالهم القطيع وشأنهم الشنيع عن بيان حال فرعون إذ حين كان حالهم هكذا فما ظنك بحال من أغواهم وألقاهم في هذا الضلال البعيد وحيث كان شأن الاتباع أن يكونوا أعواناً للمتبع جعلت اللعنة رافداً لهم على طريقة التهكم ف قيل (بئس الرفد المرفود) أى بئس العون المعان وقد فسر الرفد بالعطاء ولا يلائمه المقام وأصله ما يضاف إلى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف أى رفدهم وهى اللعنة في الدارين وكونه مرفوداً من حيث أن كل لعنة منها معينة ومدة لصاحبها ومؤيدة لها (ذلك) إشارة ١٠٠ إلى ما قص من أنباء الأمم وبعده باعتبار تقضيه في الذكر والخطاب لرسول الله ﷺ وهو مبتدأ خبره (من أنباء القرى) المملكة بما جنته أيدي أهلها (نقصه عليك) خبر بعد خبر أى ذلك النبأ بعض أنباء القرى مقصوص عليك (منها) أى من تلك القرى (قائم وحصيد) أى ومنها حصيد حذف لدلالة الأول عليه شبه ما بقى منها بالزرع القائم على ساقه وما عفا وبطل بالحصيد والجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب .

وَمَا ظَلَمْنَهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾

هود ١١

وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾

هود ١١

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾

هود ١١

هود ١١

وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَحْلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾

- ١٠١ (وما ظلمناهم) بأن أهلكتناهم (ولكن ظلموا أنفسهم) بأن جعلوها عرصة للملاك باقتراف ما يوجبها (فما أغنت عنهم) فما نفعتهم ولا دفعت بأس الله تعالى عنهم (آلهتهم التي يدعون) أي يعبدونها (من دون الله) أو أثر صيغة المضارع حكاية للحال الماضية أو دلالة على استمرار عبادتهم لها (من شيء) في موضع المصدر أي شيئاً من الإغناء (لما جاء أمر ربك) أي حين مجيء عذابه وهو منصوب بأغنت وقرى آلهتهم اللاتي ويدعون على البناء للجهمول (وما زادوهم غير تتيبب) أي إهلاك وتخسير فإنهم إنما هلكوا وخسروا بسبب عبادتهم لها (وكذلك) أي ومثل ذلك الأخذ الذي مر بيانه وهو رفع على الابتداء وخبره قوله (أخذ ربك) وقرى. أخذ ربك فعل الكاف النصب على أنه مصدر مؤكد (إذا أخذ القرى) أي أهلها وإنما أسند إليها للإشعار بسر بيان أثره إليها حسبما ذكر وقرى. إذ أخذ (وهي ظالمة) حال من القرى وهي في الحقيقة لا أهلها لكنها لما أقيمت مقامهم في الأخذ أجريت الحال عليها وقادتها الإشعار بأنهم إنما أخذوا بظلمهم ليكون ذلك عبرة لكل ظالم (إن أخذه أليم شديد) وجميع صعب على المأخوذ لا يرجى منه الخلاص وفيه ما لا يخفى من التهديد والتحذير (إن في ذلك) أي في أخذه تعالى للأمم المهلكة أو في قصصهم (لآية) لعبرة (لمن خاف عذاب الآخرة) فإنه المعتبر به حيث يستدل بما حاق بهم من العذاب الشديد بسبب ما عملوا من السيئات على أحوال عذاب الآخرة وأما من أنكر الآخرة وأحال فناء العالم وزعم أن ليس هو ولا شيء من أحواله مستنداً إلى الفاعل المختار وأن ما يقع فيه من الحوادث فإنما يقع لأسباب تقتضيه من أوضاع فلسمية تتفق في بعض الأوقات لا لما ذكر من المعاصي التي يقتربها الأمم المهلكة فهو بمنزل من هذا الاعتبار تبا لهم ولما لهم من الأفكار (ذلك) إشارة إلى يوم القيامة المدلول عليه بذكر الآخرة (يوم يجمع له الناس) أي يجمع له الناس للحاسبة والجزاء والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع وتحقيق وقوعه لا محالة وعدم انفكاك الناس عنه فهو أبلغ من قوله تعالى يوم يجمعهم ليوم الجمع (وذلك) أي يوم القيامة مع ملاحظة عنوان جمع الناس له (يوم مشهود) أي مشهود فيه حيث يشهد فيه أهل السموات والأرضين فانتسج فيه بإجراء الظرف مجرى المفعول به كما في قوله [في محفل من نواصي الناس مشهود] أي كثير شاهدوه ولو جعل نفس اليوم مشهوداً
- ١٠٤ لفات ما هو الغرض من تعظيم اليوم وتهويله وتمييزه عن غيره فإن سائر الأيام أيضاً كذلك (وما

يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلُمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾

١١ هود

فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾

١١ هود

خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾

١١ هود

- تؤخره (أى ذلك اليوم الملعوظ بعنوانى الجمع والشهود (إلا لأجل معدود) إلا لانقضاء مدة قليلة مضروبة حسبما تقتضيه الحكمة (يوم يأت) أى حين يأتى ذلك اليوم المؤخر بانقضاء أجله كقوله ١٠٥ تعالى أن تأتيهم الساعة وقيل يوم يأتى الجزاء الواقع فيه وقيل أى الله عز وجل فإن المقام مقام تفخيم شأن اليوم وقرىء بإثبات الباء على الأصل (لا تكلم نفس) أى لا تتكلم بما ينفع وينجى من جواب أو شفاعة وهو العامل فى الظرف أو الانتهاء المحذوف فى قوله تعالى إلا لأجل معدود أى ينتهى الأجل يوم يأتى أو المضرر المعهود أعنى اذكر (إلا بإذنه) عز سلطانه فى التكلم كقوله تعالى لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وهذا فى موطن من موطن ذلك اليوم وقوله عز وجل هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فى موقف آخر من مواقفه كما أن قوله سبحانه يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها فى آخر منها أو المأذون فيه الجوابات الحققة والممنوع عنه الأعذار الباطلة نعم قد يؤذن فيها أيضاً لإظهار بطلانها كما فى قول الكفرة والله ربنا ما كنا مشركين ونظائره (فمنهم شقى) وجبت له النار بموجب الوعيد (وسعيد) أى ومنهم سعيد حذف الخبر لدلالة الأول عليه وهو من وجبت له الجنة بمقتضى الوعد والضمير لأهل الموقف المدلول عليهم بقوله لا تكلم نفس أول الناس وتقدير الشقى على السعيد لأن المقام مقام التحذير والإنذار (فأما الذين شقوا) أى سبقت لهم الشقاوة (فى النار) أى مستقرون فيها (لهم) ١٠٦ فيها زفير وشهيق) الزفير إخراج النفس والشهيق رده واستعمالها فى أول النهيق وآخره قال الشماخ يصف حمار الوحش [بعيد مدى التطريب أول صوته زفير ويتلو شهيق محشرج] والمراد بهما وصف شدة كربهم وتشبيه حالهم بحال من استولت على قلبه الحرارة وانحصر فيه روحه أو تشبيه صراخهم بأصوات الحمر وقرىء شقوا بالضم والجملة مستأنفة كأن ساءلا قال ما شأنهم فيها فليل لهم فيها كذا وكذا أو منصوبة المحل على الحالية من النار أو من الضمير فى الجار والمجرور كقوله عز اسمه (خالدين فيها) خلا أنه إن أريد ١٠٧ حدوث كونهم فى النار فالحال مقدرة (مادامت السموات والأرض) أى مدة دوامهما وهذا التوقيت عبارة عن التأيد ونفى الانقطاع بناء على منهاج قول العرب مادام تعار وما أقام ثبير وما لاح كوكب وما اختلف الليل والنهار وما طما البحر وغير ذلك من كلمات التأيد لا تعليق قرارهم فيها بدوام هذه السموات والأرض فإن النصوص القاطعة دالة على تأيد قرارهم فيها وانقطاع دوامهما وإن أريد التعليق فالمراد سموات الآخرة وأرضها كما يدل على ذلك النصوص كقوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وقوله تعالى وأورثنا الأرض تقبوا من الجنة حيث نشاء وجزم كل أحد بأن أهل الآخرة

وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَنِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ

١١ هود

عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ ﴿١١﴾

- لا بد لهم من مظلة ومقلة دائمتين يكفي في تعليق دوام قرارهم فيها بدوامهما ولا حاجة إلى الوقوف على تفاصيل أحوالهما وكيفياتهما (إلا ما شاء ربك) استثناء من الخلود على طريقة قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى وقوله ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء إلا ما قد سلف وقوله تعالى حتى يلبس الجمل في سم الحياض غير أن استحالة الأمور المذكورة معلومة بحكم العقل واستحالة تعلق المشيئة بعدم الخلود معلومة بحكم النقل يعني أنهم مستقرون في النار في جميع الأزمنة إلا في زمان مشيئة الله تعالى لعدم قرارهم فيها وإذا لا إمكان لتلك المشيئة ولا لزمانها بحكم النصوص القاطعة الموجبة للخلود فلا إمكان لانتها مدة قرارهم فيها ولدفع ما عسى يتوهم من كون استحالة تعلق مشيئة الله تعالى بعدم الخلود بطريق الوجوب على الله تعالى قال (إن ربك فعال لما يريد) يعني إنه في تخليد الأشقياء في النار بحيث يستحيل وقوع خلافه فعال بموجب إرادته قاض بمقتضى مشيئته الجارية على سنن حكمته الداعية إلى ترتيب الأجزاء على أفعال العباد والعدل من الإضمار إلى الإظهار لترية المهابة وزيادة التقرير وقيل هو استثناء من الخلود في عذاب النار فإنهم لا يخلدون فيه بل يعذبون بالزهرير وبأنواع آخر من العذاب وبما هو أغلظ منها كلها وهو سخط الله تعالى عليهم وخسؤه لهم وإهانتهم إياهم وأنت تدري أنا وإن سلمنا أن المراد بالنار ليس مطلق دار العذاب المشتملة على أنواع العذاب بل نفس النار فما خلا عذاب الزهرير من تلك الأنواع مقارن لعذاب النار فلا مصداق في ذلك للاستثناء ولك أن تقول إنهم ليسوا بمخلدين في العذاب الجسماني الذي هو عذاب النار بل لهم من أفانين العذاب ما لا يعلمه إلا الله سبحانه وهي العقوبات والآلام الروحانية التي لا يقف عليها في هذه الحياة الدنيا المنغمسون في أحكام الطبيعة المقصور إدراكهم على ما ألفوا من الأحوال الجسمانية وليس لهم استعداد لتلقى ما وراء ذلك من الأحوال الروحانية إذا ألقى إليهم ولذلك لم يتعرض لبيانها واكتفى بهذه المرتبة الإجمالية المنبثة عن التحويل وهذه العقوبات وإن كانت تعزيبهم وهم في النار لكنهم ينسون بها عذاب النار ولا يحسون به وهذه المرتبة كافية في تحقيق معنى الاستثناء هذا وقد قيل إلا بمعنى سوى وهو أوفق بما ذكر وقيل ما بمعنى من على إرادة معنى الوصفية فالعنى إن الذين شقوا في النار مقدرين الخلود فيها إلا الذين شاء الله عدم خلودهم فيها وهم عصاة المؤمنين
- ١٠٨ (وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَنِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ) الكلام فيه كاللزام فيما سبق خلا أنه لم يذكر ههنا أن لهم فيها بهجة وسرور كما ذكر في أهل النار من أنه لهم فيها زفير وشهيق لأن
- المقام مقام التحذير والإنذار (إلا ما شاء ربك) إن حمل على طريقة التعليق بالمحال فقوله سبحانه (عطاء غير مجذوذ) نصب على المصدرية من معنى الجملة لأن قوله تعالى فني الجنة خالدين فيها يقتضى إعطاء وإنعاما فكأنه قيل يعطيهم عطاء وهو إما اسم مصدر هو الإعطاء أو مصدر بحذف الزوائد كقوله تعالى أنبتكم

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمَوْفُوهُمْ
نَصِيْبُهُمْ غَيْرِ مَنْقُوصٍ ﴿١٠٩﴾

١١ هود

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي
شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾

١١ هود

- من الأرض نباتاً وإن حل على ما أعدد الله لعباده الصالحين من النعيم الروحاني الذي عبر عنه بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهو نصب على الحالية من المفعول المقدر للشيئة أو تمييز فإن نسبة مشيئة الخروج إلى الله تعالى يحتمل أن تكون على جهة عطاء مجذوذ وعلى جهة عطاء غير مجذوذ فهو رافع للإيهام عن النسبة قال ابن زيد أخبرنا الله تعالى بالذي يشاء لأهل الجنة فقال عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار ويجوز أن يتعلق بكلا النعيمين أو بالأول دفعاً لما يتوهم من ظاهر الاستثناء من انقطاعه (فلا تك في مرية) أي في شك والفاء لترتيب النهي على ما قص من القصص وبين في تضاعيفها ١٠٩
- من العواقب الدنيوية والآخروية (مما يعبد هؤلاء) أي من جهة عبادة هؤلاء المشركين وسوء عاقبتها
 - أو من حال ما يعبدونه من الآوثان في عدم نفعه لهم ولما كان مساق النظم الكريم قبيل الشروع في القصص لبيان غاية سوء حال الكفرة وكال حسن حال المؤمنين وقد ضرب لهم مثل فقيل مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلاً أفلا تذكرون وقد قص عقيب ذلك من أبناء الأمم السالفة مع رسلم المبعوثه إليهم ما يتذكر به المتذكر نهى رسول الله ﷺ عن كونه في شك من مصير أمر هؤلاء المشركين في العاجل والآجل ثم علل ذلك بطريق الاستئناف فقيل (ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم) الذين قصت عليك قصصهم (من قبل) أي هم وآباؤهم سواء في الشرك ما يعبدون عبادة إلا كعبادتهم أو ما يعبدون شيئاً إلا مثل ما عبده من الآوثان والعدول إلى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها أو مثل ما كانوا يعبدونه لحذف كان لدلالة قوله من قبل عليه ولقد بلغك ما لحق بآبائهم فسيلحقهم مثل ذلك فإن تماثل الأسباب يقتضي تماثل المسببات (وإنما لموفوهم) أي هؤلاء الكفرة (نصيبهم) أي حظهم المعين لهم حسب جرائمهم وجرائزهم من العذاب عاجلاً وآجلاً كما وفينا آباءهم أنصباؤهم المقدرة لهم أو من الرزق المقسوم لهم فيكون بياناً لوجه تأخر العذاب عنهم مع تحقق ما يوجب به (غير منقوص) حال مؤكدة من النصيب كقوله تعالى ثم وليتم مدبرين وقادته دفع توهم التجوز وجعلها مقيدة له لدفع احتمال كونه منقوصاً في حد نفسه مبنى على الذهول عن كون العامل هو التوفية فتأمل (ولقد آتينا موسى الكتاب) أي التوراة (فاختلف فيه) أي ١١٠ في شأنه وكونه من عند الله تعالى فأمن به قوم وكفر به آخرون فلا تبال باختلاف قومك فيما آتيناك من القرآن وقولهم لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك وزعمهم إنك اقتربت به (ولولا كلمة سبقت

وَأِنْ كَلَّا لَمَا لِيَوقِينَهِمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾

١١ هود

فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾

١١ هود

- (من ربك) وهي كلمة القضاء بإظهارهم إلى يوم القيامة على حسب الحكمة الداعية إلى ذلك (لقضى بينهم) أي لأوقع القضاء بين المختلفين من قومك ياتزال العذاب الذي يستحقه المبطلون ليميزوا به عن المحقين
- وقيل بين قوم موسى وليس بذاك (ولأنهم) أي وإن كفار قومك أريد به بعض من رجع إليهم ضمير
- ١١١ بينهم للأمن من الإلباس (لنفي شك) عظيم (منه) أي من القرآن وإن لم يجر له ذكر فإن ذكر إيتاء كتاب موسى ووقوع الاختلاف فيه لاسيما بصدد التسلية ينادى به نداء غير خفي (مريب) موقع في الريبة (وإن كلا) التنوين عوض عن المضاف إليه أي وإن كل المختلفين فيه المؤمنين منهم والكافرين وقرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر بالتخفيف مع الإعمال اعتباراً للأصل (لما ليوقينهم ربك أعمالهم) أي أجرية أعمالهم واللام الأولى موطئة للقسم والثانية جواب للقسم المحذوف ولما مركبة من من الجارة وما الموصولة أو الموصوفة وأصلها لمن فقلت النون ميماً للإدغام فاجتمع ثلاث ميئات فحذفت أولاهن والمعنى لمن الذي أو لمن خلق أو لمن فربق والله ليوقينهم ربك وقرئ لما بالتخفيف على أن ما مزيدة للفصل بين اللامين والمعنى وإن جميعهم والله ليوقينهم الآية وقرئ لما بالتنوين أي جميعاً كقوله سبحانه أكلا لما وقرأ أبي
- وإن كل لما ليوقينهم على أن إن نافية ولما بمعنى إلا وقد قرئ به (إنه بما يعملون) أي بما يعمل كل فرد
- من المختلفين من الخير والشر (خبير) بحيث لا يخفى عليه شيء من جلالته ودقائمه وهو تعليل لما سبق من توفية أجرية أعمالهم فإن الإحاطة بتفاصيل أعمال الفريقين وما يستوجبه كل عمل بمقتضى الحكمة من
- ١١٢ الجزاء المخصوص توجب توفية كل ذي حق حقه إن خيراً فخير وإن شراً فشر (فاستقم كما أمرت) لما بين في تضاعيف القصص المحكية عن الأمم الماضية سوء عاقبة الكفر وعصيان الرسل وأشير إلى أن حال هؤلاء الكفرة في الكفر والضلال واستحقاق العذاب مثل أولئك المعذبين وأن نصيبهم من العذاب وأصل إليهم من غير نقص وأن تكذيبهم للقرآن مثل تكذيب قوم موسى عليه السلام للتوراة وأنه لو لم تسبق كلمة القضاء بتأخير عقوبتهم العامة ومؤاخذتهم التامة إلى يوم القيامة لفعل بهم ما فعل بآبائهم من قبل وأنهم يوفون نصيبهم غير منقوص وأن كل واحد من المؤمنين والكافرين يوفي جزاء عمله أمر رسول الله ﷺ بالاستقامة كما أمر به في العقائد والأعمال المشتركة بينه وبين سائر المؤمنين ولا سيما الأعمال الخاصة به عليه السلام من تبليغ الأحكام الشرعية والقيام بوظائف النبوة وتحمل أعباء الرسالة بحيث يدخل تحته ما أمر به فيما سبق من قوله تعالى فاعلمك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك الآية وبالجملة فهذا الأمر منتظم لجميع محاسن الأحكام الأصلية والفرعية والكالات النظرية والعملية والخروج من عهده في غاية ما يكون من الصعوبة ولذلك قال رسول الله ﷺ شيتني سورة هود (ومن تاب معك) أي تاب من الشرك والكفر وشاركك في الإيمان وهو المعنى بالمعبة وهو معطوف على

وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ١١ هود
وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلَّذِينَ لَدَّا كَرِينٌ ﴿١١٤﴾ ١١ هود

- المستكن في قوله فاستقم وحسن من غير تاكيد لما كان الفاصل القائم مقامه وفي الحقيقة هو من عطف الجملة على الجملة إذ المعنى وليستقم من تاب معك وقيل هو منصوب على أنه مفعول معه كما قاله أبو البقاء والمعنى استقم مصاحباً لمن تاب معك (ولا تظفروا) ولا تنحرفوا عما حد لكم يافراط أو تقريط فإن كلا طرفي قصد الأمور ذميم وإنما سمي ذلك طغياناً وهو تجاوز الحد تغليظاً أو تغليفاً لحال سائر المؤمنين على حاله عليه السلام (إنه بما تعملون بصير) فيجازيكم على ذلك وهو تعليل للأمر والنهي وفي الآية دلالة على وجوب اتباع المنصوص عليه من غير انحراف بمجرد الرأي فإنه طغيان وضلال وأما العمل بمقتضى الاجتهاد التابع لعلل النصوص فذلك من باب الاستقامة كما أمر على موجب النصوص الأمرة بالاجتهاد (ولا تركنوا) أي لا تميلوا أدنى ميل (إلى الذين ظلموا) أي إلى الذين وجد منهم الظلم في الجملة ومدار ١١٣
النهي هو الظلم والجمع باعتبار جمعية المخاطبين وما قيل من أن ذلك للمبالغة في النهي من حيث إن كونهم جماعة مظنة الرخصة في مداها منهم إنما يتم أن لو كان المراد النهي عن الركون إليهم من حيث إنهم جماعة وليس كذلك (فتمسك) بسبب ذلك (النار) وإذا كان حال الميل في الجملة إلى من وجد منه ظلم مافي الإفضاء ●
إلى مساس النار هكذا فما ظنك بمن يميل إلى الراسخين في الظلم والعدوان ميلاً عظيماً ويتهالك على مصاحبته ومناذمتهم ويلقى شره على مؤانستهم ومعاشرتهم ويتنهج بالتزني بزيهم ويمد عينيه إلى زهرتهم الفانية ويغبطهم بما أوتوا من القطوف الدانية وهو في الحقيقة من الحبة طفيف ومن جناح البعوض خفيف بمزول عن أن تميل إليه القلوب ضعف الطالب والمطلوب والآية أبلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول ﷺ ومن معه من المؤمنين للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فإن الميل إلى أحد طرفي الإفراط والتفريط ظلم على نفسه أو على غيره وقرئ تركنوا على لغة تميم وتركنوا على صيغة البناء للمفعول من أركنه (وما لكم من دون الله من أولياء) أي من أنصار ينقذونكم من النار والجملة نصب ●
على الحالية من قوله فتمسككم النار ونفي الأولياء ليس بطريق نفي أن يكون لكل واحد منهم أولياء حتى يصدق أن يكون له ولي بل لما كان لكم بطريق انقسام الأحاد على الأحاد لكن لا على معنى نفي استقلال كل منهم بنصير بل على معنى نفي أن يكون لواحد منهم نصير بقرينة المقام (ثم لا تنصرون) من جهة الله ●
سبحانه إذ قد سبق في حكمه أن يعذبكم بركونكم إليهم ولا يبقى عليكم وثم لثرا خيراً تبة كونهم غير منصورين من جهة الله بعد ما أوعدهم بالعذاب وأوجه عليهم ويجوز أن يكون منزلاً منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد فإنه لما بين أن الله تعالى معذبهم وأن غيره لا ينقذهم أنتج أنهم لا ينصرون أصلاً (وأقم الصلاة طرفي النهار) ١١٤
أي غدوة وعشبة وانتصابه على الظرفية لكونه مضافاً إلى الوقت (وزلفاً من الليل) أي ساعات منه ●
قريبة من النهار فإنه من أزلفه إذا قرب به جمع زلفة عطف على طرفي النهار والمراد بصلاتهما صلاة

وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾

١١ هود

فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾

١١ هود

- الغداة والعصر وقيل الظهر موضع العصر لأن ما بعد الزوال عشي وبصلاة الزلف المغرب والعشاء
- وقرئ زلفاً بضمين وضمة وسكون كبسر وبسر وزلني بمعنى زلفة كقربي بمعنى قربة (إن الحسنات) التي
 - من جعلتها بل عمدتها ما أمرت به من الصلوات (بدهن السيئات) التي قلما يخلو منها البشر أي يكفرنها
 - وفي الحديث إن الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنب الكبائر وقيل نزلت في أبي اليسر الأنصاري
 - إذ قبل امرأة ثم ندم فأتى رسول الله ﷺ فأخبره بما فعل فقال ﷺ أنتظر أمر ربى فلما صلى صلاة العصر
 - نزلت قال ﷺ نعم اذهب فإنها كفارة لما عملت أو يمنن من اقترافها كقوله تعالى إن الصلاة تنهى عن
 - الفحشاء والمنكر (ذلك) إشارة إلى قوله تعالى فاستقم فما بعده وقيل إلى القرآن (ذكرى للذاكرين)
 - ١١٥ أي عظة للمتعظين (واصبر) على مشاق ما أمرت به في تضاعيف الأوامر السابقة وأما مانهى عنه من
 - الطغيان والركون إلى الذين ظلموا فليس في الانتهاء عنه مشقة فلا وجه لتعميم الصبر له اللهم إلا أن يراد
 - به ما لا يمكن عادة خلو البشر عنه من أدنى ميل بحكم الطبيعة عن الاستقامة للمأمورها ومن يسير ميل بحكم
 - البشرية إلى من وجد منه ظلم ما فإن في الاحتراز عن أمثاله من المشقة ما لا يخفى (فإن الله لا يضيع أجر
 - المحسنين) أي يوفيه أجور أعمالهم من غير بخس أصلاً وإنما عبر عن ذلك بنى الإضاعة مع أن عدم
 - إعطاء الأجر ليس بإضاعة حقيقة كيف لا والأعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها
 - لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يمتنع صدوره عنه سبحانه من القبائح وإبراز الإثابة
 - في معرض الأمور الواجبة عليه وإنما عدل عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود مع إفادة
 - عامة لكل من يتصف به وهو تعليل للأمر بالصبر وفيه إيماء إلى أن الصبر على ما ذكر من باب الإحسان
 - ١١٦ (فلولا كان) فهلا كان (من القرون) الكائنة (من قبلكم) على رأى من جوز حذف الموصول مع
 - بعض صلته أو كائنة من قبلكم (أولو بقية) من الرأى والعقل أو أولو فضل وخير وسميائها لأن الرجل
 - إنما يستبقى مما يخرج عادة أجوده وأفضله فصار مثلاً في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم
 - أي من خيارهم ومنه ما قيل في الزوايا خبياً وفي الرجال بقايا ويجوز أن تكون البقية بمعنى البقوى
 - كالنقية من التقوى أي فهلا كان منهم ذوو إبقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله تعالى وعقابه
 - ويؤيده أنه قرئ أولو بقية وهي المرة من مصدر بقاء ببقية إذا راقبه وانتظره أي أولو مراقبة وخشية
 - من عذاب الله تعالى كأنهم ينتظرون نزوله لإشفاقهم (ينهون عن الفساد في الأرض) الواقع منهم
 - حسب ما حكى عنهم (إلا قليلاً ممن أنجينا منهم) استثناء منقطع أي لكن قليلاً منهم أنجيناهم لكونهم على
 - تلك الصفة على أن من للبيان لا للتبعيض لأن جميع التاجين ناهون ولا صحة للاتصال على ظاهر الكلام

- لأنه يكون تحضيضاً لا ولي البقية على النهى المذكور إلا للقليل من الناجين منهم كما إذا قلت هلا قرأ قومك القرآن إلا الصالحاء منهم مريداً لاستثناء الصالحاء من المحضضين على القراءة نعم يصح ذلك إن جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض فكأنه قيل ما كان من القرون أو لوبقية إلا قليلاً منهم لكن الرفع هو الأنصح حينئذ على البدلية (واتبع الذين ظلموا) بمباشرة الفساد وترك النهى عنه (ما أترفوا فيه) أى أنعموا من الشهوات واهتموا بتحصيلها أما المباشرون فظاهر وأما المساهلون فلما لم في ذلك من نيل حظوظهم الفاسدة وقيل المراد بهم تاركو النهى وأنت خير بأنه يلزم منه عدم دخول مباشرى الفساد في الظلم والإجرام عبارة (وكانوا مجرمين) أى كافرين فهو بيان لسبب استئصال الأمم المهلكة وهو فشو الظلم واتباع الهوى
- فيهم وشيوع ترك النهى عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمحل عليه الكلام أى لم ينهوا واتبع الخ فيكون العدول إلى المظهر لإدراج المباشرين معهم في الحكم والتسجيل عليهم بالظلم وللإشعار بعلة ذلك لما حاق بهم من العذاب أو على استئناف يترتب على قوله إلا قليلاً أى إلا قليلاً ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا من مباشرى الفساد وتاركى النهى عنه فيكون الإظهار مقتضى الظاهر وقوله وكانوا مجرمين عطف على أترفوا أى اتبعوا الإتراف وكونهم مجرمين لأن تابع الشهوات مغمور بالآثام أو أريد بالإجرام إغفالهم للشكر أو على اتبع أى اتبعوا شهواتهم وكانوا بذلك الاتباع مجرمين ويجوز أن يكون اعتراضاً وتسجيلاً عليهم بأنهم قوم مجرمون وقرىء واتبع أى أنبعوا جزاء ما أترفوا فتكون الواو للحال ويجوز أن يفسر به المشهورة ويعضده تقدم الإنجاء (وما ١١٧ كان ربك ليهلك القرى) أى ماصح وما استقام بل استحال في الحكمة أن يهلك القرى التى أهلكتها حسب ما بلغك أنبأها ويعلم من ذلك حال باقيةا من القرى الظالمة واللام لتأكيد النفي وقوله (بظلم) أى ملتبساً به قيل هو حال من الفاعل أى ظالماً لها والتنكير للتفخيم والإيدان بأن إهلاك المصلحين ظلم عظيم والمراد تنزيه الله تعالى عن ذلك بالسلبية بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى وإلا فلا ظلم فيما فعله الله تعالى بعباده كائناً ما كان لما تقرر من قاعدة أهل السنة وقد مر تفصيله في سورة آل عمران عند قوله تعالى وأن الله ليس بظلام للعبيد وقوله تعالى (وأهلها مصلحون) حال من المفعول والعامل عامله ولكن لا باعتبار تقيده بما وقع حالا من فاعله أعنى بظلم لدلالته على تقييد نفي الإهلاك ظلماً بحال كون أهلها مصلحين ولا ريب في فساده بل مطلقاً عن ذلك وقيل المراد بالظلم الشرك والباء للسببية أى لا يهلك القرى بسبب إشراك أهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون إلى شركهم فساداً آخر وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه تعالى ومن ذلك قدم الفقهاء عند تراحم الحقوق حقوق العباد الفقراء على حقوق الله تعالى الغنى الحميد وقيل الملك يبقى مع الشرك ولا يبقى مع الظلم وأنت تدري أن مقام النهى عن المنكرات التى أقبحها الإشراك بالله لا يلائمه فإن الشرك داخل في الفساد في الأرض دخولا أولياً ولذلك كان ينهى كل من الرسل الذين قصت أنبأهم أمته أولاً عن الإشراك ثم عن

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾

١١ هود

إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾

١١ هود

وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾

١١ هود

- سائر المعاصي التي كانوا يتعاطونها فالوجه حمل الظلم على مطلق الفساد الشامل للشرك وغيره من أصناف المعاصي وحمل الإصلاح على إصلاحه والإفلاخ عنه بكون بعضهم متصددين للنهي عنه وبعضهم متوجهمين إلى الاتماظ غير مصرين على مأم عليه من الشرك وغيره من أنواع الفساد (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) مجتمعة على الحق ودين الإسلام بحيث لا يكاد يختلف فيه أحد ولكن لم يشأ ذلك فلم يكونوا متفقين على الحق (ولا يزالون مختلفين) في الحق أي مخالفين له كقوله تعالى وما اختلف فيه إلا الذين
- ١١٨ • أتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم (إلا من رحم ربك) إلا قوما قد هدام الله تعالى بفضلهم إلى الحق فاتفقوا عليه ولم يختلفوا فيه أي لم يخالفوه وحمله على مطلق الاختلاف العامل لما يصدر من الحق والمبطل بإباه الاستثناء المذكور (ولذلك) أي ولما ذكر من الاختلاف (خلقهم) أي الذين بقوا بعد الثبوت والمختلفون فاللام للعاقبة أو للترحم فالضمير لمن واللام في معناها أولها معاً فالضمير للناس كافة واللام بمعنى مجازي عام لكلا المعنيين (وتمَّت كلمة ربك) أي وعيده أو قوله للبلاد (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) أي من عصائهما أجمعين أو منهما أجمعين لا من أحدهما (وكلا) أي وكل نبأ
- ١٢٠ • فالتنوين هوض عن المضاف إليه (نقص عليك) نخبرك به وقوله تعالى (من أنباء الرسل) بيان لكلا وقوله تعالى (ما ننبئ به فؤادك) بدل منه والأظهر أن يكون المضاف إليه المحذوف في كلا المفعول المطلق لنقص أي كل اقتصاص أي كل أسلوب من أساليبه نقص عليك من أنباء الرسل وقوله تعالى ما ننبئ به فؤادك مفعول نقص وفائدته التنبيه على أن المقصود بالاقتصاص زيادة يقينه عليه السلام وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على أداء الرسالة واحتمال أذية الكفار بالوقوف على تفاصيل أحوال الأمم السالفة في تماديهم في الضلال ومالقي الرسل من جهتهم من مكابدة المشاق (وجاءك في هذه) السورة أو الأنباء المقصورة عليك (الحق) الذي لا يحيد عنه (وموعظة وذكرى للمؤمنين) أي الجامع بين كونه حقاً في نفسه وكونه موعظة وذكرى للمؤمنين ولكون الوصف الأول حالاً له في نفسه حلي باللام دون ما هو وصف له بالقياس إلى غيره وتقديم الظرف أعني في هذه على الفاعل لأن المقصود بيان منافع السورة أو الأنباء المقصورة فيها واشتغالها على ما ذكر من المنافع المفصلة لا بيان كون ذلك فيها لا في غيرها ولأن عند تأخير ما حقه التقديم تبقى النفس مترقبة إليه فيتمكن فيها عند الورود فضل تمكن ولأن

وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿١٢١﴾ ١١ هود

وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ ١١ هود

وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهُ فَاَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ
عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ١١ هود

في المؤخر نوع طول بخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم (وقل للذين لا يؤمنون) بهذا الحق ١٢١
ولا يتعظون به ولا يتذكرون (اعملوا على مكانتكم) على حالكم وجهتكم التي هي عدم الإيمان (إنا
عاملون) على حالنا وهو الإيمان به والاعتناظ والتذكر به (وانتظروا) بنا الدوائر (إنا منتظرون) أن ١٢٢
ينزل بكم نحو ما نزل بأمثالكم من الكفرة (ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله) فيرجع ١٢٣
لا محالة أمرهم وإليه وقرىء على البناء للفاعل من رجوع رجوعاً (فاعبدوه وتوكل عليه) فإنه كافيك
والغناء لترتيب الأمر بالعبادة والتوكل على كون مرجع الأمور كلها إلى الله تعالى وفي تأخير الأمر بالتوكل
عن الأمر بالعبادة إشعار بأنه لا ينفع دونها (وما ربك بغافل عما يعملون) فيجازيهم بموجبه وقرىء
تعملون على تغليب المخاطب أي أنت وهم فيجازي كلا منك ومنهم بموجب الاستحقاق . عن رسول الله
ﷺ من قرأ سورة هود أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق كل واحد من الأنبياء المعدودين
فيها عليهم الصلاة والسلام وبعدد من كذبهم وكان يوم القيامة من السعداء بفضل الله سبحانه وتعالى .

١٢ - سورة يوسف عليه السلام

(مكية وهي مائة وإحدى عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٢ يوسف

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾

١٢ يوسف

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنَّ

١٢ يوسف

الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾

(سورة يوسف عليه السلام مكية إلا الآيات ١ و ٢ و ٣ و ٧ فدنية وآياتها ١١١)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (الر) الكلام فيه وفي محله وفيما أريد بالإشارة والآيات والكتاب في قوله (تلك آيات الكتاب) عين ماسلف في مطلع سورة يونس (المبين) من أبان بمعنى بان أى الظاهر أمره في كونه من عنده تعالى وفي إعجازه بنوعيه لاسيما الإخبار عن الغيب أو الواضح معانيه للعرب بحيث لا يشتهيه عليهم حقائقه ولا يلتبس لديهم دقائقه لنزوله على لغتهم أو بمعنى بين أى المبين لما فيه من الأحكام والشرائع وخفايا الملك والملوك وأسرار النشأتين في الدارين وغير ذلك من الحكم والمعارف والقصاص وعلى تقدير كون الكتاب عبارة عن السورة فآياته إنباؤه عن قصة يوسف عليه السلام فإنه قد روى أن أحبار اليهود قالوا الرؤساء المشركين سلوا محمداً ﷺ لماذا انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام ففعلوا ذلك فيكون وصف الكتاب بالإبانة من قبيل براعة الاستهلال لما سيأتي ولما وصف الكتاب بما يدل على الشرف الذاتي عقب ذلك بما يدل على الشرف الإضافي فقيل (إنا أنزلناه) أى الكتاب المنعوت بما ذكر من النعوت الجليلة فإن كان عبارة عن الكل وهو الأظهر
- ٢ ● الأنسب بقوله تعالى (قرآنًا عريبًا) إذ هو المشهور بهذا الاسم المعروف بهذا النعت المتسارع إلى الفهم عند إطلاقهما فالأمر ظاهر وإن جعل عبارة عن السورة فتسميتها قرآنًا لما عرفته فيما سلف والسر في ذلك أنه اسم جنس في الأصل يقع على الكل والبعض كالكتاب أو لأنه مصدر بمعنى المفعول أى أنزلناه
- ٣ ● حال كونه مقروءاً بلغتهكم (لعلكم تعقلون) أى لكي تفهموا معانيه طرأ وتحيطوا بما فيه من البدائع خبراً وتطلعوا على أنه خارج عن طوق البشر منزل من عند خلاق القوى والقدر (نحن نقص عليك) أى نخبرك ونحدثك واشتقاقه من قص أثره إذا اتبعه لأن من يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئاً فشيئاً كما يقال
- تلا القرآن لأنه يتبع ما حفظ منه آية بعد آية (أحسن القصص) أى أحسن الاختصاص فنصبه على

إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي

سُجُودِينَ ١٢ يوسف

سُجُودِينَ ١٢

- المصدرية وفيه مع بيان الواقع لإيهام لما في اقتصاص أهل الكتاب من القبح والخلل وترك المفعول إما للاعتماد على انفهامه من قوله عز وجل (بما أوحينا) أى بإيحائنا (إليك هذا القرآن) أى هذه السورة فإن كونها موحاة منى عن كون ما في ضمنها مقصوداً والتعرض له وإن قرآنيته التحقيق أن الاقتصاص ليس بطريق الإلهام أو الوحي غير المتلو وإما ظهوره من سؤال المشركين بتلقين علماء اليهود وأحسنته لأنه قد اقتصر على أبداع الطرائق الرائعة الرائقة وأعجب الأساليب الفائقة اللامعة كما لا يكاد يخفى على من طالع القصة من كتب الأولين والآخرين وإن كان لا يميز الغث من السمين ولا يفرق بين الشمال واليمين وفي كلمة هذا إيماء إلى مغايرة هذا القرآن لما في قوله تعالى قرآنأ عريياً بأن يكون المراد بذلك المجموع فتأمل أو نقص عليك أحسن ما نقص من الأنباء وهو قصة آل يعقوب عليه السلام على أن القصص فعل بمعنى المفعول كالنبا والخبر أو مصدر سمي به المفعول كالحلق والصيد ونصب أحسن على المفعولية وأحسنيتها لتضمنها من الحكم والعبر ما لا يخفى كمال حسنه (وإن كنت) إن غففة من الثقلية وضمير الشأن الواقع
- اسماء لها محذوف واللام فارقة والجملة خبر والمعنى وإن الشأن كنت (من قبله) من قبل إيحائنا إليك هذه
 - السورة (لن الغافلين) عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تفرغ سمعك قط وهو تعاميل لكونه موحى والتعبير
 - عن عدم العلم بالغفلة لإجلال شأن النبي ﷺ وإن غفل عنه بعض الغافلين (إذ قال يوسف) نصب بإضمار ٤
 - اذكر وشروع في القصة إنجازاً للوعد بأحسن الاقتصاص أو بدل من أحسن القصص على تقدير كونه مفعولاً بدل اشتغال فإن اقتصاص الوقت المشتمل على المقصوص من حيث اشتغاله عليه اقتصاص للمقصود ويوسف اسم عبري لا عربي لخلوه عن سبب آخر غير التعريف وفتح السين وكسرها على بعض القراءات بناء على التلاعب به لا على أنه مضارع بنى للمفعول أو الفاعل من آسف لشهادة المشهورة بعجمته (لأبيه) يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام وقد روى عنه ﷺ أن الكريم ابن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم (يا أبت) أصله يا أبى فعوض
 - عن الياء تاء التانيث لتناسبهما في الزيادة فلذلك قلبت هاء في الوقف على قراءة ابن كثير وأبى عمرو ويعقوب وكسرتها لأنها عوض عن حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القرآن لأنها حركة أصلها أولان الأصل يا أبتا لحذف الالف وبقى الفتحة وإنما لم يجر يا أبتى لأنه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم لإجرامها مجرى الالفاظ المؤنثة بالناء من غير اعتبار التعميض وعدم تسكينها كما أصلها لأنها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب (إني رأيت) من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك هذا تأويل رؤياى ولأن الظاهر أن وقوع مثل هذه الأمور البديعة في عالم الشهادة لا يختص برؤية راء دون راء فيكون طامة كبرى لا يخفى على أحد من الناس (أحد عشر

قَالَ يَبْنَى لَا تَقْصُصْ رُغْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ

مُبِينٌ ﴿٥٠﴾

١٢ يوسف

- كوكبا والشمس والقمر) روى عن جابر رضى الله عنه أنه يهودياً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال أخبرني يا محمد عن النجوم التي رأى يوسف عليه السلام فسكت النبي ﷺ فنزل جبريل عليه السلام فأخبره بذلك فقال ﷺ إذا أخبرتك بذلك هل تسلم فقال نعم قال ﷺ جريان والطارق والذبال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرع ووثاب وذو الكتفين وآها يوسف عليه السلام والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودى أى والله إنها لأسماؤها وقيل الشمس والقمر أبواه وقيل أبوه وخالته والكواكب إخوته وإنما أخر الشمس والقمر عن الكواكب لإظهار مزيتهما وشرفهما على سائر الطوالع بعطفهما عليهما كما في عطف جبريل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام وقد جوز أن تكون الواو بمعنى مع أى رأيت الكواكب مع الشمس والقمر ولا يبعد أن يكون ذلك إشارة إلى تأخر ملاقاته عليه السلام لهما عن ملاقاته لإخوته وعن وهب أن يوسف عليه السلام رأى وهو ابن سبع سنين أن إحدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الأرض كهيئة الدارة وإذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتعلتها وغلبتها فوصف ذلك لأبيه فقال إياك أن تذكر هذا لإخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصصها على أبيه فقال لا تقصصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير إخوته إليه أربعون سنة وقيل ثمانون (رأيتهم لى ساجدين) استئناف ببيان حالهم التي رآهم عليها كان سائلاً فقال كيف رأيتهم فأجاب بذلك وإنما أجريت مجرى العقلاء في الضمير لوصفها بوصف العقلاء أعنى السجود وتقديم الجار والمجرور لإظهار العناية والاهتمام بما هو الأهم مع ما في ضمنه من رعاية الفاصلة (قال يابنى) صغره للشفقة أولها ولصغر السن وهو أيضاً استئناف مبنى على سؤال من قال فماذا قال يعقوب بعد سماع هذه الرؤيا العجيبة ولما عرف يعقوب عليه السلام من هذه الرؤيا أن يوسف يبلغه الله تعالى مبلغاً جليلاً من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بأبائه الكرام خاف عليه حسد الأخوة وبغيتهم فقال صيانة لهم من ذلك وله من معاناة المشاق ومقاساة الأحزان وإن كان واثقاً بأن الله تعالى سيحقق ذلك لا محالة وطمعاً في حصوله بلا مشقة
- (لا تقصص رؤياك) هى ما في المنام كما أن الرؤية ما في اليقظة فرق بينهما بحرفي التأنيت كما في القرني والقربة وحقيقتها ارتسام الصورة المنحدرة من أفق المتخيلة إلى الحس المشترك والصادقة منها إنما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن أدنى فراغ فتصور بما فيها مما يليق من المعاني الحاصلة هناك ثم إن المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها إلى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم إذا كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت إلا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير وإلا احتاجت إليه (على إخوتك فيكيدوا) نصب باضمار أن أى فيفعلوا

وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ
كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾

١٢ يوسف

- (لك) أى لا جلك ولا هلاكك (كيداً) متيناً راسخاً لا تقدر على التفصى عنه أو خفياً عن فهمك لا تنصدى لمدافعته وهذا أوفق بمقام التحذير وإن كان يعقوب عليه السلام يعلم أنهم ليسوا بقادرين على تحويل مادلت الرؤيا على وقوعه وهذا الأسلوب أكد من أن يقال فيكيدوك كيداً إذ لبس فيه دلالة على كون نفس الفعل مقصود الإيقاع وقد قيل إنما جرى باللام لتضمنه معنى الاحتيال المتعدى باللام ليفيد معنى المضمن والمضمن فيه للتأكد أى فيجتالوا لك ولا هلاكك حيلة وكيداً والمراد بإخوته ههنا الذين يخشى غوائلهم ومكايدهم بنو علاته الأحد عشر وهم يهوذا وروبييل وشمعون ولاوى وربالون ويشجرو دينة بنو يعقوب من ليا بنت خالته ودان ونفتالى وجاد وأشر بنوه من سريته زلفة وبلهة وهؤلاء هم المشار إليهم بالسكوا كب الأحد عشر وأما بنيامين الذى هو شقيق يوسف عليه السلام وأمه راحيل التى تزوجها يعقوب عليه السلام بعد وفاة أختها ليا فى حياتها إذ لم يكن جمع الأختين إذ ذاك محرماً فليس بداخل تحت هذا النهى إذ لا يتوهم مضرتة ولا يخشى معرفته ولم يكن معدوداً معهم فى الرؤيا إذ لم يكن معهم فى السجود ليوסף والمراد نهيهم عن اقتصاص الرؤيا عليهم كلاً أو بعضاً (إن الشيطان للإنسان عدو مبين) ظاهر العداوة ● فلا يبالو جهداً فى إغواء إخوتك وإضلالهم وحملهم على مالا خير فيه وهو استئناف كأن يوسف عليه السلام قال كيف يصدر ذلك عن إخوتي الناشئين فى بيت النبوة فقيل إن الشيطان يحملهم على ذلك ولما نهيهم عليهم السلام على أن لرؤياه شأنًا عظيماً يستتبع منافع وحذرته إشاعتها المؤدية إلى أن يحول لإخوته بينها وبين ظهور آثارها وحصولها أو يوعروا سبيل وصولها شرع فى تعبيرها وتأويلها على وجه إجمالى فقال (وكذلك) أى ومثل ذلك الاجتناء البديع الذى شاهدت آثاره فى عالم المثال من سجدتك لأجرام ● العلوية النيرة لك وبحسبه وعلى وفقه (يجتبيك ربك) يختارك لجناب كبريائه ويستنبئك افتعال من جباهه إذا جمعه ويصطفيك على أشرف الخلائق وسراة الناس قاطبة ويبرز مصداق تلك الرؤيا فى عالم الشهادة حسب ما عاينته من غير قصور والمراد بالتشبيه ببيان المضاهاة المتحققة بين الصور للرؤية فى عالم المثال وبين ما وقعت هى صوراً وأشباحاً له من الكائنات الظاهرة بحسبها فى عالم الشهادة أى كما سخرت لك تلك الأجرام العظام يسخر لك وجوه الناس ونواصيهم مدعنين لطاعتك خاضعين لك على وجه الاستكانة ومراعاة بيان إطاعة أبويه وإخوته له لكنه إنما لم يصرح به حذراً من إذاعته (ويعلمك) كلام مبتدأ غير داخل تحت التشبيه أراد به عليه السلام تأكيد مقالته وتحقيقه وتوطين نفس يوسف عليه السلام بما أخبر به على طريقة التعبير والتأويل كأنه قال وهو يعلمك (من تأويل الأحاديث) أى ذلك الجنس من العلوم أو طرفاً صالحاً منه فتطلع على حقيقة ما أقول ولا يخفى ما فيه من تأكيد ماسبق والبعث على تلقى ماسياتى بالقبول والمراد بتأويل الأحاديث تعبير الرؤيا إذ هى أحاديث الملك إن كانت صادقة أو أحاديث

النفس أو الشيطان إن لم تكن كذلك والأحاديث اسم جمع للحديث كالأباطيل اسم جمع للباطل لاجمع
أحدوثه وقيل كأنهم جمعوا حديثاً على أحدثه ثم جمعوا الجمع على أحاديث كقطيع وأقطيع وقيل
هو تأويل غوامض كتب الله تعالى وسنن الأنبياء عليهم السلام والأول هو الأظهر وتسمية التعبير
تأويلاً لأنه جعل المرئ آيلاً إلى ما يذكره المعبر بصدد التعبير ورجعه إليه فكانه عليه الصلاة والسلام
أشار بذلك إلى ما سبق من يوسف عليه السلام من تعبيره لرؤيا صاحبي السجن ورؤيا الملك وكون
ذلك ذريعة إلى ما يبلغه الله تعالى إليه من الرياسة العظمى التي عبر عنها بإتمام النعمة وإنما عرف يعقوب
عليه السلام ذلك منه من جهة الوحي أو أراد كون هذه الخصلة سبباً لظهور أمره عليه السلام على
الإطلاق فيجوز حينئذ أن تكون معرفته عليه السلام لذلك بطريق الفراسة والاستدلال من الشواهد
والدلائل والأمارات والتخايل بأن من وفقه الله تعالى لمثل هذه الرؤيا لا بد من توفيقه لتعبيرها وتأويل
أمثالها وتمييز ما هو آتق منها مما هو أنفسي كيف لا وهي تدل على كمال تمكن نفسه عليه السلام في
عالم المثال وقوة تصرفاتها فيه فيكون أقبل لفيضان المعارف المتعلقة بذلك العالم وبما يحاكيه من الأمور
الواقعة بحسبها في عالم الشهادة وأقوى وقوفاً على النسب الواقعة بين الصور المعانية في أحد ذينك العالمين
وبين الكائنات الظاهرة على وفقها في العالم الآخر وأن هذا الشأن البديع لا بد أن يكون أنموذجاً
لظهور أمر من اتصف به ومداراً لجريان أحكامه فإن لكل نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
معجزة بها تظهر آثاره وتجرى أحكامه (ويتم نعمته عليك) بأن يضم إلى النبوة الاستفادة من الاجتناء
الملك ويجعله تنمة لها وتوسيط ذكر التعليم المذكور بينهما لكونه من لوازم النبوة والاجتناء والرعاية
ترتيب الوجود الخارجي ولما أشرنا إليه من كون أثره وسيلة إلى تمام النعمة ويجوز أن يعد نفس الرؤيا
من نعم الله تعالى عليه فيكون جميع النعم الواصلة إليه بحسبها مصداقاً لها تماماً لتلك النعمة (وعلى
آل يعقوب) وهم أهله من بنيه وغيرهم فإن رؤية يوسف عليه السلام لإخوته كواكب يهتدى بأنوارها
من نعم الله تعالى عليهم لدلائنها على مصير أمرهم إلى النبوة فيقع كل ما يخرج من القوة إلى الفعل من
كالاتهم بحسب ذلك تماماً لتلك النعمة لاحتالة وأما إذا أريد بتمام تلك النعمة الملك فكونه كذلك
بالنسبة إليهم باعتبار أنهم يغتنمون آثاره من العز والجاه والمال (كآتمها على أبوبك) نصب على
المصدرية أي ويتم نعمته عليك إتماماً كآتمنا كإتمام نعمته على أبوبك وهي نعمة الرسالة والنبوة وإتمامها
على إبراهيم عليه السلام باتخاذ خليلاً وإنجائه من النار ومن ذبح الولد وعلى إسحق بإنجائه من الذبح
وفدائه بذبح عظيم وإخراج يعقوب والأسباط من صلبه وكل ذلك نعم جليلة وقمت تنمة لنعمة
النبوة ولا يجب في تحقيق التشبيه كون ذلك في جانب المشبه به مثل ما وقع في جانب المشبه من كل وجه
(من قبل) أي من قبل هذا الوقت أو من قبلك (إبراهيم وإسحق) عطف بيان لأبوبك والتعبير عنهما
بالآب مع كونهما أبا جده وأبا أبيه للإشعار بكال ارتباطه بالأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام
وتذكير معنى الولد سر أيه ليطمن قلبه بما أخبر به في ضمن التعبير الإجمالي لرؤياه والاعتصار
في المشبه به على ذكر إتمام النعمة من غير تعرض للاجتناء من باب الاكتفاء فإن إتمام النعمة

لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٍ لِّلَّسَّالِينَ ﴿٧﴾
إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْنَا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ١٢ يوسف

- يقتضي سابقة النعمة المستدعية للاجتناب لا محالة (إن ربك) استئناف لتحقيق مضمون الجمل المذكورة أى
- يفعل ما ذكر لآله (عليم) بكل شيء فيعلم من يستحق الاجتناب وما يتفرع عليه من التعليم المذكور وإتمام النعمة
- العامة على الوجه المذكور (حكيم) فاعل لكل شيء حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة فيفعل ما يفعل كما
- يفعل جرياً على سنن عليه وحكمته والتعرض لعنوان الربوبية في الموضوعين لتربية تحقق وقوع ما ذكر من
- الأفاعيل هذا وقد قيل في تفسير الآية الكريمة أى وكما اجتنبك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز
- وقال نفس يجتنبك ربك للنبوة والملك أو لأمور عظام ويتم نعمته عليك بالنبوة أو بأن يصل نعمة
- الدنيا بنعمة الآخرة حيث جعلهم في الدنيا أنبياء وملوكاً ونقلهم عنها إلى الدرجات العلا في الجنة كما
- أنما على أبويك بالرسالة فتأمل والله الهادي (لقد كان في يوسف وإخوته) أى في قصتهم والمراد بهم ٧
- همنا إما جميعهم فإن لبنيامين أيضاً حصة من القصة أو بنو علاته المعدودون فيما سلف إذ عليهم يدور
- رحاها (آيات) علامات عظيمة الشأن دالة على قدرة الله تعالى القاهرة وحكمته الباهرة (للسائلين) لكل
- من يسأل عن قصتهم وعرفها أو الطالبين للآيات المعبرين بها فإنهم الواقفون عليها والمتنفعون بها دون
- من عداهم من اندرج تحت قوله تعالى وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون
- فالمراد بالقصة نفس المقصوص أو على نبوته عليه السلام لمن سأله من المشركين أو اليهود عن قصتهم
- فأخبرهم بذلك على ما هي عليه من غير سماع من أحد ولا ممارسة شيء من الكتب فالمراد بها اقتصاصها
- وجمع الآيات حينئذ للإشعار بأن اقتصاص كل طائفة من القصة آية بينة كافية في الدلالة على نبوته عليه
- السلام على نحو ما ذكر في قوله تعالى مقام إبراهيم على تقدير كونه عطف بيان لقوله تعالى آيات بينات
- لا لما قيل من أنه لتعدد جهة الإعجاز لفظاً ومعنى وقرأ ابن كثير آية وفي بعض المصاحف عبرة وقيل
- إنما قص الله تعالى على النبي ﷺ خبر يوسف وبغى إخوته عليه لما رأى من بغى قومه عليه ليأمنى
- به (إذ قالوا ليوسف وأخوه) أى شقيقه بنيامين وإنما لم يذكر باسمه تلويحاً بأن مدار المحبة أخوته ٨
- ليوسف من الطرفين ألا يرى إلى أنهم كيف اكتفوا بإخراج يوسف من بين من غير تعرض له
- حيث قالوا اقتلوا يوسف (أحب إلى أئبنا مننا) وحد الخبر مع تعدد المبتدأ لأن أفعال من كذا لا يفرق
- فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث نعم إذا عرف وجب الفرق وإذا أضيف جاز الأثران
- وقائدة لام الابتداء في يوسف تحقيق مضمون الجملة وتأكيده (ونحن عصابة) أى والحال أنا جماعة
- قادرون على الحل والعقد أحقاء بالمحبة والعصبة والعصابة العشرة من الرجال فصاعداً سمو بذلك لأن
- الأمور لمصحبهم (إن أبانا) في ترجيحهما علينا في المحبة مع فضلنا عليهما وكونهما بمنزلة من كفاية
- الأمور بالصغر والقلّة (لنى ضلال) أى ذهاب عن طريق التعديل اللائق وتنزيل كل منا منزلته (مبين)

أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿١٢﴾ يوسف
قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوَّةُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ

فَاعِلِينَ ﴿١٣﴾

١٢ يوسف

- ظاهر الحال . روى أنه كان أحب إليه لما يرى فيه من مخايل الخير وكانت إخوته يحسدونه فلما رأى
الرويا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتضاعف حسدهم حتى حملهم على مباشرة ما قص عنهم (اقتلوا
يوسف أو اطرحوه أرضاً) من جملة ما حكى بعد قوله إذا قالوا وقد قاله بعض منهم مخاطباً للباقيين بقضية
الصيغة فكانهم رضوا بذلك كما روى أن القائل شمعون أودان والباقيون كانوا راضين إلا من قال لا تقتلوا
الح فجمعوا كأنهم القائلون وأدرجوا تحت القول المسند إلى الجميع أو قاله كل واحد منهم مخاطباً للبقية
وهو أدل على مسارعتهم إلى ذلك القول وتنكير أرضاً وإخلاؤها من الوصف للإيهام أى أرضاً منكورة
● بمجولة بعيدة من العمران ولذلك نصبت نصب الظروف المهمة (يخل) بالجزم جواب للأمر أى يخلص
● (لكم وجه أبيكم) فيقبل عليكم بكليته ولا يلتفت عنكم إلى غيركم ولا يساهمكم في محبته أحد فذكر الوجه
● لتصوير معنى إقباله عليهم (وتكونوا) بالجزم عطفاً على يخل أو بالنصب على إضمار أن أو الواو بمعنى
مع مثل قوله وتكتموا الحق وإثارة الخطاب في لكم وما بعده للبالغة في حملهم على القبول فإن اعتناء
● المرء بشأن نفسه واهتمامه بتحصيل منافعه أتم وأكمل (من بعده) من بعد يوسف أى من بعد الفراغ
● من أمره أو قتله أو طرحه (قوماً صالحين) تائبين إلى الله تعالى عما جنبتهم أو صالحين مع أبيكم بإصلاح
ما بينكم وبينه بعذر تهمدونه أو صالحين في أمور دنياكم بانتظامها بعده بخلو وجه أبيكم (قال قائل منهم)
هو يهوذا وكان أحسنهم فيه رأياً وهو الذى قال فلن أبرح الأرض الخ وقيل روبيل وهو استئناف مبنى
على سؤال من سأل وقال أنفقوا على ما عرض عليهم من خصلتي الضيع أم خالفهم في ذلك أحد فقبل قال
● قائل منهم (لا تقتلوا يوسف) أظهره في مقام الإضمار استجلاباً لشفتيتهم عليه أو استعظماً لقتله وهو
هو فإنه بروى أنه قال لهم القتل عظيم ولم يصرح بنهيهم عن الخصلة الأخرى وأحاله على أولوية ما عرضه
● عليهم بقوله (والقوة في غيابة الجب) أى في قعره وغوره سمى بها لغيبته عن عين الناظر والجب البئر التى
لم تطلو بعد لأنها أرض جبت جباً من غير أن يزداد على ذلك شيء وقرأنا في غيابات الجب في الموضعين
كان لتلك الجب غيابات أو أراد بالجب الجنس أى في بعض غيابات الجب وقرى غيابات وغيبة
● (يلتقطه) يأخذه على وجه الصيانة عن الضياع والتلف فإن الالتقاط أخذ شيء مشرف على الضياع
● (بعض السيارة) أى بعض طائفة تسير في الأرض واللام في السيارة كافي الجب وما فيها وفى بعض من
الإيهام لتحقيق ما يتوخاه من ترويج كلامه بموافقتهم لغرضهم الذى هو تنائى يوسف عنهم بحيث لا يدرى
أثره ولا يروى خبره وقرىء تلتقطه على التأنيث لأن بعض السيارة سيارة كقوله [كما شرفت صدر الفتاة
● من الدم] ومنه قطعت بعض أصابعه (إن كنتم فاعلين) بمشورتى لم يبت القول عليهم بل إنما عرض

١٢ يوسف

قَالُوا يَتَّابَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَنصِحُونَ ﴿١١﴾

١٢ يوسف

أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَب وَإِنَّا لَهُ لَنَحْفَظُونَهُ ﴿١٢﴾

١٢ يوسف

قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾

- عليهم ذلك تأليفاً لقلوبهم وتوجيهاً لهم إلى رآيه وحذراً من نسبتهم له إلى التحكم والافتيات أو إن كنتم فاعلين ما أزمعتم عليه من إزالته من عند أبيه لا محالة ولما كان هذا مظنة لسؤال سائل يقول فما فعلوا بعد ذلك هل قبلوا ذلك منه أولاً أجيب بطريق الاستئناف على وجه أدرج في تضاعيفه قبولهم له بما سيحجى من قوله وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب فقيل (قالوا يا أبانا) خاطبوه بذلك تحريكا لسلسلة النسب بينه وبينهم ١١ وتذكيراً لرابطة الأخوة بينهم وبين يوسف عليه الصلاة والسلام ليتسببوا بذلك إلى استنزاهه عليه السلام عن رآيه في حفظه منهم لما أحس منهم بأمارات الحسد والبغى فكأنهم قالوا (مالك) أى أى شيء لك ● (لا تأمنا) أى لا تجعلنا أمناه (على يوسف) مع أنك أبونا ونحن بنوك وهو أخونا (وإننا له لنأصحوه) ● يريدون له الخير ومشفقون عليه ليس فينا ما يخل بالنصيحة والمقعة قط والقراءة المشهورة بالإدغام والإشمام وعن نافع رضى الله عنه ترك الإشمام ومن الشواذ ترك الإدغام (أرسله معنا غداً) إلى الصحراء ١٢ (يرتع) أى يتسع في أكل الفواكه ونحوهما فإن الرتع هو الاتساع في الملاذ (ويلعب) بالاستباق ● والتناضل ونظائرهما مما يعد من باب التاهب للغزو وإنما عبروا عن ذلك باللعب لكونه على هيئته تحقيقاً لما راموه من استصحاب يوسف عليه السلام بتصويرهم له بصورة ما يلائم حاله عليه السلام وقرى نرتع ونلعب بالنون وقرأ ابن كثير نرتع من ارتعى ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقرى يرتع من أرتع ما شبته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء (وإننا له لحافظون) من أن يناله مكروه أكدوا ● مقالاتهم بأصناف التأكيد من إيراد الجملة اسمية وتحليلها بأن واللام وإسناد الحفظ إلى كلمهم وتقديم له على الخبر احتيالا في تحصيل مقصدهم (قال) استئناف مبنى على سؤال من يقول فإذا قال يعقوب عليه السلام ١٣ فقيل قال (إني ليحزنني) اللام للابتداء كما في قوله عز وجل إن ربك ليحكم بينهم (أن تذهبوا به) لشدة ● مفارقتهم على وقلة صبرى عنه (و) مع ذلك (أخاف أن يأكله الذئب) لأن الأرض كانت مذابة والحزن ألم القلب بفوت المحبوب والخوف انزعاج النفس لنزول المكروه ولذلك أسند الأول إلى الذهاب به المفوت لاستمرار مصاحبته ومواصلته ليوسف والثاني إلى ما يتوقع نزوله من أكل الذئب وقيل رأى في المنام أنه قد شد عليه عليه السلام ذئب وكان يحذره فقال ذلك وقد لقنهم العلة [إن البلاء موكل بالمنطق] وقرأ ابن كثير ونافع في رواية البزى بالهمزة على الأصل وأبو عمرو به وقفاً وعاصم وابن عامر وحمة درجا وقيل اشتقاقه من تذابت الريح إذا هاجت من كل جانب وقال الأصمى الأمر بالعكس وهو أظهر لفظاً ومعنى (وأنتم عنه غافلون) لا اشتغالكم بالرتع واللعب أو لقلة اهتمامكم بحفظه ●

١٢ يوسف

قَالُوا لَيْسَ أَكَلُهُ الذِّبُّ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿١٤﴾

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْخَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ

١٢ يوسف

لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾

- ١٤ (قَالُوا لَيْسَ أَكَلُهُ الذِّبُّ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ) أى والحال أنا جماعة كثيرة جديرة بأن يعصب بنا الأمور العظام
- وتكفى الخطوب بآرائنا وتديراتنا واللام الداخلة على الشرط موطنة للقسم وقوله (إنا إذا لخاسرون)
- جواب مجزئ عن الجزاء أى لهالكون ضعفاً وخوراً وعجزاً أو مستحقون للهلاك إذ لا غناء عندنا ولا
- جدوى في حياتنا أو مستحقون لأن يدعى علينا بالخسار والدمار ويقال خسرم الله تعالى ودمرم حيث
- أكل الذبب بعضهم وهم حضور وقيل إن لم نقدر على حفظه وهو أعز شيء عندنا فقد هلكت مواشينا
- إذن وخسرناها وإنما اقتصرنا على جواب خوف يعقوب عليه السلام من أكل الذبب لأنه السبب
- ١٥ القوى في المنع دون الحزن لقصر مدته بناء على أنهم يأتون به عن قريب (فلما ذهبوا به واجمعوا) أى
- أزمعوا (أن يجمعوه) مفعول لا يجمعوا يقال أجمع الأمر ومنه فأجمعوا أمرهم ولا يستعمل ذلك إلا في
- الأفعال التى قويت الدواعى إلى فعلها (في غيبة الحب) قيل هى بئر بارض الأردن وقيل بين مصر
- ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام بكنعان التى هى من نواحي الأردن كما أن
- مدين كذلك وأما ما يقال من أنها بئر بيت المقدس فيرده التعليل بالنقاط السبابة ويجيبهم أباهم عشاء ذلك
- اليوم فإن بين منزل يعقوب عليه السلام وبين بيت المقدس مراحل وجواب لما محذوف إيداناً
- بظهوره وإشعاراً بأن تفصيله مما لا يحويه فلك العبارة وبجمله فعلوا به من الآية ما فعلوا . يروى أنهم
- لما برزوا إلى الصحراء أخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا
- أما عاهدتمونى أن لا تقتلوه فأتوا به إلى البئر فتعلق بثيابهم فزعوها من يديه فدلوه فيها فتعلق بشفيرها
- فربطوا يديه ونزعوا قميصه لما عزموا عليه من تلطيخه بالدم احتيالاً لآييه فقال بالآخوتاه ردوا على
- قميصي أنوارى به فقالوا ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكباً تؤنسك فدلوه فيها فلما بلغ نصفها
- ألقوه ليوت وكان فى البئر ماء فسقط فيه ثم أوى إلى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه ووطن أنها رحمة
- أدركتهم فأجابهم فأرادوا أن يرضخوه فنعمهم يهوذا وكان يأتى بالطعام كل يوم ويروى أن إبراهيم عليه
- السلام حين ألقى فى النار وجد عن ثيابه أمانه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه فدفعه
- إبراهيم إلى إسحق وإسحق إلى يعقوب فجعله يعقوب فى تيمية وعلقها فى عنق يوسف فجاءه جبريل عليه
- السلام فأخرجه من التيمية فألبسه إياه (وأوحينا إليه) عند ذلك تبشيراً له بما يتول إليه أمره وإزالة
- لو حشته وإيناساً له قيل كان ذلك قبل إدراكه كما أوحى إلى يحيى وعيسى وقيل كان إذ ذاك مدركا قال
- الحسن رضى الله عنه كان له سبع عشرة سنة (لتنبئهم بأمرهم هذا) أى لتخلصن مما أنت فيه من
- وه الحال وضيق المجال ولتحدثن إخوتك بما فعلوا بك (وهم لا يشعرون) بأنك يوسف لتباين حالك

وَجَاءَ آبَاؤَهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾

١٢ يوسف

قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْعِنَا فَاكُلْهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ

كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾

١٢ يوسف

حالك هذا وحالك يومئذ لعلو شأنك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن أوهامهم وقيل لبعد العهد المبدل
للهينات المغير للأشكال والاول أدخل في التسلية روى أنهم حين دخلوا عليه عتارين فعرفهم وهم له منكرون
دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال إنه ليخبرني هذا الجمام أنه كان لكم أخ من أيكم يقال له
يوسف وكان يدينه دونكم وأنكم انطلقتم به والقيتموه في غيابة الحب وقلتم لا يبيكم أكله الذئب وبعتموه
بشمن بخس ويجوز أن يتعلق وهم لا يشعرون بالإيحاء على معنى أنا أنسناه بالوحى وأزلنا عن قلبه الوحشة
التي أورثوه وهم لا يشعرون بذلك ويحسبون أنه مرهق ومستوحش لا أنيس له وقرىء لنذبتهم بالنون
على أنه وعيد لهم فقوله تعالى وهم لا يشعرون متعلق بأوحيث لا غير (وجاءوا أباهم عشاء) آخر النهار وقرىء ١٦
عشياً وهو تصغير عشى وعشى بالضم والقصر جمع أعشى أى عشوا من البكاء (ييسكون) متباكين . ●
روى أنه لما سمع يعقوب عليه السلام بكاهم فزع وقال مالكم يا بني وأين يوسف (قالوا يا أبانا إنا ذهبنا
نستبق) أى متسابقين في العدو والرمى وقد يشترك الافعال والتفاعل كالالتضال والتناضل ونظائرهما
(وتركنا يوسف عند متاعنا) أى ما نتمتع به من الثياب والأزواد وغيرهما (فاكله الذئب) عقيب ذلك ●
من غير مضي زمان يعتاد فيه التفقد والتعهد وحيث لا يكاد يطرح المتاع عادة إلا في مقام يؤمن فيه الغوائل
لم يعد تركه عليه السلام عنده من باب الغفلة وترك الحفظ الملزم لاسيما إذا لم يبرحوه ولم يغيبوا عنه
فكانهم قالوا إننا لم نقصر في محافظته ولم نغفل عن مراقبته بل تركناه في ما امنناو بجمعنا بمرأى منا لأن ميدان
السباق لا يكون عادة إلا بحيث يترامى غايته وما فارقناه إلا ساعة يسيرة بيننا وبينه مسافة قصيرة فكان
ما كان (وما أنت بمؤمن لنا) بمصدق لنا في هذه المقالة الدالة على عدم تقصيرنا في أمره (ولو كنا) عندك ●
وفي اعتقادك (صادقين) موصوفين بالصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وأنت سيء الظن بنا ●
غير واثق بقولنا وكلمة لوفى أمثال هذه المواقف لبيان تحقق ما يفيد الكلام السابق من الحكم الموجب أو
المنفي على كل حال مفروض من الأحوال المقارنة له على الإجمال بإدخالها على أبعدها منه وأشدّها مناقاة
له ليظهر بثبوته أو انتفاءه معه ثبوته أو انتفاؤه مع غيره من الأحوال بطريق الأولوية لما أن الشيء متى
تحقق مع المنافي القوي فلأن يتحقق مع غيره أولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الأحوال ويكتفى عنه
بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الأحوال المغايرة لها عند تعددها وقد مر
تفصيله في سورة البقرة عند قوله تعالى أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون وفي سورة الأعراف
عند قوله تعالى أولو كنا كارهين .

وَجَاءَ وَعَلَى قَيْصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ
الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾

١٢ يوسف

وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَى هَذَا غُلْمٌ وَأَسْرُوهُ بَضْعَةً وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

١٢ يوسف

- ١٨ (وجاءوا على قيصه) محله النصب على الظرفية من قوله (بدم) أى جاءوا فوق قيصه بدم كما تقول جاء على جماله بأحال أو على الحالية منه والخلاف في تقدم الحال على المجرور فيما إذا لم يكن الحال ظرفاً (كذب) مصدر وصف به الدم مبالغة أو مصدر بمعنى المفعول أى مكذوب فيه أو بمعنى ذى كذب أى ملابس لكذب وقرئ كذباً على أنه حال من الضمير أى جاءوا كاذبين أو مفعول له وقرأت عائشة رضى الله تعالى عنها بغير المعجمة أى كدر وقيل طرى قال ابن جنى أصله من الكذب وهو الفوف البياض الذى يخرج على أظفار الأحداث كأنه دم قد أثر في قيصه . روى أنهم ذبحوا سخله واطخوه بدمها وزل عنهم أن يمزقوه فلما سمع يعقوب بخبر يوسف عليهما السلام صاح بأعلى صوته وقال أين القميص فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رأيت كاليوم ذنباً أحلم من هذا أكل ولم يمزق عليه قيصه وقيل كان في قيص يوسف عليه السلام ثلاث آيات كان دليلاً يعقوب على كذبهم وألقاه على وجهه فارتد بصيراً ودليلاً على براءة يوسف عليه السلام حين قدم من دبر (قال) استئناف مبنى على سؤال فكأنه قيل ما قال يعقوب هل صدقهم فيما قالوا أم لا فقيل قال لم يكن ذلك (بل سولت لكم أنفسكم) أى زينت وسميت قاله ابن عباس رضى الله عنهما والتسويل تقدير شئى في النفس مع الطمع في إتمامه قال الأزهرى كان التسويل تفعيل من سؤال الإنسان وهو أمنيته التى يطلبها قزين لطالبا الباطل وغيره وأصله مهموز وقيل من السؤل وهو الاسترخاء (أمرأ) من الأمور منكراً لا يوصف ولا يعرف (فصبر جميل) أى فامرى صبر جميل أو فصبر جميل أجهل أو أمثل وفى الحديث الصبر الجميل الذى لا شكوى فيه أى إلى الخلق وإلا فقد قال يعقوب عليه السلام إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله وقيل سقط حاجباه على عينيه فكان يرفعهما بعصاة فليل ما هذا قال طول الزمان وكثرة الأحزان فأوحى الله عز وجل إليه يا يعقوب أشكونى قال يارب خطيئة فاغفرها لى وقرأ أبى فصبراً جميلاً (والله المستعان) أى المطلوب منه العون وهو إنشاء منه عليه السلام للاستعانة المستمرة (على ما تصفون) على إظهار حال ما تصفون وبيان كونه كذباً وإظهار سلامته فإنه علم في الكذب قال سبحانه سبحانه ربك رب العزة عما يصفون وهو الأليق بما سيحى من قوله تعالى فصبر جميل عسى الله أن ياتينى بهم جميعاً وتفسير المستعان عليه باحتمال ما يصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزق فيه ياباه تكذيبه عليه السلام لهم في ذلك ولا تساعده الصيغة فإنها قد غلبت في وصف الشئ بما ليس فيه كما أشير إليه (وجاءت) شروع في بيان

وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾

١٢ يوسف

- ما جرى على يوسف في الحب بعد الفراغ من ذكر ما وقع بين إخوته وبين أبيه والتعبير بالمجيء ليس بالنسبة إلى مكانهم فإن كنعان ليس بالجانب المصري من مدين بل إلى مكان يوسف وفي إثارة على المرور أو الإتيان أو نحوهما إيماء إلى كونه عليه السلام في الكرامة والزلفى عند ملك مقتدر والظاهر أن الحب كان في الأمم المتناه فإن المتبادر من إسناد المجيء إلى السيارة مطلقاً في قوله عز وجل وجاءت (سيارة) أي رفقة تسير من جهة مدين إلى مصر وقوعه باعتبار سيرهم المعتاد وهو الذي يقتضيه قوله تعالى فيما سلف يلتقطه بعض السيارة وقد قيل إنه كان في قفرة بعيدة من العمران لم تكن إلا للراحة فأخطوا الطريق فنزلوا قريباً منه وقيل كان مأواه ملجأ فعذب حين ألقى فيه عليه السلام (فأرسلوا واردم) الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان ذلك مالك بن ذعر الحزاعي وإنما لم يذكر منتهى الإرسال كما لم يذكر منتهى المجيء أعنى الحب للإيدان بأن ذلك معهود لا يضرب عنه الذكر صفحاً (فأدلى دلوه) أي أرسلها إلى الحب والحذف لما عرفته فتدلى بها يوسف فخرج (قال) استئناف مبني على سؤال يقتضيه الحال (يا بشرى هذا غلام) كأنه نادى البشرى وقال تعالى فهذا أو أنك حيث فاز بنعمة باردة وأي نعمة مكان ما يوجد مباحاً من الماء وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على إخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشرى وأمال فتحة الراء حمزة والكسائي وقرأ ورش بين اللفظين وقرىء يا بشرى بالإدغام وهي لغة وبشرى على قصد الوقف (وأسروه) أي أخفاه الوارد وأصحابه عن بقية الرفقة وقيل أخفوا أمره ووجدانهم له في الحب وقالوا لهم دفعه إلينا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لأخوة يوسف وذلك أن يهوذا كان يأتيه كل يوم بطعام فأتاه يومئذ فلم يجد فيه فآخبر إخوته فأتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا أبق منا فاشتروه منهم وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه ولا يخفى ما فيه من البعد (بضاعة) نصب على الحالية أي أخفوه حال كونه بضاعة أي متاعاً للتجارة فإنها قطعة من المال بضعت عنه أي قطعت للتجارة (واقه عليهم بما يعملون) وعيد لهم على ما صنعوا من جعلهم مثل يوسف وهو هو عرضة للابتذال بالبيع والشراء وما دبوا في ذلك من الحيل (وشروه) أي باعوه والضمير للوارد وأصحابه (بثمان بخرس) زيف ناقص العيار (درهم) بدل من ثمن ٢٠ أي لادنائر (معدودة) أي غير موزونة فهو بيان لقلته ونقصانه مقداراً بعد بيان نقصانه في نفسه إذ المعتاد فيما لا يبلغ أربعين العدود الوزن فعن ابن عباس رضى الله عنهما أنها كانت عشرين درهما وعن السدي رضى الله عنه أنها كانت اثنتين وعشرين درهما (وكانوا) أي البائعون (فيه) في يوسف (من الزاهدين) من الذين لا يرغبون فيما بأيديهم فلذلك باعوه بما ذكر من الثمن البخرس وسبب ذلك أنهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به أو غير واثق بأمره يخاف أن يظهر له مستحق فينتزعه منه فيبيعه من أول مساوم بأوكس ثمن ويجوز أن يكون معنى شروه اشتروه من إخوته على ما حكى وهم غير راغبين في شراء خشية ذهاب ما لهم لماطن في آذانهم من الإباق والدول عن صيغة الافعال المنبثقة عن الاتخاذ لما مر من أن أخذهم إنما كان بطريق البضاعة دون الاجتباء والافتنام وفيه متعلق بالزاهدين إن جعل اللام للتعريف

وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِأَمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ
مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾

١٢ يوسف

وبيان لما زهدوا فيه إن جعلت موصولة كأنه قيل في أي شيء زهدوا فقيل زهدوا فيه لأن ما يتعلق بالصلة
٢١ لا يتقدم على الموصول (وقال الذي اشتراه من مصر) وهو العزيز الذي كان على خرائته واسمه قطفير
أو اطفير وبيان كونه من مصر لتربية ما يتفرع عليه من الأمور مع الإشعار بكونه غير من اشتراه من
الملتقطين بما ذكر من الثمن البخس وكان الملك يومئذ الريان بن الوليد العمليقي ومات في حياة يوسف
عليه السلام بعد أن آمن به فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه إلى الإسلام فأبى وقيل كان الملك في أيامه
فرعون موسى عليه السلام عاش أربع مائة سنة لقوله عز وجل ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات
وقيل فرعون موسى من أولاد فرعون يوسف والآية من قبيل خطاب الأولاد بأحوال الآباء واختلف
في مقدار ما اشتراه به العزيز فقيل بعشرين ديناراً وزوجى نعل وثوبين أبيضين وقيل أدخلوه في السوق
يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكاً وزنه ورقاً وزنه حريراً فاشتراه قطفير بذلك المبلغ
وكان سنه إذ ذاك سبع عشرة سنة وأقام في منزله مع ما سر عليه من مدة لبثه في السجن ثلاث عشرة سنة
واستوزره الريان وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله العلم والحكمة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي
● وهو ابن مائة وعشرين سنة (لامرأته) راعيل أو زليخا وقيل اسمها هو الأول والثاني لقبها واللام متعلقة
● بقال لا باشتراه (أكرمي مثواه) اجعلي محل إقامته كريماً مرضياً والمعنى أحسني لعمده (عسى أن ينفعنا)
● في ضياعنا وأموالنا ونستظهر به في مصالحنا (أو نتخذ له ولداً) أي نتبناه وكان ذلك لما تفرس فيه من
غمايل الرشد والنجابة ولذلك قيل أفرس الناس ثلاثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا أبت استأجره
● وأبو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما (وكذلك) نصب على المصدرية وذلك إشارة إلى ما يفهم من
● كلام العزيز وما فيه من معنى البعد لتفخيمه أي مثل ذلك التمكن البديع (مكننا يوسف في الأرض) أي
جعلنا له فيها مكاناً يقال مكنه فيه أي أثبتته فيه ومكن له فيه أي جعل له فيه مكاناً ولتقاربهما وتلازمهما
يستعمل كل منهما في محل الآخر قال عز وجل وكم أهلكنا من قبلهم من قرن مكنهم في الأرض مالم
نمكن لكم أي مالم نمكنكم فيها أو مكنهم في الأرض الخ والمعنى كما جعلنا له مثوى كريماً في منزل العزيز
أو مكاناً عالياً في قلبه حتى أمر امرأته دون سائر حواشيه يا كرام مثواه جعلنا له مكانة رفيعة في أرض
مصر ولعله عبارة عن جعله وجهاً بين أهلها ومحبيها في قلوبهم كافة فإني قلب العزيز لأنه الذي يؤدي إلى
● الغاية المذكورة في قوله تعالى (ولنعلمه من تأويل الأحاديث) أي نوقفه لتعبير بعض المنامات التي عمدتها
رؤيا الملك وصاحب السجن لقوله تعالى ذلكا بما علمني ربي سواء جعلناه معطوفاً على غاية مقدرة ينساق
إليها الكلام ويستدعيها النظام كأنه قيل ومثل ذلك التمكن مكننا يوسف في الأرض وجعلنا قلوب

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ رَءَاهُ أَتَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ ١٢ يوسف

أهلها كافة محال محبته ليرتب عليه ما ترتب عما جرى بينه وبين امرأة العزيز ولنعله بعض تأويل الأحايث وهو تأويل الرؤيا المذكورة فيؤدى ذلك إلى الرياسة العظمى ولعل ترك المعطوف عليه للإشعار بعدم كونه مراداً بالذات أو جعلناه علة لمعلل محذوف كأنه قيل ولهذا الحكمة البالغة فعلنا ذلك التمكن دون غيرها مما ليس له عاقبة حميدة هذا ولا يخفى عليك أن الذى عليه تدور هذه الأمور إنما هو التمكن فى جانب العزيز وأما التمكن فى جانب الناس كافة فتأديته إلى ذلك إنما هى باعتبار اشتماله على ذلك التمكن فإذا نال الحق أن يكون ذلك إشارة إلى مصدر قوله تعالى مكننا ليوسف على أن يكون هو عبارة عن التمكن فى قلب العزيز أو فى منزله وكون ذلك تمكيناً فى الأرض بملاسة أنه عزيز فيها لا عن تمكين آخر يشبه به كما مر فى قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطاً من أن ذلك إشارة إلى مصدر الفعل المذكور بعده لا إلى جعل آخر يقصد تشبيه هذا الجعل به فالكاف مقحم الدلالة على ضخامة شأن المشار إليه إقحاماً لا يكاد يترك فى لغة العرب ولا فى غيرها ومن ذلك قولهم مثلك لا يخل وهكذا ينبغى أن يحقق المقام وأما التمكن بمعنى جعله ملكاً يتصرف فى أرض مصر بالأمر والنهى فهو من آثار ذلك التعليم ونتائج المتفرعة عليه كما عرفته لا من مبادئه المؤدية إليه فلا سبيل إلى جعله غاية له ولم يعمد منه عليه السلام فى تضاعيف قضاياه العمل بموجب المنامات المنبهة على الحوادث قبل وقوعها عهداً مصححاً لجعله غاية لولايته وما وقع من التدارك فى أمر السنين فإنما هو عمل بموجب الرؤيا السابقة المعهودة اللهم إلا أن يراد بتعليم تأويل الأحاديث ما سبق من تفهيم غوامض أسرار الكتب الإلهية ودقائق سنن الأنبياء عليهم السلام فيكون المعنى حينئذ مكننا له فى أرض مصر ليتصرف فيها بالعدل ولنعله معاني كتب الله تعالى وأحكامها ودقائق سنن الأنبياء عليهم السلام فيقضى بها فيما بين أهلها والتعليم الإجمالى لتلك المعاني والأحكام وإن كان غير متأخر عن تمكينه بذلك المعنى إلا أن تعليم كل معنى شخصى يتفق فى ضمن الحوادث والإرشاد إلى الحق فى كل نازلة من النوازل متأخر عن ذلك صالح لأن يكون غاية له (والله غالب على أمره) لا يستعصى عليه أمر ولا بهائمه شيء بل إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون فيدخل فى ذلك شئونه المتعلقة بيوسف دخولا أولاً أو متول على أمر يوسف لا يكله إلى غيره وقد أريد به من الفتنة ما أريد مرة غيب مرة فلم يكن إلا ما أراد الله له من العاقبة الحميدة (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أن الأمر كذلك فيأتون ويذرون زعماء منهم أن لهم من الأمر شيئاً وأنى لهم ذلك وإن الأمر كله لله عز وجل أو لا يعلمون لطائف صنعه وخفايا فضله (ولما بلغ أشده) أى منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو ٢٢ سن الوقوف ما بين الثلاثين إلى الأربعين وقيل سن الشباب ومبدأ بلوغ الحلم والأول هو الأظهر لقوله تعالى (آتيناه حكماً) حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل أو حكماً بين الناس وفقها أو نبوة (وعلياً) أى تفقهافى الدين وتنكيزهما للتفخيم أى حكماً وعلياً لا يكتسبه كنههما ولا يقادر قدرهما فهما ما آناه الله تعالى عند تكامل قواه سواء كانا عبارة عن النبوة والحكم بين الناس أو غيرهما كيف لا وقد جعل إيتاؤهما

وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ
رَبِّي أَحْسَنُ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٣﴾

١٢ يوسف

- جزاء لعمله عليه السلام حيث قال (وكذلك) أى مثل ذلك الجزاء العجيب (نجزى المحسنين) أى كل من يحسن فى عمله فيجب أن يكون ذلك بعد انقضاء أعماله الحسنة التى من جملتها معاناة الأحزان والشدائد وقد فسر العلم بعلم تأويل الأحاديث ولا صحة له إلا أن يخص بعلم تأويل رؤيا الملك فإن ذلك حيث كان عند تنأى أيام البلاء صح أن يعدلناؤه من جملة الجزاء وأما رؤيا صاحبي السجن فقد لبث عليه السلام بعد تعبيراها فى السجن بضع سنين وفى تعليق الجزاء المذكور بالمحسنين إشعار بعلمية الإحسان له وتنبية على أنه سبحانه إنما آتاه ما آتاه لكونه محسناً فى أعماله متقبلاً فى عفوان أمره هل جزاء الإحسان إلا الإحسان (ورأودته التى هو فى بيتها) رجوع إلى شرح ما جرى عليه فى منزل العزيز بعد ما أمر امرأته يا كرام مثنوا وقوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف إلى هنا اعتراض جرى به أنموذجا للقصة ليعلم السامع من أول الأمر أن ما لقيه عليه السلام من الفتن التى ستحكي بتفاصيلها له غاية جميلة وعاقبة حميدة وأنه عليه السلام محسن فى جميع أعماله لم يصدر عنه فى حالى السراء والضراء ما يخل بنزاهته ولا يخفى أن مدار حسن التخليص إلى هذا الاعتراض قبل تمام الآية الكريمة إنما هو التمسك بالبالغ المفهوم من كلام العزيز فإدراج الإنجاء السابق تحت الإشارة بذلك فى قوله تعالى وكذلك مكنا كما فعله الجمهور ناء من التقريب فتأمل والمرادة المطالبة من راد يروى إذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد لطلب الماء والكلاوى مفاعلة من واحد نحو مطالبة الدائن ومطالبة المدين ومداواة الطبيب ونظائرهما ما يكون من أحد الجانبين الفعل ومن الآخر سببه فإن هذه الأفعال وإن كانت صادرة عن أحد الجانبين لكن لما كانت أسبابها صادرة عن الجانب الآخر جعلت كأنها صادرة عنهما وهذا باب لطيف المسلك مبنى على اعتبار دقيق تحقيقه أن سبب الشيء يقام مقامه ويطلق عليه اسمه كما فى قولهم كما تدين تدان أى كما تجزى تجزى فإن فعل البادى وإن لم يكن جزاء لكنه لكونه سبباً للجزاء أطلق عليه اسمه وكذلك إرادة القيام إلى الصلاة وإرادة قراءة القرآن حيث كانتا سبباً للقيام والقراءة عبر عنهما بهما فقبل إذا قم إلى الصلاة فإذا قرأت القرآن وهذه قاعدة مطردة مستمرة ولما كانت أسباب الأفعال المذكورة فيما نحن فيه صادرة عن الجانب المقابل لجانب فاعلها فإن مطالبة الدائن للمطالبة التى هى من جانب الغريم وهى منه للمطالبة التى هى من جانب الدائن وكذا مداواة الطبيب للمرض الذى هو من جانب المريض وكذلك مرأودتها فيما نحن فيه لجمال يوسف عليه السلام نزل صدورها عن محالها بمنزلة صدور مسبباتها التى هى تلك الأفعال فبنى الصيغة على ذلك وروعى جانب الحقيقة بأن أسند الفعل إلى الفاعل وأوقع على صاحب السبب فتأمل ويجوز أن يراد بصيغة المبالغة مجرد المبالغة وقيل الصيغة على بابها بمعنى أنها طلبت منه الفعل وهو منها الترك ويجوز أن يكون من الرويد وهو الرفق والتحمل وتعديتها بمن لتضمينها معنى المخادعة فالمعنى خادعته (عن نفسه) أى فعلت

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ

إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾

١٢ يوسف

- ما يفعل المخادع لصاحبه عن شيء لا يريد إخراجه من يده وهو يحتمل أن يأخذه منه وهي عبارة عن التحل في مواقفه إياها والعدول عن التصريح باسمها للمحافظة على السر أو للاستهجان بذكره وإيراد الموصول لتقرير المرادة فإن كونه في بيتها مما يدعو إلى ذلك قيل لواحدة ما حملك على ما أنت عليه بما لا خير فيه قالت قرب الوساد وطول السواد وإظهار كمال نزاهته عليه السلام فإن عدم ميله إليها مع دوام مشاهدته لمحاسنها واستعصاه عليها مع كونه تحت ملكتها ينادى بكونه عليه السلام في أعلى معارج العفة والنزاهة (وغلقت الأبواب) قيل كانت سبعة ولذلك جاء الفعل بصيغة التفعيل دون الإفعال وقيل للمبالغة في الإيثاق والإحكام (وقالت هيت لك) قرئ بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبنائوه كبناء أين وعبط وهيت بكسر هاء هيت كحيت اسم فعل معناه أقبل وبادر واللام للبيان أي لك أقول هذا كما في هلم لك وقرئ هيت لك على صيغة الفعل بمعنى تهيأت يقال هاء يهيء بكاء يجيء إذا تهيأ وهيئت لك واللام صلة للفعل (قال معاذ الله) أي أعوذ بالله معاذاً مما تدعيني إليه وهذا اجتناب منه على أنتم الوجوه وإشارة إلى التعليل بأنه منكر هائل يجب أن يعاذ بالله تعالى للخلاص منه وما ذاك إلا لأنه عليه السلام قد شاهده بما أراه الله تعالى من البرهان النير على ما هو عليه في حد ذاته من غاية القبح ونهاية السوء وقوله عز وجل (إنه ربى أحسن مشاوى) تعليل للامتناع ببعض الأسباب الخارجية مما عسى يكون مؤثراً عندها وداعياً لها إلى اعتباره بعد التنبيه على سببه الذاتى الذى لا تكاد تقبله لما سولته لها نفسها والضمير للشأن ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وقائدة تصدير الجملة به الإيذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره في الذهن فإن الضمير لا يفهم منه من أول الأمر إلا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقباً لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن فكأنه قيل إن الشأن الخطير هذا هو ربى أى سيدى العزيز أحسن مشاوى أى أحسن تعهدى حيث أمرك يا كرامى فكيف يمكن أن أسىء إليه بالخيانة في حرمه وفيه إرشاد لها إلى رعاية حق العزيز بالطف وجه وقيل الضمير لله عز وجل وربى خبر إن وأحسن مشاوى خبر ثان أو هو الخبر والأول بدل من الضمير والمعنى أن الحال هكذا فكيف أعصيه بارتكاب تلك الفاحشة الكبيرة وفيه تحذير لها من عقاب الله عز وجل وعلى التقديرين فى الاقتصار على ذكر هذه الحالة من غير تعرض لافتضاءها الامتناع عمادته إليه إيذان بأن هذه المرتبة من البيان كافية في الدلالة على استحالتها وكونه مما لا يدخل تحت الوقوع أصلاً وقوله تعالى (إنه لا يفلح الظالمون) تعليل للامتناع المذكور غلب تعليل والفلاح الظفر وقيل البقاء في الخير ومعنى أفلح دخل فيه كأصبح وأخواته والمراد بالظالمين كل من ظلم كائناً من كان فيدخل في ذلك المجازون بالإحسان بالإساءة والعصاة لأمر الله تعالى دخولا أولاً وقيل الزناة لأنهم ظالمون لأنفسهم وللزنى بأهله (ولقد همت به) بمخالطته إذ الهم لا يتعلق ٢٤

بالأعيان أى قصدتها وعزمت عليها عزما جازما لا يلوبها عنه صارف بعد ما باشرت مبادئها وفعلت ما فعلت من المراودة وتغليق الأبواب ودعوته عليه السلام إلى نفسها بقولها هيت لك ولعلها تصدت هنالك لأفعال آخر من بسط يدها إليه وقصد المعانقة وغير ذلك مما يضطره عليه السلام إلى الحرب فهو الباب والتأكيد لدفع ما عسى يتوهم من احتمال إفلاعها عما كانت عليه بما في مقالته عليه السلام من الزواج (ومها) بمنخالطها أى مال إليها بمقتضى الطبيعة البشرية وشهوة الشباب وقرمه ميلا جليلا لا يكاد يدخل تحت التكليف لأنه قصدها قصدا اختياريا ألا يرى إلى ما سبق من استعصامه المنبئ عن كمال كراهيته له ونفرته عنه وحكمه بعدم إفلاح الظالمين وهل هو إلا تسجيل باستحالة صدور الهم منه عليه السلام تسجيلا محكما وإنما عبر عنه بالهم لجرد وقوعه في محبة ههنا في الذكر بطريق المشاكلة لالشبه به كما قيل ولقد أشير إلى تباينهما حيث لم يلز في قرن واحد من التعبير بأن قيل ولقد هما بالخالطة أو هم كل منهما بالآخر وصدرا لا أول بما يقرر وجوده من التوكيد القسمى وعقب الثانى بما يعفو أثره من قوله عز وجل (لولا أن رأى برهان ربه) أى حجته الباهرة الدالة على كمال قبح الزنى وسوء سبيله والمراد برؤيته لها كمال إيقانه بها ومشاهدته لها مشاهدة واصله إلى مرتبة عين اليقين الذى تنجلي هناك حقائق الأشياء بصورها الحقيقية وتنخلع عن صورها المستعارة التى بها تظهر في هذه النشأة على ما نطق به قوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وكأنه عليه السلام قد شاهد الزنى بموجب ذلك البرهان النير على ما هو عليه في حد ذاته أفصح ما يكون وأوجب ما يجب أن يحذر منه ولذلك فعل ما فعل من الاستعصام والحكم بعدم إفلاح من يرتكبه وجواب لولا محذوف يدل عليه الكلام أى لولا مشاهدته برهان ربه في شأن الزنى لجرى على موجب ميله الجبلى ولكنه حيث كان مشاهدا له من قبل استمر على ما هو عليه من قضية البرهان وفائدة هذه الشرطية بيان أن امتناعه عليه السلام لم يكن لعدم مساعدة من جهة الطبيعة بل لمحض العفة والنزاهة مع وفور الدواعى الداخلية وترتب المقدمات الخارجية الموجبة لظهور الأحكام الطبيعية هذا وقد نص أئمة الصناعة على أن لولا في أمثال هذه المواقع جار من حيث المعنى لا من حيث الصيغة مجرى التقييد للحكم المطلق كما في مثل قوله تعالى إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها فلا يتحقق هناك هم أصلا وقد جوز أن يكون وهم بها جواب لولا جريا على قاعدة الكوفيين في جواز التقديم فالهم حينئذ على معناه الحقيقى فالمعنى لولا أنه قد شاهد برهان ربه لهم بها كما همع به ولكن حيث انتفى عدم المشاهدة بدليل استعصامه وما يتفرع عليه انتفى الهم رأسا هذا وقد فسر همه عليه السلام بأنه عليه السلام حل الهيمنان وجلس مجلس الختان وبأنه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها ورؤيته للبرهان بأنه سمع صوتا إياك وإياها فلم يكثر ثم وثم إلى أن تمثل له يعقوب عليه السلام عاضا على أناملته وقيل ضرب على صدره فخرجت شهوته من أنامله وقيل بدت كف فيها بينهما ليس فيها عضدولا معصم مكتوب فيها وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا لأنه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا يوم تارجعون فيه إلى الله فلم ينجع فقال الله عز وجل لجبريل أدرك عبدى قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبريل عليه السلام وهو يقول يا يوسف أتعلم عمل

وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَيْصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ
سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

١٢ يوسف

- السفهاء وأنت مكتوب في ديوان الأنبياء وقيل رأى تمثال العزيز وقيل إن كل ذلك إلا خرافات وأباطيل تمنجها الأذان وتردها العقول والأذهان وبيل لمن لا كها ولفقها أو سمعها وصدقها (كذلك) ●
- الكاف منصوب المحل وذلك إشارة إلى الإراءة المدلول عليها بقوله تعالى لولا أن رأى برهان ربه أى مثل ذلك التبصير والتعريف عرفناه برهانتنا فيما قبل أو إلى التثبيت اللازم له أى مثل ذلك التثبيت ثبتناه (لنصرف عنه السوء) على الإطلاق فيدخل فيه خيانة السيد دخولا أولاً (والفحشاء) والزنى لانه مفرط في القبح وفية آية بينة وحجة قاطعة على أنه عليه السلام لم يقع منه هم بالمعصية ولا توجه إليها قط ●
- والإلقيب لنصرفه عن السوء والفحشاء وإنما توجه إليه ذلك من خارج فصرفه الله تعالى عنه بما فيه من موجبات العفة والعصمة فتأمل وقرىء ليصرف على إسناد الصرف إلى ضمير الرب (إنه من عبادنا المخلصين) ●
- تعليل لما سبق من مضمون الجملة بطريق التحقيق والمخلصون هم الذين أخلصهم الله تعالى لطاعته بأن عصمهم عما هو قاذح فيها وقرىء على صيغة الفاعل وهم الذين أخلصوا دينهم لله سبحانه وعلى كلال المعنيين فهو منتظم في سلطكم داخل في زمرتهم من أول أسره بقضية الجملة الاسمية لأن ذلك حدث له بعد أن لم يكن كذلك فانحسم مادة احتمال صدور الهم بالسوء منه عليه السلام بالكلية (واستبقا الباب) متصل بقوله ولقد ٢٥
- همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه وقوله كذلك إلى آخره اعتراض جى به بين المعطوفين تقرير النزاهة عليه السلام كقوله تعالى وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض والمعنى لقد همت به وأبى هو واستبقا الباب أى تسابقا إلى الباب البرانى الذى هو المخلص ولذلك وحد بعد الجمع فيما سلف وحذف حرف الجر وأوصل الفعل إلى المجرور نحو وإذا كالوهم أو ضمن الاستباق معنى الابتدار وإسناد سبق في ضمن الاستباق إليها مع أن مرادها مجرد منع يوسف وذا لا يوجب الانتماء إلى الباب لأنها لما رآته يسرع إلى الباب ليتخلص منها أسرعته أيضاً للتسبقة إليه وتمنعه عن الفتح والخروج أو عبر عن إسرعتها أثره بذلك مبالغته (وقدت قيصه من دبر) اجتذبت من ورائه فانشق طولاً وهو القدر كما أن الشق عرضاً ●
- هو القط وقد قيل في وصف على رضى الله عنه إنه كان إذا اعتلى قد وإذا اعترض قط وإسناد القدر إليها خاصة مع أن لقوة يوسف أيضاً دخلا فيه إما لأنها الجزء الأخير للعلة التامة وإما للإيدان بمبالغتها في منعه عن الخروج وبذل مجهودها في ذلك لفوت المحبوب أو لخوف الافتضاح (وألفيا سيدها) أى ●
- صادقا زوجها وإذ لم يكن ملكه ليوسف عليه السلام صحباً لم يقل سيدهما قيل ألفياه مقبلا وقيل كان جالسا مع ابن عم المرأة (لدى الباب) أى البرانى كما سر. روى كعب رضى الله عنه أنه لما هرب يوسف عليه ●
- السلام جعل فراش القفل بتناثر ويسقط حتى خرج من الأبواب (قالت) استئناف مبنى على سؤال سائل ●
- يقوله فإذا كان حين ألفيا العزيز عند الباب فقيل قالت (ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً) من الزنى ونحوه ●

قَالَ هِيَ رَوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَبِيضُهُ قُدًّا مِنْ قَبِيلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ
مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾

١٢ يوسف

- (إلا أن يسجن أو عذاب أليم) ما نفيه أى ليس جزاؤه إلا السجن أو العذاب الأليم قيل المراد به الضرب بالسياط أو استنظامية أى أى شيء جزاؤه غير ذلك أو ذلك ولقد أتت في تلك الحالة التى تدش فيها الفطن حيث شاهدها العزيز على تلك الهيئة المربية بحيلة جمعت فيها غرضها وهما تبرئة صاحبها عما يلوح من ظاهر الحال واستئصال يوسف عن رأيه فى استعصائه عليها وعدم موافقته على مرادها بإلقاء الرعب فى قلبه من مكرها طمعاً فى موافقته لها كرها عند بأسها عن ذلك اختياراً كما قالت ولئن لم يفعل ما أمره ليسجن وليكونا من الصاغرين ثم إنها جمعت صدور الإرادة المذكورة عن يوسف عليه السلام أمراً محققاً مفروغاً عنه غنياً عن الإخبار بوقوعه وأن ما هو عليه من الأفاعيل لأجل تحقيق جزائها فهى تريد إبقائه حسبما يقتضيه قانون الإيالة وفى إبهام المرید تهويل لشأن الجزاء المذكور بكونه قانوناً مطرداً فى حق كل أحد كائناً من كان وفى ذكر نفسها بعنوان أهلية العزيز إعظام للخطب وإغراء له على تحقيق ما اتوخاه بحكم الغضب والحمية (قال) استئناف وجواب عما يقال فإذا قال يوسف حينئذ فقل
- قال (هى راودتني عن نفسى) أى طالبتنى للموافقة لا أنى أردت بها سوءاً كما قالت وإنما قاله عليه السلام لتنزيه نفسه عما أسند إليه من الخيانة وعدم معرفة حق السيد ودفع ما عرضته له من الأمرين الأمرين وفى التعبير عنها بضمير الغيبة دون الخطاب أو اسم الإشارة مراعاة لحسن الأدب مع الإيلاء إلى الإعراض عنها (وشهد شاهد من أهلها) قيل هو ابن عمها وقيل هو الذى كان جالساً مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيماً يرجع إليه الملك ويستشير به وقد جوز أن يكون بعض أهلها قد بصر بها من حيث لا تشعر فأغضبه الله تعالى ليوسف عليه السلام بالشهادة له والقيام بالحق وإنما ألقى الله سبحانه الشهادة إلى من هو من أهلها ليكون أدل على نزاهته عليه السلام وأنتى للثمة وقيل كان الشاهد ابن خال لها صديقاً فى المهد أنطقه الله تعالى ببراءته وهو الأظهر فإنه روى أن النبى ﷺ قال تكلم أربعة وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى عليه السلام رواه الحاكم عن أبى هريرة رضى الله عنه وقال صحيح على شرط الشيخين وذكر كونه من أهلها لبيان الواقع إذ لا يختلف الحال فى هذه الصورة بين كون الشاهد من أهلها أو من غيرهم (إن كان قبضه قد من قبل) أى إن علم أنه قد من قبل من قبل ونظيره إن أحسنت إلى فقد أحسنت إليك فيما قبل فإن معناه إن تعتد يا حسنك إلى قاعدت يا حسانى السابق إليك
- (فصدقت) بتقدير قد لأنها تقرب الماضى إلى الحال أى فقد صدقت وكذا الحال فى قوله فكذبت وهى وإن لم تصرح بأنه عليه السلام أراد بها سوءاً إلا أن كلامها حيث كان واضح الدلالة عليه أسند إليها الصدق والكذب بذلك الاعتبار فإنهما كما يعرضان للكلام باعتبار منطوقه يعرضان له باعتبار ما يستلزمه وبذلك الاعتبار يعرضان للإنشاءات (وهو من الكاذبين) وهذه الشرطية حيث لا ملازمة

وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾
فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾

١٢ يوسف

١٢ يوسف

عقلية ولا عادية بين مقدمها وتاليها ليست من الشهادة في شيء وإنما ذكرت توسيعاً للدائرة وإرخاء للعنان إلى جانب المرأة بإجراء ماعسى يحتمله الحال في الجملة بأن يقع القد من قبل بمدافعتها له عليه السلام عن نفسها عند إرادته المخالطة والتكشاف مجرى الظاهر الغالب الوقوع تقريباً لما هو المقصود بإقامة الشهادة أعنى مضمون الشرطية الثانية التي هي قوله عز وجل (وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) ٢٧ إلى التسليم والقبول عند السامع لكونه أقرب إلى الوقوع وأدل على المطلوب وإن لم يكن بين طرفيها أيضاً ملازمة وحكاية الشرطية بعد فعل الشهادة لكونها من قبيل الأقوال أو بتقدير القول أى شهد قائلاً الخ وتسميتها شهادة مع أنه لا حكم فيها بالفعل بالصدق والكذب لتأديتها مؤداها بل لأنها شهادة على الحقيقة وحكم بصدقه وكذبها أما على تقدير كون الشاهد هو الصبي فظاهر إذ هو إخبار بهما من قبل علام الغيوب والتصوير بصورة الشرطية للإيدان بأن ذلك ظاهر من العلام أيضاً وأما على تقدير كونه غيره فلأن الظاهر أن صورة الحال معلومة له على ما هي عليه إما مشاهدة أو إخبار أفوه متيقن بعدم مقدم الشرطية الأولى وبوجود مقدم الشرطية الثانية ومن ضرورته الجزم بانتفاء تالي الأولى وبوقوع تالي الثانية فإذا هو إخبار بكذبها وصدقه عليه السلام لكنه ساق شهادته مساقاً ما مؤناً من الجرح والظعن حيث صورها بصورة الشرطية المترددة ظاهر أ بين نفعها ونفعه وأما حقيقة فلا تردد فيها قطعاً لأن الشرطية الأولى تعليق لصدقها بما يستحيل وجوده من قد القميص من قبل فيكون محالاً لا محالة ومن ضرورته تقرير كذبها والثانية تعليق لصدقه عليه السلام بأمر محقق الوجود وهو القد من دبر فيكون محقق البتة وهذا كما قيل فيمن قال لامرأة زوجي نفسك فقالت لى زوج فكذبها في ذلك فقالت إن لم يكن لى زوج فقد زوجتك نفسى فقيل الرجل فإذا لا زوج لها فهو نكاح إذ تعليق الشيء بأمر مقرر تنجيز له وقرىء من قبل ومن دبر بالضم لأنهما قطعاً عن الإضافة كقبل وبعد وبالفتح كأنهما جعلتا علمين للجنتين فنما الصرف للتأنيث والعلبية وقرىء بسكون العين (فلما رأى قميصه قد من دبر) كأنه لم يكن رأى ذلك بعد أولم يتدبره ٢٨ فلما تنبه له وعلم حقيقة الحال (قال إنه) أى الأمر الذى وقع فيه التشاجر وهو عبارة عن إرادة السوء التى أسندت إلى يوسف وتدبير عقوبته بقولها ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلى آخره لكن لا من حيث صدور تلك الإرادة والإسناد عنها بل مع قطع النظر عن ذلك لئلا يخلو قوله تعالى (من كيد كن) أى من جنس حيلتك ومكركن أيتها النساء لا من غيركن عن الإفادة وتدبير العقوبة وإن لم يمكن تجريده عن الإضافة إليها إلا أنها لما صورته بصورة الحق أفاد الحكم بكونه من كيدهن إفادة ظاهرة فتأمل وتعميم الخطاب للتنبيه على أن ذلك خلق لمن عريق [ولا تحسبأ هذا لها الغدر وحدها] سجية نفس كل غانية هند [ورجع الضمير إلى قولها ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً فقط عدول عن البحث عن أصل ما وقع فيه النزاع من أن

يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ ١٢ يوسف

وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَتَلْهَى عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ

مُبِينٍ ﴿٣٠﴾

١٢ يوسف

- إرادة السوء من هي إلى البحث عن شعبة من شعبه وجعل للسوء أو للأمر المعبر به عن طمعها في يوسف عليه السلام يأباه الخبر فإن الكيد يستدعي أن يعتبر مع ذلك هنات آخر من قبلها كما أشرنا إليه (إن كيدكن عظيم) فإنه اللطف وأعلق بالقلب وأشد تأثيراً في النفس . وعن بعض العلماء (إن أخاف من النساء مالا أخاف من الشيطان فإنه تعالى يقول إن كيد الشيطان كان ضعيفاً وقال للنساء إن كيدكن عظيم ولأن الشيطان يوسوس مسارقة وهن يواجهن به الرجال (يوسف) حذف منه حرف النداء لقر به وكال
- ٢٩ تفتنه للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحل (أعرض عن هذا) أي عن هذا الأمر وعن التحدث به واكتمه فقد ظهر صدقك ونزاهتك (واستغفري) أنت يا هذه (لذنبك) الذي صدر عنك وثبت عليك (إنك كنت) بسبب ذلك (من الخاطئين) من جملة القوم المعتمدين للذنب أو من جنسهم يقال خطيء إذا أذنب عمداً وهو تميل للأمر بالاستغفار والتذكير لتغليب الذكور على الإناث وكان العزيز رجلاً حليماً فاكنتي بهذا القدر من مواخذتها وقيل كان قليل الغيرة (وقال نسوة) أي جماعة من النساء وكن خمساً امرأة الساقى وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنثه غير حقيقى كتأنث اللبنة وهي اسم لجماعة النساء والثبة وهي اسم لجماعة الرجال ولذلك لم يلحق فعله تاء التأنث (في المدينة) ظرف لقال أي أشعن الأمر في مصر أو صفة النسوة (امرأة العزيز) أي الملك يردن قطفير وإضافتهن لها إليه بذلك العنوان دون أن يصرحن باسمها أو اسمه ليست لقصد المبالغة في إشاعة الخبر بحكم أن النفوس إلى سماع أخبار ذوي الأخطار أميل كما قيل إذ ليس مرادهن تفضيح العزيز بل هي لقصد الإشباع في لومها بقولهن (تراودناها) أي تطالبه بمواقعة لها وتمحل في ذلك وتخاذعه (عن نفسه) وقيل تطالب منه الفاحشة وإبشارهن لصيغة المضارع للدلالة على دوام المرادة والفتى من الناس الشباب وأصله فتى لقولهم فتيان والفتوة شاذة وجمعه فتية وفتيان ويستعار للملوك وهو المراد ههنا وفي الحديث لا يقل أحدكم عبيدي وأمتي وليقل فتاى وفتاى وتعبيرهن عن يوسف عليه السلام بذلك مضافاً إليهن لا إلى العزيز الذي لا يستلزم الإضافة إليه لاهوان بل ربما يشعر بنوع عزة لإبابة ما بينهما من التباين البين الناشئ عن المالكية والمملوكية وكل ذلك لتربية مآمر من المبالغة والإشباع في اللوم فإن من لا زوج لها من النساء ولها زوج دنى قد تعذر في مرادة الاختدان لاسيما إذا كان فيهم علو الجنب وأما التي لها زوج وأي زوج عزيز مصر فراودتها لغيره لاسيما لعبد لها الذي لا كفاءة بينها وبينه أصلاً وتماديها في ذلك غاية الغي ونهاية الضلال (قد شغفها حباً) أي شق حبه شغاف قلبها وهو حجابها أو جلد قريفة يقال لها لسان القلب حتى وصل إلى فؤادها وخرى شغفها بالعين من

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا
وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا

يُفِيهِ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ

١٢ يوسف

- شعف البعير إذا هناه فأحرقه بالقطران وعن الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما الشغف الحب
القاتل والشغف حب دون ذلك وكان الشعبي يقول الشغف حب والشغف جنون والجملة خبر ثان أو حال
من فاعل تراود أو من مفعوله وأياً ما كان فهو تكرير للوم وتأكيده للعذل ببيان اختلال أحوالها الفلبية
كما حوالمها الفلبية وجمعها تعديلاً لدوام المراودة من حيث الإنية مصير إلى الاستدلال على الأجل بالآخى
ومن حيث اللمية قبل إلى تمهيد العذر من قبلها ولعن بذلك المقام وانتصاب حياً على التمييز لنقله عن
الفاعلية إذا الأصل قد شغفها حبه كما أشير إليه (إننا لرها) أى نعلها علماً متاخماً للبشادة والعيان فيما
صنعت من المراودة والمحبة المفرطة مستقرة (فى ضلال) عن طريق الرشد والصواب أو عن سنن العقل
(مبين) واضح لا يخفى كونه ضلالاً على أحد أو مظهر لأمرها بين الناس فالجملة مقرر لمضمون الجملتين
السابقتين المسوقتين للوم والتشنيع وتسجيل عليها بأمرها على خطأ عظيم وإنما لم يقل إنها فى
ضلال مبين إشعاراً بأن ذلك الحكم غير صادر عنهن مجازفة بل عن علم ورأى مع التلويح بأمرهن متزهات
عن أمثال ما هي عليه (فلما سمعت بمكرهن) باغتيالهن وسوء قائلن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها ٣١
السكنجاني وهو مقهاو تسميته مكرأ السكونه خفية منها كسكر الما كرو وإن كان ظاهر أغيرها وقيل استسكنتهن
سرها فأفبهينه عليها وقيل إنما قلن ذلك لئلا يترجم يوسف عليه السلام (أرسلت إليهن) تدعوهن قبل دعت
أربعين امرأة منهن الخمس المذكورات (وأعدت) أى أحضرت وهيات (لهن متكاً) أى ما يتكئن
عليه من الخمارق والوسائد أو رتبت لهن مجلس طعام وشراب لأنهم كانوا يتكئون للطعام والشراب
والحديث كعادة المترفين ولذلك نهى الرجل أن يأكل متكئاً وقبل متكئاً طعاماً من قولهم اتكأنا عند
فلان أى طعمنا قال جميل [فظلنا بنعمة واتكأناه وشربنا الخلال من قلله] وعن مجاهد متكأ طعاماً
يحرزاً كأن المعنى يعتمد بالسكين عند القطع لأن القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين وقرئ بغير
همز وقرئ بالمد بإشباع حركة الكاف كمتزاح فى متزح وبنباع فى ينبع وقرأ متكأ وهو الأخرج وأنشدوا
[وأهدت متكأبنى أيها] تحب بها العشممة الوقاح أو ما يقطع من منك الشيء إذا بتكه ومتكأ من تكى
إذا اتكى (وآنت كل واحدة منهن سكيناً) لتستعمله فى قطع ما يعهد قطعه بما قدم بين أيديهن وقرب إليهن
من اللحوم والفواكه ونحوها وهن متكئات وغرضها من ذلك ما سبق من تقطيع أيديهن (وقالت)
ليوسف وهن مشغولات بمعالجة السكاكين وإعمالها فيما بأيديهن من الفواكه وأضرابها والعطف بالواو
ربما يشير إلى أن قولها (أخرج عليهن) أى ابرز لهن لم يكن عقيب ترتيب أمورهن لئتم غرضها من استغفالهن
(فلما رأينه) عطف على مقدر يستدعيه الأمر بالخروج وينسحب عليه الكلام أى أخرج عليهن فرأينه

قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا
أَمُرُّهُ لَيُسْجَنَ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٣﴾

١٢ يوسف

- وإنما حذف تحقيقاً لمفاجأة رؤيتهن كأنها تفوت عند ذكر خروجه عليهن كما حذف لتحقيق السرعة في قوله عز وجل فلما رآه مستقراً عنده بعد قوله أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك وفيه إيذان بسرعة امتثاله عليه السلام بأمرها فيما لا يشاهد مضرت من الأفاعيل (أكبرنه) عظمنه وهبن حسنه الفائق وجماله الرائع الرائق فإن فضل جماله على جمال كل جميل كان كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب عن النبي ﷺ أنه قال رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلالؤه وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس على الماء وقيل معنى أكبرن حضن والهاء للسكت أو ضمير راجع إلى يوسف عليه السلام على حذف اللام أي حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي | خف الله واسترذا الجمال برقع *
● فإن لحث حاضت في الحدور العوائق | (وقطعن أيديهن) أي جرحتها بما في أيديهن من السكاكين لفرط دهشتهم وخروج حركات جوارحن عن منهاج الاختيار والاعتیاد حتى لم يعلمن ما فعلن وفي التعبير عن الجرح بالقطع ما لا يخفى من الدلالة على كثرة جرحهن ومع ذلك لم يباليين بذلك ولم يشعرن به (وقلن حاش لله) تنزيها له سبحانه عن صفات النقص والعجز وتعجباً من قدرته على مثل ذلك الصنع البديع وأصله حاشاً كما قرأه أبو عمرو في الدرج لحذفت ألفه الأخيرة تخفيفاً وهو حرف جريفيدي معنى التنزيه في باب الاستثناء فلا يستثنى به إلا ما يكون موجباً للتنزيه فوضع موضع فغنى حاشاً الله تنزيه الله وبراءة الله وهي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه واللام لبيان المنزه والمبرأ كما في سقيالك والدليل على وضعه موضع المصدر قراءة أبي السمال حاشاً بالتنوين وقراءة أبي عمرو بحذف الألف الأخيرة وقراءة الأعمش بحذف الألف الأولى فإن التصرف من خصائص الاسم فيدل على تنزيه منزلته وعدم التنوين لمراعاة أصله كما في قولك جلست من عن يمينه وقوله غدت من عليه منقلب الألف إلى الياء مع الضمير وقرئ حاش لله بسكون الشين اتباعاً للفتحة الألف في الإسقاط وحاش الإله وقيل حاشاً فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف أي صار في ناحية من أن يقارف مارمته به لله أي لطاعته أو لمكانه أو جانب المعصية لأجل الله (ما هذا بشرأ) على إعمال ما بمعنى ليس وهي لغة أهل الحجاز لمشاركتها في نفي الحال وقرئ بشر على لغة تميم وبشرى أي بعيد مشترى لثيم نفين عنه البشرية لما شاهدن فيه من الجمال العبقري الذي لم يعمد مثاله في البشر وقصره على الملكية بقولهن (إن هذا إلاملك كريم) بناء على ما ركز في العقول من أن لاحي أحسن من الملك كما ركب فيها أن لا أقبح من الشيطان ولذلك لا يزال يشبه بهما كل متناه في الحسن والقبح وغرضهن وصفه بأقصى مراتب الحسن والجمال (قالت فذلكن) الفاء فصيحة والخطاب للنسوة والإشارة إلى يوسف بالعنوان الذي وصفنه به الآن من الخروج في الحسن والجمال عن المراتب البشرية والاقتصار على الملكية فاسم الإشارة مبتدأ والموصول

قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ
الْخِٰٓٔلِينَ ﴿٣٣﴾

١٢ يوسف

- خبره والمعنى إن كان الأمر كما قلتن فذلك الملك الكريم النائي من المراتب البشرية هو (الذى لمتنى فيه) أى غير تنفى فى الافتتان به حيث ربأتى بحلى بنسبى إلى العزيز ووضعتن قدره بكونه من الممالك أو بالعنوان الذى وصفته به فيما سبق بقولن امرأة العزيز عشقت عبدا الكنعانى فهو خبر لمبتدأ محذوف أى فهو ذلك العبد الكنعانى الذى صورتن فى أنفسكن وقلتن فيه وفى ما قلتن فالآن قد علمتن من هو وما قولكن فينا وأما ما يقال تعنى أنكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورته بما عاينتن لعذر تنفى فى الافتتان به فلا يلائم المقام فإن مرادها بدعوتن وتمهيد مامهده لهن تبكيتهن وتنديمن على ما صدر عنهن من اللوم وقد فعلت ذلك بما لا مزيد عليه وما ذكر من المقال لحق المعتذر قبل ظهور معذرتة وقد قيل فى تعليل الملكية أن الجمع بين الجمل الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من الخواص الملكية وهو أيضاً لا يلائم قولها فذلك الذى لمتنى فيه فإن عنوان العصمة بما ينافى تمشية مرامها ثم بعد ما أقامت عليهن الحجة وأوضحت لديهن عذرها وقد أصابهن من قبله عليه السلام ما أصابها باحت لهن بيقية سرها فقالت (ولقد راودته عن نفسه) حسبما قلتن وسمعتن (فاستعصم) امتنع طالباً للعصمة وهو بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه فى عصمة وهو يجتهد فى الاستزادة منها كما فى استمسك واستجمع الرأى وفيه برهان نير على أنه لم يصدر عنه عليه السلام شىء مغل باستعصامه بقوله معاذ الله من الهوى وغيره اعترفت لهن أولاً بما كن يسمعن من مرادتها له وأكده إظهاراً لا بتهاجها بذلك ثم زادت على ذلك أنه أعرض عنها على أبلغ ما يكون ولم يمل إليها قط ثم زادت عليه أيضاً أنها مستمرة على ما كانت عليه غير مرعوبة عنه لا بلوم العواذل ولا بإعراض الحبيب فقالت (ولئن لم يفعل ما أمره) أى أمر به فيما سياتى كما لم يفعل فيما مضى فحذف الجار وأوصل الفعل إلى الضمير كما فى أمرتك الخير فالضمير للوصول أو أمرى إياه أى موجب أمرى ومقتضاه فما مصدرية والضمير ليوسف وعبرت عن مرادتها بالأمر إظهاراً للجريان حكومتها عليه واقتضاه للامثال بأمرها (ليسجنن) بالنون المثقلة آثرت بناء الفعل للمفعول جرياً على رسم الملوك أو إيهاماً لسرعة ترتب ذلك على عدم امثاله لأمرها كأنه لا يدخل بينهما فعل فاعل (وليكونا) بالخففة (من الصاغرين) أى الأذلاء فى السجن وقد قرىء الفعلان بالثقل ولكن المشهورة أولى لأن النون كتبت فى المصحف ألفاً على حكم الوقف واللام الداخلة على حرف الشرط موطنه للقسم وجوابه ساد مسداً للجوابين ولقد أتت بهذا الوعيد المنطوى على فنون التأكيد بمحضر منهن ليعلم يوسف عليه السلام أنها ليست فى أمرها على خفية ولا خيفة من أحد فتضيق عليه الحيل وتعيابه العلل وينصحن له ويرشدنه إلى موافقتها ولما كان هذا الإبراق والإرعاد منها مظنة لسؤال سائل يقول فما صنع يوسف حينئذ قيل (قال) مناجياً ٣٣ لربه عز سلطانه (رب السجن) الذى أوعدتنى بالإلقاء فيه وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر (أحب إلى) ●

فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾

ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لِيَسْجُنَّهٗ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾

١٢ يوسف

١٢ يوسف

- أى أثر عندى لأنه مشقة قليلة نافذة أثر هاراحات جليلة أبدية (بما يدعوننى إليه) من مؤامراتها التى تؤدى إلى الشقاء والعذاب الأليم وهذا الكلام منه عليه السلام مبنى على مامر من انكشاف الحقائق لديه وبروز كل منها بصورتها اللائقة بها فصيغة التفضيل ليست على بابها إذ ليس له شائبة محبة لما دعته إليه وإنما هو والسجن شران أهونهما وأقربهما إلى الإيثار السجن والتعبير عن الإيثار بالحببة لحسم مادة طمعها عن المساعدة خوفا من الحبس والاقتصار على ذكر السجن من حيث إن الصغار من فروعه ومستتبعاته وإسناد الدعوة إليهن جميعاً لأن النسوة رغبته في مطاوعتها وخوفته من مخالفتها وقيل دعونه إلى أنفسهن وقيل إنما ابتلى عليه السلام بالسجن لقوله هذا وكان الأولى به أن يسأل الله تعالى العافية ولذلك رد رسول الله ﷺ على من كان يسأل الصبر (وإلا تصرف) أى إن لم تصرف (عنى كيدهن) في تحبيب ذلك إلى وتحسينه لدى بأن تثبتي على ما أنا عليه من العصمة والعفة (أصب إليهن) أى أمل إلى إلهامهن أو إلى أنفسهن على قضية الطبيعة وحكم القوة الشهوية وهذا فزع منه عليه السلام إلى الطاف الله تعالى جرياً على سنن الأنبياء والصالحين في قصر نيل الخيرات والنجاة عن الشرور على جناب الله عز وجل وسلب القوى والقدر عن أنفسهم ومبالغة في استدعاء لطفه في صرف كيدهن بإظهار أن لاطافة له بالمداغة كقول المستغيث أدركنى وإلا هلكت لأنه يطلب الإجماع إلى العصمة والعفة وفي نفسه داعية تدعوه إلى هوان والصبوة الميل إلى الهوى ومنه الصبا لأن النفوس تصبو إليها لطيب نسيمها وروحها وقرىء
- أصب إليهن من الصباية وهى رقة الشوق (وأكن من الجاهلين) الذين لا يعملون بما يعلمون لأن من لا جدوى لعلمه فهو والجاهل سواء أو من السفهاء بار تكاب ما يدعوننى إليه من القباح لأن الحكيم لا يفعل القبيح (فاستجاب له ربه) دعاءه الذى تضمنه قوله وإلا تصرف عنى كيدهن الخ فإن فيه استدعاء لصرف كيدهن على أبلغ وجه وأطفه كما مروى في إسناد الاستجابة إلى الرب مضافاً إليه عليه السلام مالا يخفى من إظهار اللطف (فصرف عنه كيدهن) حسب دعائه وثبته على العصمة والعفة (إنه هو السميع)
- ٣٥ لدعاء المتضرعين إليه (العليم) بأحوالهم وما يصلحهم (ثم بدأ لهم) أى ظهر للعزير وأصحابه المتصددين للحل والعقد ريثما اكتفوا بأسر يوسف بالكتمان والإعراض عن ذلك (من بعد ما رأوا الآيات) الصارفة لهم عن ذلك البداء وهى الشواهد الدالة على براءته عليه السلام وفاعل بدأ إما مصدره أو الرأى المقوم من السياق أو المصدر المدلول عليه بقوله (ليسجنه) والمعنى بدأ لهم بداء أورأى أو سجنه المحتوم قائلين والله ليسجنه فالقسم المحذوف وجوابه معمول للقول المقدر حالاً من ضمير وما كان ذلك البداء إلا باستئزال المرأة لزوجها وقتلها منه في الذروة والغارب وكان مطوعة لها تقوده حيث شاءت قال السدى إنها قالت للعزير إن هذا العبد العبرانى قد فضحنى فى الناس يخبرهم بأنى راودته عن نفسه فإما أن تأذن لى

وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُحْمَلُ
فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ يوسف ١٢

- فأخرج فاعتذر إلى الناس وإما أن تحبسه لحبسه ولقد أرادت بذلك تحقيق وعيدها التلين به عريكته وتنقاد لها قرونته لما انصرفت حبال رجائها عن استتباعه بعرض الجمال والترغيب بنفسها وبأعوانها وقرى لتسجنته على صيغة الخطاب بأن خاطب بعضهم العزيز ومن يليه أو العزيز وحده على وجه التعظيم أو خاطب به العزيز ومن عنده من أصحاب الرأي المباشرين للسجن والحبس (حتى حين) إلى حين انقطاع ●
قاله الناس وهذا بادى الرأي عند العزيز وذويه وأما عندها حتى يذلل السجين ويسخره لها ويحسب الناس أنه المجرم وقرى عني حين بلغة هذيل (ودخل معه) أى فى صحبته (السجن فتیان) من فتیان الملك ٣٦ ●
وعالميكه أحدهما شراييه والآخر خبازه. روى أن جماعة من أهل مصر ضمنوا لها مالا ليسما الملك فى طعامه وشرا به فأجابهم إلى ذلك ثم إن الساقى نكل عن ذلك ومضى عليه الخباز فسم الخبز فلما حضر الطعام قال الساقى لا تأكل أيها الملك فإن الخبز مسموم وقال الخباز لا تشرب أيها الملك فإن الشراب مسموم فقال الملك للساقى اشربه فشربه فلم يضره وقال للخباز كله فأبى فحرب بدابة فهلكت فأمر بحبسها فاتفق أن أدخله معه وتأخير الفاعل عن المفعول لما مر غير مرة من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر ليتمكن عند النفس حين وروده عليها فضل تمكن ونظيره تقديم الظرف على المفعول الصريح فى قوله تعالى فأوجس فى نفسه خيفة وتأخير السجين عن الظرف لإيهام العكس أن يكون الظرف خبراً مقدماً على المبتدأ وتكون الجملة حالاً من فاعل دخل فتأمل (قال أحدهما) استئناف مبنى على سؤال من يقول ●
ما صنعا بعد ما دخلا معه السجين فأجيب بأنه قال أحدهما وهو الشرايى (إنى أرانى) أى رأيتنى والتعبير بالمضارع لاستحضار الصورة الماضية (أعصر خمرأ) أى عنياً سماء بما يؤول إليه لكونه المقصود من العصر وقيل الخمر بلغة همان اسم للعنب وفى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه أعصر عنباً (وقال الآخر) ●
وهو الخباز (إنى أرانى أحمل فوق رأسى خبزاً) تأخير المفعول عن الظرف لما مر آناً وقوله (تأكل الطير منه) أى تنهس منه صفة للخبز أو استئناف مبنى على السؤال (نبئنا بتأويله) بتأويل ما ذكر من الرؤيتين ●
أو مارقى بإجراء الضمير مجرى ذلك بطريق الاستعارة فإن اسم الإشارة يشار به إلى متعدد كما فى قوله [فبها خطوط من سواد وبلق ه كانه فى الجلد توليع البهق] أى كأن ذلك والسر فى المصير إلى إجراء الضمير مجرى اسم الإشارة مع أنه لا حاجة إليه بعد تأويل المرجع بما ذكر أو بما رأتى أن الضمير إنما يتعرض لنفس المرجع من حيث هو من غير تعرض لحال من أحواله فلا يتسنى تأويله بأحد الاعتبارين إلا بإجراءه مجرى اسم الإشارة الذى يدل على المشار إليه بالاعتبار الذى جرى عليه فى الكلام فتأمل هذا إذا قاله معاً أو قاله أحدهما من جهتها معاً وأما إذا قاله كل منهما إثر ما قص مارآه فالخطاب المذكور لبس عبارتهما ولا عبارة أحدهما من جهتها ليتعدد المرجع بل عبارة كل منهما نبئنا بتأويله مستفسراً لما رآه وصيغة المتكلم مع الغير واقعة فى الحكاية دون المحكى على طريقة قوله عز وجل يأبها الرسل كلوا من الطيبات فإنهم

قَالَ لَا يَأْتِيكُمْ طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمْ ذَلِكَ مِمَّا عَلَيَّ رَجِيٌّ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ ١٢ يوسف

- لم يخاطبوا بذلك دفعة بل خوطب كل منهم في زمانه بصيغة مفردة خاصة به (إنا نراك) تعليل لعرض
- رؤياهما عليه واستفسارها منه عليه السلام (من المحسنين) من الذين يجيدون عبارة الرؤيا لما رآياه يقص عليه بعض أهل السجن رؤياه فيؤولها له تأويلاً حسناً أو من العلماء لما سمعاه يذكر للناس ما يدل على علمه وفضله أو من المحسنين إلى أهل السجن أي فأحسن إلينا بكشف غمنا إن كنت قادراً على ذلك. روى أنه عليه السلام كان إذا مرض منهم رجل قام عليه وإذا ضاق مكانه أوسع له وإذا احتاج جمع له وعن قتادة رضى الله عنه كان في السجن ناس قد انقطع رجائهم وطال حزنهم فجعل يقول أبشروا واصبروا توجروا فقالوا بارك الله عليك ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فن أنت يا قتي فقال أنا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله إسحق بن خليل الله إبراهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خلعت سبيلك ولكني أحسن جوارك فكُن في أي بيوت السجن شئت وعن الشعبي أنها تحالما له ليمتحناه فقال الشراي أراي في بستان فإذا بأصل حبة عليها ثلاثة عناقيد من غنб فقطعتها وعصرتها في كأس الملك وسقيته وقال الخباز إني أراي وفوق رأسي ثلاث سلال فيها أنواع الأطعمة وإذا سباع الطير تنهس منها (قال لا يأتىكم طعام ترزقانه) في مقامكما هذا حسب عادتكما المطردة (إلا نبأناكم بتأويله)
- استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي لا يأتىكم طعام في حال من الأحوال إلا حال ما نبأناكم به بأن ينبت لكما ماهيته وكيفيته وسائر أحواله (قبل أن يأتىكم) وإطلاق التأويل عليه إما بطريق الاستعارة فإن ذلك بالنسبة إلى مطلق الطعام المهم بمنزلة التأويل بالنظر إلى ما رقى في المنام وشيبه له ولما بطريق المشاكلة حسبا وقع في عبارتهما من قولهما نبأناكم بتأويله ولا يبعد أن يراد بالتأويل الشيء الأمل لا المال فإنه في الأصل جعل شيء آتلا إلى شيء آخر فكما يجوز أن يراد به الثاني يجوز أن يراد به الأول فالمعنى إلا نبأناكم بما يؤول إليه من الكلام والخبر المطابق للواقع وكان عليه السلام يقول لهما اليوم يأتىكم طعام من صفته كيت وكيت فيجدهن كذلك ومراده عليه السلام بذلك بيان كل ما مهمهما من الأمور المترتبة قبل وقوعها وإنما تخصيص الطعام بالذكر لكونه عريقاً في ذلك بحسب الحال مع ما فيه من مراعاة حسن التخلص إليه مما استعبراه من الرؤيين المتعلقين بالشراب والطعام وقد جعل الضمير لما قصا من الرؤيين على معنى لا يأتىكم طعام ترزقانه حسب عادتكما إلا أخبرتكما بتأويل ما قصصتما على قبل أن يأتىكم ذلك الطعام الموقت مراداً به الإخبار بالاستعجال في التنبئة وأنت خير بأن النظم الكريم ظاهر في تعدد إتيان الطعام والإخبار بالتأويل وتحديدهما وأن المقام مقام إظهار فضله في فنون العلوم بحيث يدخل في ذلك تأويل رؤياهما دخولا أولاً وإنما لم يكتف عليه السلام بمجرد تأويل رؤياهما مع أن فيه دلالة على فضله لأنهما لما نعتاه عليه السلام بالانتظام في سمط المحسنين وإنما قد علما ذلك حيث قال إنا نراك

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾

يوسف ١٢

- من المحسنين توسم عليه السلام فيها خيراً وتوجهاً إلى قبول الحق فأراد أن يخرج أثر ذي أثر عما في عهده من دعوة الخلق إلى الحق فهد قبل الخوض في ذلك مقدمة يزيد بها علماً بعظم شأنه وثقة بأمره ووقوفاً على علو طبقته في بدائع العلوم توسلاً بذلك إلى تحقيق ما يتوخاه وقد تخلص إليها من كلامها فكانه قال تأويل ما قصصناه على في طرف القمام حيث رأيتما مثاله في المنام وإني أبين لكما كل جليل ودقيق من الأمور المستقبلية وإن لم يكن هناك مقدمة المنام حتى إن الطعام الموظف الذي يأتيك كل يوم أئينه لكما قبل إتيانه ثم أخبرهما بأن عليه ذلك ليس من قبيل علوم الكهنة والعرافين بل هو فضل إلهي يؤتاه من يشاء من يصطفيه للنسبة فقال (ذلكما) أي ذلك التأويل والإخبار بالمغيبات ومعنى البعد في ذلك للإشارة إلى علو درجته وبعد منزلته (عما علمني ربي) بالوحى والإلهام أي بعض منه أو من ذلك الجنس الذي لا يحوم حول إدراكه العقول ولقد دلها بذلك على أن له علوماً جمة ماسمعاها قطعة من جملتها وشعبة من دوحتها ثم بين أن نيل تلك الكرامة بسبب اتباعه ملة آبائه الأنبياء العظام وامتناعه عن الشرك فقال (إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله) وهو استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من قوله ذلكما عا علمني ربي وتعليلاً له لا للتعليم الواقع صلة للوصول لتأديته إلى معنى أنه عا علمني ربي لهذا السبب دون غيره ولا لمضمون الجملة الخبرية لأن ما ذكر بصدد التعليل ليس بعلة لكون التأويل المذكور بعضاً مما عليه ربه أو لكونه من جنسه بل لنفس تعليم ماعليه فكانه قيل لماذا عليك ربك تلك العلوم البديعة فقيل لأنى تركت ملة الكفرة أى دينهم الذى اجتمعوا عليه من الشرك وعبادة الأوثان والمراد بتركها الامتناع عنها رأساً كما يفصح عنه قوله ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء لا تركها بعد ملاستها وإنما عبر عنه بذلك لكونه أدخل بحسب الظاهر في اقتدائها به عليه السلام والتعبير عن كفرهم بالله تعالى بسلب الإيمان به للتخصيص على أن عبادتهم له تعالى مع عبادة الأوثان ليست بإيمان به تعالى كما هو زعمهم الباطل على ما سر في قوله تعالى إنه عمل غير صالح (وهم بالآخرة) وما فيها من الجزاء (هم كفرون) على الخصوص ● دون غيرهم لإفراطهم في الكفر (واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب) يعنى أنه إنما حاز هذه ٣٨ الكلمات وقاز بتلك الكرامات بسبب أنه اتبع ملة آبائه الكرام ولم يتبع ملة قوم كفروا بالمبدأ والمعاد وإنما قاله عليه السلام ترغيباً لأصحابيه في الإيمان والتوحيد وتنفيراً لهم عما كانوا عليه من الشرك والضلال وقدم ذكر تركهم للملته على ذكر اتباعه لملة آبائه لأن التخلية متقدمة على التحلية (ماكان) أى ماصح وما استقام فضلاً عن الوقوع (لنا) معاشراً لآل نبياء لقوة نفوسنا ووفور علومنا (أن نشرك بالله من شيء) ● أى شيء كان من ملك أو جنى أو إنسى فضلاً عن الجماد البحت (ذلك) أى التوحيد المدلول عليه بقوله ماكان لنا أن نشرك بالله من شيء (من فضل الله علينا) أى ناشئ من تأييده لنا بالنبوة وترشيحه إيانا لقيادة الأمة ●

يَصْحَبِي السِّجْنَ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهِ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾
 مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ
 إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ١٢ يوسف

- وهذا يهتد بهم إلى الحق وذلك مع كونه من موجبات التوحيد ودواعيه نعمة جليلة وفضل عظيم علينا بالذات
- (وعلى الناس) كافة بواسطتنا وحيث عبر عن ذلك بذلك العنوان عبر عن التوحيد الذي يوجب بالشكر
 - فقيل (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) أى لا يوحدون فإن التوحيد مع كونه من آثار ما ذكر من التأييد شكر لله عز وجل على النعمة وإنما وضع الظاهر موضع الضمير الراجع إلى الناس لزيادة توضيح
 - وبيان ولقطع توم رجوعه إلى المجموع الموم لعدم اختصاص غير الشاكر بالناس وقيل ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث نصب لنا أدلة ننظر فيها ونستدل بها على الحق وقد نصب مثل تلك الأدلة لسائر
 - الناس أيضاً ولكن أكثرهم لا ينظرون ولا يستدلون بها اتباعاً لآهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين ولك أن تقول ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث أعطانا عقولاً ومشاعر نستعملها في دلائل التوحيد التي
 - مهداها في الأنفس والآفاق وقد أعطى سائر الناس أيضاً مثلها ولكن أكثرهم لا يشكرون أى لا يصرفون
 - تلك القوى والمشاعر إلى ما خلقت هي له ولا يستعملونها فيها ذكر من أدلة التوحيد الآفاقية والآنفسية
 - ٣٩ والعقلية والنقلية (بأصاحبي السجن) أى بأصاحبي في السجن كما تقول بإسارق الليلة ناداهما بعنوان الصحبة
 - في مدار الأشجان ودار الأحزان التي تصفو فيها المودة وتخلص النصيحة ليقبلا عليه ويقبلا مقالته وقد
 - ضرب لهما مثلاً بوضع به الحق عندهما حق انضاح فقال (أرباب متفرقون) لا ارتباط بينهم ولا اتفاق
 - يستبعد كل منهم حسبما أراد غير مراقب للآخرين مع عدم استقلاله (خير) لكما (أم الله) المعبود
 - بالحق (الواحد) المنفرد بالالوهية (القهار) الغالب الذي لا يغالبه أحد وبعد ما تبين ما على فساد تعدد
 - الأرباب بين لها سقوط آلهتها عن درجة الاعتبار رأساً فضلاً عن الألوهية فقال معهما للخطاب لهما
 - ٤٠ ولئن على دينهما (ما تعبدون من دونه) أى من دون الله شيئاً (إلا أسماء) فارغة لا مطابق لها في الخارج
 - لأن ما ليس فيه مصداق إطلاق الاسم عليه لا وجود له أصلاً فكانت عبادتهم لتلك الأسماء فقط
 - (سميتموها) جعلتموها أسماء وإنما لم يذكر المسميات تربية لما يقتضيه المقام من إسقاطها عن مرتبة
 - الوجود وإيداناً بأن تسميتهم في البطلان حيث كانت بلا مسمى كعبادتهم حيث كان بلا معبود
 - (أنتم وآباؤكم) بمحض جهلكم وضلالكم (ما أنزل الله بها) أى بتلك التسمية المستتعبة للعبادة
 - (من سلطان) من حجة تدل على صحتها (إن الحكم) في أمر العبادة المنفردة على تلك التسمية
 - (إلا لله) عز سلطانه لأنه المستحق لها بالذات إذ هو الواجب بالذات الموجد للكل والمالك
 - لا أمره (أمر) استئناف مبنى على سؤال ناشئ من قوله إن الحكم إلا لله فكأنه قيل فإذا حكم الله في هذا
 - الشأن فقيل أمر على السنة الأنبياء عليهم السلام (ألا تعبدوا) أى بأن لا تعبدوا (إلا إياه) حسبما

يُصَلِّحِي السِّجْنَ أَمَّا أَحَدُكُمْ فَيَسْقِ رَبُّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَنَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ
قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾

١٢ يوسف

وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجَنِ
بضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾

١٢ يوسف

- تقضى به قضية العقل أيضاً (ذلك) أى تخصيصه تعالى بالعبادة (الدين القيم) الثابت المستقيم الذى
- تعاضدت عليه البراهين عقلاً ونقلًا (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أن ذلك هو الدين القيم لجهلهم
- بتلك البراهين أو لا يعلمون شيئاً أصلاً فهم يدون أسماء سموها من تلقاء أنفسهم معرضين عن البرهان
- العقل وال سلطان العقل وبعد تحقيق الحق ودعوتها إليه وبيانه لهما مقداره الرفيع ومرتبة عليه الواسع
- شرع فى تفسير ما استفسراه ولا يكونه بحثاً مغايراً لما سبق فصله عنه بتكرير الخطاب فقال (يا صاحبي السجن ٤١
- أما أحداً) وهو الشراي وإنما لم يبينه ثقة بدلالة التعبير وتوسلاً بذلك إلى إيهام أمر صاحبه حذار
- مشافهته بما يسوءه (فليسقى ربه) أى سيده (خمرًا) روى أنه عليه السلام قال له ما رأيت من الكرمه
- وعينها الملك وحسن حاله عنده وأما القضبان الثلاثة لثلاثة أيام تمضى فى السجن ثم تخرج وتعود إلى
- ما كنت عليه وقرأ عكرمة فليسقى ربه على البناء للفعول أى يسقى ما يروى به (وأما الآخر) وهو الخباز
- (فيصلب فتأكل الطير من رأسه) روى أنه عليه السلام قال له ما رأيت من السلال الثلاث ثلاثة أيام
- ثم تخرج فتقتل (قضى) أى أتم وأحكم (الأمر الذى فيه تستفتيان) وهو ما رأياه من الرؤيتين
- قطعاً لا مآله الذى هو عبارة عن نجاه أحدهما وهلاك الآخر كما يومه إسناد القضاء إليه إذ الاستفتاء
- إنما يكون فى الحادثة لافى حكمها يقال استفتى الفقيه فى الحادثة أى طلب منه بيان حكمها ولا يقال استفتاء
- فى حكمها وكذا الإفتاء فإنه يقال أفتى فلان فى الواقعة الفلانية بكذا ولا يقال أفتى فى حكمها أو جوابها بكذا
- وما هو علم فى ذلك قوله تعالى يا أيها الملأ أفتوني فى رؤياي ومعنى استفتائهما فيه طلبهما لتأويله بقولهما نبئنا
- بتأويله وإنما عبر عن ذلك بالأمر وعن طلب تأويله بالاستفتاء فهو بلا لأمره وتفخيماً لشأنه إذ الاستفتاء
- إنما يكون فى النوازل المشككة الحكم المبهمة الجواب وإشاره صيغة الاستقبال مع سبق استفتائهما فى ذلك
- لما أنها بصددده إلى أن يقضى عليه السلام من الجواب وطره وإسناد القضاء إليه مع أنه من أحوال مآله
- لأنه فى الحقيقة عين ذلك المآل وقد ظهر فى عالم المثال بتلك الصورة وأما توحيده مع تعدد رؤياهما فوارد
- على حسب ما وحده فى قولهما نبئنا بتأويله لأن الأمر ما اتفهما به وسجنا لأجله من سم الملك فإنهما لم
- يستفتياه فيه ولا فيما هو صورته بل فيما هو صورة المآل له وعاقبته فتأمل وإنما أخبرهما عليه السلام بذلك تحقيقاً
- لتعبيره وتأكيده له وقيل لما عبر رؤياهما جحداً وقالاً ما رأينا شيئاً فأخبرهما أن ذلك كائن صدقاً أو
- كذباً ولعل الجحود من الخباز إذ لا داعى إلى جحود الشراي إلا أن يكون ذلك لمراعاة جانبته (وقال) ٤٢

وَقَالَ أَمْلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ
يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونًا فِي رُءُوسِي إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءُوسِيَّاءِ تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾

١٢ يوسف

- أي يوسف عليه السلام (الذي ظن أنه ناج) أوثر على صيغة المضارع مبالغة في الدلالة على تحقق النجاة حسبما يفيد قوله تعالى قضى الأمر الذي فيه تستفتيان وهو السر في إشار ما عليه النظم الكريم على أن
- يقال للذي ظنه ناجياً (منها) من صاحبيه وإنما ذكر بوصف النجاة تمهيداً لمناط التوصية بالذكر عند الملك وعنوان التقرب المفهوم من التعبير المذكور وإن كان أدخل في ذلك وأدعى إلى تحقيق ماوصاه به لكنه ليس بوصف قارق يدور عليه الامتياز بينه وبين صاحبه المذكور بوصف الهلاك والظان هو يوسف عليه السلام لاصاحبه لأن التوصية المذكورة لا تدور على ظن الناجي بل على ظن يوسف وهو بمعنى اليقين كما في قوله تعالى ظننت أني ملاق حسايه فالتعبير بالوحي كما ينبي عنه قوله تعالى قضى الأمر الخ وقيل هو بمعناه والتعبير بالاجتهاد والحكم بقضاء الأمر أيضاً اجتهداى (أذكرني) بما أنا عليه من الحال والصفة (عند ربك) سيدك وصفى له بصفى التي شاهدتها (فأنساء الشيطان) أي أنسى الشرايى بوسوسته وإلقائه في قلبه أشغالا تعوقه عن الذكر وإلا فالإنساء في الحقيقة لله عز وجل والفاء للسببية
- فإن توصيته عليه السلام المتضمنة للاستعانة بغيره سبحانه كانت باعثة لما ذكر من الإنساء (ذكر ربه)
- أي ذكر الشرايى له عليه السلام عند الملك والإضافة لأدنى ملاسة أو ذكر إخبار ربه (فلبت) أي يوسف عليه السلام بسبب ذلك الإنساء أو القول (في السجن بضع سنين) البضع ما بين الثلاث إلى التسع من البضع وهو القطع وأكثر الأقاويل إنه لبت فيه سبع سنين وروى عن النبي ﷺ رحم الله أخى يوسف لولم يقل أذكرني عند ربك لما لبت في السجن سبعاً بعد الخمس والاستعانة بالعباد وإن كانت
- ٤٣ مرسخة لكن اللائق بمناصب الأنبياء عليهم السلام الأخذ بالعزائم (وقال الملك) أي الريان (إني أرى) أي رأيت وإشار صيغة المضارع للحكاية الحال الماضية (سبع بقرات سمان) جمع سمين وسمينة ككرام في جمع كريم وكريمة يقال رجال كرام ونسوة كرام (ياكلهن) أي أكلهن والعدول إلى المضارع لاستحضار الصورة تعجيباً والجملة حال من البقرات أو صفة لها (سبع عجاف) أي سبع بقرات عجاف ومى جمع عجفاء والقياس عجف لأن فعلاء وأفعال لا يجمع على فعال ولكن عدل به عن القياس حملاً لا حد النقيضين على الآخر وإنما لم يقل سبع عجاف بالإضافة لأن التمييز موضوع لبيان الجنس والصفة ليست بصالحة لذلك فلا يقال ثلاثة ضغام وأربعة غلاظ وأما قولك ثلاثة فرسان وخمسة ركبان فلجريان الفارس والراكب مجرى الأسهم روى أنه رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وخرج عقيبهن سبع
- بقرات عجاف في غابة الهزال فابتلعت العجاف السمان (وسبع سنبلات خضر) قد انعقد حبها (وأخر يابسات) أي وسبعاً آخر يابسات قد أدركت والتوت على الخضر حتى غلبتها على ما روى ولعل عدم التعرض لذكره للاكتفاء بما ذكر من حال البقرات (بأيها الملاء) خطاب للأشراف من العلماء والحكام (أفتوني في رؤياي) هذه أي عبروها وابتنوا حكمها وما تقول إليه من العاقبة والتعبير عن التعبير بالإفتاء

قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾

يوسف ١٢

وَقَالَ الَّذِي نَجَّا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾

يوسف ١٢

- لتشر يفهم وتفخيم أمر رؤياه (إن كنتم للرؤيا تعبرون) أى تعلون عبارة جنس الرؤيا علماً مستمراً وهى الانتقال من الصور الخيالية المشاهدة فى المنام إلى ماهى صور وأمثلة لها من الأمور الآفاقية أو الانفسية الواقعة فى الخارج من العبور وهو المجاوزة تقول عبرت النهر إذا قطعته وجاوزته ونحوه أولتها أى ذكرت ما لها وعبرت الرؤيا عبارة أثبت من عبرتها تعبيراً والجمع بين الماضى والمستقبل للدلالة على الاستمرار كما أشير إليه واللام للبيان أو لتقوية العامل المؤخر لرعاية الفواصل أولتضمين تعبرون معنى فعل متعد باللام كأنه قيل إن كنتم تنشدون لعبارتها ويجوز أن يكون للرؤيا خبر كان كما يقال فلان لهذا الأمر إذا كان مستقلاً به متمكناً منه وتعبرون خبر آخر (قالوا) استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل ٤٤ فإذا قال الملك للملأ فليلك فليلك قالوا هى (أضغاث أحلام) أى تخاليلها جمع ضغث وهو فى الأصل ما جمع من أخلاط النبات وحزم ثم استعير لما تجمعه القوة المتخيلة من أحاديث النفس ووساوس الشيطان وتربها فى المنام والأحلام جمع حلم وهى الرؤيا الكاذبة التى لا حقيقة لها والإضافة بمعنى من أى هى أضغاث من أحلام أخرجوها من جنس الرؤيا التى لها عاقبة تؤول إليها ويعتنى بأمرها وجمعوها وهى رؤيا واحدة مبالغ فى وصفها بالبطلان كما فى قولهم فلان يركب الخيل ويلبس العمام لمن لا يملك إلا فرساً واحداً وعمامة فردة أولتضمنها أشياء مختلفة من البقرات السبع السمان والسبع العجاف والسنابل السبع الخضر والأخر اليابسات فتأمل حسن موضع الأضغاث مع السنابل فقه در شأن التنزيل (وما نحن بتأويل الأحلام)
- أى المنامات الباطلة التى لا أصل لها (بعالمين) لا لأن لها تأويلاً ولكن لنعلمه بل لأنه لا تأويل لها وإنما التأويل للنمامات الصادقة ويجوز أن يكون ذلك اعترافاً منهم بقصور علمهم وأنهم ليسوا بتحارير فى تأويل الأحلام مع أن لها تأويلاً كما يشعر به عدولهم عما وقع فى كلام الملك من العبارة المعربة عن مجرد الانتقال من الدال إلى المدلول حيث لم يقولوا بتعبير الأحلام أو عبارتها إلى التأويل المنهى عن التصرف والتكلف فى ذلك لما بين الأثر والمآل من البعد ويؤيده قوله عز وجل أنا أنبئكم بتأويله (وقال الذى ٤٥ نجا منها) أى من صاحبي يوسف وهو الشرايى (وادكر) بغير المعجمة وهو الفصحى وعن الحسن بالمعجمة أى تذكر يوسف عليه السلام وشئونه التى شاهدها ووصيته بتقريب رؤيا الملك وإشكال تأويلها على الملأ (بعد أمة) أى مدة طويلة وقرىء أمة بالكسروى وهى النعمة أى بعد ما أنعم عليه بالنجاة وأمه أى نسيان والجملة حال من الموصول أو من ضميره فى الصلة وقيل معطوفة على نجا وليس بذلك لأن حوكل من الصفة والصلة أن تكون معلومة الانسحاب إلى الموصوف والموصول عند المخاطب كما عند المتكلم ولذلك قيل إن الصفات قبل العلم بها أخبار والأخبار بعد العلم بها صفات وأنت تدري أن تذكره بعد أمة إنما علم بهذه الجملة فلا مجال لنظمه مع نجاته المعلومة قبل فى سلك الصلة (أنا أنبئكم بتأويله) أى أخبركم

يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عَجَافٍ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ
يَابِسَتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾

يوسف ١٢

قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ يوسف ١٢

- بالتالي عن عنده عليه لا من تلقاء نفسه ولذلك لم يقل أنا أفنيكم فيها وعقبه بقوله (فارسلون) أي إلى يوسف وإنما لم يذكره ثقة بما سبق من التذكر وما لحق من قوله (يوسف أيها الصدق) أي أرسل إليه فأنا هو فقال يا يوسف ووصفه بالمبالغة في الصدق حسبما شاهده وذاق أحواله وجربها لكونه بصدد اغتنام آثاره واقتباس أنواره فهو من باب براعة الاستهلال (أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) أي في رؤيا ذلك وإنما لم يصرح به لوضوح مراده بقرينة ما سبق من معاملتها ولدلالة مضمون الحادثة عليه حيث لا إمكان لوقوعه في عالم الشهادة أي بين لنا ما لها وحكمها وحيث عاين علو رتبته عليه السلام في الفضل عبر عن ذلك بالإفتاء ولم يقل كما قال هو وصاحبه أولاً نبشنا بتأويله وفي قوله أفتنا مع أنه المستفتى وحده إشعار بأن الرؤيا ليست له بل لغيره من له ملابسة بأمور العامة وأنه في ذلك معبر وسفير كما آذن بذلك حيث قال (لعلّي أرجع إلى الناس)
- أي إلى الملك ومن عنده أو إلى أهل البلد إن كان السجن في الخارج كما قيل فأنبئهم بذلك (لعلهم يعلمون) ذلك ويعملون بمقتضاه أو يعلمون فضلك ومكانك مع ما أنت فيه من الحال فتخلص منه وإنما لم يبت القول في ذلك بجارة معه على نهج الأدب واحترازاً عن المجازفة إذ لم يعلموه على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه لعل المنايا دون ما تعداني . ولا من علمهم بذلك فربما لم يعلموه (قال) استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل فإذا قال يوسف عليه السلام في التأويل فقبل قال (تزرعون سبع سنين داباً) قرئ بفتح الهمزة وسكونها وكلاهما مصدر دأب في العمل إذا جد فيه وتعب وانتصابه على الحالية من فاعل تزرعون أي دائبين أو تدأبون داباً على أنه مصدر مؤكد لفعل هو الحال أول عليه السلام البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة فأخذهم بأنهم يواظبون سبع سنين على الزراعة ويبالغون فيها إذ بذلك يتحقق الخصب الذي هو مصداق البقرات السمان وتأويلها ودلهم في تضاعيف ذلك على أمر نافع لهم فقال (فما حصدتم) أي في كل سنة (فذرّوه في سنبله) ولا تذرّوه كيلاً يأكله السوس كما هو شأن غلال مصر ونواحيها ولعله عليه السلام استدلل على ذلك بالسنبلات الخضر وإنما أمرهم بذلك إذ لم يكن معتاداً فيما بينهم وحيث كانوا معتادين الزراعة لم يأمرهم بها وجعلها أمراً محقق الوقوع وتأويلاً للرؤيا مصداقاً لما فيها من البقرات السمان (إلا قليلاً مما تأكلون) في تلك السنين وفيه إرشاد منه عليه السلام لهم إلى التقليل في الأكل والاقتصار على استثناء المأكول دون البذر لكون ذلك معلوماً من قوله تزرعون سبع سنين وبعد إتمام ما أمرهم به شرع في بيان بقية التأويل التي يظهر منها حكمة الأمر المذكور فقال .

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ١٢ يوسف

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصُرُونَ ﴿٤٩﴾ ١٢ يوسف

- (ثم يأتي) وهو عطف على تزرعون فلا وجه لجملة بمعنى الأمر حاكم على الجدة والمبالغة في الزراعة ٤٨
- على أنه يحصل بالإخبار بذلك أيضاً (من بعد ذلك) أى من بعد السنين السبع المذكورات وإنما لم يقل
- من بعدهن قصداً إلى الإشارة إلى وصفهن فإن الضمير ساكت عن أوصاف المرجع بالكلية (سبع شداد)
 - أى سبع سنين صعب على الناس (ياكلن ما قدمت لهن) من الحبوب المتروكة في سنابلها وفيه تنبيه على أن أمره عليه السلام بذلك كان لوقت الضرورة وإسناد الأكل إليهن مع أنه حال الناس فيهن مجازى كما في نهاره صائم وفيه تلويح بأنه تأويل لأكل العجاف السمان واللام في لهن ترشيح لذلك فكان مادخر في السنابل من الحبوب شيء قد هيء وقدم لهن كالذى يقدم للنازل وإلا فهو في الحقيقة مقدم للناس فيهن
- (إلا قليلاً مما تحصنون) تحرزون مبدور الزراعة (ثم يأتي من بعد ذلك) أى من بعد السنين الموصوفة ٤٩
- بما ذكر من الشدة وأكل الغلال المدخر (عام) لم يعبر عنه بالسنة تحاشياً عن المدلول الأصلي لها من عام القحط وتنبيهاً من أول الأمر على اختلاف الحال بينه وبين السوابق (فيه يغاث الناس) من الغيث أى يمتطرون يقال غيثت البلاد إذا مطرت في وقت الحاجة أو من الغوث يقال أغاثنا الله تعالى أى أمدنا برفع المكروه حين أظلمنا (وفيه يعصرون) أى ما من شأنه أن يعصر من العنب والقصب والزيتون والسمسم ونحوها من الفواكه لكثرتها والتمرض لذكر العصر مع جواز الاكتفاء عنه بذكر الغيث المستلزم له عادة كما اكتفى به عن ذكر قصر فهم في الحبوب إما لأن استلزام الغيث له ليس كاستلزامه للحبوب إذ المذكرات يتوقف صلاحها على مباد أخرى غير المطر وإما لمرعاة جانب المستفتى باعتبار حالته الخاصة به بشارة له وهي التي بدور عليها حسن موقع تغليبه على الناس في القراءة بالفوقانية وقيل معنى يعصرون يحلبون الضروع وتكريره إما للإشعار باختلاف أوقات ما يقع فيه من الغيث والعصر زماناً وهو ظاهر وعنوانا فإن الغيث والغوث من فضل الله تعالى والعصر من فعل الناس وإما لأن المقام مقام تعدد منافع ذلك العام ولا جله قدم في الموضوعين على الفعلين فإن المقصود الأصلي بيان أنه يقع في ذلك العام هذا النفع وذلك النفع لا يبان أنهما يقعان في ذلك العام كما يفيد التأخير ويجوز أن يكون التقديم للقصر على معنى أن غيئهم وعصرهم في سائر السنين بمنزلة العدم بالنسبة إلى عامهم ذلك وأن يكون ذلك في الأخير لمرعاة الفواصل وفي الأول لرعاية حاله وقرئ يعصرون على البناء للفعول من عصره إذا أنجاه وهو المناسب للإغاثة ويجوز أن يكون المبني للفاعل أيضاً منه كأنه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغثون أى يغثهم الله ويغيث بعضهم بعضاً وقيل معنى يعصرون يمتطرون من أعصرت السحابة إما بتضمنين أعصرت معنى مطرت وتعديته وإما بحذف الجار وإيصال الفعل على أن الأصل أعصرت عليهم وأحكام هذا العام المبارك ليست مستنبطة من رؤيا الملك وإنما تلقاها عليه السلام من جهة الوحي فبشرهم بها بعد ما أول

وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهِ فَلَما جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَعَلَهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ
أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾

١٢ يوسف

قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رُودَتْ يَوْسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ
الْعَزِيزِ الْكُنْ حَصْحَصَ الْحَقِّ أَنَا رُودَتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٣﴾ ١٣ يوسف

- الرؤيا بما أول وأمرهم بالتدبير اللائق في شأنه لإبانة لعلو كعبه ورسوخ قدمه في الفضل وأنه محيط بما
لم يخطر ببال أحد فضلاً عما يرى صورته في المنام على نحو قوله لصاحبيه عند استفثائهما في منامهما لا يأتكما
طعام ترزقانه إلا نباتكما بتأويله وإتماماً للنعمة عليهم حيث لم يشاركه عليه السلام في العلم بوقوعها أحد
ولو برؤية ما يدل عليها في المنام (وقال الملك) بعدما جاءه السفير بالتعبير وسمع منه ما سمع من فقير وقطعير
● (أتؤتوني به) لما علم من عليه وفضله (فلما جاءه) أي يوسف (الرسول) واستدعاه إلى الملك (قال ارجع
● إلى ربك) أي سيدك (فأسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن) أي ففتشه عن شأنهن وإنما لم يقل
فأسأله أن يفتش عن ذلك حثاً لذلك على الجِدِّ في التفتيش لبتبين براءته ويتضح نزاهته إذ السؤال بما يهيج
الإنسان على الاهتمام في البحث للتفصي عما توجه إليه وأما الطلب فيما قد يتساح ويتساهل فيه ولا يبالى
به وإنما لم يتعرض لامرأة العزيز مع مالتى منها مالتى من مقاساة الأحزان ومعاناة الأشجان والأحزان
محافظة على مواجب الحقوق واحترازاً عن مكرها حيث اعتقدها مقيمة في عدوة العداوة وأما النسوة فقد
كان يطمع في صدعن بالحق وشهادتهن بإقرارها بأنها راودته عن نفسه فاستعصم ولذلك اقتصر على
وصفهن بتقطيع الأيدي ولم يصرح بمراودتهن له ووقلن أطع مولاتك واكتفى بالإيحاء إلى ذلك بقوله
● (إن ربى بكيدهن عليم) بجملة معهن واحترازاً عن سوء قائلتهن عند الملك وانتصاهن للخصومة مدافعة
٥١ عن أنفسهن متى سمعن بنسبتهن إلى الفساد (قال) استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل فإذا كان بعد ذلك
● فقيل قال الملك إثر ما بلغه الرسول الخبر وأحضرهن (ماخطبكن) أي شأنكن وهو الأمر الذى يحق
● لعظمه أن يخاطب المرأة فيه صاحبه (إذ راودتن يوسف) وخادعته (عن نفسه) ورغبته في إطاعة مولاته
● هل وجدتن فيه شيئاً من سوء وريبة (قلن حاش لله) تنزيهاً له وتعجباً من نزاهته وعفته (ما علمنا عليه
● من سوء) بالغنى في نفي جنس السوء عنه بالتنكير وزيادة من (قالت امرأة العزيز) وكانت حاضرة في
المجلس وقيل أقبلت النسوة عليها يقررنها وقيل خافت أن يشهدن عليها بما قالت لهن ولقد راودته عن
● نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما أمره ليسجن وليكونا من الصاغرين فأقرت قائلة (الآن حصحص الحق)
أي ثبت واستقر أوتبين وظهر بعد خفاء قاله الخليل وقيل هو مأخوذ من الحصة وهي القطعة من الجملة أى
تبين حصة الحق من حصة الباطل كالتبين حصص الأراضى وغيرها وقيل بان وظهر من حصصه شره إذا
استأصله بحيث ظهرت بشرة رأسه وقرىء على البناء للمفعول من حصص البعير مباركه أى ألقاها في

١٢ يوسف

ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾

وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ١٢ يوسف

- الأرض للإناخة قال [لخصخص في صم الصفا ثقاته . وناه بسلمى نواة ثم صما] والمعنى أقر الحق في مقره ووضع في موضعه ولم ترد بذلك مجرد ظهور مظهر بشادتهن من مطلق نزاهته عليه السلام فيما أحاط به علمهن من غير تعرض لنزاهته في سائر المواطن خصوصاً فيما وقع فيه التشاجر بمحضر العزيز ولا بحث عن حال نفسها وما صنعت في ذلك بل أرادت ظهور ما هو متحقق في نفس الأمر وثبوتها من نزاهته عليه السلام في محل النزاع وخياتها فقالت (أنا راودته عن نفسه) لا أنه راودني عن نفسي (ولأنه لمن الصادقين) أي في قوله حين اقتريت عليه هي راودتني عن نفسي وأرادت بالآن زمان تكلمها بهذا الكلام لازمان شهادتهن فتأمل أيها النصف هل ترى فوق هذه المرتبة نزاهة حيث لم تتمالك الخصماء من الشهادة بها والفضل ما شهدت به الخصماء وإنما تصدى عليه السلام لتبديد هذه المقدمة قبل الخروج ليظهر براءة ساحته مما قذف به لاسيما عند العزيز قبل أن يحل ما عقده كما يعرب عنه قوله عليه السلام لما رجع إليه الرسول وأخبره بكلامهن (ذلك) أي ذلك التثبيت المؤدى إلى ظهور حقيقة الحال (ليعلم) ٥٢ أي العزيز (أنى لم أخنه) في حرمة كازمه لاعلماً مطلقاً فإن ذلك لا يستدعى تقديم التفتيش على الخروج من السجن بل قبل ما ذكر من نقض ما أبرمه ولعله لمراعاة حقوق السيادة لأن المباشرة للخروج من حبسه قبل ظهور بطلان ما جعله سبباً له وإن كان ذلك بأمر الملك بما يؤم الاقنيات على رأيه وأما أن يكون ذلك ثلاً يتمكن من تقبيح أمره عند الملك تمحلاً لا مضاء ما قضاه فلا يليق بشأته عليه السلام في الوثوق بأمره والتوكل على ربه جل جلاله (بالغيب) أي بظهر الغيب وهو حال من الفاعل أو المفعول أى لم أخنه وأنا غائب عنه أو وهو غائب عنه أو وهو غائب عني أو ظرف أى بمكان الغيب وراء الأستار والأبواب المغلقة وأياً ما كان فالمقصود بيان كمال نزاهته عن الخيانة وغاية اجتنابه عنها عند تعاضد أسبابها (وأن الله) أي وليعلم أنه تعالى (لا يهدي كيد الخائنين) أي لا ينفذه ولا يسدده بل يبطله ويزهقه أولاً يهديهم في كيدهم إيقاعاً للفعل على الكيد مبالغته كما في قوله تعالى يضاهون قول الذين كفروا أى يضاهونهم في قولهم وفيه تعريض بأمراته في خياتها أمانته وبه في خيانتها أمانة الله تعالى حين ساعدها على حبسه بعد ما رآوا آيات نزاهته عليه السلام ويجوز أن يكون ذلك لتأكيد أمانته وأنه لو كان خائناً لما هدى الله عز وجل أمره وأحسن عاقبته (وما أبرئ نفسي) أي لا أنزهها عن السوء قاله عليه السلام مضماً لنفسه الكريمة البريئة ٥٣ عن كل سوء ورأى بمكانها عن الزكية والإعجاب بحالها عند ظهور كمال نزاهتها على أسلوب قوله عليه السلام أناسيد ولد آدم ولا تفر أو تحديثاً بنعمة الله عز وجل عليه وإبرازاً لسره المكنون في شأن أفعال العباد أي لا أنزهها عن السوء من حيث هي ولا أسند هذه الفضيلة إليها بمقتضى طبعها من غير توفيق من الله عز وجل (إن النفس) البشرية التي من جملتها نفسي في حد ذاتها (لأماراة بالسوء) مائلة إلى الشهوات

وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهِ ۖ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ ١٢ يوسف
 قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ١٢ يوسف

- مستعملة للقوى والآلات في تحصيلها بل إنما ذلك بتوفيق الله تعالى وعصمته ورحمته كما يفيد قوله (إلا ما رحم ربي) من النفوس التي يعصمها من الوقوع في الممالك ومن جعلتها نفساً أو هي أمانة بالسوء في كل وقت إلا وقت رحمة ربي وعصمته لها وقيل الاستثناء منقطع أي لكن رحمة ربي هي التي تصرف عنها السوء كما في قوله تعالى ولا هم ينقذون إلا رحمة (إن ربي غفور رحيم) عظيم المغفرة لما يترى النفوس بموجب طباعها ومبالغ في الرحمة لها بعصمتها من الجريان بمقتضى ذلك وإيثار الإظهار في مقام الإضمار مع التعرض لعنوان الربوبية لتربية مبادئ المغفرة والرحمة وقيل إلى هنا من كلام امرأة العزيز والمعنى ذلك الذي قلت ليعلم يوسف عليه السلام أنني لم أخنه ولم أكذب عليه في حال الغيبة وجئت بما هو الحق الواقع وما أبرئ نفسي مع ذلك من الخيانة حيث قلت في حقه ما قلت وفعلت به ما فعلت إن كل نفس لا مارة بالسوء إلا من رحم ربي أي إلا نفساً رحماً الله بالعصمة كنفس يوسف إن ربي غفور لمن استغفر لذنبه واعترف به رحيم له فعلى هذا يكون تأنيبه عليه السلام في الخروج من السجن لعدم رضاه عليه السلام بملاقة الملك وأمره بين بين ففعل ما فعل حتى يتبين نزاهته وأنه إنما سجن بظلم عظيم مع ماله من الفضل ونباهة الشأن ليتلقاه الملك بما يليق به من الإعظام والإجلال وقد وقع (وقال الملك أئتوني به أستخلصه) أجمعه خالصاً (لنفسى) وخاصاً بى (فلما كلمه) أي فأتوا به فحذف الإيذان بسرعة الإتيان به فكانه لم يكن بين الأمر بإحضاره والخطاب معه زمان أصلاً والضمير المستكن في كلمه ليوسف والبارز للملك أي فلما كلمه يوسف إثر ما أتاه فاستنطقه وشاهد منه ما شاهد (قال إنك اليوم لدينا مكين) ذو مكانة ومنزلة رفيعة (أمين) مؤتمن على كل شيء واليوم ليس بمعيار لمدة المكانة والأمانة بل هو أن التكلم والمراد تحديد مبدئها احترازاً عن احتمال كونها بعد حين . روى أنه عليه السلام لما جاءه الرسول خرج من السجن ودعا لأهله واغتسل ولبس ثياباً جدداً فلما دخل على الملك قال اللهم إني أسألك بخيرك من خيريه وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره وشر غيره ثم سلم عليه ودعاه بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائي وكان الملك يعرف سبعين لساناً فكلمه بها فأجابها بجميعها فتعجب منه فقال أحب أن أسمع منك رؤياي لحكاها ونعت له البقرات والسنابل وأما كنتها على ما رآها فأجلسه على السرير وفوض إليه أمره وقيل توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوجه راعيل فوجدها عذراء وولدت له إفرائيم وميشا ولعل ذلك إنما كان بعد تعيينه عليه السلام لما عين له من أمر الخزانة كما يعرب عنه قوله عز وجل (قال اجعلني على خزانة الأرض) أي أرض مصر أي ولني أمرها من الإيراد والصرف (إني حفيظ) لها ممن لا يستحقها (عليم) بوجوه التصرف فيها وفيه دليل على جواز طلب الولاية إذا كان الطالب ممن يقدر على إقامة العدل وإجراء أحكام الشريعة وإن كان من يد الجائر أو الكافر وعن مجاهد أنه أسلم الملك على يده

وَكَذَلِكَ مَكَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا
نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾

يوسف ١٢

يوسف ١٢

وَلَا جُرْ الْآخِرَةَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾

يوسف ١٢

وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٨﴾

عليه السلام ولعل إثاره عليه السلام لتلك الولاية خاصة إنما كان للقيام بما هو أهم أمور السلطنة إذ ذاك من تدبير أمر السنين حسبما فصل في التأويل لكونه من فروع تلك الولاية لمجرد عموم الفائدة وجوم العائدة كما قيل وإنما لم يذكر إجابة الملك إلى ما سأله عليه السلام من جعله على خزان الأرض إيداناً بأن ذلك أمر لا مرد له غنى عن التصريح به لا سيما بعد تقديم ما يندرج تحته من أحكام السلطنة بمخافاتها من قوله إنك اليوم لدينا مكين أمين والتنبيه على أن كل ذلك من الله عز وجل وإنما الملك آله في ذلك قيل (وكذلك) أى مثل ذلك التمكن البالغ (مكننا ليوسف) أى جعلنا له مكاناً (في الأرض) أى أرض ٥٦ مصر. روى أنها كانت أربعين فرسخاً في أربعين وفى التعبير عن الجعل المذكور بالتمكن في الأرض مسنداً إلى ضميره عز سلطانه من تشريفه عليه السلام والمبالغة في كمال ولايته والإشارة إلى حصول ذلك من أول الأمر لأنه حصل بعد السؤال مالا يخفى (يتبوا منها) ينزل من بلادها (حيث يشاء) ويتخذ ● مبادء وهو عبارة عن كمال قدرته على التصرف فيما ودخولها تحت ملكته وسلطانه فكأنها منزله يتصرف فيها كما يتصرف الرجل في منزله وقرأ ابن كثير بالنون. روى أن الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريراً من ذهب مكللاً بالدر والياقوت فقال عليه السلام أما السرير فأشده به ملكك وأما الخاتم فأدبر به أمرك وأما التاج فليس من لباسى ولا لباس أبائى فقال قد وضعته لإجلال لك وإقراراً بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض إليه الملك أمره وأقام العدل بمصر وأحبته الرجال والنساء وباع من أهل مصر في سنى القحط الطعام فى السنة الأولى بالدنانير والدرام وفى الثانية بالحلل والجواهر وفى الثالثة بالدواب ثم بالضياح والمقارن ثم برقابهم حتى استرقهم جميعاً فقالوا ما رينا كالיום ملكاً أجل وأعظم منه ثم أعتقهم ورد إليهم أموالهم وكان لا يبيع من أحد من الممتارين أكثر من حمل بعير تقسيطاً بين الناس (نصيب برحمتنا) ● بمطامنا فى الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم (من نشاء) بمقتضى الحكمة الداعية إلى المشيئة (ولا نصيب لجر المحسنين) بل نوفيه بكمال وفية لإشعار بأن مدار المشيئة المذكورة لإحسان من تصيبه الرحمة المرقومة وأنها أجر له ولدفع توهم انحصار ثمرات الإحسان فيما ذكر من الأجر العاجل قيل على سبيل التوكيد (ولا جر الآخرة) أى أجرهم فى الآخرة فالإضافة للبابسة وهو النعيم المقيم الذى لا نقاد له (خير) ٥٧ لهم أى للمحسنين المذكورين وإنما وضع موضعه الموصول فقيل (الذين آمنوا وكانوا يتقون) تنبيهاً على ● أن المراد بالإحسان إنما هو الإيمان والثبات على التقوى المستفاد من جمع صيغتي الماضى والمستقبل (وجاء ٥٨

وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَنْعٍ لَّكُمْ مِّنْ أَيْدِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ

الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾

١٢ يوسف

- أخوة يوسف) مختارين لما أصاب أرض كنعان وبلاد الشام ما أصاب أرض مصر وقد كان أرسلهم يعقوب عليه السلام جميعاً غير بنيامين (فدخلوا عليه) أي على يوسف وهو في مجلس ولايته (فعرّفهم) لقوة فهمه وعدم مباينة أحوالهم السابقة لحالهم يومئذ لفارقتهم إياهم وهم رجال وتشابه حياتهم وزيمهم في الحالين ولكون مهمته معقودة بهم وبمعرفة أحوالهم لاسيما في زمن القحط وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له (وهم له منكرون) أي والحال أنهم منكرون له لطول العهد وتباين ما بين حاله عليه السلام في نفسه ومنزلته وزيه ولا اعتقادهم أنه هلك وحيث كان إنكارهم له أمراً مستمراً في حالتي المحضر والمغيّب أخبر عنه بالجملة الاسمية بخلاف عرفانه عليه السلام إياهم (ولما جهّزهم بجهازهم) أي أصلحهم بعدتهم من الزاد وما يحتاج إليه المسافرين وأوقر ركابتهم بما جاءوا له من الميرة وقرىء بكسر الجيم (قال اتنوني بأخ لكم من أيكم) لم يقل بأخيكم مبالغة في إظهار عدم معرفته لهم ولعله عليه السلام إنما قاله لما قيل من أنهم سألوه عليه السلام حملاً زائداً على المعتاد لبنيامين فأعطاهم ذلك وشرطهم أن يأتوا به لما قيل من أنه لما رآه وكلّوه بالعبرية قال لهم من أنتم فأنى أنكرتم فقالوا له نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد لجئنا فنتار فقال لهم لعلكم جستم عيوناً فقالوا معاذ الله نحن أخوة من أب واحد وهو شيخ كبير صديق نبي من الأنبياء اسمه يعقوب قال كم أنتم قالوا كنا اثني عشر فملك منا واحد فقال كم أنتم قالوا عشرة قال فأين الحادي عشر قالوا هو عند أبيه يتسلى به عن الهالك قال فمن يشهد لكم أنكم لستم عيوناً وأن ما تقولون حق قالوا نحن ببلاد لا يمر فنانها أحد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندى رهينة واتنوني بأخيكم من أيكم وهو يحمل رسالة من أيكم حتى أصدقكم فافترعوا فأصاب القرعة شمعون فخلّفوه عنده إذ لا يساعده وورود الأمر بالإتيان به عند التجبّيز ولا الحث عليه بإيفاء الكيل ولا الإحسان في الإنزال ولا الاقتصاد على منع الكيل على تقدير عدم الإتيان به ولا جعل بضاعتهم في رحالهم لأجل رجوعهم ولا عدتهم بالإتيان به بطريق المراودة ولا لتعليمهم عند أيهم إرسال أخيه بمنع الكيل من غير ذكر الرسالة على أن استبقاه شمعون لو وقع لكان ذلك طامة ينسى عندها كل قيل وقال (ألا ترون أني أوفى الكيل) أي أنه لكم وإيثار صيغة الاستقبال مع كون هذا الكلام بعد التجبّيز للدلالة على أن ذلك عادة له مستمرة (وأنا خير المنزّلين) جملة حالبة أي ألا ترون أني أوفى الكيل لكم بإيفاء مستمر وأحوال أني في غاية الإحسان في إنزالكم وضيافتكم وقد كان الأمر كذلك وتخصيص الرؤية بالإيفاء لوقوع الخطاب في أثناءه وأما الإحسان في الإنزال فقد كان مستمراً فيما سبق ولحق ولذلك أخبر عنه بالجملة الاسمية ولم يقله عليه السلام بطريق الامتنان بل لخشيم على تحقيق ما أمرهم به والاقتصار في الكيل على ذكر الإيفاء لأن معاملته عليه السلام معهم في ذلك كما معاملته مع غيرهم في مراعاة مواجب العدل وأما الضيافة فليس للناس فيها حق تخصم في ذلك بما شاء .

فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرُبُونِ ﴿٦٠﴾ ١٢ يوسف

قَالُوا سَرُّودٌ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ ١٢ يوسف

وَقَالَ لِفَتْنَيْنِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ ١٢ يوسف

فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسَلْنَا مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾ ١٢ يوسف

- (فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي) من بعد فضلا عن إيفائه (ولا تقربون) بدخول بلادى فضلا ٦٠
عن الإحسان في الإنزال والضيافة وهو إما نهى أو نهي معطوف على محل الجزاء وفيه دليل على أنهم
كانوا على نية الامتياز مرة بعد أخرى وأن ذلك كان معلوما له عليه السلام (قالوا سرود عنه أباه) أى ٦١
سنخذه عنه ونحتال في انتزاعه من يده ونجتهد في ذلك وفيه تنبيه على عزة المطلب وصعوبة مثاله (وإننا
لفاعلون) ذلك غير مفرطين فيه ولا متوانين أو لقادرون عليه لا تمنعنا به (وقال) يوسف (لفتيانه) ٦٢
غلبانه الكياليين جمع قى وقرى لفتيته وهى جمع قلة له (اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) فإنه وكل بكل رحل
رجلا يعي فيه بضاعتهم التى شروا بها الطعام وكانت نعالا وأدما وإنما فعله عليه السلام تفضلا عليهم
وخوفا من أن لا يكون عند أبيه ما يرجعون به مرة أخرى وكل ذلك لتحقيق ما يتوخاه من رجوعهم بأخيه
كما يؤذن به قوله (لعلهم يعرفونها) أى يعرفون حق ردها والتكرم في ذلك أو لى يعرفوها وهو ظاهر
التعلق بقوله (إذا انقلبوا إلى أهلهم) فإن معرفتهم لها مقيدة بالرجوع وتفرغ الأوعية قطعاً وأمام معرفة
حق التكرم في ردها فهى وإن كانت في ذاتها غير مقيدة بذلك لكن لما كان ابتداءها حينئذ قيدت به
(لعلهم يرجعون) حسبما أمرتهم به فإن التفضل عليهم بإعطاء البدلين ولا سيما عند إعواز البضاعة من
أقوى الدواعى إلى الرجوع وما قيل إنما فعله عليه السلام لما لم ير من التكرم أن يأخذ من أبيه وإخوته
ثمناً فكلام حق في نفسه ولكن يأباه التعليل المذكور وأما أن عليه الجعل المذكور للرجوع من حيث
إن ديانتهم تحملم على رد البضاعة لأنهم لا يستحلون إمساكهم فداره حسابهم أنها بقيت في رحالهم
نسياناً وظاهر أن ذلك مما لا يخطر ببال أحد أصلاً فإن هيئة التعبية تنادى بأن ذلك بطريق التفضل ألا
يرى أنهم كيف جزموا بذلك حين رأوها وجعلوا ذلك دليلاً على التفضلات السابقة كما استحيط به خبراً
(فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا) قبل أن يشتغلوا بفتح المتاع (يا أبانا منع منا الكيل) أى فيما بعد وفيه مالا ٦٣
يخفى من الدلالة على كون الامتياز مرة بعد مرة معهوداً فيما بينهم وبينه عليه السلام (فأرسل معنا أخانا)
بنيامين إلى مصر وفيه إيذان بأن مدار المنع عدم كونه معهم (نكتل) بسببه من الطعام مائشاً وقرأ حمزة

قَالَ هَلْ ءَامَنْتُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنْتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ قَالَ اللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ
الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾

١٢ يوسف

وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَنَاءَآبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ ۖ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا
وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَتَزَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾

١٢ يوسف

- والكسائي بالياء على إسناده إلى الأخ لكونه سبباً للاكتيال أو يكتل لنفسه مع اكتيالنا (وإناله لحافظون)
- ٦٤ من أن يصيبه مكروه (قال هل آمنكم عليه إلا كما آمنتم على أخيه) يوسف (من قبل) وقد قلتم في حقه أيضاً
- ما قلتم ثم فعلتم به ما فعلتم فلا أثق بكم ولا بحفظكم وإنما أفو الأمر إلى الله (قائه خير حافظاً) وقرىء
- حفظاً وانتصابها على التمييز والحالية على القراءة الأولى توهم تقيد الخيرية بتلك الحالة (وهو أرحم
- الراحمين) فأرجو أن يرحمي بحفظه ولا يجمع على مصيبتين وهذا يرى ميل منه عليه السلام إلى الإيذان
- ٦٥ والإرسال لما رأى فيه من المصلحة (ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم) أي تفضلاً وقد
- علموا ذلك بما مر من دلالة الحال وقرىء بنقل حركة الدال المدغمة إلى الراء كما قيل في قيل وكيل (وقالوا)
- استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل ماذا قالوا حينئذ فقيل قالوا لأبيهم ولعله كان حاضراً عند الفتح
- (يا أبانا ما نبغي) إذا فسر البغي بالطلب فما إما استفهامية منصوبة به فاعنى ماذا نبغى وراء ما وصفنا
- لك من إحسان الملك إلينا وكرمه الداعي إلى امتثال أمره والمراجعة إليه في الحوائج وقد كانوا أخبروه
- بذلك وقالوا له إنا قدمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلاً من آل يعقوب ما أكرمنا
- كرامته وقوله تعالى (هذه بضاعتنا ردت إلينا) جملة مستأنفة موضحة لما دل عليه الإنكار من بلوغ اللطف
- غايته كأنهم قالوا كيف لا وهذه بضاعتنا ردها إلينا تفصيلاً من حيث لا ندري بعد ما من علينا من المن
- العظام هل من مزيد على هذا فنطلبه ولم يريدوا به الاكتفاء بذلك مطلقاً أو التقاعد عن طلب نظائره
- بل أرادوا الاكتفاء به في استيجاب الامتثال لأمره والالتجاء إليه في استجلاب المزيد كما أشرنا إليه
- وقوله تعالى ردت إلينا حال من بضاعتنا العامل بمعنى الإشارة وإيثار صيغة البناء للمفعول للإيذان بكمال
- الإحسان الناشئ عن كمال الإخفاء المفهوم من كمال غفلتهم عنه بحيث لم يشعروا به ولا بفاعله وقوله
- عز وجل (ونمير أهلنا) أي نجلب إليهم الطعام من عند الملك معطوف على مقدر ينسحب عليه رد البضاعة
- أي فنستظهر بها ونمير أهلنا (ونحفظ أخانا) من المكارة حسب ما وعدنا فما يصيبه من مكروه (وتزداد) أي
- بواسطته ولذلك وسط الإخبار بحفظه بين الأصل والمزيد (كيل بعير) أي وسق بعير زائداً على أوساق
- أباعرنا على قضية التفسير (ذلك) أي ما يحمله أباعرنا (كيل يسير) أي مكيل قليل لا يقوم بأودنا فهو
- استئناف وقع تعليلاً لما سبق كأنه قيل أي حاجة إلى الزيادة فقليل ما قيل أو ذلك الكيل الزائد شيء قليل
- لا يضاهي بقاياه الملك أو سهل عليه لا يتعاضده أو أي مطلب نطلب من مهاتنا والجملة الواقعة بعده توضيح

قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ
قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾

١٢ يوسف

وبيان لما يشمر به الإنكار من كونهم فائزين ببعض المطالب أو متمكنين من تحصيله فكانهم قالوا بضاعتنا حاضرة فنستظهر بها ونمير أهلنا ونحفظ أغانا فما يصيبه شيء من المكارِه وزداد بسببه غير ما نكتاله لأنفسنا كيل بعير فأى شيء نبتغى وراء هذه المباغى وقرى ما تبغى على خطاب يعقوب عليه السلام أى أى شيء تبغى وراء هذه المباغى المشتملة على سلامة أخينا وسعة ذات أيدينا أو وراء ما فعل بنا الملك من الإحسان داعياً إلى الترجه إليه والجملة الاستثنائية موضحة لذلك أى شيء تبغى شاهداً على صدقنا فيما وصفنا لك من إحسانه والجملة المذكورة عبارة عن الشاهد المدلول عليه بفحوى الإنكار . وإما نافية فالمعنى ما نبغى شيئاً غير ما رأينا من إحسان الملك فى وجوب المراجعة إليه أو ما نبغى غير هذه المباغى وقيل ما نطلب منك بضاعة أخرى والجملة المستأنفة تعليل له وأما إذا فسر البغى بمجاوزة الحد فإضافة فقط والمعنى ما نبغى فى القول وما تزيد فيما وصفنا لك من إحسان الملك إلينا وكرمه الموجب لما ذكر والجملة الاستأنفة لبيان ما ادعوا من عدم البغى وقوله ونمير أهلنا عطف على ما نبغى أى ما نبغى فيما ذكرنا من إحسانه وتحصيل أمثاله من مير أهلنا وحفظ أخينا فإن ذلك أهون شيء بواسطة إحسانه وقد جوز أن يكون كلاماً مبتدأ أى جملة اعتراضية تذييلية على معنى وينبغى أن نمير أهلنا وشبه ذلك بقولك سمعت فى حاجة فلان ويجب أن أسعى وأنت خير بأن شأن الجمل التذييلية أن تكون مؤكدة لمضمون الصدر ومقررة له كما فى المثال المذكور وقولك فلان ينطق بالحق فالحق أبلغ وإن قوله ونمير الخ وإن ساعدنا فى حمله على معنى ينبغى أن نمير أهلنا بمعزل من ذلك أو ما نبغى فى الرأى وما نعدل عن الصواب فيما نشير به عليك من إرسال أخينا معنا والجمل إلى آخرها تفصيل وبيان لعدم بغيتهم وإصابة رأيهم أى بضاعتنا حاضرة نستظهر بها ونمير أهلنا ونصنع كيت وذيت فتأمل (قال لن أرسله معكم) بعدما عابنت منكم ما عابنت ٦٦ (حتى تؤتوني مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ) أى ما تؤتوني به من جهة الله عز وجل وإنما جعله مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ تعالى لأن تأكيد اليهود به مأذون فيه من جهته تعالى فهو إذن منه عز وجل (لتأتُنَّنِي بِهِ) جواب القسم إذا المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتُنَّنِي بِهِ (إلا أن يحاط بكم) أى إلا أن تغلبوا فلا تطبقوا به أو لا أن تهلكوا وأصله من إحاطة المدوفان من أحاط به العدو فقد هلك غالباً وهو استثناء من أعم الأحوال وأعم العلل على تأويل الكلام بالنفى الذى ينساق إليه أى لتأتُنَّنِي بِهِ ولا تتمنع منه فى حال من الأحوال أو لعل من العلل إلا حال الإحاطة بكم أو لعل الإحاطة بكم ونظيره قولهم أقسمت عليك لما فعلت وإلا فعلت أى ما أريد منك إلا فعلك وقد جوز الأول بلا تأويل أيضاً أى لتأتُنَّنِي بِهِ على كل حال إلا حال الإحاطة بكم وأنت تدري أنه حيث لم يكن الإتيان به من الأفعال الممتدة الشاملة للأحوال على سبيل المعية كفى قولك لألزمك إلا أن تعطينى حتى ولم يكن مراده عليه السلام مقارنته على سبيل البدل لما عد الحال المستثناة فإذا قلت صل إلا أن تكون

وَقَالَ يَبْنِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ
 إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾

١٢ يوسف

- محدثاً بل مجرد تحقيقه ووقوعه من غير إخلال به كما في قولك لأحجن العام إلا أن أحصر فإن مرادك إنما هو الإخبار بعدم منع ماسوى حال الإحصار عن الحجج إلا الإخبار بمقارنته لتلك الأحوال على سبيل البديل كما هو مرادك في مثال الصلاة كان اعتبار الأحوال معه من حيث عدم منعها منه قال المعنى إلى التأويل المذكور (فلما أتوه موثقهم) عهدهم من الله حسبما أراد يعقوب عليه السلام (قال الله هلى مانقول) أى على ما قلنا فى أثناء طلب الموثق وإيتائه من الجانبين وإيثار صيغة الاستقبال لاستحضار صورته المؤدى إلى تثبيتهم ومحافظةهم على تذكره ومراقبته (وكيل) مطلع رقيب يريد به عرض ثقته بالله تعالى وحشهم على مراعاة ميثاقهم (وقال) ناصحاً لهم لما أزمع على إرسالهم جميعاً (يا بنى لا تدخلوا) مصر (من باب واحد) نهام عن ذلك حذاراً من إصابة العين فإنهم كانوا ذوى جمال وشارة حسنة وقد كانوا يحملوا فى هذه الكرة أكثر مما فى المرة الأولى وقد اشتهروا فى مصر بالكرامة والزانى لدى الملك بخلاف النبوة الأولى فكانوا مثته لدنو كل ناظر وطموح كل طامح وإصابة العين بتقدير العزيز الحكيم ليست بما ينكر وقد ورد عنه عليه السلام إن العين حق وعنه عليه السلام إن العين لتدخل القبر والجل القدر وقد كان عليه السلام يعوذ الحسنين رضى الله عنهما بقوله أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وكان عليه السلام يقول كان أبوكما يعوذ بها إسماعيل وإسحق عليهم السلام رواه البخارى فى صحيحه وقد شهدت بذلك التجارب ولما لم يكن عدم الدخول من باب واحد مستلزماً للدخول من أبواب متفرقة وكان فى دخولهم من بابين أو ثلاثة بعض ما فى الدخول من باب واحد من نوع اجتماع مصحح لوقوع المحذور قال (وادخلوا من أبواب متفرقة) بياناً لما هو المراد بالنهى وإنما لم يكتف بهذا الأمر مع كونه مستلزماً له إظهاراً لكمال العناية وإيداناً بأنه المراد بالأمر المذكور لا تحقيق شئ آخر (وما أغنى عنكم) أى لا أنفعكم ولا أدفع عنكم بتدبيرى (من الله من شئ) أى شيئاً مما قضى عليكم فإن الحذر لا يمنع القدر ولم يرد به عليه السلام إلغاء الحذر بالمرّة كيف لا وقد قال عز قاتلوا ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وقال خذوا حذركم بل أراد بيان أن ما وصاهم به ليس مما يستوجب المراد لا محالة بل هو تدبير فى الجملة وإنما التأثير وترتب المنفعة عليه من العزيز القدير وأن ذلك ليس بمدافعة للقدر بل هو استعانة بالله تعالى وهرب منه إليه (إن الحكم) مطلقاً (إلا) لله لا يشاركه أحد ولا يمانعه شئ (عليه) لا على أحد سواه (توكلت) فى كل ما آتى وأذر وفيه دلالة على أن ترتيب الأسباب غير مغل بالتوكل (وعليه) دون غيره (فليتوكل المتوكلون) جمع بين الحرفين فى عطف الجملة على الجملة مع تقديم الصلة للاختصاص مقيداً بالواو عطف فعل غيره من تخصيص التوكل بالله عز وجل على فعل نفسه وبإلقاء سببية فعله لكونه نبياً لفعل غيره من المقتدين به فيدخل فيهم بنوه دخولا أولياً وفيه ما لا يخفى من حسن هدايتهم وإرشادهم إلى التوكل فيما هم بصددده على الله عز وجل غير مغترين

وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ يوسف ١٢

- بما وصاهم به من التدبير (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوم) من الأبواب المتفرقة من البلد قيل كانت ٦٨
- له أربعة أبواب فدخلوا منها وإنما أكتفى بذكره لاستلزامه الانتهاء عما نهوا عنه (ماكان) ذلك الدخول
 - (يغني) فيما سيأتي عند وقوع ما وقع (عنهم) عن الداخلين لأن المقصود به استدفاع الضرر عنهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لتحقيق المقارنة الواجبة بين جواب لما ومدخوله فإن عدم الإغناء بالفعل إنما يتحقق عند نزول المحذور لا وقت الدخول وإنما المتحقق حينئذ ما أفاده الجمع المذكور من عدم كون الدخول المذكور مغنياً فيما سيأتي فتأمل (من الله) من جهة (من شيء) أي شيئاً مافضاه عليهم مع كونه
 - مظنة لذلك في بادئ الرأي حيث وصاهم به يعقوب عليه السلام وعملوا بموجبه واثقين بمجدواه من فضل الله تعالى فليس المراد بيان سببية الدخول المذكور لعدم الإغناء كما في قوله تعالى فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفوراً فإن مجيء النذير هناك سبب لزيادة نفورهم بل بيان عدم سببيته للإغناء مع كونها متوقعة في بادئ الرأي كما في قولك حلف أن يعطيني حتى عند حلول الأجل فلما حل لم يعطني شيئاً فإن المراد بيان عدم سببية حلول الأجل للإعطاء مع كونها مرجوة بموجب الحلف لا بيان سببيته لعدم الإعطاء فالمراد بيان عدم ترتب الغرض المقصود على التدبير المعهود مع كونه مرجو الوجود لا بيان ترتب عدمه عليه ويجوز أن يراد ذلك أيضاً بناء على ما ذكره عليه السلام في تضاعيف وصيته من أنه لا يغني عنهم من الله شيئاً فكانه قيل ولما فعلوا ما وصاهم به لم يفد ذلك شيئاً ووقع الأمر حسبما قال عليه السلام فلقوا ما لقوا فيكون من باب وقوع المتوقع فتأمل (إلا حاجة) استثناء منقطع أي ولكن حاجة وحرازة كائنة (في نفس يعقوب
 - قضاها) أي أظهرها ووصاهم بها دفعاً للخاطرة غير معتقد أن للتدبير تأثيراً في تغيير التقدير وقد جعل ضمير الفاعل في قضاها الدخول على معنى أن ذلك الدخول قضى حاجة في نفس يعقوب وهي إرادته أن يكون دخوله من أبواب متفرقة فالمعنى ما كان ذلك الدخول يغني عنهم من جهة الله تعالى شيئاً ولكن قضى حاجة حاصلة في نفس يعقوب بوقوعه حسب إرادته فلا استثناء منقطع أيضاً وعلى التقديرين لم يكن للتدبير فائدة سوى دفع الخاطرة وأما إصابة العين فإنما لم تقع لكونها غير مقدرة عليهم لأنها اندفعت بذلك مع كونها مقتضية عليهم (ولأنه لذو علم) جليل (لما علمناه) لتعليمنا إياه بالوحي ونصب الأدلة حيث لم يعتقد
 - أن الحذر يدفع القدر وأن التدبير له حظ من التأثير حتى يتبين الخلل في رأيه عند تخلف الآثار وحيث بت القول بأنه لا يغني عنهم من الله شيئاً فكان الحال كما قال وفي تأكيد الجملة بأن واللام وتنكير العلم وتعليله بالتعليم المسند إلى ذاته سبحانه من الدلالة على جلالة شأن يعقوب عليه السلام وعلو مرتبة علمه وخطامته
 - ما لا يخفى (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أسرار القدر ويزعمون أنه يغني عنه الحذر وأما ما يقال من أن المعنى لا يعلمون إيجاب الحذر مع أنه لا يغني شيئاً من القدر فيأباه مقام بيان تخلف المطلوب عن المبادى

وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾
فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتَهَا الْعَمِيرُ ﴿١٣﴾
لَسَرْقُونَ ﴿١٤﴾

١٢ يوسف

١٢ يوسف

قَالُوا وَأَقْبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴿١٥﴾

- ٦٩ (ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه) بنيامين أى ضمه إليه فى الطعام أو فى المنزل أو فيها . روى أنهم لما دخلوا عليه قالوا له هذا أخونا قد جئناك به فقال لهم أحسنتم وستجدون ذلك عندي فأكرمهم ثم أضافهم وأجلسهم مثنى مثنى فبقى بنيامين وحيداً فبكى وقال لو كان أخى يوسف حياً لأجلسنى معه فقال يوسف بقى أخوكم فريداً وأجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله ثم أنزل كل اثنين منهم بيتاً فقال هذا لا ثانى معه فيكون معى فبات يوسف يضمه إليه ويشم رائحته حتى أصبح وسأله عن ولده فقال لى عشرة بنين اشتقت أسماءهم من اسم أخ لى هلك فقال له أنحب أن أكون أهلك بدل أخيك المالك قال من يجد أخاً مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام إليه وعانقه وتعرف إليه وعند ذلك (قال لى أنا أخوك) يوسف (فلا تبتئس) أى فلا تحزن (بما كانوا يعملون) بنا فيها مضى فإن الله تعالى قد أحسن إلينا وجمعنا بخير ولا تعلمهم بما أعلمتك قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وعن وهب إنه لم يتعرف إليه بل قال له أنا أخوك بدل أخيك المفقود ومعنى فلا تبتئس لا تحزن بما كنت تلقى منهم من الحسد والأذى فقد أمنتهم وروى أنه قال له فأنا لا أظنك قال قد علمت باغتمام والذى بى فإذا حبستك يزداد غمه ولا سبيل إلى ذلك إلا أن أنسبك إلى مالا يحمل قال لا أبالى فأفعل ما بدا لك قال أدس صاعى فى رحلك ثم أنادى عليك بأنك سرقته ليتنبأ لى ردك بعد تسريحك معهم قال افعل (فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية) أى المشربة قيل كانت مشربة جمات صاها يكال به وقيل كانت تسقى بها الدواب ويكال بها الحبوب وكانت من فضة وقيل من ذهب وقيل من فضة موهة بالذهب وقيل كانت إناء مستطيلة تشبه المسكوك الفارسى الذى يلتقى طرفاه يستعمله الأماجم وقيل كانت مرصعة بالجواهر (فى رحل أخيه) بنيامين وقرىء وجعل على حذف جواب لما تقديره أمهلهم حتى انطلقوا (ثم أذن مؤذن) نادى مناد (أيتها العمير) وهى الإبل التى عليها الأحمال لأنها تعير أى تذهب وتجيء وقيل هى قافلة الخمر ثم كثر حتى قيل لكل قافلة غير كأنها جمع غير وأصلها فعل مثل سقف وسقف ففعل به ما فعل ببيض وغيد والمراد أصحابها كما فى قوله عليه السلام يا خيل الله اركبى روى أنهم ارتحلوا وأمهلهم يوسف حتى انطلقوا منزلاً
- وقيل خرجوا من العمارة ثم أمر بهم فأدركو أو نودوا (إنكم لسارقون) هذا الخطاب إن كان يأمر يوسف فلعنه أريد بالسرقة أخذهم له من أبيه ودخول بنيامين فيه بطريق التغليب وإلا فهو من قبل المؤذن بناء على زعمه والأول هو الأظهر لا وفق للسياق وقرأ اليماني سارقون بلالام (قالوا) أى الأخوة (واقبلوا
- ٧١

قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ ١٢ يوسف

قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتَنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ ١٢ يوسف

- عليهم (جملة حالية من ضمير قالوا جىء بها للدلالة على انزعاجهم مما سمعوه لمباينته لحالهم (ماذا تفقدون) أى تعدمون تقول فقدت الشيء إذا عدته بأن ضل عنك لا بفعلك والمآل ماذا ضاع عنكم وصيغة المستقبل لاستحضار الصورة وقرىء تفقدون من أفقده إذا وجدته فقيداً وعلى التقديرين فالعدول عما يقتضيه الظاهر من قولهم ماذا سرق منكم لبيان كآل نراهمم بإظهار أنه لم يسرق منهم شيء فضلاً أن يكونوا هم السارقين له وإنما الممكن أن يضيع منهم شيء فيسألونهم أنه ماذا وفيه إرشادهم إلى مراعاة حسن الأدب والاحتراز عن المجازفة ونسبة البراءة إلى ما لا خير فيه لاسيما بطريق التوكيد فلذلك غيروا كلامهم حيث (قالوا) في جوابهم (نفقد صواع الملك) ولم يقولوا سرقتموه أو سرق وقرىء صاع وصوع وصوع ٧٢ بفتح الصاد وضمها وبإهمال العين وإعجامها من الصياغة ثم قالوا تربية لما تلقوه من قبلهم وإرادة لاعتقاد أنه إنما بقى في رحلهم اتفاقاً (ولمن جاء به) من عند نفسه مظهرأ له قبل التفتيش (حمل بعير) من الطعام جملاً له لا على نية تحقيق الوعد لجرمهم بامتناع وجود الشرط وعزمهم على ما لا يخفى من أخذ من وجد في رحله (وأنا به زعيم) كقيل أؤديه إليه وهو قول المؤذن (قالوا تالله) الجمهور على أن التاء بدل من ٧٣ الواو ولذلك لا تدخل إلا على الجلالة المعظمة أو الرب المضاف إلى الكعبة أو الرحمن في قول ضعيف ولوقلت تالرحيم لم يجوز قيل من الباموقيل أصل بنفسها وأياً ما كان فقيه تعجب (لقد علمتم) علماً جازماً ● مطابقاً للواقع (ما جئنا لنفسد في الأرض) أى لنسرق فإنه من أعظم أنواع الإفساد أو لنفسد فيها أى إفساد كان مما عزأوه من فضلاء عما نسبتمونا إليه من السرقة ونفى المجيء للإفساد وإن لم يكن مستلزماً لما هو مقتضى المقام من نفي الإفساد مطلقاً لكنهم جعلوا المجيء الذى يترتب عليه ذلك ولو بطريق الاتفاق مجيئاً لغرض الإفساد مفعولاً لأجله ادعاء إظهار الكمال قبضه عندهم وتربية لاستحالة صدوره عنهم كما قيل في قوله تعالى ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد الدال بظاهره على نفي المبالغة في الظلم دون نفي الظلم في الجملة الذى هو مقتضى المقام من أن المعنى إذا عذبت من لا يستحق التعذيب كنت ظلاماً مفرطاً في الظلم فكأنهم قالوا إن صدر عنا إفساد كان مجيئنا لذلك يريدن به تقبيح حاله وإظهار كآل نراهمم عنه يعنون أنه قد شاع بينكم في كرتي مجيئنا ما نحن عليه وقد كانوا على غاية ما يكون من الديانة والصيانة فيما يأتون ويذرون حتى روى أنهم دخلوا مصر وأفواه رحلهم مكومة لئلا تتناول زرعاً أو طعاماً لأحد وكانوا مثابرين على فنون الطاعات وعلمت بذلك أنه لا يصدر عنا إفساد (وما كنا سارقين) أى ما كنا نوصف ● بالسرقة قط وإنما حكموا بعلمهم ذلك لأن العلم بأحوالهم الشاهدة يستلزم العلم بأحوالهم الغائبة وإنما لم يكتفوا بنفي الأمرين المذكورين بل استشهدوا بعلمهم بذلك إلزاماً للحجة عليهم وتحقيقاً للتعجب المفهوم من تاء القسم .

١٢ يوسف

قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾

١٢ يوسف

قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾

فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ١٢ يوسف

- ٧٤ (قالوا) أى أصحاب يوسف عليه السلام (فما جزاؤه) الضمير للصواع على حذف المضاف أى فما جزاء
 ● سرقة عندكم وفى شريعتم (إن كنتم كاذبين) لافى دعوى البراءة عن السرقة فإنهم صادقون فيها بل فيما
 ٧٥ يستلزمه ذلك من نفى كون الصواع فيهم كما يؤذن به قوله عز وجل (قالوا جزاؤه من وجد) أى أخذ من
 ● وجد الصواع (فى رحله) حيث ذكر بعنوان الوجدان فى الرحل دون عنوان السرقة وإن كان ذلك
 مستلزماً لها فى اعتقادهم المبني على قواعد العادة ولذلك أجابوا بما أجابوا فإن الأخذ والاسترقاق سنة
 إنما هو جزاء السارق دون من وجد فى يده مال غيره كيفما كان فتأمل واحمل كلام كل فريق على مالا
 ● يزاحم رأيه فإنه أقرب إلى معنى الكيد وأبعد من الاقتراء وقوله تعالى (فهو جزاؤه) تقرير لذلك الحكم
 أى فأخذه جزاؤه كقولك حق الضيف أن يكرم فهو حقه ويجوز أن يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية
 كما هى خبره على إقامة الظاهر مقام المضمر والأصل جزاؤه من وجد فى رحله فهو هو على أن الأول لمن
 ● والثانى للظاهر الذى وضع موضعه (كذلك) أى مثل ذلك الجزاء الآوفى (نجزى الظالمين) بالسرقة
 تأكيد للحكم المذكور غيب تأكيد وبيان لقبج السرقة ولقد فعلوا ذلك ثقة بكال براءتهم عنها وهم عما فعل
 ٧٦ بهم غافلون (فبدأ) يوسف بعد ما رجعوا إليه للتفتيش (بأوعيتهم) بأوعية الأخوة العشرة أى بتفتيشها
 ● (قبل) تفتيش (وعاء أخيه) بنيامين لنفى النعمة. روى أنه لما بلغت النبوة إلى وعائه قال ما أظن هذا أخذ
 ● شيئاً فقالوا والله لا نتركه حتى ننظر فى رحله فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا (ثم استخرجها) أى السقاية أو
 ● الصواع فإنه يذكر ويؤنث (من وعاء أخيه) لم يقل منه على رجوع الضمير إلى الوعاء أو من وعائه على
 رجعه إلى أخيه قصداً إلى زيادة كشف وبيان وقرىء بضم الواو وقلبها همزة كما فى أشاح فى وشاح
 ● (كذلك) نصب على المصدرية والكاف مقحمة للدلالة على نغامة المشار إليه وكذا ما فى ذلك من معنى
 البعد أى مثل ذلك الكيد العجيب وهو عبارة عن إرشاد الأخوة إلى الافتاء المذكور بإجرائه على
 ● على ألسنتهم وبمحلمهم عليه بواسطة المستفتين من حيث لم يحسبوا فعنى قوله عز وجل (كدنا ليوسف)
 صنعنا له ودبرنا لآجل تحصيل غرضه من المقدمات التى رتبها من دس الصواع وما يتلوه فاللام ليست
 ● كما فى قوله فبكيدوا لك كيداً فإنها داخلة على المتضرر على ما هو الاستعمال الشائع وقوله تعالى (ما كان
 ليأخذ أخاه فى دين الملك) استئناف وتعليل لذلك الكيد وصنعه لا تفسير وبيان له كما قيل كأنه قيل لماذا
 فعل ذلك فقيل لأنه لم يكن ليأخذ أخاه بما فعله فى دين الملك فى أمر السارق أى فى سلطانه قاله ابن عباس

أو في حكمه وقضائه قاله قتادة إلا به لأن جزاء السارق في دينه إنما كان ضربه وتقريره ضعف ما أخذ دون الاسترقاق والاستبعاد كما هو شريعة يعقوب عليه السلام فلم يكن يتمكن بما صنعه من أخذ أخيه بالسرقة التي نسبها إليه في حال من الأحوال (إلا أن يشاء الله) أي إلا حال مشيئته التي هي عبارة عن إرادته ● لذلك الكيد أو إلا حال مشيئته للأخذ بذلك الوجه ويجوز أن يكون الكيد عبارة عنه وعن مبادئه المؤدية إليه جميعاً من إرشاد يوسف وقومه إلى ماصدر عنهم من الأفعال والأقوال حسبما شرح مرتباً لكن لا على أن يكون القصر المستفاد من تقديم المجرور مأخوذاً بالنسبة إلى غيره مطلقاً على معنى مثل ذلك الكيد كدنا لا كيداً آخر إذ لا معنى لتعليقه بعجز يوسف عن أخذ أخيه في دين الملك في شأن السارق قطعاً إذ لا علاقة بين مطلق الكيد ودين الملك في أمر السارق أصلاً بل بالنسبة إلى بعضه على معنى مثل ذلك الكيد البالغ إلى هذا الحد كدنا له ولم نكتف ببعض من ذلك لأنه لم يكن يأخذ أخاه في دين الملك به إلا حال مشيئته له بإيجاد ما يجري مجرى الجزاء الصوري من العلة النامة وهو إرشاد إخوته إلى الافتاء المذكور وعلى هذا ينبغي أن يحمل القصر في تفسير من فسر قوله تعالى كدنا ليوسف بقوله علمناه إياه وأوحينا به إليه أي مثل ذلك التعليم المستقيم لما شرح مرتباً علمناه دون بعض من ذلك فقط الخ وعلى كل حال فالاستثناء من أعم الأحوال كما أشير إليه ويجوز أن يكون من أعم العلل والأسباب أي لم يكن يأخذ أخاه لعله من العلل أو بسبب من الأسباب إلا لعله مشيئته تعالى أو إلا بسبب مشيئته تعالى وأياً ما كان فهو متصل لأن أخذ السارق إذا كان ممن يرى ذلك ويعتقده ديناً لا سيما عند رضاه وإفاته به ليس مغالفاً لدين الملك وقد قيل معنى الاستثناء إلا أن يشاء الله أن يجعل ذلك الحكم حكماً للملك وأنت تدري أن المراد بدينه ما عليه حينئذ فتغييره محل بالاتصال وإرادة مطلق ما يتدين به أعم منه وما يحدث تفضي إلى كون الاستثناء من قبيل التطبيق بالمحال إذ المقصود بيان عجز يوسف عليه السلام عن أخذ أخيه حينئذ ولم تتعلق المشيئة بالجمال المذكور إذ ذاك وإرادة عجزه مطلقاً تؤدي إلى خلاف المراد فإن استثناء حال المشيئة المذكورة من أحوال عجزه عليه السلام بما يشعر بعدم الحاجة إلى الكيد المذكور فتدبر وقد جاوز الانقطاع أي لكن أخذه بمشيئة الله تعالى وإذنه في دين غير دين الملك (نرفع درجات) أي رتباً كثيرة عالية من العلم واتصافها ● على المصدرية أو الظرفية أو على نزع الخافض أي إلى درجات والمفعول قوله تعالى (من نشاء) أي نشاء رفعه ● حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة كما رفعنا يوسف وإثارة صيغة الاستقبال للإشعار بأن ذلك سنة مستمرة غير مختصة بهذه المادة والجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب (وفوق كل ذي علم) من أولئك ● المرفوعين (علم) لا ينالون شأوه واعلم أنه إن جعل الكيد عبارة عن المعنيين الأولين فالمراد برفع يوسف عليه السلام ما اعتبر فيه بالشرطية أو الشرطية من إرشاده عليه السلام إلى دس الصواع في رحل أخيه وما يتفرع عليه من المقدمات المرتبة لاستبقاء أخيه بما يتم من قبله والمعنى أرشدنا إخوته إلى الافتاء المذكور لأنه لم يكن متمكناً من أخذ أخيه بدونه أو أرشدنا كلا منهم ومن يوسف وأصحابه إلى ماصدر عنهم ولم نكتف بما تم من قبل يوسف فقط لأنه لم يكن متمكناً من أخذ أخيه بذلك فقوله تعالى نرفع درجات إلى

قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبَيِّدْهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾

١٢ يوسف

قوله تعالى عليم توضيح لذلك على معنى أن الرفع المذكور لا يوجب تمام مرامه إذ ليس ذلك بحيث لا يعزب عن علمه شيء بل إنما زفع كل من زفع حسب استعداده وفوق كل واحد منهم عليم لا يقادر قدر علمه ولا يكتنه كنهه يرفع كلا منهم إلى ما يليق به من معارج العلم ومدارجه وقد رفع يوسف إلى ما يليق به من الدرجات العالية وعلم أن ما حواه دائرة علمه لا يفي بمرامه فأرشد إخوته إلى الإفتاء المذكور فكان ما كان وكانه عليه السلام لم يكن على يقين من صدور الإفتاء المذكور عن إخوته وإن كان على طمع منه فإن ذلك إلى الله عز وجل وجوداً وعلماً والتعرض لوصف العلم لتعيين جهة الفوقية وفي صيغة المبالغة مع التكثير والاتفات إلى الغيبة من الدلالة على نخامة شأنه عز وجل وجلالة مقدار علمه المحيط مالا يخفى وأما إن جعل عبارة عن التعليم المستتبع للإفتاء المذكور فالرفع عبارة عن ذلك التعليم والإفتاء وإن لم يكن داخل تحت قدرته عليه السلام لكنه كان داخل تحت علمه بواسطة الوحي والتعليم والمعنى مثل ذلك التعليم البالغ إلى هذا الحد علمناه ولم تقتصر على تعليم ما عدا الإفتاء الذي سيصدر عن إخوته إذ لم يكن متمكناً من أخذ أخيه إلا بذلك فقوله زفع درجات من نشاء توضيح لقوله كدنا وبيان لأن ذلك من باب الرفع إلى الدرجات العالية من العلم ومدح ليوسف برفعه إليها وقوله وفوق كل ذي علم عليم تذييل له أي زفع درجات عالية من العلم من نشاء رفعه وفوق كل منهم عليم هو أعلى درجة قال ابن عباس رضى الله عنهم ما فوق كل عالم عالم إلى أن ينتهى العلم إلى الله تعالى والمعنى أن إخوة يوسف عليه السلام كانوا علماء إلا أن يوسف عليه السلام أفضل منهم وقرى درجات من نشاء بالإضافة والأول أنسب بالتذييل حيث نسب فيه الرفع إلى من نسب إليه الفوقية لا إلى درجته ويجوز أن يكون العليم في هذا التفسير أيضاً عبارة عن الله عز وجل أي وفوق كل من أولئك المرفوعين عليم يرفع كلا منهم إلى درجته اللائقة به والله تعالى أعلم (قالوا إن يسرق) يعنون بنيامين (فقد سرق أخ له من قبل) يريدون به يوسف عليه السلام وما جرى عليه من جهة عمته على ما قيل من أنها كانت تحضنه فلما شب أراد يعقوب عليه السلام انتزاعه منها وكانت لا تصبر عنه ساعة وكانت لها منطقة ورثتها من أبيها إسحق عليه السلام فاحتالت لاستبقاء يوسف عليه السلام فعمدت إلى المنطقة فحزمتها عليه من تحت ثيابه ثم قالت فقدت منطقة إسحق عليه السلام فانظروا من أخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت إنه لى سلم أفعل به ما أشاء فخلاه يعقوب عليه السلام عندها حتى ماتت وقيل كان أخذ في صباه صنماً لأبي أمه فكسره وألقاه في الجيف وقيل دخل كنيسة فأخذ تمثالاً صغيراً من ذهب كانوا يعبدونه فدفعه (فأسرها يوسف) أي أكن الحزاة الحاصلة مما قالوا (في نفسه) لا أنه أسرها لبعض أصحابه كما في قوله تعالى وأسمرت لهم أسراراً (ولم يبيدها لهم) لا قولاً ولا فعلاً صفحاً عنهم وحلياً وهو تأكيدهما سبق (قال) أي في نفسه وهو استئناف

قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ ١٢ يوسف

قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنًا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا نَظَلُّونَ ﴿٧٩﴾ ١٢ يوسف

فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا قَرَبْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ

الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ١٢ يوسف

- مبنى على سؤال نشأ من الإخبار بالإسرار المذكور كأنه قيل فإذا قال في نفسه في تضاعيف ذلك الإسرار فقيل قال (أنتم شر مكاناً) أى منزلة حيث سرقتم أخاكم من أبيكم ثم طفقتم تفترون على البرى وقيل بدل من أسرها والضمير للمقالة المفسرة بقوله أنتم شر مكاناً (والله أعلم بما تصفون) أى عالم علماً بالعمى إلى أقصى المراتب بأن الأمر ليس كما تصفون من صدور السرقة من أجل إنما هو اقتراف علينا فالصيغة لمجرد المبالغة لا لتفضيل عليه عز وجل على علمهم كيف لا وليس لهم بذلك من علم (قالوا) عند ما شاهدوا ٧٨ غيايل أخذ بنيامين مستطفين (يأيها العزيز إن له أبا) لم يريدوا بذلك الإخبار بأن له أبا فإن ذلك معلوم بما سبق وإنما أرادوا الإخبار بأن له أبا (شيخاً كبيراً) فى السن لا يكاد يستطيع فراقه وهو علاقة به يتعلل عن شقيقه المالك (فخذ أحداً مكانه) فلسنا عنده بمنزلته من المحبة والشفقة (إننا نراك من المحسنين) ٧٩ إلينا فأنتم إحسانك بهذه التهمة أو المتعديدين بالإحسان فلا تغير عادتكم (قال معاذ الله) أى نعوذ بالله ٧٩ معاذاً من (أن نأخذ) لخدف الفعل وأقيم مقامه المصدر مضافاً إلى المفعول به بعد حذف الجار (إلا من وجدنا متاعنا عنده) لأن أخذنا له إنما هو بقضية فتواكم فليس لنا الإخلال بموجها وإيثار صيغة التكلم مع الغير مع كون الخطاب من جانب إخوته على التوحيد من باب السلوك إلى سنن الملوك أو للإشعار بأن الأخذ والإعطاء ليس مما يستبد به بل هو منوط بآراء أولى الحل والعقد وإيثار من وجدنا متاعنا عنده دون سرق متاعنا لتحقيق الحق والاحتراز عن الكذب فى الكلام مع تمام المرام فإنهم لا يحملون وجدان الصواع فى الرحل على محمل غير السرقة (إننا إذا) أى إذا أخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده ولو برضاه (الظالمون) فى مذهبكم وما لنا ذلك وهذا المعنى هو الذى أريد بالكلام فى أثناء الحوار وله معنى باطن هو أن الله عز وجل إنما أمرنى بالوحي أن آخذ بنيامين لمصالح علم الله فى ذلك فلو أخذت غيره كنت ظالماً وعاملاً بخلاف الوحي (فلما استيسسوا منه) أى يتسوا من يوسف وإجابته لهم أشد بأس بدلالة ٨٠ صيغة الاستفعال وإنما حصلت لهم هذه المرتبة من اليأس لما شاهدوه من عوده بالله مما طلبوه الدال على كون ذلك عنده فى أقصى مراتب الكراهة وأنه مما يجب أن يحترز عنه ويعاذ منه بالله عز وجل ومن تسميته ظالماً بقوله إننا إذا الظالمون (خلصوا) اعتزلوا وانفردوا عن الناس (نجياً) أى ذوى نجوى على أن يكون بمعنى النجوى والتناجى أو فوجاً نجياً على أن يكون بمعنى المناجى كالشعير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر

أَرْجِعُونَا إِلَىٰ أَيْبِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ أَبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَيْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ

١٢ يوسف

حَافِظِينَ ﴿٨١﴾

- ومنه قوله تعالى وقرناه نجيا ويجوز أن يقال هم نجى كما يقال هم صديق لأنه بزنة المصادر من الزفير والزفير
- (قال كبيرهم) في السن وهو روبييل أو في العقل وهو يهوذا أو رئيسهم شمعون (ألم تعلموا) كأنهم
 - أجمعوا عند التناجى على الانقلاب جملة ولم يرض به فقال منكراً عليهم ألم تعلموا (أن أباكم قد أخذ
 - عليكم موثقاً من الله) عهداً يوثق به وهو حلفهم بالله تعالى وكونه من الله لإذنه فيه وكون الحلف باسمه
 - الكريم (ومن قبل) أى ومن قبل هذا (ما فرطتم في يوسف) قصرتم في شأنه ولم تحفظوا عهداً بكم وقد
 - قلتم وإنا له لناصرون وإنا له لحافظون وما مزيدة أو مصدرية ومحل المصدر النصب عطفاً على مفعول تعلموا
 - أى ألم تعلموا أخذ أيبكم عليكم موثقاً وتفريطكم السابق في شأن يوسف عليه السلام ولاضير في الفصل
 - بين العاطف والمعطوف بالظرف وقد جوز النصب عطفاً على اسم أن والخبر في يوسف أو من قبل على
 - معنى ألم تعلموا أن تفريطكم السابق وقع في شأن يوسف عليه السلام أو أن تفريطكم الكائن أو كائناتاً في
 - شأن يوسف عليه السلام وقع من قبل وفيه أن مقتضى المقام إنما هو الإخبار بوقوع ذلك التفريط
 - لا يكون تفريطهم السابق واقعاً في شأن يوسف كما هو مفاد الأول ولا يكون تفريطهم الكائن في شأنه
 - واقعاً من قبل كما هو مفاد الثانى على أن الظرف المقطوع عن الإضافة لا يقع خبراً ولا صفة ولا صلة ولا
 - حالاً عند البعض كما تقرر في موضعه وقيل محله الرفع على الابتداء والخبر من قبل وفيه ما فيه وقيل
 - ماموصولة أو موصوفة ومحلها النصب عطفاً على مفعول تعلموا أى ما فرطتموه بمعنى قد متموه في حقه
 - من الحيانة وأما النصب عطفاً على اسم أن والرفع على الابتداء فقد عرفت حاله (فلن أبرح الأرض)
 - متفرع على ما ذكره وذكره إياهم من ميثاق أبيه وقوله لتأنتنى به إلا أن يحاط بكم أى فلن أفارق أرض
 - مصر جارياً على قضية الميثاق (حتى يأذن لى أبى) فى البراح بالانصراف إليه وكان أيمانهم كانت معقودة
 - على عدم الرجوع بغير إذن يعقوب عليه السلام (أو يحكم الله لى) بالخروج منها على وجه لا يؤدى إلى
 - نقض الميثاق أو بخلاص أخى بسبب من الأسباب . روى أنهم كلوا العزير في إطلاقه فقال روبييل
 - أيها الملك لتردن إلينا أخانا أو لا يصيحن صيحة لا تبقى بمصر حامل إلا ألقى ولدها ووقفت كل شعرة
 - في جسده فخرجت من ثيابه وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لا يطاقون خلا أنه إذا مس من غضب واحد
 - منهم سكن غضبه فقال يوسف لابنه قم إلى جنبه فمس نفسه فقال روبييل من هذا إن في هذا البلد بذراً
 - ٨١ من بنو يعقوب (وهو خير الحاكمين) إذا لا يحكم إلا بالحق والعدل (ارجعوا) أتم (إلى أيبكم فقولوا
 - يا أبانا إن ابنك سرق) على ظاهر الحال وقرئ سرق أى نسب إلى السرقة (وما شهدنا) عليه (إلا بما
 - ● علنا) وشاهدنا أن الصواع استخرجت من وعائه (وما كنا للغيب) أى باطن الحال (حافظين) فما
 - ندري أن حقيقة الأمر كما شاهدنا أم بخلافه أو وما كنا عالمين حين أعطيناك الموثق أنه سيسرق أو أنا

وَسَعَلَ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾
 قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ
 الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾

وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ وَأَبْيَضْتُ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾

- نلاقى هذا الأمر أو أنك تصاب به كما أصبت يوسف (واسأل القرية التي كنا فيها) أي مصر أو قرية ٨٢
 بقربها لحقهم المنادى عندها أي أرسل إلى أهلها واسألهم عن القصة (والعير التي أقبلنا فيها) أي أصحابها ●
 فإن القصة معروفة فيما بينهم وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب عليه السلام وقيل من صنعاء
 (وإننا لصادقون) تأكيد في محل القسم (قال) أي يعقوب عليه السلام وهو استئناف مبنى على سؤال ٨٣
 نشأ مما سبق فكانه قيل فإذا كان عند قول المتوقف لإخوته ما قال فليل قال يعقوب عند ما رجعوا إليه
 فقالوا له ما قالوا وإنما حذف للإبذان بأن مسارعتهم إلى قبوله ورجوعهم به إلى أبيهم أمر مسلم غنى عن
 البيان وإنما المحتاج إليه جواب أبيهم (بل سولت) أي زينت وسهلت وهو إضراب لاعتصام صريح كلامهم ●
 فإنهم صادقون في ذلك بل عما يقتضيه من ادعاء البراءة عن التسبب فيما نزل به وأنه لم يصدر عنهم ما يؤدي
 إلى ذلك من قول أو فعل كأنه قيل لم يكن الأمر كذلك بل زينت (لكم أنفسكم أمراً) من الأمور فانتتموه ●
 يريد بذلك قيامهم بأخذ السارق بسرقة (فصبر جميل) أي فأمري صبر جميل أو فصبر جميل أجل (عسى
 الله أن يأتيني بهم جميعاً) يوسف وأخيه والمتوقف بمصر (إنه هو العليم) بحالي وحالهم (الحكيم) الذي ●
 لم يبتلى إلا بالحكمة بالغلة (وتولى) أي أعرض (عنهم) كراهة لما سمع منهم (وقال يا أسفا على يوسف) ٨٤
 الأسف أشد الحزن والحسرة أضافه إلى نفسه والألف بدل من الياء فناداه أي يا أسفى تعالى فهذا أو أنك
 وإنما أسف على يوسف مع أن الحادث مصيبة أخويه لأن رزاه كان قاعدة الرزاء غصاً عنده وإن
 تقادم عهده أخذاً بمجامع قلبه لا ينساه ولا أنه كان واثقاً بحبائنها عالماً بمكائدها طامعاً في إياها وأما
 يوسف فلم يكن في شأنه ما يحرك سلسلة رجائه سوى رحمة الله تعالى وفضله وفي الخبر لم تعط أمة من الأمم
 إلّا الله وإنما إليه راجعون إلا أمة محمد ﷺ ألا يرى إلى يعقوب حين أصابه ما أصابه لم يسترجع بل قال
 ما قال والتجانس بين لفظي الأسف ويوسف مما يزيد النظم الكريم بهجة كما في قوله عز وجل وهم يهنون
 عنه وينأون عنه وقوله إنا قلتم إلى الأرض أَرْضُ أَرْضَيْتُمْ وقوله ثم كلّى من كل الثمرات وجئتكم من سبأ نبيا يقين
 ونظائرهما (وابيضت عيناه من الحزن) الموجب للبكاء فإن العبرة إذا كثرت محقت سواد العين وقلبته ●
 إلى بياض كدر قيل قد عمى بصره وقيل كان يدرك إدراكاً ضيعفاً . روى أنه ما جفت عينا يعقوب من
 يوم فراق يوسف إلى حين لقائه ثمانين عاماً وما على وجه الأرض أكرم على الله عز وجل من يعقوب
 عليه السلام وعن رسول الله ﷺ أنه سأل جبريل عليه السلام ما بلغ من وجد يعقوب عليه السلام

قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوُا تَذَكَّرُ يَوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ ١٢ يوسف

قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ١٢ يوسف

يَلْبَنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ ١٢ يوسف

- على يوسف قال وجد سبعين تكلى قال فما كان له من الأجر قال أجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة قط وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند النوائب فإن الكف عن ذلك مما لا يدخل تحت التكليف فإنه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله ﷺ على ولده إبراهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسيخط الرب وإنما عليك يا إبراهيم لمحزونون وإنما الذى لا يجوز ما يفعله الجهلة من الصباح والنياحه وأطم الحدود والصدور وشق الجيوب وتمزيق الثياب وعن النبي ﷺ أنه بكى على ولد بعض بناته وهو يهود بنفسه فقبل يارسل الله تبكى وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وإنما نهيتكم عن صوتين أحق صوت عند الفرح وصوت عند الترح (فهو كظيم) مملوء من الغيظ على أولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فمقبل بمعنى مفعول بدليل قوله تعالى وهو مكظوم من كظم السقاء إذا شده على ملكه أو بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ إذا جترعه وأصله كظم البعير جرتة إذا ردها
- ٨٥ في جوفه (قالوا تالله تفتأ) أى لا تفتأ ولا تزال (تذكر يوسف) تفجعاً عليه لحذف حرف النفي كما في قوله [فقلت يمين الله أبرح قاعداً] لعدم الالتباس بالإثبات فإن القسم إذا لم يكن معه علامة الإثبات يكون على النفي البتة (حتى تكون حرصاً) مريضاً مشفياً على الهلاك وقيل الحرص من أذا به هم أو مرض وهو في الأصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع والنعت منه بالكسر كدنف وقد قرئ به وبضمين كجذب وغرب (أو تكون من الهالكين) أى الميتين (قال إنما أشكو بثي) البث أصعب الهم الذى لا يصبر عليه صاحبه فيبثه إلى الناس أى ينشره فكأنهم قالوا له ما قالوا بطريق التسلية والإشكاء
- فقال لهم إني لأشكو ما بى إليكم أو إلى غيركم حتى تنصروا التسليتي وإنما أشكو همى (وحزنى إلى الله)
- تعالى ملتجئاً إلى جنابه متضرعاً لدى بابه فى دفعه وقرى بفتحيتين وضمين (وأعلم من الله ما لا تعلمون) من لطفه ورحمته فأرجو أن يرحمنى ويلطف بى ولا يخيب رجائى أو أعلم وحياً أو إلهاماً من جمته ما لا تعلمون من حياة يوسف . قيل رأى ملك الموت فى المنام فسأله عنه فقال هو حى وقيل علم من رؤيا يوسف عليه السلام أنه سيخر له أبواه وإخوته سجداً (يا بنى اذهبوا فتحسسوا) أى تعرفوا وهو تفعل من الحس
- وقرئ بالجيم من الجس وهو الطلب أى تطلبوا (من يوسف وأخيه) أى من خبرهما ولم يذكر الثالث لأن غيبته اختيارية لا يعسر إزالتها (ولا تأيسوا من روح الله) لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ بضم الراء أى من رحمته التى يحيى بها العباد وهذا إرشاد لهم إلى بعض ما أبهم فى قوله وأعلم من الله ما لا

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الْضُرَّ وَجِئْنَا بِبِضْغَةٍ مُزْجِنَةٍ قَاوِفْ لَنَا

الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾

١٢ يوسف

قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾

١٢ يوسف

- تعلمون ثم حذرهم عن ترك العمل بموجب نهيه بقوله (إنه لا ينس من روح الله إلا القوم الكافرون) لعدم علمهم بالله تعالى وصفاته فإن العارف لا يقنط في حال من الأحوال (فلما دخلوا عليه) أي على ٨٨ يوسف بعد ما رجعوا إلى مصر بموجب أمر أبيهم وإنما لم يذكر ذلك لإيداناً بمسارعتهم إلى ما أمروا به وإشعاراً بأن ذلك أمر محقق لا يفتقر إلى الذكر والبيان (قالوا يا أيها العزيز) أي الملك القادر الممنوع (مسنا وأهلنا الضر) الهزال من شدة الجوع (وجئنا ببضاعة مزجاة) مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقاراً لها من أزجيتها إذا دفعته وطرده والريح تزجي السحاب قيل كانت بضاعتهم من متاع الأعراب صوفاً وسمناً وقيل للصنوبر وحبسة الخضراء وقيل سويق المقل والأقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ إلا بوضيعة وإنما قدموا ذلك ليكون ذريعة إلى إسعاف راحهم بيمت الشفقة وهن العطف والرافة وتحريك سلسلة الرحمة ثم قالوا (قأوف لنا الكيل) أي أتممه لنا (وتصدق علينا) برد أخينا إلينا ● قاله الضحاك وابن جريج وهو الأنسب بحالهم نظر إلى أمر أبيهم أو بالإيفاء أو بالمساححة وقبول المراجعة أو بالزيادة على ما يساويها تفضلاً وإنما سموه تصدقاً تواضعاً أو أرادوا التصديق فوق ما يعطيهم بالثمن بناء على اختصاص حرمة الصدقة بذيئنا ﷺ وإنما لم يبدوا بما أسروا به استجلالاً للرافة والشفقة ليعتوا بما قدموا من رقة الحال رقة القلب والحنو على أن ما ساقوه كلام ذو وجهين فإن قولهم وتصدق علينا (إن الله يجزي المتصدقين) يحتمل الحمل على المحملين فلهذا عليه السلام حمله على المحمل الأول ولذلك (قال) مجيئاً عما ٨٩ عرضوا به وضمنوه كلامهم من طلب رد أخيه (هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه) وكان الظاهر أن يتعرض لما فعلوا بأخيه فقط وإنما تعرض لما فعلوا بيوسف لاشتراكهما في وقوع الفعل عليهما فإن المراد بذلك أفرادهم له عن يوسف وإذلاله بذلك حتى كان لا يستطيع أن يكلمهم إلا بمعجزة وذلة أي هل تبتم عن ذلك بعد علمكم بقبحه فهو سؤال عن الملزوم والمراد لازمه (إذا أنتم جاهلون) بقبحه فلذلك أقدمتم على ذلك أو جاهلون عاقبته وإنما قاله نصحاً لهم وتحريضاً على التوبة وشفقة عليهم لما رأى مجرمهم وتمسكهم لا معانبة وتثريباً ويجوز أن يكون هذا الكلام منه عليه السلام منقطعاً عن كلامهم وتنبهاً لهم على ما هو حقهم ووظيفتهم من الإعراض عن جميع المطالب والتعرض في طلب بنيامين بل يجوز أن يقف عليه السلام بطريق الوحي أو الإلهام على وصية أبيه وإرساله إليهم للتحنس منه ومن أخيه فلما رأهم قد اشتغلوا عن ذلك قال ما قال وقيل أعطوه كتاب يعقوب عليه السلام وقد كتب فيه كتاب من يعقوب إسرائيل الله ابن إسحق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله إلى عزيز مصر أما بعد فلما أهل بيت موكل بنا البلاء أما جدي فشدت يده ورجلا فرمى به في النار فنجاه الله تعالى وجعلت النار له برداً وسلاماً وأما أبي فوضع السكين

قَالُوا أَوَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ يَتَّى وَيَصْبِرُ
فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾

١٢ يوسف

قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِطِينَ ﴿٩١﴾

١٢ يوسف

قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾

١٢ يوسف

- على قفاه ليقتل ففداه الله تعالى وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادى إلى فذهب به إخوته إلى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخاً بالدم فقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناى من بكائى عليه ثم كان لي ابن وكان أخاه من أمه وكنت أنسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا إنه سرق وإنك حبسته وأنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقاً فإن رددته على وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابح من ولدك والسلام فلما قرأ لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ما قال وقيل لما قرأه بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا انظروا كما ظفروا (قالوا أنك لانت يوسف) استفهام تقرير ولذلك أكدوه بيان واللام قالوه استغراباً وتمجيباً وقرىء إنك بالإيجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكان لسارة ويعقوب مثلها وقرىء أنك أو أنت يوسف على معنى أنك يوسف أو أنت يوسف لخداف الأول لدلالة الثاني عليه وفيه زيادة استغراب (قال أنا يوسف)
- جواباً عن مستأثمهم وقد زاد عليه قوله (وهذا أخى) أى من أبوى مبالغة في تعريف نفسه وتفخيم الشأن
 - أخيه وتكملة لما أفاده قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه حسبما يفيدته قوله (قد من الله علينا) فكانه قال هل علمتم ما فعلتم بنا من التفريق والإذلال فأنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا بالخلاص عما ابتلينا به والاجتماع بعد الفرقة والعزة بعد الذلة والآنس بعد الوحشة ولا يبعد أن يكون فيه إشارة إلى الجواب عن طلبهم لرد بنيامين بأنه أخى لا أخوكم فلا وجه لطلبكم ثم علل ذلك بطريق الاستئناف التعليق بقوله (إنه من يتقى) أى يفعل التقوى في جميع أحواله أو يثق نفسه مما يوجب حفظ الله تعالى وعذابه
 - (ويصبر) على المحن أو على مشقة الطاعات أو عن المعاصى التى تستلذها النفس (فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) أى أجرهم وإنما وضع المظهر موضع المضمرة تنديها على أن المنعوتين بالتقوى والصبر موصوفون بالإحسان (قالوا تالله لقد آثرك الله علينا) اختارك وفضلك علينا بما ذكرت من الذوات الجليلة (وإن كما) وإن الشأن كنا (لخاطئين) لمتعمدين للذنوب إذ فعلنا بك ما فعلنا ولذلك أعزك وأذلنا وفيه إشعار بالتوبة والاستغفار ولذلك (قال لا تثريب) أى لا عتب ولا تأنيب (عليكم) وهو تفعيل من الثرب وهو الشحم الغاشى للكرش ومعناه إزالته كأن التجليد إزالة الجلد والتقريع إزالة القرع لأنه إذا ذهب كان ذلك غاية الهزال فضرب مثلاً للتقريع الذى يذهب بهاء الوجوه وقوله عز وعل (اليوم) منصوب بالتثريب
 - أو بالمقدر خبر اللأى لا أثربكم أو لا تثريب مستقر عليكم اليوم الذى هو مظنة لما ظنكم بسائر الأيام

أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ ١٢ يوسف

وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ ١٢ يوسف

قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ ١٢ يوسف

فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ

مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ ١٢ يوسف

- أو بقوله (يغفر الله لكم) لأنه حينئذ صفح عن جريمتهم وعفا عن جريرتهم بما فعلوا من الذنوب (وهو أرحم الرحمن) يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على البائب بالقبول ومن كرمه عليه الصلاة والسلام أن إخوته أرسلوا إليه إنك تدعونا إلى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحي منك بما فرط منافيك فقال تليه الصلاة والسلام إن أهل مصر وإن ملكك فيهم كانوا ينظرون إلى بالعين الأولى ويقولون سبحان من بلغ عبداً يبع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم الآن وعظمت في العيون حيث علم الناس إنكم إخوتي وأنا من حنفة إبراهيم عليه الصلاة والسلام (اذهبوا بقميصي هذا) قيل هو الذي كان عليه حينئذ ٩٣ وقيل هو القميص المتوارث الذي كان في التعويذ أمره جبريل بإرساله إليه وأوحى إليه أن فيج ريح الجنة لا يقع على مبتلى إلا عوفى (فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً) يكن بصيراً أو يأت إلى بصيراً وينصره ● توله (وائتوني بأهلكم أجمعين) أي بأبي وغيره ممن ينتظمه لفظ الأهل جميعاً من النساء والذرائر . ● قبل إنما حمل القميص بهذا وقال أنا أحزنته بحمل القميص ملطخاً بالدم إليه فأفرجه كما أحزنته وقيل حمله وهو حاف حامر من مصر إلى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخاً (ولما فصلت العير) خرجت من ٩٤ عريش مصر يقال فصل من البلد فصلاً إذا انفصل منه وجارز حيطانته وقرأ ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ما انفصل العير (قال أبوهم) يعقوب عليه الصلاة والسلام لمن عنده (إنني لأجد ريح يوسف) أوجده ● الله سبحانه ما عبق بالقميص من ريح يوسف من ثمانين فرسخاً حين أقبل به يهوذا (لولا أن تفندون) أي تنسبونني إلى الفند وهو الخرف وإنكار العقل وفساد الرأي من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة إذ لم تكن في شببتها ذات رأى فتفند في كبرها وجواب لولا محذوف أي لصدقتموني (قالوا) أي ٩٥ الحاضرون عنده (تالله إنك لفي ضلالك القديم) لني ذهابك عن الصواب قدما في إفراط محبتك يوسف ولهجك بذكركه ورجائك للقائه وكان عندهم أنه قد مات (فلما أن جاء البشير) وهو يهوذا (ألقاه) ألقى البشير القميص (على وجهه يعقوب أو ألقاه يعقوب على وجه نفسه) فارتد عاد (بصيراً) ● لما انتعش فيه من القوة (قال ألم أقل لكم) يعني قوله إنني لأجد ريح يوسف فالحطاب لمن كان عنده بكنعان ٩٦ أو قوله ولا تيأسوا من روح الله فالحطاب لبنيه وهو الأنسب بقوله (إنني أعلم من الله ما لا تعلمون) ● ٣٩٠ - أبي السعود ج ٤ .

١٢ يوسف

قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾

١٢ يوسف

قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ ١٢ يوسف

فإن مدار النهي المذكور إنما هو العلم الذي أوتي يعقوب من جهة الله سبحانه وعلى هذا يجوز أن يكون هذا مقول القول أي ألم أقل لكم حين أرسلتكم إلى مصر وأمرتكم بالتحسس ونهيتمكم عن اليأس من روح الله تعالى وأعلم من الله مالا تعلمون من حياة يوسف عليه الصلاة والسلام . روى أنه سأل البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر قال ما أصنع بالملك على أي دين تركته قال على دين الإسلام ٩٧ قال الآن تمت النعمة (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين) ومن حق من اعترف بذنبه أن يصفح عنه ويستغفر له فكأنهم كانوا على ثقة من عفوه عليه الصلاة والسلام ولذلك اقتصرُوا على ٩٨ استدعاء الاستغفار وأدرجوا ذلك في الاستغفار (قال سوف استغفر لكم ربِّي لأنه هو الغفور الرحيم) وهذا مشعر بعفوه قيل آخر الاستغفار إلى وقت السحر وقيل إلى ليلة الجمعة ليتحرى به وقت الإجابة وقيل آخره إلى أن يستحل لهم من يوسف عليه الصلاة والسلام أو يعلم أنه قد عفا عنهم فإن عفو المظلوم شرط المغفرة ويعضده أنه روى عنه أنه استقبل القبلة قائماً يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما أذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا أنها الهلكة نزل جبريل عليه الصلاة والسلام فقال إن الله قد أجاب دعوتك في ولدك وعقد موافيقهم بعدك على النبوة فإن صح ثبتت نبوتهم وإن ما صدر عنهم إنما صدر قبل الاستنباء وقيل المراد الاستمرار على الدعاء فقد روى أنه كان يستغفر كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وقيل قام إلى الصلاة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه فقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما أتوا إلى أخيم فأوحى الله إليه إن الله قد غفر لك ولهم ٩٩ أجمعين (فلما دخلوا على يوسف) روى أنه وجه يوسف إلى أبيه جهازاً ومائتي راحلة ليتجهز إليه بمن معه فاستقبله يوسف والملك في أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر بأجمعهم فتلقوا يعقوب عليه الصلاة والسلام وهو بمشي متوكتاً على يهوذا فنظر إلى الخيل والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا بل ولدك فلما لقيه قال عليه الصلاة والسلام عليك يا مذهب الأحران وقيل قال له يوسف يا أبت بكيت على حتى ذهب بصرك أم تعلم أن القيامة تجمعنا فقال بلى ولكني خشيت أن يسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل إن يعقوب وولده دخلوا مصر وهم ثمان وسبعون ما بين رجل وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلاً سوى الذرية والهرمي وكانت الذرية ألف ألف ومائتي ألف (آوى إليه أبويه) أي أباه وخالته وتنزلها منزلة الأم كتنزيل العم منزلة الأب في قوله عز وجل ولله آباءكم إبراهيم وإسماعيل وإسحق أو لأن يعقوب عليه الصلاة والسلام تزوجها بعد أمه وقال

وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَثَابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ يوسف

- الحسن وابن إسحق كانت أمه في الحياة فلا حاجة إلى التأويل ومعنى آوى إليه ضمهما إليه واعتناقهما وكانه عليه الصلاة والسلام ضرب في الملتقى مضرباً فنزل فيه فدخلوا عليه فأواهما إليه (وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين) من الشدائد والمكاره قاطبة والمشيمة متعلقة بالدخول على الآمن (ورفع أبويه) عند نزولهم بمصر (على العرش) على السرير تكرامة لهما فوق ما فعله لإخوته (وخرؤاله) أى أبواه وإخوته (سجداً) تحية له فإنه كان السجود عندهم جارياً مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها من عادات الناس الفاشية في التعظيم والتوقير وقيل ما كان ذلك إلا انحناء دون تعفير الجباه وبأباه الخرو ووقيل خروا لأجله سجداً لله شكر أو يرده قوله تعالى (وقال يا أبا توبل روي) التي رأيتها وقصصتها عليك (من قبل) في زمن الصبا (قد جعلها ربى حقاً) صدقا واقعاً بعينه والاعتذار يجعل يوسف بمنزلة القبلة وجعل اللام كما في قوله [أليس أول من صلى لقبلكم] تعسف لا يخفى وتأخير عن الرفع على العرش ليس بنص في ذلك لأن الترتيب الذكرى لا يجب كونه على وفق الترتيب الوقوعى فلعل تأخير عن ليصل به ذكر كونه تعبيراً لرؤياه وما يتصل به من قوله (وقد أحسن بي) المشهور استعمال الإحسان يالى وقد يستعمل بالباء أيضاً كما في قوله عز اسمه وبالوالدين إحساناً وقيل هذا بتضمنين لطف وهو الإحسان الخفى كما يؤذن به قوله تعالى إن ربى لطيف لما يشاء وفيه فائدة لا تخفى أى لطف بي محسناً إلى غير هذا الإحسان (إذا أخرجني من السجن) بعد ما بتليت به ولم يصرح بقصة الحب حذاراً من تعريب إخوته لأن الظاهر حضورهم لوقوع الكلام عقيب خروهم سجداً واكتفاء بما يتضمنه قوله تعالى (وجاء بكم من البدو) أى البادية (من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي) أى أفسد بيننا بالإغواء وأصله من نخس الرائض الدابة وحملها على الجرى يقال نزغ ونسغه إذا نخسه ولقد بالغ عليه الصلاة والسلام في الإحسان حيث أسند ذلك إلى الشيطان (إن ربى لطيف لما يشاء) أى لطيف التدبير لأجله رفيق حتى يحى على وجه الحكمة والصواب ما من صعب إلا وهو بالنسبة إلى تدبيره سهل (إنه هو العليم) بوجوه المصالح (الحكيم) الذى يفعل كل شئ على قضية الحكمة روى أن يوسف أخذ يدي يعقوب عليهما الصلاة والسلام فطاف به في خزائنه فأدخله في خزائن الورق والذهب وخزائن الحلى وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما أدخله خزائن القراطيس قال يا بنى ما أعفك عندك هذه القراطيس وما كتبت إلى على ثمانى مراحل قال أمرنى جبريل قال أو ما تسأله قال أنت أبسط إليه منى فسأله قال جبريل الله تعالى أمرنى بذلك لئولك أخاف أن يأكله الذئب قال فملا خفتنى وروى أن يعقوب عليه الصلاة والسلام أقام معه أربعاً وعشرين سنة ثم مات وأوصى أن يدفنه بالشام إلى جنب أبيه إسحق فمضى بنفسه ودفنه ثممة ثم عاد إلى مصر وعاش بعد

رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ
وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٢﴾

١٢ يوسف

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٣﴾

١٣ يوسف

- ١٠١ أيه ثلاثاً وعشرين سنة فلاتم أمره وعلم أنه لا يدوم له تاقت نفسه إلى الملك الدائم الخالد فتمنى الموت فقال (رب قد آتيتني من الملك) أي بعضاً منه عظيماً وهو ملك مصر (وعلمتني من تأويل الأحاديث) أي بعضاً من ذلك كذلك إن أريد بتعليم تأويل الأحاديث تفهيم غوامض أسرار الكتب الإلهية ودقائق سنن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فالترتيب ظاهر وأما إن أريد به تعليم تعبير الرؤيا كما هو الظاهر فلعل تقديم إتياء الملك عليه في الذكر لأنه بمقام تعداد النعم الفائضة عليه من الله سبحانه والملك أعرق في كونه نعمة من الملوك المذكور وإن كان ذلك أيضاً نعمة جليلة في نفسه ولا يمكن تمشية هذا الاعتذار فيما سبق لأن التعليم هناك وارد على نهج العلة الغائية للتمكين فإن حمل على معنى التمليك لزم تأخره عنه وأما الواقع هنا فجرد التأخير في الذكر والمطف بحرف الواو لا يستدعي ذلك الترتيب في الوجود (فالرسموات والأرض) مبدعها وخالقها نصب على أنه صفة للنادي أو منادى آخر وصفه تعالى به بعد وصفه بالربوبية مبالغة في ترتيب مبادئ ما يعقبه من قوله (أنت ولي) مالك أو وري (في الدنيا والآخرة) أو الذي يتولاني بالنعمة فيها وإذ قد آتممت على نعمة الدنيا (توفني) اقضني (مسلياً والحقني بالصالحين) من آبائي أو بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة فإنما تم النعمة بذلك قيل لما دعا نوفاه انه عز وجل طيباً طاهراً فتخاصم أهل مصر في دفنه وتشاحوا في ذلك حتى هموا بالقتال فرأوا أن يصنعوا له تابوتاً من مرمر لجعلوه فيه ودفنوه في النيل لير عليه ثم يصل إلى مصر ليكونوا شرعاً واحداً في التبرك به وولده أفرام وميشا وإفرايم نون ولنون يوشع فتى موسى عليه الصلاة والسلام ولقد توارثت الفراعنة من العماقة بعده مصر ولم يزل بنو إسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه إلى أن بعث الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام (ذلك) إشارة إلى ما سبق من نبأ يوسف وما فيه من معنى البعد لما مر مراراً من الدلالة على بعد منزلته أو كونه بالانقضاء في حكم البعيد والخطاب للرسول ﷺ وهو مبتدأ خبره (من أنباء الغيب) الذي لا يحوم حوله أحد وقوله (نوحيه إليك) خبر بعد خبر أو حال من الضمير في الخبر ويجوز أن يكون ذلك اسماً موصولاً ومن أنباء الغيب صلته ويكون الخبر نوحيه إليك (وما كنت لديهم) يريد إخوة يوسف عليه الصلاة والسلام (إذ أجمعوا أمرهم) وهو جعلهم إياه في غيابة الجب (وهم يَمْكُرُونَ) به ويبغون له الفوائل حتى تقف على ظواهر أسرارهم وبواطنها وتطلع على سرائرهم طراً وتحيط بما لديهم خبراً وليس المراد مجرد نفي حضوره عليه الصلاة والسلام في مشهد إجماعهم ومكرهم فقط بل في سائر المشاهد أيضاً وإنما تخصيصه بالذكر لكونه مطلع القصة وأخى أحوالها كما يليه عنه قوله وهم يَمْكُرُونَ والخطاب وإن كان لرسول الله ﷺ لكن

وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ١٢ يوسف

وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ ١٢ يوسف

وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ ١٢ يوسف

وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ١٢ يوسف

أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ ١٢ يوسف

المراد إلزام المكذبين والمعنى ذلك من أنباء الغيب نوحه إليك إذ لا سبيل إلى معرفتك إلا به سوى ذلك إذ عدم سماعك ذلك من الغير وعدم مطالعتك للكتب أمر لا يشك فيه المكذبون أيضاً ولم تكن بين ظهريهم عند وقوع الأمر حتى تعرفه كما هو قبله فيهم وفيه تهكم بالكفار فكانهم يشكون في ذلك فيدفع شكهم وفيه أيضاً إيدان بأن ما ذكر من الباطن هو الحق المطابق للواقع وما ينقله أهل الكتاب ليس على ما هو عليه يعنى أن مثل هذا التحقيق بلا وحى لا يتصور إلا بالحضور والمشاهدة وإذ ليس ذلك بالحضور فهو بالوحى ومثله قوله تعالى وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وقوله وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر (وما أكثر الناس) يريد به العموم أو أهل مكة (ولو حرصت) أى ١٠٣ على إيمانهم وبالغت في إظهار الآيات الفاطمة الدالة على صدقك (بمؤمنين) لتصميمهم على الكفر وإصرارهم على العناد روى أن اليهود وقرشاً لما سألوها عن قصة يوسف وعدوا أن يسلبوا أفلا أخبرهم بها على موافقة النوراة فلم يسلبوا أحزن النبي ﷺ فقليل له ذلك (وما نساءهم عليه) أى على الأنبياء أو القرآن (من) ١٠٤ أجر) من جعل كما يفعله حملة الأخبار (إن هو إلا ذكر) عظة من الله تعالى (للعالمين) كافة لا أن ذلك مختص بهم (وكأين من آية) أى كأي عدد شئت من الآيات والعلامات الدالة على وجود الصانع ووحده ١٠٥ ويال علمه وقدرته وحكمته غير هذه الآية التى جنت بها (فى السموات والأرض) أى كائنة فيها من الأجرام الفلكية وما فيها من النجوم وتغير أحوالها ومن الجبال والبحار وسائر ما فى الأرض من العجائب الفاتنة المحصر (يمرون عليها) أى يشاهدونها ولا يعشون بها وقرى برفع الأرض على الابتداء ١٠٦ ويمرون خبره وقرى بنصبها على معنى ويطئون الأرض يمرون عليها وفى مصحف عبدالله والأرض يشون عليها والمراد ما يرون فيها من آثار الأمم الهالكة وغير ذلك من الآيات والعبر (وهم عنها معرضون) غير ١٠٦ ناظرين إليها ولا متفكرين فيها (وما يؤمن أكثرهم بالله) فى إقرارهم بوجوده وخالفته (إلا وهم مشركون) ١٠٦ بعبادتهم لغيره أو باتخاذهم الأحياء والرهبان أرباباً أو بقولهم باتخاذهم تعالى ولداً سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً أو بالنور والظلمة وهى جملة حالية أى لا يؤمن أكثرهم إلا فى حال شركهم قبل نزل الآية فى أهل مكة وقيل فى المنافقين وقيل فى أهل الكتاب (أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله) أى عقوبة ١٠٧

قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾

١٢ يوسف

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾

حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾

١٢ يوسف

- تغشاهم وتشم لهم (أو تأتهم الساعة بغتة) فجأة من غير سابقة علامة (وهم لا يشعرون) بإتيانها غير مستعدين لها (قل هذه سبيلي) وهي الدعوة إلى التوحيد والإيمان والإخلاص وفسرها بقوله (أدعو إلى الله على بصيرة) بيان وحجة واضحة غير عمياء أو حال من الضمير في سبيلي والعامل فيها معنى الإشارة (أنا) تأكيد للمستمكن في أدعو أو على بصيرة لأنه حال منه أو مبتدأ خبره على بصيرة (ومن اتبعني) عطف عليه (وسبحان الله وما أنا من المشركين) مؤكد لما سبق من الدعوة إلى الله (وما أرسَلنا من قبلك إلا رجالا) رد لقولهم لو شاء الله لأنزل ملائكة (نوحى إليهم) كما أوحينا إليك وقرىء بالياء (من أهل القرى) لأنهم أعلم وأحلم وأهل البوادي فيهم الجمل والجفاء والقسوة (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من المكذبين بالرسول والآيات فيحذروا تكذيبك (ولدار الآخرة) أى الساعة أو الحياة الآخرة (خير للذين اتقوا) (الشرك والمعاصي) (أفلا تعقلون) فتستعملوا عقولكم لتعرفوا خيرية دار الآخرة وقرىء بالياء على أنه غير داخل تحت قل (حتى إذا استيأس الرسل) غاية لمحذوف دل عليه السياق أى لا يفرغهم تماميهم فيما هم فيه من الدعة والرخاء فإن من قبلهم قد أمهلوا حتى آيس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا أو عن إيمانهم لأنهم كهم في الكفر وتماديهم في الطغيان من غير وازع (وظنوا أنهم قد كذبوا) كذبهم أنفسهم حين حدثهم بأنهم ينصرون عليهم أو كذبهم رجاؤهم فإنه يوصف بالصدق والكذب والمعنى إن مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله تعالى قد تطاولت وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا أن لا نصر لهم في الدنيا (جاءهم نصرنا) فجأة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وظنوا أنهم قد أخلفوا ما وعدهم الله من النصر فإن صح ذلك عنه فاعله أراد بالظن ما يخطر بالبال من شبه الوسوسة وحديث النفس وإنما عبر عنه بالظن تهويلا للخطب وأما الظن الذى هو ترجح أحد الجانبين على الآخر فلا يتصور ذلك من آحاد الأمة فما ظنك بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهم هم ومنزاتهم في معرفة شئون الله سبحانه منزلاتهم وقيل الضمير ان للرسول إليهم وقيل الأول لهم والثانى للرسول وقرىء بالتشديد أى ظن الرسل أن القوم كذبوهم فيما أوعدهم وقرىء بالتحفيف على بناء الفاعل على أن الضمير ين للرسول أى ظنوا أنهم كذبوا عند قومهم فيما حدثوا به لما تراخى عنهم ولم يروا له أثرا

لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي
بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

١٢ يوسف

- أو على أن الأول لقومهم (فنجى من نشاء) هم الرسل والمؤمنون بهم وقرىء فننجى على لفظ المستقبل
- بالتخفيف والتشديد وقرىء فنجا (ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) إذا نزل بهم وفيه بيان لمن تعلق بهم
- المشينة (لقد كان في قصصهم) أى قصص الأنبياء وأممهم وينصره قراءة من قرأ بكسر القاف أو قصص ١١١
- يوسف وإخوته (عبرة لأولى الألباب) لذوى العقول المبرأة عن شوائب احكام الحس (ماكان) أى
- القرآن المدلول عليه بما سبق دلالة واضحة (حديثاً يفتري ولكن) كان (تصديق الذى بين يديه) من
- الكتب السماوية وقرىء بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى ولكن هو تصديق الذى بين يديه
- (وتفصيل كل شيء) مما يحتاج إليه في الدين إذ ما من أمر ديني إلا وهو يستند إلى القرآن بالذات أو
- بوسط (وهدى) من الضلالة (ورحمة) ينال بها خير الدارين (لقوم يؤمنون) أى يصدقونه لأنهم
- المنتفعون به وأما من عدام فلا يمتدون بهداه ولا ينتفعون بمجدواه . عن رسول الله ﷺ علوا أرقامكم
- سورة يوسف فإنه أيما مسلم تلاها وعلها أهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه
- القوة أن لا يحسد مسلماً .

(تم الجزء الرابع ويليه الجزء الخامس وأوله سورة الرعد)

فهرست الجزء الرابع من تفسير العلامة أبي السعود

صفحة

- ٢ ٨ - سورة الأنفال
- ١٥ قوله تعالى : إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون .
(الجزء العاشر)
- ٢٢ قوله تعالى : واعدوا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه والرسول ولذى القربى واليتامى الخ
- ٣٩ ٩ - سورة التوبة
- ٦٢ قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأثبار والرهبان لبأكلون أموال الناس بالباطل الخ
- ٧٦ قوله تعالى : إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل .
(الجزء الحادى عشر)
- ٩٣ قوله تعالى : إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم غنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف .
- ١١١ قوله تعالى : وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة طائفة الخ .
- ١١٥ ١٠ - سورة يونس عليه السلام
- ١٣٨ قوله تعالى : للذين أحسنوا الحسنى وزيادة .
- ١٦٤ قوله تعالى : واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت .
- ١٨٢ ١١ - سورة هود عليه السلام
(الجزء الثانى عشر)
- ١٨٦ قوله تعالى : وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها .
- ٢٠٩ قوله تعالى : وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسها إن ربى لغفور رحيم .
- ٢٣١ قوله تعالى : وإلى مدين أحام شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره .
- ٢٥٠ ١٢ - سورة يوسف عليه السلام
- ٢٥٥ قوله تعالى : لقد كان فى يوسف وإخوته آيات للسائلين .
(الجزء الثالث عشر)
- ٢٨٥ قوله تعالى : وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى .
- ٣٠٨ قوله تعالى : رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديت فاطر السموات والأرض .
(تم فهرست)

تفسير السعدي

المسمى بإرشاد العقول السليمة إلى مراتب الفهم الإنليكي

لقاضي القضاة الإمام
أبي السعد محمد بن محمد العامري
المتوفى سنة ٩٥١ هجرية

الجزء المبتدئ

الناشر
دار المصنف - مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد
١٣ شارع الصناديقية بالأزهر - ص ب ٤٠٦ بالقاهرة
مركز التوزيع بلسان - بناية صالحة وصمدى بشارع موريابيروت

١٣ — سورة الرعد

(مدنية وآياتها ثلاثة وأربعون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾

اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بَلِقَاءَ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾

(سورة الرعد مدنية وقيل مكية إلا قوله ويقول الذين كفروا الآية وآياتها ثلاث وأربعون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (المر) اسم للسورة ومحلها إما الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي هذه السورة مسماة بهذا الاسم وهو أظهر من الرفع على الابتداء إذ لم يسبق العلم بالتسمية كما مر مراراً وقوله تعالى (تلك) على الوجه الأول مبتدأ مستقل وعلى الوجه الثاني مبتدأ ثان أو بدل من الأول أشير به إليه إيداناً بفخامته وأما النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اقرأ أو اذكر فتلك مبتدأ كما إذا جعل المر مسروداً على نمط التعديد أو بمعنى أنا الله أعلم وأرى على ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما والخبر على التقدير قوله تعالى (آيات الكتاب) أي الكتاب العجيب الكامل الغني عن الوصف به المعروف بذلك من بين الكتب الحقيقي باختصاص اسم الكتاب به فهو عبارة عن جميع القرآن أو عن الجميع المنزل حينئذ حسبما مر في مطلع سورة يونس إذ هو المتبادر من مطلق الكتاب المستغنى عن النعت وبه يظهر ما أريد من وصف الآيات بوصف ما أضيفت إليه من نعوت الكمال بخلاف ما إذا جعل عبارة عن السورة فإنها ليست بتلك المثابة من الشهرة في الأوصاف بذلك المغنية عن التصريح بالوصف على أنها عبارة عن جميع آياتها فلا يد من جعل تلك إشارة إلى كل واحدة منها وفيه ما لا يخفى من التعسف الذي مر تفصيله في سورة يونس (والذي أنزل إليك من ربك) أي الكتاب المذكور بكالهما لا هذه السورة وحدها (الحق) الثابت المطابق للواقع في كل مناطق به الحقيقي بأن يخص به الحقيقة لعراقته فيها وليس فيه ما يدل على أن ما عداه ليس بحق أصلاً على أن حقيقته مستتبعة لحقيقة سائر الكتب السماوية لكونه مصداقاً لما بين يديه ومهمبنا عليه وفي التعبير عنه بالموصول وإسناده الإنزال إليه بصيغة المبني للمفعول والتعرض لوصف الربوبية مضافاً إلى ضميره عليه السلام من الدلالة على نخامة المنزل التابعة لجلالة شأن المنزل وتشریف المنزل إليه والإيماء إلى وجه بناء الخبر ما لا يخفى (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) بذلك الحق المبين لإخلاصهم بالنظر والتأمل فيه فعدم إيمانهم متعلق بعنوان حقيقته لأنه المرجع للتصديق والتكذيب لا بعنوان كونه منزلاً كما قيل ولأنه وارد على طريقة الوصف دون الأخبار (الله الذي رفع السموات)

وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾

١٣ الرعد

- أى خلقهم مرتفعات على طريقة قولهم سبحان من كبر الفيل وصغر البعوض لأنه رفعها بعد أن لم تكن كذلك والجملة مبتدأ وخبر كقوله وهو الذى مد الأرض (بغير عمد) أى بغير دعائم جمع عمد كإهاب وأهب وهو ما يعمد به أى يسند يقال عمدت الحائط أى أدعته وقرىء عمد على جمع عمود بمعنى عمد كرسول ورسول وإيراد صيغة الجمع لجمع السموات لأن المنفى عن كل واحدة منها عمد لاعماد (ترونها) استئناف استشهد به على ما ذكر من رفع السموات بغير عمد وقيل صفة لعمد جىء بها إيهاماً لأن لها عمداً غير مرئية هى قدرة الله تعالى (ثم استوى) أى استولى (على العرش) بالحفظ والتدبير أو استوى أمره وعن أصحابنا أن الاستواء على العرش صفة لله عز وجل بلا كيف وأياً ما كان فليس المراد به القصد إلى إيجاد العرش وخلقها فلا حاجة إلى جعل كلمة ثم للتراخي فى الرتبة (وسخر الشمس والقمر) ذللهما وجعلهما طائعين لما أريد منهما من الحركات وغيرها (كل) من الشمس والقمر (يجرى) حسبما أريد منها (لأجل مسمى) لمدة معينة فيها تم دورته كالسنة للشمس والشهر للقمر فإن كلا منهما يجرى كل يوم على مدار معين من المدارات اليومية أو لمدة ينتهى فيها حركتهما ويخرج جميع ما أريد منهما من القوة إلى الفعل أو لغاية يتم عندها ذلك والجملة بيان لحكم تسخيرهما (يدبر) بما صنع من الرفع والاستواء والتسخير أى يقضى ويقدر حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة (الأمر) أمر الخلق كله وأمر ملكوته وروبو بيته (يفصل) الآيات) الدلالة على كمال قدرته وبالعجز حكمة أى يأتى بها مفصلة وهى ما ذكر من الأفعال العجيبة وما يتلوها من الآوضاع الفلكية الحادثة شيئاً فشيئاً المستتعبة للأثار الغريبة فى السفليات على موجب التدبير والتقدير فالجملتان إما حالان من ضمير استوى وقوله وسخر الشمس والقمر من تنمة الاستواء وإما مفسر تان له أو الأولى حال منه والثانية من الضمير فيها أو كلاهما من ضمائر الأفعال المذكورة وقوله كل يجرى لأجل مسمى من تنمة التسخير أو خبران عن قوله الله خبراً بعد خبر والموصول صفة للمبتدأ جىء به للدلالة على تحقيق الخبر وتعظيم شأنه كما فى قول الفرزدق [إن الذى سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول] (لعلكم) عند معاينتكم لها وعثورك على تفاصيلها (بملاقاته للجزاء) (توقنون) فإن من تدبرها حق التدبر أيقن أن من قدر على إبداع هذه الصنائع البديعة على كل شىء قدير وأن لهذه التدبيرات المتينة عواقب وغايات لا بد من وصولها وقد بينت على السنة الانبياء عليهم السلام أن ذلك ابتلاء للمكلفين ثم جزاؤهم حسب أعمالهم فإذا لم يبد من الإيقان بالجزاء ولما قرر الشواهد العلوية أردفها بذكر الدلائل السفلية فقال (وهو الذى مد الأرض) أى بسطها طولاً وعرضاً قال الأصم المد هو البسط إلى ما لا يدرك منتهاه ففيه دلالة على بعد مداها وسعة أقطارها (وجعل فيها رواسي) أى جبالاً ثوابت فى أحيازها من الرسو وهو ثبات الأجسام الثقيلة ولم يذكر الموصوف لإغناء غلبة الوصف بها

عن ذلك وانحصار مجيء فواعل جمعاً لفاعل في فوارس وهو الكس وإنما هو في صفات العقلاء
وأما في غيرهم فلا يراعى ذلك أصلاً كما في قوله تعالى أياماً معدودات وقوله الحج أشهر مالمات إلى غير
ذلك فلا حاجة إلى أن يحمل مفرداتها صفة لجمع القلة أعني أجبالاً ويترتب في جمع الكثرة أعني جبالاً انتظامها
لطائفة من جموع القلة وتزيل كل منها منزلة مفرداتها كما قيل على أنه لا مجال لذلك فإن جمعية كل من صبغتي
الجمعين إنما هي باعتبار الأفراد التي تحتها لا باعتبار انتظام جمع القلة الأفراد وجمع الكثرة لجموع القلة
فكل منهما جمع جبل لا أن جبلاً لا جمع أجبال كما أن طوائف جمع طائفة ولا إلى أن يلتجأ إلى جعل الوصف
المذكور بالغلبة في عداد الأسماء التي تجمع على فواعل كما ظن على أنه لا وجه له لما أن الغلبة إنما هي في
الجمع دون المفرد والتعبير عن الجبال بهذا العنوان لبيان تفرع قرار الأرض على ثباتها (وأنهاراً) بجاري
واسعة والمراد ما يجري فيها من المياه وفي نظمها مع الجبال في معمولية فعل واحد إشارة إلى أن الجبال
منشأ الأنهار وبيان لفائدة أخرى للجبال غير كونها حافظة للأرض عن الاضطراب المحل بثبات الإقدام
وتقلب الحيوان متفرعة على تمسكه وتقلبه وهي تعيشه بالماء والكلأ (ومن كل الثمرات) متعلق بجعل في قوله
تعالى (جعل فيها زوجين اثنين) أي اثنيّة حقيقية وهما الفردان اللذان كل منهما زوج الآخر وأكده
الزوجين لتلا يفهم أن المراد بذلك الشفعان إذ يطلق الزوج على المجموع ولكن اثنيّة ذلك اثنيّة اعتبارية
أي جعل من كل نوع من أنواع الثمرات الموجودة في الدنيا ضربين وصنفين إما في اللون كالأبيض والأسود
أو في الطعم كالخلو والحامض أو في القدر كالصغير والكبير أو في الكيفية كالحر والبارد وما أشبه ذلك
ويجوز أن يتعلق بجعل الأول ويكون الثاني استئنافاً لبيان كيفية ذلك الجعل (يغشى الليل النهار) استعارة
تبعية تمثيلية مبنية على تشبيه إزالة نور الجو بالظلمة بتغطية الأشياء الظاهرة بالآغطية أي يستر النهار
بالليل والتركيب وإن احتمل العكس أيضاً بالجمل على تقديم المفعول الثاني على الأول فإن ضوء النهار
أيضاً سائر لظلمة الليل إلا أن الانسب بالليل أن يكون هو الغاشي وهذا في أضعاف الآيات السفلية
وإن كان تعلقه بالآيات العلوية ظاهراً باعتبار أن ظهوره في الأرض فإن الليل إنما هو ظلها وفيها فرق
موقع ظلها لاليل أصلاً ولأن الليل والنهار لهما تعلق بالثمرات من حيث العقد والإنضاج على أنهما أيضاً
زوجان متقابلان مثلها وقرى يغشى من التغطية (إن في ذلك) أي فيما ذكر من مد الأرض وإبتدائها
بالرواسي وإجراء الأنهار وخلق الثمرات وإغشاء الليل النهار وفي الإشارة بذلك تنبيه على عظم شأن
المشار إليه في بابه (لآيات) باهرة وهي آثار تلك الأفاعيل البديعة جلّت حكمه صانعها في على معناها فإن
تلك الآثار مستقرة في تلك الأفاعيل منوطة بها ويجوز أن يشار بذلك إلى تلك الآثار المدلول عليها
بتلك الأفاعيل في تجريدية (لقوم يتفكرون) فإن التفكير فيها يؤدي إلى الحكم بأن تكوين كل من ذلك
على هذا النمط الرائق والأسلوب اللائق لا بد له من مكون قادر حكيم يفعل ما يشاء ويخار ما يريد لا معقب
لحكمه وهو الحميد المجيد .

وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضْلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ١٣ الرعد

(وفي الأرض قطع) جملة مستأنفة مشتملة على طائفة أخرى من الآيات أى بقاع كثيرة مختلفة في الأوصاف ٤
 فن طيبة إلى سبخة وكريمة إلى زهيدة وصلبة إلى رخوة إلى غير ذلك (متجاورات) أى متلاصقات *
 وفي بعض المصاحف قطعاً متجاورات أى جعل في الأرض قطعاً (وجنات من أعناب) أى بساتين *
 كثيرة منها (وزرع) من كل نوع من أنواع الحبوب وإفراده لمراعاة أصله ولعل تقديم ذكر الجنات *
 عليه مع كونه عمود المعاش لظهور حالها في اختلافها ومباينتها لسايرها ورسوخ ذلك فيها وتأخير قوله *
 تعالى (ونخيل) لئلا يقع بينها وبين صفتها وهي قوله تعالى (صنوان وغير صنوان) فاصلة والصنوان *
 جمع صنو كقنوان وقنوهى النخلة التى لها رأسان وأصلها واحد وقرىء بضم الصاد على لغة بنى تميم وقيس *
 وقرىء جنات بالنصب عطفاً على زوجين وبالجر على كل الثمرات فلعل عدم نظم قوله تعالى وفي الأرض *
 قطع متجاورات في هذا السلك مع أن اختصاص كل من تلك القطع بما لها من الأحوال والصفات *
 بمحض جعل الخالق الحكيم جلّت قدرته حين مد الأرض ودحاها للإيمان إلى كون تلك الأحوال صفات *
 راسخة لتلك القطع وقرىء وزرع ونخيل بالجر عطفاً على أعناب أو جنات (يسقى) أى ما ذكر من *
 القطع والجنات والزرع والنخيل وقرىء بالتأنيث مراعاة للفظ والأول أوفق بمقام بيان اتحاد الكل في *
 حالة السقى (بماء واحد) لا اختلاف في طبعه سواء كان السقى بماء الأمطار أو بماء الأنهار (ونفضل) *
 مع تأخذ أسباب التشابه بمحض قدرتنا واختيارنا (بعضها على بعض) آخر منها (في الأكل) فيما يحصل *
 منها من الثمر والطعم وقرىء بالياء على بناء الفاعل رداً على يدبر ويفصل ويغشى وعلى بناء المفعول وفيه *
 مالا يخفى من الفخامة والدلالة على أن عدم احتمال استناد الفعل إلى فاعل آخر مخن عن بناء الفعل للفاعل *
 (إن في ذلك) الذى فصل من أحوال القطع والجنات (آيات) كثيرة عظيمة ظاهرة (لقوم يعقلون) *
 يعلمون على قضية عقولهم فإن من عقل هذه الأحوال العجيبة لا يتعلم في الجزم بأن من قدر على إبداع *
 هذه البدائع وخلق تلك الثمار المختلفة في الأشكال والألوان والطعوم والروائح في تلك القطع المتباينة *
 المتجاورة وجعلها حدائق ذات بهجة قادر على إعادة ما أبداه بل هى أهون في القياس وهذه الأحوال *
 وإن كانت هى الآيات أنفسها لأنها فيها إلا أنه قد جردت عنها أمثالها مبالغة في كونها آية في تجريدية مثلها *
 في قوله تعالى لهم فيها دار الخلد أو المشار إليه الأحوال الكلية والآيات أفرادها الحادثة شيئاً فشيئاً في *
 الأزمنة وأحاديث الواقعة في الأقطار والأمكنة المشاهدة لأهلها ففى على معناها وحيد كانت دلالة *
 هذه الأحوال على مدلولاتها أظهر مما سبق علق كونها آيات بمحض التعقل ولذلك لم يتعرض لغير تفضيل *
 بعضها على بعض في الأكل الظاهر لكل عاقل مع تحقق ذلك في الخواص والكيفيات بما يتوقف الشعور عليه *
 على نوع تأمل وتفكر كأنه لا حاجة في ذلك إلى التفكير أيضاً وفيه تعرض بأن المشركين غير عاقلين

وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أُنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ
الْأَغْلَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٣﴾

الرعد ١٣

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ
لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٤﴾

الرعد ١٣

- ٥ (وإن تعجب) يا محمد من شيء (فعجب) لا أعجب منه حقيقة بأن يقصر عليه التعجب (قوله) بعد مشاهدة ما عد ذلك من الآيات الشاهدة بأنه تعالى على كل شيء قدير (أنذا كنا تراباً) على طريقة الاستفهام الإنكارى المفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار وهو في محل الرفع على البدلية من قولهم على أنه بمعنى المقول أو في محل النصب على المفعولية منه على أنه مصدر فاعجب على الأول كلامهم وعلى الثاني تكلمهم بذلك والعامل في إذا ما دل عليه قوله (أنما لفي خلق جديد) وهو نبعث أو نعيد وتقديم الظرف لتقوية الإنكار بالبعث بتوجيهه إليه في حالة منافية له وتكرير الهمزة في قولهم أنما لنا كيداً لإنكار وليس مدار إنكارهم كونهم ثابتين في الخلق الجديد بالفعل عند كونهم تراباً بل كونهم بعريضة ذلك واستعدادهم له وفيه من الدلالة على عتوهم وتماديهم في النكير ما لا يخفى وقيل وإن تعجب من قولهم في إنكار البعث فعجب قولهم والمآل وإن تعجب فقد تعجبت في موضع التعجب وقيل وإن تعجب من إنكارهم البعث فعجب قولهم الدال عليه فأمل وقد جوز كون الخطاب لكل من يصلح له أى إن تعجب يا من ينظر في هذه الآيات من قدرة من هذه أفعاله فازدد تعجباً ممن ينكر مع هذه الدلائل قدرته تعالى على البعث وهو أهون من هذه والأنسب بقوله ويستعجلونك بالسبئية هو الأول وقوله تعالى فعجب خبر قدم على المبتدأ للقصر والتسجيل من أول الأمر بكون قولهم ذاك أمراً عجيبيّاً ويجوز أن يكون مبتدأ لكونه موصوفاً بالوصف المقدركما أشير إليه فالمعنى وإن تعجب فاعجب الذى لا عجب وراءه قولهم هذا فاعجب منه وعلى الأول
- وإن تعجب فقوله هذا عجب لا عجب فوقه (أولئك) مبتدأ والموصول خبره أى أولئك المنكرون لقدرة
- تعالى على البعث ربما عاينوا ما فصل من الآيات الباهرة المملجة لهم إلى الإيمان لو كانوا يبصرون (الذين كفروا برههم) وتمادوا في ذلك فإن إنكارهم لقدرة عز وجل كفره وأى كفر (وأولئك) مبتدأ خبره
- قوله (الأغلال في أعناقهم) أى مقيدون بقيود الضلال لا يرجى خلاصهم أو مغلولون يوم القيامة
- (وأولئك) الموصوفون بما ذكر من الصفات (أصحاب النار) فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسط ضمير الفصل ليس لتخصيص الخلود بمنكرى البعث خاصة بل بالجميع المدلول عليه بقوله تعالى أولئك الذين كفروا برههم (ويستعجلونك بالسبئية) بالعقوبة التى أنذروها وذلك حين سألو رسول الله ﷺ أن يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم باندازه (قبل الحسنه) أى العافية والإحسان إليهم بالإمهال (وقد خلت من قبلهم المثالات) أى عقوبات أمثالهم من المكذبين فما لهم لا يعتبرون بها ولا يحترزون حلول مثلها
- ٦

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنْ كُنْتَ أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ الرعد
 اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ الرعد

بهم والجملة الحالية لبيان ركاكة رأيهم في الاستعجال بطريق الاستهزاء أى يستعجلونك بها مستهزئين
 بإنذارك منكبرين لوقوع ما أنذرتهم لإياه والحال أنه قد مضت العقوبات النازلة على أمثالهم من المكذبين
 والمستهزئين والمثلة بوزن السمرة العقوبة سميت بها لما يبدنها وبين المعاقب عليه من المماثلة ومنه المثل القصاص
 وقرئ المثلاث بضمين باتباع الفاء العين والمثلاث بفتح الميم وسكون الراء كما يقال السمرة والمثلاث بضم
 الميم وسكون الراء تخفيف المثلاث جمع مثلة كركبة وركبات (وإن ربك لذو مغفرة) عظيمة (للناس)
 على ظلمهم (أنفسهم بالذنوب والمعاصي ومحله النصب على الحالية أى ظالمين والعامل فيه المغفرة والمعنى
 إن ربك لغفور للناس لا يعجل لهم العقوبة وإن كانوا ظالمين بل يمهلم بتأخيرها (وإن ربك لشديد
 العقاب) يعاقب من يشاء منهم حين يشاء فتأخير ما استعجلوه ليس للإهمال وعنه عليه الصلاة والسلام
 لولا عفو الله وتجاوز ما هنا لأحد العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد (ويقول الذين كفروا)
 وهم المستعجلون أيضاً وإنما عدل عن الإضمار إلى الموصول ذماً لهم ونعياً عليهم كفرهم بآيات الله تعالى
 التى تنخر لهاصم الجبال حيث لم يرفعوا لها رأساً ولم يعدوها من جنس الآيات وقالوا (لولا أنزل عليه آية
 من ربه) مثل آيات موسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام عناداً ومكابرة وإلا فى أدنى آية أنزلت عليه عليه
 الصلاة والسلام غنية وعبرة لأولى الآل باب (إنما أنت منذر) مرسل الإنذار من سوء عاقبة ما يأتون
 ويذرون كدأب من قبلك من الرسل وليس عليك إلا الإتيان بما يعلم به نبوتك وقد حصل ذلك بما لا مزيد
 عليه ولا حاجة إلى إلزامهم وإلزامهم الحجة بالإتيان بما اقترحوا من الآيات (ولكل قوم هاد) معين لا
 بالذات بل بعنوان الهداية يعنى لكل قوم نبي مخصوص له هداية مخصوصة يقتضى اختصاص كل منهم بما
 يختص به حكم لا يعلمها إلا الله أو لكل قوم هاد عظيم الشأن قادر على ذلك هو الله سبحانه وما عليك إلا
 إنذارهم فلا يهمنك عنادهم وإنكارهم للآيات المنزلة عليك وازدراؤهم بها ثم عقبه بما يدل على كمال علمه
 وقدرته وشمول قضائه وقدره المبينين على الحكم والمصالح تنبيهاً على أن تخصيص كل قوم نبي وكل نبي بجنس
 معين من الآيات إنما هو للحكم الداعية إلى ذلك لإظهار الكمال قدرته على هدايتهم لكن لا يهدى إلا من تعلق
 بهدأيته مشيئته التابعة لحكم استأثر بعلمها فقال (الله يعلم ما تحمّل كل أنثى) أى تحمله فما موصولة أريد بها
 ما فى بطنها من حين العلوق إلى زمن الولادة لا بعد تكامل الخلق فقط والعلم متعدد إلى واحد أو أى شىء
 تحمّل وعلى أى حال هو من الأحوال المنوارة عليه طوراً فطوراً فهى استفهامية معلقة للعلم أو حملها فهى
 مصدرية (وما تغيض الأرحام وما تزداد) أى تنقصه وتزاده فى الجنة كالخديج والتام وفى المدة كالمولود
 فى أقل مدة الحمل والمولود فى أكثرها وفيها بينهما فيل إن الضحاك ولد فى سنتين وهرم بن حيان فى أربع
 ومن ذلك سمى هرما وفى العدد كالواحد فما فوقه يروى أن شريكاً كان رابع أربعة أو يعلم نقصها وازديادها

١٣ الرعد

عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿١١﴾

سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ۚ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٢﴾ الرعد
 لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ۚ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا
 مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۚ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ آلٍ ﴿١٣﴾ الرعد

- لما فيها فالفعلان متعديان كما في قوله تعالى وغيض الماء وقوله تعالى وازدادوا تسماً وقوله وازداد كليل
 • بعير أولاً زمان قد أسند إلى الأرحام مجازاً وهما لما فيها (وكل شيء) من الأشياء (عنده بمقدار) بقدر
 لا يمكن تجاوزه عنه كقوله إنا كل شيء خلقناه بقدر فإن كل حادث من الأعيان والأعراض له في كل
 مرتبة من مراتب التكوين ومبادئها وقت معين وحال مخصوص لا يكاد يجاوزه والمراد بالعندية الحضور
 العلمى بل العلم الحضورى فإن تحقق الأشياء في أنفسها في أى مرتبة كانت من مراتب الوجود والاستعداد
 ٩ لذلك علم له بالنسبة إلى الله عز وجل (عالم الغيب) أى الغائب عن الحس (والشهادة) أى الحاضرة له خبر
 عنهما بهما مبالغة وقيل أريد بالغيب المعدوم وبالشهادة الموجود وهو خبر مبتدأ محذوف أو خبر بعد
 • خبر وقرىء بالنصب على المدح وهذا كالدليل على ما قبله من قوله تعالى الله يعلم الخ (الكبير) العظيم
 • الشأن الذى كل شيء دونه (المتعال) المستعلى على كل شيء بقدرته أو المنزه عن نعوت المخلوقات وبعد
 ما بين سبحانه أنه عالم بجميع أحوال الإنسان فى مراتب فطرته ومحيط بعالمى الغيب والشهادة بين أنه تعالى
 عالم بجميع ما يأتون وما يذرون من الأفعال والأقوال وأنه لا فرق بالنسبة إليه بين السر والعلن فقال
 ١٠ (سواء منكم من أسر القول) فى نفسه (ومن جهره) أظهره لغيره (ومن هو مستخف) مبالغ فى الاختفاء
 • كأنه مخنف (بالليل) وطالب للزيادة (وسارب) بارز يراه كل أحد (بالهار) من سرب سروباً أى
 برز وهو عطف على من هو مستخف أو على مستخف ومن عبارة عن الاثنين كفى قوله [تعالى فإن عاهدتنى
 لا تخونننى • نكن مثل من ياذنب يصطحبان] كأنه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار
 والاستواء وإن أسند إلى من أسروا من جهروا إلى المستخفي والسارب لكنه فى الحقيقة مسند إلى ما أسره وما
 جهره أو إلى الفاعل من حيث هو فاعل كفى الأخيرين وتقديم الأسرار والاستخفاء لإظهار كمال علمه تعالى
 ١١ فكانه فى التعلق بالخفيات أقدم منه بالظواهر وإلا فنسبته إلى الكل سواء لما عرفته آنفاً (له) أى لكل من
 • أسر أو جهر والمستخفي أو السارب (معقبات) ملائكة تعقب فى حفظه جمع معقبة من عقبه مبالغة عقبه
 إذا جاء على عقبه كأن بعضهم يعقب بعضاً أو لا منهم يعقبون أقواله وأفعاله فيكتبونه أو اعتقب فأدغمت
 التاء فى القاف والتاء للبالغة أو المراد بالمعقبات الجماعات وقرىء معاقب جمع معقب أو معقبة على
 • تعويض الباء من إحدى القافين (من بين يديه ومن خلفه) من جميع جوانبه أو من الأعمال ما قدم وأخر
 • (يحفظونه من أمر الله) من بأسه حين أذنب بالاستمهال والاستغفار له أو يحفظونه من المضار أو

هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾
وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾

الرعد ١٣

الرعد ١٣

يراقبون أحواله من أجل أمر الله تعالى وقد قرىء به وقيل من بمعنى الباء وقيل من أمر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحراس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله تعالى (إن الله لا يغير ما بقوم) من النعمة والعافية (حتى يغيروا ما بأنفسهم) من الأعمال الصالحة أو ملكاتها التي هي فطرة الله التي فطر الناس عليها إلى أضدادها (وإذا أراد الله بقوم سوءاً) لسوء اختيارهم واستحقاقهم لذلك (فلا مرد له) فلا رد له والعامل في إذا ما دل عليه الجواب (وما لهم من دونه من وال) يلي أمرهم ويدفع عنهم السوء الذي أراد الله بهم بما قدمت أيديهم من تغيير ما بهم وفيه دلالة على أن تخلف مراده تعالى محال وإبذان بأنهم بما باشروه من إنكار البعث واستعجال السيئة واقتراح الآية قد غيروا ما بأنفسهم من الفطرة واستحقوا لذلك حلول غضب الله تعالى وعذابه (هو الذي يرىكم البرق خوفاً) من الصاعقة ١٢ (وطمعاً) في المطر فوجه تقديم الخوف على الطمع ظاهر لما أن الخوف عليه النفس أو الرزق العتيد والمطموع فيه الرزق المترقب وقيل الخوف أيضاً من المطر لكن الخائف منه غير الطامع فيه كالخزاف والحراث ويأباه الترتيب اللهم إلا أن يتكلف ما أشير إليه من أن الخوف عتيد والمطموع فيه مترقب وانتصابهما إماماً على المصدرية أي فتخافون خوفاً وتطمعون طمعاً أو على الحالية من البرق أو المخاطبين بإضمار ذوى أو بجعل المصدر بمعنى المفعول أو الفاعل مبالغة أو على العلية بتقدير المضاف أي إرادة خوف وطمع أو بتأويل الإخافة والإطماع ليتحد فاعل العلة والفعل المعلن وأما جعل المعلن هي الرؤية التي تتضمنها الإرامة على طريقة قول النابغة [وحتت بيوتى في بفاع بمنع] تخال به راعى الخولة طائراً [إ] حذاراً على أن لا ينال معاونى ولا نسوتى حتى يمتن حراراً [إ] أى أحلت بيوتى حذاراً فلا سبيل إليه لأن ما وقع في معرض العلة الغائية لا سيما الخوف لا يصلح علة لرؤيتهم (وينشئ السحاب) الغمام المنسحب في الجو (الثقال) بالماء وهي جمع ثقيلة وصف بها السحاب لكونها اسم جنس في معنى الجمع والواحدة سحابة يقال سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما يقال امرأة كريمة ونسوة كرام (ويسبح الرعد) أى سامعه من ١٣ العباد الراجلين للمطر ملتبسين (بحمده) أى يضجون بسبحان الله والحمد لله وإسناده إلى الرعد لخله لهم على ذلك أو يسبح الرعد نفسه على أن تسبيحه عبارة عن دلالة على وحدانيته تعالى وفضله المستوجب لحمده وعن النبي ﷺ أنه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده وإذا اشتد يقول اللهم لا تقلتنا بغضبك ولا نهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن علي رضي الله عنه سبحان من سبحت له وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن اليهود سألت النبي ﷺ عن الرعد فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار

* يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله تعالى ليس بملك (والملائكة) أى يسبح الملائكة (من
 * خيفته) من هيئته وإجلاله جل جلاله وقيل الضمير للرعد (ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء)
 * فيهلكه بذلك (وهم) أى الكفرة المخاطبون في قوله تعالى هو الذى يريكم البرق وقد انفتحت إلى الغيبة
 إيدئاً يأسقاطهم عن درجة الخطاب وإعراضاً عنهم وتعيداً لجناياتهم لدى كل من يستحق الخطاب
 كأنه قيل هو الذى يفعل أمثال هذه الأفاعيل العجيبة من إراءة البرق وإنشاء السحاب الثقال وإرسال
 الصواعق الدالة على كمال علمه وقدرته ويعقلها من يعقلها من المؤمنين أو الرعد نفسه أو الملك الموكل به
 والملائكة يعملون بموجب ذلك من التسبيح والحمد والخوف من هيئته تعالى وهم أى الكفرة الذين
 * حكيت هنتهم مع ذلهم وهوانهم وحقارة شأنهم (يجادلون فى الله) أى فى شأنه تعالى حيث يفعلون
 ما يفعلون من إنكار البعث واستعجال العذاب استهزاء واقتراح الآيات قالوا ولطف الجملة على ما قبلها
 من قوله تعالى هو الذى يريكم البرق الخ أو على قوله الله يعلم ما تحمل الخ وأما العطف على قوله تعالى
 ويقول الذين كفروا كما قيل فلا مجال له لأن قوله تعالى الله يعلم الخ استئناف لبيان بطلان قولهم ذلك
 ونظائره من استعجال العذاب وإنكار البعث قاطع لعطف ما بعده على ما قبله وقيل للحال أى فيصيب
 بالصواعق من يشاء وهم فى الجدل وقد أريد به ما أصاب أريد بن ربيعة أخا لبيد فإنه أقبل مع عامر بن
 الطفيل إلى رسول الله ﷺ يبغيانه الغوائل فدخلا المسجد وهو عليه الصلاة والسلام جالس فى نفر من
 من الأصحاب رضى الله عنهم فاستشرفوا الجمال عامر وكان من أجل الناس وقد كان أوصى إلى أريد أنه
 إذا رآينى أكلهم محمد ﷺ فدر من خلفه واضربه بالسيف فجعل يكلمه ﷺ فدار أريد من خلفه ﷺ
 فاخترط من سيفه شبراً فحبسه الله تعالى فلم يقدر على سله وجعل عامر يومى إليه فرأى النبی ﷺ الحال فقال
 اللهم اكفنيهما بما شئت فأرسل الله عز وجل على أريد صاعقة فى يوم صحو صائف فأحرقته وولى عامر هارباً
 قتل فى بيت امرأة سلوية فلما أصبح ضم عليه سلاحه وتغير لونه وركب فرسه فجعل يركض فى الصحراء
 ويقول إبرز يا ملك الموت ويقول الشعر ويقول واللات لئن أصررتى محمد وصاحبه يعنى ملك الموت لا نفذتهما
 برعى فأرسل الله تعالى ملكاً فاطمه بجناحه فأرداه فى النراب فخرجت على ركبته فى الوقت غدة عظيمة فعاد إلى
 بيت السلوية وهو يقول غرة كفرة البعير وموت فى بيت سلوية ثم دعا بفرسه فركبه فأجراه حتى مات على
 ظهره وقيل أريد به ما روى عن الحسن أنه كان رجلاً من طواغيت العرب فبعث النبي ﷺ نفرأ من أصحابه
 يدعونه إلى الله عز وجل فقال لهم أخبروني عما تدعوننى إليه ما هو ومم هو من ذهب أم من فضة أم من نحاس
 أم من حديد أم من در فاستعظموا مقالته فرجعوا إلى النبي ﷺ فقالوا أمارأينا رجلاً أكفر قلباً ولا أعتى
 على الله منه فقال ﷺ ارجعوا إليه فرجعوا إليه فازاد إلا مقالته الأولى وأخبرت فرجعوا إليه ﷺ وأخبروه
 بما صنع فقال ﷺ ارجعوا إليه فرجعوا إليه فيبيناهم عنده ينازعونه إذا رفعت سحابة ورعدت وبرقت
 ورمت بصاعقة فاحترق الكافر لجأوا ويسعون ليخبروه ﷺ بالخبر فاستقبلهم الأصحاب فقالوا احترق
 * صاحبكم قالوا من أين علمتم قالوا أوحى إلى النبي ﷺ (وهو شديد الحال) أى والحال أنه شديد المأحالة والمكابرة
 والمماكرة لأعدائه من محله إذا كاده وعرضه للملاك ومنه تمحل إذا تكلف استعمال الحيل وقيل هو محال من

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْءٌ إِلَّا كَبَسِطَ كَفِّهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾

الرعد ١٣

وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿١٥﴾

الرعد ١٣

- المحل بمعنى القوة وقيل محول من الحول أو الحيلة أعل على غير قياس ويعضده أنه قرىء بفتح الميم على أنه مفعول من حال يحول إذا احتال ويجوز أن يكون بمعنى الفقار فيكون مثلاً في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله أشد وموساه أحد (له دعوة الحق) أى الدعوة الثابتة الواقعة في محلها المجابة عند وقوعها والإضافة للإيدان بملاستها للحق واختصاصها به وكونه بمنزل من شائبة البطلان والضياع والضلال كما يقال كلمة الحق وقبل له دعوة الله سبحانه أى الدعوة اللاتفة بحضرته كما في قوله ﷺ فن كانت هجرته إلى الله ورسوله فم هجرته إلى الله ورسوله والتعرض لوصف الحقيقة اترية معنى الاستجابة والأولى هو الأول لقوله تعالى وما دعاء الكافرين إلا في ضلال وتعلق الجملتين بما قبلهما من حيث إن إهلاك أربد وعامر محال من الله تعالى وإجابة لدعوة رسول الله ﷺ عليهما إن كانت الآية نزلات في شأنهما أو من حيث إنه وعيد للكفرة على مجادله رسول الله ﷺ بحلول محالهم وتحذير لهم بإجابة دعوته عليهم (والذين يدعون) أى الأصنام الذين يدعونهم المشركون لحذف العائد (من دونه) من دون الله عز وجل (لا يستجيبون لهم بشيء) من طلباتهم (إلا كبسط كفيه إلى الماء) أى إلا استجابة كائنة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه إليه من بعيد فالاستجابة مصدر من المبني للفاعل على ما يقتضيه الفعل الظاهر أعنى لا يستجيبون ويجوز أن يكون من المبني للمفعول ويضاف إلى الباسط بناء على استلزام المصدر من المبني للفاعل للمصدر من المبني للمفعول وجود أو عدماً فكانه قيل لا يستجيبون لهم بشيء فلا يستجاب لهم إلا استجابة كائنة كاستجابة من بسط كفيه إلى الماء كما في قوله [وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع * من المال إلا مسحت أو مجلف أى لم تدع فلم يبق إلا مسحت أو مجلف (ليبلغ) أى الماء بنفسه من غير أن يؤخذ بشيء من إناه ونحوه (فاه وما هو) أى الماء (ببالغه) ببالغ فيه أبداً لكونه جهاداً لا يشعر بعطشه ولا يبسط يده إليه فضلاً عن الاستطاعة لما أراده من البلوغ إلى فيه شبه حال المشركين في عدم حصولهم في دعاء آلهتهم على شيء أصلاً وركاكة رأيهم في ذلك بحال عطشان هائم لا يدرى ما يفعل قد بسط كفيه من بعيد إلى الماء يبغي وصوله إلى فيه من غير ملاحظة التشبيه في جميع مفردات الأجزاء فإن الماء في نفسه شيء نافع بخلاف آلهتهم والمراد نفي الاستجابة رأساً إلا أنه قد أخرج الكلام مخرج التكميم بهم فقبل لا يستجيبون لهم شيئاً من الاستجابة إلا استجابة كائنة في هذه الصورة التي ليست فيها شائبة الاستجابة قطعاً فهو في الحقيقة من باب التعليق بالمحال وقرىء تدعون بالتاء وكبسط بالتونين (وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) أى ذهاب وضياع وخسار (وقه) وحده (يسجد) يخضع وينقاد لشيء غيره ١٥ استقلالاً ولا اشتراكاً فالقصر ينظم القلب والإفراد (من في السموات والأرض) من الملائكة والثقلين (طوعاً وكرهاً) أى طائعين وكرهين أو انقياد طوع وكره أو حال طوع وكره فإن خضوع الكل لعظمة الله عز

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتُخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ
نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ
شُرَكَاءَ خَلَقُوا تَحْلِفُهُ قَدْ شَبَّهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٣﴾ الرعد

وجل وانقيادهم لإحداث ما أَرَادَهُ فيهم من أحكام التكوين والإعدام شاموا أو أبوا وعدم مداخلة حكم
غيره بل غير حكمه تعالى في تلك الشئون مما لا يخفى على أحد (وظلالهم) أى وتنقاد له تعالى ظلال من
من له ظل منهم أعنى الإنس حيث تنصرف على مشيئته وتناق لإرادته في الامتداد والتقلص والنق
والزوال (بالغدو والآصال) ظرف السجود المقدر أو حال من الظلال وتخفيض الوقتين بالذكر مع
أن انقيادها متحقق في جميع أوقات وجودها لظهور ذلك فيهما والغدو جميع غداة كفى في جمع فتاة
والآصال جمع أصيل وقيل جمع أصل وهو جمع أصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر
ويؤيده أنه قرئ، والإبصال أى الدخول في الأصيل هذا وقد قيل إن المراد حقيقة السجود فإن الكفرة
حال الاضطراب وهو المعنى بقوله تعالى وكرهاً يخلصون السجود به سبحانه قال تعالى فإذا ركبوا في الفلك
دعوا الله مخلصين له الدين ولا يبعد أن يخلق الله تعالى في الظلال أفهاماً وعقولا بها تسجد لله سبحانه كما
خلقهم للجيل حتى اشتغلت بالتسبيح وظهر فيها آثار التجلي كما قاله ابن الأنباري ويجوز أن يراد بسجودها
ما يشاهد فيها من هيئة السجود تبعاً لأصحابها وأنت خير بأن اختصاص سجود الكافر حالة الضرورة
والشدة بالله سبحانه لا يجدى فإن سجودهم لأصنامهم حالة الرخاء نحل بالقصر المستفاد من تقديم الجار
والمجرور فالوجه حمل السجود على الانقياد ولأن تحقيق انقياد الكل في الإبداع والإعدام له تعالى أدخل
في التوبيخ على اتخاذ أولياء من دونه من تحقيق سجودهم له تعالى وتخصيص انقياد العقلاء بالذكر مع
كون غيرهم أيضاً كذلك لأنهم العمدة وانقيادهم دليل انقياد غيرهم على أنه بين ذلك بقوله عز وجل (قل
من رب السموات والأرض) فإنه لتحقيق أن خالقهما ومتولى أمرهما مع ما فيهما على الإطلاق هو
الله سبحانه وقوله تعالى (قل الله) أمر بالجواب من قبله ﷺ إشعاراً بأنه متعين للجوابية فهو والخصم
في تقريره سواء أو أمر بحكاية اعترافهم إيداناً بأنه أمر لا بد لهم من ذلك كأنه قيل أحك اعترافهم بفسادهم
بما يلزمهم من الحجة وألزمهم الحجر أو أمر بتلقينهم ذلك إن تلعثموا في الجواب حذراً من الإلزام
فإنهم لا يتمالكون إذ ذاك ولا يقدر على إنكاره (قل) إلزاماً لهم وتبكيئاً (أفاتخذتم) لأنفسكم
والهمزة لإنكار الواقع كما في قولك أضربت أباك لا لإنكار الوقوع كما في قولك أضربت أبي والفاء للعطف
على مقدر بعد الهمزة أى أعلمتم أن ربهما هو الله الذى ينقاد لأمره من فيهما كافة فاتخذتم عقيبه (من
دونه أولياء) عاجزين (لا يملكون لأنفسهم نفعا) يستجلبونه (ولا ضراً) يدفعونه عن أنفسهم
فضلاً عن القدرة على جلب النفع لغيره ودفع الضرر عنه لا على أن يكون الإنكار متوجهاً إلى المعطوفين
مما كفى قوله تعالى أفلا تعقلون إذا قدر المعطوف عليه ألا تسمعون بل إلى ترتيب الثانى على الأول مع

وجوب أن يترتب عليه نقيضه كما إذا قدر أن سمعون والمعنى أبعد أن علمت أن ربهما هو الله جل جلاله اتخذتم من دونه أولياء عجزة والحال أن قضية العلم بذلك إنما هو الاقتصار على توليه فمكسب الأمر كما في قوله تعالى كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفستخذونه وذريته أولياء من دوني ووصف الأولياء هم بآبعدم المالكية للنفع والضر في إرشيع الإنكار وتأكيده كتنقييد الاتخاذ هناك بالجملة الحالية أعني قوله تعالى وهم لكم عدو فإن كلا منهما إنما ينفي الاتخاذ المذكور ويؤكد إنكاره (قل) تصويراً لأرائهم الركيكة • بصورة المحسوس (هل يستوى الأعمى) الذي هو المشرك الجاهل بالعبادة ومستحقها (والبصير) الذي هو الموحد العالم بذلك أو الأول عبارة عن المعبود الغافل والثاني إشارة إلى المعبود العالم بكل شيء (أم هل تستوى الظلمات) التي هي عبارة عن الكفر والضلال (والنور) الذي هو عبارة عن التوحيد والإيمان وقرئ بالياء ولما دل النظم الكريم على أن الكفر فيما فعلوا من اتخاذ الأصنام أولياء من دون الله سبحانه في الضلال المحض والخطأ البحت بحيث لا يخفى بطلانه على أحد وأنهم في ذلك كالأعمى الذي لا يهتدى إلى شيء أصلاً وليس لهم في ذلك شبهة تصلح أن تكون منشأ لغلظهم وخطئهم فضلاً عن الحجة أكد ذلك فقيل (أم جعلوا لله) أي بل أجعلوا له (شركاء خلقوا كخلقه) سبحانه والهمزة • لإنكار الوقوع لا لإنكار الواقع مع وقوعه وقوله خلقوا كخلقه هو الذي يتوجه إليه الإنكار وأما نفس الجعل فهو واقع لا يتعلق به الإنكار بهذا المعنى والمعنى أنهم لم يجعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه • (فنشابه الخالق عليهم) بسبب ذلك وقالوا هؤلاء خلقوا كخلقه ثم إلى فاستحقوا بذلك العبادة كما استحقها ليكون ذلك منشأ لخطئهم بل إنما جعلوا له شركاء ما هو بمعزل من ذلك بالمرة وفيه ما لا يخفى من التعريض بركاكة رأيهم واتهم بهم (قل) تحقيقاً للحق وإرشاداً لهم إليه (الله خالق كل شيء) • كافة لا خالق سواه فيشاركه في استحقاق العبادة (وهو الواحد) المتوحد بالالوهية المتفرد بالربوبية (القهار) لكل ما سواه فكيف يتوهم أن يكون له شريك وبعد ما مثل المشرك والشرك بالأعمى • والظلمات والموحد والتوحيد بالبصير والنور مثل الحق الذي هو القرآن العظيم في فيضانه من جناب القدس على قلوب خالية عنه متفاوتة الاستعداد وفي جريانه عليها ملاحظة وحفظاً وعلى الألسنة مذاكرة وتلاوة وفي ثباته فيهما مع كونه ممدداً لحياتها الروحانية وما يتلوها من المملكات السنية والأعمال المرضية بالماء النازل من السماء السائل في أودية يابسة لم تجر عاداتها بذلك سيلانا مقدراً بمقدار اقتضته الحكمة في إحياء الأرض وما عليها الباقي فيها حسبما يدور عليه منافع الناس وفي كونه حلية تتحلل به النفوس وتصل إلى البهجة الأبدية ومتاعاً يتمتع به في المعاش والمعاد بالذهب والفضة وسائر الفلزات التي يتخذ منها أنواع الآلات والأدوات وتبقى منتفعاً بها مدة طويلة ومثل الباطل الذي ابتلى به الكفرة لقصور نظرهم بما يظهر فيهما من غير مداخله له فيهما وإخلال بصفائهما من الزبد الرابي فوقهما المضمحل سريعاً فقيل •

أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾

١٣ الرعد

١٧ (أنزل من السماء) أى من جهتها (ماء) أى كثيراً أو نوعاً منه وهو ماء المطر (فسالت) (أودية) واقعة فى مواقعه لا جميع الأودية إذ الأمطار لا تستوعب الأقطار وهو جمع واد وهو مفرج بين جبال أو تلال أو آكام على الشذوذ كناد وأندية وناج وأنجية قالوا وجهه أن فاعلا يحى بمعنى فمیل كناسر ونصير وشاهد وشهيد وعالم وعلم وحيث جمع فعيل على أفعله بكريب وأجربة جمع فاعل أيضاً على أفعله فإن أريد بها مايسيل فيها مجازاً فإسناد السيلان إليها حقيقى وإن أريد معناها الحقيقى فالإسناد مجازى كما فى جرى النهر وإيثار التمثيل بها على الأنهار المستمرة الجريان لوضوح المماثلة بين شأنها وشأن ما مثل بها كما أشير إليه (بقدرها) أى سالت ملتبسة بمقدارها الذى عينه الله تعالى واقتضته حكمته فى نفع الناس أو بمقدارها المتفاوت قلة وكثرة بحسب تفاوت محالها صغراً وكبراً لا يكونها مألوفة لها منطبقه عليها بل بمجرد قلتها بصغرها المستلزم لقلة موارد الماء وكثرتها بكبرها المستدعى لكثرة الموارد فإن مورد السيل الجارى فى الوادى الصغير أقل من مورد السيل الجارى فى الوادى الكبير هذا إن أريد بالآودية مايسيل فيها أما إن أريد بها معناها الحقيقى فالمعنى سالت مياهها بقدر تلك الآودية على نحو ما عرفته آنفاً أو يراد بضميرها مياهها بطريق الاستخدام ويراد بقدرها ما ذكر أولاً من المعنيين (فاحتمل السيل) الجارى فى تلك الآودية أى حمل معه (زبداً) أى غثاء ورغوة وإنما وصف ذلك بقوله تعالى (رابياً) أى عالياً منتفخاً فوقه بياناً لما أريد بالاحتمال المحتمل لكون الحمل غير طاف كالأشجار الثقيلة وإنما لم يدفع ذلك الاحتمال بأن يقال فاحتمل السيل فوقه للإبذان بأن تلك الفوقية مقتضى شأن الزبد لا من جهة المحتمل تحقيقاً للمماثلة بينه وبين ما مثل به من الباطل الذى شأنه الظهور فى بادية الرأى من غير مداخله فى الحق (ومما يوقدون عليه فى النار) أى يفعلون الإيقاد عليه كأنما فى النار والضمير للناس أضمر مع عدم سبق الذكر لظهوره وقرئ بالخطاب (ابتغاء حلية أو متاع) أى لطلب اتخاذ حلية وهى ما يزين ويتجمل به كالحلى المتخذة من الذهب والفضة أو اتخاذ متاع وهو ما يتمتع به من الآوانى والآلات المتخذة من الرصاص والحديد وغير ذلك من الفلزات (زبد) خبث (مثله) مثل ما ذكر من زبد الماء فى كونه رابياً فوقه فقوله زبد مبتدأ خبره الظرف المقدم ومن ابتدائية دالة على مجرد كونه مبتدأ وناشئاً منه لا تبعية معربة عن كونه بعضاً منه كما قيل لإخلال ذلك بالتمثيل وفى التعبير عن ذلك بالموصول والتعرض لما فى حيز الصلة من إيقاد النار عليه جرى على سنن الكبرياء بإظهار التهاون به كما فى قوله تعالى فأوقدلى ياها مان على الطين وإشارة إلى كيفية حصول الزبد منه بذوبانه وفى زيادة فى النار إشعار بالمبالغة فى الاعتمال للأذابة وحصول الزبد كما أشير إليه وعدم التعرض لإخراجه من

لِّلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ، لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ، لَافْتَدَوْا بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٨﴾ ١٣ الرعد

الأرض لعدم دخل ذلك العنوان في التمثيل كما أن لعنوان إنزال الماء من السماء دخلا فيه حسبما فصل فيما سلف بل له إخلال بذلك (كذلك) أى مثل ذلك الضرب البديع المشتمل على نكت راقية (يضرب الله الحق والباطل) أى مثل الحق ومثل الباطل والحذف للإنباء عن كمال التماثل بين الممثل والممثل به كأن المثل المضروب عين الحق والباطل وبعد تحقيق التمثيل مع الإيماء في تضاعيف ذلك إلى وجوه المماثلة على أبدع وجوه وأنفها حسبما أشير إليه في مواقعها بين عاقبة كل من الممثلين على وجه التمثيل مع التصريح ببعض مابه المماثلة من الذهاب والبقاء تنمة للغرض من التمثيل من الحث على اتباع الحق الثابت والردع عن الباطل الزائد فليل (فأما الزبد) من كل منهما (فيذهب جفاء) أى مرمياً به وقرى جفلاً والمعنى واحد (وأما ما ينفع الناس) منهما كالماء الصافي والفلز الخالص (فيملكك في الأرض) أما الماء فيثبت بعضه في منافعه ويسلك بعضه في عروق الأرض إلى العيون والقنوات والآبار وأما الفلز فيصاغ من بعضه أنواع الحلى ويتخذ من بعضه أصناف الآلات والأدوات فينتفع بكل من ذلك أنواع الانتفاعات مدة طويلة فالمراد بالملك في الأرض ما هو أعم من الملك في نفسها ومن البقاء في أيدي المتقلبين فيها وتغيير ترتيب اللف الواقع في الفلز كالموافق للترتيب الواقع في التمثيل لمراعاة الملاءمة بين حالتي الذهاب والبقاء وبين ذكرهما فإن المعبر (إنما هو بقاء الباقي بعد ذهاب الذهاب لا قبله) (كذلك يضرب الله) أى مثل ذلك الضرب العجيب • يضرب (الأمثال) في كل باب إظهاراً لكمال اللطف والعناية في الإرشاد والهداية وفيه تفخيم لشأن هذا التمثيل وتأكيد لقوله كذلك يضرب الله الحق والباطل إما باعتبار ابتناء هذا على التمثيل الأول أو بجعل ذلك إشارة إليهما جميعاً وبعد ما بين شأن كل من الحق والباطل حالاً وما لا أكمل بيان شرع في بيان حال أهل كل منهما ما لا تكفي الدعوة ترغيباً وترهيباً فليل (لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ) إذ دعاهم إلى الحق بفنون ١٨ الدعوة التي من جهاتها ضرب الأمثال فإنه ألطف ذريعة إلى تفهيم القلوب الغبية وأقوى وسيلة إلى تسخير النفوس الانسية كيف لا وهو تصوير للمعقول بصورة المحسوس وإبراز لا وابد المعاني في هيئة المأنوس فأى دعوة أولى منه بالاستجابة والقبول (الحسنَى) أى المثوبة الحسنَى وهى الجنة (والذين لم يستجيبوا له) وعاندوا الحق الجلى (لو أن لهم ما في الأرض) من أصناف الأموال (جميعاً) بحيث لم يشذ منه شاذ فى أقطارها أو مجموعا غير متفرق بحسب الأزمان (ومثله معه لافتدوا به) أى بما فى الأرض ومثله معه جميعاً ليتخلصوا عما بهم وفيه من تهويل ما يلقاهم ما لا يحيط به البيان فالوصول مبتدأ والشرطية كإحدى خبره لكن لا على أنها وضعت موضع السوءى فوقعت فى مقابلة الحسنَى الواقعة فى القرينة الأولى لمراعاة حسن المقابلة فصار كأنه قيل والذين لم يستجيبوا له السوءى كما يوم فإن الشرطية وإن دلت على كمال سوء حالهم لكنها معزلة من القيام مقام لفظ السوءى مصحوباً باللام الداخلة على الموصول أو ضميره

أَفَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٣﴾ الرعد

الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿١٤﴾ الرعد

- وعليه يدور حصول المرام وإنما الواقع في تلك المقابلة سوء الحساب في قوله تعالى (أولئك لهم سوء الحساب) وحيث كان اسم الإشارة الواقع مبتدأ في هذه الجملة عبارة عن الموصول الواقع مبتدأ في الجملة السابقة كان خبرها أعني الجملة الظرفية خبراً عن الموصول في الحقيقة ومبيناً لإبهام مضمون الشرطية الواقعة خبراً عنه أولاً ولذلك ترك العطف فصار كأنه قيل والذين لم يستجيبوا له لهم سوء الحساب وذلك في قوة أن يقال وللذين لم يستجيبوا له سوء الحساب مع زيادة تأكيد قبح حسن المقابلة على أبلغ وجه وآ كدهم بين مؤدى ذلك فقيل (وما واهم) أى مرجعهم (جهنم) وفيه نوع تأكيد لتفسير الحسنى بالجنة (وبئس المهاد) أى المستقر والمخصوص بالذم محذوف وقيل اللام في قوله تعالى للذين استجابوا لربهم متعلقة بقوله يضرب الله الأمثال أى الأمثال السالفة وقوله الحسنى صفة للمصدر أى استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله والذين لم يستجيبوا له معطوف على الموصول الأول وقوله لو أن لهم الخ كلام مستأنف مسوق لبيان ما أعد لغير المستجيبين من العذاب والمعنى كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين المستجيبين والكافرين المعاندين أى هما مثلاً الفريقين وأنت خير بأن عنوان الاستجابة وعدمها لا مناسبة بينهما وبين ما يدور عليه أمر التمثيل وأن الاستعمال المستفيض دخول اللام على من يقصد تذكيره بالمثل نعم قد يستعمل في هذا المعنى أيضاً كما في قوله سبحانه يضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون ونظائره على أن بعض الأمثال المضروبة لا سيما المثل الأخير الموصول بالكلام ليس مثل الفريقين بل مثل للحق والباطل ولا مساغ لجعل الفريقين مضروباً لهم أيضاً بأن يجعل في حكم أن يقال كذلك يضرب الله الأمثال للناس إذ لا وجه حينئذ لتنويهم إلى المستجيبين وغير المستجيبين فنأمل (أفن يعلم أن ما أنزل إليك من ربك) من القرآن الذى مثل بالماء المنزل من السماء والإبريز الخالص في المنفعة والجدوى (الحق) الذى لا حق وراءه أو الحق الذى أشير إليه بالأمثال المضروبة فيستجيب له (كمن هو أعمى) عمى القلب لا يشاهده وهو نار على علم ولا يقدر قدره وهو فى أقصى مراتب العلو والعظم فيبقى حائراً فى ظلمات الجهل وغياهب الضلال أو لا يتذكر بما ضرب من الأمثال أى كمن لا يعلم ذلك إلا أنه أريد زيادة تقبيح حاله فعبر عنه بالأعمى وإيراد الفاء بعد الهمزة لتوجيه الإنكار إلى ترقب توهم المماثلة على ظهور حال كل منهما بما ضرب من الأمثال وبين المصير والمآل كأنه قيل أبعد ما بين حال كل من الفريقين ومآلهما يتوهم المماثلة بينهما ثم استأنف فقيل (إنما يتذكر) بما ذكر من المذكرات فيقف على ما بينهما من التفاوت والتناقض ٢٠ (أولو الأبواب) أى العقول الخالصة المبرأة من مشايعة الإلف ومعارضة الوهم (الذين يوفون بعهد الله) بما عقدوا على أنفسهم من الاعتراف بربوبيته تعالى حين قالوا بلى أو ما عهد الله عليهم في كتيبه (ولا ينقضون الميثاق) ما وثقوه على أنفسهم وقبلوه من الإيمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين

وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾
وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ
بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾

الرعد ١٣

جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ

كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾

الرعد ١٣

- المبادر هو تعميم بعد تخصيص وفيه تأكيد للاستمرار المفهوم من صيغة المستقبل (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) من الرحم وموالات المؤمنين والإيمان بجميع الأنبياء المجمعين على الحق من غير تفرق بين أحد منهم ويندرج فيه مراعاة جميع حقوق الناس بل حقوق كل ما يتعلق بهم من الهر والدجاج (يخشون ربهم) خشية جلال وهيبة ورهبة فلا يعصونه فيما أمر به (ويخافون سوء الحساب) فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا وفيه دلالة على كمال فظاعته حسبها ذكر فيما قبل (والذين صبروا) على كل ما تكرهه ٢٢ النفس من الأفعال والتروك (ابتغاء وجه ربهم) طلباً لرضاه خاصة من غير أن ينظر إلى جانب الخلق رياء وسعة ولا إلى جانب النفس زينة وعجباً وحيث كان الصبر على الوجه المذكور ملاك الأمر في كل ما ذكر من الصلوات السابقة واللاحقة أورد على صيغة الماضي اعتناء بشأنه ودلالة على وجوب تحقيقه فإن ذلك مما لا بد منه إما في نفس الصلوات كما فيها عدا الأولى والرابعة والخامسة أو في إظهار أحكامها كما في الصلوات الثلاث المذكورات فإنها وإن استغنت عن الصبر في أنفسها حيث لا مشقة على النفس في الاعتراف بالربوبية والخشية والخوف لكن إظهار أحكامها والجرى على موجبها غير خال عن الاحتياج إليه (وأقاموا الصلاة) المفروضة (وأنفقوا مما رزقناهم) أي بعضه الذي يجب عليهم إنفاقه (سراً) لمن لم يعرف بالمال أو لمن لا يتم بترك الزكاة أو عند إنفاقه وإعطائه من تمنعه المروءة من أخذه ظاهراً (وعلانية) لمن لم يكن كما ذكر أو الأول في التطوع والثاني في الفرض (ويدرءون بالحسنة) أي يجازون الإساءة بالإحسان أو يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها . عن ابن عباس رضي الله عنهما يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سوء غيرهم وعن الحسن إذا حرموا أعطوا وإذا طلبوا عفوا وإذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان إذا أذنبوا تابوا وقيل إذا رأوا منكراً أمروا بتغييره وتقديم المجرور على المنصوب لإظهار كمال العناية بالحسنة (أولئك) المنعوتون بالنعوت الجلية والمملكات الجميلة وهو مبتدأ خبره الجملة الظرفية أعني قوله تعالى (لهم عقبي الدار) أي عاقبه الدنيا وما ينبغي أن يكون مآل أمر أهلها وهي الجنة وقيل الجار والمجرور خبر لأولئك وعقبي الدار فاعل الاستقرار وأياً ما كان فليس فيه قصر حتى يرد أن بعض ما في حيز الصلة ليس من العزائم التي يخل إخلالها بالموصول إلى حسن العاقبة والجملة خبر للموصولات المتعاطفة أو استئناف لبيان ما استوجبه بتلك الصفات أن جعلت الموصولات المتعاطفة صفات لأولى الأبواب على طريقة المدح من غير أن يقصد أن يكون للصلوات المذكورة مدخل في التذكر (جنت عدن) بدل من عقبي الدار أو مبتدأ ٢٣

١٣ الرعد

سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾

وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي

١٣ الرعد

الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾

خبره (يدخلونها) والعدن الإقامة ثم صار علماً لجنة من الجنات أى جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة (ومن صلح من آبائهم) جمع أبوى كل واحد منهم فكأنه قيل من آبائهم وأمهاتهم (وأزواجهم وذرياتهم) وهو عطف على المرفوع في يدخلون وإنما ساغ ذلك للفصل بالضمير الآخر أو مفعول معه والمعنى أنه يلحق بهم من صلح من أهلهم وإن لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعاً لهم تعظيماً لشأنهم وهو دليل على أن الدرجة تعلو بالشفاعة وأن الموصوف بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في أنسهم وفي التقييد بالصلاح قطع للأطماع الفارغة لم يتمسك بمجرد جبل الأنساب (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) من أبواب المنازل أو من أبواب الفتوح والنحف

٢٤ قائلين (سلام عليكم) بشارة لهم بدوام السلامة (بما صبرتم) متعلق بعلينكم أو بمحذوف أى هذه الكرامة العظمى بما صبرتم أى بسبب صبركم أو بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه والمعنى لئن تعبت في الدنيا لقد استرحمت الساعة وتخصيص الصبر بما ذكر من بين الصلوات السابقة لما قدمناه من أن له دخلاً في كل منها ومزية زائدة من حيث إنه ملاك الأمر في كل منها وإن شيئاً منها لا يعتد به إلا بأن يكون لا ابتغاء وجه الرب تعالى وتقدس (فنعم عقبى الدار) أى فنعم عقبى الدار الجنة وقرئ بفتح النون والأصل نعم فسكن العين بنقل حركتها إلى النون تارة وبدونه أخرى وعن النبي ﷺ أنه كان يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وكذا عن الخلفاء الأربعة

٢٥ رضوان الله عليهم أجمعين (والذين ينقضون عهد الله) أريد بهم من يقابل الأولين ويعاندهم في الاتصاف بنقائص صفاتهم (من بعد ميثاقه) من بعد ما أوثقوه من الاعتراف والقبول (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) من الإيمان بجميع الأنبياء المجمعين على الحق حيث يؤمنون ببعضهم ويكفرون ببعضهم ومن حقوق الأرحام وموالاته المؤمنين وغير ذلك مما لا يراعون حقوقه من الأمور المعدودة فيما سلف وإنما لم يتعرض لنفي الخشية والخوف عنهم صريحاً لدلالة النقص والقطع على ذلك وأما عدم التعرض لنفي الصبر المذكور فلاه إنما اعتبر تحققه في ضمن الحسنات المعدودة ليقعن معتداً بهن فلا وجه لنفيه عن بينه وبين الحسنات بعد المشرقين كما لا وجه لنفي الصلاة والزكاة ممن لا يحوم حول أصل الإيمان بالله تعالى فضلاً عن فروع الشرائع وإن أريد بالانفاق التطوع فنفيه مندرج تحت قطع ما أمر الله تعالى بوصله وأما درء السيئة بالحسنة فانتفاؤه عنهم ظاهر مما سبق ولحق فإن من يجازى إحسانه عز وجل بنقض العهد ومخالفة الأمر ويباشر الفساد بدأ حسباً يحكيه قوله عز وعل (ويفسدون في الأرض) أى بالظلم وتهيج الفتن كيف يتصور منه مجازاة الإساءة بالإحسان على أن ذلك يشعر بأن له دخلاً في الإفضاء إلى

اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَنَعٌ ﴿٢٦﴾

الرعد ١٣

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنَاصِبُ ﴿٢٧﴾

الرعد ١٣

- العقوبة التي ينفي عنها قوله تعالى (أولئك) الخ أي أولئك الموصوفون بما ذكر من القبايح (لهم) بسبب ذلك
- (اللجنة) أي الإبعاد من رحمة الله تعالى (ولهم) مع ذلك (سوء الدار) أي سوء عاقبة الدنيا أو عذاب جهنم فإنها دارهم لأن ترتيب الحكم على الموصول مشعر بعلية الصلة ولا يخفى أنه لا دخل له في ذلك على أكثر التفاسير فإن مجازاة السيئة بمثلها مأذون فيها ودفع الكلام السيء بالحسن وكذا الإعطاء عند المنع والعفو عند الظلم والوصل عند القطع ليس بما يورث تركه تبعة وأما ما اعتبر اندراجه تحت الصلة الثانية من الإخلال ببعض الحقوق المندوبة فلا ضير في ذلك لأن اعتباره من حيث إنه من مستتبعات الإخلال بالعزائم بالكفر ببعض الأنبياء وعقوق الوالدين وترك سائر الحقوق الواجبة وتكرير لهم للتأكيد والإيدان باختلافهما واستقلال كل منهما في الثبوت (الله يبسط الرزق) أي يوسع (لمن يشاء) من ٢٦
- عباده (ويقدر) أي يضيقه على من يشاء حسبما تقتضيه الحكمة من غير أن يكون لأحد مدخل في ذلك
- ولا شعور بحكمته فربما يبسطه للكافر لإملاء واستدراجا وربما يضيقه على المؤمن زيادة لأجره فلا يغتر ببسط الكافر كما لا يقنط بقدره المؤمن (وفرحوا) أي أهل مكة فرحوا بفرح لا يورث سرور بفضل
- الله تعالى (بالحياة الدنيا) وما بسط لهم فيها من نعمها (وما الحياة الدنيا) وما يتبعها من النعيم (في الآخرة) أي في جنب نعيم الآخرة (إلا متاع) إلا شيء نزر يتمتع به كعجالة الرأب وزاد الراعي والمغني أنهم
- رضوا بحظ الدنيا معرضين عن نعيم الآخرة والحال أن ما أشروا به في جنب ما عرضوا عنه شيء قليل النفع سريع النفاد (ويقول الذين كفروا) أي أهل مكة وإيثار هذه الطريقة على الإضمحار مع ظهور إرادتهم ٢٧
- عقيب ذكر فرحهم بالحياة الدنيا لدمهم والتسجيل عليهم بالكفر فيما حكى عنهم من قولهم (لولا أنزل عليه آية من ربه) فإن ذلك في أقصى مراتب المكابرة والعناد كأن ما أنزل عليه عليه السلام من الآيات العظام الباهرة ليس بآية حتى افتروا ما لا تقتضيه الحكمة من الآيات المحسوسة التي لا يبقى لأحد بعد ذلك طاقة
- بعدم القبول ولذلك أمر في الجواب بقوله تعالى (قل إن الله يضل من يشاء) إضلاله مشيئة تابعة للحكمة الداعية إليها أي بخلق فيه الضلال لصفته اختياره إلى تحصيله ويدعه منهم كما فيه لعله بأنه لا ينجع فيه اللطف ولا ينفعه الإرشاد كمن كان على صفتكم في المكابرة والعناد وشدة الشكيمة والغلو في الفساد فلا سبيل له إلى الاهتداء ولو جاءته كل آية (ويهدي إليه) أي إلى جنبه العلي الكبير هداية موصلة إليه لا دلالة
- مطابقة على ما يوصل إليه فإن ذلك غير مختص بالمهتدين وفيه من تشریفهم مالا يوصف (من أناب) أقبل

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ١٣ الرعد

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجَبَ ﴿٢٩﴾ ١٣ الرعد

كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِنَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ
بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ ١٣ الرعد

إلى الحق وتأمل في تضاعيف ما نزل من دلائله الواضحة وحقيقة الإنابة الدخول في نوبة الخير وإثبات إرادتها في الصلة على إيراد المشيئة كما في الصلة الأولى للتنبيه على الداعي إلى الهداية بل إلى مشيئتها وإشعار بمادعا إلى المشيئة الأولى من المكارة وفيه حث للكفرة على الإقلاع عما هم عليه من العتو والعتاد وإثبات صيغة الماضي للإيماء إلى استدعاء الهداية لسابقة الإنابة كما أن إثبات صيغة المضارع في الصلة الأولى للدلالة على استمرار المشيئة حسب استمرار مكابرتهم (الذين آمنوا) بدل من أناب فإن أريد بالهداية الهداية المستمرة فالأمر ظاهر لظهور كون الإيمان مؤدياً إليها وإن أريد إحداثها فالمراد بالذين آمنوا الذين صار أمرهم إلى الإيمان كما في قوله تعالى هدى للمتقين أي الصائرين إلى التقوى وإلا فالإيمان لا يؤدي إلى الهداية نفسها أو خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين آمنوا أو منصوب على المدح (وتطمئن قلوبهم) أي تستقر وتسكن (بذكر الله) بكلامه المعجز الذي لا ريب فيه كقوله تعالى وهذا ذكر مبارك أنزلناه وقوله إنا نحن نزلنا الذكر وإناله لحافظون ويعلمون أن لا أعظم منه فيقدر حوها والعدول إلى صيغة المضارع لإفادة دوام الاطمئنان وتجده حسب تجديد الآيات وتعددتها (ألا بذكر الله) وحده (تطمئن القلوب) دون غيره من الأمور التي تميل إليها النفوس من الدنيا والآيات وهذا ظاهر وأما سائر المعجزات فالقصر من حيث إنها ليست في إفادة الطمأنينة بالنسبة إلى من لم يشاهدها بمثابة القرآن المجيد فإنه معجزة باقية إلى يوم القيامة يشاهدها كل أحد وتطمئن به القلوب كافة وفيه إشعار بأن الكفرة ليست لهم قلوب وأفتدتهم هواه حيث لم يطمئنوا بذكر الله تعالى ولم يعدوه آية وهو أظهر الآيات وأبهرها وقيل تطمئن قلوبهم بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله أو بذكر دلائله الدالة على وحدانيته أو بذكره جل وعلا أنسابه وتبذله إليه فالمراد بالهداية دوامها واستمرارها (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بدل من القلوب على حذف المضاف بدل الكل حسبياً رمز إليه أي قلوب الذين آمنوا وفيه إيماء إلى أن الإنسان إنما هو القلب أو مبتدأ خبره الجملة الدعائية على التأويل أعنى قوله (طوبى لهم) أو خبر مبتدأ مضمرة أو نصب على المدح فطوبى لهم حال عاملها الفعلان وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى والواو منقلبة من الياء كوقن وموسر وقرأ مكوزة الأعرابي طيبى لتسلم الياء والمعنى أصابوا خيراً ومحلهما النصب كسلاما لك أو الرفع على الابتداء وإن كانت نكرة لكونها في معنى الدعاء كسلام عليك يدل على ذلك القراءة في قوله تعالى (وحسن ما أب) بالنصب والرفع واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك (كذلك)

وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتُ بَلِ اللَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْيَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ (٣١) الرعد

- مثل ذلك الارسال العظيم الشأن المصحوب بهذه المعجزة الباهرة (أرسلناك في أمة قد خلت) أى مضت (من قبلها أمة) كثيرة قد أرسل إليهم رسل (لتنزل) (لتنقرأ) (عليهم الذى أوحينا إليك) من الكتاب العظيم الشأن وتهديهم إلى الحق رحمة لهم وتقديم المجرور على المنصوب من قبيل الإبهام ثم البيان كما فى قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك وفيه ما لا يحصى من ترقب النفس إلى ما سيرد وحسن قبولها له عند وروده عليها (وهم) أى والحال أنهم (يكفرون بالرحمن) بالبلغ الرحمة الذى وسعت كل شىء رحمته وأحاطت به نعمته والعدول إلى المظهر المتعرض لوصف الرحمة من حيث إن الإرسال ناشئ منها كما قال تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين فلم يقدره ولم يشكروا نعمه لاسيما ما أنعم به عليهم بإرسال مثلك إليهم وإنزال القرآن الذى هو مدار المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل نزلت فى مشركى مكة حين أسروا بالسجود فقالوا وما الرحمن (قل هو) أى الرحمن الذى كفرتم به وأنكرتم معرفته (ربى) الرب فى الأصل بمعنى الغريبة وهى تبليغ الشىء إلى كاله شيئاً فشيئاً ثم وصف به مبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت أى خالق ومبلغى إلى مراتب الكمال وإيراده قبل قوله (لا إله إلا هو) أى لا مستحق للعبادة سواه تنبيه على أن استحقاق العبادة منوط بالربوبية وقيل إن أبا جهل سمع النبى ﷺ يقول يا الله يا رحمن فرجع إلى المشركين فقال إن محمداً يدعو إلهين فنزلت ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن الآية (عليه توكلت) فى جميع أمورى لاسيما فى النصرة عليكم لا على أحد سواه (وإليه) خاصة (متاب) أى توبى كقوله تعالى واستغفر لذنبك أمر عليه السلام بذلك إبانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله تعالى وأنها صفة الأنبياء وبعثاً للكفرة على الرجوع عما هم عليه بأبلغ وجه والطفه فإنه عليه السلام حيث أمر بها وهو منزّه عن شائبة اقتراف ما يوجبها من الذنب وإن قل فتوبتهم وهم عاكفون على أنواع الكفر والمعاصى مما لا بد منه أصلاً وقد فسر المتاب بمطلق الرجوع فقل مرجمى ومرجعكم وزيد فيحكم بينى وبينكم وقد قيل فيثبني على مصابرتكم فتأمل (ولو أن قرآنًا) أى قرآنًا ما وهو اسم أن والخبر قوله تعالى (سيرت به الجبال) ٣١ وجواب لو محذوف لانسياق الكلام إليه بحيث يتلقفه السامع من التالى والمقصود إما بيان عظم شأن القرآن العظيم وفساد رأى الكفرة حيث لم يقدره وقدره العلى ولم يعدوه من قبيل الآيات فاقرحوا غيره بما أوتى موسى وعيسى عليهما السلام وإما بيان غلوهم فى المكابرة والعناد وتماديهم فى الضلال والفساد فالمعنى على الأول لو أن قرآنًا سيرت به الجبال أى يائزاه أو بتلاوته عليها وزعزعت عن مقارها كما فعل ذلك بالطور لموسى عليه الصلاة والسلام (أو قطعت به الأرض) أى شققته وجعلت أنهاراً وعيوناً • كما فعل بالحجر حين ضربه عليه السلام بعصاه أو جعلت قطعاً متصدعة (أو كلم به الموتى) أى بعد أن

أحيى بقرائه عليها كما أحييت لعيسى عليه السلام لكان ذلك هذا القرآن لكونه الغاية القصوى في الانطواء على عجائب آثار قدرة الله تعالى وهيبته عز وجل كقوله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله لا في الإعجاز إذ لا مدخل له في هذه الآثار ولا في التذكير والإنذار والتخويف باختصاصها بالعقلاء مع أنه لا علاقة لها بتكليم الموتي واعتبار فيض العقول إليها غل بالمبالغة المقصودة وتقديم الجورور في المواضع الثلاثة على المرفوع لما مر غير مرة من قصد الإبهام ثم التفسير لزيادة التقرير لأن تقديم ما حقه التأخير تبقى النفس مستشرقة ومتربعة إلى المؤخر أنه ماذا فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن وكلمة أو في الموضوعين لمنع الخلو لا لمنع الجمع واقتراحهم وإن كان متعلقاً بمجرد ظهور مثل هذه الأفاعيل العجيبة على يده عليه السلام لا بظهورها بواسطة القرآن لكن ذلك حيث كان مبنياً على عدم اشتماله في زعمهم على الخوارق نيط ظهورها به مبالغة في بيان اشتماله عليها وأنه حقيق بأن يكون مصدر الكل خارق وإبانة لركاكة رأيهم في شأنه الرفيع كأنه قيل لو أن ظهور أمثال ما اقترحوه من مقتضيات الحكمة لكان مظهرها هذا القرآن الذي لم يعدوه آية وفيه من تفخيم شأنه العزيز ووصفهم بركاكة العقل * مالا تخفى (بل لله الأمر جميعاً) أى له الأمر الذى عليه يدور فلك الأكوان وجرداً وعدماً يفعل ما يشاء وبحكم ما يريد لما يدعوا إليه من الحكم البالغة وهو لإضراب عما تضمنته الشرطية من معنى النفي لا بحسب منطوقه بل باعتبار موجهه ومؤداه أى لو أن قرآننا فعل به ما ذكر لكان ذلك هذا القرآن ولكن لم يفعل بل فعل ما عليه الشأن الآن لأن الأمر كله له وحده فالإضراب ليس بمتوجه إلى كون الأمر لله سبحانه بل إلى ما يؤدى إليه ذلك من كون الشأن على ما كان لما تقتضيه الحكمة من بناء التكليف على الاختيار * (أفلم ييأس الذين آمنوا) أى أفلم يعلموا على لغة هوأزن أو قوم من النخع أو على استعمال اليأس في معنى العلم تضمنه له ويؤيده قراءة على وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم أفلم يتبين بطريق التفسير والفاء للعطف على مقدر أى أغفلوا عن كون الأمر جميعاً لله تعالى فلم يعلموا (أن لو يشاء الله) * على حذف ضمير الشأن وتخفيف أن (لهدى الناس جميعاً) بإظهار أمثال تلك الآثار العظيمة فالإنكار متوجه إلى المعطوفين جميعاً أو اعلوا كون الأمر جميعاً لله فلم يعلموا ما يوجه ذلك العلم بما ذكر فمؤوجه إلى ترتب المعطوف على المعطوف عليه أى تخلف العلم الثانى عن العلم الأول وعلى التقديرين فالإنكار إنكار الوقوع كما في قوله تعالى ألم بعدكم ربكم وعداً حسناً لا إنكار الواقع كما في قولك ألم تخف الله حتى عصيته ثم إن مناط الإنكار ليس عدم علمهم بمضمون الشرطية فقط بل مع عدم علمهم بعدم تحقق مقدمها كأنه قيل ألم يعلموا أن الله تعالى لو شاء هدايتهم لهداهم وأنه لم يشأها وذلك لأنهم كانوا يودون أن يظهر ما اقترحوها من الآيات ليتجمعوا على الإيمان وعلى الثانى لو أن قرآننا فعل به ما فصل من التعاجيب لما آمنوا به كقوله تعالى ولو أنزلنا إليهم الملائكة وكلهم الموقى الآية فالإضراب حينئذ متوجه إلى ما سلف من اقتراحهم مع كونهم في العناد على ما شرح أى فليس لهم ذلك بل لله الأمر جميعاً إن شاء أتى بما اقترحوها وإن شاء لم يأت به حسبما تستدعيه داعية الحكمة من غير أن يكون لأحد عليه تحكم أو اقتراح واليأس بمعنى القنوط أى ألم يعلم الذين آمنوا حالهم هذه فلم يقنطوا من إيمانهم حتى أحبوا ظهور مقترحاتهم فالإنكار متوجه

وَلَقَدْ آسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ الرعد

إلى المعطوفين أو أعلو اذاك فلم يقنطوا من إيمانهم فهو متوجه إلى وقوع المعطوف بعد المعطوف عليه أى إلى تخلف القنوط عن العلم المذكور والإنكار على التقديرين لإنكار الواقع كما فى قوله تعالى أفلا تتقون ونظائره لا إنكار الوقوع فإن عدم قنوطهم منه بما لا مرد له وقوله تعالى أن لو يشاء الله الخ متعلق بمحدوف أى أفلم يأسوا من إيمانهم علماء منهم أو عالين بأنه لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً وأنه لم يشأ ذلك أو بآمنوا أى أفلم يقنط الذين آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً على معنى أفلم يأس من إيمانهم المؤمنون بضمون الشرطية وبعدم تحقق مقدمها المفهم من مكابرتهم حسبما تحكيه كلمة لو فالوصف المذكور من دواعى إنكار يأسهم وقيل أن أباجهلاً وأضرا به قالو الرسول الله ﷺ إن كنت نبياً سير بقر أنك الجبال عن مكة حتى تنسح لنا ونتخذ فيها لبسانين والقطائع وقد سخرت لداود عليه السلام فاست بأهون على الله منه إن كنت نبياً كما زعمت أو سخر لنا به الريح كما سخرت لسليمان عليه السلام لنتجر عليها إلى الشام فقد شق علينا قطع الشقة البعيدة أو أبعث لنا به رجلين أو ثلاثة من مات من آباءنا فزالت فعنى تقطيع الأرض حينئذ قطعها بالسير ولا حاجة حينئذ إلى الاعتذار فى إسناد الأفاعيل المذكورة إلى القرآن كما احتجج إليه فى الوجهين الأولين وعن الفراء أنه متعلق بمأقوله من قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وهو بالحقيقة دال على الجواب والتقدير ولو أن قرأنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى لكفروا بالرحمن والتذكير فى كلم به الموتى لتغليب المذكر من الموتى على غيره (ولا يزال الذين كفروا) من أهل مكة (تصيبهم بما صنعوا) أى بسبب ما صنعوه من الكفر والتماذى فيه وعدم بيانه إما للقصء إلى تهويله أو استهجانته وهو تصريح بما أشعر به بناء الحكم على الموصول من عليه الصلة له مع ما فى صيغة الصنع من الإيذان برسوخهم فى ذلك (قارعة) دامية تفرعهم وتفلقمهم وهو ما كان يصيبهم من أنواع البلايا والمصائب من القتل والأسر والذهب والسلب وتقديم المجرور على الفاعل لما مر مراراً من إرادة التفسير لثرا الإبهام لزيادة التقرير والإحكام مع ما فيه من بيان أن مدار الإصابة من جهتهم أثر ذى أثر (أو تحل) تلك القارعة (قريباً) أى مكاناً قريباً (من دارهم) فيفزعون منها ويتطايروا إليهم شرارها شبعت القارعة بالعدو المتوجه إليهم فاستند إليها الإصابة تارة والحلول أخرى ففيه استعارة بالكناية وتخيل وترشيح (حتى يأتي وعد الله) أى موتهم أو القيامة فإن كلا منهما وعد محتوم لا مرد له وفيه دلالة على أن ما يصيبهم عند ذلك من العذاب فى غاية الشدة وأن ما ذكر سابقه نعمة يسيرة بالنسبة إليه ثم حقق ذلك بقوله تعالى (إن الله لا يخلف الميعاد) أى الوعد كالميلاد والميثاق بمعنى الولادة والتوثقة لاستحالة ذلك على الله سبحانه وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنها أراد بالقارعة السرايا التى كان رسول الله ﷺ يبعثها وكانوا بين إغارة واختطاف وتخويف بالهجوم عليهم فى ديارهم فالإصابة والحلول حينئذ من أحوالهم ويجوز على هذا أن يكون قوله تعالى أو تحل قريباً من دارهم خطاباً للرسول ﷺ مراداً به حلوله الحديدية والمراد بوعد الله ما وعد به من فتح مكة (ولقد ٣٢ استهزى برسول) كثيرة خلعت (من قبلك فأمليت للذين كفروا) أى تركتهم ملاوة من الزمان فى أمن

أَفَنَ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي
الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ
اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

١٣ الرعد

ودعة كما بلى للبهيمة في المرعى وهذا تسلية لرسول الله ﷺ عمالقى من المشركين من التكذيب والافتراح
على طريقة الاستهزاء به ووعيد لهم والمعنى إن ذلك ليس مختصاً بك بل هو أمر مطرد قد فعل ذلك برسل كثيرة
كائنة من قبلك فأمات الذين فعلوه بهم والعدول في الصلة إلى وصف الكفر ليس لأن المملى لهم غير المستهزئين
بل لإرادة الجمع بين الوصفين أي فأملت للذين كفروا مع استهزائهم لا باستهزائهم فقط (ثم أخذتهم
فكيف كان عقاب) أي عقابي لإياهم وفيه من الدلالة على تناهي كيفيته في الشدة والفظاعة ما لا يخفى
٢٣ (أفمن هو قائم) أي رقيب مهمين (على كل نفس) كائنة من كانت (بما كسبت) من خير أو شر لا يخفى
عليه شيء من ذلك بل يجازى كلا بعمله وهو الله تعالى والخبر محذوف أي كمن ليس كذلك إنكاراً لذلك
وإدخال الفاء لتوجيه الإنكار إلى توهم المماثلة غب ما علم مما فعل تعالى بالمستهزئين من الإملاء المديد والأخذ
الشديد ومن كون الأمر كله لله تعالى وكون هداية الناس جميعاً منوطة بمشيئته تعالى ومن تواتر القوارع
على الكفرة إلى أن يأتي وعد الله كأنه قيل الأمر كذلك فن هذا شأنه كما ليس في عداد الأشياء حتى
تشركو به فلا إنكار متوجه إلى ترتب المعطوف أعني توهم المماثلة على المعطوف عليه المقدر أعني كون
الأمر كما ذكر كما في قولك أتعلم الحق فلا تعمل به لا إلى المعطوفين جميعاً كما إذا قلت ألا تعلمه فلا تعمل
به وقوله تعالى (وجعلوا لله شركاء) جملة مستقلة جرى بها الدلالة على الخبر أو حالية أي أفمن هذه صفاته
كما ليس كذلك وقد جعلوا له شركاء لا شريكاً واحداً أو معطوفة على الخبر إن قدر ما يصلح لذلك أي أفمن
هذا شأنه لم يوحده وجعلوا له شركاء ووضع المظهر موضع المضمير للتنصيص على وحدانيته ذاتاً واسماً
وللتنبية على اختصاصه باستحقاق العبادة مع ما فيه من البيان بعد الإبهام بإيراده موصولاً للدلالة على
التفخيم وقوله تعالى (قل سموم) تبسكت لهم لئلا تبسكت أي سموم من هم وماذا أسماؤهم أو صفوهم
وانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة (أم تنبئونه) أي بل أنبئوا الله (بما لا يعلم
في الأرض) أي بشركاء مستحقين للعبادة لا يعلمهم الله تعالى ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات
والأرض وقرىء بالتخفيف (أم بظاهر من القول) أي بل أنسموهم بشركاء بظاهر من القول من غير
أن يكون له معنى وحقيقة كنسمة الزنجى كافوراً كقوله تعالى ذلك قولهم بأفراهم وهانئك الأساليب
البدعية التي ورد عليها الآية الكريمة منادية على أنها خارجة عن قدرة البشر من كلام خلاق القوى والقدر
فتبارك الله رب العالمين (بل زين للذين كفروا) وضع الموصول موضع المضمير ذماً لهم وتسجيلاً عليهم
بالكفر (مكرهم) تمويههم الأباطيل أو كيدهم للإسلام بشرهم (وصدوا عن سبيل الله) أي سبيل
الحق من صده صدأ وقرىء بكسر الصاد على نقل حركة الدال إليها وقرىء بفتحها أي صدوا الناس أو

لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٣٤﴾
 مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ
 اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾
 وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ غَيْرُ لَمٍّ ﴿٣٦﴾
 أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَعَابِدُ ﴿٣٧﴾

من صد صدوداً (ومن يضل الله) أى يخلق فيه الضلال بسوء اختياره أو يخذله (فما له من هاد) بوفقه *
 للهدى (لهم عذاب) شاق (فى الحياة الدنيا) بالقتل والانس وسائر ما يصيبهم من المصائب فإنما ٣٤
 تصيبهم عقوبة على كفرهم (ولعذاب الآخرة أشق) من ذلك بالشدة والمدة (وما لهم من الله) من عذابه *
 المذكور (من واق) من حافظ يعصمهم من ذلك فمن الأولى صلة الوقاية والثانية مزبدة للتأكيد (مثل ٣٥
 الجنة) أى صفاتها العجيبة الشأن التى فى الغرابة كالمثل (التي وعد المتقون) عن الكفر والمعاصي وهو *
 مبتدأ خبره محذوف عند سيديوه أى فيما قصصنا عليك مثل الجنة وقوله تعالى (تجرى من تحتها الأنهار) *
 تفسير لذلك المثل على أنه حال من الضمير المحذوف من الصلة العائد إلى الجنة أى وعداها وهو الخبر عند
 غيره كقولك شأن زيد يأتية الناس ويعظمونه أو على حذف موصوف أى مثل الجنة جنة تجرى الخ
 (أكلها) ثمرها (دائم) لا ينقطع (وظلها) أيضاً كذلك لا تنسخه الشمس كما تنسخ ظلال الدنيا (تلك) *
 الجنة المنعوتة بما ذكر (عقبي الذين اتقوا) الكفر والمعاصي أى ما لهم ومنتهى أمرهم (وعقبي الكافرين
 النار) لا غير وفيه ما لا يخفى من إطماع المتقين وإقناط الكافرين (والذين آتيناكم الكتاب) هم المسلمون ٣٦
 من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب وأضرابهما ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلاً أربعون
 بنجران وثمانية باليمن واثنا وثلاثون بالحبشة (يفرحون بما أنزل إليك) إذ هو الكتاب الموعود فى
 التوراة والإنجيل (ومن الأحزاب) أى من أحزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ *
 بالعداوة نحو كعب بن الأشرف والسيد والعاقب اسقى نجران وأتباعهما (من ينكر بعضه) وهو الشرائع *
 الحادثة إنشاء أو نسخاً لا ما يوافق ما حرقوه وإلا لنعى عليهم من أول الأمر أن مدار ذلك إنما هو جنائيات
 أيديهم وأما ما يوافق كتبهم فلم ينكروه وإن لم يفرحوا به وقيل يجوز أن يراد بالوصول الأول عامتهم
 فإنهم أيضاً يفرحون به لكونه مصداقاً لكتبهم فى الجملة لحيث يكون قوله تعالى ومن الأحزاب الخ تنمة
 بمنزلة أن يقال ومنهم من ينكر بعضه (قل) إلزاماً لهم ورداً لإنكارهم (إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك
 به) أى شيئاً من الأشياء أو لا أفعل الإشراك به والمزاد قصر الأمر بالعبادة على الله تعالى لا قصر الأمر
 مطلقاً على عبادته تعالى خاصة أى قل لهم إنما أمرت فيما أنزل إلى بعبادة الله وتوحيده وظاهر أن لا سبيل

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ
وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾

الرعد ١٣

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِغَايَةٍ إِلَّا
بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾

الرعد ١٣

لكم إلى إنكاره لإطابق جميع الأنبياء والكتب على ذلك كقوله تعالى قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة
سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً فما لكم تشركون به عزير أو المسيح وقرىء ولا
* أشرك به بالرفع على الاستئناف أى وأننا لا أشرك به (إليه) إلى الله تعالى خاصة على النهج المذكور من التوحيد
* أو إلى ما أمرت به من التوحيد (أدعو) الناس لا إلى غيرة أو لا إلى شيء آخر مما لم يطبق عليه الكتب الإلهية
* والأنبياء عليهم الصلاة والسلام فواجه إنكاركم (وإليه) إلى الله تعالى وحده (مآب) مرجعى للجزاء
وحيث كانت هذه الحجة الباهرة لازمة لهم لا يجدون عنها محيصاً أمر عليه الصلاة والسلام بأن يخاطبهم
بذلك إلزاماً وتسكيناً لهم ثم شرع في رد إنكارهم لفروع الشرائع الواردة ابتداءً أو بدلاً من الشرائع
المنسوخة ببيان الحكمة في ذلك فقل (وكذلك أنزلناه) أى ما أنزل إليك وذلك إشارة إلى مصدر أنزلناه
٢٧ أو أنزل إليك ومحله النصب على المصدرية أى مثل ذلك الإزال البديع المنتظم لأصول مجمع عليها وفروع
* متشعبة إلى موافقة ومخالفة حسبما تقتضيه قضية الحكمة والمصلحة أنزلناه (حكماً) كما يحكم في القضايا
والواقعات بالحق أو يحكم به كذلك والتعرض لذلك العنوان مع أن بعضه ليس بحكم اتريية وجوب
* مراعاته وتحتم المحافظة عليه (عربياً) مترجماً بلسان العرب والتعرض لذلك للإشارة إلى أن ذلك إحدى
مواد المخالفة للكتب السابقة مع أن ذلك مقتضى الحكمة إذ بذلك يسهل فهمه وإدراك إعجازه والاقتصار
على اشتغال الإزال على أصول الديانات المجمع عليها حسبما يفيد قوله تعالى قل إنما أمرت أن أعبد الله
الح باباه التعرض لاتباع أهوائهم وحديث المحو والإثبات وأن لكل أجل كتاب فإن المجمع عليه لا يتصور
* فيه الاستتباع والإلتباع (ولئن اتبعت أهواءهم) التى يدعونك إليها من تقرير الأمور المخالفة لما أنزل
* إليك من الحق كالصلاة إلى بيت المقدس بعد التحويل (بعد ما جاءك من العلم) العظيم الشأن الفائض
* من ذلك الحكم العربى أو العلم بمضمونه (مالك من الله) من جنابه العزيز والالتفات من التكلم إلى الغيبة
وإيراد الاسم الجليل لزيادة المهابة قال الأزهري لا يكون إلهاً حتى يكون معبوداً وحتى يكون خالقاً ورازقاً
* ومديراً (من ولى) بلى أمرك وينصرك على من يبغيك الغوائل (ولا واق) يقيلك من مصارع السوء وحيث
لم يستلزم نفي الناصر على العدو نفي الواقى من نكايته أدخل على المعطوف حرف النفي للتأكيد كقولك
مالى دينار ولا درهم أو مالك من بأس الله من ناصر وواق لا تبعاك أهواءهم وأمثال هاتيك القوارع
إنما هى لقطع أطماع الكفرة وتهيج المؤمنين على الثبات فى الدين واللام فى لثن موطنه ومالك ساد
٢٨ مسد جوائى الشرط والقسم (ولقد أرسلنا رسلاً) كثيرة كائنة (من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية)

يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾

وإن ما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإتباعاً عليك ألبغ وعلياً الحساب ﴿٤٠﴾

الرعد ١٣

نساء وأولاداً كما جعلنا هالك وهو رد لما كانوا يعيونه ﷺ بالزواج والولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول يأكل الطعام الخ (وما كان لرسول) منهم أى ماصح وما استقام ولم يكن فى وسعه (أن يأتى آية) مما اقترح عليه وحكم بما التمس منه (إلا بإذن الله) ومشيتته المبينة على الحكم والمصالح التى عليها يدور أمر الكائنات لاسبابها مثل هذه الأمور العظام والانتفات لما قدمناه ولتحقيق مضمون الجملة بالإيماء إلى العلة (لكل أجل) أى لكل مدة ووقت من المدد والاقوات (كتاب) حكم معين يكتب على العباد حسبما تقتضيه الحكمة فإن الشرائع كلها لإصلاح أحوالهم فى المبدأ والمعاد ومن قضية ذلك أنه يختلف حسب اختلاف أحوالهم المتغيرة حسب تغير الاوقات كاختلاف العلاج حسب اختلاف أحوال المرضى بحسب الاوقات (يمحو الله ما يشاء) أى ينسخ ما يشاء نسخته من الأحكام لما تقتضيه الحكمة بحسب الوقت ٣٩ (ويثبت) بدله ما فيه المصلحة أو يبقيه على حاله غير منسوخ أو يثبت ما شاء لإثباته مطلقاً أعم منهما ومن الإنشاء ابتداء أو يمحو من ديوان الحفظه الذين ديدنهم كتب كل قول وعمل ما لا يتعلق به الجزاء ويثبت للباقي أو يمحو سيئات النائب ويثبت مكانها الحسنه أو يمحو قرناً ويثبت آخرين أو يمحو الفاسدات من العالم الجسماني ويثبت الكائنات أو يمحو الرزق ويزيد فيه أو يمحو الأجل أو السعادة والشقاوة وبه قال ابن مسعود وابن عمر رضى الله عنهم والقائلون به يتضرعون إلى الله تعالى أن يجعلهم سعداء وهذا رواه جابر عن النبي ﷺ والانسب تعميم كل من المحو والإثبات ليشمل الكل ويدخل فى ذلك مواد الإنكار دخولا أولياً وقرىء بالتشديد (وعنده أم الكتاب) أى أصله وهو اللوح المحفوظ إذ ما من شيء من الذاهب والثابت إلا وهو مكتوب فيه كما هو (وإما نرينك) أصله إن نرك وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط ٤٠ ومن ثمة ألحقت النون بالفعل (بعض الذى نعدم) أى وعدناهم من إنزال العذاب عليهم والعدول إلى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية أو نعدم وعداً متجدداً حسبما تقتضيه الحكمة من إنذار غب إنذار وفى إيراد البعض رمز إلى إرادة بعض الموعود (أو نتوفينك) قبل ذلك (فإنما عليك البلاغ) أى تبليغ أحكام الرسالة بتامها لا تحقيق مضمون ما بلغته من الوعيد الذى هو من جهاتها (وعليها) لا عليك (الحساب) محاسبة أعمالهم السيئة والمواخذة بها أى كيفما دارت الحال أريناك بعض ما وعدناهم من العذاب الدنيوى أولم نركه فعلياً ذلك وما عليك إلا تبليغ الرسالة فلا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيك وتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تأخره فإن ذلك لما نعلم من المصالح الخفية ثم طيب نفسه عليه الصلاة والسلام بطولوع تبشيريه فقال (أولم يروا) استفهام إنكارى والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أنكروا نزول ٤١

وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَنْ

عُقِبِيَ الدَّارِ ﴿٤٢﴾

١٣ الرعد

• ما وعدناهم أو أشكوا أو ألم ينظروا في ذلك ولم يروا (أنا نأتى الأرض) أى أرض الكفر (ننقصها من أطرافها) بأن نفتحها على المسلمين شيئاً فشيئاً ونلحقها بدار الإسلام ونذهب منها أهلها بالقتل والأسر والإجلاء ليس هذا من ذلك ومثله قوله عز سلطانه أفلا يرون أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها فهم الغالبون وقوله ننقصها حال من فاعل نأتى أو من مفعوله وقرئ ننقصها بالتشديد وفي لفظ الإتيان المؤذن بالاستواء المحتوم والاستيلاء العظيم من الفخامة مالا يخفى كما في قوله عز وجل وقد منالنا ما علموا من عمل فجعلناه هباء منثوراً (والله يحكم) ما يشاء كما يشاء وقد حكم للإسلام بالعزة والإقبال وعلى الكفر بالذلة والإدبار حسبما يشاهد من الخايل والآثار وفي الالتفات من التكلم إلى الغيبة وبناء الحكم على الاسم الجليل من الدلالة على الفخامة وتربية المهابة وتحقيق مضمون الخبر بالإشارة إلى العلة مالا يخفى وهى جملة اعتراضية جىء بها لتأكيد فحوى ما تقدمها وقوله تعالى (لامعقب لحكمه) اعتراض فى اعتراض بيان علو شأن حكمه جل جلاله وقيل نصب على الحالية كأنه قيل والله يحكم نافذاً حكمه كما تقول جاء زيد لاعمامة على رأسه أى حاسراً والمعقب من يكر على الشيء فيبطله وحقيقته من يعقبه ويقفيه بالرد والإبطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لأنه يقضى غريمه بالاقتضاء والطلب (وهو سريع الحساب) فعما قليل يحاسبهم ويجازيهم فى الآخرة بأفانين العذاب غب ما عذبهم بالقتل والأسر والإجلاء حسبما يرى وقال ابن عباس رضى الله عنهما سريع الانتقام (وقد مكر) الكفار (الذين) خلوا (من قبلهم) من قبل كفار مكة بأنبيائهم والمؤمنين كما مكر هؤلاء وهذا تسلية لرسول الله ﷺ بأنه لا عبرة بمكرهم ولا تأثير بل لا وجود له فى الحقيقة ولم يصرح بذلك اكتفاء بدلالة القصر المستفاد من تعليله أعنى قوله تعالى (فله المكر) أى جنس المكر (جميعاً) لا وجود لمكرهم أصلاً إذ هو عبارة عن إيصال المكر وهى إلى الغير من حيث لا يشعر به وحيث كان جميع ما يأتون وما يذرون بعلم الله تعالى وقدرته وإنما لهم مجرد الكسب من غير فعل ولا تأثير حسبما يبينه قوله عز وجل (يعلم ما تكسب كل نفس) ومن قضيته خصمة أوليائه وعقاب الماكرين بهم توفية لكل نفس جزاء ما تكسبه ظهر أن ليس لمكرهم بالنسبة إلى من مكروا بهم عين ولا أثر وأن المكر كله لله تعالى حيث يؤاخذهم بما كسبوا من فنون المعاصى التى من جملتها مكروهم من حيث لا يحتسبون أو لله المكر الذى بأشروهم جميعاً لألهم على معنى أن ذلك ليس مكرأ منهم بالأنبياء بل هو بعينه مكر من الله تعالى بهم وهم لا يشعرون حيث لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله (وسيعلم الكفار) حين يقضى بمقتضى علمه فيوفى كل نفس جزاء ما تكسبه (لمن عقبي الدار) أى العاقبة الحميدة من الفريقين وإن جهلوا ذلك يومئذ وقيل السين لتأكيد وقوع ذلك وعلمهم به حينئذ وقرئ سيعلم الكافر على إرادة الجنس والكافرون والكفر أى أهله والذين كفروا وسيعلم على صيغة المجهول من الإعلام أى سيخبر

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ
الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾

الرعد ١٣

(ويقول الذين كفروا لست مرسلا) قيل قاله رؤساء اليهود وصيغة الاستقبال لاستحضار صورة كلمتهم ٤٣
الشناء تهجيباً منها أو للدلالة على تجدد ذلك واستمراره منهم (قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم) فإنه قد أظهر على
رسالتي من الحجج القاطعة والبيّنات الساطعة ما فيه مندوحة عن شهادة شاهد آخر (ومن عنده علم الكتاب) *
أى علم القرآن وما عليه من النظم المعجز أو من هو من علماء أهل الكتاب الذين أسدوا لأنهم يشهدون
بنعته عليه الصلاة والسلام في كتبهم والآية مدنية بالاتفاق أو من عنده علم اللوح المحفوظ وهو الله سبحانه
أى كفى به شاهداً بيننا بالذى يستحق العبادة فإنه قد شحن كتابه بالدعوة إلى عبادته وأيدى بأنواع التأييد
وبالذى يختص بعلم ما فى اللوح من الأشياء الكائنة الثابتة التى من جملتها رسالتى وقرىء من عنده بالكسر
وعلم الكتاب على الأول مرتفع بالظرف المعتمد على الموصول أو مبتدأ خبره الظرف وهو متمين على
الثانى ومن عنده علم الكتاب بالكسر وبناء المفعول ورفع الكتاب عن رسول الله ﷺ من قرأ سورة
الرعد أعطى من الأجر عشر حسنات بوزن كل صحاب مضى وكل صحاب يكون إلى يوم القيامة وبعث يوم
القيامة من الموفين بعهده الله عز وجل والله أعلم بالصواب .

١٤ - سورة إبراهيم عليه السلام

(مكية وآياتها اثنان وخمسون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الر كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ
الْحَمِيدِ ﴿١﴾

١٤ إبراهيم

اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ١٤ إبراهيم

(سورة إبراهيم عليه السلام مكية إلا آيتي ٢٨ و ٢٩ فذنتان وآياتها اثنان وخمسون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (الر) مر الكلام فيه وفي محله غير مرة وقوله تعالى (كتاب) خبر له على تقدير كون الر مبتدأ أو لمبتدأ مضمرة على تقدير كونه خبراً لمبتدأ محذوف أو مسروداً على نمط التعديد ويجوز أن يكون خبراً ثانياً لهذا المبتدأ المحذوف وقوله تعالى (أنزلناه إليك) صفة له وقوله تعالى (لتخرج الناس) متعلق بأنزلناه أى لتخرجهم كافة بما فى تضاعيفه من البيانات الواضحة المفصحة عن كونه من عند الله عز وجل الكاشفة عن العقائد الحقّة وقرىء ليخرج الناس (من الظلمات) أى ليخرج به الناس من عقائد الكفر والضلال التى كلها ظلمات محضة وجهالات صرفة (إلى النور) إلى الحق الذى هو نور يمتدح لكن لا كيفما كان فإنك لا تهدي من أحببت بل (بإذن ربهم) أى بتيسيره وتوفيقه وللأنباء عن كون ذلك منوطاً بإقبالهم إلى الحق كما يفصح عنه قوله تعالى ويهدي إليه من أناب استعير له الإذن الذى هو عبارة عن تسهيل الحجاب لمن يقصد الورد وأضيف إلى ضميرهم اسم الرب المفصّح عن التريّة التى هى عبارة عن تبليغ الشئ إلى كماله المتوجه إليه وشمول الإذن بهذا المعنى للكل واضح وعليه يدور كون الإنزال لإخراجهم جميعاً وعدم تحقق الإذن بالفعل فى بعضهم لعدم تحقق شرطه المستند إلى سوء اختيارهم غير محل بذلك والآباء متعلقة بتخرج أو بمضمرة وقع حالا من مفعوله أى ملتبسين بإذن ربهم وجعله حالا من فاعله ياباه إضافة الرب إليهم لا إليه وحيث كان الحق مع وضوحه فى نفسه وإيضاحه لغيره موصلاً إلى الله عز وجل استعير له النور تارة والصراط أخرى فقليل (إلى صراط العزيز الحميد) على وجه الإبدال بتكرير العامل كما فى قوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم وإخلال البدل والبيان بالاستعارة إنما هو فى الحقيقة لافى الجواز كما فى قوله سبحانه حتى يتبين لكم الخطيط الأبيض من الخطيط الأسود من الفجر وقيل هو استئناف مبنى على سؤال كأنه قيل إلى أى نور فقليل إلى صراط العزيز الحميد وإضافة الصراط إليه تعالى لأنه مقصده أو المبين له وتخصيص الوصفين بالذكر للترغيب فى سلوكه ببيان ما فيه من الأمن والعاقبة الحميدة (الله) بالجر عطف بيان للعزيز الحميد لجر يانه مجرى الأعلام الغالبة بالاختصاص بالمعبود بالحق ٢

الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ

فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾

١٤ إبراهيم

- كالنجم في الثريا وقرىء بالرفع على هو الله أى العزيز الحميد الذى أضيف إليه الصراط الله (الذى له)
- ملكا وملكاً (مافى السموات ومافى الأرض) أى ما وجد فيهما داخلا فيهما أو خارجا عنهما متمكناً فيهما
- كما مر فى آية الكرسى فقيه على القراءتين بيان لكمال نخامة شأن الصراط وإظهار لنختم سلوكه على الداس
- قاطبة وتجويز الرفع على الابتداء بجعل الموصول خبراً مبناه الغفول عن هذه النسكته وقوله عز وجل
- (وويل للكافرين) وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات إلى النور بالويل وهو نقيض الوال
- وهو النجاة وأصله النصب كسائر المصادر ثم رفع رفعها للدلالة على الثبات كسلام عليك (من عذاب
- شديد) متعلق بويل على معنى يولولون ويضجون منه قائلين ياويله كقوله تعالى دعوا هنالك ثبوراً
- (الذين يستحبون الحياة الدنيا) أى يؤثرونها استفعال من المحبة فإن المؤثر للشيء على غيره كأنه يطلب ٣
- من نفسه أن يكون أحب إليها وأفضل عندها من غيره (على الآخرة) أى الحياة الآخرة الأبدية
- (ويصدون) الناس (عن سبيل الله) التى بين شأنها والاختصار على الإضافة إلى الاسم الجليل المنطوى
- على كل وصف جميل لروم الاختصار وهو من صده صدأ وقرىء يصدون من أصد المنقول من صد
- صدوداً إذا نكب وهو غير فصيح كأوقف فإن فى صده ووقفه لمندوحة عن تكلف النقل (ويبغونها)
- أى يبغون لها تحذف الجار وأوصل الفعل إلى الضمير أى يطلبون لها (عوجاً) أى زيغاً واعوجاجاً وهى
- أبعد شيء من ذلك أى يقولون لمن يريدون صده وإضلاله إنها سبيل ناكبة وزائغة غير مستقيمة ومحل
- موصول هذه الصلات الجر على أنه بدل من الكافرين أو صفة له فيعتبر كل وصف من أوصافهم بإزاء
- ما يناسبه من المعانى المعتمدة فى الصراط فالكفر المنهى عن الستر يازاد كونه نوراً واستحباب الحياة
- الدنيا الفانية المفصحة عن وخامة العاقبة بمقابلة كون سلوكه محمود العاقبة والصد عنه بإزاء كونه مأموناً
- وفيه من الدلالة على تمامهم فى الغنى مالا يخفى أو النصب على الذم أو الرفع على الابتداء والخبر قوله
- تعالى (أولئك فى ضلال بعيد) وعلى الأول جملة مستأنفة وقعت معللة لما سبق من لحوق الويل بهم تأكيداً
- لما أشعر به بناء الحكم على الموصول أى أولئك الموصوفون بالقباح المذكورة من استحباب الحياة الدنيا
- على الآخرة وصد الناس عن سبيل الله المستقيمة ووصفها بالاعوجاج وهى منه بئزء فى ضلال عن طريق
- الحق بعيد بالغ فى ذلك غاية الغايات القاصية والبعد وإن كان من أحوال الضلال إلا أنه قد وصف به وصفه
- مجازاً للبالغة كجد جده وداهية دهياء ويجوز أن يكون المعنى فى ضلال ذى بعد أو فيه بعد فإن الضلال قد
- يضل عن الطريق مكاناً قريباً وقد يضل بعيداً وفى جعل الضلال محيطاً بهم إحاطة الظرف بما فيه مالا
- يخفى من المبالغة .

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِيَ مَنْ يَشَاءُ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٤﴾

١٤ إبراهيم

٤ (وما أرسلنا) أى فى الأمم الحالية من قبلك كما سيذكر إجمالاً (من رسول إلا) ملتبساً (بلسان قومه) متكلماً بلغة من أرسل إليهم من الأمم المتفقة على لغة سواء بعث فيهم أولاً وقرىء بلسن وهو لغة فيه كرىش ورياش وبلسن بضمين وضممة وسكون كعمد وعمد (ليبين لهم) ما أمروا به فيلتقوا منه يسر وسرعة ويعملوا بموجبه من غير حاجة إلى الترجمة ممن لم يؤمر به وحيث لم يمكن مراعاة هذه القاعدة فى شأن سيدنا محمد ﷺ وعليهم أجمعين لعموم بعثته للثقلين كافة على اختلاف لغاتهم وكان تعدد نظم الكتاب المنزل إليه حسب تعدد السنة الأمم أدعى إلى التنازع واختلاف الكلمة وتطرق أيدي التحريف مع أن استقلال بعض من ذلك بالإعجاز دون غيره مثبته لفتح القادحين وانفاق الجميع فيه أمر قريب من الإلجاء وحصر البيان بالترجمة والتفسير اقتضت الحكمة اتحاد النظم المنبئ عن العزة وجلالة الشأن المستتبع لفوائد غنية عن البيان على أن الحاجة إلى الترجمة تنضاعف عند التعدد إذ لا بد لكل أمة من معرفة توافق الكل وتحاذيه حدو القذة بالقذة من غير مخالفة ولو فى خصلة فذة وإنما يتم ذلك بمن يترجم عن الكل واحداً أو متعدداً وفيه من التعذر ما يتأخى الامتناع ثم لما كان أشرف الأقوام وأولاهم بدعوته عليه الصلاة والسلام قومه الذين بعث فيهم ولغتهم أفضل اللغات نزل الكتاب المنين بلسان عربى مبين وانتشرت أحكامه فيما بين الأمم أجمعين وقيل الضمير فى قومه لمحمد ﷺ فإنه تعالى أنزل الكتب كلها عربية ثم ترجمها جبريل عليه الصلاة والسلام أو كل من نزل عليه من الأنبياء عليهم السلام بلغة من نزل عليهم ويردده قوله تعالى ليبين لهم فإنه ضمير القوم وظاهر أن جميع الكتب لم ينزل لتبيين العرب وفى روجه إلى قوم كل نبي كأنه قيل وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قوم محمد ﷺ ليبين الرسول لقومه الذين أرسل إليهم ما لا يخفى من التكلف (فيضل الله من يشاء) إضلاله أى يخلق فيه الضلال لمباشرة أسبابه المؤدية إليه أو يخذله ولا يلفظ به لما يعلم أنه لا ينجع فيه الإطاف (ويهدى) بالتوفيق ومنح الإطاف (من يشاء) هدايته لما فيه من الإنابة والإقبال إلى الحق والاتفات بإسناد الفعلين إلى الاسم الجليل المنطوى على الصفات لتفخيم شأنهما وترشيح مناطق كل منهما والفاء فصيحة مثلما فى قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانقلب كأنه قيل فبينوه لهم فأضل الله منهم من شاء إضلاله لما لا يليق إلا به وهدى من شاء هدايته لاستحقاقه لها والحذف للإيذان بأن مسارعة كل رسول إلى ما أمر به وجريان كل من أهل الخذلان والهداية على سنته أمر محقق غنى عن الذكر والبيان والعدول إلى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة أو للدلالة على التجدد والاستمرار حسب تجديد البيان من الرسل المتعاقبة عليهم السلام وتقديم الإضلال على الهداية إما لأنه إبقاء ما كان على ما كان والهداية إنشاء ما لم يكن أو المبالغة فى بيان أن لا تأثير للتبيين والتذكير من قبل الرسل وأن مدار الأمر إنما هو مشيئته تعالى بإيهام أن ترتب الضلالة على ذلك أسرع من

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

١٤ إبراهيم

- ترتب الاهتداء وهذا محقق لما سلف من تقييد الإخراج من الظلمات إلى النور بإذن الله تعالى (وهو العزب) فلا يغالب في مشيئته (الحكيم) الذي لا يفعل شيئاً من الإضلال والهداية إلا لحكمة بالغة وفيه أن مافوض إلى الرسل إنما هو تبليغ الرسالة وتبيين طريق الحق وأما الهداية والإرشاد إليه فذلك بيد الله سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد (ولقد أرسلنا موسى) شروع في تفصيل ما أوجل في قوله عز وجل وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم الآية (بآياتنا) أى ملتبساً بها وهي معجزاته التي أظهرها لبني إسرائيل (أن أخرج قومك) بمعنى أى أخرج لأن الإرسال فيه معنى القول أو بأن أخرج كما في قوله تعالى وأن أقم وجهك فإن صيغ الأفعال في الدلالة على المصدر سواء وهو المدار في صحة الوصل والمراد بذلك إخراج بني إسرائيل بعد مهلك فرعون (من الظلمات) من الكفر والجهالات التي أدتهم إلى أن يقولوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة (إلى النور) إلى الإيمان بالله وتوحيده وسائر ما مروا به (وذكرهم بأيام الله) أى بنعمائه وبلائه كما ينبغي عنه قوله ذكر وانعمة الله عليكم لكن لا بما جرى عليهم فقط بل عليهم وعلى من قبلهم من الأمم في الأيام الحالية حسب ما ينبغي عنه قوله تعالى ألم يأتكم نبي الذين من قبلكم الآيات أو بأيامه المنظوية على ذلك كما يلوح به قوله تعالى إذ أنجاكم والالتفات من التكلم إلى الغيبة بإضافة الأيام إلى الاسم الجليل للإبذان بفخامة شأنها والإشعار بعدم اختصاص ما فيها من المعاملة بالمخاطب وقومه كما تروهم بالإضافة إلى ضمير المنكلم أى عظمهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد وقيل أيام الله وقائمه التي وقعت على الأمم قبلهم وأيام العرب وقائمه وحروبها وملاحمها أى أنذرهم وقائمه التي دهمت الأمم الدارجة وورده ما تصدى له يتبع بصدد الامتثال من التذكير بكل من السراء والضراء بما جرى عليهم وعلى غيرهم حسبما يتلى عليك (إن في ذلك) أى في التذكير بها أو في مجموع تلك النعماء والبلاء أو في أيامها (الآيات) عظيمة أو كثيرة دالة على وحدانية الله تعالى وقدرته وعلوه وحكمته فهي على الأول عبارة عن الأيام سواء أريد بها أنفسهم أو ما فيها من النعماء والبلاء ومعنى ظرفية التذكير لها كونه مناطاً لظهورها وعلى الثالث عن تلك النعماء والبلاء ومعنى الظرفية ظاهر وأما على الثاني وهو كونه إشارة إلى مجموع النعماء فعن كل واحدة من تلك النعماء والبلاء والمشار إليه المجموع المشتمل عليها من حيث هو مجموع أو كلمة في تجريدية مثلها في قوله تعالى لهم فيها دار الخلد (لكل صبار) على بلائه (شكور) لنعمائه وقيل لكل مؤمن والتعبير عنهم بذلك للإشعار بأن الصبر والشكر عنوان المؤمن أى لكل من يليق بكمال الصبر والشكر أو الإيمان ويصير أمره إليهما لا لمن انصف بها بالفعل لأنه تعليل للأمر بالتذكير المذكور السابق على التذكير المؤدى إلى تلك المرتبة فإن من تذكر ما فاض أو نزل عليه أو على من قبله من النعماء والبلاء وتنبه لما فيه الشكر والصبر أو الإيمان لا يكاد يفارقها وتخصيص الآيات بهم لأنهم المنتفعون بها لآلتها خافية

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ
الْعَذَابِ وَيَدْعُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إبراهيم
وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿١٥﴾ ١٤ إبراهيم

٦ عن غيرهم فإن النبيين حاصل بالنسبة إلى الكل وتقديم الصبار على الشكور لتقدم متعلق الصبر أعنى البلاء
على متعلق الشكر أعنى النعماء وكون الشكر عاقبة الصبر (وإذ قال موسى لقومه) شروع في بيان تصديه
عليه الصلاة والسلام لما أمر به من التذكير للإخراج المذكور وإذ منصوب على المفعولية بمضم
خو ط ب به النبي ﷺ وتعليق الذكر بالوقت مع أن المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر سره
غير مرة أى اذكر لهم وقت قوله عليه الصلاة والسلام لقومه (اذكروا نعمة الله عليكم) بدأ عليه الصلاة
والسلام بالترغيب لأنه عند النفس أقبل وهى إليه أميل والظرف متعلق بنفس النعمة إن جعلت مصدرأ
أو بمحذوف وقع حالا منها إن جعلت اسماً أى اذكروا الإنعامه عليكم أو اذكروا نعمته كائنة عليكم وكذلك
كلمة إذ فى قوله تعالى (إذ أنجاكم من آل فرعون) أى اذكروا الإنعامه عليكم وقت إنجائهم إياكم من آل فرعون
أو اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم وقت إنجائهم إياكم منهم أو بدل اشتغال من نعمة الله مراداً بها الإنعام
أو العطية (يسومونكم) ييغونكم من سامه خسفاً إذا أولاه ظلاً وأصل السوم الذهاب فى طلب الشيء
(سوء العذاب) السوء مصدر ساء يسوء والمراد به جنس العذاب السيئ أو استعبادهم واستعمالهم فى
الاعمال الشاقة والاستهانة بهم وغير ذلك مما لا يحصر ونصبه على أنه مفعول ليسومونكم (ويذبحون أبناءكم)
المولودين وإنما عطفه على يسومونكم إخراجاً له عن مرتبة العذاب المعتاد وإنما فعلوا ذلك لأن فرعون
رأى فى المنام أو قال له الكهنة أنه سيولد منهم من يذهب بملكه فاجتهدوا فى ذلك فلم يغن عنهم من قضاء الله
شيئاً (ويستحيون نساءكم) أى يبقونهن فى الحياة مع الذل والصغار ولذلك عدم من جملة البلاء والجل أحوال
من آل فرعون أو من ضمير المخاطبين أو منها جميعاً لأن فيها ضمير كل منهما (وفى ذلكم) أى فيما ذكر من
أفعالهم الفظيعة (بلاء من ربكم) أى ابتلاء منه لأن البلاء عين تلك الأفعال اللهم إلا أن تجعل فى تجريدية
فتنسبته إلى الله تعالى إما من حيث الخلق أو الأقدار والتمكين (عظيم) لا يطاق ويجوز أن يكون المشار
إليه الإنجاء من ذلك والبلاء الابتلاء بالنعمة وهو الأنسب كما يلوح به التعرض لوصف الربوبية وعلى
الأول يكون ذلك باعتبار المال الذى هو الإنجاء أو باعتبار أن بلاء المؤمن تربية له (وإذ تأذن ربكم)
٧ من جملة مقال موسى عليه الصلاة والسلام لقومه معطوف على نعمة الله أى اذكروا نعمة الله عليكم
واذكروا حين تأذن ربكم أى آذن إيداناً بليغاً لا تبقى معه شائبة شبهة لما فى صيغة الفعل من معنى التكلف
المحمول فى حقه سبحانه على غايته التى هى الكمال وقيل هو معطوف على قوله تعالى إذ أنجاكم أى اذكروا
نعمته تعالى فى هذين الوقتين فإن هذا التأذن أيضاً نعمة من الله تعالى عليهم ينالون بها خيرى الدنيا والآخرة
وفى قراءة ابن مسعود رضى الله تعالى عنه وإذ قال ربكم ولقد ذكرهم عليه الصلاة والسلام أولاً بنعماته تعالى

وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَسْكُرُوا أَنفُسَكُمْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌ حَمِيدٌ ﴿١٠٨﴾
 أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ
 جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ
 وَإِنَّا لَنَالِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿١٠٩﴾

- عليهم صريحاً وخمنه تذكير ما أصابهم قبل ذلك من الضراء ثم أمرهم ثانياً بذكر ما جرى من الله سبحانه من الوعد بالربادة على تقدير الشكر والوعيد بالعذاب على تقدير الكفر والمراد بتذكير الأوقات تذكير ما وقع فيها من الحوادث مفصلة إذ هي محبطة بذلك فإذا ذكرت ذكر ما فيها كأنه مشاهد معين (لتن شكرتم) يا بني إسرائيل ما خولتكم من نعمة الإنجاء وإهلاك العدو وغير ذلك من النعم والآلاء الفاتنة للحرص وقابلتموه بالإيمان والطاعة (لأزيدنكم) نعمة إلى نعمة (ولتن كفرتم) ذلك وغصتموه (إن عذاباً لشديد) فمضى يصيبكم منه ما يصيبكم ومن عادة الكرام التصريح بالوعد والتعريض بالوعيد فما ظاك بأكرم الأكرمين ويجوز أن يكون المذكور تعليلاً للجواب المحذوف أى لا عذبكم واللام في الموضعين موطنه للقسم وكل من الجوابين ساد مسد جوابي الشرط والقسم والجملة إما مفعول لتأذن لأنه ضرب من القول أو لقول مقدر بعده كأنه قيل وإذا تأذن ربكم فقال الخ (وقال موسى إن تكفروا) نعمه ٨ تعالى ولم تشكروها (أنتم) يا بني إسرائيل (ومن في الأرض) من الخلائق (جميعاً فإن الله لغني) عن شكركم وشكر غيركم (حميد) مستوجب الحمد بذاته لكثرة ما يوجب من أباديه وإن لم يحمده أحد أو محمود بحمده الملائكة بل كل ذرة من ذرات العالم ناطقة بحمده والحمد حيث كان بمقابلة النعمة وغيرها من الفضائل كان أدل على كماله سبحانه وهو تعليل لما حذف من جواب إن أي إن تكفروا لم يرجع وبالله إلا عليكم فإن الله تعالى لغني عن شكر الشاكرين وامله عليه الصلاة والسلام إنما قاله عند ما عين منهم دلائل العناد وغايل الإصرار على الكفر والفساد وتيقن أنه لا ينفعهم الترغيب ولا التعريض بالترهيب أو قال غيب تذكيرهم بما ذكر من قول الله عز سلطانه وتحقيقاً لمضمونه وتحذيراً لهم من الكفران ثم شرع في الترهيب بتذكير ما جرى على الأمم الخالية فقال (ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم) ليتدبروا ما أصاب كل واحد من حربي المؤمن والكافر فيقلعوا عما هم عليه من الشر وينيبوا إلى الله تعالى وقيل هو ابتداء كلام من الله تعالى خطاباً للكفرة في عهد النبي ﷺ فيختص تذكير موسى عليه الصلاة والسلام بما اختص بني إسرائيل من السراء والضراء والأيام بالأيام الجارية عليهم فقط وفيه مالا يخفى من البعد وأيضاً لا يظهر حينئذ وجه تخصيص تذكير الكفرة الذين في عهد النبي ﷺ بما أصاب أولئك المعدودين مع أن غيرهم أسوة لهم في الخلو قبل هؤلاء (قوم نوح) بدل من الموصول أو عطف بيان (وعاد) معطوف على قوم نوح (وثمود والذين من بعدهم) أي من هؤلاء المذكورين عطف عام على قوم نوح وما عطف

قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخَّرَكُمْ
إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَنتُم بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا
بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٤﴾

١٤ إبراهيم

- عليه وقوله تعالى (لا يعلمهم إلا الله) اعتراض أو الموصول مبتدأ ولا يعلمهم إلى آخره خبره والجملة
- اعتراض والمعنى أنهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم إلا الله سبحانه وعن ابن عباس رضى الله تعالى
- عنهما بن عدنان وإسماعيل ثلاثون أباً لا يعرفون وكان ابن مسعود رضى الله تعالى عنه إذا قرأ هذه الآية
- قال كذب النسابون يعنى أنهم يدعون علم الأنساب وقد نفى الله تعالى عنها عن العباد (جاءتهم رسالهم)
- استئناف لبيان نبئهم (بالبينات) بالمعجزات الظاهرة والبينات الباهرة فيبين كل رسول لآمته طريق الحق
- وهداهم إليه ليخرجهم من الظلمات إلى النور (فردوا أيديهم في أفواههم) مشيرين بذلك إلى ألسنتهم وما
- يصدر عنها من المقالة اعتناء منهم بشأنها وتنبههم على تلقيهم والمحافظة عليها وإفناطهم عن التصديق
- والإيمان بإعلام أن لا جواب لهم سواه (وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به) أى على زعمكم وهى البينات
- التي أظهرها حجة على صحة رسالاتهم كقوله تعالى ولقد أرسلناه موسى بآياتنا و مرادهم بالكفر بها الكفر
- بدلائلها على صحة رسالاتهم أو فعضوها غيظاً وضجراً مما جاءت به الرسل كقوله تعالى عضوا عليكم الأنامل
- من الغيظ أو وضعوها عليها تعجباً منه واستهزاء به كمن غلبه الضحك أو إسكاناً للأنبياء عليهم السلام
- وأمرأ لهم بإطباق الأفواه أو ردوها في أفواه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بمنعونهم من التكلم تحقيقاً
- أو تمثيلاً أو جعلوا أيدي الأنبياء في أفواههم تعجباً من عتوهم وعنادهم كما ينبي عنه تعجبهم بقوله أفى الله
- شك الخ وقيل الأيدي بمعنى الأيدي عبر بها عن مواضعهم ونصائحهم وشرائعهم التي هى مدار النعم
- الدينية والدنيوية لأنهم لما كذبوها فلم يقبلوها فكأنهم ردوها إلى حيث جاءت منه (وإنا فى شك) عظيم
- (بما تدعوننا إليه) من الإيمان بالله والتوحيد فلا ينافى شكهم فى ذلك كفرهم القطعى بما أرسل به الرسل
- من البينات فإنهم كفروا بها قطعاً حيث لم يعتدوا بها ولم يجعلوها من جنس المعجزات ولذلك قالوا فأتونا
- بسُلطان مبين وقرئ تدعون بالإدغام (مريب) موقع فى الرية من أراه أوذى رية من أراه الرجل
- ١٠ وهى قلق النفس وعدم اطمئنانها بالشيء (قالت رسالهم) استئناف مبني على سؤال ينساق إليه المقال كأنه
- قيل فإذا قالت لهم رسالهم فأجيب بأنهم قالوا منكرين عليهم ومتعجبين من مقالاتهم الحقاء (أفى الله
- شك) بإدخال الهمزة على الظرف للإيدان بأن مدار الإنكار ليس نفس الشك بل وقوعه فيما لا يكاد
- يتوهم فيه الشك أصلاً متقادين عن تطبيق الجواب على كلام الكفرة بأن يقولوا أنتم فى شك مريب من
- الله تعالى مبالغته فى تنزيهه ساحة السبحان عن شائبة الشك وتسجيلاً عليهم بسخافة العقول أى فى شأنه
- سبحانه من وجوده ووحدته وجوب الإيمان به وحده شك ما وهو أظهر من كل ظاهر وأجلى من كل
- جلى حتى تكونوا من قبله فى شك مريب وحيث كان مقصدهم الأقصى الدعوة إلى الإيمان والتوحيد

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

١٤ إبراهيم

وكان إظهار البينات وسيلة إلى ذلك لم يتعرضوا للجواب عن قول الكفرة إنا كفرة نأمرنا برسالتهم به واقتصروا على بيان ماهو الغاية القصوى ثم عقبوا ذلك الإنكار بما يوجهه من الشواهد الدالة على انتفاء المنكر فقالوا (فاطر السموات والأرض) أى مبدعها وما فيها من المصنوعات على نظام أتيق شاهد بتحقيق ما أتم منه في شك وهو صفة للاسم الجليل أو بدل منه وشك مرتفع بالظرف لاعتقاده على الاستفهام وجعله مبتدأ على أن الظرف خبره يفضى إلى الفصل بين الموصوف والصفة بالأجنى أعنى المبتدأ والفاعل ليس بأجنى من رافعه وقد جوز ذلك أيضاً (يدعوكم) إلى الإيمان بإرساله إيانا لا أما ندعوكم إليه من تلقاء أنفسنا كما يوهمه قولكم ما تدعوننا إليه (ليغفر لكم) بسببه أو يدعوكم لأجل المغفرة كدعوتيه لياكل معي (من ذنوبكم) أى بعضها وهو ما عدا المظالم مما بينهم وبينه تعالى فإن الإسلام يحبه قبل هكذا وقع في جميع القرآن في وعد الكفرة دون وعد المؤمنين تفرقة بين الوعدين وأعل ذلك لما أن المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفرة مرتبة على محض الإيمان وفي شأن المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج من المظالم وقيل المعنى ليغفر لكم بدلا من ذنوبكم (ويؤخركم إلى أجل مسمى) إلى وقت سماه الله تعالى وجعله منتهى أعماركم على تقدير الإيمان (قالوا) استئناف كما سبق (إن أتم) أى ما أتم (إلا بشر مثلنا) من غير فضل يؤهلهم لما تدعونه من النبوة (تريدون) صفة ثانية لبشر حملا على المعنى كقوله تعالى أبشر يهدونا أو كلام مستأنف أى تريدون بما تصدون له من الدعوة والإرشاد (أن تصدونا) بتخصيص العبادة بالله سبحانه (عما كان يعبد آباؤنا) أى عن عبادة ما استمر آباؤنا على عبادته من غير شيء يوجهه وإلا (فأتونا) أى وإن لم يكن الأمر كما قلنا بل كنتم رسلا من جهة الله تعالى كما تدعونه فأتونا (بسلطان مبين) يدل على فضلكم واستحقاقكم لتلك الرتبة أو على صحة ما تدعونه من النبوة حتى نترك ما لم نزل نعبد به أباً عن جد ولقد كانوا آتوهم من الآيات الظاهرة والبيانات الباهرة ما تخرج لهم صم الجبال ولكنهم إنما يقولون ما يقولون من العظامم مكابرة وعناداً وإرادة قلن وراهم أن ذلك ليس من جنس ما ينطق عليه السلطان المبين (قالت لهم رسالهم) مجازاة معهم ١١ في أول مقالتهن وإنما قيل لهم لاختصاص الكلام بهم حيث أريد إلزامهم بخلاف ما سلف من إنكار وقوع الشك في الله سبحانه فإن ذلك عام وإن اختص بهم ما يعقبه (إن نحن إلا بشر مثلكم) كما تقولون (ولكن الله يمين) بالنبوة (على من يشاء من عباده) يعنون أن ذلك عطية من الله تعالى يعطيها من يشاء من عباده بمحض الفضل والامتنان من غير داعية توجبه قالوه تواضعاً وهضماً للنفس أو مانعاً من الملائكة بل نحن بشر مثلكم في الصورة أو في الدخول تحت الجنس ولكن الله يمين بالفضائل والكمالات والاستعدادات على من يشاء المن وما يشاء ذلك إلا لعله باستحقاقه لها وتلك الفضائل والكمالات والاستعدادات هي التي يدور عليها تلك الاصطفاة للنبوة (وما كان) وما صح وما استقام (لأننا نأتيكم

وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾

١٤ إبراهيم

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾

١٤ إبراهيم

وَلَنُسَكِّنَنَّكَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾

١٤ إبراهيم

- سلطان) أي بحجة من الحجج فضلا عن السلطان المبين بشيء من الأشياء وسبب من الأسباب (إلا
- بإذن الله) فإنه أمر يتعلق بمشيئته تعالى إن شاء كان وإلا فلا (وعلى الله) وحده دون ما عداه مطلقاً
- (فليتوكل المؤمنون) أمر منهم للتوكل بالتوكل ومقصودهم حل أنفسهم عليه أثر ذي أثر إلا يرى
- ١٢ إلى قوله عز وجل (ومالنا) أي أي عذر لنا (أن لا نتوكل على الله) أي في أن لا نتوكل عليه والإظهار
- لإظهار النشاط بالتوكل عليه والاستناد بذكر اسمه تعالى وتعليل التوكل (وقد هدانا) أي والحال أنه قد
- فعل بنا ما يوجه ويستدعيه حيث هدانا (سبلنا) أي أرشد كلا من سبيله ومنهاجه الذي شرعه وأوجب
- عليه سلوكه في الدين وحيث كانت أذية الكفار بما يوجب القلق والاضطراب القادح في التوكل قالوا على
- سبيل التوكيد القسمي مظهرين لكمال العزيمة (ولنصبرن على ما آذيتُمونا) بالعناد واقتراح الآيات وغير
- ذلك مما لا يخبر به (وعلى الله) خاصة (فليتوكل المتوكلون) أي فليثبت المتوكلون على ما أحدثوه من التوكل
- والمراد هو المراد مما سبق من إيجاب التوكل على أنفسهم والمراد بالتوكلين المؤمنون والتعبير عنهم بذلك
- ١٣ لسبق ذكر اتصافهم به ويجوز أن يراد وعليه فليتوكل من توكل دون غيره (وقال الذين كفروا) لعل
- هؤلاء الظالمين بعض المتمردين العاتين الغالين في الكفر من أولئك الأمم الكافرة التي هانت مقالاتهم
- الشنيعة دون جميعهم كقوم شعيب وأضرابهم ولذلك لم يقل وقالوا (لرسولهم لنخرجكم من أرضنا أو
- لتعودن في ملتنا) لم يقتنعوا بصيانتهم الرسل ومعاتدتهم الحق بعد ما رأوا اليأس الفاتية للحرص حتى
- اجتمعوا على مثل هاتيك العظيمة التي لا يكاد يحيط بها دائرة الإمكان فلفقوا على أن يكون أحد المحالين
- والعود إما بمعنى مطلق الصيرورة أو باعتبار تغليب المؤمنين على الرسل وقدم في الأعراف وسيأتي
- في الكهف (فأوحى إليهم) أي إلى الرسل (ربهم) مالك أمرهم عند تنامي كهر الكفرة وبلوغهم من
- العتو إلى غاية لا مطلق بعدها في إيمانهم (لنهلكن الظالمين) على إضمار القول أو على إجراء الإجماع مجراه
- ١٤ لكونه ضرباً منه (ولنسكننكم الأرض) أي أرضهم وديارهم عقوبة لهم بقولهم لنخرجكم من أرضنا
- كقوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها (من بعدهم) أي من بعد
- إهلاكهم وقرى لهلكن وليسكننكم بالياء اعتباراً لأوحى كقولهم حلف زيد لنخرجن غداً (ذلك)
- إشارة إلى اللوحى به وهو إهلاك الظالمين وإسكان المؤمنين ديارهم أي ذلك الأمر محقق ثابت (لن خلق

١٤ إبراهيم

وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾

١٤ إبراهيم

مِّنْ وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾

يَجْرَعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَآئِهِ عَذَابٌ

١٤ إبراهيم

غَلِيظٌ ﴿١٧﴾

- مقاي) موقفي وهو الموقف الذي يقف فيه العباد يوم يقوم الناس لرب العالمين أو قياى عليه وحفظى لأعماله وقيل لفظ المقام مقحم (وخاف وعيد) وعيدى بالمذاب أو عذابى الموعود للكفار والمعنى
- ١٥ إن ذلك حق للمتقين كقوله والمافية للمتقين (واستفتحوا) أى استنصروا الله على أعدائهم كقوله تعالى
- إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح أو استحكموا وسألوه القضاء بينهم من الفتاحة وهى الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق فالضمير للرسل وقيل للكفرة وقيل للفريقين فإهم سألوا أن ينصر الحق ويهلك للبطل وهو معطوف على أوحى إليهم وقرىء بلفظ الأمر عطفاً على لنهلك الظالمين أى أوحى إليهم ربهم لنهلك (وخاب) أى خسر وهلك (كل جبار عنيد) متصف بضد ما اتصف به المتقون أى فصروا عند استفتاحهم وظفروا بما سألوا وأفلحوا وخاب كل جبار عنيد وم قومهم للماندون فالحية بمعنى مطلق الحرمان دون الحرمان عن المطلوب أو ذلك باعتبار أنهم كانوا يزعمون أنهم على الحق أو استفتح الكفار على الرسل وخابوا ولم يفلحوا وإنما قيل وخاب كل جبار عنيد ذماً لهم وتسجيلاً عليهم بالتجبر والعناد لا أن بعضهم ليسوا كذلك وأنه لم يصيهم الحية أو استفتحوا جميعاً فصهر الرسل وأنجز لهم الوعد وخاب كل عات متعذر فالحية بمعنى الحرمان غيب الطلب وفي إسناده الحية إلى كل منهم مالا يخفى من المبالغة (من ورائه جهنم) أى بين يديه فإنه مرصد لها واقف على شفيرها
- ١٦ فى الدنيا مبعوث إليها فى الآخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ماتوارى عنك (ويسقى) معطوف على مقدر جواباً عن سؤال كأنه قيل فاذا يكون إذن قليل يلقى فيها ويسقى (من ماء) مخصوص لا كالماء المهدود (صديد) وهو قيح أو دم مختلط بمدة يسيل من الجرح قال مجاهد وغيره هو ما يسيل من أجساد أهل النار وهو عطف بيان لما أبهم أولاً بين بالصديد تهويلاً لا أمره وتخصيصه بالذكر من بين عذابها يدل على أنه من أشد أنواعه (يتجرعه) قيل هو صفة ماء أو حال منه والآخرى أنه استتاف مبنى على السؤال كأنه قيل فاذا يفعل به قليل يتجرعه أى يتكلف جرعه مرة بعد أخرى لقلية العطش واستيلاء الحرارة عليه (ولا يكاد يسيفه) أى لا يقارب أن يسيفه فصلا عن الإساءة بل يغص به فيشر به بعد التيا والى جرعة غب جرعة فيطول عذابه تارة بالحرارة والعطش وأخرى بشره على تلك الحال فإن السواغ انحدر الشراب فى الحلق بسهولة وقبول نفس وقية لا يوجب نفى ما ذكر جميعاً وقيل لا يكاد يدخله فى جرعه وعبر عنه بالإساءة لما أنها المهدودة فى الأشربة وهو حال من فاعل يتجرعه أو من

مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا
عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

١٤ إبراهيم

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ يَئْسَ بَذَهْبِكُمْ وَيَأْتِ بَخْلَقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ ١٤ إبراهيم

- مفعوله أو منهما جميعاً (ويأتيه الموت) أى أسبابه من الشدائد (من كل مكان) ويحيط به من جميع الجهات
- أو من كل مكان من جسده حتى من أصول شعره وإبهام رجله (وما هو بميت) أى والحال أنه ليس بميت حقيقة كما هو الظاهر من مجيء أسبابه لاسيما من جميع الجهات حتى لا يتألم بما غشيه من أصناف الموبقات (ومن ورائه) من بين يديه (عذاب غليظ) يستقبل كل وقت عذاباً أشد وأشق مما كان قبله فقيه دفع ما يتوهم من الخفة بحسب الاعتياد كما في عذاب الدنيا وقيل هو الخلود في النار وقيل هو حبس الأنفاس وقيل المراد بالاستفتاح والخيبة استسقاء أهل مكة في سنيهم التي أرسلها الله تعالى عليهم بدعوته عليه الصلاة والسلام وخيبتهم في ذلك وقد وعد لهم بدل ذلك صديد أهل النار (مثل الذين كفروا بربههم)
- ١٨ أى صفتهم وحالهم العجيبة الشأن التي هي كالمثل في الغرابة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (أعمالهم كرماد) كقولك صفة زيد عرضه مهتوك وماله منهوب وهو استشفاف مبنى على سؤال من قال ما بال أعمالهم التي عملوها في وجوه البر من صلة الأرحام وإعتاق الرقاب وفداء الأسارى وإغاثة المأهولين وقرى الأضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم حتى آل أمرهم إلى هذا المآل فأجيب بأن ذلك كرماد (اشتدت به
- الريح) حملته وأسرعت الذهاب به (في يوم عاصف) العصف اشتداد الريح وصف به زمانها مبالغة كقولك ليلة ساكرة وإنما السكور لريحها شبت صنائعهم المعدودة لا بتناؤها على غير أساس من معرفة الله تعالى والإيمان به والتوجه بها إليه تعالى برماد طيرته الريح العاصفة أو استشفاف مسوق لبيان أعمالهم للأصنام أو مبتدأ خبره محذوف كما هو رأى سيدي به أى فيما يتلى عليك مثلهم وقوله أعمالهم جملة مستأنفة مبنية على سؤال من يقول كيف مثلهم فقيل أعمالهم كيت وكيت سواء أريد بها صنائعهم أو أعمالهم لأنصانهم
- وقيل أعمالهم بدل من مثل الذين وقوله كرماد خبره (لا يقدرُونَ) أى يوم القيامة (مما كسبوا) من تلك الأعمال (على شيء) ما أى لا يرون له أنراً من ثواب أو تخفيف عذاب كدأب الرماد المذكور وهو فذاكة التمثيل والاكتفاء ببيان عدم رؤية الأثر لأعمالهم للأصنام مع أن لها عقوبات هائلة للتصريح ببطلان
- اعتقادهم وزعمهم أنها شفعا لهم عند الله تعالى وفيه تمكيمهم (ذلك) أى ما دل عليه التمثيل دلالة واضحة من ضلالهم مع حساباتهم أنهم على شيء (هو الضلال البعيد) عن طريق الصواب أو عن نيل الثواب .
- ١٩ (ألم تر) خطاب للرسول ﷺ والمراد به أمته وقيل لكل أحد من الكفرة لقوله تعالى يذهبكم والرؤية رؤية القلب وقوله تعالى (أن الله خلق السموات والأرض) ساد مسد مفعولها أى ألم تعلم أنه تعالى خلقهما (بالحق) ملتبسة بالحكمة والوجه الصحيح الذي يحق أن تخلق عليه وقرىء خالق السموات والأرض (إن يشأ يذهبكم) يعدمكم بالمرة (ويأت بخلق جديد) أى يخلق بخلق مستأنفاً لا علاقة

١٤ إبراهيم

وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾

وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنْنا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّئَنَا اللَّهُ هُدًى لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُ عَنْا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ

١٤ إبراهيم

مُجِيبٍ ﴿٢١﴾

- بينكم وبينهم رتب قدرته تعالى على ذلك على قدرته تعالى على خلق السموات والأرض على هذا النظم البديع إرشاداً إلى طريق الاستدلال فإن من قدر على خلق مثل هاتيك الأجرام العظيمة كان على تبديل خلق آخر بهم أقدر ولذلك قال (وما ذلك) أى إذهابكم والإتيان بخلق جديد مكانكم (على الله بعزير) ٢٠ أو متعسر فإنه قادر لذاته على جميع الممكنات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شأنه حقيق بأن يؤمن به ويرجى ثوابه ويخشى عقابه (وبرزوا لله جميعاً) أى يبرزون يوم القيامة وإتيار صيغة الماضي ٢١ للدلالة على تحقق وقوعه كما في قوله سبحانه ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أو لأنه لا مضى ولا استقبال بالنسبة إليه سبحانه والمراد بروزهم من قبورهم لا أمر الله تعالى ومحاسبته أو لله على ظنهم فإنهم كانوا يظنون عند ارتكابهم الفواحش سراً أنها تخفى على الله سبحانه فإذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند أنفسهم (فقال الضعفاء) الاتباع جمع ضعيف والمراد ضعف الرأى وإنما كتب بالواو على لفظ من يفهم الألف قبل الهمزة (الذين استكبروا) لرؤسائهم الذين استتبعوهم واء تغوهم (إنا كنا) فى الدنيا (لكم) تبعاً فى تكذيب الرسل عليهم السلام والإعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغيب فى جمع غائب أو مصدر نعت به مبالغة أو على إضمار أى ذوى تبع (فهل أنتم مغنون) دافعون (عنا) والغناء الدلالة على سببية الإتيان للإغناء والمراد التوبيخ والعتاب والتفريع والتبكيك (من عذاب الله من شىء) من الأولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبويض واقعة موقع المفعول أى بعض الشىء الذى هو عذاب الله تعالى ويجوز كونهما للتبويض أى بعض شىء هو بعض عذاب الله والإعراب كما سبق ويجوز أن تكون الأولى مفعولاً والثانية مصدر أى فهل أنتم مغنون عنا بعض العذاب بعض الإغناء ويعضد الأول قوله تعالى فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار (قالوا) أى المستكبرون جواباً عن معاتبة الاتباع واعتذار أعما فعلوا بهم (لو هدانا الله) أى للإيمان ووقفنا له (لهدينكم) ولكن ضللاً فأضللناكم أى اخترنا لكم ما اخترناه لأنفسنا أو لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهدينكم وأغنينا عنكم كما عرضناكم له ولكن سد دوننا طريق الخلاص ولات حين مناص (سواء علينا أجزعنا) بما لقينا (أم صبرنا) على ذلك أى مستوعبينا الجزع والصبر فى عدم الإنجاء والهمزة وأم لتأكيد التسوية كما فى قوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم وإنما أسندوها ونسبوا استواءهما إلى ضمير المتكلم المنتظم للمخاطبين أيضاً مبالغة فى النهى عن

وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ
مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ
بِمُصْرِخِي إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ١٤ إبراهيم

النويع بإعلام أنهم شركاء لهم فيما ابتلوا به وتسلية لهم ويجوز أن يكون قوله سواء علينا الخ من كلام
الفریقین علی منوال قوله تعالى ذلك ليعلم أني لم أخنه ويؤيده ما روى أنهم يقولون تعالوا انزع فيجزعون
خمسائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك فلا ينفعهم فعند ذلك يقولون ذلك ولما
كان عتاب الأنبياء من باب الجزع ذيلوا جوابهم ببيان أن لا جدوى في ذلك فقالوا (مالنا من محيص) من منجى
ومهرب من العذاب من حاص الحار إذا عدل بالفرار وهو إما اسم مكان كالمبيت والمصيف أو مصدر
كالغيب والغيب وهي جملة مفسرة لإجمال ما فيه الاستواء فلا محل لها من الإعراب أو حال مؤكدة أو
٢٢ بدل منه (وقال الشيطان) الذي أضل كلا الفريقين واستتبهم ما عند ما عتبه بما قاله الاتباع للمستكبرين
(لما قضى الأمر) أي أحكم وفرغ منه وهو الحساب ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار خطيباً
في محفل الأشقياء من الثقلين (إن الله وعدكم وعد الحق) أي وعداً من حقه أن ينجز فأجزه أو
وعداً أنجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء (ووعدتكم) أي وعد الباطل وهو أن لا بعث ولا جزاء وتين
كان قالاً صنم شفاؤكم ولم يصرح ببطائه لما دل عليه قوله (فأخلفتكم) أي موعدى على حذف للفعل
الثاني أي نقضته جعل خلاف وعده كالإخلاف منه كأنه كان قادراً على إنجازه وأنه له ذلك (وما كان
لي عليكم من سلطان) أي تسلط أو حجة تدل على صدقي (إلا أن دعوتكم) إلا دعائي لإياكم إليه
وتسويله وهو وإن لم يكن من باب السلطان لكنه أبرزه في مبروزه على طريقة التحية بينهم ضرب
وجيع بالغة في نفي السلطان عن نفسه كأنه قال إنما يكون لي عليكم سلطان إذا كان مجرد الدعاء من يابه
ويجوز كون الاستثناء منقطعاً (فاستجبت لي) فأسرعت إجابتي (فلا تلموني) بوعدى إياكم حيث لم يكن
ذلك على طريقة القسر والإلجاء كأي دل عليه الفاء وقرئ بالياء على وجه الالتفات كما في قوله تعالى حتى إذا
كنتم في الفلك وجرى من بهم (ولولوا أنفسكم) حيث استجبت لي باختياركم حين دعوتكم بلا حجة ولا
دليل مجرد تزيين وتسويل ولم تستجيبوا ربكم إذ دعاكم دعوة الحق للقرونة بالبينات والحجج وليس
مراده التصل عن توجه الائمة إليه بالمرّة بل بيان أنهم أحق بها منه وليس فيه دلالة على استقلال العبد
في أفعاله كازعمت للمتزلة بل يكنى في ذلك أن يكون لقدرته الكأبة التي عليها يدور تلك التكليف مدخل
فيه فإنه سبحانه إنما يخلق أفعاله حسبما يختار مو عليه تترب السعادة والشقاوة وما قيل من أنه يستدعي أن
يقال فلا تلموني ولا أنفسكم فإن الله قضى عليكم الكفر وأجبركم عليه مبني على عدم الفرق بين مذهب
أهل الحق وبين مسالك الجبرية (ما أنا بمصرخكم) أي بمفخيمكم بما أنتم فيه من العذاب (وما أنتم بمصرخي)
عما أنا فيه وإما تعرضه لك مع أنه لم يكن في جزأ احتمال المبالغة في بيان عدم إصراره إياهم وإذناً بأنه

وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ
يُحِبَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾

١٤ إبراهيم

الرَّكَيفُ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ ١٤ إبراهيم

- أيضاً مبتلى بمثل ما ابتلوا به ومحتاج إلى الإصرار فكيف من إصرار الخير ولذلك آثار الجملة الاسمية فكان ماضى كان جواباً منه عن توبيخهم وتوبيخهم وهذا جواب عن استغاثتهم واستغاثتهم به في استدفاع مادمهم من العذاب وقرىء بكسر الياء (إني كفرت) اليوم (بما أشركتموني من قبل) أى يا أشرككم إياى بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله تعالى ويوم القيامة يكفرون بشرككم بنى أن إصراركم لي بالله سبحانه هو الذى يطمعكم في نصرتي لكم بأن كان لكم على حق حيث جعلتموني معبوداً وكنت أود ذلك وأرغب فيه فالיום كفرت بذلك ولم أحده ولم أقبله منكم بل تبرأت منه ومنكم فلم يبق بيني وبينكم علاقة أو كفرت من قبل حين آيت السجود لأدم بالذى أشركتموني به وهو الله تعالى كافي قوله سبحانه ما سخر كن لنافى يكون لتعليل عدم إصرار الله بأن الكافر بالله سبحانه يعزل من الإغاة والإغاة سواء كان بالمداغة أو الشفاعة وأما جملة تعليل عدم إصرارهم إياه فلا وجه له إذ لا احتمال له حتى يحتاج إلى التعليل ولأن تعليل عدم إصرارهم بكفرهم يوم أنهم يسئبل من ذلك لولا اللانح من جهة (إن الظالمين لم عذاب أليم) تمتة كلامه أو ابتداء كلام من جهة الله عز وجل وفي حكاية أمثال لطف السامعين وإيقاظ لهم حتى يحاسبوا أنفسهم ويتدبروا عواقبهم (وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ) أى بأمره أو بتوفيقه وهدايته وفي التعرض لوصف الربوبية مع الإحاطة إلى ضميرهم إظهار مزيد اللطف بهم والدخول في الملازمة عليهم السلام وقرىء على صيغة التكلم فيكون قوله تعالى بإذن ربهم متعلقاً بقوله تعالى (يُحِبَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ) أى يحبهم الملازمة بالسلام بإذن ربهم (ألم تر) الخطاب الرسول ﷺ وقد علق بما بعده من قوله تعالى (كيف ضرب الله مثلاً) أى كيف اعتمده ووضع في موضعه اللائق به (كلمة طيبة) منصوب بمضمر أى جعل كلمة طيبة هي كلمة التوحيد أو كل كلمة حسنة كالنسيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة (كشجرة طيبة) أى حكم بأنهم أمثالها لأنه تعالى صيرها مثلاً في الخارج وهو تفسير القول ضرب الله مثلاً كقولك شرف الأمير زيداً كسأه حلقه وحله على فرس ويجوز أن يكون كلمة بدلاً من مثلاً وكشجرة صفحتها أو خير مبتدأ محذوف أى هي كشجرة قرآن يكون أول مفعولى ضرب لإجرائه مجرى جعل قد أخر عن ثانيهما أغنى مثلاً للتلايد عن صفته التي هي كشجرة موقد قرئت بالرفع على الابتداء (أصلها ثابت) أى ضارب بعروقه في الأرض وقرأ أنس بن مالك رضي الله عنه كشجرة طيبة ثابت أصلها وقرأة الجماعة أقوى سبكاً وأقرب بقرئته أغنى قوله تعالى (وفرعها) أى أعلاها (في السماء) في جهة العلو ويجوز أن يراد وفرعها على الاكفاله بالنظر الجنس عن الجمع .

تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ١٤ إبراهيم

وَمِثْلُ كَلِمَةِ خَيْثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَيْثَةٍ أَجْنُتَتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا هَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ١٤ إبراهيم

يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ

وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ ١٤ إبراهيم

٢٥ (تؤتي أكلها) تعطى ثمرها (كل حين) وقته الله تعالى لإثمارها (بإذن ربها) بإرادة خالقها والمراد

• بالشجرة المنعوتة إما النخلة كما روى مرفوعاً أو شجرة في الجنة (ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون)

٢٦ لأن في ضربها زيادة إفهام وتذكير فإنه تصوير للمعاني بصور المحسوسات (ومثل كلمة خيثة) هي كلمة

• الكفر والدعاء إليه أو تكذيب الحق أو ما يعم الكل أو كل كلمة فيبيح (كشجرة خيثة) أي كشل شجرة

خيثة قيل هي كل شجرة لا يطيب ثمرها كالحنظل والكشوث ونحوهما وتغيير الأسلوب للإيذان بأن

• ذلك غير مقصود الضرب والبيان وإنما ذلك أمر ظاهر يعرفه كل أحد (اجتنت) استوصلت وأخذت

• جنتها بالكلية (من فوق الأرض) لكون عروقها قريبة منه (ماها من قرار) استقرار عليها

٢٧ (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم وهو الكلمة الطيبة

• التي ذكرت صفاتها العجيبة (في الحياة الدنيا) فلا يزالون عنه إذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس

• وشمسون والذين فتنهم أصحاب الآخدود (وفي الآخرة) فلا يتلغثمون إذا ستلوا عن معتقدهم في الموقف

ولا تدهشهم أهوال القيامة أو عند سؤال القبر. روى أنه عليه السلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه في

جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره فيقولون من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى

الإسلام ونبي محمد عليه السلام فينادى مناد من السماء أنه صدق عبدي فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا

وهذا مثال إتياء الشجرة المذكورة أكلها كل حين قال الثعلبي في تفسيره أخبرني أبو القاسم بن حبيب في

سنة ست وثمانين وثلاثمائة قال سمعت أبا الطيب محمد بن علي الحياطي يقول سمعت سهل بن عمار العملي يقول

رأيت يزيد بن هرون في منامى بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال أتاني في قبري ملكان فظان فقالا من ربك

وما دينك ومن نبيك فأخذت بلحيتي البيضاء فقلت لهما ألمثلنى يقال هذا وقد علمت الناس جوابكما ثمانين

• سنة فذهبا (ويضل الله الظالمين) أى يخلق فيهما الضلال عن الحق الذى ثبت المؤمنين عليه حسب إرادتهم

واختيارهم والمراد بهم الكفرة بدليل ما يقابله ووصفهم بالظلم إما باعتبار وضعهم للشيء في غير موضعه وإما

باعتبار ظلمهم لأنفسهم حيث بدلوا فطرة الله التي فطر الناس عليها فلم يهتدوا إلى القول الثابت أو كل من

ظلم نفسه بالاقتصار على التقليد والإعراض عن البيّنات الواضحة فلا يتثبت في موقف الفتن ولا يهتدى

إلى الحق فالمراد بالذين آمنوا حينئذ المخلصون في الإيمان الراسخون في الإيقان كما ينبي عنه التثبيت الكنه

• يوم كون كلمة النوحيد إذا كانت لا عن إيقان داخلة تحت ما لا قرار له من الشجرة المضروبة مثلاً (ويفعل

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ ١٤ إبراهيم

جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَبْسُ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ ١٤ إبراهيم

وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ ١٤ إبراهيم

الله ما يشاء) من تثبيت بعض وإضلال آخرين حسبما توجه مشيئته التابعة للحكم البالغة المقتضية لذلك وفي إظهار الاسم الجليل في الموضعين من الفخامة وتربية المهابة ما لا يخفى مع ما فيه من الإيذان بالتفاوت في مبدأ التثبيت والإضلال فإن مبدأ صدور كل منهما عنه سبحانه وتعالى من صفاته العلاوية ما هو مبدأ صدور الآخر (الم تر) تعجيب لرسول الله ﷺ أو لكل أحد مما صنع الكفرة من الأباطيل التي لا تكاد تصدر عن له أدنى إدراك أي ألم تنظر (إلى الذين بدلوا نعمة الله) أي شكر نعمته تعالى بأن وضعوا موضعه (كفرًا) عظيمًا وخطأً لها و بدلوا نفس النعمة كفرًا فإنهم لما كفرواها سلبوها فصاروا مستبدلين بها كفرًا كما هل مكة حيث خلقهم الله سبحانه وأسكنهم حرمة الأمن الذي يجبي إليه ثمرات كل شيء وجعلهم قوام بيته وشرفهم بمحمد ﷺ فكفروا ذلك ففحطوا سبع سنين وقتلوا وأسروا يوم بدر فصاروا أذلاء مسلوبي النعمة باقين بالكفر بدلها وعن عمر وعلى رضى الله عنهما هم الأجران من قریش بنو المغيرة وبنو أمية أما بنو المغيرة فكفيتهم يوم بدر وأما بنو أمية فتمتعوا إلى حين كانوا يتأولون ما سبيل من قوله عز وجل قل تمتعوا الآية (وأحلوا) أي أنزلوا (قومهم) يار شادم إياهم إلى طريقة الشرك والضلال وعدم التعرض لحلولهم لدلالة الإحلال عليه إذ هو فرع الحلول كقوله تعالى يقدم قومه يوم القيامة فأوردتهم النار (دار البوار) دار الهلاك الذي لا هلاك وراءه (جهم) عطف بيان لها وفي ٢٩ الإيهام ثم البيان ما لا يخفى من التهويل (يصلونها) حال منها أو من قومهم أي داخلين فيها مقاسين لحرها أو استئناف لبيان كيفية الحلول أو مفسر لفعل يقدر ناصباً لجهنم فالمراد بالإحلال المذكور حينئذ تعرضهم للهلاك بالقتل والأسر لكن قوله تعالى قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار أنسب بالتفسير الأول (وبس القرار) على حذف المخصوص بالذم أي بس المقر جهنم أو بس القرار قرارهم فيها وفيه أن حلولهم وصلبهم على وجه الدوام والاستمرار (وجعلوا) عطف على أحلوا وما عطف عليه داخل معهم في ٣٠ حيز الصلة وحكم التعجيب أي جعلوا في اعتقادهم وحكمهم (الله) الفرد الصمد الذي ليس كمثل شيء وهو الواحد المنهار (أنداداً) أشباها في التسمية أو في العبادة (ليضلوا) قومهم الذين يشايعونهم حسبما ضلوا (عن سبيله) القويم الذي هو التوحيد ويوقعونهم في ورطة الكفر والضلال ولعل تغيير الترتيب مع أن مقتضى ظاهر النظم أن يذكر كفرانهم نعمة الله تعالى ثم كفرهم بذاته تعالى باتخاذ الأنداد ثم إضلالهم لقومهم المؤدى إلى إحلالهم دار البوار لتثنية التعجيب وتكريره والإيذان بأن كل واحد من وضع الكفر موضع الشكر وإحلال القوم دار البوار واتخاذ الأنداد للإضلال أمر يقضى منه العجب ولو سبق النظم على نسق الوجود لرسمناهم التعجيب من مجموع الهنات الثلاث كما في قصة البقرة وقرى. ليضلوا بالفتح

قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٢١﴾

١٤ إبراهيم

وأما ما كان فليس ذلك غرضاً حقيقياً لهم من اتخاذ الأنداد لكن لما كان ذلك نتيجة له شبه بالفرص
 * وأدخل عليه اللام بطريق الاستعارة التبعية (قل) تهديداً لأولئك الضالين المضلين ونعياً عليهم وإذناً
 بأنهم لشدة إيمانهم قبول الحق وفرط انهماكهم في الباطل وعدم ارجعائهم عن ذلك بحال أحفاد بأن
 يضرب عنهم صفحاً ويعطف عنهم عنان العظة ويحفظوا وشأنهم ولا ينهوا عنه بل يؤمروا بمباشرة مبالغة
 * في التخلية والخذلان ومسارة إلى بيان عاقبة الوخيمة ويقال لهم (تمتعوا) بما أتم عليه من الشهوات
 * التي من جهلها كفران النعم العظام واستتباع الناس في عبادة الأصنام (فإن مصيركم إلى النار) ليس إلا
 فلا بد لكم من تعاطي ما يوجب ذلك ويقتضيه من أحوالكم بل هي في الحقيقة صورة لدخولها ومثال
 له حسماً بلوح به قوله سبحانه وأحلوا قومهم دار البوار الخ فهو تعليل للأمر بالمأمور وفيه من التهديد
 الشديد والوعيد الأكيد ما لا يوصف أو قل لهم تصور الحال لهم وتعبيراً عما يلجئهم إلى ذلك تمتعوا بإذناً
 بأنهم لفرط انهماكهم في التمتع بما هم فيه من غير صارف بلوهم ولا عاطف ينشيم مأمورون بذلك من
 قبل أمر الشهوة مذعنون لحكمه منقادون لأمره كدأب مأمور ساع في خدمة آمر مطاع فليس قوله
 تعالى فإن مصيركم إلى النار حينئذ تعليل للأمر بل هو جواب شرط ينسحب عليه الكلام كأنه قيل هذه
 ٢١ حالكم فإن دمت عليه فإن مصيركم إلى النار وفيه التهديد والوعيد لا في الأمر (قل لعبادى الذين آمنوا)
 خصهم بالإضافة إليه تنوياً لهم وتنبيهاً على أنهم المقيمون لوظائف العبودية المرفون بحقوقها وترك
 العاطف بين الأمرين الإيدان ببيان حالهما باعتبار القول تهديداً وتوبيخاً والقول ههنا محذوف دل
 * عليه الجواب أى قل لهم أقيموا وأنفقوا (يقموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم) أى يداوموا على ذلك
 وفيه إيدان بكمال مطاوعتهم الرسول ﷺ وغاية سارعتهم إلى الامتثال بأوامره وقد جوزوا أن يكون
 القول بقموا وينفقوا محذوف لام الأمر عنهما وإنما حسن ذلك دون الحذف في قوله [محمد تفد نفسك
 كل نفس * إذا ما خلفت من أمر نبأ] دلالة قل عليه وقيل هما جوابا أقيموا وأنفقوا فدأبهما مقامهما
 * وليس بذلك (سراً وعلانية) منتصبان على المصدرية من الأمر المقدر لا من جواب الأمر المذكور أى
 أنفقوا إنفاقاً سرّاً وعلانية والأحـب في الإتفاق إخفاً من التطوع به وإعلان الواجب والمراد حثاً لمنين
 على الشكر لنعم الله سبحانه بالعبادة البدنية والمالية وترك التمتع بمتاع الدنيا والركون إليها كما هو صليح
 * السكر (من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه) فيبتاع المقصر ما يتلافى به قصيره أو تقتدى به نفسه والمقصود
 نفي عقد المعاوضة بالمرة وتخصيص البيع بالذكر للإيجاز مع المبالغة في نفي العقد إذ انتفاء البيع المستلزم
 * انتفاء الفراء على أبلغ وجه وانتفاؤه بما يتصور مع تحقق الإيجاب من قبل البائع (ولا خلال) ولا عالة
 فيشفع له خليل أو يساعده بمال يقتدى به نفسه أو من قبل أن يأتى يوم لا أثر فيه لما لهوا بتعاطيه من البيع

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ
وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۚ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٢٢﴾

١٤ إبراهيم

والخالة ولا انتفاع بذلك وإنما الانتفاع والارتفاق فيه بالإتفاق لوجه الله سبحانه والظاهر أن من متعلقة
بأنفقوا وتذكير إتيان ذلك اليوم لنا كيد مضمونه كما في سورة البقرة من حيث إن كلاماً من فقدان الشفاعة
وما يتدارك به التقصير معاوضة وتبرعا وانقطاع آثار البيع والحلال الواقعين في الدنيا وعدم الانتفاع
بهما من أقوى الدواعي إلى الإتيان بما تبقى عوائده وتدوم فوائده من الإتفاق في سبيل الله عز وجل
أو من حيث إن إدخار المال وترك إنفاقه إنما يقع غالباً للتجارات والمهاداة بحيث لا يمكن ذلك في الآخرة
فلا وجه لادخاره إلى وقت الموت وتخصيص النأ كيد بذلك لميل الطباع إلى المال وكونها مجبولة على حبه
والضنة به ولا يبعد أن يكون تأ كيد المضمون الأمر بإقامة الصلاة أيضاً من حيث إن تركها كثيراً ما يكون
بالاشتغال بالبياعات والمخالات كما في قوله تعالى وإذ أوانا تجارة أو هو أنفضوا إليها وقرىء بالفتح فيهما
على إرادة النفي العام ودلالة الرفع على ذلك باعتبار خطابي هو وقوعه في جواب هل فيه بيع أو خلال
(الله) مبتدأ خبره (الذي خلق السموات) وما فيها من الأجرام العلوية (والأرض) وما فيها من ٣٢
أنواع المخلوقات لما ذكر أحوال الكافرين لنعم الله تعالى وأمر المؤمنين بإقامة مراسم الطاعة شكراً لنعمه
شرع في تفصيل ما يستوجب على كافة الأنام المثابرة على الشكر والطاعة من النعم العظام والمن الجسام حثاً
للمؤمنين عليها وتقريعاً للكفرة المخلين بها الواضعين موضعها الكفر والمعاصي وفي جعل المبتدأ الاسم
الجليل والخبر الاسم الموصول بتلك الأفعال العظيمة من خلق هذه الأجرام العظام وإنزال الأمطار
وإخراج الثمرات وما يتلوها من الآثار العجيبة مالا يخفى من تربية المهابة والدلالة على قوة السلطان
(وأنزل من السماء) أي السحاب فإن كل ما علاك سماء أو من الفلك فإن المطر منه يبتدىء إلى السحاب
ومنه إلى الأرض على ما دللت عليه ظواهر النصوص أو من أسباب سماوية تثير الأجزاء الرطبة من أعماق
الأرض إلى الجو فينعد سحاباً مطراً وأياً ما كان فمن ابتدائية (ماء) أي نواتها منه هو المطر وتقديم
الجرور على المنصوب إما باعتبار كونه مبدأ النزول أو لتشريفه كما في قولك أعطاه السلطان من خزانته
مالا أو لما مر مراراً من التشويق إلى المؤخر (فأخرج به) بذلك الماء (من الثمرات) الفائتة للحصر إما
لأن صيغ الجمع يتعاور بعضها موضع بعض وإما لأنه أريد بمفردها جماعة الثمرة التي في قولك أدركت
ثمرة بستان فلان (رزقا لكم) تعيشون به وهو بمعنى الرزوق شامل للطعوم والملبوس مفعول لا يخرج
ومن للتبيين كقولك أنفقت من الدراهم ألفاً ويجوز أن يكون من الثمرات مفعولاً ورزقا حالاً منه أو مصدراً
من أخرج بمعنى رزق أو للتبويض بدليل قوله تعالى فأخرجنا به ثمرات ما كنا نعلم أن ينزل من السماء بعض
الماء فأخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم إذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا أخرج بالمطر كل
الثمار ولا جعل كل الرزق ثمراً وخروج الثمرات وإن كان بمشيئته عز وجل وقدرته لكن جرت عادته تعالى

١٤ إبراهيم

وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

وَأَنَّكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنْ الْإِنْسَانُ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ١٤ إبراهيم

بإضافة صورها وكيفياتها على المواد الممتزجة من الماء والتراب أو أودع في الماء قوة فاعلة وفي الأرض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما أنواع الثمار وهو قادر على إيجاد الأشياء بلا أسباب ومواد كما أبدع نفوس الأسباب كذلك لما أن له تعالى في إنشائها مدرجا من طور إلى طور صنائع وحكما يحدد فيها لأولى الأبصار عبراً وسكوناً إلى عظيم قدرته ليس ذلك في إبداءها دفعة وقوله لكم صفة لقوله رزقا إن أريد به المرزوق ومفعول به إن أريد به المصدر كأنه قيل رزقا لا يأك (وسخر لكم الفلك) بأن أقدركم على صنعها واستعمالها بما ألهمكم كيفية ذلك (لتجرى في البحر) جرياً تابعاً لإردائكم (بأمره) بمشيئة التي نيط بها كل شيء وتخصيصه بالذكر للتنصيص على أن ذلك ليس بمزولة الأعمال واستعمال الآلات كما يترامى من ظاهر الحال (وسخر لكم الأنهار) إن أريد بها المياه العظيمة الجارية في الأنهار العظام كما يوسى إليه ذكرها عند البحر فتسخيرها جعلها معدة لانتفاع الناس حيث يتخذون منها جداول يسقون بها ٣٣ زروعهم وجنانهم وما أشبه ذلك وإن أريد بها نفس الأنهار فتسخيرها تيسيرها لهم (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) يدأبان في سيرهما وإنارتها أصالة وخلافة وإصلاحهما لما نيط بهما صلاحه من المكونات (وسخر لكم الليل والنهار) يتعاقبان خلفاً لئلا يمتد معاشكم ولعقد الثمار وإنضاجها ذكر سبحانه وتعالى أنواع النعم الفائضة عليهم وأبرز كل واحدة منها في جملة مستقلة تنويعاً لشأنها وتنبيهاً على رفعة مكانها وتنصيصاً على كون كل منها نعمة جليلة مستوجبة للشكر وفي التعبير عن التصريف المتعلق بما ذكر من الفلك والأنهار والشمس والقمر والليل والنهار بالتسخير من الإشعار بما فيها من صعوبة المأخذ وعزة المنال والدلالة على عظم السلطان وشدة المحال مالا يخفى وتأخير تسخير الشمس والقمر عن تسخير ما تقدمه من الأمور المعدادة مع ما بينه وبين خلق السموات من المناسبة الظاهرة لاستتباع ذكرها لذكر الأرض المستدعى لذكر إزال الماء منها إليها الموجب لذكر إخراج الرزق الذي من جملة ما يحصل بواسطة الفلك والأنهار أو للتفادي عن توهم كون الكل أغنى خلق السموات ٣٤ والأرض وتسخير الشمس والقمر نعمة واحدة كما مر في قصة البقرة (وَأَنَا كَمِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ) أى أعطاكم بعض ما سألتموه حسبما تقتضيه مشيئته النابعة للحكمة والمصلحة كقوله سبحانه من كان يريد المأجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد أو آتاكم من كل ذلك ما احتجتم إليه ونيط به انتظام أحوالكم على الوجه المقدر فكأنكم سألتموه أو كل ما طلبتموه بلسان الاستعداد أو كل ما سألتموه على أن من للبيان وكلمة كل للتكثير كقولك فلان يعلم كل شيء وأتاه كل الناس وعليه قوله عز وجل فتحنا عليهم أبواب كل شيء وقيل الأصل وآتاكم من كل ما سألتموه وما لم تسألوه لحذف الثاني لدلالة ما أتى على ما أتى وقرى بتثنية كل على أن مانافية ومحل ما سألتموه النصب على الحالية أى آتاكم من كل غير سائله (وإن تعدوا نعمة الله)

التي أنعم بها عليكم (لا تحسوها) لا تطبقوا بحصرها ولو إجمالاً فإنها غير متناهية وأصل الإحصاء أن
الحاسب إذا بلغ عقداً معيناً من عقود الأعداد وضع حصاة ليحفظ بها فقيه إيدان بعدم بلوغ مرتبة
معتد بها من مراتبها فضلاً عن بلوغ غايتها كيف لا وما من فرد من أفراد الناس وإن كان في أقصى مراتب
الفقر والإفلاس ممنوا بأصناف العناية مبتلى بأنواع الرزايا فهو بحيث لو تأملته ألفيته متقلباً في نعم لا تحصى
ومن لا تحصى ولا تعد كأنه قد أعطى كل ساعة وأن من النعماء ما حواه حيلة الإمكان وإن كنت في
ريب من ذلك فقد ر أنه ملك ملك أقطار العالم ودانت له كافة الأمم وأذعنت لطاعته السراة وخضعت
لهيبته رقاب العتاة وفاز بكل مرام ونال كل منال وحاز جميع مافي الدنيا من أصناف الأموال من غير ند
بزاجه ولا شريك يساهمه بل قدر أن جميع ما فيها من حجر ومدر يواقيت غالية ونفائس درر ثم قدر أنه
قد وقع من فقد مشروب أو مطعموم في حالة بلغت نفسه الحلقوم فهل يشتري وهو في تلك الحال بجميع
ماله من الملك والمال لقمة تنجيه عن رواء أو شربة ترويه من ظمأه أم يختار الهلاك فتذهب الأموال
والأملاك بغير بدل يبقى عليه ولا تنفع يعود إليه كلابل يبذل لذلك كل ما تحويه اليدان كأننا ما كان وليس
في صفقته شائبة الخسران فإذا تلك اللقمة والشربة خير مما في الدنيا بألف مرتبة مع أنهما في طرف الثمام
ينالهما متى شاء من الليالي والأيام أو قدر أنه قد احتبس عليه النفس فلا دخل منه ما خرج ولا خرج منه
ما ولج والحين قد حان وأتاه الموت من كل مكان أما يعطى ذلك كله بمقابلة نفس واحد بل يعطيه وهو
لرأيه حامد فإذا هو خير من أموال الدنيا بجمالتها ومطالبها برمتها مع أنه قد أبيع له كل آن من آتات
الليالي والأيام حال اليقظة والمنام هذا من الظهور والجلاء بحيث لا يكاد يخفى على أحد من العقلاء وإن
رمت العثور على حقيقة الحق والوقوف على كل ما جل من السرودق فاعلم أن الإنسان بمقتضى حقيقته
الممكنة بمعزل عن استحقاق الوجود وما يتبعه من الكمالات اللاتفة والملكات الرائقة بحيث لو انقطع
ما بينه وبين العناية الإلهية من العلاقة لما استقر له القرار ولا اطمأنت به الدار إلا في مطمورة العدم
والبوروم وماوى الهلاك والدمار لكن يفيض عليه من الجنب الأقدس تعالى شأنه وتقدس في كل زمان
يمضي وكل آن يمر وينقضى من أنواع الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وسائر صفاته الروحانية والنفسانية
والجسمانية ما لا يحيط به نطاق التعبير ولا يعلمه إلا العليم الخبير وتوضيحه أنه كالأستحقاق الوجود ابتداء
لا يستحقه بقاء وإنما ذلك من جناب المبدأ الأول عز وجل فكما لا يتصور وجوده ابتداء ما لم ينسد عليه
جميع أنحاء عدمه الاصل لا يتصور بقاءه على الوجود بعد تحققه بعلمته ما لم ينسد عليه جميع أنحاء عدمه
الطاري لأن الاستمرار والدوام من خصائص الوجود الواجب وأنت خبير بأن ما يتوقف عليه وجوده
من الأمور الوجودية التي هي علله وشرائطه وإن وجب كونها متناهية لوجوب تنهاى ما دخل تحت
الوجود لكن الأمور العدمية التي لها دخل في وجوده ليست كذلك إذ لا استحالة في أن يكون لشيء
واحد موانع غير متناهية وإنما الاستحالة في دخولها تحت الوجود فارتفاع تلك الموانع التي لا تنهاى
أعنى بقاءها على العدم مع إمكان وجودها في أنفسها في كل آن من آتات وجوده نعم غير متناهية حقيقة

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ١٤ إبراهيم

لا ادعاء وكذا الحال في وجودات علله وشرائطه القريبة والبعيدة ابتداء وبقاء وكذا في كالاته التابعة لوجوده فانضح أنه يفيض عليه كل أن نعم لا تنهاى من وجوه شتى فسبحانك سبحانك ما أعظم سلطانك لا تلاحظك العيون بأنظارها ولا تطالعك العقول بأفكارها شأنك لا يضاهى وإحسانك لا يتناهى ونحن في معرفتك حائرون وفي إقامة مراسم شكرك قاصرون نسألك الهداية إلى مناهج معرفتك والتوفيق لأداء حقوق نعمتك لانحصى ثناء عليك لا إله إلا أنت نستغفرك وتتوب إليك (إن الإنسان لظلوم) * يظلم النعمة بإغفال شكرها أو بوضعها إياها في غير موضعها أو يظلم نفسه بتعريضها للحرمان (كفار) شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واللام في الإنسان للجنس ومصداق الحكم بالظلم والكفران بعض من وجدا فيه من أفراده ويدخل في ذلك الذين بدلوا نعمة الله كفراً الخ دخولاً أولاً (وإذ قال إبراهيم) أى واذا ذكر وقت قوله عليه الصلاة والسلام والمقصود من تذكيره تذكير ما وقع فيه من مقالته عليه السلام على نهج التفصيل والمراد به تأكيد ما سلف من تعجيبه عليه السلام ببيان فن آخر من جناباتهم حيث كفروا بالنعم الخاصة بهم بعد ما كفروا بالنعم العامة وعصوا أباهم إبراهيم عليه السلام حيث أسكنهم مكة شرفها الله تعالى لإقامة الصلاة والاجتناب عن عبادة الأصنام والشكر لنعم الله تعالى وسأله تعالى أن يجعله بلداً آمناً ويرزقهم من الثمرات وتهوى قلوب الناس إليهم من كل أوب سحيق فاستجاب الله تعالى دعاءه وجعله حرماً آمناً يجي إليه ثمرات كل شيء فكفروا بتلك النعم العظام واستبدلوا بالبلد الحرام دار البوار وجعلوا لله أنداداً وفعلوا ما فعلوا * (رب اجعل هذا البلد) يعنى مكة شرفها الله سبحانه (آمناً) أى ذا أمن أو آمناً أهله بحيث لا يخاف فيه على ما مر في سورة البقرة والفرق بينه وبين ما فيها من قوله رب اجعل هذا بلداً آمناً أن المسئول هناك البلدية والأمن معاً وهما الأمن فقط حيث جعل هو المفعول الثانى للجعل وجعل البلد صفة للمفعول الأول فإن حل على تعدد السؤال فلعلة عليه السلام سأل أولاً كلا الأمرين فاستجيب له فى أحدهما وتأخر الآخر إلى وقته المقدر لما يقتضيه من الحكمة الداعية إليه ثم كرر السؤال كما هو المعتاد فى الدعاء والابتهاال أو كان المسئول أولاً بمجرد الأمن المصحح للسكن كما فى سائر البلاد وقد أجيب إليه وثانياً الأمن المعلوم أو كله هو المسئول فيهما وقد أجيب إليه أيضاً سكن السؤال الثانى الاستدامة والاقتصار على ذلك لانه المقصود الاصلى أولاً لأن المعتاد فى البلدية الاستمرار بعد التحقق بخلاف الأمن وإن حل على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر أن المسئول كلا الأمرين وقد حكى أولاً واقتصر ههنا على حكاية سؤال الأمن لا بمجرد أن نعمة الأمن أدخل فى استيجاب الشكر فذكره أنسب بمقام تقرير الكفرة على إغفاله كما قبل بل لأن سؤال البلدية قد حكى بقوله تعالى فاجعل أئمة من الناس تهوى إليهم إذا المسئول هو تهوى إليهم للساكنة معهم لا للحج فقط وهو عين سؤال البلدية قد حكى بعبارة أخرى وكان ذلك أول ما قدم عليه السلام مكة كما روى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه عليه الصلاة

رَبِّ إِنْهُمْ أَضَلَّلَنَّا كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ١٤ إبراهيم
 رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ
 أَفْعِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ١٤ إبراهيم

والسلام لما أسكن لإسماعيل وهاجر هناك وعاد متوجهاً إلى الشام تبعته هاجر وجعلت تقول إلى من تكلنا في هذا البلقع وهو لا يرد عليها جواباً حتى قالت آله أمرك بهذا فقال نعم قالت إذا لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى إذا استوى على ثنية كداء أقبل على الوادي فقال ربنا إني أسكنت الآية وإنما فصل ما بينهما
 * ثنية للامتنان وإيداناً بأن كلا منهما نعمة جليلة مستتعبة لشكر كثير كما في قصة البقرة (واجنبي وبني)
 * بعدنى وإياهم (أن نعبد الأصنام) واجعلنا منها في جانب بعيد أى ثبتنا على ما كنا عليه من التوحيد وملة
 الإسلام والبعد عن عبادة الأصنام وقرى واجنبي من الأفعال وهما لغة أهل نجد يقولون جنبى شره واجنبي شره وأما أهل الحجاز فيقولون جنبى شره وفيه دليل على أن عصمة الأنبياء عليهم السلام بتوفيق الله تعالى والظاهر أن المراد بينيه أولاده الصلبية فلا احتجاج به لابن عيينة رضى الله عنه على أن أحداً من أولاد لإسماعيل عليه السلام لم يعبد الصنم وإنما كان لكل قوم حجر نصبوه وقالوا هو حجر والبيت حجر فكانوا يدورون به ويسمون الدوار فاستحب أن يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت وليت شعري كيف ذهب عليه مافى القرآن العظيم من قوارع تنعى على قريش عبادة الأصنام على أن فيما ذكره كراً على مافر منه (رب إني) أى الأصنام (أضللنا كثيراً من الناس) أى تسبين له كقوله ٣٦
 تعالى وغرهم الحياة الدنيا وهو تعليل لدعائه وإنما صدره بالنداء لإظهار الاعتناء به ورغبة في استجابته (فن تبعني) منهم فيما أَدْعُو إليه من التوحيد وملة الإسلام (فإنه مني) أى بعضى قاله عليه السلام مبالغة
 * في بيان اختصاصه به أو متصل بى لا ينفك عنى في أمر الدين (ومن عصاني) أى لم يقبلى والتعبير عنه
 بالعصيان للإيدان بأنه عليه السلام مستمر على الدعوة وأن عدم اتباع من لم يتبعه إنما هو لعصيانه لا
 لأنه لم يبلغه الدعوة (فإنك غفور رحيم) قادر على أن تغفر له وترحمه ابتداء أو بعد توبته وفيه أن كل
 * ذنب فقه تعالى أن يغفره حتى الشرك خلا أن الوعيد قضى بالفرق بينه وبين غيره (ربنا) آثر عليه السلام ٣٧
 ضمير الجماعة لا لما قيل من تقدم ذكره وذكر بنيه وإلا لراعاه في قوله رب إني الخ بل لأن الدعاء المصدر
 به وما أورده بصدد تمهيد مبادئ إجابته من قوله (إني أسكنت) الآية متعلق بذريته فالتعرض لوصف
 ربوبيته تعالى لهم أدخل في القبول وإجابة المسئول (من ذريتي) أى بعضهم أو ذرية من ذريتي لحذف
 المفعول وهو لإسماعيل عليه السلام وما سيولد له فإن إسماعيل كان حيث كان على وجه الاطمئنان متضمن
 لإسكانهم روى أن هاجر أم لإسماعيل عليه السلام كانت لسارة فوهبتها من إبراهيم عليه السلام فلما ولدت
 له لإسماعيل عليه السلام غارت عليهما فناشدته أن يخرجهما من عندها فأخرجهما إلى أرض مكة فآظمر الله
 * تعالى عين زمزم (بواد غير ذي زرع) لا يكون فيه زرع أصلاً وهو وادى مكة شرفها الله تعالى (عند

بيتك) ظرف لا سكنت كقولك صليت بمكة عند الركن لا أنه صفة لوادأو بدل منه إذ المقصود إظهار
 كون ذلك الإسكان مع فقدان مبادئه بالمرّة لمحض التقرب إلى الله تعالى والالتجاء إلى جواره الكريم
 * كما يلي. عنه التعرض لعنوان الحرمة المؤذن بعزة الملتجأ وعصمته عن المكاره في قوله تعالى (المحرم)
 حيث حرم التعرض له والتهاون به أو لم يزل معظماً بمنعاً يهابه الجبابة في كل عصر أو منع منه الطوفان
 فلم يستول عليه ولذلك سمى عتيقاً وتسميته إذ ذاك بيتاً ولم يكن له بناء وإنما كان نشراً مثل الراية تأتيه
 السيول فتأخذ ذات اليمين وذات الشمال ليست باعتبار ما سيئول إليه الأمر من بنائه عليه السلام فإنه
 ينزع إلى اعتبار عنوان الحرمة أيضاً كذلك بل إنما هي باعتبار ما كان من قبل فإن تعدد بناء الكعبة
 المعظمة مما لا ريب فيه وإنما الاختلاف في كمية عدده وقد ذكرناها في سورة البقرة بفضل الله تعالى
 * (ربنا ليقيموا الصلاة) متوجّهين إليه متبركين به وهو متعلق بأسكنت وتخصيصها بالذكر من
 بين سائر شعائر الدين لفضلها وتكرير النداء وتوسيطه لإظهار كمال العناية بإقامة الصلاة والاهتمام بعرض
 أن الغرض من إسكانهم بذلك الوادى الباقع ذلك المقصد الأقصى والمطلب الأسنى وكل ذلك لتهميد
 * مبادئ إجابة دعائه وإعطاء مسئوله الذي لا يتسنى ذلك المرام إلا به ولذلك أدخل عليه الفاء فقال (فاجعل
 أفئدة من الناس) أى أفئدة من أفئدتهم فمن للتبويض ولذلك قيل لو قال أفئدة الناس لازدحمت عليهم
 فارس والروم وأما ما زيد عليه من قوهم ولحجت اليهود والنصارى فغير مناسب للمقام إذ المستول
 توجيه القلوب إليهم للمساكنة معهم لا توجيهها إلى البيت للحج وإلا لقيل تهوى إليه فإنه عين الدعاء
 بالبلدية قد حكى بعبارة أخرى كما مر أو لا ابتداء الغاية كقولك القلب منى سقيم أى أفئدة ناس وقرى.
 أفئدة على القلب كآدر في أدور أو على أنه اسم فاعل من أفدت الرحلة أى عجّلت أى جماعة من الناس
 * وأفئدة بطرح الهمزة من الأفئدة أو على النعت من أفد (تهوى إليهم) تسرع إليهم شوقاً ووداداً وقرى.
 على البناء للفعول من أهواه غيره وتهوى من باب علم أى تحب وتعديته بإلى لتضمنه معنى الشوق والزعزعة
 وأول آثار هذه الدعوة ما روى أنه مرت رفقة من جرهم تريد الشام فرأوا الطير تحوم على الجبل فقالوا
 إن هذا الطائر لعائف على الماء فأشرّفوا فإذا هم بهاجر فقالوا لها إن شئت كنا معك وأنسناك والماء ماؤك
 فأذنت لهم وكانوا معها إلى أن شب لإسماعيل عليه السلام وماتت هاجر فتزوج إسماعيل منهم كما هو المشهور
 * (وارزقهم) أى ذريتي الذين أسكنتهم هناك أو مع من ينحاز إليهم من الناس وإنما يخص الدعاء بالمؤمنين
 منهم كما في قوله وارزق أهلهم من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر اكتفاء بذكر إقامة الصلاة
 * (من الثمرات) من أنواعها بأن يجعل بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك أو يجي إليه من الأقطار الشاسعة
 وقد حصل كلاهما حتى إنه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد . روى عن ابن
 عباس رضى الله عنهما أن الطائف كانت من أرض فلسطين فلما دعا إبراهيم عليه السلام بهذه الدعوة رفعها
 الله تعالى ووضعها حيث وضعها رزقا للحرم وعن الزهري رضى الله عنه أنه تعالى نقل قرية من قرى الشام
 * فوضعها بالطائف لدعوة إبراهيم عليه السلام (لعلمهم بمسكرونها) تلك النعمة بإقامة الصلاة وأداء سائر
 مراسم العبودية وقيل اللام في ليقيموا لام الأمر والمراد أمرهم بإقامة الصلاة والدعاء من الله تعالى

رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نَعْلُنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ ١٤ إبراهيم
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ ١٤ إبراهيم

بتوفيقهم لها ولا يناسبه الفاء في قوله تعالى فاجعل الخ وفي دعائه عليه السلام من مراعاة حسن الأدب والمحافظة على قوانين الضراعة وعرض الحاجة واستئصال الرحمة واستجلاب الرأفة ما لا يخفى فإنه عليه السلام يذكر كون الوادي غير ذي زرع بين كمال افتقارهم إلى المستول وبذكر كون إسماعيل عنده البيت المحرم أشار إلى أن جوار الكريم يستوجب إفاضة النعيم وبعرض كون ذلك الإسكان مع كمال إعواز مرافق المعاش لمحض إقامة الصلاة وأداء حقوق البيت مهد جميع مبادئ إجابة السؤال ولذلك قرنت دعوته عليه السلام بحسن القبول (ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن) من الحاجات وغيرها والمراد بما نخفي ٣٨ ما يقابل ما نعلن سواء تعلقه بالإخفاء أولا أي تعلم ما نظهره وما لا نظهره فإن عليه تعالى متعلق بما لا يخطر بباله مما فيه من الأحوال الخفية فضلا عن إخفائه وتقديم ما نخفي على ما نعلن لتحقيق المساواة بينهما في تعلق العلم بهما على أبلغ وجه فكان تعلقه بما يخفى أقدم منه بما يعلن أو لأن مرتبة السر والخفاء متقدمة على مرتبة العلن إذ ما من شيء يعلن إلا وهو قبل ذلك خفي فتعلق عليه سبحانه بحالته الأولى أقدم من تعلقه بحالته الثانية وقصده عليه السلام أن إظهار هذه الحاجات وما هو من مبادئها وتتماتها ليس لكونها غير معلومة لك بل إنما هو لإظهار العبودية والتخضع لعظمتك والتذلل لعزتك وعرض الافتقار إلى ما عندك والاستعجال لنيل أياديك وتكرير النداء للبالغة في الضراعة والابتهال وضمير الجماعة لأن المراد ليس مجرد علمه تعالى بسرّه وعلنه بل بجميع خفايا الملك والملكوت وقد حققه بقوله على وجه الاعتراض (وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء) لما أنه العالم بالذات فما من أمر يدخل تحت الوجود دكاناً ما كان في زمان من الأزمان إلا ووجوده في ذاته علم بالنسبة إليه سبحانه وإنما قال وما يخفى على الله الخ دون أن يقول ويعلم ما في السموات والأرض تحقيقاً لما عناه بقوله تعلم ما نخفي من أن علمه تعالى بذلك ليس على وجه يكون فيه شائبة خفاء بالنسبة إلى علمه تعالى كما يكون ذلك بالنسبة إلى علوم المخلوقات وكلية في متعلقة بمحدوف وقع صفة شيء أي من شيء كائن فيهما أعم من أنه يكون ذلك على وجه الاستقرار فيهما أو على وجه الجزئية منهما أو ببخفي وتقديم الأرض على السماء مع توسيط لا بينهما باعتبار القرب والبعد من المستدعين للتفاوت بالنسبة إلى علو منا والالتفات من الخطاب إلى اسم الذات المستجمعة للصفات لتربية المهابة والإشعار بعلّة الحكم على نهج قوله تعالى ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير والإيدان بعمومه لأنه ليس بشأن يختص به أو بمن يتعلق به بل شامل لجميع الأشياء فالمناسب ذكره تعالى بعنوان مصحح لمبدأ الكل وقيل هو من كلام الله عز وجل وأرد بطريق الاعتراض لتصديقه عليه السلام كقوله سبحانه وكذلك يفعلون ومن للاستغراق على الوجهين (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر) أي مع كبري وبأسي ٣٩ عن الولد قبالهبة به استعظماً للنعمة وإظهار الشكرها (إسماعيل وإسحق) روى أنه ولد له إسماعيل وهو •

١٤ إبراهيم

رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ ﴿٤٠﴾

١٤ إبراهيم

رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ ١٤ إبراهيم

- ابن تسع وتسعين سنة وولده إسحق وهو ابن مائة واثنى عشرة سنة أو مائة وسبع عشرة سنة (إن ربى)
- ومالك أمرى (لسميع الدعاء) لجيبه من قولهم سمع الملك كلامه إذا اعتد به وهى من أبنية المبالغة العاملة
- عمل الفعل أضيف إلى مفعوله أو فاعله بإسناد السماع إلى دعاء الله تعالى مجازاً وهو مع كونه من تنمة
- الحمد والشكر إذ هو وصف له تعالى بأن ذلك الجليل سنته المستمرة تعليل على طريقة التذييل للهبة
- المذكورة وفيه إيدان بتضاعف النعمة فيها حيث وقعت بعد الدعاء بقوله رب هب لى من الصالحين
- فاقترنت الهبة بقبول الدعوة وتوحيد ضمير المتكلم وإن كان عقيب ذكر هبتهما لما أن نعمة الهبة
- فائضة عليه خاصة وهما من النعم لا من المنعم عليهم (رب اجعلنى مقيم الصلاة) مثابراً عليها معدلاً لها
- وتوحيد ضمير المتكلم مع شمول دعوته لذريته أيضاً حيث قال (ومن ذريتي) أى بعضهم من المذكورين
- ومن يسير سيرتهما من أولادهما للإشعار بأنه المقتدى فى ذلك وذريته أتباع له وأن ذكرهم بطريق
- الاستطراد لا كما فى قوله ربنا إني أسكنت الخ فإن إساكنه مع عدم تحققه بلاملاسة لمن أسكنه إنما هو
- المذكور بطريق التمهيد الدعاء الذى هو مخصوص بذريته وإنما خص هذا الدعاء ببعض ذريته لعلمه من
- جهة الله تعالى أن بعضاً منهم لا يكون مقيم الصلاة كقوله تعالى ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة
- مسلمة لك (ربنا وتقبل دعاء) أى دعائى هذا المتعلق بجعلى وجعل بعض ذريتى مقيمي الصلاة ثابتين على
- ذلك مجتنبين عن عبادة الأصنام ولذلك جىء بضمير الجماعة (ربنا اغفر لى) أى ما فرط منى من ترك
- الأولى فى باب الدين وغير ذلك مما لا يسلم منه البشر (ولو الذى) وقرىء بالتوحيد ولأبوى وهذا
- الاستغفار منه عليه السلام إنما كان قبل تبين الأمر له عليه السلام وقيل أراد بوالديه آدم وحواء وقيل
- بشرط الإسلام ويرده قوله تعالى إلا قول إبراهيم الآية وقد مر فى سورة التوبة نوع تحقيق البقاع
- وسياقى تماماً فى سورة مريم بفضل الله تعالى (وللمؤمنين) كافة من ذريته وغيرهم والإيدان باشتراك الكل
- فى الدعاء بالمغفرة جىء بضمير الجماعة (يوم يقوم الحساب) أى ثبت وية حقق محاسبة أعمال المكلفين على
- وجه العدل استعير له من ثبوت القائم على الرجل بالاستقامة ومنه قامت الحرب على ساق والمراد تهويله
- وقيل أسند إليه قيام أهله مجازاً أو حذف المضاف كفى وأسأل القرية واعلم أن ما حكى عنه عليه السلام
- من الأدعية والأذكار وما يتعلق بها ليس بصادر عنه على الترتيب المحكى ولا على وجه المعية بل صدر عنه
- فى أزمنة متفرقة حكى مرتباً للدلالة على سوء حال الكفرة بعد ظهور أمره فى الملة وإرشاد الناس إليها
- والتضرع إلى الله تعالى لصالحهم الدينية والدنيوية (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون) خطاب
- لرسول الله ﷺ والمراد تنبيته على ما كان عليه من عدم حسبانته عز وجل كذلك نحو قوله ولا تكونن من

١٤ إبراهيم

مُطِيعِينَ مُقْنِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْعِدْتَهُمْ هَوَاءً ﴿٤٣﴾

المشركين ونظارته مع مافيه من الإيذان بكونه واجب الاحتراز عنه في الغاية حتى نهى عنه من لا يمكن تعاطيه أو نهيه عليه السلام عن حسبانته تعالى تاركا لعقابهم على طريقة العفو والتعير عنه بذلك للبالغة في النهي والإيذان بأن ذلك الحسبان بمنزلة حسبانته تعالى غافلا عن أعمالهم إذ العلم بذلك مستوجب لعقابهم لا محالة فتركه لو كان لكان للغفلة عما يوجب من أعمالهم الخبيثة وفيه تسلية لرسول الله ﷺ ووعد له أكيد ووعد للكفر وسائر الظالمين شديد أو لكل أحد من يستعجل عذابهم أو يتوهم إهمالهم للجمل بصفاته تعالى والاغترار بأمهاله وقيل معناه لا تحسبته تعالى يعاملهم معاملة الغافل عما عملوا بل معاملة من يحافظ على أعمالهم ويجازيهم بذلك فقيرا وقطميرا والمراد بالظالمين أهل مكة من عدت مساويهم من تبديل نعمة الله تعالى كفر أو إحلال قومهم دار البوار واتخاذ الأنداد كما يؤذن به التعرض لحكمة التأخير المنهى عنه قوله تعالى قل تمتعوا الآية أو جنس الظالمين وهم داخلون في الحكم دخولا أوليا (إنما يؤخرهم) يعلمهم متمتعين بالخطوط الدنياوية ولا يعجل عقوبتهم حسبا يشاهد وهو استئناف وقع تعليلا للنهي السابق أي دم على ما كنت عليه من عدم حسبانته تعالى غافلا عن أعمالهم ولا تحزن بتأخير ما تستوجب من العذاب الأليم إذ تأخيرها للتشديد والتغليظ أولا تحسبته تعالى تاركا لعقوبتهم لما ترى من تأخيرها إنما ذلك لأجل هذا أولا تحسبته تعالى يعاملهم معاملة الغافل ولا يؤاخذهم بما عملوا لما ترى من التأخير إنما هو لهذه الحكمة وقرىء بالنون وإيقاع التأخير عليهم مع أن المؤخر إنما هو عذابهم لتحويل الخطب وتفضيع الحال ببيان أنهم متوجهون إلى العذاب مرصدون لأمر ما لا أنهم باقون باختيارهم والدلالة على أن حَقْم من العذاب هو الاستئصال بالمرّة وأن لا يبقى منهم في الوجود عين ولا أثر والإيذان بأن المؤخر له من جملة العذاب وعنوانه ولو قيل إنما يؤخر عذابهم الخ لما فهم ذلك (ليوم) هائل (تشخص فيه) (الابصار) ترتفع أبصار أهل الموقف فيدخل في زمرة الكفرة المعهودون دخولا أوليا أي تبقى مفتوحة لا تتحرك أجفانهم من هول ما يرونه واعتبار عدم قرارها في أماكنها إما باعتبار الارتفاع الحسى في جرم العين وإما بجعل الصيغة من شخص من بلد إلى بلد وسار في الارتفاع (مهاجرين) مسرعين ٤٣ إلى الداعي مقبلين عليه بالخوف والذل والخشوع أو مقبلين بأبصارهم عليه لا يقلعون عنه ولا يظفرون هيبة وخوفا وحيث كان إدامة النظر ههنا بالنظر إلى الداعي قيل (مقنعي رؤوسهم) أي رافعيها مع إدامة النظر من غير التفات إلى شيء قاله العتيبي وابن عرفة أو ناكسيها ويقال أقع رأسه أي طأطأها ونكسها فهو من الأضداد وهما حالان مما دل عليه الأبصار من أصحابها أو الثاني حال متداخلة من الضمير في الأول وإضافته غير حقيقية فلا ينافي الحالية (لا يرتد إليهم طرفهم) أي لا يرجع إليهم تحريك أجفانهم حسبا كان يرجع إليهم كل لحظة بل تبقى أعينهم مفتوحة لا تطرف أولا ترجع إليهم أجفانهم التي هي آلة الطرف فيكون إسناد الرجوع إلى الطرف مجازيا أو هو نفس الجفن قال الفيروز آبادي الطرف العين لا يجمع لأنه مصدر في الأصل أو اسم جامع للعين أولا يرجع نظرم إلى أنفسهم فضلا عن أن يرجع إلى شيء آخر

وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِيبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ أُولَئِكَ تُكُونُوا أَلْفَافًا مِّن قَبْلُ مَالِكُم مِّن زَوَالٍ ﴿١٤﴾

١٤ إبراهيم

فيقون مبهورين وهو أيضاً حال أو بدل من مقنعي الخ أو استئناف والمعنى لا يزول ما اعتراهم من شخوص
الآبصار وتأخيره عن هو من تتمته من الإهطاع والإقناع مع ما بينه وبين الشخوص المذكور من المناسبة
لنزية هذا المعنى (وأفتدتهم هواء) خالية من العقل والفهم لفرط الحيرة والدهش كأنها نفس الهواء
الحالي من كل شاغل ومنه قيل للجبان واللاحق قلبه هواء أى لا قوة ولا رأى فيه واعتبار خلوها عن
كل خير لا يناسب المقام وهو إما حال عاملها لا يرتد مفيدة لكون شخوص أبصارهم وعدم ارتداد
طرفهم بلا فهم ولا اختيار أو جملة مستقلة (وأندّر الناس) خطاب لرسول الله ﷺ بعد إعلامه أن
تأخيرهم لماذا وأمره بإنذارهم وتخويفهم منه والمراد بالناس الكفار المعبر عنهم بالظالمين كما يقتضيه ظاهر
إتيان العذاب والعدول إليه من الإضمار للإشعار بأن المراد بالإنذار هو الزجر عما هم عليه من الظلم
شفقة عليهم لا التخويف للإزعاج والإيذاء فالمناسب عدم ذكرهم بعنوان الظلم أو الناس جميعاً فإن
الإنذار عام للفريقين كقوله تعالى إنما تنذر من اتبع الذكر والإتيان يعمهما من حيث كونهما في الموقف
وإن كان لحوقه بالكفار خاصة أى أنذرهم وخوفهم (يوم يأتهم العذاب) المعهود وهو اليوم الذى
وصف بما لا يوصف من الأوصاف الهائلة أعنى يوم القيامة وقيل هو يوم موتهم معذبين بالسكرات
ولقاء الملائكة بلا بشرى أو يوم هلاكهم بالعذاب العاجل وبأباه القصر السابق (فيقول الذين ظلموا)
أى فيقولون والعدول عنه إلى ما عليه النظم الكريم للتسجيل عليهم بالظلم والإشعار بأن ما لقوه من
الشدّة إنما هو لظلمهم وإثارة على صيغة الفاعل حسبما ذكر أولاً للإيدان بأن الظلم فى الجملة كافى فى
الإفضاء إلى ما ذكر من الأحوال من غير حاجة إلى الاستمرار عليه كما ينبى عنه صيغة الفاعل وعلى تقدير
كون المراد بالناس من يعم المسلمين أيضاً فالمعنى الذين ظلموا منهم وهم الكفار أو يقول كل من ظلم
بالشرك والتكذيب من المنذرين وغيرهم من الأمم الخالية فإن إتيان العذاب يعمهم كما يشعر بذلك
وعدم باتباع الرسل (ربنا أخرنا) ردنا إلى الدنيا وأمهلنا (إلى أجل قريب) إلى أمد وحد من الزمان
قريب (نحب دعوتك) أى الدعوة إليك وإلى توحيدك أو دعوتك لنا على السنة الرسل فقيه إيماء
إلى أنهم صدقوا فى أنهم مرسلون من عند الله تعالى (وتتبع الرسل) فيما جاءوا به أى تتدارك ما فرطنا
فيه من إجابة الدعوة واتباع الرسل والجمع إما باعتبار اتفاق الجميع على التوحيد وكون عصيانهم
للمرسول ﷺ عصياناً لهم جميعاً وإما باعتبار أن المحكى كلام ظالمى الأمم جميعاً والمقصود بيان وعد
كل أمة باتباع رسولها (أولم تكونوا أقسمتم من قبل) على إضمار القول معطوفاً على فيقول أى فيقال
لهم توبيحاً وتبكيتاً ألم تؤخروا فى الدنيا ولم تكونوا أقسمتم إذ ذاك بالسنتكم بطراً وأشرأ وجهلاً
وسفهاً (مالكم من زوال) عما أنتم عليه من التمتع بالحظوظ الدنيوية أو بالسنة الحال حيث بنيت مشيداً

وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ

الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾

١٤ إبراهيم

وألمن بعيداً ولم تحدثوا أنفسكم بالانتقال منها إلى هذه الحالة وفيه إشعار بامتداد زمان التأخير وبعد مداه أو مالكم من زوال من هذه الدار إلى دار أخرى للجزاء كقوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت وصيغة الخطاب في جواب القسم لمراعاة حال الخطاب في أقسمتم كما في قوله حلف بالله ليخرجن وهو أدخل في التوبيخ من أن يقال مالنا مراعاة لحال المقسم ذكر البهيق عن محمد بن كعب القرظي أنه قال لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله تعالى في أربع منها فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبداً يقولون ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل فيجيبهم الله تعالى ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشرِك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون فيجيبهم الله تعالى فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا الآية ثم يقولون ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك وتقتب الرسل فيجيبهم الله تعالى أولم تكونوا أقسمتم الآية ثم يقولون ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فالظالمين من نصير فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين فيجيبهم الله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها أبداً إن هو إلا زفير وشهيق وعند ذلك انقطع رجاؤهم وأقبل بعضهم ينبج في وجه بعض وأطبقت عليهم جهنم اللهم إنا بك نعوذ وبكنفك نلوذ عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك (وسكنتم) من السكنى بمعنى النبوة والإيطان وإنما استعمل بكلمة في ٤٥ حيث قيل (في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) جرياً على الأصل لأنه منقول عن مطلق السكون الذي حقه التعدي بها أو من السكون واللبث أي قررتم في مساكنهم مطمئنين سائرين سيرتهم في الظلم والكفر والمعاصي غير محدثين لأنفسكم بما لقوا بسبب ما اجتروا من الموبقات وفي إيقاع الظلم على أنفسهم بعد إطلاقه فيما سلف إيدان بأن غائلة الظلم آتلة إلى صاحبه والمراد بهم إما جميع من تقدم من الأمم المملوكة على تقدير اختصاص الاستمهال والخطاب السابق بالمنذرين وإما أوائلهم من قوم نوح وهود على تقدير عمومها لكل وهذا الخطاب وما يتلوه باعتبار حال أو آخرهم (وتبين لكم) بمشاهدة الآثار وتواتر الأخبار (كيف فعلنا بهم) من الإهلاك والعقوبة بما فعلوا من الظلم والفساد وكيف منصوب بما بعده من الفعل وليس الجملة فاعلاً لتبين كما قاله بعض الكوفيين بل فاعله مادلت هي عليه دلالة واضحة أي فعلنا العجيب بهم وفيه من المبالغة ما ليس في أن يقال ما فعلنا بهم كما مر في قوله تعالى ليسجننهم وقرىءوا (وضربنا لكم الأمثال) أي بينا لكم في القرآن العظيم على تقدير اختصاص الخطاب بالمنذرين أو على السنة الأنبياء عليهم السلام على تقدير عمومهم لجميع الظالمين صفات ما فعلوا وما فعل بهم من الأمور التي هي في الغرابة كالأمثال المضروبة لكل ظالم لتعبروا بها وتقيسوا أعمالكم على أعمالهم وما لكم على ما لهم وتنتهوا من حلول

وَقَدْ مَكْرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ ١٤ إبراهيم

العذاب العاجل إلى حلول العذاب الآجل فترتدعوا عما كنتم فيه من الكفر والمعاصي أو ينالكم أنكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب والجلل الثلاث في موقع الحال من ضمير أقسمتم أى أقسمتم بالخلود والحال أنكم سكنتم في مساكن المهلكين بظلمهم وتبين لكم فعلنا العجيب بهم ونهناكم على جليلة الحال بضرب الأمثال وقوله عز وجل (وقد مكروا مكروهم) حال من الضمير الأول في فعلنا بهم أو من الثاني أو منهما جميعاً وإنما قدم عليه قوله تعالى وضربنا لكم الأمثال لشدة ارتباطه بما قبله أى فعلنا بهم ما فعلنا والحال أنهم قد مكروا في إبطال الحق وتقرير الباطل مكروهم العظيم الذى استفرغوا في عمله المجهود وجاوزوا فيه كل حد معهود بحيث لا يقدر عليه غيرهم فالمراد ببيان تناهيهم في استحقاق ما فعل بهم أو قد مكروا مكروهم المذكور في ترتيب مبادئ البقاء ومدافعة أسباب الزوال فالمقصود إظهار عجزهم واضمحلال قدرتهم وحقارتها عند قدرة الله تعالى (وعند الله مكروهم) أى جزاء مكروهم الذى فعلوه على أن المكرو مضاف إلى فاعله أو أخذه تعالى بهم على أنه مضاف إلى مفعوله وتسميته مكراً لكونه بمقابلة مكروهم وجوداً وذكرأ أو لكونه في صورة المكرو في الإتيان من حيث لا يشعرون وعلى التقديرين فالمراد به ما أفاده قوله عز وجل كيف فعلنا بهم لا أنه وعيد مستأنف والجملة حال من الضمير في مكروا أى مكروا مكروهم وعند الله جزاؤه أو ما هو أعظم منه والمقصود بيان فساد رأيهم حيث باشروا فعلاً مع تحقق ما يوجب تركه (وإن كان مكروهم) في العظم والشدة (لتزول منه الجبال) أى وإن كان مكروهم في غاية المتانة والشدة وعبر عن ذلك بكونه مسوى ومعداً لإزالة الجبال عن مقارها لكونه مثلاً في ذلك والجملة المصدرة بأن الوصلية معطوفة على جملة مقدرة والمعنى وعند الله جزاء مكروهم أو المكرو الذى يحق بهم إن لم يكن مكروهم لتزول منه الجبال وإن كان الخ وقد حذف ذلك حذفاً مطرداً لدلالة المذكور عليه دلالة واضحة فإن الشئ إذا تحقق عند وجود المانع القوى فلأن يتحقق عند عدمه أولى وعلى هذه النكتة يدور ما في إن الوصلية من التأكيد المعنوي والجوب محذوف دل عليه ما سبق وهو قوله تعالى وعند الله مكروهم وقيل إن نافية واللام لتأكيد ما في قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وينصره قراءة ابن مسعود رضى الله عنه وما كان مكروهم فالجملة حينئذ حال من الضمير في مكروا لا من قوله تعالى وعند الله مكروهم أى مكروا مكروهم والحال أن مكروهم لم يكن لتزول منه الجبال على أنها عبارة عن آيات الله تعالى وشرائعه ومعجزاته الظاهرة على أبدى الرسل السالفة عليهم السلام التى هى بمنزلة الجبال الراسيات في الرسوخ وأما كونها عبارة عن أمر النبي ﷺ وأمر القرآن العظيم كما قيل فلا مجال له إذ المالكرون هم المهلكون لا الساكنون في مساكنهم من المخاطبين وإن خص الخطاب بالمنذرين وقيل هى مخففة من إن والمعنى إنه كان مكروهم ليزول منه ما هو كالجبال في الثبات بما ذكر من الآيات والشرائع والمعجزات والجملة كماهى حال من ضمير مكروا أى مكروا مكروهم المعهود وإن الشأن كان مكروهم لإزالة الآيات والشرائع على معنى أنه لم يكن يصح أن يكون منهم مكر كذلك وكان شأن الآيات والشرائع مانعاً من مباشرة المكرو

فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤٧﴾

١٤ إبراهيم

لإزالة وقد قرأ الكسائي لتزول بفتح اللام على أنها الفارقة والمعنى تعظيم مكرهم فالجمله حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم أى عنده تعالى جزاء مكرهم أو المكربهم والحال أن مكرهم بحيث تزول منه الجبال أى فى غاية الشدة وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي وقرئ وإن كاد مكرهم هذا هو الذى يقتضيه النظم الكريم وينساق إليه الطبع السليم وقد قيل إن الضمير فى مكروا للذين والضمير والمراد بمكربهم ما أفاده قوله عز وجل وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك الآية وغيره من أنواع مكرهم برسول الله ﷺ ولعل الوجه حينئذ أن يكون قوله تعالى وقد مكروا الخ حالا من القول المقدر أى فيقال لهم ما يقال والحال أنهم مع ما فعلوا من الإقسام المذكور مع ما ينافيه من السكون فى مساكن المهلكين وتبين أحوالهم وضرب الأمثال قد مكروا مكرهم العظيم أى لم يكن الصادر عنهم مجرد الإقسام الذى وبخوا به بل اجتروا على مثل هذه العظيمة وقوله تعالى وعند الله مكرهم حال من ضمير مكروا حسبنا ذكرنا من قبل وقوله تعالى وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال مسوق لبيان عدم تفاوت الحال فى تحقيق الجزاء بين كون مكرهم قويا أو ضعيفا كما مر هناك وعلى تقدير كون إن نافية فهو حال من ضمير مكروا والجبال عبارة عن أمر النبي ﷺ أى وقد مكروا والحال أن مكرهم ما كان لتزول منه هاتيك الشرائع والآيات التى هى فى القوة كالجبال وعلى تقدير كونها مخففة من الثقلية واللام مكسورة يكون حالا منه أيضا على معنى أن ذلك المكر العظيم منهم كان لهذا الغرض على معنى أنه لم يكن يصح أن يكون منهم مكر كذلك لما أن شأن الشرائع أعظم من أن يمكربها ما كر وعلى تقدير فتح اللام فهو حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم كما ذكرنا من قبل فليتأمل (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) لم يرد ٤٧ به والله سبحانه أعلم ما وعده بقوله تعالى إنا لننصر رسلنا الآية وقوله كتب الله لا غلبنا أنا ورسلنا كما قيل فإنه لا اختصاص له بالتعذيب لاسيما الآخرين بل ما سلف آنفا من وعده بتعذيب الظالمين بقوله تعالى إنما يؤخرهم الآية كما يفصح عنه الفاء الداخلة على النهى الذى أريد به تثبيته عليه الصلاة والسلام على ما كان عليه من الثقة بالله تعالى والتيقن بإنجاز وعده المذكور المقرون بالأمر بإنذارهم يوم إتيان العذاب المتضمن لذكر تعذيب الأمم السالفة بسبب كفرهم وعصيانهم رسلهم بعد ما وعدهم بذلك كما فصلت قصة كل منهم فى القرآن العظيم فكانه قيل وإذ قد وعدناك بعذاب الظالمين يوم القيامة وأخبرناك بما يلقيه من الشدائد وبما يسألونه من الرد إلى الدنيا وبما أجبناهم به وقرعناهم بعدم تأملهم فى أحوال من سبقهم من الأمم الذين أهلكتهم بظلمهم بعد ما وعدنا رسلهم بإهلاكهم فدم على ما كنت عليه من اليقين بعدم إخراجنا رسلنا وعدنا (إن الله عزيز) غالب لا يماكر وقادر (ذو انتقام) لا ولياته من أعدائه والجمله * تعليل للنهى المذكور وتذييل له وحيث كان الوعد عبارة عما ذكرنا من تعذيبهم خاصة لم يذيل بأن يقال إن الله لا يخلف الميعاد بل تعرض لوصف العزة والانتقام المشعرين بذلك والمراد بالانتقام ما أشير إليه بالفعل وعبر عنه بالمكر .

يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ١٤ إبراهيم

وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ ١٤ إبراهيم

٤٨ (يوم تبدل الأرض غير الأرض) ظرف لمضمر مستأنف ينسحب عليه النهى المذكور أى ينجزه يوم الخ أو معطوف عليه نحو وار تقب يوم تبدل الأرض غير الأرض أو لا انتقام وهو يوم يأتيهم العذاب بعينه ولكن له أحوال جملة يذكر كل مرة بعنوان مخصوص والتقيد به مع عموم انتقامه للأوقات كلها للإفصاح عما هو المقصود من تعذيب الكفرة المؤخر إلى ذلك اليوم بموجب الحكمة الداعية إليه وقيل بدل من يوم يأتيهم العذاب أو نصب باذكر أو بإضمار لا يخلف وعده يوم تبدل الخ وفيه أيضاً ما فى الوجه الثالث من الحاجة إلى الاعتذار ولا يجوز أن ينتصب بقوله مخلف وعده لأن ما قبل إن لا يعمل فيما بعده وقيل هو غير مانع لأن قوله تعالى إن الله عز وجزا انتقام جملة اعتراضية فلا يبالى بها فاصلاً واعلم أن التبدل قد يكون فى الذات كما فى بدلت الدراهم دنائير وعليه قوله عز وجل بدلناهم جلوداً غيرها وقد يكون فى الصفات كما فى قولك بدلت الحلقة خاتماً إذا غيرت شكلها ومنه قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات على بعض الأقوال والآية الكريمة ليست بنص فى أحد الوجهين فعن على رضى الله عنه تبدل أرضاً من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود رضى الله عنه تبدل الأرض بأرض كالفضة بيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم يعمل عليها خطيئة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى تلك الأرض وإنما تغير صفاتها وأنشد [وما الناس بالناس الذين عهدتهم * وما الدار بالدار التى كنت تعلم] وتبدل السموات بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها أبواباً ويدل عليه ما روى أبو هريرة رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال تبدل الأرض غير الأرض فتبسط وتمدد الأديم العكاظى لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً (والسموات) أى وتبدل السموات غير السموات حسبما مر من التفصيل وتقديم تبدل الأرض لقربها منا ولكون تبدلها أعظم أثراً بالنسبة إلينا (وبرزوا) أى الخلائق أو الظالمون المدلول عليهم بمعونة السباق والمراد ببرزهم من أجداثهم التى فى بطون الأرض أو ظهورهم بأعمالهم التى كانوا يعملونها سرّاً ويزعمون أنها لا تظهر أو يعملون عمل من يزعم ذلك ولعل إسناد البروز إليهم مع أنه لا عملهم للإبذان بتشكلم بأشكال تناسبها وهو معطوف على تبدل والعدول إلى صيغة الماضى للدلالة على تحقق وقوعه أو حال من الأرض بتقدير قد والرابط بينها وبين صاحبها الواو (لله الواحد القهار) للحساب والجزاء والتعرض الوصفين لتحويل الخطاب وتربية المهابة وإظهار بطلان الشرك وتحقيق الانتقام فى ذلك اليوم على تقدير كونه ظرفاً له وتحقيق إتيان العذاب الموعود على تقدير كونه بدلاً من يوم يأتيهم العذاب فإن الأمر إذا كان لواحد غلاب ٤٩ لا يعار وقادر لا يضار ولا يقار كان فى غاية ما يكون من الشدة والصعوبة (وترى المجرمين) عطف على برزوا والعدول إلى صيغة المضارع لا استحضر الصورة أو للدلالة على الاستمرار وأما البروز فهو دفعى

سَرَّابِلُهُمْ مِّنْ قَطْرَانٍ وَتَغَشَّى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿١٠٥﴾

١٤ إبراهيم

لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٠٥﴾

١٤ إبراهيم

لا استمرار فيه وعلى تقدير حالة برزوا فهو معطوف على تبدل ويجوز عطفه على حامل الظرف المقدم على تقدير كونه ينجزه (يومئذ) يوم إذ برزوا له عز وجل أو يوم لاذتبدل الأرض أو يوم إذ ينجز وعده (مقرنين) قرن بعضهم مع بعض حسب اقترانهم في الجرائم والجرائز أو قرنوا مع الشياطين الذين أغوهم أو قرنوا مع ما اقترفوا من العقائد الزائفة والملكات الردية والأعمال السيئة غيب تصور كل منها وتشكلها بما يناسبها من الصور الموحشة والأشكال الهائلة أو قرنت أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم وهو حال من المجرمين (في الأصفاة) في الفيود أو الأغلال وهو إما متعلق بقوله تعالى مقرنين أو حال من ضميره أي مصفدين (سرايلهم) أي قصانهم (من قطران) جملة من مبتدأ وخبر محلها النصب على الحالية من المجرمين أو من ضميرهم في مقرنين رابطتها الضمير فقط كافي كلمته فوه إلى في أو مستأنفة والقطران ما يتحلب من الإبل فيطبخ قهناً به الإبل الجرب فيحرق الجرب بما فيه من الحدة الشديدة وقد تصل حرارته إلى الجوف وهو أسود منتن يسرع فيه اشتعال النار يطل به جلود أهل النار حتى يعود طلاقه لهم كالسراويل ليجتمع عليهم الألوان الأربعة من العذاب لذعه وحرقته وإسراع النار في جلودهم واللون الموحش والذين على أن التفاوت بينه وبين ما شاهده وبين النارين لا يكاد يقادر قدره فكان ما شاهده منهما أسماء مسمياتها في الآخرة فبكرمه العميم نعوذ وبكنفه الواسع نلوذ ويحتمل أن يكون ذلك تمثيلاً لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية والهئات الوحشية فتجلب إليها الآلام والغوم بل وأن يكون القطران المذكور عين ما لا بسوه في هذه النشأة وجعلوه شعاراً لهم من العقائد الباطلة والأعمال السيئة المستجيبة لفنون العذاب قد تجسدت في النشأة الآخرة بتلك الصورة المستجيبة لاشتداد العذاب عصمنا الله سبحانه عن ذلك بمنه ولطفه وقرىء من قطران أي نحاس مذاب متناه حره (وتغشى وجوههم النار) أي تغلواها وتحيط بها النار التي تمس جسد الممر بل بالقطران وتخصيص الوجوه بالحكم المذكور مع عمومه لسائر أعضائهم لكونها أعز الأعضاء الظاهرة وأشرفها كقوله تعالى أفن يتقى بوجهه سوء العذاب الخ ولكونها تجمع المشاعر والحواس التي خلقت لإدراك الحق وقد أعرضوا عنه ولم يستعملوها في تدييره كما أن الفؤاد أشرف الأعضاء الباطنة ومحل المعرفة وقد ملئوها بالجهالات ولذلك قيل تطلع على الأفئدة أو لخلوها عن القطران المغنى عن ذكر غشيان النار لها ولعل تخليتها عنه ليتعارفوا عند انكشاف اللهب أحياناً ويتضاعف عذابهم بالخزي على رموس الاشهاد وقرىء تغشى أي تنغشى بخذف إحدى التامين وأجله نصب على الحالية لا على أن الواو حالية لأنه مضارع مثبت بل على أنها معطوفة على الحال قاله أبو البقاء (ليجزى الله) متعلق بمضمر أي يفعل بهم ذلك ليجزى (كل نفس) مجرمة (ما كسبت) من أوباع الكفر والمعاصي جزاء موافقاً لعملها وفيه إيذان بأن جزاءهم مناسب لأعمالهم أو بقوله برزوا

هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾ ١٤ إبراهيم

على تقدير كونه معطوفاً على تبدل والضمير للخلق وقوله وترى المجرمين الخ اعتراض بين المتعلق والمتعلق به أى برزوا للحساب ليجزى الله كل نفس مطبوعة أو عاصية ما كسبت من خير أو شر وقد اكتفى بذكر عقاب العصاة تعويلاً على شهادة الحال لاسيما مع ملاحظة سبق الرحمة الواسعة (إن الله سريع الحساب) إذ لا يشغله شأن عن شأن فيتمه في أعجل ما يكون من الزمان فيوفي الجزاء بحسبه أو سريع المجيء يأتى عن قريب أو سريع الانتقام كما قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى وهو سريع الحساب (هذا) أى ما ذكر من قوله سبحانه ولا تحسبن الله غافلاً إلى سريع الحساب (بلاغ) ٥٢ كفاية فى العظة والتذكير من غير حاجة إلى ما انطوى عليه السورة الكريمة أو كل القرآن المجيد من فنون العظات والقوارع (للناس) للكفار خاصة على تقدير اختصاص الإنذار بهم فى قوله تعالى وأنذر الناس أولهم وللمؤمنين كافة على تقدير شموله لهم أيضاً وإن كان ما شرح مختصاً بالظالمين (ولينذروا به) عطف على مقدر واللام متعلقة بالبلاغ أى كفاية لهم فى أن ينصحوا وينذروا به أو هذا بلاغ لهم ليفهموه و لينذروا به على أن البلاغ بمعنى الإبلاغ كما فى قوله تعالى ما على الرسول إلا البلاغ أو متعلقة بمحذوف أى و لينذروا به أنزل أو تلى و قرئ لينذروا به من نذر بالشئ إذا علمه وحذره واستعدله (وليعلموا) بالتأمل فيما فيه من الدلائل الواضحة التى هى إهلاك الأمم وإسكان آخرين مساكنهم وغيرهما مما سبق ولحق (أنما هو إله واحد) لا شريك له وتقديم الإنذار لأنه الداعى إلى التأمل المؤدى إلى ما هو غاية له من العلم المذكور والتذكر فى قوله تعالى (ولينذكر أولو الأبواب) أى ليتذكروا ما كانوا يعملونه من قبل من التوحيد وغيره من شئون الله عز وجل ومعاملته مع عباده فیر تدعوا عما يردبهم من الصفات التى ينصف بها الكفار ويتدعوا بما يحظيهم من العقائد الحقة والأعمال الصالحة وفى تخصيص التذكر بأولى الأبواب تلويح باختصاص العلم بالكفار ودلالة على أن المشار إليه بهذا ما ذكرنا من القوارع المسوقة لشأنهم لا كل السورة المشتملة عليها وعلى ماسبق للمؤمنين أيضاً فإن فيه ما يفيدهم فائدة جديدة وحيث كان ما يفيد البلاغ من التوحيد وما يترتب عليه من الأحكام بالنسبة إلى الكفرة أمراً حادثاً وبالنسبة إلى أولى الأبواب الثبات على ذلك حسبما أشير إليه عبر عن الأول بالعلم وعن الثانى بالتذكر وروعى ترتيب الوجود مع ما فيه من الختم بالحسنى والله سبحانه أعلم ختم الله لنا بالسعادة والحسنى ورزقنا الفوز بمرضااته فى الأول والعقبى آمين . عن النبى ﷺ من قرأ سورة إبراهيم أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من عبد الأصنام ومن لم يعبد الله والحمد لله وحده .

١٥ - سورة الحجر
(مكية وآياتها تسع وتسعون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٥ الحجر

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ﴿١﴾

١٥ الحجر

رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾

(سورة الحجر مكية إلا آية ٨٧ فمدنية وآياتها تسع وتسعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (الر) قد مر الكلام فيه وفي محله في مطلع سورة الرعد وأخوانها (تلك) ١
إشارة إليه أى تلك السورة العظيمة الشأن (آيات الكتاب) الكامل المعبود الغنى عن الوصف به المشهور *
بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به على الإطلاق أى بعض منه مترجم مستقل
باسم خاص فهو عبارة عن جميع القرآن أو عن الجميع المنزل إذ ذاك إذ هو المتسارع إلى الفهم حينئذ عند
الإطلاق وعليه يترتب فائدة وصف الآيات بنعت ما أضيفت إليه من نعوت الكمال لا على جعله عبارة
عن السورة إذ هي في الاتصاف بذلك ليست بتلك المرتبة من الشهرة حتى يستغنى عن التصريح بالوصف
على أنها عبارة عن جميع آياتها فلا بد من جعل تلك إشارة إلى كل واحدة منها وفيه من التكليف ما لا يبغي
كما ذكر في سورة الرعد (وقرآن) أى قرآن عظيم الشأن (مبين) مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والأحكام *
أو لسبيل الرشد والغنى أو فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام ولقد نغم شأنه العظيم مع ما جمع فيه
من وصفي الكتابية والقرآنية على الطريقتين إحداهما اشتماله على صفات كمال جنس الكتب الإلهية فكانه
كلها والثانية طريقة كونه ممتازاً عن غيره نسيج وحده بديعاً في بابه خارجاً عن دائرة البيان وأخرت
الطريقة الثانية لما أن الإشارة إلى امتيازه عن سائر الكتب بعد التنبيه على انطوائه على كالات غيره من
الكتب أدخل في المدح كيلاً يتوهم من أول الأمر أن امتيازه عن غيره لا استقلاله بأوصاف خاصة به من
غير اشتمال على نعوت كمال سائر الكتب الكريمة وهكذا الكلام في فاتحة سورة النمل خلا أنه قدم فيها القرآن
على الكتاب لما سيذكر هناك ولما بين كون السورة الكريمة بعضاً من الكتاب والقرآن لتوجيه المخاطبين إلى
حسن تلقى ما فيها من الأحكام والقصص والمواعظ شرع في بيان ما تنضمه من قبيل (ربما) بضم الراء وتخفيف الباء ٢
المفتوحة وقرىء بالشديد وفتح الراء مخففاً وزيادة التاء مشدداً وفيه ثمان لغات فتح الراء وضمها مشدداً و
مخففاً وزيادة التاء أيضاً مشدداً ومخففاً ورب حرف جر لا يدخل إلا على الاسم وما كافة مصححة لدخوله على
الفعل وحقه الدخول على الماضي ودخوله على قوله تعالى (يود الذين كفروا) لما أن المترقب في أخباره تعالى *
كلاما مضى المقطوع في تحقق الوقوع فكانه قيل ربما ودال الذين كفروا والمراد كفروهم بالكتاب والقرآن وكونه

ذُرُّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣٥﴾

من عند الله تعالى (لو كانوا مسلمين) منقادين لحكمه ومذعنين لأمره وفيه إيذان بأن كفرهم إنما كان بالجمود بعد ما علوا كونه من عند الله تعالى وتلك الودادة يوم القيامة أو عند موتهم أو عند معاينة حالهم وحال المسلمين أو عند رؤيتهم خروج عصاة المسلمين من النار وروى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال النبي ﷺ إذا كان يوم القيامة واجتمع أهل النار في النار ومعه من شاء تعالى من أهل القبلة قال لهم الكفار أستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا إلى النار قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فغضب الله سبحانه لهم بفضل رحمته فبأمر بكل من كان من أهل القبلة في النار فيخرجون منها حينئذ يولد الذين كفروا لو كانوا مسلمين وروى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لا يزال الرب يرحم ويشفع إليه حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فعند ذلك يتمنون الإسلام والحق أن ذلك محمول على شدة ودادتهم وأما نفس الودادة فليست بمختصة بوقت دون وقت بل هي مقرررة مستمرة في كل آن يمر عليهم وأن المراد ببيان ذلك على ما هو عليه من الكثرة وإنما جرى بصيغة التقليل جرياً على سنن العرب فيما يقصدون به الإفراط فيما يعكسون عنه تقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي أو لا نعدم عندي فارساً وعنده مقاب جمة من الكتاب وقصده في ذلك التمازي في تكثير فرسانه ولكنه يريد إظهار برأته من التزيد وإبراز أنه من يقلل لعلوا الهمة كثير ما عنده فضلاً عن تكثير القليل وهذه طريقة إنما تسلك إذا كان الأمر من الواضح بحيث لا يحوم حوله شائبة ريب فيصار إليه هضماً للحق فدل النظم الكريم على ودادة الكافرين للإسلام في كل آن من آتات اليوم الآخر وأن ذلك من الظهور بحيث لا يشتبه على أحد ولو جرى بكلام يدل على ضده وعلى أن تلك الودادة مع كثرتها في نفسها مما يستقل بالنسبة إلى جناب الكبرياء وهذا هو الموافق لمقام بيان حقارة شأن الكفار وعدم الاعتداد بما هم فيه من الكفر والتكذيب كما ينطق به قوله تعالى ذرهم يأكلوا الآية أو ذهاباً إلى الإشعار بأن من شأن العاقل إذا عن له أمر يكون مظنون الحمد أو قليلاً ما يكون كذلك أن لا يفارقه ولا يقارف ضده فكيف إذا كان متيقن الحمد كما في قولهم لعلك ستندم على ما فعلت وربما ندم الإنسان على ما فعل فإن المقصود ليس بيان كون الندم مرجو الوجود بل يتيقن به أو قليل الوقوع بل التنبيه على أن العاقل لا يباشر ما يرجى فيه الندم أو يقل وقوعه فيه فكيف بقطعي الوقوع وأنه يكفي قليل الندم في كونه حاجزاً عن ذلك الفعل فكيف كثيره والمقصود من سلوك هذه الطريقة إظهار الترفع والاستغناء عن التصريح بالعرض بناء على ادعاء ظهوره فالمعنى لو كانوا يودون الإسلام مرة واحدة لوجب عليهم أن لا يفارقه فكيف وهم يودونه كل آن وهذا أوفق بمقام استنزاهم عما هم عليه من الكفر وهذان طريقتان متمايزتان ذاتاً ومقاماً فمن ظنهما واحداً فقد نأى عن توفية المقام حقه (ذرهم) دعهم عن النهي عما هم عليه بالتذكيرة والنصيحة إذ لا سبيل إلى إراعاتهم عن ذلك وبالغ في تخليتهم وشأنهم بل مرهم بتعطى ما يتعاطونه (ياكلوا ويتمتعوا) بدنيهم وفي تقديم الأكل إيذان بأن تمتعهم إنما هو من قبيل تمتع البهائم بالمال كل

والمشارب والمراد دواهمهم على ذلك لإحداثة فإنهم كانوا كذلك أو تمتعهم بلا استماع ما ينقص عيشهم من القوارع والزواج فإن التمتع على ذلك الوجه أمر حادث يصلح أن يكون مترتباً على تخليتهم وشأنهم (ويلهمهم) ويشغلهم عن اتباعك أو عن التفكير فيما هم يصيرون إليه أو عن الإيمان والطاعة فإن الأكل والتمتع بفضيان إلى ذلك (الأمل) والتوقع أطول الأعمار وبلوغ الأوطار واستقامة الأحوال وأن لا يلقوا في العاقبة والمآل إلا خيراً فالأفعال الثلاثة مجزومة على الجوابية للأمر حسبما عرفت من تضمن الأمر بالترك للأمر بها على طريقة المجاز أو على أن يكون المراد بالأفعال المرقومة مباشرة لها غافلين عن وخامة عاقبتهم غير سامعين لسوء مغبتها أصلاً ولا ريب في ترتب ذلك على الأمر بالترك فإن النهي عما هم عليه من ارتكاب القبائح مما يشوش عليهم تنعمهم وينقص عليهم عيشهم فأمر عليه السلام بتركه ليتمتعوا فيما هم فيه من حظوظهم فيدهمهم ما يدهمهم وهم عنه غافلون (فسوف يعلمون) سوء صنيعهم أو وخامة عاقبته أو حقيقة الحال التي ألقاهاهم إلى التنبؤ المذكور حيث لم يعلموا ذلك من جهتك وهو مع كونه بعيداً أيما وعيد وتهديداً غلب تهديد تعليل للأمر بالترك فإن علمهم ذلك علة لترك النهي والنصيحة لهم وفيه إلزام للحجة ومبالغة في الإنذار إذ لا يتحقق الأمر بالصد إلا بعد تكرار الإنذار وتقرر الجحود والإنكار وكذلك ما ترتب عليه من الأكل والتمتع والإلهاء (وما أهلكنا) شروع في بيان سر تأخير عذابهم إلى يوم القيامة وعدم نظمهم في سلك الأمم الدارجة في تعجيل العذاب أي ما أهلكنا (من قرية) من القرى بالحسف بها وبأهلها كما فعل ببعضها أو بإخلائها عن أهلها غلب إهلاكهم كما فعل بآخرين (إلا ولها) في ذلك الشأن (كتاب) أي أجل مقدر مكتوب في اللوح واجب المراجعة بحيث لا يمكن تبدله لوقوعه حسب الحكمة المقتضية له (معلوم) لا ينسى ولا يغفل عنه حتى يتصور التخلف عنه بالتقدم والتأخر فكتاب مبتدأ خبره الظرف والجملة حال من قرية فإنها لعمومها لا سيما بعد تأكده بكلمة من في حكم الموصوفة كما أشير إليه والمعنى ما أهلكنا قرية من القرى في حال من الأحوال إلا حال أن يكون لها كتاب أي أجل موقت لمهلكها قد كتبناه لانهلكها قبل بلوغه معلوم لا يغفل عنه حتى يمكن مخالفته بالتقدم والتأخر أو مرتفع بالظرف والجملة كما هي حال أي ما أهلكنا قرية من القرى في حال من الأحوال إلا وقد كان لها في حق هلاكها كتاب أي أجل مقدر مكتوب في اللوح معلوم لا يغفل عنه أو صفة لكن للقرية المذكورة بل للقدرة التي هي بدل من المذكورة على الاختار فيكون بمنزلة كونه صفة للمذكورة أي ما أهلكنا قرية من القرى إلا قرية لها كتاب معلوم كما في قوله تعالى ليس لهم طعام إلا من ضريع لا يسمن فإن قوله تعالى لا يسمن صفة لكن لا للطعام المذكور لأنه إنما يدل على انحصار طعامهم الذي لا يسمن في الضريع وليس المراد ذلك بل للطعام المقدر بعد إلا أي ليس لهم طعام من شيء من الأشياء إلا طعام لا يسمن فليس فيه فصل بين الموصوف والصفة بكلمة إلا كما توهم وأما توسيط الواو بينهما

١٥ الحجر

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَفْخِرُونَ ﴿٥﴾

١٥ الحجر

وَقَالُوا يَنْتَظِرُ الْآزَىٰ زُورٌ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾

وإن كان القياس عدمه فلا إبدان بكال الانصاف بينهما من حيث إن الواو شأنها الجمع والربط فإن ما نحن فيه من الصفة أقوى لصوقا بالموصوف منها به في قوله تعالى وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون فإن امتناع انفكاك الإهلاك عن الأجل المقدر عقلي وعن الإنذار عادي جرى عليه السنة الإلهية ولما بين أن الأمم المهلكة كان لكل منهم وقت معين لهلاكهم لم يكن إلا حسبما كان مكتوباً في اللوح بين أن كل أمة من الأمم ومن غيرهم لها كتاب لا يمكن التقدم عليه ولا التأخر عنه فقيل (ما تسبق من أمة) من الأمم المهلكة وغيرهم (أجلها) المكتوب في كتابها أي لا يجيء هلاكها قبل مجيء كتابها أو لا تمضي أمة قبل مضي أجلها فإن السبق إذا كان واقعاً على زمان فمعناه المجاوزة والتخليف فإذا قلت سبق زيد عمرأ فمعناه أنه جاوزه وخلفه وراه وإذا كان واقعاً على زمان كان الأمر بالعكس والسر في ذلك أن الزمان يعتبر فيه الحركة والتوجه إلى المتكلم فما سبقه يتحقق قبل تحققه وأما الزمان فإنما يعتبر فيه الحركة والتوجه إلى ما سيأتي من الزمان فالسابق ما تقدم إلى المقصد وإيراده بعنوان الأجل باعتبار ما يقتضيه من السبق كما أن إيراده بعنوان الكتاب المعلوم باعتبار ما يوجب من الإهلاك (وما يستأخرون) أي وما يتأخرون وصيغة الاستفعال للإشعار بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له وإيثار صيغة المضارع في الفعلين بعد ما ذكر نفي الإهلاك بصيغة الماضي لأن المقصود بيان دوامهما واستمرارهما فيما بين الأمم الماضية والباقية وإسنادهما إلى الأمة بعد إسناد الإهلاك إلى القرية لما أن السبق والاستئثار حال الأمة دون القرية مع ما في الأمة من العموم لأهل تلك القرى وغيرهم ممن أخرت عقوباتهم إلى الآخرة وتأخير ذكر عدم تأخرهم عن ذكر عدم سبقهم مع كون المقام مقام المبالغة في بيان تحقق عذابهم إما باعتبار تقدم السبق في الوجود وإما باعتبار أن المراد بيان سر تأخير عذابهم مع استحقاقهم لذلك وإيراد الفعل على صيغة جمع المذكر للحمل على المعنى مع التغليب ولرعاية الفواصل ولذلك حذف الجار والمجرور والجملة مبينة لما سبق والمعنى أن تأخير عذابهم إلى يوم القيامة حسبما أشير إليه ببيان ودادتهم للإسلام إذ ذاك وبالأمم بتركهم وشأنهم إلى أن يعلموا حقيقة الحال إنما هو لتأخر أجلهم المقدر لما يقتضيه من الحكم البالغة ومن جملتها ما علم الله تعالى من إيمان بعض من يخرج منهم إلى يوم القيامة (وقالوا) شروع في بيان كفرهم بمن أنزل عليه الكتاب بعد بيان كفرهم بالكتاب وما يثول إليه حالهم والقائلون مشركو مكة لغاية تماديهم في العتو والغى (بأيها الذي نزل عليه الذكر) خاطبوا به رسول الله ﷺ لاتسليم ذلك واعتقاداً له بل استنزاه به عليه الصلاة والسلام وإشعاراً بعله حكمهم الباطل في قولهم (إنك لمجنون) كدأب فرعون إذ قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون يعنون يا من يدعى مثل هذا الأمر البديع الخارق للعادات إنك بسبب تلك الدعوى أو بشهادة ما يعتربك عند ما تدعى أنه ينزل عليك لمجنون

١٥ الحجر

لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِن كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ ﴿٧﴾

١٥ الحجر

مَا نُنَزِّلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ﴿٨﴾

و تقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل لأن إنكارهم متوجه إلى كون النازل ذكر أم من الله تعالى لا إلى كون المنزل عليه رسول الله بعد تسليم كون النازل منه تعالى كما في قوله تعالى لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فإن الإنكار هناك متوجه إلى كون المنزل عليه رسول الله تعالى وإبراد الفعل على صيغة المجهول لإيهام أن ذلك ليس بفعل له فاعل أو لتوجيه الإنكار إلى كون التنزيل عليه لا إلى استناده إلى الفاعل (لو ما تأتينا) كلمة لو عند تركبها مع ما تفيد ما تفيد عند تركبها مع لا من ٧ معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى التخصيص خلا أنه عند إزادته لا يليها إلا فعل ظاهر أو مضمّر وعند إرادة المعنى الأول لا يليها إلا اسم ظاهر أو مقدر عند البصريين والمراد ههنا هو الثاني أي هلا تأتينا (بالملائكة) يشهدون بصحة نبوتك ويعضدونها في الإنذار كقوله تعالى لولا أنزل عليه ملك * فيكون معه نذيراً أو يعاقبونا على التكذيب كما تأتي الأسماء المكذبة لرسلهم (إن كنت من الصادقين) * في دعواك فإن قدرة الله تعالى على ذلك مما لا ريب فيه وكذا احتياجك إليه في تمشية أمرك فإننا لا نصدقك بدون ذلك أو إن كنت من جملة تلك الرسل الصادقين الذين عذبت أهمهم المكذبة لهم (ما نزل الملائكة) ٨ بالنون على بناء الفعل لضمير الجلالة من التنزيل وقرئ من الإنزال وقرئ تنزل مضارعاً من التنزيل على صيغة البناء للمفعول ومن التنزيل بحذف إحدى التامين وماضياً منه ومن التنزيل ومن الثلاثي وهو كلام مسوق إلى النبي ﷺ جواباً لهم عن مقالاتهم المحكية ورداً لاقتراحهم الباطل ولشدة استدعاء ذلك للجواب قدم رده على ما هو جواب عن أولها أعني قوله إنا نحن نزلنا الذكر الآية كما فعل في قوله تعالى قال إنا يا نبيكم به الله فإنه مع كونه جواباً عن قولهم فأتينا بما تعدنا قدم على قوله ولا ينفعكم نصحي الآية مع كونه جواباً عن أول كلامهم الذي هو قولهم يأنوح قد جادلتنا لما ذكر من شدة اقتضائه للجواب وليكون أحد الجوابين متصلاً بالسؤال وفي العكس يلزم انفصال كل من الجوابين عن سؤاله والعدول عن تطبيقه لظاهر كلامهم بصدده الافتراح وهو أن يقال ما تأتيناهم بهم للإبذان بأنهم قد أخطوا في التعبير حسبما أخطوا في الافتراح وأن الملائكة لعلو رتبهم أعلى من أن ينسب إليهم مطلق الإتيان الشامل للانتقال من أحد الأماكن المتساوية إلى الآخر منها بل من الأسفل إلى الأعلى وأن يكون مقصود حركانهم أو تلك الكفرة وأن يدخلوا تحت ملكوت أحد من البشر وإنما الذي يليق بشأنهم النزول من مقامهم العالي وكون ذلك بطريق التنزيل من جناب الرب الجليل (إلا بالحق) أي ملتبساً بالوجه الذي يحق ملازمة التنزيل به بما تقتضيه الحكمة وتجري به السنة الإلهية كقوله سبحانه وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق والذي اقترحوه من التنزيل لأجل الشهادة لديهم وهم هم ومنزلاتهم في الحقارة والهوان منزلتهم مما لا يكاد يدخل تحت الصحة والحكمة أصلاً فإن ذلك من باب التنزيل بالوحي الذي لا يكاد يفتح على غير الأنبياء الكرام من

أفراد كل المؤمنين فكيف على أمثال أولئك الكفرة اللثام وإنما الذي يدخل في حقهم تحت الحكمة في الجملة هو التنزيل للتعذيب والاستئصال كما فعل بأضربهم من الأمم السالفة ولو فعل ذلك لاستؤصلوا بالمرة (وما كانوا إذا منتظرين) جزاء الشرط مقدر وفيه إيذان بإنتاج مقدماتهم لنقيض مطلوبهم كما في قوله تعالى وإذن لا يلبثون خلافك إلا قليلا قال صاحب النظم لفظة إذن مركبة من إذ وهو اسم بمعنى الحين تقول أتيتك إذ جئتني أي حين جئتني ثم ضم إليه أن فصار إذن ثم استنقلوا الهمة فحذفوها فجىء لفظة أن دليل على إضمار فعل بعدها والتقدير وما كانوا إذ أن كان ما طلبوه منظرين والمعنى لو نزلناهم ما كانوا مؤخرين كدأب سائر الأمم المكذبة المستهزئة ومع استحقاقهم لذلك قد جرى قلم القضاء بتأخير عذابهم إلى يوم القيامة حسبا أجمل في قوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل الخ وحال حائل الحكمة بينهم وبين استئصالهم لتعلق العلم والإرادة بازديادهم عذابا وبإيمان بعض ذراريهم وأما نظم إيمان بعضهم في سمط الحكمة فيأباه مقام بيان تماديهم في الكفر والفساد ولجاجهم في المكابرة والعناد هذا هو الذي يستدعيه إعجاز التنزيل الجليل وأما ما قيل في تعليل عدم موافقة التنزيل للحكمة من أنهم حينئذ يكونون مصدقين عن اضطرار أو أنه لا حكمة في أن تأتيكم بصور تشاهدونها فإنه لا يزيدكم إلا لباسا أو أن إنزال الملائكة لا يكون إلا بالحق وحصول الفائدة بإنزالهم وقد علم الله تعالى من حال هؤلاء الكفار أنه لو أنزل إليهم الملائكة لبقوا مصرين على كفرهم فيصير إنزالهم عبثا باطلا ولا يكون حقا فع إخلال كل من ذلك بقطعية الباقي لا يلزم من فرض وقوع شيء من ذلك تعجيل العذاب الذي يفيد قوله تعالى وما كانوا إذا منتظرين هذا على تقدير كون اقتراحهم لإتيان الملائكة لأجل الشهادة أما على تقدير كون ذلك لتعذيبهم فالمعنى إنا ما نزل الملائكة للتعذيب إلا تنزيلا ملتبسا بالحق الذي تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة حتما بحيث لا يحيد عنه ولو نزلناهم حسبا اقترحوا ما كان ذلك التنزيل ملتبسا بمقتضى الحكمة الموجبة لتأخير عذابهم إلى يوم القيامة لارفاق بهم بل تشديدا عليهم كما مر من قبل وحيث كان في نسبة تنزيلهم للتعذيب إلى عدم موافقته الحكمة نوع إيهام لعدم استحقاقهم التعذيب عدل عما يقتضيه الظاهر إلى ما عاينه النظم الكريم فكانه قيل لو نزلناهم ما كانوا منتظرين وذلك غير موافق للحكمة الموجبة لتأخير عذابهم لتشديد عقابهم وقيل المراد بالحق الوحي وقيل العذاب فتدبر (إنا نحن نزلنا الذكور) رد لإنكارهم التنزيل واستهزائهم برسول الله ﷺ بذلك وتسليه له أي نحن بعظم شأننا وعلو جنابنا نزلنا ذلك الذكر الذي أنكروه وأنكروا نزوله عليك ونسبوك بذلك إلى الجنون وعموا منزله حيث بنوا القول للفعول إيماء إلى أنه أمر لا مصدر له وفعل لا فاعل له (وإنا له لحافظون) من كل مالا يليق به فيدخل فيه تكذيبهم له واستهزائهم به دخولا أوليا فيكون وعيدا للمستهزئين وأما الحفظ عن مجرد التعريف والزيادة والنقص وأمثالها فليس بمقتضى المقام فالوجه الحمل على الحفظ من جميع ما يقدح فيه من الطعن فيه والمجادلة في حقيقته ويجوز أن يراد حفظه بالإعجاز دليلا على التنزيل من عنده تعالى إذ لو كان من عند

١٥ الحجر

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾

١٥ الحجر

وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾

١٥ الحجر

كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾

- غير الله طرق عليه الزيادة والنقص والاختلاف وفي سببك الجملتين من الدلالة على كمال الكبرياء والجلالة وعلى غفلة شأن التنزيل ما لا يخفى وفي إيراد الثانية بالجملة الاسمية دلالة على دوام الحفظ والله سبحانه أعلم وقبل الضمير المحرور للرسول ﷺ كقوله تعالى والله يعصمك من الناس وتأخير هذا الكلام وإن كان جواباً عن أول كلامهم الباطل ردأله لما ذكر آنفاً ولا ارتباطه بما يعقبه من قوله تعالى (ولقد أرسلنا) أى رسلاً ١٠ وإنما لم يذكر دلالة ما بعده عليه (من قبلك) متعلق بأرسلنا أو بمحذوف هو نعت المفعول المحذوف أى رسلاً كائنة من قبلك (في شيع الأولين) أى فرقهم وأحزابهم جمع شيعه وهى الفرقة المتفقة على طريقة ومذهب من شاعه إذا تبعه وإضافته إلى الأولين من إضافة الموصوف إلى صفته عند الفراء ومن حذف الموصوف عند البصريين أى شيع الأئمة الأولين ومعنى إرسلهم فيهم جعل كل منهم رسولاً فيما بين طائفة منهم ليتابعوه فى كل ما يأتى ويذكر من أمور الدين (وما يأتىهم من رسول) المراد نبي إتيان كل رسول ١١ لشيعته الخاصة به لا نبي إتيان كل رسول لكل واحدة من تلك الشيع جميعاً أو على سبيل البدل وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة على طريقة حكاية الحال الماضية فإن ما لا تدخل فى الأغلب على مضارع إلا وهو فى معنى الحال ولا على ماض إلا وهو قريب من الحال أى ما أتى شيعه من تلك الشيع رسول خاص بها (إلا كانوا به يستهزمون) كما يفعله هؤلاء الكفرة والجملة فى محل النصب على أنها حال مقدرة من ضمير المفعول فى يأتىهم إذا كان المراد بالإتيان حدوثه أو فى محل الرفع على أنها صفة رسول فإن محله الرفع على الفاعلية أى إلا رسول كانوا به يستهزمون وأما الجر على أنها صفة باعتبار لفظه فيفضى إلى زيادة من الاستغراقية فى الإثبات ويجوز أن يكون منصوباً على الوصفية بأن يقدر الموصوف منصوباً على الاستثناء وإن كان المختار الرفع على البدلية وهذا كما ترى تسليية لرسول الله ﷺ بأن هذه عادة الجمال مع الأنبياء عليهم السلام وحيث كان الرسول مصحوباً بكتاب من عند الله تعالى تضمن ذكر استهزائهم بالرسول استهزاءهم بالكتاب ولذلك قيل (كذلك) إشارة إلى ما دل عليه الكلام السابق من إلقاء الوحى مقروناً ١٢ بالاستهزاء أى مثل ذلك السلك الذى سلكناه فى قلوب أولئك المستهزين برسولهم وبما جاءوا به من الكتب (نسلكه) أى الذكر (فى قلوب المجرمين) أى أهل مكة أو جنس المجرمين فيدخلون فيه دخولا أولاً ونحوه النصب على أنه نعت لمصدر محذوف أو حال منه أى نسلكه سلكاً مثل ذلك السلك أو نسلك السلك حال كونه مثله أى مقروناً بالاستهزاء غير مقبول لما تقتضيه الحكمة فإنهم من أهل الخذلان ليس لهم استحقاق لقبول الحق وصيغة المضارع لكون المشبه به مقدراً فى الوجود وهو السلك الواقع فى الأمام السالفة أو الدلالة على استحضار الصورة والسلك إدخال الشيء فى آخر يقال سلكت الخيط فى الإبرة

١٥ الحجر

لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾

١٥ الحجر

وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾

١٥ الحجر

لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

١٥ الحجر

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾

١٥ الحجر

وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَآنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾

- ١٣ والرح في المطعون (لا يؤمنون به) أى بالذكر حال من ضمير نسلكه أى غير مؤمن به أو بيان للجملة السابقة فلا محل لها وقد جعل الضمير للاستهزاء فيتعين البيانية إلا أن يجعل الضمير المجرور أيضاً على أن الباء للبالسة أى نسلك الاستهزاء في قلوبهم حال كونهم غير مؤمنين بملاسته والحال إما مقدرة أو مقارنة للإيدان بأن كفرهم مقارن للإلقاء كما في قوله تعالى فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به (وقد خلت سنة الأولين) أى قد مضت طريقهم التى سنها الله تعالى في إهلاكهم حين فعلوا ما فعلوا من التكذيب
- ١٤ والاستهزاء وهو استئناف جىء به تكملة للتسلية وتصريحاً بالوعيد والتهديد (ولو فتحنا عليهم) أى على هؤلاء المقترحين المعاندين (باباً من السماء) أى باباً ما لا باباً من أبوابها المعهودة كما قيل ويسرنا لهم الرقى والصعود إليه (فظلوا فيه) في ذلك الباب (يعرجون) بآلة أو بغيرها ويرون ما فيها من العجائب عياناً كما يفيد الظلول أو فظل الملائكة الذين اقترحوا إتيانهم يعرجون في ذلك الباب وهم يرونه عياناً
- ١٥ مستو ضحين طول نهارهم (لقالوا) لفرط عنادهم وغلوهم في المسكارة وتقاديبهم عن قبول الحق (إنما سكرت أبصارنا) أى سدت من الإحساس من السكر كما يدل عليه القراءة بالتخفيف أو حيرت كما يعضده قراءة من قرأ سكرت أى حارت (بل نحن قوم مسحورون) قد سحرنا محمد ﷺ كما قالوه عند ظهور سائر الآيات الباهرة وفي كلمتي الحصر والإضراب دلالة على أنهم يبتنون القول بذلك وأن ما يرونه لا حقيقة له وإنما هو أمر خيل إليهم بالسحر وفي اسمية الجملة الثانية دلالة على دوام مضمونها وإيرادها بعد تمكيد الأبصار لبيان إنكارهم لغير ما يرونه فإن عروج كل منهم إلى السماء وإن كان مرئياً لغيره فهو معلوم بطريق الوجدان مع قطع النظر عن الإبصار فهم يدعون أن ذلك نوع آخر من السحر غير تمكيد الأبصار
- ١٦ (ولقد جعلنا في السماء بروجاً) قصوراً أينزلها السيارات وهى البروج الإثنا عشر المشهورة المختلفة الهيئات والخواص حسبما يدل عليه الرصد والتجربة مع ما اتفق عليه الجمهور من بساطة السماء والجعل إن جعل بمعنى الخلق والإبداع وهو الظاهر فالجار متعلق به وإن جعل بمعنى التصوير فهو مفعول ثان له متعلق بمحذوف أى جعلنا بروجاً كائنة في السماء (وزيناها) أى السماء بتلك البروج المختلفة الأشكال والكواكب
- ١٧ سيارت كانت أو ثوابت (لناظرين) إليها فعنى التزيين ظاهر أول المتفكرين المعبرين المستلذين بذلك على قدرة مقدرها وحكمة مدبرها فتزيينها ترتيبها على نظام بديع مستتبع للأثار الحسنة (وحفظناها من كل

١٥ الحجر

إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾

١٥ الحجر

وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿١٩﴾

١٥ الحجر

وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَاشٍ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾

- شيطان رجم) مرمى بالنجوم فلا يقدر أن يصعد إليها ويوسوس في أهلها ويتصرف فيها ويقف على أحوالها (إلا من استرق السمع) محله النصب على الاستثناء المتصل إن فسر الحفظ بمنع الشياطين عن ١٨ التعرض لها على الإطلاق والوقوف على ما فيها في الجملة أو المنقطع إن فسر ذلك بالمنع عن دخولها والتصرف فيها. عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات ولما ولد النبي ﷺ منعوا من السموات كلها واستراق السمع اختلاسه سرأ شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات بما بينهم من المناسبة في الجوهر أو بالاستدلال من الأوضاع (فاتبعه) أي تبعه ولحقه (شهاب) لهب محرق وهو شعلة نارية طاعة وقد يطلق على الكواكب والسنان لما فيها من البريق (مبين) ظاهر أمره للبصرين قال معمر قلت لابن شهاب الزهري أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم وإن النجم ينقض ويرمى به الشيطان فيقتله أو يخبله لئلا يعود إلى استراق السمع ثم يعود إلى مكانه قال أفرأيت قوله تعالى وأنا كنا نقعد منها مقاعد الآيات قال غلظت وشد أمرها حين بعث رسول الله ﷺ قال ابن قتبية إن الرجم كان قبل مبعثه ﷺ ولكن لم يكن في شدة الحراسة كما بعد مبعثه ﷺ قال ابن عباس رضي الله عنهما إن الشياطين يركب بعضهم بعضاً إلى السماء الدنيا يسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا يخطيء أبداً فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه وجنبه ويده حيث يشاء الله تعالى ومنهم من يخبله فيصير غولاً فيضل الناس في البوادي. قال القرطبي اختلفوا في أن الشهاب هل يقتل أم لا قال ابن عباس رضي الله عنهما يحرق ويخبل ولا يقتل وقال الحسن وطائفة يقتل قال والاول أصح (والأرض مددناها) بسطانها وهو بالنصب على الحذف على شريطة ١٩ التفسير ولم يقرأ بالرفع لرجحان النصب للعطف على الجملة الفعلية أعني قوله تعالى ولقد جعلنا الخ وإياك ما بعده أعني قوله تعالى (والقينا فيها رواسي) أي جبالات ثابتة وقد مر بيانه في أول الرعد (وأنبتنا فيها) أي في الأرض أو فيها وفي رواسيها (من كل شيء موزون) بميزان الحكمة ذاتاً وصفة ومقداراً وقيل ما يوزن من الذهب والفضة وغيرهما أو من كل شيء مستحسن مناسب أو ما يوزن ويقدر من أبواب النعمة (وجعلنا لكم فيها معاش) ما يعيشون به من المطاعم والملابس وغيرهما مما يتعلق به البقاء وهي بياء صريحة ٢٠ وقرئ بالهمزة تشبيهاً بالشئ (ومن لستم له برازقين) عطف على معاش أو على محل لكم كأنه قيل جعلنا لكم معاش وجعلنا لكم من لستم برازقيه من العيال والماليك والخدم والدواب وما أشبهها على طريقة التغليب وذكرهم بهذا العنوان لرد حسابهم أنهم يكفون مؤناتهم ولتحقيق أن الله تعالى هو الذي يرزقهم وإياهم أو وجعلنا لكم فيها معاش ولمن لستم له برازقين.

١٥ الحجر

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾

وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاحٍ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ ١٥ الحجر

١٥ الحجر

وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾

- ٢١ (وإن من شيء) إن للشيء ومن مزبدة للتأكيد وفي محل الرفع على الابتداء أي ما من شيء من الأشياء
 * الممكنة فيدخل فيه ما ذكر دخولا أولياً (إلا عندنا خزائنه) الظرف خبر للببتداء وخزائنه مرتفع به
 على أنه فاعله لا عبادته أو خبر له والجملة خبر للببتداء الأول والخزان جمع الخزانة وهي ما يحفظ فيه نفائس
 الأموال لا غير غلب في العرف على ما للملوك والسلاطين من خزائن أرزاق الناس شبهت مقدوراته
 تعالى الفائتة للحصر المندرجة تحت قدرته الشاملة في كونها مستورة عن علوم العالمين ومصونة عن وصول
 أيديهم مع كمال افتقارهم إليها ورغبتهم فيها وكونها مهيأة متأنية لإيجاده وتكوينه بحيث متى تعلقت
 الإرادة بوجودها وجدت بلاتأخر بنفائس الأموال المخزونة في الخزائن السلطانية فذكر الخزائن على
 * طريقة الاستعارة التخيلية (وما ننزله) أي ما نوجد وما نكون شيئاً من تلك الأشياء ملتبساً بشيء من
 * الأشياء (إلا بقدر معلوم) أي إلا ملتبساً بمقدار معين تقتضيه الحكمة وتستدعيه المشيئة التابعة لها لا
 بما تقتضيه القدرة فإن ذلك غير متناه فإن تخصيص كل شيء بصفة معينة وقدر معين ووقت محدود دون
 ما عدا ذلك مع استواء الكل في الإمكان واستحقاق تعلق القدرة به لا بد له من حكمة تقتضي اختصاص
 كل من ذلك بما اختص به وهذا البيان سر عدم تكوين الأشياء على وجه الكثرة حسباً هو في خزائن
 القدرة وهو إما عطف على مقدر أي ننزله وما ننزله الخ أحوال مما سبق أي عندنا خزائن كل شيء والحال
 أنا ما ننزله إلا بقدر معلوم فالأول لبيان سعة القدرة والثاني لبيان بالغ الحكمة وحيث كان إنشاء ذلك
 بطريق التفضل من العالم العلوي إلى العلم السفلي كما في قوله تعالى وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج
 ٢٢ وكان ذلك بطريق التدرج عبر عنه بالنزول وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار (وأرسلنا الرياح)
 عطف على جعلنا لكم فيها معابش وما بينها اعتراض لتحقيق ما سبق وترشيح ما لحق أي أرسلنا الرياح
 * (لواقيح) أي حوامل شبهت الريح التي تهب بالخير من إنشاء سحب ماطر بالحامل كما شبه بالعقيم ما لا
 يكون كذلك أو ملاقيحات بالشجر والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات في قوله [وتختبئ مما تطيح
 * الطوائح] أي المملكات وقرئ: وأرسلنا الريح على إرادة الجنس (فأنزلنا من السماء) بعد ما أنشأ ما بتلك
 * الرياح سحباً ماطرأ (ماء فأسقيناكموه) أي جعلناه لكم سقياً وهو أبلغ من سقيناكموه لما فيه من الدلالة
 * على جعل الماء معداً لهم ينتفعون به متى شاءوا (وما أنتم له بخازنين) نفي عنهم ما أنبته لجنابه بقوله وإن من
 شيء إلا عندنا خزائنه كأنه قيل نحن القادرون على إيجاده وخزونه في السحاب وإنزاله وما أنتم على ذلك
 بقادرين وقيل ما أنتم بخازنين له بعد ما أنزلناه في الغدران والآبار والعيون بل نحن نخزنه فيها لنجعلها
 ٢٣ سقياً لكم مع أن طبيعة الماء تقتضي الغور (وإننا لنحن نحيي) بإيجاد الحياة في بعض الأجسام القابلة لها

وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْرِبِينَ ﴿٢٤﴾

١٥ الحجر

وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

١٥ الحجر

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٦﴾

١٥ الحجر

- (ونبت) يازالتها عنها وقد يعمم الإحياء والإماتة لما يشمل الحيوان والنبات وتقديم الضمير للحصر وهو إما تأكيد للأول أو مبتدأ خبره الفعل والجملة خبر لأننا ولا يجوز كونه ضمير الفصل لا لأن اللام مانعة من ذلك كما قيل فإن النجاة جوزوا دخول لام التأكيدي على ضمير الفصل كما في قوله تعالى إن هذا هو القصاص الحق بل لأنه لم يقع بين اسمين (ونحن الوارثون) أى الباقيون بعد فناء الخلق قاطبة المالكون الملك عند انقضاء زمان الملك المجازى الحاكمون فى الكل أولاً وآخرأ وليس لهم إلا التصرف الصورى والمالك المجازى وفيه تنبيه على أن المتأخر ليس بوارث المتقدم كما يترأى من ظاهر الحال (ولقد علمنا ٢٤ المستقدمين منكم) من تقدم منكم ولادة وموتاً (ولقد علمنا المستأخرين) من تأخر ولادة وموتاً أو من خرج من أصلاب الآباء ومن لم يخرج بعد أو من تقدم فى الإسلام والجهاد وسبق إلى الطاعة ومن تأخر فى ذلك لا يخفى علينا شيء من أحوالكم وهو بيان لكامل عليه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فإن ما يدل عليها دليل عليه وفى تكرير قوله تعالى ولقد علمنا ما لا يخفى من الدلالة على كمال التأكيدي وقيل رغب رسول الله ﷺ فى الصف الأول فازدحموا عليه فنزلت وقيل إن امرأة حسناء كانت تصلى خلف رسول الله ﷺ فتقدم بعض الناس لئلا يراها وتأخر آخرون ليروها فنزلت والأول هو المناسب لما سبق وما لحق من قوله تعالى (وإن ربك هو يحشرهم) أى للجزاء وتوسيط ضمير العظمة للدلالة على أنه هو القادر ٢٥ على حشرهم والمتولى له لا غير لأنهم كانوا يستبعدون ذلك ويستنكرونه ويقولون من يحى العظام وهى رميم أى هو يحشرهم لا غير وفى الالتفات والتعرض لعنوان الربوبية إشعار بعلية الحكم وفى الإضافة إلى ضمير ﷺ دلالة على اللطف به عليه الصلاة والسلام (إنه حكيم) بالغ الحكمة متقن فى أفعاله فإنها عبارة عن العلم بحقائق الأشياء على ما هى عليه والإتيان بالأفعال على ما ينبغى (عليم) وسع علمه كل شيء ولعل تقديم صفة الحكمة للإيدان باقتضائها للحشر والجزاء (ولقد خلقنا الإنسان) أى هذا النوع بأن خلقنا أصله وأول فرد من ٢٦ أفراده خلقاً بديعاً منطويأ على خلق سائر أفراده انطواءً إجمالياً كما مر تحقيقه فى سورة الأنعام (من صلصال) من طين يابس غير مطبوخ بصلصال أى بصوت عند نقره قيل إذا توهمت فى صوته مدأفه وصليل وإن توهمت فيه ترجيحاً فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل إذا أنتن (من حمأ) من طين تغير واسود بطول مجاورة الماء وهو صفة لصلصال أى من صلصال كائن من حمأ (مسنون) أى مصور من سنة الوجه وهى صورته أو مصبوب من سن الماء صبه أى مفرغ على هيئة الإنسان كما يفرغ الصور من الجواهر المذابة فى القوالب وقيل منتن فهو صفة لحما وعلى الأولين حقه أن يكون صفة لصلصال وإنما أخرج عن حمأ تنبيهاً على أن ابتداء

١٥ الحجر

وَالْجَنَّانَ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾

١٥ الحجر

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٨﴾

١٥ الحجر

فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾

مسنونيته ليس في حال كونه صلصالا بل في حال كونه حما كانه سبحانه أفرغ الحما فصور من ذلك تمثال
 ٢٧ إنسان أجوف فيس حتى إذا نقر صوت ثم غيره إلى جوهر آخر فتبارك الله أحسن الخالقين (والجان)
 أبا الجن وقيل إبليس ويجوز أن يراد به الجنس كما هو الظاهر من الإنسان لأن تشعب الجنس لما كان
 من فرد واحد مخلوق من مادة واحدة كان الجنس بأسره مخلوقا منها وقرى بالهمزة وانتصابه بفعل يفسره
 * (خلقه) وهو أقوى من الرفع للعطف على الجملة الفعلية (من قبل) من قبل خلق الإنسان ومن هذا
 * يظهر جواز كون المراد بالمستقدمين أحد الثقلين وبالمستأخرين الآخر والخطاب بقوله منكم للكل (من
 نار السموم) من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا امتناع من خلق الحياة في الأجرام البسيطة كما
 لا امتناع من خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الأجسام المولفة التي غالب أجزائها الجزء الناري فإنها
 أقبل لها من التي غالب أجزائها الجزء الأرضي وقوله تعالى من نار باعتبار الغالب كقوله تعالى خلقكم
 من تراب ومساق الآية السكرية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تعالى ويان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه
 ٢٨ على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها إمكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والإحياء (وإذ قال ربك)
 نصب يا ضمرا اذكر وتذكير الوقت لما مر مرارا من أنه أدخل في تذكير ما وقع فيه من الحوادث وفي
 التعرض لوصف الربوبية المنبئة عن تبليغ الشيء إلى كماله اللائق به شيئا فشيئا مع الإضافة إلى ضميره
 عليه الصلاة والسلام إشعار بعلو الحكم وتشريف له عليه الصلاة والسلام أي اذكر وقت قوله تعالى
 * (لئلا تك إني خالق) فيما سيأتي وفيه مالميس في صيغة المضارع من الدلالة على أنه تعالى فاعل له البتة من
 * غير صارف يثنيه ولا عاطف يلويه (بشرا) أي إنسانا قيل ليس هذا عين العبارة الجارية وقت الخطاب
 بل الظاهر أن يكون قد قيل لهم إني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكن اقتصر عند الحكاية على
 * الاسم وقيل جسما كشيئا يلاق ويباشرو قيل خلقا بادى البشر بلا صوف ولا شعرة (من صلصال) متعلق
 * بخالق أو بمحذوف وقع صفة لمفعوله أي بشرا كائننا من صلصال كائن (من حمال مسنون) تقدم تفسيره
 ولا يتنافى هذا ما في قوله تعالى في سورة ص من قوله بشرا من طين فإن عدم التعرض عند الحكاية لوصف
 الطين من التغير والاسوداد ولما ورد عليه من آثار التكوين لا يستلزم عدم التعرض لذلك عند وقوع
 ٢٩ المحكي غايته أنه لم يتعرض له هناك اكتفاء بما شرح هنا (فإذا سويته) أي صورته بالصورة الإنسانية
 * والخلقة البشرية أو سويت أجزاء بدنه بتعديل طباعته (ونفخت فيه من روعي) النفخ إجراء الريح إلى
 تجويف جسم صالح لإمساكها والامتلاء بها وليس نمة نفخ ولا منفوخ وإنما هو تمثيل لإفاضة ما به الحياة
 بالفعل على المادة القابلة لها أي فإذا كملت استعدادده وأفضت عليه ما يحيا به من الروح التي هي من أمري

١٥ الحجر

فَسَجِدَ الْمَلَائِكَةَ كُلَّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾

١٥ الحجر

إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾

١٥ الحجر

قَالَ يَبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾

- (فقعوا له) أمر من وقع بقع وفيه دليل على أن ليس المأمور به مجرد الانحناء كما قيل أى اسقطوا له
- (ساجدين) تحية له وتعظيماً أو اسجدوا لله تعالى على أنه عليه الصلاة والسلام بمنزلة القبلة حيث ظهر فيه تعاجيب آثار قدرته تعالى وحكمته كقول حسان رضى الله تعالى عنه [أليس أول من صلى لقبلكم * وأعلم الناس بالقرآن والسنن] (فسجد الملائكة) أى خلقه فسواه فنفخ فيه الروح فسجد الملائكة (كلهم) ٣٠
- بحيث لم يشذ منهم أحد (أجمعون) بحيث لم يتأخر فى ذلك أحد منهم عن أحد ولا اختصاص لإفادة هذا المعنى بالحالية بل يفيد التأكيد أيضاً فإن الاشتقاق الواضح يرشد إلى أن فيه معنى الجمع والمعية بحسب الوضع والأصل فى الخطاب التنزيل على أكل أحوال الشئ ولا ريب فى أن السجود معاً أكمل أصناف السجود لكن شاع استعماله تأكيداً وأقيم مقام كل فى إفادة معنى الإحاطة من غير نظر إلى الكمال فإذا فهمت الإحاطة من لفظ آخر لم يكن بد من مراعاة الأصل صوتاً للكلام عن الإلغاء وقيل أكد بتأكيدين مبالغة فى التعميم هذا وأما أن سجودهم هذا هل ترتب على ما حكى من الأمر التعاقب كما تقتضيه هذه الآية الكريمة والى فى سورة ص أو على الأمر التنجيزى كما يستدعيه ما فى غيرهما فقد خرجنا بفضل الله عز وجل عن عهدة تحقيقه فى تفسير سورة البقرة (إلا إبليس) استثناء متصل إما لأنه كان جنيماً مفرداً مغموراً ٣١
- بالوف من الملائكة فقد منهم تغليباً وإما لأن من الملائكة جنساً يتوالدون وهو منهم وقوله تعالى (أبى أن يكون مع الساجدين) استئناف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء فإن مطلق عدم السجود قد يكون مع التردد وبه علم أنه مع الإباء والاستكبار أو منقطع فيتصل به ما بعده أى لكن إبليس أبى أن يكون معهم وفيه دلالة على كمال ركاكة رأيه حيث أدمج فى معصية واحدة ثلاث معاص مخالفة الأمر والاستكبار مع تحقير آدم عليه الصلاة والسلام ومفارقة الجماعة والإباء عن الانتظام فى سلك أولئك المقربين الكرام (قال) استئناف مبنى على سؤال من قال فماذا قال الله تعالى عند ذلك فقيل قال (يا إبليس مالك) أى أى سبب لك لا أى غرض لك كما قيل لقوله تعالى ما منعك (ألا تكون) فى أن لا تكون (مع) الساجدين) لآدم مع أنهم هم ومنزلتهم فى الشرف ومنزلتهم وما كان التوبيخ عند وقوعه لمجرد تخلفه عنهم بل لكل من المعاصى الثلاث المذكورة قال تعالى فى سورة الأعراف قال ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك وفى سورة ص قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ولكن اقتصر عند الحكاية فى كل موطن على ما ذكر فيه اجتزاء بما ذكر فى موطن آخر وإشعاراً بأن كل واحدة من تلك المعاصى الثلاث كافية فى التوبيخ وإظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ رأساً فى سورة البقرة وسورة نبي إسرائيل وسورة الكهف وسورة طه .

١٥ الحجر

قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَتَجِدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَاصِلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٣﴾

١٥ الحجر

قَالَ فَأَخْرَجَ مِنْهَا فِائِكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾

١٥ الحجر

وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾

٣٣ (قال) أى إبليس وهو أيضاً استئناف مبنى على السؤال الذى ينساق إليه الكلام (لم أكن لأسجد)

اللام لنا كبعد النفي أى ينافى حالى ولا يستقيم منى لأنى مخلوق من أشرف العناصر وأعلاها أن أسجد

• (لبشر) أى جسم كثيف (خلقته من صلصال من حمأ مسنون) اقتصر ههنا على الإشارة الإجمالية إلى

ادعاء الخيرية وشرف المادة اكتفاء بما صرح به حين قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين

ولم يكتف اللعين بمجرد ذكر كونه عليه الصلاة والسلام من التراب الذى هو أخس العناصر وأسفلها

بل تعرض لكونه مخلوقاً منه فى أخس أحواله من كونه طيناً متغيراً وقد اكتفى فى سورة الأعراف

وسورة ص بما حكى عنه ههنا فاقصر على حكاية تعرضه لخلقته عليه الصلاة والسلام من طين وكذا فى

سورة بنى إسرائيل حيث قيل أسجد لمن خلقت طيناً وفى جوابه دليل على أن قوله تعالى مالك ليس

استفساراً عن الغرض بل هو استفسار عن السبب وفى عدوله عن تطبيق جوابه على السؤال روم

للتفصى عن المناقشة وأنى له ذلك كأنه قال لم أمتنع عن امتثال الأمر ولا عن الانظام فى سلك الملائكة

بل عما لا يليق بشأنى من الخضوع للفضول ولقد جرى خذله الله تعالى على سنن قياس عقيم وزل

عنه أن ما يدور عليه فلك الفضل والكمال هو التحلى بالمعارف الربانية والتخلى عن الملكات الردية التى

أقبحها التكبر والاستعصاء على أمر رب العالمين جلا جلاله (قال فأخرج منها) أى من زمرة الملائكة

المعززين لآمن السماء فإن وسوسته لأدم عليه الصلاة والسلام فى الجنة إنما كانت بعد هذا الطرد وقوله

تعالى فاهبط منها ليس نصافى ذلك فإن الخروج من بين الملائكة على هبوط وأى هبوط أو من الجنة على

أن وسوسته كانت بطريق النداء من بابها كما روى عن الحسن البصرى أو بطريق المشافهة بعد أن احتال فى

دخولها وتوسل إليه بالحية كما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ولا ينافى هذا طرده على رموس

• الاثمهالما يقتضيه من الحكم البالغة (فإنك رجم) مطرود من كل خير وكرامة فإن من يطرد يرمم

بالحجارة أو شيطان يرمم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته فإن من عارض النص بالقياس

٣٥ فهو رجم ملعون (وأن عليك اللعنة) الإبعاد عن الرحمة وحيث كان ذلك من جهة الله سبحانه وإن كان

• جارياً على السنة العباد قيل فى سورة ص وإن عليك لعنتى (إلى يوم الدين) إلى يوم الجزاء والعقوبة وفيه

إشعار بتأخير عقابه وجزائه إليه وأن اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء لفعله وإنما يتحقق ذلك يومئذ

وفيه من التهويل مالا يوصف وجعل ذلك أقصى أمد اللعنة ليس لأنها تنقطع هنالك بل لأنه عند ذلك

يعذب بما ينسب به اللعنة من أقانين العذاب فتصير كالأزائل وقيل إنما حدث به لأنه أبعد غاية يضر بها

الناس كقوله تعالى خالدين فيها مادامت السموات والأرض وحيث أمكن كون تأخير العقوبة مع الموت

قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾

١٥ الحجر

قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾

١٥ الحجر

إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾

١٥ الحجر

كسائر من أخرت عقوباتهم إلى الآخرة من الكفرة طلب اللعين تأخير موته كما حكى عنه بقوله تعالى (قال رب أنظرني) أي أمهلني وأخرني ولا تمتني والفاء متعلق بمحذوف ينسحب عليه الكلام أي إذ جعلتني رجماً فأمرهني (إلى يوم يبعثون) أي آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم وأراد بذلك أن يجد فسحة لإغوائهم * وبأخذ منهم ثأره وينجو من الموت لاستحالاته بعد يوم البعث (قال فإنك من المنظرين) ورود الجواب ٣٧ بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول مأسأله لآخرين على وجه يؤذن بكون السائل تبعاً لهم في ذلك دليل على أنه إخبار بالإنظار المقدر لهم ألا لا لإنشاء لإنظار خاص به وقع إجابة لدعائه أي إنك من جملة الذين أخرت آجالهم ألا حسبما تقتضيه حكمة التكوين فالفاء ليست لربط نفس الإنظار بالاستنظار بل لربط الإخبار المذكور به كما في قوله [فإن ترحم فانت لذاك أهل] فإنه لا إمكان لجعل الفاء فيه لربط ما فيه تعالى من الأهلية القديمة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هي لربط الإخبار بتلك الأهلية للرحمة بوقوعها وأن استنظاره كان طلباً لتأخير الموت إذ به يتحقق كونه من جملة من لا لتأخير العقوبة كما قيل ونظمه في ذلك في سلك من أخرت عقوباتهم إلى الآخرة في علم الله تعالى عن سبق من الجن ولحق من الثقلين لا يلائم مقام الاستنظار مع الحياة ولأن ذلك التأخير معلوم من إضافة اليوم إلى الدين مع إضافته في السؤال إلى البعث كما عرفته وفي سورة الأعراف قال أنظرني إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين بترك التوقيت والنداء والفاء في الاستنظار والإنظار تعويلاً على ما ذكره من أن في سورة ص فإن إيراد كلام واحد على أساليب متعددة غير عزيز في الكتاب العزيز وأما أن كل أسلوب من أساليب النظم الكريم لا بد أن يكون له مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره وأن ما حكى من اللعين إنما صدر عنه مرة وكذا جوابه لم يقع إلا دفعة فمقام المحاورة إن اقتضى أحد الأساليب المذكورة فهو المطابق لمقتضى الحال والبالغ إلى طبقة الإعجاز وماعده قاصر عن رتبة البلاغة فضلاً عن الارتقاء إلى معالم الإعجاز فقد مر تحقيقه بوفيق الله تعالى في سورة الأعراف (إلى يوم الوقت المعلوم) وهو وقت النفخة الأولى التي علم أنه يصعق عندها من في ٣٨ السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله تعالى ويجوز أن يكون المراد بالأيام واحداً والاختلاف في العبارات لاختلاف الاعتبارات فالتعبير بيوم البعث لأن غرض اللعين به يتحقق ويوم الدين لما ذكر من الجزاء ويوم الوقت المعلوم لما ذكر أولاً استنثاره تعالى بعلبه فلعل كلا من هلاك الخلق جميعاً وبعثهم وجزائهم في يوم واحد يموت اللعين في أوله ويبعث في أواسطه ويعاقب في بقيته يروى أن بين موته وبعثه أربعين سنة من سنى الدنيا مقدار ما بين النفختين ونقل عن الأحنف بن قيس رحمه الله تعالى أنه قال قدمت المدينة أريد أمير المؤمنين عمر رضي الله تعالى عنه فإذا أنا بحلقة عظيمة وكعب الأحبار فيها يحدث

١٥ الحجر

قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾

١٥ الحجر

إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾

الناس وهو يقول لما حضر آدم عليه الصلاة والسلام الوفاة قال يارب سببتم بي عدوى إبليس إذا رأي
 ميتاً وهو منظر إلى يوم القيامة فأجيب أن يا آدم إنك ستردد إلى الجنة وتؤخر اللعين إلى النظرة ليدوق
 ألم الموت بعدد الأولين والآخرين ثم قال للملك الموت صف كيف تذيقه الموت فلما وصفه قال يارب
 حسبي فضج الناس وقالوا يا أبا إسحق كيف ذلك فأبى فالحوا فقال يقول الله سبحانه للملك الموت عقيب
 النفخة الأولى قد جعلت فيك قوة أهل السموات السبع وأهل الأرضين السبع وإني ألبستك اليوم
 أثواب السخط والغضب كلما نزل بغضبي وسطوتني على رجليي إبليس فأذقه الموت واحمل عليه فيه
 مرارة الأولين والآخرين من الثقلين أضعافاً مضاعفة وليكن معك من الزبانية سبعون ألفاً قد امتلأوا
 غيظاً وغضباً وليكن مع كل منهم سلسلة من سلاسل جهنم وغل من أغلالها وانزع روحه المنتين بسبعين
 ألف كلاب من كلابها وناد مالكا ليفتح أبواب النيران فينزل ملك الموت بصورة لو نظر إليها أهل
 السموات والأرضين لما توارى بغتة من هولها فيذهب إلى إبليس فيقول قف لي يا خبيث لا تذيقك الموت
 كم من عمر أدركت وقرون أضلكت وهذا هو الوقت المعلوم قال فيهرب اللعين إلى المشرق فإذا هو بملك
 الموت بين عينيه فيهرب إلى المغرب فإذا هو به بين عينيه فيغوص البحار فتزمنه البحار فلا تقبله فلا يزال
 يهرب في الأرض ولا يحيص له ولا ملاذ ثم يقوم في وسط الدنيا عند قبر آدم ويتمرغ في التراب من
 المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق حتى إذا كان في الموضع الذي أهبط فيه آدم عليه الصلاة
 والسلام وقد نصبت له الزبانية الكلاب وصارت الأرض كالجرة احتوشته الزبانية وطعنوه بالكلاب
 ويبقى في النزوع والعذاب إلى حيث يشاء الله تعالى ويقال لآدم وحواء اطلعا اليوم إلى عدوك كما كيف يذوق الموت
 ٣٩ فيطلعان فينظران إلى ما هو فيه من شدة العذاب فيقولان ربنا أتممت علينا نعمتك (قال رب بما أغويتني)
 * الباء للقسمة وما مصدرية والجواب (لا زين لهم) أي أقسم يا غوائلك إياي لا زين لهم المعاصي (في
 الأرض) أي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى أخلد إلى الأرض وإقسامه بعزة الله المفسرة
 بسلطانه وقهره لا ينافي لإقسامه بهذا فإنه فرع من فروعه وأثر من آثارها فلعله أقسم بهما جميعاً فخسرت
 فسمه بهذا وأخرى بذلك أو للسببية وقوله لا زين جواب قسم محذوف والمعنى بسبب تسبيك لإغوائني
 أقسم لا فعلن بهم مثل ما فعلت بي من التسبيب لإغوائهم بتزيين المعاصي وتسويل الأباطيل والمعتزلة
 أولوا الإغواء بالنسبة إلى الغي أو التسبيب له بأمره إياه بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام واعتذروا
 عن إهمال الله تعالى وتسليطه له على إغواء بني آدم بأنه تعالى قد علم منه ومن تبعه أنهم يوتون على الكفر
 * ويصرون إلى النار أمهل أم لم يعمل وأن في إهماله تعريضاً لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب (ولا غوينهم
 ٤٠ أجمعين) لأجلهم على الغواية (إلا عبادك منهم المخلصين) الذين أخلصتهم اطاعتك وطهرتهم من الشوائب

- ١٥ الحجر قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ ﴿٤١﴾
- ١٥ الحجر إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾
- ١٥ الحجر وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾
- ١٥ الحجر لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾
- ١٥ الحجر إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾

- ٤١ فلا يعمل فيهم كيدى وقرىء بكسر اللام أى الذين أخلصوا نفوسهم لله تعالى (قال هذا صراط) أى حق (على) أن أراعيه (مستقيم) لا عوج فيه والإشارة إلى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من إغوائه * أو الإخلاص على معنى أنه طريق يؤدى إلى الوصول إلى من غير اعوجاج وضلال والأظهر أن ذلك لما وقع فى عبارة إبليس حيث قال لا فعدن لهم صراطك المستقيم ثم لا تبينهم من بين أيديهم ومن خلفهم الآية وقرىء على من علو الشرف (إن عبادى) وهم المشار إليهم بالمخلصين (ليس عليك سلطان) تسلط ٤٢ وتصرف بالإغواء (إلا من اتبعك من الغاوين) وفيه مع كونه تحقيقاً لما قاله اللعين تفخيم لشأن المخلصين * وبيان لمنزلة الإغواء وأن إغوائه للغاوين ليس بطريق السلطان بل بطريق اتباعهم له بسوء اختيارهم (وإن جهنم لموعدهم) أى موعد المتبعين أو الغاوين والاول أنسب وأدخل ٤٣ فى الزجر عن اتباعه وفيه دلالة على أن جهنم مكان الوعد وأن الموعود بما لا يوصف فى الفضاءة (أجمعين) * تأكيد للضمير أو حال والعامل فيها الموعد إن جعل مصدر أعلى تقدير المضاف أو معنى الإضافة إن جعل اسم مكان (لها سبعة أبواب) يدخلونها لكثرتهم أو سبع طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم فى الغواية ٤٤ والمتابعة وهى جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية (لكل باب منهم) من الاتباع * أو الغواية (جزء مقسوم) حزب معين مفرز من غيره حسبما يقتضيه استعداده فأعلاها للوحدين والثانية لليهود والثالثة للنصارى والرابعة للصابئين والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما إن جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الأصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للوحدين ولعل حصرها فى السبع لا ينحصر المملكات فى المحسوسات بالحواس الخمس ومقتضيات القوة الشهوية والغضبية وقرىء بضم الزاى وبحذف الهمزة وإلقاء حركتها إلى ما قبلها مع تشديد ها فى الوقف والوصل ومنهم حال من جزء أو من ضميره فى الظرف لا فى مقسوم لأن الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها (إن المتقين) من اتباعه فى الكفر ٤٥ والفواحش فإن غيرهم مكفر (فى جنات وعيون) أى مستقرون فيها خالدون لكل واحد منهم جنة وعين * منهما كقوله تعالى ولئن خاف مقام ربه جنتان وقرىء بكسر العين حيث وقع فى القرآن العظيم .

١٥ الحجر

أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾

١٥ الحجر

وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾

١٥ الحجر

لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾

١٥ الحجر

نَبِيِّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾

١٥ الحجر

وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾

١٥ الحجر

وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾

- ٤٦ (ادخلوها) على إرادة القول أسراً من الله تعالى لهم بالدخول وقرىء أدخلوها أسراً منه تعالى للبلائكة
 * بإدخالهم وقرأ الحسن أدخلوها مبنياً للمفعول على صيغة الماضي من الإدخال (بسلام) ملتبسين بسلام
 ٤٧ أى سالمين أو مسلماً عليكم (آمنين) من الآفات والزوال (ونزعنا ما في صدورهم من غل) أى حقد كان
 في الدنيا وعن على رضى الله تعالى عنه أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم رضوان الله
 * تعالى عليهم أجمعين (إخواناً) حال من الضمير في قوله تعالى في جنات أو من فاعل أدخلوها أو من الضمير
 * في آمنين أو الضمير المضاف إليه والعامل فيه معنى الإضافة وكذلك قوله تعالى (على سرر متقابلين) ويجوز
 كونهما صفتين لإخواناً أو حالين من ضميره لأنه بمعنى متصافين وكون الثاني حالا من المستكن في
 ٤٨ الأول وعن مجاهد تدور بهم الأسيرة حيثما داروا فهم متقابلون في جميع أحوالهم (لا يمسهم فيها نصب)
 أى تعب بأن لا يكون لهم فيها ما يوجب من الكد في تحصيل ما لا بد لهم منه لحصول كل ما يريدونه من
 غير مزاوله عمل أصلاً أو بأن لا يعتريهم ذلك وإن باشروا الحركات العنيفة لكمال قوتهم وهو استئناف
 * أو حال بعد حال أو حال من الضمير في متقابلين (وما هم منها بمخرجين) أبدأ لأن تمام النعمة بالخلود
 ٤٩ ، ٥٠ (نبي عبادي) وهم الذين عبر عنهم بالمتقين (أنى أنا الغفور الرحيم) (وأن عذاب هو العذاب
 الأليم) فذلك لما سلف من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة إشعار بأن ليس المراد بالمتقين
 من يتقى جميع الذنوب كبيرها وصغيرها وفي وصف ذاته تعالى بها وبالرحمة على وجه القصر دون التعذيب
 ٥١ إيدان بأنهم بما يقتضيهما الذات وأن العذاب إنما يتحقق بما يوجب من خارج (ونبئهم) عطف على نبي عبادي
 والمقصود اعتبارهم بما جرى على إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع أهله من البشرى في تضاعيف الخوف وبما
 حل بقوم لوط من العذاب ونجاته عليه الصلاة والسلام مع أهله التابعين له في ضمن الخوف وتبديهم بحلول
 * انتقامه تعالى من المجرمين وعليهم بأن عذاب الله هو العذاب الأليم (عن ضيف إبراهيم) عن ابن عباس
 رضى الله تعالى عنهما أنهم جبريل عليه الصلاة والسلام وملاك معه وقال محمد بن كعب وسبعة معه وقيل
 جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم الصلاة والسلام وقيل الضحاك كانوا تسعة وعن السدى كانوا أحد

١٥ الحجر

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾

١٥ الحجر

قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلَيْكَ ﴿٥٣﴾

١٥ الحجر

قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾

١٥ الحجر

قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾

عشر على صور الغلمان الوضاء وجوههم وعن مقاتل أنهم كانوا اثني عشر ملكا وإنما لم يتعرض لعنوان رسالتهم لأنهم لم يكونوا مرسلين إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام بل إلى قوم لوط حسبما يأتي ذكره (إذ دخلوا عليه) نصب بفعل مضمر معطوف على نبيء أى واذكر وقت دخولهم عليه أو خبر مقدر ٥٢ مضاف إلى ضيف أى خبر ضيف إبراهيم حين دخولهم عليه أو بنفس ضيف على أنه مصدر فى الأصل (فقالوا) عند ذلك (سلاما) أى نسلم سلاما أو سلمنا أو سلمت سلاما (قال إنا منكم وجلون) أى خائفون * فإن الرجل اضطراب النفس لتوقع مكروه قاله عليه الصلاة والسلام حين امتنعوا من أكل ما قرب به إليهم من العجل الحنيد لما أن المعتاد عندهم أنه إذا نزل بهم ضيف فلم يأكل من طعامهم ظنوا أنه لم يجيء بخير لا عند ابتداء دخولهم لقوله تعالى فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة فلا مجال لكون خوفه عليه الصلاة والسلام بسبب دخولهم بغير إذن ولا بغير وقت إذ لو كان كذلك لأجابوا حينئذ بما أجابوا حينئذ به ولم يتصد عليه الصلاة والسلام لتقريب الطعام إليهم وإنما لم يذكر ههنا اكتفاء بما بين فى غير هذا الموضع ألا يرى إلى أنه لم يذكر ههنا رده عليه الصلاة والسلام لسلامهم (قالوا لا توجل) ٥٣ لا تخف وقرى لا تاجل ولا توجل من أوجه أى أخافه ولا توجل من واجله بمعنى أوجه (إنا نبشرك) استئناف لتعليل النهى عن الوجل فإن المباشرة لا يكاد يحوم حول ساحته خوف ولا حزن كيف لا وهو بشارة ببقائه وبقاء أهله فى عافية وسلامة زمانا طويلا (بغلام) هو إسحق عليه الصلاة والسلام لقوله تعالى فبشرناها بإسحق ولم يتعرض ههنا لبشارة يعقوب عليه الصلاة والسلام اكتفاء بما ذكر فى سورة هود (عليه السلام) ٥٤ إذا بلغ وفى موضع آخر بغلام حلیم (قال أبشروني) بذلك (على أن مسني الكبر) وأثر فى تعجب عليه الصلاة والسلام من بشارتهم بالولد فى حالة مباينة للولادة وزاد فى ذلك فقال (فيم تبشرون) أى بأى أعجوبة تبشروننى فإن البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شئ أو بأى طريقة تبشروننى وقرى بتشديد النون المكسورة على إدغام نون الجمع فى نون الوقاية (قالوا بشركناك بالحق) أى بما يكون لا محالة أو باليقين ٥٥ الذى لا لبس فيه أو بطريقة هى حق وهو أمر الله تعالى وقوله (فلا تكن من القانطين) من الآيسين * من ذلك فإن الله قادر على أن يخلق بشرأ بغير أبوين فكيف من شيخ فان وعجوز عافرو قرى من القنطين وكان مقصده عليه الصلاة والسلام استعظام نعمته تعالى عليه فى ضمن التمتع العادى المبني على سنة الله

١٥ الحجر

قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾

١٥ الحجر

قَالَ قَدْ خَطَبُكُمُ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾

١٥ الحجر

قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ ثَجْرِ مِينَ ﴿٥٨﴾

١٥ الحجر

إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجِّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾

تعالى المسلوكة فيما بين عباده لا استبعاد ذلك بالنسبة إلى قدرته سبحانه كما ينبغي عنه قول الملائكة فلا تكن
 ٥٦ من القانطين دون أن يقولوا من الممترين أو نحوه (قال ومن يقنط) استفهام إنكارى أى لا يقنط (من
 رحمة ربه إلا الضالون) المخطئون طريق المعرفة والصواب فلا يعرفون سعة رحمته وكال علمه وقدرته
 كما قال يعقوب عليه الصلاة والسلام لا يياس من روح الله إلا القوم الكافرون ومراده نفي القنوط عن
 نفسه على أبلغ وجه أى ليس بى قنوط من رحمته تعالى وإنما الذى أقول لبيان منافاة حالى لفيضان تلك
 النعمة الجليلة على وفى التعرض لوصف الربوبية والرحمة ما لا يخفى من الجزالة وقرى بضم النون وبكسر ها
 من قنط بالفتح ولم تكن هذه المفاوضة من الملائكة مع إبراهيم عليه الصلاة والسلام خاصة بل مع سارة
 أيضاً حسبما شرح فى سورة هود ولم يذكر ذلك ههنا اكتفاء بما ذكر هناك كما أنه لم يذكر هذه هناك
 ٥٧ اكتفاء بما ذكر ههنا (قال) أى إبراهيم عليه الصلاة والسلام وتوسيطه بين قوله السابق وبين قوله (فما
 خطبكم) أى أمركم وشأنكم الخطير الذى لأجله أرسلتم سوى البشارة (أيها المرسلون) صريح فى أن بينهما
 مقالة مطوية لهم أشير به إلى مكانها كما فى قوله تعالى قال أسجد لمن خلقت طيناً قال أرى أنك هذا الذى
 كرمت على الآية فإن قوله الأخير ليس موصولاً بقوله الأول بل هو مبنى على قوله تعالى فاخرج منها
 فإنك رجيم فإن توسيط قال بين قوليه للإيدان بعدم اتصال الثانى بالأول وعدم ابتناؤه عليه بل غيره
 ثم خطابه لهم عليهم الصلاة والسلام بعنوان الرسالة بعد ما كان خطابه السابق مجرداً عن ذلك مع
 تصديره بالفاء دليل على أن مقالهم المطوية كانت متضمنة لبيان أن مجيئهم ليس لمجرد البشارة بل لهم شأن
 آخر لأجله أرسلوا فكانه قال عليه الصلاة والسلام إن لم يكن شأنكم مجرد البشارة فإذا هو فلا حاجة إلى
 الالتجاء إلى أن علمه عليه الصلاة والسلام بأن كل المقصود ليس البشارة بسبب أنهم كانوا ذوى عدد
 والبشارة لا تحتاج إلى عدد ولذلك اكتفى بالواحد فى ذكرى عليه الصلاة والسلام ومريم ولا إلى أنهم
 ٥٨ بشروه فى تضاعيف الحال لإزالة الوجع ولو كانت تمام المقصود لا يتدوم بها فتأمل (قالوا إنا أرسلنا
 إلى قوم مجرمين) هم قوم لوط لكن وصفوا بالإجرام وجى بهم بطريق التنكير ذماً لهم واستهانة بهم
 ٥٩ (إلا آل لوط) استثناء متصل من الضمير فى مجرمين أى إلى قوم أجمعوا جميعاً إلا آل لوط فالقوم
 والإرسال شاملان للمجرمين وغيرهم والمعنى إنا أرسلنا إلى قوم أجمعهم إلا آل لوط لنهلك الأولين
 وننجى الآخرين ويدل عليه قوله تعالى (إنا لمنجؤهم) أى لوط وآله (أجمعين) أى بما يصيب القوم فإنه

١٥ الحجر

إِلَّا أَمْرًا تَقْدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾

١٥ الحجر

فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾

١٥ الحجر

قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٦٢﴾

١٥ الحجر

قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾

- استئناف للإخبار بنجاتهم لعدم إجرامهم أو لبيان ما فهم من الاستثناء من مطلق عدم شمول العذاب لهم فإن ذلك قد يكون بكون حالهم بين بين أو لتعليله فإن من تعلق بهم التنجية بمنجى من شمول العذاب أو منقطع من قوم وقوله تعالى إنا لمنجوعهم متصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن وعلى هذا فقوله تعالى (إلا أمراته) استثناء من آل لوط أو من ضميرهم وعلى الأول من الضمير خاصة لاختلاف الحكيم ٦٠
- اللهم إلا أن يجعل إنا لمنجوعهم اعتراضاً وقرىء بالتخفيف (قدرنا إنا لمن الغابرين) الباقين مع الكفرة * لهم لك معهم وقرىء قدرنا بالتخفيف وإنما علق فعل التقدير مع اختصاص ذلك بأفعال القلوب لتضمنه معنى العلم وبجوز حمله على معنى قلنا لأنه بمعنى القضاء قول وأصله جعل الشيء على مقدار غيره وإسنادهم له إلى أنفسهم وهو فعل الله سبحانه لما لهم من الزلنى والاختصاص (فلما جاء آل لوط المرسلون) شروع ٦١
- في بيان كيفية إهلاك المجرمين وتنجية آل لوط حسبما أجهل في الاستثناء ثم فصل في التعليل نوع تفصيل ووضع المظهر موضع المضمحل للإبذان بأن مجيئهم لتحقيق ما أرسلوا به من الإهلاك والتنجية وليس المراد به ابتداء مجيئهم بل مطلق كينونتهم عند آل لوط فإن ما حكى عنه عليه الصلاة والسلام بقوله تعالى (قال ٦٢ إنكم قوم منكرون) إنما قاله عليه الصلاة والسلام بعد اللتيا والتي حين ضاقت عليه الحيل وعيت به العلال لما لم يشاهد من المرسلين عند مقاساته الشدائد ومعاناته المكائد من قومه الذين يريدون بهم ما يريدون ما هو المعمود والمعناد من الإعانة والإمداد فيما يأتى ويذر عند تجشمه في تخليصهم إنكاراً لخذلانهم له وترك نصرته في مثل تلك المضايقة المعترية له بسببهم حيث لم يكونوا مباشرين معه لأسباب المدافعة والممانعة حتى ألجأته إلى أن قال لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد حسبما فصل في سورة هود لأنه قاله عند ابتداء ورودهم له خوفاً أن يطرقوه بشرطاً قيل كيف لا وهم بجوابهم المحكى بقوله تعالى (قالوا بل ٦٣ جئناك بما كانوا فيه يمترون) أى بالعذاب الذى كنت تتوعدهم به فيمترون فيه ويكذبونك قد قشروا العصا وبينوا له عليه الصلاة والسلام جليلة الأمرفانى يمكن أن يعتربه بعد ذلك المساءة وضيق الذرع وليست كلمة بل إضراباً عن موجب الخوف المذكور على معنى ما جئناك بما تنكرنا لآجله بل بما يسرك وتقر به عينك بل هى إضراب عما فهمه عليه الصلاة والسلام من ترك النصرة له والمعنى ما خذلناك وما خيلنا بينك وبينهم بل جئناك بما يدمرهم من العذاب الذى كانوا يكذبونك حين كنت تتوعدهم به ولعل تقديم هذه المقابلة على ما جرى بينه وبين أهل المدينة من المجادلة للسرعة إلى ذكر بشارة لوط عليه الصلاة والسلام بإهلاك

١٥ الحجر

وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤﴾

فَأَسْرَ بِأَهْلِكَ يَفْقِطُ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبَعَ أَذْبَرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَأَمْضُوا حَيْثُ

١٥ الحجر

تُؤْمَرُونَ ﴿١٥﴾

١٥ الحجر

وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْحِحِينَ ﴿١٦﴾

قومه وتنجية آله عقيب ذكر بشارة إبراهيم عليه الصلاة والسلام بهما وحيث كان ذلك مستديعاً لبيان كيفية النجاة وترتيب مبادئها أشير إلى ذلك إجمالاً ثم ذكر ما فعل القوم وما فعل بهم ولم يبال بتغيير الترتيب الوقوعي ثقة بمراعاته في مواقع آخر ونسبة المجيء بالعذاب إليه عليه الصلاة والسلام مع أنه نازل بالقوم بطريق تفويض أمره إليه لا بطريق نزوله عليه كأنهم جاءوه به وفوضوا أمره إليه ليرسله عليهم حسبما كان يتوعدهم به (وأتيناك بالحق) أي باليقين الذي لا مجال فيه للامتراء والشك وهو عذابهم عبر عنه بذلك تنهيصاً على نفي الامتراء عنه أو المراد بالحق الإخبار بمجيء العذاب المذكور وقوله تعالى (وإننا لصادقون) تأكيد له أي أتيناك فيما قلنا بالخبر الحق أي المطابق للواقع وإننا لصادقون في ذلك الخبر أو في كل كلام فيكون كالدليل على صدقهم فيه وعلى الأول تأكيد لثبوت تأكيد وقوله تعالى (فأسر بأهلك) شروع في ترتيب مبادئ النجاة أي اذهب بهم في الليل وقرى بالوصل وكلاهما من السرى وهو السير في الليل وقرى فسر من السير (بقطع من الليل) بظائفة منه أو من آخره قال [افتح الباب وانظري في النجوم * كم علينا من قطع ليل بهم] وقيل هو بعد ماضى منه شيء صالح (واتبع أدبارهم) وكن على أثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على أحوالهم ولعل لإيثار الاتباع على السوق مع أنه المقصود بالأمر للبالغ في ذلك إذ السوق ربما يكون بالتقدم على بعض مع التأخر عن بعض ويلزمه عادة الغفلة عن حال المتأخر والالتفات المنهى عنه بقوله تعالى (ولا يلتفت منكم) أي منك ومنهم (أحد) فيرى ما وراءه من الهول فلا يطيقه أو يصيبه ما أصابهم أو ولا ينصرف منكم أحد ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن ذلك أي وطنوا أنفسهم على المهاجرة أو هو نهى عن ربط القلب بما خلفوه أو هو الإسراع في السير فإن الملتفت قلباً يخلو عن أدنى وقفة وعدم ذكر استثناء المرأة من الإسراع والالتفات لا يستدعي عدم وقوعه فإن ذلك لما عرفت مراراً لاكتفاء بما ذكر في مواضع آخر (وامضوا حيث تؤمرون) إلى حيث أمركم الله تعالى بالمضي إليه وهو الشام أو مصر وحذف الصلتين على الاتساع المشهور وإيثار المضي إلى ما ذكر على الوصول إليه والحق به الإيذان بأهمية النجاة ولمراعاة المناسبة بينه وبين ما سلف من الغابرين (وقضينا) أي أوحينا (إليه) مقضياً ولذلك عدى يالى (ذلك الأمر) مهمم يفسره (أن دابر هؤلاء مقطوع) على أنه بدل منه وإيثار اسم الإشارة على الضمير للدلالة على اتصافهم بصفاتهم القبيحة التي هي مدار ثبوت الحكم أي دابر هؤلاء المجرمين وإيراد صيغة المفعول بدل صيغة المضارع لكونها أدخل في الدلالة على الوقوع وفي لفظ القضاء والتعبير عن العذاب بالأمر والإشارة

١٥ الحجر

وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾

١٥ الحجر

قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءَ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾

١٥ الحجر

وَأَتَقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ ﴿٦٩﴾

١٥ الحجر

قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾

إليه بذلك وتأخيره عن الجار والمجرور وإبهامه أولاً ثم تفسيره ثانياً من الدلالة على نخامة الأمر وفضاعته
 مالا يخفى وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى أنهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد
 (مصباحين) داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء أو من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فإن *
 دابر هؤلاء بمعنى مدبري هؤلاء (وجاء أهل المدينة) شروع في حكاية ما صدر عن القوم عند وقوفهم ٦٧
 على مكان الأضياف من الفعل والقول وما ترتب عليه بعد ما أشير إلى ذلك إجمالاً حسبما نبه عليه أى
 جاء أهل سدوم منزل لوط عليه الصلاة والسلام (يستبشرون) أى مستبشرين بأضيافه عليه الصلاة *
 والسلام طمعاً فيهم (قال إن هؤلاء ضيفي) الضيف حيث كان مصدراً فى الأصل أطلق على الواحد ٦٨
 والمتعدد والمذكر والمؤنث وإطلاقه على الملائكة بحسب اعتقاده عليه الصلاة والسلام لكونهم فى زى
 الضيف والتأكيد ليس لإنكارهم بذلك بل لتحقيق انصافهم به وإظهار اعتنائه بشأنهم وتشمره لمراعاة
 حقوقهم وحمايتهم من سوءه ولذلك قال (فلا تفضحون) أى عندهم بأن تتعرضوا لهم بسوء فيعلموا أنه *
 ليس لى عندهم قدر وحرمة أولاً تفضحون بفضيحة ضيفي فإن من أسى إلى ضيفه فقد أسى إليه يقال
 فضحه فضحاً وفضيحة إذا ظهر من أمره ما يلزمه العار (واتقوا الله) فى مباشرتكم لما يسوؤنى (ولا تخزون) ٦٩
 أى لا تذلوونى ولا تهينونى بالتعرض لمن أجزتهم بمثل تلك الفعللة الخبيثة وحيث كان التعرض لهم بعد أن
 نهام عليه الصلاة والسلام عن ذلك بقوله فلا تفضحون أكثر تأثيراً فى جانبه عليه الصلاة والسلام
 وأجلب للعار إليه إذ التعرض للجار قبل شعور المجير بذلك ربما يتساح فيه وأما بعد الشعور به والمناسبة
 لحايته والذب عنه فذاك أعظم العار عبر عليه الصلاة والسلام عما يعتريه من جهتهم بعد النهى المذكور
 بسبب لجأهم ومجاهرتهم بمخالفته بالخزى وأمرهم بتقوى الله تعالى فى ذلك وإنما لم يصرح بالنهى عن
 نفس تلك الفاحشة لأنه كان يعرف أنه لا يفيد ذلك وقيل المراد تقوى الله تعالى فى ركوب الفاحشة ولا
 يساعده توسيطه بين النهيين عن أمرين متعلقين بنفسه عليه الصلاة والسلام وكذلك قوله تعالى (قالوا أؤلم
 ٧٠ ننهك عن العالمين) أى عن التعرض لهم بمنعهم عنا وضيافتهم والهمزة للإنكار والواو للعطف على مقدر
 أى ألم نتقدم إليك ولم ننهك عن ذلك فإنهم كانوا يتعرضون لكل أحد من الغرباء بالسوء وكان عليه الصلاة
 والسلام ينههم عن ذلك بقدر وسعه وكانوا قد نهوه عليه الصلاة والسلام عن أن يجير أحداً فكانهم قالوا
 ما ذكرت من الفضيحة والخزى إنما جاءك من قبلك لا من قبلنا إذ لولا تعرضك لما نتصدى له لما اعتراك

١٥ الحجر

قَالَ هَتُوْلاءَ بَنَاتِيْ اِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِيْنَ ﴿٧١﴾

١٥ الحجر

لَعَمْرُكَ اِنَّهُمْ لِنِيْ سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُوْنَ ﴿٧٢﴾

١٥ الحجر

فَاَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِيْنَ ﴿٧٣﴾

١٥ الحجر

فَجَعَلْنٰا عَلَيَّهَا سَافِلَهَا وَاَمْطَرْنٰا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾

١٥ الحجر

اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَاٰيٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِيْنَ ﴿٧٥﴾

١٥ الحجر

وَاِنَّهَا لَیْسَیْلٌ مُّقِیْمٌ ﴿٧٦﴾

١٥ الحجر

اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَاٰیةٌ لِّلْمُؤْمِنِيْنَ ﴿٧٧﴾

- ٧١ تلك الحالة ولما رآهم لا يقلعون عما هم عليه (قال هؤلاء بناتي) يعني نساء القوم فإن نبي كل أمة بمنزلة أبيهم أو بناته حقيقة أي فتزوجوهن وقد كانوا من قبل يطلبونهن ولا يجيبهم لخبثتهم وعدم كفائتهم لا لعدم مشروعية المناكحة بين المسلمات والكفار وقد فصل في سورة هود (إن كنتم فاعلين) أي قضاء الوطر أو ما أقول لكم (لعمرك) قسم من الله تعالى بحياة النبي ﷺ أو من الملائكة بحياة لوط عليه الصلاة والسلام والتقدير لعمرك قسمي وهي لغة في العمر يختص به القسم لإثارة للخفة لكثرة دورانه على
- الألسنة (إنهم لني سكرتهم) غوايتهم أو شدة غلظتهم التي أزال عقولهم وتميزهم بين الخطأ والصواب
- (يعمّهون) يتحجرون ويتنادون فكيف يسمعون النصح وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض
- ٧٢ (فأخذتهم الصيحة) أي الصيحة العظيمة الهائلة وقيل صيحة جبريل عليه الصلاة والسلام (مشرقين) داخلين في وقت شروق الشمس (فجعلنا عاليها) على المدينة أو على قراهم وهو المفعول الأول لجعلنا وقوله تعالى (سافلها) مفعول ثان له وهو أدخل في الهول والفضاعة من العكس كما مر (وأماطنا عليهم) في تضاعيف ذلك قبل تمام الانقلاب (حجارة) كائنة (من سجيل) من طين متحجر أو طين عليه كتاب
- ٧٣ وقد فصل ذلك في سورة هود (إن في ذلك) أي فيما ذكر من القصة (لآيات) لعلامات يستدل بها على حقيقة الحق (للمتوسمين) أي المتفكرين المتفرسين الذين يثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء
- ٧٤ بسمته (وإنها) أي المدينة أو القرى (لبسبيل مقيم) أي طريق ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها
- ٧٥ (إن في ذلك) فيما ذكر من المدينة أو القرى أو في كونها برأى من الناس يشاهدونها في ذهابهم وإيابهم
- (لآية) عظيمة (للمؤمنين) باقوه ورسوله فإنهم الذين يعرفون أن ما حاق بهم العذاب الذي ترك ديارهم بلاقع إنما حاق بهم لسوء صنيعهم وأما غيرهم فيحملون ذلك على الاتفاق أو الأوضاع الفلكية وإفراد الآية بعد جمعها فيما سبق لما أن المشاهد ههنا بقية الآثار لا لكل القصة كما فيها ساف

١٥ الحجر

وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾

١٥ الحجر

فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مَبِينٍ ﴿٧٩﴾

١٥ الحجر

وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ ﴿٨٠﴾

١٥ الحجر

وَأَتَيْنَهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾

١٥ الحجر

وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٢﴾

١٥ الحجر

فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾

- (وإن كان) إن مخففة من إن وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف واللام هي الفارقة أى وإن الشأن كان ٧٨ (أصحاب الأيكة) وهم قوم شعيب عليه الصلاة والسلام والأيكة والليكة الشجرة المتنفة المتكاثفة وكان •
- ٧٩ عامة شجرهم المقل وكانوا يسكنونها فبعثه الله تعالى إليهم (لظالمين) متجاوزين عن الحد (فانتقمنا منهم) بالعذاب روى إن الله سلط عليهم الحرسبعة أيام ثم بعث سبحانه قانتجنوا إليها يلتمسون الروح فبعث الله تعالى عليهم منها نارا فأحرقهم فهو عذاب يوم الظلة (ولإنهما) يعنى سدوم والأيكة وقيل الأيكة ومدين فإنه عليه الصلاة والسلام كان مبعوثا إليهما فذكر أحدهما منه على الآخر (لبإمام مبين) لطريق واضح والإمام اسم ما يؤتم به سمي به الطريق ومطمع البناء واللوح الذى يكتب فيه لأنها مما يؤتم به (ولقد كذب ٨٠ أصحاب الحجر) يعنى ثمود (المرسلين) أى صالحا فإن من كذب واحدا من الأنبياء عليهم السلام فقد كذب الجميع لا تفاهم على التوحيد والأصول التى لا تختلف باختلاف الأمم والأعصار وقيل المراد صالح ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيدون لحبيب بن عبد الله بن الزبير وأصحابه والحجر واد بين المدينة والشام كانوا يسكنونه (وآتيناهم آياتنا) وهى الآيات المنزل على نبيهم أو المعجزات من الناقة وسقيها وشربها ودرها أو ٨١ الأدلة المنصوبة لهم (فكانوا عنها معرضين) إعراضا كليا بل كانوا معارضين لها حيث فعلوا بالناقة ما فعلوا •
- (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الأعداء لو ثاقمها ٨٢ أو من العذاب لحسبانهم أن ذلك يحميهم منه . عن جابر رضى الله تعالى عنه أنه قال مررتا مع رسول الله ﷺ على الحجر فقال لا ندخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين حذرا أن يصيبكم مثل ما أصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله ﷺ راحلته فأمرع حتى خلفها (فأخذتهم الصيحة مصبحين) ٨٣ وهكذا وقع في سورة هود قيل صاح بهم جبريل عليه الصلاة والسلام وقيل أتتهم من السماء صيحة فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الأرض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وفي سورة الأعراف فأخذتهم الرجفة أى الزلزلة ولعلمها من روادف الصيحة المستتبعة لتوج الهواء تموجا شديدا يفضى إليها كما مر في سورة هود .

١٥ الحجر

فَأَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ

١٥ الحجر

الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾

١٥ الحجر

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾

١٥ الحجر

وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾

- ٨٤ (فأغنى عنهم) ولم يدفع عنهم ما نزل بهم (ما كانوا يكسبون) من بناء البيوت الوثيقة والأموال الوفرة والعدد المتكاثرة وفيه تمكيم بهم والفاء لترتيب عدم الإغناء الخاص بوقت نزول العذاب حسبما كانوا يرجونه لعدم الإغناء المطلق فإنه أمر مستمر (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق) أي إلا خلقاً متناسباً بالحق والحكمة والمصلحة بحيث لا يلائم استمرار الفساد واستقرار الشرور ولذلك اقتضت الحكمة إهلاك أمثال هؤلاء دفعاً لفسادهم وإرشاداً لمن بقي إلى الصلاح أو إلا بسبب العدل والإنصاف يوم الجزاء على الأعمال كما ينبغي عنه قوله تعالى (وإن الساعة لأتية) فينتقم الله تعالى لك فيها من كذبك (فاصفح) أي أعرض عنهم (الصفح الجميل) إعرافاً جميلاً وتحمل أذيتهم ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هي منسوخة بآية السيف (إن ربك) الذي يبلغك إلى غاية الكمال (هو الخلاق) لك ولهم ولسائر الموجودات على الإطلاق (العليم) بأحوالك وأحوالهم بتفاصيلها فلا يخفى عليه شيء مما جرى بينك وبينهم فهو حقيق بأن تسكل جميع الأمور إليه ليحكم بينكم أو هو الذي خلقكم وعلم تفاصيل أحوالكم وقد علم أن الصفح اليوم أصلح إلى أن يكون السيف أصلح فهو تعليل للأمر بالصفح على التقديرين وفي مصحف عثمان وأبي رضى الله تعالى عنهما هو الخالق وهو صالح للقليل والكثير والخلاق مختص بالكثير (ولقد آتيناك سبعاً) سبع آيات وهي الفاتحة وعليه ٨٧ عمر وعلى وابن مسعود وأبو هريرة رضى الله تعالى عنهم والحسن وأبو العالية ومجاهد والضحاك وسعيد ابن جبير وقتادة رحمهم الله تعالى وقيل سبع سور وهي الطوال التي سابعها الأنفال والتوبة فإنهما في حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل يونس أو الحواميم السبع وقيل الصحائف السبع وهي الأسباع (من المثاني) بيان للسبع من التثنية وهي التكرير فإن كان المراد الفاتحة وهو الظاهر فتسميتها مثاني لتكرر قراءتها في الصلاة أو أما تكرر قراءتها في غير الصلاة كما قيل فليس بحيث يكون مدار للتسمية ولا أنها ثني بما يقرأ بعدها في الصلاة أو أما تكرر نزولها فلا يكون وجهاً للتسمية لأنها كانت مسماة بهذا الاسم قبل نزولها الثاني إذ السورة مكية بالانفاق وإن كان المراد غير هامن السور فوجه كونها من المثاني أن كلاماً من ذلك تكرر قراءته والفاظة أو قصصه ومواظبه أو من الثناء لاشتغاله على ما هو ثناء على الله واحداً منها أو مثنية صفة للآية وأما الصحائف وهي الأسباع فلها وقع فيها من تكرير القصص

لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾

١٥ الحجر

١٥ الحجر

وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾

١٥ الحجر

كَمَا أُنزِلَتْ عَلَى الْمُقْسِمِينَ ﴿٩٠﴾

١٥ الحجر

الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾

والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الشناء على الله تعالى كأنها تثنى عليه سبحانه بأفعاله وصفاته
الحسنى ويجوز أن يراد بالمثنى القرآن لما ذكر أولاً أنه مثنى عليه بالإعجاز أو كتب الله تعالى كلها فن للتبعيض
وعلى الأول للبيان (والقرآن العظيم) إن أريد بالسبع الآيات أو السور فن عطف الكل على البعض
أو العام على الخاص وإن أريد به الأسباع أو كل القرآن فهو عطف أحد الوصفين على الآخر كما في قوله
[إلى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتاب في المزدحم] أي ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثنى
والقرآن العظيم (لا تمدن عينيك) لا تطمح ببصرك طموح راغب ولا تدم نظرك (إلى ما متعنا به) من ٨٨
زخارف الدنيا وزينتها ومحاسنها وزهرتها (أزواجاً منهم) أصنافاً من الكفرة فإن ما في الدنيا من
أصناف الأموال والذخائر بالنسبة إلى ما أوتيته مستحق لا يعبا به أصلاً وفي حديث أبي بكر رضي الله
تعالى عنه من أوتي القرآن فرأى أن أحداً أوتي أفضل مما أوتي فقد صغر عظيماً وعظم صغيراً وروى أنه
وافت من بصرى وأذرعات سبع قوافل ليهود بنى قريظة والنضير فيها أنواع البر والطيب والجواهر
وسائر الأمتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينها بها وأنفقناها في سبيل الله فقيل لهم قد أعطيتكم
سبع آيات وهي خير من هذه القوافل السبع (ولا تحزن عليهم) حيث لم يؤمنوا ولم ينتظموا أتباعك في
سلك ليتقوى بهم ضعفاء المسلمين وقيل أو أنهم الممتنعون به ويأباه كلمة على فإن تمتعهم به لا يكون مداراً
للحزن عليهم (واخفض جناحك للمؤمنين) أي تواضع لهم وارفق بهم وأن جانبك لهم وطب نفساً
من إيمان الأغنياء (وقل إني أنا النذير المبين) أي المندر المظهر لنزول عذاب الله وحلوله (كما أنزلنا ٩٠، ٨٩
على المقسمين) قيل إنه متعلق بقوله تعالى ولقد آتيناك الخ أي أنزلنا عليك كما أنزلنا على أهل الكتاب
(الذين جعلوا القرآن عضين) أي قسموه إلى حق وباطل حيث قالوا عناداً وعدواناً بعضه حق موافق ٩١
للنوراة والإنجيل وبعضه باطل مخالف لهما أو قسموه لأنفسهم استهزاء حيث كان يقول بعضهم سورة
البقرة لي وبعضهم سورة آل عمران لي وهكذا أو قسموا ما قرءوا من كتبهم وحرفوه فأقروا ببعضه
وكذبوا ببعضه وحملوا وسط قوله تعالى لا تمدن عينيك على إمداد ما هو المراد بالكلام من التسلية وعقب
ذلك بأنه جل المقام عن التشبيه ولقد أوتي عليه الصلاة والسلام ما لم يؤت أحد قبله ولا بعده مثله وقيل

إنه متعلق بقوله إني أنا النذير المبين فإنه في قوة الأمر بالإلذار كأنه قيل أنذر قريشاً مثل ما أنزلنا على
المقتسمين يعنى اليهود وهو ما جرى على بنى قريظة والنضير بأن جعل المتوقع كالواقع وقد وقع كذلك
وأنت خبير بأن ما يشبه به العذاب المنذر لا بد أن يكون محقق الوقوع معلوم الحال عند المنذرين إذ به
تتحقق فائدة التشبيه وهى تأكيد الإلذار وتشديده وعذاب بنى قريظة والنضير مع عدم وقوعه لإذ ذلك لم
يسبق به وعد ووعد فهم منه فى غفلة محضه وشك مريب وتنزيل المتوقع منزلة الواقع له موقع جليل من
الإعجاز لكن إذا صادف مقاماً يقتضيه كما فى قوله تعالى إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ونظائر على أن تخصيص
الافتسام باليهود بمجرد اختصاص العذاب المذكور بهم مع شركتهم للنصارى فى الافتسام المتفرع على
الموافقة والمخالفة وفى الافتسام بمعنى التحريف الشامل للكتابين بل تخصيص العذاب المذكور بهم مع
كونه من نتائج الافتسام تخصيص من غير غرض وقد جعل الموصول مفعولاً أول لأن رأى أنذر المعضنين
الذين جزموا القرآن إلى سحر وشعر وأساطير مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا
مداخل مكة أيام الموسم فعدد كل منهم فى مدخل لينفروا الناس عن الإيمان برسول الله ﷺ يقول
بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فإنه ساحر ويقول الآخر شاعر والآخر كذاب فأهلكهم الله تعالى يوم
بدر وقبله بأفات وفيه مع ما فيه من الاشتراك لما سبق فى عدم كون العذاب الذى شبه به العذاب المنذر
واقعاً ولا معلوماً للمنذرين ولا موعود الوقوع أنه لا داعى إلى تخصيص وصف التعضية بهم وإخراج
المقتسمين من بينهم مع كونهم أسوة لهم فى ذلك فإن وصفهم لرسول الله ﷺ بما وصفوا من السحر
والشعر والكذب متفرع على وصفهم للقرآن بذلك وهل هو إلا نفس التعضية ولا إلى إخراجهم من
حكم الإلذار على أن ما نزل بهم من العذاب لم يكن من الشدة بحيث يشبه به عذاب غيرهم ولا مخصوصاً
بهم بل عاماً لكلا الفريقين وغيرهم مع أن بعض المنذرين كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود
ابن المطلب قد هلكوا قبل مهلك أكثر المقتسمين يوم بدر ولا إلى تقديم المفعول الثانى على الأول كما
ترى وقيل إنه وصف لمفعول النذير أقيم مقامه والمقتسمون هم القاعدون فى مداخل مكة كما حرر وفيه مع
ما مر أن قوله تعالى كما أنزلنا صريح فى أنه من قول الله تعالى لا من قول الرسول ﷺ والاعتذار بأن ذلك
من باب ما يقوله بعض خواص الملك أمرنا بكذا وإن كان الأمر هو الملك حسبما سلف فى قوله تعالى
قدرنا إنهم لمن الغابرين بعسف لا يخفى وأن أعمال الوصف الموصوف بما لم يجوزه البصريون فلا بد من الحرب
إلى مسلك الكوفيين أو المصير إلى جعله مفعولاً غير صريح أى أنا النذير المبين بعذاب مثل عذاب
المقتسمين وقيل المراد بالمقتسمين الرهط الذين تقاسموا على أن يبيتوا صالحاً عليه الصلاة والسلام
فأهلكهم الله تعالى وأنت تدري أن عذابهم حيث كان متحققاً ومعلوماً للمنذرين حسبما نطق به القرآن
العظيم صالح لأن يقع مشبهاً به العذاب المنذر لكن الموصول المذكور عقيب حيث لم يمكن كونه صفة
للمقتسمين حينئذ فسواء جعلناه مفعولاً أول للنذير أو لما دل هو عليه من أنذر لا يكون للتعريض لعنوان
التعضية فى حين الصلة ولالعنوان الافتسام بالمعنى المزبور فى حين المفعول الثانى فائدة لما أن ذلك إنما يكون
للإشعار بعلية الصلة والصفة للحكم الثابت للموصول والموصوف فلا يكون هناك وجه شبه يدور عليه

تشبيه عذابهم بعذابهم خاصة لعدم اشتراكهم في السبب فإن للمعصين بمعزل من التقاسم على التبييت الذي هو السبب لهلاك أولئك كما أن أولئك بمعزل من التعصية التي هي السبب لهلاك هؤلاء ولا علاقة بين السببين مفهومهما ولا وجوداً تصحح وقوع أحدهما في جانب والآخر في جانب واتفاق الفريقين على مطلق الاتفاق على الشر المفهوم من الاتفاق على الشر المخصوص الذي هو التبييت المدلول عليه بالتقاسم غير مفيد إذ لا دلالة لعنوان التعصية على ذلك وإنما يدل عليه اقتسام المداخل وجعل الوصول مبتدأ على أن خبره الجملة القسمية لا يليق بحزاة التنزيل وجلالة شأنه الجليل إذا عرفت هذا فاعلم أن الأقرب من الأقوال المذكورة أنه متعلق بالأول وأن المراد بالمقتسمين أهل الكتابين وأن الوصول مع صلته صفة مبينة لكيفية اقتسامهم ومحل الكاف النصب على المصدرية وحديث جلالة المقام عن التشبيه من لوائح النظر الجليل والمعنى لقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم إتياء مماثلاً لإنزال الكتابين على أهلهم وعدم التعرض لذكر ما أنزل عليهم من الكتابين لأن الغرض بيان المماثلة بين الإيتامين لا بين متعلقيهما والعدول عن تطبيق ما في جانب المشبه به على ما في جانب المشبه بأن يقال كما آتينا المقتسمين حسبما وقع في قوله تعالى الذين آتيناكم الكتاب الخ للتنبيه على ما بين الإيتامين من التثاني فإن الأول على وجه التكرمة والامتنان وشتان بينه وبين الثاني ولا يقدح ذلك في وقوعه مشبهاً به فإن ذلك إنما هو لمسلبيته عندهم وتقدم وجوده على المشبه زماناً لا لمزية تعود إلى ذاته كما في الصلاة الحليلية فإن التشبيه فيها ليس ليكون رحمة الله تعالى الفائضة على إبراهيم عليه الصلاة والسلام وآله أتم وأكمل مما فاض على النبي ﷺ وإنما ذلك للتقدم في الوجود والتنصيص عليه في القرآن العظيم فليس في التشبيه شائبة إشعار بأفضلية المشبه به من المشبه فضلاً عن إيهام أفضلية ما تعلق به الأول مما تعلق به الثاني وإنما ذكروا بعنوان الاقتسام إنكاراً لا تصافهم به مع تحقق ما ينفيه من الإنزال المذكور وإذناً بأنه كان من حقهم أن يؤمنوا بأكمله حسب إيمانهم بما أنزل عليهم بحكم الاشتراك في العلة والاتحاد في الحقيقة التي هي مطلق الوحي وتوسيط قوله تعالى لا تمدن الخ لكمال اتصاله بما هو المقصود من بيان حال ما أوتى النبي ﷺ ولقد بين أولاً علو شأنه ورفعة مكانه بحيث يستوجب اغتباطه عليه الصلاة والسلام بمكانه واستغناؤه به عما سواه ثم نهى عن الالتفات إلى زهرة الدنيا وعبر عن إتيانها لأهلها بالتمتع النبي عن وشك زوالها عنهم ثم عن الحزن لعدم إيمان المنهمكين فيها بمراعاة المؤمنين والاكتفاء بهم عن غيرهم وبإظهار قيامه بمواجب الرسالة ومراسم النذارة حسبما فصل في تضاعيف ما أوتى من القرآن العظيم ثم رجع إلى كيفية إتيانه على وجه أدمج فيه ما يريح شبه المنكرين ويستنزهم عن العناد من بيان مشاركته لما لا ريب لهم في كونه وحياً صادقاً فتأمل والله عنده علم الكتاب هذا وقد قيل المعنى قل إني أنا النذير المبين كما قد أنزلنا في الكتب إنك ستأتي نذيراً على أن المقتسمين أهل الكتاب انتهى يريد أن ما في كما موصولة والمراد بالمشابهة الاستفادة من الكاف الموافقة وهي مع ما في حيزها في محل النصب على الحالية من مفعول قل أي قل هذا القول حال كونه كما أنزلنا على أهل الكتابين أي موافقاً لذلك فالأنسب حينئذ حمل الاقتسام على التحريف ليكون وصفهم بذلك تعريضاً بما فعلوا من تحريفهم وكتابتهم لنعت النبي ﷺ وقوله تعالى عشرين جمع عضة وهي الفرقة

١٥ الحجر

فَوَرَبِّكَ لَنَسَعَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾

١٥ الحجر

عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

١٥ الحجر

فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾

١٥ الحجر

إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾

١٥ الحجر

الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾

أصلها عضوة فعلة من عضى الشاة تعضية إذا جعلها أعضاء وإنما جمعت جمع السلامة جبراً للمحذوف كسنيين وعزين والتعبير عن تجزئة القرآن بالتعضية التي هي تفريق الأعضاء من ذى الروح المستلزم لإزالة حياته وإبطال اسمه دون مطلق التجزئة والتفريق اللذين ربما وجدان فيما لا يضره التبعض من المنليات للتخصيص على كمال قبح ما فعلوه بالقرآن العظيم وقيل هي فعلة من عضته إذا بهته وعن عكرمة العضه السحر بلسان قريش فنقصانها على الأول واو وعلى الثاني هاء (فوربك لنسألنهم أجمعين) أى لنسألن يوم القيامة أصناف الكفرة من المقتسمين وغيرهم سؤال توبيخ وتقريع (عما كانوا يعملون) فى الدنيا من قول وفعل وترك فبدخل فيه ما ذكر من الاقتسام والتعضية دخولا أولياً ولنجزينهم بذلك جزاءاً موفوراً وفيه من التشديد وتأکید الوعيد ما لا يخفى والفاء لترتيب الوعيد على أعمالهم التي ذكر بعضها وفى التعرض لوصف الربوبية مضافاً إليه عليه الصلاة والسلام إظهار اللطف به عليه الصلاة والسلام (فاصدع بما تؤمر) فاجهر به من صدع بالحجة إذا تكلم بها جهاراً أو افرق بين الحق والباطل وأصله الإبانة والتميز وما مصدرية أو موصولة والعائد محذوف أى ما تؤمر به من الشرائع المودعة فى تضاعيف ما أوتيته من المثانى السبع والقرآن العظيم (وأعرض عن المشركين) أى لا تلتفت إلى ما يقولون ولا تبالي بهم ولا تتصدل انتقام منهم (إنا كفيناك المستهزين) بقصصهم وتدميرهم قبل كانوا خمسة من أشرف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والحرث بن قيس بن الطلائة والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب بياغوث فى إيداء النبي ﷺ والاستهزاء به فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فقال قد أمرت أن أكفيكم فإوما إلى ساق الوليد فربنا لفتعلق بشو به سهم فلم ينعطف تعظماً لأخذه فأصاب عرقاً فى عقبه فقطه فأت وأوما إلى اخمص العاص فدخلت فيه شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى فأت وأشار إلى عيني الأسود بن المطلب فعمى وإلى أنف الحرث فامتخط قيحاً فأت وإلى الأسود بن عبد يغوث وهو قاعد فى أصل شجرة فجعل ينطح برأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات (الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر) وصفهم بذلك تسلياً لرسول الله ﷺ وتهويناً للخطب عليه بإعلام أنهم لم يقتصروا على الاستهزاء به عليه الصلاة والسلام بل اجترعوا على العظيمة التي هي الإشراف بالله سبحانه (فسوف يعلمون) عاقبة ما يأتون ويندرون .

١٥ الحجر

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾

١٥ الحجر

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾

١٥ الحجر

وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

- (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون) من كلمات الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء به وبك ٩٧ وتحلية الجملة بالنأكيد لإفادة تحقيق ما تتضمنه من التسلية وصيغة الاستقبال لإفادة استمرار العلم حسب استمرار متعلقة باستمرار ما يواجهه من أقوال الكفرة (فسبح بحمد ربك) فافزع إلى الله تعالى فيما ٩٨ نابك من ضيق الصدر والخرج بالتسبيح والتقديس ملتبساً بحمده وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام ما لا يخفى من إظهار اللطف به عليه الصلاة والسلام والإشعار بعلّة الحكم أغنى الأمر بالتسبيح والحمد (وكن من الساجدين) أى المصلين يكفيك ويكشف الغم عنك * أو فزعه عما يقولون ملتبساً بحمده على أن هداك للحق المبين وعنه عليه الصلاة والسلام أنه كان إذا حز به أمر فزع إلى الصلاة (واعبد ربك) دم على ما أنت عليه من عبادته تعالى وإيثار الإظهار ٩٩ بالعنوان السالف آنفاً لتأكيد ما سبق من إظهار اللطف به عليه الصلاة والسلام والإشعار بعلّة الأمر بالعبادة (حتى يأتيك اليقين) أى الموت فإنه متيقن للحقوق بكل حى مخلوق وإسناد الإتيان إليه للإبذان بأنه متوجه إلى الحى طالب للوصول إليه والمعنى دم على العبادة ما دمت حياً من غير إخلال بها لحظة . عن رسول الله ﷺ من قرأ سورة الحجر كان له من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والأنصار والمستمزين بمحمد ﷺ .

١٦ — سورة النحل

(مكية وآياتها مائة وثمان وعشرون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٦ النحل

أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾

(سورة النحل مكية إلا وإن عاقبتكم إلى آخرها ، وهي مائة وثمان وعشرون آية)

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (أتى أمر الله) أى الساعة أو مايعمها وغيرها من العذاب الموعود للكفرة عبر عن ذلك بأمر الله للتفخيم والتهويل وللإيدان بأن تحققة في نفسه وإتيانه منوط بحكمه النافذ وقضائه الغالب وإتيانه عبارة عن دنوه واقترابه على طريقة نظم المتوقع في سلك الواقع أو عن إتيان مباديه القريبة على نهج إسناد حال الأسباب إلى المسببات وأياً ما كان فقيه تنبيه على كمال قرب من الوقوع واتصاله وتكميل لحسن موقع التفريع في قوله عز وجل (فلا تستعجلوه) فإن النهى عن استعجال الشيء وإن صح تفريعه على قرب وقوعه أو على وقوع أسبابه القريبة لكنه ليس بمثابة تفريعه على وقوعه إذ بالوقوع يستحيل الاستعجال رأساً لا بما ذكر من قرب وقوعه ووقوع مباديه والخطاب للكفرة خاصة كما يدل عليه القراءة على صيغة نهى الغائب واستعجالهم وإن كان بطريق الاستهزاء لكنه حمل على الحقيقة ونهوا عنه بضرب من التهمك لامع المؤمنين سواء أريد بأمر الله ما ذكر أو العذاب الموعود للكفرة خاصة أما الأول فلأنه لا يتصور من المؤمنين استعجال الساعة أو مايعمها وغيرها من العذاب حتى يعمم النهى عنه وأما الثانى فلأن استعجالهم له بطريق الحقيقة واستعجال الكفرة بطريق الاستهزاء كما عرفته فلا ينظمهما صيغة واحدة والاتجاه إلى إرادة معنى مجازى يعممهما معاً من غير أن يكون هناك رعاية نكتة سرية تعسف لا يليق بشأن التنزيل الجليل وما روى من أنه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت فأمسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئاً فنزلت اقتراب للناس حسابهم فأشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الأيام قالوا يا محمد ما نرى شيئاً مما تخوفنا به فنزلت أتى أمر الله فوثب رسول الله ﷺ فرفع الناس رءوسهم فلما نزل فلا تستعجلوه اطمأنوا فليس فيه دلالة على عموم الخطاب كما قيل لا لما توهم من أن التصدير بالفاء ياباه فإنه بمنزلة عن إباته حسباً تحققة بل لأن مناط اطمئنانهم إنما وقوفهم على أن المراد بالإتيان هو الإتيان الادعائى لا الحقيقى الموجب لاستحالة الاستعجال المستلزم لامتناع النهى عنه لما أن النهى عن الشيء يقتضى إمكانه في الجملة ومدار ذلك الوقوف إنما هو النهى عن الاستعجال المستلزم لإمكانه المقتضى لعدم وقوع المستعجل بعد ولا يختلف ذلك باختلاف المستعجل كائناً من كان بل فيه دلالة واضحة على عدم

يُنْزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾

١٦ النحل

العموم لأن المراد بأمر الله إنما هو الساعة وقد عرفت استحالة صدور استعجالها عن المؤمنين نعم يجوز تخصيص الخطاب بهم على تقدير كون أمر الله عبارة عن العذاب الموعود للكفرة خاصة لكن الذي يقضى به الإعجاز التنزيل أنه خاص بالكفرة كما ستقف عليه ولما كان استعجالهم ذلك من نتائج إشرأفهم المستتبع لنسبة الله عز وجل إلى ما لا يليق به من العجز والاحتياج إلى الغير واعتقاد أن أحداً يحجزه عن إنجاز وعده وإمضاء وعيده وقد قالوا في تضاعيفه إن صح بحجى العذاب فالأصنام تخلصنا عنه بشفاعتها رد ذلك فقيلاً بطريق الاستئناف (سبحانه وتعالى عما يشركون) أى تنزهه وتقدس بذاته وجل عن إشرأفهم المؤدى إلى صدور أمثال هذه الأباطيل عنهم أو عن أن يكون له شريك في دفع ما أراد بهم بوجه من الوجوه وصيغة الاستقبال للدلالة على تجدد إشرأفهم واستمراره والالتفات إلى الغيبة للإيدان باقتضاء ذكر قبائحهم للإعراض عنهم وطرحهم عن رتبة الخطاب وحكاية شنائعهم لغيرهم وعلى تقدير تخصيص الخطاب بالمؤمنين تقوت هذه النكتة كما يفوت ارتباط المنهى عنه بالمتنزه عنه وقرىء على صيغة الخطاب (ينزل الملائكة) بيان لتعمم التوحيد حصصاً به عليه تنبيهاً إجمالياً ببيان تقدس جناب الكبرياء ٢ وتعالى عن أن يحوم حوله شائبة أن يشاركه شيء فى شيء وإيدان بأنه دين أجمع عليه جمهور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأمروا بدعوة الناس إليه مع الإشارة إلى سر البغته والتشريع وكيفية إلقاء الوحي والتنبيه على طريق علم الرسول ﷺ يأتیان ما أوعدهم به وباقترا به إزاحة لاستبعادهم اختصاصه عليه الصلاة والسلام بذلك وإظهاراً لبطلان رأيهم فى الاستعجال والتكذيب وإيضاح صيغة الاستقبال للإشعار بأن ذلك عادة مستمرة له سبحانه والمراد بالملائكة إما جبريل عليه السلام قال الواحدى يسمى الواحد بالجمع إذا كان رئيساً أو هو ومن معه من حفظة الوحي بأمر الله تعالى وقرىء ينزل من الإنزال وتنزل بحذف إحدى التاءين وعلى صيغة المبني للمفعول من التنزيل (بالروح) أى بالوحي الذى من جملة ما أقرآن على نهج الاستعارة فإنه يحى القلوب الميتة بالجهل أو يقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد والباء متعلقة بالفعل أو بما هو حال من مفعوله أى ملتبس بالروح (من أمره) بيان للروح الذى أريد به الوحي فإنه أمر بالخير أو حال منه أى حال كونه ناشئاً ومبتدأ منه أو صفة له على رأى من جوز حذف الموصول مع بعض صلته أى بالروح الكائن من أمره الناشئ منه أو متعلق بينزل ومن للسببية كالباء مثل ما فى قوله تعالى عما خطيئناهم أى ينزلهم بأمره (على من يشاء من عباده) أن ينزلهم به عليهم لاختصاصهم صفات توهمهم لذلك (أن أنذروا) بدل من الروح أى ينزلهم ملتبسين بأن أنذروا أى بهذا القول المخاطبون به الأنبياء الذين نزلت الملائكة عليهم والأمر هو الله سبحانه والملائكة نفلة للأمر كما يشعر الباء فى المبدل منه وأن إما مخففة من أن وضمير الشأن الذى هو اسمها محذوف أى ينزلهم ملتبسين بأن

١٦ النحل

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢﴾

١٦ النحل

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٣﴾

١٦ النحل

وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفٌّ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٤﴾

الشان أقول لكم أنذروا أو مفسرة على أن تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول كأنه قيل يقول بواسطة الملائكة لمن يشاء من عباده أنذروا فلاحل لها من الإعراب أو مصدرية لجواز كون صلتها إنشائية كما في قوله تعالى وأرأى أقم وجهك حسبا ذكر في أوائل سورة هود فحملها الجر على البدلية أيضاً والإنذار الإعلام خلا أنه مختصر بإعلام المحذور من نذر بالشئ. إذا علمه فحذره وأنذره بالأمر إنذاراً أي أعلمه وحذره وخوفه في إبلاغه كذا في القاموس أي أعلموا الناس (أنه لا إله إلا أنا) فالضمير للشان ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن التصريح به وقائدة تصدير الجملة به الإيذان من أول الأمر بفخامة مضمونها مع ما فيه من زياد تقرير له في الذهن فإن الضمير لا يفهم منه ابتداء إلا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقباً لما يعقبه فيتمكن لديه عندوروده فضل تمكن كأنه قيل أنذروا أن الشأن الخطير هذا وأنباء مضمونه عن المحذور ليس لذاته بل من حيث اتصاف المنذرين بما يضاده من الإشرار وذلك كاف في كون إعلامه إنذاراً وقوله سبحانه (فانقون) خطاب للمستعجلين على طريقة الالتفات والفاء فصيحة أي إذا كان الأمر ذكر من جربان عاداته تعالى بتنزيل الملائكة على الأنبياء عليهم السلام وأمرهم بأن ينذروا الناس لا شريك له في الألوهية فانقون في الإخلال بمضمونه ومباشرة ما ينافية من الإشرار وفروعه التي جمعتها الاستعجال والاستمراء وبعد تمهيد الدليل السمعي للتوحيد شرع في تحرير الأدلة العقلية فقيه

٣ (خلق السموات والأرض بالحق) أي أوجدهما على ما هما عليه من الوجه الفائق والنقط اللائق (تعالى) وتقدس بذاته لا سيما بأفعاله التي من جملة إبداع هذين المخلوقين (عما يشركون) عن إشرارهم المعهود أو عن شركه ما يشركونه به من الباطل الذي لا يبدى ولا يعيد وبعد ما نبه على صنعه الكلى المنظوى

٤ تفاصيل مخلوقاته شرع في تعداد ما فيه من خلائقه فبدأ بفعله المتعلق بالإنفس فقال (خلق الإنسان) وهذا النوع غير الفرد الأول منه (من نطفة) جماد لا حس له ولا حراك سيال لا يحفظ شكلاً ولا وضو (فإذا هو) بعد الخلق (خصيم) منطبق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم (مبين) لحجته لقن بها وهو أنسب بمقام الامتنان بإعطاء القدرة على الاستدلال بذلك على قدرته تعالى ووحدته أو مخاصم لخال منكر له قائل من يحيي العظام وهي رميم وهذا أنسب بمقام تعداد هبات الكفرة روى أن أبي بن خلف

٥ الجمعى أنى النبي ﷺ بعظم رميم فقال يا محمد أترى الله تعالى يحيي هذا بعدما قدم فنزلت (والأنعام) وهو الأنواع الثمانية من الإبل والبقر والضأن والمعز وانتصابه بضمير يفسره قوله تعالى (خلقها) أو بالعطف على الإنسان وما بعده بيان ما خلق لأجله والذي بعده تفصيل لذلك وقوله تعالى (لكم) إمامتعلق بخلافه وقوله (فيها) خبر مقدم وقوله (دف) مبتدأ وهو ما يدفأ به فيق من البرد والجملة حال من المفعول

١٦ النحل

وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٧٠﴾

وَنَحْمِلُ أُنْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِّغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأُنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧١﴾ ١٦ النحل

- الظرف الأول خبر للببتدا المذكور وفيها حال من دفء إذ لو تأخر لكان صفة (ومنافع) هي درها
 وركوبها وحملها والحراثة بها وغير ذلك وإنما عبر عنها بها ليتناول الكل مع أنه الانسب بمقام الامتتان
 بالنعيم وتقديم الدفء على المنافع لرعاية أسلوب الترتي إلى الأعلى (ومنها تأكلون) أي تأكلون ما يؤكل
 منها من اللحوم والشحوم وغير ذلك وتغيير النظم للإيماء إلى أنها لا تبقى عند الأكل كما في السابق واللاحق
 فإن الدفء والمنافع والجمال يحصل منها وهي باقية على حالها ولذلك جعلت محال لها بخلاف الأكل وتقديم
 الظرف للإيذان بأن الأكل منها هو المعتاد المعتمد في المعاش لأن الأكل مما عداها من الدجاج والبط
 وصيد البر والبحر من قبيل النفك مع أن فيه مراعاة للفواصل ويحتمل أن يكون معنى الأكل منها أكل
 ما يحصل بسببها فإن الحبوب والثمار المأكولة تنكسب بإكراه الإبل ويأثمات نتاجها وألبانها وجلودها
 (ولكم فيها) مع ما فصل من أنواع المنافع الضرورية (جمال) أي زينة في أعين الناس ووجاهة عندهم
 (حين تريحون) تردونها من مراعيها إلى مراعيها العشي (وحين تسرحون) تخرجونها بالغداة من حظائرهما
 إلى مسارحهما فالفعل محذوف من كلا الفعلين لرعاية الفواصل وتعيين الوقتين لأن ما يدور عليه أمر
 الجمال من تزين الألفية والأكناف بها وتجاوب ثغائها ورغائها إنما هو عند ورودها وصدورها في
 ذينك الوقتين وأما عند كونها في المراعي فينقطع إصافتها الحسية إلى أربابها وعند كونها في الحظائر
 لا يراها راء ولا ينظر إليها ناظر وتقديم الإراحة على السرح لتقدم الورد على الصدور وليكونها أظهر
 منه في استتباع ما ذكر من الجمال وأنتم في استجلاب الأنس والبهجة إذ فيها حضور بعد غيبة وإقبال
 بعد إدبار على أحسن ما يكون ملأى البطون مرتفعة الضلوع حافلة الضروع وقرى حيناً تريحون وحيناً
 تسرحون على أن كلا الفعلين وصف لحيناً بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه (وتحمل أُنْقَالَكُمْ) جمع ثقل
 وهو متاع المسافرين وقيل أُنْقَالَكُمْ أجرامكم (إلى بلد) قال ابن عباس رضى الله عنهما أريد به اليمن ومصر
 والشام ولعله نظر إلى أنها متاجر أهل مكة وقال عكرمة أريد به مكة ولعله نظر إلى أن أنقالتهم وأحمالهم
 عند القبول من متاجرهم أكثر وحاجتهم إلى الحمولة أمس والظاهر أنه عام لكل بلد سحيق (لم تكونوا
 بالغية) واصلين إليه بأنفسكم مجردين عن الأنقال لولا الإبل (إلا بشق الأنفس) فضلاً عن استصحابها
 معكم وقرى بفتح الشين وهما الغتان بمعنى الكلفة والمشقة وقيل المفتوح مصدر من شق الأمر عليه شقاً
 وحقيقته راجعة إلى الشق الذي هو الصدع والمكسور النصف كأنه يذهب نصف القوة لما يناله من الجهد
 فالإضافة إلى الأنفس مجازية أو على تقدير مضاف أي وإلا بشق قوى الأنفس وهو استثناء مفرغ
 من أعم الأشياء أي لم تكونوا بالغية بشيء من الأشياء إلا بشق الأنفس ولعل تغيير النظم الكريم
 السابق الدال على كون الأنعام مداراً للنعيم السابقة إلى الجملة الفعلية المفيدة لمجرد الحدوث للإشعار بأن

١٦ النحل

وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

١٦ النحل

وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾

هذه النعمة ليست في العموم بحسب المنشأ وبحسب المتعلق وفي الشمول للأوقات والاطراد في الأحيان الممودة بمثابة النعم السالفة فإنها بحسب المنشأ وخاصة بالإبل وبحسب المتعلق بالضرارين في الأرض المتقابين فيها للتجارة وغيرها في أحياء غير مطردة وأما سائر النعم المعدودة فوجوده في جميع أصناف الأنعام وعامة لكافة المخاطبين دائماً وفي عامة الأوقات (إن ربكم لرؤوف رحيم) ولذلك أسبغ عليكم هذه النعم الجليلة ويسر لكم الأمور الشاقة (والخيل) هو اسم جنس للفرس لا واحد له من لفظه كالإبل وهو عطف على الأنعام أي خلق الخيل (والبغال والحمير لتركبوها) تعليل بمعظم منافعها وإلا فالارتفاع بها بالحمل أيضاً مما لا ريب في تحقيقه (وزينة) عطف على محل تركبوها وتجريده عن اللام لكونه فعلاً لفاعل الفعل المعلل دون الأول وتأخير لكون الركوب أهم منه أو مصدر لفعل محذوف أي وتزينوا بها زينة وقرى به غير واو أي خلقها زينة لتركبوها ويجوز أن يكون مصدراً واقعاً موقع الحال من فاعل تركبوها أو مفعوله أي متزينين بها أو متزيناً بها (ويخلق ما لا تعلمون) أي يخلق في الدنيا غير ما عدد من أصناف النعم فيكم ولكم ما لا تعلمون كنهه وكيفية خلقه فالعدول إلى صيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار والتجدد أو لاستحضار الصورة أو يخلق لكم في الجنة غير ما ذكر من النعم الدنيوية ما لا تعلمون أي ما ليس من شأنكم أن تعلموه وهو ما أشير إليه بقوله ﷺ حكاية عن الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويجوز أن يكون هذا إخباراً بأنه سبحانه يخلق من الخلاق ما لا علم لنا به دلالة على قدرته الباهرة الموجبة للتوحيد كنعمة الباطنة والظاهرة . عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عن يمين العرش نهراً من نور مثل السموات السبع والأرضين السبع والبحار السبعة يدخل فيه جبريل عليه السلام كل سحر فيغتسل فيزداد نوراً إلى نور وجمالاً إلى جمال وعظماً إلى عظم ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل قطرة تقع من ريشه كذا وكذا ألف ملك فيدخل منهم كل يوم سبعون ألف ملك البيت المعمور وسبعون ألف ملك الكعبة لا يعودون إليه إلى يوم القيامة (وعلى الله قصد السبيل) القصد مصدر بمعنى الفاعل يقال سبيل قصد وقاصد أي مستقيم على طريقة الاستعارة أو على نهج إسناد حال سالكة إليه كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه أي حق عليه سبحانه وتعالى بموجب رحمته ووعده المحتوم بيان الطريق المستقيم الموصول لمن يسلكه إلى الحق الذي هو التوحيد بنصب الأدلة وإرسال الرسل وإنزال الكتب لدعوة الناس إليه أو مصدر بمعنى الإقامة والتعديل قاله أبو البقاء أي عليه عز وجل تقويمها وتعديلها أي جعلها بحيث يصل سالكها إلى الحق لكن لا بعدما كانت في نفسها منحرفة عنه بل إبداءها ابتداءً كذلك على نهج قوله سبحانه من صغر البعوض وكبر الفيل وحقيقته راجعة إلى ما ذكر من نصب الأدلة وقد فعل ذلك حيث أبدع هذه البدائع التي كل واحد منها

لا حب يهتدى بمناره وعلم يستضاء بناره وأرسل رسلا مبشرين ومنذرين وأنزل عليهم كتباً من جملتها هذا الوحي الناطق بحقيقة الحق الفاحص عن كل ما جل من الأسرار ودق المهادى إلى سبيل الاستدلال بتلك الأدلة المفضية إلى معالم الهدى المنجية عن فياق الضلالة ومهاوى الردى ألا يرى كيف بين أولاً تنزه جناب الكبرياء وتعالیه بحسب الذات عن أن يحوم حوله شائبة توهم الإشراك ثم أوضح سر إلقاء الوحي على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكيفية أمرهم بإبذار الناس ودعوتهم إلى التوحيد ونهيهم عن الإشراك ثم كر على بيان تعالیه عن ذلك بحسب الأفعال مرشداً إلى طريقة الاستدلال فبدأ بفعله المتعلق بمحيط العالم الجسماني ومركزه بقوله تعالى خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون ثم فصل أفعاله المتعلقة بما بينهما فبدأ بفعله المتعلق بأنفس المخاطبين ثم ذكر ما يتعلق بما لا بد لهم منه في معاشهم ثم بين قدرته على خلق ما لا يحيط به علم البشر بقوله ويخاق ما لا تعلمون وكل ذلك كما ترى بيان لسبيل التوحيد غيب بيان وتعديل له أيما تعديل فالمراد بالسبيل على الأول الجنس بدليل إضافة القصد إليه وقوله تعالى (ومنها) في محل الرفع على الابتداء إما باعتبار مضمونه وإما بتقدير الموصوف كما في قوله تعالى ومنادون ذلك وقد مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمناً بالله وباليوم الآخر إلخ أى بعض السبيل أو بعض من السبيل فإنها تؤنث وتذكر (جائر) أى مائل عن الحق منحرف عنه لا يوصل سالكه إليه وهو طرق الضلال التي لا يكاد يحصى عددها المندرج كل ماتحت الجائر وعلى الثاني نفس السبيل المستقيم والضمير في منها راجع إليها بتقدير المضاف أى ومن جنسها لما عرفت من أن تعديل السبيل وتقويمه إبداعه ابتداء على وجه الاستقامة والعدالة لا تقويمه بعد انحرافه وأياً ما كان فليس في النظم الكريم تغيير الأسلوب رعاية لأمر مطلوب كما قيل فإن ذلك إنما يكون فيما اقتضى الظاهر سبباً معيناً وإسناد تعديل عن ذلك لنكتة أهم منه كما في قوله سبحانه الذى يطعمنى ويسقنى وإذا مرضت فهو يشفين فإن مقتضى الظاهر أن يقال والذى يسقمنى ويشفين ولكن غير إلى ما عليه النظم الكريم فتدريجاً عن إسناد ما تكرهه النفس إليه سبحانه وليس المراد ببيان قصد السبيل مجرد إعلام أنه مستقيم حتى يصح إسناد أنه جائر إليه تعالى فيحتاج إلى الاعتذار عن عدم ذلك على أنه لو أريد ذلك لم يوجد لتغيير الأسلوب نكتة وقد بين ذلك في مواضع غير معدودة بل المراد ما مر من نصب الأدلة لهداية الناس إليه ولا إمكان لإسناد مثله إليه تعالى بالنسبة إلى الطريق الجائر بأن يقال وجارها ثم يغير سبيلك النظم عن ذلك لداعية أقوى منه بل الجملة الظرفية اعتراضية جئ بها لبيان الحاجة إلى البيان والتعديل وإظهار جلالة قدر النعمة في ذلك والمعنى على الله تعالى بيان الطريق المستقيم الموصل إلى الحق وتعديله بما ذكر من نصب الأدلة ليسلكه الناس باختيارهم ويصلوا إلى المقصد وهذا هو الهداية المفسرة بالدلالة على ما يوصل إلى المطلوب لا الهداية المستلزمة للاهتمام البتة فإن ذلك مما ليس بحق على الله تعالى لا بحسب ذاته ولا بحسب رحمته بل هو مخل بحكمته حيث يستدعيه تسوية المحسن والمسيء والمطيع والعاصى بحسب الاستعداد وإليه أشير بقوله تعالى (ولو شاء الله لهداكم أجمعين) أى لو شاء أن يهديكم إلى ما ذكر من التوحيد هداية موصلة إليه البتة مستلزمة لاهتمامكم أجمعين لفعل ذلك ولكن لم يشأ لأن مشيئته تابعة للحكمة الداعية إليها ولا

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾

١٦ النحل

يُنَبِّتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ

١٦ النحل

يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾

حكمة في تلك المشيئة لما أن الذي عليه يدور فلك التكليف وإليه ينسحب الثواب والعقاب إنما هو الاختيار الجزئي الذي عليه يترتب الأعمال التي بها ينيط الجزاء هذا هو الذي يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام وقد فسر كون قصد السبيل عليه تعالى بانتهائه إليه على نهج الاستقامة وإيثار حرف الاستعلاء على أداة الانتهاء لتأكيد الاستقامة على وجه تمثيلي من غير أن يكون هناك استعلاء لشيء عليه سبحانه وتعالى عنه علواً كبيراً كما في قوله تعالى هذا صراط على مستقيم فالقصد مصدر بمعنى الفاعل والمراد بالسبيل الجنس كما مر وقوله تعالى ومنها جائر معطوف على الجملة الأولى والمعنى أن قصد السبيل واصل إليه تعالى بالاستقامة وبعضها منحرف عنه ولو شاء لهداكم جميعاً إلى الأول وأنت خير بأن هذا حق في نفسه ولكنه بمعزل عن نكتة موجبة لتوسيطه بين ما سبق من أدلة التوحيد وبين ما لحق ولما بين الطريق السمعي للتوحيد على وجه إجمالي وفصل بعض أدلته المتعلقة بأحوال الحيوانات وعقب ذلك ببيان السر الداعي إليه بعضاً للخاططين على التأمل فيما سبق وحثاً على حسن التلقى لما لحق أتبع ذلك ذكر ما يدل عليه من أحوال النبات فقيل (هو الذي أنزل) بقدرته القاهرة (من السماء) أي من السحاب أو من جانب السماء (ماء) أي نوعاً منه وهو المطر وتأخره عن المجرور لما مر مراراً من أن المقصود هو الإخبار بأنه أنزل من السماء شيئاً هو الماء لا أنه أنزله من السماء والسر فيه ما سلف من أن عند تأخير ما حقه التقديم يبقى الذهن مترقباً له مشتاقاً إليه فيتمكن لديه عند وروده عليه فضل تمكن (لكم منه شراب) أي ما تشربونه وهو إما مرتفع بالظرف الأول أو مبتدأ وهو خبره والجملة صفة لماء والظرف الثاني نصب على الحالية من شراب ومن تبعيضية وليس في تقديمه إيهام حصر المشروب فيه حتى يفتقر إلى الاعتذار بأنه لا بأس به لأن مياه العيون والآبار منه لقوله تعالى فسلكه ينابيع في الأرض وقوله تعالى فأسكنناه في الأرض وقيل الظرف الأول متعلق بأنزل والثاني خبر لشراب والجملة صفة لماء وأنت خير بأن ما فيه من توسط المنسوب بين المجرورين وتوسط الثاني منهما بين الماء وصفته بما لا يليق بجزالة نظم التنزيل الجليل (ومنه شجر) من ابتدائية أي ومنه يحصل شجر ترعاه المواشي والمراد به ما ينبت من الأرض سواء كان له ساق أو لا أو تبعيضية مجازاً لأنه لما كان سقيه من الماء جعل كأنه منه كقوله أسنمة الآبال في ربابه يعني به المطر الذي ينبت به الكلاء الذي تأكله الإبل فتسمن أسنمتها وفي حديث عكرمة لا تأكلوا ثمن الشجر فإنه يسمت يعني الكلاء (فيه تسيمون) ترعون من سامت الماشية وأسامها أصحابها وأصلها السومة وهي العلامة لأنها تؤثر بالرعى علامات في الأرض (ينبت) أي الله عز وجل وقرىء بالزون (لكم به) بما أنزل من السماء (الزروع والزيتون والنخيل والأعناب) بيان للنعم الفائضة عليهم من الأرض

وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾

١٦ النحل

بطريق الاستئناف وإيثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار وأنها سنته الجارية على مر الدهور أو لاستحضار صورة الإنبات وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر آنفاً مع ما في تقديم أولهما من الاهتمام به لإدخال المسرة ابتداء وتقديم الزرع على ماعداه لأنه أصل الأغذية وعمود المعاش وتقديم الزيتون لما فيه من الشرف من حيث إنه أدام من وجه وفاكهة من وجه وتقديم النخيل على الأعناب لظهور أصلاتها وبقائها وجمع الأعناب للإشارة إلى ما فيها من الاشتمال على الأصناف المختلفة وتخصيص الأنواع المعدودة بالذكر مع اندراجها تحت قوله تعالى (ومن كل الثمرات) للإشعار بفضائها وتقديم الشجر عليها مع كونه غذاء للأنعام لحصوله بغير صنع من البشر أو الإرشاد إلى مكارم الأخلاق فإن مقتضاها أن يكون اهتمام الإنسان بأمر ما تحت يده وأكل من اهتمامه بأمر نفسه أو لأن أكثر المخاطبين من أصحاب المواشي ليس لهم زرع ولا ثمر وقيل المراد تقديم ما يسام لا تقديم غذائه فإنه غذاء حيواني للإنسان وهو أشرف الأغذية وقرىء ينبت من الثلاثي مسنداً إلى الزرع وما عطف عليه (إن في ذلك) أى فى إزال الماء وإنبات ما فصل (لآية) عظيمة دالة على تفرده تعالى بالآلوهية لاشتماله على كمال العلم والقدرة والحكمة (لقوم يتفكرون) فإن من تفكر فى أن الحبة أو الزواة تقع فى الأرض وتصل إليها نداوة تنفذ فيها فينشق أسفلها فيخرج منه عروق تنبسط فى أعماق الأرض وينشق أعلاها وإن كانت منتكسة فى الوقوع ويخرج منه ساق فينمو ويخرج منه الأوراق والأزهار والحبوب والثمار المشتملة على أجسام مختلفة الأشكال والألوان والخواص والطبائع وعلى نواة قابلة لتوليد الأمثال على النمط المحرر لا إلى نهاية مع اتحاد المواد واستواء نسبة الطبائع السفلية والتأثيرات العلوية بالنسبة إلى الكل علم أن من هذه أفعاله وآثاره لا يمكن أن يشبهه شيء فى شيء من صفات الكمال فضلاً عن أن يشاركه أخس الأشياء فى أخص صفاته التى هى الآلوهية واستحقاق العبادة تعالى عن ذلك علواً كبيراً وحيث افتقر سلوك هذه الطريقة إلى ترتيب المقدمات الفكرية قطع الآية الكريمة بالتفكير (وسخّر لكم الليل والنهار) يتعاقبان خلفاً لثباتكم ومعاشكم ولعقد الثمار وإنضاجها (والشمس والقمر) يدأبان فى سيرهما وإنارتها أصالة وخلافة وإصلاحهما لما نيظ بهما صلاحه من المكونات التى من جملتهما فصل وأجل كل ذلك لمصالحكم ومنافعكم وليس المراد بتسخيرها لهم تمكينهم من تصرفها كيف شاءوا كما فى قوله تعالى سبحانه الذى سخّر لنا هذا ونظّره بل هو تصرفه تعالى لها حسبما يترتب عليه منافعهم ومصلحتهم كان ذلك تسخير لهم وتصرف من قبلهم حسب إرادتهم وفى التعبير عن ذلك التصريف بالتسخير إيماء إلى ما فى المسخرات من صعوبة المأخذ بالنسبة إلى المخاطبين وإيثار صيغة الماضى للدلالة على أن ذلك أمر واحد مستمر وإن تجددت آثاره (والنجوم مسخرات بأمره) مبتدأ وخبر أى سائر النجوم فى

وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ التحل ١٦

حركاتها وأوضاعها من التثليث والتربيع ونحوهما مسخرات لله تعالى أو لما خلقن له بإرادته ومشيئته
وحيث لم يكن عود منافع النجوم إليهم في الظهور بمثابة ما قبلها من الملون والقمرين لم ينسب تسخيرها إليهم
بأداة الاختصاص بل ذكر على وجه يفيد كونها تحت ملكوته تعالى من غير دلالة على شيء آخر ولذلك
عدل عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث إلى الاسمية المفيدة للدوام والاستمرار وقرىء برفع الشمس
والقمر أيضاً وقرىء بنصب النجوم على أنه مفعول أول لفعل مقدر يذى عنه الفعل المذكور ومسخرات
مفعول ثان له أى وجعل النجوم مسخرات بأمره أو على أنه معطوف على المنصوبات المتقدمة ومسخرات
حال من الكل والعامل ما في سخر من معنى نفع أى نفعكم بها حال كونها مسخرات لله الذى خلقها ودبرها
كيف شاء أو لما خلقن له بإيجاده وتقديره أو لحكمه أو مصدر ميمى جمع لاختلاف الأنواع أى أنواعا
من التسخير وما قيل من أن فيه إيذاناً بالجواب عما عسى يقال أن المؤثر في تكوين النبات حركات
الكواكب وأوضاعها بأن ذلك إن سلم فلا ريب في أنها أيضاً أمور ممكنة الذات والصفات واقعة على
بعض الوجوه الممكنة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعاً للدور والتسلسل فبيناه
حسبان ما ذكر أدلة على وجود الصانع تعالى وقدرته واختياره وأنت تدري أن ليس الأمر كذلك
فإنه ليس مما ينازع فيه الخصم ولا يتلعم في قبوله قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر
الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون وقال تعالى ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من
بعد موتها ليقولن الله الآية وإنما ذلك أدلة التوحيد من حيث إن هذا شأنه لا يتوهم أن يشاركه شيء في شيء
فصلاح أن يشاركه الجواد في الألوهية (إن في ذلك) أى فيما ذكر من التسخير المتعلق بما ذكر بجملاً ومفصلاً
(لآيات) باهرة متكاثرة (لقوم يعقلون) وحيث كانت هذه الآثار العلوية متعددة ودلالة ما فيها من عظيم
القدرة والعلم والحكمة على الوحدانية أظهر جمع الآيات وعلقت بمجرد العقل من غير حاجة إلى التأمل والتفكير
ويجوز أن يكون المراد لقوم يعقلون ذلك فالشار إلى حيث توجب الدقائق المودعة في العلويات المدلول
عليها بالتسخير التى لا يتصدى لمعرفتها إلا الماهرة من أساطين علماء الحكمة ولا ريب في أن احتياجها إلى التفكير
أكثر (وما ذراً) عطف على قوله تعالى والنجوم رفعا ونصباً على أنه مفعول لجعل أى وما خلق (لكم في
الأرض) من حيوان ونبات حال كونه (مختلفاً ألوانه) أى أصنافه فإن اختلافها غالباً يكون باختلاف
اللون مسخر لله تعالى أو لما خلق له من الخواص والأحوال والكيفيات أو جعل ذلك مختلفاً ألوان
أى الأصناف لئلا تتعوا من ذلك بأى صنف شئتم وقد عطف على ما قبله من المنصوبات وعقب بأن ذكر
الخلق لهم مغن عن ذكر التسخير واعتذر بأن الأول لا يستلزم الثاني لزوماً عقلياً لجواز كون ما خلق لهم
عزير المرام صعب المنال وقيل هو منصوب بفعل مقدر أى خلق وأنبت على أن قوله مختلفاً ألوانه حال
من مفعوله (إن في ذلك) الذى ذكر من التسخيرات ونحوها (لآية) بينة الدلالة على أن من هذا شأنه
واحد لا ند له ولا ضد (لقوم يذكرون) فإن ذلك غير محتاج إلا إلى تذكر ما عسى يغفل عنه من العلوم

وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لَنَا كُلَّوْا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾

١٦ النحل

وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَضَهَا وَرْسِيَّ لَعَلَّكُمْ تهتدون ﴿١٥﴾

١٦ النحل

الضرورة وأما ما يقال من أن اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر ليس إلا بصنع صانع حكيم فداره مالو حنابه من حسابان ماذكر دليلا على إثبات الصانع تعالى وقد عرفت حقيقة الحال فإن إيراد ما يدل على اتصافه سبحانه بما ذكر من صفات الكمال ليس بطريق الاستدلال عليه بل من المقدمات المسددة جى به للاستدلال به على ما يقتضيه ضرورة من وحدانيته تعالى واستحالة أن يشاركه شيء في الألوهية (وهو ١٤ الذى سخر البحر) شروع في تعداد النعم المتعلقة بالبحر لاثر تفصيل النعم المتعلقة بالبر حيوانا ونباتا أى جعله بحيث يتمكنون من الانتفاع به بالركوب والغوص والاصطياد (لناكلوا منه لحما طريا) هو السمك والتعبير عنه باللحم مع كونه حيوانا للتلويح بانحصار الانتفاع به في الأكل ووصفه بالطراوة للإشعار بلطافته والتنبيه على وجوب المسارعة إلى أكله كيلا يتسارع إليه الفساد كما ينبىء عنه جعل البحر مبتدأ أكله وللإيذان بكمال قدرته تعالى في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق ومن إطلاق اللحم عليه ذهب مالك والثوري أن من حلف لا يأكل اللحم حنث بأكله والجواب أن مبنى الإيمان العرف ولا ريب في أنه لا يفهم من اللحم عند الإطلاق ولذلك لو أمر خادمه بشراء اللحم لجاء بالسمك لم يكن ممثلا بالأمر ألا يرى إلى أن الله تعالى سمي الكافر دابة حيث قال إن شر الدواب عند الله الذين كفروا ولا يحنث بركوبه من حلف لا يركب دابة (وأتستخرجوا منه حلية) كاللؤلؤ والمرجان (تلبسونها) عبر في مقام الامتنان عن لبس نسائهم بلبسهم لكونهن منهم أو لكون لبسهن لأجلهم (وترى الفلك) السفن (مواخر فيه) جواري فيه مقبلة ومدبرة ومعترضة بريح واحدة تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل هو صوت جرى الفلك (ولتبتغوا) عطف على تستخرجوا وما عطف هو عليه وما بينهما اعتراض لتهديد مبادئ الابتغاء ودفع توهم كونه باستخراج الحلية أو على علة محذوفة أى لتبتغوا بذلك ولتبتغوا ذكره ابن الأنباري أو متعلقة بفعل محذوف أى وفعل ذلك لتبتغوا (من فضله) من سعة رزقه بركوبها للتجاسة (ولعلكم تشكرون) أى تعرفون حقوق نعمه الجليلة فتقومون بأدائها بالطاعة والتوحيد ولعل تخصيص هذه النعمة بالتعقيب بالشكر من حيث إن فيها قطعاً لمسافة طويلة مع أحمال ثقيلة في مدة قليلة من غير مراوغة أسباب السفر بل من غير حركة أصلا مع أنها في تضاعيف الممالك وعدم توسيط الفوز بالمطلوب بين الابتغاء والشكر للإيذان باستغنائها عن النصريح به وبحصولها معاً (وألقى في الأرض رواسي) أى ١٥ جبالا ثوابت وقدر تحقيقه في أول سورة الرعد (أن تميد بكم) كراهة أن تميل بكم وتضطرب أولئلا تميد بكم فإن الأرض قبل أن تخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع وكان من حقها أن تتحرك بالاستدارة كالأفلاك أو تتحرك بأدنى سبب محرك فلما خلقت الجبال تفاوتت حافاتا وتوجهت الجبال

١٦ التحل

وَعَلَّمَنِي وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾

١٦ التحل

أَفَنَ يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾

بقيام نحو المركز فصارت كالآلة وتاد وقيل لما خلق الله تعالى الأرض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر أحد على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال (وأنهاراً) أى وجعل فيه أنهاراً لأن فى ألقى معنى
 ١٦ الجعل (وسبلاً لعلكم تهتدون) بها إلى مقاصدكم (وعلامات) معالم يستدل بها السابلة بالنهار من جبل
 ومنهل وريح وقد نقل أن جماعة يشمون التراب ويتعرفون به الطرقات (وبالنجم هم يهتدون) بالليل فى
 العارى والبحار حيث لا علامة غيره والمراد بالنجم الجنس وقيل هو النريا والفرقدان وبنات النعش
 والجدى وقرى بضمتين وبضمة وسكون وهو جمع كرهن ورهن وقيل الأول بطريق حذف الواو
 من النجوم للتحفيف ولعل الضمير لقرى فإشراهم كانوا كثيرى النرد للنجارة مشهورين بالاهتداء بالنجوم
 فى أسفارهم وصرف النظم عن سن الخطاب وتقديم النجم وإقحام الضمير للتخصيص كأنه قيل وبالنجم
 ١٧ خصوصاً هؤلاء خصوصاً يهتدون فلا اعتبار بذلك والشكر عليه ألزم لهم وأوجب عليهم (أفن يخلق)
 هذه المصنوعات العظيمة ويفعل هاتيك الأفاعيل البديعة أو يخلق كل شئ (كمن لا يخلق) شيئاً أصلاً
 وهو تبيكيت للكفرة وإبطال لإشراهم وعبادتهم الأصنام بإنكار ما يستلزمه ذلك من المشابهة بينها
 وبينه سبحانه وتعالى بعد تعداد ما يقتضى ذلك اقتضاء ظاهراً وتعقيب الحمزة بالغاء لتوجيه الإنكار إلى
 توهم المشابهة المذكورة على ما فصل من الأمور العظيمة الظاهرة الاختصاص به تعالى المعلومة كذلك
 فيما بينهم حسبما يؤذن به ما تلوناه من قوله تعالى ولئن سألتهم لآيتين والافتقار على ذكر الخلق من
 بينها لكونه أعظمها وأظهرها واستتباعه إياها أو لكون كل منها خلقاً مخصوصاً أى أبعد ظهور اختصاصه
 تعالى بمبدئية هذه الشئون الواضحة الدلالة على وحدانيته تعالى وتفرد به باللوهية واستبداده باستحقاق
 العبادة بتصور المشابهة بينه وبين ما هو بمنزلة من ذلك بالمرة كما هو قضية إشراكم ومدارها وإن كان
 على تشبيه غير الخالق بالخالق لكن التشبيه حيث كان نسبة تقوم بالمنتسبين اختيار ما عليه النظم الكريم
 مراعاة لحق سبق الملكة على العدم وتفادياً عن توسيط عدمها بينها وبين جزئياتها المفصلة قبلها وتنبهها
 على كمال قبح ما فعلوه من حيث إن ذلك ليس مجرد رفع الأصنام عن محلها بل هو حط لمنزلة الربوبية إلى
 مرتبة المحدثات ولا ريب فى أنه أقبح من الأول والمراد بمن لا يخلق كل ما هذا شأنه كائناتاً ما كان والتعبير
 عنه بما يخص بالعقلاء للمشكلة أو العقلاء خاصة ويعرف منه حال غيرهم لدلالة النص فإن من يخلق حيث
 لم يكن كمن لا يخلق وهو من جملة العقلاء فما ظنك بالجماد وأياً ما كان فدخل الأصنام فى حكم عدم
 المائلة والمشابهة إما بطريق الاندراج تحت الموصول العام وإما بطريق الانفهام بدلالة النص على
 الطريقة البرهانية لأنها هى المرادة بالموصول خاصة (أفلا تذكرون) أى ألا تلاحظون فلا تذكرون
 ذلك فإنه لو ضوحه بحيث لا يفتقر إلى شئ سوى التذكير.

وَأِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ النحل ١٦

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تَعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ النحل ١٦

وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ النحل ١٦

- (وإن تعدوا نعمة الله) تذكري إجمالي لنعمته تعالى بعد تعداد طائفة منها وكان الظاهر إirاده عقبيها تسكلة ١٨ لها على طريقة قوله تعالى ويخلق مالا تعلمون ولعل فصل ما بينهما بقوله تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون المبادرة إلى إلزام الحجة وإلزام الحجة لإثر تفصيل ما فصل من الأفاعيل التي هي أدلة الوجدانية مع ما فيه من سر ستقف عليه ودلائلها عليهم وإن لم تكن مقصورة على حيثية الخلق ضرورة ظهور دلائلها من حيثية الإلزام أيضاً لكنها حيث كانت مستتبعات الحيثية الأولى استغنى عن التصريح بهائم بين حالها بطريق الإجمال أي إن تعدوا نعمته الفائضة عليكم بما ذكر وما لم يذكر حسبما يعرب عنه قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً (لا تحصوها) أي لا تطبقوا حصرها وضبط عددها ولو إجمالاً فضلاً * عن القيام بشكرها وقد خرجنا عن عهدة تحقيقه في سورة إبراهيم بفضل الله سبحانه (إن الله لغفور) * حيث يستمر ما فرط منكم من كفرانها والإخلال بالقيام بحقوقها ولا يماجلكم بالعقوبة على ذلك (رحيم) * حيث يفرضها عليكم مع استحقاقكم للقطع والحرمان بما تاتون وتذرون من أصناف الكفر التي من جملتها عدم الفرق بين الخالق وغيره وكل من ذلك نعمة وأيمان نعمة فالجملته لتعليل للحكم بعدم الإحصاء وتقديم وصف المغفرة على نعت الرحمة لتقدم التخلية على التحلية (والله يعلم ما تسرون) تضررونه من العقائد ١٩ والأعمال (وما تعلمون) أي تظهرونه منهما وحذف العائد لإعارة الفواصل أي يستوى بالنسبة إلى علمه المحيط سرهم وعلنتهم وفيه من الوعيد والدلالة على اختصاصه سبحانه بنعوت الإلهية مالا يخفى وتقديم السر على العلن لما ذكرناه في سورة البقرة وسورة هود من تحقيق المساواة بين علميه المتعلقين بهما على أبلغ وجه كان علمه تعالى بالسر أقدم منه بالعلن أو لأن كل شيء يعلن فهو قبل ذلك مضمحل في القلب فتعلق علمه تعالى بحالته الأولى أقدم من تعلقه بحالته الثانية (والذين يدعون) شروع في تحقيق كون ٢٠ الأصنام بمعزل من استحقاق العبادة وتوضيحه بحيث لا يبقى فيه شائبة ريب بتعديد أوصافها وأحوالها المنافية لذلك منافاة ظاهرة وتلك الأحوال وإن كانت غنية عن البيان لكنها شرحت للتنبيه على كمال حماقة عبدتها وأنهم لا يعرفون ذلك إلا بالتصريح أي والآلهة الذين يعبدون الكفار (من دون الله) سبحانه * وقرى على صيغة المبني للمفعول وعلى الخطاب (لا يخلقون شيئاً) من الأشياء أصلاً أي ليس من شأنهم ذلك ولما لم يكن بين نفي الخالقية وبين الخلوقة تلازم بحسب المفهوم وإن تلازما في الصدق أثبت لهم ذلك تصريحاً فليل (وهم يخلقون) أي شأنهم ومقتضى ذاتهم الخلوقة لأنهم ذات ممكنة مفتقرة في ماهياتها وجوداتها إلى الموجد وبناء الفعل للمفعول لتحقيق التضاد والمقابلة بين ما أثبت لهم وبين ما نفي
- ١٤٥ - أبي السعود

١٦ النحل

أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾

إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ ١٦ النحل

١٦ النحل

لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾

عندهم من وصفى المخلوقة والخالقية والإيدان بعدم الافتقار إلى بيان الفاعل لظهور اختصاص الفعل
بفاعله جل جلاله ويجوز أن يجعل الخلق الثاني عبارة عن النعت والتصوير رعاية للمشكلة بينه وبين
الأول ومبالغة في كونهم مصنوعين لعبادتهم وأعجز عنهم وإيداناً بكال ركاكة عقولهم حيث أشركوا
بخالقهم مخلوقهم وأما جعل الأول أيضاً عبارة عن ذلك كما فعل فلا وجه له إذ القدرة على مثل ذلك الخالق
ليست مما يدور عليه استحقاق العبادة أصلاً ولما أن إثبات المخلوقة لهم غير مستدع لنفي الحياة عنهم لما أن
بعض المخلوقين أحياء صرح بذلك فقيل (أموات) وهو خبر ثان للوصول لا للضمير كما قيل أو خبر
مبتدأ محذوف وحيث كان بعض الأموات مما يعتريه الحياة سابقاً أو لاحقاً كجساد الحيوان والنطف
التي ينشئها الله تعالى حيواناً احترز عن ذلك فقيل (غير أحياء) أي لا يعترىها الحياة أصلاً فهي أموات
على الإطلاق وأما قوله تعالى (وما يشعرون أيان يبعثون) أي ما يشعر أولئك الآلهة أيان يبعث عبدتهم
فعلى طريقة التهمك بهم لأن شعور الجهاد بالأمور الظاهرة بديهي الاستحالة عند كل أحد فكيف بمالا
يعلمه إلا العليم الخبير وفيه إيدان بأن البعث من لوازم التكليف وإن معرفة وقته بما لا بد منه في الألوهية
٢٢ (إلهكم إله واحد) لا يشاركه شيء في شيء وهو تصريح بالمدعى وتمحيض للنتيجة غب إقامة الحججة
(فالذين لا يؤمنون بالآخرة) وأحوالها التي من جملتها ما ذكر من البعث وما يعقبه من الجزاء المستلزم
لعقوبتهم وذللتهم (قلوبهم منكراً) للوحدانية جاحدة لها أو للآيات الدالة عليها (وهم مستكبرون)
عن الاعتراف بها أو عن الآيات الدالة عليها والفاء للإيدان بأن إصرارهم على الإنكار واستمرارهم
على الاستكبار وقع موقع النتيجة للدلائل الظاهرة والبراهين الباهرة والمعنى أنه قد ثبت بما قرر من
الحجج والبيّنات اختصاص الإلهية به سبحانه فكان من نتيجة ذلك إصرارهم على ما ذكر من الإنكار
والاستكبار وبناء الحكم المذكور على الوصول للإشعار بكونه معللاً بما في حيز الصلة فإن الكفر
بالآخرة وبما فيها من البعث والجزاء المتنوع إلى الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية يؤدي إلى قصر
ال نظر على العاجل والإعراض عن الدلائل السمعية والعقلية الموجب لإنكارها وإنكار مؤداها
والاستكبار عن اتباع الرسول ﷺ وتصديقه وأما الإيمان بها وبما فيها فيدعو لاحالة إلى التأمل في
٢٣ الآيات والدلائل رغبة ورهبة فيورث ذلك يقيناً بالوحدانية وخضوعاً لأمر الله تعالى (لا جرم) أي
حقاً وقد مر تحقيقه في سورة هود (أن الله يعلم ما يسرون) من إنكار قلوبهم (وما يعلنون) من استكبارهم
وقولهم للقرآن أساطير الأولين وغير ذلك من قبائحهم فيجازيهم بذلك (إنه لا يحب المستكبرين)
تعليل لما تضمنه الكلام من الوعيد أي لا يحب المستكبرين عن التوحيد أو عن الآيات الدالة عليها أو

١٦ النحل

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أُسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾

لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِمَّنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ

١٦ النحل

مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾

قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمْ

١٦ النحل

الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَسْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

- لا يحب جنس المستكبرين فكيف بمن استكبر عما ذكر (وإذا قيل لهم) أى لأولئك المنكرين المستكبرين ٢٤ وهو بيان لإضلالهم غيب بيان ضلالهم (ماذا أنزل ربكم) القائل الوافدون عليهم أو المسلمون أو بعض منهم على طريق التهم وماذا منصوب بما بعده أو مرفوع أى شئ أنزل أو ما الذى أنزله (قالوا أساطير الأولين) أى ماتدعون نزوله والمنزل بطريق السخرية حاديت الأولين وأباطيلهم وليس من الإنزال فى شئ قيل هؤلاء القائلون هم المقتسمون الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله ﷺ عند سؤال وفود الحاج عما نزل عليه ﷺ (ليحملوا) متعلق بقالوا أى قالوا ما قالوا ليحملوا (أوزارهم) ٢٥ الخاصة بهم وهى أوزار ضلالهم (كاملة) لم يكفر منها شئ بنسبة أصابتهم فى الدنيا كما يكفر بها أوزار المؤمنين (يوم القيامة) ظرف ليحملوا (ومن أوزار الذين يضلونهم) وبعض أوزار من ضل بإضلالهم وهو وزر الإضلال لأنهما شريكان هذا يضلّه وهذا يطاوعه فيتحاملان الوزر واللام للتعليل فى نفس الأمر من غير أن يكون غرضاً وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار الإضلال أو باعتبار حال قولهم لا حال الحمل (بغير علم) حال من الفاعل أى يضلونهم غير عالين بأن ما يدعون إليه طريق الضلال وأما حمله على معنى غير عالين بأنهم يحملون يوم القيامة أوزار الضلال والإضلال على أن يكون العامل فى الحال قالوا وتأيد به بما ساقى من قوله تعالى وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من حيث إن من حمل ما ذكر من أوزار الضلال والإضلال من قبيل إتيان العذاب من حيث لا يشعرون فيرده أن الحمل المذكور إنما هو يوم القيامة والعذاب المذكور إنما هو العذاب الدنيوى كما ستقف عليه أحوال من المفعول أى يضلون من لا يعلم أنهم ضلال وقائدة التقييد بها الإشعار بأن مكرم لا يروج عند ذى لب وإنما يتبعهم الأغبياء والجهلة والتنبيه على أن جهلهم ذلك لا يكون عذراً إذ كان يجب عليهم أن يبحثوا ويميزوا بين الحق الحقيق بالاتباع وبين المبطل (ألا ساء ما يزررون) أى بنس شيئاً يزررونه ما ذكر (قد مكر الذين من قبلهم) وعيد لهم برجوع غائلة مكرم إلى أنفسهم كدأب من قبلهم من الأمم الخالية الذين أصابهم ما أصابهم من العذاب العاجل أى قدسوا منصوبات ليكروا بهارسل الله تعالى (فاتى الله) أى أمره وحكمه (بنيانهم) وقرىء بينهم ويوتهم (من القواعد) وهى الأساطين التى تعمد به أو أساسه فضعضت أركانه (نخر عليهم السقف من فوقهم) أى سقط عليهم سقف بنيانهم إذ لا يتصور له القيام

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُسْتَفْتُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾

١٦ النحل

بعد تهدم القواعد شبت حال أولئك الماكرين في تسويتهم المكاييد والمنصوبات التي أردوا بها الإيقاع
برسل الله سبحانه وفي إبطاله تعالى تلك الحيل والمكاييد وجعله إياها أسباباً لهلاكهم بحال قوم بنوا بنياناً
وعمدوه بالأساطين فأتى ذلك من قبل أساطينه بأن ضعفت فسقط عليهم السقف فهلكوا وقرىء بغير
عليهم السقف بضمين (وأناهم العذاب) أي الهلاك والدمار (من حيث لا يشعرون) يأتيناه منه بل
يتوقعون إتيان مقابله بما يريدون ويشتهون والمعنى أن هؤلاء الماكرين القائلين للقرآن العظيم أساطير
الاولين سيأتهم من العذاب مثل ما أتاهم وهم لا يحسبون والمراد به العذاب العاجل لقوله سبحانه (ثم
يوم القيامة يخزيهم) فإنه عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أي هذا الذي فهم من التمثيل من عذاب
هؤلاء أو ما هو أعم منه وما ذكر من عذاب أولئك جزاؤهم في الدنيا ويوم القيامة يخزيهم أي بذلهم
بعذاب الخزي على رؤس الأشهاد وأصل الخزي ذل يستحي منه وهم الإيماء إلى ما بين الجزامين من
التفاوت مع ما يدل عليه من التراخي الزماني وتغيير السبيل بتقديم الظرف ليس لقصر الخزي على يوم
القيامة كما هو المتبادر من تقدير الظرف على الفعل بل لأن الإخبار بجزائهم في الدنيا مؤذن بأن لهم جزاء
آخر وياً فتبقى النفس مترقبة إلى وروده سائلة عنه بأنه ماذا مع تيقنها بأنه في الآخرة فسبق الكلام على
وجه يؤذن بأن المقصود بالذكر لإخزاؤهم لا كونه يوم القيامة والضمير إما للمفترين في حق القرآن
الكريم أولهم ولمن مثلوا بهم من الماكرين كما أشير إليه وتخصيصه بهم بإياه السباق والسياق كما ستقف
عليه (وبقول) لهم تفضيحاً وتوبيخاً فهو الخ بيان للإخزاء (أين شركائى) أضافهم إليه سبحانه حكاية
لإضافتهم الكاذبة فقيه توبيخاً إثر توبيخ مع الاستهزاء بهم (الذين كنتم تشاقون فيهم) أي تخاصمون
الأنبياء والمؤمنين في شأنهم بأنهم شركاء حقاً حين يذوا الحكم بطلانها والمراد بالاستفهام استحضارها
للشفاعة أو المدافعة على طريقة الاستهزاء والتبكيك والاستفسار عن مكانهم لا يوجب غيبتهم حقيقة
حتى يعتذر بأنهم يجوز أن يحال بينهم وبين عبدتهم حينئذ ليتفقدها في ساعة علقوا بها الرجاء فيها أو
بأنهم لما لم ينفعوهم فكأنهم غيب بل يكفي في ذلك عدم حضورهم بالعنوان الذي كانوا يزعمون أنهم منصفون
من عنوان الإلهية فليس هناك شركاء ولا أما كنهها على أن قوله ليتفقدها ليس بسديد فإنه قد تبين عندهم
الامر حينئذ فرجعوا عن ذلك الزعم الباطل فكيف يتصور منهم التفقد وقرىء بكسر النون أي تشاقوني
على أن مشاقة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمؤمنين لاسيما في شأن متعلق به سبحانه مشاقة له عز وجل
(قال الذين أوتوا العلم) من أهل الموقف وهم الأنبياء والمؤمنون الذين أوتوا علماً بدلائل التوحيد وكانوا
يدعونهم في الدنيا إلى التوحيد فيجادلونهم ويتكبرون عليهم أي توبيخاً لهم وإظهاراً للشك فيهم وتقريراً
لما كانوا يعطونهم وتحقيراً لما أوعدوهم به وإيثار صيغة الماضي للدلالة على تحققه وتحممه وقوعه حسبما هو

الَّذِينَ تَتَوَفَّيهِمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا أَلْسَلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾

النحل ١٦

النحل ١٦

فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾

- المعتاد في أخباره سبحانه وتعالى كقوله ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب الأعراف (إن الخزي) الفضيحة *
والذل والهوان (اليوم) منصوب بالخزي على رأى من يرى إعمال المصدر المصدر باللام أو بالاستقرار *
في الظرف وفيه فصل بين العامل والمعمول بالمعطوف إلا أنه مغتفر في الظروف وإيراده للإشعار بأنهم
كانوا قبل ذلك في عزة وشقاق (والسوء) العذاب (على الكافرين) بالله تعالى وبآياته ورسوله (الذين تتوفاهم ٢٨
الملائكة) بتأنيث الفعل وقرىء بتذكيره وبإدغام التاء في التاء والعدول إلى صيغة المضارع لاستحضار
صورة توفهم إياهم لما فيها من الهول والموصول في محل الجر على أنه نعت للكافرين أو بدل منه أو في محل
النصب أو الرفع على الذم وفائدته تخصيص الخزي والسوء بمن استمر كفره إلى حين الموت دون من آمن
منهم ولو في آخر عمره أى على الكافرين المستمرين على الكفر إلى أن يتوفاهم الملائكة (ظالمى أنفسهم) *
أى حال كونهم مستمرين على الكفر فإنه ظلم منهم لأنفسهم وأى ظلم حيث عرضوها للعذاب المخدوبدولوا
فطرة الله تبديلاً (فألقوا السلم) أى فيلقون والعدول إلى صيغة الماضى للدلالة على تحقق الوقوع وهو
عطف على قوله تعالى ويقول أين شركائى وما بينهما جملة اعتراضية جىء بها تحقيقاً لما حاق بهم من الخزي
على رموس الأَشهاد أى فيسلمون ويتركون المشاقة وينزلون عما كانوا عليه في الدنيا من الكبر وشدة
الشكيمة قائلين (ما كنا نعمل) في الدنيا (من سوء) أى من شرك قالوه منكبين أصدره عنهم كقوله لهم *
والله ربنا ما كنا مشركين وإنما عبروا عنه بالسوء اعترافاً بكونه سيئاً لا إنكاراً لكونه كذلك مع الاعتراف
بصدوره عنهم ويجوز أن يكون تفسيراً للسلم على أن يكون المراد به الكلام الدال عليه وعلى التقديرين
فموجوب عن قوله سبحانه أين شركائى في سورة الأنعام لا عن قول أولى العلم إطاء لعدم استحقاقهم
لما دهمهم من الخزي والسوء (بل) رد عليهم من قبل أولى العلم وإثبات لما نفوه أى بلى كنتم تعملون ما تعملون *
(إن الله عليم بما كنتم تعملون) فهو يجازيكم عليه وهذا أوانه (فادخلوا أبواب جهنم) أى كل صنف باب ٢٩
المعدله وقيل أبوابها أصناف عذابها فالدخول عبارة عن الملابس والمقاساة (خالدين فيها) إن أريد *
بالدخول حدوته فالحال مقدرة وإن أريد مطلق الكون فيها فهى مقارنة (فلبئس مَثْوًى المتكبرين) *
عن التوحيد كما قال تعالى قلوبهم منكروهم مستكبرون وذكرهم بعنوان التكبر الإشعار بعليته
لثوائهم فيها والخصوص بالذم محذوف أى جهنم وتأويل قولهم ما كنا نعمل من سوء بأننا ما كنا عاملين
ذلك في اعتقادنا روماً للحفاظة على أن لا كذب ثمة يرده الرد المذكور وما في سورة الأنعام من
قوله تعالى انظر كيف كذبوا على أنفسهم .

وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ
الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾

النحل ١٦

جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ
الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾

النحل ١٦

الَّذِينَ اتَّقَوْهُمْ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ لَكُمْ رَحْمَةٌ أَنْ تَقُولُوا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾

النحل ١٦

- ٣٠ (وقيل للذين اتقوا) أى المؤمنين وصفوا بالتقوى لإشعاراً بأن ما صدر عنهم من الجواب ناشئ عن التقوى (ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً) سلكوا فى الجواب مسلك السؤال من غير تلعم ولا تغيير فى الصورة والمعنى أى أنزل خيراً فإنه جواب مطابق للسؤال ولسبك الواقع فى نفس الأمر مضمونا وأما الكفرة فإنهم خذلهم الله تعالى كما غيروا الجواب عن نهج الحق الواقع الذى ليس له من دافع غيروا صورته وعدلوا بها عن سنن السؤال حيث رفعوا الأساطير ورواها مما مر من إنكار النزول روى أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتهم بخبر النبى ﷺ فإذا جاء الوافد كفه المقتسمون وأمره بالانصراف وقالوا إن لم تلهه كان خيراً لك فيقول أنا شر وافد إن رجعت إلى قومي دون أن أستطلع أمر محمد وأراه فيلقى أصحاب النبى ﷺ ورضى عنهم فيخبرونه بحقيقة الحال فهم الذين قالوا خيراً (الذين أحسنوا) أى أعمالهم أو فعلوا الإحسان (فى هذه) الدار (الدنيا حسنة) أى مثوبة حسنة مكافأة فيها (ولدار الآخرة) أى مثوبتهم فيها (خير) بما أوتوا فى الدنيا من المثوبة أو خير على الإطلاق فيجوز إسناده الخيرية إلى نفس دار الآخرة (ولنعلم دار المتقين) أى دار الآخرة حذف لدلالة ما سبق عليه وهذا كلام مبتدأ مدح الله تعالى به المتقين وعد جوابهم المحكى من جملة إحسانهم ووعدهم بذلك ثوابى الدنيا والآخرة فلا محل له من الإعراب أو بدل من خيراً أو تفسير له أى أنزل خيراً هو هذا الكلام
- ٣١ الجامع قاله ترغيباً للسائل (جنات عدن) خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره محذوف أى لهم جنات ويجوز أن يكون هو المخصوص بالمدح (يدخلونها) صفة لجنات على تقدير تنكير عدن وكذلك (تجرى من تحتها الأنهار) أو كلاهما حال على تقدير علميته (لهم فيها) فى تلك الجنات (ما يشاءون) الظرف الأول خبر لما والثانى حال منه والعامل ما فى الأول أو متعلق به أى حاصل لهم فيها ما يشاءون من أنواع المشتبهات وتقديمه للاحتراز عن توهم تعلقه بالمشبهة أو لما مر مراراً من أن تأخير ما حقه التقديم يوجب ترقب النفس إليه فيتمسك عند وروده عليها فضل تمكن (كذلك) مثل ذلك الجزء الأول (يجزى الله المتقين) اللام للجنس أى كل من يتقى من الشرك والمعاصى ويدخل فيه المتقون المذكورون
- ٣٢ دخولاً أولياً ويكون فيه بعث لغيرهم على التقوى أو للعهد فيكون فيه تحسير للكفرة (الذين توفاهم الملائكة) نعمت للمتقين وقوله تعالى (طيبين) أى طاهرين عن دنس الظلم لأنفسهم حال من الضمير

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾

١٦ النحل

فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾

١٦ النحل

وقادته الإيذان بأن ملاك الأمر في التقوى هو الطهارة عما ذكر إلى وقت توفهم ففيه حث للؤمنين على الاستمرار على ذلك وغيرهم على تحصيله وقيل فرحين طيبي النفوس ببشارة الملائكة إياهم بالجنة أو طيبين بقبض أرواحهم لتوجه أنفسهم بالكلية إلى جناب القدس (يقولون) حال من الملائكة أى قائلين لهم (سلام عليكم) قال القرطبي رحمه الله إذا استدعيت نفس المؤمن جاءه ملك الموت عليه السلام فقال السلام عليك يا ولي الله تعالى يقرأ عليك السلام وبشره بالجنة (ادخلوا الجنة) اللام للعهد أى جنات عدن الخ ولذلك جردت عن النعت والمراد دخولهم لها في وقته فإن ذلك بشارة عظيمة وإن تراخى المبشر به لادخول القبر الذى هو روضة من رياضها إذ ليس في البشارة به مافى البشارة بدخول نفس الجنة (بما كنتم تعملون) بسبب ثباتكم على التقوى والطاعة أو بالذى كنتم تعملونه من ذلك وقيل المراد بالتوفى التوفى للحشر لأن الأمر بالدخول حينئذ يتحقق (هل ينظرون) أى ما ينتظر كفار مكة المار ذكرهم (إلا ٣٣ أن تأتيمهم الملائكة) لقبض أرواحهم بالعذاب جعلوا منتظرين لذلك وشتان بينهم وبين انتظاره لا لأنه يلحقهم البتة لحوق الأمر المنتظر بل لمباشرتهم لأسبابه الموجبة المؤدية إليه فكأنهم يقصدون إتيانه ويترصدون لوروده وقرئ بتذكير الفصل (أو يأتى أمر ربك) التعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضميره ﷻ إشعار بأن إتيانه لطف به ﷻ وإن كان عذاباً عليهم والمراد بالأمر العذاب الدينى لا القيامة لكن لا لأن انتظارها يجمع انتظار إتيان الملائكة فلا يلائمه العطف بأولائها لأنها ليست نصافى العناد إذ يجوز أن يعتبر منع الخلو ويراد بإيرادها كفاية كل واحد من الأمرين في عذابهم بل لأن قوله تعالى فيما سيأتى ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فأصابهم الآية صريح في أن المراد به ما أصابهم من العذاب الدينى (كذلك) أى مثل فعل هؤلاء من الشرك والظلم والتكذيب والاستهزاء (فعل الذين) خلوا (من قبلهم) من الأمم (وما ظلمهم الله) بما سبقت من عذابهم (ولكن كانوا) بما كانوا مستمرين عليه من القبائح الموجبة لذلك (أنفسهم يظلمون) كان الظاهر أن يقال ولكن كانوا هم الظالمين كما في سورة الزخرف لكنه أوتر ما عليه النظم الكريم لإفادة أن غائلة ظلمهم آيلة إليهم وعاقبته مقصورة عليهم مع استلزام اقتصار ظلم كل أحد على نفسه من حيث الوقوع اقتصاره عليه من حيث الصدور وقد مر تحقيقه في سورة يونس (فأصابهم) عطف على قوله تعالى فعل الذين من قبلهم وما بينهما اعتراض لبيان أن فعلهم ذلك ظلم ٣٤ لأنفسهم (سيئات ما عملوا) أى أجزية أعمالهم السيئة على طريقة تسمية المسبب باسم سببه إيذاناً بفظاعته لا على حذف المضاف فإنه يوم أن لهم أعمالاً غير سيئاتهم (وحاق بهم) أى أحاط بهم من الحيق الذى هو إحاطة الشر وهو أبلغ من الإصابة وأقطع (ما كانوا به يستهزءون) من العذاب

وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٥﴾ ١٦ النحل
وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٥٦﴾ ١٦ النحل

٣٥ (وقال الذين أشركوا) أى أهل مكة وهو بيان لفن آخر من كفرهم والعدول عن الإصرار إلى الموصول
* لتقريرهم بما في حيز الصلة وذهبهم بذلك من أول الأمر (لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء) أى لو شاء عدم
* عبادتنا لشيء غيره كما تقول لما عبدنا ذلك (نحن ولا آبائنا) الذى نفتدى بهم في ديننا (ولا حرمننا من دونه
من شيء) من السوائب والبجائر وغيرها وإنما قالوا ذلك تكذيباً للرسل ﷺ وطعننا في الرسالة رأساً
متمسكين بأن ما شاء الله تعالى يجب وما لم يشأ يمتنع فلو أنه شاء أن نوحده ولا نشرك به شيئاً ولا نحرم عما
حرمن شيئاً كما يقول الرسل وينقلونه من جهة الله عز وجل لكان الأمر كما شاء من التوحيد ونفى الإشراك
وما يتبعهما وحيث لم يكن كذلك ثبت أنه لم يشأ شيئاً من ذلك وإنما يقوله الرسل من تلقاء أنفسهم فأجيب
* عنه بقوله عز وجل (كذلك) أى مثل ذلك الفعل الشنيع (فعل الذين من قبلهم) من الأمم أى أشركوا
* بالله وحرموا حله وردوا رسله وجادلوه بالباطل حين نهوهم على الخطأ وهدوهم إلى الحق (فهل على
* الرسل) الذين يبلغون رسالات الله وعزائم أمره ونهيه (إلا البلاغ المبين) أى ليست وظيفتهم إلا تبليغ
الرسالة تبليغاً واضحاً أو موضحاً وإبانة طريق الحق وإظهار أحكام الوحي الذى من جملتها تحمى تعلق مشيئة
الله تعالى باعتماد من صرف قدرته واختياره إلى تحصيل الحق لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا وأما إلجاؤهم إلى ذلك وتنفيذ قولهم عليهم شاموا أو أبوا كما هو مقتضى استدلالهم فليس ذلك من
وظيفتهم ولا من الحكمة التى عليها يدور أمر التكليف فى شيء حتى يستدل بعدم ظهور آثاره على عدم
حقيقة الرسل أو على عدم تعلق مشيئته تعالى بذلك فإن ما يترتب عليه الثواب والعقاب من أفعال العباد
لا بدق تعلق مشيئته تعالى بوقوعه من مباشرتهم الاختيارية له وصرف اختيارهم الجزئى إلى تحصيله وإلا
لكان الثواب والعقاب اضطراريين قائما للتعليل كما أنه قيل كذلك فعل أسلافهم وذلك باطل فإن الرسل
ليس شأنهم إلا تبليغ أوامر الله تعالى ونواهيه لا تحقيق مضمونهما وإجراء موجبهما على الناس قسراً
والجاء لإيراد كلمة على للإبذان بأنهم فى ذلك مأمورون أو بأن ما يبلغونه حق للناس عليهم إيفاءه وبهذا
٢٦ ظهر أن حمل قولهم لو شاء الله الخ على الاستهزاء لا يلائم الجواب والله تعالى أعلم بالصواب (ولقد بعثنا
فى كل أمة رسولا) تحقيق لكيفية تعلق مشيئته تعالى بأفعال العباد بعد بيان أن الإلجا ليس من
وظائف الرسالة ولا من باب المشيئة المتعلقة بما يدور عليه الثواب والعقاب من الأفعال الاختيارية
* لهم أى بعثنا فى كل أمة من الأمم الحالية رسولا خاصاً بهم (أن اعبدوا الله) يجوز أن تكون أن
* مفسرة لما فى البعث من معنى القول وأن تكون مصدرية أى بعثنا بأن اعبدوا الله وحده (واجتنبوا

إِنْ تَحَرَّضْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٧﴾

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾

١٦ النحل

- الطاغوت) هو الشيطان وكل ما يدعو إلى الضلالة (فمنهم) أى من تلك الأمم والفناء فصيحة أى فبلغوا
- ما بعثوا به من الأمر بعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت فتفرقوا فمنهم (من هدى الله) إلى الحق
- الذى هو عبادته واجتناب الطاغوت بعد صرف قدرتهم واختيارهم الجزئى إلى تحصيله (ومنهم من حقت عليه الضلالة) أى وجبت وثبتت إلى حين الموت لعناده وإصراره عليها وعدم صرف قدرته إلى تحصيل الحق وتغيير الأسلوب للإشعار بأن ذلك لسوء اختيارهم كقوله تعالى وإذا مرضت فهو يشفين فلم يكن كل من مشيئة الهداية وعدمها إلا حسبما حصل منهم من التوجه إلى الحق وعدمه إلا بطريق القسر والإلجام حتى يستدل بعدمهما على عدم تعلق مشيئته تعالى بعبادتهم له تعالى وحده (فسيروا) يامعشر قريش (فى الأرض فانظروا) فى أكنافها (كيف كان عاقبة المكذبين) من عادوثمود ومن سار سيرتهم ممن حقت عليه الضلالة لعلكم تعتبرون حين تشاهدون فى منازلهم وديارهم آثار الهلاك والعذاب وترتيب الأمر بالسير على مجرد الإخبار بثبوت الضلالة عليهم من غير إخبار بحلول العذاب للإيذان بأنه غنى عن البيان وأن ليس الخبر كالبيان وترتيب النظر على السير لما أنه بعده وأن ملاك الأمر فى تلك العاقبة هو التكذيب والتعلل بأنه لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء (إن تحرص) خطاب لرسول الله ﷺ وقرىء بفتح ٣٧
- الراء وهى لغية (على هدام) أى إن أطلب هدايتهم بجمدك (فإن الله لا يهدى من يضل) أى فاعلم أنه تعالى لا يخلق الهداية جبراً أو قسراً فيمن يخلق فيه الضلالة بسوء اختياره والمراد به قريش وإنما وضع الموصول موضع الضمير للتنصيص على أنهم ممن حقت عليه الضلالة وللإشعار بعلّة الحكم ويجوز أن يكون المذكور علة للجزاء المحذوف أى إن تحرص على هدام فلست بقادر على ذلك لأن الله لا يهدى من يضل وهؤلاء من جملتهم وقرىء لا يهدى على بناء المفعول أى لا يقدر أحد على هداية من يضل الله تعالى وقرىء لا يهدى بفتح الهاء وإدغام تاء يهتدى فى الدال ويجوز أن يكون يهدى بمعنى يهتدى وقرىء يضل بفتح الياء وقرىء لا هادى لمن يضل ولمن أضل (وما لهم من ناصرين) ينصرونهم فى الهداية أو يدفعون العذاب عنهم وصيغة الجمع فى الناصرين باعتبار الجمعية فى الضمير فإن مقابلة الجمع بالجمع يقتضى انقسام الآحاد إلى الآحاد لا لأن المراد نبي طائفة من الناصرين من كل منهم (وأقسموا بالله) شروع فى بيان فن آخر من أباطيلهم ٣٨ وهو إنكارهم البعث (جمد أيمانهم) مصدر فى موقع الحال أى جاهدين فى أيمانهم (لا يبعث الله من يموت) ولقد رد الله تعالى عليهم أبلغ رد بقوله الحق (بلى) أى بلى يبعثهم (وعداً) مصدر مؤكد لما دل عليه بلى فإن ذلك موعد من الله سبحانه أو المحذوف أى وعد بذلك وعداً (عليه) صفة لوعده أى وعداً ثابتاً عليه

لَيْبِينَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿٣٩﴾ النحل ١٦

إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ رُكْنٌ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ النحل ١٦

- ✽ إنجازها لا متناهي الخلف في وعده أو لأن البعث من مقتضيات الحكمة (حقاً) صفة أخرى له أو نصب على
- ✽ المصدرية أى حق حقاً (ولكن أكثر الناس) لجهلهم بشئون الله عز شأنه من العلم والقدرة والحكمة
- وغيرها من صفات الكمال وبما يجوز عليه وما لا يجوز وعدم وقوفهم على سر التكوين والغاية القصوى
- ✽ منه وعلى أن البعث مما يقتضيه الحكمة التي جرت عادته سبحانه بمراعاتها (لا يعلمون) أنه يبعثهم فيبتون
- القول بعدمه أو أنه وعد عليه حق فيكذبونه قائلين لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا
- ٣٩ أساطير الأولين (ليبين لهم) غاية لما دل عليه بلى من البعث والضمير لمن يموت إذ التبيين يعم المؤمنين
- أيضاً فإنهم وإن كانوا عالمين بذلك لكنه عند معاينة حقيقة الحال يتضح الأمر فيصل علمهم إلى مرتبة
- عين اليقين أى يبعثهم ليبين لهم بذلك وبما يحصل لهم من مشاهدة الأحوال كما هي ومعاينتها بصورها
- ✽ الحقيقية الشأن (الذين يختلفون فيه) من الحق المنتظم لجميع ما خالفوه مما جاء به الشرع المبين ويدخل فيه
- ✽ البعث دخولا أولاً (وليعلم الذين كفروا) بالله سبحانه بالإشراك وإنكار البعث وتكذيب وعده الحق
- ✽ (أنهم كانوا كاذبين) في كل ما يقولون لاسيما في قولهم لا يبعث الله من يموت والتعبير عن الحق بالموصول
- للدلالة على نغامته والإشعار بعلمية ما ذكر في حيز الصلة للتبيين وما عطف عليه وجعلها غاية للبعث
- المشار إليه باعتبار وروده في معرض الرد على المخالفين وإبطال مقالة المعاندين المستدعى للتعرض لما
- يردعهم عن المخالفة وبلجهم إلى الإذعان للحق فإن الكفرة إذا علموا أن تحقيق البعث إذا كان لتبيين
- أنه حق وليعلموا أنهم كاذبون في إنكاره كان ذلك أزجر لهم عن إنكاره وأدعى إلى الاعتراف به ضرورة
- أنه يدل على صدق العزيمة على تحقيقه كما تقول لمن ينكر أنك تصلى لأصلين رغماً لأنك وإظهار الكذبك
- ولا تنكر الغايات أدل على وقوع الفعل المغيبا وإلا فالغاية الأصلية للبعث باعتبار ذاته إنما هو
- الجزاء الذى هو الغاية القصوى للخلق المغيبا بمعرفة عز وجل وعبادته وإنما لم يذكر ذلك لتكرار ذكره
- في مواضع أخرى وشهرته وإنما لم يدرج علم الكفار بكذبهم تحت التبيين بأن يقال وإن الذين كفروا كانوا
- كاذبين بل جرى بصيغة العلم لأن ذلك ليس مما تعلق به التبيين الذى هو عبارة عن إظهار ما كان مبهما قبل
- ذلك بأن يخبر به فيختلف فيه كالبعث الذى نطق به القرآن فاختلف فيه المخلفون وأما كذب الكافرين
- فليس من هذا القبيل فماتعلق به علم ضرورى حاصل لهم من قبل أنفسهم وقدمر تحقيقه في سورة التوبة
- عند قوله تعالى حتى يتبين لك الذين صدقوا وإنما خص الإسناد بهم حيث لم يقل وليعلموا أن الكافرين
- ٤٠ الآية لأن علم المؤمنين بذلك حاصل قبل ذلك أيضاً (إنما قولنا) استئناف لبيان كيفية التكوين على
- ✽ الإطلاق إبداء وإعادة بعد التنبيه على إنية البعث ومنه يظهر كيفيته فأكافه وقولنا مبتدأ وقوله (لشئ) أى
- أى شئ كان مما عزوهم أن متعلق به على أن اللام للتبليغ كفى في قولك قلت له قم فقام وجعلها الزجاج سببية
- أى لا أجل شئ وليس بواضح والتعبير عنه بذلك باعتبار وجوده عند تعلق مشيئته تعالى به لأنه كان شئنا

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَنْبُوْتَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾

١٦ النحل

- قبل ذلك (إذا أردناه) ظرف لقولنا أى وقت إرادتنا لوجوده (أن نقول له كن) خبر للبستاء (فيكون) *
 إما عطف على مقدر يفصح عنه الفاء وينسحب عليه الكلام أى فتقول ذلك فيكون كقوله تعالى إذا قضى
 أمراً فإنما يقول له كن فيكون وإما جواب لشرط محذوف أى فإذا قلنا ذلك فهو يكون وليس هناك
 قول ولا مقول له ولا أمر ولا ما مور حتى يقال إنه يلزم منه أحد المحالين إما خطاب المعدوم أو تحصيل
 الحاصل أو يقال إنما يستدعيه انحصار قوله تعالى كن وليس يلزم منه انحصار أسباب التكوين فيه كما
 يفيد قوله تعالى إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون فإن المراد بالأمر هو الشأن الشامل
 للقول والفعل ومن ضرورة انحصاره في كلمة كن انحصار أسبابه على الإطلاق فيه بل إنما هو تمثيل لسهولة
 تأتى المقدورات حسب تعلق مشيئته تعالى بها وتصوير أسرع حدودها بما هو علم في ذلك من طاعة المأمور
 المطيع لأمر الأمر المطاع فالمعنى إنما إيجادنا لشيء عند تعلق مشيئتنا به أن نوجده في أسرع ما يكون ولما
 عبر عنه بالأمر الذى هو قول مخصوص وجب أن يعبر عن مطلق الإيجاد بالقول المطلق فتأمل وفي الآية
 الكريمة من الفخامة والجزالة ما يحار فيه العقول والألباب وقرئ بنصب يكون عطفاً على نقول أو تشبيهاً له
 بجواب الأمر (والذين هاجروا في الله) أى في شأن الله تعالى ورضاه وفي حقه ولوجه (من بعد ما ظلموا) ٤١
 ولعلمهم الذين ظلمهم أهل مكة من أصحاب رسول الله ﷺ وأخرجهم من ديارهم فهاجروا إلى الحبشة ثم
 بوأهم الله تعالى المدينة حسباً وعد بقوله سبحانه (لننبوئنهم في الدنيا حسنة) أى مباءة حسنة أو تبوة
 حسنة كما قال قتادة وهو الأنسب بما هو المشهور من كون السورة غير ثلاث آيات من آخرها مكية
 وأما ما نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما من أنها نزلت في صهيب وبلال وعمار وخباب وعائس وجبير
 وأبي جندل بن سهيل أخذهم المشركون فجعلوا يعذبونهم يريدونهم عن الإسلام فأما صهيب فقال لهم أنا
 رجل كبير إن كنت معكم لم أنفعكم وإن كنت عليكم لم أضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه أبو بكر
 رضى الله عنه قال ربح البيع يا صهيب وقال عمر رضى الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فإنما
 يناسب ما حكى عن الأصم من كون كل السورة مدنية وما نقل عن قتادة من كون هذه الآية إلى آخر
 السورة مدنية فيحمل ما نقلناه عنه من نزول الآية في أصحاب الهجرة على أن يكون نزولها بالمدينة بين
 الهجرة وأما جعل رسول الله ﷺ من جملتهم فلا يساعده نظم التنزيل ولا شأنه الجليل وقرئ لشوئهم
 ومعناه إثابة حسنة أو لنزولهم في الدنيا منزلة حسنة وهى الغلبة على من ظلمهم من أهل مكة وعلى العرب
 قاطبة وأهل الشرق والغرب كافة (ولا أجر الآخرة) أى أجر أعمالهم المذكورة في الآخرة (أكبر) مما
 يعجل لهم في الدنيا وعن عمر رضى الله عنه أنه كان إذا أعطى رجلاً من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك
 الله تعالى لك فيه هذا ما وعدك الله تعالى في الدنيا وما ادخر في الآخرة أفضل (لو كانوا يعلمون) الضمير
 للكفار أى لو علموا أن الله تعالى يجمع لهم المهاجرين خير الدارين لو أقوم في الدين وقيل للمهاجرين

١٦ النحل

الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ١٦ النحل

بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ١٦ النحل

- ٤٢ أى لو علموا ذلك لزدوا فى الاجتهاد أو لما تألموا لما أصابهم من المهاجرة وشدائدها (الذين صبروا) على الشدائد من أذية الكفار ومفارقة الأهل والوطن وغير ذلك ومحله النصب أو الرفع على المدح (وعلى ربهم) خاصة (يتوكلون) منقطعين إليه تعالى معرضين عما سواه مفوضين إليه الأمر كله والجملة إما معطوفة على الصلة وتقديم الجار والمجرور للدلالة على قصر التوكل على الله تعالى وصيغة الاستقبال
- ٤٣ للدلالة على دوام التوكل أو حال من ضمير صبروا (وما أرسلنا من قبلك إلا رجلاً نوحى إليهم) وقرئ بالياء مبنياً للمفعول وهو رد لقريش حين قالوا الله أجل من أن يكون له رسول من البشر كما هو مبنى قولهم لو شاء الله ما عبدنا الخ أى جرت السنة الإلهية حسبما اقتضته الحكمة بأن لا يبعث الدعوة العامة إلا بشراً يوحى إليهم بواسطة الملك أو امره ونواحيه ليلغوها الناس ولما كان المقصود من الخطاب لرسول الله ﷺ تنبيه الكفار على مضمونه صرف الخطاب إليهم ف قيل (فاستلوا أهل الذكر) أى أهل الكتاب أو علماء الأخبار أو كل من يذكر بعلم وتحقيق ليعلموا ذلك (إن كنتم لا تعلمون) حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه وفيه دلالة على أنه لم يرسل الدعوة العامة ملكاً وقوله تعالى جاعل الملائكة رسلاً معه رسلاً إلى الملائكة أو إلى الرسل ولا امرأة ولا صبياً ولا ينافيه نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام وهو فى المهد لأنها أعم من الرسالة وإشارة إلى وجوب المراجعة إلى العلماء فيما لا يعلم (بالبينات والزبر) بالمعجزات والكتب والباء متعلقة بمقدّر وقع جواباً عن سؤال من قال بهم أرسلوا ف قيل أرسلوا بالبينات والزبر أو بما أرسلنا داخل تحت الاستثناء مع رجلاً عند من يجوزه أى ما أرسلنا إلا رجلاً بالبينات كقولك ما ضربت إلا زيداً بالسوط أو على نية التقديم قبل أداة الاستثناء أى ما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر إلا رجلاً عند من يجوز تأخر صلة ما قبل إلا إلى ما بعده أو بما وقع صفة للبستنى أى إلا رجلاً ملتبساً بالبينات أو بنوحى على المفعولية أو الحالية من القائم مقام فاعل يوحى وهو إليهم على أن قوله تعالى فاستلوا اعتراض أو بقوله لا تعلمون على أن الشرط للتبكي كقول الأنجبر
- إن كنت عملت لك فاعطى حقى (وأنزلنا إليك الذكر) أى القرآن وإنما سمي به لأنه تذكير وتنبيه للغافلين (لتبين للناس) كافة ويدخل فيهم أهل مكة دخولاً أولاً (ما نزل إليهم) فى ذلك الذكر من الأحكام والشرائع وغير ذلك من أحوال القرون المهلكة بأفانين العذاب حسب أعمالهم الموجبة لذلك على وجه التفصيل بيانا شافياً كما ينبى عنه صيغة التفعيل فى الفعلين لاسيما بعد ورود الثانى أولاً على صيغة الأفعال ولما أن التبين أعم من التصريح بالمقصود ومن الإرشاد إلى ما يدل عليه دخل تحته القياس على الإطلاق سواء كان فى الأحكام الشرعية أو غيرها ولعل قوله عز وجل (ولعلمهم يتفكرون) إشارة إلى

أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِرِسْمِ الْآرْضِ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾

١٦ النحل

أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَاهُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾

١٦ النحل

أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾

١٦ النحل

ذلك أى إرادة أن يتأملوا فيتنبهوا للحقائق وما فيه من العبر ويحترزوا عما يؤدى إلى مثل ما أصاب
الاولين من العذاب (أفأمن الذين مكروا السيئات) هم أهل مكة الذين مكروا برسول الله ﷺ وراموا
صد أصحابه عن الإيمان عليهم الرضوان لا الذين احتالوا لهلاك الأنبياء كما قيل ولا من يعم الفريقين لما أن
المراد تحذير هؤلاء عن إصابة مثل ما أصاب أولئك من فنون العذاب المعدودة والسيئات نعت لمصدر
محذوف أى مكروا والمكورات السيئات التى قصت عنهم أو مفعول به للفعل المذكور على تضمينه معنى العمل
أى عملوا السيئات ففعله تعالى (أن يخسف الله بهم الأرض) مفعول لأمن أو السيئات صفة لما هو المفعول
أى أى أفأمن الماكرون العقوبات السيئة وقوله أن يخسف الخ بدل من ذلك وعلى كل حال فالفاء للعطف
على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم أى أنزلنا إليك الذكر لتبين لهم مضمونه الذى من جملته أنباء الأمم
المهلكة بفنون العذاب ويتفكروا فى ذلك ألم يتفكروا فأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم
الأرض كما فعل بقارون على توجيه الإنكار إلى المعطوفين معاً أو أتفكروا فأمنوا على توجيهه إلى
المعطوف على أن الأمن بعد التفكر مما لا يكاد يفعله أحد وقيل هو عطف على مقدر ينبئ عنه الصلة
أى أمكر فأمن الذين مكروا الخ (أو يأتهم العذاب من حيث لا يشعرون) يأتيناه أى فى حالة غفلتهم أو
من ما منهم أو من حيث يرجون إتيان ما يشتهون كما حكى فيما سلف مما نزل بالماكرين (أو يأخذهم فى
تقلبهم) أى فى حالة تقلبهم فى مسائرهم ومتاجرهم (فاهم بمعجزين) بممتنعين أو فائتين بالحرب والفرار
على ما يرويه حال القلب والسير والفاء إما لتعليل الأخذ أو لترتيب عدم الإعجاز عليه دلالة على شدته
وفظاعته حسبما قال عليه السلام إن الله ليلى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته وإيراد الجملة الاسمية الدلالة على دوام
النفي لاننى الدوام (أو يأخذهم على تخوف) أى مخافة وحذر عن الهلاك والعذاب بأن يهلك قوماً قبلهم
فيتخوفوا فإياخذهم العذاب وهم متخوفون وحيث كانت حالتنا القلب والتخوف مظنة للهرب عبر عن
إصابة العذاب فيها بالآخذ وعن إصابته حالة الغفلة المنبثة عن السكون بالإتيان وقيل التخوف التنقص
قال قائلهم [تخوف الرحل منها تامكافرداً * كاتخوف عود النبعة السفن] أى يأخذهم على أن ينقصهم
شيئاً بعد شئ فى أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا والمراد بذكر الأحوال الثلاث بيان قدرة الله سبحانه
على إهلاكهم بأى وجه كان لا الحصر فيها (فإن ربكم لرؤوف رحيم) حيث لا يعاجلكم بالعقوبة
ويحلم عنكم مع استحقاقكم لها .

أُولَئِكَ يَرْوُونَ إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَّاهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالْشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ
دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾

١٦ النحل

وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ ١٦ النحل

- ٤٨ (أولم يروا) استفهام إنكارى وقرىء على صيغة الخطاب والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى ألم ينظروا ولم يروا متوجهين (إلى ما خلق الله من شيء) أى من كل شيء (يتفَيَّؤوا ظلاله) أى يرجع شيئاً فشيئاً حسبما يقتضيه إرادة الخالق تعالى فإن التفَيُّؤَ مطاوع الإفاة وقرىء بتأنيث الفعل (عن اليمين والشمائل) أى ألم يروا الأشياء التى لها ظلال متفَيِّئة عن أيانها وشمائلها أى عن جانبي كل واحد منها
- استعير لهما ذلك من يمين الإنسان وشماله (سجداً لله) حال من الظلال كقوله تعالى وظلالهم بالغدو والآصال والمراد بسجودها تصرفها على مشيئة الله سبحانه وتأييدها لإرادته تعالى فى الامتداد والتقلص وغيرهما غير ممنعة عليه فيما سخرها له وقوله تعالى (وهم داخرون) أى صاغرون متقادون حال من الضمير فى ظلاله والجمع باعتبار المعنى وإيراد الصيغة الخاصة بالعقلاء لما أن الدخور من خصائصهم والمعنى ترجع الظلال من جانب إلى جانب بارتفاع الشمس وانحدارها أو باختلاف مشارقها ومغاربها فإنها كل يوم من أيام السنة تتحرك على مدار معين من المدارات اليومية بتقدير العزيز العليم منقاداً لما قدر لها من التفَيُّؤَ أو واقعة على الأرض ملتصقة بها على هيئة الساجد والحال أن أصحابها من الأجرام داخرة منقاداً لحكمه تعالى ووصفها بالدخور مغن عن وصف ظلالها به أو كلاهما حال من الضمير المشار إليه والمعنى ترجع ظلال تلك الأجرام حال كونها منقاداً لله تعالى داخرة فوصفها بهما مغن عن وصف ظلالها بهما ولعل المراد بالموصول الجمادات من الجبال والأشجار والأحجار التى لا يظهر لظلالها أثر سوى التفَيُّؤَ بما ذكر من ارتفاع الشمس وانحدارها أو اختلاف مشارقها ومغاربها وأما الحيوان فظله يتحرك بتحركه وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقى لأن الكواكب منه تظهر آخذة فى الارتفاع والسطوع وشماله وهو جانبه الغربى المقابل له فإن الظلال فى أول النهار تبتدىء من الشرق واقعة على الربع الغربى من الأرض وعند الزوال تبتدىء من الغرب واقعة على الربع الشرقى منها وبعد ما بين سجود الظلال وأصحابها من الأجرام السفلية الثابتة فى أخبارها ودخورها له سبحانه وتعالى شرع فى بيان سجود المخلوقات المتحركة بالإرادة سواء كانت لها ظلال أو لا فقيل (والله يسجد) أى له تعالى وحده يخضع وينقاد لأشياء غيره استقلالاً أو اشتراكاً فالقصر ينظم القلب والإفراد إلا أن الأنسب محال مخاطبين قصر الأفراد كما يؤذن به قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين (ما فى السموات) قاطبة (وما فى الأرض) كائناً ما كان (من دابة) بيان لما فى الأرض وتقديمه لقلته ولثلا يقع بين المبين والمبين فصل والإفراد مع أن المراد بالجمع لإفادة وضوح شمول السجود لكل فرد من الدواب قال الأخفش هو كقولك ما أتانى من رجل مثله وما أتانى من الرجال مثله (والملائكة) عطف

١٦ النحل

يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾

١٦ النحل

وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَخَذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارْهَبُونَ ﴿٥١﴾

١٦ النحل

وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾

- على ما في السموات عطف جبريل على الملائكة تعظيماً وإجلالاً أو على أن يراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح أو يراد به ملائكة السموات وبقوله والملائكة ملائكة الأرض من الحفظة وغيرهم (وم) أى الملائكة مع علو شأنهم (لا يستكبرون) عن عبادته عز وجل والسجود له وتقديم الضمير ليس للقصر والجملة إما حال من ضمير الفاعل في يسجد مسند إلى الملائكة أو استئناف أخبر عنهم بذلك (يخافون ربهم) أى مالك أمرهم وفيه تربية للمهابة وإشعار بعلّة الحكم (من فوقهم) أى يخافونه جل وعلا خوف هيبة وإجلال وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده أو يخافون أن يرسل عليهم عذاباً من فوقهم والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون أو بيان له وتقرير لأن من يخاف الله سبحانه لا يستكبر عن عبادته (ويفعلون ما يؤمرون) أى ما يؤمرون به من الطاعات والتدبيرات وإيراد الفعل مبذلاً للمفعول جرى على سنن الجلالة وإيدان بعدم الحاجة إلى التصريح بالفاعل لاستحالة استناده إلى غيره سبحانه وفيه أن الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وبعد ما بين أن جميع الموجودات يخصوصون الخضوع والانقياد الطبيعي وما يجري مجراه من عبادة الملائكة حيث لا يتصور منهم عدم الانقياد أصلاً عز وجل أردف ذلك بحكاية نهيه سبحانه وتعالى للمكلفين عن الإشراف فليل (وقال الله) عطفاً على قوله والله يسجد وإظهار الفاعل وتخصيص لفظة الجلالة بالذكر للإيدان بأنه متمين الألوهية وإنما المنهى عنه هو الإشراف به لا أن المنهى عنه مطلق اتخاذ إلهين بحيث يتحقق الانتهاء عنه برفض أيهما كان أى قال تعالى لجميع المكلفين (لا تتخذوا إلهين اثنين) وإنما ذكر العدد مع أن صيغة التثنية مغنية عن ذلك دلالة على أن مساق النهي هي الاتينية وإنها منافية للألوهية كما أن وصف الإله بالوحدة في قوله تعالى (إنما هو إله واحد) للدلالة على أن المقصود إثبات الوحدانية وأنها من لوازم الإلهية وأما الإلهية فأمر مسلم الثبوت له سبحانه وإليه أشير حيث أسند إليه القول وفيه التفات من التكلم إلى الغيبة على رأى من اكتفى في تحقق الالتفات بكون الأسلوب الملتفت عنه حق الكلام ولم يشترط سبق الذكر على ذلك الوجه (فإياي فارهبون) التفات من الغيبة إلى التكلم لتربية المهابة وإلقاء الرهبة في القلوب ولذلك قدم وكرر الفعل أى إن كنتم راهبين شيئاً فإياي اربوا فارهبوا لا غير فإني ذلك الواحد الذي يسجد له ما في السموات والأرض (وله ما في السموات والأرض) خلقاً وملكا تقرير لعلّة انقياد ما فيها له سبحانه ٥٢ خاصة وتحقيق لتخصيص الرهبة به تعالى وتقديم الظرف لتقوية ما في اللام من معنى الاختصاص وكذا في قوله تعالى (وله الدين) أى الطاعة والانقياد (واصباً) أى واجباً ثابتاً لازوالاً لما تقرر أنه الإله وحده الحقيقي بأن يرب وقيل واصباً من الوصب أى وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجواز أى وله

وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَنِ اللَّهَ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْعَرُونَ ﴿٥٣﴾ ١٦ النحل

ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ ١٦ النحل

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ ١٦ النحل

- * الجزء الدائم بحيث لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر (أفغير الله تتقون) الهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه السياق أى أعقيب تقرر الشئون المذكورة من تخصيص جميع الموجودات للوجود به تعالى وكون ذلك كله له ونهيه عن اتخاذ الأنداد وكون الدين له واصباً المستدعى ذلك لتخصيص التقوى به سبحانه غير الله الذى شأنه ما ذكر تتقون فتطيعون (وما بكم) أى أى شئ يلا بكم ويصاحبكم (من نعمة) آية نعمة كانت (فمن الله) فهى من الله فما شرطية أو موصولة متضمنة لمعنى الشرط باعتبار الأخبار دون الحصول فإن ملابسة النعمة بهم سبب للإخبار بأنها منه تعالى لا لكونها منه تعالى (ثم إذا مسكم الضر) مساساً يسيراً (فإليه تجأرون) تتضرعون فى كشفه لا إلى غيره والجوار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الأعشى [يراوح من صلوات المليك * لك طوراً تسجوداً وطوراً جواراً] وقرئ تجرون بطرح الهمزة والفاء حركتها إلى ما قبلها وفى ذكر المساس المنهى عن أدنى إصابة وإيراده بالجملة الفعلية المعربة عن الحدوث مع ثم الدالة على وقوعه بعد برهة من الدهر وتحلية الضر بلام الجنس المفيدة لمساس أدنى ما ينطلق عليه اسم الجنس مع إيراد النعمة بالجملة الاسمية الدالة على الدوام والتعبير عن ملابستها للمخاطبين بياء صاحبة وإيراد ما المعربة عن العموم ما لا يخفى من الجزالة
- ٥٤ والفخامة ولعل إيراد إذا دون إن للتوسل به إلى تحقق وقوع الجواب (ثم إذا كشف الضر عنكم) وقرئ كشف الضر وكلمة ثم ليست للدلالة على تمداد زمان مساس الضر ووقوع الكشف بعد برهة مديدة بل للدلالة على تراخى رتبة ما يترتب عليه من مفاجأة الإشرار المدلول عليها بقوله سبحانه (إذا فريق منكم برهم يشركون) فإن ترتبها على ذلك فى أبعاد غاية من الضلال ثم إن وجه الخطاب إلى الناس جميعاً فمن التبعية والفريق فريق الكفرة وإن وجهه إلى الكفرة فمن البيان كأنه قيل إذا فريق كافر وهم أتم ويجوز أن يكون فيهم من اعتبر وازدجر كقوله تعالى فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد فمن تبعية
- ٥٥ أيضاً والتعرض لوصف الربوبية للإيدان بكال قبح ما ارتكبه من الإشرار والكفران (ليكفروا بما آتيناهم) من نعمة الكشف عنهم كأنهم جعلوا غرضهم فى الشرك كفران النعمة وإنكار كونها من الله عز وجل (فتمتعوا) أمر تهديد والالتفات إلى الخطاب للإيدان بقتاها السخط وقرئ بالياء مبنياً للمفعول عطفاً على ليكفروا على أن يكون كفران النعمة والتمتع غرضاً لهم من الإشرار ويجوز أن يكون اللام لام الأمر الوارد للتهديد (فسوف تعلمون) عاقبة أمركم وما ينزل بكم من العذاب وفيه وعيد أكيد منبئ عن أخذ شديد حيث لم يذكر المفعول إشعاراً بأنه مما لا يوصف.

وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ النحل ١٦

وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ النحل ١٦

وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ النحل ١٦

يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ النحل ١٦

(ويجعلون) لعله عطف على ما سبق بحسب المعنى تعداداً لجناياتهم أى يفعلون ما يفعلون من الجوار إلى ٥٦
الله تعالى عند مساس الضر ومن الإشراف به عند كشفه ويجعلون (لما لا يعلمون) أى لما لا يعلمون حقيقة *
وقدره الخسيس من الجمادات التى يتخذونها شركاء لله سبحانه جملة وسفاهة ويزعمون أنها تنفعهم وتشفع
لهم على أن مامو صولة والعاثد إليها محذوف أو لما لا علم له أصلاً وليس من شأنه ذلك فما موصولة أيضاً
والعاثد إليها ما فى الفعل من الضمير المستكن وصيغة جمع العقلاء ليكون ما عبارة عن آلهتهم التى وصفوها
بصفات العقلاء أو مصدرية واللام للتعليل أى لعدم علمهم والمجموع له محذوف للعلم بمكانه (نصيبياً عما
رزقناهم) من الزرع والأنعام وغيرهما تقرّباً إليها (تالله لقسان) سؤال توبيخ وتقرّيع (عما كنتم تفترون)
فى الدنيا بأها آلهة حقيقة بأن يتقرّب إليها وفى تصدير الجملة بالقسم وصرف الكلام من الغيبة إلى الخطاب
المنبئ عن كمال الغضب من شدة الوعيد ما لا يخفى (ويجعلون لله البنات) هم خزاعة وكنانة الذين يقولون ٥٧
الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيهه وتقديسه له عز وجل عن مضمون قولهم ذلك أو تعجيب من جرائهم *
على التفوه بمثل تلك العظيمة (ولهم ما يشتهون) من البنين وما مرفوعة المحل على أنه مبتدأ والظرف *
المقدم خبره والجملة حالية وسبحانه اعتراض فى حق موقعه وجعلها منصوبة بالعطف على البنات أى
يجعلون لأنفسهم ما يشتهون من البنين يؤدى إلى جعل الجعل بمعنى يعم الزعم والاختيار (وإذا بشر أحدهم ٥٨
بالأنثى) أى أخبر بولادتها (ظل وجهه) أى صار أو دام النهار كله (مسوداً) من السكابة والحياء من *
الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والنشويش (وهو كظيم) ممتلئ حنقاً وغيظاً (يتوارى) أى ٥٩
يستخفى (من القوم من سوء ما بشر به) من أجل سوءه والتعبير عنها بما لإسقاطها عن درجة العقلاء
(أيمسكه) أى متردداً فى أمره محدثاً نفسه فى شأنه أيمسكه (على هون) ذل وقرىء هوان (أم يدسه) يخفيه *
(فى التراب) بالأود والتذكير باعتبار لفظ ما وقرىء بالتأنيث (ألا ساء ما يحكمون) حيث يجعلون ما هذا *
شأنه عندهم من الهون والحقارة لله المتعالى عن الصاحبة والولد والحال أنهم يتعاشون عنه ويختارون
لأنفسهم البنين فدار الخطأ جعلهم ذلك لله سبحانه مع إبانهم إياه لا جعلهم البنين لأنفسهم ولا عدم
جعلهم له سبحانه ويجوز أن يكون مداره التمسكس لقوله تعالى تلك إذا قسمة ضيزى .

لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٦﴾ النحل
 وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ
 أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَغِيثُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿١٧﴾ النحل
 وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ السِّتَنَّهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ
 مُّفْرَطُونَ ﴿١٨﴾ النحل

- ٦٠ (الذين لا يؤمنون بالآخرة) ممن ذكرت قبائحهم (مثل السوء) صفة السوء الذي هو كالمثل في القبح
 وهي الحاجة إلى الولد ليقوم مقامهم عند موتهم وإيثار الذكور للاستظهار بهم وواد البنات لدفع العار
 وخشية الإملاق المنادى كل ذلك بالمعجز والقصور والشح البالغ ووضع الموصول موضع الضمير
 * للإشعار بأن مدار اتصافهم بتلك القبائح هو الكفر بالآخرة (ولله) سبحانه وتعالى (المثل الأعلى) أي
 الصفة العجيبة الشأن التي هي مثل في الملو مطلقاً وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الواسع
 * والنزاهة عن صفات المخلوقين ويدخل فيه علوه تعالى عما قالوه علواً كبيراً (وهو العزيز) المتفرد بكمال
 * القدرة لا سيما على مؤاخذتهم بذنوبهم (الحكيم) الذي يفعل كل ما يفعل بمقتضى الحكمة البالغة وهذا
 ٦١ أيضاً من جملة صفاته العجيبة تعالى (ولو يؤاخذ الله الناس) الكفار (بظلمهم) بكفرهم ومعاصيهم التي
 من جملتها ما عدهم من قبائحهم وهذا تصريح بما أفاده قوله تعالى وهو العزيز الحكيم وإيدان بأن ما أتوه
 * من القبائح قد تنهى إلى أمد لا غاية وراءه (ما ترك عليها) على الأرض المدلول عليها بالناس وبقوله تعالى
 * (من دابة) أي ما ترك عليها شيئاً من دابة قط بل أهلكها بالمرّة بشؤم ظلم الظالمين كقوله تعالى واتقوا
 فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وعن أبي هريرة رضى الله عنه أنه سمع رجلاً يقول إن الظالم لا يضر
 إلا نفسه فقال بلى والله حتى أن الحبارى تموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضى الله عنه كاد
 الجمل يهلك في حجره بذنوب ابن آدم أو من دابة ظالمة وقيل لو أهلك الآباء لم يكن الأبناء فيلزم أن
 لا يكون في الأرض دابة لما أنها مخلوقة لمنافع البشر لقوله سبحانه هو الذي خلق لكم ما في الأرض
 * جميعاً (ولكن) لا يؤاخذهم بذلك بل (يؤخرهم إلى أجل مسمى) لأعمارهم أو لعذابهم كي يتوالدوا أو
 * يكثر عذابهم (فإذا جاء أجلهم) المسمى (لا يستأخرون) عن ذلك الأجل أي لا يتأخرون وصيغة
 * الاستفعال للإشعار بمعجزهم عنه مع طلبهم له (ساعة) فذة وهي مثل في قلة المدة (ولا يستقدمون) أي
 لا يتقدمون وإنما تعرض لذكره مع أنه لا يتصور الاستقدام عند مجيء الأجل مبالغة في بيان عدم
 الاستنخار بنظمه في سلك ما يمتنع كما في قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر
 أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموت وهم كفار فإن من مات كافراً مع أنه لا توبة له رأساً قد
 ٦٢ نظم في سخط من لم تقبل توبته للإيدان بأنهم ماسيان في ذلك وقدر في تفسير سورة يونس (ويجعلون لله)

تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمْ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾

١٦ النحل

وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ١٦ النحل
وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾

١٦ النحل

- أى يثبتون له سبحانه وينسبون إليه في زعمهم (ما يكرهون) لأنفسهم بما ذكر وهو تكرير لما سبق تثنية
- للتقريع وتوطئة لقوله تعالى (وتصف ألسنتهم الكذب) أى يجمعون له تعالى ما يجمعون ومع ذلك تصف
- ألسنتهم الكذب وهو (أن لهم الحسنى) العاقبة الحسنى عند الله تعالى كقوله ولئن رجعت إلى ربي إن لي
- عنده للحسنى وقرىء الكذب وهو جمع الكذوب على أنه صفة الألسنة (لا جرم) رد لكلامهم ذلك
- وإثبات لنقيضه أى حقاً (أن لهم) مكان ما أملوا من الحسنى (النار) التى ليس وراء عذابها عذاب وهى
- علم فى السوإى (وأنهم مفرطون) أى مقدمون إليها من أفرطته أى قدمته فى طلب الماء وقيل منسيون
- من أفرطت فلاناً خلنى إذا خلفته ونسيته وقرىء بالتشديد وفتح الراء من فرطته فى طلب الماء وبكسر
- الراء المشددة من التفریط فى الطاعات وبكسر المخففة من الإفراط فى المعاصى فلا يكونان حينئذ من أحوالهم
- الآخرىة كما عطف عليه (ناقه لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك) تسلياً لرسول الله ﷺ عما يناله من جهالات
- الكفرة ووعيد لهم على ذلك أى أرسلنا إليهم رسلاً فدعوهم إلى الحق فلم يجيبوا إلى ذلك (فزين لهم الشيطان
- أعمالهم) القبيحة فعكفوا عليها مصرين (فهو وإيهم) أى قرينهم وبئس القرين (اليوم) أى يوم زين
- لهم الشيطان أعمالهم فيه على طريق حكاية الحال الماضية أو فى الدنيا أو يوم القيامة على طريق حكاية الحال
- الآتية وهى حال كونهم معذبين فى النار والولى بمعنى الناصر أى فهو ناصرهم اليوم لناصرهم غير مبالغة
- فى نفى الناصر عنهم ويجوز أن يكون الضمير عائداً إلى مشركى قريش والمعنى زين للأمم السالفة أعمالهم فهو
- ولى هؤلاء لأنهم منهم وأن يكون على حذف المضاف أى ولى أمثالهم (ولهم) فى الآخرة (عذاب أليم)
- هو عذاب النار (وما أرسلنا عليك الكتاب) أى القرآن (إلا لتبين) استثناء مفرغ من أعم العلل أى ما أنزلنا
- عليك لعله من العلل الا لتبين (لهم) أى للناس (الذى اختلفوا فيه) من التوحيد والقدر وأحكام الأفعال
- وأحوال المعاد (وهدى ورحمة) معطوفان على محل لتبين أى وللهداية والرحمة (لقوم يؤمنون) وإنما
- انتصبا لكونهما أثرى فاعل الفعل المعلل بخلاف التبيين حيث لم ينتصب لفقدان شرطه ولعل تقديمه
- عليهما للتقدمه فى الوجود وتخصيص كونهما هدى ورحمة بالؤمنين لأنهم المغتصمون آثاره (والله أنزل
- من السماء) من السحاب أو من جانب السماء حسبها مر وهذا تكرير لما سبق تأكيداً لمضمونه وتوطئة
- لما يعقبه من أدلة التوحيد (ماء) نوحاً خاصاً من الماء هو المطر وتقديم المجرور على المنصوب لما مر مراراً

وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُسْقِيَهُمْ مِّمَّا فِي بُطُونِهِ ۚ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا

لِّلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾

١٦ النحل

• من التشويق إلى المؤخر فأحيا به الأرض بما أنبت به فيها من أنواع النباتات (بعد موتها) أى بعد يبسها وما يفيد الفاء من التعقيب العادى لا ينافيه ما بين المعطوفين من المهلة (إن فى ذلك) أى فى إنزال الماء من السماء وإحياء الأرض الميتة به (لآية) وأية آية دالة على وحدته سبحانه وعلمه وقدرته وحكمته (لقوم يسمعون) هذا التذكير ونظائره سماع تفكر وتدبر فكان من ليس كذلك أصم (وإن لكم فى الأنعام لعبرة) عظيمة وأى عبرة تحار فى دركها العقول وتهيم فى فهمها ألباب الفحول (نسقيكم) استئناف لبيان ما أهم أولا من العبرة (مما فى بطونه) أى بطون الأنعام والتذكير هنا لمراعاة جانب اللفظ فإنه اسم جمع ولذلك عده سيبويه فى المفردات المبنية على أفعال كإشباع وإشباع وإشباع فى سورة المؤمنين لى جمع من جمع نعم جعل الضمير للبعض فإن اللبن ليس لجميعها أوله على المعنى فإن المراد به الجنس وقرئ بفتح النون ههنا وفى سورة المؤمنين (من بين فرث ودم لبناً) الفرث فضالة ما يبق من العلف فى الكرش المنهضة بعض الانهضام وكثيف ما يبق فى المعاء وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن البهيمة إذا اعتلفت وانطبخ العلف فى كرشها كان أسفل فرثاً وأوسطه لبناً وأعلى عله دماً ولعل المراد به أن أوسطه يكون مادة اللبن وأعلى مادة الدم الذى يغزو البدن لأن عدم تكونهما فى الكرش مما لا ريب فيه بل الكبد تجذب صفاء الطعام المنهضم فى الكرش ويبقى ثقله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها فيحدث أخلاطاً أربعة معها مائة فتميز القوة المميزة تلك المائة بما زاد على قدر الحاجة من المرتين الصفراء والسوداء وتدفعها إلى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع الباقي على الأعضاء بحسبها فتجرى على كل حقه على ما يليق به بتقدير العزيز العليم ثم إن كان الحيوان أنثى زاد أخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد أولاً لاجل الجنين إلى الرحم فإذا انفصل انصب ذلك الزائد أو بعضه إلى الضروع فيبيض لمجاورته لحومها العذوية البيض ويلد طعمه فيصير لبناً ومن تدبر فى بدائع صنع الله تعالى فيما ذكر من الأخلاط والألبان وأعداده قارها ومجارها والأسباب المولدة لها وتسخير القوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر إلى الاعتراف بكمال علمه وقدرته وحكمته وتناهى رأفته ورحمته فمن الأولى تبعية لما أن اللبن بعض ما فى بطونه لأنه مخلوق من بعض أجزاء الدم المتولد من الأجزاء اللطيفة التى فى الفرث حسبما فصل والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لأن بين الفرث والدم مبدأ الإسقاء وهى متعلقة بنسقيكم وتقديمه على المفعول لما مر مراراً من أن تقديم ما حقه التأخير يبعث للنفس شوقاً إلى المؤخر موجباً لفصل تمكينه عند وروده عليها لاسيما إذا كان المقدم متضمناً لوصف مناف لوصف المؤخر كالذى نحن فيه فإن بين وصفي المقدم والمؤخر تنافياً وتناهما بحيث لا يترامى ناراها فإن ذلك مما يزيد الشوق والاستشراف إلى المؤخر

وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾

النحل ١٦

وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾

ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾

النحل ١٦

كما في قوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا أو حال من لبناً قدم عليه لتسكيره والتنبية على أنه موضع العبرة (خالصاً) عن شائبة مافي الدم والفرث من الأوصاف يبرزخ من القدرة القاهرة * الحاجة عن بغى أحدهما عليه مع كونهما مكتنفين له (سائغاً للشاربين) سهل المرور في حلقهم قيل لم يغص أحد باللبن وقرىء سيقاً بالتشديد وبالتخفيف مثل هين وهين (ومن ثمرات النخيل والأعناب) ٦٧ متعلق بما يدل عليه الإسقاء من مطلق الإطعام المنتظم لإعطاء المَطْعُوم والمشروب فإن اللبن مطعوم كما أنه مشروب أى ونطعمكم من ثمرات النخيل ومن الأعناب أى من عصيرهما وقوله تعالى (تتخذون منه * سكرًا) استئناف لبيان كنه الإطعام وكشفه أو بقوله تتخذون منه وتكرير الظرف للتأكيد أو خبر لمبتدأ محذوف صفته تتخذون أى ومن ثمرات النخيل والأعناب ثمر تتخذون منه وحذف الموصوف إذا كان في الكلام كلمة من سائغ نحو قوله تعالى وما منال إلا له مقام معلوم وتذكير الضمير على الوجهين الأولين لأنه للمضاف المحذوف أعنى العصير أو لأن المراد هو الجنس والسكر مصدر سمي به الخمر وقيل هو النبيذ وقيل هو الطعم (ورزقا حسناً) كالتمر والدبس والزبيب والحل والآية إن كانت سابقة النزول على تحريم الخمر فدالة على كراهتها وإلا فجامعة بين العتاب والمنة (إن في ذلك لآية) باهرة (لقوم يعقلون) * يستعملون عقولهم في الآيات بالنظر والتأمل (وأوحى ربك إلى النحل) أى ألهمها وقذف في قلوبها ٦٨ وعليها بوجه لا يعلمه إلا العليم الخبير وقرىء بفتحيتين (أن اتخذى) أى بأن اتخذى على أن مصدرية ويجوز أن تكون مفسرة لما في الإيحاء من معنى القول وتأنيث الضمير مع أن النحل مذكر للحمل على المعنى أو لأنه جمع نخلة والتأنيث لغة أهل الحجاز (من الجبال بيوتاً) أى أو كالأماكن مافيهما من الخلايا وقرىء ببيتاً بكسر الباء (ومن الشجر وما يعرشون) أى يعرشه الناس أى يرفعه من كرم أو سقف وقيل المراد به ما يرفعه الناس ويبنونه للنحل والمعنى اتخذى لنفسك بيوتاً من الجبال والشجر إذا لم يكن لك أرباب وإلا فاتخذى ما يعرشونه لك وإيراد حرف التبعية لما أنها لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل عرش ولا في كل مكان منها (ثم كلى من كل الثمرات) من كل ثمرة تشتهيها حلوها ومرها (فاسلكى) ما أكلت ٦٩ منها (سبل ربك) أى مسالكه التى برأها بحيث يحل فيها بقدرته القاهرة النور المر عسلا من أجوافك أو فاسلكى الطرق التى ألهمك في عمل العسل أو فاسلكى راجعة إلى بيوتك سبل ربك لا تنوع عليك ولا

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ
 اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾

١٦ النحل

- * تلتبس (ذلا) جمع ذلول وهو حال من السبل أى مذلة غير متوعدة ذلها الله سبحانه وسهلها لك أو
- * من الضمير فى اسلكى أى اسلكى منقاداً لما أمرت به (يخرج من بطونها) استئناف عدل به عن خطاب
- النحل لبيان ما يظهر منها من تعجيب صنع الله تعالى التى هى موضع العبرة بعد ما أمرت بما أمرت
- * (شراب) أى عسل لأنه مشروب واحتج به بقوله تعالى كفى من زعم أن النحل تأكل الأزهار والأوراق
- العطرة فتستحيل فى بطنها عسلاً ثم تقيء إدخاراً للشتاء ومن زعم أنها تلتقط بأفواهها أجزاء قليلة حلوة
- صغيرة متفرقة على الأزهار والأوراق وتضعها فى بيوتها فإذا اجتمع فيها شئ كثير يكون عسلاً فسر
- * البطون بالأفواه (مختلف ألوانه) أبيض وأسود وأصفر وأحمر حسب اختلاف سن النحل أو الفصل
- * أو الذى أخذت منه العسل (فيه شفاء للناس) إما بنفسه كما فى الأمراض البلغمية أو مع غيره كما فى سائر
- الأمراض إذ قلما يكون معجون لا يكون فيه عسل مع أن التشكير فيه مشعر بالتبعية ويجوز كونه
- للتفخيم وعن قتادة أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال إن أخى يفتسك بطنه فقال ﷺ اسقه
- العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب فاسقه عسلاً فقد صدق الله وكذب بطن أخيك
- فسقاه فبرىء كما أنما أنشط من عقال وقيل الضمير للقرآن أو لما بين الله تعالى من أحوال النحل وعن ابن
- مسعود رضى الله عنه العسل شفاء لكل داء والقرآن شفاء لما فى الصدور فعليكم بالشفاء من العسل والقرآن
- * (إن فى ذلك) الذى ذكر من أعاجيب آثار قدرة الله تعالى (آية) عظيمة (لقوم يتفكرون) فإن من
- تفكر فى اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والآفعال العجيبة المشتملة على حسن الصنعة وصحة
- القسمة التى لا يقدر عليها حذاق المهندسين إلا بالآلات رقيقة وأدوات أنيقة وأنظار دقيقة جزم قطعاً بأن
- ٧٠ له خالقاً قادراً حكماً يلهمها ذلك ويهديها إليه جل جلاله (والله خلقكم) لما ذكر سبحانه من عجائب
- أحوال ما ذكر من الماء والنبات والأتعام والنحل أشار إلى بعض عجائب أحوال البشر من أول عمره إلى
- آخره وتطوراته فيما بين ذلك وقد ضبطوا مراتب العمر فى أربع الأولى سن النشو والنماء والثانية سن
- الوقوف وهى سن الشباب والثالثة سن الانحطاط القليل وهى سن الكهولة والرابعة سن الانحطاط
- * الكبير وهى سن الشيخوخة (ثم يتوفاكم) حسبما تقتضيه مشيئته المبينة على حكم بالغه بأجال مختلفة أطفالا
- * وشباباً وشيوخاً (ومنكم من يرد) قبل توفيه أى يعاد (إلى أردل العمر) أى أخسه وأحقه وهو خمس
- وسبعون سنة على ما روى عن على رضى الله عنه وتسعون سنة على ما نقل عن قتادة رضى الله عنه وقبل
- خمس وتسعون وإثبات الرد على الوصول والبلوغ ونحوهما للإيدان بأن بلوغه والوصول إليه رجوع
- فى الحقيقة إلى الضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمه ننكسه فى الخلق ولا عمر أسوأ حالا من عمر
- * الهرم الذى يشبه الطفل فى نقصان العقل والقوة (لكيلا يعلم بعد علم) كثير (شيئاً) من العلم أو من

وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ
فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾

١٦ النحل

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ
أَفَبِلَبْسٍ يُلْبَسُونَ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

١٦ النحل

- المعلومات أو لكيلا يعلم شيئاً بعد علم بذلك الشيء وقيل لئلا يعقل بعد عقله الأول شيئاً (إن الله عليم) *
- بمقادير أعماركم (قدير) على كل شيء يميت الشباب النشيط ويبقى الهرم الفاني وفيه تنبيه على أن تفاوت
- الآجال ليس إلا بتقدير قادر حكيم ركب أبنيتهم وعدل أمرجهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى
- الطبايع لما بلغ التفاوت هذا المبلغ (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) أى جعلكم متفاوتين فيه فأعطاكم ٧١
- منه أفضل مما أعطى ممالئكم (فما الذين فضلوا) فيه على غيرهم (برادى رزقهم) الذى رزقهم إياه (على
- ما ملكت أيمانهم) على ممالئكم الذين هم شركاؤهم في المخلوقية والمرزوقية (فهم) أى الملاك والممالك (فيه) *
- أى في الرزق (سواء) أى لا يردونه عليهم بحيث يساوونهم في التصرف ويشاركونهم في التدبير والفاء *
- للدلالة على ترتيب التساوى على الرد أى لا يردونه عليهم رداً مستتبهاً للتساوى وإنما يردون عليهم منه
- شيئاً يسيراً حيث لا يرضون بمساواة ممالئكم لأنفسهم وهم أمثالهم في البشرية والمخلوقية لله عز سلطانه في
- شيء لا يختص بهم بل يعمهم وإياهم من الرزق الذى هم أسوة لهم في استحقاقه فأبالمهم يشركون بالله سبحانه
- وتعالى فيما لا يليق إلا به من الألوهية والمعبودية الخاصة بذاته تعالى لذاته بعض مخلوقاته الذى هو بمنزلة
- من درجة الاعتبار وهذا كما ترى مثل ضرب الكمال قباحة ما فعله المشركون تقريراً عليهم كقوله تعالى هل
- لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء الآية (أفبنعمة الله يجحدون) حيث يفعلون *
- ما يفعلون من الإشراك فإن ذلك يقتضى أن يضيفوا نعم الله سبحانه الفائضة عليهم إلى شركائهم ويجحدوا
- كونهم من عند الله تعالى أو حيث أنكروا أمثال هذه الحجج البالغة بعدما نعم الله بها عليهم والباء لتضمين
- الجمود معنى الكفر نحو وجحدوا بها والفاء للعطف على مقدر وهى داخلة فى المعنى على الفعل أى
- أيشركون به فيجحدون نعمته وقرئ تجحدون على الخطاب أو ليس الموالى برادى رزقهم على ممالئكم
- بل أنا الذى أرزقهم وإياهم فلا يحسبوا أنهم يعطونهم شيئاً وإنما هو رزقى أجريه على أيدهم فهم جميعاً فى
- ذلك سواء لا منزلة لهم على ممالئكم ألا يفهمون ذلك فيجحدون نعمة الله فهو رد على زعم المفضلين أو
- على فعلهم المؤذن بذلك أو المفضلون برادى بعض فضلهم على ممالئكم فيتساووا فى ذلك جميعاً مع أن
- التفضيل ليس إلا ليلوهم أيشكرون أم يكفرون ألا يعرفون ذلك فيجحدون نعمة الله تعالى كأنه
- قيل فلم يردوه عليهم والجملة الاسمية للدلالة على استمرارهم على عدم الرد يحكى عن أبى ذر رضى الله
- عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إنما هم إخوانكم فاكسوم مما تلبسون وأطعموهم مما تطعمون فما
- رؤى عبده بعد ذلك إلا وداؤه رداؤه وإزاره إزاره من غير تفاوت (والله جعل لكم من أنفسكم) ٧٢

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ النحل ١٦

فَلَا تَضُرُّوا اللَّهَ الْآمَنَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ النحل ١٦

- * من جنسكم (أزواجاً) لتأنسوا بها وتقيموا بذلك جميع مصالحكم ويكون أولادكم أمثالكم وقيل هو خلق
- * حواء من ضلع آدم عليه الصلاة والسلام (وجعل لكم من أزواجكم) وضع الظاهر موضع المضمرة للإيذان
- * بأن المراد جعل لكل منكم من زوجه لا من زوج غيره (بنين) وبأن نتيجة الأزواج هو التوالد (وحفدة) جمع حافد وهو الذي يسرع في الخدمة والطاعة ومنه قول القانت وإليك نسعى ونحفد أى جعل لكم
- * خدماً يسرعون في خدمتكم وطاعتكم فقيل المراد بهم أولاد الأولاد وقيل البنات عبر عنهن بذلك إيذاناً
- * بوجه المنة فإنهن يخدمن البيوت أتم خدمة وقيل أولاد المرأة من الزوج الأول وقيل البنون والعطف
- * لاختلاف الوصفين وقيل الاختان على البنات وتأخير المنسوب في الموضعين عن المجرور لما مر من
- * التشويق وتقديم المجرور باللام على المجرور بمن للإيذان من أول الأمر بعود منفعة الجعل إليهم لإمداد
- * للتشويق وتقوية له أى جعل لمصلحتكم بما يناسبكم أزواجاً وجعل لمنفعتكم من جهة مناسبة لكم بنين وحفدة
- * (ورزقكم من الطيبات) من اللذائذ أو من الحلاوات ومن للتبويض إذ المرزوق في الدنيا أنموذج لما في
- * الآخرة (أفبالباطل يؤمنون) وهو أن الأصنام تنفعهم وأن البحائر ونحوها حرام والفاء في المعنى
- * داخل على الفعل وهى للعطف على مقدر أى يكفرون بالله الذى شأنه هذا فيؤمنون بالباطل أو أبعد
- * تحقق ما ذكر من نعم الله تعالى بالباطل يؤمنون دون الله سبحانه (وبنعمة الله) تعالى الفائضة عليهم بما
- * ذكروا مما لا يحيط به دائرة البيان (هم يكفرون) حيث يضيفونها إلى الأصنام وتقديم الصلة على الفعل
- * للاهتمام أو لإيهام الاختصاص مبالغة أو لرعاية الفواصل والالتفات إلى الغيبة للإيذان باستيجاب حالهم
- * للإعراض عنهم وصرف الخطاب إلى غيرهم من السامعين تعجباً لهم بما فعلوه (ويعبدون من دون الله)
- * لعله عطف على يكفرون داخل تحت الإنكار التوبيخى أى يكفرون بنعمة الله ويعبدون من دونه (مالاً)
- * يملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً) إن جعل الرزق مصدراً فشيئاً نصب على المفعولية منه أى
- * ما لا يقدر على أن يرزقهم شيئاً لا من السموات مطراً ولا من الأرض نباتاً وإن جعل اسماً للرزق
- * فنصب على البدلية منه بمعنى قليلاً ومن السموات والأرض صفة لرزق أى كأنما منها ويجوز كونه تأكيداً
- * للإيلاك أى لا يملك رزقاً ما شيئاً من الملك (ولا يستطيعون) أن يملكوه إذ لا استطاعة لهم رأساً لأنها
- * موات لا حراك بها فالضمير للآلهة ويجوز أن يكون للكفرة على معنى أنهم مع كونهم أحياء متصرفين
- * في الأمور لا يستطيعون من ذلك شيئاً فكيف بالجناد الذى لا حس به (فلا تضرُّوا الله الأمثال)
- * التفات إلى الخطاب للإيذان بالاهتمام بشأن النهى أى لا تشركوا به شيئاً والتعبير عن ذلك بضرب المثل
- * للقصد إلى النهى عن الإشراف به تعالى في شأن من الشئون فإن ضرب المثل مبناه تشبيه حالة بحالة وقصة بقصة
- * أى لا تشبهوا بشأنه تعالى شأناً من الشئون واللام مثلها في قوله تعالى ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة
- * نوح وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون لا مثلها في قوله تعالى واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّْا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

١٦ النحل

ونظائره والفاء للدلالة على ترتيب النهى على ما عدد من النعم الفائضة عليهم من جهته سبحانه وكون ما يشركون به تعالى بمعزل من أن يملك لهم من أقطار السموات والأرض شيئاً من رزق ما فضلا عما فصل من نعمة الخلق والنفصيل في الرزق ونعمة الأزواج والأولاد (إن الله يعلم) تعليل للنهى المذكور ووعد على المنهى عنه أى أنه تعالى يعلم كنه ما تأتون وما تذكرون وأنه في غاية العظم والقيح (وأنتم لا تعلمون) ذلك وإلا لما فسلموه أو أنه تعالى يعلم كنه الأشياء وأنتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم وقفوا مواقف الامتثال لما ورد عليكم من الأمر والنهى ويجوز أن يراد فلا تضربوا الله الأمثال إن الله يعلم كيف تضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون ذلك فتقعون فيما تقعون فيه من مهوى الردى والضلال ثم علمهم كيفية ضرب الأمثال في هذا الباب فقال (ضرب الله مثلاً) أى ذكر وأورد شيئاً يستدل به على تباين الحال بين جنباه عز ٧٥ وجل وبين ما أشركوا به وعلى تباعدهما بحيث ينادى بفساد ما ارتكبهوه نداء جليلاً (عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء) بدل من مثلاً وتفسير له والمثل في الحقيقة حالته العارضة له من المملوكية والمعجز التام وبحسبها ضرب نفسه مثلاً ووصف العبد بالمملوكية للتمييز عن الحر لا اشتراكها في كونها عبدان لله سبحانه وقد أدمج فيه أن الكل عبيد له تعالى وبعدم القدرة لتمييزه عن المكاتب والمأذون الذين لهما تصرف في الجملة وفي إبهام المثل أولاً ثم بيانه بما ذكر ما لا يخفى من الفخامة والجولة (ومن رزقناه) من موصوفة معطوفة على عبداً أى رزقناه بطريق الملك والالتفات إلى التكلم للإشعار باختلاف حالى ضرب المثل والرزق (مننا) من جنبنا الكبير المتعالى (رزقاً حسناً) حلالاً طيباً أو مستحسناً عند الناس مرضياً (فهو ينفق منه) تفضلاً وإحساناً والفاء لترتيب الإنفاق على الرزق كأنه قيل ومن رزقناه من رزقاً حسناً فأنفق وإيثار ما عليه النظم الكريم من الجملة الاسمية الفعلية الخبر للدلالة على ثبات الإنفاق واستمراره التجددى (سراً وجهراً) أى حال السر والجهر أو إنفاق سر وإنفاق جهر والمراد بيان عموم إنفاقه للأوقات وشمول إنعامه لمن يختب عن قبوله جهراً والإشارة إلى أصناف نعم الله تعالى الباطنة والظاهرة وتقديم السر على الجهر للإيذان بفضله عليه والعدول عن تطبيق القرينتين بأن يقال وحرراً مالكا للأموال مع كونه أدل على تباين الحال بينه وبين قسيمه لتوخي تحقيق الحق بأن الأحرار أيضاً تحت ربة عبوديته سبحانه وتعالى وأن مالكيهم لما يملكونه ليست إلا بأن يرزقهم الله تعالى إياه من غير أن يكون لهم مدخل في ذلك مع محاولة المبالغة في الدلالة على ما قصد بالمثل من تباين الحال بين الممثلين فإن العبد المملوك حيث لم يكن مثل العبد المالك فما ظنك بالجماد ومالك الملك خلاق العالمين (هل يستوون) جمع الضمير للإيذان بأن المراد بما ذكر من انصف بالاً وصاف المذكورة من الجنس المذكورين لأفردان معنيين منها أى هل يستوى العبيد والأحرار الموصوفون بما ذكر من الصفات مع أن الفريقين سيان في البشرية والخلقوية لله سبحانه

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكُرُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ
بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ النحل

وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ النحل

وأن ما ينفعه الأحرار ليس مما لهم دخل في إيجادهِ ولا في تملكه بل هو مما أعطاه الله تعالى إياهم فحيث
لم يستو الفريقان فما ظنكم برب العالمين حيث تشركون به ما لا دليل أذل منه وهو الأصنام (الحمد لله)
أى كله لأنه مولى جميع النعم لا يستحقه أحد غيره وإن ظهرت على أيدى بعض الوسائط فضلاً عن
استحقاق العبادة وفيه إرشاد إلى ما هو الحق من أن ما يظهر على يد من ينفق مما ذكر راجع إلى الله سبحانه
كما لوح به قوله تعالى رزقناه (بل أكثرهم لا يعلمون) ما ذكر فيضيفون نعمه تعالى إلى غيره ويعبدونه
لأجلها ونفى العلم عن أكثرهم للإشعار بأن بعضهم يعلمون ذلك وإنما لا يعلمون بموجبه عناداً كقوله
٧٦.. تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون (وضرب الله مثلاً) أى مثلاً آخر يدل على
مادل عليه المثل السابق على وجه أوضح وأظهر وبعد ما بهم ذلك لتنتظر النفس إلى ورودهِ وتفرقه حتى
يتمكن لديها عند ورودهِ بين فقيل (رجلين أحدهما أبكر) وهو من ولد أخرس (لا يقدر على شيء)
من الأشياء المتعلقة بنفسه أو بغيره بحسب أو فإسالة لقلة فهمه وسوء إدراكه (وهو كل) ثقل وعيال
(على مولاه) على من يعوله وبلى أمره وهذا بيان لعدم قدرته على إقامة مصالح نفسه بعد ذكر عدم قدرته
على شيء مطلقاً وقوله تعالى (أينما يوجهه) أى حيث يرسله مولاه في أمر بيان لعدم قدرته على إقامة
مصالحة مولاه ولو كانت مصلحة يسيرة وقرىء على البناء للفعول وعلى صيغة الماضي من التوجه (لا يأت
بخير) بنجح وكفاية مهم البتة (هل يستوى هو) مع ما فيه من الأوصاف المذكورة (ومن يأمر بالعدل)
أى من هو منطبق فهو ذور أى وكفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الجامع لمجامع الفضائل (وهو)
في نفسه مع ما ذكر من نفعه العام للخاص والعام (على صراط مستقيم) ومقابلة الصفات المذكورة
بهذين الوصفين لأنهما في حاق ما يقابلها فإن محصل الصفات المذكورة عدم استحقاق المأمورية وملخص
هذين استحقاق كمال الأمرية المستتبع لحيازة المحاسن بأجمعها وتغيير الأسلوب حيث لم يقل والآخر
أمر بالعدل الآية لمراعاة الملازمة بينه وبين ما هو المقصود من بيان التباين بين القرينتين واعلم أن كلا من
الفعلين ليس المراد بهما حكاية الضرب الماضي بل المراد إنشاؤه بما ذكر عقيبهِ ولا يبعد أن يقال إن الله
تعالى ضرب مثلاً بخلق الفريقين على ما هما عليه فكان خلقهما كذلك للاستدلال بعدم تساويهما على امتناع
٧٧ التساوى بينه سبحانه وبين ما يشركون فيكون كل من الفعلين حكاية للضرب الماضي (وقه) تعالى خاصة
لألا حد غيره استقلالاً ولا اشتراكاً (غيب السموات والأرض) أى الأمور الغائبة عن علوم المخلوقين

وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ النحل

- قاطبة بحيث لا سبيل لهم إليها لا مشاهدة ولا استدلال ومعنى الإضافة إليها التعلق بهما إما باعتبار الوقوع فيها حالاً أو مآلاً وإما باعتبار الغيبة عن أهلها والمراد بيان الاختصاص به تعالى من حيث المعلوماتية حسبما ينبيء عنه عنوان الغيبة لا من حيث المخلوقية والمملوكية وإن كان الأمر كذلك في نفس الأمر وفيه إشعار بأن علمه سبحانه حضوري فإن تحقق الغيوب في نفسها علم بالنسبة إليه تعالى ولذلك لم يقل والله علم غيب السموات والأرض (وما أمر الساعة) التي هي أعظم ما وقع فيه الماراة من الغيوب المتعلقة بهما من حيث غيبتها عن أهلها أو ظهور آثارها فيها عند وقوعها فإن وقت وقوعها بعينه من الغيوب المختصة به سبحانه وإن كان لإنبتها من الغيوب التي نصبت عليها الأدلة أي ما شأها في سرعة المجيء (إلا كلبح البصر) أي كرجع الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها (أو هو) أي بل أمرها فيما ذكر (أقرب) من ذلك وأسرع زماناً بأن يقع في بعض من زمانه فإن ذلك وإن قصر عن حركة أنية لها هوية اتصالية منطبقة على زمان له هوية كذلك قابل للانقسام إلى أبعاد هي أزمنة أيضاً بل في آن غير منقسم من ذلك الزمان وهو آن ابتداء تلك الحركة أو ما أمرها إلا كالشيء الذي يستقر ويقال هو كلبح البصر أو هو أقرب وأياً ما كان فهو تمثيل لسرعة مجيئها حسبما عبر عنها في فاتحة السورة الشريفة بالإتيان (إن الله على كل شيء قدير) ومن جملة الأشياء أن يجيء بها أسرع ما يكون فهو قادر على ذلك أو ما أمر إقامة الساعة التي كتبها وكيفيتها من الغيوب الخاصة به سبحانه وهي إماتة الأحياء وإحياء الأموات من الأولين والآخرين وتبديل صور الأولين كإيمانهم أو كفرهم وقد أنكرها المنكرون وجعلوها من قبيل ما لا يدخل تحت الإمكان في سرعة الوقوع وسهولة التأتى إلا كلبح البصر أو هو أقرب على مامر من الوجهين إن الله على كل شيء قدير فهو قادر على ذلك لا محالة وقيل غيب السموات والأرض عبارة عن يوم القيامة بعينه لما أن علمه بخصوصه غائب عن أهلها فوضع الساعة موضع الضمير لتقوية مضمون الجملة (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم) ٧٨ عطف على قوله تعالى والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا منتظم معه في سلك أدلة التوحيد من قوله تعالى والله أنزل من السماء ماء وقوله تعالى والله خلقكم وقوله تعالى والله فضل بعضكم على بعض والامهات بضم الهمزة وقرىء بكسرهما أيضاً جمع الأم زيدات الهاء فيه كازيدات في إهراق من إهراق وشذت زيادتها في الواحدة قال [أمهتي خندف والياس أبي] (لا تعلمون شيئاً) في موقع الحال أي غير عالمين شيئاً أصلاً (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) عطف على أخرجكم وليس فيه دلالة على تأخر الجعل المذكور عن الإخراج لما أن مدلول الواو هو الجمع مطلقاً لا الترتيب على أن أثر ذلك الجعل لا يظهر قبل الإخراج أي جعل لكم هذه الأشياء آلات تحصلون بها العلم والمعرفة بأن تحسوا بمشاعركم جزئيات الأشياء وتدركوها بأفئدتكم وتنهبوا لما بينها من المشاركات والمباينات بتكرار الإحساس فيحصل لكم علوم

أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾

١٦ النحل

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارُهَا أَثْنًا وَمَتَّعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾

١٦ النحل

- بديهية يتمكنون بالنظر فيها من تحصيل العلوم الكسبية والأفئدة جمع فؤاد وهو وسط القلب وهو من القلب كالقلب من الصدور وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة وتقديم المجرور على المنصوبات لما مر من الإيدان من أول الأمر بكون المجمعول نافعا لهم وتشويق النفس إلى ما أؤخر ليتمكن عند وروده عليها فضل تمكن (لعلكم تشكرون) كي تعرفوا ما أنعم به عليكم طوراً غب طور فتشكروه وتقديم السمع على البصر لما أنه طريق تلقى الوحي أو لأن إدراكه أقدم من إدراك البصر وإفراده باعتبار كونه مصدراً في الأصل (ألم يروا) وقرىء بالناء (إلى الطير) جمع طائر أى ألم ينظروا إليها
- ٧٩ (مسخرات) مذللات للطيران بما خلق لها من الأجنحة والأسباب المساعدة له وفيه مبالغة من حيث إن معنى التسخير جعل الشيء منقاداً لآخر بتصرف فيه كيف يشاء كتسخير البحر والفلك والدواب للإنسان والواقع ههنا تسخير الهواء للطير لتطير فيه كيف تشاء فكان مقتضى طبيعة الطير السقوط فسخرها الله تعالى للطيران وفيه تنبيه على أن الطيران ليس بمقتضى طبع الطير بل ذلك بتسخير الله تعالى (في جو السماء) أى في الهواء المتباعد من الأرض والسكاك والالوح أبعد منه وإضافته إلى السماء لما أنه
- في جانبها من الناظر ولإظهار كمال القدرة (ما يمسكن) في الجوحين قبض أجنحتهن وبسطهما وقوفهن
- (إلا الله) عز وجل بقدرته الواسعة فإن ثقل جسدها ورقة قوام الهواء يقتضيان سقوطها ولا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها وهو إما حال من الضمير المستتر في مسخرات أو من الطير وإما مستأنف
- (إن في ذلك) الذى ذكر من تسخير الطير للطيران بأن خلقها خلقة يتمكن بها منه بأن جعل لها أجنحة خفيفة وأذناً كذلك وجعل أجسادها من الخفة بحيث إذا بسطت أجنحتها وأذناها لا يطبق ثقلها يخرق ماتحتها من الهواء الرقيق القوام وتخرق ما بين يديها من الهواء لأنها لا تلاقيه بحجم كبير
- (لآيات) ظاهرة (لقوم يؤمنون) أى من شأنهم أن يؤمنوا وإنما خص ذلك بهم لأنهم المنتفعون به
- ٨٠ (والله جعل لكم) معطوف على ما مر وتقديم لكم على ما سياتى من المجرور والمنصوب لما مر من الإيدان من أول الأمر بأنه لمصلحتهم ومنفعتهم لتشويق النفس إلى وروده وقوله تعالى (من بيوتكم) أى من بيوتكم المعهودة التي تبنيونها من الحجر والمدر تبين لذلك المجمعول المهم في الجملة وتأكيد لما سبق من التشويق (سكناً) فعل بمعنى مفعول أى موضعاً تسكنون فيه وقت إقامتكم أو تسكنون إليه من غير أن ينتقل من مكانه أى جعل بعض بيوتكم بحيث تسكنون إليه وتطمثون به (وجعل لكم من جلود

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ
وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلُونَ ﴿٨١﴾

١٦ النحل

١٦ النحل

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾

الأنعام بيوتاً) أى بيوتاً آخر مغارة لبيوتكم المعهودة هى الخيام والقباب والاشجية والفساطيط
(لستخفوها) تجدونها خفيفة سهلة المأخذ (يوم ظعنكم) وقت ترحالكم فى النقض والحمل والنقل وقرى.
بفتح العين (ويوم إقامتكم) وقت نزولكم فى الضرب والبناء (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها) عطف
على قوله تعالى من جلود والضمائر للأنعام على وجه التنويع أى وجعل لكم من أصواف الضأن وأوبار
الإبل وأشعار المعز (أثناً) أى متاع البيت وأصله الكثرة والاجتماع ومنه شعر أثيث (ومتاعاً) أى
شيئاً يتمتع به بفنون التمتع (إلى حين) إلى أن تقضوا منه أو طارككم أو إلى أن يبلى ويفنى فإنه فى معرض
البلا والفناء وقيل إلى أن تموتوا والكلام فى ترتيب المفاعيل مثل ما مر من قبل (والله جعل لكم مما خلق) ٨١
من غير صنع من قبلكم (ظلالاً) أشياء تستظلون بها من الحر كالغمام والشجر والجبل وغيرها امتن سبحانه
بذلك لما أن تلك الديار غالبه الحرارة (وجعل لكم من الجبال أكناناً) مواضع تسكنون فيها من الكهوف
والغيران والسروب والكلام فى الترتيب الواقع بين المفاعيل كالذى مر غير مرة (وجعل لكم سراويل)
جمع سربال وهو كل ما يلبس أى جعل لكم ثياباً من القطن والكتان والصوف وغيرها (تقيكم الحر)
خصه بالذكر اكتفاء بذكر أحد الضدين عن ذكر الآخر لأن وقايته هى الأهم عندهم لما مر آنفاً (وسراويل)
من الدروع والجواشن (تقيكم بأسكم) أى البأس الذى يصل إلى بعضكم من بعض فى الحرب من الضرب
والطعن ولقد من الله سبحانه علينا حيث ذكر جميع نعمه الفائضة على جميع الطوائف فبدأ بما يخص
المقيمين حيث قال والله جعل لكم من بيوتكم سكناً ثم بما يخص المسافرين بمن لهم قدرة على الخيام
وأضرابها حيث قال وجعل لكم من جلود الأنعام الخ ثم بما يعيهم من لا يقدر على ذلك ولا يأويه إلا الظلال
حيث قال وجعل لكم مما خلق ظلالاً الخ ثم بما لا بد منه لا حد حيث قال وجعل لكم سراويل الخ ثم بما لا غنى عنه
فى الحروب حيث قال وسراويل تقيكم بأسكم ثم قال (كذلك) أى مثل ذلك الإتمام البالغ (يتم نعمته عليكم
لعلكم تسلون) أى لإرادة أن تنظروا فيما أسبغ عليكم من النعم الظاهرة والباطنة والآنفسية والآفاقية
فتعرفوا حق منعمهم فتؤمنوا به وحده وتذروا ما كنتم به تشركون وتنقادوا لأمره وإفراد النعمة إما
لأن المراد بها المصدر أو لإظهار أن ذلك بالنسبة إلى جانب الكبرياء شئ قليل وقرىء تسلون أى تسلون
من العذاب أو من الشرك وقيل من الجراح بلبس الدروع (فإن تولوا) فعل ماض على طريقة الالتفات ٨٢
وصرف الخطاب عنهم إلى رسول الله ﷺ تسلياً له أى فإن أعرضوا عن الإسلام ولم يقبلوا منك ما أتى
إليهم من البينات والعبارة والعهظ (فإنما عليك البلاغ المبين) أى فلا قصور من جهتك لأن وظيفتك
هى البلاغ الموضح أو الواضح وقد فعلته بما لا مزيد عليه فهو من باب وضع السبب موضع المسبب

يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾

١٦ النحل

وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾

١٦ النحل

وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾

١٦ النحل

وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ

١٦ النحل

فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾

- ٨٣ (يعرفون نعمة الله) استئناف لبيان أن توليهم وإعراضهم عن الإسلام ليس لعدم معرفتهم بما عدد من نعم الله تعالى أصلاً فإنهم يعرفونها ويعترفون أنها من الله تعالى (ثم ينكرونها) بأفعالهم حيث يعبدون غير منعمها أو بقولهم أنها بشفاعة آلهتنا أو بسبب كذا وقيل نعمة الله تعالى نبوة محمد ﷺ عرفوها بالمعجزات كما يعرفون أبناءهم ثم أنكروها عناداً ومعنى ثم لاستبعاد الإنكار بعد المعرفة لأن حق من عرف النعمة الاعتراف بها لا الإنكار وإسناد المعرفة والإنكار المنفرع عليها إلى ضمير المشركين على الإطلاق من باب إسناد حال البعض إلى الكل كقولهم بنو فلان قتلوا فلانا وإنما القاتل واحد منهم فإن بعضهم ليسوا كذلك لقوله سبحانه (وأكثرهم الكافرون) أي المنكرون بقولهم غير المعترفين بما ذكر والحكم عليهم بمطلق الكفر المؤذن بالكمال من حيث الكمية لا يتأني كالفرقة الأولى من حيث الكيفية هذا وقد قيل ذكر الأكثر إما لأن بعضهم لم يعرفوا نقصان العقل أو التفريط في النظر أو لم يقيم عليه
- ٨٤ الحجة لأنه لم يباغ حد التكليف فتدبر (ويوم نبعث من كل أمة شهيداً) يشهد لهم بالإيمان والطاعة وعليهم
- بالكفر والعصيان وهو نبيها (ثم لا يؤذن للذين كفروا) في الاعتذار إذ لا عذر لهم وثم للدلالة على أن ابتلاهم بالمنع عن الاعتذار المنهي عن الإقناط الكلي وهو عند ما يقال لهم اخشوا فيها ولا تكلمون
- أشد من ابتلائهم بشهادة الأنبياء عليهم السلام عليهم وأطم (ولاهم يستعقبون) يسترضون أي لا يقال لهم أرضوا ربكم إذ الآخرة دار الجزاء لادار العمل وانتصاب الظرف بمحذوف تقديره اذكر أو خوفهم يوم نبعث الخ أو يوم نبعث يحق بهم ما يحق بما لا يوصف وكذا قوله تعالى (وإذا رأى الذين ظلموا العذاب) الذي يستوجبونه بظلمهم وهو عذاب جهنم (فلا يخفف عنهم) ذلك (ولاهم ينظرون)
- ٨٦ أي يملكون كقوله تعالى بل تأتيهم بغتة فتبهتهم (وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم) الذين كانوا يدعونهم في الدنيا وهم الأوثان أو الشياطين الذين شاركهم في الكفر بالحل عليه وقانونهم في الغي والضلال (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك) أي نعبدكم أو نطيعكم وأعلمهم قالوا ذلك طمعاً في توزيع العذاب بينهم كما ينبغي عنه قوله سبحانه (فألقوا) أي شركاؤهم (إليهم القول) إنكم لكاذبون) فإن تكذيبهم إياهم فيها قالوا ليس إلا للدفاع عن غائلة مضمونة وإنما كذبوهم وقد كانوا يعبدونهم ويطيعونهم لأن الأوثان ما كانوا راضين بعبادتهم لهم فكان عبادتهم لم تكن عبادة لهم كما قالت الملائكة عليهم

وَالْقَوَا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ النحل ١٦

الَّذِينَ كَفَرُوا وَاصْذَوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ النحل ١٦
وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَزَلْنَا عَلَيْكَ
الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ النحل ١٦

السلام بل كانوا يعبدون الجن يعنون أن الجن هم الذين كانوا راضين بعبادتهم لانحن أو كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة تنزيهاً لله سبحانه عن الشريك والشياطين وإن كانوا راضين بعبادتهم لهم لكنهم لم يكونوا حاملين لهم على وجه القسر والإلجاء كما قال إبليس وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوكم فاستجبتم لي فكأنهم قالوا ما عبدتمونا حقيقة بل إنما عبدتم أهواءكم (وألقوا) أى الذين أشركوا (إلى الله يومئذ السالم) ٨٧ الاستسلام والانتقاد لحكمه العزيز الغالب بعد الاستكبار عنه في الدنيا (وضل عنهم) أى ضاع وبطل (ما كانوا يفترون) من أن الله سبحانه شركاء وأنهم ينصرون ويشفعون لهم وذلك حين كذبوهم وتبرءوا منهم (الذين كفروا) في أنفسهم (وصدوا) غيرهم (عن سبيل الله) بالمنع عن الإسلام والحمل على الكفر ٨٨ (زدناهم عذاباً فوق العذاب) الذى كانوا يستحقونه بكفرهم قيل في زيادة عذابهم حيات أمثال البخت وعقارب أمثال البغال تلسع إحداهن فيجد صاحبها حمتها أربعين خريفاً وقيل يخرجون من النار إلى الزميرير فيبادرون من شدة البرد إلى النار (بما كانوا يفسدون) متعلق بقوله زدناهم أى زدنا عذابهم بسبب استمرارهم على الإفساد وهو الصد المذكور (ويوم نبعث) تكرير لما سبق تنبيهاً للتهديد (في كل ٨٩ أمة شهيداً عليهم) أى نبياً (من أنفسهم) من جنسهم قطعاً لمعذرتهم وفي قوله تعالى عليهم لإشعار بأن شهادة أنبيائهم على الأمم تكون بمحضر منهم (وجئنا بك) لإثبات لفظ المجيء على البعث لكمال العناية بشأنه عليه السلام وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع (شهيداً على هؤلاء) الأمم وشهادتهم كقوله تعالى فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً وقيل على أمتك والعالم في الظرف محذوف كما مر والمراد به يوم القيامة (ونزلنا عليك الكتاب) الكامل في الكتابية الحقيقي بأن يخص باسم الجنس وهو إما استئناف أو حال بتقدير قد (تبياناً) بياناً بليغاً (لكل شيء) يتعلق بأمور الدين ومن جملة ذلك أحوال الأمم مع أنبيائهم عليهم السلام فيكون كالدليل على كونه عليه السلام شهيداً عليهم وكذا من جملة ما أخبر به هذه الآية الكريمة من بعث الشهداء وبعثه عليه السلام شهيداً عليهم عليهم الصلاة والسلام والتبيان كالتلقاء في كسر أوله وكونه تبياناً لكل شيء من أمور الدين باعتبار أن فيه نصاً على بعضها وإحالة لبعضها على السنة حيث أمر باتباع النبي ﷺ وطاعته وقيل فيه وما ينطق عن الهوى وحشا على الإجماع وقد رضى رسول الله ﷺ لأمته باتباع أصحابه حيث قال أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتمعوا وقاسوا ووطنوا طرق الاجتهاد فكانت السنة والإجماع والقياس مستندة إلى تبيان

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ

١٦ التحل

يَعْظُمُ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾

وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا

١٦ التحل

إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾

الكتاب ولم يضر ما في البعض من الخفاء في كونه تبياناً فإن المبالغة باعتبار الكمية دون الكيفية كما قيل في قوله تعالى وما أنا بظلام للعبيد إنه من قولك فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده ومنه قوله سبحانه وما للظالمين من أنصار (وهدي ورحمة) للعالمين فإن حرمان الكفر من مغنم آثاره من تغريطهم لا من جهة الكتاب (وبشرى للمسلمين) خاصة أو يكون كل ذلك خاصاً بهم لأنهم المنتفعون بذلك (إن الله يأمر) أي فيما نزله تبياناً لكل شيء وهدي ورحمة وبشرى للمسلمين وإيثار صيغة الاستقبال فيه وفيما بعده لإفادة التجدد والاستمرار (بالعدل) بمراعاة التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط وهو رأس الفضائل كما يندرج تحته فضيلة القوة العقلية الملكية من الحكمة المتوسطة بين الحرمة والبلادة وفضيلة القوة الشهوية البهيمية من العفة المتوسطة بين الخلاعة والخمود وفضيلة القوة الغضبية السبعية من الشجاعة المتوسطة بين الثور والجن فمن الحكم الاعتقادية التوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أن العدل هو التوحيد والقول بالكسب المتوسط بين الجبر والقدر ومن الحكم العملية التباعد بأداء الواجبات المتوسط بين البطالة والنزهب ومن الحكم الخلقية الجود المتوسط بين البخل والتبذير (والإحسان) أي الإتيان بما أمر به على الوجه اللائق وهو إما بحسب الكمية كالإطعام بالنوافل أو بحسب الكيفية كما يشير إليه قوله عليه الصلاة والسلام الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك (وإيتاء ذى القربى) أي إعطاء الأقارب ما يحتاجون إليه وهو تخصيص إثر تعميم اهتماماً بشأنه (وينهى عن الفحشاء) الإفراط في مشايعة القوة الشهوية كالزنا مثلاً (والمُنْكَر) ما ينكر شرعاً أو عقلاً من الإفراط في إظهار آثار القوة الغضبية (والبغى) الاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم وهو من آثار القوة الوهمية الشيطانية التي هي حاصلة من رذيلتي القوتين المذكورتين الشهوية والغضبية وليس في البشر شر إلا وهو مندرج في هذه الأقسام صادر عنه بواسطة هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه هي أجمع آية في القرآن للخير والشر ولو لم يكن فيه غير هذه الآية الكريمة لكفت في كونه تبياناً لكل شيء وهدي (يعظمكم) بما يأمر وينهى وهو إما استئناف وإما حال من الضميرين في الفعلين (لعلكم تذكرون) طلباً لأن تعظوا بذلك (وأوفوا بعهد الله) هو البيعة لرسول الله ﷺ فإنها مبايعة لله سبحانه لقوله تعالى إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله (إذا عاهدتم) أي حافظوا على حدود ما عاهدتم الله عليه وبايعتم به رسول الله ﷺ

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهُمَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكُنَّا تَخَذُونِ إِيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ
تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِهِ ۖ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ
تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾

١٦ النحل

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَنُسْخَلَنَ عَمَّا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

١٦ النحل

- (ولا تنقضوا الأيمان) التي تحلفون بها عند المعاهدة (بعد تو كيدها) حسبما هو المعمود في أثناء العمود *
لا على أن يكون النهى مقيداً بالتوكيد مخصصاً به (وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً) شاهداً رقيباً فإن الكفيل *
مراع لحال المكفول به محافظ عليه (إن الله يعلم ما تفعلون) من نقض الأيمان والعمود فيجازيكم على *
ذلك (ولا تكونوا) فيما تصنعون من النقض (كالتى نقضت غزلها) أى ما غزلته مصدر بمعنى المفعول ٩٢
(من بعد قوة) متعلق بنقض أى كالمراة التي نقضت غزلها من بعد إبرامه وإحكامه (أنكنا) طاقات *
نكثت فتلها جمع نكث وانتصابه على الحالية من غزلها أو على أنه مفعول ثان لنقضت فإنه بمعنى صيرت
والمراد تقبيح حال النقض بتشبيهه الناقض بمثل هذه الخرقاء المعنوية . قيل هى ربطة بنت سعد بن تيم
وكانت خرقاء اتخذت مغزلاً قدر ذراع وصنارة مثل أصبع فلكه عظيمة على قدرها فكانت تغزل هى
وجوارىها من الغداة إلى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن (تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم) حال من *
الضمير فى لا تكونوا أو فى الجار والمجرور الواقع موقع الخبر أى مشاهين لامراة شأنها هذا حال كونكم
متخذين أيمانكم مفسدة ودخلاً بينكم وأصل الدخول ما يدخل الشيء ولم يكن منه (أن تكون أمة) أى بأن *
تكون جماعة (هى أربى) أى أزيد عدداً وأوفر مالا (من أمة) من جماعة أخرى أى لا تغدروا بقوم *
لكفرتكم وقلنهم أو لكثرة منابذهم وقوتهم كقرش فإنهم كانوا إذا رأوا شوكة فى أعادى حلفائهم
نقضوا عهدهم وحالفوا أعداءهم (إنما يبلوكم الله به) أى بأن تكون أمة أربى من أمة أى يعاملكم بذلك
معاملة من يختبركم لينظر أتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله ﷺ أم تغترون بكثرة قرش
وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم بحسب ظاهر الحال (وليبيّن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) حين *
جازاكم بأعمالكم ثواباً وعقاباً (ولو شاء الله) مشيئة قسروا لجاء (لجعلكم أمة واحدة) متفقة على الإسلام ٩٣
(ولكن) لا يشاء ذلك لكونه مزاحماً لقضية الحكمة بل (يضل من يشاء) إضلاله أى يخلق فيه الضلال
حسبما يصرف اختياره الجزئى إليه (ويهدى من يشاء) هدايته حسبما يصرف اختياره إلى تحصيلها
(ولنسلن) جميعاً يوم القيامة (عما كنتم تعملون) فى الدنيا وهذا إشارة إلى مالوح به من الكسب الذى
عليه يدور أمر الهداية والضلال .

وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا أَلْسِنَةَ يَمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾

١٦ النحل

وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾
مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾

١٦ النحل

٩٤ (ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم) تصريح بالنهاى عنه بعد التضمنين تأكيذاً ومبالغة في بيان قبح المنهى عنه وتمهيداً لقوله سبحانه (فتزل قدم بعد ثبوتها) عن محجة الحق (بعد ثبوتها) عليها ورسوخها فيها بالإيمان وإفراد القدم وتنكيرها للإيدان بأن زال قدم واحدة أى قدم كانت عزت أو هانت محذور عظيم فكيف بأقدام كثيرة (وتذوقوا السوء) أى العذاب الدنيوى (بما صدقتم) بصدوقكم أو بصدقكم غيركم (عن سبيل الله) الذى ينتظم الوفاء بالعهود والأيمان فإن من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره (ولكم) فى الآخرة (عذاب عظيم) (ولا تشتروا بعهد الله) أى لا تأخذوا بمقابلة عهده تعالى وبيعة رسوله ﷺ أو آياته الناطقة بإيجاب المحافظة على العهود والأيمان (ثمناً قليلاً) أى لا تستبدلوا بها عرضاً يسيراً وهو ما كانت قريش يعدون ضعفة المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد من حطام الدنيا (إن ما عند الله) عز وجل من النصر والتغنى والثواب الآخروى (هو خير لكم) بما يعدونكم (إن كنتم تعلمون) أى إن كنتم من أهل العلم والتمييز وهو تعليل للنهى على طريقة التحقيق كأن قوله تعالى (ما عندكم) تعليل للخيرية بطريق الاستئناف أى ما تتمتعون به من نعم الدنيا وإن جل بل الدنيا وما فيها جميعاً (ينفد) وإن جم عدده وينقض وإن طال أمده (وما عند الله) من خزان رحمة الدنيوية والآخروية (باق) لانفاد له أما الآخروية فظاهرة وأما الدنيوية لحيث كانت موصولة بالآخروية ومستتعبة لها فقد انتظمت في سمط الباقيات الصالحات وفى إشار الاسم على صيغة المضارع من الدلالة على الدوام ما لا يخفى وقوله تعالى (ولنجزي) بنون العظمة على طريقة الالتفات تكرير للوعد المستفاد من قوله تعالى إن ما عند الله هو خير لكم على نهج التوكيد القسمى مبالغة فى الحمل على الثبات فى الدين والالتفات عما يقتضيه ظاهر الحال من أن يقال ولنجزيكم أجرهم بأحسن ما كنتم تعملون للتوسل إلى التعرض لأعمالهم والإشعار بعليتها للجزاء أى والله لنجزي (الذين صبروا) على أذى المشركين ومشاق الإسلام التى من حملتها الوفاء بالعهود والفقر وقرىء بالياء من غير التفات (أجرهم) مفعول ثان لنجزي أى لنعطينهم أجرهم الخاص بهم بمقابلة صبرهم على ما منوا به من الأمور المذكورة (بأحسن ما كانوا يعملون) أى لنجزيهم بما كانوا يعملونه من الصبر المذكور وإنما أضيف إليه الأحسن الإشعار بكمال حسنه كما فى قوله سبحانه وحسن ثواب الآخرة لا لإفادة قصر الجزاء على الأحسن منه دون الحسن فإن ذلك بما لا يخطر ببال أحد لا سيما بعد قوله تعالى أجرهم أو لنجزيهم بحسب أحسن أفراد أعمالهم المذكورة على معنى لنعطيه بمقابلة الفرد الأدنى من أعمالهم المذكورة ما نعطي بمقابلة الفرد الأعلى منها من الأجر الجزيل لا أنا نعطي الأجر بحسب

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾

النحل ١٦

فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾

النحل ١٦

أفرادها المتفاوتة في مراتب الحسن بأن نجزى الحسن منها بالأجر الحسن والاحسن بالاحسن وفيه ما لا يخفى من العدة الجميلة باغتفار ما عسى يعتريهم في تضاعيف الصبر من بعض جزع ونظمه في سلك الصبر الجميل أو لنجزينهم بحزاء أحسن من أعمالهم وأما التفسير بما ترجع فعله من أعمالهم كالواجبات والمندوبات أو بما ترجع تركه أيضاً كالمحرمات والمكروهات دلالة على أن ذلك هو المدار للجزاء دون ما يستوى فعله وتركه كالمباحات فلا يساعده مقام الحث على الثبات على ما هم عليه من الأعمال الحسنة الخصوصية والترغيب في تحصيل ثمراتها بل التعرض لإخراج بعض أعمالهم عن مدارية الجزاء من قبيل تحجير الرحمة الواسعة في مقام توسيع حماها (من عمل صالحاً) أى عملاً صالحاً أى عمل كان وهذا شروع في ٩٧ تحريض كافة المؤمنين على كل عمل صالح غلب ترغيب طائفة منهم في الثبات على ما هم عليه من عمل صالح مخصوص دفعاً لتوهم اختصاص الأجر الموفور بهم وبعمالهم المذكور وقوله تعالى (من ذكر أو أنى) * مبالغة في بيان شموله لكل (وهو مؤمن) قيده به إذ لا اعتداد بأعمال الكفرة في استحقاق الثواب أو تخفيف العذاب لقوله تعالى وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً وإيثار لإيراده بالجملة الاسمية الحالية على نظمته في سلك الصلة لإفادة وجوب دوامه ومقارنته للعمل الصالح (فلنحيينه حياة طيبة) في * الدنيا يعيش عيشاً طيباً أما إن كان موسراً فظاهر وأما إن كان معسراً فيطيب عيشه بالقناعة والرضى بالقسمة وتوقع الأجر العظيم كالصائم يطيب نهاره بملاحظة نعيم ليله بخلاف الفاجر فإنه إن كان معسراً فظاهر وإن كان موسراً فلا بدعه الحرص وخوف الفوات أن يتناً بعيشه (ولنجزينهم) في الآخرة * (أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) حسبما يفعل بالصابرين فليس فيه شائبة تكرار والجمع في الضمائر العائدة إلى الموصول لمراعاة جانب المعنى كما أن الأفراد فيما سلف لرعاية جانب اللفظ وإيثار ذلك على العكس لما أن وقوع الجزاء بطريق الاجتماع المناسب للجمعية ووقوع ما في حيز الصلة وما يترتب عليه بطريق الاقتراق والتعاقب الملازم للإفراد ولذا قد انتهى الأمر إلى أن مدار الجزاء المذكور هو صلاح العمل وحسنه رتب عليه بالفاء الإرشاد إلى ما به يحسن العمل الصالح ويخلص عن شوب الفساد فقيل (فإذا قرأت ٩٨ القرآن) أى إذا أردت قراءته عبر بها عن إرادتها على طريقة إطلاق اسم المسبب على السبب لئيداناً بأن المراد هى الإرادة المنصلة بالقراءة (فاستعذ بالله) فأسأله عز جاره أن يعيذك (من الشيطان الرجيم) من * وسوسه وخطراته كيلاً يوسوسك عند القراءة فإن له همة بذلك قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته الآية وتوجيه الخطاب إلى رسول الله ﷺ وتخصيص قراءة القرآن من بين الأعمال الصالحة بالاستعاذة عند إرادتها للتنبيه على أنها لغيره ﷺ وفى سائر الأعمال

١٦ النحل

إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾

١٦ النحل

إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾

وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ

لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

١٦ النحل

الصالحة أهم فإنه ﷺ حيث أمر بها عند قراءة القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فما ظلمكم بمن عداه ﷺ فيما عدا القراءة من الأعمال والأمر للندب وهذا مذهب الجمهور وعند عطاء للوجوب وقد أخذ بظاهر النظم الكريم فاستعاذ عقيب القراءة أبو هريرة رضى الله عنه ومالك وابن سيرين وداود وحزة من القراء وعن ابن مسعود رضى الله عنه قرأت على رسول الله ﷺ فقلت أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال ﷺ قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأني جبريل عليه السلام عن القلم عن اللوح المحفوظ (إنه) الضمير للشأن أو للشيطان (ليس له سلطان) تسلط وولاية (على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) أى إليه يفوضون أمورهم وبه يعوذون فى كل ما يأتون وما يذرون فإن وسوسته لا تؤثر فيهم ودعوته غير مستجابة عندهم وإيثار صيغة الماضى فى الصلة الأولى للدلالة على التحقيق كما أن اختيار صيغة الاستقبال فى الثانية لإفادة الاستمرار التجددى وفى التعرض لوصف الربوبية عدة كريمة بإعادة المتوكلين والجملة لتعليل الأمر بالاستعاذة أو لجوابه المنوى أى يعذك أو نحوه ١٠٠ (إنما سلطانه) أى تسلطه وولايته بدعوته المستتعبة للاستجابة لسلطانه بالقسر والإلجاء فإنه منتف عن الفريقين لقوله سبحانه على ما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى وقد أفصح عنه قوله تعالى (على الذين يتولونه) أى يتخذونه ولياً ويستجيبون دعوته ويعطونه فإن المقصور بمعزل من ذلك (والذين هم به) سبحانه وتعالى (مشركون) أو بسبب الشيطان مشركون إذ هو الذى حملهم على الإشراف بالله سبحانه وقصر سلطانه عليهم غب نفه عن المؤمنين المتوكلين دليل على أن لا واسطة فى الخارج بين التوكل على الله تعالى وبين تولى الشيطان وإن كان بينهما واسطة فى المفهوم وأن من لم يتوكل عليه تعالى ينتظم فى سلك من يتولى الشيطان من حيث لا يحتسب إذ به يتم التعليل ففيه مبالغة فى الحمل على التوكل والتحذير عن مقابله وإيثار الجملة الفعلية الاستقبالية فى الصلة الأولى لما مر من إفادة الاستمرار التجددى كما أن اختيار الجملة الاسمية فى الثانية للدلالة على الثبات وتكرير الموصول للاحتراز عن توهم كون الصلة الثانية حالية مفيدة لعدم دخول غير المشركين من أولياء الشيطان تحت سلطانه وتقديم الأولى على الثانية التى هى بمقابلة الصلة الأولى فيما سلف لرعاية المقارنة بينها وبين ما يقابلها ١٠١ من التوكل على الله تعالى ولوروعى الترتيب السابق لا انفصل كل من القرينتين عما يقابلها (وإذا بدلنا آية مكان آية) أى إذا أنزلنا آية من القرآن مكان آية منه وجعلناها بدلا منها بأن نسخناها بها (والله أعلم بما ينزل) أولا وآخرأ وبأن كلا من ذلك ما نزلت حيثما نزلت إلا حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة فإن

قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ النحل
وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ
مُبِينٌ ﴿١٠٣﴾ النحل

كل وقت له مقتضى غير مقتضى الآخر فكم من مصلحة في وقت تنقلب في وقت آخر مفسدة وبالعكس لا انقلاب الأمور الداعية إلى ذلك وما الشرائع إلا مصالح للعباد في المعاش والمعاد تدور حسبما تدور المصالح والجملة إما معترضة لتوبيخ الكفرة والتنبيه على فساد رأيهم وفي الالتفات إلى الغيبة مع إسناد الخبر إلى الاسم الجليل المستجمع للصفات ما لا يخفى من تربية المهابة وتحقيق معنى الاهتراض أو حالية وقرىء بالتخفيف من الإنزال (قالوا) أي الكفرة الجاهلون بحكمة النسخ (إنما أنت مفتر) أي متقول على الله * تعالى تأمر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وحكاية هذا القول عنهم ههنا للإيذان بأن ذلك كفر ناشئة من نزغات الشياطين وأنه وليهم (بل أكثرهم لا يعلمون) أي لا يعلمون شيئاً أصلاً أو لا يعلمون أن في النسخ حكماً بالغة وإسناد هذا الحكم إلى الأكثر لما أن منهم من يعلم ذلك وإنما ينكره عناداً (قل نزله) أي القرآن ١٠٢ المدلول عليه بالآية (روح القدس) يعني جبريل عليه السلام أي الروح المطهر من الأدناس البشرية * وإضافة الروح إلى القدس وهو الطهر كإضافة حاتم إلى الجود حيث قيل حاتم الجود للباغة في ذلك الوصف كأنه طبع منه وفي صيغة التفعيل في الموضعين إشعار بأن التدرج في الإنزال بما تقتضيه الحكم البالغة (من ربك) في إضافة الرب إلى ضميره ﷺ من الدلالة على تحقيق إفاضة آثار الربوبية عليه ﷺ * ما ليس في إضافته إلى ياء المتكلم المبنية على التلحق المحض (بالحق) أي ملتبساً بالحق الثابت الموافق للحكمة المقترضة له بحيث لا يفارقه إنشاء ونسخاً وفيه دلالة على أن النسخ حق (ليثبت الذين آمنوا) على الإيمان * بأنه كلامه تعالى فإنهم إذا سمعوا النسخ وتدبروا ما فيه من رعاية المصالح اللاتفة بالحال رنحت عقائدهم واطمأننت قلوبهم وقرىء ليثبت من الإفعال (وهدى وبشرى للمسلمين) المنقادين لحكمه تعالى وهما معطوفان على محل ليثبت أي تثبتاً وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول أضداد الأمور المذكورة لمن سواهم من الكفار (ولقد نعلم أنهم يقولون) غير مانقل عنهم من المقالة الشنعاء (إنما يعلمه) أي ١٠٣ القرآن (بشر) على طريق البت مع ظهور أنه نزله روح القدس عليه الصلاة والسلام وتحلية الجملة بفنون التأكيذ لتحقيق ما تتضمنه من الوعيد وصيغة الاستقبال لإفادة استمرار العلم بحسب الاستمرار التجديدي في متعلقيه فإنهم مستمررون على تفوه تلك العظيمة يعنون بذلك جبر الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبراً ويسيراً كأنهما يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة والإنجيل وكان الرسول ﷺ يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل حابساً غلام حويطب بن عبد العزى قد أسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي وإنما لم يصرح باسم من زعموا أنه يعلمه مع كونه أدخل في ظهور كذبهم للإيذان بأن مدار خطابهم ليس بنسبته عليه السلام إلى التعلم من شخص معين بل من البشر كائناً من كان مع كونه عليه

١٦ النحل

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٦﴾

إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٦﴾ النحل

مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ

صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ النحل

- السلام معدناً لعلوم الأولين والآخرين (لسان الذي يلحدون إليه أعجمي) الإلحاد الإمالة من الحد
القبر إذا مال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل إمالة عن الاستقامة فقالوا الحد فلان
في قوله والحد في دينه أى لغة الرجل الذى يميلون إليه القول عن الاستقامة أعجمية غير بينة وقرىء بفتح
الياء والحاء وبتعريف اللسان (وهذا) أى القرآن الكريم (لسان عربى مبين) ذوبان وفصاحة والجلتان
مستأنفتان لإبطال طعنهم وتقريره أن القرآن معجز بنظمه كما أنه معجز بمعناه فإن زعمتم أن بشرأ يعلمه معناه
فكيف يعلمه هذا النظم الذى أعجز جميع أهل الدنيا والتشبهت في أثناء الطعن بأذيال أمثال هذه الخرافات
١٠٤ الركيكة دليل كمال عجزهم (إن الذين لا يؤمنون بآيات الله) أى لا يصدقون أنها من عند الله بل يقولون فيها
• ما يقولون يسمونها تارة اقتراء وأخرى أساطير معللة من البشر (لا يهديهم الله) إلى الحق أو إلى سبيل النجاة
• هداية موصلة إلى المطلوب لما علم أنهم لا يستحقون ذلك لسوء حالهم (ولهم) فى الآخرة (عذاب أليم) وهذا
تهديد لهم ووعد على ما هم عليه من الكفر بآيات الله تعالى ونسبة رسول الله ﷺ إلى الاقتراء والتعلم
١٠٥ من البشر بعد إمالة شبهتهم ورد طعنهم وقوله تعالى (إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله)
رد لقولهم إنما أنت مفتر وقلب الأمر عليهم ببيان أنهم هم المفترون بعد رده بتحقيق أنه منزل من عند
الله بواسطة روح القدس وإنما وسط بينهما قوله تعالى ولقد نعلم الآية لما لا يخفى من شدة اتصاله بالرد
الأول والمعنى والله تعالى أعلم أن المفترى هو الذى يكذب بآيات الله ويقول إنه اقترأ ومعلم من البشر
أى تكذيبها على الوجه المذكور هو الاقتراء على الحقيقة لأن حقيقة الكذب والحكم بأن ما هو كلامه
تعالى ليس بكلامه تعالى فى كونه كذباً واقترأ بالحكم بأن ما ليس بكلامه تعالى كلامه تعالى والتصریح
بالكذب للبالغة فى بيان قبحه وصيغة المضارع لرعاية المطابقة بينه وبين ما هو عبارة عنه أعنى قوله
لا يؤمنون وقيل المعنى إنما يفتري الكذب ويلقى ذلك بمن لا يؤمن بآيات الله لأنه لا يترقب عقاباً عليه
ليرتدع عنها وأما من يؤمن بها ويخاف ما نطقت به من العقاب فلا يمكن أن يصدر عنه اقترأ البتة
• (وأولئك) الموصوفون بما ذكر من عدم الإيمان بآيات الله (هم الكاذبون) على الحقيقة أو الكاملون
فى الكذب إذ لا كذب أعظم من تكذيب آياته تعالى والطعن فيها بأمثال هاتيك الأباطيل والسرفى ذلك
أن الكذب الساذج الذى هو عبارة عن الإخبار بعدم وقوع ما هو واقع فى نفس الأمر بخلق الله تعالى
أو بوقوع ما لم يقع كذلك مدافعة لله تعالى فى فعله فقط والتكذيب مدافعة له سبحانه فى فعله وقوله المنبئ
عنه معاً أو الذين عادتهم الكذب لا يزعمهم عنه وازع من دين أو مروءة وقيل الكاذبون فى قولهم إنما
١٠٦ أنت مفتر (من كفر بالله) أى تلفظ بكلمة الكفر (من بعد إيمانه) به تعالى وهو ابتداء كلام لبيان حال

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ النحل

أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ النحل

- من كفر بآيات الله بعد ما آمن بها بعد بيان حال من لم يؤمن بها رأساً ومن موصولة ومحلها الرفع على الابتداء والخبر محذوف لدلالة الخبر الآتي عليه وهو خبر لهما معاً أو النصب على الذم (إلا من أكره) على ذلك بأمري يخاف على نفسه أو على عضو من أعضائه وهو استثناء متصل من حكم الغضب والعذاب أو الذم لأن الكفر لغة يتم بالقول كما أشير إليه وقوله تعالى (وقلبه مطمئن بالإيمان) حال من المستثنى والعامل هو الكفر الواقع بالإكراه لا نفس الإكراه لأن مقارنة اطمئنان القلب بالإيمان للإكراه لا تجدى نفعا وإنما المجدى مقارنته للكفر الواقع به أى إلا من كفر بإكراه من الأمن أكره فكفر والحال أن قلبه مطمئن بالإيمان لم تتغير عقيدته وإنما لم يصرح به إيماء إلى أنه ليس بكفر حقيقة وفيه دليل على أن الإيمان هو التصديق بالقلب (ولكن من) لم يكن كذلك بل (شرح بالكفر صدرأ) أى اعتقده وطاب به نفساً (فعلهم غضب) عظيم لا يكتنه كنهه (من الله) إظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتقوية تعظيم العذاب (ولهم عذاب عظيم) إذ لا جرم أعظم من جرمهم والجمع في الضميرين المجرورين لمراعاة جانب المعنى كما أن الأفراد في المستكن في الصلة لرعاية جانب اللفظ. روى أن قريشاً أكرهوا عماراً وأبويه بأسراً وسمية على الارتداد فأباه أبواه فربطوا سمية بين بعيرين ووجنت بحربة في قبلها وقالوا إنما أسلمت من أجل الرجال فقتلوا وقاتلوا بأسراً وهما أول قتيلين في الإسلام وأعمار فاعظام بلسانه ما أكرهوا عليه فقتل يارسول الله إن عماراً كفر فقال رسول الله ﷺ كلا إن عماراً ملىء إيماناً من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بدمه فأتى عمار رسول الله ﷺ وهو يبكي فجعل رسول الله ﷺ يمسح عينيه وقال مالك إن عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بكلمة الكفر عند الإكراه الملجئ وإن كان الأفضل أن يتجنب عنه إعزاز الدين كما فعله أبواه وروى أن مسيلة الكذاب أخذ رجلين فقال لأحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال أنا أصم فأعاد ثلثاً فأعاد جوابه فبلغ رسول الله ﷺ فقال أما الأول فقد أخذ برخصة وأما الثاني فقد صدع بالحق (ذلك) إشارة إلى الكفر بعد الإيمان أو إلى الوعيد المذكور (بأنهم) بسبب أنهم (استحبوا) ١٠٧ الحياة الدنيا (آثروها) على الآخرة وأن الله لا يهدي (إلى الإيمان وإلى ما يوجب الثبات عليه هداية) قسروا لجاء (القوم الكافرين) في علمه المحيط فلا يعصمهم عن الزيغ وما يؤدى إليه من الغضب والعذاب العظيم ولولا أحد الأمرين إما إشاراً للحياة الدنيا على الآخرة وإما عدم هداية الله سبحانه للكافرين هداية قسروا بأن آثروا الآخرة على الدنيا أو بأن هدام الله تعالى هداية قسروا لما كان ذلك لكن الثاني مخالف للحكمة والأول مما لا يدخل تحت الوقوع وإليه أشير بقوله تعالى (أولئك) أى أولئك الموصوفون بما ذكر من ١٠٨ القبايح (الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم) فأبى عن إدراك الحق والتأمل فيه (وأولئك هم

١٦ النحل

لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ

١٦ النحل

رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾

يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ ١٦ النحل

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ

بِأَنْعَمَ اللَّهُ فَأَذَّاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ١٦ النحل

- ١٠٩ (الغافلون) أى الكاملون فى الغفلة إذ لا غفلة أعظم من الغفلة عن تدبر العواقب (لا جرم أنهم فى الآخرة هم الخاسرون) إذ ضيعوا أعمارهم وصرفوها إلى ما لا يفضى إلا إلى العذاب المخلد (ثم إن ربك للذين هاجروا) إلى دار الإسلام وهم عمار وأصحابه رضى الله عنهم أى لهم بالولاية والنصر لا عليهم كما وجه ظاهر أعمالهم السابقة فالجار والمجور خبر لأن ويجوز أن يكون خبرها محذوفاً لدلالة الخبر الآتى عليه ويجوز أن يكون ذلك خبراً لها وتكون إن الثانية تأكيداً للأولى وثم للدلالة على تباعد رتبة حالهم هذه عن رتبة حالهم التى يفيدها الاستثناء من مجرد الخروج عن حكم الغضب والعذاب بطريق الإشارة لأن رتبة حال الكفرة (من بعد ما فتنوا) أى عذبوا على الارتداد وتلفظوا بما يرضيهم مع اطمئنان قلوبهم بالإيمان وقرىء * على بناء الفاعل أى عذبوا المؤمنين كالحضرمى أكرهه مولاة جبرأتى ارتد ثم أسلداوها اجرا (ثم جاهدوا) * فى سبيل الله (وصبروا) على مشاق الجهاد (إن ربك من بعدها) من بعد المهاجرة والجهاد والصبر فهو تصريح بما أشعر به بناء الحكم على الموصول من عليه الصلة له أو من بعد الفتنة المذكورة فهو لبيان عدم إخلال ذلك بالحكم (لغفور) لما فعلوا من قبل (رحيم) ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا من بعد وفى * التعرض لعنوان الربوبية فى الموضوعين إيماء إلى علة الحكم وفى إضافة الرب إلى ضميره عليه السلام مع ظهور الأثر فى الطائفة المذكورة إظهار لجمال اللطف به عليه السلام وإشعار بأن لإفاضة آثار الربوبية عليهم من المغفرة والرحمة بواسطة عليه السلام ولكونهم أتباعاً له (يوم تأتى كل نفس) منصوب بـرحيم * ومارتب عليه أو باذكر وهو يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين (تجادل عن نفسها) عن ذاتها * تسعى فى خلاصتها بالاعتذار لايهمها شأن غيرها فتقول نفسى نفسى (وتوفى كل نفس) أى تعطى وأقبأ * كاملاً (ما عملت) أى جزاء ما عملت بطريق إطلاق اسم السبب على المسبب إشعاراً بكمال الاتصال بين الأجزىة والأعمال وإيثار الإظهار على الإحصار لزيادة التقرير والإيذان باختلاف وقى المجادلة والتوفية وإن كانتا فى يوم واحد (وهم لا يظلمون) لا ينقصون أجورهم أو لا يعاقبون بغير موجب ولا يزداد فى عقابهم على ذنوبهم (وضرب الله مثلاً قرية) قيل ضرب المثل صنعه واعتماله وقد مرت تحقيقه فى سورة البقرة ولا يتعدى إلا إلى مفعول واحد وإنما عدى إلى الاثنين لتضمنه معنى الجمع وتأخير قرية مع كونها

وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ النحل ١٦

مفعول أول ثلاثي المفعول الثاني بينها وبين صفتها وما يترتب عليها إذ التأخير عن الكل محل بتجاذب أطراف النظم وتجاوبها ولأن تأخير ماحقه التقديم بما يورث النفس ترقباً لوروده وتشوقاً إليه لاسيما إذا كان في المقدم ما يدعو إليه فإن المثل مما يدعو إلى المحافظة على تفاصيل أحوال ما هو مثل فيتمكن المؤخر عند وروده لديها فضل تمكن والقرية إما محقة في الغابرين وإما مقدرة أى جعلها مثلاً لأهل مكة خاصة أو لكل قوم أنعم الله تعالى عليهم فأبطرتهم النعمة ففعلوا ما فعلوا فبدل الله تعالى بنعمتهم نقمة ودخل فيهم أهل مكة دخولا أولياً (كانت آمنة) ذات أمن من كل مخوف (مطمئنة) لا يزعج أهلها مزعج (يأتيها رزقها) أفوات أهلها صفة ثانية لقرية وتغيير سببها عن الصفة الأولى لما أن إتيان رزقها متجدد وكونها آمنة مطمئنة ثابت مستمر (رغداً) واسعاً (من كل مكان) من نواحيها (فكفرت) أى كفر أهلها (بأنعم الله) أى بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالناء كدرع وأدرع أو جمع نعم كبؤس وأبؤس والمراد بها نعمة الرزق والأمن المستمر وإثارة جمع القلة للإيذان بأن كفران نعمة قليلة حيث أوجب هذا العذاب فما ظلك بكفران نعم كثيرة (فأذاقها الله) أى أذاق أهلها (لباس الجوع والخوف) شبه أثر الجوع والخوف وضررها المحيط بهم باللباس الغاشى للابس فاستعير له اسمه وأوقع عليه الإذابة المستعارة لمطلق الإيصال المنبئة عن شدة الإصابة بما فيها من اجتماع إدراكى اللامسة والذائقة على نهج التجريد فإنها لشيوع استعمالها في ذلك وكثرة جريانها على اللسان جرت مجرى الحقيقة كقول كثير [غمر الرداء إذا تبسم ضاحكاً * غلقت لضحكته رقاب المال] فإن الغمر مع كونه في الحقيقة من أحوال الماء الكثير لما كان كثير الاستعمال في المعروف المشبه بالماء الكثير جرى مجرى الحقيقة فصارت لإضافته إلى الرداء المستعار للمعروف تجريداً أو شبه أثرهما وضررهما من حيث الإحاطة بهما والسكرامة لديهم تارة باللباس الغاشى للابس المناسب للخوف بجامع الإحاطة واللزوم تشبيهه معقول بمحسوس فاستعير له اسمه استعارة تصريحية وأخرى بطعم المر البشع الملائم للجوع الناشئ من فقد الرزق بجامع السكرامة فأوى إليه بأن أوقع عليه الإذابة المستعارة لإيصال المضار المنبئة عن شدة الإصابة بما فيها من اجتماع إدراكى اللامسة والذائقة وتقديم الجوع الناشئ مما ذكر من فقدان الرزق على الخوف المترتب على زوال الأمن المقدم فيما تقدم على إتيان الرزق لكونه أنسب بالإذابة أو لمراعاة المقارنة بينهما وبين إتيان الرزق وقد قرئ بتقديم الخوف وبنصبه أيضاً عطفاً على المضاف أو إقامة له مقام مضاف محذوف وأصله ولباس الخوف (بما كانوا يصنعون) فيما قبل أو على وجه الاستمرار وهو الكفران المذكور أسند ذلك إلى أهل القرية تحقيقاً للأمر بعد إسناد الكفران إليها وإيقاع الإذابة عليها لإرادة اللبالة وفي صيغة الصنعة إيذان بأن كفران نعمة صار صنعة راسخة لهم وسنة مسلوكة (ولقد جاءهم) من تنمة المثل جىء بها ١١٣ لبيان أن ما فعلوه من كفران النعم لم يكن مزاحمة منهم لقضية العقل فقط بل كان ذلك معارضة لحجة الله على

فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ النحل ١٦

* الخلق أيضاً أى ولقد جاء أهل تلك القرية (رسول منهم) أى من جنسهم يعرفونه بأصله ونسبه فأخبرهم
 * بوجوب الشكر على النعمة وأنذرهم سوء عاقبة ما يأتون وما يذرون (فكذبوه) في رسالته أو فيها أخبرهم
 * به بما ذكره فالفاء فصيحة وعدم ذكره للإيذان بمفاجأتهم بالكذب من غير تعلم (فأخذهم العذاب)
 * المستأصل لشاقهم غب ماذا قوا نبذة من ذلك (وهم ظالمون) أى حال التباسهم بما هم عليه من الظلم الذى
 هو كفران نعم الله تعالى وتكذيب رسوله غير مقلعين عنه بما ذاقوا من مقدماته الزاجرة عنه وفيه
 دلالة على تماديهم في الكفر والعناد وتجاوزهم في ذلك كل حد معتاد وترتيب العذاب على تكذيب الرسول
 جرى على سنة الله تعالى حسبما يرشد إليه قوله سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وبه يتم التمثيل
 فإن حال أهل مكة سواء ضرب المثل لهم خاصة أو لمن سار سيرتهم كافة محاذية لحال أهل تلك القرية حذو
 القذة بالقذة من غير تفاوت بينهما ولو في خصلة فذة كيف لا وقد كانوا في حرم آمن ويتخطف الناس
 من حولهم وما يمر بياهم طيف من الخوف وكانت تجي إليه ثمرات كل شئ ولقد جاءهم رسول منهم وأى
 رسول يحار في إدراك سمو رتبته العقول عليه السلام ما اختلف الدبور والقبول فكفروا بأنعم الله وكذبوا
 رسوله عليه السلام فأذاقهم الله لباس الجوع والخوف حيث أصابهم بدعائه عليه السلام بقوله اللهم أعنى عليهم بسبع
 كسيع يوسف ما أصابهم من جذب شديد وأزمة حصت كل شئ حتى اضطرتهم إلى أكل الجيف
 والكلاب الميتة والعظام المحرقة والعلمز وهو الوبر المعالج بالدم وقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت من
 سرايا رسول الله عليه السلام حيث كانوا يغيرون على مواشيهم وعيهم وقوافلهم ثم أخذهم يوم بدر ما أخذهم
 من العذاب هذا هو الذى يقتضيه المقام ويستدعيه حسن النظام وأما ما أجمع عليه أكثر أهل التفسير
 من أن الضمير في قوله تعالى ولقد جاءهم لاهل مكة قد ذكر حالهم صريحاً بعد ما ذكر مثلهم وأن المراد
 بالرسول محمد رسول الله عليه السلام وبالعذاب ما أصابهم من الجذب ووقعة بدر فبمعزل من التحقيق كيف
 ١١٤ لا وقوله سبحانه (فكلوا مما رزقكم الله) مفرع على نتيجة التمثيل وصد لم عما يؤدى إلى مثل عاقبته والمعنى
 وإذا قد استبان لكم حال من كفر بأنعم الله وكذب رسوله وما حل بهم بسبب ذلك من اللتيا والتى أولاً
 وأخراً فانتها عما أنتم عليه من كفران النعم وتكذيب الرسول عليه السلام كيلا يحل بكم مثل ما حل بهم
 * واعرفوا حق نعم الله تعالى وأطيعوا رسوله عليه السلام في أمره ونهيه وكلوا من رزق الله حال كونه (حلالاً
 * طيباً) وذروا ما تفترون من تحريم البحائر ونحوها (واشكروا نعمة الله) واعرفوا حقها ولا تقابلوها
 بالكفران والفاء في المعنى داخل على الأمر بالشكر وإنما أدخلت على الأمر بالاكل لكون الاكل
 ذريعة إلى الشكر فكانه قيل فاشكروا نعمة الله غب أكلها حلالاً طيباً وقد أدرج فيه النهى عن زعم الحرمة ولا
 ريب في أن هذا الإنما يتصور حين كان العذاب المستأصل متوقفاً بعد وقد تمهدت مبادئه وبعد ما وقع ما وقع فن
 ذا الذى يحظر ومن ذا الذى يؤمر بالاكل والشكر وحل قوله تعالى فأخذهم العذاب وهم ظالمون على الاخبار
 بذلك قبل الوقوع بأباه الصدى لاستئصالهم بالأمر والنهى وتوجيه خطاب الأمر بالاكل إلى المؤمنين

إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أِهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ، فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٥﴾

١٦ النحل

وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾

١٦ النحل

- مع أن ما يتلوه من خطاب النهى متوجه إلى الكفار كما فعله الواحدى حيث قال فكلوا أنتم يا معشر المؤمنين مما رزقكم الله من الغنائم مما لا يلىق بشأن التنزيل الجليل (إن كنتم إياه تعبدون) أى تطيعون أو • إن صح زعمكم أنكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته تعالى (إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما • ١١٥ أهل لغير الله به) لتليل حل ما أمرهم بأكله مما رزقهم أى إنما حرم هذه الأشياء دون ما تزعمون حرمة من البحار والسواحب ونحوها (فن اضطر) بما اعتراه من الضرورة فتناول شيئاً من ذلك (غير باغ) • أى على مضطر آخر (ولا عاد) أى متجاوز قدر الضرورة (فإن ربك غفور رحيم) ^(١) أى لا يؤاخذ به • بذلك فأقيم سببه مقامه وفى التعرض لوصف الربوبية إيماء إلى علة الحكم وفى الإضافة إلى ضميره ﷺ إظهار لكمال اللطف به ﷺ وتصدير الجملة بإنما لحصر المحرمات فى الأجناس الأربعة إلا ما مضى إليه كالسباع والحر الأهلية ثم أكد ذلك بالنهى عن التحريم والتحليل بأهوائهم فقال (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم) ١١٦ اللام صلة مثلها فى قوله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات أى لا تقولوا فى شأن ما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل والحرمة فى قواكم ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا من غير ترتب ذلك الوصف على ملاحظة وفكر فضلاً عن استناده إلى وحى أو قياس مبنى عليه (الكذب) • منتصب بلا تقولوا وقوله تعالى (هذا حلال وهذا حرام) بدل منه ويجوز أن يتعلق بتصف على إرادة • القول أى لا تقولوا لما تصف ألسنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام وأن يكون القول المقدر حالاً من ألسنتهم أى قائلة هذا حلال الخ ويجوز أن ينتصب الكذب بتصف ويتعلق هذا حلال الخ بلا تقولوا واللام للتعليل وما مصدرية أى لا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب أى لا تحلوا ولا تحرموا لمجرد وصف ألسنتكم الكذب وتصويرها له بصورة مستحسنة وتزيينها له فى المسامع كأن ألسنتهم لكونها منشأ للكذب ومنبعاً للزور شخص عالم بكنهه ومحيط بحقيقته يصفه للناس ويعرفه أوضح وصف وأبين تعريف على طريقة الاستعارة بالكناية كما يقال وجهه يصف الجمال وعينه تصف السحر وقرىء بالجر صفة لما مع مدخولها كأنه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرب الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للألسنة وبالنصب على الشتم أو بمعنى الكلم الكواذب أو هو جمع الكذاب من قولهم كذب كذاباً ذكره ابن جنى (لتفتروا على الله الكذب) •

(١) قوله (فإن ربك غفور رحيم) التلاوة فإن الله غفور رحيم وحيتذ فلا حاجة لبيان نكتة التعبير بالربوبية المضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام بقوله (وفى التعرض لوصف الربوبية الخ) •

١٦ النحل

مَتَّعَ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾

وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾

١٦ النحل

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾

١٦ النحل

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾

١٦ النحل

- فإن مدار الحل والحزمة ليس إلا أمر الله تعالى فالحكم بالحل والحزمة إسناد للتحليل والتحریم إلى الله سبحانه من غير أن يكون ذلك منه واللام لام العاقبة (إن الذين يقترون على الله الكذب) في أمر من ١١٧ الأمور (لا يفلحون) لا يفوزون بمطالبهم التي ارتكبوا الاقتراء للفوز بها (متاع قليل) خبر مبتدأ محذوف أي منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منفعه قليلة (ولهم) في الآخرة (عذاب أليم) لا يكتتنه ١١٨ كنهه (وعلى الذين هادوا) خاصة دون غيرهم من الأولين والآخرين (حرمننا ما قصصنا عليك) أي بقوله تعالى حرمننا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمننا عليهم شحومهما الآية (من قبل) متعلق بقصصنا أو بحرمننا وهو تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل بإبطال ما يخالفه من فرية اليهود وتكذيبهم في ذلك فإنهم كانوا يقولون لسنا أول من حرمت عليه وإنما كانت محرمة على نوح وإبراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الأمر إلينا (وما ظلمناهم) بذلك التحريم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه حسبما نعى عليهم قوله تعالى فظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم الآية ولقد أقمهم الحجر قوله تعالى كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين روى أنه ﷺ لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يحسروا أن يخرجوا التوراة كيف وقد بين فيها أن تحريم ما حرم عليهم من الطيبات لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديد أوضح بيان وفيه ١١٩ تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم (ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة) أي بسبب جهالة أو ملتبسين بها ليعم الجمل بالله وبمعاقبه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الاقتراء على الله تعالى وغيره (ثم تابوا من بعد ذلك) أي من بعد ما عملوا ما عملوا والتصریح به مع دلالة ثم عليه للتأكيد والمبالغة (وأصلحوا) أي أصلحوا أعمالهم أو دخلوا في الصلاح (إن ربك من بعدها) من بعد التوبة (لغفور) لذلك السوء (رحيم) يثيب على طاعته تركا وفعلوا تكرير قوله تعالى إن ربك لنا كيد الوعد وإظهار كمال العناية بإنجازه والتعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضميره ﷺ مع ظهور الأثر في التائبين للإيمان إلى أن إفاضة آثار الربوبية من المغفرة والرحمة عليهم بتوسطه ﷺ وكونهم من أتباعه كما ١٢٠ أشير إليه فيما مر (إن إبراهيم كان أمة) على حياله لحيازته من الفضائل البشرية ما لا تكاد توجد إلا متفرقة في

شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَنَهُ وَهَدَنَهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ النحل ١٦

وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ النحل ١٦

ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ النحل ١٦

أمة حجة حسبما قيل [ليس على الله بمستنكر] أن يجمع العالم في واحد [وهو رئيس أهل التوحيد وقادة أصحاب التحقيق جادل أهل الشرك وألقمهم الحجر بينات باهرة لا تبقى ولا تذر وأبطل مذاهبهم الزائفة بالبراهين القاطعة والحجج الدامغة] أولاً لأنه ﷺ كان مؤمناً وحده والناس كلهم كفار وقيل هي فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من أمه إذا قصدته أو اقتدى به فإن الناس كانوا يقصدونه ويقتدون بسيرته لقوله تعالى إني جاعلك للناس إماماً وإيراد ذكره ﷺ عقيب تزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ما أحله الله تعالى للإيذان بأن حقبة دين الإسلام وبطلان الشرك وفروعه أمر ثابت لا ريب فيه (فانتأ لله) مطيعاً له قائماً بأمره (حنيفاً) مائلاً عن كل دين باطل إلى الدين الحق غير زائل عنه بحال * (ولم يك من المشركين) في أمر من أمور دينهم أصلاً وفروعا صرح بذلك مع ظهوره لارداً على كفارة ريش * فقط في قولهم نحن على ملة أبينا إبراهيم بل عليهم وعلى اليهود المشركين بقولهم عزيز ابن الله في افتراءهم وادعائهم أنه عليه الصلاة والسلام كان على مام عليه كقوله سبحانه ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين إذ به ينتظم أمر إيراد التحريم والسبب سابقاً ولاحقاً (شاكراً لأنعمه) صفة ثالثة لآمة وإنما أوتر صيغة جمع القلة للإيذان بأنه عليه السلام كان لا يخل بشكر ١٢١ النعمة القليلة فكيف بالكثيرة وللتصريح بكونه عليه السلام على خلاف مام عليه من الكفران بأنعم الله تعالى حسبما بين ذلك بضرب المثل (اجتباؤه) للنبوة (وهدها إلى صراط مستقيم) موصل إليه سبحانه وهو ملة الإسلام وليست نتيجة هذه الهداية مجرد اهتدائه عليه السلام بل مع إرشاد الخلق أيضاً بمعونة قرينة الاجتباء (وأتيناه في الدنيا حسنة) حالة حسنة من الذكر الجميل والثناء فيما بين الناس قاطبة حتى ١٢٢ أنه ليس من أهل دين إلا وهم يتولونه وقيل هي الخلة والنبوة وقيل قول المصلي منا كما صليت على إبراهيم والالتفات إلى التكلم لإظهار كمال الاعتناء بشأنه وتفخيم مكانه عليه الصلاة والسلام (ولأنه في الآخرة * لمن الصالحين) أصحاب الدرجات العالية في الجنة حسبما سأل به بقوله وألحقني بالصالحين واجعل لي اسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم (ثم أوحينا إليك) مع علو طبقتك وسمو رتبتك (أن) ١٢٣ اتبع ملة إبراهيم) الملة اسم لما شرعه الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء عليهم السلام من أمملت الكتاب إذا ملئته وهو الدين بعينه لكن باعتبار الطاعة له وتحقيقه أن الوضع الإلهي مهما نسب إلى من يؤديه عن الله تعالى يسمى ملة ومهما نسب إلى من يقيمه ويعمل به يسمى ديناً قال الراغب الفرق بينهما أن الملة لا تضاف إلا إلى النبي ﷺ ولا تكاد توجد مضافة إلى الله سبحانه ولا إلى آحاد الأمة ولا تستعمل إلا في جملة الشرائع دون آحادها والمراد بملته عليه السلام الإسلام الذي عبر عنه آنفاً بالصراط المستقيم (حنيفاً) *

إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾

١٦ النحل

حال من المضاف إليه لما أن المضاف لشدة اتصاله به عليه السلام جرى منه مجرى البعض فعد بذلك من قبيل رأيت وجهه هند قائمة بالمأمور به الاتباع في الأصول دون الشرائع المتبدلة بتبدل الأعصار وما في ثم من التراخي في الرتبة للإيذان بأن هذه النعمة من أجل النعم الفائضة عليه عليه السلام (وما كان من المشركين) تكرر لما سبق لزيادة تأكيد وتقرير لنزاهته عليه السلام عما هم عليه من عقد وعمل ١٢٤ وقوله تعالى (إنما جعل السبت) أي فرض تعظيمه والتخلي فيه للعبادة وترك الصيد فيه تحقيق لذلك النبي الكلي وتوضيح له بإبطال ما عسى يتوهم كونه قادحاً في كليته حسبما سلف في قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا الخ فإن اليهود كانوا يدعون أن السبت من شعائر الإسلام وأن إبراهيم عليه السلام كان محافظاً عليه أي ليس السبت من شرائع إبراهيم وشعائر ملته التي أمرت باتباعها حتى يكون بينه عليه الصلاة والسلام وبين بعض المشركين علاقة في الجملة وإنما شرع ذلك لبني إسرائيل بعد مدة طويلة وإيراد للفعل مبنياً للمفعول جرى على سنن الكبرياء وإيذان بعدم الحاجة إلى التصريح بالفاعل لاستحالة الإسناد إلى الغير وقد قرئ على البناء للفاعل وإنما عبر عن ذلك بالجعل موصولاً بكلمة على وعنهم بالاسم الموصول باختلافهم ف قيل إنما جعل السبت (على الذين اختلفوا فيه) للإيذان بتضمنه للتشديد والابتلاء المؤدى إلى العذاب وبكونه معللاً باختلافهم في شأنه قبل الوقوع لإثارة له على ما أمر الله تعالى به واختياراً للعكس لكن لا باعتبار شمول العلية لطرفي الاختلاف وعموم الغائلة للفريقين بل باعتبار حال منشأ الاختلاف من الطرف المخالف للحق وذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام أمر اليهود أن يجعلوا في الأسبوع يوماً واحداً للعبادة وأن يكون ذلك يوم الجمعة فأبوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله تعالى فيه من خلق السموات والأرض وهو السبت إلا شذمة منهم قد رضوا بالجمعة فأذن الله تعالى لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فأطاع أمر الله تعالى الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون وأعقابهم لم يصبروا عن الصيد فسخم الله سبحانه قردة دون أولئك المطيعين (وإن ربك ليحكم بينهم) أي بين الفريقين المختلفين فيه (يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) أي يفصل ما بينهما من الخصومة والاختلاف فيجأزى كل فريق بما يستحقه من الثواب والعقاب وفيه إيماء إلى أن ما وقع في الدنيا من مسخ أحد الفريقين وإنهاء الآخر بالنسبة إلى ما سيقع في الآخرة شيء لا يعتد به هذا هو الذي يستدعيه الإعجاز التنزيلي وقيل المعنى إنما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه أي أحلوا الصيد فيه تارة وحرموه أخرى وكان حتماً عليهم أن يتفقوا على تحريمه حسبما أمر الله سبحانه به وفسر الحكم بينهم بالمجازاة باختلاف أفعالهم بالإحلال تارة والتحريم أخرى ووجه إيراد ههنا بأنه أريد به إنذار المشركين من مسخ الله تعالى على العصاة والمخالفين لأوامره كضرب المثل بالقرية التي كفرت بأنعم الله تعالى ولا ريب في أن كلمة بينهم تحكم بأن المراد بالحكم هو فصل ما بين الفريقين من الاختلاف وأن توسيط حديث المسخ للإنذار المذكور بين

أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّدْ لَهُم بِآيَاتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾

١٦ النحل

وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ١٦ النحل

حكاية أمر النبي ﷺ بانبايع مكة لإبراهيم عليه الصلاة والسلام وبين أمره ﷺ بالدعوة إليهم من قبيل الفصل بين
الشجر والحائه فتأمل (ادع) أى من بعثت إليهم من الأمة قاطبة فخذف المفعول للتعميم أو افعل الدعوة كما فى ١٢٥
قولهم يعطى ويمنع أى يفعل الإعطاء والمنع فخذفه للقصد إلى إيجاد نفس الفعل إشعاراً بأن عموم الدعوة غنى
عن البيان وإنما المقصود الأمر بإيجادها على وجه مخصوص (إلى سبيل ربك) إلى الإسلام الذى عبر عنه *
تارة بالصراط المستقيم وأخرى بملة إبراهيم عليه السلام وفى التعرض لعنوان الربوبية المذبذبة عن المالكية
وتبليغ الشيء إلى كماله اللاتق شيئاً فشيئاً مع إضافة الرب إلى ضمير النبي ﷺ فى مقام الأمر بدعوة الأمة
على الوجه الحكيم وتكميلهم بأحكام الشريعة الشريفة من الدلالة على إظهار اللطف به عليه الصلاة والسلام
والإيلاء إلى وجه بناء الحكم مالا يخفى (بالحكمة) أى بالمقالة المحكمة الصحيحة وهو الدليل الموضح *
للحق المزيج للشبهة (والموعظة الحسنة) أى الخطايبات المقتنة والعبر النافعة على وجه لا يخفى عليهم أنك *
تنصهم وتقصد ما ينفعهم فالأولى لدعوة خواص الأمة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم ويجوز
أن يكون المراد بهما القرآن المجيد فإنه جامع لكلا الوصفين (وجادلهم) أى ناظر معانديهم (بالتي هى
أحسن) بالطريقة التى هى أحسن طرق المناظرة والمجادلة من الرفق واللين واختيار الوجه الأيسر واستعمال
المقدمات المشهورة تسكيناً لشغفهم وإطفاءً لهمهم كما فعله الخليل عليه السلام (إن ربك هو أعلم بمن ضل
عن سبيله) الذى أمرك بدعوة الخلق إليه وأعرض عن قبول الحق بعد ما عاين ما عاين من الحكم والمواظع
والعبر (وهو أعلم بالمهتدين) إليه بذلك وهو تعليل لما ذكر من الأمرين والمعنى والله تعالى أعلم أسلك *
فى الدعوة والمناظرة الطريقة المذكورة فإنه تعالى هو أعلم بحال من لا يعوى عن الضلال بموجب
استعداده المكتسب وبحال من يصير أمره إلى الاهتداء لما فيه من خير جليل فما شرعه لك فى الدعوة
هو الذى تقتضيه الحكمة فإنه كاف فى هداية المهتدين وإزالة عذر الضالين أو ما عليك إلا ما ذكر من
الدعوة والمجادلة بالأحسن وأما حصول الهداية أو الضلال والمجازاة عليهما فإلى الله سبحانه إذ هو أعلم
بمن يبق على الضلال ومن يهتدى إليه فيجازى كلا منهما بما يستحقه وتقديم الضالين لما أن مساق الكلام
لهم وإيراد الضلال بصيغة الفعل الدال على الحدوث لما أنه تغيير لفطرة الله التى فطر الناس عليها وإعراض
عن الدعوة وذلك أمر عارض بخلاف الاهتداء الذى هو عبارة عن الثبات على الفطرة والجريان على
موجب الدعوة ولذلك جرى به على صيغة الاسم المنبئ عن الثبات وتكريره هو أعلم لنا تأكيداً وإشعاراً
بتباين حال المعلومين ومآلهم من العقاب والثواب وبعد ما أمره عليه الصلاة والسلام فيما يختص به من
شأن الدعوة بما أمره به من الوجه اللاتق عقبه بخطاب شامل له ولمن شايعة فيما يعم الكل فقال (وإن عاقبتهم) ١٢٦

وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ ١٦ النحل

• أى إن أردتم المعاقبة على طريقة قول الطيب للمحتمى إن أكلت فكل قليلاً (فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) أى بمثل ما فعل بكم وقد عبر عنه بالعقاب على طريقة إطلاق اسم المسبب على السبب نحو كما تدين تدان أو على نهج المشاكلة والمقصود إيجاب مراعاة العدل مع من يناصبهم من غير تجاوز حين ما آل الجدل إلى القتال وأدى النزاع إلى القراع فإن الدعوة المأمور بها لا تكاد تنفك عن ذلك كيف لا وهى موجبة لصرف الوجوه عن القبل المعبودة وإدخال الأعداء فى فلاة غير معبودة قاضية عليهم بفساد ما يأتون وما يذرون وبطلان دين استمرت عليه آباؤهم الأولون وقد ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وسدت عليهم طرق المحاجة والمناظرة وأرتجت دونهم أبواب المباحثة والمحاوره وقيل إنه عليه الصلاة والسلام لما رأى حمزة رضى الله عنه يوم أحد قد مثل به قال لئن أظفرنى الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما أراه وقرىء وإن عقيتم فعقبوا أى وإن قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم غير متجاوزين عنه والأمر وإن دل على إباحة المماثلة فى المثلة من غير تجاوز لكن فى تقييده بقوله وإن عاقبتم حث على العفو تعريضاً وقد صرح به على الوجه الأكدر فقيل (ولئن صبرتم) أى عن المعاقبة بالمثل (لهو) أى لصبركم ذلك (خير) لكم من الانتصار بالمعاقبة وإلحاقاً لـ (للصابرين) مدحاً لهم وثناء عليهم بالصبر أو وصفاً لهم بصفة تحصل لهم عند ترك المعاقبة ويجوز عود الضمير إلى مطلق الصبر المدلول عليه بالفعل فيدخل فيه صبرهم كدخول أنفسهم فى جنس الصابرين دخولا أولاً ثم أمر عليه الصلاة والسلام صريحاً بما ندب إليه غيره تعريضاً من الصبر لأنه أولى الناس بعزائم الأمور لزيادة ١٢٧ عليه بشئونه سبحانه ووفور وثوقه به فقيل (واصبر) أى على ما أصابك من جهتهم من فنون الآلام والأذى وعانيت من إعراضهم عن الحق بالكلية (وما صبرك إلا بالله) استثناء مفرغ من أعم الأشياء أى وما صبرك ملبساً ومصحوباً بشئ من الأشياء إلا بالله أى بذكره والاستغراق فى مراقبة شئونه والتبذل إليه بمجامع الهمة وفيه من تسليته عليه الصلاة والسلام وتهوين مشاق الصبر عليه وتشريفه مالا مزبد عليه أو لا بمشيئته المبنية على حكم بالغة مستتعبة لمواقب حميدة فالنسلية من حيث اشتماله على غايات جميلة وقيل إلا بتوقيفه ومعونته فهى من حيث تسهيله وتيسيره فقط (ولا تحزن عليهم) أى على الكافرين بوقوع اليأس من إيمانهم بك ومتابعتهم لك نحو فلا تأس على القوم الكافرين وقيل على المؤمنين وما فعل بهم والأول هو الأنسب بجزالة النظم الكريم (ولا تك فى ضيق) بالفتح وقرىء بالكسر وهما لغتان كالقول والقليل أى لا تسكن فى ضيق صدور حرج ويجوز أن يكون الأول تخفيف ضيق كهين من • هين أى فى أمر ضيق (عما يمسكون) أى من مكرم بك فيما يستقبل فلا تأول نهى عن التألم بمطلوب من قبلهم فات والثانى عن التألم بمحذور من جهتهم آت والنهى عنهما مع أن انتفاءهما من لوازم الصبر المأمور به لا سيما على الوجه الأول لزيادة التأكيد وإظهار كمال العناية بشأن النسلية وإلا فهل يخطر ببال من توجه إلى الله سبحانه بشرأشر نفسه متنزها عن كل ما سواه من الشواغل شئ من المطلوب فينهى عن الحزن

إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

١٦ النحل

بفوائده أو محظور فكيف عن الخوف من وقوعه (إن الله مع الذين اتقوا) تعليل لما سبق من الأمر والنهي ١٢٨ والمراد بالمعية الولاية الدائمة التي لا تحوم حول صاحبها شائبة شيء من الجزع والحزن وضيق الصدر وما يشعر به دخول كلمة مع من متبوعة بالمتقين إنما هي من حيث إنهم المباشرون للتقوى وكذا الحال في قوله سبحانه إن الله مع الصابرين ونظارهما كافة والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منه الجامعة لما تحتها من مرتبة التوقي عن الشرك ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك أغنى التنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل إليه بشرائفه نفسه وهو التقوى الحقيقي المورث لولايته تعالى المقرونة بإشارة قوله سبحانه ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والمعنى أن الله ولي الذين تبتلوا إليه بالكلية ونزهوا عن كل ما يشغل سرهم عنه فلم يخطر ببالهم شيء من مطلوب أو محذور فضلا عن الحزن بفوائده أو الخوف من وقوعه وهو المعنى بما به الصبر المأمور به حسبا أشير إليه وبه يحصل التقريب ويتم التعليل كما في قوله تعالى فاصبر إن العاقبة للمتقين على أحد التفسيرين كما حقق في مقامه وإلا فجرد التوقي عن المعاصي لا يكون مدارا لشيء من العزائم المرخص في تركها فكيف بالصبر المشار إليه ورديفيه وإنما مداره المعنى المذكور فكأنه قيل إن الله مع الذين صبروا وإنما أوثر ما عليه النظم الكريم مبالغة في الحث على الصبر بالتنبيه على أنه من خصائص أجل النعوت الجليلة وروادفه كما أن قوله تعالى (والذين هم محسنون) للإشعار بأنه من باب الإحسان الذي يتنافس فيه المتنافسون على ما فصل ذلك حيث قيل واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين وقد نبه على أن كلام من الصبر والتقوى من قبيل الإحسان في قوله تعالى إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين وحقيقة الإحسان الإتيان بالأعمال على الوجه اللائق الذي هو حسن الوصف المستلزم لحسن الذات وقد فسره عليه الصلاة والسلام بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك وتكرير الموصول للإيذان بكفاية كل من الصائتين في ولايته سبحانه من غير أن تكون إحداها تنمة للأخرى وإيراد الأولى فعلية للدلالة على الحدوث كما أن إيراد الثانية اسمية لإفادة كون مضمونها شيمة راسخة لهم وتقدير التقوى على الإحسان لما أن التخلية متقدمة على التحلية والمراد بالموصولين إما جنس المتقين والمحسنين وهو عليه الصلاة والسلام داخل في زميرهم دخولا أوليا وإما هو عليه الصلاة والسلام ومن شايعه عبر عنهم بذلك مدحا لهم وثناء عليهم بالنعتين الجليلين وفيه رمز إلى أن صنيعه عليه الصلاة والسلام مستتبع لاقتداء الأمة به كقول من قال لابن عباس رضي الله عنهما عند التعزية [اصبر نكن بك صابرين فإنما صبر الرعية عند صبر الرأس] عن هرم بن حيان أنه قيل له حين الاحتضار أوص قال [إنما الوصية من المال وأوصيكم بخوانيم سورة النحل . عن رسول الله ﷺ من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله تعالى بما أنعم عليه في دار الدنيا وإن مات في يوم تلاها أو ليلته كان له من الأجر كالذي مات وأحسن الوصية ، والحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله أجمعين .

١٧ - سورة الإسراء

(مكية وآياتها مائة وأحد عشر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْآيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾

١٧ الإسراء

(سورة الإسراء مكية إلا الآيات ٢٦ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٥٧ ومن آية ٧٣ إلى آية ٨٠ فمدنية وآياتها ١١١) (بسم الله الرحمن الرحيم) (سبحان الذي أسرى عبده) سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وحيث كان المسمى معنى لا عيناً وجنساً لا شخصاً لم تكن لإضافته من قبيل ما في زيد المعارك أو حاتم طيء وانتصابه بفعل متروك الإظهار تقديره أصبح الله سبحان الخ وفيه ما لا يخفى من الدلالة على التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السميع الذي هو الذهاب والإبعاد في الأرض ومنه فرس سبوح أى واسع الجرى ومن جهة النقل إلى التفعيل ومن جهة العدول من المصدر إلى الاسم الموضوع له خاصة لاسيما وهو علم يشير إلى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة قيامه مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه فقيه مبالغة من حيث إضافة التنزه إلى ذاته المقدسة ومناسبة تامة بين المحذوف وبين ما عطف عليه في قوله تعالى سبحانه وتعالى كأنه قيل تنزه بذاته وتعالى والإسراء السير بالليل خاصة كالسرى وقوله تعالى (ليلاً) لإفادة قلة زمان الإسراء لما فيه من التنكير الدال على البعضية من حيث الأجزاء دلالة على البعضية من حيث الأفراد فإن قولك سرت ليلاً كما يفيد بعضية زمان سيرك من الليالي يفيد بعضيته من فرد واحد منها بخلاف ما إذا قلت سرت الليل فإنه يفيد استيعاب السير له جميعاً فيكون معياراً للسير لا ظرفاً له ويؤيده قراءة من الليل أى بعضه وإيثار لفظ العبد للإيذان بتمحضه عليه الصلاة والسلام في عبادته سبحانه وبلوغه في ذلك غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية حسبما يلوح به مبدأ الإسراء ومنتهاه وإضافة التنزه أو التنزه إلى الموصول المذكور للإشعار بعلية ما في حيز الصلة للضاف فإن ذلك من أدلة كمال قدرته وبالع حكمته ونهاية تنزهه عن صفات المخلوقين (من المسجد الحرام) اختلف في مبدأ الإسراء فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر فإنه روى عنه ﷺ أنه قال بينما أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل عليه الصلاة والسلام بالبراق وقيل هو دار أم هانئ بنت أبي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لإحاطته بالمسجد والتباسة به أو لأن الحرم كله مسجد فإنه روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ﷺ كان نائماً في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فكان ما كان فقصه عليها فلما قام ليخرج إلى المسجد تشبث بشو به ﷺ تمنعه خشية أن يكذبه القوم قال ﷺ وإن كذبوني فلما خرج جلس إليه أبو جهل فأخبره ﷺ بحديث الإسراء فقال أبو جهل يا معشر كعب بن لؤى بن غالب هلم

وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا يَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾ ١٧ الإسراء

لخدمهم فمن مصفق وواضع يده على رأسه تعجباً وإنكاراً وأرتد ناس عن كان آمن به وسعى رجال إلى أبي بكر فقال إن كان ذلك لقد صدق قالوا أتصدقه على ذلك قال إني أصدقه على أبعد من ذلك فسمى الصديق وكان فيهم من يعرف بيت المقدس فاستنعتوه المسجد فجلى له بيت المقدس فطفق ينظر إليه وينعتهم فقالوا أما النعت فقد أصابه فقالوا أخبرنا عن غيرنا فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جل أورك فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثانية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد أشرقت فقال آخر هذه والله العير قد أقبلت يقدمها جل أورك كما قال محمد ثم لم يؤمنوا قاتلم الله أنى يؤفكون . واختلف في وقته أيضاً فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن أنس والحسن أنه كان قبل البعثة واختلف أيضاً أنه في اليقظة أو في المنام فعن الحسن أنه كان في المنام وأكثر الأقاويل بخلافه والحق أنه كان في المنام قبل البعثة وفي اليقظة بعدها واختلف أيضاً أنه كان جسمانياً أو روحانياً فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت ما فقد جسد رسول الله ﷺ ولكن عرج بروحه وعن معاوية أنه قال إنما عرج بروحه والحق أنه كان جسمانياً على ما ينبي عنه التصدير بالتنزيه وما في ضمنه من التعجب فإن الروحاني ليس في الاستبعاد والاستنكار وخرق العادة بهذه المثابة ولذلك تعجبت منه قريش وأحاله ولا استحالة فيه فإنه قد ثبت في الهندسة أن قطر الشمس ضعف قطر الأرض مائة ونيفاً وستين مرة ثم إن طرفها الأسفل يصل إلى موضع طرفها الأعلى بحركة الفلك الأعظم مع معاوقة حركة فلكها في أقل من ثانية وقد تقرر أن الأجسام متساوية في قبول الأعراض التي من جملتها الحركة وأن الله سبحانه قادر على كل ما يحيط به حيلة الإمكان فيقدر على أن يخلق مثل تلك الحركة بل أسرع منها في جسد النبي ﷺ أو فيما يحمله ولو لم يكن مستبعداً لم يكن معجزة (إلى المسجد الأقصى) أي بيت المقدس سمي به إذ لم يكن حينئذ وراه . * مسجد وفي ذلك من تربية معنى التنزيه والتعجب ما لا يحصى (الذي باركنا حوله) بركات الدين والدنيا لأنه * مهبط الوحي ومتعبد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (لنزيه) غاية للإسراء (من آياتنا) العظيمة التي من * جملتها ذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ولا يقدح في ذلك كونه قبل الوصول إلى المقصد ومشاهدة بيت المقدس وتمثل الأنبياء له ووقوفه على مقاماتهم العلية عليهم الصلاة والسلام والالتفات إلى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرىء ليريه بالياء (إنه هو السميع) لا قواله عليه الصلاة والسلام بلا أذن * (البصير) بأفعاله بلا بصر حسبما يؤذن به القصر فيكرمه ويقر به بحسب ذلك وفيه إيماء إلى أن الإسراء * المذكور ليس إلا لشكرته عليه الصلاة والسلام ورفع منزلته وإلا فالإحاطة بأقواله وأفعاله حاصلة من غير حاجة إلى التقريب والالتفات إلى الغيبة لتربية الممابة (وآتيناه موسى الكتاب) أي التوراة وفيه إيماء ٢ إلى دعوته عليه الصلاة والسلام إلى الطور وما وقع فيه من المناجاة جمعاً بين الأمرين المتحدتين في المعنى ولم يذكرهما العروج بالنبي ﷺ إلى السماء وما كان فيه مما لا يكتمه كنهه حسبما نطق به سورة النجم تقريباً للإسراء إلى قبول السامعين أي آتيناه التوراة بعد ما أسرينا به إلى الطور (وجعلناه) أي ذلك *

١٧ الاسراء

ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلِنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿١٧﴾

وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا

١٧ الاسراء

كَبِيرًا ﴿١٨﴾

فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا

١٧ الاسراء

مَّفْعُولًا ﴿١٩﴾

- * الكتاب (هدى لبني إسرائيل) يهتدون بما في مطاويه (أن لا تتخذوا) أى لا تتخذوا نحو كتبت إليه أن افعل كذا وقرىء بالياء على أن مصدرية والمعنى آتينا موسى الكتاب هداية لبني إسرائيل لئلا يتخذوا (من دوني وكيلا) أى رباً تكونون إليه أموركم والإفراد لما أن فعلاً مفرد في اللفظ جمع في المعنى (ذرية من حملنا مع نوح) نصب على الاختصاص أو النداء على قراءة النهى والمراد تأكيد الحمل على التوحيد بتذكير إنعامه تعالى عليهم في ضمن إنجاء آبائهم من الغرق في سفينة نوح عليه السلام أو على أنه أحد مفعولى لا يتخذوا على قراءة النفي ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله تعالى ولا يأمرم أن يتخذوا الملائكة والنبين أرباباً وقرىء بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أو بدل من واو لا يتخذوا يابذل الظاهر من ضمير المخاطب كما هو مذهب بعض البغاددة وقرىء ذرية بكسر الذال (إنه) أى إن نوحا عليه الصلاة والسلام (كان عبداً شكوراً) كثير الشكر في مجامع حالاته وفيه إيذان بأن إنجاء من معه كان ببركة شكره عليه الصلاة والسلام وحث للذرية على الاقتداء به وزجر لهم عن الشرك الذى هو أعظم مراتب الكفران وقيل الضمير لموسى عليه السلام (وقضينا) أى أتممنا وأحكمنا منزائين (إلى بني إسرائيل) أو موحين إليهم (في الكتاب) أى في التوراة فإن الإنزال والوحى إلى موسى عليه السلام إنزال ووحى إليهم (لتفسدن في الأرض) جواب قسم محذوف ويجوز إجراء القضاء المحتوم بجرى القسم كأنه قيل وأقسمنا لتفسدن (مرتين) مصدر والعامل فيه من غير جنسه أولاها مخالفة حكم التوراة وقتل شعيا عليه الصلاة والسلام وحبس أرميا حين أنذرهم سخط الله تعالى والثانية قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم الصلاة والسلام (واتعلن علواً كبيراً) لتستكبرن عن طاعة الله سبحانه أو لتغلبن الناس بالظلم والعدوان وتفرطن في ذلك إفراطاً مجاوزاً للحدود (فإذا جاء وعد أولاهما) أى أولى كرتى الإفساد أى حان وقت حلول العقاب الموعود (بعثنا عليكم) لما أخذتكم بمجانياتكم (عباداً لنا) وقرىء عبيداً لنا (أولى بأس شديد) ذوى قوة وبطش في الحروب هم سنجاريب من أهل نينوى وجنوده وقيل بخت نصر عامل لهراسب وقيل جالوت (لجاسوا) أى ترددوا لطلبكم بالفساد وقرىء بالحاء والمعنى واحد وقرىء وجوسوا (خلال الديار) فى أوساطها للقتل والغارة وقرىء خلل الديار فقتلوا علماءهم وكبارهم وأحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين ألفاً وذلك من قبيل تولية بعض الظالمين بعضاً مما جرت به

ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٨١﴾ ١٧ الاسراء
 إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَعْمُوا وَجُوهَكُمْ
 وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّوْا مَا عَلَوْا تَتَّبِرًا ﴿٨٢﴾ ١٧ الاسراء
 عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُثِمَ عُذْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨٣﴾ ١٧ الاسراء

السنة الإلهية (وكان) ذلك (وعداً مفعولاً) لاحتالة بحيث لا صارف عنه ولا مبدل (ثم رددنا لكم الكرة) ٦
 أى الدولة والغلبة (عليهم) على الذين فعلوا بكم ما فعلوا بعد مائة سنة حين تبتم ورجعتم عما كنتم عليه من *
 الفساد والعلو قيل هى قتل بخت نصر واستنقاذ بنى إسرائيل أسارهم وأموالهم ورجوع الملك إليهم وذلك
 أنه لما ورت بهم بن اسفنديار الملك من جده كشتاسف بن لهراسب ألقى الله تعالى فى قلبه الشفقة عليهم
 فرد أسارهم إلى الشام وملك عليهم دانيال عليه السلام فاستولوا على من كان فيها من أتباع بخت نصر وقيل
 هى قتل دودا عليه السلام لجالوت (وأمددناكم بأموال) كثيرة بعد ما نهبت أموالكم (وبنين) بعد ما سببت *
 أولادكم (وجعلناكم أكثر نفيراً) مما كنتم من قبل أو من عدوكم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل *
 جمع نفروهم القوم المجتمعون للذهاب إلى العدو كالعبيد والمعين (إن أحسنتم) أعمالكم سواء كانت لازمة ٧
 لأنفسكم أو متعدياً إلى الغير أى عملتموها على الوجه اللائق ولا يتصور ذلك إلا بعد أن تكون الأعمال
 حسنة فى أنفسها أو إن فعلتم الإحسان (أحسنتم لأنفسكم) لأن ثوابها لها (وإن أسأتم) أعمالكم بأن عملتموها *
 لا على الوجه اللائق ويلزمه السوء الذاتى أو فعلتم الإساءة (فلها) إذ عليها وبالها وعن على كرم الله وجهه *
 ما أحسنتم إلى أحد ولا أسأت إليه وتلاها (فإذا جاء وعد الآخرة) حان وقت ما وعد من عقوبة المرة *
 الآخرة (ليسووا وجوهكم) متعلق بفعل حذف لدلالة ما سبق عليه أى بعثناهم ليسووا ومعنى ليسووا *
 وجوهكم ليجعلوا آثار المساءة والكتابة بادية فى وجوهكم كقوله تعالى سينت وجوه الذين كفروا وقرىء
 ليسووا على أن الضمير لله تعالى أو للوعد أو للبعث وليسووا بنون العظمة وفى قراءة على رضى الله عنه انسوا أن
 على أنه جواب إذا وقرىء لانسوا بالنون الخفيفة وليسوا باللام فى قوله عز وجل (وليدخلوا
 المسجد) عطف على ليسووا متعلق بما يتعلق هو به (كادخلوه أول مرة) أى فى أول مرة (وليتبروا) أى *
 يهلكوا (ما علوا) ما غلبوا واستولوا عليه أو مدة علومهم (تتبراً) فظيلاً لا يوصف بأن سلط الله عز سلطانه *
 عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودردو قيل جر دوس وقيل دخل صاحب الجيش
 مذبح قرايينهم فوجد فيه دماً يغلى فسأله عن فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال لم تصدقونى فقتل على ذلك
 الوفا فلم يهدأ الدم ثم قال إن لم تصدقونى ما تركت منكم أحداً فقالوا إنه دم يحيى بن زكريا عليهم الصلاة
 والسلام فقال لمثل هذا ينتقم منكم ربكم ثم قال يا يحيى قد علم ربى وربك ما أصاب قومك من أجلك
 فأهدأ ياذن الله تعالى قبل أن لا أبقي منهم أحداً فهدأ (عسى ربكم أن يرحمكم) بعد المرة الآخرة إن تبتم ٨

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا

١٧ الاسراء

كَبِيرًا ﴿١٧﴾

١٧ الاسراء

وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾

١٧ الاسراء

وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١٩﴾

- * توبة أخرى وانزجرتم عما كنتم عليه من المعاصي (وإن عدتم) إلى ما كنتم فيه من الفساد مرة أخرى
- * (عدنا) إلى عقوبتكم ولقد عادوا فأعاد الله سبحانه عليهم النعمة بأن سلط عليهم الأَكْثَرُ ففعلوا بهم ما فعلوا من ضرب الإتاوة ونحو ذلك وعن الحسن عادوا فبعث الله تعالى محمداً ﷺ ففهم يعطون
- * الجزية عن يدهم صاغرون وعن قتادة مثله (وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً) أى محبساً لا يستطيعون الخروج منها أبداً الأبدن وقيل بساطاً كما يبسط الحصير وإنما عدل عن أن يقال وجعلنا جهنم لكم تسجيلاً
- ٩ على كفرهم بالعود وذكأ لهم بذلك وإشعاراً بعلّة الحكم (إن هذا القرآن) الذى آتيناك (بهدى) أى الناس كافة لافرة مخصوصة منهم كدأب الكتاب الذى آتينا موسى (للتي) للطريقة التى (هى أقوم) أى أقوم الطرائق وأسدها أعنى ملة الإسلام والتوحيد وترك ذكرها ليس لقصد التعميم لها وللحالة والحصول ونحوها مما يعبر به عن المقصد المذكور بل للإيذان بالغنى عن التصريح بها لغاية ظهورها لا سيما بعد ذكر الهداية التى هى من روادفها والمراد بهدايته لها كونه بحيث يهتدى إليها من يتمسك به لا تحصيل
- * الاهتداء بالفعل فإنه مخصوص بالمؤمنين حينئذ (ويبشر المؤمنين) بما فى تضاعيفه من الأحكام والشرائع
- * وقرئ بالتخفيف (الذين يعملون الصالحات) التى شرحت فيه (أن لهم) أى بأن لهم بمقابلة تلك الأعمال
- ١٠ (أجر كبيراً) بحسب الذات وبحسب التضعيف عشر مرات فصاعداً (وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة) وأحكامها المشروحة فيه من البعث والحساب والجزاء وتخصيصها بالذكر من بين سائر ما كفروا به لكونها
- * معظم ما أمروا بالإيمان به ولمراعاة التناسب بين أعمالهم وجزائها الذى أنبأ عنه قوله عز وجل (أعتدنا لهم عذاباً أليماً) وهو عذاب جهنم أى أعتدنا لهم فيها كفروا به وأنكروا وجوده من الآخرة عذاباً أليماً وهو أبلغ فى الزجر لما أن إتيان العذاب من حيث لا يحتسب أفظع وألجع والجملة معطوفة على جملة يبشر باضممار يخبر أو على قوله تعالى أن لهم داخله معه تحت التبشير المراد به مجازاً مطلق الإخبار المنتظم للإخبار بالخبر السار وبالنبأ الضار حقيقة فيكون ذلك بياناً لهداية القرآن بالترغيب والترهيب ويجوز
- ١١ كون التبشير بمعناه والمراد تبشير المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب أعدائهم وقوله تعالى (ويدع الإنسان بالشر) بيان لحال المهدى إثر بيان حال الهادى وإظهار لما بينهما من التباين والمراد بالإنسان الجنس أسند إليه حال بعض أفراد أو حكى عنه حاله فى بعض أحيانه فالغنى على الأول أن القرآن يدعو الإنسان إلى الخير الذى لا خير فوقه من الأجر الكبير ويحذره من الشر الذى لا شر وراءه من العذاب الأليم وهو أى

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصْلَنَّهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾

١٧ الاسراء

- بعض منه وهو الكافر يدعو لنفسه بما هو الشر من العذاب المذكور إما بلسانه حقيقة كدأب من قال منهم اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ومن قال فائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين إلى غير ذلك مما حكى عنهم وإما بأعمالهم السيئة المفضية إليه الموجهة له مجازاً كما هو ديدن كلهم (دعاه بالخير) أى مثل دعائه بالخير المذكور فرضاً لا تحقيقاً فإنه بمنزل من الدعاء به وفيه رمز إلى أنه اللائق بحاله (وكان الإنسان) أى من أسند إليه الدعاء المذكور من أفرادهم (عجولا) يسارع إلى طلب ما يخطر بباله متعامياً عن ضرره أو مبالغاً في العجلة يستعجل العذاب وهو آتية لا محالة ففيه نوع تهكم به وعلى تقدير حمل الدعاء على أعمالهم تحمل العجولية على اللج والتمادى في استيجاب العذاب بتلك الاعمال وعلى الثاني إن القرآن يدعو الإنسان إلى ما هو خير وهو في بعض أحيانه كما عند الغضب يدعه ويدعو الله تعالى لنفسه وأهله وماله بما هو شر وكان الإنسان بحسب جبلته عجولاً ضجراً لا يتأني إلى أن يزول عنه ما يعتريه روى أنه عليه الصلاة والسلام دفع إلى سودة أسيراً فارخت كتافه رحمة لا تئنه بالليل من ألم القيد فهرب فلما أخبر به النبي ﷺ قال اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها فتوقع الإجابة فقال ﷺ إني سألت الله تعالى أن يجعل دعائي على من لا يستحق من أهلي عذاباً رحمة أو يدعوا بما هو شر وهو بحسبه خير أو كان الإنسان عجولاً غير متبصر لا يتدبر في أموره حق التدبر ليتحقق ما هو خير حقيق بالدعاء به وما هو شر جدير بالاستعاذة منه (وجعلنا الليل والنهار آيتين) شروع في بيان بعض وجوه ١٢ مذكر من الهداية بالإرشاد إلى مسلك الاستدلال بالآيات والدلائل الآفاية التي كل واحدة منها برهان نير لا ريب فيه ومنهاج بين لا يضل من ينتجبه فإن الجمل المذكور وما عطف عليه من نحو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة وإن كانت من الهدايات التكوينية لكن الإخبار بذلك من الهدايات القرآنية المنبهة على تلك الهدايات وتقديم الليل لمراعاة الترتيب الوجودي إذ منه ينسلخ النهار وفيه تظهر غرر الشهور ولو أن الليلة أضيفت إلى ما قبلها من النهار لكانت من شهر وصاحبها من شهر آخر ولترتيب غاية آية النهار عليها بلا واسطة أى جعلنا المولين بهما تهما وتعاقبهما واختلافهما في الطول والقصر على وتيرة عجيبة يحار في فهمها العقول آيتين تدلان على أن لهما صانعاً حكيماً قادراً عليهما وتهديان إلى ما هدى إليه القرآن الكريم من ملة الإسلام والتوحيد (فمحونا آية الليل) الإضافة إما بيانية كما في إضافة العدد إلى المعدود أى محونا الآية التي هي الليل وفائدتها تحقيق مضمون الجملة السابقة ومحوها جعلها محووة الضوء مطموسته لكن لا بعد أن لم يكن كذلك بل إبداعها على ذلك كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل أى أنشأهما كذلك والفاء تفسيرية لأن المحو المذكور وما عطف عليه ليس بما يحصل عقيب جعل الجديدين آيتين بل هما من جملة ذلك الجمل ومتمماته (وجعلنا آية النهار) أى الآية التي هي النهار على نحو ما مر (مبصرة) *

أى مضيئة يبصر فيها الأشياء وصفاً لها بحال أهلها أو مبصرة للناس من أبصره فبصره وإما حقيقة وآية
 الليل والنهار نيراهما ومحو القمر إما خلقه مطموس النور في نفسه قالفاء كما ذكر وإما نقص ما استفاده
 من الشمس شيئاً فشيئاً إلى المحاق على ما هو معنى المحو والفناء للتعقيب وجعل الشمس مبصرة لإبداءها
 * مضيئة بالذات ذات أشعة تظهر بها الأشياء المظلمة (لتنبؤوا) متعلق بقوله تعالى وجعلنا آية النهار كما أشير
 * إليه أى وجعلناها مضيئة لتطلبوا لأنفسكم في بياض النهار (فضلاً من ربكم) أى رزقاً إذ لا يتسنى ذلك
 في الليل وفي التعبير عن الرزق بالفضل وعن الكسب بالابتغاء والتعرض لصفة الربوبية المنبئة عن التبليغ
 إلى الكمال شيئاً فشيئاً دلالة على أن ليس للعبد في تحصيل الرزق تأثير سوى الطلب وإنما الإعطاء إلى الله
 * سبحانه لا بطريق الوجوب عليه بل تفضلاً بحكم الربوبية (ولتعلموا) متعلق بكلا الفعلين أعنى محو آية
 الليل وجعل آية النهار مبصرة لا بأحدهما فقط إذ لا يكون ذلك بانفراده مداراً للعلم المذكور أى لتعلموا
 بتفاوت الجديدين أو نيريهما ذاتاً من حيث الإظلام والإضاءة مع تماقبيهما أو حركاتهما وأوضاعهما
 * وسائر أحوالهما (عدد السنين) التى يتعلق بها غرض على إقامة مصالحكم الدينية والدنيوية (والحساب)
 أى الحساب المتعلق بما فى ضمنها من الأوقات أى الأشهر والليالى والأيام وغير ذلك مما ينبط به شيء من
 المصالح المذكورة ونفس السنة من حيث تحققها بما ينظمه الحساب وإنما الذى تعلق به العد طائفة منها
 وتعلقه فى ضمن ذلك بكل واحدة منها ليس من الحيثية المذكورة أعنى حيثية تحققها وتحصلها من عدة أشهر
 قد تحصل كل واحد منها من عدة أيام قد حصل كل منها بطائفة من الساعات مثلاً فإن ذلك وظيفة الحساب
 بل من حيث إنها فرد من تلك الطائفة المعدودة بعدها أى يفنيها من غير أن يعتبر فى ذلك تحصل شيء
 معين وتحقيقه مامر فى سورة يونس من أن الحساب لإحصاء ماله كمية منفصلة بتكرير أمثاله من حيث
 يتحصل بطائفة معينة منها حد معين منه له اسم خاص وحكم مستقل كما أشير إليه آنفاً والعد لإحصاؤه
 بمجرد تكرير أمثاله من غير أن يتحصل منه شيء كذلك ولما أن السنين لم يعتبر فيها حد معين له اسم خاص
 وحكم مستقل أضيف إليها الغدد وعلق الحساب بماعداها بما اعتبر فيه تحصل مراتب معينة لها أسام خاصة
 وأحكام مستقلة وتحصل مراتب الأعداد من العشرات والمئات والالوف اعتبارى لا يجدى فى تحصل
 المعدودات وتقديم العدد على الحساب مع أن الترتيب بين متعلقيهما وجوداً وعلماً على العكس للتنبيه من
 أول الأمر على أن متعلق الحساب ما فى تضاعيف السنين من الأوقات أو لأن العلم المتعلق بعدد السنين
 علم إجمالى بما تعلق به الحساب تفصيلاً أو لأن العدد من حيث أنه لم يعتبر فيه تحصل شيء آخر منه حسبما
 ذكر نازل من الحساب المعتبر فيه ذلك منزلة البسيط من المركب أو لأن العلم المتعلق بالاول أفهى
 * المراتب فكان جديراً بالتقديم فى مقام الامتنان والله سبحانه أعلم (وكل شيء) تفتقرون إليه فى المعاش
 والمعاد سوى ما ذكر من جعل الليل والنهار آيتين وما يتبعه من المنافع الدينية والدنيوية وهو منصوب
 * بفعل يفسره قوله تعالى (فصلناه تفصيلاً) أى بيناه فى القرآن الكريم بياناً بليغاً لا التباس معه كقوله تعالى
 ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء فظهر كونه هادياً للتي هي أقوم ظهوراً بيناً .

وَكُلُّ إِنْسَانٍ لَّزِمْنَهُ طَرَفُهُ فِي عُنُقِهِ، وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴿١٣﴾ ١٧ الإسراء

أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ١٧ الإسراء

مَنْ أَهْتَدَىٰ فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ، وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ
وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ١٧ الإسراء

- (وكل إنسان) مكلف (الزمناء طائرته) أى عمله الصادر عنه باختياره حسبما قدر له كأنه طار إليه من عرش الغيب ووكر القدر أو مارتع له في القسمة الأزلية الواقعة حسب استحقاقه في العلم الأزلى من قولهم طار له سهم كذا (في عنقه) تصوير لشدة لزوم وبكال الارتباط أى الزمناء عمله بحيث لا يفارقه أبداً بل يلزمه لزوم الفلادة أو الغل للعنق لا ينفك عنه بحال وقرىء بسكون النون (ونخرج له) بنون العظمة وقد قرىء بالياء مبنياً للفاعل على أن الضمير لله عز وجل وللفعول والضمير للطائر كما في قراءة يخرج من الخروج (يوم القيامة) والبعث للحساب (كتاباً) مسطور آفيه ما ذكر من عمله نقيراً وقطميراً وهو مفعول لنخرج على القراءتين الأوليين أو حال من المفعول المحذوف الراجع إلى الطائر وعلى الآخرين حال من المستتر في الفعل من ضمير الطائر (يلقاه) أى يلقي الإنسان أو يلقيه الإنسان (منشوراً) وهما صفتان للكتاب أو الأولى صفة والثاني حال منها وقرىء يلقيه من لقيته كذا أى يلقي الإنسان إياه قال الحسن بسطت لك صحيفة ووكلك بك ملكان فهما عن يمينك وعن شمالك فأما الذى عن يمينك فيحفظ حسناتك وأما الذى عن شمالك فيحفظ سيئاتك حتى إذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك في قبرك حتى تخرج لك يوم القيامة (أقرأ كتابك) أى قائلين لك ذلك . عن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئاً وقيل المراد بالكتاب نفسه المنتقشة بآثار أعماله فإن كل عمل يصدر من الإنسان خيراً أو شراً يحدث منه في جوهر روحه أمر مخصوص إلا أنه يخفى مادام الروح متعلقاً بالبدن مشغلاً بواردات الحواس والقوى فإذا انقطعت علاقته عن البدن قامت قيامته لأن النفس كانت ساكنة مستقرة في الجسد وعند ذلك قامت وتوجهت نحو الصعود إلى العالم العلوى فيزول الغطاء وتنكشف الأحوال ويظهر على لوح النفس نقش كل شئ عمله في مدة عمره وهذا معنى الكتابة والقراءة (كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً) أى كفى نفسك والباء زائدة واليوم ظرف لكفى وحسيباً تمييز وعلى صلته لأنه بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم من حسب عليه كذا أو بمعنى الكافي ووضع موضع الشهيد لأنه يكفى المدعى ما أهمه وتذكيره لأن ما ذكر من الحساب والكفاية بما يتولاه الرجال أو لأنه مبنى على تأويل النفس بالشخص على أنها عبارة عن نفس المذكر كقول جبلة بن حريث [يا نفس إنك باللذات مسرور * فاذكر فهل ينفغنك اليوم تذكير] (من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه) فذلك لما تقدم من بيان كون القرآن هادياً لا أقوم الطرائق ولزوم الأعمال لأصحابها أى من اهتدى بهدياته وعمل بما فى تضاعيفه من الأحكام وانتهى عما نهاه عنه فإنما تعود
- ٢١٥ - أبى السعود ٢٥٥

وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا

١٧ الاسراء

تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾

- منفعته اهتدائه إلى نفسه لا تنتخطاه إلى غيره ممن لم يهتد (ومن ضل) عن الطريقة التي يهديه إليها (فإنما يضل عليها) أي فإنما وبال ضلاله عليها لا على من عداه ممن لم يباشره حتى يمكن مفارقة العمل صاحبه
- (ولا تزر وازرة وزر أخرى) تأكيد للجملة الثانية أي لا تحمل نفس حاملة للوزر وزر نفس أخرى حتى يمكن تخلص النفس الثانية عن وزرها ويختل ما بين العامل وعمله من التلازم بل إنما تحمل كل منها وزرها وهذا تحقيق لمعنى قوله عز وجل وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه وأما ما يدل عليه قوله تعالى من يشفع شفاعه حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعه سيئة يكن له كفل منها وقوله تعالى ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم من حمل الغير وزر الغير وانتفاعه بحسنه وتضرره بسيئته فهو في الحقيقة انتفاع بحسنة نفسه وتضرر بسيئته فإن جزاء الحسنه والسيئة اللتين يعملهما العامل لازم له وإنما الذي يصل إلى من يشفع جزاء شفاعته لا جزاء أصل الحسنه والسيئة وكذلك جزاء الضلال مقصور على الضالين وما يحمله المضلون إنما هو جزاء الإضلال لا جزاء الضلال وإنما خص التأكيد بالجملة الثانية قطعاً للأطماع الفارغة حيث كانوا يزعمون أنهم إن لم يكونوا على الحق فالتبعية على أسلافهم الذين قلدوهم (وما كنا معذنين) بيان للعناية الربانية إثر بيان اختصاص آثار الهداية والضلال بأصحابها وعدم حرمان المهتدى من ثمرات هدايته وعدم مؤاخذة النفس بجناية غيرها أي وما صبح وما استقام من أجل استحال في سنتنا المبينة على الحكم البالغة أو ما كان في حكمنا الماضي وقضائنا السابق أن نعذب أحداً من أهل الضلال والأوزار اكتفاء بقضية العقل (حتى نبعث) إليهم (رسولا) يهديهم إلى الحق ويردعهم عن الضلال ويقيم الحجج ويمهد الشرائع حسبما في تضاعيف الكتاب المنزل عليه والمراد بالعذاب المنفي إما عذاب الاستئصال كما قاله الشيخ أبو منصور الماتريدي رحمه الله وهو المناسب لما بعده أو الجنس الشامل للدينوى والأخروى وهو من أفرادها وأياً ما كان فالبعث غاية لعدم صحة وقوعه في وقته المقدر له لالعدم وقوعه مطلقاً كيف لا والأخروى لا يمكن وقوعه عقيب البعث والدينوى أيضاً لا يحصل إلا بعد تحقق ما يوجب من الفسق والعصيان ألا يرى إلى قوم نوح كيف تأخر عنهم ما حل بهم زهاء ألف سنة وقوله تعالى (وإذا أردنا أن نهلك قرية) بيان لكيفية وقوع التعذيب بعد البعث التي جعلت غاية لعدم محنته وليس المراد بالإرادة تحققها بالفعل إذ لا يتخلف عنها المراد ولا الإرادة الأزلية المتعلقة بوقوع المراد في وقته المقدر له إذ لا يقارنه الجزاء الآتى بل دنو وقتها كما في قوله تعالى أتى أمر الله أي وإذا دنا وقت تعلق إرادتنا بإهلاك قرية بأن نعذب أهلها بما ذكرنا من عذاب الاستئصال الذي بينا أنه لا يصح منا قبل البعث أو بنوع مما ذكرنا شأنه من مطلق العذاب أغنى عذاب الاستئصال لما لهم من الظلم والمعاصى دنوا تقتضيه الحكمة من غير أن يكون له حد معين (أمرنا) بواسطة الرسول المبعوث إلى أهلها (مترفياً) متنعماً وجبارياً وملوكاً خصبهم بالذكر مع توجه الأمر

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ ١٧ الإسراء
مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا
مَذْهُورًا ﴿١٨﴾ ١٧ الإسراء

إلى الكل لأنهم الأصول في الخطاب والباقي أتباع لهم ولأن توجه الأمر إليهم أكد وعدم التعرض للأمر
به إما لظهور أن المراد به الحق والخير لأن الله لا يأمر بالفحشاء لاسيما بعد ذكر هداية القرآن لما يهدي إليه
وإما لأن المراد وجدنا الأمر كما يقال فلان يعطى ويمنع (ففسقوا فيها) أى خرجوا عن الطاعة وتمردوا *
(لحق عليها القول) أى ثبت وتحقق موجهه بحلول العذاب إثر مظهر منهم من الفسق والطغيان (فدمرناها) *
بتدمير أهلها (تدميراً) لا يكتفه كنهه ولا يوصف هذا هو المناسب لما سبق وقيل الأمر مجاز عن الحمل على
الفسق والنسب له بأن صب عليهم ما أبطروهم وأفضى بهم إلى الفسوق وقيل هو بمعنى التكثير يقال أمرت
الشيء فأمر أى كثرته فكثير وفى الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأبورة أى كثيرة النتائج ويعضده
قراءة أمرنا وأمرنا من الإفعال والتفعيل وقد جعلنا من الإمارة أى جعلناهم أمراء وكل ذلك لا يساعده مقام
الزجر عن الضلال والحث على الاهتداء فإن مؤدى ذلك أن طغيانهم منوطاً بإرادة الله سبحانه وإنعامه
عليهم بنعم وافرة أبطرتهم وحملتهم على الفسق حلاً حقيقياً بأن يعبر عنه بالأمر به (وكم أهلكنا) أى وكثيراً ١٧
ما أهلكنا (من القرون) بيان لكم وتمييزه والقرن مدة من الزمان يتختم فيها القوم وهى عشرون أو ثلاثون
أو أربعون أو ثمانون أو مائة وقد أيد ذلك بأنه عليه الصلاة والسلام دعا لرجل فقال عش قرنأ فعاش مائة
سنة أو مائة وعشرون (من بعد نوح) من بعد زمنه عليه الصلاة والسلام كعاد وثمود ومن بعدهم عن قصص
أحوالهم فى القرآن العظيم ومن لم تقص وعدم نظم قومه عليه الصلاة والسلام فى تلك القرون المهلكة
لظهور أمرهم على أن ذكره عليه الصلاة والسلام رمز إلى ذكرهم (وكفى ربك) أى كفى ربك (بذنوب
عباده خبيراً بصيراً) يحيط بظواهرها وبواطنها فيعاقب عليها وتقدير الخبير لتقدم متعلقه من الاعتقادات
والنيات التى هى مبادئ الأعمال الظاهرة أو لعمومه حيث يتعلق بغير المبصرات أيضاً وفيه إشارة إلى
أن البعث والأمر وما يتلوها من فسقهم ليس لتحصيل العلم بما صدر عنهم من الذنوب فإن ذلك حاصل
قبل ذلك وإنما هو لقطع الاعتذار وإلزام الحجة من كل وجه (من كان يريد) بأعماله التى يعملها سواء كان ١٨
ترتب المراد عليها بطريق الجزاء كالأعمال البر أو بطريق ترتب العلولات على العلل كالأشياء أو بأعمال
الآخرة فالمراد بالمريد على الأول الكفرة وأكثر الفسقة وعلى الثانى أهل الرياء والنفاق والمهاجر الدنيا
والجماهد لمحض الغنيمة (العاجلة) فقط من غير أن يريد معها الآخرة كما ينشأ عنه الاستمرار المستفاد
من زيادة كان ههنا مع الاقتصار على مطلق الإرادة فى قسيمه والمراد بالعاجلة الدار الدنيا وإرادتها إرادة
مافيه من فنون مطالبها كقوله تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا ويجوز أن يراد الحياة العاجلة كقوله عز
وجل من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها لكن الأول أنسب بقوله (عجلنا له فيها) أى فى تلك العاجلة فإن *

وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ١٧ الاسراء
 كَلَّا تُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ١٧ الاسراء

الحياة واستمرارها من جملة ما عجل له فلا نسب بذلك كلمة من كما في قوله تعالى ومن يرد ثواب الدنيا نوته
 منها (مانشاء) أى مانشاء تعجيله له من نعيمها لا كل ما يريد (لمن يريد) تعجيل مانشاء له وهو بدل من
 الضمير في له بإعادة الجار بدل البعض فإنه راجع إلى الموصول المنبئ عن الكثرة وقرئ لمن يشاء على
 أن الضمير لله سبحانه وقيل هو لمن فيكون مخصوصاً بمن أراد به ذلك وهو واحد من الدهماء وتقييد
 المعجل والمعجل له بما ذكر من المشيئة والإرادة لما أن الحكمة التي عليها يدور فلك التكوين لا تقتضى
 وصول كل طالب إلى مراده ولا استيفاء كل واصل لما يطلبه بتمامه وأما ما يترامى من قوله تعالى من
 كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون من نيل كل مؤمل لجميع آماله
 * ووصول كل عامل إلى نتيجة أعماله فقد أشير إلى تحقيق القول فيه في سورة هود بفضل الله تعالى (ثم
 * جعلنا له) مكان ما عجلنا له (جهنم) وما فيها من أصناف العذاب (يصلها) يدخلها وهو حال من الضمير
 * المجرور أو من جهنم أو استئناف (مذموماً مدحوراً) مطروداً من رحمة الله تعالى وقبل الآية في المنافقين
 كانوا يراءون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم إلا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ويأباه ما يقال إن
 ١٩ السورة مكية سوى آيات معينة (ومن أراد) بأعماله (الآخرة) الدار الآخرة وما فيها من النعيم المقيم
 * (وسعى لها سعيها) أى السعى اللائق بها وهو الإتيان بما أمر والانتها عما نهى لا التقرب بما يخترعون
 * بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والإخلاص (وهو مؤمن) إيماناً صحيحاً لا يخالطه شيء قاذح فيه وإيراد
 * الإيمان بالجملة الحالية للدلالة على اشتراط مقارنته لما ذكر في حيز الصلة (فأولئك) إشارة إلى الموصول
 بعنوان اتصافه بما في حيز الصلة وما في ذلك من معنى البعد الإشعار بعلو درجاتهم وبعد منزلتهم والجمعية
 لمراعاة جانب المعنى إيهاء إلى أن الإثابة المفهومة من الخبر تقع على وجه الاجتماع أى أولئك الجماعة لما
 * مر من الخصال الحميدة أعنى إرادة الآخرة والسعى الجليل لها والإيمان (كان سعيهم مشكوراً) مقبولا
 ٢٠ عند الله تعالى أحسن القبول مثاباً عليه وفي تعليق المشكورية بالسعى دون قرينه إشعار بأنه العمدة فيها (كلا)
 التنوين عوض عن المضاف إليه أى كل واحد من الفريقين لا الفريق الآخر المراد بالخبر الحقيق
 * بالاسعاف فقط (نمد) أى زيد مرة بعد مرة بحيث يكون الأنف مدداً للسالف وما به الإمداد ما عجل
 لا أحدهما من العطايا العاجلة وما أعد للآخر من العطايا الآجلة المشار إليها بمشكورية السعى وإنه لم يصرح
 به تعويلاً على ما سبق تصريحاً وتلويحاً واتكالا على ما لحق عبارة وإشارة كما ستقف عليه وقوله تعالى
 * (هؤلاء) بدل من كلا (وهؤلاء) عطف عليه أى نمد هؤلاء المعجل لهم وهؤلاء المشكور سعيهم فإن
 الإشارة متعرضة لذات المشار إليه بهاله من العنوان لا للذات فقط كالإضمار فقيه تذكير لما به الإمداد
 وتعيين المضاف إليه المحذوف دفعا لتوهم كونه أفراد الفريق الآخر وتأكيده للقصر المستفاد من تقديم

أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ ١٧ الإسراء

لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ١٧ الإسراء

- المفعول وقوله تعالى (من عطاء ربك) أى من معطاه الواسع الذى لا تنهى له متعلق بنمذوم ومن عن ذكر مابه الإمداد ومنبه على أن الإمداد المذكور ليس بطريق الاستيجاب بالسعى والعمل بل بمحض التفضل (وما كان عطاء ربك) أى دنيوياً كان أو آخروياً وإنما أظهر لإظهار المزيد الاعتناء بشأنه وإشعاراً بعليته للحكم (محظوراً) ممنوعاً ممن يريده بل هو فائض على من قدر له بموجب المشيئة المبنية على الحكمة وإن وجد منه ما يقتضى الحظر كالكافر وهو فى معنى التعليل لشمول الإمداد للفريقين والتعرض لعنوان الربوبية فى الموضوعين الإشعار بمبدئيتها لما ذكر من الإمداد وعدم الحظر (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) ٢١ كيف فى محل النصب بفضلنا على الحالية والمراد توضيح ماسر من الإمداد وعدم محظورية العطاء بالتنبيه على استحضار مراتب أحد المعطاءين والاستدلال بها على مراتب الآخر أى انظر بنظر الاعتبار كيف فضلنا بعضهم على بعض فيما أمددناهم به من العطايا العاجلة فمن وضع ورفع وظائف وضيع ومالك وملك وموسر وصعلوك تعرف بذلك مراتب العطايا الآجلة ودرجات تفاضل أهلها على طريقة الاستشهاد بحال الأدنى على حال الأعلى كما أفصح عنه قوله تعالى (والآخرة أكبر) أى هى وما فيها أكبر من الدنيا وقرىء أكثر (درجات وأكبر تفضيلاً) لأن التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها العالية التى لا يقادر قدرها ولا يكتنه كنهها كيف لا وقد عبر عنه بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هذا ويجوز أن يراد بمابه الإمداد العطايا العاجلة فقط ويحمل القصر المذكور على دفع توهم اختصاصها بالفريق الأول فإن تخصيص إرادتهم لها ووصولهم إليها بالذكر من غير تعرض لبيان النسبة بينها وبين الفريق الثانى إرادة ووصولاً مما توهم اختصاصها بالأولين فالمعنى كل واحد من الفريقين نمد بالعطايا العاجلة لا من ذكرنا إرادته لها فقط من الفريق الأول من عطاء ربك الواسع وما كان عطاؤه الدنيوى محظوراً من أحد ممن يريده ومن يريده غيره انظر كيف فضلنا فى ذلك العطاء بعض كل من الفريقين على بعض آخر منهما وللآخرة الآية واعتبار عدم المحظورية بالنسبة إلى الفريق الأول تحقيقاً لشمول الإمداد له كما فعله الجمهور حيث قالوا لا يمنع من عاص لعصيانه يقتضى كون القصر لدفع توهم اختصاص الإمداد الدنيوى بالفريق الثانى مع أنه لم يسبق فى الكلام ما يؤم ثبوته له فضلاً عن إيهام اختصاصه (لا تجعل مع الله إلهاً آخر) الخطاب للرسول ﷺ والمراد به أمته وهو من باب التمهيد والإلهاب أو كل أحد ممن يصلح للخطاب (فتقعد) بالنصب جواباً للنهى والقعود بمعنى الصيرورة من قولهم شخذ الشفرة حتى قعدت كأنها خربة أو بمعنى العجز من قعد عنه أى عجز عنه (مذموماً مخذولاً) خبران أو حالان أى جامعاً على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والمخذلان من الله تعالى وفيه إشعار بأن الموحّد جامع بين المدح والنصرة .

وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾

١٧ الاسراء

وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾

١٧ الاسراء

٢٣ (وقضى ربك) أى أمر أمراً مبرماً وقرىء وأوصى ربك ووصى ربك (أن لا تعبدوا) أى بأن لا تعبدوا

• (إلا إياه) على أن أن مصدرية ولا نافية أو أى لا تعبدوا على أنها مفسرة ولا ناهية لأن العبادة غاية

• التعظيم فلا تحق إلا لمن له غاية العظمة ونهاية الإناعام وهو كالتفصيل للسعى الآخرة (وبالوالدين) أى وأن

• تحسنوا بهما أو وأحسنوا بهما (إحساناً) لأنهما السبب الظاهر للوجود والتعيش (إما يبلغن عندك

الكبر أحدهما أو كلاهما) إما مركبة من أن الشرطية وما المازيدة لتأكيد كيدها ولذلك دخل الفعل نون

التأكيد ومعنى عندك فى كنفك وكفالتك وتقديمه على المفعول مع أن حقه التأخر عنه للتشويق إلى

وروده فإنه مدار تضاعف الرعاية والإحسان وأحدهما فاعل للفعل وتأخيره عن الظرف والمفعول

لئلا يطول الكلام به وبما عطف عليه وقرىء يبلغان فأحدهما بدل من ضمير التثنية وكلاهما عطف عليه

ولا سبيل إلى جعل كلاهما تأكيداً للضمير وتوحيد ضمير الخطاب فى عندك وفيما بعده مع أن ماسبق

على الجمع للاحتراز عن التباس المراد فإن المقصود نهى كل أحد عن تأييف والديه ونهرهما ولو قبل

• الجمع بالجمع أو بالتثنية لم يحصل هذا المرام (فلا تقل لهما) أى لواحد منهما حالى الانفراد والاجتماع

• (آف) وهو صوت ينبىء عن تضجر أو اسم فعل هو تضجر وقرىء بالكسر بلا تنوين وبالفتح والضم منونا

وغير منون أى لا تضجر بها تستقدر منهما وتستثقل من مؤنهما وبهذا النهى يفهم النهى عن سائر ما يؤذيها

• بدلالة النص وقد خص بالذكر بعضه إظهار الاعتناء بشأنه فليل (ولا تنهرهما) أى لا تزجرهما عما لا يعجبك

• بإغلاظ قيل النهى والنهر والنهم أخوات (وقل لهما) بدل التأييف والنهر (قولا كريماً) ذا كرم أو هو

وصف له بوصف صاحبه أى قولاً صادراً عن كرم ولطف وهو القول الجميل الذى يقتضيه حسن

الآدب ويستدعيه النزول على المروءة مثل أن يقول يا أباه ويا أمه كدأب إبراهيم عليه السلام إذ قال

لأبيه يا أبت مع ما به من الكفر ولا يدعوهما بأسمائهما فإنه من الجفاء وسوء الآدب وديدن الدعار

وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال أن لا تقوم إلى خدمتهما عن كسل وقيل أن لا ترفع

صوتك عليهما ولا تنظر إليهما شزراً ولا يريا منك مخالفة فى ظاهر ولا باطن وأن تترحم عليهما ما عاشا

وتدعو لهما إذا ماتا وتقوم بخدمة أودائهما من بعدهما فعن النبي ﷺ إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل

• ودأبيه (واخفض لهما جناح الذل) عبارة عن إلانة الجانب والتواضع والتذلل لهما فإن إعزازهما لا يكون

إلا بذلك فكانه قيل واخفض لهما جناحك الذليل أو جعل لذه جناح كما جعل لبيد فى قوله [وغداة ريح

قد كشفت وقرة] * إذ أصبحت بيد الشمال زمامها | للقرة زماما وللشمال يداً تشبيهاً له بطائر يخفض جناحه

لأفراخه تربية لها وشفقة عليها وأما جعل خفض الجناح عبارة عن ترك الطيران كما فعله القفال فلا يناسب

رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ ١٧ الاسراء
وَأَتِذَا الْقُرُوبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ١٧ الاسراء

- المقام (من الرحمة) من فرط رحمتك وعطفك عليهما ورقتك لهما لا فتقارهما اليوم إلى من كان أفقر خلق
الله تعالى إليهما ولا تكتف برحمتك الفائية بل ادع الله لهما برحمته الواسعة الباقية (وقل رب ارحمهما)
برحمتك الدنيوية والأخروية التي من جهاتها الهداية إلى الإسلام فلا ينافي ذلك كفرهما (كارياني) الكاف
في محل النصب على نعت المصدر محذوف أي رحمة مثل تربيتهما إلى أو مثل رحمتهما إلى على أن الترية رحمة
ويجوز أن يكون لهما الرحمة والترية معاً وقد ذكر أحدهما في أحد الجانبين والآخر في الآخر كما يلوح به
التمريض لعنوان الربوبية في مطلع الدعاء كأنه قيل رب ارحمهما وربهما كما رحمتي وربياني (صغيراً)
ويجوز أن تكون الكاف للتعليل أي لأجل تربيتهما إلى كقوله تعالى واذكروه كما هداكم ولقد بالغ عز
وجل في التوصية بهما حيث افترضهما بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده سبحانه ونظمهما في سلك القضاء بهما
معاً ثم ضيق الأمر في باب مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت من المتضرع مع ماله من موجبات
الضرع مالا يكاد يدخل تحت الحصر وختمها بأن جعل رحمة التي وسعت كل شيء مشبهة بتربيتهما وعن
النبي ﷺ رضي الله في رضي الوالدين وسخطه في سخطهما وروى يفعل البار ما يشاء أن يفعل فلن يدخل
النار ويفعل العاق ما يشاء أن يفعل فلن يدخل الجنة وقال رجل لرسول الله ﷺ إن أبوي بلغا من الكبر
أنى إلى منهما ما وليا منى في الصغر فلم قضيتهما حقهما قال لا فإنهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل
ذلك وأنت تريد موتها وروى أن شيخاً أتى النبي ﷺ فقال إن ابني هذا له مال كثير وإنه لا ينفق على من ماله
فتزل جبريل عليه السلام وقال إن هذا الشيخ قد أنشأ في ابنه أياً ما قرع سمع بمثلها فاستنشدها فأنشدها الشيخ
فقال [غذوتك مولوداً ومنتك يافعا * تعل بما أجنى عليك وتنهل] [إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت *
لسقمك إلا باكياً أتمليل] [كأتى أنا المطروق دونك بالذى * طرقت به دوني وعيني تهمل] [فلما بلغت
السن والغاية التي * إليها مدى ما كنت فيك أو مل] [جعلت جزائي غلظة وفضاظة * كأنك أنت المنعم
المتفضل] [فليتك إذ لم ترع حق أبوتي * فعلت كما الجار المجاور يفعل] فغضب رسول الله ﷺ وقال
أنت ومالك لا نيك (ربكم أعلم بما في نفوسكم) من البر والعقوق (إن تكونوا صالحين) قاصدين للصالح
والبر دون العقوق والفساد (فإنه) تعالى (كان للأوابين) أي الرجاعين إليه تعالى عما فرط منهم مما لا يكاد
يخلو عنه البشر (غفوراً) لما وقع منهم من نوع تقصير أو أذية فعلية أو قولية وفيه مالا يخفى من التشديد
في الأمر بمراعاة حقوقهما ويجوز أن يكون عاماً لكل نائب ويدخل فيه الجاني على أبويه دخولا أولاً
(وأت ذا القرى) أي ذا القرابة (حقه) توصية بالأقارب إثر التوصية ببر الوالدين ولعل المراد بهم
الحارم وبحقهم النفقة كما ينبي عنه قوله تعالى (والمسكين وابن السبيل) فإن المأمور به في حقهما المواساة
المالية لا محالة أي وآتاهما حقهما كما كان مفترضاً بمكة بمنزلة الزكاة وكذا النبي عن التبذير وعن الإفراط في القبض

إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَافُورًا ﴿٢٧﴾
 وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا ﴿٢٨﴾
 وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴿٢٩﴾

- والبسط فإن السكل من التصرفات المالية (ولا تبذر تبذيراً) نهى عن صرف المال إلى من سواهم من لا يستحقه فإن التبذير تفريق في غير موضعه مأخوذ من تفريق حبات وإلقائها كيفما كان من غير تعهد لموافقه لا عن الإكثار في صرفه إليهم وإلا لناسبه الإسراف الذي هو تجاوز الحد في صرفه وقد نهى عنه بقوله تعالى ولا تبسطها وكلاهما مذموم (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) تعليل للنهي عن التبذير ببيان أنه يجعل صاحبه ملزوماً في قرن الشياطين والمراد بالإخوة المماثلة التامة في كل مالا خير فيه من صفات السوء التي من جملتها التبذير أي كانوا بما فعلوا من التبذير أمثال الشياطين أو الصداقة والملازمة أي كانوا أصدقاءهم وأتباعهم فيما ذكر من التبذير والصرف في المعاصي فإنهم كانوا ينحرون الإبل ويتياسرون عليها ويبذرون أموالهم في السمعة وسائر مالا خير فيه من المأهي والملاهي أو المقارنة أي قرنائهم في النار على سبيل الوعيد (وكان الشيطان لربه كفوراً) من تنمة التعليل أي مبالغاً في كفران نعمته تعالى لأن شأنه أن يصرف جميع ما أعطاه الله تعالى من القوى والقدر إلى غير ما خلقت هي له من أنواع المعاصي والإفساد في الأرض وإضلال الناس وحملهم على الكفر بالله وكفران نعمه الفاتضة عليهم وصرفها إلى غير ما أمر الله تعالى به وتخصيص هذا الوصف بالذكر من بين سائر أوصافه القبيحة للإيذان بأن التبذير الذي هو عبارة عن صرف نعم الله تعالى إلى غير مصرفها من باب الكفران المقابل للشكر الذي هو عبارة عن صرفها إلى ما خلقت هي له والتعرض لوصف الربوبية للإشعار بكال عتوه فإن كفران نعمة الرب مع كون الربوبية من قوى الدواعي إلى شكرها غاية الكفران ونهاية الضلال والطفليان
- ٢٧ (وإما تعرضن عنهم) أي إن اعتراك أمر اضطررك إلى أن تعرض عن أولئك المستحقين (ابتغاء رحمة من ربك) أي لفقد رزق من ربك إقامة للسبب مقام السبب فإن فقد سبب للابتغاء (ترجوها) من الله تعالى لتعطيهم وكان ﷺ إذا سئل شيئاً وليس عنده أعرض عن السائل وسكت حياء فأمر بتعديهم بالقول الجميل لئلا تعثرهم الوحشة بسكوته ﷺ فقل (فقل لهم قولا ميسوراً) سهلاً ليناً وعدم وعداً جميلاً من يسر الأمر نحو سعد أو قل لهم رزقنا الله وإياكم من فضله على أنه دعاء لهم يسر عليهم فقرم
- ٢٨ (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط) تمثيلان لمنع الشحيح وإسراف المبذر زجراً لها عنها وحملها على ما بينهما من الافتصاد [كلا طرفي قصد الأمرين] وحيث كان قبح الشح مقارناً له معلوماً من أول الأمر روعى ذلك في التصوير بأقبح الصور ولما كان غائلة الإسراف في آخره بين قبحه في أثره فقل (فتقعد ملوماً) أي فتصير ملوماً عند الله وعند الناس وعند نفسك إذا احتجت وتدمت على ما فعلت (محسوراً) نادماً أو منقطعاً بك لاشيء عندك من حسره السفر إذا بلغ منه وما قيل من أنه

إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ١٧ الاسراء

وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا يَنْتَحِ نَحْنُ نَرْزُقَهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ١٧ الاسراء

وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ١٧ الاسراء

- روى عن جابر رضى الله عنه أنه قال بينما رسول الله ﷺ قاعد إذ أتاه صبي فقال إن أمي تستكسيك درعا فقال ﷺ من ساعة إلى ساعة فعد إليها فذهب إلى أمه فقالت له قل إن أمي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل ﷺ داره ونزع قميصه وأعطاه وقعد عريانا وأذن بلال وانتظروا فلم يخرج للصلاة فنزلت فيأباه أن السورة مكية خلا آيات في آخرها كذا ما قيل إنه ﷺ أعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وكذا عيينة بن حصن الفزاري فجاء عباس بن مرداس فأنشأ يقول [أجعل نهبي ونهب العبي * ديين عيينة والأقرع] [وما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس في جمع] [وما كنت دون امرئ منها * ومن تضع اليوم لا يرفع] فقال ﷺ يا أبا بكر أقطع لسانه عنى أعطه مائة من الإبل وكانوا جميعاً من المؤلفة القلوب فنزلت (إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) تعليل لما مرأى يوسع على بعض ويضيقه على آخرين حسبما ٣٠ تتعلق به مشيئته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الإضافة التي تحوجك إلى الإعراض عن السائلين أو نفاذ ما في يدك إذا بسطتها كل البسط إلا لمصلحتك (لأنه كان بعباده خبيراً بصيراً) تعليل لما سبق أى يعلم سرهم وعلتهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز أن يراد أن البسط والقبض من أسرار الله العالم بالسرائر والظواهر الذي بيده خزائن السموات والأرض وأما العباد فعليهم أن يقتصدوا وأن يراد أنه تعالى يبسط تارة ويقبض أخرى فاستنوا بسننه فلا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وأن يراد أنه تعالى يبسط ويقدر حسب مشيئته فلا تبسطوا على من قدر عليه رزقه وأن يكون تمهيداً لقوله (ولا تقتلوا أولادكم ٣١ خشية إملاق) أى مخافة فقر وقرىء بكسر الحاء كانوا يتدون بناتهم مخافة الفقر فنهوا عن ذلك (نحن نرزقهم وإياكم) لأنهم فلا تخافوا الفاقة بناء على علمكم بعجزكم عن تحصيل رزقهم وهو ضمان لرزقهم وتعليل للنهي المذكور بإبطال موجهه في زعمهم وتقديم ضمير الأولاد على المخاطبين على عكس ما وقع في سورة الأنعام للإشعار بإصابتهم في إفاضة الرزق أولاً لأن الباعث على القتل هناك الإملاق الناجز ولذلك قيل من إملاق وهمنا الإملاق المتوقع ولذلك قيل خشية إملاق فكانه قيل نرزقهم من غير أن ينقص من رزقكم شيء فيعتريكم ما نخشونه وإياكم أيضاً رزقاً إلى رزقكم (إن قتلهم كان خطأ كبيراً) تعليل آخر يبين أن النهي عنه في نفسه ٣٢ منكر عظيم والخطأ الذنب والإثم يقال خطيء خطأ كأنهم إثمياً وقرىء بالفتح والسكون وبفتحتين بمعناه كالحنزروا الحنز وقيل بمعنى ضد الصواب وبكسر الحاء والمد وبفتحها بمدوداً وبفتحها وحذف الهمزة وبكسرهما كذلك (ولا تقربوا الزنا) بمباشرة مباديه القرية أو البعيدة فضلاً عن مباشرة وإثماً نهى عن قربانه على خلاف ما سبق ولحق من القتل للبالغة في النهي عن نفسه ولأن قربانه داع إلى مباشرة وتوسيط النهي

وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾

١٧ الاسراء

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾

١٧ الاسراء

عنه بين النهي عن قتل الأولاد والنهي عن قتل النفس المحرمة على الإطلاق باعتبار أنه قتل للأولاد
 * لما أنه تضيق للأنساب فإن من لم يثبت نسبه ميت حكماً (إنه كان فاحشة) فعلة ظاهرة القبح متجاوزة عن
 * الحد (وساء سبيلاً) أي بئس طريقاً طريقه فإنه غصب الألباض المؤدى إلى اختلال أمر الأنساب وهيجان
 الفتن كيف لا وقد قال النبي ﷺ إذا زنى العبد خرج منه الإيمان فكان على رأسه كالظلة فإذا انقطع رجع
 إليه وقال ﷺ لا يزنى الزاني حين يزنى وهو مؤمن وعن حذيفة رضى الله عنه أنه قال ﷺ إياكم والزنا
 فإن فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فأما التي في الدنيا فذهاب البهاء ودوام الفقر وقصر
 العمر وأما التي في الآخرة فسخط الله تعالى وسوء الحساب والخلود في النار (ولا تقتلوا النفس التي حرم
 الله) قتلها بأن عصمها بالإسلام أو بالعهد (إلا بالحق) إلا بإحدى ثلاث كفر بعد إيمان وزنا بعد إحسان
 وقتل نفس معصومة عمدًا فالاستثناء مفرغ أي لا تقتلوا بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق أو ملتبسين
 أو ملتبسة بشيء من الأشياء ويجوز أن يكون نعتاً لمصدر محذوف أي لا تقتلوا قتلاً ما إلا قتلاً ملتبساً
 بالحق (ومن قتل مظلوماً) بغير حق يوجب قتله أو يبيحه للقاتل حتى إنه لا يعتبر بإباحته لغير القاتل فإن
 من عليه القصاص إذا قتله غير من له القصاص يقتص له ولا يفيد قول الولي أنا أمرته بذلك ما لم يكن
 * الأمر ظاهراً (فقد جعلنا لوليّه) لمن يلي أمره من الوارث أو السلطان عند عدم الوارث (سلطاناً)
 * تساطاً واستيلاء على القاتل يؤاخذ به بالقصاص أو بالدية حسبما تقتضيه جانيته أو حجة غالبية (فلا يسرف)
 وقرى لا نسرف (في القتل) أي لا يسرف الولي في أمر القتل بأن يتجاوز الحد المشروع بأن يزيد عليه
 المثلة أو بأن يقتل غير القاتل من أقاربه أو بأن يقتل الاثنين مكان الواحد كما يفعله أهل الجاهلية أو بأن
 * يقتل القاتل في مادة الدية وقرى بصيغة النفي مبالغة في إفادة معنى النهي (إنه كان منصوراً) تعليل للنهي
 والضمير للولي على معنى أنه تعالى نصره بأن أوجب له القصاص أو الدية وأمر الحكام بمعاونته في استيفاء
 حقه فلا يبيع ما وراء حقه ولا يستزد عليه ولا يخرج من دائرة أمر الناصر أو للمقتول ظلاً على معنى أنه
 تعالى نصره بما ذكر فلا يسرف وليه أو للذي يقتله الولي ظلاً وإسرافاً ووجه التعليل ظاهر وعن
 جماعة أن الضمير في لا يسرف للقاتل الأول ويعضده قراءة فلا تسرفوا والضميران في التعليل عائدان
 إلى الولي أو المقتول فالمراد بالإسراف حينئذ إسراف القاتل على نفسه بتعريضه لها للمهلك العاجل
 والأجل لا الإسراف وتجاوز الحد في القتل أي لا يسرف على نفسه في شأن القتل كما في قوله تعالى قل
 يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم (ولا تقربوا مال اليتيم) نهى عن قربانه لما ذكر من المبالغة في النهي

وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ ١٧ الاسراء
وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ ١٧ الاسراء

- عن التعرض له ومن إفضاء ذلك إليه وللتوسل إلى الاستثناء بقوله تعالى (إلا بالتى هي أحسن) أى إلا
- بالخصلة والطريقة التى هي أحسن الخصال والطرائق وهى حفظه واستثناؤه (حتى يبلغ أشده) غاية لجواز
- التصرف على الوجه الأحسن المدلول عليه بالاستثناء لا للوجه المذكور فقط (وأوفوا بالعهد) سواء
- جرى بينكم وبين ربكم أو بينكم وبين غيركم من الناس والإيفاء بالعهد والوفاء به هو القيام بمقتضاه والمحافظة
- عليه ولا يكاد يستعمل إلا بالباء فرقا بينه وبين الإيفاء الحسى كإيفاء الكيل والوزن (إن العهد) أظهر
- فى مقام الإضمار إظهار الكمال العناية بشأنه أو لأن المراد مطلق العهد المنتظم للعهد المعهود (كان مسئولا)
- أى مسئولا عنه على حذف الجار وجعل الضمير بعد انقلابه مرفوعا مستكنأ فى اسم المفعول كقوله تعالى
- وذلك يوم مشهود أى مشهود فيه ونظيره ما فى قوله تعالى تلك آيات الكتاب الحكيم على أن أصله
- الحكيم قائله لحذف المضاف وجعل الضمير مستكنأ فى الحكيم بعد انقلابه مرفوعا ويجوز أن يكون
- تخيلا كأنه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفى بك تبكيتا لنا كذا كما يقال للموءودة بأى ذنب قتلت (وأوفوا ٣٥
- الكيل) أى أتموه ولا تخسروه (إذا كلتم) أى وقت كيلكم للبشرين وتقيد الأمر بذلك لما أن التطفيف
- هناك يكون وأما وقت الاكتيال على الناس فلا حاجة إلى الأمر بالتعذيل قال تعالى إذا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ
- يَسْتَوْفُونَ الآية (وزنوا بالقسطاس) وهو القرسطون وقيل كل ميزان صغير كان أو كبيرا روى معرب
- ولا يقدح ذلك فى عربية القرآن لا انتظام المعربات فى سلك الكلم العربية وقرىء بضم القاف (المستقيم)
- أى العدل السوى ولعل الاكتفاء باستقامته عن الأمر بإيفاء الوزن لما أن عند استقامته لا يتصور الجور
- غالبا بخلاف الكيل فإنه كثير ما يقع التطفيف مع استقامة الآلة كما أن الاكتفاء بإيفاء الكيل عن الأمر
- بتعديله لما أن إيفاءه لا يتصور بدون تعديل المكيال وقد أمر بتقويمه أيضا فى قوله تعالى وأوفوا الكيل
- والميزان بالقسط (ذلك) أى إيفاء الكيل والوزن بالميزان السوى (خير) فى الدنيا إذ هو أمانة توجب
- الرغبة فى معاملته والذكر الجميل بين الناس (وأحسن تأويلا) عاقبة تفصيل من آل إذا رجع والمراد ما يتوول
- إليه (ولا تقف) ولا تتبع من قفا أثره إذا تبعه وقرىء ولا تقف من قاف أثره أى قفاه ومنه القافة فى ٣٦
- جمع القائف (ماليس لك به علم) أى لا تكن فى اتباع ما لا علم لك به من قول أو فعل كمن يتبع مسلكا
- لا يدري أنه يوصله إلى مقصده واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه أن المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح
- المستفاد من سند قطعى كان أو ظنيا واستعماله بهذا المعنى مما لا ينكر شيوعه وقيل إنه مخصوص بالعقائد
- وقيل بالرمى وشهادة الزور ويؤيده قوله ﷺ من قفا مؤمناً بما ليس فيه حبسه الله تعالى فى ردغة الخبال
- حتى يأتى بالخروج ومنه قول الكميت [ولا أرمى البرىء بغير ذنب] ولا أفقوا الخواصن إن رمينا [
- (إن السمع والبصر والفؤاد) وقرىء بفتح الفاء والواو المقلوبة من الهمزة عند ضم الفاء (كل أولئك)

وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ ١٧ الاسراء

كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ١٧ الاسراء

أى كل واحد من تلك الأعضاء فأجريت مجرى العقلاء لما كان مسئولة عن أحوالها شهادة على أصحابها هذا وإن أولاء وإن غلب في العقلاء لكنة من حيث إنه اسم جمع لذا الذى يعم القبيلين جاء لغيرهم أيضاً قال [ذم المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد أولئك الأيام] (كان عنه مسئولا) أى كان كل من تلك الأعضاء مسئولا عن نفسه على أن اسم كان ضمير يرجع إلى كل وكذا الضمير المجرور وقد جوز أن يكون الاسم ضمير القافى بطريق الالتفات إذ الظاهر أن يقال كنت عنه مسئولا وقيل الجار والمجرور فى محل الرفع قد أسند إليه مسئولا معللا بأن الجار والمجرور لا ياتبس بالابتداء وهو السبب فى منع تقديم الفاعل وما يقوم مقامه ولكن النحاس حكى الإجماع على عدم جواز تقديم القائم مقام الفاعل إذا كان جاراً ومجروراً ويجوز أن يكون من باب الحذف على شريطة التفسير ويحذف الجار من المفسر ويعود الضمير مستكناً كما ذكرنا فى قوله تعالى يوم مشهود وجوز أن يكون مسئولا مسنداً إلى المصدر المدلول عليه بالفعل وأن يكون فاعله المصدر وهو السؤال وعنه فى محل النصب وسأل ابن جنى أبا على عن قولهم فيك يرغب وقال لا يرتفع بما بعده فأين المرفوع فقال المصدر أى فيك يرغب الرغبة بمعنى تفعل الرغبة كما فى قولهم يعطى ويمنع أى يفعل الإعطاء والمنع وجوز أن يكون اسم كان أو فاعله ضمير كل يحذف المضاف ٣٧ أى كان صاحبه عنه مسئولا أو مسئولا صاحبه (ولا تمش فى الأرض) التقييد لزيادة التقرير والإشعار بأن المشى عليها مما لا يليق بالمرح (مرحاً) تكبراً وبطراً واختيالاً وهو مصدر وقع موقع الحال أى ذا مرح أو ترح مرحاً أو لا جل المرح وقرئ بالكسر (إنك لن تخرق الأرض) تعليل للنهى وفيه تهكم بالمخال وإيدان بأن ذلك مفاخرة مع الأرض وتكبر عليها أى لن تخرق الأرض بدوسك وشدة وطأنك وقرئ بضم الراء (ولن تبلغ الجبال) التى هى بعض أجواء الأرض (طولا) حتى يمكن لك أن تنكسر عليها إذ التكبر إنما يكون بكثرة القوة وعظم الجنة وكلاهما مفقود وفيه تعريض بما عليه المخال من رفع رأسه ٣٨ ومشبه على صدور قدميه (كل ذلك) إشارة إلى ما علم فى تضاعيف ذكر الأمر والنواهي من الخصال الخمس والعشرين (كان سيئه) الذى نهى عنه وهى اثنتا عشرة خصلة (عند ربك مكروها) مبغضاً غير مرضى أو غير مراد بالإرادة الأولية لا غير مراد مطلقاً لقيام الأدلة القاطعة على أن جميع الأشياء واقعة بإرادته سبحانه وهو تتمه لتعليل الأمر المنهى عنها جميعاً ووصف ذلك بمطلق الكراهة مع أن البعض من الكبائر للإيدان بأن مجرد الكراهة عنده تعالى كافية فى وجوب الانتهاء عن ذلك وتوجيه الإشارة إلى الكل ثم تعيين البعض دون توجيهها إليه ابتداء لما أن البعض المذكور ليس بمذكور جملة بل على وجه الاختلاط وفيه إشعار بكون ما عداه مرضياً عنده تعالى وإنما لم يصرح بذلك إيداناً بالغنى عنه وقيل الإضافة بيانية كفى آية الليل وآية النهار وقرئ سيئه على أنه خبر كان وذلك إشارة إلى مانهى عنه من الأمور المذكورة

ذَلِكَ بِمَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾

١٧ الاسراء

أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ١٧ الاسراء

ومكروها بدل من سبئة أو صفة لها محمولة على المعنى فإنه بمعنى سيئاً وقد قرئ به أو مجرى على موصوف
مذكر أرى أمراً مكروها أو مجرى مجرى الأسماء زال عنه معنى الوصفية ويجوز كونه حالاً من المستكن
في كان أو في الطرف على أنه صفة سبئة وقرئ سبئاته وقرئ شأنه (ذلك) أى الذى تقدم من التكليف ٣٩
المفصلة (عما أوحى إليك ربك) أى بعض منه أو من جنسه (من الحكمة) التى هى علم الشرائع أو معرفة
الحق لذاته والعمل به أو من الأحكام المحكمة التى لا يتطرق إليها النسخ والفساد وعن ابن عباس رضى الله
عنهما أن هذه الآيات الثمان عشرة كانت فى ألواح موسى عليه السلام أو لها لا تجعل مع الله إلهاً آخر قال
تعالى وكتبنا له فى الألواح من كل شيء موعظة وهى عشر آيات فى التوراة ومن إمام متعلقة بأوحى على أنها
تبعيضية أو ابتدائية وإمام بمحذوف وقع حالاً من الموصول أو من ضميره المحذوف فى الصلة أى كانت من
الحكمة وإمام بدل من الموصول بإعادة الجار (ولا تجعل مع الله إلهاً آخر) الخطاب للرسول ﷺ والمراد
غيره ممن يتصور منه صدور المنهى عنه وقد كرر للتنبيه على أن التوحيد مبدأ الأمر ومنتهاه وأنه رأس كل
حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه علومه وحكمه وإن بذقها أساطين الحكماء وحك بيافوخه عنان السماء
وقدر تب عليه ما هو عائدة الإشراك أو لاحت قيل فتعقد مذموماً محذولاً ورتب عليه ههنا نتيجته فى
العقبى فقيل (فتلقى فى جهنم ملوماً) من جهة نفسك ومن جهة غيرك (مدحوراً) مبعداً من رحمة الله تعالى
وفى إيراد الإلقاء مبنياً للفعول جرى على سنن الكبرياء وازدراء بالمشرك وجعل له من قبيل خشية
ياخذها أخذ بكفه فيطرحها فى التنوير (أفأصفاكم ربكم بالبنيين واتخذ من الملائكة إناثاً) خطاب للقاتلين ٤٠
بأن الملائكة بنات الله سبحانه والإصفاء بالشئ جعله خالصاً والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر
يفسره المذكور أى أفضلكم على جنابه بخصكم بأفضل الأولاد على وجه الخلوص وآثر لذاته أخسها
وأدناها كما فى قوله سبحانه ألكم الذكر وله الأنثى وقوله تعالى أم له البنات ولكم البنون وقد قصد ههنا
بالعرض لعنوان الربوبية تشديد التكثير وتأكيد وأشير بذكر الملائكة عليهم السلام وإيراد الإناث
مكان البنات إلى كفرة لهم أخرى وهى وصفهم لهم عليهم السلام بالأنوثة التى هى أخس صفات الحيوان
كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً (إنكم لتقولون) بمقتضى مذهبكم الباطل الذى
هو إضافة الولد إليه سبحانه (قولا عظيماً) لا يقادر قدره فى استتباع الإثم وخرقه لقضايا العقول بحيث
لا يجترئ عليه أحد حيث يعملونه تعالى من قبيل الأجسام المتجانسة السريعة الزوال وليس كذلك
وهو الواحد القهار الباقى بذاته ثم تضيفون إليه ما تكرهون من أخس الأولاد وتفضلون عليه أنفسكم
البنيين ثم تصفون الملائكة الذين هم من أشرف الخلائق بالأنوثة التى هى أخس أوصاف الحيوان فياها

١٧ الاسراء

وَلَقَدْ صَرَفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذْكُرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾

١٧ الاسراء

قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا بُتَغُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾

١٧ الاسراء

سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾

- ٤١ من ضلة ما أقبحها وكفرة ما أشنعها وأفظعها (ولقد صرفنا) هذا المعنى وكررناه (في هذا القرآن) على وجوه من التصريف في مواضع منه وإنما ترك الضمير تعويلا على الظهور وقرىء بالتخفيف (ليذكروا) ما فيه ويقفوا على بطلان ما يقولونه والالتفات إلى الغيبة للإيدان باقتضاء الحال أن يعرض عنهم ويحكي للسامعين هنانهم وقرىء بالتخفيف من الذكر بمعنى التذكر ويجوز أن يراد بهذا القرآن مناطق يبطلان مقالاتهم المذكورة من الآيات الكريمة الواردة على أساليب مختلفة ومعنى التصريف فيه جعله مكانا له أى أوقعنا فيه التصريف كقوله يجرح في عراقيها نصلى وقد جوز أن يراد به إبطال إضافتهم إليه تعالى البنات وأنت تعلم أن إبطالها من آثار القرآن وتناجها (وما يزيدهم) أى والحال أنه ما يزيدهم ذلك التصريف البالغ (إلا نفورا) عن الحق وإعراضا عنه فضلا عن التذكر المؤدى إلى معرفة بطلان ما هم عليه من القبايح (قل) في إظهار بطلان ذلك من جهة أخرى (لو كان معه) تعالى (آلهة كما يقولون) أى المشركون قاطبة وقرىء بالناء خطابا لهم من قبل النبي ﷺ والكاف في محل النصب على أنها نعت لمصدر محذوف أى كوننا مشاهبا لما يقولون والمراد بالمشابهة الموافقة والمطابقة (إذا لا بتغوا) جواب عن مقالاتهم الشنعاء وجزاء للو أى لطلبوا (إلى ذى العرش) أى إلى من له الملك والربوبية على الإطلاق (سبيلا) بالمغالبة والممانعة كما هو ديدن الملوك بعضهم مع بعض على طريقة قوله تعالى لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا وقيل بالتقرب إليه تعالى كقوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة والأول هو الأظهر
- ٤٢ الأنسب (سبحانه) فإنه صريح في أن المراد بيان أنه يلزم مما يقولونه محذور عظيم من حيث لا يحسبون وأما ابتغاء السبيل إليه تعالى بالتقرب فليس مما يختص بهذا التقرير ولا هو مما يلزمهم من حيث لا يشعرون بل هو أمر يعتقدهونه رأسا أى تنزه بذاته تنزهها حقيقا نه (وتعالى) متباعدا (عما يقولون) من العظيمة التى هى أن يكون معه آلهة وأن يكون له بنات (علوا) تعاليا كقوله تعالى والله أنبتكم من الأرض نباتا (كبيراً) لا غاية وراه كيف لا وإنه سبحانه فى أقصى غايات الوجود وهو الوجوب الذاتى وما يقولونه من أن له تعالى شركاء وأولاداً فى أبعد مراتب العدم أغنى الامتناع لآلانه تعالى فى أعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود لذاته واتخاذ الولد من أدنى مراتبه فإنه من خواص ما يمتنع بقاؤه كما قيل فإن ما يقولونه ليس مجرد اتخاذ الولد بل اتخاذ تعالى له وأن يكون معه آلهة ولا ريب فى أن ذلك ليس بداخل فى حد الإمكان فضلا عن دخوله تحت الوجود وكونه من أدنى مراتب الوجود إنما هو بالنسبة إلى من شأنه ذلك .

تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾

١٧ الإسراء

وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾ ١٧ الإسراء
وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾

١٧ الإسراء

- (تسبيح) بالفوقانية وقرىء بالثحتانية وقرىء سبحت (له السموات السبع والأرض ومن فيهن) من ٤٤ الملائكة والثقلين على أن المراد بالتسبيح معنى منتظم لما ينطق به لسان المقال ولسان الحال بطريق عموم المجاز (وإن من شيء) من الأشياء حيواناً كان أو نباتاً أو جماداً (إلا يسبح) ملتبساً (بحمده) أى ينزهه * تعالى بلسان الحال عما لا يليق بذاته الأقدس من لوازم الإمكان ولو احق الحدوث إذ ما من موجود إلا وهو بإمكانه وحدونه يدل دلالة واضحة على أن له صانعاً عليماً قادراً حكيماً واجباً لذاته قطعاً للسلسلة (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) أيها المشركون لإخلاقكم بالنظر الصحيح الذى به يفهم ذلك وقرىء * لا يفقهون على صيغة المبني للفعول من باب التفعيل (إنه كان حلماً) ولذلك لم يعاجلكم بالعقوبة مع ما أنتم عليه من موجباتها من الإعراض عن التدبر فى الدلائل الواضحة الدالة على التوحيد والانهماك فى الكفر والإشراك (غفوراً) لمن تاب منكم (وإذا قرأت القرآن) الناطق بالتسبيح والتنزيه ودعوتهم ٤٥ إلى العمل بما فيه من التوحيد ورفض الشرك وغير ذلك من الشرائع (جعلنا) بقدرتنا ومشيتنا المبنية على دواعى الحكم الخفية (بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة) أوثر الموصول على الضمير ذما لهم بما فى حيز الصلة وإنما خص بالذكر كفرهم بالآخرة من بين سائر ما كفروا به من التوحيد ونحوه دلالة على أنها معظم ما أمروا بالإيمان به فى القرآن وتمهيداً لما سينقل عنهم من إنكار البعث واستعجاله ونحو ذلك (حجاباً) يحجبهم من أن يدركوك على ما أنت عليه من النبوة ويفهموا قدرك الجليل ولذلك اجتمعوا على تفوه العظيمة التى هى قولهم إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً وحمل الحجاب على ما روى عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنه من أنه لما نزلت سورة تبت أقبلت العوراء أم جميل امرأة أبى لهب وفى يدها فهر والنبي ﷺ قاعد فى المسجد ومعه أبو بكر رضى الله عنه فلما رآها قال يا رسول الله لقد أقبلت هذه وأخاف أن تراك قال ﷺ إنما إن ترانى وقرأ قرآنا فوقفت على أبى بكر رضى الله عنه ولم تر رسول الله ﷺ عما لا يقبله الذوق السليم ولا يساعده النظم الكريم (مستوراً) ذاستر كافى قولهم سيل مفعم أو مستوراً عن الحس بمعنى غير حسى أو مستوراً فى نفسه بحجاب آخر أو مستوراً كونه حجاباً بحيث لا يدرون أنهم لا يدرون (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أعطية كثيرة جمع كنان (أن يفقهوه) مفعول لأجله أى كراهة أن ٤٦ يفقهوه أو مفعول لما دل عليه الكلام أى منعناهم أن يفقهوا على كنهه ويعرفوا أنه من عند الله تعالى (وفى) *

نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٤٧﴾

١٧ الاسراء

١٧ الاسراء

أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾

أَذَانَهُمْ وَقَرَأَ) صمًا وثقلًا مانعًا من سماعه اللامق به وهذه تمثيلات معربة عن كمال جهلهم بشئون النبي ﷺ وفرط نبل قلوبهم عن فهم القرآن الكريم ومحج أسماعهم له جرى بها بياننا لعدم فقههم لتسبيح أسان المقال إثر بيان عدم فقههم لتسبيح أسان الحال وإيداننا بأن هذا التسبيح من الظهور بحيث لا يتصور عدم فهمه إلا لما منع قوى يعترى المشاعر فيبطلها وتذبيها على أن حالهم هذا أفصح من حالهم السابق لا حكاية لما قالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كيف لا وقصدهم بذلك إنما هو الإخبار بما اعتقدوه في حق القرآن والنبي ﷺ جهلاً وكفرًا من اتصافها بأوصاف مائنة من التصديق والإيمان ككون القرآن سحرًا وشعرًا وأساطير وقس عليه حال النبي ﷺ لا الإخبار بأن هناك أمرًا وراء ما أدركوه قد حال بينهم وبين إدراكه حائل من قبلهم ولا ريب في أن ذلك المعنى مما لا يكاد يلائم المقام (وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده) واحدًا غير مشفوع به آلهتهم وهو مصدر وقع موقع الحال أصله يحدو حده ٤٧ (ولوا على أديبارهم) أى هربوا ونفروا (نفورًا) أو ولوا نافرين (نحن أعلم بما يستمعون به) ملتبسين به من اللغو والاستخفاف والهزء بك وبالقرآن يروى أنه كان يقوم عن يمينه ﷺ رجلان من بنى عبد الدار وعن يساره رجلان فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالأشعار (إذ يستمعون إليك) ظرف لأعلم وفادته تأكيد الوعيد بالإخبار بأنه كما يقع الاستماع المزبور منهم يتعلق به العلم لا أن العلم يستفاد هناك من أحد * وكذا قوله تعالى (وإذ هم نجوى) لكن لا من حيث تعلقه بما به الاستماع بل بما به التناجى المدلول عليه بسياق النظم والمعنى نحن أعلم بالذى يستمعون ملتبسين به بما لا خيره من الأمور المذكورة وبالذى يتناجون به فيما بينهم أو الأول ظرف ليستمعون والثاني ليتناجون والمعنى نحن أعلم بما به الاستماع وقت استماعهم من غير تأخير وبما به التناجى وقت تناجهم ونجوى مرفوع على الخبرية بتقدير المضاف أى ذوو نجوى أو هو جمع نجى كقتلى جمع قتيل أى متناجون (إذ يقول الظالمون) بدل من إذ هم وفيه دليل على أن ما يتناجون به غير ما يستمعون به وإنما وضع الظالمون موضع المضمر إشعارًا بأنهم في ذلك ظالمون مجاوزون للحد * أى يقول كل منهم الآخرين عند تناجهم (إن تتبعون) ما تتبعون وإن وجد منكم الاتباع فرضاً أو ما تتبعون ٤٨ باللغو والهزء (إلا رجلاً مسحوراً) أى سحر لجن أو رجلاً ذا سحر أى رثة يتنفس أى بشرًا مثلكم (انظر كيف ضربوا لك الأمثال) أى مثلك بالشاعر والساحر والمجنون (فضلوا) فى جميع ذلك عن مناج الحاجة (فلا يستطيعون سبيلاً) إلى طمأنينة يمكن أن يقبله أحد فيتهاقن ويخبطون ويأتون بما لا يرتاب فى بطلانه أحد أو إلى سبيل الحق والرشاد وفيه من الوعيد وتسلية الرسول ﷺ ما لا يخفى .

وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾

١٧ الاسراء

قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾

١٧ الاسراء

أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ

إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾

١٧ الاسراء

- (وقالوا انذا كنا عظاماً ورفاتاً) استفهام إنكارى مفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار للبعث بعد ما آل الحال إلى هذا المآل لما بين غضاضة الحى ويوسه الرميم من التناقى كأن استحالة الأمر من الظهور بحيث لا يقدر المخاطب على التكلم به والرفات ما بولغ في دقه وتفنيته وقال الفراء هو التراب وهو قول مجاهد وقيل هو الحطام وإذا تمتحضة للظرفية وهو الأظهر والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى (إننا لمبعوثون) لان نفسه لأن ما بعد إن والهمزة واللام لا يعمل فيما قبلها وهو نبعث أو نعاد وهو المرجع للإنكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيصه به فإنهم منكرون للإحياء بعد الموت وإن كان البدن على حاله بل لتقوية الإنكار للبعث بتوجيهه إليه في حالة منافية له وتكرير الهمزة في قولهم أننألتنا كيد التكثير وتحلية الجملة بأن واللام لتأكيد الإنكار لا لإنكار التأكيد كما عسى يتوهم من ظاهر النظم فإن تقديم الهمزة لاقتضاها الصدارة كما في مثل قوله تعالى أفلا تعقلون ونظائره على رأى الجمهور فإن المعنى عندهم تعقيب الإنكار لا إنكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار إنكارهم كونهم ثابتين في المبعوثية بالفعل في حال كونهم عظاماً ورفاتاً كما يترأى من ظاهر الجملة الاسمية بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه إلى إنكار البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوم في الكفر وتماديهم في الضلال ما لا مزيد عليه (خلقاً جديداً) نصب على المصدر من غير لفظه أو الحالية على أن الخلق بمعنى المخلوق (قل) جواباً لهم وتقريباً لما استبعدوه
- ٥٠ (كونوا حجارة أو حديداً) (أو خلقاً) آخر (ما يكبر في صدوركم) أى يعظم عندكم عن قبول الحياة لكمال المباينة والمنافاة بينها وبينه فإنكم مبعوثون ومعادون لا محالة (فسيقولون من يعيدنا) مع ما بيننا وبين الإعادة من مثل هذه المباينة والمباينة (قل) لهم تحقيقاً للحق وإزاحة للاستبعاد وإرشاداً لهم إلى طريقة الاستدلال (الذى) أى يعيدكم القادر العظيم الذى (فطركم) اخترعكم (أول مرة) من غير مثال يحتذيه ولا أسلوب ينتجيه وكنتم تراباً ما شتم رائحة الحياة أليس الذى يقدر على ذلك بقادر على أن يعيد العظام البالية إلى حالتها المعهودة بلى إنه على كل شئ قدير (فسينغضون إليك رؤوسهم) أى سيجر كونها نحوك تعجباً وإنكاراً (ويقولون) استهزاء (متى هو) أى ما ذكرته من الإعادة (قل) لهم (عسى أن يكون) ذلك (قريباً) نصب على أنه خبر ليكون أو ظرف على أن كان تامة أى أن يقع في زمان قريب ومحل أن مع ما في حيزها إمانصب على أنه خبر لعسى وهى ناقصة واسمها ضمير عائد إلى ما عاد إليه هو أى عسى البعث أن يكون قريباً أو عسى البعث يقع في زمان قريب أو رفع على أنه فاعل

١٧ الاسراء

يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ۖ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾

وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا

١٧ الاسراء

مُبِينًا ﴿٥٣﴾

رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَسَاءَ يَرْحَمُكُمْ أَوْ إِنَّ يَسَاءً يُعَذِّبُكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ ١٧ الاسراء

وَزُبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ

١٧ الاسراء

زَبُورًا ﴿٥٥﴾

- ٥٢ لعسى وهي تامة أى عسى كونه قريباً أو وقوعه في زمان قريب (يوم يدعوكم) منصوب بفعل مضمر أى اذكروا أو على أنه بدل من قريباً على أنه ظرف أو يسكون تامة بالاتفاق أو ناقصة عند من يجوز أعمال الناقصة في الظروف أو بضمير المصدر المستكن في عسى أو يكون أعنى البعث عند من يجوز أعمال ضمير المصدر كما في قول زهير [وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم * وما هو عنها بالحديث المرحوم] فهو ضمير المصدر وقد تعلق به ما بعده من الجار (فتستجيبون) أى يوم يبعثكم فتبعثون وقد استعير لها الدعاء والإجابة إيداناً بكال سهولة التاني وبأن المقصود منهما الإحضار للحاسبة والجواب (بحمده) حال من ضمير تستجيبون أى منقادين له حامدين لما فعل بكم غير مستعصين أو حامدين له تعالى على كمال قدرته
- عند مشاهدة آثارها ومعابنة أحكامها (وتظنون) عطف على تستجيبون أى تظنون عند ماترون ماترون من الأمور الهائلة (إن لبثتم) أى ما لبثتم في القبور (إلا قليلاً) كالذى مر على قرية أو ما لبثتم في الدنيا
- ٥٣ (وقل لعبادى) أى المؤمنين (يقولوا) عند محاورتهم مع المشركين (التى) أى الكلمة التى (هى أحسن) ولا يخاشنهم كقوله تعالى ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هى أحسن (إن الشيطان ينزغ بينهم) أى يفسد ويبهج الشر والمراء ويغري بعضهم على بعض لتقع بينهم المشاقة والمشاركة والمعاراة والمضارة فلعل ذلك يؤدى إلى تأكيد العناد وتمادى الفساد فهو تعليل للأمر السابق وقرئ بكسر الزاء (إن الشيطان
- ٥٤ كان) قدماً (الإنسان عدواً مبيناً) ظاهر العداوة وهو تعليل لما سبق من أن الشيطان ينزغ بينهم (ربكم أعلم بكم إن يساء يرحمكم) بالتوفيق للإيمان (أو إن يساء يعذبكم) بالإمالة على الكفر وهذا تفسير الذى هو أحسن وما بينهما اعتراض أى قولوا لهم هذه الكلمة وما يشاكلها ولا تصرحوا بأنهم من أهل النار فإنه مما يهيجهم على الشر مع أن العقوبة بما لا يعلمه إلا الله سبحانه فعسى يهديهم إلى الإيمان (وما أرسلناك عليهم وكيلاً) موكولاً إليك أمورهم تقسرم على الإيمان وإنما أرسلناك بشيراً ونذيراً فدارهم ومر أصحابك بالمداواة والاحتمال وترك المحاقاة والمشاقة وذلك قبل نزول آية السيف وقيل نزلت في عمر رضى الله عنه شتمه رجل فأمر بالعمو وقيل أفرط أذية المشركين بالمؤمنين فشكوا إلى رسول الله ﷺ فنزلت وقيل
- الكلمة التى هى أحسن أن يقولوا يهديكم الله وبرحمته (وربكم أعلم بمن في السموات والأرض)

قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ ١٧ الاسراء
 أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ
 إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ١٧ الاسراء
 وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي
 الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ ١٧ الاسراء

- وتفاصيل أحوالهم الظاهرة والكامنة التي بها يستأهلون الاصطفاء والاجتباء فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء من يستحقه وهو رد عليهم إذ قالوا بعيد أن يكون يتيم أبى طالب نبياً وأن يكون العراة الجوع أصحابه دون أن يكون ذلك من الأكارب والصناديد وذكور من في السموات لإبطال قولهم لولا أنزل علينا الملائكة وذكر من في الأرض لرد قولهم لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) بالفضائل النفسانية والتنزه عن العلائق الجسدية لا بكثرة الأموال والأتباع (وآتيناه داود زبوراً) بيان لحثيثة تفضيله عليه الصلاة والسلام فإن ذلك إتياء الزبور لا إتياء الملك والسلطنة وفيه إيدان بتفضيل النبي ﷺ فإن نعمته الجليلة وكونه خاتم النبيين مسطورة في الزبور وأن المراد بعباد الله الصالحين في قوله تعالى إن الأرض يرثها عبادى الصالحون هو النبي ﷺ وأمه وتعمير الزبور تارة وتذكيره أخرى إما لأنه في الأصل فعول بمعنى المفعول كالحلوب أو مصدر بمعنى كالتقول وإما لأن المراد آتيناه داود زبوراً من الزبور أو بعضاً من الزبور فيه ذكره ﷺ وقرى بضم الزاى على أنه جمع زبر بمعنى زبور (قل ادعوا الذين زعمتم) أنها آلهة (من دونه) تعالى من الملائكة والمسيح ٥٦ وعزير (فلا يملكون) فلا يستطيعون (كشف الضر عنكم) بالمرّة كالمريض والفقر والقمح ونحو ذلك (ولا تحويلاً) أى ولا تحويله إلى غيركم (أولئك الذين يدعون) أى أولئك الآلهة الذين يدعواهم المشركون ٥٧ من المذكورين (يبتغون) يطلبون لأنفسهم (إلى ربهم) ومالك أمورهم (الوسيلة) القرية بالطاعة والعبادة (أيهم أقرب) بدل من فاعل يبتغون وأى موصولة أى يبتغى من هو أقرب إليه تعالى الوسيلة فكيف بمن دونه أو ضمن الابتغاء معنى الحرص فكأنه قيل يحرصون أيهم يكون أقرب إليه تعالى بالطاعة والعبادة (ويرجون رحمته) بها (ويخافون عذابه) بتركها كدأب سائر العباد فأين هم من كشف الضر فضلاً عن الإلهية (إن عذاب ربك كان محذوراً) حقيقة بأن يحذره كل أحد حتى الملائكة والرسل عليهم الصلاة والسلام وهو تعليل لقوله تعالى ويخافون عذابه وتخصيصه بالتعليل لما أن المقام مقام التحذير من العذاب وأن بينهم وبين العذاب بونا بعيداً (وإن من قرية) بيان لتحتم حلول عذابه تعالى بمن لا يحذره إثر بيان أنه حقيق بالتحذرو أن أساطين الخلق من الملائكة والنبيين عليهم الصلاة والسلام على حذر من ذلك وكلية إن نافية ومن استغرافية والمراد بالقرية القرية الكافرة أى ما من قرية من قرى الكفار (إلا نحن مهلكوها) ٥٨

وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا
وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾

١٧ الأسراء

أى عذبوها بالبنة بالحسف بها أو ياهلاك أهلها بالمرء لما ارتكبوا من عظام الموبقات المستوجب لذلك
• وفى صيغة الفاعل وإن كانت بمعنى المستقبل مالمس فيه من الدلالة على التحقق والتقرر وإنما قيل (قبل يوم
القيامة) لأن الإهلاك يومئذ غير مختص بالقرى الكافرة ولا هو بطريق العقوبة وإنما هو لا تقضاء عمر الدنيا
• (أو معذبوها) أى معذبوا أهلها على الإسناد المجازى (عذاباً شديداً) لا بالقتل والسبي ونحوهما من البلى
الدنيوية فقط بل بما لا يكتنه كنهه من فنون العقوبات الآخروية أيضاً حسبما يفسح عنه إطلاق التعذيب
عما قيد به الإهلاك من قبلية يوم القيامة كيف لا وكثير من القرى العانية العاصية قد أخرجت عقوباتها إلى يوم
• القيامة (كان ذلك) الذى ذكر من الإهلاك والتعذيب (فى الكتاب) أى اللوح المحفوظ (مسطوراً)
مكتوباً بالم يغادر منه شيء إلا بين فيه بكيفياته وأسبابه الموجبة له ووقته المضروب له هذا وقد قيل الهلاك للقرى
الصالحة والعذاب للعاطلة وعن مقاتل وجدت فى كتاب الضحاك بن مزاحم فى تفسيرها أماً مكة فيخربها
الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالفرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والزواجر وأما
خراسان فهلاكها ضروب ثم ذكرها بلداً بلداً وقال الحافظ أبو عمرو الدوانى فى كتاب الفتن أنه روى عن
وهب ابن منبه أن الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب أرمينية وأرمينية آمنة حتى تخرب مصر ومصر آمنة حتى
تخرب الكوفة ولا تكون المملحة الكبرى حتى تخرب الكوفة فإذا كانت المملحة الكبرى فتحت قسطنطينية
على يدى رجل من بنى هاشم وخراب الأندلس من قبل الزنج وخراب أفريقيا من قبل الأندلس وخراب
مصر من انقطاع النيل واختلاف الجيوش فيها وخراب العراق من الجوع وخراب الكوفة من قبل عدو
من ورائهم يحصرهم حتى لا يستطيعون أن يشربوا من الفرات قطرة وخراب البصرة من قبل الفرق
وخراب الأيلة من قبل عدو يحصرهم برأ وبحراً وخراب الرى من الديلم وخراب خراسان من قبل التبت
وخراب التبت من قبل الصين وخراب الهند واليمن من قبل الجراد والسلطان وخراب مكة من الحبشة
وخراب المدينة من قبل الجوع وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال آخر قرية من قرى الإسلام
خراباً المدينة وقد أخرجه العمرى من هذا الوجه وأنت خير بأن تعمم القرية لا يساعد السباق ولا
• السياق (وما منعنا أن نرسل بالآيات) أى الآيات التى اقترحتها قريش من إحياء الموتى وقلب الصفا ذهاباً
ونحو ذلك (إلا أن كذب بها الأولون) استثناء مفرغ من أعم الأشياء أى وما منعنا إرسالها شيء من الأشياء
• إلا لتكذيب الأولين بها حين جاءتهم باقتراحهم وعدم إرساله تعالى بها وإن كان بمشيئته المبنية على الحكم
البالغة لا تمنع مانع عن ذلك من التكذيب أو غيره ولا استحالة العجز عليه تعالى لكن تكذيبهم المذكور
بواسطة استناباعه لاستناباعهم بحكم السنة الإلهية واستلزامه لتكذيب الآخرين بحكم الاشتراك فى العتو
والعناد وإفضائه إلى أن يحل بهم مثل ما حل بهم بحكم الشركة فى الجريرة لما كان منافياً لإرسال ما اقترحوه

وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾

١٧ الإسراء

- من الآيات لتعيين التكذيب المستدعي للاستئصال المخالف لما جرى به قلم القضاء من تأخير عقوبات هذه الأمة إلى الآخرة لحكم باهرة من جملتها ما يتوهم من إيمان بعض أعقابهم عبر عن تلك المناقاة بالمنع على نهج الاستعارة إذ نادى بتعاوض مبادئ الإرسال لا كما زعموا من عدم إرادته تعالى لتأييده ﷺ بالمعجزات وهو السرف في إثبات الإرسال على الإتيان لما فيه من الإشعار بتداعى الآيات إلى النزول لولا أن تمسكها يد التقدير وإسناد على هذا المنع إلى تكذيب الأولين لا إلى عمله تعالى بما سيكون من الآخرين كافي قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيراً لآسأهم ولو آسأهم لتولوا وهم معرضون لإقامة الحجة عليهم بإبراز الانتموزج والإيذان بأن مدار عدم الإجابة إلى إتيان مقترحهم ليس إلا صنيعهم (وآتيناهمود الناقاة) عطف على ما يفصح عنه * النظم الكريم كأنه قيل وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون حيث آتيناهم ما اقترحوا من الآيات الباهرة فكذبوها وآتيناهم باقترحهم ثمود الناقاة (مبصرة) على صيغة الفاعل أى بينة ذات إبطار أو ببطائر يذكرها الناس أو أسند إليها حال من يشاهدها عجزاً أو جاعلتهم ذوى بباطر من أبصره جعله بصيراً وقرىء على صيغة المفعول وبفتح الميم والصاد وهي نصب على الحالية وقرىء بالرفع على أنها خبر مبتدأ محذوف (فظلوا بها) فكفروا بها ظالمين أى لم يكتفوا بمجرّد الكفر بها بل فعلوا بها ما فعلوا من العقر أو ظلوا أنفسهم * وعرضوها للهلاك بسبب عقرها ولعل تخصيصها بالذكر لما أن ثمود عرب مثلهم وأن لهم من العلم محالهم ما لا مزيد عليه حيث يشاهدون آثار هلاكهم وروداً وصدوراً أو لأنهم من جهة أنها حيوان أخرج من الحجر أو ضح دليل على تحقق مضمون قوله تعالى قل كونوا حجارة أو حديداً (وما نرسل بالآيات) المقترحة * (إلا تخويفاً) لمن أرسلت هي عليهم مما يعقبها من العذاب المستأصل كالطليعة له وحيث لم يخافوا ذلك فعل بهم ما فعل فلا محل للجملة حينئذ من الأعراب ويجوز أن تكون حالا من ضمير ظلوا أى فظلوا بها ولم يخافوا عاقبته والحال أنا ما نرسل بالآيات التي هي من جملتها إلا تخويفاً من العذاب الذي يعقبها فنزل بهم منازل (وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس) أى علماً كما نقله الإمام الشنبل عن ابن عباس رضى الله * عنهما فلا يخفى عليه شئ من أفعالهم الماضية والمستقبلية من الكفر والتكذيب وفي قوله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) إلى آخر الآية تنبيه على تحققها بالاستدلال عليها بما صدر عنهم عند مجئ بعض الآيات لا شراك الكل في كونها أمور أخارقة للعادات منزلة من جانب الله سبحانه لتصدق النبي ﷺ فتكذيبهم لبعضها مستلزم لتكذيب الباقي كما أن تكذيب الآخرين بغير المقترحة يدل على تكذيبهم بالآيات المقترحة والمراد بالرؤيا ما عاينه ﷺ ليلة المعراج من عجائب الأرض والسماء حسبما ذكر في فاتحة السورة الكريمة والتعبير عن ذلك بالرؤيا إما لأنه لا فرق بينها وبين الرؤية أو لأنها وقعت بالليل أو لأن الكفرة قالوا العلم بالرؤيا أى وما جعلنا الرؤيا التي أرينا كما عياناً مع كونها آية عظيمة وآية آية حقيقة بأن

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ أَنْجِدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَتَّبِعُ لِمَنْ خَلَقْتُ طِينًا ﴿١٧﴾ الإسراء

لا يتلعم في تصديقها أحد من له أدنى بصيرة إلا فتنة افتتن بها الناس حتى ارتد بعضهم (والشجرة الملعونة في القرآن) عطف على الرؤيا والمراد بلعنها فيه لمن طاعها على الإسناد المجازي أو إبعادها عن الرحمة فإنها تنبت في أصل الجحيم في أبعدها مكان من الرحمة أي وما جعلناها إلا فتنة لهم حيث أنكروا ذلك وقالوا إن محمدًا يزعم أن الجحيم بحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولقد ضلوا في ذلك ضلالاً بعيداً حيث كابروا قضية عقولهم فإنهم يرون النعامة تبذلج الجمر وقطع الحديد المحماة فلا تضرها ويشاهدون المناديل المتخذة من وبر السمندر تلقى في النار فلا تؤثر فيها ويرون أن في كل شجر ناراً وقرىء بالرفع على حذف الخبر كأنه قيل والشجرة الملعونة في القرآن كذلك (ونحو فهم) بذلك وبنظائرهما من الآيات فإن الكل للتخويف وإيثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار فما يزيدهم التخويف (إلا طغياناً كبيراً) متجاوزاً عن الحد فلو أنا أرسلنا بما اقترحوه من الآيات لفعلوا بها ما فعلوا بنظائرهما وفعل بهم ما فعل بأشيائهم وقد قضينا بتأخير العقوبة العامة لهذه الأمة إلى الطامة الكبرى هذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم وقد حمل أكثر المفسرين الإحاطة على الإحاطة بالقدرة تسليية لرسول الله ﷺ عما عسى يعتريه من عدم الإجابة إلى إنزال الآيات التي اقترحوها لأن إنزالها ليس بمصلحة من نوع حزن من طعن الكفرة حيث كانوا يقولون لو كنت رسولاً حقاً لأتيت بهذه المعجزات كما أتى بها موسى وغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فكانه قيل اذكر وقت قولنا لك إن ربك اللطيف بك قد أحاط بالناس فهم في قبضة قدرته لا يقدرُونَ على الخروج من مشيئته فهو يحفظك منهم فلا تهتم بهم وامنض لما أمرتك به من تبليغ الرسالة ألا يرى أن الرؤيا التي أريناك من قبل جعلناها فتنة للناس مورثة للشبهة مع أنها ما أورثت ضعفاً لأمرك وفتوراً في حالك وقد فسر الإحاطة بإهلاك قريش يوم بدر وإنما عبر عنه بالماضي مع كونه منتظراً حسب ما ينبغي عنه قوله تعالى سيعزهم الجمع ويولون الدبر وقوله تعالى قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وغير ذلك جرياً على عادته سبحانه في أخباره وأولت الرؤيا بمارآه ﷺ في المنام من مصارعهم لما روى أنه ﷺ لما ورد ماء بدر قال والله لكانني أنظر إلى مصارع القوم وهو يومى إلى الأرض هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فقسامت به قريش فاستسخر وامنه وبنارآه ﷺ أنه سيدخل مكة وأخبر به أصحابه فتوجه إليهم فصددهم عام المشركون الحديدية واعتذر عن كون ما ذكر مدنياً بأنه يجوز أن يكون الوحي بإهلاكهم وكذا الرؤيا واقعاً بمكة وذكر الرؤيا وتعيين المصارع واقعين بعد الهجرة وأنت خير بأنه يلزم منه أن يكون افتتان الناس بذلك واقعاً بعد الهجرة وأن يكون ازدادهم طغياناً متوقفاً غير واقع عند نزول الآية وقد قيل الرؤيا بمارآه ﷺ في وقعة بدر من مضمون قوله تعالى إذ يريكم الله في منامك قليلاً ولو أراكم كثيراً لفشلتم ولا ريب في أن تلك الرؤيا مع وقوعها في المدينة ما جعلت فتنة للناس (وإذ قلنا للبلائكة) تذكروا لما جرى منه تعالى من الأمر ومن الملائكة من الامثال والطاعة من غير تردد وتحقيق لمضمون ما سبق من قوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً أو يعلم

قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ ١٧ الإسراء

قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿٦٣﴾ ١٧ الإسراء

- من حال الملائكة حال غيرهم من عيسى وعزير عليهما السلام في الطاعة وابتغاء الوسيلة ورجاء الرحمة
- ومخافة العذاب ومن حال إبليس حال من يعاند الحق ويخالف الأمر أي واذكروا وقت قولنا لهم (اسجدوا لآدم) تحية وتكريماً لما له من الفضائل المستعرجة لذلك (فسجدوا) له من غير تلغم امتثالاً للأمر وأداء لحقه عليه الصلاة والسلام (إلا إبليس) وكان داخلاً في زميرتهم مندرجاً تحت الأمر بالسجود (قال) أي عند ما وُجِّع بقوله عز سلطانه يا إبليس مالك أن لا تكون مع الساجدين وقوله ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك وقوله ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي كما أشير إليه في سورة الحجر (الأسجد) وأنا مخلوق من النضر العالي (لمن خلقت طيناً) نصب على نزع الخافض أي من طين أو حال من الراجع إلى الموصول أي خلخته وهو طين أو من نفس الموصول أي أسجد له وأصله طين والتعبير عنه ﷺ بالموصول لتعليل إنكاره بما في حيز الصلاة (قال) أي إبليس لكن لا عقيب كلامه المحكي بل بعد الإنظار المترتب على استنظاره ٦٢ المنفزع على الأمر بخروجه من بين الملأ الأعلى باللحن المؤبد وإنما لم تصرح بذلك اكتفاء بما ذكر في مواضع أخر فإن توسيط قال بين كلامي اللعين للإبذان بعدم اتصال الثاني بالاول وعدم ابتناؤه عليه بل على غيره كما في قوله تعالى قال فما خطبكم بعد قوله تعالى قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون (أرأيتك هذا الذي كرمك على) الكاف لنا كيد الخطاب لا محل لها من الإعراب وهذا مفعول أول والموصول صفته والثاني محذوف لدلالة الصلاة عليه أي أخبرني عن هذا الذي كرمته على بأن أمرتني بالسجود له لم كرمته على وقيل هذا مجتداً حذف عنه حرف الاستفهام والموصول مع صلته خبره ومقصوده الاستصغار والاستعجاب أي أخبرني أهذا من كرمته على وقيل معنى أرأيتك أنا ملكت كأن المتكلم ينبه المخاطب على استحضار ما يخاطبه عقيب (لئن أخرتن) حياً (إلى يوم القيامة) كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه قوله (لأحتنكن ذريته) أي لا ستأصلنهم من قولهم احتنك الجر إذا دار الأرض إذا جرد ما عليها أكلوا أو قودنهم حيث ما شئت ولا ستولين عليهم استيلاء قوياً من قولهم حنكت الدابة واحتنكنها إذا جعلت في حنكها الأسفل جلا تفرد بها وهذا كقوله لا زنين لهم في الأرض ولا غوينهم أجمعين وإنما علم تسفي ذلك المطلب له تلقياً من جهة الملائكة عليهم الصلاة والسلام أو استنباطاً من قولهم أنجفل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء أو نوسما من خلقه (إلا قليلاً) منهم وهم المخلصون الذين عصمهم الله تعالى (قال اذهب) أي امض لشأنك الذي اخترته ٦٣ وهو طرده وتخليه بينه وبين ما سوات له نفسه (فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم) أي جزاؤكم وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب رعاية لحق المتبوعة (جزاء موفوراً) أي جزاء مكمل من قولهم فر اصاحبك مرضه فرة أي وفرو هو نصب على أنه مصدر مؤكد لما في قوله فإن جهنم جزاؤكم من معنى تجازون أو للفعل المقدر أو حال موطئة لقوله موفوراً.

وَأَسْتَفْزَزَ مِنْهُمُ بَصَوْتِكَ وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمُ بَخِيلِكَ وَشَارَكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ
وَالْأَوْلَادِ وَعَدَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾

١٧ الاسراء

إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾
رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنََّّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ ١٧ الاسراء

١٧ الاسراء

٦٤ (واستفزز من استغف (من استطعت منهم) أن تستفزه (بصوتك) بدعائك إلى الفساد (وأجلب عليهم) أي صح عليهم من الجلبة وهي الصياح (بخيلك ورجلك) أي بأعوانك وأنصارك من راكب وراجل من أهل العيث والفساد قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وقتادة إن له خيلا ورجلا من الجن والإنس فما كان من راكب يقاتل في معصية الله تعالى فهو من خيل إبليس وما كان من راجل يقاتل في معصية الله تعالى فهو من رجل إبليس والخيل الخيالة ومنه قوله ﷺ يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب وقرئ بكسر الجيم وهي قراءة حفص على أنه فعل بمعنى فاعل كتب وتاعب وبضمة مثل حدث وحدث وندس وندس ونظائرهما أي جمعك الراجل ليطابق الخيل وقرئ رجلك ورجالك ويجوز أن يكون استفزازه بصوته وإجلا به بخيله ورجله تمثيلا لتسلطه على من يغويه فكانه مغوار أوقع على قوم فصوت بهم صوتا يزعمهم من أما كنهم ويقلقهم عن مرا كزم وأجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استأصلهم (وشاركهم في الأموال) بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي (والأولاد) بالحث على التوصل إليهم بالأسباب المحرمة والإشراك كنسبتهم بعبد العزى والتضليل بالحمل على الآديان الزائفة والحرف الذميمة والأفعال القبيحة (وعدم المواعيد الباطلة كشفاة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة بتطويل الأمل) وما يعدم الشيطان (إلا غرورا) اعتراض لبيان شأن مواعيده والالتفات إلى الغيبة لتقوية معنى الاعتراض مع ما فيه من صرف الكلام عن خطابه وبيان شأنه للناس ومن الإشعار بعلية شيطنته للغرور وهو تزوين الخطأ بما يوم أنه صواب (إن عبادي) الإضافة للشريف وهم المخلصون وفيه أن من تبعه ليس منهم وأن الإضافة لثبوت الحكم في قوله تعالى (ليس لك عليهم سلطان) أي تسلط وقدرة على إغوائهم كقوله تعالى إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون (وكفى بربك وكيلا) لهم يتوكلون عليه ويستمدون به في الخلاص عن إغوائك والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية المطلقة والتصرف الكلى مع الإضافة إلى ضمير إبليس للإشعار بكيفية كفايته تعالى لهم أعنى سلب قدرته على إغوائهم (ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر) مبتدأ وخبر والإزجاء السوق حالا بعد حال أي هو القادر الحكيم الذي يسوق لنا فلك الفلك ويجرها في البحر (لتبتغوا من فضله) من رزقه الذي هو فضل من قبله أو من الربح الذي هو معطيه ومن مزبدة أو تبعية وفضية وهذا تذكير لبعض النعم التي هي دلائل التوحيد وتمهيد لذكر توحيدهم

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا تَجَنَّبَكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كُفُورًا ﴿٦٧﴾

١٧ الاسراء

أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخَسِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾

أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾

١٧ الاسراء

- عند مساس الضر تكلمة لما مر من قوله تعالى فلا يملكون الآية (إنه كان بكم) أزلا وأبداً (رحيماً) حيث هيا لكم ما تحتاجون إليه وسهل عليكم ما يعسر من مبادئه وهذا تذليل فيه تعليل لما سبق من الإزجاء لا بتغاء الفضل وصيغة الرحيم للدلالة على أن المراد بالرحمة الرحمة الدنيوية والنعمة العاجلة المنقسمة إلى الجلييلة والحقيرة (وإذا مسكم الضر في البحر) خوف الفرق فيه (ضل من تدعون) أي ذهب عن خواطركم ما كنتم تدعون من دون الله من الملائكة أو المسيح أو غيرهم (إلا إياه) وحده من غير أن يخطر ببالكم أحد منهم • وتدعوه لكشفه استقلالاً أو اشتراكاً أو ضل كل من تدعونه عن إغائتكم وإنقاذكم ولم يقدر على ذلك إلا الله على الاستثناء المنقطع (فلما نجاكم) من الفرق وأوصلكم (إلى البر أعرضتم) عن التوحيد أو اتسعتم • في كفران النعمة (وكان الإنسان كفوراً) تعليل لما سبق من الإعراض (أفأمنتم) الهمة للإنكار والفاء ٦٨ • للعطف على محذوف تقديره أنجوتهم فأمنتم (أن يخسف بكم جانب البر) الذي هو ما منكم أي يقلبه ملتبساً بكم أو بسبب كونكم فيه وفي زيادة الجانب تنبيه على تساوى الجوانب والجهات بالنسبة إلى قدرته سبحانه وتعالى وقهره وسلطانه وقرىء بنون العظمة (أو يرسل عليكم) من فوقكم وقرىء بالنون • (حاصباً) ريحاً ترمى بالحصباء (ثم لا تجدوا لكم وكيلاً) يحفظكم من ذلك أو يصرفه عنكم فإنه لا راد • لآمره الغالب (أم أمنتم أن يعيدكم فيها) في البحر أو ثرت كلمة في على كلمة إلى المنبئة عن مجرد الانتهاء ٦٩ • للدلالة على استقرارهم فيه (تارة أخرى) إسناد الإعادة إليه تعالى مع أن العود إليه باختيارهم باعتبار خلق الدواعي الملجئة لهم إلى ذلك وفيه إيماء إلى كمال شدة هول مالا قوة في التارة الأولى بحيث لولا الإعادة لما عادوا (فيرسل عليكم) وأنتم في البحر وقرىء بالنون (قاصفاً من الريح) وهي التي لا تمر بشيء إلا كسرتة وجعلته كالرميم أو التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كأنها تنقص أي تنكسر • (فيرقكم) بعد كسر فلحكم كما ينبغي عنه عنوان القصف وقرىء بالنون وبالتاء على الإسناد إلى ضمير الريح (بما كفرتم) بسبب إشرارككم أو كفرانكم لنعمة الإنجاء (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً) أي ثاراً يطالبنا بما فعلنا انتصاراً منا ودركاً للثأر من جهتنا كقوله سبحانه ولا يخاف عقباها •

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى
كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾

١٧ الاسراء

يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ فَمَنْ أُوِّيَ كِتَابُهُ وَيَمِينُهُ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا
يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾

١٧ الاسراء

- ٧٠ (ولقد كرّمنا بني آدم) قاطبة تكريماً شاملاً لبرهم وفاجرهم أي كرّمناهم بالصورة والقامة المعتدلة والتسلط على ما في الأرض والتمتع به والتمكن من الصناعات وغير ذلك مما لا يكاد يحيط به نطاق العبارة ومن جملة ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما من أن كل حيوان يتناول طعامه بفيه إلا الإنسان فإنه يرفعه إليه بيده وما قيل من شركة القرد له في ذلك مبنى على عدم الفرق بين اليد والرجل فإنه يتناول له برجله التي يطأ بها القاذورات لا بيده (وحملناهم في البر والبحر) على الدواب والسفن من حملته إذا جعلت له ما يركبه وليس من المخلوقات شيء كذلك وقيل حملناهم فيها حيث لم نخسف بهم الأرض ولم نفرقهم بالماء وأنت خير بأن الأول هو الأنسب بالتكريم إذ جميع الحيوانات كذلك (ورزقناهم من الطيبات) أي فنون النعم وضروب المستلذات مما يحصل بصنيعهم وبغير صنيعهم (وفضلناهم) في العلوم والإدراكات بما ركبنا فيهم من القوى المدركة التي بها يتميز الحق من الباطل والحسن من القبيح (على كثير من خلقنا) وهم من عدا الملائكة عليهم الصلاة والسلام (تفضيلاً) عظيماً لحق عليهم أن يشكروا هذه النعم ولا يكفروها ويستعملوا قواهم في تحصيل العقائد الحقة ويرفضوا ما هم عليه من الشرك الذي لا يقبله أحد من له أدنى تمييز فضلاً عن فضل على من عدا الملائكة الأعلى الذين هم المقول المحضة وإنما استثنى جنس الملائكة من هذا التفضيل لأن علومهم دائمة عارية عن الخطأ والخلل وليس فيه دلالة على أفضليتهم بالمعنى المتنازع فيه فإن المراد هنا بيان التفضيل في أمر مشترك بين جميع أفراد البشر صالحها وطالحها ولا يمكن أن يكون ذلك هو الفضل في عظم الدرجة وزيادة القرية عند الله سبحانه . إن قيل أي حاجة إلى تعيين ما فيه التفضيل بعد بيان ما هو المراد بالمفضلين فإن استثناء الملائكة عليهم الصلاة والسلام من تفضيل جميع أفراد البشر عليهم لا يستلزم استثناءهم من تفضيل بعض أفرادهم عليهم قلنا لا بد من تعيينه البتة إذ ليس من الأفراد الفاجرة للبشر أحد يفضل على أحد من المخلوقات فيما هو المتنازع فيه أصلاً بل هم أدنى من كل دنى حسبنا نبى . هذه قوله تعالى أولئك كالأنعام بل هم أضل وقوله تعالى إن شر الدواب عند الله الذين كفروا (يوم ندعو) نصب على المفعولية بإضمار اذكر أو ظرف لما دل عليه قوله تعالى ولا يظلمون وقرىء بالياء على البناء للفاعل والمفعول ويدعو بقلب الألف واو أو على لغة من يقول في أفعى أفعو وقد جوز كون الواو علامة الجمع كما في قوله تعالى وأسروا النجوى أو ضميره وكل بدلا منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فإنها ليست إلا علامة الرفع وقد يكتفى بتقديره كما في يدعى (كل أناس) من بني آدم الذين

٧١

وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾
وَأَن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِیْنَآ إِلَیْكَ لِتَفْتَرِیَ عَلَیْنَا غَیْرَهُ وَإِذًا لَا تَخْذُوكَ خَلِیلًا ﴿٧٣﴾ ۝ ۱۷ الإسراء

- فعلنا بهم في الدنيا ما فعلنا من التكريم والتفضيل وهذا شروع في بيان تفاوت أحوالهم في الآخرة بحسب أحوالهم وأعمالهم في الدنيا (يا مأموم) أي بمن ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب أو دين وقيل * بكتاب أعمالهم التي قدموها فيقال يا أصحاب كتاب الخير يا أصحاب كتاب الشر أو يا أهل دين كذابا يا أهل كتاب كذا وقيل الإمام جمع أم كذب وخفاف والحكمة في دعوتهم بأمراتهم لإجلال عيسى عليه السلام وتشريف الحسين رضي الله عنهما والسر على أولاد الزنا (فمن أوتى) يومئذ من أولئك المدعوين (كتاب) صحيفة أعماله (بيمينه) إبانة لخطر الكتاب المؤتى وتشريفاً لصاحبه وتبشيراً له من أول الأمر بما في مطاوبه * (فأولئك) إشارة إلى من باعتبار معناه إيداناً بأنهم حزب مجتمعون على شأن جليل أو إشعاراً بأن قراتهم * لكتبهم تكون على وجه الاجتماع لا على وجه الانفراد كما في حال الإيتاء وما فيه من الدلالة على البعد للإشعار برفعة درجاتهم أي أولئك المختصون بتلك الكرامة التي يشعر بها الإيتاء المزبور (يقرمون * كتابهم) الذي أوتوه على الوجه المبين تبجيحاً بما سطر فيه من الحسنات المستتعبة لفنون الكرامات (ولا * يظلمون) أي لا ينقصون من أجور أعمالهم المرئسة في كتبهم بل يؤتونها مضاعفة (فتيلاً) أي قدر * فتيل وهو القشرة التي في شق النواة أو أدنى شيء فإن الفتيل مثل في القلة والحقارة (ومن كان) من المدعوين ٧٢ المذكورين (في هذه) الدنيا التي فعل بهم فيها ما فعل من فنون التكريم والتفضيل (أعمى) فاقد البصيرة * لا يهتدى إلى رشده ولا يعرف ما أوليائه من نعمة التكرمة والتفضيل فضلاً عن شكرها والقيام بحقوقها ولا يستعمل ما أودعناه فيه من العقول والقوى فيما خلقن له من العلوم والمعارف الحقة (فهو في الآخرة) * التي عبر عنها بيوم ندعو (أعمى) كذلك أي لا يهتدى إلى ما ينجيهِ ولا يظفر بما يجديه لأن العمى الأول * موجب للثاني وقد جوز كون الثاني بمعنى التفضيل على أن عماء في الآخرة أشد من عماء في الدنيا ولذلك قرأ أبو عمرو الأول بما لا والثاني مفتحاً (وأضل سبيلاً) أي من الأعمى لزوال الاستعداد الممكن * وتعطل الآلات بالكلية وهذا بعينه هو الذي أوتى كتابه بشماله بدلالة حال ما سبق من الفريق المقابل له ولعل العدول عن ذكره بذلك العنوان مع أنه الذي يستدعيه حسن المقابلة حسبما هو الواقع في سورة الحاقة وسورة الانشقاق للإيدان بالعلة الموجبة له كافي قوله تعالى وأما إن كان من المكذبين الضالين بعد قوله تعالى فأما إن كان من أصحاب اليمين ولزم إلى علة حال الفريق الأول وقد ذكر في أحد الجانبين المسبب وفي الآخر السبب ودل بالمذكور في كل منهما على المتروك في الآخر تعويلاً على شهادة العقل كافي قوله عز * وعلا وإن بمسسك الله بضرف لا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضلته (وإن كادوا ليفتنونك) نزلت ٧٣ في ثقيف إذ قالوا للنبي ﷺ لا ندخل في أمرك حتى تعطينا خصالاً نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نخشع ولا نجبي في صلاتنا وكل رباً لنا فهو لنا وكل رباً علينا فهو موضوع عنا وأن تمتعنا باللات سنة وأن تحرم

١٧ الاسراء

وَلَوْلَا أَن تَبَيَّنْتَكَ لَقَدْ كَدْتَ تَرَكْنُ إِلَيْهِمْ شَيْعًا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾

١٧ الاسراء

إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ ١٧ الاسراء

١٧ الاسراء

سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾

وإدبنا وج كما حرمت مكة فإذا قالت العرب لم فعلت فقل إن الله أمرني بذلك وقيل في قریش حيث قالوا اجعل لنا آية عذاب آية رحمة وآية رحمة آية عذاب أو قالوا لا نمسكنك من استلام الحجر حتى تلم بأهتنا فإن مخففة من المشددة وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف واللام هي الفارقة بينها وبين النافية أي إن الشأن قاربوا أن يفتنوك أي يخدعوك فأنين (عن الذي أوحينا إليك) من أو امرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا (لتفتري علينا غيره) لتقول علينا غير الذي أوحينا إليك بما اقترحتة ثقيف أو قریش حسبما نقل (وإذن لا تخذوك خليلاً) أي لو اتبعت أهواءهم لكنت لهم ولياً ولخرجت من ولايتي (ولولا أن ثبتناك) على ما أنت عليه من الحق بعصمتنا لك (لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً) من الركون الذي هو أدنى ميل أي لولا تثبيتنا لك لقاربت أن تميل إليهم شيئاً يسيراً من الميل اليسير لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن أدر كنت العصمة فنعتك من أن تقرب من أدنى مراتب الركون إليهم فضلاً عن نفس الركون وهذا صريح في أنه ﷺ ما هم بإجابتهم مع قوة الداعي إليها ودليل على أن العصمة بتوفيق الله تعالى وعنايته (إذن) لو قاربت أن تركن إليهم أدنى ركنة (لأذقناك ضعف الحياة و ضعف الممات) أي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما يعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لأن خطأ الخطير خطير وكان أصل الكلام عذاباً ضعفاً في الحياة وعذاباً ضعفاً في الممات بمعنى مضاعفاً ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه ثم أضيفت إضافة موصوفها وقيل الضعف من أسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحياة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر (ثم لا تجد لك علينا نصيراً) يدفع عنك العذاب (وإن كادوا) الكلام فيه كما في الأول أي كاد أهل مكة (ليستفزونك) أي ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم (من الأرض) أي الأرض التي أنت فيها وهي أرض مكة (ليخرجوك منها وإذن لا يلبثون) بالرفع عطفاً على خبر كاد وقرى لا يلبثوا بالنصب بأعمال إذن على أن الجملة معطوفة على جملة وإن كادوا ليستفزونك (خلفك) أي بعدك قال [خلت الديار خلا فهاهم فكانما] بسط الشواطط بينهم حصيراً أي ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك وقرى خلفك (إلا قليلاً) إلا زماناً قليلاً وقد كان كذلك فإهم أهلكوا بيدر بعد هجرته ﷺ وقيل نزلت الآية في اليهود حيث حسدوا مقام النبي ﷺ بالمدينة فقالوا الشام مقام الأنبياء عليهم السلام فإن كنت نبياً فالحق بها حتى تؤمن بك فوقع ذلك في قلبه ﷺ فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة وأجلى بنو النضير بقليل (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) نصب على

أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ الْقُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ الإسراء
وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ الإسراء

- المصدرية أى سن الله تعالى سنة وهى أن يهلك كل أمة أخرجت رسولهم من بين أظهرهم فالسنة لله تعالى وإضافتها إلى الرسل لأنها سنت لأجلهم على ما ينطق به قوله عز وجل (ولا تجد لسنةنا تحويلاً) أى تغييراً .
- (أقم الصلاة لدلوك الشمس) لزوالها كما ينهى عنه قوله ﷺ أتانى جبريل عليه السلام لدلوك الشمس حين ٧٨ زالت فصلى في الظهر واشتقاقه من الدلك لأن من نظر إليها حينئذ يدلك عينه وقيل لغروبها من دلكت الشمس أى غربت وقيل أصل الدلوك الميل فينتظم كلا المعنيين واللام للتأقيت مثلها فى قولك ثلاث خلون (إلى غسق الليل) إلى اجتماع ظلمته وهو وقت صلاة العشاء وليس المراد إقامتها فيما بين الوقتين على وجه الاستمرار بل إقامة كل صلاة فى وقتها الذى عين لها ببيان جبريل عليه السلام كما أن أعداد ركعات كل صلاة موكولة إلى بيانه ﷺ ولعل الاكتفاء ببيان المبدأ والمنتهى فى أوقات الصلوات من غير فصل بينها لأن الإنسان فيما بين هذه الأوقات على اليقظة فبعضها متصل ببعض بخلاف أول وقت العشاء والفجر فإنه باشتغاله فيما بينهما بالنوم ينقطع أحدهما عن الآخر ولذلك فصل وقت الفجر عن سائر الأوقات وقيل المراد بالصلاة صلاة المغرب والتحديد المذكور بيان لمبدئه ومنتهاه واستدل به على امتداد وقته إلى غروب الشفق وقوله تعالى (وقرآن الفجر) أى صلاة الفجر نصب عطفاً على مفعول أقم أو على الإغراء قاله الزجاج وإنما سميت قرآناً لأنه ركنها كما تسمى ركوعاً وسجوداً واستدل به على الركنية ولكن لادلالة له على ذلك لجواز كون مدار التجوز كون القراءة مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة فى صلاة الفجر لدل الأمر بإقامتها على الوجوب فيها نصاً وفيما عداها دلالة تجوز أن يكون وقرآن الفجر حثاً على تطويل القراءة فى صلاة الفجر (إن قرآن الفجر) أظهر فى مقام الإضمار لبانة لمزيد الاهتمام به (كان مشهوداً) يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار أو شواهد القدرة من تبدل الضياء بالظلمة والانتباه بالنوم الذى هو أخو الموت أو يشهده كثير من المصلين أو من حقه أن يشهده الجمل الغفير فالآية على تفسير الدلوك بالزوال جامعة للصلوات الخمس وعلى تفسيره بالغروب لما عدا الظهر والعصر (ومن الليل) قيل هو نصب على الإغراء أى الزم بعض الليل وقيل لا يكون المغرى به حرفاً ولا يجدى نفعا كون معناها التبعية فإن واد مع ليست اسماً بالإجماع وإن كانت بمعنى الاسم الصريح بل هو منصوب على الظرفية بمضمرة أى قم بعض الليل (فتهجد به) أى أزل وألق الهجود أى النوم فإن صيغة التفعّل تجيء للإزالة كالتخرج والتحنث والتأثم ونظائرها والضمير المجرور للقرآن من حيث هو لا بقيد إضافته إلى الفجر أو للبعض المفهوم من قوله تعالى ومن الليل أى تهجد فى ذلك البعض على أن الباء بمعنى فى وقيل منصوب بتهجد أى تهجد بالقرآن بعض الليل على طريقة وإياى فارهبون (نافلة لك) فريضة زائدة على الصلوات الخمس المفروضة خاصة بك دون الأمة ولعله هو الوجه فى تأخير ذكرها عن ذكر صلاة الفجر مع تقدم وقتها على وقتها أو تطوعاً لكن لا كونها زيادة

وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِّيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا ﴿٨٠﴾ ١٧ الاسراء

وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ اِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوْقًا ﴿٨١﴾ ١٧ الاسراء

- على الفرائض بل لكونها زيادة له عليه السلام في الدرجات على ما قال مجاهد والسدى فإنه عليه السلام مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيكون تطوعه زيادة في درجاته بخلاف من عداه من الأمة فإن تطوعهم لتكفير ذنوبهم وتدارك الخلل الواقع في فرائضهم وانتصابها إما على المصدرية بتقدير تنفل أو يجعل تهجد بمعناه أو يجعل نافلة بمعنى تهجداً فإن ذلك عبادة زائدة وإما على الحالية من الضمير الراجع إلى القرآن أى حال كونها صلاة نافلة وإما على المفعولية لتهجد إذا جعل بمعنى صل وجعل الضمير المجرور للبعث أى فصل في ذلك البعث
- نافلة لك (عسى أن يبعثك ربك) الذى يبلغك إلى كمالك اللاتق بك من بعد الموت الأكبر كما انبعثت من النوم الذى هو الموت الأصغر بالصلاة والعبادة (مقاماً) نصب على الظرفية على إضمار فيقيمك أو تضمين البعث معنى الإقامة إذ لا بد من أن يكون العامل فى مثل هذا الظرف فعلا فيه معنى الاستقرار ويجوز أن يكون حالاً بتقدير مضاف أى يبعثك ذا مقام (محموداً) عندك وعند جميع الناس وفيه تهوين لمشقة قيام الليل وروى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقام المحمود هو المقام الذى أشفع فيه لأمتى وعن ابن عباس رضى الله عنهما مقاما يحمداً فى الأولون والآخرين وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس أحد إلا تحت لوائك وعن حذيفة رضى الله عنه يجمع الناس فى صعيد واحد فلا تسكلم فيه نفس فأول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس إليك والمهدى من هديت وعبدك بين يديك وبك وإليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك تباركت وتعاليت
- ٨٠ سبحانه رب البيت (وقل رب أدخلني) أى القبر (مدخل صدق) أى إدخالاً مرضياً (وأخرجني) أى منه عند البعث (مخرج صدق) أى إخراجاً مرضياً ملقى بالكرامة فهو تلقين المدعى بما وعده من البعث المقرون بالإقامة المعمودة التى لا كرامة فوقها وقيل المراد إدخال المدينة والإخراج من مكة وتغيير ترتيب الوجود لكون الإدخال هو المقصد وقيل إدخاله صلى الله عليه وسلم مكة ظاهراً عليها وإخراجه منها آمناً من المشركين وقيل إدخاله الغار وإخراجه منه سالماً وقيل إدخاله فيما حمله من أعباء الرسالة وإخراجه منه مؤدياً حقه وقيل إدخاله فى كل ما يلبسه من مكان أو أمر وإخراجه منه وقرىء مدخل ومخرج بالفتح على معنى أدخلني فأدخل دخولا وأخرجني فأخرج خروجاً كقوله [وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع من المال إلا مسحت أو مجلف] أى لم تدع فلم يبق (واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً) حجة تصرفني على من يخالفني أو ملكاً وعزاً أناصر الإسلام مظهر آله على الكفر فأجيبته دعوته صلى الله عليه وسلم بقوله عز وعلا والله يعصمك من الناس ألا إن حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفهم فى الأرض (وقل جاء الحق) أى الإسلام والوحى الثابت الراسخ (وزهق الباطل) أى ذهب وهلك الشرك والكفر وتسويلا للشيطان • من زهق روحه إذا خرج (إن الباطل) كأنما كان (كان زهوقاً) أى شأنه أن يكون مضمحل غير ثابت

وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ١٧ الاسراء
وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَجَّ بِجَانِبِهِ ؕ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴿٨٣﴾ ١٧ الاسراء

وهو عدة كريمة بإجابة الدعاء بالسلطان النصير الذى لقنه . عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه ﷺ دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ثلثمائة وستون صنما لجمل ينكت به خصرة كانت بيده في عين واحد واحد ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى ألقي جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا على أرم به فصعد فرمى به فكسره (ونزل من القرآن) وقرىء نزل من الإنزال (ما هو شفاء) ٨٢ لما في الصدور من أدواء الريب وأسقام الأوهام (ورحمة للمؤمنين) به العالمين بما في تضاعيفه أى ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للبرضى ومن بيانية قدمت على المبين اعتناء فإن كل القرآن كذلك وعن النبي ﷺ من لم يستشف بالقرآن فلا شفاء الله أو تبعيضية لكن لا بمعنى أن بعضه ليس كذلك بل بمعنى إنا نزل منه في كل نوبة ما تستدعى الحكمة نزوله حينئذ فيقع ذلك من نزل عليهم بسبب موافقته لأحوالهم الداعية إلى نزوله موقع الدواء الشافي المصادف لأبانه من المرضى المحتاجين إليه بحسب الحال من غير تقديم ولا تأخير فكل بعض منه متصف بالشفاء لكن لا في كل حين بل عند تنزيله وتحقيق التبعيض باعتبار الشفاء الجسماني كما في الفاتحة وآيات الشفاء لا يساعده قوله سبحانه (ولا يزيد الظالمين إلا خساراً) أى لا يزيد القرآن كله أو كل بعض منه الكافرين المكذبين به الواضعين الأشياء في غير مواضعها مع كونه في نفسه شفاء من الأسقام إلا خساراً أى هلاكاً بكفرهم وتكذيبهم لانقصاننا كما قيل فإن ما بهم من داء الكفر والضلال حقيق بأن يعبر عنه بالهلاك لا بالنقصان المنبئ عن حصول بعض مبادئ الأسقام فيهم وزيادتهم في مراتب الهلاك من حيث إنهم كلما جددوا الكفر والتكذيب بالآيات النازلة تدرجاً ازدادوا بذلك هلاكاً وفيه إيماء إلى أن ما بالمؤمنين من الشبه والشكوك المعترية لهم في أثناء الاهتداء والاسترشاد بمنزلة الأمراض وما بالكفرة من الجهل والعناد بمنزلة الموت والهلاك وإستناد الزيادة المذكورة إلى القرآن مع أنهم هم المزدادون في ذلك بسوء صنيعهم باعتبار كونه سبباً لذلك وفيه تعجيب من أمره حيث يكون مداراً للشفاء والهلاك (وإذا أنعمنا على الإنسان) بالصحة والنعمة (أعرض) عن ٨٣ ذكر نافع لا عن القيام بموجب الشكر (ونأى) تباعد عن طاعتنا (بجانبه) النأى بالجانب أن يلوى عن الشيء . عطفه ويوليه عرض وجهه فهو تأكيد للإعراض أو عبارة عن الاستكبار لأنه من ديدن المستكبرين (وإذا مسه الشر) من فقر أو مرض أو نازلة من التوازل وفي إسناد المساس إلى الشر بعد إسناد الإنعام إلى ضمير الجلالة إيدان بأن الخير مراد بالذات والشر ليس كذلك (كان يئوساً) شديد اليأس من روحنا وهذا وصف للجنس باعتبار بعض أفرادهم ممن هو على هذه الصفة ولا ينافيه قوله تعالى وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض ونظائره فإن ذلك شأن بعض آخرين منهم وقيل أريد به الوليد بن المغيرة وقرىء ناء إما على القلب كما يقال راه في رأى وإما على أنه بمعنى نهض .

١٧ الاسراء

قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ۚ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴿٨٤﴾

١٧ الاسراء

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾

- ٨٤ (قل كل) أى كل أحد منكم ومن هو على خلافكم (يعمل) عمله (على شاكلته) طريقته التى تشاكل حاله
 • فى الهدى والضلالة أو جوهر روحه وأحواله التابعة لمزاج بدنه (فربكم) الذى برأكم على هذه الطبائع
 • المتخالفة (أعلم بمن هو أهدى سبيلاً) أى أسد طريقاً وأبين منها جاً وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة
 ٨٥ والدين (ويسألونك عن الروح) الظاهر أن السؤال كان عن حقيقة الروح الذى هو مدبر البدن الإنسانى
 ومبدأ حياته روى أن اليهود قالوا لفريش سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فإن
 أجاب عنها جميعاً أو سكت فليس بنبي وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين
 • وأبهم أسر الروح وهو مبهم فى التوراة (قل الروح) أظهر فى مقام الإضمار إظهار الكمال الاعتناء بشأنه
 • (من أمر ربى) كلمة من بيانية والأمر بمعنى الشأن والإضافة للاختصاص العلمى لا الإيجادى لاشتراك
 الكل فيه وفيها من تشرىف المضاف ما لا يخفى كما فى الإضافة الثانية من تشرىف المضاف إليه أى هو من
 • جنس ما استأنز الله تعالى بعلمه من الأسرار الخفية التى لا يكاد يحوم حولها عقول البشر (وما أوتيتم من
 العلم إلا قليلاً) لا يمكن تعلقه بأمثال ذلك روى أنه ﷺ لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب
 قال ﷺ بل نحن وأنتم فقالوا ما أعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وساعة
 تقول هذا فتزلت ولو أن مافى الأرض من شجرة أفلام الآية وإنما قالوا ذلك لركاكة عقولهم فإن الحكمة
 الإنسانية أن يعلم من الخير ما تسمعه الطاقة البشرية بل ما ينيط به المعاش والمعاد وذلك بالإضافة إلى ما لا
 نهاية له من معلوماته سبحانه قليل ينال به خير كثير فى نفسه أو بالنسبة إلى الإنسان أو هو من الإبداعات
 الكائنة بمحض الأمر التكويني من غير تحصيل من مادة وتولد من أصل كأعضاء الجسد حتى يمكن تعريفه
 ببعض مبادئه وماله أنه من عالم الأمر لا من عالم الخلق وليس هذا من قبيل قوله سبحانه إنما أمره إذا أراد
 شيئاً أن يقول له كن فيكون فإن ذلك عبارة عن سرعة التكوين سواء كان الكائن من عالم الأمر أو من
 عالم الخلق وفيه تنبيه على أنه مما لا يحيط بكنهه دائرة إدراك البشر وإنما الممكن هذا القدر الإجمالى المندرج
 تحت ما استثنى بقوله تعالى وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً أى إلا علماً قليلاً تستفيدونه من طرق الحواس فإن
 تعقل المعارف النظرية إنما هو من إحساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حساً فقد فقد علماً ولعل أكثر
 الأشياء لا يدركه الحس ولا شئ من أحواله التى يدور عليها معرفة ذاته وأما محل ما ذكر على السؤال عن
 قدمه وحدونه وجعل الجواب إخباراً بحدوثه أى كائن بتكوينه حادث بإحداثه بالأمر التكويني
 فمع عدم ملامته لحال السائلين لا يساعده التعرض لبيان قلة علمهم فإن ما سألوا عنه مما بقى به علمهم
 حينئذ وقد أخبر عنه وقيل المراد بالروح خلق عظيم روحانى أعظم من الملك وقيل جبريل عليه السلام
 وقيل القرآن ومعنى من أمر ربى من وحيه وكلامه لا من كلام البشر .

وَلَيْنَ شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ ١٧ الاسراء

إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ ١٧ الاسراء

قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ١٧ الاسراء

- (وائن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك) من القرآن الذى هو شفاء ورحمة للمؤمنين ومنبع للعلوم التى ٨٦
أوتيتوها وابتدأتك عليه حين كادوا يفتنونك عنه ولولا له لكدت تركن إليهم شيئاً قليلاً وإنما عبر عنه
بالموصول تفخيماً لشأنه ووصفاً له بما فى حين الصلة ابتداء وإعلاماً بحاله من أول الأمر وبأنه ليس من قبيل
كلام المخلوق واللام موطنه للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط وبذلك حسن حذف مفعول
المشيئة والمراد من الذهاب به المحو من المصاحف والصدور وهو أبلغ من الإذهاب عن ابن مسعود رضى الله
عنه أن أول ما تنفقون من دينكم الأمانة وآخر ما تنفقون الصلاة وليصلين قوم ولادين لهم وأن هذا القرآن
تصيحون يوماً وما فيكم منه شيء فقال رجل كيف ذلك وقد أثبتناه فى قلوبنا وأثبتناه فى مصاحفنا فعلمه أبناءنا
ويعلمه أبناءونا أبناءهم فقال يسرى عليه ليلاً فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف وينزع ما فى القلوب
(ثم لا تجد لك به) أى بالقرآن (علينا وكيلاً) من يتوكل علينا استرداده مسطوراً محفوظاً (إلا رحمة ٨٧
من ربك) فإنها إن نالتك لعلها تسترده عليك ويجوز أن يكون الاستثناء منقطعاً بمعنى ولكن رحمة من
ربك تركته غير مذهب به فيكون امتناناً بإبقائه بعد المنية بتنزيله وترغيباً فى المحافظة على أداء حقوقه
وتحذيراً من أن لا يقدر قدره الجليل ويفرط فى القيام بشكره وهو أجل النعم وأعظمها (إن فضله كان
عليك كبيراً) كإرسالك وإزال الكتاب عليك وإبقائه فى حفظك وغير ذلك (قل) للذين لا يعرفون ٨٨
جلالة قدر التنزيل ولا يفهمون نخامة شأنه الجليل بل يزعمون أنه من كلام البشر (لئن اجتمعت الإنس
والجن) أى اتفقوا (على أن يأتوا بمثل هذا القرآن) المنعوت بما لا تدركه للعقول من النعوت الجليلة فى
البلاغة وحسن النظم وكال المعنى وتخصيص الثقلين بالذكر لأن المنكر لكونه من عند الله تعالى منهما لا من
غيرهما لأن غيرهما قادر على المعارضة (لا يأتون بمثله) أو ثراً لإظهار على إيراد الضمير الرجوع إلى المثل
الذكر احتراماً عن أن يتوهم أن له مثلاً معيناً وإيداناً بأن المراد نبي الإتيان بمثل ما أى لا يأتون بكلام مماثل له
فيما ذكر من الصفات البديعة وفيهم العرب العاربة أرباب البراعة والبيان وهو جواب للقسم الذى ينبىء
عنه اللام الموطنه وساد مسد جزاء الشرط ولولاها لكان جواباً له بغير جزم لكون الشرط ماضياً كما فى
قول زهير [وإن أناه خليل يوم مسألة] يقول لا غائب مالى ولا حرم] وحيث كان المراد بالاجتماع على
الإتيان بمثل القرآن مطلق الاتفاق على ذلك سواء كان التصدى للمعارضة من كل واحد منهم على الأفراد
أو من المجموع بأن يتألبوا على تليفق كلام واحد بتلاحق الأفكار وتعاضد الأنظار قيل (ولو كان بعضهم

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ ١٧ الاسراء

وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾ ١٧ الاسراء

أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ ١٧ الاسراء

أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِلِلَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ ١٧ الاسراء

لبعض ظهيرا) أى فى تحقيق ما يتوخونه من الإتيان بمثله وهو عطف على مقدر أى لا يأتون بمثله لولم يكن بعضهم ظهيرا لبعض ولو كان الخ وقد حذف المعطوف عليه حذفاً مطرداً لدلالة المعطوف عليه دلالة واضحة فإن الإتيان بمثله حيث انتفى عند التظاهر فلأن ينتفى عند عدمه أولى وعلى هذه النكتة يدور ما فى إن ولو الوصليتين من التأكيدهما مرة وعمله النصب على الحالية حسبما عطف عليه أى لا يأتون بمثله على كل حال مفروض ولو فى هذه الحال المنافية لعدم الإتيان به فضلا عن غيرها وفيه حسم لأطامعهم الفارغة فى روم تبديل بعض آياته ببعض ولا مساغ لكون الآية تقريراً لما قبلها من قوله تعالى ثم لا تجد لك به علينا وكيلا كما قيل لكن لما قيل من أن الإتيان بمثله أصعب من استرداد عينه ونفى الشيء إنما يقرره نفي مادونه لأننى ما فوقه فإن أصعبية الاسترداد بغير أمره تعالى من الإتيان بمثله بما لا شبهة فيه بل لأن الجملة القسمية ليست مسوقة إلى النبي ﷺ بل إلى المكابرين من قبله ﷺ (ولقد صرفنا) كررنا * وردنا على أنحاء مختلفة توجب زيادة تقرير وبيان ووكادة رسوخ وإطمئنان (للساس فى هذا القرآن) * المنعوت بما ذكر من النعوت الفاضلة (من كل مثل) من كل معنى بديع هو فى الحسن والغرابة واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول (فأبى أكثر الناس) أوثر الإظهار على الإضمار تأكيدها وتوضيحاً (إلا كفورا) أى إلا جحوداً وإنما صرح الاستثناء من الموجب مع أنه لا يصح ضربت إلا زيدا لأنه تناول بالنفى كأنه قيل ما قبل أكثرهم إلا كفورا وفيه من المبالغة ما ليس فى أبوا الإيمان لأن فيه دلالة على أنهم لم يرضوا بخصلة سوى الكفور من الإيمان والتوقف فى الأمر ونحو ذلك وأنهم بالغوا فى عدم الرضا حتى بلغوا مرتبة الإباء (وقالوا) عند ظهور عجزهم ووضوح مغلوبيتهم بالإعجاز التنزيل وغيره من المعجزات الباهرة متعللين بما لا يمكن فى العادة وجوده ولا تقتضى الحكمة وقوعه من الأمورا هو ديدن المبهوتين المحجوج (لن تؤمن لك حتى تفجر) وقرىء بالتشديد (لنا من الأرض) أرض مكة (ينبوعا) عينا لا ينضب ماؤها يفعل من ينبع الماء كيعبوب من عب الماء إذا زخر (أو تكون لك جنة) أى بستان تستر أشجاره ماتحتها من العرصة (من نخيل وعنب فتفجر الأنهار) أى تجريها بقوة (خلالها تفجيرا) كثيرا والمراد إما إجماع الأنهار خلالها عند سقيها أو إدامة إجرائها كما ينبى عنه الفاء لا ابتداء (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) جمع كسفة كقطعة وقطع لفظاً ومعنى وقرىء بالسكون كسدره وسدر وهى حال من السماء والكاف فى كفى محل النصب على أنه صفة مصدر محذوف أى إسقاطاً مماثلاً لما زعمت

أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا
نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾

١٧ الاسراء

أَوْ مَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾ ١٧ الاسراء

- يعنون بذلك قوله تعالى أو تسقط عليهم كسفاً من السماء (أو تأتي بالله والملائكة قبلاً) أى مقابلاً كالعشير والمعاشر أو كقبلاً يشهد بصحة ما تدعيه وهو حال من الجلالة وحال الملائكة محذوفة لدلالتهما عليها أى والملائكة قبلاً كما حذف الخبر في قوله [فإني وقيار بها الغريب] أو جماعة فيكون حالاً من الملائكة (أو ٩٣ يكون لك بيت من زخرف) من ذهب وقد قرئ به وأصله الزينة (أو ترقى في السماء) أى في معارجها
- فحذف المضاف يقال رقى في السلم وفي الدرجة (ولن تؤمن لرقيك) أى لا أجل رقيك فيها وحده أو لن نصدق رقيك فيها (حتى تنزل) منها (علينا كتاباً) فيه تصديقك (نقروه) نحن من غير أن يتلقى من قبلك
- عن ابن عباس رضى الله عنهما قال عبد الله بن أبي أمية لن تؤمن لك حتى تتخذ إلى السماء سلباً ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتى معك بصك منشور معه أربعة من الملائكة يشهدون أنك كما تقول وما كانوا يقصدون بهاتيك الاقتراحات الباطلة إلا العناد واللجاج ولو أنهم أوتوا أضعاف ما اقترحوا من الآيات ما زادهم ذلك إلا مكابرة وإلا فقد كان يكفيهم بعض ما شاهدوا من المعجزات التي تخر لهاصم الجبال (قل)
- تعجباً من شدة شكيمتهم وتنزيهاً لساحة السبحات مما لا يكاد يليق بها من مثل هذه الاقتراحات الشنيعة التي تكاد السموات تنفطرن منها أو عن طلبك ذلك وتنبيهاً على بطلان ما قالوه (سبحان ربي) وقرئ
- قال سبحان ربي (هل كنت إلا بشراً) لا ملكاً حتى يتصور معنى الرقى في السماء ونحوه (رسولاً) مأموراً
- من قبل ربي بتبليغ الرسالة من غير أن يكون له خيرة في الأمر كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم إلا بما يظنهم الله على أيديهم حسب ما يلائم حال قومهم ولم يكن أمر الآيات إليهم ولا لهم أن يتحكموا على الله سبحانه بشيء منها وقوله بشراً خبر لكنت ورسولاً صفته (وما منع الناس) أى الذين حكيت أباطيلهم
- (أن يؤمنوا) مفعول ثانٍ لمنع وقوله (إذا جاءهم الهدى) أى الوحى ظرف لمنع أو يؤمنوا أى وما منعهم وقت مجي الوحى المقرون بالمعجزات المستدعية للإيمان أن يؤمنوا بالقرآن وبنبوتك أو ما منعهم أن يؤمنوا بذلك وقت مجي ما ذكر (إلا أن قالوا) في محل الرفع على أنه فاعل منع أى إلا قولهم (أبعث
- الله بشراً رسولاً) منكبرين أن يكون رسول الله تعالى من جنس البشر وليس المراد أن هذا القول صدر عن بعضهم فنعم بعضاً آخر منهم بل المانع هو الاعتقاد الشامل لكل المستتبع لهذا القول منهم وإنما عبر عنه بالقول إيداناً بأنه مجرد قول يقولونه بأفواههم من غير أن يكون له مفهوم ومصدق وحصر المانع من الإيمان فيها ذكر مع أن لهم موانع شتى لما أنه معظمها أو لأنه هو المانع بحسب الحال أعنى عند سماع الجواب بقوله تعالى هل كنت إلا بشراً رسولاً إذ هو الذى يتشبثون به حينئذ من غير أن يخطر ببالهم شبهة أخرى من شهم الواهية وفيه إيدان بكال عنادهم حيث يشير إلى أن الجواب المذكور مع كونه حاسماً لمواد

قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمَشُّونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾ ١٧ الإسراء

قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ ١٧ الإسراء

وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضِلِّ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ

عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمًى وَيُكَفِّرُ بَعْضُهُمْ أَسْوَءَ مَا وَكَّفَتْ لَهُمْ جَهَنَّمَ كَلَّمَ خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ١٧ الإسراء

- ٩٥ شبههم ملجئاً إلى الإيمان يعكسون الأمر ويجعلونه مانعاً منه (قل) لهم أولاً من قبلنا تبييناً للحكمة
 * وتحقيقاً للحق المزيح للريب (لو كان) أى لو وجد واستقر (فى الأرض) بدل البشر (ملائكة يمشون
 * مطمئنين) قارين فيها من غير أن يعرجوا فى السماء ويعلموا ما يجب أن يعلم (لنزلنا عليهم من السماء ملكاً
 رسولا) يهديهم إلى الحق ويرشدهم إلى الخير لتمكينهم من الاجتماع والتلقى منه وأما عامة البشر فهم بعزل
 من استحقاق المفاوضة الملكية فكيف لا وهى منوطة بالتناسب والتجانس فبعث الملك لإيهم مزاحم
 للحكمة التى عليها مبنى التكوين والتشريع وإنما يبعث الملك من بينهم إلى الخواص المختصين بالنفوس
 الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقةين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا إلى
 جانب وقوله تعالى ملكاً يحتمل أن يكون حالاً من رسولا وأن يكون موصوفاً به وكذلك بشرأ فى قوله
 ٩٦ تعالى أبعث الله بشرأ رسولا والاول أولى (قل) لهم ثانياً من جهتك بعد ما قلت لهم من قبلنا ما قلت
 * وبينت لهم ما تقتضيه الحكمة فى البعثة ولم يرفعوا إليه رأساً (كفى بالله) وحده (شهيداً) على أنى أدبت
 ما على من مواجب الرسالة أكمل أداء وأنكم فعلتم ما فعلتم من التكذيب والعناد وتوجيه الشهادة إلى كونه
 * ﷺ رسولا بإظهار المعجزة على وفق دعواه كما اختير لا يساعده قوله تعالى (بينى وبينكم) وما بعده من
 * التعليل وإنما يقل بيننا تحقيقاً للفرقة وإبانة للبينة وشهداً إما حال أو تمييز (إنه كان بعباده) من
 * الرسل والمرسل إليهم (خبيراً بصيراً) محيطاً بظواهر أحوالهم وبواطنها فيجازيهم على ذلك وهو تعليل
 ٩٧ للكفاية وفيه تسلية لرسول الله ﷺ وتهديد للكفار (ومن يهد الله) كلام مبتدأ يفصل ما أشار إليه
 * الكلام السابق من مجازاة العباد إشارة لإجمالية أى من يهد الله إلى الحق بما جاء من قلبه من الهدى (فهو
 * المهتد) إليه وإلى ما يودى إليه من الثواب أو المهتد إلى كل مطلوب (ومن يضل) أى يخلق فيه الضلال
 * بسوء اختياره كهؤلاء المعاندين (فلن تجد لهم) أثر ضمير الجماعة اعتباراً لمعنى من غب ما أثر فى مقابله
 الإفراد نظراً إلى لفظها تلويحاً بوحدة طريق الحق وقلة سالكيه وتعدد سبل الضلال وكثرة الضلال
 * (أولياء من دونه) من دون الله تعالى أى أنصار آبهودنهم إلى طريق الحق أو إلى طريق يوصلهم إلى مطالبهم
 الدنيوية والأخرية أو إلى طريق النجاة من العذاب الذى يستدعيه ضلالهم على معنى أن تجد لا أحد منهم
 * ولياً على ما تقتضيه قضية مقابلة الجمع بالجمع من انقسام الأحاد إلى الأحاد (ونحشرهم) التفات من الغيبة
 * إلى التكلم إيداناً بكال الاعتناء بأسر الحشر (يوم القيامة على وجوههم) حال من الضمير المنصوب أى

ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفْنًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا

جَدِيدًا ﴿٩٨﴾

١٧ الاسراء

أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا

لَا رَيْبَ فِيهِ فَإِنَّ الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾

١٧ الاسراء

قُلْ لَّوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خِزَايْنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَا مَسَكُكُمْ خَشْيَةُ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ

قَتُورًا ﴿١٠٠﴾

١٧ الاسراء

- كانين عليها سبحانه كقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم أو مشياً فقد روى أنه قيل لرسول الله ﷺ كيف يمشون على وجوههم قال إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم (عمياً) *
- حال من الضمير المجرور في الحال السابقة (وبكاً وصماً) لا يبصرون ما يقر أعينهم ولا ينطقون ما يقبل منهم ولا يسمعون ما يلد مسامعهم لما قد كانوا في الدنيا لا يستبصرون بالآيات والعبء ولا ينطقون بالحق ولا يستمعونه ويجوز أن يحشروا بعد الحساب من الموقف إلى النار مو في القوى والحواس وأن يحشروا كذلك ثم يعاد إليهم قوام وحواسهم فإن إدراكاتهم بهذه المشاعر في بعض المواطن بما لا ريب فيه (ما واهم جهنم) إما حال أو استئناف وكذا قوله تعالى (كلما خبت زدناهم سعيراً) أي كلما سكن لهيبها بأن أكلت جلودهم وحواسهم ولم يبق فيهم ما يتعلق به النار وتحرقه زدناهم توقداً بأن بدلناهم جلوداً غير هافعات ملتتهبة ومستعرة ولعل ذلك عقوبة لهم على إنكارهم الإعادة بعد الفناء بتكرير هامة بعد أخرى ليروها عيناً حيث لم يعلموها برهاناً كما يفصح عنه قوله تعالى (ذلك) أي ذلك العذاب (جزاؤهم بأنهم) أي بسبب أنهم (كفروا بآياتنا) ٩٨ العقلية والنقلية الدالة على صحة الإعادة دلالة واضحة فذلك مبتدأ وجزاؤهم خبره ويجوز أن يكون مبتدأ ثانياً وبأنهم خبره والجملة خبراً لذلك وأن يكون جزاؤهم بدلاً من ذلك أو بياناً له والخبر هو الظرف (وقالوا) * منكرين أشد الإنكار (أننا كنا عظاماً ورُفناً) أي أننا لمنبعوثون خلقاً جديداً) إما مصدر مؤكدم من غير لفظه أي لمبعوثون بعداً جديداً وإما حال أي مخلوقين مستأنفين (أو لم يروا) أي ألم يتفكروا ولم يعلموا (أن الله خلق ٩٩ السموات والأرض) من غير مادة مع عظمها (قادر على أن يخلق مثلهم) في الصغر على أن المثل مقحم والمراد بالخلق الإعادة كما عبر عنها بذلك حيث قيل خلقاً جديداً (وجعل لهم أجلاً لا ريب فيه) عطف على أولم يروا فإنه في قوة قدر أو أو المعنى قد علموا أن من قدر على خلق السموات والأرض فهو قادر على خلق أمثالهم من الإنس وجعل لهم ولبعثهم أجلاً محققاً لا ريب فيه هو يوم القيامة (فأبى الظالمون) وضع موضع الضمير تسجيلاً عليهم بالظلم وتجاوز الحد بالمرة (إلا كفوراً) أي جحوداً (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربّي) خزائن رزقه ١٠٠ التي أفاضها على كافة الموجودات وأنتم مرتفع بفعل يفسره المذكور كقول حاتم لودات سوار لطمتني وقائدة ذلك المبالغة والدلالة على الاختصاص (إذن لا مسكتم) ابخليم (خشية الإنفاق) مخافة النفاد *

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَعَسَىٰ أَسْرَأُ بِكَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٧﴾

١٧ الاسراء

قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآءِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مَسْحُورًا ﴿١٧﴾

١٧ الاسراء

- بالإنفاق إذ ليس في الدنيا أحد إلا وهو يختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشيء فإنما يؤثره لموضع يفوقه * فإذا هو بخيل بالإضافة إلى جود الله سبحانه (وكان الإنسان قتوراً) مبالغاً في البخل لأن مبنى أمره على الحاجة والضعف بما يحتاج إليه وملاحظة العوض بما يبذله (ولقد آتيناهم موسى تسع آيات بينات) واضحات الدلالة على نبوته وصحة ما جاء به من عند الله وهي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والطوفان والسنون ونقص الثمرات وقيل انفجار الماء من الحجر وتلق الطور على بني إسرائيل وانفلاق البحر بدل الثلاث الأخيرة ويأباه أن هذه الثلاث لم تكن منزلة إذ ذاك وأن الأولين لا تعلق لهما بفرعون وإنما أوتيهما بنو إسرائيل عن صفوان بن عسال أن يهودياً سأل النبي ﷺ عنها فقال أن لا تشركو به شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا بيريء إلى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا في السبت فقبل اليهودي يده ورجله ﷺ ولا يساعده أيضاً ما ذكر وألعل جوابه ﷺ بذلك لما أنه الممهم للسائل وقوله لما أنه كان في التوراة مسطوراً وقد علم أنه ماعله رسول الله ﷺ إلا من جهة الوحي (فأسأل بني إسرائيل) وقرىء فصل أى فقلنا له سلمهم من فرعون وقل له أرسل معى بنى إسرائيل أو سلمهم عن إيمانهم أو عن حال دينهم أو سلمهم أن يعاضدوك ويؤيده قراءة رسول الله ﷺ على صيغة الماضي وقيل الخطاب للنبي ﷺ أى فأسألهم عن تلك الآيات لتزداد يقيناً وطمأنينة أو ليظهر صدقك (إذ جاءهم) متعلق بقلنا ويسأل على القراءة المذكورة وبآتيناهم أو بمضمر هو يخبروك أو اذكر على تقدير كون الخطاب للرسول ﷺ (فقال له فرعون) الفاء فصيغة أى فأظهر عند فرعون ما آتيناه من الآيات
- ١٠٢ البينات وبلغه ما أرسل به فقال له فرعون (إنى لأظنك يا موسى مسحوراً) سحرت فتخبط عقلك (قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء) يعنى الآيات التى أظهرها (إلا رب السموات والأرض) خالقهما ومدبرهما والتعرض لربوبيته تعالى لهما الإبدان بأنه لا يقدر على إبتناء مثل هاتيك الآيات العظام إلا خالقهما ومدبرهما (بصائر) حال من الآيات أى بينات مكشوفات تبصر كصدقك ولكنك تعاند وتكابر نحو وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ومن ضرورة ذلك العلم العلم بأنه ﷺ على كمال رصانة العقل فضلاً عن توهم المسحورية وقرىء علمت على صيغة التكلم أى لقد علمت بيقين أن هذه الآيات الباهرة أنزلها الله عز سلطانه فكيف يتوهم أن يحوم حولي سحر (وإنى لأظنك يا فرعون مسحوراً) مصروف عن الخير مطبوعاً على الشر من قولهم ما برك عن هذا أى ماصرفك أو هالكاً ولقد قارع ﷺ ظنه بظنه وشتان بينهما كيف لا وظن فرعون

فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾
 وَقُلْنَا مَنْ بَعْدَهُ لِنَبْنِيَ إِسْرَءِيلَ أَكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾
 وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾
 وَقُرْءَانَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿١٠٦﴾
 قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾

إفك مبين وظنه ﷺ يتاخم اليقين (فأراد) أي فرعون (أن يستفزهم) أي يستخفهم ويزعجهم (من ١٠٣ الأرض) أرض مصر أو من الأرض مطلقاً بالقتل كقوله سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم (فأغرقناه * ومن معه جميعاً) فغرقناهم عليه مكره واستفزناهم وقومه بالإغراق (وقلنا من بعده) من بعد إغراقهم ١٠٤ (ابن إسرائيل اسكنوا الأرض) التي أراد أن يستفزكم منها (فإذا جاء وعد الآخرة) الكرة الآخرة * أو الحياة أو الساعة والدار الآخرة أي قيام القيامة (جئنا بكم لفيفاً) مغلطين إياكم وإياهم ثم نحكم بينكم * ونميز سعداءكم من أشقياءكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى (وبالحق أنزلناه وبحلق نزل) أي وما أنزلنا ١٠٥ القرآن إلا ملتبساً بالحق المقتضى لإنزاله وما نزل إلا ملتبساً بالحق الذي اشتمل عليه أو ما أنزلناه من السماء إلا محفوظاً وما نزل على الرسول إلا محفوظاً من تخليط الشياطين ولعل المراد بيان عدم اعتراء البطلان له أول الأمر وآخره (وما أرسلناك إلا مبشراً) للطبيع بالثواب (ونذيراً) للعاصي من العقاب وهو * تحقيق لحقيقة بعثته ﷺ إثر تحقيق حقيقة إنزال القرآن (وقرأنا) منصوب بمضمير يفسره قوله تعالى (فرقناه) ١٠٦ وقرئ بالتشديد دلالة على كثرة نجومه (لنقرأه على الناس كمكث) على مهل وثبت فإنه أيسر للحفظ وأعون على الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه (ونزلناه تنزيلاً) حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة ويقع من الحوادث والواقعات (قل) للذين كفروا (آمنوا به أو لا تؤمنوا) فإن إيمانكم به لا يزيده كلاً وامتناعكم لا يورثه ١٠٧ نقصاً (إن الذين أوتوا العلم من قبله) أي العلماء الذين قرءوا الكتب السالفة من قبل تنزيله وعرفوا حقيقة الوحي وأمارات النبوة وتمكنوا من التمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل ورأوا فيها نعمتك ونعت ما أنزل إليك (إذا يتلى) أي القرآن (عليهم يخرون للأذقان) أي يسقطون على وجوههم (سجداً تعظيماً) * لأمر الله تعالى أو شكراً لإنجاز ما وعده به في تلك الكتب من بعثتك وتخصيص الأذقان بالذكر الدلالة على كمال التذلل إذ حينئذ يتحقق الخور عليها وإظهار اللام للدلالة على اختصاص الخور بهما كما في قوله [نحر صريعاً للبين واللفم] وهو تعليل لما يفهم من قوله تعالى آمنوا به أو لا تؤمنوا من عدم المبالاة بذلك أي إن لم تؤمنوا به فقد آمن به أحسن إيمان من هو خير منكم ويجوز أن يكون تعليلاً لقيل على سبيل التسلية لرسول الله ﷺ كأنه قيل تسلم بإيمان العلماء عن إيمان الجملة ولا تكثرت بإيمانهم وإعراضهم .

١٧ الاسراء

وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾

١٧ الاسراء

وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَسْكُونُ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾

قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافَتْ

١٧ الاسراء

بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾

١٠٨ (ويقولون) في سجودهم (سبحان ربنا) عما يفعل الكفرة من التكذيب أو عن خلف وعده (إن كان

١٠٩ واعد ربنا لمفعولا) إن مخنفة من المثقلة واللام فارقة أى إن الشأن هذا (ويخرون للأذقان يكون) كرر

الحرور للأذقان لاختلاف السبب فإن الأول لتعظيم أمر الله تعالى أو الشكر لإنجاز الوعد والثاني لما

* أثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله (ويزيدهم) أى القرآن بسماهم (خشوعا)

١١٠ كما يزيدهم علما ويقيناً بالله تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) نزل حين سمع المشركون رسول الله

ﷺ يقول يا الله يا الرحمن فقالوا إنه ينهانا عن عبادة إلهين وهو يدعو إلهاً آخر وقالت اليهود إنك لتقل

ذكر الرحمن وقد أكثره الله تعالى في التوراة والمراد على الأول هو التسوية بين اللفظين بأنهما عبارتان

عن ذات واحدة وإن اختلف الاعتبار والتوحيد إنما هو للذات الذى هو المعبود وعلى الثانى أنها سميان

* فى حسن الإطلاق والإفضاء إلى المقصود وهو أوفق لقوله تعالى (أيأما تدعوا فله الأسماء الحسنى) والدعاء

بمعنى التسمية وهو يتعدى إلى مفعولين حذف أولهما استغناء عنه أو للتخيير والتنوين فى أيأ عوض عن

المضاف إليه وما مزبدة لنا كيد ما فى أى من الإبهام والضمير فى له للتسمى لأن التسمية له لا للاسم وكان

أصل الكلام أيأما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الأسماء الحسنى للبالغة والدلالة على ما هو الدليل

عليه إذ حسن جميع أسمائه يستدعى حسن ذينك الاسمين وكونها حسنى لدالاتها على صفات الكمال من

* الجلالة والجمال والإكرام (ولا تجهر بصلاتك) أى بقراءة صلاتك بحيث تسمع المشركين فإن ذلك

* يحلمهم على السب واللغو فيها (ولا تخافت بها) أى بقراءتها بحيث لا تسمع من خلفك من المؤمنين

* (وابتغ بين ذلك) أى بين الجهر والخافتة على الوجه المذكور (سبيلا) أمراً وسطاً قصداً فإن خير الأمور

أوسطها والتعبير عن ذلك بالسبيل باعتبار أنه أمر يتوجه إليه المتوجهون ويؤممه المقتدون ويوصلهم

إلى المطلوب وروى أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه كان يخفت ويقول أنا جى ربى وقد علم حاجتى وعمر

رضى الله عنه كان يجهر بها ويقول أطرده الشيطان وأوقظ الوسنان فلما نزلت أمر رسول الله ﷺ

أبا بكر أن يرفع قليلا وعمر أن يخنض قليلا وقيل المعنى لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها بأسرها

وابتغ بين ذلك سبيلا بالخافتة نهاراً والجهر ليلاً وقيل بصلاتك بدعائك وذهب قوم إلى أنها منسوخة

بقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية .

وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

١٧ الاسراء

(وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً) كما يزعم اليهود والنصارى وبنو ملبح حيث قالوا عزير ابن الله والمسيح ١١١ ابن الله والملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً (ولم يكن له شريك في الملك) أى الألوهية كما يقوله الثنوية القائلون بتعدد الآلهة (ولم يكن له ولي من الدنل) ناصر ومانع منه لاعتزازه به أو لم يوال أحداً من أجل مذلة ليدفعها به وفي التعرض في أثناء الحمد لهذه الصفات الجليلة إيدان بأن المستحق للحمد من هذه نعمته دون غيره إذ بذلك يتم الكمال والقدرة التامة على الإيجاد وما يتفرع عليه من إضافة أنواع النعم وما عداها ناقص ملوك نعمته أو منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله تعالى (وكبره تكبيراً) وفيه تنبيه على أن العبد وإن بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في الطاعة والتحميد ينبغي أن يعترف بالقصور في ذلك روى أنه ﷺ كان إذا أفصح الغلام من بنى عبد المطلب عليه هذه الآية الكريمة . وعنه ﷺ من قرأ سورة بنى إسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدین كان له قنطار في الجنة والقنطار ألف أوقية ومائتا أوقية والحمد لله سبحانه وله الكبرياء والعظمة والجبروت .

١٨ - سورة الكهف

(مكية وآياتها مائة وعشر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٨ الكهف

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۝

قِيمًا لِنُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا لِمَنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا

١٨ الكهف

حَسَنًا ۝

(سورة الكهف مكية إلا الآيات ٢٨ ومن آية ٨٣ إلى آية ١٠١ فمدنية وآياتها ١١٠)

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (الحمد لله الذي أنزل على عبده) محمد ﷺ (الكتاب) أى الكتاب الكامل الغنى عن الوصف بالكمال المعروف بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به وهو عبارة عن جميع القرآن أو عن جميع المنزل حينئذ كما مر مراراً وفى وصفه تعالى بالموصول إشعار بعلمية ما فى حيز الصلة لاستحقاق الحمد وإيدان بعظم شأن التنزيل الجليل كيف لا وعليه يدور فلك سعادة الدارين وفى التعبير عن الرسول ﷺ بالعبد مضافاً إلى ضمير الجلالة تنبيه على بلوغه ﷺ إلى أعلى معارج العبادة وتشريف له أى تشريف وإشعار بأن شأن الرسول أن يكون عبداً المرسل لا كما زعمت النصارى فى حق عيسى عليه السلام وتأخير المفعول المهرج عن الجار والمجرور مع أن حقه التقديم عليه ليتصل به قوله تعالى (ولم يجعل له عوجاً) أى شيئاً من العوج بنوع اختلال فى النظم وتنافى فى المعنى أو انحراف عن الدعوة إلى الحق وهو فى المعانى كالعوج فى الأعيان وأما قوله تعالى لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً مع كون الجبال من الأعيان فللدلالة على انتفاء مالا يدرك من العوج بحاسة البصر بل إنما يوقف عليه بالبصيرة بواسطة استعمال المقاييس الهندسية ولما كان ذلك مما لا يشعر به بالمشاعر الظاهرة عد من قبيل ما فى المعانى وقيل

٢ الفتح فى اعوجاج المنتصب كالعود والحائط والكسرى اعوجاج غيره عيناً كان أو معنى (قيماً) بالمصالح الدينية والدنيوية للعباد على ما ينبئ عنه ما بعده من الإنذار والبشير فيكون وصفاً له بالتكميل بعد وصفه بالكمال أو على ما قبله من الكتب السماوية شاهد بأصحتها ومهمناً عليها أو متناهيها فى الاستقامة فيكون تأكيداً كيداً للمادل عليه نفي العوج مع إفادة كون ذلك من صفاته الذاتية اللازمة له حسبما تنبئ عنه الصيغة لأنه نفي عنه العوج مع كونه من شأنه وانتصابه على تقدير كون الجملة المتقدمة معطوفة على الصلة بمضمونين عنه نفي العوج تقديره جعله قيماً وأما على تقدير كونها حالية فهو على الحالية من الكتاب إذ لا فصل حينئذ بين أبعاد المعطوف عليه بالمعطوف وقرئ (لينذر) متعلق بأنزل والفاعل ضمير الجلالة كفى الفعلين المعطوفين عليه والإطلاق عن ذكر المفعول الأول للإيدان بأن ما سبق له الكلام هو

مُكِنِّينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٢٠﴾

١٨ الكهف

وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٢١﴾

١٨ الكهف

مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٢٢﴾ ١٨ الكهف

- * المفعول الثاني وأن الأول ظاهر لا حاجة إلى ذكره أى أنزل الكتاب لينذر بما فيه الذين كفروا به (بأساً)
- * أى عذاباً (شديداً من لدنه) أى صادراً من عنده نازلاً من قبله بمقابلة كفرهم وتكذيبهم وقرىء من لدنه
- * بسكون الدال مع إشماع الضمة وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للإتباع (ويبشر) بالتشديد وقرىء
- * بالتخفيف (المؤمنين) أى المصدقين به (الذين يعملون الصالحات) الأعمال الصالحة التى بينت فى تضاعيفه
- * وإيثار صيغة الاستقبال فى الصلة للإشعار بتجدد الأعمال الصالحة واستمرارها وإجراء الموصول على
- * موصوفه المذكور لما أن مدار قبول الأعمال هو الإيمان (أن لهم) أى بأن لهم بمقابلة إيمانهم وأعمالهم
- * المذكورة (أجراً حسناً) هو الجنة وما فيها من الثوابات الحسنى (ما كثرين) حال من الضمير المجرور ٣
- * فى لهم (فيه) أى فى ذلك الأجر (أبدان) من غير انتهاء أى خالدين فيه وهو نصب على الظرفية لما كثرين وتقديم
- * الإنذار على التبشير لإظهار كمال العناية بزجر الكفار عما هم عليه مع مراعاة تقديم التحلية على التحلية
- * وتكرير الإنذار بقوله تعالى (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً) متعلقاً بفرقة خاصة من عمه الإنذار السابق ٤
- * من مستحق البأس الشديد الإيذان بكال فظاعة حالهم لغاية شناعة كفرهم وضلالهم أى وينذر من بين سائر
- * الكفرة هؤلاء المتفوهين بمثل هاتيك العظيمة خاصة وهم كفار العرب الذين يقولون الملائكة بنات الله
- * تعالى واليهود القائلون عزير ابن الله والنصارى القائلون المسيح ابن الله وترك لإجراء الموصول على
- * الموصوف كما فعل فى قوله تعالى ويبشر المؤمنين بالإيذان بكفاية ما فى حين الصلة فى الكفر على أقبح الوجوه
- * وإيثار صيغة الماضى فى الصلة للدلالة على تحقق صدور تلك الكلمة القبيحة عنهم فيما سبق وجعل المفعول
- * المحذوف فيما سلف عبارة عن هذه الطائفة يؤدى إلى خروج سائر أصناف الكفرة عن الإنذار والوعيد
- * وتعميم الإنذار هناك المؤمنين أيضاً بحمله على معنى مجرد الإخبار بالخبر الضار من غير اعتبار حلول المنذر
- * به على المنذر كما فى قوله تعالى أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا بفضى إلى خلو النظم الكريم عن الدلالة
- * على حلول البأس الشديد على من عدا هذه الفرقة ويجوز أن يكون الفاعل فى الأفعال الثلاثة ضمير الكتاب
- * أو ضمير الرسول ﷺ (ما لهم به) أى باتخاذ سبحانه وتعالى ولداً (من علم) مرفوع على الابتداء أو ٥
- * الفاعلية لاعتماد الظرف ومن مزدة لنا كيد النقي والجملة حالية أو مستأنفة لبيان حالهم فى مقامهم أى ما لهم
- * بذلك شئ من علم أصلاً لا لإخلاصهم بطريقه مع تحقق المعلوم أو إمكانه بل لاستحالته فى نفسه (ولا
- * لآبائهم) الذين قلدوهم فناعوا جميعاً فى تبه الجملالة والضلالة أو ما لهم علم بما قالوه أو صواب أم خطأ بل
- * إنما قالوه رمياً عن عمى وجهالة من غير فكر وروية كفاى قوله تعالى وخرقوا له بنين وبنات بغير علم أو بحقيقة
- * ما قالوه وبعضهم رتبته فى الشناعة كفاى قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إداً تكاد السموات

١٨ الكهف

فَلَعَلَّكَ بَلِخْغٌ نَّفْسِكَ عَلَىٰ عَائِثِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿١٨﴾

١٨ الكهف

إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿١٩﴾

- يتفطن منه الآيات وهو الأنسب بقوله تعالى (كبرت كلمة) أى عظمت مقاتلتهم هذه في الكفر والافتراء لما فيها من نسبته سبحانه إلى ما لا يكاد يليق بجناب كبريائه والفاعل في كبرت إما ضمير المقاتلة المدلول عليها بقالوا وكلمة نصب على التمييز أو ضمير مبهم مفسر بما بعده من النكرة المنصوبة تمييزاً كبئس رجلاً والمخصوص بالذم محذوف تقديره كبرت هى كلمة خارجة من أفواههم وقرىء كبرت بإسكان الباء مع إشتام الضم وقرىء كلمة بالرفع (تخرج من أفواههم) صفة للكلمة مفيدة لاستعظام اجترائهم على النغوه بها وإسناد الخروج إليها مع أن الخارج هو الهواء المتكيف بكيفية الصوت للملازمة بها (إن يقولون) ما يقولون في ذلك الشأن (إلا كذباً) أى لا قولاً كذباً لا يكاد يدخل تحت إمكان الصدق أصلاً والضمير ان لهم ولا بانهم مثل حاله عليه السلام في شدة الوجد على إعراض القوم وتوليهم عن الإيمان بالقرآن وكال التحسر عليهم بحال من يتوقع منه إهلاك نفسه إثر فوت ما يحبه عند مفارقة أحبته تأسفاً على مفارقتهم ٦ وتلفها على مهاجرتهم ففيل على طريقة التمثيل حملاً له عليه السلام على الحذر والإشفاق من ذلك (فلعلك باخع) أى مهلك (نفسك على آثارهم) غماً ووجداً على فراقهم وقرىء بالإضافة (إن لم يؤمنوا بهذا الحديث) أى القرآن الذى عبر عنه في صدر السورة بالكتاب وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه وقرىء بأن المفتوحة أى لأن لم يؤمنوا فإعمال باخع بحمله على حكاية حال ماضية لاستحضار الصورة كما
- في قوله عز وجل باسط ذراعيه (أسفاً) مفعول له لباخع أى لفرط الحزن والغضب أو حال مما فيه من الضمير أى متأسفاً عليهم ويجوز حمل النظم الكريم على الاستعارة التبعية بجعل التشبيه بين أجزاء الطرفين ٧ لا بين الهيئتين المنتزعتين منهما كما في التمثيل وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم (إنا جعلنا ما على الأرض) استئناف وتعليل لما في لعل من معنى الإشفاق أى إنا جعلنا ما عليها من عدا من وجه إليه التكليف من الزخارف حيواناً كان أو نباتاً أو معدناً كقوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً (زينة) مفعول ثانٍ للجعل إن حمل على معنى التنصير أو حال إن حمل على معنى الإبداع واللام فى (لها) إما متعلقة بزينة أو بمحذوف هو صفة لها أى كائنة لها أى يتمتع بها الناظر من المكلفين وينتفعوا بها فإشراقاً واستدلالاً فإن الحيات والعقارب من حيث تذكريهما لعذاب الآخرة من قبيل المنافع بل كل حادث داخل تحت الزينة من حيث دلالاته على وجود الصانع ووحدته فإن الأزواج والأولاد أيضاً من زينة الحياة الدنيا بل أعظمها ولا يمنع ذلك كونهم من جملة المكلفين فإنهم من جهة انتسابهم إلى أصحابهم داخلون تحت الزينة ومن جهة كونهم مكلفين داخلون تحت الابتلاء (لنبوهم) متعلق بجعلنا أى جعلنا ما جعلنا لنعامهم معاملة من يختبرهم (أيهم أحسن عملاً) فنجازيهم بالثواب والعقاب حسبما تبين المحسن من المسىء وامتازت طبقات أفراد كل من الفريقين حسب امتياز مراتب علومهم المرتبة

وَأَنَا لَجَلْعُلُونٌ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾

١٨ الكهف

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾

١٨ الكهف

على أنظارهم وتفاوت درجات أعمالهم المنفردة على ذلك كما قررناه في مطلع سورة هود وأي إمام استفهامية مرفوعة بالابتداء وأحسن خبرها والجملة في محل نصب معلقة لفعل البلوى لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالسؤال والنظر ولذلك أجرى مجراه بطريق التثنية أو الاستعارة التبعية وإمامه صولة بمعنى الذي وأحسن خبر مبتدأ مضمرة والجملة صلة لما وهى في حيز نصب بدل من مفعول لنبلوهم والتقدير لنبلوا الذي هو أحسن عملاً لحيث أنه يحتمل أن تكون الضمة في أيهم للبناء كما في قوله عز وجل ثم لنزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً على أحد الأقوال التحقق شرط البناء الذي هو الإضافة لفظاً وحذف صدر الصلة وأن تكون للإعراب لأن ما ذكر شرط لجواز البناء لا لوجوبه وحسن العمل الزهديها وعدم الاغترار بها والقناعة باليسير منها وصرفها على ما ينبغي والتأمل في شأنها وجعلها ذريعة إلى معرفة خالقها والتمتع بها حسبما أذن له الشرع وأداء حقوقها والشكر لها لا اتخاذها وسيلة إلى الشهوات والأغراض الفاسدة كما يفعله الكفرة وأصحاب الأهواء وإيراد صيغة التفضيل مع أن الابتلاء شامل للفريقين باعتبار أعمالهم المنقسمة إلى الحسن والقبيح أيضاً لا إلى الحسن والأحسن فقط للإشعار بأن الغاية الأصلية للجعل المذكور إنما هو ظهور كمال إحسان المحسنين على ما حقق في تفسير قوله تعالى ليعلموكم أيكم أحسن عملاً (وإنا لجاعلون) فيما سيأتي ٨ عند تنأى عمر الدنيا (ما عليها) من المخلوقات قاطبة يافئتها بالكلية وإنما أظهر في مقام الإضمار لزيادة التقرير أو لإدراج المكلفين فيه (صعيداً) مفعول ثان للجعل والصعيد التراب أو وجه الأرض قال أبو عبيدة هو المستوى من الأرض وقال الزجاج هو الطريق الذي لا نبات فيه (جرزاً) تراباً لا نبات فيه بعد ما كان يتعجب من بهجته النظر وتشرف بمشاهدته إلا بصاريقال أرض جرز لا نبات فيها وسنة جرز لا مطر فيها قال الفراء جرزت الأرض فهي مجروزة أى ذهب نباتها بقحط أو جراد ويقال جرزها الجراد والشاة والإبل إذا أكلت ما عليها وهذه الجملة لتكميل ما في السابقة من التعليل والمعنى لا تحزن بما أيفت من القوم من تكذيب ما أنزلنا عليك من الكتاب فإننا قد جعلنا ما على الأرض من فنون الأشياء نينة لها لتختبر أعمالهم فتجازيهم بحسبها وإنا لمفنون جميع ذلك عن قريب ومجازون لهم بحسب أعمالهم أم حسبتم) الخطاب لرسول الله ﷺ والمراد إنكار حسبان أمته وأم منقطعة مقدرة ببيل التي هي للانتقال من حديث إلى حديث لا لإبطال وبهمزة الاستفهام عند الجمهور وبيل وحدها عند غيرهم أى بل أحسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا) في بقائهم على الحياة مدة طويلة من الدهر (من آياتنا) من بين آياتنا من جعلها ما ذكرناه من جعل ما على الأرض زينة لها للحكمة المشار إليها ثم جعل ذلك كله صعيداً جرزاً فن لم تغن بالأمس (عجبا) أى آية ذات عجب وضماً له موضع المضاف أو وصفاً لذلك بالمصدر مبالغة وخبر لكانوا ومن آياتنا حال منه والمعنى أن قصتهم وإن كانت خارقة للعادات ليست بعجيبة بالنسبة

إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٨﴾ الكهف

١٨ الكهف

فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١٩﴾

إلى سائر الآيات التي من جملتها ما ذكر من تعجيب خلق الله تعالى بل هي عندها كالنزر الحقيق والكهف الغار الواسع في الجبل والرقم كلهم قال أمية بن أبي الصلت [وليس بها إلا الرقيم مجاوراً * وصيدهم والقوم في الكهف همد] وقيل هو لوح رصاصي أو حجري رقت فيه أسماؤهم وجعل على باب الكهف وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف فهو من رقة الوادي أي جانبه وقيل الجبل وقيل قريبهم وقيل مكانهم بين غضبان وأيلة دون فلسطين وقيل أصحاب الرقيم آخرون وكانوا ثلاثة انطبق عليهم الغار فنجوا بذكر كل منهم أحسن عمله على ما فصل في الصحيحين (إذ أوى) ظرف لمجيباً لا لحسبت أو مفعول لا ذكر أي حين التجأ (الفتية) أي أصحاب الكهف أو أثر الإظهار على الإضمار لتحقيق ما كانوا عليه في أنفسهم من حال الفتوة فإنهم كانوا فتية من أشرف الروم أرادهم دقيانوس على الشرك فهربوا منه بدينهم ولأن صاحبة الكهف من فروع التجائهم إلى الكهف فلا يناسب اعتبارها معهم قبل بيانه (إلى الكهف) بجملهم للجلوس واتخذوه مأوى (فقالوا ربنا آتنا من لدنك) من خزائن رحمتك الخاصة المكنونة عن عبود أهل العادات فمن ابتدائية متعلقة بآتنا أو بمحذوف وقع حالا من مفعوله الثاني قدمت عليه لكونه نكرة ولو تأخرت لكانت صفة له أي آتنا كائنة من لدنك (رحمة) خاصة تستوجب المغفرة والرزق والأمن من الأعداء (وهي لنا من أمرنا) الذي نحن عليه من مهاجرة الكفار والمثابرة على طاعتك وأصل التهيئة إحداث هيئة الشيء أي أصلح ورتب وأتم لنا من أمرنا (رشداً) لإصابة للطريق الموصل إلى المطلوب واهتداء إليه وكلا الجارين متعلق بهيئته لاختلافهما في المعنى وتقديم المجرورين على المفعول الصريح لإظهار الاعتناء بهما وإبراز الرغبة في المؤخر بتقديم أحواله فإن تأخير ما حقه التقديم عما هو من أحواله المرغبة فيه كما يورث شوق السامع إلى وروده ينبيء عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بمحصله لا محالة وكذا الكلام في تقديم قوله تعالى من لدنك على تقدير تعلقه بآتنا وتقديم لنا على من أمرنا للإبذان من أول الأمر بكون المستول مرغوباً فيه لديهم أو اجعل أمرنا رشداً كله على أن من تجريدية مثلما في قولك رأيت منك أسداً (فضربنا على آذانهم) أي أنماهم على طريقة التمثيل المبني على تشبيهه بالإقامة الثقيلة المانعة عن وصول الأصوات إلى الآذان بضرب الحجاب عليها وتخصيص الآذان بالذكر مع اشتراك سائر المشاعر لها في الحجب عن الشعور عند النوم لما أنها المحتاج إلى الحجب عادة إذ هي الطريقة للتيقظ غالباً لاسيما عند انفراد النائم واعتزاله عن الخلق وقيل الضرب على الآذان كناية عن الإقامة الثقيلة وحمله على تعطيلها كما في قولهم ضرب الأمير على يد الرعية أي منعهم من التصرف مع عدم ملامته لما سيأتي من البعث لا يدل على النوم مع أنه المراد قطعاً والغاء في فضربنا كما في قوله عز وجل فاستجبنا له بعد قوله تعالى إذ نادى فإن الضرب المذكور وما ترتب عليه من التقليب ذات اليمين وذات الشمال والبعث وغير ذلك

إيتارحة لدنية خافية عن أبصار المتمسكين بالأسباب العادية استجابة لدعوتهم (في الكهف) ظرف *
 مكان لضر بنا (سنين) ظرف زمان له باعتبار بقائه لا ابتدائه (عدداً) أى ذوات عدد أو تعد عدداً على *
 أنه مصدر أو معدودة على أنه بمعنى المفعول ووصف السنين بذلك إما للكثير وهو الأنسب بإظهار كمال
 القدرة أو للتقليل وهو الأليق بمقام إنكار كون القصة عجباً من بين سائر الآيات العجيبة فإن مدة لبثهم
 كبعض يوم عنده عز وجل (ثم بعثناهم) أى أيقظناهم من تلك النوم الثقيلة الشبيهة بالموت (لنعلم) بنون ١٢
 العظمة وقرىء بالياء مبنياً للفاعل بطريق الالتفات وأياً ما كان فهو غاية للبعث لكن لا يجعل العلم مجازاً
 من الإظهار والتمييز أو بحمله على ما يصح وقوعه غاية للبعث الحادث من العلم الحالى الذى يتعلق به الجزء
 كما فى قوله تعالى إلا لنعلم من يتبع الرسول من ينقلب على عقبيه وقوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا
 ونظائرهما التى يتحقق فيها العلم بتحقيق متعلقه قطعاً فإن تحويل القبة قدر ترتب عليه تحزب الناس إلى متبع
 ومنقلب وكذا مداولة الأيام بين الناس ترتب عليه تحزبهم إلى الثابت على الإيمان والمتزلزل فيه وتعلق
 بكل من الفريقين العلم الحالى والإظهار والتمييز وأما بعث هؤلاء فلم يترتب عليه تفرقهم إلى المحصى وغيره
 حتى يتعلق بهما العلم أو الإظهار والتمييز ويتسنى نظم شيء من ذلك فى سلك الغاية وإنما الذى ترتب عليه
 تفرقهم إلى مقدر تقدير غير مصيب ومفوض إلى العلم الربانى وليس شيء منها من الإحصاء فى شيء بل
 يحمل النظم الكريم على التمثيل المبني على جعل العلم عبارة عن الاختبار مجازاً بطريق إطلاق اسم المسبب
 على السبب وليس من ضرورة الاختبار صدور الفعل المختبر به عن المختبر قطعاً بل قد يكون لإظهار
 عجزه عنه على سنن التكليف التعجيزية كقوله تعالى فأتى بها من المغرب وهو المراد ههنا فالعنى بعثناهم
 لنعلمهم معاملة من يختبرهم (أى الحزبين) أى الفريقين المختلفين فى مدة لبثهم بالتقدير والتفويض كما *
 سياتى (أحصى) أى أضبط (لما لبثوا) أى للبثهم (أمداً) أى غاية فيظهر لهم عجزهم ويفوضوا ذلك إلى *
 العلم الخبير ويعترفوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم من حفظ أبدانهم وأديانهم فيزدادوا يقيناً بكمال
 قدرته وعلمه ويستبصروا به أمر البعث ويكون ذلك لطفاً لماؤمنى زمانهم وآية بينة لكفارهم وقد اقتصر
 ههنا من تلك الغايات الجليلة على ذكر مبدئها الصادر عنه عز وجل وفيما سياتى على ما صدر عنهم من
 التساؤل المؤدى إليها وهذا أولى من تصوير التمثيل بأن يقال بعثناهم بعث من يريد أن يعلم الخ حسبها وقع
 فى تفسير قوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا على أحد الوجوه حيث حمل على معنى فعلنا ذلك فعل من يريد أن
 يعلم من الثابت على الإيمان من غير الثابت لاذر بما يتوهم منه استلزام الإرادة لتحقيق المراد فيعود المحذور
 فيصير إلى جعل إرادة العلم عبارة عن الاختبار فاختر واختر . هذا وقد قرىء ليعلم مبنياً للمفعول ومبنياً
 للفاعل من الإعلام على أن المفعول الأول محذوف والجملة المصدرة بأى فى موقع المفعول الثانى فقط
 لأن جعل العلم عرفانياً أو فى موقع المفعولين إن جعل يقينياً أى ليعلم الله الناس أى الحزبين أحصى الخ وروى
 طاه من ابن عباس رضى الله عنهما أن أحد الحزبين الفتية والآخر الملوك الذين تداولوا المدينة ملكاً

بعد ملك وقيل كلاهما من غيرهم والاول هو الاظهر فإن اللام للعدم ولا عهد لغيرهم والامد بمعنى المدى كالغاية في قولهم ابتداء الغاية وانتهاء الغاية وهو مفعول لأحصى والجار والمجرور حال منه قدمت عليه لكونه نكرة وليس معنى إحصاء تلك المدة ضبطها من حيث كميتها المتصلة الذاتية فإنه لا يسمى إحصاء بل ضبطها من حيث كميتها المنفصلة العارضة لها باعتبار قسمتها إلى السنين وبلوغها من تلك الحبيثة إلى مراتب الأعداد على ما يرشدك إليه كون تلك المدة عبارة عما سبق من السنين ويجوز أن يراد بالامد معناه الوضعي بتقدير المضاف أى لزمان لبثهم وبدونه أيضاً فإن اللبث عبارة عن الكون المستمر المنطبق على الزمان المذكور فباعتبار الامتداد العارض له بسببه يكون له امد لا محالة لكن ليس المراد به ما يقع غاية ومنتهى لذلك الكون المستمر باعتبار كميته المتصلة العارضة له بسبب انطباقه على الزمان الممتد بالذات وهو أن انبعاثهم من نومهم فإن معرفته من تلك الحبيثة لا تخفى على أحد ولا تسمى إحصاء كما مر بل باعتبار كميته المنفصلة معارضة له بسبب عروضا الزمان المنطبق هو عليه باعتبار انقسامه إلى السنين ووصوله إلى مرتبة معينة من مراتب العدد كما حقق في الصورة الأولى والفرق بين الاعتبارين أن ما تعلق به الإحصاء في الصورة السابقة نفس المدة المنقسمة إلى السنين فهو مجموع ثلثمائة وتسع سنين وفي الصورة الأخيرة منتهى تلك المدة المنقسمة إليها أعنى السنة التاسعة بعد الثلثمائة وتعلق الإحصاء بالامد بالمعنى الأول ظاهر وأما تعلقه بالمعنى الثانى فباعتبار انتظامه لما تحته من مراتب العدد واشتماله عليها هذا على تقدير كون ما فى قوله تعالى لما لبثوا مصدرية ويجوز أن تكون موصولة حذف عائدها من الصلة أى الذى لبثوا فيه من الزمان الذى هرب عنه فيما قبل بسنين عدداً فالامد بمعناه الوضعي على ما تحققته وقيل اللام مزيدة والموصول مفعوله وأمدأ نصب على التمييز وأما ما قبل من أن أحصى اسم تفضيل لأنه الموافق لما وقع فى سائر الآيات الكريمة نحو أيهم أحسن عملاً أيهم أقرب لكم نفعاً إلى غير ذلك مما لا يحصى ولأن كونه فعلاً ماضياً يشعر بأن غاية البعث هو العلم بالإحصاء المتقدم على البعث لا بالإحصاء المتأخر عنه وليس كذلك وإدعاء أن مجيء أفعل التفضيل من المزيادة عليه غير قياسى مدفوع بأنه عند سيبويه قياس مطلقاً وعند ابن عصفور فيما ليست همزة للنقل ولا ريب فى أن مانحن فيه من ذلك القليل وامتناع عمله إنما هو فى غير التمييز من المعمولات وأما أن التمييز يجب كونه فاعلاً فى المعنى فلما منع أن يمنعه بصحة أن يقال أيهم أحفظ لهذا الشعر وزناً أو تقطيعاً أو يقال أن العامل فى أمدأ فعل محذوف يدل عليه المذكور أى يحصى لما لبثوا أمدأ كما فى قوله [وأضرب مناب السيف القوانسا] وحديث الوقوع فى المحذور بلا فائدة مدفوع بما أشير إليه من فائدة الموافقة للنظائر فع ما فيه من الاعتساف والخلل بمعزل من السداد لأن مؤداه أن يكون المقصود بالإخبار إظهار أفضل الحزبين وتمييزه عن الأعداء مع تحقق أصل الإحصاء فيها ومن البين أن لا تحقق له أصلاً وأن المقصود بالاختبار إظهار عجز الكل عنه رأساً فهو فعل ماض قطعاً وتوهم إبدائه بأن غاية البعث هو العلم بالإحصاء المتقدم عليه مردود بأن صيغة الماضى باعتبار حال الحكاية والله تعالى أعلم .

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ١٨ الكهف

(نحن نقص عليك) شروع في تفصيل ما أجمل فيما سلف من قوله تعالى إذ أوى الفتية الخ أى نحن نخبرك ١٣ بتفاصيل أخبارهم وقد مر بيان اشتقاقه في مطلع سورة يوسف عليه السلام (نبأهم) النبأ الخبر الذى له شأن وخطر (بالحق) إما صفة لمصدر محذوف أو حال من ضمير نقص أو من نبأهم أو صفة له على رأى من يرى حذف الموصول مع بعض صلته أى نقص قصصاً ملتبساً بالحق أو نقصه ملتبساً به أو نقص نبأهم ملتبساً به أو نبأهم الملتبس به ونبأهم حسبما ذكره محمد بن إسحق بن يسار أنه قد مرجع أهل الإنجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم فعبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت وكان عن بالغ في ذلك وعتاوتوا كبيراً دقيانوس فإنه غلا فيه غلواً شديداً لجاس خلال الديار والبلاد بالعيث والفساد وقتل من خالفه من المتمسكين بدين المسيح عليه السلام وكان يتبع الناس فيخبرهم بين القتل وعبادة الأوثان فن رغب في الحياة الدنيا الدينية يصنع ما يصنع ومن أثر عليها الحياة الأبدية قتله وقطع آرا به وعلقها في سور المدينة وأبوابها فلما رأى الفتية ذلك وكانوا عظماء أهل مدينتهم وقيل كانوا من خواص الملك قاموا فتضرعوا إلى الله عز وجل واشتغلوا بالصلاة والدعاء فبينما هم كذلك إذ دخل عليهم أعوان الجبار فأحضرهم بين يديه فقال لهم ما قال وخبرهم بين القتل وبين عبادة الأوثان فقالوا إن لنا إلهاً ملاً السموات والأرض عظمته وجبروته إن ندعو من دونه أحداً وإن نقر لما تدعوننا إليه أبداً فاقض ما أنت قاض فأمر بنزع ما عليهم من الثياب الفاخرة وأخرجهم من عنده وخرج هو إلى مدينة نينوى لبعض شأنه وأمرهم إلى رجوعه ليتأملوا في أمرهم فإن تبعوه وإلا فعل بهم ما فعل بسائر المسلمين فآزمت الفتية على الفرار بالدين والالتجاء إلى الكهف الحصين فأخذ كل منهم من بيت أبيه شيئاً فتصدقوا ببعضه وتزودوا بالباقي فأووا إلى الكهف فجعلوا يصلون فيه آناه الليل وأطراف النهار ويبتهلون إلى الله سبحانه بالأنين والجوار وفوضوا أمر نفقتهم إلى يملیخا فكان إذا أصبح يضع عنه ثيابه الحسان ويلبس لباس المساكين ويدخل المدينة ويشتري ما يهيمهم ويتحسس ما فيها من الأخبار ويعود إلى أصحابه فلبثوا على ذلك إلى أن قدم الجبار المدينة فطلبهم وأحضر آباءهم فاعتذروا بأنهم عصوه ونهبوا أموالهم وبذروها في الأسواق وفروا إلى الجبل فلما رأى يملیخا ما رأى من الشر رجع إلى أصحابه وهو يبكي ومعه قليل من الزاد فأخبرهم بما شهد من الهول ففرعوا إلى الله عز وجل وخروا له سجداً ثم رفعوا رؤوسهم وجلسوا يتحدثون في أمرهم فبينما هم كذلك إذ ضرب الله تعالى على آذانهم فناموا ونفقتهم عند رؤوسهم فخرج دقيانوس في طلبهم بخيله ورجله فوجدوهم قد دخلوا الكهف فأمر بإخراجهم فلم يطق أحد أن يدخله فلما ضاق بهم ذرماً قال قائل منهم أليس لو كنت قدرت عليهم قتلهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف ودعهم يموتوا جوعاً وعطشاً وليكن كهفهم قبراً لهم ففعل ثم كان من شأنهم ما قص الله عز وجل عنهم (إنهم فتية) استئناف تحقيق مبنى على تقدير السؤال من قبل المخاطب والفتية جمع قلة للفتى كالصبيبة للصبي (آمنوا برهم) أوثر

وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِنَّهَا لَقَدْ

١٨ الكهف

قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾

هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيْنَ يَدَيْهِمْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى

١٨ الكهف

اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

الانفادات للإشعار بعلمية وصف الربوبية لإيمانهم ولمراعاة ما صدر عنهم من المقالة حسبما سيحكي عنهم
 * (وزدناهم هدى) بأن ثبتناهم على ما كانوا عليه من الدين وأظهرنا لهم مكنونات محاسنه وفيه التفات من
 ١٤ الغيبة إلى ما عليه سبك النظم سباقا وسباقا من التكلم (وربطنا على قلوبهم) أى قوبناها حتى اقتحموا
 مضايق الصبر على هجر الأهل والأوطان والنعم والإخوان واجتروا على الصدع بالحق من غير خوف
 * وحذار والرد على دقيانوس الجبار (إذ قاموا) منصوب بربطنا والمراد بقيامهم انتصابهم لإظهار شعار
 الدين قال مجاهد خرجوا من المدينة فاجتمعوا على غير ميعاد فقال أكبرهم إني لأجد في نفسي شيئا إن ربي رب
 * السموات والأرض فقالوا نحن أيضاً كذلك فقاموا جميعاً (فقالوا ربنا رب السموات والأرض) ضمنوا
 دعواهم ما يحقق لحواها وبقيضى بمقتضاها فإن ربوبيته عز وجل لها تقتضى ربوبيته ما فيها أى اقتضاء وقيل
 المراد بقيامهم بين يدي الجبار من غير مبالاة به حين عانهم على ترك عبادة الأصنام لحيث يكون ما سياتى من قوله
 * تعالى هؤلاء الخ منقطعاً عما قبله صادر عنهم بعد خروجه من عنده (لن ندعو) لن نعبد أبداً (من دونه إلهاً)
 معبوداً آخر لا استقلالاً ولا اشتراكاً والعدول عن أن يقال رباً للتخصيص على رد المخالفين حيث كانوا
 يسمون أصنامهم آلهة والإشعار بأن مدار العبادة وصف الألوهية والإيذان بأن ربوبيته تعالى بطريق
 * الألوهية لا بطريق المالكية المجازية (لقد قلنا إذا شططاً) أى قولاً ذا شطط أى تجاوز عن الحد أو قولاً
 هو عين الشطط على أنه وصف بالمصدر مبالغة ثم اقتصر على الوصف مبالغة على مبالغة وحيث كانت
 العبادة مستلزمة للقول لما أنها لا تعرى عن الاعتراف بالألوهية المعبود والتضرع إليه قيل لقد قلنا وإذا
 جواب وجزاء أى لودعونا من دونه إلهاً والله لقد قلنا قولاً خارجاً عن حد العقول مفرطاً في الظلم
 ١٥ (هؤلاء) هو مبتدأ وفي اسم الإشارة تحقير لهم (قومنا) عطف بيان له (اتخذوا من دونه آلهة)
 * خبره وفيه معنى الإنكار (لولا يأتون) تحضيض فيه معنى الإنكار والتعجيز أى هلا يأتون (عليهم) على
 * ألوهيتهم أو على صحة اتخاذهم لها آلهة (بسلطان بين) بحجة ظاهرة الدلالة على مدعاهم وهو تبكيت لهم
 * وإلزام حجر (فن أظلم ممن افترى على الله كذباً) بنسبة الشريك إليه تعالى عن ذلك علواً كبيراً والمعنى
 أنه أظلم من كل ظالم وإن كان سبك النظم على إنكار الظلمية من غير تعرض لإنكار المساواة كما مر تحقيقه
 في سورة هود.

وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴿١٦﴾

١٨ الكهف

وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوُّرَ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿١٧﴾

١٨ الكهف

- (وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ) أى قارقتمهم فى الاعتقاد أو أردتم الاعتزال الجسماني (وما يعبدون إلا الله) عطف على الضمير المنصوب وما موصولة أو مصدرية أى إذا اعتزلتموهم ومعبودهم إلا الله أو عبادتهم إلا عبادة الله وعلى التقديرين فالاستثناء متصل على تقدير كونهم مشركين كأهل مكة ومنقطع على تقدير تمحضهم فى عبادة الأوثان ويجوز كون مانافية على أنه إخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين إذ وجوابه (فأووا) أى التجهوا (إلى الكهف) قال الفراء هو جواب إذا كما تقول إذا فعلت فافعل كذا وقيل هو دليل على جوابه أى إذا اعتزلتموهم اعتزالا اعتقاديا فاعتزلوهم اعتزالا جسمانيا أو إذا أردتم اعتزالهم فافعلوا ذلك بالاتجاه إلى الكهف (ينشر لكم) ييسر لكم ويوسع عليكم (ربكم) مالك أمركم (من رحمته) فى الدارين (ويهيى لكم) يسهل لكم (من أمركم) الذى أنتم بصدد من الفرار بالدين (مرفقا) ما تر تفقون وتذفعون به وقرىء بفتح الميم وكسر الفاء مصدرا كالمرجع وتقديم لكم فى الموضعين لما مر مرارا من الإيذان من أول الأمر بكون المؤخر من منافعهم والتشويق إلى وروده (وترى الشمس) ١٧ بيان لحالهم بعد ما أووا إلى الكهف ولم يصرح به إيذانا بعدم الحاجة إليه لظهور جريانهم على موجب الأمر به لكونه صادرا عن رأى صائب وتعويلا على ما سلف من قوله سبحانه إذ أوى الفتية إلى الكهف وما لحق من إضافة الكهف إليهم وكونهم فى فجوة منه والخطاب للرسول ﷺ أو لكل أحد ممن يصلح للخطاب وليس المراد به الإخبار بوقوع الرؤية تحقيقا بل الإنباء بكون الكهف بحيث لو رأته ترى الشمس (إذا طلعت تزاور) أى تزاوروا وتزاوروا تحذف إحدى التامين وقرىء بإدغام التاء فى الزاى وتزاور كنتحمر وتزاور كنتحما وتزاوروكما من الزور وهو الميل (عن كهفهم) الذى أووا إليه فالإضافة لادنى ملابسة (ذات اليمين) أى جهة ذات يمين الكهف عند توجه الداخل إلى قعره أى جانبه الذى إلى المغرب فلا يقع عليهم شعاعها فيؤذيهم (وإذا غربت) أى تراها عند غروبها (تقرضهم) أى تقطعهم من القطيعة والصرم ولا تقرهم (ذات الشمال) أى جهة ذات شمال الكهف أى جانبه الذى إلى المشرق وكان ذلك بتصرف الله سبحانه على منهاج خرق العادة كرامة لهم وقوله تعالى (وهم فى فجوة منه) جملة حالية مبينة لكون ذلك أمرا بديعا أى تراها تميل عنهم يمينا وشمالا ولا تحوم حولهم مع أنهم فى متسع من الكهف معرض لإصابتها لولا أن صرفنا عنهم يد التقدير (ذلك) أى ما صنع الله بهم من تزاور الشمس وقرضها حالى الطلوع والغروب

١٨ الكهف

مع كونهم في موقع شعاعها (من آيات الله) العجيبة الدالة على كمال علمه وقدرته وحقيقته التوحيد وكرامة أهله عنده سبحانه وتعالى وهذا قبل أن سد دقيانوس باب الكهف وقيل كان باب الكهف شمالياً مستقبلاً بنات نعش وأقرب المشارق والمغارب إلى محاذاته رأس مشرق السرطان وغربه الشمس إذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الأيمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الأيسر فيقع شعاعها على جنبه وتحمل عفونته وتعديل هواه ولا يقع عليهم فيؤذي أجسادهم ويبلى ثيابهم ولعل ميل الباب إلى جانب الغرب كان أكثر ولذلك أوقع التزاور على كهفهم والقرض على أنفسهم فذلك حينئذ إشارة إلى إيوائهم إلى كهف هذا شأنه وأما جعله إشارة إلى حفظ الله سبحانه إياهم في ذلك الكهف تلك المدة الطويلة أو إلى إطلاعه سبحانه لرسوله ﷺ على أخبارهم فلا يساعده إرادته في تضاعيف القصة (من يهد الله) إلى الحق بالتوفيق له (فهو الممتد) الذي أصاب الفلاح والمراد إما الثناء عليهم والشهادة لهم بإصابة المطالب والإخبار بتحقيق ما ملوه من نشر الرحمة وتهيته المرافق أو التنبيه على أن أمثال هذه الآية كثيرة ولكن المستفحها من وفقه الله تعالى للاستبصار بها (ومن يضل) أي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره إليه (فلن تجده) أبداً وإن بالغت في التبع والاستقصاء (ولياً) ناصراً (مرشداً) يهديه إلى ما ذكر من الفلاح ١٨ لا استحالة وجوده في نفسه لا أنك لا تجده مع وجوده أو إمكانه (وتحسبهم) بفتح السين وقرئ بكسرهما أيضاً والخطاب فيه كما سبق (أيضاً) جمع يقط بكسر القاف وفتحها هو اليقظان ومدار الحسبان انفتاح عيونهم على هيئة الناظر وقيل كثرة تقلبهم ولا يلائمه قوله تعالى ونقلبهم (وهم رقود) أي نيام وهو تقرير لما لم يذكر فيها سلف اعتماداً على ذكره السابق من الضرب على آذانهم (ونقلبهم) في رقبتهم (ذات العين) نصب على الظرفية أي جهة تلي إيمانهم (وذات الشمال) أي جهة تلي شمالهم كيلاً تأكل الأرض ما يليها من أبدانهم. قال ابن عباس رضي الله عنهما لولم يقلبوا إلا كلنهم الأرض قيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبية واحدة يوم عاشوراء وقيل في كل تسع سنين وقرئ يقلبهم على الإسناد إلى ضمير الجلالة وتقلبهم على المصدر منصوباً بمضمر ينوي عنه وتحسبهم أي وترى تقلبهم (وكلبهم) قيل هو كلب مروا به فتبهم فطروده مرار فلم يرجع فأنطقه الله تعالى فقال لا تخشوا إجابتي فإني أحب أحياء الله تعالى فناموا حتى أحرسكم وقيل هو كلب راع قد تبعهم على دينهم ويؤيده قراءة كالهم إذا الظاهر لحوقه بهم وقيل هو كلب صيد أحدهم أوزره أو غنمه واختلاف في لونه فقيل كان أنمر وقيل أصفر وقيل أصهب وقيل غير ذلك وقيل كان اسمه قطمير وقيل ريان وقيل تنوء وقيل قطمور وقيل ثور قال خالد بن معدان ليس في الجنة من الدواب إلا كلاب أصحاب الكهف وحمار بلعم وقيل لم يكن ذلك من جنس الكلاب بل كان أسداً (باسط ذراعيه) حكاية حال ماضية ولذلك أعمل اسم الفاعل وعند الكسائي وهشام وأبي جعفر من البصريين يجوز

وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا
رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ
بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾

١٨ الكهف

- إعماله مطلقاً والذراع من المرفق إلى رأس الأصبع الوسطى (بالصيد) أى بوضع الباب من الكهف
- (لواطلعت عليهم) أى لو عابذتهم وشاهدتهم وأصل الاطلاع الإشراف على الشيء بالمعاينة والمشاهدة
- وقرىء بضم الواو (لوليت منهم فراراً) هرباً بما شاهدت منهم وهو إما نصب على المصدرية من معنى ما قبله
- إذ التولية والفرار من واحد واحد وإما على الحالية يجعل المصدر بمعنى الفاعل أى فراراً أو يجعل الفاعل مصدراً
- مبالغة كفى قولها فإنما هى إقبال وإدبار وإما على أنه مفعول له (ولمئت منهم رعباً) وقرىء بضم العين أى
- خوفاً لا الصدر ويرعبه وهو إما مفعول ثان أو تمييز ذلك لما ألبسهم الله عز وجل من الهيبة والهيبة كانت
- أعينهم مفتحة كالاستيقظ الذى يريد أن يتكلم وقيل لطول أظفارهم وشعورهم ولا يساعده قولهم لبثنا يوماً
- أو بعض يوم وقوله ولا يشعرن بكم أحداً فإن الظاهر من ذلك عدم اختلاف أحوالهم فى أنفسهم وقيل
- لعظم أجرامهم ولعل تأخير هذا عن ذكر التولية الإيدان باستقلال كل منهما فى الترتب على الإطلاع إذ
- لوروعى ترتيب الوجود لتبادر إلى الفهم ترتب المجموع من حيث هو هو عليه والإشعار بعدم زوال
- الرعب بالفرار كما هو المعتاد وعن معاوية لما غزا الروم فر بالكهف قال لو كشفت لنا عن هؤلاء فنظرنا
- إليهم فقال له ابن عباس رضى الله عنهما ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك حيث قال
- لواطلعت عليهم الآية قال معاوية لا أنتهى حتى أعلم عليهم فبعث ناساً وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا
- فلما دخلوا الكهف بعث الله تعالى ريحاً فأحرقتهم وقرىء بتشديد اللام على التكثير وبإبدال الهمزة ياء
- مع التخفيف والتشديد (وكذلك بعثناهم) أى كما أنعمنا وحفظنا أجسادهم من البلى والتحلل آية دالة على
- ١٩ كمال قدرتنا بعثناهم من النوم (ليتساءلوا بينهم) أى ليسأل بعضهم بعضاً فيعرب عليه ما فصل من الحكم
- البالغة وجعله غاية للبعث المعلن فيما سبق بالاختبار من حيث إنه من أحكامه المترتبة عليه والاقتصار على
- ذكره لاستتباعه لسائر آثاره (قال) استئناف لبيان تساؤلهم (قائل منهم) هو رئيسهم واسمه مكسلينا (كم
- لبثتم) فى منامكم لعله قاله لما رأى من مخالفة حالهم لما هو المعتاد فى الجملة (قالوا) أى بعضهم (لبثنا يوماً أو
- بعض يوم) قيل إنما قالوا لما أنهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم آخر النهار فقالوا لبثنا يوماً فلما
- رأوا أن الشمس لم تغرب بعد قالوا أو بعض يوم وكان ذلك بناء على الظن الغالب فلم يعزوا إلى الكذب (قالوا)
- أى بعض آخر منهم بما صنع لهم من الأدلة أو يألهم من الله سبحانه (ربكم أعلم بما لبثتم) أى أنتم لا تعلمون
- مدة لبثكم وإنما يعلمها الله سبحانه وهذا رد منهم على الأولين بأجل ما يكون من مراعاة حسن الأدب وبه
- يتحقق التحزب إلى الحزبين المعهودين فيما سبق وقد قبل القائلون جميعهم ولكن فى حالتين ولا يساعده
- النظم الكريم فإن الاستئناف فى الحكاية والخطاب فى المحكى يقضى بأن الكلام جار على منهاج المحاورة

إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ ١٨ الكهف
 وَكَذَلِكَ أَثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنْهُمْ
 أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمُ
 مَسْجِدًا ﴿٢١﴾ ١٨ الكهف

- * والمجوبة وإلا لقل ثم قالوا ربنا أعلم بما لبثنا (فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة) قالوه إعراضاً عن
 التعمق في البحث وإقبالاً على ما يهمهم بحسب الحال كما ينبغي عنه الفاء والورق الفضة مضروبة أو غير
 مضروبة ووصفها باسم الإشارة يشعر بأن القائل ناو لها بعض أصحابه ليشتري بها قوت يومهم ذلك وقرىء
 بسكون الراء وإدغام القاف في الكاف وبكسر الواو وبسكون الراء مع الإدغام وحلهم لها دليل على أن
 الزود لا ينافي التوكل على الله تعالى (فلينظر أيها) أي أهلها (أزكى) أحل وأطيب أو أكثر وأرخص
 * (طعاماً فليأتكم برزق منه) أي من ذلك الأزكى طعاماً (وليتلطف) وليتكلف اللطف في المعاملة كيلا يغبن أو
 * في الاستخفاء لئلا يعرف (ولا يشعرن بكم أحداً) من أهل المدينة فإنه يستدعي شيوع أخباركم أي لا يفعلن
 ٢٠ ما يؤدى إلى ذلك فأنهى على الأول تأسيس وعلى الثانى تأكيد للأمر بالتلطف (لأنهم) لتعليل لما سبق من
 الأمر والنهى أي لئلا يغ فى التلطف وعدم الإشعار لأنهم (إن يظهروا عليكم) أي يطلعوا عليكم أو يظفروا
 * بكم والضمير للأهل المقدر فى أيها (يرجموكم) إن ثبت على ما أنتم عليه (أو يعيدوكم فى ملتهم) أي يصيروكم
 إليها ويدخلوكم فيها كرها من العود بمعنى الصيرورة كقوله تعالى أولتعودن فى ملتنا وقيل كانوا أو لا على دينهم
 وإلحاق كلمة فى على كلمة إلى للدلالة على الاستقرار الذى هو أشد شئ عندهم كراهة وتقديم احتمال الرجم على
 احتمال الإعادة لأن الظاهر من حالهم هو الثبات على الدين المؤدى إليه وضمير الخطاب فى المواضع الأربعة
 للبالغة فى حمل المبعوث على الاستخفاء وحث الباقيين على الاهتمام بالتوصية فإن المحاض النصيح أدخل فى
 * القبول واهتمام الإنسان بشأن نفسه أكثر وأوفر (وإن تفلحوا إذا) أي إن دخلتم فيها ولو بالكراهة والإلجاء
 ٢١ لن تفوزوا بخير (أبدأ) لا فى الدنيا ولا فى الآخرة وفيه من التشديد فى التحذير ما لا يخفى (وكذلك) أي
 * وكما أنتم وما بعثناهم لما سر من ازديادهم فى مراتب اليقين (أعثرنا) أي أطلعنا الناس (عليهم ليعلموا)
 * أي الذين أعثرناهم عليهم بما عاينوا من أحوالهم العجيبة (أن وعد الله) أي وعده بالبعث أو موعوده
 الذى هو البعث أو أن كل وعده أو كل موعوده فيدخل فيه وعده بالبعث أو البعث الموعود دخولا
 * أولياً (حق) صادق لا خلف فيه أو ثابت لا مرد له لأن نومههم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث (وأن
 * الساعة) أي القيامة التى هى عبارة عن وقت بعث الخلائق جميعاً للحساب والجزاء (لا ريب فيها) لا شك
 فى قيامها فإن من شاهد أنه جل وعلا توفى نفوسهم وأمسكها ثلاثمائة سنة وأكثر حافظاً أبدانها من التحلل
 والتفتت ثم أرسلها إليها لا يبق له شائبة شك فى أن وعده تعالى حق وأنه يبعث من فى القبور فيرد إليهم

سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾

١٨ الكهف

- * أرواحهم في جاسدهم ويجزهم بحسب أعمالهم (إذ يتنازعون) ظرف لقوله أعثرنا قدم عليه الغاية لإظهار أكمال العناية بذكرها لا لقوله ليعلوها كما قيل لدلالته على أن التنازع يحدث بعد الإعتار وليس كذلك أى أعثرناهم عليهم حين يتنازعون (بينهم أمرهم) ليرتفع الخلاف ويتبين الحق قيل المتنازع فيه أمر دينهم حيث كانوا مختلفين في البعث فمن مقر له وجاحد به وقائل يقول ببعث الأرواح دون الأجساد وآخر يقول ببعثهما معاً قيل كان ملك المدينة حينئذ رجلاً صالحاً مؤمناً وقد اختلف أهل مملكته في البعث حسبما فصل فدخل الملك بيته وأغلق بابه ولبس مسحاً وجلس على رماد وسأل ربه أن يظهر الحق فألقى الله عز وجل في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به دقيانوس باب الكهف ليتخذة حظيرة لغنمه فعند ذلك بعثهم الله تعالى فجري بينهم من النقاول ماجرى روى أن المبعوث لما دخل المدينة أخرج الدرهم ليشتري به الطعام وكان على ضرب دقيانوس فأنهموه بأنه وجد كنزاً فذهبوا به إلى الملك فقص عليه القصة فقال بعضهم إن آباءنا أخبرونا بأن فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك وأهل المدينة من مسلم وكافر وأبصروهم وكلوهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الإنس والجن ثم رجعوا إلى مضاجعهم فأتوا فألقى الملك عليهم ثيابه وجعل لكل منهم تابوتاً من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجداً وقيل لما انتهوا إلى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى أدخل أولاً لثلاثا فدخل فعمى عليهم المدخل فبنوا ثمة مسجداً وقيل المتنازع فيه أمر الفتية قبل بعثهم أى أعثرنا عليهم حين يتنازعون بينهم أمرهم وما جرى بينهم وبين دقيانوس من الأحوال والأحوال ويتلقون ذلك من الأساطير وأفواه الرجال وعلى التقديرين قالفاء في قوله عز وجل (فقالوا) فصيحة
- * أى أعثرناهم عليهم فرأوا ما رأوا فاتوا فقالوا أى قال بعضهم (ابنوا عليهم) أى على باب كهفهم (بنيناً) لثلاثا يتطرق إليهم الناس ضناً بترتيبهم ومحافضة عليها وقوله تعالى (ربهم أعلم بهم) من كلام المتنازعين كأنهم لما رأوا عدم اعتدائهم إلى حقيقة حالهم من حيث النسب ومن حيث العدد ومن حيث اللبث في الكهف قالوا ذلك تفويضاً للأمر إلى علام الغيوب أو من كلام الله تعالى رد الأقول الخائضين في حديثهم من أولئك المتنازعين وقيل هو أمرهم وتدبيرهم عند وفاتهم أو شأنهم في الموت والنوم حيث اختلفوا في أنهم ماتوا أو نأوا كما في أول مرة فإذا حينئذ متعلق بقوله تعالى (قال الذين غلبوا على أمرهم) وهم الملك والمسلمون (لنتخذن عليهم مسجداً) وقوله تعالى فقالوا معطوف على يتنازعون وإيثار صيغة الماضي للدلالة على أن هذا القول ليس بما يستمر ويتجدد كالمتنازع وقيل متعلق بذكر مضمراً وأما تعلقه بأعثرنا فيأباه أن إعتارهم ليس في زمان تنازعهم فيما ذكر بل قبله وجعل وقت التنازع ممتداً يقع في بعضه الإعتار وفي بعضه التنازع تعسف لا يخفى مع أنه لا يخصص لإضافته إلى التنازع وهو مؤخر في الوقوع (سيقولون) ٢٢

الضمير في الأفعال الثلاثة للخائفين في قصتهم في عهد النبي ﷺ من أهل الكتاب والمسلمين لكن لا على وجه إسناد كل منها إلى كلهم بل إلى بعضهم (ثلاثة رابعهم كلهم) أي هم ثلاثة أشخاص رابعهم أي جاعلهم أربعة بانضمامه إليهم كلهم قيل قالته اليهود وقيل قاله السيد من نصارى نجران وكان يعقوبياً وقرى. *
 * ثلاثة بادغام اللام في التاء (ويقولون خمسة سادسهم كلهم) قيل قالته النصارى أو العاقب منهم وكان نسطورياً (رجماً بالغيب) رمياً بالخبر الخفى الذى لا مطلع عليه أو ظناً بالغيب من قولهم رجم بالظن إذا ظن وانتصابه على الحالية من الضمير في الفعلين جميعاً أي راجحين أو على المصدرية منهما فإن الرجم والقول واحد أو من محذوف مستأنف واقع موقع الحال من ضمير الفعلين معاً أي يرمجون رجماً وعدم إيراد السين للاكتفاء بعطفه على ما فيه ذلك (ويقولون سبعة وثامنهم كلهم) هو ما يقوله المسلمون بطريق التلقى من هذا الوحي وما فيه مما يرشدكم إلى ذلك من عدم نظمه في سلك الرجم بالغيب وتغيير سبكه بزيادة الواو المفيدة لزيادة وكادة النسبة فيما بين طرفيها لا بوحى آخر كما قيل (قل) تحقيقاً للحق ورداً على الأولين (ربى أعلم) أي أقوى علماً (بعدهم) بعددكم (ما يعلمهم) أي ما يعلم عدتهم أو ما يعلمهم فضلاً عن العلم بعدهم (إلا قليل) من الناس قد وفقهم الله تعالى للاستشهاد بتلك الشواهد قال ابن عباس رضى الله عنه حين وقعت الواو انقطعت العدة وعليه مدار قوله رضى الله عنه أنا من ذلك القليل ولو كان في ذلك وحي آخر لما خفى عليه ولما احتاج إلى الاستشهاد بالواو ولكان المسلمون أسوة له في العلم بذلك وعن على كرم الله وجهه أنهم سبعة نفر أسماؤهم بليخا ومكشليينا ومشيلىنا هؤلاء أصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في أمره والسابع الراعى الذى وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسمه كفيشيطيوش (فلا تمار) الفاء لتفريع النهى على ما قبله أي إذ قد عرفت جهل أصحاب القولين الأولين فلا تجادلهم (فيهم) في شأن الفتية (إلا مرأ ظاهراً) قدر ما تعرض له الوحي من وصفهم بالرجم بالغيب وعدم العلم على الوجه الإجمالى وتفويض العلم إلى الله سبحانه من غير تصريح بجعلهم وتفضيخ لهم فإنه مما يخل بمكارم الأخلاق (ولا تستفت فيهم) في شأنهم (منهم) من الخائفين (أحداً) فإن فيما قص عليك لمدوحة عن ذلك مع أنه لا علم لهم بذلك وقال عطاء إلا قليل من أهل الكتاب فالضمائر الثلاثة في الأفعال الثلاثة لهم وما ذكر من الشواهد لإرشاد المؤمنين إلى صحة القول الثالث وفيه محيص عما في الأول من التكلف في جعل أحد الأقوال المحكية المنظومة في سمط واحد ناشئاً عن الحكاية مع كون الأخيرين بخلافه ووضوح في سبب حذف المفعول في لآ تمار والمعنى حينئذ وإذا قد وقفت على أن كلهم ليسوا على خطأ في ذلك فلا تجادلهم إلا جداولاً ظاهراً نطق به الوحي المبين من غير تجهيل لجميعهم فإن فيهم مصيباً وإن قل والنهى عن الاستفتاء لدفع ما عسى يتوهم من احتمال جوازه أو احتمال وقوعه بناء على إصابة بعضهم فالمنع لا تراجم إليهم في شأن الفتية ولا تصدق القول الثالث من حيث صدوره عنهم بل من حيث التلقى من الوحي (ولا تقولن لشيء) أي لا جل شيء تعزم عليه (إني فاعل

إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْخُرَ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا

رَشْدًا ﴿٢٤﴾

١٨ الكهف

وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا ﴿٢٥﴾

١٨ الكهف

- ذلك الشيء (غداً) أى فيما يستقبل من الزمان مطلقاً فدخل فيه الغد دخولا أولاً فإنه نزل حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذى القرنين فسألوه عليه السلام فقال انونى غداً أخبركم ولم يستثن فابطاً عليه الوحى حتى شق عليه وكذبتة قریش وما قيل من أن المدلول بالعبارة هو الغد وما بعد ذلك مفهوم بطريق دلالة النص يرد أن ما بعده ليس بمعناه فى مناط النهى فإن وسعة المجال دليل القدرة فليتأمل (إلا أن يشاء الله) استثناء مفرغ من النهى أى لا تقولن ذلك فى حال من الأحوال إلا حال ملا بستة ٢٤ بمشيئته تعالى على الوجه المعتاد وهو أن يقال إن شاء الله أو فى وقت من الأوقات إلا وقت أن يشاء الله أن تقوله لا مطلقاً بل بمشيئته إذن فإن النسيان أيضاً بمشيئته تعالى ولا مساع لتعليقه بفاعل لعدم سداد استثناء اقتران المشيئة بالفعل ومنافاة استثناء اعتراضها النهى وقيل الاستثناء جار مجرى التأييد كأنه قيل لا تقولنه أبداً كقوله تعالى وما كان لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله (واذكر ربك) بقولك إن شاء الله مدارك له (إذا نسيت) إذا فرط منك نسيان ثم ذكرته وعن ابن عباس رضى الله عنهما ولو بعد سنة مالم يحس ذلك يجوز تأخير الاستثناء وطامة الفقهاء على خلافه إذ لو صح ذلك لما تقرر إقرار ولا طلاق ولا اعتناق ولم يعلم صدق ولا كذب قال القرطبي هذا فى تدارك التبرك والتخلص عن الإثم وأما الاستثناء المغير للحكم فلا يكون إلا متصلاً ويجوز أن يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت الاستثناء مبالغة فى الحث عليه أو اذكر ربك وعقابه إذا تركت بعض ما أمرك به ليعينك ذلك على التدارك أو اذكره إذا عتراك النسيان ليدركك المنسى وقد حمل على أداء الصلاة المنسية عند ذكرها (وقل عسى أن يهدينى ربى) أى يوفقنى (لأقرب من هذا) أى لشيء أقرب وأظهر من نبأ أصحاب الكهف من الآيات والدلائل الدالة على نبوتى (رشداً) أى إرشاداً للناس ودلالة على ذلك وقد فعل عز وجل ذلك حيث آتاه من البينات ما هو أعظم من ذلك وأبين كقصص الأنبياء المتباعد أيامهم والحوادث النازلة فى الأعصار المستقبل إلى قيام الساعة أو لأقرب رشداً وأدنى خبراً من المنسى (ولبثوا فى كهفهم) أحياء مضروباً على آذانهم (ثلثمائة ٢٥ سنين وازدادوا تسعاً) وهى جملة مستأنفة مبينة لما أجمل فيها سلف وأشير إلى عزة مناله وقيل إنه حكاية كلام أهل الكتاب فإنهم اختلفوا فى مدة لبثهم كما اختلفوا فى عدتهم فقال بعضهم هكذا وبعضهم ثلثمائة وروى عن على رضى الله عنه أنه قال عند أهل الكتاب أنهم لبثوا ثلثمائة سنة شمسية والله تعالى ذكر السنة القمرية والنفاوت بينهما فى كل مائة سنة ثلاث سنين فيكون ثلثمائة وتسع سنين وسنين عطف بيان لثلثمائة وقيل بدل وقرىء على الإضافة وضماً للجمع موضع المفرد وما يحسنه ههنا أن علامة الجمع فيه جبر

قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾

١٨ الكهف

وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿١٩﴾ ١٨ الكهف
وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٠﴾

١٨ الكهف

فرطاً ﴿٢٠﴾

- ٢٦ لما حذف في الواحد وأن الأصل في العدد إضافته إلى الجمع (قل الله أعلم بما لبثوا) أي بالزمان الذي لبثوا فيه
* (له غيب السموات والأرض) أي ما غاب فيهما وخفي من أحوال أهلها واللام للاختصاص العلمي
* دون التكويني فإنه غير مختص بالغيب (أبصر به وأسمع) دل بصيغة التعجب على أن شأنه عليه سبحانه بالمبصرات والمسموعات خارج عما عليه إدراك المدركين لا يحجب به شيء ولا يحول دونه حائل ولا يتفاوت بالنسبة إليه اللطيف والكثيف والصغير والكبير والحق والجلى والهائم ضميم الجلالة وحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيدييه وكان أصله أبصر أي صار ذا بصيرة ثم نقل إلى صيغة الأمر للإنشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له أو لزيادة الباء كما في كفى به والنصب على المفعولية عند الأخفش والفاعل ضمير المأمور وهو كل أحد والباء مزيدة إن كانت الهمزة للتعدية ومعنية إن كانت للصيرورة ولعل تقديم أمر إبعاده تعالى لما أن الذي نحن بصدده من قبيل المبصرات (ما لهم) لأهل السموات والأرض (من دونه) تعالى (من ولي) يتولى أمورهم وينصرهم استقلالاً (ولا يشرك في حكمه) في قضائه أو في علم الغيب (أحداً) منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وهو كما ترى أبلغ في نفى الشريك من أن يقال من ولي ولا شريك وقرئ على صيغة نهى الحاضر على أن الخطاب لكل أحد ولما دل انتظام القرآن الكريم لقصة أصحاب الكهف من حيث إنها بالنسبة إلى النبي ﷺ من المغيبات على أنه وحى معجز أمره ﷺ بالمداومة على دراسته فقال (واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك) ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا أو بدله ٢٧
(لا مبدل لكلماته) لا قادر على تبدله وتغييره غيره (ولن تجد) أبدا الدهر وإن بالغت في الطلب (من دونه ملتحداً) ملجأ تعدل إليه عند إمام ملية (واصبر نفسك) احبسها وثبتها مصاحبة (مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) أي دائمين على الدعاء في جميع الأوقات وقيل في طرفي النهار وقرئ بالغدوة على أن إدخال اللام عليها هي علم في الأغلب على تأويل التنكير بهم والمراد بهم فقراء المؤمنين مثل صهيب وعمار وخباب ونحوهم رضى الله عنهم وقيل أصحاب الصفة وكانوا نحو سبعةائة رجل قيل إنه قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله ﷺ نخ هؤلاء الموالي الذين كان ريجهم ريج الضأن حتى نجاسك كما قال قوم نوح عليه السلام أتؤمن من لك واتبعتك الأزدلون فنزلت والتعبير عنهم بالموصول لتعليل الأمر بما في حين

وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ
بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ
مُرْتَقَفًا ﴿٢٩﴾

١٨ الكهف

- * الصلة من الخصلة الداعية إلى إدامة الصحبة (يريدون) بدعاتهم ذلك (وجهه) حال من المستكن في
- * يدعون أى مريدن لرضاه تعالى وطاعته (ولا تعد عينك عنهم) أى لا يجاوزهم نظرك إلى غيرهم من عداة
- * أى جاوزه واستعماله بعن لتضمنينه معنى النبو أو لا تصرف عينك النظر عنهم إلى غيرهم من عدوته عن
- * الأمر أى صرفته عنه على أن المفعول محذوف لظهوره وقرى ولا تعد عينيك ولا تعد عينيك من الإعداء
- * والتعدية والمراد نهيه عليه السلام عن الإزدراء بهم لثأته زيهم طموحاً إلى زى الأغنياء (تريد زينة الحياة الدنيا)
- * أى تطلب مجالسة الأشراف والأغنياء وأصحاب الدنيا وهى حال من الكاف على الوجه الأول من القراءة
- * المشهورة ومن الفاعل على الوجه الثانى منها وضمير تريد للعنيين وإسناد الإرادة إليه مجاز وتوحيداً للتلازم
- * كما فى قوله [لمن زحلوقة زل * بها العينان تنهل] ومن المستكن فى الفعل على القراءة الثانية (ولا تطع)
- * فى تنحية الفقراء عن مجالسك (من أغفلنا قلبه) أى جعلناه غافلاً لبطلان استعداده للذكر بالمرّة أو وجدناه
- * غافلاً كقولك أجبنته وأبخلته إذا وجدته كذلك أو هو من أغفل إبله أى لم نسمه بالذكر (عن ذكرنا)
- * كأولئك الذين يدعونك إلى طرد الفقراء عن مجالسك فإنهم غافلون عن ذكرنا على خلاف ما عليه المؤمنون
- * من الدعاء فى مجامع الأوقات وفيه تنبيه على أن الباعث له على ذلك الدعاء غفلة قلبه عن جناب الله سبحانه
- * وجهته وانهماكه فى الحسيات حتى خفى عليه أن الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وقرى أغفلنا قلبه
- * على إسناد الفعل إلى القلب أى حسبنا غافلين عن ذكرنا إياه بالماؤ اخذة من أغفلته إذا وجدته غافلاً (واتبع
- * هواه وكان أمره فرطاً) ضياعاً وهلاكاً أو متقدماً للحق والصواب نابذاً له وراء ظهره من قوه لم فرس فرط
- * أى متقدم للخيل أو هو بمعنى الإفراط والتفريط فإن الغفلة عن ذكره سبحانه تؤدى إلى اتباع الهوى
- * المؤدى إلى التجاوز والتباعد عن الحق والصواب والتعبير عنهم بالموصول للإيذان بعلمية ما فى حيز الصلة
- * لله من الإطاعة (وقال) لا أولئك الغافلين المتبعين هواهم (الحق من ربكم) أى ما أوحى إلى الحق لا غير
- * ٢٩ كأننا من ربكم أو الحق المعهود من جهة ربكم لا من جهة حتى يتصور فيه التبدل أو يمكن التردد فى اتباعه
- * وقوله تعالى (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) إمام من تمام القول المأثور به والفاء لترتيب ما بعدها على
- * ما قبلها بطريق التهديد لا لتفريعه عليه كما فى قوله تعالى هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وقوله
- * تعالى الحق من ربك فلا تكونن من الممترين أى عقيب تحقق أن ما أوحى إلى حق لا ريب فيه وأن ذلك
- * الحق من جهة ربكم فمن شاء أن يؤمن به فليؤمن كسائر المؤمنين ولا يتعلل بما لا يكاد يصلح للتعليل ومن
- * شاء أن يكفر به فليفعل وفيه من التهديد وإظهار الاستغناء عن متابعتهم وعدم المبالاة بهم وبإيمانهم وجوداً
- * وعدمألاً يخفى وإما تهديد من جهة الله تعالى والفاء لترتيب ما بعدها من التهديد على الأمر لا على مضمون

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾
 أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُجْلُونَ فِيهَا مِنْ أَسْوَرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا
 خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحُسْنَتِ
 مَرْتَفَقًا ﴿٣١﴾

١٨ الكهف

- المأمور به والمعنى قل لهم ذلك وبعد ذلك من شاء أن يؤمن به أو أن يصدقك فيه فليؤمن ومن شاء أن
 * يكفر به أو يكذبك فيه فليفعل فقوله تعالى (إنا أعتدنا) وعيد شديد وتأكيده للهديد وتعليل لما يفيد
 من الزجر عن الكفر أو لما يفهم من ظاهر التخيير من عدم المبالاة بكفرهم وقلة الاهتمام بزجرهم عنه
 فإن إعداد جزائه من دواعي الإملاء والإمهال وعلى الوجه الأول هو تعليل الأمر بما ذكر من التخيير
 * التهديد أى قل لهم ذلك إنا أعتدنا (للاظالمين) أى هيا ناللكافرين بالحق بعد ما جاء من الله سبحانه والتعبير
 * عنهم بالظالمين للتنبيه على أن مشيئة الكفر واختياره تجاوز عن الحد ووضع الشيء في غير موضعه (ناراً)
 * عظيمة عجيبة (أحاط بهم) أى يحيط بهم وإيثار صيغة الماضي للدلالة على التحقق (سرادقها) أى فسطاطها
 شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجر التى تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها
 * وقيل حائط من نار (وإن يستغيثوا) من العطش (يغاثوا بماء كالمهل) كالهديد المذاب وقيل كدردى
 * الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم (يشوى الوجوه) إذا قدم ليشرب انشوى الوجه لحرارته
 * عن النبي ﷺ هو كعكر الزيت فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه (بئس الشراب) ذلك (وساءت) النار
 * (مرتفقاً) متكاً وأصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وأنى ذلك فى النار وإنما هو بمقابلة قوله تعالى
 ٣٠ حسنت مرتفقاً (إن الذين آمنوا) فى محل التعليل للحث على الإيمان المنفهم من التخيير كأنه قيل والذين
 آمنوا لعل تغيير سبكه للإبذان بكال تنافى مآلى الفريقين أى إن الذين آمنوا بالحق الذى أوحى إليك
 * (وعملوا الصالحات) حسناً بين فى تضاعيفه (إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً) خبر إن الأولى هى
 الثانية مع ما فى حيزها والراجع محذوف أى من أحسن منهم عملاً أو مستغنى عنه كما فى قولك نعم الرجل
 ٣١ زيد أو واقع موقعه الظاهر فإن من أحسن عملاً فى الحقيقة هو الذى آمن وعمل الصالحات (أولئك)
 المنعوتون بالنعوت الجميلة (لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار) استئناف لبيان الأجر أو هو
 الخبر وما بينهما اعتراض أو هو خبر بعد خبر (يجلون فيها من أساور من ذهب) من الأولى ابتدائية والثانية
 بيانية صفة لأساور والتركيب للتفخيم وهو جمع أسورة أو أسور جمع سوار (ويلبسون ثياباً خضراً)
 خصت الخضرة بثيابهم لأنها أحسن الألوان وأكثرها طراوة (من سندس وإستبرق) أى عمارق من
 * الدباج وما غلظ جمع بين النوعين للدلالة على أن فيها ما نشتهى الأنفس ولذا الأعين (متكئين فيها على
 * الأرائك) على السرر على ما هو شأن المتنعمين (نعم الثواب) ذلك (وحسنت) أى الأرائك (مرتفقاً)

وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَخَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾

١٨ الكهف

كَلْنَا الْجَنَّتَيْنِ تَاتَتْ أَكْلُهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾

١٨ الكهف

وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾

١٨ الكهف

- أى متكاً (واضرب لهم) أى للفريقين الكافر والمؤمن (مثلا رجلين) مفعولان لا ضرب أولهما ثانيهما ٣٢
- لأنه المحتاج إلى التفصيل والبيان أى اضرب للكافرين والمؤمنين لأن حيث أحواهما المستفادة مما ذكر آنفاً من أن الأولين فى الآخرة كذا والآخرين كذا بل من حيث عصيان الأولين مع تقابلهم فى نعم الله تعالى وطاعة الآخرين مع مكابدتهم مشاق الفقر مثلاً حال رجلين مقدرين أو محققين هما أخوان من بنى إسرائيل أو شريكان كافر اسمه قطروس ومؤمن اسمه يهوذا اقتسما ثمانية آلاف دينار فاشترى الكافر بنصيبه ضياعاً وعقاراً وصرف المؤمن نصيبه إلى وجوه المبار قال أمرهما إلى ما حكاه الله تعالى وقيل هما أخوان من بنى مخزوم كافر هو الأسود بن عبد الأسد ومسلم هو أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد زوج أم سلمة رضى الله عنها أولاً (جعلنا لأحدهما) وهو الكافر (جنتين) بستانين (من أعناب) من كروم متنوعة والجملة بتأنيدها بيان للتمثيل أو صفة لرجلين (وخففناهما بنخل) أى جعلنا النخل محيطة بهما مؤزراً بها كروهما يقال حففه القوم إذا طافوا به وحففته بهم جعلتهم حافين حوله فيزيده الباء مفعولاً آخر كقولك غشيت به (وجعلنا بينهما) وسطهما (زرعاً) ليكون كل منهما جامعاً للأفوات والفواكه متواصل العبارة على الهيئة الرائقة والوضع الأنيق (كلنا الجنتين آتت أكلها) ثمها وبلغت مبلغاً صالحاً للأكل وقرىء بسكون ٣٣ الكاف وقرىء كل الجنتين آتى أكله (ولم تظلم منه) لم تنقص من أكلها (شيئاً) كما يعمد ذلك فى سائر البساتين فإن الثمار غالباً تكثر فى عام وتقل فى آخر وكذا بعض الأشجار يأتى بالثمر فى بعض الأعوام دون بعض (ولجئنا خلاهما) فيما بين كل من الجنتين (نهرأ) على حدة ليبدوم شربهما ويزيد بهما وقرىء بالتخفيف ولعل تأخير ذكر تفجير النهر عن ذكر إيتاء الأكل مع أن الترتيب الحارجى على العكس للإيدان باستقلال كل من إيتاء الأكل وتفجير النهر فى تكميل محاسن الجنتين كما فى قصة البقرة ونحوها ولو عكس لانهم أن المجموع خصلة واحدة بعضها مترتب على بعض فإن إيتاء الأكل متفرع على السقى عادة وفيه إيماء إلى أن إيتاء الأكل لا يتوقف على السقى كقوله تعالى يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار (وكان له) ٣٤ لصاحب الجنتين (ثمر) أنواع من المال غير الجنتين من ثمر ماله إذا كثره قال ابن عباس رضى الله عنهما هو جميع المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك وقال مجاهد هو الذهب والفضة خاصة (فقال لصاحبه) المؤمن (وهو) أى القائل (يحاوره) أى صاحبه المؤمن وإن جاز العكس أى يراجعه فى الكلام من حار إذا رجع (أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً) حشماً وأعواناً أو أولاداً ذكوراً لأنهم الذين ينفرون معه

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ۚ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ ١٨ الكهف

وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ ١٨ الكهف

قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ۚ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ

رَجُلًا ﴿٣٧﴾ ١٨ الكهف

لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ ١٨ الكهف

- ٣٥ (ودخل جنته) التي شرحت أحوالها وعددها وصفاتها وهياتها وتوحيدها إما لعدم تعلق الغرض بتعدادها وإما لاتصال إحداها بالآخرى وإما لأن الدخول يكون في واحدة فواحدة (وهو ظالم لنفسه) ضار لها بعجبه وكفره (قال) استئناف مبنى على سؤال نشأ من ذكر دخول جنته حال ظلمه لنفسه كأنه قيل فماذا قال إذ ذاك فقيل قال (ما أظن أن تبديد هذه) الجنة أى تفتى (أبداً) لطول أمله وتتمادى غفلته واغتراره بميلته ولعله إنما قاله بمقابلة موعظة صاحبه وتذكيره بفناء جنتيه ونهييه عن الاغترار به ما أمره
- ٣٦ بتحصيل الباقيات الصالحات (وما أظن الساعة قائمة) كأنه فيما سيأتى (ولئن رددت) بالبعث عند قيامها كما تقول (إلى ربى لأجدن) يومئذ (خيراً منها) أى من هذه الجنة وقرىء منها أى من الجنة (منقلباً) مرجعاً وعاقبة ومدار هذا الطمع واليمين الفاجرة اعتقاد أنه تعالى إنما أولاه ما أولاه فى الدنيا لاستحقاقه
- ٣٧ الذاتى وكرامته عليه سبحانه ولم يدرك أن ذلك استدراج (قال له صاحبه) استئناف كما سبق (وهو يحاوره) جملة حالية كما مر فائدتها التنبيه من أول الأمر على أن ما يتلوه كلام معتنى بشأنه مسوق للمحاورة (أكفرت) حيث قلت ما أظن الساعة قائمة (بالذى خلقك) أى فى ضمن خلق أصلك (من تراب) فإن خلق آدم عليه السلام منه متضمن لخلق منه لما أن خلق كل فرد من أفراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام إذ لم تكن فطرته الشريفة مقصورة على نفسه بل كانت أنموذجا منظوياً على فطرة سائر أفراد الجنس انطواء إجمالاً مستتبعا لجرى أن آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من التراب خلقاً للكل منه وقيل خلقك منه لأنه أصل مادتك إذ به يحصل الغذاء الذى منه تحصل النطفة فتدبر (من نطفة) هى مادتك القريبة فالخلق واحد والمبدأ متعدد (ثم سواك رجلاً) أى عدلك وملكك إنساناً ذكراً أو صيرك رجلاً والتعبير عنه تعالى بالوصول للإشعار بعملية ما فى حيز الصلة لإنكار الكفر والتلويع بدليل البعث الذى نطق به قوله عز من قائل بأبها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإيا خلقناكم من تراب الخ (لكننا هو الله ربى) أصله لكن إنا وقد قرىء كذلك لخدفت الهمزة فتلاقت النونان فكان الإدغام وهو ضمير الشأن وهو مبتدأ خبره الله ربى وتلك الجملة خبر إنا والعائد منها إليه الضمير وقرىء بإثبات ألف إنا فى الوصل والوقف جميعاً وفى الوقف خاصة وقرىء لكننا بالهاء ولكن بطرح إنا ولكن إنا لا إله إلا هو ربى ومدار الاستدراك قوله تعالى أكفرت كأنه قال أنت كافر الكفى مؤمن موحد (ولا أشرك بربى أحداً) فيه إيدان بأن كفره كان

وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرْنًا أَقْلَ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ ١٨ الكهف

فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ ١٨ الكهف

أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾ ١٨ الكهف

وَأَحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبِرْ يَقْلَبْ كَفِّهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي

لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ ١٨ الكهف

- بطريق الإشراف (ولولا إذ دخلت جنتك قلت) أي هلا قلت عندما دخلتها وتقديم الظرف على المحضض ٣٩ عليه للإبذان بتحتم القول في آن الدخول من غير ريث لا للفصر (ما شاء الله) أي الأمر ما شاء الله أو ما شاء الله كأن على أن مامر صولة مرفوعة المحل أو أي شيء شاء الله كان على أنها شرطية منصوبة والجواب محذوف والمراد تحضيضه على الاعتراف بأنها وما فيها بمشيئة الله تعالى إن شاء أبقاها وإن شاء أفناها (لا قوة إلا بالله) أي هلا قلت ذلك اعترافاً بعجزك وبأن ما يتسرك من عمارتها وتدبير أسرارها إنما هو بمعونة تعالى وإفادته عن النبي ﷺ من رأى شيئاً فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يضره (إن ترن أنا أقل منك مالا وولداً) أنا إما مؤكد ليا المتكلم أو ضمير فصل بين مفعولي الرؤية إن جعلت عليه وأقل ثانيهما وحال إن جعلت بصرية فيكون أنا حينئذ تأكيداً لا غير لأن شرط كونه ضمير فصل توسطه بين المبتدأ والخبر أو ما أصله المبتدأ والخبر وقرئ أقل بالرفع خبراً لأننا والجملة مفعول ثانٍ للرؤية أو حال وفي قوله تعالى وولد أنصرة لمن فسر النفر بالولد (فعسى ربّي أن يؤتيني خيراً من جنتك) هو جواب الشرط ٤٠ والمعنى إن ترن أفقر منك فأننا توقع من صنع الله سبحانه أن يقلب ما بين وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لإيماني الجنة خيراً من جنتك ويسلبك لكفرتك نعمته ويخرب جنتك (ويرسل عليها حُسباناً) هو مصدر بمعنى الحساب كالبطلان والغفران أي مقداراً قدره الله تعالى وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقيل عذاب حُسبان وهو حساب ما كسبت يده وقيل مراعى جمع حُسبانة وهي الصواعق ومساعدة النظم الكريم فيها سيأتي للأولين أكثر (من السماء فتصبح صعيداً زلقاً) مصدر أريد به المفعول مبالغة أي أرضاً ملساء يزلق عليها الاستئصال ما عليها من البناء والشجر والنبات (أو يصبح) عطف على قوله تعالى فتصبح وعلى الوجه الثالث على يرسل (ماؤها غوراً) أي غائراً في الأرض أطلق عليه المصدر مبالغة (فلن تستطيع طلباً) أي للباء الغائر (طلباً) فضلاً عن وجدانه ورده (وأحيط بشمره) أهلك أمواله المعهودة من جنته وما فيها ٤٢ وأصله من إحاطة العدو وهو عطف على مقدر كأنه قيل فوقع بعض ما توقع من المحذور وأهلك أمواله وإنما حذف لدلالة السباق والسياق عليه كافي المعطوف عليه بالفاء الفصيحة (فأصبح يقلب كفيه) ظهراً لبطن وهو كناية عن الندم كأنه قيل فأصبح يندم (على ما أنفق فيها) أي في عمارتها من المال ولعل تخصيص الندم به دون ما هلك الآن من الجنة لما أنه إنما يكون على الأفعال الاختيارية ولأن ما أنفق في عمارتها كان

١٨ الكهف

وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةً يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾

١٨ الكهف

هَذَاكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾

وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ

١٨ الكهف

هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيْحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

ما يمكن صيانته عن طوارق الحدثنان وقد صرفه إلى مصالحها رجا أن يتمتع بها أكثر مما يتمتع به وكان يرى أنه لا تنالها أيدي الردى ولذلك قال ما أظن أن تبديد هذه أبدا فلما ظهر له أنها مما يعتريه الهلاك ندم على ما صنع بناء على الزعم الفاسد من إنفاق ما يمكن ادخاره في مثل هذا الشيء السريع الزوال (وهي)

- أي الجنة من الأعتاب المحفوفة بنخل (خاوية) سافطة (على عروشها) أي دعاتها المصنوعة للكروم لسقوطها قبل سقوطها وتخصيص حالها بالذكر دون النخل والزرع إما لأنها العمدة وهما من متمناها وإما لأن ذكر هلاكها مغن عن ذكر هلاك الباقي لأنها حيث هلكت وهي مشيدة بعروشها فهاك ما عداها بالطريق الأولى وإما لأن الإنفاق في عمارتها أكثر وقيل أرسل الله تعالى عليها نارا فأحرقها وغار ماؤها
- (ويقول) عطف على يقلب أو حال من ضميره أي وهو يقول (يا ليتني لم أشرك بربي أحدا) كأنه تذكر موعظة أخيه وعلم أنه إنما أتى من قبل شركه فتخلى لولم يكن مشركا فلم يصبه ما أصابه قبل ويحتمل أن يكون

٤٣ ذلك توبة من الشرك وندما على ما فرط منه (ولم تكن له) وقرئ بالياء النحتانية (فتنة ينصرونه) يقدرون على نصره بدفع الإهلاك أو على رد المهلك أو الإتيان بمثله وجمع الضمير باعتبار المعنى كما في قوله عز و علا

- يرونهم مثليهم (من دون الله) فإنه القادر على ذلك وحده (وما كان) في نفسه (منتصرا) متمنا بقوته عن انتقامه سبحانه (هنالك) في ذلك المقام وفي تلك الحال (الولاية لله الحق) أي النصر له وحده لا يقدر

٤٤ عليها أحد فهو تقرير لما قبله أو ينصر فيها أوليائه المؤمنين على الكفرة كما نصر بما فعل بالكافر أخاه المؤمن ويعضده قوله تعالى (هو خير ثوابا وخير عقبا) أي لأوليائه وقرئ الولاية بكسر الواو ومعناه الملك والسلطان أي هنالك السلطان له عز وجل لا يغلب ولا يمتنع منه أولا يعبد غيره كقوله تعالى فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على أن قوله يا ليتني لم أشرك الخ كان عن اضطراب وجزع عما داهاه

- على أسلوب قوله تعالى الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وقيل هنالك إشارة إلى الآخرة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقرئ برفع الحق على أنه صفة للولاية وينصبه على أنه مصدره مؤكدا وقرئ

٤٥ عقبا بضم القاف وعقبى كرجعى والكل بمعنى العاقبة (وأضرب لهم مثل الحياة الدنيا) أي واذكر لهم ما يشبهها في زهرتها ونضارتها وسرعة زوالها فلا يطمننوا بها ولا يكفوا عليها ولا يضربوا عن الآخرة صفحا بالمرأة أو بين لهم صفتها العجيبة التي هي في الغرابة كالمثل (كأ) استئناف لبيان المثل أي هي كماء (أنزلناه من السماء) ويجوز كونه مفعولا ثانيا لأضرب على أنه بمعنى صير (فاختلط به) اشتبك بسببه (نبات

الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ

أَمَلًا ﴿٤٦﴾

١٨ الكهف

- الأرض) قالتف وخالط بعضه بعضاً من كثرته وتكاثره أو جمع الماء في النبات حتى روى ورف فقضى الظاهر حينئذ فاختلط بنبات الأرض وإيثار ما عليه النظم الكريم عليه للبباغة في الكثرة فإن كلا من المختلطين موصوف بصفة صاحبه (فأصبح) ذلك النبات الملتف إثر بهجتها ورفيقها (هشياً) مهشوماً * مكسوراً (تذروه الرياح) تفرقه وقرى تذريه من أخراه وتذروه الريح وليس المشبه به نفس الماء بل هو الهيئة المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون أخضر وارفاً ثم هشياً تطيره الرياح كأن لم يغن بالأمس (وكان الله على كل شيء) من الأشياء التي من جعلتها الإلشام والإفناء (مقتدراً) قادراً على الكمال * (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) بيان لها أن ما كانوا يفتخرون به من محسنات الحياة الدنيا كما قال الأرخ ٤٦ الكافر أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً اثر بيان شأن نفسها بما سر من المثل وتقديم المال على البنين مع كونهم أعز منه كافي الآية المحكية آنفاً وقوله تعالى وأمددناكم بأموال وبنين وغير ذلك من الآيات الكريمة لعرفته فيما نيط به من الزينة والإمداد وغير ذلك وعمومه بالنسبة إلى الأفراد والأوقات فإنه زينة وبمداكل أحد من الآباء والبنين في كل وقت وحين وأما البنون فزيتهم وإمدادهم إنما يكون بالنسبة إلى من بلغ مبلغ الابوة ولأن المال مناط لبقاء النفس والبنين لبقاء النوع ولأن الحاجة إليه أمس من الحاجة إليهم ولأنه أقدم منهم في الوجود ولأنه زينة بدونهم من غير عكس فإن من له بنون بلا مال فهو في ضيق حال ونكال وإفراد الزينة مع أنها مسندة إلى الاثنين لما أنها مصدر في الأصل أطلق على المفعول مبالغة كأنهما نفس الزينة والمعنى أن ما يفتخرون به من المال والبنين شيء يتزين به في الحياة الدنيا وقد علم شأنها في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال فكيف بما هو من أوصافها التي شأنها أن تزول قبل زوالها (والباقيات الصالحات) * هي أعمال الخير وقيل هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وقيل كل ما أريد به وجه الله تعالى وعلى كل تقدير يدخل فيها أعمال فقراء المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه دخولا أولاً أما صلاحها فظاهر وأما بقاءها فبقاء عوائدها عند فناء كل ما تطامع إليه النفس من حظوظ الدنيا (خير) أي ممانعت شأنه من المال والبنين وإخراج بقاء تلك الأعمال وصلاحها مخرج الصفات المفروغ عنها مع أن حقهما أن يكونا مقصودى الإقادة لاسبابى مقابلة إثبات الفناء لما يقابلهما من المال والبنين على طريقة قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق للإبذان بأن بقاءها أمر محقق لا حاجة إلى بيانه بل لفظ الباقيات اسم لها وصف ولذلك لم يذكر الموصوف وإنما الذى يحتاج إلى التعرض له خيريتها (عند ربك) أي فى الآخرة وهو بيان لما يظهر فيه آثار خيريتها بمنزلة إضافة الزينة إلى الحياة الدنيا * لا لأفضليتها فيها من المال والبنين مع مشاركة الكل فى الأصل إذ لا مشاركة لهما فى الخيرية فى الآخرة (ثواباً) عائدة تعود إلى صاحبها (وخير أملاً) حيث ينال بها صاحبها فى الآخرة كل ما كان يؤمله فى الدنيا * ٢٩ - أبى السعود ٤٥٥

وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ ١٨ الكهف
وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَنَّ نَجْعَلَ لَكُمْ

١٨ الكهف

مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾

وأما ما مر من المال والبنين فليس لصاحبه أمل يناله وتكرير خير للإشعار باختلاف حيثى الخيرية
٤٧ والمبالغة فيها (ويوم نسير الجبال) منصوب بمضمر أى اذكر حين نلقها من أما كنا ونسيرها فى الجو
على هياتها كما ينبى عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب أو نسير أجزاءها
بعد أن نجعلها هباء منبثا والمراد بتذكيره تحذير المشركين عما فيه من الدواهى وقيل هو معطوف على ما قبله
من قوله تعالى عند ربك أى الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيامة وقرىء تسير على صيغة البناء
للمفعول من التفعيل جرياً على سنن الكبرياء وإيضاحاً بالاستغناء عن الإسناد إلى الفاعل لتبينه وقرىء
* تسير (وترى الأرض) أى جميع جوانبها والخطاب لرسول الله ﷺ أو لكل أحد ممن يتأتى منه الرؤية
* وقرىء ترى على صيغة البناء للمفعول (بارزة) أما بروز ماتحت الجبال فظاهر وأما ما عدها فكانت الجبال
تتحول بينه وبين الناظر قبل ذلك فالآن أضى قاطا صنفصفاً لا ترى فيها ولا أمتاً (وحشرناهم) جمعناهم إلى
الموقف من كل أوب وإيثار صيغة الماضى بعد تسيير وترى للدلالة على تحقق الحشر المتفرع على البعث الذى
ينسكه المنسكرون وعليه يدور أمر الجزاء وكذا الكلام فيما عطف عليه منفياً وموجباً وقيل هو للدلالة
* على أن حشرهم قبل التسيير والبروز ليعاينوا تلك الأحوال كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك (فلم نغادر)
* أى لم نترك (منهم أحداً) يقال غادره وأغدره إذا تركه ومنه الغدر الذى هو ترك الوفاء والغدير الذى هو
ماء يتركه السيل فى الأرض الغائرة وقرىء بالياء وبالفوقانية على إسناد الفعل إلى ضمير الأرض كفاى قوله
٤٨ تعالى وألقت ما فيها وتخلت (وعرضوا على ربك) شبهت حالهم بحال جند عرضوا على السلطان ليأمر
فيهم بما يأمر وفى الالتفات إلى الغيبة وبناء الفعل للمفعول مع التعرض لعنوان الربوبية والإضافة إلى
* ضميره ﷺ من تربية الممابة والجري على سنن الكبرياء وإظهار اللطف به ﷺ مالا يخفى (صفاً) أى غير
متفرقين ولا مختلطين فلا تعرض فيه لوحدة الصف وتعددده وقد ورد فى الحديث الصحيح يجمع الله الأولين
* والآخرين فى صعيد واحد صفاً (لقد جئتمونا) على إضمار القول على وجه يكون حالاً من ضمير عرضوا أى
مقولاً لهم أو قلنا لهم وأما كونه تاملاً فى يوم نسير كما قيل فبعيد من جزالة التنزيل الجليل كيف لا ويلزم منه
أن هذا القول هو المقصود بالآصال دون سائر القوارع مع أنه خاص بالتعلق بما قبله من العرض والحشد دون
* تسيير الجبال وبروز الأرض (كما خلقناكم) نعت لمصدر مقدر أى بحيثاً كأننا كجئناكم عند خلقناكم (أول
مرة) أو حال من ضمير جئتمونا أى كائنين كما خلقناكم أول مرة حفاة عراة غرلاً أو ما معكم شئ مما تفتخرون
به من الأموال والأنصار كقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم
* وراء ظهوركم (بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً) إضراب وانتقال من كلام إلى كلام كلاهما للتوبيخ

وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَرَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ لِمَا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَتُولَتَنَا مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ١٨ الكهف
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ
أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ١٨ الكهف

- والتقرير أي زعمتم في الدنيا أنه لن نجعل لكم أبداً وقتاً نتجز فيه ما وعدناه من البعث وما يتبعه وأن مخافة من المثقلة فصل بحرف النفي بينها وبين خبرها لكونه جملة فعلية متصرفة غير دعاء والظرف إما مفعول ثان للجعل وهو بمعنى التصيير والاول هو موعداً أو حال من موعد أو هو بمعنى الخلق والإبداع (ووضع الكتاب) عطف على عرضوا داخل تحت الأمور الهائلة التي أريد تكبيرها بتذكير ٤٩ وقتها أورد فيه ما أورد في أمثاله من صيغة الماضي دلالة على التقرير أيضاً أي وضع محائف الأعمال وإثبات الأفراد للاكتفاء بالجنس والمراد بوضعها إما وضعها في أيدي أصحابها يميناً وشمالاً وإما في الميزان (فترى المجرمين) قاطبة فيدخل فيهم الكفرة المنكرون للبعث دخولا أولياً (مشفقين) خائفين (بما فيه) من الجرائم والذنوب (ويقولون) عند وقوفهم على ما في تضاعيفه نقيراً وقطميراً (يا ويلتنا) منادين لهلكتهم التي هلكوها من بين الهلكات مستدعين لها ليهلكوا ولا يروا هول ما لا قوة أي يا ويلتنا احضري فهذا أو أن حضورك (ما لهذا الكتاب) أي أي شيء له وقوله تعالى (لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها) أي حواها وضبطها جملة حالية محققة لما في الجملة الاستفهامية من التعجب أو استنافية مبنية على سؤال نشأ من التعجب كأنه قيل ما شأنه حتى يتعجب منه فقليل لا يغادر سيئة صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها (ووجدوا ما عملوا) في الدنيا من السيئات أو جزاء ما عملوا (حاضراً) مسطوراً عتيداً (ولا يظلم ربك أحداً) فيكتب ما لم يعمل من السيئات أو يزيد في عقابه المستحق فيكون إظهاراً لمعدلة القلم الأزل (وإذ قلنا للملائكة) أي اذكر وقت قولنا لهم (اسجدوا لآدم) سجود تحية وتكريم وقد مر تفصيله ٥٠ (فسجدوا) جميعاً امتثالاً بالأمر (إلا إبليس) فإنه لم يسجد بل أبى واستكبر وقوله تعالى (كان من الجن) كلام مستأنف سبق مساق التعليل لما يفيد استثناء اللعين من الساجدين كأنه قيل ما لم يسجد فقليل كان أصله جنياً (ففسق عن أمر ربه) أي خرج عن طاعته كما ينبي عنه الفاء أو صار قاسقاً كافراً بسبب أمر الله تعالى إذ لولاه لما أبى والتعرض لوصف الربوبية المنافية للفسق لبيان كمال قبح ما فعله والمراد بتذكير قصته تشديد التنكير على المتكبرين المفتخرين بأنسابهم وأدواهم المستنكفين عن الانتظام في سلك فقراء المؤمنين ببيان أن ذلك من صنيع إبليس وأنهم في ذلك تابعون لتسويله كما ينبي عنه قوله تعالى (أفنتخذون) الخ فإن الهمة للإنكار والتعجب والفاء للتعقيب أي أعقبت عليكم بصدد تلك القبايح عنه (تتخذونه) (وذريته) أي أولاده وأتباعه جعلوا ذريته مجازاً قال قتادة يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتتفلق البيضة عن جماعة من الشياطين (أولياء من دوني) فستبدلونهم في قطعهم ونهم

مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ

١٨ الكهف

عَصْدًا ﴿٥١﴾

* بدل طاعني (وم) أى والحال أن إبليس وذريته (لكم عدو) أى أعداء كما فى قوله تعالى فإنهم عدو لى
 * لإلرب العالمين وقوله تعالى هم العدو وإنما فعل به ذلك تشبيهاً له بالمصدر نحو القبول والولوع وتقيد الاتخاذ
 * بالجملة الحالية لتأكيد الإنكار وتشديده فإن مضمونها مانع من وقوع الاتخاذ ومناف له قطعاً (بنس
 * للظالمين) أى الواضعين للشيء فى غير موضعه (بدلاً) من الله سبحانه إبليس وذريته وفى الالتفات إلى
 * الغيبة مع وضع الظالمين موضع الضمير من الإيذان بكال السخط والإشارة إلى أن ما فعلوه ظلم قبيح مالا
 * يحفى (ما أشهدتهم) استئناف مسوق لبيان عدم استحقاقهم للاتخاذ المذكور فى أنفسهم بعد بيان العوارف
 * عن ذلك من خباثة المحدث والفسق والعداوة أى ما أحضرت إبليس وذريته (خلق السموات والأرض)
 * حيث خلقتهما قبل خلقهم (ولا خلق أنفسهم) أى ولا أشهدت بعضهم خلق بعض كقوله تعالى ولا تقنلوا
 * أنفسكم هذا ما أجمع عليه الجمهور حذاراً من تفكيك الضميرين ومحافظة على ظاهر افظ الانفس ولك أن
 * ترجع الضمير الثانى إلى الظالمين وتلتزم التفكيك بناء على قودا المعنى إليه فإن نفي إلهاد الشياطين خلق الذين
 * يتولونهم هو الذى يدور عليه إنكار اتخاذهم أولياء بناء على أن أدنى ما يصحح التولى حضور التولى خلق
 * المتولى وحيث لا حضور لا مصحح للتولى قطعاً وأما نفي إلهاد بعض الشياطين خلق بعض منهم فليس من
 * مدارية الإنكار المذكور فى شيء على أن إلهاد بعضهم خلق بعض إن كان مصححاً لتولى الإلهاد بناء على
 * دلالة على كاله باعتبار أن له مدخلا فى خلق المشهود فى الجملة فهو محل بتولى المشهود بناء على قصوره
 * عن شهد خلقه فلا يكون نفي الإلهاد المذكور متمحضاً فى نفي الكمال المصحح للتولى عن الكل وهو المناط
 * * الإنكار المذكور (وما كنت متخذ المضلين) أى متخذهم وإنما وضع موضعه المظهر ذماً لهم وتسجيلاً
 * عليهم بالإضلال وتأكيذاً لما سبق من إنكار اتخاذهم أولياء (عصداً) أعواناً فى شأن الخلق أو فى شأن
 * من شئنى حتى يتوهم شركتهم فى التولى بناء على الشركة فى بعض أحكام الربوبية وفيه تمكيمهم وإيذان
 * بكال ركاكة عقولهم وسخافة آرائهم حيث لا يفهمون هذا الأمر الجلى الذى لا يكاد يشبهه على البله والصبيان
 * فيحتاجون إلى التصريح به وإيثار نفي الإلهاد على نفي شهودهم ونفي اتخاذهم أعواناً على نفي كونهم كذلك
 * للإشعار بأنهم مقهورون تحت قدرته تعالى تابعون لمشيئته وإرادته فيهم وأنهم بمعزل من استحقاق
 * الشهود والمعونة من تلقاء أنفسهم من غير إحضار واتخاذ وإنما قصارى ما يتوهم فى شأنهم أن يبلغوا ذلك
 * المبلغ بأمر الله عز وجل ولم يكذب ذلك يكون وقيل الضمير للشركين والمعنى ما أشهدتهم خلق ذلك وما
 * أطلعهم على أسرار التكوين وما خصصتهم بفضائل لا يحويها غيرهم حتى يكونوا قدوة للناس فيؤمنوا
 * بإيمانهم كما يزعمون فلا يلتفت إلى قولهم طمعاً فى نصرتهم للدين فإنه لا ينبغي لى أن اعتضد بالمضلين
 * وبعضه القراءة بفتح التاء خطاً بالرسول الله ﷺ والمعنى ماصح لك الاعتضاد بهم ووصفهم بالإضلال

وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ ١٨ الكهف

وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ ١٨ الكهف

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ١٨ الكهف

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ أَلَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ ١٨ الكهف

- لتعليل نفى الاتخاذ وقرىء متخذاً المضلين على الأصل وقرىء عضداً بضم العين وسكون الضاد وافتتح وسكون بالتخفيف وبضميتين بالإتباع وافتحتين على أنه جمع حاضد كمرصد وراصد (ويوم يقول) أى ٥٢ الله عز وجل للكافرين توبيخاً وتعجيزاً وقرىء بنون العظمة (نادوا شركائى الذين زعمتم) أنهم شفعاؤكم ليشفعوا لكم والمراد بهم كل ماعبد من دونه تعالى وقيل لإبليس وذريته (فدعوم) أى نادوهم للإغاثة وفيه بيان لكمال اعتنائهم بإحسانهم على طريقة الشفاعة إذ معلوم أن لا طريق إلى المدافعة (فلم يستجيبوا لهم) فلم يغيثوهم إذ لا إمكان لذلك وفى إيرادهم مع ظهوره تهكم بهم وإبذان بأنهم فى الحفاقة بحيث لا يفهمونه إلا بالتصریح به (وجعلنا بينهم) بين الداعين والمدعوين (موبقاً) اسم مكان أو مصدر من وبق وبوقاً كوثب وثوباً أو وبق وبقاً كفرح فرحاً إذا هلك أى مهلكا يشتركون فيه وهو النار أو عداوة هى فى الشدة نفس الهلاك كقول عمر رضى الله عنه لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً وقيل البين الوصل أى وجعلنا تواصلهم فى الدنيا هلاكاً فى الآخرة ويجوز أن يكون المراد بالشركاء الملائكة وعزير وأعصى عليهم السلام ومريم والمبوبى العريخ البعيد أى جعلنا بينهم أمداً بعيداً يهلك فيه الاشواط لفى بعده لأنهم فى قعر جهنم وهم فى أعلى الجنان (ورأى المجرمون النار) وضع المظهر مقام المضمهر تصريحاً بإجرامهم ٥٣ وذمهم بذلك (فظنوا) أى فآيقنوا (أنهم موافعوها) مخالطوها واقعون فيها أو ظنوا إذ رأوها من مكان بعيد أنهم موافعوها الساعة (ولم يجدوا عنها مصرفاً) انصرفوا أو معدلاً ينصرفون إليه (ولقد صرفنا) أى كررنا وأوردنا على وجوه كثيرة من النظم (فى هذا القرآن للناس) لمصلحتهم ومنفعتهم (من كل مثل) من جملة ما مر من مثل الرجلين ومثل الحياة الدنيا أو من كل نوع من أنواع المعانى البديعة الداعية إلى الإيمان التى هى فى الغرابة والحسن واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول فلم يفعلوا (وكان الإنسان) بحسب جبلته (أكثر شئ جدلاً) أى أكثر الأشياء التى يتأتى منها الجدل وهو هنا شدة الخصومة بالباطل والمهارة من الجدل الذى هو القتل والمجادلة الملاوأة لأن كلا من المجادلين يلتوى على صاحبه وانتصابه على التمييز والمعنى أن جدله أكثر من جدل كل مجادل (وما منع الناس) أى أهل مكة الذين حكيت أباطيلهم ٥٥ (أن يؤمنوا) من أن يؤمنوا بالله تعالى ويتركوا ما هم فيه من الإشراك (إذ جاءهم الهدى) أى القرآن العظيم الهادى إلى الإيمان بما فيه من فنون المعانى الموجهة له (ويستغفروا ربهم) عما فرط منهم من أنواع الذنوب

وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيَجِدِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾

١٨ الكهف

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾

١٨ الكهف

- * التي من جعلها مجادلهم للحق بالباطل (إلا أن تأتيهم سنة الأولين) أي إلا طلب إتيان سنتهم أو إلا انتظار إتيانها أو إلا تقديره لحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وسنتهم الاستئصال (أو يأتيهم العذاب)
- * أي عذاب الآخرة (قبلا) أي أنواعا جمع قبيل أو هيأنا كما في قراءة قبلا بكسر القاف وفتح الباء وقرئ بفتحيتين أي مستقبلا يقال لقيته قبلا وقبلا وقبلا وانتصابه على الحالالية من الضمير أو العذاب والمعنى إن ما تضمنه القرآن الكريم من الأمور المستوجبة للإيمان بحيث لو لم يكن مثل هذه الحكمة القوية لما امتنع
- ٥٦ الناس من الإيمان وإن كانوا يجوبون على الجدل المفرط (وما نرسل المرسلين) إلى الأمم ملتبسين بحال من الأحوال (إلا) حال كونهم (مبشرين) للؤمنين بالثواب (ومنذرين) للكفرة والعصاة بالعقاب (ويجادل الذين كفروا بالباطل) باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة أصحاب الكهف ونحوها تعنتاً (ليدحضوا به) أي بالجدال (الحق) أي يزيلوه عن مركزه ويبطلوه من إدحاض القدم وهو إزلاقها وهو قولهم للرسول عليهم الصلاة والسلام ما أنتم إلا بشر مثلنا ولو شاء الله لآنزل ملائكة ونحوهما (واتخذوا آياتي) التي تخبر لها صم الجبال (وما أنذروا) أي أنذروه من القوارع الناعية عليهم
- ٥٧ العقاب والعذاب أو إنذارهم (هزوا) استهزاء وقرئ بسكون الزاي وهو ما يستهزأ به (ومن أظلم ممن ذكر آيات ربه) وهو القرآن العظيم (فأعرض عنها) ولم يتدبرها ولم يتذكر بها وهذا السبك وإن كان مدلوله الوضعي نفي الظلمية من غير تعرض لنفي المساواة في الظلم إلا أن مفهومه العرفي أنه أظلم من كل ظالم وبناء الظلمية على ما في حيز الصلة من الإعراض عن القرآن للإشعار بأن ظلم من يجادل فيه ويتخذ هزواً خارج عن الحد (ونسى ما قدمت يداؤه) أي عمله من الكفر والمعاصي التي من جعلتها مذكراً من المجادلة بالباطل والاستهزاء بالحق ولم يتفكر في عاقبتها (إننا جعلنا على قلوبهم أكنة) أغشية كثيرة جمع كنان وهو تعليل لإعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم (أن يفقهوه) مفعول لما دل عليه الكلام أي منعناهم أن يفقهوا على كنهه أو مفعول له أي كراهة أن يفقهوه (وفي آذانهم) أي جعلنا فيها (وقرأ) ثقلاً يمنهم من استماعه (وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبداً) أي فلن يكون منهم اهتداء البتة مدة التكليف وإذن جزاء للشرط وجواب عن سؤال النبي ﷺ المدلول عليه بكال عنايته بإسلامهم كأنه قال ﷺ مالي لأدعهم فقل إن تدعهم الخ وجمع الضمير الراجع إلى الموصول في هذه المواضع الخمسة باعتبار معناه أن أفرادها في المواطن الخمسة المتقدمة باعتبار لفظه .

وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمْ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ
يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْعِدًا ۝٥٨

١٨ الكهف

وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ۝٥٩

١٨ الكهف

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتْنِهِ لَا أَرِحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ۝٦٠

١٨ الكهف

- (وربك) مبتدأ وقوله تعالى (الغفور) خبره وقوله تعالى (ذو الرحمة) أي الموصوف بها خبر بعد خبر ٥٨ وإيراد المغفرة على صيغة المبالغة دون الرحمة للتنبيه على كثرة الذنوب ولأن المغفرة ترك المضار وهو سبحانه قادر على ترك ما لا يتناهى من العذاب وأما الرحمة فهي فعل وإيجاد ولا يدخل تحت الوجود إلا ما يتناهى وتقديم الوصف الأول لأن التخلية قبل التحلية أولاً لأنه أهم بحسب الحال إذا المقام مقام بيان تأخير العقوبة عنهم بعد استيجابهم لها كما يعرب عنه قوله عز وجل (لو يؤاخذهم) أي لو يريد مؤاخذتهم (بما كسبوا) من المعاصي التي من جملتها ما حكي عنهم من مجادلتهم بالباطل وإعراضهم عن آيات ربهم وعدم المبالاة بما اجترحوا من الموبقات (لعجل لهم العذاب) لاستيجاب أعمالهم لذلك وإيثار المؤاخذة المنبئة عن شدة الأخذ بسرعة على التعذيب والعقوبة ونحوهما للإيذان بأن النبي المستفاد من مقدم الشرطية متعلق بوصف السرعة كما ينبي عنه تأليها وإيثار صيغة الاستقبال وإن كان المعنى على المضى لإفادة انتفاء تعجيل العذاب لهم بسبب استمرار عدم إرادة المؤاخذة فإن المضارع الواقع موقع الماضي يفيد استمرار انتفاء الفعل فيما مضى كما حقق في موضعه (بل لهم موعد) اسم زمان هو يوم بدر أو يوم القيامة والجملة معطوفة على مقدر كأنه قيل لكنهم ليسوا بمؤاخذين بغتة (إن يجدوا) البتة (من دونه موعداً) منجى أو ملجأ يقال وأل أي نجا وأل إليه أي لجأ إليه (وتلك القرى) أي قرى عاد وثمود وأضرابها وهي مبتدأ ٥٩ على تقدير المضاف أي وأهل تلك القرى خبره قوله تعالى (أهلكناهم) أو مفعول مضمّن مفسر به (لما ظلموا) أي وقت ظلمهم كما فعلت قريش بما حكي عنهم من القبائح وترك المفعول إما لتعميم الظلم أو لتنزيله منزلة اللازم أي لما فعلوا الظلم ولما إما حرف كما قال ابن عصفور وإما ظرف استعمل للتعليل وليس المراد به الوقع المعين الذي عملوا فيه الظلم بل زمان ممتد من ابتداء الظلم إلى آخره (وجعلنا لمهلكهم موعداً) أي وقتاً معيناً لا محيد لهم عن ذلك وهذا استشهاد على ما فعل بقريش من تعيين الموعد ليتنبهوا لذلك ولا يغتروا بتأخر العذاب وقرىء بضم الميم وفتح اللام أي إهلاكهم وبفتنهم (وإذ قال موسى) نصب بإضمار فعل أي اذ كروقت قوله عليه السلام (افتاه) وهو يوشع بن نون بن أفرايم بن يوسف عليه السلام سمى فتاه إذ كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يتعلم منه ويسمى التلميذ قى وإن كان شيخاً ولعل المراد بتذكيره عقيب بيان أن لكل أمة موعداً تذكير ما في القصة من موعد الملاقاة مع ما فيها من سائر المنافع الجليلة (لا أبرح) من برج الناقص كزال يزال أي لا أزال أسير لحذف الخبر اعتماداً على

فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ ١٨ الكهف

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ آتَيْنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ ١٨ الكهف

- * قرينة الحال إذ كان ذلك عند التوجه إلى السفر واتكالا على ما يعقبه من قوله (حتى أبلغ) فإن ذلك غاية استدعى ذا غاية يؤدي إليها ويجوز أن يكون أصل الكلام لا يبرح مسيرى حاصل حتى أبلغ فيحذف المضاف ويقام المضاف إليه مقامه فينقلب الضمير البارز المجرور المحل مرفوعا مستكنا والفعل من صيغة الغيبة إلى التكلم ويجوز أن يكون من برح التام كزال يزول أي لا أفارق ما أنا بصددده حتى أبلغ (بجمع البحرين) هو ملتي بحر فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل هما الكر والرس بارمينية وقيل أفريقية وقرى بكسر الميم كشرق (أو أمضى حقبا) أسير زمانا طويلا أتيقن معه فوات المطلب والحقب الدهر أو ثمانون سنة وكان منشأ هذه العزيمة أن موسى عليه السلام لما ظهر على مصر مع بني إسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط أمره الله عز وجل أن يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا بخطبة بديدة رقت بها القلوب وذرفت العيون فقالوا له من أعلم الناس قال أنا فعتب الله تعالى عليه إذ لم يرد العلم إليه عز وجل فأوحى إليه بل أعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر عليه السلام وكان في أيام أفريدون قبل موسى عليه السلام وكان على مقدمة ذى القرنين الأكبر وبقي إلى أيام موسى وقيل إن موسى عليه السلام سأل ربه أي عبادك أحب إليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فأى عبادك أقضى قال الذي يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال فأى عبادك أعلم قال الذي يبتغى علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى فقال إن كان في عبادك من هو أعلم مني فدلي عليه قال أعلم منك الخضر قال أين أطلبه قال على ساحل البحر عند الصخرة قال يارب كيف لي به قال تأخذ حوتاً في مكتل لحبما فقدته فهو هناك فأخذ حوتاً فجعله في مكتل فقال لفتاه إذا فقدت الحوت فأخبرني فذهبا بمشيان (فلما بلغا) الفاء فصيحة كما أشير إليه (بجمع بينهما) أي مجمع البحرين وبينها ظرف أضيف إليه اتساعا أو بمعنى الوصل (نسيا حوتهما) الذي جعل فقدانه أماراة وجدان المطلوب أي نسيا تفقد أمره وما يكون منه وقيل نسي بوشع أن يقدمه وموسى عليه أن يأمره فيه بشيء . روى أنهما لما بلغا مجمع البحرين وفيه الصخرة وعين الحياة التي لا يصيب ماؤها ميتاً إلا حي وضماره وسهما على الصخرة فنا ما فلما أصاب الحوت برد الماء وروحها عاش وقد كانا أكلامه وكان ذلك بعد ما استيقظ بوشع عليه السلام وقيل توضحا عليه السلام من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش فوقع في الماء (فاتخذ سبيله في البحر سربا) مسلكا كالسرب وهو النفق قيل أمسك الله عز وجل جرية الماء على الحوت فصار كالطلق عليه معجزة لموسى أو للخضر عليها السلام وانتصاب سربا على أنه مفعول ثان لاتخذ وفي البحر حال منه أو من السبيل ويجوز أن يتعلق باتخذ (فلما جاوزا) أي مجمع البحرين الذي جعل موعدا للبلاقاء قيل أدلجا وسارا الليلة والغد إلى الظهر والقي على موسى عليه السلام الجوع فعند ذلك (قال لفتاه آتنا غداءنا) أي ما نتغدى به وهو الحوت كما ينبغي عنه الجواب (لقد لقينا من

قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ
وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾

١٨ الكهف

١٨ الكهف

قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾

- سفرنا هذا) إشارة إلى ما سارا بعد مجاوزة الموعد (نصباً) تعباً وإحياء قيل لم ينصب ولم يجمع قبل ذلك *
والجمله في محل التعليل للأمر بإيتاء الغداء إما باعتبار أن النصب إنما يعترى بسبب الضعف الناشئ عن
الجرع وإما باعتبار ما في أثناء التذوق من استراحة ما (قال) أى فتاه عليه السلام (أرأيت إذ أوينا إلى ٦٣
الصخرة) أى النجا أنا إليها وأقنا عندها وذكر الإواء إليها مع أن المذكور فيما سبق مرتين بلوغ مجمع البحرين
لزبادة تعيين محل الحادثة فإن المجمع محل متسع لا يمكن تحقيق المراد المذكور بنسبة الحادثة إليه ولتقيد
العذر فإن الإواء إليها والنوم عندها مما يؤدي إلى النسيان عادة والرؤية مستعارة للمعرفة التامة والمشاهدة
الكاملة ومراده بالاستفهام تعجب موسى عليه السلام مما عتراه هناك من النسيان مع كون ما شاهده من
العنائم التي لا تكاد تنسى وقد جعل فقده علامة لوجدان المطلوب وهذا أسلوب معتاد فيما بين الناس
يقول أحدهم لصاحبه إذا نابه خطب أرأيت ما نأني يريد بذلك تهويله وتعجيب صاحبه منه وأنه بما لا يعمد
وقوعه لاستخباره عن ذلك كما قيل والمفعول محذوف اعتماداً على ما يدل عليه من قوله عز وجل (فإني *
نسيت الحوت) وفيه تأكيد للتعجب وتربية لاستعظام المنسى وإيقاع النسيان على اسم الحوت دون ضمير
الغداء مع أنه المأمور بإيتائه للتنبيه من أول الأمر على أنه ليس من قبيل نسيان المسافر زاده في المنزل وأن
ما شاهده ليس من قبيل الأحوال المتعلقة بالغذاء من حيث هو غذاء وطعام بل من حيث هو حوت كسائر
الحيثان مع زيادة أى نسيت أن أذكر لك أمره وما شاهدت منه من الأمور العجيبة (وما أنسانيه إلا *
الشيطان) بوسوسته الشاغلة عن ذلك وقوله تعالى (أن أذكره) بدل اشتغال من الضمير أى ما أنساني أن
أذكره لك وفي تعليق الإنشاء بضمير الحوت أولاً وبذكره له ثانياً على طريق الإبدال المنبئ عن تنحية
المبدل منه إشارة إلى أن متعلق النسيان أيضاً ليس نفس الحوت بل ذكر أمره وقرئ أن أذكره وإيثار أن
أذكره على المصدر للبالغه فإن مدلوله نفس الحدث عند وقوعه والحال وإن كانت غريبة لا يعمد نسيانها
لكنه لما تعود بمشاهدة أمثالها عند موسى عليه السلام وألفها قل اهتمامه بالمحافظة عليها (واتخذ سبيله *
في البحر عجباً) بيان لطرف من أمر الحوت منبئ عن طرف آخر منه وما بينهما اعتراض قدم عليه للاعتناء
بالاعتذار كأنه قيل حي واضطرب ووقع في البحر واتخذ سبيله فيه سبيلاً عجباً فعجباً ثانياً مفعولاً اتخذ
والطرف حال من أولهما أو ثانيهما أو هو المفعول الثاني وعجباً صفة مصدر محذوف أى اتخذ عجباً وهو كون
مسلكه كالطاق والسرب أو مصدر فعل محذوف أى أعجب منه عجباً وقد قيل إنه من كلام موسى عليه الصلاة
والسلام وليس بذلك (قال) أى موسى عليه الصلاة والسلام (ذلك) الذي ذكرت من أمر الحوت (ما كنا ٦٤

فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عَلِيمًا ﴿٦٥﴾ ١٨ الكهف

قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلِيتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ١٨ الكهف

قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ ١٨ الكهف

وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ ١٨ الكهف

قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ ١٨ الكهف

(نبح) وقرىء بإثبات الياء والضمير العائد إلى الموصول محذوف أصله نبغيه أى نطأ به لكونه أمانة للفوز بالمرام (فارتدا) أى رجعا (على آثارهما) طريقهما الذى جاءا منه (قصصاً) يقصان قصصاً أى يتبعان آثارهما لاتباعاً ومقتضين حتى أتيا الصخرة (فوجدا عبداً من عبادنا) التنكير للتفخيم والإضافة للشريف والجمهور على أنه الخضر واسمه بلياً بن ملكان وقيل اليسع وقيل إلياس عليهم الصلاة والسلام (آتيناه راحة من عندنا) هى الوحي والنبوة كما يشعر به تنكير الرحمة واختصاصها بجناب الكبرياء (وعلمناه من لدنا علماً) خاصاً لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره وهو علم الغيوب (قال له موسى) استئناف مبنى على سؤال نشأ من السباق كأنه قيل فاذا جرى بينهما من الكلام فقيل قال له موسى (هل أتبعك على أن تعلمن) استثناءً لأنه فى اتباعه له على وجه التعلم (بما علمت رُشداً) أى علماً ذا رشد أرشده به فى ديني والرشد إصابة الخير وقرىء بفتحيتين وهو مفعول تعلمن ومفعول علمت محذوف وكلاهما منقول من علم المتعدى إلى مفعول واحد ويجوز كونه آلة لا تبعك أو مصدرأ بإضمار فعله ولا ينافى نبوته وكونه صاحب شريعة أن يتعلم من نبي آخر مالا تعلق له بأحكام شريعته من أسرار العلوم الخفية ولقد راعى فى سوق الكلام غاية التواضع معه عليها السلام (قال) أى الخضر (إنك لن تستطيع معي صبراً) نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد كأنه لا يصح ولا يستقيم وعلمه بقوله (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً) لإيداناً بأنه يتولى أموراً خفية المدار منكورة الظواهر والرجل الصالح لاسيما صاحب الشريعة لا يتملك أن يشتمز عند مشاهدتها وفى صحيح البخارى قال الخضر يا موسى إني على علم من علم الله تعالى علمنيه لا تعلمه وأنت على علم من علم الله علمك الله لأعلمه وخبراً تميز أى لم يحط به خبرك (قال) موسى عليه الصلاة والسلام (ستجدني إن شاء الله صابراً) مملك غير معترض عليك وتوسيط الاستثناء بين مفعولي الوجدان لكمال الاعتناء بالتيمن ولئلا يتوهم تعلقه بالصبر (ولا أعصى لك أمراً) عطف على صابراً أى ستجدني صابراً وغير عاصوفى وعد هذا الوجدان من المبالغة ما ليس فى الوعد بنفس الصبر وترك العصيان أو على ستجدني فلا محل له من الإعراب والأول هو الأولى لما عرفته وظهر وتعلقه بالاستثناء حينئذ وفيه دليل على أن أفعال العباد بمشيئة الله سبحانه وتعالى .

قَالَ فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ وَحَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ ١٨ الكهف

فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ ١٨ الكهف

قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ ١٨ الكهف

قَالَ لَا تُؤْخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ ١٨ الكهف

فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِبَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتُمْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا

نُكْرًا ﴿٧٤﴾ ١٨ الكهف

- (قال فإن اتبعتنى) إذن له فى الاتباع بعد اللتيا والى والفاء لتفريع الشرطية على ماسر من التزام موسى ٧٠
 عليه الصلاة والسلام للصبر والطاعة (فلا تسألنى عن شىء) تشاهده من أفعالى أى لا تفتأخنى بالسؤال
 عن حكمته فضلا عن المناقشة والاعتراض (حتى أحدث لك منه ذكرا) أى حتى أبتدىء بديانه وفيه إيدان
 بأن كل ماصدر عنه فله حكمة وغاية حميدة البتة وهذا من أدب المتعلم مع العالم والتابع مع المتبوع وقرىء
 فلا تسألنى بالنون المثقلة (فانطلقا) أى موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام على الساحل يطلبان السفينة وأما ٧١
 يوشع فقد صرفه موسى عليه الصلاة والسلام إلى بنى إسرائيل قيل إنهما مرا بسفينة فكلمها أهلها فعرفوا
 الخضر لحملوهما بغير نول (حتى إذا ركبا فى السفينة) استعمال الركوب فى أمثال هذه المواقف بكلمة فى
 مع تجريد عنها فى مثل قوله عز وجل لتركبوهن وزينة على ما يقتضيه تعديته بنفسه لما أشرنا إليه فى قوله
 تعالى وقال اركبوا فيها لا لما قيل من أن فى ركوبها معنى الدخول (خرقها) قيل خرقتها بعد ما لججوا حيث
 أخذ فاسا فقلع من ألواحها لوحين مما بلى الماء فعند ذلك (قال) موسى عليه السلام (أخرقتها لتغرق أهلها)
 من الإغراق وقرىء بالثمدديد من التفريق وليغرق أهلها من الثلاثى (لقد جئت) أتيت وفعلت (شيئا
 إمرا) أى عظيما هائلا من أمر الأمر إذا عظم قيل الأصل أمر أنخفف (قال) أى الخضر عليه السلام ٧٢
 (ألم أقول إنك لن تستطيع معى صبرا) تذكير لما قاله من قبل وتحقيق لمضمونه متضمن للإنكار على عدم
 الوفاء وعدء (قال لا تؤاخذنى بما نسيت) بنسيانى أو بالذى نسيته أو بشىء نسيته وهو وصيته بأن لا يسأله ٧٣
 عن حكمة ماصدر عنه من الأفعال الخفية الأسباب قبل بيانه أراد أنه نسى وصيته ولا مؤاخذه على النامى
 كما ورد فى صحيح البخارى من أن الأول كان من موسى نسيانا أو أخرج الكلام فى معرض النهى عن المؤاخذه
 بالذبيان يوهمه أنه قد نسى ليدسط عذره فى الإنكار وهو من معاريض الكلام التى يلقى بها الكذب مع
 التوصل إلى الغرض أو أراد بالنسيان الترك أى لا تؤاخذنى بما تركت من وصيتك أول مرة (ولا ترهقنى)
 أى لا تغشنى ولا تهملى (من أمرى) وهو اتباعه إياه (عسرا) أى لا تعسر على متابعتك ويسرها على بالإغضاء
 وترك المناقشة وقرىء عسرا بضمهمين (فانطلقا) الفاء فصيحة أى فقبل عذره فخرجا من السفينة فانطلقا (حتى ٧٤

١٨ الكهف

قَالَ أَرَأَيْتَ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾

قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ ١٨ الكهف

فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَبَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ

١٨ الكهف

يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾

- إذ لقياً غلاماً فقتله) قيل كان الغلام يلعب مع الغلمان فقتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل أضجعه
 * فذبحه بالسكين (قال) أى موسى عليه الصلاة والسلام (أفتلت نفساً زكية) طاهرة من الذنوب وقرى.
 * زاكية (بغير نفس) أى بغير قتل نفس محرمة وتخصيص نفي هذا المبيع بالذكر من بين سائر المبيحات
 من الكفر بعد الإيمان والزنا بعد الإحصان لأنه الأقرب إلى الوقوع نظراً إلى حال الغلام ولعل تغيير
 النظم الكريم يجعل ماصدر عن الحضرة عليه الصلاة والسلام همناً من جملة الشرط وإبراز ماصدر عن
 موسى عليه الصلاة والسلام في معرض الجزاء المقصود إقادته مع أن التحقيق بذلك إنما هو ماصدر عن
 الحضرة عليه الصلاة والسلام من الخوارق البديعة لاستشراق النفس إلى ورود خبرها أقله وقوعها في
 نفس الأمر وندرة وصول خبرها إلى الأذهان ولذلك روعيت تلك النكتة في الشرطية الأولى لما أن صدور
 الخوارق منه عليه الصلاة والسلام خرج بوقوعه مرة مخرج العادة فانصرفت النفس عن ترقبه إلى ترقب
 أحوال موسى عليه الصلاة والسلام هل يحافظ على مراعاة شرطه بموجب وعده الأكيد عند مشاهدة
 خارق آخر أو يسارع إلى المناقشة كما مر في المرة الأولى فكان المقصود إقادة ماصدر عنه عليه الصلاة
 والسلام ففعل ما فعل والله در شأن التنزيل وأما ما قيل من أن القتل أفيح والاعتراض عليه أدخل فكان
 جديراً بأن يجعل عمدة في الكلام فليس من دفع الشبهة في شيء بل هو مؤيد لها فإن كون القتل أفيح من
 مبادئ قلة صدوره عن المؤمن العاقل وندرة وصول خبره إلى الأسماع وذلك مما يستدعى جعله مقصوداً
 بالذات وكون الاعتراض عليه أدخل من موجبات كثرة صدوره عن كل عاقل وذلك مما لا يقتضى جعله
 * كذلك (لقد جئت شيئاً نكراً) قيل معناه أنكر من الأول إذ لا يمكن تداركه كما يمكن تدارك الأول
 ٧٥ بالسد ونحوه وقيل الأمر أعظم من النكرة لأن قتل نفس واحدة أهون من إغراق أهل السفينة (قال
 ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً) زيد لك لزيادة المكالفة بالعتاب على رفض الوصية وفلة التثبيت
 ٧٦ والصبر لما تكرر منه الاشتزاز والاستنكار ولم يرعوا بالتذكير حتى زاد في التنكير في المرة الثانية (قال) أى
 * موسى عليه الصلاة والسلام (إن سألتك عن شيء بعدها) أى بعد هذه المرة (فلا تصاحبن) وقرى من
 * الإفعال أى لا تجعلني صاحبك (قد بلغت من لدني عذراً) أى قد أعذرت ووجدت من قبلي عذراً حيث
 خالفتك ثلاث مرات عن النبي ﷺ رحم الله أخى موسى استجيباً فقال ذلك لوابث مع صاحبه لا بصبر
 ٧٧ أعجب الأماجيب وقرى لدني بتخفيف النون وقرى بسكون الدال كعضد في عضد (فانطلقا حتى إذا

قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَنِيَّ وَبَيْنَكَ سَأْنُ بَيْنِكَ بَنَؤِيلَ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾
أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ

سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾
١٨ الكهف

- أتيا أهل قرية) هي أنطاكية وقيل أيلة وهي أبعد أرض الله من السماء وقيل هي برقة وقيل بلدة باندلس عن النبي ﷺ كانوا أهل قرية لثاماً وقيل شر القرى التي لا يضاف فيها الضيف ولا يعرف لابن السبيل حقه وقوله تعالى (استطعما أهلها) في محل الجر على أنه صفة لقرية ولعل العدول عن استطعماهم على أن يكون صفة للأهل لزيادة تشنيعهم على سوء صنيعهم فإن الإباء من الضيافة وهم أهلها قاطنون بها أقبح وأشنع روى أسهما طافا في القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضفاهم (فأبوا أن يضيفوهما) بالتشديد وقرى بالتخفيف من الإضافة يقال ضافه إذا كان له ضيفاً وأضافه وضيغه أنزله وجعله ضيفاً له وحقيقة ضاف مال إليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الإزورار (فوجدوا فيها جداراً يريد أن ينقض) أي يداني أن يسقط فاستعيرت الإرادة للدلالة على المبالغة في ذلك والانقضاض الإسراع في السقوط وهو انفعال من النقص يقال قضضته فانقض ومنه انقضاض الطير والسكر كسقوطه بسرعة وقبل هو افعلال من النقص كاحمر من الحمره وقرى أن ينقض من النقص وأن ينقاض من انقاض السن إذا انشقت طولا (فأقامه) قيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناءه وقيل أقامه بعمود عمدته به قيل كان سمكه مائة ذراع (قال لوشئت لاتخذت عليه أجراً) تحريراً له على أخذ الجمل لينتعبش به أو تعريضاً بأنه فضول لما في لو من النفي كأنه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتالك الصبر واتخذ فتعل من اتخذ بمعنى أخذ كاتبع من تبع وليس من الأخذ عند البصريين وقرى لاتخذت أي لاخذت وقرى بادغام الذال في التاء (قال) أي الحضر عليه الصلاة والسلام (هذا فراق بيني وبينك) على إضافة ٧٨ المصدر إلى الظرف اتساعاً وقد قرى على الأصل والمشار إليه إما نفس الفراق كافي هذا أخوك أو الوقت الحاضر أي هذا الوقت وقت فراق بيني وبينك أو السؤال الثالث أي هذا سبب ذلك الفراق حسبما هو الموعود (سأنبئك) السين للتأكيد لعدم تراخي التنبئة (بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً) التأويل رجوع الشيء إلى مآله والمراد به همنا المآل والعاقبة إذ هو المنبأ به دون التأويل وهو خلاص السفينة من البدلاء العادية وخلاص أبوي الغلام من شره مع الفوز بالبدل الأحسن واستخراج اليتيمين للكنز وفي جعل صلة الموصول عدم استطاعة موسى عليه الصلاة والسلام للصبر دون أن يقال بتأويل ما فعلت أو بتأويل ما رأيت ونحوهما أروع تعريض به عليه الصلاة والسلام وعتاب (أما السفينة) التي خرقتها (فكانت لمساكين) اضعفاء ٧٩ لا يقدرون على مدافعة الظلمة وقيل كانت لعشرة إخوة خمسة منهم زمني وخمسة (يعملون في البحر) واستناد العمل إلى الكل حينئذ إنما هو بطريق التغليب أو لأن عمل الوكلاء بمنزلة عمل الموكلين (فأردت أن أعيبها) أي أجعلها ذات عيب (وكان وراءهم ملك) أي أمامهم وقد قرى به أو خلفهم وكان رجوعهم

وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ ١٨ الكهف

فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّا زَكَّوْهُ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ ١٨ الكهف

وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ١٨ الكهف

عليه لا محالة واسمه جلندي بن كر كر وقيل منولة بن جلندي الأزدى (ياخذ كل سفينة) أى صالحة وقد قرىء كذلك (غصباً) من أصحابها وانتصابه على أنه مصدر مبين لنوع الأخذ ولعل تفريع إرادة تعيب السفينة على مسكنة أصحابها قبل بيان خوف الغصب مع أن مدارها كلا الأمرين للاعتناء بشأنها إذ هى المحتاجة إلى التأويل والإيدان بأن الأقوى فى المدارية هو الأمر الأول ولذلك لا يبالى بتخليص سفن سائر الناس مع تحقق خوف الغصب فى حقهم أيضاً ولأن فى التأخير فصلا بين السفينة وضميرها مع توهم رجوعه إلى الأقرب (وأما الغلام) الذى قتلته (فكان أبواه مؤمنين) لم يصرح بكفرانه أو بكفره إشعاراً بعدم الحاجة إلى الذكر لظهوره (فخشينا أن يرهقهما) يغيثنا أن يغشى الوالدين المؤمنين (طغياناً) عليهم (وكفراً) لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شراً وبلاء أو يقرن بإيمانهما طغيانه وكفره فيجتمع فى بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر أو يعديهما بدائه ويضلها بضلاله فيرتدا بسببه وإنما خشى الخضر عليه الصلاة والسلام منه ذلك لأن الله سبحانه أعلمه بحاله وأطلعته على سر أمره وقرىء تخاف ربك أى كره سبحانه كراهة من خاف سوء عاقبة الأمر فغيره ويجوز أن تكون القراءة المشهورة على الحكاية بمعنى فكرهنا كقوله تعالى لا هب لك (فأردنا أن يبدلها ربهما خيراً) منه بأن يرزقها بدله ولدأ خيراً (منه) وفى التعرض لعنوان الربوبية والإضافة إليهما مالا يخفى من الدلالة على إرادة وصول الخير إليهما (زكاة) طهارة من الذنوب والاختلاق الرديئة (وأقرب رحماً) أى رحمة وعطفاً قبل ولدت لهما جارية تزوجها نبى فولدت نبياً هدى الله تعالى على يديه أمة من الأمم وقيل ولدت سبعين نبياً وقيل أبدلها ابناً ومناً مثلها وقرىء يبدلها بالتشديد وقرىء رحماً بضم الحاء أيضاً وانتصابه على التمييز مثل زكاة (وأما الجدار) المعهود (فكان الغلامين يتيمين فى المدينة) هى القرية المذكورة فيما سبق ولعل التعبير عنها بالمدينة لإظهار نوع اعتدادها باعتبار ما فيها من اليتيمين وأبيهما الصالح قبل اسمهما لإصرم وصريم واسم المقتول جيسور (وكان تحته كنز لهما) من فضة وذهب كما روى مرفوعاً والزم على كنهما فى قوله عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدى زكاتها وسائر حقوقها وقيل كان لواح من ذهب مكتوباً فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيل

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾

- صحف فيها علم (وكان أبوهما صالحاً) تنبيه على أن سعيه في ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الأب الذي حفظا فيه سبعة آباء (فأراد ربك) أي مالكك ومدير أمورك ففي إضافة الرب إلى ضمير موسى عليه الصلاة والسلام دون ضميرهما تنبيه له عليه الصلاة والسلام على تحتم كمال الانقياد والاستسلام لإرادته سبحانه ووجوب الاحتراز عن المناقشة فيما وقع بحسبها من الأمور المذكورة (أن يبلغا أشدهما) أي حللها وكال رأيها (ويستخرجا) بالكلية (كنزهما) من تحت الجدار ولولا أني أقنته لانتفض وخرج الكنز من تحته قبل افتداهما على حفظ المال وتنميته وضاع (رحمة من ربك) مصدر في موقع الحال أي مرحومين منه عز وجل أو مفعول له أو مصدر مؤكد لأراد فإن لإرادة الخير رحمة وقيل متعلق بمضمر أي فعلت ما فعلت من الأمور التي شاهدتها رحمة من ربك ويعضده إضافة الرب إلى ضمير المخاطب دون ضميرهما فيكون قوله عز وعلا (وما فعلته عن أمري) أي عن رأي واجتهادي تأكيد لذلك (ذلك) إشارة إلى العواقب المنظومة في سلك البيان وما فيه من معنى البعد الإيذان ببعد درجتها في الفخامة (تأويل ما لم تستطع) أي لم تستطع فحذف التاء للتخفيف (عليه صبراً) من الأمور التي رابته أي ما له وعاقبته فيكون إنجازاً للنسبة الموعودة أو إلى البيان نفسه فيكون التأويل بمعناه وعلى كل حال فهو فذلك لما تقدم وفي جعل الصلاة عين مامر تكرير للتأكيد وتشديد للعتاب . تنبيه : اختلفوا في حياة الخضر عليه الصلاة والسلام فقيل إنه حي وسببه إنه كان على مقدمة ذي القرنين فلما دخل الظلمات أصاب الخضر عين الحياة فنزل واغتسل منها وشرب من مائها وأخطأ ذو القرنين الطريق فعادوا إلى الباس أيضاً في الحياة يلتقيان كل سنة بالموسم وقيل إنه ميت لما روى أن النبي ﷺ صلى العشاء ذات ليلة ثم قال أرايتكم ليلتكم هذه فإن رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد ولو كان الخضر حينئذ حياً لما عاش بعد مائة عام . روى أن موسى عليه الصلاة والسلام لما أراد أن يفارقه قال أوصني قال لا تطلب العلم لتحدث به وإطلبه لتعمل به (ويسألونك عن ذي القرنين) هم اليهود سألوه على وجه الامتحان أو سأله قريش بتلقينهم وصيغة ٨٣ الاستقبال الدلالة على استمرارهم على ذلك إلى ورود الجواب وهو ذو القرنين الأكبر واسمه الإسكندر ابن فيلفوس اليوناني وقال ابن إسحق اسمه مرزبان بن مردبه من ولد يافث بن نوح عليه الصلاة والسلام وكان أسود وقيل اسمه عبد الله بن الضحاك وقيل مصعب بن عبد الله بن فينان بن منصور بن عبد الله بن الأزربن عون بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يعرب بن قحطان وقال السهيلي قيل إن اسمه مرزبان بن مدركة ذكره ابن هشام وهو أول التبابعة وقيل إنه أفريدون بن النعمان الذي قتل الضحاك وذكر أبو الريحان البيروني في كتابه المسمى بالآثار الباقية عن القرون الخالية أن ذا القرنين هو أبو كرب سمى ابن عير بن أفرقيس الحميري وأن ملكه بلغ مشارق الأرض ومغاربها وهو الذي افتخر به التبعية اليماني حيث قال [قد كان ذو القرنين جدي مسلماً * ملكاً علا في الأرض غير مفند] [بلغ المشارق والمغارب ينتفى * أسباب أمر من حكيم مرشد] وجعل هذا القول أقرب لأن الأذواء كانوا من اليمن كذي المنار وذي نواس وذي النون وذي

رعين وذى يزن وذى جدن قال الإمام الرازى والأول هو الآخر لأن من بلغ ملكه من السعة والقوة إلى الغاية التى نطق بها التنزيل الجليل إنما هو الإسكندر اليونانى كما تشهد به كتب التواريخ يروى أنه لما مات أبوه جمع ملك الروم بعد أن كان طوائف ثم قصد ملوك العرب وقهرهم ثم أمعن حتى انتهى إلى البحر الأخضر ثم عاد إلى مصر فبنى الإسكندرية وسماها باسمه ثم دخل الشام وقصد بنى إسرائيل وورد بيت المقدس وذبح في مذبحه ثم انعطف إلى أرمينية وباب الأبواب ودان له العراقيون والقبط والبربر ثم توجه نحو دار ابن دارا وهزمه مراراً إلى أن قتله صاحب حرسه واستولى على ممالك الفرس وقصد الهند وفتحها وبنى مدينة سرنديب وغيرها من المدن العظام ثم قصد الصين وغزا الأمم البعيدة ورجع إلى خراسان وبنى بها مدائن كثيرة ورجع إلى العراق ومرض بشهر زور ومات انتهى كلام الإمام وروى أن أهل النجوم قالوا له إنك لا تموت إلا على أرض من حديد وتحت سماء من خشب وكان يدفن كنز كل بلدة فيها ويكتب ذلك بصفته وموضعه فبلغ بابل فرعف وسقط عن دابته فبسط له دروع فنام عليها فأذته الشمس فأظلمه بترس فنظر فقال هذه أرض من حديد وسماء من خشب فأيقن بالموت فمات وهو ابن ألف وستة سنة وقيل ثلاثة آلاف سنة قال ابن كثير وهذا غريب وأغرب منه ما قاله ابن عساكر من أنه بلغنى أنه عاش ستاً وثلاثين سنة أو ثنتين وثلاثين سنة وأنه كان بعد داود وسليمان عليهما السلام فإن ذلك لا ينطبق إلا على ذى القرنين الثانى كما سنذكره قلت وكذا ما ذكره الإمام من قصد بنى إسرائيل وورد بيت المقدس والذبح في مذبحه فإنه مما لا يكاد يتأتى نسبته إلى الأول واختلف في نبوته بعد الاتفاق على إسلامه وولايته ف قيل كان نبياً لقوله تعالى إنا مكننا له فى الأرض وظاهر أنه متناول للمتمكين فى الدين وقاله بالنبوة ولقوله تعالى وآتيناه من كل شئ مسيباً ومن جملة الأشياء النبوة ولقوله تعالى فلما إذا القرنين ونحو ذلك وقيل كان ملكاً لما روى أن عمر رضى الله عنه سمع رجلاً يقول لا خير إذا القرنين فقال اللهم غفرأ أما رضىتم أن تتسموا باسماء الأنبياء حتى تسميتهم باسماء الملائكة قال ابن كثير والصحيح أنه ما كان نبياً ولا ملكاً وإنما كان ملكاً صالحاً عادلاً ملكاً لا قاليم وقهر أهلها من الملوك وغيرهم ودانت له البلاد وأنه كان داعياً إلى الله تعالى سائراً فى الخلق بالمعذلة التامة والسلطان المؤيد المنصور وكان الخضر على مقدمة جيشه بمنزلة المستشار الذى هو من الملك بمنزلة الوزير وقد ذكر الأزرقي وغيره أنه أسلم على يدى إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فطاف معه بالسكبة هو وإسماعيل عليهم السلام وروى أنه حج ماشياً فلما سمع إبراهيم عليه الصلاة والسلام بقدومه تلقاه ودعاه وأوصاه بوصايا وبعاله أنه أتى بفرس ليركب فقال لا أركب فى بلد فيه الخليل فعند ذلك سحر له السحاب وطوى له الأسباب وبشره إبراهيم عليه الصلاة والسلام بذلك فكانت السحاب تحمله وعساكره وجميع آلهم إذا أرادوا غزوة قوم وقال أبو الطغريل سئل عنه على كرم الله وجهه أكان نبياً أم ملكاً فقال لم يكن نبياً ولا ملكاً لكن كان عبداً أحب الله فأحبه وناصح الله فناصحه سحر له السحاب ومد له الأسباب واختلف فى وجه تسميته بذى القرنين ف قيل لأنه بلغ قرن الشمس مشرقها ومغربها وقيل لأنه ملك الروم وفارس وقيل الروم والترك وقيل لأنه كان فى رأسه أو فى تاجه ما يشبه القرنين وقيل لأنه كان له ذؤابتان وقيل لأنه كانت صفحتا رأسه من النحاس وقيل لأنه دعا الناس إلى الله عز وجل فحضر

بقرنه الأيمن فمات ثم بعثه الله تعالى فضرب بقرنه الأيسر فمات ثم بعثه الله تعالى وقيل لأنه رأى في منامه أنه صعد الفلك فأخذ بقرني الشمس وقيل لأنه انقرض في عهده قرنان وقيل لأنه سخر له النور والظلمة فإذا سرى يهديه النور من أمامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل لقب به لشجاعته هذا وأما ذو القرنين الثاني فقد قال ابن كثير أنه الإسكندر بن فيليس بن مصرم بن هرمس بن ميطون بن رومي بن ليطي بن يونان ابن يافث بن نوح بن شرخون بن رومية بن ثوئط بن نوفيل بن رومي بن الأصغر بن العنبر بن العيص بن إسحق بن إبراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام كذا نسبته ابن عساكر المقدوني اليوناني المصري باني الإسكندرية الذي يؤرخ بأيامه الروم وكان متأخراً عن الأول بدهر طويل أكثر من ألفي سنة كان هذا قبل المسيح عليه السلام بنحو من ثلاثمائة سنة وكان وزيره أرسطاطاليس الفيلسوف وهو الذي قتل دارا ابن دارا وأذل ملوك الفرس ووطى أرضهم ثم قال ابن كثير وإنما بينا هذا لأن كثير من الناس يعتقد أنها واحد وأن المذكور في القرآن العظيم هو هذا المتأخر فيقع بذلك خطأ كبير وفساد كثير كيف لا والأول كان عبداً صالحاً مؤمناً وملكاً عادلاً ووزيره الخضر عليه الصلاة والسلام وقد قيل إنه كان نبياً وأما الثاني فقد كان كافراً ووزيره أرسطاطاليس الفيلسوف وقد كان ما بينهما من الزمان أكثر من ألفي سنة فأي هذا من ذلك انتهى قلت المقدوني نسبة إلى بلد من بلاد الروم غربي دار السلطنة السنية قسطنطينية المحمية لازالت مشحونة بالشعائر الدينية بينهما من المسافة مسيرة خمسة عشرة يوماً ونحو ذلك عند مدينة سيروز اسمها بلغة اليونانيين مقدونيا كانت سرير ملك هذا الإسكندر وهي اليوم بلقع لا يقيم بها أحد ولكن فيها علامتهم تحكي كمال عظمتها في عهد عمرائها ونهاية شوكة واليها وسلطانها ولقد مررت بها عند القفول من بعض المغازي السلطانية فما لبثت فيها من تعاجيب الآثار ما فيه عبرة لأولي الأبصار (قل) لهم في الجواب (سأتلو عليكم) أي سأذكر لكم (منه) أي من ذي القرنين (ذكرأ) أي نبأ مذكورا وحيث كان ذلك بطريق الوحي المتلو حكاية عن جهة الله عز وجل قيل سأتلو أو سأتلو في شأنه من جهته تعالى ذكرأ أي قرأنا والسين للنا كيدوالدلالة على التحقيق المناسب لمقام تأييده عليه الصلاة والسلام وتصديقه بإنجاز وعده أي لا أترك التلاوة البتة كما في قول من قال [سأشكر عمر إن تراخت مني] أي أبادى لم تمنى وإن هي جلت [لا الدلالة على أن التلاوة ستقع فيما يستقبل كما قيل لأن هذه الآية ما نزلت بانفرادها قبل الوحي بتمام القصة بل موصولة بما بعدها ريثما سألوه ﷺ عنه وعن الروح وعن أصحاب الكهف فقال لهم ﷺ ائمنوني غداً أخبركم فأبطأ عليه الوحي خمسة عشرة يوماً أو أربعين كما ذكر فيما سلف وقوله عز وجل (إنا مكننا له في الأرض) ٨٤ شروع في تلاوة الذكر المعهود حسبها هو الموعد والتكئين ههنا الإقذار وتمهيد الأسباب يقال مكنه ويمكن له ومعنى الأول جعله قادراً وقوياً ومعنى الثاني جعل له قدرة وقوة ولتلازمها في الوجود وتقاربهما في المعنى يستعمل كل منهما في محل الآخر كما في قوله عز وجل مكنهم في الأرض مالم نمكن لكم أي جعلناهم

١٨ الكهف

فَاتَّبَعَ سَبِيلاً ﴿٨٥﴾

حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجدهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَبْنَؤُا الْقَرْنَيْنِ
إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾

١٨ الكهف

قادرين من حيث القوى والأسباب والآلات على أنواع التصرفات فيها مالم نجعله لكم من القوة والسعة
في المال والاستظهار بالعدد والأسباب فكانه قيل مالم نمكنكم فيها أي مالم نجعلكم قادرين على ذلك فيها أو
مكننا لهم في الأرض مالم نمكن لكم وهكذا إذا كان التمكين مأخوذاً من المكان بناء على توهم ميمه أصلية
كما أشير إليه في سورة يوسف عليه الصلاة والسلام والمعنى إنا جعلنا له مكنة وقدرة على التصرف في
الأرض من حيث التدبير والرأي والأسباب حيث سخر له السحاب ومدله في الأسباب وبسط له
النور وكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير في الأرض وذلك له طرقها (وآتيناه من كل شيء)
• أراده من مهبات ملكه ومقاصده المتعلقة بسلطانه (سبياً) أي طريقاً يوصله إليه وهو كل ما يتوصل به
٨٥ إلى المقصود من علم أو قدرة أو آفة (فاتبع) بالقطع أي فأراد بلوغ المغرب فاتبع (سبياً) يوصله إليه
ولعل قصد بلوغ المغرب ابتداء لمراعاة الحركة الشمسية وقرى فاتبع من الافتعال والفرق أن الأول فيه
٨٦ معنى الإدراك والإسراع دون الثاني (حتى إذا بلغ مغرب الشمس) أي منتهى الأرض من جهة المغرب
بحيث لا يتمكن أحد من مجاوزته ووقف على حافة البحر المحيط الغربي الذي يقال له أوقيانوس الذي فيه
• الجزائر المسماة بالخالدات التي هي مبدأ الأطوال على أحد القولين (وجدها) أي الشمس (أغرب في
عين حمة) أي ذات حماة وهي الطين الأسود من حمت البئر إذا كثرت حماتها وقرى حامية أي حلقة
روى أن معاوية رضى الله عنه قرأ حامية وعنده ابن عباس رضى الله عنهما فقال حمة فقال معاوية لعبد
الله بن عمرو بن العاص كيف تقرأ قال كما يقرأ أمير المؤمنين ثم وجه إلى كعب الأخبار كيف تجدد الشمس
تغرب قال في ماء وطين وروى في ثأط فوافق قول ابن عباس رضى الله عنهما وليس بينهما منافاة قطعية
لجواز كون العين جامعة بين الوصفين وكون الياء في الثانية منقلبة عن الهمزة لانكسار ما قبلها وأما
رجوع معاوية إلى قول ابن عباس رضى الله عنهم بما سمعه من كعب مع أن قراءته أيضاً مسهوعة قطعاً
فلكون قراءة ابن عباس رضى الله عنهما قطعية في مدلولها وقراءته محتملة ولعله لما بلغ ساحل المحيط
• رآها كذلك إذ ليس في مطعم بصره غير الماء كما يلوح به قوله تعالى وجدها تغرب (ووجد عندها) عند
• تلك العين (قوماً) قيل كان لباسهم جلود الوحوش وطعامهم مالغظه البحر وكانوا كفاراً غيروه الله جل
• ذكره بين أن يعذبهم بالقتل وأن يدعوهم إلى الإيمان وذلك قوله تعالى (قلنا يا أبا القرنين إما أن تعذب)
• بالقتل من أول الأمر (وإما أن تتخذ فيهم حسناً) أي أمر إذا حسن على حذف المضاف أو على طريقة
إطلاق المصدر على موصوفه بمبالغة وذلك بالدعوة إلى الإسلام والإرشاد إلى الشرائع ومحل أن مع صلاته
إما الرفع على الابتداء أو الخبرية وإما النصب على المفعولية أي إما تعذيبك واقع أو إما أمرك تعذيبك

قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَّكَرًا ﴿٨٧﴾ ١٨ الكهف

وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحَسَنَىٰ وَسَنُقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ١٨ الكهف

ثُمَّ أَتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ ١٨ الكهف

حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ ١٨ الكهف

- أو إما تفعل تعذيبك وهكذا الحال في الاتخاذ ومن لم يقل بنبوته قال كان ذلك الخطاب بواسطة نبي في ذلك العصر أو كان ذلك إلهاماً لا وحياً بعد أن كان ذلك التخيير موافقاً لشرعية ذلك النبي (قال) أي ذو القرنين لذلك النبي أو لمن عنده من خواصه بعد ما تلقى أمره تعالى مختاراً للشق الأخير (أما من ظلم) أي نفسه ولم يقبل دعوتي وأصر على ما كان عليه من الظلم العظيم الذي هو الشرك (فسوف نعذبه) بالقتل وعن فتادة أنه كان يطبخ من كفر في القدور ومن آمن أعطاه وكساه (ثم يرد إلى ربه) في الآخرة (فيعذبه) فيها (عذاباً نكراً) أي منكراً فظيماً وهو عذاب النار وفيه دلالة ظاهرة على أن الخطاب لم يكن بطريق الوحى إليه وأن مقاولته كانت مع النبي أو مع من عنده من أهل مشورته (وأما من آمن) بموجب دعوتي ٨٨ (وعمل) عملاً (صالحاً) حسبما يقتضيه الإيمان (فله) في الدارين (جزاء الحسن) أي فله المثوبة الحسنى أو الفعلة الحسنى أو الجنة جزاء على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة قدم على المبتدأ اعتناء به أو منصوب بمضمر أي نجزي بها جزاء والجملة حالية أو معترضة بين المبتدأ والخبر المتقدم عليه أو حال أي مجزياً بها أو تمييز وقرى منصوباً غير ممنون على أنه سقط تنوينه لانتفاء الساكنين ومرفوعاً ممنوناً على أنه المبتدأ والحسن بدله والخبر الجار والمجرور وقيل خير بين القتل والأسر والجواب من باب الأسلوب الحكيم لأن الظاهر التخيير بينهما وهم كفار فقال أما الكافر فبراى فى حقه قوة الإسلام وأما المؤمن فلا يتعرض له إلا بما يجب ويجوز أن تكون إما وإما للتوزيع دون التخيير أى وليكن شأنك معهم إما التعذيب وإما الإحسان فالأول لمن بقى على حاله والثانى لمن تاب (وسنقول له من أمرنا) أي بما نأمر به (يسراً) أي سهلاً متيسراً * غير شاق وتقديره ذا يسراً أو أطلق عليه المصدر مبالغة وقرى بضممتين (ثم أتبع سبباً) أي طريقاً راجعاً ٨٩ من مغرب الشمس موصل إلى مشرقها (حتى إذا بلغ مطلع الشمس) يعنى الموضع الذى تطلع عليه الشمس أولاً من معمورة الأرض وقرى بفتح اللام على تقدير مضاف أى مكان طلوع الشمس فإنه مصدر قيل بلغه فى اثنتى عشرة سنة وقيل فى أقل من ذلك بناء على ما ذكر من أنه سخر له السحاب وطوى له الأسباب (وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً) من اللباس والبناء قيل هم الزنوج وعن كعب أن أرضهم لا تمسك الأبنية وبها أسراب فإذا طلعت الشمس دخلوا الأسراب أو البحر فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى معاشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقالوا اينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فإذا أحدهم يفرش أذنه ويلبس الأخرى ومعنى صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جئنا تنظر كيف

١٨ الكهف

كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾

١٨ الكهف

ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾

حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ ١٨ الكهف

قَالُوا يَنْذَا الْقَرْنَيْنِ إِنْ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ

١٨ الكهف

بَيْنَنَا وَبَيْنَهُم سَدًّا ﴿٩٤﴾

- تطلع الشمس قال فينبينا نحن كذلك إذ سمعنا كهيفة الصلصلة فغشى على ثم أفقت وهم مسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء إذا هو فوق الماء كهيفة الزيت فأدخلونا سرباً لهم فلما ارتفع النهار خرجوا إلى البحر يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان
- ٩١ عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض (كذلك) أى أمر ذى القرنين كما وصفناه لك في رفة المحل وبسطة الملك أو أمره فيهم كأمره في أهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز أن يكون صفة مصدر مجذوف لوجد أو نجعل أو صفة قوم أى على قوم مثل ذلك القبيل الذى تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم أو سترأ مثل ستركم من اللباس والأكتان والجبال وغير ذلك (وقد أحطنا بما لديه) من
- * الأسباب والعدد والعدد (خبراً) يعنى أن ذلك من الكثرة بحيث لا يحيط به إلا علم اللطيف الخبير هذا على الوجه الأول وأما على الوجه الباقية فالمراد بما لديه ما يتناول ما جرى عليه وما صدر عنه وما لاقاه
- ٩٢ فتأمل (ثم أتبع سبباً) أى طريقاً ثالثاً معترضاً بين المشرق والمغرب آخذاً من الجنوب إلى الشمال
- ٩٣ (حتى إذا بلغ بين السدين) بين الجبلين الذين سد ما بينهما وهو منقطع أرض الترك مما يلي المشرق لاجبلا أرمينية وأذربيجان كما توهم وقرى بالضم قيل ما كان من خلق الله تعالى فهو مضموم وما كان من عمل الخلق فهو مفتوح وانتصاب بين على المفعولية لأنه مبلوغ وهو من الظروف التى تستعمل أسماء أيضاً كما ارتفع في قوله تعالى لقد تقطع بينكم وانجرى في قوله تعالى هذا فراق بينى وبينك (وجد من دونهما) أى من ورأتهمما مجاوزاً عنهما (قوماً) أى أمة من الناس (لا يكادون يفقهون قولاً) لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرىء من باب الإفعال أى لا يفهمون السامع كلامهم واختلفوا فى أنهم من أى الأقوام فقال الضحاك هم جيل من الترك وقال السدى الترك سرية من يأجوج ومأجوج خرجت ف ضرب ذو القرنين السد فبقيت خارجة لجميع الترك منهم وعن قتادة أنهم اثنتان وعشرون قبيلة سد ذو القرنين على إحدى وعشرين قبيلة منهم وبقيت واحدة فسموا الترك لأنهم تركوا خارجين قال أهل التاريخ أولاد نوح عليه السلام ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب والعجم والروم وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة ويافث أبو الترك والخزر والصقالبة ويأجوج ومأجوج (قالوا) أى بواسطة مترجمهم أو بالذات على أن يكون فهم
- ٩٤

قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾
 ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ أَنفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي
 أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ ١٨ الكهف

- ذى القرنين كلامهم وإفهام كلامه إياهم من جملة ما آتاه الله تعالى من الأسباب (ياذا القرنين إن يا جوج
 وما جوج) قد ذكرنا أنهما من أولاد يافث بن نوح عليه السلام وقيل يا جوج من الترك وما جوج من
 الجبل واختلف في صفاتهم فقيل في غاية صغر الجنة وقصر القامة لا يزيد قدم على شبر واحد وقيل في
 نهاية عظم الجسم وطول القامة تبلغ قدودهم نحو مائة وعشرين ذراعاً وفيهم من عرضه كذلك وقيل لهم
 مغالب وأضراس كالسباع وهما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف وقيل عريان من أج الظلم إذا أسرع
 وأصلها الهمة كما قرأنا أصم وقد قرىء بغير همزة ومنع صرفها للتعريف والتأنيث (مفسدون في الأرض)
 أى فى أرضنا بالقتل والتخريب وإتلاف الزروع قيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون أخضر إلا
 أكلوه ولا يابساً إلا احتملوه وقيل كانوا يأكلون الناس أيضاً (فهل نجعل لك خراجاً) أى جعلاً من
 أموالنا والفاء لتفريع العرض على إفسادهم فى الأرض وقرىء خراجاً وكلاهما واحد كالنول والنوال
 وقيل الخراج ما على الأرض والذمة والخرج المصدر وقيل الخرج ما كان على كل رأس والخراج ما كان
 على البلد وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لمك أدأوه (على أن نجعل بيننا وبينهم سداً) وقرىء بالضم
 (قال مامكى) بالإدغام وقرىء بالفك أى مامكننى (فيه رنى) وجعلنى فيه مكيئاً قادراً من الملك والمال ٩٥
 وسائر الأسباب (خير) أى ما تريدون أن تبذلوه إلى من الخرج فلا حاجة بى إليه (فأعينونى بقوة) أى
 بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبآلات لا بد منها فى البناء والفاء لتفريع الأمر بالإعانة على خيرية
 ما يمكنه الله تعالى فيه من ما لهم أو على عدم قبول خرجهم (أجعل) جواب للأمر (بينكم وبينهم) تقديم
 لإضافة الطرف إلى ضمير المخاطبين على إضافته إلى ضمير يا جوج وما جوج لإظهار كمال العناية بمصالحهم كما
 راعوه فى قولهم بيننا وبينهم (ردماً) أى حاجزاً حصيناً وبرزخاً متيناً وهو أكبر من السد وأوثق يقال
 ثوب مردم أى فيه رقاع فوق رقاع وهذا إسعاف بمرامهم فوق ما يرجونه (آتونى زبر الحديد) جمع زبرة ٩٦
 كغرف فى غرفة وهى القطعة الكبيرة وهذا لا يتأنى ردخارجهم لأن المأمور به الإيتاء بالثمن أو المناولة
 كما ينهى عنه القراءة بوصل الهمة أى جيشونى بزبر الحديد على حذف الباء كما فى أمرتك الخير ولأن إيتاء
 الآلة من قبيل الإعانة بالقوة دون الخراج على العمل ولعل تخصيص الأمر بالإيتاء بها دون سائر الآلات
 من الصخور والخطب ونحوهما لما أن الحاجة إليها أمس إذ هى الركن فى السد ووجودها أعز قبل حفر
 الأساس حتى يبلغ الماء وجعل الأساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الخطب
 والفحم حتى سد ما بين الجبلين إلى أعلاهما وكان مائة فرسخ وذلك قوله عز قائله (حتى إذا ساوى بين
 الصدفين) أى أتوه إياها فاخذ يدي شيتاً فشيتاً حتى إذا جعل ما بين ناحيتى الجبلين من البنيان مساوياً لهما

١٨ الكهف

فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾

قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ١٨ الكهف

في السمك على النهج المحكي قيل كان ارتفاعه مائتي ذراع وعرضه خمسين ذراعاً وقرىء سوى من التسوية
 * وسوى على البناء للسجول (قال) للعملة (انفخوا) أى بالكيران في الحديد المبني ففعلوا (حق إذا جعله)
 * أى المنفوخ فيه (ناراً) أى كالنار في الحرارة والهيئة وإسناد الجمل المذكور إلى ذى القرنين مع أنه فعل
 * الفعلة للتنبيه على أنه العمدة في ذلك وهم بمنزلة الآلة (قال) للذين يتولون أمر النحاس من الإذابة ونحوها
 * (أتوني أفرغ عليه قطراً) أى أتوني قطراً أى نحاساً مذاباً أفرغ عليه قطراً لحذف الأول لدلالة الثاني
 عليه وقرىء بالوصل أى جيتوني كأنه يستدعيهم للإطاعة باليد عند الإفراغ وإسناد الإفراغ إلى نفسه للسر
 ٩٧ الذى وقفت عليه آنفاً وكذا الكلام في قوله تعالى ساوى وقوله تعالى أجعل (فما استطاعوا) بحذف تاء
 الافتعال تخفيفاً وحذراً عن تلاقى المتقاربين وقرىء بالإدغام وفيه جمع بين الساكنين على غير حده
 وقرىء بقلب السين صاداً والفاء فصيحة أى فعلوا ما أمروا به من إيتاء القطر أو الإتيان فأفرغه عليه
 فاختلط والتصق بعضه ببعض فصار جبلاً صلباً فجاء يأجوج ومأجوج فقصدوا أن يعلوه وينقبوه فما
 استطاعوا (أن يظهروه) أى يعلوه ويرقوا فيه لارتفاعه وملاسته (وما استطاعوا له نقباً) لصلابته
 وثخائته وهذه معجزة عظيمة لأن تلك الزبر الكثيرة إذا أثرت فيها حرارة النار لا يقدر الحيوان على أن
 يحوم حولها فضلاً عن النفخ فيها إلى أن تكون كالنار أو عن إفراغ القطر عليها فكانه سبحانه وتعالى صرف
 تأثير تلك الحرارة العظيمة عن أبدان أولئك المباشرين الأعمال فكان ما كان والله على كل شئ قدير وقيل
 بناء من الصخور مرتبطاً بعضها ببعض بكلايب من حديد ونحاس مذاب في تجاويها بحيث لم يبق هناك
 ٩٨ فرجة أصلاً (قال) أى ذو القرنين لمن عنده من أهل تلك الديار وغيرهم (هذا) إشارة إلى السد وقيل إلى
 تمكيته من بنائه والفضل المتقدم أى هذا الذى ظهر على يدي وحصل بمباشرتي من السد الذى شأنه
 ما ذكر من المتانة وصعوبة المنال (رحمة) أى أثر رحمة عظيمة عبر عنه بها مبالغة (من ربى) على كافة العباد
 لاسيما على مجاوريه وفيه إيدان بأنه ليس من قبيل الآثار الحاصلة بمباشرة الخلق عادة بل هو إحسان إلهي
 محض وإن ظهر بمباشرتي والتعرض لوصف الربوبية لتربية معنى الرحمة (فإذا جاء وعد ربى) مصدر بمعنى
 المفعول وهو يوم القيامة لا خروج يأجوج ومأجوج كما قيل إذ لا يساعده النظم الكريم والمراد بمجيئة
 ما ينتظم بمجيئه ومباديه من خروجهم وخروج الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام ونحو ذلك
 لا دنو وقوعه فقط كما قيل فإن بعض الأمور التى ستحكي تقع بعد مجيئه حتماً (جعله) أى السد المشار إليه
 مع متانته ورصانته وفيه من الجزالة ما ليس في توجيه الإشارة السابقة إلى التمكين المذكور (دكاه) أى
 أرضاً مستوية وقرىء دكا أى مدكوكاً مسوياً بالأرض وكل ما انبسط بعد ارتفاعه فقد اندك ومنه الجمل
 الأدك أى المنبسط السنام وهذا الجمل وقت مجيئه الوعد بمجيئه بعض مباديه وفيه بيان لعظم قدرته عو

وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ جَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ ١٨ الكهف

وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا ﴿١٠٠﴾ ١٨ الكهف

الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ ١٨ الكهف

- * وجل بعد بيان سعة رحمته (وكان وعد ربى) أى وعده المعبود أو كل ما وعد به فيدخل فيه ذلك دخولا
- * أولياً (حقاً) ثابتاً لا محالة واقعاً البتة وهذه الجملة تذييل من ذى القرنين لما ذكره من الجملة الشرطية ومقرر
- * مؤكد لمضمونها وهو آخر ما حكى من قصته وقوله عز وجل (وتركنا بعضهم) كلام مسوق من جنبه تعالى ٩٩
- * معطوف على قوله تعالى جعله دكا. ومحقق لمضمونه أى جعلنا بعض الخلائق (يومئذ) أى يوم إذ جاء الوعد
- * بمجى بعض مباديه (بموج فى بعض) آخر منهم يضطربون اضطراب أمواج البحر ويختلط أنسهم وجنهم
- * حيارى من شدة الهول ولعل ذلك قبل النفخة الأولى أو تركنا بعض بأجوج وما موج بموج فى بعض آخر
- * منهم حين يخرجون من السد مزدحمين فى البلاد روى أنهم يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه
- * ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدر أن يأتوا مكة والمدينة ويدت
- * المقدس ثم يبعث الله عز وجل نفثاً فى أبقائهم فيدخل آذانهم فيموتون موت نفس واحدة فيرسل
- * الله تعالى عليهم طيراً فتلقهم فى البحر ثم يرسل مطراً يغسل الأرض ويطهرها من تنهم حتى
- * يتركها كالزلفة ثم يوضع فيها البركة وذلك بعد نزول عيسى عليه الصلاة والسلام وقتل الدجال (ونفخ
- * فى الصور) هى النفخة الثانية بقضية الفاء فى قوله تعالى (لجمعناهم) ولعل عدم التعرض لذكر النفخة الأولى
- * لأنها داهية عامة ليس فيها حالة مختصة بالكفار ولئلا يقع الفصل بين ما يقع فى النشأة الأولى من الأحوال
- * والأحوال وبين ما يقع منها فى النشأة الآخرة أى جمعنا الخلائق بعدما تفرقت أوصالهم وتمزقت أجسادهم
- * فى صعيد واحد للحساب والجزاء (جمعاً) أى جمعاً عجيباً لا يكتنه كنهه (وعرضنا جهنم) أى أظهرناها ١٠٠
- * وأبرزناها (يومئذ) أى يوم إذ جمعنا الخلائق كافة (للكافرين) منهم حيث جعلناها بحيث يرونها ويسمعون
- * لها تغيظاً وزفيراً (عرضاً) أى عرضاً فظيماً هائلاً لا يقادر قدره وتخصيص العرض بهم مع أنها برأى من
- * أهل الجمع قاطبة لأن ذلك لأجلهم خاصة (الذين كانت أعينهم) وهم فى الدنيا (فى غطاء) كسيف وغشاوة ١٠١
- * غليظة محاطة بذلك من جميع الجوانب (عن ذكرى) عن الآيات المؤدية لأولى الأبصار المتدبرين فيها إلى
- * ذكرى بالتوحيد والتجيد أو كانت أعين بصرهم فى غطاء عن ذكرى على وجه يليق بشأنى أو عن القرآن
- * الكريم (وكانوا) مع ذلك (لا يستطيعون) لفرط قسامهم عن الحق وكالعداوتهم للرسول ﷺ (سماً)
- * استماعاً لذكرى وكلامى الحق الذى لا يأتىه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهذا تمثيل لإعراضهم عن
- * الأدلة السمعية كما أن الأول تصوير لتعاميمهم عن الآيات المشاهدة بالأبصار والموصول نعت للكافرين
- * أو بدل منه أو بيان مجىء به لندمهم بما فى حيز الصلة وللإشعار بعليته لإصابة ما أصابهم من عرض جهنم لهم

أَحْسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ
نَزْلًا ﴿١٠٢﴾

١٨ الكهف

١٨ الكهف

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾

فإن ذلك إنما هو لعدم استعمال مشاعرهم فيما عرض لهم في الدنيا من الآيات وإعراضهم عنها مع كونها
١٠٢ أسباباً منجية عما ابتلوا به في الآخرة (أحسب الذين كفروا) أى كفروا بى كما يعرب عنه قوله تعالى
عبادى والحسبان بمعنى الظن وقد قرئ أفطن والهمزة للإنكار والتوبيخ على معنى إنكار الواقع واستقباحه
كما فى قولك أضربت أباك لا إنكار الوقوع كما فى قوله أضرب أبى والفاء للعطف على مقدر يفصح عنه
الصلة على توجيه الإنكار والتوبيخ إلى المعطوفين جميعاً كما إذا قدر المعطوف عليه فى قوله تعالى أفلا تعقلون
منفياً أى ألا تسمعون فلا تعقلون لا إلى المعطوف فقط كما إذا قدر مثبتاً أى أستمعون فلا تعقلون والمعنى
* أ كفروا بى مع جلالة شأنى فحسبوا (أن يتخذوا عبادى من دونى) من الملائكة وعيسى وعزير عليهم
* السلام وهم تحت سلطانى وملكوته (أولياء) معبودين ينصرونهم من بأسى وما قيل إنها للعطف على ما قبلها
من قوله تعالى كانت الخ وكانوا الخ دلالة على أن الحسبان ناشئ من التعامى والتصام وأدخل عليها همزة الإنكار
ذما على ذم وقطعاً له عن المعطوف عليهما لفظاً لا معنى للإيذان بالاستقلال المؤكد للذم بآبائه ترك الإضمار
والتعرض لوصف آخر غير التعامى والتصام على أنهما أخرجاً مخرج الأحوال الجبلية لهم ولم يذكروا
من حيث أنهما من أفعالهم الاختيارية الحادثة كحسبانهم ليحسن تفريعه عليهما وأيضاً فإنه دين قديم
لهم لا يمكن جعله ناشئاً عن تصامهم عن كلام الله عز وجل وتخصيص الإنكار بحسبانهم المتأخر عن ذلك
تعسف لا يخفى وما فى حيز صلة أن ساد مسد مفعولى حسب كما فى قوله تعالى وحسبوا أن لا تكون فتنة
أى أحسبوا أنهم يتخذونهم أولياء على معنى أن ذلك ليس من الاتخاذ فى شيء لما أنه إنما يكون من الجانبين
وهم عليهم الصلاة والسلام منزّهون عن ولايتهم بالمرّة لقولهم سبحانه أنت ولينا من دونهم وقيل مفعوله
الثانى محذوف أى أحسبوا اتخذهم نافعاً لهم والوجه هو الأول لأن فى هذا تسليماً لنفس الاتخاذ واعتداداً
به فى الجملة وقرئ أحسب الذين كفروا أى أحسبهم وكافهم أن يتخذوهم أولياء على الابتداء والخبر أو
الفعل والفاعل فإن النعت إذا اعتمد الهمزة ساوى الفعل فى العمل فالهمزة حينئذ بمعنى إنكار الوقوع
* (إنا أعتدنا جهنم) أى هيأناها (للكافرين) المعهودين عدل عن الإضمار ذما لهم وإشعاراً بأن ذلك الاعتداد
* بسبب كفرهم المتضمن لحسبانهم الباطل (نزلًا) أى شيئاً يتمتعون به عند ورودهم وهو ما يقام للنزول أى
الضيف بما حضر من الطعام وفيه تخطيط لهم فى حسبانهم وتمكيم بهم حيث كان اتخذهم إياهم من قبيل
إعتداد العتاد وإعداد الزاد ليوم المعاد فكأنه قيل إنا أعتدنا لهم مكان ما أعدوا لأنفسهم من العدة والذخر
جهنم عدة وفى إيراد النزول إيماء إلى أن لهم وراء جهنم من العذاب ما هو أنموذج له وقيل النزول موضع النزول
١٠٣ ولذلك فسره ابن عباس رضى الله عنهما بالثوى (قل هل ننبئكم) الخطاب الثانى للكفرة على وجه

الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾

١٨ الكهف

أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ

١٨ الكهف

وَزَنًّا ﴿١٠٥﴾

- التوبيخ والجمع في صيغة المتكلم لتعيينه من أول الأمر والإيذان بمعلومية النبأ للؤمنين أيضاً (بالأخسرين أعمالاً) نصب على التمييز والجمع للإيذان بتنعومها وهذا بيان لحال الكفرة باعتبار ما صدر عنهم من الأعمال الحسنة في أنفسهم وفي حساباتهم أيضاً حيث كانوا معجبين بها واثقين بنيل ثوابها ومشاهدة آثارها غلب بيان حالهم باعتبار أعمالهم السيئة في أنفسهم مع كونها حسنة في حساباتهم (الذين ضل سعيهم) في إقامة ١٠٤ تلك الأعمال أي ضاع وبطل بالكلية (في الحياة الدنيا) متعلق بالسعي لا بالضلال لأن بطلان سعيهم غير مختص بالدنيا قيل المراد بهم أهل الكتابين قاله ابن عباس وسعد بن أبي وقاص ومجاهد رضى الله عنهم ويدخل في الأعمال حينئذ ما عملوه من الأحكام المنسوخة المتعلقة بالعبادات وقيل الرهابة الذين يحسبون أنفسهم في الصوامع ويحملونها على الرياضات الشاقة ولعله ما يعمهم وغيرهم من الكفرة ومحل الوصول الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف لأنه جواب للسؤال كأنه قيل من هم فقيل الذين الخ وجعله مجروراً على أنه نعت للأخسرين أو بدل منه أو منصوباً على الذم على أن الجواب ما سيأتى من قوله تعالى أولئك الآية ياباه أن صدره ليس منبثقاً عن خسران الأعمال وضلال السعي كما يستدعيه مقام الجواب والتفريع الأول وإن دل على جبوطها لكنه ساكت عن أنباء ما هو العمدة في تحقيق معنى الخسران من الوثوق بترتب الرجوع واعتقاد النفع فيما صنعوا على أن التفريع الثاني بما يقطع ذلك الاحتمال رأساً لا مجال لدرأه تحت الأمر بقضية نون العظمة (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) الإحسان الإتيان بالأعمال على الوجه اللائق وهو حسنها الوصفى المستلزم لحسنها الذاتي أي يحسبون أنهم يعملون ذلك على الوجه اللائق وذلك لإعجابهم بأعمالهم التي سعوا في إقامتها وكابدوا في تحصيلها والجملة حال من فاعل ضل أي بطل سعيهم المذكور والحال أنهم يحسبون أنهم يحسنون في ذلك وينتفعون بآثاره أو من المضاف إليه لكونه في محل الرفع نحو قوله تعالى إليه مرجعكم جميعاً أي بطل سعيهم والحال أنهم الخ والفرق بينهما أن المقارن لحال حسابهم المذكور في الأول ضلال سعيهم وفي الثاني نفس سعيهم والأول أدخل في بيان خطتهم (أولئك) كلام مستأنف من جنابه تعالى مسوق لتكميل تعريف الأخطرين وتبيين ١٠٥ خسرانهم وضلال سعيهم وتعيينهم بحيث ينطبق التعريف على المخاطبين غير داخل تحت الأمر أي أولئك المنعوتون بما ذكر من ضلال السعي مع الحسبان المزبور (الذين كفروا بآيات ربهم) بدلالة الداعية إلى التوحيد عقلاً ونقلاً والتعرض لعنوان الربوبية لزيادة تقييد حالهم في الكفر المذكور (ولقائه) بالبعث وما يتبعه من أمور الآخرة على ما هي عليه (لحبطت) لذلك (أعمالهم) المعهودة جبوطة كلياً (فلا

ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوءًا ﴿١٠٦﴾

١٨ الكهف

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾

١٨ الكهف

- * نقيم لهم) أى لأولئك الموصوفين بما مر من حبوط الأعمال وقرى بالياء (يوم القيامة وزناً) أى فزدرهم ولا نجعل لهم مقداراً واعتباراً لأن مداره الأعمال الصالحة وقد حبطت بالمرقة وحيث كان هذا الازدراء من عواقب حبوط الأعمال عطف عليه بطريق التفریع وأما ماهو من أجزية الكفر فسيجىء بعد ذلك أولاً نضع لاجل وزن أعمالهم ميزاناً لأنه إنما يوضع لأهل الحسنات والسيئات من الموحدين ليميز به مقادير الطاعات والمعاصي ليرتب عليه التكفير أو عدمه لأن ذلك فى الموحدين بطريق الكمية وأما الكفر فأحباطه للحسنات بحسب الكيفية دون الكمية فلا يوضع لهم الميزان قطعاً (ذلك) بيان لمآل الكفر وسائر معاصيهم لئلا يبين مآل أعمالهم المحبطة بذلك أى الأمر ذلك وقوله عز وجل (جزاؤهم جهنم) جملة مبينة له أو ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف أى جزاؤهم به أو جزاؤهم بدله وجهنم خبره أو جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر (بما كفروا) تصريح بأن ما ذكر جزاء الكفر من المتضمن لسائر القبائح التى أنبأ عنها قوله تعالى (واتخذوا آياتى ورُسُلِي هُزُوءًا) أى مزوواً بهما فإنهم لم يقتنعوا بمجرد الكفر بالآيات والرسل بل ارتكبوا مثل تلك العظيمة أيضاً (إن الذين آمنوا) بيان بطريق الوعد لمآل الذين اتصفوا بأضداد ما اتصف به الكفرة لئلا يبين مآلهم بطريق الوعيد أى آمنوا بآيات ربهم وإقامته (وعملوا الصالحات) من الأعمال (كانت لهم) فيما سبق من حكم الله تعالى ووعد فيه لإيماء إلى أن أثر الرحمة يصل إليهم بمقتضى الرأفة الأزلية بخلاف ما مر من جعل جهنم للكافرين نزلاً فإنه بموجب ما حدث من سوء اختيارهم (جنت الفردوس) عن مجاهد أن الفردوس هو البستان الرومية وقال عكرمة هو الجنة بالحشيشة وقال الضحاك هو الجنة الملتفة بالأشجار وقيل هى الجنة التى تنبت ضروباً من النبات وقيل هى الجنة من الكرم خاصة وقيل ما كان غالبه كرماً وقال المبرد هو فيما سمعت من العرب الشجر الملتف والأغلب عليه أن يكون من العنب وعن كعب أنه ليس فى الجنان أعلى من جنة الفردوس وفيها الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وعن رسول الله ﷺ فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجة مسيرة مائة عام والفردوس أعلاها وفيها الأنهار الأربعة فإذا سألتهم الله تعالى فاسألوه الفردوس فإن فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة (نزلاً) خبر كانت والجار والمجرور متعلق بمحذوف على أنه حال من نزلاً أو على أنه بيان أو حال من جنت الفردوس والخبر هو الجار والمجرور فإن جعل النزول بمعنى ما يهبأ للنازل فالمعنى كانت لهم ثمار جنت الفردوس نزلاً أو جعلت نفس الجنات نزلاً مبالغة فى الإكرام وفيه إيدان بأنها عند ما أعد الله لهم على ما جرى على لسان النبوة من قوله أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بمنزلة النزول بالنسبة إلى الضيافة وإن جعل بمعنى المنزل فالمعنى ظاهر .

١٨ الكهف

خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حَوْلًا ﴿١٠٨﴾

قُلْ لَوْ كَانَتِ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا

١٨ الكهف

بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ قَمَنَ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ

١٨ الكهف

فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

- (خالدین فیہا) نصب علی الحالیة (لا یبغون عنہا حولاً) مصدر کالعوج والصفر أى لا یطلبون تحولاً عنہا ١٠٨
 إذ لا یصور أن یکون شیء أعز عندهم وأرفع منها حتى تنازعهم إلیہ أنفسہم وتطمع نحوہ أبصارہم ویمحوز
 أن یراد نفی التحول وتأكيد الخلود والجملة حال من صاحب خالدین أو من ضمیرہ فیہ فیكون حالاً متداخلة
 (قل لو کان البحر) أى جنس البحر (مداداً) وهو ما تمده الدواة من الخبر (لکلمات ربی) لتحریر کلمات ١٠٩
 علیہ وحکمتہ الی من جملتها ما ذکر من الآیات الداعیة إلی التوحید المحذرة من الإشرک (لنفد البحر) *
 مع کثرته ولم یبق منه شیء لتناهیہ (قبل أن تنفد) وقرئ بالیاء والمعنی من غیر أن تنفد (کلمات ربی) *
 لعدم تناهیہا فلا دلالة للکلام علی نفاذها بعد نفاذ البحر وفی إضافة الکلمات إلی اسم الرب المضاف إلی ضمیرہ
 فی الموضعین من تفخیم المضاف وتشریف المضاف إلیہ مالا یخفى وإظهار البحر والکلمات فی موضع
 الإضمار لزیادة التقرير (ولو جئنا) کلام من جمته تعالی غیر داخل فی الکلام الملقن جمی به لتحقيق مضمونه *
 وتصديق مدلوله مع زیادة مبالغة وتأکید والاول لعطف الجملة علی نظیرتها المستأنفة المقابلة لها المحذوفة لدلالة
 المذكورة علیها دلالة واضحة أى لنفد البحر من غیر نفاذ کلماته تعالی لولم نجی بمثله مدداً ولو جئنا بقدر تناالباہرة
 (بمثله مدداً) عوناً وزیادة لأن مجموع المتناهیین متناه بل مجموع ما یدخل تحت الوجود من الأجسام *
 لا یکون إلا متناهیاً لقیام الأدلة القاطعة علی تناهی الأبعاد وقرئ بمدداً جمع مدة وهی ما یستمدہ الكاتب
 وقرئ مداداً (قل) لهم بعد ما بینت لهم شأن کلماته تعالی (إنما أنا بشر مثلكم) لا أدعی الإحاطة بکلماتہ ١١٠
 النامة (یوحى إلی) من تلك الکلمات (إنما إلهکم إله واحد) لا شریک له فی الخلق ولا فی سائر أحكام الألوهیة *
 وإنما تمیزت عنکم بذلك (فمن کان یرجو لقاء ربہ) الرجاء توقع وصول الخیر فی المستقبل والمراد بلفظائه *
 تعالی کرامته وإدخال الماضی علی المستقبل للدلالة علی أن اللائق بحال المؤمن الاستمرار والاستدامة
 علی رجاء اللقاء أى فمن استمر علی رجاء کرامته تعالی (فلیعمل) لتحصیل تلك الطلبة العزیزة (عملاً صالحاً) *
 فی نفسه لا ثمناً بذلك المرجو كما فعله الذین آمنوا وعملوا الصالحات (ولا یشرک بعبادة ربہ أحداً) إشرکاً *
 جلیاً كما فعله الذین کفروا بآیات ربهم ولقائه ولا إشرکاً خفياً كما یفعله أهل الریاء ومن یطلب به أجرأ
 وإثارة وضع المظهر موضع المضمرة مع التعرض لعنوان الربوبیة لزیادة التقرير وللإشعار
 بعلیة العنوان للأمر والنهی ووجوب الامتثال فعلاً وتركاً . روى أن جندب بن زهیر رضی الله عنه قال
 لرسول الله ﷺ إنی لا عمل العمل لله تعالی فإذا اطلع علیہ سرتی فقال ﷺ إنی لا یقبل ما شورك فیہ

١٩ - سورة مريم عليها السلام
(مكية وآياتها ثمان وتسعون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كهيعص ١

١٩ مريم

سُحَّتْ رَبِّكَ عَبْدُهُ زَكِيًّا ٢

١٩ مريم

فزلت تصديقاً له وروى أنه ﷺ قال له لك أجران أجر السر وأجر العلانية وذلك إذا قصد أن يقتدى به وعنه ﷺ اتقوا الشرك الأصغر قيل وما الشرك الأصغر قال الرياء عن رسول الله ﷺ من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نوراً من قرنه إلى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نوراً من الأرض إلى السماء وعنه ﷺ من قرأ عند مضجعه قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى الخ كان له مضجعه نوراً يتلألاً إلى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وإن كان مضجعه بمكة كان له نوراً يتلألاً من مضجعه إلى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ الحمد لله سبحانه على نعمه العظام .

(سورة مريم عليها السلام مكية إلا الآيات ٥٨ و ٧١ فدينيتان وآياتها ٩٨)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (كهيعص) بإمالة الهاء والياء وإظهار الدال وقرىء بفتح الهاء وإمالة الياء وبتفخيجهما وباخفاء النون قبل الصاد لتقاربهما وقد سلف أن ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة ولا موازنة لمفرد فطريق التلطف بها الحكاية فقط ساكنة الإعجاز على الوقف سواء جعلت أسماء للسور أو مسرودة على نمط التعديد وإن لزوماً التقاء الساكنين لكونه مغتفراً في باب الوقف قطعاً لحق هذه الفاتحة الكريمة أن يوقف عليها جرياً على الأصل وقرىء بإدغام الدال فيها بعدها لتقاربهما في المخرج فإن جعلت اسماً للسورة على ما عليه إطباق الأكثر فحله الرفع إما على أنه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هذا كهيعص أى مسمى به وإنما صحت الإشارة إليه مع عدم جريان ذكره لأنه باعتبار كونه على جناح الذكر صار في حكم الحاضر
- ٢ المشاهد كما يقال هذا ما اشتري فلان أو على أنه مبتدأ خبره (ذكر رحمة ربك) أى المسمى به ذكر رحمة الخ فإن ذكرها لما كان مطلع السورة الكريمة ومعظم ما انطوت هي عليه جعلت كأنها نفس ذكرها والأول هو الأولى لأن ما يجعل عنواناً للوضوع حقه أن يكون معلوم الانتساب إليه عند المخاطب وإذ لا علم بالتسمية من قبل لخطتها الإخبار بها كافي الوجه الأول وإن جعلت مسرودة على نمط التعديد حسبما جنع إليه أهل التحقيق فذكر الخ خبر لمبتدأ محذوف هو ما ينبغي عنه تعديد الحروف كأنه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف المبسوطة مراداً به السورة ذكر الرحمة الخ أو اسم إشارة أشير به إليه تنزيلاً لحضور المادة منزلة حضور المؤلف منها أى هذا ذكر رحمة الخ وقيل هو مبتدأ قد حذف خبره

إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣٩﴾

١٩ مريم

قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤٠﴾ ١٩ مريم

أى فيما يتلى عليك ذكرها وقرىء ذكر رحمة ربك على صيغة الماضى من التذكير أى هذا المنلو ذكرها وقرىء ذكر على صيغة الأمر والتمريض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى الكمال مع الإضافة إلى ضميره ﷺ الإبدان بأن تنزيل السورة عليه ﷺ تكميل له ﷺ وقوله تعالى (عبده) مفعول لرحمة ربك على أنها مفعول لما أضيف إليها وقيل للذكر على أنه مصدر أضيف إلى فاعله على الاتساع ومعنى ذكر الرحمة بلوغها وإصابتها كما يقال ذكرنى معروف فلان أى بلغنى وقوله عز وعلا (ذكرىا) بدل منه أو عطف بيان له (إذ نادى ربه نداء خفياً) ظرف لرحمة ربك وقيل لذكر على أنه مضاف إلى فاعله اتساعاً لا على الوجه الأول لفساد المعنى وقيل هو بدل اشتغال من ذكرىا كما فى قوله واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت ولقد راعى عليه الصلاة والسلام حسن الأدب فى إخفاء دطائه فإنه مع كونه بالنسبة إليه عز وجل كالجرم أدخل فى الإخلاص وأبعد من الرياء وأقرب إلى الخلاص عن لائمة الناس على طلب الولد لتوقفه على مباد لا يلبق به تعاطيها فى أوان الكبر والشيخوخة وعن غائلة مواليه الذين كان يخافهم وقيل كان ذلك منه عليه السلام لضعف الهرم قالوا كان سنه حينئذ ستين وقيل خمساً وستين وقيل سبعين وقيل خمساً وسبعين وقيل ثمانين وقيل أكثر منها كما مر فى تفسير سورة آل عمران (قال) جملة مفسرة لنادى لا محل لها من الإعراب (رب إني وهن العظم مني) إسناد الوهن إلى العظم لما أنه عماد البدن ودعام الجسد فإذا أصابه الضعف والرخاوة أصاب كله أو لأنه أشد أجزائه صلابة وقواماً وأقلها تأثراً من العلل فإذا وهن كان ما وراءه أو وهن وإفراده للقصد إلى الجنس المنبئ عن شمول الوهن لكل فرد من أفراده ومعنى متعلق بمحذوف هو حال من العظم وقرىء وهن بكسر الهاء وبضمها أيضاً وتأكد الجملة لإبراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمونها (واشتعل الرأس شيباً) شبه عليه الصلاة والسلام الشيب فى البياض والإنارة بشواظ النار وانتشاره فى الشعر وفشوه فيه وأخذه منه كل مأخذ باشتعالها ثم أخرجه مخرج الاستعارة ثم أسند الاشتعال إلى محل الشعر ومنبته وأخرجه مخرج التمييز وأطلق الرأس اكتفاء بما قيد به العظم وفيه من فنون البلاغة كمال الجزالة لا يخفى حيث كان الأصل اشتعل شيب رأسى فأسند الاشتعال إلى الرأس كما ذكر لإفادة شموله لكلماته وزانه بالنسبة إلى الأصل وزان اشتعل بيته ناراً بالنسبة إلى اشتعل النار فى بيته ولزيادة تقريره بالإجمال أولاً والنفصيل ثانياً ولمزيد تفخيمه بالتكثير وقرىء بإدغام السين فى الشين (ولم أكن بدعائك رب شقياً) أى ولم أكن بدعائى لإياك خائباً فى وقت من أوقات هذا العمر الطويل بل كلما دعوتك استجبت لى والجملة معطوفة على ما قبلها أو حال من ضمير المتكلم إذ المعنى واشتعل رأسى شيباً وهذا توسل منه عليه الصلاة والسلام بما سلف منه من الاستجابة عند كل دعوة إثر تمهيد ما يستدعى الرحمة ويستجلب الرأفة من كبر السن وضعف الحال فإنه تعالى بعد ما عود عبده بالإجابة دهر أطويلاً لا يكاد

وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿١٩﴾

يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ عَالِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٢٠﴾

يخيه أبدأ لاسيما عند اضطراره وشدة افتقاره والتعرض في الموضوعين لوصف الربوبية المنبثقة عن إضافة ما فيه صلاح المربوب مع الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام لاسيما نوسيطه بين كان وخبره التحريك سلسلة الإجابة بالمبالغة في التضرع ولذلك قيل إذا أراد العبد أن يستجاب له دعاؤه فليدع الله تعالى بما يناسبه من أسمائه وصفاته (وإني خفت الموالى) عطف على قوله تعالى إني وهن العظم مترتب مضمونه على مضمونه فإن ضعف القوى وكبر السن من مبادئ خوفه عليه السلام من يلى أمره بعد موته وموالية بنو عمه وكانوا أشرار بني إسرائيل يخاف أن لا يحسنوا خلافته في أمته ويبدلوا عليهم دينهم وقوله (من ورأى) أى بعد موتى متعلق بمحذوف ينساق إليه الذهن أى فعل الموالى من بعدى أو جور الموالى وقد قرئ كذلك أو بما فى الموالى من معنى الولاية أى خفت الذين يلون الأمر من ورأى لا بخفت لفساد المعنى وقرئ ورأى بالقصر وفتح الياء وقرئ خفت الموالى من ورأى أى قلوا وعجزوا عن القيام بأمور الدين بعدى أو خفت الموالى القادرون على إقامة مراسم الملّة ومصالح الأمة من خف القوم أى ارتحلوا مسرعين أى درجوا قدامى ولم يبق منهم من به تقوى واعتضاد فالظرف حينئذ متعلق بخفت (وكانت امرأتى عاقراً) أى لا تلد من حين شبابها (فهب لى من لدنك) كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنيهما فاللام صلة له ومن لا ابتداء للغاية مجازاً وتقديم الأول لكون مدلوله أهم عنده ويجوز تعلق الثانى بمحذوف وقع حالاً من المفعول ولدن فى الأصل ظرف بمعنى أول غاية زمان أو مكان أو غيرهما من الذوات وقدر تفصيله فى أوائل سورة آل عمران أى أعطنى من محض فضلك الواسع وقدرتك الباهرة بطريق الاختراع لا بواسطة الأسباب العادية (ولياً) أى ولداً من صلبى وتأخيره عن الجارين لإظهار كمال الاعتناء بكون الهبة له على ذلك الوجه البديع مع ما فيه من التشويق إلى المؤخر فإن ماحقه التقديم إذا أخر تبقى النفس مستشفرة فعند ورودها يتمكن عندها فضل تمكن ولأن فيه نوع طول بما بعده من الوصف فتأخيرهما عن الكل أو توسيطهما بين الموصوف والصفة مما لا يليق بجزالة النظم الكريم والغاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن ما ذكره عليه الصلاة والسلام من كبر السن وضعف القوى وعقر المرأة موجب لانقطاع رجائه عليه السلام عن حصول الولد بتوسط الأسباب العادية واستيهابه على الوجه الخارج للعادة ولا يقدح فى ذلك أن يكون هناك داع آخر إلى الإقبال على الدعاء المذكور من مشاهدته عليه السلام للخوارق الظاهرة فى حق مريم كما يعرب عنه قوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه الآية وعدم ذكره ههنا للتعويل على ذكره هناك كما أن عدم ذكر مقدمة الدعاء هناك للاكتفاء بذكره ههنا فإن الاكتفاء بما ذكر فى موطن عمارة للدعاء أى يرثى من حيث العلم والدين والنبوة فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يورثون المال قال تعالى

يَنْزَكِرِيَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾

- نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة وقيل يرثي الخبيرة وكان عليه السلام حبراً (ويرث من آل يعقوب) يقال ورثته وورث منه لغتان وآل الرجل خاصته الذين يؤول إليه أمرهم للقرابة أو الصحبة أو الموافقة في الدين وكانت زوجة زكريا أخت أم مريم أي ويرث منهم الملك قيل هو يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام وقال الكلبي ومقاتل هو يعقوب بن ماثان أخو عمران بن ماثان من نسل سليمان عليه السلام وكان آل يعقوب أخوال يحيى بن زكريا قال الكلبي كان بنو ماثان رهوس بنو إسرائيل ومولوكهم وكان زكريا رئيس الأحرار يومئذ فأراد أن يرثه ولده حبورته ويرث من بني ماثان ملكهم وقرى ويرث وارث آل يعقوب على أنه حال من المستكن في يرث وقرى أو يرث آل يعقوب بالتصغير ففيه إيماء إلى وراثته عليه السلام لما يرثه في حالة صغره وقرى وارث من آل يعقوب على أنه فاعل يرثي على طريقة التجريد أي يرثي به وارث وقيل من التبويض إذ لم يكن كل آل يعقوب عليه السلام أنبياء ولا علماء (واجمعه رب رضى) مرضياً عندك قولاً وفعلاً وقوسيط رب بين مفعولى اجعل للبالغة • في الاعتناء بشأن ما يستدعيه (بازكريا) على إرادة القول أي قال تعالى يازكريا (إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى) ٧ لكن لا بأن يخاطبه عليه الصلاة والسلام بذلك بالذات بل بواسطة الملك على أن يحكى له عليه الصلاة والسلام هذه العبارة عنه عز وجل على نهج قوله تعالى قل يا عبادى الذين أسرفوا الآية وقد مرت تحقيقه في سورة آل عمران وهذا جواب لندائه عليه الصلاة والسلام ووعد بإجابة دعائه لكن لا كلا كما هو المتبادر من قوله تعالى فاستجبنا له ووهبنا له يحيى الخ بل بعضاً حسبما تقتضيه المشيئة الإلهية المبينة على الحكم البالغة فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وإن كانوا مستجابى الدعوة لكنهم ليسوا كذلك في جميع الدعوات ألا يرى إلى دعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام في حق أبيه وإلى دعوة النبي ﷺ حيث قال وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيهما وقد كان من قضائه عز وعلا أن يهبه يحيى نبياً مرضياً ولا يرثه فاستجب دعاءه في الأول دون الثانى حيث قتل قبل موت أبيه عليهما الصلاة والسلام على ما هو المشهور وقيل بقى بعده برهة فلا إشكال حينئذ وفي تعيين اسمه عليه الصلاة والسلام تأكيده للوعد وتشريف له عليه الصلاة والسلام وفي تخصيصه به عليه السلام حسبما يعرب عنه قوله تعالى (لم نجعل له من قبل سمياً) • أى شريكاً له في الاسم حيث لم يسم أحد قبله ييحيى مزيد تشريف وتفخيم له عليه الصلاة والسلام فإن التسمية بالأسمى البديعة الممتازة عن أسماء سائر الناس تنويه بالمسمى لا محالة وقيل سمياً شعباً في الفضل والكمال كما في قوله تعالى هل تعلم له سمياً فإن المنتشاركين في الوصف بمنزلة المنتشاركين في الاسم قالوا لم يكن له عليه الصلاة والسلام مثل في أنه لم يعص الله تعالى ولم يهمل بمصيبة قط وأنه ولد من شيعان وعجوز عاقر وأنه كان حضوراً فيكون هذا إجمالاً لما نزل بعده من قوله تعالى مصداقاً بكلمة من الله وسيداً وحضوراً ونبياً من الصالحين والأظهر أنه اسم أجمعى وإن كان عربياً فهو منقول عن الفعل كيحمر ويعيش قيل سمي به لأنه حي به رحم أمه أوحى دين الله تعالى بدعوته .

قَالَ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتْ أَمْرَانِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ ١٩ مريم

قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتِكِ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾ ١٩ مريم

٨ (قال) استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فإذا قال عليه الصلاة والسلام حينئذ فقيل قال (رب) ناداه تعالى بالذات مع وصول خطابه تعالى إليه بتوسط الملك للمبالغة في التضرع والمناجاة والجد في التبتل إليه تعالى والاحتراز عما عسى يوم خطابه للهلك من توم أن عليه تعالى بما يصدر عنه متوقف على توسطه كما أن علم البشر بما يصدر عنه سبحانه متوقف على ذلك في طامة الأوقات (أنى يكون لى غلام) * كلمة أنى بمعنى كيف أو من أين وكان إمانامة وأنى واللام متعلقتان بها وتقديم الجار على الفاعل لما مر مراراً من الاعتناء بما قدم والنشويق إلى ما أخر أى كيف أو من أين يحدث لى غلام ويجوز أن تتعلق اللام بمحذوف وقع حالاً من غلام إذ لو تأخر لكان صفة له أى أنى يحدث كائناً لى غلام أو ناقصة اسمها ظاهر * وخبرها إما أنى ولى متعلق بمحذوف كما مر أو هو الخبر وأنى نصب على الظرفية وقوله تعالى (وكانت امرأتى عاقراً) حال من ضمير المتكلم بتقدير قد وكذا قوله تعالى (وقد بلغت من الكبر عتياً) حال منه مؤكدة للاستبعاد إثر تأكيد أى كانت امرأتى عاقراً لم تلد فى شبابها وشبابى فكيف وهى الآن عجوز وقد بلغت أنا من أجل كبر السن جساوة وقحولا فى المفاصل والعظام أو بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتياً من عتاً يعتو وأصله عتو وكعود فاستنقل توالى الضمتين والواو ين فكسرت التاء فانقلبت الأولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ثم قلبت الثانية أيضاً لاجتماع الواو والياء وسبق لإحداهما بالسكون وكسرت العين اتباعاً لما بعدها وقرى بضمها ولعل البداءة ههنا بذكر حال امرأته على عكس ما فى سورة آل عمران لما أنه قد ذكر حاله فى أضاعيف دعائه وإنما المذكور ههنا بلوغه أقصى مراتب الكبر تنمة لما ذكر قبل وأما هنالك فلم يسبق فى الدعاء ذكر حاله فلذلك قدمه على ذكر حال امرأته لما أن المسارعة إلى بيان قصور شأنه أنسب وإنما قاله عليه الصلاة والسلام مع سبق دعائه بذلك وقوة يقينه بقدره الله لا سيما بعد مشاهدته للشواهد المذكورة فى سورة آل عمران استعظماً لقدرة الله تعالى وتعجباً منها واعتداداً بنعمته تعالى عليه فى ذلك بإظهار أنه من محض لطف الله عز وعلا وفضله مع كونه فى نفسه من الأمور المستحيلة عادة لا استبعاداً له وقيل إنما قاله ليجاب بما أجيب به فيزداد المؤمنون إيقاناً ويرتدع المبطلون وقيل كان ذلك منه عليه الصلاة والسلام استغفاماً عن كيفية حدوثه وقيل بل كان ذلك بطريق الاستبعاد

٩ حيث كان بين الدعاء والبشارة ستون سنة وكان قد نسي دعاءه وهو بعيد (قال) استئناف كما مر مبني على سؤال نشأ مما سلف والكاف فى قوله تعالى (كذلك قال ربك) مقحمة كما فى مثلك لا ييخل محلهما إما النصب على أنه مصدر تشبیهى لقال الثانى وذلك إشارة إلى مصدره الذى هو عبارة عن الوعد السابق لا إلى قول آخر شبه هذا به وقد مر تحقيقه فى تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطاً وقوله تعالى (هو على هين) جملة مقررة للوعد المذكور دالة على إنجازها داخله فى حيز قال الأول كأنه قيل قال الله عز وجل مثل

ذلك القول البديع قلت أى مثل ذلك الوعد الحارق للعادة وعدت هو على خاصة هين وإن كان في العادة مستحيلاً وقرى. وهو على هين فالجملة حينئذ حال من ربك والياء عبارة عن ضميره كما ستعرفه أو اعتراض وعلى كل حال فهم مؤكدة ومقررة لما قبلها ثم أخرج القول الثاني مخرج الالتفات جرياً على سنن السكبرياء انبرية المماثلة وإدخال الروعة كقول الخلفاء أمير المؤمنين يرسم لك مكان أنا أرسم ثم أسند إلى اسم الرب المضاف إلى ضميره عليه السلام تشریفاً له وإشعاراً بعلّة الحكم فإن تذكير جريان أحكام ربوبيته تعالى عليه عليه الصلاة والسلام من إيجاده من العدم وتصريفه في أطوار الخلق من حال إلى حال شيئاً فشيئاً إلى أن يبلغ كماله اللائق به مما يقلع أساس استبعاده عليه الصلاة والسلام لحصول الموعود ويورثه عليه الصلاة والسلام الاطمئنان بإنجازه لا محالة ثم التفت من ضمير الغائب العائد إلى الرب إلى باء العظمة إيذاناً بأن مدار كونه هيناً عليه سبحانه هو القدرة الذاتية لاربوبيته تعالى له عليه الصلاة والسلام خاصة وتمهيداً لما يعقبه وقيل ذلك إشارة إلى مبهم يفسره قوله تعالى هو على هين على طريقة قوله تعالى وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ولا يخرج هذا الوجه على القراءة بالواو لأنها لا تدخل بين المفسر والمفسر وإما الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وذلك إشارة إلى ما تقدم من وعده تعالى أى قال عز وجل الأمر كما وعدت وهو واقع لا محالة وقوله تعالى قال ربك الخ استئناف مقرر لمضمونه والجملة المحكية على القراءة الثانية معطوفة على المحكية الأولى أو حال من المستكن في الجار والمجرور وأياً ما كان فتوسطه قال بينهما مشمر بزيادة الاعتناء بكل منهما والكلام في إسناد القول إلى الرب ثم الالتفات إلى التكلم كالذي مر آنفاً وقيل ذلك إشارة إلى ما قاله زكريا عليه الصلاة والسلام أى قال تعالى الأمر كما قلت تصديقاً فيما حكاه من الحالة المبينة للولادة في نفسه وفي أمراته وقوله تعالى قال ربك الخ استئناف مسوق لإزالة استبعاده بعد تقريره أى قال تعالى هو مع بعده في نفسه على هين والقراءة الثانية أدخل في إفادة هذا المعنى على أن الواو للعطف وأما جعلها للحال فدخل بسداد المعنى لأن ما له تقرير صعب وبته حال سهولته عليه تعالى مع أن المقصود بيان سهولته عليه سبحانه مع صعبوته في نفسه وقوله تعالى (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً) جملة مستأنفة مقررة لما قبلها والمراد به ابتداء خلق البشر هو الواقع إثر العدم المحض لا ما كان بعد ذلك بطريق التوالد المعتاد وإنما لم ينسب ذلك إلى آدم عليه الصلاة والسلام وهو المخلوق من العدم حقيقة بأن يقال وقد خلقت أباك أو آدم من قبل ولم يك شيئاً مع كفايته في إزالة الاستبعاد بقياس حال ما بشر به على حاله عليه الصلاة والسلام لتأكيد الاحتجاج به وتوضيح منهاج القياس حيث نبه على أن كل فرد من أفراد البشر له حظ من إنشائه عليه الصلاة والسلام من العدم إذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت أنموذجاً منظوياً على فطرية سائر آحاد الجنس انطواءً إجمالياً مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان إبداعه عليه الصلاة والسلام على ذلك الوجه إبداعاً لكل أحد من فروعه كذلك ولما كان خلقه عليه الصلاة والسلام على هذا النمط السارى إلى جميع أفراد ذريته أبدع من أن يكون ذلك مقصوراً على نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور إليه وأدل على عظم قدرته تعالى وكماله عليه وحكمته وكان عدم

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝١٩

نُفِخَ عَلَى قَوْمِهِ مِّنَ الْمُحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١٩

يُنَجِّحِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ۝١٩

- ذكر يا حينئذ أظهر عنده وأجلى وكان حاله أولى بأن يكون معياراً للحال ما بشر به نسب الخلق المذكور إليه كما نسب الخلق والتصوير إلى المخاطبين في قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم توفية لمقام الامتتان حقه فكانه قيل وقد خلقناك من قبل في تضاعيف خلق آدم ولم تكن إذ ذاك شيئاً أصلاً بل عدماً مجتأ ونفياً صرفاً هذا وأما حمل الشيء على المعتد به أي ولم تكن شيئاً معتداً به فيأباه المقام ويرده نظم الكلام وقرئ خلقناك (قال رب اجعل آية) أي علامة تداني على تحقق المسؤول ووقوع الحبل ولم يكن هذا السؤال منه عليه الصلاة والسلام لنا كيد البشارة وتحقيقها كما قيل فإن ذلك مما لا يليق بمنصب الرسالة وإنما كان ذلك اتمريف وقت العلوق حيث كانت البشارة مطلقة عن تعيينه وهو أمر خفي لا يوقف عليه فأراد أن يطلع الله تعالى عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة بالشكر من حين حدوثها ولا يؤخره إلى أن تظهر ظهوراً معتاداً وقد مرّت الإشارة في تفسير سورة آل عمران إلى أن هذا السؤال ينبغى أن يكون بعدما مضى بعد البشارة برهة من الزمان لما روى أن يحيى كان أكبر من عيسى عليهما الصلاة والسلام بستة أشهر أو ثلاث سنين ولا ريب في أن دعاء ذكرى عليه الصلاة والسلام كان في صغر مريم لقوله تعالى هنالك دعا ذكرى باربه وهي إنما ولدت عيسى عليه الصلاة والسلام وهي بنت عشر سنين أو بنت ثلاث عشرة سنة والجعل إبداعاً واللام متعلقة به وتقديمها على المفعول به لما مر مراراً من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر أو بمحذوف وقع حالاً من آية إذ لو تأخر لكان صفة لها وقيل بمعنى النصير المستدعى لمفعولين أو لهما آية وثانيهما الظرف وتقديمه لأنه لا مسوغ لكون آية مبتدأ عند انحلال الجملة إلى مبتدأ وخبر سوى تقديم الظرف فلا يتغير حالهما بعد ورود الناسخ (قال آيتك أن لا تكلم الناس) أي أن لا تقدر على أن تكلمهم بكلام الناس مع القدرة على الذكر والتسبيح (ثلاث ليال) مع أيامهن للتصريح بها في سورة آل عمران (سويّاً) حال من فاعل تكلم مفيد لكون انتفاء التكلم بطريق الاضطراب دون الاختيار أي تمنع الكلام فلا تطبق به حال كونك سوى الخلق سليم الجوارح ما بك شائبة بكم ولا خرس
- ١١ (نُفِخَ عَلَى قَوْمِهِ مِّنَ الْمُحْرَابِ) أي من المصلى أو من الغرفة وكانوا من وراء المحراب ينتظرونه أن يفتح لهم الباب فيدخلوه ويصلوا إذ خرج عليهم متغير ألونه فأنكروه وقالوا مالك (فأوحى إليهم) أي أوما إليهم لقوله تعالى إلا رمزاً أو قيل كتب على الأرض وأن في قوله تعالى (أن سبّحوا) إما مفسرة لأوحى أو مصدرية والمعنى أي صلوا أو بأن صلوا (بكرة وعشياً) هما ظرفان للتسبيح . عن أبي العالية أن المراد بهما صلاة الفجر وصلاة العصر أو نزهاً ربكم طرفي النهار ولعله كان مأموراً بأن يسبح شكراً وبأمر قومه بذلك (بأيحي) استئناف طوى قبله جمل كثيرة مسارعة إلى الإنباء بإنجاز الوعد الكريم أي قلنا
- ١٢

١٩ مريم

وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ۝١٣

١٩ مريم

وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ۝١٤

١٩ مريم

وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ۝١٥

١٩ مريم

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۝١٦

١٩ مريم

فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝١٧

- يا يحيى (خذ الكتاب) التوراة (بقوة) أى بجد واستظهار بالتوفيق (وآتيناه الحكم صبيًا) قال ابن عباس * رضى الله عنهما الحكم النبوة استنباه وهو ابن ثلاث سنين وقيل الحكم الحكمة وفهم التوراة والفقه فى الدين روى أنه دعاه الصبيان إلى اللعب فقال مالعب خلقنا (وحنانا من لدنا) عطف على الحكم وتوينه للتفخيم ١٣ وهو التحنن والاشتياق ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما أكاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أى وآتيناه رحمة عظيمة عليه كائنة من جنابنا أو رحمة فى قلبه وشفقة على أبويه وغيرهما (وزكاة) أى طهارة من الذنوب أو صدقة تصدقنا به على أبويه أو فقناه للتصدق على الناس (وكان تقيًا) مطيعاً متجنباً عن المعاصى (وبراً بوالديه) عطف على تقياً أى باراً بهما لطيفاً بهما محسناً إليهما (ولم يكن جباراً عصياً) متكبراً عاقاً لهما أو طاصياً لربه (وسلام عليه) من الله عز وجل (يوم ولد) من أن يناله ١٤ الشيطان بما ينال به بنى آدم (ويوم يموت) من عذاب القبر (ويوم يبعث حياً) من هول القيامة وعذاب النار (واذكروا فى الكتاب) مستأنف خوطب به النبي ﷺ وأمر بذكر قصة مريم لإثارة ذكرها لما بينها ١٥ من كمال الاشتياك والمراد بالكتاب السورة الكريمة لا القرآن إذ هى التى صدرت بقصة ذكرها المستتبعة لذكر قصتها وقصص الأنبياء المذكورين فيها أى واذكروا للناس (مريم) أى نبأها فإن الذكر لا يتعلق بالأعيان وقوله تعالى (إذ اتبذت) ظرف لذلك المضاف لكن لا على أن يكون المأمور به ذكر نبأها عند انتبازها فقط بل كل ما عطف عليه وحكى بعده بطريق الاستئناف داخل فى حيز الظرف متمم للنبا وقيل بدل اشتغال من مريم على أن المراد بها نبأها فإن الظروف مشتملة على ما فيها وقيل بدل الكل على أن المراد بالظرف ما وقع فيه وقيل إذ بمعنى أن المصدرية كافية قولك أكرمك إذ لم تكرمنى أى لأن لم تكرمنى فهو بدل اشتغال لا محالة وقوله تعالى (من أهلها) متعلق باتبذت وقوله (مكاناً شرقياً) مفعول له باعتبار ما فى ضمنه من معنى الإتيان المترتب وجوداً واعتباراً على أصل معناه العامل فى الجار والمجرور وهو السرفى تأخير عنه أى اعترلت وانفردت منهم وأنت مكاناً شرقياً من بيت المقدس أو من دارها المتخلى هنالك للعبادة وقيل قعدت فى مشرفة لتغتسل من الحيض محتجبة بحائط أو بشئ يسترها وذلك قوله تعالى (فاتخذت من دونهم حجاباً) وكان موضعها المسجد فإذا حاضت تحورات إلى بيت خالتها وإذا طهرت عادت إلى المسجد فينهاى

١٩ مريم

قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا ١٨

١٩ مريم

قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ١٩

١٩ مريم

قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَوْ أَكُ بَغِيًّا ٢٠

قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ٢١ ١٩ مريم

- في مغسلاها أتاها الملك عليه الصلاة والسلام في صورة آدمي شاب أمر دوضى الوجه جعد الشعر وذلك قوله تعالى (فأرسلنا إليها روحنا) أى جبريل عليه الصلاة والسلام عبر عنه بذلك توفية للمقام حقه وقرىء بفتح الراء لكونه سبباً لما فيه روح العباد الذى هو عدة المقربين فى قوله تعالى فأما إن كان من المقربين فروح وريحان (فتمثل لها بشراً سوياً) سوى الخلق كامل البنية لم يفقد من حسان نعوت الآدمية شيئاً وقبل تمثل فى صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وذلك لتستأنس بكلامه وتتلقى منه ما يلقى إليها من كلماته تعالى إذ لو بدالها على الصورة الملكية لنفرت منه ولم تستطع مفاوضته وأما ما قبل من أن ذلك لتهييج شهوتها فتتحدرنطقها إلى رحمتها فمع مخالفتها لمقام بيان آثار القدرة الخارقة للعادة يكذبه قوله تعالى (قالت إني أعوذ بالرحمن منك) فإنه شاهد عدل بأنه لم يخطر ببالها شائبة ميل ماله إليه فضلاً عما ذكر من الحالة المترتبة على أقصى مراتب الميل والشهوة نعم كان تمثله على ذلك الحسن الفائق والجمال الرائق لا بتلاتها وسبر عفتها ولقد ظهر منها من الورع والعفاف مالا غاية وراؤه وذكره تعالى بعنوان الرحمانية للببالغة فى العباد به تعالى واستجلاب آثار الرحمة الخاصة التى هى العصمة عمادهم وأقوله تعالى (إن كنت تقياً) أى تتقى الله تعالى وتبأى بالاستعاذة به وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة السباق ١٩ عليه أى فإنى عائدة به أو فتعوذ بتعوذى أو فلا تتعرض لى (قال إنما أنا رسول ربك) يريد عليه الصلاة والسلام لى لست بمن يتوقع منه ما توهمت من الشر وإنما أنا رسول ربك الذى استعذت به (لأهب لك غلاماً) أى لا كون سبباً فى هبته بالنفخ فى الدرع ويجوز أن يكون ذلك حكاية لقوله تعالى ويؤيده القراءة بالياء والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرها للتشريفها وتسليتها والإشعار بعلة الحكم فإن هبة الغلام لها من أحكام تربيتها وفى بعض المصاحف أمرنى أن أهب لك غلاماً (زكياً) طاهراً من الذنوب ٢٠ أو نامياً على الخير أى مترقياً من سن إلى سن على الخير والصلاح (قالت أنى يكون لى غلام) كما وصفت (ولم يمسسنى بشر) أى والحال أنهم يباشرنى بالنكاح رجل وإنما قبل بشر مبالغة فى بيان تزهمهم من مبادئ الولادة (ولم أك بغياً) عطف على لم يمسسنى داخل معه فى حكم الحالية مفصح عن كون المساس عبارة عن المباشرة بالنكاح أى ولم أكن فاجرة تبغى الرجال وهى فعول بمعنى الفاعل أصلها بغوى فأدغمت الواو بعد قلبها ياء فى الياء وكسرت الغين للياء وقيل هى فاعيل بمعنى الفاعل وإلا لقليل بغوا كما يقال فلان نهو عن المنكر ٢١ وإنما لم تلحقه التاء لأنها من باب النسب كطالق أو بمعنى المفعول أى يبغىها الرجال للفجور بها (قال) أى

١٩ مريم

فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾

فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مِّنْ سَيِّئَاتِي ﴿٢٣﴾ ١٩ مريم

- * الملك تقرير المقاتلة وتحقيقها لها (كذلك) أى الأمر كما قلت لك وقوله تعالى (قال ربك) الخ استئناف مقرر
- * له أى قال ربك الذى أرسلنى إليك (هو) أى ما ذكرت لك من هبة الغلام من غير أن يمسه بشر أصلاً (على) خاصة (هين) وإن كان مستحيلاً عادة لما أنى لا احتاج إلى الأسباب والوسائط وقوله تعالى (ولنجعله آية للناس) إما علة لمعلل محذوف أى ولنجعل وهب الغلام آية لهم وبرهاناً يستدلون به على كمال قدرتنا نفعل ذلك أو معطوف على علة أخرى مضمرة أى لنبين به عظم قدرتنا ولنجعله آية الخ والواو على الأول اعتراضية والالتفات إلى نون العظمة لإظهار كمال الجلالة (ورحمة) عظيمة كائنة (منا) عليهم يهتدون
- * بهديته ويسترشدون بإرشاده (وكان) ذلك (أمراً مقصياً) محكماً قد تعلق به قضاؤنا الأزلى أو قدر و سطر فى اللوح لا بد من جريانه عليك البتة أو كان أمراً حقيقياً بأن يقضى ويفعل لتضمنه حكماً بالغة
- * (فحملته) بأن نفخ جبريل عليه الصلاة والسلام فى درعها فدخلت النفخة فى جوفها قيل إنه عليه الصلاة ٢٢ والسلام رفع درعها فنفخ فى جيبه فحملت وقيل نفخ عن بعد فوصل الريح إليها فحملت فى الحال وقيل إن النفخة كانت فى فيها وكانت مدة حملها سبعة أشهر وقيل ثمانية ولم يعيش مولود وضع لثمانية أشهر غيره وقيل تسعة أشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة كما حملت وضعته وسنها حينئذ ثلاث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين (فانتبذت به) أى فاعتزلت وهو فى بطنها كما فى قوله [تدوس بنا الجاهم والزربا] فالجار والمجورور فى حيز النصب على الحالية أى فانتبذت ملتبسة به (مكناً قصياً) بعيداً من أهلها وراء الجبل وقيل أقصى الدار وهو الأنسب بقصر مدة الحمل (فأجاءها المخاض) ٢٣ أى فالجأها وهو فى الأصل منقول من جاء لكنه لم يستعمل فى غيره كما فى قرىء المخاض بكسر الميم وكلاهما مصدر مخضت المرأة إذا تحرك الولد فى بطنها للخروج (إلى جذع النخلة) لتستر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لارأس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف إما للجنس أو للعهد إذ لم يكن ثمة غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى ألهمها ذلك ليربها من آياتها ما يسكن روعها ويطعمها الرطب الذى هو خرسة النفساء الموافقة لها (قالت ياليتنى مت) بكسر الميم من مات يمت كحفت وقرىء بضمها من مات يموت (قبل هذا) أى هذا الوقت الذى لقيت فيه ما لقيت وإنما قالته مع أنها كانت تعلم ما جرى بينها وبين جبريل عليه السلام من الوعد الكريم استحياء من الناس وخوفهم لا تتمهم أو حذار أمن وقوع الناس فى المعصية بما تكلموا فيها أو جرياً على سنن الصالحين عند اشتداد الأمر عليهم كما روى عن عمر رضى الله عنه أنه أخذ تبنة من الأرض فقال ياليتنى هذه التبنة ولم أكن شيئاً وعن بلال أنه قال ليت بلال لم تلده أمه (وكنت نسياً) أى شيئاً ناسياً شأنه أن ينسى ولا يعتد به أصلاً وقرىء بالكسر قبل هما لغتان فى ذلك كالوتر والوتر وقيل هو بالكسر اسم لما ينسى كالنقض اسم

فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ٢٤

١٩ مريم

وَهَزَى إِلَيْكِ الْخُلَّةَ تَسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ٢٥

١٩ مريم

فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ

١٩ مريم

الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ٢٦

- لما ينقض وبالفتح مصدر سمي به المفعول مبالغة وقرى بهما مهموزاً من نسات اللبن إذا صبيت عليه الماء .
 • فصار مستهلكاً فيه وقرى نسا كعصا (منسياً) لا يخطر ببال أحد من الناس وهو نعت للبالغة وقرى .
 ٢٤ بكسر الميم اتباعاً له بالسین (فناداها) أى جبريل عليه السلام (من تحتها) قيل أنه كان يقبل الولد وقيل من تحتها أى من مكان أسفل منها تحت الأكمة وقيل من تحت النخلة وقيل ناداها عيسى عليه السلام وقرى .
 • مخاطبها من تحتها بفتح الميم (أن لا تحزنى) أى لا تحزنى على أن مفسرة أو بأن لا تحزنى على أنها مصدرية .
 • قد حذف عنها الجار (قد جعل ربك تحتك) أى بمكان أسفل منك وقيل تحت أمرك إن أمرت بالجرى .
 • جرى وإن أمرت بالإمساك أمسك (سرياً) أى نهراً صغيراً حسبما روى مرفوعاً قال ابن عباس رضى الله عنه إن جبريل عليه السلام ضرب برجله الأرض فظهرت عين ماء عذب فجرى جدولا وقيل فعله عيسى عليه السلام وقيل كان هناك نهر يابس أجرى الله عز وجل فيه الماء حينئذ كما فعل مثله بالنخلة فإنها كانت نخلة يابسة لأرأس لها ولا ورق فضلا عن الثمر وكان الوقت شتاء فجعل الله لها إزذاك رأساً وخوصاً وثمرأ .
 • وقيل كان هناك ماء جار والأول هو الموافق لمقام بيان ظهور الخوارق والمتبادر من النظم الكريم وقيل سرياً أى سريلاً رفيع الشأن جليلاً وهو عيسى عليه السلام قائلنوين للتفخيم والجملة تعليل لا تنفاه الحزن المفهوم من النهى عنه والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرها التثنية وتأكيد التعليل .
 ٢٥ وتكميل التسلية (وهزى) هز الشئ تحريكه إلى الجهات المتقابلة تحريكاً عفيفاً متداركاً والمراد ههنا ما كان منه بطريق الجذب والدفع لقوله تعالى (إليك) أى إلى جنتك والباء في قوله عز وعلا (بجذع النخلة) صلة للتأكيد كما في قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الخ قال القراء تقول العرب هزه وهز به وأخذ الخطام .
 • وأخذ بالخطام أو لالصاق الفعل بمدخولها أى افعلى الهز بجذعها أو هزى الثمرة بهزه وقيل هى متعلقة بمحذوف وقع حالا من مفعول الهز أى هزى إليك الرطب كأنها بجذعها (تساقط) أى تسقط النخلة .
 • (عليك) إسقاطاً متواتراً حسب تواتر الهز وقرى تسقط ويسقط من الإسقاط بالناء والياء وتساقط يظهر التامين وتساقط بطرح الثانية وتساقط بإدغامها فى السين ويساقط بالياء كذلك وتسقط ويسقط من السقوط على أن الناء فى الكل للنخلة والياء للجذع وقوله تعالى (رطباً) على القراءات الثلاث الأول مفعول .
 • وعلى الست البواقي تمييز وقوله تعالى (جنيّاً) صفة له وهو ما قطع قبل يسه فعيل بمعنى مفعول أى رطباً .
 ٢٦ مجنياً أى صالحاً للاجتماع وقيل بمعنى فاعل أى طرياً طيباً وقرى جنيّاً بكسر الجيم للاتباع (فكلى واشربى)

- ١٩ مريم فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرُؤٌ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾
- ١٩ مريم يَتَأَخَتْ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾
- ١٩ مريم فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْهِدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾

- أى ذلك الرطب وماء السرى أو من الرطب وعصيره (وقرى عيناً) وطبى نفساً وارفضى عنها ما أحزنك وأهمك فإنه تعالى قد نزه ساحتك عما اختلج في صدور المتعبدین بالأحكام العادية بأن أظهر لهم من البسائط العنصرية والمركبات النباتية ما يخرق العادات التكوينية ويرشدهم إلى الوقوف على سريرة أمرك وقرى.
- وقرى بكسر القاف وهى لغة نجد واشتقاقه من القرار فإن العين إذا رأت ما يسر النفس سكنت إليه من النظر إلى غيره أو من القر فإن دمة السرور باردة ودمة الحزن حارة ولذلك يقال قره العين وسخنة العين للمحبوب والمكروه (فإما ترين من البشر أحداً) أى آدمياً كائناً من كان وقرى. ترين على لغة من يقول لبات بالحج لما بين الحمزة والياء من التأخى (فقلولى) له إن استنطقك (إني نذرت للرحمن صوماً) أى صمتاً.
- وقد قرى. كذلك أو صياماً وكان صيامهم بالسكوت (فلن أكلم اليوم إنسياً) أى بعد أن أخبرتك بنذرى وإنما أكلم الملائكة وأناجى ربي وقيل أمرت بأن تخبر بنذرها بالإشارة وهو الأظهر قال الفراء العرب تسمى كل ما وصل إلى الإنسان كلاماً بأى طريق وصل مالم يؤكد بالمصدر فإذا أكد لم يكن إلا حقيقة الكلام وإنما أمرت بذلك لكرامة مجادلة السفهاء ومناقلتهم والاكتفاء بكلام عيسى عليه السلام فإنه نص قاطع في قطع الطعن (فأتت به قومها) أى جاءتهم مع ولدها راجعة إليهم عندما طهرت من نفسها (تحمله) ٢٧
- أى حاملة له (قالوا) مؤننين لها (يامريم لقد جئت) أى فعلت (شيئاً فرياً) أى عظيماً بديعاً منكراً من فرى الجلد أى قطعه أو جئت مجتهداً عجيباً عبر عنه بالشئ تحقيقاً للاستغراب (ياأخت هرون) استفاد ٢٨
- لتجديد التعبير وتأكيده التوبيخ عنوانه هرون النبي ﷺ وكانت من أعقاب من كان معه في طبقة الآخرة وقيل كانت من نسله وكان بينهما ألف سنة وقيل هو رجل صالح أو طالح كان في زمانهم شبهوها به أى كنت عندنا مثله في الصلاح أو شتموها به (ما كان أبوك امراً سوء وما كانت أمك بغياً) تقرير لكون ما جاءت به فرياً منكراً وتنبية على أن ارتكاب الفواحش من أولاد الصالحين أخفش (فأشارت إليه) ٢٩
- أى إلى عيسى عليه السلام أن كلوه والظاهر أنها حينئذ بينت نذرها وأنها بمعزل من محاوراة الإنس حسبما أمرت ففيه دلالة على أن المأمور به بيان نذرها بالإشارة لا بالعبارة والجمع بينهما بما لا عهد به (قالوا) • منكرين لجوابها (كيف نكلم من كان في المهد صبياً) ولم نعهد فيما سلف صبياً يكلمه عاقل وقيل كان لإيقاع مضمون الجملة في زمان ما غش منهم صالح لقربيه وبعيده وهو هنالقر به خاصة بدليل أنه مسوق للتعجب وقيل هى زائدة والظرف صلة من وصيها حال من المستكن فيه أو هى تامة أو دائمة كما فى قوله تعالى وكان الله عليهما حكيمًا.

١٩ مريم

قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾

١٩ مريم

وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾

١٩ مريم

وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾

١٩ مريم

وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾

١٩ مريم

ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾

- ٣٠ (قال) استئناف دبنى على سؤال نفساً من سياق النظم الكريم كأنه قيل فاذا كان بعد ذلك فقليل قال عيسى عليه السلام (إني عبد الله) أنطقه الله عز وجل بذلك آثر ذى أثر تحقيقاً للحق ورداً على من يزعم ربوبيته قيل كان المستنطق لعيسى زكريا عليهما الصلاة والسلام وعن السدى رضى الله عنه لما أشارت إليه غضبوا وقالوا السخريتها بنا أشد علينا مما فعلت وروى أنه عليه السلام كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه وانكأ على يساره وأشار إليهم بسبابته فقال ما قال الخ وقيل كلهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغاً يتكلم فيه الصبيان (آتاني الكتاب) أى الإنجيل (وجعلني نبياً) (وجعلني) مع ذلك (مباركا) نفاعاً معدلاً للخير والتعبير بلفظ الماضى فى الأفعال الثلاثة إما باعتبار ماسبق فى القضاء المحتوم أو بجعل مافى شرف الوقوع لاحالة واقعاً وقيل أكمله الله عقلاً واستنباه طفلاً (أينما كنت) أى حيثما كنت (وأوصانى بالصلاة) أى أمرنى بها أمراً مؤكداً (والزكاة) زكاة المال إن ملكته أو بتطهير النفس عن الرذائل (مادمت حياً) فى الدنيا (وبراً بوالدتي) عطف على مباركا أى جعلني باراً بها وقرىء بالكسر على أنه مصدر وصف به مبالغة أو منصوب بمضمر دل عليه أوصانى أى وكلفني براً ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفاً على الصلاة والزكاة والتشكيك للتفخيم (ولم يجعلني جباراً شقياً) عنيداً لله تعالى لفرط تكبره (والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً) كما هو على يحيى على أن التعريف للعهد والظاهر أنه للجنس والتعريض باللعن على أعدائه فإن إثبات جنس السلام لنفسه تعريض بإثبات ضده لأضداده كما فى قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فإنه تعريض بأن العذاب على من كذب وتولى (ذلك) إشارة إلى من فصلت نعوته الجليلة وما فيه من معنى البعد للدلالة على علو مرتبته وبعد منزلته وامتيازته بتلك المناقب الحميدة عن غيره ونزوله منزلة المشاهد المحسوس (عيسى بن مريم) لا ما يصفه النصراني وهو تكذيب لهم فيما يزعمونه على الوجه الأبلغ والمنهاج البرهاني حيث جعله موصوفاً بأضداد ما يصفونه (قول الحق) بالنصب على أنه مصدر مؤكد لقول إني عبد الله الخ وقوله تعالى ذلك عيسى بن مريم اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وقرىء بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى هو قول الحق الذى لا ريب فيه والإضافة للبيان والضمير للكلام السابق أو لتنام القصة وقيل صفة عيسى أو بدله أو خبر ثان

- مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ ١٩ مريم
- وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ ١٩ مريم
- فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ ١٩ مريم
- أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ ١٩ مريم

ومعناه كلمة الله وقرى. قال الحق وقول الحق فإن القول والقال في معنى واحد (الذى فيه يمترون) أى * يشكون أو يتنازعون فيقول اليهود ساحر والنصارى ابن الله وقرى. بناء الخطاب (ما كان لله) أى ماصح ٣٥ وما استقام له تعالى (أن يتخذ من ولد سبحانه) تكذيب للنصارى وتنزيه له تعالى عما بهتوه وقوله تعالى (إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) تبكيك لهم ببيان أن شأنه تعالى إذا قضى أمراً من الأمور أن يعلق به إرادته فيكون حينئذ بلا تأخير فن هذا شأنه كيف يتوهم أن يكون له ولد وقرى. فيكون بالنصب على الجواب وقوله تعالى (وإن الله ربى وربكم فاعبدوه) من تمام كلام عيسى ٣٦ عليه السلام قيل هو عطف على قوله لى عبد الله داخل تحت القول وقد قرى. بغير واو وقرى. بفتح الهمزة على حذف اللام أى ولأنه تعالى ربى وربكم فاعبدوه كقوله تعالى وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً وقيل معطوف على الصلاة (هذا) أى الذى ذكرته من التوحيد (صراط مستقيم) لا يضل سالكه والفاء فى قوله تعالى (فاختلف الأحزاب من بينهم) لترتيب ما بعدها على ما قبلها تنبيهاً على سوء ٣٧ صنيعهم بهم فلم يوجب الاتفاق منشأ للاختلاف فإن ما حكى من مقالات عيسى عليه السلام مع كونها نصوصاً قاطعة فى كونه عبده تعالى ورسوله قد اختلفت اليهود والنصارى بالتفريط والإفراط أو فرق النصارى فقالت النسطورية هو ابن الله وقالت اليعقوبية هو الله هبط إلى الأرض ثم صعد إلى السماء تعالى عن ذلك علواً كبيراً وقالت الملائكية هو عبد الله ونبيه (فويل للذين كفروا) وهم المختلفون عبر عنهم بالموصول إيداناً بكفرهم جميعاً وإشعاراً بعلّة الحكم (من مشهد يوم عظيم) أى من شهود يوم عظيم الحول والحساب والجزاء وهو يوم القيامة أو من وقت شهوده أو من مكان الشهود فيه أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو أن يشهد عليهم الملائكة والأنبياء عليهم السلام وألسنتهم وأذانهم وأيديهم وأرجلهم وسائر آراهم بالكفر والفسوق أو من وقت الشهادة أو من مكانها وقيل هو ما شهدوا به فى حق عيسى وأمه عليهما السلام (أسمع بهم وأبصر) تعجب من حدة سمعهم وأبصارهم يومئذ ومعناه أن أسماهم وأبصارهم (يوم ٣٨ يأتوننا) للحساب والجزاء أى يوم القيامة جدير بأن يتعجب منها بعد أن كانوا فى الدنيا صامعيّاً أو تهديداً بما يسمعون ويبصرون يومئذ وقيل أمر بأن يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحقّق بهم فيه والجار والمجرور على الأول فى موقع الرفع وعلى الثانى فى حيز النصب (لكن الظالمون اليوم) أى فى الدنيا * ٣٤ - أبى السودج .

وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ ١٩ مريم

إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ ١٩ مريم

وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ ١٩ مريم

إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ ١٩ مريم

- * (في ضلال مبين) لا تترك غايته حيث أغفلوا الاستماع والنظر بالسكينة ووضع الظالمين موضع الضمير
- ٣٩ الإيذان بأمرهم في ذلك ظالمون لأنفسهم (وأنذرهم يوم الحسرة) أي يوم يتحسر الناس قاطبة أما المسمى فإلى إسمائه وأما المحسن فعلى قلة إحسانه (إذ قضى الأمر) أي فرغ من الحساب وتصدر الفريقان إلى الجنة والنار روى أن النبي ﷺ سئل عن ذلك فقال حين يجاء بالموت على صورة كبش أملح فيذبح والفريقان ينظرون فينادى المادى بأهل الجنة خلود فلا موت وبأهل النار خلود فلا موت فيزداد أهل الجنة فرحاً وأهل النار غماً إلى غم، إذ بدل من يوم الحسرة أو ظرف للحسرة فإن المصدر المعرف باللام يعمل في المفعول الصريح عند بعضهم فكيف بالظرف (وهم في غفلة) أي عما يفعل بهم في الآخرة (وهم لا يؤمنون) وهما جاثان حاليان من الضمير المستتر في قوله تعالى في ضلال مبين أي مستقرون في ذلك وهم في تبنيك الحالتين وما بينهما
- ٤٠ اعتراض أو من مفعول أنذرهم أي أنذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حال متضمنة لمعنى التعليل (إننا نحن نرث الأرض ومن عليها) لا يبقى لأحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك أو نتوفى الأرض ومن عليها بالإفناء والإهلاك توفى الوارث لإرثه (وإلينا يرجعون) أي يردون للجزاء لا إلى غيرنا استقلالاً أو اشتراكاً
- ٤١ (واذكر) عطف على أنذرهم (في الكتاب) أي في السورة أو في القرآن (إبراهيم) أي اتل على الناس قصته وبلغها إليهم كقوله تعالى واتل عليهم نبأ إبراهيم فإنيهم ينتمون إليه عليه السلام فعسام باستماع قصته يقلعون عما هم فيه من القبايح (إنه كان صديقاً) ملازماً للصدق في كل ما يأتي ويذكر أو كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله تعالى وآياته وكتبه ورسله والجملة استئناف مسوق لتعليل موجب الأمر فإن وصفه عليه السلام بذلك من دواعي ذكره (نبياً) خبر آخر لكان مقيد للأول مخصص له كما ينبغي عنه قوله تعالى من النبيين والصدّيقين الآية أي كان جامعاً بين الصديقية والنبوة ولعل هذا الترتيب للبالغ في الاحتراز عن توهم تخصيص الصديقية بالنبوة فإن كل نبي صديق (إذ قال) بدل اشتغال من إبراهيم وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله أو متعلق بكان أو نبياً وتعليل الذكر بالآوقات مع أن المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث قد مر مراراً أي كان جامعاً بين الاثنتين حين قال (لأبيه) أزر متلفاً في الدعوة مستملاً له (بأب) أي بأبي فإن التاء عوض عن ياء الإضافة ولذلك لا يجتمعان وقد قيل يا أبتا لكون الالف بدلاً من الياء (لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر شيئاً من المسموعات والمبصرات في ذلك خضوعك وخشوعك بين يديه أو لا يسمع ولا يبصر شيئاً من المسموعات والمبصرات في ذلك

يَتَأْتِي إِيَّايَ قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ ١٩ مريم

يَتَأْتِي لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ ١٩ مريم

يَتَأْتِي إِيَّايَ أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ ١٩ مريم

- ما ذكر دخولا أولاً (ولا يغني) أي لا يقدر على أن يغني (عنك شيئاً) في جلب نفع أو دفع ضرر ولقد سلك عليه السلام في دعوته أحسن منهاج وأقوم سبيل واحتج عليه أبداع احتجاج بحسن أدب وخلق جميل لا يركب متن المكابرة والعناد ولا ينكب بالكليّة عن محجة الرشاد حيث طلب منه علة عبادته لما يستخف به عقل كل عاقل من عالم وجاهل وبأبي الركون إليه فضلاً عن عبادته التي هي الغاية القاصية من التعظيم مع أنها لا تحقق إلا لمن له الاستغناء التام والإناعم العام الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب ونبه على أن العاقل يجب أن يفعل كل ما يفعل لداعية صحيحة وغرض صحيح والشئ لو كان حياً يميز أسمى بصيراً قادراً على النفع والضرر مطبقاً بإيصال الخير والشر لكن كان ممكناً لاستنكف العقل السليم عن عبادته وإن كان أشرف الخلائق لما يراه مثله في الحاجة والانتقياد للقدرة القاهرة الواجبة فما ظنك بهجاد مصنوع من حجر أو شجر ليس له من أوصاف الأحياء عين ولا أثر ثم دناه إلى أن يتبعه ليهديه إلى الحق المبين لما أنه لم يكن محظوظاً من العلم الإلهي مستقلاً بالنظر السوي مصدراً لدعوته بما مر من الاستمالة والاستعطاف حيث قال (يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك) ولم يسم أباه بالجهل المفرط وإن كان ٤٣ في أفصاه ولا نفسه بالعلم الفائق وإن كان كذلك بل أبرز نفسه في صورة رفيق له أعراف بأحوال ماسلكاه من الطريق فاستماله برفق حيث قال (فاتبعني أهدك صراطاً سوياً) أي مستقيماً موثقاً إلى أسنى المطالب منجياً عن الضلال المؤدى إلى مهاوى الردى والمعاطب ثم ثبطه عما كان عليه بتصويره بصورة يستنكرها كل عاقل ببيان أنه مع عرائه عن النفع بالمرة مستجلب لضرر عظيم فإنه في الحقيقة عبادة الشيطان لما أنه الأمر به فقال (يا أبت لا تعبد الشيطان) فإن عبادتك للأصنام عبادة له إذ هو الذي يسو لهالك ويفريك ٤٤ عليها وقوله (إن الشيطان كان للرحمن عصياً) تعليل لموجب النهي وتأكيده ببيان أنه مستعص على ربك الذي أنعم عليك بفنون النعم ولا ريب في أن المطيع للعاصي عاص وكل من هو عاص حقيق بأن يسترد منه النعم وينتقم منه والإظهار في موضع الإضمار لزيادة التقرير والاقتصاد على ذكر عصيانه من بين سائر جنائياته لأنه ملاكها أولاً أنه نتيجة معاداته لأدم عليه السلام وذريته فتذكيره داعٍ لآيئه إلى الاحتراز عن مولاته وطاعته والتعرض لعنوان الرحمانية لإظهار كمال شناعة عصيانه وقوله (يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب ٤٥ من الرحمن) تحذير من سوء عاقبة ما كان عليه من عبادة الشيطان وهو ابتلاؤه بما ابتلى به معبوده من العذاب الفظيع وكلمة من متعلقة بمضمون وقع صفة للعذاب مؤكدة ~~لأنه~~ ~~لأنه~~ ~~لأنه~~ من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية وإظهار الرحمن للإشعار بأن وصف الرحمانية لا يدفع حلول العذاب كما في قوله عز وجل ما غرك ربك الكريم (فتكون للشيطان ولياً) أي قريباً له في اللعن الخلد وذكر الخوف للجمالة •

قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنْ إِلَهِي يَبْرَاهِيمُ لَنْ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجُحَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ ١٩ مريم

قَالَ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ ١٩ مريم

- ٤٦ وإبراز الاعتناء بأمره (قال) استئناف مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل فماذا قال أبوه عندما سمع منه عليه السلام هذه النصائح الواجبة القبول فقيل قال مصرأ على عناده (أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم) أي أمرض ومنصرف أنت عنها بتوجيه الإنكار إلى نفس الرغبة مع ضرب من التعجب كأن الرغبة عنها مما لا يصدر عن العاقل فضلا عن ترغيب الغير عنها وقوله (لئن لم تنته لأرجحنك) تهديد وتحذير عما كان عليه من العظة والتذكير أي والله لئن لم تنته عما كنت عليه من النهي عن عبادتها لأرجحنك بالحجارة وقيل باللسان
- ٤٧ (واهجرني) أي فاحذرني واتركني (مليا) أي زمانا طويلا أو مليا بالذهاب مطيقا به (قال) استئناف
- كما سلف (سلام عليك) توديع ومشاركة على طريقة مقابلة السيئة بالحسنة أي لا أصيبك بمكروه بعد
 - ولا أشفئك بما يؤذيك ولكن (سأستغفر لك ربي) أي أستدعيه أن يغفر لك بأن يوفقك للتوبة ويهديك إلى الإيمان كما يلوح به تعليل قوله تعالى واغفر لآبي بقوله تعالى إنه كان من الضالين والاستغفار بهذا المعنى للكافر قبل تبين أنه يموت على الكفر مما لا ريب في جوازه وإنما المحذور استدعاء المغفرة له مع بقاءه على الكفر فإنه مما لا مسامحة له عقلا ولا نقلا وأما الاستغفار له بعد موته على الكفر فلا تباها قضية العقل وإنما الذي يمنعه السمع ألا يرى إلى أنه عليه السلام قال لعنه أبي طالب لا أزال أستغفر لك ما لم أنه عنه فزل قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية والاشتباه في أن هذا الوعد من إبراهيم عليه السلام وكذا قوله لا تستغفرون لك وما ترتب عليهما من قوله واغفر لآبي الآية إنما كان قبل انقطاع رجائه عن إيمانه لعدم تبين أمره لقوله تعالى فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه كما مر في تفسير سورة التوبة واستثناؤه عما يؤتسى به في قوله تعالى إنا نقول إبراهيم لا يبيه لا تستغفرون لك لا يقدح في جوازه لكن لا لأن ذلك كان قبل ورود النهي أو لموعدة وعدها إياه كما قيل لما أن النهي إنما ورد في شأن الاستغفار بعد تبين الأمر وقد كان استغفاره عليه السلام قبل التبين فلم يتناوله النهي أصلا وأن الوعد بالمحذور لا يرفع خطره بل لأن المراد بما يؤتسى به ما يجب الائتساء به حتما لورود الوعيد على الإعراض عنه بقوله تعالى لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد فاستثناؤه عن ذلك إنما يفيد عدم وجوب استدعاء الإيمان للكافر المرجو لإيمانه لا سيما وقد انقطع ذلك عند ورود الاستثناء وذلك مما لا يتردد فيه أحد من العقلاء وأما عدم جوازه قبل تبين الأمر فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا وتوجيه الاستثناء إلى العدة بالاستغفار لا إلى نفس الاستغفار بقوله واغفر لآبي الآية لأنها كانت هي الحاملة له عليه السلام عليه وتخصيص تلك العدة بالذكر دون ما وقع ههنا لورودها على نهج التأكيدي القسمي وأما جعل الاستغفار دائرا عليها وترتيب التبرؤ على تبين الأمر فقد مر تحقيقه في تفسير سورة التوبة وقوله (إنه كان بي حفيا) أي بليغا في البر والالطاف لتعليل لمضمون ما قبله

وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ ١٩ مريم

فَلَمَّا أَعْتَزَلْتَهُمْ وَمَا يَعْْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ ١٩ مريم

وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ ١٩ مريم

وَأَذْكُرِي الْكِتَابَ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾ ١٩ مريم

- (وأعزلكم) أى أتباعك وعن قومك (وما تدعون من دون الله) بالمهاجرة بدني حيث لم تؤثر فيكم نصاحي (وأدعوا ربى) أعبدوه وحده وقد جوز أن يراد به دعاؤه المذكور في تفسير سورة الشعراء ولا يبعد أن يراد به استدعاء الولد أيضاً بقوله رب هبلى من الصالحين حسب ما يساعده السياق والسياق (عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقياً) أى خائفاً ضائع السمعى وفيه تعريض بشقايتهم في عبادة آلهتهم وفى تصدير الكلام بعسى من إظهار التواضع ومراعاة حسن الأدب والتنبيه على حقيقة الحق من أن الإجابة والإجابة بطريق الفضل منه عز وجل لا بطريق الوجوب وأن العبرة بالخاصة وذلك من الغيوب المختصة بالعلم الخبير ما لا يخفى (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) بالمهاجرة إلى الشام (وهبنا له إسحق ويعقوب) ٤٨ بدل من فارقه من أقربائه الكفرة لكن لا عقيب المهاجرة فإن المشهور أن الموهوب حينئذ إسماعيل عليه السلام لقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم إثر دعائه بقوله رب هبلى من الصالحين ولعل ترتيب هبتهما على اعتزاله هبنا لبيان كمال عظم النعم التى أعطاها الله تعالى إياه بمقابلة من اعتزلهم من الأهل والأقرباء فإنهما شجرتا الأنبياء لهما أولاد وأحفاد أولو شأن خطير وذو عدد كثير هذا وقد روى أنه عليه السلام لما قصد الشام أتى أولا حمران وتزوج بسارة وولدت له إسحق وولد لإسحق يعقوب والأول هو الأقرب الاظهر (وكلا) أى كل واحد منهما أو منهم وهو مفعول أول لقوله تعالى (جعلنا نبياً) قدم عليه للتخصيص لكن لا بالنسبة إلى من عداهم بل بالنسبة إلى بعضهم أى كل واحد منهم جعلنا نبياً لا بعضهم دون بعض (وهبنا ٥٠ لهم من رحمتنا) هى النبوة وذكرها بعد ذكر جعلهم نبياً للإيذان بأنها من باب الرحمة وقيل هى المال والأولاد وما بسط لهم من سعة الرزق وقيل هو الكتاب والاظهر أنها عامة لكل خير دينى ودنيوى أو توه بمالم يؤته أحد من العالمين (وجعلنا لهم لسان صدق علياً) يفتخرونهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته بقوله واجعل لى لسان صدق فى الآخرين والمراد باللسان ما يوجد به من الكلام ولسان العرب لغتهم وإضافته إلى الصدق ووصفه بالعلو للدلالة على أنهم أحقاء بما يثنون عليهم وأن محامدهم لا تخفى على تباعد الأعصار وتبدل الدول وتحول الملل والنحل (واذكر فى الكتاب موسى) قدم ذكره على ذكر ٥١ إسماعيل لئلا يفصل عن ذكر يعقوب عليهما السلام (لأنه كان مخلصاً) موحداً أخلص عبادته عن الشرك والرياء أو أسلم وجهه لله تعالى وأخلص نفسه عما سواه وقرىء مخلصاً على أن الله تعالى أخلصه (وكان رسولاً نبياً) أرسله الله تعالى إلى الخلق فأنبأهم عنه ولذلك قدم رسولاً مع كونه أخص وأعلى .

١٩ مريم

وَنَدَيْتَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ٥٢

١٩ مريم

وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ٥٣

١٩ مريم

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ٥٤

١٩ مريم

وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ٥٥

١٩ مريم

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ٥٦

- ٥٢ (ونادينا من جانب الطور الايمن) الطور جبل بين مصر ومدين والايمان صفة للجانب أي نادينا من ناحيته اليمنى من اليمن وهي التي تلي يمن موسى عليه السلام أو من جانبه الميمون من اليمن ومعنى ندائه منه أنه تمثل له الكلام من تلك الجهة (وقربناه نجياً) تقريب تشریف مثل حاله عليه السلام بحال من قربه الملك لمناجاته واصطفاه لمصاحبته ونجياً أي مناجياً حال من أحد الضميرين في نادينا أو قربناه وقيل مرتفعاً لما روى أنه عليه السلام رفع فوق السموات حتى سمع صريف القلم (ووهبنا له من رحمتنا) أي من أجل رحمتنا وأفتنا له أو بعض رحمتنا (أخاه) أي معاضدة أخيه ومؤازرته لإجابة لدعوته بقوله واجعل لي وزيراً من أهلي هرون أخى لا نفسه لأنه كان أكبر منه عليهما السلام وهو على الأول مفعول لوهبنا وعلى الثاني بدل وقوله تعالى (هرون) عطف بيان له وقوله تعالى (نبياً) حال منه (واذكر في الكتاب إسماعيل) فصل ذكره عن ذكر أبيه وأخيه لإبراز كمال الاعتناء بأمره بإيراده مستقلاً وقوله تعالى (إنه كان صادق الوعد) تعليل لموجب الأمر وإيراده عليه السلام بهذا الوصف لكمال شهرته به ونأمله أنه وعد الصبر على الذبح بقوله مستجدنى إن شاء الله من الصابرين فوفى (وكان رسولا نبياً) فيه دلالة على أن الرسول لا يجب أن يكون صاحب شريعة فإن أولاد إبراهيم عليه السلام كانوا على شريعته (وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة) اشتغالا بالأثم وهو أن يقبل الرجل بالتكميل على نفسه ومن هو أقرب الناس إليه قال تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين وأمر أهلك بالصلاة قرأوا أنفسهم وأهلكم ناراً وقصداً إلى تكميل الكل بتكميلهم لأنهم قدوة يؤتى بهم وقيل أهله أمته فإن الأنبياء عليهم السلام آباء الأمم (وكان عند ربه مرضياً) لا تصافه بالنعوت الجليلة التي من جملتها ما ذكر من خصاله الحميدة (واذكر في الكتاب إدريس) وهو سبط شيث وجد أبي نوح فإنه نوح بن ملك بن متوشلح بن أخنوخ وهو إدريس عليه السلام واشتقاقه من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد أن يكون معناه في تلك اللغة قريباً من ذلك فلقب به لكثرة دراسته روى أنه تعالى أنزل عليه ثلاثين صحيفة وأنه أول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب (إنه كان صديقاً) ملازماً للصدق في جميع أحواله (نبياً) خبر آخر لكان مخصص للأول إذ ليس كل صديق نبياً .

وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾

١٩ مريم

أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرَوْا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ ١٩ مريم

- (ورفعنا مكاناً علياً) هو شرف النبوة والزلفى عند الله عز وجل وقيل علو الرتبة بالذكر الجليل في الدنيا كما في قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك وقيل الجنة وقيل السماء السادسة أو الرابعة روى عن كعب وغيره في سبب رفع إدريس عليه السلام أنه سئل ذات يوم في حاجة فأصابه وهج الشمس فقال يارب إني قد مشيت فيما يوما وقد أصابني منها ما أصابني فكيف من يحملها مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يارب ما الذي قضيت فيه قال إن عبدى إدريس سألنى أن أخفف عنك حملها وحرها فأجبته قال يارب اجعل بينى وبينه خلة فأذن الله تعالى له فرفعه إلى السماء (أولئك) إشارة إلى المذكورين في السورة الكريمة وما فيه من معنى البعد للإشارة بعلو رتبهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى (الذين أنعم الله عليهم) صفته * أى أنعم عليهم بفضول النعم الدينية والدنيوية حسبما أشير إليه بجملا وقوله تعالى (من النبيين) بيان للوصول * وقوله تعالى (من ذرية آدم) بدل منه بإعادة الجار ويجوز أن تكون كلمة من فيه للتبعض لأن المنعم عليهم * أعم من الأنبياء وأخص من الذرية (ومن حملنا مع نوح) أى ومن ذرية من حملنا معه خصوصاً وهم من * عدا إدريس عليه السلام فإن إبراهيم كان من ذرية سام بن نوح (ومن ذرية إبراهيم) وهم الباقون * (ولإسرائيل) عطف على إبراهيم أى ومن ذرية إسرائيل وكان منهم موسى وهرون وذكرا ويحيى وعيسى * عليهم السلام وفيه دليل على أن أولاد البنات من الذرية (ومن هدينا واجتبتنا) أى ومن جملة من هديناهم * إلى الحق واجتبتناهم للنبوة والكرامة وقوله تعالى (إذا تلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً) خبر * لأولئك ويجوز أن يكون الخبر هو الوصول وهذا استئناف مسوقا لبيان خشيتهم من الله تعالى وإخباتهم له مع ما لهم من علو الرتبة وسمو الطبقة في شرف النسب وكال النفس والزلفى من الله عز سلطانه وسجداً وبكياً حالان من ضمير خروا أى ساجدين باكين عن النبي ﷺ انلوا القرآن وابكوا فإن لم تسكوا فتيأكوا والبكى جمع بك كالسجد جمع ساجد وأصله بكوى فاجتمعت الواو والياء وسبقت لإحداهما بالسكون فقالت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء وحركت الكاف بالكسر المجانس للياء وقرئ يتلى بالياء التحتانية لأن الباء غير حقيقي وقرئ بكياً بكسر الباء للإتباع قالوا ينبغى أن يدعو الساجد في سجدة بما يليق بآيتها فهمنا يقول اللهم اجعلنى من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك وفي آية الإسراء يقول اللهم اجعلنى من الباكين إليك الخاشعين لك وفي آية التنزيل السجدة يقول اللهم اجعلنى من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك من أن أكون من المستكبرين عن أمرك .

خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾ ١٩ مريم

إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ ١٩ مريم

جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴿٦١﴾ ١٩ مريم

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ ١٩ مريم

- ٥٩ (خفاف من بعدهم خلف) يقال لعقب الخير خلف بفتح اللام ولعقب شر خلف بالسكون أى فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء (أضاعوا الصلاة) وقرىء الصلوات أى تركوها أو أخروها عن وقتها (واتبعوا الشهوات) من شرب الخمر واستحلال نكاح الأخت من الأب والاهماك فى فنون المعاصي وعن على رضى الله عنه هم من بنى المشيد وركب المنظور ولبس المشهور (فسوف يلقون غيا) أى شراً فإن كل شر عند العرب غى وكل خير رشاد كقوله [فن يلقى خيراً يحمده الناس أمره] ومن يغولا يعدم على الغى لا بما] وعن الضحاك جزاء غى كقوله تعالى يلقى أناماً أى جزاء أنام أو غيا عن طريق الجنة وقيل غى واد فى جهنم تستعيز منه أوديتها وقوله تعالى (إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً) يدل على أن الآية فى حق الكفرة (فأولئك) إشارة إلى الموصول باعتبار انصافه بما فى حيز الصلة وما فيه من معنى البعد لما مر مراراً أى فأولئك المنعوتون بالتوبة والإيمان والعمل الصالح (يدخلون الجنة) بموجب الوعد المحتوم وقرىء يدخلون على البناء المفعول (ولا يظلمون شيئاً) أى لا ينقصون من جزاء أعمالهم شيئاً أو لا ينقصون شيئاً من النقص وفيه تنبيه على أن كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص أجورهم (جنت عدن) بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها وما بينهما اعتراض أو نصب على المدح وقرىء بالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أى هى أو تلك جنت الخ أو مبتدأ خبره الى وعد الخ وقرىء جنة عدن نصبا ورفعا وعدن علم لمعنى العدن وهو الإقامة كما أن فينة وسحر وأمس فيمن لم يصرفها أعلام لمعانى الفينة وهى الساعة التى أنت فيها والسحر والأمس لجرى لذلك مجرى العدن أو هو علم لأرض الجنة خاصة ولولا ذلك لما ساغ إبدال ما أضيف إليه من الجنة بلا وصف عند غير البصريين ولا وصفه بقوله تعالى (التي وعد الرحمن عباده) وجعله بدلا منه خلاف الظاهر فإن الموصول فى حكم المشتق وقد نصوا على أن البدل بالمشتق ضعيف والتعرض لعنوان الرحمة الإبدان بأن وعدا وإنجازه كمال سعة رحمته تعالى والباء فى قوله تعالى (بالغيب) متعلقة بمضمر هو حال من المضمر العائد إلى الجنات أو من عباده أى وعدا إياهم ملتبسة أو ملتبسين بالغيب أى غائبة عنهم غير حاضرة أو غائبين عنها لا يرونها وإنما آمنوا بها بمجرد الإخبار أو بمضمر هو سبب الوعد أى وعدا إياهم بسبب إيمانهم (إنه كان وعده) أى مواعده كأنما ما كان فدخل فيه الجنات الموعودة دخولا أو ليا ولما كانت هى مثابة يرجع إليها قيل (مأنيا) أى يأتيه من وعدله لا محالة بغير خلف وقيل هو مفعول بمعنى فاعل وقيل مأنيا أى مفعولا منجزاً من أتى إليه إحساناً أى فعله (لا يسمعون

١٩ مريم

وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَاتَ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ٦٦

١٩ مريم

أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ٦٧

فإن من بيده ملكوت السموات والأرض وما بينهما كيف يتصور أن يحوم حول ساحة سبحانه الغفلة والنسيان وهو خبر مبتدأ محذوف أو بدل من ربك والفاء في قوله تعالى (فاعبده واصطبر لعبادته) لترتيب ما بعدهما من موجب الأمرين على ما قبلها من كونه تعالى رب السموات والأرض وما بينهما وقيل من كونه تعالى غير تارك له عليه السلام أو غير ناس لأعمال العاملين والمعنى لحين عرفته تعالى بما ذكر من الربوبية الكاملة فاعبده الخ فإن إيجاب معرفته تعالى كذلك لعبادته بما لا ريب فيه أو حين عرفت أنه تعالى لا ينسأك أولاً ينسى أعمال العاملين كأنما من كان فأقبل على عبادته واصطبر على مشاقها ولا تحزن بإبطاء الوحي وهزو الكفرة فإنه يراقبك ويراعيك ويلطف بك في الدنيا والآخرة وتعدية الاصطبار باللام لا بحرف الاستعلاء كافي قوله تعالى واصطبر عليها لتضمينه معنى الثبات للعبادة فيما تورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك للبارز اصطبر لقرئك أي أثبت له فيما يورد عليك من شدائده (هل تعلم له سميًا) السمي هو الشريك في الاسم والظاهر أن يراد به ههنا الشريك في اسم خاص قد عبر عنه تعالى بذلك وهو رب السموات والأرض وما بينهما والمراد بإنكار العلم ونفيه إنكار المعلوم ونفيه على أبلغ وجهه وأكده فالجمله تقرير لما أفاده الفاء من عليه ربوبيته العامة لوجوب عبادته بل لوجوب تخصيصها به تعالى ببيان استقلاله عز وجل بذلك الاسم وانتفاء إطلاقه على الغير بالكلية حقاً أو باطلاً وقيل المراد هو الشريك في الاسم الجليل فإن المشركين مع غلوهم في المكابرة لم يسموا الصنم بالجلالة أصلاً وقيل هو الشريك في اسم الإله والمراد بالتسمية التسمية على الحق فالمعنى هل تعلم شيئاً يسمى بالاستحقاق إلهاً وأما التسمية على الباطل فهي كالتسمية فتقرير الجمله لوجوب العبادة باعتبار ما في الاسمين الكريمين من الإشعار باستحقاق العبادة فتدبر (ويقول الإنسان) المراد به إما الجنس بأسره وإسناد القول إلى الكل لوجود القول فيما بينهم وإن لم يقله الجميع كما يقال بنو فلان قتلوا فلاناً وإنما القاتل واحد منهم وإما البعض المعلوم منهم وهم الكفرة أو أبي بن خلف فإنه أخذ عظاماً بالية ففقتها وقال يزعم محمد أنا نبعت بعد ما نموت ونصير إلى هذه الحال أي يقول بطريق الإنكار والاستبعاد (أنذامات لسوف أخرج حياً) أي أبعث من الأرض أو من حال الموت وتقديم الظرف وإيلاؤه حرف الإنكار لما أن المنكر كون ما بعد الموت وقت الحياة وانتصابه بفعل دل عليه أخرج لابه فإن ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي ههنا مخلصه للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلاصت الهمزة واللام للتعويض في بالله فساخ اقترانها بحرف الاستقبال وقرئ إذا ماتت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر (أولا يذكر الإنسان) من الذكر الذي يراد به التفكير والإظهار في موقع الإضمار لزيادة التقرير والإشعار بأن الإنسانية من دواعي التفكير فيما جرى عليه من شئون التكوين المنحبة بالقلع عن القول المذكور وهو السرف لإسناده إلى الجنس أو إلى الفرد بذلك العنوان والهمزة للإنكار التويخي والواو

١٩ مريم

فَوَرِّبْكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾

١٩ مريم

ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾

- لعطاب الجملة المنفية على مقدر يدل عليه يقول أى يقول ذلك ولا يذكر (أنا خلقناه من قبل) أى من قبل
 الحالة التى هو فيها وهى حالة بقائه (ولم يك شيئاً) أى والحال أنه لم يكن حينئذ شيئاً أصلاً فحيث خلقناه وهو
 فى تلك الحالة المادية للخلق بالكلية مع كونه أبعد من الوقوع فلأن نبعثه بجمع المواد المتفرقة وإيجاد مثل
 ما كان فيها من الأعراض أولى وأظهر فإله لا يذكره فيقع فيما يقع فيه من التكثير وقرىء يذكروا ويتذكر
 على الأصل (فوربك) إفسامه باسمه عزت أسماؤه مضافاً إلى ضميره عليه السلام لتحقيق الأمر بالإشعار
 بعليته وتفخيم شأنه ^{٦٨} ورفع منزلته (لنحضرهم) أى لتجتمع القائلين بالسوق إلى المحشر بعد
 ما أخرجناهم من الأرض أحياء ففيه إثبات للبعث بالطريق البرهاني على أبلغ وجه وأكده كأنه أمر واضح
 غنى عن التصريح به وإنما المحتاج إلى البيان ما بعد ذلك من الأحوال (والشياطين) معطوف على الضمير
 المنصوب أو مفعول معه روى أن الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين التى كانت تغويهم كل منهم
 مع شيطانه فى سلسلة وهذا وإن كان مختصاً بهم لكن ساع نسبته إلى الجنس باعتبار أنهم لما حشروا وفيهم
 الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا معهم جميعاً كما ساع نسبة القول المحكى إليه مع كون القائل بعض
 أفرادهم (ثم لنحضرهم حول جهنم جثياً) ليرى السعداء ما نجاهم الله تعالى منه فيزدادوا غبطة وسروراً
 وينال الأشقياء ما دحروا لمعادم عدة ويزدادوا غيظاً من رجوع السعداء عنهم إلى دار الثواب وشمازتهم
 بهم والجثى جمع جاث من جثا إذا قعد على ركبتيه وأصله جثو وبواوين فاستثقل اجتماعها بعد ضمتين
 فكسرت التاء للتخفيف فانقلبت الواو الأولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها فاجتمعت واو ياء وسبقت
 إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت فيها الياء الأولى وكسرت الجيم إتباعاً لما بعدها وقرىء بعضهم
 ونصبه على الحالية من الضمير البارز أى لنحضرهم حول جهنم جاثين على ركبهم لما يدهمهم من هول
 المطلاع أو لأنه من توابع التواقف للحساب قبل التوصل إلى الثواب والعقاب فإن أهل الموقف جاثون
 كما ينطق به قوله تعالى وترى كل أمة جاثية على ما هو المعتاد فى مواقف التقاؤل وإن كان المراد بالإنسان
 الكفرة فلعلهم يساقون من الموقف إلى شاطئ جهنم جثاة لإهانة بهم أو لعجزهم عن القيام لما اعتراهم من
 الشدة (ثم لنزعن من كل شيعة) أى من كل أمة شاعت ديناً من الأديان (أيهم أشد على الرحمن عتياً) ٦٩
 أى من كان منهم أعصى وأعتى فنظرهم فيها وفى ذكر الأشد تنبيه على أنه تعالى يعفو عن بعض من أهل
 العصيان وعلى تقدير تفسير الإنسان بالكفرة فالمعنى إنا نميز من كل طائفة منهم أعصام وأعصام وأعصام
 فأعتاهم فنظرهم فى النار على الترتيب أو ندخل كلا منهم طبقته اللائقة بهو أيهم مبنى على الضم عند سيبويه
 لأن حقه أن يبنى كسائر الموصولات لكنه أعرب حملاً على كل وبعض الزوم بالإضافة وإذا حذف صدر
 صلته زاد نقصه فعاد إلى حقه ومنصوب المهمل بنزعن ولذلك قرىء منصوباً ومرفوع عند غيره بالابتداء

١٩ صريم

ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾

١٩ صريم

وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾

١٩ صريم

ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ

١٩ صريم

نَدِيًّا ﴿٧٣﴾

على أنه استفهامي وخبره أشد والجملة محكية والتقدير لنزعن من كل شيعة الذين يقال لهم أيهم أشد أو معلق عنها لنزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم أو مستأنفة والفعل واقع على كل شيعة على زيادة من أو على معنى لنزعن بعض كل شيعة كقوله تعالى ووهبنا لهم من رحمتنا وعلى للبيان فيتعلق بمحذوف كأن سائلا قال على من عتوا ف قيل على الرحمن أو متعلق بأفعل وكذا الباء في قوله تعالى (ثم لنحس أعلم بالذين هم أولى بها صليا) أي هم أولى بصلبها أو صلبهم أولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز أن يراد بهم وبأشدهم عتيا رؤساء الشيع فإن عذابهم مضاعف لاضلالهم وإضلالهم والصلى كالمقى صيغة وإعلا لا وقرىء بضم الصاد (وإن منكم) التفات لإظهار مزيد الاعتناء بضمون الكلام وقيل هو خطاب للناس من غير التفات إلى المذكور ويؤيد الأول أنه قرىء وإن منهم أي مامنكم أيها الإنسان (إلا واردها) أي وأصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتهار بغيرهم وعن جابر أنه عليه السلام سئل عنه فقال إذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة وأما قوله تعالى أو أهلك عنها مبعدون فالمراد به الإبعاد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط الممدود عليها (كان) أي ورودهم إياها (على ربك حتما مقضيا) أي أمرا محتوما أوجه الله عز وجل على ذاته وقضى أنه لا بد من وقوعه البتة وقيل أقسم عليه (ثم ننجي الذين اتقوا) الكفر والمعاصي بما كانوا عليه من حال الجنو على الركب على الوجه الذي سلف فيساقون إلى الجنة وقرىء ننجى بالتخفيف وينجى وينجى على البناء للفعول وقرىء ثمة ننجى بفتح الهمزة أي هناك ننجيهم (ونذر الظالمين) بالكفر والمعاصي (فيها جثيا) منهار بهم كما كانوا قبل فيه دليل على أن المراد بالورود الجنوح إليها وأن المؤمنين يفارقون الفجرة بعد تجاثيهم حولها ولبقى الفجرة فيها على هيأتهم وقوله تعالى (وإذا تتلى عليهم) الآية إلى آخرها حكاية لما قالوا عند سماع الآيات الناعية عليهم فظاعة حالهم ووخامة مآلهم أي وإذا تتلى على المشركين (آياتنا) التي من جملتها هاتيك الآيات الناطقة بحسن حال المؤمنين وسوء حال الكفرة وقوله تعالى (بينات) أي مرتلات الألفاظ مبيِّنات المعاني بنفسها أو ببيان الرسول عليه السلام أو بينات الإعجاز حال مؤكدة من آياتنا (قال الذين كفروا) أي قالوا ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على أنهم قالوا ما قالوا كافرين بما يتلى عليهم رادين له أو قال الذين مردوا منهم على الكفر ومرنوا على العتو والعناد وهم الضر بن الحرث وأتباعه

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِئِيًّا ﴿٧٤﴾

١٩ مريم

قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدَاحَتِي إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ

فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴿٧٥﴾

١٩ مريم

- الفجرة واللام في قوله تعالى (للذين آمنوا) للتبليغ كما في مثل قوله تعالى وقال لهم نبيهم وقيل لام الأجل
- كما في قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه أى قالوا لأجلهم وفي حقهم
- والاول هو الاول لأن قولهم ليس في حق المؤمنين فقط كما ينطق به قوله تعالى (أى الفريقين) أى
- المؤمنين والكافرين كأنهم قالوا أينا (خير) نحن أو أتم (مقاماً) أى مكاناً وقرىء بضم الميم أى موضع
- إقامة ومزل (وأحسن ندياً) أى مجلساً ومجتمعاً يروى أنهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنونها ويتطيبون
- ويتزينون بالزينة الفاخرة ثم يقولون ذلك لفقر المؤمنين يريدون بذلك أن خيريتهم حالاً وأحسنيتهم مثلاً
- عما لا يقبل الإنكار وأن ذلك لكرامتهم على الله سبحانه وزلفاهم عنده إذ هو العيار على الفضل والنقصان
- والرفعة والوضعة وأن من ضرورته هو أن المؤمنين عليه تعالى لقصور حظهم العاجل وما هذا القياس
- العقيم والرأى السقيم إلا لكونهم جملة لا يعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم فرد
- عليهم ذلك من جهته تعالى بقوله (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثناً ورئياً) أى كثيراً من القرون ٧٤
- التي كانت أفضل منهم فيما يفتخرون به من الحظوظ الدنيوية كعادو ثمود وأضرابهم من الأمم العاتية قبل
- هؤلاء أهلكناهم بفنون العذاب ولو كان ما آتيناهم لكرامتهم علينا لما فعلنا بهم ما فعلنا وفيه من التهديد
- والوعيد ما لا يخفى كأنه قيل فليتنظر هؤلاء أيضاً مثل ذلك فكهم مفعول أهلكنا ومن قرن بيان لإبهامها
- وأهل كل عصر قرن لمن بعدهم لأنهم يتقدمونهم مأخوذ من قرن الدابة وهو مقدمها وقوله تعالى هم
- أحسن أثناً في حين النصب على أنه صفة لكم وأثناً تمييز النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جدمه والخرق
- ما لبس منه ورث والرئى المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن لما يطحن وقرىء رياءً على قلب الحمزة ياء
- وإدغامها أو على أنه من الرى وهو النعمة والترفة وقرىء ريتاً على القلب ورياً بحذف الهمزة وزيا
- بالزاي المعجمة من الزى وهو الجمع فإنه عبارة عن المحاسن المجموعة (قل من كان في الضلالة فليمدد ٧٥
- له الرحمن مداً) لما بين عاقبة أمر الأمم المهلكة مع ما كان لهم من التمتع بفنون الحظوظ العاجلة أمر
- رسول الله ﷺ بأن يجيب هؤلاء المفتخرين بما لهم من الحظوظ ببيان مآل أمر الفريقين إما على وجه كلى
- متناول لهم ولغيرهم من المنتمين في اللذة العانية المبتهجين بها على أن من على عمومها وإما على وجه خاص
- بهم على أنها عبارة عنهم ووصفهم بالتمكن لذتهم والإشعار بعله الحكم أى من كان مستقراً في الضلالة
- مغموراً بالجهل والغفلة عن عواقب الأمور فليمدد له الرحمن أى يمدله ويمهله بطول العمر وإعطاء المال
- واتمكين من التصرفات وإخراجه على صيغة الأمر للإيدان بأن ذلك مما ينبغي أن يفعل بموجب الحكمة
- لقطع للماذير كما ينبى عنه قوله عز وجل أولم نعلمكم ما يتذكر فيه من تذكر أو للاستدراج كما ينطق به

وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ

١٩ مريم

مَرَدًّا ﴿٧٦﴾

١٩ مريم

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾

قوله تعالى إنما نمل لهم ليزدادوا إثماً وقيل المراد به الدعاء بالممد والتنفيس واعتبار الاستقرار في الضلال لما أن المد لا يكون إلا للمصرين عليها إذ رب ضال يهديه الله عز وجل والتعرض لعنوان الرحمانية لما أن المد من أحكام الرحمة النبوية وقوله تعالى (حتى إذا رآوا ما يوعدون) غاية للمد الممد لا أقول المفتخرين كما قيل إذ ليس فيه امتداد بحسب الذات وهو ظاهر ولا استمرار بحسب التكرار لوقوعه في حين جواب إذا وجمع الضمير في الفعلين باعتبار معنى من كما أن الأفراد في الضميرين الأولين باعتبار لفظها وقوله تعالى (إما العذاب وإما الساعة) تفصيل للوعد بدل منه على سبيل البدل فإنه إما العذاب الديني بغلبة المسلمين واستيلائهم عليهم وتعذيبهم إياهم قتلاً وأسراً وإما يوم القيامة وما نالهم فيه من الحزى والنكال على طريقة منع الخلو دون منع الجمع فإن العذاب الأخرى لا ينفك عنهم بحال وقوله تعالى (فسيعلمون) جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى أى حتى إذا عاينوا ما يوعدون من العذاب الديني أو الأخرى فقط فسيعلمون حينئذ (من هو شر مكاناً) من الفريقين بأن يشاهدوا الأمر على عكس ما كانوا يقدرونه فيعلمون أنهم شر مكاناً لا خير مقاماً (وأضعف جنداً) أى فئة وأنصاراً لا أحسن ندباً كما كانوا يدعونه وليس المراد أن له ثمة جنداً ضعفاء كلا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً وإنما ذكر ذلك رداً لما كانوا يزعمون أن لهم أعواناً من الأعيان وأنصاراً من الأخيار ويفتخرون بذلك في الأندية والمحافل (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) كلام مستأنف سيق لبيان حال المهتدين لإثر بيان حال الضالين وقيل عطف على فليمدد لأنه في معنى الخبر حسبما عرفته كأنه قيل من كان في الضلالة يمدد الله ويزيد المهتدين هداية كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وقيل عطف على الشرطية المحكية بعد القول كأنه لما بين أن إهمال الكافر وتمتيعه بالحياة ليس لفضله عقب ذلك ببيان أن قصور حظ المؤمن من الله ليس لنقصه بل لأنه تعالى أراد به ما هو خير من ذلك وقوله تعالى (والباقيات الصالحات خير) على تقدير الاستئناف والعطف كلام مستأنف وارد من جمته تعالى لبيان فضل أعمال المهتدين غير داخل في حيز الكلام الملقن لقوله تعالى (عند ربك) أى الطاعات التى تبقى فوائدها وتدوم عوائدها ومن جملتها ما قيل من الصلوات الخمس وما قيل من قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خير عند الله تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره لتشريفه ﷺ (ثواباً) أى عائدة بما يتمتع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التى يفترخون بها لاسيما وآلها النعيم المقيم وآل هذه الحسرة السرمدية والعذاب الأليم كما أشير إليه بقوله تعالى (وخير مرداً) أى مرجعاً وعاقبة وتكرير الخير لمزيد الاعتناء ببيان الخيرية وتأكيدها وفي التفضيل مع أن مال الكفرة بمعزل من أن يكون له خيرية في العاقبة تمكهم بهم (أفرايت الذى

١٩ مريم

أَطْلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾

١٩ مريم

كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾

- كفر بآياتنا) أى بآياتنا التى من جملتها آيات البعث نزلت فى العاص بن وائل كان لحباب بن الارت عليه مال فافتنه فقال لا حتى تكفر بمحمد قال لا والله لا أكفر به حياً ولا ميتاً ولا حين بعثت قال فإذا بعثت جئنى فيكون لى ثمة مال وولد فأعطيك وفى رواية قال لا أكفر به حتى بميتك ثم تبعث فقال لى لميت ثم مبعوث قال نعم قال دعنى حتى أموت وأبعث فسأوتى مالا وولداً فأفصيك فنزلت فاهمزة للتعجب من حاله والإيذان بأنها من الغرابة والشناعة بحيث يجب أن ترى ويقضى منها العجب ومن فرق بين ألم تر وأرأيت بعد بيان اشتراكهما فى الاستعمال اقصد التعجب بأن الأول يعلق بنفس المتعجب منه فيقال ألم تر إلى الذى صنع كذا بمعنى انظر إليه فتعجب من حاله والثانى يعلق بمثل المتعجب منه فيقال أرأيت مثل الذى صنع كذا بمعنى أنه من الغرابة بحيث لا يرى له مثل فقد حفظ شيئاً وغابت عنه أشياء وكأنه ذهب عليه قوله عز وجل أرأيت الذى يكذب بالدين والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أنظرت فرأيت الذى كفر بآياتنا الباهرة التى حقها أن يؤمن بها كل من يشاهدها (وقال) مستهزئاً بها مصدر الكلامه باليمين الفاجرة والله (لا وتين) فى الآخرة (مالا وولداً) أى انظر إليه فتعجب من حاله البديعة وجراته الشنيعة هذا هو الذى يستدعيه جزالة النظم الكريم وقد قيل إن أرأيت بمعنى أخبر والفاء على أصلها والمعنى أخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث أولئك الذين قالوا أى الفريقين خير مقاماً الآية وأنت خير بأن المشهور استعمال أرأيت فى معنى أخبرنى بطريق الاستفهام جارياً على أصله أو مخرجا إلى ما يناسبه من المعانى لا بطريق الأمر بالإخبار غيره وقرئ ولداً على أنه جمع ولد كاسد جمع أسد أو على أنه لغة فيه كالعرب والعرب وقوله له إلى (أطلع الغيب) رد لكلمته الشنعاء وإظهار لبطلانها اثر ما يشير إليه بالتعجب ٧٨ منها أى أفد بلغ من عظمة الشأن إلى أن ارتقى إلى علم الغيب الذى استأثر به العلم الخبير حتى ادعى أن أن يؤتى فى الآخرة مالا وولداً وأقسم عليه (أم اتخذ عند الرحمن عهداً) بذلك فإنه لا يتوصل إلى العلم به إلا بأحد هذين الطريقين والتعرض لعنوان الرحمانية للإشعار بعملية الرحمة لإيثار ما يدعيه وقيل العهد كلفة الشهادة وقيل العمل الصالح فإن وعده تعالى بالثواب عليهما كالعهد وهذا مجازاة مع اللعين بحسب منطوق مقاله كما أن كلامه مع خباب كان كذلك وقوله تعالى (كلا) ردع له عن التفوه بتلك العظيمة وتنبهه ٧٩ على خطئه (سنكتب ما يقول) أى سنظهر أنا كتبنا قوله كقوله [إذا ما نتسبنالم تلدنى لثيمة] أى يتبين أنى لم تلدنى لثيمة أو سننتقم منه انتقام من كتب جريمة الجانى وحفظها عليه فإن نفس الكتبة لا تكاد تتأخر عن القول لقوله عز وعلا ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد فبنى الأول تنزيل إظهار الشيء الخفى منزلة لإحداث الأمر المعلوم بجماع أن كلامها إخراج من الكون إلى البروز فيكون استعارة تبعية مبنية على تشبيه إظهار الكتابة على رموس الا شهاديا أحداثها ومدار الثانى تسمية الشيء باسم سببه فإن

١٩ مريم

وَنَزَّهَتْهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾

١٩ مريم

وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾

١٩ مريم

كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾

* كتابة جريمة المجرم سبب لعقوبته قطعاً (ونمد له من العذاب مداً) مكان ما يدعيه لنفسه من الإمداد بالمال والولد أى نطول له من العذاب ما يستحقه أو تزيد عذابه ونضاعفه له لكفره وافترائه على الله سبحانه ٨٠ واستهزائه بآياته العظام ولذلك أكد بالمصدر دلالة على فرط الغضب (ونزته) بموته (ما يقول) أى مسمى ما يقول ومصادقه وهو ما أوتيه في الدنيا من المال والولد وفيه إيذان بأنه ليس لما يقوله مصداق موجود سوى ما ذكر أى ننزع عنه ما آتيناه (وبأتيناه) يوم القيامة (فرداً) لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلاً أن يوتى ثمة زائداً وقيل نزوى عنه مازعم أنه يناله في الآخرة ونعطيه ما يستحقه وبأباه معنى الإرث وقيل المراد بما يقول نفس القول المذكور لاسمائه والمعنى إنما يقول هذا القول مادام حياً فإذا قبضناه حللنا بينه وبين أن يقوله وبأتيناه رافضاً له منفرداً عنه وأنت خير بأن ذلك مبنى على أن صدور القول المذكور عنه بطريق الاعتقاد وأنه مستمر على التفوه به راجح لوقوع مضمونه ولا ريب ٨١ في أن ذلك مستحيل من كفر بالبعث وإنما قال ما قال بطريق الاستهزاء وتعليق أداء دينه بالمحال (واتخذوا من دون الله آلهة) حكاية لجناية عامة لكل مستتبعة لصد ما يرجعون ترتبه عليها إثر حكاية مقالة الكافر المعبود واستتباعها لنقيض مضمونها أى اتخذوا الأصنام آلهة متجاوزين الله تعالى (ليكونوا لهم عزاً) ٨٢ أى ليعززوا بهم بأن يكونوا لهم وصلة إليه عز وجل وشفعاء عنده (كلا) ردع لهم عن ذلك الاعتقاد الباطل وإنكار لوقوع ما علقوا به أطعمهم الفارغة (سيكفرون بعبادتهم) أى ستجحد الآلهة بعبادتهم لها بأن ينطقها الله تعالى وتقول ما عبدتمونا أو سينكر الكفرة حين شاهدوا سوء عاقبة كفرهم بعبادتهم لها كما في قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين ومعنى قوله تعالى (ويكونون عليهم ضداً) على الأول تكون الآلهة التي كانوا يرجون أن تكون لهم عزاً ضداً للعز أى ذلاً وهواناً أو تكون عوناً عليهم وآله لعذابهم حيث تجعل وقود النار وحصب جهنم أو حيث كانت عبادتهم لها سبباً لعذابهم وإطلاق الضد على العون لما أن عون الرجل بضاد عدوه وينافيه بإطاعته له عليه وعلى الثاني يكون الكفرة ضداً وأعداء الآلهة كافرين بها بعد أن كانوا يحبونها كحب الله ويعبدونها وتوحيد الضد لو حدة المعنى الذى عليه تدور مضاداتهم فإنهم بذلك كشيء واحد كافي قوله عليه السلام وهم يد على من سواهم وقرىء كلا بفتح الكاف والتنوين على قلب الألف نوناً في الوقف قلب ألف الإطلاق في قوله [أقل اللوم عاذل والعتابين * وقولى إن أصبت لقد أصابن] أو على معنى كل هذا الراى كلا وقرىء كلا على إضمار فعل يفسره ما بعده أى سيجحدون كلا سيكفرون الخ.

- أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا ۖ (٨٣) ١٩ مريم
- فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذًّا ۖ (٨٤) ١٩ مريم
- يَوْمَ نَخْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ۖ (٨٥) ١٩ مريم
- وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا ۖ (٨٦) ١٩ مريم
- لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ۖ (٨٧) ١٩ مريم
- (ألم تر أما أرسلنا الشياطين على الكافرين) تعجيب لرسول الله ﷺ عما نطقت به الآيات الكريمة ٨٣ السالفة وحكته عن هؤلاء الكفرة الغواة والمردة العتاة من فنون القبايح من الأقاويل والأقاعيل والتمادي في النفي والانهماك في الضلال والإفراط في العناد والتصميم على الكفر من غير صارف يلويهم ولا طاطب يذنبهم والإجماع على مدافعة الحق بعد انصاحه وانتفاء الشك عنه بالكلية وتنبيه على أن جميع ذلك منهم بإضلال الشياطين وإغوائهم لا لأن له مسوغاً ما في الجملة ومعنى إرسال الشياطين عليهم إما تسليطهم عليهم وتمكينهم من إضلالهم وإما تقييضهم لهم وليس المراد تعجيبه عليه السلام من إرسالهم عليهم كما يورمه تعليق الرؤية به بل عما ذكر من أحوال الكفرة من حيث كونها من آثار إغواء الشياطين كإنيء عنه قوله تعالى (تؤزم أزا) فإنه إما حال مقدرة من الشياطين أو استئناف وقع جواباً عما نشأ من صدر الكلام كأنه قيل ماذا يفعل الشياطين بهم حينئذ فقيل تؤزم أي تغريهم وتهيجهم على المعاصي تهيجاً شديداً بأنواع الوسوس والنسويلات فإن الأرز والهزوال استغزاز أخوات معناها شدة الإزعاج (فلا تعجل عليهم) أي بأن يهلكوا حسبما تقتضيه جنائياتهم ويبدوا عن آخرهم وتطهر الأرض من فساداتهم والفاء للإشعار بكون ما قبلها مظنة لوقوع المنهى عنه محوكة إلى النهي كافي قوله تعالى إن هذا عدوك ولزوجك فلا يخرجكما من الجنة وقوله تعالى (إنما نعد لهم عداً) تعليل لموجب النهي ببيان اقتراب هلاكهم أي لا نستعجل بهلاكهم فإنه لم يبق لهم إلا أيام وأنفاس نعد لها عداً (يوم نخشر المتقين) منصوب على الظرفية ٨٥ بفعل مؤخر قد حذف للإشعار بضيق العبارة عن حصره وشرحه لكامل فظاعة ما يقع فيه من الطامة التامة والهداهي العامة كأنه قيل يوم نخشر المتقين أي نجعلهم (إلى الرحمن) إلى ربهم الذي يغفرهم برحمته الواسعة (وفداً) وافدين عليه كما يفد الوفود على الملوك منتظرين لكرامتهم وإنعامهم (ونسوق المجرمين) كما تساق البهائم (إلى جهنم ورداً) عطاشاً فإن من يرد الماء لا يورده إلا العطش أو كالنواب التي ترد الماء تفعل بالفریقين من الأفعال ما لا يفي ببيانها نطاق المقال وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم خو طب به النبي ﷺ أي اذكر لهم بطريق الترغيب والترهيب يوم نخشر الخ وقيل على الظرفية لقوله تعالى (لا يملكون

وَقَالُوا آتَّخِذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾

١٩ مريم

لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾

١٩ مريم

تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾

١٩ مريم

الشفاعة) والذي يقتضيه مقام التهويل وتستدعيه جزالة التنزيل أن ينتصب بأحد الوجهين الأولين ويكون هذا استثناءً مبيناً لبعض ما فيه من الأمور الدالة على هوله وخميره عائداً إلى العباد المدلول عليهم بذكر الفريقين لا نحصارهم فيها وقيل إلى المتقين خاصة وقيل إلى المجرمين من الكفرة وأهل الإسلام والشفاعة على الأولين مصدر من المبني للفاعل وعلى الثالث ينبغي أن تكون مصدراً من المبني للمفعول وقوله تعالى (إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) على الأول استثناء متصل من لا يملكون ومحل المستثنى إما الرفع على البديل أو النصب على أصل الاستثناء والمعنى لا يملك العباد أن يشفعوا لغيرهم إلا من استعد له بالتخلي بالإيمان والتقوى أو من أمر بذلك من قولهم عهد الأمير إلى فلان بكذا إذا أمره به فيكون ترغيباً للناس في تحصيل الإيمان والتقوى المؤدى إلى نيل هذه الرتبة وعلى الثاني استثناء من الشفاعة على حذف المضاف والمستثنى منصوب على البديل أو على أصل الاستثناء أى لا يملك المتقون الشفاعة إلا شفاعاً من اتخذ العهد بالإسلام فيكون ترغيباً في الإسلام وعلى الثالث استثناء من لا يملكون أيضاً والمستثنى مرفوع على البديل أو منصوب على الأصل والمعنى لا يملك المجرمون أن يشفع لهم إلا من كان منهم مسلماً (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً) حكاية لجناية اليهود والنصارى ومن يزعم من العرب أن الملائكة بنات الله سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً إثر حكاية عبدة الأصنام بطريق عطف القصة على القصة ٨٨ وقوله تعالى (لقد جئتم شيئاً إدًّا) رد لمقاتلهم الباطلة وتهويل لأمرها بطريق الالتفات المنبئ عن قال السخط وشدة الغضب المفصح عن غاية التشنيع والتقبيح وتسجيل عليهم نهاية الوقاحة والجهل والجرأة والإد بالكسر والفتح العظيم المنكر والإداة الشدة وأدنى الأمر وأدنى أثقلنى وعظم على أى فعلتم أمراً منكراً شديداً لا يقادر قدره فإن جاء وأتى يستعملان في معنى فعل فيمديان تعديته وقوله تعالى (تكاد السموات) الخصفة لإدأ أو استئناف ببيان عظم شأنه في الشدة وال هول وقرىء يكاد بالتذكير (يتفطرن منه) يتشققن مرة بعد أخرى من عظم ذلك الأمر وقرىء يتفطرن والأول أبلغ لأن تفعل مطاوع فعل وانفعل مطاوع فعل ولأن أصل التفعل التكلف (وتنشق الأرض) أى وتكاد تنشق الأرض (وتخر الجبال) أى تسقط وتهدم وقوله تعالى (هداً) مصدر مؤكد لمخدوف هو حال من الجبال أى تهد هدأ أو مصدر من المبني للمفعول مؤكد لتخر على غير الصدر لأنه حينئذ بمعنى التهدم والخرور كأنه قيل وتخر الجبال خروراً أو مصدر بمعنى المفعول منصوب على الحالية أى مهدودة أو مفعول له أى لأنها تهد وهذا تقرير لكونه إدأ والمعنى أن هول تلك الشنعة وعظمتها بحيث لو تصورت بصورة محسوسة لم تطلق بها هاتيك الأجرام العظام وفتنت من شدتها أو أن فظاعتها في استجلاب الغضب واستيجاب السخط

- ١٩ مريم أن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾
- ١٩ مريم وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾
- ١٩ مريم إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾
- ١٩ مريم لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾
- ١٩ مريم وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾
- ١٩ مريم إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾

- ٩١ بحيث لولا حله تعالى لحرب العالم وبددت قوائمه غضباً على من تفوه بها (أن دعوا للرحمن ولداً) منصوب على حذف اللام المتعلقة بتكاد أو مجرور بإضمارها أى تكاد السموات يتفطرن والأرض تنشق والجبال تغر لأن دعوا له سبحانه ولداً وقيل اللام متعلقة بهداً وقيل الجملة بدل من الضمير المجرور في منه كما في قوله [على جوده لضعن بالماء حاتم] وقيل خبر مبتدأ محذوف أى الموجب لذلك أن دعوا الخ وقيل فاعل هداً أى هدها دعاء الولد والأول هو الأول ودعوا من دعا بمعنى سعى المتعدى إلى مفعولين وقد اقتصر على ثانيها ليتناول كل مادعى له ولداً أو من دعا بمعنى نسب الذى مطاوعه ادعى إلى فلان أى انتسب إليه وقوله تعالى (وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولداً) حال من فاعل قالوا ودعوا مقرر لبطلان مقالته واستحالة تحقق ٩٢ مضمونها أى قالوا اتخذ الرحمن ولداً أو أن دعوا للرحمن ولداً والحال أنه ما يليق به تعالى اتخاذ الولد ولا يتطلب له لو طلب مثلاً لاستحالته في نفسه ووضع الرحمن موضع الضمير للإشعار بعلّة الحكم بالتنبيه على أن كل ما سواه تعالى إمانعة أو منعم عليه فكيف يتسنى أن يجانس من هو مبدأ النعم ومولى أصولها وفروعها حتى يتوهم أن يتخذ ولداً وقد صرح له قوم به عز قائله (إن كل من في السموات والأرض) أى ما منهم أحد من ٩٣ الملائكة والتقلين (إلا آتى الرحمن عبداً) إلا وهو مملوك له يأوى إليه بالعبودية والانقياد وقرئ آت الرحمن على الأصل (لقد أحصاهم) أى حصرهم وأحاط بهم بحيث لا يكاد يخرج منهم أحد من حيلة علمه وقبضة قدرته ٩٤ وملكوته (وعدهم عدداً) أى عدداً شخصهم وأنفاسهم وأفعالهم وكل شئ عنده بمقدار (وكلمهم آتية يوم القيامة فرداً) أى كل واحد منهم آت إياه تعالى منفرداً من الاتباع والأنصار وفي صيغة الفاعل من الدلالة على إتيانهم كذلك البتة ما ليس في صيغة المضارع لو قيل يأتية فإذا كان شأنه تعالى وشأنهم كما ذكر فأنى يتوهم احتمال أن يتخذ شيئاً منهم ولداً (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) لما فصلت قبائح أحوال الكفرة عقب ذلك ٩٦ بذكر محاسن أحوال المؤمنين (سيجعل لهم الرحمن وداً) أى سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لأسبابها سوى ما لهم من الإيمان والعمل الصالح والتعرض لعنوان الرحمانية لما أن الموعود من آثارها

١٩ مريم

فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا ۝٩٧

١٩ مريم

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هَلْ يُحِشُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ۝٩٨

وعن النبي ﷺ إذا أحب الله عبداً يقول لجبريل عليه السلام إن أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادى في أهل السماء إن الله أحب فلاناً فأحبه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له المحبة في الأرض والسين لأن السورة مكية وكانوا إذا ذكروا بمقتولين بين الكفرة فوعدهم ذلك ثم أنجزه حين ربا بالإسلام أولاً لأن للوعود في القيامة حين تعرض حسناتهم على رؤوس الأشهاد فينزع ما في صدورهم من الغل الذي كان في الدنيا ولعل لإفراد هذا بالوعد من بين ما سيؤتون يوم القيامة من الكرامات السنية لما أن الكفرة سيقع بينهم يومئذ تباعض وتضاد وتقاطع وتلاعن (فإنما يسرناه) أي القرآن (بلسانك) بأن أنزلناه على لغتك والباء بمعنى على وقيل ضمن التيسير معنى الإنزال أي يسرنا القرآن منزلاً له بلغتك والفاء لتعليل أمر يذساق إليه النظم الكريم كأنه قيل بعد إحياء السورة الكريمة بالغ هذا المنزل أو بشر به وأنذر فإنما يسرناه بلسانك العربي المبين (لتبشر به المتقين) أي الصائرين إلى التقوى بامثال ما فيه من الأمر والنهي (وتنذر به قوماً لداً) لا يؤمنون به لجأجا وعناداً والد جمع الائد وهو الشديد الخصومة اللجوج المعاند وقوله تعالى (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) وعدل رسول الله ﷺ في ضمن وعيد الكفرة بالإهلاك وحث له ﷺ على الإنذار أي قرناً كثيراً أهلكنا قبل هؤلاء المعاندين وقوله تعالى (هل تحس منهم من أحد) استئناف مقرر لمضمون ما قبله أي هل تشعر بأحد منهم وترى (أو تسمع لهم ركزاً) أي صوتاً خفياً وأصل الركز هو الخفاء ومنه ركز الرمح إذا غيب طرفه في الأرض والركاز المال المدفون المخفي والمعنى أهلكناهم بالكلية واستأصلناهم بحيث لا يرى منهم أحد ولا يسمع منهم صوت خفي . عن رسول الله ﷺ من قرأ سورة مريم أعطى عشر حسنات بعدد من كذب ذكرى أو صدق به ويحيى وعيسى ومريم وسائر الأنبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا الله تعالى في الدنيا ومن لم يدع الله تعالى .

(تم الجزء الخامس ويليه الجزء السادس وأوله سورة طه)

فهرست

نفس الحامس

الجزء المبتدئ

صفحة

(سورة الرعد)

٢

- ٦ قوله تعالى : وإن تعجب فعجب قولهم أنذا كنا تراباً أإنا لفي خلق جديد .
 ١٦ : أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب .
 ٢٥ : مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلمها تلك عقبى الذين اتقوا .

(سورة إبراهيم)

٣٠

- ٣٦ قوله تعالى : قالت رسلمهم أفى الله شك فاطر السموات والأرض .
 ٤٥ : ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار .

الجزء الرابع عشر

(سورة الحجر)

- ٦٣ قوله تعالى : الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين .
 ٨٠ : نهي عبادة أنى أنا الغفور الرحيم وأن غذابى هو العذاب الأليم .

(سورة النحل)

- ٩٤ قوله تعالى : أتى أمر الله فلا تستعجلوه .
 ١١٠ : وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة .
 ١١٩ : وقال الله لا تتخذوا آللهين اثنين إنما هو إله واحد فإياى قارهبون .
 ١٢٩ : ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه منارزقاً حسناً .
 ١٣٦ : إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى .
 ١٤٤ : يوم تأتى كل نفس تمجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون .

الجزء الخامس عشر

(سورة الإسراء)

- ١٥٤ قوله تعالى : سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير .
 ١٦٦ : وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً .
 ١٧٧ : قل كونوا حجارة أو حديداً أو خلقاً مما يكبر فى صدوركم .
 ١٨٦ : ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات .
 ١٩٧ : أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم .

(سورة الكهف)

٢٠٢

٢١١ قوله تعالى : وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين .

٢٢١ د : واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل .

٢٢٨ د : ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم .

الجزء السادس عشر

٢٣٦ قوله تعالى : قال ألم أقل لك إني تستطيع معى صبراً .

٢٤٧ د : وتركنا بعضهم يومئذ يؤج في بعض ونفخ في الصور لجمعناهم جمعاً .

(سورة مريم عليها السلام)

٢٥٢

٢٦١ قوله تعالى : حملته فانتبذت به مكاناً قصياً .

٢٧٢ د : تخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً .

(تم الفهرست)

نفس الحكيم السعدي

المسمى بإرشاد العقل السليم إلى مزايا الفقه الزين الكيم

تأليف القاضي القضاة الإمام
أبي السعود محمد بن محمد العامري
المتوفى سنة ٩٥١ هجرية

الجزء الأول

الناشر
دار احياء التراث العربي
بيروت - لبنان

٢٠ - سورة طه

(مكية وآياتها مائة وخمس وثلاثون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه ٢٠

طه ١

(سورة طه مكية إلا آيتي ١٣٠ و ١٣١ فدينيتان وآياتها ١٣٥)

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (طه) نغمها قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الأصل والطاء وحده أبو عمرو وورش لاستعلائه وأما لها الباؤون وهو من الفواتح التي يصدر بها السور الكريمة وعليه جمهور المتقنين وقيل معناه يارجل وهو مروي عن ابن عباس رضى الله عنها والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة والكلبي إلا أنه عند سعيد على اللغة النبطية وعند قتادة على السريانية وعند عكرمة على الحبشية وعند الكلبي على لغة عكا وقيل عكل وهي لغة يمانية قالوا إن صح فعل أصله يا هذا فتصرفوا فيه بقلب الياء طاء وحذف ذام من هذا وما استشهد به من قول الشاعر [إن السفاهة طه في خلافتكم] لا قدس الله أخلاق الملاعين [ليس بنص في ذلك لجواز كونه قسما كما في حم لا ينصرون وقد جوز أن يكون الأصل طاها بصيغة الأمر من الوطه فقلبت الهمزة في يطا ألفا لانتفاع ما قبلها كما في قول من قال لا هناك المرتع وما ضمير الأرض على أنه خطاب لرسول الله ﷺ بأن يطا الأرض بقدميه لما كان يقوم في تهجد على إحدى رجليه مبالغة في المجاهدة ولكن ياباه كتابتهما على صورة الحرف كما تأتي التفسير بيارجل فإن الكتابة على صور الحرف مع كون التلفظ بخلافه من خصائص حروف المعجم وقرئ طه إما على أن أصله طا فقلبت همزته هاء كما في أمثال هرق أو قلبت الهمزة في يطا ألفا كما مر ثم بنى منه الأمر وألحق به هاء السكت وإما على أنه اكتفى في التلفظ بشطرى الاسمين وأقبا مقامهما في الدلالة على المسميين فكأنهما اسماهما الدالان عليهما وعلى هذا ينبغي أن يحمل قول من قال أراكتنى بشطرى الكلمتين وعبر عنها باسمهما وإلا فالشطران لم يذكر من حيث إنها مسميان لاسميهما ليقعا معبرا عنها بل من حيث إنها جزءان لها قد اكتفى بذكرهما عن ذكرهما ولذلك وقع التلفظ بأنفسهما لاسميهما بأن يراد بضمير التثنية في الموضعين الشطران من حيث هما مسميان لا من حيث هما جزءان للاسمين ويراد باسمهما الشطران من حيث هما قائمان مقام الاسمين فالمعنى اكتفى في التلفظ بشطرى الكلمتين أى الاسمين فعبر عنهما أى عن الشطرين من حيث هما مسميان بهما من حيث هما قائمان مقام الاسمين وأما حمله على معنى أنه اكتفى في الكتابة بشطرى الكلمتين يعنى طا على تقديرى كونه أمرا وكونه حرف نداموها على تقديرى كونها كناية عن الأرض وكونها حرف تنبيه وعدل عن ذنبك الشطرين في التلفظ باسميهما فبين البطلان كيف وطاوها على ما ذكر من التقادير ليسا باسمين للحرفين المذكورين بل الأول

طه ٢٠

مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٢٠﴾

طه ٢٠

إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢١﴾

أمر أو حرف نداء والثاني ضمير الأرض أو حرف تنبيه على أن كتابة صورة الحرف والتلفظ بغيره من خواص حروف المعجم كما مر فالحق ما سلف من أنها من الفوائج إما مسرودة على نمط التعديد بأحد الوجهين المذكورين في مطلع سورة البقرة فلا محل لها من الإعراب وكذا ما بعدهما من قوله تعالى (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) فإنه استئناف مسوق لتسليته ﷺ عما كان يعتريه من جهة المشركين من التعب فإن الشقاء شائع في ذلك المعنى ومنه أشقى من راقض مهر أى ما أنزلناه عليك لتتعب بالمبالغة في مكابدة الشدائد في مقابلة العتاة ومحاوراة الطغاة وفرط التأسف على كفرهم به والتحسر على أن يؤمنوا كقوله عز وجل فلعلك باخع نفسك على آثارهم الآية بل للتبليغ والتذكير وقد فعلت فلا عليك إن لم يؤمنوا به بعد ذلك أو لصرفه ﷺ عما كان عليه من المبالغة في المجاهدة في العبادة كما يروى أنه ﷺ كان يقوم بالليل حتى ترم قدماه فقال له جبريل عليه السلام أبق على نفسك فإن لها عليك حقاً أى ما أنزلناه عليك لتتعب بنهك نفسك وحملها على الرياضات الشاقة والشدائد الفادحة وما بعثت إلا بالحنيفية السمحة وقيل إن أبا جهل والنضر ابن الحرث قالوا لرسول الله ﷺ إنك شقي حيث تركت دين آبائك وأن القرآن نزل عليك لتشقى به فرد ذلك بأننا ما أنزلناه عليك لما قالوا والاول هو الأنسب كما يشهد به الاستثناء الآتى هذا ولما اسم للقرآن محله الرفع على أنه مبتدأ وما بعده خبره والقرآن ظاهر أوقع موقع العائد إلى المبتدأ كأنه قيل القرآن ما أنزلناه عليك لتشقى أو النصب على إضمار فعل القسم أو الجر بتقدير حرفه وما بعده جوابه وعلى هذين الوجهين يجوز أن يكون اسم للسورة أيضاً بخلاف الوجه الأول فإنه لا يتسنى على ذلك التقدير لكن لا لأن المبتدأ يبقى حينئذ بلا هائم ولا قائم مقامه فإن القرآن صادق على الصورة لاحتمال إما بطريق الاتحاد بأن يراد به القدر المشترك بين الكل والبعض أو باعتبار الاندراج إن أريد به الكل بل لأن نفي كون إنزاله للشقاء يستدعى سبق وقوع الشقاء مترتباً على إنزاله قطعاً إما بحسب الحقيقة كما لو أريد به معنى التعب أو بحسب زعم الكفرة كما لو أريد به ضد السعادة ولا ريب في أن ذلك إنما يتصور في إنزال ما أنزل من قبل وأما إنزال السورة الكريمة فليس مما يمكن ترتب الشقاء السابق عليه حتى يتصدى لنفيه عنه أما باعتبار الاتحاد فظاهر وأما باعتبار الاندراج فلأن ما له أن يقال هذه السورة ما أنزلنا القرآن المحتمل عليها لتشقى ولا يخفى أن جعلها مخبراً عنها مع أنه لا دخل لإنزالها في الشقاء السابق أصلاً مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل وقوله تعالى (إلا تذكراً) نصب على أنه مفعول له لا أنزلنا لكن لا من حيث إنه معلل بالشقاء على معنى ٣ ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب بتبليغه إلا تذكراً الآية كقولك ما ضربتك للتأديب إلا إشفاقاً لما أنه يجب في أمثاله أن يكون بين العلتين ملازمة بالسببية والمسببية حتماً كما في المثال المذكور وفي قولك ما شافهتك بالسوء لتأذى إلا زجراً لغيرك فإن التأديب في الأول مسبب عن الإشفاق والتأذى في الثاني سبب لزجر

٢٠ طه

تَنْزِيلًا يَمَنَّ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿١٠﴾

٢٠ طه

الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿١١﴾

الغير وقد عرفت ما بين الشقاء والتذكرة من التنافي ولا يجدى أن يراد به التعب في الجملة المجامع للتذكرة لظهور أن لا ملاسة بينهما بما ذكر من السببية والمسببية وإنما يتصور ذلك أن لو قيل مكان إلا تذكرة إلا تكثير الثوابك فإن الأجر بقدر التعب ولا من حيث إنه بدل من محل لتشي كما في قوله تعالى ما فعلوه إلا قليل لو جوب المجانسة بين البدلين وقد عرفت حالهما بل من حيث إنه معطوف عليه بحسب المعنى بعد نفيه بطريق الاستدراك المستفاد من الاستثناء المنقطع كأنه قيل ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب في تبليغه • ولكن تذكرة (لمن يخشى) وقد جرد التذكرة عن اللام لكونها فعلا لفاعل الفعل المعلن أى لمن من شأنه أن يخشى الله عز وعا ويتأثر بالإنذار لركة قلبه واين عريكته أو لمن علم الله تعالى أنه يخشى بالتخويف ٤ وتخصيصها بهم مع عموم التذكرة والتبليغ لأنهم المنتفعون بها وقوله تعالى (تنزيلا) مصدر مؤكد لمضمر مستأنف مقرر لما قبله أى نزل تنزيلا أو لما تفيد الجملة الاستثنائية فإنها متضمنة لأن يقال أنزلناه للتذكرة والأول هو الأنسب بما بعده من الالتفات أو منصوب على المدح والاختصاص وقيل هو منصوب بيخشى على المفعولية أى يخشى تنزيلا من الله تعالى وأنت خير بأن تعليق الخشية والخوف ونظائرهما بمطلق التنزيل غير معهود نعم قد يعلق ذلك ببعض أجزاء المشتبهة على الوعيد ونظائره كما في قوله تعالى يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم وقيل هو بدل من تذكرة لكن لا على أنه مفعول له لأنزلنا إذ لا يعمل الشيء بنفسه ولا بنوعه بل على أنه مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال من الكاف في عليك أو من القرآن ولا مساع له إلا بأن يكون قيداً لأنزلنا بعد تقييده بالقيد الأول وقد عرفت حاله فيما سلف وقرىء تنزيل على أنه خبر لمبتدأ محذوف ومن في قوله تعالى (عن خلق الأرض والسموات العلى) متملة بتنزيلا أو بمضمر هو صفة له مؤكدة لما في تنكيره من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية ونسبة التنزيل إلى الموصول بطريق الالتفات إلى الغيبة بعد نسبته إلى نون العظمة لبيان فخامته تعالى بحسب الأفعال والصفات إثرياً بها بحسب الذات بطريق الإيهام ثم التفسير لزيادة تحقيق وتقرير وتخصيص خلقها بالذكر مع أن المراد خلقها بجميع ما يتعلق بها كما يفصح عنه قوله تعالى له ما في السموات وما في الأرض الآية لإصالتها واستباعتها للماعداهما وتقديم الأرض لكونه أقرب إلى الحس وأظهر عنده ووصف السموات بالعلو وهو جمع العليا تأنيث الأعلى لنا كيد الفخامة مع ما فيه من مراعاة الفواصل وكل ذلك إلى قوله تعالى له الاسماء الحسنى مسوق لتعظيم شأن المنزل عز وجل المستتب لتعظيم شأن المنزل الداعى إلى تربية المهابة وإدخال الروعة المؤدية إلى استئزال المنمردين عن رتبة العتو والطفبان واستمالهم نحو الخشية المفضية إلى التذكرة والإيمان (الرحمن) رفع على المدح أى هو الرحمن وقد عرفت في صدر سورة البقرة أن المرفوع مدحا في حكم الصفة الجارية على ما قبله وإن لم يكن تابعا له في الإعراب ولذلك التزموا حذف المبتدأ ليكون في صورة متعلق من

لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦٠﴾ طه

وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَ وَأَخْفَى ﴿٦١﴾ طه

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٦٢﴾ طه

- متعلقاته وقد قرىء بالجر على أنه صفة صريحة للوصول وما قبل من أن الأسماء الناقصة لا يوصف منها إلا الذي وحده مذهب الكوفيين وأياً ما كان فوصفه بالرحمانية لثرو وصفه بخالقية السموات والأرض للإشعار بأن خلقهما من آثار رحمته تعالى كما أن قوله تعالى رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن الإيدان بأن ربوبيته تعالى بطريق الرحمة وفيه إشارة إلى أن تنزيل القرآن أيضاً من أحكام رحمته تعالى كما ينفي عنه قوله تعالى الرحمن علم القرآن أو رفع على الابتداء واللام للعمد والإشارة إلى الوصول والخبر قوله تعالى (على العرش استوى) وجعل الرحمة عنوان الموضوع الذي شأنه أن يكون معلوم الثبوت للموضوع عند مخاطب الإيدان بأن ذلك أمر بين لا سترة به غنى عن الإخبار به صريحاً وعلى متعلقة باستوى قدمت عليه لمراعاة الفواصل والجار والمجرور على الأول خبر مبتدأ محذوف كما في قراءة الجر وقد جوز أن يكون خبراً بعد خبر والاستواء على العرش مجاز عن الملك والسلطان متفرع على الكناية فيمن يجوز عليه القعود على السرير يقال استوى فلان على سرير الملك يراد به ملك وإن لم يقعد على السرير أصلاً والمراد بيان تعلق إرادته الشريفة بإيجاد الكائنات وتدير أمرها وقوله تعالى (له ما في السموات وما في الأرض) ٦ سواء كان ذلك بالجزئية منها أو بالحلولة فيها (وما بينهما) من الموجودات الكائنة في الجو دائماً كالهواء والسحاب أو أكثرها كالطير أي له وحده دون غيره لا شريك ولا استقلالاً كل ما ذكر ملكاً وتصرفاً وإحياء وإلانة وإيجاداً وإعداماً (وما تحت الثرى) أي ما وراء التراب وذكره مع دخوله تحت ما في الأرض لزبادة التقرير روى عن محمد بن كعب أنه ماتحت الأرضين السبع وعن السدي أن الثرى هو الهخرة التي عليها الأرض السابعة (وإن تجهر بالقول) بيان لإحاطة علمه تعالى بجميع الأشياء إثر بيان سعة سلطنته وشمول قدرته لجميع الكائنات أي وإن تجهر بذكره تعالى ودعائه فاعلم أنه تعالى غنى عن جهرك (فإنه يعلم السر وأخفى) أي ما أسررت به إلى غيرك وشيئاً أخفى من ذلك وهو ما أخطرت به بالك من غير أن تنفوه به أصلاً أو ما أسررت به لنفسك وأخفى منه وهو ما سترته فيما سيأتي وتذكيره بالمبالغة في الخفاء وهذا إيماناً من الجهر بك قوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول وإما إرشاد للعباد إلى أن الجهر ليس لإسماعه سبحانه بل لغرض آخر من تصوير النفس بالذكر وتثبيته فيها ومنعها من الاشتغال بغيره وقطع الوسوسة عنها وهضمها بالتضرع والجوار وقوله تعالى (الله) خبر مبتدأ ٨ محذوف والجملة استئناف مسوق لبيان أن ما ذكر من صفات الكمال موصوفها ذلك المعبود بالحق أي ذلك المنعوت بما ذكر من النعوت الجليلة الله عز وجل وقوله تعالى (لا إله إلا هو) تحقيق للحق وتصريح بما تضمنه ما قبله من اختصاص الألوهية به سبحانه فإن ما أسند إليه تعالى من خلق جميع الموجودات

وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾

طه ٢٠

إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ

طه ٢٠

هُدَى ﴿١٠﴾

والرحمانية والمالكية للكل والعلم الشامل بما يقتضيه اقتضاء بينا قوله تعالى (له الأسماء الحسنی) بيان لكون ما ذكر من الخالقية والرحمانية والمالكية والعالمية أسمائه وصفاته من غير تعدد في ذاته تعالى فإنه روى أن المشركين حين سمعوا النبي ﷺ يقول يا الله يارحمنا قالوا إنها أن نعبد إلهين وهو يدعوا لها آخر والحسنى تأنيث الأحسن بوصف به الواحدة المؤنثة والجمع من المذكر والمؤنث كما رب أخرى وآياتنا الكبرى (وهل أتاك حديث موسى) استئناف مسوق لتقرير أمر التوحيد الذي إليه ينتهي مساق الحديث وبيان أنه أمر مستمر فيما بين الأنبياء كإبراهيم عليه السلام حيث قيل له إني أنا الله لا إله إلا أنا وبه ختم عليه الصلاة والسلام مقالته حيث قال إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وأما ما قيل من أن ذلك لتزغيب النبي ﷺ في الالتساء بموسى عليه الصلاة والسلام في تحمل أعباء النبوة والصبر على مقاساة الخطوب في تبليغ أحكام الرسالة فيأباه أن مساق النظم الكريم لصرفه عليه الصلاة والسلام عن اقتحام المشاق وقوله تعالى (إذ رأى نارا) ظرف للحديث وقيل لمضمر مؤخر أى حين رأى نارا كان كيت وكيت وقيل مفعول لمضمر مقدم أى اذكر وقت رؤيته نارا روى أنه عليه الصلاة والسلام استأذن شعبياً علمها الصلاة والسلام في الخروج إلى أمه وأخيه فخرج بأهله وأخذ على غير الطريق مخافة من ملوك الشام فلما وافي وادى طوى وهو بالجانب الغربي من الطور ولد له ولد في ليلة مظلمة شاتية مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فبينما هو في ذلك إذ رأى نارا على يسار الطريق من جانب الطور (فقال لأهله امكثوا) أى أقيموا مكانكم أمرهم عليه الصلاة والسلام بذلك لئلا يتبعوه فيما عزم عليه عليه الصلاة والسلام من الذهاب إلى النار كما هو المعتاد لئلا ينتقلوا إلى موضع آخر فإنه مما لا يخاطر بالبال والخطاب للبراة والولد والخدام وقيل لها وحدها والجمع إما لظاهر لفظ الأهل أو للتفخيم كما في قول من قال [وإن شئت حرمت النساء سواكم] (إني آنست نارا) أى أبصرتها لبصاراً بينا لا شبهة فيه وقيل الإيناس خاص بإبصار ما يؤنس به والجملة تعليل للأمر أو المأمور به (لعل آتيكم منها) أى أجيئكم من النار (بقبس) أى بشعلة مقتبسة من معظم النار وهى المرادة بالجدوة في سورة القصص وبالشهاب القبس (أو أجد على النار هدى) هادياً يدلنى على الطريق على أنه مصدر سمي به الفاعل بالغة أو حذف منه المضاف أى ذا هداية أو على أنه إذا وجد الهادى فقد وجد الهدى وقيل هادياً يهدي إلى أبواب الدين فإن أفكار الأبرار مغمورة بالهمة الدينية في عامة أحوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والأول هو الأظهر لأن مساق النظم الكريم لتسلياة أهله وقد نص عليه في سورة القصص حيث قيل لعل آتيكم بها بخير أو جدوة الآية وكلمة أو في الموضعين لمنع الخلط دون منع الجمع ومعنى الاستعلاء في قوله

فَلَمَّا أَتَتْهَا نُودِيَ يَمُوسَى ﴿١١﴾

طه ٢٠

إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾

طه ٢٠

- تعالى على النار أن أهل النار يستعملون المكان القريب منها أولاً ثم عند الاصطلاح يكتنفونها قياماً وقعوداً فيشرفون عليها ولما كان الإتيان بهما مترقباً غير محقق الوقوع صدرا الجملة بكلمة التزجي وهي إما علة لفعل قد حذف ثقة بما يدل عليه من الأمر بالمكث والإخبار بإيئاس النار وتفادياً عن التصريح بما يوحشهم وإما حال من فاعله أي فأذهب إليها لا تيكم أو كي آتيكم أو راجياً أن آتيكم منها بقبس الآية وقدر تحقيق ذلك مفصلاً في تفسير قوله تعالى يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون (فلما أتاهما) أي النار التي أنسها قال ابن عباس رضي الله عنهما رأى شجرة خضراء أطافت بها من أسفلها ١١ إلى أعلاها نار بيضاء تنقد كضوء ما يكون فوق متعجباً من شدة ضوئها وشدة خضرة الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة تغير ضوءها . قالوا النار أربعة أصناف صنف يأكل ولا يشرب وهي نار الدنيا وصنف يشرب ولا يأكل وهي نار الشجر الأخضر وصنف يأكل ويشرب وهي نار جهنم وصنف لا يأكل ولا يشرب وهي نار موسى عليه الصلاة والسلام وقالوا أيضاً هي أربعة أنواع نوع له نور وإحراق وهي نار الدنيا ونوع لا نور له ولا إحراق وهي نار الأشجار ونوع له نور بلا إحراق وهي نار موسى عليه الصلاة والسلام ونوع له إحراق بلا نور وهي نار جهنم روى أن الشجرة كانت عوسجة وقيل كانت سمرة (نودي ياموسى) أي نودي فقيلاً ياموسى (إني أنا ربك) أو عومل النداء معاملة القول لكونه ضرباً منه وقرئ بالفتح أي بآنى وتكرير الضمير لتأكيد الدلالة وتحقيق المعرفة وإمطة الشبهة روى أنه لما نودي ياموسى قال عليه الصلاة والسلام من المتكلم فقال الله عز وجل أنا ربك فوسوس إليه إبليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال أنا عرفت أنه كلام الله تعالى بآنى أسمعه من جميع الجهات بجميع الأعضاء قلت وذلك لأن سماع ما ليس من شأنه ذلك من الأعضاء ليس إلا من آثار قدرة الخلاق العليم تعالى وتقدس وقيل تلقى عليه الصلاة والسلام كلام رب العزة تلقياً روحانياً ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل إلى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة (فاخلع نعليك) أمر عليه الصلاة والسلام * بذلك لأن الحفوة أدخل في التواضع وحسن الأدب ولذلك كان السلف الصالحون يطوفون بالكعبة حافين وقيل ليباشر الوادى بقدميه تبركا به وقيل لما أن نعليه كانا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الآهل والمال والفناء لترتيب الأمر على ما قبلها فإن ربوبيته تعالى له عليه الصلاة والسلام من موجبات الأمر ودواعيه وقوله تعالى (إنك بالواد المقدس) تعليل لوجوب الخلع المأمور به وبيان * لسبب ورود الأمر بذلك من شرف البقعة وقد سها روى أنه عليه الصلاة والسلام خلعها وألقاها وراء الوادى (طوى) بضم الطاء غير منون وقرئ منونا بالكسر منونا وغير منون فن نونه أوله * بالمكان دون البقعة وقيل هو كثف من الطى مصدر لنودي أو المقدس أي نودي ندامين أو قدس مرة

وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ طه ٢٠

إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ طه ٢٠

إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِيُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ طه ٢٠

- ١٣ بعد أخرى (وأنا اخترتك) أي اصطفتك للنبوّة والرسالة وقرىء. وإنا اخترناك بالفتح والكسر والفاء في قوله (فاستمع) لترتيب الأمر أو المأمور به على ما قبله فإن اختياره عليه السلام لما ذكر مر موجبات الاستماع والأمر به واللام في قوله تعالى (لما يوحى) متعلقة باستمع وما موصولة أو مصدرية أي فاستمع للذي يوحى إليك أو للوحى لا باخترتك كما قيل لكن لا لما قيل من أنه من باب التنازع وإعمال الأول فلا بد حينئذ من إعادة الضمير مع الثاني بل لأن قوله تعالى (إني أنا الله لا إله إلا أنا) بدل من ما يوحى ولا ريب في أن اختياره عليه الصلاة والسلام ليس لهذا الوحى فقط والفاء في قوله تعالى (فاعبدني) لترتيب المأمور به على ما قبله فإن اختصاص الألوهية به سبحانه وتعالى من موجبات تخصيص العبادة به عز وجل (وأقم الصلاة) خصت الصلاة بالذكر وأفردت بالأمر مع اندراجها في الأمر بالعبادة لفضلها وإضافتها على سائر العبادات بما نيطت به من ذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وذلك قوله تعالى (لذكرى) أي لئلا تتركها في ذكرى كما ينبغي لا يتحقق إلا في ضمن العبادة والصلاة أولئذ كرتي فيها الاشتغالها على الأذكار أولئذ كرتي خاصة لا تشوبه بذكر غيري أو لإخلاص ذكرى وابتغاء وجهي لا تراني بها ولا تقصدها غرضاً آخر أو لتكون ذا كراً لي غير ناس وقيل لذكرى إياها وأمرى بها في الكتب أو لأن أذكرك بالمدح والثناء وقيل لأوقات ذكرى وهي مواقيت الصلاة أولئذ كرتي صلواتي لما روى أنه ﷺ قال من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها لأن الله تعالى يقول وأقم الصلاة لذكرى وقرىء.
- ١٤ لذكرى بألف التأنيت ولذكرى معرفاً وللذكر بالتعريف والتنكير وقوله تعالى (إن الساعة آتية) تعليل لوجوب العبادة وإقامة الصلاة أي كائنة لا محالة وإنما عبر عن ذلك بالإتيان تحقيقاً لخصوها بإيرازها في معرض أمر محقق متوجه نحو المخاطبين (أكاد أخفيها) أي لا أظهرها بأن أقول إنها آتية ولولا أن ما في الإخبار بذلك من اللطف وقطع الأعذار لما فعلت أو أكاد أظهرها بإيقاعها من أخفائها إذا أظهره بسلب خفائه ويؤيده القراءة بفتح الهمزة من خفاء بمعنى أظهره وقيل أخفاه من الأضداد يحى بمعنى الإظهار والستر وقوله تعالى (لتجزى كل نفس بما تسعى) متعلق بآتية وما يبينها اعتراض أو بأخفيها على المعنى الأخير وما مصدرية أي لتجزى كل نفس بسعيها في تحصيل ما ذكر من الأمور المأمور بها وتخصيصه في معرض الغاية لإتيانها مع أنه الجزء كل نفس بما صدر عنها سواء كان سعيها في ذكر أو تقاعد عنه بالمرء أو سعيها في تحصيل ما يضافه للإبذان بأن المراد بالذات من إتيانها هو الإثابة بالعبادة وأما العقاب بتركها فمن مقتضيات سوء اختيار العصاة وبأن المأمور به في قوة الوجوب والساعة في شدة الهول والفظاعة بحيث يوجبان على كل نفس أن تسعى في الامتثال بالأمر وتجد في تحصيل ما ينجيها من الطاعات وحينئذ تحترز عن

طه ٢٠

فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَرَدَدَى ﴿١٦﴾

طه ٢٠

وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْوَسَى ﴿١٧﴾

اقتراف ما يريها من المعاصي وعليه مدار الأمر في قوله تعالى وهو الذى خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً فإن الابتلاء مع شموله لكافة المكلفين باعتبار أعمالهم المنقسمة إلى الحسن والقبيح أيضاً لا إلى الحسن والأحسن فقط قد علق بالآخرين لما ذكر من أن المقصود الأصلي من إبداع تلك البدائع على ذلك النمط الرائع إنما هو ظهور كمال إحسان المحسنين وإن ذلك لكونه على أنهم الوجوه الرائقة وأكمل الأعماء اللائقة يوجب العمل بموجبه بحيث لا يجحد أحد عن سننه المستبين بل يمتد كل فرد إلى ما يرشد إليه من مطلق الإيمان والطاعة وإنما التفاوت بينهم في مراتبها بحسب القوة والضعف وأما الإعراض عن ذلك والوقوع في مهاوى الضلال فبمعزل من الوقوع فضلاً عن أن ينتظم في سلك النجاة لذلك الصنع البديع وإنما هو حمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له أو مسوغ هذا ويجوز أن يراد بالسمى مطلق العمل (فلا يصدنك عنها) أى عن ذكر الساعة ومراقبتها وقيل ١٦ عن تصديقها والأول هو الأليق بشأن موسى عليه الصلاة والسلام وإن كان النهى بطريق التوبيخ والإلهاب وتقديم الجار والمجرور على قوله تعالى (من لا يؤمن بها) لما مر مراراً من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر فإن ماحقه التقديم إذا أخرج تبقى النفس مستشرقة له فيتمكن عند ورودها لها فضل تمكن ولأن في المؤخر نوع طول ربما يخل تقديمه بجزالة النظم الكريم وهذا وإن كان بحسب الظاهر نهياً للكافر عن صد موسى عليه الصلاة والسلام عن الساعة لكنه في الحقيقة نهى له عليه الصلاة والسلام عن الانصداد عنها على أبلغ وجه وآ كده فإن النهى عن أسباب الشىء ومبادئ المؤدية إليه نهى عنه بالطريق البرهاني وإبطال للسببية من أصلها كما في قوله تعالى ولا يجرمكم الخ فإن صد الكافر حيث كان سبباً لانصداده عليه الصلاة والسلام كان النهى عنه نهياً بأصله وموجبه وإبطالاً له بالكلية ويجوز أن يكون من باب النهى عن المسبب وإرادة النهى عن السبب على أن يراد نهيه عليه الصلاة والسلام عن إظهار لين الجانب للكفرة فإن ذلك سبب لصدده إياه عليه الصلاة والسلام كما في قوله لا أرينك هنا فإن المراد به نهى المخاطب عن الحضور لديه الموجب لرؤيته (واتبع هواه) أى ما تهواه نفسه من اللذات الحسية الفانية (فتردى) أى فتهلك فإن الإغفال عنها وعن تحصيل ما ينتج عن أهوالها مستتبع للهلاك لا محالة وهو في محل النصب على جواب النهى أو في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى فأنت تردى (وما تلك بيمينك يا موسى) شروع في ١٧ حكاية ما كلف به عليه الصلاة والسلام من الأمور المتعلقة بالخلق إثر حكاية ما أمر به من الشؤون الخاصة بنفسه فلا استفهامية في حين الرفع بالابتداء وتلك خبره أو بالعكس وهو أدخل بحسب المعنى وأوفق بالجواب وبيمينك متعلق بمضمر وقع حالا أى وما تلك قارة أو مأخوذة بيمينك والعامل معنى الإشارة كما في قوله عز وجل وهذا بعل شينخا وقيل تلك موصولة أى ما أتى هي بيمينك وأياً ما كان فالاستفهام

قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴿١٨﴾ طه ٢٠

قَالَ أَلْقَاهَا يَمُوسَى ﴿١٩﴾ طه ٢٠

فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَبَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾ طه ٢٠

قَالَ خُذْهَا وَلَا تَحْزَنْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿٢١﴾ طه ٢٠

- ١٨ إيقاظ وتنبية له عليه الصلاة والسلام على ما سيبد له من التعاجيب وتكرير النداء لزيادة التأنيس والتنبية (قال هي عصاي) نسبها إلى نفسه تحقيقاً لوجه كونها يمينه وتمهيداً لما يعقبه من الأفاعيل المنسوبة إليه عليه الصلاة والسلام وقرىء عصى على لغة هذيل (أنوكا عليها) أى اعتمد عليها عند الإعياء أو الوقوف على رأس القطيع (وأهش بها) أى أخطب بها الورق وأسقطه (على غنمي) وقرىء أهش بكسر الهاء وكلاهما من هش الحزب يش إذا انكسر لهشاشته وقرىء بالسين غير المعجمة وهو زجر الغنم وتعديته بعمل لتضمن معنى الإنحاء والإقبال أى أزجرها منحياً ومقبلاً عليها (ولى فيها مآرب أخرى) أى حاجات أخر من هذا الباب مثل ما روى أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا سار ألقاها على عاتقة فعلق بها أدواته من القوس والكنانة والحلاب ونحوها وإذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظل به وإذا قصر الرشاء وصله بها وإذا تعرضت لغنمه السباع قاتل بها وقيل ومن جملة المآرب أنها كانت ذات شعبتين ومجمن فإذا طال الغصن حناه بالمجمن وإذا أراد كسره لواه بالشعبتين وكأنه عليه الصلاة والسلام فهم أن المقصود من السؤال بيان حقيقتها وتفصيل منافعها بطريق الاستقصاء حتى إذا ظهرت على خلاف تلك الحقيقة وبدت منها خواص بدیعة علم أنها آيات باهرة ومعجزات قاهرة أحدثها الله تعالى وليس من الخواص المترتبة عليها فذكر حقيقتها ومنافعها على التفصيل والإجمال على معنى أنها من جنس العصى مستتبعة لمنافع بنات جنسها إيطابق جوابه الغرض الذى فهمه من سؤال العليم الخبير (قال) استئناف مبنى على سؤال ينساق إليه الذهن كأنه قيل فإذا قال عز وجل فقليل قال (ألقها يا موسى) لترى من شأنها ما لم يخطر ببالك من الأمور وتكرير النداء لتأكيد التنبية (فألقاها) على الأرض (فإذا هي حبة تسمى) روى أنه عليه الصلاة والسلام حين ألقاها انقلبت حبة صفراء فى غلظ العصا ثم انتفخت وعظمت فلذلك شبهت بالجنان تارة وسميت ثعباناً أخرى وعبر عنها ههنا بالاسم العام للحالين وقيل قد انقلبت من أول الأمر ثعباناً وهو الأليق بالمقام كما يفصح عنه قوله عز وجل فإذا هي ثعبان مبين وإنما شبهت بالجنان فى الجلادة وسرعة الحركة لا فى صفر الجثة وقوله تعالى تسمى إما صفة لحية أو خبر ثان عند من يجوز كونه جملة (قال) استئناف كما سبق (خذها ولا تحزن) عن ابن عباس رضى الله عنها انقلبت ثعباناً ذكر أ يبتلع كل شئ من الصخر والشجر فلما رآه كذلك خاف ونفرو ملكه ما يملك البشر عند مشاهدة الأهرال والمخاوف من الفزع والنفار وفى عطف النهى على الأمر إشعار بأن عدم المنهى عنه

وَأَصْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ؕ آيَةٌ أُخْرَى ﴿٢٢﴾ طه ٢٠

لِنُرِيكَ مِنْ ءَايَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ طه ٢٠

أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٤﴾ طه ٢٠

- مقصود لذاته لا لتحقيق المأمور به فقط وقوله تعالى (سنعيدها سيرتها الأولى) مع كونه استثناء ماسوق لتعليل الامتثال بالأمر والنهي فإن إعادتها إلى ما كانت عليه من موجبات أخذها وعدم الخوف منها علة كريمة بإظهار معجزة أخرى على يده عليه الصلاة والسلام وإيدان بكونها مسخرة له عليه الصلاة والسلام ليكون على طمأنينة من أمره ولا يعتريه شائبة تزلزل عند محاجة فرعون أي سنعيدها بعد الأخذ إلى حالتها الأولى التي هي الهيئة العنصرية قيل بلغ عليه الصلاة والسلام عند ذلك من الثقة وعدم الخوف إلى حيث كان يدخل يده في فمها ويأخذ بلحيمها والسيرة فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الجار أي إلى سيرتها أو على أن أجاد منقول من عاده بمعنى عاد إليه أو على الظرفية أي سنعيدها في طريقها أو على تقدير فعلها وإيقاعها حالا من المفعول أي سنعيدها عصا كما كانت من قبل تسير سيرتها الأولى أي سائرة سيرتها الأولى فتنتفع بها كما كنت تنتفع من قبل (واصم يديك إلى جناحك) أمر عليه الصلاة والسلام ٢٢ بذلك بعد ما أخذ الحية وانقلبت عصا كما كانت أي أدخلها تحت عضدك فإن جناحي الإنسان جنباه كما أن جناحي العسكر ناحيته مستعار من جناحي الطائر وقد سما جناحين لأنه يجنحهما أي يميلها عند الطيران وقوله تعالى (تخرج) جواب الأمر وقوله تعالى (بيضاء) حال من الضمير فيه وقوله تعالى (من غير سوء) متعلق بمحذوف هو حال من الضمير في بيضاء أي كائنة من غير عيب وقبح كنى به عن البرص كما كنى بالسوءة عن العورة لما أن الطبائع أعافه وتفر عنه روى أنه عليه الصلاة والسلام كان آدم فأخرج يده من مدر عته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس أغشى البصر (آية أخرى) أي معجزة أخرى غير العصا وانتصابها على الحالية إما من الضمير في تخرج على أنها بدل من الحال الأولى وإما من الضمير في بيضاء وقيل من الضمير في الجار والمجرور وقيل هي منصوبة بفعل مضمّر نحو خذ أو دونك وقوله تعالى (لنريك من آياتنا الكبرى) متعلق بمضمّر ينساق إليه النظم الكريم كأنه قيل فعلنا ما فعلنا من الأمر والإظهار لنريك بذلك بعض آياتنا الكبرى على أن الكبرى صفة لا ياتنا ونريك بذلك من آياتنا ما هي كبرى على أن الكبرى مفعول ثان لنريك ومن آياتنا متعلق بمحذوف هو حال من ذلك المفعول وأياً ما كان فالآية الكبرى عبارة عن العصا واليد جميعاً وإما تعلقه بما دل عليه آية أي دللنا بها لنريك الخ أو بقوله تعالى واصم أو بقوله تخرج أو بما قدر من نحو خذ ودونك كما قال بكل من ذلك قائل فيؤدى إلى عراه آية العصا عن وصف الكبير فتدبر (أذهب إلى فرعون) تخلص إلى ما هو المقصود من تمهيد المقدمات السالفة فصل عما قبله من الأمر وإيداناً بأصالته أي أذهب إليه بما رأيت من الآيات الكبرى وادعه إلى عبادتي وحذره نعتي وقوله تعالى (إنه طغى) تعليل الأمر أو لوجوب المأمور به أي جاوز الحد في التكبر والعنوت والتجبر حتى تجاسر على

- قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ②٥ طه ٢٠
- وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ②٦ طه ٢٠
- وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ②٧ طه ٢٠
- يَفْقَهُوا قَوْلِي ②٨ طه ٢٠

٢٥ العظيمة التي هي دعوى الربوبية (قال) استئناف مبني على سؤال ينساق إليه الذهن كأنه قبل فإذا قال عليه الصلاة والسلام حين أمر بهذا الأمر الخطير والخطب العسير فقبل قال مستعيناً بربه عز وجل

٢٦ (رب اشرح لي صدري) (ويسر لي أمري) لما أمر بما أمر به من الخطب الجليل تضرع إلى ربه عز وجل وأظهر عجزه بقوله ويضيق صدري ولا ينطق لساني وسأله تعالى أن يوسع صدره ويفسح قلبه ويجعله عالياً بشؤون الحق وأحوال الخلق حليماً محولاً يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد والمكاره بجميل الصبر وحسن الثبات ويتلقاها بصدر فسيح وجاش راط وأز يسهل عليه مع ذلك أمره الذي هو أجل الأمور وأعظم أو أصعب الخطوب وأهولها بتوفيق الأسباب ورفع الموانع وفي زيادة كلمة لي مع انتظام الكلام بدونها تأكيداً لطالب الشرح والتيسير بإيهام المشروح والميسر أولاً وتفسيرهما ثانياً وفي تقديمها وتكريرها لإظهار مزيد اعتناء بشأن كل من المطلوبين وفضل اهتمام باستدعاء حصولها له واختصاصها به

٢٧ به (واحلل عقدة من لساني) روى أنه كان في لسانه عليه الصلاة والسلام رتة من جمرة أدخلها فاه في صغره وذلك أن فرعون حمله ذات يوم فأخذ لحيته ينتفها لما كان فيها من الجواهر ففضب وأمر بقتله فقالت آسية إنه صبي لا يفرق بين الحجر والياقوت فأحضرا بين يديه فأخذ الجمرة فوضعها في فيه قيسل واحترقت يده فاجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه قال إلى أي رب تدعوني قال إلى الذي أبرأ يدي وقد عجزت عنه واختلف في زوال العقدة بكما لها فن قال به تمسك بقوله تعالى قد أوتيت سؤالك ومن لم يقل به احتج بقوله تعالى هو أفصح مني وقوله تعالى ولا يكاد يبين وأجاب عن الأول بأنه لم يسأل حل عقدة لسانه بالكلية بل حل عقدة تمنع الإفهام ولذلك نكرها ووصفها بقوله من لساني أي عقدة كائنة من عقد لساني وجعل قوله تعالى (يفقهوا قولي) جواب الأمر وغرضاً من الدعاء فبطلها في الجملة بتحقيق إيتاء سؤاله عليه الصلاة والسلام والحق أن ما ذكر لا يدل على بقائها في الجملة أما قوله تعالى هو أفصح مني فلا نه عليه الصلاة والسلام قاله استدعاءً للحل كما استعرفه على أن أفصحيته منه عليها الصلاة والسلام لا استدعى بقاءها أصلاً بل استدعى عدم البقاء لما أن الأفصحية توجب ثبوت أصل الفصاحة في المفضول أيضاً وذلك منافع للعقدة رأساً وأما قوله تعالى ولا يكاد يبين فن باب غلو العين في العتو والطغيان وإلادل على عدم زوالها أصلاً وتذكيرها لما يفيد قلة ما في نفسها لا قلنا باعتبار كونها بعضاً من الكثير وتعلق كلمة من في قوله تعالى من لساني بمحدوف هو صفة لها ليس بمقطوع به بل الظاهر تعلّقها بنفس الفعل فإن المحلول إذا كان

ط ٢٠	وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾
ط ٢٠	هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾
ط ٢٠	أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ﴿٣١﴾
ط ٢٠	وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾
ط ٢٠	كَي نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾
ط ٢٠	وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾

متعلقاً بشيء ومتصلاً به فكما يتعلق الحل به يتعلق بذلك الشيء أيضاً باعتبار إزالته عنه أو ابتداء حصوله منه (واجعل لي وزيراً من أهلي) (هرون أخى) أى موازراً يعاوننى فى تحمل أعباء ما كلفته على أن ٢٩ ٣٠ اشتقاقه من الوزر الذى هو الثقل أو ملجأ أعنصم برأيه على أنه من الوزر وهو الملجأ وقيل أصله أزر من الأزر بمعنى القوة فاعل كالعشير والجلس قلبت همزته واوأكفلها فى موازر ونصبه على أنه مفعول ثان لاجعل قدم على الأول الذى هو قوله تعالى هرون اعتناه بشأن الوزارة ولى صلة للجعل أو متعلق بمحذوف هو حال من وزيراً إذ هو صفة له فى الأصل ومن أهلى إما صفة لوزيراً أو صلة لا جعل وقيل مفعول لاهلى وزيراً وهرون عطف بيان للوزير ومن أهلى كما مر من الوجهين وأخى فى الوجهين بدل من هرون أو عطف بيان آخر وقيل هما وزيراً من أهلى ولى تبين كما فى قوله تعالى ولم يكن له كفواً أحد ورد بأن شرط المفعولين فى باب النواسخ صحة انعقاد الجملة الاسمية ولا مساغ لاجعل وزيراً مبتدأ ويخبر عنه بما بعده (أشدد به أزرى) (وأشركه فى أمرى) كلاهما على صيغة الدعاء أى أحكم به قوتى واجعله ٣٢ شريكى فى أمر الرسالة حتى نتعاون على أدائها كما ينبغى وفصل الأول عن الدعاء السابق اكمال الاتصال بينهما فإن شد الأزر عبارة عن جعله وزيراً وأما الإشراف فى الأمر فحيث كان من أحكام الوزارة توسط بينهما العاطف (كى نسبحك كثيراً) (ونذكرك كثيراً) غاية للأدعية الثلاثة الأخيرة فإن فعل فيها كل ٣٣ ٣٤ واحد منهما من التسبيح والذكر مع كونه مكثرأ لفعل الآخر ومضاعفاً له بسبب انضمامه إليه مكثر له فى نفسه أيضاً بسبب تقويته وتأنيده إذ ليس المراد بالتسبيح والذكر ما يكون منها بالقلب أو فى الخلوات حتى لا يتفاوت حاله عند التعدد والانفراد بل ما يكون منها فى تضاعيف أداء الرسالة ودعوة المردة العتاة إلى الحق وذلك مما لا ريب فى اختلاف حاله فى حالى التعدد والانفراد فإن كلا منهما يصدر عنه بتأييد الآخر من إظهار الحق ما لا يكاد يصدر عنه مثله فى حال الانفراد وكثيراً فى الموضوعين نعت لمصدر محذوف أو زمان محذوف أى نزهك عما لا يليق بك من الصفات والأفعال التى من جملتها ما يدعيه فرعون الطاغية ويقبله منه فتنه الباغية من ادعاء الشركة فى الألوهية ونصفك بما يليق بك من صفات الكمال ونعوت الجلال والجلال تنزيهاً

طه ٢٠

إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾

طه ٢٠

قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى ﴿٣٦﴾

طه ٢٠

وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٣٧﴾

طه ٢٠

إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرَكَ مَا يُوْحَىٰ ﴿٣٨﴾

كثيراً أو زماناً كثيراً من جملته زمان دعوة فرعون وأوان الحاجة معه وأما ما قيل من أن المعنى كى فصل لك كثيراً ونحمدك ونثني عليك فلا يساعده المقام (إنك كنت بنا بصيراً) أى عالماً بأحوالنا وبأن مادعوتك به مما يصلحنا ويفيدنا في تحقيق ما كلفته من إقامة مراسم الرسالة وبأن هرون نعم الردء في أداء ما أمرت به والباء متعلقة ببصير أقدمت عليه لمراعاة الفواصل (قال قد أوتيت سؤالك) أى أعطيت سؤالك فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والمأكول والإيتاء عبارة عن تعلق إرادته تعالى بوقوع تلك المطالب وحصولها له عليه السلام البتة وتقديره إياها حتماً فكلها حاصلة له عليه السلام وإن كان وقوع بعضها بالفعل مترقباً بعد كتييسير الأمر وشد الأزر وباعتباره قيل سنشد عضدك بأخيك وقوله تعالى ﴿٣٧﴾ (يا موسى) تشریف له عليه السلام بشرف الخطاب إثر تشریفه بشرف قبول الدعاء وقوله تعالى (ولقد مننا عليك) كلام مستأنف يسوق لتقرير ما قبله وزيادة توطین نفس موسى عليه السلام بالقبول ببيان أنه تعالى حيث أنعم عليه بتلك النعم التامة من غير سابقة دعاء منه وطلب فلان ينعم عليه بمثلها وهو طالب له وداع أولى وأخرى وتصدیره بالقسم لكمال الاعتناء بذلك أى وبالله لقد أنعمنا (مرة أخرى) أى في وقت غير هذا الوقت لا أن ذلك مؤخر عن هذا فإن أخرى تأنيث آخر بمعنى غير والمرة في الأصل اسم المرور الواحد ثم أطلق على كل فعلة واحدة من الفعلات متعدية كانت أو لازمة ثم شاع في كل فرد واحد من أفراد ماله أفراد متعددة متعددة فصار علماً في ذلك حتى جعل معياراً لما في معناه من سائر الأشياء فقبل هذا بناء المرة وبقرّب منها الكرة والتارة والدفعة والمراد بها هنا الوقت الممتد الذي وقع فيه ماسياتي ذكره من المنن العظيمة الكثيرة وقوله تعالى (إذ أوحينا إلى أمك ما يوحي) ظرف لمننا والمراد بالإيحاء إما الإيحاء على لسان نبي في وقتها كقوله تعالى وإذ أوحيت إلى الحواريين الآية وإما الإيحاء بواسطة الملك لا على وجه النبوة كما أوحى إلى مريم وإما الإلهام كافي قوله تعالى وأوحى ربك إلى النحل وإما الإرادة في المنام والمراد بما يوحي ماسياتي من الأمر بقذفه في التابوت وقذفه في البحر أبهم أو لانهو يلا له وتفخيماً لشأنه ثم فسر ليكون أقر عند النفس وقيل معناه ما ينبغي أن يوحي ولا يخل به لعظم شأنه وفرط الاهتمام به وقيل ما لا يعلم إلا بالوحي وفيه إنه لا يلائم المعنيين الأخيرين للوحي إذ لا تفخيم لشأنه في أن يكون مما لا يعلم إلا بالإلهام أو بالإرادة في المنام .

أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي الْتَابُوتِ فَأَقْذِفِهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴿٣٩﴾ طه ٢٠

إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوَسَّىٰ ﴿٤٠﴾ طه ٢٠

- وأن في قوله تعالى (أن اقذفه في التابوت) مفسرة لأن الوحي من باب القول أو مصدرية حذف منها ٣٩ الباء أي بأن اقذفه ومعنى القذف ههنا الوضع وأما في قوله تعالى (فاقذفه في اليم) فالإلقاء وهذا التفصيل هو المراد بقوله تعالى فإذا خفت عليه فالقيه في اليم لا القذف بلا تابوت (فليلقه اليم بالساحل) لما كان إلقاء البحر إياه بالساحل أمراً واجب الوقوع لتعلق الإرادة الربانية به جعل البحر كأنه ذو تمييز مطيع أمر بذلك وأخرج الجواب مخرج الأمر والضائر كلها لموسى عليه السلام والمقذوف في البحر والملقى بالساحل وإن كان هو التابوت أصالة لكن لما كان المقصود بالذات ما فيه جعل التابوت تابعاً له في ذلك (يأخذه عدو لي وعدو له) جواب للأمر بالإلقاء وتكرير العدو للبالغه والتصرييح بالأمر والإشعار بأن عداوته له مع تحققها لا تؤثر فيه ولا تضره بل تؤدي إلى المحبة فإن الأمر بما هو سبب للهلاك صورة من قذفه في البحر ووقوعه في يد عدو الله تعالى وعدوه مشعر بأن هناك لطفاً خفياً مندرجاً تحت قهر صوري وقيل الأول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع وليس المراد بالساحل نفس الشاطئ بل ما يقابل الوسط وهو ما يلي الساحل من البحر بحيث يجرى ماؤه إلى نهر فرعون لما روي أنها جعلت في التابوت قطعاً ووضعته فيه ثم قيرته وألقته في اليم وكان يشرع منه إلى بستان فرعون نهر صغير فدفعه الماء إليه فأتى به إلى بركة في البستان وكان فرعون جالساً ثم مع آسية بنت مزاحم فأمر به فأخرج ففتح فإذا هو صبي أصبح الناس وجهاً فأحبه عدو الله حباً شديداً لا يكاد يتمالك الصبر عنه وذلك قوله تعالى (وألقيت عليك محبة مني) كلمة من متعلقة بمحذوف هو صفة لمحبة مؤكدة لما في تنكيرها من الفخامة الإضافية أي محبة عظيمة كأنه مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك ولذلك أحبك عدو الله وآله وقيل هي متعلقة بالقيت أي أحبيتك ومن أحبه الله تعالى أحبه القلوب لا محالة وقوله تعالى (ولتصنع على عيني) متعلق بالقيت معطوف على علة له مضمرة أي ليتعطف عليك ولتربي بالحنو والشفقة بما أبقيت وحفظي أو بمضمر مؤخر هو عبارة عما قبله من الإلقاء المحبة والجملة مبتدأة أي ولتصنع على عيني فعلت ذلك وقرئ ولتصنع على صيغة الأمر بسكون اللام وكسر ها وقرئ بفتح التاء والنصب أي وليكون عملك على عين مني ثلاثياً مخالف به عن أمرى (إذ تمشي أختك) ظرف لتصنع على أن المراد به وقت وقع فيه مشياً إلى بيت فرعون وما ترتب عليه من ٤٠ القول والرجع إلى أمها وترتيبها له بالبر والحنو وهو المصدق لقوله تعالى ولتصنع على عيني إذ لا شفقة

أعظم من شفقة الأم وصنيعها على موجب مراعاته تعالى وقيل هو بدل من إذ أوحينا على أن المراد به زمان متسع متباعد الأطراف وهو الأنسب بما سيأتى من قوله تعالى فنجيناك من الغم الخ فإن جميع ذلك من المنن الإلهية ولا تعلق لشيء منها بالصنع المذكور وأما كونه ظرفاً لا لقيت كما يجوز فربما يوم أن إلقاء المحبة لم يحصل قبل ذلك ولا ريب في أن معظم آثار إلقائها ظهر عند فتح التابوت (فتقول) أى لفرعون وآسية حين رأتهما يطلبان له عليه السلام مرضعة يقبل ثديها وكان لا يقبل ثدياً وصيغة المضارع في الفعلين لحكاية الحال الماضية (هل أدلكم على من يكفله) أى يضمه إلى نفسه ويربيه وذلك إنما يكون بقبوله ثديها يروى أنه فشا الخبر بمصر أن آل فرعون أخذوا غلاماً في النيل لا يرتضع ثدى امرأة واضطروا إلى تلبيع النساء فخرجت أخته مريم لتعرف خبره فجاءتهم متنكرة فقالت ما قالت وقالوا ما قالوا فجاءت بأمه فقبل ثديها فالفاء في قوله تعالى (فرجعناك إلى أمك) فهي صيغة معربة عن محذوف قبلها يعطف عليه ما بعدها أى فقالوا دليلاً عليها فجاءت بأمك فرجعناك إليها (كى تفرعينها) بلفظك (ولا تحزن) أى لا يطرأ عليها الحزن بفراقك بعد ذلك وإلا فزوال الحزن مقدم على السرور المعبر عنه بقرة العين فإن التخلية متقدمة على التحلية وقيل ولا تحزن أنت بفقد إشفاقها (وقلت نفساً) هى نفس القبطى الذى استغاثه الإسرائيل عليه (فنجيناك من الغم) أى غم قتله خوفاً من عقاب الله تعالى بالمغفرة ومن اقتصاص فرعون بالإنجاء منه بالمهاجرة إلى مدين (وفتناك فتونا) أى ابتليناك ابتلاء أو فتونا من الابتلاء على أنه جمع فتن أو فتنة على ترك الاعتداد بالتأه كحجوز في حجة وبدور في بدرة أى خلصناك مرة أخرى وهو لإجمال ما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الإلاف والمشى راجلاً وفقد الزاد وقد روى أن سعيد ابن جبير سأل عنه ابن عباس رضى الله عنهما فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير وألقته أمه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطياً وأجر نفسه عشرين سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير ولكن الذى يقتضيه النظم الكريم أن لا نعد إجارة نفسه وما بعدها من تلك الفتون ضرورة أن المراد بها ما وقع قبل وصوله عليه السلام إلى مدين بقبضة الفاء في قوله تعالى (فلبثت سنين في أهل مدين) إذ لا ريب في أن الإجارة المذكورة وما بعدها مما وقع بعد الوصول إليهم وقد أشير بذلك ليشه عليه السلام فيهم دون وصوله إليهم إلى جميع ما فاساه عليه السلام في تضاعيف تلك السنين العشر من فنون الشدائد والمكاره التى كل واحد منها فتنة وأى فتنة ومدين بلدة شعيب عليه الصلاة والسلام على ثمانى مراحل من مصر (ثم جئت) إلى المكان الذى أونس فيه النار ووقع فيه النداء والجزأرو في كلمة التراخي إيدان بأن مجيئه عليه السلام كان بعد اللتيا والى من ضلال الطريق وتفرقت الغنم في الليلة المظلمة الشاتية وغير ذلك (على قدر) أى تقدير قدرته لأن أكله واستنبثك في وقت قد عينته لذلك فما جئت إلا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأجرو وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه إلى الأنبياء عليهم السلام وهو رأس أربعين سنة وقوله تعالى (يا موسى) شريف له عليه الصلاة والسلام وتنبيه على انتهاء الحكاية التى هى تفصيل المرة الاخرى التى وقعت قبل المرة المحكية أولاً .

طه ٢٠

وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾

طه ٢٠

أَذْهَبَ أَنْتَ وَأُخُوكَ بِعَايِنِي وَلَا تَنْبِأُ فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾

طه ٢٠

أَذْهَبَا إِلَيَّ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾

طه ٢٠

فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى ﴿٤٤﴾

- وقوله تعالى (واصطنعتك لنفسى) تذكير لقوله تعالى وأنا اخترتك وتمهيد لإرساله عليه السلام إلى فرعون ٤١ مؤيداً بأخيه حسبما استدعاه بعد تذكير المن السابقة السابقة تأكيداً لوثوقه عليه السلام بمحصل نظائرها اللاحقة وهذا تمثيل لما حوله عز وجل من الكرامة العظمى بتقريب الملك بعض خواصه واصطناعه لنفسه وترشيحه لبعض أموره الجليلة والعدول عن نون العظمة الواقعة في قوله تعالى وفتناك ونظيره السابقين تمهيد لإفراد لفظ النفس اللائق بالمقام فإنه أدخل في تحقيق معنى الاصطناع والاستخلاص أى اصطفتيك برسالاتي وبكلامى وقوله تعالى (اذهب أنت وأخوك) أى وليذهب أخوك حسبما استدعيت استئناف ٤٢ مسوق لبيان ماهو المقصود بالاصطناع (بآياتى) أى بمعجزاتى التى أريتكمها من اليد والعصا فإنها وإن كانتا اثنتين لكن فى كل منهما آيات شتى كما فى قوله تعالى فيه آيات بينات مقام إبراهيم فإن انقلاب العصا حيواناً آية وكونها ثمبناً عظيماً لا يقادر قدره آية أخرى وسرعة حركته مع عظم جرمه آية أخرى وكونه مع ذلك مسخرأ له عليه السلام بحيث كان يدخل يده فى فيه فلا يضره آية أخرى ثم انقلابها عصا آية أخرى وكذلك اليد فإن يياضها فى نفسه آية وشعاعها آية ثم رجوعها إلى حالتها الأولى آية أخرى والباء للمصاحبة لا للتعدية إذ المزمع اذها بها إلى فرعون ملتبسين بالآيات متمسكين بها فى إجراء أحكام الرسالة ولا كمال أمر الدعوة لا مجرد اذها بها وإيصالها إليه (ولا تنبأ) لا تفترا ولا تقصرا وقرىء لا تنبأ بكسر التاء للاتباع (فى ذكرى) * أى بما يليق بى من الصفات الجليلة والأفعال الجميلة عند تبليغ رسالتى والدعاء إلى وقيل المعنى لا تنبأ فى تبليغ رسالتى فإن الذكريق على جميع العبادات وهو أجلها وأعظمها وقيل لا تنبأ فى حيثما تقلبتا واستمدا بذكري العون والتأييد وأعلماً أن أمراً من الأمور لا يتأتى ولا يتسنى إلا بذكري (اذها إلى فرعون) ٤٣ جمعها فى صيغة أمر الحاضر مع غيبة هرون إذ ذاك للتغليب وكذا الحال فى صيغة النهى روى أنه أوحى إلى هرون وهو بمصر أن يتلقى موسى عليها السلام وقيل سمع بإقباله فتلقاه (إنه طغى) تعليل لموجب الأمر * والفاء فى قوله تعالى (فقولاً له قولاً لئناً) لترتيب ما بعدها على طغيانه فإن تبليغ القول بما يكسر سورة ٤٤ عناد العناد وبلين عريكة الطغاة قال ابن عباس رضى الله عنهما لا تعنفا فى قولكما وقيل القول اللين مثل هل لك إلى أن تركى وأهديك إلى ربك فإنها دعوة فى صورة عرض ومشورة ويرده ماسيجى من قوله تعالى فقولاً إننا رسول ربك الآيتين وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة وقيل

قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْفَنِي ﴿٤٥﴾ طه ٢٠

قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿٤٦﴾ طه ٢٠

فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ أَتْبَعَ الْهُدَى ﴿٤٧﴾ طه ٢٠

- * عداه شباباً لا يهرم ويبقى له لذة المطعم والمشرب ومنكح وملكا لا يزول إلا بالموت وقرىء لنا (لعله
 * يتذكر) بما بلغناه من ذكرى ويرغب فيما رغبناه فيه (أو يخشى) عقابي ومحل الجملة النصب على الحال
 من ضمير النشئة أى فقولا له قولاً لنا راجين أن يتذكر أو يخشى وكلمة أو لمنع الخلو أى باشراً الأمر مباشرة
 من برجو ويطمع فى أن يثمر عمله ولا يخيب سعيه وهو يجتهد بطوقه ويحتشد بأقصى وسعه وجدوى إرسلهما
 ٤٥ إليه مع العلم بحاله إلزام الحجة وقطع المعضلة (قالا ربنا) أسند القول إليهما مع أن القائل حقيقة هو
 موسى عليه الصلاة والسلام بطريق التغليب إيذاناً بأصالته فى كل قول وفعل وتبعية هرون عليه السلام
 له فى كل ما أتى ويذكر ويجوز أن يكون هرون قد قال ذلك بعد تلاقيهما لحكى ذلك مع قول موسى عليه
 السلام عند نزول الآية كافى قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات فإن هذا الخطاب قد حكى لنا بصيغة
 الجمع مع أن كلا من المخاطبين لم يخاطب إلا بطريق الانفراد ضرورة استحالة اجتماعهم فى الوجود فكيف
 * باجتماعهم فى الخطاب (إننا نخاف أن يفرط علينا) أى يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر إلى إتمام الدعوة
 وإظهار المعجزة من فرط إذا تقدم ومنه الفارط وفرس فارط يسبق الخيل وقرىء يفرط من أفرطه إذا
 حمله على العجلة أى نخاف أن يحمله حامل من الاستكبار أو الخوف على الملك أو غيرهما على المعالجة
 * بالعقاب (أو أن يطفنى) أى يزداد طغياناً إلى أن يقول فى شأنك ما لا ينبغي لك أن تجراه وقساوته وإطلاقه
 من حسن الأدب وإظهار كلمة أن مع سداد المعنى بدونه لإظهار كمال الاعتناء بالأمر والإشعار بتحقيق
 ٤٦ الخوف من كل منهما (قال) استئناف مبنى على السؤال الناشئ من النظم الكريم ولعل إسناد الفعل إلى
 ضمير الغيبة للإشعار بانتقال الكلام من مساق إلى مساق آخر فإن ما قبله من الأفعال الواردة على صيغة
 التكلم حكاية لموسى عليه السلام بخلاف ما سيأتى من قوله تعالى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى فإن ما قبله
 أيضاً وارد بطريق الحكاية لرسول الله ﷺ كأنه قيل فإذا قال لهما ربهما عند تضرعها إليه فقيل قال
 * (لا تخافا) ما توهمتهما الأمرين وقوله تعالى (إننى معكما) تعليل لموجب النهى ومزيد تسلية لهما والمراد
 * بالمعية كمال الحفظ والنصرة كما ينفى عنه قوله تعالى (أسمع وأرى) أى ما يجرى بينكما وبينه من قول وفعل
 فأفعل فى كل حال ما يليق بها من دفع ضرر وشر وجلب نفع وخير ويجوز أن لا يقدر شيء على معنى إننى
 ٤٧ حافظاً كما سمعاً بصيراً والحافظ الناصر إذا كان كذلك فقد تم وبلغت النصرة غايتها (فأتياه) أمراً بإتيانه
 الذى هو عبارة عن الوصول إليه بعدما أمر بالذهاب إليه فلا تكرار وهو عطف على لا تخافا باعتبار

إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٤٨﴾ طه ٢٠

قَالَ قَرْنٌ رَبِّكَ يَمْؤِسُونَ ﴿٤٩﴾ طه ٢٠

- تعليله بما بعده (فقلوا إنا رسولا ربك) أمرا بذاك تحقيقاً للحق من أول الأمر ليعرف الطاغية شأنها *
ويبنى جوابه عليه وكذا التعرض لربوبيته تعالى له والفاء في قوله تعالى (فأرسل معنا بني إسرائيل) لترتيب *
مابعدا على ما قبلها فإن كونهم رسل ربهم بما يوجب إرسالهم معهم والمراد بالإرسال إطلاقهم من الأسر *
والقصر وإخراجهم من تحت يده العادية لا تكليفهم أن يذهبوا معها إلى الشام كما ينبغي عنه قوله تعالى (ولا *
تعذبهم) أي بإبقائهم على ما كانوا عليه من العذاب فإنهم كانوا تحت ملكة القبط يستخدمونهم في الأعمال *
الصعبة الفادحة من الحفر ونقل الأحجار وغيرهما من الأمور الشاقة ويقتلون ذكورا ولادهم حامدون *
عام ويستخدمون نساءهم وتوسيط حكم الإرسال بين بيان رسالتهم وبين ذكر الحجى بآية دالة على صحتها *
لإظهار الاعتناء به مع ما فيه من تهوين الأمر على فرعون فإن إرسالهم معها من غير تعرض لنفسه وقومه *
بفنون التكاليف الشاقة كما هو حكم الرسالة عادة ليس مما يشق عليه كل المشقة ولأن في بيان حجى الآية *
نوع طول كما ترى فتأخير ذلك عنه مغل بتجاوب أطراف النظم الكريم وأما ما قيل من أن ذلك دليل على *
أن تخليص المؤمنين من الكفرة أهم من دعوتهم إلى الإيمان فكلا (قد جئناك بآية من ربك) تقرير لما تضمنه *
الكلام السابق من دعوى الرسالة وتعليل لوجوب الإرسال فإن مجيئها بالآية من جهة تعالى مما يحقق *
رسالتها ويقررها ويوجب الامتثال بأمرهما وإظهار اسم الرب في موضع الإضمار مع الإضافة إلى ضمير *
المخاطب لنا كيد ما ذكر من التقرير والتعليل وتوحيد الآية مع تعددها لأن المراد إثبات الدعوى ببرهاها *
لا بيان تعدد الحجة وكذلك قوله تعالى قد جئناكم ببينة وقوله تعالى أولو جئتكم بشيء مبين وأما قوله تعالى *
فأت بآية إن كنت من الصادقين فالظاهر أن المراد بها آية من الآيات (والسلام) المستتبع لسلامة الدارين *
من الله تعالى والملائكة وغيرهم من المسلمين (على من اتبع الهدى) بتصدق آيات الله تعالى الهداية إلى *
الحق وفيه من ترغيبه في اتباعها على اللطف وجهه مالا يخفى (لنا قد أوحى إلينا) من جهة ربنا (أن العذاب) ٤٨
الديني والأخروي (على من كذب) أي بآياته تعالى (وتولى) أي عرض عن قبولها وفيه من التلطيف
في الوعيد حيث لم يصرح بحلول العذاب به مالا مزبد عليه (قال) أي فرعون بعدما أتياه وبإخاء أمرا به ٤٩
وإنما طوى ذكره للإيجاز والإشعار بأنها كما أمرأ بذلك سارعا إلى الامتثال به من غير تلثم وبأن ذلك
من الظهور بحيث لا حاجة إلى التصريح به (فن ربك يا موسى) لم يصف الرب إلى نفسه ولو بطريق حكاية *
ماني قوله تعالى إنا رسولا ربك وقوله تعالى قد جئناك بآية من ربك لغاية عتوه ونهاية طغيانه بل أضافه إليهما
لما أن المرسل لابد أن يكون رباً للرسول أولاً لأنها قد صرحا بربوبيته تعالى للكل بأن قالا إنا رسولا رب
العالمين كما وقع في سورة الشعراء والاختصار ههنا على ذكر ربوبيته تعالى لفرعون لكفايته فيها هو المقصود
والفاء لترتيب السؤال على ما سبق من كونها رسولا ربها أي إذا كنتما رسولا ربكما فأخبرا من ربكما الذي

٢٠ طه

قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾

٢٠ طه

قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿٥١﴾

أرسلكما وتخصيص النداء بموسى عليه الصلاة والسلام مع توجيه الخطاب إليهما لما أنه الأصل في الرسالة وهرون وزيره وأما ما قيل من أن ذلك لأنه قد عرف أن له عليه الصلاة والسلام رتبة فأراد أن يفهمه فيرده ما شاهده منه عليه الصلاة والسلام من حسن البيان القاطع لذلك الطمع الفارغ وأما قوله ولا يكاد يبين فمن غلوه في الخبث والدعارة كما مر (قال) أي موسى عليه الصلاة والسلام مجيباً له (ربنا) إمامبدأ وقوله تعالى (الذي أعطى كل شيء خلقه) خبره أو هو خبر لمبتدأ محذوف والموصول صفته وأياً ما كان فلم يريدنا بضمير المتكلم أنفسهما فقط حسبما أراد اللعين بل جميع المخلوقات تحقيقاً للحق ورداً عليه كما يفصح عنه ما في حيز الصلة أي هو ربنا الذي أعطى كل شيء من الأشياء خلقه أي صورته وشكله اللائق بما ينط به من الخواص والمنافع أو أعطى مخلوقاته كل شيء تحتاج هي إليه وترتفع به وتقديم المفعول الثاني للاهتمام به أو أعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث زوج الحصان بالفرس والبعير بالناقة والرجل بالمرأة ولم يزوج شيئاً من ذلك بخلاف جنسه وقرىء خلقه على صيغة الماضي على أن الجملة صفة للمضاف أو المضاف إليه وحذف المفعول الثاني إما للاختصار على الأول أي كل شيء خلقه الله تعالى لم يحرمه من عطائه وإنعامه أو للاختصار من كونه منوباً مدلولاً عليه بقربنة الحال أي أعطى كل شيء خلقه الله تعالى ما يحتاج إليه (ثم هدى) أي إلى طريق الانتفاع والارتفاق بما أعطاه وعرفه كيف يتوصل إلى بقائه وكما له إما اختياراً كما في الحيوانات أو طبعاً كما في الجمادات والقوى الطبيعية النباتية والحيوانية ولما كان الخلق الذي هو عبارة عن تركيب الأجزاء وتسوية الأجسام متقدماً على الهداية التي هي عبارة عن إبداع القوى المحركة والمدركة في تلك الأجسام وسط بينهما كلمة التراخي ولقد ساق عليه الصلاة والسلام جوابه على نمط رائق وأسلوب لائق حيث بين أنه تعالى عالم قادر بالذات خالق لجميع الأشياء منعم عليها بجميع ما يليق بها بطريق التفضل وضمنه أن إرساله تعالى إلى الطاغية من جملة هداياته تعالى إياه بعد أن هداه إلى الحق بالهدايات التكوينية حيث ركب فيه العقل وسائر المشاعر والآلات الظاهرة والباطنة (قال فما بال القرون الأولى) لما شاهر اللعين ما نظم عليه الصلاة والسلام في سلك الاستدلال من البرهان النير على الطراز الرائع خاف أن يظهر للناس حقيقة مقالاته عليه الصلاة والسلام وبطلان خرافات نفسه ظهراً بينا فأراد أن يصرفه عليه الصلاة والسلام عن سننه إلى مالا يعنيه من الأمور التي لا تعلق لها بالرسالة من الحكايات ويشغله عما هو بصدد عسى يظهر فيه نوع غفلة فينسلق بذلك إلى أن يدعى بين يدي قومه نوع معرفة فقال: أحال القرون الماضية والأُمم الخالية وماذا جرى عليهم من الحوادث المفصلة فأجاب عليه الصلاة والسلام بأن العلم بأحوالهم مفصلة بما لا ملاسقة له بمنصب الرسالة وإنما علمها عند الله عز وجل وأما ما قيل من أنه سأله عن حال من خلا من القرون وعن شفاء من شق منهم وسعادة من سعد فيأباه

قَالَ عَلَيْهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٢﴾
 الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَّكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا
 بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٣﴾ ط ٢٠ ط ٢٠

- قوله تعالى (قال عليها عند ربّي) فإن معناه أنه من الغيوب التي لا يعلمها إلا الله تعالى وإنما أنا عبد لا أعلم
 منها إلا ما علمني من الأمور المتعلقة بما أرسلت به ولو كان المسؤول عنه ما ذكر من الشفاعة والسعادة
 لا يجب بيان أن من اتبع الهدى منهم فقد سلم ومن تولى فقد عذب حسبما نطق به قوله تعالى والسلام
 الآيتين (في كتاب) أي مثبت في اللوح المحفوظ بتفاصيله ويجوز أن يكون ذلك تمثيلاً لتمسكه وتقرره
 في علم الله عز وجل بما استخفظه الدام وقيدته بالسكتة كما يلوح به قوله تعالى (لا يضل ربّي ولا ينسى) أي
 أي لا يخطئ. ابتداء ولا يذهب عليه بقاء بل ثابت أبداً فإنهما محالان عليه سبحانه وهو على الأول إيمان
 أن إثباته في اللوح ليس لحاجته تعالى إليه في العلم به ابتداء أو بقاء وإظهار ربّي في موقع الإضمار للتلذذ
 بذكره ولزيادة التقرير والإشعار بعلّة الحكم فإن الربوبية بما يقتضى عدم الضلال والنسيان حتماً وقد
 أوجب عليه الصلاة والسلام عن السؤال بجواب عبقري بديع حيث كشف عن حقيقة الحق حجاباً مع
 أنه لم يخرج عما كان بصده من بيان شئونه تعالى ثم تخلص إليه حيث قال بطريق الحكاية عن الله عز وجل
 ما سياتي من الالتفات (الذي جعل لكم الأرض مهدياً) على أن الوصول إذا مرفوع على المدح أو منصوب
 عليه أو خبر مبتدأ محذوف أي جعلها لكم كالمهد تتمدونها أو ذات مهد وهو مصدر سمي به المفعول
 وقرئ مهدياً وهو اسم المهد كالفرش أو جمع مهد أي جعل كل موضع منها مهدياً لكل واحد منكم
 (وسلك لكم فيها سبلاً) أي حصل لكم طرقاً ووسطاً بين الجبال والأودية والبراري تسلكونها من
 قطر إلى قطر لتقضوا منها ما ربكم وتنتفعوا بما فيها ومرافقها (وأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) هو المطر (فأخرجنا
 به) أي بذلك الماء وهو عطف على أنزل داخل تحت الحكاية وإنما التفق إلى التكلم للتنبيه على ظهوره فيه
 من الدلالة على كمال القدرة والحكمة والإيذان بأنه لا يتأتى إلا من قادر مطاع عظيم الشأن تنفاد لأمره
 وتذعن لمشيئته الأشياء المختلفة كما في قوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلفاً
 ألوانها وقوله تعالى أم من خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماءً فأنبتنا به حنائق ذات بهجة
 خلان ما نبيل الالتفات هناك صريح كلامه تعالى وأما ما هنا الحكاية عنه تعالى وجعل قوله تعالى فأخرجنا
 به هو المحكى مع كون ما قبله كلام موسى عليه الصلاة والسلام خلاف الظاهر مع أنه يفوت حينئذ
 الالتفات لعدم اتحاد المتكلم (أزواجاً) أصنافاً سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض (من نبات)
 بيان أو صفة لأزواج أي كائنة من نبات وكذا قوله تعالى (شقى) أي متفرقة جمع شقت ويحوز أن يكون
 صفة لأن ما أنه في الأصل مصدر يستوى فيه الواحد والجمع يعني أنها شقى مختلفة في الطعم والرائحة
 والشكل والنفع بعضها صالح للبشر على اختلاف وجوه الصلاح وبعضها للبهائم فإن من تمام نعمته تعالى

كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْنِ ﴿٥٤﴾ طه ٢٠

مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٥﴾ طه ٢٠

وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴿٥٦﴾ طه ٢٠

٥٤ أن أرزاق عباده لما كان تحصلها بعمل الأنعام جعل علفها مما يفضل عن حاجاتهم ولا يليق بكونه طعاما لهم وقوله تعالى (كلوا وارعوا أنعامكم) حال من ضمير فأخرجنا على إرادة القول أى أخرجنا منها أصناف النبات قائمين كلوا وارعوا أنعامكم أى معديها لا تتفاعكم بالذات وبالواسطة آذنين فى ذلك (إن فى ذلك) إشارة إلى ما ذكر من شئونه تعالى وأفعاله وما فيه من معنى البعد للإيدان بعلو رتبته وبعده منزله فى الكمال والتسكير فى قوله تعالى (آيات) للتفخيم كما وكيفاً أى لآيات كثيرة جليلة واضحة الدلالة على شئون الله تعالى فى ذاته وصفاته وأفعاله وعلى صحة نبوة موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام (لاولى النهى) جمع نهية سمي بها العقل لنهييه عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح كما سمي بالعقل والحجر لعقله وحجره عن ذلك أى لدوى العقول الناهية عن الأباطيل التى من جملتها ما يدعيه الطاغية ويقبله منه فتنه الباغية وتخصيص كونها آيات بهم مع أنها آيات للعالمين باعتبار أنهم المنتفعون بها (منها خلقناكم) أى فى ضمن أيكم آدم عليه الصلاة والسلام منها فإن كل فرد من أفراد البشر له حظ من خلقه عليه الصلاة والسلام إذ لم تكن قطرة البديعة مقصورة على نفسه عليه الصلاة والسلام بل كانت أنموذجا، بطورياً على فطرة سائر أفراد الجنس انطواء إجمالياً مستتبعا لجرىان آثارها على الكل فكان خلقه عليه الصلاة والسلام منها خلقاً للكل منها وقيل المعنى خلقنا أبدانكم من النطفة المتولدة من الأغذية المتولدة من الأرض بواسطة وقيل إن الملك الموكل بالرحم يأخذ من تربة المكان الذى يدفن فيه المولود فيبدها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة (وفىها نعيدكم) بالإمالة وتفريق الأجزاء وإيثار كلمة فى على كلمة إلى للدلالة على الاستقرار المديد فيها (ومنها نخرجكم تارة أخرى) بتأليف أجزاءكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الهيئة السابقة ورد الأرواح إليهم أو كون هذا الإخراج تارة أخرى باعتبار أن خلقهم من الأرض لإخراج لهم منها وإن لم يكن على نهج التارة الثانية والتارة فى الأصل اسم للتور الواحد وهو الجريان ثم أطلق على كل فعلة واحدة من الفعلات المتجددة كما سر فى المرة (ولقد أريناه) حكاية إجمالية لما جرى بين موسى عليه الصلاة والسلام وبين فرعون إثر حكاية ما ذكره عليه الصلاة والسلام بجلال نعمائه الداعية له إلى قبول الحق والانقياد له وتصديرها بالقسم لإبراز كمال العناية بمضمونها وإسناد الإراءة إلى نون العظمة نظراً إلى الحقيقة لا إلى موسى نظراً إلى الظاهر لتحويل أمر الآيات وتفخيم شأنها وإظهار كمال شاعة اللعين وتأديبه فى المكابرة والعناد أى وبالله لقد بصرنا فرعون أو عرفناه (آياتنا) حين قال لموسى عليه الصلاة والسلام إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين فالقى عصاه فإذا هى ثعبان مبين ونزع يده فإذا هى بيضاء للناظرين وصيغة الجمع مع كونها اثنتين باعتبار ما فى تضاعيفهما من بدائع الأمور التى كل منها آية بينة لقوم يعقلون

طه ٢٠

قَالَ أَجِئْتَنَا لِنُخْرِجَنَّكَ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمْوَسَىٰ ﴿٥٧﴾

حسبنا بين في تفسير قوله تعالى اذهب أنت وأخوك بآياتي وقد ظهر عند فرعون أمور أخر كل واحد منها داهية دهياء فإنه روى أنه عليه الصلاة والسلام لما ألقاها انقلبت ثعباناً أشعر فاغرافاه بين لحييه ثمانون ذراعاً وضع لحيه الأسفل على الأرض والأعلى على سور القصر وتوجه نحو فرعون فهرب وأحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً من قومه فصاح فرعون ياموسى أنشدك بالذى أرسلتك إلا أخذته فأخذه فعاد عصا وروى أنها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول ياموسى مرنى بما شئت ويقول فرعون أنشدك الخ ونزع يده من جيبيه فإذا هى بيضاء بياضاً نورانياً خارجاً عن حدود العادات قد غلب شعاعه شعاع الشمس يجتمع عليه النظارة تعجباً من أمره ففى تضاعيف كل من الآيتين آيات جملة لكنها لما كانت غير مذكورة صراحة أكدت بقوله تعالى (كلمها) * كأنه قيل أرىناه آيتيننا بجميع مستتبعاتهما وتفصيلهما قصداً إلى بيان أنه لم يبق له فى ذلك عذر ما ولا مسامحة لعد بقية الآيات التسع منها لما أنها إنما ظهرت على يده عليه الصلاة والسلام بعد ما غلب السحرة على مهل فى نحو من عشرين سنة كما مر فى تفسير سورة الأعراف ولا ريب فى أن أمر السحرة مترقب بعد وأبعد من ذلك أن يعد منها ما جعل لإهلاكهم لا لإرشادهم إلى الإيمان من فلق البحر وما ظهر بعد مهلكة من الآيات الظاهرة لبنى إسرائيل من تنق الجبل والحجر سواء أريد به الحجر الذى فر بثوبه أو الذى انفجرت منه العيون وكذا أن يعد منها الآيات الظاهرة على يد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بناء على أن حكايته عليه الصلاة والسلام إياها لفرعون فى حكم إظهارها بين يديه وإراءته إياها لاستحالة الكذب عليه عليه الصلاة والسلام فإن حكايته عليه الصلاة والسلام إياها لفرعون بما لم يجر ذكره ههنا على أن ماسياتى من حمل ما أظهره عليه الصلاة والسلام على السحر والتصدى للمعارضة بالمثل يأباه إياه بينا وينطق بأن المراد بهما ذكرناه قطعاً ولولا ذلك لجاز جعل ما فعله عليه الصلاة والسلام من أفعاله تعالى الدالة على اختصاصه بالربوبية وأحكامها من جملة الآيات (فكذب) موسى عليه الصلاة والسلام من غير تردد * وتأخر مع ما شاهد فى يده من الشواهد الناطقة بصدقه جحوداً وعناداً (وأبى) الإيمان والطاعة لعنونه * واستكباره وقيل كذب بالآيات جميعاً وأبى أن يقبل شيئاً منها أو أبى قبول الحق وقوله تعالى (قال أجئنا لنتخرجنا من أرضنا بسحرك ياموسى) استئناف مبين لكيفية تكذيبه وإيائه والهمزة لإنكار الواقع واستتبعاً له وادعاء أنه أمر محال والمجمل إما على حقيقته أو بمعنى الإقبال على الأمر والتصدى له أى أجئنا من مكانك الذى كنت فيه بعد ما غبت عنا أو أقبلت علينا لنتخرجنا من مصر بما أظهرته من السحر فإن ذلك بما لا يصدر عن العاقل لكونه من باب محاولة المحال وإنما قاله لئلا يظن قومه على غاية المقت لموسى عليه الصلاة والسلام. يبرز أن مراده عليه الصلاة والسلام ليس مجرد لإنهاء بنى إسرائيل من أيديهم بل إخراج القبط من وطنهم وحياسة أموالمهم وأملاكهم بالكلية حتى لا يتوجه إلى أتباعه أحد ويألغوا فى المدافعة والمخاصمة وسمى ما أظهره عليه الصلاة والسلام من المعجزة الباهرة سحر التجسيرهم على المقابلة ثم ادعى أنه يعارضه

فَلَنَأْتِيَنَّكَ سِحْرٌ مِثْلَهُ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ طه

قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ طه

فَقَتَلْنَا فِرْعَوْنَ بِجَمْعِ كَيْدِهِ ثُمَّ أَتَى ﴿٦٠﴾ طه

قَالَ لَهُمُ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ آفَتَرَى ﴿٦١﴾ طه

٥٨

بمثل ما أتى به عليه الصلاة والسلام فقال (فلنأتينك بسحر مثله) الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها واللام جواب قسم محذوف كأنه قيل إذا كان كذلك فواقع لنا تينك بسحر مثل سحرك (فاجعل بيننا وبينك موعداً) أى وعداً كما ينبي عنه وصفه بقوله تعالى (لا تخلفه) فإنه المناسب لا المكان والزمان أى لا تخلف ذلك الوعد (نحن ولا أنت) وإنما فوض اللعين أمر الوعد إلى موسى عليه الصلاة والسلام للاحتراز عن نسبته إلى ضعف القلب وضيق المجال وإظهار الجلادة وإرامة أنه متمكن من تهيئة أسباب المعارضة وترتيب آلات المغالبة طال الأمد أم قصر كما أن تقديم ضميره على ضمير موسى عليه الصلاة والسلام وتوسيط كلمة النفي بينهما للإيذان بمسارعة إلى عدم الإخلاف وأن عدم إخلافه لا يوجب إخلافه عليه الصلاة والسلام ولذلك أكد النفي بتكرير حرفه وانتصاب (مكاناً سوى) بفعل يدل عليه المصدر لا به فإنه موصوف أو بأنه

٥٩

بدل من موعداً على تقدير مكان مضاف إليه لحيث أن تكون مطابقة الجواب في قوله تعالى (قال موعدكم يوم الزينة) من حيث المعنى فإن يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه يومئذ أو بإضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الأول أو وعدمكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر في أن المراد به المصدر ومعنى سوى منتصفاً تستوى مسافته إلينا وإليك وهو في الثنعت كقوله قوم عدى في الشذوذ وقرئ بكسر السين قبل يوم الزينة يوم عاشوراء أو يوم النير وزأو يوم عيد كان لهم في كل عام وإنما خصه عليه الصلاة والسلام بالتعيين لإظهار كمال قوته وكونه على ثقة من أمره وعدم مبالاة به لما أن ذلك اليوم وقت ظهور غاية شوكتهم وليكون ظهور الحق وزهوق الباطل في يوم مشهود على رموس الأَشْهَاد ويشيع ذلك فيما بين كل حاضر وباد (وأن يحشر الناس ضحى) عطف على يوم

٦٠

أو يوم الزينة وقرئ على البناء للفاعل بالتاء على خطاب فرعون وبالياء على أن الضمير له على سنن الملوك أو لليوم (فتولى فرعون) أى انصرف عن المجلس (لجمع كيدته) أى ما يكاد به من السحرة وأدواتهم (ثم أتى) أى الموعد ومعه ما جمعه من كيدته وفي كلمة التراخي إيماء إلى أنه لم يسارع إليه بل أتاها بعد لآى

٦١

وتلغثم وقوله تعالى (قال لهم موسى) الخ بطريق الاستئناف المبني على السؤال يقضى بأن المترقب من أحواله عليه الصلاة والسلام حينئذ والمحتاج إلى السؤال والبيان ليس إلا ما صدر عنه عليه الصلاة والسلام من الكلام وأما إتيانه أو لا فأمر محقق غنى عن التصريح به كأنه قيل فماذا صنع موسى عليه الصلاة والسلام عند إتيان فرعون بما جمعه من السحرة فقيل قال لهم بطريق النصيحة (ويلكم لا تفتروا على الله

طه ٢٠

فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُم بِئِنَّهُمْ وَأَسْرُوا النِّجْوَى ﴿٦٢﴾

قَالُوا إِنْ هَذَا لَسِحْرٌ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ

طه ٢٠

الْمُتَلَي ﴿٦٣﴾

- كذباً) بأن تدعوا آياته التي ستظهر على يدي سحر أكا فعل فرعون (فيسحتكم) أى يستأصلكم بسببه .
 (بعذاب) هائل لا يقادر قدره وقرىء يسحتكم من الثلاثى على لغة أهل الحجاز والإسحاح لغة بنى تميم
 ونجد (وقد غاب من اقترى) أى على الله كائناً من كان بأى وجه كان فبدخل فيه الاقتراء المنهى عنه دخولا
 أولياً أو وقد غاب فرعون المفترى فلا تكونوا مثله فى الحثية والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها
 (فتنازعوا) أى السحرة حين سمعوا كلامه عليه الصلاة والسلام كأن ذلك غاظمهم فتنازعوا (أمرهم) ٦٢
 الذى أريد منهم من مغالبتة عليه الصلاة والسلام وتشاوروا وتناظروا (بينهم) فى كيفية المعارضة وتجادبوا
 أهداب القول فى ذلك (وأسروا النجوى) أى من موسى عليه الصلاة والسلام لثلا يقف عليه فيدفعه
 وكان نجواهم مانطق به قوله تعالى (قالوا) أى بطريق التناجى والإسرار (إن هذان لساحران) الخ فإنه ٦٣
 تفسير له ونتيجة لتنازعهم وخلاصة ما استقرت عليه آراؤهم بعد التناظر والتشاور وإن مخففة من أن قد
 أهملت عن العمل واللام فارقة وقرىء بتشديد نون هذان وقيل هى نافية واللام بمعنى إلا أى ما هذان إلا
 ساحران وقرىء إن بالتشديد وهذان اسمها على لغة بلحارث بن كعب فإنهم يعربون النثنية تقديرأ وقيل
 اسمها ضمير الشأن المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل إن بمعنى نعم وما بعدها جملة من مبتدأ وخبر
 وفيهما أن اللام لا تدخل خبر المبتدأ وقيل أصله أنه هذان لهما ساحران لحذف الضمير وفيه أن المؤكد
 باللام لا يلبق به الحذف وقرىء إن هذين لساحران وهى قراءة واضحة (يريدان أن يخرجاكُم من أرضكم)
 أى أرض مصر بالاستيلاء عليها (بسحرهما) الذى أظهرأه من قبل (ويذهبا بطريقتكم المثل) أى بمذهبكم
 الذى هو أفضل المذاهب وأمثلها يظهار مذهبها وإعلاء دينهما يريدون به ما كان عليه قوم فرعون
 لا طريقة السحر فإنهم ما كانوا يعتقدونه ديناً وقيل أرادوا أهل طريقتم وهم بنو إسرائيل لقول موسى
 عليه الصلاة والسلام أرسل معنا بنى إسرائيل وكانوا أرباب علم فيما بينهم ويأباه أن إخراجهم من أرضهم
 إنما يكون بالاستيلاء عليها تمكنا وتصرفا فكيف يتصور حينئذ نقل بنى إسرائيل إلى الشام وحل الإخراج
 على إخراج بنى إسرائيل منهم بقاء قوم فرعون على حالهم مما يجب تنزيه التنزيل عن أمثاله على أن هذه
 المقالة منهم الإغراء بالمبالغة فى المغالبة والاهتمام بالمناسبة فلا بد أن يكون الإنذار والتحذير بأشد المكاره
 وأشقم عليهم ولا ريب فى أن إخراج بنى إسرائيل من بينهم والذهاب بهم إلى الشام وهم آمنون فى ديارهم
 ليس فيه كثير محذور وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم وأشرافهم لما أنهم قدوة لغيرهم ولا يخفى أن تخصيص
 الإذهاب بهم بما لا مزية فيه .

فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَوُا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى ﴿٦٤﴾ طه ٢٠

قَالُوا يَحْمُسِيْ إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴿٦٥﴾ طه ٢٠

٦٤ وقوله تعالى (فاجمعوا كيدكم) تصريح بالمطلوب إثر تمهيد المقدمات والفاء فصيحة أى إذا كان الأمر كما ذكر من كونهما ساحرين يريد أن يكما ما ذكر من الإخراج والأذهاب فاجمعوا كيدكم واجعلوه مجمعا عليه بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم وارموا عن قوس واحدة وقرى فاجمعوا من الجمع وبعضه قوله تعالى لجمع كيده أى فاجمعوا أدوات سحركم ورتبوها كما ينبغي (ثم اتوا صفّا) أى مصطفين أمروا بذلك لأنه أهيب في صدور الرائيين وأدخل في استجلاب الرهبة من المشاهدين قيل كانوا سبعين ألفاً مع كل منهم جبل وعصا وأقبلوا عليه إقبالة واحدة وقيل كانوا اثنين وسبعين ساحراً إثنان من القبط والباقي من بني إسرائيل وقيل تسعمائة ثلثمائة من الفرس وثلثمائة من الروم وثلثمائة من الإسكندرية وقيل خمسة عشر ألفاً وقيل بضعة وثلاثين ألفاً والله أعلم ولعل الموعد كان مكاناً متسعاً خاطبهم موسى عليه الصلاة والسلام بما ذكر في قطره من أقطاره وتنازعوا أمرهم في قطر آخر منه ثم أمروا بأن يأتوا وسطه على الوجه المذكور وقد فسر اللفظ بالمصلى لاجتماع الناس فيه في الأعياد والصلوات ووجه محتمه أن يكون علماً لموضع معين من الممكان الموعود وأما إرادة مصلى من مصليات بعد تعين المكان الموعود فلا مسأغ لها قطعاً وقوله تعالى (وقد أفلح اليوم من استعلى) اعتراض تذييلي من قبلهم مؤكداً لما قبله من الأمرين أى قد فاز بالمطلوب من غلب يريدون بالمطلوب ما وعدهم فرعون من الأجر والتقريب حسبما نطق به قوله تعالى قال نعم وإنكم لمن المقربين وبمن غلب أنفسهم جميعاً على طريقة قولهم بعزة فرعون إننا لنحن الغالبون أو من غلب منهم حشاً لهم على بذل المبالغة هذا هو اللائق بتجاوب أطراف النظم الكريم وقد قيل كان نجومهم أن قالوا حين سمعوا مقالة موسى عليه الصلاة والسلام ما هذا بقول ساحر وقيل كان ذلك أن قالوا إن غلبنا موسى اتبعناه وقيل كان ذلك قولهم إن كان ساحراً فسنغلبه وإن كان من السماء فله أمر فيكون إسرارهم حينئذ من فرعون وملته ويحمل قولهم إن هذان لساحران الخ على أنهم اختلفوا فيما بينهم على الأقاويل المذكورة ثم رجعوا عن ذلك بعد التنازع والتناظر واستقرت أراؤهم على ذلك وأبوا إلا المناصبه للمعارضه وأما جعل ضمير قالوا لفرعون وملته على أنهم قالوا ذلك للسحرة رداً لهم عن الاختلاف وأمروهم بالإجماع والإجماع وإظهار الجلادة بالإتيان على وجه الاصطفاف فخل بجزالة النظم الكريم كما يشهد به الذوق السليم (قالوا) استئناف مبنى على سؤال ناشئ من حكاية ما جرى بين السحرة من المفاولة كأنه قيل فإذا فعلوا بعد ما قالوا فيما بينهم ما قالوا فقبل قالوا (يا موسى) وإنما لم يتعرض لإجماعهم وإتيانهم بطريق الاصطفاف إشعاراً بظهور أمرهما وغناهما عن البيان (إماماً أن تلقى) أى ما نلقيه أولاً على أن المفعول محذوف لظهوره أو تفعل الإلقاء أولاً على أن الفعل منزل منزلة اللازم (وإماماً أن تكون أول من ألقى) ما يلقيه أو أول من يفعل الإلقاء خيره عليه الصلاة والسلام بما ذكر مراعاة للأدب لما رأوا

قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴿٦٦﴾ طه ٢٠

فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴿٦٧﴾ طه ٢٠

قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾ طه ٢٠

وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾ طه ٢٠

منه عليه الصلاة والسلام مارأوا من مخايل الخيور وزانة الرأى وإظهاراً للجلادة بإرادة أنه لا يختلف حالهم بالتقديم والتأخير وأن مع مافى حيزها منصوب بفعل مضمر أو مرفوع بخبرية مبتدأ محذوف أى اختر الإلقاء أولاً أو الإلقاء أو الأمر إما الإلقاء أو الإلقاء (قال) استئناف كما سلف ناشئ من حكاية تخيير ٦٦ السحرة لإياه عليه الصلاة والسلام كأنه قيل فإذا قال عليه الصلاة والسلام فقيل قال (بل ألقوا) أنتم * أولاً مقابلة للأدب بأحسن من أدهم حيث بت القول بإلقاءهم أولاً وإظهاراً لعدم المبالاة بسحرهم ومساعدة لما أوهموا من الميل إلى البدء وليبرزوا ما معهم ويستفروا أقصى جهدهم ويستنفدوا قصارى وسعهم ثم يظهر الله عز وجل سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه لما علم أن ما سيظهر بيده سيلقف ما يصنعون من مكاييد السحر (فإذا حبالهم وعصيتهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) الفاء فصيحة معربة * عن مسارعهم إلى الإلقاء كما فى قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانقلب أى فألحقوا فإذا حبالهم وهى للنفاجاة والتحقيق أنها أيضاً ظرفية تستدعى متعلقاً بنصبها وجملة أضاف إليها لكنها خصة بكون متعلقها فعل المفاجأة والجملة ابتدائية والمعنى فألحقوا ففاجأ موسى عليه الصلاة والسلام وقت أن يخيل إليه سعى حبالهم وعصيتهم من سحرهم وذلك أنهم كانوا الطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيّل إليه أنها تتحرك وقرىء تخيل بالتاء على إسناده إلى ضمير الحبال والعصى وإبدال أنها تسعى منه بدل اشتغال وقرىء تخيل بإسناده إليه تعالى وقرىء تخيل بمحذوف إحدى التامين من تتخيل (فأوجس فى نفسه ٦٧ خيفة موسى) أى أضمهر فيها بعض خوف من مفاجاته بمقتضى البشرية المجبولة على النفرة من الحيات والاحتراس من ضررها المعتاد من السمع ونحوه وقيل من أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه وليس بذلك كما ستعرفه وتأخير الفاعل لمرعاة الفواصل (قلنا لا تخف) أى ما توهمت (إنك أنت الأعلى) تعليل لما يوجب ٦٨ النهى من الانتهاء عن الخوف وتقرير لغلبته على أبلغ وجه وآكده كما يعرب عنه الاستئناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر وإغفال العلو المنبئ عن الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل (وألقى ٦٩ مافى يمينك) أى عصاك كما وقع فى سورة الأعراف وإنما أوثر الإبهام تهويلاً لأمرها وتفخيماً لآثارها وإيداناً بأنها ليست من جنس العصى المعهودة المستتعبة للآثار المعتادة بل خارجة عن حدود سائر أفراد الجنس مبهمة السكنة مستتعبة لآثار غريبة وعدم مراعاة هذه النسكته عند حكاية الأمر فى موضع آخر لا يستدعى عدم مراعاتها عند وقوع المحكى هذا وحمل الإبهام على التحقير بأن يراد لا تبال بكثرة حبالهم

فَأَتَى السَّحْرَةَ سَجْدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٧٠﴾

وعصيم وألق العويد الذي في يدك فإنه بقدره الله تعالى يلقفها مع وحدته وكثرتها وصغره وعظمها يأباه ظهور حالها فيما مر مرتين على أن ذلك المعنى إنما يليق بما لو فعلت العصا ما فعلت وهي على هيئتها الأصلية وقد كان منها ما كان وقوله تعالى (تلقف ما صنعوا) بالجزم جواباً للآمر من لقفه إذا ابتلعه والتقمه بسرعة والتأنيث لكون ما عبارة عن العصا أي تتلعق ما صنعوه من الحبال والعصى التي خيل إليك سعيها وخفتها والتعبير عنها بما صنعوا للتحقير والإيذان بالتزوير وقرىء تلقف بتشديد القاف وإسقاط إحدى التامين من تتلقف وقرىء بالرفع على الحال أو الاستئناف والجملة الأمرية معطوفة على النهي متممة بما في حيزها لتعليل موجهه ببيان كيفية غلبته عليه الصلاة والسلام وعلوه فإن ابتلاع عصاه لا باطليلم التي منها أوجس في نفسه ما أوجس مما يقلع مادته بالكلية وهذا كما ترى صريح في أن خوفه عليه الصلاة والسلام لم يكن مما ذكر من مخالفة الشك للناس وعدم اتباعهم له عليه الصلاة والسلام وإلا لعل بما يزيله من الوعد بما يوجب إيمانهم واتباعهم له عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى (إن ما صنعوا) الخ لتعليل أقوله تعالى تلقف ما صنعوا وما إمامو صولة أو موصوفة أي إن الذي صنعوه أو إن شيئاً صنعوه (كيد ساحر) بالرفع على أنه خبر لأن أي كيد جنس الساحر وتنكيره للتوسل به إلى تنكير ما أضيف إليه للتحقير وقرىء بالنصب على أنه مفعول صنعوا وما كافة وقرىء كيد سحر على أن الإضافة للبيان كما في علم فقه أو على معنى ذى سحر أو على تسمية الساحر سحراً مبالغة وقوله تعالى (ولا يفلح الساحر) أي هذا الجنس (حيث أتى) أي حيث كان وأين أقبل من تمام التعليل وعدم التعرض لشأن العصا وكونها معجزة إلهية مع ما في ذلك من تقوية التعليل للإيذان بظهور أمرها والفاء في قوله تعالى (فأتى السحرة سجداً) كما سلف فصيحة معربة عن مخدوفين ينساق إليهما النظم الكريم غنيين عن التصريح بهما لعدم احتمال تردد موسى عليه السلام في الامتثال بالأمر واستحالة عدم وقوع اللقف الموعود أي فالتقاء عليه السلام فوق ما وقع من اللقف فأتى السحرة سجداً لما تيقنوا أن ذلك ليس من باب السحر وإنما هي آية من آيات الله عز وجل روى أن رئيسهم قال كنا نغلب الناس وكانت الآلات تبقى علينا فلو كان هذا سحراً فأي ما ألقيناه من الآلات فاستدل بتغير أحوال الأجسام على الصانع القادر العالم وبظهور ذلك على يد موسى عليه الصلاة والسلام على صحة رسالته لا جرم ألقاهم ما شاهدوه على وجوههم وتابوا وآمنوا وأتوا بما هو غاية الخضوع قيل لم يرفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار والثواب والعقاب وهن عكرمة لما خروا سجداً أراهم الله تعالى في سجدتهم ما زلهم في الجنة ولا ينافيه قولهم إنا آمنا ربنا ليغفر لنا أخطائنا الخ لأن كون تلك المنازل منازلهم باعتبار صدور هذا القول عنهم (قالوا) استئناف كما مر غير مرة (آما رب هرون وموسى) تأخير موسى عند حكاية كلامهم لرعاية الفواصل وقد جوز أن يكون ترتيب كلامهم أيضاً هكذا إما لكبر سن هرون عليه الصلاة والسلام وإما للبالغة في الاحتراز عن التوهم الباطل من جهة فرعون وقومه حيث كان فرعون ربي موسى عليه الصلاة والسلام فلو قدموا موسى عليه الصلاة والسلام لرَبَّنا ثم للمعين وقومه من أول الأمر

قَالَ ءَأَمِنْتُمْ لَهُمْ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُرُ الَّذِي عَلَيْكُمُ السِّحْرُ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبِنَاكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَنَ آيُنَا أَشَدَّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧١﴾ طه
قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ طه

- ٧١ أن مرادم فرعون (قال) أى فرعون للسحرة (آمنتم له) أى لموسى عليه الصلاة والسلام واللام لتضمنين الفعل معنى الاتباع وقرىء على الاستفهام التوبيخى (قبل أن آذن لكم) أى من غير أن آذن لكم فى الإيمان له • كفى قوله تعالى لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى لا أن إذنه لهم فى ذلك واقع بعده أو متوقع (إنه) يعنى • موسى عليه الصلاة والسلام (لكبيركم) أى فى فنكم وأعلمكم به وأستاذكم (الذى عليكم السحر) فتواطأتم على ما فعلتم أو فعلكم شيئاً دون شئ • فلذلك غلبكم وهذه شبهة زورها للعين وألقاها على قومه وأراهم أن أمر الإيمان منوط بإذنه فلما كان إيمانهم بخير إذنه لم يكن معتداً به وأنهم من تلامذته عليه الصلاة والسلام فلا عبرة بما أظهره كما لا عبرة بما أظهره وذلك لما اعتراه من الخوف من اقتداء الناس بالسحرة فى الإيمان بالله تعالى ثم أقبل عليهم بالوعيد المؤكد حيث قال (فلأقطعن) أى فوالله لأقطعن (أيديكم وأرجلكم من خلاف) أى اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كان القطع ابتداء من مخالفة العضو العضو فإن المبتدىء من المعروف مبتدىء من العارض أيضاً وهى مع مجرورها فى حيز النصب على الحالية أى لأقطعنها مخلفات وتعيين تلك الحال للإيذان بتحقيق الأمر وإيقاعه لا محالة بتعيين كيفية المهدودة فى باب السبابة لا لأنها أقطع من غيرها (ولأصلبناكم فى جذوع النخل) أى عليها وإيثارية فى الدلالة على إبقائهم عليها زماناً مديداً • تشبيهاً لاستمرارهم عليها باستقرار المظروف فى الظرف المشتمل عليه قالوا وهو أول من صلب وصيغة التفعيل فى الفعلين للتكثير وقد قرئنا بالتخفيف (ولنعلمن آينا) يريد به نفسه وموسى عليه الصلاة والسلام • لقوله آمنتم له قبل أن آذن لكم واللام مع الإيمان فى كتاب الله تعالى غيره تعالى وهذا إما لقصد توضيح موسى عليه الصلاة والسلام والمهز به لأنه لم يكن من التعذيب فى شئ وإما لإراءة أن إيمانهم لم يكن عن مشاهدة المعجزة ومعانية البرهان بل كان عن خوف من قبل موسى عليه الصلاة والسلام حيث رأوا ابتلاع عصاه لحبالهم وعصيمهم فخافوا على أنفسهم أيضاً وقبل يريد به رب موسى الذى آمنوا به بقوله آمنا برب هرون وموسى (أشد عذاباً وأبقى) أى أدام (قالوا) غير مكترئين بوعيده (لن تؤثرك) لن نختارك ٧٢ • بالإيمان والاتباع (على ما جاءنا) من الله على يد موسى عليه الصلاة والسلام (من البينات) من المعجزات الظاهرة فإن ما ظهر بيده عليه الصلاة والسلام من العصا كان مشتملاً على معجزات حجة كما امر تحقيقه فيما سلف فإنهم كانوا عارفين بجلالتهم ودقاتهم (والذى فطرنا) أى خلقنا وسائر المخلوقات وهو عطف على ما جاءنا وتأخير لأن ما فى ضمنه آية عقلية نظرية وما شاهدوه آية حسية ظاهرة وإيراده تعالى بعنوان فاطرته تعالى لهم للإشعار بعلّة الحكم فإن خالفته تعالى لهم وكون فرعون من جملة مخلوقاته مما يوجب عدم إيثارهم له عليه

إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ٧٣ طه ٢٠

إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ٧٤ طه ٢٠

وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ٧٥ طه ٢٠

سبحانه وتعالى وهذا جواب منهم لتوبيخ فرعون بقوله آمنتم له قبل أن آذن لكم وقيل هو قسم محذوف الجواب لدلالة المذكور عليه أى وحق الذى فطرنا لا تؤثر الخ ولا مساغ لكون المذكور جواباً له • عند من يجوز تقديم الجواب أيضاً لما أن القسم لا يجاب بلن إلا على شذوذ وقوله تعالى (فاقض ما أنت قاض) جواب عن تهديده بقوله لا قطعن الخ أى فاصنع ما أنت صانعه أو فاحكم ما أنت حاكم به وقوله تعالى (إنما تقضى هذه الحياة الدنيا) مع ما بعده تعليل لعدم المبالاة المستفاد مما سبق من الأمر بالقضاء أى إنما تصنع ما نهوا أو تحكم بما تراه فى هذه الحياة الدنيا لحسب وما لنا من رغبة فى عذابها ولا رهبة من عذابها (إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا) التى اقترفنا فيها من الكفر والمعاصى ولا يؤاخذنا بها فى الدار الآخرة لا ليمتنعنا بتلك الحياة الفانية حتى نتأثر بما أوعدتنا به من القطع والصلب وقوله تعالى (وما أكرهتنا عليه من السحر) عطف على خطايانا أى ويغفر لنا السحر الذى عملناه فى معارضة موسى عليه الصلاة والسلام بإكراهك وحشرك إيانا من المدائن القاصية خصوه بالذكر مع اندارجهم فى خطاياهم إظهاراً لغاية نفرتهم عنه ورغبتهم فى مغفرته وذكر الإكراه للإيذان بأنه مما يجب أن يفرد بالاستغفار منه مع صدوره عنهم بالإكراه وفيه نوع اعتذار لاستجلاب المغفرة وقيل أرادوا الإكراه على تعلم السحر حيث روى أن رؤسائهم كانوا اثنين وسبعين اثنان منهم من القبط والباقي من بنى إسرائيل وكان فرعون أكرههم على تعلم السحر وقيل إنه أكرههم على المعارضة حيث روى أنهم قالوا لفرعون أرنا موسى نائماً ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ها هذا بسحر فإن الساحر إذا نام بطل سحره فابى إلا أن يعارضوه ويأباه تصديهم للمعارضة على الرغبة والنشاط كما يعرب عنه قولهم أئن لنا لا جراً إن كنا نحن الغالبين وقولهم بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون (والله خير) أى فى حد ذاته وهو ناظر إلى قولهم والذى فطرنا (وأبقى) أى جزاء ثواباً كان أو عذاباً أو خير ثواباً وأبقى عذاباً وقوله تعالى (إنه) إلى آخر الشرطيتين تعليل من جهتهم لكونه تعالى خير وأبقى جزاء وتحقيق له وإبطال لما ادعاه فرعون وتصديرهما بضمير الشأن للتنبيه على نغامة مضمونهما لأن مناط وضع الضمير موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره مع ما فيه من زيادة التقرير فإن الضمير لا يفهم منه من أول الأمر إلا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقباً لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن كأنه قيل إن الشأن الخطير هذا أى قوله تعالى (من يأت ربه مجرماً) بأن مات على الكفر والمعاصى (فإن له جهنم لا يموت فيها) فينتهى عذابه وهذا تحقيق لكون عذابه أبقي (ولا يحيا) حياة ينتفع بها (ومن يأت به مؤمناً) به تعالى وبما جاء من عنده من المعجزات التى من جملتها ما شاهدناه (قد عمل الصالحات) الصالحة كالحسنة جارية مجرى الاسم ولذلك لا تذكر غالباً مع

جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٦﴾ طه
وَلَقَدْ أُوحِينَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا
وَلَا تُخَشَى ﴿٧٧﴾ طه

الموصوف وهي كل ما استقام من الأعمال بدليل العقل والنقل (فأولئك) إشارة إلى من والجمع باعتبار
معناها كما أن الأفراد في الفعلين السابقين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو درجاتهم وبعد
منزلتهم أي فأولئك المؤمنون العاملون للصالحات (لهم) بسبب إيمانهم وأعمالهم الصالحة (الدرجات العلى)
أي المنازل الرفيعة وليس فيه ما يدل على عدم اعتبار الإيمان المجرد عن العمل الصالح في استنباع الثواب
لأن ما يبط بالإيمان المقرون بالأعمال الصالحة هو الفوز بالدرجات العلى لا بالثواب مطلقاً وهل
التشاجر إلا فيه (جنات عدن) بدل من الدرجات العلى أو بيان وقد مر أن عدنا علم بمعنى الإقامة أو لأرض
الجنة ف قوله تعالى (تجري من تحتها الأنهار) حال من الجنات وقوله تعالى (خالدين فيها) حال من الضمير في
لهم والعامل معنى الاستقرار أو الإشارة (وذلك) إشارة إلى ما أتبع لهم من الفوز بما ذكر من الدرجات
العالى ومعنى البعد لما مر من التفتيح (جزاء من تزكى) أي تطهر من دنس الكفر والمعاصي بما ذكر من
الإيمان والأعمال الصالحة وهذا تحقيق لكون ثوابه تعالى أبقي وتقديم ذكر حال المجرم للسارعة إلى
بيان أشد عذابه ودوامه رداً على ما ادعاه فرعون بقوله أينا أشد عذاباً وأبقي هذا وقد قيل هذه الآيات
الثلاث ابتداء كلام من الله عز وجل قالوا ليس في القرآن أن فرعون فعل بأولئك المؤمنين ما أوعدهم به ولم
يثبت في الأخبار (ولقد أوحينا إلى موسى) حكاية إجمالية لما انتهى إليه أمر فرعون وقومه وقد طوى في
البين ذكر ما جرى عليهم من الآيات المفصلات الظاهرة على يد موسى عليه الصلاة والسلام بعد ما غلب
السحرة في نحو من عشرين سنة حسبما فصل في سورة الأعراف وتصديرها بالقسم لإبراز كمال العناية
بمضمونها وأن في قوله تعالى (أن أسر بعبادي) إمامفسرة لأن الوحي فيه معنى القول أو مصدرية حذف
عنها الجار والتعبير عنهم بعنوان كونهم عباداً له تعالى لإظهار الرحمة والاعتناء بأمرهم والتنبيه على غاية
قبح صنيع فرعون بهم حيث استعبدتهم وهم عباده عز وجل وفعل بهم من فنون الظلم ما فعل أي وبالله لقد
أوحينا إليه عليه الصلاة والسلام أن أسر بعبادي الذين أرسلتك لإنقاذهم من ملكة فرعون أي سربهم من
مصر ليلاً (فاضرب لهم) أي قاجعل أو قاتخذ لهم (طريقاً في البحر يبساً) أي يابساً على أنه مصدر وصف
به الفاعل مبالغة وقرئ يبساً وهو إما مخفف منه أو وصف كصعب أو جمع يابس كصحب وصف به
الواحد للبالغة أو لتعددده حسب تعدد الأسباب (لاتخاف دركا) حال من المأمور أي آمناً أن يدرككم
العدو أو صفة أخرى لطريقاً والمائد مخذوف وقرئ لاتخاف جواباً للأمر (ولا تخشى) عطف على
لاتخاف داخل في حكمه أي ولا تخشى الفرق وعلى قراءة الجزم استئناف أي وأنت لاتخشى أو عطف عليه
والألف للإطلاق كما في قوله تعالى وتظنون بالله الظنوننا وتقديم نفي الخوف المذكور للسارعة إلى إزاحة

فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ ۖ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ ط ٢٠

وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ ط ٢٠

يَبْنِي إِسْرَءِيلَ ۚ قَدْ أَفْجَيْتَكُم مِّنْ عُدُوكُمْ ۖ وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الْأَيْمَنِ ۖ وَزَلَّلْنَا عَلَيْكَ الْأَمْنَ

وَالسَّلَوى ۖ ﴿٨٠﴾ ط ٢٠

- ٧٨ ما كانوا عليه من الخوف العظيم حيث قالوا إنما المراكب (فاتبعهم فرعون بجنوده) أي تبعهم ومعه جنوده حتى لحقهم يقال أتبعهم أي تبعهم وذلك إذا كانوا سبقوك فلحقهم ويؤيده أنه قرى فاتبعهم من الافعال وقيل المعنى أتبعهم فرعون نفسه لحذف المفعول الثاني وقيل الباء زائدة والمعنى فاتبعهم فرعون جنوده أي سافهم خلفهم وأياً ما كان فالقاء فصيحة معربة عن مضمر قد طوى ذكره ثقة بغاية ظهوره وإيداناً بكال مسارعة موسى عليه الصلاة والسلام إلى الامتثال بالأمر أي ففعل ما أمر به من الإسراء بهم وضرب الطريق وسلوكه فاتبعهم فرعون بجنوده برأ وبجرأ روى أن موسى عليه الصلاة والسلام خرج بهم أول الليل وكانوا ستائة وسبعين ألفاً فأخبر فرعون بذلك فاتبعهم بعساكره وكانت مقدمته سبعماية ألف فقص أثرهم فلحقهم بحيث تراءى الجمعان فعند ذلك ضرب عليه الصلاة والسلام بعصاه البحر فانفلق على اثني عشر فرقا كل فرق كالطود العظيم فمهر موسى عليه الصلاة والسلام بمن معه من الأسباط سالمين وتبعهم فرعون بجنوده (فغشيهم من اليم ما غشيهم) أي علام منه وغمرهم ما غمرهم من الأمر الهائل الذي لا يقدر قدره ولا يبلغ كنهه وقيل غشيهم ما سمعت قصته وليس بذلك فإن مدار التحويل والتفخيم خروجه عن حدود الفهم والوصف لاسماع قصته وقرى فغشاهم من اليم ما غشاهم أي غطاهم ما غطاهم والفاعل هو
- ٧٩ الله عز وعلا أو ما غشاهم وقيل فرعون لأنه الذي ورطهم للهلكة وبأباه الإظهار في قوله تعالى (وأضل فرعون قومه) أي سلك بهم مسلكاً أدام إلى الخيبة والحسران في الدين والدنيا معاً حيث ماتوا على الكفر بالعذاب الهائل الذي يتصل بالعذاب الخالد الآخرى وقوله تعالى (وما هدى) أي ما أرشدهم قط إلى طريق موصل إلى مطلب من المطالب الدينية والدينية تقرير لإضلاله وتأكيد له إذ رب مفضل قد يرشد من يضله إلى بعض مطالبه وفيه نوع تهكم به في قوله وما أهدىكم إلا سبيل الرشاد فإن نفي الهداية عن شخص مشعر بكونه ممن يتصور منه الهداية في الجملة وذلك إنما يتصور في حق بطريق التهكم وحمل الإضلال والهداية على ما يختص بالدينين منهما ياباه مقام بيان سوقه بجنوده إلى مساق الهلاك الذي وجعله ما عبارة عن الإضلال
- ٨٠ في البحر والإنجاء منه مما لا يقبله العقل السليم (يا بني إسرائيل) حكاية لما خاطبهم الله تعالى بعد إغراق فرعون وقومه وإنجائهم منهم لكن لا عقب ذلك بل بعد ما أفاض عليهم من فنون النعم الدينية والدينية ما أفاض وقيل هو إنشاء خطاب للذين كانوا منهم في عهد النبي ﷺ على معنى أنه تعالى قد من عليهم بما فعل بآبائهم أصالة وبهم تبعاً وپرده ما سبأني من قوله تعالى وما أعجلك الآية ضرورة استحالة حمله على الإنشاء فالوجه

كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ طه ٢٠

وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ طه ٢٠

وَمَا أَجْعَلُكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمْوَسِي ﴿٨٣﴾ طه ٢٠

- هو الحكاية بتقدير قلنا عطفاً على أوحينا أي وقلنا يا بني إسرائيل (قد أجبناكم من عدوكم) فرعون وقومه • حيث كانوا ييغونكم الغوائل ويسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وقرىء نجيناكم ونجيتكم (وواعدناكم جانب الطور اليمين) بالنصب على أنه صفة للمضاف وقرىء بالجر للجوارى وواعدناكم بواسطة نبيكم إتيان جانبه اليمين نظر إلى السالك من مصر إلى الشام أي إتيان موسى عليه الصلاة والسلام المناجاة وإنزال التوراة عليه ونسبت المواعدة إليهم مع كونها لموسى عليه الصلاة والسلام نظراً إلى ملاستها إياهم وسراية منفعتها إليهم وإيفاء لمقام الامتنان حقه كما في قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم حيث نسب الخلق والتصوير إلى المخاطبين مع أن المخلوق المصور بالذات هو آدم عليه الصلاة والسلام وقرىء واعدتكم ووعدناكم (ونزلنا عليكم المن والسلوى) أي الترنجيبين والسماني حيث كان ينزل عليهم المن وهم في التيه مثل الثلج من الفجر إلى الطلوع لكل إنسان صاع ويبعب الجنوب عليهم السماء فيذبج الرجل منه ما يكفيه كما مر مراراً (كلوا) جملة مستأنفة مسوقة لبيان إباحة ما ذكر لهم وإتماماً للنعمة عليهم (من طيبات ٨١ مارزقناكم) أي من لذائده أو حلالاته وقرىء رزقتكم وفي البدء بنعمة الإنجاء ثم بالنعمة الدينية ثم بالنعمة الدنيوية من حسن النظم ولطف الترتيب ما لا يخفى (ولا تطغوا فيه) أي فيما رزقناكم بالإخلاص بشكره والتعدي لما حد لكم فيه كالسرف والبطر والمنع من المستحق (فيحل عليكم غضبي) جواب للنهي أي فتلزكم عقوبتي وتجب لكم من حل الدين إذا وجب أداؤه (ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) أي تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرىء فيحل بضم الحاء من حل يحل إذا نزل (وإني لغفار لمن تاب) من الشرك ٨٢ والمعاصي التي من جملتها الطغيان فيما ذكر (وآمن) بما يجب الإيمان به (وعمل صالحاً) أي عمل صالحاً مستقيماً عند الشرع والعقل وفيه ترغيب لمن وقع منه الطغيان فيما ذكر وحث على التوبة والإيمان وقوله تعالى (ثم اهتدى) أي استقام على الهدى إشارة إلى أن من لم يستمر عليه بمعزل من الغفران وثم للتراخي الرتبة (وما أعجلك عن قومك ياموسى) حكاية لما جرى بينه تعالى وبين موسى عليه الصلاة والسلام من ٨٣ الكلام عند ابتداء موافاته الميقات بموجب المواعدة المذكورة أي وقلنا له أي شيء أعجلك منفرداً عن قومك وهذا كما ترى سؤال عن سبب تقدمه على النقباء مسوق لإنكار انفراده عنهم لما في ذلك بحسب الظاهر من مخايل إغفالهم وعدم الاعتداد بهم مع كونه مأموراً باستصحابهم وإحضارهم معه لا لإنكار نفس العجلة الصادرة عنه عليه الصلاة والسلام لكونها نقيضة للجزم اللائق بأولى العزم ولذلك أجاب عليه • • - أبي السعد ٦٥

قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٨٤﴾ طه ٢٠

قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ طه ٢٠

فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا قَالَ يَتَقَوَّمُ آلُ رِيعُكَ رَبُّكَ وَعَدًّا حَسَنًا أَفْطَالَ عَلَيْكُمْ
الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحْلَ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَقْتُمْ مَوْعِدِي ﴿٨٦﴾ طه ٢٠

- ٨٤ الصلاة والسلام بنى الافراد المنافى للاستصحاب والمعية حيث (قال هم اولاء على اثرى) يعنى أنهم معى وإنما سبقتم بخطا يسيرة ظننت أنها لا تخل بالمعية ولا تقدح فى الاستصحاب فإن ذلك مما لا يعتد به فيما بين الرفقة أصلا وبعد ما ذكر عليه الصلاة والسلام أن تقدمه ذلك ليس لأمر منكر ذكر أنه لا مر مرضى حيث قال (وعجلت إليك رب لترضى) عنى بمسارعتى إلى الامتثال بأمرى واعتنائى بالوفاء بعهديك
- ٨٥ وزيادة رب لمزيد الضراعة والابتهاال رغبة فى قبول العذر (قال) استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية اعتذاره عليه الصلاة والسلام وهو السر فى وروده على صيغة الغائب لا أنه التفات من التكلم إلى الغيبة لما أن المقدر فيما سبق من الموضعين على صيغة التكلم كأنه قيل من جهة السامعين فإذا قال له ربه حينئذ فقيل قال (فإننا قد فتنا قومك من بعدك) أى ابتليناهم بعبادة العجل من بعد ذهابك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هارون عليه الصلاة والسلام وكانوا ستمائة ألف مانجا منهم من عبادة العجل إلا اثنا عشر ألفاً والفاء لترتيب الإخبار بما ذكر من الابتلاء على إخبار موسى عليه الصلاة والسلام بعجلته لكن لأن الإخبار بها سبب موجب للإخبار به بل لما بينهما من المناسبة المصححة للانتقال من أحدهما إلى الآخر من حيث إن مدار الابتلاء المذكور عجلة القوم فإنه روى أنهم أقاموا على ما وصى به موسى عليه الصلاة والسلام عشرين ليلة بعد ذهابه لحسبوا مع أيامها أربعين وقالوا قد أكلنا العدة وليس من موسى عليه الصلاة والسلام عین ولا أثر (وأضلهم السامرى) حيث كان هو المدبر فى الفتنة فقال لهم إنما أخلف موسى عليه الصلاة والسلام مبعادكم لما معكم من حل القوم وهو حرام عليكم فكان من أمر العجل ما كان فأخبره تعالى بوقوع هذه الفتنة عند قدومه عليه الصلاة والسلام إما باعتبار تحققها فى قلبه تعالى ومشيتها وإما بطريق التعبير عن المتوقع بالواقع كما فى قوله تعالى ونادى أصحاب الجنة ونظائره أو لأن السامرى كان قد عزم على إيقاع الفتنة عند ذهاب موسى عليه الصلاة والسلام وتصدى لترتيب مبادئها وتمهيد مبادئها فكانت الفتنة واقعة عند الإخبار بها وقرىء وأضلهم السامرى على صيغة التفضيل أى أشدهم ضلالا لأنه ضال ومضل والسامرى منسوب إلى قبيلة من بنى إسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجاً من كرماني وقيل من أهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقاً قد أظهر الإسلام وكان من قوم يعبدون البقر (فرجع موسى إلى قومه) عند رجوعه الممهودى بعد ما استوفى الأربعين وأخذ التوراة لا عقيب الإخبار بالفتنة فسيبى ما قبل الفاء لما بعدها إنما هى باعتبار قيد الرجوع المستفاد من قوله تعالى
- ٨٦

قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾

طه ٢٠

- (غضبان أسفاً) لا باعتبار نفسه وإن كانت داخلة عليه حقيقة فإن كون الرجوع بعد تمام الأربعين أمر مقرر مشهور لا يذهب الوهم إلى كونه عند الإخبار بالفتنة كما إذا قلت شايعة الحجاج ودعوت لهم بالسلامة فرجعوا سالمين فإن أحداً لا يرتاب في أن المراد رجوعهم المعتاد لا رجوعهم لإثر الداء وأن سببية الداء باعتبار وصف السلامة لا باعتبار نفس الرجوع والأسف الشديد الغضب وقيل الحزين (قال) استئناف * مبنى على سؤال ناشئ من حكاية رجوعه كذلك كأنه قيل لماذا فعل بهم ففيل قال (يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً) بأن يعطيكم التوراة فيها ما فيها من النور والهدى والهمزة لإنكار عدم الوعد ونفيه وتقرير وجوده على أبلغ وجه وآكده أى وعدمكم بحيث لا سبيل لكم إلى إنكاره والفاء في قوله تعالى (أطفال عليكم العهد) أى الزمان للعطف على مقدر والهمزة لإنكار المعطوف ونفيه فقط أى أو عدمكم ذلك فطال زمان الإنجاز فأخطأتم بسببه (أم أردتم أن يحل) أى يجب (عليكم غضب) شديد لا يقادر قدره كأن (من ربكم) أى من مالكم أمركم على الإطلاق (فأخلفتم موعدي) أى وعدمكم إياى بالثبات على ما أمرتكم به إلى أن أرجع من الميقات على إضافة المصدر إلى مفعوله للقصد إلى زيادة تقبيح حالهم فإن إخلالهم الوعد الجارى فيما بينهم وبينه عليه السلام من حيث إضافته إليه عليه السلام أشنع منه من حيث إضافته إليهم والفاء لترتيب ما بعدها على كل واحد من شقي التردد على سبيل البدل كأنه قيل أنسيتم الوعد بطول العهد فأخلفتموه خطأ أم أردتم حلول الغضب عليكم فأخلفتموه ممدأ وأما جعل الموعود مضافاً إلى فاعله وحمل إخلاله على معنى وجدان الخلف فيه أى فوجدتم الخلف في موعدي لكم بالعود بعد الأربعين فهما لا يساعده السباق ولا السياق أصلاً (قالوا ما أخلفنا موعداً) أى وعدنا إياك الثبات على ما أمرتنا به ٨٧ وإشارته على أن يقال موعداً على إضافة المصدر إلى فاعله لما مر آنفاً (بملكنا) أى بأن ملكنا أمورنا يعنون أنالو خيلنا وأمرنا ولم يسأل لنا السامرى مأسولة مع مساعدة بعض الأحوال لما أخلفناه وقرى بملكنا بكسر الميم وضمها والكل لغات في مصدر ملكت الشيء (ولكننا حملنا أوزاراً من زينة القوم) استدراك عما سبق واعتذار عما فعلوا ببيان منشأ الخطأ وقرى حملنا بالتخفيف أى حملنا أحمالاً من حلى القبط التى استعمرناها منهم حين ههنا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل كانوا استعاروها لعبد كان لهم ثم لم يردوها إليهم عند الخروج مخافة أن يبقوا على أمرهم وقيل هى ما ألقاه البحر على الساحل بعد إغراقهم فأخذوها ولعل تسميتهم لها أوزاراً لأنها تبعات وآثام حيث لم تكن الغنائم تحمل حينئذ (فقدناها) أى فى النار رجاء للخلاص عن ذنبها (فكذلك) أى فمثل ذلك القذف (ألقى السامرى) أى ما كان معه منها وقد كان أراهم أنه أيضاً يلقى ما كان معه من الحلى فقالوا ما قالوا على زعمهم وإنما كان الذى ألقاه التربة التى أخذها من أثر الرسول كما سيأتى روى أنه قال لهم إنما تأخر موسى عنكم لما معكم من الأوزار قال رأى أن نخضر

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ قَنَسَىٰ ﴿٨٨﴾ طه ٢٠

أَفَلَا يَرَوْنَ إِلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ طه ٢٠

وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَتَقَوِّمُ إِلَيْنَا فَنَنْتَقِمُ بِهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبَعُونِي وَاطِيعُوا

أَمْرِي ﴿٩٠﴾ طه ٢٠

- ٨٨ حفيرة ونسجر فيها ناراً ونقذف فيها كل ما معنا ففعلوا (فأخرج) أى السامرى (لهم) للقائلين (عجلاً) من تلك الحلى المذابة وتأخيرها مع كونه مفعولاً صريحاً عن الجار والمجرور لما مر مراراً من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر مع ما فيه من نوع طول ليحل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم فإن قوله تعالى (جسداً) أى جثة ذادم ولحم أو جسداً من ذهب لا روح له بدل منه وقوله تعالى (له خور) أى صوت عجل نعت له (فقالوا) أى السامرى ومن افتن به أول ما رآه (هذا إلهكم وإله موسى قنسى) أى غفل عنه وذهب يطلبه فى الطور وهذا حكاية لنتيجة فتنة السامرى فعلاً وقولاً من جهته تعالى قصداً إلى زيادة تقريرها ثم ترتيب الإنكار عليها لا من جهة القائلين وإلا لقليل فأخرج لنا والحمل على أن عدوهم إلى ضمير الغيبة لبيان أن الإخراج والقول المذكورين لذلك لا للعبادة فقط خلاف الظاهر مع أنه محل باعتذارهم فإن مخالفة بعضهم للسامرى وعدم افتتانهم بتسويله مع كون الإخراج والخطاب لهم مما يهون مخالفته للمعتذرين فافتتانهم بعد ذلك أعظم جناية وأكثر شناعة وأما ما قيل من أن المعتذرين هم الذين لم يعبدوا العجل وأن نسبة الإخلاف إلى أنفسهم وهم برآء منه من قبيل قولهم بنو فلان قتلوا فلاناً مع أن القاتل واحد منهم كأنهم قالوا ما وجد الإخلاف فيما بيننا بأمر كنا نملكه بل تمسكت الشبهة فى قلوب العبداء حيث فعل السامرى ما فعل فأخرج لهم ما أخرج وقال ما قال فلم نقدر على صرفهم عن ذلك ولم نفارقهم مخافة ازدياد الفتنة فيقضى بفساده سباق النظم الكريم وسياقه وقوله تعالى (أفلا يرون) الخ إنكار وتقييد من جهته تعالى لحال الضالين والمضلين جميعاً وتسفيه لهم فيما أقدموا عليه من المنكر الذى لا يشبهه بطلانه واستحالاته على أحد وهو اتخاذ إلهاً والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى ألا يتفكرون فلا يعدلون (أن لا يرجع إليهم قولاً) أى أنه لا يرجع إليهم كلاماً ولا يرد عليهم جواباً فكيف يتوهمون أنه إله وقرئ يرجع النصب قالوا فالرؤية حينئذ بصرية فإن الناصبة لا تقع بعد أفعال اليقين أى ألا ينظرون فلا يبصرون عدم رجعه إليهم قولاً من الأقوال وتعليق الإبصار بما ذكر مع كونه أمراً عديماً للتنبيه على كمال ظهوره المستدعى لمزيد تشنيعهم وتركيب عقولهم وقوله تعالى (ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً) عطف على لا يرجع داخل معه فى حيز الرؤية أى أفلا يرون أنه لا يقدر على أن يدفع عنهم ضراً أو يجلب لهم نفعاً أولاً يقدر على أن يضرهم إن لم يعبدوه أو ينفعهم إن عبدوه (ولقد قال لهم هرون من قبل) جملة قسمية مؤكدة لما قبلها من الإنكار والتشنيع ببيان عتوهم واستعصامهم على الرسول لإثبات مكابرتهم لقضية
- ٨٩
- ٩٠

طه ٢٠

قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴿٩١﴾

طه ٢٠

قَالَ يَنْهَرُونَ مِمَّا مَنَّكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾

طه ٢٠

أَلَا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾

العقول أى وبالله لقد نصح لهم هرون ونهم على كنه الأمر من قبل رجوع موسى عليه السلام إليهم وخطابه إليهم بما ذكر من المقالات وقيل من قبل قول السامري كأنه عليه السلام أو ما أبصره حين طلع من الحفيرة توهم منهم الافتتان به فسارع إلى تحذيرهم وقال لهم (يا قوم إنما فتنتم به) أى أوقعتم في الفتنة * بالعجل أو أضلالم به على توجيه القصر المستفاد من كلمة إنما إلى نفس الفعل بالقياس إلى مقابله الذى يدعيه القوم لا إلى قيده المذكور بالقياس إلى قيد آخر على معنى إنما فعل بكم الفتنة لا الإرشاد إلى الحق لا على معنى إنما فتنتم بالعجل لا بغيره وقوله تعالى (وإن ربكم الرحمن) بكسر إن عطفاً على إنما إرشاد لهم * إلى الحق إثر زجرهم عن الباطل والتعرض لعنوان الرواية والرحمة للاعتناء باستماتتهم إلى الحق كما أن التعرض لوصف العجل للاهتمام بالزجر عن الباطل أى إن ربكم المستحق للعبادة هو الرحمن لا غير الفاء في قوله تعالى (فاتبعوني) لترتيب ما بعدها على ما قبلها من مضمون الجملتين أى إذا كان الأمر كذلك فاتبعوني * في الثبات على الدين (وأطيعوا أمرى) هذا وازكوا عبادة ما عرفتم شأنه (قالوا) في جواب هرون عليه السلام (إن نبرح عليه) على العجل وعبادته (عاكفين) مقيمين (حتى يرجع إلينا موسى) جعلوا رجوعه عليه السلام إليهم غاية لعكوفهم على عبادة العجل لكن لا على طريق الوعد بتركها عند رجوعه عليه السلام بل بطريق التعليل والتسويق وقد دسوا تحت ذلك أنه عليه السلام لا يرجع بشئ مبين تعويلاً على مقالة السامري روى أنهم لما قالوا اعتزلهم هرون عليه السلام فى اثني عشر ألفاً وهم الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى عليه السلام وسمع الصياح وكانوا يرقصون حول العجل قال للبعين الذين كانوا معه هذا صوت الفتنة فقال لهم ما قال وسمع منهم ما قالوا وقوله تعالى (قال) استئناف مبنى على سؤال نشأ من ٩٢ حكاية جوابهم لهرون عليه السلام كأنه قيل فماذا قال موسى لهرون عليهما السلام حين سمع جوابهم له وهل رضى بسكوته بعد ما شاهد منهم ما شاهد فقل قال له وهو مغتاظ قد أخذ بلحيته ورأسه (يا هرون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا) بعبادة العجل وبلغوا من المكابرة إلى أن شافوك بتلك المقالة الضعفاء (أن لا تبعر) ٩٣ أى أن تتبعنى على أن لا زبدة وهو مفعول ثانٍ لمنع وهو عامل فى إذ أى أى شئ منعك حين رؤيتك أضلالمهم من أن تبغى فى الغضب لله تعالى والمقاتلة مع من كفر به وقيل المعنى ما حملك على أن لا تبغى فإن المنع عن الشئ مستلزم للحمل على مقابله وقيل ما منعك أن تلحقنى وتخبرنى بضلالمهم فتكون مفارقتك مزجراً لهم وفيه أن نصائح هرون عليه السلام حيث لم تزجرهم عما كانوا عليه فلأن لا تزجرهم مفارقتهم إليهم عنه أولى والاعتذار بأنهم إذا علموا أنه يلحقهم ويخبره بالقصة يخافون رجوع موسى عليه السلام فينزعجوا عن ذلك بمعزل من حيز القبول كيف لا وهم قد صرحوا بأنهم عاكفون عليه إلى حين رجوعه عليه السلام

قَالَ يَبْنُوهُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ

تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ ط ٢٠

قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمُرِي ﴿٩٥﴾ ط ٢٠

قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي

نَفْسِي ﴿٩٦﴾ ط ٢٠

- (أفصيت أمرى) أى بالصلافة فى الدين والمحاماة عليه فإن قوله له عليهما السلام اخلفنى متضمن للأمر بهما حتماً فإن الخلافة لا تتحقق إلا بمباشرة الخليفة ما كان يباشره المستخلف لو كان حاضراً والهمزة للإنكار التوبيخى والغاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى ألم تتبغنى أو أخلفتنى فعصيت أمرى (قال يا ابن أم) خص الأم بالإضافة استعظماً لحقها وترقيقاً لقلبه لا لما قيل من أنه كان أخاه لأم فإن الجمهور على أنهما كانا شقيقين (لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى) أى ولا بشعر رأسى روى أنه عليه السلام أخذ شعر رأسه يمينه ولحيته بشماله من شدة غيظه وفرط غضبه لله وكان عليه السلام حديداً متصلياً فى كل شيء.
- فلم يتمالك حين رآهم يعبدون المعجل ففعل ما فعل وقوله تعالى (إنى خشيت) الخ استئناف سيق لتعليل موجب النهى ببيان الداعى إلى ترك المقاتلة وتحقيق أنه غير عاص لأمره بل يمثل به أى إنى خشيت لو قاتلت بعضهم بعض وتفانوا وتفرقوا (أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل) برأيتك مع كونهم أبناء واحد كما نبى عنه ذكرهم بذلك العنوان دون القوم ونحوه وأراد عليه السلام بالتفريق ما يستتبعه القتال من التفريق الذى لا يرجى بعده الاجتماع (ولم ترقب قولى) يريد به قوله عليه السلام اخلفنى فى قومى وأصلح الخ يعنى إنى رأيت أن الإصلاح فى حفظ الدماء والمداراة معهم إلى أن ترجع إليهم فلذلك استأنيتك لتكون أنت المتدارك للأمر حسبما رأيت لاسيما وقد كانوا فى غاية القوة ونحن على القلة والضعف كما يعرب عنه قوله تعالى إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلونى (قال) استئناف وقع جواباً عما نشأ من حكاية ما سلف من اعتذار القوم بإسناد الفساد إلى السامرى واعتذار هرون عليه السلام كأنه قيل فإذا صنع موسى عليه السلام بعد سماع ما حكى من الاعتذارين واستقرار أصل الفتنة على السامرى فقل قال موجأً له هذا شأنهم (فما خطبك يا سامرى) أى ما شأنك وما مطلوبك مما فعلت خاطبه عليه السلام بذلك ليظهر للناس بطلان كيد به باعتدائه ويفعل به وبما صنعه من العقاب ما يكون نكالا للمفتونين به ولما خلفهم من الأمم (قال) أى السامرى مجيباً له عليه السلام (بصرت بما لم يبصروا به) بضم الصاد فيهما وقرئ بكسر هاءى الأول وفتحها فى الثانى وقرئ بالناء على الوجهين على خطاب موسى عليه السلام وقومه أى علمت ما لم يعلمه القوم وفطنت لما لم يفطنوا له أو رأيت ما لم يروه وهو الأنسب بما سأتى من قوله وكذلك سولت لى نفسى لاسيما على القراءة بالخطاب فإن ادعاء علم ما لم يعلمه موسى عليه السلام جرأة عظيمة لا تليق بشأنه ولا بمقامه بخلاف ادعاء رؤية ما لم يره

قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ
الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ طه

عليه السلام فإنها بما يقع بحسب ما يتفق وقد كان رأى أن جبريل عليه السلام جاءه أكباً فرساً وكان كلباً رفيع
الفرس يديه أو رجليه على الطريق اليبس يخرج من تحته النبات في الحال فعرف أن له شأنأ فآخذ من موطنه
حفنة وذلك قوله تعالى (فقبضت قبضة من أثر الرسول) وقرىء من أثر فرس الرسول أى من تربة موطنه
فرس الملك الذى أرسل إليك ليذهب بك إلى الطور ولعل ذكره بعنوان الرسالة للإشعار بوقوفه على
مالم يقف عليه القوم من الأسرار الإلهية تأكيذاً لما صدر به مقالته والتنبيه على وقت أخذ ما أخذه والقبضة
المررة من القبض أطلقت على المقبوض مرة وقرىء بضم القاف وهو اسم المقبوض كالغرفة والمضغة وقرىء
فقبضت قبضة بالصاد المهملة والأول للأخذ بجميع الكف والثانى بأطراف الأصابع ونحوهما الخضم
والقضم (فنبذتها) أى فى الحلى المذابة فكان ما كان (وكذلك سولت لى نفسى) أى ما فعلته من القبض
والنبذ فقوله تعالى ذلك إشارة إلى مصدر الفعل المذكور بعده ومحل كذلك فى الأصل النصب على أنه
مصدر تشبيهى أى نعمت لمصدر محذوف والتقدير سولت لى نفسى تسويلاً كأننى مثل ذلك التسويل فقدم
على الفعل لإفادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة لإفادة تأكيده ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة فصار
نفس المصدر المؤكد لا نعمتاً له أى ذلك التزيين البديع زينت لى نفسى ما فعلته لا تزييناً أدنى منه ولذلك فعلته
وحاصل جوابه أن ما فعله إنما صدر عنه بمحض اتباع هوى النفس الأمارة بالسوء وإغوائها لا بشيء آخر
من البرهان العقلى أو الإلهام الإلهى فعند ذلك (قال) عليه السلام (فاذهب) أى من بين الناس وقوله ٩٧
تعالى (فإن لك فى الحياة) الخ تعليل لموجب الأمر وفى متعلقة بالاستقرار فى لك أى ثابت لك فى الحياة أو
بمحذوف وقع حالا من الكاف والعامل معنى الاستقرار فى الظرف المذكور لاعتماده على ما هو مبتدأ
معنى لا بقوله تعالى (أن تقول لا ميساس) لمكان أن أى ثابت لك كأننى فى الحياة أى مدة حياتك أن تغارقهم
مفارقة كلية لكن لا بحسب الاختيار بل بحسب التكليف بل بحسب الاضطراب الملجئ إليها وذلك أنه تعالى
رماه ببدء عقاب لا يكاد يمس أحداً أو يمس أحداً كأننى من كان إلاهما من ساعته حى شديدة فتحامى الناس
وتحاموه وكان يصيح بأقصى طوقه لا ميساس وحرم عليهم ملاقاته ومواجهته ومكالمته ومبايعته وغيرها
بما يعتاد جريانه فيما بين الناس من المعاملات وصار بين الناس أوحش من القاتل اللاجئ إلى الحرم ومن
الوحش النافر فى البرية ويقال إن قومه باق فيهم تلك الحالة إلى اليوم وقرىء لا ميساس كفجار وهو
علم للسهة ولعل السر فى مقابلة جانيته بتلك العقوبة خاصة ما بينهما من مناسبة التضاد فإنه لما أنشأ الفتنة بما
كانت ملاسته سبباً لحياة الموات عوقب بما يضاده حيث جعلت ملاسته سبباً للحمى التى هى من أسباب
موت الأحياء (وإن لك موعداً) أى فى الآخرة (لن تخلفه) أى إن يخلفك الله ذلك الوعد بل ينجزه لك
البتة بعد ما عاقبك فى الدنيا وقرىء بكسر اللام والأظهر أنه من أخلفت الموعد أى وجدته خلفاً وقرىء

إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ طه ٢٠

كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ طه ٢٠

بالنون على حكاية قوله عز وجل (وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً) أى ظلت مقبياً على عبادته
فحذفت اللام الأولى تخفيفاً وقرىء بكسر الظاء بنقل حركة اللام إليها (لنحرقنه) جواب قسم محذوف
أى بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه من الإحراق وقيل بالمبرد على أنه مبالغة فى حرق إذا برد بالمبرد ويعضده
قراءة لنحرقنه (ثم لنسفنه) أى لنذرينه وقرىء بضم السين (فى اليم) رماداً أو مبروداً كأنه هباء (نسفاً)
بحيث لا يبقى منه عين ولا أثر ولقد فعل عليه السلام ذلك كله حينئذ كما يشهد به الأمر بالنظر وإنما لم يصرح
به تنديهاً على كمال ظهوره واستحالة الخلف في وعده المؤكد باليمين (إنما إلهكم الله) استئناف مسوق لتحقيق
الحق إثر إبطال الباطل بتلوين الخطاب وتوجيهه إلى الكل أى إنما معبودكم المستحق للعبادة الله (الذى
لا إله) فى الوجود لشيء من الأشياء (إلا هو) وحده من غير أن يشاركه شيء من الأشياء بوجه من
الوجوه التى من جملتها أحكام الألوهية وقرىء الله لا إله إلا هو الرحمن رب العرش وقوله تعالى (وسع
كل شيء علماً) أى وسع عليه كل ما من شأنه أن يعلم بدل من الصلة كأنه قيل إنما إلهكم الله الذى وسع كل
شيء علماً لا غيره كائناتاً ما كان فيدخل فيه المعجل دخولا أولاً وقرىء وسع بالتشديد فيكون انتصاب
علماً على المفعولية لأنه على القراءة الأولى فاعل حقيقة وبنقل الفعل إلى التعدي إلى المفعولين صار الفاعل
مفعولاً أول كأنه قيل وسع عليه كل شيء وبه تم حديث موسى عليه السلام المذكور لتقرير أمر التوحيد
حسبما نطقت به خاتمته وقوله تعالى (كذلك نقص عليك) كلام مستأنف خوطب به النبي ﷺ بطريق
الوعد الجليل بتنزيل أمثال ماسر من أنباء الأمم السالفة وذلك إشارة إلى اقتصاص حديث موسى عليه
السلام وما فيه من معنى البعد للإيدان بعلو رتبته وبعد منزلته فى الفضل ومحل الكاف النصب على أنه
نعت لمصدر مقدر أى نقص عليك (من أنباء ما قد سبق) من الحوادث الماضية الجارية على الأمم الحالية
قصاً مثل ذلك القص المار والتقديم للقصر المفيد لزيادة التعمين ومن فى قوله تعالى من أنباء فى حيز النصب
إما على أنه مفعول نقص باعتبار مضمونه وإما على أنه متعلق بمحذوف هو صفة المفعول كما فى قوله تعالى
ومنادون ذلك أى جمع دون ذلك والمعنى نقص عليك بعض أنباء ما قد سبق أو بعضاً كائناتاً من أنباء ما قد سبق
وقد مر تحقيقه فى تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول إلحواؤنا خير عن عليك لما مر رآ من الاعتناء بالمقدم
والتشويق إلى المؤخر أى مثل ذلك القص البديع الذى سمعته نقص عليك ما ذكر من الأنباء لا قصاً ناقصاً عنه
تبصرة لك وتوفيراً لعلمك وتكثيراً للمعجزاتك وتذكيراً للستبصرين من أمته (وقد آتيناك من لدنا ذكراً)
أى كتاباً منظوماً على هذه الأقسام والاختصار حقيقةً بالنفكر والاعتبار وكلية من متعلقة بآيتناك وتكثير
ذكر التفخيم وتأخير عن الجار والمجرور لما أن مرجع الإفادة فى الجملة كون المؤتى من لدنه تعالى ذكر أعظيماً
وقرأنا كريماً جامعاً لكل كمال لا كون ذلك المذكور مؤتى من لدنه عز وجل مع ما فيه من نوع طول بآبعده من

- مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ۖ (١٠٠) طه ٢٠
- خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ۖ (١٠١) طه ٢٠
- يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمِئِذٍ زُرْقًا ۖ (١٠٢) طه ٢٠
- يَخْخَفُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ۖ (١٠٣) طه ٢٠

- ١٠٠ الصفة فتقديمه يذهب برواق النظم الكريم (من أعرض عنه) عن ذلك الذكر العظيم الشأن المستنقع لسعادة الدارين وقيل عن الله عز وجل ومن إما شرطية أو موصولة وأياً ما كانت فالجمله صفة لذكر (فإنه) أى المعرض عنه (يحمل يوم القيامة وزراً) أى عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وسائر ذنوبه وتسميتها وزراً إما لتشبيهها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذى يفتح الحامل وينقض ظهره أو لأنها جزء الوزر وهو الإثم والأول هو الأنسب بما سيأتى من تسميتها حملاً وقوله تعالى (خالدين فيه) أى فى الوزر أو فى احتماله المستمر حال من المستكن فى يحمل والجمع بالنظر إلى معنى من لما أن الخلود فى النار بما يتحقق حال اجتماع أهلها كما أن الأفراد فيما سبق من الضمائر الثلاثة بالنظر إلى لفظها (وساء لهم يوم القيامة حملاً) أى بشئ لهم فقيه ضمير مبهم يفسره حملاً والمخصوص بالذم محذوف أى ساء حملاً وزرهم واللام للبيان كافي هيت لك كأنه لما قيل ساء قيل لمن يقال هذا فأجيب لهم وإعادة يوم القيامة لزيادة التقرير وتهويل الأمر (يوم ينفخ فى الصور) بدل من يوم القيامة أو منصوب بإضمار اذكر أو ظرف لمضمر قد حذف الإيذان
- ١٠١ بضيق العبارة عن حصره وبيانه حسبما مر فى تفسير قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقوله تعالى يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً وقرئ تنفخ بالنون على إسناد التنفخ إلى الأمر به تعظيماً له وبالياء المفتوحة على أن ضميره لله عز وجل أو لإسرافيل عليه السلام وإن لم يجر ذكره لشهرته (ونحشر المجرمين يومئذ) أى يوم إذ ينفخ فى الصور وذكره صريحاً مع تعين أن الحشر لا يكون إلا يومئذ للتهويل وقرئ ويحشر المجرمون (زرقة) أى حال كونهم زرق العيون وإنما جعلوا كذلك لأن الزرقة أسوأ ألوان العين وأبغضها إلى العرب فإن الروم الذين كانوا أعدى عدوم زرق ولذلك قالوا فى صفة العدو أسود الكبد وأصعب السبال وأزرق العين أو عمياً لأن حدقة الأعشى تزرق وقوله تعالى (يتخافتون بينهم) أى يخفون
- ١٠٢ أصواتهم ويخفونهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول استئناف ببيان ما يأتون وما يذرون حيث أكدوا حال أخرى من المجرمين أى يقول بعضهم لبعض بطريق المخافتة (إن لبثتم) أى ما لبثتم فى الدنيا (إلا عشرًا) أى عشر ليال استقصار لمدة لبثهم فيها لزوالها أو لاستطاعتهم مدة الآخرة أو لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وأيقنوا أنهم استحقوها على إضاعتها فى قضاء الأوطار واتباع الشهوات أو فى القبر وهو الأنسب بحالهم فإنهم حين يشاهدون البعث الذى كانوا ينكرونه فى الدنيا ويعدون من قبيل المحالات لا يتألمون من أن يقولوا ذلك اعترافه وتحقيقاً لسرعة وقوعه كأنهم قالوا قد بعثتم وما لبثتم فى القبر إلا مدة يسيرة

نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ٢٠ طه

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ١٠٥ طه

فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ١٠٦ طه

لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ١٠٧ طه

يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ١٠٨ طه

والإلخالم أقطع من أن تمسكنهم من الاشتغال بتذكر أيام النعمة والسرور واستقصاها والتأسف
 ١٠٤ عليها (نحن أعلم بما يقولون) وهو مدة لبثهم (إذ يقول أمثلهم طريقة) أى أعد لهم رأياً أو عملاً (إن
 لبثتم إلا يوماً) ونسبة هذا القول إلى أمثلهم استرجاع منه تعالى له لكن لا لكونه أقرب إلى الصدق بل
 ١٠٥ لكونه أدل على شدة الهول (ويسألونك عن الجبال) أى عن مآل أمرها وقد سأل عن رجل من ثقيف
 وقيل مشركو مكة على طريق الاستهزاء (فقل ينسفها ربي نسفاً) أى يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الريح
 ١٠٦ فتفرقها والفاء للسرعة إلى إلزام السائلين (فيذرها) الضمير إما للجبال باعتبار أجزائها السافلة الباقية
 بعد النسف وهى مقارها ومراكزها أى فيذر ما انبسط منها وسوى سطحه سطوح سائر أجزاء الأرض
 بعد نسف مائتاً منها ونشروا مال الأرض المدلول عليها بقرينة الحال لأنها الباقية بعد نسف الجبال وعلى
 التقديرين يذر الكل (قاعاً صفصفاً) لأن الجبال إذا سويت وجعل سطحها مساوياً لسطوح سائر أجزاء
 الأرض فقد جعل الكل سطحاً واحداً والقاع قيل السهل وقيل المنكشف من الأرض وقيل المستوى
 الصلب منها وقيل ما لا نبات فيه ولا بناء والصفصف الأرض المستوية الملساء كان أجزاءه صف واحد
 من كل جهة وانتصاب قاعاً على الحالية من الضمير المنسوب أو هو مفعول ثانٍ ليدر على تضمين معنى
 ١٠٧ التعبير وصفصفاً إما حال ثانية أو بدل من المفعول الثانى وقوله تعالى (لا ترى فيها) أى فى مقار الجبال
 أو فى الأرض على ما مر من التفصيل (عوجا) بكسر العين أى اعوجاجاً ما كأنه لغاية خفافته من قبيل ما فى
 المعانى أى لا تدركه إن تأملت بالمقاييس الهندسية (ولا أمتاً) أى تنوماً يسيراً استئناف مبين لكيفية
 ما سبق من القاع الصفصف أو حال أخرى أو صفة لقاعا والخطاب لكل أحد ممن تنأت منه الرؤية وتقديم
 الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مراراً من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر مع ما فيه
 ١٠٨ من طول ر بما يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم (يومئذ) أى يوم إذ نسفت الجبال على إضافة اليوم
 إلى وقت النسف وهو ظرف لقوله تعالى (يتبعون الداعى) وقيل بدل من يوم القيامة وليس بذاك
 أى يتبع الناس داعى الله عز وجل إلى المحشر وهو إسرافيل عليه السلام يدعو الناس عند النفخة الثانية
 قائماً على صخرة بيت المقدس ويقول أيتها العظام النخرة والأوصال المتفرقة واللحوم المنزقة قومى إلى

- يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ طه
يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ ۖ عَلَيْهِ ﴿١١٠﴾ طه
وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ طه
وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ طه

عرض الرحمن فيقبلون من كل أوب إلى صوبه (لا عوج له) لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه (وخشعت
الاصوات للرحمن) أي خضعت لهيبته (فلا تسمع إلا همساً) أي صوتاً خفياً ومنه الحميس لصوت
أخفاف الإبل وقد فسر الحميس بخفق أقدامهم ونقلها إلى المحشر (يومئذ) أي يوم إذيقع ملاك من الأمم و
الطائفة (لا تنفع الشفاعة) من الشفعاء أحداً (إلا من أذن الرحمن) أن يشفع له (ورضى له قولاً) أي
ورضى لأجله قول الشافع في شأنه أو رضى قوله لأجله في شأنه وأما من عداه فلا تكاد تنفعه وإن فرض
صدورها عن الشفعاء المتصددين للشفاعة للناس كقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين فلا استثناء كما ترى
من أعم المفاعيل وأما كونه استثناء من الشفاعة على معنى لا تنفع الشفاعة إلا شفاعة من أذن له الرحمن أن
يشفع لغيره كما جوزوه فلا سبيل إليه لما أن حكم الشفاعة من لم يؤذن له أن لا يملكها ولا تصدره عنه
أصلاً كما في قوله تعالى لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً وقوله تعالى ولا يعفون إلا
لمن ارضى فلا إخبار عنها بمجرد عدم نعمها للشفوع له ربما يوم إمكان صدورها عن من لم يؤذن له مع إخلاله
بمقتضى مقام تهويل اليوم وأما قوله تعالى ولا يقبل منها شفاعة فعناه عدم الإذن في الشفاعة لا عدم قبولها
بعد وقوعها (يعلم ما بين أيديهم) أي ما تقدمهم من الأحوال وقيل من أمر الدنيا (وما خلفهم) وما بعدهم
كما يستقبلونه وقيل من أمر الآخرة (ولا يحيطون به علماً) أي لا تحيط علومهم بمعلوماته تعالى وقيل
بذاته أي من حيث اتصافه بصفات الكمال التي من جعلتها العلم الشامل وقيل الضمير لأحد الموصولين أو
لمجموعها فإنهم لا يعلمون جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه (وعنت الوجوه للحى القيوم) أي ذلت
وخضعت خضوع العتاة أي الأسارى في يد الملك القهار ولعلمها وجوه المجرمين كقوله تعالى سبقت وجوه
الذين كفروا ويؤيده قوله تعالى (وقد خاب من حمل ظلماً) قال ابن عباس رضى الله عنهما خسر من أشرك
بالله ولم يقبوه هو استئناف لبيان ما لا جله عنت وجوههم أو اعتراض كأنه قيل خابوا وخسروا وقيل
حال من الوجوه ومن عبارة عنها مغنية عن ضميرها وقيل الوجوه على العموم فالمعنى حينئذ وقد خاب من
حمل منهم ظلماً فقوله تعالى (ومن يعمل من الصالحات) الخ قسم لقوله تعالى وقد خاب من حمل ظلماً لا
لقوله تعالى وعنت الوجوه الخ كما أنه كذلك على الوجه الأول أي ومن يعمل بعض الصالحات أو بعضاً من
الصالحات على أحد الوجهين المذكورين في تفسير قوله تعالى من أنباء ما قد سبق (وهو مؤمن) فإن الإيمان
شرط في صحة الطاعات وقبول الحسنات (فلا يخاف ظلماً) أي منع ثواب مستحق بموجب الوعد (ولا

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ
ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ طه ٢٠

فَتَعَلَّى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ
رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ طه ٢٠

وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ طه ٢٠

هضما) ولا كسراً منه ينقص أو لا يخاف جزاء ظلم وهضم إذ لم يصدر عنه ظلم ولا هضم حتى يخافهما
١١٣ وقرئ. فلا يخف على النهى (وكذلك) عطف على كذلك نقص وذلك إشارة إلى إنزال ما سبق من الآيات
المتضمنة للوعد للنبوة عما سيقع من أحوال القيامة وأحوالها أى مثل ذلك الإنزال (أنزلناه) أى القرآن
كله وإضماره من غير سبق ذكره للإيذان بنباهة شأنه وكونه مركزاً في العقول حاضراً في الأذهان
(قرآنًا عربياً) ليفهمه العرب ويفقوا على ما فيه من النظم المعجز الدال على كونه خارجاً عن طوق البشر
نارلاً من عند خلاق القوى والقدر (وصرفنا فيه من الوعيد) أى كررنا فيه بعض الوعيد أو بعضاً من
الوعد حسبما أشير إليه آنفاً (لعلهم يتقون) أى كي يتقوا الكفر والمعاصي بالفعل (أو يحدث لهم ذكراً)
١١٤ اتعاضاً واعتباراً مؤدياً بالآخرة إلى الاتقاء (فتعالى الله) استعظام له تعالى ولشؤنه التى يصرف عليها
عباده من الأوامر والنواهي والوعود والوعيد وغير ذلك أى ارتفع بذاته وتنزه عن مائلة المخلوقين في ذاته
وصفاته وأفعاله وأحواله (الملك) النافذ أمره ونهيه الحقيقي بأن يرجى وعده ويخشى وعيده (الحق) في
ملكوته والوحيته لذاته أو الثابت في ذاته وصفاته (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك) أى يتم
(وحيه) كان رسول الله ﷺ إذا أتى إليه جبريل عليهما السلام الوحي يتبعه عند تلفظ كل حرف وكل
كلمة لكمال اعتناؤه بالتلقى والحفظ فنهى عن ذلك إثر ذكر الإنزال بطريق الاستطراد لما أن استقرار
الالفاظ في الأذهان تابع لاستقرار معانيها فيها وربما يشغل التلفظ بكلمة عن سماع ما بعدها وأمر باستفاضة
العلم واستزادته منه تعالى فقليل (وقل) أى في نفسك (رب زدني علماً) أى سل الله عز وجل زيادة العلم
فإنه الموصل إلى طلبتك دون الاستعجال وقيل أنه نهى عن تبليغ ما كان بمحلا قبل أن يأتي بيانه وليس بذلك
١١٥ فإن تبليغ المجمل وتلاوته قبل البيان مما لا ريب في صحته ومشروعيته (ولقد عهدنا إلى آدم) كلام مستأنف
مسوق لتقرير ما سبق من تشریف الوعيد في القرآن وبيان أن أساس بني آدم على العصيان وعرقه راسخ
في النسيان مع ما فيه من إنجاز الموعد في قوله تعالى كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق يقال عهد إليه
الملك وعزم عليه وتقديم إليه إذا أمره ووصاه والمعهود محذوف يدل عليه ما بعده واللام جواب قسم
محذوف أى وأقسم أو وبالله أو والله لقد أمرناه ووصيناه (من قبل) أى من قبل هذا الزمان (فنسى) أى
العهد ولم يعن به حتى غفل عنه أو تركه ترك المنسى عنه وقرئ. فنى أى نساها الشيطان (ولم نجد له عزماً)

- وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١١٦﴾ طه ٢٠
- فَقُلْنَا يَتَدَبَّرُونَ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾ طه ٢٠
- إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ طه ٢٠
- وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١١٩﴾ طه ٢٠

تصميم رأى وثبات قدم في الأمور إذ لو كان كذلك لما أزاله الشيطان ولما استطاع أن يفتره وقد كان ذلك منه عليه السلام في بدء أمره من قبل أن يجرب الأمور ويتولى حارها وقارها ويدوق شربها وأريها عن النبي ﷺ لو وزنت أحلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزماً وقيل له عزماً على الذنب فإنه أخطأ ولم يتعمد وقوله تعالى ولم نجد إن كان من الوجود العلمي فله عزماً مفعولاه قدم الثاني على الأول لكونه ظرفاً وإن كان من الوجود المقابل للعدم وهو الأنسب لأن مصب الفائدة هو المفعول وليس في الإخبار بكون العزم المعلوم له مزيد مزية فله متعلق به قدم على مفعوله لما مر مراراً من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر أو بمحذوف هو حال من مفعوله المنكر كأنه قيل ولم نصادف له عزماً وقوله تعالى (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) شروع في بيان المعهود وكيفية ظهور نسيانه وفقدان عزمه وإذ ١١٦ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي ﷺ أي واذكر وقت قولنا لهم وتعليق الذكر بالوقت مع أن المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث لما مر مراراً من المبالغة في إيجاب ذكرها فإن الوقت مشتمل على تفاصيل الأمور الواقعة فيه فالأمر بذكره أمر بذكر تفاصيل ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولأن الوقت مشتمل على أعيان الحوادث فإذا ذكر صارت الحوادث كأنها موجودة في ذهن المخاطب بوجوداتها العينية أي اذكر ما وقع في ذلك الوقت منا ومنه حتى يتبين لك نسيانه وفقدان عزمه (فسجدوا إلا إبليس) قد سبق الكلام فيه مراراً (أبى) جملة مستأنفة وقعت جواباً عن سؤال نشأ عن الإخبار بعدم سجوده كأنه قيل ما باله لم يسجد فقيل أبى واستكبر ومفعول أبى إما محذوف أي أبى السجود كما قوله تعالى أبي أن يكون مع الساجدين أو غير منوى رأساً بتنزيله منزلة اللازم أي فعل الإباء وأظهره (فقلنا) عقيب ١١٧ ذلك اعتناء بنصحه (يا آدم إن هذا) الذي رأيت ما فعل (عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما) أي لا يكون سبباً لإخراجكما (من الجنة) والمراد نهيهما عن أن يكونا بحيث يتسبب الشيطان إلى إخراجهما منها بالطريق البرهاني كما في قولك لا أرينك هنا والفاء لترتيب موجب النهي على عداوته لهما أو على الإخبار بها (فتشقى) جواب للنهي وإسناد الشقاء إليه خاصة بعد تعليق الإخراج الموجب لهما معاً لاصالته في الأمور واستلزام شقائه لشقائهما مع ما فيه من مراعاة الفواصل وقيل المراد بالشقاء التعب في تحصيل مبادئ المعاش وذلك من وظائف الرجال (إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى) (وأنت لا تظمأ فيها ١١٨ ١١٩ ولا تصحى) تعليل لما يوجهه النهي فإن اجتماع أسباب الراحة فيها بما يوجب المبالغة في الاهتمام بتحصيل

مبادئ البقاء فيها والجد في الانتهاء مما يؤدي إلى الخروج عنها والعدول عن التصريح بأن له عليه السلام فيها تنعماً بفنون النعم من المآكل والمشارب وتمتعاً بأصناف الملابس البهية والمساكن المرضية مع أن فيه من الترغيب في البقاء فيها ما لا يخفى إلى ما ذكر من نفي نقائصها التي هي الجوع والعطش والعري والضحى لتذكير تلك الأمور المنكرة والتنبيه على ما فيها من أنواع الشقوة التي حذر عنها ليل بالغ في التحامى عن السبب المؤدى إليها على أن الترغيب قد حصل بما سوغ له من التمتع بجميع ما فيها سوى ما استثنى من الشجرة حسبما نطق به قوله تعالى ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما وقد طوى ذكره ههنا اكتفاء بما ذكر في موضع آخر واقتصر على ما ذكر من الترغيب المتضمن للترهيب ومعنى أن لا تجوع فيها الخ أن لا يصيبه شيء من الأمور الأربعة أصلاً فإن الشبع والعري والكسوة والكن قد تحصل بعد عروض أضدادها بإعواز الطعام والشراب والملابس والمسكن وليس الأمر فيها كذلك بل كل ما وقع فيها شهوة وميل إلى شيء من الأمور المذكورة تمتع به من غير أن يصل إلى حد الضرورة ووجه إفراده عليه السلام بما ذكر مأمراً آنفاً وفصل الظماً عن الجوع في الذكر مع تجانسهما وتقارنهما في الذكر عادة وكذا حال العري والضحى المتجانسين لتوفية مقام الامتنان حقه بالإشارة إلى أن نفي كل واحد من تلك الأمور نعمة على حيالها ولو جمع بين الجوع والظماً لربما توم أن نفيهما نعمة واحدة وكذا الحال في الجمع بين العري والضحى على منهاج قصة البقرة ولزيادة التقرير بالتنبيه على أن نفي كل واحد من الأمور المذكورة مقصودة بالذات مذكور بالإصالة لا أن نفي بعضها مذكور بطريق الاستطراد والتبعية لنفي بعض آخر كما عسى يتوهم لو جمع بين كل من المتجانسين وقرىء إنك بالكسر والجمهور على الفتح بالمعطف على أن لا تجوع ومحة وقوع الجملة المصدرة بأن المفتوحة اسماً للكسورة المشاركة لها في إقادة التحقيق مع امتناع وقوعها خبراً لها لما أن المحذور اجتماع حرفي التحقيق في مادة واحدة لا اجتماع فيهما نحن فيه لا اختلاف مناط التحقيق فيما في حينهما بخلاف ما لو وقعت خبراً لها فإن اتحاد المناط حينئذ مما لا ريب فيه بيانه أن كل واحدة من المكسورة والمفتوحة موضوعاً لتحقيق مضمون الجملة الخبرية المنعقدة من اسمها وخبرها ولا يخفى أن مرجع خبريتها ما فيها من الحكم الإيجابي أو السلبي وأن مناط ذلك الحكم خبرها لا اسمها فدل كل منهما تحقيق ثبوت خبرها لاسمها لا ثبوت اسمها في نفسه فاللازم من وقوع الجملة المصدرة بالمفتوحة اسماً للكسورة تحقيق ثبوت خبرها لتلك الجملة المؤولة بالمصدر وأما تحقيق ثبوتها في نفسها فهو مدلول المفتوحة حتماً فلم يلزم اجتماع حرفي التحقيق في مادة واحدة قطعاً وإنما لم يجوزوا أن يقال إن أن زيدا قائم حق مع اختلاف المناط بل شرطوا الفصل بالخبر كقولنا إن عندى أن زيدا قائم للتجافي عن صورة الاجتماع والواو العاطفة وإن كانت نائمة عن المكسورة التي يتمتع دخولها على المفتوحة بلا فصل وقائمة مقامها في إفضاء معناها وإجراء أحكامها على مدخولها لاسكنها حيث لم تكن حرفاً موضوعاً للتحقيق لم يلزم من دخولها على المفتوحة اجتماع حرفي التحقيق أصلاً فالمعنى إن لك عدم الجوع وعدم العري وعدم الظم خلا أنه لم يقتصر على بيان أن الثابت له عليه السلام عدم الظم والضحى مطلقاً كما فعل مثله في المعطوف عليه بل قصد بيان أن الثابت له عليه السلام تحقيق عدمهما فوضع موضع الحرف المصدرى

فَوَسَّسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَقَدَّمُ هَلْ أَذُوكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكُ لَّا يَبْلَى ﴿١٢٠﴾ طه ٣٠

فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهَا سَوْءُ نَفْسِهَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ

فَقَوَى ﴿١٢١﴾ طه ٢٠

ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٢٢﴾ طه ٢٠

قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَلَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا

يُضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ طه ٢٠

- المحض أن المفيدة له كانه قيل إن لك فيها عدم ظمئك على التحقيق (فوسوس إليه الشيطان) أى أنهى إليه ١٢٠ وسوسته أو أسرها إليه (قال) إما بدل من وسوس أو استئناف وقع جواباً عن سؤاله نشأ منه كانه قيل فماذا قال فى وسوسته فقيل قال (يا آدم هل أذكك على شجرة الخلد) أى شجرة من أكل منها خلد ولم يمت أصلاً سواء كان على حاله أو بأن يكون ملكاً لقوله تعالى إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين (وملك لا يبلى) أى لا يزول ولا يختل بوجه من الوجوه (فأكلا منها فبدت لهما سوءا لهما) قال ابن عباس ١٢١ رضى الله عنهما عرياً عن النور الذى كان الله تعالى ألبسهما حتى بدت فروجهما (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) قد مر تفسيره فى سورة الأعراف (وعصى آدم ربه) بما ذكر من أكل الشجرة (فقوى) ضل عن مطلوبه الذى هو الخلود أو عن المأمور به أو عن الرشد حيث أغر بقول العدو وقرىء تقوى من غوى الفصيل إذا اتخم من اللبن وفى وصفه عليه السلام بالعصيان والقواية مع صغرزته تعظيم لها وزجر بليغ لأولاده عن أمثالها (ثم اجتباها ربه) أى اصطفاها وقربه إليه بالحمل على التوبة والتوفيق طه ١٢٢ من اجتنى الشئ بمعنى جباها لنفسه أى جمعه كقولك اجتمعته أو من جنى إلى كذا فاجتنيته مثل جليت على العروس فاجتليتها وأصل الكلمة الجمع وفى التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام مزيد تشريف له عليه السلام (فتاب عليه) أى قبل توبته حين تاب هو وزوجته قائلين ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وإفراده عليه السلام بالاجتناء وقبول التوبة قد مروجه (وهدى) أى إلى الثبات على التوبة والتمسك بأسباب العصمة (قال) استئناف مبنى على سؤال تشأ من ١٢٣ الإخبار بأنه تعالى قبل توبته وهداها كانه قيل فماذا أمره تعالى بعد ذلك فقيل قال له ولزوجته (اهبطا منها جميعاً) أى انزلا من الجنة إلى الأرض وقوله تعالى (بعضكم لبعض عدو) حال من ضمير المخاطب فى اهبطا والجمع لما أنهما أصل الذرية ومنشأ الأولاد أى متعادين فى أمر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب (فإما يأتينكم مني هدى) من كتاب ورسول (فمن اتبع هداي) وضع الظاهر موضع المضمر مع الإضافة إلى ضميره تعالى لتشريفه والمبالغة فى إيجاب اتباعه (فلا يضل) فى الدنيا (ولا يشقى) فى الآخرة

وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ٢٠ طه

قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ٢١ طه

قَالَ كَذَلِكَ أَنتُكَ ءَايَتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ٢٢ طه

وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ٢٣ طه

أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي

النُّهَى ٢٤ طه

- ١٢٤ (ومن أعرض عن ذكرى) أى عن الهدى الذى ذكر لى والداعى إلى (فإن له) فى الدنيا (معيشة ضنكا) ضيقاً مصدراً وصف به ولذلك يستوى فيه المذكر والمؤنث وقرىء ضنكى كسكرى وذلك لأن جماع مرتبه ومطامح نظره مقصورة على أعراض الدنيا وهو متهاك على ازديادها وخائف من انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع أنه قد يضيق الله بشؤم الكفر ويوسع ببركة الإيمان كما قال تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وقال تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض وقوله تعالى ولو أن أهل الكتاب آمنوا إلى قوله تعالى لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقيل هو الضريع والزقوم فى النار وقيل عذاب القبر (ونحشره) وقرىء بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفاً على محل فإن له معيشة ضنكا لأنه جواب الشرط (يوم القيامة أعمى) فاقد البصر كما فى قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم صيباً وبكاء وصلاً أعمى عن الحجة كما قيل (قال) استئناف كما مر (رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً) أى فى الدنيا وقرىء أعمى بالإمالة فى الموضعين وفى الأول فقط لكونه جديراً بالتغيير لكونه رأس الآية ومحل الوقف (قال كذلك) أى مثل ذلك فعلت أنت ثم فسره بقوله تعالى (أنتك آياتنا) واضحة نيرة بحيث لا تخفى على أحد (فنسيها) أى عميت عنها وتركها ترك المنسى الذى لا يذكر أصلاً (وكذلك) ومثل ذلك النسيان الذى كنت فعلته فى الدنيا (اليوم تنسى) ترك فى العمى والعذاب جزاء وفاك لكن لا أبداً كما قيل بل إلى ما شاء الله ثم يزيله عنه فيرى أهوال القيامة ويشاهد مقعده من النار ويكون ذلك له عذاباً فوق العذاب وكذا البكم والصمم يزيلهما الله تعالى عنهم ١٢٥ أسمعهم وأبصرهم يأتوننا (وكذلك) أى مثل ذلك الجزاء الموافق للجناية (نجزى من أسرف) بالانهماك فى الشهوات (ولم يؤمن بآيات ربه) بل كذبها وأعرض عنها (ولعذاب الآخرة) على الإطلاق أو ١٢٨ عذاب النار (أشد وأبقى) أى من ضنك العيش أو منه ومن الحشر على العمى (أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون) كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من قوله تعالى وكذلك نجزي الآية والحمدزة للإنكار التوبيخى والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام واستعمال الهداية باللام إلام التزيلها منزلة اللام فلا حاجة

وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ ط ٢٠

إلى المفعول أو لأنها بمعنى التبيين والمفعول محذوف وأياً ما كان فالفاعل هو الجملة بمضمونها ومعناها وضمير لهم للشركين المعاصرين لرسول الله ﷺ والمعنى أغفلوا فلم يفعل الهداية لهم أو فلم يبين لهم مآل أمرهم كثرة أهلاكنا للقرون الأولى وقد مر في قوله عز وجل أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها الآية وقيل الفاعل الضمير العائد إلى الله عز وجل ويؤيده القراءة بنون العظمة وقوله تعالى كم أهلكنا الخ إما معلق للفاعل ساد مسد مفعوله أو مفسر لمفعوله المحذوف هكذا قيل والأوجه أن لا يلاحظ له مفعول كأنه قيل أفلم يفعل الله تعالى لهم الهداية ثم قيل بطريق الالتفات كم أهلكنا الخ بياناً لتلك الهداية ومن القرون في محل النصب على أنه وصف لميز كم أى كم قرنا كأننا من القرون وقوله تعالى (يمشون في مساكنهم) حال من القرون أو من مفعول أهلكنا أى أهلكناهم وهم في حال أمن وتقلب في ديارهم أو من الضمير في لهم مؤكداً للإنكار والعامل يهد والمعنى أفلم يهد لهم إهلاكنا للقرون السالفة من أصحاب الحجر وثمود وقرينات قوم لوط حال كونهم ماشين في مساكنهم إذا سافروا إلى الشام مشاهدين لأنار هلاكهم مع أن ذلك مما يوجب أن يهتدوا إلى الحق فيعتبروا بالتلاجل بهم مثل ما حل بأولئك وقرى يمشون على البناء للمفعول أى يمكنون من المشى (إن في ذلك) تعليل للإنكار وتقرير للهداية مع عدم اهتدائهم وذلك إشارة إلى مضمون قوله تعالى كم أهلكنا الخ وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعد منزلته وعلو شأنه في باب (آيات) كثيرة عظيمة واضحات الهداية ظاهرات الدلالة على الحق فإذن هو هادو أيما هادو يجوز أن تكون كلفة في تجريدية فافهم (لأولى النهى) لذوى العقول الناهية عن القبايح التى من أقبحها ما يتعاطاه كفار مكة من الكفر بآيات الله تعالى والتعاضى عنها وغير ذلك من فنون المعاصى وفيه دلالة على أن مضمون الجملة هو الفاعل لا المفعول وقوله تعالى (ولولا كلمة سبقت من ربك) كلام مستأنف سبق لبيان حكمة عدم وقوع ١٢٩ ما يشعر به قوله تعالى أفلم يهد لهم الآية من أن يصيبهم مثل ما أصاب القرون المهلكة أى ولولا الكلمة السابقة وهى العدة بتأخير عذاب هذه الأمة إلى الآخرة لحكمة تقتضيه ومصلحة تستدعيه (لكان) عقاب جنائياتهم (لزماً) أى لازماً لهؤلاء الكفرة بحيث لا يتأخر عن جنائياتهم ساعة لزوم ما نزل بأولئك الغابرين وفى التعريض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام تلويح بأن ذلك التأخير لتشريفه عليه السلام كما ينبى عنه قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم والزام إمام صدر لازم وصف به مبالغة وإما فاعل بمعنى فاعل جعل آلة اللزوم لفرض لزومه كما يقال لزاز خصم (وأجل مسمى) عطف على كلمة أى ولولا أجل مسمى لأنهم هم أو لعذابهم وهو يوم القيامة ويوم بدر لما تأخر عذابهم أصلاً وفصله عما عطف عليه للسارعة إلى بيان جواب لولا والإشمار باستقلال كل منهما بنفى لزوم العذاب ومراعاة فواصل الآية الكريمة وقد جوز عطفه على المستكن فى كان العائد إلى الأخذ بالاجل المفهوم من السياق تنزيلاً للفصل بالخبر منزلة التأكيدي لكان الأخذ العاجل وأجل مسمى لازم من لهم كدأب عاد وثمود

فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴿١٣٠﴾

طه ٢٠

وَلَا تَحْزَنْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾

طه ٢٠

١٣٠. وأضرابهم ولم ينفرد الأجل المسمى دون الأخذ العاجل (فاصبر على ما يقولون) أى إذا كان الأمر على ما ذكر من أن تأخير عذابهم ليس بإهمال بل إهمال وأنه لازم لهم البتة فاصبر على ما يقولون من كلمات الكفر فإن عليه عليه السلام بأنهم معذبون لأعمالهم بما يسليه ويحمله على الصبر (وسبح) ملتبداً (بحمد ربك) أى صل وأنت حامد لربك الذى يبلغك إلى كمالك على هدايته وتوفيقه أو نزهه تعالى عما ينسبونه إليه مما لا يليق بشأنه الرفيع حامداً له على ما ميزك بالهدى معترفاً بأنه مولى النعم كلها والاول هو الاظهر المناسب لقوله تعالى (قبل طلوع الشمس) الخ فإن توقيت التنزيه غير معهود فالمراد صلاة الفجر (وقبل غروبها) يعنى صلاة الظهر والعصر لأنهما قبل غروبها بعد زوالها وجمعها لمناسبة قوله تعالى قبل طلوع الشمس وقبل صلاة العصر (ومن آناء الليل) أى من ساعاته جمع لى بالكسر والقصر وأناء بالفتح والمد (فسبح) أى فصل والمراد به المغرب والعشاء وتقديم الوقت فيهما لاختصاصهما بمزيد الفضل فإن القلب فيهما أجمع والنفس إلى الاستراحة أميل فتكون العبادة فيهما أشق ولذلك قال تعالى إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قبلاً (وأطراف النهار) تكرير لصلاة الفجر والمغرب إيذاناً باختصاصهما بمزيد منزلة وجميته بلفظ الجمع لأن الإلباس كقول من قال ظهر إمام مثل ظهور الترسين أو أمر بصلاة الظهر فإنه نهاية النصف الأول من النهار وبداية النصف الأخير وجمعه باعتبار النصفين أو لأن النهار جنس أو أمر بالتطوع في أجزاء النهار (لعلك ترضى) متعلق به يبع أى سبّح فى هذه الأوقات رجاء أن تنال عنده تعالى ما ترضى به نفسك وقرىء ترضى على صيغة البناء للمفعول من أَرْضَى أى يرضيك ربك (ولا تمدن عينيك) أى لا تطل نظرهما بطريق الرغبة والميل (إلى ما متعنا به) من زخارف الدنيا وقوله تعالى (أزواجاً منهم) أى أصنافاً من الكفرة مفعول متعنا قدم عليه الجار والمجرور للاعتناء به أو هو حال من الضمير والمفعول منهم أى إلى الذى متعنا به وهو أصناف وأنواع بعضهم على أنه معنى من التبعية أى بعضاً منهم على حذف الموصوف كما مراراً (زهرة الحياة الدنيا) منصوب بمحذوف يدل عليه متعنا أى أعطينا أو به على تضمين معناه أو بالبديلية من محل به أو من أزواجاً بتقدير مضاف أو بدونه أو بالذم وهى الزينة والبهجة وقرىء زهرة بفتح الهاء وهى لغة كالجهرة فى الجهرة أو جمع زاهر ووصف لهم بأنهم زاهر والدنيا للتنعمهم وبهاهم زيم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد (لنفتنهم فيه) متعلق بمتعنا جىء به للتنفير عنه ببيان سوء عاقبته ما لا إثر لإظهار بهجته حالاً أى لتعاملهم معاملة من يتلهم ويختبرهم فيه أو لتعذبهم فى الآخرة بسببه (ورزق ربك) أى ما دخر لك فى الآخرة أو ما رزقك فى الدنيا من النبوة والهدى (خير) مما منحهم فى الدنيا لأنه مع كونه

وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴿١٣٢﴾ طه

وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ ؎ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٣٣﴾ طه

وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَحْزَى ﴿١٣٤﴾ طه

في نفسه أجل ما يتنافس فيه المتنافسون ما مون الغائلة بخلاف ما منحوه (وَأَبْقَى) فإنه لا يكاد ينقطع نفسه أو أثره أبداً كما عليه زهرة الدنيا (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ) أمر ﷺ بأن يأمر أهل بيته أو التابعين له من أمته بالصلاة بعد ما أمر هو بها ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولا يهتموا بأمر المعيشة ولا يلتفتوا لفت أرباب الثروة (وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) وثابر عليها غير مشتغل بأمر المعاش (لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا) أي لا تكلفك أن ترزق نفسك ولا أهلك (نَحْنُ نَرْزُقُكَ) وإياهم فقرغ بالك بأمر الآخرة (وَالْعَاقِبَةُ) الحميدة (لِلتَّقْوَى) أي لأهل التقوى على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه تنبيهاً على أن ملك الأمر هو التقوى روى أنه ﷺ كان إذا أصاب أهله ضرر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية (وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ) ١٣٢ حكاية لبعض أقاويلهم الباطلة التي أمر ﷺ بالصبر عليها أي هلا يأتينا بآية تدل على صدقه في دعوى النبوة أو آية مما اقترحوها بلغوا من المكابرة والعناد إلى حيث لم يعدوا ما شاهدوا من المعجزات التي تخر لها صم الجبال من قبيل الآيات حتى اجتمعوا على النفور بهذه العظيمة الشنعاء وقوله تعالى (أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى) أي التوراة والإنجيل وسائر الكتب السماوية رد من جهته عز وجل لمقاتلتهم القبيحة وتكذيبهم لدسوا تحتها من إنكار إتيان الآية بإتيان القرآن الكريم الذي هو أم الآيات وأس المعجزات وأعظمها فيما أبقاها لأن حقيقة المعجزة اختصاص مدعى النبوة بنوع من الأمور الخارقة للعادات أي أمر كان ولا ريب في أن العلم أجل الأمور وأعلاها إذ هو أصل الأعمال ومبدأ الأفعال ولقد ظهر مع حيازته لجميع علوم الأولين والآخرين على يد أمي لم يمارس شيئاً من العلوم ولم يدرس أحداً من أهلها أصلاً فأي معجزة تراد بعد وروده وأي آية ترام مع وجوده وفي إرادته بعنوان كونه بينة لما في الصحف الأولى من التوراة والإنجيل وسائر الكتب السماوية أي شاهداً بحقيقة ما فيها من العقائد الحقة وأصول الأحكام التي أجمعت عليها كافة الرسل وبصحة ما تنطق به من أنباء الأمم من حيث إنه غنى بإعجازه عما يشهد بحقيقته حقيق بإثبات حقيقة غيره مالا يخفى من تنويه شأنه وإثارة برهانه ومزيد تقرير وتحقيق لإتيانه وإسناد الإتيان إليه مع جعلهم إياه ما تيا به للتنبيه على أصالته فيه مع ما فيه من المناسبة للبيئة والهمزة لإنكار الوقوع والواو للمعطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل ألم تأتاهم سائر الآيات ولم تأتاهم خاصة بينة ما في الصحف الأولى تقرير لإتيانه وإيداناً بأنه من الواضح بحيث لا يتأتى منهم إنكاره أصلاً وإن اجتمعوا على إنكار سائر الآيات مكابرة وعناد وقرئ أولم تأتاهم بالياء التحنانية وقرئ الصحف بالسكون تخفيفاً وقوله تعالى (ولو أنا

قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبِّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴿١٣٥﴾ طه ٢٠

أهلكنا بعذاب (إلى آخر الآية جملة مستأنفة سبقت لتقرير ما قبلها من كون القرآن آية بينة لا يمكن إنكارها ببيان أنهم يعترفون بها يوم القيامة والمعنى لو أنا أهلكناهم في الدنيا بعذاب مستأصل (من قبله) متعلق بأهلكنا أو بمحذوف هو صفة لعذاب أى بعذاب كائن من قبل إتيان البينة أو من قبل محمد ﷺ (لقالوا) أى يوم القيامة (ربنا لولا أرسلت إلينا) في الدنيا (رسولا) مع كتاب (فتتبع آياتك) التى جاءنا بها (من قبل أن نذل) بالعذاب في الدنيا (ونخزي) بدخول النار اليوم ولكننا لم نهلكهم قبل إتيانها ١٣٥ فانقطعت معذرتهم فعند ذلك قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا مازل الله من شيء (قل) لا ولكم الكفرة المتبردين (كل) أى كل واحد منا ومنكم (متربص) منتظر لما يؤول إليه أمرنا وأمركم (فتربصوا) وقرىء فتمتعوا (فستعلمون) عن قريب (من أصحاب الصراط السوى) أى المستقيم وقرىء السواء أى الوسط الجيد وقرىء السوء والسوءى والسوى تصغير السوء (ومن اهتدى) من الضلالة ومن فى الموضعين استفهامية محملا الرفع بالابتداء خبرها ما بعدها والجملة سادة مسددة مفعولى العلم أو مفعوله ويجوز كون الثانية موصولة بخلاف الأولى لعدم العائد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلقة عنها الفعل على أن العلم بمعنى المعرفة أو على أصحاب أو على الصراط وقيل العائد فى الأولى محذوف والتقدير من هم أصحاب الصراط . عن رسول الله ﷺ من قرأ سورة طه أعطى يوم القيامة ثواب المهاجرين والأنصار وقال لا يقرأ أهل الجنة من القرآن إلا سورة طه ويس .

٢١ - سورة الأنبياء

(مكية وآياتها مائة واثنان عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢١ الأنبياء

أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾

(سورة الأنبياء مكية وآياتها مائة واثنان عشرة آية)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (اقرب للناس حسابهم) مناسبة هذه الفاتحة الكريمة لما قبلها من الحاتمة الشريفة غنية عن البيان قال ابن عباس رضى الله عنهما المراد بالناس المشركون وهو الذى يفصح عنه ما بعده والمراد باقتراب حسابهم اقترابه فى ضمن اقتراب الساعة وإسناد الاقتراب إليه لا إلى الساعة مع استبعادها له ولسائر ما فيها من الأحوال والأحوال الفظيعة لانسياق الكلام إلى بيان غفلتهم عنه وإعراضهم عما يذكرهم ذلك واللام متعلقة بالفعل وتقديمها على الفاعل للسارعة إلى إدخال الروعة فإن نسبة الاقتراب إليهم من أول الأمر مما يسوقهم ويورثهم رهبة وانزعاجا من المقرب كما أن تقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح فى قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الأرض لتعجيل المسرة لما أن بيان كون الخلق لأجل المخاطبين مما يسرهم ويزيدهم رغبة فيما خلق لهم وشوقا إليه وجعلها تأكيداً للإضافة على أن الأصل المتعارف فيما بين الأوساط اقتراب حساب الناس ثم اقتراب للناس الحساب ثم اقتراب للناس حسابهم مع أنه تعسف تام بمعزل عما يقتضيه المقام وإنما الذى يستدعيه حسن النظام ما قدمناه والمعنى دنا منهم حساب أعمالهم السيئة الموجبة للعقاب وفى إسناد الاقتراب النبىء عن التوجه نحوهم إلى الحساب مع إمكان العكس بأن يعتبر التوجه والإقبال من جهتهم نحوه من تفخيم شأنه وتحويل أمره مالا يخفى لما فيه من تصويره بصورة شئ مقبل عليهم لا يزال يطالبهم ويصليهم لاحتالة ومعنى اقترابه لهم تقاربه ودنوه منهم بعد بعده عنهم فإنه فى كل ساعة من ساعات الزمان أقرب إليهم منه فى الساعة السابقة هذا وأما الاعتذار بأن قربه بالإضافة إلى ماضى من الزمان أو بالنسبة إلى الله عز وجل أو باعتبار أن كل آت قريب فلا تعلق له بما نحن فيه من الاقتراب المستفاد من صيغة الماضى ولا حاجة إليه فى تحقيق أصل معناه نعم قد يفهم منه عرفاً كونه قريباً فى نفسه أيضاً فيصار حينئذ إلى التوجيه بالوجه الأول دون الأخيرين أما الثانى فلا سبيل إلى اعتباره ههنا لأن قربه بالنسبة إليه تعالى مما لا يتصور فيه التجدد والتفاوت حتماً وإنما اعتباره فى قوله تعالى لعل الساعة قريب وظاهره مما لا دلالة فيه على الحدوث وأما الثالث فلا دلالة فيه على القرب حقيقة ولو بالنسبة إلى شئ آخر (وهم فى غفلة) أى فى غفلة تامة منه ساهون عنه بالمرّة لا أنهم غير مباليين به مع اعترافهم بإتيانه بل منكرون له كافرون به مع اقتضاء عقولهم أن الأعمال لا بد لها من الجزاء (معرضون) أى عن الآيات والنذر المنبهة لهم عن سنة الغفلة وهما خبران للضمير وحيث كانت

مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا أَاسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢١﴾
 لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ
 تَبْصُرُونَ ﴿٢٢﴾
 ٢١ الأَنْبِيَاءُ ٢٢ الأَنْبِيَاءُ

٢ الغفلة أمراً جليلاً لهم جعل الخبر الأول ظرفاً منبثقاً عن الاستقرار بخلاف الإعراض والجملة حال من الناس وقد جرد كون الظرف حالاً من المستكن في معروضون (ما يأتهم من ذكر) من طائفة نازلة من القرآن تذكروا ذلك أكل تذكير وتنبههم عن الغفلة أنهم تفتيه كأنها نفس الذكر ومن في قوله تعالى (من ربهم) لا ابتداء الغاية مجازاً متعلقة بآياتهم أو بمحذوف هو صفة لذكر وأياً ما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه وبكال شناعة ما فعلوا به والتعرض لعنوان الربوبية لتشديد التشنيع (محدث) بالجر صفة لذكر وقرئ بالرفع حملاً على محله أى محدث تنزيهه بحسب اقتضاء الحكمة وقوله تعالى (إلا استمعوه) استثناء مفرغ محله النصب على أنه حال من مفعول يأتهم بإضمار قد أو بدونه على الخلاف المشهور وقوله تعالى (وم يلعبون) حال من فاعل استمعوه وقوله تعالى (لاهيته قلوبهم) إما حال أخرى منه أو من واو يلعبون والمعنى ما يأتهم ذكر من ربهم محدث في حال من الأحوال (إلا حال استماعهم إياه لا عين مستهزئين به لا عين عنه أو لا عين به حال كون قلوبهم لاهية عنه لتناهي غفلتهم وفرط إعراضهم عن النظر في الأمور والتفكير في المواقف وقرئ لاهية بالرفع على أنه خبر بعد خبر (وأسروا النجوى) كلام مستأنف مسوق لبيان جناياتهم خاصة إثر حكاية جناياتهم المعتادة والنجوى اسم من التناجى ومعنى إسرارها مع أنها لا تكون إلا سرا أنهم بالغوا في إخفاتهم وأسروا نفس التناجى بحيث لم يشعر أحد بانهم متناجون وقوله تعالى (الذين ظلموا) بدل من واو أسروا منبه عن كونهم موصوفين بالظلم الفاحش فيما أسروا به أو هو مبتدأ خبره أسروا النجوى قدم عليه اهتماماً به والمعنى هم أسروا النجوى فوضع الموصول موضع الضمير تسجيلاً على فعلهم بكونه ظليلاً أو منصوب على الذم وقوله تعالى (هل هذا إلا بشر مثلكم) الخ في حيز النصب على أنه مفعول لقول مضمهر هو جواب عن سؤال نشأ عما قبله كأنه قيل ماذا قالوا في نجوهم فقيل قالوا هل هذا الخ أو بدل من أسروا أو معطوف عليه أو على أنه بدل من النجوى أى أسروا هذا الحديث وهل بمعنى التفي والهمزة في قوله تعالى (أفتأتون السحر) للإنكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى (وأتم تبصرون) حال من فاعل تأتون مقررة للإنكار ومؤكد للاستبعاد والمعنى ما هذا إلا بشر مثلكم أى من جنسكم وما أتى به سحر أتعلمون ذلك فتأتون وتحضرونه على وجه الإذعان والقبول وأتم تعلمون أنه سحر قالوه بناء على ما تركز في اعتقادهم الزائع أن الرسول لا يكون إلا ملكاً وأن كل ما يظهر على يد البشر من الخوارق من قبيل السحر وذل عنهم أن لإرسال البشر إلى عامة البشر هو الذى تقتضيه الحكمة التشريعية قائلهم الله أنى يوفقون وإنما أسروا ذلك لأنه كان على طريق توثيق العهد وترغيب مبادئ الشر والفساد وتمهيد مقدمات المكر والكيد في هدم أمر النبوة وإطفاء نور الدين والله

قُلْ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥٤﴾ ٢١ الأنبياء

بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلْ أَفْتَرْتَهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْآلُوفُونَ ﴿٥٥﴾ ٢١ الأنبياء

مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٦﴾ ٢١ الأنبياء

- متم نوره ولو كره الكافرون (قال ربى يعلم القول فى السماء والأرض) حكاية من جهته تعالى لما قاله عليه السلام بعد ما أوحى إليه أحوالهم وأقوالهم بياناً لظهور أمرهم وانكشاف سرهم وإيضاح القول المتكلم للسر والجهر على السر لإثبات علمه تعالى بالسر على النهج البرهانى مع ما فيه من الإيدان بأن علمه تعالى بالسر والجهر على وتيرة واحدة لا تفاوت بينهما بالجلاء والخفاء قطعاً كما فى علوم الخلق وقرىء قل ربى الخ وقوله تعالى فى السماء والأرض متعلق بمحذوف وقع حالا من القول أى كأننا فى السماء والأرض وقوله تعالى (وهو السميع العليم) أى المبالغ فى العلم بالمسموعات والمعلومات التى من جملتها ما أسروه من النجوى فيجازيهم بأقوالهم وأفعالهم اعتراض تذييل مقرر لمضمون ما قبله متضمن للوعيد (بل قالوا ٥ أضغات أحلام) إضراب من جهته تعالى وانتقال من حكاية قولهم السابق إلى حكاية قول آخر مضطرب فى مسالك البطلان أى لم يقتصر واعلى أن يقولوا فى حقه عليه السلام هل هذا إلا بشر وفى حق ما ظهر على يده من القرآن الكريم أنه سحر بل قالوا تخاليط الأحلام ثم أضربوا عنه فقالوا (بل افتراه) من تلقاء نفسه من غير أن يكون له أصل أو شبهة أصل ثم قالوا (بل هو شاعر) وما أتى به شعر يخيل إلى السامع معانى لا حقيقة لها * وهكذا شأن المبطل المحجوج متحير لا يزال يتردد بين باطل وأبطل ويتذبذب بين فاسد وأفسد فالإضراب الأول كما ترى من جهته تعالى والثانى والثالث من قبلهم وقد قبل الكل من قبلهم حيث أضربوا عن قولهم هو سحر إلى أنه تخاليط أحلام ثم إلى أنه كلام مفترى ثم إلى أنه قول شاعر ولا ريب فى أنه كان ينبغى حينئذ بأن يقال قالوا بل أضغات أحلام والاعتذار بأن بل قالوا مقول لقالوا المضمر قبل قوله تعالى هل هذا إلا بشر الخ كأنه قيل وأسروا النجوى قالوا هل هذا إلى قوله بل أضغات أحلام وإنما صرح بقولوا بعد بل بعد العدم بما يجب تنزيهه ساحة التنزيل عن أمثاله (فليأتنا بآية) جواب شرط محذوف يفصح عنه السياق كأنه قيل وإن لم يكن كما قلنا بل كان رسولا من الله تعالى فليأتنا بآية (كما أرسل الآلوفون) أى مثل الآية التى أرسل بها الآلوفون كاليد والعصا ونظائرهما حتى تؤمن به فما موصولة وعمل الكاف الجر على أنها صفة لآية ويجوز أن تكون مصدرية فالكاف منصوبة على أنها مصدر تشبيهى أى نعمت لمصدر محذوف أى فليأتنا بآية إتيانا كأننا مثل إرسال الأولين بها وصحة التشبيه من حيث إن الإتيان بالآية من فروع الإرسال بها أى مثل إتيان مترتب على الإرسال ويجوز أن يحمل النظم الكريم على أنه أريد كل واحد من الإتيان والإرسال فى كل واحد من طرفى التشبيه لكنه ترك فى جانب المشبه ذكر الإرسال وفى جانب المشبه به ذكر الإتيان اكتفاء بما ذكر فى كل موطن عمارك فى الموطن الآخر حسبما مر فى آخر سورة يونس عليه السلام (ما آمنت قبلهم من قرية) كلام مستأنف مسوق لتكذيبهم فيما تنبئ عنه خاتمة مقالهم من الوعد ٦

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ الأنبياء

الضمي بالإيمان كما أشير إليه وبيان أنهم في اقتراح تلك الآيات كالباحث عن حنفه بظلفه وأن في ترك الإجابة إليه إبقاء عليهم كيف لا ولو أعطوا ما اقترحوا مع عدم إيمانهم قطعاً لوجب استنصاحهم لجريان سنة الله عز وجل في الأمم السالفة على أن المقترحين إذا أعطوا ما اقترحوه ثم لم يؤمنوا نزل بهم عذاب الاستنصال لا محالة وقد سبقت كلمة الحق منه تعالى أن هذه الأمة لا يعذبون بعذاب الاستنصال فقوله من قرية أى من أهل قرية في محل الرفع على الفاعلية ومن مزيدة لتأكيد العموم وقوله تعالى (أهلكناها) أى يهلك أهلها لعدم إيمانهم بعد مجيء ما اقترحوه من الآيات صفة لقرية والهمزة في قوله تعالى (أفهم يؤمنون) لإنكار الوقوع والفاء للعطف إما على مقدر دخلته الهمزة فأقادت إنكار وقوع إيمانهم ونفيه عقيب عدم إيمان الأولين فالمعنى أنه لم تؤمن أمة من الأمم المهلكة عند إعطاء ما اقترحوه من الآيات أم لم يؤمنوا فمؤلا يؤمنون لو أجيبوا إلى ما سألوا وأعطوا ما اقترحوا مع كونهم أعق منهم وأطغى وإما على ما آمنت على أن الفاء متقدمة على الهمزة في الاعتبار مفيدة لترتيب إنكار وقوع إيمانهم على عدم إيمان الأولين وإنما قدمت عليها الهمزة لاقتضائها الصدارة كما هو رأى الجمهور وقوله عز وجل (وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً) جواب لقولهم هل هذا إلا بشر الخ متضمن لرد ما دسوا تحت قولهم كما أرسل الأولون من النعرض بعدم كونه عليه السلام مثل أولئك الرسل صلوات الله تعالى عليهم أجمعين ولذلك قدم عليه جواب قولهم فليأتنا بآية ولائهم قالوا ذلك بطريق التعجيز فلا بد من المسارعة إلى رده وإبطاله كما مر في تفسير قوله تعالى قال إنما يأتىكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين وقوله تعالى ما نزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين ولائاً في هذا الجواب نوع بسط يخل بتقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم والحق أن ما اتخذوه سبباً للتكذيب موجب للتصديق في الحقيقة لأن مقتضى الحكمة أن يرسل إلى البشر البشر وإلى الملك الملك حسبما ينطق به قوله تعالى قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً فإن عامة البشر بمعزل من استحقاق المفاوضة الملكية لتوقفها على التناسب بين المفيض والمستفيض فبعث الملك إليهم من أرحم للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع وإنما الذي تقتضيه الحكمة أن يبعث الملك منهم إلى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا إلى جانب آخر وقوله تعالى (نوحى إليهم) استئناف مبين لكيفية الإرسال وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية المستمرة وحذف المفعول لعدم القصد إلى خصوصه والمعنى وما أرسلنا إلى الأمم قبل إرسالك إلى أمك إلا رجالاً لا يخصوصون من أفراد الجنس مستأهلين للاصطفاء والإرسال نوحى إليهم بواسطة الملك ما نوحى من الشرائع والأحكام وغيرهما من القصص والأخبار كما نوحى إليك من غير فرق بينهما في حقيقة الوحي وحقيقة مدلوله حسبما يحكيه قوله تعالى إنا أوحي إليك كما أوحي إلى نوح والنبيين إلى قوله تعالى وكلم الله موسى تكليماً كما لا فرق بينك وبينهم في البشرية فالهم لا يفهمون أنك لست بدعا من الرسل وأن ما أوحي إليك ليس مخالفاً لما أوحي إليهم

وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٩٠٨﴾ ٢١ الأنبياء

ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩٠٩﴾ ٢١ الأنبياء

فيقولون ما يقولون وقرىء إليهم بالياء على صيغة المبنى للفعول جرياً على سنن الكبرياء وإذا نأ بتعين الفاعل وقوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) تلويح للخطاب وتوجيه له إلى الكفرة * لتبكيهم واستنزاهم عن رتبة الاستبعاد والنكير إثر تحقيق الحق على طريقة الخطاب لرسول الله ﷺ لأنه التحقيق بالخطاب في أمثال تلك الحقائق الأنيقة وأما الوقوف عليها بالاستخبار من الغير فهو من وظائف العوام والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه أي إن كنتم لا تعلمون ما ذكر فاسألوا أيها الجملة أهل الكتاب الواقفين على أحوال الرسل السالفة عليهم الصلوات لنزول شبهتهم أمروا بذلك لأن إخبار الجاهل الغفير بوجوب العلم لاسيما وهم كانوا يشايعون المشركين في عداوته عليه السلام ويشاورونهم في أمره عليه السلام ففيه من الدلالة على كمال وضوح الأمر وقوة شأن النبي ﷺ ما لا يخفى (وما جعلناهم جسداً) بيان لكون الرسل عليهم السلام أسوة لساير أفراد الجنس ٨ في أحكام الطبيعة البشرية إثر بيان كونهم أسوة لهم في نفس البشرية والجسد جسم الإنسان والجن والملائكة ونصبه إما على أنه مفعول ثان للجعل لكن لا بمعنى جعله جسداً بعد أن لم يكن كذلك كما هو المشهور من معنى التعبير بل بمعنى جعله كذلك ابتداء على طريقة قولهم سبحانه من صغر البعوض وكبر الغيل كما مر في قوله تعالى وجعلنا آية النهار مبصرة وإما حال من الضمير والجعل إبداعى وإفراده لإرادة الجنس المنتظم للكثير أيضاً وقيل بتقدير المضاف أي ذوى جسد وقوله تعالى (لا يأكلون الطعام) صفة له أي وما جعلناهم جسداً مستغنياً عن الأكل والشرب بل محتاجاً إلى ذلك لتحصيل بدل ما يتحلل منه (وما كانوا خالدين) * لأن ما لا التحلل هو الفناء لا محالة وفي إثبات ما كانوا على ما جعلناهم تنبيه على أن عدم الخلود مقتضى جبلتهم التي أشير إليها بقوله تعالى وما جعلناهم الخ لا بالجعل المستأنف والمراد بالخلود إما المكث المديد كما هو شأن الملائكة أو الأبدية وهم معتقدون أنهم لا يموتون والمعنى جعلناهم أجساداً متغذية صائرة إلى الموت بالآخرة على حسب آجالهم لا ملائكة ولا أجساداً مستغنية عن الأغذية مصونة عن التحلل كالملائكة فلم يكن لها خلود كخلودهم فالجملة مقرر لما قبلها من كون الرسل السالفة عليهم السلام بشراً لا ملائكة مع ما في ذلك من الرد على قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام وقوله تعالى (ثم صدقناهم الوعد) عطف على ما يفهم ٩ من حكاية وحيه تعالى إليهم على الاستمرار التجددى كأنه قيل أوحينا إليهم ما أوحينا ثم صدقناهم في الوعد الذي وعدناهم في تضاعيف الوحي بإهلاك أعدائهم (فأنجيناهم ومن نشاء) من المؤمنين وغيرهم ممن تستدعى الحكمة إبقاؤه كن سبؤ من هو أو بعض فروع بالآخرة وهو السر في حماية العرب من عذاب الاستئصال (وأهلكنا المسرفين) أي المجاوزين للحدود في الكفر والمعاصي .

لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ٢١ الأنبياء

وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ ٢١ الأنبياء

فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَانَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ ٢١ الأنبياء

لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ ٢١ الأنبياء

- ١٠ (لقد أنزلنا إليكم) كلام مستأنف مسوق لتحقيق حقيقة القرآن العظيم الذي ذكر في صدر السورة الكريمة إعراض الناس عما يأتهم من آياته واستهزاؤهم به وتسميتهم تارة سحراً وتارة أضغاث أحلام وأخرى مفترى وشعر أو بيان علو مرتبته إثر تحقيق رسالته ﷺ ببيان أنه كسائر الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام قد صدر بالتوكيد القسبي إظهاراً لمزيد الاعتناء بضمونه وإيضاحاً بكون المخاطبين في أقصى مراتب التكبر .
- أي واهل الله لقد أنزلنا إليكم بامعشر قریش (كتاباً) عظيم الشأن نير البرهان وقوله تعالى (فيه ذكركم) صفة لكتاباً مؤكدة لما أفاده التنكير التفضيحي من كونه جليل المقدار بأنه جميل الآثار مستجلب لهم منافع جليلة أي فيه شرفكم وصيتكم كقوله تعالى وإنه لذكر لك ولقومك وقيل ماتحتاجون إليه في أمور دينكم ودنياكم وقيل ماتطلبون به حسن الذكر من مكارم الأخلاق وقيل فيه موعظتكم وهو الانسب بسباق النظم الكريم وسياقه فإن قوله تعالى (أفلا تعقلون) إنكار توبيخي فيه بعث لهم على التدبر في أمر الكتاب والتأمل فيما في تضاعيفه من فنون الموعظ والزواجر التي من جملتها القوارع السابقة واللاحقة والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أي ألا تفكرون فلا تعقلون أن الأمر كذلك ألا تعقلون شيئاً
- ١١ من الأشياء التي من جماعتها ذكر وقوله تعالى (وكم قصمنا من قرية) نوع تفصيل لإجمال قوله تعالى وأهلكنا المسرفين وبيان لكيفية إهلاكهم وسببه وتنبية على كثرتهم وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها النصب على أنها مفعول لقصمنا ومن قرية تمييز وفي لفظ القسم الذي هو عبارة عن الكسر بإبانة أجزاء المكسور وإزالة تأليفها بالكلية من الدلالة على قوة الغضب وشدة السخط .
- لا يخفى وقوله تعالى (كانت ظالمة) في محل الجر على أنها صفة لقرية بتقدير مضاف بنبأ عنه الضمير الآتي أي وكثيراً قصمنا من أهل قرية كانوا ظالمين بآيات الله تعالى كافرين بها كدأبكم (وأنشأنا بعدها) أي بعد إهلاكها (قوماً آخرين) أي ليسوا منهم نسباً ولا ديناً فنبهه على استئصال الأولين وقطع دابرهم بالكلية وهو السر في تقديم حكاية إنشاء هؤلاء
- ١٢ على حكاية مبادئ إهلاك أولئك بقوله تعالى (فلما أحسوا بأسنا) أي أدركوا عذابنا الشديد إدراكاً تاماً كأنه إدراك المشاهد المحسوس (إذا هم منها يركضون) يهربون مسرعين راكضين دوابهم أو مشبهين بهم في فرط الإسراع (لا تركضوا) أي قيل لهم بلسان الحال أو بلسان المقال من الملك أو بمن ثمة من المؤمنين بطريق الاستهزاء والتوبيخ لا تركضوا (وارجعوا إلى ما أترفتم فيه) من التمتع والتلذذ والإتراف لإبطار النعمة (ومساكنكم) التي كنتم تفتخرون بها (لعالمكم تسألون) تقصدون للسؤال والتشاور والتدبير في المهمات

٢١ الأنبياء

قَالُوا يَتَوَلَّىٰ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾

٢١ الأنبياء

فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خِلْمِينَ ﴿١٥﴾

٢١ الأنبياء

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ ﴿١٦﴾

٢١ الأنبياء

لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ آلًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾

- والنوازل أو تنفقون إذ ارتبكت مساكنكم عالية وتسالون أين أصحابها أو يسألكم الوافدون نوالكم على أهمهم كانوا أسخياء ينفقون أموالهم رياء أو بخلاء فقبل لهم ذلك تهكماً إلى تهكم (قالوا) لما يئسوا من الخلاص بالحرب ١٤ وأيقنوا بنزول العذاب (يا ويلنا) أي هلاكنا (إنا كنا ظالمين) أي مستوجبين للعذاب وهذا اعتراف منهم بالظلم وباستنابة للعذاب وندم عليه حين لم ينفعهم ذلك (فما زالت تلك دعواهم) أي فازالوا يرددون تلك الكلمة وتسميتها دعوى أي دعوة لأن المدلول كأنه يدعو الويل قائلًا يا ويل تعال فهذا أو أنك (حتى جعلناهم حصيداً) أي مثل الحصيد وهو المحصود من الزرع والنبات ولذلك لم يجمع (خامدين) أي ميتين من خدمت الدار إذا طفت وهو مع حصيد أي حيز المفعول الثاني للجعل كقولك جعلته حلواً حامضاً والمعنى جعلناهم جامعين لماثلة الحصيد والخمود أو حال من الضمير المنصوب في جعلناهم أو من المستكن في حصيداً أو صفة لحصيداً لنعده معنى لأنه في حكم جعلناهم أمثال حصيد (وما خلقنا السماء والأرض) إشارة إجمالية إلى أن تكوين الدالام ١٦ وإبداع بني آدم مؤسس على قواعد الحكم البالغة المستتبعة للغايات الجليلة وتنبه على أن ما حكى من العذاب الهائل والعقاب الازل بأهل القرى من مقتضيات تلك الحكم ومتفرعاتها حسب اقتضاء أعالمهم إياه وأن للبخاطين المقتدين بآثارهم ذنوباً مثل ذنوبهم أي ما خلقناهما (وما بينهما) من المخلوقات التي لا تخص أحاسنها وأفرادها ولا تخص أنواعها وأحاديها على هذا النظم البديع والأسلوب المنيع عالية عن الحكم والمصالح وإنما عبر عن ذلك باللعب واللهو حيث قيل (لاعبين) لبيان قال تنزهه تعالى عن الخلق الخالي عن الحكمة بتصويره بصورة ما لا يرتاب أحد في استحالة صدوره عنه سبحانه بل إنما خلقناهما وما بينهما لتكون مبدءاً لوجود الإنسان وسبباً لمعاشه ودليلاً يقوده إلى تحصيل معرفتنا التي هي الغاية القصوى بواسطة طاعتنا وعبادتنا كما ينطق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليومكم أيكم أحسن عملاً وقوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون وقوله تعالى (لو أردنا أن نتخذ لهم آياتاً) ١٧ استئناف مقرر لما قبله من انتفاء اللعب واللهو أي لو أردنا أن نتخذ ما ينلهم به ويلعب (لاتخذناه من لدنا) أي من جهة قدرتنا أو من عندنا لما يليق بشأننا من المجردات لا من الأجسام المرفوعة والأجرام الموضوعة كديدن الجبارة في رفع العروش وتحسينها وتسوية الفروش وتزيينها لكن يستحيل إرادتنا له لما فاقته الحكمة فيستحيل اتخاذنا له قطعاً وقوله تعالى (إن كنا فاعلين) جرابه محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه أي إن كنا فاعلين لاتخذناهم وقيل إن نافية أي ما كنا فاعلين أي لاتخاذ اللهو لعدم إرادتنا إياه فيكون بياناً

بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ٢١ الأنبياء

وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ ٢١ الأنبياء

٢١ الأنبياء

يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾

- لا انتفاء التالى لا انتفاء المقدم أو لإرادة اتخاذها فيكون بياناً لا انتفاء المقدم المستلزم لا انتفاء التالى وقيل اللهم الولد بلغة البين وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى ولا يخفى بعده (بل نقذف بالحق على الباطل) ١٨ إضراب عن اتخاذ الله بل عن إرادته كأنه قيل لكننا لا نريده بل شأننا أن نغلب الحق الذى من جملته الجد على الباطل الذى من قبيله الله وتخصيص شأنه هذا من بين سائر شئونه تعالى بالذكر للتخلص إلى ما سبأنى من الوعيد (فيدمغه) أى يمحقه بالكلية كما فعلنا بأهل القرى المحكية وقد استعير لإيراد الحق على الباطل القذف الذى هو الرمى الشديد بالجرم الصلب كالصخرة ومحقه للباطل الدمع الذى هو كسر الشئ الرخو الأجوف وهو الدماغ بحيث يشق غشاه المودى إلى زهوق الروح تصويراً له بذلك وقرىء فیدمغه بالنصب وهو ضعيف وقرىء فیدمغه بضم الميم (فإذا هو زاهق) أى ذاهب بالكلية وفى إذا الفجائية والجملة الاسمية من الدلالة على كمال المسارعة فى الذهاب والبطلان ما لا يخفى فكانه زاهق من الأصل (ولكم الويل مما تصفون) وعيد لقريش بأن لهم أيضاً مثل ما لا وأنتك من العذاب والعقاب ومن تعليلية متعلقة بالاستقرار الذى تعلق به الخبر أو بمحذوف هو حال من الويل أو من ضميره فى الخبر وما إما مصدرية أو موصولة أو موصوفة أى واستقر لكم الويل والهلاك من أجل وصفكم له سبحانه بما لا يليق بشأنه الجليل أو بالذى تصفونه به من الولد أو كأنما مما تصفونه تعالى به (وله من فى السموات والأرض) استئناف مقرر لما قبله من خلقه تعالى لجميع مخلوقاته على حكمة بالغة ونظام كامل وأنه تعالى يحق الحق ويزهق الباطل أى له تعالى خاصة جميع المخلوقات خلقاً وملكاً وتديراً وتصرفاً وإحياء وإماتة وتعذيباً وإثابة من غير أن يكون لأحد فى ذلك دخل ما استقلالا أو استتباعاً (ومن عنده) وهم الملائكة عليهم السلام عبر عنهم بذلك إثر ما عبر عنهم بمن فى السموات تنزيلاً لهم لكرامتهم عليه عز وعلاً وزلفاهم عنده منزلة المقربين عند الملوك بطريق التمثيل وهو مبتدأ خبره (لا يستكبرون عن عبادته) أى لا يتعظمون عنها ولا يعدون أنفسهم كبيراً (ولا يستحسرون) ولا يكونون ولا يعبون وصيغة الاستفعال المبنية عن المبالغة فى الحسور للتنبيه على أن عباداتهم بثقلها ودوامها حقيقة بأن يستحسر منها ومع ذلك لا يستحسرون لإفادة نفي المبالغة فى الحسور مع ثبوت أصله فى الجملة كما أن نفي الظلامية فى قوله تعالى وما أنا بظلام للعبيد لإفادة كثرة الظلم المفروض تعلقه بالعبيد لا لإفادة نفي المبالغة فى الظلم مع ثبوت أصل الظلم فى الجملة وقيل من عنده معطوف على من الأولى وإفراهم بالذكر مع دخولهم فى من فى السموات والأرض للتعظيم كما فى قوله تعالى وجبريل وميكال فقوله تعالى لا يستكبرون حينئذ حال من الثانية ٢٠ (يسبحون الليل والنهار) أى ينزهونه فى جميع الأوقات ويعظمونه ويمجدونه دائماً وهو استئناف

أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشُرُونَ ﴿٢١﴾

٢١ الأنبياء

لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهِةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ٢١ الأنبياء

وقع جواباً عما نشأ مما قبله كأنه قيل ماذا يصنعون في عباداتهم أو كيف يعبدون فقيل يسبحون الخ أو حال من فاعل يستحسرون وكذا قوله تعالى (لا يفترون) أى لا يتدخل تسبيحهم فترة أصلاً بفراغ أو يشغل آخر (أم اتخذوا آلهة) حكاية لجناية أخرى من جنابياتهم بطريق الإضراب والانتقال من فن إلى فن آخر ٢١ من التوبيخ إثر تحقيق الحق ببيان أنه تعالى خلق جميع المخلوقات على منهاج الحكمة وأنهم قاطبة تحت ملكوته وقهره وأن عباده مذعنون لطاعته ومنابرون على عبادته منزهون له عن كل مالا يليق بشأنه من الأمور التي من جملتها الانداد ومعنى الهمزة في أم المنقطعة إنكار الوقوع لا إنكار الواقع وقوله تعالى (من الأرض) متعلق باتخذوا أو بمحذوف هو صفة لآلهة وأياً ما كان فالمراد هو التحقير لا التخصيص • وقوله تعالى (هم ينشرون) أى يبعثون الموتي صفة لآلهة وهو الذى يدور عليه الإنكار والنجميل والتشنيع • لا نفس الاتخاذ فإنه واقع لا محالة أى بل اتخذوا آلهة من الأرض هم خاصة مع حقارتهم وجماديتهم ينشرون الموتي كلا فإن ما اتخذوها آلهة بمعزل من ذلك وهم وإن لم يقولوا بذلك صريحاً لكنهم حيث ادعوا لها الإلهية فكأنهم ادعوا لها الإنبشار ضرورة أنه من الخصائص الإلهية حتماً ومعنى التخصيص في تقديم الضمير ما أشير إليه من التنبيه على كمال مباينة حالهم الإنبشار الموجبة لمزيد الإنكار كما في قوله تعالى أفأنشك وقوله تعالى أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون فإن تقديم الجار والمجرور للتنبيه على كمال مباينة أمره تعالى لأن يشك فيه ويستهزأ به ويجوز أن يجعل ذلك من مستتبعات ادعائهم الباطل لأن الألوهية مقتضية للاستقلال بالإبداء والإعادة بحيث ادعوا الأصنام الإلهية فكأنهم ادعوا لها الاستقلال بالإنبشار كما أنهم جعلوا بذلك مدعين لأصل الإنبشار (لو كان فيهما آلهة إلا الله) لإبطال تعدد الإله بإقامة البرهان ٢٢ على انتفائه بل على استحالة وإيراد الجمع لوروده إثر إنكار اتخاذ الآلهة لا لأن للجمعية مدخلا في الاستدلال وكذا فرض كونها فيهما وإلا بمعنى غير على أنها صفة لآلهة ولا مساغ للاستثناء لاستحالة شمول ما قبلها لما بعدها وإفضائه إلى فساد المعنى لدلالته حينئذ على أن الفساد لكونها فيهما ببدونه تعالى ولا للرفع على البدل لأنه متفرع على الاستثناء ومشروط بأن يكون في كلام غير موجب أى لو كان في السموات والأرض آلهة غير الله كما هو اعتقادهم الباطل (لفسدتا) أى لبطلتا بما فيهما جميعاً وحيث انتفى التالى علم انتفاء المقدم قطعاً ببيان الملازمة أن الإلهية مستلزمة للقدرية على الاستبداد بالتصرف فيهما على الإطلاق تغييراً وتبدلاً وإيجاداً وإعداماً وإحياء وإماتة ببقاؤهما على ما هما عليه إما بتأثير كل منها وهو محال لاستحالة وقوع المعلول المعين بعلة متعددة وإما بتأثير واحد منها فالبراق بمعزل من الإلهية قطعاً وأعلم أن جعل التالى فساداً بعد وجودهما لا أنه اعتبر في المقدم تعدد الآلهة فيهما وإلا فالبرهان يقضى باستحالة التعدد على الإطلاق فإنه لو تعدد الإله فإن توافق الكل في المراد لطاردت عليه القدر وإن تخالفت

٢١ الأنبياء

لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٢﴾

أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾

٢١ الأنبياء

• تعاقبت فلا يوجد موجود أصلاً وحيث انتفى التالي تعين انتفاء المقدم والفاء في قوله تعالى (فسبحان الله) لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ثبوت الوحدانية بالبرهان أي فسبحوه سبحانه اللائق به ونزهوه عما لا يليق به من الأمور التي من جملتها أن يكون له شريك في الألوهية وإيراد الجلالة في موضع الإضمار للإشعار بعلّة الحكم فإن الألوهية مناط لجميع صفات كماله التي من جملتها نزهه تعالى عما لا يليق به ولترتبة المهابة وإدخال الروعة وقوله تعالى (رب العرش) صفة للاسم الجليل مؤكدة لنزهه عز وجل (عما يصفون) متعلق بالتسبيح أي فسبحوه عما يصفونه من أن يكون من دونه آلهة (لا يسأل عما يفعل) استئناف ببيان أنه تعالى لقوة عظمته وعزة سلطانه القاهر بحيث ليس لأحد من مخلوقاته أن يناقشه ويسأله عما يفعل من أفعاله إثر بيان أن ليس له شريك في الإلهية (وهم) أي العباد (يسألون) عما يفعلون فقيراً وقطمير ألاّ أنهم ملوكون له تعالى مستعبدون فقيه وعيد للكفرة (أم اتخذوا من دونه آلهة) إضراب وانتقال من إظهار بطلان كون ما اتخذوه آلهة حقيقة بإظهار خلوها عن خصائص الإلهية التي من جوارها الإنشاء وإقامة البرهان القاطع على استحالة تعدد الإله على الإطلاق وتفرده سبحانه بالألوهية إلى إظهار بطلان اتخاذهم تلك الآلهة مع عرائنها عن تلك الخصائص بالمرّة شركاءه عز سلطانه وتسبيكتهم بإلجائهم إلى إقامة البرهان على دعوائهم الباطلة وتحقيق أن جميع الكتب السماوية ناطقة بحقيقة التوحيد وبطلان الإشراك والهمزة لإنكار اتخاذ المذكور واستباحه واستعظامه ومن متعلقة باتخذوا والمعنى بل اتخذوا متجاوزين إياه تعالى مع ظهور شئونه الجليلة الموجبة لتفرده بالألوهية آلهة مع ظهور خلوم

• عن خواص الألوهية الكلية (قل) لهم بطريق التبسيت وإلقام الحجر (هاوا برهانكم) على ما تدعونه من جهة العقل والنقل فإنه لا محالة لقول لا دليل عليه في الأمور الدينية لاسيما في مثل هذا الشأن الخطير وما في إضافة البرهان إلى ضميرهم من الإشعار بأن لهم برهاناً ضرب من التكميمهم وقوله تعالى (هذا ذكر من معي وذكر من قبلي) إشارة لبرهانه وإشارة إلى أنه بما نطق به الكتب الإلهية قاطبة وشهدت به السنة الرسل المتقدمة كافة وزيادة تهيج لهم على إقامة البرهان لإظهار كمال عجزهم أي هذا الوحي الوارد في شأن التوحيد المنضمّن للبرهان القاطع العقلي ذكر أمّي أي عظمهم وذكر الأمم السالفة قد أقمته فأقيموا أتم أيضاً برهانكم وقيل المعنى هذا كتاب أنزل على أمّي وهذا كتاب أنزل على أمم الأنبياء عليهم السلام من الكتب الثلاثة والمصحف فراجعوها وانظروا هل في واحد منها غير الأمر بالتوحيد والنهي عن الإشراك فقيه

• تبسّيت لهم متضمن لإثبات نقيض مدعاهم وقرىء بالتثنية والإعمال كقوله تعالى أو إطعام في يوم ذي مسغبة يقيأوه وبمن الجارة على أن مع اسم هو ظرف كقبل وبعد وقوله تعالى (بل أكثرهم لا يعلمون الحق)

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ٢١ الأنبياء

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ ٢١ الأنبياء

لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ٢١ الأنبياء

إضراب من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن وانتقال من الأمر بتبكيبتهم بمطالبة البرهان إلى بيان أنه لا ينجم فيهم الحاجة بإظهار حقيقة الحق وبطلان الباطل فإن أكثرهم لا يفهمون الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل (فهم) لأجل ذلك (معرضون) أي مستمررون على الإعراض عن التوحيد واتباع الرسول لا يراعون عما هم عليه من الغي والضلال وإن كررت عليهم البينات والحجج أو معرضون عما ألقى عليهم من البراهين العقلية والنقلية وقرىء الحق بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وسط بين السبب والمسبب تأكيداً للسببية وقوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) ٢٥ استئناف مقرر لما أجمل فيما قبله من كون التوحيد بما نطق به الكتب الإلهية وأجمعت عليه الرسل عليهم السلام وقرىء يوحى على صيغة الغائب مبنياً للفعول وأياماً كان فصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضاراً للصورة الوحي (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً) حكاية لجناية فريق من المشركين جىء بها لإظهار بطلانها وبيان تنزهه تعالى عن ذلك لإثبات تنزهه سبحانه عن الشركاء على الإطلاق وهم حى من خزاعة يقولون الملائكة بنات الله تعالى ونقل الواحدى أن قريشاً وبعض أجناس العرب جهمينة وبني سلة وخزاعة وبني مليح يقولون ذلك والتعرض لعنوان الرحمانية المنبئة عن كون جميع ما سواه تعالى مربوباً له تعالى نعمة أو منعماً عليه لإبراز كمال شناعة مقالاتهم الباطلة (سبحانه) أى تنزهه بالذات تنزهه اللاتق به على أن السبحان مصدر من سبى أى بعد أو أسبجه تسبيحه على أنه علم للتسبيح وهو مقول على السنة العباد أو سبحوه تسبيحه وقوله تعالى (بل عباد) إضراب وإبطال لما قالوه كأنه قيل ليست الملائكة كما قالوا بل هم عباد له تعالى (مكرمون) مقربون عنده وقرىء مكرمون بالتشديد وفيه تنبيه على منشأ غلط القوم وقوله تعالى (لا يسبقونه بالقول) صفة أخرى لعباد منبئة عن كمال طاعتهم وانقيادهم لأمره تعالى أى ٢٧ لا يقولون شيئاً حتى يقوله تعالى أو يأمرهم به وأصله لا يسبق قولهم قوله تعالى فاستند السبق إليهم منسوباً إليه تعالى تنزيلاً لسبق قولهم قوله تعالى منزلة سبقهم إياه تعالى لمزيد تزيينهم عن ذلك وللتنبيه على غاية استهجان السبق المعرض به للذين يقولون ما لا يقوله الله تعالى وجعل القول محلاً للسبق وأدافله ثم أنيب اللام عن الإضافة للاختصار والتجافى عن التكرار وقرىء لا يسبقونه بضم الباء من سابقته فسبقته أسبقه وفيه مزيد استهجان للسبق وإشعار بأن من سبق قوله تعالى فقد تصدى لمخالفة تعالى في السبق فسبقه فعليه والعياذ بالله تعالى وزيادة تزيينهم عنهم ببيان أن ذلك عندهم بمنزلة الغلبة بعد المغالبة فأن يتوهم صدورهم عنهم (وهم بأمره يعملون) بيان لتبعيتهم له تعالى في الأعمال لإثبات تبعيتهم له تعالى في الأقوال فإن نفي سبقهم له تعالى بالقول عبارة عن تبعيتهم له تعالى فيه كأنه قيل هم بأمره يقولون وبأمره

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ٢١ الأنبياء

وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ ٢١ الأنبياء

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ٢١ الأنبياء

يعملون لا بغير أمره أصلاً فالقصر المستفاد من تقديم الجار معتبر بالنسبة إلى غير أمره لا إلى أمر غيره (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) استئناف وقع تعليلاً لما قبله وتمهيداً لما بعده فإن لعلمهم بإحاطته تعالى بما قدموا وأخروا من الأقوال والأعمال لا يزالون يراقبون أحوالهم فلا يقدمون على قول أو عمل بغير أمره تعالى (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) أن يشفع له مهابة منه تعالى (وهم) مع ذلك (من خشيته) عز وجل (مشفقون) مرتعدون وأصل الخشية الخوف مع التعظيم ولذلك خص بها العلماء والإشفاق الخوف مع الاعتناء فعند تعديته بمن يكون معنى الخوف فيه أظهر وعند تعديته ٢٨ بعل ينعكس الأمر (ومن يقل منهم) أي من الملائكة الكلام فيهم وفي كونهم بمعزل مما قالوا في حقهم (إني إله من دونه) متجاوزاً إياه تعالى (فذلك) الذي فرض قوله فرض محال (نجزيه جهنم) كسائر المجرمين ولا يغني عنهم ما ذكر من صفاتهم السنية وأفعالهم المرضية وفيه من الدلالة على قوة ملكوته تعالى وعزة جبروته واستحالة كون الملائكة بحيث يتوهم في حقهم ما توهمه أولئك الكفرة ما لا يخفى (كذلك نجزي الظالمين) مصدر تشبيهي مؤكد لمضمون ما قبله أي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي الذين يضعون الأشياء في غير مواضعها ويتعدون أطوارهم والقصر المستفاد من التقديم معتبر بالنسبة إلى النقصان ٢٩ دون الزيادة أي لأجزاء أنقص منه (أولم ير الذين كفروا) تجهيل لهم بتقصيرهم في التدبر في الآيات التكوينية الدالة على استقلاله تعالى بالآلوهية وكون جميع ما سواه مقهوراً تحت ملكوته والهمزة للإنكار والوال للعطف على مقدر وقرى بغير واو والرؤية قلبية أي لم يتفكروا ولم يعلموا (أن السموات والأرض كانتا) أي جماعتا السموات والأرضين كما في قوله تعالى إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا (رتقاً) الرتق الضم والالتحام والمعنى إما على حذف المضاف أو هو بمعنى المفعول أي كانتا ذواتي رتق أو مرتوتين وقرى رتقاً شيئاً رتقاً أي مرتوقاً (ففتقناهما) قال ابن عباس رضى الله عنهما في رواية عكرمة والحسن البصري وقتادة وسعيد بن جبير كانتا شيئاً واحداً ملتزمين ففصل الله تعالى بينهما ورفع السماء إلى حيث هي وأفر الأرض وقال كعب خلق الله تعالى السموات والأرض ملتصقتين ثم خلق ريحاً فتوسطنها ففتقنها وعن الحسن خلق الله تعالى الأرض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر في موضعها وبسط منها الأرض وذلك قوله تعالى كانتا رتقاً ففتقناهما وقال مجاهد والسدى كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الأرض كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع أرضين وقال ابن عباس في

وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ ٢١ الأنبياء

وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٢٢﴾ ٢١ الأنبياء

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٢٣﴾ ٢١ الأنبياء

- رواية عطاء وعليه أكثر المفسرين إن السموات كانت رتقاً مستوية صلبة لا تمطر والأرض رتقاً لا تنبت ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات فيكون المراد بالسموات السماء الدنيا والجمع باعتبار الأفاق أو السموات جميعاً على أن لها مدخلا في الأمطار وعلم الكفرة الرتق والفتق بهذا المعنى إما لاسترة به وإما بالمعاني الأول فهم وإن لم يعلموها لكنهم متمسكون من عليهما إما بطريق النظر والتفكير فإن الفتق عارض مفتقر إلى مؤثر قديم وإما بالاستفسار من العلماء ومطالعة الكتب (وجعلنا من الماء كل شيء حي) * أي خلقنا من الماء كل حيوان كقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء وذلك لأنه من أعظم مواده وأوفرط احتياجه إليه وانتفاعه به أو صيرنا كل شيء حي من الماء أي بسبب منه لا بد له من ذلك وتقديم المفعول الثاني للاهتمام به لا مجرد أن المفعولين في الأصل مبتدأ وخبر وحق الخبر عند كونه ظرفاً أن يتقدم على المبتدأ فإن ذلك مصحح محض لا مرجح وقرئ حياً على أنه صفة كل أو مفعول ثانٍ والظرف كما في الوجه الأول قدم على المفعول للاهتمام به والتشويق إلى المؤخر (أفلا يؤمنون) إنكار لعدم إيمانهم بالله وحده * مع ظهور ما يوجب حتماً من الآيات الآفانية والانسائية الدالة على تفرد عز وجل بالالوهية وعلى كون ما سواه من مخلوقاته مقهورة تحت ملكوته وقدرته والفاء للعطف على مقدر يستدعيه الإنكار السابق أي أيعلمون ذلك فلا يؤمنون (وجعلنا في الأرض رواسي) أي جبالات ثوابت جمع راسية من رسا الشيء ٣١ إذا ثبت ورسخ ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث في غير العقلاء مما لا ريب في صحته كقوله تعالى أشهر معلومات وأياماً معدودات (أن تميد بهم) أي كراهة أن تتحرك وتضطرب بهم أو لئلا تميد بهم بحذف اللام ولا لعدم الإلباس (وجعلنا فيها) أي في الأرض وتكرير الفعل لاختلاف المجموعين ولتوفية مقام الامتنان حقه أو في الرواسي لأنها المحتاجة إلى الطرق (لجأجا) مسالك واسعة وإنما قدم على قوله تعالى (سبلاً) وهو وصف له ليصير حالاً فيفيد أنه تعالى حين خلقها خلقها كذلك أو ليبدل منها سبلاً فيدل ضمناً على أنه تعالى خلقها ووسعها للسابلة مع ما فيه من التوكيد (لعلهم يهتدون) أي إلى مصالحهم ومهماتهم * (وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً) من الوقوع بقدرتنا القاهرة أو من الفساد والانحلال إلى الوقت المعلوم ٣٢ بمشيئتنا أو من استراق السمع بالشهب (وهم عن آياتها) الدالة على وحدانيته تعالى وعلمه وحكمته وقدرته وإرادته التي بعضها محسوس وبعضها معلوم بالبحث عنه في علمي الطبيعة والهيئة (معرضون) لا يتدبرون فيها فييقنون على ما هم عليه من الكفر والضلال وقوله تعالى (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر) اللذين هما آيتاهما بيان لبعض تلك الآيات التي هم عنها معرضون بطريق الالتفات الموجب ٣٣

وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ أَخْلُدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ أَخْلُدُونَ ﴿٣٤﴾ ٢١ الأنبياء

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ٢١ الأنبياء

وَإِذَا رَأَوْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ ٢١ الأنبياء

لنا كيد الاعتناء بفحوى الكلام أى هو الذى خلقهن وحده (كل) أى كل واحد منهما على أن التوئين عوض عن المضاف إليه (فى فلك يسبحون) أى يجرون فى سطح الفلك كالسبح فى الماء والمراد بالفلك الجنس كقولك كساهم الخليفة حلة والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما والجمع باعتبار المطالع وجعل الضمير واو العقلاء لأن السباحة حالهم (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) أى فى الدنيا لكونه مخالفاً للحكمة التكوينية والتشريعية (أفان مت) بمقتضى حكمتنا (فهم الخالدون) نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون والفاء لتعليق الشرطية بما قبلها والهمزة لإنكار مضمونها بعد تقرر القاعدة الكلية النافية لذلك بالمرة والمراد بإنكار خلودهم ونفيه لإنكار ما هو مدار له وجوداً وهدماً من شياتهم بموته ﷺ فإن الشبهة بما يعتريه أيضاً مما لا ينبغي أن يصدر عن العاقل كأنه قيل أفان مت فهم الخالدون حتى يشمتوا بموتك وقوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) أى ذائقة مرارة مفارقتها جسدها برهان على ما أنكر من خلودكم (ونبلوكم) الخطاب إما للناس كافة بطريق التلوين أو للكفرة بطريق الالتفات أى تعاملكم معاملة من يبلوكم (بالشر والخير) بالبلايا والنعمة هل تصبرون وتشكرون أولاً (فتنة) مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه (وإلينا ترجعون) لا إلى غيرنا لا استقلالاً ولا اشتراكاً فنجازيكم حسبما يظهر منكم من الأعمال فهو على الأول وعد ووعد وعلى الثانى وعيد ومحض وفيه إيماء إلى أن المقصود من هذه الحياة الدنيا الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب وقرىء يرجعون بالياء على الالتفات ٣٤ (وإذ أراك الذين كفروا) أى المشركون (إن يتخذونك إلا هزواً) أى ما يتخذونك إلا مهزواً به على معنى قصر معاملتهم معه عليه السلام على اتخاذهم إياه هزواً لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزواً كما هو المتبادر كأنه قيل ما يفعلون بك إلا اتخاذك هزواً وقد مرت حقيقة فى قوله تعالى إن أتبع إلا ما يوحى إلى فى سورة الأنعام (أهذا الذى يذكركم آلهمكم) على إرادة القول أى ويقولون أو قائلين ذلك أى يذكركم بسوء كافى قوله تعالى سمعنا قى يذكركم الخ وقوله تعالى (وهم يذكركم الرحمن هم كفرون) فى حيز النصب على الحالية من ضمير القول المقدر والمعنى أنهم يعيرون عليه عليه الصلاة والسلام أن يذكركم آلهمكم التى لا تنفع ولا تنفع بالسوء والحال أنهم يذكركم الرحمن المنعم عليهم بما يليق به من التوحيد أو بإرشاد الخلق بإرسال الرسل وإزال الكتب أو بالقرآن كفرون فهم أحقاء بالعيب والإنكار فالضمير الأول مبتدأ خبره كفرون وبذكر متعلق بالخبر والتقدير وهم كفرون يذكركم الرحمن والضمير الثانى تأكيد لفظى الأول

٢١ الأنبياء

خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾

٢١ الأنبياء

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾

لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهُمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ

٢١ الأنبياء

يَنْصُرُونَ ﴿٣٩﴾

- فوق الفصل بين العامل ومعموله بالمؤكّد والمؤكد بالعمول (خلق الإنسان من عجل) جعل لفطر ٣٧ استعجاله وقلة صبره كأنه مخلوق منه تنزيلاً لما طبع عليه من الأخلاق منزلة ما طبع منه من الأركان إبداً بقاية لزومه له وعدم انفكاكه عنه ومن عجّلته مبادرته إلى الكفر واستعجاله بالوهيدروى أنها نزلت في الضر بن الحرث حين استعجل العذاب بقوله اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر الآية وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن المراد بالإنسان آدم عليه السلام وأنه حين بلغ الروح صدره ولم يتبائع فيه أراد أن يقوم وروى أنه لما دخل الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله تعالى في آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فأسرع في خلقه قبل غيبته فالمعنى خلق الإنسان خلقاً ناشئاً من عجل فذكره ليبين أنه من دواعي عجلته في الأمور والأظهر أن المراد به الجنس وإن كان خلقه عليه السلام سارياً إلى أولاده وقيل العجل الطين بلغة حمير ولا تقرب له ههنا وقوله تعالى (سأريكم آياتي) تلوين للخطاب وصرف * له عن رسول الله ﷺ إلى المستعجلين بطريق التهديد والوعيد أى سأريكم نعماتي في الآخرة كعذاب النار وغيره (فلا تستعجلون) بالإتيان بها والنهى عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها (ويقولون ٣٨ متى هذا الوعد) أى وقت مجيء الساعة التى كانوا يوعدون وإنما كانوا يقولونه استعجالاً لمجيئه بطريق الاستهزاء والإنكار كما يرشد إليه الجواب لا طلباً لتعيين وقته بطريق الإلزام كما في سورة الملك (إن كنتم صادقين) أى فى وعدكم بأنه يأتينا والخطاب للنبي ﷺ والمؤمنين الذين يتلون الآيات الكريمة المنبئة عن مجيء الساعة وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه حسبما حذف فى مثل قوله تعالى فأتينا بما تعدنا إن كنت من الصادقين فإن قولهم متى هذا الوعد استبطاء منهم للوعود وطلب لإتيانه بطريق العجلة فإن ذلك فى قوة الأمر بالإتيان عجلة كأنه قيل فليأتنا بسرعة إن كنتم صادقون (لويعلم الذين كفروا) استئناف ٣٩ مسوق لبيان شدة هول ما يستعجلونه وفظاعة ما فيه من العذاب وأنهم إنما يستعجلونه لجهلهم بشأنه وإثارة صيغة المضارع فى الشرط وإن كان المعنى على المضى لإفادة استمرار عدم العلم فإن المضارع المنفى الواقع موقع الماضى ليس بنص فى إفادة انتفاء استمرار الفعل بل يفيد استمرار انتفائه أيضاً بحسب المقام كما فى قولك لو تحسن إلى لشكرتك فإن المعنى أن انتفاء الشكر لاستمرار انتفاء الإحسان لا لانتفاء استمرار الإحسان ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما فى حين الصلة على علة استعجالهم وقوله تعالى (حين * لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم) مفعول يعلم وهو عبارة عن الوقت الموعود الذى كانوا

بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْةٌ فَتَبْتَهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٢١﴾

٢١ الأنبياء

وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢١﴾

٢١ الأنبياء

يستعجلونه وإضافته إلى الجملة الجارية مجرى الصفة التي حقها أن تكون معلومة الانتساب إلى الموصوف عند مخاطب أيضاً مع إنكار الكفرة لذلك الإبدان بأنه من الظهور بحيث لا حاجة له إلى الإخبار به وإنما حقه الانتظام في سلك المسلمات المفروغ عنها وجواب لو محذوف أي لو لم يستمر عدم عليهم بالوقت الذي يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد من الحين الذي تحيط بهم النار فيه من كل جانب وتخصيص الوجوه والظهور بالذكر بمعنى القدام والخلف لكونهما أشهر الجوانب واستلزام الإحاطة بهما الإحاطة بالكل بحيث لا يقدر على دفعها بأنفسهم من جانب من جوانبهم (ولاهم ينصرون) من جهة الغير في دفعها الخ لما فعلوا ما فعلوا من الاستعجال ويجوز أن يكون يعلم متروك المفعول منزلاً منزلة اللازم أي لو كان لهم علم لما فعلوه وقوله تعالى حين الخ استئناف مقرر لجهاهم ومبين لاستمراره إلى ذلك الوقت كأنه قيل حين يرون ما يرون يعلمون حقيقة الحال (بل تأتيتهم) عطف على لا يكفون أي لا يكفونها بل تأتيتهم أي العدة أو النار أو الساعة (بغية فتبتهم) أي تغلبهم أو تحيرهم وقرىء الفعلان بالتذكير على أن الضمير للوعد أو الحين وكذا الهاء في قوله تعالى (فلا يستطيعون ردها) بتأويل الوعد بالنار أو العدة والحين بالساعة ويجوز عوده إلى النار وقيل إلى البغية أي لا يستطيعون ردها عنهم بالكلية (ولاهم ينظرون) أي يمهلون ليستريحوا طرفة عين وفيه تذكير لإمهالهم في الدنيا (ولقد استهزى برسول من قبلك) تسلياً لرسول الله ﷺ عن استهزائهم به ﷺ في ضمن الاستعجال وعدة ضمنية بأنه يصيبهم مثل ما أصاب المستهزين بالرسول السالفة عليهم الصلاة والسلام وتصديرها بالقسم لزيادة تحقيق مضمونها وتنويع الرسل للتفخيم والتكثير ومن متعلقة بمحذوف هو صفة له أي والله لقد استهزى برسول أولى شأن خطير وذوى عدد كثير أو حل أو نحو ذلك فإن معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل إلا في الشر والحق ما يشتمل على الإنسان من مكروه فعله وقوله تعالى (بالذين سخروا منهم) أي من أولئك الرسل عليهم السلام متعلق بحاق وتقديمه على فاعله الذي هو قوله تعالى (ما كانوا به يستهزئون) للسارعة إلى بيان لحوق الشر بهم وما لما موصولة مفيدة للتهويل والضمير المجرور عائداً إليها والجار متعلق بالفعل وتقديمه عليه لرعاية الفواصل أي فأحاط بهم الذي كانوا يستهزئون به حيث أهلكوا لأجله وإما مصدرية فالضمير المجرور راجع حينئذ إلى جنس الرسول المدلول عليه بالجمع كما قالوا وأهل إثارة على الجمع للتنبيه على أنه يحيق بهم جزاء استهزائهم بكل واحد واحد منهم عليهم السلام لاجزاء استهزائهم بكلهم من حيث هو كل فقط أي فنزل بهم جزاء استهزائهم على وضع السبب موضع المسبب إيداناً بكل الملاسة بينهما أو عين استهزائهم إن أريد بذلك العذاب الآخروي بناء على تجسم الأعمال فإن الأعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح

قُلْ مَنْ يَكْفُوكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ ٢١ الأنبياء
 أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ ٢١ الأنبياء
 بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ
 أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ ٢١ الأنبياء

وعلى ذلك بنى الوزن وقد مر تفصيله في سورة الأعراف وفي قوله تعالى إنما نبغيكم على أنفسكم الآية إلى آخرها (قل) خطاب لرسول الله ﷺ إثر تسليته بما ذكر من مصير أمرهم إلى الهلاك وأمر له عليه ٤٢ السلام بأن يقول لأولئك المستهزئين بطريق التقريع والتبكيت (من يكفؤكم) أى يحفظكم (بالليل والنهار من الرحمن) أى من بأسه الذى تستحقون نزوله ليلاً أو نهاراً أو تقديم الليل لما أن الدواهي أكثر فيه وقوعاً وأشد وقعاً وفي التعرض لعنوان الرحمانية إيدان بأن كائنهم ليس إلا رحمة العامة وبعد ما أمر عليه السلام بما ذكر من السؤال على الوجه المذكور حسب مقتضيه حالهم لأنهم بحيث لولا أن الله تعالى يحفظهم في الملوك لحل بهم فنون الآفات فهم أحقاء بأن يكفؤوا الاعتراف بذلك فيوجبوا على مأم عليه من الإشراف أضرب عن ذلك بقوله تعالى (بل هم عن ذكر ربهم معرضون) ببيان أن لهم حالاً أخرى مقتضية إصراف الخطاب عنهم هي أنهم لا يخطر على ذكره تعالى بياهم فضلاً أن يخافوا بأسه ويعدوا ما كانوا عليه من الأمن والدعة حفظاً وكلاءة حتى يسألوا عن الكالية على طريقة قول من قال [عوجوا خجوا] النعمى دمنة الدار * ماذا تحبون من نوى وأحجار [وفي تعليق الإعراض بذكره تعالى وإيراد اسم الرب المضاف إلى ضميرهم النبىء عن كونهم تحت ملكوته وتدبيره وتريبته تعالى من الدلالة على كونهم في الغاية القاصية من الضلالة والغنى مالا يخفى وكلمة أم في قوله تعالى (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) منقطعة وما فيها من معنى بل للإضراب ٤٣ والانتقال عما قبله من بيان أن جهلهم بحفظه تعالى إياهم لعدم خوفهم الله عن إعراضهم عن ذكر ربهم بالكيفية إلى توبيخهم باعتمادهم على آلهتهم وإسنادهم الحفظ إليها والهمزة لأنكار أن يكون لهم آلهة تقدر على ذلك والمعنى لهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعتنا وحفظنا أو من عذاب كائن من عندنا فهم معولون عليها واثقون بحفظها وفي توجيه الإنكار والنفي إلى وجود الآلهة الموصوفة بما ذكر من المنع لا إلى نفس الصفة بأن يقال أم تمنعهم آلهتهم الخ من الدلالة على سقوطها عن مرتبة الوجود فضلاً عن رتبة المنع مالا يخفى وقوله عز و علا (لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون) استئناف مقرر لما قبله من الإنكار وموضح لبطان اعتقادهم أى هم لا يستطيعون أن ينصروا أنفسهم ولا يصحبون بالنصر من جهة تنافس كيف يتوهم أن ينصروا غيرهم وقوله تعالى (بل متعنا هؤلا وآبائهم حتى طال عليهم العمر) إضراب عما توهموا ببيان أن الداعي ٤٤ إلى حفظهم تمتعنا إياهم بما قدر لهم من الأعمال أو عن الدلالة على بطلانه ببيان ما أوهمهم ذلك هو أنه تعالى متعهم بالحياة الدنيا وأهلهم حتى طالت أعمارهم لحسبوا أن لا يزالوا كذلك وأنه بسبب مأم عليه

٢١ الأنبياء

قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾

٢١ الأنبياء

وَلِئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يُوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾

٢١ الأنبياء

أَتَيْنَاهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ ﴿٤٧﴾

ولذلك عقب بما يدل على أنه طمع فارغ وأمل كاذب حيث قيل (أفلا يرون) أى ألا ينظرون فلا يرون (أنا نأتى الأرض) أى أرض الكفرة (ننقصها من أطرافها) فكيف يتوهمون أنهم ناجون من بأسنا وهو تمثيل وتصوير لما يخبره الله عز وجل من ديارهم على أيدي المسلمين ويضيفها إلى دار الإسلام (أفهم الغالبون) على رسول الله ﷺ والمؤمنين والفاء لإنكار ترتيب الغالبية على ما ذكر من نقص أرض الكفرة بتسليط المسلمين عليها كأنه قيل أبعد ظهور ما ذكر ورويتهم له يتوهم غلبتهم كما مر في قوله تعالى أفن كان على بينة من ربه وقوله تعالى قل أفأخذتم من دونه أولياء وفي التعريف تعريف بأن المسلمين هم المتعينون للغلبة المعروفون بها (قل إنما أُنذركم) بعد ما بين من جهته تعالى غاية هول ما يستعجله المستعجلون ونهاية سوء حالهم عند إتيانه ونعى عليهم جهلهم بذلك وإعراضهم عن ذكر ربهم الذى يكأؤهم من طوارق الليل والنهار وغير ذلك من مساوى أحوالهم أمر ﷺ بأن يقول لهم إنما أُنذركم ما تستعجلونه من الساعة (بالوحي) الصادق الناطق بإتيانها وفضاعة ما فيها من الأحوال أى إنما شأنى أن أُنذركم بالإخبار بذلك لا بالإتيان بها فإنه مزاحم للحكمة التكوينية والتشريعية إذا الإيمان برهاني لا عياني وقوله تعالى (ولا يسمع الصم الدعاء) إما من تنمة الكلام الملقن تذييل له بطريق الاعتراض قد أمر عليه السلام بأن يقول لهم تويناخاً وتقرعاً وتسجيلاً عليهم بكال الجهل والعناد واللام للجنس المنتظم للخاطئين انتظاماً أولاً أو للهد فوضع المظهر موضع المضمحل للتسجيل عليهم بالتصام وتقيد نفي السماع بقوله تعالى (إذا ما ينذرون) مع أن الصم لا يسمعون الكلام إنذاراً كان أو تبشيراً ليان كمال شدة الصمم كما أن إتيان الدعاء الذى هو عبارة عن الصوت والنداء على الكلام لذلك فإن الإنذار عادة يكون بأصوات عالية مكررة مقارنة لهيات دالة عليه فإذا لم يسمعوها يكون صممهم فى غاية لا غاية وراءها وإما من جهته تعالى على طريقة قوله تعالى بل هم عن ذكر ربهم معرضون ويؤيده القراءة على خطاب النبي ﷺ من الإسماع بنصب الصم والدعاء كأنه قيل قل لهم ذلك وأنت بمعزل من إسماعهم وقرىء بالياء أيضاً على أن الفاعل هو عليه السلام وقرىء على البناء للفعول أى لا يقدر أحد على إسماع الصم وقوله تعالى (ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك) بيان لسرعة تأثرهم من مجىء نفس العذاب لإثر بيان عدم تأثرهم من مجىء خبره على نهج التوكيد القسمى أى وبالله لتن أصابهم أدنى إصابة أدنى شئ من عذابه تعالى كما ينبى عنه المس والنفحة بجورها وبنائها فإن أصل النفح هبوب رائحة الشئ (ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين) ليدعن على أنفسهم بالويل والهلاك ويعترفن عليها بالظلم وقوله تعالى (ونضع الموازين القسط) بيان لما سيقع عند إتيان ما أُنذروه أى نقيم الموازين

٢١ الأنبياء

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾

٢١ الأنبياء

الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾

٢١ الأنبياء

وَهَٰذَا ذِكْرٌ مَّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٠﴾

العادلة التي توزن بها صحائف الأعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لإرصاد الحساب السوى والجزاء على حسب الأعمال وقد مر تفصيل ما فيه من الكلام في سورة الأعراف وإفراد القسط لأنه مصدر وصف به مبالغة (ليوم القيامة) التي كانوا يستعجلونها أي جزائهم أو لأجل أهله أو فيه كما في قولك جئت لحس خلون من الشهر (فلا تظلم نفس) من النفوس (شيئاً) حقاً من حقوقها أو شيئاً مامن الظلم بل يوفي كل ذي حق حقه إن خيراً أخير وإن شرراً فشر والفاء الغراء ترتيب انتفاء الظلم على وضع الموازين (وإن كان) أي العمل المدلول عليه بوضع الموازين (مئقال حبة من خردل) أي مقدار حبة كائنة من خردل أي وإن كان في غاية القلة والحقارة فإن حبة الخردل مثل في الصغر وقرى بمئقال حبة بالرفع على أن كان تامة (أتيناها) أي أحضرنا ذلك العمل المعبر عنه بمئقال حبة الخردل للوزن والتأنيث لإضافته إلى الحبة وقرى أتيناها أي جازيناها من الإيتاء بمعنى المجازاة والمكافأة لأنهم أنوه بالأعمال وأتاهم بالجزاء وقرى أتيناها من الثواب وقرى جئناها (وكفى بنا حاسبين) إذ لا مزيد على علمنا وعدلنا (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان ٤٨ وضياء وذكراً للمتقين) نوع تفصيل لما أجمل في قوله تعالى وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم إلى قوله تعالى وأهلكنا المسرفين وإشارة إلى كيفية إنجائهم وإهلاك أعدائهم وتصديره بالتوكيد القسمي لإظهار كمال الاعتناء بمضمونه والمراد بالفرقان هو التوراة وكذا بالضياء والذكر أي وبالله لقد آتيناها وحيّاً ساطعاً وكتاباً جامعاً بين كونه فارقاً بين الحق والباطل وضياء يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية وذكراً يتعظ به الناس وتخصيص المتقين بالذكر لأنهم المستضيئون بنواره المغتنمون لمغانم آثاره أو ذكر ما يحتاجون إليه من الشرائع والأحكام وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر والأول هو اللائق بمساق النظم الكريم فإنه لتحقيق أمر القرآن المشارك لسائر الكتب الإلهية لاسيما التوراة فيما ذكر من الصفات ولأن فلق البحر هو الذي اقترح الكفرة مثله بقولهم فليأتنا بآية كما أرسل الأولون وقرى ضياء بغير واو على أنه حال من الفرقان وقوله تعالى (الذين يخشون ربهم) أي عذابه مجرور والمحل على أنه صفة ٤٩ مادحة للمتقين أو بدل أو بيان أو منصوب أو مرفوع على المدح (بالغيب) حال من المفعول أي يخشون عذابه تعالى وهو غائب عنهم غير مشاهد لهم فقيه تعريض بالكفرة حيث لا يتأثرون بالإندار ما لم يشاهدوا ما أئذروه وقيل من الفاعل (وهم من الساعة مشفقون) أي خائفون منها بطريق الاعتناء وتقديم الجار مراعاة الفواصل وتخصيص إشفاقهم منها بالذكر بعد وصفهم بالخشية على الإطلاق الإيذان بكونها معظم المخوفات وللتخصيص على اتصافهم بضد ما تصف به المستعجلون وإيثار الجملة الاسمية للدلالة على ثبات الإشفاق ودوامه (وهذا) أي القرآن الكريم أشير إليه بهذا إيذاناً بغاية وضوح أمره (ذكر) يتذكر به ٥٠

وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ ٢١ الأنبياء

إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ ٢١ الأنبياء

قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ ٢١ الأنبياء

قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾ ٢١ الأنبياء

- من يتذكر وصف بالوصف الأخير للتوراة لمناسبة المقام وموافقته لما مر في صدر السورة الكريمة (مبارك) كثير الخير غزير النفع يتبرك به (أنزلناه) إما صفة ثانية لذكر أو خبر آخر (أفأنتم له منكرون) إنكار لإنكارهم بعد ظهور كون إنزاله كإتياء التوراة كأنه قيل أبعد أن علمتم أن شأنه كشأن التوراة في الإتياء والإيماء أنتم منكرون لكونه منزلاً من عندنا فإن ذلك بعد ملاحظة حال التوراة بما لا مساغ له أصلاً (ولقد آتينا إبراهيم رشده) أي الرشد اللائق به وبأمثاله من الرسل الكبار وهو الاهتداء الكامل المستند إلى الهداية الخاصة الحاصلة بالوحي والاعتدال على إصلاح الأمة باستعمال النواميس الإلهية وقرى رشده وهما لغتان كالخزن والحزن (من قبل) أي من قبل إتياء موسى وهارون التوراة وتقديم ذكر إتيائها لما بينه وبين إنزال القرآن من الشبه التام وقيل من قبل استنبائه أو قبل بلوغه وبأباه المقام (وكنا به عالمين) أي بأنه أهل لما آتينا به وفيه من الدليل على أنه تعالى عالم بالجزئيات مخارفي أفعاله مالا يخفى (إذ قال لأبيه وقومه) ظرف لا يتنا على أنه وقت متسع وقع فيه الإتياء وما ترتب عليه من أفعاله وأقواله وقيل مفعول لمضمر مستأنف وقع تعليلًا لما قبله أي اذكر وقت قوله لهم (ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون) لتقف على كمال رشده وغاية فضله والتماثل اسم لشيء مصنوع مشبه بمخلوق من خلقت الله تعالى وهذا تجاهل منه عليه السلام حيث سأله عن أصنامهم بما التي يطلب بها بيان الحقيقة أو شرح الاسم كأنه لا يعرف أنها ما ذامع إحاطته بأن حقيقة تهاجر أو شجر اتخذوها معبوداً وعبر عن عبادتهم لها بمطلق العكوف الذي هو عبارة عن اللزوم والاستمرار على الشيء لغرض من الأغراض قصداً إلى تحقيرها وإذلالها وتوبيخها لهم على إجلالها واللام في لها للاختصاص دون التعدية وإلا لجيء بكلمة على والمعنى أنتم فاعلون العكوف لها وقد جوز تضمين العكوف معنى العبادة كما ينبغي عنه قوله تعالى (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) أجابوا بذلك لما أن مآل سؤاله عليه السلام الاستفسار عن سبب عبادتهم لها كما ينبغي عنه وصفه عليه السلام بإمام بالعكوف لها كأنه قال ما هي هل تستحق ما تصنعون من العكوف عليها فلما لم يكن لهم ملجأ يعتد به التجأوا إلى التقليد فأبطله عليه السلام على طريقة التوكيد القسمي حيث (قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم) الذين سنوا لكم هذه السنة الباطلة (في ضلال) عجيب لا يقادر قدره (مبين) أي ظاهر بين بحيث لا يخفى على أحد من العقلاء كونه كذلك ومعنى كنتم مطلق استقرارهم على الضلال لا استقرارهم الماضي الحاصل قبل زمان الخطاب المتناول لهم ولا بأنهم أي والله لقد كنتم مستقرين على ضلال عظيم

٢١ الأنبياء

قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٥﴾

٢١ الأنبياء

قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾

٢١ الأنبياء

وَتَاللَّهِ لَا كِيدَ لَأَصْنَامِكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾

٢١ الأنبياء

فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾

- ظاهر لعدم استناده إلى دليل ما والتقليد إنما يجوز فيما يحتمل الحقيقة في الجملة (قالوا) لما سمعوا مقالته عليه السلام استبعاداً لكون مأم عليه ضلالاً وتعجباً من تضليله عليه السلام إياهم بطريق التوكيد القسمي وتردداً في كون ذلك منه عليه السلام على وجه الجسد (أجئتنا بالحق) أي بالجسد (أم أنت من اللاعين) فنقول ما تقول على وجه المداعبة والمزاح وفي إيراد الشق الأخير بالجملة الاسمية الدالة على الثبات إيدان برجحانه عندهم (قال) عليه السلام إضراباً عما بنوا عليه مقالهم من اعتقاد كونها أرباباً لهم كما يفصح عنه قولهم نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين كأنه قيل ليس الأمر كذلك (بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن) وقيل هو إضراب عن كونه لاعباً بإقامة البرهان على ما ادعاه وضمير من للسموات والأرض وصفه تعالى بإيجادهن إثر وصفه تعالى بربوبيته تعالى لمن تحقيقاً للحق وتنبيهاً على أن مالا يكون كذلك بمعزل من الروبوبة أي أنشأهن بما فيهن من المخلوقات التي من جملتها أنتم وآباؤكم وما تعبدونه من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتجيه ورجع الضمير إلى التماثيل أدخل في تضليلهم وأظهر في إلزام الحجة عليهم لما فيه من التصريح المغنى عن التأمل في كون ما يعبدونه من جملة المخلوقات (وأنا على ذلكم) الذي ذكرته من كون ربكم رب السموات والأرض فقط دون ما عداه • كأنما ما كان (من الشاهدين) أي العالمين به على سبيل الحقيقة المبرهنين عليه فإن الشاهد على الشيء من تحققه وحقيقته وشهادته على ذلك إدلاؤه بالحجة عليه وإثباته بها كأنه قال وأنا أبين ذلك وأبرهن عليه (وتالله) وقرىء بالباء وهو الأصل والتاء بدل من الواو التي هي بدل من الأصل وفيها تعجيب (لا كيدن أصنامكم) أي لا يجتمدن في كسرها وفيه إيدان بصعوبة الانتهاز وتوقفه على استعمال الحيل وإنما قاله عليه السلام سرأ وقيل سمعه رجل واحد (بعد أن تولوا مدبرين) من عبادتها إلى عيديم وقرىء تولوا من الزولى بحذف إحدى التامين ويعضدها قوله تعالى فتولوا عنه مدبرين والفاء في قوله تعالى (لجعلهم) فصيحة أي • فولوا لجمعهم (جذاذاً) أي قطعاً أفعال بمعنى مفعول من الجذ الذي هو القطع كالخطام من الحطم الذي هو الكسر وقرىء بالكسر وهي لغة أو جمع جذيد كخاف وخفيف وقرىء بالفتح وجذاً جمع جذيد وجذاً جمع جذة روى أن أزر خرج به في يوم عيدهم فبدهوا بيت الأصنام فدخلوه فسجدوا لها ووضعوا يدها طعاماً آخر جوابه معهم وقالوا إلى أن نرجع بركت الالهة على طعامنا فذهبوا وبقي إبراهيم عليه السلام فنظر إلى الأصنام وكانت سبعين صنماً مصطفاً وثمة صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عيذه

- قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِغَالِيتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ ٢١ الأنبياء
- قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ وَابْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ ٢١ الأنبياء
- قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ ٢١ الأنبياء
- قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِغَالِيتِنَا يَتَّبِعُكَ الْهَيْمُ ﴿٦٢﴾ ٢١ الأنبياء
- قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَعَوْهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ٢١ الأنبياء

جوهرتان تضئان بالليل فكسر الكل بفأس كانت في يده ولم يبق إلا الكبير وعلق الفأس في عنقه وذلك قوله تعالى (إلا كبير ألهم) أي للأصنام (لعلمهم إليه) أي إلى إبراهيم عليه السلام (يرجعون) فيحاجهم بما سيأتي فيحجمهم ويسكتهم وقيل يرجعون إلى الكبير فيسألونه عن الكاسر لأن من شأن المعبود أن يرجع إليه في الملمات وقيل يرجعون إلى الله تعالى وتوحيده عند تحققهم بحجراتهم عن دفع ما يصيبهم وعن الإضرار بمن كسروهم (قالوا) أي حين رجعوا من عيدهم ورواها ماراوا (من فعل هذا بالهتنا) على طريقة الإنكار والتوبيخ والتشنيع وإنما عبروا عنها بما ذكر ولم يشيروا إليها بهؤلاء وهي بين أيديهم مبالغة في التشنيع وقوله تعالى (إنه لمن الظالمين) استئناف مقرر لما قبله وقيل من موصولة وهذه الجملة في حيز الرفع على أنها خبر لها والمعنى الذي فعل هذا الكسر والحطم بالهتنا إنه معدود من جملة الظلمة إما لجرأته على إهانتها وهي حقيقة بالإعظام أو لإفراطه في الكسر والحطم وتماديه في الاستهانة بها أو بتعريض نفسه للهلكة (قالوا) أي بعض منهم مجيبين للسائلين (سمعنا فتى يذكروهم) أي يعيهم فلعلة فعل ذلك بها فقولته تعالى يذكروهم إما مفعول ثان لسمع لتعلقه بالعين أو صفة لفتى مصححة لتعلقه به هذا إذا كان القائلون سمعوه عليه السلام بالذات يذكروهم وإن كانوا قد سمعوا من الناس أنه عليه السلام يذكروهم بسوء فلا حاجة إلى المصحح (يقال له إبراهيم) صفة أخرى لفتى أي يطلق عليه هذا الاسم (قالوا) أي السائلون (فاتوا به على أعين الناس) أي برأى منهم بحيث يكون نصب أعينهم في مكان مرتفع لا يكاد يخفى على أحد (لعلمهم يشهدون) أي يحضرون عقوبتنا له وقيل لعلمهم يشهدون بفعله أو بقوله ذلك فالضمير حينئذ ليس للناس بل لبعض منهم مبهم أو معهود (قالوا) استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية قولهم كأنه قيل فإذا فعلوا به عليه السلام بعد ذلك هل أتوا به أولا فقيل أتوا به ثم قالوا (أأنت فعلت هذا بالهتنا إبراهيم) اقتصار على حكاية مخاطبتهم إياه عليه السلام للتنبيه على أن إتيانهم به ومسايرتهم إلى ذلك أمر محقق غنى عن البيان (قال بل فعله كبيرهم هذا) مشير إلى الذي لم يكسره سلك عليه السلام مسلکا تعريضاً يؤديه إلى مقصده الذي هو إلزامهم بالحجة على العطف وجهه وأحسنه بحملهم على التأمل في شأن آلهتهم مع ما فيه من التوقي من الكذب حيث أبرز الكبير قولاً في معرض المباشر للفعل بإسناده إليه كما أبرزه في ذلك

فَرَجِعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾

٢١ الأنبياء

ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾

٢١ الأنبياء

المعرض فعلا بجعل النفس في عنقه وقد قصد إسناده إليه بطريق التسبب حيث كانت تلك الأصنام غاظته عليه السلام حين أبصرها مصطفة مرتبة للعبادة من دون الله سبحانه وكان غيظ كبيرها أكبر وأشد حسب زيادة تعظيمهم له فأسند الفعل إليه باعتبار أنه الحامل عليه وقيل هو حكاية لما يقود إلى تجويزه مذهبهم كأنه قال لهم ماتنكرون أن بفعله كبيرهم فإن من حق من يعبد ويدعى إلهاً أن يقدر على ما هو أشد من ذلك ويحكى أنه عليه السلام قال بفعله كبيرهم هذا غضب أن تعبد معه هذه الصغار وهو أكبر منها فيكون تمثيلاً أراد به عليه السلام تنبيههم على غضب الله تعالى عليهم لإشراكهم بعبادته الأصنام وأما ما قيل من أنه عليه السلام لم يقصد نسبة الفعل الصادر عنه إلى الصنم بل إنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريض يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيته ومثل لذلك بما لوقال لك أى فيما كتبت بخط رشيق وأنت شهير بحسن الخط أنت كتبت هذا فقلت له بل أنت كتبتة كان قصدك تقرير الكتابة لنفسك مع الاستهزاء بالسائل لانقيها عنك وإثباتها له فبمعزل من التحقيق لأن خلاصة المعنى في المثال المذكور مجرد تقرير الكتابة لنفسك وادعاء ظهور الأمر مع الاستهزاء بالسائل وتجهيله في السؤال لا بثنائه على أن صدورها عن غيرك محتمل عنده مع استحالة عندك ولا ريب في أن مراده عليه السلام من إسناد الكسر إلى الصنم ليس مجرد تقريره لنفسه ولا تجهيلهم في سؤالهم لا بثنائه على احتمال صدوره عن الغير عندهم بل إنما مراده عليه السلام توجيههم نحو التأمل في أحوال أصنامهم كما ينفي عنه قوله (فاسألوهم إن كانوا ينطقون) أى إن كانوا ممن يمكن أن ينطقوا وإنما لم يقل عليه السلام إن كانوا يسمعون * أويقولون مع أن السؤال موقوف على السمع والعقل أيضاً لما أن نتيجة السؤال هو الجواب وأن عدم نطقهم أظهر وتبكيتهم بذلك أدخل وقد حصل ذلك أولاً حسبما نطق به قوله تعالى (فرجعوا إلى أنفسهم) ٦٤ أى راجعوا عقولهم وتذكروا أن ما لا يقدر على دفع المضرة عن نفسه ولا على الإضرار بمن كسره بوجه من الوجوه يستحيل أن يقدر على دفع مضرة عن غيره أو جلب منفعة له فكيف يستحق أن يكون معبوداً (فقالوا) أى قال بعضهم لبعض فيما بينهم (إنكم أنتم الظالمون) أى بهذا السؤال لأنه كان على طريقة التوبيخ المستتبع للمؤاخذه أو بعبادة الأصنام لا من ظلمتموه بقولكم إنه لمن الظالمين أو أنتم الظالمون بعبادتها لا من كسرها (ثم نكسوا على رؤوسهم) أى انقلبوا إلى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة شبه ٦٥ عودهم إلى الباطل بصيرورة أسفل الشيء أعلاه وقرىء نكسوا بالتشديد ونكسوا على البناء للفاعل أى نكسوا أنفسهم (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) على إرادة القول أى قائلين والله لقد علمت أن ليس من شأنهم النطق فكيف تأمرنا بسؤالهم على أن المراد استمرار نفي النطق لأننى استمراره كما توهمه صيغة المضارع .

٢١ الأنبياء

قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾

٢١ الأنبياء

أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾

٢١ الأنبياء

قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾

٢١ الأنبياء

قُلْنَا يَنْتَارُ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾

- ٦٦ (قال) مبكناً لهم (أفتعبدون) أى أتعبدون ذلك فتعبدون (من دون الله) أى متجاوزين عبادته تعالى (ملا ينفعكم شيئاً) من النفع (ولا يضركم) فإن العلم بحاله المنافية للألوهية مما يوجب الاجتناب عن عبادته قطعاً (أف لكم ولما تعبدون من دون الله) تضجر منه عليه السلام من إصرارهم على الباطل البين وإظهار الاسم الجليل فى موضع الإضمار لمزيد استقباح ما فعلوا وأف صوت المتضجر ومعناه قبحاً وتناً واللام لبيان المتأقف له (أفلا تعقلون) أى ألا تنفكرون فلا تعقلون قبح صنيعكم (قالوا) أى قال بعضهم لبعض لما عجزوا عن المحاجة وضاعت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وهكذا ديدن المبطل المحجوج إذا قرعت شبهته بالحجة القاطعة وافتضح لا يبق له مفرج إلا المناصبة (حرقوه) فإنه أشد العقوبات (وانصروا آلِهَتكم) لا انتقام لها (إن كنتم فاعلين) أى للنصر أو لشيء يعتد به قيل الفائل نمرود بن كنعان بن السنجاريب ابن نمرود بن كوس بن حام بن نوح وقيل رجل من أكراد فارس اسمه هيون وقيل هدير خسفت به الأرض روى أنهم لما أجمعوا على إحراقه عليه السلام بنوا له حظيرة بكوثر قرية من قرى الأنباط وذلك قوله تعالى قالوا ابناؤه بنيانا فالقوه فى الجحيم فجمعوا له صلاب الحطب من أصناف الخشب مدة أربعين يوماً فأرقدوا ناراً عظيمة لا يكاد يحوم حولها أحد حتى إن كانت الطير لتقربها وهى فى أقصى الجوف تحترق من شدة وهجها ولم يكبد أحد يحوم حولها فلم يعلموا كيف يلقونه عليه السلام فيها فأتى إبليس وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه وقيل صنعه لهم رجل من الأكراد خسف الله تعالى به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة ثم عمدوا إلى إبراهيم عليه السلام فوضعوه فيه مغلولاً فرموا به فيها فقال له جبريل عليهم السلام هل لك حاجة قال أما إليك فلا قال فاسأل ربك قال حسبي من سؤالي عليه بحالى فجعل الله تعالى ببركة قوله الحظيرة روضة وذلك قوله تعالى (قلنا يانار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم) أى كوني ذات برد وسلام أى ابردى رد أغبر ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته تعالى مأمورة مطاوعة وإقامة كوني ذات برد مقام ابردى ثم حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وقيل نصب سلاماً بفعله أى وسلمنا سلاماً عليه . روى أن الملائكة أخذوا بضبعى إبراهيم وأقعدوه على الأرض فإذا عين ماء عذب وورد أحر ونرجس ولم تحرق النار إلا واثقه وروى أنه عليه السلام مكث فيها أربعين يوماً أو خمسين وقال ما كنت أطيب عيشاً منى إذ كنت فيها قال ابن يسار وبعث الله تعالى ملك الظل فقعد إلى جنبه يؤنسه فنظر نمرود من صرحه فأشرف عليه فرآه جالساً فى روضة موفقة ومعه مجلس على أحسن ما يكون من الهيئة

وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ٢١ الانبياء

وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ ٢١ الانبياء

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ ٢١ الانبياء

وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ ﴿٧٣﴾ ٢١ الانبياء

والنار محبطة به فناداه إبراهيم هل تستطيع أن تخرج منها قال نعم قال فقم فخرج فقام يمشى فخرج منها فاستقبله نمرود وعظمه وقال من الرجل الذي رأيته معك قال ذلك ملك الظل أرسله ربي ليؤنسني فقال لاني مقرب إلى إلهك قرباناً لما رأيته من قدرته وعزته فيها صنع بك فقال عليه السلام لا يقبل الله منك مادمت على دينك هذا قال لا أستطيع ترك ملكي ولكن سوف أذبح له أربعة آلاف بقرة فذبحها وكف عن إبراهيم عليه السلام وكان إذ ذاك ابن ست عشرة سنة وهذا كما ترى من أبداع المعجزات فإن انقلاب النار هو أطيأ وإن لم يكن بدعا من قدرة الله عز وجل لكن وقوع ذلك على هذه الهيئة مما يخرج العادات وقيل كانت النار على حالها لكنه تعالى دفع عنه عليه السلام أذاها كما تراه في السمندل كما يشعر به ظاهر قوله تعالى على إبراهيم (وأرادوا به كيداً) مكرأ عظيماً في الإضرار به (جعلناهم الأخسرين) أي أخسر ٧٠ من كل خاسر حيث عاد سعيهم في إطفاء نور الحق برهاناً قاطعاً على أنه عليه السلام على الحق وهم على الباطل وموجباً لارتفاع درجته واستحقاقهم لأشد العذاب (ونجينا لوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) ٧١ أي من العراق إلى الشام وبركاته العامة أن أكثر الأنبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبادئ الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روى أنه عليه السلام نزل بفلسطين ولوط عليه السلام بالموثقفة وبينهما مسيرة يوم وليلة (ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة) أي ٧٢ عطية فهي حال منهما أو ولد أو زيادة على ما سأل وهو إسحاق فاختص بيعقوب ولا لبس فيه للقرينة الظاهرة (وكلاً) أي كل واحد من هؤلاء الأربعة لا بعضهم دون بعض (جعلنا صالحين) بأن وفقناهم للإصلاح في الدين والدنيا فصاروا كاملين (وجعلناهم أئمة) يقتدى بهم في أمور الدين إجابة لدعائه عليه السلام بقوله ومن ذريتي (يهدون) أي الأمة إلى الحق (بأمرنا) لهم بذلك وإرسالنا إياهم حتى صاروا مكملين (وأوحينا إليهم فعل الخيرات) ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل إلى العلم وأصله أن تفعل الخيرات ثم فعلاً الخيرات وكذا قوله تعالى (واقام الصلاة وإيتاء الزكاة) وهو من عطف الخاص على العام دلالة على فضله وإضافته وحذفت تاء الإقامة المعوضة من إحدى الالفين لقيام المضاف إليه مقامه (وكانوا لنا) خاصة دوني غيرنا (عابدين) لا يخطر ببالهم غير عبادتنا .

وَلَوْ طَاءَ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَاتِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾

٢١ الأنبياء.

وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾

٢١ الأنبياء.

وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

٢١ الأنبياء.

وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾

٢١ الأنبياء.

وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَمُّ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ

٢١ الأنبياء.

شَهِيدِينَ ﴿٧٨﴾

- ٧٤ (ولو طأ) قيل هو منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى (آتيناه) أى وآتيناه لو طأ وقيل باذكر (حكما) أى حكمة أو نبوة أو فصلا بين الخصوم بالحق (وعلماً) بما يذنبى عليه للأنبياء عليهم السلام (ونجينا من القرية التي كانت تعمل الخبثات) أى اللواطه وصفت بصفة أهلها وأسندت إليها على حذف المضاف وإقامتها مقامه كما يؤذن به قوله تعالى (إنهم كانوا قوم سوء فاسقين) فإنه كالتعليل له (وأدخلناه في رحمتنا) أى في أهل رحمتنا أو في جنتنا (إنه من الصالحين) الذين سبقت لهم من الحسن (ونوحاً) أى اذكر نوحاً أى خبره وقوله تعالى (إذ نادى) أى دعا الله تعالى على قومه بالهلاك ظرف للمضاف المقدر أى اذكر نبأه الواقع وقت دعائه (من قبل) أى من قبل هؤلاء المذكورين (فاستجبنا له) أى دعاه الذى من جملة قوله إني مغلوب فانتصر (فنجينا وأهله من الكرب العظيم) وهو الطوفان وقيل أذية قومه وأصل الكرب الغم الشديد (ونصرناه) نصرأ مستنبعاً للانتقام والانتصار ولذلك قيل (من القوم الذين كذبوا بآياتنا) وحمله على فانتصراً بآياه ماذكر من دعائه عليه السلام فإن ظاهره يوجب إسناد الانتصار إليه تعالى مع ما فيه من تهويل الأمر وقوله تعالى (إنهم كانوا قوم سوء) تعليل لما قبله وتمهيد لما بعده من قوله تعالى (فأغرقناهم أجمعين) فإن الإصرار على تكذيب الحق والانهماك في الشر والفساد يوجب الإهلاك قطعاً (وداود وسليمان) إما عطف على نوحاً معمول لعامله وإما المضمر معطوف على ذلك العامل بتقدير المضاف وقوله تعالى (إذ يحكما) ظرف للمضاف المقدر وصيغة المضارع حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها أى اذكر خبرهما وقت حكمهما (في الحرث) أى في حق الزرع أو الكرم المتدلى عناقيدته كما قبل أو بدل اشتغال منهما وقوله تعالى (إذ نفشت) أى تفرقت وانتشرت (فيه غم القوم) ليلا بلا راع فرعته وأفسدته ظرف للحكم (وكنا لحكمهم) أى لحكم الحاكمين والمنحاكين إليهما فإن الإضافة للجرد الاختصاص المنتظم لا اختصاص القيام واختصاص الوقوع وقرئ لحكمهما (شاهدين) حاضرين علماً والجملة اعتراض مقرر للحكم ومفيد لمزيد الاعتناء بشأنه .

فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَانَ وَكُلَّاءَ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَخْرَنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالِ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكَأَنَّ فَعِلِينَ ﴿٧٩﴾

٢١ الأنبياء

- (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ) عطف على يحكم أن فإنه في حكم الماضي وقرىء فافهمناها والضمير للحكومة أو الفئدة ٧٩ روى أنه دخل على داود عليه السلام رجلاً فقال أحدهما إن غنم هذا دخلت في حرثي ليلاً فأفسدتها فقضى له بالغنم فخرجا فمرا على سليمان عليه السلام فأخبراه بذلك فقال غير هذا أرفق بالفريقين فسمعه داود فدفعه فقال له بحق النبوة والآبوة إلا أخبرتني بالذي أرفق بالفريقين فقال أرى أن تدفع الغنم إلى صاحب الأرض لينتفع بذرهما ونسلهما وصوفهما والحرث إلى أرباب الغنم ليقوموا عليه حتى يعود إلى ما كان ثم يترادأ فقال القضاء ما قضيت وأمضى الحكم بذلك والذي عندى أن حكمهما عليهما السلام كان بالاجتهاد فإن قول سليمان عليه السلام غير هذا أرفق بالفريقين ثم قوله أرى أن تدفع الخ صريح في أنه ليس بطريق الوحي وإلا لبث القول بذلك ولما ناشده داود عليهما السلام لإظهار ما عنده بل وجب عليه أن يظهره بده أو حرم عليه كتمه ومن ضرورته أن يكون القضاء السابق أيضاً كذلك ضرورة استحالة نقض حكم النص بالاجتهاد بل أقول والله تعالى أعلم إن رأى سليمان عليه السلام استحسان كما ينبغي عنه قوله أرفق بالفريقين ورأى داود عليه السلام قياساً كما أن العبد إذا جنى على النفس يدفعه المولى عند أبي حنيفة إلى المجنى عليه أو يفديه وبيعه في ذلك أو يفديه عند الشافعي وقدرى أنه لم يكن بين قيمة الحرث وقيمة الغنم تفاوت وأما سليمان عليه السلام فقد استحسنت حيث جعل الانتفاع بالغنم بإزاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير أن يزول ملك المالك عن الغنم وأوجب على صاحب الغنم أن يعمل في الحرث إلى أن يزول الضرر الذي أتاه من قبله كما قال أصحاب الشافعي فيمن غصب عبداً فأبق منه أنه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بإزاء ما فوته الغاصب من المنافع فإذا ظهر الأبق ترادأ وفي قوله تعالى ففهمناها سليمان دليل على رجوع داود عليه السلام إليه مع أن الحكم المبني على الاجتهاد لا ينقض باجتهاد آخر وإن كان أقوى منه لما أن ذلك من خصائص شريعتنا على أنه ورد في الأخبار أن داود عليه السلام لم يكن بت الحكم في ذلك حتى سمع من سليمان ما سمع وأما حكم المسئلة في شريعتنا فعند أبي حنيفة رحمه الله لا ضمان إن لم يكن معها سائق أو قائد وعند الشافعي يجب الضمان ليلاً لانهاراً وقوله تعالى (وكلاً آتينا حكماً وعلماً) لدفع ما عسى يوهمه تخصيص سليمان عليه السلام بالتفهم من عدم كون حكم داود عليه السلام حكماً شرعياً أى وكل واحد منهما آتينا حكماً وعلماً كثيراً لا سليمان وحده وهذا إنما يدل على أن خطأ المجتهد لا يقدح في كونه مجتهداً وقيل بل على أن كل مجتهد مصيب وهو مخالف لقوله تعالى ففهمناها سليمان ولولا النقل لاحتمل توافقه ما على أن قوله تعالى ففهمناها سليمان لإظهار ما تفضل عليه في صغره فإنه عليه السلام كان حينئذ ابن إحدى عشرة سنة (وسخرنا مع داود الجبال) شروع في بيان ما يختص بكل منهما من كرامته تعالى إثر بيان كرامته العامة لهما (يسبحن) أى يقدسن الله عز وجل معه بصوت يتمثل له أو يخلق الله تعالى فيها الكلام وقيل يسرن معه من السباحة

وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ٢١ الأنبياء

وَلَسَلِمْنَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكَتْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾ ٢١ الأنبياء

وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ ٢١ الأنبياء

وهو حال من الجبال أو استئناف مبين لكيفية التسخير ومع متعلقة بالتسخير وقيل بالتسبيح وهو بعيد
 * (والطير) عطف على الجبال أو مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف أى والطير
 * مسخرات وقيل على العطف على الضمير في يسبحن وفيه ضعف لعدم التأكيد والفصل (وكنا فاعلين)
 ٨٠ أى من شأننا أن نفعل أمثاله فليس ذلك بيدع منا وإن كان بديعاً عنكم (وعلمناه صنعة لبوس) أى عمل
 الدرع وهو فى الأصل اللباس قال قائلهم [البس لكل حالة لبوسها * إما نعيمها وإما بوسها] وقيل كانت
 صفائح خلقتها وسردها (لكم) متعلق بعلينا أو بمحذوف هو صفة لبوس (لتحصنكم) أى اللبوس بتأويل
 الدرع وقرئ بالتذكير على أن الضمير لداود عليه السلام أو لللبوس وقرئ بنون العظمة وهو بدل اشتغال
 من لكم بإعادة الجار مبين لكيفية الاختصاص والمنفعة المستفادة من لام لكم (من بأسكم) قيل من حرب
 عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم (فهل أنتم شاكرون) أمر وارد على صورة الاستفهام للمبالغة أو
 ٨١ التقرير (ولسليمان الریح) أى وسخرنا له الریح وإيراد اللام ههنا دون الأول الدلالة على ما بين التسخيرين
 من التفاوت فإن تسخير ما سخر له عليه السلام من الریح وغيرها كان بطريق الانقياد الكلى له والامتثال
 بأمره ونهيه والمقهورية تحت ملكوته وأما تسخير الجبال والطير لداود عليه السلام فلم يكن بهذه المثابة
 * بل بطريق التبعية له عليه السلام والافتداء به فى عبادة الله عز و علا (عاصفة) حال من الریح والعامل
 فيها الفعل المقدر أى وسخرنا له الریح حال كونها شديدة الهبوب من حيث إنها كانت تبعد بكرسيه فى مدة
 يسيرة من الزمان كما قال تعالى غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء فى نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة
 وعاصفة أخرى حسب إرادته عليه السلام وقرئ الریح بالرفع على الابتداء والخبر هو الظرف المقدم
 وعاصفة حينئذ حال من ضمير المبتدأ فى الخبر والعامل مافيه من معنى الاستقرار وقرئ الرياح نصباً
 * ورفعاً (تجرى بأمره) بمشيئته حال ثانية أو بدل من الأولى أو حال من ضميرها (إلى الأرض التى باركنا
 فيها) وهى الشام رواها بعد ما سار به منه بكرة قال الكلبى كان سليمان عليه السلام وقومه يركبون عليها
 * من اصطخر إلى الشام وإلى حيث شاء ثم يعود إلى منزله (وكنا بكل شئ عالمين) فنجره حسبما تقتضيه
 ٨٢ الحكمة (ومن الشياطين) أى وسخرنا له من الشياطين (من يغوصون له) فى البحار ويستخرجون له من
 نفائسها وقيل من رفع على الابتداء وخبره ما قبله والأول هو الأظهر (ويعملون عملاً دون ذلك) أى غير
 ما ذكر من بناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة لقوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل
 الآيات وهؤلاء إما الفرقة الأولى أو غيرها العموم كلمة من كأنه قيل ومن يعملون وجمع الضمير الراجع إليها
 باعتبار معناها بعد ما رشح جانبه بقوله تعالى ومن الشياطين روى أن المسخر له عليه السلام كفارهم

وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِيَ الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْجَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ٢١ الأنبياء

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ، وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا عِنْدَنَا وَذَكَرْنَاهُ

لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾ ٢١ الأنبياء

- لا مؤمنونهم لقوله تعالى ومن الشياطين وقوله تعالى (وكننا لهم حافظين) أى من أن يزيغوا عن أمره أو *
يفسدوا على ما هو مقتضى جنانهم قيل وكل بهم جمعاً من الملائكة وجمعاً من مؤمنى الجن وقال الزجاج كان
يحفظهم من أن يفسدوا ما عملوا وكان دأبهم أن يفسدوا بالليل ما عملوه بالهار (وأيوب) الكلام فيه كما ٨٣
مر في قوله تعالى وداود وسليمان أى واذكر خبر أيوب (إذ نادى ربه أنى) أى بآنى (مسنى الضر) وقرىء
بالكسر على إضمار القول أو تضمنين النداء معناه والضر شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس من
مرض وهزال ونحوهما (وأنت أرحم الراحمين) وصفه تعالى بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها *
واكتفى به عن عرض المطلب لطفاً في السؤال وكان عليه السلام رويماً من ولد عيص بن إسحاق استبأه الله
تعالى وكثر أهله وماله فابتلاه الله تعالى بهلاك أولاده بهدم بيت عليهم وذهاب أمواله والمرض في بدنه
ثمانى عشرة سنة أو ثلاث عشرة سنة أو سبعاً وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات روى أن امرأته ماخير
بنت يشان بن يوسف عليه السلام أو رحمة بنت إفرام بن يوسف قالت له يوم ألد دعوت الله تعالى فقال كم كانت
مدة الرخاء فقالت عمانين سنة فقال استحي من الله تعالى أن أدعوه وما بلغت مدة بلائى مدة رخائى وروى
أن إبليس أتاها على هيئة عظيمة فقال أنا إله الأرض فعملت بزورك ما فعلت لأنه تركنى وعبد إله السماء
فلو سجد لى سجدت لرددت عليه وعليك جميع ما أخذت منك وفى رواية لو سجدت لى سجدت لرجعت
المال والولد وعافيت زوجك فرجعت إلى أيوب وكان ملقى فى الكناسة لا يقرب منه أحد فأخبرته بالقصة
فقال عليه السلام كأنك افتنت بقول اللعين لئن عافانى الله عز وجل لأضربنك مائة سوط وحرام على
أن أذوق بعد هذا شيئاً من طعامك وشرابك فطردھا فبقى طريحاً على الكناسة لا يحوم حوله أحد من
الناس فعند ذلك خر ساجداً فقال رب إني مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فقيل له ارفع رأسك فقد
استجبت لك اركض برجلك فركض فنبعت من تحته عين ماء فاغتسل منها فلم يبق فى ظاهر بدنه دابة إلا
سقطت ولا جراحة إلا برئت ثم ركض مرة أخرى فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق فى جوفه داء
إلا خرج وعاد صحيحاً ورجع إليه شبابه وجماله ثم كسى حلة وذلك قوله تعالى (فاستجبنا له فكشفنا ما به
من ضر) فلما قام جعل يلتفت فلا يرى شيئاً مما كان له من الأهل والمال إلا وقد ضاعفه الله تعالى وذلك
قوله تعالى (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) وقيل كان ذلك بأن ولد له ضعف ما كان ثم إن امرأته قالت فى *
نفسها هب أنه طردنى فأتركة حتى يموت جوعاً ويأكله السباع لأرجعن إليه فلما رجعت مارأت تلك الكناسة
ولا تلك الحال وقد تغيرت الأمور فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وهابت صاحب الحلة أن

وَأَسْمِعِلْ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ ٢١ الأنبياء

وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ ٢١ الأنبياء

وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ ٢١ الأنبياء

تأنيه وتسال عنه فأرسل إليها أيوب ودعاها فقال ماتريدن يا أمة الله فبككت وقالت أريد ذلك المبطل الذي كان ملقى على الكناسة قال لها ما كان منك فبككت وقالت بعلى قال أتعرفينه إذا رأيته قالت وهل يخفى على قنيسم فقال أنا ذلك فعرفته بضحكة فاعتقته (رحمة من عندنا وذكرى للعابدين) أي آتيناه ما ذكر لرحمتنا أيوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما أئيب أو لرحمتنا العابدين الذين من جملتهم ٨٥
أيوب وذكرنا إياهم بالإحسان وعدم نسياننا لهم (وإسماعيل وإدريس وذا الكفل) أي واذكرهم وذو الكفل إلياس وقيل يوشع بن نون وقيل زكريا سمي به لأنه كان ذا حظ من الله تعالى أو تكفل منه أو ضعف حمل أنبياء زمانه وثوابهم فإن الكفل يحى بمعنى النصيب والكفالة والضعف (كل) أي كل واحد من هؤلاء (من الصابرين) أي على مشاق التكاليف وشدائد النوب والجملة استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من الأمر بذكرهم (وأدخلناهم في رحمتنا) أي في النبوة أو في نعمة الآخرة (لأنهم من الصالحين) أي الكاملين في الصلاح الكامل الذي لا يحوم حوله شائبة الفساد وهم الأنبياء فإن صلاحهم ٨٦
معصوم من كدر الفساد (وذا النون) أي واذكر صاحب الحوت وهو يونس عليه السلام (إذ ذهب مغاضباً) أي مراغماً لقومه لما برم من طول دعوته إياهم وشدة شكيمتهم وتمادى إصرارهم مهاجراً عنهم قبل أن يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن أنه كذبهم فغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للبالغ أو لأنه أغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها • وقرىء مغضباً (ظن أن لن نقدر عليه) أي لن نضيق عليه أو لن نقضى عليه بالعقوبة من القدر ويؤيده أنه قرىء مشدداً أو لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من يظن أن لن نقدر عليه أي نعامله معاملة من يظن أن لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لأمرنا كما في قوله تعالى يحسب أن ماله أخذه أي نعامله معاملة من يحسب ذلك وقيل خطرة شيطانية سبقت إلى وهمه فسميت ظناً للبالغ وقرىء • بالياء مخففاً ومثقلاً مبنيّاً للفاعل ومبنيّاً للفعول (فنادى) الفاء فصيحة أي فكان ما كان من المساهمة والتقام الحوت فنادى (في الظلمات) أي في الظلمة الشديدة المتكاثفة أو في ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت أكبر منه فحصل في ظلمتي بطنى الحوتين وظلمتى البحر والليل (أن لا إله إلا أنت) أي بأنه لا إله إلا أنت على أن أن مخففة من أن وضمير الشأن محذوف أو أي لا إله إلا أنت على أنها مقسرة (سبحانك) أنزهك تنزيهاً لا تقا بك من أن يعجزك شئ أو أن يكون ابتلاى بهذا بغير سبب •

٢١ الأنبياء

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾

٢١ الأنبياء

وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا

٢١ الأنبياء

رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾

وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ ٢١ الأنبياء

- ٨٨ من جمعي (إني كنت من الظالمين) لأنفسهم بتعريضها للملكة حيث بادرت إلى المهاجرة (فاستجبنا له) أي دعاءه الذي دعاه في ضمن الاعتراف بالذنب على الطف وجهه وأحسنه عن رسول الله ﷺ مامن مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له (ونجيناه من الغم) بأن قذفه الحوت إلى الساحل بعد أربع ساعات كان فيها في بطنه وقيل بعد ثلاثة أيام وقيل الغم غم الانتقام وقيل الخطيئة (وكذلك) أي مثل تلك الإنجاء الكامل (تنجي المؤمنين) من غموم يدعو الله تعالى فيها بالإخلاص لإنجاء أدنى منه وفي الإمام نجى فلذلك أخفى الجماعة النون الثانية فإنها تخفى مع حروف الفم وقرىء بتشديد الجيم على أن أصله تنجي فحذفت الثانية كما حذفت التاء في تظاهرون وهي وإن كانت فاء فحذفها أو وقع من حذف حرف المضارعة التي لمعنى ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين فإن الداعي إلى الحذف اجتماع المثليين مع تعذر الإدغام وامتناع الحذف في تنجاني لحرف اللبس وقيل هو ماض مجهول أسند إلى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفاً ورد بأنه لا يسند إلى المصدر والمفعول مذكور والماضي لا يسكن آخره (وزكريا) أي واذا ذكر خبره (إذ نادى) ٨٩ ربه) وقال (رب لا تذرني فرداً) أي وحيداً بلا ولد يرثي (وأنت خير الوارثين) لحسبي أنت إن لم ترزقني وارثاً (فاستجبنا له) أي دعاءه (ووهبنا له يحيى) وقد مر بيان كيفية الاستجابة والهبّة في سورة مريم (وأصلحنا له زوجه) أي أصلحناها للولادة بعد عقرها أو أصلحناها للعاشرة بتحصين خلقها وكانت حردة وقوله تعالى (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات) تعليل لما فصل من فنون إحسانه تعالى المتعلقة بالأنبياء المذكورين أي كانوا يبادرون في وجوه الخيرات مع ثباتهم واستقرارهم في أصل الخير وهو السر في إظهار كلمة في على كلمة إلى المشعرة بخلاف المقصود من كونهم خارجين عن أصل الخيرات متوجهين إليها كما في قوله تعالى وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة (ويدعوننا رغباً ورهباً) ذوى رغب ورهب أو راغبين في الثواب راغبين للإجابة أو في الطاعة وخائفين العقاب أو المعصية أو للرغب والرهب (وكانوا لنا خاشعين) أي مخبتين متضرعين أو دائمى الوجمل والمعنى أنهم نالوا من الله تعالى ما نالوا بسبب اتصافهم بهذه الخصال الحميدة (والتي أحصنت فرجها) أي اذكر خبر التي أحصنته على الإطلاق من الحلال والحرام ٩١ والتعبير عنها بالموصول لتفخيم شأنها وتنزيها عما زعموه في حقها أثر ذى أثير (فنفخنا فيها) أي أحيينا عيسى في جوفها (من روحنا) من الروح الذي هو من أمرنا وقيل فعلنا النفخ فيها من جهة روحنا جبريل

إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّبِعُونِ ﴿٩٢﴾

٢١ الأنبياء

وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾

٢٢ الأنبياء

فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾

٢١ الأنبياء

وَحَرَّمَ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾

٢١ الأنبياء

عليه السلام (وجعلناها وابنها) أى قصتهما أو حالهما (آية للعالمين) فإن من تأمل حالهما تحقق كمال قدرته عز وجل فالمراد بالآية ما حصل بهما من الآية الثامنة مع تكرار آيات كل واحد منهما وقيل أريد بالآية الجنس الشامل لكل واحد منهما من الآيات المستقلة وقيل المعنى وجعلناها آية وابنها آية فذفت الأولى لدلالة الثانية عليها (إن هذه) أى ملة التوحيد والإسلام أشير إليها بهذه تنبيهاً على كمال ظهور أمرها فى الصحة والسداد (أنتكم) أى ملتكم التى يجب أن تحافظوا على حدودها وتراعوا حقوقها ولا تخلوا بشئ منها والخطاب للناس قاطبة (أمة واحدة) نصب على الحالية من أمتكم أى غير مختلفة فيما بين الأنبياء عليهم السلام إذ لا مشاركة لغيرها فى صحة الاتباع ولا احتمال لتبدلها وتغيرها كفروع الشرائع المتبدلة حسب تبدل الأمم والأعصار وقرئ أمتكم بالنصب على البدلية من اسم إن وأمة واحدة بالرفع على الخبرية وقرئنا بالرفع على أنهما خبران (وأنا ربكم) لا إله لكم غيرى (فاعبدون) خاصة لا غير وقوله تعالى (وتقطعوا أمرهم بينهم) التفات إلى الغيبة لينبئ عليهم ما أفسدوه من الفرق فى الدين وجعل أمره قطعاً موزعة وينهى قبائح أفعالهم إلى الآخرين كأنه قيل ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء فى دين الله الذى أجمعت عليه كافة الأنبياء عليهم السلام (كل) أى كل واحدة من الفرق المتقطعة أو كل واحد من آحاد كل واحدة من تلك الفرق (إلينا راجعون) بالبعث لا إلى غيرنا فتجازيهم حينئذ بحسب أعمالهم وإيراد اسم الفاعل للدلالة على الثبات والتحقق وقوله تعالى (فمن يعمل من الصالحات) الخ تفصيل للجزاء أى فمن يعمل بعض الصالحات أو بعضاً من الصالحات (وهو مؤمن) بالله ورسوله (فلا كفران لسعيه) أى لا حرمان لثواب عمله ذلك عبر عن ذلك بالكفران الذى هو ستر النعمة وجودها لبيان كمال نزاهته تعالى عنه بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وإبراز الإثابة فى معرض الأمور الواجبة عليه تعالى ونفى نفى الجنس للمبالغة فى التنزيه وعبر عن العمل بالسعى لإظهار الاعتداد به (وإننا له) أى لسعيه (كاتبون) أى مثبتون فى صحائف أعمالهم لا نغادر من ذلك شيئاً (وحرام على قرية) أى تمتنع على أهلها غير متصور منهم وقرئ حرم وهى لغة كالحل والحلال (أهلكناها) قدرناها هلاكها أو حكمنا به لغاية طغيانهم وعتوهم وقوله تعالى (أنهم لا يرجعون) فى حيز الرفع على أنه مبتدأ خبره حرام أو فاعل له ساد مسد خبره والجملة لتقرير مضمون ما قبلها من قوله تعالى كل إلينا راجعون وما فى أن من معنى التحقيق معتبر فى النفي المستفاد من حرام لافى النفي أى تمتنع البتة عدم رجوعهم إلينا للجزاء لأن عدم رجوعهم المحقق تمتنع وتخصيص امتناع عدم رجوعهم بالذكر مع شمول

٩٢

٩٣

٩٤

٩٥

حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾
وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُؤْيَلْنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ
كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾
إِنكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿٩٨﴾

٢١ الانبياء

٢١ الانبياء

٤١ الانبياء

الامتناع لعدم رجوع الكل حسبما نطق به قوله تعالى كل إلى نار اجمعون لأنهم المشكرون للبعث والرجوع دون غيرهم وقبل امتنع رجوعهم إلى التوبة على أن لا صلة وقرى. إنهم لا يرجعون بالكسر على أنه استئناف تعليل لما قبله فحرام خبر مبتدأ محذوف أي حرام عليها ذلك وهو ما ذكر في الآية السابقة من العمل الصالح المشفوع بالإيمان والسعي المشكور ثم علل بقوله تعالى إنهم لا يرجعون عما هم عليه من الكفر فكيف لا يتمتع ذلك ويجوز حمل المفتوحة أيضاً على هذا المعنى بحذف اللام عنها أي لأنهم لا يرجعون وحتى في قوله تعالى (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج) الخ هي التي يحكى بعدها الكلام وهي على الأول غاية لما يدل ٩٦ عليه ما قبلها كأنه قيل يستمرون على ما هم عليه من الهلاك حتى إذا قامت القيامة يرجعون إلينا ويقولون يا ويلنا الخ وعلى الثاني غاية للحرمة أي يستمر امتناع رجوعهم إلى التوبة حتى إذا قامت القيامة يرجعون إليها حين لا تنفعهم التوبة وعلى الثالث غاية لعدم الرجوع عن الكفر أي لا يرجعون عنه حتى إذا قامت القيامة يرجعون عنه حين لا ينفعهم الرجوع ويأجوج وماجوج قبيلتان من الإنس قالوا الناس عشرة أجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج والمراد بفتحها فتح سدها على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وقرى. فتحت بالتشديد (وهم) أي يأجوج ومأجوج وقيل الناس (من كل حدب) أي نشز من الأرض وقرى. جدث وهو القبر (ينسلون) أي يسرعون وأصله مقاربة الخطو مع الإسراع وقرى. بضم السين (واقترب الوعد الحق) عطف على فتحت والمراد به ما بعد النفخة الثانية من البعث والحساب والجزاء ٩٧ لا النفخة الأولى (فإذا هي شاخصة أبصر الذين كفروا) جواب الشرط وإذا للمفاجأة تسد مسند الفاء الجزائية كما في قوله تعالى إذا هم يقنطون فإذا دخلتها الفاء تظاهرت على وصل الجزاء بالشرط والضمير للقصة أو مبهم يفسره ما بعده (يا ويلنا) على تقدير قول وقع حالاً من الموصول أي يقولون يا ويلنا تعال فهذا أون حضورك وقيل هو الجواب للشرط (قد كما في غفلة) تامة (من هذا) الذي دهمنا من البعث والرجوع إليه تعالى للجزاء ولم نعلم أنه حق (بل كنا ظالمين) إضراب عما قبله من وصف أنفسهم بالغفلة أي لم نكن غافلين عنه حيث نهينا عليه بالآيات والنذر بل كنا ظالمين بتلك الآيات والنذر مكذبين بها وأوظالمين لأنفسنا بجرع يضما للعذاب الخالد بالكذب وقوله تعالى (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) خطاب لكفار مكة ٩٨ وتصريح بمآل أمرهم مع كونه معلوماً مما سبق على وجه الإجمال مبالغة في الإنذار وإزاحة الاعتذار وما تعبدون عبارة عن أصنامهم لأنهم التي يعبدونها كما يفصح عنه كلمة ما وقد روى أن رسول الله ﷺ حين

٢١ الأنبياء

لَوْ كَانَ هَؤُلَاءَ إِلَهًا مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾

٢١ الأنبياء

لَهُمْ فِيهَا زُفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾

تلا الآية قال له ابن الزبيري خصمتك ورب الكعبة البست اليهود عبدوا عزيزاً والنصارى المسيح وبنو ملجح الملائكة رد عليه بقوله ﷺ ما أجملك بلغة قومك أما فهمت أن مالم لا يعقل ولا يعارضه ماروى أنه ﷺ رده بقوله بل هم عبدوا الشياطين التي أمرتهم بذلك ولا ماروى أن ابن الزبيري قال هذا شيء لا لهتنا خاصة أو لكل من عبد من دون الله فقال ﷺ بل لكل من عبد من دون الله تعالى إذ ليس شيء منهما نصاً في عموم كلمة ما كما أن الأول نص في خصوصها وشمول حكم النص لا يقتضي شموله بطريق العبارة بل يكفي في ذلك شموله لهم بطريق دلالة النص بجامع الشركة في المعبودية من دون الله تعالى فعلمه ﷺ بعدما بين مدلول النظم الكريم بما ذكره عدم دخول المذكورين في حكمه بطريق العبارة بين عدم دخولهم فيه بطريق الدلالة أيضاً تأكيداً كيداً للرد والإلزام وتكريراً للنبكيت والإفحام لكن لا باعتبار كونهم معبودين لهم كما هو زعمهم فإن إخراج بعض المعبودين عن حكم مني عن الغضب على العبدية والمعبودين بما يومهم الرخصة في عبادته في الجملة بل بتحقيق الحق وبيان أنهم ليسوا من المعبودية في شيء حتى يتوهم دخولهم في الحكم المذكور دلالة بموجب شركتهم للأصنام في المعبودية من دون الله تعالى وإنما معبودهم الشياطين التي أمرتهم بعبادتهم كما نطق به قوله تعالى سبحانه أنت وإيماناً من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الآية فهم الداخلون في الحكم المذكور لا شترأكم مع الأصنام في المعبودية من دونه تعالى دون المذكورين عليهم السلام وهذا هو الوجه في التوفيق بين الأخبار المذكورة وأما تعميم كلمة مالم للعقلاء أيضاً وجعل ماسياتي من قوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى الخ بياناً للتجاوز أو التخصيص فما لا يساعده السياق والسياق كما يشهد به الذوق السليم والحصب ما يرى به ويهيج به النار من حصبه إذا رماه بالحصباء وقرىء بسكون الصاد وصفاً له بالمصدر للبالغ (أنتم لها واردون) استئناف أو بدل من حصب جهنم واللام معوضة من على الدلالة على الاختصاص وأن ورودهم لأجلها والخطاب لهم ولما يعبدون تغليباً (لو كان هؤلاء) أي أصنامهم (آلهة) كما يزعمون (ماوردوها) وحيث تبين ورودهم إياها تعين امتناع كونها آلهة بالضرورة وهذا كما ترى صريح في أن المراد بما يعبدون هي الأصنام لأن المراد إثبات نقيض ما يدعونه وهم إنما يدعون إلهية الأصنام لا إلهية الشياطين حتى يخرج بورودها النار على عدم إلهيتها وأما ما وقع في الحديث الشريف فقد وقع بطريق التكلية بانجرار الكلام إليه عند بيان ماسيق له النظم الكريم بطريق العبارة حيث سأل ابن الزبيري عن حال سائر المعبودين وكان الاختصار على الجواب الأول بما يومهم الرخصة في عبادتهم في الجملة لأنهم المعبودون عندهم أجيب ببيان أن المعبودين هم الشياطين وأنهم داخلون في حكم النص لكن بطريق الدلالة لا بطريق العبارة لثلاث ١٠٠ يلزم التدافع بين الخبرين (وكل) أي من العبدية والمعبودين (فيها خالدون) لا خلاص لهم عنها (لهم فيها زفير) أي أنين وتنفس شديد وهو مع كونه من أفعال العبدية أضيف إلى الكل للتغليب ويجوز أن يكون الضمير

٢١ الأنبياء

إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾

٢١ الأنبياء

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾

لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ٢١ الأنبياء

- للمعبدة لعدم الإلباس وكذا في قوله تعالى (وهم فيها لا يسمعون) أى لا يسمع بعضهم زفير بعض لشدة الهول وفظاعة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسمعون من الكلام (إن الذين سبقت لهم منا الحسنَى) شروع ١٠١ في بيان حال المؤمنين إثر شرح حال الكفرة حسبما جرت به سنة التنزيل من شفع الوعد بالوعيد وإيراد الرغبة مع الرهيب أى سبقت لهم منا في التقدير الحصلة الحسنَى التي هي أحسن الخصال وهي السعادة وقيل التوفيق للطاعة أو سبقت لهم كدنا بالبشرى بالثواب على الطاعة وهو الأدخل الأظهر في الحمل عليها لما أن الأولين مع خفتها ليسا من مقدورات المكلفين فالجملة مع ما بعدها تفصيل لما أجمل في قوله تعالى فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون كما أن ما قبلها من قوله تعالى إنكم وما تعبدون إلخ تفصيل لما أجمل في قوله تعالى وحرام إلخ (أولئك) إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعدهم عن جنتهم وبعد منزلهم في الشرف والفضل أى أولئك المعصونون بما ذكر من النعم الجليل (عنها) أى عن جهنم (مبعدون) لأنهم في الجنة وشتان بينها وبين النار وما روى أن علياً رضي الله عنه خطب يوماً فقرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح رضوان الله تعالى عنهم أجمعين ثم أقيمت الصلاة فقام يحمر رداءه ويقول (لا يسمعون حسيها) ليس بنص في كون الموصول عبارة عن طائفة مخصوصة والحسيس صوت يحس به أى لا يسمعون صوتها سمعاً ضعيفاً كما هو المعمود عند كون المصوت بعيداً وإن كان صوته في غاية الشدة لا أنهم لا يسمعون صوتها الخفي في نفسه فقط والجملة بدل من مبعدون أو حال من ضميره مسوقة للبالغة في إنقاذهم منها وقوله تعالى (وهم فيها اشتت أنفسهم خالدون) بيان لفوزهم بالمطالب إثر بيان خلاصهم من المهالك والمعاطب أى دائمون في غاية النعم وتقديم الظرف للقصر والاهتمام به وقوله تعالى (لا يحزنهم الفزع الأكبر) بيان لنجاتهم من الإفزاع بالكلية بعد ١٠٣ بيان نجاتهم من النار لأنهم إذا لم يحزنهم أكبر الإفزاع لا يحزنهم أعداء بالضرورة عن الحسن رضي الله عنه أنه الانصراف إلى النار وعن الضحاك حتى يطبق على النار وقيل حين يذبح الموت في صورة كبش أملح وقيل النفخة الأخيرة لقوله تعالى فزع من في السموات ومن في الأرض وليس بذلك فإن الأمن من ذلك الفزع من استأه الله تعالى بقوله إلا من شاء الله لاجتماع المؤمنين الموصوفين بالأعمال الصالحة على أن أكثرين على أن ذلك في النفخة الأولى دون الأخيرة كما سيأتى في سورة النمل (وتلقاهم الملائكة) أى تستقبلهم مهتئين لهم (هذا يومكم) على إرادة القول أى قائمين هذا اليوم يومكم (الذي كنتم توعدون) في الدنيا وتبشرون بما فيه من فنون المثوبات على الإيمان والطاعات وهذا كما ترى صريح في أن المراد بالذين

يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٢١﴾

٢١ الأنبياء

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ آلِ إِبْرَاهِيمَ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿٢١﴾

٢١ الأنبياء

٢١ الأنبياء

إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿٢١﴾

سبقت لهم الحسنى كافة المؤمنين الموصوفين بالإيمان والأعمال الصالحة لا من ذكر من المسيح وعزير
 ١٠٤ والملائكة عليهم السلام خاصة كما قيل (يوم نطوى السماء) بنون العظمة منصوب باذكر وقيل ظرف لقوله
 تعالى لا يحزنهم الفزع وقيل بتلقاها وقيل حال مقدرة من الضمير المحذوف في توعدون والعلو ضد النشر
 * وقيل المحو وقرئ يطوى بالياء والتاء والبناء للفعول (كطى السجل) وهى الصحيفة أى طيا كطى
 الطومار وقرئ السجل كلفظ الدلو وبالكسر والسجل على وزن العتل وهما لغتان واللام في قوله تعالى
 * (للكتب) متعلقة بمحذوف هو حال من السجل أو صفة له على رأى من يجوز حذف الموصول مع
 بعض صلته أى كطى السجل كائناً للكتب أو الكائن للكتب فإن الكتب عبارة عن الصحف وما كتب
 فيها فسجلها بعض أجزاءها وبه يتعلق الطى حقيقة وقرئ للكتاب وهو إما مصدر واللام للتعليل أى
 كما يطوى الطومار للكتابة أو اسم كالإمام فاللام كما ذكر أولاً وقيل السجل اسم ملك يطوى كتب أعمال
 * بنى آدم إذا رفعت إليه وقيل هو كاتب لرسول الله ﷺ (كما بدأنا أول خلق نعيده) أى نعيد ما خلقناه
 مبتدأ إعادة مثل بدئنا إياه في كونها إيجاداً بعد العدم أو جمعاً من الأجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة
 الإعادة بالقياس على المبدأ لشمول الإمكان الذاتى المصحح للبقدورية وتناول القدرة لهما على السواء وما
 كافة أو مصدرية وأول مفعول لبدأنا أول فعل يفسره نعيده أو موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره
 نعيده أى نعيد مثل الذى بدأناه وأول خلق ظرف لبدأنا أو حال من ضمير الموصول المحذوف (وعداً)
 * مصدر مؤكد لفعله ومقرر لنعيده أو منتصب به لأنه عدة بالإعادة (علينا) أى علينا إنجازها (إننا كنا فاعلين)
 ١٠٥ لما ذكر لاحالة (ولقد كتبنا فى الزبور) هو كتاب داود عليه السلام وقيل هو اسم الجنس ما أنزل على الأنبياء
 عليهم السلام (من بعد الذكر) أى التوراة وقيل اللوح المحفوظ أى وبالله لقد كتبنا فى كتاب داود بعد
 ما كتبنا فى التوراة أو كتبنا فى جميع الكتب المنزلة بعدما كتبنا وأثبتنا فى اللوح المحفوظ (أن الأرض يرثها
 عبادى الصالحون) أى طامة المؤمنين بعد إجلاء الكفار وهذا وعد منه تعالى بإظهار الدين وإعزاز أهله وعن
 ابن عباس رضى الله عنهما أن المراد أرض الجنة كما يبنى عنه قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده
 ١٠٦ وأورثنا الأرض تنبؤاً من الجنة حيث نشاء وقيل الأرض المقدسة يرثها أمة محمد ﷺ (إن فى هذا) أى
 فيما ذكر فى السورة الكريمة من الأخبار والمواظ بالغة والوعد والوعيد والبراهين القاطعة الدالة
 على التوحيد وصحة النبوة (لبلأغا) أى كفاية أو سبب بلوغ إلى البغية (لقوم عابدين) أى لقوم مهمين

٢١ الأنبياء

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾

٢١ الأنبياء

قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾

٢١ الأنبياء

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أُدْرِيَ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾

٢١ الأنبياء

إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾

٢١ الأنبياء

وَإِنْ أُدْرِيَ لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَنْعٌ إِلَيَّ حِينَ ﴿١١١﴾

- العبادة دون العادة (وما أرسلناك) بما ذكر وبأمثاله من الشرائع والأحكام وغير ذلك من الأمور التي ١٠٧ هي مناط السعادة الدارين (إلا رحمة للعالمين) هو في حيز النصب على أنه استثناء من أعم العلة أو من أعم الأحوال أي ما أرسلناك با ذكر لعله من العلة إلا برحمتنا الواسعة للعالمين قاطبة أو ما أرسلناك في حال من الأحوال إلا حال كونك رحمة لهم فإن لما بعثت به سبب لسعادة الدارين ومنشأ لا انتظام مصالحهم في الدنياه ومن لم يغتنم مغائم آثاره فإنما فرط في نفسه وحرمه حقه لا أنه تعالى حرمه عما يسعده وقيل كونه رحمة في حق الكفار أمهم من الخسف والمسح والاستئصال حسبا ينطق به قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم (قل إنما يوحى إلي أنها إلهكم إله واحد) أي ما يوحى إلي إلا أنه لا إله لكم إلا ١٠٨ إله واحد لأنه المقصود الأصلي من البعثة وأما ما عداه فن الأحكام المنفردة عليه فإنما الأولى لقصر الحكم على الشيء كقولك إنما يقوم زيد أي ما يقوم إلا زيد والثانية لقصر الشيء على الحكم كقولك إنما زيد قائم أي ليس له إلا صفة القيام (فهل أنتم مسلمون) أي غلصون العبادة لله تعالى مخلصون لها به تعالى والفاء للدلالة على أن ما قبلها موجب لما بعدها قالوا فيه دلالة على أن صفة الوحدانية تصح أن يكون طريقها السمع (فإن تولوا) عن الإسلام ولم يلتفتوا إلى ما يوجبهم من الوحي (فقل) لهم (آذنتكم) أي أعلمتكم ١٠٩ ما أمرت به أو حربي لكم (على سواء) كائنين على سواء في الإعلام به لم أطوه عن أحد منكم أو مستوين به أنا وأنتم في العلم بما أعلمتكم به أو في المعاداة أو لئذا أنا على سواء وقيل أعلمتكم أني على سواء أي عدل واستقامة رأي بالبرهان النير (وإن أدري) أي ما أدري (أقرب أم بعيد ما توعدون) من غلبة المسلمين وظهور الدين أو الخسر مع كونه آتيا لا محالة (إنه يعلم الجهر من القول) أي ما تجاهرون به من الطعن في ١١٠ الإسلام وتكذيب الآيات التي من جملتها ما نطق بمجيء الموعود (ويعلم ما تكتُمون) من الإحسان والأحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه نقيرا أو قطميرا (وإن أدري لعله فتنة لكم) أي ما أدري لعل تأخير ١١١ جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم أو امتحان لكم لينظر كيف تعملون (ومناع إلى حين) أي وتمتع لكم إلى أجل مقدر تقتضيه مشيئته المبينة على الحكم البالغة ليسكون ذلك حجة عليكم .

قَالَ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾ ٢١ الأنبياء

١١٢ (قال رب احكم بالحق) حكاية لدعائه ﷺ وقرىء قل رب على صيغة الأمر أى اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل المقتضى لتعجيل العذاب والتشديد عليهم وقد استجيب دعاؤه ﷺ حيث عذبوا بيد رأى تعذيب وقرىء رب احكم بضم الباء وربى احكم على صيغة التفضيل وربى احكم من الاحكام (وربنا الرحمن) مبتدأ أى كثير الرحمة على عباده وقوله تعالى (المستعان) أى المطلوب منه المعونة وخبر آخر للبتدأ وإضافة الرب فيما سبق إلى ضميره ﷺ خاصة لما أن الدعاء من الوظائف الخاصة به ﷺ كما أن إضافته ههنا إلى ضمير الجمع المنتظم للدؤمين أيضاً لما أن الاستعانة من الوظائف العامة لهم (على ما تصفون) من الحال فإهم كانوا يقولون إن الشوكة تكون لهم وإن راية الإسلام تخفق ثم تركد وإن المتوعد به لو كان حقاً لنزل بهم إلى غير ذلك مما لا خير فيه فاستجاب الله عز وجل دعوة رسوله ﷺ فغيب آماهم وغير أحوالهم ونصر أوليائه عليهم فأصابهم يوم بدر ما أصابهم والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضنون ما قبله وقرىء يصفون بالياء التحتية وعن النبي ﷺ من قرأ اقرب حاسبه الله تعالى حساباً يسيراً وصالحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه فى القرآن .

٢٢ - سورة الحج
(مدنية وآياتها ثمان وسبعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُورَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾
يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَى وَمَا هُمْ بِسُكَرَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾

٢٢ الحج

٢٢ الحج

(سورة الحج مدنية إلا الآيات ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ فبين مكة والمدينة وآياتها ٧٨)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (يأيتها الناس اتقوا ربكم) خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلامتهم بعد من الموجودين القاصرين عن رتبة التكليف والحادثين بعد ذلك إلى يوم القيامة وإن كان خطاب المشافهة مختصاً بالفريق الأول على الوجه الذي مر تقريره في مطلع سورة النساء ولفظ الناس ينتظم الذكور والإناث حقيقة وأما صيغة جمع المذكر فواردة على نهج التغليب لعدم تناوُلها للإناث حقيقة إلا عند الحنابلة والمأثور به مطلق التقوى الذي هو التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك ويندرج فيه الإيمان بالله واليوم الآخر حسبما ورد به الشرع اندراجاً أولياً والتعرض لعنوان الربوبية المنبثقة عن المالكية والنزبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين لتأييد الأمر وتأكيده بحجاب الامتثال به ترهيباً وترغيباً أى احذروا عقوبة مالك أموركم ومريكم وقوله تعالى (إن زلزلة الساعة شيء عظيم) تعليل لموجب الأمر بذكر بعض عقوباته الهائلة فإن ملاحظة عظمها وهولها وفضاعة ما هي من مبادئه ومقدماته من الأحوال والأحوال التي لا ملجأ منها سوى التدرع بلباس التقوى مما يوجب مزيد الاعتناء بملابسته وملازمته لا محالة والزلزلة التحريك الشديد والإزعاج الغنيف بطريق التكرير بحيث يزيل الأشياء من مقارها ويخرجها عن مراكزها وإضافتها إلى الساعة إما إضافة المصدر إلى فاعله على المجاز الحكمي كأنها هي التي تزلزل الأشياء أو إضافته إلى الظرف إما بإجرائه مجرى المفعول به اتساعاً أو بتقدير في كما في قوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله تعالى إذا زلزلت الأرض زلزالها عن الحسن أنها تكون يوم القيامة وعن ابن عباس رضى الله عنهما زلزلة الساعة قيامها وعن علقمة والشعبي أنها قبل طلوع الشمس من مغربها فإضافتها إلى الساعة حينئذ لكونها من أشراطها وفي التعبير عنها بالشئ إيدان بأن العقول قاصرة عن إدراك كنهها والعبارة ضيقة لا تحيط بها إلا على وجه الإبهام وقوله تعالى (يوم ترونها) ٢ منتصب بما بعده قدم عليه اهتماماً به والضمير للزلزلة أى وقت رؤيتكم إياها ومشاهدتكم لهول مطلعها (تذهل كل مرضعة) أى مباشرة للإرضاع (عما أرضعت) أى تغفل وتذهل مع دهشة عما هي بصدد

٢٢ الحج

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّרِيدٍ ﴿٢٢﴾

إرضاعه من طفلهما الذي ألقمته ثديها والتعبير عنه بما دون من لنا كيد الذهول وكونه بحيث لا يخطر ببالها أنه ماذا لا أنها تعرف شيئته لكن لا تدرى من هو بخصوصه وقيل ماصدرية أى تذهل عن إرضاعها والاول أدل على شدة الهول وكمال الانزعاج وقرئ تذهل من الإذهال مبنياً للمفعول أو مبنياً للفاعل مع نصب كل أى تذهلها الزلزلة (وتضع كل ذات حمل حملها) أى تلقى جنينها لغير تمام كما أن المرضعة تذهل عن ولدها لغير فطام وهذا ظاهر على قول علقمة والشعبي وأما على ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما فقد قيل إنه تمثيل لتحويل الأمر وفيه أن الأمر حينئذ أشد من ذلك وأعظم وأهول مما وصف وأطم وقيل إن ذلك يكون عند النفخة الثانية فإنهم يقومون على ما صعدوا في النفخة الأولى فتقوم المرضعة على إرضاعها والحامل على حملها ولا ريب في أن قيام الناس من قبورهم بعد النفخة الثانية لا قبلها حتى يتصور ما ذكر (وترى الناس) بفتح التاء والراء على خطاب كل أحد من المخاطبين برؤية الزلزلة والاختلاف بالجمعية والإفراد لما أن المرتى في الأول هي الزلزلة التي يشاهدها الجميع وفي الثاني حال من عدا المخاطب منهم فلا بد من إفراد المخاطب على وجه يعم كل واحد منهم لكن من غير اعتبار اتصافه بتلك الحالة فإن المراد بيان تأثير الزلزلة في المرتى لا في الرائي باختلاف شعاعه لأن مداره حيثية رؤيته للزلزلة لا لغيرها كأنه قيل ويصير الناس سكارى الخ وإنما أوتر عليه ما في التنزيل للإيدان بكال ظهور تلك الحالة فيهم وبلغها من الجلاء إلى حد لا يكاد يخفى على أحد أى يراهم كل أحد (سكارى) أى كأنهم سكارى (وما هم بسكارى) حقيقة (ولكن عذاب الله شديد) فيرهقهم هوله ويطير عقولهم ويسلب تمييزهم فهو الذي جعلهم كما وصفوا وقرئ ترى بضم التاء وفتح الراء مستنداً إلى المخاطب من أريتك قائماً أو رؤيتك قائماً والناس منصوب أى تظنهم سكارى وقرئ برفع الناس على إسناد الفعل المجهول إليه والتأنيث على تأويل الجماعة وقرئ ترى بضم التاء وكسر الراء أى ترى الزلزلة الخلق جميع الناس سكارى وقرئ سكرى وسكرى كعطشى وجوعى لإجراء للسكرك مجرى العمل (ومن الناس) كلام مبتدأ جرى به إثريان عظم شأن الساعة المنبئة عن البعث بياناً لحال بعض المنكرين لها وحمل الجار الرفع على الابتداء إما بحمله على المعنى أو بتقدير ما يتعلق به كما مر مراراً أى وبعض الناس أو وبعض كائن من الناس (من يجادل في الله) أى في شأنه تعالى ويقول فيه مالا خير فيه من الأباطيل وقوله تعالى (بغير علم) حال من ضمير يجادل موضحة لما يشعر بها المجادلة من الجهل أى ملابساً بغير علم . روى أنها نزلت في النضر بن الحرث وكان جد لا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين ولا بعث بعد الموت وهي عامة لهؤلاء ضرابه من العتاة المتمردين (ويتبع) أى فيما يتعاطاه من المجادلة أو في كل ما يأتى وما يندب من الأمور الباطلة التي من جملتها ذلك (كل شيطان مرید) عات متمرّد متجرّد للفساد وأصله العرى المنهى عن التمحض له كالشمر ولعله مأخوذ من تجرد المصارعين عند المصارعة قال الزجاج المرید والمراد المرتفع الأملس والمراد إما رؤساء الكفرة الذين يدعون من دونهم إلى الكفر وإما إبليس وجنوده .

كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٥٤﴾
 ٢٢ الحج
 يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ
 مِن مَّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَّكُمْ وَنُقَرِّئَ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ
 طِفْلاً ثُمَّ لِنَبْلُوَكُمْ أَشَدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن
 بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ
 زَوْجٍ بَیْجٍ ﴿٥٥﴾
 ٢٢ الحج

وقوله تعالى (كتب عليه) أى على الشيطان صفة أخرى له وقوله تعالى (أنه) فاعل كتب والضمير للشان
 ٤ أى رقم به لظهور ذلك من حاله أن الشأن (من تولاه) أى اتخذه ولياً وتبعه (فأنه يضلّه) بالفتح على أنه
 خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره محذوف والجملة جواب الشرط إن جعلت من شرطية وخبر لها إن
 جعلت موصولة متضمنة لمعنى الشرط أى من تولاه فشانه أنه يضلّه عن طريق الجنة أو طريق الحق أو
 لحق أنه يضلّه قطعاً وقيل فإنه معطوف على أنه وفيه من التعسف مالا يخفى وقيل وقيل مالا يخلو عن
 التمثل والتأويل وقرئ فإنه بالكسر على أنه خبر لمن أو جواب لها وقرئ بالكسر فهما على حكاية
 المكتوب كما هو مثل ما في قولك كتبت إن الله يأمر بالعدل والإحسان أو على إضمار القول أو تضمين
 الكتب معناه على رأى من يراه (ويهديه إلى عذاب السعير) بحمله على مباشرة ما يؤدى إليه من السيئات
 (بأيها الناس) إثر ما حكى أحوال المجادلين بغير علم وأشير إلى ما يؤول إليه أمرهم أقيمت الحجة الدالة
 ٥ على تحقق ما جادلوا فيه من البعث (إن كنتم في ريب من البعث) من إمكانه وكونه مقدوراً له تعالى أو
 من وقوعه وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب والجلب والتعيير عن اعتقادهم في حقه بالريب مع التنكير
 المذموم عن القلة مع أنهم جازمون باستحالته وإيراد كلمة الشك مع تقرير حالهم في ذلك وإيثار ما عليه النظم
 الكريم على أن يقال إن أرتبتم في البعث فقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وإن كنتم في ريب مما نزلنا على
 عبدنا (فإننا خلقناكم) أى فانظروا إلى مبدأ خلقكم لينزل ريبكم فإننا خلقناكم أى خلقنا كل فرد منكم (من
 تراب) في ضمن خلق آدم منه خلقاً إجمالياً فإن خلق كل فرد من أفراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام
 إذا لم تسكن فطرته الشريفة مقصورة على نفسه بل كانت أنموذجاً منظوياً على فطرة سائر أفراد الجنس
 انطواء إجمالياً مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من التراب خلقاً للكل منه كما مر
 تحقيقه ساراً (ثم من نطفة) أى ثم خلقناكم خلقاً تفصيلياً من نطفة أى من منى من النطف الذى هو الصب
 (ثم من علقه) أى قطعة من الدم جامدة متكونة من المنى (ثم من مضغة) أى من قطعة اللحم متكونة
 من العلقه وهى فى الأصل مقدار ما يمتصغ (مخلقة) بالجر صفة مضغة أى مستبينة الخلق مصورة (وغير
 مخلقة) أى لم يستبن خلقها وصورتها بعد والمراد تفصيل حال المضغة وكونها أولاً قطعة لم يظهر فيها شيء.

من الأعضاء ثم ظهرت بعد ذلك شيئاً فشيئاً وكان مقتضى الترتيب السابق المبني على التدرج من المبادئ البعيدة إلى القريبة أن يقدم غير المخلقة على المخلقة وإنما أخرت عنها لأنها عدم الملكة هذا وقد فسرنا بالمسواة وغير المسواة وبالتامة والساقطة وليس بذلك وفي جعل كل واحدة من هذه المراتب مبدأ لخلقهم لا لخلق ما بعدهما من المراتب كما في قوله تعالى ثم خلقنا السطة علة لخلقنا العلة مضغة الآية مزبد دلالة على عظيم قدرته تعالى وكسر لسورة استبعادهم (لنبين لكم) متعلق بخلقنا وترك المفعول لتفخيمه كما وكيفاً أى خلقناكم على هذا النمط البديع لنبين لكم بذلك ما لا تحصره العبارة من الحقائق والدقائق التي من جملتها سر البعث فإن من تأمل فيما ذكر من الخلق التدرجى تأملاً حقيقياً جزم جزماً ضرورياً بأن على خلق البشر أولاً من تراب لم يشم رائحة الحياة قط وإنشائه على وجه مصحح لتوليد مثله مرة بعد أخرى بتصرفه في أطوار الخلق وتحويله من حال إلى حال مع ما بين تلك الأطوار والأحوال من المخالفة والتباين فهو قادر على إعادته بل هو أهون في القياس نظر إلى الفاعل والقابل وقرىء ليعين بطريق الالتفات وقوله تعالى (ونقر في الأرحام ما نشاء) استئناف مسوق لبيان حالهم بعد تمام خلقهم وعدم نظم هذا وما عطف عليه في سلك الخلق المعلن بالتبيين مع كونهما من متمماتهما ومن مبادئ التبيين أيضاً لما أن دلالة الأول على كمال قدرته تعالى على جميع المقدورات التي من جملتها البعث المبحوث عنه أجلى وأظهر أى ونحن نقر في الأرحام بعد ذلك ما نشاء أن نقره فيها (إلى أجل مسمى) هو وقت الوضع وأدناه ستة أشهر وأقصاه سنتان وقيل أربع سنين وفيه إشارة إلى أن بعض ما في الأرحام لا يشاء الله تعالى إفراره فيها بعد تكامل خالقه فتسقطه والتعرض للإزلاق لا يناسب المقام لأن الكلام فيما جرى عليه أطوار الخلق وهذا صريح في أن المراد بغير المخلقة ليس من ولد ناقصاً أو معيباً وأن ما فصل إلى هنا هي الأطوار المتواردة على المولود قبل الولادة وقرىء يقر بالياء ونقر ويقر بضم القاف من قررت الماء إذا صببته (ثم نخرجكم) أى من بطون أمهاتكم بعد إقراركم فيها عند تمام الأجل المسمى (طفلاً) أى حال كونكم أطفالاً وإفراد باعتبار كل واحد منهم أو بإعادة الجنس المنتظم للواحد والمتعدد وقرىء يخرجكم بالياء وقوله تعالى (ثم لتبلغوا أشدكم) حلة لنخرجكم معطوفة على علة أخرى له مناسبة لها كأنه قيل ثم نخرجكم لتكبروا شيئاً فشيئاً ثم لتبلغوا كمالكم في القوة والعقل والتمييز وقيل التقدير ثم نمهلكم لتبلغوا الخ وما قيل إنه معطوف على نبين محل بجزالة النظم الكريم هذا وقد قرىء ما قبله من الفعلين بالنصب حكاية وغيبة فهو حينئذ عطف على نبين مثلهما والمعنى خلقناكم على التدرج المذكور لغايتين مترتبتين عليه إحداهما أن نبين شئونا والثانية أن نقركم في الأرحام ثم نخرجكم صغاراً ثم لتبلغوا أشدكم وتقديم التبيين على ما بعده مع أن حصوله بالفعل بعد الكل للإبذان بأنه غاية الغايات ومقصود بالذات وإعادة اللام ههنا مع تجريد الأولين عنها الإشعار بأصالتها في الفرضية بالنسبة إليهما إذ عليه يدور التكليف المؤدى إلى السعادة والشقاوة وإيثار البلوغ مسنداً إلى المخاطبين على التبليغ مسنداً إليه تعالى كالأفعال السابقة لأنه المناسب لبيان حال انصافهم بالكمال واستقلالهم بمبدئية الآثار والأفعال والأشد من ألفاظ المجموع التي لم يستعمل لها واحد كالأسدة والقنود وكانها حين كانت شدة في غير شئ بنيت على لفظ الجمع (ومنكم من يتوفى) أى بعد بلوغ الأشد أو قبله

٢٢ الحج

ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٠﴾

٢٢ الحج

وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٦١﴾

- وقرىء بتوفي مبنياً للفاعل أى يتوفاه الله تعالى (و منكم من يرد إلى أرذل العمر) وهو الحرم والخوف وقرىء.
- بسكون الميم وإيراد الرد والتوفي على صيغة المبنى للفعول للجري على سنن الكبرياء لتعيين الفاعل (لكيلا يعلم من بعد علم) أى علم كثير (شيئاً) أى شيئاً من الأشياء أو شيئاً من العلم مبالغة في انتفاص علمه وانتكاس حاله أى ليعود إلى ما كان عليه فى أو ان الطفولية من ضعف البنية وسخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينسرك ما عرفه ويعجز عما قدر عليه وفيه من التنبيه على صحة البعث ما لا يخفى (وترى الأرض هامدة) حجة أخرى على صحة البعث والخطاب لكل أحد ممن يتأتى منه الرؤية وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وهى بصرية وهامدة حال من الأرض أى ميتة يابسة من همدت النار إذا صارت رماذاً (فاذا أنزلنا عليها الماء) أى المطر (اهتزت) تحركت بالنبات (وربع) انتفخت وازدادت وقرىء ربأت أى ارتفعت (وأنبتت من كل زوج) أى صنف (مهيج) حسن رائق يسر ناظره (ذلك بأن الله هو الحق) كلام مستأنف جمى به لإثبات تحقيق حقيقة البعث وإقامة البرهان عليه من العالمين الإنسانى والنباتى لبيان أن ذلك من آثار ألوهيته تعالى وأحكام شئونه الذاتية والوصفية والفعلية وأن ما ينكرون وجوده بل إمكانه من إتيان الساعة والبعث من أسباب تلك الآثار العجيبة التى يشاهدونها فى الأنفس والآفاق ومبادئ صدور ما عنه تعالى وفيه من الإيذان بقوة الدليل وأصله المدلول فى التحقيق وإظهار بطلان إنكاره ما لا يخفى فإن إنكار تحقق السبب مع الجزم بتحقيق المسبب مما يقضى ببطلانه بديهية العقول والمراد بالحق هو الثابت الذى يحق ثبوته لا محالة لكونه لذاته لا لآثاره مطلقاً وذلك إشارة إلى ما ذكر من خلق الإنسان على أطوار مختلفة وتصرفه فى أحوال متباينة وإحياء الأرض بعد موتها وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلته فى الكمال وهو مبتدأ خبره الجار والمجرور أى ذلك الصنع البديع حاصل بسبب أنه تعالى هو الحق وحده فى ذاته وصفاته وأفعاله المحقق لما سواه من الأشياء (وأنه يحيى الموتى) أى شأنه وعادته وإحياءها وحاصله أنه تعالى قادر على إحيائها بدءاً وإعادة وإلا لما أحيانا النطفة والأرض الميتة مراراً بعد مرار وما تفيد صيغة المضارع من التجدد إنما هو باعتبار تعلق القدرة ومعلقها لا باعتبار نفسها (وأنه على كل شيء قدير) أى مبالغ فى القدرة وإلا لما أوجد هذه الموجودات الفاتنة للحصر التى من جملتها ما ذكر وأما الاستدلال على ذلك بأن قدرته تعالى لذاته الذى نسبته إلى الكل سواء فلا دلت المشاهدة على قدرته على إحياء بعض الأموات لزوم اقتداره على إحياء كلهم فاشأه الغفول عما سيق له النظم الكريم من بيان كون الآثار الخاصة المذكورة من فروع القدرة العامة الأمانة رمسياتها وتخصيص إحياء الموتى بالذكر مع كونه من جملة الأشياء المقدور عليها للتصريح بها فيه النزاع والدفع فى نحو المنكرين وتقديمه لإبراز الاعتبار به (وأن الساعة آتية) أى فيما سياتى وإيثار صيغة الفاعل على الفعل للدلالة على تحقيق إتيانها وتقرر البتة لاقتضاء الحكمة إياه لا محالة وتعليله بأن التغير من مقدمات الانصرام وطلانه مبنى على ما ذكر من الغفول وقوله تعالى (لا ريب فيه) إما خبر

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٢﴾

ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابٌ

الْحَرِيقِ ﴿٢٣﴾

الحج ٢٢

فان لأن أو حال من ضمير الساعة في الخبر ومعنى نفي الريب عنها أنها في ظهور أمرها ووضوح دلائلها التكوينية والتزيلية بحيث ليس فيها مظنة أن يرتاب في إثباتها حسبا مر في مطلع سورة البقرة والجملة عطف على المجرور بالباء كما قبلها من الجملتين داخلة مثلها في حيز السببية وكذا قوله عز وجل (وأن الله يبعث من في القبور) لكن لا من حيث إن إتيان الساعة وبعث الموتى مؤثران فيما ذكر من أفعاله تعالى تأثير القدرة فيها بل من حيث إن كلامهما سبب داع له عز وجل بموجب رأفته بالعباد المبنية على الحكم البالغة إلى ما ذكر من خلقهم ومن إحياء الأرض الميتة على نمط بديع صالح للاستشهاد به على مكانهما ليتأملوا في ذلك ويستدلوا به على وقوعهما لا محالة ويصدقوا بما ينطق بهما من الوحي المبين وينالوا به السعادة الأبدية ولولا ذلك لما فعل تعالى ما فعل بل لما خلق العالم رأساً وهذا كما ترى من أحكام حقيقته تعالى في أفعاله وابتنائها على الحكم الباهرة كما أن ما قبله من أحكام حقيقته تعالى في صفاته وكونها في غاية الكمال وقد جعل إتيان الساعة وبعث من في القبور لكونهما من روادف الحكمة كناية عن كونه تعالى حكيماً كما أنه قيل ذلك بسبب أنه تعالى قادر على إحياء الموتى وعلى كل مقدور وأنه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد بالساعة والبعث وليس الكلام في ذلك بل إنما هو في سببها ما أمر من خلق الإنسان وإحياء الأرض فتأمل وكن على الحق المبين وقيل قوله تعالى وأن الساعة آتية ليس معطوفاً على المجرور بالياء ولا داخلاً في حيز السببية بل هو خبر والمبتدأ محذوف لفهم المعنى والتقدير والامر أن الساعة آتية وأن الثانية معطوفة على الأولى وقيل المعنى ذلك لتعلموا بأن الله هو الحق لا يتين (ومن الناس من يجادل في الله) هو أبو جهل بن هشام حسبما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل هو من يتصدى لإضلال الناس وإغوائهم كاتناً من كان كما أن الأول من يقلدهم على أن الشيطان عبارة عن المضل المغوى على الإطلاق (بغير علم) متعلق بمحذوف وقع حالا من ضمير يجادل أي كاتناً بغير علم والمراد بالعلم العلم الضروري كما أن المراد بالهدى في قوله تعالى (ولا هدى) هو الاستدلال والنظر الصحيح المهادى إلى المعرفة (ولا كتاب منير) وحي مظهر للحق أي يجادل في شأنه تعالى من غير تمسك بمقدمة ضرورية ولا بحجة نظرية ولا برهان سمعي كافي قوله تعالى ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطاناً وما ليس لهم به علم وأما ما قبل من أن المراد به المجادل الأول والتكرير للتأكيد والتهديد لما بعده من بيان أنه لا استدلال أو وحي فلا يساعده النظم الكريم كيف لا وأن وصفه ٨ باتباع كل شيطان موصوف بما ذكر يقنى عن وصفه بالعراء عن الدليل العقلي والسمعي (ثاني عطفه) ٩ حال أخرى من فاعل يجادل أي طائفاً لجانبه وطاويماً كشحه معرضاً متكبراً فإن ثنى العطف كناية عن

٢٢ الحج

ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾

٢٢ الحج

- التكبر وقرىء بفتح العين أى مانعاً لتعطفه (ليضل عن سبيل الله) متعلق بجادل فإن غرضه الإضلال *
عنه وإن لم يعترف بأنه إضلال والمراد به إما الإخراج من الهدى إلى الضلال فالمفعول من يجادله من المؤمنين أو الناس جميعاً بتغليب المؤمنين على غيرهم وإلا التثنية على الضلال أو الزيادة عليه مجازاً فالفعل هو الكفرة خاصة وقرىء بفتح الياء وجعل ضلاله غاية لجذاله من حيث إن المراد به الضلال المبين الذى لا هداية له بعده مع تمكنه منها قبل ذلك (له فى الدنيا خزى) جملة مستأنفة مسوقة لبيان نتيجة ماسلكه من الطريقة *
أى ثبت له فى الدنيا بسبب ما فعله خزى وهو ما أصابه يوم بدر من القتل والصغار (ونذيقه يوم القيامة *
عذاب الحريق) أى النار المحرقة (ذلك) أى ما ذكر من العذاب الدنيوى والآخرى وما فيه من معنى ١٠
البعد للإبذان بكونه فى الغاية القاصية من الهول والفضاعة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (بما قدمت يدك) أى بسبب ما أقرفته من الكفر والمعاصى وإسناده إلى يديه ما أن لاكتساب عادة يكون بالأيدي والالتفات لتأكيد الوعيد وتشديد التهديد وحل أن فى قوله عز وعلا (وأن الله ليس بظلام للعبيد) الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى والأمر أنه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفى الظلم مع أن تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعاً على ما نقرر من قاعدة أهل السنة فضلاً عن كونه ظالماً بالآخذ من تحقيقه فى سورة آل عمران والجملة اعتراض تذييل مقرر لمضمون ما قبلها وأما ما قيل من أن محل أن هو الجر بالعطف على ما قدمت فقد عرفت حاله فى سورة الأنفال (ومن الناس من يعبد الله على حرف) ١١
شروع فى بيان حال المذنبين لإثريان حال المجاهرين أى ومنهم من يعبد الله تعالى على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذى ينحرف إلى طرف الجيش فإن أحس بظفر قر وإلا فر (فإن أصابه خير) أى دنيوى من الصحة والسعة (اطمأن به) أى ثبت على ما كان عليه ظاهر ألا أنه اطمأن به اطمئنان المؤمنين الذين لا يلويهم عنه صارف ولا يثنيهم عاطف (وإن أصابته فتنة) أى شىء يفتن به من مكروه يعتريه فى نفسه أو أهله أو ماله (انقلب على وجهه) روى أنها نزلت فى أغارب قدموا المدينة وكان أحدهم إذا صح بدنه وتجت فرسه مهرأ سرياً وولدت امرأته ولداً سوياً وكثر ماله وما شئته قال ما أصبت منذ دخلت فى دينى هذا إلا خيراً واطمأن وإن كان الأمر بخلافه قال ما أصبت إلا شراً وانقلب وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن يهودياً أسلم فأصابته مصائب فتشام بالاسلام فأتى النبی ﷺ فقال أفلنى فقال ﷺ إن الإسلام لا يقال فنزلت وقيل نزلت فى المؤلفة قلوبهم (خسر الدنيا والآخرة) فقد هما وضيعهما بذهاب عصمته وجبوت عمله بالارتداد وقرىء خاسر بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير

يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نَفْعَ لَهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ الحج ٢٢

يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لِبَيْتِ الْمَوْلَى وَلِبَيْتِ الْعَشِيرِ ﴿١٣﴾ الحج ٢٢

إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ الحج ٢٢

- تنصيصاً على خسارانه أو على أنه خبر مبتدأ محذوف (ذلك) أى ما ذكر من الخسران وما فيه من معنى البعد الإيذان بكونه فى غاية ما يكون (هو الخسران المبين) الواضح كونه خسراناً إذ لا خسران مثله (يدعو من دون الله) استئناف مبين لعظم الخسران أى يعبد متجاوزاً عبادة الله تعالى (مالا يضره) إذا لم يعبد (وما لا ينفعه) إن عبده أى جماداً ليس من شأنه الضر والنفع كما يلوح به تكرير كلمة (ذلك) الدعاء (هو الضلال البعيد) عن الحق والهدى مستعار من ضلال من أبعد فى التيه ضالاً عن الطريق (يدعو لمن ضره أقرب من نفعه) استئناف مسوق لبيان مآل دعائه المذكور وتقرير كونه ضلالاً بعيداً مع إزاحة ما عسى يتوهم من نفي الضرر عن معبوده بطريق المباشرة نفية عنه بطريق التسبب أيضاً قال الدعاء بمعنى القول واللام داخل على الجملة الواقعة مفعولاً له ومن مبتدأ وضره مبتدأ ثان خبره أقرب والجملة صلة للببتدأ الأول وقوله تعالى (لبئس المولى ولبئس العشير) جواب لقسم مقدر هو وجوابه خبر للببتدأ الأول وإيثار من على ما مع كون معبوده جماداً وإيراد صيغة التفضيل مع خلوه عن النفع المارة للمبالغة فى تقييح حاله والإيمان فى ذمه أى يقول ذلك الكافريوم القيامة بدعاء وصراخ حين يرى أضره بمعبوده ودخوله النار بسببه ولا يرى منه أثر النفع أصلاً لمن ضره أقرب من نفعه والله لبئس الناصر هو ولبئس صاحب هو فكيف بما هو ضرر محض عار عن النفع بالكلية ويجوز أن يكون يدعو إلى إعادة الأول لانتا كيداً له فقط بل وتمهيداً لما بعده من بيان سوء حال معبوده لإثبات سوء حال عبادته بقوله تعالى ذلك هو الضلال البعيد كأنه قيل من جهته تعالى بعد ذكر عبادته لما لا يضره ولا ينفعه يدعو ذلك ثم قيل لمن ضره أقرب من نفعه والله لبئس المولى ولبئس العشير فكلمة من وصيغة التفضيل للنهك به وقيل اللام زائدة ومن مفعول يدعو ويؤيده القراءة بغير لام أى يعبد من ضره أقرب من نفعه وإيراد كلمة من وصيغة التفضيل تهكم به أيضاً والجملة القسمية مستأنفة (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات) استئناف جرى به لبيان حال المؤمنين العابدين له تعالى وأن الله عز وجل يفضل عليهم بما لا غاية وراءه من أجل المنافع وأعظم الخيرات لإثبات غاية سوء حال الكفرة وما لهم من فريقين المجاهرين والمذنبين وأن معبودهم لا يجديهم شيئاً من النفع بل يضرهم مضرة عظيمة وأنهم يعترفون بسوء ولايته وعشرته ويذمونه مذمة أامة وقوله تعالى (تجرى من تحتها الأنهار) صفة لجنان فإن أريد بها الأشجار المتكاثة السارة لما تحتها لجرى بالأنهار من تحتها ظاهر وإن أريد بها الأرض فلا بد من تقدير مضاف

مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ
هَلْ يَأْخُذُ بِهِ نَافِثٌ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ ۚ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْرِعْ إِلَى الدَّيْتِ فَلْيَنْصُرْهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يَنْصُرُ الْمُنِيبِينَ ۚ

٢٢ الحج

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِيَ مَنِ ارْتَضَىٰ ۚ

٢٢ الحج

أى من تحت أشجارها وإن جمعت عبارة عن مجمرع الأرض والأشجار فاعتبار النحتية بالنظر إلى الجزء
الظاهر المصحح لإطلاق اسم الجنة على الكل كما مر تفصيله فى أوائل سورة البقرة وقوله تعالى (إن الله
يفعل ما يريد) تعليل لما قبله وتقرير له بطريق التخصيص أى بفعل البتة كل ما يريد من الأفعال المتقنة للرائقة
المبنية على الحكم الرائقة التى من جملتها إثابة من آمن به وصدق رسوله ﷺ وعقاب من أشرك به وكذب
برسوله ﷺ ولما كان هذا من آثار نصرته تعالى له ﷺ عقب بقوله عز و علا (من كان يظن أن لن ينصره ١٥
الله فى الدنيا والآخرة) تحقيراً لها وتقريراً لثبوتها على أبلغ وجه وأكده وفيه إيجاز بارع واختصار رائع
والمعنى أنه تعالى ناصر لرسوله فى الدنيا والآخرة لا محالة من غير صارف بلويه ولا عاطف يشنيه فن كان يغيظه
ذلك من أعاديه وحساده ويظن أن لن يفعله تعالى بسبب مدافعتة ببعض الأمور ومباشرة ما رده من
المكاييد فليبانغ فى استغراق الجهود وليجاوز فى الجد كل حد معمود فقصارى أمره عافية مكره أن يختنق
حنقاً بما يرى من ضلال مساعيه وعدم إنتاج مقدماته ومبادئه (فليمدد بسبب إلى السماء) فليمدد حبلاً
إلى سقف بيته (ثم ليقطع) أى ليختنق من قطع إذا اختنق لأنه يقطع نفسه بحبس مجار به وقيل ليقطع الحبل
بعد الاختناق على أن المراد به فرض القطع وتقديره كما أن المراد بالنظر فى قوله تعالى (فليظن هل يذهب
كيداه ما يغيظ) تقدير النظر وتصويره أى فليصور فى نفسه النظر هل يذهب كيداه الذى هو أقصى
ما انتهت إليه قدرته فى باب المضادة والمضارة ما يغيظه من النصرة كلا ويجوز أن يراد فليظن الآن أنه إن
فعل ذلك هل يذهب ما يغيظه وقيل المعنى فليمدد حبلاً إلى السماء المظلة وليصعد عليه ثم ليقطع الوحي وقيل
ليقطع المسافة حتى يبلغ عنانها فيجهد فى دفع نصرته وبأباه أن مساق النظم الكريم بيان أن الأمور المفروضة
على تقدير وقوعها وتحققها بمعزل من إذهاب ما يغيظ ومن البين أن لا معنى لفرض وقوع الأمور
المتنعة وترتيب الأمر بالنظر عليه لاسيما قطع الوحي فإن فرض وقوعه محل بالمرام قطعاً وقيل كان
قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطنون ما وعد الله ورسوله ﷺ من النصر
وآخرون من المشركين يريدون اتباعه ﷺ ويخشون أن لا يثبت أمره فزلت وقد فسر النصر بالرزق
فالمعنى أن الرزاق بيد الله تعالى لا تنال إلا بمشيئته تعالى فلا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن أن الله
تعالى غير رازقه ولم يصبر ولم يستسلم فليبانغ غاية الجزع وهو الاختناق فإن ذلك لا يغلب القسمة ولا
يرده مرزوقاً (وكذلك) أى مثل ذلك الإنزال البديع المنطوى على الحكم البالغة (أنزلناه) أى القرآن ١٦
الكريم كله وقوله تعالى (آيات بينات) أى واضحات الدلالة على معانيها الرائقة حال من الضمير المنصوب
مبينه لما أشير إليه بذلك (وأن الله يهدى) به ابتداء أو يثبت على الهدى أو يزيد فيه (من يريد) هدايته

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰلِحِينَ وَالنَّصْرَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ
بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾

الحج ٢٢

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ
وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُنِ اللَّهُ قِتَالَهُ مِنْ مَّكْرِمٍ
إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُشَاءُ ﴿١٨﴾

الحج ٢٢

- أو تثبته أو زيادته فيها ومحل الجملة إما الجر على حذف الجار المتعلق بمحذوف مؤخر أى ولأن الله يهدى
من يريد أنزله كذلك أو الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أى والأمر أن الله يهدى من يريد هدايته
١٧ (إن الذين آمنوا) أى بما ذكر من الآيات البينات بهداية الله تعالى أو بكل ما يجب أن يؤمن به فيدخل
فيه ما ذكر دخولا أولياً (والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس) قيل هم قوم يعبدون النار وقيل
الشمس والقمر وقيل هم قوم من النصارى اعتزلوا عنهم ولبسوا المسوح وقيل أخذوا من دين النصارى
شيئاً ومن دين اليهود شيئاً وهم القائلون بأن للعالم أصليين نوراً وظلمة (والذين أشركوا) هم عبدة الأصنام
وقوله تعالى (إن الله يفصل بينهم يوم القيامة) في حين الرفع على أنه خبر لإن السابقة وتصدير طرفي
الجملة بحرف التحقيق لزيادة التقرير وللتأكيد أى يقضى بين المؤمنين وبين الفرق الخمس المنفقة على
ملة الكفر بإظهار المحق من المبطل وتوفية كل منهما حقه من الجزاء بإثابة الأول وعقاب الثاني بحسب
استحقاق أفراد كل منهما وقوله تعالى (إن الله على كل شيء شهيد) تعليل لما قبله من الفصل أى عالم بكل
شيء من الأشياء ومراقب لأحواله ومن قضيته الإحاطة بتفاصيل ما صدر عن كل فرد من أفراد الفرق
المذكورة وإجراء جزائه اللائق به عليه وقوله تعالى (ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في
١٨ الأرض) الخ بيان لما يوجب الفصل المذكور من أعمال الفرق المذكورة مع الإشارة إلى كيفية وكونه
بطريق التعذيب والإثابة والإكرام والإهانة إثر بيان ما يوجب من كونه تعالى شهيداً على جميع الأشياء
التي من جملتها أحوالهم وأفعالهم والمراد بالرؤية العلم عبر عنها إشعاراً بظهور المعلوم والخطاب لكل أحد
من يتأتى منه الرؤية بناء على أنه من الجلاء بحيث لا يخفى على أحد والمراد بالسجود هو الانقياد التام
لتدبيره تعالى بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهه بأكمل أفعال المكلف في باب الطاعة إيداناً بكونه في
أقصى مراتب التسخر والتذل لاسجود الطاعة الخاصة بالعقلاء سواء جعلت كلمة من عامة لغیرهم أيضاً
وهو الانسب بالمقام لإفادته شمول الحكم لكل ما فيهما بطريق القرار فيهما أو بطريق الجزئية منهما
* فيكون قوله تعالى (والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) لإفرادها بالذكر لشهرتها
واستبعاد ذلك منها عادة وجعلت خاصة بالعقلاء لعدم شمول سجود الطاعة لكلهم حسبما ينبى عنه قوله تعالى
* (وكثير من الناس) فإنه مرتفع بفعل مضمر يدل عليه المذكور أى ويسجد له كثير من الناس سجود

هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ
رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾

٢٢ الحج

يُصْهِرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾

٢٢ الحج

وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِّنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾

٢٢ الحج

كَلَّمَآ أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِّنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾

٢٢ الحج

- طاعة وعبادة ومن قضيته انتفاء ذلك عن بعضهم وقيل هو مرفوع على الابتداء حذف خبره ثقة بدلالة خبر قسمه عليه نحو قوله الثواب والاول هو الاولى لما فيه من الترغيب في السجود والطاعة وقد جوز أنه يكون من الناس خبراً له أى من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون وأن يكون قوله تعالى (وكثير) معطوفاً على كثير الاول الإيذان بغاية الكثرة ثم يخبر عنهم باستحقاق العذاب كأنه قيل وكثير وكثير من الناس (حق عليه العذاب) أى بكفره واستمعائه وقرىء حق بالضم وحقاً أى حق عليه العذاب حقاً (ومن يهن الله) بأن كتب عليه الشقاوة حسبما عليه من صرف اختياره إلى الشر (فاله من مكرم) يكرمه بالسعادة وقرىء بفتح الراء على أنه مصدر ميمي (إن الله يفعل ما يشاء) من الأشياء التى من جملتها الإكرام والإهانة (هذان) تعيين لطرفي الخصام وإزاحة للامسى يتبادر إلى الوم من كونه ١٩ بين كل واحدة من الفرق الست وبين البواقى وتحرير لمحله أى فريق المؤمنين وفريق الكفرة المنقسم إلى الفرق الخمس (خصمان) أى فريقان مختصمان وإنما قيل (اختصموا فى ربهم) حملاً على المعنى أى اختصموا فى شأنه عز وجل وقيل فى دينه وقيل فى ذاته وصفاته والكل من شئونه تعالى فإن اعتقاد كل من الفريقين بحقية ما هو عليه وبطلان ما عليه صاحبه وبناء أقواله وأفعاله عليه خصومة للفريق الآخر وإن لم يجر بينهما التناحر والخصام وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقالت اليهود نحن أحق بالله وأقدم منكم كتاباً ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن أحق بالله منكم آمناً بمحمد ونبينا وبما أنزل الله من كتاب وأتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسداً فزلت (فالذين كفروا) تفصيل لما أجمل فى قوله تعالى يفصل بينهم يوم القيامة (قطعت لهم) أى قدرت على مقادير جثثهم وقرىء بالتخفيف (ثياب من نار) أى نيران هائلة تحيط بهم إحاطة الثياب بلا بسما (يصب من فوق رؤوسهم الحميم) أى الماء الحار الذى انتهت حرارته قال ابن عباس رضى الله عنهما لو قطرت قطرة منها على جبال الدنيا لأذابتها والجملة مستأنفة أو خبر ثان للدو صول أو حال من ضمير لهم (يصر به) أى يذاب (ما فى بطونهم) من الأمعاء والاحشاء وقرىء يصر بالتشديد (والجلود) ٢٠ عطف على ما وناخيره عنه إما مراعاة الفواصل أو للإشعار بغاية شدة الحرارة بإيهام أن تأثيرها فى الباطن أقدم من تأثيرها فى الظاهر مع أن ملاستها على العكس والجملة حال من الحميم (ولهم) للكفرة أى لتعذيبهم ٢١ وأجلهم (مقامع من حديد) جمع مقمعة وهى آلة القمع (كلما أرادوا أن يخرجوا منها) أى أشرفوا على ٢٢

إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾

الحج ٢٢

وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾

الحج ٢٢

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعِكْفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِمِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ الْعِيسِ ﴿٢٥﴾

الحج ٢٢

- الخروج من النار ودنوا منه حسبا يروى أنها تضربهم بلهبها فترفعهم حتى إذا كانوا في أعلاها ضربوا بالمقامع فهروا فيها سبعين خريفاً (من غم) أى من غم شديد من غمومها وهو بدل اشتغال من الهاء بإعادة الجار والرابط محذوف كما أشير إليه أو مفعول له للخروج (أعيدوا فيها) أى في قعرها بأن ردوا من أعاليها إلى أسافلها من غير أن يخرجوا منها (وذوقوا) على تقدير قول معطوف على أعيدوا أى وقيل لهم ذوقوا (عذاب الحريق) أى الغليظ من النار المنتشر العظيم الإهلاك (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار) بيان لحسن حال المؤمنين إثر بيان سوء حال الكفرة وقد غير الأسلوب فيه بإسناد الإدخال إلى الله عز وجل وتصدير الجملة بحرف التحقيق إيذاناً بكمال مباينة حالهم لحال الكفرة وإظهار المزيد العناية بأمر المؤمنين ودلالة على تحقق مضمون الكلام (يحلون فيها) على البناء للمفعول بالتشديد من التحلية وقرئ بالتخفيف من الإحلاء بمعنى الإلباس أى يحلبهم الملائكة بأمره تعالى وقرئ يحلون من حلية المرأة إذا لبست حليتها ومن في قوله تعالى (من أساور) إما للتبويض أى بعض أساور وهى جمع أسورة جمع سوار أو للبيان لما أن ذكر التحلية مما يذىء عن الحلى المبهم وقيل زائدة وقيل نعت لمفعول محذوف ليحلون فإنه بمعنى يلبسون (من ذهب) بيان للأساور (ولؤلؤاً) عطف على محل من أساور أو على المفعول المحذوف أو منصوب بفعل مضمر يدل عليه يحلون أى يؤتون وقرئ بالجر عطفاً على أساور وقرئ لؤلؤوا بقلب الهمزة الثانية واواً ولوليا بقلبها ياء بمد قلبهما واواً ولياليا بقلبها ياء (ولباسهم فيها حرير) غير الأسلوب حيث لم يقل ويلبسون فيها حريراً لكن لا للدلالة على أن الحرير ثيابهم المعتادة أو لجرد المحافظة على هيئة الفواصل بل للإيذان بأن ثبوت اللباس لهم أمر محقق غنى عن البيان إذ لا يمكن عراؤهم عنه وإنما المحتاج إلى البيان أن لباسهم ماذا بخلاف الأساور واللؤلؤ فإنها لبست من اللوازم الضرورية فجعل بيان تحليتهم بها مقصوداً بالذات ولعل هذا هو الباعث إلى تقديم بيان التحلية على بيان حال اللباس (وهدوا إلى الطيب من القول) وهو قولهم الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نقبوا من الجنة الآية (وهدوا إلى صراط الحميد) أى الحمود نفسه أو عاقبته وهو الجنة ووجه تأخير هذه الهداية عن ذكر الهداية إلى القول المذكور المتأخر عن دخول الجنة المتأخر عن الهداية إلى طريقها لرعاية الفواصل وقيل المراد بالحميد الحق المستحق لذاته لغاية الحمد وهو الله عز وجل وصراطه الإسلام ووجه التأخير حينئذ أن ذكر الحمد يستدعى ذكر الحمود (إن الذين كفروا

٢٣

٢٤

٢٥

وَلَا تَبَرُّوْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ

السُّجُودِ ﴿٢٦﴾

وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾

٢٢ الحج

ويصدون عن سبيل الله) ليس المراد به حالا ولا استقبالا وإنما هو استمرار الصد ولذلك حسن عطفه على الماضي كما في قوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وقيل هو حال من فاعل كفروا أى وهم يصدون وخبر إن محذوف لدلالة آخر الآية الكريمة عليه فإن من الحُد في الحرم حيث عوقب بالعذاب الأليم فلأن يعاقب من جمع إليه الكفر والصد عن سبيل الله بأشد من ذلك أحق وأولى (والمسجد الحرام) * عطف على سبيل الله قيل المراد به مكة بدليل وصفه بقوله تعالى (الذى جعلناه للناس) أى كأننا من كان من غير فرق بين مكى وآفاقى (سواء العاكف فيه والباد) أى المقيم والطارىء وسواء أى مستويا مفعول * ثان لجعلناه والعاكف مرتفع به واللام متعلق به ظرف له وقائدة وصف المسجد الحرام بذلك زيادة تشنيع الصادق عنه وقرىء سواء بالرفع على أنه خبر مقدم والعاكف مبتدأ والجملة مفعول ثان للجعل وقرىء العاكف بالجر على أنه بدل من الناس (ومن يرد فيه) مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول كأنه * قبل ومن برد فيه مراداً ما (بالحاد) بعدول عن القصد (بظلم) بغير حق وهما حالان مترادفان أو الثانى بدل من الأول بإعادة الجار أو صلة أى ملحداً بسبب الظلم كالإشراك واقتراف الآثام (نذرة من عذاب أليم) * جواب لمن (ولاذ بوأنا) يقال بوأه منزلاً أى أنزله فيه ولما لزمه جعل الثانى مباداة الأول قيل (لإبراهيم ٢٦ مكان البيت) وعليه مبنى قول ابن عباس رضى الله عنهما جعلناه أى اذكر وقت جعلنا مكان البيت مباداة له عليه السلام أى مرجعاً يرجع إليه للعبادة والعبادة وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت مع أن المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيانه غير مرة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف كما فى أصل الاستعمال أى أنزلناه فيه قيل رفع البيت إلى السماء أيام الطوفان وكان من ياقوته حمراء فأعلم الله تعالى إبراهيم عليه السلام مكانه بريح أرسلها يقال لها الخجوج كنست ماحوله فبناه على أسسه القديم روى أن الكعبة الكريمة بنيت خمس مرات إحداها بناء الملائكة وكانت من ياقوته حمراء ثم رفعت أيام الطوفان والثانية بناء إبراهيم عليه السلام والثالثة بناء قريش فى الجاهلية وقد حضر رسول الله ﷺ هذا البناء والرابعة بناء ابن الزبير والخامسة بناء الحجاج وقد أوردنا ما فى هذا الشأن من الأقاويل فى تفسير قوله تعالى ولإذ رفع إبراهيم القواعد من البيت وأن فى قوله تعالى (أن لا تشرك بى شيئاً) مفسرة بوأنا من حيث إنه متضمن لمعنى تعبدنا لأن التبوئة للعبادة أو مصدرية موصولة بالنهى وقد مر تحقيقه فى أوائل سورة هود أى فعلنا ذلك لئلا تشرك بى فى العبادة شيئاً (وطهر بيته للطائفين والقائمين والركع السجود) أى وطهر بيته من الأوثان والأقذار لمن يطوف به ويصلى فيه ولعل التعبير عن الصلاة بأركانها للدلالة على أن كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك فكيف وقد اجتمعت وقرىء يشرك بالياء (وأذن فى الناس) أى نادى بهم وقرىء أذن (بالحج) بدعوة ٢٧

لِيَشْهَدُوا مَنَفْعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ عَلَىٰ مَارَزَقِهِمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْبَاسَ الْفَقِيرِ ﴿٢٨﴾

الحج ٢٢

ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نَذْرَهُمْ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾

الحج ٢٢

ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾

الحج ٢٢

الحج والامر به روى أنه عليه السلام صعد أبا قبيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم فاسمعه الله تعالى من في أصلاب الرجال وأرحام النساء فيما بين المشرق والمغرب من سبق في علمه تعالى أن يحج وقيل الخطاب لرسول الله ﷺ أمر بذلك في حجة الوداع وبأباه كون السورة مكية (بأتوك) جواب للامر (رجالاً) أى مشاة جمع راجل كقيام جمع قائم وقرى بضم الراء وتخفيف الجيم وتشديده ورجالى كعجالى (وعلى كل ضامر) عطف على رجالاً أى وركبانا على كل بعير مهزول أتعبه بعد الشقة فزله أو زاده زاله (بأتين) صفة لضمير محمولة على المعنى وقرى بأتون على أنه صفة للرجال والركبان أو استئناف فيكون الضمير للناس (من كل فج) طريق واسع (عميق) بعيد وقرى بمعيق يقال بئر بعيدة العمق وبعيدة المعق بمعنى كالجذب والجند (ليشهدوا) متعلق بأتوك لا بأذن أى ليحضروا (منافع) عظيمة الخطر كثيرة العدد أو نوعاً من المنافع الدينية والدنيوية المختصة بهذه العبادة واللام في قوله تعالى (لهم) متعلق بمحذوف هو صفة لمنافع أى منافع كائنة لهم (ويذكروا اسم الله) عند إعداد الهدايا والضحايا وذبحها وفي جملة غاية الإتيان إيدان بأنه الغاية القصوى دون غيره وقيل هو كناية عن الذبح لأنه لا ينفك عنه (في أيام معلومات) هى أيام النحر كما ينبى عنه قوله تعالى (على مازقهم من بهيمة الأنعام) فإن المراد بالذكر ما وقع عند الذبح وقيل هى عشر ذى الحجة وقد علق الفعل بالمرزوق وبين بالبهيمة تحريصاً على التقرب وتنبهاً على الذكر (فكلوا منها) التفات إلى الخطاب والفاء فصيحة عاطفة لدخولها على مقدر قد حذف للإشعار بأنه أمر محقق غير محتاج إلى التصريح به كما فى قوله تعالى فانفجرت أى فاذكروا اسم الله على ضحاياكم فكلوا من لحومها والامر للإباحة وإزاحة ما كانت عليه أهل الجاهلية من التحرج فيه أو للندب إلى مواساة الفقراء ومساواتهم (وأطعموا البائس) أى الذى أصابه بؤس وشدة (الفقير) المحتاج وهذا الامر للوجوب وقد قيل به فى الاول أيضاً (ثم ليقضوا تفثهم) أى ليؤدوا إزالته وسخهم أو ليحكموها بقص الشارب والأظمار وتنف الإبط والاستعداد عند الإحلال (وليوفوا نذرهم) ما يندرون من البر فى حجهم وقيل مواجب الحج وقرى بفتح الواو وتشديد الفاء (وليأطوفوا) طواف الركن الذى به يتم التحلل فإنه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع (بالبيت العتيق) أى القديم فإنه أول بيت وضع للناس أو المعتقد من تسلط الجبابرة فكان من جبار سار إليه ليهدمه فقصمه الله عز وجل وأما الحاجاج ٣٠ الثقفى فإنما قصد إخراج ابن الزبير رضى الله عنهما منه لا التسلط عليه (ذلك) أى الامر بذلك وهذا وأمثاله

حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ

الحج ٢٢

الرَّيْحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾

- يطلق للفصل بين الكلامين أو بين وجهي كلام واحد (ومن يعظم حرمات الله) أى أحكامه وسائر مالا يحل هتكه بالعلم بوجوب مراعاتها والعمل بموجبه وقيل الحرم وما يتعلق بالحج من التكليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام (فهو خير له) أى فالتعظيم خير له ثواباً (عند ربه) أى فى الآخرة والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير من لتشريفه والإشعار بعلة الحكم (وأحلت لكم الأنعام) وهى الأزواج الثمانية على الإطلاق فقوله تعالى (إلا ما يتلى عليكم) أى إلا ما يتلى عليكم آية تحرمة استثناء متصل منها على أن ما عبارة عما حرم منها لعارض كالميتة وما أهل به لغير الله تعالى والجملة اعتراض جىء به تقريراً لما قبله من الأمر بالآكل والإطعام ودفعاً لما عسى يتوهم أن الإحرام يحرمه كما يحرم الصيد وعدم الاكتفاء ببيان عدم كونها من ذلك القبيل بحمل الأنعام على ما ذكر من الضحايا والهدايا المعهودة خاصة لئلا يحتاج إلى الاستثناء المذكور إذ ليس فيها ما حرم لعارض قطعاً لمراعاة حسن التخلص إلى ما بعده من قوله تعالى (فاجتنبوا الرجس من الآن) فإنه مترتب على ما يفيد قوله تعالى ومن يعظم حرمات الله من وجوب مراعاتها والاجتناب عن هتكها ولما كان بيان حل الأنعام من ذواعى التعاطى لا من مبادئ الاجتناب عقب بما يوجب الاجتناب عنه من المحرمات ثم أمر بالاجتناب عما هو أقصى الحرمات كأنه قيل ومن يعظم حرمات الله فهو خير له والأنعام ليست من الحرمات فإنها محللة لكم إلا ما يتلى عليكم آية تحرمة فإنه مما يجب الاجتناب عنه فاجتنبوا ما هو معظم الأمور التى يجب الاجتناب عنها وقوله تعالى (واجتنبوا قول الزور) تعميم بعد تخصيص فإن عبادة الأوثان رأس الزور كأنه لما حث على تعظيم الحرمات أتبع ذلك رداً لما كانت الكفرة عليه من تحريم البعائر والسواحب ونحوهما والافتراء على الله تعالى بأنه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روى أنه عليه السلام قال عدلت شهادة الزور الإشراف بالله تعالى ثلاثاً وتلاهذه الآية والزور من الزور وهو الانحراف كالإفك المأخوذ من الإفك الذى هو القلب والصرف فإن الكذب منحرف مصروف عن الواقع وقيل هو قول أهل الجاهلية فى تلبيتهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك (حنفاء لله) ماثلين عن كل دين زانغ إلى الدين الحق مخلصين لله تعالى (غير مشركين به) أى شيئاً من الأشياء فيدخل فى ذلك الأوثان دخولا أولاً وهما حالان من واو فاجتنبوا (ومن يشرك بالله) جملة مبتدأة مؤكدة لما قبلها من الاجتناب عن الإشراف وإظهار الاسم الجليل لإظهار كمال قبح الإشراف (فكأنما خر من السماء) لأنه مسقط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر (فتخطفه الطير) فإن الأوهام المردية توزع أفكاره وقرىء فتخطفه بفتح الحاء وتشديد الطاء وبكسر الحاء والطاء وبكسر التاء مع كسرهما وأصلهما تخطفه (أو تهوى به الريح) أى تسقطه وتقذفه (فى مكان سحيق) بعيد فإن الشيطان قد طوح به فى الضلالة

ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظِمَ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٢٢﴾

٢٢ الحج

لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٣﴾

٢٢ الحج

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّذِكْرِهِمْ وَأَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَيْمَاتٍ أَلَّا نَعْلَمَ فَإِنَّهُمْ كَرِهُوا

فَلَهُمْ وَأَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخَضَّبِينَ ﴿٢٤﴾

٢٢ الحج

- ٢٢ وأول التخيير كما في أو كصيب أو للتوزيع ويجوز أن يكون من باب التشبيه المركب فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكاً شديداً هلاك أحد الهالكين (ذلك) أى الأمر ذلك أو امثلوا ذلك (ومن يعظم شعائر الله) أى الهدايا فافانها من معالم الحج وشعائره تعالى كما ينبغي عنه والبدن جعلناها لكم من شعائر الله وهو الأوفق لما بعده وتعظيمها اعتقاد أن التقرب بها من أجل القربات وأن يختارها حسناً سماناً غاية الأيمان روى أنه عليه السلام أهدى مائة بدنة فيها جمل لأبي جهم في أنفه برة من ذهب وأن عمر رضى الله عنه أهدى نجبية طلبت منه بثلاثمائة دينار (فإنها) أى فإن تعظيمها (من تقوى القلوب) أى من أفعال ذوى تقوى القلوب لحذفت هذه المضافات والعائد إلى من أو فإن تعظيمها ناشئ من تقوى القلوب وتخصيصها بالإضافة لأنهم أركز التقوى إلى إذ ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها في سائر الأعضاء (لكم فيها) أى في الهدايا (منافع) هى درها ونسلها وصرها وظهرها (إلى أجل مسمى) هو وقت نحرها والتصدق بلحمها والأكل منه (ثم محلها) أى وجوب نحرها أو وقت نحرها منتهية (إلى البيت العتيق) أى إلى ما يليه من الحرم وشم للنراخي الزمانى أو الرتبى أى لكم فيها منافع دينوية إلى وقت نحرها ثم منافع دينية أعظمها في الدفع محلها أى وجوب نحرها أو وقت وجوب نحرها إلى البيت العتيق أى منتهية إليه هذا وقد قيل المراد بالشعائر مناسك الحج ومعالمه والمعنى لكم فيها منافع بالأجر والثواب في قضاء المناسك وإقامة شعائر الحج إلى أجل مسمى هو انقضاء أيام الحج ثم محلها أى محل الناس من إحرامهم إلى البيت العتيق أى منتهية إليه بأن يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر بعد قضاء المناسك فإضافة المحل إليها لا دنى ملايسة (ولكل أمة) أى لكل أهل دين (جعلنا منسكاً) أى متعبداً وقرباناً يتقربون به إلى الله عز وجل وقرىء بكسر السين أى موضع نسك وتقديم الجار والمجرور على الفعل للتخصيص أى لكل أمة من الأمم جعلنا منسكاً لا لبعض دون بعض (ليذكروا اسم الله) خاصة دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجه الكريم علل الجعل به تذكيراً على أن المقصود الأصل من المناسك تذكري المعبود (على ما رزقهم من بيمات الأنعام) عند ذبحها وفيه تنبيه على أن القربان يجب أن يكون من الأنعام والخطاب في قوله تعالى (فإنها لكم إلى واحد) للكل تغليظاً والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن جعله تعالى لكل أمة من الأمم منسكاً ما يدل على وحدانيته تعالى وإنما قيل إله واحد ولم يقل واحد لما أن المراد بيان أنه تعالى واحد في ذاته كما أنه واحد في إلهيته للكل والفاء في قوله تعالى (فله أسدوا) لترتيب ما بعدها من الأمر بالإسلام على وحدانيته تعالى وتقديم الجار والمجرور على الأمر

الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٥﴾

الحج ٢٢

وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعْتِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَأَذْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾

لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾

الحج ٢٢

- للقصر أى فإذا كان إلهكم إلهاً واحداً فأخلصوا له التقرب أو الذكروا جعلوه لوجهه خاصة ولا تشوبوه بالشرك (وبشر المحبتين) تجريد للخطاب إلى رسول الله ﷺ أى المتواضعين أو المخلصين فإن الإخبارات من الوظائف الخاصة بهم (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) منه تعالى لإشراق أشعة جلاله عليها ٣٥ (والصابرين على ما أصابهم) من مشاق التكليف ومقونات النوائب (والمقيمى الصلاة) فى أوقانها وقرىء بنصب الصلاة على تقدير النون وقرىء والمقيمى الصلاة على الأصل (ومما رزقناهم ينفقون) فى وجوه الخيرات (والبدن) بضم الباء وسكون الدال وقرىء بضمها وهما جمعا بدنة وقيل الأصل ضم الدال كشب ٣٦ وخشبة والتسكين تخفيف منه وقرىء بتشديد النون على لفظ الوقف وإنما سميت بها الإبل لعظم بدنها مأخوذة من بدن بدانة وحيث شاركها البقرة فى الأجزاء عن سبعة بقوله ﷻ البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة جمعا فى الشريعة جنساً واحداً وانتصابه بمضمر يفسره (جعلناها لكم) وقرىء بالرفع على أنه مبتدأ والجملة خبره وقوله تعالى (من شعائر الله) أى من أعلام دينه التى شرعها الله تعالى مفعول ثان للجعل ولكم ظرف لغو متعلق به وقوله تعالى (لكم فيها خير) أى منافع دينية ودنيوية جملة مستأنفة مقررلة لما قبلها (فاذكروا اسم الله عليها) بأن تقولوا عند ذبحها الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر اللهم منك وإليك (صواف) أى قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن وقرىء صواف من صفن الفرس إذا قام على ثلاث وعلى طرف سنبك الرابعة لأن البدنة تعقل إحدى يديها فتقوم على ثلاث وقرىء صوافاً بإبدال التنوين من حرف الإطلاق عند الوقف وقرىء صوافى أى خواص لوجه الله عز وجل وصواف على لغة من يسكن الباء على الإطلاق كما فى قوله [لعلى أرى باقى على الحدثنان] (فإذا وجبت جنوبها) سقطت على الأرض وهو كناية عن الموت (فكلوا منها وأطعموا القانع) الراضى بما عنده وبما يعطى من غير مسئلة ويؤيده أنه قرىء القنع أو السائل من قنع إليه قنوعاً إذا خضع له فى السؤال (والمعتر) أى المتعرض للسؤال وقرىء المعترى يقال عره وعراه واعتراه واعتراه (كذلك) مثل ذلك التسخير البديع المفهوم من قوله تعالى صواف (سخرناها لكم) مع كمال عظمها ونهاية قوتها فلا تستعصى عليكم حتى تأخذوها منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة قوائمها ثم قطعون فى لبايتها (لعلكم تشكرون) لتشكروا إنعامنا عليكم بالتقرب والإخلاص (لن ينال الله) أى لن يباغ مرضاته ولن يقع منه موقع القبول (لحومها) ٣٧

٢٢ الحج

إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾

٢٢ الحج

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

• المتصدق بها (ولا دماؤها) المرافقة بالنحر من حيث إنها لحوم ودماء (ولكن يناله التقوى منكم) ولكن يصيبه تقوى قلوبكم التي تدعوكم إلى الامتثال بأمره تعالى وتعظيمه والتقرب إليه والإخلاص له وقيل كان أهل الجاهلية يلطخون الكعبة بدماء قرايئهم فهم به المسلمون فنزلت (كذلك سخرها لكم) تكرير للتذكروا والتعليل بقوله تعالى (لتكبروا الله) أي لتعرفوا عظيمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحده بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الإحلال أو الذبح (على ما هداكم) أي أرشدكم إلى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها وما مصدرية أو موصولة أي على هدايته إياكم أو على ما هداكم إليه وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر (وبشر المحسنين) أي المخلصين في كل ما يأتون وما يذرون في أمور دينهم (إن الله يدفع عن الذين آمنوا) كلام مستأنف مسوق لتوطين قلوب المؤمنين ببيان أن الله تعالى ناصرهم على أعدائهم بحيث لا يقدر أن يصدحهم عن الحج ليتفرغوا إلى أداء مناسكهم وتصديره بكلمة التحقيق لإبراز الاعتناء التام بمضمونه وصيغة المفاعلة إما للمبالغة أو للدلالة على تكرار الدفع فإنها قد تجرد عن وقوع الفعل المنكر من الجانبين فيبقى تكرره كافي الممارسة أي يبالغ في دفع غائلة المشركين وضررهم الذي من جملته الصد عن سبيل الله مبالغة من يقالب فيه أو يدفعها عنهم مرة بعد أخرى حسبما تجدد منهم القصد إلى الإضرار بالمسلمين كما في قوله تعالى كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله وقرىء يدفع والمفعول محذوف

• وقوله تعالى (إن الله لا يحب كل خوان كفور) تعليل لما في ضمن الوعد الكريم من الوعيد للمشركين وإيدان بأن دفعهم بطريق القهر والحزى ونفي المحبة كناية عن البغض أي إن الله يبغض كل خوان في أماناته تعالى وهي أوامره ونواهيه أو في جميع الأمانات التي هي معظمها كفور لنعمته وصيغة المبالغة فيهما لبيان أهم كذلك لا لتقييد البغض بغاية الحياة والكفر أو للمبالغة في نفي المحبة على اعتبار النفي أولا وإيراد معنى المبالغة ثانياً (أذن) أي رخص وقرىء على البناء للمفاعلة أي (للذين يقتلون) أي يقتلهم المشركون والمأذون فيه محذوف لدلالة المذكور عليه فإن مقاتلة المشركين إياهم دالة على مقاتلتهم إياهم دالة نيرة وقرىء على صيغة المبني للمفاعلة أي يريدون أن يقاتلوا المشركين فيما سيأتي ويحرسون عليه فدلالته على المحذوف أظهر (بأنهم ظلموا) أي بسبب أنهم ظلموا وهم أصحاب النبي ﷺ ورضى عنهم كان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه ﷺ بين مضروب ومشجوج ويتظلمون إليه فيقول ﷺ لهم اصبروا فإنني لم أؤمر بالقتال حتى هاجرتم فأنزلت وهي أول آية نزلت في القتال بعد ما نهى عنه في نيف وسبعين آية

• (وإن الله على نصرهم لقدير) وعد لهم بالنصر وتأكيده لما مر من العدة الكريمة بالدفع وتصريح بأن المراد به ليس مجرد تخليصهم من أيدي المشركين بل تغليبهم وإظهارهم عليهم والإخبار بقدرته تعالى على نصرهم واردة على سنن التكبرياء وتأكيده بكلمة التحقيق واللام لما زيد تحقيق مضمونه وزيادة توطين نفوس المؤمنين

الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ
بِبَعْضٍ لَفُتِدَتْ صَوَامِعُ وَبَيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ
مَنْ يَنْصُرُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾

٢٢ الحج

الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ
الْمُنْكَرِ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ الْأُمُورِ ﴿٤٢﴾

٢٢ الحج

- وقوله تعالى (الذين أخرجوا من ديارهم) في حيز الجر على أنه صفة للوصول الأول أو بيان له أو بدل
منه أو في محل النصب على المدح أو في محل الرفع يا ضمير مبتدأ والجملة مرفوعة على المدح والمراد بديارهم
مكة المعظمة (بغير حق) متعلق بأخرجوا أى أخرجوا بغير ماوجب إخراجهم وقوله تعالى (إلا أن يقولوا
ربنا الله) بدل من حق أى بغير موجب سوى التوحيد الذى ينبغى أن يكون موجبا للإقرار والتكفين
دون الإخراج والتسيير لكن لا على الظاهر بل على طريقة قول النابغة [ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم *
بهن فلول من قراع الكتائب] وقيل الاستثناء منقطع (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) بتسليط
المؤمنين على الكافرين في كل عصر وزمان وقرىء دفاع (لهدمت) لخربت باسقيلاء المشركين على أهل
الملل وقرىء هدمت بالتخفيف (صوامع) للرهبنة (وبيع) للتصاري (وصلوات) أى وكنائس لليهود
سميت بها لأنها يصلى فيها وقيل أصلها صلواتا بالعبرية فخرت (ومساجد) للمسلمين (يذكر فيها اسم الله
كثيرا) أى ذكر كثيرا أو وقتا كثيرا صفة مادحة للمساجد خصت بها دلالة على فضلها وفضل أهلها
وقيل صفة للأربع وليس كذلك فإن بيان ذكر الله عز وجل في الصوامع والبيع والكنائس بعد انتساخ
شرعيتها مما لا يقتضيه المقام ولا يرتضيه الأفهام (ولينصرن الله من ينصره) أى وبالله لينصرن الله من
ينصر أوليائه أو من ينصر دينه ولقد أنجز الله عز سلطانه وعده حيث سلط المهاجرين والأنصار على
صناديد العرب وأكاسرة العجم وقيصرة الروم وأورثهم أرضهم وديارهم (إن الله لقوى) على كل
مايريد من مراداته التى من جهلها نصرهم (عزيز) لا يمانعه شيء ولا يدافعه (الذين إن مكناهم فى الأرض
أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) وصف من الله عز وجل للذين أخرجوا
من ديارهم بما سيكون منهم من حسن السيرة عند تمكينه تعالى إياهم فى الأرض وإعطائه إياهم زمام الأحكام
منى عن عدة كريمة على أبلغ وجه والطفه وعن عثمان رضى الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد أنه تعالى
أننى عليهم قبل أن يحدثوا من الخير ما أحدثوا وفيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين لأنه تعالى لم يعط
التحكين ونفاذ الأمر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لاحظ فى ذلك للأنصار والطلقاء وعن الحسن
رحمه الله هم أمة محمد ﷺ وقيل الذين بدل من قوله من ينصره (ولله) خاصة (طائفة الأمور) فإن مراجعها
إلى حكمه وتقديره فقط وفيه تأكيد للوعد بإظهار أوليائه وإعلاء كلمته .

٢٢ الحج

وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَنُحُودٌ ﴿٤٢﴾

٢٢ الحج

وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾

وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ ٢٢ الحج

فَكَأَيُّ مَن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرِى مُعْتَلَةٌ وَقَصْرِ

٢٢ الحج

مَشِيدٍ ﴿٤٥﴾

- ٤٢ (وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح) تسلية لرسول الله ﷺ متضمنة للوعد الكريم بإهلاك من يعاديه من الكفرة وتعيين لكيفية نصره تعالى له الموعد بقوله تعالى ولينصرن الله من ينصره وبيان لرجوع طائفة الأمور إليه تعالى وصيغة المضارع في الشرط مع تحقق التكذيب لما أن المقصود تسليته ﷺ عما يترتب على التكذيب من الحزن المتوقع أى وإن تخزن على تكذيبهم إياك فاعلم أنك لست بأوحدى في ذلك فقد كذبت قبل تكذيب قومك إياك قوم نوح (وعاد وثمود) (وقوم إبراهيم وقوم لوط) (وأصحاب مدين) أى رسلمهم عن ذكر ومن لم يذكر وإنما حذف لكمال ظهور المراد أو لأن المراد نفس الفعل أى فعلت التكذيب قوم نوح إلى آخره (وكذب موسى) غير النظم الكريم بذكر المفعول وبناء الفعل له لا لأن قومه بنو إسرائيل وهم لم يكذبوه وإنما كذبه القبط لما أن ذلك إنما يقتضى عدم ذكرهم بعنوان كونهم قوم موسى لا بعنوان آخر على أن بنى إسرائيل أيضاً قد كذبوه مرة بعد أخرى حسماً ينطق به قوله تعالى إن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك من الآيات الكريمة بل للإيضاح بأن تكذيبهم له كان في غاية الشناعة لكون آياته في كمال الوضوح وقوله تعالى (فأملت للكافرين) أى أمهلهم حتى انصرفت جبال آجالهم والفاء لترتيب إمهال كل فريق من فرق المكذبين على تكذيب ذلك الفريق لا لترتيب إمهال الكل على تكذيب الكل ووضع الظاهر موضع الضمير العائد إلى المكذبين لئلا يظنهم بالكفر والتصريح بمكذبى موسى عليه السلام حيث لم يذكر وأما قبل صريحاً (ثم أخذتهم) أى أخذت كل فريق من فرق المكذبين بعد انقضاء مدة إمهالهم وإمهالهم (فكيف كان نكير) أى إنكارى عليهم بالإهلاك أى فكان ذلك في غاية ما يكون من الهول والفضاعة وقوله تعالى (فكأين من قرية) منصوب بمضمير يفسره قوله تعالى (أهلكناها) أى فأهلكنا كثيراً من القرى بإهلاك أهلها والجملة بدل من قوله تعالى فكيف كان نكير أو مرفوع على الابتداء وأهلكنا خبره أى فكثير من القرى أهلكناها وقرى أهلكناها على وفق قوله تعالى فأملت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير (وهي ظالمة) جملة حالية من مفعول أهلكناها وقوله تعالى (فهي خاوية) عطف على أهلكناها لا على وهي ظالمة لأنها حال والإهلاك ليس في حال خواتها فعل الأول لا محل له من الإعراب كالمعطوف عليه وعلى الثانى في محل الرفع لمعطفه على الخبر والخوات إما بمعنى السقوط من خوى النجم إذا سقط فالعنى فهي ساقطة حيطانها

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى
الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

الحج ٢٢

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾

الحج ٢٢

- (على عروشها) أى سقوفها بأن تعطل بنيانها فخرت - سقوفها ثم تهدمت حيطاتها فسقطت فوق السقوف
- وإسناد السقوف على العروش إلهما التنزيل الحيطان منزلة كل البنيان لكونها عمدة فيه وأما بمعنى الخلو من خوى المنزل إذا خلا من أهله فالمعنى فهمى خالية مع بقاء عروشها وسلامتها فتكون على معنى مع وبجوز أن يكون على عروشها خبراً بعد خبر أى فهمى خالية وهى على عروشها أى قائمة مشرفة على عروشها على معنى أن السقوف سقطت إلى الأرض وبقيت الحيطان قائمة فهمى مشرفة على السقوف الساقطة وإسناد الإشراف إلى الكل مع كونه حال الحيطان لما مر آنفاً (وبئر معطلة) عطف على قرية أى وكم بئر طارة فى البوادي تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها وقرىء بالتخفيف من أعطله بمعنى عطله (وقصر مشيد) مرفوع
- البنيان أو مجصص أخليناه عن ساكنيه وهذا يؤيد كون معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد بالبئر بئر بسفح جبل بحضرموت وبالقصر قصر مشرف على قلعة كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه أهلكهم الله تعالى وعطلهما (أفلم يسيرا في الأرض) حث لهم أن يسافروا
- ٤٦ ليرى أمصار الممالك فيعتبروا وهم وإن كانوا قد سافروا فيها ولكنهم حيث لم يسافروا للاعتبار جعلوا غير مسافرين فحنوا على ذلك والفاء لعطف ما بعدها على مقدريه يقتضيه المقام أى أغفلوا فلم يسيرا فيها (فتكون لهم) بسبب ما شاهدوه من مواد الاعتبار ومظان الاستبصار (قلوب يعقلون بها) ما يجب أن يعقل من التوحيد (أو آذان يسمعون بها) ما يجب أن يسمع من الوحي أو من أخبار الأمم المملوكة ممن يجاورهم من الناس فإنهم أعرف منهم بحالهم (فإنها لا تعمى الأبصار) الضمير للقصة أو مبهم يفسره الأبصار وفي تعمى ضمير راجع إليه وقد أقيم الظاهر مقامه (ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) أى ليس الخلل في مشاعرهم وإنما هو في عقولهم باتباع الهوى والاهتمام في الغفلة وذكر الصدور للتأكيد ونفي توهم التجوز وفضل التنبيه على أن العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يختص بالبصر قيل لما نزل قوله تعالى ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى قال ابن أم مكتوم يا رسول الله أنا في الدنيا أعمى أفأكون في الآخرة أعمى فنزلت (ويستعجلونك بالعذاب) كانوا منكربين لمحبي العذاب المتنوع عذبه أشد الإنكار وإنما كانوا يستعجلون به
- ٤٧ استهزاء برسول الله ﷺ وتعجيزاً له على زعمهم لحكى عنهم ذلك بطريق التخطئة والاستنكار فقوله تعالى (ولن يخلف الله وعده) إما جملة حالية جىء بها البيان بطلان إنكارهم لمحبيته في ضمن استعجالهم به وإظهار خطئهم فيه كأنه قيل كيف ينكرون محبي العذاب الموعود والحال أنه تعالى لا يخلف وعده أبداً وقد سبق الوعد فلا بد من محبيته حتماً أو اعتراضية مبينة لما ذكر وقوله تعالى (وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون) جملة مستأنفة إن كانت الأولى حالية ومعطوفة عليها إن كانت اعتراضية سبقت لبيان

وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ أُمْلِيَتْ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿٤٨﴾

٢٢ الحج

٢٢ الحج

قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِيْمًا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾

خطهم في الاستعجال المذكور ببيان كمال سعة ساحه حلمه تعالى ووقاره وإظهار غاية ضيق عطهم المستنبح لكون المدة القصيرة عنده تعالى مدداً طويلاً عندم حسبما ينطق به قوله تعالى إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً ولذلك يرون مجيئه بعيداً ويتخذونه ذريعة إلى إنكاره ويحتثون على الاستعجال به ولا يدرون أن معيار تقدير الأمور كلها وقوعاً وإخباراً ما عنده تعالى من المقدار وقراءة يعدون على صيغة الغيبة أى يعده المستعجلون أو وفق لهذا المعنى وقد جمل الخطاب في القراءة المشهورة لهم أيضاً بطريق الالتفات لكن الظاهر أنه الرسول ﷺ ومن معه من المؤمنين وقيل المراد بوعده تعالى ما جعل لهلاك كل أمة من موعده معين وأجل مسمى كما في قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب فتكون الجملة الأولى حالية كانت أو اعتراضية مبينة لبطلان الاستعجال به ببيان استعماله مجيئه قبل وقته الموعود والجملة الأخيرة بياناً لبطلانه ببيان ابتناء على استطالة ما هو قصير عنده تعالى على الوجه الذي مر بيانه فلا يكون في النظم الكريم حينئذ تعرض لإنكارهم الذي دسوه تحت الاستعجال بل يكون الجواب مبنياً على ظاهر مقالهم ويكتفى في رد إنكارهم ببيان عاقبة من قبلهم من أمثالهم هذا وحمل المستعجل به على عذاب الآخرة وجعل اليوم عبارة عن يوم العذاب المستطال لشدة أو عن أيام الآخرة الطويلة حقيقة أو المستطالة لشدة عذابها لما لا يساعده سباق النظم الجليل ولا سياقه فإن كلا منهما ناطق بأن المراد هو العذاب الدينوى وأن الزمان الممتد هو الذي مر عليهم قبل حلوله بطريق الإيماء والإمهال لا الزمان المقارن له ألا يرى إلى قوله تعالى (وكاين من قرية) الخ فإنه كما سلف من قوله تعالى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم صريح في أن المراد هو الأخذ العاجل الشديد بعد الإمهال المديد أى وكم من أهل قرية لحذف المضاعف وأقيم المضاعف إليه مقامه في الإعراب ورجع الضمائر والأحكام مبالغة في التعميم والتحويل (أمليت لها) كما أمليت لهؤلاء حتى أنكروا بحجى ما وعدوا من العذاب واستعجلوا به استهزاء برسولهم كما فعل هؤلاء (وهي ظالمة) جملة حالية مفيدة لكمال حلمه تعالى ومشعرة بطريق التعريض بظلم المستعجلين أى أمليت لها والحال أنها ظالمة مستوجبة لتعجيل العقوبة كدأب هؤلاء (ثم أخذتها) بالعذاب والنكال بعد طول الإمهال والإمهال وقوله تعالى (وإلى المصير) اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ومصرح بما أفاده ذلك بطريق التعريض من أن مال أمر المستعجلين أيضاً ما ذكر من الأخذ الويل أى إلى حكمى مرجع الكل جميعاً لا إلى أحد غيرى لا استقلالاً ولا شركة فأفعل بهم ما أفعل بما يليق بأعمالهم (قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين) أنذركم إنذاراً بيناً بما أوحى من أنباء الأمم المهلكة من غير أن يكون لى دخل فى إتيان ما توعدونه من العذاب حتى تستعجلوني به والاقتصار على الإنذار مع بيان حال الفريقين بعده لما أشير إليه من أن مساق الحديث للشركين وعقابهم وإنما ذكر المؤمنون وثوابهم زيادة فى غيظهم .

فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾

٢٢ الحج

وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾

٢٢ الحج

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا

يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾

٢٢ الحج

- (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة) لما ندر منهم من الذنوب (ورزق كريم) هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجتمع فضائله وبحوز كلالته (والذين سعوا في آياتنا معاجزين) أى سابقين أو مسابقين في ٥٠ زعمهم وتقديرهم طامعين أن كيدهم للإسلام يتم وأصله من عاجزه وعجزه فأعجزه إذا سبقه فسبقه لأن كلام المنسابقين يربد إعجاز الآخر عن اللحاق به وقرىء معجزين أى مشبطين الناس عن الإيمان على أنه حال مقدرة (أو أنك) الموصوفون بها ذكر من السعى والمعاجزة (أصحاب الجحيم) أى ملازموا النار الموقدة وقيل هو اسم دركة من دركاتها (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) الرسول ٥٢ من بعثه الله تعالى بشريعة جديدة يدعو الناس إليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شريعة سابقة كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ولذلك شبه ﷺ علماء أمته بهم قال النبي أعم من الرسول ويدل عليه أنه ﷺ سئل عن الأنبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً قيل فكم الرسل منهم فقال ثلاثمائة وثلاثة عشر جماعاً غفيراً وقيل الرسول من جمع إلى المعجزة كتاباً منزلاً عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولن يوحى إليه في المنام (إلا إذا تمنى) أى هيا في نفسه ما يهواه (ألقي الشيطان في أمنيته) في تشبيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال ﷺ وإنه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة (فينسخ الله ما يلقي الشيطان) فيطلبه ويذهب به بعصمته عن الركون إليه وإرشاده إلى ما يزيحه (ثم يحكم الله آياته) أى يثبت آياته الداعية إلى الاستغراق في شئون الحق وصيغة المضارع في الفعلين للدلالة على الاستمرار التجدد والإظهار الجلالة في موقع الإضمار لزيادة التقرير والإيدان بأن الألوهية من موجبات إحكام آياته الباهرة (والله عليم) مبالغ في العلم بكل مامن شأنه أن يعلم ومن جملته ما صدر عن العباد من قول وفعل عمداً أو خطأ (حكيم) في كل ما يفعله والإظهار ٥٠ همنا أيضاً لما ذكر مع ما فيه من تأكيد استقلال الاعتراض التذييلي قيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على إيمان قومه أن ينزل عليه ما يقرهم إليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة النجم فأخذ يقرؤها فلما بلغ ومائة الثالثة الأخرى وسوس إليه الشيطان حتى سبق لسانه سهواً إلى أن قال تلك الغرائق العلا وإن شفاعتكم لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد في آخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك إلا سجد ثم نبهه جبريل عليه السلام فاغتم به فعزاه الله عز وجل بهذه الآية وهو مردود عند المحققين ولئن صح قابله بلاء يتميز به الثابت على الإيمان عن المتزلزل فيه وقيل

لِيَجْعَلَ مَا يَأْتِي الشَّيْطَانَ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾

الحج ٢٢

وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾

الحج ٢٢

وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

الحج ٢٢

تمنى بمعنى قرأ كقوله [تمنى كتاب الله أول ليلة] تمنى داود الزبور على رسل [وأمنيته قراءته وإلقاء الشيطان فيها أن يتكلم بذلك رافعاً صوته بحيث ظن السامعون أنه من قراءة النبي ﷺ] وقدرد بأنه أيضاً يخل بالوثوق بالقرآن ولا يندفع بقوله تعالى فينسخ الله ما يأتى الشيطان ثم يحكم الله آياته لأنه أيضاً يحتمله ٥٣ وفى الآية دلالة على جواز السهو من الأنبياء عليهم السلام وتطرق الوسوسة إليهم (ليجعل ما يأتى الشيطان) علة لما ينهى عنه ما ذكر من إلقاء الشيطان من تمكينه تعالى إياه من ذلك فى حق النبي ﷺ خاصة كما يعرب عنه سياق النظم الكريم لما أن تمكينه تعالى إياه من الإلقاء فى حق سائر الأنبياء عليهم السلام لا يمكن تعليله بما ساقى وفيه دلالة على أن ما يلقيه أمر ظاهر يعرفه الحق والمبطل (فتنة للذين فى قلوبهم مرض) أى شك ونفاق كما فى قوله تعالى فى قلوبهم مرض الآية (والقاسية قلوبهم) أى المشركين (وإن الظالمين) أى الفريقين المذكورين فوضع الظاهر موضع ضميرهم تسجيلاً عليهم بالظلم مع ما وصفوا به من المرض والقساوة (لى شقاق بعيد) أى عداوة شديدة ومخالفة تامة ووصف الشقاق بالبعد مع أن الموصوف به حقيقة هو معروضه للبالغة والجملة اعتراض تذييل مقرر لمضمون ما قبله (وليعلم الذين أوتوا العلم أنه) أى القرآن (الحق من ربك) أى هو الحق النازل من عنده تعالى وقيل ليعلموا أن تمكين الشيطان من الإلقاء هو الحق المتضمن للحكمة البالغة والغاية الجميلة لأنه مما جرت به عادته فى جنس الإنس من لدن آدم عليه السلام لحينئذ لا حاجة إلى تخصيص التمكين فيما سبق بالإلقاء فى حقه عليه السلام لكن يأباه قوله تعالى (فيؤمنوا به) أى بالقرآن أى يثبتوا على الإيمان به أو يزدادوا إيماناً برده ما يأتى الشيطان فتخبت له قلوبهم بالانقياد والخشية والإذعان لما فيه من الأوامر والنواهي ورجع الضميرين لاسيما الثانى إلى تمكين الشيطان من الإلقاء مما لا وجه له (وإن الله لهادى الذين آمنوا) أى فى الأمور الدينية خصوصاً فى المداخل والمشكلات التى من جملة ما ذكر (إلى صراط مستقيم) هو النظر الصحيح الموصل إلى الحق الصريح والجملة اعتراض مقرر لما قبله (ولا يزال الذين كفروا فى مرية) أى فى شك وجدال (منه) أى من القرآن وقيل من الرسول ﷺ والأول هو الأظهر بشهادة ما سبق من قوله تعالى ثم يحكم الله آياته وقوله تعالى أنه الحق من ربك فيؤمنوا به وما لحق من قوله تعالى وكذبوا بآياتنا وأما تجوز كون الضمير

٥٥

أَلَمْ لِكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ ٢٢ الحج

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ ٢٢ الحج

لما ألقى الشيطان في أمنيته فيما لا مساغ له لأن ذلك ليس من هوانهم التي تستمر إلى الأبد المذكور بل إنما هي مريتهم في شأن القرآن ولا يجدي حل من على السببية دون الابتدائية لما أن مريتهم المستمرة كما أنها ليست مبتدأة من ذلك ليست ناشئة منه ضرورة أنها مستمرة منهم من لدن نزول القرآن الكريم (حتى تأتهم الساعة) أي القيامة نفسها كما يؤذن به قوله تعالى (بغثة) أي الجأة فإنها الموصوفة بالإتيان كذلك لا أشراطها وقيل الموت (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) أي يوم لا يوم بعده كأن كل يوم يلد ما بعده من الأيام فما لا يوم بعده يكون عقبا والمراد به الساعة أيضاً كأنه قيل أو يأتيهم عذابها فوضع ذلك موضع ضميرها لمزيد التحويل ولا سبيل إلى حمل الساعة على أشراطها لما عرفت وأما ما قيل من أن المراد يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمى به لأن أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كأنهن عقم لم يلدن أو لأن المقاتلين أبناء الحرب فإذا قتلوا صارت عقبا أي تكلى فوصف اليوم بوصفها اتساعاً أو لأنه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم ينشأ مطراً ولم يلقح شجراً أو لأنه لا مثل له لقتال الملائكة عليهم السلام فيه فما لا يساعده سياق النظم الكريم أصلاً كيف لا وإن تخصيص الملك والتصرف الكلي فيه بالله عز وجل ثم بيان ما يقع فيه من حكمه تعالى بين الفريقين بالثواب والعذاب الآخر وبين يقضى بأن المراد به يوم القيامة قضاء بيننا لا ريب فيه (الملك) أي السلطان الفاهر والاستيلاء التام والتصرف على الإطلاق (يومئذ) وحده بلا شريك ٥٦ أصلاً بحيث لا يكون فيه لا حد تصرف من التصرفات في أمر من الأمور لا حقيقة ولا مجازاً ولا صورة ولا معنى كما في الدنيا فإن للبعض فيها تصرفاً صورياً في الجملة وليس التنوين نائباً تدل عليه الغاية من زوال مريتهم كما قيل ولا عما يستلزمه ذلك من إيمانهم كما قيل لما أن القيد المعتبر مع اليوم حيث وسط بين طرفي الجملة يجب أن يكون مدار الحكما أعنى كون الملك لله عز وجل وما يتفرع عليه من الإثابة والتعذيب ولا ريب في أن إيمانهم أو زوال مريتهم ليس بماله تعلق بما ذكر فضلاً عن المدارية له فلا سبيل إلى اعتبار شيء منهما مع اليوم قطعاً وإنما الذي يدور عليه ما ذكر إتيان الساعة التي هي منتهى تصرفات الخلق ومبدأ ظهور أحكام الملك الحق جل جلاله فإذا هو نائب عن نفس الجملة الواقعة غاية لمريتهم فالمعنى الملك يوم إذ تأتهم الساعة أو عذابها لله تعالى وقوله تعالى (يحكم بينهم) جملة مستأنفة وقعت جواباً عن سؤال نشأ من الإخبار بكون الملك يومئذ لله كأنه قيل فإذا يصنع بهم حينئذ فقيل يحكم بين فريقين المؤمنين به والممارين فيه بالمجازة وقوله تعالى (فالذين آمنوا) الخ تفسير للحكم المذكور وتفصيل له أي فالذين آمنوا بالقرآن الكريم ولم يماروا فيه (وعملوا الصالحات) امتثالاً بما أمروا في تضاعيفه (في جنات النعيم) أي مستقرون فيها (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) أي أصروا على ذلك واستمروا (فأولئك) إشارة إلى الموصول ٥٧ باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب وما فيه من معنى البعد للإيدان ببعد منزلتهم في

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ خَيْرُ
الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾

الحج ٢٢

لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾

الحج ٢٢

ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾

الحج ٢٢

- * الشر والفساد أى أو أهلك الموصوفون بما ذكر من الكفر والتكذيب وهو مبتدأ وقوله تعالى (لهم عذاب) جملة اسمية من مبتدأ وخبر مقدم عليه وقعت خبراً لأولئك أو لهم خبر لأولئك وعذاب مرتفع على الفاعلية بالاستقرار فى الجار والمجرور لاعتماده على المبتدأ وأولئك مع خبره على الوجهين خبر للموصول وتصديره بالفاء للدلالة على أن تعذيب الكفار بسبب أعمالهم السيئة كما أن تجريد خبر الموصول الأول عنها الإيذان بأن إثابة المؤمنين بطريق التفضل لا لإيجاب الأعمال الصالحة إياها وقوله تعالى (مهين) صفة لعذاب مؤكدة لما أفاده التنوين من الفعامة وفيه من المبالغة من وجوه شتى ما لا يخفى (والذين هاجروا فى سبيل الله) أى فى الجهاد حسباً يلوح به قوله تعالى (ثم قتلوا أو ماتوا) أى فى تضاعيف المهاجرة ومحل الموصول الرفع على الابتداء وقوله تعالى (ليرزقنهم الله) جواب لقسم محذوف والجملة خبره ومن منع وقوع الجملة القسمية وجوابها خبراً للبتداء يضمن قولاً هو الخبر والجملة محكية به وقوله تعالى (رزقاً حسناً) إما مفعول ثان على أنه من باب الرعى والذبح أى مرزوقاً حسناً أو مصدر مؤكد والمراد به ما لا ينقطع أبداً من نعيم الجنة وإنما سوى بينهما فى الوعد لاستوائيهما فى القصد وأصل العمل على أن مراتب الحسن متفاوتة فيجوز تفاوت حال المرزوقين حسب تفاوت الأرزاق الحسنة وروى أن بعض أصحاب النبي ﷺ قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا فى سبيل الله قد علمنا ما أعطاهم الله تعالى من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فقال لنا إن متنا معك فنزلت وقيل نزلت فى طوائف خرجوا من مكة إلى المدينة للهجرة فتبعهم المشركون فقتلوا (وإن الله لهو خير الرازقين) فإنه يرزق بغير حساب مع أن ما يرزقه لا يقدر عليه أحد غيره والجملة اعتراض تذييل مقرر لما قبله وقوله تعالى (ليدخلنهم مدخلا يرضونه) بدل من قوله تعالى ليرزقنهم الله أو استئناف مقرر لمضمونه ومدخلا إما اسم مكان أريد به الجنة فهو مفعول ثان للإدخال أو مصدر ميمي أكد به فعله قال ابن عباس رضى الله عنهما إنما قيل يرضونه لما أنهم يرون فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيرضونه (وإن الله لعليم) بأحوالهم وأحوال معادهم (حلیم) لا يعاجلهم بالعقوبة (ذلك) خبر مبتدأ محذوف أى الأمر ذلك والجملة تقرير ماقبله والتنبية على أن مابعد كلام مستأنف (ومن عاقب بمثل ما عوقب به) أى لم يزد فى الاقتصاص وإنما سمي الابتداء بالعقاب الذى هو جزاء الجنابة للشاكلة أو لكونه سبباً له (ثم بغى عليه) بالمعاودة إلى العقوبة (لينصرنه الله) على من بغى عليه لا محالة (إن الله لعفو غفور) أى مبالغ فى العفو والغفران

٥٨

٥٩

٦٠

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ٢٢ الحج

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ٢٢ الحج

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ ٢٢ الحج

لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ ٢٢ الحج

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَخْرِقُ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلُكَ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۚ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ

تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ٢٢ الحج

- فيفعو عن المنتصر ويغفر له ما صدر عنه من ترجيح الانتقام على العفو والصبر المندوب إليهما بقوله تعالى ولمن صبر وغفر إن ذلك أي ما ذكر من الصبر والمغفرة لمن عزم الأمور فإن فيه حثاً بليغاً على العفو والمغفرة فإنه تعالى مع كمال قدرته لما كان يعفو ويغفر فغيره أولى بذلك وتنبيه أعلى أنه تعالى قادر على العقوبة إذ لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده (ذلك) إشارة إلى النصر وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو مرتبته ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى (بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) أي بسبب أنه تعالى من شأنه وسنته تغليب بعض مخلوقاته على بعض والمداولة بين الأشياء المتضادة وغير عن ذلك بإدخال أحد الملوين في الآخر بأن يزيد فيه ما ينقص عن الآخر أو بتحصيل أحدهما في مكان الآخر لكونه أظهر المواد وأوضحها (وأن الله سميع) بكل المسموعات التي من جملتها قول المعاقب (بصير) بجميع المبصرات ومن جملتها أفعاله (ذلك) أي الاتصاف بما ذكر من كمال القدرة والعلم وما فيه من معنى البعد لما مر آنفاً وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (بأن الله هو الحق) الواجب لذاته الثابت في نفسه وصفاته وأفعاله وحده فإن وجوب وجوده ووحدته يقتضيان كونه مبدأ لكل ما يوجد من الموجودات عالمها بكل المعلومات أو الثابت إلهية فلا يصلح لها إلا من كان عالماً قادراً (وأن ما يدعون من دونه) إلهاً وقرىء على البناء للمفعول على أن الواو لما فإنه عبارة عن الآلهة وقرىء بالتاء على خطاب المشركين (هو الباطل) أي المعدوم في حد ذاته أو الباطل ألوهيته (وأن الله هو العلي) على جميع الأشياء (الكبير) عن أن يكون له شريك لا شيء أعلى منه شأنًا وأكبر سلطاناً (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) استفهام تقرير كما يفصح عنه الرفع في قوله تعالى (فتصبح الأرض مخضرة) بالعطف على أنزل وإيثار صيغة الاستقبال الإشعار بتجدد أثر الإنزال واستمراره أو لاستحضار صورة الاخضرار (إن الله لطيف) يصل لطفه أو علمه إلى كل ما جل ودق (خبير) بما يليق من التداير الحسنة ظاهراً وباطناً (له ما في السموات وما في الأرض) خلقاً وملكا وتصرفاً (وإن الله هو الغني) عن كل شيء (الحميد) المستوجب للحمد بصفاته وأفعاله (ألم تر أن الله يخرق لكم ما في الأرض) أي جعل ما فيها من الأشياء دالة لكم معدة لمنافعكم تتصرفون فيها كيف شئتم فلا

وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ ٢٢ الحج

لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ

هُدًى مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٧﴾ ٢٢ الحج

أصلب من الحجر ولا أشد من الحديد ولا أهيب من النار وهي مسخرة لكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مراراً من الاهتمام بالمقدم لتعجيل المسرة والنشويق إلى المؤخر (والفلك) عطف على ما أو على اسم أن وقرئ بالرفع على الابتداء (تجرى في البحر بأمره) حال من الفلك على الأول وخبر على الأخيرين (ويمسك السماء أن تقع على الأرض) أى من أن تقع أو كراهة أن تقع بأن خلقها على هيئة متداعية إلى الاستمسك (إلا ياذنه) أى بمشيئته وذلك يوم القيامة وفيه رد لاستمسكها بذاتها فإنها مساوية في الجسمية لسائر الأجسام القابلة لليل الهابط فتقبله كقبول غيرها (إن الله بالناس لرؤوف رحيم) حيث هيا لهم أسباب معاشهم وفتح عليهم أبواب المنافع وأوضح لهم مناهج الاستدلال بالآيات التكوينية والتنزيلية (وهو الذى أحياكم) بعد أن كنتم جماداً عناصر ونطقاً حسبما فصل في مطلع السورة الكريمة (ثم يميتكم) عند مجي آجالكم (ثم يحييكم) عند البعث (إن الإنسان لكفور) أى جحود للنعم مع ظهورها وهذا وصف للجنس بوصف بعض أفرادهم (لكل أمة) كلام مستأنف جرى به لجزر معاصريه ٦٦ ٦٧ من أهل الأديان السماوية عن منازعته ﷺ ببيان حال ما تمسكوا به من الشرائع وإظهار خطئهم في النظر أى لكل أمة معينة من الأمم الحالية والباقية (جعلنا) أى وضعنا وعيناً (منسكاً) أى شريعة خاصة لا لامة أخرى منهم على معنى عيننا كل شريعة لامة معينة من الأمم بحيث لا تتخطى أمة منهم شريعتها المعينة لها إلى شريعة أخرى لا استقلالاً ولا اشتراكاً وقوله تعالى (هم ناسكوه) صفة لمنسكاً مؤكدة للقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور على الفعل والضمير لكل أمة باعتبار خصوصها أى تلك الامة المعينة ناسكوه والعالمون به لا أمة أخرى فالامة التى كانت من مبعث موسى عليه السلام إلى مبعث عيسى عليه السلام منسكهم التوراة هم ناسكوها والعالمون بها لا غيرهم والتى كانت من مبعث عيسى إلى مبعث النبي ﷺ منسكهم الإنجيل هم ناسكوه والعالمون به لا غيرهم وأما الامة الموجودة عند مبعث النبي ﷺ ومن بعدهم من الموجودين إلى يوم القيامة فهم أمة واحدة منسكهم الفرقان ليس إلا كما مر في تفسير قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً والفاء في قوله تعالى (فلا ينزعك في الأمر) لترتيب الهى أو موجهه على ما قبلها فإن تعيينه تعالى لكل أمة من الأمم التى من جعلتهم هذه الامة شريعة مستقلة بحيث لا تتخطى أمة منهم شريعتها المعينة لها موجب لطاعة هؤلاء لرسول الله ﷺ وعدم منازعتهم إياه في أمر الدين زعماً منهم أن شريعتهم ماعين لا باتهم الأولين من التوراة والإنجيل فإنهما شريعتان لمن مضى من الأمم قبل اتساخهما وهؤلاء أمة مستقلة منسكهم القرآن المجيد لحسب والنهى إما على حقيقته أو كناية عن نهيه ﷺ عن الالتفات إلى نزاعهم للنبي على زعمهم المذكور وأما جملة عبارة عن نهيه ﷺ

وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون ﴿٦٨﴾ الحج ٢٢

الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون ﴿٦٩﴾ الحج ٢٢

ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير ﴿٧٠﴾ الحج ٢٢
ويعبدون من دون الله مآلهم ينزل به سلطاناً وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير ﴿٧١﴾ الحج ٢٢

عن منازعهم فلا يساعده المقام وقرىء فلا ينزعك على تهيجك ^{بالتلويح} والمبالغة في تزيينه وأياً ما كان فعل النزاع ما ذكرناه وتخصيصه بأمر الناسك وجعله عبارة عن قول الخزاعيين وغيرهم للمسلمين ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلوا ما قتلته الله تعالى عملاً سبيل إليه أصلاً كيف لا وأنه يستدعي أن يكون أكل الميتة وسائر ما يدنو منه من الأباطيل من جملة المناسك التي جعلها الله تعالى لبعض الأمم ولا يرتاب في بطلانه عاقل (وادع) أي وادعهم أو وادع الناس كافة على أنهم داخلون فيهم دخولا أولياً (إلى ربك) إلى توحيد وعبادته حسبما بين لهم في منسكهم وشريعتهم (إنك لعلى هدى مستقيم) أي طريق موصل إلى الحق سوى والمراد به إما الدين والشرعية أو أدانها (وإن جادلوك) بعد ظهور الحق بما ذكر من التحقيق ولزوم الحجة عليهم (فقل) ٦٨ لهم على سبيل الوعيد (الله أعلم بما تعملون) من الأباطيل التي من جملتها المجادلة (الله يحكم بينكم) يفصل ٦٩ بين المؤمنين منكم والكافرين (يوم القيامة) بالثواب والعقاب كما فصل في الدنيا بالحجج والآيات (فما كنتم فيه تختلفون) من أمر الدين (ألم تعلم) استئناف مقرر لمضمون ما قبله والاستفهام للتقرير أي قد علمت (أن الله يعلم ما في السماء والأرض) فلا يخفى عليه شيء من الأشياء التي من جملتها ما يقوله الكفرة وما يعملونه (إن ذلك) أي ما في السماء والأرض (في كتاب) هو اللوح قد كتب فيه قبل حدوثه فلا يهملك أمرهم مع علمنا به وحفظنا له (إن ذلك) أي ما ذكر من العلم والإحاطة به وإثباته في اللوح أو الحكم بينكم (على الله يسير) فإن علمه وقدرته مقتضى ذاته فلا يخفى عليه شيء ولا يعسر عليه مقدور (ويعبدون) ٧١ من دون الله (حكاية لبعض الأباطيل المشركين وأحوالهم الدالة على كمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم من بناء أمر دينهم على غير مبنى من دليل سمعى أو عقلى وإعراضهم عما ألقى عليهم من سلطان بين هو أساس الدين وقاعدته أشد إعراض أي يعبدون متجاوزين عبادة الله (مآلهم ينزل به) أي بجواز عبادته (سلطاناً) أي حجة (وما ليس لهم به) أي بجواز عبادته (علم) من ضرورة العقل أو استدلاله (وما للظالمين) أي الذين ارتكبوا مثل هذا الظلم العظيم الذي يقضى بإطلاقه وكونه ظلاماً بديهياً العقول (من نصير) يساعدهم بنصرة مذهبهم وتقرير رأيهم أو بدفع العذاب الذي يعترهم بسبب ظلمهم.

وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونِ بِالَّذِينَ
يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بِشِرِّ مَنِ ذَلِكُمْ أَلَا تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي كَفَرُوا وَيَتَّبِعُونَ

الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

يَتَّبِعُهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ
اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْعًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾

٧٢ (وإذا تلى عليهم آياتنا) عطف على يعبدون وما بينهما اعتراض وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار

التجدد (بينات) أى حال كونها واضحات الدلالة على العقائد الحقّة والأحكام الصادقة أو على بطلان
ما هم عليه من عبادة الأصنام أو على كونها من عند الله عز وجل (تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر)
أى الإنكار كالكرم بمعنى الإكرام أو الفطيع من التجهّم والبسور أو الشر الذى يقصدونه بظهور مخايله
من الأوضاع والهيئات وهو الأنسب بقوله تعالى (يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا) أى
يثبون ويضطنون بهم من فرط الغيظ والغضب لأباطيل أخذوها تقليداً وهل جماله أعظم وأظم من أن
يعبدوا ما لا يوم صحة عبادته شيء ما أصلاً بل يقضى ببطلانها العقل والنقل ويظهر والمن يهديهم إلى الحق
البين بالسلطان المبين مثل هذا المنكر الشنيع كلا ولهذا وضع الذين كفروا موضع الضمير (قل) رداً
عليهم وإقناعاتاً عما يقصدونه من الإضرار بالمسلمين (أفأنتكم) أى أخطأكم فأخبركم (بشر من ذلكم) الذى
فيكم من غيظكم على التالين وسطوكم بهم أو مما تبغونهم من الغوائل أو مما أصابكم من الضجر بسبب ما تلوه
عليكم (النار) أى هو النار على أنه جواب لسؤال مقدر كأنه قيل ما هو وقيل هو مبتدأ خبره قوله تعالى
(وهدها الله الذين كفروا) وقرئ النار بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فتكون الجملة

٧٣ الفعلية استئنافاً كالوجه الأول أو حالا من النار بإضمار قد (وبئس المصير) النار (بأيها الناس ضرب مثل)

أى بين لكم حال مستغربة أو قصة بديعة رائعة حقيقة بأن تسمى مثلاً وتسير فى الأمصار والأعصار
أو جعل لله مثل أى مثل فى استحقاق العبادة وأريد بذلك ما حكى عنهم من عبادتهم للأصنام (فاستمعوا
له) أى للمثل نفسه استماع تدبر وتفكر أو فاستمعوا لآجله ما أقول فقوله تعالى (إن الذين تدعون من
دون الله) الخ بيان للمثل وتفسير له على الأول وتعليل لبطلان جعلهم الأصنام مثل الله سبحانه فى
استحقاق العبادة على الثانى وقرئ بياء الغيبة مبنياً للفاعل ومبنيّاً للدفعول والراجع إلى الموصول على
الأولين محذوف (ان يخلقوا ذباباً) أى لن يقدر واعلى خلقه أبداً مع صغره وحقارته فإن ان بما فيها من
تأكيد النفي دالة على مناقاة ما بين المنفى والمنفى عنه (ولو اجتمعوا له) أى لخلقهم وجواب لو محذوف
لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على شرطية أخرى محذوفة ثقة بدلالة هذه عليها أى لو لم يجتمعوا عليه
لن يخلقوه ولو اجتمعوا له لن يخلقوه كما مر تحقيقه مراراً وهما فى موضع الحال كأنه قيل ان يخلقوا ذباباً

- ٢٢ الحج مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾
- ٢٢ الحج اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾
- ٢٢ الحج يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾
- ٢٢ الحج يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾

على كل حال (وإن يسألهم الذباب شيئاً) بيان لعجزهم عن الامتناع عما يفعل بهم الذباب بعد بيان عجزهم عن خلقه أى إن يأخذ الذباب منهم شيئاً (لا يستنقذوه منه) مع غاية ضعفه ولقد جعلوا غاية التجميل في إشرافهم بالله الفادر على جميع المقدورات المنفردة بإيجاد كافة الموجودات تماثيل هي أعجز الأشياء وبين ذلك بأنها لا تقدر على أقل الأحياء وأذلها ولو اتفقوا عليه بل لا تقوى على مقاومة هذا الأقل الأذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنفاذ ما يخطفه منها قيل كانوا يطيبونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الأبواب فيدخل الذباب من السكوى فيأكله (ضعف الطالب والمطلوب) أى عابد الصنم ومعبوده أو الذباب الطالب لما يسلبه من الصنم من الطيب والصنم المطلوب منه ذلك أو الصنم والذباب كأنه يطلبه ليستنقذه منه ما يسلبه ولو حققت وجدت الصنم أضعف من الذباب بدرجات وعابده أجهل من كل جاهل وأضل من كل ضال (ما قدر والله حق قدره) ٧٤ أى ما عرفه حق معرفته حيث أشركوا به وسماوا باسمه ما هو أبعد الأشياء عنه مناسبة (إن الله لقوى) على خلق الممكنات بأسرها وإفناء الموجودات عن آخرها (عزيز) غالب على جميع الأشياء وقد عرفت حال آلهتهم المقهورة لأذلها المعجزة عن أفعالها والجملة لتعليل لما قبلها من نفى معرفتهم له تعالى (الله يصطفى من الملائكة رسلاً) يتوسطون بينه تعالى وبين الأنبياء عليهم السلام بالوحى (ومن الناس) وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون بكل العالمين الروحاني والجسماني يتلقون من جانب ويلقون إلى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل إلى جناب الحق فيدعونهم إليه تعالى بما أنزل عليهم ويعلمونهم شرائعه وأحكامه كأنه تعالى لما قرر وحدانيته في الألوهية ونفى أن يشاركه فيها شئ من الأشياء بين أن له عباداً مصطفين للرسالة يتوسل بإجابتهم والافتداء بهم إلى عبادته عز وجل وهو أعلى الدرجات وأقصى الغايات لمن عداه من الموجودات تقريراً للنبوّة وتزييفاً لقولهم لو شاء الله لا نزل ملائكة وقولهم ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وقولهم الملائكة بنات الله وغير ذلك من الأباطيل (إن الله سميع بصير) عليم بجميع المسموعات والمبصرات فلا يخفى عليه شئ من الأفعال والأفعال (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وإلى الله ترجع الأمور) لا إلى أحد غيره لا اشتراكاً ولا استقلالاً (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) أى في صلواتكم أمرهم بهما لما أنهم ما كانوا يفعلونها ٧٧ أوله الإسلام أو صلوا عبر عن الصلاة بهما لأنهما أعظم أركانها أو اخضعوا لله تعالى وخرؤا له سجداً

وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ
إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ
عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ
النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

٢٢ الحج

(واعبدوا ربكم) بسائر ما تعبدكم به (وافعلوا الخير) وتحروا ما هو خير وأصاح في كل ما تاتون وما
تذرون كنوافل الطاعات وصلة الأرحام ومكارم الأخلاق (لعلكم تفلحون) أى افعلوا هذه كلها وأنتم
راجون بها الفلاح غير متيقنين له واثقين بأعمالكم والآية آية سجدة عند الشافعى رحمه الله اظاهر ما فيها
٧٨ من الأمر بالسجود وبقوله ﷺ فضلت سورة الحج بسجدة من لم يسجد هما فلا يقرأها (وجاهدوا
في الله) أى لله تعالى ولأجله أعداء دينه الظاهرة كأهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه ﷺ أنه
• رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر (حق جهاده) أى جهادا فيه
حقا خالصا لوجهه فمكس وأضيف الحق إلى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم وأضيف الجهاد إلى الضمير
• اتساعا أو لأنه مختص به تعالى من حيث إنه مفعول لوجهه ومن أجله (هو اجتباكم) أى هو اختاركم
• لدينه ونصرته لا غيره وفيه تنبيه على ما يقتضى الجهاد ويدعو إليه (وما جعل عليكم في الدين من حرج)
أى ضيق بتكليف ما يشق عليكم لإقامته إشارة إلى أنه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه أو إلى الرخصة
في إغفال بعض ما أمرهم به حيث يشق عليهم لقوله ﷺ إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وقيل
ذلك بأن جعل لهم من كل ذنب مخرجا بأن رخص لهم في المضايق وفتح لهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات
• في حقوقه والأروش والدييات في حقوق العباد (ملة أبيكم إبراهيم) نصب على المصدر بفعل دل عليه
مضمون ما قبله بحذف المضاف أى وسع عليكم دينكم توسعة ملة أبيكم أو على الإغراء أو على
الاختصاص وإنما جعله أباهم لأنه أبورسول الله ﷺ وهو كالأب لأنه من حيث إنه سبب لحياتهم
الابتدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الآخرة أو لأن أكثر العرب كانوا من ذريته ﷺ فغلبوا على
غيرهم (هو سماكم المسلمين من قبل) في الكتب المتقدمة (وفي هذا) أى في القرآن والضمير لله تعالى
ويؤيده أنه قرىء الله سماكم أو لإبراهيم وتسميتهم بالمسلمين في القرآن وإن لم تكن منه ﷺ كانت بسبب
تسميته من قبل في قوله ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وقيل وفي هذا تقديره وفي هذا بيان تسميته بإياكم
• المسلمين (ليكون الرسول) يوم القيامة متعلق بسماكم (شهيذا عليكم) بأنه بلغكم فيدل على قبول شهادته
لنفسه اعتمادا على عصمته أو بطاعة من أطاع وعصيان من عصى (وتكونوا شهداء على الناس) ببلوغ
الرسول إليهم (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أى فتقربوا إلى الله بأنواع الطاعات وتخصيصهما بالذكر
لأنافتهما وفضلهما (واعتصموا بالله) أى ثقوا به في مجامع أموركم ولا تطلبوا الإعانة والنصرة إلا منه
• (هو مولاكم) ناصركم ومولى أموركم (فنعم المولى ونعم النصير) هو إذ لا مثل له في الولاية والنصرة

٢٣ - سورة المؤمنون

(مكية وآياتها مائة وثمان عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٣ المؤمنون

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾

٢٣ المؤمنون

الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾

٢٣ المؤمنون

وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾

بل لا ولي ولا نصير في الحقيقة سواه عز وجل . عن النبي ﷺ من قرأ سورة الحج أعطى من الاجر كحجة حبيبها وعمره اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقى .

(سورة المؤمنون)

(مكية وهي عند البصريين مائة وتسع عشرة آية وعند الكوفيين مائة وثمان عشرة آية)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (قد أفلح المؤمنون) الفلاح الفوز بالمرام والنجاة من المكروه وقيل البقاء في الخير والإفلاح الدخول في ذلك كالإبشار الذي هو الدخول في البشارة وقد يحى متعبداً بمعنى الإدخال فيه وعليه قراءة من قرأ على البناء للفعول وكلمة قد ههنا لإفادة ثبوت ما كان متوقفاً على الثبوت من قبل لا متوقفاً على الإخبار به ضرورة أن المتوقع من حال المؤمنين ثبوت الفلاح لهم لا الإخبار بذلك فالمعنى قد فازوا بكل خير ونجوا من كل ضير حسبما كان ذلك متوقفاً من حالهم فإن إيمانهم وما تفرع عليه من أعمالهم الصالحة من دواعي الفلاح بموجب الوعد الكريم خلا أنه إن أريد بالإفلاح حقيقة الدخول في الفلاح الذي لا يتحقق إلا في الآخرة فالإخبار به على صيغة الماضي الدلالة على تحققه لا محالة بتزيله منزلة الثابت وإن أريد كونهم بحال تستتبعه البتة فصيغة الماضي في محلها وقرئ أفلحوا على الإبهام والتفسير أو على أكلوني البراغيث وقرئ أفلح بضممة اكتفى بها عن الواو كما في قول من قال [ولو أن الأطباء كان حولى] والمراد بالمؤمنين [المصدقون بما علم ضرورة أنه من دين نبينا ﷺ من التوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرهما] ف قوله تعالى (الذين هم في صلاتهم خاشعون) وما عطف عليه صفات مخصصة لهم ٢ وإما الآتون بفروعه أيضاً كما ينبغي عنه إضافة الصلاة إليهم فهي صفات موصفة أو مادحة لهم حسب اعتبار ما ذكر في حيز الصلاة من المعاني مع الإيمان إجمالاً أو تفصيلاً كما مر في أوائل سورة البقرة والخشوع الخوف والتذلل أى خائفون من الله عز وجل متذللون له ملزمون أبصارهم مساجدهم روى أنه ﷺ كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء فلما نزل رعى يبصره نحو مسجده وأنه رأى مصلياً يعبت بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه (والذين هم عن اللغو) أى عما لا يعينهم من الأقوال والأفعال ٣

٢٣ المؤمنون

وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾

٢٣ المؤمنون

وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾

٢٣ المؤمنون

إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾

٢٣ المؤمنون

فَمَنْ أَبْغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾

• (معرضون) أى فى عامة أوقانهم كما ينبىء عنه الاسم الدال على الاستمرار فبدخل فى ذلك إعراضهم عنه حال اشتغالهم بالصلاة دخولا أولياً ومدار إعراضهم عنه ما فيه من الحالة الداعية إلى الإعراض عنه لا مجرد الاشتغال بالجد فى أمور الدين كما قيل فإن ذلك ربما يومهم أن لا يكون فى اللغو نفسه ما يجرهم عن تعاطيه وهو أبان من أن يقال لا يلبون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه وإقامة الإعراض مقام الترك ليدل على تباعدهم عنه رأساً مباشرة وتسياً وميلاً وحضوراً فإن أصله أن يكون فى عرض غير عرضه (والذين هم الزكاة فاعلون) وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع فى الصلاة للدلالة على أنهم بلغوا الغاية القاصية من القيام بالطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما يوجب المروءة اجتنابه وتوسيط حديث الإعراض بينهما لكمال ملاسته بالخشوع فى الصلاة والزكاة مصدر لأنه الأمر الصادر عن الفاعل لا المحل الذى هو موقعه ومعنى الفعل قد مر تحقيقه فى تفسير قوله تعالى فإن لم تفعلوا وإن تفعلوا ويجوز أن يراد بها العين على تقدير المضاف ٦٥٥ (والذين هم لفروجهم حافظون) مسكون لها قالوا استثناء فى قوله تعالى (إلا على أزواجهم) من نفي الإرسال الذى ينبىء عنه الحفظ أى لا يرسلونها على أحد إلا على أزواجهم وفيه إيذان بأن قوتهم الشهوية داعية لهم إلى ما لا يخفى وأنهم حافظون لها من استيفاء مقتضاها وبذلك يتحقق كمال العفة ويجوز أن تكون على بمعنى من وإليه ذهب الفراء كما فى قوله تعالى إذا اكتالوا على الناس أى حافظون لها من كل أحد إلا من أزواجهم وقيل هى متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير حافظون أى حافظون لها فى جميع الأحوال إلا حال كونهم والين أو قوامين على أزواجهم وقيل بمحذوف يدل عليه غير ملومين كأنه قيل يلامون على كل مباشر إلا على ما أطلق لهم فإنهم غير ملومين وحمل الحفظ على القصر عليهن ليكون المعنى حافظون فزوجهم على الأزواج لا يتعداهن ثم يقال غير حافظين إلا عليهن تأكيذاً على تأكيد تكلف على تكلف (أو ما ملكت أيمانهم) أى سراريهم عبر عنهم بما أجراه لهم لملوكيتهم مجرى غير العقلاء أو لأنوثتهم المنبئة عن القصور وقوله تعالى (فإنهم غير ملومين) تعليل لما يفيد الاستثناء من عدم حفظ فزوجهم منهم أى ٧ فإنهم غير ملومين على عدم حفظها منهم (فمن ابتغى وراء ذلك) الذى ذكر من الحد المتسع وهو أربع من الحرائر وما شاء من الإماء (فأولئك هم العادون) الكاملون فى العدوان المتناهون فيه وليس فيه ما يدل حتماً على تحريم المتعة حسبما نقل عن القاسم بن محمد فإنه قال إنها ليست زوجة له فوجب أن لا تحمل له أما

٢٣ المؤمنون

وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾

٢٣ المؤمنون

وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾

٢٣ المؤمنون

أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾

٢٣ المؤمنون

الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾

٢٣ المؤمنون

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾

- أنها ليست زوجة له فلائهما لا يتوارثان بالإجماع ولو كانت زوجة له لحصل التوارث لقوله تعالى ولستم نصف ما نرك أزواجكم فوجب أن لا تحل لقوله تعالى إلا على أزواجهم لأن لهم أن يقولوا إنها زوجة له في الجملة وأما أن كل زوجة ترث فهم لا يسلمونها وأما ما قيل من أنه إن أريد لو كانت زوجة حال الحياة لم يفد وإن أريد بعد الموت فالملازمة ممنوعة فليس له معنى محصل نعم لو عكس المكان له وجه (والذين هم ٨ لآلئانهم وعهدهم) لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق أو الخلق (راعون) أى قائمون عليها حافظون لها على وجه الإصلاح وقرىء لآلئانهم (والذين هم على صلواتهم) المفروضة عليهم (يحافظون) يواظبون ٩ عليها ويؤدونها فى أوقاتها ولفظ الفعل فيه لما فى الصلاة من التجدد والتكرار وهو السر فى جمعها وليس فيه تكرير لما أن الخشوع فى الصلاة غير المحافظة عليها وفصلهما بالإيدان بأن كلا منهما فضيلة مستقلة على حياها ولو قرنا فى الذكر لربما توهم أن بجموع الخشوع والمحافظة فضيلة واحدة (أولئك) إشارة إلى ١٠ المؤمنين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات وإيثارها على الإضمار للإشعار بامتيازهم بها عن غيرهم ونزولهم منزلة المشار إليه حسا وما فيه من معنى البعد للإيدان بعلو طبقتهم وبعدهم رجتهم فى الفضل والشرف أى أولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة (هم الوارثون) أى الأحقاء بأن يسموا وراثا دون من عداهم من ورث رغائب الأموال والذخائر وكرائمهما (الذين يرثون الفردوس) بيان لما يرثونه وتقيد ١١ للورثة بعد إطلاقها وتفسير لها بعد إدراجها ما تفخيم الشأنها ورفعاً لمحلها وهى استعارة لاستحقاقهم الفردوس بأعمالهم حسبا يقتضيه الوعد الكريم بالمبالغة فيه وقيل إنهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على أنفسهم لأنه تعالى خلق لكل إنسان منزلا فى الجنة ومنزلا فى النار (هم فيها) أى فى الفردوس والتأنيث لأنه اسم للجنة أو لطبقتهما العليا وهو البستان الجامع لأصناف الثمر روى أنه تعالى بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الأذفرو فى رواية ولبنة من مسك مذرى وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان (خالدون) لا يخرجون منها أبداً والجملة إما مستأنفة مقررلة لما قبلها وإما حال مقدرة من فاعل يرثون أو مفعوله إذ فيها ذكر كل منهما ومعنى الكلام لا يموتون ولا يخرجون منها (ولقد ١٢ خلقنا الإنسان) شروع فى بيان مبدأ خلق الإنسان وتقلبه فى أطوار الخلقة وأدوار الفطرة بياناً لإجمالاً

٢٣ المؤمنون

ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾

ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا

٢٣ المؤمنون

ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾

لأثر بيان حال بعض أفراده السعداء واللام جوارب قسم والواو ابتدائية وقيل عاطفة على ما قبلها والمراد
 بالإنسان الجنس أى وبالله لقد خلقنا جنس الإنسان فى ضمن خلق آدم عليه السلام خلقاً إجمالياً حسبما
 تحققت فى سورة الحج وغيرها وأما كونه مخلوقاً من سلالات جعلت نطفاً بعد أدوار وأطوار فبعيد
 (من سلالة) السلالة ماسل من الشيء واستخرج منه فإن فعالة اسم لما يحصل من الفعل فتارة تكون
 مقصوداً منه كالتخلص وأخرى غير مقصود منه كالقلامة والكناسة والسلالة من قبيل الأول فإنها
 مقصودة بالسل ومن ابتدائية متعلقة بالخلق ومن فى قوله تعالى (من طين) بيانية متعلقة بمحذوف وقع
 صفة لسلالة أى خلقناه من سلالة كائنة من طين ويجوز أن تتعلق بسلالة على أنها بمعنى مسلوقة فهى ابتدائية
 كالأولى وقيل المراد بالإنسان آدم عليه السلام فإنه الذى خلق من صفوة سلت من الطين وقد وقفت على
 التحقيق (ثم جعلناه) أى الجنس باعتبار أفراده المغايرة لآدم عليه السلام أو جعلنا نسله على حذف
 المضاف إن أريد بالإنسان آدم عليه السلام (نطفة) بأن خلقناه منها أو ثم جعلنا السلالة نطفة والتذكير
 بتأويل الجوهر أو المسلول أو الماء (فى قرار) أى مستقر وهو الرحم عبر عنها بالقرار الذى هو مصدر
 مبالغة وقوله تعالى (مكين) وصف لها بصفة ما استقر فيها مثل طريق سائر أو بمكانتها فى نفسها فإنها
 مكنت بحيث هى وأحرزت (ثم خلقنا النطفة علقه) أى دماً جامداً بأن أحلنا النطفة البيضاء علقه حمراء
 (خلقنا العلقه مضغه) أى قطعة لحم لا استبانة ولا تمايز فيها (خلقنا المضغه) أى غالبها ومعظمها أو كلها
 (عظاماً) بأن صلبناها وجعلناها عموداً للبدن على هيئات وأوضاع مخصوصة تقتضيها الحكمة (فكسونا
 العظام) المعهودة (لحمًا) من بقية المضغه أو مما أنبتنا عليها بقدرتنا بما يصل إليها أى كسونا كل عظم من
 تلك العظام ما يليق به من اللحم على مقدار لا تقبى به وهيته مناسبة له واختلاف العواطف للتنبيه على تفاوت
 الاستعدادات وجمع العظام لاختلافها وقرئ على التوحيد فيهما اكتفاء بالجنس وبتوحيد الأول فقط
 وبتوحيد الثانى فحسب (ثم أنشأناه خلقاً آخر) هى صورة البدن أو الروح أو القوى بنفخه فيه أو المجموع
 وثم لكمال التفاوت بين الخلقين واحتج به أبو حنيفة رحمه الله على أن من غصب بيضة فأفرخت عنده لزمه
 ضمان البيضة لا الفرخ لأنه خلق آخر (فتبارك الله) فتعالى شأنه فى علمه الشامل وقدرته الباهرة والانتفات
 إلى الاسم الجليل لربية المهابة وإدخال الروعة والإشعار بأن ما ذكر من الأفاعيل العجيبة من أحكام
 الألوهية والإيدان بأن حق كل من سمع ما فصل من آثار قدرته عز وعلا أو لاحظ أنه يسارع إلى التكلم
 به لإجلال وإعظاماً لشئونه تعالى (أحسن الخالقين) بدل من الجلالة وقيل نعت له بناء على أن الإضافة
 ليست لفظية وقيل خبر مبتدأ محذوف أى هو أحسن الخالقين خلقاً أى المقدرين تقديره حذف المميز

٢٣ المؤمنون

ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَعْتُونَ ﴿١٥﴾

٢٣ المؤمنون

ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾

٢٣ المؤمنون

وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَفِيلِينَ ﴿١٧﴾

وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ ٢٣ المؤمنون

لدلالة الخالقين عليه كما حذف المأذون فيه في قوله تعالى أذن الذين يقتلون لدلالة الصلة عليه أى أحسن الخالقين خلقاً فالحسن للخلق قيل نظيره قوله ﷺ إن الله جميل يحب الجمال أى جميل فعله فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فأنقلب مرفوعاً فاستكن روى أن عبد الله بن أبى سرح كان يكتب لرسول الله ﷺ الوحى فلما انتهى ﷺ إلى قوله خلقاً آخر سارع عبد الله إلى النطق به قبل إملائه ﷺ فقال اكتبه هكذا نزلت فبكى عبد الله فقال إن كان محمد يوحى إليه فأنا كذلك فلحق بكى كافراً ثم أسلم يوم الفتح وقيل مات على كفره وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال لما نزلت هذه الآية قال عمر رضى الله عنه فتبارك الله أحسن الخالقين فقال رسول الله ﷺ هكذا نزل يا عمر وكان رضى الله عنه يفتخر بذلك ويقول وافقت ربى فى أربع الصلاة خلف المقام وضرب الحجاب على النسوة وقولى لهن أو ليبدله الله خيراً منكن فنزل قوله تعالى عسى ربه إن طلقكن أن يبدله الآية والرابع فتبارك الله أحسن الخالقين انظر كيف وقعت هذه الواقعة سبباً لسمعة عمر رضى الله عنه وشقاوة ابن أبى سرح حسبما قال تعالى يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً لا يقال فقد تكلم البشر ابتداء بمثل نظم القرآن وذلك قاذح فى إعجازه لما أن الخارج عن قدرة البشر ما كان مقدار أفصر السور على أن إعجاز هذه الآية الكريمة منوط بما قبلها كما نرب عنه الفاء فإنها اعتراض تذييل مقرر لمضمون ما قبله (ثم إنكم بعد ذلك) أى بعد ما ذكر من الأمور العجيبة حسبما ينبى عنه ما فى اسم الإشارة من معنى البعد المشعر بعلو رتبة المشار إليه وبعد منزلته فى الفضل والكمال وكونه بذلك ممتازاً منزلاً منزلة الأمور الحسية (لميتون) اصتروا إلى الموت لا محالة كما تؤذن به صيغة النعت الدالة على الثبوت دون الحدوث الذى تفيد صيغة الفاعل وقد قرئ لما تنون (ثم إنكم يوم القيامة) أى عند النفخة الثانية (تبعثون) من قبوركم للحساب والمجازاة بالثواب والعقاب ١٦ (ولقد خلقنا فوقكم) بيان لخلق ما يحتاج إليه بقاؤهم إثر بيان خلقهم أى خلقنا فى جهة العلو من غير اعتبار فوقيتها لهم لأن تلك النسبة إنما تعرض لها بعد خلقهم (سبع طرائق) هى السموات السبع سميت بها لأنها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل فإن كل ما فوقه مثله فهو طريقة أو لاسم طرائق الملازمة أو الكواكب فيها مسيرها (وما كنا عن الخلق) عن ذلك المخلوق الذى هو السموات أو عن جميع المخلوقات التى هى من جملتها أو عن الناس (غافلين) مهملين أمرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندير أمرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة ويصل إلى ما فى الأرض منافعها كما يبدى عنه قوله تعالى (وأنزلنا من السماء ماء) هو المطر أو الأنهار النازلة من ١٨

فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهِ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٣﴾ المؤمنون

وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبْغٍ لِّلْأَكْلَيْنِ ﴿٢٤﴾ المؤمنون

الجنة قيل هي خمسة أنهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهر العراق والنيل نهر مصر أنزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال وأجراها في الأرض وجعل فيها منافع للناس في فنون معاشهم ومن ابتدائية متعلقة بأنزلنا وتقديمها على المفعول الصريح لما مر مراراً من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر والعدول عن الإضمار لأن الإنزال لا يعتبر فيه عنوان كونها طرائق بل مجرد كونها جهة العلو (بقدر) بتقدير لائق لاستجلاب منافعهم ودفع مضارهم أو بتقدير ما علمنا من حاجاتهم ومصالحهم (فأسكننا في الأرض) أي جعلناها ثابتاً قاراً فيها (وإننا على ذهاب به) أي إزالته بالافساد أو التصعيد أو التغير بحيث يتعذر استنباطه (لقادرون) كما كنا قادرين على إزاله وفي تنكير ذهاب إيماء إلى كثرة طرقه ومبالغة في الإبعاد به ولذلك جعل أبلغ من قوله تعالى قل أرايتم ١٩ إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين (فأنشأنا لكم به) أي بذلك الماء (جنات من نجيل وأعاب لكم فيها) في الجنات (فواكه كثيرة) تنفكهون بها (ومنها) من الجنات (تأكلون) تغذياً أو ترزقون وتحصلون معاشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز أن يعود الضمير إلى النجيل والأعاب أي لكم في ثمراتها أنواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام يأكلونه ٢٠ (وشجرة) بالنصب عطف على جنات وقرى بالرفع على أنه مبتدأ خبره محذوف دل عليه ما قبله أي وما أنشئ لكم به شجرة وتخصيصها بالذكر من بين الأشجار لاستقلالها بمنافع معروفة قيل هي أول شجرة نبتت بعد الطوفان وقوله تعالى (تخرج من طور سيناء) وهو جبل موسى عليه السلام بين مصر وأيلة وقيل بفلسطين ويقال له طور سينين فإما أن يكون الطور اسم الجبل وسيناء اسم البقعة أضيف إليها أو المركب منهما علم له كأمري القيس ومنع صرفه على قرأة من كسر السين للتعريف والعجمة أو التأنيث على تأويل البقعة لالآلف لأنه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفع أو بالقصر وهو النور أو ملحق بفعالان كعلباء من السين إذ لا فعلاء بالآف التأنيث بخلاف سيناء فإنه فيعال ككيسان أو فعلاء كصحراء إذ لا فعال في كلامهم وقرى بالكسر والقصر والجملة صفة لشجرة وتخصيصها بالخروج منه مع خروجها من سائر البقاع أيضاً لتعظيمها ولأنه المنشأ الأصلي لها وقوله تعالى (تنبت بالدهن) صفة أخرى لشجرة والباء متعلقة بمحذوف وقع حالاً منها أي تنبت ملتبسة به ويجوز كونها صلة معدية أي تنبته بمعنى تفضله وتحصله فإن النبات حقيقة صفة للشجرة لا الدهن وقرى تنبت من الإفعال وهو إما من الإنبات بمعنى النبات كما في قول زهير [رأيت ذوى الحاجات حول بيوتهم * قطيناً لهم حتى إذا أنبت البقل] أو على تقدير تنبت زيتونها ملتبساً بالدهن وقرى على البناء للمفعول وهو كالآول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتنبت بالدهان (وصبغ لآكلين) معطوف على الدهن جار على إعرابه عطف أحد وصفي الشيء على

وَأَنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً تُمْسِكُمْ بِمَا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٣﴾

٢٣ المؤمنون

٢٣ المؤمنون

وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٤﴾

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٤﴾ ٢٣ المؤمنون

- الآخر أى تثبت بأشياء الجاسع بين كونه دهناً يدهن به ويسرج منه وكونه إداماً يصنع فيه الخبز أى يغمس فيه للاتتماد وقرىء وصباغ كدباغ فى دبغ (ولأن لكم فى الأنعام لعبرة) بيان للنعم الفائضة عليهم من جهة الحيوان إثر بيان النعم الواصلة إليهم من جهة الماء والنبات وقد بين أنها مع كونها فى نفسها نعمة ينتفعون بها على وجوه شتى عبرة لا بد من أن يعتبروا بها ويستدلوا بأحوالها على عظم قدرة الله عز وجل وسابغ رحمته ويشكروه ولا يكفروه وخص هذا بالحيوان لما أن محل العبارة فيه أظهر مما فى النبات وقوله تعالى (نسقيكم ما فى بطونها) تفصيل لما فيها من مواقع العبارة وما فى بطونها عبارة عما عن الألبان فمن تبعية وية والمراد بالبطون الجوف أو عن العلف الذى يتكون منه اللبن فمن ابتدائية والبطون على حقيقتها وقرىء بفتح النون وبالتاء أى تسقيكم الأندام (ولكم فيها منافع كثيرة) غير ما ذكر من أصوافها وأشعارها (ومنها تأكلون) فتنتفعون بأعيانها كما تنتفعون بما يحصل منها (وعليها) أى على الأنعام فإن الحمل عليها لا يقتضى الحمل على جميع أنواعها بل يتحقق بالحمل على البعض كالإبل ونحوه وأقبل المراد هى الإبل خاصة لأنها هى المحمول عليها عندهم والماسب للفلك فإنها سفائن البر قال ذو الرمة [سفينة بر تحت خدى زمامها] فالضمير فيه كما فى قوله تعالى وبعولتهن أحق بردهن (وعلى الفلك تحمّلون) أى فى البر والبحر وفى الجمع بينها وبين الفلك فى إنداع الحمل عليها مباينة فى تحملها للحمل وهو الداعى إلى تأخير ذكر هذه المنفعة مع كونها من المنافع الحاصلة منها عن ذكر منفعة الأكل المتعلقة بعينها (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه) شروع فى بيان إهمال الأمم السابقة وتركهم النظر والاعتبار فيما عدد من ٢٣ النعم الفائضة للحصر وعدم تذكريهم بتذكير رسالهم وراحق بهم لذلك من فنون العذاب تحذيراً للمخاطبين وتقديم قصة نوح عليه السلام على سائر القصص مما لا يخفى وجهه وفى إيرادها إثر قوله تعالى وعلى الفلك تحمّلون من حسن الموقع لا يوصف والواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وتصدير القصة به لإظهار كمال الاعتناء بمضمونها أى وبأنه لقد أرسلنا نوحاً الخ ونسبه الكريم وكيفية بعثه وكيفية إبعثه فيما بينهم قد مر تفصيله فى سورة الأعراف وسورة هود (فقال) متعطفاً عليهم وهو مستميل لهم إلى الحق (يا قوم اعبدوا الله) أى اعبدوه وحده كما يفسح عنه قوله تعالى فى سورة هود أن لا تعبدوا إلا الله وترك التقييد به للإبذان بأنها هى العبادة فقط وأما العبادة بالإشراك فليست من العبادة فى شيء رأساً وقوله تعالى (ما لكم من إله غيره) استئناف مسوق لتعليل العبادة بالمأمور بها أو لتعليل الأمر بها وغيره بالرفع صفة

فَقَالَ أَمَلُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ

شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾

٢٣ المؤمنون

إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فْتَرَبِّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ ﴿٢٥﴾

٢٣ المؤمنون

إليه باعتبار محله الذي هو الرفع على أنه فاعل أو مبتدأ خبره لكم أو محذوف ولكم للتخصيص والتبيين
 • أى مالكم فى الوجود أو فى العالم إله غيره تعالى وقرىء بالجر باعتبار لفظه (أفلا تتقون) أى أفلا تقون
 أنفسكم عذابه الذى يستوجب ما أنتم عليه من ترك عبادته كما يفصح عنه قوله تعالى إني أخاف عليكم عذاب
 يوم عظيم وقوله تعالى عذاب يوم أليم وقيل أفلا تخافون أن ترفضوا عبادة الله الذى هو ربكم الخ وليس
 بذلك وقيل أفلا تخافون أن يزيل عنكم نعمه الخ وفيه ما فيه والهمزة لإنكار الواقع واستقباحه والقاء
 للمطف على مقدر يقتضيه المقام أى أنعرفون ذلك أى مضمون قوله تعالى مالكم من إله غيره فلا تتقون
 عذابه بسبب إشراككم به فى العبادة مالا يستحق الوجود لولا إجماد الله تعالى إياه فضلا عن استحناق
 العبادة فالنكر عدم الانقضاء مع تحقق ما يوجبها أو ألا تلاحظون ذلك فلا تتقونه فالنكر كلا الأمرين
 ٢٤ فالأمة حينئذ فى الكمية وفى الأول فى الكيفية (فقال الملائة) أى الأشراف (الذين كفروا من قومه)
 وصف الملائة بما ذكر مع اشتراك الكل فيه للإبذان بكال عرافتهم فى الكفر وشدة شكيتهم فيه أى قالوا
 • لعوامهم (ما هذا إلا بشر مثلكم) أى فى الجنس والوصف من غير فرق بينكم وبينه وصفوه عليه السلام
 بذلك مباغلة فى وضع رتبته العالية وحطها عن منصب النبوة (يريد أن يتفضل عليكم) أى يريد أن يطلب
 الفضل عليكم ويتقدمكم بأدعاء الرسالة مع كونه مثلكم وصفوه بذلك إغصاباً للخاطبين عليه عليه السلام
 • وإغراء لهم على مبادئه عليه السلام وقوله تعالى (ولو شاء الله لأنزل ملائكة) بيان لعدم رسالة البشر على
 الإطلاق على زعمهم الفاسد بعد تحقيق بشريته عليه السلام أى لو شاء الله تعالى إرسال الرسول لأرسل
 رسالاً من الملائكة وإنما قيل لا نزل لأن إرسال الملائكة لا يكون إلا بطريق الإنزال ففعل المشيئة مطلق
 • الإرسال المفهوم من الجواب لأنفس مضمونه كما فى قوله تعالى ولو شاء لهداكم ونظائره (اسمعنا بهذا)
 أى يمثل هذا الكلام الذى هو الأمر بعبادة الله خاصة وترك عبادة ما سواه وقيل بمثل نوح عليه السلام فى
 • دعوى النبوة (فى آياتنا الأولين) أى الماضين قبل بعثته عليه السلام قالوه إما لكونهم وآبائهم فى فترة
 متطاولة وإما لفرط غلوهم فى التكذيب والعناد وانهما كهم فى الفى والفساد وأياً ما كان فقولهم هذا
 ينبغي أن يكون هو الصادر عنهم فى مبادئ دعوته عليه السلام كما تنبى عنه الهاء فى قوله تعالى فقال الملائة
 الخ رقيق معناه ما سمعنا به عليه السلام أنه نبي فالمراد بآبائهم الأولين الذين مضوا قبلهم فى زمن نوح عليه
 السلام وقولهم المذكور هو الذى صدر عنهم فى أواخر أمره عليه السلام وهو المناسب لما بعده من حكاية
 ٢٥ دعائه عليه السلام وقولهم (إن هو) أى ما هو (إلا رجل به جنة) أى جنون أو وجن يخيلونه ولذلك يقول
 ما يقول (فتربصوا به) أى احتملوه واصبروا عليه وانتظروا (حتى حين) لعله يفيق بما فيه محمول حينئذ

٢٣ المؤمنون

قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبْتُ ﴿٢٦﴾

فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوْحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ

٢٣ المؤمنون

مُغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾

على ترائى أحوالهم في المكابرة والعناد وإضرابهم عما وصفوه عليه السلام به من البشرية وإرادة التفضل إلى وصفه عليه السلام بما ترى وهم يعرفون أنه عليه السلام أرجح الناس عقلاً وأرزنهم قولاً وعلى الأول على تناقض مقالاتهم الفاسدة قائلهم الله أنى يؤفكون (قال) استئناف مبنى على سؤال نشأ من ٢٦ حكاية كلام الكفرة كأنه قيل فإذا قال عليه السلام بعد ما سمع منهم هذه الأباطيل فويل قال لما رأيهم قد أصروا على الكفر والتكذيب وتمادوا في الغواية والضلال حتى بدس من إيمانهم بالكلية وقد أوحى الله إليه إنه إن يؤمن من قومك إلا من قد آمن (رب انصرنى) ياهلاكهم بالمرة فإنه حكاية إجمالية لقوله عليه السلام رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً الخ (بما كذبوني) أى بسبب تكذيبهم إياى * أو بدل تكذيبهم (فأوحينا إليه) عند ذلك (أن اصنع الفلك) أن مفسرة لما فى الوحي من معنى القول ٢٧ (بأعيننا) ملتبساً بحفظنا وكلام تناكث معه عليه السلام منه عزو وعلاحفاظاً وحراساً يكتونه بأعينهم من التعدى أو من الزبغ فى الصنعة (ووحينا) وأمرنا وتعليمنا لكيفية صنعها والفاء فى قوله تعالى (فإذا جاء أمرنا) لترتيب مضمون ما بعدها على تمام صنع الفلك والمراد بالأمر العذاب كما فى قوله تعالى لا عاصم اليوم من أمر الله لا الأمر بالركوب كما قيل وبمجيشه كال اقترابه أو ابتداء ظهوره أى إذا جاء لإتمام الفلك عذابنا وقوله تعالى (وفار التنور) عطف بيان ليجيء الأمر روى أنه قيل له عليه السلام إذا فار الماء من التنور اركب أنت ومن معك وكان تنور آدم عليه السلام فصار إلى نوح عليه السلام فلما نبع منه الماء أخبرته امرأته فركبوا واختلف فى مكانه فقيل كان فى مسجد الكوفة أى فى موضعه عن يمين الداخل من باب كندة اليوم وقيل كان فى عين وردة من الشام وقد مر تفصيله فى تفسير سورة هود عليه السلام (فاسلك فيها) أى ادخل فيها يقال سلك فيه أى دخل فيه وسلكه فيه أدخله فيه ومنه قوله تعالى ما سلككم فى سقر (من كل) أى من كل أمة (زوجين) أى فردين مزدوجين كما يعرب عنه قوله تعالى (اثنين) فإنه نص فى الفردين دون الجمعين أو الفريقين وقرىء بالإضافة على أن المفعول اثنين أى من كل أمتى زوجين وهما أمة الذكور وأمة الإناث كالجبال والنوق والحصن والرمالك وهذا صريح فى أن الأمر كان قبل صنعة الفلك وفى سورة هود حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين فالوجه أن يحمل إما على أنه حكاية لأمر آخر تنجيزى ورد عند فوران التنور الذى يبط به الأمر التعليق اعتناء بشأن المأمور به أو على أن ذلك هو الأمر السابق بعينه لكن لما كان الأمر التعليق قبل تحقق المعلق به فى حق إيجاب المأمور به بمنزلة العدم جعل كأنه إنما حدث عند تحققه فحكى على صورة التنجيز وقد مر فى تفسير قوله

فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلَكَ فَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ ٢٣ المؤمنون

وَقُلْ رَبِّ أُنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٢٩﴾ ٢٣ المؤمنون

إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ٢٣ المؤمنون

ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾ ٢٣ المؤمنون

فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ ٢٣ المؤمنون

- تعالى وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم (وأهلك) منصوب بفعل معطوف على فاسلك لا بالعطف على زوجين أو اثنين على القراءتين لا دأته إلى اختلال المعنى أى واسلك أهلك والمراد به امرأته وبنوه وتأخير الأمر بإدخالهم عما ذكر من إدخال الأزواج فيها لكونه عريقاً فيما أمر به من الإدخال فإنه يحتاج إلى مزاولة الأعمال منه عليه السلام بل إلى معاونة من أهله وأتباعه وأمامهم فإنما يدخلونها باختيارهم بعد ذلك ولأن في المؤخر ضرب تفصيل بذكر الاستثناء وغيره فتقديمه يؤدى إلى الإخلال بتجاوب أطراف
- النظم الكريم (إلا من سبق عليه القول منهم) أى القول بإهلاك الكفرة وإنما جرى به على لكون السابق ضاراً كما جرى باللام في قوله تعالى إن الذين سبقتم من الحسنى لكونه نافعاً (ولا تخاطبني في الذين ظلموا) بالدعاء لإنجائهم (لأنهم مغرّقون) تعليل للنهي أو لما ينبى عنه من عدم قبول الدعاء أى لإنهم مقضى عليهم بالإغراق لا محالة لظلمهم بالإشراك وسائر المعاصى ومن هذا شأنه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف
- ٢٨ لا وقد أمر بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله تعالى (فإذا استويت أنت ومن معك) أى من أهلك وأشيا عك (على الفلك) قل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين (على طريقة قوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) (وقل رب أنزلنى) فى السفينة أو منها (منزلاً مباركاً) أى أنزالاً أو موضع أنزال يستتبع خيراً كثيراً وقرىء منزلاً أى موضع نزول (وأنت خير المنزّلين) أمر عليه السلام بأن يشفع دعاءه بما يطابقه من ثنائه عز وجل توسلاً به إلى الإجابة وإفراده عليه السلام بالأمر مع شركة الكل فى الاستواء والنجاة لإظهار فضله عليه السلام والإشعار بأن فى دعائه وثباته مندوحة عما عاده (إن فى ذلك) الذى ذكر مما فعل به عليه السلام وبقومه (آيات) جميلة يستدل بها أولو الأبصار ويعتبر بها ذوو الاعتبار (وإن كنا لمبتلين) إن عطفة من أن واللام فارقة بينهما وبين النافية وضمير الشأن محذوف أى وإن الشأن كنا مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد أو مخبرين بهذه الآيات عبادنا للنظر من يعتبر
- ٣١ ويتذكر كقوله تعالى ولقد تركناها آية فهل من مدكر (ثم أنشأنا من بعدهم) أى من بعد إهلاكهم (قرناً آخرين) هم عاد حسباروى عن ابن عباس رضى الله عنهما وعليه أكثر المفسرين وهو الأقوى لما هو
- ٣٢ المعمود فى سائر السور الكريمة من إيراد قصتهم إثر قصة قوم نوح وقيل هم عمود (فأرسلنا فيهم) جعلوا

وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٢٣﴾

٢٣ المؤمنون

وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٢٤﴾

٢٣ المؤمنون

أَيَعِدُّكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنَّكُمْ تُحْرَجُونَ ﴿٢٥﴾

٢٣ المؤمنون

موضعا للإرسال كما في قوله تعالى كذلك أرسلناك في أمة ونحوه لا غاية له كما في مثل قوله تعالى ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه للإبذان من أول الأمر بأن من أرسل إليهم لم يأثمهم من غير مكانهم بل إنما نشأ فيما بين أظهرهم كما ينبي عنه قوله تعالى (رسولا منهم) أي من جملتهم نسباً فإنهما عليهما السلام كانا منهم * وأن في قوله تعالى (أن اعبدا الله) مفسرة لأرسلنا لتضمنه معنى القول أي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدا الله تعالى وقوله تعالى (مالك من إله غيره) تعليل للعبادة المأمورة بها أو الأمر بها أو لوجوب الامتثال به (أفلا تتقون) أي عذابه الذي يستدعيه ما أنتم عليه من الشرك والمعاصي والكلام في العطف كالذي مر في قصة نوح عليه السلام (وقال الملأ من قومه) حكاية لقولهم الباطل لإثر حكاية القول الحق ٣٣ الذي ينطق به حكاية إرسال الرسول بطريق العطف على أن المراد حكاية مطلق تكذيبهم له عليه السلام إجمالا لا حكاية ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من المحاوراة والمقابلة تفصيلا حتى يحكى بطريق الاستئناف المبني على السؤال كما ينبي عنه ماسياتي من حكاية سائر الأمم أي وقال الأشراف من قومه (الذين كفروا) في محل الرفع على أنه صفة للملأ وصفوا بذلك ذما لهم وتنبها على غلوهم في الكفر وتأخيرهم عن من قومه لعطف قوله تعالى (وكذبوا بقاء الآخرة) وما عطف عليه على الصلة الأولى أي كذبوا بقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب أو بمعادهم إلى الحياة الثانية بالبعث (وأترفناهم) ونعمناهم (في الحياة الدنيا) بكثرة الأموال والأولاد أي قالوا لا عقابهم مضلين لهم (ما هذا إلا بشر مثلكم) أي في الصفات والأحوال وإيثار مثلكم على مثلنا للبالغة في تهوين أمره عليه السلام وتوهينه (يأكل مما تأكلون منه * ويشرب مما تشربون) تقرير للمثالة وما خبرية والعائد إلى الثاني منصوب محذوف أو مجرور قد حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه (ولئن أطعتم بشراً مثلكم) أي فيما ذكر من الأحوال والصفات أي إن امتثلتم بأوامره (إنكم إذا) أي على تقدير الاتباع (لخاسرون) عقولكم ومغبونون في آرائكم حيث أذلتكم أنفسكم انظر كيف جعلوا اتباع الرسول الحق الذي يوصلهم إلى سعادة الدارين خسراناً دون عبادة الأصنام التي لا خسران وراءها قاتلهم الله أنى يؤفكون وإذا وقع بين اسم إن وخبرها لتأكيد مضمون الشرط والجملة جواب لقسم محذوف قبل إن الشرطية المصدرة باللام الموطئة أي وبالله لئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذا لخاسرون (أي بعدكم) استئناف مسوق لتقرير ما قبله من زجرهم عن اتباعه عليه السلام بإنكار وقوع ما يدعونه إلى الإيمان به واستبعاده (أنكم إذا متم) بكسر الميم من مات يموت وقرئ بضمها من مات

٣٥

٢٣ المؤمنون

هَيَّاتْ هَيَّاتْ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾

٢٣ المؤمنون

إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾

٢٣ المؤمنون

إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾

٢٣ المؤمنون

قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ ﴿٣٩﴾

٢٣ المؤمنون

قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾

٢٣ المؤمنون

فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُلَاءً فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾

- يموت (وكنتم ترأباً وعظاما) نخرة مجردة عن اللعوم والاعصاب أى كان بعض أجزائكم من اللحم ونظائره ترأباً وبعضها عظاماً وتقديم الزراب لعراقته فى الاستبعاد وانقلابه من الأجزاء البادية أو كان متقدماً وكم ترأباً صرفاً ومتأخراً وكم عظاماً وقوله تعالى (أنكم) تأكيد الأول لطول الفصل بينه وبين خبره الذى هو قوله تعالى (مخرجون) أى من القبور أحياء كما كنتم وقيل أنكم مخرجون مبتدأ وإذا متم خبره على معنى إخراجكم إذا متم ثم أخبر بالجملة عن أنكم وقيل رفع أنكم مخرجون بفعل هو جزاء الشرط كأنه قيل إذا متم وقع إخراجكم ثم أوقعت الجملة الشرطية خبراً عن أنكم والذى تقتضيه جزالة النظم الكريم هو الأول وقرئ أيعدكم إذا متم الخ (هيات هيات) تكرير لتأكيد البعد أى بعد الوقوع أو الصحة (لما توعدون) وقيل اللام لبيان المستبعد ما هو كما فى هيات لك كأنهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل لما إذا هذا الاستبعاد فقيل لما توعدون وقيل هيات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منوناً للتكثير وبالضم منوناً على أنه جمع هية وغيره منون تشبيهاً بقبول وبالكسر على الوجوهين وبالسكون على لفظ الوقف وإبدال التاء هاء (إن هى إلا حياتنا الدنيا) أصله إن الحياة إلا حياتنا فأقيم الضمير مقام الأولى لدلالة الثانية عليها حذراً من التكرار وإشعاراً بإغنائها عن التصريح كما فى هى النفس تتحمل ما حملت وهى العرب تقول ماشامت وحيث كان الضمير بمعنى الحياة الدالة على الجنس كانت إن النافية بمنزلة لا النافية للجنس وقوله تعالى (نموت ونحيا) جملة مفسرة لما ادعوه من أن الحياة هى الحياة الدنيا أى يموت بعضها ويولد بعض إلى انقراض العصر (وما نحن بمبعوثين) بعد الموت (إن هو) أى ما هو (إلا رجل افتري على الله كذباً) فيما يدعيه من إرساله وفيما يعدنا من أن الله يبعثنا (وما نحن له بمؤمنين) بمصدقين فيما يقوله (قال) أى هود عليه السلام عند بأسه من إيمانهم بعد ماسلك فى دعوتهم كل مسلك متضرعاً إلى الله عز وجل (رب انصرنى) عليهم وانتقم لى منهم (بما كذبون) أى بسبب تكذيبهم لإياى وإصرارهم عليه (قال) تعالى إجابة لدعائه وعدة بالقبول (عما قليل) أى عن زمان قليل وما مزيدة بين الجار والمجرور لتأكيد معنى القلة كازيدت فى قوله تعالى فيما رحمة من الله أو نكرة موصوفة أى عن شئ قليل (ليصبحن نادمين) على ما فعلوه من التكذيب وذلك عند معاينتهم للعذاب (فأخذتهم الصيحة) لعلمهم حين أصابتهم

ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾ ٢٣ المؤمنون

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَعِخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ٢٣ المؤمنون

ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلٌّ مَّا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعَدًا لِلْقَوْمِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ٢٣ المؤمنون

الريح العقيم أصيبوا في تضاعيفها بصيحة هائلة أيضاً وقد روى أن شداد بن عاد حين أتم بناء إرم سار إليها بأهله فلما دنا منها بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وقيل الصيحة نفس العذاب والموت وقيل هي العذاب المصطلم قال قائلهم [صاح الزمان بآل برمك صيحة * خروا لشدها على الأذقان] (بالحق) متعلق بالآخذ أي بالامر الثابت الذي لا دفاع له أو بالعدل من الله تعالى أو بالوعد الصدق (لجعلناهم غناء) أي كغناء السيل وهو حميله (فبعداً للقوم الظالمين) لإخبار أو دعاء وبعداً من المصادر التي لا يكاد يستعمل ناصبها والمعنى بعدوا أي هلكوا واللام لبيان من قيل له بعداً ووضع الظاهر موضع الضمير للتعليل (ثم أنشأنا من بعدهم) أي بعد هلاكهم (قرونًا آخرين) هم قوم صالح ولوط وشعيب عليهم السلام ٤٢ وغيرهم (ما تسبق من أمة أجلها) أي ما تقدم أمة من الأمم المهلكة الوقت الذي عين لهلاكهم أي ماتهلك ٤٣ أمة قبل مجيء أجلها (وما يستأخرون) ذلك الأجل بساعة وقوله تعالى (ثم أرسلنا رسلنا) عطف على ٤٤ أنما نال السكّن لا على معنى أن إرسالهم متراخ عن إنشاء القرون المذكورة جميعاً بل على معنى أن إرسال كل رسول متأخر عن إنشاء قرن مخصوص بذلك الرسول كأنه قيل ثم أنشأنا من بعدهم قرونًا آخرين قد أرسلنا إلى كل قرن منهم رسولاً خاصاً به والفصل بين المعطوفين بالجملة المعترضة بالعلقة بعدم تقدم الأمم أجلها المضروب لهلاكهم للسرعة إلى بيان هلاكهم على وجه الإجمالي (تتري) أي متواترين واحداً بعد واحد من الوتر وهو الفرد والناء بدل من الواو كما في توج ويتقوا والالف للتأنيث باعتبار أن الرسل جماعة وقرىء بالتنوين على أنه مصدر بمعنى الفاعل وقع حالاً وقوله تعالى (كلما جاء أمة رسولها كذبوه) * استئناف مبين لمجيء كل رسول لأمة ولما صدر عنهم عند تبليغ الرسالة والمراد بالمجيء إما التبليغ وإما حقيقة المجيء للإبذان بأنهم كذبوه في أول الملاقاة وإضافة الرسول إلى الأمة مع إضافة كلهم فيما سبق إلى نون العظمة لتحقيق أن كل رسول جاء أمة الخاصة به لأن كلهم جاءوا كل الأمم والإشعار بكال شناعتهم وضلالهم حيث كذبت كل واحدة منهم رسولها المعين لها وقيل لأن الإرسال لا تنق بالمرسل والمجيء بالمرسل إليهم (فاتبعنا بعضهم بعضاً) في الهلاك حسبما تتبع بعضهم بعضاً في مباشرة أسبابه التي هي الكفر والتكذيب وسائر المعاصي (وجعلناهم أحاديث) لم يبق منهم إلا حكايات يعتبر بها المعتبرون وهو اسم جمع للحديث أو جمع أحوالهم وهي ما يتحدث به تلميذاً كطاجيب جمع أعجوبة وهي ما يتعجب منه أي جعلناهم أحاديث يتحدث بها تلميذاً وأعجباً (فبعداً للقوم لا يؤمنون) اقتصر هنا على وصفهم بعدم الإيمان حسبما *

٢٣ المؤمنون

ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٤٥﴾

٢٣ المؤمنون

إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾

٢٣ المؤمنون

فَقَالُوا أَنْتُمْ لِبَشَرٍ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدُونَ ﴿٤٧﴾

اقتصصر على حكاية تكذيبهم إجمالاً وأما القرون الأولون فحيث نقل عنهم ماسر من الغلو وتجاوز الحد ٤٥ في الكفر والعدوان وصفوا بالظلم (ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا) هي الآيات التسع من اليد والعصا والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الثمرات والطاعون ولا مساع لعد فلق البحر منها إذ المراد هي الآيات التي كذبوها واستكبروا عنها (وسلطان مبين) أي حجة واضحة ملزمة للخصم وهي إما العصا وإفرادها بالذكر مع اندراجها في الآيات لما أنها أم آياته عليه الصلاة والسلام وأولاهما وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها ثعباناً وتلقفها لما أفكته السحرة حسبما فصل في تفسير سورة طه وأما التعرض لانقلاب البحر وانفجار العيون من الحجر بضرها وحرستها وصيرورتها شجرة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاء وغير ذلك مما ظهر منها من قبل ومن بعد في غير مشهد فرعون وقومه فغير ملائم لمقتضى المقام ولما نفس الآيات كقوله إلى الملك القرم وابن الهمام الخ عبر عنها بذلك على طريقة العطف تبييناً على جمعها لعنوانين جليلين وتزيلاً لتغايرهما منزلة التغاير الذاتي (إلى فرعون وملئه) أي أشراف قومه خصوا بالذكر لأن إرسال بني إسرائيل منوط بأبرائهم لا بآراء أعقابهم (فاستكبروا) ٤٦ عن الانقياد وتمرّدوا (وكانوا قوماً عالين) متكبرين متمردين (فقالوا) عطف على استكبروا وما بينهما اعتراض مقرر للاستكبار أي كانوا أقوماً عادتهم الاستكبار والتمرّد أي قالوا فيما بينهم بطريق المناصحة * (أنؤمن لبشرٍ مثلنا) ثنى البشر لأنه يطلق على الواحد كقوله تعالى بشر أسوأ بما يطلق على الجمع كما في قوله تعالى فإما ترين من البشر أحداً ولم يشك المنكرين للنسبة قياس حال الأنبياء على أحوالهم بناء على جهلهم بتفاصيل شؤون الحقيقة البشرية وتباين طبقات أفرادها في مراقب الكمال وماوى النقصان بحيث يكون بعضها في أعلى عليين وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقةون لصفاء جواهرهم بكل العالمين الروحاني والجسماني يتلقون من جانب ويلقون إلى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل إلى جناب الحق وبعضها في أسفل سافلين كأوائك الجهلة الذين هم كالأنعام بل هم أضل سبيلاً (وقومهما) يعنون بني إسرائيل (لما عابدون) أي خادعون منقادون لما كالعبيد وكانهم قصدوا بذلك التعريض بشأنهما عليهم الصلاة والسلام وخطر تبتلها العلية عن منصب الرسل من وجه آخر غير البشرية واللام في لنا متعلقة بعابدون قدمت عليهم رعاية للفواصل والجملة حال من فاعل تؤمن مؤكدة لإنكار الإيمان لهما بناء على زعمهم الفاسد المؤسس على قياس الرياسة الدينية على الرياسات الدنيوية الدائرة على التقدم في نيل الحظوظ

٢٣ المؤمنون

فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾

٢٣ المؤمنون

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾

٢٣ المؤمنون

وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾

الدنية من المال والجاه كدأب قريش حيث قالوا لو كان خير أما سبقونا إليه وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وجهلهم بأن مناط الاصطفاء للرسالة هو السبق في حيازة ما ذكر من النعوت العلية وإحراز الملكات السنية جلبة واكتساباً (فكذبوهم) أي فتموا على تكذيبهما وأصرروا واستكبروا ٤٨ استكباراً (فكانوا من المهلكين) بالفرق في بحر قلزم (ولقد آتينا) أي بعد إهلاكهم وإنجاء بني إسرائيل ٤٩ من ملكهم (موسى الكتاب) أي النوراة وحيث كان إيتاؤه عليه الصلاة والسلام إياها لإرشاد قومه إلى الحق كما هو شأن الكتب الإلهية جعلوا كأنهم أوتوها فقليل (لعلهم يهتدون) أي إلى طريق الحق بالعمل بما فيها من الشرائع والأحكام وقيل أريد آتينا قوم موسى فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه كما في قوله تعالى على خوف من فرعون وملئهم أي من آل فرعون وملئهم ولا سبيل إلى عود الضمير إلى فرعون وقومه لظهور أن التوراة إنما نزلت بعد إغراقهم لبني إسرائيل وأما الاستشهاد على ذلك بقوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى فما لا سبيل إليه ضرورة أن ليس المراد بالقرون الأولى ما يتناول قوم فرعون بل من قبلهم من الأمم المملكة خاصة كقوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط كما سيأتي في سورة القصص (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) وآية آية دالة على عظيم قدرتنا بولادته منها من غير مسيس بشر فالآية أمر واحد نسب إليهما أو جعلنا ابن مريم آية بأن تكلم في المهد فظهرت منه معجزات جمة وأمه آية بأنها ولدت من غير مسيس لحذفت الأولى لدلالة الثانية عليها والتعبير عنهما بما ذكر من العناوين وهما كونه عليه الصلاة والسلام ابنها وكونها أمه عليه الصلاة والسلام للإبذان من أول الأمر بحيثية كونهما آية فإن نسبته عليه الصلاة والسلام إليها مع أن النسب إلى الآباء دالة على أن لا أب له أي جعلنا ابن مريم وحدها من غير أن يكون له أب وأمّه التي ولدته خاصة من غير مشاركة الأب آية وتقديمه عليه الصلاة والسلام لآصالته فيما ذكر من كونه آية كما أن تقديم أمه في قوله تعالى وجعلناها وابنها آية للعالمين لآصالتهما فيما نسب إليها من الإحصان والنفخ (وآويناها إلى ربوة) أي أرض مرتفعة قيل هي أيليا أرض بيت المقدس فإنها مرتفعة وأنها كبد الأرض وأقرب الأرض إلى السماء ثمانية عشر ميلاً على ما يروى عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وقيل فلسطين والرمّة وقيل مصر فإن قراها على الربا وقرى بكسر الراء وضمتها وربوة بالكسر والضم (ذات قرار) مستقر من أرض منبسطة سهلة يستقر عليها ساكنوها وقيل ذات ثمار وذورع لا تجلها يستقر فيها ساكنوها (ومعين) أي وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء إذا جرى وأصله الإبعاد في المشي أو من الماء عون

يَنَاءُهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ٢٣ المؤمنون

وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ٢٣ المؤمنون

وهو النفع لانه نفاع أو مفعول من عانه إذا أدركه بالعين فإنه لظهوره يدرك بالعيون وصف ماؤها بذلك للإيدان بكونه جامعاً لفنون المنافع من الشرب وسقى ما يسقى من الحيوان والنبات بغير كلفة والتزده ٥١ بمنظره الموقن (بأيها الرسل كلوا من الطيبات) حكاية لرسول الله ﷺ على وجه الإجمال لما خوطب به كل رسول في عصره جرى به الأثر حكاية لإيواء عيسى عليه السلام وأمه إلى الربوة إيداناً بأن ترتيب مبادئ التنعم لم يكن من خصائصه عليه السلام بل لإباحة الطيبات شرع قديم جرى عليه جميع الرسل عليهم السلام ووصوا به أي وقلنا لكل رسول كل من الطيبات وامل صالحاً فغير عن تلك الأوامر المتعددة المتعلقة بالرسول بصيغة الجمع عند الحكاية إجمالاً للإيجاز وفيه من الدلالة على بطلان ما عليه الرهابة من رفض الطيبات ما لا يخفى وقيل حكاية لما ذكر لعيسى عليه السلام وأمه عند إيوائهما إلى الربوة ليقتهما بالرسول في تناول مارزقا وقيل نداء وخطاب له والجمع للتعظيم وعن الحسن ومجاهد وقتادة والسدي والكبي رحمهم الله تعالى أنه خطاب لرسول الله ﷺ وحده على دأب العرب في مخاطبة الواحد بلفظ الجمع وفيه إبانة لفضله وقيامه مقام الكل في حيازة كمالاتهم والطيبات ما يستطاب ويستلذ من مباحات المأكل والفواكه حسبما ينبغي عنه سياق النظم الكريم فالأمر للترفيه (واعملوا صالحاً) أي عملاً صالحاً فإنه المقصود منكم والنافع عند ربكم (إني بما تعملون) من الأعمال الظاهرة والباطنة (عليم) فأجازيكم عليه ٥٢ (وإن هذه) استئناف داخل فيما خوطب به الرسل عليهم السلام على الوجه المذكور مسوق لبيان أن ملة الإسلام والتوحيد أمر به كافة الرسل عليهم السلام والأئمة وإنما أشير إليها بهذه للتنبيه على كمال ظهور أمرها في الصحة والساد وانتظامها بسبب ذلك في سلك الأمور المشاهدة (أمتكم) أي ملتكم وشريعتكم أيها الرسل (أمة واحدة) أي ملة وشريعة متحدة في أصول الشرائع التي لا تتبدل بتبدل الأعصار وقيل هذه إشارة إلى الأئمة المؤمنة للرسول والمعنى إن هذه جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الإيمان والتوحيد في العبادة (وأنا ربكم) من غير أن يكون لي شريك في الربوبية وضمير المخاطب فيه وفي قوله تعالى (فاتقون) أي في شق العصا والمخالفة بالإخلال بما يجب ما ذكر من اختصاص الربوبية بالرسول والأئمة جميعاً على أن الأمر في حق الرسل للتبجيل والإلهاب وفي حق الأئمة للتحذير والإيجاب والغاء لترتيب الأمر أو وجوب الامتثال به على ما قبله من اختصاص الربوبية به تعالى واتحاد الأئمة فإن كلا منهما موجب للاتقاء حتماً وقرئ. وأن هذه بفتح الهمزة على حذف اللام أي ولأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون أي إن تتقون فاتقون كما مر في قوله تعالى وإياي فارهبون وقيل على العطف على ما أي إني عليم بأن أمتكم الخ وقيل على حذف فعل عامل فيه أي واعدوا أن هذه أمتكم الخ وقرئ. وإن هذه على أنها مخففة من إن .

٢٣ المؤمنون

فَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾

٢٣ المؤمنون

فَذَرُّهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ ﴿٥٤﴾

٢٣ المؤمنون

أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾

٢٣ المؤمنون

نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾

٢٣ المؤمنون

إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾

- (فقطعوا أمرهم) حكاية لما ظهر من أمم الرسل بعدم من مخالفة الأمر وشق العصا والضمير لما دل عليه ٥٣ الآية من أربابها أو لها على التفسيرين والفاء لترتيب عصيانهم على الأمر لزيادة تقبيح حالهم أى تقطعوا أمر دينهم مع اتحادهم وجعلوه قطعاً متفرقة وأدياناً مختلفة (بينهم زبراً) أى قطعاً جمع زبور بمعنى الفرقة ويؤيده قراءة زبراً بفتح الباء جمع زبرة وهو حال من أمرهم أو من واو تقطعوا أو مفعول ثان له فإنه متضمن لمعنى جعلوا وقبل كتباً فيكون مفعولاً ثانياً أو حالاً من أمرهم على تقدير المضاف أى مثل زبر وقرىء بتخفيف الباء كرسل في رسل (كل حزب) من أولئك المتحزبين (بما لديهم) من الدين الذى اختاروه (فرحون) معجبون معتقدون أنه الحق (فذرهم في غمرتهم) شبه ما هم فيه من الجهالة بالماء الذى يغمر القامة لأنهم مغمورون فيها لا عبون بها وقرىء غمراتهم والخطاب لرسول الله ﷺ والفاء لترتيب الأمر بالترك على ما قبله من كونهم فرحين بما لديهم فإن انهماكهم فيها وإصرارهم عليه من مخايل كونهم مطبوعاً على قلوبهم أى اتركهم على حالهم (حتى حين) هو حين قتلهم أو موتهم على الكفر أو عذابهم فهو وعيد لهم بعذاب الدنيا والآخرة وتسليية لرسول الله ﷺ ونهى له عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيرهم وفى التنكير والإيهام ما لا يخفى من النهويل (أيحسبون أنما نمدمهم به) أى ٥٤ نعطيهم إياه ونجعله مدداً لهم فما موصولة وقوله تعالى (من مال وبنين) بيان لها وتقديم المال على البنين مع كونهم أعز منه قدم وجهه فى سورة الكهف لا خبر لأن وإنما الخبر قوله تعالى (نسارع لهم فى ٥٥ الخيرات) على حذف الراجع إلى الاسم أى أيحسبون أن الذى نمدمهم به من المال والبنين نسارع به لهم فيما فيه خيرهم وإكرامهم على أن الهمزة لإنكار الواقع واستقبحه وقوله تعالى (بل لا يشعرون) عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أى كلا لا نفعل ذلك بل هم لا يشعرون بشئ أصلاً كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتأملوا ويعرفوا أن ذلك الإمداد استدراج لهم واستجرا إلى زيادة الإثم وهم يحسبونه مسارعة لهم فى الخيرات وقرىء يمدمهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل أن يكون فيهما ضمير الممدب وقرىء يسارع مبنياً للمفعول (إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون) استئناف مسوق لبيان من له المسارعة ٥٦ فى الخيرات إثر إقناط الكفار عنها وإبطال حسابهم الكاذب أى من خوف عذابه حذرون .

٢٣ المؤمنون

وَالَّذِينَ هُمْ بِعَاقِبَتِ رَبِّهِمْ يَوْمِنُونَ ﴿٥٨﴾

٢٣ المؤمنون

وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

٢٣ المؤمنون

وَالَّذِينَ يَتُوتُونَ مَآءَاتُوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾

٢٣ المؤمنون

أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾

٥٨ ٥٩ (والذين هم بآيات ربهم المنصوبة والمنزلة (بؤمنون) بتصديق مدلولها (والذين هم بربهم لا يشركون) شركاً جليلاً ولا خفياً ولذلك أخر عن الإيمان بالآيات والتعرض لعنوان الربوبية في المواقع الثلاثة للإشعار بعليتها للإشفاق والإيمان وعدم الإشراك (والذين يؤتون ما آتوا) أى يعطون ما أعطوه من الصدقات وقرىء يأتون ما آتوا أى يفعلون ما فعلوه من الطاعات وأياً ما كان فصيغة الماضي في الصلة الثانية للدلالة على التحقق كما أن صيغة المضارع في الأولى للدلالة عن الاستمرار (وقلوبهم وجلة) حال من فاعل يؤتون أو يأتون أى يؤتون ما آتوه أو يفعلون من العبادات ما فعلوه والحال أن قلوبهم خائفة أشد الخوف (أنهم إلى ربهم راجعون) أى من أن رجوعهم إليه عز وجل على أن مناط الوجل أن لا يقبل منهم ذلك وأن لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به حينئذ لا مجرد رجوعهم إليه تعالى وقيل لأن مرجعهم إليه تعالى والموصولات الأربعة عبارة عن طائفة واحدة متصفة بما ذكر في حيز صلاحها من الأوصاف الأربعة لا عن طوائف كل واحدة منها متصفة بواحد من الأوصاف المذكورة كأنه قيل إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون وبيات ربهم يؤمنون الخ وإنما كرر الموصول إيداناً باستقلال كل واحدة من تلك الصفات بفضيلة باهرة على حياها وتزيلاً لاستقلالها منزلة استقلال الموصوف بها (أولئك) إشارة إليهم باعتبار انصافهم بها وما فيه من معنى البعد الإشعار ببعدهم في الفضل أى أولئك المنعوتون بما فصل من النعوت الجليلة خاصة دون غيرهم (يسارعون في الخيرات) أى في نيل الخيرات التي من جملتها الخيرات العاجلة الموعودة على الأعمال الصالحة كما في قوله تعالى فتأثم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وقوله تعالى وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين فقد أثبت لهم ما نفي عن أعدائهم خلا أنه غير الأسلوب حيث لم يقل أولئك تسارع لهم في الخيرات بل أسند المسارعة إليهم إيماناً لي كمال استحسانهم لنيل الخيرات بمحاسن أعمالهم وإيثار كلمة في على كلمة إلى للإيدان بأنهم متقبلون في فنون الخيرات لا أنهم خارجون عنها متوجهون إليها بطريق المسارعة في قوله تعالى كما وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة الآلية (وهم لها سابقون) أى إياها سابقون واللام لتقوية العمل كما في قوله تعالى هم لها عاملون أى يتألمونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا وقيل المراد بالخيرات الطاعات والمعنى يرغبون في الطاعات والعبادات أشد الرغبة وهم لا يجلبها سابقون فاعلون السبق أو لا يجلبها الناس

وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾
 بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾ ٢٣ المؤمنون

والأول هو الأولى (ولا نكلف نفساً إلا وسعها) جملة مستأنفة سبقت للتحرير على ما وصف به ٦٢ السابقون من فعل الطاعات المؤدى إلى نيل الخيرات ببيان سهولته وكونه غير خارج عن حد الوسع والطاقة أى عادتنا جارية على أن لا نكلف نفساً من النفوس إلا ما فى وسعها على أن المراد استمرار النفي بمعونة المقام لا نفي الاستمرار كما مر مراراً أو للنرخيص فيها هو قاصر عن درجة أعمال أولئك الصالحين ببيان أنه تعالى لا يكلف عباده إلا ما فى وسعهم فإن لم يبلغوا فى فعل الطاعات مراتب السابقين فلا عليهم بعد أن يبذلوا طاقتهم ويستفروا وسعهم قال مقاتل من لم يستطع القيام فليصل قاعداً ومن لم يستطع القعود فليوم إيماء وقوله تعالى (ولدينا كتاب) الخ تنمة لما قبله ببيان أحوال ما كلفوه من الأعمال وأحكامها .
 المترتبة عليها من الحساب والثواب والعقاب والمراد بالكتاب صحائف الأعمال التى يقرؤها عند الحساب حسبما يعرب عنه قوله تعالى (ينطق بالحق) كقوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون أى عندنا كتاب قد أثبت فيه أعمال كل أحد على ما هى عليه أو أعمال السابقين والمقتصدىين جميعاً لا أنه أثبت فيه أعمال الأولين وأهمل أعمال الآخرين ففيه قطع معذرتهم أيضاً وقوله بالحق متعلق وينطق أى يظهر الحق المطابق للواقع على ما هو عليه ذاتاً ووصفاً ويدينه للنظر كما يدينه اللطوق ويظهره للسامع فيظهر هنالك جلائل أعمالهم ودقائقها ويرتب عليها أجزئتها إن خير أخير وإن شرأ شر وقوله تعالى (وهم لا يظلمون) بيان لفضله تعالى وعدله فى الجزاء إثر بيان لطفه فى التكليف وكتب الأعمال أى لا يظلمون فى الجزاء بنقص ثواب أو بزيادة عذاب بل يجزون بقدر أعمالهم التى كلفوها ونطقت بها صحائفها بالحق وقد جوز أن يكون تقريراً لما قبله من التكليف وكتب الأعمال أى لا يظلمون بتكليف ما ليس فى وسعهم ولا بعدم كتب بعض أعمالهم إلى من جعلتها أعمال المقتصدىين بناء على قصورها عن درجة أعمال السابقين بل يكتب كل منها على مقاديرها وطبقاتها والتعبير عما ذكر من الأمور بالظلم مع أن شيئاً منها ليس بظلم على ما تقرر من أن الأعمال الصالحة لا توجب أصل الثواب فضلاً عن إيجاب مرتبة معينة منه حتى تعد الإنابة بما دونها نقصاً وكذلك الأعمال السيئة لا توجب درجة معينة من العذاب حتى يعد التعذيب بما فوقها زيادة وكذا تكليف ما فى الوسع وكتب الأعمال ليس بما يجب عليه سبحانه حتى يعد تركهما ظاهراً لكمال تنزيهه ساحة السبحان عنها بتصويرها بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى وتسميتها باسمه وقوله تعالى (بل قلوبهم فى غمرة من هذا) لاضراب عما قبله والضمير للكفرة لا للكل كما قبله أى بل قلوب الكفرة فى غملة غامرة لها من هذا الذى بين فى القرآن من أن لديه تعالى كتاباً ينطق بالحق ويظهر لهم أعمالهم السيئة على رؤوس الأشهاد فيجزون بها كما ينبى عنه ما سياتى من قوله تعالى قد كانت آياتى تنلى عليكم الخ وقيل بما عليه أولئك الموصوفون بالأعمال الصالحة (ولهم أعمال) سيئة كثيرة (من دون ذلك)

٢٣ المؤمنون

حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ ﴿٦٤﴾

٢٣ المؤمنون

لَا تَجْعَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تَنْصُرُونَ ﴿٦٥﴾

٢٣ المؤمنون

قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنَادِي عَلَيْكُمْ فَاكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ ﴿٦٦﴾

الذي ذكر من كون قلوبهم في غفلة عظيمة بما ذكر وهي فنون كفرهم ومعاصيهم التي من جملتها ما سياتي من طعنهم في القرآن حسبما ينبي عنه قوله تعالى مستكبرين به سامراً تهجرون وقيل متخطفة لما وصف به المؤمنون من الأعمال الصالحة المذكورة وفيه أنه لا مزية في وصف أعمالهم الخبيثة بالتخطف للأعمال الحسنة للمؤمنين وقيل متخطفة عما هم عليه من الشرك ولا يخفى بعده لعدم جريان ذكره (هم لها عاملون) مستمرون عايتها معتادون فعلها ضارون بها لا يكادون يبرحونها (حتى إذا أخذنا مترفيهم) أي متنعهم وهم الذين أمدهم الله تعالى بما ذكر من المال والبنين وحتى مع كونها غاية لأعمالهم المذكورة مبدأ لما بعدها من مضمون الشرطية أي لا يزالون يعملون أعمالهم إلى حيث إذا أخذنا رؤسهم (بالعذاب) قيل هو القتل والأسريوم بدر وقيل هو الجوع الذي أصابهم حين دعا عليهم رسول الله ﷺ بقوله اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فحطوا حتى أكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة والأولاد والحق أنه العذاب الأخرى إذ هو الذي يفاجئون عنده الجوار فيجابون بالرد والإقناط عن النصر وأما عذاب يوم بدر فلم يوجد لهم عنده جوار حسبما ينبي عنه قوله تعالى ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا للربهم وما يتضرعون فإن المراد بهذا العذاب ما جرى عليهم يوم بدر من القتل والأسر حتماً وأما عذاب الجوع فإن أبا سفيان وإن تضرع فيه إلى رسول الله ﷺ - إكن لم يرد عليه بالإقناط حيث روى أنه ﷺ قد دعا بكشفه فكشف عنهم ذلك (إذا هم يجأرون) أي فاجئوا الصراخ بالاستغاثة من الله عز وجل كقوله تعالى فإليه تجأرون وهو جواب الشرط وتخصيص مترفيهم بما ذكر من الأخذ بالعذاب ومفاجأة الجوار مع عمومهم لغاية ظهور انعكاس حالهم وانتكاس أمرهم وكون ذلك أشق عليهم ولأنهم مع كونهم متمنعين محيين بحماية غيرهم من المنعة والحشم حين لقوا مالمقوا من الحالة الفظيعة فلأن يلقاها من عذابهم من الحماة والخدم أولى وأقدم (لاتجأروا اليوم) على إضمار القول مسوقاً لردهم وتبكيهم وإقناطهم مما علقوا به أطماعهم الفارغة من الإغاثة والإعانة من جمته تعالى وتخصيص اليوم بالذكر لتحويله والإيذان بتفويتهم وقت الجوار وقد جوز كونه جواب الشرط وأنت خير بأن المقصود الأصل في الجملة الشرطية هو الجواب فيؤدى ذلك إلى أن يكون مفاجأتهم إلى الجوار غير مقصود أصلي وقوله تعالى (إنكم منا لا تنصرون) تعليل للنهي عن الجوار ببيان عدم إفادته ونفعه أي لا يلحقكم من جهتنا نصرة تنجيكم مما دهمكم وقيل لا تغاثون ولا تمنعون منا ولا يساعده سباق النظم الكريم لأن جوارهم ليس إلى غيرة تعالى حتى يرد عليهم بعدم منصوريتهم من قبله ولا سياقه فإن قوله تعالى (قد كانت آياتي تنادي عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون) الخ صريح في أنه تعليل لما ذكرنا من عدم لحوق النصر من جهته

٢٣ المؤمنون

مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَعِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾

٢٣ المؤمنون

أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾

٢٣ المؤمنون

أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٦٩﴾

تعالى بسبب كفرهم بالآيات ولو كان النصر المنفي متوهماً من الغير لعل بعجزه وذلّه أو بعزة الله تعالى وقوته أى قد كانت آياتى تتلى عليكم فى الدنيا (فكنتم على أعقابكم تنكصون) أى تعرضون عن سماعها أشد الإعراض فضلاً عن تصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى (مستكبرين به) أى بالبيت الحرام أو بالحرم والإضمار قيل الذكر لاشتهار استكبارهم وافتخارهم بأنهم خدامه وقوامه أو بكتابه الذى عبر عنه بآياتى على تضمين الاستكبار معنى التكذيب أو لأن استكبارهم على المسلمين قد حدث بسبب استماعه وبجوز أن تتعلق الباء بقوله تعالى (ساعراً) أى تسمرون بذكر القرآن وبالطمع فيه حيث كانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحراً وشعراً والسائر كالحاضر فى الإطلاق على الجمع وقيل هو مصدر جاء على لفظ الفاعل وقرىء سمرأ وسمارأ وأن تتعلق بقوله تعالى (تهجرون) من الهجر بالفتح بمعنى الهذيان أو الترك أى يتهذون فى شأن القرآن أو تركونه أو من الهجر بالضم وهو الفحش ويؤيده قراءة تهجرون من أهرج فى منطقته إذا غش فيه وقرىء تهجرون من هجر الذى هو مبالغة فى هجر إذا هذى (أفلم يدبروا القول) الهمة لإنكار الواقع واستقبحه ٦٨ والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أى أفعلو ما فعلوا من النكوص والاستكبار والهجر فلم يتدبروا القرآن ليعرفوا بما فيه من إعجاز النظم وصحة المدلول والإخبار عن الغيب أنه الحق من ربهم فيؤمنوا به فضلاً عما فعلوا فى شأنه من القبح وأم فى قوله تعالى (أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين) منقطعة وما فيها من معنى بل للإضراب والانتقال عن التوبيخ بما ذكر إلى التوبيخ بآخر والهمة لإنكار الوقوع لأنكار الواقع أى بل أجاءهم من الكتاب ما لم يأت آباءهم الأولين حتى استبدعوه واستبعدوه فوقعوا فيما وقعوا فيه من الكفر والضلال يعنى أن يحىء الكتب من جهته تعالى إلى الرسل عليهم السلام سنة قديمة له تعالى لا يكاد ينسى إنكاره وأن يحىء القرآن على طريقته فمن أين ينكرونه وقيل أم جاءهم من الأمن من عذابه تعالى ما لم يأت آباءهم الأولين كما سماعيل عليه السلام وأعقابهم من عدنان وقحطان ومضر وربيعة وقس والحارث بن كعب وأسدي بن خزيمه وتميم بن مرة وتبع وضبة بن أدفانموا به تعالى وبكتبه ورسله وأطاعوه (أم لم يعرفوا رسولهم) إضراب وانتقال من التوبيخ بما ذكر إلى التوبيخ بوجه ٦٩ آخر والهمة لإنكار الوقوع أيضاً أى بل ألم يعرفوه بالآيات والآلاء والصدق وحسن الأخلاق وكالعلم مع عدم التعلم من أحد وغير ذلك مما حازه من الكمالات اللانفثة بالأنبياء عليهم السلام (فهم له منكرون) أى جاحدون بنبوته فجحدتهم بها مترتب على عدم معرفتهم بشأنه عليه السلام ومن ضرورة انتفاء المبنى بطلان ما بنى عليه أى فهم غير عارفين له عليه السلام فهو تأكيد لما قبله .

٢٣ المؤمنون

أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾

وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ

٢٣ المؤمنون

عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾

- ٧٠ (أم يقولون به جنة) انتقال إلى توبيخ آخر والهمزة لإنكار الواقع كالأولى أي بل يقولون به جنة أي جنون مع أنه أرجح الناس عقلاً وأتقنهم ذمناً وأتقنهم رأياً وأوفرهم رزاقاً واقدر وعى في هذه التوبيخات الأربعة التي اثنان منها متعلقان بالقرآن والباقيان به ﷺ الترقى من الأدنى إلى الأعلى حيث وبخوا أولاً بعدم التدبر وذلك يتحقق مع كون القول غير متعرض له بوجه من الوجوه ثم وبخوا بشئ لو اتصف به القول لكان سيئاً لعدم تصديقهم به ثم وبخوا بما يتعلق بالرسول ﷺ من عدم معرفتهم به ﷺ وذلك يتحقق بعدم المعرفة بخبر ولا شئ مما لو كان فيه ﷺ ذلك أقدم في رسالته ﷺ (بل جاءهم بالحق) إضراب عما يدل عليه ما سبق أي ليس الأمر كما زعموا في حق القرآن والرسول ﷺ بل جاءهم ﷺ بالحق أي الصدق الثابت الذي لا محيد عنه أصلاً ولا مدخل فيه للباطل بوجه من الوجوه (وأكثرهم للحق) من حيث هو حق أي حق كان لاهذا الحق فقط كإني. عنه الإظهار في موقع الإضمار (كارهون) لما في جبابتهم من الزيف والانحراف المناسب للباطل ولذلك كرهوا هذا الحق الأبلج وزاغوا عن الطريق الأنهج وتخصيص أكثرهم بهذا الوصف لا يقتضي إلا عدم كرامة الباقين لكل حق من الحقوق وذلك لا ينافي كراهتهم لهذا الحق المبين فتأمل وقيل تقييد الحكم بالآثار لأن منهم من ترك الإيمان استنكافاً من توبيخ قومه أو لقلة فطنته وعدم تفكيره لا لكراهته الحق وأنت خير بأن تعرض لعدم كراهة بعضهم للحق مع اتفاق الكل على الكفر به مما لا يساعده المقام أصلاً (ولو اتبع الحق أهواءهم) استئناف مسوق لبيان أن أهواءهم الزائفة التي ما كرهوا الحق إلا لعدم موافقته إياها مقتضية للطامة أي لو كان ما كرهوه من الحق الذي من جملته ما جاء به ﷺ موافقاً لأهوائهم الباطلة (فسدت السموات والأرض ومن فيهن) وخرجت عن الصلاح والانتظام بالكلية لأن مناط النظام ليس إلا ذلك وفيه من تنويه شأن الحق والتنبيه على سمو مكانه ما لا يخفى وأما ما قيل لو اتبع الحق الذي جاء به ﷺ أهواءهم وانقلب شركاء لجاهل الله تعالى بالقيامة ولا هلك العالم ولم يؤخر فيه أنه لا يلائم فرض مجيئه ﷺ به وكذا ما قيل لو كان في الواقع إلهان لا يناسب المقام وأما ما قيل لو اتبع الحق أهواءهم لخرج عن الإلهية فما لا احتمال له أصلاً (بل آتيناكم بذكرهم) انتقال من تشنيعهم بكراهة الحق الذي به يقوم العالم إلى تشنيعهم بالإعراض عما جبل عليه كل نفس من الرغبة فيما فيه خيرها والمراد بالذكر القرآن الذي هو غرهم وشرفهم حسبما ينطق به قوله تعالى وإله لذكركم ولقومك أي بل آتيناكم بغرهم وشرفهم الذي كان يجب عليهم أن يقبلوا عليه أكمل إقبال (فهم) بما فعلوه من النكوص (عن ذكرهم) أي غرهم وشرفهم خاصة (معرضون) لأن غير ذلك مما لا يوجب الإقبال عليه والاعتناء به وفي وضع للظاهر موضع الضمير مزيد تشنيع لهم وتقريع والغناء لترتيب ما بعدها من إعراضهم عن ذكرهم

المؤمنون ٢٣

أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا نَخْرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾

المؤمنون ٢٣

وَإِنَّكَ لَنَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾

المؤمنون ٢٣

وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَسَكُوبُونَ ﴿٧٤﴾

المؤمنون ٢٣

وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجُودُ فِي طَغْيِهِمْ يَعَْمَهُونَ ﴿٧٥﴾

- على ما قبلها من إيتاء ذكرهم لا لترتيب الإعراض على الإيتاء مطلقاً فإن المستتبع لكون إعراضهم إعراضاً عن ذكرهم هو إيتاء ذكرهم لا الإيتاء مطلقاً وفي إسناد الإتيان بالذكر إلى نون العظمة بعد إسناده إلى ضميره ﷺ تنويه لشأن النبي ﷺ وتنبيه على كونه بمثابة عظيمة منه عز وجل وفي إيراد القرآن الكريم عند نسبته إليه ﷺ بعنوان الحقيقة وعند نسبته إليه تعالى بعنوان الذكر من النكتة السرية والحكمة العبرية ما لا يخفى فإن التصريح بحقيقته المستلزمة لحقيقة من جاء به هو الذي يقتضيه مقام حكاية ما قاله المبطلون في شأنه وأما التشريف فإنا يليق به تعالى لا سيما رسول الله ﷺ أحد المشرفين وقيل المراد بالذكر ما تمنوه بقولهم لو أن عندنا ذكر من الأولين وقيل وعظمهم وأيد ذلك بأنه قرئ بذكرهم والنشيع على الأولين أشد فإن الإعراض عن وعظمهم ليس في مثابة إعراضهم عن شرفهم أو عن ذكرهم الذي يتمنونه في الشناعة والقباحة (أم تسألهم) انتقال من توبيخهم بما ذكر من قوله أم يقولون به جنة إلى التوبيخ بوجه آخر كأنه قبل أم يزعمون أنك تسألهم على أداء الرسالة (خرجا) أى جعلاً للأجل ذلك لا يؤمنون بك وقوله تعالى (نخراج ربك خير) أى رزقه في الدنيا وثوابه في الآخرة تعليل لنفي السؤال المستفاد من الإنكار أى لا تسألهم ذلك فإن ما رزقك الله تعالى في الدنيا والعقبى خير لك من ذلك وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره ﷺ من تعليل الحكم وتشريفه ﷺ ما لا يخفى والخرج بإزاء الدخول يقال لكل ما تخرجه إلى غيرك والخراج غالب في الضريبة على الأرض وقبل الخرج ما تبرعت به والخراج مالزمك وقبل الخرج أخص من الخراج ففي النظم الكريم إشعار بالكثرة والازوم وقرئ خراجاً فخرج وخراجاً فخراج (وهو خير الرازقين) تقرير لخيرية خراجه تعالى (وإليك اتدعوهم إلى صراط مستقيم) ٧٢ تشهد العقول السليمة باستقامته ليس فيه شائبة أعوجاج توهم اتهامهم لك بوجه من الوجوه ولقد ألزمهم الله عز وعلا وأزاح عنهم في هذه الآيات حيث حصر أقسام ما يؤدي إلى الإنكار والاتهام وبين انتفاء ما عدا كراهتهم للحق وقلة فطنهم (وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة) وصفوا بذلك تشبيهاً لهم بما هم عليه من الانهماك في الدنيا وزعمهم أن لا حياة إلا الحياة الدنيا وإشعار أبعلة الحكم فإن الإيمان بالآخرة وخوف ما فيها من الدواهي من أقوى الدواعي إلى طلب الحق وسلوك سبيله (عن الصراط) أى عن جنس الصراط (لناكون) لعداؤون فضلاً عن الصراط المستقيم أو عن الصراط المستقيم الذي تدعوهم إليه والأول أدل على كمال ضلالهم وغاية غوايتهم لما أنه ينبي عن كون ما ذهبوا إليه عما لا يطلق عليه اسم الصراط ولو كان معوجاً (ولو رحمتهم وكشفنا ما بهم من ضر) أى قحط وجذب (للجوا) لتنادوا (في) ٧٥

وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِلرَّبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ٢٣ المؤمنون

حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ ٢٣ المؤمنون

وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ٢٣ المؤمنون

طغيانهم) إفراطهم في الكفر والاستكبار وعداوة الرسول ﷺ والمؤمنين (يعمهمون) أى عامهمين عن الهدى روى أنه لما أسلم ثمامة بن أثال الحنفي ولحق باليامة ومنع الميرة عن أهل مكة وأخذهم الله تعالى بالسنين حتى أكلوا العلهز جاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ فقال له أنشدك الله والرحم ألسنت تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين قال بلى فقال قتلته الآباء بالسيف والابناء بالجوع فزلت والمعنى لو كشفنا عنهم ما أصابهم من القحط والهزال برحمتنا إياهم ووجدوا الخصب لارتدوا إلى ما كانوا عليه من الإفراط في الكفر والاستكبار ولذهب عنهم هذا التعلق والإبلاس وقد كان كذلك وقوله تعالى (ولقد أخذناهم بالعذاب) استئناف مسوق للاستشهاد على مضمون الشرطية والمراد بالعذاب ما نالههم يوم بدر من القتل والأسر وما أصابهم من فنون العذاب التي من جملتها القحط المذكور واللام جواب قسم محذوف أى وبالله لقد أخذناهم بالعذاب (فما استكانوا الربهم) بذلك أى لم يخضعوا ولم يتذللوا على أنه لما استفعال من الكون لأن الخاضع ينتقل من كون إلى كون أو افتعال من السكون قد أشبعت فتحته كمتزاح في متزح بل أقاموا على ما كانوا عليه من العتو والاستكبار وقوله تعالى (وما يتضرعون) اعتراض مقرر لمضمون ما قبله أى وليس من عادتهم التضرع إليه تعالى (حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد) هو عذاب الآخرة كما ينهى عنه النهو بل يفتح الباب والوصف بالشدة وقرئ فتحنا بالشديد (إذا هم فيه مبلسون) أى متحيرون آيسون من كل خير أى محامهم بكل محنة من القتل والأسر والجوع وغير ذلك فما روى منهم لين مقادة وتوجه إلى الإسلام قط وأما ما أظهره أبو سفيان فليس من الاستكانة له تعالى والتضرع إليه تعالى فى شيء وإنه هو نوع خنوع إلى أن يتم غرضه لحاله كما قيل إذا جاع ضغوا وإذا شبع طغوا وأكثرهم مستمررون على ذلك إلى أن يروا عذاب الآخرة فحينئذ يبلسون وقيل المراد بالباب الجوع فإنه أشد وأعم من القتل والأسر والمعنى أخذناهم أولاً بما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأمرهم فما وجد منهم تضرع واستكانة حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذى هو أطم وأنتم فأبلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجماع أعتامهم وأشدهم شكيمة في العناد يستعطفك والوجه هو الأول (وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار) لنشاهدوا بها الآيات التنزيلية والنكوبية (والأفئدة) لتتفكروا بها ما تشاهدونه وتعتبروا اعتباراً لا نفقاً (قليلًا ما تشكرون) أى شكراً قليلاً غير معتد به تشكرون تلك النعم الجليلة لما أن العمدة في الشكر صرف تلك القرى التي هي في أنفسها نعم باهرة إلى ما خلقت هي له وأنتم تخلون بذلك إخلالاً عظيماً.

وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ ٢٣ المؤمنون

وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ ٢٣ المؤمنون

بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالِ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ ٢٣ المؤمنون

قَالُوا إِذْ دَامَتْنَا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْلَمًا إِنْنا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ ٢٣ المؤمنون

لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ ٢٣ المؤمنون

قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ ٢٣ المؤمنون

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ ٢٣ المؤمنون

- (وهو الذي ذرأكم في الأرض) أى خلقكم وبشكم فيها بالتناسل (وإليه تحشرون) أى تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم لا إلى غيره فما لكم لا تؤمنون به ولا تشكرونه (وهو الذي يحيى ويميت) من غير أن يشاركه فى ذلك شئ من الأشياء (وله) خاصة (اختلاف الليل والنهار) أى هو المؤثر فى اختلافهما أى تعافيهما أو اختلافهما ازدياداً وانتقاصاً أو لأمرو وقضائه اختلافهما (أفلا تعقلون) أى ألا تفكرون فلا تعقلون أو أن تفكرون فلا تعقلون بالنظر والتأمل أن الكل منا وأن قدرتنا تعم جميع الممكنات التى من جملتها البعث وقرئ يعقلون على أن الالتفات إلى الغيبة لحكاية سوء حال المخاطبين لغيرهم وقيل على أن الخطاب الأول لتغليب المؤمنين وليس بذلك (بل قالوا) عطف على مضمير يقتضيه المقام أى فلم يعقلوا بل قالوا (مثل ما قال الأولون) أى آباؤهم ومن دان بدينهم (قالوا أنذا متنا وكنا تراباً وعظماً أنما لمبعوثون) تفسير لما قبله من المبهم وتفصيل لما فيه من الإجمال وقد مر الكلام فيه (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا) أى البعث (من قبل) متعلق بالفعل من حيث إسناده إلى آباءهم لا إلههم أى ووعد آباؤنا من قبل أو بمحذوف وقع حالا من آباؤنا أى كائنين من قبل (إن هذا) أى ما هذا (إلا أساطير الأولين) أى أكاذيبهم التى سطرها جمع أسطورة كحدوثه وأعجوبة وقيل جمع أسطار جمع سطر (قل لمن الأرض ومن فيها) من المخلوقات تغليباً للعقلاء على غيرهم (إن كنتم تعلمون) جوابه محذوف ثقة بدلالة الاستفهام عليه أى إن كنتم تعلمون شيئاً ما فأخبرونى به فإن ذلك كاف فى الجواب وفيه من المبالغة فى وضوح الأمر وفى تجهيلهم ما لا يخفى أو إن كنتم تعلمون ذلك فأخبرونى وفيه استهانة بهم وتقرير لجهلهم ولذلك أخبر بجهلهم قبل أن يجيبوا حيث قيل (سيقولون لله) لأن بدية العقل تضطرهم إلى الاعتراف بأنه تعالى خالقها (قل) أى عند اعترافهم بذلك تبكيتاً لهم (أفلا تذكرون) أى أنتم تعلمون ذلك أو أنقولون ذلك فلا تذكرون أن من فطر الأرض وما فيها ابتداء قادر على إعادتها ثانياً فإن البدء ليس بأهون من الإعادة

٢٣ المؤمنون

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّعْيِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾

٢٣ المؤمنون

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾

٢٣ المؤمنون

قُلْ مَنْ يَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾

٢٣ المؤمنون

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

٢٣ المؤمنون

بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾

٢٣ المؤمنون

مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى

٢٣ المؤمنون

بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾

- ٨٦ بل الأمر بالعكس في قياس العقول وقرىء تنذكرون على الأصل (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم) أعيد الرب تنويها لشأن العرش ورفعا لمحلّه عن أن يكون تبعاً للسموات وجوداً وذكراً ولقد روعي في الأمر بالسؤال النقيض من الأدنى إلى الأعلى (سيقولون لله) باللام نظراً إلى معنى السؤال فإن قولك من ربه ولما هو في معنى واحد وقرىء هو وما بعده بغير لام نظراً إلى لفظ السؤال (قل) إغماطاً لهم وتوبيخاً (أفلا تتقون) أي أتعدون ذلك ولا تقون أنفسكم عقابه بعدم العمل بموجب العلم حيث تكفرون به وتنكرون البعث وتثبتون له شريكاً في الربوبية (قل من يده ملكوت كل شيء) بما ذكر وما لم يذكر أي ملكه التام القاهر وقيل خزائنه (وهو يجير) أي يغيث غيره إذا شاء (ولا يجار عليه) أي ولا يغيث أحد عليه أي لا يمنع أحد منه بالنصر عليه (إن كنتم تعلمون) أي شيئاً ما أو ذلك فأجيبوني على ما سبق (سيقولون لله) أي لله ملكوت كل شيء وهو الذي يجير ولا يجار عليه (قل فأنى تسحرون) أي فمن أين تخدعون وتصرفون عن الرشد مع علمكم به إلى ما أنتم عليه من الغي فإن من لا يكون مسحوراً مختل العقل لا يكون كذلك (بل أتيناكم بالحق) الذي لا يحيد عنه من التوحيد والوعد بالبعث (وإلهم لكاذبون) فيما قالوا من الشرك وإنكار البعث (ما اتخذ الله من ولد) كما يقوله النصاري والقائلون إن الملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً (وما كان معه من إله) يشاركه في الألوهية كما يقوله عبدة الأوثان وغيرهم (إذن لذهب كل إله بما خلق) جواب لمخاجتهم وجزاء لشرط قد حذف لدلالة ما قبله عليه أي لو كان معه آلهة كما يزعمون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم التغالب والتجارب كما هو الجاري فيما بين الملوك (ولعلا بعضهم على بعض) فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء وهو باطل لا يقول به عاقل قط مع قيام البرهان على استناد جميع الممكنات إلى واجب الوجود واحد بالذات (سبحانه الله عما يصفون) أي يصفونه

٢٣ المؤمنون

عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾

٢٣ المؤمنون

قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِينِي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾

٢٣ المؤمنون

رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾

٢٣ المؤمنون

وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ ﴿٩٥﴾

٢٣ المؤمنون

ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾

٢٣ المؤمنون

وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾

- ٩٢ من أن يكون له أنداد وأولاد (عالم الغيب والشهادة) بالجر على أنه بدل من الجلالة وقيل صفة لها وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وأياً ما كان فهو دليل آخر على انتفاء الشريك بناء على توافقه في تفرده تعالى بذلك ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى (فتعالى عما يشركون) فإن تفرده تعالى بذلك موجب لتعاليه عن أن يكون له شريك (قل رب إماما تريني) أى إن كان لابد من أن تريني (ما يوعدون) من العذاب ٩٣ الدينوى المستأصل وأما العذاب الآخرى فلا يناسبه المقام (رب فلا تجعلني في القوم الظالمين) أى قريناً ٩٤ لهم فيما هم فيه من العذاب وفيه إيذان بكال فظاعة ما وعدوه من العذاب وكونه بحيث يجب أن يستعبد منه من لا يكاد يمكن أن يحيق به وورداً نكارهم إياه واستعجابهم به على طريقة الاستهزاء به وقيل أمر به ﷺ هضم نفسه وقيل لأن شؤم الكفرة قد يحيق بمن وراهم كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصبئ الذين ظلموا منكم خاصة وروى أنه تعالى أخبر نبيه ﷺ بأن له في أمته نقمة ولم يطلع على وقفها فأمره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل من الشرط والجزاء به لإبراز كمال الضراعة والابتهال (وإنا على أن نريك ما نعدهم) ٩٥ من العذاب (لقادرون) ولعننا توخره لعلنا بأن بعضهم أو بعض أعقابهم سيؤمنون أو لا نالنا نعدهم وأنت فيهم وقيل قد أراه ذلك وهو ما أصابهم يوم بدر أو فتح مكة ولا يخفى بعده فإن المتبادر أن يكون ما يستحقونه من العذاب الموعود عذاباً هائلاً مستأصلاً لا يظهر على يديه ﷺ للحكمة الداعية إليه (ادفع بالتي هي أحسن السيئة) وهو الصفح عما والإحسان في مقابلتها لكن لا بحيث يؤدي إلى وهن ٩٦ في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الأمر بالمعروف والسيئة المنكر وهو أبغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل وتقديم الجار والمجرور على المفعول في الموضعين للاهتمام (نحن أعلم بما يصفون) أى بما يصفونك به أو بوصفهم إياك على خلاف ما أنت عليه وفيه وعيد لهم بالجزاء والعقوبة وتسلية لرسول الله ﷺ وإرشاد له ﷺ إلى تفويض أمره إليه تعالى (وقول رب أعوذ بك من همزات الشياطين) أى وسأوسهم المغرية على خلاف ما أمرت به من المحاسن التي من جملتها

وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ٢٣ المؤمنون

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ ٢٣ المؤمنون

لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ٢٣ المؤمنون

فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ٢٣ المؤمنون

- دفع السيئة بالحسنة وأصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حشم للناس على المعاصي بهمز الرائض
 ٩٨ الدواب على الإسراع أو الوئب والجمع للترات أو لتتويع الوسواس أو لتعدد المضاف إليه (وأعوذ بك
 رب أن يحضرون) أمر ﷺ بأن يعوذ به تعالى من حضورهم بعد ما أمر بالعوذ من همزاتهم للبالغه
 في التحذير من ملاستهم وإعادة الفعل مع تكرير النداء لإظهار كمال الاعتناء بالمأمور به وعرض نهاية
 الابتهاال في الاستدعاء أي أعوذ بك من أن يحضروني ويحوموا حولي في حال من الأحوال وتخصيص
 حال الصلاة وقراءة القرآن كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وحال حلول الأجل كما روى
 ٩٩ عن عكرمة رحمه الله لأنها أخرى الأحوال بالاستعاذه منها (حتى إذا جاء أحدهم الموت) حتى هي التي
 يتبدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهي مع ذلك غاية لما قبلها متعلقة بيهفون وما بينهما
 اعتراض مؤكد للإغضاء بالاستعاذه به تعالى من الشياطين أن يزله ﷺ عن الحلم ويغروه على الانتقام
 لكن لا بمعنى أنه العامل فيه لفساد المعنى بل بمعنى أنه معمول لمخدوف يدل عليه ذلك وتعلقها بكاذبون
 في غاية البعد لفظاً ومعنى أي يستمرون على الوصف المذكور حتى إذا جاء أحدهم أي أحد كان الموت
 الذي لا مرد له وظهرت له أحوال الآخرة (قال) تحسراً على ما فرط فيه من الإيمان والطاعة (رب
 ارجعون) أي ردني إلى الدنيا والوالتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعني كما قيل في قفانك
 ١٠٠ ونظائره (لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت) أي في الإيمان الذي تركته لم ينظمه في سلك الرجاء كسائر الأعمال
 الصالحة بأن يقول لعلّي أومن فأعمل الخ الإشعار بأنه أمر مقرر الوقوع غنى عن الإخبار بوقوعه قطعاً
 فضلاً عن كونه مرجو الوقوع أي لعلّي أعمل في الإيمان الذي آتى به البتة عملاً صالحاً وقيل فيما تركته من
 المال أو من الدنيا وعنه ﷺ إذا عاب المؤمن الملائكة قالوا أنرجعك إلى الدنيا فيقول إلى دار الهموم
 والاحزان بل قدوماً إلى الله تبارك وتعالى وأما الكافر فيقول ارجعوني (كلا) ردع عن طلب الرجعة
 واستبعادها (إنها) أي قوله رب ارجعون الخ (كلمة هو قائلها) لا بحالة تسلط الحسرة عليه (ومن
 ورائهم) أي أمامهم والضمير لا أحدهم والجمع باعتبار المعنى لأنه في حكم كلمهم كما أن الأفراد في الضمائر
 الأول باعتبار اللفظ (برزخ) حائل بينهم وبين الرجعة (إلى يوم يبعثون) يوم القيامة وهو إقناط كلي
 عن الرجعة إلى الدنيا لما علم أنه لا رجعة يوم البعث إلى الدنيا وإنما الرجعة يودئذ إلى الحياة الآخروية
 ١٠١ (فإذا نفخ في الصور) لقيام الساعة وهي النفخة الثانية التي يقع عندها البعث والنشور وقيل المعنى فإذا نفخ

٢٣ المؤمنون

فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾

٢٣ المؤمنون

وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾

٢٣ المؤمنون

تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾

٢٣ المؤمنون

أَلَمْ تَكُنْ أَتَيْنِي نُتْقَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾

٢٣ المؤمنون

قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾

في الأجزاء الواحدة على أن الصور جمع الصورة لا القرن ويؤيده القراءة بفتح الواو وبه مع كسر الصاد (فلا أنساب بينهم) تنفعهم لزوال الزاحم والتعاطف من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفرار من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنه أو لا أنساب يفتخرون بها (يومئذ) كما هي بينهم اليوم (ولا يتساءلون) أي لا يسأل بعضهم بعضاً لا اشتغال كل منهم بنفسه ولا يناقضه قوله تعالى فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون لأن هذا عند ابتداء النفخة الثانية وذلك بعد ذلك (فمن ثقلت موازينه) موازنات حسناته من العقائد ١٠٢ والأعمال أي فمن كانت له عقائد صحيحة وأعمال صالحة يكون لها وزن وقدر عند الله تعالى (فأولئك هم المفلحون) الفائزون بكل مطلوب الساجون من كل مهروب (ومن خفت موازينه) أي ومن لم يكن له ١٠٣ من العقائد والأعمال ماله وزن وقدر عنده تعالى وهم الكفار لقوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً وقد مر تفصيل ما في هذا المقام من الكلام في تفسير سورة الأعراف (فأولئك الذين خسروا أنفسهم) ضيعوها بتضييع زمان استكمالها وأبطلوا استعدادها لنيل كمالها واسم الإشارة في الموضعين عبارة عن الموصول وجمعه باعتبار معناه كما أن أفراد الضميرين في الصلتين باعتبار لفظه (في جهنم خالدون) بدل من الصلة أو خبر ثان لا أولئك (تلفح وجوههم النار) تحرقها والفتح كالنفخ إلا أنه أشد تأثيراً منه وتخصيص ١٠٤ الوجوه بذلك لأنها أشرف الأعضاء فيبيان حالها أخرج عن المعاصي المؤدية إلى النار وهو السر في تقديمها على الفاعل (وهم فيها كالحون) من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين عن الأسنان وقرىء كالحون (ألم تكن آياتي تتلى عليكم) على إضمار القول أي يقال لهم تعنيفاً وتوبيخاً وتذكيراً لما به استحقوا ما ابتلوا ١٠٥ به من العذاب ألم تكن آياتي تتلى عليكم في الدنيا (فكنتم بها تكذبون) حينئذ (قالوا ربنا غلبت علينا) ١٠٦ أي ملكتنا (شقوتنا) التي اقترفناها بسوء اختيارنا كما ينبغي عنه إضافتها إلى أنفسهم وقرىء شقوتنا بالفتح وشقوتنا أيضاً بالفتح والكسر (وكنا) بسبب ذلك (قوماً ضالين) عن الحق ولذلك فعلنا ما فعلنا من التكذيب وهذا كما ترى اعتراف منهم بأن ما أصابهم قد أصابهم بسوء صنيعهم وأما ما قبل من أنه اعتذار منهم بغلبة ما كتب عليهم من الشقاوة الزلية فع أنه باطل في نفسه لما أنه لا يكتب عليهم من السعادة والشقاوة إلا ما علم الله تعالى أنهم يفعلونه باختيارهم ضرورة أن العلم تابع للمعلوم يردده قوله تعالى

٢٣ المؤمنون

رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾

٢٣ المؤمنون

قَالَ اخْسَعُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾

إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ٢٣ المؤمنون

٢٣ المؤمنون

فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِحْرًا حَتَّى أَنْسَوَكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾

٢٣ المؤمنون

إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا إِنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١١١﴾

٢٣ المؤمنون

قُلْ كَلَّ لَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدُ سِنِينَ ﴿١١٢﴾

- ١٠٧ (ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون) أى أخرجنا من النار وارجعنا إلى الدنيا فإن عدنا بعد ذلك إلى ما كنا عليه من الكفر والمعاصي فإنا متجاوزون الحد في الظلم ولو كان اعتقادهم أنهم مجبورون على ما صدر عنهم لما سألوا الرجعة إلى الدنيا ولما وعدوا الإيمان والطاعة بل قولهم فإن عدنا صريح في أنهم حينئذ على الإيمان والطاعة وإنما الموعود على تقدير الرجعة إلى الدنيا الثبات عليهما لا إحداثهما
- ١٠٨ (قال اخسعوا فيها) أى اسكنوا في النار سكوت هوان وذل وانزجروا وانزجروا الكلاب إذا زجرت من خسأت الكلب إذا زجرته فحسأ أى انزجر (ولا تكلمون) أى باستدعاء الإخراج من النار والرجوع إلى الدنيا وقيل لا تكلمون في رفع العذاب ويرده التعليل الآتي وقيل لا تكلمون رأساً وهو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك إلا الشبهق والزفير والعواء كعواء الكلب لا يفهمون ولا يفهمون ويرده الخطاب بالآنية قطعاً وقوله تعالى (إنه) تعليل لما قبله من الزجر عن الدعاء أى إن الشأن وقرئ بالفتح أى لأن الشأن (كان فريق من عبادي) وهم المؤمنون وقيل هم الصحابة وقيل أهل الصفة رضوان الله تعالى عليهم
- ١١٠ أجمعين (يقولون) في الدنيا (ربنا آمنا فاعف لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين) (فاتخذتموهم سحراً) أى اسكنوا عن الدعاء بقولكم بنا الخ لأنكم كنتم تستهزئون بالداعين بقولهم ربنا آمنا الخ وتشاغلون باستهزائهم (حتى أنسواكم) أى الاستهزاء بهم (ذكرى) من فرط اشتغالكم باستهزائهم (وكنتم منهم تضحكون) وذلك غاية الاستهزاء وقوله تعالى (إني جزيتهم اليوم) استنشاف لبيان حسن حالهم وأنهم انتفعوا بما آذوهم (بما صبروا) بسبب صبرهم على أذيتكم وقوله تعالى (أنهم هم الفائزون) ثاني مفعولى الجزاء أى جزيتهم فوزهم بجماع مراداتهم مخصوصين به وقرئ بكسر الهمزة على أنه تعليل للجزاء وبيان لكونه
- ١١٢ في غاية ما يكون من الحسن (قال) أى الله عز وجل أو الملك المأمور بذلك تذكيراً لما لبثوا فيها سألوا الرجوع إليه من الدنيا بعد التنبيه على استحالة بقوله اخسعوا فيها الخ وقرئ قل على الأمر للملك (كم لبتكم في الأرض) التى تدعون أن ترجعوا إليها (عدد سنين) تمييز لكم .

- ٢٣ المؤمنون قالوا لبئنا يوماً أو بعض يوم فسنل العادين ﴿١١٣﴾
- ٢٣ المؤمنون قل إن لبئتم إلا قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون ﴿١١٤﴾
- ٢٣ المؤمنون أخسبتم أنما خلقنكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون ﴿١١٥﴾
- ٢٣ المؤمنون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم ﴿١١٦﴾
- ٢٣ المؤمنون ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكفرون ﴿١١٧﴾

(قالوا لبئنا يوماً أو بعض يوم) استقصاراً لمدة لبئهم فيها (فاسأل العادين) أى المتمكنين من العد فإنما بما ١١٣
 دهمنا من العذاب بمعزل من ذلك أو الملائكة العادين لأعمار العباد وأعمالهم وقرى العادين بالتخفيف أى
 المعتدين فإنهم أيضاً يقولون ما نقول كأنهم الاتباع يسمون الرؤساء بذلك لظلمهم إياهم إضلالهم وقرى
 العاديين أى القدماء المعمرين فإنهم أيضاً يستقصرون مدة لبئهم (قال) أى الله تعالى أو الملك وقرى قل كما ١١٤
 سبق (إن لبئتم إلا قليلاً) تصديقاً لهم فى ذلك (لو أنكم كنتم تعلمون) أى تعلمون شيئاً أو لو كنتم من أهل
 العلم والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه أى لعلمتم يومئذ لعلكم لبئتم فيها كما علمتم اليوم ولعلمتم بوجه
 ولم تخلدوا إليهما (أخسبتم أنما خلقناكم عبثاً) أى ألم تعلموا شيئاً أخسبتم أنما خلقناكم بغير حكمة بالغة حتى ١١٥
 أنكرتم البعث فعبيثاً حال من نون العظمة أى عابثين أو مفعول له أى أنما خلقناكم للبعث (وأنكم إلينا
 لا ترجعون) عطف على أنما فإن خلقكم بغير بعث من قبيل العبث وإنما خلقناكم لتعيدكم ونجازيكم على
 أعمالكم وقرى ترجعون بفتح التاء من الرجوع (فتعالى الله) استعظام له تعالى ولشئونه التى تصرف ١١٦
 عليهم عبادته من البدء والإعادة والإثابة والعقاب بموجب الحكمة البالغة أى ارتفع بذاته وتزه عن مماثلة
 المخلوقين فى ذاته وصفاته وأحواله وأفعاله وعن خلوه أفعاله عن الحكيم والمصالح والغايات الحميدة (الملك
 الحق) الذى يحق له الملك على الإطلاق لإيجاداً وإعداماً بدءاً وإعادة إحياء وإماتة عقاباً وإثابة وكل ما سواه
 مملوك له مقهور تحت مملكته (لا إله إلا هو) فإن كل ما عداه عبده (رب العرش الكريم) فكيف
 بما تحته ومحاط به من الموجودات كائناتاً ما كان ووصفه بالكريم إما لأنه منه ينزل الوحي الذى منه القرآن
 الكريم أو الخير والبركة والرحمة أو لنسبته إلى أكرم الأكرمين وقرى الكريم بالرفع على أنه صفة الرب
 كفاً قوله تعالى ذو العرش المجيد (ومن يدع مع الله إلهاً آخر) يعبده فرداً أو إلهاً (لا برهان له به) ١١٧
 صفة لازمة لإله كقوله تعالى يطير بجناحيه جىء بها للأكيد وبناء الحكم عليه تنبيهاً على أن التدين بما
 لا دليل عليه باطل فكيف بما شهدت بديهة العقول بخلافه أو اعتراض بين الشرط والجزاء كقولك من

أحسن إلى زيد لا أحق منه بالإحسان فاقه مثيبه (فإنما حسابه عند ربه) فهو مجاز له على قدر ما يستحقه (إنه لا يفلح الكافرون) أى إن الشأن الخ وقرئ بالفتح على أنه تعليل أو خبر ومعناه حسابه عدم الفلاح والأصل حسابه أنه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لأن من يدع في معنى الجمع وكذلك حسابه أنه لا يفلح في معنى حسابهم أنهم لا يفلحون . بدأت السورة الكريمة بتقرير فلاح المؤمنين وختمت بنفى الفلاح عن الكافرين ثم أمر رسول الله ﷺ بالاستغفار والاسترحام فقليل (وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين) إيذاناً بأنهما من أهم الأمور الدينية حيث أمر به من قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكيف بمن عداه . عن النبي ﷺ من قرأ سورة المؤمنین بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وعنه ﷺ أنه قال لقد أنزلت على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر وروى أن أولها وآخرها من كنوز الجنة من عمل بثلاث آيات من أولها واتعظ بأربع من آخرها فقد نجا وأفلح .

٢٤ - سورة النور
(مدنية وهي أربع وستون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾
الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾

٢٤ النور

٢٤ النور

(سورة النور مدنية وهي اثنتان أو أربع وستون آية)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (سورة) خبر مبتدأ محذوف أى هذه سورة وإنما أشير إليها مع عدم سبق ذكرها لأنها باعتبار كونها في شرف الذكر في حكم الحاضر المشاهد وقوله تعالى (أنزلناها) مع ما عطف عليه صفات لها مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة من حيث الذات بالفخامة من حيث الصفات وأما كونها مبتدأ محذوف الخبر على أن يكون التقدير فيما أوحينا إليك سورة أنزلناها فيأباه أن مقتضى المقام بيان شأن السورة الكريمة لا أن في جملة ما أوحى إلى النبي ﷺ سورة شأنها كذا وكذا وحملها على السورة الكريمة بمعونة المقام يوم أن غيرها من السور الكريمة ليست على تلك الصفات وقرئ بالنصب على إضمار فعل يفسره أنزلناها فلا محل له حينئذ من الإعراب أو على تقدير اقرأ ونحوه أو دونك عند من يسوغ حذف أداة الإغراء فحمل أنزلنا النصب على الوصفية (وفرضاها) أى أوجبنا ما فيها من الأحكام إيجاباً قطعياً وفيه من الإيدان بغاية وكادة الفرضية ما لا يخفى وقرئ فرضناها بالتشديد لتأكيد الإيجاب أو لتعدد الفرائض أو لكثرة المفروض عليهم من السلف والخلف (وأنزلنا فيها) أى في تضاعيف السورة (آيات بينات) إن أريد بها الآيات التي نيطة بها الأحكام المفروضة وهو الأظهر فكونها في السورة ظاهر ومعنى كونها بينات وضوح دلالاتها على أحكامها لا على معانيها على الإطلاق فإنها أسوة لسائر الآيات في ذلك وتكرير أنزلنا مع استلزام إنزال السورة لإنزالها لإبراز كمال العناية بشأنها وإن أريد جميع الآيات فالظرفية باعتبار اشتمال الكل على كل واحد من أجزائه وتكرير أنزلنا مع أن جميع الآيات عين السورة وإنزالها عين إنزالها لاستقلالها بعنوان رائق داع إلى تخصيص إنزالها بالذكريات لخطر هاورها لمحلها كقوله تعالى ونجيناه من عذاب غليظ بعد قوله تعالى نجينا هوذا والذين آمنوا معه برحمة منا (لعلكم تذكرون) محذوف إحدى التامين وقرئ بإدغام الثانية في الذال أى تتذكرونها فتنعملون بموجبها عند وقوع الحوادث الداعية إلى إجراء أحكامها وفيه إيدان بأن حقها أن تكون على ذكر منهم بحيث متى مست الحاجة إليها استحضروها (الزانية والزاني) شروع في تفصيل ما ذكر من الآيات البينات وبيان أحكامها
- ٢

الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ﴿٣﴾

٢٤ النور

والزانية هي المرأة المطاوعة للزنا الممكنة منه كما تنهى عنه الصبيغة لا المازنية كرهاً وتقديمها على الزاني لأنها الأصل في الفعل لكون الداعية فيها أوفر ولولا تمكينها منه لم يقع ورفعها على الابتداء والخبر قوله تعالى (فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط إذ اللام بمعنى الموصول والتقدير التي زنت والذي زنى كما في قوله تعالى واللذان يأتيانها منكم فآذوهما وقيل الخبر محذوف أى فيما أنزلنا أو فيما فرضنا الزانية والزاني أى حكمهما وقوله تعالى فاجلدوا الخ بيان لذلك الحكم وكان هذا عامي حق المحصن وغيره وقد نسخ في حق المحصن قطعاً ويكفي في تعيين الناسخ القطع بأنه عليه السلام قد رجم ماعز وغيره فيكون من باب نسخ الكتاب بالسنة المشهورة وفي الإيضاح الرجم حكم ثبت بالسنة المشهورة المنفق عليها لحازت الزيادة بها على الكتاب وروى عن علي رضي الله عنه جلدتها بكتاب الله ورجمها بسنة رسول الله عليه السلام وقيل نسخ بآية منسوخة التلاوة هي الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ويأباه ما روى عن علي رضي الله عنه (ولا تأخذكم بهما رأفة) وقرئ بفتح الهمزة والمد أيضاً على فعالة أى رحمة ورقة (في دين الله) في طاعته وإقامته حده فتعطلوه أو تساحوا فيه وقد قال رسول الله عليه السلام لو سرق فاطمة بنت محمد لقطعت يدها (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) من باب النهي والإلهاب فإن الإيمان بهما يقتضى الجد في طاعته تعالى والاجتهاد في إجراء أحكامه وذكر اليوم الآخر لتذكير مافيه من العقاب في مقابلة المسامحة والتعطيل (وليشهد عذابهم طائفة من المؤمنين) أى لتحضره زيادة في التثكيل فإن التفضيح قد ينكل أكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن أن تكون حافة حول شيء من الطوف وأقلها ثلاثة كما روى عن قتادة وعن ابن عباس رضي الله عنهما أربعة إلى أربعين وعن الحسن عشرة والمراد جمع يحصل به التشهير والزجر (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكح إلا زان أو مشرك) حكم مؤسس على الغالب المعتاد جرى به لزجر المؤمنين عن نكاح الزواني بعد زجرهم عن الزنا بهن وقد رغب بعض من ضعفة المهاجرين في نكاح وسرات كانت بالمدينة من بغايا المشركين فاستأذنوا رسول الله عليه السلام في ذلك فنفر وأعنه ببيان أنه من أفعال الزناة وخصائص المشركين كأنه قيل الزاني لا يرغب إلا في نكاح إحداهما والزانية لا يرغب في نكاح إلا أحدهما فلا تحووا وأحواله كيلا تنتظموا في سلككم ما أو تسموا بسمتهما فيراد الجملة الأولى مع أن مناط التنفير هي الثانية إما للتعريض بقصرهم الرغبة عليهن حيث استأذنوا في نكاحهن أولئنا كيد العلاقة بين الجانبين مبالغة في الزجر والتنفير وعدم التعرض في الجملة الثانية للمشركة للتنبيه على أن مناط الزجر والتنفير هو الزنا لا مجرد الإشراف وإنما تعرض لها في الأولى إشباعاً في التنفير عن الزانية بنظمها في سلك المشركة (وحرم ذلك) أى نكاح الزواني (على المؤمنين) لما أن فيه من التشبيه بالفسقة والتعرض للتهمة والتسبب لسوء القالة والطعن في النسب واختلال

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾

٢٤ النور

أمر المعاش وغير ذلك من المفاسد مالا يكاد يليق بأحد من الآداني والآراذل فضلا عن المؤمنين ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة في الزجر وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرىء به والتحريم على حقيقته والحكم إما مختصر بسبب الزول أو منسوخ بقوله تعالى وأنكحوا الأيامي منكم فإنه متناول للمساخات ويؤيده ما روى أنه ﷺ سئل عن ذلك فقال أوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وما قيل من أن المراد بالنكاح هو الوطء بين البطلان (والذين يرمون المحصنات) بيان لحكم العفاف إذا نسب إلى الزنا بعد بيان حكم الزواني ويعتبر في الإحصان ههنا مع مدلوله الوضعي الذي هو العفة عن الزنا الحرية والبلوغ والإسلام وفي التعبير عن النفوة بما قالوا في حقهم بالرمي المنبئ عن صلابة الآلة وإيلام المرمي وبعده عن الرامي إيدان بشدة تأثيره فيهن وكونه رجماً بالغيب والمراد به رميهن بالزنا لا غير وعدم التصريح به للاكتفاء بإيرادهن عقيب الزواني ووصفهن بالإحصان الدال بالوضع على نزاهتهن عن الزنا خاصة فإن ذلك بمنزلة التصريح بكون رميهن به لا محالة ولا حاجة في ذلك إلى الاستشهاد باعتبار الأربعة من الشهداء على أن فيه مؤنة بيان تأخر نزول الآية عن قوله تعالى فاستشهدوا عليهن أربعة ولا بعدم وجوب الحد بالرمي بغير الزنا على أن فيه شبهة المصادرة كأنه قيل والذين يرمون العفاف المزهاة عما رمين به من الزنا (ثم لم يأتوا بأربعة شهداء) يشهدون عليهن بما رموهن به وفي كلمة ثم إشعار بجواز تأخير الإتيان بالشهود كما أن في كلمة لم إشارة إلى تحقيق العجز عن الإتيان بهم وتقرره خلافاً لاجتماع الشهود لا بد منه عند الأداء خلافاً للشافعي رحمه الله تعالى فإنه جوز التراخي بين الشهادات كما بين الرمي والشهادة ويجوز أن يكون أحدهم زوج المقدوفة خلافاً له أيضاً وقرىء بأربعة شهداء (فاجلدوهم ثمانين جلدَةً) لظهور كذبهم واقتراثهم بعجزهم عن الإتيان بالشهداء لقوله تعالى فإذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون وانتصاب ثمانين كانتصاب المصادر ونصب جلدَةً على التمييز وتخصيص رميهن بهذا الحكم مع أن حكم رمي المحصنين أيضاً كذلك لخصوص الواقعة وشيوع الرمي فيهن (ولا تقبلوا لهم شهادة) عطف على اجدوا داخل في حكمه تنمة له لما فيه من معنى الزجر لأنه مؤلم للقلب كما أن الجلد مؤلم للبدن وقد آذى المقدوف بلسانه فعوقب بأهدار منافعه جزاء وفاقا للام في لهم متعلقة بمحذوف هو حال من شهادة قدمت عليها الكونه انكراً ولو تأخرت عنها لكانت صفة لها وقائدها تخصيص الرد بشهادتهم الناشئة عن أهليتهم الثابتة لهم عند الرمي وهو السر في قبول شهادة الكافر المحدود في القذف بعد التوبة والإسلام لأنها ليست ناشئة عن أهليته السابقة بل عن أهلية حدثت له بعد إسلامه فلا يتناولها الرد فتدبر ودع عنك ما قيل من أن المسلمين لا يعباون بسبب الكفار فلا يلحق المقدوف بقذف الكافر من الشين والشار ما يلحقه بقذف المسلم فإن ذلك بدون ما مر من الاعتبار تعليل في مقابلة النص ولا يخفى حاله فالعنى لا تقبلوا منهم شهادة من الشهادات حال كونها

٢٤ النور

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ

٢٤ النور

بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾

حاصلة لهم عند الرمي (أبداً) أى مدة حياتهم وإن تابوا وأصلحوا لما عرفت من أنه تنمة للحد كأنه قبل فاجلدوهم وردوا وشهادتهم أى فاجمعوا لهم الجلد والرديف بقى كأمه (وأولئك هم الفاسقون) كلام مستأنف مقرر لما قبله ومبين لسوء حالهم عند الله عز وجل وما فى اسم الإشارة من معنى البعد للإيدان ببعدهم من منزلتهم فى الشر والفساد أى أولئك هم المحكوم عليهم بالفسق والخروج عن الطاعة والتجاوز عن الحدود الكاهلون فيه كأنهم هم المستحقون لإطلاق اسم الفاسق عليهم لا غيرهم من الفسقة وقوله تعالى (إلا الذين تابوا) استثناء من الفاسقين كما ينبىء عنه التعليل الآتى ومحل المستثنى النصب لأنه من موجب وقوله تعالى (من بعد ذلك) لتحويل المتوب عنه أى من بعد ما اقترفوا ذلك الذنب العظيم الهائل (وأصلحوا) أى أصلحوا أعمالهم التى من جملتها ما فرط منهم بالتلافى والتدارك ومنه الاستسلام للحد والاستحلال من المقذوف (فإن الله غفور رحيم) تعليل لما يفيد الاستثناء من العفو عن المؤاخذه بموجب الفسق كأنه قيل لحينئذ لا يؤاخذهم الله تعالى بما فرط منهم ولا ينظمهم فى سلك الفاسقين لأنه تعالى مبالغ فى المغفرة والرحمة هذا وقد علق الشافعى رحمه الله الاستثناء بالنهى فحمل المستثنى حينئذ الجرح على البدلية من الضمير فى لهم وجعل الأبد عبارة عن مدة كونه قاذفاً فتنتهى بالتوبة فتقبل شهادته بعدها (والذين يرمون أزواجهم) بيان لحكم الرامين لأزواجهم خاصة بعد بيان حكم الرامين لغيرهن لكن لا بأن يكون هذا مخصصاً للمحصنات بالأجنبيات ليلزم بقاء الآية السابقة ظنية فلا يثبت بها الحد فإن من شرائط التخصيص أن لا يكون المخصص متراخياً النزول بل بكونه ناسخاً لعمومها ضرورة تراخى نزولها كما سيأتى فتبقى الآية السابقة قطعية الدلالة فيما بقى بعد النسخ لما بين فى موضعه أن دليل النسخ غير معلل (ولم يكن لهم شهداء) يشهدون بما رموهن به من الزنا وقرىء بتأنيث الفعل (إلا أنفسهم) بدل من شهداء أو صفة لها على أن إلا بمعنى غير جعلوا من جملة الشهداء لإيداناً من أول الأمر بعدم إلغاء قولهم بالمرة ونظمه فى سلك الشهادة فى الجملة وبذلك ازداد حسن إضافة الشهادة إليهم فى قوله تعالى (فشهادة أحدهم) أى شهادة كل واحد منهم وهو مبتدأ وقوله تعالى (أربع شهادات) خبره أى فشهادتهم المشروعة أربع شهادات (بالله) متعلق بشهادات لقربها وقيل بشهادة لتقدمها وقرىء أربع شهادات بالنصب على المصدر والعامل فشهادة على أنه إما خبر لمبتدأ محذوف أى قالوا يجب شهادة أحدهم وإما مبتدأ محذوف الخبر أى فشهادة أحدهم واجبة (لأنه لمن الصادقين) أى فيما رماها به من الزنا وأصله على أنه الخ المحذوف الجار وكسرت إن وعلق العامل عنها للتأكيـد .

- وَالْخَمِيسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٧﴾ ٢٤ النور
- وَيَدْرُؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٨﴾ ٢٤ النور
- وَالْخَمِيسَةُ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ ٢٤ النور
- وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ٢٤ النور

- ٧ (والخامسة) أى الشهادة الخامسة للأربع المتقدمة أى الجماعة لها خمساً بانضمامها إليهن وإفرادها عنهن مع كونها شهادة أيضاً لاستقلالها بالفحوى ووكداتها فى إفادة ما يقصد بالشهادة من تحقيق الخبر وإظهار الصدق وهى مبتدأ خبره (أن لعنة الله عليه إن من الكاذبين) فيما رماها به من الزنا فإذا لاعن الزوج حبست الزوجة حتى تعترف فترجم أو تلعن (ويدرأ عنها العذاب) أى العذاب الدنيوى وهو الحبس المغيا
- ٨ على أحد الوجهين بالرجم الذى هو أشد العذاب (أن تشهد أربع شهادات بالله إنه) أى الزوج (لمن الكاذبين) أى فيما رمانى به من الزنا (والخامسة) بالنصب عطفًا على أربع شهادات (أن غضب الله عليها إن كان) أى الزوج (من الصادقين) أى فيما رمانى به من الزنا وقرئ والخامسة بالرفع على الابتداء وقرئ أن بالتخفيف فى الموضعين ورفع اللعنة والغضب وقرئ أن غضب الله وتخصيص الغضب بجانب المرأة للتغليظ عليها لما أنها مادة الفجور ولأن النساء كثيرًا ما يستعملن اللعن فرما يجترئن على النفوه به لسقوط وقعه عن قلوبهن بخلاف غضبه تعالى روى أن آية القذف لما نزلت قرأها رسول الله ﷺ على المنبر فقام عاصم بن عدى الأنصارى رضى الله عنه فقال جعلنى الله فداك إن وجد رجل مع امرأته رجلاً فأخبر جلد ثمانين وردت شهادته وفسق وإن ضربه بالسيف قتل وإن سكك سكك على غيط وإلى أن يحىء بأربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن أمية أو عويم فقال ما وراءك قال شر وجدت على امرأتى خولة وهى بنت عاصم شريك بن سحماه فقال والله هذا سؤالى ما أسرع ما تبليت به فرجعا فأخبر رسول الله ﷺ فكلّم خولة فأنكرت فنزلت فلاعن بينهما والفرقة الواقعة باللعان فى حكم التطليقة البائنة عند أبى حنيفة ومحمد رحمهما الله ولا يتأبد حكمها حتى إذا كذب الرجل نفسه بعد ذلك لحد جازله أن يتزوجا وعند أبى يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعى رحمهم الله هى فرقة بغير طلاق
- ١٠ توجب تحرماً مؤبداً ليس لهما اجتماع بعد ذلك أبداً (ولو لا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم) التفات إلى خطاب الرامين والمرميات بطريق التغليب لتوفية مقام الامتنان حقه وجواب لولا محذوف لنهويله والإشعار بضيق العبارة عن حصره كأنه قيل ولو لا تفضله تعالى عليكم ورحمته وأنه تعالى مبالغ فى قبول التوبة حكيم فى جميع أفعاله وأحكامه التى من جملتها ما شرع لكم من حكم اللعان لكان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان ومن جملة أنه تعالى لو لم يشرع لهم ذلك لوجب على الزوج حد القذف مع أن الظاهر صدق لانه أعرف بحال زوجته وأنه لا يفتري عليها الا شرا كهما فى الفضاحة وبعد ما شرع لهم ذلك لوجعل

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُم لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾

٢٤ التور

شهاداته موجهة لحد الزنا عليها لفات النظر لها ولو جعل شهاداتها موجهة لحد القذف عليه لفات النظر له ولا ريب في خروج الكل عن سنن الحكمة والفضل والرحمة فجعل شهادات كل منهما مع الجزم بكذب أحدهما حتما دارنة لما توجه إليه من الغائلة الدنيوية وقد ابتلى الكاذب منهما في تضاعيف شهاداته من العذاب بما هو أنعم مما درأته عنه وأطمع في ذلك من أحكام الحكم البالغة وآثار التفضل والرحمة ما لا يخفى أما على الصادق فظاهر وأما على الكاذب فهو إمهاله والستر عليه في الدنيا ودرء الحد عنه وتعريضه للتوبة حسبما ينبغي عنه

١١ التعرض لعنوان توابيته سبحانه ما أعظم شأنه وأوسع رحمته وأدق حكمته (إن الذين جاءوا بالإفك) أي بأبلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك وأصله الإفك وهو القلب لأنه مأفوك عن وجهه وسنته والمراد به ما أفك به الصديقة أم المؤمنين رضى الله عنها وفي لفظ الجحى إشارة إلى أنهم أظهروه من عند أنفسهم من غير أن يكون له أصل وذلك أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيتهم خرجت قرعتها استصحبها قالت عائشة رضى الله عنها فأقرع بيننا في غزوة غزاها قبل غزوة بنى المصطلق فخرج سهمي فخرجت معي ﷺ بعد نزول آية الحجاب فحملت في هودج فسرنا حتى إذا قفلنا ودنونا من المدينة نزلنا منزلاً ثم نودي بالرحيل فقممت وهديت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدرى فإذا عقدى من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتصته فحبسنى ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بى فاحتملوا هودجى فراحلوه على بعيرى وهم يحسبون أنى فيه لحفتى فلم يستنكروا خفة الهودج وذهبوا بالبعير ووجدت عقدى بعد ما استمرت الجيش فحنت منازلهم وليس فيها داع ولا محجب فتيممت منزلى وظننت أنى سيفقدوننى ويعودون فى طلبى فبينما أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فتمت وكان صفوان بن المعطل السلى من وراء الجيش فلما رآنى عرفنى فاستيقظت باسترجاعه فخرمت وجهى بجلابى ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فقممت إليها فركبتها وانطلق يقود بى الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين فى نحر الظهيرة وهم نزول وافتقدنى الناس حين نزلوا وماج القوم فى ذكرى فبينما الناس كذلك إذ هجمت عليهم نخاض الناس فى حديثى فهلك من هلك وقوله تعالى (عصبة منكم) خبر إن أى جماعة وهى من العشرة إلى الأربعين وكذا العصاة وهم عبد الله بن أبى وزيد بن رفاعه وحسان بن ثابت ومسطح بن أثانة وحمزة بن جحش ومن ساعدكم وقوله تعالى (لا تحسبوه شراً لكم) استئناف خوطب به رسول الله ﷺ وأبو بكر وعائشة وصفوان رضى الله عنهم تسلياً لهم من أول الأمر والضمير الإلك (بل هو خير لكم) لا كدسا بكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله عز وجل بإزال ثمانى عشرة آية فى نزاهة ساحتكم وتعظيم شأنكم وتشديد الوعيد فيمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيراً (لكل امرئ)

لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ ٢٤ النور

لَوْلَا جَاءَ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَافْوَكَ لَيْكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٤﴾ ٢٤ النور

منهم) أى من أولئك العصابة (ما كنتسب من الإثم) بقدر ما خاض فيه (والذى تولى كبره) أى معظمه وقرىء بضم الكاف وهى لغة فيه (منهم) من العصابة وهو ابن أبى فإنه بدأ به وأذاعه بين الناس عداوة لرسول الله ﷺ وقيل هو وحسان ومسطح فإنهما شايعا بالتصريح به فإفراد الموصول حينئذ باعتبار الفوج أو الفريق أو نحوهما (له عذاب عظيم) أى فى الآخرة أو فى الدنيا أيضاً فإنهم جلدوا وردت شهاداتهم وصار ابن أبى مطروداً مشهوداً عليه بالنفاق وحسان أعمى وأشل البدين ومسطح مكفوف البصر وفى التعبير عنه بالذى وتكرير الإسناد وتنكير العذاب ووصفه بالعظم من تهويل الخطاب مالا يخفى (لولا إذ سمعتموه) تلوين للخطاب وحرف له عن رسول الله ﷺ وذويه إلى الخائضين ١٢ بطريق الالتفات لتشديد مافى لولا التحضيضية من التوبيخ ثم العدول عنه إلى الغيبة فى قوله تعالى (ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً) لئلا كيد التوبيخ والتشنيع لكن لا بطريق الإعراض عنهم وحكاية جناياتهم اغيهم على وجه المثابة بل بالتوسل بذلك إلى وصفهم بما يوجب الإتيان بالمحضض عليه ويقتضيه اقتضاء تاماً وبزجرهم عن ضده زجراً بليغاً فإن كون وصف الإيمان بما يحملهم على إحسان الظن ويكفهم عن أسأته بأنفسهم أى بأبناء جنسهم النازلين منزلة أنفسهم كقوله تعالى ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وقوله تعالى ولا تلبسوا أنفسكم مما لا يب فيه فأخلاهم بموجب ذلك الوصف أقبج وأشنع والتوبيخ عليه أدخل مع مافيه من التوسل به إلى التصريح بتوبيخ الخائضات ثم إن كان المراد بالإيمان الإيمان الحقيقى فأجابه لما ذكر وأضحى والتوبيخ خاص بالمؤمنين وإن كان مطلق الإيمان الشامل لما يظهره المنافقون أيضاً فأجابه له من حيث إنهم كانوا يحتززون عن إظهار ما ينافى مدعاهم فالتوبيخ حينئذ متوجه إلى الكل وتوسيط الظرف بين لولا وفعلها لتخصيص التحضيض بأول زمان سماعهم وقصر التوبيخ على تأخير الإتيان بالمحضض عليه عن ذلك الآن والتردد فيه ليفيد أن عدم الإتيان به رأساً فى غاية ما يكون من القباحة والشناعة أى كان الواجب أن يظن المؤمنون والمؤمنات أول ماسمعه من اختراعه بالذات أو بالواسطة من غير تلعثم وتردد بمثلهم من أحاد المؤمنين خيراً (وقالوا) فى ذلك الآن (هذا إفك مبين) أى ظاهر مكشوف كونه إفكاً فكيف بالصديقة ابنة الصديق أم المؤمنين حرمة رسول الله ﷺ (لولا جاءوا عليه ١٣ بأربعة شهداء) إمامن تمام القول المحضض عليه مسوق لحث السامعين على إلزام المسمعين وتكذيبهم لئلا تكذيب ماسمعه منهم بقولهم هذا إفك مبين وتوبيخهم على تركه أى هلا جاء الخائضون بأربعة شهداء يشهدون على ما قالوا (فإذ لم يأتوا) بهم وإنما قيل (بالشهداء) لزيادة التقرير (فأولئك) إشارة إلى الخائضين ومافيه من معنى البعد للإبذان بغلوهم فى الفساد وبعد منزلتهم فى الشر أى أولئك المفسدون (عند الله) أى فى حكمه وشرعه المؤسس على الدلائل الظاهرة المتقنة (هم الكاذبون) الكاملون فى الكذب المشهود

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾

٢٤ النور

إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هِينًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾

٢٤ النور

وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ ٢٤ النور

- ١٤ عليهم بذلك المستحقون لإطلاق الاسم عليهم دون غيرهم ولذلك رتب عليه الحد خاصة وإما كلام مبتدأ مسوق من جهة تعالى للاحتجاج على كذبهم بكون ما قالوه قولاً لا يساعده الدليل أصلاً (ولولا فضل الله عليكم) خطاب للسامعين والمسموعين جميعاً (ورحمته في الدنيا) من فنون النعم التي من جملتها الإمهال للتوبة (والآخرة) من الآلاء التي من جملتها العفو والمغفرة بعد التوبة (لمسكم) عاجلاً (فيما أفضتم فيه) بسبب ما خضتم فيه من حديث الإفك والإبهام لتحويل أمره والاستمجان بذكره يقال أفاض في الحديث وخاض واندفع وهضب بمعنى (عذاب عظيم) يستحق دونه التوبيخ والجلد (إذ تلقونه) بحذف إحدى التاءين ظرف اللمس أي لمسكم ذلك العذاب العظيم وقت تلقيكم إياه من المخترعين (بالسنتكم) والتلقي والتلفظ والتلقن معان متقاربة خلاً أن في الأول معنى الاستقبال وفي الثاني معنى الخطف والأخذ بسرعة وفي الثالث معنى الحذف والمهارة وقرئ تلتقونه على الأصل وتلقونه من لقيه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من إلقاء بعضهم على بعض وتلقونه من الولق والإلقاء وهو الكذب وثقفونه من ثقفته إذا طلبته فوجدته وثقفونه أي تتبعونه (وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم) أي تقولون قولاً مخفياً بالأفواه من غير أن يكون له مصداق ومنشأ في القلوب لأنه ليس بتعبير عن علم به في قلوبكم كقوله تعالى يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم (وتحسبونه هيناً) سهلاً لا تبعه له أو ليس له كثير عقوبة (وهو عند الله) والحال أنه عنده عز وجل (عظيم) لا يقادر قدره في الوزر واستجرار العذاب (ولولا إذ سمعتموه) من المخترعين أو المشايخين لهم (قلتم) تكذيباً لهم وتهويلاً لما ارتكبوه (ما يكون لنا) ما يمكننا (أن نتكلم بهذا) وما يصدر عنا ذلك بوجه من الوجوه وحاصله نفي وجود التكلم به لأنفي وجوده على وجه الصحة والاستقامة والإنبغاء وهذا إشارة إلى مسمعوه وتوسيط الظرف بين لولا وقلتم ما مر من تخصيص التحضيض بأول وقت السماع وقصر التوبيخ واللوم على تأخير القول المذكور عن ذلك الآن ليفيد أنه المحتمل للوقوع المقتدر إلى التحضيض على تركه وأما ترك القول نفسه رأساً فما لا يترجم وقوعه حتى يحضض على فعله ويلام على تركه وعلى هذا ينبغي أن يحمل ما قيل إن المعنى إنه كان الواجب عليهم أن يتفادوا أول مسمعوا بالإفك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أمراً وجب التقديم وأما ما قيل من أن ظروف الأشياء منزلة منزلة أنفسهم لوقوعها فيها وأنها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا

٢٤ النور

يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾

٢٤ النور

وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾

إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾

٢٤ النور

- يتسع في غيرها فهي ضابطة ربما تستعمل فيما إذا وضع الظرف موضع المظروف بأن جعل مفعولا صريحا لفعل مذكور كما في قوله تعالى واذكروا إذ جعلكم خلفاء أومقدر كعامة الظروف المنصوبة بإخبار اذكروا أما ههنا فلا حاجة إليها أصلا لما تحققت أن مناط التقديم توجهه التخصيص إليه وذلك يتحقق في جميع متعلقات الفعل كما في قوله تعالى فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها (سبحانك) تعجب من تقوه به وأصله أن يذكرك عند معاينة العجيب من صنائعه تعالى تنزيها له سبحانه عن أن يصعب عليه أمثاله ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه أو تنزيه له تعالى عن أن تكون حرمة نبيه فاجرة فإن فجورها تنفير عنه ومغل بمقصود الزواج فيكون تقريراً لما قبله وتميذاً لقوله تعالى (هذا بهتان عظيم) لعظمة المبهوت عليه واستحالة صدقه فإن حقارة الذنوب وعظمتها باعتبار متعلقاتها (يعظمكم الله) أي يصححكم (أن تعودوا لمثله) أي كراهة أن تعودوا أو يجرمكم من أن تعودوا أو في أن تعودوا من قولك وعظنته في كذا فتركة (أبدأ) أي مدة حياتكم (إن كنتم مؤمنين) فإن الإيمان وازع عنه لاحالة وفيه تهبيج وتقريع (ويبين الله لكم الآيات) الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب دلالة واضحة لتنعظوا وتنادبوا بها أي ينزلها كذلك أي مبينة ظاهرة الدلالة على معانيها لا أنه يبينها بعد أن لم تكن كذلك وهذا كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل أي خلقهما صغيراً وكبيراً ومنه قولك ضيق فم الركبة ووسع أسفلها وإظهار الاسم الجليل في موقع الإخبار لتفخيم شأن البيان (والله عليم) بأحوال جميع مخلوقاته جلالاتها وقائتها (حكيم) في جميع تدابيرها وأفعاله فأنى يمكن صدق ما قيل في حق حرمة من اصطفاها لرسالاته وبعثه إلى كافة الخلق ليرشدهم إلى الحق ويزكيهم ويطهرهم تطهيراً وإظهار الاسم الجليل ههنا لتأكيد استقلال الاعتراض التذييلي والإشعار بعلو الألوهية للعلم والحكمة (إن الذين يحبون) أي يريدون ويقصدون (أن تشيع الفاحشة) أي تنتشر الخصلة المفرطة في القبح وهي الفرية والرمي الزنا أو نفس الزنا فالمراد بشيوعها شيوع خبرها أي يحبون شيوعها ويتصدون مع ذلك لإشاعتها وإنما لم يصرح بها ككتفاء بذكر المحبة فإنها مستتبعة له لاحالة (في الذين آمنوا) متعلق بتشيع أي تشيع فيما بين الناس وذكر المؤمنون لأنهم العمدة فيهم أو بمضمهر وحوال من الفاحشة فالمراد بعبارة عن المؤمنين خاصة أي يحبون أن تشيع الفاحشة كائنة في حق المؤمنون وفي شأنهم (لهم) بسبب ما ذكر (عذاب أليم في الدنيا) من الحذر وغيره مما يتفق من البلايا الدنيوية ولقد ضرب رسول الله ﷺ عبد الله بن أبي وحسانا ومسطحا حد القذف وضرب صفوان حمانا ضربة بالسيف وكف بصره

٢٤ النور

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ
بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ
يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾

٢٤ النور

(والآخرة) من عذاب النار وغير ذلك مما يعلمه الله عز وجل (والله يعلم) جميع الأمور التي من جملتها
ما في الضمائر من المحبة المذكورة (وأنتم لا تعلمون) ما يعلمه تعالى بل إنما تعلمون مظهر لكم من الأقوال
والأفعال المحسوسة فابتلوا أموركم على ما تعلمونه وعاقبوا في الدنيا على ما تشاهدونه من الأحوال الظاهرة
والله سبحانه هو المتولى للسرائر فيعاقب في الآخرة على ما تكنه الصدور هذا إذا جعل العذاب الآليم
في الدنيا عبارة عن حد القذف أو منتظما له كما أطبق عليه الجمهور أما إذا بقي على إطلاقه يراد بالمحبة نفسها
من غير أن يقارنها التصدي للإشاعة وهو الأنسب بسياق النظم الكريم فيكون ترتيب العذاب عليها
تنبيها على أن عذاب من يباشر الإشاعة ويتولاها أشد وأعظم ويكون الاعتراض التذييل أعنى قوله تعالى
والله يعلم وأنتم لا تعلمون تقريراً لثبوت العذاب الآليم لهم وتعليلاً له (ولولا فضل الله عليكم ورحمته)
تكرير للمنة بترك المعالجة بالعقاب للتنبيه على كمال عظم الجريمة (وأن الله رءوف رحيم) عطف على فضل
الله وإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والإشعار باستنباع صفة الألوهية للرأفة والرحمة وتغيير سبكه
وتصديده بحرف التحقيق لما أن بيان انصافه تعالى في ذاته بالرأفة التي هي كمال الرحمة والرحيمية التي هي
المبالغة فيها على الدوام والاستمرار لا يبان حدوث تعلق رأفته ورحمته بهم كما أنه المراد بالمعطوف عليه
٢١ وجواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه (بأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) أي لا تسلكوا
مسالكه في كل ما نأتون وما تذكرون من الأفاعيل التي من جملتها إشاعة الفاحشة وحبها وقرىء خطوات
بسكون الطاء وبفتحها أيضاً (ومن يتبع خطوات الشيطان) وضع الظاهران موضع ضميريهما حيث لم يقل
ومن يتبعهما أو ومن يتبع خطواته لزيادة التقرير والمبالغة في التنفير والتحذير (فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر)
علة للجزاء وضعت موضعه كأنه قيل فقد ارتكب الفحشاء والمنكر لأن دأبه المستمر أن يأمر بهما فن
اتبع خطواته فقد امتثل بأمره قطعاً والفحشاء ما أفرط قبحه كالفاحشة والمنكر ما ينكره الشرع وضمير
إنه للشيطان وقيل للشأن على رأي من لا يوجب عود الضمير من الجملة الجزائية إلى اسم الشرط أو على أن
الأصل يأمره وقيل هو عائذ إلى من أي فإن ذلك المتبع يأمر الناس بهما لأن شأن الشيطان هو الإضلال
فمن اتبعه يترقى من رتبة الضلال والفساد إلى رتبة الإضلال والإفساد (ولولا فضل الله عليكم ورحمته)
بما من جلته هاتيك البيانات والتوفيق للتوبة الماحضة للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها (مازكا) أي
ما طهر من دنسها وقرىء ما زكى بالتشديد أي ما طهر الله تعالى ومن في قوله تعالى (منكم) بيانية وفي قوله

وَلَا يَأْتِلْ أُولَؤُلَا أَتَفْضِلُ مِنْكَ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ٢٤ النور
 إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ
 عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ٢٤ النور

تعالى (من أحد) زائدة وأحد في حيز الرفع على الفاعلية على القراءة الأولى وفي محل النصب على المفعولية
 على القراءة الثانية (أبدأ) لا إلى نهاية (ولكن الله يزكى) يطهر (من يشاء) من عباده بإضافة آثار
 فضله ورحمته عليه وحمله على التوبة ثم قبولها منه كما فعل بكم (والله سميع) مبالغ في سماع الأقوال التي من
 جملتها ما أظهره من التوبة (عليم) بجميع المعلومات التي من جملتها نياتهم وفيه حث لهم على الإخلاص
 في التوبة وإظهار الاسم الجليل للإيدان باستدعاء الألوهية للسمع والعلم مع ما فيه من تأكيد استقلال
 الاعتراض التذليل (ولا يأتل) أي لا يحلف افتعال من الآلية وقيل لا يقصر من الأول والأول هو الأظهر ٢٢
 لزوله في شأن الصديق رضى الله عنه حين حلف أن لا ينفق على مسطح بعد وكان ينفق عليه لكونه ابن
 خالته وكان من فقراء المهاجرين ويعضده قراءة من قرأ ولا يتأل (أولو الفضل منكم) في الدين وكفى به
 دليلاً على فضل الصديق رضى الله تعالى عنه (والسعة) في المال (أن يؤتوا) أي على أن لا يؤتوا وقرئ
 بناء الخطاب على الالتفات (أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله) صفات لموصوف واحد
 جرى بها بطريق العطف تنبيهاً على أن كلا منها علة مستقلة لاستحقاقه الإيتاء وقيل لموصوفات أقيمت
 هي مقامها وحذف المفعول الثاني لغاية ظهوره أي على أن لا يؤتوه شيئاً (وليعفوا) ما فرط منهم
 (وليصفحوا) بالإغضاء عنه وقد قرئ الأمران بناء الخطاب على وفق قوله تعالى (ألا تحبون أن يغفر
 الله لكم) أي بمقابلة عفوك وصفحككم وإحسانكم إلى من أساء إليكم (والله غفور رحيم) مبالغ في
 المغفرة والرحمة مع كمال قدرته على المؤاخذه وكثرة ذنوب الداعية إليها وفيه ترغيب عظيم في العفو
 ووعد كريم بمقابلته كأنه قيل ألا تحبون أن يغفر الله لكم فهذا من موجباته روى أنه ﷺ قرأها
 على أبي بكر رضى الله عنه فقال بلى أحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح نفقته وقال والله لا أنزعها أبداً
 (إن الذين يرمون المحصنات) أي العفاف بما رمين به من الفاحشة (الغافلات) عنها على الإطلاق بحيث ٢٣
 لم يخطر ببالهن شيء منها ولا من مقدماتها أصلاً فقيها من الدلالة على كمال النزاهة ما ليس في المحصنات أي
 السليكات الصدور التقيات القلوب عن كل سوء (المؤمنات) أي المنتصفت بالإيمان بكل ما يجب أن يؤمن
 به من الواجبات والمحظورات وغيرها إيماناً حقيقياً تفصيلاً كما ينبغي عنه تأخير المؤمنات عما قبلها مع أصالة
 وصف الإيمان فإنه للإيدان بأن المراد بها المعنى الوصفي المعرب عما ذكر لا المعنى الاسمي المصحح لإطلاق
 الاسم في الجملة كما هو المتبادر على تقدير التقديم والمراد بها عائشة الصديقة رضى الله عنها والجمع باعتبار

٢٤ النور

يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾

٢٤ النور

يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمْ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾

أن رمها رمى لسائر أمهات المؤمنين لاشتراك الكل في العصمة والزاهة والانتساب إلى رسول الله ﷺ كما في قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين ونظائره وقيل أمهات المؤمنين فيدخل فيهن الصديقة دخولا أولياً وأما ما قيل من أن المراد هي الصديقة والجمع باعتبار استتباعها للمتصفات بالصفات المذكورة من نساء الأمة فيأباه أن العقوبات المترتبة على رمى هؤلاء عقوبات مختصة بالكفار والمنافقين ولا ريب في أن رمى غير أمهات المؤمنين ليس بكفر فيجب أن يكون المراد إياهن على أحد الوجهين فإنهن قد خصصن من بين سائر المؤمنات فجعل رميهن كفراً إرزاذاً لكرامتهن على الله عز وجل وحماية لحق الرسالة من أن يحوم حوله أحد بسوء حتى أن ابن عباس رضى الله عنهما جعله أغلظ من سائر أفراد الكفر حين سئل عن هذه الآيات فقال من أذنب ذنباً ثم تاب منه قبلت توبته إلا من خاض في أمر عائشة رضى الله عنها وهل هو منه رضى الله عنه إلا أنهويل أمر الإفك والتنبيه على أنه كفر غليظ (لعنوا) بما قالوه في حقهن (في الدنيا والآخرة) حيث يلعنهم اللاعنون من المؤمنين والملائكة أبداً (ولهم) مع ما ذكر من اللعن الأبدي (عذاب عظيم) هائل لا يقادر قدره لغاية عظم ما اقترفوه من الجناية وقوله تعالى (يوم تشهد عليهم) الخ إما متصل بما قبله مسوق لتقرير العذاب المذكور بتعيين وقت حلوله وتهويله ببيان ظهور جنائياتهم الموجبة له مع سائر جنائياتهم المستتعبة لعقوباتها على كيفية هائلة وهيئة خارقة للعادات فيوم ظرف لما في الجوار والمجور المتقدم من معنى الاستقرار للعذاب وإن أغضينا عن وصفه لإخلاله بجزالة المعنى وإما منقطع عنه مسوق لتهويل اليوم بتهويل ما يحويه على أنه ظرف لفعل مؤخر قد ضرب عنه الذكر صفحاً للإبذان بقصور العبارة عن تفصيل ما يقع فيه من الطامة التامة والداية العامة كأنه قيل يوم تشهد عليهم (ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) يكون من الأحوال والأحوال مالا يحيط به حيلة المقال على أن الموصول المذكور عبارة عن جميع أعمالهم السيئة وجنائياتهم القبيحة لاعت جنائياتهم المعهودة فقط ومعنى شهادة الجوارح المذكورة بها أنه تعالى ينطقها بقدرته فتخبر كل جراحة منها بما صدر عنها من أفعال صاحبها لا أن كلامها يخبر بجنائياتهم المعهودة فحسب والموصول المحذوف عبارة عنها وعن فنون العقوبات المترتبة عليها كافة لاعت إحداها خاصة فقيه من ضروب التهويل بالإجمال والتفصيل مالا مزيد عليه وجعل الموصول المذكور عبارة عن خصوص جنائياتهم المعهودة وحمل شهادة الجوارح على إخبار الكل بها فقط تحجيراً للواسع وتهوين لآمر الوازع والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرارهم عليها في الدنيا وتقديم عليهم على الفاعل للسارة إلى بيان كون الشهادة ضارة لهم مع ما فيه من التشويق إلى المؤخر كما مر مراراً وقوله تعالى (يومئذ يوفيه الله دينهم الحق) أي يوم إذ تشهد جوارحهم بأعمالهم القبيحة يعطيهم الله تعالى جزاءهم الثابت الذي يحقق أن يثبت

الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ
مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾

٢٤ النور

لهم لا محالة وإفياً كاملاً كلام مبتدأ مسوق لبيان ترتيب حكم الشهادة عليها متضمن لبيان ذلك المبهم المحذوف على وجه الإجمال ويجوز أن يكون يوم يشهد ظرقاً ليوافقهم ويومئذ بدلاً منه وقيل هو منصوب على أنه مفعول لفعل مضمر أى اذكر يوم تشهد بالتذكير للفصل (ويعلمون) عند معاينتهم الأهل والخطوب حسبما نطق به القرآن الكريم (أن الله هو الحق) الثابت الذى يحق أن يثبت لا محالة فى ذاته وصفاءه وأفعاله التى من جملتها كلفانه التامات المنبئة عن الشئون التى يشاهدونها منطبقه عليها (المبين) المظاهر للأشياء كما هى فى أنفسها أو الظاهر أنه هو الحق وتفسيره بظهور ألوهيته تعالى وعدم مشاركة الغير له فيها وعدم قدرة ما سواه على الثواب والعقاب ليس له كثير مناسبة للمقام كما أن تفسير الحق بذى الحق البين أى العادل الظاهر عدله كذلك ولو تتبعمت ما فى الفرقان المجيد من آيات الوعيد الواردة فى حق كل كفار مرید وجبار عنيد لا تجد شيئاً منها فوق ما نيك القوارع المشحونة بفنون التهديد والتشديد وما ذاك إلا لإظهار منزلة النبي ﷺ فى علو الشأن والنباهة وإبراز رتبة الصديقة رضى الله عنها فى العفة والزاهة وقوله تعالى (الخبيثات) الخ كلام مستأنف مسوق على قاعدة السنة الإلهية الجارية فيما بين الخلق على موجب أن ٢٦ لله تعالى ملكا يسوق الأهل إلى الأهل أى الخبيثات من النساء (للخبِيثِينَ) من الرجال أى مختصات بهم لا يكدن يتجاوزنهم إلى غيرهم على أن اللام للاختصاص (والخبِيثُونَ) أيضاً (للخبِيثَاتِ) لأن المجامسة من دواعى الانضمام (والطيبات) منهن (للطيبين) منهم (والطيبون) أيضاً (للطيبات) منهن بحيث لا يكادون يجاوزوهن إلى من عداهن وحيث كان رسول الله ﷺ أطيّب الأطيبين وخيرة الأولين والآخرين تبين كون الصديقة رضى الله عنها من أطيّب الطيبات بالضرورة واتضح بطلان ما قيل فى حقها من الخرافات حسبما نطق به قوله تعالى (أولئك مبرءون مما يقولون) على أن الإشارة إلى أهل البيت المنتظمين للصديقة انتظاماً أولاً وقيل إلى رسول الله ﷺ والصديقة وصفوان وما فى اسم الإشارة من معنى البعد للإيذان بعلو رتبة المشار إليهم وبعد منزلتهم فى الفضل أى أولئك الموصوفون بعلو الشأن مبرءون مما نقوله أهل الإفك فى حقهم من الأكاذيب الباطلة وقيل الخبيثات من القول للخبِيثِينَ من الرجال والنساء أى مختصة ولائقة بهم لا ينبغى أن تقال فى حق غيرهم وكذا الخبيثون من الفريقين أحفاء بأن يقال فى حقهم خبائث القول والطيبات من الكلام للطيبين من الفريقين مختصة وحقبة بهم وهم أحفاء بأن يقال فى شأنهم طيبات الكلام أولئك الطيبون مبرءون مما يقول الخبيثون فى حقهم فآله تنزيه الصديقة أيضاً وقيل خبيثات القول مختصة بالخبِيثِينَ من فريقى الرجال والنساء لا تصدر عن غيرهم والخبِيثُونَ من الفريقين مخصون بخبائث القول متعرضون لها والطيبات من الكلام للطيبين من الفريقين أى مختصة بهم لا تصدر عن غيرهم والطيبون من الفريقين مخصون بطيبات الكلام لا يصدر عنهم غيرها أولئك الطيبون مبرءون مما يقول الخبيثون من

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾

٢٤ النور

فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَآرْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾

٢٤ النور

الحجائب أى لا يصدر عنهم مثل ذلك فآله تنزيه القائلين سبحانه هذا بهتان عظيم (لهم مغفرة) عظيمة لما لا يخلو عنه البشر من الذنوب (ورزق كريم) هو الجنة (بأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم) إثر ما فصل الزواجر عن الزنا وعن رمى العفاف عنه شرع في تفصيل الزواجر عما عسى يؤدى إلى أحدهما من مخالطة الرجال والنساء ودخولهم عليهم في أوقات الخلوات وتعليم الآداب الجميلة والأفاعيل المرضية المستتبعة لسعادة الدارين ووصف البيوت بمغارة بيوتهم خارج مخرج العادة التى هى سكنى كل أحد في ملكه وإلا فالماجر والمعير أيضاً منهيان عن الدخول بغير إذن وقرىء بيوتاً غير بيوتكم بكسر الباء لأجل الياء (حتى تستأنسوا) أى تستأذنوا من يملك الإذن من أصحابها من الاستئناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء إذا أبصره فإن المستأنس مستعلم للحال مستكشف أنه هل يؤذن له أو من الاستئناس الذى هو خلاف الاستيحاش لما أن المستأذن مستوحش خائف أن لا يؤذن له فإذا أذن له استأنس (وتسلموا على أهلها) عند الاستئذان روى عن النبي ﷺ أن التسليم أن يقول السلام عليكم أَدْخَلَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَإِنْ أذِنَ لَهُ دَخَلَ وَإِلَّا رَجَعَ (ذالكم) أى الاستئذان مع التسليم (خير لكم) من أن تدخلوا بغتة أو على تحية الجاهلية حيث كان الرجل منهم إذا أراد أن يدخل بيتاً غير بيته يقول حينئذ صباحاً حينئذ مساءً فيدخل فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف وروى أن رجلاً قال للنبي ﷺ أَسْتَأْذِنُ عَلَى أُمِّي قَالَ لَهُ نَعَمْ قَالَ لَيْسَ لَهَا خَادِمٌ غَيْرِي أَسْتَأْذِنُ عَلَيْهَا كَمَا دَخَلْتُ قَالَ ﷺ أَتُحِبُّ أَنْ تَرَاهَا عُرْيَانَةً قَالَ لَا قَالَ ﷺ فَاسْتَأْذِنْ (لعلكم تذكرون) متعلق بمضمر أى أمرتم به أو قيل لكم هذا كي تتذكروا وتتعضوا وتعملوا بموجبه (فإن لم تجدوا فيها أحداً) أى ممن يملك الإذن على أن من لا يملكه من النساء والولدان وجدانه كفقده أو أحداً أصلاً على أن مدلول النص الكريم عبارة هو النهى عن دخول البيوت الحالية ما فيه من الإطلاع على ما يعتاد الناس إخفاءه مع أن التصرف في ملك الغير محظور مطلقاً وأما حرمة دخول ما فيه النساء والولدان فثابتة بدلالة النص لأن الدخول حيث حرم مع ما ذكر من العلة فلأن يحرم عند انضمام ما هو أقوى منه إليه أعنى الإطلاع على العورات أولى (فلا تدخلوها) واصبروا (حتى يؤذن لكم) أى من جهة من يملك الإذن عند إتيانه ومن فسر به قوله حتى يأتي من يأذن لكم أو حتى تجدوا من يأذن لكم فقد أبرز القطعي في معرض الاحتمال ولما كان جعل النهى مغنياً بالإذن عما يوم الرخصة في الانتظار على الأبواب مطلقاً بل في تكرير الاستئذان ولو بعد الرد دفع ذلك بقوله تعالى (وإن قيل لكم آرجعوا فارجعوا) أى إن

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾

٢٤ النور

قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾

٢٤ النور

أمرتم من جهة أهل البيت بالرجوع سواء كان الأمر من يملك الإذن أولاً فارجعوا ولا تلجوا بتكرير الاستئذان كما في الوجه الأول ولا تلجوا بالإصرار على الانتظار إلى أن يأتي الإذن كما في الثاني فإن ذلك مما يجلب الكراهة في قلوب الناس ويقدم في المروءة أي قدح (هو) أي الرجوع (أزكى لكم) أي أظهر مما لا يتخلو عنه اللج والعناد والوقوف على الأبواب من دنس الدنائة والردالة (والله بما تعملون عليم) فيعلم ما تأتون وما تذكرون مما كلفتموه فيجازيكم عليه (ليس عليكم جناح أن تدخلوا) أي بغير استئذان (بيوتاً ٢٩ غير مسكونة) أي غير موضوعة لسكنى طائفة مخصوصة فقط بل ليتمتع بها من يضطر إليها كائناً من كان من غير أن يتخذها سكناً كالربط والخانات والخوانيت والحمامات ونحوها فإنها معدة لمصالح الناس كافة كما ينبغي عنه قوله تعالى (فيها متاع لكم) فإنه صفة للبيوت أو استئناس جار مجرى التعليل لعدم الجناح أي فيها حق تمتع لكم كالأستكنان من الحروب والبرد وإيواء الأمتعة والرجال والشراء والبيع والاختصال وغير ذلك مما يليق بحال البيوت ودخلها فلا بأس بدخولها بغير استئذان من داخلها من قبل ولا ممن يتولى أمرها ويقوم بتدبيرها من قوام الرباطات والخانات وأصحاب الخوانيت ومتصرفي الحمامات ونحوهم ويروى أن أبا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله إن الله تعالى قد أنزل عليك آية في الاستئذان وإنما تختلف في تجارتنا فننزل هذه الخانات أفلا ندخلها إلا بإذن فزلت وقيل هي الخرابات يتبرز فيها والمتاع التبرز والظاهر أنها من جملة ما ينظمه البيوت لأنها المرادة فقط وقوله تعالى (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) وعيد لمن يدخل مدخلا من هذه المداخل لفساد أو إطلاع على عورات (قل للمؤمنين) شروع في بيان ٣٠ أحكام كلية شاملة للمؤمنين كافة يندرج فيها حكم المستأذنين عند دخولهم البيوت اندراجاً أولياً وتلويح الخطاب وتوجيهه إلى رسول الله ﷺ وتفويض ما في حيزه من الأوامر والنواهي إلى رآيه ﷺ لأنها تكاليف متعلقة بأمور جزئية كثيرة الوقوع حقيقة بأن يكون الأمر بهار المتصدي لتدبيرها حافظاً ومهيئاً عليهم ومفعول الأمر أمر آخر قد حذف تعويلاً على دلالة جوابه عليه أي قل لهم غضوا (يغضوا من أبصارهم) عما يحرم ويقتصر وابه على ما يحل (ويحفظوا فروجهم) إلا على أزواجهم أو مملكتهم أي أيمانهم وتقييد الغض بمن التبعيضية دون الحفظ لما في أمر النظر من السعة وقيل المراد بالحفظ هي خاصة هو الستر (ذلك) أي ما ذكر من الغض والحفظ (أزكى لهم) أي أظهر لهم من دنس الريبة (إن الله خبير بما يصنعون) لا يخفى عليه شيء مما يصدر عنهم من الأفاعيل التي من جملتها إجمالة النظر واستعمال سائر الحواس وتحريك ٢٢ - أبي السعود ج ٦

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا
وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ
أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوَاتِرِ
النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

٢٤ النور

٣١ الجوارح وما يقصدون بذلك فليكونوا على حذر منه في كل ما يأتون وما يندرون (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) فلا ينظرن إلى ما لا يحل لهن النظر إليه (ويحفظن فروجهن) بالتستر أو التصون عن الزنا وتقديم الغض لأن النظر ريد الزنا ورائد الفساد (ولا يبدين زينتهن) كالخلى وغيرها مما يزين به وفيه من المبالغة في النهي عن إبداء مواضعها ما لا يحل (إلا مظهر منها) عند مزاوله الأمور التي لا بد منها عادة كالخاتم والكحل والخضاب ونحوها فإن في سترها حرجا بينا وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف أو ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لأنها ليست بعورة (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) إرشاد إلى كيفية إخفاء بعض مواضع الزينة بعد النهي عن إبدائها وقد كانت النساء على عادة الجاهلية يسدن خمرهن من خلفهن فتبدون نحورهن وقلائدن من جيوبهن لوسعها فأمرن بإرسال خمرهن إلى جيوبهن سترًا لما يبدو منها وقد ضمن الضرب معنى الإلقاء فعدى بعلى وقرىء بكسر الجيم كما تقدم (ولا يبدين زينتهن) كرر النهي لاستثناء بعض مواد الرخصة عنه باعتبار الناظر بعدما استثنى عنه بعض مواد الضرورة باعتبار المنظور (إلا لبعولتهن) فإنهم المقصودون بالزينة ولهم أن ينظروا إلى جميع بدنهن حتى الموضع المعبود (أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن) لكثرة المخالطة الضرورية بينهم وبينهن وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في طباع الفريقين من النفرة عن مماسة القرائب ولهم أن ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة وعدم ذكر الأعمام والأخوال لما أن الأحوط أن يتسترن عنهم حذارًا من أن يصفوهن لأبنائهم (أو نساءهن) المختصات بهن بالصحبة والخدمة من حرائر المؤمنات فإن الكوافر لا يتحرجن عن وصفهن للرجال (أو مملكت أيمانهن) أى من الإماء فإن عبد المرأة بمنزلة الأجنبي منها وقيل من الإماء والعبيد لما روى أنه عليه السلام أنى فاطمة رضى الله عنها بعبد وهبه لها وعليها ثوب إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجلها وإذا غطت رجلها لم يبلغ رأسها فقال عليه السلام إنه ليس عليك بأس إنما هو أبوك وغلماك (أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال) أى أولى الحاجة إلى النساء وهم الشيوخ الهمل والمسوحون وفى المجبوب والخصى خلاف وقيل هم البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئًا من أمور النساء وقرىء غير بالنصب على الحالالية (أو الطفل الذين لم يظهروا على عوارت النساء)

وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَسِعُ عِلْمُهُ ﴿٣٢﴾

٢٤ النور

لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع أو اعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف (ولا يضر بن بارجلهن ليعلم ما يخفين) أى ما يخفيه من الرؤية (من زينتهن) أى ولا يضر بن بارجلهن الأرض ليتحقق خلخالهن فيعلم أنهن ذوات خلخال فإن ذلك مما يورث الرجال ميلا إليهن ويوم أن لهن ميلا إليهم وفي النهى عن إبداء صوت الحلى بعد النهى عن إبداء عينها من المبالغة في الزجر عن إبداء موضعها ما لا يخفى (وتوبوا إلى الله جميعاً) تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله ﷺ إلى الكل بطريق التغليب لإبراز كمال العناية بما في حيزه من أمر التوبة وأنها من معظمت المهمات الحقيقة بأن يكون سبحانه وتعالى هو الأمر بها لما أنه لا يكاد يخلو أحد من المكلفين عن نوع تفریط في إقامة مواجب النكاح كما ينبغي وناهيك بقوله ﷺ شيدتني سورة هود لما فيها من قوله عز وجل فاستقم كما أمرت لاسيما إذا كان المأمور به الكف عن الشهوات وقيل توبوا عما كنتم تفعلونه في الجاهلية فإنه وإن جب بالإسلام لكن يجب الندم عليه والعزم على تركه كلما خطر بباله وفي تكرير الخطاب بقوله تعالى (أيها المؤمنون) تأكيد للإيجاب وإيدان بأن وصف الإيمان موجب للامثال حتماً وقرىء أيه المؤمنون (لعلكم تفلحون) تفوزون بذلك بسعادة الدارين (وأنكحوا الأيما منكم) بعد ٣٢ ما زجر تعالى عن السفاح ومبادئه القريبة والبعيدة أمر بالنكاح فإنه مع كونه مقصوداً بالذات من حيث كونه منوطاً لبقاء النوع خير من جرة عن ذلك وأيما مقلوب أيام جمع أيم وهو من لا زوج له من الرجال والنساء بكر أو ثيباً كما يفصح عنه قول من قال [فإن تنكحني أنكح وإن تنأيمني * وإن كنت أقي منكم أنأيمن] أي زوجوا من لا زوج له من الأحرار والحرائر (والصالحين من عبادكم وإمائكم) على أن الخطاب الأولياء والسادات واعتبار الصلاح في الأرقاء لأن من لا صلاح له منهم معزل من أن يكون خليقاً بأن يعتنى مولاه بشأنه ويشق عليه ويتكلف في نظم مصالحه بما لا بد منه شرعاً وعادة من بذل المال والمنافع بل حقه أن يستبقيه عنده وأما عدم اعتبار الصلاح في الأحرار والحرائر فلأن الغالب فيهم الصلاح على أنهم مستبدون في التصرفات المتعلقة بأنفسهم وأموالهم فإذا عزموا النكاح فلا بد من مساعدة الأولياء لهم إذ ليس عليهم في ذلك غرامة حتى يعتبر في مقابلتها غنيمة عائدة إليهم عاجلة أو آجلة وقيل المراد هو الصلاح للنكاح والقيام بحقوقه (إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله) إزاحة لما عسى يكون وازعا من النكاح من فقر أحد الجانبين أى لا يمنع فقر الخاطب أو المخاطوبة من المناكحة فإن في فضل الله عز وجل غنية عن المال فإنه غادورائح يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب أو وعد منه سبحانه بالإغناء لقوله ﷺ اطلبوا الغنى في هذه الآية لكنه مشروط بالمشيئة كما في قوله تعالى وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء (والله واسع) غنى ذو سعة لا يرزوه إغناء الخلاق إذ لا نفاد لنعمته ولا غاية لقدرته مع ذلك (عليم) يبسط

وَلَيْسَتْغْفِيرُ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا
 مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۚ وَآتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ وَلَا
 تُكْرَهُوا فَتَبَيَّنَّكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ ۚ إِنْ أَرَدْتُمْ مَخْصَنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِهْهُمْ
 فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾

٢٤ النور

٣٣ الرزق لمن يشاء ويقدر حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة (وليستغف) إرشاد للعاجزين عن مبادئ النكاح
 وأسبابها إلى ما هو أولى لهم وأحرى بهم بعد بيان جواز منة الفقراء أي ليجتهد في العفة وقمع الشهوة (الذين
 لا يجدون نكاحاً) أي أسباب نكاح أو لا يتمكنون ما ينكح به من المال (حتى يغنيهم الله من فضله) عدة كريمة
 بالفضل عليهم بالغنى والطف لهم في استغفارهم وتقوية لقلوبهم وإيدان بأن فضله تعالى أولى بالأعفاء وأدنى
 من الصلحاء (والذين يبتغون الكتاب) بعد ما أمر بإنكاح صالحي المالك الأحقاء بالإنكاح أمر بكتابة من
 • ستحقها منهم والكتاب مصدر كاتب كالمكاتبة أي الذين يطلبون المكاتبه (بما ملكت أيمانكم) عبداً كان أو أمة
 • وهى أن يقول المولى للمملوك كاتبتك على كذا درهماً تؤديه إلى وتعتق ويقول المملوك قبلته أو نحو ذلك فإن أداه
 إليه عتق قالوا معناه كتبت لك على نفسى أن تعتق منى إذا وفيت بالمال وكتبت لى على نفسك أن تفي بذلك أو
 كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق عنده والتحقيق أن المكاتبه اسم للعقد الحاصل من مجموع
 كلاميهما كسائر العقود الشرعية المنعقدة بالإيجاب والقبول ولا ريب فى أن ذلك لا يصدر حقيقة إلا من
 المتعاقدين وليس وظيفة كل منهما فى الحقيقة إلا الإتيان بأحد شرطيه معرباً عما يتم من قبله ويصدر عنه
 من الفعل الخاص به من غير تعرض لما يتم من قبل صاحبه ويصدر عنه من فعله الخاص به إلا أن كلا من
 ذينك الفعلين لما كان بحيث لا يمكن تحققه فى نفسه إلا منوطاً بتحقيق الآخر ضرورة أن التزام العتق
 بمقابلة البدل من جهة المولى لا يتصور تحققه وتحصله إلا بالتزام البدل من طرف العبد كما أن عقد البيع
 الذى هو تملك المبيع بالثمن من جهة البائع لا يمكن تحققه إلا بتماكه به من جانب المشتري لم يكن بد من
 تضمين أحدهما الآخر وقت الإنشاء فكما أن قول البائع بعث لإنشاء لعقد البيع على معنى أنه إيقاع لما يتم من
 قبله أصالة ولما يتم من قبل المشتري ضمناً إيقاعاً متوقفاً على رأيه توقفاً شديداً بتوقف عقد الفضولى كذلك قول
 المولى كاتبتك على كذا لإنشاء لعقد الكتابة أى إيقاع لما يتم من قبله من التزام العتق بمقابلة البدل أصالة ولما
 يتم من قبل العبد من التزام البدل ضمناً إيقاعاً متوقفاً على قبوله فإذا قبل تم العقد ومحل الوصول الرفع على
 • الابتداء خبره (فكاتبوهم) والفاء لتضمنه معنى الشرط أو النصب على أنه مفعول لمضمر يفسره هذا
 • والأمر فيه للندب لأن الكتابة عقد يتضمن الإرفاق فلا تجب كغيرها ويجوز حالاً وموجلاً ومنجماً
 • وغير منجم وعند الشافعى رحمه الله لا يجوز إلا مؤجلاً منهما وقد فصل فى موضعه (إن علمتم فيهم خيراً)
 أى أمانة ورشداً وقدرة على أداء البدل بتحصيله من وجه حلال وصلاًحاً لا يؤذى الناس بعد العتق
 • وإطلاق العنان (وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) أمر للمولى ببذل شئ من أموالهم وفى حكمه حظ شئ.

من مال الكتابة وبكفي في ذلك أقل ما يتمول وعن علي رضي الله عنه خط الربيع وعن ابن عباس رضي الله
 عنهما الثلث وهو للندب عندنا وعند الشافعي للوجوب ويرده قوله عليه السلام المكاتب عبد مابق عليه درهم
 إذ لو وجب الخط لسقط عنه الباقي حتماً وأيضاً لو وجب الخط لكان وجوبه معلقاً بالعقد فيكون العقد
 موجباً ومسقطاً معاً وأيضاً فهو عقد معاوضة فلا يجبر على الخطيطة كالبيع وقيل معنى آتوم أقرضوم
 وقيل هو أمر لهم بأن ينفقوا عليهم بعد أن يؤدوا ويعتقوا وإضافة المال إليه تعالى ووصفه بإيائه إياهم
 للاحث على الامتثال بالأمر بتحقيق المأمور به كافي قوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فإن ملاحظة
 وصول المال إليهم من جهته تعالى مع كونه هو المالك الحقيقي له من أقوى الدواعي إلى صرفه إلى الجهة
 المأمور بها وقيل هو أمر بإعطاء سهمهم من الصدقات فالأمر للوجوب حتماً والإضافة والوصف لتعيين
 المأخذ وقيل هو أمر نذب لعامة المسلمين بإعانة المكاتبين بالتصدق عليهم ويحل ذلك للولي وإن كان غنياً
 لتبديل العنوان حسبما ينطق به قوله عليه السلام في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية (ولا تكرر هو فتياكم)
 أي إمامكم فإن كلام من الفتى والفتاة كناية مشهورة عن العبد والامة وعلى ذلك مبنى قوله عليه السلام ليقبل أحدكم
 فتاى وفتاى ولا يقبل عبدى وأمتى وهذه العبارة في هذا المقام باعتبار مفهومها الأصل حسن موقع
 ومزبد مناسبة لقوله تعالى (على البغاء) وهو الزنا من حيث صدوره عن النساء لأنهن اللاتي يتوقع منهن
 ذلك غالباً دون من عداهن من العجائز والصغائر وقوله تعالى (إن أردن تحصناً) ليس لتخصيص النهى
 بصورة إرادتهن التعفف عن الزنا وإخراج ما عداها من حكمه كما إذا كان الإكراه بسبب كراهتهن الزنا
 لخصوص الزاني أو لخصوص الزمان أو لخصوص المكان أو لغير ذلك من الأمور المصححة للإكراه
 في الجملة بل للحفاظ على عاداتهم المستمرة حيث كانوا يكرهونهن على البغاء وهن يردن التعفف عنه مع
 وفور شهوتهن الأمرة بالفجور وقصورهن في معرفة الأمور الداعية إلى المحاسن الزاجرة عن تعاطي
 القبايح فإن عبدالله بن أبي كانت له ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن ضرائب ففسكت اثنتان
 منهن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفيه من زيادة تقبيح حالهم وتشنيعهم على ما كانوا عليه من القبايح مالا
 يخفى فإن من له أدنى مروءة لا يكاد يرضى بفجور من يحويه حرمة من إمامه فضلاً عن أمرهن به أو إكراههن
 عليه لاسيما عند إرادتهن التعفف فتأمل ودع عنك ما قيل من أن ذلك لأن الإكراه لا يتأتى إلا مع إرادة
 التحصن وما قيل من أنه إن جعل شرطاً للنهى لا يلزم من عدمه جواز الإكراه لجواز أن يكون ارتفاع
 النهى لا امتناع المنهى عنه فإنهما بمنزلة من التحقيق وإثبات كلفة إن على إذا مع تحقق الإرادة في مورد النص
 حتماً للإبذان بوجوب الانتهاء عن الإكراه عند كون إرادة التحصن في حيز التردد والشك فكيف إذا
 كانت محققة الوقوع كما هو الواقع وتعليله بأن الإرادة المذكورة منهن في حيز الشاذ النادر مع خلوه عن
 الجدوى بالكلية ياباه اعتبار تحققها بإظهاراً وقوله تعالى (لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) قيد للإكراه
 لكن لا باعتبار أنه مدار للنهى عنه بل باعتبار أنه المعناد فيما بينهم كما قبله جىء به تشنيعاً لهم فيما هم عليه
 من احتمال الوزر الكبير لأجل النذر الحقيقى أى لا تفعلوا ما أنتم عليه من إكراههن على البغاء لطلب المتاع
 السريع الزوال الوشيك الاضمحلال فالمراد بالابتغاء الطلب المقارن لنيل المطلوب واستيفائه بالفعل إذ

وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤﴾ النور

- هو الصالح لكونه غاية للإكراه مترتباً عليه لا المطلق المتناول للطلب السابق الباعث عليه (ومن يكرهه من) الخ جملة مستأنفة سبقت لتقرير النهي وتأكيده وجوب العمل به ببيان خلاص المكروهات عن عقوبة المكروه عليه عبارة ورجوع غائلة الإكراه إلى المكروهين إشارة أى ومن يكرهه من على ما ذكر من البقاء (فإن الله من بعد إكراهه من غفور رحيم) أى لمن كما وقع فى مصحف ابن مسعود وعليه قراءة ابن عباس رضى الله تعالى عنهم وكما ينبى عنه قوله تعالى من بعد إكراهه من أى كونهن مكروهات على أن الإكراه مصدر من المبنى للمفعول فإن توسطه بين اسم إن وخبرها الإيذان بأن ذلك هو السبب للمغفرة والرحمة وكان الحسن البصرى رحمه الله إذا قرأ هذه الآية يقول لمن والله لمن والله وفى تخصيصهما بهن وتعيين مدارهما مع سبق ذكر المكروهين أيضاً فى الشرطية دلالة بينة على كونهم محرومين منهما بالكلية كأنه قيل لا للمكروه وظهور هذا التقدير اكتفى به عن العائد إلى اسم الشرط فتجوز تعلقهما بهم بشرط التوبة استقلالاً أو معونه إخلال بجزالة النظم الجليل وتهوين لأمر النهي فى مقام التهويل وحاجتهن إلى المغفرة المنبئة عن سابقة الإثم إما باعتبار أنهن وإن كن مكروهات لا يخلون فى تضاعيف الزنا عن شائبة مطاوعة ما يحكم الجبلية البشرية وإما باعتبار أن الإكراه قد يكون قاصراً عن حد الإلجاء المزيل للاختيار بالمرة وإما لغاية تهويل أمر الزنا وحث المكروهات على التثبت فى التجافى عنه والتشديد فى تحذير المكروهين ببيان أنهن حيث كن عرضة للعقوبة لولا أن تداركنهن المغفرة والرحمة مع قيام العذر فى حقهن فما حال من يكرهه من فى استحقاق العذاب (ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات) كلام مستأنف جرى به فى تضاعيف ماورد من الآيات السابقة واللاحقة لبيان جلالة شئونها المستوجبة للإقبال الكلى على العمل بمضمونها وصدر بالقسم الذى تعرب عنه اللام لإبراز كمال العناية بشأنه أى وبالله لقد أنزلنا إليكم فى هذه السورة الكريمة آيات مبينات لكل ما بكم حاجة إلى بيانه من الحدود وسائر الأحكام والآداب وغير ذلك مما هو من مبادئ بيانها على أن إسناد النبیین إليها مجازى أو آيات واضحة تصدقها الكتب القديمة والعقول السليمة على أن مبينات من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذى عينين وقرى على صيغة المفعول أى التى بينت وأوضحت فى هذه السورة من معانى الأحكام والحدود وقد جوز أن يكون الأصل مبيناتاً فيها الأحكام فانسع فى الظرف بإجرائه مجرى المفعول (ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم) عطف على آيات أى وأنزلنا مثلاً كأننا من قبيل أمثال الذين مضوا من قبلكم من القصص العجيبة والأمثال المضروبة لهم فى الكتب السابقة والكلمات الجارية على السنة الانبياء عليهم السلام فينتظم قصة عائشة رضى الله عنها المحاكمية لقصة يوسف عليه السلام وقصة مريم رضى الله عنها وسائر الأمثال الواردة فى السورة الكريمة انتظاماً واضحاً وتخصيص الآيات المبينات بالسوابق وحمل المثل على القصة العجيبة فقط ياباه تعقيب الكلام بما سيأتى من التمثيلات (وموعظة) تنعظون به وتنزجرون عما لا ينبغى من المحرمات والمكروهات وسائر ما يخل بمحاسن الآداب فهى عبارة عما سبق من الآيات والمثل لظهور كونها من المواعظ بالمعنى المذكور

اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ ۚ كَمَشْكُورَةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ ۚ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾

٢٤ النور

ومدار العطف هو النفاير العنواى المنزل منزلة النفاير الذاتى وقد خصت الآيات بما يبين الحدود والاحكام والموعظة بما وعظ به من قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رافة فى دين الله وقوله تعالى لولا اذ سمعتموه وغير ذلك من الآيات الواردة فى شأن الآداب وإنما قيل (للمتقين) مع شمول الموعظة لكل حسب شمول * الإنزال لقوله تعالى أنزلنا إليكم حشا لدخاطبين على الاعتناء بالانتظام فى سلك المتقين ببيان أنهم المغتصمون لأنوارها المقتبسون من أنوارها فحسب وقيل المراد بالآيات الميّنات والمثل والموعظة جميع ما فى القرآن المجيد من الآيات والأمثال والمواعظ فقوله تعالى (الله نور السموات والأرض) الخ حينئذ استئناف مسوق ٣٥ لتقرير ما فيها من البيان مع الإشعار بكونه فى غاية الكمال على الوجه الذى ستعرفه وأما على الأول فلتنحقيق أن بيانه تعالى ليس مقصوراً على ماورد فى السورة الكريمة بل هو شامل لكل ما يحق بيانه من الأحكام والشرائع ومبادئها وغاياتها المترتبة عليها فى الدنيا والآخرة وغير ذلك مما له مدخل فى البيان وأنه واقع منه تعالى على أنم الوجوه وأكلامها حيث عبر عنه بالتنوير الذى هو أقوى مراتب البيان وأجلاها وعبر عن المنور بنفس النور تذييها على قوة التنوير وشدة التأثير وإيداناً بأنه تعالى ظاهر بذاته وكل ما سواه ظاهر بإظهاره كما أن النور نير بذاته وما عاده مستنير به وأضيف النور إلى السموات والأرض للدلالة على كمال شيوخ البيان المستعار له وغاية شموله لكل ما يلىق به من الأمور التى لها مدخل فى إرشاد الناس بواسطة بيان شمول المستعار منه لجميع ما يقبله ويستحقه من الأجرام العلوية والسفلية فإنهما قطران للعالم الجسمانى الذى لا مظهر للنور الحسى سواه وعلى شمول البيان لأحوالها وأحوال ما فيها من الموجودات إذ ما من موجود إلا وقد بين من أحواله ما يستحق البيان إما تفصيلاً وإجمالاً كيف لا ولا ريب فى بيان كونه دليل على وجود الصانع وصفاته وشاهد بوضحة البعث أو على تعلق البيان بأهلها كما قال ابن عباس رضى الله عنهما هادى أهل السموات والأرض فهم بنوره يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة ينجون هذا وأما حمل التنوير على إخراج الله تعالى للماهيات من العدم إلى الوجود إذ هو الأصل فى الإظهار كما أن الإعدام هو الأصل فى الإخفاء وعلى تزيين السموات بالنيرين وسائر الكواكب وما يفيض عنها من الأنوار أو بالملائكة عليهم السلام وتزيين الأرض بالأنبياء عليهم السلام والعلماء والمؤمنين أو بالنبات والأشجار أو على تدبيره تعالى لأنورهما وأمر ما فيها لا يلائم المقام ولا يساعده حسن النظام (مثل نوره) أى نوره الفاض منه تعالى على * الأشياء المستنيرة به وهو القرآن المبين كما يعرب عنه ما قبله من وصف آياته بالإنزال والتبيين وقد صرح بكونه نوراً أيضاً فى قوله تعالى وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً وبه قال ابن عباس رضى الله عنهما والحسن وزيد

ابن أسلم رحمهم الله تعالى وجعله عبارة عن الحق وإن شاع استعارته له كاستعارة الظلمة للباطل ياباه مقام بيان شأن الآيات ووصفها بما ذكر من التبيين مع عدم سبق ذكر الحق ولأن المعتبر في مفهوم النور هو الظهور والإظهار كما هو شأن القرآن الكريم وأما الحق فالمعتبر في مفهومه من حيث هو حق هو الظهور لا الإظهار والمراد بالمثل الصفة العجيبة أى صفة نوره العجيبة (كشكاة) أى كصفة كوة غير نافذة في الجدار في الإنارة والتنوير (فيها مصباح) سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة الأنوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة (المصباح في زجاجة) أى قنديل من الزجاج الصافي الأزهر وقرىء بفتح الزاى وكسرها في الموضعين (الزجاجة كأنها كوكب درى) متلألئ وقاد شبيه بالدرى صفائه وزهرته ودرارى الكواكب عظامها المشهورة وقرىء درى بدال مكسورة وراء مشددة وياه عمودة بعددها همزة على أنه فعيل من الدرى وهو الدفع أى مبالغ في دفع الظلام بضوئه أو في دفع بعض أجزاء ضيائه لبعض عند البريق واللبعان وقرىء بضم الدال والباقي على حاله وفي إعادة المصباح والزجاجة معرفين لثمر سبقهما منكرين والإخبار عنهما بما بعدهما مع انتظام الكلام بأن يقال كشكاة فيها مصباح في زجاجة كأنها كوكب درى من تفخيم شأنهما ورفع مكانهما بالنفسير لثمر الإبهام والتفصيل بعد الإجمال وإثبات ما بعدهما لطريق الإخبار المنبئ عن القصد الأصلي دون الوصف المبني على الإشارة إلى الثبوت في الجملة ما لا يخفى ومحل الجملة الأولى الرفع على أنها صفة لمصباح ومحل الثانية الجر على أنها صفة لزجاجة واللام مغنية عن الرابط كأنه قيل فيها مصباح هو في زجاجة هي كأنها كوكب درى (يوقد من شجرة) أى يبتدأ بإيقاد المصباح من شجرة (مباركة) أى كثيرة المافع بأن رويت ذبالبته بزيتها وقيل إنما وصفت بالبركة لأنها تنبت في الأرض التي بارك الله تعالى فيها للعالمين (زيتونة) بدل من شجرة وفي إبهامها ووصفها بالبركة ثم الإبدال منها تفخيم لشأنها وقرىء توقد بالذاء على أن الضمير القائم مقام الفاعل للزجاجة دون المصباح وقرىء توقد على صيغة الماضي من التفعّل أى ابتداء ثقب المصباح منها وقرىء توقد بحذف إحدى التامين من توقد على إسناده إلى الزجاجة (لا شرقية ولا غربية) تقع الشمس عليها حيناً دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي على قلة أو صحراء واسعة فتقع الشمس عليها حالتي الطلوع والغروب وهذا قول ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبير وقناة وقال الفراء والزجاج لشرقية وحدها ولا غربية وحدها لكنها شرقية وغربية أى تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية وغربية تأخذ حظها من الأمرين فيكون زيتها أضوأ وقيل لا ياتى في شرق المعمورة ولا في غربها بل في وسطها وهو الشام فإن زيوتها أجود ما يكون وقيل لا في مضحى تشرق الشمس عليها دائماً فتحرقها ولا في مقناة تغيب عنها دائماً فتتركها نائياً وفي الحديث لا خير في شجرة ولا في نبات في مقناة ولا خير فيهما في مضحى (يكاد زيتها يضىء ولولم تمسه نار) أى هو في الصفاء والإنارة بحيث يكاد يضىء بنفسه من غير مساس نار أصلاً وكلية لو في أمثال هذه المواقف ليست لبيان انتفاء شيء في الزمان الماضي لا انتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية إلا عند القصد إلى بيان الإعراب على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيد الكلام السابق من الحكم الموجب أو المنفى على

كل حال مفروض من الأحوال المقارنة له إجمالا بإدخالها على أبعدها منه إما لوجود المانع كما في قوله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وإما لعدم الشرط كما في هذه الآية الكريمة ليظهر بثبوته أو انتفائه معه ثبوته أو انتفاؤه مع ماعداه من الأحوال بطريق الأولوية لما أن الشيء متى تحقق مع ما ينافيه من وجود المانع أو عدم الشرط فلأن يتحقق بدون ذلك أولى ولذلك لا يذكر معه شيء آخر من سائر الأحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الأحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم إنها لاستقصاء الأحوال على سبيل الإجمال وهذا أمر مطرد في الخبر الموجب والمنفي فإنك إذا قلت فلان جواد يعطى ولو كان فقيراً أو بخيل لا يعطى ولو كان غنياً تريد بيان تحقق الإعطاء في الأول وعدم تحققه في الثاني في جميع الأحوال المفروضة والتقدير يعطى لو لم يكن فقيراً أو لو كان فقيراً ولا يعطى لو لم يكن غنياً ولو كان غنياً فالجملة مع ما عطفت هي عليه في حين النصب على الحالية من المستكن في الفعل الموجب أو المنفي أى يعطى أولاً يعطى كائناً على جميع الأحوال وتقدير الآية الكريمة يكاد زينها يضىء لو مسته نار ولوم تمسسه نار أى يضىء كائناً على كل حال من وجود الشرط وعدمه وقد حذفت الجملة الأولى حسبها هو المطرد في الباب لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة (نور) خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى (على نور) متعلق بمحذوف هو صفة له مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة والجملة فذلك للتنثيل وتصريح بما حصل منه وتمهيد لما يعقبه أى ذلك النور الذى عبر به عن القرآن ومثلت صفته الدجبية الشأن بما فصل من صفة المشكاة نور عظيم كائن على نور كذلك لا على أنه عبارة عن نور واحد معين أو غير معين فوق نور آخر مثله ولا عن مجموع نورين اثنين فقط بل عن نور متضاعف من غير تحديد لتضاعفه بمحدد معين وتمهيد مراتب تضاعف مامثل به من نور المشكاة بما ذكر لكونه أقصى مراتب تضاعفه عادة فإن المصباح إذا كان في مكان متضابق كالمشكاة كان أضواؤه وأجمع لنوره بسبب انضمام الشعاع المنعكس منه إلى أصل الشعاع بخلاف المكان المتسع فإن الضوء ينبعث فيه وينتشر والقنديل أعون شيء على زيادة الإنارة وكذلك الزيت وصفاءه وليس وراء هذه المراتب مما يزيد نوره إشرافاً ويمده باضائة مرتبة أخرى عادة هذا وجعل النور عبارة عن النور المشبه به مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل (يهدى الله لنوره) أى يهدى هداية خاصة موصلة إلى المطلوب حتماً لذلك النور المتضاعف العظيم الشأن وإظهاره في مقام الإضمار لزيادة تقريره وتأكيده فخامته الذاتية بفخامته الإضافية الناشئة من إضافته إلى ضميره عز وجل (من يشاء) هدايته من عباده بأن يوفقهم لفهم ما فيه من دلائل حقيقته وكونه من عند الله تعالى من الإعجاز والاخبار عن الغيب وغير ذلك من موجبات الإيمان به وفيه إيدان بأن ما ط هذه الهداية وملاكها ليس إلا مشيئته تعالى وأن تظاهر الأسباب بدورها بمعزل من الإفضاء إلى المطالب (ويضرب الله الأمثال للناس) في تضاعيف الهداية حسبما يقتضى حالهم فإن له دخلاً عظيمًا في باب الإرشاد لأنه إبراز للمعقول في هيئة المحسوس وتصوير لا وابد المعاني بصورة المأنوس ولذلك مثل نوره المعبر به عن القرآن المبين بنور المشكاة وإظهار الاسم الجليل في مقام الإضمار للإيدان

فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٢٤﴾ النور

باختلاف حال ما أسند إليه تعالى من الهداية الخاصة وضرب الأمثال الذي هو من قبيل الهداية العامة . كما يفسح عنه تعليق الأولى بمن يشاء والثانية بالناس كافة (والله بكل شيء عليم) مفعولاً كان أو محسوساً ظاهراً كان أو باطناً ومن قضيته أن تتعلق مشيئته بهداية من يليق بها ويستحقها من الناس دون من عداهم لمخالفته الحكمة التي عليها مبنى التكوين والنشريع وأن تكون هدايته العامة على فنون مختلفة وطرائق شتى حسبما تقتضيه أحوالهم والجملة اعترض تذييل مقرر لما قبله وإظهار الاسم الجليل لنا كيد استقلال الجملة والإشعار بعلّة الحكم وبما ذكر من اختلاف حال المحكوم به ذاتاً وتعلقاً (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) لما ذكر شأن القرآن الكريم في بيانه للشرائع والأحكام ومبادئها وغاياتها المترتبة عليها من الثواب والعقاب وغير ذلك من أحوال الآخرة وأحوالها وأشير إلى كونه في غاية ما يكون من الوضوح والإظهار حيث مثل بما فصل من نور المشكاة وأشير إلى أن ذلك النور مع كونه في أقصى مراتب الظهور إنما يمتد بهداه من تعلقت مشيئته الله تعالى بهدايته دون من عداه عقب ذلك بذكر الفريقين وتصوير بعض أعمالهم المعربة عن كيفية حالهم في الاهتداء وعدمه والمراد بالبيوت المساجد كلها حسبما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل هي المساجد التي بناها نبي من أنبياء الله تعالى الكعبة التي بناها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وبيت المقدس الذي بناه داود وسليمان عليهما السلام ومسجد المدينة ومسجد قباء اللذان بناهما رسول الله ﷺ وتذكيرها للتفخيم والمراد بالإذن في رفعها الأمر ببنائها رفعة لا كسائر البيوت وقيل هو الأمر برفع مقدارها بعبادة الله تعالى فيها فيكون عطف الذكر عليه من قبيل العطف التفسيري وأياً ما كان ففي التعبير عنه بالإذن تلويح بأن اللائق بحال المأمور أن يكون مترجماً إلى المأمور به قبل ورود الأمر به ناوياً لتحقيقه كأنه مستأذن في ذلك فيقع الأمر به موقع الإذن فيه والمراد بذكر اسمه تعالى ما يعم جميع أذكاره تعالى وكلية في متعلقة بقوله تعالى (يسبح له) وقوله تعالى (فيها) تذكير لها لنا كيد والتذكير لما بينهما من الفاصلة والإيذان بأن التقديم للاهتمام لا لقصر التسبيح على الوقوع في البيوت فقط وأصل التسبيح التنزيه والتعديس يستعمل باللام وبدونها أيضاً كما في قوله تعالى سبّح اسم ربك الأعلى قالوا أريد به الصلوات المفروضة كما ينبي عنه تعيين الأوقات بقوله تعالى (بالغـو والآصال) أي بالغدوات والعشايا على أن الغدو إما جمع غداة كقفي في جمع قناة كما قيل أو مصدر أطلق على الوقت حسبما يشعر به اقترانه بالآصال وهو جمع أصيل وهو العشي وهو شامل للأوقات ماعدا صلاة الفجر المؤداة بالغداة ويجوز أن يراد به نفس التنزيه على أنه عبارة عما يقع منه في أثناء الصلوات وأوقاتها لزبادة شرفه وإنافته على سائر أفراده أو عما يقع في جميع الأوقات وأفراد طر في النهار بالذكر لقيامهما مقام كلها لكونهما العمدة فيها بكونهما مشهودين وكونهما أشهر ما يقع فيه المباشرة للأعمال والاشتغال بالاشغال وقرئ . والإيصال وهو الدخول في الإصيل وقوله تعالى :

رِجَالٌ لَا تُلْهِيمُ تِجَارَةً وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا
تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾

٢٤ النور

لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾

٢٤ النور

- (رجال) فاعل يسبح وتأخيره عن الظروف لما مر مراراً من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر ولأن
في وصفه نوع طول فيخل تقديمه بحسن الانتظام وقرىء يسبح على البناء المفعول بإسناده إلى أحد الظروف
ورجال مرفوع بما ينبيء عنه حكاية الفعل من غير تسمية الفاعل على طريقة قوله [ليبك يزيد ضارع
لخصوصية] كأنه قيل من يسبح له فقيل يسبح له رجال وقرىء تسبح بتأنيث الفعل مبنياً للفاعل لأن جمع
التكسير قد يعامل معاملة المؤنث ومبنياً للمفعول على أن يسند إلى أوقات الغدو والأصال بزيادة الباء
وتجعل الأوقات مسبوحة مع كونها مسبوحاً فيها أو يسند إلى ضمير التسبيحة أى تسبح له التسبيحة على المجاز
المسرى لإسناده إلى الوقتين كما خرجوا قراءة أبي جعفر ليجزى قوماً أى ليجزى الجزاء قوماً بل هذا أولى من
ذلك إذ ليس هنا مفعول صريح (لا تلهيهم تجارة) صفة لرجال مؤكدة لما أفاده التكسير من الفخامة مفيدة لكمال
تبتليهم إلى الله تعالى واستغراقهم فيها حتى يحكى عنهم من التسبيح من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم كأنها
ما كان وتخصيص التجارة بالذكر لكونها أقوى الصوارف عندهم وأشهرها أى لا يشغلهم نوع من أنواع
التجارة (ولا بيع) أى ولا فرد من أفراد البياعات وإن كان في غاية الربح وإفراده بالذكر مع اندراجه تحت
التجارة للإيذان بإنافته على سائر أنواعها لأن ربحه متيقن ناجز وربح ماعداه متوقع في ثانی الحال عند
البيع فلم يلزم من نفي إلهاء ماعداه نفي إلهائه ولذلك كررت كلمة لا لتذكير النفي وتأكيده وقد نقل عن
الواقدي أن المراد بالتجارة هو الشراء لأنه أصلها ومبدؤها وقيل هو الجلب لأنه الغالب فيها ومنه يقال
تجر في كذا أى جلبه (عن ذكر الله) بالتسبيح والتحميد (وإقام الصلاة) أى إقامتها لمواقيتها من غير
تأخير وقد أسقطت التاء المعوضة عن العين الساقطة بالأللال وعوض عنها الإضافة كما في قوله [وأخلقوك
عد الأمر الذى وعدوا] أى عدة الأمر (وإيتاء الزكاة) أى المال الذى فرض لإخراجه للمستحقين
وإبراده ههنا وإن لم يكن مما يفعل في البيوت لكونه قرينة لا تفارق إقامة الصلاة في عامة المواضع مع ما فيه
من التنبيه على أن محاسن أعمالهم غير منحصرة فيما يقع في المساجد وكذلك قوله تعالى (يخافون) الخ
فإنه صفة ثانية لرجال أو حال من مفعول لا تلهيهم وأياً ما كان فليس خوفهم مقصوراً على كونهم في
المساجد وقوله تعالى (يوماً) مفعول ليخافون لا ظرف له وقوله تعالى (تتقلب فيه القلوب والأبصار)
صفة ليوماً أى تضطرب وتتغير في أنفسها من الهول والفرع وتشخص كما في قوله تعالى وإذ زاغت
الأبصار وبلغت القلوب الحناجر أو تتغير أحوالها وتتقلب فتتفقه القلوب بعد أن كانت مطبوعاً عليها
وتبصر الأَبصار بعد أن كانت عمياء أو تتقلب القلوب بين توقع النجاة وخوف الهلاك والأبصار من أى
ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم (ليجزىهم الله) متعلق بمحذوف يدل عليه ما حكى من أعمالهم المرضية أى ٣٨

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوا كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ
اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾

٢٤ النور

يفعلون ما يفعلون من المداومة على التسبيح والذكر وإيتاء الزكاة والخوف من غير صارف لهم عن ذلك
* ليجزيهم الله تعالى (أحسن ما عملوا) أى أحسن جزاء أعمالهم حسبا وعد لهم بمقابلة حسنة واحدة عشرة
* أمثالها إلى سبعمئة ضعف (ويزيدهم من فضله) أى يتفضل عليهم بأشياء لم توعدهم بخصوصياتها أو
بمقاديرها ولم تخطر ببالهم كيفياتها ولا كمياتها بل إنما وعدت بطريق الإجمال فى مثل قوله تعالى للذين
أحسنوا الحسنى وزيادة وقوله يُتْلَى حكاية عنه عز وجل أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا
* أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وغير ذلك من المواعيد الكريمة التى من جملتها قوله تعالى (والله
يرزق من يشاء بغير حساب) فإنه تذييل مقرر للزيادة وعد كريم بأنه تعالى يعطيهم غير أجزية أعمالهم
من الخيرات ما لا يقي به الحساب وأما عدم سبق الوعد بالزيادة ولو لإجمالا وعدم خطورها ببالهم ولو بوجه
ما فإياه نظمها فى سلك الغاية والموصول عبارة عن ذكرت صفاتهم الجميلة كأنه قيل والله يرزقهم بغير
حساب ووضع موضع ضميرهم للتنبيه بما فى حيز الصلة على أن مناط الرزق المذكور محض مشيئته تعالى
لا أعمالهم المحكية كما أنها الماط لما سبق من الهداية لنوره تعالى لا لظاهر الأسباب والإيذان بأنهم عن
شاء الله تعالى أن يرزقهم كما أنهم ممن شاء الله تعالى أن يهديهم لنوره حسبا يعرب عنه ما فصل من أعمالهم
الحسنة فإن جميع ما ذكر من الذكر والتسبيح وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وخوف اليوم الآخر وأحواله
ورجاء الثواب مقتبس من القرآن العظيم الذى هو المعنى بالنور وبه يتم بيان أحوال من اهتدى بهداه
على أوضح وجه وأجلاله هذا وقد قيل قوله تعالى فى بيوت الخ من تنمة التمثيل وكلمة فى متعلقة بمحذوف
هى صفة لمشكاة أى كائنة فى بيوت وقيل لمصباح وقيل لزجاجة وقيل متعلقة بيو قد والكل لا يليق بشأن
التنزيل الجليل كيف لا وأن ما بعد قوله تعالى ولو لم تمسسه نار على ما هو الحق أو ما بعد قوله تعالى نور
على نور على ما قيل إلى قوله تعالى بكل شئ عليم كلام متعلق بالممثل قطعاً فتوسطه بين أجزاء التمثيل مع
كونه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه بالأجنبي يودى إلى كون ذكر حال المنتفعين بالتمثيل المهديين
لنور القرآن الكريم بطريق الاستنباع والاستطراد مع كون بيان حال أضدادهم مقصوداً بالذات ومثل
٣٩ هذا مما لا عهد به فى كلام الناس فضلا أن يحمل عليه الكلام المعجز (والذين كفروا) عطف على ما ينساق
إليه ما قبله كأنه قيل الذين آمنوا أعمالهم حالا وما لا كما وصف والذين كفروا (أعمالهم) أى أعمالهم التى
هى من أبواب البر كصلة الأرحام وفك العناة وسقاية الحاج وعمارة البيت وإغاثة الملهوفين وقرى
الاضياف ونحو ذلك مما لو قارنه الإيمان لاستتبع الثواب كما فى قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم
كر ما دالآية (كسراب) وهو ما يرى فى الفلوات من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن أنه ماء
يسرب أى يجرى (بقية) متعلق بمحذوف هو صفة لسراب أى كائن فى قاع وهى الأرض المنبسطة

أَوْ كُظِّلِمَتْ فِي بَحْرِ لُجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَتْ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرْنَهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ٢٤ النور

- المستوية وقيل هي جمع قاع بكيرة جمع جار وقرى. بقيعات بناء ممدودة كدييات إما على أنها جمع قبعة أو على أن الأصل قبعة قد أشبعت فتحة العين فتولد منها ألف (بحسبه الظمان ماء) صفة أخرى لسراب وتخصيص
- * الحسبان بالظمان مع شموله لكل من يراه كائناتاً من كان من العطشان والريان لتكميل التشبيه بتحقيق شركة طرفيه في وجه الشبه الذي هو المطعم والمقطع الموثس (حتى إذا جاءه) أى إذا جاء العطشان
 - * ما حسبه ماء وقيل موضعه (لم يجده) أى ما حسبه ماء وعلق به رجاءه (شيئاً) أصلاً لا محققاً ولا متوهماً كما كان يراه من قبل فضلاً عن وجدانه ماء وبه تم بيان أحوال الكفرة بطريق التمثيل وقوله تعالى (ووجد الله عنده فوقه حساباً والله سريع الحساب) بيان لبقية أحوالهم المعارضة لهم بعد ذلك بطريق التكملة لئلا يتوهم أن قصارى أمرهم هو الخيبة والقنوط فقط كما هو شأن الظمان ويظهر أنه يعترفهم بعد ذلك من سوء الحال ما لا قدر عنده للخبية أصلاً فليست الجملة معطوفة على لم يجده شيئاً بل على ما يفهم منه بطريق التمثيل من عدم وجدان الكفرة من أعمالهم المذكورة عيناً ولا أثراً كما في قوله تعالى وقد منا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً كيف لا وأن الحكم بأن أعمال الكفرة كسراب يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً حكم بأنها بحيث يحسبونها في الدنيا نافعة لهم في الآخرة حتى إذا جاءوها لم يجدوها شيئاً كأنه قيل حتى إذا جاء الكفرة يوم القيامة أعمالهم التي كانوا في الدنيا يحسبونها نافعة لهم في الآخرة لم يجدوها شيئاً ووجدوا الله أى حكمه وقضاه عند المحيى وقيل عند العمل فوقهم أى أعطاهم وأفياً كاملاً حسابهم أى حساب أعمالهم المذكورة وجزاءها فإن اعتقادهم لنفعها بغير إيمان وعملهم بموجبه كفر على كفره وجب للعقاب قطعاً وإفراد الضميرين الراجعين إلى الذين كفروا إما لإرادة الجنس كالظمان الواقع في التمثيل وإما للحمل على كل واحد منهم وكذا أفراد ما يرجع إلى أعمالهم هذا وقد قيل نزلات في عتبة بن ربيعة بن أمية كان قد تعبد في الجاهلية ولبس المسوح والتمس الدين فلما جاء الإسلام كفر (أو كظلمات) عطف على كسراب وكلمة أو للتنويع
 - * ٤٠ إثر ما مثلت أعمالهم التي كانوا يعتمدون عليها أقوى اعتماد ويفتخرون بها في كل واد وناد بما ذكر من حال السراب مع زيادة حساب وعقاب مثلت أعمالهم القبيحة التي ليس فيها شائبة خيرية يغتر بها المغترون بظلمات كائنة (في بحر لجى) أى عميق كثير الماء منسوب إلى اللج وهو معظم ماء البحر وقيل إلى اللجة وهي أيضاً معظمه (يغشاه) صفة أخرى للبحر أى يستره ويغطيه بالكلية (موج) وقوله تعالى (من فوقه موج) جملة من مبتدأ وخبر محلها الرفع على أنها صفة لموج أو الصفة هي الجار والمجرور وموج الثانى فاعل له لا اعتناؤه على الموصوف والكلام فيه كما مر في قوله تعالى نور على نور أى يغشاه أمواج متراكمة متراكبة بعضها على بعض وقوله تعالى (من فوقه سحاب) صفة لموج الثانى على أحد الوجهين المذكورين أى من فوق ذلك الموج سحاب ظلماتى ستر أضواء النجوم وفيه إيماء إلى غاية تراكم الأمواج وتضاعفها حتى كأنها بلغت

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْبِغُ لَهُ مَنَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَبَّغَتْ كُلُّ قَدِّ عِلْمٍ صَلَاتُهُ
وَتَسْبِيحُهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾

٢٤ النور

• السحاب (ظلمات) خبر مبتدأ محذوف أي هي ظلمات (بعضها فوق بعض) أي متكايفة متراكمة وهذا بيان لكمال شدة الظلمات كما أن قوله تعالى نور على نور بيان لغاية قوة النور خلا أن ذلك متعلق بالمشبه وهذا بالمشبه به كما يعرب عنه ما بعده وقرئ بالجر على الإبدال من الأولى وقرئ بإضافة السحاب إليها (إذا أخرج) أي من ابتلى بها وإضماره من غير ذكره لدلالة المعنى عليه دلالة واضحة (يده) وجعلها بمرأى منه قريبة من عينه لينظر إليها (لم يكدرها) وهي أقرب شيء منه فضلا عن أن يراها (ومن لم يجعل الله له نورا) الخ اعتراض تذييلي جرى به لتقرير ما أفاذه التمثيل من كون أعمال الكفرة كما فصل وتحقيق أن ذلك لعدم هدايته تعالى إياهم لنوره وإيراد الموصول للإشارة بما في حيز الصلة إلى علة الحكم وأنهم من لم يشأ الله تعالى هدايتهم أي ومن لم يشأ الله أن يهديه لنوره الذي هو القرآن هداية خاصة مستتعبة للاهتداء حتما ولم يوفقه للإيمان به (فما له من نور) أي فإله هداية ما من أحد أصلا وقوله تعالى (ألم تر) الخ استئناف خوطب به النبي ﷺ للإيدان بأنه تعالى قد أفاض عليه ﷺ أعلى مراتب النور وأجلاها وبين له من أسرار الملك والملكوت أدقها وأخفاها والهمزة للتقرير أي قد علمت علما يقينيا شيها بالمشاهدة في القوة والرصانة بالوحي الصريح والاستدلال الصحيح (أن الله يسبح له) أي ينزهه تعالى على الدوام في ذاته وصفاته وأفعاله عن كل مالا يليق بشأنه الجليل من نقص أو خلل (من في السموات والأرض) أي مافيهما إما بطريق الاستقرار فيهما من العقلاء وغيرهم كائنات ما كان أو بطريق الجزئية منهما تنزيها تفهمه العقول السليمة فإن كل موجود من الموجودات الممكنة مركبا كان أو بسيطا فهو من حيث ماهيته ووجوده وأحواله يدل على وجود صانع واجب الوجود متصف بصفات الكمال مقدس عن كل مالا يليق بشأنه الجليل وقد نبه على كمال قوة تلك الدلالة وغاية وضوحها حيث عبر عنها بما يخص العقلاء من التسبيح الذي هو أقوى مراتب التنزيه وأظهرها تنزيلا للسان الحال منزلة لسان المقال وكذلك بإيثار كلمة من على ما كان كل شيء معاز وهان وكل فرد من أفراد الأعراض والأعيان حافل ناطق وخبر صادق بعلو شأنه تعالى وعزة سلطانه وتخصيص التنزيه بالذكر مع دلالة مافيهما على اتصافه تعالى بنعوت الكمال أيضا لما أن مساق الكلام لتقبيح حال الكفرة في إخلالهم بالتنزيه بمجملهم الجادات شركاءه في الألوهية ونسبتهم إياه إلى اتخاذ الولد تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحمل التسبيح على ما يليق بكل نوع من أنواع المخلوقات بأن يراد به معنى مجازي شامل لتسبيح العقلاء وغيرهم حسبما هو المتبادر من قوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه يرد أن بعضا من العقلاء وم الكفرة من الثقلين لا يسبحونه بذلك المعنى قطعا وإنما تسبيحهم ما ذكر من الدلالة التي يشاركون فيها غير العقلاء أيضا وفيه مزيد تخطئة لهم وتعمير ببيان أنهم يسبحونه تعالى باعتبار أخس جهاتهم التي هي الجادية والجسمية والحيوانية ولا

- يسبحونه باعتبار أشرفها التي هي الإنسانية (والطير) بالرفع عطفاً على من وتخصيصها بالذكر مع اندارجها * في جملة ما في الأرض لعدم استقرار قرارها فيها واستقلالها بصنع بارع وإنشاء رائع قصد بيان تسبيحها من تلك الجهة لوضوح إنبائها عن كمال قدرة صانعها ولطف تدبير مبدعها حسبما يعرب عنه التقييد بقوله تعالى (صافات) أي تسبيحه تعالى حال كونها صافات أجنحتها فإن إعطائه تعالى للأجرام الثقيلة ما تتمكن من الوقوف في الجو والحركة كيف تشاء من الأجنحة والأذاب الخفيفة وإرشادها إلى كيفية استعمالها بالقض والبسط حجة نيرة واضحة المكنون وآية بينة لقوم يعقلون دالة على كمال قدرة الصانع المجيد وغاية حكمة المبدىء المعبد وقوله تعالى (كل قد علم صلاته وتسبيحه) بيان لكامل عرافة كل واحد مما ذكر في التنزيه ورسوخ قدمه فيه بتمثيل حاله بحال من يعلم ما يصدر عنه من الأفعال فيفعلها عن قصد ونية لا عن اتفاق بلاروية وقد أدمج في تضاعيفه الإشارة إلى أن لكل واحد من الأشياء المذكورة مع ما ذكر من التنزيه حاجة ذاتية إليه تعالى واستفاضة منه لما يهيمه بلسان استعداده وتحقيقه أن كل واحد من الموجودات الممكنة في حد ذاته بمزول من استحقاق الوجود لكنه مستعد لأن يفيض عليه منه تعالى ما يليق بشأنه من الوجود وما يتبعه من الكالات ابتداء وبقاء فهو مستفيض منه تعالى على الاستمرار فيفيض عليه في كل آن من فيوض الفنون المتعلقة بذاته وصفاته ما لا يحيط به نطاق البيان بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية الربانية من العلاقة لانعدم بالمرة وقد عبر عن تلك الاستفاضة المعنوية بالصلاة التي هي الدعاء والابتهال لتسكيل التمثيل وإفادة المزايا المذكورة فيما مر على التفصيل وتقديمها على التسبيح في الذكر لقدمها عليه في الرتبة هذا ويجوز أن يكون العلم على حقيقته ويراد به مطلق الإدراك وبما تاب عنه التنوين في كل أنواع الطير وأفرادها وبالصلاة والتسبيح ما ألهمه الله تعالى كل واحد منها من الدعاء والتسبيح المخصوصين به لكن لا على أن يكون الطير معطوفاً على كلمة من مرفوعاً رافعاً فإنه يؤدي إلى أن يراد بالتسبيح معنى مجازي شامل للتسبيح المقالي والحالي من العقلاء وغيرهم وقد عرفت ما فيه بل بفعل مضمحل أريد به التسبيح المخصوص بالطير معطوف على المذكور كما مر في قوله تعالى وكثير من الناس أي وتسبح الطير تسبيحاً خاصاً بها حال كونها صافات أجنحتها وقوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه أي دعاءه وتسبيحه اللذين ألهمهما الله عز وجل إياه لبيان كمال رسوخه فيهما وأن صدورهما عنه ليس بطريق الاتفاق بلاروية بل عن علم وإيقان من غير إخلال بشيء منهما حسبما ألهمه الله تعالى فإن إلهامه تعالى لكل نوع من أنواع المخلوقات علوماً دقيقة لا يكاد يهتدى إليه جهابذة العقلاء مما لا سبيل إلى إنكاره أصلاً كيف لا وأن القنفذ مع كونه أبعد الأشياء من الإدراك قالوا إنه يحس بالشمال والجنوب قبل هبوبها فيغير المدخل إلى جحره حتى روى أنه كان بقسطنطينية قبل الفتح الإسلامي رجل قد أثرى بسبب أنه كان ينذر الناس بالرياح قبل هبوبها وينتفعون بإنذاره بتدارك أمور سفائنهم وغيرها وكان السبب في ذلك أنه كان يقنن في داره قنفذاً يستدل بأحواله على ما ذكر وتخصيص الطير بهذا المعنى بالذكر لما أن أصواتها أظهر وجوداً وأقرب حملاً على التسبيح وقوله تعالى (والله عليم بما يفعلون) أي ما يفعلونه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وما على الوجه الأول عبارة عما ذكر من الدلالة الشاملة لجميع الموجودات من العقلاء وغيرهم والتعبير عنها بالفعل مستنداً

٢٤ النور

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنْزِلُ
مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ
يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾

٢٤ النور

إلى ضمير العقلاء لما مر غير مرة وعلى الثاني إما عبارة عنها وعن التسبيح الخاص بالطير معاً أو عن تسبيح
الطير فقط فالفعل على حقيقته وإسناده إلى ضمير العقلاء لما مر والاعتراض حينئذ مقرر لتسبيح الطير
فقط وعلى الأولين لتسبيح الكل هذا وقد قيل إن الضمير في قوله تعالى قد علم الله عز وجل وفي صلاته
وتسبيحه لكل أى قد علم الله تعالى صلاة كل واحد مما في السموات والأرض وتسبيحه فلا اعتراض
حينئذ مقرر لمضمونه على الوجهين لكن لا على أن تكون ماعبارة عما تعلق به علمه تعالى من صلاته
وتسبيحه بل عن جميع أحواله العارضة له وأفعاله الصادرة عنه وهما داخلان فيها دخولا أولاً (ولله
ملك السموات والأرض) لا لغيره لأنه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات وهو المتصرف في
جميعها إيجاداً وإعداماً بدءاً وإعادة وقوله تعالى (وإلى الله) أى إليه تعالى خاصة لا إلى غيره (المصير)
أى رجوع الكل بالفناء والبعث بيان لاختصاص الملك به تعالى في المعاد إثر بيان اختصاصه به تعالى في
المبدأ وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لربوبية المهابة والإشعار بعلّة الحكم (ألم تر أن الله يرجي سحاباً)
الإزجاء سوق الشيء برفق وسهولة غلب في سوق شيء يسير أو غير معتد به ومنه البضاعة المزجاة ففيه إيماء
إلى أن السحاب بالنسبة إلى قدرته تعالى مما لا يعتد به (ثم يؤلف بينه) أى بين أجزائه بضم بعضها إلى
بعض وقرىء يواف بغير همزة (ثم يجعله ركاماً) أى متراكماً بعضه فوق بعض (فترى الودق) أى المطر إثر
تراكمه وتكاثفه وقوله تعالى (يخرج من خلاله) أى من فتوقه حال من الودق لأن الرؤية بصرية وفي
تعقيب الجعل المذكور برويته خارجاً لا بخروجه من المبالغة في سرعة الخروج على طريقة قوله تعالى فقلنا
اضرب بعصاك البحر فانقلب ومن الاعتناء بتقرير الرؤية مالا يخفى والخلال جمع خلل كجبال وجبل وقيل
مفرد كحجاب وحجاز ويؤيده أنه قرىء من خلله (وينزل من السماء) من الغمام فإن كل ما علاك سماء (من
جبال) أى من قطع عظام تشبه الجبال في العظم كائنة (فيها) وقوله تعالى (من برد) مفعول ينزل على أن من
تبعيضية والأولى أن لا ابتداء للغاية على أن الثانية بدل اشتمال من الأولى بإعادة الجار أى ينزل مبتدئاً من السماء
من جبال فيها بعض برد وقيل المفعول محذوف ومن برد بيان للجبال أى ينزل مبتدئاً من السماء من جبال فيها
من جنس البرد برداً والأول أظهر لخلوه عن ارتكاب الحذف والنصريح بتبعيضية المنزل وقيل المفعول من
جبال على أن من تبعيضية ومن برد بيان للجبال أى ينزل من السماء بعض جبال كائنة فيها من برد أى
مشبهة بالجبال في الكثرة وأياً ما كان فتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر غير مرة من الاعتناء بالمقدم

٢٤ النور

يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾

وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ

٢٤ النور

مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾

والتشريع إلى المؤخر وقيل المراد بالسما المظلة وفيها جبال من برد كما أن في الأرض جبالا من حجر وليس في العقل ما ينفيه من قاطع والمشهور أن الأبخرة إذا تصاعدت ولم تحلها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوى البرد اجتمع هناك وصار سحاباً وإن لم يشتد البرد تقاطر مطراً وإن اشتد فإن وصل إلى الأجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجاً وإلا نزل برداً وقد يبرد الهواء برداً مفرداً فينقبض وينتقد سحاباً وينزل منه المطر أو الثلج وكل ذلك مستند إلى إرادة الله تعالى ومشيدته المبنية على الحكم والمصالح (فيصيب به) أي بما ينزله من البرد (من يشاء) أن يصيبه به فيناله ما يناله من ضرر في نفسه * وماله (ويصرفه عن يشاء) أن يصرفه عنه فينجو من غائلته (يكادسنا برقه) أي ضوء برق السحاب * الموصوف بما مر من الإزجاء والتأليف وغيرهما وإضافة البرق إليه قبل الإخبار بوجوده فيه للإبذان بظهور أمره واستغنائه عن التصريح به وقرئ بالمبد بمعنى الرفعة والعلو وبإدغام الدال في السين وبرقه بفتح الراء على أنه جمع رقة وهي مقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع لضمة الباء (يذهب بالأبصار) أي يخطفها من فرط الإضاءة وسرعة ورودها وفي إطلاق الأبصار مزيد تهويل لأمره وبيان لشدة تأثيره فيها كأنه يكاد يذهب بها ولو عند الإغماض وهذا من أقوى الدلائل على كمال القدرة من حيث إنه توأيد للضد من الضد وقرئ يذهب من الإذهاب على زيادة الباء (يقلب الله الليل والنهار) بالمعاقبة ٤٤ بينهما أو بنقص أحدهما وزيادة الآخر أو بتغيير أحوالهما بالحر والبرد وغيرهما مما يقع فيهما من الأمور التي من جملتها ما ذكر من إزجاء السحاب وماترتب عليه (إن في ذلك) إشارة إلى مافصل آنفاً وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار إليه للإبذان بعلو رتبته وبعد منزلته (لعبرة) أي لدلالة واضحة على وجود الصانع القديم ووحدته وكالقدرته وإحاطة علمه بجميع الأشياء ونفاذه شئئته وتنزهه عما لا يليق بشأنه العلي (لأولي الأبصار) لكل من له بصر (والله خلق كل دابة) أي كل حيوان يدب على الأرض وقرئ ٤٥ خالق كل دابة بالإضافة (من ماء) هو جزء مادته أو ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلاً للغالب منزلة الكل لأن من الحيوانات ما يتولد لا عن نطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليست صلة لخلق (فمنهم) من يمشي على بطنه) كالحية وتسمية حركاتها شيئاً مع كونها زحفاً بطريق الاستعارة أو المشاكلة (ومنهم من يمشي على رجلين) كالإنس والطير (ومنهم من يمشي على أربع) كالنعم والوحش وعدم التعرض لما يمشي على أكثر من أربع كالعناكب ونحوها من الحشرات لعدم الاعتداد بها وتذكير الضمير في منهم لتغليب العقلاء والتعبير عن الأنصاف بكلمة من ليوافق التفصيل الإجمال والترتيب لتقديم ما هو أعرف في القدرة (يخلق الله ما يشاء) مما ذكر ومالم يذكر بسيطاً كان أو مركباً على ما يشاء من الصور والأعضاء

لَقَدْ أَرْسَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ ٢٤ النور

وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ
بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٢٤ النور

وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ ٢٤ النور

وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ ٢٤ النور

والهيئات والحركات والطبائع والقوى والأفاعيل مع اتحاد العنصر وإظهار الاسم الجليل في موضع الاختصار
لتفخيم شأن الخلق المذكور والإيذان بأنه من أحكام الألوهية (إن الله على كل شيء قدير) فيفعل ما يشاء
٤٦ كما يشاء وإظهار الجلالة لما ذكر مع تأكيد استقلال الاستئناف التعليلي (لقد أرسلنا آيات مبينات) أي
أكل ما يليق بيانه من الأحكام الدينية والأسرار النكوبية (والله يهدي من يشاء) أن يهديه بتوفيقه للنظر
الصحيح فيها وإرشاده إلى التأمل في مطاويها (إلى صراط مستقيم) موصل إلى حقيقة الحق والفوز بالجنة
٤٧ (ويقولون آمنا بالله وبالرسول) شروع في بيان أحوال بعض من لم يشأ الله هدايته إلى الصراط المستقيم
قال الحسن نزلت في المنافقين الذين كانوا يظهرون الإيمان ويسرون الكفر وقيل نزلت في بشر المنافق
خاصم يهوديا فدعاه إلى كعب بن الأشرف واليهودي يدعو إلى النبي ﷺ وقيل في المغيرة بن وائل
خاصم علياً رضي الله عنه في أرض وماء فأبى أن يحاكم إلى الرسول ﷺ وأياً ما كان فصيغة الجمع للإيذان
بأن للقاتل طائفة يساعدهونه ويشايعونه في تلك المقالة كما يقال بنو فلان قتلوا فلاناً والقاتل واحد منهم
(وأطعنا) أي أطعناهما في الأمر والنهي (ثم يتولى) عن قبول حكمه (فريق منهم من بعد ذلك) أي
من بعد ما صدر عنهم ما صدر من ادعاء الإيمان بالله وبالرسول والطاعة لهما على التفصيل وما في ذلك
من معنى البعد للإيذان بكونه أمراً معتداً به واجب المراجعة (وما أولئك) إشارة إلى القائلين لا إلى
الفريق المتولى منهم فقط لعدم اقتضاء نفي الإيمان عنهم نفيه عن الأولين بخلاف العكس فإن نفيه عن
القائلين مقتضى لنفيه عنهم على أبلغ وجه وأكثره وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعده منزلتهم في الكفر
والفساد أي وما أولئك الذين يدعون الإيمان والطاعة ثم يتولى بعضهم الذين يشاركونهم في العقيد
والعمل (بالمؤمنين) أي المؤمنين حقيقة كما يعرب عنه اللام أي ليسوا بالمؤمنين المعهودين بالإخلاص
٤٨ في الإيمان والثبات عليه (وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم) أي الرسول (بينهم) لأنه المباشر حقيقة
لحكم وإن كان ذلك حكم الله حقيقة وذكر الله تعالى لتفخيمه ﷺ والإيذان بجلالته محلّه عنده تعالى (إذا
فريق منهم معرضون) أي فاجأ فريق منهم الإعراض عن المحاكمة إليه ﷺ لكون الحق عليهم وعليهم
٤٩ بأنه ﷺ يحكم بالحق عليهم وهو شرح للتولى ومبالغة فيه (وإن يكن لهم الحق) لا عليهم (يأتوا إليه
مذعنين) منقادين لجزمهم بأنه ﷺ يحكم لهم وإلى صلة ليأتوا فإن الإتيان والحجى يعديان بالي أو لمذعنين

أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ أَرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾

٢٤ النور

إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾

٢٤ النور

٥٠. على تضمنين معنى الإسراع والإقبال كما في قوله تعالى فأقبلوا إليه يزفون والتقديم للاختصاص (أفي قلوبهم مرض) إنكار واستقباح لإعراضهم المذكور وبيان لمنشئته بعد استقصاء عدة من القبايح المحققة فيهم والمتوقعة منهم وترديد المنشئية بينها فدار الاستفهام ليس نفس ما وليته الهمزة وأم من الأمور الثلاثة بل هو منشئتها لأنه قيل أذلك أى إعراضهم المذكور لأنهم مرضى القلوب لكفرهم ونفاقهم (أم) لأنهم (ارتابوا) في أمر نبوته ﷺ مع ظهور حقيقتها (أم) لأنهم (يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) ثم أضرب عن الكل وأبطلت منشئته وحكم بأن المنشأ شئ آخر من شأناتهم حيث قيل (بل أولئك هم الظالمون) أى ليس ذلك لشئ بما ذكر أما الأولان فلا نه لو كان لشئ منها لأعرضوا عنه ﷺ عند كون الحق لهم ولما أتوا إليه ﷺ مذنعين لحكمه لتحقيق نفاقهم وارتبابهم حينئذ أيضاً وأما الثالث فلا نتفائه رأساً حيث كانوا لا يخافون الخيف أصلاً لمعرفتهم بتفاصيل أحواله ﷺ في الأمانة والثبات على الحق بل لأنهم هم الظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده فيأبون المحاكاة إليه ﷺ لعلمهم بأنه ﷺ يقضى عليهم بالحق فغناط النفي المستفاد من الإضراب في الأولين هو وصف منشئتهما للإعراض فقط مع تحققهما في نفسيهما وفي الثالث هو الأصل والوصف جميعاً هذا وقد خص الارتباب بماله منشأ مصحح لعروضه لهم في الجملة والمعنى أم ارتابوا بأن رأوا منه ﷺ تهمة فزال ثقتهم وبقينهم به ﷺ فدار النفي حينئذ نفس الارتباب ومنشئته معاً فتأمل فيما ذكر على التفصيل ودع عنك ما قيل وقيل حسبما يقتضيه النظر الجليل (إنما كان قول المؤمنين) بالنصب على أنه خبر كان وأن مع ما في حيزها اسمها ٥١ وقرئ بالرفع على العكس والأول أقوى صناعة لأن الأولى للاسمية ما هو أوغل في التعريف وذلك هو الفعل المصدر بأن إذ لا سبيل إليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين فإنه يحتمله كما إذا اعتزلت عنه الإضافة لكن قراءة الرفع أقعد بحسب المعنى وأوفى لمقتضى المقام لما أن مصب الفائدة وموقع البيان في الجمل هو الخبر فالأحق بالخبرية ما هو أكثر إفادة وأظهر دلالة على الحدوث وأوفر اشتمالاً على نسب خاصة بعيدة من الوقوع في الخارج وفي ذهن السامع ولا ريب في أن ذلك ههنا في أن مع ما في حيزها أتم وأكمل فإذا هو أحق بالخبرية وأما ما تفيد الإضافة من النسبة المطلقة الإجمالية حيث كانت قليلة الجدوى سهلة الحصول غار جاوزها كان حقها أن تلاحظ ملاحظة مجملة تجعل عنواناً للوضع فالمعنى إنما كان مطلق القول الصادر عن المؤمنين (إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم) أى الرسول ﷺ (بينهم) أى وبين *

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِشْ إِلَهُهُ وَيَتَّقْهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾ ٢٤ النور

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجْنَ قُلْ لَا تَقْسِمُوا طَاعَةً مَعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ ٢٤ النور

- خصوصهم سواء كانوا منهم أو من غيرهم (أن يقولوا سمعنا وأطعنا) أى خصوصية هذا القول المحكى عنهم لا قولاً آخر أصلاً وأما قراءة النصب فعنها إما كان قول المؤمنين أى إنما كان قولاً لهم عند الدعوة خصوصية قولهم المحكى عنهم ففيه من جعل أخص النسبتين وأبعدهما وقوعاً وحضوراً فى الأذهان وأحقهما بالبيان مفروغاً عنها عنواناً للموضوع وإبراز ما هو بخلافها فى معرض القصد الأصيل ما لا يخفى وقرئ ليحكم على بناء الفعل للمفعول مسنداً إلى مصدره مجاوباً لقوله تعالى إذا دعوا أى ليفعل الحكم كما
- فى قوله تعالى لقد تقطع بينكم أى وقع التقطع بينكم (وأولئك) إشارة إلى المؤمنين باعتبار صدور القول المذكور عنهم وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعور تبتم وبعد منزلتهم فى الفضل أى أولئك المنعوتون بما ذكر من النعت الجليل (هم المفلحون) أى هم الفائزون بكل مطلب والناجون من كل محذور (ومن يطع الله ورسوله) استئناف جرى به لتقرير مضمون ما قبله من حسن حال المؤمنين وترغيب من عدام فى الانتظام فى سلكهم أى ومن يطعم ما كائناً من كان فيما أمراه من الأحكام الشرعية اللازمة والمتعدية وقيل فى الفرائض والسنن والأول هو الأنسب بالمقام (ويخش الله ويتقه) بإسكان القاف المبني على تشبيهه بكشف وقرئ بكسر القاف والهاء وإسكان الهاء أى ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل (فأولئك) الموصوفون بما ذكر من الطاعة والخشية والافتقار (هم الفائزون) بالنعيم المقيم لا من عدام (وأقسموا بالله) حكاية لبعض آخر من أكاذيبهم مؤكداً بالآيمان الفاجرة وقوله تعالى (جهد أيمانهم) نصب على أنه مصدر مؤكد لفعله الذى هو فى حيز النصب على أنه حال من فاعل أقسموا أى أقسموا به تعالى يجهدون أيمانهم جهداً ومعنى جهداً يمين بلوغ غايتها بطريق الاستعارة من قولهم جهد نفسه إذا بلغ أقصى وسعها وطاقاتها أى جاهدين بالغين أقصى مراتب اليمين فى الشدة والوكادة وقيل هو مصدر مؤكد لا أقسموا أى أقسموا أقسام اجتهاد فى اليمين قال مقاتل من حلف بالله فقد اجتهد فى اليمين (لئن أمرتهم) أى بالخروج إلى الغز ولا عن ديارهم وأموالهم كما قيل لأنه حكاية لما كانوا يقولون لرسول الله ﷺ أينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا وإن أقت أقتنا وإن أمرتنا بالجهاد جاهدنا وقوله تعالى (ليخرجن) جواب لا أقسموا بطريق حكاية فعلهم لا حكاية قولهم وحيث كانت مقالنهم هذه كاذبة ويمنهم فاجرة أمر ﷺ بردها حيث قيل (قل) أى ردأ عليهم وزجرأ لهم عن التفوه بها وإظهاراً لعدم القبول لكونهم كاذبين فيها (لا تقسموا) أى على ما ينهى عنه كلامكم من الطاعة وقوله تعالى (طاعة معروفة) خبر مبتدأ محذوف والجملة تعليل للنهى أى لا تقسموا على ما تدعون من الطاعة لأن طاعتكم طاعة نفاقية راقعة باللسان فقط من غير مواطاة من القلب وإنما عبر عنها بمعروفة للإيدان بأن كونها كذلك

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾

٢٤ النور

- مشهور معروف لكل أحد وقرى بالنصب والمعنى ططيعون طاعة معروفة هذا وحملها على الطاعة الحقيقية بتقدير ما يناسبها من مبتدأ أو خبر أو فعل مثل الذى يطلب منكم طاعة معروفة حقيقية لانفاقية أو طاعة معروفة أمثل أو ليسكن طاعة معروفة أو أطيعوا طاعة معروفة بما لا يساعده المقام (إن الله خير بما تعلمون) • من الأعمال الظاهرة والباطنة التى من جملتها ما تظهر منه من الأكاذيب المؤكدة بالإيمان الفاجرة وما تضر منه فى قلوبكم من الكفر والنفاق والعزيمة على مخادعة المؤمنين وغيرها من فنون الشر والفساد والجملة تعليل للحكم بأن طاعتهم طاعة نفاقية مشعر بأن مدار شهرة أمرها فيما بين المؤمنين لإخباره تعالى بذلك ووعد لهم بأنه تعالى مجازيهم بجميع أعمالهم السيئة التى منها نفاقهم (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) كرر ٥٤ الأمر بالقول لإبراز كمال العناية به والإشعار باختلافهما من حيث أن المقول فى الأول نهى بطريق الرد والتقريع كما فى قوله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون وفى الثانى أمر بطريق التكليف والتشريع وإطلاق الطاعة المأمور بها عن وصف الصحة والإخلاص ونحوهما بعد وصف طاعتهم بما ذكر للتنبيه على أنها ليست من الطاعة فى شىء أصلا وقوله تعالى (فإن تولوا) خطاب للمأمورين بالطاعة من جهته تعالى وارد • لنا كيد الأمر بها والمبالغة فى إيجاب الامتثال به والحمل عليه بالترهيب والترغيب لما أن تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعانى وصرفه عن سننه المسلوكة يبنى عن اهتمام جديد بشأنه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من السامع كما أشير إليه فى تفسير قوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا لاسيما إذا كان ذلك بتغيير الخطاب بالواسطة إلى الخطاب بالذات فإن فى خطابه تعالى إياهم بالذات بعد أمره تعالى إياهم بوساطته ﷺ وتصدية لبيان حكم الامتثال بالأمر والتولى عنه إجمالا وتفصيلا من إقادة ما ذكر من التأكيد والمبالغة مالا غاية وراءه وتوهم أنه داخل تحت القول بالمأمور بحكايته من جهته تعالى وأنه أبلغ فى التبكيث تعكيس للأمر والفاء لترتيب ما بعدها على تبليغه ﷺ للمأمور به إياهم وعدم التصريح به للإيدان بغاية ظهور مسارعة ﷺ إلى تبليغ ما أمر به وعدم الحاجة إلى الذكر أى إن تولوا عن الطاعة إثر ما أمرتم بها (فإنما عليه) • أى فاعلموا أنما عليه ﷺ (ما حمل) أى أمر به من التبليغ وقد شاهدتموه عند قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول (وعليكم ما أمركم) أى ما أمرتم به من الطاعة وأعمل التعبير عنه بالتحميل للإشعار بثقله وكونه مؤنة باقية فى عهدهم بعد كونه قيل وحيث توليتم عن ذلك فقد بقيتم تحت ذلك الحمل الثقيل وقوله تعالى ما حمل محمول على المشاكلة (وإن طيعوه) أى فيما أمركم به من الطاعة (تهتدوا) إلى الحق الذى هو المقصد الأصل • الموصل إلى كل خير والمنجى من كل شر وتأخيره عن بيان حكم التولى لما فى تقديم الترهيب من تأكيد الترغيب وتقريبه عما هو من بابيه من الوعد الكريم وقوله تعالى (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) اعتراض • مقرر لما قبله من أن غائلة التولى وفائدة الإطاعة مقصورتان عليهم واللام إما للجنس المنتظم له ﷺ

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾

٢٤ النور

انظاما أولياً أو للعهد أى ماعلى جنس الرسول كائناً من كان أو ماعليه ﷺ إلا التبليغ الموضح لسلك ما يحتاج إلى الإيضاح أو الواضح على أن المبين من أبان بمعنى بان وقد علمتم أنه قد فعله بما لا مزيد عليه وإنما بقى ما حلتم وقوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم) استئناف مقرر لما في قوله تعالى وإن تطيعوه تهتدوا من الوعد الكريم ومعرب عنه بطريق التصريح ومبين لتفاصيل ما أجمل فيه من فنون السعادات الدينية والدينية التي هي من آثار الاهتداء ومتضمن لما هو المراد بالطاعة التي نيط بها الاهتداء والمراد بالذين آمنوا كل من اتصف بالإيمان بعد الكفر على الإطلاق من أى طائفة كان وفي أى وقت كان لا من آمن من طائفة المنافقين فقط ولا من آمن بعد نزول الآية الكريمة فحسب ضرورة عموم الوعد الكريم للكل كافة فالخطاب في منكم لعامة الكفرة لا للمنافقين خاصة ومن تبعيضية (وعملوا الصالحات) عطف على آمنوا داخل معه في حيز الصلة وبه يتم تفسير الطاعة التي أمر بها ورتب عليها ما نظم في سلك الوعد الكريم كما أشير إليه وتوسيط الظرف بين المعطوفين لإظهار أصالة الإيمان وعراقته في استنباع الآثار والأحكام والإيذان بكونه أول ما يطلب منهم وأهم ما يجب عليهم وأما تأخيرها عنهما في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا فلأن من هناك بيانية والضمير الذين معه ﷺ من خلص المؤمنين ولا ريب في أنهم جامعون بين الإيمان والأعمال الصالحة مثابرون عليهما فلا بد من ورود بيانهم بعد ذكر نعمتهم الجليلة بكاملها هذا ومن جعل الخطاب للنبي ﷺ ول الأمة عموماً على أن من تبعيضية أوله ﷺ ول من معه من المؤمنين خصوصاً على أنها بيانية فقد نأى عما يقتضيه سباق النظم الكريم وسياقه بمنازل وأبعد عما يليق بشأنه ﷺ بمراحل (ليستخلفنهم في الأرض) جواب للقسم إما بالإضمار أو بتزليل وعده تعالى منزلة القسم لتحقيق إنجازته لا محالة أى ليجملهم خلفاء متصرفين فيها تصرف الملوك في مالهم أو خلفاء من الذين لم يكونوا على حالهم من الإيمان والأعمال الصالحة (كما استخلف الذين من قبلهم) هم بنو إسرائيل استخلفهم الله عز وجل في مصر والشام بعد إهلاك فرعون والجبارة أوهم ومن قبلهم من الأمم المؤمنة التي أشير إليهم في قوله تعالى ألم يأتكم نبياً الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءهم رسالهم بالبينات إلى قوله تعالى فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم ومحل الكاف النصب على أنه مصدر تشبيهى مؤكد للفعل بعد تأكيد كيدهم بالقسم وما مصدرية أى ليستخلفنهم استخلاقاً كائناً كاستخلافه تعالى للذين من قبلهم وقرىء كما استخلف على البناء للمفعول فليس العامل في الكاف حينئذ الفعل المذكور بل ما يدل هو عليه من فعل مبنى هو للمفعول جار منه مجرى المطاوع فإن استخلافه تعالى لإياهم مستلزم لكونهم مستخلفين

لا محالة كأنه قيل ليستخلفنهم في الأرض فيستخلفن فيها استخلاقاً أي مستخلفية كائنة كاستخلفية من قبلهم وقد مر تحقيقه في قوله تعالى كما سئل موسى من قبل ومن هذا القبيل قوله تعالى وأنبأنا نباتاً حسناً على أحد الوجهين أي فنبئت نباتاً حسناً وعليه قول من قال [وعصية دهر يا ابن مروان لم تدع * من المال إلا مسحت أو مجلف] أي فلم يبق إلا مسحت الخ (وليتمكن لهم دينهم) عطف على ليستخلفنهم منتظم معه في سلك الجواب وتأخير عنه مع كونه أجل الرغائب الموعودة وأعظمها المأان النفوس إلى الحظوظ العاجلة أميل فتصدير المواعيد بها في الاستمالة أدخل والمعنى ليجعلن دينهم ثابتاً مقررّاً بحيث يستمرون على العمل بأحكامه ويرجعون إليه في كل ما يأتون وما يذرون والتعبير عن ذلك بالتمكين الذي هو جعل الشيء مكاناً لاخر يقال مكن له في الأرض أي جعلها مقرأ له ومنه قوله تعالى إنا مكننا له في الأرض ونظائر وكلمة في الإبدال أن ما جعل مقرأ له قطعة منها لا كلها للدلالة على كمال ثبات الدين ورصانة أحكامه وسلامته من التغيير والتبديل لا بقاءه على تشبيهه بالأرض في الثبات والقرار مع ما فيه من مراعاة المناسبة بينه وبين الاستخلاف في الأرض وتقديم صلة التمكين على مفعوله الصريح للمسارعة إلى بيان كون الموعود من منافعهم تشويقاً لهم إليه وترغيباً لهم في قبوله عند وروده ولأن في توسيطها بينه وبين وصفه أغنى قوله تعالى (الذي ارتضى لهم) وفي تأخيرها عنه من الإخلال بجزالة النظم الكريم مالا يخفى وفي إضافة الدين إليهم وهو دين الإسلام ثم وصفه بارتضائه لهم تأليف لقلوبهم ومزيد ترغيب فيه وفضل تثبيت عليه (وليبدلهم) بالتشديد وقرىء بالتخفيف من الإبدال (من بعد خوفهم) أي من الأعداء (أمناء) حيث كان أصحاب النبي ﷺ قبل الهجرة عشر سنين بل أكثر خائفين ثم هاجروا إلى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون كذلك حتى قال رجل منهم ما يأتي علينا يوم نأمن فيه فقال ﷺ لا تعبرون إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم في الملاء العظيم محتبياً ليس معه حديدة فأنزل الله عز وجل هذه الآية وأنجز وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وصاروا إلى حال يخافهم كل من عداهم وفيه من الدلالة على صحة النبوة للإخبار بالغيب على ما هو عليه قبل وقوعه مالا يخفى وقيل المراد الخوف من العذاب والأمن منه في الآخرة (يعبدونني) حال من الموصول الأول مفيدة لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد أو استئناف ببيان المقتضى للاستخفاف وما انتظم معه في سلك الوعد (لا يشركون بي شيئاً) حال من الواو أي يعبدونني غير مشركين بي في العبادة شيئاً (ومن كفر) أي اتصف بالكفر بأن ثبت واستمر عليه ولم يتأثر بما مر من الزهيب والترغيب فإن الإصرار عليه بعدم مشاهدة دلائل التوحيد كفر مستأنف زائدة على الأصل وقيل كفر بعد الإيمان وقيل كفر هذه النعمة العظيمة والأول هو الأنسب بالمقام (بعد ذلك) أي بعد ذلك الوعد الكريم بما فصل من المطالب العالية المستوجبة لغاية الاهتمام بتحصيلها والسعي الجميل في حيازتها (فأولئك) البعداء عن الحق التائبون في تبه الغواية والضلال (هم الفاسقون) الكاملون في الفسق والخروج عن حدود الكفر والطغيان (وأقيموا الصلاة وآتوا

لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ ٢٤ النور

الزكاة) عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام فإن خطابه تعالى للمؤمنين بالطاعة على طريق التهيب من التولي بقوله تعالى فإن تولوا الخ وترغيبه تعالى إياهم في الطاعة بقوله تعالى وإن تطيعوه تهتدوا الخ ووعدته تعالى إياهم على الإيمان والعمل الصالح بما فصل من الاستخلاف وما يتلوه من الرغائب الموعودة ووعيده على الكفر بما يوجب الأمر بالإيمان والعمل الصالح والنهي عن الكفر فكانه قيل فآمنوا واعملوا صالحاً وأقيموا أو فلا تكفروا وأقيموا وعطفه على أطيعوا الله بما لا يليق بجزالة النظم الكريم (وأطيعوا الرسول) أمرهم الله سبحانه وتعالى بالذات بما أمرهم به بواسطة الرسول ﷺ من طاعته التي هي طاعته تعالى في الحقيقة تأكيداً للأمر السابق وتقريراً لمضمونه على أن المراد بالمطاع فيه جميع الأحكام الشرعية المنتظمة للأداب المرضية أيضاً أي وأطيعوه في كل ما يأمركم به وينهاكم عنه أو تكملاً لما قبله من الأمرين الخاصين المتعلقةين بالصلاة والزكاة على أن المراد بما ذكر ماعداهما من الشرائع أي وأطيعوه في سائر ما يأمركم به الخ وقوله تعالى (لعلكم ترحمون) متعلق على الأول بالأمر الأخير المشتمل على جميع الأمر وعلى الثاني بالأمر الثلاثة أي افعلوا ما ذكر من الإقامة والإيتاء ٥٧ والإطاعة راجعين أن ترحموا (لا تحسبن الذين كفروا) لما بين حال من أطاعه ﷺ وأشير إلى فوزه بالرحمة المطلقة المستتعة لسمعة الدارين عقب ذلك ببيان حال من عصاه ﷺ ومآل أمره في الدنيا والآخرة بعد بيان تنبيهه في الفسق تكملاً لأمر الترغيب والتهيب والخطاب إما لكل أحد ممن يصلح له كائناً من كان وإما للرسول ﷺ على منهاج قوله تعالى فلا تكونن من المشركين ونظائره للإيدان بأن الحسبان المذكور من القبح والمحذورية بحيث ينهى عنه من يمتنع صدوره عنه فكيف بمن يمكن ذلك منه ومحل الموصول النصب على أنه مفعول أول للحسبان وقوله تعالى (معجزين) ثانيهما وقوله تعالى (في الأرض) ظرف للمعجزين لكن لا لإفادة كون الإعجاز المنفي فيها لا في غيرها فإن ذلك مما لا يحتاج إلى البيان بل لإفادة شمول عدم الإعجاز بجميع أجزائها أي لا تحسبنهم معجزين الله عز وجل عن إدراكهم وإهلاكهم في قطر من أقطار الأرض بما رحبت وإن هربوا منها كل مهرب وقرى لا يحسبن بيا الغيبة على أن الفاعل كل أحد والمعنى كما ذكر أي لا يحسبن أحد الكافرين معجزين له سبحانه في الأرض أو هو الموصول والمفعول الأول محذوف لكونه عبارة عن أنفسهم كأنه قيل لا يحسبن الكافرون أنفسهم معجزين في الأرض وأما جعل معجزين مفعولاً أول وفي الأرض مفعولاً ثانياً فمعتزل من المطابقة لمقتضى المقام ضرورة أن مصب الفائدة هو المفعول الثاني ولا فائدة في بيان كون المعجزين في الأرض وقد مر في قوله تعالى إني جاعل في الأرض خليفة وقوله تعالى (وما واهم النار) معطوف على جملة النهي بتأويلها بجملة خبرية لأن المقصود بالنهي عن الحسبان تحقيق نفي الحسبان كأنه قيل ليس الذين كفروا معجزين وما واهم الخ أو على جملة مقدرة وقعت تعليلاً للنهي كأنه قيل لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض فإنهم مدركون وما واهم الخ وقيل الجملة المقدرة بل هم مقهورون فتدبر (وللبئس المصير)

يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَعِذَّ بِكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدُهَا أَنْ طَوَّفُوا عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

٢٤ النور

- جواب لقسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف أى وبالله لبئس المصير هى أى النار والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وفى إيراد النار بعنوان كونها مأوى ومصير ألهم لثرتي فو تمهم بالحرب فى الأرض كل مهرب من الجزالة مالا غاية وراه فته در شأن التنزيل (بأيها الذين آمنوا) رجوع إلى بيان تنمة الأحكام السابقة ٥٨ بعد تمهيد ما يوجب الامثال بالأوامر والنواهي الواردة فيها وفى الأحكام اللاحقة من التمثيلات والترغيب والترهيب والوعد والوعيد والخطاب إما للرجال خاصة وللنساء داخلات فى الحكم بدلالة النص أو للفريقين جميعاً بطريق التغليب روى أن غلاماً لأسماء بنت أبى مرثد دخل عليها فى وقت كرهته فنزلت وقيل أرسل رسول الله ﷺ مدج بن عمرو الأنصارى وكان غلاماً وقت الظهيرة ليدعو عمر رضى الله عنه فدخل عليه وهو نائم قد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضى الله عنه لوددت أن الله تعالى نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا هذه الساعات إلا بإذن ثم انطلق معه إلى رسول الله ﷺ فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية (ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) من العبيد والجواري (والذين لم يبلغوا الحلم) * أى الصبيان القاصرون عن درجة البلوغ المعمود والتعبير عنه بالحلم لكونه أظهر دلائله (منكم) أى من الأحرار (ثلاث مرات) أى ثلاثة أوقات فى اليوم واللييلة والتعبير عنها بالمرات للإبذان بأن مدار وجوب الاستئذان مقارنة تلك الأوقات لمرور المستأذنين بالمخاطبين لأنفسها (من قبل صلاة الفجر) * لظهور أنه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب البقظة ومحله النصب على أنه بدل من ثلاث مرات أو الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أى أحدها من قبل الخ (وحين تضعون ثيابكم) أى ثيابكم التى تلبسونها فى النهار وتخلعونها لاجل القيلولة وقوله تعالى (من الظهيرة) وهى شدة الحر عند انتصاف النهار بيان للحين والنصريح بمدار الأمر أعنى وضع الثياب فى هذا الحين دون الأول والآخر لما أن التجرد عن الثياب فيه لاجل القيلولة لقلّة زمانها كما ينهى عنها إيراد الحين مضافاً إلى فعل حادث متقضى ووقوعها فى النهار الذى هو مئنة لكثرة الورد والصدور ومظنة لظهور الأحوال وبروز الأمور ليس من التحقق والاطراد بمنزلة ما فى الوقتين المذكورين فإن تحقق التجرد واطراده فيهما أمر معروف لا يحتاج إلى التصريح به (ومن بعد صلاة العشاء) ضرورة أنه وقت التجرد عن اللباس والالتحاق بالالحاف وليس المراد بالقبلية والبعدية المذكورتين مطلقهما المتحقق فى الوقت الممتد المتخلل بين الصلاتين كما فى قوله تعالى وإن كنت من قبله لمن الغافلين وقوله تعالى من بعد أن نزع الشيطان بينى وبين أخوتى بل ما يعرض منهما
- ٢٥ - أبى السعود ج ٦ ،

وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِذُوا كَمَا اسْتَعِذَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ
آيَاتِهِ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾

٢٤ النور

- * لطف في ذلك الوقت الممتد المتصلين بالصلاتين المذكورتين اتصالاً عادياً وقوله تعالى (ثلاث عورات)
- * خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى (لكم) متعلق بمحذوف هو صفة لثلاث عورات أى كائنة لكم والجملة
- استئناف مسوق لبيان علة وجوب الاستئذان أى هن ثلاثة أوقات يختل فيها التستر عادة والعورة في
- الأصل هو الخلل غلب في الخلل الواقع فيما بهم حفظه ويعتفى بستره أطلقت على الأوقات المشتملة عليها
- * مبالغة كأنها نفس العورة وقرئ ثلاث عورات بالنصب بدلا من ثلاث مرات (ليس عليكم ولا عليهم)
- أى على المماليك والصبيان (جناح) أى إثم في الدخول بغير استئذان لعدم ما يوجب من مخالفة الأمر
- * والاطلاع على العورات (بعدهن) أى بعد كل واحدة من تلك العورات الثلاث وهى الأوقات المتخللة
- بين كل اثنتين منهن وإيرادها بعنوان البعدية مع أن كل وقت من تلك الأوقات قبل عورة من العورات
- فإنها بعد أخرى منهن لتوفية حق التكليف والترخيص الذى هو عبارة عن رفعه إذا الرخصة إنما تتصور
- في فعل يقع بعد زمان وقوع الفعل المكلف والجملة على القراءتين مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها بالطرد
- والعكس وقد جوز على القراءة الأولى كونها في محل الرفع على أنها صفة أخرى لثلاث عورات وأما
- على القراءة الثانية فهى مستأنفة لا غير إذ لو جعلت صفة لثلاث عورات وهى بدل من ثلاث مرات لكان
- التقدير ليستأنذنكم هؤلاء في ثلاث عورات لا إثم في ترك الاستئذان بعدهن وحيث كان انتفاء الإثم
- حينئذ لم يعلبه السامع إلا بهذا الكلام لم يتسن إبرازه في معرض الصفة بخلاف قراءة الرفع فإن انتفاء
- * الإثم حينئذ معلوم من صدر الكلام وقوله تعالى (طوافون عليكم) استئناف ببيان العذر المرخص في ترك
- الاستئذان وهى المخالطة الضرورية وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الأحكام وكذا في الفرق بين
- * الأوقات الثلاثة وبين غيرها بكونها عورات (بعضكم على بعض) أى بعضكم طائف على بعض طوافا
- * كثيرا أو بعضكم يطوف على بعض (كذلك) إشارة إلى مصدر الفعل الذى بعده وما فيه من معنى البعد لما
- مر مرارا من تفخيم شأن المشار إليه والإيدان ببعده منزله وكونه من الوضوح بمنزلة المشار إليه حسا أى
- * مثل ذلك التبيين (يبين الله لكم الآيات) الدالة على الأحكام أى ينزلها بينة واضحة الدلالات عليها لا أنه
- تعالى يبينها بعد أن لم تكن كذلك والكاف مقحمة وقد مر تفصيله في قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة
- وسطا أولكم متعلق بيبين وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والنشويق إلى
- * المؤخر وقيل بين علل الأحكام وليس بواضح مع أنه مؤد إلى تخصيص الآيات بما ذكره منا (والله عليم)
- * مبالغ في العلم بجميع المعلومات فيعلم أحوالكم (حكيم) في جميع أفعاله فيشرع لكم ما فيه صلاح أمركم
- ٥٩ معاشا ومعادا (وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم) لما بين فيما مر أنفأ حكم الأطفال في أنه لا جناح عليهم في
- ترك الاستئذان فيما عدا الأوقات الثلاثة عقب ببيان حالهم بعد البلوغ دفعا لما عسى يتوهم أنهم وإن كانوا

وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾

٢٤ النور

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاحِهِمْ أَوْ صَدِيقَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّتُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَشِّرَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

٢٤ النور

- أجانب ليسوا كسائر الأجانب بسبب اعتيادهم الدخول أى إذا بلغ الأطفال الأحرار الأجانب (فليستأذنوا) إذا أرادوا الدخول عليكم وقوله تعالى (كما استأذن الذين من قبلهم) في حين النصب على أنه نعت لمصدر مؤكد للفعل السابق والموصول عبارة عن قيل لهم لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية ووصفهم بكونهم قبل هؤلاء باعتبار ذكرهم قبل ذكرهم لا باعتبار بلوغهم قبل بلوغهم كما قبل لما أن المقصود بالتشبيه بيان كيفية استئذان هؤلاء زيادة إيضاحه ولا يتسنى ذلك إلا بتشبيهه باستئذان المعهودين عند السامع ولا ريب في أن بلوغهم قبل بلوغ هؤلاء مما لا يخطر ببال أحد وإن كان الأمر كذلك في الواقع وإنما المعهود المعروف ذكرهم قبل ذكرهم أى فليستأذنوا استئذاناً كأننا مثل استئذان المذكورين قبلهم بأن يستأذنوا في جميع الأوقات ويرجعوا إن قيل لهم ارجعوا حسبما فصل فيما سلف (كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم) الكلام فيه كالذى سبق والتكرير للتأكيد والمبالغة.
- في الأمر بالاستئذان وإضافة الآيات إلى ضمير الجلالة لتتبرهن (والقواعد من النساء) أى العجائز ٦٠ اللاتي قعدن عن الحيض والحمل (اللاتي لا يرجون نكاحاً) أى لا يطمعن فيه لكبرهن (فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) أى الثياب الظاهرة كالجلباب ونحوه والفاء فيه لأن اللام في القواعد بمعنى اللاتي أو الوصف بها (غير متبرجات بزينة) غير مظاهرات لزينة بما أمر بإخفائه في قوله تعالى ولا يبدن زينتهن وأصل التبرج التكلف في إظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطاً بسوادها كله إلا أنه خص بكشف المرأة زينتها ومحاسنها الرجال (وأن يستعففن) بترك الوضع (خير لهن) من الوضع لبعده من التهمة (والله سميع) مبالغ في سمع جميع ما يسمع فيسمع ما يجرى بينهن وبين الرجال من المفاولة (عليم) فيعلم مقاصدهن وفيه من الترهيب ما لا يخفى (ليس على الأعشى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج) كانت هؤلاء الطوائف يتخرجون من المؤاكلة الأصحاء حذاراً من استقذارهم إياهم وخوفاً من تاذيهم بأفعالهم وأوضاعهم فإن الأعشى ربما سبقت يده إلى ما سبقت إليه عين أكيه وهو لا يشمر به والأعرج يتفلسف في مجلسه فيأخذ أكثر من موضعه فيضيق على جلسيه

والمرضى لا يخلو عن حالة تؤذى قرينه وقيل كانوا يدخلون على الرجل لطلب العلم فإذا لم يكن عنده ما يطعمهم ذهب بهم إلى بيوت آبائهم وأمهاتهم أو إلى بعض من سماهم الله عز وجل في الآية الكريمة فكانوا يتخرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا إلى بيت غيره ولعل أهله كارهون لذلك وكذا كانوا يتخرجون من الأكل من أموال الذين كانوا إذا خرجوا إلى الغزو خلفوا هؤلاء الضعفاء في بيوتهم ودفعوا إليهم مفاتيحها وأذنوا لهم أن يأكلوا بما فيها مخافة أن لا يكون لإذنهم عن طيب نفس منهم وكان غير هؤلاء أيضاً يتخرجون من الأكل في بيوت غيرهم فقيل لهم ليس على الطوائف المعدودة (ولا على أنفسكم) * أى عليكم وعلى من يماثلكم في الأحوال من المؤمنين حرج (أن تأكلوا) أى تأكلوا أنتم وهم معكم وتعميم الخطاب للطوائف المذكورة أيضاً بأباه ما قبله وما بعده فإن الخطاب فيهما لغير أولئك الطوائف حتماً (من بيوتكم) أى البيوت التي فيها أزواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الأولاد لأن بيتهم كبيتهم لقوله ﷺ أنت ومالك لأبيك وقوله ﷺ إن أطيب مال الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم) وقرئ بكسر الهمزة والميم وبكسر الأولى وفتح الثانية (أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ماملكتكم مفاتيحه) من البيوت التي تملكون التصرف فيها بإذن أربابها على الوجه الذي مر بيانه وقيل هي بيوت المماليك والمفاتيح جمع مفتاح وجمع المفاتيح مفاتيح وقرئ مفتاحه (أو صديقكم) أى أو بيوت صديقكم وإن لم يكن بينكم وبينهم قرابة نسبية فإنهم أَرْضَى بالتبسط وأمر به من كثير من الأقرباء روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الصديق أكبر من الوالدین إن الجمنمين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالأباء والأمهات بل قالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم والصديق يقع على الواحد والجمع كالخليط والقطين وأضرابهما وهذا فيما إذا علم رضا صاحب البيت بصريح الإذن أو بقرينة دالة عليه ولذلك خصص هؤلاء بالذكر لا اعتيادهم التبسط فيما بينهم وقوله تعالى (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً) كلام مستأنف مسوق لبيان حكم آخر من جنس ما بين قبله حيث كان فريق من المؤمنين كفى لبيت ابن عمرو من كثرة يتخرجون أن يأكلوا طعامهم منفردين وكان الرجل منهم لا يأكل ويمسك يومه حتى يجد ضيفاً يأكل معه فإن لم يجد من يؤاكله لم يأكل شيئاً وربما قعد الرجل والطعام بين يديه لا يتناوله من الصباح إلى الرواح وربما كانت معه الإبل الحفل فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشار به فإذا أمسى ولم يجد أحداً أكل وقيل كان الغنى منهم يدخل على الفقير من ذوى قرابته وصدقته فيدعوه إلى طعامه فيقول إني أخرج أن أكل معك وأنا غنى وأنت فقير وقيل كان قوم من الأنصار لا يأكلون إذا نزل بهم ضيف إلا مع ضيفهم فرخص لهم في أن يأكلوا كيف شاءوا وقيل كانوا إذا اجتمعوا لياكلوا اطعموا معزولاً للأعمى وأشباهه طعاماً على عده فبين الله تعالى أن ذلك ليس بواجب وقوله تعالى جميعاً حال من فاعل تأكلوا وأشتاتاً عطف عليه داخل في حكمه وهو جمع شت على أنه صفة كالحق يقال أمر شت أى متفرق أو على أنه في الأصل مصدر وصف به مبالغة أى ليس عليكم جناح أن تأكلوا مجتمعين أو متفرقين (فإذا دخلتم) شروع في بيان الآداب التي تجب رعایتها عند مباشرة ما رخص فيه إثر بيان الرخصة فيه (بيوتاً) أى من البيوت

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ۚ
 إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ
 لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لِمَن آلَهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾

٢٤ النور

- المذكورة (فسلوا على أنفسكم) أى على أهل الذين بمنزلة أنفسكم لما بينكم وبينهم من القرابة الدينية والنسبية الموجبة لذلك (تحية من عند الله) أى ثابتة بأمره مشروعة من لدنه ويجوز أن يكون صلة للتحية فإنها طلب الحياة التى هى من عنده تعالى وانتصابها على المصدرية لأنها بمعنى التسليم (مباركة) مستتبعة لزيادة الخير والثواب ودوامهما (طيبة) تطيب بها نفس المستمع وعن أنس رضى الله عنه أنه ﷺ قال متى لقيت أحداً من أمتى فسلم عليه يطل عمرك وإذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأبرار الوابين (كذلك يبين الله لكم الآيات) تذكير لنا كيد الأحكام المختمة به وتفخيمها (لعلكم تعلقون) أى ما فى تضاعيفها من الشرائع والأحكام وتعملون بموجبها وتحوزون بذلك سعادة الدارين وفى تعليل هذا التبيين بهذه الغاية القصوى بعد تذييل الآتين بما يوجهها من الجزالة ما لا يخفى (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله) استئناف جىء به فى أواخر الأحكام السابقة تقريراً لها وتأكيدها لوجوب مراعاتها وتكميلها لبيان بعض آخر من جنسها وإنما ذكر الإيمان بالله ورسوله فى حيز الصلة للوصول الواقع خبراً للابتداء مع تضمنه له قطعاً تقريراً لما قبله وتمهيداً لما بعده وإذناً بأنه حقيق بأن يجعل قريناً للإيمان بهما منتظماً فى سلكه فقوله تعالى (وإذا كانوا معه على أمر جامع) الخ معطوف على آمنوا داخل معه فى حيز الصلة أى إنما الكاملون فى الإيمان الذين آمنوا بالله ورسوله عن صميم قلوبهم وأطاعوهما فى جميع الأحكام التى من جملتها ما فصل من قبل من الأحكام المتعلقة بعامة أحوالهم المطردة فى الوقوع وأحوالهم الواقعة بحسب الاتفاق كما إذا كانوا معه ﷺ على أمر مهم يجب اجتماعهم فى شأنه كالجمعة والأعياد والحروب وغيرها من الأمور الداعية إلى اجتماع أولى الآراء والتجارب ووصف الأمر بالجمع للبالغة وقرئ أمر جميع (لم يذهبوا) أى من المجمع مع كون ذلك الأمر مما لا يوجب حضورهم لاحتالة كما عند إقامة الجمعة وإقامة العدو بل يسوغ التخلف عنه (حتى يستأذنه) ﷺ فى الذهاب لاعلى أن نفس الاستئذان غاية لعدم الذهاب بل الغاية هى الإذن المنوط برأيه ﷺ والاقتصار على ذكره لأنه الذى يتم من قبلهم وهو المعتبر فى كمال الإيمان لا الإذن ولا الذهاب المترتب عليه واعتباره فى ذلك لما أنه كالمصداق لصحته والمميز للخلص فيه عن المناق فإن ديدنه التسليم للفرار ولتعظيم ما فى الذهاب بغير إذنه ﷺ من الجنابة والتنبيه على ذلك عقب بقوله تعالى (إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) ففضى بأن المستأذنين هم المؤمنون بالله ورسوله كما حكم فى الأول بأن الكاملين فى الإيمان هم الجامعون بين الإيمان بهما وبين الاستئذان وفى أولئك من تفخيم شأن المستأذنين ما لا يخفى (فإذا استأذنتك) بيان لما هو وظيفته ﷺ فى هذا الباب إثر بيان ما هو وظيفته المؤمنين وأن الإذن عند الاستئذان

لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ
الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٣﴾

٢٤ النور

- ليس بأمر محتوم بل هو مفوض إلى رآيه ﷺ والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أى بعد ما تحقق أن
- الكاملين في الإيمان هم المستأذنون فإذا استأذنوك (لبعض شأنهم) أى لبعض أمرهم المهم وخطيبهم الملم (فأذن لمن شئت منهم) لما علمت في ذلك من حكمة ومصلحة (واستغفر لهم الله) فإن الاستئذان وإن كان لعذر قوى لا يخلو عن شائبة تقديم أمر الدنيا على أمر الآخرة (إن الله غفور) مبالغ في مغفرة
- فرطاه العباد (رحيم) مبالغ في إفاضة آثار الرحمة عليهم والجملة لتلليل للمغفرة الموعودة في ضمن الأمر
- ٦٣ بالاستغفار لهم (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم) استئناف مقرر لمضمون ما قبله والاتفات لإبراز مزيد
- الاعتناء بشأنه أى لا تجعلوا دعوته ﷺ إياكم في الاعتقاد والعمل بها (كدعاء بعضكم بعضاً) أى لا تقبسوا دعاءه ﷺ إياكم على دعاء بعضكم بعضاً في حال من الأحوال وأمر من الأمور التي من
- جملتها المساهلة فيه والرجوع عن مجلسه ﷺ بغير استئذان فإن ذلك من المحرمات وقيل لا تجعلوا دعاءه ﷺ ربه كدعاء صغيركم كبيركم بحجبه مرة ويرده أخرى فإن دعاءه مستجاب لامرء له عند الله عز وجل
- وتقرير الجملة حينئذ لما قبلها إما من حيث إن استجابته تعالى لدعائه ﷺ مما يوجب امتثالهم بأوامره ﷺ ومتابعتم له في الورد والصدور أكمل لإيجاب وإما من حيث إنها موجهة للاحتراز عن التعرض لسخطه
- ﷺ المؤدى إلى ما يوجب هلاكهم من دعائه ﷺ عليهم وأما ما قيل من أن المعنى لا تجعلوا نداءه ﷺ كنداء بعضكم بعضاً باسمه ورفع الصوت والنداء من وراء الحجرات ولكن بقلبه المعظم مثل يارسول الله
- يا نبى الله مع غاية التوقير والتفخيم والتواضع وخفض الصوت فلا يناسب المقام فإن قوله تعالى (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم) الخ وعيد لمخالفي أمره ﷺ فيما ذكر من قبل فتوسيط ما ذكر بينهما بما لا وجه له
- والتسلل الخروج من البين على التدرج والخفية وقد لا تحقيق كما أن رب تجمي للتكثير حسبما بين في مطلع
- سورة الحجر أى يعلم الله الذين يخرجون من الجماعة قليلاً قليلاً على خفية (لوأذا) أى ملاوذة بأن يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج أو بأن يلوذ بهم يخرج بالإذن إرادة أنه من أتباعه وقرئ بفتح اللام وانتصابه
- على الحالية من ضمير يتسللون أى ملاوذين أو على أنه مصدر مؤكد لفعل مضمّر هو الحال في الحقيقة أى يلوذون لوأذا والفاء في قوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) لترتيب الحذر أو الأمر به على
- ما قبلها من عليه تعالى بأحوالهم فإنه مما يوجب الحذر البتة أى يخالفون أمره بترك مقتضاه ويذهبون سمتاً خلاف سمته وعن إما لتضمنه معنى الإعراض أو حمله على معنى يصدون عن أمره دون المؤمنين من
- خالفه عن الأمر إذ اصد عنه دونه وحذف المفعول لما أن المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير
- له تعالى لأنه الأمر حقيقة أو للرسول ﷺ لأنه المقصود بالذكر (أن تصيبهم فتنة) أى محنة في
- الدنيا (أو يصيبهم عذاب أليم) أى في الآخرة وكلية أو لمنع الخلو دون الجمع وإعادة الفعل صريحاً

أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنْذِرُهُمْ بِمَا
عَمَلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾

٢٤ النور

- للاعتناء بالتهديد والتحذير واستدل به على أن الأمر بالإيجاب فإن ترتب العذاب على مخالفته كما يعرب عنه التحذير عن إصابتها بوجوب وجوب الامتناع به حتماً (ألا إن لله ما في السموات والأرض) من ٦٤ الموجودات بأسرها خلقاً وملكاً وتصرفاً لإيجاداً وإعداداً بدءاً وإعادة (قد يعلم ما أنتم عليه) أيها المكلفون من الأحوال والأوضاع التي من جملتها الموافقة والمخالفة والإخلاص والنفاق (ويوم يرجعون إليه) *
- عطف على ما أنتم عليه أي يعلم يوم يرجع المنافقون المخالفون للأمر إليه تعالى للجزاء والعقاب وتعليق عليه تعالى بيوم رجوعهم لا يرجعهم لزيادة تحقيق علمه تعالى بذلك وغاية تقريره لما أن العلم بوقت وقوع الشيء مستلزم للعلم بوقوعه على أبلغ وجه وآكده وفيه إشعار بأن علمه تعالى لنفس رجوعهم من الظهور بحيث لا يحتاج إلى البيان قطعاً ويجوز أن يكون الخطاب أيضاً خاصاً بالمنافقين على طريقة الالتفات وقرئ يرجعون مبنياً للفاعل (فيذنبهم بما عملوا) من الأعمال السيئة التي من جملتها مخالفة الأمر فيرتب عليه ما يليق به من التوبيخ والجزاء وقد مروجع التعبير عن الجزاء بالتنبيه في قوله تعالى إنما بغضكم على أنفسكم الآية (والله بكل شيء عليم) لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء . عن النبي ﷺ من قرأ سورة النور أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيها مضى وفيها بقى والله سبحانه وتعالى أعلم .

٢٥ — سورة الفرقان

(مكية وهي سبع وسبعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٥ الفرقان

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾

الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ

٢٥ الفرقان

شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾

(سورة الفرقان مكية إلا الآيات ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ فمدنية وآياتها ٧٧)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (تبارك الذي نزل الفرقان) البركة النماء والزيادة حسية كانت أو معنوية وكثرة الخير ودوامه أيضاً ونسبتها إلى الله عز وجل على المعنى الأول وهو الأليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته وصفاته وأفعاله التي من جملتها تنزيل القرآن الكريم المعجز الناطق بعلو شأنه تعالى وسمو صفاته وابتناء أفعاله على أساس الحكم والمصالح وخلوها عن شائبة الخلل بالكلية وصيغة التفاعل للمبالغة فيما ذكر فإن ما لا يتصور نسبته إليه سبحانه حقيقة من الصيغ كالتكبر ونحوه لا تنسب إليه تعالى إلا باعتبار غايتها وعلى المعنى الثاني باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته لاسيما على الإنسان من فنون الخيرات التي من جملتها تنزيل القرآن المنطوي على جميع الخيرات الدنيوية والدنيوية والصيغة حينئذ يجوز أن تكون لإفادة نماء تلك الخيرات وتزايدها شيئاً فشيئاً وأنا فأتانا بحسب حدوثها أو حدوث متعلقاتها ولا استقلالها بالدلالة على غاية الكمال وتحقيقها بالفعل والإشعار بالتعجب المناسب للإنشاء والإنشاء عن نهاية التعظيم لم يحز استعمالها في حق غيره تعالى ولا استعمال غيرها من الصيغ في حقه تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشينين أى فصل بينهما سمي به القرآن لغاية فرقه بين الحق والباطل بأحكامه أو بين الحق والمبطل بإعجازه أو لكونه مفصلاً بعضه من بعض في نفسه أو في إنزاله (على عبده) محمد ﷺ وإيراده ﷺ بذلك العنوان لتشريفه والإيذان بكونه ﷺ في أقصى مراتب العبودية والتنبيه على أن الرسول لا يكون إلا عبداً للرسول رداً على النصارى (ليكون) غاية للتزليل أى نزله عليه ليكون هو ﷺ أو الفرقان (للعالمين) من الثقلين (نذيراً) أى منذراً أو إنذاراً مبالغة أو ليكون تنزيهه لإنذار أو عدم التعرض للتبشير لانسياق الكلام على أحوال الكفرة وتقديم اللام على عاملها لمراعاة الفواصل وإبراز تنزيل الفرقان في معرض الصلة التي حقها أن تكون معلومة الثبوت للوصول عند السامع مع إنكار الكفرة له لإجرائه مجرى المعلوم المسلم تنبيهاً على كمال قوة دلائله وكونه بحيث لا يكاد يجهله أحد كقوله تعالى لا ريب فيه (الذي له ملك السموات والأرض) أى له خاصة دون غيره لا استقلالاً ولا اشتراكاً

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٢٥﴾

٢٥ الفرقان

السلطان القاهر والاستيلاء الباهر عليهما المستلزمان للقدرة النامة والتصرف الكلى فيهما وفيما فيهما الإيجاد وإعدام وإحياء وإماتة وأمرأ ونهيأ حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح ومجمله الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها أو على أنه نعت البوصول الأول أو بيان له أو بدل منه وما يذمهما ليس بأجنبي لأنه من تمام صلاته ومعلومية مضمونه للكفرة بما لا ريب فيه لقوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله ونظاره أو مدح له تعالى بالرفع أو بالنصر (ولم يتخذ ولداً) كما يزعم الذين يقولون في حق المسيح والملائكة ما يقولون فسبحان الله عما يصفون وهو معطوف على ما قبله من الجملة الظرفية ونظمه في سلك الصلة الإبدان بأن مضمونه من الوضوح والظهور بحيث لا يكاد يحمله جاهل لا سيما بعد تقرير ما قبله (ولم يكن له شريك في الملك) أى ملك السموات والأرض وهو أيضاً عطف على الصلة وإفراده بالذكر مع أن ما ذكر من اختصاص ملكهما به تعالى مستلزم له قطعاً للتصريح ببطلان زعم الثنوية القائلين بتعدد الآلهة والدرء في نحورهم وتوسيط نفى اتخاذ الولد بينهما للأنبياء على استقلاله وأصانته والاحتراز عن توهم كونه تنمة الأول (وخلق كل شيء) أى أحدث كل موجود من الموجودات إحداثاً جاريّاً على سنن التقدير حسبما اقتضته إرادته المبنية على الحكم البالغة بأن خلق كلامها من مواد مخصوصة على صور معينة ورتب فيه قوى وخواص مختلفة الآثار والأحكام (فقدرة) أى هياها لما أراد به من الخصائص والأفعال اللاتقة به (تقديراً) بديعاً لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه كتهبته الإنسان للفهم والإدراك والنظر والتدبر في أمور المعاش والمعاد واستنباط الصانع المتنوعة ومزاولة الأعمال المختلفة وهكذا أحوال سائر الأنواع وقبل أريد بالخلق مطلق الإيجاد والإحداث مجازاً من غير ملاحظة معنى التقدير وإن لم يخل عنه في نفس الأمر فالمعنى أوجد كل شيء فقدرة في ذلك الإيجاد تقديراً وأما ما قيل من أنه سمي إحداثه تعالى خلقاً لأنه تعالى لا يحدث شيئاً إلا على وجه التقدير من غير تفاوت فقيه أن ارتكاب المجاز بحمل الخلق على مطلق الإحداث لتجريدته عن معنى التقدير فاعتباره فيه بوجه من الوجوه مغل بالمرام قطعاً وقبل المراد بالتقدير الثانى هو التقدير للبقاء إلى الأجل المسمى وأياً ما كان فالجملة جارية مجرى التعليل لما قبلها من الجمل المنتظمة مثلها في سلك الصلة فإن خلقه تعالى لجميع الأشياء على ذلك النمط البديع كما يقتضى استقلاله تعالى باتصافه بصفات الألوهية يقتضى انتظام كل ماسواه كائناً ما كان تحت ملكوته القاهرة بحيث لا يشذ عنها شيء من ذلك قطعاً وما كان كذلك كيف يتوهم كونه، لذا له سبحانه أوشريكاً في ملكه (واتخذوا من دونه آلهة) بعدما بين حقيقة الحق في مطلع السورة الكريمة بذكر ٣ تنزيهه تعالى للفرقان العظيم على رسوله ﷺ ووصفه تعالى بصفات الكمال وتنزيهه عما لا يليق بشأنه الجليل عقب ذلك بحكاية أباطيل المشركين في حق المنزل سبحانه والمنزل والمزول عليه على الترتيب وإظهار بطلانها

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٢٥﴾

٢٥ الفرقان

والإضمار من غير جريان ذكرهم للثقة بدلالة ما قبله من نفي الشريك عليهم أى اتخذوا لأنفسهم متجاوزين الله تعالى الذى ذكر بعض شئونه الجليلة من اختصاص ملك السموات والأرض به تعالى وانتفاء الولد والشريك عنه وخلق جميع الأشياء وتقديرها أبداع تقدير آلهة (لا يخلقون شيئاً) أى لا يقدرُونَ على خلق شئ من الأشياء أصلاً (وهم يخلقون) كساتر المخلوقات وقيل لا يقدرُونَ على أن يخلقوا شيئاً وهم يخلقون حيث تختلفهم عبادتهم بالنحت والتصوير وقوله تعالى (ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً) لبيان ما لم يدل عليه ما قبله من مراتب عجزهم وضعفهم فإن بعض المخلوقين العاجزين عن الخلق ربما يملك دفع الضرر وجلب النفع فى الجملة كالحيوان وهؤلاء لا يقدرُونَ على التصرف فى ضرر ما ليدفعوه عن أنفسهم ولا فى نفع ما حتى يجلبوه إليهم فكيف يملكون شيئاً منهما لغيرهم وتقديم ذكر الضرر لأن دفعه مع كونه أهم فى نفسه أول مراتب النفع وأقدمها والتخصيص على قوله تعالى (ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً) أى لا يقدرُونَ على التصرف فى شئ منها بإماتة الأحياء وإحياء الموتى وبعثهم بعد بيان عجزهم عما هو أهم من هذه الأمور من دفع الضرر وجلب النفع للتصريح بعجزهم عن كل واحد مما ذكر على التفصيل والتنبيه على أن الإله يجب أن يكون قادراً على جميع ذلك وفيه إيدان بغاية جهلهم وسخافة عقولهم كأنهم غير عارفين بانتفاء مانع عن آلهتهم من الأمور المذكورة مفتقرون إلى التصريح بذلك (وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك) شروع فى حكاية أباطيلهم المتعلقة بالمنزل والمنزل عليه معاً وإبطالها والموصول لإمعاينة عن غلاتهم فى الكفر والطغيان وهم النضر بن الحرث وعبد الله بن أمية ونوفل بن خويلد ومن ضامهم وروى عن الكلبي ومقاتل أن القائل هو مضر بن الحرث والجمع لمشايعة الباقيين له فى ذلك وأما عن كلهم ووضع الموصول موضع ضميرهم لزمهم بما فى حيز الصلة والإيدان بأن ما تفوهوا به كفر عظيم وفى كلمة هذا حطرتبة المشار إليه أى ما هذا إلا كذب مصروف عن وجهه (افتراه) يريدون أنه اختلقه رسول الله ﷺ (وأعانه عليه) أى على اختلاقه (قوم آخرون) يعنون اليهود بأن يلقوا إليه أخبار الأمم الدارجة وهو يعبر عنها بعبارة وقيل هما جبر ويسار كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة والإنجيل وقيل هو عابس وقدمر تفصيله فى سورة النحل (فقد جاءوا ظلماً) منصوب بجاءوا فإن جاءوا أى يستعملان فى معنى فعل فيعديان تعديته أو بنزع الخافض أى بظلم قاله الزجاج والتنوين للتفخيم أى جاءوا بما قالوا ظلماً هائلاً عظيماً لا يقدر قدره حيث جعلوا الحق البحت الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إنكافى من قبل البشر وهو من جهة نظمه الرائق وطوره الفائق بحيث لو اجتمعت الإنس والجن على مباراته لجزوا عن الإتيان بمثل آية من آياته ومن جهة اشتباهه على الحكم الخفية والأحكام المستتعبة للسعادات الدينية والدنيوية والأمور الغيبية بحيث لا يناله عقول البشر ولا ينفى فهمه القوى والقدر

وَقَالُوا أَأَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكُتِبَتْ فِيهَا فَيُحْيَى ثُمَّ يَمُوتُ عَلَيْهِ بُكْرَةٌ وَأَصِيلًا ﴿٦٠﴾ ٢٥ الفرقان

قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦١﴾ ٢٥ الفرقان

وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ

نَذِيرًا ﴿٦٢﴾ ٢٥ الفرقان

- (وزورا) أى كذباً كبيراً لا يبلغ غايته حيث نسبوا إليه ﷺ ما هو برىء منه والفاء لترتيب ما بعدها *
على ما قبلها لكن لا على أنهما أمران متغايران حقيقة يقع أحدهما عقيب الآخر أو يحصل بسببه بل
على أن الثانى هو عين الأول حقيقة وإنما الترتيب بحسب التغاير الاعتبارى وقد لتحقيق ذلك المعنى فإن
ما جاءه من الظلم والزور هو عين ما حكى عنهم لكنهم لما كان مغايراً له في المفهوم وأظهر منه بطلاناً ترتب
عليه بالفاء ترتيب اللازم على الملزوم تهويلاً لأمره (وقالوا أساطير الأولين) بعد ما جعلوا الحق الذى *
لا يحيد عنه إفكاً مختلفاً بإعانة البشرينوا على زعمهم الفاسد كيفية الإعانة والأساطير جمع أسطار أو أسطورة
كأن حدوثه وهى ما سطره المتقدمون من الخرافات (اكتتبها) أى كتبها لنفسه على الإسناد المجازى أو *
استكتبها وقرىء على البناء المفعول لأنه ﷺ أى وأصله اكتبها له كاتب لحذف اللام وأفضى الفعل
إلى الضمير فصار اكتبها إياه كاتب ثم حذف الفاعل لعدم تعلق الغرض العلى بخصوصه وبني الفعل
للضمير المنفصل فاستتر فيه (فهى تملى عليه) أى تلقى عليه تلك الأساطير بعد اكتبها ليحفظها من أفواه *
من يملها عليه من ذلك المكتتب لكونه أمياً لا يقدر على أن يتلقاها منه بالقراءة أو تملى على الكاتب على
أن معنى اكتبها أراد اكتبها أو استكتبها ورجع الضمير المجزور إليه ﷺ لإسناد الكتابة فى ضمن
الاكتتاب إليه ﷺ (بكراً وأصلاً) أى دائماً أو خفية قبل انتشار الناس وحين يأوون إلى مساكنهم *
انظر إلى هذه الرتبة من الجراءة العظيمة قائلهم الله أنى يؤفكون (قل) لهم رداً عليهم وتحقيقاً للحق (أنزله) *
الذى يعلم السر فى السموات والأرض) وصفه تعالى بإحاطة علمه بجميع المعلومات الجليلة والخفية للإيدان
بانطواء ما أنزله على أسرار مطوية عن عقول البشر مع ما فيه من التعريض بمجازاتهم بجأياتهم المحكية
التي هى من جملة معلوماته تعالى أى ليس ذلك مما يفترى ويفتعل بإعانة قوم وكتابة آخرين من الأحاديث
الملفقة وأساطير الأولين بل هو أمر سماوى أنزله الله الذى لا يعزب عن علمه شيء من الأشياء
وأودع فيه فنون الحكم والأسرار على وجه بديع لا يحوم حوله الأفهام حيث أعجزكم قاطبة بفصاحته
وبلاغته وأخبركم بمغيبات مستقبلية وأمور مكنونة لا يهتدى إليها ولا يوقف عليها إلا بتوفيق العليم
الخبير وقد جعلتموه إفكاً مفترى من قبيل الأساطير واستوجبتم بذلك أن يصب عليكم سوط
العذاب صبا فقله تعالى (إنه كان غفوراً رحيماً) لتعليل لما هو المشاهد من تأخير العقوبة أى أنه *
تعالى أزلاً وأبداً مستمر على المغفرة والرحمة المستتبين للتأخير فلذلك لا يعجل بعقوبتكم على ما تقولون
فى حقه مع كمال استيجابه إياها وغاية قدرته تعالى عليها (وقالوا مال هذا الرسول) شروع فى حكاية ٧

أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٢٥﴾ الفرقان

أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٢٥﴾ الفرقان

جنايتهم المتعلقة بخصوصية المنزل عليه وما استفهامية بمعنى إنكار الوقوع وفيه مرفوعة على الابتداء خبرها ما بعدها من الجار والمجرور وفي هذا تصغير لشأنه ﷺ وتسميته ﷺ رسولا بطريق الاستهزاء به ﷺ كما قال فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم وقوله تعالى (ياكل الطعام) حال من الرسول والعالم فيها ما عمل في الجار من معنى الاستقرار أى شئ وأى سبب حصل لهذا الذى يدعى الرسالة حال كونه يأكل الطعام كما نأكل (ويمشى فى الأسواق) لا بتغاء الأرزاق كما نفعله على توجيه الإنكار والنفي إلى السبب فقط مع تحقق المسبب الذى هو مضمون الجملة الحالية كما فى قوله تعالى فالهم لا يؤمنون وقوله ما لكم لا ترجون لله وقاراً فكما أن كلا من عدم الإيمان وعدم الرجاء أمر محقق قد أنكر واستبعد تحققه لا انتفاء سببه بل لوجود سبب نقيضه كذلك كل من الأكل والمشي أمر محقق قد استبعد تحققه لا انتفاء سببه بل لوجود سبب عدمه خلا أن استبعاد المسبب وإنكار السبب وفيه عدم الإيمان وعدم الرجاء بطريق التحقيق وفى الأكل والمشي بطريق التهكم والاستهزاء فإنهم لا يستبعدونهما ولا ينكرون سببهما حقيقة بل هم معترفون بوجودهما وتحقيق سببهما وإنما الذى يستبعدونه الرسالة المنافية لهما على زعمهم يعنون أنه إن صح ما يدعيه فالله لم يخالف حاله حالنا وهل هو إلا لهمهم وركاكة عقولهم وقصور أنظارهم على المحسوسات فإن تميز الرسل عن عداهم ليس بأمور حسانية وإنما هو بأمور نفسانية كما أشير إليه بقوله تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما ألهمكم إله واحد (لولا أنزل إليه ملك) أى على صورته • وهيمته (فيكون معه نذيراً) تنزل منهم من اقتراح أن يكون ملكاً مستغنياً عن الأكل والشرب إلى اقتراح أن يكون معه ملك يصدقه ويكون ردهاً له فى الإنذار وهو يعبر عنه ويفسر ما يقوله للعامة وقوله تعالى (أو يلقى إليه كنز) تنزل من تلك المرتبة إلى اقتراح أن يلقى إليه من السماء كنز يستظهر به ولا يحتاج إلى طلب المعاش ويكون دليلاً على صدقه وقوله تعالى (أو تكون له جنة يأكل منها) تنزل من ذلك إلى اقتراح ما هو أيسر منه وأقرب من الوقوع وقرىء نأكل بنون الحكاية وفيه مزيد مكابرة وفرط تحكم (وقال الظالمون) هم القائلون الأولون وإنما وضع المظهر ووضع ضميرهم تسجيلاً عليهم بالظلم وتجاوز الحد فيما قالوه ليكونوا أضلالاً خارجاً عن حد الضلال مع ما فيه من نسبته ﷺ إلى المسحورية أى قالوا للؤمنين (إن تتبعون) أى ما تتبعون (إلا رجلاً مسحوراً) قد سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهى الرئة أى بشرأ لا ملكاً على أن الوصف لزيادة التقرير والأول هو الأنسب بحالهم (انظر كيف ضربوا لك الأمثال) استعظام للأباطيل التى اجترعوا على التفوه بها وتعجب منها أى انظر كيف قالوا فى حقك تلك الأقاويل العجيبة الخارجة عن العقول الجارية لغرابتها مجرى الأمثال واختاروا لك تلك الصفات والأحوال الشاذة البعيدة من الوقوع (فضلوا) أى عن طريق المحااجة حيث لم يأتوا بشئ يمكن صدوره

تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾

٢٥ الفرقان

بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾

٢٥ الفرقان

- عمن له أدنى عقل وتمييز فبقوا متحيرين (فلا يستطيعون سبيلا) إلى القدح في نبوتك بأن يحدوا قولاً * يستقرون عليه وإن كان باطلاً في نفسه أو فضلوا عن الحق ضلالاً مبيهاً فلا يجدون طريقاً موصلاً إليه فإن من اعتاد استعمال أمثال هذه الأباطيل لا يكاد يهتدى إلى استعمال المقدمات الحقة (تبارك الذي) أى ١٠ تكاثر وتزايد خير الذي (إن شاء جعل لك) في الدنيا عاجلاً شيئاً (خيراً) لك (من ذلك) الذي اقترحوه من أن يكون لك جنة تأكل منها بأن يجعل لك مثل ما وعدك في الآخرة وقوله تعالى (جنات تجري من تحتها الأنهار) بدل من خيراً ومحقق لخيريته مما قالوا لأن ذلك كان مطلقاً عن قيد التعدد وجريان الأنهار (ويجعل لك قصوراً) عطف على محل الجزاء الذي هو جعل وقرئ بالرفع عطفاً على نفسه لأن الشرط * إذا كان ماضياً جاز في جزائه الرفع والجزم كافي قول القائل [وإن أتاه خليل يوم مسئلة] يقول لا غائب مالى ولا حرم [ويجوز أن يكون استئنافاً بوعده ما يكون له في الآخرة وقرئ بالنصب على أنه جواب بالواو وتعلق ذلك بمشيئته تعالى للإيدان بأن عدم جعلها بمشيئته المبنية على الحكم والمصالح وعدم التعرض لجواب الاقتراحين الأولين للتنبيه على خروجهما عن دائرة العقل واستغنائهما عن الجواب لظهور بطلانهما ومناقفتهما للحكمة التشريعية وإنما الذى له وجه في الجملة هو الاقتراح الأخير فإنه غير مناف للحكمة بالكلية فإن بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد أوفى الدنيا مع النبوة ملكاً عظيماً (بل ١١ كذبوا بالساعة) إضراب عن توبيخهم بحكاية جنائياتهم السابقة وانتقال منه إلى توبيخهم بحكاية جنائياتهم الأخرى للتخلص إلى بيان ما لهم في الآخرة بسببها من فنون العذاب بقوله تعالى (وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً) الخ أى أعتدنا لهم ناراً عظيمة شديدة الاشتعال شأنها كيت وكيت بسبب تكذيبهم بها على ما يشعر به وضع الموصول موضع ضميرهم وأولكل من كذب بها كائناً من كان وهم داخلون في زميرتهم دخولا أولاً ووضع الساعة موضع ضميرها للبالغة في التشنيع ومدار إعتاد السعير لهم وإن لم يكن مجرد تكذيبهم بالساعة بل مع تكذيبهم بسائر ما جاء به الشريعة الشريفة لكن الساعة لما كانت هى العلة القريبة لدخولهم السعير أشير إلى سببية تكذيبها لدخولها وقيل هو عطف على وقالوا ما لهذا الخ على معنى بل أتوا بأعجب من ذلك حيث كذبوا بالساعة وأنكروها والحال أن أعتدنا لكل من كذب بها سعيراً فإن جرائتهم على التكذيب بها وعدم خوفهم مما أعد لمن كذب بها من أنواع العذاب أعجب من القول السابق وقيل هو متصل بما قبله من الجواب المبني على التحقيق المنبئ عن الوعد بالجنات في الآخرة مسوق لبيان أن ذلك لا يجدى نفعا ولا يحل بطائل على طريقة قول من قال [عوجوا لنعم فحوا دمنة الدار] ماذا تحبون من نوى وأحجار [والمعنى أنهم لا يؤمنون بالساعة فكيف يقتنعون بهذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل

٢٥ الفرقان

إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾

٢٥ الفرقان

وَإِذَا أَلْقَاوْا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مَقْرِنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾

٢٥ الفرقان

لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾

- مثل ما وعدك في الآخرة وقيل المعنى بل كذبوا بها فقصرت أنظارهم على الحظوظ الدنيوية وظنوا أن الكرامة ليست إلا بالمال وجعلوا فترك ذريعة إلى تكذيبك وقوله تعالى (إِذَا رَأَتْهُمْ) الخ صفة للسعير أى إذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد كقوله ﷺ لا تترامى نارهما أى لا تتقاربان بحيث تكون إحداهما بمرأى من الأخرى على المجاز كأن بعضها يرى البعض ونسبة الرؤية إليها لا إليهم للإيذان بأن التغيظ والزفير منها لهيجان غضبها عليهم عند رؤيتها لإيهاهم حقيقة أو تمثيلاً ومن في قوله تعالى (من مكان بعيد) * إشعار بأن بعد ما بينها وبينهم من المسافة حين رأتهم خارج عن حدود البعد المعتاد في المسافات المعهودة وفيه مزيد تهويل لأمرها قال الكلبي والسدي من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة سنة (سمعوا لها تغيظاً وزفيراً) أى صوت تغيظ على تشبيهه صوت غليانها بصوت المغناط وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وإن الحياة لما تكن مشروطة عندنا بالبنية أمكن أن يخلق الله تعالى فيها حياة فترى وتغيط وتزفر
- ١٢ وقبل إن ذلك لربانيتها فتنسب إليها على حذف المضاف (وإذا ألقوا منها مكاناً) نصب على الظرفية ومنها حال منه لأنه في الأصل صفة له (ضيقاً) صفة لمكاناً مفيدة لزيادة شدة فإن الكرب مع الضيق كما أن الروح مع السعة وهو السرف وصف الجنة بأن عرضها السموات والأرض وعن ابن عباس وابن عمر رضى الله تعالى عنهم تضيق جهنم عليهم كما يضيق الزج على الرمح وسئل النبي ﷺ عن ذلك فقال والذي نفسى بيده إنهم ليستكروهون في النار كما يستكروه الوتد في الحائط قال الكلبي الأسفلون يرفعهم اللهم * والأعلون يحطمهم الداخولون فيزدحمون فيها وقرىء ضيقاً بسكون الياء (مقرنين) حال من مفعول ألقوا أى إذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً حال كونهم مقرنين قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم بالجوامع وقيل مقرنين * مع الشياطين في السلاسل كل كافر مع شيطان وفي أرجلهم الأصفاد (دعوا هنالك) أى في ذلك المكان
- ١٤ الهائل والحالة الفظيعة (ثبوراً) أى يتمنون هلاكاً وينادونه ياثبوراه تعال فهذا حينك وأوانك (لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً) على تقدير قول إما منصوب على أنه حال من فاعل دعوا أى دعوه مقولاً لهم ذلك حقيقة بأن مخاطبتهم الملائكة به لتنبههم على خلود عذابهم وأنهم لا يجابون إلى ما يدعونه ولا ينالون ما يتمنون منه من الهلاك المنجى أو تمثيلاً وتصويراً لحالهم بحال من يقال له ذلك من غير أن يكون هناك قول ولا خطاب أى دعوه حال كونهم أحقاه بأن يقال لهم ذلك وإما مستأنف وقع جواباً عن سؤال ينسحب عليه الكلام كأنه قيل فماذا يكون عند دعائهم المذكور فقيل يقال لهم ذلك إقناطاً بما علقوا به أطماعهم من الهلاك وتنبهياً على أن عذابهم الملجئ لهم إلى استدعاء الهلاك بالمرّة أبدى لا خلاص لهم منه أى

قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءٌ وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ ٢٥ الفرقان

لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴿١٦﴾ ٢٥ الفرقان

- لا تقتصروا على دعاء ثبور واحد (وادعوا ثبوراً كثيراً) أى بحسب كثرة الدعاء المتعلق به لا بحسب كثرته *
 فى نفسه فإن ما يدعونه ثبور واحد فى حد ذاته لكنه كلما تعلق به دعاء من تلك الأدعية الكثيرة صار كأنه
 ثبور مغاير لما تعلق به دعاء آخر منها وتحقيقه لا تدعوه دعاء واحداً وادعوه أدعية كثيرة فإن ما أنتم فيه
 من العذاب لغاية شدته وطول مدته مستوجب لتكرير الدعاء فى كل آن وهذا أدل على فظاعة العذاب
 وهوله من جعل تعدد الدعاء وتجدده لتعدد العذاب بتعدد أنواعه وألوانه أو لتعدد جلوده كما لا يخفى
 وأما ما قيل من أن المعنى إنكم وقعتُم فيما ليس ثبوركم فيه واحداً إنما هو ثبور كثير إما لأن العذاب أنواع
 وألوان كل نوع منها ثبور لشدة وفظاعته أو لأنهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم
 فلا يلائم المقام كيف لا وهم إنما يدعون هلاكاً ينهى عذابهم وينجيهم منه فلا بد أن يكون الجواب إقناطاً
 لهم من ذلك ببيان استحالة ودوام ما يوجب استدعاه من العذاب الشديد وتقييد النهى والأمر باليوم
 لمزيد التهويل والتفطيع والتنبيه على أنه ليس كسائر الأيام المعهودة (قل) تقرعاً لهم وتهكاً بهم وتحسيراً ١٥
 على ما فهمهم (أذلك) إشارة إلى ما ذكر من السعير باعتبار اتصافها بما فصل من الأحوال الهائلة وما فيه
 من معنى البعد للإشعار بكونها فى الغاية القاصية من الهول والفظاعة أى قل لهم أذلك الذى ذكر من السعير
 التى أعتدت لمن كذب بالساعة وشأنها كيت وكيت وشأن أهلها ذيت وذيت (خير أم جنة الخلد التى وعد
 المتقون) أى وعد المتقون وإضافة الجنة إلى الخلد للدح وقيل للتمييز عن جنات الدنيا والمراد بالمتقين
 المنتصفون بمطلق التقوى لا بالمرتبة الثانية ولا الثالثة منها فقط (كانت) تلك الجنة (لهم) فى علم الله تعالى
 أو فى اللوح المحفوظ أولاً لأن ما وعده الله تعالى فهو كائن لا محالة فحكي تحقيقه ووقوعه (جزاء) على أعمالهم
 حسب ما مر من الوعد الكريم (ومصيراً) ينقلبون إليه (لهم فيها ما يشاءون) أى ما يشاءونه من فنون الملاذ
 والمشتهيات وأنواع النعيم كما فى قوله تعالى ولستم فيها ما تشتهى أنفسكم ولعل كل فريق منهم يقتنع بما أتبع
 له من درجات النعيم ولا تمتد أعناقهم همهم إلى ما فوق ذلك من المراتب العالية فلا يلزم الحرمان ولا
 تساوى مراتب أهل الجنان (خالدين) حال من الضمير المستكن فى الجار والمجرور لاعتداده على المبتدأ
 وقيل من فاعل يشاءون (كان) أى ما يشاءونه وقيل الوعد المدلول عليه بقوله تعالى وعد المتقون (على ربك
 وعداً مسئولاً) أى موعوداً حقيقة أبان يسأل ويطلب لكونه بما يتنافس فيه المتنافسون أو مسئولاً يسأله
 الناس فى دعائهم بقولهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسالك أو الملائكة بقولهم ربنا وأدخلهم جنات عدن التى
 وعدتهم وما فى على من معنى الوجوب لا امتناع الخلف فى وعده تعالى ولا يلزم منه الإلجاء إلى الإنجاز
 فإن تعلق الإرادة بالموعود متقدم على الوعد الموجب للإنجاز وفى التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة
 إلى ضميره ﷻ من تشريفه والإشعار بأنه ﷻ هو الفائز أثر ذى أثر بمغناهم الوعد الكريم ما لا يخفى .

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا

٢٥ الفرقان

السَّبِيلَ ١٧

قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعِيبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا

٢٥ الفرقان

الَّذِ كَرَّ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ١٨

- ١٧ (ويوم يحشرهم) نصب على أنه مفعول لمضمر مقدم معطوف على قوله تعالى قل اذكركم الخ أي واذكر لهم بعد التقرير والتحسير يوم يحشرهم الله عز وجل وتعليق التذكير باليوم مع أن المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث الهائلة قد مر وجهه غير مرة أو على أنه ظرف لمضمر مؤخر قد حذف للتنبيه على كمال هول وفظاعة ما فيه والإيدان بقصور العبارة عن بيانه أي يوم يحشرهم يكون من الأحوال والآهوال * مالا يفي ببيانه المقال وقرىء بنون العظمة بطريق الالتفات من الغيبة إلى التكلم وبكسر الشين أيضاً (وما يعبدون من دون الله) أريد به ما يعبد العقلاء وغيرهم إما لأن كلمة ما موضوعة للكل كما ينبغي عنه أنك إذا رأيت شبحاً من بعيد تقول ما هو أو لأنه أريد به الوصف لا الذات كأنه قيل ومعبودهم أول تغليب الأصنام على غيرها تنبيهاً على أنهم مثلها في السقوط عن رتبة المعبودية أو اعتباراً لغلبة عبدتها أو أريد به الملائكة والمسيح وعزير بقرينة السؤال والجواب أو الأصنام ينطقها الله تعالى أو تكلم بلسان الحال * كما قيل في شهادة الأيدي والأرجل (فيقول) أي الله عز وجل للمعبودين إثر حشر الكل تقريراً للعبدة وتبكيته لهم وقرىء بالنون كما عطف عليه وقرىء هذا بالياء والأول بالنون على طريق الالتفات إلى الغيبة (أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء) بأن دعوتهم إلى عبادتكم كافي قوله تعالى أأنتم قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله (أم هم ضلوا السبيل) أي عن السبيل بأنفسهم لإخلاهم بالنظر الصحيح وإعراضهم عن المرشد لحذف الجار وأوصل الفعل إلى المفعول كقوله تعالى وهو يهدي السبيل والأصل إلى السبيل أو للسبيل ١٨ وتقديم الضميرين على الفعلين لأن المقصود بالسؤال هو المتعدي للفعل لا نفسه (قالوا) استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية السؤال كأنه قيل فاذا قالوا في الجواب فقولوا (سبحانك) تعجباً عما قيل لهم لأنهم إماملائكة معصومون أو جمادات لا قدرة لها على شيء أو إشعاراً بأنهم الموسومون بتسبيحه تعالى وتوحيده فكيف يتأتى منهم إضلال عباده أو تنزيهاً له تعالى عن الانداد (ما كان ينبغي لنا) أي ما صح وما استقام لنا * (أن نتخذ من دونك) أي متجاوزين إياك (من أولياء) نعبدهم لما بنانا من الحالة المنافية له فأنى تصور أن نحمل غيرنا على أن يتخذ ولياً غيرك فضلاً أن يتخذنا ولياً أو أن نتخذ من دونك أولياء أي أتباعاً فإن الولي كما يطلق على المتبوع يطلق على التابع كالمولى يطلق على الأعلى والأسفل ومنه أولياء الشيطان أي أتباعه وقرىء على البناء للمفعول من المتعدي إلى المفعولين كافي قوله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلاً ومفعوله الثاني من أولياء على أن من للتبعيض أي أن نتخذ بعض أولياءه وهي على الأول مزيدة وتكثير أولياءه من حيث إنهم أولياء مخصوصون

فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مَنكُم نَذِقْهُ عَذَابًا

٢٥ الفرقان

كَبِيرًا ﴿١٩﴾

- وهم الجن والأصنام (ولكن متعتهم وآباءهم) استدارك مسوق لبيان أنهم هم الضالون بعد بيان تزهيمهم عن إضلالهم وقد نفى عليهم سوء صنيعهم حيث جعلوا أسباب الهداية أسباباً للضلالة أى ما أضللاهم ولكنك متعتهم وآباءهم بأنواع النعم ليعرفوا حقها ويشكروها فاستغرقوا في الشهوات وانهمكوا فيها (حتى نسوا الذكر) أى غفلوا عن ذكرك أو عن التذكر فى آلائك والتدبر فى آياتك فجعلوا أسباب الهداية بسوء اختيارهم ذريعة إلى الغواية (وكانوا) أى فى قضائك المبنى على علمك الا زلى المتعلق بما سيصدر عنهم فيما لا يزال باختيارهم من الأعمال السيئة (قوما بوراً) أى هالكين على أن بوراً مصدر وصف به الفاعل مبالغة ولذلك يستوى فيه الواحد والجمع أو جمع باثر كعمود فى جمع طائفة والجملة اعتراض تذييل مقرر لمضمون ما قبله وقوله تعالى (فقد كذبوكم) حكاية لاحتجاجه تعالى على العبداء بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن المعبودين عند تمام جوابهم وتوجيهه إلى العبداء مبالغة فى تزييمهم وتبكييتهم على تقدير قول مرتب على الجواب أى فقال الله تعالى عند ذلك فقد كذبوكم المعبودون أيها الكفرة (بما تقولون) * أى فى قولكم إنهم آلهة وقيل فى قولكم هؤلاء أضلونا وآباءهم أن تكذيبهم فى هذا القول لا تعلق له بما بعده من عدم استطاعتهم للصرف والنصر أصلاً وإنما الذى يستتبعه تكذيبهم فى زعمهم أنهم آلهتهم وناصروهم وآباءهم ما كان قابلاً بمعنى فى أوهى صلة للتكذيب على أن الجار والمجرور بدل اشتغال من الضمير المنصوب وقرئ بالياء أى كذبوكم بقولهم سبحانه الآية (فما تستطيعون) أى ما تملكون (صرفاً) أى * دفعاً للعذاب عنكم بوجه من الوجوه كما يعرب عنه التنكير أى لا بالذات ولا بالواسطة وقيل حيلة من قولهم إنه ليتصرف فى أموره أى يحتال فيها وقيل توبة (ولا نصرأ) أى فرداً من أفراد النصر لا من جهة أنفسهم ولا من جهة غيركم والفاء لترتيب عدم الاستطاعة على ما قبلها من التكذيب لكن لا على معنى أنه لولا لوجدت الاستطاعة حقيقة بل فى زعمهم حيث كانوا يزعمون أنهم يدفعون عنهم العذاب وينصرونهم وفيه ضرب تهكم بهم وقرئ يستطيعون على صيغة الغيبة أى ما يستطيع آلهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب أو يحتالوا لكم ولا ينصروكم وترتب ما بعد الفاء على ما قبلها كما مر بيانه (ومن يظلم منكم) أيها المكلفون كذاب هؤلاء * حيث ركبوا متن المكابرة والعناد واستمروا على ما هم عليه من الفساد وتجاوزوا فى اللجاج كل حد معتاد (نذقه) فى الآخرة (عذاباً كبيراً) لا يقادر قدره وهو عذاب النار وقرئ يذقه على أن الضمير * لله سبحانه وتعالى وقيل لمصدر الفعل الواقع شرطاً وتعميم الظلم لا يستلزم اشتراك الفاسق للكافر فى إذاقة العذاب الكبير فإن الشرط فى اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والإحباط بالطاعة لإجماعاً وبالعفو عندنا .

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ

لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

٢٥ الفرقان

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ

وَعَتَوْعْتُوْا كَبِيرًا ﴿٢١﴾

٢٥ الفرقان

- ٢٠ (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق) جواب عن قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق والجملة الواقعة بعد إلا صفة لموصوف قد حذف ثقة بدلالة الجار والمجرور عليه وأقيمت هي مقامه كما في قوله تعالى وما منا إلا له مقام معلوم والمعنى ما أرسلنا أحداً قبلك من المرسلين إلا آكلين ومشين وقيل هي حال والتقدير إلا وإنهم ليأكلون الخ وقرئ يمشون على البناء للفعول أي يمشيهم حوائجهم أو الناس (وجعلنا بعضكم) تلوين للخطاب بتعميمه لسائر الرسل عليهم الصلاة والسلام بطريق التغليب والمراد بهذا البعض كفار الأمم فإن اختصاصهم بالرسول وتبعيتهم لهم مصحح لأن يعدوا بعضاً منهم وبما في قوله تعالى (لبعض) رسلهم لكن لا على معنى جعلنا مجموع البعض الأول (فتنة) أي ابتلاء ومحنة لمجموع البعض الثاني ولا على معنى جعلنا كل فرد من أفراد البعض الأول فتنة لكل فرد من أفراد البعض الثاني ولا على معنى جعلنا بعضاً مبهماً من الأولين فتنة لبعض مبهم من الآخرين ضرورة أن مجموع الرسل من حيث هو مجموع غير مفتون بمجموع الأمم ولا كل فرد منهم بكل فرد من الأمم ولا بعض مبهم من الأولين ببعض مبهم من الآخرين على بل معنى جعلنا كل بعض معين من الأمم فتنة لبعض معين من الرسل كأنه قيل وجعلنا كل أمة مخصوصة من الأمم الكافرة فتنة لرسولها المعين المبعوث إليها وإنما لم يصرح بذلك تعويلاً على شهادة الحال هذا أو ما تعميم الخطاب لجميع المكلفين وإبقاء البعضين على العموم والإبهام على معنى وجعلنا بعضكم أيها الناس فتنة لبعض آخر منكم
- فيأباه قوله تعالى (أتصبرون) فإنه غاية للجعل المذكور ومن البين أن ليس ابتلاء كل أحد من آحاد الناس مغنياً بالصبر بل بما يناسب حاله على أن الاختصار على ذكره من غير تعرض لمعادله بما يدل على أن اللائق بحال المفتونين والمتوقع صدورهم عنهم هو الصبر لا غير فلا بد أن يكون المراد بهم الرسل فيحصل به تسليته عليه السلام فالمعنى جرت سنتنا بموجب حكمتنا على ابتلاء المرسلين بأهمهم وبمناصبتهم لهم العداوة وإيذائهم لهم
- وأقاولهم الخارجة عن حدود الإنصاف لنعلم صبركم وقوله تعالى (وكان ربك بصيراً) وعد كريم للرسول عليه السلام بالأجر الجزيل لصبره الجميل مع مزيد تشريف له عليه السلام بالالتفات إلى اسم الرب مضافاً إلى ضميره
- ٢١ (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) شروع في حكاية بعض آخر من أقاويلهم الباطلة وبيان بطلانها إثر إبطال أباطيلهم السابقة والجملة معطوفة على قوله تعالى وقالوا ما لهذا الرسول الخ ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما في حيز الصلة على أن ما يحكى عنهم من الشناعة بحيث لا يصدر عن معتقد المصير إلى الله

عز وجل ولقاء الشيء عبارة عن مصادفته من غير أن يمنع مانع من إدراكه بوجه من الوجوه والمراد ببقائه تعالى إما الرجوع إليه تعالى بالبعث والحشر أو لقاء حسابه تعالى كافي قوله تعالى إني ظننت أني ملاق حسابه وبعدهم رجائهم إياه عدم توقعهم له أصلاً لا نكارهم البعث والحساب بالكلية لعدم أملهم حسن اللقاء وعدم خوفهم سوء اللقاء لأن عدمهما غير مستلزم لما هم عليه من العتو والاستكبار وإنكار البعث والحساب رأساً أي وقال الذين لا يتوقعون الرجوع إلينا أو حسابنا المؤدى إلى سوء العذاب الذي تستوجبهم عقابهم (لولا أنزل علينا الملائكة) أي هلا أنزلوا علينا لينخبرونا بصدق محمد ﷺ وقيل هلا أنزلوا علينا بطريق الرسالة وهو الأنسب لقولهم (أو نرى ربنا) من حيث أن كلا القولين ناشئ عن غاية غلوهم في المكابرة والعتو حسبما يعرب عنه قوله تعالى (لقد استكبروا في أنفسهم) أي في شأنها حتى اجتمروا على النفوس بمثل هذه العظيمة الشنعاء (وعتوا) أي تجاوزوا الحد في الظلم والطغيان (عتوا كبيراً) بالغاً أقصى غاياته حيث أملاوا نيل مرتبة المفاضة الإلهية من غير توسط الرسول والملاك كما قالوا لولا يكلمنا الله ولم يكتفوا بما عاينوا من المعجزات القاهرة التي تخر لها صم الجبال فذهبوا في الاقتراح كل مذهب حتى منتهم أنفسهم الحبيشة أمانى لا تكاد ترنو إليها أحداق الأمم ولا تمتد إليها أعناق الهمم ولا ينالها إلا أولو العزائم الماضية من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام واللام جواب قسم محذوف أي والله لقد استكبروا الآية وفيه من الدلالة على غاية قبح ما هم عليه والإشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم ما لا يخفى (يوم يرون الملائكة) استئناف مسوق لبيان ما يلقونه عند مشاهدتهم لما اقترحوه من نزول الملائكة عليهم السلام بعد استعظامه وبيان كونه في غاية ما يكون من الشناعة وإنما قيل يوم يرون دون أن يقال يوم ينزل الملائكة إيداناً من أول الأمر بأن رؤيتهم لهم ليست على طريق الإجابة إلى ما اقترحوه بل على وجه آخر غير معهود ويوم منصوب على الظرفية بما يدل عليه قوله تعالى (لا بشرى يومئذ للمجرمين) فإنه في معنى لا يبشر يومئذ المجرمون والعدول إلى نفي الجنس لللباقة في نفي البشري وما قيل من أنه بمعنى يمنعون البشري أو يعدمونها تهوين للخطب في مقام التهويل فإن منع البشري وفقدانها مشعران بأن هناك بشري يمنعونها أو يفقدونها وأين هذا من نفيها بالكلية وحيث كان نفيها كناية عن إثبات ضدها كما أن نفي المحبة في مثل قوله تعالى والله لا يحب الكافرين كناية عن البغض والمقت دل على ثبوت النذر لهم على أبلغ وجه وأكده وقيل منصوب بفعل مقدر يؤكد بشرى على أن لا غير نافية للجنس وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم عليه أي أذكر يوم رؤيتهم الملائكة ويومئذ على كل حال تكرير للتأكيد والتهويل مع ما فيه من الإيدان بأن تقديم الظرف للاهتمام لا لقصر نفي البشري على ذلك الوقت فقط فإن ذلك غل بتفطيع حالهم وللمجرمين تبين على أنه مظهر وضع موضع الضمير تسجيلاً عليهم بالأجرام مع ما هم عليه من الكفر وحمله على العموم بحيث يتناول فساق المؤمنين ثم الالتجاء في إخراجهم عن الحرمان الكلي إلى أن نفي البشري حينئذ لا يستلزم نفيه في جميع الأوقات فيجوز أن يبشروا بالعفو والشفاعة في وقت آخر بمعزل عن الحق بعيد

٢٥ الفرقان

وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٥﴾

٢٥ الفرقان

أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٥﴾

- (ويقولون) عطف على ما ذكر من الفعل المنفي المنفي عن كال فظاعة ما يحق بهم من الشر وغاية هول
- مطلعهم ببيان أنهم يقولون عند مشاهدتهم له (حجراً محجوراً) وهي كلمة يتكلمون بها عند لقاء عدو متور وجوهم نازلة هائلة يضعونها موضع الاستعاذة حيث يطلبون من الله تعالى أن يمنع المكروه فلا يلحقهم فكان المعنى نسأل الله تعالى أن يمنع ذلك منعاً ويحجّره حجراً وكسر الحاء تصرف فيه لا اختصاصه بموضع واحد كما في قعدك وعمرك وقد قرئ حجراً بالضم والمعنى أنهم يطلبون نزول الملائكة عليهم السلام ويقترحونه وهم إذا رأوهم كرهوا لقاءهم أشد كراهة وفزعوا منهم فزعاً شديداً وقالوا ما كانوا يقولونه عند نزول خطب شنيع وحلول بأس شديد فظيع ومحجوراً صفة للحجراً وأرادة للتأكيد كما قالوا ذبل ذائل وليل أليل وقيل يقولها الملائكة إفتناً للكفرة بمعنى حراماً محرماً عليكم الغفران أو الجنة أو البشرى أى جعل الله تعالى ذلك حراماً عليكم وليس بواضح (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً) بيان لحال ما كانوا يعملونه في الدنيا من صلة رحم وإغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على أسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم التي لو كانوا يعملوها مع الإيمان لنالوا ثوابها بتمثيل حالهم وحال أعمالهم المذكورة بحال قوم خالفوا سلطانهم واستمعوا عليه فقدم إلى أشياءهم وقصد ما تحت أيديهم فأنهى عليها بالإفساد والتحريق ومزقها كل تمزيق بحيث لم يدع لها عيناً ولا أثراً أى همدنا إليها وأبطالنا ما أى أظهرنا بطلانها بالكلية من غير أن يكون هناك قدوم ولا شيء يقصد تشبيهه به والهباء شبه غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من السكوة من الهبوة وهي الغبار ومنثوراً صفة شبه به أعمالهم المحبطة في الحقارة وعدم الجدوى ثم بالمنثور منه في الانتشار بحيث لا يمكن نظمه أو مفعول ثالث من حيث إنه كالخبر بعد الخبر
- كما في قوله تعالى كونوا أقردة خاسئين (أصحاب الجنة) هم المؤمنون المشار إليهم في قوله تعالى قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون الخ (يومئذ) أى يوم إذ يكون ما ذكر من عدم التبشير وقولهم حجراً محجوراً وجعل أعمالهم هباءً منثوراً (خير مستقراً) المستقر المكان الذي يستقر فيه في أكثر الأوقات
- للتجالس والتحدث (وأحسن مقيلاً) المقيـل المكان الذي يؤوى إليه للاسترواح إلى الأزواج والتمتع بمغازلتهم سمي بذلك لما أن التمتع به يكون وقت القيلولة غالباً وقيل لأنه يفرغ من الحساب في منتصف ذلك اليوم فيقبل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وفي وصفه بزيادة الحسن مع حصول الخيرية بعطفه على المستقر ومنز إلى أنه مزين بفنون الزين والزخارف والتفضيل المعتبر فيهما إما لإرادة الزيادة على الإطلاق أى هم في أقصى ما يكون من خيرية المستقر وحسن المقيـل ولما بالإضافة إلى ما للكفرة المنتعمين في الدنيا أولى ما لهم في الآخرة بطريق التهمك بهم كما مر في قوله تعالى قل أذلك خير الآية هذا وقد جوز أن يراد بأحدهما المصدر أو الزمان إشارة إلى أن مكانهم وزمانهم أطيب ما يتخيل من الأمكنة والأزمنة

وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ وَتُزَلُّ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٢٥ الفرقان

الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ ٢٥ الفرقان

وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلْبِيتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ ٢٥ الفرقان

(ويوم تشقق السماء) أى تفتح وأصله تشقق لحذف إحدى التاءين كما فى تطلّى وقرىء بإدغام التاء فى ٢٥
 الثين (بالغمام) بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام الذى ذكر فى قوله تعالى هل ينظرون إلا أن يأتهم
 الله فى ظلل من الغمام والملائكة قيل هو غمام أبيض رقيق مثل الضباب ولم يكن إلا لبنى إسرائيل (ونزل
 الملائكة تنزيلاً) أى تنزيلاً عجيّباً غير معمول وقيل تشقق سماء سماء وينزل الملائكة خلال ذلك الغمام بصحائف
 أعمال العباد وقرىء ونزلت الملائكة ونزل ونزل على صيغة المتكلم من الإنزال والتنزيل ونزل الملائكة
 وأنزل الملائكة ونزل الملائكة على حذف النون الذى هو فاء الفعل من تنزل (الملك يومئذ الحق الرحمن) ٢٦
 أى السلطنة القاهرة والاستيلاء الكلى العام الثابت صورة ومعنى ظاهراً وباطناً بحيث لا زوال له أصلاً
 ثابت للرحمن يومئذ فالملك مبتدأ والحق صفته وللرحمن خبره ويومئذ ظرف لثبوت الخبر للبستدأ وقائدة
 التقيد أن ثبوت الملك المذكور له تعالى خاصة يومئذ وأما فيما عداه من أيام الدنيا فيكون لغيره أيضاً
 تصرف صورى فى الجملة وقيل الملك مبتدأ والحق خبره وللرحمن متعلق بالحق أو بمحذوف على التبيين
 أو بمحذوف هو صفة للحق ويومئذ معمول للملك وقيل الخبر يومئذ والحق نعمت للملك وللرحمن على ما ذكر
 وأياً ما كان فالجملة بمعناها عاملة فى الظرف أى ينفرد الله تعالى بالملك يوم تشقق وقيل الظرف منصوب
 بما ذكر فالجملة حينئذ استئناف مسوق لبيان أحواله وأهواله وإيراده تعالى بعنوان الرحمانية للإيذان بأن
 اتصافه تعالى بغاية الرحمة لا يهون الخطب على الكفرة لعدم استحقاقهم للرحمة كما فى قوله تعالى يا أيها
 الإنسان ما عرك ربك الكريم والمعنى أن الملك الحقيقى يومئذ للرحمن (وكان) ذلك اليوم مع كون
 الملك فيه لله تعالى المبالغ فى الرحمة لعباده (يوماً على الكافرين عسيراً) شديداً لهم وتقدير الجار والمجرور
 مراعاة الفواصل وأما للؤمنين فيكون يسيراً بفضل الله تعالى وقد جاء فى الحديث أنه يهون يوم القيامة
 على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة صلاحها فى الدنيا والجملة اعتراض تذييل مقرر لما قبله
 (ويوم يعص الظالم على يديه) عض اليدين والأنامل وأكل البنان وحرق الأسنان ونحوها كنايةات عن
 العيظ والحسرة لأنها من رواد فهمما والمراد بالظالم إما عقبة بن أبى معيط على ما قيل من أنه كان يكثر
 مجالسة النبي ﷺ فدعاه ﷺ يوماً إلى ضيافته فأبى ﷺ أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل
 وكان أبى بن خلف صديقه فدأبسه فقال صبات فقال لا ولكن أبى أن يأكل من طعامى وهو فى بيتى
 فاستحييت منه فشهدت له فقال إني لأرضى منك إلا أن تأتبه فتطأ قفاه وتبرق فى وجهه فوجده ساجداً
 فى دار الندوة ففعل ذلك فقال ﷺ لا ألقاك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فأسر يوم بدر فأمر

٢٥ الفرقان

يَنْوِيْلَتْنِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾

٢٥ الفرقان

لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾

٢٥ الفرقان

وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾

- علياً رضى الله عنه فقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت الأنصاري وطعن عليه السلام أيأ يوم أحد في المبارزة فرجع إلى مكة ومات وإما جنس الظالم وهو داخل فيه دخولا أولياً وقوله تعالى (يقول) الخ حال من فاعل بعض وقوله تعالى (يا ليتني) الخ محكي به وبالإما مجرد التنبيه من غير قصد إلى تعيين المنبه أو المنادى محذوف
- * أي يا هؤلاء ليتني (اتخذت مع الرسول سبيلاً) أي طريقاً واحداً منجياً من هذه الورطات وهو طريق الحق ولم تتشعب بي طريق الضلالة أو حصلت في محبته عليه السلام طريقاً ولم أكن ضالاً لا طريق لي قط
- ٢٨ (يا ويلنا) بقلب ياء المتكلم ألفاً كما في صحاري ومداري وقرىء على الأصل يا ويلتي أي هلكتي تعالى واحضري فهذا أوانك (ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً) يريد من أضله في الدنيا فإن فلاناً كناية عن الأعلام كما أن الهم كناية عن الأجناس وقيل فلان كناية عن علم ذكور من يعقل وفلانة عن علم إناثهم وفل كناية عن نكرة من يعقل من الذكور وفلة همن يعقل من الإناث والفلان والفلانة من غير العاقل ويخص فل بالنداء إلا في ضرورة كما في قوله [في لجة أمسك فلاناً عن فل] وقوله [خذنا حدثاً ثانياً عن فل وفلان] وليس فل مرخماً من فلان خلافاً للفرأ واختلفوا في لام فل وفلان فقيل واو وقيل ياء هذا فإن أريد بالظالم عقبة ففلان كناية عن أبي وإن أريد به الجنس فهو كناية عن علم كل من يضل كائناً من كان من شياطين الإنس والجن وهذا التمثيل منه وإن كان مسوقاً لإبراز الندم والحسرة لكنه متضمن لنوع تعلل
- ٢٩ واعتذار بتوريتك جنابته إلى الغير وقوله تعالى (لقد أضلني عن الذكر) تعليل لتنبه المذكور وتوضيح لتعلله وتصديره باللام القسمية للبالغة في بيان خطئه وإظهار ندمه وحسرتة أي والله لقد أضلني عن ذكر الله تعالى أو عن القرآن أو عن موعظة الرسول عليه السلام أو كلمة الشهادة (بعد إذ جاءني) وتمسكت منه وقوله تعالى (وكان الشيطان للإنسان خذولاً) أي مبالغاً في الخذلان حيث يواليه حتى يؤديه إلى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله إماماً جمته تعالى أو من تمام كلام الظالم على أنه سمى خليله شيطاناً بعد وصفه بالإضلال الذي هو أخص الأوصاف الشيطانية أو على أنه أراد بالشيطان إبليس لأنه الذي حمله على مخالطة المضلين ومخالفة الرسول الهادي عليه السلام بوسوسته وإغوائه لكن وصفه بالخذلان يشعر بأنه كان يبعده في الدنيا ويمنيه بأنه ينفعه في الآخرة وهو أوفق بحال إبليس (وقال الرسول) عطف على قوله تعالى وقال الذين لا يرجون لقاءنا وما بينهما اعتراض مسوق لاستعظام ما قالوه وبيان ما يحق بهم في الآخرة من الأحوال والخطوب وإيراده عليه السلام بعنوان الرسالة لتحقيق الحق والرد على منحورم حيث كان ما حكي عنهم قدحا في رسالته عليه السلام أي قالوا أكبت وكبت وقال الرسول إثر ما شاهد منهم غاية
- ٣٠

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ٢٥ الفرقان

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ

تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ٢٥ الفرقان

- * العتو ونهاية الطغيان بطريق البث إلى ربه عز وجل (يارب إن قومي) يعنى الذين حكى عنهم ما حكى من الشنائع (اتخذوا هذا القرآن) الذى من جملة هذه الآيات الناطقة بما يحق بهم فى الآخرة من فنون العقاب كما ينبى عنه كلمة الإشارة (مهجوراً) أى متروكاً بالكلية ولم يؤمنوا به ولم يعرفوا إليه راساً ولم يتأثروا بوعيده وفيه تلويح بأن من حق المؤمن أن يكون كثير التعاهد للقرآن كيلاً يندرج تحت ظاهر النظم الكريم فإنه روى عنه ﷺ أنه قال من تعلم القرآن وعلق مصحفاً لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلفاً به يقول يارب العالمين عبدك هذا اتخذت مهجوراً أقض بينى وبينه وقيل هو من هجر إذا هذى أى جعلوه مهجوراً فيه إما على زعمهم الباطل وإما بأن هجروا فيه إذا سمعوه كما يحكى عنهم من قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وقد جوز أن يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول فالعنى اتخذوه هجراً وهذياناً وفيه من التحذير والتخويف ما لا يخفى فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذا شكوا إلى الله تعالى قومهم عجل لهم العذاب ولم ينظروا وقوله تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين) تسلياً لرسول ٣١ الله ﷺ وحمل له على الاقتداء بمن قبله من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أى كما جعلنا لك أعداء من المشركين يقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون من الأباطيل جعلنا لكل نبي من الأنبياء الذين هم أصحاب الشريعة والدعوة إليها عدواً من مجرمي قومهم فاصبر كما صبروا وقوله تعالى (وكفى بربك هادياً ونصيراً) وعد كريم له ﷺ بالهداية إلى كافة مطالبه والنصر على أعدائه أى كفالك مالك أمرك ومبلغك إلى الكمال هادياً لك إلى ما وصلك إلى غاية الغايات التى من جملتها تبليغ الكتاب أجله وإجراء أحكامه فى أكناف الدنيا إلى يوم القيامة ونصيراً لك على جميع من يعاديك (وقال الذين كفروا) حكاية لاقتراحهم الخاص ٣٢ بالقرآن الكريم بعد حكاية اقتراحهم فى حقه ﷺ والقائلون هم القائلون أولاً وإيرادهم بعنوان الكفر لئلا يظن أنهم يأتونهم بالإشعار بعلّة الحكم (لولا نزل عليه القرآن) التنزيل ههنا مجرد عن معنى التدرّج كما فى قوله تعالى يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء ويجوز أن يراد به الدلالة على كثرة المنزل فى نفسه أى هلا أنزل كله (جملة واحدة) كالكتب الثلاثة وبطلان هذه الكلمة الحقاها لا يكاد يخفى على أحد * فإن الكتب المتقدمة لم يكن شاهد محتها ودليل كونها من عند الله تعالى إعجازها وأما القرآن الكريم فينبى صحتها وآية كونه من عند الله تعالى نظمه المعجز الباقي على مر الدهور المتحقق فى كل جزء من أجزائه المقطرة بمقدار أقصر السور حسبما وقع به التحدى ولا ريب فى أن ما يدور عليه فلك الإعجاز هو المطابقة لما تقتضيه الأحوال ومن ضرورة تغييرها وتجددها تغيير ما يطابقها حتماً على أن فيه فوائد جمة قد أشير إلى بعض منها بقوله تعالى (كذلك لنثبت به فؤادك) فإنه استئناف وارد من جهته تعالى لرد مقاتلهم الباطلة *

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٢٥﴾

وبيان الحكمة في التنزيل التدريجي ومحل الكاف النصب على أنها صفة لمصدر مؤكد لمضمر معلل بما بعده وذلك إشارة إلى ما يفهم من كلامهم أي مثل ذلك التنزيل المفرق الذي قد حو افيه واقترحوا خلافه ونزلناه لا تنزيلا مغايرا له لنقوى بذلك التنزيل المفرق فوادك فإن فيه تيسير الحفظ النظم وفهم المعاني وضبط الأحكام والوقوف على تفاصيل ما روى فيها من الحكم والمصالح المبنية على المناسبة على أنها منوطة بأسبابها الداعية إلى شرعها ابتداء أو تبديلا بالنسخ من أحوال المكلفين وكذلك عامة ما ورد في القرآن المجيد من الأخبار وغيرها متعلقة بأمر حادث من الأقاويل والأقاعيل ومن قضية تجدها متجدد ما يتعلق بها كالاقتراحات الواقعة من الكفرة الداعية إلى حكايتها وإبطالها وبيان ما يؤول إليه حالهم في الآخرة على أنهم في هذا الاقتراح كالباحث عن حقه بظلمه حيث أمروا بالإتيان بمثل نوبة من نوب التنزيل فظهر عجزهم عن المعارضة وضاعت عليهم الأرض بما رحبت فكيف لو تحدوا بكلمة وقوله تعالى (ورتلناه ترتيلا) عطف على ذلك المضمر وتنكير ترتيلا للتفخيم أي كذلك نزلناه ورتلناه ترتيلا بديعا لا يقادر قدره ومعنى ترتيله تفريقه آية بعد آية قاله النخعي والحسن وقتادة وقال ابن عباس رضى الله عنهما بيناه بيانا فيه ترتيل وتثبيت وقال السدي فصلناه تفصيلا وقال مجاهد جعلنا بعضه في إثربعض وقيل هو الأمر بترتيل قراءته بقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا وقيل قرأناه عليك بلسان جبريل عليه السلام شيئا فشيئا في عشرين أو في ثلاث وعشرين سنة على تؤدة وتمهل (ولا يأتونك بمثل) من الأمثال التي من جملتها ما حكى من اقتراحاتهم القبيحة الخارجة عن دائرة العقول الجارية لذلك مجرى الأمثال أي لا يأتونك بكلام عجيب هو مثل في البطلان يريدون به القدح في حقك وحق القرآن (إلا جئناك) في مقابلته (بالحق) أي بالجواب الحق الثابت الذي ينحى عليه بالإبطال ويحسم مادة القيل والقال كما مر من الأجوبة الحق القالعة لعل روق أسئلتهم الشنيعة الدامغة لها بالكلية وقوله تعالى (وأحسن تفسيراً) عطف على الحق أي جئناك بأحسن تفسير أو على محل بالحق أي أتيناك بالحق وأحسن تفسير أي بيانا وتفصيلا على معنى أنه في غاية ما يكون من الحسن في حد ذاته لأن ما يأتون به له حسن في الجملة وهذا أحسن منه كما مر والاستثناء مفرغ محله النصب على الحالية أي لا يأتونك بمثل إلا حال إيتائنا إياك الحق الذي لا يحيد عنه وفيه من الدلالة على المسارعة إلى إبطال ما أتوا به وتثبيت فواده ﷺ ما لا يخفى وهذا بعبارة ناطق ببطلان جميع الأسئلة وبصحة جميع الأجوبة ويأشارته منبه عن بطلان السؤال الأخير وصحة جوابه إذ لولا أن تنزيل القرآن على التدرج لما أمكن إبطال تلك الاقتراحات الشنيعة ولما حصل تثبيت فواده ﷺ من تلك الحثيثة هذا وقد جوز أن يكون المثل عبارة عن الصفة الغريبة التي كانوا يقترحون كونه ﷺ عليها من مقارنة الملك والاستغناء عن الكل والشرب وحياسة الكنز والجنة ونزول القرآن عليه جملة واحدة على معنى لا يأتونك بحال عجيبة يقترحون اتصافك بها فائلين هلا كان على هذه الحالة إلا أعطيناك نحن من الأحوال الممكنة ما يحق لك في حكمتنا ومشيئتنا أن نعطاء وما هو أحسن تكشفاً لما بعثت عليه ودلالة على صحته وهو الذي أنت عليه في الذات

الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ ٢٥ الفرقان

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ ٢٥ الفرقان

فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايِنِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ ٢٥ الفرقان

والصفات وبأبواب الاستثناء المذكور فإن المتبادر منه أن يكون ما أعطاه الله تعالى من الحق مترتباً على ما أتوا به من الأباطيل دافعاً لها ولا ريب في أن ما آتاه الله تعالى من الملكات السنية اللاتمة بالرسالة قد آتاه من أول الأمر لا بمقابلة ما حكى عنهم من الافتراحت لأجل دمعها وإبطائها (الذين يحشرون على وجوههم ٣٤ إلى جهنم) أي يحشرون كائنين على وجوههم يسبحون عليها ويحرون إلى جهنم وقيل مقلوبين وجوههم على قفاهم وأرجلهم إلى فوق . روى عنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على أقدامهم ينسلون نسلًا وأما ما قيل متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم إليها فبعيد لأن هول ذلك اليوم ليس بحيث يبقى لهم عنده تعلق بالسفليات أو توجه إليها في الجملة ومحل الوصول إما النصب أو الرفع على الذم أو الرفع على الابتداء وقوله تعالى (أولئك) بدل منه أو . بيان له وقوله تعالى (شر مكاناً وأضل سبيلاً) خبر له أو اسم الإشارة مبتدأ ثان وشر خبره والجملة خبر . للدووصول ووصف السبيل بالضلال من باب الإسناد المجازي للبالغة والمفضل عليه الرسول عليه السلام على مهاج قوله تعالى قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كأنه قيل إن حاملهم على هذه الافتراحت تحقير مكانه عليه السلام بتضليل سبيله ولا يعملون حالهم ليعلموا أنهم شر مكاناً وأضل سبيلاً وقيل هو متصل بقوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً (ولقد آتينا موسى) ٣٥ جملة مستأنفة سبقت لنا كيد مامر من التسلية والوعد بالهداية والنصر في قوله تعالى وكفى بربك هادياً ونصيراً بحكاية ما جرى بين من ذكر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وبين قومهم حكاية لإجمالية كافية فيما هو المقصود واللام جواب لقسم محذوف أي وبالله لقد آتينا موسى للتوراة أي أنزلناها عليه بالآخرة (وجعلنا معه) الظرف متعلق بجعلنا وقوله تعالى (أخاه) مفعول أول له وقوله تعالى (هارون) بدل من أخاه أو عطف بيان له على عكس ما وقع في سورة طه وقوله تعالى (وزيراً) مفعول ثان له وقد مر ثمة . معنى الوزير أي جعلناه في أول الأمر وزيراً له (فقلنا) لها حينئذ (اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا) ٣٦ هم فرعون وقومه والآيات هي المعجزات القسع المفصلات الظاهرة على يدى موسى عليه السلام ولم يوصف القوم لهما عند إرسالهما إليهم بهذا الوصف ضرورة تأخر تكذيب الآيات عن إظهارها المتأخر عن ذهابهما المتأخر عن الأمر به بل إنما وصفوا بذلك عند الحكاية لرسول الله عليه السلام بيانا لعل استحقاقهم لما يحكى بعده من التدمير أي فذهبا إليهم فأرياهم آياتنا كلها فكذبوها تكذيباً مستمراً (فدمرناهم) إثر ذلك . التكذيب المستمر (تدميراً) عجيباً هائلاً لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه فاقصر على حاشيتي القصة اكتفاء .

وَقَوْمٌ نُوِّجَ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا

أَلِيمًا ﴿٢٧﴾

٢٥ الفرقان

٢٥ الفرقان

وَعَادًا وَنَمُودًا وَأَصْحَابَ الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٢٨﴾

بما هو المقصود وحمل قوله تعالى فدمرناهم على معنى فحكنا بتدميرهم مع كونه تعسفا ظاهرا بما لا وجه له إذ لا فائدة يعتد بها في حكاية الحكم بتدمير قد وقع وانقضى والتعرض في مطلع القصة لإيتاء الكتاب مع أنه كان بعد مهلك القوم ولم يكن له مدخل في هلاكهم كسائر الآيات الإيذان من أول الأمر ببلوغه عليه السلام غاية الكمال ونيله نهاية الآمال التي هي إنجاء بني إسرائيل من ملكة فرعون وإرشادهم إلى طريق الحق بما في التوراة من الأحكام إذ به يحصل تأكيد الوعد بالهداية على الوجه الذي مريانه وقرىء فدمرهم ٢٧ وفدمرهم وفدمرناهم على التأكيد بالنون الثقيلة (وقوم نوح) منصوب بمضمر يدل عليه قوله تعالى فدمرناهم أي ودمرنا قوم نوح وقيل عطف على مفعول فدمرناهم وليس من ضرورة ترتيب تدميرهم على ما قبله ترتيب تدميرهم هؤلاء عليه لاسيما وقديين سببه بقوله تعالى (لما كذبوا الرسل) أي نوحا ومن قبله من الرسل أو نوحا وحده لأن تكذيبه تكذيب لكل لا تفاقمهم على التوحيد والإسلام وقيل هو منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى (أغرقناهم) وإنما يتسنى ذلك على تقدير كون كلمة لما ظرف زمان وأما على تقدير كونها حرف وجود لوجود فلا لأنه حينئذ جواب لها وجواب لما لا يفسر ما قبله مع أنه محل بعطف المنصوبات الآتية على قوم نوح لما أن إهلاكهم ليس بالإغراق فالوجه ما تقدم وقوله تعالى أغرقناهم استئناف مبين لكيفية تدميرهم (وجعلناهم) أي جعلنا إغراقهم أو قصتهم (للناس آية) أي آية عظيمة يعتبر بها كل من شاهدها أو سمعها وهي مفعول ثان لجعلنا وللناس ظرف لغوله أو متعلق بمحذوف وقع حالا من آية إذ لو تأخر عنها كان صفة لها (وأعتدنا للظالمين) أي لهم والإظهار في موقع الإضمار للإيذان بتجاوزهم الحد في الكفر والتكذيب (عذابا أليما) هو عذاب الآخرة إذ لا فائدة في الإخبار بإعتاد العذاب الذي قد أخبر بوقوعه من قبل أو لجميع الظالمين الباقيين الذين لم يعتبروا بما جرى عليهم من العذاب فيدخل في زميرهم قرين دخول أوليا ويحتمل العذاب الدنيوي والآخرى (وعادا) عطف على قوم نوح وقيل على المفعول الأول لجعلناهم وقيل على محل الظالمين إذ هو في معنى وعدنا الظالمين وكلاهما بعيد (ونمود) الكلام فيه وفيما بعده كافيا قبله وقرىء ونمودا على تأويل الحى أو على أنه اسم الأب الاقصى (وأصحاب الرس) هم قوم يعبدون الأصنام فبعث الله تعالى إليهم شعبيا عليه السلام فكذبوه فبينما هم حول الرس وهي البئر التي لم تطو بعد إذ انهارت تخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا نمود فبعث إليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل هو الأخدود وقيل بئر بأنطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم أصحاب حنظلة بن صفوان النبي عليه السلام ابتلاه الله تعالى بطير عظيم كان فيهم من كل لون وسموها عتقاء أطول عتقا وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتح أو دح فتتقض على صبيانهم فتخطفهم إن أعوزها الصيد

٢٥ الفرقان

وَكَلَّا ضَرْبًا لَهُ الْأَمْثَلُ وَكَلَّا تَبَرَّنَا تَنْبِيرًا ﴿٣٩﴾

وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ

٢٥ الفرقان

نُشُورًا ﴿٤٠﴾

- ولذلك سميت مغرباً فدعا عليها حنظلة عليه السلام فأصابها الصاعقة ثم إنهم قتلوه عليه السلام فأهلكوا وقيل قوم كذبوا رسولهم فرسوه أى دسوه فى بئر (وقروناً) أى أهل قرون قبل القرن أربعون سنة وقيل سبعون وقبل مائه وقيل مائة وعشرون (بين ذلك) أى بين ذلك المذكور من الطوائف والامم وقد يذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير إليها بذلك وبحسب الحاسب أعداداً متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على ذلك المذكور وذلك المحسوب (كثيراً) لا يعلم مقدارها إلا العليم الخبير ولعل الاكتفاء فى شئون تلك القرون بهذا البيان الإجمالى لما أن كل قرن منها لم يكن فى الشهرة أو غرابة القصة بمثابة الامم المذكورة (وكلا) ٣٩ منصوب بمضمر يدل عليه ما بعده فإن ضرب المثل فى معنى التذكير والتحذير والمخذوف الذى عوض عنه التووين عبارة إما عن الامم التى لم يذكر أسباب إهلاكهم وإما عن الكل فإن ما حكى عن قوم نوح وقوم فرعون تكذيبهم للآيات والرسول لا عدم التأثير من الأمثال المضروبة أى ذكرنا وأندرنا كل واحد من المذكورين (ضربنا له الأمثال) أى بينا له القصص العجيبة الزاجرة مما هم عليه من الكفر والمعاصى بواسطة الرسل (وكلا) أى كل واحد منهم لا بعضهم دون بعض (تبرنا تنبيراً) عجبياً هائلاً لما أنهم لم يتأثروا بذلك ولم يرفعوا له رأساً وتنادوا على ما هم عليه من الكفر والعدوان وأصل التنبير التفتيت قال الزجاج كل شيء كسرتة وفتنته فقد تبرته ومنه التبر لفئات الذهب والفضة (ولقد أتوا) جملة مستأنفة مسوقة ٤٠ لبيان مشاهدتهم لآثار هلاك بعض الامم المتبرة وعدم اتعاظهم بها وتصديروها بالقسم لمزيد تقرير مضمونها أى وبالله لقد أتى قريش فى متاجرهم إلى الشام (على القرية التى أمطرت) أى أهلكت بالحجارة وهى قرى قوم لوط وكانت خمس قرى ما نجت منها إلا واحدة كان أهلها لا يعملون العمل الخبيث وأما البواق فأهلكها الله تعالى بالحجارة وهى المرادة بقوله تعالى (مطر السوء) وانتصابه إما على أنه مصدر مؤكد بحذف الزوائد كما قيل فى أنبته الله تعالى نباتاً حسناً أى أمطار السوء أو على أنه مفعول ثانٍ إذ المعنى أعطيت أو أوليت مطر السوء (أفلم يكونوا يرونها) توبيخ لهم على تركهم التذكر عند مشاهدة ما يوجبها والهمزة لأنكار نفي استمرار رؤيتهم لها وتقرير استمرارها حسب استمرار ما يوجبها من إتيانهم عليها لا لأنكار استمرار نفي رؤيتهم وتقرير رؤيتهم لها فى الجملة والفاء اعطف مدخولها على مقدر يقتضيه المقام أى ألم يكونوا ينظرون إليها فلم يكونوا يرونها أو أكانوا ينظرون إليها فلم يكونوا يرونها فى مرار مرورهم لينتظروا بما كانوا يشاهدونه من آثار العذاب فالمنكر فى الأول ترك النظر وعدم الرؤية معاً وفى الثانى عدم الرؤية مع تحقق النظر الموجب لها وقوله تعالى (بل كانوا لا يرجون نشوراً) إما لضرب عما قبله من عدم رؤيتهم لأن آثار ما جرى على أهل القرى من العقوبة وبيان لكون عدم اتعاظهم بسبب إنكارهم لكون ذلك عقوبة

وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزواً أهذا الذي بعث الله رسولا ④١

٢٥ الفرقان

إن كاد ليضلنا عن ءلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا ④٢

٢٥ الفرقان

أرأيت من اتخذ إلهه هوته أفأنت تكون عليه وكيلا ④٣

٢٥ الفرقان

- لما صيهم لا لعدم رؤيتهم آثارها خلا أنه اكتفى عن التصريح بإنكارهم ذلك بذكر ما يستلزمه من إنكارهم للجزاء الآخروي الذي هو الغاية من خلق العالم وقد كفى عن ذلك بعدم رجاء النشور أى عدم توقعه كأنه قيل بل كانوا ينكرون النشور المستتبع للجزاء الآخروي ولا يرون لنفس من النفوس نشورا أصلا مع تحقيقه حتما وشموه للناس عموما واطراده وقوعا فكيف يعترفون بالجزاء الدينوى فى حق طائفة خاصة مع عدم الاطراد والملازمة بينه وبين المعاصى حتى يتذكروا ويتعظوا بما شاهدوه من آثار الهلاك وإنما يحملونه على الاتفاق وإما انتقال من التوبيخ بما ذكر من ترك التذكير إلى التوبيخ بما هو أعظم منه من عدم توقع النشور (وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزواً) أى ما يتخذونك إلا مهزوماً به على معنى قصر معاملتهم معه ﷺ على اتخاذهم إياه ﷺ هزواً لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزواً كما هو المتبادر من ظاهر العبارة كأنه قيل ما يفعلون بك إلا اتخاذك هزواً وقد مر تحقيقه فى قوله تعالى إن أتبع إلا ما يوحى إلى من سورة الأنعام وقوله تعالى (أهذا الذى بعث الله رسولا) محكى بعد قول مضمحل هو حال من فاعل يتخذونك أى يستهزئون بك قائلين أهذا الذى الخ والإشارة للاستحقاق وإبراز بعث الله رسولا فى معرض التسليم بجعله صلة للبوصول الذى هو صفته ﷺ مع كونهم فى غاية النكير لبعثه ﷺ بطريق النهم والاستهزاء وإلا لقالوا أبعث الله هذا رسولا أو أهذا الذى يزعم أنه بعثه الله رسولا (إن كاد) إن مخففة من إن وضمير الشأن محذوف أى إنه كاد (ليضلنا عن آلهتنا) أى ليصرفنا عن عبادتها صرفا كلياً بحيث يبعدنا عنها لاهن عبادتها فقط والعدول إلى الإضلال لغاية ضلالهم بادعاء أن عبادتها طريق سوى (لولا أن صبرنا عليها) ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا فى أمثال هذا الكلام تجرى مجرى التقيد للحكم المطلق من حيث المعنى كما أشير إليه فى قوله تعالى ولقد همت به الخ وهذا اعتراف منهم بأنه ﷺ قد بلغ من الاجتهاد فى الدعوة إلى الحق وإظهار المعجزات وإقامة الحجج والبيئات إلى حيث شarfوا أن يتركوا دينهم لولا فرط لجأهم وغاية عنادهم . يروى أنه من قول أبى جهم (وسوف يعلمون) جواب من جهته تعالى لا آخر كلامهم ورد لما نبى عنه من نسبته ﷺ إلى الضلال فى ضمن الإضلال أى سوف يعلمون البتة وإن تراخى (حين يرون العذاب) الذى يستوجب كفرهم وعنادهم (من أضل سبيلا) وفيه مالا يخفى من الوعيد والتنبيه على أنه تعالى لا يهملهم وإن أمهلهم ④٣ (أرأيت من اتخذ إلهه هواه) تعجيب لرسول الله ﷺ من شناعة حالهم بعد حكاية قبائحهم من الأقوال

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ٢٥ الفرقان

والأفعال وبيان ما لهم من المصير والمآل وتنبية على أن ذلك من الغرابة بحيث يجب أن يرى ويتعجب منه وإلهه مفعول ثان لاتخذ قدم على الأول للاعتناء به لأنه الذي يدور عليه أمر التعجيب ومن توهم أنهما على الترتيب بناء على تساويهما في التعريف فقد زل منه أن المفعول الثاني في هذا الباب هو المتلبس بالحالة الحادثة أى أرايت من جعل هو إلهاً لنفسه من غير أن يلاحظه وبني عليه أمر دينه معرضاً عن استماع الحججة الباهرة والبرهان النير بالكلية على معنى انظر إليه وتعجب منه وقوله تعالى (أفأنت تكون عليه * وكيلاً) إنكار واستبعاد لكونه ﷺ حفيظاً عليه بجزء عما هو عليه من الضلال ويرشده إلى الحق طوعاً أو كرهاً والفاء لترتيب الإنكار على ما قبله من الحالة للموجبة له كأنه قيل أبعد ما شاهدت غلوه في طاعة الهوى وعتوه عن اتباع الهدى تقصره على الإيمان شاء أو أبى وقوله تعالى (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون ٤٤ أو يعقلون) إضراب وانتقال عن الإنكار المذكور إلى إنكار حسبانته ﷺ لهم عن يسمع أو يعقل حسبما ينبنى عنه جده ﷺ في الدعوة واهتمامه بالإرشاد والتذكير لكن لا على أنه لا يقع كالأول بل على أنه لا ينبغي أن يقع أى بل أمحسب أن أكثرهم يسمعون ماتلو عليهم من الآيات حق السماع أو يعقلون مافي تضاعفها من المواضع الزاجرة عن القبايح الداعية إلى المحاسن فتعنى بشأنهم وتطمع في إيمانهم وضمير أكثرهم لمن وجمعه باعتبار معناها كما أن الأفراد في الضمائر الأول باعتبار لفظها وضمير الفعلين لا كثير لالما أضيف هو إليه وقوله تعالى (إن هم إلا كالأنعام) الخ جملة مستأنفة مسوقة لتقرير النكير وتأكيده وحسم مادة الحسبان بالمرة أى ما هم في عدم الانتفاع بما يقرع آذانهم من قوارع الآيات وانتفاء التدبر فيما يشاهدونه من الدلائل والمعجزات إلا كالبهاائم التى هى مثل فى الغفلة وعلم فى الضلالة (بل هم * أضل) منها (سبيلاً) لما أنها تنقاد لصاحبها الذى يعلمها ويتعهدا وتعرف من يحسن إليها من يسىء إليها * وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدى لمراعيها ومشاربها وتأوى إلى معاطنها وهؤلاء لا ينقادون لرهم وخالقهم ورازقهم ولا يعرفون إحسانه إليهم من إساءة الشيطان الذى هو أعدى عدوم ولا يطلبون الثواب الذى هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذى هو أشد المضار والمهلك ولا يهتمدون للحق الذى هو المشرع الهنى والمورد العذب الروى ولأنها إن لم تعتقد حقاً مستتبعا لا كتساب الخير لم تعتقد باطلا مستوجباً لا قتراف الشر بخلاف هؤلاء حيث هودوا قواعد الباطل وفرعوا عليها أحكام الشرور ولأن أحكام جهالتها وضلالاتها مقصورة على أنفسهم لا تتعدى إلى أحد وجهالة هؤلاء مؤدية إلى ثوران الفتنة والفساد وصد الناس عن سنن السداد وهيجان الهرج والمرج فيما بين العباد ولا نهائهم معطلة لقوة من القوى المودعة بل صارفة لها إلى ما خلقت هى له فلا تقصير من قبلها فى طلب الكمال وأما هؤلاء فهم معطلون لقواهم العقلية مضيعون للفطرة الأصلية التى فطر الناس عليها مستحقون بذلك أعظم العقاب وأشد النكال .

أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٢٥﴾ الفرقان

٤٥ (ألم ترالى ربك) بيان لبعض دلائل التوحيد لإثبات بيان جملة المعرضين عنها وضلائهم والخطاب لرسول الله ﷺ والهمزة للتقرير والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره ﷺ لتشريفه ﷺ وللإيدان بأن ما يعقبه من آثار ربوبيته ورحمته تعالى أى ألم تنظر إلى بديع صنعه تعالى (كيف مد الظل) أى كيف أنشأ ظل أى مظل كان من جبل أو بناء أو شجر عند ابتداء طلوع الشمس ممتداً لا أنه تعالى مده بعد أن لم يكن كذلك كما بعد نصف النهار إلى غروبها فإن ذلك مع خلوه عن التصريح بكون نفسه بإنشائه تعالى وإحداثه بأباه سياق النظم الكريم وأما ما قيل من أن المراد بالظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وأنه أطيب الأوقات فإن الظلمة الخالصة تنفر عنها الطباع وشعاع الشمس يسخن الجو ويهر البصر ولذلك وصف به الجنة في قوله تعالى وظل محدود فغير سديد إذ لا ريب في أن المراد تنبيه الناس على عظيم قدرة الله عز وجل وبالغ حكمته فيما يشاهدونه فلا بد أن يراد بالظل ما يتعارفونه من حالة مخصوصة يشاهدونها في موضع يحول بينه وبين الشمس جسم كثيف مخالفة لما في جوانبه من مواقع ضح الشمس وما ذكر وإن كان في الحقيقة ظلاً للأفق الشرقى لكنهم لا يعدونه ظلاً ولا يصفونه بأوصافه المعهودة ولعل توجيه الرؤية إليه سبحانه وتعالى مع أن المراد تقرير رؤيته ﷺ لكيفية مد الظل للتنبيه على أن نظره ﷺ غير مقصور على ما يطالع من الآثار والصنائع بل مطمح أنظاره معرفة شئون الصانع المجيد وقوله تعالى (ولو شاء لجعله ساكناً) جملة اعترضت بين المعطوفين للتنبيه من أول الأمر على أنه لا مدخل فيما ذكر من المد للأسباب العادية وإنما المؤثر فيه المشيئة والقدرة ومفعول المشيئة مخوف على القاعدة المستمرة من وقوعها شرطاً وكون مفعولها مضمون الجزء أى ولو شاء سكونه لجعله ساكناً أى ثابتاً على حاله من الطول والامتداد وإنما عبر عن ذلك بالسكون لما أن مقابله الذى هو تغير حاله حسب تغير الأوضاع بين المظل وبين الشمس يرى رأى العين حركة وانتقالاً وحاصله أنه لا يعتريه اختلاف حال بأن لا تنسخه الشمس وأما التعليل بأن يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد فداره الغفول عما سيق له النظم الكريم ونطق به صريحاً من بيان كمال قدرته القاهرة وحكمته الباهرة بنسبة جميع الأمور الحادثة إليه تعالى بالذات وإسقاط الأسباب العادية عن رتبة السببية والتأثير بالكلية وقصرها على مجرد الدلالة على وجود المسببات لا بد كقدرته تعالى على بعض الخوارق كإقامة الشمس في مقام واحد على أنها أعظم من إبقاء الظل على حاله في الدلالة على ما ذكر من كمال القدرة والحكمة لكونه من فروعها ومستتبعاتها ففى أولى وأحق بالإيراد في معرض البيان وقوله تعالى (ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً) عطف على مد داخل في حكمه أى جعلناها علامة يستدل بأحوالها المتغيرة على أحواله من غير أن يكون بينهما سببية وتأثير قطعاً حسبما نطق به الشرطية المعترضة والالتفات إلى نون العظمة لما في الجمل المذكور العارى عن التأثير مع ما يشاهد بين الشمس والظل من الدوران المطرد المنبئ عن السببية من مزيد دلالة على عظم القدرة ودقة الحكمة وهو السر في إيراد كلمة التراخي وقوله تعالى :

٢٥ الفرقان

ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾

٢٥ الفرقان

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾

وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ ٢٥ الفرقان

- (ثم قبضناه) عطف على مد داخل في حكمه وثم للتراخي الزماني لما أن في بيان كون القبض والمدر تبين ٤٦
- دائرين على قطب مصالح المخلوقات مزيد دلالة على الحكمة الربانية ويجوز أن تكون للتراخي الرتبي أي أولناه بعد ما أنشأناه ممتداً ومحوناه بمحض قدرتنا ومشيتنا عند إيقاع شعاع الشمس موقعه من غير أن يكون له تأثير في ذلك أصلاً وإنما عبر عنه بالقبض المنبئ عن جمع المنبسط وطيه لما أنه قد عبر عن إحداثه بالمد الذي هو البسط طولا وقوله تعالى (إلينا) للتنصيص على كون مرجعه إليه تعالى كما أن حدوثه منه عز وجل (قبضاً يسيراً) أي على مهل قليلاً قليلاً حسب ارتفاع دليله على وتيرة معينة مطردة مستتمة لمصالح المخلوقات ومرافقها وقبل إن الله تعالى حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحا الأرض تحتها ألقت القبة ظلها على الأرض لعدم النير وذلك مده تعالى إياه ولو شاء لجمعه ساكناً مستقراً على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل أي سلطها عليه ونصبها دليلاً متبوعاً له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويقص ثم نسخه بها قبضه قبضاً سهلاً يسيراً غير عسير أو قبضاً سهلاً عند قيام الساعة بقبض أسبابه وهي الأجرام التي تلقى الظل فيكون قد ذكر لإعدامه بإعدام أسبابه كما ذكر إنشاؤه بإنشائها ووصفه باليسر على طريقة قوله تعالى ذلك حشر علينا يسير وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع (وهو الذي جعل لكم الليل لباساً) بيان لبعض بدائع آثار قدرته تعالى وحكمته ٤٧ وروائع أحكام رحمته ونعمته الفائضة على الخلق وتلويح الخطاب لتوفية مقام الامتنان حقه واللام متعلقة بجعل وتقديمها على مفعوليه للاعتناء ببيان كون ما يعقبه من منافعهم وفي تعقيب بيان أحوال الظل ببيان أحكام الليل الذي هو ظل الأرض من لطف المسلك مالا مزيد عليه أي هو الذي جعل لكم الليل كاللباس يستركم بظلامه كما يستركم اللباس (والنوم سباتاً) أي وجعل النوم الذي يقع في الليل غالباً قطعاً عن الأفاعيل المختصة بحال اليقظة عبر عنه بالسبات الذي هو الموت لما بينها من المشابهة التامة في انقطاع أحكام الحياة وعليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل وقوله تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها (وجعل النهار نشوراً) أي زمان بعث من ذلك السبات كبعث الموتى على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أو نفس البعث على طريق المبالغة وفيه إشارة إلى أن النوم واليقظة أنموذج للموت والنشور وعن لقمان عليه السلام بابني كما تنام فتوقظ كذلك تموت وتنشر (وهو الذي أرسل الرياح) ٤٨ وقرئ بالتوحيد على أن المراد هو الجنس (بشراً) تخفيف بشر جمع بشور أي مبشرين وقرئ بشرى وقرئ نشراً بالنون جمع نشور أي ناشرات للسحاب وقرئ بالتخفيف وفتح النون أيضاً على أنه مصدر

لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مِّيتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأُنَاسِي كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ ٢٥ الفرقان

وَلَقَدْ صَرَفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَابْتِئَا كَثُرُوا نَاسًا إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ ٢٥ الفرقان

- وصف به مبالغة وقوله تعالى (بين يدي رحمة) استعارة بديعة أى قدام المطر والالتفات إلى نون العظمة
- فى قوله تعالى (وأنزلنا من السماء ماء طهوراً) لإبراز كمال العناية بالإزال لأنه نتيجة ما ذكر من إرسال الرياح أى أنزلنا بعظمتنا بما رتبنا من إرسال الرياح من جهة الفوق ماء بليغاً فى الطهارة وما قيل إنه ما يكون طاهراً فى نفسه ومطهراً لغيره فهو شرح لبلاغته فى الطهارة كما ينبى عنه قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به فإن الطهور فى العربية إما صفة كما تقول ماء طهور أو اسم كما فى قوله طاهر التراب طهور المؤمن وقد جاء بمعنى الطهارة كما فى قولك تطهرت طهوراً حسناً كقولك وضوءاً حسناً ومنه قوله طاهر لا صلاة إلا بطهور ووصف الماء به إشعار بتمام النعمة فيه وتتميم للنعمة فيما بعده فإن الماء الماء الطهور أهناً وأنفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيه على أن ظواهرهم لما كانت مما ينبغى أن يطهروها فبواطنهم أحق بذلك وأولى (لنحيى به) أى بما أنزلنا من الماء الطهور (بلدة ميتاً) يانبات النبات والتذكير لأن البلدة بمعنى البلد ولأنه غير جار على الفعل كسائر أبنية المبالغة فأجرى مجرى الجامد والمراد به القطعة من الأرض عامرة كانت أو غامرة (ونسقيه) أى ذلك الماء الطهور عند جريانه فى الأودية أو اجتماعه فى الحياض والمنافع أو الآبار (مما خلقنا أنعاماً وأناسي كثيراً) أى أهل البوادي الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام والأناسى وتخصيصهم بالذكر لأن أهل القرى والأوصار يقيمون بقرب الأنهار والمنابع فهم وبما لهم من الانعام غنية عن سقى السماء وسائر الحيوانات تبعث فى طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالباً مع أن مساق الآيات الكريمة كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد أنواع النعمة والانعام حيث كانت قنية للإنسان وعامة منافعهم ومعايشهم منوطة بها قدم سقى على سقيهم كما قدم عليها إحياء الأرض فإنه سبب لحياتها وتعيشها وقرىء نسقيه وأسقى وسقى لغتان وقيل أسقاه جعل له سقياً وأناسى جمع أنسى أو أنسان كظرايى فى ظربان على أن أصله أناسين فقلت نونه ياء وقرىء أناسى بالتخفيف بحذف ياء أفاعيل كأنعام فى أناعيم (ولقد صرفناه) أى وبالله لقد كررنا هذا القول الذى هو ذكر إنشاء السحاب وإنزال القطر لما مر من الغايات الجميلة فى القرآن وغيره من الكتب السماوية (بينهم) أى بين الناس من المتقدمين والمتأخرين (ليذكروا) ليتفكروا ويعرفوا بذلك كمال قدرته تعالى وواسع رحمته فى ذلك ويقوموا بشكر نعمته حق قيام وقيل الضمير للطير وأصريفه بينهم لإنزاله فى بعض البلاد دون غيرها أو فى بعض الأوقات دون بعض أو جعله تارة وبلا وأخرى طلاً وحيناً • ديمة ووقتاً رهمة والأول هو الأظهر (فأبى أكثر الناس) ممن سلف وخلف (إلا كفوراً) أى لم يفعل إلا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها أو إلا جحودها بأن يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكر وصنع الله تعالى ورحمته ومن لا يرى الأمطار إلا من الأنواء فهو كافر بخلاف من يرى أن الكل بخلق الله تعالى

٢٥ الفرقان

وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾

٢٥ الفرقان

فَلَا تَطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾

وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجِجْرًا

٢٥ الفرقان

مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾

- والأنواء أمارات لجعله تعالى (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً) نبياً ينذر أهلها فيخف عليك أعباء النبوة ٥١
 لكن لم نشأ ذلك فلم نفعله بل قصرنا الأمر عليك حسبما ينطق به قوله تعالى ليكون للعالمين نذيراً لإجلال
 لك وتعظيماً وتفضيلاً لك على سائر الرسل (فلا تطع الكافرين) أى فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في ٥٢
 الدعوة وإظهار الحق والتشدد معهم كأنه نهى لرسول الله ﷺ عن المداراة معهم والتلطف في الدعوة لما
 أنه ﷺ كان يود أن يدخلوا في الإسلام ويجتهد في ذلك بتأليف قلوبهم أشد الاجتهاد (وجاهدكم به) أى
 بالقرآن بتلاوة ما في تضاعيفه من القوارع والزواجر والمواعظ ونذكير أحوال الأمم المكذبة (جهاداً
 كبيراً) فإن دعوة كل العالمين على الوجه المذكور جهاد كبير لا يقادر قدره كما وكيفاً وقيل الضمير المحرور
 لترك الطاعة المفهوم من النهي عن الطاعة وأنت خبير بأن مجرد ترك الطاعة يتحقق بلا دعوة أصلاً وليس
 فيه شائبة الجهاد فضلاً عن الجهاد الكبير اللهم إلا أن تجعل الباء للدلالة على الجهاد كما ذكر
 من أحكام القرآن الكريم ملائمة بترك طاعتهم كأنه قيل فجاهدكم بالشدّة والعنف لا بالملازمة والمداراة
 كما في قوله تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلب عليهم. وقد جعل الضمير لما دل عليه قوله تعالى
 ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً من كونه ﷺ نذير كافة القرى لأنه لو بعث في كل قرية نذير لوجب على كل
 نذير مجاهدة قرينته فاجتمعت على رسول الله ﷺ تلك المجاهدات كلها فكبر من أجل ذلك جهاده وعظم
 فقيل له ﷺ وجاهدكم بسبب كونك نذير كافة القرى جهاداً كبيراً جامعاً لكل مجاهدة وأنت خبير بأن بيان
 سبب كبر المجاهدة بحسب الكمية ليس فيه مزيد فائدة فإنه بين بنفسه وإنما اللائق بالمقام بيان سبب كبرها
 وعظمتها في الكيفية (وهو الذي مرج البحرين) أى خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج ٥٣
 دابته إذا خلاهما (هذا عذب فرات) قاصع للعطش لغاية عذوبته (وهذا ملح أجاج) بليغ الملوحة وقرى
 ملح فلعله تخفيف ملح كبرد في بارد (وجعل بينهما برزخاً) حاجزاً غير مرتق من قدرته كما في قوله تعالى
 بغير عمد ترونها (وحجراً محجوراً) وتنافراً مفراطاً كأن كلا منهما يتعوذ من الآخر بتلك المقالة وقيل
 حداً محدوداً وذلك كدجلة تدخل البحر وتشقه وتجري في خلاله فرائس لا يتغير طعمها وقيل المراد
 بالبحر العذب البحر العظيم وبالمالح البحر الكبير وبالبرزخ ما بينهما من الأرض فيكون أثر القدرة في
 الفصل واختلاف الصفة مع أن مقتضى طبيعة كل عنصر التضام والتلاصق والتشابه في الكيفية.

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا جَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ ٢٥ الفرقان

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ ٢٥ الفرقان

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ ٢٥ الفرقان

قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ ٢٥ الفرقان

وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٢٥ الفرقان

الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَعَلْ بِهِ

خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ٢٥ الفرقان

- ٥٤ (وهو الذي خلق من الماء بشراً) هو الماء الذي خمر به طينة آدم عليه السلام أو جعله جزءاً من مادة البشر ليجمع ويسلس ويستعد لقبول الأشكال والهيئات بسهولة أو هو النطفة (لجعله نسباً وصهراً) أي قسمه قسمين ذوى نسب أي ذكر وأُنثى ينتسب إليهم وذوات صهر أي إناثاً يصاهر بهن كقوله تعالى * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى (وكان ربك قديراً) مبالغاً في القدرة حيث قدر على أن يخلق من مادة واحدة بشراً ذا أعضاء مختلفة وطباع متباينة وجملة قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين
- ٥٥ ذكر أو أنثى (ويعبدون من دون الله) الذي شأنه ما ذكر (مالا ينفعهم ولا يضرهم) أي مالم يس من شأنه النفع والضرر أصلاً وهو الأصنام أو كل ما يعبد من دونه تعالى إذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضرر * (وكان الكافر على ربه) الذي ذكرت آثاره بوبه (ظهيراً) يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس أو أبو جهل وقيل هيتا مهنياً لا اعتداد به عنده تعالى من قولهم ظهرت به إذا نبذته خلف ظهره فيكون كقوله تعالى ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم (وما أرسلناك إلا مبشراً) للمؤمنين (ونذيراً) للكافرين (قل) لهم (ما أسألكم عليه) أي على تبليغ الرسالة الذي ينهى عنه الإرسال (من أجر) من جهنكم (إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً) أي لا فاعل من يريد أن يتقرب إليه تعالى ويطلب الزاقي عنده بالإيمان والطاعة حسبما أدعوا إليهم فصور ذلك بصورة الأجر من حيث أنه مقصودا لإتيان به واستثنى منه قلعاً كلياً لشأبه الطمع وإظهاراً لغاية الشفقة عليهم حيث جعل ذلك مع كون نفعه عائداً إليهم عائداً إليه ^{٥٨} وقيل الاستثناء منقطع أي لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً فليفعل (وتوكل على الحي الذي لا يموت) في الاستكفاء عن شرورهم والإغناء عن أجورهم فإنه الحقيق بأن يتوكل عليه دون الأحياء الذين من شأنهم الموت فإنهم إذا ماتوا ضاع من توكل عليهم (وسبح بحمده) ونزهه عن صفات النقصان مثبهاً عليه بنعوت الكمال طالبا لمزيد الإنعام بالشكر على سوابغه (وكفى به بذنوب عباده) مظهر منها
- ٥٩ وما بطن (خبيراً) أي مطالعاً عليهم بحيث لا يخفى عليه شيء منها فيجزئهم جزاء وافياً (الذي خلق السموات

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ ٢٥ الفرقان

تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾ ٢٥ الفرقان

- والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش) قد سلف تفسيره ومحل الموصول الجر على أنه صفة أخرى للحي وصف بالصفة الفعلية بعد وصفه بالأبدية التي هي من الصفات الذاتية والإشارة إلى الصافه بالعالم الشامل لتقرير وجوب التوكل عليه تعالى وتأكيد كيدته فإن من أنشأ هذه الأجرام العظام على هذا النمط الفائق والنسق الرائق بتدبير متين وترتيب رصين في أوقات معينة مع كمال قدرته على إبداعها دفعة لحكم جليلة وغايات جميلة لا تقف على تفاصيلها العقول أحق من يتوكل عليه وأولى من يفوض الأمر إليه (الرحمن) مرفوع على المدح أي هو الرحمن وهو في الحقيقة وصف آخر للحي كما قرئ بالجر مفيد لزيادة تأكيد ما ذكر من وجوب التوكل عليه تعالى وإن لم يتبعه في الإعراب لما تقرر من أن المنصوب والمرفوع مدحا وإن خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة حيث لم يتبعاه في الإعراب وبذلك سميا قطعاً لكنهما تابعا له حقيقة ألا يرى كيف ألزموا حذف الفعل والمبتدأ في النصب والرفع وما للتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات ما قبله وتنبيهاً على شدة الاتصال بينهما وقد مر تمام التحقيق في تفسير قوله عز وجل الذين يؤمنون بالغيب الآية وقيل الموصول مبتدأ والرحمن خبره وقيل الرحمن بدل من المستكن في استوى (فاسأل به) أي بتفاصيل ما ذكر إجمالاً من الخلق والاستواء لا بنفسهما فقط إذ بعد بيانهما لا يبق إلى السؤال حاجة ولا في تعديته بالبلاء فائدة فإنها مبنية على تضمينه معنى الاعتناء المستدعى لكون المستول أمراً خطيراً مهتماً بشأنه غير حاصل للسائل وظاهر أن نفس الخلق والاستواء بعد الذكر ليس كذلك وما قيل من أن التقدير إن شككت فيه فاسأل به خيراً على أن الخطاب له بالتبليغ والمراد غيره بمعزل من السداد بل التقدير إن شئت تحقيق ما ذكر أو تفصيل ما ذكر فاسأل معنياً به (خيراً) عظيم الشأن محيطاً بظواهر الأمور وبواطنها وهو الله سبحانه يطلعك على جليلة الأمر وقيل فاسأل به من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه فلا حاجة حينئذ إلى ما ذكرنا وقيل الضمير للرحمن والمعنى إن أنكروا إطلاقه على الله تعالى فاسأل عنه من يخبرك من أهل الكتاب ليعرفوا بحجى ما يرداه في كتبهم وعلى هذا يجوز أن يكون الرحمن مبتدأ وما بعده خبراً وقرئ فسل (وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن) ٦٠ قالوا ما أنهم ما كانوا يطلقونه على الله تعالى أولاً لأنهم ظنوا أن المراد به غيره تعالى ولذلك قالوا (أنسجد لما تأمرنا) أي الذي تأمرنا بسجوده أو لا نملك إيماناً من غير أن نعرف أن المسجود له ماذا وقيل لأنه كان معرباً لم يسمعه وقرئ بأمرنا بياء الغيبة على أنه قول بعضهم لبعض (وزادهم) أي الأمر بسجود الرحمن (نفوراً) عن الإيمان (تبارك الذي جعل في السماء بروجاً) هي البروج الاثنا عشر سميت به وهي القصور العالية لأنها للكواكب السيارة كالمنازل الرفيعة لسكانها واشتقاقه من الراج لظهوره (وجعل فيها سراجاً) هي الشمس لقوله تعالى وجعل الشمس سراجاً وقرئ سراجاً وهي

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ ارَادَ اَنۡ يَذَّكَّرَ اَوْ اَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ٢٥ الفرقان

وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِيۡنَ يَمْشُوۡنَ عَلَى الْاَرْضِ هَوۡنًا وَاِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُوۡنَ قَالُوۡا سَلٰمًا ﴿٦٣﴾ ٢٥ الفرقان

وَالَّذِيۡنَ يَبۡتَغُوۡنَ لِرَبِّهِمۡ جُجَدًا وَّقِيۡمًا ﴿٦٤﴾ ٢٥ الفرقان

وَالَّذِيۡنَ يَقُوۡلُوۡنَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ اِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ ٢٥ الفرقان

- * الشمس والكواكب السكبار (وقرأ منيراً) مضياً بالليل وقرىء قرأ أى ذا قر وهى جمع قراء ولما أن الليالى بالقمر تكون قراء أضيف إليهم حذف وأجرى حكمه على المضاف إليه القائم مقامه كما فى قول حسان رضى الله عنه [بردى يصفق بالرحيق الساسل] أى ماء بردى ويحتمل أن يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب (وهو الذى جعل الليل والنهار خلفه) أى ذوى خلفه يخلف كل منهما الآخر ٦٢ بأن يقوم مقامه فيما ينبغي أن يعمل فيه أو بأن يعتقبا كقوله تعالى واختلاف الليل والنهار وهى اسم للحالة من خلف كالركبة والجلسة من ركب وجلس (لمن أراد أن يذكر) أى يتذكر آلاء الله عز وجل ويتفكر فى بدائع صنعه فيعلم أنه لا بد لها من صانع حكيم واجب الذات رحيم للعباد (أو أراد شكوراً) أى أن يشكر الله تعالى على ما فيهما من النعم أو ليسكونا وقتين للذاكرين من فانه ورده فى أحدهما تداركه ٦٣ فى الآخر وقرىء أن يذكر من ذكر بمعنى تذكر (وعباد الرحمن) كلام مستأنف مسوق لبيان أوصاف خلص عباد الرحمن وأحوالهم الدنيوية والآخرية بعد بيان حال النافرين عن عبادته والسجود له والإضافة للتشريف وهو مبتدأ خبره ما بعده من الموصول وما عطف عليه وقيل هو ما فى آخر السورة الكريمة من الجملة المصدرة الإشارة وقرىء عباد الرحمن أى عباده المقبولون (الذين يمشون على الأرض هوناً) أى بسكينة وتواضع وهوناً مصدر وصف به ونصبه إما على أنه حال من فاعل يمشون أو على أنه نعت لمصدره أى يمشون هينين لئنى الجانب من غير فظاظة أو مشياً هيناً وقوله تعالى (وإذا خاطبهم الجاهلون) أى السفهاء كما فى قول من قال [ألا لا يجملن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا] (قالوا سلاماً) بيان لحالهم فى المعاملة مع غيرهم إثر بيان حالهم فى أنفسهم أى إذا خاطبهم بالسوء قالوا تسليماً منكم ومتاركة لا خير بيننا وبينكم ولا شرو قبل سداداً من القول يسلمون به من الأذية والإثم وليس فيه تعرض لمعاملتهم مع الكفرة حتى يقال نسختها آية القتال كما نقل عن أبى العالية وقوله تعالى (والذين يبتغون لهم سجداً وقياماً) بيان لحالهم فى معاملتهم مع ربهم أى يكونون ساجدين لربهم وقائمين أى يحجون الليل كلاً أو بعضاً بالصلاة وقيل من قرأ شيئاً من القرآن فى صلاة وإن قل فقد بات ساجداً وقائماً وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء وتقديم السجود على القيام لرعاية الفواصل (والذين يقولون) أى فى أعقاب صلواتهم أوفى عامة أوقانهم (ربنا اصرف عنا عذاب جهنم

٢٥ الفرقان

إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾

٢٥ الفرقان

وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾

٢٥ الفرقان

إن عذابها كان غراماً) أى شراً دائماً وهلاكاً لازماً وفيه مزيد مدح لهم ببيان أنهم مع حسن معاملتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق يخافون العذاب ويبتلون إلى الله تعالى في صرفه عنهم غير محتفلين بأعمالهم كقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون (إنها ساءت مستقراً ومقاماً) ٦٦

تعليل لاستدعائهم المذكور بسوء حالها في نفسها إثر تعليله بسوء حال عذابها وقد جوز أن يكون تعليلاً للأولى وليس بذلك وساءت في حكم بدست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقراً والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقراً ومقاماً هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم إن وجعلها خبراً لها قبل ويجوز أن يكون ساءت بمعنى أحزنت وفيها ضمير اسم إن ومستقراً حال أو تمييز وهو بعيد خال عما في الأولى من المبالغة في بيان سوء حالها وكذا جعل التعليلين من جهة تعالى (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا) لم يجاوزوا ٦٧

حد الكرم (ولم يقتروا) ولم يضيّقوا تضيق الشحيح وقيل الإسراف هو الإنفاق في المعاصي والقتل منع الواجبات والقرب وقرىء بكسر التاء مع فتح الياء وبكسرهما مخففة ومشدة مع ضم الياء (وكان بين ذلك) أى بين ما ذكر من الإسراف والقتل (قواماً) وسطاً وعدلاً سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي به سواء لاستوائهما وقرىء بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان أو حال مؤكدة أو هو الخبر وبين ذلك لغو وقد جوز أن يكون اسم كان على أنه مبنى لإضافته إلى غير متمسك ولا يخفى ضعفه فإنه بمعنى القوام فيكون كالإخبار بشيء عن نفسه (والذين لا يدعون مع الله ٦٨

إلهاً آخر) شروع في بيان اجتنابهم عن المعاصي بعد بيان إيمانهم بإظهار كمال الاعتناء بالتوحيد لتحقيق معنى الاقتصاد والتصريح بوصفهم بنى الإشراف مع ظهور إيمانهم بإظهار كمال الاعتناء بالتوحيد والإخلاص وتهويل أمر القتل والزنا بنظمهما في سلكه وللتعريض بما كان عليه الكفرة من قريش وغيرهم أى لا يعبدون معه تعالى إلهاً آخر (ولا يقتلون النفس التي حرم الله) أى حرماً بمعنى حرم قتلها *

لخذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه مبالغة في التحريم (إلا بالحق) أى لا يقتلونها بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق المزيل لحرمتها وعصمتها أو لا يقتلون قتلاً ما إلا قتلاً ملتبساً بالحق أو لا يقتلونها في حال من الأحوال إلا حال كونهم ملتبسين بالحق (ولا يزنون) أى الذين لا يفعلون شيئاً من هذه العظائم القبيحة التي جمعهم الكفرة حيث كانوا مع إشرافهم به سبحانه مداومين على قتل النفوس المحرمة التي من جللتها المودة مكبين على الزنا لا يرفعون عنه أصلاً (ومن يفعل ذلك) أى ما ذكر كما هو دأب الكفرة

٢٥ الفرقان

يُضَعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيُجَدُّ فِيهِ مَهَانًا ﴿٦٩﴾

إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا

٢٥ الفرقان

رَحِيمًا ﴿٧٠﴾

٢٥ الفرقان

وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾

٢٥ الفرقان

وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾

- المذكورين (بلق) في الآخرة وقرىء بلى بالفتح مجزوما (أناما) وهو جزاء الإثم كالوالب والنكال وزنا ومعنى وقيل هو الإثم أى بلى جزاء الإثم والتنوين على التقديرين للتفخيم وقرىء أيا ما أى شدائد
- ٦٩ يقال يوم ذو أيام لليوم الصعب (يضاعف له العذاب يوم القيامة) بدل من بلى لاتحادهما فى المعنى كقوله [مضى] تأتينا نلهم بنا فى ديارنا * نجد خطبا جزلا ونارا * أنا ججا [وقرىء بالرفع على الاستئناف أو على الحالية وكذا ما عطف عليه وقرىء يضاعف ونضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب (ويجلى فيه) أى فى ذلك العذاب المضاعف (مهانا) ذليلا مستحقرا جامعا للعذاب الجسماني والروحاني وقرىء يجلد ويجلد مبنيا للفعول من الإخلاق والتخليد وقرىء تجلى بالناء على الالتفات المنبئ عن شدة الغضب ومضاعفة العذاب لانضمام المعاصى إلى الكفر كما يفصح عنه قوله تعالى (إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا) وذكر الموصوف مع جريان الصالح والصالحات مجرى الاسم للاعتناء به والتنصيص على مغايرته للأعمال السابقة (فأولئك) إشارة إلى الموصول والجمع باعتبار معناه كما أن الأفراد فى الأفعال الثلاثة باعتبار لفظه أى أولئك الموصوفون بالتوبة والإيمان والعمل الصالح (يبدل الله سيئاتهم حسنات) بأن يمحى سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعتهم أو يبدل بملك المعصية ودواعيها فى النفس ملكة الطاعة بأن يزيل الأولى ويأتى بالثانية وقيل بأن يوفقه لاضداد ما سلف منه أو بأن يثبت له بدل كل عقاب ثوابا وقيل • يبدلهم بالشرك إيمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة وإحصانا (وكان الله غفورا رحيمًا) اعتراض
- ٧١ تذييل مقرر لما قبله من المحو والإثبات (ومن تاب) أى عن المعاصى بتركها بالنكبة والندم عليها (وعمل صالحا) يتلافى به ما فرط منه أو خرج عن المعاصى ودخل فى الصالحات (فإنه) بما فعل (يتوب إلى الله) أى يرجع إليه تعالى (متابا) أى متابا عظيم الشأن مرضيا عنده تعالى ما حيا للعقاب محملا للثواب أو يتوب متابا إلى الله تعالى الذى يحب التوابين ويحسن إليهم أو فإنه يرجع إليه تعالى أو إلى ثوابه مرجعا
- ٧٢ حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص (والذين لا يشهدون الزور) لا يقيمون الشهادة الكاذبة أو لا يحضرون محاضر الكذب فإن مشاهدة الباطل مشاركة فيه (وإذا مروا) على طريق الاتفاق (باللغو) أى ما يجب أن يلقى ويترك عما لا خير فيه (سروا كراما) معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الإغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به

وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ ٢٥ الفرقان

وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ٢٥ الفرقان

أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ ٢٥ الفرقان

- (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم) المنطوية على المواعظ والأحكام (لم يخروا عليها صمًا وعميانًا) أى أكبوا
 عليها سامعين بآذان واعية مجتنبين لها بعيون راعية وإنما عبر عن ذلك بنفى الضد تعريضاً بما يفعله الكفرة
 والمنافقون وقيل الضمير للمعاصي المدلول عليها باللفظ (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا
 قرة أعين) بتوفيقهم للطاعة وحياسة الفضائل فإن المؤمن إذا ساعده أهله في طاعة الله عز وجل وشاركوه
 فيها يسرهم قلبه وتفرجهم عينه لما يشاهده من مشايعتهم له في مناهج الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة
 حسبما وعد بقوله تعالى ألقناهم ذريتهم ومن ابتدائية أو بيانية وقرئ وذريتنا وتشكير الأعين لإرادة
 تشكير القرة تعظيماً وتقابلها لأن المراد أعين المتقين ولا ريب في قلتها نظراً إلى غيرها (واجعلنا للمتقين
 إماماً) أى اجلسنا بحيث يقتدون بنا في إقامة مواسم الدين بإفاضة العلم والتوفيق للعمل وتوحيد الدلالة
 على الجنس وعدم الالتباس بقوله تعالى ثم يخرجكم طفلاً أو لأن المراد واجعل كل واحد منا إماماً أو
 لأنهم كنفس واحدة لاتحاد طريققتهم واتفاق كلمتهم كذا قالوا وأنت خير بأن مدار الكل صدور هذا
 الدعاء إماماً عن الكل بطريق المعية وأنه محال لاستحالة اجتماعهم في عصر واحد فطامك باجتماعهم في مجلس
 واحد واتفاقهم على كلمة واحدة وإماماً عن كل واحد منهم بطريق تشريك غيره في استدعاء الإمامة وأنه
 ليس بثابت جزماً بل الظاهر صدوره عنهم بطريق الانفراد وأن عبارة كل واحد منهم عند الدعاء واجعلني
 للمتقين إماماً خلا أنه حكيت عبارات الكل بصيغة المتكلم مع الغير للقصد إلى الإيجاز على طريقة قوله تعالى
 يأبى الرسل كار من الطيبات واعملوا صالحاً وأبى إماماً على حاله وقيل الإمام جمع أم بمعنى قاصد كصيام
 جمع صائم ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم وإعادة الموصول في المواقع السبعة مع كفاية ذكر الصلات
 بطريق العطف على صلة الموصول الأول الإيدان بأن كل واحد مما ذكر في حيز صلة الموصولات
 المذكورة وصف جليل على حياله له شأن خطير حقيق بأن يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شيء من
 ذلك تنمة لغيره وتوسيط العاطف بين الموصولات لتنزيل الاختلاف العنواني منزلة الاختلاف الذاتي
 كما في قوله [إلى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتاب في المزدحم] (أولئك) إشارة إلى المنتصفين
 بما فصل في حيز صلة الموصولات الثمانية من حيث اتصافهم به وفيه دلالة على أنهم متميزون بذلك أكل تميز
 منتظمون بسببه في سلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للإيدان ببعد منزلاتهم في الفضل وهو
 مبتدأ خبره قوله تعالى (يجزون الغرفة) والجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب مبنية لما لهم في الآخرة
 من السعادة الأبدية إثر بيان ما لهم في الدنيا من الأعمال السنية والغرفة الدرجة العالية من المنازل وكل بناء

٢٥ الفرقان

خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾

٢٥ الفرقان

قُلْ مَا يَعْبَهُوا بِكُمْ رَّبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

مرتفع حال أى يثابون أعلى منازل الجنة وهى اسم جنس أريد به الجمع كقوله تعالى وهم فى الغرفات آمنون وقيل هى اسم من أسماء الجنة (بما صبروا) أى بصبرهم على المشاق من مفض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات (ويلقون فيها) من جهة الملائكة (نحية وسلاماً) أى يحبيهم الملائكة ويدعون لهم بطول الحياة والسلامة من الآفات أو يعطون النبية والتخليد مع السلامة من كل آفة وقيل يحى بعضهم بعضاً ويسلم عليه وقرئ يلقون من لقي (خالدين فيها) لا يموتون ولا يخرجون (حسنت مستقراً ومقاماً) ٧٦ الكلام فيه كالذى مر فى مقابلة (قل) أمر رسول الله ﷺ بأن يبين للناس أن الفائزين بتلك النعماء الجليلة التى يتنافس فيها المتنافسون إنما نالوها بما عدد من محاسنهم ولولاها لم يعتد بهم أصلاً أى قل لهم كافة مشافها لهم بما صدر عن جنسهم من خير وشر (ما يعبا بكم ربى لولا دعاؤكم) أى أى عبء يعبا بكم وأى اعتداد يعتد بكم لولا عبادتكم له تعالى حسبها من تفصيله فإن الإنسان معرفته تعالى وطاعته وإلا فهو وسائر الهائم سواء وقال الزجاج معناه أى وزن يكون لكم عنده وقيل معناه ما يصنع بكم ربى لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام وقيل ما يصنع بعدا بكم لولا دعاؤكم معه آلهة ويجوز أن تكون مانافية وقوله تعالى (فقد كذبتهم) بيان لحال الكفرة من المخاطبين كما أن ما قبله بيان لحال المؤمنين منهم أى فقد كذبتهم بما أخبركم به وخالفتموه أيها الكفرة ولم تعملوا عمل أولئك المذكورين وقيل فقد قصرتم فى العبادة من قولهم كذب القتال إذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون أى الكافرون منكم لعموم الخطاب للفرقةين وفائدته الإيذان بأن مناط فوز أحدهما وخسران الآخر مع الاتحاد الجنسى المصحح للاشتراك فى الفوز ليس إلا اختلافاً فى الأعمال (فسوف يكون لزماً) أى يكون جزاء التكذيب أو أثره لازماً يحق بكم لا محالة حتى يكبكم فى النار كما تعرب عنه الفاء الدالة على لزوم ما بعدها لما قبلها وإنما أضمر من غير ذكر للإيذان بغاية ظهوره وتهويل أمره وللتنبية على أنه لا يكتنبه البيان وقيل يكون العذاب لزماً وعن مجاهد رحمه الله هو القتل يوم بدر وأنه لوزم بين القتلى وقرئ لزماً بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والشبوت . عن رسول الله ﷺ من قرأ سورة الفرقان لقي الله تعالى وهو مؤمن بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأدخل الجنة بغير نصب .

٢٦ - سورة الشعراء
(مكية وهي مائتان وسبع وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٦ الشعراء

طسّم

٢٦ الشعراء

تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ

٢٦ الشعراء

لَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ

٢٦ الشعراء

إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ

(سورة الشعراء مكية إلا الآيات ١٩٧ ومن آية ٢٢٤ إلى آخر السورة مدنية وآياتها ٢٢٧)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (طسّم) بتفخيم الألف وإظهار النون وإدغامها في الميم وهو إما مسرود على نمط التعديد بطريق النحوى على أحد الوجهين المذكورين في فاتحة البقرة فلا محل له من الإعراب وإما أسم للسورة كما عليه الإطباق الأكثر فحله الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف وهو أظهر من الرفع على الابتداء وقد مر وجهه في مطلع سورة يونس عليه السلام أو النصب بتقدير فعل لا تقي بالمقام نحو اذكر أو اقرأ وتلك في قوله تعالى (تلك آيات الكتاب المبين) إشارة إلى السورة سواء كان طسّم مسروداً على نمط التعديد أو اسماً للسورة حسبما مر تحقيقه هناك وما في اسم الإشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلة المشار إليه في الفخامة ومحل الرفع على أنه مبتدأ خبره ما بعده وعلى تقدير كون طسّم مبتدأ فهو مبتدأ ثان أو بدل من الأول والمراد بالكتاب القرآن وبالمبين الظاهر إعجازه على أنه من أبان بمعنى بان أو المبين للأحكام الشرعية وما يتعلق بها أو الفاصل بين الحق والباطل والمعنى هي آيات مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل والمراد ببيان كونها بعضها منه وصفها بما اشتهر به الكل من النعوت الفاضلة (لعلك باخع نفسك) أى قاتل وأصل البخع أن يباغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك أقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك على الإضافة ولعل للإشفاق أى أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما قاتلك من إسلام قومك (أن لا يكونوا مؤمنين) أى لعدم إيمانهم بذلك الكتاب المبين أو خيفة أن لا يؤمنوا به وقوله تعالى (إن نشأ) الخ استئناف مسوق لتعليل ما يفهم من الكلام من النهى عن التحسر المذكور ببيان أن إيمانهم ليس مما تعلقت به مشيئة الله تعالى حتماً فلا وجه للطمع فيه والتألم من فواته ومفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء أعنى قوله تعالى (نزل عليهم من السماء آية) أى ملاحظة لهم إلى الإيمان قاسرة عليه وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر مراراً من الاهتمام بالمقدم
- ٢٠٠ - أبى السعود ج ٦

٢٦ الشعراء

وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾

٢٦ الشعراء

فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَاتِهِمْ أَنْبِئُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦﴾

٢٦ الشعراء

أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمَا أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾

والنشويق إلى المؤخر (فظلت أعناقهم لها خاضعين) أى منقادين وأصله فظلوا لها خاضعين فأقحمت
الأعناق لزيادة التقرير ببيان موضع الخضوع وترك الخبر على حاله وقيل لما وصفت الأعناق بصفات
العقلاء أجريت مجرام في الصيغة أيضاً كما في قوله تعالى رأيتهم لى ساجدين وقيل أريد بها الرؤساء
والجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس أى فوج منهم وقرئ خاضعة وقوله تعالى فظلت عطف على
نزل باعتبار محله وقوله تعالى (وما يأتهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين) بيان
لشدة شكيمتهم وعدم إزعاجهم عما كانوا عليه من الكفر والتكذيب بغير ما ذكر من الآية الملجئة
لصرف رسول الله ﷺ عن الحرص على إسلامهم وقطع رجائه عنه ومن الأولى زيادة لنا كيد العموم
والثانية لابتداء الغاية مجازاً متعلقة بآياتهم أو بمحدوف هو صفة لذكر وأياً ما كان ففيه دلالة على فضله
وشرفه وشأعة ما فعلوا به والتعرض لعنوان الرحمة لتغليظ شناعتهم وتهويل جنائيتهم فإن الإعراض عما
يأتهم من جنابه عز وجل على الإطلاق شنيع قبيح وعما يأتهم بموجب رحمته تعالى لمحض منفعتهم أشنع
وأقبح أى ما يأتهم من موعظة من المواعظ القرآنية أو من طائفة نازلة من القرآن تذكروهم أكل تذكير
وتنبههم عن الغفلة أتم تنبيه كأنها نفس الذكر من جهته تعالى بمقتضى رحمته الواسعة يحدد تنزيله حسبما
تقتضيه الحكمة والمصلحة إلا جددوا لإعراضاً عنه على وجه التكذيب والاستهزاء وإصراراً على ما كانوا
عليه من الكفر والضلال والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال محله النصب على الحالية من مفعول يأتهم
بإضمار قد أو بدونه على الخلاف المشهور أى ما يأتهم من ذكر في حال من الأحوال إلا حال كونهم
معرضين عنه (فقد كذبوا) أى كذبوا بالذكر الذى يأتهم تكذيباً صريحاً مقارناً للاستهزاء به ولم
يكتفوا بالإعراض عنه حيث جعلوه تارة سحراً وأخرى أساطير وأخرى شعراً والفاء في قوله تعالى
(فسياًتهم) لترتيب ما بعدها على ما قبلها والسين لنا كيد مضمون الجملة وتقريره أى فسياًتهم البتة من
غير تخلف أصلاً (أنباء ما كانوا يستهزمون) عدل عما يقتضيه سائر ما سلف من الإعراض والتكذيب
للإيذان بأنهما كانا مقارنين للاستهزاء كما أشير إليه حسبما وقع في قوله تعالى وما تأتيتهم من آية من آيات
ربهم إلا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيتهم أنباء ما كانوا يستهزمون وأنباؤه
مستحيق بهم من العقوبات العاجلة والاجلة عبر عنها بذلك إما لكونها أنباء بها القرآن الكريم وإما
لأنهم بمشاهدتها يقفون على حقيقة حال القرآن كما يقفون على الأحوال الخافية عنهم باستماع الأنباء
وفيه تهويل له لأن النبأ لا يطلق إلا على خبر خطير له وقع عظيم أى فسياًتهم لامحالة مصداق ما كانوا
يستهمون به قبل من غير أن يتدبروا في أحواله ويقفوا عليها (أو لم يروا) الهمة للإنكار النوبيخي

٢٦ الشعراء

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾

٢٦ الشعراء

وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾

٢٦ الشعراء

وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾

- والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى افعلوا ما فعلوا من الإعراض عن الآيات والتكذيب والاستهزاء بها / ولم ينظروا (إلى الأرض) أى إلى عجائبها الزاجرة عما فعلوا الداعية إلى الإقبال على ما عرضوا عنه وإلى الإيمان به وقوله تعالى (كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم) استئناف مبين لما فى الأرض * من الآيات الزاجرة عن الكفر الداعية إلى الإيمان وكم خبرية منصوبة بما بعدها على المفعولية والجمع بينها وبين كل لإفادة الإحاطة والكثرة معاً ومن كل زوج أى صنف تمييز والكريم من كل شئ مرضيه ومحموده أى كثيراً من كل صنف مرضى كثير المنافع أنبتنا فيها وتخصيص إنباته بالذكر دون ما عداه من الأصناف لاختصاصه بالدلالة على القدرة والنعمة معاً ويحتمل أن يراد به جميع أصناف النبات نافعا وضارها ويكون وصف الكل بالكرم للتنبيه على أنه تعالى ما أنبت شيئاً إلا وفيه فائدة كما نطق به قوله تعالى هو الذى خلق لكم فى الأرض جميعاً فإن الحكيم لا يكاد يفعل فعلاً إلا وفيه حكمة بالغة وإن غفل عنها الغافلون ولم يتوصل إلى معرفة كتبها العاقلون (إن فى ذلك) إشارة إلى مصدر أنبتنا أو إلى كل واحد من ٨ تلك الأزواج وأياً ما كان فما فيه من معنى البعد الإبدان ببعد منزلته فى الفضل (لآية) أى آية عظيمة دالة على كمال قدرة منبتها وغاية وفور علمه وحكمته ونهاية سعة رحمته موجبة للإيمان وإزعة عن الكفر (وما كان أكثرهم) أى أكثر قومه ﷺ (مؤمنين) قيل أى فى علم الله تعالى وقضائه حيث علم أزال أنهم * سيصرفون فيما لا يزال اختيارهم الذى عليه يدور أمر التكليف إلى جانب الشر ولا يتدبرون فى هذه الآيات العظام وقال سيؤيه كان صلة والمعنى وما أكثرهم مؤمنين وهو الأنسب بمقام بيان عتوم وغلوم فى المكابرة والعناد مع تعاضد موجبات الإيمان من جهته تعالى وأما نسبة كفرهم إلى علمه تعالى وقضائه فربما يتوهم منها كونهم معذورين فيه بحسب الظاهر لأن ما أشير إليه من التحقيق مما خفى على مهرة العلماء المنتقنين كأنه قيل إن فى ذلك لآية باهرة موجبة للإيمان وما أكثرهم مؤمنين مع ذلك لغاية تهاديهم فى الكفر والضلالة وانهما كهم فى الفنى والجهالة ونسبة عدم الإيمان إلى أكثرهم لأن منهم من سيؤمن (وإن ربك ٩ هو العزيز) الغالب على كل ما يريد من الأمور التى من جملتها الانتقام من هؤلاء (الرحيم) المبالغ فى الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يؤاخذهم بغتة بما اجترعوا عليه من العظام الموجبة لفنون العقوبات وفى التعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضميره ﷺ من تشريفه والعدة الخفية بالانتقام من الكفرة ما لا يخفى (وإذ نادى ربك موسى) كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من إعراضهم عن كل ما يأتىهم من ١٠ الآيات التنزيلية وتكذيبهم بها إثر بيان إعراضهم عما يشاهدونه من الآيات التكوينية وإذ منصوب

٢٦ الشعراء

قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾

٢٦ الشعراء

قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾

٢٦ الشعراء

وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ﴿١٣﴾

- على المفعولية بمضمرة خوطب به النبي ﷺ أى واذكر لأولئك المعرضين المكذبين وقت ندائه تعالى إياه عليه الصلاة والسلام وذكرهم بما جرى على قوم فرعون بسبب تكذيبهم إياه زجرأ لهم عمام عليه من التكذيب وتحذيراً من أن يحيق بهم مثل ما حاق بأضربهم المكذبين الظالمين حتى يتضح لك أنهم لا يؤمنون بما يأتيهم من الآيات لكن لا بقياس حال هؤلاء بحال أولئك فقط بل بمشاهدة إصرارهم على ما هم عليه بعد سماع الوحى الساطق بقصتهم وعدم اتعاظهم بذلك كما يلوح به تكرير قوله تعالى إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين عقيب كل قصة وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت مع أن المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر سره مراراً (أن ائت) بمعنى أى ائت على أن أن مفسرة أو بأن ائت * على أنها مصدرية حذف منها الجار (القوم الظالمين) أى بالكفر والمعاصى واستعباد بنى إسرائيل وذبح أبنائهم وليس هذا مطلع ماورد في حيز النداء وإنما هو مافصل في سورة طه من قوله تعالى إني أنار بك إلى قوله لنريك من آياتنا الكبرى وإيراد ما جرى في قصة واحدة من المقالات بعبارات شتى وأساليب مختلفة قد مر تحقيقه في أوائل سورة الأعراف عند قوله تعالى قال أنظرني (قوم فرعون) بدل من الأول أو عطف بيان له جرى به الإيذان بأنهم علم في الظلم كأن معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون * والاقتصار على ذكر قومه للإيذان بشهرة أن نفسه أول داخل في الحكم (ألا يتقون) استئناف جرى به إثر إرساله عليه الصلاة والسلام إليهم للإنذار تعجيباً من غلوم في الظلم وإفراطهم في العدوان وقرىء بتمام الخطاب على طريقة الالتفات المنهى عن زيادة الغضب عليهم كأن ذكر ظلمهم أدى إلى مشافهتهم بذلك وهم وإن كانوا حينئذ غيباً لكنهم قد أجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل إليهم من حيث إنه مبلغه إليهم وإسماعه مبتدأ إسماعهم مع مافيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبر وتأمل وقرىء بكسر النون اكتفاء به عن باء المتكلم وقد جوز أن يكون بمعنى ألا يأناس اتقون نحو أن لا يسجدوا (قال) استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية ماضى كأنه قيل فذا قال موسى عليه السلام فقيل قال متضرعاً إلى الله عز وجل (رب إني أخاف أن يكذبون) من أول الأمر (ويضيق صدري ولا ينطلق لساني) معطوفان على أخاف (فأرسل) أى جبريل عليه السلام (إلى هرون) ليكون معى وأتعاظه في تبليغ الرسالة ترتب عليه الصلاة والسلام استدعاه ذلك على الأمور الثلاثة خوف التكذيب وضيق الصدر وإزدياد ما كان فيه عليه الصلاة والسلام من حبسة اللسان بانقباض الروح إلى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطق لأنها إذا اجتمعت تمس الحاجة إلى معين يقوى قلبه وينوب منابه إذا اعتراه حبسة حتى

- وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ ٢٦ الشعراء
- قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِبَنَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ ٢٦ الشعراء
- فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ ٢٦ الشعراء
- أَنْ أَرْسَلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٧﴾ ٢٦ الشعراء
- قَالَ أَلَمْ نَرْبِكُ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ ٢٦ الشعراء

لا تختل دعوته ولا تنقطع حجته وليس هذا من التعلل والتوقف في تالقي الأمر في شيء وإنما هو استدعاء لما يمينه على الامتثال به وتمهيد عذر فيه وقرىء ويضيق ولا ينطق بالنصب عطفاً على يكذبون فيكونان من جملة ما يخاف منه (ولهم على ذنب) أى تبعة ذنب لخداف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه أوسمى ١٤ باسمه والمراد به قتل القبطى وتسميته ذنباً بحسب زعمهم كما يذنب عنه قوله لهم وهذا الإشارة إلى قصة مبسوطة في غير موضع (فأخاف) أى إن أتيتهم وحدى (أن يقتلون) بمقابلته قبل أداء الرسالة كما ينبغي وليس هذا أيضاً تعللاً وإنما هو استدفاع للبلية المتوقعة قبل وقوعها وقوله تعالى (قال كلا فاذهبا بآياتنا) حكاية ١٥ لإجابته تعالى إلى الطلبتين الدفع المفهوم من الردع عن الخوف وضم أخيه المفهوم من توجيه الخطاب إليهما بطريق التغليب فإنه معطوف على مضمرة يذنب عنه الردع كأنه قيل ارتدع باموسى عما ظن فاذهب أنت ومن استدعيته وفي قوله بآياتنا رمز إلى أنها تدفع ما يخافه وقوله تعالى (إنا معكم مستمعون) تعليل • للردع عن الخوف ومزيد تسلية لهما بضمان كمال الحفظ والنصرة كقوله تعالى إني معكما أسمع وأرى وحيث كان الموعد بمحضر من فرعون اعتبر ههنا في المعية وقيل أجرياً مجرى الجماعة ويأباه ما قبله وما بعده من ضمير التثنية أى سامعون ما يجرى بينكما وبينه فظهر كما عليه مثل حاله تعالى بحالذى شوكة قد حضر مجادلة قوم يستمع ما يجرى بينهم ليمد أوليائه ويظهرهم على أعدائهم مبالغة في الوعد بالإطاعة أو استعير الاستماع الذى هو بمعنى الإصغاء للسمع الذى هو العلم بالحروف والأصوات وهو خبر ثان أو خبر وحده ومعكم ظرف لغو والفاء في قوله تعالى (فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين) لترتيب ١٦ ما بعدها على ما قبلها من الوعد الكريم وليس هذا مجرد تأكيد الأمر بالذهاب لأن معناه الوصول إلى المآلى لا مجرد التوجه إليه كالذهاب وإفراد الرسول إما باعتبار رسالة كل منهما أو لاتحاد مطلبهما أولاً لأنه مصدر وصف به وأن في قوله تعالى (أن أرسل معنا بنى إسرائيل) مفسرة لتضمن الإرسال المفهوم ١٧ من الرسول معنى القول ومعنى إرسالهم تخليتهم وشأنهم ليذهبوا معهم إلى الشام (قال) أى فرعون لموسى ١٨ عليه السلام بعد ما أتياه وقال له ما أمراً به يروى أنهما انطلقا إلى باب فرعون فلم يؤذن لهم سنة حتى قال البواب إن ههنا إنسانا يزعم أنه رسول رب العالمين فقال أئذنه لعلنا نضحك فأديا إليه الرسالة فعرف

٢٦ الشعراء

وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ اَلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾

٢٦ الشعراء

قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٧﴾

٢٦ الشعراء

فَقَرَّرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٨﴾

٢٦ الشعراء

وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٩﴾

- موسى عليه السلام فقال عند ذلك (ألم نربك فينا) في حجرنا ومنازلنا (وليدأ) أى طفلا عبر عنه بذلك اقرب عهده بالولادة (ولبثت فينا من عمرك سنين) قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج إلى مدين وأقام بها عشر سنين ثم عاد إليهم يدعوهم إلى الله عز وجل ثلاثين سنة ثم بقى بعد الغرق خمسين سنة وقيل وكز القبطى وهو ابن اثنى عشرة سنة وفرمهم على إثر ذلك والله أعلم (وفعلت فعلتك التى فعلت) يعنى قتل القبطى بعد ما عدد عليه نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال وبخه بما جرى عليه من قتل خبازه وعظم ذلك وقطعه وقرىء فعلتك بكسر الفاء لأنها كانت نوعا من القتل (وأنت من الكافرين) أى بنعمتى حيث عمدت إلى قتل رجل من خواصى أو أنت حينئذ من تكفرهم الآن وقد افترى عليه عليه الصلاة والسلام أو جهل أمره عليه الصلاة والسلام حيث كان يعايشهم بالتقية وإلا فأين هو عليه الصلاة والسلام من مشاركتهم فى الدين فالجملة حينئذ حال من إحدى النامين ويجوز أن يكون حكما مبتدأ عليه بأنه من الكافرين بالهيته أو من يكفرون فى دينهم حيث كانت لهم آلهة يعبدونها أو من الكافرين بالنعم المعتادين لغمطها ومن اعتاد ذلك لا يكون مثل هذه الجناية بدعا منه (قال) مجيباً له مصداقاً له فى القتل ومكذباً فيما نسبته إليه من الكفر (فعاتها إذاً وأنا من الضالين) أى من الجاهلين وقد قرىء كذلك لاهن الكافرين كما زعمت افتراء أى من الفاعلين فعل الجملة والسفهاء أو من المخطئين لأنه لم يتعمد قتله بل أراد تأديبه أو الذاهبين عما يؤدى إليه التركيز أو الناسين كقوله تعالى أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى
- ٢١ (فقررت منكم) إلى ربى (لما خفتكم) أن تصيبونى بمضرة وتؤاخذونى بما لا أستحقه بجنايتى من العقاب (فوهب لى ربى حكماً) أى حكمة أو نبوة (وجعلنى من المرسلين) ردأولا بذلك ما وبخه به قدحا فى نبوته ثم كر على ما عده عليه من النعمة ولم يصرح برده حيث كان صدقا غير قاذح فى دعواه بل نبه على أن ذلك كان فى الحقيقة نعمة فقال (وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى إسرائيل) أى تلك التربية نعمة تمن بها على ظاهر أوهى فى الحقيقة تعبيدك بنى إسرائيل وقصدك إياهم بذبح أبنائهم فإنه السبب فى وقوعى عندك وحصولى فى تربيتك وقيل إنه مقدر بهمزة الإنكار أى أو تلك نعمة تمنها على وهى أن عبدت بنى إسرائيل وبحل أن عبدت الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أو بدل من نعمة أو الجر بإضمار الباء أو النصب بحذفها وقيل تلك إشارة إلى خصلة شنعاء مبهمة وأن عبدت عطف بيان لها والمعنى تعبيدك بنى إسرائيل نعمة تمنها على وتوحيد الخطاب فى تمنها وجمعه فيما قبله لأن المنة منه خاصة والخوف والفرار منه ومن مائه

- قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ الشعراء ٢٦
- قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ الشعراء ٢٦
- قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ الشعراء ٢٦
- قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ الشعراء ٢٦
- قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ الشعراء ٢٦
- قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ الشعراء ٢٦

(قال فرعون) لما سمع منه عليه الصلاة والسلام تلك المقالة المتينة وشاهد تصليه في أمره وعدم تأثره ٢٣ بما قدمه من الإبراق والإرعاد شرع في الاعتراض على دعواه عليه الصلاة والسلام فبدأ بالاستفسار عن المرسل فقال (وما رب العالمين) حكاية لما وقع في عباراته عليه الصلاة والسلام أى شئ رب العالمين الذى ادعيت أنك رسوله منكراً لأن يكون للعالمين رب سواه حسبما يعرب عنه قوله أنا ربكم الأعلى وقوله ما علمت لكم من إله غيرى وينطق به وعيده عند تمام أجوبته عليه الصلاة والسلام (قال) ٢٤ موسى عليه السلام مجيباً له (رب السموات والأرض وما بينهما) بتعيين ما أراد بالعالمين وتفصيله لزيادة التحقيق والتقرير وحسم مادة تزوير اللعين وتشكيكه بحمل العالمين على ماتحت مملكته (إن كنتم موقنين) أى إن كنتم موقنين بالاشياء محققين لما علمتم ذلك أو إن كنتم موقنين بشئ من الاشياء فهذا أولى بالإيقان لظهوره وإثارة دليله (قال) أى فرعون عند سماع جوابه عليه الصلاة والسلام خوفاً من تأثيره في قلوب ٢٥ قومه وإذعانهم له (لن حول) من أشرف قومه قال ابن عباس رضى الله عنهما كانوا خمسائة عليهم الأساور وكانت للملوك خاصة (ألا تستمعون) مرثياً لهم أن ماسمعه من جوابه عليه الصلاة والسلام مع كونه لا يلبق بأن يعتد به أمر حقيق بأن يتعجب منه كأنه قال ألا تستمعون ما يقوله فاستمعوه وتعجبوا منه حيث يدعى خلاف أمر محقق لا اشتباه فيه يريد به ربوبية نفسه (قال) عليه الصلاة والسلام أصرحاً ٢٦ بما كان مندرجات جوابيه السابقين (ربكم ورب آبائكم الأولين) وخطأه من ادعاء الربوبية إلى مرتبة الربوبية (قال) أى فرعون لما رآه موسى عليه السلام بما ذكر غاظه ذلك وخاف من تأثر قومه منه ٢٧ فأراهم أن ما قاله عليه الصلاة والسلام لا يصدر عن العقلاء صدأ لهم عن قبوله فقال مؤكداً لمفاته الشنعاء بحر في التأكيد (إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون) ليفتنهم بذلك ويصرفهم عن قبول الحق وسماه رسولاً بطريق الاستهزاء وأضافه إلى مخاطبته ترفعاً من أن يكون مرسل إلى نفسه (قال) عليه الصلاة ٢٨ والسلام (رب المشرق والمغرب وما بينهما) قاله عليه الصلاة والسلام تكميلاً لجوابه الأول وتفسيراً له

قَالَ لَيْنِ اتَّخَذَتْ إِلَٰهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾

٢٩ الشعراء

٢٩ الشعراء

قَالَ أَوْلَوْ جِنَّتِكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾

وتنبها على جهلهم وعدم فهمهم لمعنى مقالته فإن بيان ربوبيته تعالى للسموات والأرض وما بينهما وإن كان متضمناً لبيان ربوبيته تعالى للخافقين وما بينهما لكن لما لم يكن فيه تصريح باستناد حركات السموات وما فيها وتغيرات أحوالها وأوضاعها وكون الأرض تارة مظلمة وأخرى منورة إلى الله تعالى أرشدهم إلى طريق معرفة ربوبيته تعالى لما ذكر فإن ذكر المشرق والمغرب منبئ عن شروق الشمس وغروبها المنوطين بحركات السموات وما فيها على نمط بديع بترتب عليه هذه الأوضاع الرصينة وكل ذلك أمور حادثة مفتقرة إلى محدث قادر عليم حكيم لا كذوات السموات والأرض التي ربما يتوهم جملة المتوهمين باستمرارها استغناءها عن الموجد المتصرف (إن كنتم تعقلون) أى إن كنتم تعقلون شيئاً من الأشياء أو إن كنتم من أهل العقل علمتم أن الأمر كما قلته وفيه إيدان بغاية وضوح الأمر بحيث لا يشتبه على من له عقل في الجملة وتلويح بأنهم بمعزل من دائرة العقل وأهم المنتصفون بآراموه عليه الصلاة والسلام به من الجنون (قال) لما سمع اللعين منه عليه الصلاة والسلام تلك المقالات المبنية على أساس الحكم البالغة وشاهد شدة حزمه وقوة عزمه على تمشية أمره وأنه ممن لا يجارى في حلبة المحاورة ضرب صفحاً عن المقابلة بالإنصاف ونأى بجانبه إلى عدوة الجور والاعتساف فقال مظهرأ لما كان يضمره عند السؤال والجواب (إن اتخذت إلهاً غيرى لأجعلنك من المسجونين) لم يقتنع منه عليه الصلاة والسلام بترك دعوى الرسالة وعدم التعرض له حتى كلفه عليه الصلاة والسلام أن يتخذها إلهاً لغاية عتوه وغلوه فيما فيه من دعوى الألوهية وهذا صريح في أن تعجبه وتعجيبه من الجواب الأول ونسبته عليه الصلاة والسلام إلى الجنون في الجواب الثانى كان لنسبته عليه الصلاة والسلام الربوبية إلى غيره وأما ما قيل من أن سؤاله كان عن حقيقة المرسل وتعجبه من جوابه كان لعدم مطابقة له لكونه بذلك أحواله فلا يساعده النظم الكريم ولا حال فرعون ولا مقالته واللام في المسجونين للعهد أى لأجعلنك ممن عرفت أحوالهم في مسجونى حيث كان يطرهم في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك لم يقل لأسجننك (قال أولو جنتك بشىء مبين) أى أنفعل بى ذلك ولو جنتك بشىء مبين أى موضح لصدق دعواى يريد به المعجزة فإنها جامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته وبين الدلالة على صدق دعوى من ظهرت على يده والتعبر عنها بالشىء للتهويل قالوا الواو فى أولو جنتك للحال دخلت عليها همزة الاستفهام أى جانياً بشىء مبين وقد سلف منا مرار أنها للعطف وأن كلمة لو ليست لانتفاء الشىء فى الزمان الماضى لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف تعويلاً على دلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية لإلغاء القصد إلى بيان الإعراب على القواعد الصناعية بل هى لبيان تحقق ما يفيد الكلام السابق من الحكم الموجب أو المنفى على كل حال مفروض من الأحوال المقارنة له على الإجمال بإدخالها على أبعدها منه وأشدّها منافاة له ليظهر

- قَالَ فَاتٍ بِهِ ۚ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ ﴿٣١﴾ الشعراء ٢٦
- فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ الشعراء ٢٦
- وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنّٰظِرِیْنَ ﴿٣٣﴾ الشعراء ٢٦
- قَالَ لِلْمَلَآئِكَةِ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ الشعراء ٢٦
- يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ الشعراء ٢٦

بثبوته أو انتفائه معه ثبوته أو انتفاؤه مع ماعده من الأحوال بطريق الأولوية لما أن الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلأن يتحقق مع غيره أولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الأحوال ويكتفى عنه بذكر العاطف للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الأحوال المغايرة لها عند تعددها ليظهر ما ذكر من تحقق الحكم على جميع الأحوال فإنك إذا قلت فلان جواد يعطى ولو كان فقيراً تريد بيان تحقق الإعطاء منه على كل حال من أحواله المفروضة فتعلق الحكم بأبعدها منه ليظهر بتحقيقه معه تحققه مع ماعده من الأحوال التي لا منافاة بينها وبين الحكم بطريق الأولوية المصححة للاكتفاء بذكر العاطف عن تفصيلها كأنك قلت فلان جواد يعطى لو لم يكن فقيراً ولو كان فقيراً أى يعطى حال كونه غنياً وحال كونه فقيراً فالحال في الحقيقة كلنا الجملتين المتعاطفين لا المذكورة على أن الواو للحال وتصدير المجيء بما ذكر من كلمة لودون إن ليس لبيان استبعاده في نفسه بل بالنسبة إلى فرعون والمعنى أتفعل بى ذلك حال عدم مجيئى بشيء مبين وحال مجيئى به (قال فات به إن كنت من الصادقين) أى فيما يدل عليه كلامك من أنك تأتى بشيء مبين ٣١

موضح لصدق دعواك أو فى دعوى الرسالة وجواب الشرط المحذوف لدلالة ما قبله عليه (فألقى عصاه ٣٢

فإذا هي ثعبان مبين) أى ظاهر ثعبانيتها لأنه شيء يشبهه واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانتعش أى لجرفته فانفجر وقد مر بيان كيفية الحال فى سورة الأعراف وسورة طه (ونزع يده) من جيبه (فإذا هي بيضاء ٣٣

للناظرين) قيل لما رأى فرعون الآية الأولى وقال هل لك غيرها فأخرج يده فقال ما هذه قال فرعون يدك فافها فأدخلها فى إبطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الأبصار ويسد الأفق (قال للدلائل حوله) أى ٣٤

مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال (إن هذا ساحر عليم) فائق فى فن السحر (يريد أن يخرجكم ٣٥

فسراً) (من أرضكم بسحره فإذا تأمرون) بهر سلطان المعجزة وحيرة حتى حطه عن ذروة ادعاء الربوبية إلى حضيض الخضوع لعبيده فى زعمه والامتنال بأمرهم أو إلى مقام مؤامرتهم ومشاورتهم بعد ما كان مستقلاً فى الرأى والتدبير وأظهر استتعار الخوف من استيلائه على ملكه ونسبة الإخراج والأرض إليهم لتغييرهم عن موسى عليه السلام .

- ٢٦ الشعراء قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾
- ٢٦ الشعراء يَا تُؤَكُّ بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾
- ٢٦ الشعراء لَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾
- ٢٦ الشعراء وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾
- ٢٦ الشعراء لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾
- ٢٦ الشعراء فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَأْجُرُكَ إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾
- ٢٦ الشعراء قَالَ نَعَمْ وَإِنكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾
- ٢٦ الشعراء قَالَ لَهُمُ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٤٣﴾
- ٢٦ الشعراء فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾

٣٦ (قالوا أرجه وأخاه) أخر أمرهما وقيل أحبسهما (وابعث في المدائن حاشرين) أى شرطاً يحشرون
 ٣٨، ٣٧ السحرة (يا تؤك) أى الحاشرون (بكل سحر عليم) فائق في فن السحر وقرىء بكل ساحر (لجمع
 السحرة لميقات يوم معلوم) هو ماعينه موسى عليه السلام بقوله موعدكم يوم الزينة وأن يحشرون الناس
 ٣٩ ضحى (وقيل للناس هل أنتم مجتمعون) قيل لهم ذلك استبطاء لهم في الاجتماع وحثاً لهم على المبادرة إليه
 ٤٠ (لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين) أى ندبهم في دينهم إن كانوا هم الغالبين لا موسى عليه السلام
 وليس مرادهم بذلك أن يتبعوا دينهم حقيقة وإنما هو أن لا يتبعوا موسى عليه السلام لكنهم ساقوا
 ٤١ كلامهم مساقى الكناية حملاً لهم على الاهتمام والجد في المغالبة (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون) نحن لنا
 ٤٢ (لاجرأ) أى أجرأ عظيماً (إن كنا نحن الغالبين) لا موسى عليه السلام (قال نعم) لكم ذلك (وإنكم) مع
 ذلك (إذا لمن المقربين) عندى قيل قال لهم تكونون أول من يدخل على وآخر من يخرج عنى وقرىء
 ٤٣ نعم بكسر العين وهما لغتان (قال لهم موسى) أى بعد ما قال له السحرة إما أن تلقى وإما أن تكون أول من
 ألقى (ألقوا ما أنتم ملقون) ولم يرد به الأمر بالسحر والتوبة بل الإذن في تقديم ما هم فاعلوه البتة وتوسلاً
 ٤٤ به إلى إظهار الحق وإبطال الباطل (فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا) أى وقد قالوا عند الإلقاء (بعزة
 فرعون إنا لنحن الغالبون) قالوا ذلك لفرط اعتقادهم في أنفسهم وإتيانهم بأقصى ما يمكن أن يوثق
 به من السحر .

فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ الشعراء ٢٦

فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجِدِينَ ﴿٤٦﴾ الشعراء ٢٦

قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ الشعراء ٢٦

رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ الشعراء ٢٦

قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا يَقْطَعَنَّ
أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ الشعراء ٢٦

قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ الشعراء ٢٦

إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ الشعراء ٢٦

- ٤٥ (فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف) أى تتلفع بسرعة وقرىء تلقف بحذف إحدى التاءين من تتلقف (ما يافكون) أى ما يقبلونه من وجهه وصورته بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالمهم وعصيمهم أنها حيات تسعى أو إفكهم تسمية للباطل فوك به مبالغة (فألقى السحرة ساجدين) أى إثر ما شاهدوا ذلك من غير تعلم ٤٦ وتردد غير متمالكين كأن ملقيا ألقاهم لهم بأن مثل ذلك خارج عن حدود السحر وأنه أمر إلهي قد ظهر على يده عليه الصلاة والسلام لتصديقه وفيه دليل على أن قصارى ما ينتهى إليه هم السحرة هو التقوية والنزير وتخييل شيء لا حقيقة له (قالوا آمنا برب العالمين) بدل اشتغال من ألقى أو حال بإضممار قد وقوله ٤٧ تعالى (رب موسى وهرون) بدل من رب العالمين للنوضح ودفع توهم إرادة فرعون حيث كان قومه ٤٨ الجملة يسمونه بذلك وللإشعار بأن الموجب لإيمانهم به تعالى ما أجراه على أيديهما من المعجزة القاهرة (قال) أى فرعون للسحرة (آمنتم له قبل أن آذن لكم) أى بغير أن آذن لكم كما فى قوله تعالى لنفد البحر قبل ٤٩ أن تنفذ كلمات ربي لا أن الإذن منه ممكن أو متوقع (إنه لكبيركم الذى علمكم السحر) فتواطأتم على ما فعلتم أو علمكم شيئاً دون شيء فلذلك غلبكم أراد بذلك التاكيد على قومه كيلا يعتقدوا أنهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرىء آمنتم بهمز تين (فلسوف تعلمون) أى وبال ما فعلتم وقوله (لا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولا صلبكم أجمعين) بيان لما أوعدهم به (قالوا) أى السحرة (لا ضير) لا ضرر فيه علينا وقوله ٥٠ تعالى (إننا إلى ربنا منقلبون) تعليل لعدم الضير أى لا ضير فى ذلك بل لنا فيه نفع عظيم لما يحصل لنا فى الصبر عليه لوجه الله تعالى من تكفير الخطايا والثواب العظيم أو لا ضير علينا فيما نتوعدنا به من القتل أنه لا بد لنا من الانقلاب إلى ربنا بسبب من أسباب الموت والقتل أهونها وأرجاها وقوله تعالى (إننا نطمع ٥١ أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا) أى لأن كنا (أول المؤمنين) أى من أتباع فرعون أو من أهل المشهد لتعليل

٢٦ الشعراء

وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ ﴿٥٢﴾

٢٦ الشعراء

فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾

٢٦ الشعراء

إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾

٢٦ الشعراء

وَأَنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾

٢٦ الشعراء

وَأِنَّا لِلْجَمِيعِ حَازِرُونَ ﴿٥٦﴾

٢٦ الشعراء

فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾

٢٦ الشعراء

وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾

ثان لنبي الضير أى لاضير علينا فى قتلك إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا لكوننا أول المؤمنين وقرىء
 إن كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالحاتمة أو على طريقة قول المدلل بأمره كقول العامل لمستأجر
 ٥٢ أخر أجرته إن كنت عملت لك فوقى حتى (وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى) وذلك بعد بضع سنين
 أقام بين أظهرهم يدعوهم إلى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا إلا اعتوا وعناداً حسبما فصل فى سورة
 الأعراف بقوله تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين الآيات وقرىء بكسر النون ووصل الألف من
 سرى وقرىء أن سر من السير (إنكم متبعون) تعليل للأمر بالإسراء أى يتبعكم فرعون وجنوده
 مصيحين فأسر بمن معك حتى لا يدركوك قبل الوصول إلى البحر فيدخلوا مداخلكم فأطبقه عليهم فأغرقهم
 ٥٤، ٥٣ (فأرسل فرعون) حين أخبر بمسيرهم (فى المدائن حاشرين) جامعين للعساكر ليتبعوهم (إن هؤلاء)
 يريد بنى إسرائيل (لشردمة قليلون) استقلهم وهم ستمائة ألف وسبعون ألفاً بالنسبة إلى جنوده إذ روى
 أنه أرسل فى أثرهم ألف ألف وخمسمائة ملك مسور مع كل ملك ألف وخرج فرعون فى جمع عظيم وكانت
 مقدمته سبعماية ألف رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما خرج
 ٥٦، ٥٥ فرعون فى ألف ألف حصان سوى الإناث (وإنهم لنا لغائظون) أى فاعلون ما يغيظنا (وإنا لجميع
 حاذرون) يريد أنهم لقاتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون أفعالا تغيظنا وتضيق
 صدورنا ونحن قوم عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم فى الأمور فإذا خرج علينا خارج سارعنا إلى
 إطفاء نائرة فساد هذه معاذير اعتذر بها إلى أهل المدائن ثلاث يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وقرىء
 حذرون فالأول دال على التجدد والثانى على الثبات وقيل الحاذر المؤدى فى السلاح وقرىء حاذرون
 ٥٧ بالدال المهملة أى أقوياء وأشداء وقيل مدججون فى السلاح قد كسبهم ذلك حذارة فى أجسامهم (فأخرجناهم)
 ٥٨ بأن خلقناهم فىهم داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه (من جنات وعيون) (وكنوز ومقام كريم)

٢٦ الشعراء

كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾

٢٦ الشعراء

فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾

٢٦ الشعراء

فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾

٢٦ الشعراء

قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾

٢٦ الشعراء

فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾

٢٦ الشعراء

وَأَزَلَفْنَا لِمِ الْأَخْرَيْنِ ﴿٦٤﴾

٢٦ الشعراء

وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾

كانت لهم جملة ذلك (كذلك) إما مصدر تشبهي لا يخرجنا أى مثل ذلك الإخراج العجيب أخرجناهم ٥٩
أو صفة لمقام كريم أى من مقام كريم كائن كذلك أو خبر لمبتدأ محذوف أى الأمر كذلك (وأورثناها
بني إسرائيل) أى ملكناها لإمام على طريقة تملك مال المورث للوارث كأنهم ملكوها من حين خروج
أربابها منها قبل أن يقبضوها ويتسلموها (فاتبعوهم) أى فلاحقوهم وقرىء فاتبعوهم (مشرقين) داخلين ٦٠
في وقت شروق الشمس أى طلوعها (فلما تراءى الجمعان) تفار با بحيث رأى كل واحد منهما الآخر وقرىء ٦١
ترامت الغنثان (قال أصحاب موسى إنا لمدركون) جاموا بالجملة الاسمية مؤكدة بمر في التأكيد للدلالة على
تحقق الإدراك واللاحاق وتنجزهما وقرىء لمدركون بتشديد الدال من أدرك الشيء إذا تابعه ففى أى
لمتتابعون في الهلاك على أيديهم (قال كلا) ارتدعوا عن ذلك فإنهم لا يدركونكم (إن معي ربي) بالنصرة ٦٢
والهداية (سيمدين) البتة إلى طريق النجاة منهم بالكلية روى أن يوشع عليه السلام قال يا كلثم الله ابن
أمرت فقد غشينا فرعون والبحر أماننا قال عليه السلام ههنا نخاض يوشع عليه السلام الماء وضرب موسى
عليه السلام بعصاه البحر فكان ما كان وروى أن مؤمناً من آل فرعون كان بين يدي موسى عليه السلام
فقال أين أمرت فهذا البحر أمامك وقد غشيك آل فرعون قال عليه السلام أمرت بالبحر ولعلى أوامر
بما أصنع فأمر بما أمر به وذلك قوله تعالى (فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر) الفلز أو النبل ٦٣
(فانفلق) الفاء فصيحة أى فضرب فانفلق فصار اثني عشر فرقا بعدد الأسباط يبنهن مسالك (فكان كل
فرق) حاصل بالانفلاق (كالطود العظيم) كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط في
شعب منها (وأزلفنا) أى قربنا (ثم الآخرين) أى فرعون وقومه حتى دخلوا على أثرهم مدخلهم (وأنجينا ٦٤، ٦٥
موسى ومن معه أجمعين) بحفظ البحر على تلك الهيئة إلى أن عبروا إلى البر.

٢٦ الشعراء

ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾

٢٦ الشعراء

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾

٢٦ الشعراء

وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾

٦٧، ٦٦ (ثم أغرقنا الآخرين) بإطافه عليهم (إن في ذلك) أى فى جميع ما فصل مما صدر عن موسى عليه السلام وظهر على يديه من المعجزات القاهرة وما فعل فرعون وقومه من الأقوال والأفعال وما فعل بهم من العذاب والتكال وما فى اسم الإشارة من معنى البعد لتحويل أمر المشار إليه وتفضيحه كتنكير الآية فى قوله تعالى (لاية) أى آية آية أو آية عظيمة لا تكاد توصف موجبة لأن يعتبر بها المعتبرون ويقبسوا شأن النبي ﷺ بشأن موسى عليه السلام وحال أنفسهم بحال أولئك المملكين ويحتجروا تعاطى ما كانوا يتعاطونه من الكفر والمعاصى ومخالفة الرسول ويؤمنوا بالله تعالى ويطيعوا رسوله كيلا يحل بهم مثل ما حل بأولئك أو إن فيما فصل من القصة من حيث حكايته عليه الصلاة والسلام إياها على ما هي عليه من غير أن يسمعا من أحد لآية عظيمة دالة على أن ذلك بطريق الوحي الصادق موجبة للإيمان بالله تعالى وحده وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام (وما كان أكثرهم) أى أكثر هؤلاء الذين سمعوا قصتهم منه عليه الصلاة والسلام (مؤمنين) لا بأن يقبسوا شأنه بشأن موسى عليهما السلام وحال أنفسهم بحال أولئك المكذبين المملكين ولا بأن يتدبروا فى حكايته عليه الصلاة والسلام لقصتهم من غير أن يسمعا من أحد مع كون كل من الطريقتين مما يؤدى إلى الإيثار قطعاً ومعنى ما كان أكثرهم مؤمنين وما أكثرهم مؤمنين على أن كان زائدة كما هو رأى سيبويه فيكون كقوله تعالى وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وهو إخبار منه تعالى بما سيكون من المشركين بعد ما سمعوا الآيات الناطقة بالقصة تقريراً لما مر من قوله تعالى وما يأتينهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا الخ وإيثار الجملة الاسمية للدلالة على استقرارهم على عدم الإيمان واستمرارهم عليه ويجوز أن يجعل كان بمعنى صار كما فعل ذلك فى قوله تعالى وكان من الكافرين فالمعنى وما صار أكثرهم مؤمنين مع ما سمعوا من الآية العظيمة الموجبة له بما ذكر من الطريقتين فيكون الإخبار بعدم الصيرورة قبل الحدوث للدلالة على كمال تحققه ٦٨ وتقرره كقوله تعالى أتى أمر الله الآية (وإن ربك هو العزيز) الغالب على كل ما يريد من الأمور التى من جملتها الانتقام من المكذبين (الرحيم) المبالغ فى الرحمة ولذلك يمهلم ولا يجعل عقوبتهم بعدم إيمانهم بعد مشاهدة هذه الآية العظيمة بطريق الوحي مع كمال استحقاقهم لذلك هذا هو الذى يقتضيه جزالة النظم الكريم من مطلع السورة الكريمة إلى آخر القصص السبع بل إلى آخر السورة الكريمة اقتضاء بينا لأرب فيه وأما ما قبل من أن ضمير أكثرهم لأهل عصر فرعون من القبط وغيرهم وأن المعنى وما كان أكثر أهل مصر مؤمنين حيث لم يؤمن منهم إلا آسية وحزقيل ومريم ابنة ياموشا التى

وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾

٢٦ الشعراء

إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾

٢٦ الشعراء

قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظُلُّ لَهَا عَسَكِينَ ﴿٧١﴾

٢٦ الشعراء

قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾

٢٦ الشعراء

دلت على تابوت يوسف عليه السلام وبنو إسرائيل بعد ما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا ان تؤمن لك حتى نرى الله جهرة فبمعزل من التحقيق كيف لا ومساق كل قصة من القصص الواردة في السورة الكريمة سوى قصة إبراهيم عليه السلام إنما هو لبيان حال طائفة معينة قد عتوا عن أمر ربهم وعصوا رسله عليهم الصلاة والسلام كما يفصح عنه تصدير القصص بتكذيبهم المرسلين بعد ما شاهدوا بأيديهم من الآيات العظام ما يوجب عليهم الإيمان ويزجرهم عن الكفر والعصيان وأصروا على ما هم عليه من التكذيب فما قبحهم الله تعالى لذلك بالعقوبة الدنيوية وقطع دابرهم بالكلية فكيف يمكن أن يخبر عنهم بعدم إيمان أكثرهم لاسيما بعد الإخبار بإهلاكهم وعد المؤمنين من جملتهم أولا وإخراجهم منها آخرأ مع عدم مشاركتهم لهم في شيء مما حكى عنهم من الجايات أصلا مما يوجب تنزيه التنزيل عن أمثاله فتدبر (واتل عليهم) عطف على المضرر المقدر عاملا لإذ نادى الخ أي واتل على المشركين (نبأ إبراهيم) أي خبره العظيم الشأن حسبا أو حكي إليك لتقف على ما ذكر من عدم إيمانهم بما يأتيهم من الآيات بأحد للطريقين (إذ قال) منصوب إما على الظرفية للنبا أي نبأه وقت قوله (لأبيه وقومه) أو على المفعولية لا تل على أنه بدل من نبأ أي واتل عليهم وقت قوله لهم (انعبدون) على أن المتلو ما قاله لهم في ذلك الوقت سألمهم عليه الصلاة والسلام عن ذلك ليبني على جوابهم أن ما يعبدونه بمعزل من استحقاق العبادة بالكلية (قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين) لم يقتصروا على الجواب الكافي بأن يقولوا أصناما كما في قوله تعالى ويسألونك إذا ينفقون قل العفو وقوله تعالى ماذا أنزل ربكم قالوا الحق ونظائرهما بل أطنبوا فيه بإظهار الفعل وعطف دوام عكوفهم على أصنامهم قصداً إلى إبراز ما في نفوسهم الخبيثة من الابتهاج والافتخار بذلك والمراد بالظلول الدوام وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل وصلة العكوف كلمة على وإيراد اللام لإفادة معنى زائد كأنهم قالوا فنظل لا أجلها مقبلين على عبادتها أو مستديرين حولها وهذا أيضاً من جملة إطلائهم (قال) استئناف مبني على سؤال نشأ من تفصيل جوابهم (هل يسمعونكم) أي هل يسمعون دعاءكم على حذف المضاف أو يسمعونكم تدعون كقولك سمعت زيدا يقول كيت وكيت وتحذف لدلالة قوله تعالى (إذ تدعون) عليه وقرىء هل يسمعونكم من الإسماع أي هل يسمعونكم شيئاً من الأشياء أو الجواب عن دعائكم وهل يقدرعون على ذلك وصيغة المضارع مع إذ على حكاية الحال

٢٦ الشعراء

أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾

٢٦ الشعراء

قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾

٢٦ الشعراء

قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾

٢٦ الشعراء

أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾

٢٦ الشعراء

فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾

٢٦ الشعراء

الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾

الماضية لاستحضار صورتها كأنه قيل لهم استحضروا الأحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها وأجيبوا
 ٧٣ هل سمعوا أو سمعوا قط (أو ينفعونكم) بسبب عبادتكم لها (أو يضررون) أي يضررونكم بترككم لعبادتها
 ٧٤ إذ لا بد للعبادة لاسيما عند كونها على ما رصفتم من المبالغة فيها من جلب نفع أو دفع ضرر (قالوا بل وجدنا
 آباءنا كذلك يفعلون) اعترفوا بأنها بمعزل مما ذكر من السمع والمنفعة والمضرة بالمرة واضطروا إلى
 إظهار أن لا سند لهم سوى التقليد أي ما علمنا أو مارأينا منهم ما ذكر من الأمور بل وجدنا آبائنا كذلك
 ٧٥ يفعلون أي مثل عبادتنا يعبدون فافتدينا بهم (قال أفرأيتكم ما كنتم تعبدون) أي أنظرتهم فأبصرتم أو
 ٧٧، ٧٦ أتأملتم فعلتكم ما كنتم تعبدونه (أنتم وآباؤكم الأقدمون) حق الإبصار أو حق العلم وقوله (فإنهم عدو
 لي) بيان لحال ما يعبدونه بعد التنبيه على عدم علمهم بذلك أي فاعلموا أنهم أعداء لعبادتهم الذين يحبونهم
 كحب الله تعالى لما أنهم يتضررون من جهمهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه أو لأن من يغريهم
 على عبادتهم ويحملهم عليها هو الشيطان الذي هو أعدى العدو للإنسان لكنه عليه الصلاة والسلام صور
 الأمر في نفسه تعريضا بهم فإنه أنفع في النصيحة من التصريح وإشعاراً بأنها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون
 أدعى إلى القبول والعدو والصديق يجيئان في معنى الواحد والجمع ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو شبةا
 بالمصادر للدوازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل (إلا رب العالمين) استثناء منقطع أي لكن رب
 العالمين ليس كذلك بل هو ولي في الدنيا والآخرة لا يزال يتفضل على منافعها حسبما يعرب عنه ما وصفه
 تعالى به من أحكام الولاية وقيل متصل وهو قول الزجاج على أن الضمير لكل معبود وكان من آبائهم
 ٧٨ من عبد الله تعالى وقوله تعالى (الذي خلقني) صفة لرب العالمين وجعله مبتدأ وما بعده خبراً غير
 حقيق بجزالة التنزيل وإنما وصفه تعالى بذلك وبما عطفه عليه مع اندراج الكل تحت ربوبيته تعالى للعالمين
 نصريحاً بالنعم الخاصة به عليه الصلاة والسلام وتفصيلاً لها لكونها أدخل في اقتضاء تخصيص العبادة
 به تعالى وقصر الالتجاء في جلب المنافع الدينية والدنيوية ودفع المضار العاجلة والآجلة عليه تعالى (فهو

٢٦ الشعراء

وَالَّذِي هُوَ يُطْعَمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾

٢٦ الشعراء

وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾

٢٦ الشعراء

وَالَّذِي يُبَيِّتُنِي ثُمَّ يُجْبِينِ ﴿٨١﴾

٢٦ الشعراء

وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾

يهديني) أي هو يهديني وحده إلى كل ما يهمني ويصلحني من أمور الدين والدنيا هداية متصلة بحين الخلق ونفخ الروح متجددة على الاستمرار كما ينبت عنه الفاء وصيغة المضارع فإنه تعالى يهدي كل ما خلقه لما خلق له من أمور المعاش والمعاد هداية متدرجة من مبدأ الإيجاد إلى منتهى أجله يتمكن بها من جلب منافعه ودفع مضاره إما طبعاً وإما اختياراً مبدؤها بالنسبة إلى الإنسان هداية الجنين لا متصاص دم الطمث ومنهاها الهداية إلى طريق الجنة والتنعيم بنعيمها المقيم (والذي هو يطعمني ويسقين) عطف على الصفة ٧٩ الأولى وتكرير الموصول في المواقع الثلاثة مع كفاية عطف ما وقع في حيز الصلة من الجمل الست على صلة الموصول الأول للإيذان بأن كل واحدة من تلك الصلات نعت جليل له تعالى مستقل في استيجاب الحكم حقيقة بأن تجرى عليه تعالى بحياها ولا تجمل من روادف غيرها (وإذا مرضت فهو ٨٠ يشفين) عطف على يطعمني ويسقين نظم معهما في سلك الصلة لموصول واحد لما أن الصحة والمرض من متفرعات الأكل والشرب غالباً ونسبة المرض إلى نفسه والشفاء إلى الله تعالى مع أنهما منه تعالى لمراعاة حسن الأدب كما قال الخضر عليه السلام فأردت أن أعيها وقال فأرد بك أن يبلغا أشدهما وأما الإماتة فحيث كانت من معظم خصائصه تعالى كالإحياء بدهاء وإعادة وقد نيطت أمور الآخرة جميعاً بها وبما بعدها من البعث نظمهما في سمط واحد في قوله تعالى (والذي يبيئني ثم يجبين) على أن الموت لكونه ذريعة ٨١ إلى نيله عليه الصلاة والسلام للحياة الأبدية بمعزل من أن يكون غير مطبوع عنده عليه الصلاة والسلام (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) ذكره عليه الصلاة والسلام هضماً لنفسه وتعلية للأمة ٨٢ أن يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب مغفرة لما يفرط منهم وتلافياً لما عسى يندر منه عليه الصلاة والسلام من الصغائر وتنبهياً لأبيه وقومه على أن يتأملوا في أمرهم فيقفوا على أنهم من سوء الحال في درجة لا يقادر قدرها فإن حاله عليه الصلاة والسلام مع كونه في طاعة الله تعالى وعبادته في الغاية القاصية حيث كانت بتلك المثابة فما ظلك بحال أولئك المغمورين في الكفر وفنون المعاصي والخطايا وحمل الخطيئة على كتمانها الثلاث إني سقيم بل فعله كبيرهم وقوله لسارة حتى أختي بما لا سبيل إليه لأنها مع كونها معارضة لا من قبيل الخطايا المفتقرة إلى الاستغفار إنما صدرت عنه عليه الصلاة والسلام بعد هذه المقابلة الجارية بينه وبين قومه أما الثالثة فظاهرة لوقوعها بعد مهاجرة عليه الصلاة والسلام إلى

٢٦ الشعراء

رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾

٢٦ الشعراء

وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾

٢٦ الشعراء

وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾

٢٦ الشعراء

وَاعْفِرْ لَأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾

٢٦ الشعراء

وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾

٢٦ الشعراء

يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾

الشام وأما الأوليان فلائهما وقعتا مكتسفتين بكسر الأصنام ومن البين أن جريان هذه المقالات فيما بينهم كان في مبادئ الأمر وتعليق مغفرة الخطيئة بيوم الدين مع أنها إنما تغفر في الدنيا لأن أثرها يومئذ يتبين ولأن في ذلك تهويل له وإشارة إلى وقوع الجزاء فيه إن لم تغفر (رب هب لي حكما) بعدما ذكر عليه الصلاة والسلام لهم فنون اللطاف الفائضة عليه من الله عز وجل من مبدأ خلقه إلى يوم بعثه حمله ذلك على مناجاته تعالى ودعائه لربط العتيد وجلب المزيد والحكم الحسنة التي هي السكال في العلم والعمل بحيث يتمكن به من خلافة الحق ورياسة الخلق (والحقني بالصالحين) ووقفني من العلوم والأعمال والملكات لما يرشحني للانتظام في زمرة الكاملين الراحمين في الصلاح المزهرين عن كبار الذنوب وصغائرهما أو اجمع بيني وبينهم في الجنة ولقد أجابه تعالى حيث قال وإنه في الآخرة لمن الصالحين ٨٣ (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) أي جاها وحسن صيت في الدنيا بحيث يبقى أثره إلى يوم الدين ولذلك لا ترى أمة من الأمم إلا وهي محبة له ومثنية عليه أو صادقا من ذريته يحدد أصل ديني ويدعو الناس إلى ما كنت أدعوم إليه من التوحيد وهو النبي ﷺ ولذلك قال ﷺ أنا دعوة أبي إبراهيم ٨٤ (واجعلني من ورثة جنة النعيم) وقد مر معنى الورثة في سورة مريم (واعفِرْ لَأَبِي) بالهداية والتوفيق للإيمان كما يلوح به تعليقه بقوله (إنه كان من الضالين) أي طريق الحق وقد مر تحقيق المقام في تفسير سورة التوبة وسورة مريم بما لا مزيد عليه (ولا تخزني) بمعانتي على ما فرطت أو بنقص رتبتي عن بعض الوراث أو بتعذبي لحفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا كل ذلك مبنى على هضم النفس منه عليه الصلاة والسلام أو بتعذبي ولدي أو ببعثه في عداد الضالين بعدم توفيقه للإيمان وهو من الخزي بمعنى الهوان أو من الخزاية بمعنى الحياء (يوم يبعثون) أي الناس كافة والإضمار قبل الذكر لما في عموم البعث من الشهرة الفاشية المغنية عنه وتخصيصه بالضالين بما يخل بهويل اليوم (يوم لا ينفَعُ مال ولا بنون) ٨٥ بدل من يوم يبعثون جرى به تأكيدها للتحويل وتمهيدا لما يعقبه من الاستثناء وهو من أعم المفاعيل أي

٢٦ الشعراء

إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾

٢٦ الشعراء

وَأَزَلِفَتْ أَلْحَنَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾

٢٦ الشعراء

وَبُرَزَتْ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾

٢٦ الشعراء

وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾

٢٦ الشعراء

مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكَ أَوْ يَنْصُرُونَ ﴿٩٣﴾

٢٦ الشعراء

فَكَذَّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾

- لا ينفع مال وإن كان مصر وفا في الدنيا إلى وجوه البر والخيرات ولا بنون وإن كانوا صلحاء مستأهلين للشفاعة أحداً (إلا من أتى الله بقلب سليم) أى عن مرض الكفر والنفاق ضرورة اشتراط نفع كل منهما بالإيمان وفيه تأييد لكون استغفاره عليه الصلاة والسلام لأبيه طلباً لهدايته إلى الإيمان لاستحالة طلب مغفرته بعد موته كافرأ مع عليه عليه الصلاة والسلام بعدم نفعه لأنه من باب الشفاعة وقيل هو استثناء من فاعل ينفع بتقدير المضاف أى إلا مال من أوبنو من أتى الله الآية وقيل المضاف المحذوف ليس من جنس المستثنى منه حقيقة بل بضرب من الاعتبار كما في قوله [تحية بينهم ضرب وجيع] أى إلا حال من أتى الله بقلب سليم على أنها عبارة عن سلامة القلب كأنه قيل إلا سلامة قلب من أتى الله الآية وقيل المضاف المحذوف مادل عليه المال والبنون من الغنى وهو المستثنى منه كأنه قيل يوم لا ينفع غنى إلا غنى من أتى الله الآية لأن غنى المرء في دينه بسلامة قلبه وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لكن سلامة قلبه تنفعه (وأزلفت الجنة للمتقين) عطف على لا ينفع وصيغة الماضي فيه وفيما بعده من الجمل المنتظمة معه ٩٠ في سلك العطف للدلالة على تحقق الوقوع وتقرره كما أن صيغة المضارع في المعطوف عليه الدلالة على استمرار انتفاء النفع ودوامه حسبما يقتضيه مقام التهويل والتفطيع أى قربت الجنة للمتقين عن الكفر والمعاصى بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بأنهم المحشورون إليها (وبرزت الجحيم للغاوين) الضالين عن طريق الحق الذى هو الإيمان والتقوى أى جعلت بارزة لهم ٩١ بحيث يرونها مع ما فيها من أنواع الأحوال الهائلة ويوقنون بأنهم مواقعوها ولا يجدون عنها مصرفاً (وقيل لهم أينما كنتم) فى الدنيا (ما تعبدون) (من دون الله) أى أين آلهتكم الذين كنتم تزعمون فى الدنيا ٩٢، ٩٣ أنهم شفعائكم فى هذا الموقف (هل ينصرونكم) بدفع العذاب عنكم (أو ينتصرون) بدفعه عن أنفسهم وهذا سؤال تفرغ وتبكيت لا يتوقع له جواب ولذلك قيل (فكذبوا فيها) أى ألقوا فى الجحيم على وجوههم ٩٤ مرة بعد أخرى إلى أن يستقروا فى قعرها (هم) أى آلهتهم (والغاوون) الذين كانوا يعبدونهم وفى تأخير

٢٦ الشعراء

وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾

٢٦ الشعراء

قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾

٢٦ الشعراء

تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾

٢٦ الشعراء

إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾

٢٦ الشعراء

وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾

ذكرهم عن ذكر آلهتهم رمز إلى أنهم يؤخرون عنها في الكسبية ليشاهدوا سوء حالها فيزدادوا غمًا إلى غمهم (وجنود إبليس) أي شياطينه الذين كانوا يغرونهم ويوسوسون إليهم ويسولون لهم ما هم عليه من عبادة الأصنام وسائر فنون الكفر والمعاصي ليجتمعوا في العذاب حسبما كانوا مجتمعين فيما يوجبهم وقيل متبعوه من عصاة الثقلين والاول هو الوجه (أجمعين) تأكيد للضمير وما عطف عليه وقوله تعالى (قالوا) الخ استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية حالهم كأنه قيل ماذا قالوا حين فعل بهم ما فعل فقيل قال العبد (وهم فيها يختصمون) أي قالوا معترفين بخطئهم في انهماكهم في الضلالة متحسرين معيدين لأنفسهم والحال أنهم في الجحيم بصدد الاختصاص مع من معهم من المذكورين مخاطبين لمعبودهم على أن الله تعالى يجعل الأصنام صالحة للاختصاص بأن يعطيها القدرة على الفهم والنطق (تالله إن كنا لفي ضلال مبين) إن مخففة من الثقيلة قد حذف اسمها الذي هو ضمير الشأن واللام فارقة بينها وبين النافية أي إن الشأن كنا في ضلال واضح لا خفاء فيه ووصفهم له بالوضوح للإشباع في إظهار ندمهم وتحسّرهم وبيان عظم خطئهم في رأيهم مع وضوح الحق كما ينبغي عنه تصدير قسمهم بحرف التاء المشعرة بالتعجب وقوله تعالى (إذ نسويكم رب العالمين) ظرف لكونهم في ضلال مبين وقيل لما دل عليه الكلام أي ضللاً وقيل للضلال المذكور وإن كان فيه ضعف صناعي من حيث إن المصدر الموصوف لا يعمل بعد الوصف وقيل ظرف لمبين وصيغة المضارع لاستحضار الصورة الماضية أي تالله لقد كنا في غاية الضلال الفاحش وقت تسويدنا إياكم أيها الأصنام في استحقاق العبادة رب العالمين الذي أنتم أدنى مخلوقاته وأداهم وأعجزهم وقولهم (وما أضلنا إلا المجرمون) بيان لسبب ضلالهم بعد اعترافهم بصدوره عنهم لكن لا على معنى قصر الإضلال على المجرمين دون من عداهم بل على معنى قصر ضلالهم على كونه بسبب إضلالهم من غير أن يستقلوا في تحقيقه أو يكون بسبب إضلال الغير كأنه قيل وما صدر عن ذلك الضلال الفاحش إلا بسبب إضلالهم والمراد بالمجرمين الذين أضلهم روساؤهم وكبرائهم كما في قوله تعالى ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا وعن السدى رحمه الله الأولون الذين اقتدوا بهم وأبأ ما كان فقيه أوفر نصيب من التعريض الذين قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون وعن ابن جريج

٢٦ الشعراء

فَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾

٢٦ الشعراء

وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾

٢٦ الشعراء

فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾

٢٦ الشعراء

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

- إبليس وابن آدم القاتل لأنه أول من سن القتل وأنواع المعاصي (فألنا من شافعين) كما للمؤمنين من ١٠٠
 الملائكة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام (ولا صديق حميم) كما نرى لهم أصدقاء أو فالنا من شافعين ولا ١٠١
 صديق حميم من الذين كنا نعدم شفعاء وأصدقاء على أن عدمهما كناية عن عداوتهما كما أن عدم المحبة في
 مثل قوله تعالى والله لا يحب الفساد كناية عن البغض حسبما ينبى عنه قوله تعالى الأخلاء يومئذ بعضهم
 لبعض عدو إلا المتقين أو وقعنا في مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق على أن المراد بعدمهما عدم
 أثرهما وجمع الشافع لكثرة الشفعاء عادة كما أن أفراد الصديق لقلته أو لصحة إطلاقه على الجمع كالعدو
 تشبهاً لهما بالمصادر كالحنين والقبول وكلمة لوفى قوله تعالى (فلو أن لنا كرة) للتمنى كليت لما أن بين معنيهما ١٠٢
 تلاقياً في معنى الغرض والتقدير كأنه قيل فليت لنا كرة أى رجعة إلى الدنيا وقيل هى على أصلها من الشرط
 وجوابه محذوف كأنه قيل ولو أن لنا كرة لفعلنا من الخيرات كيت وكيت وبأباه قوله تعالى (فنكون من
 المؤمنين) لنحتم كونه جواباً للتمنى مفيداً لرتب إيمانهم على وقوع الكرة البتة بلا تخلف كما هو مقتضى
 حالهم وعطفه على كرة على طريقة اللبس عبادة وقرعنى كما يستدعيه كون لو على أصلها إنما يفيد تحقق
 مضمون الجواب على تقدير تحقق كرتهم وإيمانهم معاً من غير دلالة على استلزام الكرة للإيمان أصلاً
 مع أنه المقصود حتماً (إن في ذلك) أى فيما ذكر من نبأ إبراهيم عليه السلام المشتمل على بيان بطلان ما كان ١٠٣
 عليه أهل مكة من عبادة الأصنام وتفصيل ما يؤول إليه أمر عبادتها يوم القيامة من اعترافهم بخطئهم
 الفاحش وندمهم وتحسرم على ما فاتهم من الإيمان وتمنيهم الرجعة إلى الدنيا ليعكفوا من المؤمنين عند
 مشاهدتهم لما أزلت لهم جنات النعيم وبرزت لأنفسهم الجحيم وغشيتهم ما غشيتهم من ألوان العذاب
 وأنواع العقاب (لاية) أى آية عظيمة لا يقادر قدرها موجهة على عبدة الأصنام كافة لا سيما على أهل مكة
 الذين يدعون أنهم على ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام أن يحتنبوا كل الاجتناب ما كانوا عليه من عبادتها
 خوفاً أن يحيق بهم مثل ما حاق بأولئك من العذاب بحكم الاشتراك فيما يوجبها أو أن في ذكر نبته وتلاوته
 عليهم على ما هو عليه من غير أن تسمعه من أحد لآية عظيمة دالة على أن ماتلوه عليهم وحى صادق نازل
 من جهة الله تعالى موجهة للإيمان به قطعاً (وما كان أكثرهم مؤمنين) أى أكثر هؤلاء الذين تتلو عليهم
 النبأ مؤمنين بل هم مصرون على ما كانوا عليه من الكفر والضلال وأما أن ضمير أكثرهم لقوم إبراهيم
 عليه السلام كما توهموا فيها لا سبيل إليه أصلاً لظهور أنهم ما ازدادوا بما سمعوا منه عليه الصلاة والسلام

٢٦ الشعراء

وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾

٢٦ الشعراء

كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾

٢٦ الشعراء

إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾

٢٦ الشعراء

إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾

٢٦ الشعراء

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٠٨﴾

٢٦ الشعراء

وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾

٢٦ الشعراء

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١١٠﴾

٢٦ الشعراء

قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ ﴿١١١﴾

إلا طغياناً وكفراً حتى اجتروا على تلك العظيمة التي فعلوها به عليه الصلاة والسلام فكيف يعبر عنهم بعدم إيمان أكثرهم وإنما آمن له لوط فنجاهما الله عز وجل إلى الشام وقد مر بقية الكلام في آخر قصة موسى عليه السلام (وإن ربك هو العزيز الرحيم) أي هو القادر على تعجيل العقوبة لقومك وإسكنه بهمهم بمحكم رحمته الواسعة ليؤمن بعض منهم أو من ذريابهم (كذبت قوم نوح المرسلين) القوم مؤثث ولذلك يصغر على قومية وقيل القوم بمعنى الأمة وتكذيبهم للمرسلين إما باعتبار إجماع الكل على التوحيد وأصول الشرائع التي لا تختلف باختلاف الأزمنة والأعصار وإما لأن المراد بالجمع الواحد كما يقال ١٠٦ فلان يركب الدواب ويلبس البرود وماله إلا دابة وبردة وإذ في قوله تعالى (إذ قال لهم) ظرف للتكذيب على أنه عبارة عن زمان مديد وقع فيه ما وقع من الجانبين إلى تمام الأمر كما أن تكذيبهم عبارة عما صدر عنهم من حين ابتداء دعوته عليه الصلاة والسلام إلى انتهائها (أخوهم) أي نسيبهم (نوح ألا تتقون) ١٠٨، ١٠٧ الله حين تعبدون غيره (إني لكم رسول) من جهته تعالى (أمين) مشهور بالأمانة فيما بينكم (فاتقوا ١٠٩ الله وأطيعوا) فيما أمركم به من التوحيد والطاعة لله تعالى (وما أسألكم عليه) أي على ما أنا متصد له من الدعاء والنصح (من أجر) أصلاً (إن أجرى) فيما أتولاه (إلا على رب العالمين) والفاء في قوله تعالى ١١٠ (فاتقوا الله وأطيعوا) لترتيب ما بعدها على ما قبلها من تنزهه عليه الصلاة والسلام عن الطمع كما أن نظيرتها السابقة لترتيب ما بعدها على أمانته والتكرير للتأكيد والتنبيه على أن كلا منهما مستقل في إيجاب التقوى والطاعة فكيف إذا اجتماعا وقرىء إن أجرى بسكون الياء (قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون) أي الاقلون جاهها وما لا جمع الأرذل على الصحة فإنه بالغلبة صار جارياً مجرى الاسم

٢٦ الشعراء

قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾

٢٦ الشعراء

إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوَ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾

٢٦ الشعراء

وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾

٢٦ الشعراء

إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾

٢٦ الشعراء

قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾

٢٦ الشعراء

قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾

٢٦ الشعراء

فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾

كالا كبر والا كابر وقيل جمع أرذل جمع رذل كالكالب والكلب وكلب وقرىء وأتباعك وهو جمع تابع كشاهد وأشهاد أو جمع تبع كبطل وأبطال يعنون أنه لا عبرة باتباعهم لك إذ ليس لهم رزانة عقل ولا إصابة رأى وقد كان ذلك منهم في بادية الرأى كما ذكر في موضع آخر وهذا من كمال سخافة عقولهم وقصرهم أنظارهم على حطام الدنيا وكون الأشراف عندهم من هو أكثر منها حظاً والأرذل من حرما وجهلهم بأنها لا تزن عند الله جناح بعوضة وأن النعيم هو نعيم الآخرة والأشرف من فاز به والأرذل من حرمه (قال وما على بما كانوا يعملون) جواب عما أشير إليه من قولهم لأنهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة أى ١١٢ وما وظيفتى إلا اعتبار الظواهر وبناء الأحكام عليها دون التفتيش عن بواطنهم والشق عن قلوبهم (إن ١١٣ حسابهم) أى ما محاسبة أعمالهم والتنقيير عن كيفياتها الباردة والكامنة (إلا على ربى) فإنه المطلع على السرائر والضمائر (لو تشعرون) أى بشىء من الأشياء أو لو كنتم من أهل الشعور لعلمتم ذلك ولكنكم لستم كذلك فتقولون ما تقولون (وما أنا بطارد المؤمنين) جواب عما أوجهه كلامهم من استدعاء طردهم ١١٤ وتعليق إياهم بذلك حيث جعلوا اتباعهم مانعاً عنه وقوله (إن أنا إلا نذير مبين) كالعلة أى ما أنا إلا ١١٥ رسول مبعوث لإلذار المكلفين وزجرهم عن الكفر والمعاصى سواء كانوا من الأعزاء أو الأذلاء فكيف يتسنى طرد الفقراء لاستتباع الأغنياء أو ما على إلا إنذاركم بالبرهان الواضح وقد فعلته وما على استرضاء بعضكم بطرد الآخرين (قالوا لئن لم تنته يانوح) عما تقول (لتكونن من المرجومين) من ١١٦ المشتمين أو المرميين بالحجارة قالوه قائلهم الله تعالى فى أواخر الأمر ومعنى قوله تعالى (قال رب إن قومى ١١٧ كذبون) تموا على تكذيبى وأصروا على ذلك بعد مادعوتهم هذه الأزمنة المتطاولة ولم يزدحم دعائى إلا فراراً كما يعرب عنه دعاؤه بقوله (فافتح بينى وبينهم فتحاً) أى احكم بيننا بما يستحقه كل واحد منا وهذه ١١٨ حكاية لإجمالية لدعائه المفصل فى سورة نوح عليه (ونجنى ومن معى من المؤمنين) أى من قصدتم أو من

- فَإُنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ٢٦ الشعراء
- ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ ٢٦ الشعراء
- إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ ٢٦ الشعراء
- وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ ٢٦ الشعراء
- كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ ٢٦ الشعراء
- إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ ٢٦ الشعراء
- إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ ٢٦ الشعراء
- فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ ﴿١٢٦﴾ ٢٦ الشعراء
- وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ ٢٦ الشعراء
- أَتَتَّبِعُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ ٢٦ الشعراء

١١٩ شؤم أعمالهم (فأنجيناه ومن معه) حسب دعائه (في الفلك الفلك المشحون) أي المملوء بهم وبما لا بد لهم
 ١٢٠ منه (ثم أغرقنا بعد) أي بعد إنجائهم (الباقين) أي من قومه (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم
 ١٢٢ مؤمنين) (وإن ربك هو العزيز الرحيم) الكلام فيه كالذي مر خلا أن حمل أكثرهم على أكثر قوم نوح
 ١٢٣ أبعد من السداد وأبعد (كذبت عاد المرسلين) أنت عاد باعتبار القبيلة وهو اسم أبيهم الأقصى (إذ
 قال لهم أخوهم هود ألا تتقون) الكلام في أن المراد بتكذيبهم وبما وقع فيه من الزمان ماذا كما مر في
 ١٢٥ صدر قصة نوح عليه السلام أي ألا تتقون الله تعالى فتفعلون ما تفعلون (إني لكم رسول أمين)
 ١٢٦، ١٢٧، (فاتقوا الله وأطيعوا) (وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين) الكلام
 فيه كالذي مر وتصدير القصص به للتنبيه على أن مبنى البعثة هو الدعاء إلى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب
 المدعو إلى الثواب ويبعده من العقاب وأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يجمعون على ذلك وإن اختلفوا
 في بعض فروع الشرائع المختلفة باختلاف الأزمنة والأعصار وأنهم متزهون عن المطامع الدنيوية
 ١٢٨ والأغراض الدنيوية بالكلية (أتبتون بكل ريع) أي مكان مرتفع ومنه ريع الأرض لارتفاعها (آية)
 علماء للمارة (تعبتون) أي يبتاتوا إذ كانوا يهتدون بالنجوم في أسفارهم فلا يحتاجون إليها أو بروج الحمام

٢٦ الشعراء

وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾

٢٦ الشعراء

وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾

٢٦ الشعراء

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣١﴾

٢٦ الشعراء

وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾

٢٦ الشعراء

أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾

٢٦ الشعراء

وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾

٢٦ الشعراء

إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾

٢٦ الشعراء

قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾

٢٦ الشعراء

إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾

أو بنياناً يجتمعون إليه ليعبثوا بمن مر عليهم أو قصوراً عالية يفتخرون بها (وتتخذون مصانع) أى مأخذ ١٢٩ الماء وقيل قصوراً مشيدة وحصوناً (لعلكم تخلصون) أى راجين أن تخلصوا فى الدنيا أى عاملين عمل من يرجو ذلك فلذلك تحكمون بنياها (وإذا بطشتم) بسوط أو سيف (بطشتم جبارين) مفسططين خاشعين ١٣٠ بلا رافة ولا قصد تأديب ولا نظر فى العاقبة (فاتقوا الله) وانركوا هذه الأفعال (وأطيعوا) فيها ١٣١ أذعوك إليه فإنه أنفع لكم (واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون) من أنواع النعماء وأصناف الآلاء أجمعها أولاً ١٣٢ ثم فصلها بقوله (أمدكم بأنعام وبنين) بإعادة الفعل لزيادة التقرير فإن التفصيل يعد الإجمال والتفسير ١٣٣ إثر الإجمال أدخل فى ذلك (وجنات وعيون) (إنى أخاف عليكم) إن لم تقوموا بشكر هذه النعم ١٣٤، ١٣٥ (عذاب يوم عظيم) فى الدنيا والآخرة فإن كفران النعمة مستقبح للعذاب كما أن شكرها مستلزم لزيادتها قال تعالى لنن شكرتم لا زيدنكم ولنن كفرتم إن عذابى شديد (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من ١٣٦ الواعظين) فإنالان نرعى عما نحن عليه وتغيير الشق الثانى عن مقابلة اللبابة فى بيان قلة اعتدادهم بوعظه كأنهم قالوا أم لم تكن من أهل الوعظ ومباشريه أصلاً (إن هذا) ما هذا الذى جئتكم به (إلا خلق الأولين) ١٣٧ أى عاداتهم كانوا يلقون مثله ويسطرونه أو ما هذا الذى نحن عليه من الدين إلا خلق الأولين وعاداتهم ونحن بهم مقتدون أو ما هذا الذى نحن عليه من الموت والحياة إلا عادة قديمة لم يزل الناس عليها وقرىء خلق الأولين بفتح الحاء أى اختلاق الأولين كما قالوا أساطير الأولين أو ما خلقنا هذا إلا خلقهم نحياً ٢٣٥ — أبى السعود ٢٦٥

وما نحن بمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾	٢٦ الشعراء
فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾	٢٦ الشعراء
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾	٢٦ الشعراء
كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾	٢٦ الشعراء
إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾	٢٦ الشعراء
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾	٢٦ الشعراء
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٤٤﴾	٢٦ الشعراء
وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾	٢٦ الشعراء
أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هُمْ بِآمِنِينَ ﴿١٤٦﴾	٢٦ الشعراء
فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾	٢٦ الشعراء
وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾	٢٦ الشعراء
وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾	٢٦ الشعراء

١٣٨ كما حيوا وموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب (وما نحن بمعذبين) على مانحن عليه من الاعمال
 ١٣٩ (فكذبوه) أى أصروا على ذلك (فأهلكناهم) بسببه بريح صرصر (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم
 ١٤٠ مؤمنين) (وإن ربك لهو العزيز الرحيم) (كذبت ثمود المرسلين) (إذ قال لهم أخوهم صالح
 ١٤١ ألا تتقون) الله تعالى (إني لكم رسول أمين) (فاتقوا الله وأطيعوا) (وما أسألكم عليه
 ١٤٢ من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين) (أتتركون فيما همنا آمنين) إنكار ونفي لأن يتركوا فيما هم فيه
 ١٤٣ من النعمة أو تذكير للنعمة في تخليته تعالى لإياهم وأسباب تنعمهم آمين وقوله تعالى (في جنات وعيون)
 ١٤٤ (وزروع ونخل طلعها هضيم) تفسير لما قبله من المبهم والهضيم اللطيف اللين للثمر أولاً لأن النخل أثنى
 ١٤٥ وطلع الإناث اللطيف وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريح القنو أو متدل متكسر من
 ١٤٦ كثرة الحمل وإفراد النخل لفضله على سائر أشجار الجنات أولاً لأن المراد بها غيرها من الأشجار (وتنحتون

- فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ١٥٠ الشعراء ٢٦
- وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ١٥١ الشعراء ٢٦
- الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ١٥٢ الشعراء ٢٦
- قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ١٥٣ الشعراء ٢٦
- مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ١٥٤ الشعراء ٢٦
- قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ١٥٥ الشعراء ٢٦
- وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٥٦ الشعراء ٢٦
- فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ ١٥٧ الشعراء ٢٦
- فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ١٥٨ الشعراء ٢٦

من الجبال بيوتا فارحين) بطرين أو حازقين من الفراشة وهي النشاط فإن الحاذق يعمل بنشاط وطلب قلب وقرى فرحين وهو أبلغ (فانقوا الله وأطيعوا) (ولا تطيعوا أمر المسرفين) ١٥٠، ١٥١ استعير الطاعة التي هي انقياد الأمر لا مثال الأمر وار تسامه أو نسب حكم الأمر إلى أمره مجازاً (الذين يفسدون في الأرض) وصف موضع لإسرافهم ولذلك عطف (ولا يصلحون) على يفسدون ١٥٢ إيمان خلوص إفسادهم عن مخالطة الإصلاح (قالوا إنما أنت من المسحورين) أي الذين مسحوا حتى غلب ١٥٣ على عقولهم أو من ذوى السحر أي الرثة أي من الإنس فيكون قوله تعالى (ما أنت إلا بشر مثلنا) تأكيداً ١٥٤ له (فات بآية إن كانت من الصادقين) أي في دعواك (قال هذه ناقة) أي بعد ما أخرجها الله تعالى من ١٥٥ الصخرة بدعائه عليه الصلاة والسلام حسبما مر تفصيله في سورة الأعراف وسورة هود (لها شرب) أي نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرى بالضم (ولكم شرب يوم معلوم) فاقنعوا بشربكم ولا تزاخوا على شربها (ولا تمسوها بسوء) كضرب وعقر (فياخذكم عذاب يوم عظيم) ١٥٦ وصف اليوم بالعظم لعظم ما يحل فيه وهو أبلغ من تعظيم العذاب (فعقروها) أسند العقير إلى كلهم لما أن ١٥٧ عاقرها عقروا برأيهم ولذلك همهم العذاب (فاصبحوا نادمين) خوفاً من حلول العذاب لا توبة أو عند معاينتهم لمباديئه ولذلك لم ينفعهم الندم وإن كان بطريق التوبة (فأخذهم العذاب) أي العذاب الموعود ١٥٨ (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين)

٢٦ الشعراء	وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾
٢٦ الشعراء	كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾
٢٦ الشعراء	إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾
٢٦ الشعراء	إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾
٢٦ الشعراء	فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿١٦٣﴾
٢٦ الشعراء	وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾
٢٦ الشعراء	أَتَأْتُونَ الذَّكَرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾
٢٦ الشعراء	وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾
٢٦ الشعراء	قَالُوا لَيْنَ لَمْ تَنْتَهَ يَنْلُوطْ لَنَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾
٢٦ الشعراء	قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾

١٥٩ (وإن ربك هو العزيز الرحيم) قيل في نفى الإيمان عن أكثرهم في هذا المعرض إيماء إلى أنه لو آمن أكثرهم أو شطرهم لما أخذوا بالعذاب وإن قريشاً إنما عصموا من مثله ببركة من آمن منهم وأنت خير بأن قريشاً هم المشهورون بعدم إيمان أكثرهم (كذبت قوم لوط المرسلين) (إذ قال لهم ١٦٠، ١٦١ خبير بأن قريشاً هم المشهورون بعدم إيمان أكثرهم) (كذبت قوم لوط المرسلين) (إذ قال لهم ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤ أخوم لوط ألا تتقون) (إني لـكم رسول أمين) (فاتقوا الله وأطيعون) (وما أسألكم ١٦٥ عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين) (أتأتون الذكران من العالمين) (أي أتأتون من بين من هذاكم من العالمين الذكران لا يشاركم فيه غيركم أو أتأتون الذكران من أولاد آدم مع كثرتهم وغلبة النساء فيهم مع كونهن ألبق بالاستمتاع فالمراد بالعالمين على الأول ما ينسكح من الحيوان وعلى الثاني ١٦٦ الناس) (وتذرون ما خلق لكم ربكم) لأجل استمتاعكم وكلمة من في قوله تعالى (من أزواجكم) للبيان إن أريد بها جنس الإنثى وهو الظاهر وللتبويض إن أريد بها العضو المباح منهن تعريضاً بأنهم كانوا يفعلون ذلك بنفسهم أيضاً (بل أنتم قوم عادون) متعدون متجاوزون الحد في جميع المعاصي وهذا من جملتها وقيل ١٦٧ متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات (قالوا لن لم تنته يالوط) أي عن تقبيح أمرنا أو نهينا عنه أو عن دعوى النبوة التي من جملة أحكامها التعرض لنا (لتكونن من المخرجين) ١٦٨ أي من المنفيين من قريتنا وكانهم كانوا يخرجون من أخرجوه من بينهم على عنف وسوء حال (قال إني

الشعراء ٢٦

رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾

الشعراء ٢٦

فَنَجِّنْهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾

الشعراء ٢٦

إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾

الشعراء ٢٦

ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٧٢﴾

الشعراء ٢٦

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٣﴾

الشعراء ٢٦

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾

الشعراء ٢٦

وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُو الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾

الشعراء ٢٦

كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾

الشعراء ٢٦

إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

لعملكم من القالين) أى من المبغضين غاية البغض كأنه يقلى الفؤاد والكبد لشدة وهو أبلغ من أن يقال
إنى لعملكم قال لدلالته على أنه عليه الصلاة والسلام من زمرة الراسخين فى بعضه للمشهورين فى قلاه
ولعله عليه الصلاة والسلام أراد إظهار الكراهة فى مساكنتهم والرغبة فى الخلاص من سوء جوارهم
ولذلك أعرض عن محاورتهم وتوجه إلى الله تعالى قائلاً (رب نجنى وأهلى عما يعملون) أى من شؤم عملهم ١٦٩
وغائلته (فنجيناه وأهله أجمعين) أى أهل بيته ومن اتبعه فى الدين بإخراجهم من بينهم عند مشاركة حلول ١٧٠
العذاب بهم (إلا عجوزاً) هى امرأة لوط استنثيت من أهله فلا يضروه كونها كافرة لأن لها شركة فى الأهلية ١٧١
بحق الزواج (فى الغابرين) أى مقدراً كونها من الباقيين فى العذاب لأنها كانت مائلة إلى القوم راضية بفعلهم
وقد أصابها الحجر فى الطريق فأهلكها كما مر فى سورة الحجر وسورة هود وقيل كانت فىمن بقى فى القرية
ولم تخرج مع لوط عليه السلام (ثم دمرنا الآخرين) أهل كنانهم أشد إهلاك وأفظعه (وأمطرنا ١٧٢، ١٧٣
عليهم مطراً) أى مطراً غير معهود قيل أمطر الله تعالى على شذاذ القوم حجارة فأهلكتهم (فساء مطر
المنذرين) اللام فيه للجنس وبه يتسنى وقوع المضاف إليه فاعل ساءوا المخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم
(إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) (وإن ربك هو العزيز الرحيم) (كذب أصحاب ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦
الأيكة المرسلين) الأيكة الغيضة التى تنبت ناعم الشجر وهى غيضة بقرب مدين يسكنها طائفة وكانوا آمن
بعث إليهم شعيب عليه السلام وكان أجنبياً منهم ولذلك قيل (إذ قال لهم شعيب ألا تتقون) ولم يقل ١٧٧

- إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ ٢٦ الشعراء
- فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ١٧٩ ﴿١٧٩﴾ ٢٦ الشعراء
- وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرَى إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ٢٦ الشعراء
- أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ ٢٦ الشعراء
- وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ ٢٦ الشعراء
- وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ ٢٦ الشعراء
- وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولَى ١٨٤ ﴿١٨٤﴾ ٢٦ الشعراء
- قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ ٢٦ الشعراء
- وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ ٢٦ الشعراء
- فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ ٢٦ الشعراء

أخوهم وقيل الأيكة الشجر الملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرىء بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على أنها لايكة وهي اسم بلدهم وإنما كتبت ههنا وفي ص بغير ألف اتباعاً
 ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، للفظ الالفاظ (إني لكم رسول أمين) (فاتقوا الله وأطيعوا) (وما أسألكم عليه من
 ١٨١ أجر إن أجرى إلا على رب العالمين) (أوفوا الكيل) أي أنموه (ولا تكونوا من المخسرين) أي حقوق
 ١٨٢ الناس بالتطفيف (وزنوا) أي الموزونات (بالقسطاس المستقيم) بالميزان السوى وهو إن كان عربياً
 ١٨٣ فإن كان من القسط ففعلاس بتكرير العين وإلا ففعلال وقرىء بضم القاف (ولا تبخسوا الناس أشياءهم)
 أي لا تنقصوا شيئاً من حقوقهم أي حق كان وهذا تعميم بعد تخصيص بعض المواد بالذ كر لغاية انهما كهم
 ١٨٤ فيها (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) بالقتل والغارة وقطع الطريق (واتقوا الذي خلقكم والجبلية الأولى)
 أي ذوى الجبلية الأولى وهم من تقدمهم من الخلائق وقرىء بضم الجيم والباء وبكسر الجيم وسكون الباء
 ١٨٥، ١٨٦، كالخلاقة (قالوا إنما أنت من المسحرين) (وما أنت إلا بشر مثلنا) إدخال الواو بين الجملتين للدلالة
 على أن كلا من التسخير والبشرية منافي الرسالة مبالغة في التكذيب (وإن نظنك لمن الكاذبين) أي فيما
 ١٨٧ تدعيه من النبوة (فأسقط علينا كسفاً من السماء) أي قطعاً وقرىء بسكون السين وهو أيضاً جمع كسفة
 وقيل الكسف والكسفة كالربع والرابعة وهي القطعة والمراد بالسماء إما السحاب أو المظلة ولعله جواب

٢٦ الشعراء

قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾

٢٦ الشعراء

فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظِّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾

٢٦ الشعراء

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾

٢٦ الشعراء

وَلَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾

٢٦ الشعراء

وَلَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾

لما أشعربه الأمر بالتقوى من التهديد (إن كنت من الصادقين) في دعواك ولم يكن طلبهم ذلك إلا لتصميمهم على الجحود والتكذيب وإلا لما أخطروه بياهم فضلاً أن يطلبوه (قال ربّي أعلم بما تعملون) من الكفر ١٨٨ والمعاصي وبما تستحقون بسببه من العذاب فسينزله عليكم في وقته المقدر له لا محالة (فكذبوه) أي فتموا ١٨٩ على تكذيبه وأصروا عليه (فأخذهم عذاب يوم الظلة) حسبما افترحوا أما إن أرادوا بالسحاب فظاهر وأما إن أرادوا المظلة فلأن نزول العذاب من جهتها وفي إضافة العذاب إلى يوم الظلة دون نفسها إيدان بأن لهم يوم منذ عذاباً آخر غير عذاب الظلة وذلك بأن سلط الله عليهم الحر سبعة أيام ولياليها فأخذ بأنفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب فاضطروا إلى أن خرجوا إلى البرية فأظلمت سحابة وجدوا لها برداً ونسيماً فاجتمعوا تحتها فأمرت عليهم ناراً فاحترقوا جميعاً . روى أن شعبياً عليه السلام بعث إلى أمتين أصحاب مدين وأصحاب الأيكة فأهلك مدين بالصيحة والرجفة وأصحاب الأيكة بعذاب يوم الظلة (لأنه كان عذاب يوم عظيم) أي في الشدة وال هول وفظاعة ما وقع فيه من العاطمة والداھية التامة (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) (ولأن ربك هو العزيز الرحيم) هذا آخر القصص السبع التي أوحيت إلى رسول الله ﷺ بصرفه ١٩٠ عن الحرص على إسلام قومه وقطع رجائه عنه ودفع تحمسه على فوائده تحقيقاً لمضمون ما روي في مطلع السورة الكريمة من قوله تعالى وما يأتينهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا بالحق الآية فإن كل واحدة من هذه القصص ذكر مستقل متجدد النزول قد أتاهم من جهته تعالى بموجب رحمته الواسعة وما كان أكثرهم مؤمنين بعد ما سمعوا على التفصيل قصة بعد قصة لا بأن يتدبروا فيها ويعتبروا بما في كل واحدة منها من الدواعي إلى الإيمان والزواج عن الكفر والطغيان ولا بأن يتأملوا في شأن الآيات الكريمة الناطقة بتلك القصص على ما هي عليه مع علمهم بأنه ﷺ لم يسمع شيئاً منها من أحد أصلاً واستمروا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال كأن لم يسمعوا شيئاً يزجرهم عن ذلك قطعاً كما حقق في غاتمة قصة موسى عليه السلام (ولأنه) أي ما ذكر من الآيات الكريمة الناطقة بالقصص المحكية أو القرآن ١٩٢ الذي هي من جملته (لتنزيل رب العالمين) أي منزل من جهته تعالى سمي به مبالغة ووصفه تعالى برؤية العالمين للإيدان بأن تنزيله من أحكام تربيته تعالى ورأفته للكل كقوله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة

- ٢٦ الشعراء نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾
- ٢٦ الشعراء عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾
- ٢٦ الشعراء بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾
- ٢٦ الشعراء وَإِنَّا لَنَنزِلُكَ ذُرًّا أَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾
- ٢٦ الشعراء أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَن يَكَلُمَهُ، عَلَّمُوا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٩٧﴾

١٩٣ العالمين (نزل به) أى أنزله (الروح الأمين) أى جبريل عليه السلام فإنه أمين وحيه تعالى وهو صله إلى أنبيائه عليهم الصلاة والسلام وقرىء بتشديد الزاى ونصب الروح والأمين أى جعل الله تعالى الروح الأمين نازلاً به (على قلبك) أى روحك وإن أريد به العضو فتخصيصه به لأن المعاني الروحانية تنزل أولاً على الروح ثم تنتقل منه إلى القلب لما بينهما من التعلق ثم تنصعد إلى الدماغ فينتقش بها لوح التخيلة (لتكون من المنذرين) متعلق بنزل به أى أنزله لتنذرهم بما فى تضاعيفه من العقوبات الهائلة وإيثار ما عليه النظم الكريم للدلالة على انتظامه ﷻ فى سلك أولئك المنذرين المشهورين فى حقبة الرسالة وتقرر وقوع العذاب المنذر (بلسان عربى مبين) واضح المعنى ظاهر المدلول لئلا يبقى لهم عذر ما وهو أيضاً متعلق بنزل به وتأخيرهُ للاعتناء بأمر الإنذار والإيماء إلى أن مدار كونه من جملة المنذرين المذكورين عليهم السلام مجرد لإزالة عنه ﷻ لا لإزاله باللسان العربى وجعله متعلقاً بالمنذرين كما جوزه الجمهور يؤدى إلى أن غاية الإزالة كونه ﷻ من جملة المنذرين باللغة العربية فقط من هود وصالح وشعيب عليهم السلام ولا يخفى فسادُه كيف لا والطامة الكبرى فى باب الإنذار ما أنذره نوح وموسى عليهما السلام وأشد الزواجر تأثيراً فى قلوب المشركين ما أنذره إبراهيم عليه السلام لاتبائهم وإدعائهم أنهم على ملته

١٩٦ عليه الصلاة والسلام (وإنه لننزلك ذرّاً أولين) أى وإن ذكره أو معناه فى الكتب المتقدمة فإن أحكامه التى لا تحتل النسخ والتبديل بحسب تبدل الأعمار من التوحيد وسائر ما يتعلق بالذات والصفات مسطورة فيها وكذا ما فى تضاعيفه من المواعظ والقصاص وقيل الضمير لرسول الله ﷺ وليس بواضح (أو لم يكن لهم آية) الهمة للإنكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل أغفلوا عن ذلك ولم يكن لهم آية دالة على أنه تنزيل من رب العالمين وأنه فى ذر الأولين على أن لهم متعلق بالكون قدم على اسمه وخبره للاهتمام به أو بمحذوف هو حال من آية قدمت عليها لكونها نكرة وآية خبر للكون قدم على اسمه الذى هو قوله تعالى (أن يعلمه علماء بنى إسرائيل) لما مر مراراً من الاعتناء والتشويق إلى المؤخر أى أن يعرفوه بنوعه المذكورة فى كتبهم ويعرفوا من أنزل عليه وقرىء تكن بالتأنيث وجعلت آية اسماً وأن يعلمه خبراً وفيه ضعف حيث وقع النكرة اسماً والمعرفة خبراً وقد قيل فى تكن ضمير القصة

٢٦ الشعراء

وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾

٢٦ الشعراء

فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ ءِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾

٢٦ الشعراء

كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾

٢٦ الشعراء

لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ءِ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾

٢٦ الشعراء

فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾

٢٦ الشعراء

فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾

وآية أن يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز أن يكون لهم آية هي جملة الشأن وأن يعلمه بدلا من آية ويجوز مع نصب آية تأنيث تكن كافي قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا وقرىء تعلمه بالناء (ولو نزلناه) كما هو بنظمه ١٩٨ الرائق المعجز (على بعض الأعجمين) الذين لا يقدر على التكلم بالعربية وهو جمع أعجمي على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة وقرىء الأعجمين وفي لفظ البعض إشارة إلى كون ذلك واحداً من عرض تلك الطائفة كائناً من كان (فقرأ عليهم) قراءة صحيحة خارقة للآداب (ما كانوا به مؤمنين) مع انضمام إيجاز ١٩٩ القراءة إلى إيجاز المقروء لفرط عنادهم وشدة شكيمتهم في المكابرة وقبل المعنى ولو نزلناه على بعض الأعجمين بلغة العجم فقرأ عليهم ما كانوا به مؤمنين لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم وليس بذلك فإنه بمنزل من المناسبة لمقام بيان تماميهم في المكابرة والعناد (كذلك سلكناه) أي مثل ذلك السلك البديع المذكور ٢٠٠ سلكناه أي أدخلنا القرآن (في قلوب المجرمين) ففهموا معانيه وعرفوا إفصاحه وأنه خارج عن القوى البشرية من حيث النظم المعجز ومن حيث الإخبار عن الغيب وقد انضم إليه اتفاق علماء أهل الكتب المنزلة قبله على تضمنها للنبشارة إنزاله وبعثته من أنزل عليه بأوصافه فقوله تعالى (لا يؤمنون به) جملة مستأنفة مسوقة لبيان ٢٠١ أنهم لا يتأثرون بأمثال تلك الأمور الداعية إلى الإيمان به بل يستمرون على ما هم عليه (حتى يروا العذاب الأليم) الملجئ إلى الإيمان به حين لا ينفعهم الإيمان (فيأتيهم بغتة) أي فجأة في الدنيا والآخرة (وهم ٢٠٢ لا يشعرون) بإتيانه (فيقولوا هل نحن منظر) تحسراً على ما فات من الإيمان وتمنياً للإمهال لتلافي ٢٠٣ ما فرطوه وقيل معنى كذلك سلكناه مثل تلك الحال وتلك الصفة من الكفرية والتكذيب له وضعناه في قلوبهم وقوله تعالى لا يؤمنون به في موقع الإيضاح والتأخير له أوفى موقع الحال أي سلكناه فيها غير مؤمن به والاول هو الانسب بمقام بيان غاية عنادهم ومكابرتهم مع تعاضد آفة الإيمان وتأخذ مبادئ الهداية والإرشاد وانقطاع أعذارهم بالكلية وقيل ضمير سلكناه للكفر المدلول عليه بما قبله من قوله تعالى ما كانوا به مؤمنين ونقل عن ابن عباس رضى الله عنهما والحسن ومجاهد رحمهما الله تعالى أدخلنا

الشعراء ٢٦

أَفِعَذَابُنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٤﴾

الشعراء ٢٦

أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٥﴾

الشعراء ٢٦

ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٦﴾

الشعراء ٢٦

مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴿٢٧﴾

الشعراء ٢٦

وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿٢٨﴾

الشعراء ٢٦

ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾

٢٠٤ الشرك والتكذيب في قلوب المجرمين (أفيعذابنا يستعجلون) بقولهم أمطر علينا حجارة من السماء أو آتتنا بعذاب أليم وقولهم فأتانا بما تعدنا ونحوهما وحالهم عند نزول العذاب كما وصف من طلب الإنذار قائدا للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي يكون حالهم كما ذكر من الاستنظار عند نزول العذاب الأليم فيستعجلون بعذابنا وبينهم من التنافي مالا يخفى على أحد أو يغفلون عن ذلك مع تحققه وتقررده فيستعجلون الخ وإنما قدم الجار والمجرور للإبذان بأن مصب الإنكار والتوبيخ كون المستعجل به عذابه تعالى مع ما فيه من رعاية الفواصل (أفرايت) لما كانت الرؤية من أقوى أسباب الإخبار بالشيء وأشهرها شاع استعمال أوأيت في معنى أخبرني والخطاب لكل من يصلح له كأننا من كان والفاء لترتيب الاستخبار على قولهم هل نحن منظرون وما بينهما اعتراض للتوبيخ والتسكيت وهي متقدمة في المعنى على الهمزة وتأخيرها عنها ضرورة لاقتضاء الهمزة الصدارة كما هو رأى الجمهور أي فأخبرني (إن متعناهم سنين) متطاولة بطول ٢٠٦، ٢٠٧، الأعمار وطيب المداش (ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) من العذاب (ما أغنى عنهم) أي شيء أو أي إغناء أغنى عنهم (ما كانوا يمتعون) أي كونهم يمتعون ذلك التمتع المديد على أن مامصدرية أو ما كانوا يمتعون به من متاع الحياة الدنيا على أنها موصولة حذف عائدها وأيا ما كان فلا استفهام للإنكار والنفي وقيل مانافية أي لم يكن عنهم تمتعهم المتطاولة في دفع العذاب وتخفيفه والاول هو الاولى لكونه أوفق لصورة الاستخبار وأدله على انتفاء الإغناء على أبلغ وجه وآ كده كان كل من من شأنه الخطاب قد كلف أن يجبر بأن تمتعهم ماذا أفادهم وأي شيء أغنى عنهم فلم يقدر أحد على أن يجبر بشيء من ذلك أصلا وقرى ٢٠٨ يمتعون من الامناع (وما أهلكنا من قرية) من القرى المهلكة (إلا لها منذرون) قد أنذروا أهلها ٢٠٩ إلزام للحجة (ذكرى) أي تذكرة ومحلها النصب على العلة أو المصدر لأنها في معنى الإنذار كأنه قيل مذكرون ذكرى أو على أنه مصدر مؤكد لفعل هو صفة لمنذرون أي إلا لها منذرون يذكرونهم ذكرى أو الرفع على أنها صفة منذرون بإضمار ذوو أو يجعلهم ذكرى لإمعانهم في التذكرة أو خبر مبتدأ محذوف

الشعراء ٢٦

وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾

الشعراء ٢٦

وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾

الشعراء ٢٦

إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ ﴿٢١٢﴾

الشعراء ٢٦

فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾

الشعراء ٢٦

وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾

الشعراء ٢٦

وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾

والجملة اعتراضية وضمير لها للقرى المدلول عليها بمفردها الواقع في حيز النفي على أن معنى أن لكل منذرين أعم من أن يكون لكل قرية منها منذر واحد أو أكثر (وما كنا ظالمين) فنهلك غير الظالمين وقيل الإنذار والتعبير عن ذلك بنفي الظالمية مع أن إهلاكهم قبل الإنذار ليس بظلم أصلاً على ما تقرر من قاعدة أهل السنة لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من الظلم وقد مر في سورة آل عمران عند قوله تعالى وأن الله ليس بظالم للعبيد (وما تنزلت به الشياطين) رد لما زعمه الكفرة ٢١٠ في حق القرآن الكريم من أنه من قبيل ما يلقيه الشيطان على الكهنة بعد تحقيق الحق ببيان أنه نزل به الروح الأمين (وما ينبغى لهم) أي وما يصح وما يستقيم لهم ذلك (وما يستطيعون) ذلك أصلاً (لهم عن ٢١١، ٢١٢) السمع) لكلام الملائكة (لمعزولون) لا تنفاه المشاركة بينهم وبين الملائكة في صفاء الذوات والاستعداد لقبول فيضان أنوار الحق والانتقاش بصور العلوم الربانية والمعارف النورانية كيف لا ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات غير مستعدة إلا لقبول ما لا خير فيه أصلاً من فنون الشرور فمن أين لهم أن يحوموا حول القرآن الكريم المنطوي على الحقائق الرائقة الغيبية التي لا يمكن تلقاها إلا من الملائكة عليهم الصلاة والسلام (فلا تدع ٢١٣ مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين) خوطب به النبي ﷺ مع ظهور استحالته صدور المهمل عنه ﷺ تهيباً وحثاً على ازدياد الإخلاص ولطفاً لسائر المكلفين ببيان أن الإشراك من القبيح والسوء بحيث ينهي عنه من لا يمكن صدوره عنه فكيف بمن عداه (وأنذر) العذاب الذي يستتبعه الشرك والمعاصي (عشيرتك ٢١٤ الأقربين) الأقرب منهم فالأقرب فإن الاهتمام بشأنهم أهم. روى أنه لما زلت صعد الصفا وناداهم فخذوا فخذوا حتى اجتمعوا إليه فقال لو أخبرتك أن بسفح هذا الجبل خيلاً أكنتم مصدقاً قالوا نعم قال فإني أنذركم بين يدي عذاب شديد وروى أنه قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف افتدوا أنفسكم من النار فإني لا أغني عنكم شيئاً ثم قال يا عائشة بنت أبي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة محمد اشترين أنفسكم من النار فإني لا أغني عنكم شيئاً (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) ٢١٥

٢٦ الشعراء	فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾
٢٦ الشعراء	وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾
٢٦ الشعراء	الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾
٢٦ الشعراء	وَتَقْلُبَكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿٢١٩﴾
٢٦ الشعراء	إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾
٢٦ الشعراء	هَلْ أَنْبَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾
٢٦ الشعراء	تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾
٢٦ الشعراء	يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُهُمْ كَذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾

أى لين جانبك لهم مستعار من حال الطائر فإنه إذا أراد أن ينحط خفض جناحه ومن للتبيين لأن من اتبع أعم من اتبع لدين أو غيره أو للتبعض على أن المراد بالمتؤمنين المشارفون للإيمان أو المصدقون باللسان ٢١٦ فحسب (فإن عصوك) ولم يتبعوك (فقل إنى برى عما تعملون) أى عما تعملون أو من أعمالكم ٢١٧ (وتوكل على العزيز الرحيم) الذى يقدر على قهر أعدائه ونصر أوليائه يكفك شر من يعصيك منهم ومن ٢١٨ غيرهم وقرىء فتوكل على أنه بدل من جواب الشرط (الذى يراك حين تقوم) أى إلى التهجس ٢١٩ (وتقلبك فى الساجدين) وترددك فى تصفح أحوال المتجدين كما روى أنه لما نسخ فرض قيام الليل طاف ﷺ تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون حرصاً على كثرة طاعتهم فوجدها كبيوت الزناير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله تعالى والتلاوة أو تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود إذا أمتهم وإنما وصف الله تعالى ذاته بعلمه بحاله ﷺ التى يسأهل ولايته بعد أن عبر عنه بما ينبىء عن ٢٢٠ قهر أعدائه ونصر أوليائه من وصفى العزيز الرحيم تحقيقاً للتوكل وتوطئاً لقلبه عليه (إنه هو السميع) ٢٢١ لما تقوله (العاليم) بما تنويه وتعمله (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين) أى تنزل بحذف إحدى التامين وهو استئناف مسوق لبيان استحالة تنزل الشياطين على رسول الله ﷺ بعد بيان امتناع تنزلهم بالقرآن ودخول حرف الجر على من الاستفهامية لما أنها ليست موضوعة للاستفهام بل الأصل أمن لحذف ٢٢٢ حرف الاستفهام واستمر الاستفهام على حذفه كما حذف من هل والأصل أهل وقوله تعالى (تنزل على كل آفاك أثيم) قصر لتنزلهم على كل من ألصق بالإفك الكثير والإثم الكبير من الكهنة والمنتهبة وتخصيص له بهم بحيث لا يتخطاها إلى غيرهم وحيث كانت ساحة رسول الله ﷺ منزهة عن أن يحوم ٢٢٣ حولها شائبة شيء من تلك الأوصاف اتضح استحالة تنزلهم عليه ﷺ (يلقون) أى الأفاكون (السمع) (السمع)

إلى الشياطين فيتلقون منهم أوهاماً وأمارات لنقصان علمهم فيضمون إليها بحسب تخيلاتهم الباطلة خرافات لا يطاق أكثرها الواقع وذلك قوله تعالى (وأكثرهم كاذبون) أى فيما قالوه من الأقاويل وقد ورد في الحديث الكلمة يخطفها الجن فيقرأها في أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة أو يلقون السمع أى المسموع من الشياطين إلى الناس وأكثرهم كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا إليهم والأظهر أن الأكثرية باعتبار أقوالهم على معنى أن هؤلاء قلما يصدقون فيما يحكون عن الجن وأما فى أكثره فهم كاذبون وما له وأكثر أقوالهم كاذبة لا باعتبار ذواتهم حتى يلزم من نسبة الكذب إلى أكثرهم كون أقلهم صادقين على الإطلاق وليس معنى الأفاك من لا ينطق إلا بالإفك حتى يمتنع منه الصدق بل من يكثر الإفك فلا ينافيه أن يصدق نادراً فى بعض الأحيان وقيل الضمير للشياطين أى يلقون السمع أى المسموع من الملائ الأعلى قبل أن رجوا من بعض المغيبات إلى أوليائهم وأكثرهم كاذبون فيما يوحون به إليهم إذ لا يسمعونهم على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم أو لقصور فهمهم أو ضبطهم أو إفهامهم ولا سبيل إلى حمل إلقاء السمع على تسميعهم وإنصاتهم إلى الملائ الأعلى قبل الرجم كما جوزه الجمهور لما أن يلقون كما صرحوا به إما حال من ضمير تنزل مفيدة لمقارنة النزول للإلقاء أو استئناف مبين للغرض من النزول مبنى على السؤال عنه ولا ريب فى أن إلقاء السمع إلى الملائ الأعلى بمعزل من احتمال أن يقارن النزول أو يكون غرضاً منه لتقدمه عليه قطعاً وإنما المحتمل لهما الإلقاء بالمعنى الأول فالمعنى على تقدير كونه حالاً تنزل الشياطين على الأفاكين ملقنين إليهم ما سمعوه من الملائ الأعلى وعلى تقدير كونه جواباً عن سؤال من قال لم تنزل عليهم وماذا يفعلون بهم يلقون إليهم ما سمعوه وحمله على استئناف الإخبار كما فعله بعضهم غير سديد لأن ذكر حالهم السابقة على تنزلهم المذكور قبله غير خليق بجزالة التنزيل وأما على تقدير كون ضمير يلقون الأفاكين فهو صفة لكل أفاك لأنه فى معنى الجمع سواء أريد بإلقاء السمع الإصغاء إلى الشياطين أو إلقاء المسموع إلى الناس ويجوز أن يكون استئناف إخبار بحالهم على كلا التقديرين لما أن كلا من تلقيهم من الشياطين وإلقائهم إلى الناس يكون بعد التنزيل وأن يكون استئنافاً مبنياً على السؤال على التقدير الأول فقط كأنه قيل ما يفعلون عند تنزل الشياطين عليهم فقيل يلقون إليهم أسماعهم ليحفظوا ما يوحون به إليهم وقوله تعالى وأكثرهم كاذبون على التقدير الأول استئناف فقط وعلى الثانى يحتمل الحالية من ضمير يلقون أى يلقون ما سمعوه من الشياطين إلى الناس والحال أنهم فى أكثر أقوالهم كاذبون فتدبر (والشعراء ٢٢٤ يتبعهم الغاؤون) استئناف مسوق لإبطال ما قالوا فى حق القرآن العظيم من أنه من قبيل الشعراء وأن رسول الله ﷺ من الشعراء ببيان حال الشعراء المنافية لحاله ﷺ بعد إبطال ما قالوا إنه من قبيل ما يلقى الشياطين على الكهنة من الأباطيل بما مر من بيان أحوالهم المضادة لأحواله ﷺ والمعنى أن الشعراء يتبعهم أى يحاربهم ويسلك مسلكهم ويكون من جملتهم الغاؤون الضالون عن السنن الحائرون فيما يأتون وما يبدرون لا يستمرون على وتيرة واحدة فى الأفعال والأقوال والأحوال لا غيرهم من أهل الرشد المهتدين إلى

٢٦ الشعراء

أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾

٢٦ الشعراء

وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾

إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ

٢٦ الشعراء

ظَلَمُوا أَيَّ مَنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

٢٢٥ طريق الحق الثابتين عليه وقوله تعالى (ألم تر أنهم في كل واد يهيمون) استشهد على أن الشعراء إنما يتبعهم
 للظنون وتقريره والخطاب لكل من تنأت منه الرؤية للقصد إلى أن حالهم من الجلاء والظهور بحيث
 لا تختص برؤية راء دون راء أي ألم تر أن الشعراء في كل واد من أودية القيل والقال وفي كل شعب من
 شعاب الوهم والخيال وفي كل مسلك من مسالك الفنى والضلال يهيمون على وجوههم لا يهتدون إلى سبيل
 معين من السبل بل يتحيرون في فياق الغواية والسفاهة ويذهبون في تيه المجون والوقاحة دينهم تمزيق
 الأعراض المحمية والقدح في الأنساب الطاهرة السنية والتسيب بالحرام والغزل والابتهاج والتزدد بين
 طرفي الإفراط والتفريط في المدح والهجاء (وأنهم يقولون ما لا يفعلون) من الأفاعيل غير مبالين بما
 يستنبهه من اللوائيم فكيف يتوهم أن يتبعهم في مسلكهم ذلك ويلتحق بهم وينتظم في سلكهم من
 تزهدت ساحته عن أن يحوم حولها شائبة الاتصاف بشيء من الأمور المذكورة وانصف بمحاسن الصفات
 الخبيثة وتخلق بمكارم الأخلاق الجميلة وحاز جميع الكمالات القدسية وفاز بجملة الملكات الانسية مستقراً
 على المنهج القويم مستمراً على الصراط المستقيم ناطقاً بكل أمر رشيد داعياً إلى صراط العزيز الحميد مؤيداً
 بمعجزات ظاهرة وآيات ظاهرة مشحونة بفنون الحكم الباهرة وصنوف المعارف الزاهرة مستقلة بنظم
 رائع أعجز كل منطق ماهر وبكت كل مقلق ساحر هذا وقد قيل في تنزيهه ﷺ عن أن يكون من الشعراء
 أن أتباع الشعراء الغاؤون وأتباع محمد ﷺ ليسوا كذلك ولا ريب في أن تعليل عدم كونه ﷺ منهم
 بكون أتباعه ﷺ غير غاوين مما لا يليق بشأنه تعالى وقيل الغاؤون الراؤون وقيل الشياطين وقيل هم
 شعراء قريش عبد الله بن الزبيري وهبيرة بن أبي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وأبو عزة الجمحي
 ومن ثقيف أمية بن أبي الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد ﷺ وقرىء والشعراء بالنصب على إضمار
 فعل يفسره الظاهر وقرىء يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيهاً لبعه بعضه (إلا الذين
 آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا) استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين
 الذين يكثرون ذكر الله عز وجل ويكون أكثر أشعارهم في التوحيد والثناء على الله تعالى والحث على
 طاعته والحكمة والموعظة والزهد في الدنيا والترغيب عن الركون إليها والزجر عن الاغترار بزخارفها
 والافتتان بملذذها الفانية ولو وقع منهم في بعض الأوقات هجر وقع ذلك منهم بطريق الانتصار من هجاءهم
 وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك وكعب بن زهير بن أبي

٢٧ - سورة النمل (مكية وهي ثلاث وتسعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٧ النمل

طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾

سلمى والذين كانوا يبالغون عن رسول الله ﷺ ويكالحون هجاة قريش وعن كعب بن مالك رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال له اجهم فوالذى نفسى بيده هو أشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قز وروح القدس معك (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) تهديد شديد ووعد أكيد لما فى سيعلم من تهويل متعلقه وفى الذين ظلموا من الإطلاق والتعميم وفى أى منقلب ينقلبون من الإبهام والتهويل وقد قاله أبو بكر لعمر رضى الله عنهما حين عهد إليه وقرىء أى منقلت ينقلتون من الانقلات بمعنى النجاة والمعنى أن الظالمين يطعمون أن ينقلتوا من عذاب الله تعالى وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانقلات . عن النبي ﷺ من قرأ سورة الشعراء كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وإبراهيم وبعده من كذب بعيسى وصدق بمحمد ﷺ .

(سورة النمل مكية وهي ثلاث أو أربع وتسعون آية)

- (بسم الله الرحمن الرحيم) (طس) بالتفخيم وقرىء بالإمالة والكلام فيه كالذى مر فى فظائره من الفوائج الشريفة ومحل على تقدير كونه اسماً للسورة وهو الأظهر الأشهر الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أى هذا طس أى مسمى به والإشارة إليه قبل ذكره قد مر وجهها فى فاتحة سورة يونس وغيرها ورفضه بالابتداء على أن ما بعده خبره ضعيف لما ذكر هناك (تلك) إشارة إلى نفس السورة لأنها التى نوهت بذكر اسمها لا إلى آياتها لعدم ذكرها صريحاً لأن إضافتها إليها تأبى إضافتها إلى القرآن كما سيأتى وما فى اسم الإشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيدان ببعده منزلته فى الفضل والشرف ومحل الرفع على الابتداء خبره (آيات القرآن) والجملة مستأنفة مقررقة لما أفاده التسمية من نباهة شأن المسمى والقرآن عبارة عن الكل أو عن الجميع المنزول عند نزول السورة حسبما ذكر فى فاتحة فاتحة الكتاب أى تلك السورة آيات القرآن المعروف بعلو الشأن أى بعض منه مترجم مستقل باسم خاص (وكتاب) أى كتاب عظيم الشأن (مبين) مظهر لما فى تضاعيفه من الحكم والأحكام وأحوال الآخرة التى من جملتها الثواب والعقاب أو لسبيل الرشاد والغى وأطرق بين الحق والباطل والحلال والحرام أو ظاهر الإعجاز على أنه من أبان بمعنى بان ولقد فخم شأنه الجليل بما جمع فيه من وصف القرآنية المنبئة عن كونه بديعاً فى بابه متلفزاً عن غيره بالنظم المعجز كما يعرب عنه قوله تعالى قرآناً عربياً غير ذى عوج ووصف الكتاتيبية المعربة عن إسماله على صفات كمال الكتب الإلهية فكانه كلها وقدم الوصف الأول مهنا نظراً إلى تقدم حال القرآنية على

هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ ٢٧ النمل

الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٢٨﴾ ٢٧ النمل

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٢٩﴾ ٢٧ النمل

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴿٣٠﴾ ٢٧ النمل

حال الكتابية وعكس في سورة الحجر نظر إلى ما ذكر هناك من الوجه وما قيل من أن الكتاب هو اللوح المحفوظ وإبائه أنه خط فيه ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه لا يساعده إضافة الآيات إليه إذ لا عهد بأشتماله على الآيات ولا وصفه بالهداية والبشارة إذ هما باعتبار إباتته فلا بد من اعتبارها بالنسبة إلى الناس الذين من جهاتهم المؤمنون لا إلى الناظرين فيه وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أى وآيات كتاب مبين (هدى وبشرى للمؤمنين) في حيز النصب على الحالية من الآيات على أنهما مصدران أقما مقام الفاعل للبالغة كأنهما نفس الهدى والبشارة والعامل معنى الإشارة أى هادية ومبشرة أو الرفع على أنهما بدلان من الآيات أو خبران آخران لتلك أو لمبتدأ محذوف ومعنى هدايتها لهم وهم مهتدون أنها تزيدهم هدى قال تعالى فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون وأما معنى تبشيرها إياهم فظاهر لأنها تبشرهم برحمة من الله ورضوان وجنت لهم فيها نعيم مقيم وقوله تعالى (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) صفة مادحة لهم وتخصيصهما بالذكر لأنهما قريبتا الإيمان وقطر العبادات البدنية والمالية مستتبعان لساثر الأعمال الصالحة وقوله تعالى (وهم بالآخرة هم يوقنون) جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة حق الإيقان لا من عداهم لأن تحمل مشاق العبادات لخوف العقاب ورجاء الثواب أو هو من تنمة الصلة والواو الحالية أو عاطفة له على الصلة الأولى وتغيير نظمته للدلالة على قوة يقينهم وثباته وأهم أوحديون فيه (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة) بيان لأحوال الكفرة بعد بيان أحوال المؤمنين أى لا يؤمنون بها وبما فيها من الثواب على الأعمال الصالحة والعقاب على السيئات حسبما ينطق به القرآن (زيننا لهم أعمالهم) القبيحة حيث جعلناها مشتهة للطبع مجبوبة للنفس كما ينبى عنه قوله ﷺ حفت النار بالشهوات أو الأعمال الحسنة ببيان حسناتها في أنفسها حالاً واستتباعاً لفنون المنافع مآلاً وإضافتها إليهم باعتبار أمرهم بها وإيجابها عليهم (فهم يعمهون) يتحيرون ويترددون على التجدد والاستمرار في الاشتغال بها والانهماك فيها من غير ملاحظة لما يتبعها من نفع وضرر أو في الضلال والإعراض عنها والفاء على الأول لترتيب المسبب على السبب وعلى الثاني لترتيب ضد المسبب على السبب كما في قولك وعظته فلم يتعظ وفيه إيدان بكال عتوهم ومكابرتهم وتمكيسهم في الأمور (أولئك) إشارة إلى المذكورين وهو مبتدأ خبره الموصول بعده أى أولئك الموصوفون بالكفر والعمه (الذين لهم سوء

النمل ٢٧

وَإِنَّكَ لَتَلْقَىٰ الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾

إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَأْتِيكُمْ بِهِ شِهَابٍ قَبَسٌ لَّعَلَّكُمْ

النمل ٢٧

تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾

فَلَمَّا جَاءَ هَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ النمل ٢٧

العذاب) أى فى الدنيا كالقتل والانس يوم بدر (وهم فى الآخرة هم الاخسرون) أى أشد الناس خسراناً لفوات الثواب واستحقاق العقاب (وإنك لتلقى القرآن) كلام مستأنف قد سبق بعد بيان بعض ٦ شئون القرآن الكريم تمهيداً لما يعقبه من الأفاصيص وتصديره بحرفى النأ كيد لإبراز كمال العناية بمضمونه أى لتؤاته بطريق التلقية والتلقين (من لدن حكيم عليم) أى أى حكيم وأى عليم وفى تفخيمهما تفخيم لشأن القرآن وتنصيب على علو طبقته ﷺ فى معرفته والإحاطة بها فيه من الجلائل والدقائق فإن من تلقى العلوم والحكم من مثل ذلك الحكيم العليم يكون علماً فى رصانة العلم والحكمة والجمع بينهما مع دخول العلم فى الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على إتقان الفعل والإشعار بأن مافى القرآن من العلوم منها ما هو حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالفصوص والأخبار الغيبية وقوله تعالى (إذ قال موسى لأهله) منصوب على المفعولية بمضمرة خوطب به النبى ﷺ وأمر بتلاوة بعض من القرآن ٧ الذى يلقاه ﷺ من لدنه عز وجل تقريراً لما قبله وتحقيقاً له أى اذكر لهم وقت قوله عليه الصلاة والسلام لأهله فى وادى طوى وقد غشيتهم ظلمة الليل وقدح فأصلد زنده فبداله من جانب الطور نار (إنى آنست نارا سآتيكم منها بخبر) أى عن حال الطريق وقد كانوا ضلوه والسين الدلالة على نوع بعد فى المسافة وتأكيد الوعد والجمع إن صح أنه لم يكن معه عليه الصلاة والسلام إلا امرأته لما كفى عنها بالأهل أو للتعظيم مبالغة فى التسلية (أو آتيكم بشهاب قبس) بقنوينهما على أن الثانى بدل من الأول أو صفة له • لأنه بمعنى مقبوس أى بشعلة نار مقبوسة أى مأخوذة من أصلها وقرىء بالإضافة وعلى التقديرين فالمراد تعيين المقصود الذى هو القبس الجامع لمنفعتى الضياء والاصطلاء لأن من النار ما ليس بقبس كالبحر وكلتا العدتين منه عليه الصلاة والسلام بطريق الظن كما يفصح عن ذلك مافى سورة طه من صيغة الترجى والترديد للإيدان بأنه إن لم يظفر بهما لم يعدم أحدهما بناء على ظاهر الأمر وثقة بسنة الله تعالى فإنه تعالى لا يكاد يجمع على عبده حرمانين (لعلكم تصطلون) رجاء أن تستدفئوا بها والصلاة النار العظيمة (فلما جاءها نودى) من جانب الطور (أن بورك) معناه أى بورك على أن أن مفسرة لما فى النداء من معنى القول أو بأن بورك على أنها مصدرية حذف عنها الجار جرياً على القاعدة المستمرة وقيل مخففة من الثقل ولا ضمير فى فقدان التعويض بلا أو قد أو السين أو سوف لما أن الدعاء يخالف غيره فى كثير من الأحكام (من فى النار ومن حولها) أى من فى مكان النار وهى البقعة المباركة المذكورة فى قوله سبحانه نودى من

٢٧ النمل

يَمُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَّى يُعَقِّبُ يَمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ

٢٧ النمل

لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴿٢٨﴾

شاطيء الوادي الايمن في البقعة المباركة ومن حول مكانها وقرى تباركت الارض ومن حولها والظاهر
هو انه لكل من في ذلك الوادي وحواليه من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء
عليهم الصلاة والسلام وكفانهم احياء وامواتا ولا سيما تلك البقعة التي كلم الله تعالى فيها موسى وقيل
المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بأنه قد قضى له امر عظيم ديني تنتشر
بركاته في اقطار الشام وهو تكليمه تعالى لياه عليه الصلاة والسلام واستنباؤه له واظهار المعجزات على
يده عليه الصلاة والسلام (وسبحان الله رب العالمين) تعجب لموسى عليه الصلاة والسلام من ذلك وايدان
بأن ذلك مریده ومكونه رب العالمين تنبها على أن الكائن من جلائل الامور وعظام الشئون ومن احكام
٩ تربيته تعالى للعالمين (يا موسى إنه أنا الله) استئناف مسوق لبيان آثار البركة المذكورة والضمير إما للشأن
وأنا الله جملة مفسرة له وإما راجع إلى المتكلم وأنا خبره والله بيان له وقوله تعالى (العزیز الحکیم) صفتان
للله تعالى يهدان لما أريد إظهاره على يده من المعجزات أي أيا القوى القادر على ما لا تناله الا وهام من
١٠ الامور العظام التي من جماتها امر العصا واليد الفاعل كل ما فعله بحكمة بالغة وتدير رصين (والق) عطف
على بورك منتظم معه في سلك تفسير النداء أي نودي أن بورك وأن الق (عصاك) حسبما نطق به قوله
تعالى وأن الق عصاك بتكرير حرف التفسير كما تقول كتبت إليه أن حج وأن اعتمر وإن شئت أن
حج واعتمر والفاء في قوله تعالى (فلما رآها تهتز) فصيحة نفصيح عن جملة قد حذفت ثقة بظهورها ودلالة
على سرعة وقوع مضمونها كما في قوله تعالى فلما رأته أكبره بعد قوله تعالى اخرج عليهن كأنه قيل فالتقاها
فانقلبت حية تسعى فأبصرها فلما أبصرها متحركة بسرعة واضطراب قوله تعالى (كأنها جان) أي حية
خفيفة سريعة الحركة جملة حالية إما من مفعول رأى مثل تهتز كما أشير إليه أو من ضمير تهتز على طريقة
التداخل وقرى جان على لغة من جد في الحرب من التقاء الساكنين (ولى مدبراً) من الخوف (ولم
يعقب) أي لم يرجع على عقبه من عقب المقاتل إذا كبر بعد الفرو وإنما اعتراه الرعب لظنه أن ذلك لا أمر
أريد به كما ينبغي عنه قوله تعالى (يا موسى لا تخف) أي من غيرى ثقة بي أو مطلقاً لقوله تعالى (إن
لا يخاف لدى المرسلون) فإنه يدل على نفي الخوف عنهم مطلقاً لكن لا في جميع الاوقات بل حين
يوحى إليهم كوقت الخطاب فإنهم حينئذ مستغرقون في مطالعة شئون الله عز وجل لا يخطر ببالهم
خوف من أحد أصلاً وأما في سائر الاحيان فهم أخوف الناس منه سبحانه أولاً يكون لهم عندى
سوء طاعة ليخافوا منه .

إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ ٢٧ النمل

وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾ ٢٧ النمل

فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ ٢٧ النمل

وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ٢٧ النمل

- ١١ (إلا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء فإنني غفور رحيم) استثناء منقطع استدرك به ما عسى يختلج في الخلد من نفي الخوف عن كلهم مع أن منهم من فرطت منه صغيرة ما مما يجوز صدوره عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإنهم وإن صدر عنهم شيء من ذلك فقد فعلوا عقيبه ما يبطله ويستحقون به من الله تعالى مغفرة ورحمة وقد قصد به التعريض بما وقع من موسى عليه الصلاة والسلام من وكزه القبطى والاستغفار وتسميتهما ظلماً لقوله ﷺ رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له (وأدخل يدك في جيبك) لأنه كان ١٢ مدرعة صوف لا كم لها وقيل الجيب القميص لأنه يحجب أى يقطع (تخرج بيضاء من غير سوء) أى آفة كبرص ونحوه (في تسع آيات) في جملتها أو معها على أن التسع هي الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجذب في بواديهم والنقصان في مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع أن يعد الأخيرين واحداً ولا يعد الفلق منها لأنه لم يبعث به إلى فرعون أو اذهب في تسع آيات على أنه استئناف بالإرسال فيتعلق به (إلى فرعون وقومه) وعلى الأولين يتعلق بنحو مبعوثاً أو مرسلان (إنهم ١٣ كانوا قوماً فاسقين) تعليل للإرسال أى خارجين عن الحدود في الكفر والعدوان (فلما جاءتهم آياتنا) وظهرت على يدموسى (مبصرة) بينة اسم فاعل أطلق على المفعول إشعاراً بأنها لفرط وضوحها وإنارتها كأنها تبصر نفسها لو كانت بما يهصر أو ذات تبصر من حيث إنها تهدي والعمى لا تهتدى فضلاً عن الهداية أو مبصرة كل من ينظر إليها ويتأمل فيها وقرى مبصرة أى مكاناً يكثر فيه التبصر (قالوا هذا سحر مبين) واضح سحر به (وجحدوا بها) أى كذبوا بها (واستيقنتها أنفسهم) الواو للحال أى وقد استيقنتها أى ١٤ علمتها أنفسهم علماً يقينياً (ظلماً) أى الآيات كقوله تعالى بما كانوا بآياتنا يظلمون واقتد ظلموا بها أى ظلم حيث حطوها عن رتبته العالية وسموها سحراً وقيل ظلماً لأنفسهم وليس بذلك (وعلواً) أى استكباراً عن الإيمان بها كقوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها وانتصابهما إما على العلة من جحدوا بها أو على الحالية من فاعله أى جحدوا بها ظالمين لها مستكبرين عنها (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) من الإغراق على الوجه الهائل الذى هو عبرة للعالمين وإنما لم يذكر تنبيهاً على أنه عرضة لكل ناظر مشهور فيما بين كل بادو حاضر .

وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ أَحْمَدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ

الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾

٢٧ النمل

وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَبْتَئِهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مِنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ

الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾

٢٧ النمل

- ١٥ (ولقد آتينا داود وسليمان علماً) كلام مستأنف مسوق لتقرير ما سبق من أنه ﷺ يلقى القرآن من لدن حكيم عليم فإن قصتهما عليهما الصلاة والسلام من جملة القرآن الكريم لقبحه ﷺ من لدنه تعالى كقصه موسى عليه الصلاة والسلام وتصديره بالقسم لإظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمونه أى آتينا كل واحد منهما طائفة من العلم لاثقة به من علم الشرائع والأحكام وغير ذلك مما يختص بكل منهما كصناعة لبوس ومنطق الطير أو علماً سنياً عزيزاً (وقالا) أى قال كل واحد منهما شكر الله لما أوتيته من العلم (الحمد لله الذى فضلنا) بما آتانا من العلم (على كثير من عباده المؤمنين) على أن عبارة كل منهما فضلى إلا أنه عبر عنهما عند الحكاية بصيغة المتكلم مع الغير إيجازاً فإن حكاية الأقوال المتعددة سواء كانت صادرة عن المتكلم أو عن غيره بعبارة جامعة للكل مما ليس بعزيز ومن الأول قوله تعالى يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً وقد مر في سورة قد أفصح المؤمنون وبهذا ظهر حسن موقع العطف بالواو إذ المتبادر من العطف بالفاء ترتب حمد كل منهما على إتياء ما أوتي كل منهما لا على إتياء ما أوتي نفسه فقط وقيل في العطف بالواو إشعار بأن ما قالاه بعض ما أحدث فيهما إتياء العلم وشيء من مواجبه فاضمر ذلك ثم عطف عليه التمجيد كأنه قيل ولقد آتيناهما علماً فعملابه وعلينا وعرفا حق النعمة فيه وقالوا الحمد لله الآية فتأمل والكثير المفضل عليه من لم يؤت مثل علمهما وقيل من لم يؤت علماً ويأباه تبين الكثير بالمؤمنين فإن خلوصهم من العلم بالمرة مما لا يمكن وفي تخصيصها الأكثر بالذكر رمز إلى أن البعض مفضلون عليهما وفيه أوضح دليل على فضل العلم وشرف أهله حيث شكروا على العلم وجعلناه أساس الفضل ولم يعتبروا دونه ما أوتيا من الملك الذى لم يؤته غيرهما وتحريض للعلماء على أن يحمدا الله تعالى على ما آتاهم من فضله ويتواضعوا ويعتقدوا أنهم وإن فضلوا على كثير فقد فضل عليهم كثير وفوق كل ذى علم عليهم ونعمنا قال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه كل الناس أفقه من عمر (وورث سليمان داود) أى النبوة والعلم أو الملك بأن قام مقامه في ذلك دون سائر بنيهِ وكانوا تسعة عشر (وقال) تشهيراً لنعمة الله تعالى وتنويعاً بها ودعاه للناس إلى التصديق بذكر المعجزات الباهرة التى أوتيا (يأيها الناس علينا منطق الطير وأوتينا من كل شيء) المنطق في المتعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفرداً كان أو مركباً وقد يطلق على كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد يقال نطق الحمامة وكل صنف من أصناف الطير يتفاهم أصواته والذى عليه سليمان عليه السلام من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه وأغراضه ويحكي أنه مر على بلبل في شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لأصحابه أتدرون ما يقول قالوا الله ونبيه أعلم قال

وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾

يقول إذا أكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاخنة فأخبر أنها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وصاح طلوس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبين وصاح طيطوى فقال يقول كل حى ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيراً تجدوه وصاح قرى فأخبر أنه يقول سبحان ربى الأعلى وصاحت رخمة فقال تقول سبحان ربى الأعلى ملء سمائه وأرضه وقال الحدأة تقول كل شئ هالك إلا الله والقطاة تقول من سكت سلم والبيغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلين والنسر يقول يا ابن آدم عش ماشئت آخرك الموت والعقاب تقول فى البعد عن الناس أنس والصفدع يقول سبحان ربى القدوس وأراد عليه الصلاة والسلام بقوله علمنا وأوتينا بالنون التى يقال لها نون الواحد المطاع بيان حاله وصفته من كونه ملكاً مطاعاً لكن لا تجبراً وتكبراً بل تمهيداً لما أراد منهم من حسن الطاعة والانقياد له فى أوامره ونواهيه حيث كان على عزيمة المسير وبقوله من كل شئ كثرة ما أوتيه كما يقال فلان يقصده كل أحد ويعلم كل شئ ويراد به كثرة قصاده وغزارة علمه ومثله قوله تعالى وأوتيت من كل شئ وقال ابن عباس رضى الله عنهما كل ما يهيمه من أمر الدنيا والآخرة وقال مقاتل يعنى النبوة والملك وتسخير الجن والإنس والشياطين والريح (إن هذا) إشارة إلى ما ذكر من التعليم والإيتاء (هو الفضل) والإحسان من الله تعالى (المبين) الواضح الذى لا يخفى على أحد أو إن هذا الفضل الذى أوتيه هو الفضل المبين على أنه عليه الصلاة والسلام قاله على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله ﷺ أنا سيد ولد آدم ولا فخر أى أقول هذا القول شكراً لا غرراً ولعله عليه الصلاة والسلام رتب على كلامه ذلك دعوة الناس إلى الغزو فإن أخبارهم بإيتاء كل شئ من الأشياء التى من جملتها آلات الحرب وأسباب الغزو بما ينبت عن ذلك فمعنى قوله تعالى (وحشر لسليمان جنوده) جمع له عساكره (من) الجن والإنس والطير بمباشرة مخاطبيه فإنهم كانوا رؤساء مملكته وعظماء دولته من الثقافين وغيرهم بتعميم الناس للكل تغليبا وتقديم الجن على الإنس فى البيان للمسارعة إلى الإيدان بكال قوة ملكه وعزة سلطانه من أول الأمر لما أن الجن طائفة عاتية وقبيلة طاغية ماردة بعيدة من الحشر والتسخير (فهم يوزعون) أى يحبس أوائلهم على أو آخرهم أى يوقف سلاف العسكر حتى يلحقهم التوالى فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم أحد وذلك للكثرة العظيمة ويجوز أن يكون ذلك لترتيب الصفوف كما هو المعتاد فى العساكر وفيه إشعار بكال مسارعتهم إلى السير وتخصيص حبس أوائلهم بالذكر دون سوق أو آخرهم مع أن التلاحق يحصل بذلك أيضاً لما أن أو آخرهم غير قادرين على ما يقدر عليه أوائلهم من السير السريع وهذا إذا لم يكن سيرهم بتسيير الريح فى الجوروى أن معسكره عليه الصلاة والسلام كان مائة فرسخ فى مائة خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للإنس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له عليه الصلاة والسلام ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منسكوة وسبع مائة سرية وقد نسجت له الجن بساطاً من ذهب وإبريسم فرسخاً فى فرسخ وكان يوضع منبره فى وسطه وهو من ذهب

حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ
وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾

٢٧ النمل

فيقعد عليه وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على كرسي الذهب والعملاء على كرسي الفضة وحوطهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى أنه كان يأمر الريح العاصف تحمله وبأمر الرخاء تسيره فأوحى الله تعالى إليه وهو يسير بين السماء والأرض إنى قد زدت في ملكك لا يتكلم أحد بشيء إلا ألقته الريح في سمك فيحكى أنه مر بحراث فقال لقد أوتى آل داود ملكا عظيما فالقته الريح في أذنه فنزل ومشى إلى الحراث وقال إنما مشيت إليك لئلا تمنى مالا تقدر عليه

١٨ ثم قال لنسيجة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما أوتى آل داود (حتى إذا أتوا على وادى النمل) حتى هي التي يبدأ بها الكلام ومع ذلك هي غاية لما قبلها كالتي في قوله تعالى حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا أحمل الآية وهي ههنا غاية لما ينبي عنه قوله تعالى فهم يوزعون من السير كأنه قيل فساروا حتى إذا أتوا الخ وادى النمل واد بالشأم كثير النمل على ما قاله مقاتل رضى الله عنه وبالطائف على ما قاله كعب رضى الله عنه وقيل هو واد تسكنه الجن والنمل مرا كبهم وتعدية الفعل إليه بكلمة على إما لأن إتيانهم كان من فوق وإما لأن المراد بالإتيان عليه قطعه من قولهم أتى على الشيء إذا أنفذه وبلغ آخره ولعلمهم أرادوا أن ينزلوا عند منتهى الوادى إذ حينئذ يخافهم مافى الأرض لا عند سيرهم فى الهواء وقوله تعالى (قالت نملة) جواب إذا كانوا لما رأوهم متوجهين إلى الوادى فرى منهم فصاحت صبيحة تنبئت بها ما يحضرها من النمل لمرادها فتبعها فى الفرار فشبب ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم فأجروا مجرام حيث جعلت هي قائلة وما عداها من النمل مقولا لهم حيث قيل (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) مع أنه لا يمتنع أن يخلق الله تعالى فيها النطق وفيها عداها العقل والفهم وقرىء نملة يا أيها النمل بضم الميم وهو الأصل كالرجل وتسكين الميم تخفيف منه كالسبع فى السبع وقرىء بضم النون والميم قيل كانت نملة عرجاء تمشى وهي تتكاوس فنادت بما قالت فسمع سليمان عليه السلام كلامها من ثلاثة أميال وقيل كان اسمها طاخية وقرىء مسكنكم وقوله تعالى (لا يحطمنكم سليمان وجنوده) نهى فى الحقيقة للنمل عن التأخر فى دخول مساكنهم وإن كان بحسب الظاهر نهياً له عليه الصلاة والسلام ولجنوده عن الحطيم كقولهم لا أرينك ههنا فهو استئناف أو بدل من الأمر كقول من قال [فقلت له ارحل لا تقيم عندنا] لا جواب له فإن النون لا تدخل فى السعة وقرىء لا يحطمنكم بالنون الخفيفة وقرىء لا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرهما وأصله لا يحطمنكم وقوله تعالى (وهم لا يشعرون) حال من فاعل يحطمنكم مفيدة لتقييد الحطيم بحال عدم شعورهم بمكانهم حتى لو شعروا بذلك لم يحطموا وأرادت بذلك الإيدان بأنها عارفة بشئون سليمان وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من عصمتهم عن الظلم والإيذاء وقيل هو استئناف أى فهم سليمان ما قالته والقوم

فَتَبَسَّ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾

٢٧ النمل

وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَتْ مِّنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾

٢٧ النمل

لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَأْذِجَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾

٢٧ النمل

- ١٩ لا يشعرون بذلك (فتبسم ضاحكا من قولها) تعجباً من حذرهما واهتمامهما إلى تدبير مصالحهما وهما حال بنى نوعهما وسروراً بشهرة حاله وحال جنوده في باب التقوى والشفقة فيما بين أصناف المخلوقات التي هي أبعدهما من إدراك أمثال هذه الأمور وابتهاجا بما خصه الله تعالى به من إدراك همسها وفهم مرادها روى أنها أحست بصوت الجنود ولا تعلم أنهم في الهواء فأمر سليمان عليه السلام الريح فوقفت لثلاث يذعرن حتى دخلن مساكنهن (وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك) أى اجعلني أزرع شكر نعمتك عندي .
وأكفه وأر تبطه بحيث لا ينفلت عنى حتى لا أنفك عن شكرك أصلاً وقرىء بفتح ياء أوزعني (التي أنعمت على وعلى والدي) أدرج فيه ذكرهما تكثيراً للنعمة فإن الإنعام عليهما لإنعام عليه مستوجب للشكر (وأن أعمل صالحاً ترضاه) إتماماً للشكر واستدامة للنعمة (وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) .
٢٠ في جهنم الجنة التي هي دار الصالحين (وتفقد الطير) أى تعرف أحوال الطير فلم ير الهدد فيها بينها (فقال ما لي لا أرى الهدد أم كان من الغائبين) كأنه قال أولاً ما لي لا أراه لساير ستره أو اسبب آخر ثم بداله أنه غائب فأضرب عنه فأخذ يقول أهو غائب (لأعذبه عذاباً شديداً) قيل كان تعذيبه للطير بنف ريشه وشميسه وقيل بجمعه مع ضده في قفص وقيل بالتفريق بينه وبين إلفه (أو لأذبحنه) ليعتبر به أبناء جنسه .
٢١ (أولياً تبنى بسطان مبین) بحجة تبين عذره والخلف في الحقيقة على أحد الأولين على تقدير عدم الثالث .
وقرىء ليا تبنى بنونين أولاهما مفتوحة مشددة قيل إنه عليه الصلاة والسلام لما أنتم بناء بيت المقدس تجهز للحج بحشره فوافى الحرم وأقام به ماشاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة ثم عزم على السير إلى اليمن فخرج من مكة صباحاً يؤم سهيلاً فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضاً حسنة أعجبهت خضرتها فنزل ليتغذى ويصلى فلم يجد الماء وكان الهدد قنافته وكان يرى الماء من تحت الأرض كما يرى الماء في الزجاج فيجىء الشياطين فيسلخونها كما يسليخ الإهاب ويستخرجون الماء فتفقد لذلك وقد كان حين نزل سليمان عليه السلام خلق الهدد فرأى هدهداً واقفاً فأنحط إليه فوصف له ملك سليمان عليه السلام وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بلقيس وأن تحت يدها اثني عشر ألف قائد تحت يد كل قائد مائة ألف وذهب معه لينظر فما رجع إلا بعد العمر وذلك قوله تعالى .

فَكَثَّ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ ۖ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنِيَّ يَمِينٍ ﴿٢٢﴾

٢٢ (فكث غير بعيد) أي زماناً غير مديد وقرئ بضم الكاف وذكر أنه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان عليه السلام فنظر فإذا موضع الهدد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده عليه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب على به فارفعت فنظرت فإذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله وقال بحق الله الذي قواك وأقدرك على الإلزام حتى تركته وقالت ثكلتك أمك إن نبي الله قد حلف ليعذبك قال وما استثنى قالت بلى قال أولياً نبني بعذر مبين فلما قرب من سليمان عليه السلام أرخى ذنبه وجناحيه يجرها على الأرض تواضعاً له فلما دنا منه أخذ عليه السلام برأسه فمدّه إليه فقال يابني الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فارعد سليمان عليه السلام وعفا عنه ثم سأله (فقال أحطت بما لم تحط به) أي علماً ومعرفة وحفظته من جميع جهاته وقرئ أحطت بادغام الطاء في التاء بإطباق وبغير إطباق ولا خفاء في أنه لم يرد بما ادعى الإحاطة به ما هو من حقائق العلوم ودقائق المعارف التي تكون معرفتها والإحاطة بها من وظائف أرباب العلم والحكمة لتوقفها على علم رصين وفضل مبين حتى يكون لإثباتها لنفسه بين يدي نبي الله سليمان عليه السلام تعدياً عن طوره وتجاوزاً عن دائرة قدره ونفيها عنه عليه الصلاة والسلام جناية على جناية فيحتاج إلى الاعتذار عنه بأن ذلك كان منه بطريق الإلهام فكأخه عليه الصلاة والسلام بذلك مع ما أوتي عليه الصلاة والسلام من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والإحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له عليه الصلاة والسلام في علمه وتنبهه على أن في أدنى خلقه تعالى وأضعفهم من أحاط علماً بما لم يحيط به لتحقاق إليه نفسه ويتصاغر إليه علمه ويكون لطفاً له في ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء بل أراد به ما هو من الأمور المحسوسة التي لا تعد الإحاطة بها فضيلة ولا الغفلة عنها نقيصة لعدم توقف إدراكها إلا على مجرد إحساس يستوى فيه العقلاء وغيرهم وقد علم أنه عليه الصلاة والسلام لم يشاهده ولم يسمع خبره من غيره قطعاً فعبّر عنه بما ذكر لترويج كلامه عنده عليه الصلاة والسلام وترغيبه في الإصغاء إلى اعتداده واستماله لقلبه نحو قبوله فإن النفس للاعتذار المنبئ عن أمر بديع أقبل وإلى تلقى ما لا تعلمه أميل ثم أيده بقوله (وجئتك من سبأ بنياً يقين) حيث فسرها بهامه نوع تفسير وأراد عليه الصلاة والسلام أنه كان بصدد إقامة خدمة مهمة له حيث عبر عما جاء به بالنبا الذي هو الخبر الخطير والشأن الكبير ووصفه بما وصفه وإلا فإذا صدر عنه عليه الصلاة والسلام مع ما حكى عنه ما حكى من الحمد والشكر واستدعاء الإيزاع حتى يليق بالحكمة الإلهية تنبيهه عليه الصلاة والسلام على تركه سبأ منصرف على أنه اسم لحي سموأباسم أبيهم الأكبر وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان قالوا اسمه عبد شمس لقب به لكونه أول من سبي وقرئ بفتح الهمزة غير منصرف على أنه اسم للقبيلة ثم سميت مدينة مأرب بسبأ وبنيها وبين صنعاء مسيرة ثلاث وعلى هذه القراءة يجوز أن يراد به القبيلة والمدينة وأما على القراءة الأولى فالمراد هو الحي لا غير وعدم وقوف سليمان عليه السلام على نبشهم قبل إنباء الهدد ليس بأمر بديع لا بدله من حكمة داعية إليه البتة وإن استحال خلو أفعاله تعالى من الحكم والمصالح لما أن المسافة بين محطه عليه الصلاة

إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ النمل ٢٧

وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ
السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ النمل ٢٧

أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ النمل ٢٧

والسلام وبين مارب وإن كانت قصيرة لكن مدة ما بين نزوله عليه الصلاة والسلام هناك وبين مجيء الهدد بالخبر أيضاً قصيرة نعم اختصاص الهدد بذلك مع كون الجن أقوى منه مبنى على حكم بالغة يستأثر بها أعلام الغيوب وقوله تعالى (إني وجدت امرأة تملكهم) استئناف ببيان ما جاء به من النبأ وتفصيل ٢٣ له إثر الإجمال وهي بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن ريان وكان أبوها ملك أرض اليمن كلها ورث الملك من أربعين أباً ولم يكن له ولد غيرها فغلبت بعده على الملك ودانت لها الأمة وكانت هي وقومها يجوساً يعبدون الشمس وإيثار وجدت على رأيت لما أشير إليه من الإيذان بكونه عند غيبته بصدد خدمته عليه الصلاة والسلام بإبراز نفسه في معرض من يتفقد أحوالها ويتعرفها كأنها طالبتة وضالته ليعرضها على سليمان عليه السلام وضمير تملكهم لسياً على أنه اسم لحى أو لأهلها المدلول عليهم بذكر مدينتهم على أنه اسم لها (وأوتيت من كل شيء) أى من الأشياء التي يحتاج إليها الملوك (ولها عرش عظيم) قيل كان ثلاثين ذراعاً في ثلاثين عرضاً وسمكاً وقيل ثمانين في ثمانين من ذهب وفضة مكلاً بالجواهر وكانت قوائمها من ياقوت أحمر وأخضر ودرور مزدود عليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق واستعظام الهدد لعرشها مع ما كان يشاهده من ملك سليمان عليه السلام إما بالنسبة إلى حالها أو إلى عروش أمثالها من الملوك وقد جاوز أن يكون لسليمان عليه السلام مثله وأياً ما كان فوصفه بذلك بين يديه عليه الصلاة والسلام لما مر من ترغيبه عليه الصلاة والسلام في الإصغاء إلى حديثه وتوجيه عزمته عليه الصلاة والسلام نحو تسخيرها ولذلك عقبه بما وجب غزوها من كفرها وكفر قومها حيث قال (وجدتها وقومها يسجدون ٢٤ للشمس من دون الله) أى يعبدونها متجاوزين عبادة الله تعالى (وزين لهم الشيطان أعمالهم) التي هي عبادة الشمس ونظائرها من أصناف الكفر والمعاصي (فصدم) بسبب ذلك (عن السبيل) أى سبيل الحق والصواب فإن تزوين أعمالهم لا يتصور بدون تقويم طرق كفرهم وضلالهم ومن ضرورته نسبة طريق الحق إلى العوج (فهم) بسبب ذلك (لا يهتدون) إليه وقوله تعالى (أن لا يسجدوا لله) مفعول له إما للصد ٢٥ أولاً لتزوين على حذف اللام منه أى فصدم لئلا يسجدوا له تعالى أو زين لهم أعمالهم لئلا يسجدوا أو بدل على حاله من أعمالهم وما بينهما اعتراض أى زين لهم أن لا يسجدوا وقيل هو في موقع المفعول ليهتدون بإسقاط الخافض ولا مزبدة كفاي قوله تعالى لئلا يعلم أهل الكتاب والمعنى فهم لا يهتدون إلى أن يسجدوا لله تعالى وقرئ أيا يسجدوا على التنبيه والنداء والمنادى محذوف أى أيا يقوم اسجدوا كما ٣٦٥ - أبي السموذ ٢٦٥

٢٧ النمل

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾

٢٧ النمل

قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾

٢٧ النمل

أَذْهَبَ بِكَتَنِي هَذَا فَأَلْقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾

في قوله [إلا يا أسلمى يا دارمى على البلى] ونظائره وعلى هذا يحتمل أن يكون استشفافاً من جهة الله عز وجل أو من سليمان عليه السلام ويوقف على لا يهتدون ويكون أمراً بالسجود وعلى الوجوه المتقدمة ذمّاً على تركه وأياً ما كان فالسجود واجب وقرىء هلا وهلا بقلب الهمزتين ماء وقرىء هلا تسجدون بمعنى ألا تسجدون على الخطاب (الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض) أى يظهر ما هو مخبوء ومخفى فيهما كأننا ما كان ونخصيص هذا الوصف بالذكر بصدد بيان تفرد تعالى باستحقاق السجود له من بين سائر أوصافه الموجبة لذلك لما أنه أرسخ فى معرفته والإحاطة بأحكامه بمشاهدة آثاره التى من جملتها ما أودعه الله تعالى فى نفسه من القدرة على معرفة الماء تحت الأرض وأشار بعطف قوله (ويدلم ماتخفون وما تعلمون) على يخرج إلى أنه تعالى يخرج ما فى العالم الإنسانى من الخفايا كما يخرج ما فى العالم الكبير من الخبايا لما أن المراد يظهر ماتخفونه من الأحوال فيجازيكم بها وذكر ماتعلمون لتوسيع دائرة الدلم أو للتنبيه على تساويهما بالنسبة إلى العلم الإلهى وقرىء ماتخفون وما يعلمون على صيغة الغيبة بلا النفات وإخراج الخبء يعم إشراق الكواكب وإظهارها من آفاقها بعد استنارها ورأها وإززال الأمطار وإنبات النبات بل الإنشاء الذى هو إخراج ما فى الشئ بالقوة إلى الفعل والإبداع الذى هو إخراج ما فى الإمكان والعدم إلى الوجود وغير ذلك من غيوبه عز وجل وقرىء الخبء بتخفيف الهذرة بالحذف وقرىء الخبا بتخفيفها بالقلب وقرىء ألا تسجدون لله الذى يخرج الخبء من السماء والأرض ويعلم سرهم وما تعلمون (الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم) الذى هو أول الأجرام وأعظمها وقرىء العظيم بالرفع على أنه صفة الرب واعلم أن ما حكى من الهدد من قوله الذى يخرج الخبء إلى هنا ليس داخلاً تحت قوله لأنه أحطت به وإنما هو من العلوم والمعارف التى اقتبسها من سليمان عليه السلام أورده بياناً لما هو عليه وإظهاراً لتصلبه فى الدين وكل ذلك لتوجيه قلبه عليه الصلاة والسلام نحو قبول كلامه وصرف عنان عزمته عليه السلام إلى غزوها وتسخير ولايتها (قال) استشفاف وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية كلام الهدد كأنه قيل فإذا فعل سليمان عليه السلام عند ذلك فقيل قال (سننظر) أى فيما ذكرته من النظر بمعنى التأمل والسين لنا كيد أى سننكره بالتجربة البتة (أصدقت أم كنت من الكاذبين) كان مقتضى الظاهر أم كذبت وإيثار ما عليه النظم الكريم الإيدان بأن كذبه فى هذه المادة يستلزم انتظامه فى سلك المؤمنين بالكذب الراسخين فيه فإن مساق هذه الأقاويل الملفقة على ترتيب أنيق يستميل قلوب السامعين نحو قبولها من غير أن يكون لها مصداق أصلاً لاسيما بين يدي نبي عظيم الشأن لا يكاد يصدر إلا عن له قدم راسخ فى الكذب والإفك وقوله تعالى (أذهب بكتناني هذا فألقه

٢٧ النمل

قَالَتْ يٰٓأَيُّهَا الْمَلَأُوۡآ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىٰ كِتٰبٍ كَرِيۡمٍ ۝٢٧

٢٧ النمل

وَإِنَّهُ مِنۢ سُلَيْمٰنَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيۡمِ ۝٢٨

٢٧ النمل

أَلَّا تَعْلَمُوۡا عَلَىٰ وَاتُوۡنِىۢ مُسْلِمِيۡنَ ۝٢٩

(إليه) استئناف مبين لكيفية النظر الذى وعده عليه الصلاة والسلام وقد قاله عليه الصلاة والسلام بعد ما كتب كتابه فى ذلك المجلس أو بعده وتخصيصه عليه الصلاة والسلام لإياه بالرسالة دون سائر ماتحت ملكه من أمناء الجن الأقوياء على التصرف والتعرف لما عاين فيه من غايل العلم والحكمة وصحة الفراسة ولئلا يبقى له عذر أصلاً (ثم قول عنهم) أى تنح إلى مكان قريب تتوارى فيه (فانظر) أى تأمل وتعرف (ماذا يرجعون) أى ماذا يرجع بعضهم إلى بعض من القول وجمع الضمائر لما أن مضمون الكتاب الكريم دعوة الكل إلى الإسلام (قالت) أى بعد ما ذهب الهدهد بالكتاب فألقاه إليه وتنحى عنهم حسبما أمر ٢٩ به وإنما طوى ذكره إيداناً بكالم مسارعة إلى إقامة ما أمر به من الخدمة وإشعاراً باستغنائهم عن التصريح به لغاية ظهوره . روى أنه عليه الصلاة والسلام كتب كتابه وطبعه بالمسك وختمه بخاتمه ودفعه إلى الهدهد فوجدها الهدهد راقدة فى قصرها بمأرب وكانت إذا رقدت غلقت الأبواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهى مستقلة وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل أنها والقادة والجنود حو اليها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت رأسها فألقى الكتاب على حجرها وكانت قائمة كاتبة عربية من نسل تبع الحميرى كما مر فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت فعند ذلك قالت لأشراف قومها (يا أيها الملأ إني ألقى إلى كتاب كريم) وصفته بالكرم لكرم مضمونه أو لكونه من عند ملك كريم أو لكونه مختموماً أو لغرابة شأنه ووصوله إليها على منهاج غير معتاد (إنه من سليمان) ٣٠ استئناف وقع جواباً لسؤال مقدر كأنه قيل من هو وماذا مضمونه فقالت إنه من سليمان (وإنه) أى مضمونه أو المكتوب فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) وفيه إشارة إلى سبب وصفها إياه بالكرم وقرئ * أنه وإنه بالفتح على حذف اللام كأنها علمت كرمه بكونه من سليمان وبكونه مصدراً باسم الله تعالى وقيل على أنه بدل من كتاب وقرئ أن من سليمان وأن بسم الله الرحمن الرحيم على أن أن المفسرة (أن لا تعملوا ٣١ على) أن مفسرة ولا ناهية أى لا تتكبروا كما يفعل جبارة الملوك وقيل مصدرية ناصبة للفعل ولا نافية محلها الرفع على أنها من كتاب أو خبر لمبتدأ مضمرة يليق بالمقام أى مضمونه أن لا تعملوا أو النصب بإسقاط الحافض أى بأن لا تعملوا على وقرئ أن لا تغلوا بالغين المعجمة أى لا تجاوزوا حدكم (وأوتى مسلمين) أى مؤمنين وقيل منقادين والاول هو الالقي بشأن النبي ﷺ على أن الإيمان مستتبع للانقياد حتما . روى أن نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعملوا على وأوتى مسلمين وليس الأمر فيه بالإسلام قبل إقامة الحججة على رسالته حتى يتوهم كونه استدعاءاً للتقليد فإن إلقاء الكتاب إليها على تلك الحالة معجزة باهرة دالة على رسالة مرسلها دلالة بينة .

قَالَتْ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ ٢٧ النمل

قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسْ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ ٢٧ النمل

قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ ٢٧ النمل

وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ٢٧ النمل

- ٣٢ (قالت) كررت حكاية قولها للإبذان بغاية اعتنائها بما في حيزه من قولها (يا أيها الملأ أفتونني في أمري) أي أجيبوني في أمري الذي حزني وذكرت لكم خلاصته وعبرت عن الجواب بالفتوى التي هي الجواب في الحوادث المشكلة غالباً تهويلاً للأمر ورفعاً لمحلهم بالإشعار بأنهم قادرون على حل المشكلات الملمة وقولها (ما كنت قاطعة أمراً) أي من الأمور المتعلقة بالملك (حتى تشهدون) أي إلا بمحضركم وبموجب آرائكم ٣٣ استعطف لهم واستماله لقلوبهم لئلا يخالفوها في الرأي والتدبير (قالوا) استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية قولها كأنه قيل فماذا قالوا في جوابها فقبل قالوا (نحن أولو قوة) في الأجساد والآلات والعدد (وأولو بأس شديد) أي نجدة وشجاعة مفرطة وبلاء في الحرب (والأمر إليك) أي هو موكول إليك (فانظري ماذا تأمرين) ونحن مطيعون لك فربنا بأمرك نمثل به وتنبع رأيك وأرادوا نحن من أبناء الحرب لا من أبناء الرأي والمشورة وإليك الرأي والتدبير فانظري ماذا ترين نكن في الخدمة فلما أحست منهم الميل إلى الحراب والعدول عن سنن الصواب شرعت في تزييف مفاصلهم المبنية على الغفلة عن شأن سليمان عليه السلام وذلك قوله تعالى (قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية) من القرى على منهاج المقاتلة والحراب (أفسدوها) بتخريب عماراتها وإتلاف ما فيها من الأموال (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) بالقتل والأسر والإجلاء وغير ذلك من فنون الإهانة والإذلال (وكذلك يفعلون) تأكيداً وصفت من حالهم بطريق الاعتراض التذييلي وتقريره بأن ذلك عادتهم المستمرة وقيل تصديق لها من جهة الله تعالى على طريقة قوله تعالى ولو جئنا بمثله مدداً أثر قوله تعالى لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي (وإني مرسله إليهم بهدية) تقرير لرأيها بعد ما زيفت آراءهم وأنت بالجملة الاسمية الدالة على الثبات المصدرة بحرف التحقيق الإبذان بأنها مزمنة على رأيها لا يلويها عنه صارف ولا يثنيها عاطف أي وإني مرسله إليهم رسالة بهدية عظيمة (فناظرة بم يرجع المرسلون) حتى أعمل بما يقتضيه الحال . روى أنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجوارى وحلبن الأساور والأطواق والقرطه راكبي خيل مغطاة بالديباج محلاة للجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زى الغلمان وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجاً مكللاً بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقاً فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلاً من أشرف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذارأي وعقل وقالت إن كان نبياً ميز بين الغلمان والجوارى وثقب الدرة ثقباً مستويّاً وسلك في الخرزة خيطاً ثم قالت للمنذر إن نظر إليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولك

فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ قَالَ أُمِّدُونِي بِمَالٍ فَأَتَيْنِي ۖ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِّمَّا أَتَيْتُكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ

٢٧ النمل

تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾

أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ ٢٧ النمل

وإن رأيت بشأ لطيفاً فهو نبي فأقبل الهدد فأخبر سليمان عليه السلام بذلك فأمر الجن فضربوا ابن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطاً شرفاته من الذهب والفضة وأمر بأحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا على اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه واصطففت الشياطين صفوفاً فراسخ والإنس صفوفاً فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا ورأوا الدواب تروث على اللبن فتناصرت إليهم نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر إليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال أين الحق وأخبره جبريل عليهما السلام بما فيه فقال لهم إن فيه كذا وكذا ثم أمر بالأرضة فأخذت شعرة ونفذت في الدرة فجعل رزقها في الشجرة وأخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت في الجزعة فجعل رزقها في الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الأخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رداً لهدية وذلك قوله تعالى (فلما جاء سليمان) أي الرسول (قال) أي مخاطباً للرسول والمرسل تعليلاً للحاضر على الغائب وقيل للرسول ٣٦ ومن معه ويؤيده أنه قرئ فلما جاءوا أو الأول أو الأولى لما فيه من تشديد الإنكار والتوبيخ وتعميمهما لبلقيس وقومها ويؤيده الأفراد في قوله تعالى ارجع إليهم (أتمدونني بمال) وهو إنكار لإمدادهم إياه عليه الصلاة والسلام بالمال مع علو شأنه وسعة سلطانه وتوبيخ لهم بذلك وتنكير مال للتحقير وقوله تعالى (فأأتاني الله) أي بما رأيتم آثاره من النبوة والملك الذي لا غاية وراءه (خير مما آتاكم) أي من المال الذي من جملته ما جئتم به فلا حاجة لي إلى هديتكم ولا وقع لها عندي لتعليل الإنكار ولعله عليه الصلاة والسلام إنما قال لهم هذه المقالة إلى آخرها بعد ما جرى بينه وبينهم ما حكى من قصة الحق وغيرها كما أشير إليه لا أنه عليه الصلاة والسلام خاطبهم بها أول ما جاءوه كما يفهم من ظاهر قوله تعالى فلما جاء الخ وقرئ أتمدونني بالإدغام وبنون واحدة وبنونين وحذف الياء وقوله تعالى (بل أنتم بهديتكم تفرحون) لإضراب عما ذكر من إنكار الإمداد بالمال إلى التوبيخ بفرحهم بهديتهم التي أهدوها إليه عليه الصلاة والسلام فرح افتخار وامتنان واعتداد بها كما ينبي عنه ما ذكر من حديث الحق والجزعة وتغيير زى الغلمان والجواري وغير ذلك وفائدة الإضراب التنبيه على أن إمداده عليه الصلاة والسلام بمال منكر قبيح وعد ذلك مع أنه لا قدر له عنده عليه الصلاة والسلام بما يقنافس فيه المتنافسون أقبح والتوبيخ به أدخل وقيل المضاف إليه المهمدى إليه والمعنى بل أنتم بما يهدي إليكم تفرحون حباً لزيادة المال لما أنكم لا تعلمون إلا ظاهر أمن الحياة الدنيا (ارجع) ٣٧ أفرد الضمير ههنا بعد جمع الضمائر الخمسة فيما سبق لاختصاص الرجوع بالرسول وعموم الإمداد ونحوه

قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُؤَاءِ يُكُمُ يَا بَنِي بَعْرَشَ قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٢٨﴾

قَالَ عِزْرَبْتُ مَنْ أَحْبَبْتُ أَنَا وَأَتَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٢٧﴾
قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا
عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ
فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌ كَرِيمٌ ﴿٢٨﴾

للكل أى ارجع إليها الرسول (إليهم) أى إلى بلقيس وقومها فلما أتتهم أى فو الله لنا أتيتهم (بمجنود لاقبل لهم بها) أى لاطانة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقابلتها وقرى بهم (ولنخرجهم) عطف على جواب القسم (منها) من سبأ (أذلة) أى حال كونهم أذلة بعدما كانوا فيه من العز والتمكين وفى جمع القلة تأكيد لذاتهم وقوله تعالى (وم صاغرون) أى أسارى مهانون حال أخرى مفيدة لكون إخراجهم بطريق الأسر لا بطريق الإجماع وعدم وقوع جواب القسم لأنه كان معلقاً بشرط قد حذف عند الحكاية ثقة بدلالة الحال عليه كأنه قيل ارجع إليهم فليأتوا مسلمين وإلا فأناتيتهم الخ (قال يا أيها الملأ أياكم يأتي بعرشها) ٣٨ قاله عليه الصلاة والسلام لما دنا مجىء بلقيس إليه عليه الصلاة والسلام يروى أنه لما رجعت رسلها إليها بما حكى من خبر سليمان عليه السلام قالت قد علمت والله ما هذا بملك ولا لنا به من طاقة وبعثت إلى سليمان عليه السلام إنى قادمة إليك بملوك قومى حتى أنظر ما أمرك وما تدعو إليه من دينك ثم أذنت بالرحيل إلى سليمان عليه السلام فشخصت إليه فى اثني عشر ألف قبل تحت كل قيل ألوف ويروى أنها أمرت لجعل عرشها فى آخر سبعة آيات بعضها فى بعض فى آخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الأبواب وولت به حرساً يحفظونه وعلمه أوحى إلى سليمان عليه السلام باستياقها من عرشها فأراد أن يريها بعض ما خصه الله عز سلطانه به من إجره العجايب على يده مع إطلاعها على عظيم قدرته تعالى وصحة نبوته عليه الصلاة والسلام ويختبر عقلها بأن ينكر عرشها فينظر أتعرفه أم لا وتقييد الإتيان به بقوله تعالى (قبل أن يأتونى مسلمين) لما أن ذلك أبدع وأغرب وأبعد من الوقوع عادة وأدل على عظيم قدرة الله تعالى وصحة نبوته عليه الصلاة والسلام وليكون اختبارها وإطلاعها على بدائع المعجزات فى أول مجيئها وقيل لأنها إذا أنت مسلمة لم يحل له أخذ مالها بغير رضاها (قال عفريت) أى مارد خبيث (من الجن) بيان له إذ يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر لا قرانه وكان اسمه ذكوان أو صخرأ (أنا آتيتك به) أى بعرضها (قبل أن تقوم من مقامك) أى من مجلسك للحكومة وكان يجلس إلى نصف النهار وآتيتك إما صيغة المضارع أو الفاعل وهو الأنسب لمقام ادعاء الإتيان به لا محالة وأوفق لما عطف عليه من الجملة الاسمية أى أنا آت به فى تلك المدة البتة (وإنى عليه) أى على الإتيان به (لقوى) لا يتقل على حمله (أمين) لا اختزل منه شيئاً ولا أبدله (قال الذى عنده علم من الكتاب) فصل عما قبله للإيذان بما بين القائلين ومقابلتهما

قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾

- وكيفيتي قدرتهما على الإتيان به من كمال التباين أو لإسقاط الأول عن درجة الاعتبار قبل هو آصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام وقيل رجل كان عنده اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أجاب وقيل الخضر أو جبريل أو ملك أيداه الله عز وجل به عليهم السلام وقيل هو سليمان نفسه عليه السلام وفيه بعد لا يخفى والمراد بالكتاب الجنس المنتظم لجميع الكتب المنزلة أو اللوح وتنكير علم للتفخيم والرمز إلى أنه علم غير معهود ومن ابتدائية (أن آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) الطرف تحريك الأجفان وفتحها * للنظر إلى شيء وارتداد انضمامها ولكونه أمراً طبيعياً غير منوط بالقصد أوثر الارتداد على الرد ولما لم يكن بين هذا الوعد وإنجازه مدة ما كما في وعد العفريت استغنى عن التأكيد وطوى عند الحكاية ذكر الإتيان به للإبذان بأنه أمر متحقق غنى عن الإخبار به وجيء بالغاء الفصيحة لادخاله على جملة معطوفة على جملة مقدرة دالة على تحققه فقط كما في قوله عز وجل فقلنا اضرب بعصاك البحر فانقلب ونظائر بل دالة على الشرطية حيث قيل (فلما رآه مستقراً عنده) أي رأى العرش حاضر أليده كما في قوله عز وجل فلما رأيته أكبرنه للدلالة على كمال ظهور ما ذكر من تحققه واستغنائه عن الإخبار به ببيان ظهور ما يترتب عليه من رؤية سليمان عليه السلام إياه واستغنائه أيضاً عن النصريح به إذ التقدير فأتاه به فرآه فلما رآه الخ حذف ما حذف لما ذكر والإبذان بكمال سرعة الإتيان به كأنه لم يقع بين الوعد به وبين رؤيته عليه الصلاة والسلام إياه شيء ما أصلا وفي تقييد رؤيته باستقراره عنده عليه الصلاة والسلام تأكيد لهذا المعنى لإيهامه أنه لم يتوسط بينهما ابتداء الإتيان أيضاً كأنه لم يزل موجوداً عنده مع ما فيه من الدلالة على دوام قراره عنده منتظماً في سلك ملكه (قال) أي سليمان عليه السلام تلقياً للنعمة بالشكر جرياً على سنن أبناء جنسه من أنبياء الله تعالى عليهم الصلاة والسلام وخلص عباده (هذا) أي حضور العرش بين يديه في هذه المدة القصيرة أو التمكن من إحضاره بالواسطة أو بالذات كما قيل (من فضل ربى) أي تفضله على من غير استحقاق له من قبلى (ليبلونى أشكر) بأن أراه محض فضله تعالى من غير حول من جهتى ولا قوة وأقوم بحقه (أم أكفر) بأن أجد لنفسى مدخلا في البين أو أقصر في إقامة مواجبه كما هو شأن سائر النعم الفائضة على العباد (ومن شكر فإنما يشكر لنفسه) لأنه يرتبط به عتيدها ويستلجب به مزيدها ويحط به عن ذمته عبء الواجب ويتخلص عن وصمة الكفران (ومن كفر) أي لم يشكر (فإن ربى غنى) عن شكره (كريم) بترك تعجيل العقوبة والإنعام مع عدم الشكر أيضاً (قال) أي سليمان عليه السلام ٤١ كررت الحكاية مع كون المحكى سابقاً ولاحقاً من كلامه عليه الصلاة والسلام تنبيهاً على ما بين السابق واللاحق من المخالفة لما أن الأول من باب الشكر لله تعالى والثاني أمر لخدمه (نكروا لها عرشها) أي غيروا هيئته بوجه من الوجوه (نظر) بالجزم على أنه جواب الأمر وقرئ بالرفع على الاستئناف (أنهتدى) إلى معرفته أو إلى الجواب اللائق بالمقام وقيل إلى الإيمان بالله تعالى ورسوله عند رؤيتها التقدم عرشها من مسافة طويلة في مدة قليلة وقد خلفته مغلقة عليه الأبواب موكلة عليه الحراس والحجاب

فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ ٢٧ النمل

وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ ٢٧ النمل

وأياباه تعليق النظر المتعلق بالاهتداء بالتنكير فإن ذلك مما لا دخل فيه للتنكير (أم تكون) أي بالنسبة إلى علما (من الذين لا يهتدون) أي إلى ما ذكر من معرفة عرشها أو الجواب الصواب فإن كونها في نفس الأمر منهم وإن كان أمراً مستمراً لكن كونها منهم عند سليمان عليه السلام وقومه أمر حادث يظهر بالاختبار (فلما جاءت) شروع في حكاية التجربة التي قصدها سليمان عليه السلام أي فلما جاءت بلقيس سليمان عليه السلام وقد كان العرش بين يديه (قيل) أي من جهة سليمان عليه السلام بالذات أو بالواسطة (أهكذا عرشك) لم يقل أهذا عرشك لئلا يكون تلقيناً لها فيفوت ما هو المقصود من الأمر بالتنكير من إبراز العرش في معرض الإشكال والاشتباه حتى يتبين حالها وقد ذكرت عنده عليه الصلاة والسلام بسخافة العقل (قالت كأنه هو) فأنبات عن كمال رجاحة عقلها حيث لم تقل هو هو مع علمها بحقيقة الحال تلويحاً بما اعتراه بالتنكير من نوع مغايرة في الصفات مع اتحاد الذات ومراعاة لحسن الأدب في محاورته عليه الصلاة والسلام (وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) من تنمة كلامها كأنها ظنت أنه عليه الصلاة والسلام أراد بذلك اختبار عقلها وإظهار معجزة لها فقالت أوتينا العلم بكامل قدرة الله تعالى وصحة نبوتك من قبل هذه المعجزة التي شاهدناها بما سمعناه من المنذر من الآيات الدالة على ذلك وكنا مسلمين من ذلك الوقت وفيه من الدلالة على كمال رزانه رأيها ورصانة فكرها ما لا يخفى وقوله تعالى (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) بيان من جهته تعالى لما كان يمنعها من إظهار ما ادعته من الإسلام إلى الآن أي صدها عن ذلك عبادتها القديمة للشمس وقوله تعالى (إنها كانت من قوم كافرين) تعليل لسببية عبادتها المذكورة للصد أي إنها كانت من قوم راسخين في الكفر ولذلك لم تكن قادرة على إظهار إسلامها وهي بين ظهرانهم إلى أن دخلت تحت ملكة سليمان عليه السلام وقرىء أنها بالفتح على البدلية من فاعل صد أو على التعليل بحذف اللام هذا وأما ما قيل من أن قوله تعالى وأوتينا العلم إلى قوله تعالى من قوم كافرين من كلام سليمان عليه السلام وملكته كأنهم لما سمعوا قولها كأنه هو تفتنوا لإسلامها فقالوا استحساناً لشأنها أصابت في الجواب وعلمت قدرة الله تعالى وصحة النبوة بما سمعت من المنذر من الآيات المتقدمة وبما عاينت من هذه الآية الباهرة من أمر عرشها ورزقت الإسلام فعطفوا على ذلك قولهم وأوتينا العلم الخ أي وأوتينا نحن العلم بالله تعالى وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل على دين الإسلام شكراً لله تعالى على فضلهم عليها وسبقهم إلى العلم بالله تعالى والإسلام قبلها وصدها عن التقدم إلى الإسلام عبادة الشمس ونشؤها بين ظهرانى الكفرة فما لا يخفى ما فيه من البعد والتعسف .

قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ ٢٧ النمل

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ ٢٧ النمل

قَالَ يَتْلُمِمْ لِي تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ ٢٧ النمل

- (قيل لها ادخلي الصرح) الصرح القصر وقيل محن الدار. روى أن سليمان عليه السلام أمر قبل قدومها ٤٤ فبنى له على طريقها قصر من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والإنس وإنما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لآمره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا أن الجن كرهوا أن يتزوجها فتفضى إليه بأسرارهم لأنها كانت بنت جنية وقيل خافوا أن يولد له منها ولد يجتمع له فطنة الجن والإنس فيخرجون من ملك سليمان عليه السلام إلى ملك هو أشد وأفظع فقالوا إن في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها (فلما رآته) وهو حاضر بين يديها كما يعرب عنه الأمر بدخولها وأحاطت بتفاصيل أحواله خبراً (حسبته لجة وكشفت عن ساقها) وتشمرت لئلا تبتل أذيالها فإذا هي أحسن الناس ساقاً وقد ما خلا أنها شعراء قيل هي السبب في اتخاذ النور أمر بها الشياطين فأتخذوها واستنكحها عليه الصلاة والسلام وأمر الجن فبنوا لها سبلحين وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام وقيل بل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على اليمن وأمر زبوة أمير جن اليمن أن يطيعه فبنى له المصانع وقرى ساقها حملاً للفرد على الجمع في سوق وأسوق (قال) عليه الصلاة والسلام حين رأى ما عتراها من الدهشة والرعب (لأنه) أي ماتوهمته ماء (صرح ممد) أي علس (من قوارير) من الزجاج (قالت) حين عاينت تلك المعجزة أيضاً (رب إنى ظلمت نفسي) بما كنت عليه إلى الآن من عبادة الشمس وقيل بظن سليمان حيث ظنت أنه يريد إغراقها في اللجة وهو بعيد (وأسلمت مع سليمان) تابعة له مقتدية به وما في قوله تعالى (لله رب العالمين) من الالتفات إلى الاسم الجليل ووصفه بربوبية العالمين لإظهار معرفتها بالوحيته تعالى وتفرد به باستحقاق العبادة وربوبيته لجميع الموجودات التي من جملتها ما كانت تعبد قبل ذلك من الشمس (ولقد أرسلنا) عطف على قوله تعالى ٤٥ ولقد آتينا داود وسليمان علماً مسوق لما سبق قوله من تقرير أنه عليه الصلاة والسلام يأتي القرآن من لدن حكيم عليم فإن هذه القصة أيضاً من جملة القرآن الكريم الذي لقيه عليه الصلاة والسلام واللام جواب قسم محذوف أي وبالله لقد أرسلنا (إلى ثمود أخاهم صالحاً) وأن في قوله تعالى (أن اعبدوا الله) مفسرة لما في الإرسال من معنى القول أو مصدرية حذف عنها الباء وقرى بضم النون إتباعاً لها للباء (فإذا هم فريقان يختصمون) ففاجئوا بالتفرق والاختصاص فأمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين (قال) عليه ٤٦
- ٣٧ - أبي السعود ج ٦

قَالُوا أَطِيرَ نَابِكَ وَيَمْنُ مَعَكَ قَالَ طَيْرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ ٢٧ النمل

وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ ٢٧ النمل

قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ ٢٧ النمل

الصلاة والسلام للفريق الكافر منهم بعد ما شاهد منهم ما شاهد من نهاية العتو والعناد حتى بلغوا من المكابرة إلى أن قالوا له عليه الصلاة والسلام يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين (يا قوم لم تستعجلون بالسبئية) أى بالعقوبة السبئية (قبل الحسنه) أى التوبة فتؤخرونها إلى حين نزولها حيث كانوا من جهلهم وغوايتهم يقولون إن وقع إيعاده تبنا حينئذ ولا فتحن على ما كنا عليه (لولا تستغفرون الله) هلا تستغفرونه تعالى قبل نزولها (لعلكم ترحمون) بقبولها إذ لا إمكان للقبول عند النزول (قالوا اطيرونا) أصله تطيرنا والتطير التشاؤم عبر عنه بذلك لما أنهم كانوا إذا خرجوا مسافرين فيمرون بطائر يزجرونه فإن مر سائحاً تيمنوا وإن مر بارحاً تشاءموا فلما نسبوا الخير والشر إلى الطائر استعير لما كان سبباً لهما من قدر الله تعالى وقسمته أو من عمل العبد أى تشاءمنا (بك وبمن معك) فى دينك حيث تنابعت علينا الشدائد وقد كانوا قحطوا أو لم نزل فى اختلاف وافتراق مذاخر عتم دينكم (قال طائرهم) أى سبيكم الذى منه ينالكم ما ينالكم من الشر (عند الله) وهو قدره أو عملكم المكتوب عنده وقوله تعالى (بل أنتم قوم تفتنون) أى تختبرون بتعاقب السراء والضراء أو تعذبون أو يفتنكم الشيطان بوسوسته إليكم الطيرة إضراب من بيان طائرهم الذى هو مبدأ ما يحيق بهم إلى ذكر ما هو الداعى إليه (وكان فى المدينة) ٤٨ وهى الحجر (تسعة رهط) أى أشخاص وبهذا الاعتبار وقع تمييزاً للتسعة لا باعتبار لفظه والفرق بينه وبين النفر أنه من الثلاثة أو من السبعة إلى العشرة والنفر من الثلاثة إلى التسعة وأسماؤهم حسبما نقل عن وهب: الهذيل بن عبد رب وغنم بن غنم ورتاب بن مهرج ومصدع بن مهرج وعمير بن كردبة وطاصم بن مخزمة وسبيط بن صدقة وشيمان بن صفى وقدار بن سالف وهم الذين سمعوا فى عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من أبناء أشرافهم (يفسدون فى الأرض) لا فى المدينة فقط لإفساداً بحتاً لا بخاطله شيء مامن الإصلاح كما ينطق به قوله تعالى (ولا يصلحون) أى لا يفعلون شيئاً من الإصلاح أو لا يصلحون شيئاً من الأشياء (قالوا) استئناف ببيان بعض ما فعلوا من الفساد أى قال بعضهم لبعض فى أثناء المشاورة فى أمر صالح عليه الصلاة والسلام وكان ذلك غب ما أنذرهم بالعذاب وقوله تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام الخ (تقاسموا بالله) إما أمر مقول لقولوا أو ماض وقع بدلا منه أو حالا من فاعله بإضمار قد وقوله تعالى (لنبيئته وأهله) أى لنباغتن صالحاً وأهله ليلاً ونقتلنهم وقرىء بالبناء على خطاب بعضهم لبعض وقرىء بياء الغيبة وضم التاء على أن تقاسموا فعل ماض (ثم لنقولن لولييه) أى لولى صالح وقرىء بالبناء والياء كما قبله (ما شهدنا مهلك أهله) أى ما حضرنا هلاكهم أو وقت هلاكهم هلاكهم فضلاً أن نتولى إهلاكهم وقرىء مهلك بفتح اللام فيكون مصدراً (ولنا لصادقون) من تمام القول أو حال أى نقول

- وَمَكْرُؤًا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ النمل ٢٧
- فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمُ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ النمل ٢٧
- فَإِنَّكَ بَيُّوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ النمل ٢٧
- وَأُنَجِّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ النمل ٢٧
- وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ النمل ٢٧

- ما نقول والحال إنا لصادقون في ذلك لأن الشاهد للشيء غير المباشر له عرفاً أو لأننا ماشاهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم جميعاً كقولك ما رأيت ثمة رجلاً بل رجلين (ومكروا مكرأ) بهذه المواضع ٥٠ (ومكرونا مكرأ) أى أهلكناهم إهلاً كما غير معهود (وهم لا يشعرون) أوجاز بنام مكرهم من حيث لا يحتسبون (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم) شروع في بيان ما ترتب على ما باشروه من المكر وكيف معلقة لفعل النظر ٥١ ومحل الجملة النصب بنزع الخافض أى فتفكر في أنه كيف كان عاقبة مكرهم وقوله تعالى (أنادمرناهم) إما بدل من عاقبة مكرهم على أنه فاعل كان وهى تامة وكيف حال أى فانظر كيف حصل أى على أى وجه حدث تدميرنا لإياهم وإما خبر لمبتدأ محذوف والجملة مبينة لما في عاقبة مكرهم من الإيهام أى هى تدميرنا لإياهم (وقومهم) الذين لم يكونوا معهم في مباشرة التبييت (أجمعين) بحيث لم يشذ منهم شاذ وإما تعليل لما ينبنى عنه الأمر بالنظر في كيفية عاقبة مكرهم من غاية الهول والفظاعة بمحذوف الجار أى لأننا دمرناهم الخ وقيل كان ناقصة اسمها عاقبة مكرهم وخبرها كيف كان فالأوجه حينئذ ان يكون قوله تعالى أنادمرناهم الخ تعليل لما ذكره وقرئ أنادمرناهم الخ بالكسر على الاستئناف . روى أنه كان لصالح عليه السلام مسجد في الحجر في شعب يصلى فيه فقالوا زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث نفرجوا إلى الشعب وقالوا إذا جاء يصلى قتلناه ثم رجعنا إلى أهله فقتلناهم فبعث الله تعالى صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم أين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله تعالى كلا منهم في مكانه ونجى صالحاً ومن معه وقيل جاءوا بالليل شاهرى سيوفهم وقد أرسل الله تعالى الملائكة ملء دار صالح فدمغوم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون رامياً (فتلك بيوتهم) جملة ٥٢ مقررلة لما قبلها وقوله تعالى (خاوية) أى خالية أو ساقطة متهدمة (بما ظلموا) أى بسبب ظلمهم المذكور حال من بيوتهم والعامل معنى الإشارة وقرئ خاوية بالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف (إن في ذلك) أى فيما ذكر من التدمير العجيب بظلمهم (لآية) لعلبة عظيمة (لقوم يعلمون) أى ما من شأنه أن يعلم شيئاً من الأشياء أو لقوم يتصفون بالعلم (وأنجينا الذين آمنوا) صالحاً ومن معه من المؤمنين (وكانوا يتقون) ٥٣ أى الكفر والمعاصى اتقاء مستمر أفذلك خصوصاً بالنجاة (ولو طأ) منصوب بمضمر معطوف على أرسلنا ٥٤

أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ٢٧ النمل

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ أَلْ لُوطُ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَبْتَطِهُرُونَ ﴿٥٦﴾ ٢٧ النمل

فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ وَقَدَرْنَا نَهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٥٧﴾ ٢٧ النمل

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ﴿٥٨﴾ ٢٧ النمل

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ءَالَهُ خَيْرٌ أَمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ٢٧ النمل

في صدر قصة صالح داخل معه في حيز القسم أى وأرسلنا لوطاً وقوله تعالى (إذ قال لقومه) ظرف للإرسال على أن المراد به أمر ممتد وقع فيه الإرسال وما جرى بينه وبين قومه من الأقوال والأحوال وقيل انتصاب لوطاً بإضمار اذكر وإذ بدل منه وقيل بالعطف على الذين آمنوا أى وأنجيناه لوطاً وهو بعيد (أتأتون الفاحشة) أى الفعل المتناهية في القبح والسماجة وقوله تعالى (وأنتم تبصرون) جملة حالية من فاعل تأتون مفيدة لتأكيد الإنكار وتشديد التوبيخ فإن تعاطى القبيح من العالم بقبحه أقبح وأشنع وتبصرون من بصر القلب أى أتفعلونها والحال أنكم تعلمون علماً يقينياً بكونها كذلك وقيل يبصرها بعضهم من بعض لما كانوا يعلمون بها (أنكم لتأتون الرجال شهوة) تثنية للإنكار وتكرير للتوبيخ وبيان لما يأتونه من الفاحشة بطريق النصريح وتحلية الجملة بجر فى التأكيد للإيدان بأن مضمونها بما لا يصدق وقوعه أحد لكمال بعده من العقول وإيراد المفعول بعنوان الرجولية لتربية التقبح وتحقيق المباعدة بينها وبين الشهوة التى علل بها الإتيان (من دون النساء) متجاوزين النساء اللاتي هن محال الشهوة (بل أنتم قوم تجهلون) تفعلون فعل الجاهلين بقبحه أو تجهلون العاقبة أو الجهل بمعنى السفاهة والمجون أى بل أنتم قوم سفهاء ماجنون والتاء فيه مع كونه صفة لقوم لكونهم فى حيز الخطاب (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون) يتزهون عن أفعالنا أو عن الأقدار ويعدون فعلنا قدراً وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه استنزهوا وقد مر فى سورة الأعراف أن هذا الجواب هو الذى صدر عنهم فى المرة الأخيرة من مرات مواعظ لوط عليه السلام بالأمم والنهى لا أنه لم يصدر عنهم كلام آخر غيره (فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها) أى قدرنا أنها (من الغابرين) أى الباقين فى العذاب (وأمطرنا عليهم مطراً) غير معهود (فساء مطر المنذرين) قد مر بيان كيفية ما جرى عليهم من العذاب غير مرة (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) إثر ما قص الله تعالى على رسوله ﷺ قصص الأنبياء المذكورين عليهم الصلاة والسلام وأخبارهم بالاطقة بكمال قدرته تعالى وعظم شأنه وبما خصهم به من الآيات القاهرة والمعجزات الباهرة الدالة على جلالة أقدارهم وصحة أخبارهم وبين على ألسنتهم حقبة الإسلام والتوحيد وبطلان الكفر والإشراك وأن من اقتدى بهم فقد اهتدى ومن أعرض عنهم فقد تردى فى مهاوى الردى وشرح صدره عليه الصلاة والسلام بما فى تضاعيف تلك

أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حِدَادٍ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾

٢٧ النمل

القصص من فنون المعارف الربانية ونور قلبه بأنوار الملكات السبعانية الفائضة من عالم القدس وقرر بذلك فخرى مانطق به قوله عز وجل وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم أمره عليه الصلاة والسلام بأن يحمده تعالى على ما أفاض عليه من تلك النعم التي لا مطمع وراءها لطامع ولا مطمع من دونها لطامح ويسلم على كافة الأنبياء الذين من جملتهم الذين قصت عليه أخبارهم التي هي من جملة المعارف التي أوحيت إليه عليه الصلاة والسلام أداء لحق تقدمهم واجتهادهم في الدين وقيل هو أمر للوط عليه السلام بأن يحمده تعالى على إهلاك كفره قومه ويسلم على من اصطفاها بالعصمة عن الفواحش والنجاة عن الهلاك ولا يخفى بعده (آفه خير أما يشركون) أي آفه الذي ذكرت شتونه العظيمة خيراً أم ما يشركونه به تعالى من الأصنام ومرجع التردد إلى التعريض بالتبكي الكفرة من جهته تعالى وتسفيه آرائهم الركيكة والنهك بهم لإذ من البين أن ليس فيما أشركوه به تعالى شائبة خير ما حتى يمكن أن يوازن بينه وبين من لا خير إلا خيره ولا إله غيره وقرىء تشركون بالتاء الفوقانية بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه إلى الكفرة وهو الالتيق بما بعده من سياق النظم الكريم المبني على خطابهم وجعله من جملة القول المأثور به يأباه قوله تعالى فأنبتنا الخ فإنه صريح في أن التبكي من قبله عز وجل بالذات وحله على أنه حكاية منه عليه الصلاة والسلام لما أمر به بعبادته كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم تعسف ظاهر من غير داع إليه وأم في قوله تعالى (أم من خلق السموات والأرض) منقطعة وما فيها من كلمة بل على القراءة الأولى ٦٠ للإضراب والانتقال من التبكي تعريضاً إلى التصريح به خطاباً على وجه أظهر منه لمزيد التأكيد والتشديد وأما على القراءة الثانية فالتثنية التبكي وتكرير الإلزام كمنظورها الآتية والهمزة لتقريرهم أي حملهم على الإقرار بالحق على وجه الاضطرار فإنه لا يتملك أحد ممن له أدنى تمييز ولا يقدر على أن لا يعترف بخيرية من خلق جميع المخلوقات وأفاض على كل منها ما يليق به من منافع من أخس تلك المخلوقات وأدناها بل بأن لا خيرية فيه بوجه من الوجوه قطعاً ومن مبتدأ خبره محذوف مع أم المعادلة للهمزة تعويلاً على ما سبق في الاستفهام الأول خلا أن تشركون ههنا ابتداء الخطاب على القراءةتين معاً وههنا في المواضع الأربعة الآتية والمعنى بل أم من خلق قطري العالم الجسماني وههنا أي منافع ما بينهما (وأُنزل لكم) التفات إلى خطاب الكفرة على القراءة الأولى للتشديد والتبكي والإلزام أي أنزل لآجلكم ومنفعتكم (من السماء ماء) أي نوعاً منه هو المطر (فأنبتنا به حداد) أي بساتين محدق ومحاطة بالحوائط (ذات بهجة) أي ذات حسن ورونق يبتهج به النظر (ما كان لكم) أي ما يمكن لكم (أن تنبتوا شجرها) فضلاهن ثمرها وسائر صفاتها البديعة خيراً أم ما تشركون وقرىء آمن بالتخفيف على أنه بدل من الله وتقديم صلتى الإنزال على مفعوله لما مر مراراً من التشويق إلى المؤخر والالتفات إلى التكلم في

أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا
أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾

٢٧ النمل

قوله تعالى فأنبتنا لتأكيد اختصاص الفعل بذاته تعالى والإبذان بأن إنبات تلك الحدائق المختلفة الأصناف والأوصاف والألوان والطعوم والروائح والأشكال مع ما لها من الحسن البارِع والبهاء الرائع بماء واحد مما لا يكاد يقدر عليه إلا هو وحده حسبما ينبغي عنه تقييدها بقوله تعالى ما كان لكم الخ سواء كانت صفة لها أو حالا وتوحيد وصفها الأول أعنى ذات بهجة لما أن المعنى جماعة حدائق ذات بهجة على نهج قولهم النساء ذهبت وكذا الحال في ضمير شجرها (إله مع الله) أى إله آخر كائن مع الله الذى ذكر بعض أفعاله التى لا يكاد يقدر عليها غيره حتى يتوهم جعله شريكا له تعالى فى العبادة وهذا تبكيت لهم بنفى الألوهية عما يشركونه به تعالى فى ضمن النفي الكلى على الطريقة البرهانية بعد تبكيتهم بنفى الخيرية عنه بما ذكر من الترديد فإن أحداً ممن له تمييز فى الجملة كما لا يقدر على إنكار انتفاء الخيرية عنه بالمرة لا يكاد يقدر على إنكار انتفاء الألوهية عنه رأساً لا سيما بعد ملاحظة انتفاء أحكامها عما سواه تعالى وهكذا الحال فى المواقع الأربعة الآتية وقيل المراد نفي أن يكون معه تعالى إله آخر فيما ذكر من الخلق وما عطف عليه لكن لا على أن التبكيت بنفس ذلك النفي فقط كيف لا وهم لا ينكرونه حسبما ينطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله بل بإشرافهم به تعالى فى العبادة ما يعترفون بعدم مشاركته له تعالى فيما ذكر من لوازم الألوهية كأنه قيل إله آخر مع الله فى خواص الألوهية حتى يجعل شريكاً له تعالى فى العبادة وقيل المعنى أغیره يقرن به ويجعل له شريكاً فى العبادة مع تفرد تعالى بالخلق والتكوين فالإنكار للتوبيخ والتبكيت مع تحقيق المنكر دون النفي كما فى الوجهين السابقين والأول هو الأظهر الموافق لقوله تعالى وما كان معه من إله والأوفى بحق المقام لإفادته نفي وجود إله آخر معه تعالى رأساً لا نفي معيته فى الخلق وفروعه فقط وقرئ آله بتوسيط مدة بين الهمزتين • وبإخراج الثانية بين بين وقرئ ألهاً بإضمار فعل يناسب المقام مثل أندعون أو أشركون (بل هم قوم يعدلون) لإضراب وانتقال من تبكيتهم بطريق الخطاب إلى بيان سوء حالهم وحكايتهم لغيرهم أى بل هم قوم عادتهم العدول عن طريق الحق بالكلية والانحراف عن الاستقامة فى كل أمر من الأمور فلذلك يفعلون ما يفعلون من العدول عن الحق الواضح الذى هو التوحيد والعكوف على الباطل البين الذى هو الإشراك وقيل يعدلون به تعالى غيره وهو بعيد خال عن الإفادة (أم من جعل الأرض قراراً) قيل هو بدل من أم من خلق السموات الخ وكنا ما بعده من الجمل الثلاث وحكم الكل واحد والأظهر أن كل واحدة منها لإضراب وانتقال من التبكيت بما قبلها إلى التبكيت بوجه آخر أدخل فى الإلزام بحجة من الجهات أى جعلها بحيث يستقر عليها الإنسان والدواب بإيداء بعضها من الماء ودحوها وتسويتها حسبما تدور عليه منافعهم (وجعل خلاها) أو ساطها (أنهاراً) جارية ينتفعون بها

أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَئَلَّهُ مَعَ الْقَلِيلِ
مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾

٢٧ النمل

أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَئَلَّهُ مَعَ الْقَلِيلِ
تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾

٢٧ النمل

(وجعل لها رواسي) أى جبالاً ثوابت تمنعها أن تميد بأهلها ويتكون فيها المعادن وينبع في حضيضها
الينابيع ويتعلق بها من المصالح مالا يحصى (وجعل بين البحرين) أى العذب والمالح أو خليجي فارس
والروم (حاجزاً) برزخاً مانعاً من الممازجة وقد مر في سورة الفرقان والجعل في المواقع الثلاثة الأخيرة
إبداعاً وتأخير مفعوله عن الظرف لما مر مراراً من التشويق (إله مع الله) في الوجود أو في إبداع هذه
البدائع على ما مر (بل أكثرهم لا يعلمون) أى شيئاً من الأشياء. ولذلك لا يفهمون بطلان ما هم عليه من
الشرك مع كمال ظهوره (أم من يجيب المضطر إذا دعاه) وهو الذى أحوجته شدة من الشدائد وألجأته إلى
اللجأ والضراعة إلى الله عز وجل اسم مفعول من الاضطرار الذى هو افتعال من الضرورة وعن ابن
عباس رضى الله تعالى عنهما هو المجهود وعن السدى رحمه الله تعالى من لا حول له ولا قوة وقيل المذنب
إذا استغفر واللام للجنس لا للاستغراق حتى يلزم إجابة كل مضطر (ويكشف السوء) وهو الذى يعترى
الإنسان مما يسوءه (ويجعلكم خلفاء الأرض) أى خلفاء فيها بأن ورثكم سكنها والتصرف فيها عن
قبلكم من الأمم وقيل المراد بالخلافة الملك والتسلط (إله مع الله) الذى يقبض على كافة الأنام هذه النعم
الجسام (قليلاً ما تذكرون) أى تذكر أقليلاً أو زماناً قليلاً تذكرون وما مزيدة لتأكيد معنى القلة التى
أريد بها العدم أو ما يجرى مجراه في الحقارة وعدم الجدوى وفي تذييل الكلام بنفي التذكر عنهم إيدان بأن
مضمونه مركوز في ذهن كل ذكى وغبى وأنه من الواضح بحيث لا يتوقف إلا على التوجه إليه وتذكره
وقرى. تذكرون على الأصل وتذكرون ويذكرون بالثناء والياء مع الإدغام (أم من يهديكم في ظلمات
البر والبحر) أى في ظلمات الليالى فيهما على أن الإضافة للملابسة أو فى مشتهات الطارق يقال طريقة ظلمات
وعصياء للئى لا منار بها (ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته) وهى المطر ولئن صح أن السبب
الأكثرى في تكون الرياح معاودة الأذخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتموجها للهواء
فلا ريب في أن الأسباب الفاعلية والقابلية لذلك كله من خلق الله عز وجل والفاعل للسبب فاعل
للسبب قطعاً (إله مع الله) نفى لأن يكون معه إله آخر وقوله تعالى (تعالى الله عما يشركون) تقرير
وتحقيق له وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار للإشعار بعلو الحكم أى تعالى وتزه بذاته المنفردة
بالألوهية المستتبعة لجميع صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال المقتضية لكون كل المخلوقات مقهوراً
تحت قدرته عما يشركون أى عن وجود ما يشركونه به تعالى لا مطلقاً فإن وجوده بما لا مرد له بل عن

أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَعْلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾

٢٧ النمل

قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾

٢٧ النمل

بَلْ أَدْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾

٢٧ النمل

- ٦٤ وجوده بعنوان كونه إلهاً وشريكاً له تعالى أو عن إشراكهم (أم من يبدأ الخلق ثم يعيده) أي بل أمن يبدأ الخلق ثم يعيده بعد الموت بالبعث (ومن يرزقكم من السماء والأرض) أي بأسباب سماوية وأرضية قدرتها على ترتيب بديع تقضيه الحكمة التي عليها بنى أمر التكوين خير أم ما نشر كونه به في العبادة من جمل لا يتوهم قدرته على شيء ما أصلاً (إله) آخر موجود (مع الله) حتى يجعل شريكاً له في العبادة وقوله تعالى (قل هاتوا برهانكم) أمره عليه الصلاة والسلام بذبكيتهم لإثربكيت أي هاتوا برهاناً عقلياً أو نقلياً يدل على أن معه تعالى إلهاً لا على أن غيره تعالى يقدر على شيء مما ذكر من أفعاله تعالى كما قيل فإنهم لا يدعونه صريحاً ولا يلزمون كونه من لوازم الألوهية وإن كان منها في الحقيقة فطالبتهم بالبرهان عليه لا على صريح دعواهم مما لا وجه له وفي إضافة البرهان إلى ضميرهم تهكم بهم لما فيها من إيهام أن لهم برهاناً وأن لهم ذلك (إن كنتم صادقين) أي في تلك الدعوى (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله) بعدما حقق تفرد تعالى بالألوهية ببيان اختصاصه بالقدرة الكاملة التامة والرحمة الشاملة العامة عقبه بذكر ماهو من لوازمه وهو اختصاصه بعلم الغيب تكميلاً لما قبله وتمهيداً لما بعده من أمر البعث والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التيميمية للدلالة على استحالة علم الغيب من أهل السموات والأرض بتعليقه بكونه سبحانه وتعالى منهم كأنه قيل إن كان الله تعالى بمن فيهما فقيهم من يعلم الغيب أو متصل على أن المراد بمن في السموات والأرض من تعلق عليه بهما واطلع عليهما اطلاع الحاضر فيهما فإن ذلك معنى مجازى عام له تعالى ولأولى العلم من خلقه ومن موصولة أو موصوفة (وما يشعرون أيان يبعثون) أي متى ينشرون من القبور مع كونه ما لا بد لهم منه ومن أهم الأمور عندهم وأيان مركبة من أي وآن وقرئ بكسر الهمزة والضمير للكفرة وإن كان عدم الشعور بما ذكر عاماً لئلا يلزم التفكيك بينه وبين ماسياني من الضمائر الخاصة بهم قطعاً وقيل الكل لمن وإسناد خواص الكفرة إلى الجميع من قبيل قولهم بنو فلان فعلوا كذا والفاعل بعض منهم (بل أدرك عليهم في الآخرة) لما نفي عنهم علم الغيب وأكد ذلك بنفي شعورهم بوقت ماهو مصيرهم لآماله بواغ في تأكيدهم وتقريره بأن أضر به عنه وبين أنهم في جهل الخش من جهلهم بوقت بعثهم حيث لا يعلمون أحوال الآخرة مطلقاً مع تعاضد أسباب معرفتها على أن معنى أدرك عليهم في الآخرة تدارك وتتابع علمهم في شأن الآخرة التي ما ذكر من البعث حال من أحوالها حتى انقطع ولم يبق لهم علم بشيء مما سيكون فيها قطعاً لكن لا على معنى أنه

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا إِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾

كان لهم علم بذلك على الحقيقة ثم انتفى شيئاً فشيئاً بل على طريقة المجاز بتنزيل أسباب العلم ومبادئه من الدلائل العقلية والسمعية منزلة نفسه وإجراء تساقطها عن درجة اعتبارهم كلها لاحظوها مجرى تنابها إلى الانقطاع ثم أضرب وانتقل عن بيان عدم علمهم بها إلى بيان ما هو أسوأ منه وهو حيرتهم في ذلك حيث قيل (بل هم في شك منها) أى في شك مرئى من نفس الآخرة وتحققها كمن تحير في * أمر لا يجد عليه دليلاً فضلاً عن الأمور التي ستقع فيها ثم أضرب عن ذلك إلى بيان أن ما هم فيه أشد وأفظع من الشك حيث قيل (بل هم منها عمون) بحيث لا يكادون يدركون دلائلها لاختلال بصائرهم * بالسكبة وقرئ بل أدرك علمهم بمعنى انتهى وفقى وقد فسر الحسن البصري باضمحل علمهم وقيل كلنا الصيغتين على معنهما الظاهر أى تكامل واستحكم أو تم أسباب علمهم بأن القيامة كائنة لا محالة من الآيات القاطعة والحجج الساطعة وتمسكوا من المعرفة فضل تمكن وهم جاهلون في ذلك وقوله تعالى بل هم في شك منها لإضراب وانتقال من وصفهم بمطلق الجهل إلى وصفهم بالشك وقوله تعالى بل هم منها عمون لإضراب من وصفهم بالشك إلى وصفهم بما هو أشد منه وأفظع من العمى وأنت خير بأن تنزيل أسباب العلم منزلة العلم سنن مسلوكة لكن دلالة النظم الكريم على جهلهم حينئذ ليست بواضحة وقيل المراد بوصفهم باستحكام العلم وتكامله التهمك بهم فيكون وصفهم بالجهل مبالغة والإضرابان على ما ذكرنا أصل ادراك تدارك وبه قرأ أبى فابدت التاء دالا وسكنت فتعذر الابداء فاجتلبت همزة الوصل فصار ادراك وقرئ بل ادرك وأصله افتعل وبل أدرك بهمزتين وبل أدرك بالالف بينهما وبل ادرك بالانخفيف والنقل وبل ادرك بفتح اللام وتشديد الدال وأصله بل ادرك على الاستفهام وبل ادرك وبل ادرك وأم تدارك وأم ادرك فهذه ثنتا عشرة قراءة فما فيه استفهام صريح أو مضمن من ذلك فهو إنكار ونفى وما فيه بلى فإثبات لشعورهم وتفسير له بالإدراك على وجه التهمك الذى هو أبلغ وجوه النفي والإنكار وما بعده إضراب عن التفسير مبالغة في النفي ودلالة على أن شعورهم بها أنهم شاكون فيها بل أنهم منها عمون أو رد وإنكار لشعورهم (وقال الذين كفروا) بيان لجهلهم بالآخرة وعمهم منها بحكاية إنكارهم للبعث ووضع الموصول ٦٧ موضع ضميرهم لدمهم بما في حيز صلاته والإشعار بعلّة حكمهم الباطل في قولهم (أنذا كنا تراباً وآباؤنا أنما نخرج من القبور إذا كنا تراباً كما ينبي عنه مخرجون ولا مساغ لأن يكون هو العامل في إذا لاجتماع موانع لو تفرد واحد منها الكفى في المنع وتقييد الإخراج بوقت كونهم تراباً ليس لتخصيص الإنكار بالإخراج حينئذ فقط فإنهم منسكرون للإحياء بعد الموت مطلقاً وإن كان البدن على حاله بل لتقوية الإنكار بتوجيهه إلى الإخراج في حالة منافية له وقوله تعالى وآباؤنا عطف على اسم كان وقام الفصل مع الخبر مقام الفصل بالتأكيد وتكرير الهمزة في أننا للمبالغة والتشديد في الإنكار وتحلية الجملة بأن واللام لتأكيد الإنكار لا لإنكار التأكيد كما يوهمه ظاهر النظم فإن تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في قوله تعالى أفلا تعقلون ونظائره على رأى الجمهور فإن المعنى عندهم تعقيب الإنكار لا لإنكار التعقيب كما هو المشهور

٢٧ النمل

لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾

٢٧ النمل

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾

٢٧ النمل

وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾

٢٧ النمل

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾

٢٧ النمل

قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾

٢٧ النمل

وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾

- ٦٨ وقرئ إذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرئ إنا نخرجون على الخبر (لقد وعدنا هذا) أى الإخراج (نحن وآباؤنا من قبل) أى من قبل وعده عليه الصلاة والسلام وتقديم الموعود على نحن لأنه المقصود بالذکر وحيث أخر قصد به المبعوث والجملة استئناف مسوق لتقرير الإنكار وتصديرها بالقسم لزيد التأكيد وقوله تعالى (إن هذا إلا أساطير الأولين) تقرير لآخر تقرير (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) بسبب تكذيبهم للرسل عليهم الصلاة والسلام فيما دعواهم إليه من الإيمان بالله عز وجل وحده وبالיום الآخر الذى تنكرونه فإن في مشاهدة عاقبتهم ما فيه كفاية لأولى الأبصار وفي التعبير عن المكذبين بالمجرمين لطف بالمؤمنين في ترك الجرائم (ولا تحزن عليهم) لإصرارهم على الكفر والتكذيب (ولا تكن ضيق) في حرج صدر (نما يَمْكُرُونَ) من مكرهم فإن الله تعالى يعصمك من الناس وقرئ بكسر الضاد وهو أيضاً مصدر ويجوز أن يكون المفتوح مخففاً من ضيق وقد قرئ كذلك أى لا تكن في أمر ضيق (ويقولون متى هذا الوعد) أى العذاب العاجل الموعود (إن كنتم صادقين) فى إخباركم بإتيانه والجمع باعتبار شركة المؤمنين فى الإخبار بذلك (قل عسى أن يكون ردف لكم) أى تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتأكيد كالباء فى قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة أو الفعل مضمن معنى فعل يمدى باللام وقرئ بفتح الدال وهى لغة فيه (بعض الذى تستعجلون) وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف فى موايد الملوك بمنزلة الجزم بها وإنما يطلقونها لإظهار اللوقار وإشعاراً بأن الرمز من أمثالهم كالتهريج من عدام وعلى ذلك مجرى وعد الله تعالى ووعيده وإيثار ما عليه النظم الكريم على أن يقال عسى أن يردفكم الخ لكونه أدل على تحقق الوعد (وإن ربك لذو فضل على الناس) أى لذو أفضال وإنعام على كافة الناس ومن جملة إنعاماته تأخير عقوبة هؤلاء على ما يرتكبونه من المعاصى التى من جملتها استعجال العذاب (ولكن أكثرهم لا يشكرون) لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون بجهلهم وقوعه كدأب هؤلاء.

- وَأَنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ ٢٧ النمل
- وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٧٥﴾ ٢٧ النمل
- إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ ٢٧ النمل
- وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ ٢٧ النمل
- إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ ٢٧ النمل
- فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ ٢٧ النمل
- إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمِعُ الْقُتَمَ الدَّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ ٢٧ النمل

- ٧٤ (وإن ربك ليعلم ما تكمن صدورهم) أى ما تخفيه وقرىء بفتح التاء من كنهت الشيء إذا سترته (وما يعلنون) من الأفعال والأقوال التى من جملتها ما حكى عنهم من استعجال العذاب وفيه إيدان بأن لهم قبائح غير ما يظهرونه وأنه تعالى يجازيهم على الكل وتقديم السر على العلن قدم سره فى سورة البقرة عند قوله تعالى
- أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون (وما من غائبة فى السماء والأرض) أى من خافية فيهما ٧٥ وهما من الصفات الغالبة والتاء للبالغة كما فى الرواية أو اسمان لما يغيب ويخفى والتاء للنقل إلى الاسمية (إلا فى كتاب مبين) أى بين أو مبين لما فيه لمن يطالعه وهو اللوح المحفوظ وقيل هو القضاء العدل بطريق
- الاستعارة (إن هذا القرآن يفض على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون) من جملته ما اختلفوا فى ٧٦ شأن المسيح وتحزبوا فيه أحزاباً وركبوا متن العتو والغلو فى الإفراط والتفريط والتشبيه والتنزيه ووقع بينهم التناكد فى أشياء حتى بلغ المشاقة إلى حيث لعن بعضهم بعضاً وقد نزل القرآن الكريم ببيان كنه الأمر
- لو كانوا فى حيز الإنصاف (وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين) على الإطلاق فیدخل فيهم من آمن من بنى إسرائيل ٧٧ دخولا أولياً (إن ربك يقضى بينهم) أى بين بنى إسرائيل (بحكمه) بما يحكم به وهو الحق أو بحكمته ٧٨ ويؤيده أنه قرىء بحكمه (وهو العزيز) فلا يرد حكمه وقضاؤه (العليم) بجميع الأشياء التى من جملتها ما يقضى به والفاء فى قوله تعالى (فتوكل على الله) لترتيب الأمر على ما ذكر من شئونه عز وجل فإنها ٧٩ موجبة للتوكل عليه وداعية إلى الأمر به أى فتوكل على الله الذى هذا شأنه فإنه موجب على كل أحد أن يتوكل عليه ويفوض جميع أموره إليه وقوله تعالى (إنك على الحق المبين) تعليل صريح للتوكل عليه تعالى بكونه عليه الصلاة والسلام على الحق البين أو الفاصل بينه وبين الباطل أو بين الحق والمبطل فإن كونه عليه الصلاة والسلام كذلك مما يوجب الوثوق بحفظه تعالى ونصرتة وتأيدته لا محالة وقوله تعالى (إنك ٨٠

وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِعَايَتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ٢٧ النمل
وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِعَايَتِنَا
لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ٢٧ النمل

لا تسمع الموتى (الح تعليل آخر للتوكل الذي هو عبارة عن التبتل إلى الله تعالى وتفويض الأمر إليه والإعراض عن التشبث بما سواه وقد علل أولاً بما يوجهه من جهة تعالى أغنى قضاءه بالحق وعزته وعلمه تعالى وثانياً بما يوجهه من جهة عليه الصلاة والسلام على أحد الوجهين أغنى كونه عليه الصلاة والسلام على الحق ومن جهة تعالى على الوجه الآخر أغنى إعانتة تعالى وتأيدده بالحق ثم علل ثالثاً بما يوجهه لكن لا بالذات بل بواسطة إيجابه للإعراض عن التشبث بما سواه تعالى فإن كونهم كالموتى والصم والعمى موجب لقطع الطمع عن مشايعتهم ومعاضدتهم رأساً وداع إلى تخصيص الاعتصاف به تعالى وهو المعنى بالتوكل عليه تعالى وإنما شبهوا بالموتى لعدم تأثرهم بما يتلى عليهم من القوارع وإطلاق الإسماع عن المفحول إيمان عدم سماعهم لشيء من المسموعات ولعل المراد تشبيه قلوبهم بالموتى فيما ذكر من عدم الشعور فإن القلب مشعر من المشاعر أشير إلى بطلانه بالمرّة ثم بين بطلان مشعري الأذن والعين كافي قوله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ولا فبعد تشبيه أنفسهم بالموتى لا يظهر لتشبيههم بالصم والعمى مز يد مزبة (ولا تسمع الصم الدعاء) أى الدعوة إلى أمر من الأمور وتقييد النفي بقوله تعالى (إذا ولوا مدبرين) لتكميل التشبيه وتأكيده النفي فإنهم مع صممهم عن الدعاء إلى الحق معرضون عن الداعى مولون على أديارهم ولا ريب فى أن الأصم لا يسمع الدعاء مع كون الداعى بمقابلة صماخه قريباً منه فكيف إذا كان خلفه بعيداً منه وقرىء ولا يسمع الصم الدعاء (وما أنت بهادى العمى عن ضلالهم) هداية موصلة إلى المطلوب كما فى قوله تعالى إنك لا تهدى من أحببت فإن الاهتداء منوط بالبصر وعن متعلقة بالهداية باعتبار تضمينه معنى الصرف وقيل بالعمى يقال عمى عن كذا وفيه بعد وإيراد الجملة الاسمية للبالغة فى نفي الهداية وقرىء وما أنت تهدى العمى (إن تسمع) أى ما تسمع سماعاً يجدى السامع نفعاً (إلا من يؤمن بآياتنا) أى من شأنهم الإيمان بها وإيراد الإسماع فى النفي والإثبات دون الهداية مع قربها بأن يقال إن تهدى إلا من يؤمن إلخ لما أن طريق الهداية هو إسماع الآيات التنزيلية (فهم مسلمون) تعليل لإيمانهم بها كأنه قيل فإنهم منقادون للحق وقيل مخلصون لله تعالى من قوله تعالى بلى من أسلم وجهه لله (وإذا وقع القول عليهم) بيان لما أشير إليه بقوله تعالى بعض الذى تستعجلون من بقية ما يستعجلونه من الساعة ومبادئها والمراد بالقول ما نطق من الآيات الكريمة بمجيء الساعة وما فيها من فنون الأحوال التى كانوا يستعجلونها وبوقوعه قيامها وحصولها عبر عن ذلك به للإيضاح بشدة وقعها وتأثيرها وإسناده إلى القول لما أن المراد بيان وقوعها من حيث إنها مصداق للقول الناطق بمجيئها وقد أريد بالوقوع دنوه واقتربه كما فى قوله تعالى أتى أمر الله أى إذا دنا وقوع مدلول القول

المذكور الذي لا يكادون يسمعون له ومصدقه (أخرجنا لهم دابة من الأرض) وهي الجساسة وفي التعبير عنها باسم الجنس وتأكيدهما بالتنبؤ والتفخييم من الدلالة على غرابة شأنها وخروج أوصافها عن طور البيان مالا يخفى وقد ورد في الحديث أن طولها ستون ذراعاً لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروى أن لها أربع قوائم ولها زغب وریش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن أيل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخالصة هرة وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعاً بذراع آدم عليه السلام وقال وهب وجهها وجه الرجل وباقي خلقها خلق الطير وروى عن علي رضي الله عنه أنه قال ليس بدابة لها ذنب ولكن لها الحية كأنه يشير إلى أنه رجل والمشهور أنها دابة وروى لا تخرج إلا رأسها ورأسها يبلغ عنان السماء أو يبلغ السحاب وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه فيها كل لون ما بين قرنهما فرسخ للراكب وعن الحسن رضي الله عنه لا يتم خروجها إلا بعد ثلاثة أيام وعن علي رضي الله عنه أنها تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج كل يوم إلا ثلثها وعن النبي ﷺ أنه سئل من أين تخرج الدابة فقال من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى يعني المسجد الحرام وروى أنها تخرج ثلاث خرجات تخرج بأقصى اليمن ثم تتكئ ثم تخرج بالبادية ثم تتكئ دهر أطول يلاقيها الناس في أعظم المساجد حرمة على الله تعالى وأكرمها فما يهولهم إلا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا وروى ينعاسي عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ تضطرب الأرض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسمى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام فتضرب المؤمن في مسجده بالعصا فتسكت نكتة يبضاء فتنفشو حتى يضيء لها وجهه وتسكت بين عينيها مؤمن وتسكت الكافر بالخاتم في أنفه فتنفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتسكت بين عينيها كافر ثم تقول لهم أنت يا فلان من أهل الجنة وأنت يا فلان من أهل النار وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال إن الدابة لتسمع قرع عصا هذه وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال بنس الشعب شعب أجياد مرتين أو ثلاثاً قيل ولم ذاك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعه من بين الحافقين فتتكلم بالعربية بلسان ذلك وذلك قوله تعالى (تكلمهم أن الناس كانوا أباياتنا لا يوقنون) أي تكلمهم بأنهم كانوا لا يوقنون بآيات الله تعالى الناطقة بمجيء الساعة ومباديها أو بجميع آياته التي من جملتها تلك الآيات وقيل بآياته التي من جملتها خروجها بين يدي الساعة والأول هو الحق كما ستحيط به علماً وقرئ بأن الناس الآية وإضافة الآيات إلى نون العظمة لأنها حكاية منه تعالى لمعنى قولها لالعين عبارتها وقيل لأنها حكاية منها لقول الله عز وجل وقيل لا اختصاصاً به تعالى وإثرتها عنده كما يقول بعض خواص الملك خيلنا وبلادنا وإنما الخيل والبلاد لمولاه وقيل هناك مضاف محذوف أي بآيات ربنا ووصفهم بعدم الإيقان بها مع أنهم كانوا جاحدين بها للإيذان بأنه كان من حقهم أن يوقنوا بها ويقطعوا بصحتها وقد اتصفوا بنقيضه وقرئ إن الناس بالسكسر على إضمار القول أو لإجراء الكلام مجراه والكلام في الإضافة كالذي سبق وقيل هو استئناف مسوق من جهته تعالى لتعليل إخراجها أو تكليمها ويرده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل

وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ ٢٧ النمل

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلَّأَ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ ٢٧ النمل

وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾ ٢٧ النمل

فإنه صريح في كونه حكاية لعدم إيقانهم السابق في الدنيا والمراد بالناس إما الكفرة على الإطلاق أو مشركو مكة وقد روى عن وهب أنها تخبر كل من تراه أن أهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون وقرىء تكلمهم من الكلام الذي هو الجرح والمراد به ما نقل من الوسم بالعصا والخاتم وقد جوز كون القراءة المشهورة أيضاً منه لمعنى التكثير ولا يخفى بعده (ويوم نحشر من كل أمة فوجاً) بيان لإجمالى لحال المكذبين عند قيام الساعة بعد بيان بعض مبادئها ويوم منصوب بمضمر خوطب به النبي ﷺ والمراد بهذا الحشر هو الحشر للعذاب بعد الحشر الكلى الشامل لكافة الخلق وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت مع أن المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيان سره مراراً أى واذكر لهم وقت حشرنا أى جمعنا من كل أمة من أمم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أو من أهل كل قرن من القرون جماعة كثيرة فمن تبعضية لأن كل أمة منقسمة إلى مصدق ومكذب وقوله تعالى (من يكذب بآياتنا) بيان للفوج أى فوجاً مكذبين بها (فهم يوزعون) أى يحبس أو لمهم على آخرهم حتى يتلاحقوا ويجمعوا في موقف التوبيخ والمنافشة وفيه من الدلالة على كثرة عددهم وتباعد أطرافهم ما لا يخفى وعن ابن عباس رضى الله عنهما أبو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي أهل مكة وهكذا يحشر قادة سائر الأمم بين أيديهم إلى النار (حتى إذا جاءوا) إلى موقف السؤال والجواب والمنافشة والحساب (قال) أى الله عز وجل موضحاً لهم على التكذيب والاتفات لتربية المهابة (أكذبتهم بآياتي) الناطقة بلفظه يومكم هذا وقوله تعالى (ولم تحيطوا بها علماً) جملة حالية مفيدة لزيادة شناعة التكذيب وغاية قبحه ومؤكدة للإنكار والتوبيخ أى أكذبتهم بها بآياتي غير ناظرين فيها نظر أى أدى إلى العلم بكنها وأنها حقيقة بالتصديق حتماً وهذا نص في أن المراد بالآيات فيها سلف في الموضعين هى الآيات القرآنية لأنها هى المنظوية على دلائل الصحة وشواهد الصدق التى لم يحيطوا بها علماً مع وجوب أن يتأملوا ويتدبروا فيها لا نفس الساعة وما فيها وقيل هو معطوف على كذبتهم أى أجمعتم بين التكذيب وعدم التدبر بها (أم ماذا كنتم تعملون) أى أم أى شئ كنتم تعملون بها أو أم أى شئ كنتم تعملون غير ذلك بمعنى أنه لم يكن لهم عمل غير ذلك كأنهم لم يخلقوا إلا للكفر والمعاصي مع أنهم ما خلقوا إلا للإيمان والطاعة يخاطبون بذلك تبكياً ثم يكون في النار وذلك قوله تعالى (ووقع القول عليهم) أى حل بهم العذاب الذى هو مدلول القول الناطق بحلوه ونزوله (بما ظلموا) بسبب ظلمهم الذى هو تكذيبهم بآيات الله (فهم لا ينطقون) لانقطاعهم عن الجواب بالكلية وابتلائهم بشغل شاغل من العذاب الاليم .

الرَّيْرُو أَنَا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ ٢٧ النمل
وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ
أُنْتَاهُ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾ ٢٧ النمل

- ٨٦ (ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه) الرؤية قلبية لا بصرية لأن نفس الليل والنهار وإن كانا من المبصرات لكن جعلهما كما ذكر من قبيل المعقولات أى ألم يعلموا أنا جعلنا الليل بما فيه من الإظلام ليستريحوا فيه بالنوم والقرار (والنهار مبصراً) أى ليبصروا بما فيه من الإضاءة طرق القلب في أمور المعاش فبواغ فيه حيث جعل الإبصار الذى هو حال الناس حالاً له ووصفاً من أوصافه التى جعل عليها بحيث لا ينفك عنها ولم يسلك فى الليل هذا المسلك لما أن تأثير ظلام الليل فى السكون ليس بمثابة تأثير ضوء النهار فى الإبصار (إن فى ذلك) أى فى جعلهما كما وصفاً وما فى اسم الإشارة من معنى البعد للإشعار ببعد درجته فى الفضل (لآيات) أى عظيمة كثيرة (لقوم يؤمنون) دالة على صحة البعث وصدق الآيات الناطقة به دلالة واضحة كيف لا وأن من تأمل فى تعاقب الليل والنهار واختلافهما على وجوه بدعية مبنية على حكم رائفة تحار فى فهمها العقول ولا يحيط بها إلا الله عز وجل وشاهد فى الأفاق تبدل ظلمة الليل المحاكية للدموت بضياء النهار المضاهى للحياة وعان فى نفسه تبدل النوم الذى هو أخو الموت بالانتباه الذى هو مثل الحياة قضى بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور قضاء متقناً وجزم بأنه تعالى قد جعل هذا أنموذجاً له ودليلاً يستدل به على تحققه وأن الآيات الناطقة به وبكون حال الليل والنهار برهاناً عليه وسائر الآيات كلها حق نازل من عند الله تعالى (ويوم ينفخ فى الصور) إما معطوف على يوم نحشر منصوب ٨٧ بتأنيده أو بمضمرة معطوف عليه والصور هو القرن الذى ينفخ فيه لإسرافيل عليه السلام . عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص بصره إلى العرش متى يؤمر قال قلت يا رسول الله ما الصور قال القرن قال قلت كيف هو قال عظيم والذى نفسى بيده إن عظم دارة فيه كعرض السماء والأرض فيؤمر بالنفخ فيه فينفخ نفخة لا يبق عندها فى الحياة أحد غير من شاء الله تعالى وذلك قوله تعالى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم يؤمر بأخرى فينفخ نفخة لا يبق معها ميت إلا بعث وقام وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون والذى يستدعيه سباق النظم الكريم وسياقه أن المراد بالنفخ ههنا النفخة الثانية وبالفزع فى قوله تعالى (ففزع من فى السموات ومن فى الأرض) ما يعترى السكل عند البعث والنشور به شهادة الأمور الهائلة الخارقة للعادات فى الأنفس والأفاق من الرعب والتهيب الضرورى بين الجبلين وإيراد صيغة الماضى مع كون المعطوف عليه أعنى نفخ مضارعاً للدلالة على تحقق وقوعه إثر النفخ ولعل تأخير بيان الأحوال الواقعة عند ابتداء النفخة عن بيان ما يقع بعدها من حشر المكذبين من كل أمة لتثنية التهويل بتكرير التذكير إيداناً بأن كل واحد منهما

وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ
بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٧﴾

٢٧ النمل

طامة كبرى وداهية دهباء حقيقة بالتذكير على حيالها ولوروعى الترتيب الوقوعى لربما توهم أن الكل
داهية واحدة قد أمر بذكرها كما مرفى قصة البقرة (إلا من شاء الله) أى أن لا يفزع قبل هم جبريل
وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل عليهم السلام وقبل الحور والحزنة وحملة العرش (وكل) أى كل واحد
من المبعوثين عند النفخة (أتوه) حضروا الموقف بين يدي رب العزة جل جلاله للسؤال والجواب
والمنافشة والحساب وقرى، أتاه باعتبار لفظ الكل كما أن القراءة الأولى باعتبار معناه وقرى، أتوه أى
حاضروه (داخرين) أى صاغرين وقرى، دخرين وقوله تعالى (وترى الجبال) عطف على بنفخ داخل
٨٨ في حكم التذكير وقوله عز وجل (تحسبها جامدة) أى ثابتة فى أما كتبها إما بدل منه أو حال من ضمير
ترى أو من مفعوله وقوله تعالى (وهي تمر مر السحاب) حال من ضمير الجبال فى تحسبها أو فى جامدة أى
تراها رأت العين ساكنة والحال أنها تمر مر السحاب التى تسيرها الرياح سيرا حثيثا وذلك أن الأجرام
العظام إذا تحركت نحر سميت لا تكاد تتبين حركتها وعليه قول من قال [بار عن مثل الطود تحسب أنهم *
وقوف للحاج والركاب تهمليج] وقد أدمج فى هذا التشبيه حال الجبال بحال السحاب فى تداخل الأجزاء
وانتفاشها كما فى قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش وهذا أيضاً مما يقع بعد النفخة الثانية عند حشر
الخلق بيد الله عز وجل الأرض غير الأرض ويغير هيأتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من
الهيئة المائلة ليشاهدها أهل المحشروهي وإن اندكت وتصدعت عند النفخة الأولى لكن تسيرها وتسوية
الأرض إنما يكونان بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً
فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً يومئذ يتبعون الداعى وقوله تعالى يوم تبدل الأرض غير
الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار فإن اتباع الداعى الذى هو إسرافيل عليه السلام وبروز
الخلق لله تعالى لا يكون إلا بعد النفخة الثانية وقد قالوا فى تفسير قوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى
الأرض بارزة وحشرناهم أن صيغة الماضى فى المعطوف مع كون المعطوف عليه مستقبلاً للدلالة على تقدم
الحشر على التسير والرؤية كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك هذا وقد قيل إن المراد من النفخة الأولى والفزع
هو الذى يستتبع الموت لغاية شدة الهول كما فى قوله تعالى فصعق من فى السموات ومن فى الأرض الآية
فيختص أثرها بما كان حياً عند وقوعها دون من مات قبل ذلك من الأمم وجوز أن يراد بالإتيان داخرين
رجوعهم إلى أمره تعالى وانقيادهم له ولا ريب فى أن ذلك مما ينبغى أن ينزهه ساحة التنزيل عن أمثاله وأبعد
من هذا ما قيل إن المراد بهذه النفخة نفخة الفزع التى تكون قبل نفخة الصعق وهى التى أريدت بقوله تعالى
ما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق فيسير الله تعالى عندها الجبال فتمر مر السحاب فتكون
سراباً وترج الأرض بأهلها رجا فتكون كالسفينة الموثقة فى البحر أو كالقنديل المعلق ترججه الأرواح

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴿٨٩﴾ النمل ٢٧

وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ النمل ٢٧

فإنه لما لا ارتباط له بالمقام قطعاً والحق الذي لا يحيد عنه ما قدمناه وما هو نص في الباب ما سيأتي من قوله تعالى وهم من فزع يومئذ آمنون (صنع الله) مصدر مؤن كذا يضمنون ما قبله أى صنع الله ذلك صنفاً على أنه عبارة عما ذكر من النفخ في الصور وما ترتب عليه جميعاً قصد به التنبيه على عظم شأن تلك الأفاعيل وتهويل أمرها والإيدان بأنها ليست بطريق لإخلال نظام العالم وإفساد أحوال الكائنات بالكلية من غير أن يدعو إليها داعية أو يكون لها عاقبة بل هي من قبيل بدائع صنع الله تعالى المبنية على أساس الحكمة المستتبعة للغايات الجميلة التي لا جملها ترتب مقدمات الخلق ومبادئ الإبداع على الوجه المتين والهج الرصين كما يعرب عنه قوله تعالى (الذي أتقن كل شيء) أى أحكم خلقه وسواه على ما تقتضيه الحكمة وقوله تعالى (إنه خير بما تفعلون) تعليل لكون ما ذكر صنفاً محكماً تعالى ببيان أن علمه تعالى بظواهر أفعال المكلفين وبواطنها بما يدعو إلى إظهارها وبيان كيفياتها على ما هي عليه من الحسن والسوء وترتيب أجزائها عليها بعد بعثهم وحشرهم وجعل السموات والأرض والجبال على وفق ما نطق به التبريل ليتحققوا بمشاهدة ذلك أن وعد حق لا ريب فيه وقرىء خبر بما يفعلون وقوله تعالى (من جاء بالحسنة فله خير منها) بيان لما أشير إليه ٨٩ بإحاطة علمه تعالى بأفعالهم من ترتيب أجزائها عليها أى من جاء منكم أو من أولئك الذين أتوه تعالى بالحسنة فله من الجزاء ما هو خير منها إما باعتبار أنه أضعافاً أو إما باعتبار دوامه وانقضائها وقيل فله خير حاصل من جمعتها وهو الجنة وعن ابن عباس رضى الله عنهما الحسنة كلبة الشهادة (وهم) أى الذين جاموا بالحسنات (من فزع) أى عظيم هائل لا يقادر قدره وهو الفزع الحاصل من مشاهدة العذاب بعد تمام المحاسبة وظهور الحسنات والسيئات وهو الذى فى قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الأكبر وعن الحسن رحمه الله تعالى حين يؤمر بالعباد إلى النار وقال ابن جريج حين يذبح الموت وينادى بأهل الجنة خلدوا فلا موت وبأهل النار خلدوا فلا موت (يومئذ) أى يوم الإذنفخ في الصور (آمنون) لا يعتربهم ذلك الفزع الهائل ولا يلحقهم ضرره أصلاً وأما الفزع الذى يعترى كل من فى السموات ومن فى الأرض غير من استثناه الله تعالى فإنما هو التهييب والرعب الحاصل فى ابتداء النفخة من معاينة فنون الدواهي والأحوال ولا يكاد يخلو منه أحد بحكم الجبلية وإن كان آمناً من لحوق الضرر والأمن يستعمل بالجار وبدونه كما فى قوله تعالى أفأمنوا مكر الله وقرىء من فزع يومئذ بالإضافة مع كسر الميم وفتحها أيضاً والمراد هو الفزع المذكور فى القراءة الأولى لا جميع الأفراع الحاصلة يومئذ ومدار الإضافة كونه أعظم الأفراع وأكبرها كأن ماعداه ليس بفزع بالنسبة إليه (ومن جاء بالسينة) قيل هو الشرك (فكبت وجوههم فى النار) أى كبوا فيها على ٩٠ وجوههم منكوسين أو كبت فيها أنفسهم على طريقة ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة (هل تجزون إلا ما كنتم تعملون) على الالتفات للتشديد أو على إضمار القول أى مقولاً لهم ذلك .

إِنَّمَا أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٧﴾

٢٧ النمل

وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ
الْمُنذِرِينَ ﴿٢٨﴾

٢٨ النمل

- ٩١ (إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرّمها) أمر ﷺ أن يقول لهم ذلك بعد ما بين لهم أحوال
المبدأ والمعاد وشرح أحوال القيامة تنبيهاً لهم على أنه قد أتم أمر الدعوة بما لا مزيد عليه ولم يبق له ﷺ
بعد ذلك شأن سوى الاشتغال بعبادة الله عز وجل والاستغراق في مراقبته غير مبال بهم ضلوا أم رشدوا
صلحوا أو فسدوا ليحملهم ذلك على أن يهتموا بأمور أنفسهم ولا يتوهموا من شدة اعتناهم ﷺ بأمر
دعوتهم أنه ﷺ يظهر لهم ما يلجئهم إلى الإيمان لا محالة ويستغلوا بتدارك أحوالهم ويتوجهوا نحو التدرج
فيما شاهدوه من الآيات الباهرة والبلدة هي مكة المعظمة وتخصيصها بالإضافة لتفخيم شأنها وإجلال مكانها
والتعرض لتحريمه تعالى إياها تشریف لها بعد تشریف وتعظيم لآثر تعظيم مع ما فيه من الإشعار بعلّة
الأمرو موجب الامتثال به كما في قوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من
خوف ومن الرمز إلى غاية شناعة ما فعلوا فيها ألا يرى أنهم مع كونها محرمة من أن تنتهك حرمتها باختلاء
خلالها وعسد شجرها وتنغير صيدها وإرادة الإلحاد فيها بوجه من الوجوه قد استمروا فيها على تعاطي
أجر أفراد الفجور وأشنع آحاد الإلحاد حيث تركوا عبادة ربها ونصبوا فيها الأوثان وعكفوا على
عبادتها قاتلهم الله أنى يؤفكون وقرىء حرّمها بالتخفيف وقوله تعالى (وله كل شيء) أى خلقاً وملكا
وتصرفاً من غير أن يشاركه شيء في شيء من ذلك تحقيق للحق وتنبيه على أن أفراد مكة بالإضافة لما ذكر
من التفخيم والتشريف مع عموم الربوبية لجميع الموجودات (وأمرت أن أكون من المسلمين) أى أثبت
على ما كنت عليه من كوني من جملة الثابتين على ملة الإسلام والتوحيد أى الذين أسلموا وجوههم لله
٩٢ خالصة من قوله تعالى ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله (وأن أتلوا القرآن) أى أواظب على تلاوته
لتنكشف لي حقائقه الرائعة المخزونة في تضاعيفه شيئاً فشيئاً أو على تلاوته على الناس بطريق تكرير
الدعوة ونثية الإرشاد فيكون ذلك تنبيهاً على كفايته في الهداية والإرشاد من غير حاجة إلى إظهار
معجزة أخرى فعنى قوله تعالى (فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه) حينئذ فمن اهتدى بالإيمان به والعمل
بما فيه من الشرائع والأحكام وعلى الأول فمن اهتدى باتباعه إياي فيما ذكر من العبادة والإسلام وتلاوة
القرآن فإنما منافع اهتدائه عائدة إليه لا إلى (ومن ضل) بالكفر به والإعراض عن العمل بما فيه أو
بمخالفتي فيما ذكر (فقل) في حقه (إنما أنا من المنذرين) وقد خرجت عن عمدة الإنذار فليس على من
وبال ضلاله شيء وإنما هو عليه فقط .

وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِ يَكْرَهُ آيَتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ٢٧ النمل

(وقل الحمد لله) أى على ما أفاض على من نعمائه التى أجلمها نعمة النبوة المستتبعة لفنون النعم الدينية والدينية ٩٣ ووفقى لتحمل أعبائها وتبلغ أحكامها إلى كافة الورى بالآيات البينة والبراهين النيرة وقوله تعالى (سير يكم آياته) من جملة الكلام المأمور به أى سير يكم البتة فى الدنيا آياته الباهرة التى نطق بها القرآن كخروج الدابة وسائر الأشراف وقد عد منها وقعة بدر وبأباه قوله تعالى (فتعرفونها) أى فتعرفون أنها آيات الله تعالى حين لا تنفعكم المعرفة لأنهم لا يعرفون بكون وقعة بدر كذلك وقيل سير يكم فى الآخرة وقوله تعالى (وما ربك بغافل عما تعملون) كلام مسوق من جمته تعالى بطريق التذليل مقرر لما قبله متضمن للوعد والوعيد كما ينبىء عنه إضافة الرب إلى ضمير النبى ﷺ وتخصيص الخطاب أولاً به ﷺ وتميمه ثانياً للكفرة تغليباً أى وما ربك بغافل عما تعمل أنت من الحسنات وما تعملون أنتم أيها الكفرة من السيئات فيجازى كلا منكم بعمله لا محالة وقرىء عما يعملون على الغيبة فهو وعيد محض والمعنى وما ربك بغافل عن أعمالهم فسيعذبهم البتة فلا يحسبوا أن تأخير عذابهم لغفلته تعالى عن أعمالهم الموجبة له والله تعالى أعلم . عن النبى ﷺ من قرأ سورة طس كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بسليمان وهود وصالح وإبراهيم وشعيب عليهم الصلاة والسلام ومن كذب بهم ويخرج من قبره وهو ينادى لا إله إلا الله .

(تم بحمد الله الجزء السادس ويليه الجزء السابع وأوله سورة القصص)

فهرست

الجزء السادس من تفسير قاضى القضاة أبى السعود

صفحة	صفحة
١٦٤ قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا الآية	(سورة طه)
١٧٥ د د الله نور السموات والأرض د	٢ قوله تعالى : طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى .
١٨٨ د د وأقسموا بالله جهد أيمانهم د	٢٢ د د منها خلقناكم وفيها نعيدكم الآية .
(سورة الفرقان)	٢٣ د د وما أمجلك عن قومك يا موسى .
٢٠٠ قوله تعالى : تبارك الذى نزل الفرقان الآية	٤٣ د د وعنت الوجوه للحى القيوم الآية .
[الجزء التاسع عشر]	(سورة الأنبياء - الجزء السابع عشر)
٢١٠ قوله تعالى : وقال الذين لا يرجون لقاءنا الآية	٥٣ قوله تعالى : اقرب للناس حسابهم الآية
٢٢٥ د د وهو الذى مرج البحرين د	٦٤ د د ومن يقل منهم إني إله
(سورة الشعراء)	٧٢ د د ولقد آتينا إبراهيم رشده د
٢٢٣ قوله تعالى : طسم تلك آيات الكتاب المبين .	٨١ د د وأيوب إذ نادى ربه د
٢٤٤ د د وأوحينا إلى موسى الآية	(سورة الحج)
٢٥٤ د د قالوا أنؤمن لك د	٩١ قوله تعالى : يا أيها الناس اتقوا ربكم الآية
٢٦٢ د د أوفوا الكيل ولا تكونوا د	١٠١ د د هذان خصمان اختصموا فى ربهم د
(سورة النمل)	١٠٨ د د إن الله يدافع عن الذين آمنوا د
٢٧١ قوله تعالى : طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين .	١١٦ د د ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به د
٢٨٢ د د قال سننظر أصدقت الآية .	(سورة المؤمنون - الجزء الثامن عشر)
[الجزء العشرون]	١٢٣ قوله تعالى : قد أفلح المؤمنون .
٢٩٢ قوله تعالى : فما كان جواب قومه الآية	١٣٤ د د هيات هيات لما توعدون .
٣٠٠ د د وإذا وقع القول عليهم أخرجنا د	١٤٥ د د ولو رحمنهم الآية .
(تم الفهرست)	(سورة النور)
	١٥٥ قوله تعالى : سورة أنزلناها وفرضاها الآية .

نفس السكينة

المسمى بإرشاد العقل السليم إلى مزايا الفقه الزيدية

لقاضى القضاة الإمام
أبى السعود محمد بن محمد العادى
المتوفى ١٢٨٢ هـ

الجزء البع

الناشر
دار احياء التراث العربى
بيروت - لبنان

٢٨ — سورة القصص
(مكية وهي ثمان وثمانون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٨ القصص

طسم

٢٨ القصص

تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ

٢٨ القصص

تَتْلُوَا عَلَيْهِ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَذِيعُ أِبْنَاءَهُمْ وَيَمَسُّحِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ

٢٨ القصص

وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ

٢٨ القصص

(سورة القصص)

مكية وقيل إلا قوله الذين آتيناهم الكتاب إلى قوله الجاهلين وهي ثمان وثمانون آية

- ٢٤١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (طسم) (تلك آيات الكتاب المبين) قد مر ما يتعلق به من الكلام بالإجمال
- ٣ والتفصيل في أشباهه (تتلوا عليك) أي نقرأ بواسطة جبريل عليه السلام ويجوز أن تكون التلاوة مجازاً من التنزيل (من نبأ موسى وفرعون) مفعول تتلو أي تتلوا عليه بعض نبئهما (بالحق) متعلق بمحذوف هو حال من فاعل تتلو أو من مفعوله أو صفة لمصدره أي بعض نبئهما ملتبسين أو متلبساً بالحق أو تلاوة ملتبسة بالحق (لقوم يؤمنون) متعلق بتتلوا وتخصيصهم بذلك مع عموم الدعوة والبيان للكل لأنهم المنتفعون به (إن فرعون علا في الأرض) استئناف جار مجرى التفسير للجمل الموعود وتصديره بحرف التأكيد للاعتناء بتحقيق مضمون ما بعده أي إنه تجبر وطغا في أرض مصر وجاوز الحدود المعبودة في الظلم والعدوان (وجعل أهلها شيعاً) أي فرقا يشيعونه في كل ما يريد من الشر والفساد أو يشيع بعضهم بعضاً في طاعته أو أصنافاً في استخدامه يستعمل كل صنف في عمل ويسخره فيه من بناء وحرث وحفر وغير ذلك من الأعمال الشاقة ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية أو فرقا مختلفة قد أغرى بينهم العداوة والبغضاء لثلاث تنفق كلمتهم (يستضعف طائفة منهم) وهم بنو إسرائيل والجملة إما حال من فاعل جعل أو صفة لشيعاً أو استئناف وقوله تعالى (يذبح أبنائهم ويستحي نساءهم) يدل منها وكان ذلك لما أكاها قال له يولدي بني إسرائيل مولود يذهب ملكك على يده وما ذاك إلا لغاية حققة إذ لو صدق فما فائدة القتل وإن كذب فما وجهه (إنه كان من المفسدين) أي الراسخين في الإفساد ولذلك اجتراً على مثل تلك العظيمة

وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ٢٨ القصص
وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقَبِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا
رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ٢٨ القصص

- من قتل المعصومين من أولاد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (ونريد أن نمن) أى نتفضل (على الذين استضعفوا في الأرض) على الوجه المذكور بإنجائهم من بأسه وصيغة المضارع في نريد حكاية حال ماضية وهو معطوف على إن فرعون علا الخ لتناسبهما في الوقوع في حيز التفسير للنبا أو حال من يستضعف بتقدير المبتدأ أى يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن نمن عليهم وليس من ضرورة مقارنة الإرادة للاستضعاف مقارنة المراد لهما أن تعلق الإرادة للذين تعلق استقبالي على أن منة الله تعالى عليهم بالخلاص لما كانت في شرف الوقوع جازاً إجراً وما جرى الواقع المقارن له ووضع الموصول موضع الضمير لإبانة قدر النعمة في المنة بذكر حالتهم السابقة المبينة لها (ونجعلهم أئمة) يقتدى بهم في أمور الدين بعد أن كانوا أتباعاً مسخرين لآخرين (ونجعلهم الوارثين) لجميع ما كان منتظماً في سلك ملك فرعون وقومه وراثته معودة فيا بينهم كما ينبى عنه تعريف الوارثين وتأخير ذكر وراثتهم له عن ذكر جعلهم أئمة مع تقدمها عليه زماناً لا انحطاط رتبته عن الإمامة ولثلاثاً ينفصل عنه مابعد مع كونه من روادفئه أعنى قوله تعالى (ونمكن لهم في الأرض) ٦ الخ أى نسلطهم على مصر والشام بتصرفون فيهما كيفما يشاءون وأصل التمكين أن تجعل الشيء مكاناً يتمكن فيه (ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم) أى من أولئك المستضعفين (ما كانوا يحذرون) ويجهتدون في دفعه من ذهاب ملكهم وهلكهم على يدهم ولود منهم وقرى يرى بالياء ورفع مابعد على الفاعلية (وأوحينا إلى أم موسى) بإلهام أرويا (أن أرضعيه) ما أمكنك إخفاؤه (فإذا خفت عليه) بأن يحس به الجيران عند بكانه وينموا عليه (فالقبه في اليم) في البحر وهو النيل (ولا تخافي) عليه ضيعة بالفرق ولا شدة (ولا تحزني) إن أرادوه إليك (عن قريب بحيث تأمنين عليه) وجاعلوه من المرسلين (والجملة تعليل للنهي عن الخوف والحزن وإيثار الجملة الاسمية وتصديرها بحرف التحقيق للاعتناء بتحقيق مضمونها أى إنا فاعلون لرده وجعله من المرسلين لا محالة روى أن بعض القوابل الموكلات من قبل فرعون بحبال بنى إسرائيل كانت مصافية لأم موسى عليه السلام فقالت لها لينفعني حبك اليوم فعاجلتها فلما وقع على الأرض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه في قلبها ثم قالت ما جئتكم إلا لأقبل مولودك وأخبر فرعون ولكنى وجدت لا بنك في قلبي محبة ما وجدت مثلاً لا أحد فاحفظه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقة فألقته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئاً فخرجوا وهى لا تدري مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت إليه وقد جعل الله تعالى النار عليه برداً وسلاماً فلما الخ فرعون في طلب الولدان أوحى الله تعالى إليها ما أوحى وقد روى أنها أرضعته ثلاثة أشهر في تابوت من بردى مطلى بالقار من داخله والفاء في قوله تعالى :

فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمُنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا

٢٨ القصص

خَطِيعِينَ ﴿٨﴾

وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَخَذَهُ وَلَدًا وَهُمْ

٢٨ القصص

لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾

٨

(فالتقطه آل فرعون) فصيحة مفصحة عن عطفه على جملة مترتبة على ما قبلها من الأمر بالإلقاء قد حذفتموه لا على دلالة الحال وإيداناً بكمال سرعة الامتثال أى فآلقته فى اليم بعد ما جعلته فى التابوت حسبما أمرت به فالتقطه آل فرعون أى أخذوه أخذ اعتناء به وصيانة له عن الضياع قال ابن عباس رضى الله عنهما وغيره كان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس إليه وكان بها برص شديد هجرت الأطباء عن علاجه فقالوا لا تبرأ إلا من قبل البحر يؤخذ منه شبه الإنسان يوم كذا وساعة كذا من شهر كذا حين تشرق الشمس فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ فلما كان ذلك اليوم غداً فرعون فى مجلس له على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذى كان فرعون مصر فى زمن يوسف الصديق عليه السلام وقيل كانت من بنى إسرائيل من سبط موسى عليه الصلاة والسلام وقيل كانت همتة حكاة السهيل وأقبلت بنت فرعون فى جوارىها حتى جلست على شاطئ النيل فإذا بتابوت فى النيل تضربه الأمواج فتعلق بشجرة فقال فرعون اتنوني به فابتدروا بالسفن فأحضره بين يديه فعا لجوا فتحه فلم بقدروا عليه وقصدوا كسره فأعيام فنظرت آسية فرأت نوراً فى جوف التابوت لم يره غيرهما فعالجته ففتحتة فإذا هى بصبي صغير فى مهده وإذا نور بين عينيه وهو يمص إبهامه لبناً فآلتى الله تعالى محبته فى قلوب القوم وعمدت ابنة فرعون إلى ريقه فلطخت به برصها فبرأت من ساعتها وقيل لما نظرت إلى وجهه رأت فقال الغواة من قوم فرعون إننا نظن أن هذا هو الذى نحذر منه رمى فى البحر فرقامنك فامته فهم فرعون بقتله فاستوهبته آسية فتركه كما سيأتى واللام فى قوله تعالى (ليكون لهم عدواً وحزناً) لام العاقبة أبرز مدخولها فى معرض العلة لالتقاطهم تشبيهاً له فى الترتب عليه بالفرض الحامل عليه وقرىء حزناً وهما الغتان كالسقم والسقم جعل عليه الصلاة والسلام نفس الحزن إيداناً بقوة سببته لحزنهم (إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) أى فى كل ما يأتون وما يذرون فلا غرو فى أن قتلوا لأجله ألوفاً ثم أخذوه يربونه ليسكب ويفعل بهم ما كانوا يحذرون . روى أنه ذبح فى طلبه عليه الصلاة والسلام تسعون ألف وليد أو كانوا مذنبين فعاقبهم الله تعالى بأن ربى عدوم على أيديهم فاجملة اعتراضية لتأكيد خطيئهم أو لبيان الموجب لما ابتلوا به وقرىء خاطئين على أنه تخفيف خاطئين أو على أنه بمعنى متعدين الصواب إلى الخطأ (وقالت امرأة فرعون) أى لفرعون حين أخرجه من التابوت (قرة عينى ولك) أى هو قرة عين لنا لما أنهما لما رأياه أحباؤه ولما ذكر من بره ابنته من البرص ريقه وفى الحديث أنه قال لك لالى ولو قال لى كما هو لك لهداه الله تعالى كما هداها (لا تقتلوه) خاطبته بلفظ الجمع تعظيماً ليساعدها فيما تريده (عسى

٩

وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرَجًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾

٢٨ القصص

وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيه فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾

٢٨ القصص

وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُمْ نَصِصُونَ ﴿١٢﴾

٢٨ القصص

- أن ينفعنا) فإن فيه محابيل اليمين ودلائل النجاة وذلك لما رأيت فيه من العلامات المذكورة (أو نتخذه ولداً) أى تبنيه فإنه خليف بذلك (وهم لا يشعرون) حال من آل فرعون والتقدير فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً وقالت امرأته كبت وكبت وهم لا يشعرون بأنهم على خطأ عظيم فيما صنعوا من الالتقاط ورجاء النفع منه والتبني له وقوله تعالى إن فرعون الآية اعتراض وقع بين المعطوفين لتأكيد خطيئتهم وقيل حال من أحد ضميرى تتخذه على أن الضمير للناس أى وهم لا يعلمون أنه لغيرنا وقد تبنيناه (وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً) صفراً من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون لقوله تعالى وأندتهم هواء أى خلاه لا عقول فيها ويعصده أنه قرى فرغاً من قولهم دماؤهم بينهم فرغ أى هدر وقيل فارغاً من الهم والحزن لغاية وثوقها بوعد الله تعالى أو لسماعها أن فرعون عطف عليه وتبناه وقرى مؤسسى بالهمز إجراء للضممة في جارة الواو مجرى ضميتها فهمزت كما في وجوه (إن كادت لتبدي به) أى إنها كادت لتظهر بموسى أى بأمره وقصته من فرط الحيرة والدهشة أو الفرح بتبنيه (لولا أن ربطنا على قلبها) بالصدر والثبات (لتكون من المؤمنين) أى المصدقين بوعد الله تعالى أو من الواثقين بحفظه لا بتبني فرعون وقطفه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه (وقالت لأخته) مريم ١٠ والتعبير عنها بأخوته عليه الصلاة والسلام دون أن يقال لبنتها للتصريح بمدار المحبة الموجبة للامتنال بالامر (قصيه) أى اتبعى أثره وتبعى خبره (فبصرت به) أى أبصرت به (عن جنب) عن بعد وقرى بسكون النون وعن جانب والكل بمعنى (وهم لا يشعرون) أنها تقصه وتتعرف حاله أو أنها أخته (وحرمتنا عليه المراضع) أى منعناه أن يرتضع من المرضعات والمراضع جمع مرضع وهى المرأة التى ١٢ ترضع أو مرضع وهو الرضاع أو موضعه أعنى الثدي (من قبل) أى من قبل قصها أثره (فقالت) عند رؤيتها لعدم قبوله الثدي واعتناء فرعون بأمره وطلبهم من يقبل ثديها (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم) أى لأجلكم (وهم له ناصحون) لا يقصرون فى إرضاعه وتربيته روى أن هامان لما سمعه منها قال إنها لتعرفه وأهله فخذوها حتى تخبر بحاله فقالت إنما أردت وهم للملك ناصحون فأمرها فرعون بأن تأتى بمن يكفله فأتت بأمه وموسى على يد فرعون يبكى وهو يملأه فدفعه إليها فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال من أنت منه فقد أبى كل ندى إلا نديك فقالت إني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أوتى بصبي إلا قبلني

فَرَدَّدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾

٢٨ القصص

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٩﴾

وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْنَىٰ الَّذِي مِّنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِّنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿٣٠﴾

٢٨ القصص

قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَهُ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٣١﴾

٢٨ القصص

- ١٣ فقره في يدها وأجرى عليها فرجعت به إلى بيتها من يومها وذلك قوله تعالى (فرددناه إلى أمه كي تقر عينها) بوصول ولدها إليها (ولا تحزن) بفرقه (ولتعلم أن وعد الله) أي جميع ما وعده من رده وجعله من المرسلين (حق) لاختلاف فيه بمشاهدة بعضه وقياس بعضه عليه (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن الأمر كذلك فيرتابون فيه أو أن الغرض الأصلي من الرد عليها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون (ولما بلغ أشده) أي المبلغ الذي لا يزيد عليه نشؤه وذلك من ثلاثين إلى أربعين سنة فإن العقل يكمل حينئذ وروى أنه لم يبعث نبي إلا على رأس الأربعين (واستوى) أي اعتدل قداه أو عقله (آتيناها حكما) أي نبوة (وعلما) بالدين أو علم الحكما والعلماء وسمتهم قبل استنبأته فلا يقول ولا يفعل ما يستجمل فيه وهو أوفق لنظم القصة لأنه تعالى استنبأه بعد الهجرة
- ١٤ في المراجعة (وكذلك) ومثل ذلك الذي فعلنا بموسى وأمه (نجزي المحسنين) على إحسانهم (ودخل المدينة) أي مصر من قصر فرعون وقيل منف أو حابين أو عين شمس من نواحيها (على حين غفلة من أهلها) في وقت لا يعتاد دخولها أو لا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشاءين (فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته) أي ممن شايعه على دينه وهم بنو إسرائيل (وهذا من عدوه) أي من مخالفيه ديناً وهم القبط والإشارة على الحكاية (فاستغاثه الذي من شيعته) أي سأله أن يغيبه بالإطاعة كما ينبغي عنه تعديته بعلى وقرى استعانه (على الذي من عدوه فوكزه موسى) أي ضرب القبطى بجمع كفه وقرى فلكزه أي فحضر به صدره (ففضى عليه) فقتله وأصله أنهى حياته من قوله تعالى وقضينا إليه ذلك الأمر (قال هذا من عمل الشيطان) لأنه لم يكن مأموراً بقتل الكفار أو لأنه كان مأموراً فيما بينهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ وإنما عده من عمل الشيطان وسماه ظالماً واستغفر منه جرياً على سنن المقربين في استعظام ما فرط منهم ولو كان من محقرات الصغائر (إنه عدو مضل مبين)
- ١٦ ظاهر العداوة والإضلال (قال) توسيطه بين كلاميه ﷺ لإبانه ما بينهما من المخالفة من حيث إنه مناجاة

قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ ٢٨ القصص

فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ ٢٨ القصص

فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَّى أُرِيدُ أَنْ نَقْتُلَكَ كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ ٢٨ القصص
وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمْوَسَّى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ٢٨ القصص

- ودعاء بخلاف الأول (رب إني ظلمت نفسي) أي بقتله (فاغفر لي) ذنبي (فغفر له) ذلك (إنه هو الغفور الرحيم) أي المبالغ في مغفرة ذنوب عباده ورحمتهم (قال رب بما أنعمت علي) إما قسم محذوف الجواب ١٧
أي أقسم بإنعامك علي بالمغفرة لاتوبين (فلن أكون) بعد هذا أبداً (ظهيراً للمجرمين) وما استعطف أي بحق إنعامك علي اعصمني فلن أكون معيناً لمن تؤدي معاوته إلى الحرم وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام لم يستثن فابتلي به مرة أخرى وهذا يؤيد الأول وقيل معناه بما أنعمت علي من القوة أعين أوليائك فلن أستعملها في مظاهرة أعدائك (فأصبح في المدينة خائفاً يترقب) يترصد ١٨
الاستقادة أو الاجناد (فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه) أي يستغيثه برفع الصوت من الصراخ (قال له موسى إنك لغوي مبين) أي بين الغواية تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر (فلما أن أراد) موسى ١٩
(أن يبطش بالذي هو عدو لهما) أي لموسى وللإسرائيل إذ لم يكن علي دينهما ولأن القبط كانوا أعداء لبني إسرائيل علي الإطلاق وقرى يبطش بضم الطاء (قال) أي الإسرائيلي ظاناً أنه عليه الصلاة والسلام يبطش به حسبما يوهمه تسميته إياه غوباً (ياموسى أريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس) قالوا لما سمع القبطي قول الإسرائيلي علم أن موسى هو الذي قتل ذلك الفرعوني فأنطلق إلى فرعون فأخبره بذلك وأمر فرعون بقتل موسى عليه السلام وقيل قاله القبطي (إن تريد) أي ما تريد (إلا أن تكون جباراً في الأرض) وهو الذي يفعل كل ما يريد من الضرب والقتل ولا ينظر في العواقب وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لأمر الله تعالى (وما تريد أن تكون من المصلحين) بين الناس بالقول والفعل (وجاء رجل ٢٠
من أقصى المدينة) أي كان من آخرها أو جاء من آخرها (يسمى) أي يسرع صفة لرجل أو حال منه علي أن الجار والمجرور صفة له لا متعلق بجاء فإن تخصصه يلحقه بالمعارف قيل هو مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل وقيل شمعون وقيل شمعان (قال ياموسى إن الملا يأترون بك ليقتلوك) أي يتشاورون بسببك فإن كلام المتشاورين بأمر الآخرين وبأمر (فاخرج) أي من المدينة (إني لك من الناصحين) اللام للبيان *

٢٨ القصص

فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾

٢٨ القصص

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾

وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ

٢٨ القصص

مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾

٢٨ القصص

فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾

- ٢١ لما أن معموله الصلة لا يتقدمها (مخرج منها) أي من المدينة (خائفاً يترقب) لحوق الظالمين (قال رب نجني من القوم الظالمين) خلصني منهم واحفظني من لحوقهم (ولما توجه تلقاء مدين) أي نحو مدين وهي قرية شعبة عليه السلام سميت باسم مدين بن إبراهيم ولم تكن تحت سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام (قال عسى ربّي أن يهديني سواء السبيل) توكلنا على الله تعالى وثقة بحسن توفيقه وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلاث طرائق فأخذ في الوسطى وجاء الطلاب فشرعوا في الآخرين وقيل خرج حافياً لا يعيش إلا بورق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدميه وقيل جاء ملك على فرس وبيده عنزة فانطلق به إلى مدين (ولما ورد ماء مدين) أي وصل إليه وهو بئر كانوا يسقون منه (وجد عليه) أي فوق شفيرة (أمة) جماعة كثيفة (من الناس يسقون) أي مواشيهم (ووجد من دونهم) أي في موضع أسفل منهم (امراتين تذودان) أي تمنعان ماعهما من الأغنام عن التقدم إلى البئر كيلا تختلط بأغنامهم مع عدم الفائدة في التقدم (قال) عليه السلام لهما حين رأهما على ما هما عليه من التأخر والذود (ما خطبكما) ما شأنكما فيما أنتما عليه من التأخر والذود ولم لا تبشران السقي كدأب هؤلاء (قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء) أي هاتنا أن لا نسقي حتى يصرف الرعاء مواشيهم بعديها عن الماء مجزاً عن مساجلتهم وحذراً عن مخالطة الرجال لا أنا لا نسقي اليوم إلى تلك الغاية وحذف مفعول السقي والذود والإصدار لما أن الغرض هو بيان تلك الأفعال أنفسها إذ هي التي دعت موسى عليه السلام إلى ما صنع في حقهما من المعروف فإنه عليه الصلاة والسلام إنما رحمهما لكونهما على الذيادة للعجز والعفة وكونهم على السقي غير مباين بهما وما رحمهما لكون مذودهما غنما ومسقيهم إبلًا مثلاً وقرى لا نسقي من الإسقاء ويصدر من الصدور والرعاء بضم الراء وهو اسم جمع كالرعاء وأما الرعاء فجمع قياسي كصيام وقيام وقوله تعالى (وأبونا شيخ كبير) إبراء منهم للعذر إليه عليه السلام في توليها للسقي بأنفسهما كأنهما قالتا إنا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم وما لنا رجل يقوم بذلك وأبونا شيخ كبير السن قد اضغفه الكبر فلا بد لنا من تأخير السقي إلى أن يقضى الناس أوطارهم من الماء (فسق لهما) رحمة عليهما والكلام في حذف مفعوله كما مر آنفاً روى أن الرعاء كانوا يضعون على رأس البئر حجراً لا يقله إلا سبعين رجلاً وقيل عشرة وقيل أربعون وقيل مائة فافله وحده مع ما كان به من الوصب والجراحت والجوع ولعله

فَجَاءَتْهُ إِحَدُهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا
جَاءَهُ وَوَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ ٢٨ القصص

عليه الصلاة والسلام زاحمهم في السقي لهما فوضعوا الحجر على البئر لتعجيزه عليه الصلاة والسلام عن ذلك فإن الظاهر أنه عليه الصلاة والسلام غب ما شأدها لهما سارع إلى السقي لهما وقد روى أنه دفعهم عن الماء إلى أن سقى لهما وقيل كانت هناك بئر أخرى عليها الصخرة المذكورة وروى أنه عليه الصلاة والسلام سألهم دلوا من ماء فأعطوه دلوهم وقالوا استق بها أو كان لا ينزعها إلا أربدون فاستقى بها وحسبها في الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما وأصدرهما (ثم تولى إلى الظل) الذي كان هناك (فقال رب إنى لما أنزلت إلى) *
أى أى شئ أنزلته إلى (من خير) جل أو قل وحمله الآكثرون على الطعام بمعونة المقام (فقير) أى محتاج *
ولنضمه معنى السؤال والطالب جىء بلام الدخالة لتقوية العمل وقيل المعنى لما أنزلت إلى من خير عظيم هو خير الدارين صرت فقيراً فى الدنيا لأنه كان فى سعة من العيش عند فرعون قاله عليه الصلاة والسلام إظهاراً للبحج والشكر على ذلك (لجاءته إحداها) قيل هى كبراهما واسمها صفوراء أو صفراء وقيل ٢٥ صفراهما واسمها صفيراء أى جاءته عقيب ما رجعتا إلى أبيهما روى أنهما لما رجعتا إلى أبيهما قبل الناس وأغناهما حفل بطن قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلاً صالحاً رحماً فسقى لنا فقال لإحداها اذهبي فادعيه لى وقوله تعالى (تمشى) حال من فاعل جاءته وقوله تعالى (على استحياء) متعلق بمحذوف هو حال من ضمير تمشى أى جاءته تمشى كائنة على استحياء فعناه أنها كانت على استحياء حالى المشى والمجئ معاً لا عند المجئ فقط وتنكير استحياء للتفخيم قيل جاءته متخفرة أى شديدة الحياء وقيل قد استترت بكم درعها (قالت) استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية مجئها إياه عليه الصلاة والسلام كأنه قيل فإذا قالت له عليه الصلاة والسلام فقيل قالت (إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) أى جزاء سقيك لنا أسندت الدعوة إلى أبيها وعللتها بالجزاء لئلا يوم كلامها ريبة وفيه من الدلالة على كمال العقل والحياء والعفة ما لا يخفى روى أنه عليه الصلاة والسلام أجابها فانطلقا وهى أمامه فأزقت الريح ثوبها بمجسدها فوصفته فقال لها امشى خلفى وانقضى لى الطريق ففعلت حتى أتيا دار شعيب عليهما السلام (فلما جاءه *
وقص عليه القصص) أى ما جرى عليه من الخبر المقصوص فإنه مصدر سمي به المفعول كالعلل (قال *
لا تخف نجوت من القوم الظالمين) الذى يلوح من ظاهر النظم الكريم أن موسى عليه السلام إنما أجاب المستدعية من غير تلعم ليتبرك رؤبة شعيب عليه السلام ويستظهر برأيه لا لياخذ بمعروفه أجراً حسبما صرحت به الأيرى إلى ما روى أن شعبياً لما قدم إليه طعاماً قال إنا أهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الأرض ذهباً ولا نأخذ على المعروف ثمناً ولم يتناول حتى قال شعيب عليه السلام هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا فتناول بعد ذلك على سبيل التقبل لمعروف مبتدأ كيف لا وقد قص عليه قصصه وعرفه أنه من بيت النبوة

قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ٢٨ القصص

قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا
فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ ٢٨ القصص

قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ ٢٨ القصص

من أولاد يعقوب عليه السلام ومثله حقيق بأن يضيف ويكرم لاسيما في دار نبي من أنبياء الله تعالى عليهم الصلاة والسلام وقيل ليس بمستنكر منه عليه الصلاة والسلام أن يقبل الأجر لا لاضطرار الفقر والفاقة وقد روى عن عطاء بن السائب أنه عليه السلام رفع صوته بدعائه ليسمعها ولذلك قيل له ليجزيك الخ ولعله عليه السلام إنما فعله ليكون ذريعة إلى استدعائه لا إلى استيفاء الأجر (قالت إحداهما) وهي التي استدعته إلى أبيها وهي التي زوجها من موسى عليهما السلام (يا أبت استأجره) أي لرعى الغنم والقيام بأمرها (إن خير من استأجرت القوى الأمين) تعليل جار مجرى الدليل على أنه حقيق بالاستئجار وللبالغة في ذلك جمل خير اسماً لأن وذكر الفعل على صيغة الماضي للدلالة على أنه أمين مجرب روى أن شعبياً عليه السلام قال لها وما أعليك بقوته وأمانته فذكرت ما شاهدت منه عليه السلام من إقلال الحجر ونزع الدلو وأنه صوب رأسه حتى بلغته رسالته وأمرها بالمشي خلفه (قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني) أي تكون أجيراً لي أو تثبيني من أجرت كذا إذا أثبتته إياه فقوله تعالى (ثماني حجج) على الأول ظرف وعلى الثاني مفعول به على تقدير مضاف أي رعية ثماني حجج ونقل عن المبرد أنه يقال أجرت داري وملوكي غير ممدود وأجرت ممدوداً والأول أكثر فعلى هذا يكون المفعول الثاني محذوفاً والممنى على أن تأجرني نفسك وقوله تعالى ثماني حجج ظرف كالوجه الأول (فإن أتمت عشراً) في الخدمة والعمل (فمن عندك) أي فهو من عندك بطريق التفضل لا من عندي بطريق الإلزام عليك وهذا من شعب عرض لرأيه على موسى عليهما السلام واستدعاء منه للعقد لا لإنشاء وتحقيق له بالفعل (وما أريد أن أشق عليك) بإلزام إتمام العشر أو المناقشة في مراعاة الأوقات واستيفاء الأعمال واشتقاق المشقة من الشق فإن ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك في إطاقته ويوزع رأيك في مزاولته (ستجدني إن شاء الله من الصالحين) في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالعهد ومراده عليه الصلاة والسلام بالاستثناء التبرك به وتفويض أمره إلى توفيقه تعالى لا لتعليق صلاحه بمشيئته تعالى (قال ذلك بيني وبينك) مبتدأ وخبر أي ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم وثابت بيننا جميعاً لا يخرج عنه واحد منا لا أنا عما شرطت على ولا أنت عما شرطت على نفسك وقوله تعالى (أيما الأجلين) أي أكثرهما أو أفسرهما (قضيت) أي وفتيك بأداء الخدمة فيه (فلا عدوان على) تصريح بالمراد وتقرير لأمر الخيرة أي لا عدوان على بطلب الزيادة على ما قضيته من الأجلين وتعميم انتفاء العدوان لكلا الأجلين بصدد المشاركة مع عدم تحقق العدوان في أكثرهما رأساً للقصد إلى التسوية بينهما في الانتفاء

فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ ٢٨ القصص

أى كالا أطالب بالزيادة على العشر لا أطالب بالزيادة على الثمان أو أيما الأجلين قضيت فلا لائم على يعنى كالا لائم على فى قضاء الاكثر لا لائم على فى قضاء الاقصر فقط وقرىء أى الأجلين ما قضيت فما مزيدة لتأكيد القضاء كالا أنها فى القراءة الأولى مزيدة لتأكيد إيهام أى وشياعها وقرىء أيما بسكون الياء كقول من قال [تنظرت نصرأ والسماكين أيهما * على من الغيث استهلت مواطره] (والله على ما نقول) من الشروط الجارية بيننا (وكيل) شاهد وحفظ فلا سبيل لأحد منا إلى الخروج عنه أصلا وليس ما حكى * عنهما عليهما الصلاة والسلام تمام ما جرى بينهما من الكلام فى إنشاء عقد النكاح وعقد الإجارة وإيقاعهما بل هو بيان لما عزم عليه وانفقا على إيفاءه حسبما يتوقف عليه مساق القصة إجمالا من غير تعرض لبيان مواجب العقدين فى تلك الشريعة تفصيلا روى أنهما لما أتيا العقد قال شعيب لموسى عليهما السلام ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصى وكانت عنده عصى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فأخذ عصا هبط بها آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة ولم يزل الأنبياء يتوارثونها حتى وقعت إلى شعيب عليه السلام فسها وكان مكفوفاً ففطن بها فقال خذ غيرها فواقع فى يده لإلهى سبع مرات فعلم أن له شأنًا وقيل أخذها جبريل عليه السلام بعد موت آدم عليه السلام فكانت معه حتى لقي بها موسى عليه السلام ليلاً وقيل أودعها شعيباً ملكاً فى صورة رجل فأمر بنته أن تأتية بعصافاته بها فرددتها سبع مرات فلم يقع فى يدها غيرها فدفعتها إليه ثم ندم لأنهم أودعته فتبعه فاختصم فيها ورضيا أن يحكم بينهما أول طالع فاتهما الملك فقال ألقياها فمن رفعها فمضى له ففعلها الشيخ فلم يطعمها ورفعه موسى عليه السلام وعن الحسن رضى الله تعالى عنه ما كانت إلا عصا من الشجر اعترضها اعتراضاً وعن السكبي رحمه الله الشجرة التى منها نودى شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما أصبح قال له شعيب صلوات الله وسلامه عليهما إذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فإن الكلا وإن كان بها أكثر إلا أن فيها تنبيهاً أخشاه عليك وعلى الغنم فأخذت الغنم ذات اليمين فلم يقدر على كفها ومشى على أثرها فإذا عشب وريف لم ير مثله فنام فإذا بالتنين قد أقبل لخاربه العصا حتى قتلته وهادت إلى جنب موسى عليه السلام دامية فلما أبصرها دامية والتنين مقتولاً ارتاح لذلك ولما رجع إلى شعيب عليهما السلام مس الغنم فوجد هاملأى البطون غزيرة اللبن فأخبره موسى عليه السلام بالشأن ففرح وعلم أن لموسى والعصا شأنًا وقال له إني وهبت لك من نتاج غنمى هذا العام كل أدرع ودعاه فأوحى إليه فى المنام أن اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما أخطأت واحدة إلا وضعت أدرع ودعاء فوق له بشرطه والفاء فى قوله تعالى (فلما قضى موسى الأجل) فصيحة أى فعقد العقدين وبأمر موسى ٢٩ ما التزمه فلما أتم الأجل (وسار بأهله) نحو مصر بإذن من شعيب عليهما السلام روى أنه عليه الصلاة والسلام قضى أبداً الأجلين ومكث عنده بعد ذلك عشر سنين ثم عزم على العود إلى مصر فاستأذنه فى

فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾

٢٨ القصص

وَأَنْ أَلْقِي عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَرَّ يُعَقِّبُ يَمْوِسَىٰ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾

٢٨ القصص

أَسْلَمْتُ بِدَعَاكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيَضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمْتُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَكَرْتُكَ بَرَهَنَانٍ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾

٢٨ القصص

ذلك فأذن له فخرج بأهله (أنس من جانب الطور) أي أبصر من الجهة التي تلى الطور (ناراً قال لأهله امكثوا إني آنست ناراً على آتيتكم منها بخبر) أي بخبر الطريق وقد كانوا ضلوه (أو جذوة) أي عود غليظ سواء كانت في رأسه نار أو لا قال قائلهم [باتت حواطب ليل يلتمسن لها] جزل الجذدى غير حوار ولا دعر [وقال] وألقي على قبس من النار جذوة * شديداً عليها حرها وإلتها بها [ولذلك بين بقوله تعالى (من النار) وقرىء بغير الجيم وبضمها وكلمها لغات (لعلمكم تصطلون) أي تستدفنون (فلما أتاها) أي النار التي آنسها (نودي من شاطئ الوادى الأيمن) أي أتاه النداء من الشاطئ الأيمن بالنسبة إلى موسى عليه السلام (في البقعة المباركة) متصل بالشاطئ أو صلة لنودي (من الشجرة) بدل اشتغال من شاطئ لأنها كانت نابتة على الشاطئ (أن ياموسى إني أنا الله رب العالمين) وهذا وإن خالف لفظاً لما في طه والنمل لكنه موافق له في المعنى المراد (وأن ألقى عصاك) عطف على أن ياموسى وكلاهما مفسر لنودي والفاء في قوله تعالى (فلما رآها تهتز) فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت تعويلاً على دلالة الحال عليها وإشعاراً بنفاية سرعة تحقق مدلولاتها أي فآلقاها فصارَتْ ثعباناً فاهتزت فلما رآها تهتز (كأنها جان) أي في سرعة الحركة مع غاية عظم جثتها (ولى مدبراً) أي منهزماً من الخوف (ولم يعقب) أي لم يرجع (ياموسى) أي قيل ياموسى (أقبل ولا تخف إنك من الآمنين) من المخاوف فإنه لا يخاف لدى المرسلون (اسلك يدك في جيبك) أي أدخلها فيه (تخرج بيضاء من غير سوء) أي عيب (واضمم إليك جناحك) أي يدبك المبسوطين لتتقي بهما الحية كالخائف الفرع يادخال اليمنى تحت العضد الأيسر واليسرى تحت الأيمن أو يادخالهما في الجيب فيكون تكرير الغرض آخره أن يكون ذلك في وجه العدو لإظهار جراءة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز أن يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا ثعباناً استعارة من حال الطائر فإنه إذا خاف نشر جناحيه وإذا آمن واطمأن ضمهما إليه (من الرهب) أي من أجل الرهب أي إذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلداً وضبطاً لنفسك وقرىء بضم الراء وسكون الهاء وبضمهما والكل لغات (فذكرك) إشارة إلى العصا واليد وقرىء بتشديد النون فالتخفف مثني ذاك والمشدد مثني ذلك (برهاتان) حجتان يبرهان بهما فعلان لقولهم أبره الرجل إذا جاء بالبرهان من قولهم أبره الرجل إذا أبيض ويقال

٢٨ القصص

قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٢٣﴾

وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٢٤﴾ ٢٨ القصص

قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغٰلِبُونَ ﴿٢٥﴾

٢٨ القصص

فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِأَيِّتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا

الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ ٢٨ القصص

وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عٰقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ

الظَّٰلِمُونَ ﴿٢٧﴾

٢٨ القصص

للرأة البيضه برهه ونظيره تسمية الحجة سلطاناً من السليط وهو الزيت لإنارتها وقيل هو
 فعال لقولهم برهن ومن في قوله تعالى (من ربك) متعلقة بمحذوف هو صفة لبرهانان أى كائنان
 منه تعالى (إلى فرعون ومائه) واصلان ومنهيان إليهم (إهم كانوا قوما فاسقين) خارجين عن حدود
 الظلم والعدوان فكانوا أحقاء بأن نرسلك إليهم بهاتين المعجزتين الباهرتين (قال رب إني قتلت منهم
 ٣٣ نفساً فأخاف أن يقتلون) بمقابلتها (وأخى هرون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردهاً) أى معينا
 ٣٤ وهو في الأصل اسم ما يعان به كالدفع وقرىء رداً بالتخفيف (يصدقني) بتخليص الحق وتقرير الحجة
 بتوضيحها وتزييف الشبهة (إني أخاف أن يكذبون) وإساقى لا يطاوعنى عند الحاجة وقيل المراد تصديق
 القوم لتقريره وتوضيحه لكنه أسند إليه إسناد الفعل إلى السبب وقرىء يصدقني بالجزم على أنه جواب
 الأمر (قل سنشد عضدك بأخيك) أى سنقويك به فإن قوة الشخص بشدة اليد على مزاوله الأمور
 ٣٥ ولذلك يعبر عنه باليد وشدها بشدة العضد (ونجعل لكما سلطاناً) أى تسلطاً وغبلة وقيل حجة وإس
 بذاك (فلا يصلون إليكما) باستيلاء أو محاجة (بآياتنا) متعلق بمحذوف قد صرح به في مواضع آخر
 أى اذهبا بآياتنا أو بنجعل أى نسلطكما بآياتنا أو بمعنى لا يصلون أى تمتنعون منهم بها وقيل هو قسم
 وجوابه لا يصلون وقيل هو بيان للغالبون في قوله تعالى (أتأمنون من أتبعكم الغالبون) بمعنى أنه صلة
 لما يبينه أو صلة له على أن اللام للتعريف لا بمعنى الذى (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات) أى واخحات
 ٣٦ الدلالة على صحة رسالة موسى عليه السلام منه تعالى والمراد بها العصا واليد إذ هما اللذان أظهرهما موسى
 عليه السلام إذذاك والتعبير عنهما بصيغة الجمع قدم سره في سورة طه (قالوا ما هذا إلا سحر مفترى)
 أى سحر مغلغل لم يفعل قبل هذا مثله أو سحر عمله ثم تقريه على الله تعالى أو سحر موصوف بالاقتراء كسائر
 أصناف السحر (وما سمعنا بهذا) أى السحر أو ادعاء النبوة (في آياتنا الأولى) أى واقعاً في أيامهم (وقال ٣٧

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْتِيهَا أَمْلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْتَمُنْ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطْلُعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٨﴾

٢٨ القصص

وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٢٩﴾

٢٨ القصص

فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاظْطَرَّ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٠﴾

٢٨ القصص

وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٣١﴾

٢٨ القصص

موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده) يريد به نفسه وقرىء قال بغير واو لأنه جواب عن مقامهم ووجه العطف أن المراد حكاية القولين ليوازن السامع بينهما فميز صحيحهما من الفاسد (ومن تكون له عاقبة الدار) أى العاقبة المحمودة فى الدار وهى الدنيا وعاقبتها الأصلية هى الجنة لأنها خلقت مجازاً إلى الآخرة ومنزعة لها والمقصود بالذات منها الثواب وأما العقاب فمن نتائج أعمال العصاة وسينات الغواة وقرىء يكون بالياء التحتانية (إنه لا يفلح الظالمون) أى لا يفوزون بمطلوب ولا ينجون عن محذور (وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى) قاله اللعين بعد ما جمع السحرة وتصدى للمعارضة فكان من أمرهم ما كان (فأوقدلى يا هامان على الطين) أى اصنع آجراً (فاجعل لى) منه (صرحاً) أى قصرأ رفيعاً (لعلى اطلع إلى إله موسى) كأنه توهم أنه لو كان لكان جسماً فى السماء يمكن الرقى إليه ثم قال (وإنى لأظنه من الكاذبين) أو أراد أن يبنى له رسداً يترصد منه أو ضاع الكواكب فىرى هل فيها ما يبدل على بعثة رسول وتبدل دولته وقيل المراد بنفى العلم بنفى المعلوم كما فى قوله تعالى قل أنتم تقولون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض فإن معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فإنها لازمة لتحقيق معلوماتها فيلزم من انتفاءها انتفاء معلوماتها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل أول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك أمر باتخاذها على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظيم ولذلك نادى هامان باسمه يابى وسط الكلام (واستكبر هو وجنوده فى الأرض) أرض مصر (بغير الحق) بغير استحقاق (وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون) بالبعث للجزاء وقرىء بفتح الياء وكسر الجيم من رجع رجوعاً والاول من رجع رجعاً وهو الانسب بالمقام (فأخذناه وجنوده) عقيب ما بلغوا من الكفر والعتو أقصى الغايات (فنبذناهم فى اليم) قد مر تفصيله وفيه من تفخيم شأن الآخذ وتهويله واستحقار المأخوذ المنبوذين مالا يخفى كأنه تعالى أخذهم مع كثرتهم فى كف وطرحهم فى البحر ونظيره قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه (فاظطر كيف كان عاقبة الظالمين) وبينها للناس ليعتبروا بها (وجعلناهم) أى صيرناهم فى عهدهم (أمة يدعون) الناس (إلى النار) إلى ما يؤدى إليها من الكفر والمعاصى أى قدوة يقتدى بهم أهل الضلال لما صرفوا اختيارهم إلى تحصيل تلك الحالة وقيل

وَاتَّبَعْنَهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ ٢٨ القصص

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ ٢٨ القصص

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ ٢٨ القصص

سميناهم أئمة دعاء إلى النار كما في قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً قال لا نسب حيث أن يكون الجمل بعدهم فيما بين الأمم وتكون الدعوة إلى نفس النار وقيل معنى الجمل منع الألفاظ الصارفة عن ذلك (وبوم القيامة لا ينصرون) بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه (وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) طردوا وإبعاداً من الرحمة ولعننا من اللاعنين حيث لا يزال يلعنهم الملائكة عليهم الصلاة والسلام والمؤمنون خلفاً عن سلف (ويوم القيامة هم من المقبوحين) من المطرودين المبعدين وقيل من الموسومين بعلامة منكورة كزرقة العيون وسواد الوجه قاله ابن عباس رضى الله عنهما يقال قبحه الله وقبحه إذا جعله قبيحاً وقال أبو عبيدة من المقبوحين من المهلكين ويوم القيامة إما متعلق بالمقبوحين على أن اللام للتعريف لا بمعنى الذى أو بمحذوف يفسره ذلك كأنه قيل وقبحوا يوم القيامة نحو لعلكم من القالين (ولقد آتينا موسى الكتاب) أى التوراة (من بعد ما أهلكنا القرون الأولى) هم أقوام نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام والتعرض لبيان كون إناثها بعد إهلاكهم للإشعار بمساس الحاجة الداعية إليه تمهيداً لما يعقبه من بيان الحاجة الداعية إلى إنزال القرآن الكريم على رسول الله ﷺ فإن إهلاك القرون الأولى من موجبات اندراس معالم الشرائع وانطلاس آثارها وأحكامها المؤدية إلى اختلال نظام الدالم وفساد أحوال الأمم المستدعين للتشريع الجديد بتقرير الأصول الباقية على مر الدهور وترتيب الفروع المتبدلة بتبدل العصور وتذكير أحوال الأمم الحالية الموجبة للاعتبار كأنه قيل ولقد آتينا موسى التوراة على حين حاجة إلى إناثها (بصائر للناس) أى أنوار ألقوا بهم تبصر بها الحقائق وتميز بين الحق والباطل حيث كانت عمياً عن الفهم والإدراك بالكلية فإن البصيرة نور القلب الذى به يستبصر كما أن البصر نور العين الذى به تبصر (وهدى) أى هداية إلى الشرائع والأحكام التى هى سبيل الله تعالى (ورحمة) حيث ينال من عمل به رحمة الله تعالى وانتصاب الكل على الحالية من الكتاب على أنه نفس البصائر والهدى والرحمة أو على حذف المضاف أى ذا بصائر الخ وقيل على العلة أى آتينا الكتاب للبصائر والهدى والرحمة (لعلهم يتذكرون) ليكونوا على حال يرجى منه التذكر وقد مر تحقيق القول في ذلك عند قوله تعالى املكم تنقون من سورة البقرة وقوله تعالى (وما كنت بجانب الغربي) شروع في بيان أن ٤٤ إنزال القرآن الكريم أيضاً واقع في زمان شدة مساس الحاجة إليه واقتضاء الحكمة له البتة وقد صدر بتحقيق كونه وحياً صادقا من عند الله عز وجل ببيان أن الوقوف على ما فصل من الأحوال لا يتسنى

وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَلَكِنَّا
كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾

٢٨ القصص

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾

٢٨ القصص

إلا بالمشاهدة أو التعلم من شاهدها وحيث انتفى كلاهما تبين أنه بوحى من علام الغيوب لا محالة على
طريقة قوله تعالى وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم الآية أى وما كنت بجانب الجبل
الغربي أو المكان الغربي الذى وقع فيه الميقات على حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه أو الجانب
الغربي على إضافة الموصوف إلى الصفة كمسجد الجامع (إذ قضينا إلى موسى الأمر) أى عهدنا إليه
وأحكمنا أمر نبوته بالوحى وإيتاء التوراة (وما كنت من الشاهدين) أى من جملة الشاهدين للوحى وم
السبعون المختارون للميقات حتى تشاهد ما جرى من أمر موسى في ميقاته وكتبه التوراة له في الألواح
٤٥ فتخبره للناس (ولكنا أنشأنا قرونًا) أى ولكنا خلقنا بين زمانك وزمان موسى قرونًا كثيرة (فتطاول
عليهم العمر) وتماذى الأيام فتغيرت الشرائع والأحكام وعميت عليهم الأنبياء لاسيما على آخرهم فانتضى
الحال التشريع الجديد فأوحينا إليك لحذف المستدرك اكتفاء بذكر ما يوجب به وقوله تعالى (وما
كنت ثاويًا في أهل مدين) نفي لاحتمال كون معرفته عليه الصلاة والسلام للقصة بالسمع من شاهدها
أى وما كنت مقيمًا في أهل مدين من شعيب والمؤمنين به وقوله تعالى (تتلو عليهم) أى تقرأ على أهل
مدين بطريق التعلم منهم (آياتنا) الناطقة بالقصة إما حال من المستكن في ثاويًا أو خبر ثان لكنت
٤٦ (ولكنا كنا مرسلين) إياك وموحين إليك تلك الآيات ونظائرهما (وما كنت بجانب الطور إذ نادينا)
أى وقت ندائنا موسى إني أنا الله رب العالمين واستنبأنا إياه وإرسالنا له إلى فرعون (ولكن رحمة من
ربك) أى ولكن أرسلناك بالقرآن الناطق بما ذكر وبغيره لرحمة عظيمة كاتمة منك والناس وقيل
عليك وقيل عرفاك ذلك وليس بذلك كما ستعرفه والالتفات إلى اسم الرب للإشعار بعلّة الرحمة وتشریفه
ﷻ بالإضافة وقد اكتفى عن ذكر المستدرك هنا بذكر ما يوجب من جمته تعالى كما اكتفى عنه في الأول
بذكر ما يوجب من جهة الناس وصرح به فيما بينهما تنصيصاً على ما هو المقصود وإشعاراً بأنه المراد فيهما
أيضاً وقه در شأن التنزيل وقوله تعالى (لتنذر قوماً) متعلق بالفعل المعلن بالرحمة فهو ما ذكرنا من
إرساله ﷻ بالقرآن حتماً لما أنه المعلن بالإلزام لا لتعليم ما ذكر وقرىء رحمة بالرفع على أنه خبر مبتدأ
محذوف وقوله تعالى (ما أتاكم من نذير من قبلك) صفة لقوماً أى لم يأتهم نذير لوقوعهم في فترة بينك
وبين عيسى وهى خمسمائة وخمسون سنة أو بينك وبين إسماعيل بناء على أن دعوة موسى وعيسى عليهما
السلام كانت مختصة ببني إسرائيل (لعلمهم يتذكرون) أى يتعظون بإنذارك وتغيير الترتيب الوقوعى بين

وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

٢٨ القصص

فَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أَوْتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوْ لَرَّ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَذِبٍ لَكُنَّا

٢٨ القصص

قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾

٢٨ القصص

قضاء الأمر والنواه في أهل مدين والنداء للتنبيه على أن كلا من ذلك برهان مستقل على أن حكايته ﷺ للقصة بطريق الوحي الإلهي ولو ذكر أولا نفي ثوانه ﷺ في أهل مدين ثم نفي حضوره ﷺ عند النداء ثم نفي حضوره عند قضاء الأمر كما هو الموافق للترتيب الوقوعي لربما توهم أن الكل دليل واحد على ما ذكر كما في سورة البقرة (ولولا أن تصيبهم مصيبة) أي عقوبة (بما قدمت أيديهم) أي بما اقترفوا ٤٧ من الكفر والمعاصي (فيقولوا) عطف على تصيبهم داخل في حيز لولا الامتناعية على أن مدار انتفاء ما يجاب به هو امتناعه لا امتناع المعطوف عليه وإنما ذكره في حيزها للإبذان بأنه السبب الملجئ لهم إلى قولهم (ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا) أي هلا أرسلت إلينا رسولا مؤيدا من عندك بالآيات (فتتبع آياتك) الظاهرة على يده وهو جواب لولا الثانية (ونكون من المؤمنين) بها وجواب لولا الأولى • محذوف ثمة بدلالة الحال عليه والمعنى لولا قولهم هذا عند إصابة عقوبة جايانهم التي قدموها ما أرسلناك لكن لما كان قولهم ذلك محققا لا محيد عنه أرسلناك قطعاً لمعاذيرهم بالكلية (فلما جاءهم) أي أهل مكة ٤٨ (الحق من عندنا) وهو القرآن المنزل عليه ﷺ (قالوا) تعنتاً واقتراحاً (لولا أوتي) يعنونه ﷺ (مثل ما أوتي موسى) من الكتاب المنزل جملة وأما اليد والعصا فلا تعلق لهما بالمقام كسائر معجزاته عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى (أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل) رد عليهم وإظهار لكون ما قالوه تعنتاً محضاً لا طلباً لما يرشدكم إلى الحق أي ألم يكفروا من قبل هذا القول بما أوتي موسى من الكتاب كما كفروا بهذا الحق وقوله تعالى (قالوا) استئناف مسوق لتقرير كفرهم المستفاد من الإنكار السابق وبيان كيفية وقوله تعالى (سحران) خبر لمبتدأ محذوف أي هما يعنون ما أوتي محمد وما أوتي موسى عليهما السلام سحران (تظاهرا) أي تعاونا بتصديق كل واحد منهما الآخر وذلك أنهم بعثوا رهطاً منهم إلى رؤساء اليهود في عبد لهم فسألهم عن شأنه ﷺ فقالوا إنا نجد في التوراة بنعته وصفته فلما رجع الرهط وأخبرهم بما قالت اليهود قالوا ذلك وقوله تعالى (وقالوا إنا بكل) أي بكل واحد من الكتابين (كافرون) تصریح بكفرهم • بهما وتأكيده لكفرهم المفهوم من تسميتهما سحراً وذلك لغاية عتوهم وتماديهم في الكفر والطغيان وقرى سحران تظاهرا يعنون موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم هذا هو الذي تستدعيه جزالة النظم الجليل فتأمل ودع عنك ما قيل وقيل ألا ترى إلى قوله تعالى (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما) بما أوتياه ٤٩

فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى
مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾

٢٨ القصص

وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾

٢٨ القصص

الَّذِينَ آمَنُوا مِن قَبْلِهِمْ أَلِكُتَبَ مِنْ قَبْلِهِمْ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

٢٨ القصص

وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ ٢٨ القصص
أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَبِذَرَعُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ وَمَا رَزَقْنَاهُمْ
يُنْفِقُونَ ﴿٥٤﴾ ٢٨ القصص

- من التوراة والقرآن وسميتوهما سحرين فإنه نص فيما ذكر وقوله تعالى (أتبعه) جواب للأمر أي إن
• أتوا به أتبعه ومثل هذا الشرط مما يأتي به من يدل بوضوح -جته- وسنوح محجته لأن الإتيان بما هو
• أهدى من الكذابين أمر بين الاستحالة فيوسع دائرة الكلام للتبكيك والإلحاح (إن كنتم صادقين) أي
• في أنهما سحران مختلفان وفي إيراد كلمة إن مع امتناع صدقهم نوع تهكم بهم (فإن لم يستجيبوا لك) أي
فإن لم يفعلوا ما كلفتهم من الإتيان بكذاب أهدى منهما كقوله تعالى فإن لم تفعلوا وإنما عبر عنه بالاستجابة
إيذاً بأنه ﷺ على كمال أمن من أمره كأن أمره ﷺ لهم بالإتيان بما ذكر دعاء لهم إلى أمر يريد وقوعه
والاستجابة تنعدي إلى الدعاء بنفسه وإلى الداعي باللام فيحذف الدعاء عند ذلك غالباً ولا يكاد يقال
استجاب الله له دعاءه (فاعلم أنما يتبعون أهواءهم) الزائدة من غير أن يكون لهم متمسك ما أصلاً إذ لو
كان لهم ذلك لأنوا به (ومن أضل ممن اتبع هواه) استفهام إنكارى للنفي أي لا أضل ممن اتبع هواه (بغير
هدى من الله) أي هو أضل من كل ضال وإن كان ظاهر السبك لنفي الأصل لا لنفي المساوي كما مر في
نظائره مراراً وتقييد اتباع الهوى بعدم الهدى من الله تعالى لزيادة التقرير والإشباع في التشنيع والتضليل
وإلا فقارنته لهدايته تعالى بينة الاستحالة (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) الذين ظلموا أنفسهم بالانهماك
في اتباع الهوى والإعراض عن الآيات الهادية إلى الحق المبين (ولقد وصلناهم القول) وقرئ بالنخفيف
أي أنزلنا القرآن عليهم متواصلاً بعضه إثر بعض حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة أو متتابعاً وعداً
ووعيداً قصصاً وعبراً ومواعظ ونصائح (لعلهم يتذكرون) فيؤمنون بما فيه (الذين آتيناهم الكتاب
من قبله) أي من قبل إتيان القرآن (هم به يؤمنون) وهم مؤمنو أهل الكتاب وقيل أربعون من أهل
الإنجيل اثنان وثلاثون جاموا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام (وإذا يتلى) أي القرآن عليهم (قالوا
آمنّا به إنه الحق من ربنا) أي الحق الذي كنا نعرف حقيقته وهو استئناف إيمان ما أوجب إيمانهم وقوله
تعالى (إنّا كنا من قبله) أي من قبل نزوله (مسلمين) بيان لكون إيمانهم به أمراً متقادماً العهد لما شاهدوا ذكره
في الكتب المنقذة وأنهم على دين الإسلام قبل نزول القرآن (أولئك) الموصوفون بما ذكر من النعوت

وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾

٢٨ القصص

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾

وَقَالُوا إِن تَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نَتَّخِطُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾

٢٨ القصص

- * (يؤتون أجرهم مرتين) مرة على إيمانهم بكتابهم ومرة على إيمانهم بالقرآن (بما صبروا) بصبرهم وثباتهم على الإيمانين أو على الإيمان بالقرآن قبل النزول وبعده أو على أذى من هاجرهم أهل دينهم ومن المشركين (ويدرون بالحسنة السيئة) أي يدفعون بالطاعة المعصية لقوله ﷺ وأتبع السيئة الحسنة تمحها (ومما رزقناهم ينفقون) في سبيل الخير (وإذا سمعوا اللغو) من اللاغين (أعرضوا عنه) عن اللغو تكريماً ٥٥ كقوله تعالى وإذا مروا باللغو مروا كراماً (وقالوا) لهم (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم) بطريق التاركة والتوديع (لا نبتغي الجاهلين) لا نطلب محبتهم ولا نريد مخالطتهم (إنك لا تهدي) هداية موصلة ٥٦ إلى البغية لا محالة (من أحببت) من الناس ولا تقدر على أن تدخله في الإسلام وإن بذلت فيه غاية المجهود وجاوزت في السعي كل حد معهود (ولكن الله يهدي من يشاء) أن يهديه فيدخله في الإسلام (وهو أعلم بالمهتدين) بالمستعدين لذلك والجمهور على أنها نزلت في أبي طالب فإنه لما احتضر جاءه رسول الله ﷺ وقال له يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج بها لك عند الله قال له يا ابن أخي قد علمت أنك لصادق ولكني أكره أن يقال جزع عند الموت ولولا أن يكون عليك وعلى بني أبيك غضاضة بعدى لقلتها ولا قررت بها عينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك ولكني سوف أموت على ملة الأشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف (وقالوا إن تتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا) نزلت في الحرث بن عثمان ٥٧ ابن نوفل بن عبد مناف حيث أتى النبي ﷺ فقال نحن نعلم أنك على الحق ولكننا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب وإنما نحن أكلة رأس أن يتخطفونا من أرضنا فرد عليهم بقوله تعالى (أو لم نمكن لهم حرماً آمناً) * أي ألم نعصمهم ولم نجعل مكانهم حرماً ذا أمن لحرمة البيت الحرام الذي تتناحر العرب حوله وهم آمنون (يجي إليه) وقرىء تجي أي تجمع وتحمل إليه (ثمرات كل شيء) من كل أوب والجملة صفة أخرى لحرماً دافعة لما عسى يتوهم من تضررهم بانقطاع الميرة (رزقاً من لدنا) فإذا كان حالهم ما ذكرهم عبدة أصنام فكيف يخافون التخطف إذا ضمو إلى حرمة البيت حرمة التوحيد (ولكن أكثرهم لا يعلمون) * أي جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا ذلك وقيل هو متعلق بقوله تعالى من لدنا أي قليل منهم يتدبرون فيعلمون أن ذلك رزق من عند الله تعالى إذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقاً على أنه مصدر مؤكدة بمعنى يجي أو حال من ثمرات على أنه بمعنى مرزوق لتخصصها بالإضافة ثم بين أن الأمر بالعكس

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَنِكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ
الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾

٢٨ القصص

وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ؕ إِنَّا إِنَّا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى
إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾

٢٨ القصص

وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ ؕ فَتَنَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ؕ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ ٢٨ القصص

- ٥٨ وأنهم أحقوا بأن يخافوا بأس الله تعالى بقوله (وكم أهلكننا من قرية بطرت معيشتها) أى وكثير من أهل قرية كانت حالهم كحال هؤلاء فى الأمن وخفض العيش والدعة حتى أشروا فدمرنا عليهم وخربنا ديارهم (فتلك مساكنهم) خاوية بما ظلموا (لم تسكن من بعدهم) من بعد تدميرهم (إلا قليلا) أى إلا زماناً قليلا إذ لا يسكنها إلا المارة يوما أو بعض يوم أو لم يبق من يسكنها إلا قليلا من شؤم معاصيهم (وكننا نحن الوارثين) منهم إذ لم يخلفهم أحد يتصرف تصرفهم فى ديارهم وسائر ذات أيديهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض أو بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظنى مقيم أو ياخمار زمان مضاف إليه أو بجعله مفعولا لبطرت بتضمنين معنى كفرت (وما كان ربك مهلك القرى) بيان للعناية الربانية إثر بيان إهلاك القرى المذكورة أى وما صح وما استقام بل استحال فى سنته المبينة على الحكم البالغة أو ما كان فى حكمه الماضى وقضائه السابق أن يهلك القرى قبل الإنذار بل كانت عادته أن لا يهلكها (حتى يبعث فى أمها) أى فى أصلها وقصبتها التى هى أعمالها وتوابعها لكون أهلها أظلم وأنبل (رسولا يتلو عليهم آياتنا) الناطقة بالحق ويدعوهم إليه بالترغيب والترهيب وذلك لإلزام الحجة وقطع المذعة بأن يقولوا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك والالتفات إلى نون العظمة لترية المهابة وإدخال الروعة وقوله تعالى (وما كما مهلكى القرى) عطف على ما كان ربك وقوله تعالى (إلا وأهلها ظالمون) استثناء مفرغ من أعم الأحوال أى وما كنا مهلكين لأهل القرى بعد ما بعثنا فى أمها رسولا يدعوهم إلى الحق ويرشدهم إليه فى حال من الأحوال إلا حال كونهم ظالمين بنكذيب رسولنا والكفر بآياتنا فالتبع غاية لعدم صحة الإهلاك بموجب السنة الإلهية لا لعدم وقوعه حتى يلزم تحقق الإهلاك عقيب البعث وقد مر تحقيقه
- ٦٠ فى سورة بنى إسرائيل (وما أوتيتم من شئ) من أمور الدنيا (فتناج الحياة الدنيا وزينتها) أى قوموا شئ شأته أن يتمتع ويتزين به أياما قلائل (وما عند الله) وهو الثواب (خير) فى نفسه من ذلك لأنه لذة خالصة عن شوائب الآلم وبهجة كاملة طارية عن سمة الهم (وأبقى) لأنه أبدي (أفلا تعقلون) ألا تفكرون فلا تعقلون هذا الأمر الواضح فتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير وقرىء بالياء على الالتفات المبني على اقتضاء سوء صلبهم الإعراض عن مخاطبتهم

أَفَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾

٢٨ القصص

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾

٢٨ القصص

قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِلَّا بَانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾

٢٨ القصص

- (أفمن وعدناه وعداً حسناً) أى وعداً بالجنة فإن حسن الوعد بحسن الموعود (فهو لاقية) أى مدركة
لا محالة لاستحالة الخلف في وعده تعالى ولذلك جرى بالجملة الاسمية المفيدة لتحقيقه البتة وعطفت بالفاء
المنبئة عن معنى السببية (كمن متعناه متاع الحياة الدنيا) الذى هو مشوب بالآلام منقص بالانكدار
مستتبع للتحسر على الانقطاع ومعنى الفاء الأولى ترتيب إنكار التشابه بين أهل الدنيا وأهل الآخرة على
ما قبلها من ظهور التفاوت بين متاع الحياة الدنيا وبين ما عند الله تعالى أى بعدهم التفاوت الظاهر يسوى
بين الفريقين وقوله تعالى (ثم هو يوم القيامة من المحضرين) عطف على متعناه داخل معه في حيز الصلة
مؤكد لإنكار التشابه ومقرر له كأنه قيل كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم نحضره أو أحضرناه يوم القيامة
النار أو العذاب وإيثار الجملة الاسمية للدلالة على التحقق حتماً وفي جملة من جملة المحضرين من التهوريل
مالا يخفى وثم للتراخي في الزمان أو في الرتبة وقرئ ثم هو بسكون الهاء تشبيهاً للنفصل بالمتصل
(ويوم يناديهم) منصوب بالعطف على يوم القيامة لاختلافهما عنواناً وإن اتحداً ذاتاً أو بإضمار اذكر
(فيقول) تفسير للنداء (أين شركائى الذين كنتم تزعمون) أى الذين كنتم تزعمونهم شركائى فحذف المفعولان
مما ثقة بدلالة الكلام عليهما (قال) استئناف مبني على حكاية السؤال كأنه قيل فإذا صدر عنهم حينئذ
فقبل قال (الذين حق عليهم القول) وهم شركاؤهم من الشياطين أو رؤساؤهم الذين اتخذوهم أرباباً
من دون الله تعالى بأن أطاعوهم في كل ما أمرهم به ونهوا عنه ومعنى حق عليهم القول أنه ثبت
مقتضاه وتحقيق مؤداه وهو قوله تعالى لا ملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وغيره من آيات
الوعيد وتخصيصهم بهذا الحكم مع شموله للأتباع أيضاً لاصالتهم في الكفر واستحقاق العذاب
حسباً يشعر به قوله تعالى لا ملأن جهنم منك ومن تبعك منهم ومسارعتهم إلى الجواب مع كون
السؤال للعبدة إما لتفطنهم أن السؤال عنهم لاستحضارهم وتوبيخهم بالإضلال وجزمهم بأن العبدة
سيقولون هؤلاء أضلونا وإما لأن العبدة قد قالوه اعتذاراً أو هؤلاء إنما قالوا ما قالوا رداً لقولهم إلا
أنه لم يحك قول العبدة إيجازاً لظهوره (ربنا هؤلاء الذين أغوينا) أى هم الذين أغوينا ثم خذف
الراجع إلى الموصول ومرادهم بالإشارة ببيان أنهم يقولون ما يقولون بمحض منهم وأنهم غير
قادرين على إنكاره ورده وقوله تعالى (أغويناهم كما غوينا) هو الجواب حقيقة وما قبله تهديد له أى

وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٢٨﴾ القصص

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٩﴾ القصص

فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٣٠﴾ القصص

فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٣١﴾ القصص

وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣٢﴾ القصص

ما أكرهناهم على الغي وإنما أغويناهم بطريق الوسوسة والتسويل لا بالقسر والإلجاء فغوا باختيارهم غياً مثل غينا باختيارنا ويجوز أن يكون الذين صفة لاسم الإشارة وأغويناهم الخبر (تبرأنا إليك) منهم وما اختاروه من الكفر والمعاصي هوى منهم وهو تقرير لما قبله ولذلك لم يعطف عليه وكذا قوله تعالى (ما كانوا إيانا يعبدون) أي ما كانوا يعبدوننا وإنما كانوا يعبدون أهواءهم وقيل ماصدرية متصلة بقوله تعالى تبرأنا أي تبرأنا من عبادتهم إيانا (وقيل ادعوا شركاءكم) إيمانهم كما بهم أو تبكيبتا لهم (فدعوم) لفرط الخيرة (فلم يستجيبوا لهم) ضرورة عدم قدرتهم على الاستجابة والنصرة (ورأوا العذاب) قد غشيهم (لو أنهم كانوا يهتدون) لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب أو إلى الحق لما لقوا ما لقوا وقيل لو لتمنى أي تمنوا لو أنهم كانوا مهتدين (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتُم المرسلين) عطف على ما قبله ٦٤ ستلوا أولاً عن إشرأكم وثانياً عن جوابهم للرسول الذين نهوم عن ذلك (فعميت عليهم الأنباء يومئذ) أي صارت كالعمى عنهم لانهتدى إليهم وأصله فعموا عن الأنباء وقد عكس للمبالغة والتنبيه على أن ما يحضر الذهن يفيض عليه ويصل إليه من خارج فإذا أخطأ لم يكن له حيلة إلى استحضاره وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء والاشتباه والمراد بالأنباء إما ما طالب منهم بما أجابوا به الرسول أو جميع الأنباء وهي داخلة فيه دخولا أولياً وإذا كانت الرسل عليهم الصلاة والسلام يفوضون العلم في ذلك المقام الهائل إلى علام الغيوب مع نزاهتهم عن غاية المستول فما ظنك بأولئك الضلال من الأمم (فهم لا يتساءلون) ٦٥ لا يسأل بعضهم بعضاً عن الجواب لفرط الدهشة أو العلم بأن الكل سواء في الجمل (فأما من تاب) من الشرك (وآمن وعمل صالحاً) أي جمع بين الإيمان والعمل الصالح (فعسى أن يكون من المفلحين) أي الفائزين بالمطلوب عنده تعالى الناجين عن المهروب وعمى للتحقيق على عادة الكرام أو للترجي من قبل التائب بمعنى فليتوقع الإفلاح (وربك يخلق ما يشاء) أن يخلقه (ويختار) ما يشاء اختياره من غير إيجاب عليه ولا منع له أصلاً (ما كان لهم الخيرة) أي التخير كالطيرة بمعنى التطير والمراد نفي الاختيار المؤثر عنهم وذلك مما لا ريب فيه وقيل المراد أنه ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روى أنه نزل في قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم والمعنى

وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ ٢٨ القصص

وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ٢٨ القصص

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَضِيَاءٌ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ ٢٨ القصص

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَلِيلٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ ٢٨ القصص

وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ٢٨ القصص

- لا يبعث الله تعالى الرسل باختيار المرسل إليهم وقيل معناه ويخار الذي كان لهم فيه الخير والصلاح (سبحان الله) أى تنزه بذاته تنزهها خاصاً به من أن ينازعه أحد أو يزاحم اختياره اختيار (وتعالى عما يشركون) عن إشرافهم أو عن مشاركة ما يشركونه به (وربك يعلم ما تكن صدورهم) كعداوة رسول الله ﷺ وحقدكم عليه (وما يعلنون) كالطعن فيه (وهو الله) أى المستحق للعبادة (لا إله إلا هو) لا أحد يستحقها إلا هو (له الحمد فى الأولى والآخرة) لأنه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها على الخلق كافة بحمده المؤمنون فى الآخرة كما حمدوه فى الدنيا بقولهم الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن الحمد لله الذى صدقنا وعده ابتهاجاً بفضلِهِ والتذاذاً بحمده (وله الحكم) أى القضاء النافذ فى كل شئ من غير مشاركة فيه لغيره (وإليه ترجعون) بالبعث لا إلى غيره (قل) تقريراً لما ذكر (أرايتم) أى أخبرونى (إن جعل الله عليكم الليل سرمداً) دائماً من السرد وهو المتابعة والاطراد والميم مزيدة كما فى دلاص من الدلاص يقال درج دلاص أى ملساء لينته (إلى يوم القيامة) بإسكان الشمس تحت الأرض أو تحريكها حول الأفق الغائر (من إله غير الله) صفة لإله (بأيتكم بضياء) صفة أخرى له عليها يدور أمر التبسكيت والإلزام كما فى قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والأرض وقوله تعالى فمن يأتىكم بهاء معين ونظائرهما خلا أنه قصد بيان انتفاء الموصوف بانتفاء الصفة ولم يقل هل إله الخ لإيراد التبسكيت والإلزام على زعمهم وقرئ بضياء بهمزتين (أفلا تسمعون) هذا الكلام الحق سماع تدبر واستبصار حتى تذعنوا له وتعملوا بموجبه (قل أرايتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة) بإسكانها فى وسط السماء أو بتحريكها على مدار فوق الأفق (من إله غير الله يأتىكم بليل تسكنون فيه) استراحة من متاعب الاشتغال ولعل تجريد الضياء عن ذكر منافعه لكونه مقصوداً بذاته ظاهر الاستنباع لما ينط به من المنافع (أفلا تبصرون) هذه المنفعة الظاهرة التى لا تخفى على من له بصر (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه) أى فى الليل (ولتبتغوا من

وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾

٢٨ القصص

وَتَزْعُمَانِ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾

٢٨ القصص

إِنْ قُرُونٌ كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾

٢٨ القصص

فضله) في النهار بأنواع المكاسب (ولعلكم تشكرون) ولكي تشكروا نعمته تعالى فعل ما فعل أولئك
 ٧٤ تعرفوا نعمته تعالى وتشكروه عليها (ويوم يناديهم) منصوب باذكر (فيقول أين شركائي الذين كنتم
 تزعمون) تفرغ إثر تفرغ الإشعار بأنه لا شيء أجلب لغضب الله عز وجل من الإشراف كالاشياء أدخل
 ٧٥ في مرضاته من توحيد سببانه وقوله تعالى (وتزعنا) عطف على يناديهم وصيغة الماضي للدلالة على
 التحقق أو حال من فاعله يا خمار قد والالتفات إلى نون العظمة لإبراز كمال الاعتناء بشأن النزع وتهويله
 أي أخرجنا (من كل أمة) من الأمم (شهداً) نبياً يشهد عليهم بما كانوا عليه كقوله تعالى فكيف إذا
 جئنا من كل أمة بشهيد (فقلنا) لكل أمة من تلك الأمم (هاتوا برهانكم) على صحة ما كنتم تدعون به
 (فعلوا) يومئذ (أن الحق لله) في الإلهية لا يشاركه فيها أحد (وضل عنهم) أي غاب عنهم غيبة الضائع
 ٧٦ (ما كانوا يفترون) في الدنيا من الباطل (إن قارون كان من قوم موسى) كان ابن عمه يصر بن قاهت
 ابن لاوي بن يعقوب عليه السلام وموسى عليه السلام ابن عمران بن قاهت وقيل كان موسى عليه السلام
 ابن أخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وقيل كان أقرأ بني إسرائيل للتوراة ولكنه نافي كما نافي
 السامري وقال إذا كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان لهرود فإلى وروى أنه لما جاوز بهم موسى عليه
 السلام البحر وصارت الرسالة والخبيرة والقربان لهرود وجد قارون في نفسه وحسدهما فقال لموسى
 الأمر لكما ولست على شيء إلى متى أضرب قال موسى عليه السلام هذا صنع الله تعالى قال لا أصدقك حتى
 تأتي بآية فأمر رؤساء بني إسرائيل أن يجيء كل واحد بعصا فخرمها وألقاها في القبة التي كان الوحي ينزل
 إليه فيها فكانوا يحرسون عصيمهم بالليل فأصبحوا فإذا بعصا هرون تهتز ولها ورق أخضر فقال قارون ما هو
 • بأعجب مما نصنع من السحر وذلك قوله تعالى (فبغى عليهم) فطلب الفضل عليهم وأن يكونوا تحت أمره
 • أو ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بني إسرائيل وقيل حسدهم وذلك ما ذكر منه في حق موسى
 وهرون عليهما السلام (وآتيناه من الكنوز) أي الأموال المدخرة (ما إن مفاتيحه) أي مفاتيح صناديقه
 وهو جمع مفتاح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحداه المفتاح بالفتح (لتنوء بالعصبة أولى
 القوة) خبر إن والجملة صلة ما هو ثاني مفعولي آتى وناء به الحمل إذا أثقله حتى أماله والعصبة والعصاة
 الجماعة الكثيرة وقرئ لينوء بالياء على إعطاء المضاف حكم المضاف إليه كداسر في قوله تعالى إن رحمة الله

وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

٢٨ القصص

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾

٢٨ القصص

- قريب من المحسنين (إذ قال له قومه) منصوب بتنوء وقيل ينبغي ورد بأن البغى ليس مقيداً بذلك الوقت .
 وقيل بآتيائه ورد بأن الإتياء أيضاً غير مقيد به وقيل بمضمر فقيل هو اذكر وقيل هو أظهر الفرح ويجوز
 أن يكون منصوباً بما بعده من قوله تعالى قال إنما أوتيته وتكون الجملة مقررته لبغيه (لا تفرح) أى لا تبطر
 والفرح في الدنيا مذموم مطلقاً لأنه نتيجة حبها والرضا بها والذهول عن ذهابها فإن العلم بأن ما فيها من اللذة
 مفارقة لا محالة يوجب الترححاً ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وعلى النهي ههنا بكونه مانعاً من
 محبته عزو علا فقيل (إن الله لا يحب الفرحين) أى بزخارف الدنيا (وابتغ) وقرىء واتبع (فيما آتاك الله) ٧٧
 من الغنى (الدار الآخرة) أى ثواب الله تعالى فيها يصرفه إلى ما يكون وسيلة إليه (ولا تنس) أى لا تترك
 ترك المنسى (نصيبك من الدنيا) وهو أن تحصل بها آخرتك وتأخذ منها ما يكفيك (وأحسن) أى إلى عباد
 الله تعالى (كما أحسن الله إليك) فيما أنعم به عليك وقيل أحسن بالشكر والطاعة كما أحسن الله إليك بالإعلاء
 (ولا تبغ الفساد في الأرض) نهي عما كان عليه من الظلم والبغى (إن الله لا يحب المفسدين) لسوء أفعالهم
 (قال) مجيباً لنا صمحيه (إنما أوتيته على علم عندى) كأنه يريد به الرد على قولهم كما أحسن الله إليك لإتيائه ٧٨
 عن أنه تعالى أنعم عليه بتلك الأموال والذخائر من غير سبب واستحقاق من قبله أى فضلك به على
 الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالمال والجاه وعلى علم في موقع الحال وهو علم التوراة وكان أعلمهم
 بها وقيل علم الكيمياء وقيل علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل علم فتح الكنوز والدقائق وعندى
 صفة له أو متعلق بأوتيته كقولك جاز هذا عندى أو فى ظنى ورأى (أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من
 القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً) توبيخ له من جهة الله تعالى على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع
 علمه بذلك قراءة في التوراة وتلقياً من موسى عليه السلام وسماطاً من حفاظ التواريخ وتجب منه فالمعنى
 ألم يقرأ التوراة ولم يعلم ما فعل الله تعالى بأضرابه من أهل القرون السابقة حتى لا يغتر بما اغتروا به أو رد
 لا دعائه العلم وتعظمه به بنى هذا العلم منه فالمعنى أعلم ما ادعاه ولم يعلم هذا حتى يبق به نفسه مصارع
 المهالكين (ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) سؤال استعلام بل يعذبون بها بفتنة كأن قارون لما هدده
 بذكر إهلاك من قبله عن كان أقوى منه وأغنى أكد ذلك بأن بين أن ذلك لم يكن مما يخص أولئك
 المهلكين بل الله تعالى مطلع على ذنوب كافة المجرمين يعاقبهم عليها لا محالة .

فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾

٢٨ القصص

وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾

٢٨ القصص

فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾

٢٨ القصص

- ٧٩ (نخرج على قومه) عطف على قالوما بينهم اعتراض وقوله تعالى (في زينته) إمامتعلق بخرج أو بمحذوف هو حال من فاعله أي نخرج عليهم كائناً في زينته قيل خرج على بغلة شهباء عليه الأرجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلى والديباج وقيل في تسعين ألفاً عليهم المعصفرات وهو أول يوم رثي فيه المعصفر (قال الذين يريدون الحياة الدنيا) من المؤمنين جرياً على سنن الجبلية البشرية من الرغبة في السعة واليسار (يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون) وعن قتادة أنهم تمنوه ليتقربوا به إلى الله تعالى وينفقوه في سبل الخير وقيل كان المتمدنون قوماً كفاراً (إنه لذو حظ عظيم) تعليل لتعظيمهم وتأكده (وقال الذين أوتوا العلم) أي بأحوال الدنيا والآخرة كما ينبغي وإنما لم يوصفوا بإرادة ثواب الآخرة تنبيهاً على أن العلم بأحوال النشأتين يقتضى الإعراض عن الأولى والإقبال على الثانية حتماً وأن تمنى المتمدنين ليس إلا لعدم عليهم بهما كما ينبغي (ويلكم) دعاء بالهلاك شاع استعماله في الزجر عما لا يرتضى (ثواب الله) في الآخرة (خير) مما تتمنونه (لمن آمن وعمل صالحاً) فلا يليق بكم أن تتمنوه غير مكشفين بثوابه تعالى (ولا يلقيها) أي هذه الكلمة التي تكلم بها العلماء أو الثواب فإنه بمعنى المثوبة أو الجنة أو الإيمان والعمل الصالح فإنهما في معنى السيرة والطريقة (إلا الصابرون) أي على الطاعات وعن الشهوات (نخسفنا به وبداره الأرض) روى أنه كان يؤذى موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف على واحد لحسبه فاستكثره فعمد إلى أن يفضح موسى عليه السلام بين بني إسرائيل لجعل لبغى من بغايا بني إسرائيل ألف دينار وقيل طشتاً من ذهب مملوء ذهباً فلما كان يوم عيد قام موسى عليه السلام خطيباً فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصناً رجماه فقال قارون قال ولو كنت قال إن بني إسرائيل يزعمون أنك لجرت بفلاة فاحضرت فناشدها عليه السلام أن تصدق فقالت جعل لي قارون جملاً على أن أرميك بنفسى فخر موسى ساجداً لربه يبكى ويقول يارب إن كنت رسولك فأغضب لي فأوحى إليه أن مر الأرض بما شئت فإنها مطيعة لك فقال يا بني إسرائيل إن الله بعثنى إلى قارون كما بعثنى إلى فرعون فمن كان معه فليزِم مكانه ومن كان معي فليعتزل

وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ
وَيَقْدِرُ لَوْ أَنَّ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَّا وَيَكَانَهُ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ ٢٨ القصص
تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ٢٨ القصص
مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ ٢٨ القصص

عنه فاعزلوا جميعاً غير رجلين ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الركب ثم قال خذيهم فأخذتهم إلى
الأوساط ثم قال خذيهم فأخذتهم إلى الأعناق وهم ينادونه عليه الصلاة والسلام بالله تعالى وبالرحم
وهو لا يلتفت إليهم لشدة غيظه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فأصبحت بنو إسرائيل يتناجون بينهم إنما
دعا عليه موسى عليه الصلاة والسلام ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وأمواله
(فما كان له من فئة) جماعة مشفقة (ينصرونه من دون الله) بدفع العذاب عنه (وما كان من المنتصرين)
أى الممتنعين منه بوجه من الوجوه يقال نصره من عدوه فانتصر أى منعه فامتنع (وأصبح الذين تمنوا
٨٢ مكانه) منزلته (بالأمس) منذ زمان قريب (يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر)
أى يفعل كل واحد من البسط والقدر بمحض مشيئته لالكرامة توجب البسط ولاهوان يقتضى القبض
ويوكان عند البصريين مركب من وى للتعجيب وكان للتشبيه والمعنى ما أشبه الأمر أن الله يبسط الخ
وعند الكوفيين من ويك بمعنى ويك وأن وتقديره ويك أعلم أن الله وإنما يستعمل عند التنبيه على الخطأ
والتندم والمعنى أنهم قد تنبهوا على خطيئهم في تمنهم وتندموا على ذلك (لولا أن من الله علينا) بعدم إعطائه
إيانا ما تمنيناه وإعطائنا مثل ما أعطاه إياه وقرىء لولا من الله علينا (لخسف بنا) كما خسف به وقرىء
لخسف بنا على البناء للمفعول وبنا هو القائم مقام الفاعل وقرىء لانخسف بنا كقولك انقطع به وقرىء
لنخسف بنا (ويكانه لا يفلح الكافرون) لنعمة الله تعالى أو المكذبون برسله وبما وعدوا من ثواب
الآخرة (تلك الدار الآخرة) إشارة تعظيم وتفخيم كأنه قيل تلك التى سمعت خبرها وبلغك وصفها
٨٣ (نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض) أى غلبة وتسلطاً (ولا فساداً) أى ظلماً وعدواناً على العباد
كدأب فرعون وقارون وفى تعليق الموعد بترك إرادتهم لا بترك أنفسهم ما يزيد تحذيرهم منها وعن على رضى
الله عنه إن الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها (والعاقبة)
الحميدة (للمتقين) أى الذين يتقون ما لا يرضاه الله تعالى من الأفعال والأقوال (من جاء بالحسنة فله)
٨٤ بمقابلتها (خير منها) ذاتاً ووصفاً وقدرأ (ومن جاء بالسئنة فلا يجزى الذين عملوا السيئات) وضع فيه
الموصول والظاهر موضع الضمير لتعجين حالهم بتكرير إسناد السئنة إليهم (إلا ما كانوا يعملون) أى
إلا مثل ما كانوا يعملون لحذف المثل وأقيم مقامه ما كانوا يعملون مبالغة فى المماثلة .

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨٥﴾

٢٨ القصص

وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيراً لِلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ ٢٨ القصص وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلَتْ إِلَيْكَ وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾

٢٨ القصص

وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

٢٨ القصص

- ٨٥ (إن الذي فرض عليك القرآن) أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل به (لرادك إلى معاد) أي معاد معاد تمتد إليه أعتاق الهمم وترنو إليه أحداق الأسم وهو المقام المحمود الذي وعدك أن يبعثك فيه وقيل هو مكة المعظمة على أنه تعالى قد وعده وهو بمكة في أذية وشدة من أهلها أنه يهاجر به منها ثم يعيده إليها بمن ظاهر وسلطان قاهر وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق إلى مولده ومولد آبائه وحرم إبراهيم عليه السلام فنزل جبريل عليه السلام فقال له أنشأت إلى مكة قال نعم فأوحاها إليه (قل رب أعلّم من جاء بالهدى) وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يدل عليه أعلم أي يعلم وقيل بأعلم على أنه بمعنى عالم (ومن هو في ضلال مبين) وما استحقه من العذاب والإذلال يعني بذلك نفسه والمشرّكين وهو تقرير للعيد السابق وكذا قوله تعالى (وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب) أي سيردك إلى معادك كما ألقى إليك الكتاب وما كنت ترجوه (إلا رحمة من ربك) ولكن ألفاء إليك رحمة منه ويجوز أن يكون استثناء محمولا على المعنى كأنه قيل وما ألقى إليك الكتاب إلا رحمة أي لأجل النرحم (فلا تكونن ظهيراً للكافرين) بمداراتهم والتحمل عنهم والإجابة إلى طلبتهم (ولا يصدنك) أي الكافرون (عن آيات الله) أي عن قراءتها والعمل بها (بعد إذ أنزلت إليك) وفرضت عليك وقرئ يصدنك من أصد المنقول من صد اللّازم (وادع) الناس (إلى ربك) إلى عبادته وتوحيده (ولا تكونن من المشرّكين) بمساعدتهم في الأمور (ولا تدع مع الله إلهاً آخر) هذا وما قبله للتبسيط والإلهاب وقطع أطماع المشرّكين عن مساعدته عليه الصلاة والسلام لهم وإظهار أن المنهى عنه في القبح والشرية بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه أصلاً (لا إله إلا هو) وحده (كل شيء هالك إلا وجهه) إلا ذاته فإن ما عداه كائناتاً ما كان ممكن في حد ذاته عرضة للملاك والعدم (له الحكم) أي القضاء النافذ في الخلق (وإليه ترجعون) عند البعث للجزاء بالحق والعدل. عن النبي ﷺ من قرأ طسم القصص كان له من الأجر بعدد من صدق موسى وكذب ولم يبق ملك في السموات والأرض إلا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقاً.

٢٩ - سورة العنكبوت

(مكية وهي تسع وستون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٩ العنكبوت

الم

٢٩ العنكبوت

أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢٠﴾

وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٢١﴾ ٢٩ العنكبوت

(سورة العنكبوت)

مكية وهي تسع وستون آية

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (الم) الكلام فيه كالذي مر مراراً في نظائره من الفوائج الكريمة خلا أن ما بعده لا يحتمل أن يتعلق به تعلقاً إعرابياً (أحسب الناس) الحسبان ونظائره لا يتعلق به في المفردات بل بمضامين الجمل المفيدة لثبوت شيء أو انتفاء شيء عن شيء بحيث يتحصل منها مفعولاه إما بالفعل كما في عامة المواقع وإما بنوع تصرف فيها كما في الجمل المصدرة بأن والواقعة صلة للوصول الاسم أو الحرفي فإن كلا منها صالحة لأن يسبك منها مفعولاه لأن قوله تعالى أحسب الناس (أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) في قوة أن يقال أحسبوا أنفسهم متروكين بلا فتنة بمجرد أن يقولوا آمنا أو أن يقال أحسبوا تركهم غير مفتونين بقولهم آمنا حاصل متحققاً والمعنى إنكار الحسبان المذكور واستبعاده وتحقيق أنه تعالى يمتحنهم بمشاق التكليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض ما تشبهه النفس ووظائف الطاعات وفنون المصائب في الأنفس والأموال ليميز المخلص من المنافق والراسخ في الدين من المتزلزل فيه ويمجازيهم بحسب مراتب أعمالهم فإن مجرد الإيمان وإن كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في النار روى أنها نزلت في ناس من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين جزعوا من أذية المشركين وقيل في حمار قد عذب في الله وقيل في مهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما رماه عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه أبوامرأته وهو أول من استشهد يومئذ من المسلمين فقال رسول الله ﷺ سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة (ولقد فتنا الذين من قبلهم) متصل بقوله تعالى ٣ أحسب أو بقوله تعالى لا يفتنون والمعنى أن ذلك سنة قديمة مبنية على الحكم البالغة جارية فيما بين الأمم كلها فلا ينبغي أن يتوقع خلافها والمعنى أن الأمم الماضية قد أصابهم من ضروب الفتن والمحن ما هو أشد مما أصاب هؤلاء فصبروا كما يعرب عنه قوله تعالى وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا الآيات وعن النبي ﷺ قد كان من قبلكم يؤخذ في موضع المنظار

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢٩﴾ العنكبوت

مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ العنكبوت

وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٣١﴾ العنكبوت

على رأسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد مادون عظمه من لحم وعصب
 • ما يصرفه ذلك عن دينه (فليعلمن الله الذين صدقوا) أى فى قولهم آمناً (وليعلنن الكاذبين) فى ذلك والفاء
 لترتيب ما بعدها على ما يفصح عنه ما قبلها من وقوع الامتحان واللام جواب القسم والاتفات إلى الاسم
 الجليل لإدخال الروعة وترية المهابة وتكرير الجواب لزيادة التأكيد والتقرير أى فوالله ليتعلقن عليه
 بالامتحان تعلقاً حاليّاً يتميز به الذين صدقوا فى الإيمان الذى أظهروه والذين هم كاذبون فيه مستمرّون
 على الكذب ويترتب عليه أجزيتهم من الثواب والعقاب ولذلك قيل المعنى ليميزن أو ليجازين وقرىء
 وليعلنن من الأعلام أى وليعرفنهم الناس أو ليسمنهم بسمه يعرفون بها يوم القيامة كيباض الوجوه
 ٤ وسوادها (أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا) أى يفوتونا فلا نقدر على مجازاتهم بمساوى
 أعمالهم وهو ساد مسد مفعولى حسب لاشتتاله على مسند ومسند إليه وأم منقطعة وما فيها من معنى بل
 للإضراب والانتقال عن التوبيخ بإنكار حسابهم متروكين غير مفتونين إلى التوبيخ بإنكار ما هو أبطل من
 الحساب الأول وهو حسابهم أن لا يجازوا بسيناتهم وهم وإن لم يحسبوا أنهم يفوتونه تعالى ولم يحدثوا
 نفوسهم بذلك لكنهم حيث أصرّوا على المعاصى ولم يتفكروا فى العاقبة نزّلوا منزلة من يطمع فى ذلك كما فى
 قوله تعالى يحسب أن ماله أخلده (ساء ما يحكمون) أى بنس الذى يحكمونه حكمهم ذلك أو بنس حكما يحكمونه
 ٥ حكمهم ذلك (من كان يرجو لقاء الله) أى يتوقع ملاقة جزائه ثواباً أو عقاباً أو ملاقة حكمه يوم القيامة وقيل
 يرجو لقاء الله عز وجل فى الجنة وقيل يرجو ثوابه وقيل يخاف عقابه وقيل لقاءه تعالى عبارة عن الوصول
 إلى العاقبة من تاقى ملك الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل تلك الحال بحال عبد قدم على سيده
 بعد عهد طويل وقد علم مولاه بجميع ما كان يأتى ويذر فإما أن يلقاه ببشر وكرامة لما رضى من أفعاله
 • أو بضده لما سخطه (فإن أجل الله) الأجل عبارة عن غاية زمان تمتد عينت لأمر من الأمور وقد يطلق
 • على كل ذلك الزمان والأول هو الأشهر فى الاستعمال أى فإن الوقت الذى عينه تعالى لذلك (لآت)
 لا محالة من غير صارف يلو به ولا عاطف يثنى به لأن أجزاء الزمان على التقضى والتصرم دائماً فلا بد من
 إتيان ذلك الجزاء أيضاً البتة وإتيان وقته موجب لإتيان اللقاء حتماً والجواب محذوف أى فليختر من
 الأعمال ما يؤدى إلى حسن الثواب وليحذر ما يسوقه إلى سوء العذاب كما فى قوله تعالى فمن كان يرجو
 لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى وقيل فليبادر إلى
 • ما يحقق أمله ويصدق رجاءه أو ما يوجب القرية والزاني (وهو السميع) لا أقوال العباد (العليم) بأحوالهم
 ٦ من الأعمال الظاهرة والعقائد (ومن جاهد) فى طاعة الله عز وجل (فإنما يجاهد لنفسه) لعود منفعتها

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾

٢٩ العنكبوت

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرَجِعِكَ فَانِيتُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٠﴾

٢٩ العنكبوت

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٣١﴾

٢٩ العنكبوت

- إليها (إن الله لغني عن العالمين) فلا حاجة له إلى طاعتهم وإنما أمرهم بها تعريضا لهم للثواب بموجب رحمته (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم) الكفر بالإيمان والمعاصي بما يتبعها من الطاعات (ولنجزيهم أحسن الذي كانوا يعملون) أي أحسن جزاء أعمالهم لا جزاء أحسر أعمالهم فقط (ووصينا الإنسان بوالديه حسنا) أي بإيتاء والديه وإيلائهما فعلا ذا حسن أو ما هو في حد ذاته حسن ٨ لفرط حسنه كقوله تعالى وقولوا للناس حسنا ووصى بحري مجرى أمر معنى وأصرفا غير أنه يستعمل فيما كان في الأمور به نفع عائد إلى المأمور أو غيره وقيل هو بمعنى قال فاعلمني وقلنا أحسن بوالديك حسنا وقيل انتصاب حسنا بضمير على تقدير قول مفسر للتوصية أي وقلنا أولهما أو افعلا بهما حسنا وهو أوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا وإحسانا (وإن جاهدك لتشرك بي ما ليس لك به علم) أي بالهيته عبر عن نفيا بنفي العلم بها للإيدان بأن ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وإن لم يعلم بطلانه فكيف بما علم بطلانه (فلا تطعهما) في ذلك فإنه لا طاعة لخلق في معصية الخالق ولا بد من إضمار القول إن لم يضمن فيما قبل وفي تعليق النهي عن طاعتهم بمجاهدتهم في التكليف إشعار بأن موجب النهي فيما دونها من التكليف ثابت بطريق الأولوية (إلى مرجعكم) أي مرجع من آمن منكم ومن أشرك ومن بر بوالديه ومن عقى (فأنيتكم بما كنتم تعملون) بأن أجازي كلا منكم بعمله إن خيرا أو نجيها وإن شرا فشر ٩ والآية نزلت في سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه عند إسلامه حيث حلفت أمه حمنة بنت أبي سفيان ابن أمية أن لا تنتقل من الضح إلى الظل ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد فلبثت ثلاثة أيام كذلك وكذا التي في سورة لقمان وسورة الأحقاف وقيل نزلت في عياض بن أبي ربيعة المخزومي وذلك أنه هاجر مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى نزل المدينة فخرج أبو جهل والحريث أخواه لأمه أسماء فتزلا بعياض وقال له إن من دين محمد ﷺ صلة الأرحام وبر الوالدين وقد تركت أمك لا تطعم ولا تشرب ولا تأوى بيتا حتى تراك فاخرج معنا وقتلا منه في الذروة والغارب واستشار عمر رضي الله عنه فقال هما يخذلانك ولك على أن أقسم مالي بيني وبينك فإزالا به حتى أطاعهما وعصى عمر رضي الله عنه فقال عمر رضي الله عنه أما إذا عصيتني فخذناقي فليس في الدنيا بغير يلحقها فإن رابك منهما ريب فارجع فلما انتهوا إلى البيدة قال أبو جهل إن ناقي قد كلت فاحملني معك فنزل ليوطىء لنفسه وله فأخذاه فشداه وثاقا وجلده كل واحد مائة جلدة وذهبا به إلى أمه فقالت لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد (والذين آمنوا وعملوا

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ
 نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾
 وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿٣٠﴾
 وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطِيئَتَكُمْ وَمَاهُمْ بِحَامِلِينَ مِّنْ خَطِيئَتِهِمْ
 مِن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٣١﴾

٢٩ العنكبوت

- الصالحات لندخلهم في الصالحين) أى في زمرة الراستخين في الصلاح والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين وغاية مآول أنبياء الله المرسلين قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال في حق إبراهيم عليه السلام وإنه في الآخرة لمن الصالحين أو في مدخل الصالحين وهو الجنة (ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أُوذِيَ في الله) أى في شأنه تعالى بأن عذبهم الكفرة على الإيمان (جعل فتنة الناس) أى ما يصيبه من أذيتهم (كعذاب الله) في الشدة وال هول فيرتد عن الدين مع أنه لا قدر لها عند نفحة من عذابه تعالى أصلا (وإن جاء نصر من ربك) أى فتح وغنيمة (ليقولن) بضم اللام نظراً إلى معنى من كما أن الأفراد فيما سبق بالنظر إلى لفظها وقرىء بالفتح (إنا كنا معكم) أى مشايعين لكم في الدين فأشركوا في المغنم وهم ناس من ضعة المسلمين كانوا إذا مسهم أذى من الكفار وافقوم وكانوا يكتمنونه من المسلمين فرد عليهم ذلك بقوله تعالى (أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين) أى بأعلم منهم بما في صدورهم من الإخلاص والنفاق حتى يفعلوا ما يفعلون من الارتداد والإخفاء عن المسلمين وادعاء كونهم منهم لنيل الغنيمة وهذا هو الأوفق لما سبق ولما لحق من قوله تعالى (وليعلن الله الذين آمنوا) أى بالإخلاص (وليعلن المنافقين) سواء كان كفرهم بأذية الكفرة أولا أى ليجزيهم بما لهم من الإيمان والنفاق (وقال الذين كفروا للذين آمنوا) بيان لحلمهم للتؤمنين على الكفر بالاستمالة بعد بيان حلمهم لهم عليه بالأذية والوعيد وصفهم بالكفر ههنا دون ما سبق لما أن مساق الكلام لبيان جناباتهم وفيما سبق لبيان جنابة من أضلوه واللام للتبليغ أى قالوا مخاطبين لهم (اتبعوا سبيلنا) أى اسلكوا طريقتنا التي نسلكها في الدين عبر عن ذلك بالاتباع الذي هو المشى خلف ماش آخر تنزيلا للسلك منزلة السالك فيه أو اتبعونا في طريقتنا (ولنحمل خطاياكم) أى إن كان ذلك خطيئة يؤاخذ عليها بالبعث كما تقولون وإنما أمروا أنفسهم بالحمل عاطفين له على أمرهم بالاتباع للبالغة في تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الأوزار عنهم إن كان ثمة وزر فرد عليهم بقوله تعالى (وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء) وقرىء من خطيئاتهم أى وما هم بحاملين شيئاً من خطاياهم التي التزموا أن يحملوا كلها على أن من الأولى للتبيين والثانية مزيدة للاستفراق والجملة اعتراض أو حال (إنهم لكاذبون) حيث أخبروا في ضمن وعدمهم بالحمل بأنهم قادرون على إنجاز ما وعدوا فإن الكذب كما يتطرق إلى الكلام باعتبار

وَلِيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْتَ لَا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٩﴾ العنكبوت ٢٩
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿٤٠﴾

العنكبوت ٢٩

فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٤١﴾

العنكبوت ٢٩

وَأِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾

العنكبوت ٢٩

منطوقه يتطرق إليه باعتبار ما يلزم مدلوله كما مر في قوله تعالى أنبئني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين (وليحملن أثقالهم) بيان لما يستتبعه قولهم ذلك في الآخرة من المضرة لأنفسهم بعد بيان عدم منفعة ١٣
لخطابهم أصلاً والتعبير عن الخطايا بالأثقال الإبدان بغاية ثقلها وكونها فادحة واللام جواب قسم مضمرة
أى وبالله ليحملن أثقال أنفسهم كاملة (وأثقالاً) آخر (مع أثقالهم) لما تسببوا بالإضلال والحمل على
الكفر والمعاصي من غير أن ينتقص من أثقال من أضلوه شيء ما أصلاً (وليسألن يوم القيامة) سؤال
تقريع وتبكي (عما كانوا يفترون) أى يخلقونه في الدنيا من الأكاذيب والباطل الذى من جملتها كذبهم
هذا (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً) شروع في بيان افتتان الأنبياء ١٤
عليهم الصلاة والسلام بأذية أمهم إثر بيان افتتان المؤمنين بأذية الكفار تأكيذاً للإنكار على الذين
يحسبون أن يتركوا بمجرد الإيمان بلا ابتلاء وحثاً لهم على الصبر فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
حيث ابتلوا بما أصابهم من جهة أمهم من فنون المكارة وصبروا عليها فلأن يصبر هؤلاء أولى وأحرى
قالوا كان عمر نوح عليه السلام ألفاً وخمسين عاماً بعث على رأس أربعين سنة ودعا قومه تسعة مائة وخمسين
سنة وحاش بعد الطوفان ستين سنة وعن وهب أنه عاش ألفاً وأربعمائة سنة ولعل ما عليه النظم الكريم
الدلالة على كمال العدد فإن تسعة مائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما في ذكر الألف من تخيل طول
المدة فإن المقصود من القصة تسلية رسول الله ﷺ وتثبيته على ما كان عليه من مكابدة ما يناله من الكفرة
وإظهار ركابة رأى الذين يحسبون أنهم يتركون بلا ابتلاء واختلاف المميز لما في التكرير من نوع بشاعة
(فأخذهم الطوفان) أى عقب تمام المدة المذكورة والطوفان يطلق على كل ما يطوف بالشيء على كثرة وشدة
من السيل والريح والغلام وقد غلب على طوفان الماء (وهم ظالمون) أى والحال أنهم مستمررون على الظلم لم
يتأثروا بما سمعوا من نوح عليه السلام من الآيات ولم يرعوا عما هم عليه من الكفر والمعاصي هذه
المدة المتبادية (فأنجيناه) أى نوحاً عليه السلام (وأصحاب السفينة) أى ومن ركب فيها معه من أولاده ١٥
وأتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة وقيل ثمانية نصفهم ذكور ونصفهم إناث (وجعلناها)
أى السفينة أو الحادثة والقصة (آية للعالمين) يتعظون بها (وإبراهيم) نصب بالعطف على نوح وقيل ١٦
• • • - أبى السعود ج ٧ •

إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ٢٩ المنكبوت
وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا أبلغ المبين ﴿١٨﴾ ٢٩ المنكبوت
أولم يروا كيف يبيد الله الخلق ثم يعيده ۖ إن ذلك على الله يسير ﴿١٩﴾ ٢٩ المنكبوت

- يا ضمائر اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين إبراهيم (إذ قال لقومه) على الأول ظرف للإرسال
- أى أرسلناه حين تكامل عقله وقدر على النظر والاستدلال وترقى من رتبة الكمال إلى درجة التكميل
- حيث قصدى لإرشاد الخلق إلى طريق الحق وعلى الثانى بدل اشتغال من إبراهيم (اعبدوا الله) أى وحده (واقوه) أن تشركوا به شيئاً (ذلكم) أى ما ذكر من العبادة والتقوى (خير لكم) أى مما أنتم عليه
- ومعنى التفضيل مع أنه لا خبرية فيه قطعاً باعتبار زعمهم الباطل (إن كنتم تعلمون) أى الخير والشر وتميزون أحدهما من الآخر أو إن كنتم تعلمون شيئاً من الأشياء بوجه من الوجوه فإن ذلك كاف فى
- ١٧ الحكم بخبرية ما ذكره من العبادة والتقوى (إنما تعبدون من دون الله أوثناً) بيان لبطلان دينهم وشريته فى نفسه بعد بيان شريته بالنسبة إلى الدين الحق أى إنما تعبدون من دونه تعالى أوثناً هى فى نفسها تماثيل
- مصنوعة لكم ليس فيها وصف غير ذلك (وتخلقون إفكاً) أى وتكذبون كذباً حيث تسمونها آلهة وتدعون أنها شفعاؤكم عند الله تعالى أو تعملونها وتحتونها للإفك وقرئ تخلقون بالتشديد للتكثير
- فى الخلق بمعنى الكذب والافتراء وتخلقون بحذف إحدى التاءين من تخلق بمعنى تكذب وتخرس وقرئ إفكاً على أنه مصدر كالكذب واللعب أو نعت بمعنى خلقاً ذا إفك (إن الذين تعبدون من دون الله) بيان
- لشرية ما يعبدونه من حيث إنه لا يكاد يمجدهم نفعاً (لا يملكون لكم رزقاً) أى لا يقدر أن يرزقكم شيئاً من الرزق (فابتغوا عند الله الرزق) كله فإنه هو الرزاق ذو القوة المتين (واعبدوه) وحده (واشكروا له) على نعمائه متوسلين إلى مطالبكم بعبادته مقيدين بالشكر للعتيد ومستجلبين للزبد (وإليه ترجعون)
- أى بالموت ثم بالبعث لا إلى غيره فافعلوا ما أمرتكم به وقرئ ترجعون من رجوع رجوعاً (وإن تكذبوا) أى تكذبون فيما أخبرتكم به من أنكم إليه ترجعون بالبعث (فقد كذب أمم من قبلكم) تعليل للجواب
- أى فلا تضرونى بتكذيبكم فإن من قبلكم من الأمم قد كذبوا من قبل من الرسل وهم شيت وإدريس ونوح عليهم السلام فلم يضرهم تكذيبهم شيئاً وإنما ضار أنفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا
- تكذيبكم (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) أى التبليغ الذى لا يبق معه شك وما عليه أن يصدق قومه البتة وقد خرجت عن عهدة التبليغ بما لا مزيد عليه فلا يضرنى تكذيبكم بعد ذلك أصلاً (أولم يروا كيف
- ١٩ يبيد الله الخلق) كلام مستأنف مسوق من جهة تعالى للإنكار على تكذيبهم بالبعث مع وضوح دليله وسنوح سبيله والهمزة لإنكار عدم رؤيتهم الموجب لتقريرها والواو للعطف على مقدر أى ألم ينظروا

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

٢٩ العنكبوت

يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾

٢٩ العنكبوت

وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ ٢٩ العنكبوت

- ولم يعلموا علماً جازياً مجرى الرؤية في الجلاء والظهور كيفية خلق الله تعالى الخلق ابتداء من مادة ومن غير مادة أى قد علموا ذلك وقرىء بصيغة الخطاب لتشديد الإنكار وتأكيده وقرىء يبدأ وقوله تعالى (ثم يعيده) عطف على أولم يروا ليعيدى لعدم وقوع الرؤية عليه فهو لإخبار بأنه تعالى يعيد الخلق * قياساً على الإبداء وقد جاوز العطف على يعيدى بتأويل الإعادة بإنشائه تعالى كل سنة مثل ما أنشأ في السنة السابقة من النبات والثمار وغيرهما فإن ذلك مما يستدل به على صحة البعث ووقوعه من غير ريب (إن ذلك) أى ما ذكر من الإعادة (على الله يسير) إذ لا يفترق فعله إلى شيء أصلاً (قل سيروا في الأرض) ٢٠ أمر لإبراهيم عليه السلام أن يقول لهم ذلك أى سيروا فيها (فانظروا كيف بدأ الخلق) أى كيف خلقهم ابتداء على أطوار مختلفة وطبائع متغايرة وأخلاق شتى فإن ترتيب النظر على السير في الأرض مؤذن بتتابع أحوال أصناف الخلق الفاطنين في أقطارها (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) بعد النشأة الأولى التي شاهدتموها والتعبير عن الإعادة التي هي محل النزاع بالنشأة الآخرة المشعرة بكون البدء نشأة أولى للتنبيه على أنهما شأن واحد من شؤون الله تعالى حقيقة واسماً من حيث إن كلامهما اختراع وإخراج من العدم إلى الوجود ولا فرق بينهما إلا بالأولية والآخرة وقرىء النشأة بالمد وهما لغتان كالرأفة والرأفة ومحملها النصب على أنها مصدر مؤكد لينشئ بمحذف الزوائد والأصل الإنشاء أو بمحذف العامل أى ينشئ فينشأون النشأة الآخرة كما في قوله تعالى وأنبأها نباتاً حَسَناً والجملة معطوفة على جملة سيروا في الأرض داخلة معها في حيز القول وإظهار الاسم الجليل وإيقاعه مبتدأ مع إضماره فبدأ لإبراز مزيد الاعتناء ببيان تحقق الإعادة بالإشارة إلى علة الحكم وتكرير الإسناد وقوله تعالى (إن الله على كل شيء قدير) * تعطيل لما قبله بطريق التحقيق فإن من علم قدرته تعالى على جميع الأشياء التي من جملتها الإعادة لا يتصور أن يتردد في قدرته عليها ولا في وقوعها بعد ما أخبر به (يعذب) أى بعد النشأة الآخرة (من يشاء) أن يعذبه وهم المنكرون لهاحتماً (ويرحم من يشاء) أن يرحمه وهم المصدقون بها والجملة تسكلمة لما قبلها وتقديم التعذيب لما أن التهيب أنسب بالمقام من الترغيب (وإليه تـُـقْلَبُونَ) عند ذلك لا إلى غيره فيفعل بكم ما يشاء من التعذيب والرحمة (وما أنتم بمُعْجِزِينَ) له تعالى عن إجراء حكمه وقضائه عليكم (في الأرض ولا في السماء) أى بالتواري في الأرض أو الهبوط في مهاديها ولا بالتحصن في السماء التي هي أفسح منها لو استطعتم الرقي فيها كما في قوله تعالى إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا أو

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَكُونُ مِنْهُمْ رَحِمَةٌ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ النكبات
فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ النكبات

وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَنًا مَوْدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ
بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿٣١﴾ النكبات

- القلاع الذاهبة فيها وقيل في السماء صفة لمخزوف معطوف على أنتم أي ولا من في السماء (وما لكم من
دون الله من ولي ولا نصير) بحر سكم مما يصيبكم من بلاء يظهر من الأرض أو ينزل من السماء ويدفعه عنكم
٢٣ (والذين كفروا بآيات الله) أي بدلائله التكوينية والتزيلية الدالة على ذاته وصفاته وأفعاله فدخل
فيها الشاة الأولى الدالة على تحقق البعث والآيات الناطقة به دخولا أولياً وتخصيصها بدلائل وحدانيته
• تعالى لا يناسب المقام (ولقائه) الذي تنطق به تلك الآيات (أولئك) الموصوفون بما ذكر من الكفر بآياته
تعالى ولقائه (يذسوا من رحمتي) أي يياسون منها يوم القيامة وصيغة الماضي للدلالة على تحققه أو يذسوا منها
• في الدنيا لإنكارهم البعث والجزاء (وأولئك لهم عذاب أليم) وفي تكرير اسم الإشارة وتكرير الإسناد
وتكثير العذاب ووصفه بالآليم من الدلالة على كمال فظاعة حالهم ما لا يخفى أي أولئك الموصوفون
بالكفر بآيات الله تعالى ولقائه وباللباس من رحمة الممتازون بذلك عن سائر الكفرة لهم بسبب تلك
٢٤ الأوصاف القبيحة عذاب لا يقادر قدره في الشدة والإيلام (فما كان جواب قومه) بالنصب على أنه خبر
كان واسمها قوله تعالى (إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه) وقرئ بالرفع على العكس وقد مر ما فيه في نظائره
وليس المراد أنه لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن حجج إبراهيم عليه السلام إلا هذه المقالة الشنيعة كما
هو المتبادر من ظاهر النظم الكريم بل إن ذلك هو الذي استقر عليه جوابهم بعد اللتيا والتي في المرة
• الأخيرة وإلا فقد صدر عنهم من الخرافات والباطيل ما لا يحصى (فأنجاه الله من النار) الفاء فصيحة
أي فآلقوه في النار فأنجاه الله تعالى منها بأن جعلها عليه عليه الصلاة والسلام برداً وسلاماً حسبما بين في
مواضع أخر وقد مر في سورة الأنبياء بيان كيفية إلقائه عليه الصلاة والسلام فيها وإنجائه تعالى إياه
• تفصيلاً قيل لم ينتفع يومئذ بالنار في موضع أصلاً (إن في ذلك) أي في إنجائه منها (آيات) بينة عجيبة
هي حفظه تعالى إياه من حرها وإخادها في زمان يسير وإنشاء روض في مكانها (لقوم يؤمنون) وأما
٢٥ من عداهم فهم عن اجتلائها غافلون ومن الفوز بمغائم آثارها محرومون (وقال) أي إبراهيم عليه السلام
مخاطباً لهم (إنما اتخذتم من دون الله آثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا) أي لتوادوا بينكم وتتواصلوا
لا اجتماعكم على عبادتها واتلافكم ثانياً مفعولي اتخذتم محذوف أي أو ثانياً آلهة ويجوز أن يكون مودة هو
المفعول بتقدير المضاف أو بتأويلها بالمودودة أو بجعلها نفس المودة مبالغة أي اتخذتم أو ثانياً سبب المودة

فَعَامَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾
وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ
فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾
وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَنْتُنَّ أَلْفَ حِشَّةٍ مَّا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾

٢٩ العنكبوت

٢٩ العنكبوت

٢٩ العنكبوت

بينكم أو مودودة أو نفس المودة وقرىء مودة منونة منصوبة ناصبة الظرف وقرئت بالرفع والإضافة على أنها خبر مبتدأ محذوف أى هى مودودة أو نفس المودة أو سبب مودة بينكم والجملة صفة أو ثانياً أو خبر إن على أن ماصدرية أو موصولة قد حذف عائدها وهو المفعول الأول وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرىء لقد تقطع بينكم على أحد الوجهين وقرىء إنما مودة بينكم والمعنى أن اتخاذكم إياها مودة بينكم ليس إلا فى الحياة وقد أجرىتم أحكامه حيث فعلتم فى ما فعلتم لأجل مودتكم لها انتصار أمتى كما بنى عنه قوله تعالى وانصروا آلهمكم (ثم يوم القيامة) تنقلب الأمور ويبدل التوادب باغضاً والتلاطف تلاعناً حيث (يكفر بعضكم) وهم العبد (ببعض) وهم الأولاد (ويلعن بعضكم بعضاً) أى يلعن كل فريق منكم ومن الأولاد حيث ينطقها الله تعالى الفريق الآخر (وما أكرم النار) أى هى منزل لكم الذى تأوون إليه ولا ترجعون منه أبداً (وما لكم من ناصرين) يخلصونكم منها كما خلصنى ربى من الداء الذى ألقىتمونى فيها وجمع الناصر لوقوعه فى مقابلة الجمع أى ما لأحد منكم من ناصر أصلاً (فآمن له لوط) أى صدقه فى جميع مقالاته لا فى نبوته وما دعا إليه من ٢٦ التوحيد فقط فإنه كان منزهاً عن الكفر وما قيل إنه آمن له حين رأى النار لم تحرقه ينبغى أن يحمل على ما ذكرنا أو على أن يراد بالإيمان الرتبة العالية منها وهى التى لا يرتقى إليها إلا همم الأفراد الكمل ولوط هو ابن أخيه عليهما السلام (وقال لى مهاجر) أى من قومي (إلى ربى) إلى حيث أمرنى ربى (لأنه هو العزيز) الغالب على أمره فيمنعنى من أعدائى (الحكيم) الذى لا يفعل فعلاً إلا وفيه حكمة ومصلحة فلا يأمرنى إلا بما فيه صلاحى روى أنه هاجر من كوثى سواد الكوفة مع لوط وسارة ابنة عمه إلى حران ثم منها إلى الشام فزل فلسطين ونزل لوط سدوم (ووهبنا له إسحاق ويعقوب) ولداً وناقلة حين أيس من ٢٧ عجوز طافر (وجعلنا فى ذريته النبوة) فكثرت منهم الأنبياء (والكتاب) أى جنس الكتاب المتناول للكتب الأربعة (وآتيناه أجره) بمقابلة هجرته إلينا (فى الدنيا) بإعطاء الولد والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء أهل الملل إليه والثناء والصلاة عليه إلى آخر الدهر (ولأنه فى الآخرة لمن الصالحين) أى الكاملين فى الصلاح (ولوطاً) منصوب إما بالعطف على نوحاً أو على إبراهيم والكلام فى قوله تعالى (إذ ٢٨ قال لقومه) كالذى مر فى قصة إبراهيم عليه السلام (إنكم لتأتون الفاحشة) أى الفعل المتناهية فى القبح وقرىء أنتمكم (ما سبقكم بها من أحد من العالمين) استئناف مقرر لكمال قبحها فإن إجماع جميع أفراد العالمين على التحاشى عنها ليس إلا لكونها مما تشمئز منه الطباع وتنفر منه النفوس .

أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا

أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾

٢٩ العنكبوت

قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

٢٩ العنكبوت

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا

ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾

٢٩ العنكبوت

قَالَ إِنِّي فِيهَا لُوطٌ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا تَكُنْتُمْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ ٢٩ العنكبوت

- ٢٩ (أنتم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل) وتعرضون للسابلة أي بالفاحشة حيث روى أنهم كانوا كثيرا ما يفعلونها بالغرباء وقيل تقطعون سبيل النساء بالإعراض عن الحرث وإتيان ماليس بحرث وقيل تقطعون السبيل بالقتل واخذ المال (وتأتون في ناديكم) أي تفعلون في مجلسكم الجامع لأصحابكم (المنكر) كالجوع والضراط وحل الإزار وغيرها مما لاخير فيه من الأفاعيل المنكرة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو الحذف بالحصى والرمي بالبندق والفرقة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الإزار والسباب والفحش في المزاح وقيل السخرية بمن مريبهم وقيل المجاهرة في ناديهم بذلك العمل (فإكان جواب قومه إلا أن قالوا اتينا بعذاب الله إن كنت من الصادقين) أي فإكان جواباً من جهتهم شيء من الأشياء إلا هذه الكلمة الشنيعة أي لم يصدر عنهم في هذه المرة من مرات مواعظ لوط عليه السلام وقد كان أوعدهم فيها بالعذاب وأما ما في سورة الأعراف من قوله تعالى وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريبتكم الآية وما في سورة النمل من قوله تعالى فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريبتكم الآية فهو الذي صدر عنهم بعده هذه المرة وهي للمرة الأخيرة من مرات المقاولات الجارية بينهم وبينه عليه الصلاة والسلام وقد مر تحقيقه في سورة الأعراف (قال رب أنصرني) أي يازال العذاب المتوعد (على القوم المفسدين) بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدم والإصرار عليها ٣١ واستعجال العذاب بطريق الاستهزاء وإنما وصفهم بذلك مبالغة في استئزال العذاب عليهم (ولما جاءت رسلا إبراهيم بالبشرى) أي بالبشارة بالولد والثافلة (قالوا) أي لإبراهيم عليه السلام في تضاعيف الكلام حسبا فصل في سورة هود وسورة الحجر (إنا مهلكوا أهل هذه القرية) أي قرية سدوم والإضافة لثنية لأن المعنى على الاستقبال (إن أهلها كانوا ظالمين) تعليل للإهلاك بإصرارهم على الظلم وتناديهم ٣٢ في فتون الفساد وأنواع المعاصي (قال إن فيها لوطاً) فكيف تهلكونها (قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله) أرادوا أنهم غير غافلين عن مكان لوط عليه السلام فيها بل هم لم يتعرض لإبراهيم عليه السلام من أتباعه المؤمنين وأنهم معشون بشأنهم أتم اعتناء حسبا يذنب عنه تصدير الوعد بالنجية بالقسم أي والله لننجينه وأهله (إلا أمراته كانت من الغابرين) أي الباقيات في العذاب أو القرية .

وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ يَوْمٍ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَاهْلِكَ
إِلَّا أَمْرَاتِكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾

٢٩ العنكبوت

إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾

٢٩ العنكبوت

وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾

٢٩ العنكبوت

وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَنْقُومَ عَبْدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ
مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾

٢٩ العنكبوت

فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِينَ ﴿٣٧﴾

٢٩ العنكبوت

- (ولما أن جاءت رسلنا) المذكورون بعد مفارقةهم لإبراهيم عليه السلام (لوطاً سيئاً بهم) اعتراه المساء ٣٣
بسببهم مخافة أن يتعرض لهم قومه بسوء وكلمة أن صلة لنا كيد ما بين القطعين من الاتصال (وضاق بهم
ذرعاً) أى ضاق بشأنهم وتدير أمرهم ذرعاً أى طاقته كقولهم ضاقت يده ويلازنه ربح ذرعاً بكذا
إذا كان مطبقاً به قادراً عليه وذلك أن طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع (وقالوا) ريثما شاهدوا
فيه غايل التضجر من جهنم وعانوا أنه قد عجز عن مدافعة قومه بعد اللتيا والى حتى آلت به الحال إلى
أن قال لو أن لى بكم قوة أو أوى إلى ركن شديد (لاتخف) أى من قومك علينا (ولا تحزن) أى على شئ
وقيل ياهلا كنا لإيام (إنا منجوك وأهلك) بما يصيبهم من العذاب (إلا أمرأتك كانت من الغابرين)
وقرى لتنجينك ومنجوك من الإنجاء وأياً ما كان فحل الكاف الجر على المختار ونصب أهلك بإضمار فعل
أو بالعطف على محلهما باعتبار الأصل (إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء) استئناف مسوق ٣٤
لبیان ما أشير إليه بوعدهم بالنتيجة من نزول العذاب عليهم والرجز العذاب الذى يلقى المذنب أى يزيجه من قولهم
ارتجز إذا ارتجس واضطرب وقرى منزلون بالتشديد (بما كانوا يفسقون) بسبب فسقهم المستمر (ولقد
تركنا منها) أى من القرية (آية بينة) هى قصتها العجيبة وآثار ديارها الخربة وقيل الحجارة المطورة
فإنها كانت باقية بعدها وقيل الماء الأسود على وجه الأرض (لقوم يعقلون) يستعملون عقولهم فى
الاستبصار والاعتبار وهو متعلق بما تركنا أو بينة (وإلى مدين أخاهم شعيباً) متعلق بمضمر معطوف على ٣٦
أرسلنا فى قصة نوح عليه السلام أى وأرسلنا إلى مدين شعيباً (فقال يا قوم اعبدوا الله) وحده (وارجوا
اليوم الآخر) أى توقعوه وما سبق فيه من فنون الأهوال وافعلوا اليوم من الأعمال ما تأمنون غائلته
وقيل وارجوا ثوابه بطريق إقامة المسبب مقام السبب وقيل الرجاء بمعنى الخوف (ولا تعثوا فى
الأرض مفسدين) (فكذبوه فأخذتهم الرجفة) أى الزلزلة الشديدة وفى سورة هود وأخذت الذين
ظلموا الصيحة أى صيحة جبريل عليه السلام فإنها الموجبة للرجفة بسبب تمويهها للهواء وما يحاورها من

وَعَادًا وَثُمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّنْ مَّسْكِنِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَغْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ
وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾

٢٩ العنكبوت

وَقَرُّونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَمْلَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا
سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾

٢٩ العنكبوت

فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ
الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾

٢٩ العنكبوت

مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْيُوتِ لَيَبُتُّ
الْعَنْكَبُوتُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾

٢٩ العنكبوت

٣٨ (وَعَادًا وَثُمُودًا) منصوبان يا ضمير فعل بئبى عنه ما قبله أى اهلكنا وقرىء ثموداً بتأويل الحى (وقد
تبين لكم من مساكنهم) أى وقد ظهر لكم إهلاكنا إياهم من جهة مساكنهم بالنظر إليها عند اجتيازكم
بها ذهاباً إلى الشام وإياباً منه (وزين لهم الشيطان أعمالهم) من فنون الكفر والمعاصى (فصددهم عن
عن السبيل) السوى الموصل إلى الحق (وكانوا مستبصرين) متمكنين من النظر والاستدلال ولكنهم
لم يفعلوا ذلك أو متبينين أن العذاب لاحق بهم يا خبر الرسل عليهم الصلاة والسلام لهم ولكنهم لجوا
حتى لقوا ما لقوا (وقارون وفرعون وهامان) معطوف على عاداً قيل تقديم قارون لشرف نسبه (ولقد
جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الأرض وما كانوا سابقين) مفلتين فائتين من قولهم سبق طالبه إذا
٤٠ قانه ولم يدركه ولقد أدركم أمر الله عز وجل أى إدراك فتداركوا نحو الدمار والهلاك (فكلاً) تفسير
لما بئبى عنه عدم سبقهم بطريق الإبهام أى فكل واحد من المذكورين (أخذنا بذنبه) أى عاقبناه بجنايته
لا بعضه دون بعض كما يشعر به تقديم المفعول (فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً) تفصيل للأخذ أى ريحاً
حاصفاً فيها حصباء وقيل ملكار مام بهم أو هم قوم لوط (ومنهم من أخذته الصيحة) كعدين وثمرود (ومنهم
من خسفنا به الأرض) كفارون (ومنهم من أغرقنا) كقوم نوح وفرعون وقومه (وما كان الله ليظلمهم)
بما فعل بهم فإن ذلك محال من جهته تعالى (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالاستمرار على مباشرة
٤١ ما يوجب ذلك من أنواع الكفر والمعاصى (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء) أى فيما اتخذوه
متعمداً ومتكلاً (كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً) فيما نسجته فى الوهن والخور بل ذلك أو هن من هذا
لأن له حقيقة وانتفاعاً فى الجملة أو مثلهم بالإضافة إلى الموحّد كمثلته بالإضافة إلى رجل بنى بيتاً من حجر
وحص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والغالب فى الاستعمال التأنيث وتأوّه

- ٢٩ العنكبوت إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾
- ٢٩ العنكبوت وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾
- ٢٩ العنكبوت خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾
- ٢٩ العنكبوت أَتُلِّ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

كناء طاغوت وجمع على عناكب وعنكبوتات وأما العنكب والعكب والإعكب فاسماء الجوع (وإن
أوهن البيوت لبنت العنكبوت) حيث لا يرى شيء بداينه في الوهن والوهي (لو كانوا يعلمون) أى شيئاً
من الأشياء لجزموا أن هذا مثلهم أو أن دينهم أوهى من ذلك ويجوز أن يجعل بيت العنكبوت عبارة عن
دينهم تحقيقاً للتمثيل فالمعنى وإن أوهن ما يعتمد به في الدين دينهم (إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء) ٤٢
على إضمار القول أى قل للكفرة إن الله الخ وما استفهامية منصوبة يدعون معلقة ليعلم ومن للتبيين أو
ناية ومن مزيدة وشيء مفعول يدعون أو مصدرية وشيء عبارة عن المصدر أو موصولة مفعول ليعلم
ومفعول يدعون عائده المحذوف وقرئ تدعون بالناء والكلام على الأولين تجميل لهم وتأکید للثبوت
وعلى الأخيرين وعيد لهم (وهو العزيز الحكيم) تعليل على المعنيين فإن إشرارك ما لا يعد شيئاً بمن هذا
شأنه من فرط الغباوة وأن الجداد بالنسبة إلى القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم وإتقان الفعل الغاية
القاصية كالمعدوم البحت وأن من هذه صفاته قادر على مجازاتهم (وتلك الأمثال) أى هذا المثل وأمثاله ٤٣
(نضربها للناس) تقريباً لما بعد من أفهامهم (وما يعقلها) على ما هي عليه من الحسن واستتباع الفوائد
(إلا العالمون) الراسخون في العلم المتدبرون في الأشياء على ما ينبغي وعنه ~~يقال~~ أنه تلا هذه فقال العالم
من عقل عن الله تعالى وعمل بطاعته واجتنب سخطه (خلق الله السموات والأرض بالحق) أى محققاً ٤٤
مراعياً للحكم والمصالح على أنه حال من فاعل خلق أو ملتبسة بالحق الذي لا يحيد عنه مستتبعة للنافع
الدينية والدينية على أنه حال من مفعوله فإنها مع اشتغالها على جميع ما يتعلق به معاشهم شواهد دالة على
شئونه تعالى المتعلقة بذاته وصفاته كما يفصح عنه قوله تعالى (إن في ذلك لآية للمؤمنين) دالة لهم على ما ذكر
من شئونه سبحانه وتخصيص المؤمنين بالذكر مع عموم الهداية والإرشاد في خلقهم للكل لأنهم المنتفعون
بذلك (أتلى ما أوحى إليك من الكتاب) تقريباً إلى الله تعالى بقراءته وتذكراً لما في تضاعيفه من المعاني ٤٥
وتذكيراً للناس وحملهم على العمل بما فيه من الأحكام ومحاسن الآداب ومكارم الأخلاق (وأقم
الصلاة) أى داوم على إقامتها وحيث كانت الصلاة منتظمة للصلوات المكتوبة المؤداة بالجماعة وكان أمره
عليه الصلاة والسلام بإقامتها متضمناً لأمر الأمة بها علل بقوله تعالى (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء

وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي
 أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٩﴾
 وَكَذَلِكَ أُنزِلَ إِلَيْكَ الْكِتَابُ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ
 يُؤْمِنُ بِهِ ۖ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٥٠﴾

٢٩ العنكبوت

٢٩ العنكبوت

والمنكر) كأنه قيل وصل بهم إن الصلاة تنههم عن الفحشاء والمنكر ومعنى نهى عنها أنها سبب للانتباه
 عنهما لأنها مناجاة لله تعالى فلا بد أن تكون مع إقبال تام على طاعته وإعراض كلي عن معاصيه قال ابن
 مسعود وابن عباس رضي الله تعالى عنهما في الصلاة منتهى ومزدد عن معاصي الله تعالى فمن لم تأمره
 صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزد بصلاته من الله تعالى إلا بعداً وقال الحسن وقتادة من لم
 تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه وروى أنس رضي الله عنه أن قى من الأنصار كان
 يصلي مع رسول الله ﷺ ثم لا يدع شيئاً من الفواحش إلا ركب فوصف له ﷺ حاله فقال إن صلاته
 • ستهناه فلم يلبث أن تاب وحسن حاله (ولذكر الله أكبر) أى وللصلاة أكبر من سائر الطاعات وإنما عبر
 عنها به كما في قوله تعالى فاسمعوا إلى ذكر الله للإبذان بأن مافيهما من ذكر الله تعالى هو العمدية في كونها
 مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات وقيل ولذكر الله تعالى عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما
 ووعيده عليهما أكبر في الزجر عنهما وقيل ولذكر الله أكبر من ذكركم إياه بطاعته (والله
 يعلم ما تصنعون) منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم بها أحسن المجازاة (ولا تجادلوا أهل الكتاب) من
 اليهود والنصارى (إلا بالتي هي أحسن) أى بالخصلة التي هي أحسن كمقابلة الخشونة باللين والغضب
 بالكظم والمشغبة بالنصح والسورة بالآناة على وجه لا يدل على الضعف ولا يؤدي إلى إعطاء الدنية وقيل
 منسوخ بآية السيف (إلا الذين ظلموا منهم) بالإفراط في الاعتداء والعناد أو بإثبات الولد وقولهم يد
 الله مغلوله ونحو ذلك فإنه يجب حينئذ المدافعة بما يليق بحالهم (وقولوا آمناً بالذي أنزل إلينا) من القرآن
 (وأنزل إليكم) أى وبالذي أنزل إليكم من التوراة والإنجيل وقد مر تحقيق كيفية الإيمان بهما في
 خاتمة سورة البقرة وعن النبي ﷺ لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمناً بالله وبكتبه وبرسله
 فإن قالوا باطلالهم تصدقوهم وإن قالوا حقاً لم تكذبوهم (واللهنا وإلهكم واحد) لا شريك له في الألوهية
 (ونحن له مسلمون) مطيعون خاصة وفيه تعريض بحال الفريقين حيث اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً
 من دون الله (وكذلك) تجريد الخطاب إلى رسول الله ﷺ وذلك إشارة إلى مصدر الفعل الذي بعده وما
 فيه من معنى البعد للإبذان بيبعد منزلة المشار إليه في الفضل أى مثل ذلك الإنزال البديع الموافق لإنزال
 سائر الكتب (أنزلنا إليك الكتاب) أى القرآن الذي من جملته هذه الآية الناطقة بما ذكر من المجادلة
 بالحسنى (فالذين آتيناهم الكتاب) من الطائفتين (يؤمنون به) أريد بهم عبد الله بن سلام وأضرابه من
 أهل الكتابين خاصة كأن من عدم لم يتواتر الكتاب حيث لم يعملوا بما فيه أو من تقدم عهد رسول الله

٤٦

٤٧

وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَا رَتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ٢٩ العنكبوت
 بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ ٢٩ العنكبوت
 وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ ٢٩ العنكبوت
 أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ
 يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ٢٩ العنكبوت

ﷺ منهم حيث كانوا مصدقين بنزوله حسبما شاهدوا في كتابهم ما وتخصيصهم بإتياء الكتاب بالإيدان بأن من بعدهم من معاصري رسول الله ﷺ قد نزع عنهم الكتاب بالنسخ فلم يؤتوه والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن إيمانهم به مترتب على إزاله على الوجه المذكور (ومن هؤلاء) أي ومن العرب أو أهل مكة على الأول أو ممن في عصره ﷺ على الثاني (من يؤمن به) أي بالقرآن (وما يجحد بآياتنا) عبر عن الكتاب بالآيات للتنبيه على ظهور دلالتها على معانيها وعلى كونها من عند الله تعالى وأضيفت إلى نون العظمة لمزيد تفخيمها وغاية تشنيع من يجحد بها (إلا الكافرون) المتوغلون في الكفر المصممون عليه فإن ذلك يصددهم عن التأمل فيما يؤديهم إلى معرفة حقيقتها وقيل هم كعب بن الأشرف وأصحابه (وما كنت تنلو من قبله) أي ما كنت قبل إزالنا إليك الكتاب تقدر على أن تنلو شيئاً من كتاب (ولا تخطه) أي ولا تقدر على أن تخطه (بيمينك) حسبما هو المعتاد أو ما كانت عادتك أن تنخطه (إذا لا رتاب المبطلون) أي لو كنت ممن يقدر على التلاوة والخط أو ممن يعتادهما لا رتابوا وقالوا لعله النقطة من كتب الأوائل وحيث لم تكن كذلك لم يبق في شأنك منشأ ريب أصلاً وتسميتهم مبطلين في ارتباطهم على التقدير المفروض لكونهم مبطلين في اتباعهم للاحتمال المذكور مع ظهور نزاهته ﷺ عن ذلك (بل هو) أي القرآن (آيات بينات) واضحات ثابتة راسخة (في صدور الذين أوتوا العلم) من غير أن يلتقط من كتاب يحفظونه بحيث لا يقدر أحد على تحريفه (وما يجحد بآياتنا) مع كونها كذا ذكر (إلا الظالمون) المتجاوزون للحدود في الشر والمكابرة والفساد (وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه) مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى عليهم السلام وقرىء آية (قل إنما الآيات عند الله) ينزلها حسبما يشاء من غير دخل لأحد في ذلك قطعاً (وإنما أنا نذير مبين) ليس من شأني إلا الإنذار بما أوتيت من الآيات (أو لم يكفهم) كلام مستأنف وارد من جمته تعالى رداً على اقتراحهم وبياناً لبطلانه والهمزة الإنكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أقصر ولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات (أنا أنزلنا عليك الكتاب) الناطق بالحق المصدق لما بين يديه من الكتب السماوية وأنت بمعزل عن مدارستها وممارستها (يتلى عليهم) في كل زمان ومكان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها وتكون في مكان دون مكان أو يتلى على اليهود بتحقيق ما في أيديهم من نعتك ونعت دينك (إن في ذلك) الكتاب العظيم

قُلْ كَفَى بِاللّٰهِ بَيِّنًا وَبَيِّنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَالَّذِيْنَ ءٰمَنُوْا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوْا بِاللّٰهِ اُولٰٓئِكَ هُمُ الْخٰسِرُوْنَ ﴿٥٢﴾

٢٩ العنكبوت

وَيَسْتَعْجِلُوْنَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْ لَا اَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُوْنَ ﴿٥٣﴾

٢٩ العنكبوت

يَسْتَعْجِلُوْنَكَ بِالْعَذَابِ وَاِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيْطَةٌ بِالْكَافِرِيْنَ ﴿٥٤﴾

٢٩ العنكبوت

الشان الباقي على مر الدهور (لرحمة) أى نعمة عظيمة (وذكرى) أى تذكرة (لقوم يؤمنون) أى لقوم مهمهم الإيمان لا التمتع كأوائك المقترحين وقيل إن ناساً من المؤمنين أتوا رسول الله ﷺ بكتف فيها بعض ما يقوله اليهود فقال كفى بها ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاء به نبهم إلى ما جاء به غير نبهم فزلت ٥٢ (قل كفى بالله بئني وبينكم شهيداً) بما صدر عني وعنكم (يعلم ما في السموات والأرض) أى من الأمور التي من جملتها شأني وشأنكم فهو تقرير لما قبله من كفايته تعالى شهيداً (والذين آمنوا بالباطل) وهو ما يعبد من دون الله تعالى (وكفروا بالله) مع تعاضد موجبات الإيمان به (أولئك هم الخاسرون) المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان بأن ضيعوا الفطرة الأصلية والأدلة السمعية الموجبة للإيمان والآية من قبيل المجادلة بالناسي هي أحسن حيث لم يصرح بنسبة الإيمان بالباطل والكفر بالله والخسران إليهم بل ذكر على مناج الإيهام كافي قوله تعالى وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ٥٣ (ويستعجلونك بالعذاب) على طريقة الاستهزاء بقولهم متى هذا الوعد وقولهم أمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب ونحو ذلك (ولولا أجل مسمى) قد ضربه الله تعالى لعذابهم وبينه في اللوح (لجاءهم العذاب) المعين لهم حسبما استعجلوا به قيل المراد بالأجل يوم القيامة لما روى أنه تعالى وعذر رسول الله ﷺ أن لا يعذب قومه بعذاب الاستئصال وأن يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم بأجلهم وفيه بعد ظاهر لما أنهم ما كانوا يعدون بفنائهم الطبيعي ولا كانوا يستعجلون به (ولياتينهم) جملة مستأنفة مبينة لما أشير إليه في الجملة السابقة من مجيء العذاب عند محل الأجل أى وبالله لياتينهم العذاب الذي عين لهم عند حلول الأجل (بغته) أى فجأة (وهم لا يشعرون) أى يأتيناه ولعل المراد يأتيناه كذلك أنه لا يأتينهم بطريق التعجيل عند استعجالهم والإجابة إلى مستولهم فإن ذلك إتيان برأيهم وشعورهم لا أنه يأتينهم وهم غارون آمنون لا يخطر ببال كدأب بعض العقوبات النازلة على بعض الأمم بيئاتاً وهم نائمون أو ضحى وهم يلعبون لما أن إتيان عذاب الآخرة وعذاب يوم بدر ليس من هذا القبيل ٥٤ (يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) استئناف مسوق لغاية تجهيلهم وركاكة رأيهم وفيه دلالة على أن ما استعجلوه عذاب الآخرة أى يستعجلونك بالعذاب والحال أن محل العذاب الذي لا عذاب فوقه محيط بهم كأنه قبل يستعجلونك بالعذاب وإن العذاب لمحيط بهم أى سيحيط بهم وإنما

يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ ٢٩ العنكبوت

يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ٢٩ العنكبوت

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ ٢٩ العنكبوت

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

نَعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٢٩ العنكبوت

جاء بالجملة الاسمية دلالة على تحقق الإحاطة واستمرارها أو تنزيلا لحال السبب منزلة حال المسبب فإن الكفر والمعاصي الموجبة لدخول جهنم محيطة بهم وقيل إن الكفر والمعاصي هي النار في الحقيقة لكنها ظهرت في هذه النشأة بهذه الصورة وقد مر تفصيله في سورة الاعراف عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق ولا م الكافرين إما للهد ووضوح الظاهر موضع المضمر للإشعار بعلّة الحكم أو للجنس وهم داخلون فيه دخولا أولياً (يوم يغشاهم العذاب) ظرف لمضمر قد طوى ذكره إيداناً بغاية كثرتة وفضاعته كأنه ٥٥ قبل يوم يغشاهم العذاب الذي أشير إليه بإحاطة جهنم بهم يكون من الأحوال والأحوال ما لا ينفك به المقال وقيل ظرف للإحاطة (من فوقهم ومن تحت أرجلهم) أي من جميع جهاتهم (ويقول) أي الله عز وجل ويعضده القراءة بنون العظمة أو بعض ملائكته بأمره (ذوقوا ما كنتم تعملون) أي جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من السيئات التي من جملتها الاستعجال بالعذاب (يعبادي ٥٦ الذين آمنوا) خطاب تشريف لبعض المؤمنين الذين لا يتمكنون من إقامة أمور الدين كما ينبغي لما نفع من جهة الكفرة وإرشادهم إلى الطريق الأسلم (إن أَرْضِي واسعة فيأبى فاعبدون) أي إذا لم يتيسر لكم العبادة في بلد ولم يتيسر لكم إظهار دينكم فهاجروا إلى حيث يتيسر لكم ذلك وعنه عليه السلام من فريدينه من أرض إلى أرض ولو كان شبراً استوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد عليهما السلام والفاء جواب شرط محذوف إذ المعنى إن أَرْضِي واسعة إن لم تخلصوا العبادة لي في أرض فأخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض عنه تقديم المفعول مع إقادة تقديمه معنى الاختصاص والإخلاص (كل نفس ذائقة الموت ٥٧ ثم إلينا ترجعون) جملة مستأنفة جىء بها حثاً على المسارعة في الامتثال بالأمر أي كل نفس من النفوس واجدة مرارة الموت وكرهه فراجعة إلى حكمنا وجزائنا بحسب أعمالها فن كانت هذه عاقبته فليس له بد من التزود والاستعداد لها وقرىء يرجعون (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبؤنهم) لنزلنهم (من ٥٨ الجنة غرفاً) أي علالي وهو مفعول ثان للتبوءة وقرىء لنبؤنهم من الثواء بمعنى الإقامة فانتصاب غرفاً حيثئذ إما بإجرائه مجرى لنزلنهم أو بنزع الخافض أو بتشبيهه الظرف الموقت بالمبهم كافي قوله تعالى لا تعدن لهم صراطك المستقيم (تجري من تحتها الأنهار) صفة لغرfa (خالدين فيها) أي في الغرف أو في الجنة (نعم أجر العاملين) أي الأعمال الصالحة والخصوص بالمدح محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه وقرىء فنعم

الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ ٢٩ العنكبوت

وَكَايِنٍ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ ٢٩ العنكبوت

وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَرَجَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٢٩ العنكبوت

اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ ٢٩ العنكبوت

وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ

بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ ٢٩ العنكبوت

- ٥٩ (الذين صبروا) إما صفة للعاملين أو نصب على المدح أى صبروا على أذية المشركين وشدائد المهاجرة وغير ذلك من المحن والمشاق (وعلى ربهم يتوكلون) أى ولم يتوكلوا فيما يأتون ويذرون إلا على الله تعالى
- ٦٠ (وكاين من دابة لا تحمل رزقها) روى أن النبي ﷺ لما أمر المؤمنين الذين كانوا بمكة بالمهاجرة إلى المدينة قالوا كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت أى وكمن دابة لا تطيق حمل رزقها لضعفها أولا تدخره وإنما تصبح ولا معيشة عندها (الله يرزقها وإياكم) ثم إنهما مع ضعفها وتوكلها وإياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء فى أنه لا يرزقها وإياكم إلا الله تعالى لأن رزق الكل بأسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا الفقر بالمهاجرة (وهو السميع) المبالغ فى السمع فيسمع قولكم هذا (العليم) المبالغ فى العلم فيعلم ضمائمكم (ولئن سألتهم) أى أهل مكة (من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله)
- ٦١ إذ لا سبيل لهم إلى إنكاره ولا إلى التردد فيه (فأنى يؤفكون) إنكار واستبعاد من جهته تعالى لتركهم العمل بموجبه أى فكيف يصرفون عن الإقرار بتفرد تعالى فى الإلهية مع إقرارهم بتفرد تعالى فيما ذكر من الخلق والتسخير (الله يبسط الرزق لمن يشاء) أن يبسطه له (من عباده ويقدر له) أى يقدر لمن يشاء أن يقدر له منهم كائناً من كان على أن الضمير منهم حسب إيهام مرجعه أو يقدر لمن يبسطه له على التعاقب (إن الله بكل شىء عليم) فيعلم من يليق يبسط الرزق فيبسطه له ومن يليق بقدره فيقدره له أو فيعلم أن كلا من البسط والقدر فى أى وقت يوافق الحكمة والمصلحة فيفعل كلا منهما فى وقته (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله)
- ٦٢ (معترفين بأنه الموجد للسكنات بأسرها أصولها وفروعها ثم إنهم يشركون به بعض مخلوقاته الذى لا يكاد يتوهم منه القدرة على شىء ما أصلاً) (قل الحمد لله) على أن جعل الحق بحيث لا يجترأه المبطلون على حجوده وأنه أظهر حجبتك عليهم وقيل على أن عصمك من أمثال هذه الضلالات ولا يخفى بعده (بل أكثرهم لا يعلمون) أى شيئاً من الأشياء فذلك لا يعلمون بمقتضى قولهم هذا فيشركون به سبحانه أخس مخلوقاته وقيل لا يعلمون ما تريد بتحميدك عند مقامك ذلك .

وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ٢٩ العنكبوت

فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ تَخْلُصِينَهُ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيَهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ٢٩ العنكبوت

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ٢٩ العنكبوت

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبَالِبَاطِلٍ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ

يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ ٢٩ العنكبوت

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى

لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ ٢٩ العنكبوت

- (وما هذه الحياة الدنيا) إشارة تحقير وازدراء الدنيا وكيف لا وقد قال رسول الله ﷺ لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسق الكافر منها شربة ماء (إلا هو ولعب) أى إلا كما يلعب ويلعب به الصبيان مجتمعون عليه ويبتجعون به ساعة ثم يتفرقون عنه (وإن الدار الآخرة لهى الحيوان) أى لهى دار الحياة الحقيقية لا متناع طريان الموت والفناء عليها أو هى فى ذاتها حياة للبالغة والحيوان مصدر حى سمي به ذو الحياة وأصله حيوان فقلبت الياء الثانية واوألما فى بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب اللازم للحيوان ولذلك اختير على الحياة فى هذا المقام المقتضى للبالغة (لو كانوا يعلمون) أى لما آثروا عليها الدنيا التى أصلها عدم الحياة ثم ما يحدث فيها من الحياة عارضة سريعة الزوال وشبكة الاضمحلال (فإذا ركبوا فى الفلك) ٦٤ متصل بما دل عليه شرح حالهم والركوب هو الاستعلاء على الشيء المتحرك وهو متعذب بنفسه كما فى قوله تعالى والخيول والبغال والحمير ليركبوها واستعماله ههنا فى أمثاله بكلمة فى للإبذان بأن المركوب فى نفسه من قبيل الأمكنة وحركته قسرية غير إرادية كما مر فى سورة هود والمعنى أنهم على ما وصفوا من الإشراف إذا ركبوا فى البحر ولقوا شدة (دعوا الله تخلصينهم له الدين) أى كائنين على صورة المخلصين لدينهم من المؤمنين حيث لا يدعون غير الله تعالى لعلهم بأنه لا يكشف الشدائد عنهم إلا هو (فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون) ٦٥ أى فاجتو المعادة إلى الشرك (ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا) أى فاجتو الإشراف ليكونوا كافرين بما آتيناهم من نعمة الإنجاء التى حقها أن يشكروها (فسوف يعلمون) أى عاقبة ذلك وغائلته حين يرون العذاب (أو لم يروا) أى ألم ينظروا ولم يشاهدوا (أنا جعلنا) أى بلدنا (حرما آمنا) مصوناً من النهب والتعدى ٦٦ سالماً أهله من كل سوء (ويخطف الناس من حولهم) أى والحال أنهم يختلسون من حولهم قتلا وسبياً إذ كانت العرب حوله فى تغاور وتناهب (أفبالباطل يؤمنون) أى أبعد ظهور الحق الذى لا ريب فيه بالباطل خاصة يؤمنون دون الحق (وبنعمة الله يكفرون) وهى المستوجبة للشكر حيث يشركون به غيره وتقديم الصلة فى الموضعين لإظهار كمال شناعة ما فعلوا (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً) ٦٨

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٩﴾

وعم أن له شريكا أى هو أظلم من كل ظالم وإن كان سبك النظم دالا على نفي الأظلم من غير تعرض
 • لنفي المساوى وقد مر مراراً (أو كذب بالحق لما جاءه) أى بالرسول أو بالقرآن وفى لما تسفيه لهم
 بأن لم يتوقفوا ولم يتأملوا حين جاءهم بل سارعوا إلى التكذيب أثر ذى أثر (أليس فى جهنم مثوى
 للكافرين) تقرير لثوابهم فيها كقول من قال [الستم خير من ركب المطايا] أى ألا يستوجبون الثواب
 فيها وقد فعلوا ما فعلوا من الافتراء على الله تعالى والتكذيب بالحق الصريح أو إنكاروا استبعاد لا جبرائهم
 على ما ذكر من الافتراء والتكذيب مع علمهم بحال الكفرة أى ألم يعلموا أن فى جهنم مثوى للكافرين حتى
 ٦٩ اجترأوا هذه الجراءة (والذين جاهدوا فىنا) أى فى شأننا ولو جهنا خالصاً أطلق المجاهدة ليعم جهاد
 الأعداء الظاهرة والباطنة (لنهديهم سبلنا) سبل السير إلينا والوصول إلى جنبنا أو لنزيدهم هداية إلى
 سبل الخير وتوفيقها لسلوكها كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وفى الحديث من عمل بما علم ورثه
 • الله علم ما لم يعلم (وإن الله لمع المحسنين) معية النصر والمعونة . عنه عليه السلام من قرأ سورة العنكبوت كان له
 من الأجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين .

٣٠ - سورة الروم

(مكية وهي ستون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٠ الروم

الْم

٣٠ الروم

غَلَبَتِ أَرْوَمُ

٣٠ الروم

فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ

٣٠ الروم

فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ

(سورة الروم)

مكية إلا قوله فسبحان الله الآية . وهي ستون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم) (الم) الكلام فيه كالذي مر في أمثاله من القوائم الكريمة (غلبت الروم) ٢، ١ (في أدنى الأرض) أي أدنى أرض العرب منهم إذ هي الأرض الممودة عندهم وهي أطراف الشام ٣ أوفى أدنى أرضهم من العرب على أن اللام عوض عن المضاف إليه قال مجاهد هي أرض الجزيرة وهي أدنى أرض الروم إلى فارس وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الأردن وفلسطين وقرى أدنى الأرض (وم) أي الروم (من بعد غلبهم) أي من بعد مغلوبيتهم وقرى بسكون اللام وهي لغة كالجلب والجلب (سيغلبون) أي سيغلبون فارس (في بضع سنين) روى أن فارس غزوا الروم فوافوهم ٤ بأذعات وبصرى وقيل بالجزيرة كما مر فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشتوا بالمسلمين وقالوا أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر إخواننا على إخوانكم فلنظفروا عليكم فقال أبو بكر رضي الله عنه لا يقرر الله أعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له أبي بن خلف اللعين كذبت أجمل يئتنا أجلا أنا جيك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل منهما وجعلنا الأجل ثلاث سنين فأخبر به أبو بكر رسول الله ﷺ فقال البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزيده في الخطر وماده في الأجل لجملاها مائة قلوص إلى تسع سنين ومات أبي من جرح رسول الله ﷺ وظهرت الروم على فارس عند رأس سبع سنين وذلك يوم الحديبية وقيل كان النصر للفرقيين يوم بدر فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبي لجاء به رسول الله ﷺ فقال تصدق به وكان ذلك قبل تحريم القمار وهذه الآيات من البينات الباهرة الشاهدة بصحة النبوة وكون القرآن من عند الله عز وجل حيث أخبرت عن الغيب الذي لا يعلمه إلا العالمين الحبير وقرى غلبت على البناء للفاعل وسيغلبون على البناء للمفعول والمعنى أن الروم

٣٠ الروم

يَنْصُرِ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾

٣٠ الروم

وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

٣٠ الروم

يَعْلَمُونَ ظَهَرَ مِنْ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفِلُونَ ﴿٧﴾

غلبت على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون وقد غزا هم المسلمون في السنة التاسعة من نزولها ففتحوا بعض بلادهم بإضافة الغلب حينئذ إلى الفاعل (فه الأمر من قبل ومن بعد) أى فى أول الوقتين وفى آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كأنه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين والمعنى أن كلام من كونهم مغلوبين أولاً وغالبين آخرأ ليس إلا بأمر الله تعالى وقضائه وتلك الأيام نداؤها بين الناس وقرىء من قبل ومن بعد بالجزم من غير تقدير مضاف إليه واقتطاعه كأنه قيل قبلاً وبعداً بمعنى أولاً وآخرأ (ويومئذ) أى يوم إذ يغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله تعالى من غلبتهم (بفرح المؤمنين) (ينصر الله) وتغلبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيط من شمت بهم من كفار مكة وكون ذلك من دلائل غلبة المؤمنين على الكفار وقيل نصر الله إظهار صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من غلبة الروم على فارس وقيل نصره تعالى أنه ولي بعض الظالمين بعضاً وفرق بين كلمتهم حتى تناقصوا وتفانوا وفل كل منهم شوكة الآخر وفى ذلك قوة وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه وافق ذلك يوم بدر وفيه من نصر الله العزيز للمؤمنين وفرحهم بذلك ما لا يخفى والاول هو الأنسب لقوله تعالى (ينصر من يشاء) أى من يشاء أن ينصره من عباده على عدوه ويغلبه عليه فإنه استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى (فه الأمر من قبل ومن بعد) (وهو العزيز) المبالغ فى العزة والغلبة فلا يعجزه من يشاء أن ينصر عليه كائناً من كان (الرحيم) المبالغ فى الرحمة فينصر من يشاء أن ينصره أى فريق كان والمراد بالرحمة هى الدنيوية أما على القراءة المشهورة فظاهر لما أن كلا الفريقين لا يستحق الرحمة الآخروية وأما على القراءة الأخيرة فلأن المسلمين وإن كانوا مستحقين لها لكن المراد ههنا نصرهم الذى هو من آثار الرحمة الدنيوية وتقديم وصف العزة لتقدمه فى الاعتبار (وعد الله) مصدر مؤكد لنفسه لأن ما قبله فى معنى الوعد كأنه قيل وعد الله وعدأ (لا يخلف الله وعده) أى وعد كان بما يتعلق بالدنيا والآخرة لاستحالة الكذب عليه سبحانه وإظهار الاسم الجليل فى موقع الإضمار لتعميل الحكيم وتفيخيمه والجملة استئناف مقرر لمعنى المصدر وقد جوز أن تكون حالاً منه فيكون كالمصدر الموصوف كأنه قيل وعد الله وعدأ غير مخلف (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أى ماسبق من شتونه تعالى (يعلمون ظاهرأ من الحياة الدنيا) وهو ما يشاهدونه من زخارفها وملذذاتها وسائر أحوالها الموافقة لشهواتهم الملائمة لأهوائهم المستدعية لآنها كمهم فيها وعكوفهم عليها لا تمتعهم بزخارفها وتنعمهم بملاذذها كما قيل فإنهما ليسما علموه منها بل من أفعالهم المنزبة على علومهم وتنكير ظاهرأ للتحقير والتخسيس

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى
وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾

٣٠ الروم

- دون الواحدة كما توهم أى يعلمون ظاهراً حقيقياً خسيئاً من الدنيا (وهم عن الآخرة) التى هى الغاية القصوى والمطلب الأسنى (هم غافلون) لا يخطرورها بالبال ولا يدركون من الدنيا ما يودى إلى معرفتها *
- من أحوالها ولا يتفكرون فيها كما سيأتى والجملة معطوفة على يعلمون وإيرادها اسمية الدلالة على استمرار غفلتهم ودوامها وهم الثانية تكرير الأولى أو مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر الأولى وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة تقريراً لجهالتهم وتشبيهاً لهم بالبهائم المقصور إدراكاتها من الدنيا على ظواهرها الخسيسة دون أحوالها التى هى مبادئ العلم بأمور الآخرة وإشعاراً بأن العلم المذكور وعدم العلم رأساً سيان (أولم يتفكروا) إنكار واستقباح لقصر نظرهم على ما ذكر من ظاهر الحياة الدنيا مع الغفلة عن الآخرة والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى (فى أنفسهم) ظرف للتفكير وذكره مع ظهور استحالة كونه فى غيرها لتحقيق أمره وتصوير حال المتفكرين وقوله تعالى (ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما) الخ متعلق إما بالعلم الذى يودى إليه التفكير ويدل عليه أو بالقول الذى يترتب عليه كما فى قوله تعالى ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً أى أعلموا ظاهر الحياة الدنيا فقط أو أقصروا النظر عليه ولم يحذثوا التفكير فى قلوبهم فاعلموا أنه تعالى ما خلقهما وما بينهما من المخلوقات التى هم من جملتها ملتبسة بشئ من الأشياء (إلا) ملتبسة (بالحق) أو يقولوا هذا القول معترفين بمضمونه لئلا يثار ما علوه *
- والمراد بالحق هو الثابت الذى يحق أن يثبت لا محالة لا يثنائه على الحكمة البالغة والغرض الصحيح الذى هو استشهاد المكلفين بذواتها وصفاتها وأحوالها المتغيرة على وجود صانعها عز وجل ووحدته وعلوه وقدرته وحكمته واختصاصه بالمعبودية وصحة أخباره التى من جملتها إحيائهم بعد الفناء بالحياة الأبدية ومجازاتهم بحسب أعمالهم غيب ماتبين المحسن من المسىء وامتازت درجات أفراد كل من الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم المترتبة على أنظارتهم فيما نصب فى المصنوعات من الآيات والدلائل والآمارات والمخايل كما نطق به قوله تعالى وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً فإن العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسرهُ ﷺ بقوله أيكم أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله وأسرع فى طاعة الله وقدم تحقيقه فى أوائل سورة هود عليه السلام وقوله تعالى (وأجل مسمى) عطف على الحق أى وبأجل معين قدره الله تعالى لبقائها لا بد لها من أن تنتهى *
- إليه لا محالة وهو وقت قيام الساعة هذا وقد جوز أن يكون قوله تعالى فى أنفسهم صلة للتفكير على معنى أولم يتفكروا فى أنفسهم التى هى أقرب المخلوقات إليهم وهم أعلم بشئونها وأخبر بأحوالها منهم بأحوال ما عداها فتدبروا ما أودعها الله تعالى ظاهراً وباطناً من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الإهمال

أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا
الْأَرْضَ وَغَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا غَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِيَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا
أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٠﴾

٣٠ الروم

ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَفْتَوْا السَّوْءَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ ٣٠ الروم

- وأنه لا بد لها من انتهاء إلى وقت يجازيها فيه الحكيم الذي دبر أمرها على الإحسان إحساناً وعلى الإساءة
مثلاً حتى يعلموا عند ذلك أن سائر الخلائق كذلك أمرها جار على الحكمة والتدبير وأنه لا بد
لها من الانتهاء إلى ذلك الوقت وأنت خير بأن أمر معاد الإنسان ومجازاته بما عمل من الإساءة
والإحسان هو المقصود بالذات والمحتاج إلى الإثبات لجعله ذريعة إلى إثبات معاد ما عداه مع كونه
بمعدل من الجزاء تمكيس الأمر فتدبر وقوله تعالى (وإن كثيراً من الناس ب لقاء ربهم لكافرون)
تذييل مقرر لما قبله ببيان أن أكثرهم غير مقتصرين على ما ذكر من الغفلة عن أحوال الآخرة والإعراض
عن التفكير فيما يرشدهم إلى معرفتها من خلق السموات والأرض وما بينهما من المصنوعات بل هم
منكرون جاحدون ب لقاء حسابته تعالى وجزائه بالبعث (أولم يسيرا) توبيخ لهم بعدم اتعاظهم بمشاهدة
أحوال أمثالهم الدالة على طاعتهم وما لهم والهمزة لتقرير المنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام
أى أقعدوا فى أما كنهم ولم يسيرا (فى الأرض) وقوله تعالى (فينظروا) عطف على يسيرا داخل فى
حكم التقرير والتوبيخ والمعنى أنهم قد ساروا فى أقطار الأرض وشاهدوا (كيف كان عاقبة الذين من
قبلهم) من الأمم المملوكة كعاد وثمود وقوله تعالى (كانوا أشد منهم قوة) الخ بيان لمبدأ أحوالهم
وما لها يعنى أنهم كانوا أقدر منهم على التمتع بالحياة الدنيا حيث كانوا أشد منهم قوة (وأثاروا الأرض)
أى قلبوها للزراعة والحرق وقيل لاستنباط المياه واستخراج المعادن وغير ذلك (وغمروها) أى صررها
أولئك بفنون العمارات من الزراعة والغرس والبناء وغيرها مما يعد عمارة لها (أكثر مما صرروها) أى
عمارة أكثر كما وكيفاً وزماناً من عمارة هؤلاء إياها كيف لا وهم أهل واد غير ذى ذرع لا تبسط لهم
فى غيره وفيه تهكم بهم حيث كانوا مغترين بالدنيا مفتخرين بمتاعها مع ضعف حالهم وضيق عطنهم إذ
مدار أمرها على التبسط فى البلاد والتسلط على العباد والتقلب فى أكناف الأرض بأصناف التصرفات
وهم ضعفة ملجئون إلى واد لا تنفع فيه يخافون أن يتخطفهم الناس (وجاءتهم رسالهم بالبينات)
بالمعجزات أو الآيات الواضحات (فما كان الله ليظلمهم) أى فكذبهم فاهلكهم فما كان الله ليهلكهم من
غير جرم يستدعيه من قبلهم والتعبير عن ذلك بالظلم مع أن إهلاكه تعالى إياهم بلا جرم ليس من الظلم فى
شئ على ما تقرر من قاعدة أهل السنة لإظهار كمال نزاهته تعالى عن ذلك بإبرازه فى معرض ما يستحيل
صدوره عنه تعالى وقد مر فى سورة الأنفال وسورة آل عمران (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بأن
اجترأوا على اقتراف ما يوجب من المعاصى العظيمة (ثم كان عاقبة الذين أساءوا) أى عملوا السيئات

٣٠ الروم

اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾

٣٠ الروم

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾

٣٠ الروم

وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾

٣٠ الروم

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِّدُ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾

٣٠ الروم

فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾

وضع الوصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالإساءة والإشعار بعلّة الحكم (السوأي) أي العقوبة التي هي أسوأ العقوبات وأفظها التي هي العقوبة بالنار فإنما تأنيث الأسوأ كالخسفي تأنيث الأحسن أو مصدر كالبشرى وصف به العقوبة مبالغة كأنها نفس السوأي وهي مرفوعة على أنها اسم كان وخبرها عاقبة وقرىء على العكس وهو أدخل في الجزالة وقوله تعالى (أن كذبوا بآيات الله) علة لما أشير إليه من تعذيبهم الدنيوي والآخرى أي لأن كذبوا أو بأن كذبوا بآيات الله المنزلة على رسله عليهم الصلاة والسلام ومعجزاته الظاهرة على أيديهم وقوله تعالى (وكانوا بها يستهزئون) عطف على كذبوا داخل معه في حكم العلية وإيراد الاستهزاء بصيغة المضارع للدلالة على استمراره وتجدده هذا هو اللائق بجزالة النظم الجليل وقد قيل وقيل (الله يبدأ الخلق) أي ينشئهم (ثم يعيده) بعد الموت بالبعث (ثم إليه ترجعون) إلى موقف الحساب ١١ والجزاء والالتفات للبالغة في الترهيب وقرىء بالياء (ويوم تقوم الساعة) التي هي وقت إعادة الخلق ١٢ ورجعهم إليه (يبلس المجرمون) أي يسكتون متحيرين لا ينبسون يقال ناظرته فأبلس إذا سكنت وأيس من أن يحتج وقرىء بفتح اللام من أبلسه إذا ألجمه وأسكته (ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء) يحير ونهم ١٣ من عذاب الله تعالى كما كانوا يزعمونه وصيغة الجمع لوقوعها في مقابلة الجمع أي لم يكن لواحد منهم شفيع أصلا (وكانوا بشركائهم كافرين) أي بالهيتهم وشركتهم لله سبحانه حيث وقفوا على كنه أمرهم وصيغة الماضي للدلالة على تحققه وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم وليس بذلك إذ ليس في الإخبار به فائدة يعتد بها (ويوم تقوم الساعة) أعيد لتمويله وتفضيع ما يقع فيه وقوله تعالى (يومئذ يتفرقون) تهويل له لآثر تهويل وفيه رمز إلى أن التفرق يقع في بعض منه وضمير يتفرقون لجميع الخلق المدلول عليهم بما تقدم من بدئهم وإعادتهم ورجعهم لا المجرمون خاصة وليس المراد بتفرقهم افتراق كل فرد منهم عن الآخر بل تفرقهم إلى فريقين المؤمنين والكافرين كما في قوله تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير وذلك بعد تمام الحساب وقوله تعالى (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون) تفصيل وبيان ١٥ لأحوال ذينك الفريقين والروضة كل أرض ذات نبات وماء ورونق ونضارة وتنكيرها للتفخيم والمراد بها الجنة والحبور السرور يقال حبره إذا سره سرور آتمل له وجهه وقيل الحبرة كل نعمة حسنة والتحجير التحسين واختلفت فيه الأقاويل لاحتماله وجوه جميع المسارفعن ابن عباس ومجاهد بكرمون وعن قتادة

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِفَآيَتِنَا وَلِقَآئِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ٣٠ الروم

فَسُبِّحْنَ اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ ٣٠ الروم

وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ٣٠ الروم

ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن بكر بن عباس التيجان على رؤسهم وعن وكيع السماع في الجنة وعن النبي ﷺ أنه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي آخر القوم أعرابي فقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال ﷺ يا أعرابي إن في الجنة لنهرأ حافتاها لأبكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين بأصوات لم يسمع الخلاق بمثلها قط فذلك أفضل نعيم الجنة قال الراوي فسألت أبا الدرداء رضى الله عنه بم يتغنين قال بالتسبيح وروى إن في الجنة لا شجارا عليها أجراس من فضة فإذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله تعالى ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لما اتوا طربا (وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا) التي من جملتها هذه الآيات الناطقة بما فصل (ولقاء الآخرة) ١٦ صرح بذلك مع اندارجه في تكذيب الآيات للاعتناء بأمره وقوله تعالى (فأولئك) إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب بآياته تعالى وبلقاء الآخرة للإبذان بكال تميزم بذلك عن غيرهم وانتظامهم في سلك المشاهدات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالشار إلى الإشعار ببعد منزلاتهم في الشر أى أولئك الموصوفون بما فصل من القبايح (في العذاب محضرون) على الدوام ١٨، ١٧ لا يغيبون عنه أبدا (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون) (وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون) إثر ما بين حال فريقي المؤمنين العاملين للصالحات والكافرين المكذبين بالآيات والماله من الثواب والعذاب أمروا بما ينجي من الثاني ويفضى إلى الأول من تنزيه الله عز وجل عن كل ما لا يليق بشأنه سبحانه ومن حمده تعالى على نعمه العظام وتقديم الأول على الثاني لما أن النخلة متقدمة على النخلة والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أى إذا علمتم ذلك فسبحوا الله تعالى أى نزوه عما ذكر سبحانه أى تسبيحه اللائق به في هذه الأوقات واحمدوه فإن الإخبار بثبوت الحمد له تعالى ووجوبه على المميزين من أهل السموات والأرض في معنى الأمر به على أبلغ وجه وأكده وتوسيطه بين أوقات التسبيح للاعتناء بشأنه والإشعار بأن حقهما أن يجمع بينهما كما ينبغي عنه قوله تعالى ونحن نسبح بحمدك وقوله تعالى فسبح بحمد ربك وقوله ﷺ من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياهم وإن كانت مثل زبد البحر وقوله ﷺ من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه وقوله ﷺ كلتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وغير ذلك مما لا يحصى من الآيات والأحاديث وتخصيصهما بتلك الأوقات للدلالة على أن ما يحدث فيها من آيات قدرته وأحكام

يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿٢٠﴾ ٣٠ الروم

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢١﴾ ٣٠ الروم

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٢﴾ ٣٠ الروم

رحمته ونعمته شواهد ناطقة بتنزهه تعالى واستحقاقه الحمد وموجبة لتسبيحه وتحميده حتما وقوله تعالى وعشياً عطف على حين تسمون وتقديمه على حين تظهرون لمراعاة الفواصل وتغيير الأسلوب لما أنه لا يجيء منه الفعل بمعنى الدخول في العشي كالمساء والصباح والظهيرة ولعل السر في ذلك أنه ليس من الأوقات التي تختلف فيها أحوال الناس وتتغير تغيراً ظاهراً أم صريحاً لو صفهم بالخروج عما قبلها والدخول فيها كالآوقات المذكورة فإن كلا منها وقت تتغير فيه الأحوال تغيراً ظاهراً أما في المساء والصباح فظاهر وأما في الظهيرة فلأنها وقت يعتاد فيه التجرد عن الثياب القليولة كما مر في سورة النور وقيل المراد بالتسبيح والحمد الصلاة لا شتمها عليهم ما قد روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن الآية جامعة للصلوات الخمس تسمون صلاة المغرب والعشاء وتصبحون صلاة الفجر وعشياً صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر ولذلك ذهب الحسن إلى أنها مدنية إذ كان يقول إن الواجب بمكة ركعتان في أي وقت اتفقنا وإنما فرضت الخمس بالمدينة والجمهور على أنها فرضت بمكة وهو الحق لحديث المعراج وفي آخره من خمس صلوات كل يوم وليلة . عن النبي ﷺ من سره أن يكال له بالقفيز الأول في قليل فسيبحان الله حين تسمون وحين تصبحون الآية وعنه ﷺ من قال حين يصبح فسيبحان الله حين تسمون وحين تصبحون إلى قوله تعالى وكذلك تخرجون أدرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسي أدرك ما فاته في ليلته وقرى حين تسمون وحين تصبحون أي

- ١٩ تسمون فيه وتصبحون فيه (يخرج الحي من الميت) كالإنسان من النطفة والطير من البيضة (ويخرج الميت من الحي) النطفة والبيضة من الحيوان (ويحيي الأرض) بالنبات (بعدها موتها) يبسها (وكذلك) ومثل ذلك الإخراج (تخرجون) من قبوركم وقرى تخرجون بفتح التاء وضم الراء وهذا نوع تفصيل لقوله تعالى الله يبدأ الخلق ثم يعيده (ومن آياته) الباهرة الدالة على أنكم تبعثون دلالة أوضح مما سبق فإن دلالة بدء خلقهم على إعادتهم أظهر من دلالة إخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي ومن دلالة إحياء الأرض بعد موتها عليها (أن خلقكم) أي في ضمن خلق آدم عليه السلام لما مر مراراً من أن خلقه ﷺ منطوقاً على خلق ذرياته انطواءً إجمالياً (من تراب) لم يشم رائحة الحياة قط ولا مناسبة بينه وبين ما أنتم عليه في ذاتكم وصفاتكم (ثم إذا أنتم بشر تنتشرون) أي فاجأتكم بعد ذلك وقت كونكم بشراً تنتشرون في الأرض وهذا مجمل ما فصل في قوله تعالى يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة الآية (ومن آياته) الدالة على ما ذكر من البعث وما بعده من الجزاء (أن خلق لكم) أي ٢١

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ السِّنِّكُمْ وَالْوَنِّكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

٣٠ الروم

لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾

لأجلكم (من أنفسكم أزواجاً) فإن خلق أصل أزواجكم حواء من ضلع آدم عليه السلام متضمن لخلقهم من أنفسكم على ما عرفته من التحقيق أو من جنسكم لا من جنس آخر وهو الأوفق لقوله تعالى (لتسكنوا إليها) أي لتألفوها وتميلوا إليها ولطمثنوا بها فإن المجانسة من دواعي التضام والتعارف كما أن المخالفة من أسباب التفرق والتنافر (وجعل بينكم) أي بين الأزواج إما على تغليب الرجال على النساء في الخطاب أو على حذف ظرف معطوف على الظرف المذكور أي جعل بينكم وبينهن كما مر في قوله تعالى لا تفرق بين أحد من رسله وقيل أو بين أفراد الجنس أي بين الرجال والنساء وبأباه قوله تعالى (مودعة ورحمة) فإن المراد بهما ما كان منهما بعصمة الزواج قطعاً أي جعل بينكم بالزواج الذي شرعه لكم تواداً وتراحماً من غير أن يكون بينكم سابقة معرفة ولا رابطة مصححة للتعاطف من قرابة أو رحم قبل المودة والرحمة من قبل الله تعالى والفرك من الشيطان وعن الحسن رحمه الله المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال تعالى ورحمة منا (إن في ذلك) أي فيما ذكر من خلقهم من تراب وخلق أزواجهم من أنفسهم وإلقاء المودة والرحمة بينهم وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإشعار ببعد منزلته (لآيات) عظيمة لا يكتسبها كثرة لا يقادر قدرها (لقوم يتفكرون) في تضاعيف تلك الآفاق المنيعة المبنية على الحكم البالغة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله مع التنبيه على أن ما ذكر ليس بآية فذة كما ينبغي عنه قوله تعالى ومن آياته بل هي مشتملة على آيات شتى (ومن آياته) الدالة على ما ذكر من أمر البعث وما يتلوه من الجزاء (خلق السموات والأرض) إماماً من حيث إن القادر على خلقهما بما فيهما من المخلوقات بلا مادة مستعدة لها أظهر قدرة على إعادة ما كان حياً قبل ذلك وإماماً من حيث إن خلقهما وما فيهما ليس إلا لمعاش البشر ومعاودة كما يفصح عنه قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً وقوله تعالى وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليلوكم أيكم أحسن عملاً (واختلاف السننكم) أي لغاتكم بأن علم كل صنف لغته وألهمه وضعها وأقدره عليها أو أجناس نطقكم وأشكاله فإنك لا تكاد تسمع منطقتين متساويتين في الكيفية من كل وجه (وألوانكم) بدياض الجلد وسواده وتوسطه فيما بينهما أو تخطيطات الأعضاء وهيئاتها وألوانها وحلاها بحيث وقع بها التمايز بين الأشخاص حتى أن التوأمين مع توافق موادها وأسبابها والأمور المتلافة لها في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة وإن كانا في غاية التشابه وإنما نظم هذا في سلك الآيات الآفاقية من خلق السموات والأرض مع كونه من الآيات الأنفسية الحقيقية بالنظام في سلك ما سبق من خلق أنفسهم وأزواجهم للإيدان باستقلاله والاحتراز عن توهم كونه من تيمات خلقهم (إن في ذلك) أي فيما ذكر من خلق السموات والأرض واختلاف اللسنة والألوان (لآيات) عظيمة في أنفسها كثيرة في عددها (للعالمين) أي المتصفين بالعلم كما في قوله تعالى وما يعقلها

وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾

٣٠ الروم

وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾

٣٠ الروم

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ
تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾

٣٠ الروم

- إلا العالمون وقرى بفتح اللام وفيه دلالة على كمال وضوح الآيات وعدم خفائها على أحد من الخلق
كافة (ومن آياته منامكم بالليل والنهار) لاستراحة القوى النفسانية وتقوى القوى الطبيعية (وابتغواكم
٢٣ من فضله) فيهما إبان كلام المنام وابتغاء الفضل يقع في الملوك وإن كان الأغلب وقوع الأول في الأول
والثاني في الثاني أو منامكم بالليل وابتغواكم النهار كما هو الممتد والموافق لساير الآيات الواردة في ذلك
خلا أنه فصل بين القرنين الأولين بالقرنين الآخرين لأنهما زمان والزمان مع ما وقع فيه كشمس
واحد مع إعادة اللف على الاتحاد (إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون) أى شأنهم أن يسمعوا الكلام
سماع تفهم واستبصار حيث يتأملون في تضاعيف هذا البيان ويستدلون بذلك على شئونه تعالى (ومن
٢٤ آياته يريكم البرق) الفعل إما مقدر بأن كما في قول من قال [ألا بهذا الزاجرى أحضر الوغى] أى أن
أحضر أو منزل منزلة المصدر به فسر المثل المشهور تسمع بالمعدي خير من أن تراه أو هو على حاله صفة
لحذوف أى آية يريكم بها البرق كقول من قال [وما الدهر إلا نار تان فنهما] أموت وأخرى أبتغى العيش
أكدح] أى فنهما تارة أموت فيها وأخرى أبتغى فيها أو ومن آياته شيء أو سبحانه يريكم البرق (خوفا)
من الصاعقة أو للمسافر (وطمعا) في الغيث أو للقيم ونصيبهما على العلة لفعل يستلزمه المذكور فإن
إراءتهم البرق مستلزم لقرؤيتهم إياه أو للذكور نفسه على تقدير مضاف نحو إراءة خوف وطمع أو على
تأويل الخوف والطمع بالإخافة والإطماع كقولك فعلته رغما للشيطان أو على الحال نحو كلمته شفاها
(وينزل من السماء ماء) وقرى بالتخفيف (فيخرج به الأرض) بالنبات (بعد موتها) يبسها (إن في ذلك
لآيات لقوم يعقلون) فإنها من الظهور بحيث يكفي في إدراكها مجرد العقل عند استعماله في استنباط
أسبابها وكيفية تكوينها (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره) أى بإرادته تعالى لقيامهما والتعبير عنها
٢٥ بالأمور للدلالة على كمال القدرة والغنى عن المبادئ والأسباب وليس المراد بإقامتهما إنشاءهما لانه قد بين حاله
بقوله تعالى ومن آياته خلق السموات والأرض ولا إقامتهما بغير مقيم محسوس كما قيل فإن ذلك من تلمات
إنشائها وإن لم يصرح به تعويلا على ما ذكر في غير موضع من قوله تعالى خلق السموات بغير عمد ترونها الآية
٨ - أبى السعود ج ٧

٣٠ الروم

وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونٌ ﴿٣٦﴾

وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ

٣٠ الروم

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

بل قيامهما واستمرارهما على ما هما عليه إلى أجلهما الذي نطق به قوله تعالى فيما قبل ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وحيث كانت هذه الآية متأخرة عن سائر الآيات المعدودة متصلة بالبعث في الوجود أخرت عنهن وجعلت متصلة به في الذكر أيضاً فقبل (ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون) فإنه كلام مسوق للإخبار بوقوع البعث ووجوده بعد انقضاء أجل قيامهما مترتب على تعداد آياته الدالة عليه غير منتظم في سلكها كما قيل كأنه قيل ومن آياته قيام السموات والأرض على هياتهما بأمره تعالى إلى أجل مسمى قدره الله تعالى لقيامهما ثم إذا دعاكم أي بعد انقضاء الأجل من الأرض وأنتم في قبوركم دعوة واحدة بأن قال أيها الموتى اخرجوا فاجانم الخروج منها وذلك قوله تعالى يومئذ ينبعون الداعي ومن الأرض متعلق بدعاكم إذ يكفي في ذلك كون المدعو فيها يقال دعوته من أسفل الوادي فطلع إلى لا بتخرجون لأن ما بعد إذا لا يعمل فيما قبلها

٢٦ (وله) خاصة (من في السموات والأرض) من الملائكة والثقلين خلقاً وملكاً وأصراً فليس لغيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه (كل له قانتون) أي متقادون لفعله لا يمتنعون عليه في شأن من شئونه تعالى (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده) بعد موتهم وتكريره لزيادة التقرير والتأكيد لما بعده من قوله تعالى (وهو أهون عليه) أي يضافه إلى قدركم والقياس على أصولكم وإلا فهم عليه سواء وقيل أهون بمعنى هين وتذكير الضمير مع رجوعه إلى الإعادة لما أنها مؤولة بأن يعيد وقيل هو راجع إلى الخلق وليس بذلك وأما ما قيل من أن الإنشاء بطريق التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين الفعل والترك والإعادة من قبيل الواجب الذي لا بد من فعله حتماً فكان أقرب إلى الحصول من الإنشاء المتردد بين الحصول وعدمه فبممول من التحصيل إذ ليس المراد بأهوية الفعل أقرينته إلى الوجود باعتبار كثرة الأمور الداعية للفاعل إلى إيجاد وقوة اقتضاها لتعلق قدرته به بل أسهلية تأتبه وصدوره عنه بعد تعلق قدرته بوجوده وكونه واجباً بالغير ولا تفاوت في ذلك بين أن يكون ذلك التعليق بطريق الإيجاب أو بطريق الاختيار (وله المثل الأعلى) أي الوصف الأعلى العجيب الشأن من القدرة العامة والحكمة التامة وسائر صفات الكمال التي ليس لغيره ما يداها فضلاً عما يساويها ومن فسر بقول لا إله إلا الله أراد به الوصف بالواحدانية (في السموات والأرض) متعلق بمضمون الجملة المتقدمة على معنى أنه تعالى قد وصف به وعرف فيهما على السنة الخلاق والسنة الدلائل وقيل متعلق بالأعلى وقيل بمحذوف هو حال منه أو من المثل أو من ضميره في الأعلى (وهو العزيز) القادر الذي لا يعجز عن بدء ممكن وإعادته

ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَارَزَقْنَكُمْ فَآتَتْكُمْ فِيهِ سَوَاءً تَخَافُونَهُمْ تَخِيفَتَكُمُ أَنْفُسُكُمْ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ٣٠ الروم
بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٩﴾ ٣٠ الروم

- (الحكيم) الذي يجرى الأفعال على سنن الحكمة والمصلحة (ضرب لكم مثلا) يتدين به بطلان الشرك ٢٨ (من أنفسكم) أى منزعا من أحوالها التى هى أقرب الأمور إليكم وأعرفها عندكم وأظهرها دلالة على ما ذكر من بطلان الشرك لكونها بطريق الأولوية وقوله تعالى (هل لكم) الخ تصوير للمثل أى هل لكم (بما ملكت أيانكم) من العبيد والإماء (من شركاء فيما رزقناكم) من الأموال وما يجرى مجراها بما تنصرفون فيها فمن الأولى ابتدائية والثانية تبعيضية والثالثة مزيدة لتأكيد النفي المستفاد من الاستفهام فقوله تعالى (فآتتكم فيه سواء) تحقيق لمعنى الشركه وبيان لكونهم وشركاتهم متساوين فى التصرف فيما ذكر من غير مزية لهم عليها على أن هناك محذوقا معطوفا على أنتم لا أنه عام للفريقين بطريق التغليب أى هل ترضون لأنفسكم والحال أن عبيدكم أمثالكم فى البشرية وأحكامها أن يشاركوكم فيما رزقناكم وهو معار لكم فأنتم وهم فيه سواء تنصرفون فيه كتصرفكم من غير فرق بينكم وبينهم (تخافونهم) خبر آخر لأنتم أو حال من ضمير الفاعل فى سواء أى تهابون أن تستبدوا بالتصرف فيه بدون رأيهم (تخيفتكم أنفسكم) أى خيفة كائنة مثل خيفتكم من الأحرار المساهمين لكم فيما ذكر والمعنى نفي مضمون ما فصل من الجملة الاستفهامية أى لا ترضون بأن يشاركوكم فيما هو معار لكم ماليكم وهم أمثالكم فى البشرية غير مخلوقين لكم بل لله تعالى فكيف تشركون به سبحانه فى المعبودية التى هى من خصائصه الذاتية مخلوقه بل مصنوع مخلوقه حيث تصنعونه بأيديكم ثم تعبدونه (كذلك) أى مثل ذلك التفصيل الواضح (نفصل الآيات) أى نبينها ونوضحها لا تفصيلا أدنى منه فإن التمثيل تصوير للمعاني المعقولة بصورة المحسوس وإبراز لا وابداء المركات على هيئة المأنوس فيكون فى غاية الإيضاح والبيان (لقوم يعقلون) أى يستعملون عقولهم فى تدبر الأمور وتخصيصهم بالذكر مع عموم تفصيل الآيات للكل لأنهم المنتفعون بها (بل اتبع الذين ظلموا) إعراض عن مخاطبتهم ومحاولة إرشادهم إلى الحق بضرب المثل وتفصيل الآيات ٢٩ واستعمال المقدمات الحققة المعقولة وبيان لاستحالة تبعيتهم للحق كأنه قيل لم يعقلوا شيئا من الآيات المفصلة بل اتبعوا (أهواءهم) الزائفة ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بأنهم فى ذلك الاتباع ظالمون واضعون للشئ فى غير موضعه أو ظالمون لأنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد (بغير علم) أى جاهلين ببطلان ما أتوا مكبين عليه لا يوليهم عنه صارف حسبما يصرف العالم إذا اتبع الباطل عليه يبطلانه (فمن يهدي من أضل الله) أى خلق فيه الضلال بصرف اختياره إلى كسبه أى لا يقدر على هدايته أحد (وما لهم) أى لمن أضله الله تعالى والجمع باعتبار المعنى (من ناصرين) يخلصونهم من الضلال ويحفظونهم من تبعائه وآفاته على معنى ليس لواحد منهم ناصر واحد على ما هو قاعدة مقابلة الجمع بالجمع .

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَافِمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

٣٠ الروم

مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾

٣٠ الروم

مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلٌّ فِي حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

٣٠ الروم

- ٣٠ (فأقم وجهك للدين) تمثيل لإقباله على الدين واستقامته وثباته عليه واهتمامه بترتيب أسبابه فإن من أهتم بشيء محسوس بالبصر عقد عليه طرفه وسدد إليه نظره وقوم له وجهه مقبلاً به عليه أى فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت يميناً وشمالاً وقوله تعالى (حنيفاً) حال من المأمور أو من الدين (فطرة الله) الفطرة الخلقة وانتصابها على الإغراء أى الزموا أو عليكم فطرة الله فإن الخطاب للكل كما يفصح عنه قوله تعالى منيبين والافراد فى أقم لما أن الرسول ﷺ إمام الأمة فأمره ﷺ مستتب لا مرهم والمراد بلزومها الجريان على موجبها وعدم الإخلال به باتباع الهوى وتسويل الشياطين وقيل على المصدر أى فطر الله فطرة وقوله تعالى (التي فطر الناس عليها) صفة لفطرة الله مؤكدة لوجوب الامتثال بالأمر فإن خلق الله الناس على فطرته التي هي عبارة عن قبولهم للحق وتمسكهم من إدراكه أو عن ملة الإسلام من موجبات لزومها والتمسك بها قطعاً فإنهم لو خلوا وما خلقوا عليه أدى بهم إليها وما اختاروا عليها ديناً آخر ومن غوى منهم فياغوا شياطين الإنس والجن ومنه قوله ﷺ حكاية عن رب العزة كل عبادى خلقت حنفاء فاجتالهم الشياطين عن دينهم وأمرهم أن يشركوا بى غيرى وقوله ﷺ كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه وقوله تعالى (لا تبدل خلق الله) تعليل للأمر بلزوم فطرته تعالى أو لوجوب الامتثال به أى لاصحة ولا استقامة لتبديله بالإخلال بموجبه وعدم ترتيب مقتضاه عليه باتباع الهوى وقبول وسوسة الشيطان وقيل لا يقدر أحد على أن يغيره فلا بد حينئذ من حمل التبديل على تبديل نفس الفطرة بإزالتها رأساً ووضع فطرة أخرى مكانها غير مصححة لقبول الحق والتمسك من إدراكه ضرورة أن التبديل بالمعنى الأول مقدور بل واقع قطعاً فالتعليل حينئذ من جهة أن سلامة الفطرة متحققة فى كل أحد فلا بد من لزومها بترتيب مقتضاها عليها وعدم الإخلال به بما ذكر من اتباع الهوى وخطوات الشيطان (ذلك) إشارة إلى الدين المأمور بإقامة الوجه له أو إلى لزوم فطرة الله المستفاد من الإغراء أو إلى الفطرة إن فسرت بالملة والتذكير بتأويل المذكور أو باعتبار الخبر (الدين القيم) ٣١ المستوى الذى لا عوج فيه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك فيصدون عنه صدوداً (منيبين إليه) حال من الضمير فى الناصب المقدر لفطرة الله أو فى أقم لعمومه الأمة حسبما أشير إليه وما بينهما اعتراض أى راجعين إليه من أناب إذا رجع مرة بعد أخرى وقوله تعالى (واتقوه) أى من مخالفة أمره عطف على المقدر المذكور وكذا قوله تعالى (وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين) المبدلين لفطرة الله تعالى ٣٢ تبديلاً (من الذين فرقوا دينهم) بدل من المشركين بإعادة الجار وتفريقهم لدينهم اختلافاً فيما يعبدونه على

وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾

٣٠ الروم

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٢٤﴾

٣٠ الروم

أَمْ أُنْزِلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُمْ يَنْتَكُمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٢٥﴾

٣٠ الروم

وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٢٦﴾

٣٠ الروم

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾

٣٠ الروم

- اختلاف أهوائهم وقائدة الإبدال التحذير عن الالتئام إلى حزب من أحزاب المشركين ببيان أن الكل على الضلال المبين وقرىء فارقوا أى تركوا دينهم الذى أمروا به (وكانوا شيعاً) أى فرقا تشايح كل منها إمامها الذى أضلها (كل حزب بما لديهم) من الدين المعوج المؤسس على رأى الزائغ والزعم الباطل (فرحون) مسرورون ظناً منهم أنه حق وأنى له ذلك فالجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من تفريق دينهم وكونهم شيعاً وقد جوز أن يكون فرحون صفة لكل على أن الخبر هو الظرف المقدم أغنى من الذين فرقوا ولا يخفى بعده (وإذا مس الناس ضر) أى شدة (دعوا ربهم منيبين إليه) راجعين إليه من ٢٣ دعاء غيره (ثم إذا أذقهم منه رحمة) خلاصاً من تلك الشدة (إذا فريق منهم برهم) الذى كانوا دعوه منيبين إليه (يشركون) أى فاجأ فريق منهم الإشراف وتخصيص هذا الفعل ببعضهم لما أن بعضهم ليسوا كذلك كما فى قوله تعالى فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد أى مقيم على الطريق القصد أو متوسط فى الكفر لا نزاجاره فى الجملة (ليكفروا بما آتيناهم) اللام فيه للعاقبة وقيل للأمر التهديدى كقوله تعالى (فتمتعوا) ٢٤ غير أنه التفت فيه للبالغة وقرىء وليتمتعوا (فسوف تعلمون) عافية تتمتعكم وقرىء بالياء على أن تمتعوا ماض والانتفات إلى الغيبة فى قوله تعالى (أم أنزلنا عليهم) للإبذان بالإعراض عنهم وتعيد جناباتهم لغيرهم بطريق المباشرة (سلطاناً) أى حجة واضحة وقيل ذا سلطان أى ملكاً معه برهان (فهم ينتكلم) تكلم دلالة كافي قوله تعالى هذا كنابنا ينطق عليكم بالحق أو تكلم نطق (بما كانوا به يشركون) بأشراكهم به تعالى أو بالأمر الذى بسببه يشركون (وإذا أذقنا الناس رحمة) أى نعمة من محبة وسعة (فرحوا بها) بطراً وأشراً لا حمداً أو شكراً (وإن تصيبهم سيئة) شدة (بما قدمت أيديهم) بشؤم معاصيهم (إذا هم يقنطون) فاجتوا القنوط من رحمة تعالى وقرىء بكسر النون (أو لم يروا) أى ألم ينظروا ولم يشاهدوا (أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) ٢٧ فالهم لم يشكروا ولم يحسبوا فى السراء والضراء كالمؤمنين (إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) فيستدلون

فَقَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾

٣٠ الروم

وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لِّيرَبُّوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُّوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾

٣٠ الروم

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾

٣٠ الروم

ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾

٣٠ الروم

- ٣٨ بها على قال القدرة والحكمة (فآت ذاك القربى حقه) من الصلة والصدقة وسائر المبرات (والمسكين وابن السبيل) ما يستحقانه والخطاب للنبي ﷺ أو لمن بسط له كما تؤذن به الفاء (ذلك خير للذين يريدون وجه الله) ذاته أو جهته ويقصدون بمعرفته إياه تعالى خالصاً أو جهة التقرب إليه لاجهة أخرى (وأولئك هم المفلحون) حيث حصلوا بما بسط لهم النعم المقيم (وما آتيتهم من ربا) زيادة خالية عن العوض عند المعاملة وقرىء آتيتهم بالفتح أى غشيتهم أو رزقتهم من إعطاء ربا (ليربوا في أموال الناس) ليزيد ويزكو في أموالهم (فلا يربوا عند الله) أى لا يبارك فيه وقرىء لربوا أى ليزيدوا أو لتصيروا ذوى ربا • (وما آتيتهم من زكاة يريدون وجه الله) أى تبتغون به وجهه تعالى خالصاً (فأولئك هم المضعفون) أى ذوو الأضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوى والموسر لذى القوة واليسار أو الذين ضعفوا ثوابهم • وأموالهم بالبركة وقرىء بفتح العين وفى تغيير النظم الكريم والالتفات من الجزالة ما لا يخفى (الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ) أثبت له تعالى لوازم الألوهية وخواصها ونفاها رأساً عما اتخذوه شركاء له تعالى من الأصنام وغيرها مؤكداً بالإنكار على ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوافق ثم استنتج منه تنزهه عن الشركاء بقوله تعالى (سبحانه وتعالى عما يشركون) وقد جوز أن يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرباط قوله تعالى من ذلكم لأنه بمعنى من أفعاله ومن الأولى والثانية تفيضان شيوخ الحكم فى جنس الشركاء • والأفعال والثالثة مزيدة لتعميم المنق وكل منها مستقلة بال تأكيد وقرىء أنشركون بصيغة الخطاب (ظهر الفساد فى البر والبحر) كالجذب والموتان وكثرة الحرق والفرق وإخفاق الفاسدة ومحق البركات وكثرة المضار أو الضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرى البحور (بما كسبت أيدى الناس) بشؤم معاصيهم أو بكسبهم إياها وقيل ظهر الفساد فى البر بقتل قاييل أخاه هايل وفى البحر بأن جلندى

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ ٣٠ الروم

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصْدَعُونَ ﴿٤٣﴾ ٣٠ الروم

مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَن عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نُفْسِهِمْ يُمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ ٣٠ الروم

لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾ ٣٠ الروم

وَمِن ءَايَاتِهِ ۚ أَن يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ ۚ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ ٣٠ الروم

- كان يأخذ كل سفينة غصباً (ليذيقهم بعض الذي عملوا) أى بعض جزائه فإن إتمامه فى الآخرة واللام للعلّة أو للعاقبة وقرئ: لنذيقهم بالنون (لعلهم يرجعون) عما كانوا عليه (قل سيروا فى الأرض فانظروا ٤٢ كيف كان طاقبة الذين من قبل) ليشاهدوا آثارهم (كان أكثرهم مشركين) استئناف للدلالة على أن ما أصابهم لغزو الشرك فيما يدينهم أو كان الشرك فى أكثرهم وما دونه من المعاصى فى قليل منهم (فأقم وجهك للدين القيم) أى البالغ الاستقامة (من قبل أن يأتى يوم لا مرد له) لا يقدر أحد على إردده (من ٤٣ الله) متعلق بآنى أو بمردلانه مصدر والمعنى لا يردده الله تعالى لتعلق إرادته القديمة بمجيئه (يومئذ يصدعون) أصله يصدعون أى يتفرقون فريق فى الجنة وفريق فى السعير (من كفر فعليه كفره) أى وبال كفره هو النار ٤٤ المؤبدة (ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمدون) أى يسوون منزلاً فى الجنة وتقديم الظرف فى الموضعين للدلالة على الاختصاص (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) متعلق يصدعون وقيل يمدون أى يتفرقون بفريق الله تعالى فريقين ليجزى كلا منهما بحسب أعمالهم وحيث كان جزاء المؤمنين هو المقصود بالذات أبرز ذلك فى معرض الغاية وعبر عنه بالفضل لما أن الإثابة بطريق التفضل لا الوجوب وأشير إلى جزاء الفريق الآخر بقوله تعالى (إنه لا يحب الكافرين) فإن عدم محبته تعالى كناية عن بغضه الموجب لغضبه المستتبع للعقوبة لا محالة (ومن آياته أن يرسل الرياح) أى الشمال والسماء ٤٥ والجنوب فإنها رياح الرحمة وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله ﷺ اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً وقرئ: الريح على إرادة الجنس (مبشرات) بالمطر (وليذيقكم من رحمته) وهى المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها أو الروح الذى هو مع هبوبها واللام متعلقة يرسل وبالجملة معطوفة على مبشرات على المعنى كأنه قيل ليبشركم بها وليذيقكم أو يحذوف يفهم من ذكر الإرسال تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا يرسلها لا لأمر آخر لا تعلق له بمنافعكم (ولتجري الفلك) بسوقها ٤٦ (بأمره ولتبتغوا من فضله) بتجارة البحر (ولعلكم تشكرون) ولتشكروا نعمة الله فيما ذكر من

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

٣٠ الروم

اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾

٣٠ الروم

وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قِبَلِهِ لُمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

٣٠ الروم

- ٤٧ الغايات الجليلة (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم) كما أرسلناك إلى قومك (لجاءهم بالبينات) أي جاء كل رسول قومه بما يخصه من البينات كما جئت قومك بيناتك والفاء في قوله تعالى (فانتقمنا من الذين أجمعوا) فصيحة أي فكذبوهم فانتقمنا منهم وإنما وضع موضع ضمير الموصول للتنبيه على مكان المحذوف والإشعار بكونه علة للانتقام وفي قوله تعالى (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) مزيد تشریف وتكرمة للمؤمنين حيث جعلوا مستحقين على الله تعالى أن ينصرهم وإشعار بأن الانتقام من الكفرة لأجله وقد يوقف على حقاً على أنه متعلق بالانتقام ولعل توسيط الآية الكريمة بطريق الاعتراض بين ماسبق وما لحق من أحوال الرياح وأحكامها لإيثار الكفرة وتحذيرهم عن الإخلال بما واجب الشكر المطلوب بقوله تعالى لعلمكم تشكرون بمقابلة النعم المعدودة بالمنوطة بإرسالها كيلا يحل بهم مثل ما حل المطلوب بآلائك الأمم من الانتقام (الله الذي يرسل الرياح) استئناف مسوق لبيان ما أجمل فيما سبق من أحوال الرياح (فتثير سحاباً فيبسطه) متصلاتارة (في السماء) في جوها (كيف يشاء) سائر أواقفاً مطبقاً وغير مطبق من جانب دون جانب إلى غير ذلك (ويجعله كسفاً) تارة أخرى أي قطعاً وقرى بسكون السين على أنه مخفف جمع كسفة أو مصدر وصف به (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) في النارين (فإذا أصاب به من يشاء من عباده) أي بلادهم وأراضيهم (إذا هم يستبشرون) فاجتوا الاستبشار بمجيء الخصب (وإن كانوا) إن مخففة من إن وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف أي وإن الشأن كانوا (من قبل أن ينزل عليهم) أي المطر (من قبله) تكرير للنا كيد والإيذان بطول عهدهم بالمطر واستحكام بأسهم منه وقيل الضمير للمطر أو السحاب أو الإرسال وقيل للكسف على القراءة بالسكون وليس بواضح وأقرب من ذلك أن يكون الضمير للاستبشار ومن متعلقة بينزل لتفيد سرعة تقلب قلوبهم من اليأس إلى الاستبشار بالإشارة إلى غاية تقارب زمانيهما ببيان اتصال اليأس بالتزليل المتصل بالاستبشار بشهادة إذا الفجائية (لمبلسين) خبر كانوا واللام فارقة أي آيسين (فانظر إلى آثار رحمة الله) المترتبة على تنزيل المطر من النبات والأشجار وأنواع الثمار والفاء للدلالة على سرعة ترتبها عليه وقرى أثر

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ ٣٠ الروم

فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ ٣٠ الروم

وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ٣٠ الروم

- بالتوحيد وقوله تعالى (كيف يحيي) أي الله تعالى (الأرض بعد موتها) في حين النصب بنزع الخافض وكيف معلق لا نظر أي فانظر إلى إحيائه البديع للأرض بعد موتها وقيل على الحالية بالتأويل وأياً ما كان فالمراد بالامر بالنظر التنبيه على عظم قدرته تعالى وسعة رحمته مع ما فيه من التقيد لما يعقبه من أمر البعث وقرئ يحيي بالتأنيث على الإسناد إلى ضمير الرحمة (إن ذلك) العظيم الشأن الذي ذكر بعض شتونه (لحيي الموتي) لقادر على إحيائهم فإنه إحداث لمثل ما كان في مواد أبدانهم من القوى الحيوانية كما أن إحياء الأرض إحداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية أو لحييهم البتة وقوله تعالى (وهو على كل شيء قدير) تذييل مقرر لمضمون ما قبله أي مبالغ في القدرة على جميع الأشياء التي من جملتها إحيائهم لما أن نسبة قدرته إلى الكل سواء (ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه) أي الأثر المدلول عليه بالآثار أو النبات للمبر عنه بالآثار فإنه اسم جنس يعم القليل والكثير (مصفرأ) بعد خضرته وقد جوز أن يكون الضمير للسحاب لأنه إذا كان مصفرأ لم يطر ولا يخفى بعده واللام في لئن موطنه للقسم دخلت على حرف الشرط والهاء في فرأوه فصيحة واللام في قوله تعالى (لظلوا) لام جواب القسم ساد مسد الجوايين أي وبالله لئن أرسلنا ريحاً حارة أو باردة فضربت درعهم بالصغار فرأوه مصفرأ ليطان (من بعده يكفرون) من غير تعلم وفيه من ذمهم بعد تنبيههم وسرعة زلزلهم بين طرفي الإفراط والتفريط مالا يخفى حيث كان الواجب عليهم أن يتوكلوا على الله تعالى في كل حال وبلغوا إليه بالاستغفار إذا احتبس عنهم القطر ولا يأسوا من دوح الله تعالى ويبادروا إلى الشكر بالطاعة إذا أصابهم برحمته ولا يفرطوا في الاستبشار وأن يصبروا على بلائه إذا اعتري ذرعهم آفة ولا يكفروا بنعمائه فعكسوا الأمر وأبوا ما يجديهم وأتوا بما يرددهم (فإنك لا تسمع للموتى) لما أنهم مثلهم لانعدام مشاعرهم عن الحق (ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين) تقييد الحكم بما ذكر لبيان كمال سوء حال الكفرة والتنبيه على أنهم جامعون لخصلتي سوء نبو أسماعهم عن الحق وإعراضهم عن الإصغاء إليه ولو كان فيهم أحداهما لكفاهم ذلك فكيف وقد جموعهما فإن الأصم المقل إلى التكلم ربما يظن من أوضاعه وحركاته لشيء من كلامه وإن لم يسمعه أصلاً وأما إذا كان معرضاً عنه فلا يكاد يفهم منه شيئاً وقرئ بالياء المفتوحة ورفع الصم (وما أنت بهادي العمى عن ضلالهم) سموا عمياً إما لفقدانهم المقصود الحقيقي من الإبصار أو لعمى قلوبهم وقرئ تهدي العمى (إن تسمع) أي ما تسمع (إلا من يؤمن بآياتنا) فإن إيمانهم يدعوهم إلى التدبر فيها وتلقيها بالقبول أو إلا من يعرف الإيمان بها ويقبل عليها إقبالا لا نقياً (فهم مسلمون) متقافون لما تأمرهم به من الحق

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾

٣٠ الروم

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾

٣٠ الروم

وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾

٣٠ الروم

فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾

٣٠ الروم

- ٥٤ (الله الذي خلقكم من ضعف) مبتدأ وخبر أي ابتداءكم بضعفاء وجعل الضعف أساس أمركم كقوله تعالى وخلق الإنسان ضعيفاً أي خلقكم من أصل ضعيف هو النطفة (ثم جعل من بعد ضعف قوة) وذلك عند بلوغكم الحلم أو تعلق الروح بأبدانكم (ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة) إذا أخذ منكم السن وقرىء بضم الصاد في الكل وهو أقوى لقول ابن عمر رضي الله عنهما قرأناها على رسول الله ﷺ فأقرأني من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لأن المتقدم غير المتأخر (يخلق ما يشاء) من الأشياء التي من جملتها ما ذكر من الضعف والقوة والشيبة (وهو العليم القدير) المبالغ في العلم والقدرة فإن التردد فيما ذكر من الأطوار المختلفة من أوضح دلائل العلم والقدرة (ويوم تقوم الساعة) أي القيامة سميت بها لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا أو لأنها تقع بغتة وصارت علماً لها كالنجيم للثريا والكوكب للزهرة (يقسم المجرمون ما لبثوا) أي في القبور أو في الدنيا والأول هو الآخر لأن لبثهم مغيباً بيوم البعث كما سيأتي وليس لبثهم في الدنيا كذلك وقيل فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث أربعون وهو محتمل للساعات والأيام والأعوام وقيل لا يعلم أي أربعون سنة أو أربعون ألف سنة (غير ساعة) استقلوا مدة لبثهم نسياناً أو كذباً أو تخميناً (كذلك كانوا يؤفكون) مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون في الدنيا عن الحق والصدق (وقال الذين أوتوا العلم والإيمان) في الدنيا من الملائكة والإنس (لقد لبثتم في كتاب الله) في علمه أو قضائه أو ما كتبه وعينه أو في اللوح أو القرآن وهو قوله تعالى ومن ورائهم برزخ (إلى يوم البعث) ردوا بذلك ما قالوه وأيدوه باليمين كأنهم من فرط حيرتهم لم يدروا أن ذلك هو البعث الموهود الذي كانوا ينكرونه وكانوا يسمعون أنه يكون بعد فناء الخلق كافة ويقدرّون لذلك زماناً مديداً وإن لم يعتقدوا تحققه فرد العالمون مقالهم ونههم على أنهم لبثوا إلى غاية بعيدة كانوا يسمعونها وينكرونها وبكتهم بالإخبار بوقوعها حيث قالوا (فهذا يوم البعث) الذي كنتم توعدون في الدنيا (ولكنكم كنتم لا تعلمون) أنه حق فاستمعجلون به استهزاء والفاء جواب شرط محذوف كما في قول من قال [قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا] ثم الففول فقد جئنا خراساناً [فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم] أي عذرهم وقرىء تنفع بالتاء محافظة على ظاهر اللفظ وإن توسط

٥٥

٥٦

٥٧

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّا
أَنْتُمْ إِلَّا مُبْتَلَوْنَ ﴿٥٨﴾

٣٠ الروم

كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾

٣٠ الروم

فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

٣٠ الروم

بينهما فاصل (ولا هم يستعجبون) لا يدعون إلى ما يقتضيه إعتابهم أى إزالة عتبتهم من التوبة والطاعة كما
دعوا إليه في الدنيا من قولهم استعجبني فلان فأعجبته أى استرضاني فأرضيته (ولقد ضربنا للناس في هذا
٥٨ القرآن من كل مثل) أى وبالله لقد بينا لهم كل حال ووصفنا لهم كل صفة كأنها في غرايتها مثل وقصصنا عليهم
كل قصة عجيبة الشأن كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصصهم وما يقولون وما يقال لهم ويفعل بهم من رد
اعتذارهم (ولئن جئتهم بآية) من آيات القرآن الناطقة بأمثال ذلك (ليقولن الذين كفروا) لفرط عتوم
وعنادهم وقساوة قلوبهم مخاطبين للنبي ﷺ والمؤمنين (إن أنتم إلا مبطلون) أى مزورون (كذلك) ٥٩
مثل ذلك الطبع الفطري (يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) لا يطلبون العلم ولا يتحرون الحق بل
يصرون على خرافات اعتقدوها وترهات ابتدعوها فإن الجمل المركب يمنع إدراك الحق ويوجب
تكذيب الحق (فاصبر) على ما تشاهد منهم من الأقوال الباطلة والأفعال السيئة (إن وعد الله حق) ٦٠
وقد وعدك بالنصرة وإظهار الدين وإعلاء كلمة الحق ولا بد من إنجاز الوفاء به لا محالة (ولا يستخفك)
لا يحملك على الخفة والقلق (الذين لا يوقنون) بما تتلو عليهم من الآيات البينة بتكذيبهم إياها وإبذانهم
لك بأباطيلهم التي من جملتها قولهم إن أنتم إلا مبطلون فإنهم شاكون ضالون ولا يستبعد منهم أمثال
ذلك وقرىء بالنون المخففة وقرىء ولا يستحقك من الاستحقاق أى لا يفتنك فيملكوك ويكونوا
أحق بك من المؤمنين وأياً ما كان فظاهر النظم الكريم وإن كان نهياً للكفرة عن استخفافه ﷺ
واستحقاقه لكنه في الحقيقة نهى له ﷺ عن التأثر من استخفافهم والافتتان بفتنتهم على طريق الكناية
كما في قوله تعالى ولا يجر منكم شأن قوم على أن لا تعدلوا. عن رسول الله ﷺ من قرأ سورة الروم
كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل ملك يسبح الله تعالى بين السماء والأرض وأدرك ما ضيع
في يومه وليلته.

٣١ - سورة لقمان

مكية وهي أربع وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لقمان ٣١

الْم ①

لقمان ٣١

تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ②

لقمان ٣١

هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ③

لقمان ٣١

الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ④

لقمان ٣١

أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ⑤

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ

لقمان ٣١

لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ⑥

(سورة لقمان)

- ٢٠١ (مكية وقيل إلا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة فإن وجوبها بالمدينة وهو ضعيف لأنه ينافي شرعيتها بمكة وقيل إلا ثلاثاً من قوله ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام وهي أربع وثلاثون آية)
- ٢ (بسم الله الرحمن الرحيم) (ألم تلك آيات الكتاب) سلف بيانه في نظائره (الحكيم) أى ذى الحكمة لا شبيهه عليها أو هو وصف له بنعته تعالى أو أصله الحكيم منزله أو قائله لحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فأنقلب مرفوعاً فاستكن في الصفة المشبهة وقيل الحكيم فعيل بمعنى مفعول قالوا أعقدت العين فهو عقيد أى معقد وهو قليل وقيل بمعنى فاعل (هدى ورحمة) بالنصب على الحالية من الآيات والعامل فيها معنى الإشارة وقرئ بالرفع على أنها خبران آخران لاسم الإشارة أو مبتدأ محذوف (للبحسين) أى العاملين الحسنات فإن أريد بها مشاهيرها للمهودة في الدين فقوله تعالى (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) بيان لما عملوها من الحسنات على طريقة قوله [الألمى الذى يظن بك الله ظناً كأن قدر أى وقد سما] وإن أريد بها جميع الحسنات فهو تخصيص لهذه الثلاث بالذكر من بين سائر شعبها لإظهار فضلها وإناقضها على غيرها وتخصيص الوجه الأول بصورة كون للوصول صفة للبحسين والوجه الأخير بصورة كونه مبتدأ عاماً لا وجه له (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) الفائزون بكل مطلوب والناجون من كل مهروب لحيازتهم قطرى العلم والعمل وقد مر ما فيه من المقال في مطلع سورة البقرة بما لا مزيدة عليه (ومن الناس) على الرفع على الابتداء باعتبار مضمونه

وَإِذَا تَنَزَّلَ عَلَيْهِ أَيْتَنَّا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَانَ لَرْ يَسْمَعَهَا كَانَ فِي أذْنِيهِ وَقَرَأَ فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ قمان

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٣١﴾ قمان

- أو بتقدير الموصوف ومن في قوله تعالى (من يشتري لهو الحديث) موصولة أو موصوفة محلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس أو وبعض من الناس الذي يشتري أو فريق يشتري على أن مناط الإفادة والمقصود بالإصالة هو انصافهم بما في حيز الصلة أو الصفة لا كونهم ذوات أولئك المذكورين كما في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر الآيات وهو الحديث ما يلهم مما يعني من المهمات كالأحاديث التي لا أصل لها والأساطير التي لا اعتداد بها والمضاحك وسائر ما لا خير فيه من فضول الكلام والإضافة بمعنى من التبينة إن أريد بالحديث المنكر وبمعنى التبعية إن أريد به الأهم من ذلك وقيل نزلت الآية في النضر بن الحرث اشترى كتب الأماجم وكان يحدث بها قريشاً ويقول إن كان محمد ﷺ يحدثكم بحديث حاد وثمود فانا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار والأكاسرة وقيل كان يشتري القيان ويحملهم على معاينة من أراد الإسلام ومنعه عنه (ليضل عن سبيل الله) أي دينه الحق الموصل إليه تعالى أو عن قراءة كتابه الهادي إليه تعالى وقرىء ليضل بفتح الياء أي ليثبت ويستمر على ضلاله أو ليزداد فيه (بغير علم) أي بحال ما يشتريه أو بالتجارة حيث استبدل الشر بالخير المحض (ويتخذها) بالنصب عطفاً على يضل والضمير للسبيل فإنه مما يذكر ويؤنس وهو دين الإسلام أو القرآن أي ويتخذها (هرواً) مهزواً به وقرىء ويتخذها بالرفع عطفاً على يشتري وقوله تعالى (أولئك) إشارة إلى من واجمع باعتبار معناها كما أن الأفراد في الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بذكر المقار إليه للإيذان ببعد منزلتهم في الشرارة أي أولئك الموصوفون بما ذكر من الاشتراء للإضلال (لهم عذاب مهين) لما اتصفوا به من إهانتهم الحق يائس الباطل عليه وترغيب الناس فيه (وإذا تنزل عليه) أي على المشتري ٧ أفرد الضمير فيه وفيما بعده كالضمائر الثلاثة الأولى باعتبار لفظة من بعد ما جمع فيها بينهما باعتبار معناها (آياتنا) التي هي آيات الكتاب الحكيم وهدي ورحمة للمحسنين (ولي) أعرض عنها خير معتديها (مستكبراً) مبالغاً في التكبر (كان لم يسمعها) حال من ضمير ولي أو من ضمير مستكبراً والأصل كأنه لحذف ضمير القمان وخففت المثقلة أي مضى حاله حال من لم يسمعها وهو سامع وفيه رمز إلى أن من سمعها لا يتصور منه التولية والاستكبار لما فيها من الأمور الموجبة للإقبال عليها والخضوع لها على طريقة قول من قال [كانك لم تخرج على ابن طريف] [كان في أذنيه وقرأ] حال من ضمير لم يسمعها • أي مضى حاله حال من في أذنيه ثقل مانع من السماع ويجوز أن يكونا استثنافين وقرىء في أذنيه بسكون الدال (فبشره بعذاب أليم) أي فأعلمه بأن العذاب المفرط في الإيلام لاحق به لا محالة وذكر البشارة للتهكم (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بيان لحال المؤمنين بآياته تعالى إثر بيان حال الكافرين بها ٨ أي الذين آمنوا بآياته تعالى وعملوا بموجبها (لهم) بمقابلة ما ذكر من إيمانهم وأعمالهم (جنت النعيم) أي

٣١ لقمان

خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾

خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالَّتِي فِي الْأَرْضِ رَوَى أَنْ يَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ

٣١ لقمان

وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾

٣١ لقمان

هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾

- نعم جنات فمكس للبياضة والجملة خبر لأن والاحسن أن يجعل لهم هو الخبر لأن وجنات النعيم مرتفعاً به على القاطعية وقوله تعالى (خالدين فيها) حال من الضمير في لهم أو من جنات النعيم لاشتراكه على ضميريهما والعلل ما يتعلق به اللام (وعده الله حقاً) مصدران مؤكداً الأول لنفسه والثاني لغيره لأن قوله تعالى لهم جنات النعيم في معنى وعدم الله جنات النعيم فأكده معنى الوعد بالوعد وأما حقاً فبال على معنى الثبات أكد به معنى الوعد ومؤكدهما جميعاً لهم جنات النعيم (وهو العزيز) الذي لا يظلمه شيء ليعنه من إنجاز وعده أو تحقيق وعيده (الحكيم) الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة (خلق السموات بغير عمد) الخ استئناف مسوق للاستشهاد بما فصل فيه على عزته تعالى التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي كمال العلم وتمهيد قلعة التوحيد وتقريره وإبطال أمر الإشراك وتبكيك أهله والعمد جمع عمد كاهب جمع إهاب وهو ما يعمد به أي يستند يقال عمدت الحائط إذا دعمته أي بغير دعائم على أن الجمع لتعدد السموات وقوله تعالى (ترونها) استئناف جرى به للاستشهاد على ما ذكر من خلقه تعالى لها غير معهود بمشاهدتهم لها كذلك أو صفة لعمد أي خلقها بغير عمد مرمية على أن التقييد للرمز إلى أنه تعالى عمدها بعمد لا ترونها هي عمد القدرة (وأتى في الأرض رواسى) بيان لصنعه البديع في قرار الأرض لإثبات صنعه الحكيم في قرار السموات أي أتى فيها جبالات ثوابت وقد مر ما فيه من الكلام في سورة الوعد (أن تميد بكم) كراهة أن تميل بكم فإن بساطة أجزائها تقتضي تبدل أحيائها وأوضاعها لا متنازع اختصاص كل منها لذاته أو لشيء من لوازمه بحيث معين ووضع مخصوص (وبث فيها من كل دابة) من كل نوع من أنواعها (وأزلنا من السماء ماء) هو المطر (فأنبتنا فيها) بسبب ذلك الماء (من كل زوج كريم) من كل صنف كثير المنافع والالتفات إلى نون العظمة في الفعلين لإبراز مزيد الاعتناء بأمرها (هذا) أي ما ذكر من السموات والأرض وما يتعلق بهما من الأمور المعدادة (خلق الله) أي مخلوقه (فأروني ماذا خلق النين من دونه) بما اتخذهم شركاء له سبحانه في العبادة حتى استحقوا به المعبودية وماذا نصب بخلق أو ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته وأروني متعلق به وقوله تعالى (بل الظالمون في ضلال مبين) لضراب عن تبكيتهم بما ذكر إلى التسجيل عليهم بالضلال البين المستدعي للإعراض عن عظامتهم بالمقدمات المعقولة الحق لا استحالة أن يفهموا منها شيئاً فيهدوا به إلى العلم بطلان ما م عليه أو يتأثروا من الإلزام والتبكيك فيزجروا عنه ووضع الظاهر موضع ضميرهم للدلالة على أنهم بإشراكهم

وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾

لقمان ٣١

وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾

لقمان ٣١

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾

لقمان ٣١

- واضعون للشيء في غير موضعه ومتعدون عن الحدود وظالمون لأنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد
- (ولقد آتينا لقمان الحكمة) كلام مستأنف مسوق لبيان بطلان الشرك وهو لقمان بن باعواره من أولاد ١٢
- آزر ابن أخت أبوب عليه السلام أو خالته وعاش حتى أدرك داود عليه السلام وأخذ عنه العلم وكان يفتي قبل مبته وقيل كان قاضياً في بني إسرائيل والجمهور على أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الإنسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملائكة التامة على الأفعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته أنه صحب داود عليه السلام شهوراً وكان يسرد الدرر فلم يسأله عنها فلما أتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب أنت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله فقال له داود عليه السلام بحق ما سميت حكيماً وأن داود عليه السلام قال له يوماً كيف أصبحت فقال أصبحت في بدى غيرى فتفكر داود فيه فصعق صمعة وأنه أمره مولاه بأن يذبح شاة ويأتى بأطيب مضغتين منها فأتى باللسان والقلب ثم بعد أيام أمره بأن يأتى بأخبث مضغتين منها فأتى بهما أيضاً فسأله عن ذلك فقال هما أطيب شيء إذا طابا وأخبث شيء إذا خبثا ومعنى (أن اشكر الله) أى اشكر له تعالى على أن أن مفسرة فإن إيتاء الحكمة في معنى القول
- وقوله تعالى (ومن يشكر) الخ استئناف مقرر لمضمون ما قبله موجب الامتثال بالأمر أى ومن يشكر له تعالى (فإنما يشكر لنفسه) لأن منفعة التي هي ارتباط العتيد واستجلاب المزيد مقصورة عليها (ومن كفر فإن الله غنى) عن كل شيء فلا يحتاج إلى الشكر لينتضر بكفر من كفر (حميد) حقيق بالحمد وإن لم يحمده أحد أو محمود بالفعل ينطق بحمده جميع المخلوقات بلسان الحال وعدم التعرض لكونه تعالى مشكوراً لما أن الحمد متضمن للشكر بل هو رأسه كما قال عليه السلام الحمد رأس الشكر لم يشكر الله عبد لم يحمده فإثباته له تعالى إثبات للشكر له قطعاً (وإذ قال لقمان لابنه) أنعم وقيل أشكم وقيل ماثان (وهو يعظه ١٣
- يأبى) تصغير إشفاق وقرىء يا بني يأسكان الياء وبكسرهما (لا تشرك بالله) قيل كان ابنه كافراً فلم يزل به حتى أسلم ومن وقف على لا تشرك جمل بالله قسمياً (إن الشرك لظلم عظيم) تعليل للنهي أو للالتواء عن الشرك (ووصينا الإنسان بوالديه) الخ كلام مستأنف اعترض به على نهج الاستطراد في أثناء وصية ١٤
- لقمان تأكيده لما فيها من النهى عن الشرك وقوله تعالى (حملته أمه) إلى قوله في عامين اعترض بين المفسر والمفسر وقوله تعالى (وهنا) حال من أمه أى ذات وهن أو مصدر مؤكد فاعمل هو الحال أى تن وهن

وَأِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَأَتَّبِعْ
سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣١﴾

٣١ لقمان

يُنَبِّئُ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ
بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٣٢﴾

٣٢ لقمان

يُنَبِّئُ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَآمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ
الْأُمُورِ ﴿٣٣﴾

٣٣ لقمان

- وقوله تعالى (على ومن) صفة للبصير أي كأننا على ومن أي تضعف ضعفاً فوق ضعف فإنها لا تزال
• يتضاعف ضعفها وقرئ. وهنا على ومن بالتحريك يقال ومن يهن وهنا ومن يهن وهنا (وفضاه
في طامين) أي فطامه في تمام طامين وهي مدة الرضاع عند الشافعي وعند أبي حنيفة رحمهما الله تعالى هي
• ثلاثون شهراً وقد بين وجهه في موضعه وقرئ. وفصله (أن اشكر لي ولوالديك) تفسير لوصينا وما
بينهما اعتراض مؤكداً للوصية في حقها خاصة ولذلك قال ^{بالحق} لمن قال له من أبر: أملك ثم أملك ثم أملك
ثم قال بعد ذلك ثم أباك (إلى المصير) تعليل لوجوب الامتنال أي إلى الرجوع لا إلى غيري فأجازيك
• هل ما صدر عنك من الكفر والكفر (وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به) أي بشر كنه له
تعالى في استحقاق العبادة (علم فلا تطعهما) في ذلك (وصاحبهما في الدنيا معروفاً) أي صحاباً معروفاً رضي
الشرع ونقضيه المروءة (واتبع سبيل من أناب إلى) بالتوحيد والإخلاص في الطاعة (ثم إلى مرجعكم)
أي مرجعكم ومرجعهم ومرجع من أناب إلى (فأنبئكم) عند رجوعكم (بما كنتم تعملون) بأن أجازي
• ١٦ كلامكم بما صدر عنه من الخير والشر وقوله تعالى (يا أيها) الخ شروع في حكاية بقية وصايا لقمان إثر
تقرير ما في مطلعها من النهي عن الشرك وتأكيداً بالاعتراض (إنها إن تك مثقال حبة من خردل) أي
إن الحصلة من الإساءة أو الإحسان إن تك مثلاً في الصغر كحبة الخردل وقرئ. برفع مثقال على أن
الضمير للقصة وكان تامة والتأنيث لإضافة المثقال إلى الحبة كما في قول من قال [كأشرفت صدر القناة من
• الدم] أو لأن المراد به الحسن أو السيئة (فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض) أي فتكن
مع كونها في أقصى غايات الصغر والقهارة في أخفى مكان وأحرزه بجوف الصخرة أو حيث كانت في العالم
• العلوي أو السفلي (يأت بها الله) أي يحضرها ويحاسب عليها (إن الله لطيف) يصل عليه إلى كل خفي
(خبير) بكنهه وبعد ما أمره بالتوحيد الذي هو أول ما يجب على الإنسان في ضمن النهي عن الشرك ونبيه على
قال علم الله تعالى وقدرته أمره بالصلاة التي هي أكمل العبادات تكبيلاً له من حيث العمل بعد تكبيله من
• ١٧ حيث الاعتقاد فقال مستمبلاًه (يا بني أقم الصلاة) تكبيلاً لنفسك (وأمر بالمعروف وانه عن المنكر)
تكبيلاً لغيرك (وأصبر على ما أصابك) من الهم والدائد والهن لاسيما فيما أمرت به (إن ذلك) إشارة إلى

وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ لقمان
وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ لقمان
أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَخْرِقُكُمْ مَاءَ السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَمْسَحَ عَلَيْكُمْ لَبَنَهُ ظَهَرَ وَبَاطِنُهُ
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾ لقمان

كل ما ذكر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه لما مر مراراً من الإشعار ببعد منزلته في الفضل
(من هم الأمور) أي بما عزمه الله تعالى وقطعه على عباده من الأمور لما زيد منبتها مصدر أطلق على
المفعول وقد جرد أن يكون بمعنى الفاعل من قوله تعالى فإذا عزم الأمر أي جد والجملة تعليل لوجوب
الامتناع بما سبق من الأمر والله وليدان بأن ما بعدها ليس بمثابة (ولا تصعر خدك للناس) أي لا تملأه
ولا تولم صفحة وجهك كما هو ديدن المتكبرين من الصعر وهو الصيد وهو داء يصيب البعير فيلوى
منه عنقه وقرىء ولا تصاعر وقرىء ولا تصعر من الإفعال والكل بمعنى مثل علاه وعالاه وأعلاه
(ولا تمش في الأرض مرحاً) أي فرحاً مصدر وقع موقع الحال أو مصدر مؤكد لفعل هو الحال أي
تمرح مرحاً أو لا تجل المرج والبطر (إن الله لا يحب كل مختالاً فخوراً) تعليل للنهي أو موجه وتأخير
الفخور مع كونه بمقابلة الصعر خده عن المختال وهو بمقابلة الماشي مرحاً لرعاية الفواصل (واقصد في
مشيك) بعد الاجتناب عن المرح فيه أي توسط بين الديب والإسراع وعنه ^{١٩} سرعة المشي تذهب
بهاء المؤ من وقول مائشة في عمر رضي الله عنهما كان إذا مشى أسرع فالمراد به ما فوق ديب النماوت وقرىء
بقطع الهمة من أقصد الراعي إذا سدد سهمه نحو الرمية (واعضض من صوتك) وانقص منه واقصر
(إن أنكر الأصوات) أي أوحشها (لصوت الحمير) تعليل للأمر على أبلغ وجه وآكده مبنى على
تشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم بالهاق وإفراط في التحذير عن رفع الصوت والتنفير
عنه وإفراد الصوت مع إضافته إلى الجمع لما أن المراد ليس بيان حال صوت كل واحد من آحاد هذا
الجنس حتى يجمع بل بيان حال صوت هذا الجنس من بين أصوات سائر الأجناس وقوله تعالى (ألم تروا
أن الله يخسر لكم ما في السموات وما في الأرض) رجوع إلى سنن ما سلف قبل قصة لقمان من خطاب
المشركين وتوبيخهم على إصرارهم على ما هم عليه مع مشاهدتهم لدلائل التوحيد والمراد بالتسخير إما
جعل المسخر بحيث ينفع المسخر له أعم من أن يكون منقاداً له يتصرف فيه كيف يشاء ويستعمله حسبما
يريد كعامة ما في الأرض من الأشياء المسخرة للإنسان المستعملة له من الجراد والحيوان أو لا يكون
كذلك بل يكون سبباً للحصول مراده من غير أن يكون له دخل في استعماله كجميع ما في السموات
من الأشياء التي نيطت بها مصالح العباد معاشاً ومعاداً وما جعله منقاداً للأمر مذلاً على أن معنى لكم

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ
يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾

٣١ لقان

وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾

٣١ لقان

وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ

٣١ لقان

الصدور ﴿٢٣﴾

٣١ لقان

نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾

- لأجلكم فإن جميع ما في السموات والأرض من الكائنات مسخر لله تعالى مستتعة لمنافع الخلق وما يستعمله الإنسان حسبما يشاء وإن كان مسخرأله بحسب الظاهر فهو في الحقيقة مسخر لله تعالى (وأصبح عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) محسوسة ومعقولة معروفة لكم وغير معروفة وقد مر شرح النعمة وتفصيلها في الفاتحة وقرئ أصيغ بالصاد وهو جار في كل سين قارنت الغين أو الخاء أو القاف كما تقول في سلخ صالخ وفي سقر صقر وفي سالت صالغ وقرئ نعمه (ومن الناس من يجادل في الله) في توحيد وصفاته (بغير علم) مستفاد من دليل (ولا هدى) من جهة الرسول ﷺ (ولا كتاب منير) أنزله الله سبحانه بل بمجرد التقليد (وإذا قيل لهم) أي لمن يجادل والجمع باعتبار المعنى (اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آبائنا) يريدون به عبادة الأصنام (أولو كان الشيطان يدعوهم) أي آباءهم لا أنفسهم كما قيل فإن مدار إنكار الاتباع واستبعاده كون المتبعين تابعين للشيطان لا كون أنفسهم كذلك أي أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم فيما هم عليه من الشرك (إلى عذاب السعير) فهم متوجهون إليه حسب دعوته والجملة في حيز النصب على الحالية وقد مر تحقيقه في قوله تعالى أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون من سورة البقرة بما لا مزيد عليه (ومن يسلم وجهه إلى الله) بأن فوض إليه مجامع أموره وأقبل عليه بكلية وحيث عدى باللام قصد معنى الاختصاص وقرئ بالتشديد (وهو محسن) أي في أعماله أت بها جامعة بين الحسن الذاتي والوصفي وقدر في آخر سورة النحل (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أي تعلق بأوثق ما يتعلق به من الأسباب وهو تمثيل لحال المتوكل المشتغل بالطاعة بحال من أراد أن يترقى إلى شاق جبل فتمسك بأوثق عرى الجبل المتدلى منه (وإلى الله) لا إلى أحد غيره (عاقبة الأمور) فيجازه أحسن الجزاء (ومن كفر فلا يحزنك كفره) فإنه لا يضرك في الدنيا ولا في الآخرة وقرئ فلا يحزنك من أحزن المنقول من حزن بكسر الزاي وليس بمستفيض (إلينا مرجعهم) لا إلى غيرنا (فننبئهم بما عملوا) في الدنيا من الكفر والمعاصي بالعذاب والعقاب والجمع في الضمائر الثلاثة باعتبار معنى من كما أن الأفراد في الأول باعتبار لفظها (إن الله عليم بذات الصدور) تلميح للتنبئة المعبر بها عن التعذيب (نمتعهم قليلاً) تمتعاً أو زماناً قليلاً فإن ما يزول وإن كان بعد أمد

وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾

لقمان ٣١

لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾

لقمان ٣١

وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾

لقمان ٣١

مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

لقمان ٣١

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾

لقمان ٣١

- طويل بالنسبة إلى ما يدوم قليل (ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) يشغل عليهم ثقل الأجرام الغلاظ ويضمر إلى الإحراق الضغط والتضييق (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) لغاية وضوح الأمر بحيث اضطروا إلى الاعتراف به (قل الحمد لله) على أن جعل دلائل التوحيد بحيث لا يكاد ينكرها المكابرون أيضاً (بل أكثرهم لا يعلمون) شيئاً من الأشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى اعتراฟهم وقيل لا يعلمون أن ذلك يلزمهم (لله ما في السموات والأرض) فلا يستحق العبادة فيهما غيره (إن الله هو الغني) عن العالمين (الحمد) المستحق للحمد وإن لم يحمده أحد أو المحمود بالفعل يحمده كل مخلوق بلسان الحال (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام) أي لو أن الأشجار أقلام وتوحيد الشجرة لما أن المراد تفصيل الأحاد (والبحر يمدّه من بعده) أي من بعد نفاد (سبعة أبحر) أي والحال أن البحر المحيط بسعته يمدّه البحر السبعة مداً لا ينقطع أبداً وكتبت بتلك الأقلام وبذلك المداد كلمات الله (مانفدت كلمات الله) ونفدت تلك الأقلام والمداد كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي وقرى يمدّه من الإمداد بالياء والناء وإسناد المد إلى البحر السبعة دون البحر المحيط مع كونه أعظم منها وأطم لأنها هي المجاورة للجبال ومنابع المياه الجارية وإليها تنصب الأنهار العظام أولاً ومنها ينصب إلى البحر المحيط ثانياً وإيثار جمع الكلمة للإيذان بأن ما ذكر لا ينفك بالقليل منها فكيف بالكثير (إن الله عزيز) لا يعجزه شيء (حكيم) لا يخرج عن علمه وحكمته أمر فلا تنفذ كلماته المؤسسة عليهما (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) أي إلا خلقها وبعثها في سهولة التاني إذ لا يشغله شأن عن شأن لأن مناط وجود الكل تعلق إرادته الواجبة مع قدرته الذاتية حسبما يفصح عنه قوله تعالى إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون (إن الله سميع) يسمع كل سميع (بصير) يبصر كل مبصر لا يشغله علم بعضها عن علم بعض فكذلك الخلق والبعث (ألم تر) قيل الخطاب لرسول الله ﷺ وقيل عام لكل أحد ممن يصلح للخطاب وهو الآتوق لما سبق وما لحق أي ألم تعلم علماً

٢٥

٢٦

٢٧

٢٨

٢٩

ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ، وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣١﴾

- قوياً جانياً مجرى الرؤية (أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) أى يدخل كل واحد منهما في الآخر ويضيفه إليه فيتفاوت بذلك حاله زيادة ونقصاناً (وسخر الشمس والقمر) عطف على يولج والاختلاف بينهما صيغة لما أن إبلاج أحد الملوك في الآخر متجدد في كل حين وأما تسخير النيران فأمر لا أمدد فيه ولا تجدد وإنما التعدد والتجدد في آثاره وقد أشير إلى ذلك حيث قيل (كل يجرى) أى بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية المتخالفة المتعددة حسب تعدد الأيام جرياً مستمراً (إلى أجل مسمى) قدره الله تعالى لجريهما وهو يوم القيامة كما روى عن الحسن رحمه الله فإنه لا ينقطع جريهما إلا حينئذ والجملة على تقدير عموم الخطاب اعتراض بين المعطوفين لبيان الواقع بطريق الاستطراد وعلى تقدير اختصاصه به ^{يخرج} يجوز أن يكون حالاً من الشمس والقمر فإن جريهما إلى يوم القيامة من جملة ما في حيز رؤيته ^{يخرج} هذا وقد جعل جريانهما عبارة عن حركتهما الخاصة بهما في فللكهما والأجل المسمى عن منتهى دورتهما وجعل مدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهراً فالجملة حينئذ بيان لحكم تسخيرهما وتنبيه على كيفية إبلاج أحد الملوك في الآخر وكون ذلك بحسب اختلاف جريان الشمس على مداراتها اليومية فكلما كان جريانهما متوجهاً إلى سمت الرأس تزداد القوس التي هي فوق الأرض كبراً فيزداد النهار طويلاً بانضمام بعض أجزاء الليل إليه إلى أن يبلغ المدار الذي هو أقرب المدارات إلى سمت الرأس وذلك عند بلوغها إلى رأس السرطان ثم ترجع متوجهة إلى التباعد عن سمت الرأس فلا تزال القوس التي هي فوق الأرض تزداد صغراً فيزداد النهار قصراً بانضمام بعض أجزائه إلى الليل إلى أن يبلغ المدار الذي هو أبعد المدارات اليومية عن سمت الرأس وذلك عند بلوغها برج الجدى وقوله تعالى (وأن الله بما تعملون خبير) عطف على أن الله يولج الخ داخل معه في حيز الرؤية على تقديرى خصوص الخطاب وعمومه فإن من شاهد مثل ذلك الصنع الرائق والتدبير الفائق لا يكاد يغفل عن كون صانعه عز وجل محيطاً بجلال أعماله ودقائقها (ذلك) إشارة إلى ما تلى من الآيات الكريمة وما فيه من معنى البعد للإيدان ببعد منزلتها في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (بأن الله هو الحق) أى بسبب بيان أنه تعالى هو الحق إلهيته فقط ولا أجل لكونها ناطقة بحقيقة التوحيد (وأن ما يدعون من دونه الباطل) أى ولا أجل بيان بطلان إلهية ما يدعون من دونه تعالى لكونها شاهدة بذلك شهادة بينة لا ريب فيها وقرئ بالتاء والتصریح بذلك مع أن الدلالة على اختصاص حقيقة الإلهية به تعالى مستنبعة للدلالة على بطلان إلهية ماعداه لإبراز كمال الاعتناء بأمر التوحيد والإيدان بأن الدلالة على بطلان ما ذكر ليست بطريق الاستنباع فقط بل بطريق الاستقلال أيضاً (وأن الله هو العلي الكبير) أى وبيان أنه تعالى هو المتفرع عن كل شيء المتسلط عليه فإن ما في تضاعيف الآيات الكريمة مبين لاختصاص العلم والكبرياء به تعالى أى بيان هذا وقيل ذلك أى ما ذكر من سعة العلم وشمول القدرة ومجائب الصنع واختصاص البارئ تعالى به بسبب أنه الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته أو الثابت لإلهيته وأنه

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٢١﴾

لقمان ٢١

وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَّجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمْ يَنْجِئْهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَنُفِثَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٢٢﴾

لقمان ٢١

يُنَادِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْعًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٢٣﴾

لقمان ٢١

خير بأن حقيقته تعالى وعلمه وكبريائه وإن كانت صالحة لمناطية ما ذكر من الأحكام المعدودة لكن بطلان إلهية الأصنام لا دخل له في المناطية قطعاً فلا مسأغ لنظمه في سلك الأسباب بل هو تمكيس للأمر ضرورة أن الأحكام المذكورة هي المقتضية لبطلانها لا أن بطلانها يقتضيها .

- (ألم تر أن الفلك تجرى في البحر بنعمة الله) بإحسانه في تهيئة أسبابه وهو استنشاء آخر على باهر قدرته ٢١
وغاية حكمته وشمول إنعامه والباء إما متعلقة بتجرى أو بمقدر هو حال من فاعله أى ملتبسة بنعمته تعالى
وقرىء الفلك بضم اللام وبنعمات الله وعين فعلات يجوز فيه الكسر والفتح والسكون (ليريكم من آياته)
أى بعض دلائل وحدته وعلمه وقدرته وقوله تعالى (إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) تعليل لما
قبله أى إن فيما ذكر لآيات عظيمة في ذاتها كثيرة في عددها لكل من يبالغ في الصبر على المشاق فيتعبد
نفسه في التفكير في الأنفس والألق ويبالغ في الشكر على نعماته ومما صفتنا المؤمن فكانه قيل لكل مؤمن
(وإذا غشيهم) أى علام وأحاط بهم (موج كالظلل) كما يظل من جبل أو سحاب أو غيرهما وقرىء كالظلال ٢٢
جمع ظلة كقوة وقلال (دعوا الله مخلصين له الدين) لزوال ما ينافي الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم
من الدوام والشدة (فلما نجحهم إلى البر فمنهم مقتصد) أى مقيم على القصد السوى الذى هو التوحيد أو
متوسط في الكفر لا تزجأه في الجملة (وما يمجحد بآياتنا إلا كل ختار) غدار فإنه تقصص العهد الفطرى أو
رفض لما كان في البحر والحق أشد الغدر وأقبحه (كفور) مبالغ في كفران نعم الله تعالى (يا أيها الناس ٢٣
اتقوا ربكم وأخشوا يوماً لا يجزى والد عن ولده) أى لا يقضى عنه وقرىء لا يجزى من أجزأ إذا أغنى
والعائد إلى الموصوف محذوف أى لا يجزى فيه (ولا مولود) عطف على والد أو هو مبتدأ خبره (هو)
جاز عن والده شيئاً وتفسير النظم للدلالة على أن المولود أولى بأن لا يجزى وقطع طمع من توقع من
المؤمنين أن يرفع أباه الكافر في الآخرة (إن وعد الله) بالثواب والعقاب (حق) لا يمكن إخلافه أصلاً
(فلا تغرَّنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) أى الشيطان المبالغ في الغرور بأن يحملكم على المعاصى

إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا
وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٢٤﴾

٣١ لقمان

٣٤ بتزيينها لكم وبرجيكم النوبة والمغفرة (إن الله عنده علم الساعة) علم وقت قيامها لما روى أن الحرث بن عمرو أتى رسول الله ﷺ فقال متى الساعة وإنى قد ألقيت حباتى فى الأرض فتى السماء تمطر وحمل امرأتى ذكر أم أثنى وما أعمل غداً وابن أموت فنزلت وعنه ﷺ مفاتيح الغيب خمس وتلا هذه الآية (وينزل الغيث) فى إبانته الذى قدره وإلى محله الذى عينه فى علمه وقرىء ينزل من الإنزال (ويعلم ما فى الأرحام) من ذكر أو أثنى تام أو ناقص (وما تدرى نفس) من النفوس (ماذا تكسب غداً) من خير أو شر • وربما تعزم على شيء منهما فتفعل خلافه (وما تدرى نفس بأى أرض تموت) كما لا تدرى فى أى وقت تموت . روى أن ملك الموت مر على سليمان عليهما السلام فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديهم النظر إليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كأنه يريدنى فرأى الريح أن تحملنى وتلقينى ببلاد الهند ففعل ثم قال الملك لسليمان عليهما السلام كان دوام نظرى إليه تعجباً منه حيث كنت أمرت بأن أقبض روحه بالهند وهو عندك ونسبة العلم إلى الله تعالى والدراية إلى العبد للإيذان بأنه إن أعمل حيله وبذل فى التعرف وسعه لم يعرف ما هو لاحق به من كسبه وطاقته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليل عليه وقرىء بأية أرض وشبهه سيويه تأنيهاً بتأنيث كل فى كلتن (إن الله عليم) مبالغ فى العلم فلا يعزب عن علمه شيء من الأشياء التى من جملتها ما ذكر (خبير) يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها . عن رسول الله ﷺ من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقاً يوم القيامة وأعطى من الحسنات عشرة بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر .

٣٢ — سورة السجدة

(مكية وآياتها ثلاثون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٢ السجدة

الْم

٣٢ السجدة

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ

٣٢ السجدة

يَهْتَدُونَ ﴿٣٣﴾

(سورة السجدة مكية وهي ثلاثون آية وقيل تسع وعشرون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (الم) إما اسم للسورة فحله الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أى هذا يسمى بـ الم والإشارة إليها قبل جريان ذكرها قد عرفت سرها وإما مسرود على نمط التعديد فلا محل له من الإعراب وقوله تعالى (تنزيل الكتاب) على الأول خبر بعد خبر على أنه مصدر أطلق على المفعول
- ٢ مبالغة وعلى الثاني خبر لمبتدأ محذوف أى المؤلف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل خبر الم أى المسمى به تنزيل الكتاب وقد مر مراراً أن ما يجعل عنواناً للموضوع حقه أن يكون قبل ذلك معلوم الاتساع إليه وإذ لا عهد بالتسمية قبل لحقها الإخبار بها وقوله تعالى (لا ريب فيه) خبر ثالث على الوجه الأول وثان على الأخيرين وقيل خبر لتنزيل الكتاب فقوله تعالى (من رب العالمين) متعلق بضمير هو حال من الضمير المجرور أى كأننا منه تعالى لا بتنزيل لأن المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر والأوجه حينئذ أنه الخبر ولا ريب فيه حال من الكتاب أو اعتراض والضمير فيه راجع إلى مضمون الجملة كأنه قيل لا ريب في ذلك أى في كونه منزلاً من رب العالمين ويؤيده قوله تعالى (أم يقولون افتراه) فإن قولهم هذا إنكار منهم لكونه من رب العالمين فلا بد أن يكون موده حكماً مقصوداً للإفادة لا قيداً للحكم بنفى الريب عنه وقد رد عليهم ذلك وأبطل حيث جرى بأم المنقطعة إنكاراً له وتعميماً منه لغاية ظهور بطلانه واستحالة كونه مفترى ثم أضرب عنه إلى بيان حقيقة ما أنكروه حيث قيل (بل هو الحق من ربك)
- ٣ بإضافة اسم الرب إلى ضميره عليه السلام بعد إضافته فيما سبق إلى العالمين تشريراً له عليه السلام ثم أبد ذلك ببيان غايته حيث قيل (لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون) فإن بيان غاية الشيء وحكمته لا سيما عند كونها غاية حميدة مستتبعة لمنافع جليلة في وقت شدة الحاجة إليها بما يقرر وجود الشيء ويؤكد له لا محالة وأقد كانت قرين أشل الناس وأحوجهم إلى الهداية بإرسال الرسول وتنزيل الكتاب حيث لم يبعث إليهم

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٣٢﴾

٣٢ السجدة

يَذِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٣٣﴾

٣٣ السجدة

ذَٰلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٣٤﴾

٣٤ السجدة

من رسول قبله ﷺ أي ما أنام من نذير من قبل إنذارك أو من قبل زمانك والترجي معتبر من جهته
 ﷺ أي لتنبئهم راجياً لا هتدائهم أو لرجاء هتدائهم واعلم أن ما ذكر من التأيد إنما ينسني على ما ذكر
 من كون تنزيل الكتاب مبتدأ وأما على سائر الوجوه فلا تأيد أصلاً لأن قوله تعالى من رب العالمين
 خبر رابع على الوجه الأول وخبر ثالث على الوجهين الآخرين وأياً ما كان فكونه من رب العالمين حكم
 مقصود الإفادة لا قيد للحكم آخر فتدبر (الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى
 على العرش) مر بيانه فيما سلف (ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع) أي ما لكم إذا جاوزتم رضاه تعالى
 أحد ينصركم ويشفع لكم ويجبركم من بأسه أي ما لكم سواء ولي ولا شفيع بل هو الذي يتولى مصالحكم
 وينصركم في مواطن النصر على أن الشفيع عبارة عن الناصر مجازاً فإذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير
 (أفلا تتذكرون) أي ألا تسمعون هذه المواعظ فلا تتذكرون بها أو تسمعونها فلا تتذكرون بها
 فالإنكار على الأول متوجه إلى عدم السماع وعدم التذكر معاً وعلى الثاني على عدم التذكر مع تحقق
 ما يوجه من السماع (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض) قيل يدبر أمر الدنيا بأسباب سماوية من الملائكة
 وغير ما نازلة آثارها وأحكامها إلى الأرض (ثم يعرج إليه) أي ثبت في علمه موجوداً بالفعل (في يوم
 كان مقداره ألف سنة مما تعدون) أي في برهة من الزمان متطاولة والمراد بيان طول امتداد ما بين تدبير
 الحوادث وحدوثها من الزمان وقيل يدبر أمر الحوادث اليومية بإثباتها في اللوح المحفوظ فينزل بها
 الملائكة ثم يعرج إليه في زمان هو كالألف سنة مما تعدون فإن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام
 وقيل يقضى قضاء ألف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الألف إلى آخر وقيل يدبر أمر الدنيا جميعاً
 إلى قيام الساعة ثم يعرج إليه الأمر كله عند قيامها وقيل يدبر الأمور به من الطاعات منزلاً من السماء إلى
 الأرض بالوحي ثم لا يعرج إليه خالصاً إلا في مدة متطاولة لقلة المتخلصين والأعمال الخالص وأنت خير
 بأن قلة الأعمال الخالصة لا تقتضي بطء عرجها إلى السماء بل قلته وقرىء يعدون بالياء (ذلك) إشارة
 إلى الله عز وجل باعتبار الصفاته بما ذكر من خلق السموات والأرض والاستواء على العرش وإنحصار
 الولاية والنصرة فيه وتدبير أمر الكائنات على ما ذكر من الوجه البديع وهو مبتدأ خبر ما بعده أي ذلك
 العظيم الشأن (عالم الغيب والشهادة) فيدبر أمرها حسبما تقتضيه الحكمة (العزیز) الغالب على أمره

٣٢ السجدة

الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾

٣٢ السجدة

ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾

ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ٣٢ السجدة

- (الرحيم) على عباده وهما خبران آخران وفيه إيماء إلى أنه تعالى متفضل في جميع ما ذكر فاعل بالإحسان (الذي أحسن كل شيء خلقه) خبر آخر أو نصب على المدح أي حسن كل مخلوق خلقه إذ ما من مخلوق ٧ خلقه إلا وهو مرتب على ما تقتضيه الحكمة وأوجبه المصلحة لجميع المخلوقات حسنة وإن تفاوتت إلى حسن وأحسن كما قال تعالى لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم وقيل علم كيف يخلق من قوله قيمة المرء ما يحسن أي يحسن معرفته أي يعرفه معرفة حسنة بتحقيق وإيقان وقرىء خلقه على أنه بدل اشتغال من كل شيء والضمير للبديل منه أي حسن خلق كل شيء وقيل بدل الكل على أن الضمير لله تعالى والخلق بمعنى المخلوق أي حسن كل مخلوقاته وقيل هو مفعول ثان لا حسن على تضمنينه معنى أعطى أي أعطى كل شيء خلقه اللائق به بطريق الإحسان والتفضل وقيل هو مفعوله الأول وكل شيء مفعوله الثاني والخلق بمعنى المخلوق وضميره لله سبحانه على تضمنين الإحسان معنى الإلهام والتعريف والمعنى ألهم خلقه كل شيء بما يحتاجون إليه وقال أبو البقاء عرف مخلوقاته كل شيء يحتاجون إليه فيؤول إلى معنى قوله تعالى الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى (وبدأ خلق الإنسان) من بين جميع المخلوقات (من طين) على وجه بديع تحار العقول في فهمه حيث برأ آدم عليه السلام على فطرة عجيبة منطوية على فطرة سائر أفراد الجنس انطواء إجمالاً مستتبعا لخروجه كل فرد منها من القوة إلى الفعل بحسب استعداداتها المتفاوتة قرباً وبعداً كما ينبغي عنه قوله تعالى (ثم جعل نسله) الخ أي ذريته سميت بذلك لأنها تنسل وتتفصل منه (من سلاله من ماء مهين) هو المني ٨ الممتن (ثم سواه) أي عدله بتكميل أعضائه في الرحم وتصويرها على ما ينبغي (ونفخ فيه من روحه) ٩ أضافه إليه تعالى تشریفاً له وإبذاناً بأنه خلق عجيب وصنع بديع وأن له شأناً له مناسبة إلى حضرة الربوبية وأن أقصى ما تنتهى إليه العقول البشرية من معرفته هذا القدر الذي يعبر عنه تارة بالإضافة إليه تعالى وأخرى بالنسبة إلى أمره تعالى كما في قوله تعالى قل الروح من أمر ربي (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) • الجمل إبداعى واللام متعلقة به والتقديم على المفعول الصريح لما مر مرات من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بجزالة النظم الكريم أي خلق لمنفعتكم تلك المشاعر لتعرفوا أنها مع كونها في أنفسها نعمة جليلة لا يقادر قدرها وسائل إلى التمتع بسائر النعم الدينية والدنيوية الفائضة عليكم وتشكروها بأن تصرفوا كلاً منها إلى ما خلق هو له فتدركوا بسمعكم الآيات التنزيلية الناطقة بالتوحيد والبعث وبأبصاركم الآيات التكوينية الشاهدة بهما وتستدلوا بأفئدتكم على حقيقتها وقوله تعالى (قليلًا مَّا تَشْكُرُونَ) بيان لكفرهم بتلك النعم بطريق الاعتراض التذييل على أن القلة بمعنى

وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَأُنَا لَنِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ السجدة

قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿٣٣﴾ السجدة

وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْخَلْقِ وَالنَّاسِ

الْجَمْعِينَ ﴿٣٤﴾ السجدة

الْجَمْعِينَ ﴿٣٤﴾

- النفى كما ينبغي عنه ما بعده أى شكراً قليلاً أو زماناً قليلاً تفكرون وفى حكاية أحوال الإنسان من مبدأ فطرته إلى نفخ الروح فيه بطريق الغيبة وحكاية أحواله بعد ذلك بطريق الخطاب المنهى عن استعداده للفهم وصلاحيته له من الجزالة مالا غاية وراه (وقالوا) كلام مستأنف مسوق لبيان أباطيلهم بطريق الالتفات إيذاناً بأن ما ذكر من عدم شكرهم بتلك النعم موجب للإعراض عنهم وتعدد جنائياتهم لغيرهم بطريق المباشرة (أئذا ضللنا فى الأرض) أى صرنا تراباً مغلوطاً بترابها بحيث لا تتميز منه أوغبنا فيها بالدفن وقرىء ضللاً بكسر اللام من باب علم وصلانا بالصاد المهملة من صل اللحم إذا أتت وقيل من الصلة وهى الأرض أى صرنا من جنس الصلة قيل القائل أبى بن خلف ولرضام بقوله أسند القول إلى الكل والعامل فى إذا ما يدل عليه قوله تعالى (أئنا لنى خلق جديد) وهو نبعث أو يحدد خلقنا والهمزة لذكى الإنكار السابق وتأكده وقرىء إنا على الخبر وأياً ما كان فالمنع على تأكيد الإنكار لا إنكار التأكيد كما هو المتبادر من تقديم الهمزة على إن فإنها مؤخرة عنها فى الاعتبار وإنما تقديمها عليها لاقضائها الصدارة (بل هم بلقاء ربهم كافرون) لإضراب وانتقال من بيان كفرهم بالبعث إلى بيان ما هو أبلغ وأشنع منه وهو كفرهم بالوصول إلى العاقبة وما يلقونه فيها من الأحوال والأحوال جميعاً (قل) بيانا للحق ورداً على زعمهم الباطل (يتوفاكم ملك الموت) لا كما تزعمون أن الموت من الأحوال الطبيعية العارضة للحيوان بموجب الجبله أى يقبض أرواحكم بحيث لا يدع فيكم شيئاً أولاً يترك منكم أحداً على أشد ما يكون من الوجوه وأفظعها من ضرب وجوهكم وأدباركم (الذى وكل بكم) أى يقبض أرواحكم وإحصاء آجالكم (ثم إلى ربكم ترجعون) بالبعث للحساب والجزاء (ولو ترى إذا المجرمون) وهم القائلون أئذا ضللاً فى الأرض الآية أو جنس المجرمين وهم من جهلهم (ناكسوا رؤوسهم عند ربهم) من الخياء والحزى عند ظهور قبائحهم التى اقترفوها فى الدنيا (ربنا) أى يقولون ربنا (أبصرنا وسمعنا) أى صرنا بمن يبصر ويسمع وحصل لنا الاستعداد لإدراك الآيات المبصرة والآيات المسموعة وكنا من قبل عمياً وصماً لا ندرك شيئاً (فارجعنا) إلى الدنيا (نعمل) عملاً (صالحاً) حسبما تقتضيه تلك الآيات وقوله تعالى (إنا موقنون) ادعاء منهم لصحة الأفتدة والافتداع على فهم معانى الآيات والعمل بموجبها كما أن ما قبله ادعاء لصحة مشعرى البصر والسمع كأنهم قالوا وأيقنا وكنا من قبل لا نعقل شيئاً أصلاً وإنما عدلوا إلى الجملة الاسمية المؤكدة إظهاراً لبائسهم على الإيقان وكما لربهم فيه وكل ذلك للجد فى الاستدعاء طمعاً فى الإجابة إلى ما سألوه

وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُرْسَلُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٣﴾

٣٢ السجدة

من الرجعة وأنى لهم ذلك ويجوز أن يقدر لكل من الفعلين مفعول مناسب له مما يبصرونه ويسمعونه فإنهم حينئذ يشاهدون الكفر والمعاصي على صور منكرة هائلة ويخبرهم الملائكة بأن مصيرهم إلى النار لا محالة فالمعنى أبصرنا فبح أفعالنا وكنائرها في الدنيا حسنة وسمعنا أن مردنا إلى النار وهو الأنسب لما بعده من الوعد بالعمل الصالح هذا وقد قيل المعنى وسمعنا منك تصديق رسلك وأنت خير بأن تصديقه تعالى لهم حينئذ يكون بإظهار مدلول ما أخبروا به من الوعد والوعيد لا بالإخبار بأنهم صادقون حتى يسمعه و قيل وسمعنا قول الرسل أى سمعناه سمع طاعة وإذعان ولا يقدر لترى مفعول إذ المعنى لو تكون منك رؤية في ذلك الوقت أو يقدر ما ينبي عنه صلة إذ والمضى فيها وفي لو باعتبار أن الثابت في علم الله تعالى بمنزلة الواقع وجواب لو محذوف أى لرأيت أمراً فظيماً لا يقادر قدره والخطاب لكل أحد ممن يصلح له كائناً من كان إذ المراد بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الفظاعة إلى حيث لا يختص استغرابها واستفظاعها براء دون راء من اعتاد مشاهدة الأمور البديعة والدواهي الفظيعة بل كل من يتأتى منه الرؤية يتعجب من هولها وفظاعتها هذا ومن علل عموم الخطاب بالقصد إلى بيان أن حالهم قد بلغت من الظهور إلى حيث يمتنع خفاؤها البتة فلا تختص رؤية راء دون راء بل كل من يتأتى منه الرؤية فله مدخل في هذا الخطاب فقد نأى عن تحقيق الحق لأن المفصود بيان كمال فظاعة حالهم كما يفصح عنه الجواب المحذوف لا بيان كمال ظهورها فإنه مسوق مساق المسلمات فتدبر (ولو شئنا لآتينا كل نفس ١٣ هداها) مقدر بقول معطوف على ما قدر قبل قوله تعالى ربنا أبصرنا الخ أى ونقول لو شئنا أى لو تعلقت مشيتنا تعلقاً فعلياً بأن نعطي كل نفس من النفوس البرة والفاجرة ما تهتدى به إلى الإيمان والعمل الصالح لآعطيناها إياه في الدنيا التي هي دار الكسب وما أخرناه إلى دار الجزاء (ولكن حق القول منى) أى • سبقت كلمتى حيث قلت لإبليس عند قوله لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين فالحق والحق أقول • لا ملأن جهنم منك ومن ابتليك منهم أجمعين وهو المعنى بقوله تعالى (لا ملأن جهنم من الجنة والناس • أجمعين) كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فبموجب ذلك القول لم نشأ إعطاء الهدى على العموم بل منعناه من اتباع إبليس الذين أنتم من جملتهم حيث صرتم اختياركم إلى الفنى بإغوائه ومشيتنا لأفعال العباد منوطة باختيارهم إياها فلما لم تختاروا الهدى واخترتم الضلالة لم نشأ إعطاءه لكم وإنما أعطيناه الذين اختاروه من النفوس البرة وهم المعنيون بما سياتى من قوله تعالى إنما يؤمن بآياتنا الآية فيكون مناط عدم مشيئة إعطاء الهدى في الحقيقة سوء اختيارهم لا تحقق القول وإنما قيدنا المشيئة بما مر من التعليق الفعلى بأفعال العباد عند حدوثها لأن المشيئة الأزلية من حيث تعلقها بما سيكون من أفعالهم إجمالاً متقدمة على تحقق كلمة العذاب فلا يكون عدمها منوطاً بتحققها وإنما مناطه عليه تعالى ألا بصرف

فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ السجدة

إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ السجدة

تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٦﴾ السجدة

- اختيارهم فيها سيأتى إلى الغنى وإيثارهم له على الهدى فلو أريدت هى من تلك الحيثية لاستدرك بعدهما وينط ذلك بما ذكر من المناط على منهاج قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيراً لا سمعهم فنوهم أن المعنى ولو شئنا لا أعطينا كل نفس ما عندنا من اللطف الذى لو كان منهم اختياره لا هندوا ولكن لم نعظم لما علنا منهم اختيار الكفر وإشاره فقد اشبه عليه الشئون والفاء فى قوله تعالى (فذوقوا) لترتيب الأمر بالدوق على ما يعرب عنه ما قبله من نفي الرجوع إلى الدنيا أو على الوعيد المحكى والباء فى قوله تعالى (بما نسيتم أنما يومكم هذا) للإيذان بأن تعذيبهم ليس بمجرد سبق الوعيد به فقط بل هو وسبق الوعيد أيضاً بسبب موجب له من قلمهم كأنه قيل لا رجوع لكم إلى الدنيا أو حق وعيدى فذوقوا بسبب نسيانكم لقاء هذا اليوم الهائل وترككم التفكير فيه والاستعداد له بالكلية (إنا نسيناكم) أى تركناكم فى العذاب ترك المنسى بالمرّة • وقوله تعالى (وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون) تكرير للتأكيد والتشديد وتعيين المفعول المطوى للدوق والإشعار بأن سببه ليس مجرد ما ذكر من النسيان بل له أسباب أخرى من فنون الكفر والمعاصى التى كانوا مستمرين عليها فى الدنيا وعدم نظم الكل فى سلك واحد للتنبيه على استقلال كل منها فى استيجاب العذاب وفى إنباهم للدوق أولاً وبإيانه ثانياً بتكرير الأمر وتوسيط الاستئناف المنبئ عن كمال السخط بينهما من الدلالة على غاية التشديد فى الانتقام منهم مالا يخفى وقوله تعالى (إنما يؤمن بآياتنا) استئناف مسوق لتقرير عدم استحقاقهم لإيتاء الهدى والإشعار بعدم إيمانهم لو أوتوه بتبيين من يستحقه بطريق القصر كأنه قيل إنكم لا تؤمنون بآياتنا ولا تعملون بموجبها عملاً صالحاً ولو رجعناكم إلى الدنيا كما تدعون • حسبما ينطق به قوله تعالى ولوردوا العادوا لما نهوا عنه وإنما يؤمن بها (الذين إذا ذكروا بها) أى وعظوا (خروا سجداً) أثر ذى أثير من غير تردد ولا تلغم فضلاً عن التسوية إلى معايته ما نطق به من الوعد • والوعيد أى سقطوا على وجوههم (وسبحوا بحمد ربهم) أى ونزهوه عند ذلك عن كل مالا يليق به من الأمور التى من جملتها العجز عن البعث ملتبسين بحمده تعالى على نعمائه التى أجملها الهداية بإيتاء الآيات والتوفيق للاهتمام بها والتعرض لعنوان الربوبية بطريق الالتفات مع الإضافة إلى ضميرم للإشعار بعملة التسبيح والتحميد وبأنهم يفعلونها بما لحظته ربوبيته تعالى لهم (وهم لا يستكبرون) أى والحال أنهم خاضعون له تعالى لا يستكبرون عما فعلوا من الخرو والتسبيح والتحميد (تتجافى جنوبهم) أى تنبؤ وتتنحى (عن المضاجع) أى الفرش ومواقع المنام والجملة مستأنفة لبيان بقية محاسنهم وهم المتهجدون بالليل قال أنس رضى الله عنه نزلت فىنا معاشر الأنصار كنا نصلى المغرب فلا نرجع إلى رحالنا حتى نصلى

٣٢ السجدة

فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾

٣٢ السجدة

أَفَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾

٣٢ السجدة

أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ زُلاَّجًا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

- العشاء مع النبي ﷺ وعن أنس أيضاً رضى الله عنه أنه قال نزلت في أناس من أصحاب النبي ﷺ كانوا يصلون من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء وهي صلاة الأوابين وهو قول أبي حازم ومحمد بن المنكدر وهو مروي عن ابن عباس رضى الله عنهما وقال عطاء م الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة والفجر في جماعة والمشهور أن المراد منه صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والأوزاعي وجماعة لقوله ﷺ أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل وعن النبي ﷺ في تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه ﷺ إذا جمع الله الأولين والآخرين جاء مناد ينادى بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع فينادى ليقيم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادى ليقيم الذين كانوا يحمدون الله في السراء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعاً إلى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقوله تعالى (يدعون زبهم) حال من ضمير جنوبهم أى داعين له تعالى على الاستمرار (خوفاً) من سخطه وعذابه وعدم قبول عبادته (وطمأناً) في رحمته (وما رزقناهم) من المال (ينفقون) في وجوه البر والحسنات (فلا تعلم نفس) من ١٧ النفوس لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلاً عن عدام (ما أخفى لهم) أى لا أولئك الذين عدت نعوتهم الجليلة (من قرّة أعين) بما تقر به أعينهم وعنه ﷺ يقول الله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر له ما أطلعتم عليه أقرءوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة أعين وقرىء ما أخفى لهم وما نخفى لهم وما أخفيت لهم على صيغة المتكلم وما أخفى لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وقرىء قرأت أعين لاختلاف أنواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة أو استفهامية علق عنها الفعل (جزاء بما كانوا يعملون) أى جزوا جزاء أو أخفى لهم للجزاء بما كانوا يعملونه في الدنيا من الأعمال الصالحة قيل هؤلاء القوم أخفوا أعمالهم فأخفى الله تعالى ثوابهم (أفمن كان مؤمناً ١٨ كمن كان فاسقاً) أى أبعد ظهور ما بينهما من التباين البين يتوهم كون المؤمن الذى حكيت أوصافه الفاضلة كالفاسق الذى ذكرت أحواله (لا يستوون) التصريح به مع إفادة الإنكار في المشابهة بالمرّة على أبلغ وجه • وآ كده لبناء التفصيل الآتي عليه والجمع باعتبار معنى من كما أن الأفراد فيما سبق باعتبار لفظها وقوله تعالى (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) تفصيل لمراتب الفريقين في الآخرة بعد ١٩ ذكر أحوالهما في الدنيا وأضيفت الجنة إلى المأوى لأنها المأوى الحقيقي وإنما الدنيا منزل مرتحل عنه لا محالة وإقبل المأوى جنة من الجنات وأياً ما كان فلا يبعد أن يكون فيه رمز إلى ما ذكر من تجانينهم عن مضاجعهم

وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ
النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٣٢﴾

٣٢ السجدة

وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣٣﴾

٣٣ السجدة

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٣٤﴾

٣٤ السجدة

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٣٥﴾

٣٥ السجدة

- ٢٠ التي هي مأواهم في الدنيا (نزلا) أي ثواباً وهو في الأصل ما يبعد للنازل من الطعام والشراب وانتصابه على الحالية (بما كانوا يعملون) في الدنيا من الأعمال الصالحة أو بأعمالهم (وأما الذين فسقوا) أي خرجوا عن الطاعة (فأوامهم) أي ملجؤهم ومنزلهم (النار) مكان جنات المأوى للذين (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدها فيها) استئناف لبيان كيفية كون النار مأواهم يروى أنه يضربهم لخب النار فيرتفعون إلى طبقاتها حتى إذا قربوا من بابها وأرادوا أن يخرجوا منها يضربهم اللهب فيورون إلى قعرها وهكذا يفعل بهم أبداً وكلبة في الدلالة على أنهم مستقرون فيها وإنما الإعادة من بعض طبقاتها إلى بعض (وقيل لهم) تشديداً عليهم وزيادة في غيظهم (ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به) أي بعذاب النار (تكذبون) على الاستمرار في الدنيا (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى) أي عذاب الدنيا وهو ما منحوا به من السنة سبع سنين والقتل والأسر (دون العذاب الأكبر) الذي هو عذاب الآخرة (لعلهم) لعل الذين يشاهدونه وهم في الحياة (يرجعون) يتوبون عن الكفر وروى أن الوليد بن عقبة فاجر علياً رضي الله عنه يوم بدر
- ٢١ فنزلت هذه الآيات (ومن أظلم ممن ذكر آيات ربه ثم أعرض عنها) بيان إجمالي لحال من قابل آيات الله تعالى بالإعراض بعد بيان حال من قبلها بالسجود والتسبيح والتحميد وكلية ثم لاستبعاد الإعراض عنها عقلاً مع غاية وضوحها وإرشادها إلى سعادة الدارين كافي بين الحامسة [ولا يكشف الغماه إلا ابن حرة * يرى غمرات الموت ثم يزورها] أي هو أظلم من كل ظالم وإن كان سبب التركيب على نفى الأظلم من غير تعرض لنفي المساوي وقد مر مراراً (إننا من المجرمين) أي من كل من اتصف بالإجرام وإن هانت جريمته
- ٢٢ (منتقمون) فكيف بمن هو أظلم من كل ظالم وأشد جرمًا من كل مجرم (ولقد آتينا موسى الكتاب) أي التوراة عبر عنها باسم الجنس لتحقيق المجانسة بينها وبين الفرقان والتنبيه على أن إتياءه لرسول الله ﷺ كإتيائها لموسى عليه السلام (فلا تكن في مرية من لقائه) من لقاء الكتاب الذي هو الفرقان كقوله وإنك لتلقى القرآن والمعنى إنا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناك من الوحي مثل ما لقيناك من الوحي فلا تكن في شك من أنك لقيت مثله ونظيره وقيل من لقاء موسى الكتاب أو من لقاءك موسى وعنه ﷺ رأيت ليلة أسرى بي موسى رجلاً آدم طوالاً وجعداً كأنه من رجال شنوءة (وجعلناه) أي

وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ السجدة ٢٢

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ السجدة ٢٢

أُولَئِكَ يَهْدِيهِمْ كَذَّاهُنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ السجدة ٢٢

أُولَئِكَ يَرَوْنَ أْنَا نُسُقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ السجدة ٢٢

- الكتاب الذي آتياه موسى (هدى لبني إسرائيل) قيل لم يتعبد بما في التوراة ولد لإسماعيل (وجعلنا منهم ٢٤ أمة يهدون) بقيتهم بما في أضعاف الكتاب من الحكم والأحكام إلى طريق الحق أو يهدونهم إلى ما فيه من دين الله وشرائعه (بأمرنا) إياهم بذلك أو بتوفيقنا له (لما صبروا) هي لما التي فيها معنى الجزاء نحو أحسنت إليك لما جئتني والضمير للأمة تقديره لما صبروا جعلناهم أمة أو هي ظرف بمعنى الحين أي جعلناهم أمة حين صبروا والمراد صبرهم على مشاق الطاعات ومقاسات الشدائد في نصرة الدين أو صبرهم عن الدنيا وقرىء لما صبروا أي لصبرهم (وكانوا بآياتنا) التي في أضعاف الكتاب (يوقنون) لإمعانهم فيها النظر والمعنى كذلك لنجعلن الكتاب الذي آتيناك هدى لآمتك ولنجعلن منهم أمة يهدون مثل تلك الهداية (إن ربك هو يفصل) أي يقضى (بينهم) قيل بين الأنبياء وأممهم وقيل بين المؤمنين والمشركين ٢٥ (يوم القيامة) فيميز بين المحق والمباطل (فيما كانوا فيه يختلفون) من أمور الدين (أو لم يهد لهم) الهمة ٢٦ (لإنكاروا الواو للعطف على منوى يقتضيه المقام وفعل الهداية إما من قبيل فلان يعطى في أن المراد إيقاع نفس الفعل بلا ملاحظة المفعول وإما بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل مادل عليه قوله تعالى (كم أهلكنا) أي أغفلوا ولم يفعل الهداية لهم أولم يبين لهم مال أمرهم كثرة إهلاكنا (من قبلهم من القرون) مثل عاد وثمود وقوم لوط وقرىء نهد لهم بنون العظمة وقد جوز أن يكون الفاعل على القراءة الأولى أيضاً ضميره تعالى فيكون قوله تعالى كم أهلكنا إلخ استئنافاً مبيناً لكيفية هدايته تعالى (يمشون في مساكنهم) أي يمشون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم ويشاهدون آثار هلاكهم والجملة حال من ضمير لهم وقرىء يمشون للتكثير (إن في ذلك) أي فيما ذكر من كثرة إهلاكنا للأمم الخالية العاتية أو في مساكنهم (لآيات) عظيمة في أنفسهم كثيرة في عددها (أفلا يسمعون) هذه الآيات سماع تدبر واتعاظ (أولم يروا أنا نسوق ٢٧ الماء إلى الأرض الجرز) أي التي جرز نباتها أي قطع وأزيل بالمرة وقيل هو اسم موضع باليمن (فنخرج به) من تلك الأرض (زرعاً تأكل) أي من ذلك الزرع (أنعامهم) كالتي والقصيل والورق وبعض الحبوب المخصوصة بها وقرىء يأكل بالياء (وأنفسهم) كالحبوب التي يقتاتها الإنسان والثمار (أفلا يبصرون)

٣٢ السجدة

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾

٣٢ السجدة

قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٢٩﴾

٣٢ السجدة

فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَضَرُونَ ﴿٣٠﴾

- ٢٨ أى ألا ينظرون فلا يبصرون ذلك ليستدلوا به على كمال قدرته تعالى وفضله (ويقولون) كان المسلمون يقولون الله سيفتح لنا على المشركين أو يفصل بيننا وبينهم وكان أهل مكة إذا سمعوه يقولون بطريق الاستعجال تكذيباً واستهزاء (متى هذا الفتح) أى النصر أو الفصل بالحكومة (إن كنتم صادقين) فى أن الله تعالى بنصركم أو يفصل بيننا وبينكم (قل) بتكيتاً لهم وتحقيراً للحق (يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا لإيمانهم ولا هم ينظرون) يوم الفتح يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن يوم فتح مكة والعدول عن تطبيق الجواب على ظاهر سؤالهم للتنبيه على أنه ليس بما ينبغي أن يسأل عنه لكونه أمراً يبتأ غيباً عن الإخبار به وكذا إيمانهم واستنظارهم يومئذ وإنما المحتاج إلى البيان عدم نفع ذلك الإيمان وعدم الإنظار كأنه قيل لا نستعجلوا فكأنى بكم قد آمنتكم فلم ينفعكم واستنظرتكم فلم تنظروا وهذا على الوجه الأول كيف لا وقد نفع الإيمان الطلقاء يوم الفتح
- ٢٩ وناساً آمنوا يوم بدر (فاعرض عنهم) ولا تبال بتكذيبهم (وانتظر) النصر عليهم وهلاكهم (إنهم منتظرون) قيل أى الغلبة عليكم كقوله تعالى فزبرصوا إنا معكم متربصون والأظهر أن يقال إنهم منتظرون هلاكهم كما فى قوله تعالى هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام الآية ويقرب منه ما قيل وانتظر عذابنا إنهم منتظروه فإن استعجلوا المذكور وعكفهم على ما هم عليه من الكفر والمعاصى فى حكم انتظارهم العذاب المترتب عليه لاحتماله وقرئ على صيغة المفعول على معنى أنهم أحقوا بأن ينتظر هلاكهم أو فإن الملائكة ينتظرونه . عن النبي ﷺ من قرأ الم تنزيل وتبارك الذى بيده الملك أعطى من الأجر كأنما أحيا ليلة القدر وعنه ﷺ من قرأ الم تنزيل فى بيته لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام .

٣٣ - سورة الأحزاب
(مدينة وهي ثلاث وسبعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾
وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾

(سورة الأحزاب مدينة وهي ثلاث وسبعون آية)

- (بسم الله الرحمن الرحيم) (يا أيها النبي اتق الله) في ندائه ﷺ بعنوان النبوة تنويه بشأنه وتنبيه على سمو مكانه والمراد بالتقوى المأمورة بالثبات عليه والازدياد منه فإن له باباً واسعاً وعرضاً عريضاً لا ينال مداه (ولا تطع الكافرين) أى المجاهرين بالكفر (والمنافقين) المضمرين له أى فيما يعدو دونهن في الدين وإعطاء دنية فيما بين المسلمين روى أن أبا سفيان بن حرب وعكرمة بن أبى جهل وأبا الأعور السلمي قدموا عليه ﷺ في الموادة التى كانت بينه ﷺ وبينهم وقام معهم عبدالله بن أبى ومعتب بن قشير والجدين قيس فقه لوال الرسول الله ﷺ ارفض ذكر آلهتنا وقل إنها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على النبي ﷺ والمؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت أى اتق الله في نقض العهد ونبد الموادة ولا تساعد الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة فيما طلبوا إليك (إن الله كان عليماً حكيماً) مبالغاً في العلم والحكمة فيعلم جميع الأشياء من المصالح والمفاسد فلا يأمرك إلا بما فيه مصلحة ولا ينهك إلا عما فيه مفسدة ولا يحكم إلا بما تقتضيه الحكمة البالغة فالجمله تعليل للأمر والنهى مؤكداً لوجوب الامتثال بهما (واتبع) أى فى كل ما تأتى وتذر من أمور الدين (ما يوحى إليك من ربك) من الآيات التى من جملتها هذه الآية الأمرة بتقوى الله الناهية عن مساعدة الكفرة والمنافقين والتعرض لعنوان الربوبية لتأكيد وجوب الامتثال بالأمر (إن الله كان بما تعملون خبيراً) قيل الخطاب للرسول ﷺ والجمع للتعظيم وقيل له ﷺ وللؤمنين وقيل للغائبين بطريق الالتفات ولا يخفى بعده نعم يجوز أن يكون للكل على ضرب من التغليب وأياً ما كان فالجمله تعليل للأمر وتأكيده لموجبه أما على الوجهين الأولين فبطريق الترغيب والترهيب كأنه قيل إن الله خبير بما تعملونه من الامتثال وتركه فيرتب على كل منهما جزاءه ثواباً وعقاباً وأما على الوجه الأخير فبطريق الترغيب فقط كأنه قيل إن الله خبير بما يعمل به كلا الفريقين فيرشدك إلى ما فيه صلاح حالك وانتظام أمرك ويطلعك على ما يعملونه من المكائد والمفاسد ويأمرك بما ينبغى لك أن تعمله فى دفعها وردّها فلا بد من اتباع الوحي والعمل بمقتضاه حتماً .

٣٣ الأحزاب

وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣٣﴾

مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٣٣﴾ الأحزاب
أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ ۚ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٣٣﴾ الأحزاب

٢ (وتوكل على الله) أى فوض جميع أمورك إليه (وكنى بالله وكيلا) حافظاً موكولاً إليه كل الأمور
٤ (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) شروع في إلقاء الوحي الذى أمر ﷺ باتباعه وهذا مثل ضرب به الله تعالى تمهيداً لما يعمقه من قوله تعالى (وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم)
وتفصيلاً على أن كون المظاهر منها أما وكون الدعى ابناً أى بمنزلة الأم والابن فى الآثار والأحكام المعمودة فيما بينهم فى الاستحالة بمنزلة اجتماع قلبين فى جوف واحد وقيل هو رد لما كانت العرب تزعم من أن الليب الأريب له قلبان ولذلك قيل لأبى معمر أو لجليل بن سيد الفهرى ذو القلبين أى ما جمع الله تعالى قلبين فى رجل وذكر الجوف لزيادة التقرير كما فى قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ولا زوجية ولا أمومة فى امرأة ولا دعوة وبنوة فى شخص لكن لا بمعنى نفي الجمع بين حقيقة الزوجية والأمومة ونفي الجمع بين حقيقة الدعوة والبنوة كما فى القلب ولا بمعنى نفي الجمع بين أحكام الزوجية وأحكام الأمومة ونفي الجمع بين أحكام الدعوة وأحكام البنوة على الإطلاق بل بمعنى نفي الجمع بين حقيقة الزوجية وأحكام الأمومة ونفي الجمع بين حقيقة الدعوة وأحكام البنوة لإبطال ما كانوا عليه من إجراء أحكام الأمومة على المظاهر منها وإجراء أحكام البنوة على الدعى ومعنى الظهار أن يقول لزوجته أنت على كظهر أى مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لأنه كان طلاقاً فى الجاهلية وهو فى الإسلام يقتضى الطلاق أو الحرمة إلى أداء الكفارة كما عدى آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهار للكنية عن البطن الذى هو عموده فإن ذكره قريب من ذكر الفرج أو للتغليظ فى التحريم فإنهم كانوا يحرمون إتيان الزوجة وظهرها إلى السماء وقرىء اللاء وقرىء تظاهرون بحذف إحدى النامين من تظاهرون وتظاهرون بإدغام التاء الثانية فى الظاء وتظاهرون من أظهر بمعنى تظهر وتظاهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظاهرون من ظم ظهوراً وأدعياء جمع دعى وهو الذى يدعى ولداً على الشذوذ لاختصاص أفعلاء بفعيل بمعنى فاعل كتنى وأتقياء كأنه شبه به فى اللفظ لجمع جمعه كقتلاء وأسراء (ذلکم) إشارة إلى ما يفهم مما ذكر من الظهار والدعاء أو إلى الأخير الذى هو المقصود من مساق الكلام أى دعاءكم بقولكم هذا بنى (قولكم بأفواهكم) فقط من غير أن يكون له مصداق وحقيقة فى الأعيان فإذن هو بمنزل من استنباع أحكام البنوة كما زعمتم (والله يقول الحق) المطابق للواقع (وهو يهdy السبيل) أى سبيل الحق لا غير فدهوا أقوالكم وخذوا بقوله عز وجل (ادعوهم لأبائهم) أى انسبوا

النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أُولِيَ الْبُيُوتِ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾

٣٣ الأحزاب

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾

٣٣ الأحزاب

- إليهم وخصوصهم بهم وقوله تعالى (هو أقسط عند الله) لتلليل له والضمير لمصدر ادعوا كما في قوله تعالى اعدلوا هو أقرب للتقوى وأقسط أعدل تفضيل قصد به الزيادة مطلقاً من القسط بمعنى العدل أى الدعاء لأبائهم بالغ في العدل والصدق في حكم الله تعالى وقضائه (فإن لم تعلموا آباءهم) فننسبهم إليهم (فأخوانكم) فهم إخوانكم (في الدين ومواليكم) وأولياؤكم فيه أى قادعهم بالأخوة الدينية والمولوبة (وليس عليكم جناح) أى إثم (فيما أخطأتم به) أى فيما فعلتموه من ذلك مخطين بالسهر أو النسيان أو سبق اللسان (ولكن ما تعمدت قلوبكم) أى ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم بعد النهى أو ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح (وكان الله غفوراً رحيماً) لعفوه عن المخطئ وحكم التنبى بقوله هو أبى إذا كان عبداً للفاعل المتق على كل حال ولا يثبت نسبه منه إلا إذا كان مجهول النسب وكان بحيث يولد مثله لمثل المتنبى ولم يقر قبله بنسبه من غيره (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) أى في كل أمر من أمور الدين والدنيا كما يشهده الإطلاقي فيجب عليه أن يكون ﷺ أحب إليهم من أنفسهم وحكمه أنفذ عليهم من حكمهم وحقه أنزل لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه أقدم من شفقتهم عليها روى أنه ﷺ أراد غزوة تبوك فأمر الناس بالخروج فقال ناس نستأذن آباءنا وأمهاتنا فزلت وقرى وهو أب لهم أى في الدين فإن كل نبى أب لأمته من حيث إنه أصل فيما به الحياة الأبدية ولذلك صار المؤمنون أخوة (وأزواجه أمهاتهم) أى منزلات منزلة الأمهات في التحريم واستحقاق التعظيم وأما فيما عدا ذلك فمن كالأجنبيات ولذلك قالت عائشة رضى الله عنها لسنا أمهات النساء (وأولوا الأرحام) أى ذو القربات (بعضهم أولى ببعض) في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الإسلام من التوارث بالهجرة والموالاتة في الدين (في كتاب الله) في اللوح أو فيما أنزل وهو هذه الآية أو آية الموارث أو فيما فرض الله تعالى (من المؤمنين والمهاجرين) بيان لأولى الأرحام أو صلة لأولى أى أولوا الأرحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة (إلا أن تفعلوا إلى أولياكم معروفاً) استثناء من أعم ما تقدرا لا ولوية فيه من الدفع والمراد بفعل المعروف النوصية أو منقطع (كان ذلك في الكتاب مسطوراً) أى كان ما ذكر من الآيتين ثابتاً في اللوح والقرآن وقيل في التوراة (وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم) أى اذكر وقت أخذنا من النبيين كافة عهدهم بقبليغ الرسالة والدعاء إلى الدين الحق (ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم) وتخصيصهم بالذكر مع

لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾
يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ آمَنُوا آذُنًا آذَنُوا نِعْمَةً اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا
وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾

انذارهم في النبيين اندارجا بينا للإيذان بزيادة مرتبتهم وفضلهم وكونهم من مشاهير أرباب الشرائع
وأساطين أولى العزم من الرسل وتقديم نبينا عليهم عليهم الصلاة والسلام لإبانه خطره الجليل (وأخذنا
منهم ميثاقا غليظاً) أى عهداً عظيم الشأن أو مؤكداً باليمين وهذا هو الميثاق الأول بعينه وأخذه هو أخذه
والعطف مبنى على تنزيل التغاير العنوانى منزلة التغاير الذاتى تفخيماً لشأنه كما في قوله تعالى ونجيناهم من
عذاب غليظ إثر قوله تعالى فلما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا وقوله تعالى (ليسأل
الصادقين عن صدقهم) متعلق بمضمر مستأنف مسوق لبيان ما هو داع إلى ما ذكر من أخذ الميثاق وغاية له
لا بأخذنا فإن المقصود تذكير نفس الميثاق ثم بيان الغرض منه بياناً قصدياً كما ينبى عنه تغيير الأسلوب
بالالتفات إلى الغيبة أى فعل الله ذلك ليسأل يوم القيامة الأنبياء ووضع الصادقين موضع ضميرهم للإيذان
من أول الأمر بأنهم صادقون فيما ستلوا عنه وإنما السؤال لحكمة تقتضيه أى ليسأل الأنبياء الذين
صدقوا وعدمهم مما قالوه لقومهم أو عن تصديقهم إياهم بتكيتناهم كما في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول
ماذا أجبتم أو المصدقين لهم عن تصديقهم فإن مصدق الصادق صادق وتصديقه صدق وأما ما قيل من أن المعنى
ليسأل المؤمنين الذين صدقوا عدمهم حين أشهدهم على أنفسهم عن صدقهم عدمهم فيأباه مقام تذكير ميثاق النبيين
وقوله تعالى (وأعد للكافرين عذاباً أليماً) عطف على ما ذكر من المضمر لا على أخذنا كما قيل والتوجيه بأن بعثة
الرسل وأخذ الميثاق منهم لإثابة المؤمنين أو بأن المعنى أن الله تعالى أكد على الأنبياء الدعوة إلى دينه لا لجل
إثابة المؤمنين تعسف ظاهر مع أنه مفض إلى كون بيان إعداد العذاب الأليم للكافرين غير مقصود بالذات
نعم يجوز عطفه على ما دل عليه قوله تعالى ليسأل الصادقين كأنه قيل فأناب المؤمنين وأعد للكافرين الآية
(يأيتها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) إن جعل النعمة مصدراً فالجار متعلق بها وإلا فهو متعلق
بمحدوف هو حال منها أى كأنه عليكم (إذ جاءكم جنود) ظرف لنفس النعمة أو لثبوتها لهم وقيل
منصوب باذكروا على أنه بدل اشتمال من نعمة الله والمراد بالجنود الأحراب وهم قريش وغطفان ويهود
قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني عشر ألفاً فلما سمع رسول الله ﷺ بإقبالهم ضرب الخندق على المدينة
بإشارة سلمان الفارسي ثم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين فحاربهم معسكره والخندق بينه وبين القوم
وأمر بالترارى والنساء فرفعوا في الأطام واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق في المنافقين
حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقبصر ولا نقدر أن نذهب إلى الغائط ومضى على
الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود وعكرمة بن أبي
جهل وهبيرة بن أبي وهب ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب ومرداس أخو بني محارب قدركبوا

إِذْ جَاءَ وَكَرَّ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ
وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا ﴿١٠﴾

٣٣ الاحزاب

- خيولهم وتيمموهم الخندق مكاناً مضيقاً فضربوا خيولهم فاقترحموا لجلالتهم في السبخة بين الخندق وسلع فخرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه في نفر من المسلمين حتى أخذ عليهم الثغرة التي اقترحموا منها فأقبلت الفرسان نحوهم وكان عمرو معلقاً ليرى مكانه فقال له علي رضي الله عنه يا عمرو إني أدعوك إلى الله ورسوله والإسلام قال لا حاجة لي إليه قال فإني أدعوك إلى النزال قال يا ابن أخي والله لا أحب أن أقتلك قال علي لكفى والله أحب أن أقتلك لحمي عمرو عند ذلك وكان غيورا مشهورا بالشجاعة واقترحم عن فرسه ففرقه أو ضرب وجهه ثم أقبل على علي فقتلوا وتجاولا فضربه علي رضي الله عنه ضربة ذهبت فيها نفسه فلما قتله انهزمت خيله حتى اقترحت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلين منه بن عثمان ابن عبد الدار ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي قتله أيضاً على رضي الله عنه وقيل لم يكن بينهم إلا الترامي بالنبل والحجارة حتى أنزل الله تعالى النصر وذلك قوله تعالى (فأرسلنا عليهم ريحاً) عطف على جاءكم مسوق لبيان النعمة إجمالاً وسيأتي بقيتها في آخر القصة (وجنوداً لم تروها) وهم الملائكة عليهم السلام وكانوا ألفاً بعث الله عليهم صباحاً باردة في ليلة شاتية فأخصرتهم وسفت التراب في وجوههم وأمر الملائكة فقلعت الأوتاد وقطعت الأطناب وأطفأت النيران وأكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الأسدي أما محمد فقد بدأكم بالسحر فالتجاء التجاء فانهزموا من غير قتال (وكان الله بما تعملون) من حفر الخندق وترتيب مبادئ الحرب وقيل من التجائم إليهم ورجائكم من فضله وقرى بالياء أي بما يعمل الكفار أي من التحرد والمحاربة أو من الكفر والمعاصي (بصيراً) ولذلك فعل ما فعل من نصرهم عليهم والجملة اعتراض مقرر لما قبله (إذ جاءكم) بدل من إذ جاءكم (من فوقكم) من أعلى الوادي من جهة المشرق وهم بنو غطفان ومن تابعهم من أهل نجد قائدهم عيينة بن حصن وطامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير (ومن أسفل منكم) أي من أسفل الوادي من قبل المغرب وهم قريش ومن شايهم من الأحابيش وبنو كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبو سفيان وكانوا عشرة آلاف (وإذ زاغت الأبصار) عطف على ما قبله داخل معه في حكم التذكير أي حين مالت عن سندها وانحرفت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصاً وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت إلا إلى عدوها لشدة الروع (وبلغت القلوب الحناجر) لأن الرئة تنتفخ من شدة الفرع فيرتفع القلب بارتفاعها إلى رأس الخنجر وهي منتهى الحلقوم وقيل هو مثل في اضطراب القلوب ووجيها وإن لم تبلغ الحناجر حقيقة والخطاب في قوله تعالى (وتظنون بالله الظنونا) لمن يظهر الإيمان على الإطلاق أي تظنون بالله تعالى أنواع الظنون المختلفة حيث ظن المخلصون الثبوت القلوب أن الله تعالى ينجز وعده في إعلاء دينه كما يعرب عنه ما سيحكي عنهم من قولهم هذا ما وعدنا

٣٣ الأحزاب

هَٰذَا آيَاتُ الْمُؤْمِنِينَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾

وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ٣٣ الأحزاب

وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ

٣٣ الأحزاب

يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾

الله ورسوله وصدق الله ورسوله الآية أو يمتحنهم تخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب
والمنافقون ما حكى عنهم مما لا خير فيه والجملة معطوفة على زاغت وصيغة المضارع لاستحضار الصورة
والدلالة على الاستمرار وقرئ الظنون بغير ألف وهو القياس وزيادتها لمراعاة الفواصل كما تزداد في
القوافي (هناك) ظرف زمان أو ظرف مكان لما بعده أى في ذلك الزمان الهائل أو المكان الدحض
(ابتلى المؤمنين) أى عوملوا معاملة من يختبر فظهر المخلص من المنافق والراسخ من المتزلزل (وزلزلوا
١٢ زلزالا شديداً) من الهول والفرع وقرئ بفتح الزاى (وإذ يقول المنافقون) عطف على إذ زاغت
وصيغة المضارع لما مر من الدلالة على استمرار القول واستحضار صورته (والذين في قلوبهم مرض)
• أى ضعف اعتقاد (ما وعدنا الله ورسوله) من إعلاء الدين والظفر (إلا غروراً) أى وعد غرور وقيل
قولا باطلا والقائل معتب بن قشير وأضرابه راضون به قال بعدنا محمد بفتح كنوز كسرى وقبصر وأحدنا
١٣ لا يقدر أن يبرز فرقا ما هذا إلا وعد غرور (وإذ قالت طائفة منهم) هم أوس بن قيطى وأتباعه وقيل عبد
الله بن أبى وأشياعه (يا أهل يثرب) هو اسم المدينة المطهرة وقيل اسم بقعة وقعت المدينة في ناحية منها
وقد نهى النبي ﷺ أن تسمى بها كراهة لها وقال هى طيبة أو طابة كأنهم ذكروها بذلك الاسم مخالفة
• له ﷺ وندأؤم بإمام بعنوان أهلتيهم لها ترشيح لما بعده من الأمر بالرجوع إليها (لا مقام لكم)
لا موضع إقامة لكم أو لا إقامة لكم ههنا يريدون المعسكر وقرئ بفتح الميم أى لا قيام أولا موضع
• قيام لكم (فارجعوا) أى إلى منازلكم بالمدينة مرادهم الأمر بالفرار لكنهم عبروا عنه بالرجوع ترويحاً
لمقالم وإيداناً بأنه ليس من قبيل الفرار المذموم وقيل المعنى لا قيام لكم فى دين محمد ﷺ فارجعوا إلى
ما كنتم عليه من الشرك أو فارجعوا عما بايعتموه عليه وأسلموه إلى أعدائه أولا مقام لكم فى يثرب
• فارجعوا كفاراً ليتسنى لكم المقام بها والأول هو الأنسب لما بعده فإن قوله تعالى (ويستأذن فريق
منهم النبي) معطوف على قالت وصيغة المضارع لما مر من استحضار الصورة وهم بنو حارثة وبنو سلمة
• استأذنوه ﷺ فى الرجوع ممثلين بأمرهم وقوله تعالى (يقولون) بدل من يستأذن أو حال من فاعله أو
استئناف مبنى على السؤال عن كيفية الاستئذان (إن بيوتنا عورة) أى غير حصينة معرضة للعدو
والسراق فأذن لنا حتى نخضعها ثم نرجع إلى المعسكر والعورة فى الأصل الخلل أطلقت على المختل مبالغة
وقد جوز أن تكون تخفيف عورة من عورت الدار إذا اختلفت وقد قرئ بها والأول هو الأنسب
بمقام الاعتذار كما ينصح عنه تصدير مقالم بحرف التحقيق (وما هى بعورة) والحال أنها ليست كذلك

وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَأَقْوَمُوا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا ﴿١٤﴾ ٣٣ الأحزاب
وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّونَ الْأَدْبَرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْعُورًا ﴿١٥﴾ ٣٣ الأحزاب
قُلْ لَّنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُمْ مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُنْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ ٣٣ الأحزاب
قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ٣٣ الأحزاب

- (إن يريدون) ما يريدون بالاستئذان (إلا فراراً) من القتال (ولو دخلت عليهم) أسند الدخول ١٤
إلى بيوتهم وأوقع عليهم لما أن المراد فرض دخولها وهم فيها لا فرض دخولها مطلقاً كما هو المفهوم لو
لم يذكر الجار والمجرور ولا فرض الدخول عليهم مطلقاً كما هو المفهوم لو أسند إلى الجار والمجرور
(من أقطارها) أى من جميع جوانبها لا من بعضها دون بعض فالمعنى لو كانت بيوتهم محتلة بالكلية
ودخلها كل من أراد من أهل الدعارة والفساد (ثم سئلوا) من جهة طائفة أخرى عند تلك الناراة
والرجفة الهائلة (الفتنة) أى الردة والرجعة إلى الكفر مكان ما سئلوا الآن من الإيمان والطاعة
(لأنوها) لا أعطوها غير مبالغين بما دهاهم من الداهية الذهباء والغارة الشعواء وقرى لأنوها
بالقصر أى لفعلوها وجاموها (وما تلبثوا بها) بالفتنة أى ما لبثوها وما آخروها (إلا يسيراً) ريثما يسع
السؤال والجواب من الزمان فضلاً عن التعلل باختلال البيوت مع سلامتها كما فعلوا الآن وقيل ما لبثوا
بالمدينة بعد الارتداد إلا يسيراً والأول هو اللائق بالمقام هذا وأما تخصيص فرض الدخول بتلك
العساكر المتحيزة فمع مناقته للعموم المستفاد من تجريد الدخول عن الفاعل ففيه ضرب من فساد الوضع
لما عرفت من أن مساق النظم الكريم لبيان أهم إذا دعوا إلى الحق فعلوا بشيء يسريرون دعوا إلى
الباطل سارعوا إليه أثر ذى أثر من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم ففرض الدخول عليهم من
جهة العساكر المذكورة وإسناد سؤال الفتنة والدعوة إلى الكفر إلى طائفة أخرى مع أن العساكر هم
المعروفون بعداوة الدين المباشرون لقتال المؤمنين المصرون على الإعراض عن الحق المجدون في البقاء
إلى الكفر والضلال بمعزل من التقريب (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار) فإن بنى ١٥
حارثة عاهدوا رسول الله ﷺ يوم أحد حين فشلوا أن لا يعمدوا لمثله وقيل هم قوم ظابوا عن وقعة بدر
ورأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والفضيلة فقالوا لئن أشهدنا الله قتالاً لثقتان (وكان عهد الله
مستولاً) مطلوباً مقتضى حتى يوفى به وقيل مستولاً عن الوفاء به وبجأى عليه (قل إن ينفعكم الفرار إن
فررتم من الموت أو القتل) فإنه لا بد لكل شخص من حتف أنف أو قتل سيف في وقت معين سبق به
القضاء وجرى عليه القلم (وإذن لا تتمعون إلا قليلاً) أى وإن نفعكم الفرار مثلاً فنتعم بالناخير لم يكن ذلك
التمتع إلا تمتعاً قليلاً أو زماناً قليلاً (قل من ذا الذى يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم ١٧

قَدِيعُ اللَّهِ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ ٣٣ الأحزاب

أَشْجَةً عَلَيْهِمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِاللِّسَانِ حِدَادٍ أَشْجَةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَا يَأْمَنُونَ فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ ٣٣ الأحزاب

يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوِائِهِمْ بِأَدُونِ فِي الْأَعْرَابِ يَسْعَاوْنَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ ٣٣ الأحزاب

- رحمة أي أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة فاختصر الكلام أو حمل الثاني على الأول لما في العصمة من معنى المنع (ولا يجردون لهم من دون الله ولياً) يفهمهم (ولا نصيراً) يدفع عنهم الضرر (قد يعلم الله المعوقين منكم) أي المشبطين للباس عن رسول الله ﷺ وهم المنافقون (والقائلين لإخوانهم) من منافق المدينة (هلم إلينا) وهو صوت سمى به فعل متعدد نحووا حضروا قرب ويستوى فيه الواحد والجماعة على لغة أهل الحجاز وأما بنو تميم فيقولون هلم يارجل واهلوا يارجل أي قربوا أنفسكم إلينا وهذا يدل على أنهم عندهذا القول خارجون من المعسكر متوجهون نحو المدينة (ولا يأتون البأس) أي الحراب والقتال (إلا قليلاً) أي إتياناً أو زماناً أو بأساً قليلاً فإنهم يعتذرون ويثبطون ما أمكن لهم ويخرجون مع المؤمنين يومومونهم أنهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاثلون إلا شيئاً قليلاً إذا اضطرر واليه كقوله تعالى ما قاتلوا إلا قليلاً وقيل لأنه من تمة كلامهم معناه ولا يأتي أصحاب محمد حرب الأحزاب ولا يقاومونهم إلا قليلاً (أشجة عليكم) أي بخلاف عليكم بالمعاونة أو النفقة في سبيل الله أو الظفر والغنيمة جمع شحيح ونصبه على الحالية من فاعل يأتون أو من المعوقين أو على الذم (فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم) في أحداقهم (كالذي يغشى عليه من الموت) صفة لمصدر ينظرون أو حال من فاعله أو لمصدر تدور أو حال من أعينهم أي ينظرون نظراً كائناً كنظر المغشى عليه من معالجة سكرات الموت حذراً وخوراً ولو أذا بك أو ينظرون كائنين كالذي الخ أو تدور أعينهم دوراناً كائناً كدوران عينه أو تدور أعينهم كائنة كعينه (فإذا ذهب الخوف) وحيزت الغنائم (سلقوكم) ضربوكم (بالسنة حداد) وقالوا وفروا قسمتنا فإننا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكائنا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه والسلق البسط بقهر باليد أو باللسان وقرىء سلقوكم (أشجة على الخير) نصب على الحالية أو الذم ويؤيده القراءة بالرفع (أولئك) الموصوفون بما ذكر من صفات السوء (لم يؤمنوا) بالإخلاص (فأحبط الله أعمالهم) أي أظهر بطلانها إذ لم يثبت لهم أعمال فتبطل أو أبطل تصنعهم ونفاقهم فلم يبق مستتبعا لمنفعة دنيوية أصلاً (وكان ذلك) الإحباط (على الله يسيراً) هيناً وتخصيص يسره بالذكر مع أن كل شيء عليه تعالى يسير لبيان أن أعمالهم حقيقة بأن يظهر حبوطها لكامل تعاضد الدواعي وعدم الصوارف بالكلية (يحبسون الأحزاب لم يذهبوا) أي هؤلاء

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ
كَثِيرًا ﴿٢١﴾

٣٣ الأحزاب

وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَمَا زَادَهُمْ
إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

٣٣ الأحزاب

لجبنهم يظنون أن الأحزاب لم يهزموا ففروا إلى داخل المدينة (وإن يأت الأحزاب) كرة ثانية
(يودوا لو أنهم بادون في الأعراب) تمنوا أنهم خارجون إلى البدو حاصلون بين الأعراب وقرى. بدى
جمع باد كغاز وغزى (يسألون) كل قادم من جانب المدينة وقرى. يسألون أى يتسألون ومعناه يقول
بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك أو يتسألون الأعراب كما يقال رأيت الهلال وترادىناه فإن صيغة
التفاعل قد تجرد عن معنى كون ما أسندت إليه فاعلا من وجه ومفعولا من وجه ويكتفى بتعدد الفاعل
كما فى المثال المذكورة ونظائره (عن أنبائكم) عما جرى عليكم (ولو كانوا فيكم) هذه الكرة ولم يرجعوا
إلى المدينة وكان قتال (ماقاتلوا إلا قليلا) رياء وخوفا من التعبير (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة ٢١
حسنة) خصلة حسنة حقها أن يؤتى بها كالثبات فى الحرب ومقاساة الشدائد أو هو فى نفسه قدوة يحق
الناسى به كقولك فى البيضة عشرون مناحيدا أى هى فى نفسها هذا القدر من الحديد وقرى بكسر الهمزة
وهى لغة فيها (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) أى ثواب الله أو لقاءه أو أيام الله واليوم الآخر
خصوصاً وقيل هو مثل قولك أرجو زيدا وفضله فإن اليوم الآخر من أيام الله تعالى ولمن كان صلة
لحسنة أو صفة لها وقيل بدل من لكم والآخر على أن ضمير المخاطب لا يبدل منه (وذكر الله)
أى وقرن بالرجاء ذكر الله (كثيرا) أى ذكر كثيراً أو زماناً كثيراً أفان المثابة على ذكره تعالى تؤدى
إلى ملازمة الطاعة وبها يتحقق الانتساب برسول الله ﷺ (ولما رأى المؤمنون الأحزاب) بيان لما صدر ٢٢
عن خلص المؤمنين عند اشتباه الشئون واختلاف الظنون بعد حكاية ما صدر عن غيرهم أى لما شاهدوهم
حسباً وصفوا لهم (قالوا هذا) مشيرين إلى ما شاهدوه من حيث هو من غير أن يخطر ببالهم لفظ
يدل عليه فضلا عن تكثيره وتأنينه فإنهم من أحكام اللفظ كما مر فى قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة
قال هذا ربى وجهه لإشارة إلى الخطب أو البلاء من نتائج النظر الجليل فتدبر نعم يجوز التكثير باعتبار
الحبر الذى هو (ما وعدنا الله ورسوله) فإن ذلك العنوان أول ما يخطر ببالهم عند المشاهدة ومرادهم
بذلك ما وعدوه بقوله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم
الأساء والضراء إلى قوله تعالى إلا إن نصر الله قريب وقوله ﷺ سيشتد الأمر باجتماع الأحزاب عليكم
والعاقبة لكم عليهم وقوله ﷺ إن الأحزاب سائرون إليكم بعد تسع ليال أو عشر وقرى بكسر الراء
وفتح الهمزة (وصدق الله ورسوله) أى ظهر صدق خبر الله تعالى ورسوله أو صدقا فى النصرة والثواب
كما صدقا فى البلاء وإظهار الاسم للعظيم (وما زادهم) أى مارأوه (إلا إيماناً) بالله تعالى وبمواعيده
١٣ - أبى السعود ٧٥

مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا

٣٣ الأخراب

تَبْدِيلًا ﴿٣٣﴾

٢٣ (وأسليما) لا وأمره ومقاديره (من المؤمنين) أي المؤمنين بالإخلاص مطلقاً لا الذين حكيت محاسنهم خاصة (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) من الثبات مع الرسول ﷺ والمقاولة لأعداء الدين وهم رجال من الصحابة رضي الله عنهم نذروا أنهم إذا لقوا حرباً مع رسول الله ﷺ ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمة ومصعب ابن عمير وأنس بن النضر وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ومعنى صدقوا أتوا بالصدق من صدقي إذا قال لك الصدق ومحل ما عاهدوا النصب إما بطرح الخافض عنه وإيصال الفعل إليه كما في قولهم صدقي سن بكره أي في سنه وأما يجعل المعاهد عليه مصدوقاً على المجاز كأنهم خاطبوه خطاب من قال لسكرانه [نحرتي الأعداء إن لم تنحري] وقالوا له سنني بك وحيث وفوا به فقد صدقوه ولو كانوا انكثوه لكذبوه وكان مكذوباً (فمنهم من قضى نحبه) تفصيل لحال الصادقين وتقسيم لهم إلى قسمين والحب النذر وهو أن يلتزم الإنسان شيئاً من أعماله ويوجهه على نفسه وقضاؤه الفراغ منه والوفاء به ومحل الجار والمجرور الرفع على الابتداء على أحد الوجهين المذكورين في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمناً بالله الآية أي فبعضهم أو فبعض منهم من خرج عن العهدة كحمة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر عم أنس ابن مالك وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فإنهم قد قضوا نذورهم سواء كان النذر على حقيقته بأن يكون ما نذروه أفعالهم الاختيارية التي هي المقابلة المغيبة بما ليس منها ولا يدخل تحت النذر وهو الموت شهيداً أو كان مستعاراً لالتزامه على ما سيأتي (ومنهم) أي وبعضهم أو وبعض منهم (من ينتظر) أي قضاء نحبه لكونه موقفاً كعثمان وطلحة وغيرهما ممن استشهد بعد ذلك رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فإنهم مستمرون على نذورهم قد قضوا بعضها وهو الثبات مع رسول الله ﷺ والقتال إلى حين نزول الآية الكريمة ومنتظرون لقضاء بعضها الباقي وهو القتال إلى الموت شهيداً هذا ويجوز أن يكون النحب مستعاراً لالتزام الموت شهيداً إما بتنزيل التزام أسبابه التي هي أفعال اختيارية للنادر منزلة الالتزام نفسه وإما بتنزيل نفسه منزلة أسبابه وإيراد الالتزام عليه وهو الأنسب بمقام المدح وأياً ما كان ففي وصفهم بالانتظار المنبئ عن الرغبة في المنتظر شهادة بكمال اشتياقهم إلى الشهادة وأما ما قبل من أن النحب استعير للموت لأنه كنذر لازم في رقبة كل حيوان فسخ للاستعارة وذهب برونقها وإخراج للنظم الكريم عن مقتضى المقام الكلية (وما بدلوا) عطف على صدقوا وقاعله فاعله أي وما بدلوا عهدهم وما غيروه (تبديلاً) أي تبديلاً مالا أصلاً ولا وصفاً بل ثبتوا عليه راغبين فيه مراعين لحقوقه على أحسن ما يكون أما الذين قضوا فظاهر وأما الباقيون فيشهد به انتظارهم أصدق شهادة وتعميم عدم التبديل للفريق الأول مع ظهور حالهم بالإيدان بمساواة الفريق الثاني لهم في الحكم

لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٤﴾

٣٣ الأحزاب

وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾

٣٣ الأحزاب

و يجوز أن يكون ضمير بدلوا المنتظرين خاصة بناء على أن المحتاج إلى البيان حالهم وقد روى أن طلحة رضى الله عنه ثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد حتى أصيب يده فقال ﷺ أو جب طلحة الجنة وفي رواية أو جب طلحة وعنه ﷺ في رواية جابر رضى الله عنه من سره أن ينظر إلى شهيد يمشى على الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله وفي رواية عائشة رضى الله عنها من سره أن ينظر إلى شهيد يمشى على الأرض وقد قضى نحوه فلينظر إلى طلحة وهذا يشير إلى أنه من الأولين حكما (ليجزى الله الصادقين بصدقهم) ٢٤ متعلق بمضمرة مستأنفة مسوق بطريق الفذلكة لبيان ما هو دواعى وقوع ما حكى من الأحوال والأقوال على التفصيل وغاية له كما مر في قوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم كأنه قيل وقع جميع ما وقع ليجزى الله الصادقين بما صدر عنهم من الصدق والوفاء قولاً وفعلاً (ويعذب المنافقين) بما صدر عنهم من الأعمال والأقوال المحكية (إن شاء) تعذيبهم (أو يتوب عليهم) إن تابوا وقيل متعلق بما قبله من نفي التبديل المنطوق وإثباته المعرض به كأن المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى وقيل تعليل لصدقوا وقيل لما يفهم من قوله تعالى وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً وقيل لما يستفاد من قوله تعالى ولما رأى المؤمنون الأحزاب كأنه قيل ابتلاهم الله تعالى بروية ذلك الخطب ليجزى الآية فتأمل وبالله التوفيق (إن الله كان غفوراً رحيماً) أى لمن تاب وهو اعتراض فيه بعث إلى التوبة وقوله تعالى (ورد الله الذين كفروا) رجوع إلى حكاية بقية القصة وتفصيل تمة النعمة المشار إليها إجمالاً بقوله تعالى فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها معطوف إما على المضمرة المقدرة قبل قوله تعالى ليجزى الله كأنه قيل إثر حكاية الأمور المذكورة وقع ما وقع من الحوادث ورد الله الخ وإما على أرسلنا وقد وسط بينهما بيان كون ما نزل بهم واقعة طامة تميزت بها العقول والأفهام وداهية تامة تحاكت منها الركب وزلت الأقدام وتفصيل ما صدر عن فريق أهل الإيمان وأهل الكفر والنفاق من الأحوال والأقوال لإظهار عظم النعمة وإبانة خطرها الجليل ببيان وصولها إليهم عند غاية احتياجهم إليها أى فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها ورددنا بذلك الذين كفروا والالتفات إلى الاسم الجليل لتربية المهابة وإدخال الروعة وقوله تعالى (بغضهم) حال من الموصول أى ملتبسين به وكذا قوله تعالى (لم ينالوا خيراً) بتداخل أو تعاقب أى غير ظافرين بخير أو الثانية بيان للأولى أو استئناف (وكفى الله المؤمنين القتال) بما ذكر من إرسال الريح والجنود (وكان الله قوياً) على إحداث كل ما يريد (عزيراً)

وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَاحِبِهِمْ وَقَدْفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ
وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾

٣٣ الأحزاب

وَأُورِثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطْعُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ٣٣ الأحزاب
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَّ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسْرِحْكُنَّ
سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾

٣٣ الأحزاب

٢٦ غالباً على كل شيء (وأنزل الذين ظاهروهم) أي عاونوا الأحزاب المردودة (من أهل الكتاب) وهم بنو قريظة (من صباصيم) من حصونهم جميع صيبية وهي ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوكه الديك (وقذف في قلوبهم الرعب) الخوف الشديد بحيث أسلوا أنفسهم للقتل وأهليهم وأولادهم للأسر حسبا ينطق به قوله تعالى (فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً) من غير أن يكون من جهتهم حراك فضلاً عن المخالفة والاستعصاء روى أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله ﷺ صبيحة الليلة التي انهزم فيها الأحزاب ورجع المسلمون إلى المدينة ووضعوا السلاح فقال أنتزع لأمك والملائكة ما وضعوا السلاح إن الله يأمرك أن تسير إلى بني قريظة وأنا عاهد إياهم فأذن في الناس أن لا يصلوا العصر إلا ببني قريظة فحاصروهم إحدى وعشرين أو خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمي فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به لحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم ونسأهم فكبر النبي ﷺ وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة فقتل منهم ستمائة مقاتل وقيل من ثمانمائة إلى تسعمائة وأسر سبعمائة وقرىء تأسرون بضم السين كما قرىء الرعب بضم العين ولعل تأخير المفعول في الجملة الثانية مع أن مساق الكلام لتفصيله وتقسيمه كما في قوله تعالى ففريقاً قتلتم وفريقاً تقتلون وقوله تعالى فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون لمراعاة الفواصل (وَأُورِثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ) أي حصونهم (وأموالهم) نقودهم وأثاثهم ومواسيهم روى أن رسول الله ﷺ جعل عقارهم للمهاجرين دون الأنصار فقالت الأنصار في ذلك فقال ﷺ إنكم في منازلكم فقال عمر رضي الله عنه أما تخمس كما خست يوم بدر فقال ﷺ لا إنما جعلت هذه لى طعمة دون الناس قالوا أرضينا بما صنع الله ورسوله (وأرضاً لم تطعوها) أي أورثكم في علمه وتقديره أرضاً لم تقبضوها بعد كفارس والروم وقيل كل أرض تفتح إلى يوم القيامة وقيل خير (وكان الله على كل شيء قديراً) فقد شاهدتم بعض مقدوراته من إيرات الأراضى التي تسلمتموها فقيسوا عليها ما عداها (يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنن تردين الحياة الدنيا) أي السعة والتنعيم فيها (وزينتها) وزخافها (فتعالين) أي أقبلن بارادتكين واختياركن لأحدى الخصلتين كما يقال أقبل بخاصمى وذهب يكلمنى وقام يهددنى (أمتعن) بالجزم جواباً للأمر وكذا (وأسرحكن) أي أعطكن المتعة وأطلقكن (سراحاً جميلاً) طلاقاً من غير ضرار وقرىء بالرفع على الاستئناف روى أنهم سأله ﷺ ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ بعائشة

٢٨

وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾
 يَنْسَاءَ النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُمْ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَعَّفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى
 اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

٣٣ الاحزاب

تغيرها فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة ثم اختارت الباقيات اختارها فشكر لها الله ذلك فنزل
 لا يحل لك النساء من بعد واختلف في أن هذا التخيير هل كان تفويض الطلاق إليهن حتى يقع الطلاق
 بنفس الاختيار أولا فذهب الحسن وقتادة وأكثر أهل العلم إلى أنه لم يكن تفويض الطلاق وإنما كان
 تخييراً لمن بين الارادتين على أنهن إن أردن الدنيا فارقهن ﷺ كما ينبغي عنه قوله تعالى فتعالين أمتعن
 وأسرحن وذهب آخرون إلى أنه كان تفويضاً للطلاق إليهن حتى لو أنهن اخترن أنفسهن كان ذلك
 طلاقاً وكذا اختلف في حكم التخيير فقال ابن عمر وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم إذا خير رجل
 امرأته فاختارت زوجها لا يقع شيء أصلاً ولو اختارت نفسها وقعت طلاقاً بائنة عندنا ورجعية عند
 الشافعي وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن أبي ليلى وسفيان وروى عن زيد بن ثابت أنها إن اختارت
 زوجها يقع طلاقاً واحدة وإن اختارت نفسها يقع ثلاث طلاقات وهو قول الحسن ورواية عن مالك
 وروى عن علي رضي الله عنه أنها إن اختارت زوجها فواحدة رجعية وإن اختارت نفسها فواحدة بائنة
 وروى عنه أيضاً أنها إن اختارت زوجها لا يقع شيء أصلاً وعليه إجماع فقهاء الأمصار وقد روى عن
 عائشة رضي الله عنها خيرنا رسول الله ﷺ فاختارناه ولم يعده طلاقاً وتقديم التمتع على التسريح من باب
 السكرم وفيه قطع لمعاذيرهن من أول الأمر والمتعة في المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها صداق عند
 العقد واجبة عندنا وفيما عداهن مستحبة وهي درع وخمار وملحفة بحسب السعة والاقتار إلا أن يكون
 نصف مهرها أقل من ذلك فحينئذ يجب لها الأقل منهما ولا ينقص عن خمسة دراهم (وإن كنتم تردن الله
 ورسوله) أي تردن رسول الله وذكركم الله عز وجل للإيذان بجلالة محله ﷺ عنده تعالى (والدار الآخرة)
 أي نعيمها الذي لا قدر عنده للدنيا وما فيها جميعاً (فإن الله أعد للمحسنات منكم) بمقابلة إحسانهن
 (أجراً عظيماً) لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ومن للتبيين لأن كلهن محسنات وتجريد الشرطية الأولى عن *
 الوعيد للبالغة في تحقيق معنى التخيير والاحتراز عن شائبة الإكراه وهو السر فيما ذكر من تقديم التمتع
 على التسريح وفي وصف السراح بالجميل (يانساء النبي) تلوين للخطاب وتوجيه له إلبين لإظهار الاعتناء
 بنصحهن ونداؤهن هنأ وفيما بعده بالإضافة إليه ﷺ لأنها التي يدور عليها ما يرد عليهن من الأحكام
 (من يأت منكم بفاحشة مبينة) ظاهرة القبح من بين بمعنى تبين وقرىء بفتح الياء والمراد بها
 كل ما اقترن من الكبائر وقيل هي عصيانهن لرسول الله ﷺ ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه أو
 ما يضيق به ذرعوه ويغتم لأجله وقرىء تأت بالفوقانية (يضاعف لها العذاب ضعفين) أي يعذبها ضعفي
 عذاب غيرهن أي مثليه لأن الذنب منهن أقبح فإن زيادة قبحه تابعة لزيادة فضل المذنب والنعمة عليه

وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا

٣٣ الأحزاب

كَرِيمًا ﴿٣١﴾

يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ

٣٣ الأحزاب

مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ٣٣ الأحزاب

ولذلك جعل حد الحر ضعف حد الرقيق وهو تب الانبياء عليهم الصلاة والسلام بما لا يعاتب به الام
وقرى. يضعف على البناء للمفعول ويضاعف ونضعف بنون العظمة على البناء للفاعل ونصب العذاب
(وكان ذلك على الله يسيراً) لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبي ﷺ بل يدعو به الى مراعاة حقه
٣١ (ومن يقنت منكن) وقرى. بالناء أى ومن يدم على الطاعة (لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها
مرتين) مرة على الطاعة والتقوى وأخرى على طلبهن رضا رسول الله ﷺ بالقناعة وحسن المعاشرة وقرى.
يعمل بالياء حملا على لفظ من ويؤتها على أن فيه ضمير اسم الله تعالى (وأعتدنا لها) فى الجنة زيادة على
٣٢ أجرها المضاعف (رزقا كريماً) مرضياً (يا نساء النبي لستن كأحد النساء) أصل أحد واحد بمعنى الواحد
ثم وضع فى النفي مستوياً فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات
النساء فى الفضل والشرف (إن اتقيتن) مخالفة حكم الله تعالى ورضا رسوله أو إن اتصفتن بالتقوى كما
هو اللائق بحالكن (فلا تحضعن بالقول) عند مخاطبة الناس أى لا تجبن بقولكن خاضعاً لينا على سنن
قول المريات والمومسات (فيطمع الذى فى قلبه مرض) أى لجور وريبة وقرى. بالجزم عطفاً على محل
فعل النهى على أنه نهى لمرضى القلب عن الطمع عقيب نهين عن الإطماع بالقول الخاضع كأنه قيل فلا
تحضعن بالقول فلا يطمع مريض القلب (وقلن قولاً معروفاً) بعيداً عن الريبة والإطماع بمجد وخشونة
٣٣ من غير تخنيت أو قولاً حسناً مع كونه خشناً (وقرن فى بيوتكن) أمر من قريقر من باب علم وأصله
اقررن لحذفت الراء الاولى وألقت فتحتها على ما قبلها كما فى قولك ظلن أو من قاريقار إذا اجتمع وقرى.
بكسر القاف من وقرىقر وقاراً إذا ثبت واستقر وأصله اقرن ففعل به ما فعل بعدن من وعد أو من
قريقر حذفت إحدى راءى اقررن ونقلت كسرتها الى القاف كما تقول ظلن (ولا تبرجن) أى لا تتبخترن
فى مشيكن (تبرج الجاهلية الاولى) أى تبرجا مثل تبرج النساء فى الجاهلية القديمة وهى ما بين آدم ونوح
وقبل ما بين إدريس ونوح عليهما السلام وقيل الزمان الذى ولد فيه إبراهيم عليه السلام كانت المرأة
تلبس درعاً من اللؤلؤ فتمشى وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل زمن داود وسليمان عليهما
السلام والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وقيل الجاهلية الاولى جاهلية

وَأَذْكُرَنَّ مَا يَتَّبِعُ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ٣٣ الأحزاب
 إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ
 وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِغِينَ
 وَالصَّابِغَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ
 لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ٣٣ الأحزاب

الكفر والجاهلية الأخرى الفسوق في الإسلام ويؤيده قوله ﷺ لأبي الدرداء إن فيك جاهلية قال
 جاهلية كفر أو جاهلية إسلام قال بل جاهلية كفر (وأقن الصلاة وآتين الزكاة) أمرن بهما لإناقتهما
 على غيرهما وكونهما أصلي الطاعات البدنية والمالية (وأطعن الله ورسوله) أى في كل مائتين وما تذر
 لاسيما فيما أمرتن به ونهين عنه (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) أى الذنب المدنس لمرضكم وهو
 تعليل لأمرهن ونهينهن على الاستئفاف ولذلك عمم الحكم بتعميم الخطاب لغيرهن وصرح بالمقصود حيث
 قيل بطريق النداء أو المدح (أهل البيت) مراد بهم من حوام بيت النبوة (ويطهركم) من أوضار
 الأوزار والمعاصي (تطهيراً) بليغاً واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير لمزيد التنفير عنها وهذه
 كما ترى آية بينة وحيجة نيرة على كون نساء النبي ﷺ من أهل بيته قاضية بيطان رأى الشيعة في تخصيصهم
 أهل البيت بفاطمة وعلى وابنه مارضوان الله عليهم وأمامات مسكوا به من أن رسول الله ﷺ خرج ذات غدوة
 وعليه مرط من رجل من شعر أسود وجلس فأتت فاطمة فأدخلها فيه ثم جاء على فأدخله فيه ثم جاء الحسن
 والحسين فأدخلهما فيه ثم قال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت فإني أريد على كونهم من أهل
 البيت لأعلى أن من عدام لبسوا كذلك ولو فرضت دلالة على ذلك لما اعتد بها لكونها في مقابلة النص
 (واذكرن ما يتلى في بيوتكن) أى اذكرن للناس بطريق العظة والتذكير ما يتلى في بيوتكن (من آيات
 الله والحكمة) من الكتاب الجامع بين كونه آيات الله البينة الدالة على صدق النبوة بنظمه المعجز وكونه
 حكمة منطوية على فنون العلوم والشرائع وهو تذكير بما أنعم عليهم حيث جعلهم أهل بيت النبوة ومهبط
 الوحي وما شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة الإيمان والحرص على الطاعة حثاً على الانتهاء
 والانتهاز فيما كلفنه والتعرض للتلاوة في البيوت دون النزول فيها مع أنه لا نسب لكونها مهبط الوحي
 لعمومها لجميع الآيات ووقوعها في كل البيوت وتكررها الموجب لتكنن من الذكر والتذكير بخلاف
 النزول وعدم تعيين التالى لتعم تلاوة جبريل وتلاوة النبي عليهما الصلاة والسلام وتلاوتهن وتلاوة
 غيرهن تعلماً وتعلماً (إن الله كان لطيفاً خبيراً) يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك فعل ما فعل من الأمر
 والنهي أو يعلم من يصلح للنبوة ومن يستأهل أن يكون من أهل بيته (إن المسلمين والمسلمات) أى الداخلين
 في السلم المنقادين لحكم الله تعالى من الذكور والإناث (والمؤمنين والمؤمنات) المصدقين بما يجب أن يصدق

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٣﴾

٣٣ الأحزاب

وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ

٣٣ الأحزاب

مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾

به من الفريقين (والقانتين والقانتات) المداومين على الطاعة القائمين بها (والصادقين والصادقات) في القول والعمل (والصابرين والصابرات) على الطاعات وعن المعاصي (والخاشعين والخاشعات) المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم (والمتصدقين والمتصدقات) بما وجب في مالهم (والصائمين والصائمات) الصوم المفروض (والحافظين فروجهم والحافظات) عن الحرام (والذاكرين الله كثيراً والذاكرات) بقلوبهم وألسنتهم (أعد الله لهم) بسبب ما عملوا من الحسنات المذكورة (مغفرة) لما اقترفوا من الصغائر لأنهن مكفرات بما عملوا من الأعمال الصالحة (وأجرأ عظيماً) على ما صدر عنهم من الطاعات والآيات وعدلن ولا مثالن على الطاعة والتدبر هذه الخصال الحميدة روى أن أزواج النبي ﷺ ورضي عنهن قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير فافينا خير نذكر به إنا نخاف أن لا تقبل منا طاعة فنزلت وقيل السائلة أم سلمة وروى أنه لما نزل في نساء النبي ﷺ ما نزل قال نساء المؤمنين فما نزل فينا شيء فنزلت وعطف الإناث على الذكور لاختلاف الجنسيتين وهو ضروري وأما عطف الزوجين على الزوجين فلتغاير الوصفين فلا يكون ضرورياً ولذلك ترك في قوله تعالى مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على أن مدار إعداد ما أعد لهم جميعهم بين هذه النعوت الجميلة (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) أي ماصح وما استقام لرجل ولا امرأة من المؤمنين والمؤمنات (إذا قضى الله ورسوله أمراً) أي إذا قضى رسول الله وذكر الله تعالى لتعظيم أمره ﷺ أو للإشعار بأن قضاءه ﷺ قضاء الله عز وجل لأنه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة فأبت هي وأخوها عبد الله وقيل في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وهبت نفسها للنبي ﷺ فزوجها من زيد فسخطت هي وأخوها وقالوا إنما أردنا الله ورسول الله فزوجنا عبده (أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) أن يختاروا من أمرهم ما شاءوا بل يجب عليهم أن يجعلوا رأيهم تبعاً لرأيه ﷺ واختيارهم تلوا لاختياره وجمع الضميرين لعموم مؤمن ومؤمنة لوقوعهما في سياق النفي وقيل الضمير الثاني الرسول ﷺ والجمع للتعظيم وقرئ تكون بالناء (ومن يعص الله ورسوله) في أمر من الأمور ويعمل فيه برأيه (فقد ضل) طريق الحق (ضلال مبيناً) أي بين الانحراف عن سنن الصواب (وإذ تقول) أي واذكر وقت قولك (الذي أنعم الله عليه) بتوفيقه

٣٧

مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾

٣٣ الأحزاب

- للإسلام وتوفيقك لحسن تربيته ومراعاته (وأنعمت عليه) بالعمل بما وفقك الله له من فنون الإحسان التي من جهلها تحريره وهو زيد بن حارثة وإيراده بالعنوان المذكور لبيان منافاة حاله لما صدر عنه ﷺ من إظهار خلاف ما في ضميره إذ هو إنما يقع عند الاستحياء أو الاحتشام وكلاهما بما لا يتصور في حق زيد (أمسك عليك زوجك) أي زنب و ذلك أنه ﷺ أبصرها بعد ما أنكحها إياه فوقع في نفسه حالة جبلية لا يكاد يسلم منها البشر فقال سبحانه الله مقلب القلوب و سمعت زنب بالتسبيحة فذكرتها لزيد فقطن لذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فأتى النبي ﷺ وقال أريد أن أفارق صاحبتي فقال مالك أراك منه شيء قال لا والله ما رأيت منها إلا خيراً ولكنها لشرفها تتعظم على فقال له أمسك عليك زوجك (و اتق الله) في أمرها فلا تطلقها لإضراراً وتعللاً بتكبرها (وتخفى في نفسك ما الله مبديه) وهو نكاح إن طلقها أو إرادة طلاقها (وتخشى الناس) تعييرهم إياك به (والله أحق أن تخشاه) إن كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الإخفاء و - دء بل على الإخفاء مخافة قاله الناس وإظهار ما ينافي إضماره فإن الأولى في أمثال ذلك أن يصمت أو يفوض الأمر إلى ربه (فلما قضى زيد منها وطراً) بحيث لم يبق له فيها حاجة و طلقها و انقضت عدتها و قيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك (زوجناكم) و قرىء • زوجتكم والمراد الأمر بتزويجها منه ﷺ و قيل جعلها زوجته بلا واسطة عقد و يؤيده أنها كانت تقول لسائر نساء النبي ﷺ إن الله تعالى تولى نكاحي وأنن زوجكن أولياؤكن و قيل كان زيد السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد عدل بقوة إيمانه (لكيلا يكون على المؤمنين حرج) ضيق ومشقة (في أزواج أديعتهم) أي في حق تزويجهم (إذا قضوا منهن وطراً) فإن لهم في رسول الله أسوة حسنة وفيه دلالة على أن حكمه ﷺ وحكم الأمة سواء إلا ما خصه الدليل (وكان أمر الله) أي ما يرتد تكوينه من الأمور أو مأموره الخاص بكن (مفعولا) مكوناً لا محالة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله (ما كان على النبي من ٣٨ حرج) أي ماصح وما استقام في الحكمة أن يكون له ضيق (فيما فرض الله له) أي قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان كذا ومنه فروض المساكر لأعطياتهم (سنة الله) اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تراباً وجندلاً مؤكداً لما قبله من نفى الحرج أي سن الله ذلك سنة (في الذين خلوا) مضوا (من قبل) من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حيث وسع عليهم في باب النكاح وغيره ولقد كانت لداود عليه السلام مائة امرأة وثلاثمائة سرية ولسليمان عليه السلام ثلاثمائة امرأة وسبع مائة سرية وقوله تعالى (وكان أمر الله قدراً مقدوراً) أي قضاء مقضياً وحكماً مبتوتاً اعتراض وسط بين الموصولين الجار بين مجرى الواحد للمسارعة إلى تقرير نفى الحرج وتحقيقه .

الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَحْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٣﴾ الْأَحْزَابُ

مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ

الْأَحْزَابُ ٣٣

عَلِيمًا ﴿٣٤﴾

الْأَحْزَابُ ٣٣

يُنَادِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٣٥﴾

الْأَحْزَابُ ٣٣

وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٣٦﴾

٣٩ (الذين يبلغون رسالات الله) صفة للذين خلوا أو مدح لهم بالنصب أو بالرفع وقرئ رسالة الله

(ويخشونه) في كل ما يأتون ويذرون لاسيما في أمر تبليغ الرسالة حيث لا يخرمون منها حرفا ولا تأخذهم

في ذلك لومة لائم (ولا يخشون أحدا إلا الله) في وصفهم بقصرهم الخشية على الله تعالى تعريض بمصدر

عنه ﷺ من الاحتراز عن لائمة الخلق بعد التصريح في قوله تعالى وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه

(وكفى بالله حسيباً) كافياً للخاوف فينبغي أن لا يخشى غيره أو محاسباً على الصغيرة والكبيرة فيجب

٤٠ أن يكون حق الخشية منه تعالى (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم) أى على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه

ما ثبت بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومهم بكونه ﷺ أباً الطاهر والقاسم

وإبراهيم لأنهم لم يبلغوا الحلم ولو بلغوا لكانوا رجالاً له ﷺ لا لهم (ولكن رسول الله) أى كان رسولاً

لله وكل رسول أبو أمته لكن لا حقيقة بل بمعنى أنه شفيق ناصح لهم وسبب حياتهم الأبدية وما زيد إلا

واحد من رجالكم الذين لا ولادة بينهم وبينه ﷺ لحكمه حكمهم وليس للنبي والادعاء حكم سوى

التقريب والاختصاص (وخاتم النبيين) أى كان آخرهم الذي ختموا به وقرئ بكسر التاء أى كان خاتمهم

ويؤيده قراءة ابن مسعود ولكن نبياً ختم النبيين وأياً ما كان فلو كان له ابن بالغ لكان نبياً ولم يكن هو

ﷺ خاتم النبيين كما يروى أنه قال في إبراهيم حين توفي لو عاش لكان نبياً ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده

عليهما السلام لأن معنى كونه خاتم النبيين أنه لا ينبا أحد بعده وعيسى ممن نبى قبله وحين ينزل إنما ينزل

عملاً على شريعة محمد ﷺ مصلياً إلى قبلته كأنه بعض أمته (وكان الله بكل شيء عليماً) ومن جملة هذه

٤١ الأحكام والحكم التي بينها لكم وكنتم منها في شك ريب (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله) بما هو أهله

٤٢ من التهليل والتحميد والتجديد والتقدیس (ذكرأ كثيراً) يعم الأوقات والأحوال (وسبحوه) وزهوه

عما لا يليق به (بكرة وأصيلاً) أى أول النهار وآخره على أن تخصيصهما بالذكر ليس لفصل التسبيح

عليهما دون سائر الأوقات بل لإبانه فضلهما على سائر الأوقات لكونهما مشهودين كأفراد التسبيح

من بين الأذكار مع اندراجها فيها لكونه العمدة فيها وقيل كلا الفعلين متوجه إليهما كقولك صم وصل

يوم الجمعة وقيل المراد بالتسبيح الصلاة .

هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ

رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

٣٣ الأحزاب

٣٣ الأحزاب

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾

٣٣ الأحزاب

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾

- (هو الذي يصلي عليكم) الخ استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من الأمرين فإن صلاته تعالى عليهم مع ٤٣ عدم استحقاقهم لها وغناه عن العالمين مما يوجب عليهم المداومة على ما يستوجبه تعالى عليهم من ذكره تعالى وتسيحه وقوله تعالى (وملائكته) عطف على المستكن في يصلي لمكان الفصل المغني عن التأكيد بالمنفصل لكن لا على أن يراد بالصلاة الرحمة أولا والاستغفار ثانياً فإن استعمال اللفظ الواحد في معنيين متغايرين مما لا مساغ له بل على أن يراد بهما معنى مجازي عام يكون كلا المعنيين فرداً حقيقياً له وهو الاعتناء بما فيه خيرهم وصلاح أمرهم فإن كلا من الرحمة والاستغفار فرد حقيقي له أو الترحم والانعطاف المعنوي المأخوذ من الصلاة المشتملة على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود ولا ريب في أن استغفار الملائكة ودعائهم للمؤمنين ترحم عليهم وأما أن ذلك سبب للرحمة لكونهم مجابى الدعوة بما قيل فاعتباره ينزع إلى الجمع بين المعنيين المتغايرين فتدبر (ليخرجكم من الظلمات إلى النور) متعلق بيصلي أى يعنى بأمرهم • هو وملائكته ليخرجكم بذلك من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة وقوله تعالى (وكان بالمؤمنين رحيماً) • اعتراض مقرر لمضمون ما قبله أى كان بكافة المؤمنين الذين أنتم من زمرة رحيماً ولذلك يفعل بكم ما يفعل من الاعتناء بإصلاحكم بالذات وبالواسطة ويهديكم إلى الإيمان والطاعة أو كان بكر رحيماً على أن المؤمنين مظهر وضع موضع المضمر مدحاً لهم وإشعاراً بعلّة الرحمة وقوله تعالى (تحيّتهم يوم يلقونه سلام) بيان ٤٤ للأحكام الآجلة لرحمة الله تعالى بهم بعد بيان آثارها العاجلة التي هي الاعتناء بأمرهم وهدايتهم إلى الطاعة أى ما يحبون به على أنه مصدر أضيف إلى مفعوله يوم لقائه عند الموت أو عند البعث من القبور أو عند دخول الجنة تسليم عليهم من الله عز وجل تعظيماً لهم أو من الملائكة بشارة لهم بالجنة أو تكرمة لهم كما في قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم أو إخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة وقوله تعالى (وأعد لهم أجراً كريماً) بيان لآثار رحمته الفائضة عليهم بعد دخول الجنة عقيب بيان آثار رحمته الواصلة إليهم قبل ذلك ولعل إشار الجملة الفعلية على الاسمية المناسبة لما قبلها بأن يقال مثلاً وأجرهم أجر كريم أو لهم أجر كريم للببالغة في الترغيب والتشويق إلى الموعد ببيان أن الأجر الذي هو المقصد الأقصى من بين سائر آثار الرحمة موجود بالفعل مهيأ لهم مع ما فيه من مراعاة الفواصل (يا أيها النبي إنا ٤٥ أرسلناك شاهداً) على من بعثت إليهم تراقب أحوالهم وتشاهد أعمالهم وتحمل منهم الشهادة بما صدر عنهم من التصديق والتكذيب وسائر ما هم عليه من الهدى والضلال وتؤديها يوم القيامة أداء مقبولا

٣٣ الأحزاب

وَدَاعِبًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾

٣٣ الأحزاب

وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾

وَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ٣٣ الأحزاب

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَلََكُمْ عَلَيْهِنَّ

٣٣ الأحزاب

مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَنْعُوهُنَّ وَسِرَّحُوهُنَّ سِرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾

٤٦ فيها لهم وما عليهم وهو حال مقدرة (و مبشراً ونذيراً) تبشر المؤمنين بالجنة وتنذر الكافرين بالنار (وداعياً

إلى الله) أى إلى الإقرار به وبوحدانيته وبسائر ما يجب الإيمان به من صفاته وأفعاله (بإذنه) أى بتيسيره أطلق عليه مجازاً لما أنه من أسبابه وقيد به الدعوة لإذناً بأنها أمر صعب المنال وخطب في غاية الإعضال

لا يتأتى إلا بإمداد من جناب قدسه كيف لا وهو صرف للوجوه عن القبل المعبودة وإدخال الأعناق في فلاة غير معبودة (وسراجاً منيراً) يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية ويمتدى بأنواره إلى مناهج

٤٧ الرشد والهداية (وبشر المؤمنين) عطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام كأنه قيل فراقب

أحوال الناس وبشر المؤمنين منهم (بأن لهم من الله فضلاً كبيراً) أى على مؤمنى سائر الأمم في الرتبة والشرف أو زيادة على أجور أعمالهم بطريق التفضل والإحسان (ولا تطع الكافرين والمنافقين) نهى

٤٨ عن مداراتهم في أمر الدعوة واستعمال لين الجانب في التبليغ والمساحة في الإنذار كنى عن ذلك بالنهى عن طاعتهم مبالغة في الزجر والتنفير عن المنهى عنه بنظمه في سلكها وتصويره بصورتها ومن حمل النهى

على التهييج والإلهاب فقد أبعد عن التحقيق بمراحل (ودع أذانهم) أى لا تبال بأذيتهم لك بسبب تصلبك في الدعوة والإنذار (وتوكل على الله) في كل ما تأتى وما تذر من الشئون التى من جعلتها هذا الشأن فإيه

تعالى يكفيسكم (وكفى بالله وكيلاً) موكولاً إليه الأمور في كل الأحوال وإظهار الاسم الجليل في

موضع الإضمار لتعليل الحكم وتأكيده استقلال الاعتراض التذييل ولما وصف ﷺ بنعوت خمسة قوبل كل منها بخطاب يناسبه خلا أنه لم يذكر مقابل الشاهد صريحاً وهو الأمر بالمراقبة ثقة بظهور دلالة مقابل

المبشر عليه وهو الأمر بالتبشير حسبما ذكر آنفاً وقوبل النذير بالنهى عن مداراة الكفار والمنافقين والمساحة في إنذارهم كما تحققته وقوبل الداعى إلى الله بإذنه بالأمر بالتوكل عليه من حيث إنه عبارة عن

الاستمداد منه تعالى والاستعانة به وقوبل السراج المنير بالاكتماء به تعالى فإن من أيداه الله تعالى بالقوة القدسية ورشحه للنبوة وجعله برهاناً نيراً يهتدى الخلق من ظلمات الغى إلى نور الرشاد تحقيقاً بأن يكتفى به عن كل ما سواه

٤٩ (بأيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) أى تجمعهن وقربى تمسوهن بضم التاء (فألكم عليهن من عدة) بأيام يتر بصن فيها بأنفسهن (تعتدونها) تستوفون عددها من عدت

المرام فاعتدها وحقيقته عددها لنفسه وكذلك كتبه فآكناه والإسناد إلى الرجال للدلالة على أن العدة حق

يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ
عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً
مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ
قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ
غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾

٣٣ الأحزاب

الأزواج كما أشعر به قوله تعالى فما لكم وقرىء تعتدونها على إبدال إحدى الدالين بالتاء أو على أنه من
الاعتداء بمعنى تعتدون فيها والخلو الصريحة في حكم المس وتخصيص المؤمنات مع عموم الحكم
للكتاتيات للتنبيه على أن المؤمن من شأنه أن يتخير لنطقه ولا ينكح إلا مؤمنة وفائدة ثم إزاحة ماعسى
يتوهم أن تراخي الطلاق ريثما تمكن الإصابة يؤثر في العدة كما يؤثر في النسب (فتموهن) أى إن لم يكن
مفروضاً لها في العقد فإن الواجب للبفروض لها نصف المفروض دون المتعة فإنها مستحبة عندنا في رواية
وفي أخرى غير مستحبة (وسرحوهن) أخرجوهن من منازلكن إذ ليس لكم عليهن عدة (سراحاً
جَمِلاً) من غير ضرار ولا منع حق ولا مساغ لتفسيره بالطلاق السفى لأنه إنما يتسنى في المدخول بهن
(يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) أى مهورهن فإنها أجوراً لأبضاعهن وإتاؤها
إما إعطاؤها معجلة أو تسميتها في العقد وأياً ما كان فتقييد الإحلال له ﷺ به ليس لتوقف الحل عليه
ضرورة أنه يصح العقد بلا تسمية ويجب مهر المثل أو المتعة على تقديرى الدخول وعدمه بل لإيثار
الأفضل والأولى له ﷺ كتنقييد إحلال المملوكة بكونها مسبية في قوله تعالى (وما ملكت يمينك مما أفاء
الله عليك) فإن المشترأة لا يتحقق بده أمرها وما جرى عليها وكتقييد القرائب بكونهن مهاجرات معه
في قوله تعالى (وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك) ويحتمل
تقييد الحل بذلك في حقه ﷺ خاصة ويعضده قول أم هانئ بنت أبي طالب خطبت رسول الله ﷺ
فاعتذرت إليه فعذرني ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحل له لآتي لم أهاجر معه كنت من الطلقاء (وامرأة
مؤمنة) بالنصب عطفاً على مفعول أحللنا إذ ليس معناه إنشاء الإحلال الناجز بل إعلام مطلق الإحلال
المنتظم لما سبق ولحق وقرىء بالرفع على أنه مبتدأ خبره محذوف أى أحللنا لك أيضاً (إن وهبت نفسها
للنبي) أى ملكته بضعها بأى عبارة كانت بلا مهر إن اتفق ذلك كما ينبغي عنه تنكيرها لكن لا مطلقاً بل
عند إرادته ﷺ استنكاحها كما نطق به قوله عز وجل (إن أراد النبي أن يستنكحها) أى أن يتملك بضعها
كذلك أى بلا مهر فإن ذلك جار منه ﷺ مجرى القبول وحيث لم يكن هذا نصاً في كون تملكها بلفظ الهبة
لم يصلح أن يكون مناطاً للخلاف في انعقاد النكاح بلفظ الهبة إيجاباً أو سلباً واختلف في اتفاق هذا العقد
فمن ابن عباس رضى الله عنهما لم يكن عنده ﷺ أحد منهن بالهبة وقيل الموهوبات أربع ميمونة بنت
الحارث وزينب بنت خزيمة الأنصارية وأم شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وإيراده ﷺ في الموضعين

تُرْجَى مِنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُقْوَى إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءُ وَمِنْ أَبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ
أَدْنَى أَنْ تَقْرَأَ عَيْنَهُنَّ وَلَا يُحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ

٣٣ الأحزاب

عَلِيماً حَلِيماً ﴿٥١﴾

بعنوان النبوة بطريق الالتفات للتكرمة والإيذان بأنها المناط لثبوت الحكم فيختص به ﷺ حسب
اختصاصها به كما ينطق به قوله تعالى (خالصة لك) أى خلص لك إحلالها خالصة أى خلوصاً فإن الفاعلة
في المصادر غير عزيز كالعافية والكاذبة أو خلص لك إحلال ما أحللت لك من المذكورات على القيود
المذكورة خالصة ومعنى قوله تعالى (من دون المؤمنين) على الأول أن الإحلال المذكور في المادة
المعمودة غير متحقق في حقهم وإنما المتحقق هناك الإحلال بمهر المثل وعلى الثاني أن إحلال الجميع على القيود
المذكورة غير متحقق في حقهم بل المتحقق فيه إحلال البعض المعدود على الوجه المعمود وقرئ خالصة بالرفع
على أنه خبر مبتدأ محذوف أى ذلك خلوص لك وخصوص أوى أى تلك المرأة أو الهبة خالصة لك لا تتجاوز
المؤمنين حيث لا تحمل لهم بغير مهر ولا تصح الهبة بل يجب مهر المثل وقوله تعالى (قد علمنا ما فرضنا عليهم)
أى على المؤمنين (في أزواجهم) أى في حقهم اعتراض مقرر لما قبله من خلوص الإحلال المذكور
لرسول الله ﷺ وعدم تجاوزه للمؤمنين ببيان أنه قد فرض عليهم من شرائط العقد وحقوقه ما لم يفرض
عليه ﷺ تكريمة له وتوسعة عليه أى قد علمنا ما ينبغي أن يفرض عليهم في حق أزواجهم (وما ملكت
أيمانهم) وعلى أى حد وأى صفة يحق أن يفرض عليهم ففرضنا ما فرضنا على ذلك الوجه وخصصناك
ببعض الخصائص (لكيلا يكون عليك حرج) أى ضيق واللام متعلقة بخالصة باعتبار ما فيها من معنى
ثبوت الإحلال وحصوله له ﷺ لا باعتبار اختصاصه به ﷺ لأن مدار انتفاء الحرج هو الأول لا
الثانى الذى هو عبارة عن عدم ثبوته لغيره (وكان الله غفورا) لما يعسر التحرز عنه (رحيماً) ولذلك وسع
٥١ الأمر في مواقع الحرج (ترجى من تشاء منهن) أى تؤخرها وتترك مضاجعتها (وتقوى إليك من
تشاء) وتضم إليك من تشاء منهن وتضاجعها أو تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء وقرئ ترجى
بالهمزة والمعنى واحد (ومن ابتغيت) أى طلبت (من عزلات) طلقت بالرجعية (فلا جناح عليك) في
شئ مما ذكر وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لأنه إما أن يطلق أو يمسك فإذا أمسك ضاجع أو ترك وقسم
أو لم يقسم وإذا طلق فأما أن يخلى المعزولة أو يبتغيها وروى أنه أرجى منهن سودة وجويرية وصفية
وميمونة وأم حبيبة فكان يقسم لهن ماشاء كما شاء وكانت مما أوى إليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب
وأرجى خمساً وأوى أربعاً وروى أنه كان يسوى بينهن مع ما أطلق له وخير لإسودة فإنها وهبت ليلتها
لعائشة رضى الله عنهن وقالت لا أطلقن حتى أحشر في زمرة نساءك (ذلك) أى ما ذكر من تفويض الأمر
إلى مشيئتك (أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن) أى أقرب إلى قرة عيونهن ورضاهن
جميعاً لأنه حكم كلهن فيه سواء ثم إن سويت بينهن وجدن ذلك تفضلاً منك وإن رجحت بعضهن علمن

لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ
وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿٥٢﴾

٣٣ الأحزاب

- أنه بحكم الله فتطمئن به نفوسهن وقرى. تقرر بضم التاء ونصب أعينهن وتقرر على البناء للمفعول وكلهن تأكيدون يرضين وقرى بالنصب على أنه تأكيد لمن (واقه يعلم ما في قلوبكم) من الضمائر والخواطير فاجتهدوا في إحسانها (وكان الله عليا) مبالغا في العلم فيعلم كل ما تبدونه وتخفونه (حليما) لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتروا بتأخيرها فإنه إهمال لا إهمال (لا يحل لك النساء) بالياء لأن تأنيك الجمع غير حقيقي ٥٢ ولوجود الفصل وقرى بالتاء (من بعد) أى من بعد التسع وهو في حقه كالأربع في حقنا وقال ابن عباس وقتادة من بعد هؤلاء التسع اللاتي خيرتهن فاخترتك وقيل من بعد اختيارهن الله ورسوله ورضاهن بما توثيقهن من الوصل والمجران (ولا أن تبدل) أى تتبدل بمحذف إحدى التائين (بهن) أى هؤلاء التسع (من أزواج) بأن تطلق واحدة منهن وتنسك مكانها أخرى ومن مزيدة لتأكيد الاستغراق * أراد الله تعالى لمن كرامة وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر رسوله عليهن وهن التسع اللاتي توفى ﷺ عنهن وهن عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر وأم حبيبة بنت أبي سفيان وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبي أمية وصفيصة بنت حيي الخيرية وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت جحش الأسدية وجويرية بنت الحارث المصطلقية وقال عكرمة المعنى لا يحل لك النساء من بعد الأجناس الأربعة اللاتي أحملنهن لك بالصفة التي تقدم ذكرها من الأعرايات والغرائب أو من الكتايات أو من الإمامة بالنكاح وبأباه قوله تعالى ولا أن تبدل بهن فإن معنى إحلال الأجناس المذكورة إحلال نكاحهن فلا بد أن يكون معنى التبدل بهن إحلال نكاح غيرهن بدل إحلال نكاحهن وذلك لما يتصور بالنسخ الذي ليس من الوظائف البشرية (ولو أعجبك حسنهن) أى حسن الأزواج المستبدلة * وهو حال من فاعل تبدل لا من مفعوله وهو من أزواج لنوعه في التنكير قيل تقديره مفروضا أعجبك بهن وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ولائمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم وقيل هي أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب أى هي عن أعجبه ﷺ حسنهن واختلف في أن الآية محكمة أو منسوخة قيل بقوله تعالى ترجى من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء وقيل بقوله تعالى إما أحلها لك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف وقيل بالسنة وعن عائشة رضى الله عنها مامات رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء وقال أنس رضى الله عنه مات ﷺ على التحريم (إلا ما ملكت يمينك) استثناء من النساء لأنه يتناول الأزواج والإماء وقيل منقطع (وكان الله على كل شيء رقيبا) حافظا مهيمنا فاحذروا مجاوزة حدوده وتخبطي حلاله إلى حرامه .

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ
إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِفِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ
فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مَنْ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ
ذَلِكَ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ
بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾

٣٣ الأخراب

- ٥٣ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ) شروع في بيان ما يجب مراعاته على الناس من حقوق نساء النبي ﷺ إثر بيان ما يجب مراعاته عليه ﷺ من الحقوق المتعلقة بهن وقوله تعالى (إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ) استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي لا تدخلوها في حال من الأحوال إلا حال كونكم أو ذنا لكم وقيل من أعم الأوقات أي لا تدخلوها في وقت من الأوقات إلا وقت أن يؤذن لكم ورد عليه بأن النجاة نصوا على أن الوقوع موقع الظرف يختص بالمصدر الصريح دون المؤول لا يقال آتاك أن يصيح الديك وإنما يقال آتاك صباح الديك وقوله تعالى (إِلَى طَعَامٍ) متعلق بيؤذن بتضمنين معنى الدعاء للإشعار بأنه لا ينبغي أن يدخلوا على الطعام بغير دعوة وإن تحقق الإذن كما يشعر به قوله تعالى (غَيْرِ نَظِيرٍ إِنَّهُ) أي غير منتظرين وقته أو إدراكه وهو حال من فاعل لا تدخلوها على أن الاستثناء واقع على الوقت والحال معاً عند من يجوزه أو من المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جارياً على غير من هو له بلا إرباز الضمير ولا مساخ له عند البصريين وقرئ بالإمالة لأنه مصدر أنى الطعام أي أدرك (وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا) استدراك من النهي عن الدخول بغير إذن وفيه دلالة بينة على أن المراد بالإذن إلى الطعام هو الدعوة إليه (فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا) فنفروا ولا تلبثوا لأنه خطاب لقوم كانوا يتحجبون طعام النبي ﷺ فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه بخصوصية بهم وبأمثالهم وإلا لما جاز لأحد أن يدخل بيوته ﷺ باذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لا مرهم (وَلَا مُسْتَعْسِفِينَ لِحَدِيثٍ) أي لحديث بعضكم بعضاً أو لحديث أهل البيت بالتسميع له عطف على ناظرين أو مقدر بفعل أي ولا تدخلوا ولا تمسكوا مستأنسين الخ (إِنْ ذَلِكُمْ) أي الاستئناس الذي كنتم تفعلونه من قبل (كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ) لتضييق المنزل عليه وعلى أهله وإجابه للاشتغال بما لا يعنيه وصدده عن الاشتغال بما يعنيه (فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ) أي من إخراجكم لقوله تعالى (وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ) فإنه يستدعي أن يكون المستحى منه أمراً حقاً متعلقاً بهم لا أنفسهم وما ذاك إلا إخراجهم فينبغي أن لا يترك حياءه ولذلك لم يتركه تعالى وأمركم بالخروج والتعبير عنه بعدم الاستحياء للشكاة وقرئ لا يستحى بحذف الياء الأولى وإلقاء حركتها إلى ما قبلها (وَلَا إِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ) الضمير للنساء النبي المدلول عليهن بذكريوته ﷺ (مَتَاعًا) أي شيئاً يتمتع به من الماعون وغيره (فَالأَوْهَنَ) أي المتناع (مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) أي ستروا روى أن عمر رضي الله عنه قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فزلات وقيل إنه ﷺ كان يطعم ومعه بعض أصحابه فأصابت يد رجل منهم يد

إِنْ تَبَدُّوا شَيْعًا أَوْ تُخَفُّوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾
 ٣٣ الأحزاب
 لَا جُنَاحَ عَلَيْهِمْ فِيءِ آبَائِهِمْ وَلَا أَبْنَائِهِمْ وَلَا إِخْوَانِهِمْ وَلَا أُنْثَاءِ أَخَوَاتِهِمْ
 وَلَا نِسَائِهِمْ وَلَا مَمْلُوكَاتٍ أَيْمَنُوهُمْ وَأَتَقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾
 ٣٣ الأحزاب
 إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾
 ٣٣ الأحزاب

- حائشة رضى الله عنها فكره النبي ذلك فنزلت (ذلكم) أى ماذكر من عدم الدخول بغير إذن وعدم الاستئناس للحديث عند الدخول وسؤال المتاع من وراء حجاب (أظهر لقلوبكم وقلوبهم) أى أكثر تطهيراً من الخواطر الشيطانية (وما كان لكم) أى وما صح وما استفهام لكم (أن تؤذوا رسول الله) أى أن تفعلوا فى حياته فعلاً يكرهه وينأذى به (ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً) أى من بعد وفاته أو فراقه (إن ذلكم) إشارة إلى ماذكر من إبدائه ﷺ ونكاح أزواجه من بعده وما فيه من معنى البعد للإبذان ببعد منزلته فى الشر والفساد (كان عند الله عظيماً) أى أمراً عظيماً وخطباً هائلاً لا يقادر قدره .
 وفيه من تعظيمه تعالى لشأن رسوله ﷺ وإيجاب حرمة حياً وميتاً ما لا يخفى ولذلك بالغ تعالى فى الوعيد حيث قال (إن تبدوا شيئاً) بما لا خير فيه كنكاحهم على السننكم (أو تخفوه) فى صدوركم (فإن الله كان بكل شئ عليم) فيجازيكم بما صدر عنكم من المعاصى البادية والخافية لا محالة وفى هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل وتشديد ومباينة فى الوعيد (لا جناح عليهم فى آبائهم ولا أبنائهم ولا إخوانهم ولا أبناء إخوانهم ولا أقاربهم) استئناف لبيان من لا يجب الاحتجاب عنهم روى أنه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب يا رسول الله أو نكلمن أيضاً من وراء الحجاب فنزلت وإنما لم يذكر العم والحال لأنهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم أباً فى قوله تعالى وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق أو لأنه كفى عن ذكرهما بذكر أبناء الأخوة وأبناء الأخوات فإن مناط عدم لزوم الاحتجاب بينهما وبين الفريقين عين ما بينهما وبين العم والحال من العمومية والخزولة لما أنهن عمات لأبناء الأخوة وخالات لأبناء الأخوات وقيل لأنه كره ترك الاحتجاب منهما مخافة أن يصفاهن لأبنائهما (ولا نسائهن) أى نساء المؤمنات (ولا مملكت أيمانهن) من العبيد والإماء وقيل من الإماء خاصة وقد مر فى سورة النور (واتقين الله) فى كل ما تأنن وما تذررن لاسيما فيما أمرتن به ونهيتهن عنه (إن الله كان على كل شئ شهيداً) لا تخفى عليه خافية ولا تنفوت فى عليه الأحوال (إن الله وملائكته) وقرئ . وملائكته ٥٦ بالرفع عطفاً على محل إن واسمها عند الكوفيين وحملوا على حذف الخبر ثقة بدلالة ما بعده عليه على رأى البصريين (يصلون على النبي) قبل الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار وقال ابن عباس رضى الله عنهما أراد أن الله يرحمه والملائكة يدعون له وعنه أيضاً يصلون ببركون وقال أبو العالية صلاة الله

إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾ ٣٣ الأحزاب
وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا كَتَبْنَا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مِثْلُنَا ﴿٥٨﴾ ٣٣ الأحزاب

تعالى عليه ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاتهم دعاؤهم له فينبغي أن يراد بها في يصلون بمعنى يجازى عام
يكون كل واحد من المعاني المذكورة فرداً حقيقياً له أى يعتنون بما فيه خيره وصلاح أمره ويهتمون
• بإظهار شرفه وتعظيم شأنه وذلك من الله سبحانه بالرحمة ومن الملائكة بالدعاء والاستغفار (بأيها الذين
• آمنوا صلوا عليه) اعتنوا أنتم أيضاً بذلك فإنكم أولى به (وسلموا تسليماً) قائلين اللهم صل على محمد وسلم
أو نحو ذلك وقيل المراد بالتسليم انقياد أمره والآية دليل على وجوب الصلاة والسلام عليه مطلقاً من
غير تعرض لوجوب التكرار وعدمه وقيل يجب ذلك كلما جرى ذكره لقوله ﷺ رغم أنف رجل
ذكرت عنده فلم يصل على وقوله ﷺ من ذكرت عنده فلم يصل على فدخل النار فأبعده الله ويروى
أنه ﷺ قال وكل الله تعالى بى ملكين فلا أذكر عند مسلم فيصلى على إلا قال ذاك الملكان غفر الله لك
وقال الله تعالى وملائكته جواباً لذينك الملكين آمين ولا أذكر عند مسلم فلا يصلى على إلا قال ذاك
ملكاً لا غفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته جواباً لذينك الملكين آمين ومنهم من قال يجب في كل
مجلس مرة وإن تكرر ذكره ﷺ كما قيل فى آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك فى كل دعاء فى أوله
وآخره ومنهم من قال بالوجوب فى العمر مرة وكذا قال فى إظهار الشهادتين والذى يقتضيه الاحتياط
ويستدعيه معرفة علو شأنه ﷺ أن يصلى عليه كلما جرى ذكره الرفيع وأما الصلاة عليه فى الصلاة بأن
يقال اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد فليست
بشرط فى جواز الصلاة عندنا وعن إبراهيم النخعي رحمه الله أن الصحابة كانوا يكتفون عن ذلك بما فى
الشهد وهو السلام عليك أيها النبي وأما الشافعى رحمه الله فقد جعلها شرطاً وأما الصلاة على غير الأنبياء
عليهم الصلاة والسلام فتجوز تبعاً وتكره استقلالاً لأنه فى العرف شعار ذكر الرسل ولذلك كره أن
يقال محمد عز وجل مع كونه عزباً جليلاً (إن الذين يؤذون الله ورسوله) أريد بالإيذاء إما فعل
٥٧ ما يكرهه من الكفر والمعاصى مجازاً لاستحالة حقيقة التأذى فى حقه تعالى وقيل فى إيذائه تعالى هو قول
اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغولة وثالث ثلاثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والأصنام
شركاؤه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وقيل قول الذين يلحدون فى آياته وفى إيذاء الرسول ﷺ هو
قولهم شاعر ساحر كاهن مجنون وقيل هو كسر رباعيته وشج وجهه الكريم يوم أحد وقيل طعنهم فى
نكاح صفية والحق هو العموم فيهما وإما إيذاؤه ﷺ خاصة بطريق الحقيقة وذكر الله عز وجل لتعظيمه
• والإيذان بجملة مقداره عنده تعالى وإيذاؤه ﷺ إيذائه سبحانه (لنعم الله) طردم وأبعدم من رحمته
(فى الدنيا والآخرة) بحيث لا يكادون يتألمون فيهما شيئاً منها (وأعد لهم) مع ذلك (عذاباً مهيناً) يصيبهم
٥٨ فى الآخرة خاصة (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات) يفعلون بهم ما يتأذون به من قول أو فعل وتقييده

يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾

٣٣ الأحزاب

لِّئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾

٣٣ الأحزاب

مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخْدُوا وَقَتُلُوا قَتِيلًا ﴿٦١﴾

٣٣ الأحزاب

- بقوله تعالى (بغير ما اكتسبوا) أى بغير جناية يستحقون بها الأذية بعد إطلاقه فيما قبله الإيذان بأن أذى الله ورسوله لا يكون إلا غير حق وأما أذى هؤلاء فنه ومنه (فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً) أى ظاهراً * بيناً قيل إنها نزلت في منافقين كانوا يؤذون علماً رضى الله عنه ويسمعونه ما لا خير فيه وقيل في أهل الإفك وقال الضحاك والكلبي في زناة يتبعون النساء إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهم وكانوا لا يتعرضون إلا للإماء ولكر ربما كان يقع منهما التعرض للحرائر أيضاً جملاً أو تجاهلاً لاتحاد الكل في الزى واللباس والظاهر عمومهم لكل ما ذكر ولما سيأتى من أراجيف المرجفين (بأيها النبي) بعد ما بين سوء حال المؤذنين زجر أ لهم ٥٩ عن الإيذاء أمر النبي ﷺ بأن يأمر بعض المتأذنين منهم بما يدفع إيذاءهم في الجملة من السترو والتبرع عن مواقع الإيذاء ف قيل (قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) الجلابيب ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على راسها وتبقى منه ما رسله على صدرها وقيل هي الملحفة وكل ما ينستر به أى يغطينها وجوههم وأبدانهم إذا برزن لداعية من الدواعى ومن للتبعيض لما سر من أن المعهود التلغف ببعضها وإرخاء بعضها وعن السدى تغطي إحدى عينيها وجهتها والشق الآخر إلا العين (ذلك) أى ما ذكر من التغطية * (أدنى) أقرب (أن يعرفن) ويميزن عن الإماء والقيينات اللاتي هن مواقع تعرضهم وإيذاهم (فلا يؤذين) من جهة أهل الريبة بالتعرض لهن (وكان الله غفوراً) لما سلف منهم من التفريط (رحيماً) بعباده حيث يراعى من مصالحهم أمثال هاتيك الجزئيات (لئن لم ينته المنافقون) عما هم عليه من النفاق وأحكامه الموجبة للإيذاء ٦٠ (والذين في قلوبهم مرض) عما هم عليه من النزول وما يستتبعه مما لا خير فيه (والمرجفون في المدينة) من الفريقين عما هم عليه من نشر أخبار السوء عن سرايا المسلمين وغير ذلك من الأراجيف الملققة المستتبعة للأذية وأصل الإرجاف التحريك من الرجفة التي هي الزلزلة وصفت به الأخبار الكاذبة لكونها متزلزلة غير ثابتة (لنغرينك بهم) لأننا مررنا بقتالهم وإجلائهم أو بما يضطرهم إلى الجلاء ولنحرضك على ذلك (ثم لا يجاورونك) عطف على جواب القسم وثم الدلالة على أن الجلاء ومفارقة جوار الرسول ﷺ أعظم ما يصيبهم (فيها) أى في المدينة (إلا قليلاً) زماناً أو جواراً قليلاً ريثما يتبين حالهم من الانتماء وعدمه (ملعونين) نصب على الشتم أو الحال على أن الاستثناء وارد عليه أيضاً على رأى من يجوز كذا ٦١ مر في قوله تعالى غير ناظرين إناه ولا سبيل إلى انتصابه عن قوله تعالى (أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً)

سَنَةِ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ⑥٢ ٣٣ الأحزاب

يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ⑥٣ ٣٣ الأحزاب

إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ⑥٤ ٣٣ الأحزاب

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ⑥٥ ٣٣ الأحزاب

يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيِّنَا أَطْعَمَنَا اللَّهُ وَأَطْعَمَنَا الرَّسُولَ ⑥٦ ٣٣ الأحزاب

وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطْعَمْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ ⑥٧ ٣٣ الأحزاب

- ٦٢ لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها (سنة الله في الذين خلوا من قبل) أي سن الله ذلك في الأمم الماضية سنة وهي أن يقتل الذين نافقوا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وسعوا في توهين أمرهم بالإرجاف ونحوه أي بنا ثقفوا (ولن تجد لسنة الله تبديلاً) أصلاً لا بتناثراً على أساس الحكمة التي عليها يدور فلك التشريع
- ٦٣ (يسألك الناس عن الساعة) أي عن وقت قيامها كان المشركون يسألونه ﷺ عن ذلك استعجالاً بطريق الاستهزاء واليهود امتحاناً لما أن الله تعالى عمى وقتها في التوراة وسائر الكتب (قل إنما علمها عند الله) لا يطلع عليه ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلًا وقوله تعالى (وما يدريك) خطاب مستقل له ﷺ غير داخل تحت الأمر مسوق لبيان أنها مع كونها غير معلومة للخلق مرجوة المجيء عن قريب أي شيء يعلمك
- بوقت قيامها أي لا يعلمك به شيء أصلاً (لعل الساعة تكون قريباً) أي شيئاً قريباً أو تكون الساعة في وقت قريب وانتصابه على الظرفية ويجوز أن يكون التذكير باعتبار أن الساعة في معنى اليوم أو الوقت وفيه تهديد
- ٦٤ للستعجالين وتبكيك للمتعتنين والإظهار في حيز الإضمار للتحويل وزيادة التقرير وتأكيده استقلال الجملة كما أشير إليه (إن الله لعن الكافرين) على الإطلاق أي طردهم وأبعدهم من رحمته العاجلة والآجلة (وأعد لهم)
- ٦٥ مع ذلك (سعيراً) ناراً شديدة الاتقاد يقاسونها في الآخرة (خالدين فيها أبداً لا يجدون ولياً) يحفظهم (ولا نصيراً) بخلافهم منها (يوم تقلب وجوههم في النار) ظرف لعدم الوجدان وقيل لخالدون وقيل لنصير أو قيل
- ٦٦ مفعول لا ذكر أي يوم تصرف وجوههم فيها من جهة إلى جهة كالحم يشوى في النار أو يطبخ في القدر فيدور به الغاليان من جهة إلى جهة أو من حال إلى حال أو يطرحون فيها ما قبل بين منكوسين وقرىء تقلب بحذف إحدى التامين من تنقلب وتقلب بإسناد الفعل إلى نون العظمة ونصب وجوههم وتقلب بإسناده إلى السعير وتخصيص الوجوه بالذكر لما أنها أكرم الأعضاء ففيه مزيد تفضيع الأمر وتهويل للخطب ويجوز أن تكون عبارة عن كل الجسد فقوله تعالى (يقولون) استئناف مبني على سؤال نفياً من حكاية حالهم اللفظية كأنه قيل فإذا يصنعون عند ذلك فقيل يقولون متحسرين على ما فاتهم (يا ليتنا أطعمنا الله وأطعمنا الرسول) فلا نبلى بهذا العذاب أو حال من ضمير وجوههم أو من نفسها أو هو العامل في يوم (وقالوا)

رَبَّنَا آتِنَاهُمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنُومُ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ الأحزاب ٣٣

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ

وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ الأحزاب ٣٣

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ الأحزاب ٣٣

يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ الأحزاب ٣٣

- عطف على يقولون والعدول إلى صيغة الماضي للإشعار بأن قولهم هذا ليس مستمرّاً كقولهم السابق بل هو ضرب اعتذار أرادوا به ضرباً من التشنّي بمضاعفة عذاب الذين أقوم في تلك الورطة وإن علموا عدم قبوله في حق خلاصهم منها (ربنا إنا أطعنا ساداتنا وكبرانا) يعنون قاداتهم الذين لقنوم الكفر وقرى ساداتنا الدلالة على الكثرة والتعبير عنهم بعنوان السيادة والكبر لتقوية الاعتذار وإلا فهم في مقام التحقير والإهانة (فأضلونا السبيلا) بما زينوا لنا من الأباطيل والألف للإطلاق كما في وأطعنا الرسول (ربنا آتِنهم ضعفين من العذاب) أي مثلي العذاب الذي آتيتناه لأنهم ضلوا وأضلوا (والعنهم لعناً كبيراً) أي شديداً عظيماً وقرى كثيراً وتصدير الدعاء بالنداء مكرراً للبالغة في الجوار واستدعاء الإجابة (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى) قيل نزلت في شأن زيد وزينب وما سمع فيه من ٦٨
- قالة الناس (فبراه الله مما قالوا) أي فأظهر براته ﷺ مما قالوا في حقه أي من مضمونه وهؤداه الذي هو الأمر المعيب وذلك أن قارون أغرى موسى على قذفه عليه الصلاة والسلام بنفسها بأن دفع إليها مالا عظيماً فأظهر الله تعالى نزاهته عليه الصلاة والسلام عن ذلك بأن أقرت الموسى بالمصانعة الجارية بينها وبين قارون وفعل بقارون ما فعل كما فصل في سورة القصص وقيل آتاهم ناس بقتل هرون عند خروجه معه إلى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به حتى رأوه غير مقتول وقيل أحياء الله تعالى فأخبرهم ببرائه وقيل قذفوه بعبث في بدنه من برص أو أدرة لفرط تسترته حياء فأطلعهم الله تعالى على برائه بأن فر الحجر بثوبه حين وضعه عليه عند اغتساله والقصة مشهورة (وكان عند الله وجيهاً) ذا قرينة ووجاهة ٦٩
- وقرى وكان عبد الله وجيهاً (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) أي في كل ماتأتون وما تذرّون لا سيما في ارتكاب ما يكرهه فضلاً عما يؤذي رسوله ﷺ (وقولوا) في كل شأن من الشئون (قولا سديداً) قاصداً إلى الحق من سد يسد سداً يقال سد السهم نحو الرمية إذا لم يعدل به عن سمتها والمراد منهم عما خاضوا فيه من حديث زينب الجائر عن العدل والقصد (يصلح لكم أعمالكم) يوفقكم للأعمال الصالحة أو يصلحها ٧١
- بالقبول والإثابة عليها (ويغفر لكم ذنوبكم) ويجعلها مكفرة بآء تقامتكم في القول والعمل (ومن يطع الله ورسوله) في الأوامر والنواهي التي من جملتها هذه التكليفات (فقد فاز) في الدارين (فوزاً عظيماً) لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته .

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا

٣٣ الأحراب

الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾

لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ

٣٣ الأحراب

وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾

٧٢ (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) لما بين عظم شأن طاعة الله ورسوله ببيان مآل الخارجين عنها من العذاب الأليم ومنال المراعين لها من الفوز العظيم عقب ذلك ببيان عظم شأن ما يوجبها من التكليف الشرعية وصعوبة أمرها بطريق التمثيل مع الإيذان بأن ما صدر عنهم من الطاعة وتركها صدر عنهم بعد القبول والالتزام وعبر عنها بالأمانة تنبيهاً على أنها حقوق مرعية أودعها الله تعالى المكلفين وائتمنهم عليها وأوجب عليهم تلقيها بحسن الطاعة والانقياد وأمرهم بمراعاتها والمحافظة عليها وأداؤها من غير إخلال بشيء من حقوقها وعبر عن اعتبارها باللهبة إلى استعداد ما ذكر من السموات وغيرها بالعرض عليها لإظهار مزيد الاعتناء بأمرها والرغبة في قبولها لها وعن عدم استعدادهن لقبولها بالإباء والإشفاق منها التحويل أمرها وتربية نخامتها وعن قبولها بالحمل لتحقيق معنى الصعوبة المعتبرة فيها بحملها من قبيل الأجسام الثقيلة التي يستعمل فيها القوى الجسمانية التي أشدها وأعظمها ما فيهن من القوة والشدة والمعنى أن تلك الأمانة في عظم الشأن بحيث لو كلفت هاتيك الأجرام العظام التي هي مثل في القوة والشدة مراعاتها وكانت ذات شعور وإدراك لآبين قبولها وأشفقن منها ولكن صرف الكلام عن سننه بتصوير المفروض بصورة المحقق رويماً لزيادة تحقيق المعنى المقصود بالتمثيل وتوضيحه (وحملها الإنسان) أي عند عرضها عليه إما باعتبارها بالإضافة إلى استعداده أو بتكليفه لإياها يوم الميثاق أي تكلفها والزمها مع ما فيه من ضعف البنية ورخاوة القوة وهو إما عبارة عن قبوله لها بموجب استعداده الفطري أو عن اعترافه بقوله بلى وقوله تعالى (إنه كان ظلوماً جهولاً) اعتراض وسط بين الحمل وغايته للإيذان من أول الأمر بعدم وقائه بما عهده وتحمله أي إنه كان مفرطاً في الظلم مبالغاً في الجمل أي بحسب غالب أفراد الذين لم يعملوا بموجب فطرتهم السليمة أو اعترفهم السابق دون من عدام من الذين لم يبدلوا فطرة الله تبديلاً وإلى الفريق الأول أشير بقوله تعالى (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) أي حمأها الإنسان ليعذب الله بعض أفراد الذين لم يراعوها ولم يبالوها بالطاعة على أن اللام للعاقبة فإن التعذيب وإن لم يكن غرضاً له من الحمل لكن لما ترتب عليه بالنسبة إلى بعض أفراد تترتب الأغراض على الأفعال المعاللة بها أبرز في معرض الغرض أي كان عاقبة حمل الإنسان لها أن يعذب الله تعالى هؤلاء من أفراد لحياتهم الأمانة وخروجهم عن الطاعة بالسكينة • وإلى الفريق الثاني أشير بقوله تعالى (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) أي كان عاقبة حملها أن يتوب الله تعالى على هؤلاء من أفراد أي يقبل توبتهم لعدم خلعتهم ربة الطاعة عن رقابهم بالمرة وتلافيهم لما

فرط منهم من فرطت قلوبها بخلوها عنها الإنسان بحكم جبلته وتداركهم لها بالتوبة والإجابة والالتفات إلى الاسم الجليل أولاً لتحويل الخطب وتربية المهابة والإظهار في موقع الإضمار ثانياً لإبراز مزيد الاعتناء بأمر المؤمنين توفية لكل من مقامى الوعد والوعده والله تعالى أعلم وجعل الأمانة التي شأنها أن تكون من جهته تعالى عبارة عن الطاعة التي هي من أفعال المكلفين التابعة للتكليف بمنزلة من التقريب وحمل الكلام على تقرير الوعد الكريم الذي ينهى عنه قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً يجعل تعظيم شأن الطاعة ذريعة إلى ذلك بأن من قام بحقوق مثل هذا الأمر العظيم الشأن وراهاها فهو جدير بأن يفوز بخير الدارين بإبائه وصفه بالظلم والجهل أولاً وتعليل الحمل بتعذيب فريق والتوبة على فريق ثانياً وقيل المراد بالأمانة مطلق الانقياد الشامل للطبيعى والاختيارى وبعرضها استدعاؤها الذى يعم طلب الفعل من المختار وإرادة صدور من غيره وبحملها الحياة فيها والامتناع عن أدائها فيكون الإباء امتناعاً عن الحياة وإتياناً بالمراد فالمعنى أن هذه الأجرام مع عظمها وقوتها أبين الحياة لآمانتها وأتین بما أمرهن به كقوله تعالى أتينا طائعتين وخانها الإنسان حيث لم يأت بما أمرناه به إنه كان ظلوماً جهولاً وقيل إنه تعالى لما خلق هذه الأجرام خلق فيها فهما وقال لها إني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن أطاعني فيها وناراً لمن عصاني فقلن نحن مسخرات لما خلقتنا لا نختل فريضة ولا نبغى ثواباً ولا عقاباً ولما خلق آدم عليه السلام عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوماً لنفسه بتحملة ما يشق عليها جهولاً بوخامة عاقبته وقيل المراد بالأمانة العقل أو التكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالإضافة إلى استعدادهن وبإبائهن الإباء الطبيعى الذى هو عدم اللياقة والاستعداد لها وبحمل الإنسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوماً جهولاً لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية هذا قريب من التحقيق فتأمل والله الموفق وقرئ ويتوب الله على الاستئناف (وكان الله غفوراً رحيماً) مبالغة في المغفرة والرحمة حيث تاب عليهم وغفر لهم فرطاً منهم وأتاب بالفوز على طاعنهم . قال عليه السلام من قرأ سورة الاحزاب وعلمها أهله وما لمسكت يمينه أعطى الأمان من عذاب القبر والله أعلم .

٣٤—سورة سبأ
(مكية وآياتها أربع وخمسون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ

سبأ ٣٤

الْحَبِيرُ ﴿١﴾

يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ

سبأ ٣٤

الْغَفُورُ ﴿٢﴾

(سورة سبأ مكية وقيل لإلا ويرى الذين أوتوا العلم الآية وهي أربع وخمسون آية)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض) أي له تعالى خلقاً وملكا وتصرفاً بالإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة جميع ما وجد فيهما داخل في حقيقتيهما أو خارجاً عنهما متمكناً فيهما فكانه قيل له جميع المخلوقات كما مر في آية الكرسي ووصفه تعالى بذلك لتقرير ما أفاده تعليق الحمد المعروف بلام الحقيقة بالاسم الجليل من اختصاص جميع أفراد به تعالى على ما بين في فاتحة الكتاب ببيان تفرد تعالى واستقلاله بما يوجب ذلك وكون كل ما سواه من الموجودات التي من جملة الإنسان تحت ملكوته تعالى ليس لها في حد ذاتها استحقاق الوجود فضلاً عما عداه من صفاتها بل كل ذلك نعم فائضة عليها من جبهته عز وجل فما هذا شأنه فهو بمنزل من استحقاق الحمد الذي مداره الجميل الصادر عن القادر بالاختيار فظهر اختصاص جميع أفراد به تعالى وقوله تعالى (وله الحمد في الآخرة) بيان لاختصاص الحمد الآخروي به تعالى لإثبات اختصاص الدينوي به على أن الجار متعلق إما بنفس الحمد أو بما تعلق به الخبر من الاستقرار وإطلاقة عن ذكر ما يشعر بالمحمود عليه ليس للاكتفاء بذكر كونه في الآخرة عن التبيين كما اكتفى فيما سبق بذكر كون المحمود عليه في الدنيا عن ذكر كون الحمد أيضاً فيها بل ليعم النعم الآخروية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نقبوا من الجنة وقوله تعالى الذي أحلنا دار المقامة من فضله الآية وما يكون ذريعة إلى نيلها من النعم الدينوية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي هدانا لهذا أي لما جزاؤه هذا من الإيمان والعمل الصالح والفرق بين الحمد مع كون نعمتي الدنيا والآخرة بطريق التفضل أن الأول على نهج العبادة والثاني على وجه التلذذ والاعتباط وقد ورد في الخبر أنهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس (وهو الحكيم) الذي أحكم أمور الدين والدنيا ودبرها حسب مقتضيه الحكمة (الخبير) بيواطن الأشياء ومكنوناتها وقوله تعالى (يعلم ما يلبج

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يُعْزِبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٣٤﴾ سبأ
لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٣٥﴾ سبأ

في الأرض) الخ تفصيل لبعض ما يحيط به علمه من الأمور التي نيطت بها مصالحهم الدنيوية والدينية أي يعلم ما يدخل فيها من الغيث والكنوز والدقائق والأموات ونحوها (وما يخرج منها) كالحيوان والنبات وما العيون ونحوها (وما ينزل من السماء) كالألحان والكتب والمقادير ونحوها وقرىء وما ينزل بالتشديد ونون العظمة (وما يمرج فيها) كالألحان وأعمال العباد والأبخرة والأدخنة (وهو الرحيم) للعالمين على ما ذكر من نعمه (الغفور) للمفترطين في ذلك بلطفه وكرمه (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة) ٣ أرادوا بضمير المتكلم جنس البشر قاطبة لا أنفسهم أو معاصريهم فقط كما أرادوا بنبي إتيانها نفي وجودها بالكلية لعدم حضورها مع تحققها في نفس الأمر وإنما عبروا عنه بذلك لأنهم كانوا يوعدون بإتيانها ولأن وجود الأمور الزمانية المستقبلية لا سيما أجزاء الزمان لا يكون إلا بالإتيان والحضور وقيل هو استبطاء إتيانها الموعود بطريق الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد (قل بلى) رد لكلامهم وإثبات لما نفوه على معنى ليس الأمر إلا إتيانها وقوله تعالى (وربي لأتأتينكم) تأكيد له على أنهم الوجوه وأكلها وقرىء لياتينكم على تأويل الساعة باليوم أو الوقت وقوله تعالى (عالم الغيب) الخ إمداد للناس كيده وتسديد له لئلا تسديد وكسر لسورة تكبيرهم واستبعادهم فإن تعقيب القسم بمجلائل نعوت المقسم به على الإطلاق يؤذن بفخامة شأن المقسم عليه وقوة ثبانه وصحته لما أن لك في حكم الاستشهاد على الأمر ولا ريب في أن المستشهد به كلما كان أجل وأعلى كانت الشهادة أكدر وأقوى والمستشهد عليه أحق بالثبوت وأولى لاسيما إذا خص بالذكر من النعوت ماله تعلق خاص بالمقسم عليه كما نحن فيه فإن وصفه بعلم الغيب الذي أشهر أفراده وأدخلها في الخفاء هو المقسم عليه تنبيه لهم على علة الحكم وكونه مما لا يحوم حوله شائبة ريب ما وقائدة الأمر بهذه المرتبة من اليقين أن لا يبقى للمعاند عذر ما أصلا فإنهم كانوا يعرفون أمانته ونزاهته عن وصمة الكذب فضلا عن اليقين الفاجرة وإنما لم يصدقوه مكابرة وقرىء علام الغيب وعالم الغيب وعالم الغيوب بالرفع على المدح (لا يعزب عنه) أي لا يبعد وقرىء بكسر الزاي (مِثْقَالُ ذَرَّةٍ) مقدار أصغر نملة (في السموات ولا في الأرض) أي كائنه فيهما (ولا أصغر من ذلك) أي من مثقال ذرة (ولا أكبر) أي منه ورفعهما على الابتداء والخبر قوله تعالى (إلا في كتاب مبين) هو اللوح المحفوظ والجملة مؤكدة لنبى العزوب وقرىء ولا أصغر ولا أكبر بفتح الراء على نفي الجنس ولا يجوز أن يعطف المرفوع على مثقال ولا المفتوح على ذرة بأنه فتح في حيز الجر لا متاع الصرف لما أن الاستثناء يمنع إلا أن يجعل الضمير في عنه للغيب ويجعل المثبت في اللوح خارجا عنه لبروزة للبطل العين له فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب شيء إلا مسطورا في اللوح (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات) علة لقوله تعالى لآتأتينكم وبيان لما ٤

وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزِ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾
وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ

الْحَمِيدُ ﴿٣٥﴾

سبأ ٣٤

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمْرِقٍ إِنَّكُمْ لَبِئْسَ خَلْقٌ

جَدِيدٌ ﴿٣٦﴾

سبأ ٣٤

- يقتضى إتيانها (أولئك) إشارة إلى الموصول من حيث انصافه بما فى حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للإيدان ببعدهم منازهم فى الفضل والشرف أى أولئك الموصوفون بالصفات الجليلة (لهم) بسبب ذلك (مغفرة) لما فرط منهم من بعض فرطات قلما يخلو عنها البشر (ورزق كريم) لا تعب فيه ولا من عليه (والذين سعوا فى آياتنا) بالقدح فيها وصد الناس عن التصديق بها (معاجزين) أى مسابقين كى يفوتونا وقرىء معجزين أى مشطبين عن الإيمان من أرادهم (أولئك لهم عذاب) الكلام فيه كالذى مر آنفاً ومن فى قوله تعالى (من رجز) للبيان قال قتادة رضى الله عنه الرجز سوء العذاب وقوله تعالى (أليم) بالرفع صفة عذاب أى أولئك الساعون لهم عذاب من جنس سوء العذاب شديد الإيلام وقرىء أليم بالجر صفة لرجز (ويرى الذين أوتوا العلم) أى يعلم أولو العلم من أصحاب رسول الله ﷺ ومن يشايعهم من علماء الأمة أو من آمن من أبناء أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب وأضرابهما رضى الله عنهم
- (الذى أنزل إليك من ربك) أى القرآن (هو الحق) بالنصب على أنه مفعول ثان ليرى والمفعول الأول هو الموصول الثانى وهو ضمير الفصل وقرىء بالرفع على الابتداء والخبر والجملة هو المفعول الثانى ليرى وقوله تعالى ويرى الخ مستأنف مسوق للاستشهاد بأولى العلم على الجملة الساعين فى الآيات وقيل منصوب عطفاً على يجرى أى وليعلم أولو العلم عند مجئ الساعة معانية أنه الحق حسبما علموه الآن برهاناً ويحتجوا به على المكذبين وقد جوز أن يراد بأولى العلم من هم يؤمن من الأحبار أى ليعلموا يومئذ أنه هو الحق فيزدادوا حسرة وغماً (ويهدى) عطف على الحق عطف الفعل على الاسم لأنه فى تأويله كما فى قوله تعالى صافات ويقبض أى وقابضات كأنه قيل ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل إليك الحق وهادياً (إلى صراط العزيز الحميد) الذى هو التوحيد والتدريج بلباس التقوى وقيل مستأنف وقيل حال من الذى أنزل على إضمار مبتدأ أى وهو يهدى كما فى قول من قال [نجوت وأرهنهم مالكا] (وقال الذين كفروا) هم كفار قريش قالوا مخاطباً بعضهم لبعض (هل ندلكم على رجل) يعنون به النبي ﷺ وإنما قصدوا بالتمكيد العنن والسخرية قائلهم الله تعالى (ينبئكم) أى يحدثكم بعجب عجاب وقرىء يذنبكم من الإنباء (إذا مررتم كل ممزق) أى إذا مررتم ومزقت أجسادكم كل تمزيق وفرت كل تفريق بحيث صرتم تراباً ورفاتاً
- (إنكم لى خلق جديد) أى مستقرون فيه عدل إليه عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث مثل تبعثون أو

أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ

الْبَعِيدِ ﴿٨﴾

سبأ ٣٤

أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَاءُ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ

سبأ ٣٤

نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾

- تخلقون خلقاً جديداً للإشباع في الاستبعاد والتعبد وكذلك تقديم الظرف والعامل فيه ما دل عليه المذكور لا نفسه لما أن ما بعد إن لا يعمل فيما قبلها ويدفع معنى فاعل من جد فهو جديد وقل فهو قليل وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب إذا قطعه ثم شاع (أفترى على الله كذباً) فيما قاله (أم به جنة) أي جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه والاستدلال بهذا الترديد على أن بين الصدق والكذب واسطة هو ما لا يكون من الأخبار عن بصيرة بين الفساد لظهور كون الاقتراء أخص من الكذب (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد) جواب من جهة الله تعالى عن ترديدهم الوارد على طريقة الاستفهام بالإضراب عن شقيه وإبطالهما وإثبات قسم ثالث كاشف عن حقيقة الحال ناع عليهم سوء حالهم وابتلاءهم بما قالوا في حقه ﷺ كأنه قيل ليس الأمر كما زعموا بل هم في كمال اختلال العقل وغاية الضلال عن الفهم والإدراك الذي هو الجنون حقيقة وفيما يؤدي إليه ذلك من العذاب ولذلك يقولون ويقولون وتقديم العذاب على ما وجبه ويستتبعه للمسارة إلى بيان ما يسوؤهم ويفت في أعضادهم والإشعار بغاية سرعة تربيته عليه كأنه يسأله فيسبقه ووصف الضلال بالبعد الذي هو وصف الضلال للبالغه ووضع الموصول موضع ضميرم للتنبيه بما في حيز الصلة على أن علة ما ارتكبه واجتروا عليه من الشناعة الفظيعة كفرهم بالآخرة وما فيها من فنون العقاب ولو لا ما فعلوا ذلك خوفاً من غائلته وقوله تعالى (أفلم يروا) إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض) استئناف مسوق لتحويل ما اجتروا عليه من تكذيب آيات الله تعالى واستعظام ما قالوا في حقه ﷺ وأنه من العظام الموجهة لنزول أشد العقاب وحلول أفظع العذاب من غير ريث وتأخير والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى (إن نشأ) الح بيان لما ينبئ عنه ذكر إحاطتهما بهم من المحذور المتوقع من جهتهما وفيه تنبيه على أنه لم يبق من أسباب وقوعه إلا تعلق المشيئة به أي أفعول ما فعلوا من المنكر الهائل المستتبع للعقوبة فلم ينظروا إلى ما أحاط بهم من جميع جوانبهم بحيث لا مفر لهم عنه ولا محيص إن نشأ جرياً على موجب جناباتهم (نخسف بهم الأرض) كما خسفناهم بأقارون (أو نسقط عليهم كسفاً) أي قطعاً (من السماء) كما أسقطناها على أصحاب الأيكة لاستيجابهم ذلك بما ارتكبه من الجرائم وقيل هو تذكير بما يعاينونه مما يدل على كمال قدرته وما يحتمل فيه إزاحة لاستحالتهم البعث حتى جعلوه اقتراء وهزماً وتهديد عليها والمعنى أعموا فلم ينظروا إلى ما أحاط بجوانبهم من السماء والأرض ولم يتفكروا أهم أشد خلقاً أم هي وإن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات فتأمل وكن على الحق المبين وقرئ يخسف

وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالُ أَوْبَىٰ مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿٣٤﴾

أَنْ أَعْمَلَ سَبْعِينَ وَفَرَّ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَلَاحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٥﴾

- ويسقط بالياء لقوله تعالى أقرى على الله وكسفاً بسكون السين (إن في ذلك) أى فيما ذكر من السماء والأرض من حيث إحاطتهما بالناظر من جميع الجوانب أو فيما تلى من الوحي الناطق بما ذكر (لاية) واضحة (لكل عبد منيب) شأنه الإنابة إلى ربه فإنه إذا تأمل فيهما أو في الوحي المذكور ينزجر عن تعاطي الفبايح وينيب إليه تعالى وفيه حث بليغ على النوبة والإنابة وقد أكد ذلك بقوله تعالى (ولقد آتينا داود منا فضلاً) أى آتيناه لحسن إنابته وصحة توبته فضلاً على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أى نوحاً من الفضل وهو ما ذكر بعد فإنه معجزة خاصة به ﷺ أو على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن فتسكيره للتفخيم ومنا لئلا يكيد فخامته الذاتية بفخامته الإضافية كما في قوله تعالى وآتيناه من لدنا علماً وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر فإن ما حقه التقديم إذا أخرجت النفس مترتبة له فإذا وردها يتمكن عندها فضل تمكن (يا جبال أوبى معه) من التأويب أى رجمى معه التسبيح أو النوحه على الذنب وذلك إما بأن يخلق الله تعالى فيها صوتاً مثل صوته كما خلق الكلام في الشجرة أو بأن يتمثل له ذلك وقرىء أوبى من الأوب أى ارجعى معه في التسبيح كما رجع فيه وكان كلما سبى عليه الصلاة والسلام يسمع من الجبال ما يسمع من المسيح معجزة له عليه الصلاة والسلام وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه بأصداها والطير بأصواتها وهو يدل من آتيناه يا ضمار قلنا أو من فضلاً يا ضمار قولنا (والطير) بالنصب عطفاً على فضلاً بمعنى وسخرنا له الطير لأن إيتاءها إياه عليه الصلاة والسلام تسخيرها له فلا حاجة إلى إضماره كما نقل عن الكسائي ولا إلى تقدير مضاف أى تسبيح الطير كما نقل عنه في رواية وقيل عطفاً على محل الجبال وفيه من التكلف لفظاً ومعنى مالا يخفى وقرىء بالرفع عطفاً على لفظها تشبيهاً للحركة البنائية العارضة بالحركة الإعرابية وقد جوز انتصابه على أنه مفعول معه والأول هو الوجه وفي تنزيل الجبال والطير منزلة العقلاء المطيعين لأمره تعالى المذعنين لحكمه المشعر بأنه مامن حيوان وجهاد وصامت وناطق إلا وهو منقاد لمشيئته غير متمتع على إرادته من الفخامة المعربة عن غاية عظمته شأنه تعالى وكمال كبرياءه • سلطانه مالا يخفى على أولى الألباب (وألنا له الحديد) أى جعلناه ليناً في نفسه كالشمع يصرفه في يده كيف يشاء من غير إحماء بنار ولا ضرب بمطرقة أو جعلناه بالنسبة إلى قوته التي آتيناه إياه ليناً كالشمع بالنسبة إلى سائر القوى البشرية (أن اعمل) أمرناه أن اعمل على أن مصدرية حذف عنها الياء وفي حملها على المفسرة تكلف لا يخفى (سابغات) واسعات وقرىء صابغات وهى الدروع الواسعة الضافية وهو عليه الصلاة والسلام أول من اتخذها وكانت قبل صفائح قالوا كان عليه الصلاة والسلام حين ملك على بنى إسرائيل يخرج متنكر أبيض الناس ما تقولون في داود فيثنون عليه فقيض الله تعالى له ملكاً في

وَلَسَلِمْنَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَواحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَاهُ لَهْرَ عَيْنِ الْقَطْرِ وَمِنَ الْجَنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾
يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرَبٍ وَمَنْشِيلٍ وَجِئْنَا كَلْحَوَابٍ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ آعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورِ ﴿١٣﴾

سبا ٣٤

سبا ٣٤

صورة آدمى فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصله فيه فريغ داود فسأله عنها فقال لولا أنه يطعم عياله من بيت المال فعند ذلك سأله ربه أن يسبب له ما يستغنى به عن بيت المال فعلمه تعالى صنعة الدروع وقيل كان يبيع الدروع بأربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعباله ويتصدق على الفقراء (وقدر في السرد) السرد تسج الدروع أى اقتصد فى نسجها بحيث تناسب حلقها وقيل قدر فى مساميرها فلا تعملها دقاقا ولا غلاظاً ورد بأن دروعه عليه الصلاة والسلام لم تكن مسمرة كما يبنى عنه إلا أنه الحديد وقيل معنى قدر فى السرد لا تصرف جميع أوقاتك إليه بل مقدار ما يحصل به القوت وأما الباقي فاصرفه إلى العبادة وهو الأنسب بقوله تعالى (واعملوا صالحاً) عمم الخطاب حسب عموم التكليف له عليه الصلاة والسلام ولاهله (إنى بما تعملون بصير) تعليل الأمر أو لوجوب الامتثال به (ولسليمان الريح) أى وسخرنا له الريح وقرى برفع الريح أى ولسليمان الريح مسخرة وقرى الرياح (غدوها شهر ورواحها شهر) أى جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشى كذلك والجملة إما مستأنفة أو حال من الريح وقرى غدوتها وروحتها وعن الحسن رحمه الله كان يغدو أى من دمشق فيقبل باصطخر ثم يروح فيكون رواحاً بكابل وقيل كان يتغدى بالرى ويتعشى بسمرقند ويحكى أن بعضهم رأى مكتوباً فى منزل بناحية دجلة كتبه بعض أصحاب سليمان عليه السلام نحن نزلناه وما بيننا وبينها وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فباتون بالشام إن شاء الله تعالى (وأسلناه عين القطر) أى النحاس المذاب أسأله من معدنه كما ألان الحديد لداود عليهما السلام فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سمي عيناً وكان ذلك باليمن وقيل كان يسيل فى الشهر ثلاثة أيام وقوله تعالى (ومن الجن من يعمل بين يديه) إما جملة من مبتدأ وخبر أو من يعمل عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة (بإذن ربه) بأمره تعالى كما يبنى عنه قوله تعالى (ومن يزغ منهم عن أمرنا) أى ومن يعدل منهم عما أمرناه به من طاعة سليمان وقرى يزغ على البناء المفعول من أزاغه (نذقه من عذاب السعير) أى عذاب النار فى الآخرة روى عن السدى رحمه الله كان معه ملك بيده سوط من نار كل من استعصى عليه ضرب به من حيث لا يراه الجنى (يعملون له ما يشاء) تفصيل لما ذكر من عملهم ١٣ وقوله تعالى (من محارِب) الحِيار ما يشاء أى من قصور حصينة ومساكن شريفة سميت بذلك لأنها يذب عنها ويحارب عليها وقيل هى المساجد (وتماثيل) وصور الملائكة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام على ما اعتادوه فإنها كانت تعمل حينئذ فى المساجد ليراه الناس ويعبدوا مثل عباداتهم وحرمة التصاوير شرع جديد وروى أنهم عملوا السدين فى أسفل كرسىه ونسرين فوقه فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان ذراعيهما

فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتْ
الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾

٣٤ سيا

• وإذا قعد أظله النسران بأجنحتهما (وجفان) جمع جفنة وهي الصفحة (كالجواب) كالحياض الكبار جمع جاية من الجباية لاجتماع الماء فيها وهي من الصفات الغالبة كالدابة وقرى. يثبت الباء قبل كان يقعد على الجنة ألف رجل (وقدور راسيات) ثابتات على الأثافي لا تنزل عنها لعظمها (اعملوا آل داود شكراً) حكاية لما قيل لهم وشكراً نصب على أنه مفعول له أو مصدر لا عملوا لأن العمل بالمنعم شكر له أو لفعله المحذوف أى اشكروا شكراً أو حال أى شاكرين أو مفعول به أى اعملوا شكراً (وقليل من عبادى الشكور) أى المتوفى على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه أكثر أوقاته ومع ذلك لا يوفى حقه لأن التوفيق للشكر نعمة تستدعى شكراً آخر لا إلى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر وروى أنه عليه الصلاة والسلام جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تاتى ساعة من الساعات إلا وإنسان من آل داود قائم يصلى (فلما قضينا عليه الموت) أى على سليمان عليه السلام (مادهم) أى الجن ١٤ أو آله (على موته إلا دابة الأرض) أى الأرض أضيفت إلى فعلها وقرى. بفتح الراء وهو تأثر الخشب من فعلها يقال أرضت الأرضة الخشب أرضاً فأرضت أرضاً مثل أكلت القوارح أسنانه أكلت فأكلت أكلاً (تأكل منسأته) أى عصاه من نسات البعير إذا طردته لأنها يطرد بها ما يطرد وقرى. منسأته بالفاء ساكنة بدلاً من الهمة وبهمزة ساكنة وباخر اجها بين بين عند الوقف ومنسأته على مفعالة كعضادة فى ميسأة ومن ساته أى من طرف عصاه من ساة القوس وفيه لغتان كما فى قحة بالكسر والفتح وقرى. أكلت منسأته (فلما خرت تبينت الجن) من تبينت الشيء إذا علت به بعد التباسه عليك أى علت الجن علماً يديناً بعد التباس الأمر عليهم (أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين) أى أنهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته عليه الصلاة والسلام حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا فى تسخيره إلى أن خروا من تبين الشيء إذا ظهر وتجلي أى ظهرت الجن وأن مع ما فى حيزها بدل اشتغال من الجن أى ظهر أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب الخ وقرى. تبينت الجن على البناء للمفعول على أن المتبين فى الحقيقة هو أن مع ما فى حيزها لا أنه بدل وقرى. تبينت الإنس والضمير فى كانوا للجن فى قوله تعالى ومن الجن من يعمل وفى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه تبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب روى أن داود عليه السلام أسس بنيان بيت المقدس فى موضع فسطاط موسى فتوفى قبل تمامه فوصى به إلى سليمان عليهما السلام فاستعمل فيه الجن والشياطين فباشروه حتى إذا حان أجله وعلم به سأل ربه أن يعمى عليهم موته حتى يفرغوا منه ولتبطل دعواهم علم الغيب فدعاهم فبنوا عليه صرحاً من قوارير ليس له باب فقام يصلى متكئاً على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقى كذلك وم فيها أمروا به من الأعمال حتى أكلت الأرضة عصاه نحر ميتاً وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدًا طَيِّبَةً وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾

سبأ ٣٤

فَاعْرُضُوا فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِىْ اُكْلٍ نَّحْمَطُ وَاَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرِ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾

سبأ ٣٤

أينما صلى عليه الصلاة والسلام فلم يكن ينظر إليه شيطان في صلاته إلا احترق فر به يوما شيطان فنظر فإذا سليمان عليه السلام قد خر ميتاً ففتحوا عنه فإذا عصاه قد أكلها الأرضة فأرادوا أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت منها في يوم وليلة مقداراً لحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره ثلاثاً وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وبقي في ملكه أربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لأربع ماضين من ملكه (لقد كان لسبأ) بيان لاخبار بعض الكافرين بنعم الله تعالى إثر بيان ١٥ أحوال الشاكرين لها أى لاؤلا دسبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقرى بمنع الصرف على أنه اسم القبيلة وقرى بقلب الهمزة ألفاً وأعله إخراج لها بين بين (في مسكنهم) وقرى بكسر الكاف كالمسجد وقرى بلفظ الجمع أى مواضع سكنهم وهى باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ليال (آية) دالة بملاحظة أحوالها السابقة واللاحقة على وجود الصانع المختار القادر على كل ما يشاء من الأمور البديعة المجازى للمحسن والمسيء معاضدة للبرهان السابق كما فى قصتى داود وسليمان عليهما السلام (جنتان) بدل من آية أو خبر لمبتدأ محذوف أى هى جنتان وفيه معنى المدح ويؤيده قراءة النصب على المدح والمراد بهما جماعتان من البساتين (عن يمين وشمال) جماعة عن يمين وبلدم وجماعة عن شماله كل واحدة من تينك الجماعتين فى تقاربهما وتضامهما كأنهما جنة واحدة أو بستاناً كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله (كلوا من رزق ربكم واشكروا له) حكاية لما قيل لهم على لسان نبيهم تكملاً للنعمه وتذكيراً لحقوقها أو لما نطق به لسان الحال أو بيان لكونهم أحقاء بأن يقال لهم ذلك (بلدة طيبة ورب غفور) استئناف مبين لما بوجب الشكر المأمور به أى بلدتكم بلدة طيبة وربكم الذى رزقكم ما فيها من الطيبات وطلب منكم الشكر رب غفور افرطت من يشكره وقرى الكل بالنصب على المدح قيل كان أطيب البلاد هواء وأخصبها وكانت المرأة تخرج وعلى رأسها المسكتل فتعمل بيديها وتسير فيما بين الأشجار فيمتلئ المسكتل مما يتساقط فيه من الثمار ولم يكن فيه من مؤذيات الهواء شىء (فأعرضوا) عن الشكر بعد إبانة ١٦ الآيات الداعية لهم إليه قيل أرسل الله إليهم ثلاثة عشر نبياً فدعواهم إلى الله تعالى وذكروهم بنعمه وأنذروهم عقابه فكذبوهم (فأرسلنا عليهم سيل العرم) أى سيل الأمم العرم أى الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم إذا شرس خلقه وصعب أو المطر الشديد وقيل العرم جمع عرمة وهى الحجارة المركومة وقيل هو السكر الذى يحبس الماء وقيل هو اسم للبناء الذى يجعل سداً وقيل هو البناء الرصين الذى بنته الملكة بلقيس بين الجبلين بالصخر والقار وحقنت به ماء العيون والأمطار وتركته فيه خروقا على ما يحتاجون إليه فى

٣٤ سيا

ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿٧٧﴾

وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ

٣٤ سيا

وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿٧٨﴾

سقيهم وقيل العرم الجر الذي نقب عليهم ذلك السد وهو الفار الاعمى الذي يقال له الخلد سلطه الله تعالى على سدم فنقبه ففرق بلادهم وقيل العرم اسم الوادى وقرى العرم بسكون الراء قالوا كان ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى والنبي عليهما الصلاة والسلام (وبدلتهم بجنتهم) أى أذهبنا جنتهم وآتيناهم بدلها (جنتين ذواتى أكل خيط) أى ثمر يشع فإن الخيط كل نبت أخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن أكله وقيل هو الحامض والمر من كل شئ وقيل هو ثمرة شجرة يقال لها فسوة الضبيع على صورة الخشخاش لا ينتفع بها وقيل هو الأراك أو كل شجرة شوك والتقدير أكل كل خيط لحذف المضاف وأقم المضاف إليه مقامه وقرى أكل خيط بإضافة وتخفيف أكل (وأثل وشئ من سدر قليل) معطوفان على أكل لأعلى خيط فإن الأثل هو الطرفاء وقيل شجرة يشبهه أعظم منه ولا ثمر له وقرى وأثلا وشيئا عطفاً على جنتين قيل وصف السدر بالقلة لما أن جناؤه وهو النبق مما يطيب أكله ولذلك يغرس في البساتين والصحيح أن السدر صنفان صنف يؤكل من ثمره وينتفع بورقه لغسل اليد وصنف له ثمرة عفصة لا تؤكل أصلاً ولا ينتفع بورقه وهو الضال والمراد بهما هو الثاني حتماً وقال قتادة كان شجرهم خير الشجر فصيره الله تعالى من شر الشجر بأعمالهم وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والنهم (ذلك) إشارة إلى مصدر قوله تعالى (جزيناكم) أو إلى ما ذكر من التبديل وما فيه من معنى البعد للإيدان ببعده تبتة في الفظاعة ومحلّه على الأول النصب على أنه مصدر مؤكد للفعل المذكور وعلى الثاني النصب على أنه مفعول ثانٍ له أى ذلك الجزء القطيع جزيناكم لأجزاء آخر أو ذلك التبديل جزيناكم لا غيره (بما كفروا) بسبب كفرانهم النعمة حيث نزعناها منهم ووضعنا مكانها ضدها أو بسبب كفرهم بالرسول (وهل نجازى إلا الكفور) أى وما نجزى هذا الجزء إلا المبالغ في الكفران أو الكفور وقرى بجازى على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وهل يجازى على البناء للمفعول ورفع الكفور وهل يجزى على البناء للمفعول أيضاً وهذا بيان ما أوتوا من النعم الحاضرة في مساكنهم وما فعلوا بها من الكفران وما فعل بهم من الجزاء وقوله تعالى (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها) حكاية لما أوتوا من النعم البادية في مساكنهم ومتاجرهم وما فعلوا بها من الكفران وما حاق بهم بسبب ذلك تكلة لقصصهم وبياناً لعاقبتهم وإنما لم يذكر الكل معاً لما في التثنية والتكرير من زيادة تنبيه وتذكير وهو عطف على كان لسبب لا على ما بعده من الجمل الناطقة بأفعالهم أو بأجزاءها أى وجعلنا مع ما آتيناهم في مساكنهم من فنون النعم بينهم أى بين بلادهم وبين القرى الشامية التي باركنا فيها للعالمين (قرى ظاهرة) متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لأعين أهلها أو رابكة متن الطريق ظاهرة للسابلة غير بعيدة عن مساكنهم حتى تخفى عليهم (وقد رنا فيها السير) أى جعلناها في نسبة بعضها

فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾

سبأ ٣٤

إلى بعض على مقدار معين يليق بحال أبناء السبيل قيل كان الغادى من قرية ي قيل فى أخرى والرائح منها يبيت فى أخرى إلى أن يبلغ الشام كل ذلك كان تكميلاً لما أوتوا من أنواع النعماء وتوفيراً لها فى الحضر والسفر (سيروا فيها) على إرادة القول أى وقلنا لهم سيروا فى تلك القرى (ليالى وأياماً) أى متى شئتم من الليالى والأيام (آمنين) من كل ما تكرهونه لا يختلف إلا من فيها باختلاف الأوقات أو سيروا فيها آمنين وإن تطاولت مدة سفركم وامتدت ليالى وأياما كثيرة أو سيروا فيها ليالى أعماركم وأيامها لا تلقون فيها إلا الأمن لكن لا على الحقيقة بل على تنزيل تمكينهم من السير المذكور وتسوية مباديه وأسبابه على الوجه المذكور منزلة أمرهم بذلك (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) وقرىء ياربنا بطروا النعمة ١٩ وشموا أطيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو إسرائيل الثوم والبصل مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنى جناننا أبعد لكان أجدر أن نشتهيهِ وسألوا أن يجعل الله تعالى بينهم وبين الشام مفاوز وقفاراً ليركبوا فيها الرواحل ويتزودوا الأزواد ويتطاولوا فيها على الفقراء فعجل الله تعالى لهم الإجابة بتخريب تلك القرى المتوسطة وجعلها بلقعا لا يسمع فيها داع ولا يجيب وقرىء بعدور بنا بعد بين أسفارنا وبعد بين أسفارنا على النداء وإسناد الفعل إلى بين ورفع به كما يقال سير فرساناً وبوعد بين أسفارنا وقرىء ربنا باعد بين أسفارنا وبين سفرنا وبعد برفع ربنا على الابتداء والمعنى على خلاف الأول وهو استبعاد مسابهم مع قصرها أو دنوها وسهولة سلوكها لفرط تنعمهم وغاية ترفهم وعدم اعتدادهم بنعم الله تعالى كأنهم يتشاجون على الله تعالى ويتعاضون عليه (وظلموا أنفسهم) حيث عرضوها للسخط والعذاب حين بطروا النعمة أو غمطوها (لجعلناهم أحاديث) أى جعلناهم بحيث يتحدث الناس بهم متعجبين من أحوالهم ومعتبرين بعاقبتهم وما لهم (ومزقناهم كل ممزق) أى فرقناهم كل تفريق على أن الممزق مصدر أو كل مطرح ومكان تفريق على أنه اسم مكان وفى عبارة التزريق الخاص بتفريق المتصل وخرفه من تهويل الأمر والدلالة على شدة التأثير والإيلام مالا يخفى أى مزقناهم تمزيقاً لا غاية وراءه بحيث يضرب به الأمثال فى كل فرقة ليس بعدها وصال حتى لحق غسان بالشام وأنمار يثرب وجذام بتهامة والأزد بعمان وأصل قصتهم على ما رواه الكلبي عن أبي صالح أن عمرو بن عامر من أولاد سبا وبينهما اثني عشر أباً وهو الذى يقال له مزريقاً بن ماء السماء أخبرته طريفة الكاهنة بمخرب سدمارب وتفريق سبل العرم الجنتين وعن أبي زيد الأنصاري أن عمرو رأى جرراً يفر السد فعلم أنه لا بقاء له بعد وقيل إنه كان كاهناً وقد عليه بكهنته فباع أملاكه وسار بقومه ومألوف من بلد إلى بلد حتى انتهى إلى مكة المعظمة وأهلها جرم وكانوا قهروا الناس وحازوا ولاية البيت على بنى إسماعيل عليه السلام وغيرهم فأرسل إليهم ثعلبة بن عمرو ابن عامر يسألهم المقام معهم إلى أن يرجع إليه رواده الذين أرسلهم إلى أصقاع البلاد يطلبون له موضعاً

وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾

سبأ ٣٤

وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ

سبأ ٣٤

شَيْءٍ حَفِيزٌ ﴿٢١﴾

يسعه ومن معه من قومه فأبوا فاقتتلوا ثلاثة أيام فانهزمت جرم ولم يفلت منهم إلا الشريد وأقام ثعلبة بمكة وما حولها في قومه وعساكره حولاً فأصابهم الحنجر فاضطروا إلى الخروج وقدرج إليه رواه فافترقوا فرقتين فرقة توجهت نحو عمان وهم الأزد وكندة وحير ومن يتلوم وسار ثعلبة نحو الشام فنزل الأوس والخزرج ابناً حارثة بن ثعلبة بالمدينة وهم الأنصار ومضت غسان فنزلوا بالشام وانخرعت خزاعة بمكة فأقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو بن طامر وهو الحنجر فولى أمر مكة وحجابه البيت ثم جاءهم أولاد إسماعيل عليه السلام فسألوه السكينة معهم وحولهم فأذنوا لهم في ذلك وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن فروة بن مسيك الغطيفي سأل النبي ﷺ عن سبأ فقال ﷺ هو رجل كان له عشرة أولاد ستة منهم سكنوا اليمن وهم مذحج وكندة والأزد والاشعريون وحير وأثمار منهم بجيلة وخثعم وأربعة منهم سكنوا الشام وهم لخم وجذام وعاملة وغسان لما هلكت أموالهم وخربت بلادهم تفرقوا أيدي سبأ شذر منذر فنزلت طوائف منهم بالحجاز فمنهم خزاعة فنزلوا بظاهر مكة ونزلت الأوس والخزرج ييثرب فكانوا أول من سكنها ثم نزل عندهم ثلاث قبائل من اليهود بنو قينقاع وبنو قريظة والنضير فخالفوا الأوس والخزرج وأقاموا عندهم ونزلت طوائف آخر منهم بالشام وهم الذين تنصروا فيما بعد وهم غسان وعاملة ولخم وجذام وتنوخ وقلب وغيرهم وسبأ تجمع هذه القبائل كلها والجمهور على أن جميع العرب قسمان قحطانية وعدنانية والقحطانية شعبان سبأ وحضرموت والعدنانية شعبان ربيعة ومضر وأما قضاة فيختلف فيها بعضهم ينسبونهم إلى قحطان وبعضهم إلى عدنان والله تعالى أعلم (إن في ذلك) أى فيما ذكر من قصتهم (آيات) عظيمة (لكل صبار شكور) أى شأنه الصبر عن الشهوات ودواعي الهوى ٢٠ وعلى مشاق الطاعات والشكر على النعم وتخصيص هؤلاء بذلك لأنهم المنتفعون بها (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه) أى حقق عليهم ظنه أو وجده صادقاً وقرىء بالتخفيف أى صدق في ظنه أو صدق بظن ظنه ويجوز تعدية الفعل إليه بنفسه لأنه نوع من القول وقرىء بنصب إبليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقاً ومع التخفيف بمعنى قال له الصدق حين خيل له إغرامهم وبرفهم والتخفيف على الإبدال وذلك إما ظنه بسبأ حين رأى انهما كهم في الشهوات أو يبنى آدم حين شاهد آدم عليه السلام قد أصغى إلى وسوسته قال إن ذريته أضعف منه عزماً وقيل ظن ذلك عند إخبار الله تعالى للملائكة أنه يجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقال لا ضلنهم ولا غوينهم (فاتبعوه) أى أهل سبأ أو الناس (إلا فريقاً من المؤمنين) إلا فريقاً هم المؤمنون لم يتبعوه على أن من يمانية وتقليبهم بالإضافة إلى الكفار أو إلا فريقاً من فرق المؤمنين لم يتبعوه وهم المخلصون (وما كان له عليهم من سلطان) أى تسلط

قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا

لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شَيْءٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

سبأ ٣٤

وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا

الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾

سبأ ٣٤

- * واستبلاء بالسوسة والاستواء وقوله تعالى (إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة من هو منها في شك) استثناء مفرغ من أعلم العلل ومن موصولة أى وما كان تسلطه عليهم إلا ليتعلق علمنا بمن يؤمن بالآخرة متميزاً عن هو في شك منها تعلقاً حالياً يترتب عليه الجزاء أو إلا ليمتيز المؤمن من الشاك أو الإليؤ من من قدر إيمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغه (وربك على كل شيء حفيظ) أى محافظ عليه فإن فعلاً ومفاعلاً صيغتان متآخيتان (قل) أى للبشر كين إظهاراً لبطلان مأم عليه وتسكيناً لهم ٢٢ (ادعوا الذين زعمتم) أى زعمتموهم آلهة ومما مفعولاً زعم ثم حذف الأول تخفيفاً لطول الموصول بصلته والثاني لقيام صفة أفعى قوله تعالى (من دون الله) مقامه ولا سبيل إلى جعله مفعولاً ثانياً لأنه لا يلتزم مع الضمير كلاماً وكذا لا يملكون لأنهم لا يزعمونه والمعنى ادعواكم فيما يهكم من جلب نفع أو دفع ضرر لعلمهم يستجيرون لكم إن صح دعواكم ثم أجاب عنهم إشعاراً بتعين الجواب وأنه لا يقبل المكابرة فقال (لا يملكون مثقال ذرة) من خير وشر ونفع وضرر (في السموات ولا في الأرض) أى في أمر مامن الأمور وذكرها للتعميم عرفاً أو لأن آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها أرضية كالأصنام أو لأن الأسباب القريبة للخير والشر سماوية وأرضية والجملة استئناف لبيان حالهم (وما لهم) أى لا آلهتهم (فيهما من شرك) أى شركة لا خلقاً ولا ملكاً ولا تصرفاً (وما له) أى لله تعالى (منهم) من آلهتهم (من ظهير) يعينه في تدبير أمرهما (ولا تنفع الشفاعة عنده) أى لا توجد رأساً كما في قوله [ولا ترى الضرب بها ينجم] لقوله تعالى من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه وإنما علق النفي بنفعها لا بوقوعها تصرفاً بنفى ما هو غرضهم من وقوعها وقوله تعالى (إلا لمن أذن له) استثناء مفرغ من أعم الأحوال أى لا تقع الشفاعة في حال من الأحوال إلا كائنة لمن أذن له في الشفاعة من النبيين والملائكة ونحوهم من المستأهلين لمقام الشفاعة فتبين حرمان الكفرة منها بالكلية أمان جهة جهة أصنامهم فلظهور انتفاء الإذن لها ضرورة استحالة الإذن في الشفاعة لمجاد لا يعقل ولا ينطق وأما من جهة من يعبدونه من الملائكة فلأن إذهبن مقصور على الشفاعة للمستحقين لها لقوله تعالى لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً ومن البين أن الشفاعة للكفرة بمعزل من الصواب أو لا تنفع الشفاعة من الشفعاء المستأهلين لها في حال من الأحوال إلا كائنة لمن أذن له أى لأجله وفي شأنه من المستحقين للشفاعة وأمان عداهم من غير المستحقين لها فلا تنفعهم أصلاً وإن فرض وقوعها وصدورها عن الشفعاء إذ لم يؤذن لهم في شفاعتهم بل في شفاعة غيرهم فعلى هذا يثبت حرمانهم من شفاعة هؤلاء بعبارة النص ومن شفاعة الأصنام بدلالته إذ حيث

قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ

سبيل ٣٤

مبين ٢٤

حرموها من جهة القادرين على شفاعته بعض المحتاجين إليها فلأن حرموها من جهة العجزة عنها أولى
 * وقرىء أذن له مبنياً للمفعول (حتى إذا فزع عن قلوبهم) أى قلوب الشفعاء والمشفوع لهم من المؤمنين
 وأما الكفرة فهم من موقف الاستشفاع بمنزل وعن التفريع عن قلوبهم بألف منزل والتفريع لإزالة
 الفزع ثم ترك ذكر الفزع وأسند الفعل إلى الجار والمجرور وحتى غاية لما ينبىء عنه ما قبلها من الإشعار
 بوقوع الإذن لمن أذن له فإنه مسبوق بالاستئذان المستدعى للترقب والانتظار للجواب كأنه سئل كيف
 يؤذن لهم فقبل يتربصون فى موقف الاستئذان والاستدعاء ويتوقفون على أو جل وفزع ملياً حتى إذا
 * أزيل الفزع عن قلوبهم بعد التنبؤ والتى وظهرت لهم تباشير الإجابة (قالوا) أى المشفع لهم إذ هم المحتاجون
 إلى الإذن والمهتمون بأمره (ماذا قال ربكم) أى فى شأن الإذن (قالوا) أى الشفعاء لأنهم المباشر
 للاستئذان بالذات المتوسطون بينهم وبينه عز وجل بالشفاعة (الحق) أى قال ربنا القول الحق وهو
 * الإذن فى الشفاعه للمستحقين لها وقرىء الحق مرفوعاً أى ما قاله الحق (وهو العلى الكبير) من تمام كلام
 الشفعاء قالوه اعترافاً بغاية عظمة جناب العزة عز وجل وقصور شأن كل من سواه أى هو المتفرد بالعلو
 والكبرياء ليس لأحد من أشراف الخلائق أن يتكلم إلا بإذنه وقرىء فزع مخفياً بمعنى فزع وقرىء
 فزع على البناء للفاعل وهو الله وحده وقرىء فرغ بالراء المهملة والغين المعجمة أى نفي الوجع عنها وأقضى من
 فرغ الزاد إذا لم يبق منه شيء وهو من الإسناد المجازى لأن الفراغ وهو الخلو حال ظرفه عند نفاذه فأسند
 إليه على عكس قولهم جرى النهر وعن الحسن تخفيف الراء وأصله فرغ الرجل عنها أى انتفى عنها وفى ثم
 حذف الفاعل وأسند إلى الجار والمجرور وبه يعرف حال التفريع وقرىء ارتفع عن قلوبهم بمعنى
 ٢٤ انكشف عنها (قل من يرزقكم من السموات والأرض) أمر ﷺ بتبكييت المشركين بحملهم على
 الإقرار بأن آلهتهم لا يملكون مثقال ذرة فيهما وأن الرازق هو الله تعالى فإنهم لا ينكرونه كما ينطق به
 قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت
 ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله وحيث كانوا يتلعثمون أحياناً فى الجواب مخافة
 * الإلزام قيل له ﷺ (قل الله) إذ لا جواب سواه عندهم أيضاً (وإننا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال
 مبين) أى وإن أحد الفريقين من الذين يوحدون المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية ويخصونه بالعبادة
 والذين يشركون به فى العبادة الجهاد النازل فى أدنى المراتب الإمكانية لعل أحد الأمرين من الهدى
 والضلال المبين وهذا بعد ما سبق من التقرير البليغ الناطق بتعيين من هو على الهدى ومن هو فى الضلال
 أبلغ من التصريح بذلك لجريانه على سنن الإنصاف المسكت للخصم الألد وقرىء وإننا أو إياكم إما على
 هدى أو فى ضلال مبين واختلاف الجارين للإيدان بأن الهادى كمن استعمل مناراً ينظر الأشياء ويتطلع

قُلْ لَا تَسْأَلُونَنَا عَنْ آجُرْمَنَا وَلَا تَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾

سبأ ٣٤

قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾

سبأ ٣٤

قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أُحْصِمُ بِهِ شُرَكَاءَ كُلِّ بَلٍّ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

سبأ ٣٤

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾

سبأ ٣٤

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾

سبأ ٣٤

قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعِجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾

سبأ ٣٤

عليها والضال كما أنه منغمس في ظلام لا يرى شيئاً أو محبوس في مطمورة لا يستطيع الخروج منها (قل ٢٥ لا تسألون عما أجرمنا ولا تسأل عما تعملون) وهذا أبلغ في الإنصاف وأبعد من الجدل والاعتساف حيث أسند فيه الإجماع وإن أريد به الزلة وترك الأولى إلى أنفسهم ومطلق العمل إلى المخاطبين مع أن أعمالهم أكبر الكبائر (قل يجمع بيننا ربنا) يوم القيامة عند الحشر والحساب (ثم يفتح بيننا بالحق) أي يحكم بيننا ويفصل بعد ظهور حال كل منا ومنكم بأن يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار (وهو الفتاح) الحاكم الفصيل في القضايا المنغلقة (العليم) بما ينبغي أن يقضى به (قل أروني الذين أحتقنهم) أي أحتقنهم (به) شركاء) أريد بأمرهم بإراءة الأصنام مع كونها بمرأى منه ﷺ إظهار خطيئتهم العظمى وإطلاعهم على بطلان زأيهم أي أرونيها لأنظر بأي صفة أحتقنوها بالله الذي ليس كمثل شيء في استحقاق العبادة وفيه مزيد تبكيت لهم بعد إلزام الحجة عليهم (كلا) ردع لهم عن المشاركة بعد إبطال المقايضة (بل هو الله العزيز الحكيم) أي الموصوف بالغلبة القاهرة والحكمة الباهرة فإن شركاؤكم التي هي أخس الأشياء وأذلها من هذه الرتبة العالية والضمير إما لله عز وجل أو للشأن كما في قل هو الله أحد (وما أرسلناك إلا كافة للناس) أي لإرسالة عامة لهم فإنها إذا همتم فقد كفتم أن يخرج منها أحد منهم أو لا جامعا لهم في الإبلان في حال من الكاف والناء للمبالغة ولا سبيل إلى جعلها حالا من الناس لاستحالة تقدم الحال على صاحبها المجرور (بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك فيحملهم جهلهم على ما هم عليه من الغي والضلال (ويقولون) من فرط جهلهم وغاية غيهم (متى هذا الوعد) بطريق الاستهزاء يعنون به المبشر به والمنذر عنه أو الموعد ٢٩ بقوله تعالى يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا (إن كنتم صادقين) مخاطبين لرسول الله ﷺ والمؤمنين به (قل لكم ميعاد يوم) أي وعد يوم أو زمان وعدوا لإضافة للتبيين وقرىء ميعاد يوم منونين على البدل ويوما بإختصار أعني للتعظيم (لا تستأخرون عنه) عند مفاجأته (ساعة ولا تستقدمون) صفة لميعاد وفي هذا الجواب من المبالغة في التهديد ما لا يخفى حيث جعل الاستخار في الاستحالة كالا ستقدام الممتنع عقلا وقد مر بيانه مرارا ويحوز أن يكون نفي الاستحجار والاستقدام غير مقيد بالمفاجأة فيكون وصف الميعاد بذلك لتحقيقه

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾

٣٤ سيا

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾

٣٤ سيا

وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرَأُ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾

٣٤ سيا

- ٣١ وتقريره (وقال الذين كفروا ان تؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه) أى من الكتب القديمة الدالة على البعث وقيل إن كفار مكة سألوا أهل الكتاب عن رسول الله ﷺ فأخبروهم أنهم يحدون نعته في كتبهم ففضبوا فقالوا ذلك وقيل الذى بين يديه القيامة (ولو ترى إذا الظالمون) المنكرون للبعث (موقوفون عند ربهم) أى فى موقف المحاسبة (يرجع بعضهم إلى بعض القول) أى يتحاورون ويتراجعون القول (يقول الذين استضعفوا) بدل من يرجع الخ أى يقول الاتباع (الذين استكبروا) فى الدنيا واستتبعوهم فى الغنى والضلال (لولا أنتم) أى لولا إضلالكم وصدكم لنا عن الإيمان (لكننا مؤمنين) باتباع الرسول ﷺ (قال الذين استكبروا الذين استضعفوا) استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل فإذا قال الذين استكبروا فى الجواب فقيل قالوا (أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين) منكرين لكونهم هم الصادين لهم عن الإيمان مثبتين أنهم هم الصادون بأنفسهم بسبب كونهم راسخين فى الإجرام (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا) إضراباً عن إضرابهم وإبطالا له (بل مكر الليل والنهار) أى بل صدنا مكركم بنا بالليل والنهار لحذف المضاف إليه وأقيم مقامه الظرف اتساعاً أو جعل ليهم ونهارهم ما كرين على الإسناد المجازى وقرىء بل مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين أى بل صدنا مكركم فى الليل والنهار على أن التنوين عوض عن المضاف إليه أو مكر عظيم على أنه للتفخيم وقرىء بل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب أى تكرون الإغواء مكرأ دائماً لا تفترون عنه فالرفع على الفاعلية أى بل صدنا مكركم الإغواء فى الليل والنهار على ماسبق من الاتساع فى الظرف بإقامته مقام المضاف إليه والنصب على المصدرية أى بل تكرون الإغواء مكر الليل والنهار أى مكرأ دائماً وقوله تعالى (إذ تأمرونا) ظرف للمكر أى بل مكركم الدائم وقت أمركم لنا (أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً) على أن المراد بمكرهم إما نفس أمرهم بما ذكر كما فى قوله تعالى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾

وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾

قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾

وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ

جَزَاءُ الْوَعْدِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾

وجعلكم ملوكا فإن الجعلين المذكورين نعمة من الله تعالى وأى نعمة وأما أمور آخر مقارنة لأمرم داعية إلى الامتثال به من الترغيب والترهيب وغير ذلك (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب) أى أخسر الفريقان الندامة على ما فعلوا من الضلال والاضلال وأخفاها كل منهما عن الآخر مخافة التعبير أو أظهرها فإنه من الأضداد وهو المناسب لحالهم (وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا) أى فى أعناقهم والإظهار فى موضع الإضمار للتنويه بذمهم والتنبيه على موجب أغلالهم (هل يجوزون إلا ما كانوا يعملون) أى لا يجوزون إلا جزاء ما كانوا يعملون أو إلا بما كانوا يعملونه على نزع الجار (وما أرسلنا فى قرية) من القرى (من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون) تسليية لرسول الله ﷺ بما منى به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الأموال والأولاد والمفاخرة بحفظ الدنيا وخافها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من أجله وقولهم أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا بأنه لم يرسل قط إلى أهل قرية من نذير إلا قال مترفون مثل ما قال مترفو أهل مكة فى حقه ﷺ وكادوا به نحو ما كادوا به ﷺ وقاسوا أمور الآخرة الموهومة والمفروضة عندم على أمور الدنيا وزعموا أنهم لو لم يكرموا على الله تعالى لما رزقهم طيبات الدنيا ولولا أن المؤمنين هانوا عليه تعالى لما حرمهموها وعلى ذلك رأى الركيك بنوا أحكامهم (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمُعذبين) إما بناء على انتفاء العذاب الآخرى رأسا أو على اعتقاد أنه تعالى أكرمهم فى الدنيا فلا يهينهم فى الآخرة على تقدير وقوعها (قل) ردأ عليهم وحسباً لمادة طمعهم الفارغ وتحقيقاً للحق الذى عليه يدور أمر التكوين (إن ربى يبسط الرزق لمن يشاء) أن يبسطه له (ويقدر) على من يشاء أن يقدره عليه من غير أن يكون لأحد من الفريقين داع إلى ما فعل به من البسط والقدر فر بما يوسع على العاصى ويضيق على المطيع وربما يعكس الأمر وربما يوسع عليهما معاً وقد يضيق عليهما وقد يوسع على شخص تارة ويضيق عليه أخرى يفعل كلا من ذلك حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة فلا يقاس على ذلك أمر الثواب والعذاب اللذين مناطهما الطاعة وعدمها وقرىء ويقدر بالتشديد (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك فيزعمون أن مدار البسط هو الشرف والكرامة ومدار القدر هو الهوان ولا يدرون أن الأول كثيراً ما يكون بطريق الاستدراج والثانى بطريق الابتلاء ورفع الدرجات (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم

وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾
 قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ
 وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾
 وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلُوا لَاءِ يَا كَرَّ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾

٣٤ سيا

٣٤ سيا

٣٤ سيا

عندنا زلني) كلام مستأنف من جمته عز وعلا خوطب به الناس بطريق التلوين والالتفات مبالغة في تحقيق الحق وتقرير ما سبق أى وما جماعة أموالكم وأولادكم بالجماعة التى تقربكم عندنا قربة فإن الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء فى حكم التائيد أو بالتحصلة التى تقربكم وقرىء بالذى أى بالشئ الذى (إلا من آمن وعمل صالحاً) استثناء من مفعول تقربكم أى وما الأموال والأولاد تقرب أحداً إلا المؤمن الصالح الذى أنفق أمواله فى سبيل الله تعالى وعلم أولاده الخير ورأى بهم على الصلاح ورشحهم للطاعة وقيل من أموالكم وأولادكم على حذف المضاف أى إلا أموال من الخ (فأولئك) إشارة إلى من والجمع باعتبار معناها كما أن الأفراد فى الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيدان بعلور تبتهم وبعد منزلتهم فى الفضل أى فأولئك المنعوتون بالإيمان والعمل الصالح (لهم جزاء الضعف) أى ثابت لهم ذلك على أن الجار والمجرور خبر لما بعده وبالجملة خبر لا أولئك وفيه تأكيد لتكرار الإسناد أو ثبت لهم ذلك على أن الجار والمجرور خبر لا أولئك وما بعده مرتفع على الفاعلية وإضافة الجزاء إلى الضعف من إضافة المصدر إلى المفعول أصله فأولئك لهم أن يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ثم جزاء الضعف ومعناه أن تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرأ فما فوقها وقرىء جزاء الضعف على فأولئك لهم الضعف جزاء وجزاء الضعف على أن يجازوا الضعف وجزاء الضعف بالرفع على أن الضعف بدل من جزاء (بما عملوا) من الصالحات (وهم فى الغرفات) أى غرفات الجنة (آمنون) من جميع المكاهة وقرىء بفتح الراء وسكونها وقرىء فى الغرفة على إرادة الجنس (والذين يسعون فى آياتنا) بالرد والطمأن فيها (معاجزين) سابقين لآياتنا أو زاعمين أنهم يفوتونا (أولئك فى العذاب محضرون) لا يجهدهم ما عولوا عليه نفعاً (قل إن ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده) أى يوسع عليه تارة (وبقدر له) أى يضيقه عليه تارة أخرى فلا تخشوا الفقر وأنفقوا فى سبيل الله وتعرضوا لنفحاته تعالى (وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه) عوضاً إما عاجلاً وإما آجلاً (وهو خير الرازقين) فإن غيره واسطة فى إيصال رزقه لاحقيقة لرازقته (ويوم يحشرهم جميعاً) أى المستكبرين والمستضعفين وما كانوا يعبدون من دون الله ويوم ظرف لمضمر متأخر سيأتى تقديره أو مفعول لمضمر مقدم نحو اذكر (ثم يقول للملائكة أهولاء إياكم كانوا يعبدون) تقريراً للمشركين وتبكيته لهم على نهج قوله تعالى أأنتم قلت للناس اتخذوني وأى الخ وإفناطاً لهم عما علقوا به أطباعهم الفارغة من شفاعتهم وتخصيص الملائكة

قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ سبأ
فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي
كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾

سبأ ٣٤

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ
آبَاءَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا افْكٌ مُمْتَرٍ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا
مَجْرُمٌ ﴿٤٣﴾

سبأ ٣٤

لأنهم أشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولأن عبادتهم مبدأ الشرك فبظهور قصورهم عن
رتبة المعبودية وتزهيمهم عن عبادتهم يظهر حال سائر شركائهم بطريق الأولوية وقرىء الفعلان بالنون
(قالوا) استئناف بمعنى على سؤال نفعاً من حكاية سؤال الملائكة كأنه قيل فإذا يقول الملائكة حينئذ قليل
يقولون متزهين عن ذلك (سبحانك أنت ولينا من دونهم) والعدول إلى صيغة الماضي للدلالة على التحقق
أى أنت الذى نواله من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كأنهم يبنوا بذلك برايتهم من الرضا بعبادتهم ثم
أضربوا عن ذلك ونفوا أنهم عبدوهم حقيقة بقولهم (بل كانوا يعبدون الجن) أى الشياطين حيث أطاعوهم فى
عبادة غير الله سبحانه وتعالى وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون لهم أنهم الملائكة فيعبدونهم وقيل يدخلون
أجواف الأصنام إذا عبدت فيعبدون بعبادتها (أكثرهم بهم مؤمنون) الضمير الأول للإنس أو للمشركين
والأكثر بمعنى الكل والثانى للجن (فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعاً ولا ضرراً) من جملة ما يقال للملائكة
عند جوابهم بالتزهد والتبرؤ عما نسب إليهم الكفرة يخاطبون بذلك على رهوس الأشهاد لإظهار العجز
وقصورهم عند عبادتهم وتنصيصاً على ما يوجب خيبة رجائهم بالكلية والفاء ليست لترتيب ما بعدها من
الحكم على جواب الملائكة فإنه محقق أجابوا بذلك أم لا بل لترتيب الإخبار به عليه ونسبة عدم النفع
والضرر إلى البعض المبهم للبالغة فيما هو المقصود الذى هو بيان عدم نفع الملائكة للعبدة بنظمه فى سلك
عدم نفع العبدة لهم كأن نفع الملائكة لعبدهم فى الاستعانة والانتفاء كنفع العبدة لهم والتعرض لعدم
الضرر مع أنه لا بحث عنه أصلاً إما لتعميم العجز أو لخل عدم النفع على تقدير العبادة وعدم الضرر على
تقدير تركها أو لأن المراد دفع الضرر على حذف المضاف وتقييد هذا الحكم بذلك اليوم مع ثبوته على
الإطلاق لانهقاد رجائهم على تحقق النفع يومئذ وقوله عز وجل (ونقول للذين ظلموا) عطف على نقول
للملائكة لا على لا يملك كما قيل فإنه ما يقال يوم القيامة خطاباً للملائكة مترتباً على جوابهم المحكى وهذا
حكاية لرسول الله ﷺ لما سيقال للعبدة يومئذ إثر حكاية ما سيقال للملائكة أى يوم نحشرهم جميعاً ثم
نقول للملائكة كذا وكذا ويقولون كذا وكذا ونقول للمشركين (ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها
تكذبون) يكون من الأحوال والأحوال ما لا يحيط به نطاق المقال وقوله تعالى (وإذا تنلى عليهم آياتنا

وَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٤٤﴾

سبأ ٣٤

وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ

سبأ ٣٤

نَكِيرٍ ﴿٤٥﴾

قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُ بَوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفَرَدَيْ ثُمَّ تَنفَكُّوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ

سبأ ٣٤

هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾

بينات) بيان لبعض آخر من كفرانهم أى إذا تتلى عليهم بلسان الرسول ﷺ آياتنا الناطقة بحقيقة التوحيد وبطلان الشرك (قالوا ما هذا) يعنون رسول الله ﷺ (إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم) فيستبعمكم بما يستدعيه من غير أن يكون هناك دين إلهي وإضافة الآباء إلى مخاطبين لا إلى أنفسهم • لنحرىك عرق العصبية منهم مبالغة في تقريرهم على الشرك وتنفيرهم عن التوحيد (وقالوا ما هذا) يعنون القرآن الكريم (إلا إناك) أى كلام مصروف عن وجهه لا مصداق له في الواقع (مفتري) يا ستاده إلى الله تعالى (وقال الذين كفروا للحق) أى لأمر النبوة أو الإسلام أو القرآن على أن العطف لاختلاف العنوان • بأن يراد بالاول معناه وبالثاني نظمه المعجز (لما جاءهم) من غير تدبر ولا تأمل فيه (إن هذا إلا سحر مبين) ظاهر سحرية وفي تكرير الفعل والتصریح بذكر الكفرة وما في اللامين من الإشارة إلى القائلين والمقول فيه وما في لما من المسارعة إلى البت بهذا القول الباطل إنكار عظيم له وتعجيب بليغ منه (وما آتيناكم من كتب يدريونها) فيها دليل على صحة الإشراف كما في قوله تعالى أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وقوله تعالى أم آتيناكم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون وقرىء يدريونها ويدرسونها • بتشديد الدال يفتعلون من الدرس (وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير) يدعوهم إليه وينذرهم بالعقاب إن لم يشركوا وقد بان من قبل أن لا وجه له بوجه من الوجوه فمن أين ذهبوا هذا المذهب الزائف وهذا غاية تجهيل لهم وتسفيه لرأيهم ثم هدهم بقوله تعالى (وكذب الذين من قبلهم) من الأمم المتقدمة والقرون الخالية • كما كذبوا (وما بلغوا معشار ما آتيناكم) أى ما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا أولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال أو ما بلغ أولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى (فكذبوا رسلي) عطف على كذب الذين الخ بطريق التفصيل والتفسير كقوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا الخ (فكيف كان نكير) أى إنكارى لهم بالتدمير فليحذر هؤلاء من مثل ذلك (قل إنما أعظكم بواحدة) أى ما أرشدكم وأنصح لكم إلا بخصلة واحدة هي ما دل عليه قوله تعالى (أن تقوموا لله) على أنه بدل منها أو بيان لها أو خبر مبتدأ محذوف أى هي أن تقوموا من مجلس رسول الله ﷺ أو تنتصبوا للأمر خالصاً لوجه الله تعالى معرضاً عن المماراة والتقليد (مثنى وفردى) أى متفرقين اثنين اثنين وواحداً واحداً فإن الازدحام يشوش الأفهام ويخاطب الأفكار بالآوهام وفي تقديم مثنى إيدان بأنه أوثق وأقرب إلى الاطمئنان (ثم

قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ ٣٤ سبا

قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ ٣٤ سبا

قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِي الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ ٣٤ سبا

قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ ٣٤ سبا

- تفكروا) في أمره ﷺ وما جاء به لتعلموا حقيقة وحقيقته وقوله تعالى (ما يصاحبكم من جنة) استئناف * مسوق من جهة تعالى للتنبيه على طريقة النظر والتأمل بأن مثل هذا الأمر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة لا يتصدى لدعائه إلا مجنون لا يبالى بافتضاحه عند مطالبته بالبرهان وظهور عجزه أو مؤيد من عند الله مرشح للنبوة واثق بمجته وبرهانه وإذ قد علمتم أنه ﷺ أرجح العالمين عقلاً وأصدقهم قولاً وأنزهم نفساً وأفضلهم علماً وأحسنهم عملاً وأجمعهم للكمالات البشرية وجب أن تصدقوه في دعواه فكيف وقد انضم إلى ذلك معجزات تخر لها صم الجبال ويجوز أن يتعلق بما قبله على معنى ثم تفكروا فتعلموا ما يصاحبكم من جنة وقد جوز أن تكون ما استفهامية على معنى ثم تفكروا أى شيء به من آثار الجنون (إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) هو عذاب الآخرة فإنه ﷺ مبعوث في نسف الساعة (قل ما سألتكم من أجر) أى أى شيء سألتكم من أجر على الرسالة (فهو لكم) والمراد نفي السؤال رأساً ٤٧ كقول من قال لمن لم يعطه شيئاً إن أعطيت شيئاً نخذه وقيل ماموصولة أريد بها ما سألهم بقوله تعالى ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً وقوله تعالى لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى واتخاذ السبيل إليه تعالى منفعتهم الكبرى وقرباه ﷺ قرباهم (إن أجرى إلا على الله وهو على كل شيء شهيد) مطلع يعلم صدق وخلص نيق وقرىء إن أجرى بسكون الياء (قل إن ربى يقذف بالحق) ٤٨ أى يلقيه وينزله على من يجتنبه من عباده أو يرى به الباطل فيدهغه أو يرى به فى أقطار الآفاق فيكون وعداً بإظهار الإسلام وإعلاء كلمة الحق (علام الغيوب) صفة محمولة على محل إن واسمها أو بدل من المستكن فى يقذف أو خبر ثان لأن أو خبر مبتدأ محذوف وقرىء بالنصب صفة لربى أو مقدراً بأعنى وقرىء بكسر الغين وبالفتح كصبور مبالغة غائب (قل جاء الحق) أى الإسلام والتوحيد (وما يبدي الباطل وما يعيد) أى زهق الشرك بحيث لم يبق أثره أصلاً مأخوذ من هلاك الحى فإنه إذا هلك لم يبق له إبداء ولا إعادة لجعل مثلاً فى الهلاك بالمرة ومنه قول عبيد [أقفر من أهله هبيد * فليس يبدى ولا يعيد] وقيل الباطل إبليس أو الصنم والمعنى لا ينشئ خلقاً ولا يعيد أو لا يبدي خيراً لا أهله ولا يعيد وقيل ما استفهامية منصوبة بما بعدها (قل إن ضللت) عن الطريق الحق (فإنما أضل على نفسى) فإن وبال ضلالاً عليها لأنه بسببها لإذهى الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قبول الشرطية بقوله تعالى (وإن اهتديت فبما يوحي إلى ربى) لأن الاهتداء بهدائته وتوفيقه وقرىء ربى بفتح الياء (إنه سميع

- وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَآخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ ٣٤ سبأ
- وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ ۖ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَافُسُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ ٣٤ سبأ
- وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ ۖ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ ٣٤ سبأ
- وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ﴿٥٤﴾ ٣٤ سبأ

٥١ قريب (يعلم قول كل من الممتدى والضال وفعله وإن بالغ في إخفائهما) (ولو ترى إذ فرغوا) عند الموت أو البعث أو يوم بدر وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن ثمانين ألفاً يغزون الكعبة ليخربوها فإذا دخلوا البداء خسف بهم وجواب لو محذوف أي لرأيت أمراً هائلاً (فلا فوت) فلا يفوتون الله عز وجل .

• يهرب أو تحصن (وأخذوا من مكان قريب) من ظهر الأرض أو من الموقف إلى النار أو من صحراء بدر إلى قلبها أو من تحت أقدامهم إذا خسف بهم والحجة معطوفة على فرغوا وقيل على لا فوت على معنى إذ فرغوا فلم يفوتوا وأخذوا ويؤيده أنه قرئ . وأخذ بالعطف على محله أي فلا فوت هنا وهناك أخذ

٥٢ (وقالوا آمنا به) أي بحمد ﷺ وقد مر ذكره في قوله تعالى ما بصاحبكم (وأنى لهم التناوش) التناوش التناول السهل أي ومن أين لهم أن يتناولوا الإيمان تناولاً سهلاً (من مكان بعيد) فإنه في حيز التكليف وهم منه بمعزل بعيد وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص بالإيمان بعد ما فات عنهم وبعد بحال من يريد أن يتناول الشيء من غلوة تناوله من ذراع في الاستحالة وقرئ بالهمز على قلب الواو لضمها وهو من ناشت الشيء إذا طلبته وعن أبي عمرو التناوش بالهمز التناول من بعد من قولهم ناشت إذا أبطأت وتأخرت

٥٣ ومنه قول من قال [تمنى تيشاً أن يكون أطاعني] وقد حدثت بعد الأمور أمور [(وقد كفروا به) أي بحمد ﷺ أو بالعذاب الشديد الذي أنذرهم إياه (من قبل) أي من قبل ذلك في أو ان التكليف (ويقذفون بالغيب) ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهروا لهم في حق الرسول ﷺ من المطاعن أو في العذاب المذكور

• من بت القول بنفيه (من مكان بعيد) من جهة بعيدة من حاله ﷺ حيث ينسبون ﷺ إلى الشعر والسحر والكذب وإن أبعد شيء مما جاء به الشعر والسحر وأبعد شيء من عادته المعروفة فيما بين الداني والقاصي الكذب ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرى شيئاً لا يراه من مكان بعيد لا بحال للوهم في لحوقه وقرئ . ويقذفون على أن الشيطان يلقي إليهم ويلقنهم ذلك وهو معطوف على قد كفروا به على حكاية الحال الماضية أو على قالوا

٥٤ فيكون تمثيلاً لحالهم بحال القاذف في تحصيل ماضيه من الإيمان في الدنيا (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) من نفع الإيمان والنجاة من النار وقرئ بإشمام الضم للحاء (كما فعل بأشياءهم من قبل) أي بأشياءهم من كفره الآم الدارجة (إنهم كانوا في شك مرِيب) أي موقع في الريبة أو ذي ريبة والاول منقول بمن يصح أن يكون مرِيباً من الأعيان إلى المعنى والثاني من صاحب الشك إلى الشك كما يقال شعر شاعر واقه أعلم عن رسول الله ﷺ من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي إلا كان له يوم القيامة رفيقاً ومصالحاً .

٣٥ - سورة فاطر

(مكية وهي خمس وأربعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مَّثْنَى وَثُلُثَ وَرُبْعَ
يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾

٣٥ فاطر

(سورة فاطر مكية وهي خمس وأربعون آية)

- (بسم الله الرحمن الرحيم) (الحمد لله فاطر السموات والأرض) مبدعهما من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه من الفطر وهو الشق وقيل الشق طولا كأنه شق العدم بإخراجهما منه وإضافته محضة لأنه بمعنى الماضي فهو نعت للاسم الجليل ومن جعلها غير محضة جعله بدلا منه وهو قليل في المشتق (جاعل الملائكة) الكلام في إضافته وكونه نعتا أو بدلا كما قبله وقوله تعالى (رسلا) منصوب به على الوجه الثاني من الإضافة بالاتفاق وأما على الوجه الأول فكذلك عند الكسائي وأما عند البصريين فبمضمر يدل هو عليه لأن اسم الفاعل إذا كان بمعنى الماضي لا يعمل عندهم إلا معروفا باللام وقال أبو سعيد السيرافي اسم الفاعل المتعدي إلى اثنين يعمل في الثاني لأن باضافته إلى الأول تعذرت إضافته إلى الثاني فتعين نصبه له وعلل بعضهم ذلك بأنه بالإضافة أشبه المعرف باللام فعمل عمله وقرىء جاعل بالرفع على المدح وقرىء الذى فطر السموات والأرض وجعل الملائكة أى جاعلهم وسائط بينه تعالى وبين أنبيائه والصالحين من عباده يبلغون إليهم رسالاته بالوحي والإلهام والرؤيا الصادقة أو بينه تعالى وبين خلقه أيضاً حيث يوصلون إليهم آثار قدرته وصنعه هذا على تقدير كون الجعل تصييرياً أما على تقدير كونه إبداعياً فرسلا نصب على الحالية وقرىء رسلا بسكون السين (أولى أجنحة) صفة لرسلا وأولو اسم جمع لذو كما أن أولاء اسم لذا ونظيرهما في الأسماء المتمكنة المخاض والخلفة وقوله تعالى (مثنى وثلاث ورباع) صفات لأجنحة أى ذوى أجنحة متعددة متفاوتة في العدد حسب تفاوت ما لهم من المتراتب ينزلون بها ويعرجون أو يسرعون بها والمعنى أن من الملائكة خلقاً لكل واحد منهم جناحان وخلقاً أجنحة كل منهم ثلاثة وخلقاً آخر لكل منهم أربعة أجنحة ويروى أن صنفاً من الملائكة لهم ستة أجنحة بجناحين منها يلقون أجسادهم وبآخرين منها يطيرون فيما أمروا به من جهة تعالى وجناحان منها رخيان على وجوههم حياة من الله عز وجل وعن رسول الله ﷺ أنه رأى جبريل عليه السلام ليلة المعراج وله ستانته جناح وروى أنه سأل عليه السلام أن يتراى له في صورته فقال إنك لن تطيق ذلك قال إني أحب أن تفعل فخرج ﷺ في ليلة مقمرة فأنابه جبريل عليه السلام في صورته ففشى عليه ﷺ ثم أقام جبريل مسنده وإحدى يديه على صدره والآخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت أرى أن شبيهاً من الخلق هكذا فقال جبريل عليه السلام فكيف لورأيت

مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٠﴾

٣٥ فاطر

يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَذْكَرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتِ تُؤْفَكُونَ ﴿٢١﴾

٣٥ فاطر

إسرافيل له اثنا عشر جناحاً جناح منها بالشرق وجناح منها بالمغرب وإن العرش على كاهله وإنه لبيضاء ل
 * الأحياء لعظمة الله عز وجل حتى يعود مثل الوصف وهو العصفور الصغير (يزيد في الخلق ما يشاء)
 استئناف مقرر لما قبله من تفاوت أحوال الملائكة في عدد الأجنحة ومؤذن بأن ذلك من أحكام مشيئته
 تعالى لا لمرار جمع إلى ذواتهم ببيان حكم كل ناطق بأنه تعالى يزيد في أي خلق كان كل ما يشاء أن يزيده
 بموجب مشيئته ومقتضى حكمته من الأمور التي لا يحيط بها الوصف وما روى عن النبي ﷺ من تخصيص
 بعض المداني بالذكر من الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن فيبان لبعض المواد المعهودة
 بطريق التمثيل لا بطريق الحصر فيها وقوله تعالى (إن الله على كل شيء قدير) تعليل بطريق التحقيق للحكم
 المذكور فإن شمول قدرته تعالى لجميع الأشياء مما بوجبه قدرته تعالى على أن يزيد كل ما يشاءه إيجاباً يندأ
 ٢ (ما يفتح الله للناس من رحمة) عبر عن إرسالها بالفتح إيذاناً بأنها أنفس الخزائن التي يتنافس فيها المتنافسون
 وأعزها مانلاً وتكثيرها للإشاعة والإبهام أي شيء يفتح الله من خزائن رحمته أية رحمة كانت من نعمة
 * وصحة وأمن وعلم وحكمة إلى غير ذلك مما لا يحاط به (فلا مُمْسِكُ لها) أي لا أحد يقدر على إمساكها (وما
 يُمْسِكُ) أي أي شيء يُمْسِكُ (فلا مرسل له) أي لا أحد يقدر على إرساله واختلاف الضميرين لما أن
 مرجع الأول مفسر بالرحمة ومرجع الثاني مطلق يتناولها وغيرها كأنها ما كان وفيه إشعار بأن رحمته
 سبقت غضبه (من بعده) أي من بعد إمساكه (وهو العزيز) الغالب على كل ما يشاء من الأمور التي من
 * جعلتها الفتح والإمساك (الحكيم) الذي يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجللة تذييل
 مقرر لما قبلها ومعرّب عن كون كل من الفتح والإمساك بموجب الحكمة التي عليها يدور أمر التكوين
 وبعد ما بين سبحانه أنه الموجد للبلك والملكوت والمتصرف فيهما بالقبض والبسط من غير أن يكون
 ٣ لأحد في ذلك دخل ما بوجه من الوجوه أمر الناس قاطبة أو أهل مكة خاصة بشكر نعمه فقال (يا أيها
 الناس اذكروا نعمة الله عليكم) أي إنعامه عليكم إن جعلت النعمة مصدراً أو كائنة عليكم إن جعلت اسماً
 أي راعوها واحفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وتخصيص العبادة والطاعة بموليها ولما كانت نعم الله
 تعالى مع تشعب فنونها منحصرة في نعمة الإيجاد ونعمة الإبقاء نفي أن يكون في الوجود شيء غيره تعالى
 * يصدر عنه إحدى النعمتين بطريق الاستفهام الإنكارى المنادى باستحالة أن يحجب عنه بنعم فقال (هل
 من خالق غير الله) أي هل خالق مغاير له تعالى موجود على أن خالق مبتدأ محذوف الخبر زيدت عليه كلمة
 من لتأكيد العموم وغير الله نعمت له باعتبار محله كما أنه نعمت له في قراءة الجر باعتبار لفظه وقرئ

وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٠﴾ ٣٥ فاطر
يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٤١﴾ ٣٥ فاطر

- بالنصب على الاستثناء وقوله تعالى (يرزقكم من السماء والأرض) أى بالمطر والنبات كلام مبتدأ على التقادير لا محل له من الإعراب داخل في حيز النفي والإنكار ولا مساغ لما قيل من أنه صفة أخرى لخالق مرفوعة المحل أو مجرورة به لأن معناه نفي وجود خالق موصوف بوصفى المغايرة والرازية معاً من غير تعرض لنفي وجود ما اتصف بالمغايرة فقط ولا لما قيل من أنه الخبر للابتداء ولا لما قيل من أنه مفسر لمضمرة ارتفع به قوله تعالى من خالق على الفاعلية أى هل يرزقكم من خالق الخ لما أن معناهما نفي رازقية خالق مغاير له تعالى من غير تعرض لنفي وجوده رأساً مع أنه المراد حتماً لا يرى إلى قوله تعالى (لا إله إلا هو) فإنه استئناف مسوق لتقرير النفي المستفاد منه قصداً وجار مجرى الجواب عما يورمه الاستفهام صورة لحيث كان هذا ناطقاً بنفي الوجود تعين أن يكون ذلك أيضاً كذلك قطعاً والفاء في قوله تعالى (فأنى تؤفكون) لترتيب إنكار عدولهم عن التوحيد إلى الإشراف على ما قبلها كأنه قيل وإذا تبين تفردة تعالى بالالوهية والخالقية والرازية فن أى وجه تصرفون عن التوحيد إلى الشرك وقوله تعالى (وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) تلوين للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله ﷺ بين خطابي الناس مسارعة إلى تسليته ﷺ بعموم البلية أولاً والإشارة إلى الوعد والوعيد ثانياً أى وإن استمر وأعلى أن يكذبوك فيما بلغت إليهم من الحق المبين بعد ما أقت عليهم الحجة وألغمتهم الحجر فتأس بأولئك الرسل في المصابرة على ما أصابهم من قبل قومهم فوضع موضع ما ذكر اكتفاء بذكر السبب عن ذكر المسبب وتنكير الرسل للتفخيم الموجب لمزيد التسليية والتوجه إلى المصابرة أى رسل أولو شأن خطير وذو عدد كثير (وإلى الله ترجع الأمور) لا إلى غيره فيجازى كلا منك ومنهم بما أنتم عليه من الأحوال التي من جملتها صبرك وتكذيبهم وفي الاقتصار على ذكر اختصاص المرجع بالله تعالى مع إيهام الجزاء ثواباً وعقاباً من المبالغة في الوعد والوعيد ما لا يخفى وقرئ ترجع بفتح التاء من الرجوع والاول أدخل في التحويل (يا أيها الناس) رجوع إلى خطابهم وتكرير النداء لتأكيد العظة والتذكير (إن وعد الله) المشار إليه ٥ يرجع الأمور إليه تعالى من البعث والجزاء (حق) ثابت لا محالة من غير خلف (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) بأن يذهلكم التمتع بمتاعها ويلهيكم التلوى بزخارفها عن تدارك ما همكم يوم حلول الميعاد والمراد نهيمهم عن الاغترار بها وإن توجه النهي صورة إليها كما في قوله تعالى لا يجرمنكم شقاقى (ولا يغرنكم بالله) وعفوه وكرمه تعالى (الغرور) أى المبالغ في الغرور وهو الشيطان بأن يمينكم المغفرة مع الإصرار على المعاصى قائلوا ما شئتم إن الله غفور يغفر الذنوب جميعاً فإن ذلك وإن أمكن لكن لعلنا نطاعى الذنوب بهذا التوقع من قبيل تناول السم تعويلاً على دفع الطبيعة وتكرير فعل النهي للبالغة فيه ولاختلاف الغرورين في الكيفية وقرئ الغرور بالضم على أنه مصدر أو جمع غار كقعود جمع قاعد ،

إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٣٥﴾ فَاطِر
الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ
كَبِيرٌ ﴿٣٦﴾

٣٥ فاطر

أَفَنَ زَيْنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنْ أَلَّ اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ
نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٧﴾

٣٥ فاطر

- ٦ (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) (إنما يدعو حربه ليكونوا من أصحاب السعير) (فاتخذوه عدوا) بمخافتكم له في عقائدكم وأفعالكم وكونكم على حذر منه في مجامع أحوالكم وقوله تعالى (إنما يدعو حربه ليكونوا من أصحاب السعير) تقرير لعداوته وتحذير من طاعته بالتنبيه على أن غرضه في دعوة شيعته إلى اتباع الهوى والركون إلى ملاذ الدنيا ليس بتحصيل مطالبهم ومنافعهم الدنيوية كما هو مقصد المتحابين في الدنيا عند سعى بعضهم في حاجة بعض بل هو توريطهم وإلقاؤهم في العذاب
- ٧ المخلد من حيث لا يحتسبون (الذين كفروا لهم) بسبب كفرهم وإجابتهم لدعوة الشيطان واتباعهم لخطواته (عذاب شديد) لا يقادر قدره مديد لا يبلغ مداه (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم) بسبب ما ذكر من الإيمان والعمل الصالح الذي من جماته عداوة الشيطان (مغفرة) عظيمة (وأجر كبير) لا غاية لها (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً) إما تقرير لما سبق من التباين البين بين عاقبتى الفريقين ببيان تباين حالهما المؤديين إلى تنكك العاقبتين والفاء لإنكار ترتيب ما بعدها على ما قبلها أى أبعد كون حالهما كما ذكر يكون من زين له الكفر من جهة الشيطان فانهمك فيه كمن استعجبه واجتنبه واختار الإيمان والعمل الصالح حتى لا تكون عاقبتاهما كما ذكر لحذف ما حذف لدلالة ما سبق عليه وقوله تعالى *
- ٨ (فإن الله يضل) الخ تقرير له وتحقيق للحق ببيان أن الكل بمشيئته تعالى أى فإنه تعالى يضل (من يشاء) أن يضلّه لاستحسانه واستحبابه الضلال وصرف اختياره إليه فيرده أسفل سافلين (ويهدى من يشاء) أن يهديه بصرف اختياره إلى الهدى فيرفعه إلى أعلى عليين وإما تمهيد لما يعقبه من نهيه ﷺ عن التحسر والتعزن عليهم لعدم إسلامهم ببيان أنهم ليسوا بأهل لذلك بل لأن يضرب عنهم صفحاً ولا يبالى بهم قطعاً أى أبعد كون حالهم كما ذكر تحسر عليهم لحذف لما دل عليه قوله تعالى (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) دلالة بينة وإما تمهيد لصرفه ﷺ عما كان عليه من الحرص الشديد على إسلامهم والمبالغة في دعوتهم إليه ببيان استحالة تحولهم عن الكفر لكونه في غاية الحسن عند أى أبعد ما ذكر من زين له الكفر من قبل الشيطان فرآه حسناً فانهمك فيه يقبل الهداية حتى تطمع في إسلامه وتنعب نفسك في دعوته لحذف ما حذف لدلالة ما مر من قوله تعالى فإن الله يضل من يشاء الخ على أنه من شاء الله تعالى أن يضلّه فن يهدى من أضل الله وما لهم من ناصرين وقرىء فلا تذهب نفسك وقوله تعالى حسرات إما مفعول له أى فلا

وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسُقِنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ بِالْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ
النُّشُورُ ﴿١٠٩﴾

٣٥ فاطر

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ
يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ ﴿١١٠﴾

٣٥ فاطر

تهلك نفسك للحسرات والجمع للدلالة على تضاعف اغتمامه ﷺ على أحوالهم أو على كثرة قبائح أعمالهم
الموجبة للتأسف والتحسر وعليهم صلة تذهب كما يقال هلك عليه حياً ومات عليه حزناً أو هو بيان
للتحسر عليه ولا يجوز أن يتعلق بحسرات لأن المصدر لا تتقدم عليه صلته وإما حال كان كلها صارت
حسرات وقوله تعالى (إن الله هليم بما يصنعون) أى من القبائح لتعليل لما قبله على الوجوه الثلاثة مع ما فيه
من الوعيد. عن ابن عباس رضى الله عنهما أنها نزلت في أبي جهل ومشركي مكة (والله الذى أرسل الرياح)
مبتدأ وخبر وقرئ الرياح وصيغة المضارع فى قوله تعالى (فتثير سحاباً) لحكاية الحال الماضية استحضاراً
لذلك الصورة البديعة الدالة على كمال القدرة والحكمة ولأن المراد بيان إحداثها لتلك الخاصة ولذلك
أسند إليها أو للدلالة على استمرار الإثارة (فسقناه إلى بلد ميت) وقرئ بالتخفيف (فأحيينا به الأرض)
أى بالمطر النازل منه المدلول عليه بالسحاب فإن بينهما تلازماً فى الذهن كما فى الخارج أو بالسحاب فإنه
سبب السبب (بعد موتها) أى يبسها وإيراد الفعلين على صيغة الماضى للدلالة على التحقق وإسنادهما إلى
نون العظمة المنبى عن اختصاصهما به تعالى لما فيهما من مزيد الصنع ولتكميل المماثلة بين إحياء الأرض
وبين البعث الذى شبه به بقوله تعالى (كذلك النشور) فى كمال الاختصاص بالقدرة الربانية والكاف فى
حيز الرفع على الخبرية أى مثل ذلك الإحياء الذى تشاهدونه إحياء الأموات فى صفة المقدورية وسهولة
التأتى من غير تفاوت بينهما أصلاً سوى الألف فى الأول دون الثانى وقيل فى كيفية الإحياء يرسل الله
تعالى من تحت العرش ماء فينبث منه أجساد الخلق (من كان يريد العزة) هم المشركون الذين كانوا
يتعززون بعبادة الأصنام كقوله تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً والذين كانوا
يتعززون بهم من الذين آمنوا بالسنتهم كفى قوله تعالى الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين
أيتنغون عندهم العزة والجمع بين كان ويريد للدلالة على دوام الإرادة واستمرارها (فله العزة جميعاً) أى
له تعالى وحده لا لغيره عزة الدنيا وعزة الآخرة أى فليطلبها منه لا من غيره فاستغنى عن ذكره بذكر
دليله إيداناً بأن اختصاص العزة به تعالى موجب لتخصيص طلبها به تعالى وقوله تعالى (إليه يصعد
الكلم الطيب والعمل الصالح برفعه) بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح رصودهما
إليه مجاز عن قبوله تعالى إياهما أو صعود الكتبة بصحيفتهما وتقديم الجار والمجرور عبارة عن كمال
الاعتداد به كقوله تعالى وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات أى إليه يصل الكلم الطيب
الذى به يطلب العزة لا إلى الملائكة الموكلين بأعمال العباد فقط وهو يعز صاحبه ويعطى طلبته بالذات

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ
وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ ٣٥ فاطر

والمستمكن في يرفعه للكلام فإن مدار قبول العمل هو التوحيد ويؤيده القراءة بنصب العمل أو للعمل فإنه يحقق الإيمان ويقويه ولا ينال الدرجات العالية إلا به وقرى يصعد من الإصعاد على البناءين والمصعد هو الله سبحانه أو المتكلم به أو الملك وقيل الكلام الطيب يتناول الذكر والدعاء والاستغفار وقراءة القرآن وعنه عليه السلام أنه سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر إذا قالها العبد عرج بها الملك إلى السماء فحياتها وجه الرحمن فإذا لم يكن عمل صالحاً لم تقبل وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحانه والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وتبارك الله إلا أخذ من ملك لجعلهن تحت جناحه ثم صعد بهن فأيمن بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يحيي بهن وجه رب العالمين ومصادقه قوله عز وجل إليه يصعد الكلم الطيب الخ (والذين يذكرون السيئات) بيان لحال الكلم الحبيث والعمل السيء وأهلها بعد بيان حال الكلم الطيب والعمل الصالح وانتصاب السيئات على أنها صفة للمصدر المحذوف أي يذكرون المكرات السيئات وهي مكرات قريش بالنبي عليه السلام في دار الندوة وتداولهم الرأي في إحدى الثلاث التي هي الإثبات والقتل والإخراج (لهم) بسبب مكراتهم (عذاب شديد) لا يقاد قدره ولا يؤبه عنده لما يذكرون (ومكر أولئك) وضع اسم الإشارة ووضع ضميرهم للإبذان بكال تميزهم بمأثم فيه من الشر والفساد عن سائر المفسدين واشتهارهم بذلك وما فيه من معنى البعد للتنبيه على تراعى أمرهم في الطغيان وبعد منزلتهم في العدوان أي ومكر أولئك المفسدين الذين أرادوا أن يذكروا به عليه السلام (هو يبور) أي هو يهلك ويفسد خاصة لا من مكروا به ولقد أبارهم الله تعالى بعد إبارة مكراتهم حيث أخرجهم من مكة وقتلهم وأثبتهم في قلب بدر فجمع عليهم مكراتهم الثلاث التي اكتفوا في حق عليه السلام بواحدة منهم (والله خلقكم من تراب) دليل آخر على صحة البعث والنشور أي خلقكم ابتداء منه في ضمن خلق آدم عليه السلام خلقاً إجمالياً كما مر في تحقيقه مراراً (ثم من نطفة) أي ثم خلقكم منها خلقاً تفصيلياً (ثم جعلكم أزواجاً) أي أصنافاً أو ذكراناً وإناثاً وعن قتادة جعل بعضهم أزواجاً لبعض (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه) إلا ملتبسة بعلمه تابعة لمشيئته (وما يعمر من معمر) أي من أحدوا وإنما سمي معمرأ باعتبار مهيئته أي وما يمد في عمر أحد (ولا ينقص من عمره) أي من عمر أحد على طريقة قوله لا يثيب الله عبداً ولا يعاقبه إلا بحق لكن لا على معنى لا ينقص عمره بعد كونه زائداً بل على معنى لا يجعل من الابتداء ناقصاً وقيل الزيادة والنقص في عمر واحد باعتبار أسباب مختلفة أثبتت في اللوح مثل أن يكتب فيه إن حج فلان فعمره ستون وإلا فأربعون وإليه أشار عليه السلام بقوله الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الأعمار وقيل المراد بالنقص ما يمر من عمره وينقص فإنه يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب تحت ذلك ذهب يوم ذهب يوماً وهكذا حتى يأتي على آخره وقرى ولا ينقص على البناء للفاعل ومن عمره

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾

٣٥ فاطر

يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَكَرَ اللَّهُ رَبَّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾

٣٥ فاطر

- يسكون الميم (إلا في كتاب) عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه اللوح وقيل علم الله عز وجل وقيل صحيفة كل إنسان (إن ذلك) أى ماذكر من الخلق وما بعده مع كونه محاراً للعقول والأفهام (على الله يسير) لاستغنائها عن الأسباب فكذلك البعث (وما يستوى البحرين هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج) مثل ضرب للمؤمن والكافر والفرات الذى يكسر العطش والسائغ الذى يسهل انحداره لعذوبته والأجاج الذى يحرق بملوحته وقرىء سبغ كسيد وسبغ بالتخفيف وملح ككتف وقوله تعالى (ومن كل) أى من كل واحد منهما (تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون) أى من المالح خاصة (حلية تلبسونها) إما استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم والمنافع وإما تكملة للتشثيل والمعنى كما أنهما وإن اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان من حيث أنهما متفاوتان فيما هو المقصود بالذات من الماء لما خالط أحدهما ما أفسده وغيره عن كمال فطرته لا يساوى الكافر المؤمن وإن شاركه في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة ونحوهما لتباينهما فيما هو الخاصية العظمى لبقاء أحدهما على فطرته الأصلية وحيازته لكاله اللائق دون الآخر أو تفضيل الأجاج على الكافر من حيث أنه يشارك العذب في منافع كثيرة والكافر خلو من المنافع بالكالية على طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله والمراد بالحلية اللؤلؤ والمرجان (وترى الفلك فيه) أى في كل منهما وإفراد ضمير الخطاب مع جمعه فيما سبق وما لحق لأن الخطاب لكل حد تناق من الرؤية دون المتفعين بالبحرين فقط (مواخر) شواق للباء بمرها مقبلة ومدبرة بريح واحدة (لتبتغوا من فضله) من فضل الله تعالى بالنفلة فيها واللام متعلقة بمواخر وقد جوز تعلقها بما يدل عليه الأفعال المذكورة أى فعل ذلك لتبتغوا من فضله (ولعلكم تشكرون) أى ولتشكروا على ذلك وحرف الترجى للإيذان بكونه مرضياً عند الله تعالى (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) بزيادة أحدهما ١٣ ونقص الآخر بإضافة بعض أجزاء كل منهما إلى الآخر (وسخر الشمس والقمر) عطف على يولج واختلافهما صيغة لما أن إبلاج أحد الملوين في الآخر متجدد حيناً لحيناً وأما تسخير النيرين فأمر لا تعدد فيه وإنما المتعدد والمتجدد آثاره وقد أشير إليه بقوله تعالى (كل يجرى) أى بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية المتعددة حسب تعدد أيام السنة جرياناً مستمراً (لأجل مسمى)

إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكُمْ وَلَا يَنْبِتُكُمْ مِثْلُ خَيْرٍ ⑭

فاطر ٣٥

فاطر ٣٥

يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ⑮

فاطر ٣٥

إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ⑯

فاطر ٣٥

وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ⑰

- قدره الله تعالى للجريانهما وهو يوم القيامة كما روى عن الحسن رحمه الله وقيل جريانهما عبارة عن حركتهما الخاصتين بهما في فلكيهما والأجل المسمى هو منتهى دورتيهما ومدة الجريان للشمس سنة والقمر شهر وقد مر تفصيله في سورة لقمان (ذلكم) إشارة إلى فاعل الأفاعيل المذكورة وما فيه من معنى البعد للإيدان بقاية العظمة وهو مبتدأ وما بعده أخبار مترادفة أى ذلكم العظيم الشأن الذى أبدع هذه الصنائع البديعة (الله ربكم له الملك) وفيه من الدلالة على أن إبداعه تعالى لتلك البدائع مما يوجب ثبوت تلك الأخبار له ما لا يخفى ويجوز أن يكون الأخير كلاما مبتدأ فى مقابلة قوله تعالى (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) للدلالة على تفرده تعالى بالألوهية والربوبية وقرئ يدعون بالياء النحنانية ١٤ والقطمير لفافة النواف وهو مثل فى القلة والحقارة (إن تدعوهم لا يسمعوا دعامكم) استئناف مقرر لمضمون ما قبله كاشف عن جليلة حال ما يدعون به أنه جاهد ليس من شأنه السماع (ولو سمعوا) على الفرض والتقدير (ما استجابوا لكم) لعجزهم عن الأفعال بالمرّة لا لما قيل من أنهم متبرنون منكم وما تدعون لهم فإن ذلك مما لا يتصور منهم فى الدنيا (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) أى يحدون بإشراككم لهم وعبادتكم إياهم بقولهم ما كنتم إيانا تعبدون (ولا ينبئك مثل خبير) أى لا يخبرك بالأمر مخبر مثل خبير أخبرك به وهو الحق سبحانه فإنه الخبير بكنه الأمور دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما أخبر به من حال آلهتهم ونفى ما يدعون لهم من الإلهية (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله) فى أنفسكم وفيما يعين لكم من أمرهم أو خطاب لهم وتعرّيف الفقراء للبالغة فى فقرهم كأنهم لكثرة افتقارهم وشدة احتياجهم هم الفقراء لحسب وأن افتقار سائر الخلائق بالنسبة إلى فقرهم بمنزلة العدم ولذلك قال تعالى وخلق الإنسان ضعيفاً (والله هو الغنى الحميد) أى المستغنى على الإطلاق المنعم على سائر الموجودات المستوجب للحمد (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) ١٦ ليسوا على صفتكم بل مستمرّون على الطاعة أو بعالم آخر غير ما تعرفونه (وما ذلك) أى ما ذكر من الإذهاب بهم والإتيان بآخرين (على الله بعزیز) بمعتذر ولا متعسر . ١٧

وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِهْلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

٣٥ فاطر

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾

٣٥ فاطر

وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾

٣٥ فاطر

وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾

٣٥ فاطر

وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾

٣٥ فاطر

- ١٨ (ولا تزر وازرة) أى لا تحمل نفس آثمة (وزر أخرى) إثم نفس أخرى بل إنما تحمل كل منهما وزرها وأما ما فى قوله تعالى وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم من حمل المهابين أثقالا غير أثقالهم فهو حمل أثقال إضلالهم مع أثقال ضلالهم وكلاهما أوزارهم ليس فيها من أوزار غيرهم شىء. (وإن تدع مثقلة) أى نفس أثقالها الأوزار (إلى حملها) لحمل بعض أوزارها (لا يحمل منه شىء) لم تحب بحمل شىء منه (ولو كان) أى المدعو المفهوم من الدعوة (ذا قرى) ذا قرابة من الداعى وقرىء ذو قربنى وهذا نفي للحمل اختياراً والاول نفي له جباراً (إنما تنذر) استئناف مسوق لبيان من يتعظ بما ذكر أى إنما تنذر بهذه الإنذارات (الذين يخشون ربهم بالغيب) أى يخشونه تعالى غائبين عن عذابه أو عن الناس فى خلواتهم أو يخشون عذابه وهو غائب عنهم (وأقاموا الصلاة) أى راعوها كما ينبغى وجعلوها مناراً منصوباً وعلماً مرفوعاً أى إنما ينفع إنذارك وتحذيرك هؤلاء من قومك دون من عداهم من أهل القرد والعناد (ومن تزكى) أن تطهر من أضرار الأوزار والمعاصى بالتأثر من هذه الإنذارات (فإنما يتزكى لنفسه) لاقتصار نفعه عليها كما أن من تدنس بها لا يتدنس إلا عليها وقرىء من أركى فأنما يركى وهو اعتراض مقرر لحشيتهم وإقامتهم الصلاة لأنها من معظم مبادئ التزكى (وإلى الله المصير) لا إلى أحد غيره استقلالاً أو اشتراكاً فيجازيهم على تركيهم أحسن الجزاء (وما يستوى الأعمى والبصير) أى
- ١٩ الكافر والمؤمن (ولا الظلمات ولا النور) أى ولا الباطل ولا الحق وجمع الظلمات مع أفراد النور لتعدد
- ٢٠ فنون الباطل واتحاد الحق (ولا الظل ولا الحرور) أى ولا الثواب ولا العقاب وإدخال لاعلى المتقابلين
- ٢١ لتذكير نفي الاستواء وتوسيطها بينهما للتأكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم
- ٢٢ ما يهب نهاراً والحرور ما يهب ليلاً (وما يستوى الأحياء ولا الأموات) تمثيل آخر للؤمنين والكافرين

٣٥ فاطر

إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾

٣٥ فاطر

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾

وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ

٣٥ فاطر

الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾

٣٥ فاطر

ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ

٣٥ فاطر

بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهَا وَعَرَبِيٌّ سُودٌ ﴿٢٧﴾

- أبلغ من الأول ولذلك كرر الفعل وأوثر صيغة الجمع في الطرفين تحقيقاً للتباين بين أفراد الفريقين وقيل
تمثيل للعلماء والجهلة (إن الله يسمع من يشاء) أن يسمعه ويوفقه لفهم آياته والاعتاظ بعظاته (وما أنت
بمسمع من في القبور) ترشيح تمثيل المصيرين على الكفر بالأموات وإشباع في إقناطه ﷺ من إيمانهم
٢٣ (إن أنت إلا نذير) ما عليك إلا الإنذار وأما الإسماع البتة فليس من وظائفك ولا حيلة لك إليه في
٢٤ المطبوع على قلوبهم (إنا أرسلناك بالحق) أي محققين أو محققاً أنت أو إرسالا مصحوباً بالحق ويجوز أن
يتعلق بقوله (بشيراً ونذيراً) أي بشيراً بالوعد الحق ونذيراً بالوعيد الحق (وإن من أمة) أي مامن
أمة من الأمم الدارجة في الأزمنة الماضية (إلا خلا) أي مضى (فيها نذير) من نهي أو طام ينذرهم
والاكتفاء بذكره للعلم بأن النذارة قريبة البشارة لاسيما وقد اقترنا آنفاً ولأن الإنذار هو الأنسب
٢٥ بالمقام (وإن يكذبوك) أي تموا على تكذيبك فلا تبال بهم وبتكذيبهم (فقد كذب الذين من قبلهم)
من الأمم العاتية (جاءتهم رسالهم بالبينات) أي المعجزات الظاهرة الدالة على نبوتهم (وبالزبر) كصحف
إبراهيم (وبالكتاب المنير) كالتوراة والإنجيل والزبور على إرادة التفصيل دون الجمع ويجوز أن يراد
٢٦ بهما واحداً والعطف لتغاير العنوانين (ثم أخذت الذين كفروا) وضع الموصول موضع ضميرهم لدمهم
بما في حيز الصلة والإشعار بعلّة الأخذ (فكيف كان نكير) أي إنكارى بالعقوبة وفيه مزيد تشديد
٢٧ وتهويل لها (ألم تر) استئناف مسوق لتقرير ما قبله من اختلاف أحوال الناس ببيان أن الاختلاف
والنفاوت أمر مطرد في جميع المخلوقات من النبات والجماد والحيوان والرؤية قلبية أي ألم تعلم (أن الله
أنزل من السماء ماء فأخرجنا به) بذلك الماء والانتفاخ لإظهار كمال الاعتناء بالفعل لما فيه من الصنع
البدیع المنبي عن كمال القدرة والحكمة (ثمرات مختلفاً ألوانها) أي أجناسها أو أصنافها على أن كلا منها
ذو أصناف مختلفة أو هيئاتها وأشكالها أو ألوانها من الصفرة والخضرة والحمرة وغيرها وهو الأوفق
لما في قوله تعالى (ومن الجبال جدد) أي ذو جدد أي خطوط وطرائق ويقال جدة الحمار للخطوة السوداء

وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ
الْعَلَمَتُونَ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾

٣٥ قاطر

إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ
تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ﴿٢٩﴾

٣٥ قاطر

- على ظهره وقرى جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة ووجدت بفتحين وهو الطريق الواضح (بيض وحر مختلف ألوانها) بالشدة والضعف (وغرايب سود) عطف على يبيض أو على جدد كأنه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرايب وهو تأكيد لمضمير يفسره ما بعده فإن الغريب تأكيد للأسود كالفاقع للأصفر والقاني للأحمر ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد ونظيره في الصفة قول النابغة [والمؤمن العائذات الطير يمسحها] وفي مثله مزيد تأكيد لما فيه من التكرار باعتبار الإضمار والإظهار (ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه) أى ومنهم بعض مختلف ألوانه أو وبعضهم ٢٨ مختلف ألوانه على ما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمناً بالله وإيراد الجملتين اسميتين مع مشاركتيهما لما قبلهما من الجملة الفعلية في الاستشهاد بمضمونهما على تبين الناس في الأحوال الباطنة لما أن اختلاف الجبال والناس والدواب والأنعام فيما ذكر من الألوان أمر مستمر فعبّر عنه بما يدل على الاستمرار وأما إخراج الثمرات المختلفة لحيث كان أمراً حادثاً عبّر عنه بما يدل على الحدوث ثم لما كان فيه نوع خفاء علق به الرؤية بطريق الاستفهام التقريرى المنبئ عن الحمل عليها والترغيب فيها بخلاف أحوال الجبال والناس وغيرهما فإنها مشاهدة غنية عن التأمل فلذلك جردت عن التعليق بالرؤية فتدبر وقوله تعالى (كذلك) مصدر تشبيهى لقوله تعالى مختلف أى صفة لمصدره المؤكد تقديره مختلف اختلافاً كانتاً كذلك أى باختلاف الثمار والجبال وقرى ألواناً وقرى والدواب بالتخفيف مبالغة في الحرب من التقاء الساكنين وقوله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) تكملة لقوله تعالى إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب بتعيين من يخشاه عز وجل من الناس بعد بيان اختلاف طبقاتهم وتباين مراتبهم أما فى الأوصاف المعنوية فبطريق التمثيل وأما فى الأوصاف الصورية فبطريق التصريح توفية لكل واحدة منهما حقها اللائق بها من البيان أى إنما يخشاه تعالى بالغيب العالمون به عز وجل وبما يليق به من صفاته الجليلة وأفعاله الجميلة لما أن مدار الخشية معرفة المخشى والعلم بشئونه فمن كان أعلم به تعالى كان أخشى منه عز وجل كما قال ﷺ أنا أخشاكم لله وأتقاكم له ولذلك عقب بذكر أفعاله الدالة على كمال قدرته وحيث كان الكفرة بمزول من هذه المعرفة امتنع إنذارهم بالكلية وتقديم المفعول لأن المقصود حصر الفاعلية ولو آخر انعكس الأمر وقرى برفع الاسم الجليلة ونصب العلماء على أن الخشية مستعارة للتعظيم فإن المعظم يكون مهيأ (إن الله عزير غفور) تعليل لوجوب الخشية لدلالته على أنه معاقب للمصر على طغيانه غفور للنائب عن عصيانه (إن الذين يتلون كتاب الله) أى يداومون على قراءته أو متابعة ما فيه حتى ٢٩

٣٥ فاطر

لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٥﴾

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ

بَصِيرٌ ﴿٣٦﴾

٣٥ فاطر

ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ۚ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ

٣٥ فاطر

سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ۚ يُؤْتِنِ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٧﴾

صارت سمة لهم وعنواناً والمراد بكتاب الله تعالى القرآن وقيل جلس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الأمم بعد اقتصاص حال المكذبين منهم وليس بذلك فإن صيغة المضارع منادية باستمرار مشروعيتها تلاوته والعمل بما فيه واستتباعهما لما سيأتي من توفية الأجور وزيادة الفضل وحملها على حكاية الحال الماضية مع كونه تعسفاً ظاهراً مما لا سبيل إليه كيف لا والمقصود الترغيب في دين الإسلام والعمل بالقرآن الناسخ لما بين يديه من الكتب فالتعرض لبيان حقيقتها قبل انتساخها والإشباع في ذكر استتباعها لما ذكر من الفوائد العظيمة مما يورث الرغبة في تلاوتها والإقبال على العمل بها وتخصيص التلاوة بما لم ينسخ منها باطل قطعاً لما أن الباقي مشروعاً ليس إلا حكمها لكن لا من حيث إنه حكمها بل من حيث إنه حكم القرآن وأما تلاوتها فبمزل من المشروع واستتباع الأجر بالمرة فتدبر (وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية) كيفما أنفق من غير قصد إليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة (يرجون تجارة) تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر إن وقوله تعالى (إن تبور) أي لن تكسب ولن تهك بالخسران أصلاً صفة لتجارة جيء بها للدلالة على أنها ليست كسائر التجارات الدائرة بين الربح والخسران لأنه اشتراء باق بفان والإخبار برجاتهم من أكرم الأكرمين عدة قطعية بمحصل مرجوهم وقوله ٣٠ تعالى (ليؤفقه أجورهم) متعلق بـ إن تبور على معنى أنه ينتقى عنها الكساد وتنفق عند الله تعالى ليؤفقه أجورهم (ويزيدهم من فضله) على ذلك من خزائن رحمته ما يشاء وقيل بمضمحل عليه ما عدم من أفعالهم المرضية أي فعلوا ذلك ليؤفقه أجورهم الخ وقيل يرجون على أن اللام للعاقبة (إنه غفور شكور) تعليل لما قبله من التوفية والزيادة أي غفور لفرطاتهم شكور لطاعتهم أي مجازيهم عليها وقيل هو خبر إن الذين يرجون حال من واو أنفقوا (والذي أوحينا إليك من الكتاب) وهو القرآن ومن للتبيين أو الجنس ومن للتبعض وقيل اللوح ومن للابتداء (هو الحق مصدقاً لما بين يديه) أي أحقه مصدقاً لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لأن حقيقته تستلزم موافقته إياه في العقائد وأصول الأحكام (إن الله بعباده خبير بصير) محيط ببواطن أمورهم وظواهرها فلو كان في أحوالك ما ينافي النبوة لم يوح إليك مثل هذا الحق المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبر للتنبيه على أن العمد هي الأمور الروحية (ثم أوحينا الكتاب) أي قضينا بتوريثه منك أن نورته والتعبير عنه بالماضي لتقرره ٣٢

جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٥﴾ فاطر

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٦﴾ فاطر

وتحقيقه وقيل أورثناه من الأمم السالفة أى أخرناه عنهم وأعطيناه (الذين اصطفتنا من عبادنا) وهم علماء الأمة من الصحابة ومن بعدهم ممن يسير سيرتهم أو الأمة بأسرهم فإن الله تعالى اصطفاهم على سائر الأمم وجعلهم أمة وسطاً ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الاتماء إلى أفضل رسله عليهم الصلاة والسلام وليس من ضرورة وراثته الكتاب مراعاته حق رعايته لقوله تعالى خلف من بعدهم خلف وورثوا الكتاب الآية (فمنهم ظالم لنفسه) بالتقصير في العمل به وهو المرجأ لأمركه (ومنهم مقتصد) يعمل به في أغلب الأوقات ولا يخلو من خلط السيئ (ومنهم سابق بالخيرات ياذن الله) قيل هم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار وقيل هم المداومون على إقامة مواجبه علماء وعملاء وتعلماء وفي قوله ياذن الله أى بتيسيره وتوفيقه تنبيه على عزة منال هذه الرتبة وصعوبة مأخذها وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذى خلط الصالح بالسيئ والسابق الذى ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله ﷺ وأما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب وأما المقتصد فأولئك يحاسبون حساباً يسيراً وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك يحبسون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله تعالى برحمته وقد روى أن عمر رضى الله عنه قال وهو على المنبر قال رسول الله ﷺ سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له (ذلك) إشارة إلى السبق بالخيرات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإشعار بعلم تبتته وبعد منزلته في الشرف (هو الفضل الكبير) من الله عز وجل لا ينال إلا بتوفيقه تعالى (جنات عدن) إما بدل من الفضل الكبير بتنزيل ٣٣ السبب منزلة المسبب أو مبتدأ خبره (يدخلونها) وعلى الأول هو مستأنف وجمع الضمير لأن المراد بالسابق الجنس وتخصيص حال السابقين وما ألهم بالذكر والسكوت عن الفريقين الآخرين وإن لم يدل على حرمانهما من دخول الجنة مطلقاً لكن فيه تحذير ألها من التقصير وتحريضاً على السعى في إدراك شأو السابقين وقرئ جنات عدن وجنة عدن على النصب بفعل يفسره الظاهر وقرئ يدخلونها على البناء للفعول (يحلون فيها) خبر ثان أو حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المرأة فهى حالية (من أساور) هى جمع أسورة جمع سوار (من ذهب) من الأولى تبعية والثانية بيانية أى يحلون بعض أساور من ذهب كأنه أفضل من سائر أفرادها (ولؤلؤاً) بالنصب عطفاً على محل من أساور وقرئ بالجر عطفاً على ذهب أى من ذهب مرصع باللؤلؤ أو من ذهب في صفاء اللؤلؤ (ولباسهم فيها حرير) وتغيير الأسلوب قد مر في سورة الحج (وقالوا) أى يقولون وصيغة الماضى للدلالة على التحقق (الحمد) ٣٤ لله الذى أذهب عنا الحزن) وهو ما أهمهم من خوف سوء العاقبة وعن ابن عباس رضى الله عنهما حزن الأعراض والآفات وعنه حزن الموت وعن الضحاح الحزن وسوسة إبليس وقيل هم المعاش وقيل حزن

الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ ۖ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ فاطر

وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ

فاطر ٣٥

نَجْزِي كُلَّ كَافُورٍ ﴿٣٦﴾

وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۖ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ

فاطر ٣٥

مَنْ تَذَكَّرَ ۖ وَجَاءَ كُرُّ النَّذِيرِ فَذُوقُوا ۚ فَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾

زوال النعم والظاهر أنه الجنس المنتظم لجميع أحزان الدين والدنيا وقرىء الحزن وعن رسول الله ﷺ ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم وكانى بأهل لا إله إلا الله يخرجون من قبورهم ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن (إن ربنا لغفور) ٣٥ أى للذنبين (شكور) للطيعين (الذي أحلنا دار المقامة) أى دار الإقامة التى لا انتقال عنها أبداً (من فضله) من إنعامه وفضله من غير أن يوجهه شيء من قبلنا (لا يمسنا فيها نصب) تعب (ولا يمسنا فيها لغوب) كلال والفرق بينهما أن النصب نفس المشقة والكلفة واللغوب ما يحدث منه من الفتور والنصر يحبنى الثانى مع استلزام نفى الأول له وتكرير الفعل المنفى للبالغة فى بيان انتفاء كل منهما (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم) لا يحكم عليهم بموت ثان (فيموتوا) ويستريحوا ونصبه بإضمار أن وقرىء فيموتون عطفاً على يقضى كقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون (ولا يخفف عنهم من عذابها) بل كلما خبت زيد إسماعها (كذلك) أى مثل ذلك الجزء الفظيع (نجزى كل كفور) مبالغ في الكفر أو الكفران لأجزاء أخف وأدنى منه وقرىء يجرى على البناء للمفعول وإسناده إلى الكل وقرىء يجرى الكفوران لا أجزاء أخف وأدنى منه وقرىء يجرى على البناء للمفعول وإسناده إلى الكل وقرىء يجرى (وهم يصطرخون فيها) يستغيثون والاصطراخ افتعال من الصراخ استعمال في الاستغاثة لجهـد المستغيث صوته (ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل) بإضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والإشعار بأن استخراجهم لتلافيه وأنهم كانوا يحسبونهم صالحاً والآن تبين خلافه وقوله تعالى (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) جواب من جمته تعالى وتوبيخ لهم والهمزة للإنكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وما نكرة موصوفة أى ألم نمهلكم أو ألم تؤخركم ولم نعمركم عمراً يتذكر فيه من تذكر أى يتمكن فيه المتذكر من التذكر والتفكير قيل هو أربعون سنة وعن ابن عباس رضى الله عنهما ستون سنة وروى ذلك عن على رضى الله عنه وهو العمر الذى أعذر الله فيه إلى ابن آدم قال ﷺ أعذر الله إلى امرئ آخر أجله حتى بلغ ستين سنة وقوله تعالى (وجاءكم النذير) عطف على الجملة الاستفهامية لأنها فى معنى قد عمرناكم كما فى قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك ووضعنا الخ لأنه فى معنى قد شرحنا الخ والمراد بالنذير رسول الله ﷺ أو مامعه من القرآن وقيل العقل وقيل الشيب وقيل موت الأقارب والاقتصار على ذكر النذير لأنه الذى

إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ ٣٥ فاطر
 هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ
 عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ ٣٥ فاطر
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ
 فِي السَّمَوَاتِ أَمْ ءَاتَيْنَهُمُ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ
 بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ٣٥ فاطر

بقتضيه المقام والفاء في قوله تعالى (فذوقوا) لترتيب الأمر بالذوق على ما قبلها من التعمير ومجيء النذير
 وفي قوله تعالى (فأولئك المظالمين من نصير) للتعليل (إن الله عالم غيب السموات والأرض) بالإضافة وقرى ٣٨
 بالتنوين ونصب غيب على المفعولية أي لا يخفى عليه خافية فيهما فلا تخفى عليه أحوالهم (إنه عليم بذات
 الصدور) قيل إنه تعليل لما قبله لأنه إذا علم مضمرة الصدور وهي أخفى ما يكون كان أعلم بغيرها (هو الذي ٣٩
 جعلكم خلائف في الأرض) يقال للمستخلف خليفة وخليف والاول يجمع خلائف والثاني خلفاء والمعنى أنه
 تعالى جعلكم خلفاءه في أرضه وألقى إليكم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها وأباح لكم منافعها وأجعلكم
 خلفاء عن قبلكم من الأمم وأورثكم ما بأيديهم من متاع الدنيا للتشكروه بالتوحيد والطاعة (فمن كفر)
 منكم مثل هذه النعمة السنية وغطها (فعليه كفره) أي وبال كفره لا يتعداه إلى غيره وقوله تعالى (ولا يزيد
 الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتًا ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارًا) بيان لوبال الكفر وغائلته وهو
 مقت الله تعالى إياهم أي بغضه الشديد الذي ليس وراءه خزي وصغار وخسار الآخرة الذي مابعده شر وخسار
 والتكرير لزيادة التقرير والتنبيه على أن اقتضاء الكفر لكل واحد من المؤمنين الهائلين القبيحين بطريق
 الاستقلال والاصالة (قل) تبكيئنا لهم (أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله) أي آلهتكم والإضافة ٤٠
 إليهم لأنهم جعلوهم شركاء لله تعالى من غير أن يكون له أصل ما أصلا وقيل جعلوهم شركاء لأنفسهم فيما يملكونه
 ويأباه سباق النظم الكريم وسياقه (أروني ماذا خلقوا من الأرض) بدل اشتغال من رأيتم كأنه قيل
 أخبروني عن شركائكم أروني أي جزء خلقوا من الأرض (أم لهم شرك في السموات) أي أم لهم شركة
 مع الله سبحانه في خلق السموات ليستحقوا بذلك شركة في الألوهية ذاتية (أم آتيناهم كتاباً) ينطق
 بأنا آتيناهم شركاء (فهم على بينة منه) أي حجة ظاهرة من ذلك الكتاب بأن لهم شركة جمالية ويجوز
 أن يكون ضمير آتيناهم للشركين كما في قوله تعالى أم أنزلنا عليهم سلطاناً الخ وقرى على بينات وفيه إيماء
 إلى أن الشرك أمر خطير لا بد في إثباته من تعاضد الدلائل (بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً)
 لما نفي أنواع الحجج في ذلك أضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تقرير الأسلاف للأخلاف وإضلال
 الرؤساء للأتباع بأنهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقريب إليه .

إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ
إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ①

٣٥ فاطر

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ
نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ②

٣٥ فاطر

أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرُ السَّيِّئِ لَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأُولَىٰ وَلَئِنْ
فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ③

٣٥ فاطر

أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً
وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ④

٣٥ فاطر

- ٤١ (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) استئناف مسوق لبيان غاية قبح الشرك وهو له أي
بمسكهما كراهة زوالهما أو بمنعهما أن تزولا لأن الإمساك منع (ولئن زالتا إن أمسكهما) أي ما أمسكهما
(من أحد من بعده) من بعد إمساكه تعالى أو من بعد الزوال والجملة سادة متتدا الجوابين ومن الأولى
مزيدة لتأكيد العموم والثانية للابتداء (إنه كان حلما غفورا) غير معاجل بالعقوبة التي تستوجبها
جناياتهم حيث أمسكهما وكانا جديرتين بأن تهدأ هدا حسبا قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه
٤٢ وتنشق الأرض وقرىء ولو زالتا (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ل يكونن أهدي من إحدى
الأمم) بلغ قرىشا قبل مبعث رسول الله ﷺ أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا امن الله اليهود
والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن أنا رسول لنكونن أهدي من إحدى الأمم اليهود
والنصارى وغيرهم أو من الأمة التي يقال لها إحدى الأمم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة
(فلما جاءهم نذير) وأي نذير أشرف الرسل عليهم الصلاة والسلام (مازادهم) أي النذير أو بجيئه (إلا
٤٣ نفورا) تباعدا عن الحق (استكبارا في الأرض) بدل من نفورا أو مفعول له (ومكر السيئ) أصله
وإن مكروا السيئ أي المكر السيئ ثم ومكرا السيئ ثم ومكر السيئ وقرىء بسكون الهمزة في الوصل
ولعله اختلاس ظن سكوتا أو وقفة خفيفة وقرىء مكر أسبنا (ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله فهل ينظرون)
أي ما ينظرون (إلا سنة الأولى) أي سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم (فلن تجد لسنة الله تبديلا) بأن يضع
موضع العذاب غير العذاب (ولن تجد لسنة الله تحويلا) بأن ينقله من المكذبين إلى غيرهم والفاء لتعليل
ما يفيد الحكم بانتظارهم العذاب من بجيئه ونفى وجدان التبديل والتحويل عبارة عن نفى وجودهما
٤٤ بالطريق البرهاني وتخصيص كل منهما بنفى مستقل لتأكيد انتفاتهما (أولم يسيرا في الأرض فينظروا
كان عاقبة الذين من قبلهم) استشهاد على ما قبله من جريان سنته تعالى على تعذيب المكذبين بما يشاهدونه

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾

٣٥ فاطر

في مسيرهم إلى الشام واليمن والعراق من آثار دمار الأمم الماضية العاتية والهمزة للإنكار والنفي والواو للعطف على مقدر يليق بالمقام أى أقعدوا في مساكنهم ولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم (وكانوا أشد منهم قوة) وأطول أعماراً فما تفعمهم طول المدى وما أغنى عنهم شدة القوى * ومحل الجملة النصب على الحالية وقوله تعالى (وما كان الله ليعجزه من شيء) أى ليسبقه ويفوته (في السوات ولا في الأرض) اعتراض مقرر لما يفهم مما قبله من استئصال الأمم السالفة وقوله تعالى (إنه كان عليهما قديراً) أى مبالغاً في العلم والقدرة ولذلك علم بجميع أعمالهم السيئة فعاقبهم بموجبها لتعليل لذلك (ولو يؤاخذ الله الناس جميعاً) (بما كسبوا) من السيئات كما فعل بأولئك (ما ترك على ظهرها) أى على ظهر الأرض (من دابة) من نسمة تدب عليها من بنى آدم وقيل ومن غيرهم أيضاً من شؤم معاصيهم وهو المروى عن ابن مسعود وأنس رضى الله عنهما ويعضد الأول قوله تعالى (ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى) وهو يوم القيامة (فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً) فيجازيهم عند ذلك بأعمالهم إن * خيراً نظير وإن شراً فشر. عن النبي ﷺ من قرأ سورة الملائكة دعت ثمانية أبواب الجنة أن ادخل من أى باب شئت والله تعالى أعلم.

٣٦ — سورة يس
(مكية وآياتها ثلاث وثمانون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يس ٣٦

يس ﴿١﴾

يس ٣٦

وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾

يس ٣٦

إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾

(سورة يس مكية . وعنه ﷺ تدعى المعمة نعم صاحبها خير الدارين والدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضى له كل حاجة وآياتها ثلاث وثمانون)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (يس) إما مسرود على نمط التعديد فلا حظ له من الإعراب أو اسم للسورة كما نص عليه الخليل وسيبويه وعليه الأكثر فحله الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أو النصب على أنه مفعول لفعل مضمّر وعليهما مدار قراءة يس بالرفع والنصب أي هذه يس أو أقرأ يس ولا مساغ للنصب بإضمار فعل القسم لأن ما بعده مقسم به وقد أبوا الجمع بين قسمين على شيء واحد قبل انقضاء الأول ولا مجال للعطف لاختلافهما إعراباً وقيل هو مجرور بإضمار باء القسم مفتوح لكونه غير منصرف كما سلف في فاتحة سورة البقرة من أن ما كانت من هذه الفواتح مفردة مثل صاد وقاف ونون أو كانت موازنة لمفرد نحو طس ويس وحم الموازنة لتقابل وهابيل يتأتى فيها الإعراب اللفظي ذكره سيبويه في باب أسماء السور من كتابه وقيل هما حركتا بناء كما في حيث وأين حسبا يشهد بذلك قراءة يس بالكسر كبير وقيل الفتح والكسر تحريك للجد في الحرب من التقاء الساكنين وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن معناه يا إنسان في لغة طي قالوا المراد به رسول الله ﷺ ولعل أصله يا أنيسه فاقصر على شطره كما قيل من الله في أيمن الله (والقرآن) بالجر على أنه مقسم به ابتداء وقد جوز أن يكون عطفاً على ٢ يس على تقدير كونه مجروراً بإضمار باء القسم (الحكيم) أي المضمّن للحكمة أو الناطق بها بطريق الاستعارة أو المنتصف بها على الإسناد المجازي وقد جوز أن يكون الأصل الحكيم قائمه لحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فبانقلابه مرفوعاً بعد الجر استكن في الصفة المشبهة كما مر في صدر سورة لقمان (إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) جواب للقسم والجملة لرد إنكار الكفرة بقولهم في حقه ﷺ لست مرسلًا وهذه الشهادة منه عز وجل من جملة ما أشير إليه بقوله تعالى في جوابهم قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم وفي تخصيص القرآن بالإقسام به أولاً وبوصفه بالحكيم ثانياً تنويه بشأنه وتنبيهه على أنه كما يشهد برسالته ﷺ من حيث نظمه المعجز المنظور على بدائع الحكم يشهد بهما من هذه الحثية أيضاً لما أن الإقسام بالشئ

٣٦ يس

عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ①

٣٦ يس

تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ②

٣٦ يس

لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ③

٣٦ يس

لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ④

استشهاد به على تحقق مضمون الجملة القسمية وتقوية لثبوتها فيكون شاهداً به ودليلاً عليه قطعاً وقوله تعالى (على صراط مستقيم) خبر آخر لأن أو حال من المستكن في الجار والمجرور على أنه عبارة عن الشريعة الشريفة بكاملها لا عن التوحيد فقط وقادته بيان أن شريعته ﷺ أقوم الشرائع وأعدلها كما يعرب عنه التنكير التفضيلى والوصف لإثر بيان أنه ﷺ من جملة المرسلين بالشرائع (تنزيل العزيز الرحيم) نصب على المدح وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وبالجر على أنه بدل من القرآن وأياً ما كان فهو مصدر بمعنى المفعول عبر به عن القرآن بياناً لكمال عراقتة في كونه منزلاً من عند الله عز وجل كأنه نفس التنزيل وإظهاراً لفخامته الإضافية بعد بيان فخامته الذاتية بوصفه بالحكمة وفي تخصيص الاسمين الكريمين المعربين عن الغلبة التامة والرافة العامة حث على الإيمان به ترهيباً وترغيباً وإشعاراً بأن تنزيله ناشئ عن غاية الرحمة حسبما نطق به قوله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين وقيل النصب على أنه مصدر مؤكد لفعله المضممر أى نزل تنزيل العزيز الرحيم على أنه استئناف مسوق لبيان ما ذكر من فخامة شأن القرآن وعلى كل تقدير ففيه فضل تأكيد لمضمون الجملة القسمية (لتنذر) متعلق بتنزيل على الوجوه ٦ الأول وبعاملة المضممر على الوجه الأخير أى لتنذر به كما في صدر الأعراف وقيل هو متعلق بما يدل عليه من المرسلين أى إنك مرسل لتنذر (قوماً ما أنذر آباؤهم) أى لم ينذر آباؤهم الأقربون لتطول مدة الفترة على أن مانافية فتسكون صفة مبينة لغاية احتياجهم إلى الإنذار أو الذى أنذره أو شيئاً أنذره آباؤهم ألا بعدون على أنها موصولة أو موصوفة فيكون مفعولاً ثانياً لتنذر أو إنذار آباؤهم الأقدمين على أنها مصدرية فيكون نعتاً لمصدر مؤكد أى لتنذر إنذاراً كأنما مثل إنذارهم (فهم غافلون) على الوجه الأول متعلق بنفى الإنذار مترتب عليه والضمير للفريقين أى لم تنذر آباؤهم فهم جميعاً لأجله غافلون وعلى الوجوه الباقية متعلق بقوله تعالى لتنذر أو بما يفيد أنه لمن المرسلين وأرد لتعليل إنذاره ﷺ أو إرساله بغفلتهم المحوكة إليهما على أن الضمير للقوم خاصة فالمرضى فهم غافلون عنه أى عما أنذر آباؤهم الأقدمون لا امتداد المدة واللام في قوله تعالى (لقد حق القول على أكثرهم) جواب القسم أى والله لقد ثبت وتحقق عليهم ٧ البتة لكن لا بطريق الجبر من غير أن يكون من قبلهم ما يقتضيه بل بسبب إصرارهم الاختيارى على الكفر والإنكار وعدم تأثرهم من التذكير والإنذار وغلوهم في العتو والطغيان وتماديهم في اتباع خطوات الشيطان بحيث لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف كيف لا والمراد بما حق من القول قوله

٣٦ يس

إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾

٣٦ يس

وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾

٣٦ يس

وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾

٣٦ يس

إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾

- ٨ تعالى لإبليس عند قوله لا غوينهم أجمعين لا ملان جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين وهو المعنى بقوله تعالى لا ملان جهنم من الجنة والناس أجمعين كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فإنه كما ترى قد أوقع فيه الحكم بإدخال جهنم على من تبع إبليس وذلك لتعليل له بتبعيته قطعاً وثبوت القول على هؤلاء الذين عبر عنهم بأكثرهم إنما هو لكونهم من جملة أولئك المصرين على تبعية إبليس أبداً وإذا قد تبين أن مناط ثبوت القول وتحقيقه عليهم لإصرارهم على الكفر إلى الموت ظهر أن قوله تعالى (فهم لا يؤمنون) متفرع في الحقيقة على ذلك لا على ثبوت القول وقوله تعالى (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً) تقرير لتصميمهم على الكفر وعدم إرجعائهم عنه بتمثيل حالهم بحال الذين غلت أعناقهم (فهي إلى الأذقان) أي قالا غلالاً منتبهة إلى أذقانهم فلا تدعهم يلتفتون إلى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رءوسهم له (فهم مقمحون) رافعون رءوسهم غاضون أبصارهم بحيث لا يكادون يرون الحق أو ينظرون إلى جهته (وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون) إما تنمة للتمثيل وتكميل له أي تكميل أي وجعلنا مع ما ذكر من أمامهم سداً عظيماً ومن وراءهم سداً كذلك فغطينا بها أبصارهم فهم بسبب ذلك لا يقدر على إِبصار شيء ما أصلاً وإما تمثيل مستقل فإن ما ذكر من جعلهم محصورين بين سدين هائلين قد غطيا أبصارهم بحيث لا يبصرون شيئاً قطعاً كاف في الكشف عن كمال فظاعة حالهم وكونهم محبوسين في مظلورة الغي والجهالات محرومين عن النظر في الأدلة والآيات وقرى سداً بالضم وهي لغة فيه وقيل ما كان من عمل الناس فهو بالفتح وما كان من خلق الله فالضم وقرى فأغشيناهم من العشا وقيل الأيتان في بني غزوم وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى رسول الله ﷺ يصلي ليرضخن رأسه فأتاه وهو ﷺ يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده اتثنت يده إلى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكهه عنها بجهد فرجع إلى قومه فأخبرهم بذلك فقال غزوى آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعمى الله تعالى بصره (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) بيان لشأنهم بطريق التصريح لإثريانه بطريق التمثيل أي مستو عندهم إنذارك إياهم وعدمه حسبما مر تحقيقه في سورة البقرة وقوله تعالى (لا يؤمنون) استئناف مؤكداً لما قبله مبين لما فيه من إجمال ما فيه الاستواء أو حال مؤكدة له أو بدل منه ولما بين كون الإنذار عندهم كعدمه عقب ببيان من يتأثر منه فقليل (إنما تنذر) أي إنذاراً مستتبعا للأثر (من اتبع الذكر) أي القرآن بالتأمل فيه أو الوعظ ولم يصر على اتباع خطوات الشيطان (وخشى الرحمن بالغيب) أي

إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١٢﴾ ٣٦ يس

وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ ٣٦ يس

إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ ٣٦ يس

- خاف عقابه وهو غائب عنه على أنه حال من الفاعل أو المفعول أو خافه في سريره ولم يغتر برحمته فإنه منتقم قهار كما أنه رحيم غفار كما نطق به قوله تعالى نبي عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم (فبشره بمغفرة) عظيمة (وأجر كريم) لا يقادر قدره والفاء لترتيب البشارة أو الأمر بها على ما قبلها من اتباع الذكروا الحشبة (إننا نحن نحي الموتى) بيان لشأن عظيم بنطوى على الإنذار والتبشير انطواء إجمالاً أي نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن إحيائهم لإخراجهم من الشرك إلى الإيمان فهو حينئذ عدة كريمة بتحقيق المبشر به (ونكتب ما قدموا) أي ما أسلفوا من الأعمال الصالحة وغيرها (وآثارهم) التي أبقوها من الحسنات كعلم علومه أو كتاب ألفوه أو حبس وفقوه أو بناء بنوه من المساجد والرباطات والقناطر وغير ذلك من وجوه البر ومن السيئات كتأسيس قوانين الظلم والعدوان وترتيب مبادئ الشر والفساد فيما بين العباد وغير ذلك من فنون الشرور التي أحدثوها وسنوها لمن بعدهم من المفسدين وقيل هي آثار المشائين إلى المساجد ولعل المراد أنها من جملة الآثار وقرئ ويكتب على البناء للمفعول ورفع آثارهم (وكل شيء) من الأشياء كائناً ما كان (أحصيناه في إمام مبين) أصل عظيم الشأن مظهر لجميع الأشياء مما كان وما سيكون وهو اللوح المحفوظ وقرئ كل شيء بالرفع (وأضرب لهم مثلاً أصحاب القرية) ضرب المثل يستعمل تارة في تطبيق حالة غريبة بحالة أخرى مثلها كما في قوله تعالى ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط وأخرى في ذكر حالة غريبة وبيانها للناس من غير قصد إلى تطبيقها بنظيرة لها كما في قوله تعالى وضربنا لكم الأمثال على أحد الوجهين أي بينا لكم أحوالاً بديعة هي في الغرابة كالأمثال فالمعنى على الأول اجعل أصحاب القرية مثلاً لهؤلاء في الغلو في الكفر والإصرار على تكذيب الرسل أي طبق حالهم بحالهم على أن مثلاً مفعول ثان لا ضرب وأصحاب القرية مفعوله الأول آخر عنه ليتصل به ما هو شرحه وبيانه وعلى الثاني اذكروا بين لهم قصة هي في الغرابة كالمثل وقوله تعالى أصحاب القرية بدل منه بتقدير المضاف أو بيان له والقرية أنطاكية (إذ جاءها المرسلون) بدل اشتمال من أصحاب القرية وهم رسل عيسى عليه السلام إلى أهلها ونسبة إرسالهم إليه تعالى في قوله (إذ أرسلنا إليهم اثنين) بناء على أنه كان بأمره تعالى لتكثير التشييل وتنميم التسليية وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما (فكذبوهما) أي فأتياهم فدعواهم إلى الحق فكذبوهما في الرسالة (فعززنا) أي قويتنا يقال عزز المطر الأرض إذا لبدها وقرئ بالتخفيف من عزه إذا غلبه وقهره وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولأن المقصد ذكر الممرز به (بثالث) هو شمعون (فقالوا) أي جميعاً (إننا إليكم مرسلون) مؤكدين كلامهم سبق الإنكار لما أن تكذيبيهما تكذيب للثالث لاتحاد كلمتهم وذلك أنهم كانوا عبدة أصنام فأرسل إليهم
- ٢١٥ - أبي السعود ٧٥

قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ ٣٦ يس

قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ ٣٦ يس

وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ ٣٦ يس

عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيات له وهو حبيب النجار صاحب يسر، فسألها فأخبراه قال أمعك آية فقالا نشق المريض ونرى الأكمة والأبرص وكان له ولد مريض منذ سنين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر وشفي على أيديهما خلق وباع حديثهما إلى الملك وقال لهما ألنا إله سوى آلهتنا قالوا نعم من أوجدك وآلهتك فقال حتى أنظر في أمركما فتبعهما الناس وقيل ضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون فدخل متكررا وهاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره إلى الملك فأنس به فقال له يوما بلغني أنك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولونه قال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من أرسلكما قال الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه وأوجزا قالوا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قال ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله تعالى حتى انشق له بصر فأخذا بندقيتين فوضعاهما في صدقيه فصار تامقلتين ينظرهما فقال له شمعون أرأيت لو سألت إلهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال ليس لي عنك سر إن إلهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع وهم يحسبون أنه منهم ثم قال إن قدر إلهكما على إحياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة أيام فقام وقال إني أدخلت في سبعة أودية من النار وإني أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا وقال فتحت أبواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك من هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه السلام فهلكوا هكذا قالوا ولكن لا يساعده سياق النظم الكريم حيث اقتصر فيه على حكاية تماديهم في العناد والجاج وركوبهم متن المكابرة في الحجاج ولم يذكر فيه عن يؤمن أحد سوى حبيب ولو أن الملك وقوه من حوائشه آمنوا لكان الظاهر أن يظاهروا الرسل ويساعدوهم قبلوا في ذلك أو قتلوا كدأب النجار الشهيد وكان لهم فيه ذكر ما بوجه من الوجوه اللهم إلا أن يكون إيمان الملك بطريق الخفية على خوف من عذابه ملته فيعتزل عنهم معتذرا بعذر من الأعذار (قالوا) أي أهل أنطاكية الذين لم يؤمنوا مخاطبين للثلاثة (ما أنتم إلا بشر مثلدنا) من غير مزية لكم علينا ووجه لا اختصاصكم بما تدعونه ورفع بشر لا انتقاض النفي المقتضي لإعمال ما يالا (وما أنزل الرحمن من شيء) مما تدعونه من الوحي والرسالة (إن أنتم إلا تكذبون) في دعوى رسالته (قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون) استشهدوا بعلم الله تعالى وهو يجري مجرى القسم مع ما فيه من تحذيرهم معارضة علم الله تعالى وزادوا اللام المؤكدة لما شاهدوا منهم من شدة الإنكار (وما علينا) أي من جهة ربنا (إلا البلاغ المبين) أي إلا تبليغ رسالته تبليغا ظاهرا بينا

٣٦ يس

قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾

٣٦ يس

قَالُوا تَطَيَّرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾

٣٦ يس

وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقُومِ آتِبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾

٣٦ يس

آتِبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢١﴾

٣٦ يس

وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾

- بِالآيات الشاهدة بالصحة وقد خرجنا عن عهدته فلا مؤاخذه لنا بعد ذلك من جهة ربنا أو ما علينا شيء نطالب به من جهتمكم إلا تبليغ الرسالة على الوجه المذكور وقد فعلناه فأى شيء تطلبون مناحي تصدقونا بذلك (قالوا) لما ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل (إنا تطيرنا بكم) تشاء منا بكم جرياً على دين الجملة ١٨ حيث كانوا يتيمنون بكل ما يوافق شهواتهم وإن كان مستجباً لكل شر ووبال ويتشاهمون بما لا يوافقها وإن كان مستتباً لسعادة الدارين أو بناء على أن الدعوة لا تخلو عن الوعيد بما يكرهونه من إصابة ضرر متعلق بأنفسهم وأهلهم وأموالهم إن لم يؤمنوا فكانوا ينفرون عنه وقد روى أنه حبس عنهم القطر فقالوه (لئن لم تنتهوا) أى عن مقاتلتكم هذه (لنرجنكم) بالحجارة (وليمسنكم منا عذاب أليم) لا يقادر قدره (قالوا طائركم) أى سبب شؤمكم (معكم) لا من قبلنا وهو سوء عقيدتكم وقبح أعمالكم وقرى طيركم ١٩ (أئن ذكركم) أى وعظمت بما فيه سعادتكم وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه أى تطيرتم وتوعدتم بالرجم والتعذيب وقرىء بألف بين الهمزتين وبفتح أن بمعنى أ تطيرتم لأن ذكركم وأن ذكركم وأن ذكركم بغير استفهام وأين ذكركم بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو أبلغ (بل أنتم قوم مسرفون) إضراب عما تقتضيه الشرطية من كون التذكير سبباً للشؤم أو مصححاً للتوعد أى ليس الأمر كذلك بل أنتم قوم عادتكم الإسراف في العصيان فلذلك أناكم الشؤم أو في الظلم والعدوان ولذلك توعدتم وتشاءتم بمن يجب إكرامه والتبرك به (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) هو حبيب النجار وكان ٢٠ ينحت أصنامهم وهو من آمن برسول الله ﷺ وبينهما ستائة سنة كما آمن به تبع الأكر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبي غيره ﷺ أحد قبل مبعثه وقيل كان في غار يعبد الله تعالى فلما بلغه خبر الرسل عليهم الصلاة والسلام أظهر دينه (قال) استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية مجيئه • ساعياً كأنه قيل فإذا قال عند مجيئه فقيل قال (يا قوم اتبعوا المرسلين) تعرض لعنوان رسالتهم حثاً لهم على اتباعهم كأن خطابهم بيا قوم لتأليف قلوبهم واستماتها نحو قبول نصيحته وقوله تعالى (اتبعوا من ٢١ لا يسألكم أجراً وهم مهتدون) تكرر لنا كيد وللتوسل به إلى وصفهم بما يرغبهم في اتباعهم من التزه عن الغرض الدنيوى والاهتداء إلى خير الدنيا والدين (وما لى لا أعبد الذى فطرني) تلطف في الإرشاد ٢٢

ءَاتَخَذُ مِنْ دُونِهِ إِلَهَةً إِنْ يَرِدْ مِنْ الرَّحْمَنِ بُضْرٌ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ ٣٦ يس

إِنِّي إِذَا لَنِي ضَلَلْتُ مُبِينٌ ﴿٢٤﴾ ٣٦ يس

إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ ٣٦ يس

قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ٣٦ يس

بِمَا غَفَرْتُ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمَكْرُمِينَ ﴿٢٧﴾ ٣٦ يس

يأرياده في معرض للناسحة لنفسه وإحاض النصح حيث أراهم أنه اختار لهم ما يختار لنفسه والمراد تقرعهم على ترك عبادة خالقهم إلى عبادة غيره كما ينبي عنه قوله (وإليه ترجعون) مبالغة في التهديد ثم عاد إلى المساق الأول فقال (آتخذ من دونه آلهة) إنكار ونفي لاتخاذ الآلهة على الإطلاق وقوله (إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً) أى لا تنفعني شيئاً من النفع (ولا ينقذون) من ذلك الضر بالنصرة والمظاهرة استئناف سيق لتعليل النفي المذكور وجعله صفة لآلهة كما ذهب إليه بعضهم ربما يوم أن هناك آلهة ليست كذلك وقرئ إن يردن بفتح الياء على معنى إن يوردني ضراً أى يجعلني مورداً للضر (إنى إذا) أى إذا اتخذت من دونه آلهة (لنى ضلال مبين) فإن إشاراك ما ليس من شأنه النفع ولا دفع الضر بالخالق المقدر الذى لا قادر غيره ولا خير إلا خيره ضلال بين لا يخفى على أحد من له تمييز فى الجملة (إنى آمنت بربكم) خطاب منه الرسل بطريق التلوين قيل لما نصح قومه بما ذكرهموا برجمه فأسرع نحو الرسل قبل أن يقتلوه فقال ذلك وإنما أكد لإظهار صدوره عنه بكمال الرغبة والنشاط وأضاف الرب إلى ضميرهم رومالزيادة التقرير وإظهار الاختصاص والافتداء بهم كأنه قال بربكم الذى أرسلكم أو الذى تدعوننا إلى الإيمان به (فاسمعون) أى اسمعوا إيماني واشهدوا لى به عند الله تعالى وقيل الخطاب للكفرة شافهم بذلك لإظهار التصلب فى الدين وعدم المبالاة بالقتل وإضافة الرب إلى ضميرهم لتحقيق الحق والتنبية على بطلان مام عليه من اتخاذ الأصنام أرباباً وقيل للناس جميعاً (قيل ادخل الجنة) قيل له ذلك لما قتلوه إكراماً له بدخولها حينئذ كسائر الشهداء وقيل لما هموا بقتله رفعه الله تعالى إلى الجنة قاله الحسن وعن قتادة أدخله الله الجنة وهو فيها حتى يرزق وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وأنه من أهلها وإنما لم يقل له لأن الغرض بيان المقول لا المقول له لظهوره وللبالغة فى المسارعة إلى بيانه والجملة استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية حاله ومقاله كأنه قيل كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب فى دينه والتسخى بروحه لوجهه تعالى فقيل قيل ادخل الجنة وكذلك قوله تعالى (قال ياليت قومي يعلمون) (بما غفرلى ربى وجعلنى من المكرمين) فإنه جواب عن سؤال نشأ من حكاية حاله كأنه قيل فإذا قال عند نبه تلك الكرامة السنية فقيل قال الخ وإنما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم ذلك عن اكتساب مثله

وَمَا أُنزِلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٢٨﴾ ٣٦ يس

إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾ ٣٦ يس

يَحْشُرُهُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾ ٣٦ يس

أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ ٣٦ يس

بالتوبة عن الكفر والدخول في الإيمان والطاعة جرياً على سنن الأولياء في كظم الغيظ والترحم على الأعداء أو ليعلموا أنهم كانوا على خطأ عظيم في أمره وأنه كان على الحق وأن عداوتهم لم تكسبه إلا سعادة وقرىء من المكرمين وما موصولة أو مصدرية والباء صلة يعلمون أو استفهامية وردت على الأصل والباء متعلقة بغفر أى بآى شئ غفر لى ربى يريد به تفخيم شأن المهاجرة عن ملتهم والمصاهرة على أذيتهم (وما أنزلنا على قومه من بعده) من بعد قتله أو رفعه (من جند من السماء) لإهلاكهم والانتقام منهم ٢٨ كما فعلناه يوم بدر والخذلق بل كفيينا أمرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لهم وإهلاكهم وإيمانهم إلى تفخيم شأن الرسول ﷺ (وما كنا منزلين) وما صح في حكمتنا أن نزل لإهلاك قومه جنداً من السماء لما أنقذنا لكل شئ سبباً حيث أهلكنا بعض من أهلكنا من الأمم بالحاصب وبعضهم بالصيحة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالإغرق وجعلنا أنزال الجند من خصائصك في الانتصار من قومك وقيل ماموصولة معطوفة على جند أى وما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة قوريج وأمطار شديدة وغيرها (إن كانت) أى ما كانت ٢٩ الأخذة أو العقوبة (إلا صيحة واحدة) صاحبها جبريل عليه السلام وقرىء إلا صيحة بالرفع على أن كان تامة وقرىء إلا زقية واحدة من زقا الطائر إذا صاح (فإذا هم خامدون) ميتون شبهوا بالنار الخامدة رمزاً إلى أن الحى كالنار الساطعة في الحركة والانتهاز والميت كالرماد كما قال لبيد [وما المرء إلا كالشهاب وضوئه • يحور رماداً بعد إذ هو ساطع] (يا حسرة على العباد) تعالى فمذه من الأحوال التى حقها ٣٠ أن تحضرى فيها وهى ما دل عليه قوله تعالى (ما يأتهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون) فإن المستهزئين بالناصحين الذين ينطت بنصائحهم سعادة الدارين أحقاء بأن يتحسروا ويتحسروا عليهم المتحسرون أو قد تلهم على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين وقد جوز أن يكون تحسراً عليهم من جهة الله تعالى بطريق الاستعارة لتعظيم ما جنوه على أنفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا لأن المعنى يا حسرتى ونصبتها أطولها بما تعلق بهما من الجار وقيل بإضمار فعلها والمنادى محذوف وقرىء يا حسرة العباد بالإضافة إلى الفاعل أو المفعول ويا حسرة على العباد بإجرام الوصل مجرى الوقف (ألم يروا) أى ألم يعلموا وهو معلق عن العمل ٣١ في قوله تعالى (كم أهلكنا قبلهم من القرون) لأن كم لا يعمل فيها ما قبلها وإن كانت خبرية لأن أصلها الاستفهام خلا أن معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك ألم تر أن زيدا لمنطلق وإن لم يعمل في لفظه (أنهم

- وإن كل لما جميع لدينا محضرون ﴿٣٢﴾
 ٣٦ يس
 وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها جبالاً منه ياكلون ﴿٣٣﴾
 ٣٦ يس
 وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ﴿٣٤﴾
 ٣٦ يس
 لياكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون ﴿٣٥﴾

إليه لا يرجعون) بدل من كم أهلكنا على المعنى أى ألم يروا كثرة إهلاكنا من قبلهم من المذكورين آنفاً ومن غيرهم كونهم غير راجعين إليه وقرئ بالكسر على الاستئناف وقرئ ألم يروا من أهلكنا والبدل حينئذ بدل اشتمال (وإن كل لما جميع لدينا محضرون) بيان لرجوع الكل إلى المحشر بعد بيان عدم الرجوع إلى الدنيا وإن نافية وتنوين كل عوض عن المضاف إليه ولما بمعنى إلا وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له أو لما بعده والمعنى ما كلهم إلا مجموعون لدينا محضرون للحساب والجزاء وقيل محضرون معذبون فكل عبارة عن الكفرة وقرئ لما بالتخفيف على أن مخففة من الثقيلة واللام فارقة وما مزيدة للتأكيد والمعنى أن كلهم مجموعون الخ (وآية لهم الأرض الميتة) بالتخفيف وقرئ بالتشديد وقوله تعالى آية خبر مقدم للاهتمام به وتنكيرها للتفخيم ولهم إمامتعلقة بها لأنها بمعنى العلامة أو بمضمرة هو صفة لها والأرض مبتدأ والميتة صفتها وقوله تعالى (أحييناها) استئناف مبين لكيفية كونها آية وقيل آية مبتدأ ولهم خبر والأرض الميتة مبتدأ موصوف وأحييناها خبره والجملة مفسرة لآية وقيل الأرض مبتدأ وأحييناها خبره والجملة خبر لآية وقيل الخبر لها هو الأرض وأحييناها صفتها لأن المراد بها الجنس لا المينة والأول هو الأولى لأن مصب الفائدة هو كون الأرض آية لهم لا كون الآية هى الأرض (وأخرجنا منها جبالاً) جنس الحب (فنه ياكلون) تقديم الصلة للدلالة على أن الحب معظم ما يؤكل ويعاش به (وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب) أى من أنواع النخل والعنب ولذلك جمعاً دون الحب فإن الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الأنواع وذكر النخيل دون التمر لطابق الحب والأعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع (ولفجرنا فيها) وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظاً ومعنى (من العيون) أى بعضاً من العيون لحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه أو العيون ومن مزيدة على رأى الاختفش (لياكلوا من ثمره) متعلق بجعلنا وتأخيره عن تفجير العيون لأنه من مبادئ الإثمار أى وجعلنا فيها جنات من نخيل وربنا مبادئ إثمارها لياكلوا من ثمر ما ذكر من الجنات والنخيل بإجراء الضمير مجرى اسم الإشارة وقيل الضمير لله تعالى بطريق الالتفات إلى الغيبة والإضافة لأن الثمر يخلق الله تعالى وقرئ بضميتين وهى لغة فيه أو جمع ثمار وبضمة وسكون (وما عملته أيديهم) عطف على ثمره وهو ما يتخذ منه من العصير والدبس ونحوهما وقيل مانافية والمعنى أن الثمر يخلق الله تعالى لا بفعلهم ومحل الجملة نصب على الحالية ويؤكد الأول قراءة

سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ يس

وَأَيُّ آيَةٍ لَهُمُ الْيَلُّ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ يس

وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ يس

- حملت بلاهاه فإن حذف العائد من الصلة أحسن من الحذف من غيرها (أفلا يشكرون) إنكار واستقباح * لعدم شكرهم للنعم الممدودة والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى يرون هذه النعم أو أينعمون بها فلا يشكرونها (سبحان الذى خلق الأزواج كلها) استئناف مسوق لتزييه تعالى عما فعلوه من ترك شكره على آياته المذكورة واستعظام ما ذكر في حيز صلة من بدائع آثار قدرته وأسرار حكمته وروائع نعمائه الموجبة للشكر وتخصيص العبادة به والتعجب من إخلالهم بذلك والحالة هذه وسبحان علم للتسبيح الذى هو التباعد عن السوء اعتقاداً وقولاً أى اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبح في الأرض والماء إذا أبعد فيهما وأمن ومنه فرس سبوح أى واسع الجرى وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه أى أصبح سبحانه أى أنزه عما لا يليق به عقداً وعملاً تزيهاً خاصاً به حقيقة بشأنه وفيه مبالغة من جهة الاشتغاف من السبح ومن جهة النقل إلى التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس إلى الاسم الموضوع له خاصة لاسيما العلم المشير إلى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة إقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كخفران أريد به التنزه التام والتباعد الكلى عن السوء ففيه مبالغة من جهة إسناد التنزه إلى الذات المقدسة فالمعنى تنزه بذاته عن كل مالا يليق به تنزهاً خاصاً به فالجمله على هذا إخبار من الله تعالى بتنزهه وبرأته عن كل مالا يليق به مما فعلوه وما تركوه وعلى الأول حكم منه عز وجل بذلك وتلقين للتؤمنين أن يقولوه ويعتقدوا مضمونه ولا يخلوا به ولا يغفلوا عنه والمراد بالأزواج الأنصاف والأنواع (مما تنبت الأرض) بيان لها والمراد به كل ما ينبت فيها من الأشياء المذكورة * وغيرها (ومن أنفسهم) أى خلق الأزواج من أنفسهم أى الذكر والأنثى (ومما لا يعلمون) أى والأزواج مما لم يطلعهم الله تعالى على خصوصياته لعدم قدرتهم على الإحاطة بها ولما لم يتعلق بذلك شيء من مصالحهم الدينية والدنيوية وإنما أطلعهم على ذلك بطريق الإجمال على منهاج قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون لما نيط به وقوفهم على عظم قدرته وسعة ملكه وسلطانه (وآية لهم الليل) جملة من خبر مقدم ٣٧ ومبتدأ مؤخر كاسم وقوله تعالى (نسلخ منه النهار) جملة مبدئية لكيفية كونه آية أى نزيله ونكشفه عن مكانه مستعار من السلخ وهو إزالة ما بين الحيوان وجلده من الاتصال والأغلب في الاستعمال تعليقه بالجلد يقال سلخت الإهاب من الشاة وقد يعكس ومنه الشاة المسلوخة (فإذا هم مظلمون) أى داخلون في الظلام مفاجأة وفيه رمز إلى أن الأصل هو الظلام والنور عارض (والشمس تجري لمستقر لها) لحد ٣٨ معين ينتهى إليه دورها فشبه بمستقر المسافر إذا قطع مسيره أو لكبد السماء فإن حركتها فيه توجد أبطأ

٣٦ يس

وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٦﴾

لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٦﴾ يس

٣٦ يس

وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿٣٦﴾

بحيث يظن أن لها هناك وقفة قال [والشمس حيرى لها بالجو تدويم] أو لا استقرار لها على نهج مخصوص أو لم تنتهى مقدار لكل يوم من المشرق والمغرب فإن لها في دورها ثلاثمائة وستين مشرقاً ومغرباً تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود إليهما إلى العام القابل أو المنقطع جريهما عند خراب العالم وقرى إلى مستقر لها وقرى لا مستقر لها أى لا يكون لها فافناً متحركة دائماً وقرى لا مستقر لها على أن لا بمعنى ليس (ذلك) إشارة إلى جريهما وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإبذان بعلو رتبته وبعد منزلته أى ذلك الجرى البديع المنطوى على الحكم الرائعة التى تحار فى فهمها العقول والأفهام (تقدير العزيز) الغالب بقدرته على كل مقدور (العليم) المحيط عليه بكل معلوم (والقمر قدرناه) بالنصب بإضمار فعل يفسره الظاهر وقرى بالرفع على الابتداء أى قدرناه (منازل) وقيل قدرناه مسيره منازل وقيل قدرناه ذامنازل وهى ثمانية وعشرون الشرطين البطان الثريا الدبران الحقعة المنعة الذراع النثرة الطرف الجهة الزبرة الصرقة العوا السباك الغفر الزباني الإكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعد سعد الأخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة فى واحد منها لا يتخطاها ولا يتقاصر عنها فإذا كان فى آخر منازلها وهو الذى يكون قبيل الاجتماع دق واستقوس (حتى عاد كالعرجون) كالشمر أخ المعوج فعلون من الانعراج وهو الأعوج جاج وقرى كالعرجون وهما الغتان كالبزبون والبزبون (القديم) العتيق وقيل هو مامر عليه حول فصاعداً (لا الشمس ينبغى لها) أى يصح ويتسهل (أن تدرك القمر) فى سرعة السير فإن ذلك يحل بتكون النبات وتعيش الحيوان أو فى الآثار والمنافع أو فى المكان بأن تنزل فى منزله أو فى سلطانه فتطمس نوره وإيلاء حرف النفي الشمس للدلالة على أنها مستخرات لا يتيسر لها إلا ما قدر لها (ولا الليل سابق النهار) أى يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر إلى سلطان الشمس فيكون عكساً للأول وإيراد السابق مكان الإدراك لأنه الملائم لسرعة سيره (وكل) أى وكلهم على أن التنوين عوض عن المضاف إليه الذى هو الضمير العائد إلى الشمس والقمر والجمع باعتبار التكاثر العارض لهما بتكاثر مطالعتهما فإن اختلاف الأحوال يوجب تعدداً مافى الذات أو إلى الكواكب فإن ذكرهما مشعر بها (فى فلك يسبحون) يسرون بانسباط وسهولة (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم) أولادهم الذين يبعثونهم إلى تجارتهم أو صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم فإن الذرية تطلق عليهم لاسيما مع الاختلاط وتخصيصهم بالذكر لما أن استقرارهم فى السفن أشق واستمسكهم فيها أبعد (فى الفلك المشحون) أى المملوء وقيل هو فلك نوح

يس ٣٦

وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾

يس ٣٦

وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴿٤٣﴾

يس ٣٦

إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾

يس ٣٦

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾

عليه السلام وحمل ذرياتهم فيها حمل آباؤهم الأقدمين وفي أصلابهم هؤلاء وذرياتهم وتخصيص أعقابهم بالذكور دونهم لأنه أبلغ في الامتتان وأدخل في التعجيب الذي عليه يدور كونه آية (وخلقنا لهم من مثله) ٤٢
 بما يماثل الفلك (ما يركبون) من الإبل فإنها سفائن البر أو بما يماثل ذلك الفلك من السفن والزوارق وجعلها مخلوقة لله تعالى مع كونها من مصنوعات العباد ليس لمجرد كون صنعهم بإقدار الله تعالى وإلهامه بل لمزيد اختصاص أصلها بقدرته تعالى وحكمته حسبما يعرب عنه قوله عز وجل واصنع الفلك بأعيننا ووحينا والتعبير عن ملاستهم بهذه السفن بالركوب لأنها باختيارهم كما أن التعبير عن ملاسة ذريتهم بفلك نوح عليه السلام بالخل لكونها بغير شعور منهم واختيار (وإن نشأ نغرقهم) الخ من تمام الآية ٤٣
 فإنهم معترفون بمضمونه كما ينطق به قوله تعالى وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين وقرئ نغرقهم بالتشديد وفي تعليق الإغراق بمحض المشيئة إشعار بأنه قد تكامل ما يوجب إهلاكهم من معاصيهم ولم يبق إلا تعلق مشيئته تعالى به أي إن نشأ نغرقهم في اليم مع ما حملناهم فيه من الفلك لحديث خلق الإبل حينئذ كلام جرى به في خلال الآية بطريق الاستطراد لكمال التماثل بين الإبل والفلك فكانها نوع منه أو مع ما يركبون من السفن والزوارق (فلا صريح لهم) أي فلا مغيب لهم يحرمهم من الفرق * ويدفعه عنهم قبل وقوعه وقيل فلا استغاثة لهم من قولهم أتاها الصريح (ولا هم ينقذون) أي ينجون منه بعد وقوعه وقوله تعالى (إلا رحمة منا ومتاعا) استثناء مفرغ من أعم العلل الشاملة للباعث المتقدم ٤٤
 والغاية المتأخرة أي لا يغاثون ولا ينقذون لشيء من الأشياء إلا الرحمة عظيمة من قبلنا داعية إلى الإغاثة والانقاذ وتمتيع بالحياة مترتب عليهما ويجوز أن يراد بالرحمة ما يقارن التمتع من الرحمة الدنيوية فيكون كلاهما غاية للإغاثة والإنقاذ أي لنوع من الرحمة وتمتيع (إلى حين) أي إلى زمان قدر فيه آجالهم كما قيل [ولم أسلم لكى أتقى ولكن * سلمت من الحمام إلى الحمام] (وإذا قيل لهم اتقوا) بيان لإعراضهم عن ٤٥
 الآيات التنزيلية بعد بيان إعراضهم عن الآيات اللفافية التي كانوا يشاهدونها وعدم تأملهم فيها أي إذا قيل لهم بطريق الإنذار بما نزل من الآيات أو بغيره اتقوا (ما بين أيديكم وما خلفكم) من الآفات والنوازل فإنها محيطة بكم أو ما يصيبكم من المكارم من حيث تحتسبون ومن حيث لا تحتسبون أو من الوقائع البازلة على الأمم الحالية قبلكم والعذاب المعد لكم في الآخرة أو من نوازل السماء ونوائب ٢٢ - أبي السعود ٧٣

وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾

٣٦ يس

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٧﴾

٣٦ يس

• الأرض أو من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة أو ما تقدم من الذنوب وما تأخر (لعلكم ترحمون) إما حال من واو اتقوا أو غاية له أي راجين أن ترحموا أو كي ترحموا فتنجوا من ذلك لما عرقت أن مناط النجاة ليس إلا رحمة الله تعالى وجواب إذا محذوف ثقة بانفهامه من قوله تعالى (وما تأتيتهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين) انفهاما يينا أما إذا كان الإنذار بالآية الكريمة فعبارة النص وأما إذا كان بغيرها فبدلالة أنهم حين أعرضوا عن آيات ربهم فلأن يعرضوا عن غيرها بطريق الأولوية كأنه قيل وإذا قيل لهم اتقوا العذاب أعرضوا حسبما اعتادوه وما نافية وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجديدي ومن الأولى مزيدة لتأكيد العموم والثاني تبعية واقعة مع مجرورها صفة لآية وإضافة الآيات إلى اسم الرب المضاف إلى ضميرهم لتفخيم شأنها المستتبع انهويل ما اجتروا عليه في حقها والمراد بها إما الآيات التنزيلية فاتيانها نزولها والمعنى ما يزل إليهم آية من الآيات القرآنية التي من جملتها هذه الآيات الناطقة بما فصل من بدائع صنع الله تعالى وسواها من آياته الموجبة للإقبال عليها والإيمان بها إلا كانوا عنها معرضين على وجه التكذيب والاستهزاء وإما ما يعبرها من الآيات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها من تعجيب المصنوعات التي من جملتها الآيات الثلاث المعدودة آنفا فالمراد بإتيانها ما يعبر نزول الوحي وظهور تلك الأمور لهم والمعنى ما يظهر لهم آية من الآيات التي من جملتها ما ذكر من شئونه الشاهدة بوحدايته تعالى وتفرده بالآلوهية إلا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدى إلى الإيمان به تعالى وإيثاره على أن يقال إلا أعرضوا عنها كما وقع مثله في قوله تعالى وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر الدلالة على استمرارهم على الإعراض حسب استمرار إتيان الآيات وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه مراعاة للفواصل والجملة في حيز النصب على أنها حال من مفعول تاتي أو من فاعله المتخصص بالوصف لاشتغالها على ضمير كل منهما والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال أي ما تأتيتهم من آية من آيات ربهم في حال من أحوالهم إلا حال إعراضهم عنها أو ما تأتيتهم آية منها في حال من أحوالها إلا حال إعراضهم عنها (وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله) أي أعطاكم بطريق التفضل والإنعام من أنواع الأموال عبر عنها بذلك تحقيقاً للحق وترغيباً في الإنفاق على منهاج قوله تعالى وأحسن كما أحسن الله إليك وتنبهاً على عظم جنايتهم في ترك الامتنال بالأمر وكذلك من التبعية أي إذا قيل لهم بطريق النصيحة أنفقوا بعض ما أعطاكم الله تعالى من فضله على المحتاجين فإن ذلك مما يرد • البلاء ويدفع المسكاره (قال الذين كفروا) بالصانع عز وجل وهم زنادقة كانوا بمكة (الذين آمنوا) ثم كما بهم وبما كانوا عليه من تعليق الأمور بمشيئة الله تعالى (أنطعم) حسبما تعظوننا به (من لو يشاء الله

٤٦

٤٧

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ ٣٦ يس

مَآ يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ ٣٦ يس

فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ ٣٦ يس

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾ ٣٦ يس

قَالُوا يَا بُولُتْنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ ٣٦ يس

أطعمه) أى على زعمكم وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان بمكة زنادقة إذا أمروا بالصدقة على المساكين قالوا والله أيفقره الله ونطعمه نحن وقيل قاله مشركو قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين من أموالهم التى زعموا أنهم جعلوها لله تعالى من الحرث والأنعام يوهمون أنه تعالى لما لم يشأ إطعامهم وهو قادر عليه فنحن أحق بذلك وما هو إلا لفرط جهالتهم فإن الله تعالى يطعم عباده بأسباب من جملتها حث الأغنياء على إطعام الفقراء وتوفيقهم لذلك (إن أنتم إلا فى ضلال مبين) حيث تأمرونا بما يخالف مشيئة الله تعالى وقد جوز أن يكون جواباً لهم من جهته تعالى أو حكاية للجواب المؤمنين لهم . (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) أى فيما تعدونا به من قيام الساعة مخاطبين لرسول الله ﷺ والمؤمنين لما أنهم أيضاً كانوا يتلون عليهم آيات الوعيد بقيامها ومعنى القرب فى هذا إما بطريق الاستمراء وإما باعتبار قرب العهد بالوعد (ما ينظرون) جواب من جهته تعالى أى ما ينتظرون (إلا صيحة واحدة) هى النفخة الأولى (تأخذهم) مفاجأة (وهم يخصمون) أى يتخاصمون فى متاجرم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم شيء من مخايلها كقوله تعالى فأخذتهم الصاعقة بغتة وهم لا يشعرون فلا يغتروا بعدم ظهور علامتها ولا يزعموا أنها لا تأتيتهم وأصل يخصمون يختصمون فسكنت التاء وأدغمت فى الصاد ثم كسرت الحاء لالتقاء الساكنين وقرئ بكسر الياء الإنباع وفتح الحاء على إلقاء حركة التاء عليه وقرئ على الاختلاس وبالإسكان على تجويز الجمع بين الساكنين إذا كان الثانى مدغماً وإن لم يكن الأول حرف مد وقرئ يخصمون من خصمه إذا جادله (فلا يستطيعون توصية) فى شيء من أمورهم إن كانوا فيما بين أهلهم (ولا إلى أهلهم يرجعون) إن كانوا فى خارج أبوابهم بل تبغثهم الصيحة فيموتون حيثما كانوا (ونفخ فى الصور) هى النفخة الثانية بينها وبين الأولى أربعون سنة أى ينفخ فيه وصيغة الماضى للدلالة على تحقق الوقوع (فإذا هم من الأجداث) أى القبور جمع جدث وقرئ بالفاء (إلى ربهم) مالك أمرهم على الإطلاق (ينسلون) يسرعون بطريق الإجبار دون الاختيار لقوله تعالى لدينا محضرون وقرئ بضم السين (قالوا) أى فى ابتداء بعثهم من القبور (ياويلنا) احضر فهذا أوانك وقرئ ياويلتنا (من بعثنا من مرقدنا) وقرئ من أهينا من هب من نومه إذا انتبه وقرئ من هبنا بمعنى أهينا وقيل أصله

٣٦ يس

إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَبِيحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٦﴾

٣٦ يس

فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٦﴾

٣٦ يس

إِنْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ ﴿٣٦﴾

هب بنا لحذف الجار وأوصل الفعل إلى الضمير قيل فيه ترشيح ورمز وإشعار بأنهم لا اختلاط عقولهم يظنون أنهم كانوا نياما وعن مجاهد أنه للكفار هجمة يحدون فيها طعم النوم فإذا صبح بأهل القبور يقولون ذلك وعن ابن عباس وأبي بن كعب وقتادة رحمهم الله تعالى أن الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فإذا بعثوا بالنفخة الثانية وشاهدوا من أهوال القيامة ما شاهدوا دعوا بالويل وقالوا ذلك وقيل إذا عاينوا جهنم وما فيها من أنواع العذاب يصير عذاب القبر في جنبها مثل النوم فيقولون ذلك وقرئ من بعثنا ومن هبنا بمن الجارة والمصدر والمرقد إما مصدر أى من رقادنا أو اسم مكان أريد به الجنس فينتظم مراد الكل (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) جملة من مبتدأ وخبر وما هو صولة محذوفة للعائد أو مصدرية وهو جواب من قبل الملائكة أو المؤمنين عدل به عن سنن سؤا لهم تذكيراً لكفرهم وتقريباً لهم عليه وتنبهاً على أن الذى يهمهم هو السؤال عن نفس البعث ماذا هو دون الباعث كأنهم قالوا بعثكم الرحمن الذى وعدكم ذلك فى كتبه وأرسل إليكم الرسل فصدقكم فيه وليس الأمر كما تنوهمونه حتى تسألوا عن الباعث وقيل هو من كلام الكافرين حيث يتذكرون ما سمعوه من الرسل عليهم الصلاة والسلام فيجيبون به أنفسهم أو بعضهم بعضاً وقيل هذا صفة لمرقدنا وما وعد الخ خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره محذوف أى ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق (إن كانت) أى ما كانت النفخة التى حكيت آنفاً (إلا صبيحة واحدة) حصلت من نفخ إسرافيل عليه السلام فى الصور (فإذا هم جميع) أى مجموع (لدينا محضرون) من غير لبث ماطرفة عين وفيه من تهوين أمر البعث والحشر والإبذان باستغنائهما عن الأسباب مالا يخفى (فاليوم لا تظلم نفس) من النفوس برة كانت أو فاجرة (شيثاً) من الظلم (ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون) أى إلا جزاء ما كنتم تعملونه فى الدنيا على الاستمرار من الكفر والمعاصى على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه للتنبيه على قوة التلازم والارتباط بينهما كأنهما شىء واحد أو إلا بما كنتم تعملونه أى بمقابلته أو بسببه وتعميم الخطاب للمؤمنين يرده أنه تعالى يوفيه أجورهم ويزيدهم من فضله أضعافاً مضاعفة وهذه حكاية لما سيقال لهم حين يرون العذاب المعد لهم تحقيقاً للحق وتقريباً لهم وقوله تعالى (إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل فكهون) من جملة ما سيقال لهم يومئذ زيادة لحسرتهم وندامتهم فإن الإخبار بحسن حال أعدائهم إثر بيان سوء حالهم بما يزيدهم مساة على مساة وفى هذه الحكاية من جررة لهؤلاء الكفرة عما هم عليه ومدعاة إلى الاقتداء بسيرة المؤمنين والشغل هو الشأن الذى يصد المرء ويشغله عما سواه من شئونه لكونه أم عنده من الكل إما لإيجابه كمال المسرة

٣٦ يس

هَمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَّلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مَتَكِعُونَ ﴿٥٦﴾

٣٦ يس

لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾

والبهجة أو كمال المساءة والغم والمراد ههنا هو الأول وما فيه من التنكير والإبهام للإيذان بارتفاعه عن رتبة البيان والمراد به ما هم فيه من فنون الملاذ التي تلهيهم عما عداها بالكلية وأما أن المراد به اقتصاص الأبطال أو السماع وضرب الأوتار أو الزاور أو ضيافة الله تعالى أو شغلهم عما فيه أهل النار على الإطلاق أو شغلهم عن أهاليهم في النار لا يهمهم أمرهم ولا يبالون بهم كيلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم كما روى كل واحد منها عن واحد من أكابر السلف فليس مرادهم بذلك حصر شغلهم فيما ذكره فقط بل بيان أنه من جملة أشغالهم وتخصيص كل منهم كلاماً من تلك الأمور بالذکر محمول على اقتضاء مقام البيان لإياه وهو مع جاره خبر لإن وفاكهون خبر آخر لها أي أنهم مستقرون في شغل وأي شغل في شغل عظيم الشأن متنعمون بنعيم مقيم فأترون بملك كبير والتعبير عن حالهم هذه بالجملة الاسمية قبل تحققها بتنزيل المترقب المتوقع منزلة الواقع للإيذان بغاية سرعة تحققها ووقوعها وزيادة مساهمة الخاطبين بذلك وقرىء في شغل بسكون الغين وفي شغل بفتحيتين وافتحة وسكون والكل لغات وقرىء فكهون للبأخة وفكهون

- بضم السكاف وهي لغة كنطس وفاكهين على الحال من المستكن في الظرف وقوله تعالى (هم) ٥٦ وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون) استئناف مسوق لبيان كيفية شغلهم وتفكههم وتكليمهم بما يزيدهم بهجة وسروراً من شركة أزواجهم لهم فيما هم فيه من الشغل والفكاهة على أن هم مبتدأ وأزواجهم عطف عليه ومتكئون خبر والجاران صلتان له قدمتا عليه لمراعاة الفواصل وأهووالجاران بما تعلقاً به من الاستقرار أخبار مترتبة وقيل الخبر هو الظرف الأول والثاني مستأنف على أنه متعلق بمتكئون وهو خبر لمبتدأ محذوف وقيل على أنه خبر مقدم ومتكئون مبتدأ مؤخر وقرىء متكئين بلا همز نصباً على الحال من المستكن في الظرفين أو أحدهما وقيل هم تأكيد للمستكن في خبر إن ومتكئون خبر آخر لها وعلى الأرائك متعلق به وكذا في ظلال أو هذا بمضمهر هو حال من المعطوفين والظلال جمع ظن كشعاب جمع شعب أو جمع ظلة كقباب جمع قبة ويؤيده قراءة في ظلل والأرائك جمع أريكة وهي السرير المزين بالثياب والستور قال ثعلب لا تكون أريكة حتى تكون عليها حجلة وقوله تعالى (لهم فيها فاكهة) الخ بيان لما يتمتعون به في الجنة ٥٧ من المآكل والمشارب ويتلذذون به من الملاذ الجسمانية والروحانية بعد بيان ما لهم فيها من مجالس الإنس ومحافل القدس تكميلاً لبيان كيفية ما هم فيه من الشغل والبهجة أي لهم فيها فاكهة كثيرة من كل نوع من الفواكه وما في قوله تعالى (ولهم ما يدعون) موصولة أو موصوفة تدبرها عن مدعو عظيم الشأن معين * أو مبهم لإيذاناً بأنه التحقيق بالدعاء دون ما عداه ثم صرح به روماً لزيادة التقرير بالتحقيق بعد التشويق كما ستعرفه أو هي باقية على عمومها قصد بها التعميم بعد تخصيص بعض المواد المعتادة بالذكر وأياً ما كان فهو مبتدأ ولهم خبره والحجلة معطوفة على الجملة السابقة وعدم الاكتفاء بعطف ما يدعون على فاكهة لثلا

٣٦ يش

سَلَّمَ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾

٣٦ يش

وَأَمْتَنَزُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾

يتوم كون ماعبارة عن توابع الفاكه وتماثها والمعنى ولهم ما يدعون به لأنفسهم من مدعو عظيم الشأن أو كل ما يدعون به كائناً ما كان من أسباب البهجة وموجبات السرور وأياً ما كان ففيه دلالة على أنهم في أقصى غاية البهجة والغبطة ويدعون يفتعلون من الدعاء كما أشير إليه مثل اشتوى واجتمع إذا شوى وجعل لنفسه وقيل بمعنى يتداعون كالارتقاء بمعنى الترامي وقيل بمعنى يتمنون من قولهم ادع على ما شئت بمعنى تمنه على وقال الزجاج هو من الدعاء أى ما يدعو به أهل الجنة يأتيهم فيكون الافتعال بمعنى الفعل كالأحتمال بمعنى الحل والارتحال بمعنى الرحلة ويعضده القراءة بالتخفيف كما ذكره الكواشى وقوله تعالى (سلام) على التقدير الأول بدل من ما يدعون أو خبر لمبتدأ محذوف وقوله تعالى (قولا) مصدر مؤكد لفعل هو صفة لسلام وما بعده من الجار متعلق بمضمر هو صفة له كأنه قيل ولهم سلام أو ما يدعون سلام يقال لهم قولا كائناً (من) جهة (رب رحيم) أى يسلم عليهم من جهته تعالى بواسطة الملك أو بدونهما بالغة في تعظيمهم قال ابن عباس رضى الله عنهما والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين وأما على التقدير الثانى فقد قيل إنه خبر لما يدعون ولهم إيمان الجملة كما يقال لزيد الشرف متوفر على أن الشرف مبتدأ ومتوفر خبره والجار والجرور لبيان من له ذلك أى ما يدعون سالم لهم خالص لا شوب فيه وقولا حينئذ مصدر مؤكد لمضمون الجملة أى عدة من رب رحيم والأوجه أن ينتصب على الاختصاص وقيل هو مبتدأ محذوف الخبر أى لهم سلام أى تسليم قولا من رب رحيم أو سلامة من الآفات فيكون قولا مصدراً مؤكداً لمضمون الجملة كما سبق وقيل تقديره سلام عليهم فيكون حكاية لما سيقال لهم من جهته تعالى يومئذ وقيل خبره الفعل المقدر ماصباً لقولا وقيل خبره من رب رحيم وقرئ سلاماً بالنصب على الحالية أى لهم مرادهم سالماً خالصاً وقرئ سلم وهو بمعنى السلام فى المعنيين (وامتازوا اليوم) عطف إماماً على الجملة السابقة المسوقة لبيان أحوال أهل الجنة لا على أن المقصود عطف فعل الأمر بخصوصه حتى يتمحل له مشاكل يصح عطفه عليه بل على أنه عطف قصة سوء حال هؤلاء وكيفية عقابهم على قصة حسن حال أولئك ووصف ثوابهم كما مر فى قوله تعالى وبشر الذين آمنوا الآية وكان تغيير السبك لتخييل كال التباين بين الفريقين وحالهما وإماماً على مضمر ينساق إليه حكاية حال أهل الجنة كأنه قيل لإثبات كونهم فى شغل عظيم الشأن وفوزهم بنعيم مقيم يقصر عنه البيان فليقروا بذلك عيناً وامتازوا عنهم (أيها المجرمون) إلى مصيركم وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى وأما ما قيل من أن المضمر فليمتازوا فبمعزل من السداد لما أن المحكى عنهم ليس مصيرهم إلى ما ذكر من الحال المرضية حتى يتسنى ترتيب الأمر المذكور عليه بل إنما هو استقرارهم عليها بالفعل وكون ذلك بطريق تنزيل المترقب منزلة الواقع لا يجرى نفعاً لأن مناط الإضمار انسياق الإفهام إليه وانصباب

أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنِيءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ ٣٦ يس

وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ٣٦ يس

وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ٣٦ يس

- نظم الكلام عليه فبعد ما نزلت تلك الحالة منزلة الواقع بالفعل لما اقتضاه المقام من السكينة البارعة والحكمة الرائعة حسبما مر بيانه وأسقط كونها مترتبة عن درجة الاعتبار بالكلية يكون التصدي لإضمار شيء يتعلق به إخراجاً للنظم الكريم عن الجزالة بالمرّة (ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان) من جملة ما يقال لهم بطريق التقريرع والإلزام والتبسكيت بين الأمر بالامتنياز وبين الأمر بدخول جهنم بقوله تعالى اصولها اليوم الخ والعهد الوصية والتقدم بأمر فيه خير ومنفعة والمراد ههنا ما كلفهم الله تعالى أسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام من الأمر والنواهي التي من جملتها قوله تعالى يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبوكم من الجنة الآية وقوله تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين وغيرهما من الآيات الكريمة الواردة في هذا المعنى وقيل هو الميثاق المأخوذ عليهم حين أخرجوا من ظهور بني آدم وأشهدوا على أنفسهم وقيل هو مانصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته تعالى الزاجرة عن عبادة غيره المراد بعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به إليهم ويزينه لهم عبر عنها بالعبادة لزيادة التحذير والتنفير عنها ولوقوعها في مقابلة عبادته عز وجل وقرئ أعهد بكسر الهمزة وأعهد بكسر الهاء وأحمد الحاء مكان العين وأحد بالإدغام وهي لغة بني تميم (إنه لكم عدو مبين) أي ظاهر العداوة وهو تعليل لوجوب الانتهاء عن المنهى عنه وقيل تعليل للنهي (وأن اعبدوني) عطف على أن لا تعبدوا على أن أن فيهما مفسرة للعمد الذي فيه معنى القول بالنهي والأمر أو مصدرية حذف عنها الجار أي ألم أعهد إليكم في ترك عبادة الشيطان وفي عبادتي وتقديم النهي على الأمر لما أن حق التخليّة التقدم على التحلية كافي كلمة التوحيد وليتصل به قوله تعالى (هذا صراط مستقيم) فإنه إشارة إلى عبادته تعالى التي هي عبارة عن التوحيد والإسلام وهو المشار إليه بقوله تعالى هذا صراط على مستقيم والمقصود بقوله تعالى لأفعلن لهم صراطك المستقيم والتنكير للنفيخ واللام في قوله تعالى (ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً) جواب قسم ٦٢ محذوف والجملة استئناف مسوق لتشديد التوبيخ وتأكيّد التقريرع ببيان أن جناباتهم ليست بنقض العهد فقط بل به وبعدم الانعاط بما شاهدوا من العقوبات النازلة على الأمم الحالية بسبب طاعتهم للشيطان فالخطاب لمنأخريهم الذين من جملتهم كفار مكة خصوصاً بزيادة التوبيخ والتقريرع لتضاعف جناباتهم والجليل بكسر الجيم والباء وتشديد اللام الخلق وقرئ بضمتين وتشديد وبضمتين وتخفيف وبضمة وسكون وبكسرتين وتخفيف وبكسرة وسكون والكل لغات وقرئ جبلاً جمع جبلة كفطر وخلق في فطرة وخلقة وقرئ جبلاً بالياء وهو الصنف من الناس أي وبالله لقد أضل منكم خلقاً كثيراً أو صنفاً

٣٦ يس

هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾

٣٦ يس

أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾

الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ٣٦ يس

٣٦ يس

وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾

كثيراً عن ذلك الصراط المستقيم الذي أمرتكم بالثبات عليه فأصابهم لأجل ذلك ما أصابهم من العقوبات الهائلة التي ملأ الآفاق أخبارها وبقي مدى الدهر آثارها والفاء في قوله تعالى (أفلم تكونوا تعقلون) للعطاب على مقدر يقتضيه المقام أي أكنتم تشاهدون آثار عقوباتهم فلم تكونوا تعقلون أنها لضلالهم أو فلم تكونوا تعقلون شيئاً أصلاً حتى تردعوا عما كانوا عليه كيلا يحيق بكم العقاب وقوله تعالى (هذه جهنم التي كنتم توعدون) استئناف يخاطبون به بعد تمام التوبيخ والتفريع والإلزام والتبكيك عند إشرافهم على شفير جهنم أي كنتم توعدونها على السنة الرسل عليهم الصلاة والسلام بمقابلة عبادة الشيطان مثل قوله تعالى لا ملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين وقوله تعالى قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً وقوله تعالى قال اخرج منها مذموماً مدحوراً لمن تبعك منهم لآ لأن جهنم منكم أجمعين وغير ذلك مما لا يحصى وقوله تعالى (اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون) أمر تنكيل وإهانة كقوله تعالى ذق لأنك أنت العزيز الخ أي ادخلوها من فوق وقاسوا فنون عذابها اليوم بكفركم المستمر في الدنيا وقوله تعالى (اليوم نختم على أفواههم) أي ختما يمنعها عن الكلام التفات إلى الغيبة للإيدان بأن ذكر أحوالهم القبيحة استدعى أن يعرض عنهم ويحكي أحوالهم الفظيعة لغيرهم مع ما فيه من الإيحاء إلى * أن ذلك من مقتضيات الختم لأن الخطاب لتلقى الجواب وقد انقطع بالكلية وقرئ نختم (وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) يروى أنهم يجحدون ويخاصمون فيشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرم فيحلفون ما كانوا مشركين لحينئذ يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيامة إني لا أجيز على شاهداً إلا من نفسي فيختم على فيه ويقال لأركانه انطق فتتطرق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعداً لكن وسمحةً فعنكن كنت أناضل وقيل تكليم الأركان وشهادتها دلالتها على أفعالها وظهور آثار المعاصي عليها وقرئ وتكلم أيديهم وقرئ وتكلمنا أيديهم وتشهد بلام كي والنصب على معنى ولذلك نختم على أفواههم وقرئ وتكلمنا أيديهم وتشهد بلام الأمر والجزم (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) الطمس تعفية شق العين حتى تعود مسوحة ومفعول المشيشة محذوف على القاعدة المستمرة التي هي وقوعها شرطاً وكون مفعولها مضمون الجزاء أي لو نشاء أن نطمس على أعينهم لفعلناه وإيثار صبغة الاستقبال وإن كان المعنى على المضى لإفادة أن عدم الطمس على أعينهم لاستمرار عدم المشيشة فإن المضارع المنفي الواقع موقع الماعى ليس بنص في إفادة انتفاء استمرار

وَلَوْ نَشَاءُ لَمَمَسْنَهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾

يس ٣٦

وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾

يس ٣٦

وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾

يس ٣٦

الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه بحسب المقام كما مر في قوله تعالى ولو يجعل الله للناس الشراستعجالهم بالخير (فاستبقوا الصراط) أى فأرادوا أن يستبقوا إلى الطريق الذى اعتادوا سلوكه على أن انتصابه بنزع الجار أو هو بتضمين الاستباق معنى الابتدار أو بالظرفية (فأنى يصرون) الطريق وجهة السلوك (ولو نشاء لمسنخناهم) بتغيير صورهم وإبطال قوامهم (على مكانتهم) أى مكانهم إلا أن المكانة أخص ٦٧ كالمقام والمقام وقرىء على مكاناتهم أى لمسنخناهم مسخاً بمجدهم مكانهم لا يقدر أن يبرحوه بإقبال ولا إدبار ولا رجوع وذلك قوله تعالى (فما استطاعوا مضياً ولا يرجعون) أى ولا رجوعاً فوضع موضعه الفعل لمراعاة الفاصلة عن ابن عباس رضى الله عنهما قرودة وخنازر وقيل حجارة وعن قتادة لا فعدناهم على أرجلهم وأزمنام وقرىء مضياً بكسر الميم وفتحها وليس مساق الشرطيتين لمجرد بيان قدرته تعالى على ما ذكر من عقوبة الطمس والمسخ بل لبيان أنهم بما هم عليه من الكفر ونقض العهد وعدم الاتعاض بما شاهدوا من آثار دمار أمثالهم أحقاء بأن يفعل بهم فى الدنيا تلك العقوبة كما فعل بهم فى الآخرة عقوبة الختم وأن المانع من ذلك ليس إلا عدم تعلق المشيئة الإلهية به كأنه قيل لو نشاء عقوبتهم بما ذكر من الطمس والمسخ جرياً على موجب جنائهم المستدعية لها لفعلناها ولكننا لم نشأها جرياً على سنن الرحمة والحكمة الداعيتين إلى إمامهم (ومن نعمه) أى نطل عمره (ننكسه فى الخلق) أى ٦٨ نكسبه فيه ونخلقه على عكس ما خلقناه أولاً فلا يزال يتزايد ضعفه وتتناقص قوته وتنتقص بنيته ويتغير شكله وصورته حتى يعود إلى حالة شبيهة بحال الصبي فى ضعف الجسد وقلة العقل والخلو عن الفهم والإدراك وقرىء ننكسه من الثلاثى المجرى وننكسه من الإنكاس (أفلا يعقلون) أى أيرون ذلك فلا يعقلون أمان قدر على ذلك يقدر على ما ذكر من الطمس والمسخ وأن عدم إيقاعهم العدم تعلق مسكنته تعالى بهم اتعقلون بالتاء لجرى الخطاب قبله (وما علمناه الشعر) رد وإبطال لما كانوا يقولونه فى حقه ﷺ من أنه شاعر وما يقوله شعر ٦٩ أى ما علمناه الشعر بتعليم القرآن على معنى أن القرآن ليس بشعر فإن الشعر كلام متكلف موضوع ومقال مزخرف مصنوع منسوج على منوال الوزن والقافية مبنى على خيالات وأوهام واهية فإين ذلك من التنزيل الجليل الخطر المنزه عن بمائلة كلام البشر المشحون بقنون الحكم والأحكام الباهرة الموصلة إلى سعادة الدنيا والآخرة ومن أين اشتبه عليهم الشئون واختلط بهم الظنون فأنهم الله أنى يؤفكون (وما ينبغى له) وما يصح له الشعر ولا يتأتى له لو طلبه أى جعلناه بحيث لو أراد فرض الشعر لم يتأت له كما جعلناه آمياً لا يهتدى للخط لتسكون الحجة أثبت والشبهة أدهض وأما قوله ﷺ أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد ٢٣٠ - أبى السعد ٧٥٠

٣٦ يس

لَيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾

٣٦ يس

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَلَائِكُونَ ﴿٧١﴾

٣٦ يس

وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾

المطلب وقوله **يُنذِرَ** هل أنت إلا أصبع دمية وفي سبيل الله مالم يقبض من قبيل الاتفاقات الواردة من غير قصد إليها وعزم على ترتيبها وقيل الضمير في له للقرآن أي وما ينبغي للقرآن أن يكون شعراً (إن هو) أي ما القرآن (إلا ذكر) أي عظة من الله عز وجل وإرشاد للثقلين كما قال تعالى إن هو إلا ذكر للعالمين (وقرآن مبين) أي كتاب سماوي بين كونه كذلك أو فارق بين الحق والباطل يقرأ في المحارب ويتلى في

٧٠

المعابد وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكلم بينه وبين ما قالوا (لينذر) أي القرآن أو الرسول **يُنذِرُ** ويؤيده القراءة بالتاء وقرىء لينذر من نذر به أي عليه ولينذر مبنياً للمفعول من الإنذار (من كان حياً) أي عاقلاً متأملاً فإن الغافل بمنزلة الميت أو مؤمناً في علم الله تعالى فإن الحياة الأبدية بالإيمان وتخصيص الإنذار به لأنه المنتفع به (ويحق القول) أي تجب كلمة العذاب (على الكافرين) المصيرين على الكفر وفي إيرادهم بمقابلة من كان حياً إشعار بأنهم لخلوم عن آثار الحياة وأحكامها التي هي المعرفة

٧١

أموات في الحقيقة (أو لم يروا) الهمة للإنكار والتعجب والواو للعطف على جملة منفية مقدرة مستتبعة للمعطوف أي ألم يتفكروا أو ألم يلاحظوا ولم يعلموا علماً يقينياً مناخاً للعناية (أنا خلقنا لهم) أي لأجلهم وانتفاعهم (بما عملت أيدينا) أي بما تولينا إحداثه بالذات وذكر الأبدى وإسناد العمل إليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرد بالإحداث والاعتناء به (أنعاماً) مفعول

خلقنا وتأخيره عن الجارين المتعلقين به مع أن حقه التقديم عليهما لما مر مراراً من الاعتناء بالمقدم والنشوي إلى المؤخر فإن ماحقه التقديم إذا أخر تبقى النفس مترقبة له فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن لا سيما عند كون المقدم منبئاً عن كون المؤخر أمراً نافعاً خطيراً كما في النظم الكريم فإن الجار الأول المعرب عن كون المؤخر من منافعهم والثاني المفصح عن كونه من الأمور الخطيرة يزيدان النفس شوقاً إليه ورغبة فيه ولأن في تأخيره جملاً بينه وبين أحكامه المنفردة عليه بقوله تعالى (فهم لها مالكون)

الآيات الثلاث أي فلكنها إياهم وإيثار الجملة الاسمية على ذلك الدلالة على استقرار مالكيتهما واستمرارها واللام متعلقة بالكون مقوية لعمله أي فهم مالكون لها بتمليكنا إياها لهم متصرفون فيها بالاستقلال مختصون بالانتفاع بها لا يراحمهم في ذلك غيرهم أو قادرون على ضبطها متمكنون من التصرف فيها بأفئادنا وتمكيننا وتسخيرنا إياها لهم كما في قول من قال [أصبحت لأحمل السلاح ولا

٧٢

أملك رأس البعير إن نفرا] والأول هو الأظهر ليكون قوله تعالى (وذللناها لهم) تأسيساً لنعمة على حيالها لا تنمة لما قبلها أي صيرناها منقاداً لهم بحيث لا تستعصى عليهم في شيء مما يريدون بها حق الذبح

- وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ٣٦ يس
- وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ ٣٦ يس
- لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحَضَّرُونَ ﴿٧٥﴾ ٣٦ يس
- فَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ ٣٦ يس

حسبنا ينطق به قوله تعالى (فنها ركوبهم) الخ فإن الفاء فيه لتفريع أحكام التذليل عليه وتفصيلها أى فبعض منها ركوبهم أى مركوبهم أى معظم منافعها الركوب وعدم التعرض للحمل لكونه من تبات الركوب وقرىء ركوبتهم وهى بمعناه كالخلوب والخلوبة وقيل الركوبة اسم جمع وقرىء ركوبهم أى ذو ركوبهم (ومنها يأكلون) أى وبعض منها يأكلون لحمه (ولهم فيها) أى فى الأنعام بكلا قسميها (منافع) ٧٣ آخر غير الركوب والآكل كالجلود والأصواف والأوبار وغيرها والحراثة بالثيران (ومشارب) من اللبن جمع مشرب وهذا مجمل مافصل فى سورة النحل (أفلا يشكرون) أى أيشاهدون هذه النعم أو أيتنعمون بها فلا يشكرون المنعم بها (واتخذوا من دون الله) أى متجاوزين الله تعالى الذى شاهدوا ٧٤ تفرده بتلك القدرة الباهرة وتفضله عليهم بهاتيك النعم المتظاهرة (آلهة) من الأصنام وأشركوا به تعالى فى العبادة (لعلهم ينصرون) رجاء أن ينصروا من جهة من فيها حزبهم من الأمور أو يشفعوا لهم فى الآخرة وقوله تعالى (لا يستطيعون نصرهم) الخ استئناف سيق لبيان بطلان رأيهم وخيبة رجائهم وانعكاس ٧٥ تدبيرهم أى لا تقدر آلهتهم على نصرهم (وهم) أى المشركون (لهم) أى لأهلهم (جند محضرون) يشيعونهم عند مساقمهم إلى النار وقيل معدون فى الدنيا لحفظهم وخدمتهم والذب عنهم ولا يساعده مساق النظم الكريم فإن الفاء فى قوله تعالى (فلا يحزنك قولهم) لترتيب النهى على ما قبله فلا بد أن يكون عبارة عن ٧٦ خسرانهم وحرمانهم عما علقوا به أطباعهم الفارغة وانعكاس الأمر عليهم بترتيب الشرع على ما رتبوه لرجاء الخير فإن ذلك مما يهون الخطب ويورث السآلة وأما كونهم معدين لخدمتهم وحفظهم فمعمول من ذلك والنهى وإن كان بحسب الظاهر متوجهاً إلى قولهم لكنه فى الحقيقة متوجه إلى رسول الله ﷺ ونهى له عليه السلام عن التأثير منه بطريق الكناية على أبلغ وجه وآكده فإن النهى عن أسباب الشىء ومبادئه المؤدية إليه نهى عنه بالطريق البرهاني وإبطال للسببية وقد يوجه النهى إلى المسبب ويراد النهى عن السبب كما فى قوله لا أرينك هنا يريد به نهى مخاطبه عن الحضور لديه والمراد بقولهم ما ينبىء عنه ما ذكر من اتخاذهم الأصنام آلهة فإن ذلك مما لا يخلو عن التفوه بقولهم هؤلاء آلهتنا وأنهم شركاء لله سبحانه فى المعبودية وغير ذلك مما يورث الحزن وقرىء يحزنك بضم الياء وكسر الزاى من أحزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى (إننا نعلم ما يسرون وما يعلنون) تعليل صريح للنهى بطريق الاستئناف بعد ٧٦ تعليله بطريق الإشعار فإن العلم بما ذكر مستلزم للمجازاة قطعاً أى إننا نجازيهم بجميع جناباتهم الخافية

والبادية التي لا يعزب عن علمنا شيء منها وفيه فضل تسليية لرسول الله ﷺ وتقديم السر على العلن إما للبالغة في بيان شمول علمه تعالى لجميع المعلومات كأن علمه تعالى بما يسرونه أقدم منه بما يعلنونه مع استوائهما في الحقيقة فإن علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة إليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الأشياء البارزة والكامنة وإما لأن مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن إذ ما من شيء يعلن إلا وهو أو مباديه مضمرة في القلب قبل ذلك فتعلق علمه تعالى بحالته الأولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية حقيقة (أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة) كلام مستأنف مسوق لبيان بطلان إنكارهم البعث بعد ما شاهدوا في أنفسهم أوضح دلائله وأعدل شواهدهم كما أن ماسبق مسوق لبيان بطلان إشراكهم بالله تعالى بعد ما عاينوا فيما بأيديهم ما يوجب التوحيد والإسلام وأما ما قيل من أنه تسليية ثانية لرسول الله ﷺ بهوين ما يقولونه بالنسبة إلى إنكارهم الحشر فكلا والهمزة للإنكار والتعجيب والواو للعطف على جملة مقدرة هي مستتبعة للعطوف كما مر في الجملة الإنكارية السابقة أي لم يتفكر الإنسان ولم يعلم علماً يقينياً أنا خلقناه من نطفة الخ أو هي عين الجملة السابقة أعيدت تأكيداً للكثير السابق وتمييداً لإنكار ما هو أحق منه بالإنكار والتعجيب لما أن المنكر هناك عدم عليهم بما يتعلق بخلق أسباب معاشهم وهما عدم عليهم بما يتعلق بخلق أنفسهم ولا ريب في أن علم الإنسان بأحوال نفسه أم وإحاطته بها أسهل وأكمل فالإنكار والتعجيب من الإخلال بذلك أدخل كأنه قيل ألم يعلموا خلقه تعالى لأسباب معاشهم ولم يعلموا خلقه تعالى لأنفسهم أيضاً مع كون العلم بذلك في غاية الظهور ونهاية الأهمية على معنى أن المنكر الأول بعيد قبيح والثاني أبعد وأقبح ويجوز أن تكون الواو لعطف الجملة الإنكارية الثانية على الأولى على أنها متقدمة في الاعتبار وأن تقدم الهمزة عليها لاقتضاها الصدارة في الكلام كما هو رأي الجمهور وإيراد الإنسان مورد الضمير لأن مدار الإنكار متعلق بأحواله من حيث هو إنسان كما في قوله تعالى ألا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً وقوله تعالى (إِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ) أي شديد الخصومة والجدال بالباطل عطف على الجملة المنفية داخل في حيز الإنكار والتعجيب كأنه قيل أو لم ير أنا خلقناه من أخس الأشياء وأمنها ففاجأ خصومتنا في أمر يشهد بصحته وتحققه مبدأ فطرته شهادة بينة وإيراد الجملة الاسمية للدلالة على استقراره في الخصومة واستمراره عليها روى أن جماعة من كفار قريش منهم أبي بن خلف الجمحي وأبو جهل والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم أبي بن خلف ألا ترون إلى ما يقول محمد أن الله يبعث الأموات ثم قال واللات والعزى لا صيرن إليه ولا خصمنه وأخذ عظمها باليا لجمل يفته بيده ويقول يا محمد أترى الله يحيي هذا بعد ما رم قال ﷺ نعم ويبعثك ويدخلك جهنم فزلت وقيل معنى قوله تعالى فإذا هو خصيم مبين فإذا هو بعدما كان ماء مهيناً رجل يميز منطق قادر على الخصام مبين معرب عما في نفسه فصيح فهو حينئذ معطوف على خلقناه غير داخل تحت الإنكار والتعجيب بل هو من متهمة شواهد صحة البعث فقوله تعالى

٣٦ يس

وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾

٣٦ يس

قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

٣٦ يس

الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾

- ٧٨ (وضرب لنا مثلاً) معطوف حينئذ على الجملة المنفية داخل في حيز الإنكار والتعجب وأما على التقدير الأول فهو عطف على الجملة الفجائية والمعنى ففاجأ خصوصتنا وضرب لنا مثلاً أى أورد في شأننا قصة عجيبة في نفس الأمر هي في الغرابة والبعد عن العقول كالمثل وهي إنكار إحيائنا العظام أو قصة عجيبة في زعمه واستبعادها وعدّها من قبيل المثل وأنكرها أشد الإنكار وهي إحيائنا إياها وجعل لنا مثلاً ونظيراً من الخلق وقاس قدرتنا على قدرتهم ونفى الكل على العموم وقوله تعالى (ونسى خلقه) أى خلقنا إياه على الوجه المذكور الدال على بطلان ما ضربه إما عطف على ضرب داخل في حيز الإنكار والتعجب أو حال من فاعله بإضمار قد أو بدونه وقوله تعالى (قال) استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية ضربه المثل كأنه قيل أى مثل ضرب أو ماذا قال فقيل قال (من يحيى العظام) منكر آله أشد النكير مؤكداً له بقوله تعالى (وهي رميم) أى بالية أشد البلى بعيدة من الحياة غاية البعد فالمثل على الأول هو إنكار إحيائه تعالى للعظام فإنه أمر عجيب في نفس الأمر حقيق لغرابته وبعده من العقول بأن يعد مثلاً ضرورة جزم العقول ببطلان الإنكار ووقوع المنكر لكونه كالإنشاء بل أهون منه في قياس العقل وعلى الثانى هو إحياءه تعالى لها فإنه أمر عجيب في زعمه قد استبعده وعده من قبيل المثل وأنكره أشد الإنكار مع أنه في نفس الأمر أقرب شيء من الوقوع لما سبق من كونه مثل الإنشاء أو أهون منه وأما على الثالث فلا فرق بين أن يكون المثل هو الإنكار أو المنكر وعدم تأنيث الرميم مع وقوعه خبراً للثبوت لأنه اسم لما يلي من العظام غير صفة كالرفات وقد تمسك بظاهر الآية الكريمة من أثبت للعظم حياة وبني عليه الحكم بنجاسة عظم الميتة وأما أصحابنا فلا يقولون بحياته كالشعر ويقولون المراد بإحياء العظام ردها إلى ما كانت عليه من الغضاضة والرطوبة في بدن حي حساس (قل) تبكيتاً له بتذكير مانسبه من فطرته الدالة على حقيقة الحال وإرشاده إلى طريقة الاستشهاد بها (يحييها الذى أنشأها أول مرة) فإن قدرته كما هي لاستحالة النغير فيها والمادة على حالها (وهو بكل خلق عليم) مبالغ في العلم بتفاصيل كينيات الخلق والإيجاد لإنشاء وإعادة محيط بجميع الأجزاء المتفتتة المتبددة لكل شخص من الأشخاص أصولها وفعولها وأوضاع بعضها من بعض من الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق فيعيد كلا من ذلك على النمط السابق مع القوى التي كانت قبل والجملة إما اعتراض تذييل مقرر لمضمون الجواب أو معطوفة على الصلة والعدول إلى الجملة الاسمية للتنبيه على أن علمه تعالى بما ذكر أمر مستمر ليس كإنشائه للنبشآت وقوله تعالى (الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا) بدل من الموصول الأول وعدم الاكتفاء بعطف صلته على صلته

أُولَئِكَ الَّذِينَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ٣٦ يس

إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٧﴾ ٣٦ يس

فَسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ٣٦ يس

للتأكيد ولتفاوتهما في كيفية الدلالة أي خلق لأجلكم ومنفعتكم منه ناراً على أن الجمل إبداعى والجاران متعلقان به قدما على مفعوله الصريح مع تأخيرهما عنه رتبة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر ووصف الشجر بالأخضر نظراً إلى اللفظ وقد قرىء الخضراء نظراً إلى المعنى وهو المرخ والعفار يقطع الرجل منهما عصيتين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهو أنثى فتندح النار بإذن الله تعالى وذلك قوله تعالى (فإذا أنتم منه توقدون) فن قدر على إحداث النار من الشجر الأخضر مع ما فيه من الماتية المضادة لها بكيفيته كان أقدر على إعادة الغضاضة إلى ما كان غضاً فطراً عليه اليوسة والبللى وقوله تعالى (أوليس الذى خلق السموات والأرض) الخ استئناف مسوق من جهته عز وجل لتحقيق مضمون الجواب الذى أمر ﷺ بأن يخاطبهم بذلك ويلزمهم الحجة والهمزة للإنكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى ليس الذى أنشأها أول مرة وليس الذى جعل لهم من الشجر الأخضر ناراً وليس الذى خلق السموات والأرض مع كبر جرمهما وعظم شأنهما (بقادر على أن يخلق مثلهم) فى الصغر والقماء بالنسبة إليهما فإن بديهة العقل قاضية بأن من قدر على خلقهما فهو على خلق الإنسانى أقدر كما قال تعالى لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس وقرىء يقدر وقوله تعالى (بلى) جواب من جهته تعالى وتصريح بما أقاده الاستفهام الإنكارى من تقرير ما بعد النفي وإيدان بتعين الجواب نطقوا به أو تلعثموا فيه مخافة الإلزام وقوله تعالى (وهو الخلاق العليم) عطف على ما يفيد الإيجاب أى بلى هو قادر على ذلك وهو المبالغ فى الخلق والعلم كيفاً وكماً (إنما أمره) أى شأنه (إذا أراد شيئاً) من الأشياء (أن يقول له كن) أى أن يعلق به قدرته (فيكون) فيحدث من غير توقف على شيء آخر أصلاً وهذا تمثيل لآثار قدرته تعالى فيما أراد به بأمر الأمر المطاع المأمور المطيع فى سرعة حصول المأمور به من غير توقف على شيء ما وقرىء فيكون بالنصب عطفاً على يقول (فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء) تنزيه له عز وعلا عما وصفوه تعالى به وتعجيب عما قالوا فى شأنه تعالى وقد مر تحقيق معنى سبحان والفاء الإشارة إلى أن ما فصل من شأنه تعالى موجبة لتزهره وتنزيهه أكمل إيجاب كما أن وصفه تعالى بالمالكية السلبية المطلقة للإشعار بأنها مقتضية لذلك أنهم اقتضاء والملكوت مبالغة فى الملك كالرحموت والرهبوت وقرىء ملكة كل شيء وعلمة كل شيء وملك كل شيء (والله يرجعون) لا إلى غيره وقرىء ترجعون بفتح التاء من الرجوع وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى . عن ابن عباس رضى الله عنهما كنت لا أعلم ما روى فى فضائل يس

٣٧ - سورة الصافات

(مكية وآياتها مائة واثنان وثمانون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٧ الصافات

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ❶

٣٧ الصافات

فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ❷

٣٧ الصافات

فَالنَّازِلَاتِ نَزْرًا ❸

وقراءتها كيف خصت بذلك فإذا أنه لهذه الآية قال رسول الله ﷺ إن لكل شيء قلباً وإن قلب القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله تعالى غفر الله له وأعطى من الأجر كما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وأياماً مسلم قرىء عنده إذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفًا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وأياماً مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمسك في قبره وهو ريان ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان . وقال ﷺ إن في القرآن سورة تشفع لقارئها وتستغفر لمستمعها ألا وهي سورة يس .

(سورة الصافات مكية وآياتها مائة واثنان وثمانون آية)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والصافات صفاً) لإقسام من الله عز وجل بطوائف الملائكة الفاعلات للصوف على أن المراد إيقاع نفس الفعل من غير قصد إلى المفعول أو الصافات أنفسها أى الناظرات لها في سلك الصوف بقيامها في مقاماتها المعلومة حسبما ينطق به قوله تعالى وما منا إلا له مقام معلوم وعلى هذين المعنيين مدار قوله تعالى وإنا لنحن الصافون وقيل الصافات أقدامها في الصلاة وقيل أجنحتها في الهواء (فالزاجرات زاجراً) أى الفاعلات للزجر أو الزاجرت لما نيظ بها زجره من الأجرام العلوبة والسفلية وغيرها على وجه يليق بالزجور ومن جملة ذلك زجر العباد عن المعاصي وزجر الشياطين عن الوسوسة والإغواء وعن استراق السمع كما سيأتى وصفاً وزجراً مصدران مؤكداً لما قبلهما أى صفاً بديعاً وزجراً بليغاً وأما ذكر أى قوله تعالى (فالتاليات ذكرأ) ففعل التاليات أى التاليات ذكر أعظم الشأن من آيات الله تعالى وكتبه المنزلة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وغيرها من التسبيح والتعديس والتحميد والتمجيد وقيل هو أيضاً مصدر مؤكد لما قبله فإن التلاوة من باب الذكرك ثم إن هذه الصفات إن أجريت على الكل فمطعمها بالغاء للدلالة على ترتبها في الفضل إما بكون الفضل للصف ثم للزجر ثم

٣٧ الصافات

إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿١﴾

٣٧ الصافات

رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ﴿٢﴾

٣٧ الصافات

إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ﴿٣﴾

للتلاوة أو على العكس وإن أجريت كل واحدة منهن على طوائف معينة فهو للدلالة على ترتيب الموصوفات في مراتب الفضل بمعنى أن طوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات أفضل والتاليات أبهر فضلا أو على العكس وقيل المراد بالمد كورات نفوس العلماء العمال الصافات أنفسها في صفوف الجماعات وأقدامها في الصلوات الزاجرات بالمواظاة والنصائح التاليات آيات الله تعالى الدارسات شرائعه وأحكامه وقيل طوائف الغزاة الصافات أنفسهم في مواطن الحروب كأنهم بنيان مرصوص أو طوائف قوادم الصافات لهم فيها الزاجرات الخيل للجهاد سوقا والعدو في المعارك طردا التاليات آيات الله تعالى وذكره وتبيحه في تضاعيف ذلك والكلام في العطف ودلالته على ترتيب الصفات في الفضل أو ترتيب موصوفاتها فيه فالذي سلف وأما الدلالة على الترتيب في الوجود كما في قوله [يا لهف زبانة للحرث اله صابح فالغائم فالآيب] فغير ظاهرة في شيء من الطوائف المذكورة فإنه لو سلم تقدم الصف على الزجر في الملائكة والغزاة فتأخر التلاوة عن الزجر غير ظاهر وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل ما يزجر عن المعاصي والتاليات كل من يتلو كتاب الله تعالى وقيل الزاجرات القوارع القرآنية وقرىء بإدغام التاء في الصاد والزاي والذال (إن إلهكم لواحد) جواب القسم والجملة تحقيق للحق الذي هو التوحيد بما هو المألوف في كلامهم من التأكيد القسمي وتمهيد لما يعقبه من البرهان الناطق به أعني قوله تعالى (رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق) فإن وجودها وانتظامها على هذا النمط البديع من أوضح دلائل وجود الصانع وعلمه وقدرته وأعدل شواهد وحدته كما مر في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ورب خبر ثان لأن أو خبر مبتدأ محذوف أي مالك السموات والأرض وما بينهما من الموجودات ومرربها ومبلغها إلى كمالاتها والمراد بالمشارق مشارق الشمس وإعادة الرب فيها غاية ظهور آثار الربوبية فيها وتجدها كل يوم فإنها ثلثمائة وستون مشرقا تشرق كل يوم من مشرق منها وبحسبها تختلف المغارب وتغرب كل يوم في مغرب منها وأما قوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين فهما مشرقا الصيف والشتاء ومغربا هما (إننا زينا السماء الدنيا) أي القربى منكم (بزينة) بحجية بدیعة (الكواكب) بالجر بدل من زينة على أن المراد بها الاسم أي ما يزن به لا المصدر فإن الكواكب أنفسها وأوضاع بعضها من بعض زينة وأي زينة وقرىء بالإضافة على أنها بيانية لما أن الزينة مبهمة صادقة على كل ما يزان به فتقع الكواكب بيانا لها ويجوز أن يراد بزينة الكواكب ما زينت هي به وهو ضوؤها وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما بزينة الكواكب بضوء الكواكب هذا وأما على تقدير كون الزينة مصدرا فالمعنى على

٤

٥

٦

٣٧ الصافات

وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾

٣٧ الصافات

لَّا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾

٣٧ الصافات

دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾

٣٧ الصافات

إِلَّا مَن خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾

- تقدير إضافتها إلى الفاعل بأن زانت الكواكب إياها وأصله بزينة الكواكب وعلى تقدير إضافتها إلى المفعول بأن زان الله الكواكب وحسناها وأصله بزينة الكواكب والمراد هو التزيين في رأى العين فإن جميع الكواكب من الثوابت والسيارات تبدو للناظرين كأنها جواهر متلألئة في سطح سماء الدنيا بصور بدیعة وأشكال رائعة ولا يقدح في ذلك ارتكاز الثوابت في الفلك الثامن وما عدا القمر في الستة المتوسطة إن ثبت ذلك (وحفظاً) منصوب إما بعطفه على زينة باعتبار المعنى كأنه قيل إنا خلقنا الكواكب ٧ زينة للسماء وحفظاً (من كل شيطان مارد) أى خارج عن الطاعة برى الشهب وإما بإضمار فعله وإما بتقدير فعل مؤخر معلل به كأنه قيل وحفظاً من كل شيطان مارد زيناها بالكواكب كقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وقوله تعالى (لا يسمعون إلا الملائة الأعلى) كلام ٨ مبتدأ مسوق لبيان حالهم بعد بيان حفظ السماء عنهم مع التنبيه على كيفية الحفظ وما يعترهم في أثناء ذلك من العذاب ولا سبيل إلى جعله صفة لكل شيطان ولا جواباً عن سؤال مقدر لعدم استقامة المعنى ولا علة للحفظ على أن يكون الأصل لثلاث يسمعون المحذوف اللام كما حذف من قولك جئتكم أن تكر منى فبقى أن لا يسمعون ثم محذوف أن ويهدر عملها كما في قول من قال [ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى] لما أن كل واحد من ذينك المحذوفين غير منكر بانفراده فأما اجتماعهما فن أنكر المنكرات التي يجب تنزيه ساحة التنزيل الجليل عن أمثالها وأصل يسمعون يتسمعون والملائة الأعلى الملائكة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هم الكتبة وعنه أشراف الملائكة عليهم الصلاة والسلام أى لا يتطلبون السماع والإصغاء إليهم وقرئ يسمعون بالتخفيف (ويقذفون) يرمون (من كل جانب) من جميع جوانب السماء إذا قصدوا الصعود إليها (دحوراً) علة للقذف أى للدحور أو حال بمعنى مدحورين أو مصدر مؤكد له ٩ لأنهما من واد واحد وقرئ دحوراً بفتح الدال أى قذفاً دحوراً مبالغة في الطرد وقد جوز أن يكون مصدرأ كالقبول والولوع (ولهم عذاب واصل) أى ولهم في الآخرة غير ما في الدنيا من عذاب الرجم بالشهب عذاب شديد دائم غير منقطع كقوله تعالى وأعدنا لهم عذاب السعير (إلا من خطف الخطفة) استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة كما يعرب عنه تعريف الخطفة وقرئ بكسر الحاء والطاء المشددة وفتح الحاء وكسر الطاء

فَاسْتَفْتِهِمْ أَهَمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ⑪ ٣٧ الصافات

بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ⑫ ٣٧ الصافات

وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ⑬ ٣٧ الصافات

وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ⑭ ٣٧ الصافات

وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ⑮ ٣٧ الصافات

أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءَنَّا لَمَبْعُوثُونَ ⑯ ٣٧ الصافات

وتشديد ما وأصلها اختطف (فأنبه شهاب) أي تبعه ولحقه وقرى. فأنببه والشهاب ما يرى منقضا من السماء (ثاقب) مضى في الغاية كأنه ينقب الجو بضوئه يرجم به الشياطين إذا صعدوا لاستراق السمع فيقتلهم أو يحرقهم أو يخلبهم قالوا وإنما يعود من يسلم منهم حيا طمعا في السلامة ونيل المراد كراكب السفينة (فاستفتهم) فاستخبر مشركي مكة (أهم أشد خلقا) أي أقوى خلقا وأمن بنية أو أصعب خلقا وأشق لإيجاد (أمن من خلقنا) من الملائكة والسماء والأرض وما بينهما والمشارك والكواكب والشهب النواقب ومن التغليب العقلاء على غيرهم ويدل عليه إطلاقه ومجيبه بعد ذلك لاسيما قراءة من قرأ أم من عددنا وقوله تعالى (إنا خلقناهم من طين لازب) فإنه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم من الأمم كعاد وثمود ولأن المراد إثبات المعاد ورد استحالتهم والأمر فيه بالإضافة إليهم وإلى من قبلهم سواء وقرى. لازم ولا تب (بل عجب) أي من قدرة الله تعالى على هذه الخلق العظيمة وإنكارهم للبعث (ويسخرون) من تعجيبك وتقريرك للبعث وقرى. بضم التاء على معنى أنه باع كمال قدرتي وكثرة مخلوقاتي إلى حيث عجب منها وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها أو عجب من أن ينكروا البعث من هذه أفاعيله ويسخروا من يحوزه والعجب من الله تعالى إما على الفرض والتخييل أو على معنى الاستعظام اللازم له فإنه روعة تغري الإنسان عند استعظام الشيء وقيل إنه مقدر بالقول أي قل يا محمد بل عجب (وإذا ذكروا) أي ودأبهم المستمر أنهم إذا عظوا بشيء من المواعظ (لا يذكرون) لا يتعظون وإذا ذكر لهم ما يدل على صحة البعث لا ينتفمون به لغاية بلادتهم وقصور فكرهم (وإذا رأوا آية) أي معجزة تدل على صدق الغافل به (يستسخرون) يبالغون في السخرية ويقولون إنه سحر أو يستدعي بعضهم من بعض أن يسخر منها ١٥، ١٦ (وقالوا إن هذا) أي ما يروونه من الآيات الباهرة (إلا سحر مبين) ظاهر سحره (أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما) أي كان بعض أجزائنا ترابا وبعضها عظاما وتقديم التراب لأنه منقلب من الأجزاء البادية والعامل في إذا ما دل عليه مبعوثون في قوله تعالى (أنا لمبعوثون) أي نبعث لأنفسه لأن دونه خطوباً

- أَوْءَا بَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ ٣٧ الصافات
- قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾ ٣٧ الصافات
- فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾ ٣٧ الصافات
- وَقَالُوا يَا بُولِيتَ هَذَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ ٣٧ الصافات
- هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ٣٧ الصافات
- أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ ٣٧ الصافات

لو تفرد واحد منها لكفى في المنع وتقديم الظرف لتقوية الإنكار للبعث بتوجيهه إلى حالة منافية له غاية الدافاة وكذا تكرير الهمزة في أننا للبالغه والتشديد في ذلك وكذا تحلية الجملة بأن واللام لتأكيد الإنكار لا لإنكار أننا كيدكما يوهمه ظاهر النظم الكريم فإن تقديم الهمزة لافتضاءها الصدارة كما في مثل قوله تعالى أفلا تعقلون على رأى الجمهور فإن المعنى عندهم تعقيب الإنكار لا إنكار التعقيب كما هو المشهور وقرئ بطرح الهمزة الأولى وبطرح الثانية فقط (أو آباؤنا الأولون) رفع على الابتداء وخبره محذوف عند سيديويه أى ١٧ وآباؤنا الأولون أيضاً مبعضون وقيل عطف على محل إن واسمها وقيل على الضمير في مبعوثون للفصل بهمزة الإنكار الجارية مجرى حرف النفي في توله تعالى ما أشركنا ولا آباؤنا وأياً ما كان فإدراج زيادة الاستبعاد بناء على أنهم أقدم فبعثهم أبعد على زعمهم وقرئ (أو آباؤنا) قل) تبكيتاً لهم (نعم) والخطاب في قوله ١٨ تعالى (وأنتم داخرون) لهم ولا بانهم بطريق التغليب والجملة حال من فاعل ما دل عليه نعم أى كلكم مبعوثون والحال أنكم صاغرون أذلاء وقرئ نعم بكسر العين وهى لغة فيه (فإنما هى زاجرة واحدة) ١٩ هى إما ضمير مبهم يفسره خبره أو ضمير البعثة والجملة جواب شرط مضمرة أو تعليل لنهى مقدر أى إذا كان كذلك فإنما هى الخ أو لا تستصعبوه فإنما هى الخ والزجرة الصيحة من زجر الراعى غنمه إذا صاح عليها وهى النفخة الثانية (فإذا هم) قائمون من مرافدهم أحياء (ينظرون) يبصرون كما كانوا أو ينتظرون ما يفعل بهم (وقالوا) أى المبعوثون وصيغة الماضى للدلالة على التحقق والتقرر (يا بوليتنا) أى هلاكنا حضر ٢٠ فهذا وأن حضورك وقوله تعالى (هذا يوم الدين) تعليل لدعائهم الول بطريق الاستئناف أى اليوم الذى نجازى فيه بأعمالنا وإنما علموا ذلك لأنهم كانوا يسمعون فى الدنيا أنهم يبعثون ويحاسبون ويجهزون بأعمالهم فلما شاهدوا البعث أيقنوا بما بعده أيضاً وقوله تعالى (هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون) ٢١ كلام الملائكة جواباً لهم بطريق التوبيخ والتقريع وقيل هو أيضاً من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء أو الفرق بين فرق الهدى والضلال وقوله تعالى (أحشروا الذين ظلموا) خطاب من الله عز وجل للملائكة ٢٢

٣٧ الصفات

مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾

٣٧ الصفات

وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾

٣٧ الصفات

مَالَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾

٣٧ الصفات

بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾

٣٧ الصفات

وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾

٣٧ الصفات

قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾

أو من بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم إلى المرقف وقيل من الموقف إلى الجحيم (وأزواجهم) أي أشباههم ونظراءهم من العصاة عابد الصنم مع عبده وعابد الكواكب مع عبده كقوله تعالى وكنتم أزواجا ثلاثة وقيل قرناءهم من الشياطين وقيل نساءهم اللاتي على دينهم (وما كانوا يعبدون) (من دون الله) من الأصنام ونحوها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم قيل هو عام مخصوص بقوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية الكريمة وأنت خير بأن الموصول عبارة عن المشركين خاصة جيء به لتعليل الحكم بما في حيز صلته فلا عموم ولا تخصيص (فاهدوهم إلى صراط الجحيم) أي عرفوهم طريقها ووجههم إليها وفيه تهكم بهم (وقفوهم) احبسوهم في الموقف كأن الملائكة سارعوا إلى ما أمروا به من حشرهم إلى الجحيم فأمروا بذلك وعلل بقوله تعالى (إنهم مسئولون) إيذاناً من أول الأمر بأن ذلك ليس للعفو عنهم ولا ليعتبر بحوا بتأخير العذاب في الجملة بل ليسألوا الكن لا عن عقابهم وأعمالهم كما قيل فإن ذلك قد وقع قبل الأمر بهم إلى الجحيم بل مما ينطق به قوله تعالى (مالكم لا تناصرون) بطريق التوبيخ والتقريع والتهكم أي لا ينصر بعضهم بعضاً كما كنتم تزعمون في الدنيا وتأخير هذا السؤال إلى ذلك الوقت لأنه وقت تنجز العذاب وشدة الحاجة إلى النصرة وحالة انقطاع الرجاء عنها بالكلية فالتوبيخ والتقريع حينئذ أشد وقعاً وتأثيراً وقرئ لا تناصرون ولا تناصرون بالإدغام (بل هم اليوم مستسلمون) منقادون خاضعون لظهور عجزهم وانسداد باب الخيل عليهم أو أسلم بعضهم بعضاً وخذله عن عجز فكلمهم مستسلم غير منتصر (وأقبل) حينئذ (بعضهم على بعض) هم الاتباع والرؤساء أو الكفرة والقرناء (يتساءلون) يسأل بعضهم بعضاً سؤال توبيخ بطريق الخصومة والجدال (قالوا) استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية تساؤلهم كأنه قيل كيف تساءلوا فقيل قالوا أي الاتباع للرؤساء أو الكل للقرناء (إنكم كنتم تأتوننا) في الدنيا (عن اليمين) عن أقوى الوجوه وأمتها أو عن الدين أو عن الخير كأنكم تنفعوننا نفع السامع فتبعناكم فهلكنا مستعار من يمين الإنسان الذي هو أشرف الجانبين وأقواهما وأنفعهما ولذلك سمي يميناً ويقيم بالسامع أو عن القوة والقسر فتقسرونا على الفنى وهو الاًوفق للجواب أو عن الحلف حيث كانوا يحلفون أنهم على الحق .

٣٧ الصافات	قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾
٣٧ الصافات	وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾
٣٧ الصافات	حَقَّقَ عَلَيْنَا قَوْلَ رَبِّنَا إِنَّا لَذَٰٓئِقُونَ ﴿٣١﴾
٣٧ الصافات	فَإُغْوَيْنَكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾
٣٧ الصافات	فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾
٣٧ الصافات	إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾
٣٧ الصافات	إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾
٣٧ الصافات	وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا هَٰهِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾
٣٧ الصافات	بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾
٣٧ الصافات	إِنَّكُمْ لَذَٰٓئِقُوا الْعَذَابِ الْآلِيمِ ﴿٣٨﴾

- (قالوا) استئناف كما سبق أى قال الرؤساء أو القراء (بل لم تكونوا مؤمنين) أى لم تمنعكم من الإيمان ٢٩
 بل لم تؤمنوا باختياركم وأعرضتم عنه مع تمسكنكم منه وآثرتم الكفر عليه (وما كان لنا عليكم من سلطان) ٣٠
 من قهر وتسلط نسلبكم به اختياركم (بل كنتم قوما طاغين) مختارين للطغيان مهربين عليه (لحق علينا) ٣١
 أى لزمنا وثبت علينا (قول ربنا) وهو قوله تعالى لا ملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين (إننا لذائقون)
 أى العذاب الذى ورد به الوعيد (فأغريناكم) فدعوناكم إلى الغي دعوة غير ملجئة فاستجبتم لنا باختياركم ٣٢
 واستجابكم الغي على الرشد (إننا كنا غاوين) فلا عتب علينا فى تعرضنا لإغوائكم بتلك المرتبة من الدعوة
 لتكوبوا أمثالنا فى الغواية (فإنهم) أى الاتباع والمتبوعين (يومئذ فى العذاب مشتركون) حسبما كانوا ٣٣
 مشتركين فى الغواية (إننا كذلك) أى مثل ذلك الفعل البديع الذى تقتضيه الحكمة التشريعية (نفعل
 بالمجرمين) المنتاهين فى الإجرام وهم المشتركون كما يعرب عنه التعليل بقوله تعالى (إنهم كانوا إذا قيل
 لهم) بطريق الدعوة والتلقين (لا إله إلا الله يستكبرون) عن القبول (ويقولون أنما لناركوا أهتنا لشاعر
 مجنون) (بل جاء بالحق وصدق المرسلين) رد عليهم وتكذيب لهم ببيان أن ما جاء به من التوحيد هو
 الحق الذى قام به البرهان وأجمع عليه كافة الرسل عليهم الصلاة والسلام فآين الشعر والمجنون من ساحته
 الرفيعة (إنكم) بما فعلتم من الإشراك وتكذيب الرسول ﷺ والاستكبار (لذائقوا العذاب الآليم) ٣٨

٣٧ الصفات

وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾

٣٧ الصفات

إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾

٣٧ الصفات

أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٤١﴾

٣٧ الصفات

فَوَاكِهُهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾

٣٧ الصفات

فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾

- والالتفات لإظهار كمال الغضب عليهم وقرىء بنصب العذاب على تقدير النون كقوله [ولا ذاكر الله إلا قليلاً] وقرىء لذا نقون العذاب على الأصل (وما تجزون إلا ما كنتم تعملون) أى [الجزاء ما كنتم تعملونه من السيئات أو إلا بما كنتم تعملونه منها (إلا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع من ضمير ذا نقو وما بينهما اعتراض جىء به مسارعة إلى تحقيق الحق ببيان أن ذوقهم العذاب ليس إلا من جهتهم لا من جهة غيرهم أصلاً وجعله استثناء من ضمير تجزون على معنى أن الكفرة لا يجزون إلا بقدر أعمالهم دون عباد الله المخلصين فإنهم يجزون أضعافاً مضاعفة بما لا وجه له أصلاً لا سيما جملة استثناء متصلاً بتعميم الخطاب في تجزون لجميع المكلفين فإنه ليس في حيز الاحتمال فالمعنى إنكم لذا نقون العذاب الأليم لكن عباد الله المخلصين الموحدين ليسوا كذلك وقوله تعالى (أولئك) إشارة إليهم للإيذان بأنهم ممتازون بما انصفوا به من الإخلاص في عبادة الله تعالى فمن عدام امتيازاً بالغاً منتظمون بسببه في سلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإشعار بعلو طبقتهم وبعد منازلهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى (لهم) إما خبر له وقوله تعالى (رزق) مرتفع على الفاعلية بما فيه من الاستقرار أو مبتدأ ولهم خبر مقدم والجملة خبر لأولئك والجملة الكبرى استئناف مبين لما أفاده الاستثناء إجمالاً بياناً تفصيلاً وقيل هي خبر للاستثناء المنقطع على أنه متأول بالمبتدأ وقوله تعالى (معلوم) أى معلوم الخصائص من حسن المنظر ولذة الطعم وطيب الرائحة ونحوها من نعوت الكمال وقيل معلوم الوقت كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيماً وقوله تعالى (فواكه) إما بدل من رزق أو خبر مبتدأ مضمراً أى ذلك الرزق فواكه وتخصيصها بالذكر لأن أرزاق أهل الجنة كلها فواكه أى ما يؤكل لمجرد التلذذ دون الاقتيات لأنهم مستغنون عن القوت لكون خلقهم محكمة محفوظة من التحلل المحوج إلى البدل وقيل لأن الفواكه من أتباع سائر الأطعمة فذكرها مفعول عن ذكرها (وهم مكرمون) عند الله عز وجل لا يلحقهم هوان وذلك أعظم الثواب وأليقها بأولى الهمم وقيل مكرمون في نيله حيث يصل إليهم بغير تعب وسؤال كما هو شأن أرزاق الدنيا وقرىء مكرمون بالتشديد (في جنات النعيم) أى في جنات ليس فيها إلا النعيم وهو ظرف أو حال من المستكن في مكرمون أو خبر ثان لأولئك .

٣٧ الصافات

عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾

٣٧ الصافات

يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾

٣٧ الصافات

بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾

٣٧ الصافات

لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٤٧﴾

٣٧ الصافات

وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾

٣٧ الصافات

كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾

٣٧ الصافات

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾

- ٤٤ وقوله تعالى (على سرر) محتمل للعالية والخبرية فقوله تعالى (متقابلين) حال من المستمكن فيه أو في
مكرمون وقوله تعالى (يطاف عليهم) إما استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية تكامن مجالس أنسهم
أو حال من الضمير في متقابلين أو في أحد الجارين وقد جوز كونه صفة لمكرمون (بكأس) يأناء فيه خمر
أو بخمر فإن الكأس تطلق على نفس الخمر كما في قول من قال [وكأس شربت على لذة] وأخرى تدوايت
منهاها [(من معين) متعلق بمضمهر هو صفة لكأس أى كائنة من شراب معين أو من نهر معين وهو
الجارى على وجه الأرض الظاهر للعيون أو الخارج من العيون من عان الماء إذا نبع وصف به الخرو هو
للدهاء لآهاتجى فى الجنة فى أنهار كمايجرى الماء قال تعالى وأنهار من خمر (بيضاء لذة للشاربين) صفتان أيضاً
٤٦ الكأس ووصفها بلذة إما للبالة كأنها نفس اللذة أو لأنها تأنيث اللذ بمعنى اللذيذ ووزنه فعل قال [ولذ
قطعم الصر خدى تركته] بأرض العدا من خيفة الحدثان [يريد به النوم (لا فيها غول) أى غائلة كفاى
٤٧ خمر الدنيا من غاله إذا أفسده وأهلكه ومنه الغول (ولاهم عنها ينزفون) يسكرون من نزف الشارب
فهو نزيف ومنزوف إذا ذهب عقله ويقال للمطعمون نزف فوات إذا خرج دمه كله أفرد هذا بالنفى مع
اندراجه فيما قبله من نفي الغول عنها لما أنه من معظم مفسد الخمر كأنه جنس برأسه والمعنى لا فيها نوع من
أنواع الفساد من مغص أو صداع أو خمار أو عريدة أو لغو أو تأثيم ولا هم يسكرون وقرىء ينزفون
بكسر الزاى من أنزف الشارب إذا نفذ عقله أو شرابه وقرىء ينزفون بضم الزاى من نزف ينزف بضم الزاى
فيهما (وعندهم قاصرات الطرف) قصرن أبصارهن على أزواجهن لا يمددن طرفاً إلى غيرهم (عين) نجل
٤٨ العيون جمع عيناء والنجل سعة العين (كأنهن بيض مكنون) شبهن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه
٤٩ فى الصفاء والبياض المخلوط بأدنى صفرة فإن ذلك أحسن ألوان الأبدان (فأقبل بعضهم على بعض
٥٠ يتساءلون) معطوف على يطاف أى يشربون فيتحدثون على الشراب كما هو عادة الشرب قال [وما

٣٧ الصفات

قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾

٣٧ الصفات

يَقُولُ أَأَنْتَ لِمَنِ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾

٣٧ الصفات

أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْنَا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾

٣٧ الصفات

قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾

٣٧ الصفات

فَاطْلِعْ قَرَأَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾

٣٧ الصفات

قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴿٥٦﴾

بقيت من اللذات إلا أحاديث الكرام على المدام [فيقبل بعضهم على بعض يتسألون عن الفضائل
 والمعارف و عما جرى لهم وعليهم في الدنيا فالتعبير عنه بصيغة الماضي للتأكيد والدلالة على تحقق الوقوع
 ٥٢، ٥١ حتما (قال قائل منهم) في تضاعيف محاوراتهم (إني كان لي) في الدنيا (قرين) مصاحب (يقول)
 لي على طريقة التوبيخ بما كنت عليه من الإيمان والتصديق بالبعث (أنتك لمن المصدقين) أي بالبعث
 ٥٣ وقرىء بتشديد الصاد من التصديق والاول هو الأوفق لقوله تعالى (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا
 لمدينون) أي لمبعوثون ومجزون من الدين بمعنى الجزاء أو لمسوسون يقال دانه أي ساسه ومنه الحديث
 العاقل من دان نفسه وقيل كان رجل تصدق بالله لوجه الله تعالى فاحتاج فاستجدي بعض إخوانه فقال
 أين مالك قال تصدقت به ليعوضني الله تعالى في الآخرة خير أمته فقال أنتك لمن المصدقين بيوم الدين أو
 من المصدقين لطلب الثواب والله لا أعطيك شيئا فيكون التعرض لذكر موتهم وكونهم ترابا وعظاما
 ٥٤ حينئذ لتأكيد إنكار الجزاء المبني على إنكار البعث (قال) أي ذلك القائل بعد ما حكى جلسائه مقالة قرينه
 في الدنيا (هل أنتم مطلعون) أي إلى أهل النار لاريكم ذلك القرين يريد بذلك بيان صدقه فيما حكاه وقيل
 القائل هو الله تعالى أو بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون أن تطلعوا على أهل النار لاريكم ذلك القرين
 ٥٥ فتعلموا أين منزلتكم من منزلتهم قيل إن في الجنة كوى ينظر منها أهلها إلى أهل النار (فاطلع) أي عليهم (قرأه)
 أي قرينه (في سواء الجحيم) أي في وسطها وقرىء فاطلع على لفظ المضارع المنصوب وقرىء مطلعون
 فاطلع و فاطلع بالتخفيف على لفظ الماضي والمضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان واطلع واطلع بمعنى
 واحد والمعنى هل أنتم مطلعون إلى القرين فاطلع أنا أيضاً أو عرض عليهم الاطلاع فقبلوا ما عرضه
 فاطلع هو بعد ذلك وإن جعل الاطلاع متعدياً فلامني أنه لما شرط في إطلاعه إطلاعهم كما هو ديدن
 الجلساء فكأنهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرىء مطلعون بكسر النون أراد مطلعون
 إياي فوضع المتصل موضع المنفصل كقولهم [هم الفاعلون الخيروا الأمرونه] أو شبه اسم الفاعل بالمضارع
 ٥٦ لما بينهما من التآخي (قال) أي القائل مخاطباً لقرينه (تالله إن كدت لتردين) أي تهلكني بالإغواء وقرىء

٣٧ الصافات

وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾

٣٧ الصافات

أَفَأَنْخُنْ بِمَبِيتَيْنِ ﴿٥٨﴾

٣٧ الصافات

إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٥٩﴾

٣٧ الصافات

إِنْ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾

٣٧ الصافات

لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾

٣٧ الصافات

أَذَلِكَ خَيْرٌ نَزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾

لتغوين والتاء فيه معنى التعجب وإن هي المخففة من إن وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف واللام فارقة
 أى تالله إن الشأن كدت لتزدين (ولولا نعمة ربي) بالهداية والعصمة (لكنت من المحضرين) أى من ٥٧
 الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت وأضرابك وقوله تعالى (أفأنا نحن بميتين) رجوع إلى محادثة ٥٨
 جلساته بعد إتمام الكلام مع قريبه تبجحاً وإبتهاجاً بما أناح الله عز وجل لهم من الفضل العظيم والنعيم
 المقيم والهمزة للتقرير وفيها معنى التعجب والفاء للعطف على مقدر يقتضيه نظم الكلام أى أنحن مخلدون
 منعمون فأنحن بميتين أى بمن شأنه الموت وقرىء بماتين (إلا موتنا الأولى) التى كانت فى الدنيا وهى ٥٩
 متناولة لما فى القبر بعد الإحياء للسؤال قاله تصديقاً لقوله تعالى لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى
 وقيل إن أهل الجنة أول ما دخلوا الجنة لا يعلمون أنهم لا يموتون فإذا جرى بالموت على صورة كبش
 أملح فذبح ونودى بأهل الجنة خلود فلا موت وبأهل النار خلود فلا موت يعلمونه فيقولون ذلك تحدياً
 بنعمة الله تعالى واغبطاً بها (وما نحن بمعذبين) كالكفار فإن النجاة من العذاب أيضاً نعمة جليلة
 مستوجبة للتحدث بها (إن هذا) أى الأمر العظيم الذى نحن فيه (هو الفوز العظيم) وقيل هو من قول ٦٠
 الله عز وجل تقريراً لقولهم وتصديقاً له وقرىء هو الرزق العظيم وهو ما رزقوه من السعادة العظيمى
 (لمثل هذا فليعمل العاملون) أى لتبيل هذا المرام الجليل يجب أن يعمل العاملون لا للحفظ الديبوبة ٦١
 السريعة الانصرام المشوبة بفنون الآلام وهذا أيضاً يحتمل أن يكون من كلام رب العزة (أذلك خير ٦٢
 نزلاً أم شجرة الزقوم) أصل النزل الفضل والريع فاستعير للحصول من الشيء فانتصابه على التمييز أى
 أذلك الرزق المعلوم الذى حاصله اللذة والسرور خير نزلاً أم شجرة الزقوم التى حاصلها الألم والغم ويقال
 النزل لما يقام ويهيا من الطعام الحاضر للنازل فانتصابه على الحالية والمعنى أن الرزق المعلوم نزل أهل
 الجنة وأهل النار نزلهم شجرة الزقوم فأيهما خير فى كونه نزلاً والزقوم اسم شجرة صغيرة الورق دفرة
 مرة كريهة الرائحة تكون فى تهامة سميت به الشجرة الموصوفة .

لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ②٨

٥٦ الواقعة

ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ②٩

٥٦ الواقعة

وَأُولَئِكَ مِنَ الْآخِرِينَ ③٠

٥٦ الواقعة

وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ③١

٥٦ الواقعة

فِي سُمُومٍ وَحَمِيمٍ ③٢

٥٦ الواقعة

وَوَيْلٌ لِّمَنِ يَحْمُومٌ ③٣

٥٦ الواقعة

لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ ③٤

٥٦ الواقعة

لَهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ③٥

٥٦ الواقعة

* جمع عروب وهي المتحبة إلى زوجها الحسنة التبعل وقرىء عرباً بسكون الراء (أتراباً) مستريات
 ٣٨ في السن بنات ثلاث وثلاثين سنة وكذا أزواجهن واللام في قوله تعالى (لأصحاب اليمين) متعلقة بأشئنا أو
 جعلنا أو باتراً بآ كقولك هذا ترب لهذا أى مساو له في السن وقيل بمحذوف هو صفة لأبكار أى كائنات
 ٣٩ لأصحاب اليمين أو خبر مبتدأ محذوف أى هن لأصحاب اليمين وقيل خبر لقوله تعالى (ثلة من الأولين)
 ٤٠ (وثة من الآخرين) وهو بعيد بل هو خبر مبتدأ محذوف ختمت به قصة أصحاب اليمين أى هم أمة
 من الأولين وأمة من الآخرين وقد مر الكلام فيهما وعن أبي العالية ومجاهد وعطاء والضحاك ثلة
 من الأولين أى من سابقى هذه الأمة وثة من الآخرين من هذه الأمة في آخر الزمان وعن سعيد بن
 جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما في هذه الآية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم جميعاً من
 ٤١ أمتي (وأصحاب الشمال) شروع في تفصيل أحوالهم التي أشير عند التنويع إلى هولها وفظاعتها بعد
 * تفصيل حسن حال أصحاب اليمين والكلام في قوله تعالى (ما أصحاب الشمال) عين ما فصل في نظيره وكذا
 ٤٢ في قوله تعالى (في سموم وحميم) والسموم حر نار ينفذ في المسام والحميم الماء المتناهي في الحرارة
 ٤٤٠٤٣ (وظل من يحموم) من دخان أسود بهيم (لابارد) كسائر الظلال (ولا كريم) فيه خير ما في الجملة
 سمي ذلك ظلًا ثم نفي عنه وصفاه البرد والكرم الذي عبر به عن دفع أذى الحر لتحقيق أنه ليس بظل
 ٤٥ وقرىء لابارد ولا كريم بالرفع أى لاهو بارد ولا كريم وقوله تعالى (لأنهم كانوا قبل ذلك مترفين)
 تعليل لا بتلائم بما ذكر من العذاب أى لأنهم كانوا قبل ما ذكر من سوء العذاب في الدنيا منعمين بأنواع
 النعم من الماء كل والمشارب والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين في الشهوات فلا جرم عذبوا

٣٧ الصافات

فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾

٣٧ الصافات

وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾

٣٧ الصافات

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٧٢﴾

٣٧ الصافات

فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٧٣﴾

٣٧ الصافات

إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾

٣٧ الصافات

وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾

٣٧ الصافات

وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

- ٧٠ الأمر ليس لهم ما يصلح شبهة فضلاً عن صلاحية الدليل (فهم على آثارهم يهرعون) من غير أن يتدبروا
أنهم على الحق أولاً مع ظهور كونهم على الباطل بأدنى تأمل والإهراع الإسراع الشديد كأنهم يزعمون
ويحنون حسناً على الإسراع على آثارهم وقيل هو إسراع فيه شبه رعدة (ولقد ضل قبلهم) أي قبل قومك
٧١ قريش (أكثر الأولين) من الأمم السالفة وهو جواب قسم محذوف وكذا قوله تعالى (ولقد أرسلنا
فيهم منذرين) أي أنبياء أولى عدد كثير وذو شأن خطير بينوا لهم بطلان مآلهم عليه وأنذروهم عاقبته
الوخيمة وتكرير القسم لإبراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمون كل من الجملتين (فانظر كيف كان عاقبة
٧٢ المنذرين) من الهول والفظاعة لما لم يلتفتوا إلى الإنذار ولم يرفعوا لرأسهم والخطاب إما لرسول الله ﷺ
أو لكل أحد ممن يتمكن من مشاهدة آثارهم وحيث كان المعنى أنهم أهلكوا هلاكاً فظيماً استثنى منهم
المخلصون بقوله تعالى (إلا عباد الله المخلصين) أي الذين أخلصهم الله تعالى بتوفيقهم للإيمان والعمل
٧٣ بموجب الإنذار وقرىء المخلصين بكسر اللام أي الذين أخلصوا دينهم لله تعالى (ولقد نادانا نوح)
٧٤ تفصيل لما أجمل فيما قبل ببيان أحوال بعض المرسلين وحسن عاقبتهم متضمن لبيان سوء عاقبة بعض
المنذرين حسبما أشير إليه بقوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة المنذرين كقوم نوح وآل فرعون وقوم لوط وقوم
إلياس وبيان حسن عاقبة بعضهم الذين أخلصهم الله تعالى ووقفهم للإيمان كما أشار إليه الاستثناء كقوم
يونس عليه السلام ووجه تقديم قصة نوح على سائر القصص غنى عن البيان واللام جواب قسم محذوف
وكذا ما في قوله تعالى (فلنعم المجيبون) أي وبالله لقد دعانا نوح حين يئس من إيمان قومه بعد ما دعاهم
إليه أحقاباً ودهوراً فلم يرددهم دعاؤه إلا فراراً ونفوراً فأجابه أحسن الإجابة فوالله لنعم المجيبون
نحن لحذف ما حذف ثقة بدلالة ما ذكر عليه والجمع دليل العظمة والكبرياء (ونجيناها وأهلها من الكرب
٧٦ العظيم) أي من الغرق وقيل من أذية قومه .

لَا يَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ ﴿٥٢﴾

٥٦ الواقعة

فَالْيُونُ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾

٥٦ الواقعة

فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾

٥٦ الواقعة

فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهَلِيمِ ﴿٥٥﴾

٥٦ الواقعة

هَذَا نَزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾

٥٦ الواقعة

نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾

٥٦ الواقعة

٥٢ (لا يكون) بعد البعث والجمع ودخول جهنم (من شجرة من زقوم) من الأولى لا ابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره أى مبتدئون الأكل من شجر هو زقوم وقيل من الثانية متعلقة بمضمر هو ٥٤، ٥٣ وصف لشجر أى كائن من زقوم (فالثون منها البطون) أى بطونكم من شدة الجوع (فشاربون عليه) عقيب ذلك بلا ريث (من الحميم) أى الماء الحار فى الغاية وتأنيث ضمير الشجر أولاً وتذكيره ثانياً باعتبار المعنى واللفظ وقرئ من شجرة فضمير عليه حينئذ للزقوم وقيل للأكل وقوله تعالى (فشاربون شرب الهيم) كالتفسير لما قبله على طريقة قوله تعالى فكذبوا عبدنا أى لا يكون شربكم شرباً معتاداً بل يكون مثل شرب الهيم وهى الإبل التى بها الهيام وهو داء يصيبها فتشرب ولا تروى جمع أهيم وهيماء وقيل الهيم الرمال على أنه جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل التى لا يتأسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع أيض والمعنى أنه يسلط عليهم من الجوع والتهاب النار فى أحشائهم ما يضطرهم إلى أكل الزقوم الذى هو كالمهل فإذا ملأ أمته بطونهم وهو فى غاية الحرارة والمرارة سلط عليهم من العطش ما يضطرهم إلى شرب الحميم الذى يقطع أمعاهم فيشربون شرب الهيم ٥٦ وقرئ شرب الهيم بالفتح وهو أيضاً مصدر وقرئ بالكسر على أنه اسم المشروب (هذا) الذى ذكر * من أنواع العذاب (نزلهم يوم الدين) أى يوم الجزاء فإذا كان ذلك نزلهم وهو ما بعد للنازل بما حضر فاطنك بما لهم بعد ما استقر لهم القرار واطمأنت بهم الدار فى النار وفيه من التهم بهم ما لا يخفى وقرئ نزلهم بسكون الزاى تخفيفاً والجملة مسوقة من جهته تعالى بطريق الفذلكة مقررلة لمضمون الكلام ٥٧ الملقن غير داخللة تحت القول وقوله تعالى (نحن خلقناكم فلولا تصدقون) تلوين للخطاب وتوجيه له إلى الكفرة بطريق الإلزام والتبكيت والفاء لترتيب التحضيض على ما قبلها أى فهلا تصدقون بالخلق فإن ما لا يحققه العمل ولا يساعده بل ينبىء عن خلافه ليس من التصديق فى شىء وقيل بالبعث استدلالاً لا عليه بالإنشاء فإن من قدر عليه قدر على الإعادة حتماً والأول هو الوجه كما ستحيط به خبراً .

٣٧ الصافات

إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٥﴾

٣٧ الصافات

إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾

٣٧ الصافات

أَفَكَاكُ إِلَهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾

٣٧ الصافات

فَمَا ظَنُّكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾

٣٧ الصافات

فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾

٣٧ الصافات

فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾

٣٧ الصافات

فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾

- ٨٤ كان بينهما إلابيان هو دوصالح عليهم السلام وكان بين نوح وإبراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة (إذ جاء ربه) منصوب باذكر أو متعلق بما في الشيعة من معنى المشايعة (بقلب سليم) أى من آفات القلوب أو من العلائق الشاغلة عن التبتل إلى الله عز وجل ومعنى المجيء به ربه لإخلاصه له كأنه جاء به متحنفاً لإياه بطريق التمثيل (إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون) بدل من الأولى أو ظرف لجاء أو لسليم أى أى شيء تعبدونه
- ٨٥ (أفكاً آلهة دون الله تريدون) أى تريدون آلهة من دون الله إفكاً أى للإفك فقدم المفعول على الفعل
- ٨٦ (للعناية ثم المفعول له على المفعول به لأن الأهم مكافئهم بأنهم على إفك وباطل في شركهم ويجوز أن يكون إفكاً مفعولاً به بمعنى أنهم يريدون إفكاً ثم يفسر الإفك بقوله آلهة من دون الله دلالة على أنها إفك في نفسها للمبالغة أو يراد بها عبادتها بجذف المضاف ويجوز أن يكون حالاً بمعنى أفكين (فما ظنكم برب العالمين)
- ٨٧ أى بمن هو حقيق بالعبادة لكونه رباً للعالمين حتى تركتم عبادته خاصة وأشركتم به أخس مخلوقاته أو فما ظنكم به أى شيء هو من الأشياء حتى جعلتم الأصنام له أنداداً أو فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم بعد ما فعلتم ما فعلتم من الإشراك به (فنظر نظرة في النجوم) قيل كانت له عليه الصلاة والسلام حمى لها
- ٨٨ نوبة معينة في بعض ساعات الليل فنظر ليعرف هل هي تلك الساعة فإذا هي قد حضرت (فقال إني سقيم)
- ٨٩ وكان صادقاً في ذلك فجعله عنراً في تخلفه عن عيدهم وليل أراد إني سقيم القلب لكفركم وقيل نظر في علمها أو في كتبها أو في أحكامها ولا منع من ذلك حيث كان قصده عليه الصلاة والسلام إيهامهم حين أرادوا أن يخرجوا به عليه الصلاة والسلام إلى معيدهم لتركوه فإن القوم كانوا أنجماين فأوهمهم أنه قد استدل بأماراة في النجوم على أنه سقيم أى مشارف للسقم وهو الطاعون وكان أغلب الأسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه إلى معيدهم وتركوه في بيت الأصنام وذلك قوله تعالى (فتولوا عنه مدبرين) أى هاربين مخافة العدوى.

٥٦ الواقعة

إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾

٥٦ الواقعة

بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ ﴿٦٧﴾

٥٦ الواقعة

أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾

٥٦ الواقعة

ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾

٥٦ الواقعة

لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾

٥٦ الواقعة

أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾

٥٦ الواقعة

ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِعُونَ ﴿٧٢﴾

* (فظلم) بسبب ذلك (تفكهمون) تتعجبون من سوء حاله إثر ما شاهدتموه على أحسن ما يكون من الحال أو تندمون على ما تعبت فيه وأنفقتم عليه أو على ما اقترعتم لأجله من المعاصي فتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكية وقد استعير للتنقل بالحديث وقرىء تفكسون أى تندمون وقرىء فظلمت بالكسر وفظلمت على الأصل (إنا لمغرمون) أى للزمن غرامة ما أنفقنا أو مهلكون بهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك وقرىء أننا على الاستفهام والجملة على القراءتين مقدرة بقول هو في حينه نصب على الحالية من فاعل تفكهمون أى قائلين أو تقولون إنا لمغرمون (بل نحن محرومون) حرمانا رزقنا أو محارفون محدودون لاحظ لنا ولا بخت لا يجدودون (أفرأيتم الماء الذى تشربون) عذبا فراتا ٦٦ وتخصيص هذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعه لأن الشرب أهم المقاصد المنوطة به (أأتم أنزلتموه من المزن) أى من السحاب واحده مزنة وقيل هو السحاب الأبيض وماؤه أعذب (أم نحن المنزلون) له بقدرتنا (لونشاء جعلناه أجاجا) ملحا زعاقا لا يمكن شربه وحذف اللام ههنا مع إثباتها في الشرطية الأولى للتعويل على علم السامع أو الفرق بين المطعوم والمشروب في الأهمية وصعوبة الفقد والشرطيتان مستأنفتان مسوقتان لبيان أن عصمته تعالى للزرع والماء عما يخل بالتمتع بهما نعمة أخرى بعد نعمة الإنبات والإزال مستوجبة للشكر فقوله تعالى (فلولا تشكرون) تخصيص على شكر الكل (أفرأيتم النار التى تورون) أى تقدحونها وتستخرجونها من الزناد (أأتم أنشأتم شجرتها) التى منها الزناد وهى المرخ والعفار (أم نحن المنشئون) لها بقدرتنا والتعبير عن خلقها بالإنشاء المنبئ عن بديع الصنع العرب عن كمال القدرة والحكمة لما فيه من الغرابة الفارقة بينها وبين سائر الشجر التى لا تخلو عن النار حتى قيل فى كل شجر نار واستشهد المرخ والعفار كإثبات التعبير عن نفخ الروح بالإنشاء فى قوله تعالى ثم أنشأناه خلقا آخر لذلك .

٣٧ الصافات

قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾

٣٧ الصافات

فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾

٣٧ الصافات

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿٩٩﴾

٣٧ الصافات

رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾

٣٧ الصافات

فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾

فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبُنْيَىٰ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبُحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَتَّبِعُ

٣٧ الصافات

أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾

- أولياً مع مافيه من تحقيق الحق ببيان أن جميع ما يعملونه كأننا ما كان مخلوق له سبحانه وقيل ما صدرية أى عملكم على أنه بمعنى المفعول وقيل بمعناه فإن فعلهم إذا كان بخلق الله تعالى كان مفعولهم المتوقف على فعلهم أولى بذلك (قالوا ابنوا له بنياناً فالقوه فى الجحيم) أى فى النار الشديدة الاتقاد من الجحمة وهى ٩٧ شدة التأجج واللام عوض من المضاف إليه أى جحيم ذلك البيان وقد ذكر كيفية بنائهم له فى سورة الأنبياء (فارادوا به كيداً) فإنه عليه الصلاة والسلام لما قهرهم بالحجة وألغىهم الحجر قصدوا ما قصدوا ٩٨ أثلاً يظهر للعامة عجزهم (فجعلناهم الأسفلين) الأذلين بإبطال كيدهم وجعله برهاناً نيراً على علو شأنه عليه الصلاة والسلام يجعل النار عليه برداً وسلاماً (وقال إني ذاهب إلى ربى) أى مهاجر إلى حيث ٩٩ أمرنى ربى كما قال إني مهاجر إلى ربى وهو الشام أو إلى حيث أتجر فيه لعبادته تعالى (سيهدين) أى إلى مافيه صلاح دينى أو إلى مقصدى وبت القول بذلك لسبق الوعد أو لفرط توكله أو للبناء على عاداته تعالى معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه السلام حيث قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل ولذلك أتى بصيغة التوقع (رب هب لى من الصالحين) أى بعض الصالحين يعيننى على الدعوة والطاعة ويؤنسنى فى الغربة ١٠٠ يعنى الولد لأن لفظ الهبة على الإطلاق خاص به وإن كان قد ورد مقيداً بالأخوة فى قوله تعالى ووهبنا له من رحمته أخاه هرون نبياً ولقوله تعالى (فبشرناه بغلام حليم) فإنه صريح فى أن المشر به عين ما استوهمه ١٠١ عليه الصلاة والسلام ولقد جمع فيه بشارات ثلاث بشارة أنه غلام وأنه يبلغ أنان الحلم وأنه يكون حليماً وأى حلم يعادل حلمه عليه الصلاة والسلام حين عرض عليه أبوه الذبح فقال يأتى فافعل ما تؤمر سَتَجِدُنِي ١٠٢ إن شاء الله من الصابرين وقيل مانعت الله الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بأقل مانعتهم بالحلم لعدة وجوده غير إبراهيم وابنه فإنه تعالى نعمهما به وحالهما المحكية بعد أعدل بينة بذلك والفاء فى قوله تعالى (فلما بلغ معه السعى) فصيحة معربة عنه فقد حذف تعويلاً على شهادة الحال وإيضاحاً بعدم الحاجة إلى التصريح

٥٦ الواقعة

فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾

٥٦ الواقعة

لَا يَمْسَهُ إِلَّا الْمَطْهُرُونَ ﴿٧٩﴾

٥٦ الواقعة

تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾

٥٦ الواقعة

أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾

٥٦ الواقعة

وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾

٥٦ الواقعة

فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾

- أى كثير النفع لاشتغاله على أصول العلوم المهمة فى صلاح المعاش والمعاد أو حسن مرضى أو كريم عند الله تعالى وبقوله تعالى لو تعلمون بين الموصوف وصفته وجواب لو إما متروك أريد به نفى عنهم ٧٨ أو مخوف ثقة بظهوره أى لعظمتوه أو لعلمتم بموجبه (فى كتاب مكنون) أى مصون من غير ٧٩ المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهو اللوح (لا يمسه إلا المطهرون) إما صفة أخرى لكتاب فالمراد بالمطهرين الملائكة المنزهون عن الكدورات الجسدية وأضرار الأوزار أو للقرآن فالمراد بهم المطهرون من الأحداث فيكون نقياً بمعنى النهى أى لا ينبغي أن يمسه إلا من كان على طهارة من الناس على طريقة قوله عليه الصلاة والسلام المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلبه أى لا ينبغي له أن يظلمه وقيل لا يطلبه إلا المطهرون من الكذرو قرى المتطهرون والمطهرون بالإدغام والمطهرون ٨٠ من أطهره بمعنى طهره والمطهرون أى أنفسهم أو غيرهم بالاستغفار أو غيره (تنزيل من رب العالمين) ٨١ صفة أخرى للقرآن وهو مصدر نعت به حتى جرى مجرى اسمه وقرىء تنزيلاً (أفبهذا الحديث) الذى ذكرت نعوته الجليلة الموجبة لإعظامه وإجلاله وهو القرآن الكريم (أنتم مدهنون) أى ٨٢ متهاونون به كمن يدهن فى الأمر أى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاوناً به (وتجعلون رزقكم) أى شكر رزقكم (أنكم تكذبون) أى تضعون التكذيب موضع الشكر وقرىء وتجعلون شكركم أنكم تكذبون أى تجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به وقيل الرزق المطر والمغنى وتجعلون شكر ما يرزقكم الله تعالى من الغيث أنكم تكذبون بكونه من الله تعالى حيث تنسبونه إلى الأنواء ٨٣ والأول هو الأوفق لسباق النظم الكريم وسياقه فإن قوله عز وجل (فلولا إذا بلغت الحلقوم) الخ تبكى مبنى على تكذيبهم بالقرآن فيما نطق به قوله تعالى نحن خلقناكم إلى هنا من القوارع الدالة على كونهم تحت ملكوته تعالى من حيث ذواتهم ومن حيث طعامهم وشرابهم وسائر أسباب معاشهم كما ستقف عليه ولولا التحضيض لإظهار عجزهم وإذا ظرفية أى فهلا إذا بلغت النفس أى الروح وقيل

٣٧ الصافات

وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَلْبِسْ بِرَّهِيمَ ﴿١٠٤﴾

٣٧ الصافات

قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾

٣٧ الصافات

إِنَّ هَذَا لَهُوَ أَلْبَسُوا الْمُسِينَ ﴿١٠٦﴾

٣٧ الصافات

وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾

٣٧ الصافات

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾

٣٧ الصافات

سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾

- وجعلها سائلة له وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه له تعالى وعن قتادة رضى الله عنه في أسلم إبراهيم ابنه وإسماعيل نفسه (وتله للجبين) صرعه على شقه فوق جبينه على الأرض وهو أحد جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه بإشارته كيلا يرى منه ما يورث رقة تحول بينه وبين أمر الله تعالى وكان ذلك عند الصخرة من منى وقيل في الموضع المشرف على مسجد منى وقيل في المنحر الذي ينحر اليوم فيه (ونادينا أن يا إبراهيم) ١٠٤ (قد صدقت الرؤيا) بالعزم على الإتيان بالمأمور به وترتيب مقدماته وقد روى أنه أمر السكينة بقوته ١٠٥ على حلقه مراراً فلم يقطع ثم وضع السكينة على قفاه فانقلب السكينة فعند ذلك وقع النداء جواب لما محذوف إبتدأنا بعدم وفاء التعبير بتفاصيله كأنه قيل كان ما كان، لا يحيط به نطاق البيان من استبشارهما وشكرهما لله تعالى على ما أنعم به عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق أحدهما وإظهار فضلهم بذلك على العالمين مع إحراز الثواب العظيم إلى غير ذلك (إنا كذلك نجزي المحسنين) تعليل لتفريج تلك الكربة عنهما بإحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل وقوع المأمور به فإنه عليه الصلاة والسلام كان مأموراً بالذبح لقوله تعالى افعل ما تؤمر ولم يحصل (إن هذا هو البلاء المبين) الابتلاء البين الذي يتميز فيه المخلص ١٠٦ عن غيره أو المحنة البينة الصعوبة إذ لا شيء أصعب منها (وفدينا بذبح) بما يذبح بدله فتم به الفعل (عظيم) ١٠٧ أى عظيم الجنة سمين أو عظيم القدر لأنه يفدى به الله نبياً ابن نبي وأى نبي من نسله سيد المرسلين قيل كان ذلك كبشاً من الجنة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه الكبش الذي قرب به هابيل فقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى فدى به إسماعيل عليه السلام وقيل فدى بوعل أهبط عليه من ثبير وروى أنه هرب من إبراهيم عليه السلام عند الحجرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فبقى سنة في الرمي وروى أنه رمى الشيطان حين تعرض له بالسوسة عند ذبح ولده وروى أنه لما ذبحه قال جبريل عليه السلام الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح لا إله إلا الله والله أكبر فقال إبراهيم الله أكبر والله الحمد فبقى سنة والفادي في الحقيقة هو إبراهيم وإنا ما قيل وفدينا لأنه تعالى هو المعطى له والأمر به على التجوز في الفداء أو الإسناد (وتركنا عليه في ١٠٨ الآخرين سلام على إبراهيم) قد سلف بيانه في خاتمة قصة نوح عليه السلام . ١٠٩

٣٧ الصفات

كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾

٣٧ الصفات

إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾

٣٧ الصفات

وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾

٣٧ الصفات

وَبَشَّرْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾

٣٧ الصفات

وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾

٣٧ الصفات

وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾

٣٧ الصفات

وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾

- ١١٠ (كذلك نجزي المحسنين) ذلك إشارة إلى إبقاء ذكره الجليل فيما بين الأمم لا إلى ما أشير إليه فيما سبق
- ١١١ فلا تكرار وعدم تصدير الجملة بأننا لا اكتفاء بما مر آنفاً (إنه من عبادنا المؤمنين) الراسخين في الإيمان
- ١١٢ على وجهه الايقان والاطمئنان (وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين) أى مقضياً بنبوته مقدر أكونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقماً حالين ولا حاجة إلى وجود الم بشر به وقت البشارة فإن وجود ذى الحال ليس بشرط وإنما الشرط مقارنة لعلق الفعل به لا اعتبار معنى الحال فلا حاجة إلى تقدير مضاف يجعل تاملاً فيهما مثل وبشرناه بوجود إسحاق أى بأن يوجد إسحاق نبياً من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين فإن الداخلين كانوا مقدرين خلودهم وقت الدخول وإسحاق عليه السلام لم يكن مقدر أ نبوة نفسه وصلاحيها حين ما يوجد ومن فسر الغلام بإسحاق جعل المقصود من البشارة نبوته عليه الصلاة والسلام وفى ذكر الصلاح بعد تعظيم شأنه وإيماء إلى أنه الغاية لها التضمنها معنى الكمال والتكميل
- ١١٣ بالفعل على الإطلاق (وباركنا عليه) على إبراهيم فى أولاده (وعلى إسحاق) بأن أخرجنا من صلبه أنبياء بنى إسرائيل وغيرهم كأيوب وشعيب عليهم السلام أو أفضنا عليهم بركات الدين والدنيا وقرى وبركنا (ومن ذريتهما محسن) فى عمله أو لنفسه بالإيمان والطاعة (وظالم لنفسه) بالكفر والمعاصى (مبين) ظاهر ظلمه وفيه تنبيه على أن النسب لا تأثير له فى الهداية والضلال وأن الظلم فى أعقابهما لا يعود عليهما بتقصيصه
- ١١٤ ولا عيب (ولقد مننا على موسى وهرون) أى أنعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من النعم الدينية والدنيوية
- ١١٥ (ونجيناها وقومهما) وهم بنو إسرائيل (من الكرب العظيم) هو ملكة آل فرعون وتسلطهم عليهم بألوان الغشم والعذاب كما فى قوله تعالى وإذ أنجيناهم من آل فرعون وقيل هو الفرق وهو بعيد لأنه
- ١١٦ لم يكن عليهم كرباً ومشقة (ونصرناهم) أى إياها وقومهما على عدوهم (فكانوا) بسبب ذلك (هم الغالبين) عليهم غلبة لا غاية وراءها بعد أن كان قومهما فى أسرهم وقصرهم مقهورين تحت أيديهم العادية يسومونهم

٣٧ الصافات

وَأَتَيْنَهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾

٣٧ الصافات

وَهَدَيْنَهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾

٣٧ الصافات

وَوَكَّأَ عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾

٣٧ الصافات

سَلَّمَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾

٣٧ الصافات

إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾

٣٧ الصافات

لَهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾

٣٧ الصافات

وَإِنْ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾

٣٧ الصافات

إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَأَتَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾

٣٧ الصافات

أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾

سوء العذاب وهذه التنجية وإن كانت بحسب الوجود مقارنة لما ذكر من النصر والغلبة لكنها لما كانت بحسب المفهوم عبارة عن التخليص من المكروه بدى بها ثم بالنصر الذى يتحقق مدلوله بحض تنجية المنصور من عدوه من غير تغليب عليه ثم بالغلبة لتوفية مقام الامتنان حقه بإظهار أن كل مرتبة من هذه المراتب الثلاث نعمة جليلة على حيالها (وأتيناهما) بعد ذلك (الكتاب المستبين) أى البليغ فى البيان ١١٧ والتفصيل وهو التوراة (وهديناهما) بذلك (الصراط المستقيم) الموصل إلى الحق والصواب بما فيه ١١٨ من تفاصيل الشرائع وتفاصيل الأحكام (وتركنا عليهما فى الآخرين) (سلام على موسى وهرون) أى ١٢٠، ١١٩ أبقينا فيما بين الأمم الآخرين هذا الذكر الجميل والثناء الجزيل (إنا كذلك) الجزاء الكامل (نجزى المحسنين) ١٢١ الذين هما من جملتهم لاجزاء قاصر أعنه (لأنهما من عبادنا المؤمنين) سبق بيانه (وإن إلياس لمن ١٢٢ المرسلين) هو إلياس بن ياسين من سبط هرون أخى موسى عليهم السلام بعث بعده وقيل لإدريس لأنه قرى مكانه لإدريس وإدريس قرى وإيليس قرى إلياس بحذف الهمزة (إذ قال لقومه ألا تتقون) ١٢٤ أى عذاب الله تعالى (أتدعون بعلا) أتعبدون وتطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لأهل بك من ١٢٥ الشام وهو البلد المعروف اليوم بيبعلبك قيل كان من ذهب طوله عشرون ذراعا وله أربعة أوجه فتتوا به وعظموه حتى أخذموه أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياء فكان الشيطان يدخل جوفه ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وقيل البعل الرب بلغة اليمن أى أتعبدون بعض البعول (وتذرون •

٣٧ الصفات

اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿١٢٦﴾

٣٧ الصفات

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾

٣٧ الصفات

إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾

٣٧ الصفات

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾

٣٧ الصفات

سَلَّمَ عَلَى إِيَّالَ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾

٣٧ الصفات

إِنَّا كَذَلِكْ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾

٣٧ الصفات

إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾

٣٧ الصفات

وَإِنَّ لَوْطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾

٣٧ الصفات

إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾

٣٧ الصفات

إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾

٣٧ الصفات

ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾

أحسن الخالقين) أى وتركون عبادته وقد أشير إلى المقتضى للإنكار المعنى بالهمزة ثم صرح به بقوله تعالى (الله ربكم ورب آبائكم الأولين) بالنصب على البدلية من أحسن الخالقين وقرئ بالرفع على الابتداء والتعرض لذكر ربوبيته تعالى لأبائهم لتأكيد إنكار تركهم عبادته تعالى والإشعار ببطان آراء آبائهم أيضاً (فكذبوه فإنهم) بسبب تكذيبهم ذلك (لمحضرون) أى العذاب والإطلاق للاكتفاء بالقرائن ١٢٨ على أن الإحضار المطلق مخصوص بالشر عرافاً (إلا عباد الله المخلصين) استثناء من ضمير محضرون ١٢٩، ١٣٠ (وتركنا عليه في الآخرين سلام على ياسين) هو لغة في إلباس كسيناء في سدين وقيل هو جمع له أريد به هو وأتباعه كالمهلبيين والحنبيين وفيه أن العلم إذا جمع يجب تعريفه كالمثالين وقرئ بإضافة آل ١٣١، ١٣٢ إلى ياسين لأنهما في المصحف مفصولان فيكون ياسين أبا إلباس (إنا كذلك نجزي المحسنين) إنه ١٣٣، ١٣٤ (من عبادنا المؤمنين) مر تفسيره (وإن لوطاً لمن المرسلين إذ نجيناه) أى اذكر وقت تنجيننا إياه ١٣٥، ١٣٦ (وأهله أجمعين إلا عجوزاً في الغابرين) أى الباقيين في العذاب أو الماضين الهالكين (ثم دمرنا الآخرين) فإن في ذلك شواهد على جليلة أمره وكونه من جملة المرسلين.

٣٧ الصافات

وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾

٣٧ الصافات

وَبِاللَّيْلِ أَفْلا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾

٣٧ الصافات

وَإِنْ يُونُسَ لِمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾

٣٧ الصافات

إِذْ أَتَى إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾

٣٧ الصافات

فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾

٣٧ الصافات

فَالْتَقَمَهُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾

٣٧ الصافات

فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾

٣٧ الصافات

لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾

٣٧ الصافات

فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾

(وإنكم) يا أهل مكة (تمرون عليهم) على منازلهم في متاجرهم إلى الشام وتشاهدون آثار هلاكهم فإن ١٣٧
سدوم في طريق الشام (مصبحين) داخلين في الصباح (وبالليل) أي ومساء أو نهاراً وليلاً ولعلها وقعت ١٣٨
بقرب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحاً والقاصد له مساء (أفلا تعقلون) أن شاهدون ذلك فلا تعقلون
حتى تعتبروا به وتحافوا أن يصيبكم مثل ما أصابهم (وإن يونس لمن المرسلين) وقرى بكسر النون ١٣٩
(إذ أتى) أي هرب وأصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير إذن ربه حسن لإطلاقه عليه ١٤٠
(إلى الفلك المشحون) أي المملوء (فساهم) فقارع أهله (فكان من المدحضين) فصار من المغلوبين بالقرعة ١٤١
وأصله المزلق عن مقام الظفر روى أنه عليه الصلاة والسلام لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل
أن يأمره الله تعالى به فركب السفينة فوقفت فقالوا فيها عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال أنا
الآبق ورمى بنفسه في الماء (فالتقمه الحوت) فابتلعه من اللقمة (وهو ملِيم) داخل في الملامة أو آت بما ١٤٢
يلام عليه أو ملِيم نفسه وقرى ملِيم بالفتح مبنياً من ليم ككشيب في مشوب (فلولا أنه كان من المسبحين) ١٤٣
الداكرين الله كثيراً بالتسبيح مدة عمره أو في بطن الحوت وهو قوله لا إله إلا أنت سبحانه إني كنت
من الظالمين وقيل من المصلين فإنه عليه الصلاة والسلام كان كثير الصلاة في الرخاء (للبت في بطنه إلى يوم ١٤٤
يبعثون) حياً وقيل ميتاً وفيه حث على كثار الذكر وتعظيم شأنه ومن أقبل عليه في السراء أخذ بيده
عند الضراء (فنبدناه بالعراء) بأن حملنا الحوت على أنفذه بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر أو نبت روى ١٤٥

٣٧ الصافات

وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾

٣٧ الصافات

وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾

٣٧ الصافات

فَعَامَنُوا فَسَعَيْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾

٣٧ الصافات

فَاسْتَفْتَيْهِمَ الرِّبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾

أن الحوت سار مع السفينة رافعاً رأساً يتنفس فيه يونس عليه السلام ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا إلى البر فلفظه سالماً لم يتغير منه شيء فأسلموا وروى أن الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل واختلف في مقدار لبثه ف قيل أربعون يوماً وقيل عشرون وقيل سبعة وقيل ثلاثة وقيل لم يلبث إلا قليلاً ثم أخرج من بطنه بعد الوقت الذي التقم فيه روى عطاء أنه حين ابتلعه أوحى الله تعالى إلى الحوت إني جعلت بطنك له سجنًا ولم أجعله لك طعاماً (وهو سقيم) مما ناله قيل صار بدنه كبطن الطفل حين يولد (وأنبتنا عليه) أي فوقه مظلة عليه (شجرة من يقطين) وهو كل ما ينبت على الأرض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقنا والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان إذا أقام به والأكثرون على أنه الدباء غطته بأوراقها عن الذباب فإنه لا يقع عليه ويدل عليه أنه قيل لرسول الله ﷺ إنك تحب القرع قال أجل هي شجرة أخى يونس وقيل هي التين وقيل الموز تغطي بورقه واستظل بأغصانه وأفطر على ثماره وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت ولة تختلف إليه فيشرب من لبنها (وأرسلناه إلى مائة ألف) هم قومه الذين هرب منهم وهم أهل نينوى والمراد به إرساله السابق أخبر أولاً بأنه من المرسلين على الإطلاق ثم أخبر بأنه قد أرسل إلى أمة حجة وكان توسط تذكير وقت هربه إلى الفلك وما بعده بينهما لتذكير سببه وهو ماجرى بينه عليه الصلاة والسلام وبين قومه من إنذاره إياهم عذاب الله تعالى وتعيينه لوقت حلوله وتعلمهم وتعليقهم لإيمانهم بظهور أماراته كما مر تفصيله في سورة يونس ليعلم أن إيمانهم الذي سيحكي بعد لم يكن عقيب الإرسال كما هو المتبادر من ترتيب الإيمان عليه بالفناء بل بعد اللبث والتي وقيل هو إرسال آخر إليهم وقيل إلى غيرهم وليس بظاهر (أو يزيدون) أي في مرأى الناظر فإنه إذا نظر إليهم قال إنهم مائة ألف أو يزيدون والمراد هو الوصف بالكثرة وقرئ بالواو (فآمنوا) أي بعد ما شاهدوا علائم حلول العذاب إيماناً خالصاً (فتمنهم) أي بالحياة الدنيا (إلى حين) قدره الله سبحانه لهم قيل ولعل عدم ختم هذه القصة وقصة لوط بما ختم به سائر القصص للفرقة بينهما وبين أرباب الشرائع وأولى العزم من الرسل أو اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر السورة (فاستفتهم) أمر الله عز وجل في صدر السورة الكريم برسوله ﷺ بتبكيك قريش وإبطال مذهبهم في إنكار البعث بطريق الاستفتاء وساق البراهين القاطعة بتحقيقه لا محالة وبين وقوعه وما سيلقونه عند ذلك من فتون العذاب واستثنى منهم عباده المخلصين وفصل ما لهم من النعيم المقيم ثم ذكر أنه قد ضل من قبلهم أكثر الأولين

٣٧ الصافات

أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنْسَانًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾

٣٧ الصافات

أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إَفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾

٣٧ الصافات

وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾

٣٧ الصافات

أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾

وأنه تعالى أرسل إليهم منذرين على وجه الإجمال ثم أورد قصص كل واحد منهم على وجه التفصيل مبيناً في كل قصة منها أنهم من عباده تعالى واصفاً لهم تارة بالإخلاص وأخرى بالإيمان ثم أمره ﷺ بهنا بتبكيتهن بطريق الاستفتاء عن وجه أمر منكر خارج عن العقول بالكلية وهي القسمة الباطلة اللازمة لما كانوا عليه من الاعتقاد الزائف حيث كانوا يقولون كبعض أجناس العرب جهينة وبنى سلمة وخزاعة وبنى مليح الملائكة بنات الله والفاء لترتيب الأمر على ماسبق من كون أولئك الرسل الذين هم أعلام الخلق عليهم الصلاة والسلام عباده تعالى فإن ذلك مما يؤكد التبكيته ويظهر بطلان مذهبهم الفاسد ثم تبكيتهن بما يتضمنه كفرهم المذكور من الاستهانة بالملائكة بجعلهم إناثاً ثم أبطل أصل كفرهم المنطوي على هذين الكافرين وهو نسبة الولد إليه سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ولم ينظمه في سلك التبكيته لمشاركتهم النصارى في ذلك أى فاستخبرهم (أربك البنات) اللاتي هن أوضع الجنسين (ولهم البنون) الذين هم أرفعهم فإن ذلك مما لا يقول به من له أدنى شيء من العقل وقوله تعالى (أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا) ١٥٠ إضراب وانتقال من التبكيته بالاستفتاء السابق إلى التبكيته بهذا كما أشير إليه أى بل أخلقنا الملائكة الذين هم من أشرف الخلائق وأبعدهم من صفات الأجسام وذائل الطبائع إناثاً والآنوثة من أخس صفات الحيوان وقوله تعالى (وهم شاهدون) استهزاء بهم وتجهيل لهم كقوله تعالى أشهدوا خلقهم وقوله تعالى ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم فإن أمثال هذه الأمور لا تعلم إلا بالمفاهدة إذ لا سبيل إلى معرفتها بطريق العقل وانتفاء النقل مما لا ريب فيه فلا بد أن يكون القائل بأنوثتهم شاهداً عند خلقهم والجملة إما حال من فاعل خلقنا أى بل أخلقناهم إناثاً والحال أنهم حاضرون حينئذ أو عطف على خلقنا أى بل أهم شاهدون وقوله تعالى (أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إَفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ) استئناف ١٥٢، ١٥١ من جهة غير داخل تحت الأمر بالاستفتاء مسوق لإبطال أصل مذهبهم الفاسد ببيان أن مبناه ليس إلا الإفك الصريح والافتراء القبيح من غير أن يكون لهم دليل أو شبهة قطعاً (وإنهم لكاذبون) في قولهم ذلك كذباً بيناً لا ريب فيه وقرئ ولداً الله على أنه خبر مبتدأ محذوف أى الملائكة ولده تعالى عن ذلك علواً كبيراً فإن الولد فعل بمعنى مفعول يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث (أصطفى البنات على ١٥٣ البنين) إثبات لإفكهم وتقرير لكذبهم فيما قالوا ببيان استلزامه لأمريين الاستحالة هو اصطفاؤه تعالى البنات على البنين والاصطفاء أخذ صفوة الشيء لنفسه وقرئ بكسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام

٣٧ الصافات

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾

٣٧ الصافات

أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾

٣٧ الصافات

أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴿١٥٦﴾

٣٧ الصافات

فَاتُوا بِكَيْتَبِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾

٣٧ الصافات

وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجَنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾

ثقة بدلالة القرائن عليه وجعله بدلا من ولد الله ضعيف وتقدير القول أى لكاذبون فى قولهم أصطفى
 ١٥٤، ١٥٥ الخ تعسف بعيد (مالك كيف تحكمون) بهذا الحكم الذى يقضى بطلانه بديهة العقل (أفلا
 تذكرون) بحذف إحدى التامين من تذكرون وقرئ تذكرون من ذكر والفاء للعطف على مقدر أى
 ١٥٦ ألا تلاحظون ذلك فلا تذكرون بطلانه فإنه مركز فى عقل كل ذكى وغبي (أم لكم سلطان مبين)
 لاضراب وانتقال من توبيخهم وتبكيتهم بما ذكر إلى تبكيتهم بتكليفهم مالا يدخل تحت الوجود أصلا
 أى بل لكم حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بأن الملائكة بناته تعالى ضرورة أن الحكم بذلك لا بدله من
 ١٥٧ سند حسى أو عقلى وحيث انتفى كلاهما فلا بد من سند نقل (فاتوا بكتبكم) الناطق بصحة دعواكم (إن
 كنتم صادقين) فيها وفى هذه الآيات من الأنباء عن السخط العظيم والإنكار الفظيع لا قاييلهم والاستبعاد
 الشديد لا باطيلهم وتسفيه أحلامهم وتركيب عقولهم وأفهامهم مع استهزاء بهم وتعجيب من جهلهم مالا
 ١٥٨ يخفى على من تأمل فيها وقوله تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) التفات إلى الغيبة للإيدان بانقطاعهم
 عن الجواب وسقوطهم عن درجة الخطاب واقتضاء حالهم أن يعرض عنهم وتحكى جنائياتهم لآخرين
 والمراد بالجنة الملائكة قالوا الجنس واحد ولكن من خبت من الجن ومردوكان شرأ كله فهو شيطان ومن
 طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك وإنما عبر عنهم بذلك الاسم وضعاً منهم وتقصيراً بهم مع عظم
 شأنهم فيما بين الخلق أن يبلغوا منزلة المناسبة التى أضافوها إليهم ليعلمهم هذا عبارة عن قولهم الملائكة بنات
 الله وإنما أعيد ذكره تمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى (ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون) أى وبالله لقد علمت
 الجنة التى عظموها بأن جعلوا بينها وبينه تعالى نسبا وهم الملائكة أن الكفرة لمحضرون النار معذبون بها الكذبهم
 واقتراثهم فى قولهم ذلك والمراد به المبالغة فى التكذيب ببيان أن الذين يدعى هؤلاء لهم تلك النسبة ويعلمون
 أنهم أعلم منهم بحقيقة الحال يكذبونهم فى ذلك ويحكمون بأنهم معذبون لأجله حكما مؤكداً وقيل إن قوما
 من الزنادقة يقولون الله تعالى وإبليس إخوان قاله هو الخير الكريم وإبليس هو الشرير اللئيم وهو
 المراد بقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال الإمام الرازى وهذا القول عندى أقرب الأقاويل
 وهو مذهب الجوس القائلين بيزدان واهر من ويعبرون عنهما بالنور والظلمة وقال مجاهد قاله قریش

٣٧ الصافات	سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾
٣٧ الصافات	إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلُصِينَ ﴿١٦٠﴾
٣٧ الصافات	فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾
٣٧ الصافات	مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَتْنِينَ ﴿١٦٢﴾
٣٧ الصافات	إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾
٣٧ الصافات	وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾

الملائكة بنات الله فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه فمن أمهاتهم تسكيتاً لهم فقالوا سروات الجن وقيل معنى جعلوا بينهم وبين الجنة نسباً جعلوا بينهم مناسبة حيث أشركوا به تعالى الجن في استحقاق العبادة فعلى هذه الأقاويل يجوز أن يكون الضمير في إنهم لمحضرون للجنة فالمعنى لقد علمت الشياطين أن الله تعالى يحضرم النار ويعذبهم بها ولو كانوا مناسبين له تعالى أو شركاء في استحقاق العبادة لما عذبهم والوجه هو الأول فإن قوله (سبحان الله عما يصفون) حكاية لتنزيه الملائكة إياه تعالى عما وصفه المشركون به بعد تكذيبهم ١٥٩ لهم في ذلك بتقدير قول معطوف على علمت وقوله تعالى (إلا عباد الله المخلصين) شهادة منهم ببراءة المخلصين ١٦٠ من أن يصفوه تعالى بذلك متضمنة لتبرئهم منه بحكم اندراجهم في زمرة المخلصين على أبلغ وجه وآكده على أنه استثناء منقطع من واو يصفون كأنه قيل ولقد علمت الملائكة أن المشركين لمعذبون لقولهم ذلك وقالوا سبحان الله عما يصفونه به لكن عباد الله الذين نحن من جملتهم برءاء من ذلك الوصف وقوله تعالى (فإنكم وما تعبدون) (ما أنتم عليه بفاتنين) تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين بما ذكر ببيان ١٦١، ١٦٢ عجزهم عن إغرائهم وإضلالهم والالتفات إلى الخطاب لإظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمون الكلام وما تعبدون عبارة عن الشياطين الذين أغوهم وفيه إيدان بتبرئهم عنهم وعن عبادتهم كقولهم بل كانوا يعبدون الجن وما نافية وأنتم خطاب لهم وللمعبودينهم تغليظاً وعلى متعلقة بفاتنين يقال فتن فلان على فلان أمراته أى أفسدها عليه والمعنى فإنكم ومعبودكم أيها المشركون لستم بفاتنين عليه تعالى يافساد عبادته وإضلالهم (إلا من هو صال الجحيم) منهم أى داخلها لعلمه تعالى بأنه يصير على الكفر بسوء اختياره ويصير من ١٦٣ أهل النار لا محالة وأما المخلصون منهم فأنتم بمعزل من إفسادهم وإضلالهم فهم لا جرم برءاء من أن يفتنوا بكم ويسلكوا مسلككم في وصفه تعالى بما وصفتموه به وقرئ صال بضم اللام على أنه جمع محمول على معنى من قد سقط واو الالتقاء الساكنين وقوله تعالى (وما منا إلا له مقام معلوم) تبين لجلية أمرهم ١٦٤ وتعيين لحيزهم في موقف العبودية بعد ما ذكر من تكذيب الكفرة فيما قالوا وتنزيه الله تعالى عن ذلك

٣٧ الصافات

وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾

٣٧ الصافات

وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾

٣٧ الصافات

وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾

٣٧ الصافات

لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾

٣٧ الصافات

لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾

٣٧ الصافات

فَكْفُرُوا بِهِ ۖ فَسُوفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾

٣٧ الصافات

وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾

٣٧ الصافات

إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾

وتبرئة المخلصين عنه وإظهار لقصور شأنهم وقهاتهم أى ومامننا إلا له مقام معلوم فى العبادة والانتهاى إلى أمر الله تعالى مقصور عليه لا يتجاوزُه ولا يستطيع أن يزِيل عنه خضوعاً لعظمته وخشوعاً لهيبته وتواضعاً لجلاله كما روى فنههم را كع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع رأسه قال ابن عباس رضى الله عنهما ما فى السموات موضع شبر إلا وعليه ملك يصلى أو يسبح وروى أنه ﷺ قال أطت السماء وحق لها أن تظلم والذى نفسى بيده ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك واضع جبهته ساجداً لله تعالى وقال السدى إلا له مقام معلوم فى القربة والمشاهدة (وإننا نحن الصافون) فى مواقف الطاعة ومواطن الخدمة (وإننا نحن المسبحون) المقدسون لله سبحانه عن كل مالا يليق بجناب كبريائه وتحلية كلامهم بفنون التأكيد لإبراز أن صدوره عنهم بحال الرغبة والنشاط هذا هو الذى تقتضيه جزالة التنزيل وقد ذكر فى تفسير ١٦٦، ١٦٥ الآيات الكريمة وإعرا بها وجوه آخر فتأمل والله الموفق (وإن كانوا ليقولون) إن هى الخففة من الثقلية ١٦٨ وخمير الشأن محذوف واللام هى الفارقة أى إن الشأن كانت قریش تقول (لو أن عند ذكرأ من الأولين) ١٦٩ أى كتاباً من كتب الأولين من التوراة والإنجيل (لكننا عباد الله المخلصين) أى لأخلصنا العبادة لله تعالى ولما خالفنا كما خالفوا وهذا كقولهم لئن جاءنا نذير لنكونن أهدي من إحدى الأمم والفاء فى قوله ١٧٠ تعالى (فكفروا به) فصيحة كما فى قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق أى لجأهم ذكر وأى ذكر سيد الأذكار وكتاب مهيم على سائر الكتب والأسفار فكفروا به (فسوف يعلمون) أى طاقبة ١٧١ كفرهم وغائلته (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) استئناف مقرر للوعيد وتصديره بالقسم لغاية ١٧٢ الاعتناء بتحقيق مضمونه أى وبالله لقد سبق وعدنا لهم بالنصرة والغلبا هو قوله تعالى (إنهم

٣٧ الصافات

وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَلِبُونَ ﴿١٧٣﴾

٣٧ الصافات

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾

٣٧ الصافات

وَأَبْصَرُهُمْ فَسَوْفَ يُبْصَرُونَ ﴿١٧٥﴾

٣٧ الصافات

أَفْبَعْدَ إِنَّا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾

٣٧ الصافات

فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾

٣٧ الصافات

وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾

٣٧ الصافات

وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يُبْصَرُونَ ﴿١٧٩﴾

لهم المنصورون وإن جندنا) وهم أتباع المرسلين (لهم الغالبون) على أعدائهم في الدنيا والآخرة ولا يقدر في ذلك انهم في بعض المشاهد فإن قاعدة أمرهم وأساسه الظفر والنصرة وإن وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس رضى الله عنهما إن لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة وقرىء على عبدنا بتضمنين سبقت معنى حقت وتسميتها كلمة مع أنها كلمات لا تنظامها في معنى واحد وقرىء كلماتنا (فتول عنهم) فأعرض عنهم واصبر (حتى حين) إلى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال ١٧٤ وقل يوم بدر وقل يوم الفتح (وأبصرهم) على أسوأ حال وأفظع نكال حل بهم من القتل والأسر والمراد بالامر بأبصارهم الإيدان بغاية قربه كأنه بين يديه (فسوف يبصرون) ما يقع حينئذ من الأمور وسوف للوعيد دون التبعيد (أفبعدا بنا يستعجلون) روى أنه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل ١٧٦ (فإذا نزل بساحتهم) أى إذا نزل العذاب الموعود بفنائهم كأنه جيش قد هجمهم فأناخ بفنائهم بغنة فشن ١٧٧ عليهم الغارة وقطع دابرهم بالمرّة وقل المراد نزول رسول الله ﷺ يوم الفتح وقرىء نزل بساحتهم على إسناده إلى الجار والمجرور وقرىء نزل مبنيًا للمفعول من التنزيل أى نزل العذاب (فساء صباح المنذرين) * فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثرت منهم الغارة في الصباح سموها صباحا وإن وقعت ليلا روى أن رسول الله ﷺ لما أت خيبر وكانوا خارجين إلى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا لمحمد والخيس ورجعهم إلى حصنهم فقال ﷺ الله أكبر خرب خيبر إنما إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين (فتول عنهم حتى حين) (وأبصرهم) ١٧٩ فسوف يبصرون) تسليّة لرسول الله ﷺ إثر تسليّة وتأكيّد لوقوع الميعاد غب تأكيّد مع ما في إطلاق الفعلين عن المفعول من الإيدان بأن ما يبصره ﷺ حينئذ من فنون المسار وما يبصرونه من أنواع المضار لا يحيط به الوصف والبيان وقل أريد بالأول عذاب الدنيا والثاني عذاب الآخرة .

٣٧ الصفات

سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾

٣٧ الصفات

وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾

٣٧ الصفات

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

- ١٨٠ (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) تنزيهه لله سبحانه عن كل ما يصفه المشركون به مما لا يليق بمجانب كبريائه وجبروته مما ذكر في السورة الكريمة وما لم يذكر من الأمور التي من جملتها ترك إنجاز الموهود على موجب كلمته السابقة لاسيما في حق رسول الله ﷺ كما ينفي عنه التعرض لعنوان الربوبية المعربة عن الترية والتكميل والمالكية الكلية مع الإضافة إلى ضميره ﷺ أولا وإلى العزة ثانياً كأنه قيل سبحان من هو مربيك ومملك ومالك العزة والغلبة على الإطلاق عما يصفه المشركون به من الأشياء التي منها ترك نصرتك عليهم كما يدل عليه استعجالهم بالعذاب وقوله تعالى (وسلام على المرسلين) ١٨١ شريف لهم عليهم السلام بعد تنزيهه تعالى عما ذكر وتنويه بشأنهم وإيدان بأنهم سالمون عن كل المكروه ١٨٢ فائزون بجميع المآرب وقوله تعالى (والحمد لله رب العالمين) إشارة إلى وصفه عز وجل بصفاته الكريمة الثبوتية بعد التنبيه على اتصافه تعالى بجميع صفاته السلبية وإيدان باستبعادها للأفعال الجميلة التي من جملتها إفاضته عليهم من فنون الكرامات السنية والكمالات الدينية والدينية وإسباغهم عليهم وعلى من تبعهم صنوف النعماء الظاهرة والباطنة الموجبة لحمدته تعالى وإشعار بأن ما وعده ﷺ من النصر والغلبة قد تحققت والمراد تنبيه المؤمنين على كيفية تسبيحه تعالى وتحميده والتسليم على رساله الذين هم وسائط بينهم وبينه عز وعلا في فيضان الكمالات الدينية والدينية عليهم ولعل توسط التسليم على المرسلين بين تسبيحه تعالى وتحميده لختم السورة الكريمة بحمده تعالى مع ما فيه من الإشعار بأن توفيقه تعالى للتسليم عليهم من جملة نعمه الموجبة للحمد . عن علي رضي الله عنه من أحب أن يكتال بالمكيال الآوفي من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه سبحانه ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . عن رسول الله ﷺ من قرأ الصفات أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد كل جنى وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرى من الشرك وشهد له حافظه يوم القيامة أنه كان مؤمناً بالمرسلين .

٣٨ - سورة ص

(مكية وآياتها ثمان وثمانون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ص ٣٨

ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾

ص ٣٨

بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾

(سورة ص مكية وآياتها ثمان وثمانون آية)

- (بسم الله الرحمن الرحيم) (ص) بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر والفتح لانتقاء الساكنين ويجوز أن يكون الفتح بإضمار حرف القسم في موضع الجر كقولهم الله لأفعلن بالجر وأن يكون ذلك نصباً بإضمار اذكر أو اقرأ لفتحها كما مر في فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث لأنها علم للسورة وقد صرفها من قرأ صاد بالتثنية على أنه اسم الكتاب أو التنزيل وقيل هو في قراءة الكسر أمر من المصاداة وهي المعارضة والمقابلة ومنها الصدى الذي ينعكس من الأجسام الصلبة بمقابلة الصوت ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل بأوامره وائته عن نواهيته وتخلق بأخلاقه ثم إن جعل اسماً للحرف مسروداً على منهاج التحدى أو الرمز إلى كلام مثل صدق الله أو صدق محمد كما نقل عن أكابر السلف أو اسماً للسورة خبراً لمبتدأ محذوف أو نصباً على إضمار اذكر أو اقرأ أو أمرأ من المصاداة قالوا في قوله تعالى (والقرآن ذى الذكر) للقسم وإن جعل مقسماً به فهي للعطف عليه فإن أريد بالقرآن كله فالمغايرة بينهما حقيقية وإن أريد عين السورة فهي اعتبارية كما في قولك مررت بالرجل الكريم وبالنسبة المباركة وأياً ما كان ففي التكرير مزيد تأكيدي لمضمون الجملة المقسم عليها والذكر الشرف والنباهة كما في قوله تعالى وإنه لذكر لك ولقومك أو الذكري والموعظة أو ذكر ما يحتاج إليه في أمر الدين من الشرائع والأحكام وغيرها من أقاصيص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأخبار الأمم الدارجة والوعد والوعيد وجواب القسم على الوجه الأول والرابع والخامس محذوف هو ما ينبي عنه التحدى والأمر والإقسام به من كون المتحدى به معجزاً أو كون المأمور به واجباً وكون المقسم به حقيقةً بالإعظام أى أقسم بالقرآن أو بصاد وبه لأنه لمعجز أو لو اوجب العمل به أو لتحقيق بالإعظام وأما على الوجهين الباقيين فهو الكلام المرموز إليه ونفس الجملة المذكورة قبل القسم فإن التسمية تنويه بشأن المسمى وتنبه على عظم خطره أى إنه لصادق والقرآن ذى الذكر أو هذه السورة عظيمة الشأن والقرآن الخ على طريقة قولهم هذا حاتم والله ولما كان كل واحد من هذه الأوجه منبئاً عن انتفاء الريب عن مضمونه بالكلية إنباء بيناً كان قوله تعالى (بل الذين كفروا في عزة وشقاق) إضراباً عن ذلك كأنه قيل لا ريب فيه قطعاً وليس عدم إذعان الكفرة له لشبهة ريب ما فيه بل هم في استكبار وحية شديدة وشقاق بعيد لله تعالى ولرسوله ولذلك لا يذعنون له

ص ٣٨

كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مَن قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣٨﴾

ص ٣٨

وَيَجِبُوا أَن جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿٣٩﴾

ص ٣٨

أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٤٠﴾

وقيل الجواب ما دل عليه الجملة الإضرابية أى ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا الخ
 ٣ وقرىء فى غرة أى فى غفلة عما يجب عليهم التنبيه له من مبادئ الإيمان ودواعيه (كم أهلكنا من قبلهم من
 قرن) وعيد لهم على كفرهم واستكبارهم ببيان ما أصاب من قبلهم من المستكبرين وكم مفعول أهلكنا ومن
 قرن تمييز والمعنى وقرنا كثيرا أهلكنا من القرون الخالية (فنادوا) عند نزول بأسنا وحلول نعمتنا استغاثة
 وتوبة لينجوا من ذلك وقوله تعالى (ولات حين مناص) حال من ضمير نادوا أى نادوا واستغاثوا طلبا للنجاة
 والحال أن ليس الحين حين مناص أى فوت ونجاة من ناصه أى فاته لا من ناص بمعنى تأخر ولاهى المشبهة
 بليس زيدت عليها تاء التأنيت للتأكيد كما زيدت على رب وشم وخصت بنفى الأحيان ولم يبرز إلا أحد
 معموليها والاكثر حذف اسمها وقيل هى النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفى الأحيان وحين
 مناص منصوب على أنه اسمها أى ولا حين مناص لهم أو بفعل مضمر أى ولا أرى حين مناص وقرىء بالرفع فهو
 على الأول اسمها والخبر محذوف وأى وليس حين مناص حاصل لهم وعلى الثانى مبتدأ محذوف الخبر أى ولا
 حين مناص كأن لهم وقرىء بالكسر كما فى قوله [طلبوا صلحنا ولات أو أن] فاجبتا أن لات حين بقاء
 إما لأن لات تجر الأحيان كما أن لولا تجر الضمائر فى نحو قوله [لولاك هذا العام لم أحج] أو لأن أو أن
 شبه بإذ فى قوله [نهيتك عن طلبك أم عمرو] بعافية وأنت إذ صحيح فى أنه زمان قطع منه المضاف إليه
 وعوض التنوين لأن أصله أو أن صلح ثم حمل عليه حين مناص تنزيلا لقطع المضاف إليه من مناص
 إذ أصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لما بين المضافين من الاتحاد ثم بنى الحين لإضافته إلى غير
 متمكن وقرىء لات بالكسر كجبر ويقف الكوفيون عليها بالهاء كالآسماء والبصريون بالتاء كالأفعال
 وما قيل من أن التاء مزيدة على حين لاتصالها به فى الإمام مالا وجه له فإن خط المصحف خارج عن القياس
 ٤ (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم) حكاية لا باطيلهم المتفرعة على ما حكى من استكبارهم وشقاقهم أى عجبوا
 من أن جاءهم رسول من جنسهم بل أدون منهم فى الرياسة الدنيوية والمال على معنى أنهم عدوا ذلك أمرا
 عجيبا خارجا عن احتمال الوقوع وأنكروه أشد الإنكار لا أنهم اعتقدوا وقوعه وتعجبوا منه (وقال
 الكافرون) وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وإيذانا بأنه لا يتجاسر على مثل ما يقولونه
 إلا المتوغلون فى الكفر والفسوق (هذا ساحر) فيما يظهره من الخوارق (كذاب) فيما يسند إلى الله
 ٥ تعالى من الإرسال والإنزال (أجعل الآلهة إلها واحدا) بأن نفى الألوهية عنهم وقصرها على واحد
 (إن هذا لشيء عجاب) بليغ فى العجب وذلك لأنه خلاف ما ألفوا عليه آباءهم الذين أجمعوا على ألوهيتهم

وَأَنْطَلِقَ أَمَلًا مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۖ

ص ٣٨

مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ۝

ص ٣٨

وواظبوا على عبادتهم كابرأ عن كابر فإن هذا مدار كل ما يأتون وما يذرون من أمور دينهم هو التقليد والاعتقاد فيعدون ما يخالف ما اعتادوه عجيباً بل محالاً وأما جعل مدار تعجبهم عدم وفاء علم الواحد وقدرته بالأشياء الكثيرة فلا وجه له لما أنهم لا يدعون أن لأهتهم علماً وقدرة ومدخلا في حدوث شيء من الأشياء حتى يلزم من نفي ألوهيتهم بقاء الآثار بلا مؤثر وقرىء بحباب بالشديد وهو أبغ ككرام وكرام روى أنه لما أسلم عمر رضى الله عنه شق ذلك على قريش فاجتمع خمسة وعشرون من صناديدهم فأتوا أبا طالب فقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وقد جئناك لنقضى بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر رسول الله ﷺ وقال يا ابن أخى هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال ﷺ ماذا تسألوننى قالوا ارفضنا وارفض ذكراً آلهتنا وندعك وإلهك فقال ﷺ أرايتم إن أعطيتكم ما سألتكم أمعطى أتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشراً فقال قولوا لا إله إلا الله فقاموا وقالوا ذلك (وانطلق الملائمة) أى وانطلق الأشراف من قريش عن مجلس أبى طالب بعد ما بكتهم رسول الله ﷺ بالجواب العتيد وشاهدوا اتصاله ﷺ فى الدين وعزيمته على أن يظهره على الدين كله ويذهبوا ما كانوا يرجونه بتوسط أبى طالب من المصالحة على الوجه المذكور (أن أمشوا) أى قائلين بعضهم لبعض على وجه النصيحة أمشوا (واصبروا على آلهتكم) أى واثبتوا على عبادتها متحملين لما تسمعون فى حقها من القدح وأن هى المفسرة لأن الانطلاق عن مجلس التقاول لا يخلو عن القول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع فى القول وأمشوا من مشت المرأة إذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل أى اجتمعوا وكثروا وقرىء أمشوا بغير أن على إضمار القول وقرىء يمشون أن اصبروا (إن هذا لشيء يراد) تعليل للأمر بالصبر أو لوجوب الامتثال به أى هذا الذى شاهدناه من محمد ﷺ من أمر التوحيد ونفى آلهتنا وإبطال أمرها لشيء يراد أى من جهته ﷺ إضماؤه وتنفيذه لا محالة من غير صارف يلويه ولا طائف يثنيه لا قول يقال من طرف اللسان أو أمر يرجى فيه المسامحة بشفاعة أو امتنان فاقطعوا أطهاكم عن استنزاله من رأيه بوساطة أبى طالب وشفاعته وحسبكم أن لاتمنعوا من عبادة آلهتكم بالسكينة فاصبروا عليها وتحملوا ما تسمعون فى حقها من القدح وسوء القالة وقيل إن هذا الأمر لشيء يريد به الله تعالى ويحكم بإمضائه وما أراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه إلا الصبر وقيل إن هذا الأمر لشيء من نواب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه وقيل إن دينكم لشيء يراد أى يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه وقيل إن هذا الذى يدعيه من التوحيد أو يقصده من الرياسة والترفع على العرب والعجم لشيء يتمنى ويريد به كل أحد فتأمل فى هذه الأقاويل واختر منها ما يساعد النظم الجليل (ما سمعنا بهذا) الذى يقوله (فى الملة الآخرة) أى الملة النصرانية التى هى آخر الملل فإنهم مثلثة أو فى الملة التى

أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ ذِكْرِي بَلْ لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴿٨﴾ ٣٨ ص

أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ ٣٨ ص

أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾ ٣٨ ص

جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ ٣٨ ص

- أدركنا عليها آباءنا ويجوز أن يكون الجار والمجرور حالا من هذا أى ماسمعنا بهذا من أهل الكتاب ولا الكهان كائننا فى الملة المنزقة ولقد كذبوا فى ذلك أقبح كذب فإن حديث البعثة والنوحيد كان أشهر الأمور قبل الظهور (إن هذا) أى ما هذا (إلا اختلاق) أى كذب اختلقه (أنزل عليه الذكر) أى القرآن (من بيننا) ونحن رؤساء الناس وأشرفهم كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ومرداهم إنكار كونه ذكر أمزلا من عند الله عز وجل كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا إليه وأمثال هذه المقالات الباطلة دليل على أن مناط تكذيبهم ليس إلا الحسد وقصر النظر على الحطام النبوى (بل هم فى شك من ذكرى) أى من القرآن أو الوحى لميلهم إلى التقليد وإعراضهم عن النظر فى الأدلة المؤدية إلى العلم بحقيقته وليس فى عقيدتهم ما يثبتون به فهم مذنبون بين الأوهام ينسبونه تارة إلى السحر وأخرى إلى الاختلاق (بل لما يذوقوا عذاب) أى بل لم يذوقوا بعد عذابى فإذا ذاقوه تبين لهم حقيقة الحال وفى لما دلالة على أن ذوقهم على شرف الوقوع والمعنى أنهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب وقيل لم يذوقوا عذابى الموعود فى القرآن ولذلك شكوا فيه (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) بل أعندهم خزائن رحمته تعالى يتصرفون فيها حسبما يشاءون حتى يصيبوا بها من شاءوا ويصرفوها عن شاءوا ويتحكموا فيها بمقتضى آرائهم فيتخيروا للنوبة بعض صناديدهم والمعنى أن النبوة عطية من الله عز وجل يتفضل بها على من يشاء من عباده المصطفين لا مانع له فإنه العزيز أى الغالب الذى لا يغالب الوهاب الذى له أن يهب كل ما يشاء لكل من يشاء وفى إضافة اسم الرب المنبئ عن النبية والتبليغ إلى الكمال إلى ضميره ﷺ من تشريفه واللفظ به مالا يخفى وقوله تعالى (أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما) ترشيح لما سبق أى بل لهم ملك هذه العوالم العلوية والسفلية حتى يتكلموا فى الأمور الربانية ويتحكموا فى الندائير الإلهية التى يستأثر بها رب العزة والكبرياء وقوله تعالى (فليرتقوا فى الأسباب) جواب شرط محذوف أى إن كان لهم ما ذكر من الملك فليصعدوا فى المعارج والمناهج التى يتوصل بها إلى العرش حتى يستروا عليه ويدبروا أمر العالم وينزلوا الوحى إلى من يختارون ويستصوبون وفيه من التهكم بهم مالا غاية وراءه والسبب فى الأصل هو الوصلة وقيل المراد بالأسباب السموات لأنها أسباب الحوادث السفلية وقيل أبوابها (جند ما هنالک مهزوم من الأحزاب) أى هم جند مامن الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكثرت بما يهدون وما مزيدة للتقليل والتحقير

- كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾
 وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾
 إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ حَقَّ عِقَابٍ ﴿١٤﴾

نحو قولك أكلت شيئاً ما وقيل للتعظيم على الهزء، وهنالك إشارة إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم وقوله تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد) الخ استئناف مقرر ١٢
 لمضمون ما قبله ببيان أحوال العتاة الطغاة الذين هؤلاء جند ما من جنودهم ما فعلوا من التكذيب وفعل بهم من العقاب وذو الأوتاد معناه ذو الملك الثابت أصله من ثبات البيت المطنب بأوتاد فاستعير لثبات الملك ورسوخ السلطنة واستقامة الأمر قال الأسود بن يعفر [واقد غنوا فيها بأنعم عيشة في ظل ملك ثابت الأوتاد] أو ذو الجروع الكثيرة سمو بذلك لأن بعضهم يشد بعضاً كالوتد يشد البناء وقيل نصب أربع سوار وكان يمد يدي الممذب ورجليه إليها ويضرب عليها أوتاداً ويتركه حتى يموت وقيل كان يمد بين أربعة أوتاد في الأرض ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له أوتاد وحبال يلعب بها بين يديه (وتمود وقوم ١٣
 لوط وأصحاب الأيكة) أصحاب الغيضة من قوم شعيب عليه السلام وقوله تعالى (أولئك الأحزاب) إما بدل من الطوائف المذكورة كما أن ذلك الكتاب بدل من الم على أحد الوجوه وفيه فضل تأكيدي وتنبيه على أنهم الذين جعل الجند المهزوم منهم وقوله تعالى (إن كل إلا كذب الرسل) استئناف جوي به تقريراً ١٤
 لتكذبيهم وبياناً لكيفيته وتمهيداً لما يعقبه أي ما كل أحد من آحاد أولئك الأحزاب أو ما كل حزب منهم كذب الرسل لأن تكذيب واحد منهم تكذيب لهم جميعاً لا نفاق الكل على الحق وقيل ما كل حزب إلا كذب رسوله على نهج مقابلة الجمع بالجمع وأياً ما كان فالاستثناء مفرغ من أعم العلل في خبر المبتدأ أي ما كل أحد منهم محكوم عليه بحكم إلا محكوم عليه بأنه كذب الرسل وقيل ما كل واحد منهم مخبر عنه بخبر إلا مخبر عنه بأنه كذب الرسل وفي إسناد التكذيب إلى الطوائف المذكورة على وجه الإبهام أولاً والإيدان بأن كلا منهم حزب على حياله تحزب على رسوله ثانياً وتبين كيفية تكذبيهم بالجملة الاستثنائية ثالثة أفنون من المبالغة مسجلة عليهم باستحقاق أشد العذاب وأفضله ولذلك رتب عليه قوله تعالى (حق عقاب) أي ثبت ووقع على كل منهم عقابي الذي كانت توجهه جنابهم من أصناف العقوبات المفصلة في مواضعها وإما بالمبتدأ وقوله تعالى إن كل إلا كذب الرسل خبره بخبر المائد أي إن كل منهم الخ والجملة استئناف مقرر لما قبله مؤكداً لمضمونه مع ما فيه من بيان كيفية تكذبيهم والتنبيه على أنهم الذين جعل الجند المهزوم منهم كما ذكر وقيل هو مبتدأ وخبر والمعنى أن الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم وأنهم الذين وجد منهم التكذيب فتدبر وأما ما قبل من أنه خبر والمبتدأ قوله تعالى وعاد الخ أو قوله وقوم لوط الخ فما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن أمثاله .

٣٨ ص

وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَبِيحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهُمْ مِنْ فَوَاقٍ ﴿١٥﴾

٣٨ ص

وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْ لَنَا قِطْنًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾

٣٨ ص

أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾

- ١٥ (وما ينظر هؤلاء) شروع في بيان عقاب كفار مكة إثر بيان عقاب أضرابهم من الأحزاب الذين أخبر فيما سبق بأنهم جند حقير منهم مهزوم عن قريب فإن ذلك مما يوجب انتظار السامع وترقبه إلى بيانه قطعاً وفي الإشارة إليهم بهؤلاء تحقير لشأهم وتهوين لآمرهم وأما جعله إشارة إلى الأحزاب باعتبار حضورهم بحسب الذكر أو حضورهم في علم الله عز وجل فليس في حيز الاحتمال أصلاً كيف لا ولا انتظار سواء كان حقيقة أو استهزاء إنما يتصور في حق من لم يترتب على أعماله نتائجها بعد وبعد ما بين عقاب الأحزاب واستئصالهم بالمرء لم يبق ما أريد بيانه من عقوباتهم أمر منتظر وإنما الذين في مرصد الانتظار كفار مكة حيث ارتكبوا من عظام الجرائم وكبار الجرائم الموجبة لأشد العقوبات مثل ما ارتكب الأحزاب أو أشد منه ولما يلاقوا بعد شيئاً من غوائلها أي وما ينظر هؤلاء الكفرة الذين هم أمثال أولئك الطوائف المهلكة في الكفر والتكذيب (إلا صبيحة واحدة) هي النفخة الثانية لا بمعنى أن عقابهم نفسها بما فيها من الشدة وال هول فإنها داهية يعم هولها جميع الأمم برها وفاجرها بل بمعنى أنه ليس بينهم وبين حلول ما أعد لهم من العقاب الفطيع إلا هي حيث أخرت عقوباتهم إلى الآخرة لما أن تعذبهم بالاستئصال حسبما يستحقونه والنبي ﷺ بين أظهرهم خارج عن السنة الإلهية المبنية على الحكم الباهرة كما نطق به قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وأما ما قيل من أنها النفخة الأولى فيما لا وجه له أصلاً لما أنه لا يشاهد هولها ولا يصعق بها إلا من كان حياً عند وقوعها وليس عقابهم الموعود واقعاً عقيبها ولا العذاب المطلق مؤخر إليها بل يحل بهم من حين موتهم (مالها من فواق) أي من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين وقرئ بضم الفاء وهما لغتان وقوله تعالى (وقالوا ربنا عجل لنا قطنًا قبل يوم الحساب) حكاية لما قالوه عند سماعهم بتأخير عقابهم إلى الآخرة أي قالوا بطريق الاستهزاء والسخرية عجل لنا قطنًا من العذاب الذي توعدنا به ولا تؤخره إلى يوم الحساب الذي مبدؤه الصبيحة المذكورة والقط القطعة من الشيء من قطعه إذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لأنها قطعة من القرطاس وقد فسر بها أي عجل لنا صحيفة أعمالنا لننظر فيها وقيل ذكر رسول الله ﷺ وعد الله تعالى المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء به عجل لنا نصيبنا منها وتصدير دعائهم بالنداء المذكور الإيمعان في الاستهزاء كأنهم يدعون ذلك بكال الرغبة والابتهاال (أصبر على ما يقولون) من أمثال هذه المقالات الباطلة (واذكر) لهم (عبدنا داود) أي قصته تهويلاً لآمر المعصية في أعينهم وتنبيهاً لهم على كمال قبح ما جرتوا عليه من المعاصي فإنه ﷺ مع علو شأنه واختصاصه بعظام النعم والكرامات لما ألم بصغيرة نزل عن منزلته ووبختته الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تظن فاستغفر ربه وأتاب ووجد منه ما يحكي من بكائه الدائب وغمه الواصب وندمه الدائم فما الظن بهؤلاء الكفرة الأذلين
- ١٦ (وقالوا ربنا عجل لنا قطنًا قبل يوم الحساب) حكاية لما قالوه عند سماعهم بتأخير عقابهم إلى الآخرة أي قالوا بطريق الاستهزاء والسخرية عجل لنا قطنًا من العذاب الذي توعدنا به ولا تؤخره إلى يوم الحساب الذي مبدؤه الصبيحة المذكورة والقط القطعة من الشيء من قطعه إذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لأنها قطعة من القرطاس وقد فسر بها أي عجل لنا صحيفة أعمالنا لننظر فيها وقيل ذكر رسول الله ﷺ وعد الله تعالى المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء به عجل لنا نصيبنا منها وتصدير دعائهم بالنداء المذكور الإيمعان في الاستهزاء كأنهم يدعون ذلك بكال الرغبة والابتهاال (أصبر على ما يقولون) من أمثال هذه المقالات الباطلة (واذكر) لهم (عبدنا داود) أي قصته تهويلاً لآمر المعصية في أعينهم وتنبيهاً لهم على كمال قبح ما جرتوا عليه من المعاصي فإنه ﷺ مع علو شأنه واختصاصه بعظام النعم والكرامات لما ألم بصغيرة نزل عن منزلته ووبختته الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تظن فاستغفر ربه وأتاب ووجد منه ما يحكي من بكائه الدائب وغمه الواصب وندمه الدائم فما الظن بهؤلاء الكفرة الأذلين
- ١٧ (وقالوا ربنا عجل لنا قطنًا قبل يوم الحساب) حكاية لما قالوه عند سماعهم بتأخير عقابهم إلى الآخرة أي قالوا بطريق الاستهزاء والسخرية عجل لنا قطنًا من العذاب الذي توعدنا به ولا تؤخره إلى يوم الحساب الذي مبدؤه الصبيحة المذكورة والقط القطعة من الشيء من قطعه إذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لأنها قطعة من القرطاس وقد فسر بها أي عجل لنا صحيفة أعمالنا لننظر فيها وقيل ذكر رسول الله ﷺ وعد الله تعالى المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء به عجل لنا نصيبنا منها وتصدير دعائهم بالنداء المذكور الإيمعان في الاستهزاء كأنهم يدعون ذلك بكال الرغبة والابتهاال (أصبر على ما يقولون) من أمثال هذه المقالات الباطلة (واذكر) لهم (عبدنا داود) أي قصته تهويلاً لآمر المعصية في أعينهم وتنبيهاً لهم على كمال قبح ما جرتوا عليه من المعاصي فإنه ﷺ مع علو شأنه واختصاصه بعظام النعم والكرامات لما ألم بصغيرة نزل عن منزلته ووبختته الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تظن فاستغفر ربه وأتاب ووجد منه ما يحكي من بكائه الدائب وغمه الواصب وندمه الدائم فما الظن بهؤلاء الكفرة الأذلين

ص ٣٨

إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسِخِّنُ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾

ص ٣٨

وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾

ص ٣٨

وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاثَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابَ ﴿٢٠﴾

من كل دليل المرتكبين لا كبر الكبار المصيرين على أعظم المعاصي أو تذكرة قصته عليه الصلاة والسلام وصن نفسك أن تزل فيها كلفت من مصابرتهم وتحمل أذيتهم كيلا يلقاك مالم يقبه من المعاتبة (ذا الأيد) أى ذا القوة يقال فلان أيد وذو أيد وآد بمعنى وأباد كل شئ ما يتقوى به (إنه أواب) رجاع إلى مرضاة الله تعالى وهو لتعليل لكونه ذا الأيد ودليل على أن المراد به القوة في الدين فإنه عليه الصلاة والسلام كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل (إننا سخرنا الجبال معه) استئناف مسوق لتعليل قوته في الدين ١٨ وأوايته إلى مرضاته تعالى ومع متعلقة بالتسخير وإيثارها على اللام لما أشير إليه في سورة الأنبياء من أن تسخير الجبال له عليه الصلاة والسلام لم يكن بطريق تفويض التصرف الكلى فيها إليه عليه الصلاة والسلام كتسخير الريح وغيرها لسلطان عليه السلام بل بطريق التبعية له عليه الصلاة والسلام والاقتداء به في عبادة الله تعالى وقيل متعلقة بما بعدها وهو أقرب بالنسبة إلى ما في سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (يسبحن) أى يقدسن الله عز وجل بصوت يتمثل له أو يخلق الله تعالى فيها الكلام أو بلسان الحال وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال من الجبال وضع موضع مسبحات الدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال واستئناف مبين لكيفية التسخير (بالعشى والإشراق) أى ووقت الإشراق وهو حين تشرق أى تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن أم هانئ رضى الله عنها أنه عليه الصلاة والسلام صلى صلاة الضحى وقال هذه صلاة الإشراق وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما عرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية (والطير) عطف على الجبال (محشورة) ١٩ حال من الطير والعامل سخرنا أى وسخرنا الطير حال كونها محشورة عن ابن عباس رضى الله عنهما كان إذا سبج جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت إليه الطير فسبحت وذلك حشرها وقرىء والطير محشورة بالرفع على الابتداء والخبرية (كل له أواب) استئناف مقرر لمضمون ما قبله مصرح بما فهم منه إجمالا من تسبيح الطير أى كل واحد من الجبال والطير لأجل تسبيحه رجاع إلى التسبيح ووضع الأواب موضع المسبوح إما لأنها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لأنه يرجع إلى فعله رجوعا بعد رجوع وإما لأن الأواب هو التواب الكثير الرجوع إلى الله تعالى ومن دأبه إكثار الذكر وإدامة التسبيح والتقديس وقيل الضمير لله عز وجل أى كل من داود والجبال والطير لله أواب أى مسبح مرجع للتسبيح (وشددنا ٢٠ ملكه) قويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرىء بالتشديد للبالغة قيل كان يبيت حول محرابه أربعون ألف مستلم وقيل ادعى رجل على آخر بقرة وعجز عن إقامة البينة فأوحى الله تعالى إليه فى المنام أن اقتل المدعى عليه فتأخر فأعيد الوحي فى اليقظة فأعلمه الرجل فقال إن الله تعالى لم يأخذنى

٣٨ ص

وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾

إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَنَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا

٣٨ ص

بِالْحَقِّ وَلَا تُسِطْطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾

بهذا الذنب ولكن بأنى قتلت أبا هذا غيلة فقال الناس إن أذنب أحد ذنباً أظهره الله تعالى عليه فقتله فها به وعظمت هيئته في القلوب (وآتينا الحكمة) النبوة وكمال العلم وإتقان العمل وقيل الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة (وفصل الخطاب) أى فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل أو الكلام الملتصق الذى ينبه المخاطب على المرام من غير التباس لما قدر وعى فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستئناف والإظهار والإضمار والحذف والتكرار وإنما سمى به أما بعد لأنه يفصل المقصود عما سبق تمهيداً له كالحمد والصلاة وقيل هو الخطاب الفصل الذى ليس فيه إيجاز مغل ولا أطناب مغل كما جاء فى نعت كلام النبوة فصل لا نزر ولا هنر (وهل أتاك نبأ الخصم) استفهام معناه التعجب والتشويق إلى استماع ما فى حيزه لإيداعه بأنه من الأنبياء البديعة التى حقها أن تشيع فيما بين كل حاضر وباد والخصم فى الأصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد وما فوقه كالضيف ومعنى خصمان فريقان (إذ تسوروا المحراب) إذ تصعدوا سوره ونزلوا إليه والسور الحائط المرتفع ونظيره أسنمه إذا علا سنامه وتذراه إذا علا ذروته وإذ متعلقة بمحذوف أى نبأ تحاكم الخصم إذ تسوروا أو بالنبا على أن المراد به الواقع فى عهد داود عليه السلام وأن إسناده الإتيان إليه على حذف مضاف أى قصة نبأ الخصم أو بالخصم لما فيه من معنى الخصومة لا باقى لأن إتيانه الرسول ﷺ لم يكن حينئذ وقوله تعالى (إذ دخلوا على داود) بدل مما قبله أو ظرف لتسوروا (ففزع منهم) روى أنه تعالى بعث إليه ملكين فى صورة إنسانين قيل هما جبريل وميكائيل عليهما السلام فطلبيا أن يدخل عليهما فوجداه فى يوم عبادته فنهما الحرس فتسورا عليه المحراب بمن معهما من الملائكة فلم يشعر إلا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم لأنهم نزلوا عليه من فوق على خلاف العادة والحرس حوله فى غير يوم الحكومة والقضاء قال ابن عباس رضى الله عنهما إن داود عليه السلام جزأ زمانه أربعة أجزاء يوماً للعبادة ويوماً للقضاء ويوماً للاشتغال بخاصة نفسه ويوماً للوعظ والتذكير (قالوا) استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية فزعه عليه الصلاة والسلام كأنه قيل فماذا قالت الملائكة عند مشاهدتهم لفزعه فقيل قالوا إزالة لفزعه (لا تخف خصمان) أى نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصماً (بغى بعضنا على بعض) هو على الفرض وقصد التعرض فلا كذب فيه (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) أى لا تجرف الحكومة وقرىء ولا تشطط أى لا تبعد عن الحق وقرىء ولا تشاطط وكلها من معنى الشطط وهو مجاوزة الحدود وتخطى الحق (واهدينا إلى سواء الصراط) إلى وسط طريق الحق بزجر الباغى هما سلكه من طريق الجور وإرشاده إلى منهاج العدل .

إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ ٣٨ ص
قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَى نَعَاجِهِ، وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى
بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ
رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ ٣٨ ص

- (إن هذا أخى) استئناف لبيان ما فيه الخصومة أى أخى فى الدين أو فى الصحبة والتعرض لذلك تمهيد ٢٣
ليبان كمال قبح ما فعل به صاحبه (له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة) هى الأنثى من الضأن وقد يكنى
بها عن المرأة والكناية والتعريض أبلغ فى المقصود وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر الهمزة
وقرئ ولى نعجة بسكون الياء (فقال أكفلنيها) أى ملكنيها وحقيقته اجمعنى أكفلها كما أكفل ماتحت
يدى وقيل اجمعها كفى أى نصبى (وعزنى فى الخطاب) أى غلبنى فى مخاطبته لإيادى محاجة بأن جاء بمحتاج
لم أقدر على رده أو فى مغالبتة لإيادى فى الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو مخاطبته خطاباً أى غالبى
فى الخطبة فغلبنى حيث زوجها دونى وقرئ وعازنى أى غالبى وعزنى بتخفيف الزاى طالباً للنفقة وهو
تخفيف غريب كأنه قدس على ظلت ومست (قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه) جواب قسم ٢٤
محذوف قصد به عليه الصلاة والسلام المبالغة فى إنكار فعل صاحبه وتهجين طامعه فى نعجة من ليس له
غيرها مع أن له قطعاً منها ولعله عليه الصلاة والسلام قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما ادعاه عليه أو بناء
على تقدير صدق المدعى والسؤال مصدر مضاف إلى مفعوله وتعديته إلى مفعول آخر يالى لتضمنه معنى
الإضافة والضم (وإن كثيراً من الخُلَطَاءِ) أى الشركاء الذين خلطوا أمواهم (ليبغى) ليتعدى وقرئ
بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها وبجذف الياء اكتفاء بالكسرة (بعضهم على بعض) غير مراعاة
يلحق الصحبة والشركة (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) منهم فإنهم يتحامون عن البغى والعدوان
(وقيل مام) أى وهم قليل وما مزيدة للإيهام والتعجب من قلتهم والجملة اعتراض (وظن داود أنما فتناه)
الظن مستعار للعلم الاستدلالي لما بينهما من المشابهة الظاهرة أى علم بما جرى فى مجلس الحكومة وقيل لما
قضى بينهما نظر أحدهما إلى صاحبه فضحك ثم صعدا إلى السماء حيال وجهه فعلم عليه الصلاة والسلام أنه
لعملى ابتلاء وليس المعنى على تخصيص الفتنة به عليه الصلاة والسلام دون غيره بتوجيه القصر الاستفادة
من كلمة إنما إلى المفعول بالقياس إلى مفعول آخر كما هو الاستعمال الشائع الوارد على توجيه القصر إلى
متعلقات الفعل وقيوده باعتبار النفي فيه والإثبات فيها كما فى مثل قولك إنما ضربت زيداً وإنما ضربته
تأديباً بل على تخصيص حاله عليه الصلاة والسلام بالفتنة بتوجيه القصر إلى نفس الفعل بالقياس إلى ما يغايره
من الأفعال لكن لا باعتبار النفي والإثبات معاً فى خصوصية الفعل فإنه غير ممكن قطعاً بل باعتبار النفي فيما فيه
من معنى مطلق الفعل واعتبار الإثبات فيما يقارنه من المعنى المخصوص فإن كل فعل من الأفعال المخصوصة ينحل

عند التحقيق إلى معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل وإلى معنى مخصوص يقارنه ويقيده وهو أثره في الحقيقة
 فإن معنى نصر مثلاً فعل النصر يرشدك إلى ذلك قولهم معنى فلان يعطى ويمنع بفعل الإعطاء والمنع فورد
 القصر في الحقيقة ما يتعلق بالفعل باعتبار النفي فيه والإثبات فيما يتعلق به فالمعنى وعلم داود عليه السلام
 أنما فعلنا به الفتنة لا غير قيل ابتليناه بامرأة أورياً وقيل امتحناه بتلك الحكومة هل ينتبه بها لما قصد منها
 وإثارة طريق التمثيل لأنه أبلغ في التوبيخ فإن التأمل فيه إذا أداه إلى الشعور بما هو الغرض كان أوقع
 في نفسه وأعظم تأثيراً في قلبه وأدعى إلى التنبه للخطأ مع ما فيه من مراعاة حرمة عليه الصلاة والسلام
 بترك المجاهرة والإشعار بأنه أمر يستحي من التصريح به وتصويره بصورة التحاكم لإلجائه عليه الصلاة
 والسلام إلى التصريح بنسبة نفسه إلى الظلم وتنبهه عليه الصلاة والسلام على أن أورياً بصدد الخصام
 • (فاستغفر ربه) (أثر ما علم أن ما صدر عنه ذنب) (وخر راكعاً) (أى ساجداً على تسمية السجود ركوعاً
 • لأنه مبدؤه أوخر للسجود راكعاً أى مصلياً كأنه أحرم بركعتي الاستغفار (وأنا ب) أى رجع إلى الله
 تعالى بالتوبة . وأصل القصة أن داود عليه السلام رأى امرأة رجل يقال له أورياً فقال قلبه إليها فسأله
 أن يطلقها فاستحي أن يرده ففعل فتزوجها وهى أم سليمان عليه السلام وكان ذلك جائزاً في شريعته
 معتاداً فيها بين أمته غير غل بالمرءة حيث كان يسأل بعضهم بعضاً أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها إذا
 أعجبته وقد كان الانصار في صدر الإسلام يواسون المهاجرين بمثل ذلك من غير تكبير خلا أنه عليه
 الصلاة والسلام لعظم منزلته وارتفاع مرتبته وعلو شأنه نبه بالتمثيل على أنه لم يكن ينبغى له أن يتعاطى
 ما يتعاطاه آحاد أمته ويسأل رجلاً ليس له إلا امرأة واحدة أن ينزل عنها فيتزوجها مع كثرة نساءه بل
 كان يجب عليه أن يقالب هواه ويقهر نفسه ويصبر على ما امتحن به وقيل لم يكن أورياً تزوجها بل كان خطبها
 ثم خطبها دواود عليه السلام فآثره عليه السلام أهلها فكان ذنبه عليه الصلاة والسلام أن خطب على خطبة
 أخيه المسلم هذا وأما ما يذكر من أنه عليه الصلاة والسلام دخل ذات يوم محرابه وأغلق بابه وجعل يصلي
 ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك إذ جاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب فديده ليأخذها لابن صغير له
 فطارت فامتد إليها فطارت فوقعت في كوة فتبعها فأبصر امرأة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهى
 امرأة أورياً وهو من غزاة البلقاء فكتب إلى أيوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء أن ابعث أورياً
 وقدمه على التابوت وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له أن يرجع حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد ففتح الله
 تعالى على يده وسلم فأمر برده مرة أخرى وثالثة حتى قتل وأما خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء
 وتزوج امرأته فإفك مبتدع مكروه ومكر مخترع بثسما مكروه تجمعه الأسماع وتفرغ عنه الطباع ويل لمن ابتدعه
 وأشاعه وتبأ لمن اخترعه وأذاعه ولذلك قال على رضى الله عنه من حدث بحديث داود عليه السلام على
 ما يرويه القصاص جلده مائة وستين وذلك حد الغيبة على الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم هذا
 وقد قيل إن قوماً قصدوا أن يقتلوه عليه الصلاة والسلام فقتلوا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا
 عنده أقواماً فتصنعوا بهذا التحاكم فلم عليه الصلاة والسلام غرضهم فهم بأن ينتقم منهم فظن أن ذلك
 ابتلاء له من الله عز وجل فاستغفر ربه عمام به وأنا ب .

فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّعَآبٍ ﴿٢٥﴾ ٢٨ ص

يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ٣٨ ص
وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ
النَّارِ ﴿٢٧﴾

٣٨ ص

- (فغفرنا له ذلك) أى ما استغفر منه وروى أنه عليه الصلاة والسلام بقى ساجداً أربعين يوماً وليلة لا يرفع رأسه إلا الصلاة مكتوبة أو لما لا بد منه ولا يرفأ دمه حتى نبت منه العشب إلى رأسه ولم يشرب ماء إلا ثلثاه دمع وجهه نفسه راغباً إلى الله تعالى فى العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له أيشا على ملكه ودعا إلى نفسه فاجتمع إليه أهل الزيف من بنى إسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه (وإن له عندنا لزانى) لقرابة وكرامة بعد المغفرة (وحسن مأب) حسن مرجع فى الجنة (يادواد ٢٦) إنا جعلناك خليفة فى الأرض) إما حكاية لما خوطب به عليه الصلاة والسلام مبينة لزلغاه عنده عز وجل وإما مقول قول مقدر هو معطوف على غفرنا أو حال من فاعله أى وقتلناه أو قاتلناه ياداد الخ أى استخلفناك على الملك فيها والحكم فيما بين أهلها أو جعلناك خليفة من كان قبلك من الأنبياء القائمين بالحق وفيه دليل بين على أن حاله عليه الصلاة والسلام بعد التوبة كما كانت قبلها لم تتغير قط (فاحكم بين الناس بالحق) بحكم الله تعالى فإن الخلافة بكلا معنیه مقتضية له حتماً (ولا تتبع الهوى) أى هوى النفس فى الحكومات وغيرها من أمور الدين والدنيا (فيضلك عن سبيل الله) بالنصب على أنه جواب النهى وقيل هو مجزوم بالمعطف على النهى مفتوح لالتقاء الساكنين أى فيكون الهوى أو اتباعه سبباً لضلالك عن دلائله التى نصبها على الحق تكويناً وتشريعاً وقوله تعالى (إن الذين يضلون عن سبيل الله) تعليل لما قبله ببيان غائلته وإظهار سبيل الله فى موقع الإضمار لزيادة التقرير والإيذان بكال شناعة الضلال عنه (لهم عذاب شديد) جملة من خبر ومبتدأ وقعت خبراً لأن أو الظرف خبر لأن وعذاب مرتفع على الفاعلية بما فيه من معنى الاستقرار (بما نسوا) بسبب نسيانهم وقوله تعالى (يوم الحساب) إما مفعول لنسوا فيكون تعليلاً صريحاً لثبوت العذاب الشديد لهم بنسيان يوم الحساب بعد الإشعار بعلية ما يستتبعه ويستلزمه أعنى الضلال عن سبيل الله تعالى فإنه مستلزم لنسيان يوم الحساب بالمرّة بل هذا فرد من أفراد أوظرف لقوله تعالى لهم أى لهم عذاب شديد يوم القيامة بسبب نسيانهم الذى هو عبارة عن ضلالهم ومن ضروره أن يكون مفعوله سبيل الله فيكون التعليل المصرح به حينئذ عين التعليل المشعر به بالذات غيره بالعنوان ومن لم يتنبه لهذا السر السرى قال بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فإن تذكره يقتضى ملازمة الحق ومخالفة الهوى فتدبر (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً) كلام مستأنف مقرر لما قبله ٢٧

أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ

ص ٣٨

كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾

ص ٣٨

كَنْتُمْ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾

من أمر البعث والحساب والجزاء أى وما خلقناها وما بينهما من المخلوقات على هذا النظام البديع الذى تحار فى فهمه العقول خلقاً باطلاً أى خالياً عن الغاية الجليلة والحكمة الباهرة بل منطوياً على الحق المبين والحكم البالغة حيث خلقنا من بين ما خلقنا نفوساً أو دعناها العقل والتمييز بين الحق والباطل والنافع والضار ومكنها من الصفات العلية والعملية فى استجلاب منافعها واستدفاع مضارها ونصبنا للحق دلائل آفافية وأنفسية ومنحناها القدرة على الاستشهاد بها ثم لم تقتصر على ذلك المقدار من الألطاف بل أرسلنا إليها رسلاً وأنزلنا عليها كتاباً بينا فيها كل دقيق وجليل وأزحنا عليها بالكلية وعرضناها بالتكليف للمنافع العظيمة وأعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب أعمالها (ذلك) إشارة إلى مانى من خلق ما ذكر باطلاً (ظن الذين كفروا) أى مظنونهم فإن جحودهم بأمر البعث والجزاء الذى عليه يدور فلك تكوين العالم قول منهم بطلان خلق ما ذكر وخلوه عن الحكمة سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً (فويل للذين كفروا) مبتدأ وخبر والفاء لإفادة ترتيب ثبوت الويل لهم على ظنهم الباطل كما أن وضع الموصول موضع ضميرهم للإشعار بما فى حيز الصلة بعملية كفرهم له ولا تنافى بينهما لأن ظنهم من باب كفرهم ومن فى قوله تعالى (من النار) تعليلية كما فى قوله تعالى فويل لهم بما كذبوا أيديهم وظنوا مفيدة لعملية النار لثبوت الويل لهم صريحاً بعد الإشعار بعملية ما يؤدى إليها من ظنهم وكفرهم أى فويل لهم بسبب النار المترتبة على ظنهم وكفرهم (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض) أم منقطعة وما فيها من بل للإضراب الانتقالى عن تقرير أمر البعث والحساب والجزاء بما مر من نفي خلق العالم خالياً عن الحكم والمصالح إلى تقريره وتحقيقه بما فى الهمة من إنكار التسوية بين الفريقين ونفيها على أبلغ وجه وأكده أى بل أنجعل المؤمنين المصلحين كالكفرة المفسدين فى أقطار الأرض كما يقتضيه عدم البعث وما يترتب عليه من الجزاء لاستواء الفريقين فى التمتع بالحياة الدنيا بل الكفرة أوفر حظاً منها من المؤمنين لكن ذلك الجعل محال فتمعين البعث والجزاء حتماً لرفع الأولين إلى أعلى عليين ورد الآخرين إلى أسفل سافلين وقوله تعالى (أم نجعل المتقين كالفجار) إضراب وانتقال عن إثبات ما ذكر بلزوم المحال الذى هو التسوية بين الفريقين المذكورين على الإطلاق إلى إثباته بلزوم ما هو أظهر منه استحالة وهو التسوية بين أتقياء المؤمنين وأشقياء الكفرة وحمل الفجار على جرة المؤمنين بما لا يساعده المقام ويجوز أن يراد بهذين الفريقين عين الأولين ويكون التكرير باعتبار وصفين آخرين هما أدخل فى إنكار التسوية من الوصفين الأولين وقيل قال كفار قريش للمؤمنين إنا نعطى فى الآخرة من الخير ما تعطون ٢٩ فنزلت (كتاب) خبر مبتدأ محذوف هو عبارة عن القرآن أو السورة وقوله تعالى (أنزلناه إليك) صفته

٣٨ ص

وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾

٣٨ ص

إِذْ عُرِي ضَّ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾

٣٨ ص

فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾

وقوله تعالى (مبارك) خبر ثان للبتداء أو صفة لكتاب عند من يجوز تأخير الوصف الصريح عن غير الصريح وقرىء مباركاً على أنه حال من مفعول أنزلنا ومعنى المبارك الكثير المنافع الدينية والدنيوية وقوله تعالى (ليدبروا آياته) متعلق بأنزلناه أى أنزلناه ليتفكروا فى آياته التى من جهاتها هذه الآيات المعربة عن أسرار التكوين والتشريع فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من المعانى الفائقة والتأويلات اللاتقة وقرىء ليتدبروا على الأصل ولتدبروا على الخطاب أى أنت وعلماء أمتك بحذف إحدى التائين (وليتذكر أولو الألباب) * أى وليتعض به ذوو العقول السليمة أو ليستحضروا ما هو كالمركز فى عقولهم من فرط تمسكهم من معرفته لما نصب عليه من الدلائل فإن الكتب الإلهية مينة لما لا يعرف إلا بالشرع ومرشدة إلى ما لا سبيل للعقل إليه (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد) وقرىء نعم العبد أى سليمان كما ينبىء عنه تأخيره عن داود مع ٣٠ كونه مفعولاً صريحاً لو هبنا ولأن قوله تعالى (لأنه أواب) أى رجع إلى الله تعالى بالتوبة أو إلى التسبيح مرجع له لتلليل اللدح وهو من حاله لما أن الضمير المجرور فى قوله تعالى (إذ عرض عليه) راجع إليه عليه ٣١ الصلاة والسلام قطعاً وإذ منصوب باذكر أى اذكر ما صدر عنه إذ عرض عليه (بالعشى) هو من الظهر إلى آخر النهار (الصافنات) فإنه يشهد بأنه أواب وقيل ظرف لأواب وقيل لنعم وتأخير الصافنات عن الظرفين لما مرر من التشويق إلى المؤخر والصافن من الخيل الذى يقوم على طرف سنبك يد أورجل وهو من الصفات المحمودة فى الخيل لا يكاد يتفق إلا فى العراب الخالص وقيل هو الذى يجمع يديه ويسويهما وأما الذى يقف على سنبكه فهو المنخيم (الجياد) جمع جواد وجود وهو الذى يسرع فى جريه وقيل الذى يجود عند الركض وقيل وصفت بالصفون والجودة لبيان جمعها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية أى إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة فى مواقفها وإذا جرت كانت سرعاً خفافاً فى جريها وقيل هو جمع جيد روى أنه عليه الصلاة والسلام غزا أهل دمشق ونصيبين وأصلب ألف فرس وقيل أصابها أبوه من العماقة فورثها منه وقيل خرجت من البحر لها أجنحة فقعد يوماً بعد ما صلى الظهر على كرسية فاستمرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر أو عن ورد كان له من الذكر وقتئذ وتتهيبوه فلم يعلموه فاعتم لمافاته فاستردها فمقرها تقر بالله تعالى وبقي مائة فما فى أيدي الناس من الجياد فنسلاها وقيل لما عقرها أبدله الله خيراً منها وهى الریح تجري بأمره (فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربى) قاله عليه ٣٢ الصلاة والسلام عند غروب الشمس اعترافاً بما صدر عنه من الاشتغال بها عن الصلاة وندما عليه وتميهاً لما يعقبه من الأمر بردها وعقرها والتعقيب باعتبار أواخر العرض المستمر دون ابتدائه

ص ٣٨

رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾

ص ٣٨

وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾

والتأكيد للدلالة على أن اعترافه وتدمه عن صميم القلب لا لتحقيق مضمون الخبر وأصل أحبت أن يعدى بعلى لأنه بمعنى أثرت لكن لما أنيب مناب أنبت عدى تعديته وحب الخير مفعوله كأنه قيل أنبت حب الخير عن ذكر ربي ووضعته موضعه وخير المال الكثير والمراد به الخيل التي شغلته عليه الصلاة والسلام ويحتمل أنه سماها خيراً لتعلق الخير بها قال عليه السلام الخير معقود بنواصي الخيل إلى يوم القيامة وقرئ (حتى توارت بالحجاب) متعلق بقوله أحبت باعتبار استمرار المحبة ودوامها حسب استمرار العرض أي أنبت حب الخير عن ذكر ربي واستمر ذلك حتى توارت أي غربت الشمس تشبهاً لغروبها في مغربها بتوارى الخبأة بحجابها وإضمارها من غير ذكر لدلالة العشى عليها وقيل الضمير للصفات أي حتى توارت بحجاب الليل أي بظلامه (ردوها على) من تمام مقالة سليمان عليه السلام ومرمى غرضه من تقديم ما قدمه ومن لم يقبفه له مع ظهوره توهم أنه متصل بمضمر هو جواب لمضمر آخر كأن سائلاً قال فإذا قال سليمان عليه السلام قبيل قال ردوها فتأمل والفاء في قوله تعالى (فطفق مسحاً) فصيحة مفصحة عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وإيضاحاً بغاية سرعة الامتثال بالأمر أي فردوها عليه فأخذ يمسح السيف مسحاً (بالسوق والأعناق) أي بسوقها وأعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته أي ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده أعناقها وسوقها حباً لها وإعجاباً بها وليس بذلك وقرئ بالسوق على همز الواو لضمها كما في أدور وقرئ بالسوق تنزيلاً لضمه السين منزلة ضمة الواو وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لأن الإلباس (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب) أظهر ما قيل في فتنة عليه الصلاة والسلام ماروى مرفوعاً أنه قال لا طوفن الليلة على سبعين امرأة تأتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى ولم يقل إن شاء الله تعالى فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل والذي نفسى بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغذوه في السحاب فما شعر به إلى أن ألقى على كرسيه ميتاً فتنبه لخطئه حيث لم يتوكل على الله عز وعلا وقيل إنه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها وأصاب بنتاً له تسمى جرادة من أحسن الناس فاصطفاه لنفسه وأسلمت حبها وكان لا يرقأ دمعها جزعاً على أيها فأمر الشياطين فثلوا لها صورته وكانت تغدو إليها وتروح مع ولائها يسجدون لها كعادتهم في ملكه فأخبره آصف بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده إلى فلاة وفرش له الرماذج جلس عليه تائباً إلى الله تعالى باكياً متضرعاً وكانت له أم ولد يقال لها أمينة إذا دخل للطهارة أو لإصابة امرأة يعطيها خاتمة وكان ملكه فيه فأعطاها يوماً فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر وأخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه في كل شيء إلا في نسائه وغير سليمان

قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ٣٨ ص

فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ ٣٨ ص

وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ ٣٨ ص

وَأَٰخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ ٣٨ ص

عن هيئته فأتى أمينة لطلب الخاتم فأنكرته وطرده فعرف أن الخطيئة قد أدركته فكان يدور على البيوت يتكفف وإذا قال أنا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد إلى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فكث على ذلك أربعين صباحاً عدد ما عبد الوثن في بيته فأنكر آصف وعظما بني إسرائيل حكم الشيطان ثم طار اللعين وقذف الخاتم في البحر فابتلعه سمكة فوقعت في يد سليمان فبقر بطنها فإذا هو بالخاتم فتختم به وخر ساجداً وعاد إليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليه بأخرى ثم أوثقهما بالحديد والرصاص وقذفه في البحر وعلى هذا فالجسد عبارة عن صخر سمى به وهو جسم لاروح فيه لأنه لا تمثّل بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عليه الصلاة والسلام عن حال أهله لأن اتخاذ التماثيل لم يكن محظوراً حينئذ وسجود الصورة بغير علم منه لا يضره (قال) بدل من أناب وتفسير له (رب اغفر لي) أي ٣٥ ماصدر عني من الزلة (وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي) لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لي مناسبة لحالي فإنه عليه الصلاة والسلام لما نشأ في بيت الملك والنبوة وورثهما معاً استدعى من ربه معجزة جامعة لحكمهما أولاً ينبغي لأحد أن يسلبه مني بعد هذه السلبات أولاً يصح لأحد من بعدي لعظمته كقولك لفلان ماليس لأحد من الفضل والمال على إرادة وصف الملك بالعظمة لا أن لا يعطى أحد مثله فيكون منافسة وقيل كان ملكاً عظيماً يخاف أن يعطى مثله أحد فلا يحافظ على حدود الله تعالى وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بأمر الدين جرباً على سنن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والصالحين وكون ذلك أدخل في الإجابة وقرئ: لي بفتح الياء (إنك أنت الوهاب) تعليل للدعاء بالمغفرة والهبه معاً لا بالآخرية فقط فإن المغفرة أيضاً من أحكام وصف الوهابية قطعاً (فسخرنا له الريح) أي ٣٦ أي فذلّلناها لطاعته إجابة لدعوته فعاد أمره عليه الصلاة والسلام إلى ما كان عليه قبل الفتنة وقرئ: الرياح (تجري بأمره) بيان لتسخيرها له (رخاء) أي ليناً من الرخاوة طيبة لا تزعزع وقيل طيبة لا تمتنع عليه كالأموال المنقادة (حيث أصاب) أي حيث قصدوا أراد حكى الأصمى عن العرب أصاب الصواب فأخطأ الجواب (والشياطين) عطف على الريح (كل بناء وغواص) بدل من الشياطين (وأخريين ٣٧- ٣٨ مقررني في الأصفاة) عطف على كل بناء داخل في حكم البدل كأنه عليه الصلاة والسلام فصل الشياطين إلى عملة استعملهم في الأعمال الشاقة من البناء والغوص ونحو ذلك وإلى مرده قرن بعضهم مع بعض في السلاسل لكفهم عن الشر والفساد ولعل أجسامهم شفاقة فلا ترى صلبة فيمكن تقييدها ويقدرّون على

٣٨ ص

هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾

٣٨ ص

وَإِنْ لَّمْ عِنْدَنَا لُزْلٌ وَحُسْنٌ مَعَابٍ ﴿٤٠﴾

٣٨ ص

وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾

الاهمال الصعبة وقد جوز أن يكون الإقران في الأصفاد عبارة عن كفهم عن الشرور بطريق التمثيل والصنف القيد وسمى به العطاء لأنه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيده وأصفده أعطاه على عكس وعد وأوعده وقوله تعالى (هذا) الخ إما حكاية لما خوطب به سليمان عليه السلام مينة لعظم شأن ما أوتي من الملك وأنه مفوض إليه تفويضاً كلياً وإما مقول مقدر هو معطوف على سحرنا أو حال من فاعله كما مر في خاتمة قصة داود عليه السلام أي وقتلنا له أو قاتلنا له هذا الأمر الذي أعطيناكه من الملك العظيم والبسطة والتسلط على مالم يسلم عليه غيرك (عطاؤنا) الخاص بك (فامنن أو أمسك) فأعط من شئت وامنع من شئت (بغير حساب) حال من المستكن في الأمر أي غير محاسب على شيء منه وإمساكه لتفويض التصرف فيه إليك على الإطلاق أو من العطاء أي هذا عطاؤنا ملتبساً بغير حساب لغاية كثرة أو صلة له وما بينهما اعتراض على التقديرين وقيل الإشارة إلى تسخير الشياطين والمراد باليمن والإمساك الإطلاق والتقييد (وإن لم عندنا لزلن) في الآخرة مع ماله من الملك العظيم في الدنيا (وحسن مأب) هو الجنة قيل قتل سليمان عليه السلام بعد ممالك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وذكر الفقيه أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري في تاريخه أن سليمان عليه السلام ورث ملك أبيه في عصر كينخسر وبن سياوش وسار من الشام إلى العراق فبلغ خبره كينخسر وهرب إلى خراسان فلم يلبث حتى هلك ثم سار سليمان عليه السلام إلى مرو ثم إلى بلاد الترك فوغل فيها ثم جاز بلاد الصين ثم عطف إلى أن وافى بلاد فارس فترها أياماً ثم عاد إلى الشام ثم أمر ببناء بيت المقدس فلما فرغ منه سار إلى تهامة ثم إلى صنعاء وكان من حديثه مع صاحبها ما ذكر الله تعالى وغزا بلاد المغرب الأندلس و٤١ وطنجة وغيرهما والله تعالى أعلم (واذكر عبدنا أيوب) عطف على اذكر عبدنا داود وعدم تصدير قصة سليمان بهذا العنوان لكمال الاتصال بينه وبين داود عليهما السلام وأيوب هو ابن عيص بن إسحاق عليه السلام (إذ نادى ربه) بدل اشتغال من عبدنا وأيوب عطف بيان له (أني) باني (مسني الشيطان) بفتح ياء مسني وقرىء بإسكانها وإاء قاطعها (بنصب) أي تعب وقرىء بفتح النون وبفتحتين وبضميتين للتثنية (وعذاب) أي ألم ووصب يريد مرضه وما كان يقاسيه من فنون الشدائد وهو المراد بالضر في قوله أني مسني الضر وهو حكاية لكلامه الذي ناداه به بعبارة وإلا لقليل إنه مسه الخ والإسناد إلى الشيطان إما لأنه تعالى مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل إنه أعجب بكثرة ماله أو استغاثه مظلوم فلم يفته أو كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهته ولم يفره أو لامتحان صبره فيكون اعتراقاً بالذنوب أو

أَرْكُضْ بِرَجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ ٣٨ ص

وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ ٣٨ ص

وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَتْ إِنَّآ وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ٣٨ ص

مراعاة للأدب أو لأنه وسوس إلى أتباعه حتى رفضوه وأخرجوه من ديارهم أو لأن المراد بالنصب ما كان يوسوس به إليه في مرضه من تعظيم منازل به من البلاء والقنوط من الرحمة ويفريه على الكراهة والجزع فالتجأ إلى الله تعالى في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء أو بالتوفيق لدفعه وردة بالصبر الجميل وليس هذا تمام دعائه عليه الصلاة والسلام بل من جملته قوله وأنت أرحم الراحمين فاكثف ههنا عن ذكره بما في سورة الأنبياء كما ترك هناك ذكر الشيطان ثقة بما ذكر ههنا وقوله تعالى (اركض برجلك) الخ إما حكاية لما قيل له أو مقول لقول مقدر معطوف على نادى أى فقلنا له اركض برجلك أى اضرب بها الأرض وكذا قوله تعالى (هذا مغتسل بارد وشراب) فإنه أيضاً إما حكاية لما قيل له بعد امتثاله بالأمر ونوع الماء أو مقول لقول مقدر معطوف على مقدر ينساق إليه الكلام كأنه قيل فضر بها فنبعت عين فقلنا له هذا مغتسل تغتسل به وتشرب منه فيبرأ ظاهرك وباطنك وقيل نبعت عينان حارة للاغتسال وباردة للشرب ويأباه ظاهر النظم الكريم وقوله تعالى (ووهبنا له أهله) معطوف على مقدر مترتب على مقدر آخر يقتضيه القول المقدر آنفاً كأنه قيل فاغتسل وشرب فكشفنا بذلك ما به من ضر كما في سورة الأنبياء ووهبنا له أهله إما بإحيائهم بعد هلاكهم وهو المروى عن الحسن أو بجمعهم بعد تفرقهم كما قيل (ومثلهم معهم) عطف على أهله فكان له من الأولاد ضعف ما كان له قبل (رحمة منا) أى لرحمة عظيمة عليه من قبلنا (وذكرى لأولى الأبواب) ولتذكيرهم بذلك ليصبروا على الشدائد كما صبر ويلجأوا إلى الله عز وجل فيما يحق بهم كما لجأ ليفعل بهم ما فعل به من حسن العاقبة (وخذ بيدك ضغثاً) معطوف على اركض ٤٤ أو على وهبنا بتقدير قلنا أى وقلنا خذ بيدك الخ والأول أقرب لفظاً وهذا أنسب معنى فإن الحاجة إلى هذا الأمر لا تمس إلا بعد الصحة فإن امرأته رحمة بنت إفرام بن يوسف وقيل ليا بنت يعقوب وقيل ماصر بنت ميثا بن يوسف عليه السلام ذهبت لحاجة فأبطأت لحلف إن يرى ليضر بنهما مائة ضربة فأمره الله تعالى بأخذ الضغث والضعف الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه وعن ابن عباس رضى الله عنهما قبضة من الشجر وقال (فاضرب به) أى بذلك الضغث (ولا تحنث) فى يمينك فإن البر يتحقق به ولقد شرع الله سبحانه هذه الرخصة رحمة عليه وعليها لحسن خدمتها إياه ورضاه عنها وهى باقية ويجب أن يصيب المضروب كل واحد من المائة إما بأطرافها قائمة أو بأعراضها مبسوطة على هيئة الضرب (لأننا وجدناه صابراً) فيما أصابه فى النفس والأهل والمال وليس فى شكواه إلى الله تعالى لإخلال بذلك فإنه لا يسمى جزعاً كتمنى العافية وطلب الشفاء على أنه قال ذلك خيفة الفتنة فى الدين حيث كان الشيطان يوسوس إلى قومه

وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَارِ ④٥

إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ④٦

وَلَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ④٧

وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ④٨

بأنه لو كان نبياً لما ابتلي بمثل ما ابتلي به وإرادة القوة على الطاعة فقد بلغ أمره إلى أن لم يبق منه إلا القلب واللسان ويروى أنه عليه الصلاة والسلام قال في مناجاته إلهي قد علمت أنه لم يخالف لسانى قلبي ولم يتبع قلبي بصرى ولم يهينى ماملكت يميني ولم آكل إلا ومعنى يتيم ولم أبت شعبان ولا كاسيا ومعنى جانع أو عريان فكشف الله تعالى عنه (نعم العبد) أى أيوب (إنه أواب) لتعليل لمدحه أى رجاء إلى الله تعالى (واذكر عبدنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب) عطف بيان لعبادنا وقرىء عبدنا إما على أن إبراهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان وقيل بدل وقيل نصب بإضمار أعنى والباقيان عطف على عبدنا وإما على أن عبدنا اسم جنس وضع موضع الجمع (أولى الأيدي والأبصار) أولى القوة فى الطاعة والبصيرة فى الدين أو أولى الأعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالأيدي عن الأعمال لأن أكثرها تباشر بها وبالأبصار عن المعارف لأنها أقوى مبادئها وفيه تعريض بالجملة البطالين أنهم كالزمنى والعامة وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع تمسكهم منهم ما وقرىء أولى الأيدي بطرح الياء والاكتفاء بالكسر وقرىء ④٥ أولى الأيدي على جمع الجمع (إنا أخلصناهم بخالصة) لتعليل لما وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة فى العلم والعمل أى جعلناهم خالصين لنا بخالصة خالصة الشأن كما ينبغي عنه التنكير التفضيلى وقوله تعالى (ذكرى الدار) بيان للخالصة بعد إيهامها للتفخيم أى تذكر الدار الآخرة دائماً فإن خلوصهم فى الطاعة بسبب تذكركم لها وذلك لأن مطمح أنظارهم ومطرح أفكارهم فى كل ما يأتون وما يذرون جوار الله عز وجل والفوز ببقائه ولا يتسنى ذلك إلا فى الآخرة وقيل أخلصناهم بتوفيقهم لها واللفظ بهم فى اختيارها أو بعصداً لا ولقراءة من قرأ بخالصتهم وإطلاق الدار للإشعار بأنها الدار فى الحقيقة وإنما الدنيا ممبر وقرىء بإضافة خالصة إلى ذكرى أى بما خالص من ذكرى الدار على معنى أنهم لا يشوبون ذكراً لها بهم آخر أصلاً أو تذكركم الآخرة وترغيبهم فيها وترهيدهم فى الدنيا كما هو شأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل فى الدنيا ولسان الصدق الذى ليس لغيرهم (ولأنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار) لمن المختارين من أمثالهم المصطفين عليهم فى الخير والأخيار جمع خير كشر وأشرار ④٨ وقيل جمع خير أو خير مخفف منه كما موات فى جمع ميب وميت (واذكر إسماعيل) فصل ذكره عن ذكر أبيه وأخيه للإشعار بعراقته فى الصبر الذى هو المقصود بالتذكير (واليسع) هو ابن خلوب بن العجوز استخلفه إلياس على بنى إسرائيل ثم استنبهه واللام فيه حرف تمرىف دخل على يسع كما فى قول من

ص ٣٨

هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾

ص ٣٨

جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةٌ لَهُمْ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾

ص ٣٨

مُسْكِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾

ص ٣٨

وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْإِبْرَةِ أَرْبَابٌ ﴿٥٢﴾

ص ٣٨

هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾

- قال [رايت الوليد بن يزيد مباركا] وقرى. والبسح كأن أصله لبسح فيعمل من اللسع دخل عليه حرف التعريف وقيل هو على القراءتين علم أجمعى دخل عليه اللام وقيل هو يوشع (وذا الكفل) هو ابن عم يسع أو بشر بن أيوب واختلف في نبوته ولقبه فقيل فر إليه مائة نبي من بني إسرائيل من القتل فأوام وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة صلاة (وكل) أى وكلهم (من الاختيار) المشهور بن بالحبرية (هذا) إشارة إلى ما تقدم من الآيات الناطقة بمحاسنهم (ذكر) أى شرف لهم وذكر ٤٩ جميل يذكرون به أبداً أو نوع من الذكر الذى هو القرآن وباب منه مشتمل على أنباء الأنبياء عليهم السلام ومن ابن عباس رضى الله عنهما هذا ذكر من مضى من الأنبياء وقوله تعالى (وإن للمتقين لحسن مآب) شروع فى بيان أجرهم الجزيل فى الآجل بعد بيان ذكرهم الجميل فى العاجل وهو باب آخر من أبواب التنزيل والمراد بالمتقين إما الجنس وهم داخلون فى الحكم دخولا أولياً وإما نفس المذكورين عبر عنهم بذلك مدحا لهم بالتقوى التى هى الغاية القاصية من الكمال (جنت عدن) عطف بيان لحسن مآب عند ٥٠ من يجوز تخالفهما تعريفاً وتنكيراً فإن عدنا معرفة لقوله تعالى جنت عدن التى وعد الرحمن عباده أو بدل منه أو نصب على المدح وقوله تعالى (مفتحة لهم الأبواب) حال من جنت عدن والعامل فيها مافى للمتقين من معنى الفعل والأبواب مرتفعة باسم المفعول والرابط بين الحال وصاحبها إما ضمير مقدر كما هو رأى البصريين أى الأبواب منها أو الألف واللام القائمة مقامه كما هو رأى الكوفيين إذا أصل أبوابها وقرئنا مرفوعتين على الابتداء والخبر أو على أنهما خبران محذوف أى هى جنت عدن هى مفتحة (متكئين فيها) حال من ضمير لهم والعامل فيها مفتحة وقوله تعالى (يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب) ٥١ استئناف لبيان حالهم فيها وقيل هو أيضاً حال ما ذكر أو من ضمير متكئين والاقتصار على دعاء الفاكهة للإيذان بأن مطامعهم لمحض التمتع والتلذذ دون التغذى فإنه لتحصيل بدل المتحلل ولا تحلل ثمة (وعندهم ٥٢ قاصرات الطرف) أى على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم (أرباب) لدات لهم فإن التحاب بين الأقران أرسخ أو بعضهم لبعض لا يجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب فإنه يسمم فى وقت واحد (هذا ٥٣ ما توعدون ليوم الحساب) أى لا تجله فإن الحساب علة للوصول إلى الجزاء وقرى بالياء ليوافق ما قبله

ص ٣٨

إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَالُهُ مِنْ نَفَادٍ ٥٤

ص ٣٨

هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاعِينَ لَشَرَّ مَكَابٍ ٥٥

ص ٣٨

جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْشَأُ الْمِهَادُ ٥٦

ص ٣٨

هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ٥٧

ص ٣٨

وَأَنزَلْنَا مِنْ شَجَلِهِ أَزْوَاجَ ٥٨

ص ٣٨

هَذَا فَوْجٌ مُقْتَنَحٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ٥٩

- ٥٤ والالتفات أليق بمقام الامتنان والتكريم (إن هذا) أى ما ذكر من ألوان النعم والكرامات (لرزقنا)
 ٥٥ أعطينا كونه (ماله من نفاذ) انقطاع أبداً (هذا) أى الأمر هذا أو هذا كما ذكر أو هذا ذكر وقوله
 ٥٦ تعالى (وإن للطاغين لشر مآب) شروع في بيان أضداد الفريق السابق (جهنم) إعرابه كما سلف (يصلونها)
 أى يدخلونها حال من جهنم (فبئس المهاد) وهو المهد والمفرش مستعار من فراش النائم والخصوص
 ٥٧ بالذم محذوف وهو جهنم لقوله تعالى لهم من جهنم مهاد (هذا فليذوقوه) أى ليذوقوا هذا فليذوقوه كقوله
 تعالى وإياي فارهبون أو العذاب هذا فليذوقوه أو هذا مبتدأ خبره (حميم وغساق) وما بينهما اعتراض
 وهو على الأولين خبر مبتدأ محذوف أى هو حميم والغساق ما يغسق من صديد أهل النار من غسقت
 العين إذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بجره والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة في المشرق
 لتنت أهل المغرب ولو قطرت قطرة في المغرب لتنت أهل المشرق وقيل الغساق عذاب لا يعلمه إلا الله
 ٥٨ تعالى وقرئ بتخفيف السين (وآخر من شكلة) أى ومذوق آخر أو عذاب آخر من مثل هذا المذوق
 أو العذاب في الشدة والفضاعة وقرئ وأخر أى ومذوقات آخر أو أنواع عذاب آخر وتوحيد ضمير
 شكلة بتأويل ما ذكر أو الشراب الشامل للحميم والغساق أو هو راجع إلى الغساق (أزواج) أى أجناس
 وهو خبر لآخر لأنه يجوز أن يكون ضروباً أو صفة له أو للثلاثة أو مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل
 ٥٩ لهم (هذا فوج مقتنح معكم) حكاية ما يقال من جهة الخزنة لرؤساء الطاغين إذا دخلوا النار واقتنحها
 معهم فوج كانوا يتبعونهم في الكفر والضلالة والافتحام الدخول في الشيء بشدة قال الراغب الاقتحام
 توسط شدة مخيفة وقوله تعالى (لا مرحباً بهم) من إتمام كلام الخزنة بطريق الدعاء على الفوج أو صفة
 للفوج أو حال منه أى مقول أو مقولا في حقهم لا مرحباً بهم أى لا أتوا مرحباً أو لا رحبت بهم الدار
 مرحباً (إنهم صلوا النار) لتلليل من جهة الخزنة لاستحقاقهم الدعاء عليهم أو وصفهم بما ذكر وقيل لا مرحباً
 بهم إلى هنا كلام الرؤساء في حق أتباعهم عند خطاب الخزنة لهم باقتحام الفوج معهم تضجراً من مقارنتهم

- ٣٨ ص قالوا بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قد متموه لنا فبئس القرار ﴿٦٠﴾
- ٣٨ ص قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار ﴿٦١﴾
- ٣٨ ص وقالوا مالنا لا نرى رجلاً كذا نعدهم من الأشرار ﴿٦٢﴾
- ٣٨ ص اتخذناهم سخرياً أم زاغت عنهم الأبصار ﴿٦٣﴾

وتنفرا من مصاحبتهم وقيل كل ذلك كلام الرؤساء بعضهم مع بعض في حق الاتباع (قالوا) أى الاتباع ٦٠ عند سماعهم ما قيل في حقهم ووجه خطابهم الرؤساء في قولهم (بل أنتم لا مرحباً بكم) الخ على الوجهين الأخيرين ظاهر وأما على الوجه الأول فلعلمهم إنما خاطبهم مع أن الظاهر أن يقولوا بطريق الاعتذار إلى الخزنة بل هم لا مرحباً بهم الخ قصداً منهم إلى إظهار صدقهم بالمخاطبة مع الرؤساء والتحاكم إلى الخزنة طمعاً في قضائهم بتخفيف عذابهم أو تضعيف عذاب خصمائهم أى بل أنتم أحق بما قيل لنا أو قلتم وقوله تعالى (أنتم قد متموه لنا) تعليل لأحقيتهم بذلك أى أنتم قدمتم العذاب أو الصلي لنا وأوقعتمونا فيه بتقديم ما يؤدى إليه من العقائد الزائفة والأعمال السيئة وتزيينها في أعيننا وإغرائنا عليها لا أنا باشرناها من تلقاء أنفسنا (فبئس القرار) أى فبئس المقر جهنم قصدوا بدمها تغليظ جناية الرؤساء عليهم (وقالوا) أى الاتباع أيضاً وتوسطه بين كلامهم لما بينهما من التباين البين ذاتاً وخطاباً أى قالوا معرضين عن خصوصيتهم متضرعين إلى الله تعالى (ربنا من قدم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار) كقولهم ربنا هؤلاء أضلونا فأتاهم عذاباً ضعفاً من النار أى عذاباً مضاعفاً أى ذا ضعف وذلك بأن يزيد عليه مثله ويكون ضعفين كقوله ربنا آتاهم ضعفين من العذاب أو قيل المراد بالضعف الحيات والافاعي (وقالوا) ٦٢ أى الطاغون (مالنا لا نرى رجلاً كذا نعدهم من الأشرار) يعنون فقراء المسلمين الذين كانوا يسترذلونهم ويسخرون منهم (اتخذناهم سخرياً) بهمزة استفهام سقطت لاجلها همزة الوصل والجملة استئناف لا محل لها من الإعراب قالوه إنكاراً على أنفسهم وتأنياً لها في الاستسغار منهم (أم زاغت عنهم الأبصار) متصل باتخذناهم على أن أم متصلة والمعنى أى الأمرين فعلنا بهم الاستسغار منهم أم الازدراء بهم وتحقيرهم وإن أبصارنا كانت تزيف عنهم وتفتحمهم على معنى إنكار كل واحد من الفعلين على أنفسهم توبيخاً لها أو على أنها منقطعة والمعنى اتخذناهم سخرياً بل أزاغت عنهم أبصارنا كقولك أزيد عندك أم عندك عمرو على معنى توبيخ أنفسهم على الاستسغار ثم الإضراب والانتقال منه إلى التوبيخ على الازدراء والتحقير وقرئ اتخذناهم بغير همزة على أنه صفة أخرى لرجالا فقوله تعالى أم زاغت متصل بقوله مالنا لا نرى والمعنى مالنا لا نراهم في النار أليسوا فيها فلذلك لا نراهم أم زاغت عنهم أبصارنا وهم فيها وقد جوز أن تكون الهمزة مقدرة على هذه القراءة وقرئ سخرياً بضم السين .

٣٨ صَ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾

٣٨ صَ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنِّ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾

٣٨ صَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾

٣٨ صَ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾

٣٨ صَ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾

٣٨ صَ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾

- ٦٤ (إن ذلك) أي الذي حكى من أحوالهم (لحق) لا بد من وقوعه البتة وقوله تعالى (تخاصم أهل النار) خبر مبتدأ محذوف والجملة بيان لذلك وفي الإبهام أولاً والتبيين ثانياً مزيد تقرير له وقيل بدل من محل ذلك وقيل بدل من حق أو عطف بيان له وقرئ بالنصب على أنه بدل من ذلك وما قيل من أنه صفة له فقد قيل عليه إن اسم الإشارة لا يوصف إلا بالمعروف باللام يقال بهذا الرجل ولا يقال بهذا غلام الرجل
- ٦٥ (قل) أمر لرسول الله ﷺ أن يقول للمشركين (إنما أنا منذر) من جهته تعالى أنذركم عذابه (وما من من إله) في الوجود (إلا الله الواحد) الذي لا يقبل الشراكة والكثرة أصلاً (القهار) لكل شيء سواء
- ٦٦ (رب السموات والأرض وما بينهما) من المخلوقات فكيف يتوهم أن يكون له شريك منها (العزیز) الذي لا يغلب في أمر من أموره (الغفار) المبالغ في المغفرة يغفر ما يشاء لمن يشاء وفي هذه النعوت من تقرير التوحيد والوعد للوحدين والوعيد للمشركين ما لا يخفى وتذنية ما يشعر بالوعيد من وصفي القهر والعزة وتقديمهما على وصف المغفرة لتوفية مقام الإنذار حقه (قل) تكرير الأمر بالإيذان بأن المقول أمر جليل له شأن خطير لا بد من الاعتناء به أمر أو إثم أو آفة (هو) أي ما أنبأتكم به من أنى منذر من جهته تعالى وأنه تعالى واحد لا شريك له وأنه متصف بما ذكر من الصفات الجليلة والأظهر أنه القرآن وما ذكر داخل فيه دخولا أولاً كما يشهد به آخر السورة الكريمة وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة
- ٦٨ (نبأ عظيم) وارد من جهته تعالى وقوله تعالى (أنتم عنه معرضون) استئناف ناع عليهم سوء صنيعهم به ببيان أنهم لا يقدرון قدره الجليل حيث يعرضون عنه مع عظمتهم وكونه موجباً للإقبال الكل على
- ٦٩ عليه وتلقيه بحسن القبول وقيل صفة أخرى لنبأ وقوله تعالى (ما كان لي من علم بالملاء الأعلى) الاستئناف مسوق لتحقيق أنه نبأ عظيم وارد من جهته تعالى بذكر نبأ من أنبأته على التفصيل من غير سابقة معرفة به ولا مباشرة سبب من أسبابها المعتادة فإن ذلك حجة بينة دالة على أن ذلك بطريق الوحي من عند الله تعالى وأن سائر أنبائه أيضاً كذلك والملاء الأعلى هم الملائكة وآدم عليهم السلام وإبليس عليه اللعنة وقوله تعالى (إذ يختصمون) متعلق بمحذوف يقتضيه المقام إذ المراد نفي علمه عليه الصلاة والسلام بمحالمهم

ص ٣٨

إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾

ص ٣٨

إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾

- لا بد وأنهم والتقدير ما كان لي فيما سبق علم ما بوجه من الوجوه بحال الملائكة على وقت اختصاصهم وتقدير الكلام كما اختاره الجمهور تحجير للواسع فإن عليه عليه الصلاة والسلام غير مقصور على ما جرى بينهم من الأقوال فقط بل عام لها والأفعال أيضاً من سجود الملائكة واستكبار إبليس وكفره حسبما ينطق به الوحي فلا بد من اعتبار العموم في نفيه أيضاً لا محالة وقوله تعالى (إن يوحى إلى إلا أنما أنا نذير مبين) اعتراض وسط بين إجمال اختصاصهم وتفصيله تقريراً لثبوت عليه عليه الصلاة والسلام وتعييناً لسببه إلا أن بيان انتفائه فيما سبق لما كان منبئاً عن ثبوته الآن ومن البين عدم ملاسته عليه الصلاة والسلام بشيء من مبادئ المعهودة تعين أنه ليس إلا بطريق الوحي حتماً لجعل ذلك أمراً مسلم الثبوت غنياً عن الإخبار به قصداً وجعل مصعب الفائدة والمقصود إخبار ما هو دافع إلى الوحي ومصحح له تحقيقاً لقوله تعالى إنما أنا منذر في ضمن تحقيق عليه عليه الصلاة والسلام بقصة الملائكة على قائم مقام الفاعل ليوحى إما ضمير عائد إلى الحال المقدر أو ما يعمه وغيره فالمعنى ما يوحى إلى حال الملائكة على أو ما يوحى إلى ما يوحى من الأمور الغيبية التي من جملتها حالهم إلا أنما أنا نذير مبين من جمته تعالى فإن كونه عليه الصلاة والسلام كذلك من دواعي الوحي إليه ومن موجباته حتماً وأما أن القائم مقام الفاعل هو الجار والمجرور أو هو إنما أنا نذير مبين بلا تقدير الجار وأن المعنى ما يوحى إلى إلا الإنذار أو ما يوحى إلى إلا أن أنذر وأبلغ ولا أفرط في ذلك كما قيل فع ما فيه من الاضطراب إلى التكلف في توجيه قصر الوحي على كونه للإنذار في الأول وقصره على الإنذار في الثاني فلا يساعده سباق النظم الكريم وسياقه كيف لا والاعتراض حينئذ يكون أجنباً مما توسط بينهما من إجمال الاختصاص وتفصيله فتأمل والله المرشد وقرئ إنما بالكسر على الحكاية وقوله تعالى (إذ قال ربك للملائكة) شروع في تفصيل ٧١ ما أجمل من الاختصاص الذي هو ما جرى بينهم من التقاويل وحيث كان تكليمه تعالى إياهم بواسطة الملك صح إسناد الاختصاص إلى الملائكة وإذ بدل من إذ الأول وليس من ضرورة البدلية دخولها على نفس الاختصاص بل يكفي اشتغال ما في حيزها عليه فإن القصة ناطقة بذلك تفصيلاً والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام لتشريفه والإيذان بأن وحي هذا النبأ إليه تربية وتأيد له عليه الصلاة والسلام والكاف وارد باعتبار حال الأمر لكونه أدل على كونه وحيّاً منزلاً من عنده تعالى كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الخ دون حال المأمور والإلغاء لربى لأنه داخل في حيز الأمر (إنى خالق) أى فيما سياتى وفيه ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على أنه تعالى فاعل له البتة من غير صارف بلوبه ولا عاطف يذنيه (بشراً) قيل أى جسماً كشيئاً يلاقى ويأشرو قيل خلقاً بآدى البشرية بلا صوف ولا شعر ولعل ما جرى عند وقوع المحكى ليس هذا الاسم الذى لم يخلق سمياً حينئذ فضلاً عن تسميته به بل عبارة كاشفة عن حاله وإنما عبر عنه بهذا الاسم عند الحكاية (من طين) لم يتعرض

فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ٣٨ ص

فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ ٣٨ ص

إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ٣٨ ص

قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ ٣٨ ص

- ٧٢ لاوصافه من التغير والاسوداد والمسنونية اكتفاء بما ذكر في مواقع آخر (فإذا سويته) أى صورته بالصورة الإنسانية والخلقة البشرية أو سويت أجزاء بدنه بتعديل طوائمه (ونفخت فيه من روحى) النفخ إجرأه الريح إلى تجويف جسم صالح لإمساكها والامتلاء بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وإنما هو تمثيل لإفاضة مابه الحياة بالفعل على المادة القابلة لها أى فإذا كلمت استعدادده وأفضت عليه مايجبأ به من الروح التى هى من أمرى (فقعوا له) أمر من وقع وفيه دليل على أن المأمور به ليس مجرد الانحناء كما قيل أى اسقطوا له (ساجدين) تحية له وتكريماً (فسجد الملائكة) أى خلفه فسواء فنفع فيه الروح فسجد له الملائكة (كلهم) بحيث لم يبق منهم أحد إلا سجد (أجمعون) أى بطريق المعية بحيث لم يتأخر فى ذلك أحد منهم عن أحد ولا اختصاص لإفادة هذا المعنى بالحالية بل يفيد التأكيد أيضاً وقيل أكد بتأكيدين مبالغة فى التعميم هذا وأما أن سجودهم هذا هل ترتب على ما حكى من الأمر التعليق كما تقتضيه هذه الآية الكريمة والتى فى سورة الحجر فإن ظاهرهما يستدعى ترتبه عليه من غير أن يتوسط بينهما شئ غير مايفصح عنه الفاء الفصيحة من الخلق والتسوية ونفخ الروح أو على الأمر التنجيزى كما يقتضيه ما فى سورة البقرة وما فى سورة الأعراف وما فى سورة بنى إسرائيل وما فى سورة الكهف وما فى سورة طه من الآيات الكريمة فقد مر تحقيقه بتوفيق الله عز وجل فى سورة البقرة وسورة الأعراف
- ٧٤ (إلا إبليس) استثناء متصل لما أنه كان جنياً مفرداً مغموراً بألوف من الملائكة موصوفاً بصفاتهم فغلبوا عليه ثم استثنى استثناء واحد منهم أو لأن الملائكة جنساً يتوالدون وهو منهم أو منقطع وقوله تعالى (استكبر) على الأول استئناف مبين لكيفية ترك السجود المفهوم من الاستثناء فإن تركه يحتمل أن يكون للتأمل والتروى وبه يتحقق أنه للإباء والاستكبار وعلى الثانى يجوز اتصاله بما قبله أى لكن إبليس استكبر (وكان من الكافرين) أى وصار منهم بمخالفته الأمر واستكباره عن الطاعة أو كان منهم فى علم الله تعالى عز وجل (قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) أى خلقته بالذات من غير توسط أب وأم والثنية لإبراز كمال الاعتناء بخلقه عليه الصلاة والسلام المستدعى لإجلاله وإعظامه قصد إلى تأكيد الإنكار وتشديد التوبيخ (استكبرت) بهمزة الإنكار وطرح همزة الوصل أى أنكبرت من غير استحقاق (أم كنت من العالين) المستحقين للتفوق وقيل استكبرت الآن أم لم تزل منذ كنت من المستكبرين وقرئ بمحذف همزة الاستفهام ثقة بدلالة أم عليها .

- ٣٨ ص قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾
- ٣٨ ص قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَاجِمٌ ﴿٧٧﴾
- ٣٨ ص وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾
- ٣٨ ص قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾
- ٣٨ ص قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾

وقوله تعالى (قال أنا خير منه) ادعاء منه لشئ مستلزم لمنعه من السجود على رجمه وإشعار بأنه لا يليق أن يسجد
 الفاضل للمفضول كما يعرب عنه قوله لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون وقوله تعالى
 (خلقتني من نار وخلقته من طين) تعليل لما ادعاه من فضله عليه عليه الصلاة والسلام ولقد أخطأ اللعين حيث
 خص الفضل بآمن جهة المادة والعنصر وزل عنه ما من جهة الفاعل كما أنبأ عنه قوله تعالى لما خلقت بيدي
 وما من جهة الصورة كما نبه عليه قوله تعالى ونفخت فيه من روحي وما من جهة الغاية وهو ملاك الأمر
 ولذلك أمر الملائكة بسجوده عليهم السلام حين ظهر لهم أنه أعلم منهم بما يدور عليه أمر الخلافة في الأرض
 وأن له خواص ليست لغيره (قال فأخرج منها) الفاء لترتيب الأمر على ما ظهر من اللعين من المخالفة للأمر
 الجليل وتعليلها بالأباطيل أي فأخرج من الجنة أو من زمرة الملائكة وهو المراد بالأمر بالهبوط لا
 الهبوط من السماء كما قيل فإن وسوسته لأدم عليه السلام بعد هذا الطرد وقد بين كيفية وسوسته في سورة
 البقرة وقيل أخرج من الحلقة التي كنت فيها وانسلخ منها فإنه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته فأسود
 بعد ما كان أبيض وقبح بعد ما كان حسناً وأظلم بعد ما كان نورانياً وقوله تعالى (فإنك راجم) تعليل
 للأمر بالخروج أي مطرود من كل خير وكرامة فإن من يطرد يرحم بالحجارة أو شيطان يرحم بالشهب
 (وأن عليك لعنتي) أي إبعادي عن الرحمة وتقييدها بالإضافة مع إطلاقها في قوله تعالى وأن عليك
 ٧٨ اللعنة لما أن لعنة اللاعنين من الملائكة والثقلين أيضاً من جهته تعالى وأنهم يدعون عليه بلعنة الله تعالى
 وإبعاده من الرحمة (إلى يوم الدين) أي يوم الجزاء والعقوبة وفيه إيذان بأن اللعنة مع كمال فظاعتها
 ليست جزاء لجنايته بل هي أنموذج لما سيلقاه مستمر إلى ذلك اليوم لكن لا على أنها تنقطع يومئذ كما يوهمه
 ظاهر التوقيت بل على أنه سيلقى يومئذ من ألوان العذاب وأقانين العقاب ما ينسب عنده اللعنة وتصير
 كالزائل ألا يرى إلى قوله تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين وقوله تعالى ويلعن بعضهم بعضاً
 (قال رب فأنظرني) أي أهملني وأخرني والفاء متعلقة بمحذوف ينسحب عليه الكلام أي إذا جعلتني
 ٧٩ وجيماً فأهملني ولا تمتني (إلى يوم يبعثون) أي آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم وأراد بذلك أن يحدد
 فسحة لإخوانهم ويأخذ منهم ثأره وينجو من الموت بالكلية إذ لا موت بعد يوم البعث (قال فإنك
 ٨٠ من المنظرين) ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما سأله الآخرين على وجه يشعر

٣٨ ص

إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾

٣٨ ص

قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾

٣٨ ص

إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٨٣﴾

٣٨ ص

قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾

٣٨ ص

لَا مَلَأَن جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾

٨١ يكون السائل تبعاً لهم في ذلك دليل واضح على أنه إخبار بالإنظار المقدر لهم أزلاً لا إنشَاء لإنظار خاص به قد وقع إجابة لدعائه وأن استنظاره كان طلباً لتأخير الموت إذ به يتحقق كونه منهم لا لتأخير العقوبة كما قيل فإن ذلك معلوم من إضافة اليوم إلى الدين أي إنك من جملة الذين أخرت آجالهم أزلاً حسبما تقتضيه حكمة السكوتين (إلى يوم الوقت المعلوم) الذي قدره الله وعينه لفناء الخلائق وهو وقت النفخة الأولى لا إلى وقت البعث الذي هو المسئول فالفاء ليست لربط نفس الإنظار بالاستنظار بل لربط الإخبار المذكور به كما في قول من قال [فإن ترحم فأنت لذلك أهل] فإنه لا إمكان لجعل الفاء فيه لربط ماله تعالى من الأهلية القديمة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هي لربط الإخبار بتلك الأهلية للرحمة بوقوعها هذا وقد ترك التوقيت في سورة الأعراف كما ترك النداء والفاء في الاستنظار والإنظار تعويلاً على ما ذكرهنا وفي سورة الحجر وإن خطر ببالك أن كل وجه من وجوه النظم الكريم لا بد أن يكون له مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره وأن ما حكى من اللعين إنما صدر عنه مرة وكذا جوابه لم يقع إلا دفعة فقام الاستنظار والإنظار إن اقتضى أحد الوجوه المحكية فذلك الوجه هو المطابق لمقتضى الحال والبالغ إلى رتبة البلاغة ودرجة الإعجاز وأما ما عدها من الوجوه فهو بمنزل من بلوغ طبقة البلاغة فضلاً عن العروج إلى معارج الإعجاز فقد سلف تحقيقه في سورة الأعراف بفضل الله تعالى وتوفيقه (قال فبِعِزَّتِكَ) الباء للقسم والفاء لترتيب مضمون الجملة على الإنظار ولا ينافيه قوله تعالى فيما أغويتني وقوله رب بما أغويتني فإن إغواءه تعالى إياه أثر من آثار قدرته تعالى وعزته وحكم من أحكام قهره وسلطنته فآل الإقسام بهما واحد ولعل اللعين أقسم بهما جميعاً فحكي تارة قسمه بأحدهما وأخرى بالآخر أي ٨٢ فأقسم بعزتك (لا أغوينهم أجمعين) أي ذرية آدم بتزيين المعاصي لهم (إلا عبادك منهم المخلصين) وهم الذين أخلصهم الله تعالى لطاعته وعصمهم من الغواية وقرىء المخلصين على صيغة الفاعل أي الذين أخلصوا قلوبهم وأعمالهم لله تعالى (قال) أي الله عز وجل (فالحق والحق أقول) برفع الأول على أنه مبتدأ محذوف الخبر أو خبر محذوف المبتدأ ونصب الثاني على أنه مفعول لما بعده قدم عليه للقصراً أي لا أقول ٨٣ إلا الحق والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أي فالحق قسمي (لأملأن جهنم) على أن الحق إما اسمه تعالى ٨٤

ص ٣٨

قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾

ص ٣٨

إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾

ص ٣٨

وَلِتَعْلَمِنَّ نَبَإَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

أو نقيض الباطل عظمه الله تعالى بإقسامه به أو فأنا الحق أو فقولى الحق وقوله تعالى لا ملأن جهم الخ حينئذ جواب لقسم محذوف أى والله لا ملأن الخ وقوله تعالى والحق أقول على كل تقدير اعتراض مقرر على الوجهين الأولين المضمون الجملة القسمية وعلى الوجه الثالث المضمون الجملة المتقدمة أعني فقولى الحق وقرنا منصوبين على أن الأول مقسم به كقولك الله لا فعلن وجوابه لا ملأن وما بينهما اعتراض وقرنا مجرورين على أن الأول مقسم به قد أضمر حرف قسمه كقولك الله لا فعلن والحق أقول على حكاية لفظ المقسم به على تقدير كونه نقيض الباطل ومعناه التأكيد والتشديد وقرىء بجر الأول على إضمار حرف القسم ونصب الثانى على المفعولية (منك) أى من جنسك من الشياطين (ومن تبعك) فى الغواية والإضلال (منهم) من ذرية آدم (أجمعين) تأكيد للكاف وما عطف عليه أى لا ملأناهم من المتبوعين والأتباع أجمعين • كقوله تعالى لمن اتبعك منهم لا ملأن جهم منكم أجمعين وهذا القول هو المراد بقوله تعالى ولكن حق القول منى لا ملأن جهم من الجنة والناس أجمعين وحيث كان مناط الحكم ههنا أتباع الشيطان اتضح أن مدار عدم المشيئة فى قوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها اتباع الكفرة للشيطان بسوء اختيارهم لا تحقق القول فليس فى ذلك شائبة الجبر فتدبر (قل ما أسألكم عليه) على القرآن أو على تبليغ ما يوحى ٨٦ إلى (من أجر) دنيوى (وما أنا من المتكلفين) أى المتصنعين مما ليسوا من أهله حتى أنحل النبوة وأقول القرآن (إن هو) أى ما هو (إلا ذكر) من الله عز وجل (للعالمين) أى للتقلين كافة (ولتعلن نبأه) أى ٨٧، ٨٨ ما أنبأ به من الوعد والوعيد وغيرهما أو صحة خبره وأنه الحق والصدق (بعد حين) بعد الموت أو يوم القيامة أو عند ظهور الإسلام وفشوه وقيل من بقى علم ذلك إذا ظهر أمره وعلا ومن مات علمه بعد الموت وفيه من التهديد ما لا يخفى • عن رسول الله ﷺ من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصم أن يصر على ذنب صغير أو كبير وقال أبو أمامة عصمه الله تعالى من كل ذنب صغير أو كبير والله أعلم .

٣٩ — سورة الزمر

(مكية وآياتها خمس وسبعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٩ الزمر

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾

٣٩ الزمر

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ بِالْحَقِّ فَاْعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾

أَلِللهِ الدِّينَ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ

اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ٣٩ الزمر

(سورة الزمر مكية إلا قوله قل يا عبادي الآية وآياتها خمس وسبعون آية)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (تنزيل الكتاب) خبر لمبتدأ محذوف هو اسم إشارة أشير به إلى السورة تنزيلا لها منزلة الحاضر المشار إليه لكونها على شرف الذكر والحضور كما مر مرارا وقد قيل هو ضمير حائد إلى الذ كر في قوله تعالى إن هو إلا ذكر للعالمين وقوله تعالى (من الله العزيز الحكيم) صلة للتنزيل أو خبر ثان أو حال من التنزيل حاملها معنى الإشارة أو من الكتاب الذي هو مفعول معنى حاملها المضاف وقيل هو خبر لتنزيل الكتاب والوجه الأول أو في بمقتضى المقام الذي هو بيان أن السورة أو القرآن تنزيل الكتاب من الله تعالى لا بيان أن تنزيل الكتاب منه تعالى لا من غيره كما يفيد الوجه الأخير وقرئ تنزيل الكتاب بالنصب على إضمار فعل نحو أفرأ أو الزم والنعرض لوصفي العزة والحكمة للإيدان بظهور أثرهما في الكتاب بحريان أحكامه ونفاذ أوامره ونواهييه من غير مدافع ولا مانع وبإقتناء جميع ما فيه على أساس الحكم الباهرة وقوله تعالى (إنا أنزلناه إليك الكتاب بالحق) شروع في بيان شأن المنزل إليه وما يجب عليه أثر بيان شأن المنزل وكونه من عند الله تعالى والمراد بالكتاب هو القرآن وإظهاره على تقدير كونه هو المراد بالأول أيضاً لتعظيمه ومزيد الاعتناء بشأنه والباء إما متعلقة بالإنزال أى بسبب الحق وإثباته وإظهاره أو بداعية الحق واقتضائه للإنزال وإما بمحذوف هو حال من نون العظمة أو من الكتاب أى أنزلناه إليك محقين في ذلك أو أنزلناه ملتبساً بالحق والصواب أى كل ما فيه حق لا ريب فيه موجب للعمل به حتماً والفاء في قوله تعالى (فاعبد الله مخلصاً له الدين) لترتيب الأمر بالعبادة على إنزال الكتاب إليه عليه الصلاة والسلام بالحق أى فاعبد الله تعالى محضاً له الدين من شوائب الشرك والرياء حسبا بين في تضاعيف ما أنزل إليك وقرئ برفع الدين على أنه مبتدأ خبره الظرف المتقدم عليه لتأكيد الاختصاص المستفاد من اللام والجملة استئناف وقع تعليلا للأمر بإخلاص العبادة وقوله تعالى (ألا لله الدين الخالص)
- ٢
- ٣

لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ الزمر

- استئناف مقرر لما قبله من الأمر بإخلاص الدين له تعالى ووجوب الامتثال به وعلى القراءة الأخيرة مؤكدا لاختصاص الدين به تعالى أى ألا هو الذى يجب أن يخص بإخلاص الطاعة له لأنه المنفرد بصفات الألوهية التى من جملتها الاطلاع على السرائر والضمائر وقوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء) * تحقيق الحقبة ما ذكر من إخلاص الدين الذى هو عبارة عن التوحيد ببيان بطلان الشرك الذى هو عبارة عن ترك إخلاصه والموصول عبارة عن المشركين ومحل الرفع على الابتداء خبره ماسياقى من الجملة المصدرة بـ (إن) والأولياء عن الملائكة وعيسى عليهم السلام والأصنام وقوله تعالى (مانعبدكم إلا ليقرّبونا إلى الله زانين) حال بتقدير القول من واو اتخذوا مبينة لكيفية إشراكهم وعدم خلوص دينهم والاستثناء مفرغ من أعم العمل وزانين مصدر مؤكد على غير لفظ المصدر ملاق له فى المعنى أى والذين لم يخلصوا العبادة لله تعالى بل شاؤوها بعبادة غيره قائلين مانعبدكم لشيء من الأشياء إلا ليقرّبونا إلى الله تعالى تقرّبا (إن الله يحكم بينهم) أى وبين خصمائهم الذين هم المخلصون للدين وقد حذف لدلالة الحال عليه كما فى قوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله على أحد الوجهين أى بين أحد منهم وبين غيره وعليه قول الباقية [فما كان بين الخير لو جاء سالما . أبو حجر [لا ليال قلائل] أى بين الخير وبينى وقيل ضمير بينهم للفريقين جميعا (فبما هم فيه يختلفون) من الدين الذى اختلفوا فيه بالتوحيد والإشراك وادعى كل فريق منهم صحة ما انتهجه وحكمه تعالى فى ذلك إدخال الموحدين الجنة والمشرّكين النار فالضمير للفريقين هذا هو الذى يستدعيه مساق النظم الكريم وأما تجويز أن يكون الموصول عبارة عن المعبودين على حذف العائد إليه وإضمار المشرّكين من غير ذكر تعويلا على دلالة المساق عليهم ويكون التقدير والذين اتخذهم المشرّكون أولياء قائلين مانعبدكم إلا ليقرّبونا إلى الله إن الله يحكم بينهم أى بين العبد والمعبودين فيما هم فيه يختلفون حيث يرجو العبد شفاعتهم وهم يلعنونهم فبعد الإغضاء عما فيه من التعسفات بمنزل من السداد كيف لا وليس فيما ذكر من طلب الشفاعة واللعن مادة يختلف فيها الفريقان اختلافا محوجا إلى الحكم والفصل وإنما ذاك ما بين فريق الموحدين والمشرّكين فى الدنيا من الاختلاف فى الدين الباقى إلى يوم القيامة وقرئ قالوا مانعبدكم فهو بدل من الصلة لا خبر للموصول كما قيل إذ ليس فى الإخبار بذلك مزيد منية وقرئ مانعبدكم إلا لتقرّبونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم وقرئ نعبدهم إتباعا للباء (إن الله لا يهدي) أى لا يوفق للاهتداء إلى الحق الذى هو طريق النجاة عن المكروه والفوز بالمطلوب (من هو كاذب كفار) أى راسخ فى الكذب مبالغ فى الكفر كما يعرب عنه قراءة كذاب وكذب فإهما فافدان للبصيرة غير قابلين للاهتداء لتغييرهما الفطرة الأصلية بالتمرن فى الضلالة والتماهى فى الغى والجملة تعليل لما ذكر من حكمه تعالى (لو أراد الله أن يتخذ ولدا) الخ استئناف مسوق لتحقيق الحق وإبطال القول بأن الملائكة بنات الله وعيسى ابنه تعالى عن ذلك علوا كبيرا ببيان استحالة اتخاذ الولد فى حقه تعالى على الإطلاق ليندرج فيه استحالة
- ٣١٠ - أبى السعود ج ٧

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَتَخَّرَ
الْشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّورُ ﴿٣٩﴾

٣٩ الزمر

- ما قيل اندراجاً أولياً أى لو أراد الله أن يتخذ ولداً (لا صطفى) أى لا اتخذ (بما يخلق) أى من جملة ما يخلقه أو من جنس ما يخلقه (ما يشاء) أن يتخذه إذ لا موجود سواه إلا وهو مخلوق له تعالى لا متنازع تعدد الواجب ووجوب استناد جميع ما عداه إليه ومن البين أن اتخاذ الولد منوط بالمثالة بين المتخذ والمتخذ وأن المخلوق لا يماثل خالقه حتى يمكن اتخاذه ولداً فما فرضناه اتخاذ ولد لم يكن اتخاذ ولد بل اصطفاؤه عبد وإليه أشير حيث وضع الاصطفاؤه موضع الاتخاذ الذى تقتضيه الشرطية تنبها على استحالة مقدمه الاستلزام فرض وقوعه بل فرض الإرادة وقوعه انتفاءه أى لو أراد الله تعالى أن يتخذ ولداً لفعل شيئاً ليس هو من اتخاذ الولد فى شيء أصلاً بل وإنما هو اصطفاؤه عبد ولا ريب فى أن ما يستلزم فرض وقوعه انتفاءه فهو ممتنع قطعاً فكأنه قيل لو أراد الله أن يتخذ ولداً لا ممتنع ولم يصح لكن لا على أن الامتناع منوط بتحقيق الإرادة بل على أنه متحقق عند هدمها بطريق الأولوية على منوال لو لم يخف الله لم يهضمه وقوله تعالى (سبحانه) تقرير لما ذكر من استحالة اتخاذ الولد فى حقه تعالى وتأكيده ببيان تنزهه تعالى عنه أى تنزهه بالذات عن ذلك تنزهه الخاص به على أن السبحان مصدر من سبح إذا بعد أو أسبحه تسبيحاً لا نقاً به على أنه علم للتسبيح مقول على السنة •
- العباد أو سبحوه تسبيحاً حقيقياً بشأنه وقوله تعالى (هو الله الواحد القهار) استئناف مبين لتنزهه تعالى بحسب الصفات لإثبات تنزهه تعالى عنه بحسب الذات فإن صفة الألوهية المستتعبة لصفات الكمال النافية لسمات النقصان والوحدة الذاتية الموجبة لامتناع المثالة والمشاركة بينه تعالى وبين غيره على الإطلاق بما يقضى بتنزهه تعالى عما قالوا قضاء متقنا وكذا وصف القهارية لما أن اتخاذ الولد شأن من يكون تحت ملكوت الغير عرضة للفناء ليقوم ولده مقامه عند فئاته ومن هو مستحيل الفناء قهار لكل الكائنات •
- كيف يتصور أن يتخذ من الأشياء الفانية ما يقوم مقامه وقوله تعالى (خلق السموات والأرض بالحق) تفصيل لبعض أفعاله تعالى الدالة على تفرده بما ذكر من الصفات الجليلة أى خلقهما وما بينهما من الموجودات •
- ملتبسة بالحق والصواب مشتملة على الحكم والمصالح وقوله تعالى (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) بيان لكيفية تصرفه تعالى فيهما بعد بيان خلقهما فإن حدوث الليل والنهار فى الأرض منوط بتحريك السموات أى يغشى كل واحد منهما الآخر كأنه يلفه عليه لف اللباس على اللابس أو يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة أو يجعله كالأرض عليه كروراً متتابعاً تتابع أكوار العمامة وصيغة المضارع •
- الدلالة على التجدد (وسخر الشمس والقمر) جعلهما منقادين لأمره تعالى وقوله تعالى (كل يجرى لأجل مسمى) بيان لكيفية تسخيرهما أى كل منهما يجرى لمنتهى دورته أو منقطع حركته وقد مر تفصيله •
- غير مرة (ألا هو العزيز) الغالب القادر على كل شيء من الأشياء التى من جعلها عقاب المعصاة (الغفار) المبالغ فى المغفرة ولذلك لا يعاجل بالعقوبة وسلب ما فى هذه الصنائع البديعة من آثار الرحمة وتصدير

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً أَزْوَاجًا يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصَرِّفُونَ ﴿٦﴾

٣٩ الزمر

- الجملة بحرف التنبيه لإظهار كمال الاعتناء بمضمونها (خلقكم من نفس واحدة) بيان لبعض آخر من أفعاله ٦
- الدالة على ما ذكر وترك عطفه على خلق السموات للإيذان باستقلاله في الدلالة واتعلقه بالعالم السفلي والبداءة بخلق الإنسان لمرافقته في الدلالة لما فيه من تعجيب آثار القدرة وأسرار الحكمة وأصالته في المعرفة فإن الإنسان بحال نفسه أعرف والمراد بالنفس نفس آدم عليه السلام وقوله (ثم جعل منها زوجها) •
- عطف على محذوف هو صفة لنفس أى من نفس خلقها ثم جعل منها زوجها أو على معنى واحدة أى من نفس وحدث ثم جعل منها زوجها فشفعها أو على خلقكم لتفاوت ما بينهما في الدلالة فإنهما وإن كانتا آيتين دالتين على ما ذكر لكن الأولى لا استمرارها صارت معتادة وأما الثانية فحيث لم تكن معتادة خارجة عن قياس الأولى كما يشعر به التعبير عنها بالجمع دون الخلق كانت أدخل في كونها آية وأجلب للتعجب من السامع فعطفت على الأولى بتم دلالة على مباينتها لها فضلاً ومنزلة وتراخيا عنها فيما يرجع إلى زيادة كونها آية فهو من التراخي في الحال والمنزلة وقيل أخرج ذرية آدم من ظهره كالنمر ثم خلق منه حواء فقبه ثلاث آيات مترتبة خلق آدم عليه والسلام بلا أب وأم وخلق حواء من قصيره ثم تشعب الخلق الفئات للحصر منهما وقوله تعالى (وأُنزل لكم) بيان لبعض آخر من أفعاله الدالة على ما ذكر أى قضى أو قسم لكم فإن قضايه وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث تكتب في اللوح المحفوظ وأحدث لكم بأسباب نازلة من السماء كالأمطار وأشعة الكواكب (من الأنعام ثمانية أزواج) ذكر أبو أنثى هي الإبل والبقر والضأن والمعز وقيل خلقها في الجنة ثم أنزلها وتقدير الطرفين على المفعول الصريح لما مر مراراً من الاعتناء بما قدم والتشويق إلى ما أخر فإن كون الإنزال لنافعهم وكونه من الجهة العالية من الأمور المهمة المشوقة إلى ما أنزل لا محالة وقوله تعالى (يخلقكم في بطون أمهاتكم) استئناف مسوق لبيان كيفية خلقهم وأطواره المختلفة الدالة على القدرة الباهرة وصيغة المضارع الدلالة على التدرج والتجدد وقوله تعالى (خلقاً من بعد خلق) مصدر مؤكد أى يخلقكم فيها خلقاً كائناً من بعد خلق أى خلقاً مدرجاً حيواناً •
- سويّاً من بعد عظام مكسوة لحماً من بعد عظام عارية من بعد مضغ مخلقة من بعد مضغ غير مخلقة من بعد علقه من بعد نطفة (في ظلمات ثلاث) متعلق بخلقكم وهي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة أو •
- ظلمة الصلب والبطن والرحم (ذلكم) إشارة إليه تعالى باعتبار أفعاله المذكورة وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلته تعالى في العظمة والكبرياء ومحلّ الرفع على الابتداء أى ذلكم العظيم الشأن الذى عدت أفعاله (الله) وقوله تعالى (ربكم) خبر آخر أى مربيكم فيما ذكر من الأطوار وفيما بعده ما لكم المستحق لتخصيص العبادة به (له الملك) على الإطلاق في الدنيا والآخرة ليس لغيره شركة في ذلك بوجه

إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ

الْصُّدُورِ ﴿٣٩﴾

وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ

أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٤٠﴾

- من الوجوه والجملة خبر آخر وكذا قوله تعالى (لا إله إلا هو) والفاء في قوله تعالى (فإني تصرفون) لترتيب ما بعدها على ما ذكر من شئونه تعالى أي فكيف تصرفون عن عبادته تعالى مع وفور موجباتها ودواعيها وانتفاء الصارف عنها بالكلية إلى عبادة غيره من غير داع إليها مع كثرة الصوارف عنها (إن تكفروا) به تعالى بعد مشاهدة ما ذكر من فنون نعمائه ومعرفة شئونه العظيمة الموجبة للإيمان والشكر
- (فإن الله غني عنكم) أي فاعلموا أنه تعالى غني عن إيمانكم وشكركم غير متأثر من انتفائهما (ولا يرضى لعباده الكفر) أي عدم رضاه بكفر عباده لأجل منفعتهم ودفع مضرتهم رحمة عليهم لا لتضرره تعالى به (وإن تشكروا يرضه لكم) أي يرض الشكر لأجلكم ومنفعتكم لأنه سبب لفوزكم بسعادة الدارين لا لانتفاعه تعالى به وإنما قيل لعباده لآلئكم لتعميم الحكم وتعليله بكونهم عباده تعالى وقرىء بإسكان الهاء (ولا تزر وازرة وزر أخرى) بيان لعدم سراية كفر الكافر إلى غيره أصلاً أي لا تحمل نفس حاملة للوزر حمل نفس أخرى (ثم إلى ربكم مرجعكم) بالبعث بعد الموت (فينبئكم) عند ذلك (بما كنتم تعملون) أي كنتم تعملونه في الدنيا من أعمال الكفر والإيمان أي يجازيكم بذلك ثواباً وعقاباً (إنه عليم بذات الصدور) أي بمضمرات
- ٨ القلوب فكيف بالأعمال الظاهرة وهو تعليل للتنبيه (وإذا مس الإنسان ضر) من مرض وغيره (دعا ربه منيباً إليه) راجعاً إليه بما كان يدعو به في حالة الرخاء لعل به بأنه بمنزل من القدرة على كشف ضره وهذا وصف للجنس بحال بعض أفراد كقوله تعالى إن الإنسان لظلوم كفار (ثم إذا خوله نعمة منه) أي أعطاه نعمة عظيمة من جنابه تعالى من التخول وهو التعمد أي جعله خائل مال من قولهم فلان خائل مال إذا كان متعمداً له حسن القيام به أو من الخول وهو الافتخار أي جعله يخول أي يختال ويفتخر (نسي ما كان يدعو إليه) أي نسي الضر الذي كان يدعو الله تعالى فيما سبق إلى كشفه (من قبل) أي من قبل التخويل أو نسي ربه الذي كان يدعو به ويتضرع إليه لإمائه على أن ما بمعنى من كما في قوله تعالى وما خلق الذكر والآنثى وقوله تعالى ولا أتم عابدون ما أعبد وإما إيذاناً بأن نسيانه بلغ إلى حيث لا يعرف مدعوه ما هو فضلاً عن أن يعرفه من هو كما مر في قوله تعالى عما أُرْسِضت (وجعل لله أنداداً) شركاء في العبادة (ليضل) الناس بذلك (عن سبيله) الذي هو التوحيد وقرىء ليضل بفتح الياء أي يزداد ضلالاً أو يثبت عليه وإلا فأصل الضلال غير متأخر عن الجمل المذكور واللام اللام العاقبة كما في قوله تعالى

أَمَّنْ هُوَ قَلْبُكَ إِنَّآَ الْبَلَّ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾

٣٩ الزمر

فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً خلا أن هذا أقرب إلى الحقيقة لأن الجاعل ههنا قاصد بعمله المذكور حقيقة الإضلال والضلال وإن لم يعرف لجهله أنهما إضلال وضلال وأما آل فرعون فهم غير قاصدين بالتقاطهم العداوة أصلاً (قل) تهديداً لذلك الضال المضل وبياناً لحاله ومآله (تمتع بكفرك قليلاً) أى تمتعاً قليلاً أو زماناً قليلاً (إنك من أصحاب النار) أى من ملازميها والمغدين فيها على الدوام وهو تعليل لقلة التمتع وفيه من الإقناط من النجاة ما لا يخفى كأنه قيل إذ قد أبيت قبول ما أمرت به من الإيمان والطاعة فمن حَقَّك أن تؤمر بتركه لتذوق عقوبته (أم من هو قانت آناء الليل) الخ من تمام الكلام ٩ المأمور به وأم إما متصلة قد حذف معادها ثقة بدلالة مساق الكلام عليه كأنه قيل له تأكيداً للتهديد وتهكماً به أنت أحسن حالا ومآلاً أم من هو قائم بمواجب الطاعات ودائم على أداء وظائف العبادات في ساعات الليل حالى السراء والضراء لا عند مساس الضر فقط كدأبك حال كونه (ساجداً وقائماً) أى جامعاً بين الوصفين المحمودين وتقديم السجود على القيام لكونه أدخل في معنى العبادة وقرى كلاهما بالرفع على أنه خبر بعد خبر (يحذر الآخرة) حال أخرى على الترادف أو التداخل أو استئناف وقع جواباً عما نشأ من حكاية حاله من القنوت والسجود والقيام كأنه قيل ما باله يفعل ذلك فقل يحذر عذاب الآخرة (ويرجو رحمة ربه) فينجو بذلك عما يحذره ويفوز بما يرجوه كما ينهى عنه التعرض لعنوان الربوبية المنبثة عن التبليغ إلى الكمال مع الإضافة إلى ضمير الراجي لا أنه يحذر ضر الدنيا ويرجو خيرها فقط وإما منقطعة وما فيها من الإضراب للانتقال من التهديد إلى التبكيت بتكليف الجواب الملقى إلى الاعتراف بما بينهما من التباين البين كأنه قيل بل أم من هو قانت الخ أفضل أم من هو كافر مثلك كما هو المعنى على قراءة التخفيف (قل) بياناً للحق وتنبيهاً على شرف العلم والعمل (هل يستوى الذين يعلمون) حقائق الأحوال فيعملون بموجب علمهم كالقائات المذكور (والذين لا يعلمون) أى ما ذكر أو شيئاً فيعملون بمقتضى جهلهم وضلالهم كدأبك والاستفهام للتنبيه على أن كون الأولين في أعلى معارج الخير وكون الآخرين في أقصى مدارج الشر من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على أحد من منصف ومكابرو قيل هو وارد على سبيل التشبيه أى كما لا يستوى العالمون والجاهلون لا يستوى القانتون والعاصون وقوله تعالى (إنما يتذكر أولو الأبواب) كلام مستقل غير داخل في الكلام المأمور به وورد من جهته تعالى بعد الأمر بما ذكر من القوارع الزاجرة عن الكفر والمعاصي لبيان عدم تأثير هافى قلوب الكفرة باختلال عقولهم كما في قول من قال [عوجوا فخبوا النعمى دمنة الدار ما ذا تحيون من توى وأحجار] أى إنما يتعظ بهذه البيانات الواضحة أصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وهؤلاء بمعزل من ذلك وقرى إنما يذكر بالإدغام .

قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ

إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٤٠﴾

وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٤١﴾

- ١٠ (قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم) أمر رسول الله ﷺ بتذكير المؤمنين وحملهم على التقوى والطاعة إثر تخصيص التذكر بأولى الأبواب إيداناً بأنهم هم كما سيصرح به أى قل لهم قولى هذا بعينه وفيه تشرىف لهم بإضافتهم إلى ضمير الجلالة ومزيد اعتناء بشأن المأمور به فإن نقل عين أمر الله أدخل في إيجاب الامثال به وقوله تعالى (الذين أحسنوا) تعليل للأمر أو لوجوب الامثال به وإيراد الإحسان في حيز الصلة دون التقوى للإيدان بأنه من باب الإحسان وأنهما متلازمان وكذا الصبر كما مر في قوله تعالى إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفي قوله تعالى إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين وقوله تعالى (في هذه الدنيا) متعلق بأحسنوا أى عملوا الأعمال الحسنة في هذه الدنيا على وجه الإخلاص وهو الذى عبر عنه رسول الله ﷺ حين سئل عن الإحسان بقوله ﷺ أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك (حسنة) أى حسنة عظيمة لا يكتسبها ولا يكتسبها ولا يكتسبها ولا يكتسبها (وأرض الله واسعة) فمن تعمّر عليه التوفّر على التقوى والإحسان في وطنه فليهاجر إلى حيث يتمكن فيه من ذلك كما هو سنة الأنبياء والصالحين فإنه لا عذر له في التفريط أصلاً وقوله تعالى (إنما يوفى الصابرون) الخ ترغيب في التقوى المأمور بها وإيثار الصابرين على المتقين للإيدان بأنهم حائزون لفضيلة الصبر كجيازتهم لفضيلة الإحسان لما أشير إليه من استلزام التقوى لهما مع ما فيه من زيادة حث على المصابرة والمجاهدة في تحمل مشاق المهاجرة ومتاعبها أى إنما يوفى الذين صبروا على دينهم وحافظوا على حدوده ولم يفرطوا في مراعاة حقوقه لما اعترام في ذلك من فنون الآلام والبلايا التى من جعلتها مهاجرة الأهل ومفارقة الأوطان (أجرهم) بمقابلة ما كابدوا من الصبر (بغير حساب) أى بحيث لا يحصى ولا يحصر عن ابن عباس رضى الله عنهما لا يهتدى إليه حساب الحساب ولا يعرف وفى الحديث أنه تنصب الموازين يوم القيامة لأهل الصلاة والصدقة والحج فيؤتون بها أجورهم ولا تنصب لأهل البلاء بل يصب عليهم الأجر صبا حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرر بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل (قل إنى أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ) أى من كل ما ينافيه من الشرك والرياء وغير ذلك أمر رسول الله ﷺ ببيان ما أمر به نفسه من الإخلاص في عبادة الله الذى هو عبارة عما أمر به المؤمنون من التقوى مبالغة في حثهم على الإتيان بما كلفوه وتمهيداً لما يعقبه مما
- ١٢ خوطب به المشركون (وأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ) أى وأُمِرْتُ بذلك لأجل أن أكون مقدمهم

قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ الزمر

قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ الزمر

فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَّا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ الزمر

لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبَادُونَ فَاتَّقُوا ﴿١٦﴾ الزمر

في الدنيا والآخرة لأن إحراز قصب السبق في الدين بالإخلاص فيه والعطف لمغايرة الثاني الأول بتفقيه بالعلة والإشعار بأن العبادة المذكورة كما تقتضي الأمر بها لذاتها تقتضيه لما يلزمها من السبق في الدين ويجوز أن تجعل اللام مزيدة كما في أردت لأن أقوم بدليل قوله تعالى أمرت أن أكون أول من أسلم فالعنى وأمرت أن أكون أول من أسلم من أهل زمانى أو من قومى أو أكون أول من دعا غيره إلى مادعا إليه نفسه (قل إنى أخاف إن عصيت ربي) يترك الإخلاص والميل إلى ما أنتم عليه من الشرك ١٣ (عذاب يوم عظيم) هو يوم القيامة وصف بالعظمة لعظمة ما فيه من الدواهي والأحوال (قل الله أعبد) ١٤ لا غيره لاستقلاله ولا اشتراكا (مخلصاً له ديني) من كل شوب أمر بشيء أولاً ببيان كونه مأموراً بعبادة الله تعالى وإخلاص الدين له ثم بالإخبار بخوفه من العذاب على تقدير العصيان ثم بالإخبار بامتناله بالأمر على أبلغ وجه وآكده إظهاراً لتصلبه في الدين وحسباً لأطباعهم الفارغة وتمهيداً لتهديدهم بقوله تعالى (فاعبدوا ما شئتم) أن تعبدوه (من دونه) تعالى وفيه من الدلالة على شدة الغضب عليهم ما لا يخفى ١٥ كأنهم لما لم ينتهوا عما نهوا عنه أمروا به كي يحل بهم العقاب (قل إن الخاسرين) أى الكاملين في الخسران الذى هو عبارة عن إضاعة ما يهيمه وإتلاف ما لا بد منه (الذين خسروا أنفسهم وأهليهم) باختيارهم الكفر لها أى أضاعوها وأتلفوها (يوم القيامة) حين يدخلون النار حيث عرضوا للعذاب السرمدى وأوقعوها في هلكة لا هلكة وراءها وقيل خسروا أهليهم لأنهم إن كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وإن كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهاباً لا إياب بعده وفيه أن المحذور ذهاب ما لو أب لا تنفع به الخاسر وذلك غير متصور في الشق الأخير وقيل خسروهم لأنهم لم يدخلوا مدخل الذين لهم في أهل الجنة وخسروا أهليهم الذين كانوا يتمتعون بهم لو آمنوا وأياً ما كان فليس المراد مجرد تعريف الكاملين في الخسران بما نذكر بل بيان أنهم هم إما بمحمل الموصول عبارة عنهم أو عما هم مندرجون فيه اندراجاً أولياً وما في قوله تعالى (ألا ذلك هو الخسران المبين) من استئناف الجملة وتصديرها بحرف التنبيه والإشارة بذلك إلى بعد منزلة المشار إليه في الشر وتوسيط ضمير الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين من الدلالة على كمال هول وفظاعته وأنه لا خسران وراءه ما لا يخفى وقوله تعالى (لهم من فوقهم ١٦

وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادَ ﴿١٧﴾ ٣٩ الزمر
الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا
الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾

٣٩ الزمر

أَفَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١٩﴾

٣٩ الزمر

ظلل من النار) الخ نوع بيان لخسرانهم بعد تنويره بطريق الإبهام على أن لهم خبر لظلال ومن فوقهم متعلق
بمحذوف قيل هو حال من ظلل والأظهر أنه حال من الضمير في الطرف المقدم ومن النار صفة لظلال
• أي لهم كائنة من فوقهم ظلال كثيرة متراكبة بعضها فوق بعض كائنة من النار (ومن تحتم) أيضاً (ظلال)
• أي أطباق كثيرة بعضها تحت بعض ظلال لآخرين بل لهم أيضاً عند ترددهم في دركاتها (ذلك) العذاب
• الفظيع هو الذي (يخوف الله به عباده) ويحذرهم إياه بآيات الوعيد ليجتنبوا ما يوقعهم فيه (بأبعاد فانقون)
ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي وهذه عظة من الله تعالى بالغة منطوية على غاية اللطف والرحمة وقرىء
١٧ يا عبادي (والذين اجتنبوا الطاغوت) أي البالغ أقصى غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين
بنى للبالغة في المصدر كالرحوت والعظمت ثم وصف به للبالغة في النعت والمراد به هو الشيطان (أن
• يعبدوها) بدل اشتغال منه فإن عبادة غير الله تعالى عبادة للشيطان إذ هو الأمر بها والمزين لها (وأنا بوا
إلى الله) وأقبلوا إليه معرضين عما سواه إقبالا كلياً (لهم البشري) بالثواب على السنة الرسل أو الملائكة
١٨ عند حضور الموت وحين يحشرون وبعد ذلك (فبشر عباد) (الذين يستمعون القول فيتبعون
أحسنه) هم الموصوفون بالاجتناب والإجابة بأعيانهم لكن وضع موضع ضمير الظاهر تشریفاً لهم
بالإضافة ودلالة على أن مدار انصافهم بالوصفين الجليلين كونهم نقاداً في الدين يميزون الحق من الباطل
• ويؤثرون الأفضل فالأفضل (أولئك) إشارة إليهم باعتبار انصافهم بما ذكر من النعوت الجليلة وما فيه
من معنى البعد الإيذان بعلو مرتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل ومحل الرفع على الابتداء خبره ما بعده من
• الموصول أي أولئك المنعوتون بالمحاسن الجميلة (الذين هدام الله) للدين الحق (وأولئك هم أولو الألباب)
أي هم أصحاب العقول السليمة عن معارضة الوهم ومنازعة الهوى المستحقون للهداية لا غيرهم وفيه دلالة
١٩ على أن الهداية تحصل بفعل الله تعالى وقبول النفس لها (أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من
في النار) بيان لأحوال أضداد المذكورين على طريقة الإجمال وتسجيل عليهم بحرمان الهداية وهم
عبدة الطاغوت ومتبعو خطواتها كما يلوح به التعبير عنهم بمن حق عليه كلمة العذاب فإن المراد بها
قوله تعالى لإبليس لا ملأ من جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين وقوله تعالى لمن تبعك منهم لا ملأ من
جهنم منكم أجمعين وأصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه على أنها شرطية دخل عليها الهمزة
لإنكار مضمونها ثم الفاء لمطفها على جملة مستتبعة لها مقدرة بعد الهمزة ليعتلق الإنكار والنفي بمضمونيها

لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾

٣٩ الزمر

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْحُطًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾

٣٩ الزمر

- معاً أى أنت مالك أمر الناس فن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه ثم كررت الهمزة في الجزاء لنا كيد الإنكار وتذكيره لما طال الكلام ثم وضع موضع الضمير من في النار لمزيد تشديد الإنكار والاستبعاد والتنبيه على أن المحكوم عليه بالعذاب بمنزلة الواقع في النار وأن اجتهاده بالتقوى في دعائهم إلى الإيمان سعى في إنقاذهم من النار ويجوز أن يكون الجزاء محذوفاً وقوله تعالى أفأنت الخ جملة مستقلة مسوقة لتقرير مضمون الجملة السابقة وتعيين ما حذف منها وتشديد الإنكار بتنزيل من استحق العذاب منزلة من دخل النار وتصوير الاجتهاد في دعائه إلى الإيمان بصورة الإنقاذ من النار كأنه قيل أولاً أفن حق عليه العذاب فأنت تخلّصه منه ثم شدد النكير فقيل أفأنت تنقذ من في النار وفيه تلويح بأنه تعالى هو الذى يقدر على الإنقاذ لا غيره وحيث كان المراد بمن في النار الذين قيل في حقهم لهم من فوقهم ظلال من النار ومن تحتهم ظلال استدرك منهم بقوله تعالى (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف) ٢٠ وهم الذين خوطبوا بقوله تعالى يا عباد فاتقون ووصفوا بما عدد من الصفات الفاضلة وهم المخاطبون أيضاً فيها سبق بقوله تعالى يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم الآية وبين أن لهم درجات طالية في جنات النعيم بمقابلة ما للكفرة من دركات سافلة في الجحيم أى لهم علالي بعضها فوق بعض (مبنية) بناء المنازل المبنية المؤسسة على الأرض في الرصانة والإحكام (تجرى من تحتها) من تحت تلك الغرف (الأنهار) من غير تفاوت بين العلو والسفل (وعد الله) مصدر مؤكد لقوله تعالى لهم غرف الخ فإنه وعد وأى وعد (لا يخلف الله الميعاد) لاستحالة عليه سبحانه (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) استئناف وارد لإماتة التمثيل ٢١ الحياة الدنيا في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال بما ذكر من أحوال الزرع ترغيباً عن زخارفها وزينتها وتحذيراً من الاغترار بزهرتها كما في نظائر قوله تعالى إنما مثل الحياة الدنيا الآية أو للاستشهاد على تحقق الموعود من الأنهار الجارية من تحت الغرف بما يشاهد من إنزال الماء من السماء وما يترتب عليه من آثار قدرته تعالى وأحكام حكمته ورحمته والمراد بالماء المطر وقيل كل ماء في الأرض فهو من السماء يزل منها إلى الصخرة ثم يقسمه الله تعالى بين البقاع (فسلكه) فأدخله ونظمه (ينبيع في الأرض) أى عيوناً ومجارى كالعروق في الأجساد وقيل مياهاً نابية فيها فإن ينبوع يطلق على المنبع والتابع فنصبها على الحال وعلى الأول بنزع الجار أى في ينبيع (ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه) أصنافه من بر وشعير وغيرهما أو كيفاته من الألوان والطعوم وغيرهما وكلمة ثم للترأخى في الرتبة أو الزمان وصيغة المضارع لاستحضار
- ٣٢ - أبى السدود ٧٤

أَفَنَ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ قَوِيلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ
أَوَّلَتِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾

٣٩ الزمر

• الصورة (ثم يهيج) أى يتم جفافه ويشرف على أن يشور من منابته (فتراه مصفراً) من بعد خضرته ونضرتة وقرىء مصفراً (ثم يجعله حطاماً) فتناً متكسرة كأن لم يكن بالأمس ولكون هذه الحالة من الآثار القوية علفت بحمل الله تعالى كالإخراج (إن فى ذلك) إشارة إلى ما ذكر تفصيلاً وما فيه من معنى البعد للإيدان ببعد منزلته فى الغرابة والدلالة على ما قصد بيانه (لذكرى) لذكر كبيراً عظيماً (لاولى الآل باب) لأصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلال وتنبهاً لهم على حقيقة الحال يتذكرون بذلك أن حال الحياة الدنيا فى سرعة التقضى والانصرام كما يشاهدونه من حال الحطام كل عام فلا يغترون بهجتها ولا يفتنون بفتنتها أو يحزمون بأن من قدر على إنزال الماء من السماء وإجرائه فى بنايع الأرض قادر على إجراء الأنهار من تحت الغرف هذا وأما ما قيل إن فى ذلك لذكر كبيراً وتنبهياً على أنه لا بد من صانع حكيم وأنه كائن عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل وإهمال فبمعزل من تفسير الآية الكريمة وإنما يليق ذلك بما لو ذكر ما ذكر من الآثار الجليلة والأفعال الجميلة من غير إسناد لها إلى مؤثر ما لحيت ذكرت مسندة إلى الله عز وجل لعين أن يكون متعلق التذكير والتنبيه بشئونه تعالى أو شئون آثاره حسبما بين لا وجوده تعالى وقوله

٢٢ تعالى (أفمن شرح الله صدره للإسلام) الخ استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من تخصيص الذكرى بأولى الآل باب وشرح الصدر للإسلام عبارة عن تكميل الاستعداد له فإنه محل للقلب الذى هو منبع للروح التى تتعلق بها النفس القابلة للإسلام فأنشراحه مستعد لا تساع القلب واستضاءته بنوره فإنه روى أنه ﷺ قال إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقليل فما علامة ذلك قال ﷺ الإجابة إلى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للبوت قبل نزوله والكلام فى الهمزة والفاء كالذى مر فى قوله تعالى أفمن حق عليه كلمة العذاب وخبر من محذوف لدلالة ما بعده عليه والتقدير أكل الناس سواء فمن شرح الله صدره أى خلقه متسع الصدر مستعداً للإسلام فبقى على الفطرة الأصلية ولم يتغير بالعوارض المكتسبة الفادحة فيها (فهو) بموجب ذلك مستقر (على نور) عظيم (من ربه) وهو اللطف الإلهى الفاضل عليه عند مشاهدة الآيات التكوينية والتنزيلية والتوفيق للاهتمام بها إلى الحق كمن قسا قلبه وخرج صدره بسبب تبديل فطرة الله بسوء اختياره واستولى عليه ظلمات الغى والضلالة فأعرض عن تلك الآيات بالسكينة حتى لا يتذكر بها ولا يفتننهما (قويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) أى من أجل ذكره الذى حقه أن تشرح له الصدور وتطمئن به القلوب أى إذا ذكر الله تعالى عندهم أو آياته اشتملوا من أجله وازدادت قلوبهم قساوة كقوله تعالى فزادتهم رجساً وقرىء عن ذكر الله أى عن قبوله (أو أهلك) البعداء الموصوفون بما ذكر من قساوة القلوب (فى ضلال) بعد عن الحق (مبين) ظاهر كونه ضلالاً لكل أحد قليل نزلت الآية فى حمزة وعلى رضى الله عنهما وأبى لهب وولده وقيل فى عمار بن

اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ مُضِلٌّ

مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾

٣٩ الزمر

- ياسر رضى الله عنه وأبى جهم وذويه (الله نزل أحسن الحديث) هو القرآن الكريم روى أن أصحاب ٢٣ رسول الله ﷺ ملوا ملة فقالوا له ﷺ حدثنا حديثاً وعن ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهم قالوا لو حدثتنا فنزلت والمعنى أن فيه مندوحة عن سائر الأحاديث وفي إيقاع الاسم الجليل مبتدأ وبناء نزل عليه من تفخيم أحسن الحديث ورفع محله والاستشهاد على حسنه وتأكيده استناده إليه تعالى وأنه من عنده لا يمكن صدوره عن غيره والنبيه على أنه وحى معجز مالا يخفى (كتاباً) بدل من أحسن الحديث * أو حال منه سواء اكتسب من المضاف إليه تعريفاً أو لافان مساعجىء الحال من النكرة المضافة اتفاقاً ووقوعه حالاً مع كونه اسماً لصفة إما لا تصافه بقوله تعالى (متشابهاً) أو لكونه في قوة مكتوباً ومعنى كونه متشابهاً تشابه معانيه في الصحة والإحكام والابتناء على الحق والصدق واستنباع منافع الخلق في المعاد والمعاش وتناسب ألفاظه في الفصاحة وتجاوب نظمه في الإعجاز (مثنى) صفة أخرى لكتاباً أو حال أخرى منه وهو جمع مثنى بمعنى مكرر لما ثنى من قصصه وأنبائه وأحكامه وأوامره ونواهيته ووعدته ووعيدته ومواظله وقيل لأنه يثنى في التلاوة وقيل هو جمع مثنى مفعول من التثنية بمعنى التكرير والإعادة كما في قوله تعالى فارجع البصر كرتين أى كرة بعد كرة ووقوعه صفة لكتاباً باعتبار تفاصيله كما يقال القرآن سور وآيات ويجوز أن ينتصب على التمييز من متشابهاً كما يقال رأيت رجلاً حسناً شمائلاً أى شمائله والمعنى متشابهة مثنائه (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) قيل صفة لكتاباً أو حال منه لتخصصه بالصفة والإظهار أنه استئناف مسوق لبيان آثاره الظاهرة في سامعيه بعد بيان أوصافه في نفسه ولتقرير كونه أحسن الحديث والاقشعرار التقبض يقال اقشعر الجلد إذا تقبض تقبضاً شديداً أو تركيبه من القشع وهو الأديم اليابس قد ضم إليه الرائ ليسكون رباعياً ودالا على معنى زائد يقال اقشعر جلده وقف شعره إذا عرض له خوف شديد من منكر هائل دهمه بغته والمراد إما بيان إفراط خشيتهم بطريق التمثيل والتصوير أو بيان حصول تلك الحالة وعروضها لهم بطريق التحقيق والمعنى أنهم إذا سمعوا القرآن وقوارع آياته وعيده أصابهم هيبه وخشية تقشعر منها جلودهم وإذا ذكروا رحمة الله تعالى تبدلت خشيتهم رجاء ورهبتهم رغبة وذلك قوله تعالى (ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) أى ساكنة مطمئنة إلى ذكر رحمته تعالى وإنما لم يصرح بها ليداناً بأنها أول ما يخطر بالبال عند ذكره تعالى (ذلك) أى الكتاب الذى شرح أحواله (هدى الله يهدى به من يشاء) أن يهديه بصرف مقدوره إلى الهداء بتأمله فيما في تضاعيفه من شواهد الحقيقة ودلائل كونه من عند الله تعالى (ومن يضلل الله) أى يخلق فيه الضلالة * بصرف قدرته إلى مبادئها وإعراضه عما يرشده إلى الحق بالكلية وعدم تأثره بوعيدته ووعدته أصلاً أو

أَفَنِ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ الزمر ٣٩

كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاتَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ الزمر ٣٩

فَإِذَا قَهُمُ اللَّهُ الْحَزَنَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِ الْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ الزمر ٣٩

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ الزمر ٣٩

قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ الزمر ٣٩

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ

بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ الزمر ٣٩

- * ومن يخذل (فاله من هاد) يخلصه من ورطة الضلال وقيل ذلك الذي ذكر من الخشية والرجاء أثر هداه تعالى يهدى بذلك الأثر من يشاء من عباده ومن يضل أي ومن لم يؤثر فيه لطفه لقسوة قلبه وإصراره على لجوره فاله من هاد من مؤثر فيه بشيء قط (أفن يتقي بوجهه) الخ استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من تبين حالي المهتدي والضال والكلام في الهمزة والفاء وحذف الخبر كالذي مر في نظيره والتقدير *
- * أكل الداس سواء فن شأنه أنه بقي نفسه بوجهه الذي هو أشرف أعضائه (سوء العذاب) أي العذاب السيء الشديد (يوم القيامة) لكون يده التي بها كان يتقي المكروه والخواف مغلولة إلى عنقه كمن هو آمن لا يعتريه مكروه ولا يحتاج إلى الاتقاء بوجهه من الوجوه وقيل نزلت في أبي جهل (وقيل للظالمين) عطف على يتقي أي ويقال لهم من جهة خزنة النار وصيغة الماضي الدلالة على التحقق والتقرر وقيل هو حال من ضمير يتقي بإضمار قد ووضع المظهر في مقام المضمحل للتسجيل عليهم بالظلم والإشعار بعله الأمر في قوله تعالى (ذوقوا ما كنتم تكسبون) أي وبال ما كنتم تكسبون في الدنيا على الدوام من الكفر والمعاصي
- ٢٤ (كذب الذين من قبلهم) استئناف مسوق لبيان ما أصاب بعض الكفرة من العذاب الدنيوي لإثبات ما يصيب الكل من العذاب الآخروي أي كذب الذين من قبلهم من الأمم السالفة (فأنهم العذاب) المقدر لكل أمة منهم (من حيث لا يشعرون) من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم لإثبات الشر منها
- ٢٥ (فإذا قهم الله الحزنى) أي الذل والصغار (في الحياة الدنيا) كالمسخ والحسف والقتل والسي والإجلاء ونحو ذلك من فنون النكال (ولعذاب الآخرة) المعد لهم (أكبر) لشدة وسرمديته (لو كانوا يعلمون)
- ٢٦ أي لو كان من شأنهم أن يعلموا شيئاً لعلموا ذلك واعتبروا به (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) يحتاج إليه الناظر في أمور دينه (لعلهم يتذكرون) كي يتذكروا به ويتعظوا (قرآنًا عربياً) حال مؤكدة من هذا على أن مدار التأكيده هو الوصف كقولك جاءني زيد رجلاً صالحاً أو مدح له (غير ذي عوج) لا اختلاف فيه بوجهه من الوجوه فهو أبلغ من المستقيم وأخص بالمعاني وقيل المراد بالعوج الشك
- ٢٧ (لعلهم يتقون) علة أخرى مترتبة على الأولى (ضرب الله مثلاً رجلاً فيه إيراد شركاء متشاكسون)

٣٩ الزمر

إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾

٣٩ الزمر

ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

لمثل من الأمثال القرآنية بعد بيان أن الحكمة في ضربها هو التذكير والاتعاظ بها وتحصيل التقوى والمراد بضرب المثل ههنا تطبيق حالة عجيبة بأخرى مثلها وجعلها مثلها كما مر في سورة يس ومثلا مفعول ثان لضرب ورجلا مفعوله الأول آخر عن الثاني للتشويق إليه ولينصل به ما هو من تتمته التي هي العمدة في التمثيل وفيه ليس بصلة لشركاء كما قيل بل هو خبر له وبيان أنه في الأصل كذلك مما لا حاجة إليه والجملة في حيز النصب على أنه وصف لرجلا أو الوصف هو الجبار والمجور وشركاء مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على الموصوف فالمعنى جعل الله تعالى مثلاً للبشر حسب ما يقود إليه مذهبه من ادعاء كل معبود به عبوديته عبداً يشارك فيه جماعة يتجاذبون ويتعاورون في مهماتهم المتباينة في تحييره وتوزع قلبه (ورجلا) أى وجعل للوحد مثلاً رجلاً (سليماً) أى خالصاً (لرجل) فرد ليس بغيره عليه سبيل أصلاً وقرىء سليماً بفتح السين وكسرها مع سكون اللام والكل مصادر من سلم له كذا أى خلص نعت بها مباغة أو حذف منها ذو وقرىء سالماً وسالم أى وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لأنه أفطن لما يجرى عليه من الضر والنفع (هل يستويان مثلاً) إنكار واستبعاد لاستوائهما ونفى له على أبلغ وجه وآ كده وإيدان بأن ذلك من الجلاء والظهور بحيث لا يقدر أحد أن يتفوه باستوائهما أو يتلغم في الحكم بتباينهما ضرورة أن أحدهما في أعلى عليين والآخر في أسفل سافلين وهو السر في إيهام الفاضل والمفضول وانتصاب مثلاً على التمييز أى هل يستوى حالهما وصفتهما والاختصار في التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرىء مثلين كقوله تعالى أكثر أموالاً وأولاداً للإشعار باختلاف النوع ولأن المراد هل يستويان في الوصفين على أن الضمير للمثليين لأن التقدير مثل رجل فيه الخ ومثل رجل الخ وقوله تعالى (الحمد لله) تقرير لما قبله من نفي الاستواء بطريق الاعتراض وتنبيه الموحدين على أن ما لهم من المزية بتوفيق الله تعالى وأنها نعمة جليلة موجهة عليهم أن يداموا على حمده وعبادته أو على أن يبينه تعالى بضرب المثل أن لهم المثل الأعلى وللمشركين مثل السوء صنع جميل ولطف تام منه عز وجل مستوجب لمحده وعبادته وقوله تعالى (بل أكثرهم لا يعلمون) إضراب وانتقال من بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور إلى بيان أن أكثر الناس وهم المشركون لا يعلمون ذلك مع كمال ظهوره فيبقون في ورطة الشرك والضلال وقوله تعالى (إنك ميت وإنهم ميتون) تمهيد لما يعقبه من الاختصاص يوم القيامة وقرىء مائت ومائتون ٣٠ وقبل كانوا يتربصون برسول الله ﷺ موته أى إنكم جميعاً بصدد الموت (ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم) أى مالك أموركم (تختصمون) فتحتمج أنت عليهم بأنك بلغتهم ما أرسلت به من الأحكام والمواظ التي من جملتها ما في تضاعيف هذه الآيات واجتهدت في الدعوة إلى الحق حق الاجتهاد وهم قد لجوا في المكابرة والعناد وقيل المراد به الاختصاص العام الجاري في الدنيا بين الأنام والأول هو الأظهر لأن نسب بقوله

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى
لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾

٣٩ الزمر

٣٩ الزمر

وَالَّذِي جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾

٣٩ الزمر

لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾

لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ ٣٩ الزمر

٣٢ تعالى (فمن أظلم ممن كذب على الله) فإنه إلى آخره مسوق لبيان حال كل من طر في الاختصاص الجارى في شأن الكفر والإيمان لا غير أى أظلم من كل ظالم من افترى على الله سبحانه وتعالى بأن أضاف إليه الشريك والولد (وكذب بالصدق) أى بالامر الذى هو عين الحق ونفس الصدق وهو ما جاء به النبي ﷺ (إذ جاءه) أى فى أول مجيئه من غير تدبر فيه ولا تأمل (أليس فى جهنم مثوى للكافرين) أى لهؤلاء الذين افتروا على الله سبحانه وسارعوا إلى التكذيب بالصدق من أول الامر والجمع باعتبار معنى من كما أن الأفراد فى الضمائر السابقة باعتبار لفظها أو لجنس الكفرة وهم داخلون فى الحكم دخولا أولياً (والذى جاء بالصدق وصدق به) الموصول عبارة عن رسول الله ﷺ ومن تبعه كما أن المراد فى قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون هو عليه الصلاة والسلام وقومه وقيل عن الجنس المتناول الرسل والمؤمنين بهم ويؤيده قراءة ابن مسعود رضى الله عنه والذين جاءوا بالصدق وصدقوا به وقيل هو صفة لموصوف محذوف هو الفوج أو الفريق (أولئك) الموصوفون بما ذكر من الحجى بالصدق والتصديق به (هم المتقون) المنعوتون بالتقوى التى هى أجل الرغائب وقرىء بالصدق به بالتخفيف أى صدق به الداس فأداه إليهم كما نزل عليه من غير تغيير وقيل وصار صادقاً به أى بسببه لأن ما جاء به من القرآن معجزة دالة على صدقه ﷺ وقرىء صدق به على البناء للمفعول (لهم ما يشاءون عند ربهم) بيان لما لهم فى الآخرة من حسن المآب بعد بيان ما لهم فى الدنيا من محاسن الأعمال أى لهم كل ما يشاءون من جلب المنافع ودفع المضار فى الآخرة لا فى الجنة فقط لما أن بعض ما يشاءونه من تكفير السيئات والأمن من الفزع الأكبر وسائر أهوال القيامة إنما يقع قبل دخول الجنة (ذلك) الذى ذكر من حصول كل ما يشاءونه (جزاء المحسنين) أى الذين أحسنوا أعمالهم وقد مر تفسير الإحسان غير مرة وقوله تعالى (ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا) الخ متعلق بقوله تعالى لهم ما يشاءون لكن لا باعتبار منطوقه ضرورة أن التكفير المذكور لا يتصور كونه غاية لثبوت ما يشاءون لهم فى الآخرة كيف لا وهو بعض ما سيثبت لهم فيها بل باعتبار فخواه فإنه حيث لم يكن إخباراً بما ثبت لهم فيما مضى بل بما سيثبت لهم فيما سياتى كان فى معنى الوعد به كما مر فى قوله تعالى وعد الله فإنه مصدر مؤكد لما قبله من قوله تعالى لهم غرف من فوقها غرف فإنه فى معنى وعدم الله غرقاً فانتصب به وعد الله كأنه قيل

أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَا لَهُ مِنْ

هَادٍ ﴿٣٦﴾

٣٩ الزمر

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٣٧﴾

٣٩ الزمر

- وعدم الله جميع ما يشاهدونه من زوال المضار وحصول المسار ليكفر عنهم بموجب ذلك الوعد أسوأ الذي عملوا دفعاً لمضارهم (ويجزئهم أجراً بأحسن الذي كانوا يعملون) إعطاء لمنافعهم وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لإبراز كمال الاعتناء بمضمون الكلام وإضافة الأسوأ والأحسن إلى ما بعدهما ليست من قبيل إضافة المفضل إلى المفضل عليه بل من إضافة الشيء إلى بعضه للقصد إلى التحقيق والتوضيح من غير اعتبار تفضيله عليه وإنما المعتبر فيهما مطلق الفضل والزيادة لا على المضاف إليه المعين بخصوصه كما في قولهم الناص والأشج أعدا لابي مروان خلا أن الزيادة المعتبرة فيهما ليست بطريق الحقيقة بل هي في الأول بالنظر إلى ما يليق بحالهم من استعظام سيئاتهم وإن قلت واستصغار حسناتهم وإن جلت والثاني بالنظر إلى لطف أكرم الأكرمين من استكثار الحسنة السيرة ومقابلتها بالثواب الكثيرة وحمل الزيادة على الحقيقة وإن أمكن في الأول بناء على أن تخصيص الأسوأ بالذكر لبيان تكفير مادونه بطريق الأولوية ضرورة استلزام تكفير الأسوأ لتكفير السيء لكن لما لم يكن ذلك في الأحسن كان الأحسن نظماً ما في سلك واحد من الاعتبار والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل في صلة الموصول الثاني دون الأول للإبذان باستمرارهم على الأعمال الصالحة بخلاف السيئة (أليس الله بكاف عبده) إنكار ونفي لعدم كفايته تعالى على أبلغ وجه وآكده كأن الكفاية من التحقق والظهور بحيث لا يقدر أحد على أن يتفوه بعدها أو يتلعم في الجواب بوجودها والمراد بالعبد إمام رسول الله ﷺ أو الجنس المنتظم له عليه السلام انتظاماً أولاً ويؤيده قراءة من قرأ عباده وفسر بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكذا قراءة من قرأ بكاف عباده على الإضافة وبكاف عباده صيغة المغالبة إما من الكفاية لإفادة المبالغة فيها وإما من المكافأة بمعنى المجازاة وهذه تسلية لرسول الله ﷺ عما قالت له قريش إنا نخاف أن تحبلك آلهتنا ويصيبك ضررنا العيبك إياها وفي رواية قالوا انتكفن عن شتم آلهتنا أو ليصيبك منهم خبل أو جنون كما قال قوم هود إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء وذلك قوله تعالى (ويخوفونك بالذين من دونه) أي الأوثان التي اتخذوها آلهة من دونه تعالى والجملة استئناف وقيل حال (ومن يضل الله) حتى غفل عن كفايته تعالى وعصمته له ﷺ وخوفه بما لا ينفع ولا يضر أصلاً (فأله من هاد) يهديه إلى خير ما (ومن يهد الله فأله من مضل) يصرفه عن مقصده أو يصيبه بسوء يخيل بسوئه إذ لا راد لفعله ولا معارض لإرادته كما ينطق به قوله تعالى (أليس الله بعزیز) غالب لا يغالب منيع لا يمانع ولا ينازع (ذی انتقام) ينتقم من أعدائه لا ولياته وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لتحقيق مضمون الكلام وتربية المهابة .

وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضَرَّهُ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾

الزمر ٣٩

قُلْ يَنْقُومِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

الزمر ٣٩

مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٤٠﴾

الزمر ٣٩

إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَلِنَافْسِهِ يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾

الزمر ٣٩

اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾

الزمر ٣٩

- ٣٨ (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) لوضح الدليل وسنوح السبيل (قل) تبكيئاً لهم (أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره) أى بعد ما تحققتم أن خالق العالم العلوى والسفلى هو الله عز وجل فأخبروني أن آلهتكم إن أرادني الله بضر هل يكشفن عن ذلك الضر (أو أرادني برحمة) أى أو أرادني بنفع (هل هن ممسكات رحمته) فيمنعنها عنى وقرىء كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته وتعليق لإرادة الضر والرحمة بنفسه عليه الصلاة والسلام للرد في نحورهم حيث كانوا خوفوه معرفة الأوثان ولما فيه من الإيذان بإحاطة النصيحة
- (قل حسبي الله) أى في جميع أمورى من إصابة الخير ودفع الشر روى أنه ﷺ لما سألهم سكتوا فنزل ذلك (عليه يتوكل المتوكلون) لا على غيره أصلاً لعلمهم بأن كل ما سواه تحت ملكوته تعالى (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم) على حالتكم التى أنتم عليها من العداوة التى تمسكنتم فيها فإن المسكنة تستعار من العين للمعنى كما تستعار هنا وحيث الزمان مع كونهما للسكان وقرىء على مكاناتكم (إنى عامل) أى على مكانتى لحذف الاختصار والمبالغة فى الوعيد والإشعار بأن حاله لا تزال تزداد قوة بنصر الله عز وجل وتأيدته ولذلك توعدهم بكونه منصوراً عليهم فى الدارين بقوله تعالى (فسوف تعلمون) (من يأتية عذاب يخزيه) فإن خزي أعدائه دليل غلبته عليه الصلاة والسلام وقد عذبهم الله تعالى وأخزاهم يوم بدر (ويحل عليهم عذاب مقيم) أى دائم هو عذاب النار (إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس) لأجلهم فإنه مناط مصالحهم فى المعاش والمعاد (بالحق) حال من فاعل أنزلنا أو من مفعوله (فمن اهتدى) بأن عمل بما فيه (فلنفسه) أى إنما نفع به نفسه (ومن ضل) بأن لم يعمل بموجبه (فإنما يضل عليها) لما أن وبال ضلاله مقصور عليها (وما أنت عليهم بوكيل) لتجبرهم على الهدى وما وظيفتك إلا البلاغ وقد بلغت أى بلاغ (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت فى منامها) أى يقبضها من الأبدان

أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ الزمر ٣٩
 قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ الزمر ٣٩
 وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْتَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ
 يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ الزمر ٣٩

- بأن يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها إما ظاهراً وباطناً كما عند الموت أو ظاهراً فقط كما عند النوم (فيمسك التي قضى عليها الموت) ولا يردّها إلى البدن وقرىء على البناء للفعول ورفع الموت (ويرسل الأخرى) أى النائمة إلى بدنّها عند النيقظ (إلى أجل مسمى) هو الوقت المضروب لموته وهو غايبة لجنس الإرسال الواقع بعد الإمساك لا لفرد منه فإن ذلك مما لا امتداد فيه ولا كمية وما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما إن فى ابن آدم نفساً وروحاً بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس هى التى بها العقل والتمييز والروح هى التى بها النفس والتحريك فتتوفيان عند الموت وتتوفى النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكر (إن فى ذلك) أى فيما ذكر من التوفى على الوجهين والإمساك فى أحدهما والإرسال فى الآخر (لآيات) عجيبة دالة على كمال قدرته تعالى وحكمته وشمول رحمته (لقوم يتفكرون) فى كيفية تعلقها بالآيدان وتوفيقها عنها تارة بالكليّة كما عند الموت وإمساكها باقية لا تنفى بفنائها وما يعترىها من السعادة والشقاوة وأخرى عن ظواهرها فقط كما عند النوم وإرسالها حيناً بعد حين إلى انقضاء آجالها (أم ٤٣ اتخذوا) أى بل اتخذ قريش (من دون الله) من دون إذنه تعالى (شفعاء) تشفع لهم عنده تعالى (قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون) الهمة لإنكار الواقع واستقبحه والتوبيخ عليه أى قل أتتخذونهم شفعاء ولو كانوا لا يملكون شيئاً من الأشياء ولا يعقلونه فضلاً عن أن يملكوا الشفاعة عند الله تعالى أو هى لإنكار الوقوع ونفيه على أن المراد بيان أن ما فعلوا ليس من اتخاذ الشفعاء فى شيء لأنه فرع كون الأول ثان شفعاء وذلك أظهر المحالات فالقدر حينئذ غير ما قدر أو لا وعلى أى تقدير كان فالواو للعطف على شرطية قد حذفت لدلالة المذكورة عليها أى أيشفعون لو كانوا يملكون شيئاً ولو كانوا لا يملكون الخ وجواب لو محذوف لدلالة المذكور عليه وقدر تحقيقه مراراً (قل) بعد تبكيثهم وفهميلهم بما ذكر تحقيقاً ٤٤ للحق (فه الشفاعة جميعاً) أى هو مالكها لا يستطيع أحد شفاعة ما إلا أن يكون المشفع له مرضى والشفيع مأذوناً له وكلاهما مفقود ههنا وقوله تعالى (له ملك السموات والأرض) تقرير له وتأكيد أى له ملكهما وما فيهما من المخلوقات لا يملك أحد أن يتكلم فى أمر من أموره بدون إذنه ورضاه (ثم إليه ترجعون) يوم القيامة لا إلى أحد سواه لا استقلالاً ولا اشتراكاً فيفعل يومئذ ما يريد (وإذا ذكر الله وحده) دون آلهتهم ٤٥ (اشتازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) أى انقبضت ونفرت كما فى قوله تعالى وإذا ذكر ربك فى القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً (وإذا ذكر الذين من دونه) فرادى أو مع ذكر الله تعالى (إذا هم يستبشرون) لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله تعالى ولقد بولغ فى بيان حالهم القبيحتين حيث

قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾

الزم

وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَالٌ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

الزم

وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾
فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾

الزم

بين الغاية فيهما فإن الاستبشار هو أن يمتلي القلب سروراً حتى يندسط له بشرة الوجه والاشتمزاز أن
يتملى غيظاً وغماً ينقبض منه أديم الوجه والعامل في إذا الأولى اشتمازت وفي الثانية ماهو العامل في إذا
المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجأوا وقت الاستبشار (قل اللهم فاطر السموات والأرض
عالم الغيب والشهادة) أي التجيء إليه تعالى بالدعاء لما تحيرت في أمر الدعوة وضجرت من شدة شكيمتهم
في المكابرة والعناد فإنه القادر على الأشياء بمحملتها والعالم بالأحوال برمتها (أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا
فيه يخْتَلِفُونَ) أي حكما يسلمه كل مكابر معاند ويخضع له كل حات مارد وهو العذاب الدنيوي أو الآخروي
وقوله تعالى (ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً) الخ كلام مستأنف مسوق لبيان آثار الحكم
الذي استدعاه النبي ﷺ وغاية شدته وفضاعته أي لو أن لهم جميع ما في الدنيا من الأموال والذخائر
(ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة) أي لجعلوا كل ذلك فدية لأنفسهم من العذاب
الشديد وهيئات ولات حين مناص وهذا كما ترى وعيد شديد وإقناط كـ (لهم من الخلاص) (وبدأ لهم
من الله مالم يكونوا يحسبون) أي ظهر لهم من فنون العقوبات مالم يس في حسابهم وهذه غاية من
الوعيد لا غاية وراها وظهيره في الوعد قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين (وبدأ لهم
سيئات ما كسبوا) سيئات أعمالهم أو كسبهم حين تعرض عليهم محائفهم (وحاق بهم ما كانوا يستهزئون)
أي أحاط بهم جزاؤه (فإذا مس الإنسان ضرر دعا) إخبار عن الجنس بما يفعله غالب أفرادهم والقاء
لترتيب ما بعدها من المناقضة والتعكيس على مامر من حالتهم القبيحتين وما بينهما اعتراض مؤكداً
للإنكار عليهم أي إنهم يشتمزون عن ذكر الله تعالى وحده ويستبشرون بذكر الآلهة فإذا مسهم ضرر
دعوا من اشتمزوا عن ذكره دون من استبشروا بذكره (ثم إذا خولناه نعمة منا) أعطيناها إياها تفضلاً
فإن النحريل مخصص لا يطلق على ما أعطى جزاء (قال إنما أُوتيته على علم) أي على علم مني بوجوه كسبه
أو أني أعطاه لما لي من الاستحقاق أو على علم من الله تعالى بي وباستحقاقي والماء لما إن جعلت
موصولة وإلا فلنعمة والتذكير لما أن المراد شيء من نعمته (بل هو فتنة) أي محنة وابتلاء له أي شكر

قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾
فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ

بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾

أُولَئِكَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا
إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾

٣٩ الزمر

- أم يكفر وهو رد لما قاله وتغيير السبك للبالغة فيه والإيدان بأن ذلك ليس من باب الإيتاء المنبئ عن الكرامة وإنما هو أمر مبان له بالكلية وتأنيث الضمير باعتبار لفظ النعمة أو باعتبار الخبر وقرئ بالتذكير (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن الأمر كذلك وفيه دلالة على أن المراد بالإنسان هو الجنس (قد قالها الذين من قبلهم) الهاء لقوله إنما أو تيته على علم لأنها كلمة أو جملة وقرئ بالتذكير والموصول عبارة عن قارون وقومه حيث قال إنما أو تيته على علم عندي وهم راضون به (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من متاع الدنيا ويجمعون منه (فأصابهم سيئات ما كسبوا) جزاء سيئات أعمالهم أو أجزية ما كسبوا وتسميتها سيئات لأنها في مقابلة سيئاتهم وجزاء سيئة سيئة مثلها (والذين ظلموا من هؤلاء) المشركين ومن اللبان أو للتبعض أى أفرطوا في الظلم والعنوا (سيصيبهم سيئات ما كسبوا) من الكفر والمعاصى كما أصاب أولئك والسین للتأكيد وقد أصابهم أى إصابة حيث قحطوا سبع سنين وقتل صناديدهم يوم بدر (وما هم بمُعْجِزِينَ) أى فائتين (أو لم يعلموا) أى أقالوا ذلك ولم يعلموا أو أغفلوا ولم يعلموا (أن الله يبسط الرزق لمن يشاء) أن يبسطه له (ويقدر) لمن يشاء أن يقدره له من غير أن يكون لأحد مدخل ما في ذلك حيث حبس عنهم الرزق سبعمائة بسطه لهم سبعمائة (إن في ذلك) الذى ذكر (آيات) دالة على أن الحوادث كافة من الله عز وجل (لقوم يؤمنون) إذ هم المستدلون بها على مدلولاتها (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم) أى أفرطوا فى الجناية عليها بالإسراف فى المعاصى وإضافة العباد تخصه بالموثنيين على ما هو عرف القرآن الكريم (لا تقنطوا من رحمة الله) أى لا تيأسوا من مغفرته أولاً ولا تفضله ثانياً (إن الله يغفر الذنوب جميعاً) عفوا لمن يشاء ولو بعد حين بتعذيب فى الجملة وبغيره حسبما يشاء وتقيدته بالتوبة خلاف الظاهر كيف لا وقوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ظاهر فى الإطلاق فيما عدا الشرك وما يدل عليه التعليل بقوله تعالى (إنه هو الغفور الرحيم) على المبالغة وإقادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعى عموم المغفرة مما فى عبادى من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الإسراف بأنفسهم والنهي عن القنوط مطلقاً عن الرحمة فضلاً عن المغفرة وإطلاقها وتعليله بأن الله يغفر الذنوب ووضع الاسم الجليل موضع

وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾
وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْثَةً وَأَنْتُمْ لَا

تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾

أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرُنِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ مِنْ جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾

أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾

أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَىٰ الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾

بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تِلْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾

الضمير لدلالته على أنه المستغنى والمنعم على الإطلاق والتأكيد بالجميع وما روى من أسباب النزول الدالة على ورود الآية فيمن تاب لا يقتضى اختصاص الحكم بهم ووجوب حمل المطلق على المقيد في كلام واحد مثل أكرم الفضلاء أكرم الكاملين غير مسلم فكيف فيها هو بمنزلة كلام واحد ولا يخل بذلك الأمر بالتوبة والإخلاص في قوله تعالى (وأنبيوا إلى ربكم وأسئلو الله من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون) ٥٤ إذ ليس المدعى أن الآية تدل على حصول المغفرة لكل أحد من غير توبة وسبق لعذاب لتغنى عن الأمر بهما وتنافي الوعيد بالعذاب (واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم) أى القرآن أو الأمور به دون المنهى عنه أو العزائم دون الرخص أو الناسخ دون المنسوخ ولعله ما هو أنجى وأسلم كالإلانة والمواظبة على الطاعة (من قبل أن يأتيكم العذاب بغثة وأنتم لا تشعرون) بمجيئه لتتداركوا وتأنهوا ٥٥ له (أن تقول نفس) أى كراهة أن تقول والتكثير للتكثير كما في قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت فإنه مسلك ربما يسلك عند إرادة التكثير والنعيم وقد مر تحقيقه في مطلع سورة الحجر (ياحسرنا) بالآلف بدلا من ياء الإضافة وقرئ ياحسرتاه بهاء السكت وقفاً وقرئ ياحسرتاى بالجمع بين العوضين وقرئ ياحسرتى على الأصل أى احضرى فهذا أو ان حضورك (على ما فرطت) أى على تفريطى وتقصيرى (فى جنب الله) أى جانبه وفى حقه وطاعته وعليه قول من قال [أما تتقن الله فى جنب وابق له كبد حرى وعين تفرق] وهو كناية فيها مبالغة وقيل فى ذات الله على تقدير مضاف كالطاعة وقيل فى قربه من قوله تعالى والصاحب بالجنب وقرئ فى ذكر الله (وإن كنت لمن الساخرين) أى المستهزئين بدين الله تعالى وأهله ومحل الجملة النصب على الحال أى فرطت وأنا ساخر (أو تقول لو أن الله هدانى) بالإرشاد إلى الحق (لكننى من المتقين) الشرك والمعاصى (أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة) رجعة إلى الدنيا (فأكون من المحسنين) فى العقيدة والعمل وأو الدلالة على أنها لا تظلو عن هذه الأقوال تحسراً وتحيراً وتعللاً بما لا طائل تحته وقوله تعالى (بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) رد من الله تعالى عليه لما تضمنه قوله لو أن الله هدانى من معنى التنى

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ الزمر ٣٩
وَيَجِبَىٰ اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ الزمر ٣٩

اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ الزمر ٣٩
لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ الزمر ٣٩

- وفضله عنه لما أن تقدمه يفرق القرائن وتأخير الردود يخل بالترتيب الوجودى لأنه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تأثير قدرة الله تعالى في فعل العبد ولا ما فيه من إسناد الفعل إليه كما عرفت وتذكير الخطاب باعتبار المعنى وقرئ بالتأنيث (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) بأن وصفوه بما لا يليق بشأنه كاتخاذ الولد (وجوهم مسودة) بما ينالهم من الشدة أو بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال قدا كتفى فيها بالضمير عن الواو على أن الرؤية بصرية أو مفعول ثان لها على أنها عرفانية (أليس في جهنم مثوى) أى مقام (للمتكبرين) عن الإيمان والطاعة وهو تقرير لما قبله من رؤيتهم كذلك (وينجى الله الذين اتقوا) الشرك والمعاصى أى من جهنم وقرئ ينجى من الإنجاء (بمفازتهم) مصدر ميمى إما من فاز بالمطلوب أى ظفر به والباء متعلقة بمحذوف هو حال من الموصول مفيدة لمقارنته تنجيتهم من العذاب لنيل الثواب أى ينجيهم الله تعالى من مثوى المتكبرين ملتبسين بفوزهم بمطلوبهم الذى هو الجنة وقوله تعالى (لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون) إما حال أخرى من الموصول أو من ضمير مفازتهم مفيدة لكون نجاتهم أو فوزهم بالجنة غير مسبوقه بمساس العذاب والحزن وإما من فاز منه أى نجا منه والباء للبابسة وقوله تعالى لا يمسهم إلى آخره تفسير وبيان لمفازتهم أى ينجيهم الله تعالى ملتبسين بنجاتهم الخاصة بهم أى بنفى السوء والحزن عنهم أو للسببية إما على حذف المضاف أى ينجيهم بسبب مفازتهم التى هى تقواهم كما يشعر به إirاده فى حيز الصلة وإما على إطلاق المفازة على سببها الذى هو التقوى وليس المراد نفي دوام المساس والحزن بل دوام نفيهما كما مر مراراً (الله خالق كل شىء) ٦٢ من خير وشر وإيمان وكفر لكن لا بالجبر بل بمباشرة الكاسب لأسبابها (وهو على كل شىء وكيل) يتولى التصرف فيه كيفما يشاء (له مقاليد السموات والأرض) لا يملك أمرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره ٦٣ وهو عبارة عن قدرته تعالى وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاستقلال والاستبداد لأن الخزان لا يدخلها ولا يتصرف فيها إلا من بيده مفاتيحها وهو جميع مقلد أو مقلاد من قلده إذا ألزمته وقيل جمع أقليد معرب كليد على الشذوذ كالمذاكير وعن عثمان رضى الله عنه أنه سأل النبي ﷺ عن المقاليد فقال ﷺ تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير والمعنى على هذا أن الله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهى مفاتيح خير السموات والأرض من تكلم بها أصابه (والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون) متصل بما قبله والمعنى أن الله تعالى خالق لجميع الأشياء •

قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِيْ أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾

٣٩ الزمر

وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَجْبُطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنْ

الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾

٣٩ الزمر

بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾

٣٩ الزمر

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۚ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ

٣٩ الزمر

بِيمِينِهِ ۚ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

- ومتصرف فيها كيفما يشاء بالإحياء والإماتة بيده مقاليد العالم العلوى والسفلى والذين كفروا بآياته
التكوينية المنصوبة في الأفاق والانس والتزلية التي من جملتها تيك الآيات اللاطقة بذلك هم الخاسرون
٦٤ خسراناً لا خسار وراه هذا وقيل هو متصل بقوله تعالى وينجى الله وما بينهما اعتراض فتدبر (قل
أغفر الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) أي أبعد مشاهدة هذه الآيات غير الله أعبد وتأمروني اعتراض
للدلالة على أنهم أمروه به عقيب ذلك وقالوا استلم بعض آلهتنا تؤمن بإهلك لفرط غباوتهم ويجوز أن
ينتصب غير بما يدل عليه تأمروني أعبد لأنه بمعنى تعبدوني وتقولون لي أعبد على أن أصله تأمروني أن
أعبد لحذف أن ورفع ما بعدهما كما في قوله [ألا أي هذا الزاجرى أحضر الوغى * وأن أشهد الذات هل
أنت مخدئ] ويؤيده قراءة أعبد بالنصب وقرئ تأمروني بإظهار النونين على الأصل وبحذف الثانية
٦٥ (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك) أى من الرسل عليهم السلام (لئن أشركت ليحبطن عملك
ولتكونن من الخاسرين) كلام وارد على طريقة الفرض لتبيين الرسل وإفناط الكفرة والإيدان بغاية
شناعة الإشرار وقبحه وكونه بحيث ينهى عنه من لا يكاد يمكن أن يباشره فكيف بمن عداه وإفراد
الخطاب باعتبار كل واحد واللام الأولى موطئة للقسم والآخران للجواب وإطلاق الإحباط يحتمل
أن يكون من خصائصهم عند الإشرار لأن الإشرار منهم أشد وأقبح وأن يكون مقيداً بالموت كما صرح به
في قوله تعالى من يرتدد منكم عن دينه فیمت وهو كافراً أولئك حبطت أعمالهم وعطف الخسران عليه من
٦٦ عطف المسبب على السبب (بل الله فاعبد) رد لما أمروه به ولولا دلالة التقديم على القصر لم يكن كذلك
٦٧ (وكن من الشاكرين) إنعامه عليك وفيه إشارة إلى ما يوجب الاختصاص ويقتضيه (وما قدرُوا الله
حق قدره) ما قدرُوا عظمتَه تعالى في أنفسهم حق عظمتَه حيث جملوا له شريكاً ووصفوه بما لا يليق
* بشئونه الجليلة وقرئ بالتشديد (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه) تنبيه
على غاية عظمتَه وكمال قدرته وحقارة الأفعال العظام التي تنحير فيها الأوهام بالنسبة إلى قدرته تعالى
ودلالة على أن تخريب العالم أهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين
حقيقة ولا مجازاً كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض أطلقت بمعنى القبضة وهي المقدار

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ
فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾

الزمر ٣٩

وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ
وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾

الزمر ٣٩

وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾
وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ هَٰذَا جَاءُواهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَيْسَ لَكُمُ
رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُم وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ
كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾

الزمر ٣٩

- المقبوض بالكف تسمية بالمصدر أو بتقدير ذات قبضة وقرىء بالنصب على الظرف تشبيهاً للوقت بالمهم وتأكيد الأرض بالجميع لأن المراد بها الأرضون السبع أو جميع أبعاضها البادية والغائرة وقرىء مطويات على أنها حال والسموات معطوفة على الأرض منظومة في حكمها (سبحانه وتعالى عما يشركون) ما أبعد وما أعلى من هذه قدرته وعظمته عن إشراكهم أو عما يشركونه من الشركاء (ونفخ في الصور) ٦٨ هي النفخة الأولى (فصعق من في السموات ومن في الأرض) أي خروا أمواتاً أو غشياً عليهم (إلا من شاء الله) قيل هم جبريل وميكائيل وإسرافيل فإنهم لا يموتون بعد وقيل حملة العرش (ثم نفخ فيه أخرى) نفخة أخرى هي النفخة الثانية وأخرى يحتمل النصب والرفع (فإذا هم قيام) قائمون من قبورهم أو متوقفون وقرىء بالنصب على أن الخبر (ينظرون) وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون أبصارهم في الجوانب كالمبهوتين أو ينتظرون ما يفعل بهم (وأشرفت الأرض بنور ربها) بما أقام فيها من العدل استعير له النور ٦٩ لأنه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما يسمى الظلم ظلمة وفي الحديث الظلم ظلمات يوم القيامة ولذلك أضيف الاسم الجليل إلى ضمير الأرض أو بنور خلقه فيها بلا توسط أجسام مضيئة ولذلك أضيف إلى الاسم الجليل (ووضع الكتاب) الحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه أو صحائف الأعمال في أيدي العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحائف (وجيء بالنبيين والشهداء) الأهم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون (وقضى بينهم) بين العباد (بالحق وهم لا يظلمون) بنقص ثواب أو زيادة عقاب على ما جرى به الوعد (ووفيت كل نفس ما عملت) ٧٠ أي جزاءه (وهو أعلم بما يفعلون) فلا يفوته شيء من أفعالهم وقوله تعالى (وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً) الخ تفصيل للتوفية وبيان لكيفية أي سيقوا إليها بالعنف والإهانة أفواجا متفرقة بعضها في إثر بعض مترتبة حسب ترتب طبقاتهم في الضلالة والشرارة والزم جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو

قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ ٣٩ الزمر

وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَبَّعْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٧﴾ ٣٩ الزمر

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ

الْعَامِلِينَ ﴿٧٨﴾ ٣٩ الزمر

وَرَأَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ

لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ ٣٩ الزمر

- الصوت إذ الجماعة لا تخلو عنه (حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها) ليدخلوها وحتى هي التي تحكى بعدها
- الجملة وقرىء بالشديد (وقال لهم خزنتها) تقييماً وتوبيخاً (ألم يأتكم رسل منكم) من جنسكم وقرىء
- نذر منكم (يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا) أى وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار
- وفيه دليل على أنه لا تكليف قبل الشرع من حيث إنهم عللوا توبيخهم بإتيان الرسل وتبليغ الكتب
- (قالوا بلى) قد أنونا وأنذرونا (ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) حيث قال الله تعالى لإبليس
- لا ملأ من جهم منك ومن تبعك منهم أجمعين وقد كنا من أتبعه وكذبنا الرسل وقلنا ما نزل الله من شيء إن
- أنتم إلا تكذبون (قيل ادخلوا أبواب جهم خالدين فيها) أى مقدراً خلودكم فيها وإلهاهم القائل لتحويل
- المقول (فبئس مَثْوًى المتكبرين) اللام للجنس والمخصوص بالذم محذوف ثقة بذكره آنفاً أى فبئس
- مَثْوًى جهم ولا يقدح مافيه من الإشعار بأن كون مَثْوًى جهم لتكبرهم عن الحق فى أن دخولهم النار
- لسبق كلمة العذاب عليهم فإنها إنما حقت عليهم بناء على تكبرهم وكفرهم وقد مرت تحقيقه فى سورة الم
- السجدة (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة) مساق إعزاز وتشريف للإسراع بهم إلى دار الكرامة
- وقيل سبق مراكبهم إذ لا يذهب بهم إلا ركبهم (زمرأ) متفاوتين حسب تفاوت مراتبهم فى الفضل
- وعلو الطبقة (حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها) وقرىء بالشديد وجواب إذا محذوف للإيذان بأن لهم
- حينئذ من فنون الكرامات ما لا يصدق به نطق العبارات كأنه قيل حتى إذا جاءوها وقد فتحت أبوابها
- (وقال لهم خزنتها سلام عليكم) من جميع المكارة والآلام (طبعتم) طهرتم من دنس المعاصى أو طبعتم نفساً بما
- ٧٤ أتيح لكم من النعيم (فادخلوها خالدين) كان ما كان مما يقصر عنه البيان (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده)
- بالبعث والثواب (وأورثنا الأرض) يريدون المكان الذى استقروا فيه على الاستعارة وإبرائها تملكها
- مخلفة عليهم من أعمالهم أو تمكنهم من التصرف فيها تمكن الوارث فيما يرثه (نتبوا) اتبعوا من الجنة حيث
- نشاء (أى اتبعوا كل واحد منا فى أى مكان أراد من جنته الواسعة على أن فيها مقامات معنوية لا يتنازع
- ٧٥ واردوها (فنعم أجر العاملين) الجنة (وترى الملائكة حافين) محذوقين (من حول العرش) أى حوله

٤٠ - سورة غافر
(مكية وآياتها خمس وثمانون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم

٤٠ غافر

٤٠ غافر

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١﴾

غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهِي الْمَصِيرُ ﴿٢﴾ ٤٠ غافر

- ومن مزيدة أو لا ابتداء الخوف (يسبحون بحمد ربهم) أي يزهونه تعالى عما لا يليق به متباسين بحمده
- والجملة حال ثانية أو مقيدة للأولى والمعنى ذا كرين له تعالى بوصف جلاله وإكرامه تالذذاً به وفيه إشعار بأن أقصى درجات العليين وأعلى لذائذهم هو الاستغراق في شئونه عز وجل (وقضى بينهم بالحق) أي بين الخلق بإدخال بعضهم النار وبعضهم الجنة أو بين الملائكة بإقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم (وقيل الحمد لله رب العالمين) أي على ما قضى بيننا بالحق وأزل كلامنا منزلته التي هي حقه والقائلون هم المؤمنون ممن قضى بينهم أو الملائكة وطى ذكرهم لتعظيمهم وتعظيمهم . عن النبي ﷺ من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله تعالى رجاءه يوم القيامة وأعطاه ثواب الخائفين وعن عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ كان يقرأ كل ليلة بنى إسرائيل والزمر .

(سورة غافر مكية وآياتها خمس وثمانون آية)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (حم) بتفخيم الألف وتسكين الميم وقرئ بإمالة الألف وإخراجها بين بين وفتح الميم لالتقاء الساكنين أو نصبها بإضمار اقرأ ونحوه ومنع الصرف للتعريف وكونها على زنة قابيل وهابيل وبقية الكلام فيه وفي قوله تعالى (تنزيل الكتاب) كالذي سلف في ألم السجدة وقوله ٢ تعالى (من الله العزيز العليم) كما في مطلع سورة الزمر في الوجوه كلها ووجه التعرض لنعق العزة والعلم ما ذكر هناك (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول) إما صفات آخر لتحقيق ما فيها من ٣ الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود والإضافة فيها حقيقية على أنه لم يرد بها زمان مخصوص وأريد بشديد العقاب مشدده أو الشديد عقابه بحذف اللام للاندواج وأمن الالتباس أو إبدال وجعله وحده بدلاً كما فعله الزجاج مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الأولين لإفادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة أو تغاير الوصفين إذ ربما يتوهم الاتحاد أو تغاير موقع الفعلين لأن الغفر هو الستر مع بقاء الذنب وذلك لمن لم يتب فإن الناب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل هو جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل سبقها

مَا يَجِدُلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبَلَدِ ④
 كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرُسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ
 لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ⑤
 وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ⑥

ورجعاها (لا إله إلا هو) فيجب الإقبال الكلي على طاعته في أوامره ونواهيه (إليه المصير) لحسب
 ٤ لا إلى غيره لا استقلالاً ولا اشتراكاً فيجزى كلاماً من المطيع والعاصي (ما يجادل في آيات الله) أي بالاطعن
 فيها واستعمال المقدمات الباطلة لإدحاض الحق كقوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق (إلا
 الذين كفروا) بهار أما الذين آمنوا فلا يخطر ببالهم شبهة منها فضلاً عن الطعن فيها وأما الجدل فيها
 لحل مشكلاتها وكشف معضلاتها واستنباط حقائقها الكلية وتوضيح مناهج الحق في مضائق الأنعام
 ومزائق الأقدام وإبطال شبه أهل الزيغ والضلال فمن أعظم الطاعات ولذلك قال ﷺ إن جدالاً في
 القرآن كفر بالتنكير للفرق بين جدال وجدال والفاء في قوله تعالى (فلا يغررك تَقْلُبُهُمْ في البلاد)
 لترتيب النهي أو وجوب الانتهاء على ما قبلها من التسجيل عليهم بالكفر الذي لا شيء أمقت منه عند
 الله تعالى ولا أجلب لحسرة الدنيا والآخرة فإن من تحقق ذلك لا يكاد يغتر بما لهم من حظوظ الدنيا
 ٥ وزخارفها فإنهم مأخوذون عما قليل أخذ من قبلهم من الأمم حسبما ينطق به قوله تعالى (كذبت قبلهم
 قوم نوح والأحزاب من بعدهم) أي الذين تحزبوا على الرسل وناصرهم بعد قوم نوح مثل عاد وثمود
 * وأضرابهم (وهمت كل أمة) من تلك الأمم العاتية (برسولهم) وقرى برسولها (ليأخذوه) ليتمكنوا
 منه فيصيدوا به ما أرادوا من تعذيب أو قتل من الأخذ بمعنى الأسر (وجادلوا بالباطل) الذي لا أصل
 ولا حقيقة له أصلاً (ليدحضوا به الحق) الذي لا محيد عنه كما فعل هؤلاء (فأخذتهم) بسبب ذلك
 أخذ عزيز مقتدر (فكيف كان عقاب) الذي عاقبتهم به فإن آثار دمارهم عبرة للناظرين ولأخذن هؤلاء
 ٦ أيضاً لاتحادهم في الطريقة واشتراكهم في الجريمة كما ينبغي عنه قوله تعالى (وكذلك حقت كلمة ربك)
 أي كما وجب وثبت حكمه تعالى وقضاؤه بالتعذيب على أولئك الأمم المكذبة المنتحزة على رسلم
 * المجادلة بالباطل لإدحاض الحق به وجب أيضاً (على الذين كفروا) أي كفروا بك وتحزبوا عليك وهموا
 بما لم ينالوا كما ينبغي عنه إضافة اسم الرب إلى ضميره ﷺ فإن ذلك للإشعار بأن وجوب كلمة العذاب
 عليهم من أحكام تربيته التي من جللتها نصرته ﷺ وتعذيب أعدائه وذلك إنما يتحقق بكون الموصول
 ٥ عبارة عن كفار قومه لا عن الأمم المهلكة وقوله تعالى (أنهم أصحاب النار) في حيز النصب بمحذف
 لام التعليل أي لأنهم مستحقو أشد العقوبات وأفظعها التي هي عذاب النار وملازمها أبداً لكونهم
 كفاراً معادين متحزبين على الرسول ﷺ كدأب من قبلهم من الأمم المهلكة فهم لسائر فتنون العقوبات
 أشد استحقاقاً وأحق استيجاباً وقيل هو في محل الرفع على أنه بدل من كلمة ربك والمعنى مثل ذلك

الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ
ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ

الْجَحِيمِ ﴿٧﴾

٤٠ غافر

- الوجوب وجب على الكفرة المهلكة كونهم من أصحاب النار أى كل من وجب إهلاكهم في الدنيا بعذاب الاستئصال كذلك وجب تعذيبهم بعذاب النار في الآخرة ومحل الكاف على التقديرين النصب على أنه نعمت لمصدر محذوف (الذين يحملون العرش ومن حوله) وهم أعلى طبقات الملائكة عليهم السلام وأولهم وجوداً وحلهم إياه وحفيظهم حوله مجاز عن حفظهم وتديبرهم له وكناية عن زلفاهم من ذى العرش جل جلاله ومكانتهم عنده ومحل الوصول الرفع على الابتداء خبره (يسبحون بحمد ربهم) والجملة استئناف مسوق اتسالية رسول الله ﷺ ببيان أن أشراف الملائكة عليهم السلام مثابرون على ولاية من معه من المؤمنين ونصرتهم واستدعاء ما يسعدهم في الدارين أى ينزهونه تعالى عن كل مالا يليق بشأنه الجليل ملتبسين بحمده على نعمائه التى لا تنهاى (ويؤمنون به) إيماناً حقيقياً بحالهم والتصريح به مع الغنى عن ذكره رأساً لإظهار فضيلة الإيمان وإبراز شرف أهله والإشعار بعلّة دعائهم للمؤمنين حسبما ينطق به قوله تعالى (ويستغفرون الذين آمنوا) فإن المشاركة في الإيمان أقوى المناسبات وأتمها وأدعى الدواعى إلى النصيح والشفقة وفى نظم استغفارهم لهم فى سلك وظائفهم المفروضة عليهم من تسبيحهم وتحميدهم وإيمانهم بإيدان بكمال اعتنائهم به وإشعار بوقوعه عند الله تعالى فى موقع القبول . روى أن حملة العرش أرجلهم فى الأرض السفلى وروى أنهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي ﷺ لا تنفكوا فى عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فإن خلقاً من الملائكة يقال له إسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه فى الأرض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وإنه ليتصل من عظمة الله حتى يصير كأنه الوصع وفى الحديث أن الله أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلاً لهم على سائرهم وقيل خلق الله تعالى العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمها خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام وقيل حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن وراءهم سبعون ألف صف قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتلهيل والتكبير ومن وراءهم مائة ألف صف قد وضعوا أيامهم على الشمايل مامنهم أحد إلا وهو يسبح بملأ سبوح به الآخر (ربنا) على إرادة القول أى يقولون ربنا على أنه إما بيان لاستغفارهم أحوال (وسعت كل شيء رحمة وعلماً) أى وسعت رحمتك وعلبك فأزيل عن أصله للإغراق فى وصفه تعالى بالرحمة والعلم والمبالغة فى عمومهلا وتقديم الرحمة لأنها المقصودة بالذات ههنا والفاء فى قوله تعالى (فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك) أى الذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق لترتيب الدعاء على ما قبلها من سعة الرحمة والعلم (وقهم عذاب الجحيم) واحفظهم عنه وهو تصريح بعد إشعار للتأكيّد .

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتُهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ
إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٠﴾

٤٠ غافر

وَفِيهِمُ السَّيِّغَاتُ وَمَنْ تَقَى السَّيِّغَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٤١﴾
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ
فَتَكْفُرُونَ ﴿٤٢﴾

٤٠ غافر

- ٨ (ربنا وأدخلهم) عطف على قهم وتوسيط النداء بينهما للبالغة في الجوار (جنات عدن التي وعدتهم) أي وعدتهم إياها وقرى جنة عدن (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) أي صلاحاً مصححاً لدخول الجنة في الجملة وإن كان دون صلاح أصولهم وهو عطف على الضمير الأول أي وأدخلها معهم هؤلاء ليتم سرورهم ويتضادف ابتهاجهم أو على الثاني لكن لا بناء على الوعد العام للكل كما قيل إذلا يقي حينئذ للعطف وجه بل بناء على الوعد الخاص بهم بقوله تعالى ألحقنا بهم ذريتهم بأن يكونوا أعلى درجة من ذريتهم قال سعيد بن جبير يدخل المؤمن الجنة فيقول أين أبي أين ولدي أين زوجي فيقال إنهم لم يعملوا مثل عملك فيقول إني كنت أعمل لي ولهم فيقال أدخلوهم الجنة وسبق الوعد بالإدخال والإلحاق لا يستدعي حصول الموعد بلا توسط شفاعاة واستغفار وعليه مبنى قول من قال فائدة الاستغفار زيادة الكرامة والثواب والأول هو الأول لأن الدماء بالإدخال فيه صريح وفي الثاني ضمنى وقرى صلح بالضم وذريتهم بالإفراد (إنك أنت العزيز) أي الغالب الذي لا يمتنع عليه مقدور (الحكيم) أي الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة الباهرة من الأمور التي من جملتها إنجاز الوعد فالجملة تعليل لما قبلها ٩ (وقهم السيئات) أي العقوبات لأن جزاء السيئة سيئة مثلها أو جزاء السيئات على حذف المضاف وهو تعميم بعد تخصيص أو مخصص بالاتباع أو المعاصي في الدنيا فعنى قوله تعالى (ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته) ومن تقه المعاصي في الدنيا فقد رحمته في الآخرة كأنهم طلبوا لهم السبب بعد ما سألوا المسبب (وذلك) إشارة إلى الرحمة المفهومة من رحمته أو إليها وإلى الوقاية وما فيه من معنى البعد لما مر مراراً من الإشعار ببعد درجة المشار إليه (هو الفوز العظيم) الذي لا مطمع وراءه لطامع (إن الذين كفروا) شروع في بيان أحوال الكفرة بعد دخول النار بعد ما بين فيما سبق أنهم أصحاب النار (ينادون) أي من مكان بعيد وهم في النار وقد مقتوا أنفسهم الأماراة بالسوء التي وقعوا فيها وقعوا باتباع هواها أو مقت بعضهم بعضاً من الأحباب كقوله تعالى يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضاً أي أبغضوها أشد البغض وأنكروها أبلغ الإنكار وأظهروا ذلك على رموس الشهاد فيقال لهم عند ذلك (لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم) أي لمقت الله أنفسكم الأماراة بالسوء أو مقتهم إياكم في الدنيا (إذ تدعون) من جهة الأنبياء (إلى الإيمان) فتأبون قبوله (فتكفرون) اتباعاً لأنفسكم الأماراة ومسارعة إلى هواها أو اقتداءً بأخلائكم المضلين واستجاباً لأرائهم أكبر من مقتكم أنفسكم الأماراة أو من مقت بعضهم بعضاً

قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا آتَيْنِي وَأُحْيَيْتَنَا آتَيْنِي فَأَعْرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ٤٠ غافر
ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ

الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾

٤٠ غافر

- اليوم فإذا ظرف للوقت الأول وإن توسط بينهما الخبر لما في الظروف من الاتساع وقيل لمصدر آخر
مقدر أى مقته إياكم إذ تدعون وقيل مفعول لاذكروا والأول هو الوجه وقيل كلا المقتين في الآخرة
وإذ تدعون لتعليل لما بين الظرف والسبب من علاقة اللزوم والمعنى لوقت الله إياكم الآن أكبر من مقتكم
أنفسكم لما كنتم تدعون إلى الإيمان فتكفرون وتخصيص هذا الوجه بصيغة كون المراد بأنفسهم أضراهم
ما لا داعى إليه (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) صفتان لمصدرى الفعلين المذكورين أى إمامتين ١١
وإحياءتين أو موتتين وحياتين على أنهما مصدران لهما أيضاً بحذف الزوائد ولفعلين يدل عليهما المذكوران
فإن الإمامة والإحياء ينبثقان عن الموت والحياة حتماً كأنه قيل أمتنا فتناموتين اثنتين وأحييتنا فحييتنا حياتين
اثنتين على طريقة قول من قال [وعصه دهرى بالبن مروان لم تدع • من المال إلا مسحت أو مجلف] أى لم تدع
فلم يبق إلا مسحت الخ قيل أرادوا بالإمامة الأولى خلقهم أمواتاً وبالثانية إمامتهم عند انقضاء آجالهم
على أن الإمامة جعل الشئ هادم الحياة أعم من أن يكون بإنشائه كذلك كفاي قولهم سبحانه من صغر
البعوض وكبر الفيل أو بجمعه كذلك بعد الحياة وبالإحياء من الإحياء الأول وإحياء البعث وقيل أرادوا
بالإمامة الأولى ما بعد حياة الدنيا وبالثانية ما بعد حياة القبر وبالإحياء من مافى القبر وما عند البعث وهو
الإنسب بحالهم وأما حديث لزوم الزيادة على النص ضرورة تحقيق حياة الدنيا فمدفوع لكن لا بما قيل من
عدم اعتدادهم بها الزوال والماوانقضاءها وانقطاع آثارها وأحكامها بل بأن مقصودهم إحداث الاعتراف بما كانوا
ينكرونه في الدنيا كما ينطق به قولهم (فاعترفنا بذنوبنا) والتزام العمل بموجب ذلك الاعتراف ليتوبوا •
بذلك إلى ما علقوا به أطاعهم الفارغة من الرجوع إلى الدنيا كما قد صرحوا به حيث قالوا فارجعنا نعمل
صالحاً إنا موقنون وهو الذى أرادوه بقولهم (فهل إلى خروج من سبيل) مع نوع استبعاد له واستشعار •
يأس منه لا أنهم قالوه بطريق القنوط البحت كما قيل ولا ريب فى أن الذى كان ينكرونه رغبوا عنه لينظفوه
فنون الكفر والمعاصى ليس إلا الإحياء بعد الموت وأما الإحياء الأول فلم يكونوا ينكرونه لينظفوه
فى سلك ما اعترفوا به وزعموا أن الاعتراف يهديهم نفعاً وإنما ذكروا الموتة الأولى مع كونهم معترفين
بها فى الدنيا لتوقف حياة القبر عليها وكذا حال الموتة فى القبر فإن مقصودهم الأصلي هو الاعتراف
بالإحياءين وإنما ذكروا الإمامتين لترتيبهما عليهما ذكرًا حسب ترتيبهما عليهما وجوداً وتنكير سبيل
للإيهام أى من سبيل ما كيفما كان وقوله تعالى (ذلكم) الخ جواب لهم باستحالة حصول ما يرجونه ببيان ١٢
ما يوجبها من أفعالهم السيئة أى ذلكم الذى أتم فيه من العذاب مطلقاً لا مقيداً بالخلود كما قيل (بأنه)
أى بسبب أن الشأن (إذا دعى الله) فى الدنيا أى هب (وحده) أى منفرداً (كفرتم) أى بتوحيده (وإن

هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّل لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ٤٠ غافر
 فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ ٤٠ غافر
 رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ
 التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ ٤٠ غافر

بشرك به تؤمنوا) أى بالإشراك به وتسارعوا فيه وفي إيراد إذا وصيغة الماضي في الشرطية الأولى وإن
 • وصيغة المضارع في الثانية مالا يخفى من الدلالة على كمال سوء حالهم وحيث كان حالكم كذلك (فالحكم
 • الله) الذى لا يحكم إلا بالحق ولا يقضى إلا بما تقتضيه الحكمة (العلى الكبير) الذى لبس كثره شئ في
 ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه وقد حكم بأنه لا مغفرة
 ١٣ للشرك ولا نهاية لعقوبته كما لا نهاية لشناعته فلا سبيل لكم إلى الخروج أبداً (هو الذى يريكم آياته)
 الدالة على شتونه العظيمة الموجهة لتفرد بالآلوهية لتستدلوا بها على ذلك وتعملوا بموجبها فتزود
 • تعالى وتخصوه بالعبادة (وينزل) بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الإنزال (لكم من السماء رزقا) أى
 سبب رزق وهو المطر وإفراذه بالذكر مع كونه من جملة الآيات الدالة على كمال قدرته تعالى لتفرد
 بعنوان كونه من آثار رحمته وجلائل نعمته الموجهة للشكر وصيغة المضارع في الفعلين الدالة على
 • تجدد الإراقة والتنزيل واستمرارهما وتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر غير مرة (وما يتذكر) بتلك
 الآيات الباهرة ولا يعمل بمقتضاها (إلا من ينيب) إلى الله تعالى ويتفكر فيما أودع في تضاعيف
 مصنوعاته من شواهد قدرته الكاملة ونعمته الشاملة الموجهة لتخصيص العبادة به تعالى ومن ليس كذلك
 ١٤ فهو معزول من التذكر والاتعاظ (فادعوا الله مخلصين له الدين) أى إذا كان الأمر كما ذكر من اختصاص
 التذكر بمن ينيب فاعبدوه أيها المؤمنون مخلصين له دينكم بموجب إنا بتكم إليه تعالى وإيمانكم به (ولو كره
 ١٥ الكافرون) ذلك وغازطهم إخلاصكم (رفيع الدرجات) نحو بديع السموات على أنه صفة مشبهة أضيفت
 إلى فاعلها بعد النقل إلى فعل بالضم كما هو المشهور وتفسيره بالرافع ليكون من إضافة اسم الفاعل إلى
 • المفعول بعيد في الاستعمال أى رفيع درجات ملائكته أى معارجهم ومصاحدهم إلى العرش (ذو
 العرش) أى مالئكه وهما خبران آخران لقوله تعالى هو أخبر عنه بهما إيداناً بعلو شأنه تعالى وعظم
 سلطانه الموجهين لتخصيص العبادة به وإخلاص الدين له إما بطريق الاستشهاد بهما عليهما فإن ارتفاع
 معارج ملائكته إلى العرش وكون العرش العظيم المحيط بأكناف العالم العلوى والسفلى تحت ملكوته
 وقبضة قدرته بما يقضى بكون علو شأنه وعظم سلطانه في غاية لا غاية ورامها وإما بجعلها عبارة حتمها
 • بطريق المجاز المتفرع على الكناية كالأستواء على العرش وتمهيداً لما يعقبهما من قوله تعالى (باقى الروح
 من أمره) فإنه خبر آخر لما ذكر منبى عن إنزال الرزق الروحانى الذى هو الوحي بعد بيان إنزال
 الرزق الجسمانى الذى هو المطر أى ينزل الوحي الجارى من القلوب منزلة الروح من الأجساد وقوله

يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٤٠ غافر
 الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ ٤٠ غافر

- تعالى من أمره بيان للروح الذي أريد به الوحى فإنه أمر بالخير أو حال منه أى حال كونه ناشئاً ومبتدأ من أمره أو صفة له على رأى من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته لى الروح الكائن من أمره أو متعلق بياق ومن للسيبىة كالباء مثل ما فى قوله تعالى بما خطيئتهم أى ياقى الوحى بسبب أمره (على من يشاء من عباده) وهو الذى اصطفاه لرسالته وتبليغ أحكامه إليهم (لينذر) أى الله تعالى أو للملقى عليه أو الروح وقرىء لتنذر على أن الفاعل هو الرسول ﷺ أو الروح لأنها قد تؤنث (يوم التلاق) • إما ظرف للمفعول الثانى أى لينذر الناس العذاب يوم التلاق وهو يوم القيامة لأنه يتلاقى فيه الأرواح والأجسام وأهل السموات والأرض أو هو المفعول الثانى اتساعاً أو أصالة فإنه من شدة هول وفظاعته حقيق بالإندار أصالة وقرىء لينذر على البناء للمفعول وورفع اليوم (يوم هم بارزون) بدل من يوم التلاق ١٦ • أى خارجون من قبورهم أو ظاهرون لا يستترهم شىء من جيل أو أكلة أو بناء لكون الأرض يومئذ قاعاً صافصفاً ولا عليهم ثياب إنما هم عراة مكشوفون كما جاء فى الحديث يحشرون عراة حفاة غرلاً وقيل ظاهرة نفوسهم لا تحجبهم غواشى الأبدان أو أعمالهم وسرائرهم (لا يخفى على الله منهم شىء) • استئناف • لبيان بروزهم وتقرير له وإزاحة لما كان يتوهمه المنوهمون فى الدنيا من الاستتار توهمها باطلاً أو خبر ثان وقيل حال من ضمير بارزون أى لا يخفى عليهم شىء ما من أعيانهم وأعمالهم وأحوالهم الجلية والخفية السابقة واللاحقة (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) حكاية لما يقع حينئذ من السؤال والجواب بتقدير قول معطوف على ما قبله من الجملة المنفية للمستأنفة أو مستأنف يقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية بروزهم وظهور أحوالهم كأنه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقال الخ أى ينادى مناد لمن الملك اليوم فيجيبه أهل المحشر لله الواحد القهار وقيل المجيب هو السائل بعينه لما روى أنه يجمع الله الخلائق يوم القيامة فى صعيد واحد فى أرض يضاء كأنها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فأول ما يتكلم به أن ينادى مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقيل حكاية لما ينطق به لسان الحال من تقطع أسباب للتصرفات المجازية واختصاص جميع الأفاعيل بقبضة القدرة الإلهية (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) الخ إما من تنقذ الجواب لبيان ١٧ حكم اختصاص الملك به تعالى ونتيجته التى هى الحكم السوى والقضاء الحق أو حكاية لما سبقوله تعالى يومئذ عقب السؤال والجواب أى تجزى كل نفس من النفوس البررة والفاجرة بما كسبت من خير أو شر (لا ظلم اليوم) بنقص ثواب أو زيادة عذاب (إن الله سريع الحساب) أى سريع حسابه تماماً إذ لا يشغله تعالى شأن عن شأن. فى حساب الخلائق قاطبة فى أقرب زمان كما نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه تعالى إذا أخذ فى حسابهم لم يقل أهل الجنة إلا فيها ولا أهل النار إلا فيها فيكون تعليلاً لقوله تعالى اليوم تجزى الخ فإن كون ذلك اليوم بعينه يوم التلاق ويوم البروز ربما يوم استبعاد وقروح الكل

وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ مَالٍ لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَبِيرٍ وَلَا شَفِيعَ
يُطَاعُ ١٨

يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ١٩

وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنْ اللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ٢٠
أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ
قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ٢١

- ١٨ فيه أو سريع مجيئاً فيكون تعليلاً للإنذار (وأنذرهم يوم الأزفة) أي القيامة سميت بها لا زوفها وهو القرب
غير أن فيه إشعاراً بأضييق الوقت وقيل الخطوة الأزفة وهي مشاركة أهل النار دخولها وقيل وقت حضور الموت
كما في قوله تعالى فلولاً إذا بلغت الحلقوم وقوله كلاً إذا بلغت النراقي وقوله تعالى (إذ القلوب لدى الحناجر)
بدل من يوم الأزفة فإنها ترتفع من أمانها فتلتصق بخلقهم فلا تعود فيترحوها ولا تخرج فيستريحوا بالموت
(كاظمين) على الغم حال من أصحاب القلوب على المعنى إذا الأصل قلوبهم أو من ضميرها في الظرف وجمع
السلامة باعتبار أن الكظم من أحوال العقلاء كقوله تعالى فظلت أعناقهم لها خاضعين أو من مفعول أنذرهم
على أنها حال مقدرة أي أنذرهم مقدراً كظمهم أو مشارفين الكظم (مال للظالمين من حبيب) أي قريب مشفق
(ولا شفيع يطاع) أي لا شفيع مشفع على معنى نفي الشفاعة والطاعة معاً على طريقة قوله [على لأحب
لا يهتدى بمناره] والضائر إن عادت إلى الكفار وهو الظاهر فوضع الظالمين موضع ضميرهم للنسجيل
١٩ عليهم بالظلم وتعليل الحكم به (يعلم خائنة الأعين) النظرة الخائنة كالنظرة الثانية إلى غير المحرم واستراق
النظر إليه أو خيانة الأعين على أنها مصدر كالعافية (وما تخفي الصدور) من الضائر والأسرار والجملة
٢٠ خبر آخر مثل باقي الروح الدلالة على أنه ما من خفي إلا وهو متعلق العلم والجزاء (والله يقضى بالحق)
لأنه المالك الحاكم على الإطلاق فلا يقضى بشيء إلا وهو حق وعدل (والذين يدعون) يعبدونهم
(من دونه) تعالى (لا يقضون بشيء) تهكم بهم لأن الجملة لا يقال في حقه يقضى أولاً يقضى وقرئ
تدعون على الخطاب التفاتاً أو على إضمار قل (إن الله هو السميع البصير) تقرير لعلبه تعالى بخائنة
٢١ الأعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون ولعريض بحال ما يدعون من دونه (أو
لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم) أي مآل حال من قبلهم من الأمم
المكذبة لرسولهم كعاد وثمود وأضرابهم (كانوا هم أشد منهم قوة) قدرة وتمكناً من التصرفات وإنما
جاء بضمير الفصل مع أن حقه التوسط بين معرفتين لمضاهاة أفعال من للبركة في امتناع دخول اللام
عليه وقرئ أشد منكم بالكاف (وآثاراً في الأرض) مثل القلاع الحصينة والمدائن المنيعة وقيل المعنى
وأكثر آثاراً كقوله [متقلداً سيفاً ورماً] (فأخذهم الله بذنوبهم) أخذاً وبيلاً (وما كان لهم من الله

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٣٣﴾ ٤٠ غافر

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٤﴾ ٤٠ غافر

إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَمْلَانَ وَقَرُونَ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿٣٥﴾ ٤٠ غافر

فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ

الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٣٦﴾ ٤٠ غافر

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ

الْفَسَادَ ﴿٣٧﴾ ٤٠ غافر

- من وائ) أى من وافق يقبهم عذاب الله (ذلك) أى ماذكر من الأخذ (بأسهم) بسبب أنهم (كانت ٢٢
تأتيهم رسلهم بالبيدات) أى بالمعجزات أو بالأحكام الظاهرة (فكفروا فأخذهم الله إنه قوى) متمكن
بما يريد غاية التمكّن (شديد العقاب) لا يؤبه عند عقابه بعقاب (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) وهى معجزاته ٢٣
(وسلطان مبين) أى وحجة قاهرة وهى إما عين الآيات والعطف لتغاير العنواين وإما بعض مشاهيرها
كالعصا أفردت بالذكور مع اندراجها تحت الآيات لأنها أفراد جبريل وميكال به مع دخولهما فى الملائكة
عليهم السلام (إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذب) أى فيما أظهره من المعجزات وفيما ادعاه ٢٤
من رسالة رب العالمين (فلما جاءهم بالحق من عندنا) وهو ما أظهر على يده من المعجزات القاهرة (قالوا ٢٥
اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم) كما قال فرعون سنقتل أبائهم ونستحي نساءهم أى أعيدوا
عليهم ما كنتم تفعلونه أولاً وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث ﷺ وأحس بأنه قد وقع ما وقع
أعاده عليهم غيظاً وحنقاً وزعماً منه أنه يصددهم بذلك عن مظاهر تهظاً منهم أنه المولود الذى حكم المنجمون
والكهنة بذهاب ملكهم على يده (وما كيد الكافرين إلا فى ضلال) أى فى ضياع وبطلان لا يغنى عنهم •
شيئاً وينفذ عليهم لا محالة القدر المقدور والقضاء المحتوم واللام إما للعمد والإظهار فى موقع الإضرار
لذمهم بالكفر والإشعار بعلّة الحكم أو للجنس وهم داخلون فيه دخول أولياً والجملة اعتراض جوى به فى
تضعيف ما حكى عنهم من الأباطيل المسارعة إلى بيان بطلان ما أظهره من الإبراق والإرعاد
واضمحلاله بالمرّة (وقال فرعون ذروني أقتل موسى) كان ملؤه لإذام بقتله عليه الصلاة والسلام كفوه ٢٦
بقولهم ليس هذا بالذى تخافه فإنه أقول من ذلك وأضعف وما هو إلا بعض السحرة وقولهم إذا قتله
أدخلت على الناس شهة واعتقدوا أنك عجزت عن معارضته بالحجة وعدلت إلى المقارعة بالسيف والظاهر
من دهاء اللعين ونكارته أنه كان قد استيقن أنه نبي وأن ما جاء به آيات باهرة وما هو بسحر ولكن كان
يخاف إن هم بقتله أن يعاجل بالهلاك وكان قوله هذا تمويهاً على قومه وإيهاماً أنهم هم الكافون له عن قتله
٢٥٠ - أبى السعود ج ٧ ،

يَنْقُومَ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ٢٩

٤٠ غافر

وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَنْقُومُ إِلَيَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ٣٠

٤٠ غافر

مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِلْعِبَادِ ٣١

٤٠ غافر

وَيَنْقُومُ إِلَيَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ٣٢

٤٠ غافر

يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مَدِيرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ٣٣

٤٠ غافر

- ٢٩ مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب ومنهاج النجاة (يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين) غالبين طالين
على بنى إسرائيل (في الأرض) أى أرض مصر لا يقاومكم أحد في هذا الوقت (فمن ينصرنا من بأس الله)
من أخذه وعذابه (إن جاءنا) أى فلا تفسدوا أمركم ولا تتعرضوا للبأس الله بقتله فإنه إن جاءنا لم يمنعنا
منه أحد وإنما نسب ما يسرهم من الملك والظهور في الأرض إليهم خاصة ونظم نفسه في سلكهم فيما يسوؤهم
من مجيء بأس الله تعالى تطيباً لقلوبهم وإيذاناً بأنه مناصح لهم ساع في تحصيل ما يجديهم ودفع ما يريدهم
سعيه في حق نفسه ليتأثروا بنصحه (قال فرعون) بعدما سمع نصحه (ما أريكم) أى ما أشير عليكم (إلا
ما أرى) واستصوبه من قتله (وما أهدىكم) بهذا الرأي (إلا سبيل الرشاد) أى الصواب أولاً أعلحكم
إلا ما أعلم ولا أسر عنكم خلاف ما أظهره ولقد كذب حيث كان مستشعراً للخوف الشديد ولكنه
كان يتجلد ولولاه لما استشار أحداً أبداً وقرئ بتشديد الشين للبالغة من رشد كعلام أو من رشد كعباد
لا من أرشد كجبار من أجبر لأنه مقصور على السماع أو للنسبة إلى الرشد كعواج وبنات غير منظور فيه
إلى فعل (وقال الذي آمن) مخاطباً لقومه (يا قوم إنى أخاف عليكم) في تكذيبه والتعرض له بالسوء (مثل
يوم الأحزاب) مثل أيام الأمم الماضية يعنى وقائعهم وجمع الأحزاب مع التفسير أغنى عن جمع اليوم
(مثل داب قوم نوح وعاد وثمود) أى مثل جزاء ما كانوا عليه من الكفر وإيذاء الرسل (والذين من
بعدهم) كقوم لوط (وما الله يريد ظلماً للعباد) فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلى الظالم منهم بغير انتقام وهو
أبلغ من قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد لما أن المنفى فيه إرادة ظلم ما ينتفى الظلم بطريق الأولوية (ويا قوم
إنى أخاف عليكم يوم التناد) خوفهم بالعذاب الآخرى بعد تخويفهم بالعذاب الديوى ويوم التناد
يوم القيامة لأنه ينادى فيه بعضهم للاستغاثة أو يتصايحون بالويل والثبور أو يتنادى أصحاب الجنة
وأصحاب النار حسبما حكى في سورة الأعراف وقرئ بتشديد الدال وهو أن يند بعضهم من بعض
كقوله تعالى يوم يفر المرء من أخيه وعن الضحاك إذا سمعوا زفير النار ندوا هرباً فلا يأتون قطراً من
القطار إلا وجدوا ملامكة صفوفاً بينناهم بموج بعضهم في بعض إذ سمعوا منادياً أقبلوا إلى الحساب (يوم
تولون مدبرين) بدل من يوم التناد أى منصرفين عن الموقف إلى النار أو فارين منها حسبما نقل أنفاً

وَلَقَدْ جَاءَكَ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ ۚ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٢٤﴾

٤٠ غافر

الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كِبَرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٌ ﴿٢٥﴾

٤٠ غافر

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٢٦﴾
أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ۚ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ
وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٢٧﴾

٤٠ غافر

(ما لكم من الله من عاصم) بعصمكم من عذابه والجملة حال أخرى من ضمير تولون (ومن يضل الله فله ٣٤ من هاد) يهديه إلى طريق النجاة (واقدم جاءكم يوسف) هو يوسف بن يعقوب عليهم السلام على أن فرعون ه فرعون موسى أو على نسبة أحوال الآباء إلى الأولاد وقبل سبطه يوسف بن إبراهيم بن يوسف الصديق ه (من قبل) من قبل موسى (بالبينات) بالمعجزات الواضحة (فما زلتم في شك مما جاءكم به) من الدين (حتى إذا هلك) بالموت (قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) ضمنا إلى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده أو جزما بأن لا يبعث بعده رسول مع الشك في رسالته وقرىء أن يبعث الله على أن بعضهم يقرر بعضاً بنفي الدعوى (كذلك) مثل ذلك الإضلال الفظيع (يضل الله من هو مسرف) في عصيانه (مرتاب) ٣٥ في دينه شاك فها أشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك في التقليد (الذين يجادلون في الله) بدل من الوصول الأول أو بيان له أو صفة باعتبار معناه كأنه قيل كل مسرف مرتاب أو المسرفين المرتابين (بغير سلطان) متعلق بجادلون أى بغير حجة صالحة للتمسك بها في الجملة (أناهم) صفة سلطان (كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا) فيه ضرب من التعجب والاستعظام وفي كبر ضمير يعود إلى من وتذكيره باعتبار اللفظ وقبل إلى الجدال المستفاد من يجادلون (كذلك) أى مثل ذلك الطبع الفظيع (يطبع الله على قلب كل متكبر جبار) فيصدر عنه أمثال ما ذكر من الإسراف والارتباب والمجادلة بالباطل وقرىء بتدوين قلب ٣٦ ووصفه بالتكبر والتعجب لأنه منهمما (وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا) أى بناء مكشوقا طالياً من ٣٧ صرح الشيء إذا ظهر (لعلى أباغ الأسباب) أى الطرق (أسباب السموات) بيان لها وفي إيهامها ثم إيضاها تفخيم لشأنها وتشويق للسامع إلى معرفتها (فأطلع إلى إله موسى) بالنصب على جواب التزجي وقرىء بالرفع عطفاً على أباغ ولعله أراد أن يبنى له رسداً في موضع عال ليرصد منه أحوال الكواكب التى هى أسباب سماوية تدل على إرسال الله تعالى إياه أو أن يرى فساد قوله عليه الصلاة والسلام بأن إخباره من إله السماء بتوقف على إطلاعه عليه ووصوله إليه وذلك لا يتأتى إلا بالصعود إلى السماء وهو ما

٤٠ غافر

وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَتَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾

٤٠ غافر

يَتَقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾

مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ

٤٠ غافر

الْجَنَّةَ يَرْزُقُونَ فِيهَا بغيرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

٤٠ غافر

وَيَتَقَوْمِ مَالِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾

تَدْعُونَنِي لَا أَكْفُرُ بِاللَّهِ وَأُشْرِكُ بِهِ مَالِيسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ ٤٠ غافر

- لا يقوى عليه الإنسان وما ذاك إلا لجهله بالله سبحانه وكيفية استعباده (وإني لأظنه كاذباً) فيما يدعيه من الرسالة أي ومثل ذلك التزيين البليغ المفرط (زين لفرعون سوء عمله) فانهمك فيه أنهم ما كالا يرعوى عنه بحال (وصد عن السبيل) أي سبيل الرشاد والفاعل في الحقيقة هو الله تعالى ويؤيده قراءة زين بالفتح وبالتوسط لشیطان وقرىء وصد على أن فرعون صد الناس عن الهدى بأمثال هذه الترهات والشبهات ويؤيده قوله تعالى (وما كيد فرعون إلا في تباب) أي خسار وهلاك أو على أنه من صد صدوداً أي أعرض وقرىء بكسر الصاد على نقل حركة الدال إليه وقرىء وصد على أنه عطف على سوء عمله وقرىء وصدوا أي هو وقومه (وقال الذي آمن) أي مؤمن آل فرعون وقيل موسى عليه السلام (ياقوم اتبعوني) فيما دللتكم عليه (أهدكم سبيل الرشاد) أي سبيلاً يصل سالكه إلى المقصود وفيه تعريض بأن ما يسلكه فرعون وقومه سبيل الغي والضلال (ياقوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع) أي تمتع يسير لسرعة زوالها أجهل لهم أولاً ثم فسرها فتفتح بضم الدنيا وتصغير شأنها لأن الإخلاص إليها رأس كل شر ومنه تنشعب فنون ما يؤدي إلى سخط الله تعالى ثم تنى بتعظيم الآخرة فقال (وإن الآخرة هي دار القرار) لخلودها ودوام ما فيها (من عمل) في الدنيا (سنة فلا يجزى) في الآخرة (إلا مثلاً) عدلاً من الله سبحانه وفيه دليل على أن الجنایات تغرم بأمثالها (ومن عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فأولئك) الذين عملوا ذلك (يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) أي بغير تقدير وموازنة بالعمل بل أضعافاً مضاعفة فضلاً من الله عز وجل ورحمة وجعل العمل عمدة والإيمان حالاً للإيمان بأنه لا عبرة بالعمل بدونه وأن ثوابه أعلى من ذلك (ياقوم مالى أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار) كرر نداءهم لإيقاظهم عن نية الغفلة واعتناء بالمنادى له ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه ومدار التوجب الذي يلوح الاستفهام دعوتهم إياه إلى النار ودعوته إياهم إلى النجاة كأنه قيل أخبروني كيف هذه الحال أدعوكم إلى الخير وتدعونني إلى الشر وقد جعله بعضهم من قبيل مالى أراك حزينا وقوله تعالى (تدعونني لا كفرن بالله) بدل أو بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية في التعدية بالي واللام (وأشرك به مالىس لي به) بشر كتمه له تعالى في المعبودية وقيل بربوبيته (علم) والمراد نفي المعلوم والإشعار بأن الألوهية لا بد لها من برهان موجب

لَا جَرَمَ أَنْ تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ
الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾

٤٠ غافر

فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرُ الْعِبَادِ ﴿٤٤﴾

٤٠ غافر

فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَاسَكْرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾

٤٠ غافر

النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾

٤٠ غافر

- ٤٣ للعلم بها (وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار) الجامع لجميع صفات الألوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والإرادة والتسكن من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران (لا جرم) لا رد لما دعوه إليه وجرم فعل ماض بمعنى حق وفاعله قوله تعالى (أن ما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة) أى حق ووجب عدم دعوة آلهتكم إلى عبادتها أصلاً أو عدم دعوة مستجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه أى كسب ذلك الدعاء إليه بطلان دعوته بمعنى ما حصل من ذلك إلا ظهور بطلان دعوته وقيل جرم فعل من الجرم وهو القطع كما أن بدأ من لا بد فعل من التبديد أى التفريق والمعنى لا قطع لبطلان ألوهية الأصنام أى لا ينقطع فى وقت ما فينقلب حقاً ويؤيده قولهم لا جرم أنه يفعل بضم الجيم وسكون الراء وفعل وأخوان كرشد ورشد (وأن مردنا إلى الله) أى بالموت عطف على أن ما تدعونني داخل فى حكمه وكذا قوله تعالى (وأن المسرفين) أى فى الضلال والطغيان كالإشراك وسفك الدماء (هم أصحاب النار) أى ملازموها (فسندكرون) وقرئ فسندكرون أى فسيذكركم بعضكم بعضاً عند معاينة العذاب (ما أقول لكم) من النصائح (وأفوض أَمْرِي إِلَى اللَّهِ)
- ٤٤ قاله لما أنهم كانوا توعدوه (إن الله بصير بالعباد) فيحرس من يلوذه من المكارة (فوقاه الله سيئات ما مكروا) شدائد مكرم وما هموا به من إلحاق أنواع العذاب بمن خالفهم قيل فجامع موسى عليه السلام (وحاق بآل فرعون) أى بفرعون وقومه وعدم التصريح به للاستغناء بذكرهم عن ذكره ضرورة أنه أولى منهم بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه لما أنه فر إلى جبل فأتبعه طائفة ليأخذوه فوجدوه يصلى
- ٤٥ والوحوش صفوف حوله فرجموا رعباً فقتلهم (سوء العذاب) الفرق والقتل والنار (النار يعرضون عليها غدواً وعشياً) جملة مستأنفة مسوقة لبيان كيفية سوء العذاب أو النار خبر مبتدأ محذوف كأن قائلاً قال ما سوء العذاب فقيل هو النار ويعرضون استئناف للبيان أو بدل من سوء العذاب ويعرضون حال منها أو من الآل ولا يشترط فى الحقيق أن يكون الحائق ذلك السوء بعينه حتى يرد أن آل فرعون لم يهملوا بتعذيبه بالنار ليكون ابتلاؤهم بها من قبيل رجوع ما هموا به عليهم بل يكفى فى ذلك أن يكون مما يطلق عليه اسم سوء وقرئت منصوبة على الاختصاص أو بإضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فإن عرضهم على النار بإحراقهم بها من قولهم عرض الأسارى على السيف إذا قتلوا به وذلك لأرواحهم

وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فُهِلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾

٤٠ غافر

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾

٤٠ غافر

وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾

٤٠ غافر

قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي

٤٠ غافر

ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾

- كما روى ابن مسعود رضى الله عنه أن أرواحهم في أجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشياً إلى يوم القيامة وذكر الوقتين إما للخصيص وأما فيما بينهما فآله تعالى أعلم بحالهم وإما للتأييد هذا مادامت الدنيا (ويوم تقوم الساعة) يقال للملائكة (أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) أى عذاب جهنم فإنه أشد مما كانوا فيه أو أشد عذاب جهنم فإن عذابها ألوان بعضها أشد من بعض وقرىء ادخلوا من الدخول أى يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون أشد العذاب (وإذ يتحاجون في النار) أى واذكر لقومك وقت تخصمهم فيها (فيقول الضعفاء) منهم (الذين استكبروا) وهم رؤسائهم (إنا كنا لكم تبعاً) أتباعاً نخدم في جمع خادم أو ذوى تبع أى اتباع على إضمار المضاف أو تبعاً على الوصف بالمصدر مبالغة (فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار) بالدفع أو بالحل ونصيباً منصوب بمضمر يدل عليه مغنون أى دافعون عنا نصيباً الخ أو بمغنون على تضمينه معنى الحمل أى مغنون عنا حاملين نصيباً الخ أو نصب على المصدرية كشيئاً فى قوله تعالى لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً فإنه فى موقع غناء فكذلك نصيباً (قال الذين استكبروا إنا كل فيها) أى نحن وأنتم فكيف تغنى عنكم ولو قدرنا لأغنيانا عن أنفسنا وقرىء ٤٨
- كلا على التأكيد لاسم إن بمعنى كلا وتنويه عوض عن المضاف إليه ولا مساغ لجعله حالاً من المستكن فى الظرف فإنه لا يعمل فى الحال المتقدمة كما يعمل فى الظرف المتقدم فإنك تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول جديداً لك ثوب (إن الله قد حكم بين العباد) وقضى قضاء متقناً لا مرد له ولا معقب لحكمه (وقال الذين فى النار) من الضعفاء والمستكبرين جميعاً لما ضاقت حيلهم وعيت بهم علمهم (لخزنة جهنم) ٤٩
- أى للقوام بتعذيب أهل النار ووضع جهنم موضع الضمير للنهويل والتفطيع أو لبيان علمهم فيها بأن تكون جهنم أبعد درجات النار وفيها أعنف الكفرة وأطعمهم أو لكون الملائكة الموكلين بعذاب أهلها أقدر على الشفاعة لمزيد قربهم من الله تعالى (ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً) أى مقدار يوم أو فى يوم مامن الأيام على أنه ظرف لامعيار شيئاً (من العذاب) واقتصارهم فى الاستدعاء على ما ذكر من تخفيف قدر يسير من العذاب فى مقدار قصير من الزمان دون رفعه رأساً أو تخفيف قدر كثير منه فى زمان مديد لأن ذلك عندهم ما ليس فى حيز الإمكان ولا يكاد يدخل تحت أمانهم (قالوا) أى الخزنة (أو لم تك تأتكم رسلكم ٥٠

- ٤٠ غافر إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾
- ٤٠ غافر يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾
- ٤٠ غافر وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٣﴾
- ٤٠ غافر هُدًى وَذِكْرَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾
- ٤٠ غافر فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾

بالبينات) أى ألم تذهبوا على هذا ولم تك تأتكم رسلكم فى الدنيا على الاستمرار بالحجج الواضحة الدالة على سوء مغبة ما كنتم عليه من الكفر والمعاصى كما فى قوله تعالى ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا أرادوا بذلك إلزامهم وتوبيخهم على إضاعة أوقات الدعاء وتعطيل أسباب الإجابة (قالوا بلى) أى أنونا بها فكذبناهم كما نطق به قوله تعالى بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا فى ضلال كبير والفاء فى قوله تعالى (قالوا فادعوا) فصحية كما فى قول من قال [فقد جئنا خراساناً] أى إذا كان الأمر كذلك فادعوا أنتم فإن الدعاء لمن يفعل ذلك بما يستحيل صدوره عنا وتعليل امتناعهم عن الدعاء بعدم الإذن فيه مع عرائه عن بيان أن سببه من قبلهم كما تفصح عنه الفاء ربما يوهم أن الإذن فى حيز الإمكان وأنهم لو أذن لهم فيه لفعلوا ولم يريدوا بأمرهم بالدعاء إطعامهم فى الإجابة بل إقناطهم منها وإظهار خيبتهم حسبما صرحوا فى قولهم (وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال) أى ضياع وبطلان وقوله تعالى (إننا لننصر رسلنا والذين آمنوا) الخ كلام مستأنف مسوق من جهة تعالى لبيان أن ما أصاب الكفرة من العذاب المحسكى من فروع حكم كلى تقتضيه الحكمة وهو أن شأننا المستمر أنا ننصر رسلنا وأتباعهم (فى الحياة الدنيا) بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة بالاستئصال والقتل والسب وغير ذلك من العقوبات ولا يقدر فى ذلك ما قد يتفق لهم من صورة الغلبة امتحاناً إذ العبرة إنما هى بالموافب وغالب الأمر (ويوم يقوم الأشهاد) أى يوم القيامة عبر عنه بذلك الإشعار بكيفية النصرة وأنها تكون عند جميع الأولين والآخرين بشهادة الأشهاد للرسل بالتبليغ وعلى الكفرة بالكذب (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) بدل من الأول وعدم نفع المعذرة لأنها باطلة وقرى لا تنفع بالناء (ولهم اللعنة) أى البعد عن الرحمة (ولهم سوء الدار) أى جهنم (ولقد آتينا موسى الهدى) ما يهتدى به من المعجزات والصحف والشرائع (وأورثنا بنى إسرائيل الكتاب) وتركنا عليهم من بعده التوراة (هدى وذكرى) هداية وتذكيرة أو هادياً ومذكراً (لأولى الأبواب) لذوى العقول السليمة العامة (بما فى تضاعيفه) فاصبر على ما نالك من أذية المشركين (إن وعد الله) أى وعده الذى ينطق به قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون أو وعده الخاص بك أو جميع مواعيده التى من جملتها ذلك (حق) لا يحتمل الإخلاف أصلاً واستشهد بحال موسى وفرعون

إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ
بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾

٤٠ غافر

لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾

٤٠ غافر

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مِمَّا تَدَّكَّرُونَ ﴿٥٨﴾

٤٠ غافر

- (واستغفر لذنبك) تداركاً لما فرط منك من ترك الأولى في بعض الاحايين فإنه تعالى كافيك في نصرة دينك وإظهاره على الدين كله (وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار) أى ودم على التسبيح ملتبساً بحمده • تعالى وقيل صل لهذين الوقتين إذ كان الواجب بمكرر كعتين بكرة وكعتين عشياً وقيل صل شكراً لربك بالعشي والإبكار وقيل هما صلاة العصر وصلاة الفجر (إن الذين يجادلون في آيات الله) ويجادون بها ٥٦ (بغير سلطان أناهم) في ذلك من جهته تعالى وتقييد المجادلة بذلك مع استحالة إتيانه للإبذان بأن التكلم في أمر الدين لا بد من استناده إلى سلطان مبين البتة وهذا عام لكل مجادل مبطل وإن نزل في مشركي مكة وقوله تعالى (إن في صدورهم إلا كبر) خبر لأن أى مافي قلوبهم إلا تكبر عن الحق وأعظم عن التفكير والتعلم أو لإرادة الرياسة والتقدم على الإطلاق أو لإرادة أن تكون النبوة لهم دونك حسداً وبغياً حسبما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من الفريقين عظيم وقالوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه ولذلك يجادلون فيها لأن فيها موقع جدال ما وأن لهم شيئاً يتوهم أن يصلح مداراً لمجادلتهم في الجملة وقوله تعالى (ماهم يبالغيه) صفة لكبر قال مجاهد ماهم يبالغي مقتضى ذلك الكبر وهو ما أرادوه من الرياسة أو النبوة • وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون لست صاحبنا المذكور في التوراة بل هو المسيح بن داود يريدون الدجال يخرج في آخر الزمان ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الأنهار وهو آية من آيات الله تعالى فيرجع إلينا الملك فسمى الله تعالى تمنيمهم ذلك كبراً ونفى أن يبلغوا متمناهم (فاستعذ بالله) أى فالتجىء إليه من كيد من يحسدك ويغنى عليك وفيه رمز إلى أنه من همزات الشياطين (إنه هو السميع البصير) لأقوالكم وأفعالكم وقوله تعالى (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس) تحقيق للحق وتبيين ٥٧ لأشهر ما يجادلون فيه من أمر البعث على منهاج قوله تعالى أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) لقصورهم في النظر والتأمل لفرط غفلتهم واتباعهم لأهوائهم • (وما يستوى الأعمى والبصير) أى الغافل والمستبصر (والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء) ٥٨ أى والمحسن والمسيء فلا بد أن تكون لهم حال أخرى يظهر فيها ما بين الفريقين من التفاوت وهى فيما بعد البعث وزيادة لافى المسيء لنا كيد النفي لطول الكلام بالصلة ولأن المقصود نفي مساواته بالمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثانى عطف الموصول بما عطف عليه على الأعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود أو الدلالة بالصراحة والتمثيل (قليلًا مما تذكرون) على الخطاب بطريق الالتفات ٣٦ - ابن السكود ج ٧

٤٠ غافر
 إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾
 وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ
 دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾
 اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
 النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾
 ٤٠ غافر
 ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَى تُوَفَّكُونَ ﴿٦٢﴾
 ٤٠ غافر
 كَذَلِكَ يُؤَفِّكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾
 اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ
 ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾
 ٤٠ غافر

- ٥٩ أى تذكراً قليلاً لتذكرون وقرىء على الغيبة والضمير للناس أو الكفار (إن الساعة لآتية لا ريب فيها) أى
 فى مجيئها لوضوح شواهد ما وإجماع الرسل على الوعد بوقوعها (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) لا يصدقون
 ٦٠ بها لقصور أنظارهم على ظواهر ما يحسون به (وقال ربكم ادعوني) أى اعبدوني (أستجب لكم) أى
 أنبكم لقوله تعالى (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) أى صاغرين أدلاء وإن
 فسر الدعاء بالسؤال كان الأمر الصارف عنه منزلاً منزلة الاستكبار عن العبادة للبالغة أو المراد
 ٦١ بالعبادة الدعاء فإنه من أفضل أبوابها وقرىء سيدخلون على صيغة المبني للمفعول من الإدخال (الله الذى
 جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) بأن خلقه بارداً مظلاً ليؤدى إلى ضعف الحركات وهذه الحواس
 • لتستربحوا فيه وتقديم الجار والمجرور على المفعول قد مر مراراً (والنهار مبصراً) أى مبصراً فيه
 أو به (إن الله لذو فضل) عظيم لا يوازيه ولا يداينه فضل (على الناس ولكن أكثر الناس لا يفكرون)
 ٦٢ لجهلهم بالمنعم وإغفالهم مواضع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم (ذلكم) المنفرد بالأفعال
 المقتضية الألوهية والربوبية (الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو) أخبار مترادفة تخصص اللاحقة
 منها السابقة وتقررهما وقرىء خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا إله إلا هو استئنافاً بما هو
 كالنتيجة للأوصاف المذكورة (فاتى توفىكون) فكيف ومن أى وجه تصرفون عن عبادته خاصة إلى عبادة
 ٦٣ غيره (كذلك يوفى الذين كانوا بآيات الله يمحذون) أى مثل ذلك الإفك العجيب الذى لا وجه له ولا
 ٦٤ مصحح أصلاً يوفى كل من جحد بآياته تعالى أى آية كانت لا إفكاً آخر له وجه ومصحح فى الجملة (الله
 الذى جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناءً) بيان لفضله تعالى المتعلق بالمكان بعد بيان فضله المتعلق
 بالزمان وقوله تعالى (وصوركم فأحسن صوركم) بيان لفضله المتعلق بأنفسهم والفاء فى فإحسن تفسيرية

هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ غافر ٤٠
 قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أُعْبَدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ
 أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ غافر ٤٠
 هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ
 لِيَتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلِيَتَبَلَّغُوا أَجْلاً مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ غافر ٤٠
 هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قُضِيَ أَمْرٌ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ غافر ٤٠

فإن الإحسان عين التصوير أى صوركم أحسن تصوير حيث خلقكم منتصب القامة بآدى البشارة متناسب
 الأعضاء والتخطيطات متيناً لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات (ورزقكم من الطيبات) أى اللذائذ
 (ذلكم) الذى نعت بما ذكر من النعوت الجليلة (الله ربكم) خبران لذلك (فتبارك الله) أى تعالى بذاته
 (رب العالمين) أى مالكم ومربهم والكل تحت ملكوته مفتقر إليه فى ذاته ووجوده وسائر أحواله
 جميعاً بحيث لو انقطع فيضه عنه آنا لانعدم بالكلية (هو الحى) المتفرد بالحياة الذاتية الحقيقية (لا إله
 إلا هو) إذ لا موجود يدانيه فى ذاته وصفاته وأفعاله (فادعوه) فاعبدوه خاصة لا اختصاص ما يوجه به
 تعالى (مخلصين له الدين) أى الطاعة من الشرك الجلى والحقى (الحمد لله رب العالمين) أى قائلين ذلك . عن
 ابن عباس رضى الله عنهما من قال لا إله إلا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين (قل إنى نهيت أن
 أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاء فى البينات من ربى) من الحجج والآيات أو من الآيات لكونها
 مؤيدة لأدلة العقل منبهة عليها فإن الآيات التنزيلية مفسرات الآيات التكوينية الآفاقية والآنفسية
 (وأمرت أن أسلم لرب العالمين) أى بأن أنقاد له وأخلص له ديني (هو الذى خلقكم من تراب) أى فى
 ضمن خلق آدم عليه الصلاة والسلام منه حسباً مرتحققه مراراً (ثم من نطفة) أى ثم خلقكم خلقاً
 تفصيلاً من نطفة أى منى (ثم من علقه ثم يخرجكم طفلاً) أى أطفالا والإفراد لإرادة الجنس أو لإرادة
 كل واحد من أفرادهم (ثم لتبلغوا أشدكم) علة ليخرجكم معطوفة على علة أخرى له مناسبة لها كأنه قيل
 ثم يخرجكم طفلاً لتكبروا شيئاً فشيئاً ثم لتبلغوا كمالكم فى القوة والعقل وكذا الكلام فى قوله تعالى
 (ثم لتكونوا شيوخاً) ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرئ شيخاً كقوله تعالى طفلاً (ومنكم من يتوفى
 من قبل) أى من قبل الشيخوخة بعد بلوغ الأشد أو قبله أيضاً (ولتبلغوا) متعلق بفعل مقدر بعده أى
 ولتبلغوا (أجلاً مسمى) هو وقت الموت أو يوم القيامة بفعل ذلك (ولعلكم تعقلون) ولكي تعقلوا
 ما فى ذلك من فنون الحكم والعبر (هو الذى يحيى) الأموات (ويميت) الأحياء أو الذى يفعل الإحياء
 والإماتة (فإذا قضى أمراً) أى أراد أمراً من الأمور (فإنما يقول له كن فيكون) من غير توقف على
 شئ من الأشياء أصلاً وهذا تمثيل لتأثير قدرته تعالى فى المقدورات عند تعلق إرادته بها وتصوير لسرعة

- ٤٠ غافر ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون ﴿٦٩﴾
 ٤٠ غافر الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون ﴿٧٠﴾
 ٤٠ غافر إذا أغلغل في أعناقهم والسلاسل يسحبون ﴿٧١﴾
 ٤٠ غافر في الحميم ثم في النار يسجرون ﴿٧٢﴾
 ٤٠ غافر ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون ﴿٧٣﴾

ترتب المكونات على تكوينه من غير أن يكون هناك أمر ومأمور والفاء الأولى للدلالة على أن ما بعدها من نتائج ما قبلها من اختصاص الإحياء والإماتة به سبحانه (ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون) تعجب من أحوالهم الشنيعة وآرائهم الركيكة وتمهيد لما يعقبه من بيان تكذيبهم بكل القرآن وبسائر الكتب والشرائع وترتيب الوعيد على ذلك كما أن ما سبق من قوله تعالى إن الذين يجادلون في آيات الله الخ بيان لا بقاء جدالهم على مبنى فاسد لا يكاد يدخل تحت الوجود هو الأمانة الفارغة فلا تكرير فيه أى انظر إلى هؤلاء المكابرين المجادلين في آياته تعالى الواضحة الموجبة للإيمان بها الزاجرة عن الجدال فيها كيف يصرفون عنها مع تعاضد الدواعى إلى الإقبال عليها وانتفاء الصوارف عنها بالسلبية وقوله تعالى (الذين كذبوا بالكتاب) أى بكل القرآن أو بجنس الكتب السماوية فإن تكذيبه تكذيب لها فى محل الجر على أنه بدل من الموصول الأول أو فى حيز النصب أو الرفع على الهم وإلما وصل الموصول الثانى بالتكذيب دون المجادلة لأن المعتاد وقوع المجادلة فى بعض المواد لافى الكل وصيغة الماضى للدلالة على التحقق كما أن صيغة المضارع فى الصلة الأولى للدلالة على تجدد المجادلة وتكررها (وبما أرسلنا به رسلنا) من سائر الكتب أو مطلق الوحي والشرائع (فسوف يعلمون) كنهه ما فعلوا ٧١ من الجدال والتكذيب عند مشاهدتهم لعقوباته (إذا أغلغل فى أعناقهم) ظرف ليعلمون إذ المعنى على الاستقبال ولفظ الماضى لتيقنه (والسلاسل) عطف على الأغلال والجار فى نية التأخير وقيل مبتدأ • حذف خبره لدلالة خبر الأول عليه وقيل قوله تعالى (يسحبون) بحذف العائد أى يسحبون بها وهو على الأولين حال من المستكن فى الظرف وقيل استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية حالهم ٧٢ كأنه قيل فماذا يكون حالهم بعد ذلك فقيل يسحبون (فى الحميم) وقرئ بالسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل بالجر حلا على المعنى لأن قوله تعالى الأغلال فى أعناقهم فى معنى أعناقهم فى الأغلال أو إضمار اللبأ وبدل عليه القراءة به (ثم فى النار يسجرون) أى يحرقون من النار إذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصدق كأنه سجر بالحب أى ملأ والمراد ٧٣ بيان أنهم يعذبون بأنواع العذاب وينقلون من باب إلى باب (ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون)

مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ
الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾

٤٠ غافر

ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾

٤٠ غافر

أَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَيْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾

٤٠ غافر

فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرَبِّيكَ بِعُصَّ الْأَذَى نَعُدُّهُمْ أَوْ تَتَوَفَّيْنَاكَ فَأَلَيْنَا يَرْجِعُونَ ﴿٧٧﴾ ٤٠ غافر
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ
أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٤٠ غافر

- (من دون الله قالوا ضلوا عنا) أى يقال لهم ويقولون وصيغة الماضى الدلالة على التحقق ومعنى ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل أن يقرن بهم آلهتهم أو ضاعوا عنا فلم نجد ما كنا نتوقع منهم (بل لم تكن ندعو من قبل شيئاً) أى بل تبين لنا أننا لم نكن نعبد شيئاً بعبادتهم لما ظهر لنا اليوم أنهم لم يكونوا شيئاً يعتد به كقولك حسبته شيئاً فلم يكن (كذلك) أى مثل ذلك الضلال الفظيع (يضل الله الكافرين) حيث لا يهتمدون إلى شيء ينفعهم فى الآخرة أو كما ضل عنهم آلهتهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا (ذلكم) ٧٤ الإضلال (بما كنتم تفرحون فى الأرض) أى تبطرون وتتكبرون (بغير الحق) وهو الشرك والطفغان (وبما كنتم تمرحون) تتوسعون فى البطر والأشر والالتفات للبالغة فى التوبيخ (ادخلوا أبواب جهنم) أى أبواب السبعة المقسومة لكم (خالدين فيها) مقدراً خلودكم فيها (فيس مثنوى المتكبرين) أى عن الحق جهنم والتعبير عن مدخلهم بالمثنوى لكون دخولهم بطريق الخلود (فاصبر) إلى أن يلاقوا ٧٥ ما أعد لهم من العذاب (إن وعد الله) بتعذيبهم (حق) كائن لا محالة (فإما نربيك) أى فإن ترك وما مزيدة لنا كيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولا تلحقه مع إن وحدها (بعض الذى نعدم) وهو القتل والأسر (أو تتوفيناك) قبل ذلك (فإلينا يرجعون) يوم القيامة فتجازيهم بأعمالهم وهو جواب تتوفيناك وجواب نربيك محذوف مثل فذاك ويمحوز أن يكون جواباً لها بمعنى إن نعذبهم فى حياتك أو لم نعذبهم فإنا نعذبهم فى الآخرة أشد العذاب وأفظعه كما ينبى عنه الاختصار على ذكر الرجوع فى هذا المعرض (ولقد ٨٧ أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) إذ قيل عدد الأنبياء عليهم السلام مائة وأربعة وعشرون ألفاً والمذكور قصصهم أفراد معدودة وقيل أربعة آلاف من بنى إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس (وما كان لرسول) أى وما صح وما استقام لرسول منهم (أن يأتى بآية إلا بإذن الله) فإن المعجزات على تشعب فتونها عطايا من الله تعالى قسمها بينهم حسبما اقتضته مشيئته المصلحة على الحكم البالغة كسائر القسم ليس لهم اختار فى إثارة بعضها والاستبداد بإتيان المقترح منها

اللَّهِ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ ٤٠ غافر

وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ ٤٠ غافر

وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ ۚ فَآيَ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾ ٤٠ غافر

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ

قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ٤٠ غافر

- * (فإذا جاء أمر الله) بالعذاب في الدنيا والآخرة (قضى بالحق) بإنجاء المحق وإثابته وإهلاك المبطل وتعذيبه (وخسر هنالك) أي وقت مجيء أمر الله اسم مكان استعير للزمان (المبطلون) أي المتمسكون بالباطل على الإطلاق فيدخل فيهم المعاندون المقترحون دخولا أولاً (الله الذي جعل لكم الأنعام) قيل هي الإبل خاصة أي خلقها لأجلكم ومصلحتكم وقوله تعالى (لتركبوا منها ومنها تأكلون) تفصيل لما دل عليه اللام إجمالاً ومن لا ابتداء الغاية ومعناها ابتداء الركوب والأكل منها أي تعلقهما بها وقيل للتبعية أي لتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها لا على أن كلا من الركوب والأكل مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر بل على أن كل بعض منها صالح لكل منهما وتغيير النظم الكريم في الجملة الثانية لمراعاة الفواصل مع الإشارات بأصالة الركوب (ولكم فيها منافع) أخر غير الركوب والأكل كإبلانها وأوبارها وجلودها (ولتبغوا عليها حاجة في صدوركم) بحمل أثقالكم من بلد إلى بلد (وعليها وعلى الفلك تحملون) لعل المراد به حمل النساء والولدان عليها بالهودج وهو السر في فصله عن الركوب والجمع بينها وبين الفلك في الحمل لما بينهما من المناسبة التامة حتى سميت سفائن البر وقيل هي الأزواج الثمانية فعنى الركوب والأكل منها تعلقهما بالكل لكن لا على أن كلا منهما يجوز تعلقه بكل منهما ولا على أن كلا منهما مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر بل على أن بعضهما يتعلق به الأكل فقط كالغنم وبعضها يتعلق به كلاهما كالإبل والبقر والمنافع تعم الكل وبلوغ الحاجة عليها يعم البقر (ويريكم آياته) دلالة الدالة على كمال قدرته ووفور رحمته (فأي آيات الله) أي فأي آية من تلك الآيات الباهرة (تنكرون) فإن كلا منها من الظهور بحيث لا يكاد يجترىء على إنكارها من له عقل في الجملة وهو ناصب لأي وإضافة الآيات إلى الاسم الجليل لترية المهابة وتهويل إنكارها وتذكير أي هو الشائع المستفيض والتأنيث قليل لأن التفرقة بين المذكور والمؤنث في الأسماء غير الصفات نحو حمار وحمار غريب وهي في أي أغرب لإبهامه (أفلم يسيرا) أي أقعدوا فلم يسيرا (في الأرض) فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من الأمم المهلكة وقوله تعالى (كانوا أكثر منهم وأشدة قوة) الخ استئناف مسوق لبيان مبادئ أحوالهم وعواقبها (وآثارا في الأرض) باقية بعدهم من الأبنية والقصور والمصانع وقيل هي آثار أقدامهم في الأرض لعظم أجرامهم (فما أغنى عنهم ما كانوا

فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾

٤٠ غافر

فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾
فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَا لِكَ
الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

٤٠ غافر

يكسبون) ما الأولى نافية أو استفهامية منصوبة بأغنى والثانية موصولة أو مصدرية مرفوعة أى لم يغن عنهم أو أى شيء أغنى عنهم مكسبهم أو كسبهم (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات أو بالآيات الواضحة (فرحوا بما عندهم من العلم) أى أظهروا الفرح بذلك وهو ما لهم من العقائد الزائفة والشبه الداحضة وتسميتها علماً للتحكم بهم أو علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك أو هو علم الأنبياء الذى أظهره رسلهم على أن معنى فرحهم به ضحكهم منه واستهزؤهم به ويؤيده قوله تعالى (وحق بهم ما كانوا به يستهزئون) وقيل الفرح أيضاً للرسول فإنهم لما شاهدوا تمادى جهلهم وسوء عاقبتهم فرحوا بما أوتوا من العلم المؤدى إلى حسن العاقبة وشكروا الله عليه وحق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزأتهم (فلما رأوا بأسنا) شدة عذابنا ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين) يعنون الأصنام (فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا) أى عند رؤية عذابنا لا متنازع قبوله حيثئذ ولذلك قيل فلم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الأولى بيان عاقبة كثرتهم وشدة قوتهم وما كانوا يكسبون بذلك زعماً منهم أن يغنى عنهم فلم يترتب عليه إلا عدم الإغناء فهذا الاعتبار جرى مجرى النتيجة وإن كان عكس الغرض ونقيض المطلوب كما فى قولك وعظته فلم يتعظ والثانية تفسير وتفصيل لما أبهم وأجمل من عدم الإغناء وقد كثر فى الكلام مثل هذه الفاء ومبناها على التفسير بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال والثالثة لمجرد التعقيب وجعل ما بعدها تابعاً لما قبلها واقعاً عقبيه لأن مضمون قوله تعالى فلما جاءتهم الخ هو أنهم كفروا فصار مجموع الكلام بمنزلة أن يقال فكفروا ثم لما رأوا بأسنا آمنوا والرابعة للعطف على آمنوا كأنه قيل فآمنوا فلم ينفعهم لأن النافع هو الإيمان الاختيارى (سنة الله التى قد خلت فى عباده) أى سن الله تعالى ذلك سنة ماضية فى العباد وهو من المصادر المؤكدة (وخسر هنالك الكافرون) أى وقت رؤيتهم البأس على أنه اسم مكان قد استعير للزمان كما سلف آنفاً . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن إلا صلى عليه واستغفر له .

(تم الجزء السابع ويليه الجزء الثامن وأوله سورة فصلت)

فهرست

الجزء السابع من تفسير قاضي القضاة أبي السعود

صفحة	صفحة
١٤١	٢٨ - سورة القصص
١٤٨	٥ قوله تعالى : وحرمتنا عليه المراضع الآية
١٥٦	١١ فلما قضى موسى الأجل
١٥٨	١٨ ولقد وصلنا لم القول
١٥٨	٢٤ إن قارون كان من قوم موسى
١٦٥	٢٩ - سورة العنكبوت
١٧٥	٢٧ قوله تعالى : فأمن له لوط الآية
١٨٣	(الجزء الحادى والعشرون)
١٨٧	٤٢ قوله تعالى : ولا تجادلوا أهل الكتاب الآية
١٩٦	٤٩ - سورة الروم
٢٠٥	٦٠ قوله تعالى : منيبين إليه الآية
٢١٨	٦٦ الله الذى خلقكم من ضعف
٢٢٠	٣١ - سورة لقمان
٢٣١	٧٤ قوله تعالى : ومن يسلم وجهه إلى الله الآية
٢٤٠	٧٩ - سورة السجدة
٢٤٤	٨٢ قوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الآية
٢٥٤	٨٩ - سورة الأحزاب
٢٥٩	٩٦ قوله تعالى : قد يعلم الله المعوقين منكم الآية
٢٦٥	(الجزء الثان والعشرون)
٢٧٢	١٠٢ قوله تعالى : ومن يقنت منكن لله الآية
٢٧٧	١١٠ ترجى من تشاء منهن
٢٨٢	١١٥ لئن لم يكن له لنا نقون
٢٨٢	١٢٠ - سورة سبا
٢٨٢	١٢٤ قوله تعالى : ولقد آتينا داود منا فضلا الآية
٢٨٢	١٣٢ قل من يرزقكم من السماء
٢٨٢	١٣٨ قل إنما اعظمكم براحة

نفس الحامد السعدي

المستقى لبشار العقل السليم إلى مراتب الفناء إن الحكيم

لقاضي القضاة الإمام
أبي السعود محمد بن محمد العامري
المتوفى سنة ٩٥١ هجرية

الجزء الثاني

الناشر
دار إحياء التراث العربي
بيروت - لبنان

٤١ — سورة فصلت
(مكية وآياتها أربع وخمسون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤١ فصلت

حم

٤١ فصلت

تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤١ فصلت

كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

٤١ فصلت

بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ

وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا

٤١ فصلت

عَمِلُونَ

(سورة فصلت مكية وآياتها أربع وخمسون آية)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (حم) إن جعل اسماً للسورة فهو إما خبر لمبتدأ محذوف وهو الأظهر
- ٢ لما مر سره مراراً أو مبتدأ خبره (تنزيل) وهو على الأول خبر بعد خبر وخبر لمبتدأ محذوف إن
- ٣ جعل مسروداً على نمط التعديد وقوله تعالى (من الرحمن الرحيم) متعلق به مؤكداً لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أو خبر آخر أو تنزيل مبتدأ لتخصيصه بالصفة خبره (كتاب) وهو على الوجوه الأول بدل منه أو خبر آخر أو خبر لمحذوف ونسبة التنزيل إلى الرحمن الرحيم للإيذان بأنه مدار للمصالح الدينية والدنيوية واقع بمقتضى الرحمة الربانية حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين (فصلت آياته) ميزت بحسب النظم والمعنى وجعلت تفاصيل في أساليب مختلفة ومعان متغايرة من أحكام وقصص ومواظ وأمثال ووعد ووعيد وقرىء فصلت أى فرقت بين الحق والباطل أو فصل بعضها من بعض باختلاف الأساليب والمعاني من قولك فصل من البلد فصولاً
- ٤ (قرآنًا عريباً) نصب على المدح أو الحالية من كتاب لتخصيصه بالصفة أو من آياته (لقوم يعلمون) أى معانيه لكونه على لسانهم وقيل لأهل العلم والنظر لأنهم المنتفعون به واللام متعلقة بمحذوف هو صفة أخرى لقرآننا أى كائننا لقوم الخ أو بتنزيل على أن من الرحمن الرحيم ليست بصفة له أو بفصلت (بشيراً ونذيراً) صفتان أخريان لقرآننا أى بشيراً لأهل الطاعة ونذيراً لأهل المعصية أو حالان من كتاب أو من آياته وقرئنا بالرفع على الوصفية لكتاب أو الخبرية لمحذوف (فأعرض أكثرهم) عن تدبره مع كونه على لغتهم (فهم لا يسمعون) سماع تفكر وتأمل حتى يفهموا جلالة قدره فيؤمنوا به (وقالوا)

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُمُ الْكَوْكَبُ إِنَّهُ وَاحِدٌ فَأَسْتَفِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ
لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾

٤١ فصلت

٤١ فصلت

الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾

٤١ فصلت

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾

- أى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند دعوته إياهم إلى الإيمان والعمل بما فى القرآن (قلوبنا فى أكنة) أى أغطية متكاثفة (بما تدعونا إليه وفى آذاننا وقر) أى صمم وأصله الثقل وقرىء بالكسر وقرىء بفتح القاف (ومن بيننا وبينك حجاب) غليظ بمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على أن الحجاب مبتدأ من الجانبين بحيث استوعب ما بينهما من المسافة المتوسطة ولم يبق ثمة فراغ أصلاً وهذه تمهيلات لنبو قلوبهم عن إدراك الحق وقوله ووج أسماعهم له كأن بهاصمها وامتناع مواسلتهم وموافقهم للرسول صلى الله عليه وسلم (فاعمل) أى على دينك وقيل فى إبطال أمرنا (إننا عاملون) أى على ديننا وقيل فى إبطال أمرك والأول هو الأطهر فإن قوله تعالى (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد) تلقين للجواب عنه أى لست من جنس مغاير لكم حتى يكون بينى وبينكم حجاب وتباين مصحح لتباين الأعمال والأديان كما ينبىء عنه قولكم فاعمل إننا عاملون بل إنما أنا بشر مثلكم مأمور بما أمرتم به حيث أخبرنا جميعاً بالتوحيد بخطاب جامع بينى وبينكم فإن الخطاب فى إلهكم محكى منتظم للكل لا أنه خطاب منه عليه الصلاة والسلام للكفرة كما فى مثلكم وقيل المعنى لست ملكاً ولا جنياً لا يمكنكم التلقى منه ولا أدعوكم إلى ما تنبؤ عنه العقول والأسماع وإنما أدعوكم إلى التوحيد والاستقامة فى العمل وقد تدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل وقيل المعنى إني لست بملك وإنما أنا بشر مثلكم وقد أوحى إلى دونكم فصحت بالوحى إلى وأنا بشر نبوتى وإذا صحت نبوتى وجب عليكم اتباعى فتأمل والفاء فى قوله تعالى (فأسْتَفِيمُوا إِلَيْهِ) لترتيب ما بعدها على ما قبلها من إيماء الوحداية فإن ذلك موجب لاستقامتهم إليه تعالى بالتوحيد والإخلاص فى الأعمال (واستغفروه) مما كنتم عليه من سوء العقيدة والعمل وقوله تعالى (وويل للمشركين) تهيب وتنفير لهم عن الشرك لئلا ترغيبهم فى التوحيد ووصفهم بقوله تعالى (الذين لا يؤتون الزكاة) لزيادة التحذير والتخويف عن منع الزكاة حيث جعل من أوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة حيث قيل (وهم بالآخرة هم كافرون) وهو عطف على لا يؤتون داخل فى حيز الصلة واختلافهما بالفعلية والاسمية لما أن عدم إيتائها متجدد والكفر أمر مستمر ونقل عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه فسر لا يؤتون الزكاة بقوله لا يقولون لا إله إلا الله فإنها زكاة الأنفس والمعنى لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد وهو مأخوذ من قوله تعالى ونفس وما سواها وقال الضحاك ومقاتل لا ينفقون فى الطاعات ولا يتصدقون وقال مجاهد لا يزكون أعمالهم (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) أى ٨

قُلْ أَيْنَكُمْ تَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٤١﴾

٤١ فصلت

وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿٤٢﴾

٤١ فصلت

لا يمين به عليهم من المن وأصله الثقل أولا يقطع من مننت الجبل قطعته وقيل نزلت في المرضى والهرمى إذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الأجر كأصح ما كانوا يعملونه (قل أنتم لتكفرون) إنكار وتشنيع لكفرهم وإن واللام إما لتأكيد الإنكار وتقديم الهمزة لاقتضاها الصدارة لا لإنكار التأكيد وإما للإشعار بأن كفرهم من البعد بحيث ينكر العقلاء وقوعه فيحتاج إلى التأكيد وإنما علق كفرهم بالموصول حيث قيل (بالذي خلق الأرض في يومين) لتفخيم شأنه تعالى واستعظام كفرهم به أى بالعظيم الشأن الذى قدر وجودها أى حكم بأنها ستوجد في مقدار يومين أو في نوبتين على أن ما يوجد في كل نوبة يوجد بأسرع ما يكون وإلا فالיום الحقيقي إنما يتحقق بعد وجودها وتسوية السموات وإبداع نيراتها وترتيب حركاتها (وتجعلون له أندادا) عطف على تكفرون داخل في حكم الإنكار والتوبيخ وجمع الأنداد باعتبار ما هو الواقع لا بأن يكون مدار الإنكار هو التعدد أى وتجعلون له أندادا والحال أنه لا يمكن أن يكون له ند واحد (ذلك) إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه الإيذان ببعد منزلته في العظمة وإفراد الكاف لما مر مرارا من أن المراد ليس تعيين المخاطبين وهو مبتدأ خبره ما بعده أى ذلك العظيم الشأن الذى فعل ما ذكر (رب العالمين) أى خالق جميع الموجودات ومربها دون الأرض خاصة فكيف يتصور أن يكون أحسن مخلوقاته ندأ له وقوله تعالى (وجعل فيها رواسي) عطف على خلق داخل في حكم الصلة والجعل إبداعى وحديث لزوم الفصل بينهما بجملتين خارجتين عن حيز الصلة مدفوع بأن الأولى متحدة بقوله تعالى تكفرون فهو بمنزلة الإعادة له والثانية اعتراضية مقررة لمضمون الكلام بمنزلة التأكيد فالفصل بهما كلا فصل على أن فيه فائدة التنبيه على أن مجرد المعطوف عليه كاف في تحقق ربوبيته للعالمين واستحالة أن يجعل له ند فكيف إذا انضم إليه المعطوفات وقيل هو عطف على مقدر أى خلقها وجعل الخ وقيل هو كلام مستأنف وأيا ما كان فالمراد تقدير الجعل لا الجعل بالفعل وقوله تعالى (من فوقها) متعلق بجعل أو بمضمهر هو صفة لرواسي أى كائنة من فوقها مرتفعة عليها لتكون منافعا معرضة لأهلها ويظهر للنظار ما فيها من مراصد الاعتبار ومطارح الأفكار (وبارك فيها) أى قدر أن يكثر خيرها بأن يخلق أنواع الحيوانات التى من جملتها الإنسان وأصناف النبات التى منها معاشهم (وقدر فيها أقواتها) أى حكم بالفعل بأن يوجد فيها سياتى لأهلها من الأنواع المختلفة أقواتها المناسبة لها على مقدار معين تقتضيه الحكمة وقرئ وقسم فيها أقواتها

ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا
هَلَا يَعْنِي ﴿١١﴾

٤١ فصلت

فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ
وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾

٤١ فصلت

- (في أربعة أيام) متعلق بحصول الأمور المذكورة لا بتقديرها أى قدر حصولها في يومين وإنما قيل في أربعة أيام أى تنمة أربعة تصريحاً بالذلك (سواء) مصدر مؤكد لمضمر هو صفة لأيام أى استوت سواء أى استواء كما ينبى عنه القراءة بالجر وقيل هو حال من الضمير فى أقواتها أى فى فيها وقرىء بالرفع أى هى سواء (للسائلين) متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الأرض وما فيها أو بقدر أى قدر فيها أقواتها لأجل السائلين أى الطالبين لها المحتاجين إليها من المقتاتين وقوله تعالى (ثم استوى ١١ إلى السماء) شروع فى بيان كيفية التكوين لأثر بيان كيفية التقدير ولعل تخصيص البيان بما يتعلق بالأرض وأهلها لما أن بيان اعتنائه تعالى بأمر الخاطبين وترتيب مبادئ معاشهم قبل خلقهم عما يحملهم على الإيمان ويزجرهم عن الكفر والطغيان أى ثم قصد نحوها قصداً سوياً لا يلوى على غيره (وهى دخان) أى أمر ظلمانى عبر به عن مادتها أو عن الأجزاء المتصغرة التى ركبت هى منها أو دخان مرتفع من الماء كما سياتى وإما خص الاستواء بالسماء مع أن الخطاب المترتب عليه متوجه إليهما معاً حسبما ينطق به قوله تعالى (فقال لها وللأرض) اكتفاء بذكر تقديرها وتقدير ما فيها كأنه قيل فقال لها وللأرض التى قدر وجودها ووجود ما فيها (اتينا) أى كونا واحداثاً على وجه معين وفى وقت مقدر لكل منهما وهو عبارة عن تعلق إرادته تعالى بوجودهما تعلقاً فعلياً بطريق التمثيل بعد تقدير أمرهما من غير أن يكون هناك أمر ومأمور كما فى قوله تعالى كن وقوله تعالى (طوعاً أو كرهاً) تمثيل لتحتّم تأثير قدرته تعالى فيهما واستحالة امتناعهما من ذلك لا لإثبات الطوع والكراهة لهما وهما مصدران وقعاً موقع الحال أى طائعتين أو كارهتين وقوله تعالى (قالتا أتينا طائعتين) أى منقادين تمثيل لكمال تأثيرهما بالذات عن القدرة الربانية وحصولهما كما أمرتا به وتصوير لكون وجودهما كما هما عليه جارياً على مقتضى الحكمة البالغة فإن الطوع منبىء عن ذلك والكراهة موهم لخلافه وإنما قيل طائعتين باعتبار كونهما فى معرض الخطاب والجواب كقوله تعالى ساجدين وقوله تعالى (فقضاهن سبع سموات) ١٢ تفسير وتفصيل لتكوين السماء المجرى المعبر عنه بالأمر وجوابه لا أنه فعل مترتب على تكوينها أى خلقهن خلقاً إبداعياً وأنقن أمرهن حسبما تقتضيه الحكمة والضمير إما للسماء على المعنى أو مبهم وسبع سموات حال على الأول تمييز على الثانى (فى يومين) فى وقت مقدر بيومين وقد بين مقدار زمان خلق الأرض وخلق ما فيها عند بيان تقديرهما فكان خلق الكل فى ستة أيام حسبما نص عليه فى مواقع من التنزيل (وأوحى فى كل سماء أمرها) عطف على قضاها فى كل منها ما فيها من الملائكة

والنيرات وغير ذلك بما لا يعلمه إلا الله تعالى كما قاله قتادة والسدى فالوحي عبارة عن التكوين كالأمر مقيد بما قيد به المعطوف عليه من الوقت أو أوحى إلى أهل كل منها أو امره وكلفهم ما يليق بهم من التكليف فهو بمعناه ومطلق عن القيد المذكور وأياً ما كان فعلى ما قرر من التفصيل لا دلالة في الآية الكريمة على الترتيب بين إيجاد الأرض وإيجاد السماء وإنما الترتيب بين التقدير والإيجاد وأما على تقدير كون الخلق وما عطف عليه من الأفعال الثلاثة على معانيها الظاهرة فهي وما في سورة البقرة من قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات تدلان على تقدم خلق الأرض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه إطباق أكثر أهل التفسير وقد روى أن العرش العظيم كان قبل خلق السموات والأرض على الماء ثم إنه تعالى أحدث في الماء اضطراباً فأزبد فارتفع منه دخان فأما الزبد فبقى على وجه الماء فخلق فيه اليوسة فجعله أرضاً واحدة ثم فتقها فجعلها أرضين وأما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروى أنه تعالى خلق جرم الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء وخلق السموات وما فيها يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام في آخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة وقيل إن خلق جرم الأرض مقدم على خلق السموات لكن دحوها وخلق ما فيها مؤخر عنه لقوله تعالى والأرض بعد ذلك دحاها ولما روى عن الحسن رحمه الله من أنه تعالى خلق الأرض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها ثم أصدد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر في موضعها وبسط منها الأرض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما الآية وليس المراد بنظمها مع السماء في سلك الأمر بالإتيان لإنشاءها وإحداثها بل لإنشاء دحوها وجعلها على وجه خاص يليق بها من شكل معين ووصف مخصوص كأنه قيل ائتيا على ما ينبغي أن تأتيا عليه اتى يا أرض مدحوة قراراً ومهاداً لأهلك وائتى يا سماء مقببة سقفاً لهم ومعنى الإتيان الحصول على ذلك الوجه كما تنبئ عنه قراءة آتيا وآتينا من المواتاة وهي الموافقة وأنت خير بأن المذكور قبل الأمر بالإتيان ليس مجرد خلق جرم الأرض حتى يتأتى ما ذكر بل خلق ما فيها أيضاً من الأمور المتأخرة عن دحوها قطعاً فالأظهر أن يسلك مسلك الأولين ويحمل الأمر بالإتيان على تكوينهما متوافقتين على الوجه المذكور وليس من ضرورته أن يكون دحوها مترتباً على ذلك التكوين وإنما اللازم ترتب حصول التوافق عليه ولا ريب في أن تكوين السماء على الوجه اللائق بها كاف في حصوله ولا يقدح في ذلك تكوين الأرض على الوجه المذكور قبل ذلك وأن يجعل الأرض في قوله تعالى والأرض بعد ذلك دحاها منصوباً بمضمر قد حذف على شرطية التفسير ويجعل ذلك إشارة إلى ذكر ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا إلى أنفسها وتحمل البعدية إما على أنه قاصر عن الأول في الدلالة على القدرة القاهرة كما قيل وإما على أنه أدخل في الإلزام لما أن المنافع المنوطة بما في الأرض أكثر وتعلق مصالح الناس بذلك أظهر وإحاطتهم بتفاصيلها أكمل وليس ما روى عن الحسن

فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾

٤١ فصلت

إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ
مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾

٤١ فصلت

رضى الله عنه نصاً في تأخر دحو الأرض عن خلق السماء فإن بسط الأرض معطوف على إصعاد
الدخان وخلق السماء بالواو فلا دلالة في ذلك على الترتيب قطعاً وقد نقل الإمام الواحدى عن
مقاتل أن خلق السماء مقدم على إيجاد الأرض فضلاً عن دحوها فلا بد من حمل الأمر بإتيانها
حينئذ أيضاً على ما ذكر من التوافق والمواتاة ولا يقدح في ذلك تقدم خلق السماء على خلق الأرض
كما لم يقدح فيه تقدم خلق الأرض على خلق السماء هذا كله على تقدير كون كلمة ثم للتراخي الزماني
وأما على تقدير كونها للتراخي الربوبي كما جنح إليه الأكثرون فلا دلالة في الآية السكرية على الترتيب
كما في الوجه الأول وعلى ذلك بنى الكلام في تفسير قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً
الآية وإنما لم يحمل الخلق هناك على معنى التقدير كما حمل عليه هنا لتوفية مقام الامتنان حقه (وزينا
السماء الدنيا بمصاييح) من السكاكب فإنها كلها ترى متألثة عليها كأنها فيها والاتفات إلى نون العظمة
لإبراز مزيد العناية بالأمر وقوله تعالى (وحفظاً) مصدر مؤكد لفعل معطوف على زينا أى
وحفظناها من الآفات أو من المسترقة حفظاً وقيل مفعول له على المعنى كأنه قيل وخلقنا المصاييح
زينة وحفظاً (ذلك) الذى ذكر بتفاصيله (تقدير العزيز العليم) المبالغ في القدرة والعلم (فإن أعرضوا) ١٣
متصل بقوله تعالى قل أنذركم الخ أى فإن أعرضوا عن التدبر فيما ذكر من عظام الأمور الداعية إلى
الإيمان أو عن الإيمان بعد هذا البيان (فقل) لهم (أنذرتكم) أى أنذركم وصيغة الماضى للدلالة على
تحقق الإنذار النبوي عن تحقق المنذر به (صاعقة) أى عذاباً هائلاً شديداً يقع كأنه صاعقة (مثل
صاعقة عاد وثمود) وقرئ صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وهى المرة من الصق أو الصق يقال صعقه
الصاعقة صعقاً فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل (إذ جاءتهم الرسل) حال من صاعقة عاد ولا ١٤
سداد لجعله ظرفاً لأنذرتكم أو صفة لصاعقة لفساد المعنى وأما جعله صفة لصاعقة عاد أى الكائنة إذ
جاءتهم ففيه حذف الموصول مع بعض صلته (من بين أيديهم ومن خلفهم) متعلق بجاءتهم أى من
جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة أو من جهة الزمان الماضى بالإنذار عما جرى فيه على الكفار
ومن جهة المستقبل بالتحذير عما سيحيق بهم من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وقيل المعنى جاءتهم
الرسل المتقدمون والمتأخرون على تنزيل مجيء كلامهم ودعوتهم إلى الحق منزلة مجيء أنفسهم فإن
هوداً وصالحاً كانا داعيين لهم إلى الإيمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين أيديهم أى من قبلهم
ومن يجيء من خلفهم أى من بعدهم فكان الرسل قد جاءوهم وخاطبوهم بقوله تعالى (أن لا تعبدوا إلا
الله) أى بأن لا تعبدوا على أن أن مصدرية أو أى لا تعبدوا على أنها مفسرة (قالوا لو شاء ربنا) أى

فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي
خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِعَايِنَتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾

١٥ فصلت

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٦﴾

١٦ فصلت

إرسال الرسل لا إزال الملائكة كما قيل فإنه عار عن إفادة ما أرادوه من نبي رسالة البشر وقد مر
فيما سلف (لأنزل ملائكة) أى لأرسلهم لكن لما كان إرسالهم بطريق الإنزال قيل لأنزل (فإنما بما
أرسلتم به) أى على زعمكم وفيه ضرب تمكيم بهم (كافرون) لما أنكم بشر مثلنا من غير فضل لكم علينا
روى أن أبا جهل قال فى مأى من قريش قد التبس علينا أمر محمد فلو التستم لنا رجلا عالما بالشعر
والكهنات والسحر فكلمه ثم أتانا ببيان من أمره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة
والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى على فأتاه فقال أنت يا محمد خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب
أنت خير أم عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضلنا فإن كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسا
وإن تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن أى بنات قريش شئت وإن كان بك المال جمعنا لك
ما تستغنى ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ عتبة قال صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن
الرحيم حم إلى قوله تعالى مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة على فيه صلى الله عليه وسلم وناشده بالرحم
ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة إلا قد صبا فانطلقوا إليه
وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا إلا أنك قد صبات فغضب ثم قال والله لقد كلمته فأجابني بشيء والله ما هو
بشعر ولا كهنات ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود أمسكت به فيه وناشدته بالرحم أن يكف وقد
علمت أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب فخفت أن ينزل بهم العذاب (فأما عاد فاستكبروا فى الأرض)
١٥ شروع فى حكاية ما يخص بكل واحدة من الطائفتين من الجناية والعذاب إثر حكاية ما يعم الكل من
الكفر المطلق أى فتعظموا فيها على أهلها أو استعلوا فيها واستولوا على أهلها (بغير الحق) أى بغير
استحقاق للتعظيم والولاية (وقالوا) مدلين بشدتهم وقوتهم (من أشد منا قوة) حيث كانوا ذوى
أجسام طوال وخلق عظيم وقد بلغ من قوتهم أن الرجل كان يزرع الصخرة من جبل فيقتلعها بيده
(أو لم يروا) أى أغفلوا أو ألم ينظروا ولم يعلموا علما جليا شبيها بالمشاهدة والعيان (أن الله الذى
خلقهم هو أشد منهم قوة) أى قدرة فإنه تعالى قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوى على ما لا يقدر
عليه غير مفيض للقوى والقدر على كل قوى وقادر وإنما أورد فى حيز الصلة خلقهم دون خلق
السموات والأرض لادعائهم الشدة فى القوة وفيه ضرب من التهمك بهم (وكانوا بآياتنا) المنزلة على الرسل
(يجحدون) أى ينكرونها وهم يعرفون حقيقتها وهو عطف على فاستكبروا كقولهم تعالى وقالوا وما
بينهما اعتراض للرد على كلمتهم الشنعاء (فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا) أى باردة تهلك وتحرق بشدة

١٦

وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾

٤١ فصلت

وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾

٤١ فصلت

وَيَوْمَ يُنْفَخُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾

٤١ فصلت

حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ ٤١ فصلت

- بردها من الصر وهو البرد الذي يصر أى يجمع ويقبض أو عاصفة تصوت في هبوبها من الصرير (في أيام نحسات) جمع نحسة من نحس نحساً نقيض سعد سعاداً وقرىء بالسكون على التخفيف أو على أنه نبت على فعل أو وصف بمصدر مبالغة قيل كن آخر شوال من الأربعاء إلى الأربعاء وما عذب قوم إلا في يوم الأربعاء (لتذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا) وقرىء لتذيقهم على إسناد الإضافة إلى الريح أو إلى الأيام وأضيف العذاب إلى الخزي الذي هو الذل والاستكانة على أنه وصف له كما يعرب عنه قوله تعالى (ولعذاب الآخرة أخزى) وهو في الحقيقة وصف للعذب وقد وصف به العذاب للمبالغة (وهم لا ينصرون) بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه (وأما ثمود فهديناهم) فدللناهم على الحق بنصب ١٧ الآيات التكوينية وإرسال الرسل وإنزال الآيات التشريعية وأزحنا عليهم بالسكينة وقد مر تحقيق معنى الهدى في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وقرىء ثمود بالنصب بفعل يفسره ما بعده ومنونا في الحالين وبضم التاء (فاستحبوا العمى على الهدى) أى اختاروا الضلالة على الهداية (فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) داهية العذاب وقارعة العذاب والهون الهوان وصف به العذاب مبالغة أو أبدل منه (بما كانوا يكسبون) من اختيار الضلالة (ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) من تلك الصاعقة ١٨ (ويوم يحشر أعداء الله) شروع في بيان عقوباتهم الآجلة إثر بيان عقوباتهم العاجلة والتعبير عنهم بأعداء الله تعالى لنهمم والإيذان بعلّة ما يحقّق بهم من الوان العذاب وقيل المراد بهم الكفار من الأولين والآخرين ويرده ماسياً في من قوله تعالى في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس وقرىء يحشر على بناء الفاعل ونصب أعداء الله وبنون العظمة وضم الشين وكسرها (إلى النار) أى إلى موقف الحساب إذ هناك تتحقّق الشهادة الآتية لا بعد تمام السؤال والجواب وسوقهم إلى النار والتعبير عنه بالنار إما للإيذان بأنها عاقبة حشرهم وأنهم على شرف دخولها وإما لأن حسابهم يكون على شفيرها ويوم اما منصوب باذكر أو ظرف لمضمر مؤخر قد حذف إيهاماً لقصور العبارة عن تفصيله كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقيل ظرف لما يدل عليه قوله تعالى (فهم يوزعون) أى يحبس ٢٠ أولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرتهم وقيل يساقون ويدفعون إلى النار وقوله تعالى (حتى)
- ٢٠ - أبى السعود ج ٨ ،

وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَالْيَبِ تَرْجَعُونَ ﴿٢١﴾

٤١ فصلت

وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا
يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾

٤١ فصلت

إذا ما جاءوها (أى جميعاً غاية ليحشر أو لينزعون أى حتى إذا حضروها وما مزيدة لتأكيد
اتصال الشهادة بالحضور (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) فى الدنيا من
فنون الكفر والمعاصى بأن ينطقها الله تعالى أو يظهر عليها آثار ما اقترفوا بها وعن ابن عباس
رضى الله عنهما أن المراد بشهادة الجلود شهادة الفروج وهو الأنسب بتخصيص السؤال بها فى قوله
٢١ تعالى (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا) فإن ما تشهد به من الزنا أعظم جناية وقبحاً وأجلب للخرى
والعقوبة بما يشهد به السمع والأبصار من الجنائيات المكتسبة بتوسطهما وقيل المراد بالجلود
الجوارح أى سألوها سؤال توبيخ لما روى أنهم قالوا لها فضنكن كنا نناضل وفي رواية بعداً لكن
وسحقاً عنكن كنت أجادل وصيغة جمع العقلاء فى خطاب الجلود وفى قوله تعالى (قالوا أنطقنا الله
الذى أنطق كل شيء) لوقوعها فى موقع السؤال والجواب المختصين بالعقلاء أى أنطقنا الله الذى
أنطق وأقدرنا على بيان الواقع فشهدنا عليكم بما عملتم بواسطتنا من القبائح وما كتمناها وقيل
مانطقنا باختيارنا بل أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء وليس بذاك لما فيه من إيهام الاضطراب فى
الأخبار وقيل سألوها سؤال تعجب فالمعنى حيثئذ ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذى أنطق كل
* حتى (وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون) فإن من قدر على خلقكم وإنشاءكم أولاً وعلى إعادةكم
ورجعكم إلى جزائه ثانياً لا يتعجب من انطاقة لجوارحك ولعل صيغة المضارع مع أن هذه المحاورة
بعد البعث والرجع لما أن المراد بالرجع ليس مجرد الرد إلى الحياة بالبعث بل ما يعمه وما يترتب
عليه من العذاب الخالد المترقب عند التخاطب على تغليب المتوقع على الواقع على أن فيه مراعاة
٢٢ الفواصل وقوله تعالى (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) حكاية
لما سيقال لهم يومئذ من جهته تعالى بطريق التوبيخ والتقريع تقريراً لجواب الجلود أى ما كنتم
تستترون فى الدنيا عند مباشرتكم الفواحش مخافة أن تشهد عليكم جوارحك بذلك كما كنتم تستترون
* من الناس مخافة الافتضاح عندهم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء رأساً (ولكن ظننتم أن الله
لا يعلم كثيراً مما تعملون) من القبائح الخفية فلا يظهرها فى الآخرة ولذلك اجترأتم على ما فعلتم وفيه
إيذان بأن شهادة الجوارح بأعلامه تعالى حيثئذ لا بأنها كانت عالمة بما شهدت به عند صدوره عنهم .
عن ابن مسعود رضى الله عنه كنت مستترأ بأستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقبان وقرشى أو
قرشيان وثقنى فقال أحدهم أترون أن الله يسمع ما نقول قال الآخر يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن

وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ٤١ فصلت

فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ٤١ فصلت
وَقَبَضْنَا لَهُمْ قُرْءَاءَهُمْ فَرَيْنَا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ
خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ ٤١ فصلت

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْءَانِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ٤١ فصلت

أخفينا فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى وما كنتم تستترون الآية فالحكم المحكي
حينئذ يكون خاصاً بمن كان على ذلك الاعتقاد من الكفرة ولعل الأنسب أن يراد بالظن معنى مجازي يعم
معناه الحقيقي وما يجري مجراه من الأعمال المنبئة عنه كما في قوله تعالى يحسب أن ماله أخذه ليعم ما حكى
من الحال جميع أصناف الكفرة فتدبر (وذلكم) إشارة إلى ما ذكر من ظنهم وما فيه من معنى البعد للإيدان
٢٣ بغاية بعد منزلته في الشر والسوء وهو مبتدأ وقوله تعالى (ظنكم الذي ظننتم ربكم أرداكم) خبر أن له
ويجوز أن يكون ظنكم بدلاً وأرداكم خبراً (فأصبحتم) بسبب ذلك الظن السوء الذي أهلككم (من
الخاسرين) إذ صار ما منحوا لنيل سعادة الدارين سبباً لشقاء النشأتين (فإن يصبروا فالنار مثوى لهم) ٢٤
أي محل ثواب وإقامة أبدية لهم بحيث لا يبرح لهم منها والالتفات إلى الغيبة للإيدان باقتضاء حالهم أن
يعرض عنهم ويحكى سوء حالهم لغيرهم أو للإشعار بإبعادهم عن حيز الخطاب وإلقائهم في غاية دركات
النار (وإن يستعتبوا) أي يسألوا العتبى وهو الرجوع إلى ما يحبونه جزاء عما هم فيه (فأهم من المعتبين) *
المجاين إليها ونظيره قوله تعالى سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص وقرىء وإن يستعتبوا
فأهم من المعتبين أي إن يسألوا أن يرضوا ربهم فأهم فاعلون لفوات المسكنة (وقبضنا لهم) أي قدرنا ٢٥
وقرنا للكفرة في الدنيا (قرناء) جمع قرين أي ألدنا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القبض
على البيض وهو القشر وقيل أصل القبض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة (فزينوا لهم ما بين أيديهم) *
من أمور الدنيا واتباع الشهوات (وما خلفهم) من أمور الآخرة حيث أروهم أن لا بعث ولا حساب
ولا مكروه قط (وحق عليهم القول) أي ثبت وتقرر عليهم كلمة العذاب وتحقق موجبها ومصدقها *
وهو قوله تعالى لإبليس فالحق والحق أقول لأملا أن جهنم منك وعن تبعك منهم أجمعين وقوله تعالى
لمن اتبعك منهم لأملا أن جهنم منكم أجمعين كما مر مراراً (في أمم) حال من الضمير المجرور أي كائنين *
في جملة أمم وقيل في بمعنى مع وهذا كما ترى صريح في أن المراد بأعداء الله تعالى فيما سبق المهودون
من عاد وثمود لا الكفار من الأولين والآخرين كما قيل (قد خلت) صفة لأمم أي مضت (من) *
قبلهم من الجن والإنس) على الكفر والعصيان كدأب هؤلاء (إنهم كانوا خاسرين) تعليل لاستحقاقهم
العذاب والضمير للأوليين والآخرين (وقال الذين كفروا) من رؤساء المشركين لأعقابهم أو قال ٢٦

فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ٤١ فصلت

ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ ٤١ فصلت

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضْلَلْنَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا

مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ ٤١ فصلت

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا نَنْزِلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَكُ الْأَوَّلُ وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ

الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ٤١ فصلت

- بعضهم لبعض (لا تسمعوا لهذا القرآن) أى لا تنصوا له (والغوا فيه) وعارضوه بالخرافات من الرجز والشعر والتصدية والمكاء أو أرفعوا أصواتكم بالتشوشوه على القارىء وقرىء بضم الغين والمعنى واحد
- ٢٧ يقال لغى يلقى وكفى يلقى ولغا يلغوا إذا هذى (لعلكم تغلبون) أى تغلبونه على قراءته (فلنذيقن الذين كفروا) أى فوالله لنذيقن هؤلاء القائلين واللاعين أو جميع الكفار وهم داخلون فيهم دخولا أولياً (عذاباً شديداً) لا يقادر قدره (ولنجزيهم أسوأ الذى كانوا يعملون) أى جزاء سيئات أعمالهم التى هى فى أنفسهم أسوأ وقيل إنه لا يمازيهم بمحاسن أعمالهم كإغاثة الملهوفين وصلة الأرحام وقرىء الأضياف لأنها محبطة بالكفر وعن ابن عباس رضى الله عنهما عذاباً شديداً يوم بدر وأسوأ الذى كانوا يعملون فى الآخرة (ذلك) مبتدأ وقوله تعالى (جزاء أعداء الله) خبره أى ما ذكر من الجزاء جزاء معد لأعدائه تعالى وقوله تعالى (النار) عطف بيان للجزاء أو ذلك خبر مبتدأ محذوف أى الأمر ذلك على أنه عبارة عن مضمون الجملة لاعتن الجزاء وما بعده جملة مستقلة مبنية لما قبلها وقوله تعالى (لهم فيها دار الخلد) جملة مستقلة مقررة لما قبلها أو النار مبتدأ هى خبره أى هى بعينها دار إقامتهم على أن فى التجريد وهو أن ينتزع من أمر ذى صفة أمر آخر مثله مبالغة لكأله فيها كما يقال فى البيضة عشرون منا حديد وقيل هى على معناها والمراد أن لهم فى النار المشتملة على الدرجات داراً مخصوصة هم فيها خالدون (جزاء بما كانوا بآياتنا يمجحدون) منصوب بفعل مقدر أى يجزون جزاء أو بالمصدر السابق فإن المصدر ينتصب بمثله كما فى قوله تعالى فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً والباء الأولى متعلقة بجزاء والثانية ييججدون قدمت عليه لمرعاة الفواصل أى بسبب ما كانوا يمجحدون بآياتنا الحققة أو يلغون فيها وذكر الجحود لكونه سبباً للغو (وقال الذين كفروا) وهم متقبلون فيما ذكر من العذاب (ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس) يعنون فريق شياطين النوعين المقيضين لهم الحاملين لهم على الكفر والمعاصى بالتسويل والتزيين وقيل هما إبليس وقابيل فإنهما سنا الكفر والقتل بغير حق وقرىء أرنا تخفيفاً كفخذ فى نخذ وقيل معناه أعطانا وقرىء باختلاس كسرة الراء (نجعلهما تحت أقدامنا) أى ندمهما انتقاماً منهما وقيل نجعلهما فى الدرك الأسفل (ليكونا من الأسفلين) أى ذلاً ومهانة أو مكاناً (إن
- ٢٨
- ٢٩
- ٣٠

نَحْنُ أَوْلَىٰ بِأُكْرَ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَىٰ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾

٤١ فصلت

نَزَّلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾

٤١ فصلت

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾

٤١ فصلت

- الذين قالوا ربنا الله) شروع في بيان حسن أحوال المؤمنين في الدنيا والآخرة بعد بيان سوء حال الكفرة
- فيهما أى قالوا دعترافا بربوبيته تعالى وإقرارا بوحدايته (ثم استقاموا) أى ثبتوا على الإقرار ومقتضياته *
- على أن ثم للتراخي في الزمان أو في الرتبة فإن الاستقامة لها الشأن كله وما روى عن الخلفاء الراشدين رضى
- الله تعالى عنهم في معناها من الثبات على الإيمان وإخلاص العمل وأداء الفرائض بيان لجزئياتها (تنزل
- عليهم الملائكة) من جهته تعالى يمدونهم فيما يعين لهم من الأمور الدينية والدنيوية بما يشرح صدورهم ويدفع
- عنهم الخوف والحزن بطريق الإلهام كما أن الكفرة يغويهم ما يقيض لهم من قرناء السوء بتزيين القبائح وقيل
- تنزل عند الموت بالبشرى وقيل إذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى في مواطن ثلاثة عند الموت وفي القبر
- وعند البعث والأظهر هو العموم والإطلاق كما ستعرفه (أن لا تخافوا) ما تقدمون عليه فإن الخوف غم *
- يلحق لتوقع المكروه (ولا تحزنوا) على ما خلفتم فإنه غم يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضار *
- وقيل المراد نهيمهم عن الغموم على الإطلاق والمعنى أن الله تعالى كتب لكم الأمن من كل غم فلن
- تذوقوه أبداً وأن إما مفسرة أو مخففة من الثقيلة والأصل بأنه لا تخافوا وإلهاء ضمير الشأن وقرىء
- لا تخافوا أى يقولون لا تخافوا على أنه حال من الملائكة أو استئناف (وأبشروا) أى سروا (بالجنة *
- التي كنتم توعدون) في الدنيا على السنة الرسل هذا من بشاراتهم في أحد المواطن الثلاثة وقوله تعالى
- (نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا) الخ من بشاراتهم في الدنيا أى أعوانكم في أموركم تلهمكم الحق ونزهدكم ٣١
- إلى ما فيه خيركم وصلاحكم ولعل ذلك عبارة عما يخطر ببال المؤمنين المستمرين على الطاعات من أن
- ذلك بتوفيق الله تعالى وتأيينه لهم بواسطة الملائكة عليهم السلام (وفي الآخرة) نمدكم بالشفاعة *
- وتلقاكم بالكرامة حين يقع بين الكفرة وقرنائهم ما يقع من التعادى والخصام (ولكم فيها) أى في
- الآخرة (ما تشتهى أنفسكم) من فنون الطيبات (ولكم فيها ما تدعون) ما تتمنون افتعال من الدعاء *
- بمعنى الطلب أى تدعون لأنفسكم وهو أعم من الأول ولكم في الموضعين خبر وما مبتدأ وفيها حال
- من ضميره في الخبر وعدم الاكتفاء بعطف ما تدعون على ما تشتهى للإشباع في البشارة والإيذان
- باستقلال كل منهما (نزلا من غفور رحيم) حال ما تدعون مفيدة لكون ما يتمنونه بالنسبة إلى ٣٢
- ما يعطون من عظام الأجور كالنزل للضيف (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله) أى إلى توحيده ٣٣
- تعالى وطاعته . عن ابن عباس رضى الله عنهما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى الإسلام

وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾

٤١ فصلت

وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾

٤١ فصلت

وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾

٤١ فصلت

وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾

٤١ فصلت

- وعنه أنهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في المؤذنين والحق أن حكمها عام لكل من جمع ما فيها من الخصال الحميدة وإن نزلت فيمن ذكر (وعمل صالحاً) فيما بينه وبين ربه (وقال إني من المسلمين) ابتهاجا بأنه منهم أو اتخذاً للإسلام ديناً ونحلة من قولهم هذا قول فلان أى مذهبه ٣٤ لا أنه تكلم بذلك وقرئ: إني بنون واحدة (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) جملة مستأنفة سبقت لبيان محاسن الأعمال الجارية بين العباد إثر بيان محاسن الأعمال الجارية بين العبد وبين الرب عز وجل ترغيباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الصبر على أذية المشركين ومقابلة إساءتهم بالإحسان أى لا تستوى الخصلة الحسنة والسيئة في الآثار والأحكام ولا التاوية مزيدة لتأكيد النفي وقوله تعالى (ادفع بالتي هي أحسن) الخ استئناف مبين لحسن عاقبة الحسنة أى ادفع السيئة حيث اعترضتك من بعض أعاديك بالتي هي أحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات كالإحسان إلى من أساء فإنه أحسن من العفو وإخراجه مخرج الجواب عن سؤال من قال كيف أصنع للبالغة ولذلك وضع أحسن موضع الحسنة وقوله تعالى (فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) بيان لنتيجة الدفع المأمور به أى فإذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق (وما يلقاها) أى ما يلقى هذه الخصلة والسجية التي هي مقابلة الإساءة بالإحسان (إلا الذين صبروا) أى شأنهم الصبر (وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) من الخير وكال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة وقيل هو الثواب وقيل نزلت في ٣٥ أبي سفيان بن حرب وكان مؤذياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار ولياً مضافاً (ولما ينزغنك من الشيطان نزغ) النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس شبه به وسوسة الشيطان لأنها بعثت على الشر وجعل نازغاً على طريقة جد جده أو أريد ولما ينزغنك نازغ وصفاً للشيطان بالمصدر أى وإن صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي أحسن (فاستعذ بالله) من شره ولا قطعه (إنه هو السميع) باستعاذتك (العليم) بنيتك أو بصلاحك وفي جعل ترك الدفع بالأحسن من آثار نزغات الشيطان مزيد تحذير وتنفير عنه (ومن آياته) الدالة على شؤنه العظيمة (الليل والنهار

فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٣٨﴾ ٤١ فصلت
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي
أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٤١ فصلت

إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ ٤١ فصلت

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ ٤١ فصلت

- والشمس والقمر) كل منها مخلوق من مخلوقاته مسخر لأمره (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) لأنها
من جملة مخلوقاته المسخرة لأوامره مثلكم (واسجدوا لله الذي خلقهن) الضمير للأربعة لأن حكم جماعة
مالا يعقل حكم الآتي أو الإناء أو لأنها عبارة عن الآيات وتعليق الفعل بالكل مع كفاية بيان
خلقية الشمس والقمر للإيدان بكمال سقوطهما عن رتبة المسجودية بنظمهما في المخلوقية في سلك
الأعراض التي لا قيام لها بذاتها وهو السر في نظم الكل في سلك آياته تعالى (إن كنتم إياه تعبدون)
فإن السجود أقصى مراتب العبادة فلا بد من تخصيصه به سبحانه وهو موضع للسجود عند الشافعي
رحمه الله وعندنا آخر الآية الأخرى لأنه تمام المعنى (فإن استكبروا) عن الامتثال (فالذين عند
٣٨ ربك) من الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار) أي دائماً (وهم لا يسأمون) لا يفترون ولا يملون
وقرى لا يسأمون بكسر الياء (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة) يابسة متطامنة مستعار من
٣٩ الخشوع بمعنى التذلل (فإذا أنزلنا عليها الماء) أي المطر (اهتزت وربت) أي تحركت بالنبات
وانتفخت لأن التبت إذا دنا أن يظهر ارتفعت له الأرض وانتفخت ثم تصدعت عن النبات وقيل
تزخرفت بالنبات وقرى ربأت أي ارتفعت (إن الذي أحياها) بما ذكر بعد موتها (لمحي الموتى)
بالبعث (إنه على كل شيء) من الأشياء التي من جملتها الإحياء (قدير) مبالغ في القدرة (إن الذين
٤٠ يلحدون) يميلون عن الاستقامة وقرى يلحدون (في آياتنا) بالظن فيها وتحريفها بحملها على المحامل
الباطلة (لا يخفون علينا) فنجازيهم بالحادهم وقوله تعالى (أفمن يلقي في النار خير أم من يأتي آمناً يوم
القيامة) تنبيه على كيفية الجزاء (اعملوا ما شئتم) من الأعمال المؤدية إلى ما ذكر من الإلقاء في النار
والإتيان آمناً وفيه تهديد شديد (إنه بما تعملون بصير) فيجازيكم بحسب أعمالكم وقوله تعالى (إن
٤١ الذين كفروا بالذکر لما جاءهم) بدل من قوله تعالى إن الذين يلحدون الخ وخبر إن هو الخبر السابق
وقيل مستأقف وخبرها محذوف وقال الكسائي سد مسده الخبر السابق والذكر القرآن وقوله تعالى
(ولأنه لكتاب عزيز) أي كثير المنافع عديم النظير أو منيع لا تتأتى معارضته جملة حالية مفيدة لغاية *

لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ٤١ فصلت

مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ ٤١ فصلت
وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ

بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ٤١ فصلت

- ٤٢ شناعة الكفر به وقوله تعالى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) أى لا يتطرق إليه الباطل من جهة من الجهات صفة أخرى لكتاب وقوله تعالى (تنزيل من حكيم حميد) خبر لمبتدأ محذوف أو صفة أخرى لكتاب مفيدة لفخامته الإضافية كما أن الصفتين السابقتين مفيدتان لفخامته الذاتية وقوله تعالى لا يأتيه الخ اعتراض عند من لا يجوز تقديم غير الصريح من الصفات على الصريح كل ذلك لتأكيد بطلان الكفر بالقرآن وقوله تعالى (ما يقال لك) الخ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يصيبه من أذية الكفار أى ما يقال فى شأنك وشأن ما أنزل إليك من القرآن من جهة كفار قومك (إلا ما قد قيل للرسول من قبلك) أى إلا مثل ما قد قيل فى حقهم بما لا خير فيه (إن ربك لذو مغفرة) لأنبيائه (وذو عقاب أليم) لأعدائهم وقد نصر من قبلك من الرسل وانتقم من أعدائهم وسيفعل مثل ذلك بك وبأعدائك أيضاً (ولو جعلناه قرآناً أَعْجَمِيًّا) جواب لقولهم هلا أنزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر (لقالوا لولا فصلت آياته) أى بينت بلسان نطقه وقوله تعالى (أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ) إنكار مقرر للتحضيض والأعجمى يقال للكلام لا يفهم وللتكلم به والياء للبالغة فى الوصف كآخرى والمعنى أكلام أَعْجَمِيٍّ ورسول أو مرسل إليه عربى على أن الأفراد مع كون المرسل إليهم أمة حجة لما أن المراد بيان التنافى والتنافر بين الكلام وبين المخاطب به لا بيان كون المخاطب واحداً أو جمعاً وقرىء أَعْجَمِيٌّ أى أكلام منسوب إلى أمة العجم وقرىء أَعْجَمِيٌّ على الإخبار بأن القرآن أَعْجَمِيٌّ والمتكلم والمخاطب عربى ويجوز أن يراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها أَعْجَمِيًّا لإفهام العجم وبعضها عربياً لإفهام العرب وأياً ما كان فالمقصود بيان أن آيات الله تعالى على أى وجه جاءتهم وجدوا فيها متعنتاً يتعللون به (قل هو للذين آمنوا هدى) يهديهم إلى الحق (وشفاء) لما فى الصدور من شك وشبهة (والذين لا يؤمنون) مبتدأ خبره (فى آذانهم وقر) على أن التقدير هو أى القرآن فى آذانهم وقر على أن وقر خبر للضمير المقدر وفى آذانهم متعلق بمحذوف وقع حالا من وقر وهو أوفق لقوله تعالى (وهو عليهم عمى) وقبل خبر الموصول فى آذانهم وقر فاعل الظرف وقيل وقر مبتدأ والظرف خبره والجملة خبر للموصول وقيل التقدير والذين لا يؤمنون فى آذانهم منه وقر ومن جوز العطف على عاملين عطف الموصول على الموصول الأول أى هو للأولين هدى وشفاء وللآخرين وقر فى آذانهم (أولئك) إشارة إلى

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾

٤١ فصلت

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

٤١ فصلت

إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْثَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْذَنْكَ مَا مَنِائِمٍ مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾

٤١ فصلت

- الموصول الثاني باعتبار اتصافه بما في حيز صلاته وملاحظة ما أثبت له وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيدان ببعد منزلته في الشرمع ما فيهم من كمال المناسبة للنداء من بعيد أى أولئك البعداء الموصوفون بما ذكر من التصام عن الحق الذى يسمعون والتعاضى عن الآيات الظاهرة التى يشاهدونها (ينادون من مكان بعيد) تمثيل لهم في عدم قبولهم واستماعهم له بمن ينادى من مسافة ثانية لا يكاد يسمع من مثلها الأصوات (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) كلام مستأنف مسوق لبيان أن الاختلاف في شأن الكتب عادة قديمة للأمم غير مختص بقومك على منهاج قوله تعالى ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك أى وباتة لقد آتينا التوراة فاختلف فيها فمن مصدق لها ومكذب وهكذا حال قومك في شأن ما آتيناك من القرآن فمن مؤمن به وكافر (ولولا كلمة سبقت من ربك) في حق أمتك المكذبة وهى العدة بتأخير عذابهم وفصل ما بينهم وبين المؤمنين من الخصومة إلى يوم القيامة بنحو قوله تعالى بل الساعة موعدهم وقوله تعالى ولكن يؤخروهم إلى أجل مسمى (لقضى بينهم) باستئصال المكذبين كما فعل بمكذبي الأمم السالفة (وإنهم) أى كفار قومك (لنى شك منه مريب) أى من القرآن وجعل الضمير الأول لليهود والثاني للتوراة لما لا وجه له (من عمل صالحاً) بأن آمن بالكتب ٤٦ وعمل بموجبها (فلنفسه) أى فلنفسه يهمله أو فنفعه لنفسه لا لغيره (ومن أساء فعليها) ضرره لا على غيره (وما ربك بظلام للعبيد) اعتراض تذييل مقرر لمضمون ما قبله مبنى على تنزيل ترك لإثابة المحسن بعمله أو لإثابة الغير بعمله وتنزيل التعذيب بغير إساءة أو بإساءة غيره منزلة الظلم الذى يستحيل صدوره عنه سبحانه وتعالى وقد مر ما في المقام من التحقيق والتفصيل في سورة آل عمران وسورة الأفعال (إليه يرد علم الساعة) أى إذا سئل عنها يقال الله يعلم أولاً يعلمها إلا الله تعالى (وما تخرج من ثمرات ٤٧ من أكمامها) أى من أوعيتها جمع كم بالكسر وهو وعاء الثرة كجف الطلعة توقرى من ثمرة على إرادة الجنس والجمع لاختلاف الأنواع وقد قرئ بجمع الضمير أيضاً وما نافية ومن الأولى مزيدة للاستغراق واحتمال أن تكون ماموصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بعيد (وما تحمّل من أنثى ولا تضع) أى حملها وقوله تعالى (إلا بعلمه) استثناء مفرغ من أعم الأحوال أى وما يحدث شيء
- ٣ - أبى السعود ج ٨

وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَّجِيسٍ ﴿٤٨﴾

لَا يَسْمَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَعْوُسْ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾

وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ

غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾

٤٨ فصلت

من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع ملابساً بشيء من الأشياء إلا ملابساً بعله المحيط

* (ويوم يناديهم أين شركائي) أي بزعمكم كما نص عليه في قوله تعالى نادوا شركائي الذين زعمتم وفيه تهكم

بهم وتقريع لهم ويوم منصوب باذكر أو ظارف لمضممر مؤخر قد ترك لإيذاناً بقصور البيان عنه كما مر

* في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل (قالوا أذناك) أي أخبرناك (مامنا من شهيد) من أحد يشهد لهم

بالشركة إذ تبرأنا منهم لما عاينا الحال ومامنا أحد إلا وهو موحد لك أو مامنا من أحد يشاهد لهم لأنهم

ضلوا عنهم حينئذ وقيل هو قول الشركاء أي مامنا من شهيد يشهد لهم بأنهم كانوا محقين وقولهم أذناك

إما لأن هذا التوبيخ مسبوق بتوبيخ آخر محاب هذا الجواب أولان معناه أنك غلبت من قلوبنا وعقائدنا

الآن أنا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لأنه إذا علمه من نفوسهم فكأنهم أعلنوه أو لأن معناه الإنشاء لا

الإخبار بإيدان قد كان قبل ذلك (وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ) أي يعبدون (من قبل) أي غابوا عنهم

أو ظهر عدم نفعهم فكان حضورهم كغيبتهم (وَضَلُّوا) أي أيقنوا (ما لهم من محيص) مهرب والظن

٤٩ معلق عنه بحرف النفي (لا يسأم الإنسان) أي لا يمل ولا يفتر (من دعاء الخير) من طلب السعة في النعمة

وأسباب المعيشة وقرىء من دعاء بالخير (وإن مسه الشر) أي العسر والضيق (فيؤوس قنوط) فيه

مبالغة من جهة البناء ومن جهة التكرير ومن جهة أن القنوط عبارة عن يأس مفرط يظهر أثره في

الشخص فيتضاءل وينكسر أي مبالغ في قطع الرجاء من فضل الله تعالى ورحمته وهذا وصف للجنس

٥٠ بوصف غالب أفرادهم لما أن اليأس من رحمته تعالى لا يتأتى إلا من الكافروسيصرح به (وإئن أذقناه

رحمة منا من بعد ضراء مسته) بتفريجها عنه (ليقولن هذا لي) أي حق أستحقه لما لي من الفضل

والعمل أولى لا لغيري فلا يزول عني أبداً (وما أظن الساعة قائمة) أي تقوم فيما سيأتي (ولئن

رجعت إلى ربِّي) على تقدير قيامها (إن لي عنده للحسنى) أي للحالة الحسنى من الكرامة وذلك

لاعتقاده أن ما أصابه من نعم الدنيا لاستحقاقه له وأن نعم الآخرة كذلك (فلننبئن الذين كفروا

بما عملوا) أي لنعلمهم بحقيقة أعمالهم حين أظهرناها بصورها الحقيقية وقدم تحقيقه في سورة الأعراف

عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق وفي قوله تعالى إنما نغيكم على أنفسكم من سورة يونس (ولنذيقنهم

من عذاب غليظ) لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه .

وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَجَّ بِجَانِبِهِ ۚ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ فصلت
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ ۖ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ فصلت
 سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۚ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ
 كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ فصلت

- ٥١ (وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض) أى عن الشكر (ونجى بجانبه) أى ذهب بنفسه وتباعد بكيته تكبراً وتعظماً والجانب مجاز عن النفس كما في قوله تعالى في جنب الله ويجوز أن يراد به عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ننى عطفه وتولى بركنه (وإذا مسه الشر فذودعاء عريض) أى كثير مستعار بما له عرض متسع للإشعار بكثرة واستمراره وهو أبلغ من الطويل إذ الطويل أطول الامتدادين فإذا كان عرضه كذلك فاطنك بطوله ولعل هذا شأن بعض غير البعض الذى حكى عنه اليأس والقنوط أو شأن الكل في بعض الأوقات (قل أرايتم) أى أخبروني (إن كان) أى القرآن (من عند الله ثم كفرتم به) مع تعاضد موجبات الإيمان به (من أضل ممن هو في شقاق بعيد) أى من أضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحاً لحالهم وتعليلاً لمزيد ضلالهم (سنريهم آياتنا) الدالة على حقيقته وكونه من عند الله (في الآفاق) هو ما أخبرهم به النبي صلى الله عليه وسلم من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله تعالى له ولخلفائه من الفتوح والظهور على آفاق الدنيا والاستيلاء على بلاد المشارق والمغرب على وجه خارق للعادة (وفي أنفسهم) هو ما ظهر فيما بين أهل مكة وما حل بهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما في الآفاق أى منازل الأمم الخالية وآثارهم وفي أنفسهم يوم بدر وقال مجاهد والحسن والسدى في الآفاق ما يمتنع الله من القرى عليه عليه الصلاة والسلام والمسلمين وفي أنفسهم فتح مكة وقيل في الآفاق أى في أقطار السموات والأرض من الشمس والقمر والنجوم وما يترتب عليها من الليل والنهار والأضواء والظلال والظلمات ومن النبات والأشجار والأنهار وفي أنفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة في تكوين الأجنة في ظلمات الأرحام وحدوث الأعضاء العجيبة والتركيبات الغريبة كقوله تعالى وفي أنفسكم أفلا تبصرون واعتذر بأن معنى السين مع أن إرادة تلك الآيات قد حصلت قبل ذلك أنه تعالى سيطلمهم على تلك الآيات زماناً فزماناً ويزيدهم وقوفاً على حقائقها يوماً فيوماً (حتى يتبين لهم) بذلك (أنه الحق) أى القرآن أو الإسلام والتوحيد (أولم يكف بربك) استئناف وارد لتوبيخهم على ترددهم في شأن القرآن وعنادهم المحوج إلى إرادة الآيات وعدم اكتفائهم بإخباره تعالى والهمزة للإنكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى ألم يغن ولم يكف بربك والباء مزيدة للتأكيد ولا تكاد تزداد إلا مع كفى وقوله تعالى (أنه على كل شيء شهيد) بدل منه أى ألم يغنهم عن إرادة الآيات الموعودة المبينة لحقبة القرآن ولم يكفهم في ذلك أنه تعالى شهيد على جميع الأشياء وقد أخبر بأنه من عنده وقيل معناه إن هذا الموعود من إظهار آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم سيروونه

أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِئَةٍ مِّنَ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾

٤١ فصلت

ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد أى مطلع يستوى عنده غيبه وشهادته فيكشفهم ذلك دليلا على أنه حق وأنه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوى هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة فتأمل وأما ما قيل من أن المعنى أو لم يكفك أنه تعالى على كل شيء شهيد محقق له فيحقق أمرك بإظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الأشياء الموعودة فمع إشعاره بما لا يليق بجلالة منصبه عليه السلام من التردد فيما ذكر من تحقيق الموعود يرده قوله تعالى (ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم) أى فى شك عظيم من ذلك بالبعث والجزاء فإنه صريح فى أن عدم الكفاية معتبر بالنسبة إليهم وقرىء مرية بالضم وهو لغة فيها (ألا إنه بكل شيء محيط) عالم بجميع الأشياء جلها وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم لا محالة. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة أعطاه الله تعالى بكل حرف عشر حسنة والله أعلم.

٤٢ - سورة الشورى
نزلت بمكة وآياتها ثلاث وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٢ الشورى

حم

٤٢ الشورى

عسق

٤٢ الشورى

كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾

﴿ سورة الشورى مكية وآياتها ثلاث وخمسون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (حم عسق) اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وقيل ٢٠١ اسم واحد والفصل ليناسب سائر الحواميم وقرىء حم سق فعلى الأول هما خبران لمبتدأ محذوف وقيل حم مبتدأ وعسق خبره وعلى الثانى الكل خبر واحد وقوله تعالى (كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم) كلام مستأنف وارد لتحقيق أن مضمون السورة موافق لما فى تضاعيف سائر الكتب المنزلة على الرسل المتقدمة فى الدعوة إلى التوحيد والإرشاد إلى الحق أو أن إيجاءها مثل إيجائها بعد تنويعها بذكر اسمها والتنبيه على غفلة شأنها والكاف فى حيز النصب على أنه مفعول ليوحى على الأول وعلى أنه نعت لمصدر مؤكد له على الثانى وذلك على الأول إشارة إلى ما فيها وعلى الثانى إلى إيجائها وما فيه من معنى البعد للإيدان بعلو رتبة المشار إليه وبعد منزلته فى الفضل أى مثل ما فى هذه السورة من المعانى أوحى إليك فى سائر السور وإلى من قبلك من الرسل فى كتبهم على أن مناط المماثلة ما أشير إليه من الدعوة إلى التوحيد والإرشاد إلى الحق وما فيه صلاح العباد فى المعاش والمعاد أو مثل إيجائها أوحى إليك عند إيجاء سائر السور وإلى سائر الرسل عند إيجاء كتبهم إليهم لا إيجاء مغايراً له كما فى قوله تعالى إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح الآية على أن مدار المثلية كونه بواسطة الملك وصيغة المضارع على حكاية الحال الماضية للإيدان باستمرار الوحي وأن إيجاء مثله عادته وفى جعل مضمون السورة أو إيجائها مشبهاً به من تفخيمها ما لا يخفى وكذا فى وصفه تعالى بوصفى العزة والحكمة وتأخير الفاعل لمراعاة الفواصل مع ما فيه من التشويق وقرىء يوحى على البناء للمفعول على أن كذلك مبتدأ ويوحى خبره المسند إلى ضميره أو مصدر ويوحى مسند إلى إليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى كأنه قيل من يوحى فقيل الله والعزيز الحكيم صفتان له أو مبتدأ كما فى قراءة يوحى والعزيز وما بعده خبران له أو العزيز الحكيم صفتان له .

٤٢ الشورى

لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾

تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي

٤٢ الشورى

الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾

٤٢ الشورى

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِظَ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ

٤٢ الشورى

لَارَبِّ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾

٤ وقوله تعالى (له ما في السموات وما في الأرض وهو العلي العظيم) خبران له وعلى الوجوه السابقة استئناف

٥ مقرر لعزته وحكمته (تكاد السموات) وقرىء بالياء (يتفطرن) يتشققن من عظمة الله تعالى وقيل

من دعاء الولد له كما في سورة مريم وقرىء ينفطرن والأول أبلغ لأنه مطاوع فطر وهذا مطاوع

* فطر وقرىء تفطرن بالتاء لتأكيد التأنيت وهو نادر (من فوقهن) أى يتبدأ التفطر من جهتهن

الفوقانية وتخصيصها على الأول لما أن أعظم الآيات وأدناها على العظمة والجلال من تلك الجهة وعلى

الثاني للدلالة على التفطر من تحتهن بالطريق الأولى لأن تلك الكلمة الشنعاء الواقعة في الأرض

حيث أثرت في جهة فوق فلأن تؤثر في جهة تحت أولى وقيل الضمير للأرض فإنها في معنى الأرضين

* (والملائكة يسبحون بحمد ربهم) ينزهونه تعالى عما لا يليق به ملتبسين بحمده (ويستغفرون لمن في

الأرض) بالسعى فيما يستدعى مغفرتهم من الشفاعة والإلهام وترتيب الأسباب المقربة إلى الطاعة

واستدعاء تأخير العقوبة طمعاً في إيمان الكافر وتوبة الفاسق وهذا يعم المؤمن والكافر بل لو فسر

الاستغفار بالسعى فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين كما في قوله

* تعالى ويستغفرون للذين آمنوا فالمراد به الشفاعة (ألا إن الله هو الغفور الرحيم) إذا ما من مخلوق

إلا وله حظ عظيم من رحمته تعالى والآية على الأول زيادة تقرير لعظمته تعالى وعلى الثاني بيان لكمال

تقدسه عما نسب إليه وأن ترك معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء بسبب استغفار الملائكة

وفرط غفرانه ورحمته ففيها رمز إلى أنه تعالى يقبل استغفارهم ويزيدهم على ما طلبوه من المغفرة

٦ رحمة (والذين اتخذوا من دونه أولياء) شركاء وأنداداً (الله حفيظ عليهم) رقيب على أحوالهم

وأعمالهم فيجازيهم بها (وما أنت عليهم بوكيل) بموكل بهم أو بموكل إليه أمرهم وإنما وظيفتك

٧ الإنذار (وكذلك أوحينا إليك قرآنًا عربياً) ذلك إشارة إلى مصدر أوحينا وحل الكاف النصب

على المصدرية وقرآنًا عربياً مفعول لأوحينا أى ومثل ذلك الإيحاء البديع البين المفهم أوحينا إليك

قرآنًا عربياً لا لبس فيه عليك ولا على قومك وقيل إشارة إلى معنى الآية المتقدمة من أنه تعالى هو

الحفيظ عليهم وإنما أنت نذير فحسب فالكاف مفعول به لأوحينا وقرآنًا عربياً حال من المفعول

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ
وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾

٤٢ الشورى

به أى أوحيناه إليك وهو قرآن عربى بين (لتتذرع أم القرى) أى أهلها وهى مكة (ومن حولها) من العرب (وتتذرع يوم الجمع) أى يوم القيامة لأنه يجمع فيه الخلائق قال تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل تجمع فيه الأرواح والأشباح وقيل الأعمال والعمال والإنذار يتعدى إلى مفعولين وقد يستعمل ثانيهما بالباء وقد حذف ههنا ثانى مفعولى الأول وأول مفعولى الثانى للتحويل وإيهام التعميم وقرئ لينذر بالياء على أن فاعله ضمير القرآن (لاريب فيه) اعتراض مقرر لما قبله (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) أى بعد جمعهم فى الموقف فإنهم يجمعون فيه أولاً ثم يفرقون بعد الحساب والتقدير منهم فريق والضمير للجموعين لدلالة الجمع عليه وقرنا منصوبين على الحالية منهم أى وتتذرع يوم جمعهم متفرقين أى مشارفين للتفرق أو متفرقين فى دارى الثواب والعقاب (ولو شاء الله لجعلهم) أى فى الدنيا (أمة واحدة) قيل مهتدين أو ضالين وهو تفصيل لما أجمله ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله على دين واحد فعنى قوله تعالى (ولكن يدخل من يشاء فى رحمته) أنه تعالى يدخل فى رحمته من يشاء * أن يدخله فيها ويدخل فى عذابه من يشاء أن يدخله فيه ولا ريب فى أن مشيئته تعالى لكل من الإدخالين تابعة لاستحقاق كل من الفريقين لدخول مدخله ومن ضرورة اختلاف الرحمة والعذاب اختلاف حال الداخلين فيهما قطعاً فلم يشأ جعل الكل أمة واحدة بل جعلهم فريقين وإنما قيل (والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير) للإيدان بأن الإدخال فى العذاب من جهة الداخلين بموجب سوء اختيارهم لا من جهته تعالى كما فى الإدخال فى الرحمة لما قيل من المبالغة فى الوعيد وقيل مؤمنين كلهم وهو ما قاله مقاتل على دين الإسلام كما فى قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها والمعنى ولو شاء الله مشيئة قدرة لقهرهم على الإيمان ولكنه شاء مشيئة حكمة وكلهم وبنى أمرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنون فى رحمته وهم المرادون بقوله تعالى يدخل من يشاء وترك الظالمين بغير ولى ولا نصير وأنت خير بأن فرض جعل الكل مؤمنين ياباه تصدير الاستدراك بإدخال بعضهم فى رحمته إذ الكل حينئذ داخلون فيها فكان المناسب حينئذ تصديره بإخراج بعضهم من بينهم وإدخالهم فى عذابه فالذى يقتضيه سياق النظم الكريم وسباقه أن يراد الاتحاد فى الكفر كما فى قوله تعالى كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين الآية على أحد الوجهين بأن يراد بهم الذين هم فى فترة لإدريس أو فى فترة نوح عليهما السلام فالمعنى ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة متفقة على الكفر بأن لا يرسل إليهم رسولا لينذرهم ما ذكر من يوم الجمع وما فيه من ألوان الأهوال فيبقوا على ما هم عليه من الكفر ولكن يدخل من يشاء فى رحمته أى شأنه ذلك فيرسل إلى الكل من ينذرهم ما ذكر فيتأثر بعضهم بالإنذار فيصرفون اختيارهم إلى الحق فيوقفهم الله للإيمان والطاعة ويدخلهم فى رحمته ولا يتأثر به الآخرون ويتمادون فى غيهم وهم الظالمون فيبقون فى الدنيا

أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَالَ اللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٢﴾ الشورى
وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٤٣﴾ الشورى
فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ
لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٤٤﴾ الشورى

٩ على ما هم عليه من الكفر ويصيرون في الآخرة إلى السعير من غير ولى يلى أمرهم ولا نصير يخلصهم
من العذاب (أم اتخذوا من دونه أولياء) جملة مستأنفة مقررة لما قبلها من انتفاء أن يكون للظالمين
ولى أو نصير وأم منقطعة وما فيها من بل للاتقال من بيان ما قبلها إلى بيان ما بعدها والهمزة لأنكار
الوقوع ونفيه على أبلغ وجه وآكده لأن ذلك فرع كون الأصنام أولياء وهو أظهر الممتنعات أى بل اتخذوا
متجاوزين الله أولياء من الأصنام وغيرها هيئات وقوله تعالى (فالله هو الولي) جواب شرط محذوف
كأنه قيل بعد إبطال ولاية ما اتخذوه أولياء إن أرادوا ولياً في الحقيقة فالله هو الولي لا ولى سواه (وهو
يحيي الموتى) أى ومن شأنه ذلك (وهو على كل شيء قدير) فهو الحقيق بأن يتخذ ولياً فليخصوه
١٠ بالاتخاذ دون من لا يقدر على شيء (وما اختلفتم فيه من شيء) حكاية لقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم للذين آمنوا وما خالفكم الكفار فيه من أمور الدين فاختلفتم أتم وهم (لحكمه) راجع
(إلى الله) وهو إثابة المحقين وعقاب المبطلين (ذلكم) الحاكم العظيم الشأن (الله ربى) مالكي (عليه
توكلت) فى مجامع أمورى خاصة لأعلى غيره (وليه أنيب) أرجع فى كل ما يعنى لى من معضلات
الأمور لا إلى أحد سواه وحيث كان التوكل أمراً واحداً مستمراً والإجابة متعددة متجددة حسب
تجدد موادها أوثر فى الأول صيغة الماضى وفى الثانى صيغة المضارع وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم
فى شيء من الخصومات فتحاكموا فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تؤثروا على حكومته
حكومة غيره وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل آية واشتبه عليكم فارجعوا فى بيانه إلى المحكم من
كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من
العلوم التى لاتعلق بتكليفكم ولا طريق لكم إلى عليه فقولوا الله أعلم كعرفة الروح ولا مساع لحمل
١١ هذا على الاجتهاد لعدم جوازه بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم (فاطر السموات والأرض)
خبر آخر لذالكم أو خبر لمبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره (جعل لكم) وقرئ بالجر على أنه بدل من
الضمير أو وصف للاسم الجليل فى قوله تعالى إلى الله وما بينهما اعتراض بين الصفة والموصوف
(من أنفسكم) من جنسكم (أزواجاً) نساء وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح قد مر سره
غيره مرة (ومن الأنعام) أى وجعل للأنعام من جنسها (أزواجاً) أو خلق لكم من الأنعام
أصنافاً أو ذكوراً وإناثاً (يذركم) يكثركم من الذر وهو البث وفى معناه الذر والذر (فيه) أى

لَهُ وَمَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ٤٢ الشورى
 شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى
 أَن أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَسِبَ إِلَيْهِ مَن
 يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ٤٢ الشورى

فما ذكر من التدبير فإن جعل الناس والأنعام أزواجا يكون بينهم توالد كالمنبع للبث والتكثير (ليس كمثل شيء) أى ليس مثله شيء فى شأن من الشئون التى من جملتها هذا التدبير البديع والمراد من مثله ذاته كما فى قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة فى نفيه عنه فإنه إذا نفى عن يناسبه كان نفيه عنه أولى ثم سلكت هذه الطريقة فى شأن من لا مثل له وقيل مثله صفته أى ليس كصفته صفة (وهو السميع البصير) المبالغ فى العلم بكل ما يسمع ويصير (له مقاليد السموات والأرض) أى خزانتهما ١٢ (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يوسع ويضيق حسبما تقتضيه مشيئته المؤسسة على الحكم البالغة (لأنه بكل شيء عليم) مبالغ فى الإحاطة به فيفعل كل ما ينبغي أن يفعل عليه والجملة تعليل لما قبلها وتمهيد لما بعدها من قوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى) وإيدان بأن ما شرع لهم صادر عن كمال العلم والحكمة كما أن بيان نسبته إلى المذكورين عليهم الصلاة والسلام تنبيه على كونه ديناً قديماً أجمع عليه الرسل والخطاب لأئمة عليه الصلاة والسلام أى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ومن بعده من أرباب الشرائع وأولى العزائم من مشاهير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأمرهم به أمراً مؤكداً على أن تخصيصهم بالذكر لما ذكر من علو شأنهم ولاستمالة قلوب الكفرة إليه لاتفاق الكل على نبوة بعضهم وتفرد اليهود فى شأن موسى عليه السلام وتفرد النصارى فى حق عيسى عليه السلام وإلا فامن نبى إلا وهو مأمور بما أمروا به وهو عبارة عن التوحيد ودين الإسلام وما لا يختلف باختلاف الأئمة وتبدل الأعصار من أصول الشرائع والأحكام كما ينبىء عنه التوصية فإنها معربة عن تأكيد الأمر والاعتناء بشأن المأمور به والمراد بإيحائه إليه عليه الصلاة والسلام إما ما ذكر فى صدر السورة الكريمة وفى قوله تعالى وكذلك أوحينا الآية أو ما يعمهما وغيرهما مما وقع فى سائر المواقع التى من جملتها قوله تعالى ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وقوله تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد وغير ذلك والتعبير عن ذلك عند نسبته إليه عليه الصلاة والسلام بالذى لزيادة تفخيم شأنه من تلك الحيثية وإثبات الإيحاء على ما قبله وما بعده من التوصية لمراعاة ما وقع فى الآيات المذكورة ولما فى الإيحاء من التصريح برسالته عليه الصلاة والسلام القامع لإنكار الكفرة والالتفات إلى نون العظمة لإظهار كمال الاعتناء بإيحائه وهو السر فى تقديمه على ما بعده مع تقدمه عليه زماناً وتقديم

٤ - أبى السعود ج ٨ ،

وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بِغَيِّ بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفَقَضَى بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ ٤٢ الشورى

توصية نوح عليه السلام للسارعة إلى بيان كون المشروع لهم ديناً قديماً وتوجيه الخطاب إليه عليه الصلاة والسلام بطريق التلوين للتشريف والتنبية على أنه تعالى شرعه لهم على لسانه عليه الصلاة والسلام (أن أقيموا الدين) أى دين الإسلام الذى هو توحيد الله تعالى وطاعته والإيمان بكتبه ورسوله ويوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل به مؤمناً والمراد بإقامته تعديل أركانه وحفظه من أن يقع فيه زيغ أو المواظبة عليه والتشمر له وعمل أن أقيموا إما النصب على أنه بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه أو الرفع على أنه جواب عن سؤال نشأ من إلهام المشروع كأنه قيل وما ذاك فقيل هو إقامة الدين وقيل بدل من ضمير به وليس بذاك لما أنه مع إفضائه إلى خروجه عن حيز الإيحاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم مستلزم لكون الخطاب فى قوله تعالى (ولا تتفرقوا فيه) للأنبياء المذكورين عليهم الصلاة والسلام وتوجيه النهى إلى أنهم تحمل ظاهر مع أن الأظهر أنه متوجه إلى أمته صلى الله عليه وسلم وأنهم المتفرقون كما ستحيط به خبراً أى لا تتفرقوا فى الدين الذى هو عبارة عما ذكر من الأصول دون الفروع المختلفة حسب اختلاف الأمم باختلاف الأعصار كما ينطق به قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقوله تعالى (كبر على المشركين) شروع فى بيان أحوال بعض من شرع لهم ما شرع من الدين القويم أى عظم وشق عليهم (ماتدعوم إليه) من التوحيد ورفض عبادة الأصنام واستبعدوه حيث قالوا أجعل الآلهة لها واحداً إن هذا لشيء عجاب وقوله تعالى (الله يجتبي إليه من يشاء) استئناف وارد لتحقيق الحق وفيه إشعار بأن منهم من يجيب إلى الدعوة أى الله يجتلب إلى ماتدعوم إليه من يشاء أن يجتبيه إليه وهو من صرف اختياره إلى مادعى إليه كما ينبغي عنه قوله تعالى (ويهdy إليه من ينب) أى يقبل إليه حيث يمد بالتوفيق والالطاف ١٤ وقوله تعالى (وما تفرقوا) شروع فى بيان أحوال أهل الكتاب عقيب الإشارة الإجمالية إلى أحوال أهل الشرك قال ابن عباس رضى الله عنهما هم اليهود والنصارى لقوله تعالى وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم اليقنة أى وما تفرقوا فى الدين الذى دعوا إليه ولم يؤمنوا كما آمن بعضهم (إلا من بعد ما جاءهم العلم) بحقيقته بما شاهدوا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن من دلائل الحقيقة حسبا وجدوه فى كتابهم أو العلم بمبعثه صلى الله عليه وسلم وهو استثناء مفرغ من أعم الأحوال أو من أعم الأوقات أى وما تفرقوا فى حال من الأحوال أو فى وقت من الأوقات لإحاطة مجيء العلم أو الوقت مجيء العلم (بدياً بينهم) وحمية وطلباً للرياسة لأنهم فى ذلك شبهة (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهى العدة بتأخير العقوبة (إلى أجل مسمى) هو يوم القيامة (لقضى بينهم) لأوقع القضاء بينهم باستئصالهم لاستيجاب جنائياتهم لذلك قطعاً وقوله تعالى (وإن الذين

فَإِذْ لَكَ فَادَعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَّاهُ مِنْ كِتَابٍ
وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حِجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ
اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

٤٢ الشورى

أورثوا الكتاب من بعدهم) الخ بيان لكيفية كفر المشركين بالقرآن لإثر بيان كيفية كفر أهل الكتاب
وقرىء ورثوا وورثوا أى وإن المشركين الذين أورثوا القرآن من بعد ما أورث أهل الكتاب كتابهم
(لنى شك منه) من القرآن (مريب) موقع فى القلق أو فى الريبة ولذلك لا يؤمنون به لا لمحض البغى *
والمكابرة بعد ما علموا بحقيقته كدأب أهل الكتابين هذا وأما ما قيل من أن ضمير تفرقوا لأمم الأنبياء
عليهم الصلاة والسلام وأن المراد تفرق كل أمة بعد نبينا مع عليهم بأن الفرقة ضلال وفساد وأمر متوعد
عليه على السنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيرده قوله تعالى ولو لا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى
لقضى بينهم وكذا ما قيل من أن الناس كانوا أمة واحدة مؤمنين بعد ما أهلك الله تعالى أهل الأرض
بالطوفان فلما مات الآباء اختلف الأبناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله تعالى النبيين مبشرين ومنذرين
وجاءهم العلم وإنما اختلفوا للبغى بينهم فإن مشاهير الأمم المذكورة قد أصابهم عذاب الاستئصال من
غير إنظار وإمهال على أن مساق النظم الكريم لبيان أحوال هذه الأمة وإنما ذكر من ذكر من
الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لتحقيق أن ما شرع لهؤلاء دين قديم أجمع عليه أولئك الأعلام
عليهم الصلاة والسلام تأكيداً لوجوب إقامته وتشديداً للزجر عن التفرق والاختلاف فيه فالتعرض
ليبيان تفرق أممهم عنه ربما يوم الإخلال بذلك المرام (فلذلك) أى فلأجل ما ذكر من التفرق ١٥
والشك المريب أو فلأجل أنه شرع لهم الدين القويم القديم الحقيق بأن يتنافس فيه المتنافسون
(فادع) أى الناس كافة إلى إقامة ذلك الدين والعمل بموجبه فإن كلا من تفرقهم وكونهم فى شك *
مريب ومن شرع ذلك الدين لهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب للدعوة إليه والأمر
بها وليس المشار إليه ما ذكر من التوصية والأمر بالإقامة والنهى عن التفرق حتى يتوهم شائبة التكرار
وقيل المشار إليه نفس الدين المشروع واللام بمعنى إلى كما فى قوله تعالى بأن ربك أوحى لها أى فإلى
ذلك الدين فادع (واستقم) عليه وعلى الدعوة إليه (كما أمرت) وأوحى إليك (ولا تتبع أهواءهم) *
الباطلة (وقل آمنتم بما أنزل الله من كتاب) أى كتاب كان من الكتب المنزلة لا كالذين آمنوا
ببعض منها وكفروا ببعض وفيه تحقيق للحق وبيان لاتفاق الكتب فى الأصول وتأليف لقلوب
أهل الكتابين وتعريض بهم وقد مر بيان كيفية الإيمان بها فى خاتمة سورة البقرة (وأمرت لأعدل *
بينكم) فى تبليغ الشرائع والأحكام وفصل القضايا عند المحاكاة والخصام وقيل معناه لاسوى بيني
وبينكم ولا آمركم بما لا عمله ولا أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ولا أفرق بين أكابركم وأصاغركم واللام
إما على حقيقتها والمأمور به محذوف أى أمرت بذلك لأعدل أو زائدة أى أمرت أن أعدل والباء
محذوفة (الله ربنا وربكم) أى عالقنا جميعاً ومتولى أمورنا (لنا أعمالنا) لا يتخطانا جزاؤها لو لم يكن

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ وَجَحَّتْهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾

٤٢ الشورى

اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾
يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلا إِنَّ
الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾

٤٢ الشورى

- أو عقاباً (ولكم أعمالكم) لا تجاوزكم آثارها لنستفيد بحسناتكم وتنضرر بسيئاتكم (لا حجة بيننا وبينكم) لا حاجة ولا خصومة لأن الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة حاجة ولا للمخالفة محمل سوى المكابرة (الله يجمع بيننا) يوم القيامة (ولإليه المصير) فيظهر هناك حالنا وحالكم وهذا كما ترى
- ١٦ محاجة في مواقف المجاورة لامتاركة في مواطن المحاربة حتى يصار إلى النسخ بآية القتال (والذين يحاجون في الله) أى في دينه (من بعد ما استجيب له) من بعدما استجاب له الناس ودخلوا فيه والتعبير عن ذلك بالاستجابة باعتبار دعوتهم إليه أو من بعد ما استجاب الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وأيده بنصره أو من بعد ما استجاب له أهل الكتاب بأن أقروا بنبوته صلى الله عليه وسلم واستفتحوا به قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم وذلك أن اليهود والنصارى كانوا يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم وأولى بالحق (حجتهم داحضة عند ربهم) زالة زائلة باطلة * بل لا حجة لهم أصلاً وإنما عبر عن أباطيلهم بالحجة مجازة معهم على زعمهم الباطل (وعليهم غضب) عظيم لمكابرتهم الحق بعد ظهوره (ولهم عذاب شديد) لا يقادر قدره (الله الذى أنزل الكتاب) أى جنس الكتاب (بالحق) ملتبساً به فى أحكامه وأخباره أو بما يحق إزاله من العقائد والأحكام (والميزان) والشرع الذى يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس أو نفس العدل بأن أنزل الأمر به أو آلة الوزن (وما يدريك) أى أى شئ يجعلك عالماً (لعل الساعة) التى يخبر بمجيئها الكتاب الناطق بالحق (قريب) أى شئ قريب أو قريب مجيئها وقيل القريب بمعنى ذات قرب أو الساعة بمعنى البعث والمعنى أنها على جناح الإتيان فاتبع الكتاب واعمل به وواظب على العدل قبل أن
- ١٨ يفاجئك اليوم الذى يوزن فيه الأعمال ويوفى جزاؤها (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) استعجال إنكار واستهزاء كانوا يقولون متى هى ليتها قامت حتى يظهر لنا الحق أهو الذى نحن عليه أم الذى عليه محمد وأصحابه (والذين آمنوا مشفقون منها) خائفون منها مع اعتناء بها لتوقع الثواب (ويعلمون أنها الحق) أى الكائن لا محالة (ألا إن الذين يمارون فى الساعة) يجادلون فيها من المرية أو من مريت الناقة إذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لأن كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة (لنى ضلال بعيد) عن الحق فإن البعث أشبه الغائبات بالمحسوسات فمن لم يهتد إلى تجويزه فهو عن

اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾
مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ

فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ٤٢ الشورى

أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ٤٢ الشورى

تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ٤٢ الشورى

- ١٩ الاهتداء إلى ما وراءه أبعد وأبعد (الله لطيف بعباده) أى بر بليغ البر بهم يفيض عليهم من فنون ألطافه ما لا يكاد يناله أيدى الأفكار والظنون (يرزق من يشاء) أن يرزقه كيفما يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة (وهو القوى) الباهر القدرة الغالب على كل شيء (العزیز) المنيع الذى لا يغلب (من كان يريد حث الآخرة) الحث فى الأصل لإلقاء البذر فى الأرض يطلق على الزرع الحاصل منه ويستعمل فى ثمرات الأعمال ونتائجها بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهها بالغلال الحاصلة من البذور المتضمن لتشبيه الأعمال بالبذور أى من كان يريد بأعماله ثواب الآخرة (نزد له فى حثه) نضاعف له ثوابه بالواحد عشرة إلى سبعمائة فما فوقها (ومن كان يريد بأعماله) حث الدنيا (وهو متاعها وطيباتها) نؤته منها (أى شيئاً منها حسبما قسمنا له لا ما يريد ويبتغيه) وما له فى الآخرة من نصيب (إذ كانت همته مقصورة على الدنيا وقد مر تفصيله فى سورة الإسراء) أم لهم شركاء (أى بل لهم شركاء من الشياطين والهمزة للتقرير والتقرير (شرعوا لهم) بالتسويل (من الدين ما لم يأذن به الله) كالشرك وإنكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم أو ثأنهم وإضافتها إليهم لأنهم الذين جعلوها شركاء لله تعالى وإسناد الشرع إليها لأنها سبب ضلالتهم وافتلتانهم كقوله تعالى لمن أضلن كثيراً أو تماثل من سن الضلالة لهم (ولولا كلمة الفصل) أى القضاء السابق بتأخير الجزاء أو العدة بأن الفصل يكون يوم القيامة (لضى بينهم) أى بين الكافرين والمؤمنين أو بين المشركين وشركائهم (وإن الظالمين لهم عذاب أليم) وقرىء بالفتح عطفاً على كلمة الفصل أى ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين فى الآخرة لضى بينهم فى الدنيا فإن العذاب الأليم غالب فى عذاب الآخرة (ترى الظالمين) يوم القيامة والخطاب لكل أحد من يصلح له القصد إلى أن سوء حالهم غير مختص برؤية راء دون راء (مشفقين) خائفين (مما كسبوا) من السيئات (وهو واقع بهم) أى وباله لاحق بهم لامحالة أشفقوا أو لم يشفقوا والجملة حال من ضمير مشفقين أو اعتراض (والذين آمنوا وعملوا

ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا
 الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ ٤٢ الشورى
 أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشِئِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُخَيِّتُ
 الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ ٤٢ الشورى

الصلحات في روضات الجنات) مستقرون في أطيب بقاعها وأنزهها (لهم ما يشاءون عند ربهم) أى
 ما يشتهونه من فنون المستلذات حاصل لهم عند ربهم ظرف للاستقرار العامل في لهم وقيل ظرف
 ليشاءون (ذلك) إشارة إلى ما ذكر من حال المؤمنين وما فيه من معنى البعد للإيدان ببعد منزلة المشار
 ٢٣ إليه (هو الفضل الكبير) الذى لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته (ذلك) الفضل الكبير هو (الذى
 يبشر الله عباده) أى يبشرهم به فحذف الجار ثم العائد إلى الموصول كما في قوله تعالى هذا الذى بعث
 الله رسولا أو ذلك التبشير الذى يبشره الله تعالى عباده (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقرئ
 يبشر من أبشر (قل لا أسألكم عليه) روى أنه اجتمع المشركون في جمع لهم فقال بعضهم لبعض
 أترون أن محمداً يسأل على ما يتعاطاه أجراً فنزلت أى لا أطلب منكم على ما أنا عليه من التبليغ
 * والبخارة (أجراً) نفعاً (إلا المودة في القربى) أى إلا أن تودوني لقرايتي منكم أو تودوا أهل
 قرايتي وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا أسألكم أجراً قط ولكن أسألكم المودة وفي القربى حال
 منها أى إلا المودة ثابتة في القربى متمكنة في أهلها أو في حق القرابة والقربى مصدر كالزنى بمعنى
 القرابة روى أنها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال على
 وفاطمة وابنهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي
 ومن اصطنع صنعة إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه فأنا أجازه عليها غداً إذا لقيني يوم
 القيامة وقيل القربى التقرب إلى الله أى إلا أن تودوا الله ورسوله في تقربكم إليه بالطاعة والعمل
 * الصالح وقرئ إلا مودة في القربى (ومن يقترب حسنة) أى يكتسب أى حسنة كانت فتتناول
 مودة ذى القربى تناولا أولياً وعن السدى أنها المرادة وقيل نزلت في الصديق رضى الله عنه ومودته
 فيهم (نزد له فيها) أى في الحسنة (حسناً) بمضاعفة الثواب وقرئ يزد أى يزد الله وقرئ حسنى
 ٢٤ (إن الله غفور) لمن أذنب (شكور) لمن أطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة (أم
 يقولون) بل يقولون (افترى) محمد (على الله كذباً) بدعوى النبوة وتلاوة القرآن على أن الهمزة للإنكار
 التويهي كأنه قيل أيتا السكون أن ينسبوا مثله عليه السلام وهو هو إلى الافتراء لاسيما الافتراء على الله
 * الذى هو أعظم القرى وأخشها وقوله تعالى (فإن يشأ الله يختم على قلبك) استشهاد على بطلان ما قالوا
 ببيان أنه عليه السلام لو افترى على الله تعالى لمنعه من ذلك قطعاً وتحقيقه أن دعوى كون القرآن افتراء
 عليه تعالى قول منهم بأنه تعالى لا يشاء صدوره عن النبي صلى الله عليه وسلم بل يشاء عدم صدوره

وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ الشورى
وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ

شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾

الشورى ٤٢

عنه ومن ضرورته منعه عنه قطعاً فكانه قيل لو كان اقترأ عليه تعالى لشاء عدم صدوره عنك وإن يشأ ذلك يختم على قلبك بحيث لم يخطر ببالك معنى من معانيه ولم تنطق بحرف من حروفه وحيث لم يكن الأمر كذلك بل تواتر الوحي حيناً فحيناً تبين أنه من عند الله تعالى وقيل المعنى إن يشأ يجعلك من المختوم على قلوبهم فإنه لا يجترى على الاقتراء عليه تعالى إلا من كان كذلك ومؤداه استبعاد الاقتراء من مثله عليه السلام وأنه في البعد مثل الشرك بالله والدخول في جملة المختوم على قلوبهم وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن ويقطع عنك الوحي يعنى لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك وهذا معنى ما قيل لو كذب على الله لأنساه القرآن وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك أذاهم (ويمحو الله الباطل ويحق الحق بكلماته) استئناف مقرر لنفي الاقتراء غير معطوف على يختم كما ينبى عنه إظهار الاسم الجليل وسقوط الواو كما في بعض المصاحف لا تباع اللفظ كما في قوله تعالى ويدع الإنسان بالشر أى ومن عاداته تعالى أنه يمحو الباطل ويثبت الحق بوحيه أو بقضائه كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فلو كان افتراء كما زعموا لمحقه ودمغه أو عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه تعالى يمحو الباطل الذى هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذى هو عليه بالقرآن أو بقضائه الذى لا مرد له بنصرتهم عليهم (إنه عليم بذات الصدور)

فجرب عليها أحكامها اللاتقة بها من المحو والإثبات (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) التوبة هى الرجوع عن المعاصى بالندم عليها والعزم على أن لا يعاودها أبداً وروى جابر رضى الله عنه أن أعرابياً دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم إني استغفرك وأتوب إليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له على رضى الله عنه يا هذا إن سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك هذه تحتاج إلى التوبة فقال يا أمير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الدائمة ولتضييع الفرائض الإعادة ورد المظالم وإذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية وإذاقتها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته (ويعفو عن السيئات) صغيرها وكبيرها لمن يشاء (ويعلم ما يفعلون) كأنما ما كان من خير وشر فيجازى ويتجاوز حسبما تقتضيه

مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وقرىء ما تفعلون بالباء (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى يستجيب الله لهم لحذف اللام كما فى قوله تعالى وإذا كالوهم أى كالوا لهم والمراد إجابة دعوتهم والإثابة على طاعتهم فإنها كدعاء وطلب لما يترتب عليها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم أفضل الدعاء الحمد لله أو يستجيبون الله بالطاعة إذا دعاهم إليها وعن إبراهيم بن آدم أنه قيل له ما بالناس ندو فلا

وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ

٤٢ الشورى

خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾

وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ٤٢ الشورى
وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِنَّ مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ

٤٢ الشورى

قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

٢٧ نجات قال لأنه دعاكم ولم يجيبوه ثم قرأ والله يدعو إلى دار السلام (ويزيدهم من فضله) على ما سألوا واستحقوا بموجب الوعد (والكافرون لهم عذاب شديد) بدل ما للؤمنين من الثواب والفضل المزيد (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض) لتكبروا وأفسدوا فيها بطراً أو لعلا بعضهم على بعض بالاستيلاء والاستعلاء كما عليه الجبلية البشرية وأصل البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى من حيث السكمية أو الكيفية (ولكن ينزل بقدر) أى بتقدير (ما يشاء) أن ينزله مما تقتضيه مشيئته (إنه بعباده خير بصير) يحيط بخفايا أمورهم وجلاياها فيقدر لكل واحد منهم فى كل وقت من أوقاتهم ما يليق بشأنهم فيفقر ويغنى ويمنع ويعطى ويقبض ويسبط حسبما تقتضيه الحكمة الربانية ولو أغناهم جمعياً لبغوا ولو أفقرهم هللكوا وروى أن أهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل نزلت فى العرب كانوا إذا أخصبوا تحاربوا وإذا أجدبوا انتجعوا (وهو الذى ينزل الغيث) أى المطر الذى يغيثهم من الجذب ولذلك خص بالنافع منه وقرىء ينزل من الإنزال (من بعد ما قنطوا) ينسوا منه وتقييد تنزيله بذلك مع تحققه بدونه أيضاً لتذكر كمال النعمة وقرىء بكسر النون (وينشر رحمته) أى بركات الغيث ومنافعه فى كل شىء من السهل والجبل والنبات والحيوان أو رحمته الواسعة المنتظمة لما ذكر انتظاماً أولاً (وهو الولي) الذى يتولى عباده بالإحسان ونشر الرحمة (الحمد) المستحق للحمد على ذلك لا غيره (ومن آياته خلق السموات والأرض) على ما مما عليه من تعجيب الصنائع فإنها بذاتها وصفاتها تدل على شئونه العظيمة (وما بث فيهما) عطف على السموات أو الخلق (من دابة) من حى على إطلاق اسم المسبب على السبب أو مما يدب على الأرض فإن ما يختص بأحد الشيتين المتجاوزين يصح نسبته إليهما كما فى قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وإنما يخرج من الملح وقد جوز أن يكون للبلائكة عليهم السلام مشى مع الطيران فيوصفوا بالديب وأن يخلق الله فى السماء حيواناً يمشون فيها مشى الإنسانى على الأرض كما ينهى عنه قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض ثم فوق ذلك ثمانية أو عال بين ركبهن وأظلافهن كما بين السماء والأرض ثم فوق ذلك العرش العظيم (وهو على جمعهم) أى حشرهم بعد البعث للمحاسبة وقوله تعالى (إذا يشاء) متعلق بما قبله لا بقوله تعالى

وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ۖ ﴿٣٠﴾
 وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۖ ﴿٣١﴾
 وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ۖ ﴿٣٢﴾
 إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۖ ﴿٣٣﴾
 أَوْ يُوبِقْهُمْ يَمَاسًا يَكْسِبُوهَا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ۖ ﴿٣٤﴾
 وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ۖ ﴿٣٥﴾

(قدير) فإن المقيد بالمشيئة جمعه تعالى لا قدرته وإذا عند كونها بمعنى الوقت كما تدخل الماضي تدخل المضارع (وما أصابكم من مصيبة) أى مصيبة كانت (فما كسبت أيديكم) أى ففى معاصيكم التى اكتسبتموها ٣٠ والفاء لأن ما شرطية أو متضمنة لمعنى الشرط وقرىء بدونها اكتفاء بما فى الباء من معنى السببية (ويعفوا عن كثير) من الذنوب فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فإن ما أصاب غيرهم لأسباب أخرى منها تعريضه للثواب بالصبر عليه (وما أنتم بمعجزين فى الأرض) فائتين ما قضى عليكم من المصائب وإن ٣١ هربتم من أقطارها كل مهرب (وما لكم من دون الله من ولي) يحميكم منها (ولا نصير) يدفعها عنكم (ومن آياته الجوار) السفن الجارية (فى البحر) وقرىء الجوارى (كالأعلام) أى كالجبال على ٣٢ الإطلاق لا التى عليها النار للاهتمام خاصة (إن يشأ يسكن الريح) التى تجريها وقرىء الرياح (فيظللن رواكد على ظهره) فيقفن ثوابت على ظهر البحر أى غير جاريات لا غير متحركات أصلاً (إن فى ذلك) الذى ذكر من السفن اللاتى يجرين تارة ويركدن أخرى على حسب مشيئته تعالى (آيات) عظيمة فى أنفسها كثيرة فى العدد دالة على ما ذكر من شئونه تعالى (لكل صبار شكور) لكل من حبس نفسه عن التوجه إلى ما لا ينبغي وוכל همته بالنظر فى آيات الله تعالى والتفكر فى آلائه أو لكل مؤمن كامل فإن الإيمان نصفه صبر ونصفه شكر (أو يوبقهم بما كسبوا) عطف على يسكن والمعنى ٣٤ إن يشأ يسكن الريح فيركدن أو يرسلها فيغرقن بعضها وإيقاع الإيقاق عليهن مع أنه حال أهلن للبالغة والتهويل وإجراء حكمه على العفو فى قوله تعالى (ويعف عن كثير) لما أن المعنى أو يرسلها فيوبق ناساً وينج آخرين بطريق العفو عنهم وقرىء ويعفو على الاستئناف (ويعلم الذين يجادلون ٣٥ فى آياتنا) عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم وليعلم الخ كما فى قوله تعالى ولنجعل آية للناس وقوله ولنعلمه من تأويل الأحاديث ونظائرهما وقرىء بالرفع على الاستئناف وبالجزم عطفاً على يعف فيكون المعنى وإن يشأ يجمع بين إهلاك قوم وإنجاء قوم وتحذير قوم (ما لهم من محيص) أى من مهرب من العذاب والجملة معلق عنها الفعل .

فَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَنَعْتَحُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ

٤٢ الشورى

يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾

وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ٤٢ الشورى

وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ٤٢ الشورى

٤٢ الشورى

وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾

وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ ٤٢ الشورى

- ٣٦ (فا أوتيتم من شيء) مما ترغبون وتتنافسون فيه (فتناع الحياة الدنيا) أى فهو متاعها تتمتعون به
 * مدة حياتكم (وما عند الله) من ثواب الآخرة (خير) ذاتاً لخلوص نفعه (وأبقى) زماناً حيث
 لا يزول ولا يفنى (للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) لا على غيره أصلاً والموصول الأول لما كان
 متضمناً لمعنى الشرط من حيث أن إيتاء ما أوتوا سبب للتمتع بها فى الحياة الدنيا دخلت جوابها الفاء
 بخلاف الثانى وعن على رضى الله عنه أنه تصدق أبو بكر رضى الله عنه بماله فلأمله جمع من المسلمين
 ٣٧ فنزلت وقوله تعالى (والذين يجتنبون كبائر الإثم) أى الكبائر من هذا الجنس (والفواحش) وإذا
 ما غضبوا هم يغفرون) مع ما بعده عطف على الذين آمنوا أو مدح بالنصب أو الرفع وبناء يغفرون
 على الضمير خبراً له للدلالة على أنهم الأخصاء بالمغفرة حال الغضب لعزة منالها وقرئ كبير الإثم
 ٣٨ وعن ابن عباس رضى الله عنهما كبير الإثم الشرك (والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة) نزل فى
 * الانتصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان فاستجابوا له (وأمرهم شورى بينهم) أى ذو
 شورى لا ينفردون برأى حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وكانوا قبل الهجرة وبعدها إذا حزهم
 * أمر اجتمعوا وتشاوروا (ومما رزقناهم ينفقون) أى فى سبيل الخير ولعل فصله عن قرينه بذكر
 ٣٩ المشاورة لوقوعها عند اجتماعهم للصلاة (والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون) أى ينتقمون من
 بغي عليهم على ما جعله الله تعالى لهم كراهة التذلل وهو وصف لهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر
 مهمات الفضائل وهذا لا ينافى وصفهم بالغفران فإن كلا منهما فضيلة محمودة فى موقع نفسه ورذيلة
 مذمومة فى موقع صاحبه فإن الحلم عن العاجز وعوراء الكرام محمود وعن المتغلب ولغواء اللئام
 مذموم فإنه لإغراء على البغي وعليه قول من قال [إذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وإن أنت
 أكرمت اللئيم تمرداً] [فوضع الندى فى موضع السيف بالعلا * مضر كوضع السيف فى موضع
 ٤٠ الندى] وقوله تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) بيان لوجه كون الانتصار من الخصال الحميدة مع
 كونه فى نفسه إساءة إلى الغير بالإشارة إلى أن البادى هو الذى فعله لنفسه فإن الأفعال مستتبعة
 لأجزئتها حتماً إن خيراً أو شراً وإن شراً فشر وفيه تنبيه على حرمة التحدى وإطلاق السيئة على الثانية

وَلَمَنِ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾
 إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
 أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾

٤٢ الشورى

وَلَمَنِ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾
 وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ
 إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾

٤٢ الشورى

وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعِينَ مِنَ الْذَّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ
 الْخُسْرَىٰ عَلَى الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ
 مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾

٤٢ الشورى

- * لأنها تسوء من نزلت به (فن عفا) عن المسيء إليه (وأصلح) بينه وبين من يعاديه بالعفو والإغضاء
- * كما في قوله تعالى فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم (فأجره على الله) عدة مهمة منبئة عن
- * عظم شأن الموعد وخروجه عن الحد المعهود (لأنه لا يحب الظالمين) البادئين بالسيئة والمعتدين في
- * الانتقام (ولمن انتصر بعد ظلمه) أى بعد ما ظلم وقد قرئ به (فأولئك) إشارة إلى من باعتبار المعنى ٤١
- * كما أن الضميرين لها باعتبار اللفظ (ما عليهم من سبيل) بالمعاقبة أو المعاقبة (إنما السبيل على الذين ٤٢
- * يظلمون الناس) يبتدونهم بالإضرار أو يعتدون في الانتقام (ويبغون في الأرض بغير الحق) أى
- * يتكبرون فيها تجبراً وفساداً (أولئك) الموصوفون بما ذكر من الظلم والبغى بغير الحق (لهم عذاب
- * أليم) بسبب ظلمهم وبغيتهم (وان صبر) على الأذى (وغفر) لمن ظلمه ولم ينتصر وفوض أمره إلى ٤٣
- * الله تعالى (إن في ذلك) الذى ذكر من الصبر والمغفرة (لمن عزم الأمور) أى إن ذلك منه فحذف
- * ثقة بغاية ظهوره كما في قولهم السمن منوان بدرهم وهذا في المواد التى لا يؤدى العفو إلى الشر كما أشير إليه
- * (ومن يضل الله فما له من ولي من بعده) من ناصر يتولاه من بعد خذلانه تعالى إياه (وترى الظالمين ٤٤
- * لما رأوا العذاب) أى حين يرويه وصيغة الماضى للدلالة على التحقق (يقولون هل إلى مرد) أى
- * إلى رجعة إلى الدنيا (من سبيل) حتى تروى ونعمل صالحاً (وتراهم يعرضون عليها) أى على النار ٤٥
- * المدلول عليها بالعذاب والخطاب فى الموضوعين لكل من يتأتى منه الرؤية (خاشعين من الذل) متذللين
- * متضائلين بما دهاهم (ينظرون من طرف خفى) أى يبتدىء نظرم إلى النار من تحريك لأجفانهم ضعيف
- * كالمصبور ينظر إلى السيف (وقال الذين آمنوا إن الخاسرين) أى المتصفين بحقيقة الخسران (الذين
- * خسروا أنفسهم وأهليهم) بالتعرض للعذاب الخالد (يوم القيامة) أما ظرف لخسروا فالقول فى

وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ الشورى
 أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّنْ مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّنْ
 نَّكَيرٍ ﴿٤٧﴾ الشورى

فَإِنْ أَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ
 مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ الشورى
 لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِثَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ
 الذَّكَورَ ﴿٤٩﴾

٤٢ الشورى

الدنيا أو لقال فالقول يوم القيامة أى يقولون حين يرونهم على تلك الحال وصيغة الماضى للدلالة
 على تحققه وقوله تعالى (ألا إن الظالمين فى عذاب مقيم) إما من تمام كلامهم أو تصديق من الله تعالى
 ٤٦ لهم (وما كان لهم من أولياء ينصرونهم) رفع العذاب عنهم (من دون الله) حسبما كانوا يرجون ذلك
 ٤٧ فى الدنيا (ومن يضل الله فما له من سبيل) يؤدى سلوكه إلى النجاة (استجيبوا لربكم) إذا دعاكم إلى
 الإيمان على لسان نبيه (من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله) أى لا يرده الله بعد ما حكم به على أن
 من صلة مرد أو من قبل أن يأتى من الله يوم لا يمكن رده (ما لكم من ملجأ يومئذ) أى مفر تلتجئون
 إليه (وما لكم من نكير) أى إنكاره لما اقترتموه لأنه مدون فى صحائف أعمالكم وتشهد عليكم
 ٤٨ جوارحكم (فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً) تلوين للكلام وصرف له عن خطاب الناس
 بعد أمرهم بالاستجابة وتوجيه له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أى فإن لم يستجيبوا وأعرضوا
 عما تدعوم إليه فما أرسلناك رقيباً ومحاسباً عليهم (إن عليك إلا البلاغ) وقد فعلت (ولما إذا أذقنا
 الإنسان منا رحمة) أى نعمة من الصحة والغنى والأمن (فرح بها) أريد بالإنسان الجنس لقوله تعالى
 * (وإن تصبهم سيئة) أى بلاء من مرض وفقر وخوف (بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور) بليغ
 الكفر ينسى النعمة رأساً ويذكر البلية ويستعظمها ولا يتأمل سببها بل يزعم أنها أصابته بغير
 استحقاق لها وإسناد هذه الخصلة إلى الجنس مع كونها من خواص المجرمين لغلبتهم فيما بين الأفراد
 وتصدير الشرطية الأولى بإذا مع إسناد الإذاعة إلى نون العظمة للتنبيه على أن إيصال النعمة محقق
 الوجود كثير الوقوع وأنه مقتضى الذات كما أن تصدير الثانية بأن وإسناد الإصابتة إلى السيئة وتعليلها
 بأعمالهم للإيذان بندرة وقوعها وأنها بمعزل عن الانتظام فى سلك الإرادة بالذات ووضع الظاهر
 ٤٩ موضع الضمير للتسجيل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم (لله ملك السموات والأرض)
 فن قضيته أن يملك التصرف فيهما وفى كل ما فيهما كيفما يشاء ومن جملة أن يقسم النعمة والبلية حسبما
 يريده (يخلق ما يشاء) بما تعلقه وما لا تعلقه (يهب لمن يشاء إناثاً) من الأولاد (ويهب لمن يشاء الذكور)

أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مِنْ يَشَاءٍ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾
وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ
مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿٥١﴾
٤٢ الشورى

- ٥٠ منهم من غير أن يكون في ذلك مدخل لأحد (أو يزوجهم) أى يقرن بين الصنفين فيهما جميعاً (ذكراناً وإناثاً) قالوا معنى يزوجهم أن تلد غلاماً ثم جارية أو جارية ثم غلاماً أو تلد ذكراً وأنثى توأمين (ويجعل من يشاء عقيماً) والمعنى يجعل أحوال العباد في حق الأولاد مختلفة على ما تقتضيه المشيئة فيهن فيب لبعض إما صنفاً واحداً من ذكر أو أنثى وإما صنفين ويعقم آخرين ولعل تقديم الإناث لأنها أكثر لتكثير النسل أو لأن مساق الآية للدلالة على أن الواقع ما يتعلق به مشيئته تعالى لا ما يتعلق به مشيئة الإنسان والإناث كذلك أو لأن الكلام في البلاء والعرب تعدهن أعظم البلياء أو لتطيب قلوب آبائهن أو للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور أو لجبر التأخير وتغيير العاطف في الثالث لأنه قسيم المشترك بين القسمين ولا حاجة إليه في الرابع لإفصاحه بأنه قسيم المشترك بين الأقسام المتقدمة وقيل المراد بيان أحوال الأنبياء عليهم السلام حيث وهب لشعيب ولوط إناثاً ولإبراهيم ذكوراً وللنبي صلى الله عليه وسلم ذكوراً وإناثاً وجعل يحيى وعيسى عقيمين (إنه عليم قدير) مبالغ في العلم والقدرة فيفعل ما فيه حكمة ومصلحة (وما كان لبشر) أى وما صح لفرد من أفراد البشر (أن يكلمه الله) بوجه من الوجوه (إلا وحيًّا) أى إلا بأن يوحى إليه ويلهمه ويقذف في قلبه كما أوحى إلى أم موسى وإلى إبراهيم عليهما السلام في ذبح ولده وقد روى عن مجاهد أوحى الله الزبور إلى داود عليه السلام في صدره أو بأن يسمعه كلامه الذى يخلقه في بعض الأجرام من غير أن يبصر السامع من يكلمه وهو المراد بقوله تعالى (أو من وراء حجاب) فإنه تمثيل له بحال الملك المحتجب الذى يكلم بعض خواصه من وراء الحجاب يسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى وكما يكلم الملائكة عليهم السلام أو بأن يكلمه بواسطة الملك وذلك قوله تعالى (أو يرسل رسولاً) أى ملسكاً (فيوحى) ذلك الرسول إلى المرسل إليه الذى هو الرسول البشرى (بإذنه) أى بأمره تعالى وتيسيره (ما يشاء) أن يوحى إليه وهذا هو الذى يجرى بينه تعالى وبين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في عامة الأوقات من الكلام وقيل قوله تعالى وحيًّا وقوله تعالى أو يرسل مصدران واتقان موقع الحال وقوله تعالى أو من وراء حجاب ظرف واقع موقعها والتقدير وما صح أن يكلم إلا وحيًّا أو مسمعاً من وراء حجاب أو مرسلًا وقرئ أو يرسل بالرفع على ضمير مبتدأ وروى أن اليهود قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبيًّا كما كلمه موسى ونظر إليه فإنه لن نؤمن حتى تفعل ذلك فقال عليه السلام لم ينظر موسى عليه السلام إلى أنه تعالى فنزلت وعن عائشة رضى الله عنها من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ثم قالت رضى الله عنها

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ الشورى
صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ الشورى

- * أول تسمعوا ربكم يقول قنلت هذه الآية (إنه على) متعال عن صفات المخلوقين لا يتأتى جريان
- * المفاوضة بينه تعالى وبينهم إلا بأحد الوجوه المذكورة (حكيم) يجرى أفعاله على سنن الحكمة
- ٥٢ * فيكلم تارة بواسطة وأخرى بدونها إما الهاماً وإما خطاباً (وكذلك) أى ومثل ذلك الإيحاء البديع
- * (أوحينا إليك روحاً من أمرنا) هو القرآن الذى هو للقلوب بمنزلة الروح للأبدان حيث يحييها حياة
- * أبدية وقيل جبريل عليه السلام ومعنى إيحاؤه إليه عليهما السلام لإرساله إليه بالوحي (ما كنت تدري)
- * قبل الوحي (ما الكتاب) أى أى شئ هو (ولا الإيمان) أى الإيمان بتفاصيل ما فى تضاعيف
- * الكتاب من الأمور التى لا تهتدى إليها العقول لا الإيمان بما يستقل به العقل والنظر فإن درايته عليه
- * الصلاة والسلام له بما لا ريب فيه قطعاً (ولكن جعلناه) أى الروح الذى أوحيناه إليك (نوراً
- * نهدي به من نشاء) هدايته (من عبادنا) وهو الذى يصرف اختياره نحو الاهتداء به وقوله تعالى
- * (وإنك لتهدى) تقرير لهدايته تعالى وبيان لكيفيةها ومفعول لتهدى محذوف ثقة بغاية الظهور أى
- * وإنك لتهدى بذلك النور من نشاء هدايته (إلى صراط مستقيم) هو الإسلام وسائر الشرائع والأحكام
- ٥٣ * وقرىء لتهدى أى ليهديك الله وقرىء لتدعو (صراط الله) بدل من الأول وإضافته إلى الاسم الجليل
- * ثم وصفه بقوله تعالى (الذى له ما فى السموات والأرض) لتفخيم شأنه وتقرير استقامته وتأكيده
- * وجوب سلوكه فإن كون جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقاً ومليكاً وتصرفاً بما يوجب ذلك
- * أتمم لإيجاب (ألا إلى الله تصير الأمور) أى أمور ما فيهما قاطبة لا إلى غيره ففيه من الوعد للمهتدين
- * إلى الصراط المستقيم والوعيد للضالين عنه ما لا يخفى . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
- سورة حم عسق كان ممن تصلى عليه الملائكة ويستغفرون ويسترحمون له .

٤٣ - سورة الزخرف

(مكية وآياتها تسع وثمانون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٣ الزخرف

حَدَّثَ

٤٣ الزخرف

وَأَلِكْتَبِ الْمُبِينِ

٤٣ الزخرف

إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

٤٣ الزخرف

وَأَنذَرُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ

(سورة الزخرف مكية وقيل الا قوله واسأل من ارسلنا وآياتها تسع وثمانون)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (حم) الكلام فيه كالذي مر في فاتحة سورة يس خلا أن الظاهر على تقدير ١
 إسميته كونه اسماً للقرآن لا للسورة كما قيل فإن ذلك محل بجزالة النظم الكريم (والكتاب) بالجر على ٢
 أنه مقسم به إما ابتداء أو عطفاً على حم على تقدير كونه مجروراً بإضمار باء القسم على أن مدار العطف
 المغايرة في العنوان ومناط تكرير القسم المبالغة في تأكيد مضمون الجملة القسمية (المبين) أي البين *
 لمن أنزل عليهم لكونه بلغتهم وعلى أساليبهم أو المبين لطريق الهدى من طريق الضلالة الموضح لكل
 ما يحتاج إليه في أبواب الديانة (إنا جعلناه قرآنًا عريباً) جواب للقسم لكن لا على أن مرجع التأكيد ٣
 جملة كذلك كما قيل بل ماهو غايته التي يعرب عنها قوله تعالى (لعلكم تعقلون) فإنها المحتاجة إلى التحقيق *
 والتأكيد لكونها منبئة عن الاعتناء بأمرهم وإتمام النعمة عليهم وإزاحة أعارهم أي جعلنا ذلك
 الكتاب قرآنًا عريباً لكي تفهموه وتحيطوا بما فيه من النظم الرائق والمعنى الفائق وتقفوا على ما يتضمنه
 من الشواهد الناطقة بخروجه عن طوق البشر وتعرفوا حق النعمة في ذلك وتنقطع أعاركم بالكلية
 (ولأنه في أم الكتاب) أي في اللوح المحفوظ فإنه أصل الكتب السماوية وقرىء إم الكتاب بالسكسر ٤
 (لدينا) أي عندنا (لعل) رفيع القدر بين الكتب شريف (حكيم) ذو حكمة بالغة أو محكم وهما *
 خبران لأن وما بينهما بيان محل الحكم كأنه قيل بعد بيان اتصافه بما ذكر من الوصفين الجليلين هذا في أم
 الكتاب ولدينا والجملة إما عطف على الجملة المقسم عليها داخلة في حكمها في الإقسام بالقرآن على علو
 قدره عنده تعالى براعة بديعة وإيدان بأنه من علو الشأن بحيث لا يحتاج في بيان إلى الاستشهاد عليه
 بالإقسام بغيره بل هو بذاته كاف في الشهادة على ذلك من حيث الإقسام به كما أنه كاف فيها من حيث
 الإعجاز ورمز إلى أنه لا يخطر بالبال عند ذكره شيء آخر أولى منه بالإقسام به وأما مستأنفة مقرر
 لعل شأنه الذي أنبأ عنه الإقسام به على منهاج الاعتراض في قوله تعالى ولأنه لقسم لو تعلمون عظيم

٤٣ الزنرف

أَفْضَرِبْ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ﴿٥﴾

٤٣ الزنرف

وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾

٤٣ الزنرف

وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٧﴾

٤٣ الزنرف

فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾

٤٣ الزنرف

وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾

٤٣ الزنرف

الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾

وبعد ما بين علو شأن القرآن العظيم وحقق أن إزاله على لغتهم ليعقلوه ويؤمنوا به ويعملوا بموجبه عقب ذلك يانكار أن يكون الأمر بخلافه ف قيل (أفنضرب عنكم الذكر) أى ننحيه ونبعده عنكم بجاز من قولهم ضرب الغراب عن الخوض وفيه إشعار باقتضاء الحكمة توجه الذكر إليهم وملازمته لهم * كأنه يهافت عليهم والفاء للعطف على محذوف يقتضيه المقام أى أنهم لم يفتنواكم ففتنواكم ففتنواكم (صفحا) أى إعراضاً عنكم على أنه مفعول له للذكور أو مصدر مؤكد لما دل هو عليه فإن التنجية منبهة عن الصفح والإعراض قطعاً كأنه قيل أفنصفح عنكم صفحاً أو بمعنى الجانب فينتصب على الظرفية أى أفنحيه عنكم جانباً (أن كنتم قوماً مسرفين) أى لأن كنتم منهمكين فى الإسراف مصرين عليه على معنى أن حالكم وإن اقتضى تخليصكم وشأنكم حتى تموتوا على الكفر والضلالة وتبقوا فى العذاب الخالد لكننا لسعة رحمتنا لا نفعل ذلك بل نهديكم إلى الحق بإرسال الرسول الأمين وإزالة الكتاب المبين وقرىء إن بالكسر على أن الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك لاستجهاطهم والجزاء محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه وقوله تعالى (وكم أرسلنا من نبي فى الأولين) (وما يأتىهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون) تقرير لما قبله ببيان أن إسراف الأمم السالفة لم يمنعه تعالى من إرسال الأنبياء إليهم وتسليته لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه به وقوله تعالى (فأهلكنا أشد منهم بطشاً) أى من هؤلاء القوم المسرفين عدة له عليه الصلاة والسلام ووعد لهم بمثل ما جرى على الأولين ووصفهم بأشدية البطش لإثبات حكمهم هؤلاء بطريق الأولوية (ومضى مثل الأولين) أى سلف فى القرآن غير مرة ذكر قصتهم التى حقها أن تسير مسير المثل (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم) أى ليسندن خلقها إلى من هذا شأنه فى الحقيقة وفى نفس الأمر لأنهم يعبرون عنه بهذا العنوان وسلوك هذه الطريقة للإشعار بأن اتصافه تعالى بما سرد من جلال الصفات والأفعال وبما يستلزمه ذلك من البعث والجزاء أمر بين لا ريب فيه وأن الحجة قائمة عليهم شاقوا أو أبوا وقد جوز أن يكون ذلك عين عبارتهم وقوله تعالى (الذى جعل لكم الأرض مهدياً) استئناف من جهته تعالى أى بسطها لكم تستقرون فيها (وجعل لكم فيها سبلاً) تسلكونها فى أسفاركم (لعلمكم

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ الزخرف

وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَكَ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ الزخرف

لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا

هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ الزخرف

وَلَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ الزخرف

- تهتدون) أى لى تهتدوا بسلوكم إلى مقاصدكم أو بالتفكر فيها إلى التوحيد الذى هو المقصد الاصلى (والذى نزل من السماء ماء بقدر) بمقدار تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح (فأنشرنابه) أى ١١ أحيينا بذلك الماء (بلدة ميتاً) خالياً عن النماء والنبات بالكلية وقرىء ميتاً بالتشديد وتذكيره لأن البلدة فى معنى البلد والمكان والاتلفات إلى نون العظمة لإظهار كمال العناية بأمر الإحياء والإشعار بعظم خطره (كذلك) أى مثل ذلك الإحياء الذى هو فى الحقيقة لإخراج النبات من الأرض (تخرجون) * أى تبعثون من قبوركم أحياء وفى التعبير عن إخراج النبات بالإشراق الذى هو إحياء الموتى وعن إحيائهم بالإخراج تفخيم لشأن الإنبات وتهوين لأمر البعث لتقويم سنن الاستدلال وتوضيح منهاج القياس (والذى خلق الأزواج كلها) أى أصناف المخلوقات وعن ابن عباس رضى الله عنهما الأزواج ١٢ الضروب والأنواع كالحلو والحامض والأبيض والأسود والذكر والأنثى وقيل كل ما سوى الله تعالى فهو زوج كالغفوق والتحت واليمين واليسار إلى غير ذلك (وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون) أى ما تركبونه تغلياً للأنعام على الفلك فإن الركوب متعدد بنفسه واستعماله فى الفلك ونحوها بكلمة فى الرمز إلى مكانيتها وكون حركتها غير إرادية كما مر فى سورة هود عند قوله تعالى وقال اركبوا فيها (لتستروا على ظهوره) أى لتستعلوا على ظهور ما تركبونه من الفلك والأنعام والجمع ١٣ باعتبار المعنى (ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه) أى تذكروها بقلوبكم معترفين بها مستعظمين لها ثم تحمدوا عليها بالسنةكم (ونقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا) متعجبين من ذلك كما يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فإذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا إلى قوله تعالى لمنقلبون وكبر ثلاثاً وهلل ثلاثاً (وما كنا له مقرنين) أى مطبقين من أقرن الشيء إذا أطاقه وأصله وجده قرينته لأن الصعب لا يكون قرينة للضعيف وقرىء بالتشديد والمعنى واحد وهذا من تمام ذكر نعمته تعالى إذ بدون اعتراف المنعم عليه بالعجز عن تحصيل النعمة لا يعرف قدرها ولا حق المنعم بها (ولما إلى ربنا لمنقلبون) أى ١٤ راجعون وفيه إيذان بأن حق الراكب أن ينأمل فيما يلبسه من المسير ويتذكر منه المسافرة العظمى التى هى الانقلاب إلى الله تعالى فينبى أموره فى مسيره ذلك على تلك الملاحظة ولا يخطر بباله فى شيء
- ٦٠ - أبى السعود ج ٨ ،

وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ ٤٣ الزخرف

أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَكُمْ بَالِغِينَ ﴿١٦﴾ ٤٣ الزخرف

وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَكَبِيرٍ ﴿١٧﴾ ٤٣ الزخرف

أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحُلِيِّ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ ٤٣ الزخرف

- ١٥ بما يأتي ويذر أمراً ينافيها ومن ضرورته أن يكون ركوبه لأمر مشروع (وجعلوا له من عباده جزءاً) متصل بقوله تعالى ولئن سألتهم الخ أي وقد جعلوا له سبحانه بالستهم واعتقادهم بعد ذلك الاعتراف من عباده ولد أو إنما عبر عنه بالجزء لمزيد استحالاته في حق الواحد الحق من جميع الجهات وقرىء جزواً بضمين (إن الإنسان لكفور مبين) ظاهر الكفران مبالغ فيه ولذلك يقولون ما يقولون سبحانه الله
- ١٦ عما يصفون (أم اتخذ مما يخلق بنات) أم منقطعة وما فيها من معنى بل للإنتقال من بيان بطلان جعلهم له تعالى ولداً على الإطلاق إلى بيان بطلان جعلهم ذلك الولد من أحسن صنفه والهزمة للإنكار والتوبيخ والتعجب من شأنهم وقوله تعالى (وأصفاكم بالبنين) إما عطف على اتخذ داخل في حكم الإنكار والتعجب
- * الخلاف المشهور والالتفات إلى خطابهم لتأكيد الإلزام وتشديد التوبيخ أي بل اتخذ من خلقه أحسن أو حال من فاعله يا ضمارة قد أو بدونه على الصنفين واختار لكم أفضلهما على معنى هبوا أنكم اجترأتم على إضافة اتخاذ جنس الولد إليه سبحانه مع ظهور استحالاته وامتناؤه أما كان لكم شيء من العقل ونبت من الحياء حتى اجترأتم على التفوه بالعظيمة الحارقة للعقول من ادعاء أنه تعالى آثركم على نفسه بخير الصنفين وأعلامها وترك له شرمها وأدنامها وتنكير بنات وتعريف البنين لتربية ما اعتبر فيهما من الحفارة والفخامة (وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً) الخ استئناف مقرر لما قبله وقيل حال على معنى أنهم نسبوا إليه ما ذكروا من حالهم أن أحدهم إذا بشر به اغمم والالتفات للإيذان باقتضاء ذكر قبائحهم أن يعرض عنهم ويحكي لغيرهم تعجيباً منها أي إذا أخبر أحدهم بولادة ما جعله مثلاً له سبحانه إذ الولد لا بد أن يجانس الوالد ويمثله (ظل وجهه مسوداً) أي صار أسود في الغاية من سوء ما بشر به (وهو ككبير) مملوء من الكرب والكتابة والجملة حال وقرىء مسود ومسود على أن في ظل ضمير المبشر
- ١٨ ووجه مسود جملة وقعت خبراً له (أو من ينشأ في الحلية) تكرير للإنكار وتثنية للتوبيخ ومن منصوبة بمضمر معطوف على جعلوا أي أو جعلوا من شأنه أن يربي في الزينة وهو عاجز عن أن يتولى لأمره بنفسه فاهزمة لإنكار الواقع واستقباحه وقد جوز انتصابها بمضمر معطوف على اتخذ فاهزمة حيثئذ لإنكار الوقوع واستبعاد واقحامها بين المعطوفين لتذكير ما في أم منقطعة من الإنكار وتأكيده والعطف للتغاير العنواني أي أو اتخذ من هذه الصفة النسيمة صفته (وهو) مع ما ذكر من القصور (في الخصام) أي الجدال الذي لا يكاد يخلو عنه الإنسان في العادة (غير مبين) غير قادر على تقرير دعواه وإقامة حجته لنقصان عقله وضعف رأيه وإضافة غير لا تمنع عمل ما بعده في الجار المتقدم لأنه بمعنى النفي وقرىء

وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنَّا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾

٤٣ الزخرف

وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾

٤٣ الزخرف

٤٣ الزخرف

بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢١﴾

٤٣ الزخرف

- ينشأ وينشأ من الأفعال والمفاعلة والكل بمعنى واحد وفظيره غلاه وأغلاه وغلاه (وجعلوا الملائكة ١٩ الذين هم عباد الرحمن إنا) بيان لتضمن كفرهم المذكور لكفر آخر وتوزيع لهم بذلك وهو جعلهم أكل العباد وأكرمهم على الله عز وجل أنقصهم رأياً وأخسهم صنفاً وقرىء عبيد الرحمن وقرىء عند الرحمن على تمثيل زلفاهم وقرىء أثناً وهو جمع الجمع (أشهدوا خلقهم) أى أحضروا خلق الله تعالى لإياعم فشاهدوهم إنا حتى يحكموا بأنوثتهم فإن ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل لهم وتهم بهم وقرىء أأشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وآأشهدوا بألف بينهما (ستكتب شهادتهم) هذه فى ديوان أعمالهم (ويسألون) عنها يوم القيامة وقرىء سيكتب وسنكتب بالياء والنون وقرىء شهاداتهم * وهى قولهم إن لله جزءاً وإن له بنات وإنها الملائكة وقرىء يسألون من المسألة للبالغ (وقالوا لو شاء ٢٠ الرحمن ما عبدناهم) بيان لفن آخر من كفرهم أى لو شاء عدم عبادتنا للملائكة مشيئة ارتضاء ما عبدناهم أرادوا بذلك بيان أن ما فعلوه حق مرضى عنده تعالى وأنهم إنما يفعلونه بمشيئته تعالى إياه منهم مع اعترافهم بقبحه حتى ينتهز ذمهم به دليلاً للمعتزلة ومبنى كلامهم الباطل على مقدمتين إحداهما أن عبادتهم لهم بمشيئته تعالى والثانية أن ذلك مستلزم لكونها مرضية عنده تعالى ولقد أخطأوا فى الثانية حيث جهلوا أن المشيئة عبارة عن ترجيح بعض الممكنات على بعض كائنات ما كان من غير اعتبار الرضا أو السخط فى شيء من الطرفين ولذلك جهلوا بقوله تعالى (ما لهم بذلك) أى بما أرادوا بقولهم ذلك من كون ما فعلوه * بمشيئة الارتضاء لا بمطلق المشيئة فإن ذلك محقق ينطق به ما لا يحصى من الآيات الكريمة (من علم) * يستند إلى سند ما (إن هم إلا يخرضون) يتمحلون تمحلاً باطلاً وقد جوز أن يشار بذلك إلى أصل الدعوى كأنه لما أظهر وجوه فسادها وحكى شبههم المزيفة نفى أن يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم أضرب عنه إلى إبطال أن يكون لهم سند من جهة النقل فقيل (أم آتيناهم كتاباً من قبله) من قبل ٢١ القرآن أو من قبل ادعائهم ينطق بصحة ما يدعونه (فهم به) بذلك الكتاب (مستمسكون) وعليه معولون * (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على أثرهم مهتدون) أى لم يأتوا بحجة عقلية أو نقلية بل اعترفوا ٢٢ بأن لا سند لهم سوى تقليد آباءهم الجاهلة مثلهم والأمة الدين والطريقة التى تأم أى تقصد كالرحلة لما يرحل إليه وقرىء إمة بالكسر وهى الحالة التى يكون عليها الأم أى القاصد وقوله تعالى على آثارهم مهتدون خبران والظرف صلة لمهتدون .

وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آيَةً وَإِنَّا

عَلَيْهِ أَشْرِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ٤٣ الزنبرف

قَالَ أُولَوْ جِئْتُمْ بِإِهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آيَةً أَتَىٰ بِكُمُ الْبَاطِلُ وَأَنَا الْبَاطِلُ الْأَوَّلُ وَإِنَّا أَكْثَرُ

فَاتَّقِمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٢٤﴾ ٤٣ الزنبرف

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٥﴾ ٤٣ الزنبرف

إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدُنِي ﴿٢٦﴾ ٤٣ الزنبرف

٢٣ (وكذلك) أي والأمر كما ذكر من عجزهم عن الحجة وتشبههم بذيل التقليد وقوله تعالى (ما أرسَلنا

من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آية على آتائهم مقتدون) استئناف

مبين لذلك دال على التقليد فيما بينهم ضلال قديم ليس لأسلافهم أيضاً سند غيره وتخصيص المترفين

بتلك المغالة للإيذان بأن التنعم وحب البطالة هو الذي صرفهم عن النظر إلى التقليد (قال) حكاية لما

جرى بين المنذرين وبين أمهم عند تعلّمهم بتقليد آبائهم أي قال كل نذير من أولئك المنذرين لأهمهم

(أولو جئتكم) أي أنفتدون بآبائكم ولو جئتكم (بأهدى) بدين أهدى (وما وجدتم عليه آباءكم)

من الضلالة التي ليست من الهداية في شيء وإنما عبر عنها بذلك مجازاة معهم على مسلك الإنصاف وقرئ

قل على أنه حكاية أمر ماض أوحى حينئذ إلى كل نذير لاعلى أنه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم

كما قيل لقوله تعالى (قالوا إنا بما أرسَلتم به كافرون) فإنه حكاية عن الأمم قطعاً أي قال كل أمة لنذيرها

إنا بما أرسَلت به الخ وقد أجل عند الحكاية للإيجاز كما مر في قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات

وجعله حكاية عن قومه عليه الصلاة والسلام بحمل صيغة الجمع على تغليب على سائر المنذرين عليهم

السلام وتوجيه كفرهم إلى ما أرسَل به الكل من التوحيد لإجماعهم عليه كما في نظائر قوله تعالى كذبت

٢٥ عاد المرسلين تحمل بعيد يردده بالسكية قوله تعالى (فاتقمنا منهم) أي بالاستئصال (فانظر كيف كان

٢٦ عاقبة المكذبين) من الأمم المذكورين فلا تكثرت بتكذيب قومك (وإذ قال إبراهيم) أي واذكر

لهم وقت قوله عليه الصلاة والسلام (لأبيه وقومه) المكبين على التقليد كيف تبرأ مما هم فيه بقوله

(إني براء مما تعبدون) وتمسك بالبرهان ليسلكوا مسلكه في الاستدلال أو ليقلدوه إن لم يكن لهم

٢٧ بد من التقليد فإنه أشرف آباءهم وبراء مصدر نعت به مبالغة ولذلك يستوى فيه الواحد والمتعدد

والمذكر والمؤنث وقرئ براء بضم الباء ككريم وكرام وما إمام مصدرية أو موصولة حذف

عائدها أي إني براء من عبادتكم أو معبودكم (إلا الذي فطرني) استثناء منقطع أو متصل على أن

مانع أولى العلم وغيرهم وأنهم كانوا يعبدون الله والأصنام أو صفة على أن ما موصوفة أي إني براء

٤٣ الزخرف

وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾

٤٣ الزخرف

بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾

٤٣ الزخرف

وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾

٤٣ الزخرف

وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْبَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾

هداني إليه إلى الآن والأوجه أن السنين للتأكيد دون التسويف وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار (وجعلها) أى جعل إبراهيم كلمة التوحيد التي مانسكلم به عبارة عنها (كلمة باقية في عقبه) أى في ذريته ٢٨ حيث وصاهم بها كما نطق به قوله تعالى ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب الآية فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى ويدعو إلى توحيده وقرىء كلمة وفي عقبه على التخفيف (لعلهم يرجعون) علة للجعل أى جعلها باقية في عقبه رجاء أن يرجع إليها من أشرك منهم بدعاء الموحّد (بل متعت هؤلاء) لإضراب ٢٩ عن محذوف ينساق إليه الكلام كأنه قيل جعلها كلمة باقية في عقبه بأن وصى بها بنيه رجاء أن يرجع إليها من أشرك منهم بدعاء الموحّد فلم يحصل ما رجاء بل متعت منهم هؤلاء المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم من أهل مكة (وآباءهم) بالمد في العمر والنعمة فاغثروا بالملة وانهمكوا في الشهوات * وشغلوا بها عن كلمة التوحيد (حتى جاءهم) أى هؤلاء (الحق) أى القرآن (ورسول) أى رسول (مبين) ظاهر الرسالة واضحا بالمعجزات الباهرة أو مبين للتوحيد بالآيات البينات والحجج وقرىء * متعنا ومتعت بالخطاب على أنه تعالى اعترض به على ذاته في قوله تعالى وجعلها كلمة باقية الخ مبالغة في تعبيرهم فإن التمتع بزيادة النعم يوجب عليهم أن يجهلوه سبباً لزيادة الشكر والثبات على التوحيد والإيمان فجعله سبباً لزيادة الكفران أفصى مراتب الكفر والضلال (ولما جاءهم الحق) لينبههم عما ٣٠ هم فيه من الغفلة ويرشدهم إلى التوحيد ازدادوا كفراً وعتوا وضموا إلى كفرهم السابق معاندة الحق والاستهانة به حيث (قالوا هذا سحر وإنا به كافرون) فسموا القرآن سحراً وكفروا به واسحققروا الرسول صلى الله عليه وسلم (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين) أى من إحدى ٣١ القريتين مكة والطائف على نهج قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان (عظيم) أى بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة المخزومي وعروة بن مسعود الثقفي وقيل حبيب بن عمر بن عمير الثقفي وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل ولم يتفوهوا بهذه العظيمة حسداً على نزوله إلى الرسول صلى الله عليه وسلم دون من ذكر من عظمائهم مع اعترافهم بقرآنيته بل استدلالاً على عدمها بمعنى أنه لو كان قرآناً لنزل إلى أحد هؤلاء بناء على ما زعموا من أن الرسالة منصب جليل لا يليق به إلا من له جلالة من حيث المال والجاه ولم يدروا أنها رتبة روحانية لا يترقى إليها إلا أهم الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتحلين بالفضائل الإنسية وأما المتزخرفون بالزخارف الدنيوية المتمتعون بالحظوظ الدنية فهم من استحقاق تلك الرتبة بألف منزل .

أَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ
بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِنَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ سَخِرِيًّا وَرَحْمَتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ٤٣ الزخرف
وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ
عَلِيًّا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ ٤٣ الزخرف

وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابٌ وَسُرَرٌ عَلَيْهَا يَتَكْفُونَ ﴿٣٤﴾ ٤٣ الزخرف
وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ ٤٣ الزخرف

٣٢ وقوله تعالى (أَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ) إنكار فيه تجهيل لهم وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة
النبوة (نحن قسمنا بينهم معيشتهم) أى أسباب معيشتهم (في الحياة الدنيا) قسمة تقتضيها مشيئتنا المبنية
على الحكم والمصالح ولم نفوض أمرها إليهم علماً منا بعجزهم عن تدبيرها بالسكينة (ورفعنا بعضهم فوق
بعض) في الرزق وسائر مبادئ المعاش (درجات) متفاوتة بحسب القرب والبعد حسب اقتضيه الحكمة
فمن ضعيف وقوى وفقير وغنى وخادم ومخدوم وحاكم ومحكوم (لننخذ بعضهم بعضاً سخرياً) ليصرف
بعضهم بعضاً في مصالحهم ويستخدموهم في مهتهم ويتسخروهم في أشغالهم حتى يتعاشوا ويتراقدوا
ويصلوا إلى مرافقهم لا لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر ولو فوضنا ذلك إلى تدبيرهم لضاعوا
وهلكوا فإذا كانوا في تدبير خويصة أمرهم وما يصلحهم من متاع الدنيا الدنيئة وهو في طرف الثام
على هذه الحالة فما ظنهم بأنفسهم في تدبير أمر الدين وهو أبعد من مناط العيوق ومن أين لهم البحث
عن أمر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بأمرها (ورحمت ربك) أى النبوة وما يتبعها من سعادة
الدارين (خير مما يجمعون) من حطام الدنيا الدنيئة الفانية وقوله تعالى (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة)
استئناف مبين لحقارة متاع الدنيا ودناءة قدره عند الله عز وجل والمعنى أن حقارة شأنه بحيث لولا
أن لا يرغب الناس لحبهم الدنيا في الكفر إذا رأوا أهله في سعة وتنعيم فيجتمعوا عليه لأعطيناه بحذافيره
من هو شر الخلائق وأدناهم منزلة وذلك قوله تعالى (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة)
أى متخذة منها ولبيوتهم بدل اشتغال من لمن وجمع الضمير باعتبار معنى من كما أن أفراد المستكن في
يكفر باعتبار لفظها والسقف جمع سقف كرهن جمع رهن وعن الفراء أنه جمع سقيفة كسفن وسفينه
وقرىء سقفاً بسكون القاف تخفيفاً وسقفاً اكتفاء بجمع البيوت وسقفاً كأنه لغة في سقف وسقفاً
(ومعارج) أى جعلنا لهم معارج من فضة أى مصاعد جمع معرج وقرىء معارج جمع معراج (عليها
٣٤ يظهرون) أى يعلون السطوح والعلالي (ولبيوتهم) أى وجعلنا لبيوتهم (أبواباً وسرراً) من فضة
٣٥ (عليها) أى على السرر (يتسكنون) ولعل تكرير ذكر بيوتهم لزيادة التقرير (وزخرفاً) أى زينة
عطف على سقفاً أو ذهباً عطف على محل من فضة (وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا) أى وما

- وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ٤٣ الزخرف
- وَأَنَّهُمْ لَيَصْدُونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ ٤٣ الزخرف
- حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَنبَسُ الْقَمَرُ ﴿٣٨﴾ ٤٣ الزخرف
- وَلَنْ يَنْفَعَكَ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ ٤٣ الزخرف

كل ما ذكر من البيوت الموصوفة بالصفات المفصلة لإشياء يتمتع به في الحياة الدنيا وفي معناه ما قرىء وما كل ذلك لإمتاع الحياة الدنيا وقرىء بتخفيف ما على أن أن هي المخففة واللام هي الفارقة وقرىء بكسر اللام على أنها لام العلة وما موصولة قد حذف عائدها أى للذى هو متاع الخ كما في قوله تعالى تماماً على الذى أحسن (والآخرة) بما فيها من فنون النعم التى يقصر عنها البيان (عند ربك للمتقين) * أى عن الكفر والمعاصى وبهذا تبين أن العظيم هو العظيم فى الآخرة لا فى الدنيا (ومن يعش) أى ٣٦ يتعام (عن ذكر الرحمن) وهو القرآن وإضافته إلى اسم الرحمن للإيدان بنزوله رحمة للعالمين وقرىء * يعش بالفتح أى يعم يقال عشى يعشى إذا كان فى بصره آفة وعشا يعشو إذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرىء يعشو على أن من موصولة غير مضمنة معنى الشرط والمعنى ومن يعرض عنه لفرط اشتغاله بزهرة الحياة الدنيا وانهما كذا فى حظوظها الفانية والشهوات (نقيض له شيطاناً فهو له قرين) * لا يفارقه ولا يزال يوسوسه ويغويه وقرىء يقيض بالياء على إسناده إلى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو فحقه أن يرفع بقيض (ولأنهم) أى الشياطين الذين قبيض كل واحد منهم لكل واحد من يعشو (ليصدونهم) ٣٧ أى قرناءهم فدار جمع الضميرين اعتبار معنى من كما أن مدار أفراد الضمائر السابقة اعتبار لفظها (عن * السبيل) المستبين الذى يدعو إليه القرآن (ويحسبون) أى العاشون (أنهم) أى الشياطين (مهتدون) * أى إلى السبيل المستقيم وإلا لما اتبعوهم أو يحسبون أن أنفسهم مهتدون لأن اعتقاد كون الشياطين مهتدين مستلزم لاعتقاد كونهم كذلك لاتحاد مسلكهما والجملة حال من مفعول يصدون بتقدير المبتدأ أو من فاعله أو منهما لاشتغالها على ضميريهما أى ولأنهم ليصدونهم عن الطريق الحق وهم يحسبون أنهم مهتدون إليه وصيغة المضارع فى الأفعال الأربعة للدلالة على الاستمرار التجددى لقوله تعالى (حتى ٣٨ إذا جاءنا) فإن حتى وإن كانت ابتدائية داخلية على الجملة الشرطية لكنها تقتضى حتماً أن تكون غاية لأمر تمتد كما مر مراراً وإفراد الضمير فى جاء وما بعده لما أن المراد حكاية مقالة كل واحد واحد من العاشين لقربينه لتحويل الأمر وتفضيع الحال والمعنى يستمر العاشون على ما ذكر من مقارنة الشياطين والصدور والحسبان الباطل حتى إذا جاءنا كل واحد منهم مع قريبه يوم القيامة (قال) مخاطباً له (يأليت * بينى وبينك) فى الدنيا (بعد المشرقين) أى بعد المشرق والمغرب أى تباعد كل منهما عن الآخر فقلب * المشرق وثنى وأضيف البعد إليهما (فنبس القمرين) أى أنت وقوله تعالى (ولن ينفعكم) الخ حكاية ٣٩ لما سيقال لهم حينئذ من جهة الله عز وجل توبيخاً وتقريعاً أى لن ينفعكم (اليوم) أى يوم القيامة

أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٣﴾ الزخرف

فَإِنَّمَا نَذِيرٌ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴿٤٤﴾ الزخرف

أَوْ زُرِينَاكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ﴿٤٥﴾ الزخرف

فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ الزخرف

وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٧﴾ الزخرف

وَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴿٤٨﴾ الزخرف

- تمنيكم لمباعدتهم (إذ ظلمتم) أى لأجل ظلمكم أنفسكم فى الدنيا باتباعكم لإمام فى الكفر والمعاصى وقيل إذ ظلمتم بدل من اليوم أى إذ تبين عندكم وعند الناس جميعاً أنكم ظلمتم أنفسكم فى الدنيا وعليه قول من قال [إذا ما انتسبنا لم تلذنى لثيمة] أى تبين أنى لم تلذنى لثيمة بل كريمة وقوله تعالى (أنكم فى العذاب مشتركون) تعليل لنفى النفع أى لأن حقمكم أن تشركوا أتم وقرناؤكم فى العذاب كما كنتم مشتركين فى سببه فى الدنيا ويجوز أن يسند الفعل إليه لكن لا بمعنى لن ينفعكم اشتراككم فى العذاب كما ينفع الواقعين فى شذائد الدنيا اشتراكهم فيها لتعاونهم فى تحمل أعبائها وتقسيم لعنائها لأن لكل منهم ما لا تبلغه طاقته كما قيل لأن الارتفاع بذلك الوجه ليس بما يخطر ببالهم حتى يرد عليهم بنفيه بل بمعنى لن يحصل لكم التشنى بكون قرنائكم معذبين مثلكم حيث كنتم تدعون عليهم بقولكم ربنا آثم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً وقولكم فآثم عذاباً ضعفاً من النار ونظائرهما لتشفوا بذلك .
- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبالغ فى المجاهدة فى دعاء قومه وهم لا يزيدون إلا غيياً وتعامياً عما يشاهدونه من شواهد النبوة وتصاماً عما يسمعون من بينات القرآن فزل (أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمى) وهو إنكار تعجب من أن يكون هو الذى يقدر على هدايتهم وهم قد تمروا فى الكفر واستغفروا فى الضلال بحيث صار ما بهم من العشى عمى مقروناً بالصمم (ومن كان فى ضلال مبين) عطف على العمى باعتبار تغاير الوصفين ومدار الإنكار هو التمكن والاستقرار فى الضلال المفرط بحيث لا ارعواء له منه لا توم القصور من قبل الهادى فضيه رمز إلى أنه لا يقدر على ذلك إلا الله تعالى وحده بالقسر والإلجاء
- ﴿٤٩﴾ (فَإِنَّمَا نَذِيرٌ بِكَ) أى فإن قبضناك قبل أن نصرك عذابهم ونشقى بذلك صدرك وصدور المؤمنين (فَإِنَّا مُنْتَقِمُونَ) لاحالة فى الدنيا والآخرة فامزجة للتأكيد بمنزلة لام القسم فى أنها لا تفارق النون المؤكدة
- ﴿٥٠﴾ (أَوْ زُرِينَاكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ) أى أو أردنا أن نريك العذاب الذى وعدناهم (فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ) بحيث لا مناصر لهم من تحت ملكتنا وقهرنا ولقد أراه عليه السلام ذلك يوم بدر (فاستمسك بالذى أوحى إليك) من الآيات والشرائع سواء عجلنا لك الموعود أو أخرناه إلى يوم الآخرة وقرىء أوحى على البناء للفاعل وهو الله عز وجل (إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) تعليل للاستمسك أو للأمر به (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ) لشرف عظيم (لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ) يوم القيامة عنه وعن قيامكم بحقوقه (واسأل

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ الزخرف

فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ الزخرف

وَمَا نُزِيلُهُمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ الزخرف

وَقَالُوا يَنَاءُ السَّاحِرِ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عِهْدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ الزخرف

فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾ الزخرف

وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْقُومُ الْيَسَّىٰ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾

الزخرف

من أرسلنا من قبلك من رسلنا) أى واسأل أمهم وعلماهم دينهم كقوله تعالى فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك وفائدة هذا المجاز التنبيه على أن المسؤول عنه عين ما نطقت به السنة الرسل لا ما يقوله أمهم وعلماؤهم من تلقاء أنفسهم قال الفراء هم إنما يخبرونه عن كتاب الرسل فإذا سألهم فكأنه سأل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) أى هل حكمنا بعبادة الأوثان وهل جاءت فى ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد بإجماع الأنبياء على التوحيد والتنبيه على أنه ليس يبدع ابتدعه حتى يكذب ويعادى (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) ملتبساً بها (إلى فرعون وملاه) فقال لى رسول ٤٦ رب العالمين) أريد باقتصاصه تسليّة رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام إلى التوحيد إثر ما أشير إلى إجماع جميع الرسل عليهم السلام عليه (فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون) ٤٧ أى فاجزأ وقت ضحكهم منها أى استهزؤا بها أول مارأوها ولم يتأملوا فيها (وما نزيهم من آية) من ٤٨ الآيات (إلا هى أكبر من أختها) إلا وهى بالغة أقصى مراتب الإعجاز بحيث يحسب كل من ينظر إليها أنها أكبر من كل ما يقاس بها من الآيات والمراد وصف الكل بغاية الكبر من غير ملاحظة قصور فى شيء منها أو إلا وهى مختصة بضرب من الإعجاز مفضلة بذلك الاعتبار على غيرها (وأخذناهم بالعذاب) * كالسنين والطوفان والجراد وغيرها (لعلهم يرجعون) لى يرجعوا عما هم عليه من الكفر (وقالوا ٤٩ يا أيها الساحر) نادوه بذلك فى مثل تلك الحال لغاية عتوهم ونهاية حماقتهم وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لا ستعظامهم علم السحر وقرىء آيه الساحر بنغم الهاء (ادع لنا ربك) ليكشف عنا العذاب * (بما عهد عندك) بعهدك من النبوة أو من استجابة دعوتك أو من كشف العذاب عن اهتدى * أو بما عهد عندك فوفيت به من الإيمان والطاعة (إننا لمهتدون) أى لمؤمنون على تقدير كشف العذاب * عنا بدعوتك كقولهم إن كشف عنا الرجز لنؤمنن لك (فلما كشفنا عنهم العذاب) بدعوتهم (إذا هم ٥٠ ينكثون) فاجزأ وقت نكث عهدهم بالاهتداء وقد مر تفصيله فى الأعراف (ونادى فرعون) بنفسه ٥١

- ٤٣ الزخرف أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين ﴿٥٦﴾
 ٤٣ الزخرف فلولاً ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين ﴿٥٧﴾
 ٤٣ الزخرف فاستخف قومه فاطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين ﴿٥٨﴾
 ٤٣ الزخرف قلباً أسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين ﴿٥٩﴾
 ٤٣ الزخرف فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين ﴿٦٠﴾

* أو بمناديه (في قومه) في مجمعهم وفيما بينهم بعد أن كشف العذاب عنهم مخافة أن يؤمنوا (قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار) أنهار النيل ومعظمها أربعة أنهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس (تجري من تحتي) أى من تحت قصرى أو أمرى وقيل من تحت سريرى لارتفاعه وقيل بين يدى فى جنائى وبساتينى والواو إما عاطفة لهذه الأنهار على ملك مصر فتجرى حال منها أو للحال
 ٥٢ فهذه مبتدأ والأنهار صفتها وتجرى خبر للبستأ (أفلا تبصرون) ذلك يريد به استعظام ملكه (أم أنا خير) مع هذه المملكة والبسطة (من هذا الذى هو مهين) ضعيف حقير من المهابة وهى القلة (ولا يكاد يبين) أى الكلام قاله افتراء عليه عليه السلام وثقة يصاله عليه السلام فى أعين الناس باعتبار ما كان فى لسانه عليه السلام من نوع رتبة وقد كانت ذهبت عنه لقوله تعالى قد أوتيت سؤالك وأم إما منقطعة والهمزة للتقرير كأنه قال لآثر ما عدد أسباب فضله ومبادئ خيريته أثبت عندكم واستقر لديكم أنى أنا خير وهذه حالى من هذا الخ وإما متصلة فالمعنى أفلا تبصرون أم تبصرون خلا أنه وضع قوله أنا خير موضع تبصرون لأنهم إذا قالوا له أنت خير فهم عنده بصراء وهذا من باب تنزيل السبب منزلة المسبب ويجوز أن يجعل من تنزيل المسبب منزلة السبب فإن أبصارهم لما ذكر من أسباب فضله سبب على زعمه لحكمهم بخيريته (فلولاً ألقى عليه أسورة من ذهب) أى فهلاً ألقى إليه مقاليد الملك
 ٥٣ إن كان صادقالما أنهم كانوا إذا سودوا رجلاً سوروه وطوقوه بطوق من ذهب وأسورة جمع سوار وقرىء أساور جمع أسورة وقرىء أساور بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء أساور وقد قرىء كذلك وقرىء ألقى عليه أسورة وأساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى (أو جاء معه الملائكة مقترنين) مقرونين يعينونه أو يصدقونه من قرنته به فاقترن أو متقارنين من اقترن بمعنى تقارن
 ٥٤ (فاستخف قومه) فاستغفروهم وطلب منهم الخفة فى مطاوعته أو فاستخف أحلامهم (فاطاعوه) فيما أمرهم به (إنهم كانوا قوماً فاسقين) فلذلك سارعوا إلى طاعة ذلك الفاسق الغوى (قلباً أسفونا) أى أغضبونا أشد الغضب منقول من أسف إذا اشتد غضبه (انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين) فى اليم
 ٥٦ (فجعلناهم سلفاً) قدوة لمن بعدهم من الكفار يسلكون مسلكهم فى استيجاب مثل ما حل بهم من العذاب وهو إما مصدر نعت به أو جمع سالف كخدم جمع خادم وقرىء بضم السين واللام على أنه جمع سليف أى فريق قد سلف كزغف أو سالف كصبر أو سلف كأسد وقرىء سلفاً بإبدال ضمة اللام

٤٣ الزخرف

وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونُ ﴿٥٧﴾

٤٣ الزخرف

وَقَالُوا أَأَلْهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾

- فتحة أو على أنه جمع سلفة أى ثلة قد سلفت (ومثلاً للآخرين) أى عظة لهم أو قصة عجيبة تسير مسير الأمثال *
- لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون (ولما ضرب ابن مريم مثلاً) أى ضربه ابن الزبعرى حين جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم حيث قال أهدأ لنا ولاهتنا أو جميع الأمم فقال عليه الصلاة والسلام هولكم ولاهتكم وجميع الأمم فقال اللعين خصمتك ورب الكعبة ليس النصرارى يعبدون المسيح واليهود عزيرأ وبنو مليح الملائكة فإن كان هؤلاء فى النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم ففرح به قومه وضحكوا وارتفعت أصواتهم وذلك قوله تعالى (إذا قومك منه) *
- أى من ذلك المثل (يصدون) أى يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحاً وجزلاً وقرى يصدون أى من أجل ذلك المثل يعرضون عن الحق أى يثبتون على ما كانوا عليه من الإعراض أو يزدادون فيه وقيل هو أيضاً من الصديد وهما لغتان فيه نحو يعكف ويعكف وهو الأنسب بمعنى المفاجأة (وقالوا آلهتنا خير ٥٨ أم هو) حكاية لطرف من المثل المضروب قالوه تمهيداً لما بناو عليه من الباطل الموهوم بما يغتر به السفهاء أى ظاهر أن عيسى خير من آلهتنا فحيث كان هو فى النار فلا بأس بكوننا مع آلهتنا فيها واعلم أن ما نقل عنهم من الفرح ورفع الأصوات لم يكن لما قيل من أنه عليه الصلاة والسلام سكنت عند ذلك إلى أن نزل قوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية فإن ذلك مع إيهامه لما يجب تنزيه ساحته عليه الصلاة والسلام عنه من شائبة الإلحاح من أول الأمر خلاف الواقع كيف لا وقد روى أن قول ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة صدر عنه من أول الأمر عند سماع الآية الكريمة فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله عليه السلام ما أجهالك بلغة قومك أما فهمت أن ما لما لا يعقل وإنما لم يخص عليه السلام هذا الحكم بآلهتهم حين سأل الفاجر عن الخصوص والعموم عملاً بما ذكر من اختصاص كلمة ما بغير العقلاء لأن إخراج بعض المعبودين عنه عند الحاجة موهوم للرخصة فى عبادته فى الجملة فعممه عليه السلام للكل لكن لا بطريق عبارة النص بل بطريق الدلالة بجامع الاشتراك فى المعبودية من دون الله تعالى ثم بين عليه الصلاة والسلام بقوله بل هم عبدوا الشياطين التى أمرتهم بذلك أن الملائكة والمسيح بمزل من أن يكونوا معبوديهم كما نطق به قوله تعالى سبحانه أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الآية وقد مر تحقيق المقام عند قوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية بل وإنما كان ما أظهروه من الأحوال المنكرة لمحض وقاحتهم وتهالكهم على المكابرة والعناد كما ينطق به قوله تعالى (ما ضربوه لك إلا جدلاً) أى ما ضربوا لك وذلك المثل إلا لأجل الجدال والخصام لا لطلب *
- الحق حتى يدعوا له عند ظهوره ببيانك (بل هم قوم خصمون) أى لد شداد الخصومة مجبولون على *
- الحك واللجاج وقيل لما سمعوا قوله تعالى إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب قالوا نحن أهدى من النصرارى لأنهم عبدوا آدمياً ونحن نعبد الملائكة فنزلت فقولهم آلهتنا خير أم هو حيثئذ

إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مِثْلَ بَنِيِّ إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ ٤٣ الزخرف

وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴿٦٠﴾ ٤٣ الزخرف

وَإِنَّهُمْ لَعِلَّمُوا لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ٤٣ الزخرف

- تفضيل لأهلهم على عيسى عليه السلام لأن المراد بهم الملائكة ومعنى ما ضربوه الخ ما قالوا هذا القول إلا للجدل وقيل لما نزلت إن مثل عيسى الآية قالوا ما يريد محمد بهذا إلا أن نعبده وأنه يستأهل أن يعبد وإن كان كان بشراً كما عبدت النصراني المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون ويضجرون والضمير في أم هو لمحمد عليه الصلاة والسلام وغرضهم بالموازنة بينه عليه السلام وبين أهلهم الاستهزاء به وقد جوز أن يكون مرادهم التنصل عما أنكر عليهم من قولهم الملائكة بنات الله تعالى ومن عبادتهم لهم كأنهم قالوا ما قلنا بدعاً من القول ولا فعلنا منكراً من الفعل فإن النصراني جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه ٥٩ فنحن أشف منهم قولاً وفعلًا حيث نسبنا إليه الملائكة وهم نسبوا إليه الأناسي فقله تعالى (إن هو إلا عبد أنعمنا عليه) أي بالنبوة (وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل) أي أمراً عجيباً حقيقة بأن يسير ذكره كالأمثال السائرة على الوجه الأول استئناف مسوق لتزجيده عليه السلام عن أن ينسب إليه ما نسب إلى الأصنام بطريق الرمز كما نطق به صريحاً قوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وفيه تنبيه على بطلان رأى من رفعه عن رتبة العبودية وتعريض بفساد رأى من يرى رأيهم في شأن الملائكة وعلى الثاني والرابع لبيان أنه قياس باطل بباطل أو بأبطل على زعمهم وما عيسى إلا عبد كسائر العبيد قصارى أمره أنه ممن أنعمنا عليهم بالنبوة وخصصناه ببعض الخواص البديعة بأن خلقناه بوجه بديع وقد خلقنا آدم بوجه أبديع منه فإين هو من رتبة الربوبية ومن أين يتوهم صحة مذهب عبده حتى يفتخر عبدة الملائكة بكونهم أهدي منهم أو يعتذروا بأن حالهم أشف أو أخف من حالهم وأما على الوجه الثالث فهو لردم وتكذيبهم في افتراءهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان أن عيسى في الحقيقة وفيما أوحى إلى الرسول عليهما الصلاة والسلام ليس إلا أنه عبد منعم عليه كما ذكر فكيف يرضى عليه السلام بمعبوديته أو كيف يتوهم الرضا بمعبودية نفسه وقوله تعالى (ولو نشاء) الخ لتحقيق أن مثل عيسى عليه السلام ليس بيدع من قدرة الله وأنه تعالى قادر على أبديع من ذلك وأبرع مع التنبيه على سقوط الملائكة أيضاً من درجة المعبودية أي قدرتنا بحيث لو نشاء (لجعلنا) أي لخلقنا بطريق التوالد (منكم) وأتم رجال ليس من شأنكم الولادة (ملائكة) كما خلقناهم بطريق الإبداع (في الأرض) مستقرين فيها كما جعلناهم مستقرين في السماء (يخلقون) أي يخلقونكم مثل أولادكم فيما تأتون وما تذرون ويباشرون الأفاعيل المنوطة بمباشرتكم مع أن شأنهم التسييح والتقديس في السماء فن شأنهم بهذه المثابة بالنسبة إلى القدرة الربانية كيف يتوهم استحقاقهم للمعبودية أو اتسائهم إليه تعالى عن ذلك ٦١ علواً (وإنه) وإن عيسى (لعلم للساعة) أي لأنه بنزوله شرط من أشراطها وتسميته علماً لحصوله به

وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٢﴾ ٤٣ الزخرف

وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَأَتَقُوا

اللَّهَ وَأَطِيعُوا ٤٣ الزخرف ﴿٦٣﴾

إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ ٤٣ الزخرف

فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْيَمِّ ﴿٦٥﴾ ٤٣ الزخرف

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٤٣ الزخرف

أوجدوه بغير أب أو إحيائه الموتى دليل على صحة البعث الذي هو معظم ما ينكره الكفرة من الأمور الواقعة في الساعة وقرىء لهم أي علامة وقرىء للعالم وقرىء لذكر على تسمية ما يذكر به ذكر آكتسمية ما يعلم به علماً وفي الحديث أن عيسى عليه السلام ينزل على ثنية بالأرض المقدسة يقال لها أفيق وعلية صرتان وبه حبة وبها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح فيتأخر الإمام فيقدمه عيسى عليه السلام ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويحرب البيع والكنائس ويقتل النصاري، إلا من آمن به وقيل الضمير للقرآن لما أن فيه الإعلام بالساعة (فلا تترن بها) فلا تشكن في وقوعها (واتبعون) أي واتبعوا هداى أو شرعى أو رسولى وقيل هو قول الرسول مأموراً من جهته تعالى (هذا) أي الذي أدعوكم إليه أو القرآن على أن الضمير في أنه له (صراط مستقيم) موصل إلى الحق (ولا يصدنكم الشيطان) عن اتباعي (لأنه لكم عدو مبين) بين العداوة حيث أخرج أباكم من الجنة وعرضكم للبليّة (ولما جاء عيسى بالبينات) أي بالمعجزات أو بآيات الإنجيل أو بالشرائع الواضحات (قال) لبني إسرائيل (قد جئتكم بالحكمة) أي الإنجيل أو الشريعة (ولأبين لكم) عطف على مقدر ينبي عنه المحيى بالحكمة كأنه قيل قد جئتكم بالحكمة لأعلمكم إياها ولأبين لكم (بعض الذي تختلفون فيه) وهو ما يتعلق بأمور الدين وأما ما يتعلق بأمور الدنيا فليس بيانه من وظائف الأنبياء عليهم السلام كما قال عليه السلام أتم أعلم بأمر دنياكم (فاتقوا الله) في مخالفتي (وأطيعون) فيما أبلغه عنه تعالى (إن الله هو ربى وربكم فاعبدوه) بيان لما أمرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع (هذا) أي التوحيد والتعبد بالشرائع (صراط مستقيم) لا يضل سالكه وهو إما من تنمة كلامه عليه السلام أو استئناف من جهته تعالى مقرر لمقالة عيسى عليه السلام (فاختلف الأحزاب) الفرق المتحزبة (من بينهم) أي من بين من بعث إليهم من اليهود والنصارى (فويل للذين ظلموا) من المختلفين (من عذاب يوم أليم) هو يوم القيامة (هل ينظرون) أي ما ينتظر الناس (إلا الساعة أن تأتيهم بغتة) أي فجأة لكن لا عند كونهم مترقبين لها بل غافلين عنها مشغولين بأمور الدنيا منكرين لها وذلك قوله تعالى (وهم لا يشعرون) *

٤٣ الزخرف

الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٧٧﴾

٤٣ الزخرف

يَعْبَادٍ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٧٨﴾

٤٣ الزخرف

الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٧٩﴾

٤٣ الزخرف

ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٨٠﴾

يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصُحُفٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَائِشَتُهُمُ الْآنْفُسُ وَتِلْكَ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا

٤٣ الزخرف

خَالِدُونَ ﴿٨١﴾

٤٣ الزخرف

وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٢﴾

٤٣ الزخرف

لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٨٣﴾

- ٦٧ (الأخلاء) المتحابون في الدنيا على الإطلاق أو في الأمور الدنيوية (يومئذ) يوم إذ تأتيهم الساعة * (بعضهم لبعض عدو) لا تقطع ما بينهم من علائق الحلة والتحاب لظهور كونها أسباباً للذئاب (إلا المتقين) فإن خلتهم في الدنيا لما كانت في الله تبقى على حالها بل تزداد بمشاهدة كل منهم آثار خطتهم
- ٦٨ من الثواب ورفع الدرجات والاستثناء على الأول متصل وعلى الثاني منقطع (يعبادي لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ تشريفاً لهم وتطيباً لقلوبهم
- ٦٩ (الذين آمنوا بآياتنا) صفة للنادي أو نصب على المدح (وكانوا مسلمين) أي مخلصين وجوههم لنا جاعلين أنفسهم سالمة لطاعتنا وهو حال من واو آمنوا عن مقاتل إذا بعث الله الناس فزع كل أحد فينادي مناد يعبادي فيرفع الخلائق رؤسهم على الرجاء ثم يتبعها الذين آمنوا الآية فينكس أهل الأديان
- ٧٠ الباطلة رؤسهم (ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم) نساؤكم المؤمنات (تحبرون) تسرون سروراً يظهر حجاره أي أثره على وجوهكم أو تزينون من الخبرة وهو حسن الهيئة أو تكرمون إكراماً بليغاً والخبرة
- ٧١ المبالغة فيما وصف بجميل (يطاف عليهم) بعد دخولهم الجنة حسبما أمروا به (بصحاف من ذهب وأكواب) كذلك والصحاف جمع صحيفة قيل هي كالقصة وقيل أعظم القصص الجفنة ثم القصعة ثم المسكيلة والأكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له (وفيها) أي في الجنة (مائشيتهم الأنفس) من فنون الملاذ وقرىء مائشيتي (وتلذ الأعين) أي تستلذه وتقر بمشاهدته وقرىء وتلذه (وأنتم فيها خالدون) إتمام للنعمة وإكمال للسرور فإن كل نعيم له زوال بالآخرة مقارن لخوفه لا محالة والالتفات
- ٧٢ للتشريف (وتلك الجنة) مبتدأ وخبر (التي أورثتموها) وقرىء ورثتموها (بما كنتم تعملون) في الدنيا من الأعمال الصالحة شبه جزاء العمل بالميراث لأنه يخلفه العامل عليه وقيل تلك الجنة مبتدأ وصفة والموصول مع صلته خبره وقيل هو صفة الجنة كالوجه الأول والخبر بما كنتم تعملون فتتعلق
- ٧٣ الباء بمحذوف لا بأورثتموها كما في الأولين (لكم فيها فاكهة كثيرة) بحسب الأنواع والأصناف

٤٣ الزخرف	إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾
٤٣ الزخرف	لَا يُقْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾
٤٣ الزخرف	وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾
٤٣ الزخرف	وَنَادَوْا بِمَلِكٍ لِّيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِثُونَ ﴿٧٧﴾
٤٣ الزخرف	لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَاذِبُونَ ﴿٧٨﴾
٤٣ الزخرف	أَمْ أَمْرُؤُا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾

- لا يحسب الأفراد فقط (منها تأكون) أى بعضها تأكون فى كل نوبة وأما الباقي فعلى الأشجار على الدوام لا ترى فيها شجرة خلت عن ثمرها لحظة فى مزينة بالثمار أبداً موقرة بها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينزع رجل فى الجنة من ثمرها إلا نبت مثلاًها مكانها (إن المجرمين) أى الراسخين فى ٧٤ الإجرام وهم الكفار حسبما ينبىء عنه إيرادهم فى مقابلة المزمين بالآيات (فى عذاب جهنم خالدون) * خبر إن أو خالدون هو الخبر وفى متعلقة به (لا يفترون عنهم) أى لا يخفف العذاب عنهم من قولهم قرت عنه الحمى إذا سكنت قليلاً والتركيب للضعف (وهم فيه) أى فى العذاب وقرىء فيها أى فى النار (مبلسون) * آيسون من النجاة (وما ظلمناهم) بذلك (ولكن كانوا هم الظالمين) لتعريضهم أنفسهم للعذاب الخالد ٧٦ (ونادوا) خازن النار (يامالك) وقرىء يامال على الترخيم بالضم والكسر ولعله رمز إلى ضعفهم ٧٧ وعجزهم عن تأدية اللفظ بتمامه (ليقض علينا ربك) أى ليمتنا حتى نستريح من قضى عليه إذا أماته والمعنى سل ربك أن يقضى علينا وهذا لا ينافى ما ذكر من إبلاهم لأنه جزاء وتمن للموت لفرط الشدة (قال) * إنكم ماكثون) أى فى العذاب أبداً لا خلاص لكم منه بموت ولا بغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه لا يجيبهم إلا بعد ألف سنة وقيل بعد مائة وقيل بعد أربعين سنة (لقد جئناكم بالحق) فى الدنيا ٧٨ بإرسال الرسل وإزالة الكتب وهو خطاب توبيخ وتقريع من جهة الله تعالى مقرر لجواب مالك ومبين لسبب مكثهم وقيل فى قال ضميراً لله تعالى (ولكن أكثركم للحق) أى حق كان (كارهون) لا يقبلونه وينفرون عنه أما الحق المعهود الذى هو التوحيد أو القرآن فكلهم كارهون له مشتمزون منه (أم) ٧٩ أبرموا أمراً) كلام مبتدأ ناع على المشركين ما فعلوا من الكيد برسول الله صلى الله عليه وسلم وأم منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من توبيخ أهل النار إلى حكاية جناية هؤلاء والهمزة للإنكار فإن أريد بالإبرام الأحكام حقيقة فهى لإنكار الوقوع واستبعاده وإن أريد الأحكام صورة فهى لإنكار الواقع واستقباحه أى أبرم مشركو مكة أمراً من كيدهم ومكرهم برسول الله صلى الله عليه (إنا مبرمون) كيدنا حقيقة لا هم أو إنا مبرمون كيدنا بهم حقيقة كما أبرموا كيدهم صورة كقوله * تعالى أم يريدون كيداً فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتناجون فى أديتهم ويتشاورون فى أموره

- ٤٣ الزخرف أمَّ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾
- ٤٣ الزخرف قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾
- ٤٣ الزخرف سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾
- ٤٣ الزخرف فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾
- ٤٣ الزخرف وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾

- ٨٠ عليه الصلاة والسلام (أم يحسبون) أى بل يحسبون (أنا لانسمع سرهم) وهو ما حدثوا به أنفسهم
 * أو غيرهم فى مكان خال (ونجواهم) أى ما تكلموا به فيما بينهم بطريق التناجى (بلى) نحن نسمعهما
 * ونطلع عليهما (ورسلنا) الذين يحفظون عليهم أعمالهم ويلزمونهم أينما كانوا (لديهم) عندهم (يكتبون)
 أى يكتبونهما أو يكتبون كل ما صدر عنهم من الأفعال والأقوال التى من جملتها ما ذكر من سرهم
 ٨١ ونجواهم والجملة إما عطف على ما ترجم عنه بلى أو حال أى نسمعهما والحال أن رسلنا يكتبون (قل)
 أى للكفرة تحقيقاً للحق وتنبيهاً لهم على أن مخالفتك لهم بعدم عبادتك لما يعبدونه من الملائكة عليهم
 السلام ليست لبغضك وعداوتك لهم أو لمعبوديتهم بل إنما هو لجزمك باستحالة ما نسبوا إليهم وبنوا
 * عليه عبادتهم من كونهم بنات الله تعالى (إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) أى له وذلك لأنه عليه
 الصلاة والسلام أعلم الناس بشئونه تعالى وبما يجوز عليه وبما لا يجوز وأولاهم بمراعاة حقوقه ومن
 مواجب تعظيم الوالد تعظيم ولده وفيه من الدلالة على انتفاء كونهم كذلك على أبلغ الوجوه وأقواها
 وعلى كون رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوة يقين وثبات قدم فى باب التوحيد ما لا يخفى مع ما فيه
 من استئزال الكفرة عن رتبة المكابرة حسبما يعرب عنه إيراد أن مكان لو المنبئة عن امتناع مقدم
 الشرطية وقيل إن كان للرحمن ولد فى زعمكم فأنا أول العابدين الموحدين لله تعالى وقيل فأنا أول الآتين
 أى المستنكفين منه أو من أن يكون له ولد من عبد يعبد إذا اشتد أنفه وقيل إن نافية أى ما كان
 ٨٢ للرحمن ولد فأنا أول من قال بذلك وقرئ ولد (سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما
 يصفون) أى يصفونه به من أن يكون له ولد وفى إضافة اسم الرب إلى أعظم الأجرام وأقواها تنبيه
 على أنها وما فيها من المخلوقات حيث كانت تحت ملكوته وربوبيته كيف يتوهم أن يكون شئ منها جزأ
 ٨٣ منه سبحانه وفى تكرير اسم الرب تفخيم لشأن العرش (فذرهم) حيث لم يذعنوا للحق بعد ما سمعوا
 * هذا البرهان الجلى (يخوضوا) فى أباطيلهم (ويلعبوا) فى دنياهم فإن ما هم فيه من الأفعال والأقوال
 * ليست إلا من باب الجهل واللعب والجزم فى الفعل لجواب الأمر (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون)
 ٨٤ من يوم القيامة فإنهم يومئذ يعلمون ما فعلوا وما يفعل بهم (وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله)
 الظرفان متعلقان بالمعنى الوصفى الذى ينبنى عنه الاسم الجليل من معنى المعبودية بالحق بناء على اختصاصه

وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ الزخرف ٤٣
وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ الزخرف ٤٣
وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ الزخرف ٤٣
وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنَّا هَنَّا قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ الزخرف ٤٣
فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ الزخرف ٤٣

بالمعبود بالحق كما مر في تفسير البسملة كأنه قيل وهو الذي مستحق لأن يعبد فيهما وقد مر تحقيقه في سورة الأنعام وقرئ وهو الذي في السماء الله وفي الأرض الله والراجع إلى الموصول مبتدأ قد حذف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا مساغ لكون الجار خبراً مقدماً وإله مبتدأ مؤخر للزوم عراء الجملة حينئذ عن العائد نعم يجوز أن يكون صلة للموصول وإله خبراً لمبتدأ محذوف على أن الجملة بيان للصلة وأن كونه في السماء على سبيل الإلهية لأعلى سبيل الاستقرار وفيه نفي الآلهة السماوية والأرضية وتخصيص لاستحقاق الإلهية به تعالى وقوله تعالى (وهو الحكيم العليم) كالدليل على ما قبله * (وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما) إما على الدوام كالهواء أو في بعض الأوقات ٨٥ كالطير (وعنده علم الساعة) أى العلم بالساعة التي فيها تقوم القيامة (وإليه ترجعون) للجزاء والالتفات * للتهديد وقرئ على الغيبة وقرئ تحشرون بالتاء (ولا يملك الذين يدعون) أى يدعونهم وقرئ بالتاء ٨٦ مخففاً ومشدداً (من دونه الشفاعة) كما يزعمون (إلا من شهد بالحق) الذي هو التوحيد (وهم يعلمون) * بما يشهدون به عن بصيرة وإيقان وإخلاص وجمع الضمير باعتبار معنى من كأن الأفراد أولاً باعتبار لفظها والاستثناء إما متصل والموصول عام لكل ما يعبد من دون الله أو منفصل على أنه خاص بالأصنام (ولئن سألتهم من خلقهم) أى سألت العابدين والمعبودين (ليقولن الله) لتعذر الإنكار لغاية بطلانه ٨٧ (فأنى يؤفكون) فكيف يصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره مع اعترافهم بكون الكل مخلوقاً له تعالى * (وقيله) بالجر إما على أنه عطف على الساعة أى عنده علم الساعة وعلم قوله عليه الصلاة والسلام (يارب) ٨٨ الخ فإن القول والقليل والقال كلها مصادر أو على أن الواو للقسمة وقوله تعالى (إن هؤلاء قوم لا يؤمنون) جوابه وفي الإقسام به من رفع شأنه عليه الصلاة والسلام وتفخيم دعائه والتجائه إليه تعالى ما لا يخفى وقرئ بالنصب بالعطف على سرهم أو على محل الساعة أو بإضمار فعله أو بتقدير فعل القسم وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ما بعده وقد جوز عطفه على علم الساعة (فاصفح عنهم) فأعرض عن دعوتهم ٨٩ واقطع عن إيمانهم (وقل سلام) أى أمرى تسلم منكم ومتاركة (فسوف يعلمون) حالهم البتة وإن تأخر ذلك وهو وعيد من الله تعالى لهم وتسلياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ تعلمون على أنه داخل

٤٤ — سورة الدخان

نزلت بمكة وآياتها تسع وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٤ الدخان

حم

٤٤ الدخان

وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾

٤٤ الدخان

إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَرَّكََةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٢﴾

٤٤ الدخان

فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٣﴾

في حيز قل . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب .

(سورة الدخان مكية لإلا قوله إنا كاشفوا العذاب وآياتها تسع وخمسون آية)

٢٠١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (حم) (والكتاب المبين) الكلام فيه كالذي سلف في السورة السابقة

٣ (إنا أنزلناه) أي الكتاب المبين الذي هو القرآن (في ليلة مباركة) هي ليلة القدر وقيل ليلة البراءة

ابتدى فيها إنزاله أو أنزل فيها جملة إلى السماء الدنيا من اللوح وأملأه جبريل عليه السلام على السفرة

ثم كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم ونحو ما في ثلاث وعشرين سنة كما مر في سورة الفاتحة ووصفها

بالبركة لما أن نزل القرآن مستتبعا للنافع الدينية والديوية بأجمعها أو لما فيها من تنزل الملائكة

والرحمة وإجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الأفضية وفضيلة العبادة وإعطاء تمام الشفاعة لرسول الله

صلى الله عليه وسلم وقيل يزيد في هذه الليلة ماء زمزم زيادة ظاهره (إنا كنا منذرين) استئناف مبين

لما يقضى الإنزال كأنه قيل إنا أنزلناه لأن من شأنا الإنذار والتحذير من العقاب وقيل جواب

٤ للقسم وقوله تعالى إنا أنزلناه الخ اعتراض وقيل جواب ثان بغير عاطف (فيها يفرق كل أمر حكيم)

استئناف كما قبله فإن كونها مفرق الأمور المحكمة أو الملتبسة بالحكمة الموافقة لها يستدعي أن ينزل

فيها القرآن الذي هو من عظامها وقيل صفة أخرى لليلة وما بينهما اعتراض وهذا يدل على أنها ليلة

القدر ومعنى يفرق أنه يكتب ويفصل كل أمر حكيم من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم من هذه

الليلة إلى الأخرى من السنة القابلة وقيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح في ليلة البراءة ويقع الفراغ

في ليلة القدر فتدفع نسخة الأرزاق إلى ميكايل ونسخة الحروب إلى جبريل وكذا الزلازل والخسوف

والصواعق ونسخة الأعمال إلى إسماعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب إلى

ملك الموت عليهم السلام وقرىء يفرق بالتشديد وقرىء يفرق على البناء للفاعل أي يفرق الله تعالى

- أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥٩﴾
 رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾
 رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٦١﴾
 لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٢﴾
 بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٦٣﴾

- ٥ كل أمر حكيم وقرىء. نفرق بنون العظيمة (أمرأ من عندنا) نصب على الاختصاص أى أعنى بهذا الأمر
 أمرأ حاصل من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو بيان لفخامته الإضافية بعد بيان فخامته الذاتية ويجوز كونه
 حالاً من كل أمر لتخصسه بالوصف أو من ضميره فى حكيم وقد جوز أن يراد به مقابل النهى ويجعل مصدراً
 مؤكداً ليفرق لاتحاد الأمر والفرقان فى المعنى أو لفعله المضمراً أن الفرق به أو حالاً من أحد ضميرى
 أنزلناه أى أمرين أو مأموراً به (إنا كنا منذرين) بدل من إنا كنا منذرين وقيل جواب ثالث وقيل *
 مستأنف وقوله تعالى (رحمة من ربك) غاية للإرسال متأخرة عنه على أن المراد بها الرحمة الواصلة إلى
 العباد وباعث متقدم عليه على أن المراد مبدؤها أى إنا أنزلنا القرآن لأن من عادتنا لإرسال الرسل بالكتب
 إلى العباد لأجل إفاضة رحمتنا عليهم أو لاقتضاء رحمتنا السابقة لإرسالهم ووضع الرب موضع الضمير
 الإيذان بأن ذلك من أحكام الربوبية ومقتضياتها وإضافته إلى ضميره عليه الصلاة والسلام لتشريفه
 أو تعليل ليفرق أو لقوله تعالى أمرأ على أن قوله تعالى رحمة مفعول للإرسال كما فى قوله تعالى وما
 يسك فلا مرسل له أى يفرق فيها كل أمر أو تصدر الأوامر من عندنا لأن من عادتنا لإرسال رحمتنا
 ولا ريب فى أن كلاماً من قسمة الأرزاق وغيرها والأوامر الصادرة منه تعالى من باب الرحمة فإن الغاية
 لتكليف العباد تعريضهم للنافع وقرىء رحمة بالرفع أى تلك رحمة وقوله تعالى (إنه هو السميع العليم)
 تحقّق لربوبيته تعالى وأنها لا تحقّق إلا لمن هذه نعمته (رب السموات والأرض وما بينهما) بدل من
 ٧ أو بيان أو نعمت وقرىء بالرفع على أنه خبر آخر أو استئناف على إضمار مبتدأ (إن كنتم موقنين)
 أى إن كنتم من أهل الإيقان فى العلوم أو إن كنتم موقنين فى إقراركم بأنه تعالى رب السموات والأرض
 وما بينهما إذا سلمتم من خلقها فقلتم الله علم أن الأمر كما قلنا أو إن كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك
 (لا إله إلا هو) جملة مستأنفة مقررة لما قبلها وقيل خبر لقوله رب السموات الخ وما بينهما اعتراض
 ٨ (يحيى ويميت) مستأنفة كما قبلها وكذا قوله تعالى (ربكم ورب آبائكم الأولين) بإضمار مبتدأ أو بدل
 من رب السموات على قراءة الرفع أو بيان أو نعمت له وقيل فاعل يميّت وفى يحيى ضمير راجع إلى رب
 السموات وقرىء بالجر بدلاً من رب السموات على قراءة الجر (بل هم فى شك) بما ذكر من شئونه
 ٩ تعالى غير موقنين فى إقرارهم (يلعبون) لا يقولون ما يقولون عن جد وإذعان بل مخلوطاً بهز وولعب *

٤٤ الدخان

فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ⑩

٤٤ الدخان

يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ⑪

٤٤ الدخان

رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ⑫

٤٤ الدخان

أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ⑬

٤٤ الدخان

ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ⑭

١٠. والفاء في قوله تعالى (فارتقب) لترتيب الارتقاب أو الأمر به على ما قبلها فإن كونهم في شك مما يوجب ذلك حتماً أى فانتظر لهم (يوم تأتى السماء بدخان مبين) أى يوم شدة ومجاعة فإن الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان إما لضعف بصره أو لأن في عام القحط يظلم الهواء لقلة الأمطار وكثرة الغبار أو لأن العرب تسمى الشر الغالب دخاناً وذلك أن قريشاً لما استحصت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فأخذتهم سنة حتى أكلوا الجيف والعظام والعليز وكان الرجل يرى بين السماء والأرض الدخان وكان يحدث الرجل يسمع كلامه ولا يراه من الدخان وذلك قوله تعالى (يغشى الناس) أى يحيط بهم (هذا عذاب أليم) أى تألمين ذلك فشئ إليه عليه الصلاة والسلام أبو سفيان وقرمه وناشدوه الله تعالى والرحم وواعدوه
١٢. إن دعا لهم وكشف عنهم أن يؤمنوا وذلك قوله تعالى (ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون) وهذا قول ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم وبه أخذ مجاهد ومقاتل وهو اختيار الفراء والزجاج وقيل هو دخان يأتى من السماء قبل يوم القيامة فيدخل في أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيد ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدخان ونزول عيسى ابن مريم ونار تخرج من قعر عدن أئين تسوق الناس إلى المحشر قال حذيفة يارسول الله وما الدخان فتلا الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب بمكث أربعين يوماً وليلة أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكاة وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخوبه وأذنيه ودهره والأول هو الذى يستدعيه مساق النظم الكريم قطعاً فإن قوله تعالى
١٣. (أنى لهم الذكرى) الخ رد لكلامهم واستدعائهم للكشف وتكذيب لهم فى الوعد بالإيمان المنبى عن التذكر والاتعاظ بما اعترام من الداهية أى كف يتذكرون أو من أين يتذكرون بذلك ويفنون بما وعدوه من الإيمان عند كشف العذاب عنهم (وقد جاءهم رسول مبين) أى والحال أنهم شاهدها من دواعي التذكر وموجبات الاتعاظ ما هو أعظم منه فى إيجابها حيث جاءهم رسول عظيم الشأن وبين لهم مناهج الحق بإظهار آيات ظاهرة ومعجزات قاهرة تخر لها صم الجبال (ثم تولوا عنه) عن ذلك الرسول وهو هو ريثما شاهدوا منه ما شاهدوه من العظام الموجهة للإقبال عليه ولم يقتنعوا بالتولى
- ١٤.

٤٤ الدخان

إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾

٤٤ الدخان

يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾

٤٤ الدخان

وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾

٤٤ الدخان

أَن أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾

٤٤ الدخان

وَأَن لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾

- (وقالوا) في حقه (معلم مجنون) أى قالوا تارة يعلمه غلام أعجمى لبعض ثقيف وأخرى مجنون أو * يقول بعضهم كذا وآخرون كذا فهل يتوقع من قوم هذه صفاتهم أن يتأثروا بالعظة والتذكير وما مثلهم إلا كمثل الكلب إذا جاع ضغا وإذا شبع طفى وقوله تعالى (إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون) جواب من جهته تعالى عن قولهم ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون بطريق الالتفات لمزيد التوبيخ والتهديد وما بينهما اعتراض أى إنا نكشف العذاب الموعود عنكم كشفاً قليلا أوزماناً قليلا إنكم تعودون إثر ذلك إلى ما كنتم عليه من العتو والإصرار على الكفر وتنسون هذه الحالة وصيغة الفاعل في الفعلين للدلالة على تحققهما لاحالة ولقد وقع كلاهما حيث كشفه الله تعالى بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم فالبشوا أن عادوا إلى ما كانوا عليه من العتو والعناد ومن فسر الدخان بما هو من الأشراف قال إذا جاء الدخان تضرع المذنبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون فيكشفه الله تعالى عنهم بعد أربعين يوماً ورثما يكشفه عنهم يرتدون ولا يسمهون (يوم نبطش البطشة الكبرى) يوم القيامة وقيل يوم بدر وهو ظرف لما دل عليه قوله تعالى (إنا منتقمون) لا لمنتقمون لأن إن مألعة من ذلك أى يومئذ ننتقم إنا منتقمون وقيل * هو بدل من يوم تأتي الخ وقرىء نبطش أى نحمل الملائكة على أن يبطشوا بهم البطشة الكبرى وهو التناول بعنف وصوله أو نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقرىء نبطش بضم الطاء وهى لغة (ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون) أى امتحناهم بإرسال موسى عليه السلام أو أوقعناهم في الفتنة بالإمهال وتوسيع الرزق عليهم وقرىء بالتشديد للبالغة أو لكثرة القوم (وجاءهم رسول كريم) على الله تعالى أو على المؤمنين أو في نفسه لأن الله تعالى لم يبعث نبياً إلا من سراة قومه وكرامهم (أن أدوا إلى عباد الله) ١٨ أى بأن أدوا إلى بنى إسرائيل وأرسلوهم معى أو بأن أدوا إلى عباد الله حقه من الإيمان وقبول الدعوة وقيل أن مفسرة لأن مجيء الرسول لا يكون إلا برسالة ودعوة وقيل مخففة من الثقيلة أى جاءهم بأن الشأن أدوا إلى الخ وقوله تعالى (إني لكم رسول أمين) تعليل للأمر أو لوجوب المأمور به أى رسول غير ظنين قد اتسمنى الله تعالى على وحيه وصدقنى بالمعجزات القاهرة (وأن لاتعلوا على الله) أى لاتتكبروا ١٩ عليه تعالى بالاستهانة بوحيه وبرسوله وأن كالتى سلفت وقوله تعالى (إني آتيتكم) أى من جهته تعالى *

٤٤ الدخان

وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ٢٠

٤٤ الدخان

وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعْتَزِلُونِ ٢١

٤٤ الدخان

فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ٢٢

٤٤ الدخان

فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ٢٣

٤٤ الدخان

وَأَتْرِكِ الْبَحْرِ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُفْرَقُونَ ٢٤

٤٤ الدخان

كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ٢٥

٤٤ الدخان

وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَكَبِيرٍ ٢٦

٤٤ الدخان

وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ٢٧

٤٤ الدخان

كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ٢٨

- * (بسلطان مبین) تعلیل للنهی ای آتیکم بحجة واضحة لا سبیل إلى إنكارها وآتیکم على صیغة الفاعل ٢٠ أو المضارع وفي إيراد الأداء مع الأمين والسلطان مع العلاء من الجزالة مالا يخفى (وإني عذت بربي وربكم) أي التجات إليه وتوكلت عليه (أن ترجون) من أن ترجوني أي تؤذوني ضرباً أو شتاً أو أن تقتلوني قيل لما قال وأن لا تعملوا على الله توعده بالقتل وقرىء يادغام الذال في التاء (وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون) أي وإن كابرتم مقتضى العقل ولم تؤمنوا لي فخلوني كفافاً لا على ولا لي ولا تتعرضوا لبشر ولا أذى فليس ذلك جزاء من يدعوكم إلى ما فيه فلاحكم وحمله على معنى فاقطعوا أسباب الوصلة ٢١
- ٢٢ عني فلا موالاة بيني وبين من لا يؤمن ياباه المقام (فدعاه) بعد ما تموا على تكذيبه عليه السلام (إن هؤلاء) أي بأن هؤلاء (قوم مجرمون) وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه ولذلك سمى دعاء وقرىء بالكسر على إضمار القول قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه بإجرامهم وقيل ٢٣ هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين (فأسر بعبادي ليلاً) بإضمار القول إما بعد الفاء أي فقال ربه أسر بعبادي وإما قبلها كأنه قيل إن كان الأمر كما تقول فأسر بعبادي أي ببني إسرائيل فقد دبر
- * الله تعالى أن تتقدموا وقرىء بوصل الهزمة من سرى (إنكم متبعون) أي يتبعكم فرعون وجنوده ٢٤ بعد ما علموا بخروجكم (واترك البحر رهواً) مفتوحاً ذا فجوة واسعة أو ساكناً على هيئته بعد ما جاوزته * ولا تضربه بعصاك لينطبق ولا تغيره عن حاله ليدخله القبط (إنهم جند مفرقون) وقرىء أنهم ٢٥ بالفتح أي لأنهم (كم تركوا) أي كثيراً تركوا بمصر (من جنات وعيون) (وزروع ومقام كريم) محافل مزيّنة ومنازل محسنة (ونعمة) أي تنعم (كانوا فيها فاكهين) متنعمين وقرىء فاكهين ٢٦ (كذلك) الكاف في حيز النصب وذلك إشارة إلى مصدر يدل عليه تركوا أي مثل ذلك السلب سلبناهم ٢٨

٤٤ الدخان	فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٢٩﴾
٤٤ الدخان	وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾
٤٤ الدخان	مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾
٤٤ الدخان	وَلَقَدْ أَخَّرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمِنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾
٤٤ الدخان	وَأَتَيْنَاهُم مِّنَ الْأَيَّاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾
٤٤ الدخان	إِنِّ هَؤُلَاءَ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾
٤٤ الدخان	إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴿٣٥﴾

- لرباها (وأورثناها قوماً آخرين) وقيل مثل ذلك الإخراج أخرجناهم منها وقيل في حيز الرفع على
الخبرية أى الأمر كذلك فينشذ يكون أورثناها معطوفاً على تركوا وعلى الأولين على الفعل المقدّر
(فما بكت عليهم السماء والأرض) مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجدهم فيه تهكم
٢٩ بهم وبجأهم المنافية لحال من يعظم فقداه فيقال له بكت السماء والأرض ومنه ما روى أن المؤمن ليبكى
عليه مصلاه ومحل عبادته ومساعد عمله ومهابط رزقه وآثاره في الأرض وقيل تقديره أهل السماء
والأرض (وما كانوا) لما جاء وقت هلاكهم (منظرين) مهلين إلى وقت آخر أو إلى الآخرة بل
* عجل لهم في الدنيا (ولقد نجينا بني إسرائيل) بأن فعلنا بفرعون وقومه ما فعلنا (من العذاب المهين) ٣٠
من استعباد فرعون إياهم وقتل أبنائهم واستحياء نساءهم على الخسف والضم (من فرعون) يدل من ٣١
العذاب إما على جعله نفس العذاب لإفراطه فيه وإما على حذف المضاف أى عذاب فرعون أو حال
من المهين أى كائنات من فرعون وقرىء من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو فى عتوه وتفرعنه
وفى إبهام أمره أولاً وتبيينه بقوله تعالى (إنه كان جليلاً من المسرفين) نائياً من الإفصاح عن كنهه أمره
* فى الشر والفساد ما لا مزيد عليه وقوله تعالى من المسرفين إما خبر ثان لكان أى كان متكبراً مسرفاً
أو حال من الضمير فى عالياً أى كان رفيع الطبقة من بين المسرفين فانقأ لهم بليغاً فى الإسراف (ولقد ٣٢
اخترناهم) أى بنى إسرائيل (على علم) أى عالين بأنهم أحقاء بالاختيار أو عالين بأنهم يزيغون فى
الأوقات ويكثر منهم الفرجات (على العالمين) جميعاً لكثرة الأنبياء فيهم أو على عالمي زمانهم (وآتيناهم ٣٣
من الآيات) كفلق البحر وتظليل النعام وإنزال المن والسلوى وغيرها من عظام الآيات التى لم يعد
مثلاً فى غيرهم (ما فيه بلاه مبين) نعمة جليلة أو اختبار ظاهر للنظر كيف يعملون (إن هؤلاء) ٣٤
كفار قريش لأن الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على تماثلهم فى الإصرار على الضلالة
والتحذير عن حلول مثل ما حل بهم (ليقولون) (إن هى إلا موتتنا الأولى) أى ما العاقبة ونهاية ٣٥
الأمر إلا الموتة الأولى المزيطة للحياة الدنيوية ولا قصد إلى إثبات موتة أخرى كما فى قولك حج زيد

٤٤ الدخان

فَاتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾

٤٤ الدخان

أَمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تَبِعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾

٤٤ الدخان

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِلْعِبِينَ ﴿٣٨﴾

٤٤ الدخان

مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

٤٤ الدخان

إِنْ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾

الحجة الأولى ومات وقيل لما قيل لهم إنكم تموتون مودة تعقبها حياة كما تقدمتم مودة كذلك قالوا ما هي إلا موتتنا الأولى أي ما المودة التي تعقبها حياة إلا المودة الأولى وقيل المعنى ليست المودة إلا هذه المودة دون المودة التي تعقب حياة القبر كما تزعمون (وما نحن بمنشرين) بمبعوثين (فاتوا بآبائنا) خطاب إن وعدمه بالنشور من الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين (إن كنتم صادقين) فيما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى ليظهر أنه حق وقيل كانوا يطلبون إليهم أن يدعوا الله تعالى فينشر لهم قصي ابن كلاب ليشاوروه وكان كبيرهم ومفرغهم في المهمات والمهمات (أهم خير) رد لقولهم وتهديد لهم أي أهم خير في القوة والمنعة اللتين يدفعهما أسباب الهلاك (أم قوم تبع) هو تبع الحميري الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمناً وقومه كافرين ولذلك ذمهم الله تعالى دونه وكان يكتب في عنوان كتابه بسم الله الذي ملك بحراً وبجراً أي بحاراً كثيرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا نسبوا تبعاً فإنه كان قد أسلم وعنه عليه الصلاة والسلام ما أدرى أكان تبع نبياً أو غير نبي وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان نبياً وقيل للملك العيين التابعة لأنهم يتبعون كما يقال لهم الأقوال لأنهم يتقبلون (والذين من قبلهم) عطف على قوم تبع والمراد بهم عاد وثمود وأضرابهم من كل جبار عنيد أولى بأس شديد والاستفهام لتقرير أن أولئك أقوى من هؤلاء وقوله تعالى (أهلكناهم) استئناف لبيان عاقبة أمرهم وقوله تعالى (إنهم كانوا مجرمين) تعليل لإهلاكهم ليعلم أن أولئك حيث أهلكوا بسبب إجرامهم مع ما كانوا في غاية القوة والشدة فلأنهم هم شركاء لهم في الإجرام أضعف منهم في الشدة والقوة أولى (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما) أي ما بين الجنسين وقرىء وما بينهما (للعين) لاهين من غير أن يكون في خلقهما غرض صحيح وغاية حميدة (ما خلقناهما) وما بينهما (إلا بالحق) استثناء مفرغ من أعم الأحوال أو أعم الأسباب أي ما خلقناهما ملتبساً بشيء من الأشياء إلا ملتبساً بالحق أو ما خلقناهما بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق الذي هو الإيمان والطاعة والبعث والجزاء (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن الأمر كذلك فيشكرون البعث والجزاء (إن يوم الفصل) أي فصل الحق عن الباطل وتمييز الحق من المبطل أو فصل الرجل عن أقاربه وأحبابه (مقاتهم) وقت موعدم (أجمعين) وقرىء موقاتهم بالنصب على أنه اسم إن ويوم الفصل خبرها أي إن ميعاد حسابهم وجزائهم في يوم الفصل.

٤٤ الدخان

يَوْمَ لَا يَغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ ﴿٤١﴾

٤٤ الدخان

إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾

٤٤ الدخان

إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ ﴿٤٣﴾

٤٤ الدخان

طَعَامُ الْأُنِيمِ ﴿٤٤﴾

٤٤ الدخان

كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾

٤٤ الدخان

كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾

٤٤ الدخان

خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾

٤٤ الدخان

ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾

٤٤ الدخان

ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾

٤٤ الدخان

إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾

- (يوم لا يغني) بدل من يوم الفصل أو صفة لميقاتهم أو ظرف لما دل عليه الفصل لانفسه (مولى) ٤١ من قرابة أو غيرها (عن مولى) أى مولى كان (شيئاً) أى شيئاً من الإغناء (ولا هم ينصرون) الضمير لمولى الأول باعتبار المعنى لأنه عام (إلا من رحم الله) بالعفو عنه وقبول الشفاعة فى حقه ومحل الرفع ٤٢ على البدل من الواو أو النصب على الاستثناء (إنه هو العزيز) الذى لا ينصر من أراد تعذيبه (الرحيم) لمن أراد أن يرحمه (إن شجرة الزقوم) وقرىء بكسر الشين وقد مر معنى الزقوم فى سورة الصافات ٤٣ (طعام أنيم) أى الكثير الآثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه (كالهمل) وهو ٥٠٤٤ ما يهمل فى النار حتى يذوب وقيل هو دردى الزيت (يغلى فى البطون) وقرىء بالتاء على إسناد الفعل * إلى الشجرة (كغلى الحميم) غلياً ناكغليه (خذه) على إرادة القول والخطاب للزبانية (فاعتلوه) ٧٠٤٦ أى جروه والعتل الأخذ بمجامع الشيء وجره بقهر وعنف وقرىء بضم التاء وهى لغة فيه (إلى سواء * الجحيم) أى وسطه (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) كان الأصل يصب من فوق رؤسهم الجحيم فقليل يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الجحيم للبالغة ثم أضيف العذاب إلى الجحيم للتخفيف وزيد من للدلالة على أن المصبوب بعض هذا النوع (ذق إنك أنت العزيز الكريم) أى وقولوا له ذلك استهزاء ٤٩ به وتقريباً له على ما كان يزعمه روى أن أبا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جليلها أعز ولا أكرم منى فوالله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلانى شيئاً وقرىء بالفتح أى لأنك أو عذاب أنك (إن هذا) أى العذاب (ما كنتم به تمترون) تشكون وتمارون فيه والجمع باعتبار المعنى لأن ٥٠ ٩ - أبى السعود ج ٨

٤٤ الدخان	إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾
٤٤ الدخان	فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾
٤٤ الدخان	يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾
٤٤ الدخان	كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾
٤٤ الدخان	يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمَنِينَ ﴿٥٥﴾
٤٤ الدخان	لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعْنَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ جَنَّةٍ أَلْحِيمٍ ﴿٥٦﴾
٤٤ الدخان	فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾
٤٤ الدخان	فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾
٤٤ الدخان	فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

- ٥١ المراد جنس الأنيم (إن المتقين) أى عن الكفر والمعاصي (في مقام) في موضع قيام والمراد المكان على الإطلاق فإنه من الخاص الذي شاع استعماله في معنى العموم وقرئ بضم الميم وهو موضع إقامة * (أمين) يأمن صاحبه الآفات والانتقال عنه وهو من الأمن الذي هو ضد الحياة وصف به المكان بطريق الاستعارة كان المكان الخفيف يخون صاحبه لما يلقي فيه من المسكاره (في جنات وعيون)
- ٥٢ بدل من مقام جاء به دلالة على نزاهته واشتاله على طيبات الماء كل والمشارب (يلبسون من سندس واستبرق) إما خبر ثان أو حال من الضمير في الجار أو استئناف والسندس مارق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب (متقابلين) في المجالس ليستأنس بعضهم ببعض (كذلك) أى الأمر كذلك أو * كذلك أثبتناهم (وزوجناهم بحور عين) على الوصف وقرئ بالإضافة أى قرناهم بهن والهور جمع الحوراء وهى البيضاء والعين جمع العيناء وهى العظيمة العينين واختلف في أنهن نساء الدنيا أو غيرها
- ٥٣ (يدعون فيها بكل فاكهة) أى يطلبون ويأمرون بإحضار ما يشتهونه من الفواكه لا يتخصص شيء منها بمكان ولا زمان (آمنين) من كل ما يسوؤهم (لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى) بل يستمرون على الحياة أبداً والاستثناء منقطع أو متصل على أن المراد بيان استحالة ذوق الموت فيها على الإطلاق * كأنه قيل لا يذوقون فيها الموت إلا إذا أمكن ذوق الموتة الأولى حينئذ (ووقاهم عذاب الجحيم) وقرئ مشدداً للبالغة في الوقاية (فضلاً من ربك) أى أعطوا ذلك كله عطاءً وتفضلاً منه تعالى وقرئ بالرفع
- ٥٤ أى ذلك فضل (ذلك هو الفوز العظيم) الذى لا فوز وراءه إذ هو خلاص عن جميع المسكاره ونيل لكل المطالب وقوله تعالى (فإنما يسرناه بلسانك لعلمهم يتذكرون) فذلك للسورة الكريمة أى إنما أنزلنا الكتاب المبين بلغتك كي يفهمه قومك ويتذكروا ويعملوا بموجبه وإذالم يفهموا ذلك (فارتقب)
- ٥٥

٤٥ - سورة الجاثية

(مكية وهي سبع وثلاثون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٥ الجاثية

حَمْدٌ

٤٥ الجاثية

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾

٤٥ الجاثية

إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾

٤٥ الجاثية

وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ ءَايَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾

فاتنظر مايجل بهم (لأنهم مرتقبون) مايجل بك . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان * ليلة الجمعة أصبح مغفوراً له .

(سورة الجاثية مكية وهي سبع وثلاثون آية)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (حم) الكلام فيه كما مر في فاتحة سورة المؤمن فإن جعل اسماً للسورة فحله الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أى هذا مسمى بحم والإشارة إلى السورة قبل جريان ذكرها قد وقعت على سره مراراً وإن جعل مسروداً على نمط التعديد فلا حظ له من الإعراب وقوله تعالى (تنزيل الكتاب) على الأول خبر بعد خبر على أنه مصدر أطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني خبر لمبتدأ مضمرة يروح به ما قبله أى المؤلف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل هو خبر لحم أى المسمى به تنزيل الخ وقد مر مراراً أن الذى يجعل عنواناً للوضوع حقه أن يكون قبل ذلك معلوم الانتساب إليه وإذ لا عهد بالتسمية بعد فحقها الإخبار بها وأما جعله خبراً له بتقدير المضاف والمضاف إليه التنزيل على أصله أى تنزيل حم تنزيل الكتاب فعمرائه عن إفادة فائدة يعتد بها تحمل وقوله تعالى (من الله العزيز الحكيم) كما مر في صدر سورة الزمر على التفصيل وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب * صفته وجواب القسم قوله تعالى (إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين) وهو على الوجوه المتقدمة ٣ كلام مستأنف مسوق للتنبية على الآيات التكوينية الآفاقية والآنفسية ومحل الآيات إما نفس السموات والأرض فإنهما منظومتان من فنون الآيات على ما يقصر عنه البيان وإما خلقهما كما في قوله تعالى إن في خلق السموات والأرض وهو الأفق بقوله تعالى (وفي خلقكم) أى من نقطة ثم من علقه متقابلة ٤ في أطوار مختلفة إلى تمام الخلق (وما يبعث من دابة) عطف على المضاف دون المضاف إليه أى وفيما نشره وبفرقه من دابة (آيات) بالرفع على أنه مبتدأ خبره الظرف المقدم والجمل معطوفة على ما قبلها * من الجملة المصدرة بأن وقيل آيات عطف على ما قبلها من آيات باعتبار المحل عند من يجوزه وقرئ

وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا

وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ ؕ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾

٤٥ الجاثية

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ ؕ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

٤٥ الجاثية

وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾

٤٥ الجاثية

يَسْمَعُ ؕ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾

٤٥ الجاثية

- آية بالتوحيد وقرىء آيات بالنصب عطفاً على ما قبلها من اسم إن والخبر كأنه قيل وإن في خلقكم وما يبت من دابة آيات (لقوم يوقنون) أى من شأنهم أن يوقنوا بالآشياء على ما هي عليه (واختلاف الليل والنهار) بالجر على إضمار الجار المذكور في الآيتين قبله وقد قرىء بذكره والمراد باختلافهما إما تعاقبهما أو تفاوتهما طولا وقصراً (وما أنزل الله من السماء) عطف على اختلاف (من رزق) أى من مطر وهو سبب الرزق عبر عنه بذلك تنبيهاً على كونه آية من جهتي القدرة والرحمة (فأحيا به الأرض) بأن أخرج منها أصناف الزروع والثمار والنبات (بعد موتها) وعرائها عن آثار الحياة وانتفاء قوة التنمية عنها وخلو أشجارها عن الثمار (وتصريف الرياح) من جهة إلى أخرى ومن حال إلى حال وقرىء بتوحيد الريح وتأخيرها عن إزال المطر مع تقدمه عليه في الوجود إما للإيدان بأنه آية مستقلة حيث لوروى الترتيب الوجودى لربما توهم أن مجموع تصريف الرياح وإزال المطر آية واحدة وإما لأن كون التصريف آية ليس بمجرد كونه مبدءاً لإنشاء المطر بل له ولسائر المنافع التي من جملتها سوا السفن في البحار (آيات لقوم يعقلون) بالرفع على أنه مبتدأ خبره ما تقدم من الجار والجرور والجملة معطوفة على ما قبلها وقرىء بالنصب على الاختصاص وقيل على أنها اسم إن والجرور المتقدم خبرها بطريق العطف على معمولي عاملين مختلفين هما إن وفي أقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في اختلاف والنصب في آيات وتنكير آيات في المواقع الثلاثة للتفخيم كما وكيفاً واختلاف الفواصل لاختلاف مراتب الآيات في الدقة والجلال (تلك آيات الله) مبتدأ وخبر وقوله تعالى (تتلوها عليك) حال عاملها معنى الإشارة وقيل هو الخبر وآيات الله بدل أو عطف بيان (بالحق) حال من فاعل تتلو ومن مفعوله أى تتلوها محقين أو ملتبسة بالحق (فبأى حديث) من الأحاديث (بعد الله وآياته) أى بعد آيات الله وتقديم الاسم الجليل لتعظيمها كما في قولهم أعجبنى زيد وكرمه أو بعد حديث الله الذي هو القرآن حسبما نطق به قوله تعالى الله نزل أحسن الحديث وهو المراد بآياته أيضاً ومناطق العطف التغاير العنوانى (يؤمنون) بصيغة الغيبة وقرىء بالتاء (ويل لكل أفَّاك) كذاب (أثيم) كثير الآثام (يسمع آيات الله) صفة أخرى لأفَّاك وقيل استئناف وقيل حال من الضمير في أثيم (تتلى عليه) حال من آيات الله ولا معصاغ لجملة مفعولا ثانياً ليسمع لأن شرطه أن يكون ما بعده بما لا يسمع

وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٠﴾
 ٤٥ الجاثية
 مِّن وَّرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ
 عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾
 ٤٥ الجاثية

هَٰذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزِ أَلِيمٍ ﴿١٢﴾
 ٤٥ الجاثية

- * كقولك سمعت زيدا يقرأ (ثم يصر) أى يقيم على كفره وأمله من إصرار الحمار على العانة (مستكبراً)
- * عن الإيمان بما سمعه من آيات الله تعالى والإذعان لما تنطق مزدرياً لها معجباً بما عنده من الأباطيل
- * وقيل نزلت في النضر بن الحرث وكان يشتري من أحاديث الأعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن لكنها وردت بعبارة عامة ناعية عليه وعلى كل من يسير سيرته ما هم فيه من الشر والفساد وكلمة
- * ثم لاستبعاد الإصرار والاستكبار بعد سماع الآيات التي حقها أن تدعن لها القلوب وتخضع لها الرقاب
- * كما في قول من قال [يرى غمرات الموت ثم يزورها] (كان لم يسمعها) أى كائن لم يسمعها تخفف وحذف
- * ضمير الشأن والجملة حال من يصر أى يصر شيئاً بغير السامع (فبشره بعذاب أليم) على إصراره واستكباره
- * (وإذا علم من آياتنا شيئاً) أى إذا بلغه من آياتنا شيء وعلم أنه من آياتنا لا أنه عليه كما هو عليه فإنه
- * بمعزل من ذلك العلم وقيل إذا علم منها شيئاً يمكن أن يتشبث به المعاند ويجد له محملاً فاسداً يتوصل به
- * إلى الطعن والغمزة (اتخذها) أى الآيات كلها (هزواً) أى مهزوماً بها لا ما سمعه فقط وقيل الضمير
- * للشئ والتأنيث لأنه في معنى الآيات (أولئك) إشارة إلى كل أفاك من حيث الاتصاف بما ذكر من
- * القبايح والجمع باعتبار الشمول للكل كما في قوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون كما أن الأفراد فيما
- * سبق من الضمائر باعتبار كل واحد واحد (لهم) بسبب جنائياتهم المذكورة (عذاب مهين) وصف
- * العذاب بالإهانة توفية لحق استكبارهم واستهزائهم بآيات الله سبحانه وتعالى (من ورائهم جهنم) أى
- * من قدامهم لأنهم متوجهون إلى ما أعد لهم أو من خلفهم لأنهم معرضون عن ذلك مقبلون على الدنيا
- * فإن وراء اسم للجهة التي يوارىها الشخص من خلف وقدام (ولا يغني عنهم) ولا يدفع (ما كسبوا)
- * من الأموال والأولاد (شيئاً) من عذاب الله تعالى أو شيئاً من الإغناء (ولا ما اتخذوا من دون
- * الله أولياء) أى الأصنام وتوسيط حرف النفي بين المعطوفين مع أن عدم إغناء الأصنام أظهر وأجلى
- * من عدم إغناء الأموال والأولاد قطعاً مبنى على زعمهم الفاسد حيث كانوا يطمعون في شفاعتهم وفيه
- * تهكم (ولهم) فيما وراءهم من جهنم (عذاب عظيم) لا يقادر قدره (هذا) أى القرآن (هدى) في غاية
- * الكمال من الهداية كأنه نفسها (والذين كفروا) أى بالقرآن وإنما وضع موضع ضميره قوله تعالى
- * (بآيات ربهم) لزيادة تشنيع كفرهم به وتفضيح حالهم (لهم عذاب من رجز) أى من أشد العذاب
- * (أليم) بالرفع صفة عذاب وقرى بالجر على أنه صفة رجز وتنوين عذاب في المواقع الثلاثة للتفخيم
- * ورفع لما على الابتداء ولما على الفاعلية .

اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾

٤٥ الجاثية

وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ٤٥ الجاثية
قُلِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ٤٥ الجاثية

- ١٢ (الله الذي سخر لكم البحر) بأن جعله أملس السطح يطفو عليه ما ينخلل كالأخشاب ولا يمنع الغوص
* والخرق لميعانه (لتجري الفلك فيه بأمره) وأتم رأكبوها (ولتبتغوا من فضله) بالتجارة والغوص
١٣ والصيد وغيرها (ولعلمكم تشكرون) ولكي تشكروا النعم المترتبة على ذلك (وسخر لكم ما في السموات
* وما في الأرض) من الموجودات بأن جعلها مدار المنافعكم (جميعاً) إما حال من ما في السموات والأرض
* أو توكيد له (منه) متعلق بمحذوف هو صفة لجمعاً أو حال من ما أي جميعاً كأننا منه تعالى أو سخر
لكم هذه الأشياء كأنه منه مخلوقة له تعالى أو خبر لمحذوف أي هي جميعاً منه تعالى وقرئ منه على
* المفعول له ومنه على أنه فاعل سخر على الإسناد المجازي أو خبر مبتدأ محذوف أي ذلك منه (إن
* في ذلك) أي فيما ذكر من الأمور العظام (آيات) عظيمة الشأن كثيرة العدد (لقوم يتفكرون)
١٤ في بدائع صنع الله تعالى فإنهم يقفون بذلك على جلائل نعمه تعالى ودقائقها ويوقفون لشكرها (قل
* للذين آمنوا) حذف المقول لدلالة (يغفروا) عليه فإنه جواب للأمر باعتبار تعلقه به لا باعتبار نفسه
* فقط أي قل لهم اغفروا يغفروا (للذين لا يرجون أيام الله) أي يغفروا ويصفحوا عن الذين لا يتوقعون
وقائه تعالى بأعدائه من قولهم أيام العرب لوقائعها وقيل لا ياملون الأوقات التي وقها الله تعالى لثواب
المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل زلت قبل آية القتال ثم نسخت بها وقيل نزلت في عمر رضى الله عنه
حين شتمه غفارى فهم أن يبطش به وقيل حين قال ابن أبي ماقال وذلك أنهم نزلوا في غزوة بني المصطلق
على بئر يقال لها المريسيع فأرسل ابن أبي غلامه يستقي فأبطأ عليه فلما أتاه قال له ما حبسك قال غلام
عمر قد على طرف البئر فترك أحداً يستقي حتى ملأ قرب النبي صلى الله عليه وسلم وقرب أبي بكر
فقال ابن أبي ماملنا ومثل هؤلاء إلا كما قيل سمن كلبك يأكلك فبلغ ذلك عمر رضى الله عنه فاشتعل
* سيقه يريد التوجه إليه فأنزلها الله تعالى (ليجزى قوماً بما كانوا يكسبون) تعليل للأمر بالمغفرة والمراد
بالقوم المؤمنون والتشكير لمدحهم والثناء عليهم أي أمروا بذلك ليجزى يوم القيامة قوماً أيما قوم
قوماً مخصوصين بما كسبوا في الدنيا من الأعمال الحسنة التي من جملتها الصبر على أذية الكفار والإغضاء
عنهم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ما يقصر عنه البيان من الثواب العظيم هذا وقد جوز أن يراد بالقوم
الكفرة وبما كانوا يكسبون سيئاتهم التي من جملتها ما حكي من الكلمة الخبيثة والتشكير للتحقير وفيه
أنه مطلق الجزاء لا يصلح تعليلاً للأمر بالمغفرة لتحققه على تقدير المغفرة وعدمها فلا بد من تخصيصه
بالكل بأن لا يتحقق بعض منه في الدنيا أو بما يصدر عنه تعالى بالذات وفي ذلك من التكلف ما لا

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ ٤٥ الجاثية

وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ

عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ ٤٥ الجاثية

وَأَتَيْنَاهُم بِبَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا يَبْنُهُمْ إِنَّ رَبَّكَ

يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ٤٥ الجاثية

ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ٤٥ الجاثية

إِنَّهُمْ لَنْ يَغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ ٤٥ الجاثية

هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ ٤٥ الجاثية

- يخفى وأن يراد كلا الفريقين وهو أكثر تكلفاً وأشد تمحلاً وقرىء ليجزى قوم وليجزى قوماً أى ليجزى الجزاء قوماً وقرىء لنجزى بنون العظمة (من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها) لا يكاد يسرى عمل إلى غير عامله (ثم إلى ربكم) مالكم أموركم (ترجعون) فيجازيكم على أعمالكم خيراً كان أو شراً (ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب) أى التوراة (والحكم) أى الحكمة النظرية والعملية والفقه فى الدين أو فصل الخصومات بين الناس إذ كان الملك فيهم (والنبوّة) حيث كثر فيهم الأنبياء ما لم يكثر فى غيرهم (ورزقناهم من الطيبات) بما أحل الله تعالى من اللذائذ كاللبن والسلوى (وفضّلناهم على العالمين) حيث آتيناهم ما لم يثر من عدايم من فلق البحر وإظلال الغمام ونظائرهما وقيل على عالمى زمانهم (وآتيناهم بينات من الأمر) دلائل ظاهرة فى أمر الدين ومعجزات قاهرة وقال ابن عباس رضى الله عنهما هو العلم بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من أمره وأنه يهاجر من تهامة إلى يثرب ويكون أنصاره أهل يثرب (فما اختلفوا) فى ذلك الأمر (إلا من بعد ما جاءهم العلم) بحقيقته وحقيقته فجعلوا ما يوجب زوال الخلاف موجباً لرسوخه (بعياً بينهم) أى عداوة وحسداً لاشكا فيه (إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة) بالمواخذه والجزاء (فما كانوا فيه يختلفون) من أمر الدين (ثم جعلناك على شريعة) أى سنة وطريقة عظيمة الشأن (من الأمر) أى أمر الدين (فاتبعها) بإجراء أحكامها فى نفسك وفى غيرك من غير لإخلال بشيء منها (ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) أى آراء الجهلة واعتقاداتهم الزائفة التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش كانوا يقولون له عليه الصلاة والسلام ارجع إلى دين آبائك (لأنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً) بما أراد بك إن اتبعتهم (وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض) لا يوالىهم ولا يتبع أهواءهم إلا من كان ظالماً مثلهم (والله ولى المتقين) الذين أنت قدوتهم قدم على ما أنت عليه من تولى خاصة والإعراض عما سواه بالكلية (هذا) أى القرآن أو اتباع الشريعة (بصائر للناس) ٢٠

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً
نَجْيَتُهُمْ وَمَنَآتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾

٤٥ الجاثية

وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ٤٥ الجاثية

- * فإن مافيه من معالم الدين وشعائر الشرائع بمنزلة البصائر في القلوب (وهدى) من ورطة الضلالة (ورحة)
٢١ عظيمة (لقوم يوقنون) من شأنهم الإيقان بالأمور (أم حسب الذين اجتروا السيئات) استئناف
مسوق لبيان تباين حال المسيئين والمحسنين لإثريان تباين حال الظالمين والمتقين وأم منقطعة وما فيها
من معنى بل للانتقال من البيان الأول إلى الثاني والهمزة لإنكار الحسبان لكن لا بطريق إنكار
الوقوع ونفيه كما في قوله تعالى أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل
المتقين كالفسجار بل يريق لإنكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه والاجترارح الاكتساب (أن
نجعلهم) أي نصيرهم في الحكم والاعتبار وهم على ما هم عليه من مساوى الأحوال (كالذين آمنوا وعملوا
الصالحات) وهم فيما هم فيه من محاسن الأعمال ونعاملهم معاملتهم في الكرامة ورفع الدرجة (سواء
حياهم ومماتهم) أي يحيا الفريقين جميعاً ومماتهم حال من الضمير في الظرف والموصول معاً لاشتراكه على
ضميريهما على أن السواء بمعنى المستوى وحياهم ومماتهم مرتفعان به على الفاعلية والمعنى أم حسبوا أن
نجعلهم كائنين مثلهم حال كون الكل مستوياً حياهم ومماتهم كلا لا يستوون في شيء منهما فإن هؤلاء في
عز الإيمان والطاعة وشرفهما في الحيا وفي رحمة الله تعالى ورضوانه في المات وأولئك في ذل الكفر
والمعاصي وهوانهما في الحيا وفي لعنة الله والعذاب الخالد في المات شتان بينهما وقد قيل المراد لإنكار
أن يستووا في المات كما استووا في الحياة لأن المسيئين والمحسنين مستو حياهم في الرزق والصحة وإنما
يفترقون في المات وقرىء حياهم ومماتهم بالنصب على أنهما ظرفان كمقدم الحاج وسواء حال على حاله
أي حال كونهم مستوين في حياهم ومماتهم وقد ذكر في الآية الكريمة وجوه آخر من الإعراب والذي
يليق بجزالة التنزيل هو الأول فتدبر وقرىء سواء بالرفع على أنه خبر وحياهم مبتدأ فقبل الجملة بدل
من الكاف وقيل حال وأياً ما كان فنسبة حسبان التساوى إليهم في ضمن الإنكار التوبيخى مع أنهم
بمعزل منه جازمون بفضلهم على المؤمنين للبالغة في الإنكار والتشديد في التوبيخ فإن لإنكار حسبان
التساوى والتوبيخ عليه لإنكار حسبان الجزم بالفضل وتوبيخ عليه على أبلغ وجه وآكده (سواء
ما يحكمون) أي سواء حكمهم هذا أو بنس شيئاً حكموا به ذلك (وخلق الله السموات والأرض بالحق)
٢٢ استئناف مقرر لما سبق من الحكم فإن خلق الله تعالى لها ولما فيها بالحق المقتضى للعدل يستدعى لاحتالة
تفضيل المحسن على المسيء في الحيا والمات وانتصار المظلوم من الظالم وإذا لم يطرد ذلك في الحيا فهو
بعد المات حتماً (ولتجزى كل نفس بما كسبت) عطف على بالحق لأن فيه معنى التعليل إذ معناه خلقها
مقرونة بالحكمة والصواب دون البعث والباطل لخاصة خلقها لأجل ذلك ولتجزى الخ أو على علة

أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غَشَاةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾

٤٥ الجاثية

وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾

٤٥ الجاثية

وَإِذَا تَلَّٰى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ جُحَّتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتُؤْتُونَا بِآيَاتٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ ٤٥ الجاثية

- * محذوفة مثل ليدل بها على قدرته أو ليعدل ولتجزى (وهم) أى النفوس المدلول عليها بكل نفس (لا يظلمون) بنقص ثواب أو بزيادة عقاب وتسمية ذلك ظلماً مع أنه ليس كذلك على ما عرف قاعدة أهل السنة لبيان غاية تنزهه سبحانه لطفه تعالى عما ذكر بتزيله منزلة الظلم الذى يستحيل صدوره عنه تعالى (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه) تعجب من حال من ترك متابعة الهدى إلى مطاوعة الهوى فكانه عبده أى أنظرت فرأيت فإذ ذلك مما يقضى منه العجب وقرىء آلهة هواه لأن أحدهم كان يستحسن حجراً فيعبده فإذا رأى أحسن منه رفضه إليه فكانه اتخذ آلهة شتى (وأضله الله) وخذله (على علم) أى علماً بضلاله
- * وتبديله لفطرة الله تعالى التى فطر الناس عليها (وختم على سمعه وقلبه) بحيث لا يتأثر بالمواظع ولا يتفكر فى الآيات والنذر (وجعل على بصره غشاوة) مانعة عن الاستبصار والاعتبار وقرىء بفتح الغين وضما وقرىء غشوة (فمن يهديه من بعد الله) أى من بعد إضلاله تعالى لإياه بموجب تعاميه عن الهدى وتماديه فى النى (أفلاتذكرون) أى ألا تلاحظون فلا تذكرون وقرىء تذكرون على الأصل
- ٢٣ (وقالوا) بيان لأحكام ضلالهم المحكى أى قالوا من غاية غيهم وضلالهم (ماهى) أى ما الحياة (إلا حياتنا الدنيا) التى نحن فيها (نموت ونحيا) أى يصينا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة وقيل نكون نطفاً وما قبلها وما بعدها ونحيا بعد ذلك أو نموت بأنفسنا ونحيا ببقاء أولادنا أو يموت بعضنا ويحيا بعضنا وقد جوز أن يريدوا به التناسخ فإنه عقيدة أكثر عبدة الأوثان وقرىء نحيا (وما يهلكنا إلا الدهر) إلا مرور الزمان وهو فى الأصل مدة بقاء العالم من دهره أى غلبه وقرىء إلا دهر يمر وكانوا يزعمون أن المؤثر فى هلاك النفس هو مرور الأيام والليالى وينكرون ملك الموت وقبضه للأرواح بأمر الله تعالى ويضيفون الحوادث إلى الدهر والزمان ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر أى فإن الله هو الآتى بالحوادث لا الدهر (وما لهم بذلك) أى بما ذكر من اقتصار الحياة على ما فى الدنيا واستناد الحياة والموت إلى الدهر (من علم) ما مستند إلى عقل أو نقل (إن هم إلا يظنون) مادم إلا قوم قصارى أمرهم الظن والتقليد من غير أن يكون لهم شىء يصح أن يتمسك به فى الجملة هذا مع تقدم الفاسد فى أنفسهم (وإذا تلى عليهم آياتنا) الناطقة بالحق الذى ٢٥ من جملته البعث (بينات) واضحات الدلالة على ما نطقت به أو مبنات له (ما كان حجتهم) بالنصب

قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾

٤٥ الجاثية

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْسِرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾

٤٥ الجاثية

وَتَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾

٤٥ الجاثية

هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾

٤٥ الجاثية

- * على أنه خبر كان أى ما كان متمسكا لهم شىء من الأشياء (إلا أن قالوا انتوا بأبائنا إن كنتم صادقين) فى أنا نبعث بعد الموت أى هذا القول الباطل الذى يستحيل أن يكون من قبيل الحجّة وتسمية حجة إما لسوقهم إياه مساق الحجّة على سبيل التهم بهم أولآنه من قبيل [تحية بينهم ضرب وجيع] وقرىء برفع حجتهم على أنها اسم كان فالمعنى ما كان حجتهم شيئا من الأشياء إلا هذا القول الباطل (قل الله يحييكم) ابتداء (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم لا كما تزعمون من أنكم تحيون وتموتون بحكم الدهر (ثم يجمعكم) بعد الموت (إلى يوم القيامة) للجزاء (لاريب فيه) أى فى جمعكم فإن من قدر على البدء قدر على الإعادة والحكمة اقتضت الجمع للجزاء لا محالة والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها حتما والإتيان بأبائهم حيث كان مزاحما للحكمة التشريعية امتنع إيقاعه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) استدراك من قوله تعالى لاريب فيه وهو إما من تمام الكلام المأمور به أو كلام مسوق من جهته تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على أن ارتياهم لجهلهم وقصورهم فى النظر والتفكير لا لأن فيه شائبة ريب ما
- ٢٦ برفع حجتهم على أنها اسم كان فالمعنى ما كان حجتهم شيئا من الأشياء إلا هذا القول الباطل (قل الله يحييكم) ابتداء (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم لا كما تزعمون من أنكم تحيون وتموتون بحكم الدهر (ثم يجمعكم) بعد الموت (إلى يوم القيامة) للجزاء (لاريب فيه) أى فى جمعكم فإن من قدر على البدء قدر على الإعادة والحكمة اقتضت الجمع للجزاء لا محالة والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها حتما والإتيان بأبائهم حيث كان مزاحما للحكمة التشريعية امتنع إيقاعه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) استدراك من قوله تعالى لاريب فيه وهو إما من تمام الكلام المأمور به أو كلام مسوق من جهته تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على أن ارتياهم لجهلهم وقصورهم فى النظر والتفكير لا لأن فيه شائبة ريب ما
- ٢٧ (ولله ملك السموات والأرض) بيان لاختصاص الملك المطلق والتصرف السكلى فيهما وفيما بينهما بالله عز وجل إثر بيان تصرفه تعالى فى الناس بالإحياء والإماتة والبعث والجمع للمجازاة (ويوم تقوم الساعة يومئذ يحسر المبطلون) العامل فى يوم يحسرو ويومئذ بدل منه (وترى كل أمة) من الأمم المجموعة (جاثية) باركة على الركب مستوفزة وقرىء جاذية أى جالسة على أطراف الأصابع والجذو أشد استيفازا من الجثو وعن ابن عباس رضى الله عنهما جاثية مجتمعة وقيل جماعات من الجثو وهى الجماعة (كل أمة تدعى إلى كتابها) إلى صحيفة أعمالها وقرىء كل بالنصب على أنه بدل من الأول وتدعى
- ٢٨ الساعة يومئذ يحسر المبطلون) العامل فى يوم يحسرو ويومئذ بدل منه (وترى كل أمة) من الأمم المجموعة (جاثية) باركة على الركب مستوفزة وقرىء جاذية أى جالسة على أطراف الأصابع والجذو أشد استيفازا من الجثو وعن ابن عباس رضى الله عنهما جاثية مجتمعة وقيل جماعات من الجثو وهى الجماعة (كل أمة تدعى إلى كتابها) إلى صحيفة أعمالها وقرىء كل بالنصب على أنه بدل من الأول وتدعى
- ٢٩ صفة أو حال أو مفعول ثان (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) أى يقال لهم ذلك وقوله تعالى (هذا كتابنا) الخ من تمام ما يقال حينئذ وحيث كان كتاب كل أمة مكتوبا بأمر الله تعالى أضيف إلى نون العظمة تفخيما لشأنه وتهويلا لآمره فهذا مبتدأ وكتابنا خبره وقوله تعالى (ينطق عليكم) أى يشهد عليكم (بالحق) من غير زيادة ولا نقص خبر آخر أو حال وبالحق حال من فاعل ينطق وقوله تعالى (إنا كنا نستنسخ) الخ تعليل لنطقه عليهم بأعمالهم من غير إخلال بشىء منها أى إنا كنا فيما قبل نستكتب الملائكة (ما كنتم تعملون) فى الدنيا من الأعمال حسنة كانت أو سيئة .

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ ٤٥ الجاثية
وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا تُجْرِمُونَ ﴿٣١﴾ ٤٥ الجاثية
وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ
بِمُتَّبِعِينَ ﴿٣٢﴾ ٤٥ الجاثية
وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ ٤٥ الجاثية
وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ
نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ٤٥ الجاثية
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّخَذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُمْجِرُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ
يَسْتَعِينُونَ ﴿٣٥﴾ ٤٥ الجاثية

- وقوله تعالى (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته) أى فى جنته تفصيل لما
يفعل بالأمم بعد بيان ماخو طبوا به من الكلام المنظوى على الوعد والوعيد (ذلك) أى الذى ذكر من
الإدخال فى رحمته تعالى (هو الفوز المبين) الظاهر كونه فوزاً لا فوز وراه (وأما الذين كفروا أفلم
تكن آياتى تتلى عليكم) أى يقال لهم بطريق التوبيخ والتفريع ألم يكن تأتيتكم رسلى فلم تكن آياتى
تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه ثقة بدلالة القرينة عليه (فاستكبرتم) عن الإيمان بها (وكنتم قوماً
مجرمين) أى قوماً عادتهم الإجرام (وإذا قيل إن وعد الله) أى ما وعده من الأمور الآتية أو وعده
بذلك (حق) أى واقع لا محالة أو مطابق للواقع (والساعة) التى هى أشهر ما وعده (لا ريب فيها)
أى فى وقوعها وقرىء والساعة بالنصب عطفاً على اسم إن وقراءة الرفع للمطف على محل إن واسمها
(قلتم) لغاية عتوكم (ما ندرى ما الساعة) أى شئء هى استغراباً لها (إن نظن إلا ظناً) أى ما نفعل
إلا ظناً وقد مر تحقيقه فى قوله تعالى إن أتبع إلا ما يوحى إلى وقيل ما نعتقد إلا ظناً أى لا علماً وقيل ما نحن
إلا نظن ظناً وقيل ما نظن إلا ظناً ضعيفاً ويرده قوله تعالى (وما نحن بمستيقنين) أى لا مكانه فإن مقابل
الإستيقان مطلق الظن لا الضعيف منه ولعل هؤلاء غير القائلين ما هى إلا حياتنا الدنيا (وبدا لهم) أى ظهر
لهم حينئذ (سيئات ما عملوا) على ما هى عليه من الصورة المنكرة الهائلة وعانوا وخامه عاقبتها أو جزاءها
فإن جزاء السيئة سيئة (وحق بهم ما كانوا به يستهزئون) من الجزاء والعقاب (وقيل اليوم ننساكم) تترككم
فى العذاب ترك المنسى (كما نسيتكم) فى الدنيا (لقاء يومكم هذا) أى كما تركتم عدته ولم تبالوا به وإضافة
اللقاء إلى اليوم لإضافة المصدر إلى ظرفه (وما أواكم النار وما لكم من ناصرين) أى ما لأحد منكم
ناصر واحد يخلصكم منها (ذلكم) العذاب (بأنكم) بسبب أنكم (اتخذتم آيات الله هزواً) مهزواً ٣٥

٤٥ الجاثية

فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾

٤٥ الجاثية

وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

- * بها ولم ترفعوا لها رأساً (وغرتكم الحياة الدنيا) فحسبتم أن لاهياة سواها (فاليوم لا يخرجون منها) أى من النار وقرىء يخرجون من الخروج والالتفات إلى الغيبة للإيذان بإسقاطهم عن رتبة الخطاب
- * استهانة بهم أو بنقلهم من مقام الخطاب إلى غيبة النار (ولا هم يستعقبون) أى يطلب منهم أن يعتبروا
- ٣٦ ربهم أى يرضوه لغفوات أو انه (فله الحمد) خاصة (رب السموات ورب الأرض رب العالمين) فلا يستحق الحمد أحد سواه وتكرير الرب للتأكيد والإيذان بأن ربوبيته تعالى لكل منها بطريق الأصالة وقرىء
- ٣٧ برفع الثلاثة على المدح يا ضمائر هو (وله الكبرياء في السموات والأرض) لظهور آثارها وأحكامها
- * فيهما وإظهارهما في موقع الإضمار لتفخيم شأن الكبرياء (وهو العزيز) الذى لا يغلب (الحكيم) فى كل ما قضى وقدر فاحمدوه وكبروه وأطيعوه . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله تعالى عورته وسكن روعته يوم الحساب .

٤٦ - سورة الأحقاف

(مكة وهي خمس وثلاثون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم

٤٦ الأحقاف

٤٦ الأحقاف

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾

مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا

مُعْرِضُونَ ﴿٢﴾

٤٦ الأحقاف

قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُونِي

٤٦ الأحقاف

بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣﴾

(سورة الأحقاف مكة وآياتها خمس وثلاثون)

- (بسم الله الرحمن الرحيم) (حم) (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) الكلام فيه كالذي ٢٠، ١
 مر في مطلع السورة السابقة (ما خلقنا السموات والأرض) بما فيهما من حيث الجزئية منهما ومن حيث ٣
 الاستقرار فيهما (وما بينهما) من المخلوقات (إلا بالحق) استثناء مفرغ من أعم المفاعيل أى إلا خلقاً *
 ملتبساً بالحق الذى تقتضيه الحكمة التكوينية والتشريعية أو من أعم الأحوال من فاعل خلقنا أو
 مفعوله أى ما خلقناها فى حال من الأحوال لإحالة ملابستنا بالحق أو حال ملابستها به وفيه من
 الدلالة على وجود الصانع تعالى وصفات كماله وابتداء أفعاله على حكم بالغة وانتهائها إلى غايات جليلة
 مالا يخفى (وأجل مسمى) عطف على الحق بتقدير مضاف أى وبتقدير أجل مسمى ينتهى إليه أمر
 الكل وهو يوم القيامة يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وقيل هو
 آخر مدة البقاء المقدر لكل واحد ويأباه قوله تعالى (والذين كفروا عما أُنذروا معرضون) فإن *
 ما أُنذروه يوم القيامة وما فيه من الطامة التامة والأحوال العامة لا آخر أعمارهم وقد جوز كون ماصدرية
 والجملة حالية أى ما خلقنا الخلق إلا بالحق وتقدير الأجل الذى يجاوزون عنده والحال أنهم غير مؤمنين
 به معرضون عنه وعن الاستعداد له (قل) توبيخاً لهم وتبكيماً (أرأيتم) أخبروني وقرئ (أرأيتمكم
 ٤ (ماتدعون) ماتعبدون (من دون الله) من الأصنام (أروني) تأكيد لأرأيتم (ماذا خلقوا من
 الأرض) بيان للإيهام فى ماذا (أم لهم شرك) أى شركة مع الله تعالى (فى السموات) أى فى خلقها *
 أو ملكها وتديرها حتى يتوهم أن يكون لهم شائبة استحقاق للمبودية فإن مالا مدخل له فى وجود

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دَعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾

٤٦ الأخاف

٤٦ الأخاف

وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾

وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمُ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ ٤٦ الأخاف

شئ من الأشياء بوجه من الوجوه فهو بمعزل من ذلك الاستحقاق بالمرة وإن كان من الأحياء العقلاء
 * فما ظنكم بالجناد وقوله تعالى (انتوني بكتاب) الخ تبكيت لهم بتمجيزهم عن الإتيان بسند نقل بعد
 * تبكيتهم بالتعجيز عن الإتيان بسند عقلي أي انتوني بكتاب إلهي كائن (من قبل هذا) الكتاب أي
 * القرآن الناطق بالتوحيد وإبطال الشرك دال على صحة دينكم (أو إثارة من علم) أو بقية من علم بقية
 * عليكم من علوم الأولين شاهدة باستحقاقهم للعبادة (إن كنتم صادقين) في دعواكم فإنها لا تكاد
 * تصح ما لم يقيم عليها برهان عقلي أو سلطان نقل وحيث لم يقيم عليها شئ منها وقد قامت على خلافها
 * أدلة العقل والنقل تبين بطلانها وقرىء إثارة بكسر الهمزة أي مناظرة فإنها تثير المعاني وأثرة أي
 * شئ أو أثرتم به وخصصتم من علم مطوى من غيركم وأثرة بالحركات الثلاث مع سكون التاء أما المكسورة
 * فبمعنى الأثرة وأما المفتوحة فهي المرة من أثر الحديث أي رواه وأما المضمومة فاسم ما يؤثر كالخطبة
 * التي هي اسم ما يخطب به (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له) إنكار ونفي لأن
 * يكون أحد يساوي المشركين في الضلال وإن كان سبك التركيب لنفي الأضل منهم من غير تعرض
 * لنفي المساوي كما مر غير مرة أي هم أضل من كل ضال حيث تركوا عبادة خالقهم السميع القادر المجيب
 * * الخبير إلى عبادة مصنوعهم العاري عن السمع والقدرة والاستجابة (إلى يوم القيامة) غاية لنفي الاستجابة
 * (وهم عن دعائهم) الضمير الأول للمفعول يدعوا الثاني لفاعله والجمع فيهما باعتبار معنى من كأن الأفراد
 * * فيما سبق باعتبار لفظها (غافلون) لكونهم جهادات وضمائر العقلاء لإجرائهم إياها مجرى العقلاء
 * ووصفها بما ذكر من ترك الاستجابة والغفلة مع ظهور حالها للترك بها وبعدها كقوله تعالى إن تدعوه
 * ٦ لا يسمعون دعاءكم الآية (وإذا حشر الناس) عند قيام القيامة (كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين)
 * أي مكذبين بلسان الحال أو المقال على ما يروى أنه تعالى يحى الأصنام فتتبرأ عن عبادتهم وقد جوز
 * أن يراد بهم كل من يعبد من دون الله من الملائكة والجن والإنس وغيرهم ويبنى إرجاع الضمائر وإسناد
 * العداوة والكفر إليهم على التغليب ويراد بذلك تبرؤهم عنهم وعن عبادتهم وقيل ضمير كانوا للعبدة
 * ٧ وذلك قولهم والله ربنا ما كنا مشركين (وإذا نتلى عليهم آياتنا بينات) واضحات أو مبيّنات (قال
 * الذين كفروا للحق) أي لأجله وفي شأنه وهو عبارة عن الآيات المتلوة وضع موضع ضميرها تنصيصاً
 * على حقيقتها ووجوب الإيمان بها كما وضع الموصول موضع ضمير المتلو عليهم تسجيلاً عليهم بكمال الكفر
 * والضلالة (لما جاءهم) أي في أول ما جاءهم من غير تدبر وتأمل (هذا سحر مبين) أي ظاهر كونه

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾

٤٦ الأحقاف

قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا بَكُمْ إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾

٤٦ الأحقاف

- ٨ (أم يقولون افتراه) لإضراب وانتقال من حكاية شناعتهم السابقة إلى حكاية ماهو أشنع منها وما في أم من الهمزة للإنكار التويخي المتضمن للتعجيب أى بل يقولون افترى القرآن (قل إن افتريته) * على الفرض (فلا تملكون لى من الله شيئاً) إذ لارب فى أنه تعالى يعاجلنى حينئذ بالعقوبة فكيف أجتريه * على أن افترى عليه تعالى كذباً فأعرض نفسى للعقوبة التى لامناص عنها (هو أعلم بما تفيضون فيه) أى * تندفعون فبه من القرح فى وحي الله والظعن فى آياته وتسميته سحر آتارة وفرية أخرى (كفى به شهيداً * بينى وبينكم) حيث يشهد لى بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والجحود وهو وعيد بجزاء إفاضتهم وقوله تعالى (وهو الغفور الرحيم) وعد بالغفران والرحمة لمن تاب وآمن وإشعار بحلم الله تعالى عنهم * مع عظم جرائمهم (قل ما كنت بدعا من الرسل) البدع بمعنى البديع كالخلل بمعنى الخليل وهو مالا ٩ مثل له وقرىء بفتح الدال على أنه صفة كقيم وزيم أو جمع مقدر بمضاف أى ذا بدع وقد جوز ذلك فى القراءة الأولى أيضاً على أنه مصدر كانوا يفترحون عليه عليه الصلاة والسلام آيات عجبية ويسألونه عن المغيبات عناداً ومكابرة فأمر عليه السلام بأن يقول لهم ما كنت بديعاً من الرسل قادراً على مالم يقدروا عليه حتى آتيكم بكل ما تنقروونه وأخبركم بكل ما تسألون عنه من الغيوب فإن من قبل من الرسل عليهم الصلاة والسلام ما كانوا يأتون إلا بما آتاهم الله تعالى من الآيات ولا يخبرونهم إلا بما أوحى إليهم (وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم) أى أى شىء يصيننا فيما يستقبل من الزمان من أفعاله تعالى وماذا * يقدر لنا من القضايا وعن الحسن رضى الله عنه ما أدرى ما يصير إليه أمرى وأمركم فى الدنيا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما يفعل بى ولا بكم فى الآخرة وقال هى منسوخة بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل يجوز أن يكون المنفى هى الدراية المفصلة والأظهر الأوفق لما ذكر من سبب النزول أن ماعبارة عما ليس عليه من وظائف النبوة من الحوادث والواقعات الدنيوية دون ما سيقع فى الآخرة فإن العلم بذلك من وظائف النبوة وقد ورد به الوحي الناطق بتفاصيل ما يفعل بالجانبين هذا وقد روى عن الكلبي أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا له عليه السلام وقد ضجروا من أذية المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم أترك بمكة أم أومر بالخروج إلى أرض ذات نخيل وشجر قد رفعت لى ورأيتها يعنى فى منامه وجوز أن تكون ماموصولة والاستفهامية أفضى لحق مقام التبرؤ عن الدراية وتكرير لا لتذكير المنفى المنسحب إليه وتأكيده

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ ۖ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ ۖ فَآمَنَ
وَأَسْتَكْبَرْتُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٤٦﴾

٤٦ الأحقاف

* وقرىء ما يفعل على إسناد الفعل إلى ضميره تعالى (إن أتبع إلا ما يوحى إلى) أى ما أفعل إلا اتباع ما يوحى إلى على معنى قصر أفعاله عليه الصلاة والسلام على اتباع الوحي لا قصر اتباعه على الوحي كما هو المتسارع إلى الأفهام وقد مر تحقيقه فى سورة الأنعام وقرىء يوحى على البناء للفاعل وهو جواب عن اقتراحهم الإخبار عما لم يوح إليه عليه السلام من الغيوب وقيل عن استعمال المسلمين أن يتخلصوا عن أذى المشركين والأول هو الأوفق لقوله تعالى (وما أنا إلا نذير) أنذركم عقاب الله تعالى حسبا يوحى إلى (مبين) بين الإنذار بالمعجزات الباهرة (قل أرايتم إن كان) أى ما يوحى إلى من القرآن (من عند الله) لا سحراً ولا مفترى كما تزعمون وقوله تعالى (وكفرتهم به) حال بإضمار قد من الضمير فى الخبر وسطت بين أجزاء الشرط مسارعة إلى التسجيل عليهم بالكفر أو عطف على كان كما فى قوله تعالى قل أرايتم إن كان من عند الله ثم كفرتهم به لكن لا على أن نظمه فى سلك الشرط المتروك بين الوقوع وعدمه عنهم باعتبار حاله فى نفسه بل باعتبار حال المعطوف عليه عنهم فإن كفرهم به أمر محقق عنهم أيضاً وإنما ترددهم فى أن ذلك كفر بما من عند الله تعالى أم لا وكذا الحال فى قوله تعالى (وشهد شاهد من بنى إسرائيل) وما بعده من الفعلين فإن الكل أمور محققة عنهم وإنما ترددهم فى أنها شهادة وإيمان بما من عند الله تعالى واستكبار عنه أولاً والمعنى أخبروني إن كان ذلك فى الحقيقة من عند الله وكفرتهم به وشهد شاهد عظيم الشأن من بنى إسرائيل الواقفين على شئون الله تعالى وأسرار الوحي بما أوتوا من التوراة (على مثله) أى مثل القرآن من المعانى المنطوية فى التوراة المطابقة لما فى القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك فإنها عين ما فيه فى الحقيقة كما يعرب عنه قوله تعالى وإنه لى زبر الأولين وقوله تعالى إن هذا لى الصحف الأولى والمثلية باعتبار تأديتها بعبارات آخر أو على مثل ما ذكر من كونه من عند الله تعالى والمثلية لما ذكر وقيل المثل صلة والفاء فى قوله تعالى (فآمن) الدلالة على أنه سارع إلى الإيمان بالقرآن لما علم أنه من جنس الوحي الناطق بالحق وهو عبد الله بن سلام لما سمع بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه فنظر إلى وجهه الكريم فلم أنه ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق أنه النبي المنتظر فقال له إنى سأنالك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي ما أول أشراط الساعة وما أول طعام أكله أهل الجنة والولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه فقال عليه الصلاة والسلام أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب وأما طعام أهل الجنة فزيادة كبد حوت وأما الولد فإن سبق ماء الرجل نزع وإن سبق ماء المرأة نزعته فقال أشهد أنك رسول الله حقاً فقام ثم قال يا رسول الله إن اليهود قوم بهت فإن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم عنى بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي عليه الصلاة والسلام أى رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَمَسْكُونُونَ هَذَا
إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾

٤٦ الأحقاف

وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرِيبٍ لِّيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾

٤٦ الأحقاف

وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وأعلننا وابن أعلننا قال رأيتم إن أسلم عبد الله قالوا أعاده الله من ذلك فخرج إليهم عبد الله فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانه قصوه قال هذا ما كنت أخاف يا رسول الله وأحذر قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ماسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله ابن سلام وفيه نزل وشهد شاهد الآية وقيل الشاهد موسى عليه السلام وشهادته بما في التوراة من بعثة النبي عليهما الصلاة والسلام وبه قال الشعبي وقال مسروق والله ما نزلت في عبد الله بن سلام فإن آل حم نزلت بمكة وإنما أسلم عبد الله بالمدينة وأجاب الكلبي بأن الآية مدنية وإن كانت السورة مكية (واستكبرتم) عطف على شهد شاهد وجواب الشرط محذوف والمعنى أخبروني إن كان من عند الله * تعالى وشهد على ذلك أعلم بني إسرائيل فأمن به من غير تلثم واستكبرتم عن الإيمان به بعد هذه المرتبة من أضل منكم بقرينة قوله تعالى قل رأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد وقوله تعالى (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) فإن عدم الهداية بما ينبي عن الضلال قطعاً ووصفهم بالظلم للإشعار بعلّة الحكم فإن تركه تعالى لهدايتهم لظلمهم (وقال الذين كفروا) حكاية لبعض آخر ١١ من أفاوليهم الباطلة في حق القرآن العظيم والمؤمنين به أي قال كفار مكة (الذين آمنوا) أي لأجلهم (لو كان) أي ما جاء به عليه الصلاة والسلام من القرآن والدين (خيراً ما سبقونا إليه) فإن معالي الأمور لا ينافها أيدي الأراذل وهم سقاط عامتهم فقراء وموال ورعاة قالوه زعماً منهم أن الرياسة الدينية بما ينال بأسباب نبوية كما قالوا ولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وزل عنهم أنهم منوطه بكالات نفسانية قوم ملكات روحانية مبناها الإعراض عن زخازف الدنيا الدينية والإقبال على الآخرة بالكلية وأن من فاز بها فقد حازها بجزايرها ومن حرّمها فماله منها من خلاق وقيل قاله بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع لما أسلم جهينة ومزينة وأسلم وغفار وقيل قالته اليهود حين أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه ويأباه أن السورة مكية ولا بد حينئذ من الالتجاء إلى ادعاء أن الآية نزلت بالمدينة (وإذا لم يهتدوا به) ظرف لمحذوف * يدل عليه ما قبله ويترتب عليه ما بعده أي وإذا لم يهتدوا بالقرآن قالوا ما قالوا (فسيقولون) غير مكتفين بنبي خيريته (هذا إفك قديم) كما قالوا أساطير الأولين وقيل المحذوف ظهر عنادهم وليس بذلك (ومن) ١٢ قبله (أي من قبل القرآن وهو خبر لقوله تعالى (كتاب موسى) قيل والجملة حالية أو مستأنفة وأياً *

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ ٤٦ الأحقاف

أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ٤٦ الأحقاف

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلَحَ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾

٤٦ الأحقاف

المسلمين ﴿١٥﴾

- ما كان فهو لرد قولهم هذا إلفك قديم وإبطاله فإن كونه مصدقاً لكتاب موسى مقرر لحقيقته قطعاً
- * (إماماً ورحمة) حالان من كتاب موسى أى إماماً يقتدى به فى دين الله تعالى وشرائعه كما يقتدى
 - * بالإمام ورحمة من الله تعالى لمن آمن به وعمل بموجبه (وهذا) الذى يقولون فى حقه ما يقولون (كتاب)
 - * عظيم الشأن (مصدق) أى لكتاب موسى الذى هو إمام ورحمة أو لما من بين يديه من جميع الكتب
 - * الإلهية وقد قرئ كذلك (لساناً عربياً) حال من ضمير الكتاب فى مصدق أو من نفسه لتخصصه
 - * بالصفة وعاملها معنى الإشارة وعلى الأول مصدق وقيل مفعول لمصدق أى يصدق هذا لسان عربى (لينذر
 - الذين ظلموا) متعلق بمصدق وفيه ضمير الكتاب أو الله أو الرسول عليه الصلاة والسلام ويؤيد الأخير
 - * القراءة ببناء الخطاب (وبشرى للحسنين) فى حيز النصب عطفاً على محل لينذر وقيل فى محل الرفع
 - ١٣ على أنه خبر مبتدأ مضمرة أى وبشرى وقيل على أنه عطف على مصدق (إن الذين قالوا ربنا الله ثم
 - استقاموا) أى جمعوا بين التوحيد الذى هو خلاصة العلم والاستقامة فى أمور الدين التى هى منتهى
 - * العمل وشم للدلالة على تراخى رتبة العمل وتوقف الاعتداد به على التوحيد (فلا خوف عليهم) من
 - * لحوق مكروه (ولا هم يحزنون) من فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط والمراد بيان
 - ١٤ دوام نفي الحزن لا بيان نفي دوام الحزن كما يوهمه كون الخبر مضارعاً وقد مر بيانه مراراً (أولئك)
 - * الموصوفون بما ذكر من الوصفين الجليلين (أصحاب الجنة خالدين فيها) حال من المستكن فى أصحاب
 - * وقوله تعالى (جزاء) منصوب إما بعامل مقدر أى يحزون جزاء أو بمعنى ما تقدم فإن قوله تعالى أولئك
 - ١٥ أصحاب الجنة فى معنى جازيناهم (بما كانوا يعملون) من الحسنات العلمية والعملية (ووصينا الإنسان)
 - * بأن يحسن (بوالديه إحساناً) وقرئ حسناً أى بأن يفعل بهما حسناً أى فعلاً ذا حسن أو كأنه
 - فى ذاته نفس الحسن لفرط حسنه وقرئ بضم السين أيضاً وبفتحهما أى بأن يفعل بهما فعلاً حسناً
 - * أو وصيناه إيصاء حسناً (حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً) أى ذات كره أو حملاً ذا كره وهو المشقة
 - * وقرئ بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر (وحمله وفصاله) أى
 - مدة حمله وفصاله وهو الفطام وقرئ وفصله والفصل والفصال كالفطم والفطام ببناء ومعنى والمراد

أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾

٤٦ الأحقاف

وَالَّذِي قَالَ لَوْلَا إِلَهُي لَنَادَيْتُ بِمَدَدِ اللَّهِ قَدْ خَلَتْ أَلْقُورُنُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَنْبِغَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنٌ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾

٤٦ الأحقاف

- به الرضاع التام المنتهى به كما أراد بالآمد المدة من قال [كل حتى مستكمل مدة العمر ومود إذا انتهى أمده] (ثلاثون شهراً) تمضى عليها بمعاونة المشاق ومقاساة الشدائد لأجله وهذا دليل على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لما أنه إذا حط عنه للفصال حولان لقوله تعالى حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة يبقى للحمل ذلك قيل ولعل تعيين أقل مدة الحمل وأكثر مدة الرضاع لانهضاطهما وتحقق ارتباط النسب والرضاع بهما (حتى إذا بلغ أشده) أى اكتهل واستحكم قوته وعقله (وبلغ أربعين سنة) قيل لم يبعث نبي قبل أربعين وقرىء حتى إذا استوى وبلغ أشده (قال رب أوزعنى) أى ألهمنى وأصله أولعنى من أوزعته بكذا (أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى) أى نعمة الدين أو ما يعمها وغيرها (وأن أعمل صالحاً ترضاه) التذكير للتفخيم والتكثير (وأصلح لى فى ذرىتي) أى واجعل الصلاح سارياً فى ذرىتي راسخاً فيهم كما فى قوله [يجرح فى عراقيبها نصلى] قال ابن عباس أجاب الله تعالى دعاء أبى بكر رضى الله عنهم فأعتق تسعة من المؤمنين منهم بلال وعامر بن فهيرة ولم يرد شيئاً من الخير إلا أعانه الله تعالى عليه ودعا أيضاً فقال وأصلح لى فى ذرىتي فأجابه الله عز وجل فلم يكن له ولد إلا آمنوا جميعاً فاجتمع له إسلام أبويه وأولاده جميعاً فأدرك أبوه أبو قحافة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنه عبد الرحمن بن أبى بكر وابن عبد الرحمن أبو عتيق كلهم أدركوا النبي عليه الصلاة والسلام ولم يكن ذلك لأحد من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين (إنى تبت إليك) عما لا ترضاه أو عما يشغلنى عن ذكرك (وإنى من المسلمين) الذين أخلصوا لك أنفسهم (أولئك) إشارة إلى الإنسان والجمع لأن ١٦ المراد به الجنس المتصف بالوصف المحكى عنه وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلور تبتة وبعد منزلته أى أولئك المنعوتون بما ذكر من النعوت الجليلة (الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا) من الطاعات فإن المباح حسن ولا يثاب عليه (وتجاوز عن سيئاتهم) وقرىء الفعلان بالياء على إسنادهما إلى الله تعالى وعلى بنائهما للفعول ورفع أحسن على أنه قائم مقام الفاعل وكذا الجار والمجرور (فى أصحاب الجنة) أى كائنين فى عدادهم منتظمين فى سلكهم (وعد الصدق) مصدر مؤكد لما أن قوله تعالى نتقبل وتجاوز وعد من الله تعالى لهم بالتقبل والتجاوز (الذى كانوا يوعدون) على السنة الرسل (والذى قال لوالديه) عند دعوتهما له إلى الإيمان (أف لكما) هو صوت يصدر عن المرء عند تضجره ١٧ واللام لبيان المؤفف له كما فى هيت لك وقرىء أف بالفتح والكسر بغير تنوين وبالحرركات الثلاث مع التنوين والموصول عبارة عن الجنس القائل ذلك القول ولذلك أخبر عنه بالجمع كسابق قيل هو

أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾

٤٦ الأحقاف

وَلِكُلِّ دَرَجَتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفِّيَهُمْ أَعْمَلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾

٤٦ الأحقاف

وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ٤٦ الأحقاف

- في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه وماروى من أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما قبل إسلامه يردعه ماسياتي من قوله تعالى أولئك الذين حق عليهم القول الآية فإنه كان من أفاضل المسلمين وسرواتهم وقد كذبت الصديقة رضي الله عنها من قال ذلك (أتعدانني أن أخرج) أبعث من القبر بعد الموت وقرىء أخرج من الخروج (وقد خلت القرون من قبلي) ولم يبعث منهم أحد (وهما يستغيثان الله) يسألانه أن يغيثه ويوفقه للإيمان (وبالك) أي قائلين له وبالك وهو في الأصل دعاء عليه بالشور أريد به الحث والتحريض على الإيمان لاحقيقة الهلاك (آمن إن وعد الله حق) أي البعث أضافا إليه تعالى تحقيقاً للحق وتنبهاً على خطئه في إسناد الوعد إليهما وقرىء أن وعد الله أي آمن بأن وعد الله حق (فيقول) مكذباً لهما (ما هذا) الذي تسميانه وعد الله (إلا أساطير الأولين) أباطيلهم التي سطروها في الكتب من غير أن يكون لها حقيقة (أولئك) القائلون هذه المقالات (الذين حق عليهم القول) وهو قوله تعالى لا إبليس لأملأن جهم منك وعن تبعك منهم أجمعين كما ينبغي عنه قوله تعالى (في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس) وقد مر تفسيره في سورة ألم السجدة (لأنهم) جميعاً (كانوا خاسرين) قد ضيعوا فطرتهم الأصلية الجارية بحري رؤس أموالهم باتباعهم الشيطان والجملة تعليل للحكم بطريق الاستئناف التحقيق (ولكل) من الفريقين المذكورين (درجات مما عملوا) مراتب من أجزية ما عملوا من الخير والشر والدرجات غالبية في مراتب المثوبة وإيرادها بطريق التغليب (وليوفيهم أعمالهم) أي أجزية أعمالهم وقرىء بنون العظمة (وهم لا يظلمون) بنقص ثواب الأولين وزيادة عقاب الآخرين والجملة إما حال مؤكدة للتوفية أو استئناف مقرر لها واللام متعلقة بمحذوف مؤخر كأنه قيل وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم ٢٠ فعل مافعل من تقدير الأجزية على مقادير أعمالهم فجعل الثواب والعقاب دركات (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) أي يعذبون بها من قولهم عرض الأسارى على السيف أي قتلوا وقيل يعرض النار عليهم بطريق القلب مبالغة (أذهبتم طيباتكم) أي يقال لهم ذلك وهو الناصب للطرف وقرىء أذهبتم بهمزين وبالف بينهما على الاستفهام التويخي أي أصبتم أو أخذتم ما كتب لكم من حظوظ الدنيا ولذا أذهبها (في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) فلم يبق لكم بعد ذلك شيء منها (فالיום تجزون عذاب

وَإِذْ كُرِّهْنَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾

٤٦ الأحقاف

قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾

قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرِيتُكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾

٤٦ الأحقاف

فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمِطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾

٤٦ الأحقاف

- (الهون) أى الهوان وقد قرئ كذلك (بما كنتم) فى الدنيا (تستكبرون فى الأرض بغير الحق) •
- بغير استحقاق لذلك (وبما كنتم تفسقون) أى تخرجون عن طاعة الله عز وجل أى بسبب استكباركم •
- وفسقكم المستمرين وقرئ تفسقون بكسر السين (واذكر) أى لكتنار مكة (أخاعد) أى هوداً عليه ٢١ السلام (إذ أنذر قومه) بدل اشتغال منه أى وقت إنذاره لإيائهم (بالأحقاف) جمع حقف وهو رمل •
- مستطيل مرتفع فيه إنحناء من أحقوق الشيء إذا اعوج وكانت عاد أصحاب عمد يسكنون بين رمال •
- مشرفة على البحر بأرض يقال لها الشجر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة (وقد خلت النذر) أى •
- الرسل جمع نذير بمعنى المنذر (من بين يديه) أى من قبله (ومن خلفه) أى من بعده والجملة اعتراض •
- مقرر لما قبله مؤكداً لوجوب العمل بموجب الإنذار وسط بين أنذر قومه وبين قوله (أن لا تعبدوا •
- إلا الله) مسارعة إلى ما ذكر من التقرير والتأكيد وإيداناً بأشراكهم فى العبادة المحكية والمعنى واذكر •
- لقومك إنذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه •
- قومه مثل ذلك فاذا كرمهم وأما جعلها حالاً من فاعل أنذر على معنى أنه عليه الصلاة والسلام أنذرهم وقال •
- لهم لا تعبدوا إلا الله (إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) وقد أعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين •
- سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو إنذاره فع ما فيه من تكلف تقدير الأعلام لا بدنى نسبة الخلو إلى من •
- بعده من الرسل من تنزيل الآتى منزلة الخالى (قالوا أجئتنا لتأفكنا) أى تصرفنا (عن آلهتنا) عن ٢٢ •
- عبادتها (فأتتنا بما تعدنا) من العذاب العظيم (إن كنت من الصادقين) فى وعدك بنزوله بنا (قال إنما ٢٣ •
- العلم) أى بوقت نزوله أو العلم بجميع الأشياء التى من جملتها ذلك (عند الله) وحده لا علم لى بوقت •
- نزوله ولا مدخل لى فى إتيانه وحلوله وإنما عليه عند الله تعالى فيأتىكم به فى وقته المقدر له (وأبلغكم •
- ما أرسلت به) من مواجب الرسالة التى من جملتها بيان نزول العذاب إن لم تنتهوا عن الشرك من غير •
- وقوف على وقت نزوله وقرئ أبلغكم من الإبلاغ (ولكننى أراكم قوماً تجهلون) حيث تقترحون •
- على ما ليس من وظائف الرسل من الإتيان بالعذاب وتعيين وقته والفاء فى قوله تعالى (فلما رآوه) فصيحة ٢٤ •

تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَاصْبَحُوا لَا يَرَى إِلَّا مَسَكِنَهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ٤٦: الأحقاف
 وَلَقَدْ مَكَنَّاهُمْ فِيْمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْعِدَّةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ
 سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْعِدَّتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ
 يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ ٤٦: الأحقاف

- * والضمير إما مبهم يوضحه قوله تعالى (عارضاً) إما تمييزاً أو حالاً أو راجع إلى ما استعجلوه بقولهم فأتتنا
- * بما تعدنا أي فأتاهم فلما رأوه سحاباً يعرض في أفق السماء (مستقبل أوديتهم) أي متوجه أوديتهم والإضافة
- * فيه لفظية كما في قوله تعالى (قالوا هذا عارض ممطرنا) ولذلك وقعا وصفين للنكرة (بل هو) أي قال
- * هود وقد قرىء كذلك وقرىء قل وهو رد عليهم أي ليس الأمر كذلك بل هو (ما استعجلتم به) من
- ٢٥ العذاب (ريح) بدل من ما أو خبر لمبتدأ محذوف (فيها عذاب أليم) صفة لريح وكذا قوله تعالى (تدمر)
- * أي تهلك (كل شيء) من نفوسهم وأموالهم (بأمر ربها) وقرىء يدمر كل شيء من دمر دماراً إذا
- هلك فالعائد إلى الموصوف محذوف أو هو الهاء في ربها ويجوز أن يكون استثناءً وارداً لبيان أن
- لكل ممكن فناء مقضياً منوطاً بأمر بارئه وتكون الهاء لكل شيء لكونه بمعنى الأشياء وفي ذكر
- الأمر والرب والإضافة إلى الريح من الدلالة على عظمة شأنه عز وجل ما لا يخفى والفاء في قوله تعالى
- * (فاصبحوا لا يرى إلا مساكنهم) فصيحة أي فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لا يرى إلا مساكنهم
- وقرىء ترى بالتاء ونصب مساكنهم خطاباً لكل أحد يتأتى منه الرؤية تنبيهاً على أن حالهم بحيث
- * لو حضر كل أحد بلادهم لا يرى فيها إلا مساكنهم (كذلك) أي مثل ذلك الجزاء القطيع (نجزي القوم
- المجرمين) وقد مر تفصيل القصة في سورة الأعراف وقد روى أن الريح كانت تحمل الفساطط والظاهينة
- فترفعها في الجو حتى ترى كأنها جردة قيل أول من أبصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحاً فيها
- كشهب النار وروى أن أول ما عرفوا به أنه عذاب مارأوا ما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم
- تطير بها الريح بين السماء والأرض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم
- فأمال الله تعالى الأحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم
- فطرحتهم في البحر وروى أن هوداً عليه السلام لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطأ
- إلى جنب عين تنبع وعن ابن عباس رضى الله عنهما اعتزل هود ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح
- إلا ما يلين على الجلود وتلذه الأنفس وإنما تمر من عاد بالظعن بين السماء والأرض وتدمنهم بالحجارة
- ٢٦ (ولقد مكناهم) أي قررنا عاداً أو أقدرناهم وما في قوله تعالى (فيما إن مكناكم فيه) موصولة أو موصوفة
- ولمن نافية أي في الذي أو في شيء مامكناكم فيه من السعة والبسطة وطول الأعمار وسائر مبادئ التصرفات
- كما في قوله تعالى ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وما يحسن

وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِّنَ الْقَرْيِ وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ ٤٦ الأحقاف

فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلَّ ضُلُوعُهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا

٤٦ الأحقاف

يَقْتَرُونَ ﴿٢٨﴾

- موقع إن ههنا التفصي عن تكرار لفظة ما وهو الداعي إلى قلب ألفها هاء في مهمما وجعلها شرطية أو زائدة بما لا يليق بالمقام (وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة) ليستعملوها فيما خلقت له ويعرفوا بكل منها ما ينطت به معرفته من فنون النعم ويستدلوا بها على شؤن منعها عز وجل ويداووا على شكره (فما أغنى عنهم سمعهم) حيث لم يستعملوه في استماع الوحي ومواعظ الرسل (ولا أبصارهم) حيث لم يحتلوا بها الآيات التكوينية المنصوبة في صحائف العلم (ولا أفئدتهم) حيث لم يستعملوها في معرفة الله تعالى (من شيء) أي شيئاً من الإغناء ومن مزينة للتأكيد وقوله تعالى (إذ كانوا يمحذون بآيات الله) متعلق بما أغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث إن الحكم مرتب على ما أضيف إليه فإن قولك أكرمه إذ أكرمني في قوة قولك أكرمه لإكرامه إذا أكرمته وقت إكرامه فإنما أكرمته فيه لوجود إكرامه فيه كذا الحال في حيث (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) من العذاب الذي كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء ويقولون فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين (ولقد أهلكنا ما حولكم) ٢٧
- يأهل مكة (من القرى) كحجر ثمود وقرى قوم لوط (وصرفنا الآيات) كررناها لهم (لعلهم يرجعون) ٢٨
- لكي يرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهة) ٢٨
- القربان ما يتقرب به إلى الله تعالى وأحد مفعولي اتخذوا ضمير الموصول المحذوف والثاني آلهة وقرباناً حال والتقدير فهلا نصرهم وخلصهم من العذاب الذين اتخذوهم آلهة حال كونها متقرباً بها إلى الله تعالى حيث كانوا يقولون ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله وفيه تهكم بهم ولا مساغ لجعل قرباناً مفعولاً ثانياً آلهة بدلاً منه لفساد المعنى فإن البدل وإن كان هو المقصود لكنه لا بد في غير بدل الغلط من صحة المعنى بدونه ولا ريب في أن قولنا اتخذوهم من دون الله قرباناً أي متقرباً به مالا صحة له قطعاً لأنه تعالى متقرب إليه لا متقرب به فلا يصح أنهم اتخذوهم قرباناً متجاوزين الله في ذلك وقرى قرباناً بضم الراء (بل ضلوا عنهم) أي غابوا عنهم وفيه تهكم آخر بهم كأن عدم نصرهم لغيبهم أو ضاعوا عنهم أي ظهر ضياعهم عنهم بالسكينة وقيل امتنع نصرهم امتناع نصر الغائب عن المنصور (وذلك) أي ضياع آلهتهم عنهم وامتناع نصرهم (إفكهم) أي إثر إفكهم الذي هو اتخاذهم إياها آلهة ونتيجة شركهم وقرى إفكهم وكلاهما مصدر كالخذر والحذر وقرى إفكهم على صيغة الماضي فذلك إشارة حينئذ إلى اتخاذ أي وذلك اتخاذ الذي هو ثمرته وعاقبته صرفهم عن الحق وقرى إفكهم بالتشديد للبالغة وآفكهم من الأفعال أي جعلهم آفكين وقرى آفكهم على صيغة اسم الفاعل مضافاً إلى ضميرهم أي قولهم الإفك كما يقال قول كاذب (وما كانوا يفترون) عطف على

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾

٤٦ الأحقاف

قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ

٤٦ الأحقاف

طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾

٢٩ إفكهم أى وأثر افتراءهم على الله أو أثر ما كانوا يفترونه عليه تعالى وقرىء وذلك إفك كما كانوا يفترون أى بعض ما كانوا يفترون من الإفك (وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن) أملناهم إليك وأقبلنا بهم نحوك وقرىء صرفنا بالتشديد للتكثير لأنهم جماعة وهو السرف في جمع الضمير في قوله تعالى (يستمعون القرآن) وما بعده وهو حال مقدرة من نفرًا لتخصيصه بالصفة أو صفة أخرى له أى واذكر لقومك وقت صرفنا إليك نفرًا كائنًا من الجن مقدراً استماعهم القرآن (فلما حضروه) أى القرآن عند تلاوته أو الرسول عند تلاوته له على الالتفات والاول هو الأظهر (قالوا) أى قال بعضهم لبعض (أنصتوا) أى استكنوا لنسمعه (فلما قضى) أتم وفرغ عن تلاوته وقرىء على البناء للفاعل وهو ضمير الرسول عليه الصلاة والسلام وهذا يؤيد ضمير حضروه إليه عليه الصلاة والسلام (ولوا إلى قومهم منذرين) مقدرين لإنذارهم عند رجوعهم إليهم . روى أن الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجوا بالشهب قالوا ما هذا إلا لنبا حدث فنفض سبعة نفر أو ستة نفر من أشراف جن نصيدين أو ينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا اتهامه ثم اندفعوا إلى وادى نخلة فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلى أو في صلاة الفجر فاستمعوا لقراءته وذلك عند منصرفه من الطائف وعن سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم وإنما كان يتلو في صلاته فروابه فوقوا مستمعين وهو لا يشعر بهم فأنباه الله تعالى باستماعهم وقيل بل أمره الله تعالى أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف إليه نفرًا منهم جمعهم له فقال عليه الصلاة والسلام إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فن يتبعني قالوا ثلاثاً فأطرقوا إلا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة في شعب الجحون خط لي خطأ فقال لا تخرج منه حتى أعود إليك ثم افتتح القرآن وسمعت لفظاً شديداً حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته عليه الصلاة والسلام ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت شيئاً قلت نعم رجالاً سوداً مستشعري ثياب بيض فقال أولئك جن نصيدين وكانوا إثنى عشر ألفاً والسورة التي قرأها عليهم اقرأ باسم ربك (قالوا) أى عند رجوعهم إلى قومهم (يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى) قيل قالوه لأنهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الجن لم تمكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام (مصدقاً لما بين يديه) أرادوا به التوراة (يهدى إلى الحق) من العقائد الصحيحة (وإلى طريق مستقيم) موصل إليه وهو الشرائع والأعمال الصالحة

يَقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ، يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ ٤٦ الأحقاف
وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٢﴾ ٤٦ الأحقاف

أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَكُنْ يَخْلُقْهُنَّ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُخَيِّتَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ ٤٦ الأحقاف

- (يا قومنا أجيئوا داعي الله وآمنوا به) أرادوا به ما سمعوه من الكتاب وصفوه بالدعوة إلى الله تعالى ٣١ بعدما وصفوه بالهداية إلى الحق والصراط المستقيم لتلازم مادعوم إلى ذلك بعد بيان حقيقته واستقامته ترغيباً لهم في الإجابة ثم أكدوه بقولهم (يغفر لكم من ذنوبكم) أى بعض ذنوبكم وهو ما كان فى * خالص حق الله تعالى فإن حقوق العباد لا تغفر بالإيمان (ويجركم من عذاب أليم) معدل للكفرة واختلف * فى أن لهم أجراً غير هذا أولاً والأظهر أنهم فى حكم بنى آدم ثواباً وعقاباً وقوله تعالى (ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز فى الأرض) لإيجاب للإجابة بطريق الترهيب لإثر إيجابها بطريق الترغيب وتحقيق لكونهم منذرين وإظهار داعي الله من غير اكتماء بأحد الضميرين للبالغة فى الإيجاب بزيادة التقرير وتربية المهابة وإدخال الروعة وتقييد الإعجاز بكونه فى الأرض لتوسيع الدائرة أى فليس بمعجز له تعالى بالهرب وإن هرب كل مهرب من أقطارها أو دخل فى أعماقها وقوله تعالى (وليس له من دونه أولياء) بيان لاستحالة نجاته بواسطة الغير لإثر بيان استحالة نجاته بنفسه وجع الأولياء باعتبار معنى من فيكون من باب مقابلة الجمع بالجمع لانقسام الأحاد إلى الأحاد كما أن الجمع فى قوله تعالى (أولئك) * بذلك الاعتبار أى أولئك الموصوفون بعدم إجابة داعي الله (فى ضلال مبين) أى ظاهر كونه ضلالاً بحيث لا يخفى على أحد أعرضوا عن إجابة من هذا شأنه (أولم يروا) الهمزة للإنكار والواو للعطف ٣٣ على مقدر يستدعيه المقام والرؤية قلبية أى ألم يتفكروا ولم يعلموا علماً جازماً متاخماً للمشاهدة والعيان (أن الله الذى خلق السموات والأرض) ابتداء من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه (ولم يعي بخلقهن) أى لم يتعب ولم ينصب بذلك أصلاً أو لم يعجز عنه يقال عييت بالأمر إذا لم يعرف وجهه * وقوله تعالى (بقادر) فى حيز الرفع لأنه خبر إن كما ينبىء عنه القراءة بغير باء ووجه دخولها فى القراءة الأولى اشتغال النون الوارد فى صدر الآية على أن وما فى حيزها كأنه قيل أو ليس الله بقادر (على أن يحيى الموتى) ولذلك أجب عنه بقوله تعالى (بلى إنه على كل شىء قدير) تقريراً للقدر على وجه عام * يكون كالبرهان على المقصود .

وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾

٤٦ الأحقاف

فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ فَبَلَغَ فُهَلْ بِهَلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾

٤٦ الأحقاف

٣٤ (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) ظرف عامله قول مضمهر مقوله (أليس هذا بالحق) على أن الإشارة إلى ما يشاهدونه حينئذ من حيث هو من غير أن يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتأنيته إذ هو اللائق بتحويله وتفخيمه وقد مر في سورة الأحزاب وقيل هي إلى العذاب وفيه تهكم بهم وتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين (قالوا بلى وربنا) أكد جوابهم بالقسم كأنهم يطعمون في الخلاص بالاعتراف بحقيقتها كما في الدنيا وأني لهم ذلك (قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) بها في الدنيا ومعنى الأمر الإهانة بهم والتوبيخ لهم والفاء في قوله تعالى (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) جواب شرط محذوف أي إذا كان عاقبة أمر الكفرة ما ذكر فاصبر على ما يصيبك من جهنهم كما صبر أولو الثبات والحزم من الرسل فإنك من جملتهم بل من عليتهم ومن للتبيين والمراد بأولى العزم أصحاب الشرائع الذين اجتهدوا في تأسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وقيل هم الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على أذية قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وإبراهيم صبر على النار وعلى ذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على الحب والسجن وأيوب على الضر وموسى قال له قومه إنا لم نذكر كون قال كلا إن معي ربي سيهدين ودأود بكى على خطيئته أربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة صلوات الله تعالى عليهم أجمعين (ولا تستعجل لهم) أي لكفار مكة بالعذاب فإنه على شرف النزول بهم (كأنهم يوم يرون ما يوعدون) من العذاب (لم يلبثوا) في الدنيا (إلا ساعة) يسيرة (من نهار) لما يشاهدون من شدة العذاب وطول مدته وقوله تعالى (بلاغ) خبر مبتدأ محذوف أي هذا الذي وعظمت به كفاية في الموعظة أو تبليغ من الرسول ويؤيده أنه قرىء بلغ وقرىء بلاغا أي بلغوا بلاغا (فهل يهلك إلا القوم الفاسقون) أي الخارجون عن الاعتنا به أو عن الطاعة وقرىء بفتح الياء وكسر اللام وبفتحهما من هلك وهلك وبنون العظمة من الإهلاك ونصب القوم ووصفه . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رمة في الدنيا .

٤٧ - سورة محمد صلى الله عليه وسلم
(مكية وآياتها ثمان وثلاثون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَ عَنْهُمْ
سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾
ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ
اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴿٣﴾

(سورة محمد صلى الله عليه وسلم وتسمى سورة القتال وهي مدنية وقيل مكية وآياتها ثمان وثلاثون)
(بسم الله الرحمن الرحيم) (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) أى أعرضوا عن الإسلام ١
وسلوك طريقه من صد صدوداً أو منعوا الناس عن ذلك من صده صدأ كالمطعمين يوم بدر وقيل هم
إثنا عشر رجلاً من أهل الشرك كانوا يصدون الناس عن الإسلام ويأمرونهم بالكفر وقيل أهل
الكتاب الذين كفروا وصدوا من أراد منهم ومن غيرهم أن يدخل في الإسلام وقيل هو عام في كل
من كفر وصد (أضل أعمالهم) أى أبطلها وأحبطها وجعلها ضائعة لا أثر لها أصلاً لكن لا بمعنى أنه
أبطلها وأحبطها بعد أن لم تكن كذلك بل بمعنى أنه حكم ببطلانها وضياعها فإن ما كانوا يعملون من
أعمال البر كصلة الأرحام وقرى الأضياف وفك الأسارى وغيرها من المكارم ليس لها أثر من أصلها
لعدم مقارنتها للإيمان أو أبطل ماعملوا من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيله بنصر
رسوله وإظهار دينه على الدين كله وهو الأوفق لما سيأتى قوله تعالى فتعساً لهم وأضل أعمالهم وقوله
فإذا لقيتم الخ (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) قيل هم ناس من قريش وقبل من الأنصار وقيل هم ٢
مؤمنوا أهل الكتاب وقيل عام للكل (وآمنوا بما نزل على محمد) خص بالذكر الإيمان بذلك مع
اندراجها فيما قبله تنويهاً بشأنه وتنبهاً على سمو مكانه من بين سائر ما يجب الإيمان به وأنه الأصل في
الكل ولذلك أكد بقوله تعالى (وهو الحق من ربهم) بطريق حصر الحقيقة فيه وقيل حقيقته بكونه
ناسخاً غير منسوخ فالحق على هذا مقابل الزائل وعلى الأول مقابل الباطل وأياً ما كان فقوله تعالى
من ربهم حال من ضمير الحق وقرىء نزل على البناء للفاعل وأنزل على البناء من نزل بالتخفيف (كفر
عنهم سيئاتهم) أى سترها بالإيمان والعمل الصالح (وأصلح بالهم) أى حال في الدين والدنيا بالتأييد
والتوفيق (ذلك) إشارة إلى ما مر من إضلال الأعمال وتكفير السيئات وإصلاح البال وهو مبتدأ ٣

فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَخَسَّسْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآتَتْصَرِّ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ

بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤٧﴾

٤٧

- خبره قوله تعالى (بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) أى ذلك كائن بسبب أن الأولين اتبعوا الشيطان كما قاله مجاهد ففعلوا ما فعلوا من الكفر والصدفیان بسبب اتباعه للإضلال المذكور متضمن لبيان سيئتهما له لكونه أصلاً مستتباً لهما قطعاً وبسبب أن الآخرين اتبعوا الحق الذى لا يحيد عنه كائناتاً من ربهم ففعلوا ما فعلوا من الإيمان به وبكتابه ومن الأعمال الصالحة فيبيان سببية اتباعه لما ذكر من التكفير والإصلاح بعد الإشعار بسببية الإيمان والعمل الصالح له متضمن لبيان سيئتهما له لكونه مبدأً أو منشأً لهما احتمالاً فلا تدافع بين الإشعار والتصريح فى شيء من الموضعين ويجوز أن يحمل الباطل ما يتأهل الحق وهو الزائل الذاهب الذى لا أصل له أصلاً فالصريح بسببية اتباعه لإضلال أعمالهم وإبطالها لبيان أن إبطالها لبطلان مبناها وزواله وأما حمله على ما لا ينتفع به فليس كما ينبغي لما أن الكفر والصد أخش منه فلا وجه للتصريح بسببيته لما ذكر من إضلال أعمالهم بطريق القصر بعد الإشعار بسببيتهما له فتدبر ويجوز أن يراد بالباطل نفس الكفر والصد وبالحق نفس الإيمان والأعمال الصالحة فيكون التنصيص على سيئتهما لما ذكر من الإضلال ومن التكفير والإصلاح
- تصريحاً بالسببية المشعر بها فى الموقعين (كذلك) أى مثل ذلك الضرب البديع (يضرب الله) أى يبين (للناس أمثالهم) أى أحوال الفريقين وأوصافهما الجارية فى العرابة مجرى الأمثال وهى اتباع الأولين
- الباطل وخيبتهم وخسرانهم واتباع الآخرين الحق وفوزهم وفلاحهم والفاء فى قوله تعالى (فإذا لقيتم الذين كفروا) لترتيب ما فى حينها من الأمر على ما قبلها فإن ضلال أعمال الكفرة وخيبتهم وصلاح أحوال المؤمنين وفلاحهم مما يوجب أن يرتب على كل من الجانبين ما يليق من الأحكام أى فإذا كان الأمر كما ذكر فإذا لقيتموهم فى المحاربة (فضرب الرقاب) أصله فاضربوا الرقاب ضرباً تخفف الفعل وقدم المصدر وأنيب منابه مضافاً إلى المفعول وفيه اختصار وتأکید بليغ والتعبير به عن القتل تصوير له بأشنع صورة وتهويل لأمره وإرشاد للغزاة إلى أيسر ما يكون منه (حتى إذا أتخستموهم) أى أكثرتم قتلهم وأغلظتموه من الشيء الثخين وهو الغليظ أو أنقلتموهم بالقتل والجراح حتى أذهبتم عنهم النهوض
- (فشدوا الوثاق) فأسروهم واحفظوهم والوثاق اسم لما يوثق به وكذا الوثاق بالكسر وقد قرئ بذلك (فإما مناً بعد وإما فداء) أى فإما تمنون مناً بعد ذلك أو تفدون فداء والمعنى التخيير بين القتل والاسترقاق والمن والفداء وهذا ثابت عند الشافعى رحمه الله تعالى وعندنا منسوخ قالوا نزل ذلك يوم بدر ثم نسخ والحكم إما القتل أو الاسترقاق وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء إنما هو الإسلام أو ضرب العنق وقرئ فداكمصا (حتى تضع الحرب أوزارها) أوزار الحرب آلاتها وأثقالها التى

- سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ ٤٧ هـ
 وَيُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ ﴿٦﴾ ٤٧ هـ
 يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ٤٧ هـ
 وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ ﴿٨﴾ ٤٧ هـ
 ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ ٤٧ هـ

لا تقوم إلا بها من السلاح والكراع وأسند وضعها إليها وهو لأهلها إسناداً مجازياً وحتى غاية عند الشافعي لأحد الأمور الأربعة أو للجموع والمعنى أنهم لا يزالون على ذلك أبداً إلى أن لا يكون مع المشركين حرب بأن لا تبقى لهم شوكة وقيل بأن ينزل عيسى عليه السلام وأما عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى فإن حمل الحرب على حرب بدر فهي غاية للين والفداء والمعنى يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر أوزارها وإن حملت على الجنس فهي غاية للضرب والشدة والمعنى أنهم يقتلون ويؤسرون حتى يضع جنس الحرب أوزارها بأن لا يبقى للمشركين شوكة وقيل أوزارها آثامها أى حتى يترك المشركون شركهم ومعاصيهم بأن أسلوا (ذلك) أى الأمر ذلك أو افعلوا ذلك (ولو يشاء الله لاتنصر منهم) لاتتقم منهم ببعض أسباب الهلكة والاستئصال (ولكن) لم يشأ ذلك (ليبلو بعضهم ببعض) * فأمركم بالقتال وبلاكم بالكافرين لتجاهدوهم فتستوجيوا الثواب العظيم بموجب الوعد والكافرين بكم ليعاجلهم على أيديكم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر (والذين قتلوا فى سبيل الله) أى * استشهدوا وقرىء قاتلوا أى جاهدوا وقتلوا وقتلوا (فلن يضل أعمالهم) أى فلن يضيعها وقرىء يضل أعمالهم على البناء للفعول ويضل أعمالهم من ضل وعن قتادة أنها زلت فى يوم أحد (سيهديهم) فى الدنيا إلى أرشد الأمور وفى الآخرة إلى الثواب أو سيثبت هدايتهم (ويصلح بالهم) (ويدخلهم الجنة) عرفها لهم) فى الدنيا بذكر أوصافها بحيث اشتاقوا إليها أو بينها لهم بحيث يعلم كل أحد منزلته ويهتدى إليه كأنه كان ساكنه منذ خلق وعن مقاتل أن الملك الموكل بعمله فى الدنيا يمشى بين يديه فيعرفه كل شيء أعطاه الله تعالى أو طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة أو حدها لهم وأفرزها من عرف الدار الجنة كل منهم محددة مفرزة والجملة إما مستأنفة أو حال يا ضمار قد أو بدونه (يا أيها الذين آمنوا ٧ إن تنصروا الله) أى دينه ورسوله (ينصركم) على أعدائكم ويفتح لكم (ويثبت أقدامكم) فى مواطن الحرب ومواقفها أو على محجة الإسلام (والذين كفروا فتعسا لهم) التعس الهلاك والعتار والسقوط ٨ والشر والبعد والانحطاط ورجل تاعس وتعس وانتصابه بفعله الواجب حذفه سماعاً أى فقال تعساً لهم أو فقضى تعساً لهم وقوله تعالى (وأضل أعمالهم) عطف عليه داخل معه فى حيز الخبرية للوصول (ذلك) أى ما ذكر من التعس وإضلال الأعمال (بأنهم) بسبب أنهم (كرهوا ما أنزل الله) من القرآن ٩

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ
أَمْثَلُهَا ﴿١٠﴾

٤٧ هـ

ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١١﴾
إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
يَسْتَمْتِعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾

٤٧ هـ

وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ ٤٧ هـ

- * لما فيه من التوحيد وسائر الأحكام المخالفة لما ألفوه واشتهته أنفسهم الأماره بالسوء (فاحيط)
- ١٠ لأجل ذلك (أعمالهم) التي لو كانوا عملوها مع الإيمان لاثبوا عليها (أفلم يسيروا في الأرض) أي أقعدوا
- * في أماكنتهم فلم يسيروا فيها (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من الأمم المكذبة فإن آثار ديارهم
- * تنبئ عن أخبارهم وقوله تعالى (دمر الله عليهم) استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل
- * كيف كان عاقبتهم فقيل استأصل الله تعالى عليهم ما اختص بهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم يقال
- * دمره أهلكه ودمر عليه أهلك عليه ما يختص به (وللكافرين) أي ولهؤلاء الكافرين السائرين بسيرتهم
- * (أمثالها) أمثال عواقبهم أو عقوباتهم لكن لا على أن لهؤلاء أمثال مالأولئك وأضعافه بل مثله وإنما
- جمع باعتبار مماثلته لعواقب متعددة حسب تعدد الأمم المعذبة وقيل يجوز أن يكون عذابهم أشد من
- عذاب الأولين وقد قتلوا وأسروا بأيدي من كانوا يستخفونهم ويستضعفونهم والقتل بيد المثل أشد
- ألما من الهلاك بسبب عام وقيل المراد بالكافرين المتقدمون بطريق وضع الظاهر موضع الضمير كأنه
- ١١ قيل دمر الله عليهم في الدنيا ولهم في الآخرة أمثالها (ذلك) إشارة إلى ثبوت أمثال عقوبة الأمم
- * السالفة لهؤلاء (بأن الله مولى الذين آمنوا) أي ناصرهم على أعدائهم وقرىء (وأن الكافرين
- لا مولى لهم) فيدفع عنهم ما حل بهم من العقوبة والعذاب ولا يخالف هذا قوله تعالى ثم ردوا إلى الله
- ١٢ مولاهم الحق فإن المولى هناك بمعنى المالك (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري
- * من تحتها الأنهار) بيان لحكم ولايته تعالى لهم وثمرتها الأخروية (والذين كفروا يستمتعون) أي ينتفعون
- * في الدنيا بمتاعها (ويأكلون كما تأكل الأنعام) غافلين عن عواقبهم (والنار مثوى لهم) أي منزل ثواء
- ١٣ وإقامة والجملة إما حال مقدرة من واو يأكلون أو استئناف (وكأين) كلمة مركبة من الكاف وأى
- * بمعنى كم الخبرية وعلمها الرفع بالابتداء وقوله تعالى (من قرية) تمييز لها وقوله تعالى (هي أشد قوة من
- * قريتك) صفة لقريه كما أن قوله تعالى (التي أخرجتك) صفة لقريتك وقد حذف عنهما المضاف وأجرى
- * أحكامه عليهما كما يفصح عنه الخبر الذي هو قوله تعالى (أهلكناهم) أي وكم من أهل قرية هم أشد

أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٤٠﴾ ٤٧

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۚ كَمَنْ هُوَ خَلَدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٤١﴾ ٤٧

قوة من أهل قريتك الذين كانوا سبياً لخروجك من بينهم ووصف القرية الأولى بشدة القوة للإيدان بأولوية الثانية منها بالإهلاك لضعف قوتها كما أن وصف الثانية يأخر أجه عليه الصلاة والسلام للإيدان بأولويتها به لقوة جنايتها وعلى طريقته قول النابغة [كليب لعمرى كان أكثر ناصراً * وأيسر جرماً منك ضرج بالدم] وقوله تعالى (فلا ناصر لهم) بيان لعدم خلاصهم من العذاب بواسطة الأعوان * والأنصار لإثر بيان عدم خلاصهم منه بأنفسهم والفاء لترتيب ذكر ما بالغير على ذكر ما بالذات وهو حكاية حال ماضية (أفمن كان على بينة من ربه) تقرير لتباين حالى فرقى المؤمنين والكافرين وكون الأولين فى أعلى عليين والآخرين فى أسفل سافلين وبيان لعلة مالم كل منهما من الحال والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقد قرىء بدونها من عبارة عن المؤمنين المتمسكين بأدلة الدين وجعلها عبارة عن النبى عليه الصلاة والسلام أو عنه وعن المؤمنين لايساعده النظم الكريم على أن الموازنة بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم بما يباه منصبه الجليل والتقدير أليس الأمر كما ذكر فن كان مستقراً على حجة ظاهرة وبرهان نير من ممالك أمره ومريه وهو القرآن الكريم وسائر المعجزات والحجج العقلية (كن زين له سوء عمله) من الشرك وسائر المعاصى مع كونه فى نفسه أقبح القبائح (واتبعوا) * بسبب ذلك التزيين (أهواءهم) الزائفة وانهمكوا فى فنون الضلالات من غير أن يكون لهم شبهة توهم صحة ماعم عليه فضلاً عن حجة تدل عليه وجمع الضميرين الآخرين باعتبار معنى من كأن لإفراد الأولين باعتبار لفظها (مثل الجنة التى وعد المتقون) استئناف مسوق لشرح محاسن الجنة الموعودة آنفاً للمؤمنين ١٥ وبيان كيفية أنهارها التى أشير إلى جريانها من تحتها وعبر عنهم بالمتقين إيذاناً بأن الإيمان والعمل الصالح من باب التقوى الذى هو عبارة عن فعل الواجبات بأسرها وترك السيئات عن آخرها ومثلها وصفها العجيب الشأن وهو مبتدأ محذوف الخبر فقدره النضر بن شميل مثل الجنة ماتسمعون وقوله تعالى (فيها * أنهار) الخ مفسر له وقدره سيبويه فيما يتلى عليكم مثل الجنة والأول هو الأنسب لصدر النظم الكريم وقيل المثل زائدة كزيادة الاسم فى قول من قال [إلى الحول ثم اسم السلام عليهما] والجنة مبتدأ خبره فيها أنهار الخ (من ماء غير آسن) غير متغير الطعم والرائحة وقرىء غير آسن (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) بأن صار قارصاً ولا خازراً كالألبان الدنيا (وأنهار من خمر لذة للشاربين) لذيدة ليس فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر ولا خمار وإنما هى تلذذ محض ولذة إما تأنيث لذ بمعنى لذيد أو مصدر نعت

وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَنِفًا أُولَٰئِكَ
الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾

٤٧ هـ

وَالَّذِينَ آمَنُوا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾

٤٧ هـ

فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ
ذِكْرُهُمْ ﴿١٨﴾

٤٧ هـ

- * به مبالغة وقرئ لذة بالرفع على أنها صفة أنهار وبالنصب على العلة أى لأجل لذة للشاربين (وأنهار من عسل مصنى) لا يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي هذا تمثيل لما يجرى مجرى الأشربة في الجنة بأنواع ما يستطاب منها ويستلذ في الدنيا بالتخلية عما ينقصها وينقصها والتخلية بما يوجب غزارتها ودوامها (ولهم فيها) مع ما ذكر من فنون الأنهار (من كل الثمرات) أى صنف من كل الثمرات (ومغفرة) أى ولهم مغفرة عظيمة لا يقادر قدرها وقوله تعالى (من ربهم) متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أى كائنه من ربهم وقوله تعالى (كن هو خالد في النار) خبر لمبتدأ محذوف تقديره أمن هو خالد في هذه الجنة حسبما جرى به الوعد كن هو خالد في النار كما نطق به قوله تعالى والنار مثوى لهم وقيل هو خبر لمثل الجنة على أن في الكلام حذفاً تقديره أمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد في النار أو أمثل أهل الجنة كمثل من هو خالد في النار فعربى عن حرف الإنكار وحذف ما حذف تصويراً لمكابرة من يسوى بين المتمسك بالبينه وبين التابع للهوى بمكابرة من سوى بين الجنة الموصوفة بما فصل من الصفات الجلية وبين النار (وسقوا ماء حميماً) مكان تلك الأشربة (فقطع أمعاءهم) من فرط الحرارة قيل لإذادنا منهم شوى وجوهم وانمارت فروة رؤسهم
- ١٦ فإذا شربوه قطع أمعاءهم (ومنهم من يستمع إليك) هم المنافقون وإفراد الضمير باعتبار لفظ من كما أن جمعه فيما سأتى باعتبار معناها كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يراعونه حق رعايته تهاوناً منهم (حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم) من الصحابة رضى الله عنهم (ماذا قال أنفأ) أى ما الذى قال الساعة على طريقة الاستهزاء وإن كان بصورة الاستعلام وأنفأ من قولهم أتف النىء لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه استأنف الشئ
- * واتقنّف وهو ظرف بمعنى وقتاً مؤتلفاً أو حال من الضمير فى قال وقرئ أنفأ (أولئك) الأوصوفون بما ذكر (الذين طبع الله على قلوبهم) لعدم توجههم نحو الخير أصلاً (واتبعوا أهواءهم) الباطلة فإذ ذلك
- ١٧ فعلموا ما فعلوا بما لاخير فيه (والذين اهتدوا) إلى طريق الحق (زادهم) أى الله تعالى (هدى) بالتوفيق والإلهام (وآتاهم تقوهم) أعانهم على تقوهم أو أعطاهم جزاءها أو بين لهم ما يتقون (فهل ينظرون إلا الساعة) أى القيامة وقوله تعالى (أن تأتيهم بغتة) أى تباغتهم بغتة وهى المفاجأة بدل اشتغال من

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثُوكُمْ ﴿١٩﴾

وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ

الساعة والمعنى أنهم لا يتذكرون بذكر أهوال الأمم الخالية ولا بالإخبار بإتيان الساعة وما فيها من عظام الأهوال وما ينتظرون للتذكر إلا إتيان نفس الساعة بغتة وقرىء بغتة بفتح الغين وقوله تعالى (فقد جاء أشرافها) تعليل لمفاجأتها لا لإتيانها مطلقاً على معنى أنه لم يبق من الأمور الموجبة للتذكر أمر مترقب ينتظرونه سوى إتيان نفس الساعة إذ قد جاء أشرافها فلم يرفعوا لها رأساً ولم يعدوها من مبادئ إتيانها فيكون إتيانها بطريق المفاجأة لا محالة والأشراط جمع شرط بالتحريك وهى العلامة والمراد بها مبعثه صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر ونحوهما وقوله تعالى (فأتى لهم إذا جاءتهم ذكراهم) حكم بخطئهم وفساد رأيهم في تأخير التذكر إلى إتيانها ببيان استحالة نفع التذكر حينئذ كقوله تعالى يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى أى وكيف لهم ذكرهم إذا جاءتهم على أن أتى خبر مقدم وذكرهم مبتدأ وإذا جاءتهم اعتراض وسطي بينهما مراً إلى غاية سرعة مجيئها وإطلاق المجيء عن قيد البغتة لما أن مدار استحالة نفع التذكر كونه عند مجيئه مطلقاً لا مقيداً بقيد البغتة وقرىء إن تأتهم على أنه شرط مستأنف جزاؤه فأتى لهم الخ والمعنى إن تأتهم الساعة بغتة لأنه قد ظهر أماراتها فكيف لهم تذكرهم وافتعاضهم إذا جاءتهم (فاعلم ١٩ أنه لا إله إلا الله) أى إذا علمت أن مدار السعادة هو التوحيد والطاعة ومناط الشقاوة هو الإشراك والعصيان فثبت على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية والعمل بموجبه (واستغفر لذنبك) وهو الذى ربما يصدر عنه عليه الصلاة والسلام من ترك الأولى عبر عنه بالذنب نظراً إلى منصبه الجليل كيف لا وحسنات الأبرار سيئات المقرين وإرشاد له عليه الصلاة والسلام إلى التواضع وهضم النفس واستقصار العمل (وللمؤمنين والمؤمنات) أى لذنوبهم بالدعاء لهم وترغيبهم فيما يستدعى غفرانهم وفي إعادة صلة الاستغفار تنبيه على اختلاف متعلقه جنساً وفي حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه إشعار بعراقتهم في الذنب وفرط افتقارهم إلى الاستغفار (والله يعلم متقلبكم) فى الدنيا فإنها مراحل لا بد من قطعها لا محالة (ومثواكم) فى العقبى فإنها مواطن إقامتكم فلا يأمركم إلا بما هو خير لكم فيها فبادروا إلى الامتثال بما أمركم به فإنه المهم لكم فى المقامين وقيل يعلم جميع أحوالكم فلا يخفى عليه شئ منها (ويقول الذين آمنوا) حرصاً منهم على الجهاد (لولا نزلت سورة) أى هلا نزلت سورة تؤمر فيها بالجهاد (فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال) بطريق الأمر به أى سورة مبينة لا تشابه ولا احتمال فيها لوجه آخر سوى وجوب القتال. عن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهى محكمة لم تنسخ وقرىء فإذا نزلت

٤٧

طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾

٤٧

فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾

- سورة وقرىء. وذكر على إسناد الفعل إلى ضميره تعالى ونصب القتال (رأيت الذين في قلوبهم مرض)
- أى ضعف في الدين وقيل ففاق وهو الأظهر الأوفق لسياق النظم الكريم (ينظرون إليك نظر المغشى
- عليه من الموت) أى تشخص أبصارهم جنناً وعلماً كدأب من أصابته غشية الموت (فاولى لهم) أى
- فويل لهم وهو أفعل من الولى وهو القرب وقيل من آل ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه أو
- يؤول إليه أمرهم وقيل هو مشتق من الويل وأصله أويل نقلت العين إلى ما بعد اللام فوزنه أفلع (طاعة
- وقول معروف) كلام مستأنف أى أمرهم طاعة الخ أو طاعة وقول معروف خير لهم أو حكاية لقولهم
- ويؤيده قراءة أبى يقولون طاعة وقول معروف أى أمرنا ذلك (فإذا عزم الأمر) أسند العزم وهو
- الجيد إلى الأمر وهو لأصحابه مجازاً كما في قوله تعالى إن ذلك من عزم الأمور وعامل الظرف محذوف
- أى خالفوا وتحلفوا وقيل ناقضوا وقيل كرهوا وقيل هو قوله تعالى (فلو صدقوا الله) على طريقة
- قولك إذا حضرني طعام فلو جئتني لأطعمتك أى فلو صدقوه تعالى فيما قالوا من الكلام المنبئ عن الحرص
- على الجهاد بالجرى على موجه (لكان) أى الصدق (خيراً لهم) وفيه دلالة على اشتراك الكل فيما
- حكى عنهم من قوله تعالى لولا نزلت سورة وقيل فلو صدقوه في الإيمان وواطأت قلوبهم في ذلك ألسنتهم
- وأياً ما كان فالمراد بهم الذين في قلوبهم مرض وهم المخاطبون بقوله تعالى (فهل عسيتم) الخ بطريق
- الالتفات لتأكيد التوبيخ وتشديد التقرير أى هل يتوقع منكم (إن توليتم) أمور الناس وتأمرتهم عليهم
- (أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم) تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا فإن من شاهد أحوالكم
- الدالة على الضعف في الدين والحرص على الدنيا حين تأمرتم بالجهاد الذى هو عبارة عن إحراز كل خير
- وصلاح ودفع كل شر وفساد وأتم مأمورون شأنكم الطاعة والقول المعروف يتوقع منكم إذا أطلقت
- أعتنكم وصرتم أمرين ما ذكر من الإفساد وقطع الأرحام وقيل إن أعرضتم عن الإسلام أن ترجعوا
- إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من الإفساد في الأرض بالتفاور والتناهب وقطع الأرحام بمقاتلة بعض
- الأقارب بعضاً وواد البنات وفيه أن الواقع في حيز الشرط في مثل هذا المقام لا بد أن تكون محنوريته
- باعتبار ما يستتبعه من المفاسد لا باعتبار ذاته ولا ريب في أن الإعراض عن الإسلام رأس كل شر
- وفساد فحقه أن يجعل عمدة في التوبيخ لا وسيلة للتوبيخ بما دونه من المفاسد وقرىء وليتم على البناء
- للمفعول أى جعلتم ولاية وقرىء توليتم أى تولاكم ولاية جور خرجتم معهم وساعدتموهم في الإفساد
- وقطيعة الرحم وقرىء وتقطعوا من التقطع بحذف إحدى التامين فانتصاب أرحامكم حينئذ على نزع
- الجار أى في أرحامكم وقرىء وتقطعوا من القطع وإلحاق الضمير بعسى لغة أهل الحجاز وأما بنو

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٣﴾ ٤٧

أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالٌ ﴿٢٤﴾ ٤٧

إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ٤٧

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكَ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ ٤٧

- تيمم فيقولون عسى أن تفعل وعسى أن تفعلوا (أولئك) إشارة إلى المخاطبين بطريق الالتفات ليداناً ٢٣ بأن ذكر هتاتهم أوجب إسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية أحوالهم الفظيعة لغيرهم وهو مبتدأ خبره (الذين لعنهم الله) أى أبعدهم من رحمته (فأصمهم) عن استماع الحق لتصامهم عنه بسوء اختيارهم * (وأعمى أبصارهم) لتعاميهم عما يشاهدونه من الآيات المنصوبة في الأقدس والآفاق (أفلا يتدبرون ٢٤ القرآن) أى ألا يلاحظونه ولا يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يقعوا فيما وقعوا فيه من الموبقات (أم على قلوب أقفالها) فلا يكاد يصل إليها ذكر أصلاً وأم منقطعة وما فيها من معنى * بل للانتقال من التوبيخ بعدم التدبر إلى التوبيخ بكون قلوبهم مقفلة لا تقبل التدبر والتفكير والهمزة للتعريض وتنكير القلوب إما لتحويل حالها وقطيع شأنها بإيهام أمرها في القساوة والجهالة كأنه قيل على قلوب منكرا لا يعرف حالها ولا يقادر قدرها في القساوة ولما لأن المراد بها قلوب بعض منهم وهم المنافقون وإضافة الأفعال إليها للدلالة على أنها أفعال مخصوصة بها مناسبة لها غير مجانسة لسائر الأفعال المعهودة وقرىء أقفلها وأقفلها على المصدر (إن الذين ارتدوا على أدبارهم) أى رجعوا إلى ما كانوا ٢٥ عليهم الكفروهم المنافقون الذين وصفوا فيما سلف بمرض القلوب وغيره من قبائح الأفعال والأحوال فإنهم قد كفروا به عليه الصلاة والسلام (من بعد ما تبين لهم الهدى) بالدلائل الظاهرة والمعجزات القاهرة وقيل هم اليهود وقيل أهل الكتابين جميعاً كفروا به عليه الصلاة والسلام بعد ما وجدوا نفعه في كتابهم وعرفوا أنه المنعوت بذلك وقوله تعالى (الشيطان سول لهم) جملة من مبتدأ وخبر وقت خبراً لأن أى سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقيل من السول المخفف من السؤل لاستمرار القلب فعنى سول له أمراً حينئذ أوقعه في أمنيته فإن السؤل الأمنية وقرىء سول مبنياً للمفعول على حذف المضاف أى كيد الشيطان (وأملى لهم) ومد لهم في الأمان والآمال وقيل أمهلهم * الله تعالى ولم يعاجلهم بالعقوبة وقرىء وأملى لهم على صيغة المتكلم فالمعنى أن الشيطان يعوهم وأنا أنظرهم فالواو للحال أو للاستئناف وقرىء أملى لهم على البناء للمفعول أى أمهلوا ومد في عمرهم (ذلك) ٢٦ إشارة إلى ما ذكر من ارتدادهم لا إلى الإملاء كما نقل عن الواحدى ولا إلى التسويل كما قيل لأن شيئاً منها ليس مسبباً عن القول الآتى وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (بأنهم) أى بسبب أنهم (قالوا) يعنى * المنافقين المذكورين لا لليهود الكافرين به عليه الصلاة والسلام بعد ما وجدوا نفعه في التوراة كما قيل

٤٧

فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾

٤٧

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا اسْتَحْطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴿٢٨﴾

٤٧

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنْتَهُمْ ﴿٢٩﴾

فإن كفرهم به ليس بسبب هذا القول ولو فرض صدوره عنهم سواء كان المقول لهم المنافقين أو المشركين
 * هل رأى القائل بل من حين بعثته عليه الصلاة والسلام (للذين كرهوا ما نزل الله) أى لليهود الكارهين
 لنزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم بأنهم عند الله تعالى حسداً وطمعاً في نزوله
 * عليهم لا للمشركين كما قيل فإن قوله تعالى (سنطيعكم في بعض الأمر) عبارة قطعاً عما حكى عنهم بقوله
 تعالى ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن
 معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصرنكم وهم بنو قريظة والنضير الذين كانوا يوالونهم
 ويوادونهم وأرادوا بالبعض الذى أشاروا إلى عدم إطاعتهم فيه لإظهار كفرهم وإعلان أمرهم بالفعل
 قبل قتالهم وإخراجهم من ديارهم فإنهم كانوا يأبون ذلك قبل مساس الحاجة الضرورية الداعية إليه
 لما كان لهم في إظهار الإيمان من المنافع الدنيوية وإنما كانوا يقولون لهم ما يقولون سرا كما يعرب عنه
 * قوله تعالى (والله يعلم أسرارهم) أى إخفاءهم لما يقولونه لليهود وقرىء أسرارهم أى جميع أسرارهم التى
 من جملتها قولهم هذا والجملة اعتراض مقرر لما قبله متضمن للإقضاء في الدنيا والتعذيب في الآخرة
 ٢٧ والفاء في قوله تعالى (فكيف إذا توفتهم الملائكة) لترتيب ما بعدها على ما قبلها وكيف منصوب بفعل
 محذوف هو العامل في الظرف كأنه قيل يفعلون في حياتهم ما يفعلون من الحيل فكيف يفعلون إذا توفتهم
 الملائكة وقيل مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أى فكيف حالهم أو حيلتهم إذا توفتهم الخ وقرىء
 * توفاهم على أنه إما ماض أو مضارع قد حذف إحدى تأنيده (يضربون وجوههم وأدبارهم) حال من
 فاعل توفتهم أو من مفعوله وهو تصوير لتوفيتهم على أهول الوجوه وأفظعها وعن ابن عباس رضى
 ٢٨ الله عنهما لا يتوفى أحد على معصية إلا يضرب الملائكة وجهه ودبره (ذلك) التوفى الهائل (بأنهم)
 * أى بسبب أنهم (اتبعوا ما استحط الله) من الكفر والمعاصي (وكرهوا رضوانه) أى ما يرضاه من
 * الإيمان والطاعة حيث كفروا بعد الإيمان وخرجوا عن الطاعة بما صنعوا من المعاملة مع اليهود (فأحبط)
 * لأجل ذلك (أعمالهم) التى عملوها حال إيمانهم من الطاعات أو بعد ذلك من أعمال البر التى لو عملوها
 ٢٩ حال الإيمان لاتنفعوا بها (أم حسب الذين في قلوبهم مرض) هم المنافقون الذين فصلت أحوالهم
 * الشنيعة وصفوا بوصفهم السابق لكونه مدار لما نعى عليهم بقوله تعالى (أن لن يخرج الله أضغانهم)
 فأم منقطعة وأن مخففة من أن وضمير الشأن الذى هو اسمها محذوف ولن بما في حيزها خبرها والأضغان
 جمع ضغن وهو الحقد أى بل أحسب الذين في قلوبهم حقداً وعداوة للذين آمنوا أنه لن يخرج الله أحقادهم

وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسْمَتِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ ﴿٣٠﴾

٤٧

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾

٤٧

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُ أَعْمَلُهُمْ ﴿٣٢﴾

٤٧

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾

٤٧

- ولن يبرزها لرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين فتبقى أمورهم مستورة والمعنى أن ذلك بما لا يكاد يدخل تحت الاحتمال (ولو نشاء) إرامتهم (لأريناكم) لعرفناكم بدلائل تعرفهم بأعيانهم معرفة ٣٠ متاخمة للرؤية والاتفات إلى نون العظمة لإبراز العناية بالإراءة (فلعرفتهم بسيماهم) بعلامتهم التي نفسهم بها وعن أنس رضى الله عنه ماخفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكهم الناس فناموا ذات ليلة وأصبحوا على كل واحد منهم مكتوب هذا منافق واللام لام الجواب كررت في المعطوف للتأكيد والفاء لترتيب المعرفة على الإراءة وأما ما في قوله تعالى (ولتعرفنهم في لحن القول) فلجواب قسم محذوف ولحن القول نحوه وأسلوبه أو إمالته إلى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للخطيء لحن لعدله بالكلام عن سميت الصواب (والله يعلم أعمالكم) فيجازيكم بحسب قصدكم وهذا وعد للمؤمنين وإيدان ٣١ بأن حالهم بخلاف حال المنافقين (ولنبلونكم) بالأمر بالجهاد ونحوه من التكاليف الشاقة (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) على مشاق الجهاد علماً فعلياً يتعلق به الجزاء (ونبلوا أخباركم) ما يخبر به عن أعمالكم فيظهر حسناتها وقيحها وقرى ويلو بالياء وقرى بلبوسكون الواو على ونحن نبلا (إن الذين ٣٢ كفروا وصدوا) الناس (عن سبيل الله وشاقوا الرسول) وعادوه (من بعد ما تبين لهم الهدى) بما شاهدوا نعتة عليه الصلاة والسلام في التوراة وبما ظهر على يديه من المعجزات ونزل عليه من الآيات وهم قريظة والنضير أو المطعمون يوم بدر (لن يضروا الله) بكفرهم وصددهم (شيئاً) من الأشياء أو شيئاً من الضرر أو لن يضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشاقته شيئاً وقد حذف المضاف لتعظيمه وتفضيحه مشاقته (وسيحبط أعمالهم) أي مكايدهم التي نصبوها في إبطال دينه تعالى ومشاقته رسوله عليه الصلاة والسلام ٣٣ فلا يصلون بها إلى ما كانوا ييغنون من الغوائل ولا تثمر لهم إلا القتل والجلاء عن أوطانهم (يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) بما أبطل به هؤلاء أعمالهم من الكفر والتفناق والعجب والرياء والمن والأذى ونحوها وليس فيه دليل على إحباط الطاعات بالكبائر .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ ٤٧

فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾ ٤٧

إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ إِنْ تَوَمَّنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلَكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ ٤٧

إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَبِحِفْظِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَنْتَكُمْ ﴿٣٧﴾ ٤٧

هَئَانَتْ هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِنُفُوقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَنْ مِّنْ يَّبْخُلُ وَمَنْ يَّبْخُلُ فَلَمَّا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ

وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٨﴾ ٤٧

- ٣٤ (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) حكم يعم كل من مات
 ٣٥ على الكفر وإن صح زوله في أصحاب القلب (فلا تهنوا) أى لا تضعفوا (وتدعوا إلى السلم) أى
 ولا تدعوا الكفار إلى الصلح خوفاً فإن ذلك إعطاء الدنية ويجوز أن يكون منصوباً بإضمار أن على
 جواب النهى وقرئ. ولا تدعوا من ادعى القوم بمعنى تداعوا نحو ارتموا الصيد وتراموه ومنه تراموا
 الهلال فإن صيغة التفاعل قد يراد بها صدور الفعل عن المتعدد من غير اعتبار وقوعه عليه ومنه قوله
 تعالى عم يتساءلون على أحد الوجهين والفاء لترتيب النهى على ما سبق من الأمر بالطاعة وقوله تعالى
 * (وأنتم الأعلون) جملة حالبة مقررمة لمعنى النهى مؤكدة لوجوب الانتهاء وكذا قوله تعالى (والله معكم)
 * فإن كونهم الأعلين وكونه عز وجل ناصرهم من أقوى موجبات الاجتناب عما يؤم الذل والضراعة
 * وكذا توفيقه تعالى لأجور الأعمال حسبما يعرب عنه قوله تعالى (ولن يترك أعمالكم) أى ولن يضعها
 من وترت الرجل إذا قتلت له قتيلا من ولد أو أخ أو حميم فأفردته عنه من الوتر الذى هو الفرد وعبر
 عن ترك الإثابة فى مقابلة الأعمال بالوتر الذى هو إضاعة شئ معتد به من الأنفس والأموال مع أن
 الأعمال غير موجبة للثواب على قاعدة أهل السنة إيراداً لغاية اللطف بتصوير الثواب بصورة الحق
 المستحق وتنزيل ترك الإثابة منزلة إضاعة أعظم الحقوق وإتلافها وقدر فى قوله تعالى فاستجاب لهم
 ٣٦ ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو) لاثبات لها ولا اعتداد بها (ولإن
 تومنون وتتنقوا يؤتكم أجوركم) أى ثواب إيمانكم وتقواكم من الباقيات الصالحات التى يتنافس فيها
 * المتنافسون (ولا يسألكم أموالكم) بحيث يخل أداؤها بمعاشكم وإنما اقتصر على نزر يسير منها هو ربع
 ٣٧ العشر تؤدونها إلى فقرائكم (إن يسألكمها) أى أموالكم (فيحفظكم) أى يحميكم بطلب الكل فإن
 * الإحفاء والإلحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال أحنى شاربه إذا استأصله (تبخلوا) فلا تعطوا (ويخرج
 أضعافكم) أى أحقادكم وضمير يخرج لله تعالى ويعضده القراءة بنون العظمة أول البخل لأنه سبب الأضعاف
 ٣٨ وقرئ يخرج من الخروج بالياء والتاء مسنداً إلى الأضعاف (ها أتم هؤلاء) أى أتم أيها المخاطبون

٤٨ - سورة الفتح

نزلت في الحديبية وآياتها تسع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾

٤٨ الفتح

- هؤلاء الموصوفون وقوله تعالى (تدعون لتنفقوا في سبيل الله) استئناف مقرر لذلك أو صلة لهؤلاء
- على أنه بمعنى الذين أى هاتم الذين تدعون فقيه توييح عظيم وتحقير من شأنهم والإيفاق في سبيل الله
- يعم نفقة الغزو والزكاة وغيرهما (فمنكم من يبخل) أى ناس يبخلون وهو في حيز الدليل على الشرعية
- السابقة (ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه) فإن كلا من نفع الإيفاق وضرر البخل عائد إليه والبخل يستعمل بعن وعلى لتضمنه معنى الإمساك والتعدي (والله الغنى) دون من عداه (وأتم الفقراء) فإما
- يأمركم به فهو لاحتياجكم إلى مافيه من المنافع فإن امتثلتم فلكم وإن توليتم فعليكم وقوله تعالى (وإن تتولوا) عطف على إن تؤمنوا أى وإن تعرضوا عن الإيمان والتقوى (يستبدل قوماً غيركم) يخلف
- مكانكم قوماً آخرين (ثم لا يكونوا أمثالكم) في التولى عن الإيمان والتقوى بل يكونوا راغبين فيهما
- قبل هم الأنصار وقيل الملائكة وقيل أهل فارس لما روى أنه عليه الصلاة والسلام سئل عن القوم وكان سليمان إلى جنبه فضرب على فخذه فقال هذا وقومه والذي نفسى بيده لو كان الإيمان منوطاً بالثريا لتناوله رجال من فارس وقيل كندة والنخع وقيل العجم وقيل الروم . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد كان حقاً على الله عز وجل أن يسقيه من أنهار الجنة .

(سورة الفتح مدنية نزلت في مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية وآياتها تسع وعشرون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (إنا فتحنا لك) فتح البلد عبارة عن الظفر به عنوة أو صلحاً بحراب أو بدونه فإنه ما لم يظفر به منغلقة مأخوذ من فتح باب الدار وإسناده إلى نون العظمة لاستناد أفعال العباد إليه تعالى خلقاً وإيجاداً والمراد به فتح مكة شرفها الله وهو المروى عن أنس رضى الله عنه بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عند انصرافه من الحديبية والتعبير عنه بصيغة الماضي على سنن سائر الأخبار الرابطة للإيدان بتحقيقه لا محالة تأكيداً للتبشير كما أن تصدير الكلام بحرف التحقيق لذلك وفيه من الفخامة المنبئة عن عظمة شأن المخبر جل جلاله وعز سلطانه ما لا يخفى وقيل هو ما أتيح له عليه الصلاة والسلام في تلك السنة من فتح خيبر وهو المروى عن مجاهد وقيل هو صلح الحديبية فإنه وإن لم يكن فيه حراب شديد بل ترام بين الفريقين بسهام وحجارة لكن لما كان الظهور للمسلمين حيث سألهم المشركون الصلح كان فتحاً بلاريب وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما رموا المشركين حتى أدخلوهم ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح وقد روى أنه عليه الصلاة والسلام حين

لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٤٨﴾ الفتح

٤٨ الفتح

وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا ﴿٤٩﴾

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ

٤٨ الفتح

وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٥٠﴾

بلغه أن رجلا قال ما هذا بفتح لقد صددنا عن البيت وصد هدينا قال بل هو أعظم الفتوح وقد رضى
المشركون أن يدفعوكم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا إليكم في الأمان وقد رأوا منكم ما يكرهون
وعن الشعبي نزلت بالحديبية وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة ما لم يصب في غزوة
حيث أصاب أن بويح بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وبلغ الهدى محله وأطمعوا
نخل خيبر وظهرت الروم على فارس ففرح به المسلمون وكان في فتح الحديبية آية عظيمة هي أنه نزح
ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى
شرب جميع من كان معه وشبع وقيل لجاش الماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو جميع ما فتح
له عليه الصلاة والسلام من الفتوح وقيل هو ما فتح الله له عليه الصلاة والسلام من الإسلام والنبوة
والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح أبين منه وأعظم وهو رأس الفتوح كافة إذ لا فتح من فتوح الإسلام
إلا وهو شعبة من شعبة وفرع من فروعه وقيل الفتح بمعنى القضاء ومنه الفتاحة للحكومة والمعنى قضينا
لك على أهل مكة أن تدخلهم من قابل وهو المروى عن قتادة رضى الله عنه وأيا ما كان فحذف المفعول
للقصد إلى نفس الفعل والإيذان بأن مناط التبشير نفس الفتح الصادر عنه سبحانه لا خصوصية المفتوح
٢ (فتحاً ميبناً) بينا ظاهر الأمر مكشوف الحال أو فارقاً بين الحق والباطل وقوله تعالى (ليغفر لك
الله) غاية للفتح من حيث أنه مترتب على سعيه عليه الصلاة والسلام في إعلاء كلمة الله تعالى بمكابدة
مشاق الحروب واقتحام موارد الخطوب والاتفات إلى اسم الذات المستتبع لجميع الصفات للإشعار
بأن كل واحد مما انتظم في سالك الغاية من أفعاله تعالى صادر عنه تعالى من حيثية غير حيثية الآخر
* مترتبة على صفة من صفاته تعالى (ما تقدم من ذنبك وما تأخر) أي جميع ما فرط منك من ترك الأولى
* وتسميته ذنباً بالنظر إلى منصبه الجليل (ويتم نعمته عليك) بإعلاء الدين وضم الملك إلى النبوة وغيرهما
* مما أفاضه عليه من النعم الدينية والدنيوية (ويهديك صراطاً مستقيماً) في تبليغ الرسالة وإقامة مراسم
الرياسة وأصل الاستقامة وإن كانت حاصلة قبل الفتح لكن حصل بعد ذلك من اقتضاح سبل الحق
٣ واستقامة مناهجه ما لم يكن حاصل قبل (وينصرك الله) لإظهار الاسم الجليل لكونه خاتمة الغايات
* وإظهار كمال العناية بشأن النصر كما يعرب عنه تأكيد بقوله تعالى (نصر أعزيراً) أي نصرراً فيه عزة ومنعة
٤ أو قوياً منيعاً على وصف المصدر بوصف صاحبه مجازاً للبالغة أو عزيزاً صاحبه (هو الذي أنزل السكينة)

لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٦٠﴾

٤٨ الفتح

وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦١﴾

٤٨ الفتح

- * بيان لما أفاض عليهم من مبادئ الفتح من الثبات والطمأنينة أى أنزلها (فى قلوب المؤمنين) بسبب الصلح والأمن إظهاراً لفضله تعالى عليهم بتيسير الأمن بعد الخوف (ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم) أى يقيناً منضمّاً إلى يقينهم أو أنزل فيها السكون إلى ما جاء به عليه الصلاة والسلام من الشرائع ليزدادوا إيماناً بها مقروناً مع إيمانهم بالوحدانية واليوم الآخر عن ابن عباس رضى الله عنهما أن أول ما أنام به النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد ثم الصلاة والزكاة ثم الحج والجهاد فازدادوا إيماناً مع إيمانهم أو أنزل فيها الوفاق والعظمة لله تعالى ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك إيماناً إلى إيمانهم (والله جنود السموات والأرض) يدبر أمرها كيفما يريد يسلط بعضها على بعض تارة ويوقع بينهما السلم أخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح (وكان الله علماً) مبالغاً فى العلم بجميع الأمور (حكماً) فى تقديره وتديره وقوله تعالى (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) متعلق بما يدل عليه ما ذكر من كون جنود السموات والأرض له تعالى من معنى التصرف والتدبير أى دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فى ذلك ويشكروها فيدخلهم الجنة (ويكفر عنهم سيئاتهم) أى يغفرها ولا يظهرها وتقديم الإدخال فى الذكر على التكفير مع أن الترتيب فى الوجود على العكس للسارعة إلى بيان ما هو المطلب الأعلى (وكان ذلك) أى ما ذكر من الإدخال والتفكير (عند الله فوزاً عظيماً) لا يقادر قدره لأنه منتهى ما يمتد إليه أعناق الهمم من جلب نفع ودفع ضرر وعند الله حال من فوزاً لأنه صفته فى الأصل فلما قدم عليه صار حالاً أى كأننا عند الله أى فى عله تعالى وقضائه والجملة اعتراض مقرر لما قبله (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) عطف على يدخل ٦ وفى تقديم المنافقين على المشركين ما لا يخفى من الدلالة على أنهم أحق منهم بالعذاب (الظالمين بالله ظن السوء) أى ظن الأمر السوء وهو أن لا ينصر رسوله والمؤمنين (عليهم دائرة السوء) أى ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم وقرىء دائرة السوء بالضم وهما لغتان من ساء كالكره والكره خلا أن المفتوح غلب فى أن يضاف إليه ما يراد ذمه من كل شيء وأما المضموم فجاء مجرى الشر (وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم) عطف على ما استحقوه فى الآخرة على ما استوجبوه فى الدنيا والواو فى الأخيرين مع أن حقهما الفناء المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها للإيدان باستقلال كل منهما فى الوعيد وأصلته من غير اعتبار استتباع بعضها لبعض (وساءت مصيراً) أى جهنم .

٤٨ الفتح

وَاللَّهُ جُنُودَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾

٤٨ الفتح

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾

٤٨ الفتح

لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾

٤٨ الفتح

إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ
وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُورَتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾

٤٨ الفتح

سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ
مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْعًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ
اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾

- ٧ (والله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزاً حكيماً) إعادة لما سبق قالوا فائدتها التنبيه على أن
الله تعالى جنود الرحمة و جنود العذاب وأن المراد ههنا جنود العذاب كما ينبيء عنه التعرض لوصف العزة
٨ (إنا أرسلناك شاهداً) أى على أمتك لقوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيداً (ومبشراً) على الطاعة
٩ (ونذيراً) على المعصية (لتؤمنوا بالله ورسوله) الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام ولأئمة (وتعزروه)
وتقوه بتقوية دينه ورسوله (وتوقروه) وتعظموه (وتسبحوه) وتزهوه أو تصلوا له من السبحة
(بكرة وأصيل) غدوة وعشياً عن ابن عباس رضى الله عنهما صلاة الفجر وصلاة الظهر وصلاة العصر
وقرى الأفعال الأربعة بالياء التحتية وقرى وتعزروه بضم التاء وتخفيف الزاى المكسورة وقرى
١٠ بفتح التاء وضم الزاى وكسرها وتعزروه بزاهين وتوقروه من أوقره بمعنى وقره (إن الذين يبايعونك)
أى على قتال قريش تحت الشجرة وقوله تعالى (إنما يبايعون الله) خبران يعنى أن مبايعتك هى مبايعة
الله عز وجل لأن المقصود توثيق العهد بمراعاة أوامره ونواهيه وقوله تعالى (يد الله فوق أيديهم)
حال أو استئناف مؤكداً على طريقة التخييل والمعنى أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله تعالى
من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وقرى إنما يبايعون الله أى لأجله
* ولوجه (فن نكثت فإنا نيكث على نفسه) أى فن نقض عهده فإنا يعود صرر نكثه على نفسه
* وقرى بكسر الكاف (ومن أوفى بما عاهد عليه الله) بضم الهاء فإنه أبقي بعد حذف الواو توسلاً
* بذلك إلى تفخيم لام الجلالة وقرى بكسرها أى ومن وفى بعهده (فميسورته أجراً عظيماً) هو الجنة
١١ وقرى بما عهد وقرى فستؤتيه بنون العظمة (سيقول لك المخلفون من الأعراب) هم أعراب غفار
ومزينة وجهينة وأشجع وأسلم والدليل تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استنفر من

بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَّنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ
ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾

٤٨ الفتح

حول المدينة من الإعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه عند إرادته المسير إلى مكة عام الحديبية معتمراً
حذراً من قريش أن يتعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت وأحرم عليه الصلاة والسلام وساق
معه الهدى ليعلم أنه لا يريد الحرب وثاقولوا عن الخروج وقالوا نذهب إلى قوم قد غزوه في عقر داره
بالمدينة وقتلوا أصحابه فنقاتلهم فأوحى الله تعالى إليه عليه الصلاة والسلام بأنهم سيعتلون ويقولون
(شغلنا أموالنا وأهلونا) ولم يكن لنا من يخلفنا فيهم ويقوم بمصالحهم ويحميهم من الضياع وقرىء *
شغلنا بالتشديد للتكثير (فاستغفر لنا) الله تعالى ليغفر لنا تخلفنا عنك حيث لم يكن ذلك باختيار بل عن
اضطرار (يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم) بدل من سيقول أو استئناف لتكذيبهم في الاعتذار
والاستغفار (قل) ردأ لهم عند اعتذارهم إليك بأبائهم (فمن يملك لكم من الله شيئاً) أى فمن يقدر
لأجلكم من مشيئة الله تعالى وقضائه على شيء من النفع (إن أراد بكم ضرراً) أى ما يضركم من هلاك
الأهل والمال وضياعهما حتى تتخلفوا عن الخروج لحفظهما ودفع الضرر عنهما وقرىء ضرراً
بالضم (أو أراد بكم نفعاً) أى ومن يقدر على شيء من الضرر إن أراد بكم ما ينفعكم من حفظ
أموالكم وأهلكم فأى حاجة إلى التخلف لأجل القيام بحفظهما وهذا تحقيق للحق ورد لهم بموجب
ظاهر مقاتلهم الكاذبة وتعميم الضرر والنفع لما يتوقع على تقدير الخروج من القتل والهزيمة والظفر
والغنيمة يردء قوله تعالى (بل كان الله بما تعملون خبيراً) فإنه لإضراب عما قالوا ويان لكذبه بعد
بيان فساده على تقدير صدقه أى ليس الأمر كما تقولون بل كان الله خبيراً بجميع ما تعملون من الأعمال
التي من جملتها تخلفكم وما هو من مبادئه وقوله تعالى (بل ظننتم) الخ بدل من كان الله الخ مفسر لما ١٢
فيهم من الإيهام أى بل ظننتم (أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً) بأن يستأصلهم المشركون
بالمرة نخشيتهم إن كنتم معهم أن يصيبكم ما أصابهم فلأجل ذلك تخلفتم لما ذكرتم من المعاذير الباطلة
والأهلون جمع أهل وقد يجمع على أهلات كأرضات على تقدير تله التأنيث وأما الأهالي فاسم جمع
كاللالي وقرىء إلى أهلهم (وزين ذلك في قلوبكم) وقلبتموه واشتغلتم بشأن أنفسكم غير مباليين بهم وقرىء *
زين على البناء للفاعل بإسناده إلى الله سبحانه أو إلى الشيطان (وظننتم ظن السوء) المراد به إما الظن
الأول والتكرير لتشديد التوبيخ والتسجيل عليه بالسوء أو ما يعمه وغيره من الظنون الفاسدة التي
من جملتها الظن بعدم صحة رسالته عليه الصلاة والسلام فإن الجازم بصحتها لا يحوم حول فكره ما ذكر
من الاستئصال (وكنتم قوماً بوراً) أى هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه على أنه جمع
بائر كعائد وعوذ أو فاسدين في أنفسكم وقلوبكم ونياتكم لاخير فيكم وقيل البور من بار كاهلك من
هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث .

وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ ٤٨ الفتح

وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ ٤٨ الفتح

سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِنَاخِذُوهَا ذُرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ ٤٨ الفتح

- ١٣ (ومن لم يؤمن بالله ورسوله) كلام مبتدأ من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن مقرر لبوارهم ومبين لكيفيته أى ومن لم يؤمن بهما كدأب هؤلاء المخلفين (فإننا أعتدنا للكافرين سعيراً) أى لهم وإنما وضع موضع الضمير الكافرون لإيداناً بأن من لم يجمع بين الإيمان بالله وبرسوله فهو كافر وأنه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعير التهويل أو لأنها نار مخصوصة (والله ملك السموات والأرض) وما فيها يتصرف في الكل كيف يشاء (يغفر لمن يشاء) أن يغفر له (ويعذب من يشاء) أن يعذبه من غير دخل لأحد في شيء منهما وجوداً وعدماً وفيه حسم لأطاعهم الفارغة في استغفاره عليه الصلاة والسلام لهم (وكان الله غفوراً رحيماً) مبالغة في المغفرة والرحمة لمن يشاء ولا يشاء إلا لمن تقتضى الحكمة مغفرته ممن يؤمن به وبرسوله وأما من عداه من الكافرين فهم بمزل من ذلك قطعاً (سيقول المخلفون) أى المذكورون وقوله تعالى (إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها) ظرف لما قبله لاشتراط لما بعده أى سيقولون عند انطلاقتكم إلى مغانم خير لتجاوزها حسبها وعدم إيابها وخصمكم بها عوضاً عما فاتكم من غنائم مكة (ذرونا تتبعكم) إلى خير ونشهد معكم قتال أهلها (يريدون أن يبدلوا كلام الله) بأن يشاركوها في الغنائم التي خصها بأهل الحديبية فإنه عليه الصلاة والسلام رجع من الحديبية في ذى الحجة من سنة ست وأقام بالمدينة بقيتها وأوائل المحرم من سنة سبع ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم أموالاً كثيرة فخصها بهم حسبما أمره الله عز وجل وقرىء كالم الله وهو جمع كلمة وأياً ما كان فالمراد ما ذكر من وعده تعالى غنائم خير لأهل الحديبية خاصة لا قوله تعالى لن تخرجوا معي أبداً فإن ذلك في غزوة تبوك (قل) إقناطاً لهم (لن تتبعونا) أى لا تتبعونا فإنه نفي في معنى النهي للبالة (كذلك قال الله من قبل) أى عند الانصراف من الحديبية (فسيقولون) للذين عند سماع هذا النهي (بل تحسدوننا) أى ليس ذلك النهى حكم الله بل تحسدوننا أن نشارككم في الغنائم وقرىء تحسدوننا بكسر السين وقوله تعالى (بل كانوا لا يفقهون) أى لا يفهمون (إلا قليلاً) إلا فيما قليلاً وهو فطنتهم لأموال الدنيا رد لقولهم الباطل ووصف لهم بما هو أعظم من الحسد وأطم من الجهل

قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ ٤٨ الفتح
لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ٤٨ الفتح
لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ
عَلَيْهِمْ وَأَنْثَبَهُمُ فِتْنًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ٤٨ الفتح

- المفرط وسوء الفهم في أمور الدين (قل للمخلفين من الأعراب) كرر ذكرهم بهذا العنوان مبالغة في
 ذمهم (ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد) هم بنو حنيفة قوم مسيلة الكذاب أو غيرهم ممن ارتدوا *
 بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو المشركون لقوله تعالى (تقاتلونهم أو يسلمون) أى يكون أحد *
 الأمرين إما المقاتلة أبداً أو الإسلام لا غير كما يفصح عنه قراءة أو يسلموا وأما من عداهم فبنتهى قتالهم
 بالجزية كما ينتهى بالإسلام وفيه دليل على أمانة أبى بكر رضى الله عنه إذ لم تتفق هذه الدعوة لغيره إلا
 إذا صح أنهم ثقيف وهوازن فإن ذلك كان في عهد النبوة فيخص دوام نبي الاتباع بما في غزوة خيبر
 كما قاله محي السنة وقيل هم فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون فإن الروم نصارى وفارس مجوس
 يقبل منهم الجزية (فإن طيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً) هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الآخرة (وإن *
 تتولوا) عن الدعوة (كما توليتم من قبل) في الحديبية (يعذبكم عذاباً أليماً) لتضاعف جرمكم (ليس ١٧
 على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج) أى في التخلف عن الغزو لما
 بهم من العذر والعاهة فإن التكليف يدور على الاستطاعة وفي نبي الحرج عن كل من الطوائف المعدودة
 مزيد اعتناء بأمرهم وتوسيع لدائرة الرخصة (ومن يطع الله ورسوله) فيما ذكر من الأوامر والنواهي *
 (يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار) وقرىء فدخله بنون العظمة (ومن يتول) أى عن الطاعة *
 (يعذبه) وقرىء بالنون (عذاباً أليماً) لا يقدر قدره (لقد رضى الله عن المؤمنين) هم الذين ذكر شأن ١٨
 مبايعتهم وبهذه الآية سميت بيعة الرضوان وقوله تعالى (إذ يبايعونك تحت الشجرة) منصوب برضى *
 وصيغة المضارع لاستحضار صورتها وتحت الشجرة متعلق به أو بمحذوف هو حال من مفعوله روى
 أنه عليه الصلاة والسلام لما نزل الحديبية بعث خراش بن أمية الخزاعي رسولا إلى أهل مكة فهموا
 به فتمعه الأحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان رضى الله عنه فأخبرهم أنه عليه الصلاة والسلام لم يأت
 لحرب وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمة فوقروه وقالوا إن شئت أن تطوف بالبيت فافعل فقال
 ما كنت لأطوف قبل أن يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبس عندهم فأرجف بأنهم قتلوه
 فقال عليه الصلاة والسلام لا تبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس إلى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت

٤٨ الفتح

وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٤٨﴾

وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً

٤٨ الفتح

لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٤٩﴾

٤٨ الفتح

وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٥٠﴾

- سمرة وقيل سدره على أن يقاتلوا قريشاً ولا يفرّوا وروى على الموت دونه وأن لا يفرّوا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتم اليوم خير أهل الأرض وكانوا ألفاً وخمسمائة وخمسة وعشرين
- وقيل ألفاً وأربعمائة وقيل ألفاً وثلاثمائة وقوله تعالى (فعل ما في قلوبهم) عطف على يبايعونك لما عرفت من أنه بمعنى يبايعوك لا على رضى فإن رضاء تعالى عنهم مترتب على عليه تعالى بما في قلوبهم من الصدق والإخلاص عند مبايعتهم له صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (فأنزل السكينة عليهم) عطف على رضى
- أى فأنزل عليهم الطمأنينة والأمن وسكون النفس بالربط على قلوبهم وقيل بالصلح (وأناهم فتحاً
- ١٩ قرياً) هو فتح خير عقب انصرفهم من الحديبية كما مر تفصيله وقرئ: وآتاهم (ومغانم كثيرة يأخذونها)
- أى مغانم خير والالتفات إلى الخطاب على قراءة الأعمش وطلحة ونافع لتشيرهم في مقام الامتنان (وكان الله عزيزاً) غالباً (حكياً) مراعياً لمقتضى الحكمة في أحكامه وقضاياه (وعدكم الله مغانم كثيرة)
- ٢٠ • هى ما يفيؤه على المؤمنين إلى يوم القيامة (تأخذونها) في أوقاتها المقدرة لكل واحدة منها (فجعل لكم هذه) أى غنائم خير (وكف أيدى الناس عنكم) أى أيدى أهل خير وحلفائهم من بنى أسد وخطافان حيث جاءوا لنصرتهم فخذف الله في قلوبهم الرعب فنكسوا وقيل أيدى أهل مكة بالصلح
- (ولتكون آية للمؤمنين) أماره يعرفون بها صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في وعده لإيائهم عند رجوعه من الحديبية ما ذكر من المغانم وفتح مكة ودخول المسجد الحرام واللام متعلقة إما بمحذوف مؤخر
- أى ولتكون آية لهم فعل مافعل من التعجيل والكف أو بما تعلق به علة أخرى محذوفة من أحد الفعلين أى فجعل لكم هذه أو كف أيدى الناس لتغتنموها ولتكون الخ فالواو على الأول اعتراضية
- وعلى الثانى عاطفة (ويهديكم) بتلك الآية (صراطاً مستقيماً) هو الثقة بفضل الله تعالى والتوكل عليه
- ٢١ • فى كل ما تأتون وما تذكرون (وأخرى) عطف على هذه أى فجعل لكم هذه المغانم ومغانم أخرى (لم تقدروا عليها) وهى مغانم هوازن فى غزوة حنين ووصفها بعدم القدرة عليها لما كان فيها من
- الجولة قبل ذلك لزيادة ترغيبهم فيها وقوله تعالى (قد أحاط الله بها) صفة أخرى لأخرى مفيدة لسهولة تأتيا بالنسبة إلى قدرته تعالى بعد بيان صعوبة منالها بالنظر إلى قدرتهم أى قد قدر الله عليها واستولى وأظهركم عليها وقيل حفظها لكم ومنعها من غيركم هذا وقد قيل إن أخرى منصوب بمضمر يفسره قد أحاط الله بها أى وقضى الله أخرى ولا ريب فى أن الإخبار بقضاء الله لإياها بعد اندارجها فى جملة المغانم الموعودة بقوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها ليس فيه مزيد فائدة وإنما الفائدة

وَلَوْ قَسَمَ لَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْيَارَ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ ٤٨ الفتح

سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ٤٨ الفتح

وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ

بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ ٤٨ الفتح

هُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلُّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ

مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فَنُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ

فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ ٤٨ الفتح

- في بيان تعجيلها (وكان الله على كل شيء قدير) لأن قدرته تعالى ذاتية لا تختص بشيء دون شيء (ولو ٢٢ قاتلكم الذين كفروا) أي أهل مكة ولم يصالحوكم وقيل حلفاء خبير (لولوا الأدبار) منهزمين (ثم * لا يجدون ولياً) يحرسهم (ولا نصيراً) ينصرهم (سنة الله التي قد خلت من قبل) أي سن الله غلبة ٢٣ أنبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الأمم (ولن تجد لسنة الله تبديلاً) أي تغييراً (وهو الذي كف أيديهم) أي أيدي سفار مكة (عنكم وأيديكم عنهم بطن مكة) أي في داخلها (من بعد أن أظفركم عليهم) وذلك * أن عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة إلى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على جند فزهمهم حتى أدخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان يوم الفتح وبه استشهد أبو حنيفة على أن مكة فتحت عنوة لاصلاً (وكان الله بما تعملون) من مقاتلتهم وهزمهم أولاً والكف عنهم * ثانياً لتعظيم بيته الحرام وقرىء بالياء (بصيراً) فيجازيكم بذلك أو يجازيهم (هم الذين كفروا وصدوكم ٢٥ عن المسجد الحرام والهدى) بالنصب عطفاً على الضمير المنصوب في صدوكم وقرىء بالجر عطفاً على المسجد بحذف المضاف أي ونحر الهدى وبالرفع على وصد الهدى وقوله تعالى (معكوفاً) حال * من الهدى أي محبوساً وقوله تعالى (أن يبلغ محله) بدل اشتغال من الهدى أو منصوب بنزع الخافض * أي محبوساً من أن يبلغ مكانه الذي يحل فيه نحره وبه استدل أبو حنيفة رحمه الله تعالى على أن المحصر محل هديه الحرم قالوا بعض الحديبية من الحرم وروى أن خيامه صلى الله عليه وسلم كانت في الحل ومضلاه في الحرم وهناك نحرته هداياه صلى الله عليه وسلم والمراد صدها عن محلها المعهود الذي هو منى (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم) لم تعرفوهم بأعيانهم لاختلاطهم وهو صفة * لرجال ونساء وقوله تعالى (أن تطوؤهم) أي توقفوا بهم وتهلكوهم بدل اشتغال منهم أو من الضمير المنصوب في تعلموهم (فتصيبكم منهم) أي من جهنم (معرّة) أي مشقة ومكروه كوجوب الدية أو الكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتغيير الكفار وسوء قائلهم والإثم بالتقصير في البحث عنهم وهي مفعلة من عره إذا عراه ودهاه ما يكرهه (بغير علم) متعلق بأن تطوؤهم أي غير عالين بهم وجواب لولا *

إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ فَأُنْزِلَ اللَّهُ سَكِينَتُهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى
الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٨﴾ الفتح

محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة أن تهلكوا ناساً مؤمنين بين الكافرين غير عالمين بهم
* فيصيبكم بذلك مكروه لما كف أيديكم عنهم وقوله تعالى (ليدخل الله في رحمته) متعلق بما يدل عليه
الجواب المحذوف كأنه قيل عقيب لکن كفها عنهم ليدخل بذلك الكف المؤدى إلى الفتح بلا محذور
* في رحمته الواسعة بقسميها (من يشاء) وهم المؤمنون فإنهم كانوا خارجين من الرحمة الدنيوية التي من
جملتها الأمن مستضعفين تحت أيدي الكفرة وأما الرحمة الآخروية فهم وإن كانوا غير محرومين منها
بالمرء لكنهم كانوا قاصرين في إقامة مراسم العبادة كما ينبغي فتوفيقهم لإقامتها على الوجه الاتم إدخال
لهم في الرحمة الآخروية وقد جوز أن يكون من يشاء عبارة عن رغب في الإسلام من المشركين
* ويأباه قوله تعالى (لو تزيلوا) الخ فإن فرض التزيل وترتيب التعذيب عليه يقتضى تحقق البينة بين
الفريقين بالإيمان والكفر قبل التزيل حتماً أى لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ لو تزيلوا
* (لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً) بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها
٢٦ (إذ جعل الذين كفروا) منصوب باذكر على المفعولية أو بعذبنا على الظرفية وقيل بمضمر هو أحسن
الله إليكم وأياً ما كان فوضع الموصول موضع ضميرهم لأنهم بما في حيز الصلة وتعليل الحكم به والجملة
* إما بمعنى الإلقاء فقوله تعالى (في قلوبهم الحمية) أى الأنفة والتكبر متعلق به أو بمعنى التصيير فهو متعلق
* بمحذوف هو مفعول ثان له أى جعلوها ثابتة راسخة في قلوبهم (حمية الجاهلية) بدل من الحمية أى حمية الملة
* الجاهلية أو الحمية الناشئة من الجاهلية وقوله تعالى (فأُنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) على
الأول عطف على جعل والمراد تذكير حسن صنيع الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بتوفيق الله
تعالى وسوء صنيع الكفرة وعلى الثانى على ما يدل عليه الجملة الامتناعية كأنه قيل لم يزيلوا فلم نعذب
فأنزل الخ وعلى الثالث على المضمر تفسير له والسكينة الثبات والوقار يروى أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما نزل الحديدية بعث قريش سهيل بن عمرو القرشى وحويطب بن عبد العزى ومكرز
ابن حفص بن الأحنف على أن يعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجع من عامه ذلك على
أن تخلى له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتاباً فقال عليه الصلاة والسلام
لعلى رضى الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف ما هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال
اكتب هذا ما صاخ عليه رسول الله أهل مكة فقالوا لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صدناك عن البيت
وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال صلى الله عليه وسلم اكتب
* ما يريدون فهم المؤمنون أن يأبوا ذلك ويبتشروا بهم فأُنزل الله السكينة عليهم فتفرقوا وحلوا (وألزمهم
كلمة التقوى) أى كلمة الشهادة أو بسم الله الرحمن الرحيم أو محمد رسول الله وقيل كلمة التقوى هى
* الوفاء بالعهد والثبات عليه وإضافتها إلى التقوى لأنها سبب التقوى وأساسها أو كلمة أهلها (وكانوا

لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْرُّيَا بِالْحَقِّ لَنَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ٤٨ الفتح
هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ٤٨ الفتح

أحق بها) متصفين بمزيد استحقاق لها على أن صيغة التفضيل للزيادة مطلقاً وقيل أحق بها من الكفار (وأهلها) أى المستأهل لها (وكان الله بكل شيء علياً) فيعلم حق كل شيء فيسوقه إلى مستحقه (لقد صدق الله رؤيا) رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه إلى الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا رؤوسهم وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا أنهم داخلوها في عامهم فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن أبي عبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت أى صدقه صلى الله عليه وسلم في رؤياه كما في قولهم صدقتى سن بكرة وتحقيقه أراه الرؤيا الصادقة وقوله تعالى (بالحق) إما صفة لمصدر مؤكد محذوف أى صدقا * ملتبساً بالحق أى بالغرض الصحيح والحكمة البالغة التى هى التمييز بين الراسخ فى الإيمان والمنزل فيه أو حال من الرؤيا أى ملتبسة بالحق ليست من قبيل أضغاث الأحلام وقد جوز أن يكون قسماً بالحق الذى هو من أسماء الله تعالى أو بنقيض الباطل وقوله تعالى (لندخلن المسجد الحرام) جوابه * وهو على الأولين جواب قسم محذوف أى والله لندخلن الخ وقوله تعالى (إن شاء الله) تعليق للعدة بالمشيئة لتعليم العباد أو للإشعار بأن بعضهم لا يدخلونه لموت أو غيبة أو غير ذلك أو هى حكاية لما قاله مالك الرؤيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لما قاله عليه الصلاة والسلام لأصحابه (آمنين) * حال من فاعل لندخلن والشرط معترض وكذا قوله تعالى (محلقين رؤوسكم ومقصرين) أى محلقاً * بعضهم ومقصرأ آخرون وقيل محلقين حال من ضمير آمنين فتسكون متداخلة (لاتخافون) حال مؤكدة * من فاعل لندخلن أو آمنين أو محلقين أو مقصرين أو استئناف أى لاتخافون بعد ذلك (فعلم ما لم تعلموا) عطف على صدق والمراد بعلمه تعالى العلم الفعلى المتعلق بأمر حادث بعد المعطوف عليه أى فعلم عقيب ما أراه الرؤيا الصادقة ما لم تعلموا من الحكمة الداعية إلى تقديم ما يشهد بالصدق علماً فعلياً (فجعل) * لأجله (من دون ذلك) أى من دون تحقق مصداق ما رآه من دخول المسجد الحرام الخ (فتحاً قريباً) * وهو فتح خير والمراد بجعله وعده وإنجازه من غير تسويف ليستدل به على صدق الرؤيا حسبما قال ولتسكون آية للمؤمنين وأما جعل ما فى قوله تعالى ما لم تعلموا عبارة عن الحكمة فى تأخير فتح مكة إلى العام القابل كما جنح إليه الجمهور فتأباه الفاء فإن علمه تعالى بذلك متقدم على إراءة الرؤيا قطعاً (هو الذى ٢٨ أرسل رسوله بالهدى) أى ملتبساً به أو بسببه ولأجله (ودين الحق) وبدن الإسلام (ليظهره على الدين كله) ليعليه على جنس الدين بجميع أفراداه التى هى الأديان المختلفة بنسخ ما كان حقاً من بعض

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا يَحْجَدُوا يَنْبَغُونَ
فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ
فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْعُهُ فَغَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُبَيِّطَ
بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ٤٨ الفتح

الأحكام المتبدلة بتبدل الأعصار وإظهار بطلان ما كان باطلا أو بتسليط المسلمين على أهل سائر
الاديان إذ ما من أهل دين إلا وقد قهرهم المسلمون وفيه فضل تأكيد لما وعد من الفتح وتوطئ
لنفوس المؤمنين على أنه سبحانه سيفتح لهم من البلاد ويتيح لهم من الغلبة على الأقاليم ما يستقلون إليه
• فتح مكة (وكفى بالله شهيدا) على أن ما وعده كائن لا محالة أو على نبوته عليه الصلاة والسلام بإظهار
٢٩ المعجزات (محمد) خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى (رسول الله) بدل أو بيان أو نعت أى ذلك
الرسول المرسل بالهدى ودين الحق محمد رسول الله وقيل محمد مبتدأ رسول الله خبره والجملة مبنية
• للشهود به وقوله تعالى (والذين معه) مبتدأ خبره (أشداء على الكفار رحماء بينهم) وأشداء جمع
شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى أنهم يظرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة وللمن وافقهم في الدين
الرحمة والرأفة كقوله تعالى أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وقرىء أشداء ورحماء بالنصب
• على المدح أو على الحال من المستكن في معه لوقوعه صلة فالخبر حينئذ قوله تعالى (تراهم ركعاً سجداً)
أى تشاهدكم حال كونهم راكعين ساجدين لمواظبتهم على الصلوات وهو على الأول خبر آخر أو
• استئناف وقوله تعالى (يبتغون فضلا من الله ورضواناً) أى ثواباً ورضاً إما خبر آخر أو حال من
ضمير تراهم أو من المستتر فى ركعاً سجداً أو استئناف مبنى على سؤال نشأ من بيان مواظبتهم على
• الركوع والسجود كأنه قيل ماذا يريدون بذلك فقيل يبتغون فضلا من الله الخ (سيام) أى سمتم
وقرىء سيماءم بالياء بعد الميم والمد وهما لغتان وفيها لغة ثالثة هى السيماء بالمد وهو مبتدأ خبره
• (فى وجوههم) أى فى جباههم وقوله تعالى (من أثر السجود) حال من المستكن فى الجار أى من
التأثير الذى يؤثره كثرة السجود وما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قوله عليه الصلاة والسلام
لا تلبوا صوركم أى لا تسموها إنما هو فيها إذا اعتمد بجهته على الأرض ليحدث فيها تلك السمعة وذلك
محض رياء ونفاق والكلام فيما حدث فى جهة السجود الذى لا يسجد إلا خالصا لوجه الله عز وجل
• كان الإمام زين العابدين وعلى بن عبد الله بن العباس رضى الله عنهما يقال لهما ذوات الثغفات لما أحدثت
كثرة سجودهما فى مواقعه منهما أشباه ثغفات البعير قال قائلهم [ديار على والحسين وجعفر] وحمة
والسجاد ذى الثغفات [وقيل صفرة الوجه من خشية الله تعالى وقيل ندى الطهور وتراب الأرض
وقيل استنارة وجوههم من طول ما صلوا بالليل قال عليه الصلاة والسلام من كثرت صلاته بالليل
• حسن وجهه بالنهار وقرىء من آثار السجود ومن إثر السجود بكسر الهمزة (ذلك) إشارة إلى ما ذكر

٤٩ - سورة الحجرات

(مدنية وهي ثمانى عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَآتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ الحجرات

من نعمتهم الجليلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان بعلو شأنه وبعد منزلته في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (مثلهم) أى وصفهم العجيب الشأن الجارى فى القرابة مجرى الأمثال وقوله تعالى (فى التوراة) حال من مثلهم والعامل معنى الإشارة وقوله تعالى (ومثلهم فى الإنجيل) عطف على مثلهم الأول كأنه قيل ذلك مثلهم فى التوراة والإنجيل وتكرير مثلهم لتأكيد غرابته وزيادة تقريرها وقوله تعالى (كزراع أخرج شطأه) الخ تمثيل مستأنف أى هم كزراع أخرج فراخه وقيل هو تفسير لذلك على أنه إشارة مبهمه وقيل خبر لقوله تعالى ومثلهم فى الإنجيل على أن الكلام قد تم عند قوله تعالى مثلهم فى التوراة وقرىء شطأه بفتحات وقرىء شطأه بفتح الطاء وتخفيف الهمزة وشطأه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى ما قبلها وشطوه بقلبها واو (فأزره) فقواه من المؤازرة بمعنى المعاونة أو من الإيزاروهى الإعانة وقرىء فأزره بالتخفيف وأزره بالتشديد أى شد أزره وقوله تعالى (فاستنظ) فصار غليظاً بعد ما كان دقيقاً (فاستوى على سوقه) فاستقام على قصبه جمع ساق وقرىء سؤقه بالهمزة (يعجب الزراع) بقوته وكثافته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله عز وجل لأصحابه عليه الصلاة والسلام قنوا فى بدء الإسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى أمرهم يوماً فيوماً بحيث أعجب الناس وقيل مكتوب فى الإنجيل سيخرج قوم يذبتون نبات الزرع يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر وقوله تعالى (ليغيظ بهم الكفار) علة لما يعرب عنه الكلام من تشديدهم بالزرع فى زكائه واستحكامه أو لما بعده من قوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيماً) فإن الكفار إذا سمعوا بما أعد للمؤمنين فى الآخرة مع ما لهم فى الدنيا من العزة غاظهم ذلك أشد غيظ ومنهم للبيان . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة .

(سورة الحجرات مدنية وآياتها ثمانى عشرة)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (يا أيها الذين آمنوا) تصدير الخطاب بالنداء لتبنيه المخاطبين على أن ما فى حيزه أمر خطير يستدعى مزيد اعتنائهم بشأنه وفرط اهتمامهم بتقليه ومراعاته ووصفهم بالإيمان لتنشيطهم والإيذان بأنه داع إلى المحافظة عليه ووازع عن الإخلال به (لا تقدموا) أى لا تفعلوا التقديم على أن ترك المفعول للقصد إلى نفس الفعل من غير اعتبار تعلقه بأمر من الأمور على طريقة قولهم

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٤٩﴾

٤٩ المجرات

فلان يعطى ويمنع أى يفعل الإعطاء والمنع أو لا تقدموا أمراً من الأمور على أن حذف المفعول للقصد إلى تعميمه والأول أو فى بحق المقام لإفادته النهى عن التلبس بنفس الفعل الموجب لانتفائه بالكلية المستلزم لانتفاء تعلقه بمفعوله بالطريق البرهاني وقد جوز أن يكون التقديم بمعنى التقدم ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة ويعضده قراءة من قرأ لا تقدموا بحذف إحدى التاءين من تتقدموا وقرئ لا تقدموا من القدوم وقوله تعالى (بين يدي الله ورسوله) مستعار عما بين الجهتين المسامتين ليدى الإنسان تهجيناً لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا أمراً قبل أن يحكما به وقيل المراد بين يدي رسول الله وذكر الله تعالى لتعظيمه والإيدان بجلالة محله عنده عز وجل قيل نزل فيما جرى بين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما لدى النبي صلى الله عليه وسلم فى تأمير الأقرع بن حابس أو القعقاع بن معبد (واتقوا الله) فى كل مآثاتون وما تذكرون من الأقوال والأفعال التى من جملتها ما نحن فيه (إن الله سميع) لا قوالكم (عليم) بأفعالكم فمن حقه أن يتقى ويراقب (يأيتها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) شروع فى النهى عن التجاوز فى كيفية القول عند النبي عليه الصلاة والسلام بعد النهى عن التجاوز فى نفس القول والفعل وإعادة النداء مع قرب العهد به للبالغة فى الإيقاظ والتنبيه والإشعار باستقلال كل من الكلامين باستدعاء الاعتناء بشأنه أى لا تبلغوا بأصواتكم وراء حد يبلغه عليه الصلاة والسلام بصوته وقرئ لا ترفعوا بأصواتكم على أن الباء زائدة (ولا تجهروا له بالقول) إذا كلمتموه (كجهر بعضكم لبعض) أى جهر أكثراً كالجهر الجارى فيما بينكم بل اجعلوا صوتكم أخفض من صوته عليه الصلاة والسلام وتعهدوا فى مخاطبته اللين القريب من الهمس كما هو الدأب عند مخاطبة المهيب المعظم وحافظوا على مراعاة أهية النبوة وجلالة مقدارها وقيل معنى لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض لا تقولوا له يا محمد يا أحمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس رضى الله عنهما لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر يارسول الله والله لا أكلبك إلا السرار أو أخوا السرار حتى ألقى الله تعالى وعن عمر رضى الله عنه أنه كان يكلمه عليه الصلاة والسلام كأخى السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان أبو بكر رضى الله عنه إذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفود أرسل إليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (أن تحبط أعمالكم) إما علة للنهى أى لا تجهروا خشية أن تحبط أو كراهة أن تحبط كما فى قوله تعالى يبين الله لكم أن تضلوا أو للنهى أى لا تجهروا لأجل الحبوط فإن الجهر حيث كان بهدد الأداء إلى الحبوط فكانه فعل لأجله على طريقة التمثيل كقوله تعالى ليكون لهم عدواً وحزناً وليس المراد بما نهى عنه من الرفع والجهر ما يقارنه الاستخفاف والاستهانة فإن ذلك كفر بل مايتوهم أن يؤدى إليه مما يجرى بينهم فى أثناء المحاورة من الرفع والجهر حسبما يعرب عنه قوله تعالى كجهر بعضكم

إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾

٤٩ الحجرات

٤٩ الحجرات

إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

لبعض خلا أن رفع الصوت فوق صوته عليه الصلاة والسلام لما كان منكراً محضاً لم يفيد بشيء ولا ما يقع منهما في حرب أو مجادلة معاند أو إرهاب عدو أو نحو ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في أذنه قر وكان جمهورى الصوت وربما كان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته وعن أنس رضى الله عنه أنه لما نزلت الآية فقد ثابت وتفقدته عليه الصلاة والسلام فأخبر بشأنه فدعاه فسأله فقال يا رسول الله لقد أنزلت إليك هذه الآية ولما رأى رجل جهر الصوت فأخاف أن يكون عملي قد حبط فقال له عليه الصلاة والسلام لست هناك إنك تعيش بخير وتموت بخير وإنك من أهل الجنة وأما ما يروى عن الحسن من أنها نزلت في بعض المنافقين الذين كانوا يرفعون أصواتهم فوق صوته عليه الصلاة والسلام فقد قيل محمله أن نهيهم مندرج تحت نهى المؤمنين بدلالة النص (وأتم لاتشعرون) حال من فاعل تحبط أى والحال أنكم لاتشعرون * بحبوطها وفيه مزيد تحذير مما نهوا عنه وقوله تعالى (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) الخ ٣ ترغيب في الانتهاء عما نهوا عنه بعد الترهيب عن الإخلال به أى يخفضونها مراعاة للأدب أو خشية من مخالفة النهى (أولئك) إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد * مع قرب العهد بالشار إليه لما مر مراراً من تفخيم شأنه وهو مبتدأ خبره (الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) أى جربها للتقوى ومرنها عليها أو عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فإن الامتحان سبب المعرفة واللام صلة لمخدوف أو للفعل باعتبار الأصل أو ضرب قلوبهم بضروب المحن والتكاليف الشاقة لأجل التقوى فإنها لاتظهر إلا بالاصطبار عليها أو أخلصها للتقوى من امتحن الذهب إذا أذابه وميز إريزه * من خبثه وعن عمر رضى الله عنه أذهب عنها الشهوات (لهم) فى الآخرة (مغفرة) عظيمة لذنوبهم (وأجر عظيم) لا يقادر قدره والجملة إما خبر آخر لأن كالجمله المصدرية باسم الإشارة أو استئناف * لبيان جزائهم إحماداً لحالهم وتعريضاً بسوء حال من ليس مثلهم (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات) ٤ أى من خارجها من خلفها أو قدامها ومن ابتدائية دالة على أن المناذرة نشأت من جهة الورا. وأن المناذرى داخل الحجرة لوجوب اختلاف المبدأ والمنتهى بحسب الجهة بخلاف ما لو قيل ينادونك وراء الحجرات وقرئ الحجرات بفتح الجيم وبسكونها وثلاثها جمع حجرة وهى القطعة من الأرض المحجورة بالحائط ولذلك يقال لحظيرة الإبل حجرة وهى فعلة من الحجر بمعنى مفعول كالغرفة والقبة والمراد بها حجرات أمهات المؤمنين ومناذاتهم من ورائها إما بأنهم أتوها حجرة حجرة فنادوه عليه الصلاة والسلام من ورائها أو بأنهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له عليه الصلاة والسلام فنادوه..

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤٩﴾
يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَ كُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ

٤٩ الحجرات

نَدِيمِينَ ﴿٥٠﴾

وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ
وَزَيَّنَّ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٥١﴾ ٤٩ الحجرات

بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك فأسند فعل الألباض إلى السكل وقد جوز أن يكونوا قد نادوه من وراء الحجرة التي كان عليه الصلاة والسلام فيها ولكنها جمعت إجلالا له عليه الصلاة والسلام وقيل إن الذي ناداه عينه بن حصن الفزاري والأقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقلا يا محمد اخرج إلينا وإنما أسند النداء إلى السكل لأنهم رضوا بذلك أو أمروا به أو لأنه وجد فيما بينهم (أكثرهم لا يعقلون) إذ لو كان لهم عقل لما تجاسروا على هذه المرتبة من سوء الأدب (ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم) أي ولو تحقق صبرهم وانتظارهم حتى تخرج إليهم فإن أن وإن دلت بما في حيزها على المصدر لكنها تفيد بنفسها التحقق والثبوت الفرق البين بين قولك بلغني قيامك وبلغني أنك قائم وحتى تفيد أن الصبر ينبغي أن يكون مغياً بخروجه عليه الصلاة والسلام فإنها مختصة بما هو غاية للشيء في نفسه ولذلك تقول أكلت السمكة حتى رأسها ولا تقول حتى نصفها أو ثلثها بخلاف إلى فإنها عامة وفي إليهم إشعار بأنه لو خرج لا لأجلهم ينبغي أن يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام أو يتوجه إليهم (لكان) أي الصبر المذكور (خيراً لهم) من الاستعجال لما فيه من رعاية حسن الأدب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب والإسعاف بالمسؤول إذ روى أنهم وفدوا شافعين في أسارى بني العنبر فأطلق النصف وفادى النصف (والله غفور رحيم) بليغ المغفرة والرحمة واسعها فلن يضيق ساحتها عن هؤلاء إن تابوا وأصلحوا (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) أي فتعرفوا وتفحصوا روى أنه عليه الصلاة والسلام بعث الوليد ابن عتبة أخا عثمان رضى الله عنه لأمه مصدقا إلى بني المصطلق وكان بينه وبينهم أحنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسب أنهم مقاتلوه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فهم عليه الصلاة والسلام بقتالهم فنزلت وقيل بعث إليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلاة متجهدين فسلموا إليه الصدقات فرجع وفي ترتيب الأمر بالتبين على فسق المخبر إشارة إلى قبول خبر الواحد العدل في بعض المواد وقرئ فتثبتوا أي توقفوا إلى أن يتبين لكم الحال (أن تصيوا) حذاراً أن تصيوا (قوماً بجهالة) ملتبسين بجهالة حالهم (فتصيحوا) بعد ظهور براءتهم عما أسند إليهم (على ما فعلتم) في حقهم (نادمين) مغتمين غملاً لازماً متمنين أنه لم يقع فإن تركيب هذه الأحرف الثلاثة يدور مع الدوام (واعلموا

أن فيكم رسول الله (أن بما في حيزها ساد مسد مفعولى اعلوا باعتبار ما بعده من قوله تعالى (لويطيعكم
 في كثير من الأمر لعنتم) فإنه حال من أحد الضميرين في فيكم والمعنى أن فيكم رسول الله كأننا على
 حالة يجب عليكم تغييرها أو كائنين على حالة الخ وهي أنكم تريدون أن يتبع عليه الصلاة والسلام رأيكم
 في كثير من الحوادث ولو فعل ذلك لوقعتم في الجهد والهلاك وفيه إيذان بأن بعضهم زينوا الرسول الله
 صلى الله عليه وسلم الإيقاع بنبي المصطلق تصديقاً لقول الوليد وأنه عليه الصلاة والسلام لم يطع رأيهم
 وأما صيغة المضارع فقد قيل إنها للدلالة على أن امتناع عنهم لامتناع استمرار طاعته عليه الصلاة والسلام
 لهم لأن عنهم إنما يلزم من استمرار الطاعة فيما يعن لهم من الأمور إذ فيه اختلال أمر الإبالقوا انقلاب
 الرئيس رؤساً لامن إطاعته في بعض ما يروونه نادراً بل فيها استمالتهم بلا معرفة وقيل إنها للدلالة على
 أن امتناع عنهم لاستمرار امتناع طاعته عليه الصلاة والسلام لهم في ذلك فإن المضارع المنفى قد
 يدل على استمرار النفي بحسب المقام كما في نظائر قوله تعالى ولا هم يحزنون والتحقيق أن الاستمرار
 الذى تفيد صيغة المضارع يعتبر تارة بالنسبة إلى ما يتعلق بالفعل من الأمور الزمانية المتجددة وذلك
 بأن يعتبر الاستمرار في نفس الفعل على الإبهام ثم يعتبر تعلق ما يتعلق به بياناً لما فيه الاستمرار
 وأخرى بالنسبة إلى ما يتعلق به من نفس الزمان المتجدد وذلك إذا اعتبر تعلقه بما يتعلق به أولاً ثم
 اعتبر استمراره فيتعين أن يكون ذلك بحسب الزمان فإن أريد باستمرار الطاعة استمرارها وتجدها
 بحسب تجديد مواقعها الكثيرة التى يفصح عنها قوله تعالى في كثير من الأمر فالحق هو الأول ضرورة
 أن مدار امتناع العنت هو امتناع ذلك الاستمرار سواء كان ذلك الامتناع بعدم وقوع الطاعة في
 أمر ما من تلك الأمور الكثيرة أصلاً أو بعدم وقوعها في كلها مع وقوعها في بعض يسير منها حتى لو
 لم يمتنع ذلك الاستمرار بأحد الوجهين المذكورين بل وقعت الطاعة فيما ذكر من كثير من الأمر في
 وقت من الأوقات وقع العنت قطعاً وإن أريد به استمرار الطاعة الواقعة في الكل وتجدها بحسب
 تجديد الزمان واستمراره فالحق هو الثانى فإن مناط امتناع العنت حينئذ ليس امتناع استمرار
 الطاعة المذكورة ضرورة أنه موجب لوقوع العنت بل هو الاستمرار الزمانى لامتناع تلك الطاعة
 الواقعة في تلك الأمور الكثيرة بأحد الوجهين المذكورين حتى لو لم يستمر امتناعها بأن وقعت تلك
 الطاعة في وقت من الأوقات وقع العنت حتماً واعلم أن الآحق بالاختيار والأولى بالاعتبار هو الوجه
 الأول لأنه أوفق بالقياس المقضى لاعتبار الامتناع وإرداً على الاستمرار حسب ورود كلة لو
 المفيدة للأول على صيغة المضارع المفيدة للثانى على أن اعتبار الاستمرار إرداً على النفي على خلاف
 القياس بمعونة المقام إنما يهصر إليه إذا تعذر الجريان على موجب القياس أو لم يكن فيه مزيد مزية
 كما في مثل قوله تعالى ولا هم يحزنون حيث حمل على استمرار نفي الحزن عنهم إذ ليس في نفي استمرار
 الحزن مزيد فائدة وأما إذا انتظم الكلام مع مراعاة موجب القياس حق الانتظام فالعدول عنه تمحل
 لا يخفى وقوله تعالى (ولكن الله حجب إليكم الإيمان) الخ تجريد للخطاب وتوجيه له إلى بعضهم بطريق
 الاستدراك بياناً لبراءتهم عن أوصاف الأولين وإحداً لأفعالهم أى ولكنه تعالى جعل الإيمان

٤٩ المجزات

فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾

وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى
فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَبْغِيَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾

٤٩ المجزات

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ٤٩ المجزات

- * محبوباً لديكم (وزينه في قلوبكم) حتى رسخ جبه فيها ولذلك آتيت بما يليق به من الأقوال والأفعال
- * (وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان) ولذلك اجتنبتم عما يليق بهما لاخير فيه من آثارها وأحكامها
- * ولما كان في التحبيب والتكريم معنى لإنهاء المحبة والكرامة وإيصالها إليهم استعمالاً بكلمة إلى وقيل هو استدراك ببيان عذر الأولين كأنه قيل لم يكن ما صدر عنكم في حق بني المصطلق من خلل في عقيدةكم بل من فرط حبكم للإيمان وكرهتكم للكفر والفسوق والعصيان والأول هو الأظهر لقوله تعالى (أولئك هم الراشدون) أي السالكون إلى الطريق السوي الموصول إلى الحق والالتفات إلى النية
- ٨ كالذي في قوله تعالى وما آتيت من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون (فضلاً من الله ونعمة) أي وإنعاماً لتعليل لحب أو كره وما بينهما اعتراض وقيل نصهما بفعل مضمر أي جرى ذلك فضلاً
- * وقيل يبتغون فضلاً (والله عليم) مبالغ في العلم فيعلم أحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل (حكيم)
- ٩ يفعل كل ما يفعل بموجب الحكمة (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) أي تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى (فأصلحوا بينهما) بالنصح والدعاء إلى حكم الله تعالى (فإن بغت) أي تعدت (إحداهما على الأخرى) ولم تتأثر بالنصيحة (فقاتلوا التي تبغى حتى تنفي) أي ترجع (إلى أمر الله) إلى حكمه أو إلى ما أمر به (فإن فاءت) إليه وأقلعت عن القتال حذاراً من قتالكم (فأصلحوا بينهم بالعدل) بفصل ما بينهما على حكم الله تعالى ولا تكتفوا بمجرد متاركتهما عسى أن يكون بينهما قتال في وقت آخر
- * وتقييد الإصلاح بالعدل لأنه مظنة الحيف لوقوعه بعد المقاتلة وقد أكد ذلك حيث قيل (وأقسطوا)
- * أي وأعدلوا في كل ما تأتون وما تزدون (إن الله يحب المقسطين) فيجازيهم أحسن الجزاء والآية نزلت في قتال حدث بين الأوس والخزرج في عهده عليه الصلاة والسلام بالعسف والنعال وفيها دلالة على أن الباغي لا يخرج بالبغي عن الإيمان وأنه إذا أمسك عن الحرب ترك لأنه في أمر الله تعالى وأنه يجب
- ١٠ معاونة من بغى عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة (إنما المؤمنون إخوة) استئناف مقرر لما قبله من الأمر بالإصلاح أي أنهم منتسبون إلى أصل واحد هو الإيمان الموجب للحياة الأبدية والفناء في قوله تعالى (فأصلحوا بين أخويكم) للإيذان بأن الآخرة الدينية موجبة للإصلاح ووضع المظهر مقام المضمحل مضافاً إلى المأمورين للبالغة في تأكيد وجوب الإصلاح والتحضيض عليه وتخصيص

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا تَلْزَمُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّغَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾

٤٩ الحجرات

- الإثنين بالذكر لإثبات وجوب الإصلاح فيما فوق ذلك بالطريق الأولوية لتضايف الفتنة والفساد فيه وقيل المراد بالآخوين الأوس والخزرج وقرىء بين أخوتكم وإخوانكم (واتقوا الله) في كل ما تأتون وما تدرّون ومن الأمور التي من جملتها ما أمرتم به من الإصلاح (لعلكم ترحمون) راجين أن ترحموا على تقواكم (يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم) أي منكم (من قوم) آخرين أيضاً منكم وقوله ١١ تعالى (عسى أن يكونوا خيراً منهم) تعليل للنهي أو لموجهه أي عسى أن يكون المسخور منهم خيراً * عند الله تعالى من الساخرين والقوم مختص بالرجال لأنهم القوام على النساء وهو في الأصل إما جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر أو مصدر نعت به فشاخ في الجمع وأما تعميمه للفريقين في مثل قوم عاد وقوم فرعون فإما للتغليب أو لأنهم توابع واختيار الجمع لغلبة وقوع السخرية في الجمع والتسكير إما للتعميم أو للقصد إلى نهى بعضهم عن سخرية بعض لما أنها بما يجري بين بعض وبعض (ولا نساء) أي ولا تسخر نساء من المؤمنات (من نساء) منهن (عسى أن يكن) أي المسخور منهن (خيراً منهن) أي من الساخرات فإن مناط الخيرية في الفريقين ليس ما يظهر للناس من الصور والأشكال ولا الأوضاع والأطوار التي عليها يدور أمر السخرية غالباً بل إنما هو الأمور الكامنة في القلوب فلا يجترى أحد على استحقاق أحد فلهذا أجمع منه لما ينط به الخيرية عند الله تعالى فيظلم نفسه بتحقيق من وقرء الله تعالى والاستهانة بمن عظمه الله تعالى وقرىء عسوا أن يكونوا وعسين أن يكن فعسى حينئذ هي ذات الخبر كما في قوله تعالى فهل عسيتم وأما على الأول فهي التي لا خبر لها (ولا تلزوا أنفسكم) أي ولا يعب بعضكم بعضاً فإن المؤمنين كنفس واحدة أو لا تفعلوا ما تلزون به فإن من فعل ما يستحق به اللز فقد لزم نفسه واللزم الطعن باللسان وقرىء بضم الميم (ولا تنابزوا باللقاب) أي ولا يدع بعضكم بعضاً بلقب السوء فإن النبز مختص به عرفاً (بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان) أي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين أن يذكروا بالفسق بعد دخولهم الإيمان أو اشتهارهم به فإن الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم أو باللؤم والمراد به إما تهجين نسبة الكفر والفسوق إلى المؤمنين خصوصاً إذ روى أن الآية نزلت في صفية بنت حيي أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إن النساء يقرن لي يا يهودية بنت يهوديين فقال عليه الصلاة والسلام هلا قلت إن أبي هرون وعمي موسى وزوجي محمد عليهم السلام أو الدلالة على أن التنازع فسق والجمع بينه وبين الإيمان قبيح (ومن لم يتب) عما نهى عنه (فأولئك هم الظالمون) بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ

رَحِيمٌ ﴿١٢﴾

١٢ المجرات

١٢ النفس للعذاب (يأيا الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن) أى كونوا على جانب منه وإيهام الكثير لإيجاب الاحتياط والتأمل فى كل ظن ظن حتى يعلم أنه من أى قبيل فإن من الظن ما يجب اتباعه كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله تعالى ومنه ما يحرم كالظن فى الإلهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين ومنه ما يباح كالظن فى الأمور المعاشية (إن بعض الظن إثم) تعليل للأمر بالاجتناب أو لموجه بطريق الاستئناف التحقيق والإثم الذنب الذى يستحق العقوبة عليه وهزته منقلبة من الواو كأنه يثم الأعمال أى يكسرها (ولا تجسسوا) أى ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس لما فيه من معنى الطلب كما أن التلس بمعنى التطلب لما فى التلس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب فى قوله تعالى وأنا لمسنا السماء وقرىء بالحاء من الحس الذى هو لإثر الجس وغايته ولتقاربهما يقال للشاعر الخواس بالحاء والجيم وفى الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فإن من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو فى جوف يته (ولا يغتب بعضكم بعضاً) أى لا يذكر بعضكم بعضاً بالسوء فى غيبته وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال أن تذكر أخاك بما يكره فإن كان فيه فقد اغتبتته وإن لم يكن فيه فقد بهته وعن ابن عباس رضى الله عنهما الغيبة إدام كلاب الناس (أوجب أحدهم أن يأكل لحم أخيه ميتاً) تمثيل وتصوير لما يصدر عن المغتاب من حيث صدوره عنه ومن حيث تعلقه بصاحبه على أخش وجهه وأشنعه طبعاً وعقلاً وشرعاً مع مبالغات من فنون شتى الاستفهام التقريرى وإسناد الفعل إلى أحد لإيداناً بأن أحداً من الأحدين لا يفعل ذلك وتعليق الحجة بما هو فى غاية الكراهة وتمثيل الاغتيال بأكل لحم الإنسان وجعل المأكول أكل للآكل وميتاً وإخراج تماثلها مخرج أمر بين غنى عن الإخبار به وقرىء ميتاً بالتشديد وانتصابه على الحالية من اللحم وقيل من الأخ والغاء فى قوله تعالى (فكرهتُمُوهُ) لترتيب ما بعدها على ما قبلها من التمثيل كأنه قيل وحيث كان الأمر كما ذكر فقد كرهتُمُوهُ وقرىء كرهتُمُوهُ أى جبلتم على كراهته (واتقوا الله) بترك ما أمرتم باجتنابه والندم على ما صدر عنكم من قبل (إن الله تواب رحيم) مبالغ فى قبول التوبة وإفاضة الرحمة حيث يجعل التائب كمن لم يذنب ولا يخص ذلك بتائب دون تائب بل يعم الجميع وإن كثرت ذنوبهم روى أن رجلين من الصحابة رضى الله عنهم بعثا سليمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبنى لهما إداماً وكان أسامة على طعامه عليه الصلاة والسلام فقال ما عندى شيء فأخبرهما سليمان فقالا لو بعثنا سليمان إلى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ما لى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما فقالا ماتنا ولنا لحم فقال عليه الصلاة والسلام إنكما قد اغتبتما

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾

٤٩ الحجرات

قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾

٤٩ الحجرات

- فزلت (يا أيها الذين آمنوا إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) من آدم وحواء أو خلقنا كل واحد منكم من ١٣
 أب وأم فالكل سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب وقد جوز أن يكون تأكيداً للنهي السابق
 بتقرير الأخوة المانعة من الاغتياب (وجعلناكم شعوباً وقبائل) الشعب الجمع العظيم المنتسبون إلى
 أصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العماز والعمازة تجمع البطون والبطن يجمع الأنفاذ والفخذ
 يجمع الفصائل فخرمة شعب وكنانة قبيلة وفريش عمارة وقصى بطن وهاشم نخذ والعباس فصيلة وقيل
 الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب (لتعارفوا) ليعرف بعضكم بعضاً بحسب الأنساب فلا
 يعتزى أحد إلى غير آبائه لا لتفاخره بالآباء والقبائل وتدعوا التفاوت والتفاضل في الأنساب وقرئ
 لتعارفوا على الأصل ولتعارفوا بالإدغام ولتعارفوا (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) تعليل للنهي عن
 التفاخر بالأنساب المستفاد من الكلام بطريق الاستئناف التحقيق كأنه قيل إن الأكرم عنده تعالى
 هو الأتقى فإن فاخرتم ففاخروا بالتقوى وقرئ بأن المفتوحة على حذف لام التعليل كأنه قيل لم
 لا تتفاخروا بالأنساب فقيل لأن أكرمكم عند الله أتقاكم لا أنسبكم فإن مدار كمال النفوس وتفاوت
 الأشخاص هو التقوى فن رام نيل الدرجات العلا فعليه بالتقوى قال عليه الصلاة والسلام من سره
 أن يكون أكرم الناس فليتق الله وقال عليه الصلاة والسلام يا أيها الناس إنما الناس رجلان مؤمن تقى
 كريم على الله تعالى وفاخر شقى هين على الله تعالى وعن ابن عباس رضى الله عنهما كرم الدنيا الغنى
 وكرم الآخرة التقوى (إن الله عليم) بكم وبأعمالكم (خير) بيواطن أحوالكم (قالت الأعراب ١٤
 آمنا) نزلت في نفر من بني أسد قدموا المدينة في سنة جدد فأظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول
 الله صلى الله عليه وسلم أتيناك بالأنفال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون
 عليه عليه الصلاة والسلام فاجعلوا (قل) ردأ لهم (لم تؤمنوا) إذ الإيمان هو التصديق المقارن للثقة
 وطمأنينة القلب ولم يحصل لكم ذلك وإلا لما منتم على ما ذكرتم كما ينبي عنه آخر السورة (ولكن
 قولوا أسلمنا) فإن الإسلام انقياد ودخول في السلم وإظهار الشهادة وترك المحاربة مشعر به وإيثار
 ما عليه النظم الكريم على أن يقال لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا أو لم تؤمنوا ولكن أسلمتم للاحتراز
 من النهي عن التلفظ بالإيمان وللتفادى عن إخراج قولهم مخرج التسليم والاعتداد به مع كونه تقولاً
 محضاً (ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) حال من ضمير قولوا أى ولكن قولوا أسلمنا حال عدم مواطاة
 قلوبكم لأستتكم وما في لما من معنى التوقع مشعر بأن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد (وإن تطيعوا الله ورسوله) *

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾

٤٩ المجرات

قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾
يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾

٤٩ المجرات

٤٩ المجرات

إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

- * بالإخلاص وترك النفاق (لا يلتصكم من أعمالكم) لا ينقصكم (شيئاً) من أجورها من لا تيلت لينا
* إذا نقص وقرىء لا يلتصكم من الآلت وهي لغة غطفان أو شيئاً من النقص (إن الله غفور) لما فرط
١٥ من المطيعين (رحيم) بالتفضل عليهم (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) لم يشكوا
من ارتاب مطاوع رابه إذا أوقعه في الشك مع التهمة وفيه إشارة إلى أن فيهم ما يوجب نفى الإيمان
عنهم وثم للإشعار بأن اشتراط عدم الارتباب في اعتبار الإيمان ليس في حال إنشائه فقط بل وفيما
* يستقبل فهي كما في قوله تعالى ثم استقاموا (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) في طاعته على
* تكثرت فنونها من العبادات البدنية المحضة والمالية الصرفة والمشتملة عليها معاً كالجهاد (أولئك)
* الموصوفون بما ذكر من الأوصاف الجميلة (هم الصادقون) أي الذين صدقوا في دعوى الإيمان لا غيرهم
١٦ روى أنه لما نزلت الآية جاؤا وحلفوا أنهم مؤمنون صادقون فزل لتكذيبهم قوله تعالى (قل أتعلون
* أنه بدينكم) أي أنخبرونه بذلك بقولكم آمناً والتعبير عنه بالتعليم لغاية تشنيعهم (والله يعلم ما في
* السموات وما في الأرض) حال من مفعول تعلمون مؤكدة لتشنيعهم وقوله تعالى (والله بكل شيء
* عليم) تذييل مقرر لما قبله أي مبالغ في العلم بجميع الأشياء التي من جملتها ما أخفوه من الكفر عند
١٧ إظهارهم الإيمان وفيه مزيد تجهيل وتوبيخ لهم (يؤمنون عليك أن أسلوا) أي يعدون لإسلامهم منه
عليك وهي النعمة التي لا يطلب مولها ثواباً بمن أنعم بها عليه من المن بمعنى القطع لأن المقصود بها
* قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن (قل لا تمنوا على إسلامكم) أي لا تعدوا لإسلامكم منه على أو
* لا تمنوا على إسلامكم فنصب بنزع الخافض (بل الله يمين عليكم أن هذا لكم للإيمان) على ما زعمتم مع أن
* الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرىء أن هذا لكم وإذ هذا لكم (إن كنتم صادقين) في ادعاء الإيمان وجوابه
خذوف يدل عليه ما قبله أي فله المنه عليكم وفي سياق النظم الكريم من اللطف ما لا يخفى فإنهم لما سموا
ما صدر عنهم إيماناً ومنوابه فنفي كونه إيماناً وسمى إسلاماً قيل يمينون عليك بما هو في الحقيقة إسلام
١٨ وليس بجدير بالمن بل لوصح ادعائهم للإيمان فله المنه عليهم بالهداية إليه لا لهم (إن الله يعلم غيب
* السموات والأرض) أي ما غاب فيهما (والله بصير بما تعملون) في سرهم وعلايتكم فكيف يخفى عليه

٥٠ - سورة ق

(مكية وهي خمس وأربعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ٥٠ ق

بَلْ عَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ٥٠ ق

أِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ٥٠ ق

ما في ضمائرهم وقرئ بالياء . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات أعطى من الأجر بعدد من أطاع الله وعصاه .

﴿ سورة ق مكية وآياتها خمس وأربعون ﴾

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (ق والقرآن المجيد) أى ذى المجد والشرف على سائر الكتب أو لأنه كلام المجيد أولان من علم معانيه وعمل بما فيه مجد عند الله تعالى وعند الناس والكلام فيه كالذى فصل في مطلع سورة ص وقوله تعالى (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم) أى لأن جاءهم منذر من جنسهم لامن جنس الملك أو من جلدتهم لإضراب عما ينبئ عنه جواب القسم المحذوف كأنه قيل والقرآن المجيد أنزلناه إليك لتندبر به الناس حسبما ورد في صدر سورة الأعراف كأنه قيل بعد ذلك لم يؤمنوا به بل جعلوا كلام المنذر والمنذر به عرضة للنكير والتعجب مع كونهما أوفق شيء لقضية العقول وأقربه إلى التلقى بالقبول وقيل التقدير والقرآن المجيد إنك لمنذر ثم قيل بعده إنهم شكوا فيه ثم أضراب عنه وقيل بل عجبوا أى لم يكتفوا بالشك والرد بل جزموا بالخلاف حتى جعلوا ذلك من الأمور العجيبة وقيل هو إضراب عما يفهم من وصف القرآن بالمجيد كأنه قيل ليس سبب امتناعهم من الإيمان بالقرآن أنه لا يجد له ولكن لجهلهم (فقال الكافرون هذا شيء عجيب) تفسير لتعجبهم وبيان لكونه مقارناً لغاية الإنكار مع زيادة تفصيل محل التعجب وهذا الإشارة إلى كونه عليه الصلاة والسلام منذراً بالقرآن وإضمارهم أولاً للإشعار بتعجبهم بما أسند إليهم وإظهارهم ثانياً للتسجيل عليهم بالكفر بموجبه أو عطف لتعجبهم من البعثة على أن هذا إشارة إلى مبهم يفسره ما بعده من الجملة الإنكارية ووضع المظهر موضع المضمرة إما السابق اتصافهم بما يوجب كفرهم وإما اللاحق بأن تعجبهم من البعث لدلالته على استقصارهم لقدرة الله سبحانه عنه مع معانيتهم لقدرة تعالى على ما هو أشق منه في قياس العقل من مصنوعاته البديعة أشنع من الأول وأعرق في كونه كفراً (أئذا متنا وكنا تراباً) تقرير للتعجب وتأكيد للإنكار ٣

- ق ٥٠ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيزٌ ①
- ق ٥٠ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ②
- ق ٥٠ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ③
- ق ٥٠ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ④
- ق ٥٠ تَبَصُّرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ⑤

والعامل في إذا مضمرة غنى عن البيان لغاية شهرته مع دلالة ما بعده عليه أى أحين نموت ونصير تراباً
 نرجع كما ينطق به التذير والمنذر به مع كمال التباين بيننا وبين الحياة حينئذ وقرئ إذا متنا على لفظ
 * الخبر أو على حذف أداة الإنكار (ذلك) إشارة إلى محل النزاع (رجع بعيد) أى عن الأوهام أو العادة
 أو الإمكان وقيل الرجوع بمعنى الرجوع الذى هو الجواب فناصر الطرف حينئذ ما ينبي عنه المنذر
 ٤ من البعث (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم) زد لاستبعادهم وإزاحة له فإن من عم عليه ولطف حتى
 انتهى إلى حيث علم ما تنقص الأرض من أجساد الموتى وتأكل من لحومهم وعظامهم كيف يستبعد
 رجعه إياهم أحياء كما كانوا عن النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يلى إلا عجب الذنب وقيل ما تنقص
 * الأرض منهم ما يموت فيدفن في الأرض منهم (وعندنا كتاب حفيظ) حافظ لتفاصيل الأشياء كلها أو
 محفوظ من التغير والمراد إما تمثيل علمه تعالى بكليات الأشياء وجزئياتها يعلم من عنده كتاب محيط يتلقى
 ٥ منه كل شيء أو تأكيد لعلمه تعالى بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده (بل كذبوا بالحق) لإضراب
 وانتقال من بيان شناعتهم السابقة إلى بيان ما هو أشنع منه وأفظع وهو تكذيبهم للنسبة الثابتة بالمعجزات
 * الباهرة (لما جاءهم) من غير تأمل وتفكر وقرئ لما جاءهم بالكسر على أن اللام للتوقيت أى وقت
 * مجيئه إياهم وقيل الحق القرآن أو الإخبار بالبعث (فهم في أمر مريج) أى مضطرب لا قرار له من
 ٦ مرج الخاتم في أصبعه حيث يقولون تارة إنه شاعر وتارة ساحر وأخرى كاهن (أفلم ينظروا) أى
 * أغفلوا أو أعموا فلم ينظروا (إلى السماء فوقهم) بحيث يشاهدونها كل وقت (كيف بنيناها) أى رفعتها
 * بغير عمد (وزيناها) بمافيها من الكواكب المرتبة على نظام بديع (وما لها من فروع) من فتوق للملاستها
 ٧ وسلامتها من كل عيب وخلل ولعل تأخير هذا لمراعاة الفواصل (والأرض مددناها) أى بسطناها
 * (وألقينا فيها رواسي) جبالات من رسا الشيء إذا ثبت والتعبير عنها بهذا الوصف للإيذان بأن
 ٨ إلقاءها يرساء الأرض بها (وأنبطنا فيها من كل زوج) من كل صنف (بهيج) حسن (تبصرة وذكرى)
 علتان للأفعال المذكورة معنى وإن انتصبتا بالفعل الأخير أو لفعل مقدر بطريق الاستئناف أى فعلنا
 * ما فعلنا تبصيراً وتذكيراً (لكل عبد منيب) أى راجع إلى ربه متفكر في بدائع صنائعه .

- وَزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ⑩
وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ⑪
رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ⑫
كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ⑬
وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطَ ⑭

- ٩ وقوله تعالى (وزلنا من السماء ماء مباركا) أى كثير المنافع شروع فى بيان كيفية إنبات ما ذكر من كل روع بهيج وهو عطف على أنبتنا وما بينهما على الوجه الأخير اعتراض مقرر لما قبله ومنبه على ما بعده (فأنبتنا به) أى بذلك الماء (جنات) كثيرة أى أشجاراً ذوات ثمار (وحب الحصيد) أى حب الزرع الذى شأنه أن يحصد من البر والشعير وأمثالها وتخصيص إنبات حبه بالذكر لأنه المقصود بالذات (والنخل) عطف على جنات وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فى الجنات لبيان فضلها على سائر الأشجار وتوسيط الحب بينهما لتأكيد استقلالها وامتيازها عن البقية مع ما فيها من مراعاة الفواصل (باسقات) أى طوالا أو حوامل من أبسقت الشاة إذا حملت فيكون من باب أفعل فهو فاعل وقرىء * باسقات لأجل القاف (لها طلع نضيد) أى منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع أو كثرة ما فيه من الثمر والجملة حال من النخل كباسقات بطريق الترادف أو من ضميرها فى باسقات على التداخل أو الحال هو الجار والمجرور وطلع مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى (رزقا للعباد) أى لنرزقهم علة ١١ لقوله تعالى فأنبتنا وفى تعليقه بذلك بعد تعليل أنبتنا الأول بالتبصرة والتذكير تنبيه على أن الواجب على العبد أن يكون انتفاعه بذلك من حيث التذكر والاستبصار أهم وأقدم من تمتعه به من حيث الرزق وقيل رزقا مصدر من معنى أنبتنا لأن الإنبات رزق (وأحيينا به) أى بذلك الماء (بلدة ميتا) أرضاً * جديدة لانماء فيها أصلا بأن جعلناها بحيث ربت وأنبتت أنواع النبات والأزهار فصارت تهتز بها بعدما كانت جامدة هامة وتذكير ميثا لأن البلدة بمعنى البلد والمكان (كذلك الخروج) جملة قدم فيها الخبر للقصد إلى القصر وذلك إشارة إلى الحياة المستفادة من الإحياء وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعدها رتبها أى مثل تلك الحياة البديعة حياتكم بالبعث من القبور لاشئ مخالف لها وفى التعبير عن إخراج النبات من الأرض بالإحياء وعن حياة الموق بالخروج تفخيم لشأن الإنبات وتهوين لأمر البعث وتحقيق للمماثلة بين إخراج النبات وإحياء الموق لتوضيح منهاج القياس وتقريبه إلى أفهام الناس وقوله تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح) الخ استئناف وارد لتقرير حقيقة البعث ببيان كافة الرسل عليهم السلام ١٢ عليها وتعذيب منكريها (وأصحاب الرس) قيل هم ممن بعث إليهم شعيب عليه السلام وقيل وقبل كما مر فى سورة الفرقان على التفصيل (وثمود) (وعاد وفرعون) أى هو وقومه ليلائم ما قبله وما بعده ١٣

- وَأَصْحَابُ الْآيَةِ وَقَوْمٌ تُبْعَ كُلُّ كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ ⑭
- أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ⑮
- وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسَّسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ⑯
- إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ⑰

١٤ (ولإخوان لوط) قيل كانوا من أصحابه عليه الصلاة والسلام (وأصحاب الآية) هم من بعث إليهم شعيب عليه السلام غير أهل مدين (وقوم تبع) سبق شرح حالهم في سورة الدخان (كل كذب الرسل) أى فيما أرسلوا به من الشرائع التى من جملتها البعث الذى أجمعوا عليه قاطبة أى كل قوم من الأقوام المذكورين كذبوا رسلهم أو كذب جميعهم جميع الرسل بالمعنى المذكور وإفراد الضمير باعتبار لفظ الكل أو كل واحد منهم كذب جمع الرسل لاتفاقهم على الدعوة إلى التوحيد والإنذار بالبعث والحشر فتكذيب واحد منهم تكذيب للكل وهذا على تقدير رسالة تبع ظاهر وأما على تقدير عدما وهو الأظهر فعنى تكذيب قومه الرسل تكذيبهم بمن قبلهم من الرسل المجمعين على التوحيد والبعث وإلى ذلك كان يدعوهم تبع (حق وعيد) أى فوجب وحل عليهم وعيدى وهى كلمة العذاب وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم (أفعينا بالخلق الأول) استئناف مقرر لصحة البعث الذى حكيت أحوال المنكرين له من الأمم المهلكة والعلى بالأمر العجز عنه يقال عى بالأمر وعى به إذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر ينبى عنه العلى من القصد والمباشرة كأنه قيل أقصدنا الخلق الأول فعجزنا عنه حتى يتوهم عجزنا عن الإعادة (بل هم فى لبس من خلق جديد) عطف على مقدر يدل عليه ما قبله كأنه قيل هم غير منكرين لقدرتنا على خلق الأول بل هم فى خلط وشبهة فى خلق مستأنف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير خلق لتفخيم شأنه والإشعار بخروجه عن حدود العادات والإيذان بأنه حقيق بأن يبحث عنه ويهتم بمعرفته (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه) أى ما تحدثه به نفسه وهو يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفى ومنه وسواس الحلى والضمير لما إن جعلت موصولة والباء كما فى صوت بكذا أو للإنسان وإن جعلت مصدرية والباء للتعدية (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) أى أعلم بحاله من كان أقرب إليه من حبل الوريد عبر عن قرب العلم بقرب الذات تجوزاً لأنه موجب له وحبل الوريد مثل فى فرط القرب والحبل العرق وإضافته بيانية والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتى العنق فى مقدمها متصلان بالوتين يردان من الرأس إليه وقيل سمي وريداً لأن الروح ترده (إذ يتلقى المتلقيان) منصوب بما فى أقرب من معنى الفعل والمعنى أنه لطيف يتوصل عنه إلى ما لا شىء أخفى منه وهو أقرب من الإنسان من كل قريب حين يتلقى ويتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه إيذان بأنه تعالى غنى عن استحفاظهما لإحاطة علمه بما يخفى عليهما وإما ذلك لما كتبتهما وحفظهما لأعمال العبد وعرض صحائفهما يوم يقوم الأشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه

مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾
وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾

يلحظ الله تعالى بتفاصيل أحواله خبراً من زيادة لطف له في الكف عن السيئات والرغبة في الحسنات وعنه عليه الصلاة والسلام أن مقعد ملكيك على ثنيتك ولسانك قلبهما ورنحك ميزانهما وأنت تجوز فيما لا يعينك لاتسحي من الله ولا منهما وقد جوز أن يكون تلقى الملكين بياناً للقرب على معنى أنا أقرب إليه مطلعون على أعماله لأن حفظنا وكتبنا موكون به (عن اليمين وعن الشمال قعيد) أى عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد بمعنى المجالس لفظاً ومعنى بالحرف الأول لدلالة الثاني عليه كما في قوله من قال [رمانى بأمر كست منه ووالدى * بريناً ومن أجل الطوى رمانى] وقيل يطلق القعيد على الواحد والمحدد كما في قوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهروا (ما يلفظ من قولك) ما يرمى ١٨ به من فيه من خير أو شر وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول (إلا لده رقيب) ملك يرقب قوله ويمكنه * فإن كان خبراً فهو صاحب اليمين بيمينه وإلا فهو صاحب الشمال ووجه تفسير العنوان نفي عن البيان والإفراء مع وقوعهما معاً على ما صدر عنه لما أن كلا منهما رقيب لما فوض إليه لا لما فوض إلى صاحبه كما ينفي عنه قوله تعالى (عتيد) أى معد مهياً لكتابة ما أمر به من الخير أو الشر ومن لم يتنبه له فوهم أن معناه رقيباً عتيداً وتخصيص القول بالذكر لإثبات الحكم في الفعل بدلالة النص واختلاف فيما يكتبانه فقليل يكتبان كل شيء حتى أنينه في مرضه وقيل إنما يكتبان ما فيه من أجر أو وزر وهو الأظهر كما ينفي عنه قوله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يساره وكاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات فإذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرأ وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال ادعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر (وجاءت سكرة الموت بالحق) ١٩ بعد ما ذكر استبعادهم للبعث والجزاء وأنجح ذلك بتحقيق قدرته تعالى وعلمه وبين أن جميع أعمالهم محفوظة مكتوبة عليهم أتبع ذلك ببيان ما يلاقونه لا محالة من الموت والبعث وما يتفرع عليه من الأحوال والآهوال وقد عبر عن وقوع كل منها بصيغة الماضي لإدانة بتحقيقها وغاية اقترابها وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء إما للتعبية كما في قولك جاء الرسول بالخبر والمعنى أحضره سكرة الموت حقيقة الأمر الذى نطقت به كتب الله ورسله أو حقيقة الأمر وجملة الحال من سعادة الميت وشقاوته وقيل الحق الذى لا بد أن يكون لا محالة من الموت أو الجزاء فإن الإنسان خلق له وإما لللباسة كالتى في قوله تعالى تنبت بالذهن أى ملتبسة بالحق أى بحقيقة الأمر أو بالحكمة والغاية الجميلة وقرئ سكرة الحق بالموت والمعنى أنها السكرة التى كتبت على الإنسان بموجب الحكمة وأنها لشدها ترجب زهوق الروح أو تستمقبه وقيل الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله تعالى على أن الإضافة للتحويل

- وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ٢٠
 وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ٢١
 لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ٢٢
 وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَتِيدٍ ٢٣
 أَلَقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ٢٤

- وقرئ سكرات الموت (ذلك) أى الموت (ما كنت منه توحيد) أى تميل وتنفر عنه والخطاب للإنسان
 ٢٠ فإن النفرة عنه شاملة لكل فرد من أفرادها طبعاً (ونفخ في الصور) هى النفخة الثانية (ذلك) أى
 وقت ذلك النفخ على حذف المضاف (يوم الوعيد) أى يوم إنجاز الوعيد الواقع فى الدنيا أى يوم وقوع
 الوعيد على أنه عبارة عن العذاب الموعود وقيل ذلك إشارة إلى الزمان المفهوم من نفخ فإن الفعل
 كما يدل على الحدث يدل على الزمان وتخصيص الوعيد ذكر مع أنه يوم الوعد أيضاً لتحويله ولذلك
 ٢١ بذى بيان حال الكفرة (وجاءت كل نفس) من النفوس البرة والفاجرة (معا سائق وشهيد) وإن
 اختلفت كيفية السوق والشهادة حسب اختلاف النفوس عملاً أى معها ملكان أحدهما يسوقها إلى
 المحشر والآخر يشهد بعملها أو ملك جامع بين الوصفين كأنه قيل معها ملك يسوقها ويشهد عليها وقيل
 السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه أو قرينه والشهيد جوارحه أو أعماله
 وعمل معها النصب على الحالية من كل لإضافته إلى ما هو فى حكم المعرفة كأنه قيل كل النفوس أو الجبر
 ٢٢ على أنه وصف لنفس أو الرفع على أنه وصف لكل وقوله تعالى (لقد كنتم فى غفلة من هذا) محكى
 بإضمار قول هو إما صفة أخرى لنفس أو حال أخرى منها أو استئناف مبنى على سؤال نشأ مما قبله
 كأنه قيل فإذا يفعل بها فليل يقال لقد كنتم فى غفلة الخ وخطاب الكل بذلك لما أنه ما من أحد إلا
 وله غفلة ما من الآخرة وقيل الخطاب للكافروقرئ كنتم بكسر التاء على اعتبار تأنيث النفس والتذكير
 على القراءة المشهورة بتأويل الشخص كما فى قول جلبة بن حريث [يا نفس إنك بالذات مسروراً •
 • فاذكر فهل ينفعك اليوم تذكير] (فكشفتنا عنك غطاءك) الغطاء الحجاب المغطى لأمور المعاد وهو
 • الغفلة والانهماك فى المحسوسات والآلف بها وقصر النظر عليها (فبصرك اليوم حديد) نافذ لزال المانع
 ٢٣ للإبصار وقرئ بكسر الكاف فى المواضع الثلاثة (وقال قرينه) أى الشيطان المقيض له مشيراً إليه
 • (هذا ما لدى عتيد) أى هذا ما عندى وفى ملكتي عتيد لجهنم قد هيأته لها باغوائى وإضلالى وقيل
 قال الملك الموكل به مشيراً إلى ما معه من كتاب عمله هذا مكتوب عندى عتيد مهياً للعرض وما إن
 جعلت موصوفة فعتيد صفتها وإن جعلت موصولة فهى بدل منها أو خبر بعد خبر أو خبر لمبتدأ
 ٢٤ مخوف (ألقيا فى جهنم كل كفار) خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد أو للملكين من خزنة النار

مَنَاجٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾

٥٠ ق

الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾

٥٠ ق

قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾

٥٠ ق

قَالَ لَا تَحْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾

٥٠ ق

مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾

٥٠ ق

أو لو اُحد على تنزيل تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقول من قال [فإن تزجراني يا ابن عفان أنزجر • وإن تدعاني أحمر عرضاً بمنعاً] أو على أن الألف بدل من نون التأكيد على إجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده أنه قرئ ألقين بالنون الخفيفة (عنيذ) معاند للحق (مناع للخير) كثير المنع ٢٥ للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الإسلام فإن الآية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني أخيه منه (معتد) ظالم متخط للحق (مررب) شاك في الله وفي دينه (الذي جعل مع الله إلهاً آخر) مبتدأ ٢٦ متضمن لمعنى الشرط خبره (فألقياه في العذاب الشديد) أو بدل من كل كفار وقوله تعالى فألقياه تكرير • للتوكيد أو مفعول لمضمر يفسره فألقياه (قال قرينه) أي الشيطان المقيض له وإنما استوقف استئناف ٢٧ الجمل الواقعة في حكاية المفاولة لما أنه جواب لمحذوف دل عليه قوله تعالى (ربنا ما أطغيت) فإنه منبئ • عن سابقة كلام اعتد به الكافر كأنه قال هو أطغاني فأجاب قرينه بتكذيبه وإسناد الطغيان إليه بخلاف الجملة الأولى فإنها واجبة العطف على ما قبلها دلالة على أن الجمع بين مفهوميهما في الحصول أعنى مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه (ولكن كان) هو بالذات (في ضلال بعيد) من الحق فأعنته • عليه بالإغواء والدعوة إليه من غير قسر وإلجاء كما في قوله تعالى وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي (قال) استئناف مبني على سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل فإذا قال الله تعالى فليل قال (لا تحتصموا لدى) أي في موقف الحساب والجزاء إذ لا فائدة في ذلك (وقد قدمت إليكم بالوعيد) • على الطغيان في دار الكسب في كتب وعلى السنة رسل فلا تطمعوا في الخلاص عنه بما أنتم فيه من التعلل بالمعاذير الباطلة والجملة حال فيها تعليل للنهي على معنى لا تحتصموا وقد صرح عندكم أني قدمت إليكم بالوعيد حيث قلت لا بليس لأملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين فاتبعتموه معرضين عن الحق فلا وجه للاختصام في هذا الوقت والباء مريضة أو معدية على أن قدم بمعنى تقدم وقد جوز أن يكون قدمت واقماً على قوله تعالى (ما يبدل القول لدى) الخ ويكون بالوعيد متعلقاً بمحذوف هو حال من ٢٩ المفعول أو الفاعل أي وقد قدمت إليكم هذا القول ملتبساً بالوعيد مقترناً به أو قدمته إليكم موعداً لكم به فلا تطمعوا أن أبدل وعودي والعفو عن بعض المذنبين لأسباب داعية إليه ليس بتبديل فإن دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد وقوله تعالى (وما أنا بظلام للعبيد) وارد لتحقيق الحق على الوجه •

يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴿٢٠﴾
 وَأَزْلَفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٢١﴾
 هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٢٢﴾

الكلّي وتبين أن عدم تبديل القول وتحقيق موجب الوعيد ليس من جهة تعالى من غير استحقاق له منهم بل إنما ذلك بما صدر عنهم من الجنايات الموجبة له حسباً أشير إليه آخفاً أي وما أنا بمعذب للعيد بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة أهل السنة فضلاً عن كونه ظلماً مفرطاً لبيان كمال زهاته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم وصيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بإيراد ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في معرض المبالغة في الظلم وقيل هي لرعاية جمعة العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام للعبده على أنها مبالغة كما لا كيفاً (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) سؤال وجواب مجيء بهذا على مناج التمثيل والتخييل لتحويل أمرها والمعنى أنها مع اقتباسها وتباعد أقطارها تطرح فيها من الجنة والناس فوجاً بعد فوج حتى تمتلئ أو أنها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد محل فارغ أو أنها لغيظها على العصاة تطلب زيادتهم وقرىء يقول بالياء والمزيد إما مصدر كالجديد والمجيد أو مفعول كالبيع ويوم إما منصوب بذكر أو أنذر أو ظرف للنفع فتكون ذلك حينئذ إشارة إليه من غير حاجة إلى تقدير مضاف أو لمقدر مؤخر أي يكون من الأحوال والأحوال ما يقصر عنه المقال (وأزلفت الجنة للمتقين) شروع في بيان حال المؤمنين بعد النفع وبجاء النفوس إلى موقف الحساب وقد أمر سر تقديم بيان حال الكفرة عليه وهو عطف على نفع أي قربت للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيذهبون بأنهم محشورون إليها فازرون بها وقوله تعالى (غير بعيد) تأكيد للإزلاف أي مكاناً غير بعيد بحيث يشاهدونها أو حال كونها غير بعيد أي شيئاً غير بعيد ويجوز أن يكون التذكير لكونه على رنة المصدر الذي يستوى في الوصف به المذكور والمؤنث أو لتأويل الجنة بالبستان (هذا ما توعدون) إشارة إلى الجنة والتذكير لما أن المشار إليه هو المسمى من غير أن يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلاً عن تذكيره وتأنيته فإنها من أحكام اللفظ العربي كما مر في قوله تعالى قل يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ما وعدنا الله بوسوله ويجوز أن يكون ذلك لتذكير الخبر وتعالى ولما رأى المؤمنون الأحواب قالوا هذا ما وعدنا الله بوسوله ويجوز أن يكون ذلك لتذكير الخبر وقيل هو إشارة إلى ثواب وقيل إلى مصدر أزلفت وقرىء يوعدون والجملة إما اعتراض بين البدل والمبدل منه وإما مقدور بقول هو حال من المتقين أو من الجنة والعامل أزلفت أي مقولاً لهم أو مقولاً له في حقها هذا ما توعدون (لكل أواب) أي رجاع إلى الله تعالى بدل من المتقين بإعادة الجار (حفيظ) حافظ لتوبته من النقص وقيل هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها وبسة نفر منها وقيل هو الحافظ لأوامر الله تعالى وقيل لما استودعه الله تعالى من حقوقها.

مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٢٣﴾
 أَدْخُلُوها بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٢٤﴾
 لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٢٥﴾
 وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ ﴿٢٦﴾

- (من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) بدل بعد بدل أو بدل من موصوف أو اب ولا يجوز ٢٣
 أن يكون في حكمه لأن من لا يوصف به ولا يوصف إلا بالذي أو مبتدأ خبره (ادخلوها) بتأويل ٢٤
 يقال لهم ادخلوها والجمع باعتبار معنى من وقوله تعالى بالغيب متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خشي
 أو مقوله أو صفة لمصدره أى خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب عن الأعين لا يراه
 أحد والتعرض لعنوان الرحمانية للإشارة بأنهم مع خشيتهم عقابه راجعون رحمته أو بأن عليهم بسعة
 رحمته تعالى لا يعدم عن خشيته تعالى وأنهم عاملون بموجب قوله تعالى نبي عبادى أنى أنا الغفور
 الرحيم وأن عذابى هو العذاب الأليم ووصف القلب بالإنا بقل أن العبرة برجوعه إلى الله تعالى (يسلام) *
 متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ادخلوها أى ملتبسين بسلامة من العذاب وذوال النعم أو بسلام
 من جهة الله تعالى وملائكته (ذلك) إشارة إلى الزمان الممتد الذي وقع في بعض منه ما ذكر من الأمور *
 (يوم الخلود) إذ لا انتهاء له أبداً (لهم ما يشاؤون) من فنون المطالب كائناً ما كان (فيها) متعلق ٢٥
 يشاؤون وقيل بمحذوف هو حال من الموصول أو من عانده المحذوف من صلاته (ولدينا مزيد) هو *
 ما لا يخطر ببالهم ولا يندرج تحت مشيئتهم من معالى الكرامات التى لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر
 على قلب بشر وقيل إن السحاب تمر بأهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيده الذى قال تعالى
 ولدينا مزيد (وكم أهلكنا قبلهم) أى قبل قومك (من قرن هم أشد منهم بطشاً) أى قوة كعاد وأضرابها ٢٦
 (فنقبوا في البلاد) أى خرجوا فيها ودوخوا وتصرفوا في أقطارها أو جالوا في أكناف الأرض كل *
 مجال حذار الموت وأصل التنقيب والتقيب التنقيب عن الأمر والبحث والطلب والفاء للدلالة على أن
 شدة بطشهم أقدرتهم على التنقيب قيل هى عاطفة فى المعنى كأنه قيل اشتد بطشهم فنقبوا الخ وقرئ *
 بالتخفيف (هل من محيص) أى هل لهم من مخلص من أمر الله تعالى والجملة إما على إضمار قول هو
 حال من واو نقبوا أى فنقبوا في البلاد قائلين هل من محيص أو على إجراء التنقيب لما فيه من معنى التبع
 والتفتيش مجرى القول أو هو كلام مستأنف وارد لئلا يكون لهم محيص وقيل ضمير نقبوا لأهل
 مكة أى ساروا في مسائرهم وأسفارهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصاً حتى يؤملوا مثله لأنفسهم
 ويضنده القراءة على صيغة الأمر وقرئ فنقبوا بكسر القاف من النقب وهو أن ينتقب خف البعير
 أى أكثروا السير حتى نقت أقدامهم أو أخفاف إبلهم *

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾
 وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾
 فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾
 وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾
 وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾

- ٣٧ (إن ذلك) أى فيما ذكر من قصتهم وقبل فيما ذكر في السورة (لذكرى) لتذكروا وعظة (لمن كان له قلب) أى قلب سليم يدرك به كنه ما يشاهده من الأمور ويتفكر فيها كما ينبغي فإن من كان له ذلك يعلم أن مدار دمارهم هو الكفر فيردع عنه بمجرد مشاهدة الآثار من غير تذكير (أو ألقى السمع) أى إلى ما يتلى عليه من الوحي الناطق بما جرى عليهم فإن من فعله يقف على جليلة الأمر فيزجر عما يؤدى إليه من الكفر فكلمة أو لمنع الخلو دون الجمع فإن إلقاء السمع لا يجدى بدون سلامة القلب كما يلوح به قوله تعالى (وهو شهيد) أى حاضر بفطنته لأن من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب وتجرى القلب عما ذكر من الصفات للإيذان بأن من عرى قلبه عنها كن لا قلب له أصلاً (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما) من أصناف المخلوقات (في ستة أيام وما مسنا) بذلك مع كونه مما لا ينفى به القوى والقدر (من لغوب) من إعياء ما ولا تعب في الجملة وهذا رد على جهلة اليهود في زعمهم أنه تعالى بدأ خلق العالم يوم الأحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً (فاصبر على ما يقولون) أى ما يقوله المشركون في شأن البعث من الأباطيل المبنية على الإنكار والاستبعاد فإن من فعل هذه الأفاعيل بلا فتور قادر على بعثهم والانتقام منهم أو ما يقوله اليهود من مقالات الكفر والتشبيه (وسبح بحمد ربك) أى زمه تعالى عن العجز عما يمكن وعن وقوع الخلف في إخباره التي من جملتها الإخبار بوقوع البعث وعن وصفه تعالى بما يوجب التشبيه حامداً له تعالى على ما أنعم به عليك من إصابة الحق وغيرها (قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) هما وقت الفجر والعصر وفضيلتهما مشهورة (ومن الليل فسبحه) وسبحه بعض الليل (وأدبر السجود) وأعقاب الصلوات جمع دبر وقرى بالكسر من أدبرت الصلاة إذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود وقيل المراد بالتسبيح الصلوات فالمراد بما قبل الطلوع صلاة الفجر وبما قبل الغروب الظهر والعصر وبما من الليل العشاءان والتهجد وما يصلى بأدبار السجود النوافل بعد المكتوبات (واستمع) أى لما يوحى إليك من أحوال القيامة وفيه تهويل وتفضيع للخبر به (يوم ينادى المنادى) أى لإسرافيل أو جبريل عليهما السلام فيقول أيها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وقيل لإسرافيل ينفخ وجبريل ينادى بالخشع (من مكان قريب) بحيث يصل

٣٠٠

يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾

٣٠٠

إِنَّا نَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُهِ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾

٣٠٠

يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾

٣٠٠

نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

- ندأوه إلى الكل على سواء وقيل من صخرة بيت المقدس وقيل من تحت أقدامهم وقيل من منابت شعورهم
 ٤٢ يسمع من كل شعرة ولعل ذلك في الإعادة مثل كن في البدء (يوم يسمعون الصيحة) بدل من يوم
 • ينادى الخ وهي النفخة الثانية (بالحق) متعلق بالصيحة والعامل في الظرف ما يدل عليه قوله تعالى (ذلك
 يوم الخروج) أى يوم يسمعون الصيحة ملتبسة بالحق الذى هو البعث يخرجون من القبور (إنا نحن
 ٤٣ نحى ونميت) فى الدنيا من غير أن يشاركنا فى ذلك أحد (وإلينا المصير) للجزاء فى الآخرة لا إل
 • غيرنا لا استقلالاً ولا اشتراكاً (يوم تشقق الأرض عنهم) بحذف إحدى التاءين من تشقق وقوى
 ٤٤ بتشديد الشين وتشقق على البناء للمفعول من التفعيل وتشقق (سراعاً) مسرعين (ذلك حشر) هت
 • وجمع وسوق (علينا يسير) أى هين وتقديم الجار والمجرور لتخصيص اليسر به تعالى (نحن أعلم بما
 ٤٥ يقولون) من نفي البعث وتكذيب الآيات الناطقة به وغير ذلك مما لا خير فيه (وما أنت عليهم جبّار)
 • بمسقط تقسرم على الإيمان أو تفعل بهم ما تريد وإنما أنت مذكر (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد)
 • وأما من عدام فنحن تفعل بهم ما توحيه أقوالهم وتستدعيه أفعالهم من ألوان العقاب وفنون العذاب
 • عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة ق هون الله عليه نارات الموت وسكراته .

٥١ - سورة الذاريات

(مكية وهي ستون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّذِينَ تَذَرُوا ١
فَالْقَلِيلَ ٢
فَالْجَارِيَةَ ٣
فَالْمَقْسَمَاتِ ٤
إِنَّمَا تَوَعْدُونَ لَصَادِقٍ ٥
وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ٦

(سورة الذاريات مكية وآياتها ستون)

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والذاريات ذروا) أى الرياح التى تذر الأتربة وغيرها وقرىء
٢ يادغام التاء فى الذال (فالقلم) وقرأ أى السحب الحاملة للطر أو الرياح الحاملة للسحاب وقرىء
٣ وقرأ على تسمية المحمول بالمصدر (فالجارية يسر) أى السفن الجارية فى البحر أو الرياح الجارية
فى مهاها أو السحب الجارية فى الجو بسوق الرياح أو الكواكب الجارية فى مجاريها ومنازلها ويسر
٤ صفة لمصدر محذوف أى جرياً ذا يسر (فالمقسمات أمراً) أى الملائكة التى تقسم الأمور من الأمطار
والأرزاق وغيرها أو السحب التى يقسم الله تعالى بها أرزاق العباد وقد جوز أن يراد بالكل الرياح
تنزيلاً لاختلاف العنوان منزلة اختلاف الذات فإنها كما تذر وما تذر به تثير السحاب وتحمله وتجرى
فى الجو جرياً سهلاً وتقسم الأمطار بتصرف السحاب فى الأقطار فإن حملت الأمور المقسم بها على
ذوات مختلفة فالقاء لترتيب الأقسام باعتبار ما بينها من التفاوت فى الدلالة على كمال القدرة وإلا ففى
لترتيب ما صدر عن الريح من الأفاعيل فإنها تذر الأبخرة إلى الجو حتى تنعقد سحباً فتجرى به بأسطة
٥ ٦ له إلى ما أمرت به فتقسم المطر وقوله تعالى (إنما توعدون لصادق) (وإن الدين لواقع) جواب
للقسم وفى تخصيص الأمور المذكورة بالأقسام بها رمز إلى شهادتها بتحقيق مضمون الجملة المقسم عليها
من حيث أنها أمور بديعة مخالفة لمقتضى الطبيعة فن قدر عليها فهو قادر على البعث الموعود وما موصولة
أو مصدرية ووصف الوعد بالصدق كوصف العيشة بالرضا والدين الجزاء ووقوعه حصوله .

٥١ الذاريات

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ⑦

٥١ الذاريات

إِنَّكُمْ لَنِي قَوْلٍ مُّتَخَلِّفٍ ⑧

٥١ الذاريات

يُؤْفِكُ عَنْهُ مِنَ الْفِكِّ ⑨

٥١ الذاريات

قَتَلَ الْخَرَّاصُونَ ⑩

٥١ الذاريات

الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ⑪

٥١ الذاريات

يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ ⑫

٥١ الذاريات

يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ⑬

- ٧ (والسما ذات الحبك) قال ابن عباس وقادة وعكرمة ذات الخلق المستوي وقال سعيد بن جبير ذات الزينة وقال مجاهد هي المتقنة البنيان وقال مقاتل والسكبي والضحاك ذات الطرائق والمراد إما الطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب أو المعقولة التي يسلكها النظر أو النجوم فإن لها طرائق وعن الحسن حبسها تجومها حيث تربها كما تزين الموشى طرائق الوشى وهي إما جمع حباك أو حبسكة كمثل ومثل وطريقة وطرق وقرىء الحبك بوزن السلك والحبك كالجبل والحبك كالبرق والحبك كالنعم والحبك كالإبل (إنكم لاني قول مختلف) أي متخالف متناقض وهو قولهم في حقه عليه الصلاة والسلام تارة شاعر وأخرى ساحر وأخرى مجنون وفي شأن القرآن الكريم تارة شعر وأخرى سحر وأخرى أساطير وفي هذا الجواب تأييد لكون الحبك عبارة عن الاستواء كما يلوح به ما نقل عن الضحاك من أن قول الكفرة لا يكون مستوياً إنما هو متناقض مختلف وقيل النكتة في هذا القسم تشبيه أقوالهم في اختلافها وتناقض أغراضها بطرائق السموات في تباعدها واختلاف غاياتها وليس بذاك (يؤفك عنه من أفك) أي يصرف عن القرآن أو الرسول عليه الصلاة والسلام من صرف إذ لا صرف أقطع منه وأشد وقيل يصرف عنه من صرف في علم الله تعالى وقضائه ويجوز أن يكون الضمير للقول المختلف على معنى يصدر أفك من أفك عن ذلك القول وقرىء من أفك عن ذلك القول وقرىء من أفك أي من أفك الناس وهم قريش حيث كانوا يصعدون الناس عن الإيمان (قتل الخراصون) دعاء عليهم كقوله تعالى قتل الإنسان ما أكفره وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن وخراصون الكذابون المقعدون مالا صحة له وهم أصحاب القول المختلف كأنه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرىء قتل الخراصين أي قتل الله (الذين هم في غمرة) من الجهل والضلال (سَاهُونَ) غافلون عما أمروا به (يسألون أيان يوم الدين) أي متى وقوع يوم الجزاء لكن لا بطريق الاستسلام حقيقة بل بطريق الاستعجال استهزاء وقرىء إيان بكسر الهمزة (يوم هم على النار يفتنون) جواب للسؤال أي يقع يومهم على النار يحرقون
- ١٨ - أبي السعود ج ٨

- ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ ٥١ الذاريات
- إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ٥١ الذاريات
- وَإِخْذِينَ مَا آتَاهُمْ مِنْهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ ٥١ الذاريات
- كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ٥١ الذاريات
- وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ٥١ الذاريات
- وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ ٥١ الذاريات
- وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ ٥١ الذاريات

ويعذبون ويجوز أن يكون يوم خبراً لمبتدأ محذوف أى هو يوم هم الخ والفتح لإضافته إلى غير متمكن ويؤيده أنه قرئ بالرفع (ذوقوا فتنتكم) أى مقولاً لهم هذا القول وقوله تعالى (هذا الذى كنتم به تستعجلون) جملة من مبتدأ وخبر داخلة تحت القول المضمر أى هذا ما كنتم تستعجلون به بطريق الاستهزاء ويجوز أن يكون هذا بدلاً من فتنتكم بتأويل العذاب والذى صفته (إن المتقين فى جنات وعيون) لا يبلغ كنهها ولا يقادر قدرها (أخذين ما آتاهم ربهم) أى قابلين لما أعطاهم راضين به على معنى أن كل ما آتاهم حسن مرضى يتلقى بحسن القبول (لأنهم كانوا قبل ذلك) فى الدنيا (محسنين) أى لأعمالهم الصالحة آتين بها على ما ينبغي فلذلك نالوا ما نالوا من الفوز العظيم ومعنى الإحسان بالإجمال ما أشار إليه عليه الصلاة والسلام بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك وقد فسر بقوله تعالى (كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون) أى كانوا يهجعون فى طائفة قليلة من الليل على أن قليلاً ظرف أو كانوا يهجعون هجوعاً قليلاً على أنه صفة المصدر وما مزيدة فى الوجهين ويجوز أن تكون مصدرية أو موصولة مرفوعة بقليل على الفاعلية أى كانوا قليلاً من الليل هجوعهم أو ما يهجعون فيه وفيه للبالغات فى تقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذى هو وقت الراحة والهجوع الذى هو الغرار من النوم وزيادة ما ولا مساغ لجعل ما نافية على معنى أنهم لا يهجعون من الليل قليلاً بل يحبونه كله لما أن ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها (وبالأسحار هم يستغفرون) أى هم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم يداومون على الاستغفار فى الأسحار كأنهم أسلفوا ليهم باقتراف الجرائم وفى بناء الفعل على الضمير لإشعار بأنهم الأحقاء بأن يوصفوا بالاستغفار كأنهم المختصون به لاستدامتهم له وإطناهم فيه (وفى أموالهم حق) أى نصيب وافر يستوجبونه على أنفسهم تقريباً إلى الله تعالى وإشفاقاً على الناس (للسائل والمحروم) للمستجدى والمتعفف الذى يحسبه الناس غنياً فيحرم الصادقة (وفى الأرض آيات للموقنين) أى دلائل واضحة على شؤنه تعالى على التفاصيل من حيث أنها مدحوة

٥١ الذاريات

وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾

٥١ الذاريات

وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾

٥١ الذاريات

فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلِ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾

٥١ الذاريات

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾

٥١ الذاريات

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾

- كالبساط الممدد وفيها مسالك ولحاج للتقلين في أقطارها والسالكين في مناكبها وفيها سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات وعيون متفجرة ومعادن مفتنة وأنها تلتقي بالوان النبات وأنواع الأشجار وأصناف الثمار المختلفة الألوان والطعوم والروائح وفيها دواب منبثة قد رتب كلها ودبر لمنافع ساكنها ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم (وفي أنفسكم) أى وفي أنفسكم آيات إذ ليس في العالم شيء إلا وفي ٢١ الانفس له نظير يدل دلالة على ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الأفعال البديعة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة (أفلا تبصرون) أى ألا تنظرون فلا تبصرون بعين البصيرة (وفي السماء رزقكم) أى أسباب رزقكم أو تقديره وقيل المراد ٢٢ بالسماء السحاب وبالرزق المطر فإنه سبب الأقوات (وما توعدون) من الثواب لأن الجنة في السماء السابعة أو لأن الأعمال وثوابها مكتوبة مقدرة في السماء وقيل إنه مبتدأ خبره قوله تعالى (فورب السماء ٢٣ والأرض إنه لحق) على أن الضمير لما وأما على الأول فأماله وأما لما ذكر من أمر الآيات والرزق على أنه مستعار لاسم الإشارة (مثل ما أنكم تنطقون) أى كما أنه لاشك لكم في أنكم تنطقون ينبى أن لا تشكوا في حقيقته ونصبه على الحالية من المستكن في لحق أو على أنه وصف لمصدر مخوف أى إنه لحق حقاً مثل نطقكم وقيل إنه مبنى على الفتح لإضافته إلى غير متمكن وهو ما إن كانت عبارة عن شيء وأن بما في حيزها إن جعلت زائدة ومحل الرفع على أنه صفة لحق ويؤيده القراءة بالرفع (هل ٢٤ أتاك حديث ضيف إبراهيم) تفخيم لشأن الحديث وتنبية على أنه ليس بما عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير طريق الوحي والضيف في الأصل مصدر ضافه ولذلك يطلق على الواحد والجماعة كالزور والصوم وكانوا اثني عشر ملكاً وقيل تسعة عشر هم جبريل وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل وملك آخر معهما عليهم السلام وتسميتهم ضيفاً لأنهم كانوا في صورة الضيف حيث أضافهم إبراهيم عليه السلام أو لأنهم كانوا في حسابه كذلك (المكرمين) أى المكرمين عند الله تعالى أو عند إبراهيم حيث خدمهم ٢٥ بنفسه وبزوجته (إذ دخلوا عليه) ظرف للحديث أو لما في الضيف من معنى الفعل أو المكرمين لأن فسر يا كرام إبراهيم (فقالوا سلاماً) أى نسلم عليك سلاماً (قال) أى إبراهيم (سلام) أى عليكم سلام عدل به إلى الرفع بالابتداء للقصد إلى الثبات والدوام حتى تكون تحيته عليه الصلاة والسلام

٥١ الذاريات

فَرَاغَ إِلَيْكَ أَهْلَهُ جَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ ٢٦

٥١ الذاريات

فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ٢٧

٥١ الذاريات

فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَنْخَفْ وَبَشِّرْهُمْ بِغَلَمٍ عَلَيْهِمُ ٢٨

٥١ الذاريات

فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ٢٩

٥١ الذاريات

قَالُوا لَظَلَمَ لَكَ قَالَ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ٣٠

٥١ الذاريات

قَالَ فَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ٣١

- * أحسن من تحيتهم وقرنا مرفوعين وقرىء سلم وقرىء منصوباً والمعنى واحد (قوم مشكرون) أتكرم
 عليه الصلاة والسلام الذي هو علم للإسلام أو لأنهم ليسوا بمن عهدهم من الناس أو لأن أوضاعهم
 وأشكالهم خلاف ما عليه الناس ولعله عليه الصلاة والسلام إنما قاله في نفسه من غير أن يشعرهم بذلك
 لا أنه خاطبهم به جبراً أو سألهم أن يعرفوه أنفسهم كما قيل وإلا لكشفوا أحوالهم عند ذلك ولم
 يتصد عليه الصلاة والسلام لمقدمات الضيافة (فراغ إلى أهله) أي ذهب إليهم على خفية من ضيفه
 ٢٦ فإن من أدب المضيف أن يبادره بالقرى ويبادر به حذاراً من أن يكفه ويغذره أو يصير منتظراً
 * والفاء في قوله تعالى (جاء بعجل سمين) فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها
 وإذ أنا بكال سرعة المجيء بالطعام كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانقلب أي فذبح عجلاً
 ٢٧ فغذاه فجاء به (فقربه إليهم) بأن وضعه لديهم حسبما هو المعتاد (فقال ألا تأكلون) إنكار لعدم تعرضهم
 ٢٨ للأكل (فأوجس منهم) أضر في نفسه (خيفة) لتوهم أنهم جاؤا للشر وقيل وقع في قلبه أنهم ملائكة
 * جاؤا للعذاب (قالوا لا تخف) قيل مسح جبريل عليه السلام العجل بمجملحه فقام يندرج حتى لحق بأمه
 * فعرفهم وأمن منهم (وبشروه) وفي سورة الصافات وبشراه أي بواسطتهم (بغلام) هو إسحاق
 ٢٩ عليه السلام (عليه) عنه بلوغه واستوائه (فأقبلت امرأته) سارة لما سمعت بشارتهم إلى بيتها وكانت
 * في زاوية تنظر إليهم (في صرة) في صيحة من الصرير أو محله النصب على الحالية أو المفعولية إن جعل
 * أقبلت بمعنى أخذت كما يقال أقبل يشتمني (فصكت وجهها) أي لطمتها من الحياء لما أنها وجدت حرارة دم
 * الطمث وقيل ضربت بأطراف أصابعها جبينها كما يفعله المتعجب (وقالت عجوز عقيم) أي أنا عجوز عاقرة
 ٣٠ فكيف ألد (قالوا كذلك) مثل ذلك القول الكريم (قال ربك) وإنما نحن معبرون بخبرك به عنه تعالى
 * لا أنا فقوله من تلقاء أنفسنا (إنه هو الحكيم العليم) فيكون قوله حقاً وفعله متقناً لا محالة . روى
 أن جبريل عليه السلام قال لها انظري إلى سقف بيتك فنظرت فإذا جذوعه موزقة مشرة ولم تكن
 هذه المقامضة مع سارة فقط بل مع إبراهيم عليه السلام أيضاً حسبما شرح في سورة الحجر وإنما لم يذكر
 ٣١ هنا اكتفاء بما ذكر هناك كما أنه لم يذكر هناك سارة اكتفاء بما ذكر هنا وفي سورة هود (قال)

٥١ الذاريات

قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ ثَجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾

٥١ الذاريات

لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾

٥١ الذاريات

مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾

٥١ الذاريات

فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾

٥١ الذاريات

فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾

٥١ الذاريات

وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾

٥١ الذاريات

وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾

٥١ الذاريات

فَقَتَلْنَا بِرُكْنِهِ وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾

- أى إبراهيم عليه السلام لما علم أنهم ملائكة أرسلوا لأمر (فاخطبكم) أى شأنكم الخطير الذى
 لاجله أرسلتم سوى البشارة (أياها المرسلون) (قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين) يعنون قوم لوط ٣٢
 (لنرسل عليهم) أى بعد ما قبلنا قراهم وجعلنا عليها سافلها حسبما فصل في سائر السور الكريمة (حجارة ٣٣
 من طين) أى طين متحجر هو السجيل (مسومة) رسالة من أسمت الماشية أى أرسلتها أو معلة من ٣٤
 المسومة وهى العلامة وقد مر تفصيله فى سورة هود (عند ربك للمسرفين) المجاوزين الحد فى الفجور
 وقوله تعالى (فأخرجنا) الخ حكاية من جهته تعالى لما جرى على قوم لوط عليه السلام بطريق الإجمال ٣٥
 بعد حكاية ما جرى بين الملائكة وبين إبراهيم عليه السلام من الكلام واللقاء فصيحة مفصحة عن جبل
 قد حذفت لغة بذكرها فى مواضع آخر كأنه قيل فباشروا ما أمروا به فأخرجنا بقولنا فأسر بأهلك
 الخ (من كان فيها) أى فى قرى قوم لوط وإصغارها بغير ذكر لشهرتها (من المؤمنين) بمن آمن بلوط
 (فما وجدنا فيها غير بيت) أى غير أهل بيت (من المسلمين) قيل هم لوط وابنتاه وقيل كان لوط وأهل ٣٦
 بيته الذين نجوا ثلاثة عشر (وتركنا فيها) أى فى القرية (آية) أى علامة دالة على ما أصابهم من العذاب ٣٧
 قيل هى تلك الأحجار أو صخر منضود فيها أو ماء متتن (الذين يخافون العذاب الأليم) أى من شأنهم
 أن يخافوه لسلامة فطرتهم ورقة قلوبهم دون من عداهم من ذوى القلوب الفاسية فإنهم لا يعتنون بها
 ولا يعدونها آية (وفى موسى) عطف على قوله تعالى وفى الأرض أو على قوله تعالى وتركنا فيها آية ٣٨
 على معنى وجعلنا فى موسى آية كقول من قال علفتها تبناً وماء بارداً (إذ أرسلنا) قيل هو منصوب بآية
 وقيل بمجذوف أى كائنه وقت إرسالنا وقيل بتركنا (إلى فرعون بسطان مبين) هو ما ظهر على يديه
 من المعجزات الباهرة (فتولى ركنه) أى فأعرض عن الإيمان به وازور كقوله تعالى ونأى بجماعة ٣٩

- ٥١ الذاريات فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ٤٠
- ٥١ الذاريات وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ٤١
- ٥١ الذاريات مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرِّيمِ ٤٢
- ٥١ الذاريات وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ٤٣
- ٥١ الذاريات فَتَوَّأ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ٤٤
- ٥١ الذاريات فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ٤٥
- ٥١ الذاريات وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ٤٦
- ٥١ الذاريات وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ٤٧

وقيل فتولى بما يتقوى به من ملكه وعساكره فإن الركن اسم لما يركن إليه الشيء وقرئ بركنه بضم الكاف (وقال ساحر) أى هو ساحر (أو مجنون) كأنه نسب ما ظهر على يديه عليه الصلاة والسلام من الخوارق العجيبة إلى الجن وتردد فى أنه حصل باختياره وسعيه أو بغيرهما (فأخذناه وجنوده فنبدناهم فى اليم) وفيه من الدلالة على غاية عظم شأن القدرة الربانية ونهاية قاة فرعون وقومه (وهو ملهم) أى آت بما يلام عليه من الكفر والطغيان والجملة حال من الضمير فى فأخذناه (وفى عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) وصفت بالعقم لأنها أهلكتهم وقطعت دابرهم أو لأنها لم تتضمن خيراً ما من إنشاء مطر ٤٠

٤١ أو إلحاح شجر وهى النكباء أو الدبور أو الجنوب (ماتذر من شيء أنت عليه) أى جرت عليه (إلا جعلته كالريم) هو كل مارم وبلى وتفتت من عظم أو نبات أو غير ذلك (وفى ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) وهو قوله تعالى تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام قيل قال لهم صالح عليه السلام تصبغ وجوهكم غداً مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب (فعتوا عن أمر ربهم) أى فاستكبروا عن الامتثال به (فأخذتهم الصاعقة) قيل لما رأوا العلامات التى بينها صالح عليه السلام من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا إلى قتله عليه السلام فنجاه الله تعالى إلى أرض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فأتتهم الصيحة فهلكوا وقرئ الصعقة وهى المرة من الصعق (وهم ينظرون) إليها ويعاينونها (فاستطاعوا من قيام) كقوله تعالى فأصبحوا فى دارهم جاثمين (وما كانوا منتصرين) بغيرهم كما لم يمتنعوا بأنفسهم (وقوم نوح) أى وأهلكنا قوم نوح فإن ما قبله يدل عليه أو واذكر ويجوز أن يكون معطوفاً على محل عاد ويؤيده القراءة بالجر وقيل هو معطوف على مفعول فأخذناه (من قبل) أى من قبل هؤلاء المهلكين (لأنهم كانوا قوماً فاسقين) ٤٦

٤٧ خارجين عن الحدود فيما كانوا فى من الكفر والمعاصى (والسما بنيناها بأيدٍ) أى بقوة (وإنا لموسعون)

٥١ الذاريات

وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾

٥١ الذاريات

وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾

٥١ الذاريات

فَقِرُوا إِلَى اللَّهِ إِنْ لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾

٥١ الذاريات

وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنْ لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾

٥١ الذاريات

كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴿٥٢﴾

- لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الإنفاق أو لموسعون السماء أو ما بينها وبين الأرض
 أو الرزق (والأرض فرشناها) مهدناها وبسطناها ليستقروا عليها (فنعلم الماهدون) أي نحن ٤٨
 (ومن كل شيء) أي من الأجناس (زوجين) أي نوعين ذكرًا وأنثى وقيل متقابلين السماء والأرض ٤٩
 والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر ونحو ذلك (لعلكم تذكرون) أي فعلنا ذلك كله كي تتذكروا
 فتعترفوا أنه خالق الكل ورازقه وأنه المستحق للعبادة وأنه قادر على إعادة الجميع فتعملوا بمقتضاه وقوله
 تعالى (فقرؤا إلى الله) مقدر لقول خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين والقاء إما لترتيب
 الأمر على ما حكى من آثار غضبه الموجبة للفرار منها ومن أحكام رحمته المستدعية للفرار إليها كأنه
 قيل قل لهم إذا كان الأمر كذلك فاهربوا إلى الله الذي هذه شؤنه بالإيمان والطاعة كي تنجوا من عقابه
 وتفوزوا بنوابه وإما للعطف على جملة مقدرة مترتبة على قوله تعالى لعلكم تذكرون كأنه قيل قل لهم
 فتذكروا فقرؤا إلى الله الخ وقوله تعالى (إني لكم منه نذير مبين) تعليل للأمر بالفرار إليه تعالى أو
 لوجوب الامتثال به فإن كونه عليه الصلاة والسلام منذراً منه تعالى موجب عليه عليه الصلاة والسلام
 أن يأمرهم بالفرار إليه وعليهم أن يمتثلوا به أي إني لكم من جهته تعالى منذرين كونه منذراً منهم
 أو مظهر لما يجب إظهاره من العذاب المنذر به وفي أمره تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم بأن يأمرهم
 بالهرب إليه تعالى من عقابه وتعليله بأنه عليه الصلاة والسلام ينذرهم من جهته تعالى لا من تلقاء نفسه
 وعد كريم بنجاتهم من المهروب وفوزهم بالمطلوب وقوله تعالى (ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر) فهو
 موجب للفرار من سبب العقاب بعد الأمر بالفرار من نفسه كما يشعر به قوله تعالى (إني لكم منه) أ-
 من الجمل المنهى عنه (نذير مبين) فإن تعلق كلمة من بالإنذار مع كون صلته الباء بتضمينه معنى الإفر
 يقال فر منه أي هرب وأفره غيره كأنه قيل وفروا من أن تجعلوا معه تعالى اعتقاداً أو قولاً إلهاً آخر
 وفيه تأكيد لما قبله من الأمر بالفرار من العقاب إليه تعالى لكن لا بطريق التكرير كما قيل بل بالنهي
 عن سببه وإيجاب الفرار (كذلك) أي الأمر مثل ما ذكر من تكذيبهم الرسول وتسميتهم له ساحراً ٥٢
 أو مجنوناً وقوله تعالى (ما آتى الذين من قبلهم) الخ تفسير له أي ما أتاهم (من رسول) من رسل الله
 (إلا قالوا) في حقه (ساحر أو مجنون) ولا سبيل إلى انتصاب الكاف بآتي لامتناع عمل ما بعد

- أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٢﴾ ٥١ الذاريات
- فَقَوْلَ عَلَيْهِمْ فَآأَنْتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٣﴾ ٥١ الذاريات
- وَذِكْرَ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٤﴾ ٥١ الذاريات
- وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٥﴾ ٥١ الذاريات

٥٢ ما النافية فيما قبلها (أتواصوا به) إنكار وتعجب من حالهم وإجماعهم على تلك الكلمة الشنيعة التي لا تتكاد تخطر ببال أحد من العقلاء فضلاً عن التفوه بها أي أوصى بهذا القول بعضهم بعضاً حتى اتفقوا عليه وقوله تعالى (بل هم قوم طاغون) لإضراب عن كون مدار اتفاقهم على الشر توأصيتهم بذلك وإثبات كونه أمراً أقيح من التواصي وأشنع منه من الطغيان الشامل لكل الدال على أن صدور تلك الكلمة الشنيعة عن كل واحد منهم بمقتضى جلته الخبيثة لا بموجب وصية من قبلهم بذلك من غير أن يكون ذلك مقتضى طبايعهم (فقول عنهم) فأعرض عن جدالهم فقد كررت عليهم الدعوة فأبوا إلا الإباء ٥٤ (فأنت ملوم) على التولى بعد ما بذلت المجهود وجاوزت في الإبلاغ كل حد معهود (وذكر) أي أفعّل التذكير والموعظة ولا تدعها بالمرّة أو فذكرهم وقد حذف الضمير لظهور الأمر (فإن الذكرى تنفع المؤمنين) أي الذين قدر الله تعالى لإيمانهم أو الذين آمنوا بالفعل فإنها تزيدهم بصيرة وقوة في اليقين (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) استئناف مؤكد للأمر مقرر لمضمون تعليله فإن كون خلقهم مغياً لعبادته تعالى بما يدعوهم عليه الصلاة والسلام إلى تذكيرهم ويوجب عليهم التذكر والإلتعاط ولعل تقديم خلق الجن في الذكر لتقدمه على خلق الإنس في الوجود ومعنى خلقهم لعبادته تعالى خلقهم مستعدين لها ومتمكنين منها أتم استعداد وأكمل تمكن مع كونها مطلوبة منهم بتنزيل ترتب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له فإن استتباع أفعاله تعالى لغايات جليلة مما لا نزاع فيه قطعاً كيف لا وهي رحمة منه تعالى وتفضل على عباده وإنما الذي لا يليق بجنابه عز وجل تعليلاً بالغرض بمعنى الباعث على الفعل بحيث لو لاه لم يفعله لإفضائه إلى استكمال بفعله وهو الكامل بالفعل من كل وجه وأما بمعنى نهاية كالية يفرض إليها فعل الفاعل الحق فغير متنى من أفعاله تعالى بل كلها جارية على المنهاج وعلى هذا الاعتبار يدور وصفه تعالى بالحكمة ويكفي في تحقق معنى التعليل على ما يقوله الفقهاء ويتعارفه أهل اللغة هذا المقدار وبه يتحقق مدلول اللام وأما إرادة الفاعل لها فليست من مقتضيات اللام حتى يلزم من عدم صدور العبادة عن البعض تخلف المراد عن الإرادة فإن تعوق البعض عن الوصول إلى الغاية مع تعاضد المبادئ وتأخذ المقدمات الموصلة إليها لا يمنع كونها غاية كما في قوله تعالى كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ونظائره وقيل المعنى إلا ليؤمروا بعبادتي كما في قوله تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً وقيل المراد سعداء الجنس كما أن المراد

- ٥١ الذاريات مَا أَرِيدُ مِنْهُمْ مِّن رِّزْقٍ وَمَا أَرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ﴿٥٧﴾
- ٥١ الذاريات إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ ﴿٥٨﴾
- ٥١ الذاريات فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥٩﴾
- ٥١ الذاريات فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٦٠﴾

بقوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس أشقياء وما يعصده قراءة من قرأ وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين وقال مجاهد واختاره البغوي معناه إلا ليعرفوه ومداره قوله صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن رب العزة كنت كنزاً مخفياً فأجبت أن أعرف خلقت الخلق لأعرف ولعل السر في التعبير عن المعرفة بالعبادة على طريق إطلاق اسم السبب على المسبب التنبيه على أن الاعتبار هو المعرفة الحاصلة بعبادته تعالى ما يحصل بغيرها كعرفة الفلاسفة (ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون) ٥٧ بيان لكون شأنه تعالى مع عباده متعالياً عن أن يكون كشأن السادة مع عبيدهم حيث يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معاشهم وتهيئة أرزاقهم أى ما أريد أن أصرفهم في تحصيل رزقي ولا رزقهم بل أفضّل عليهم برزقهم وبما يصلحهم ويعيشهم من عندى فليشتغلوا بما خلقوا له من عبادتى (إن الله هو الرزاق) ٥٨ الذى يرزق كل ما يفتقر إلى الرزق وفيه تلويح بأنه غنى عنه وقرىء لى أنا الرزاق (ذو القوة المتين) * بالرفع على أنه نعمت للرزاق أو لذو أو خبر بعد خبر أو خبر لمضمر وقرىء بالجر على أنه وصف للقوة على تأويل الاقتدار أو الأيد (فإن للذين ظلموا) أى ظلموا أنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد ٥٩ بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو وضعوا مكان التصديق تكذيباً وهم أهل مكة (ذنوباً) * أى نصيباً وافرأ من العذاب (مثل ذنوب أصحابهم) مثل أنصباء نظرائهم من الأمم المحكية وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالذنوب وهو الدلو العظيم المملوء (فلا يستعجلون) أى لا يطلبوا منى أن أعجل فى الحجى به يقال استعجله أى حثه على العجلة وأمره بها ويقال استعجله أى طلب وقوعه بالعجلة ومنه قوله تعالى أتى أمر الله فلا تستعجلوه وهو جواب لقولهم متى هذا الوعد إن كنتم صادقين (فويل للذين كفروا) وضع الموصول موضع ضميرهم تسجيلاً عليهم بما فى حيز الصلة من الكفر وإشعاراً بعلة الحكم والفاء لترتيب ثبوت الويل لهم على أن لهم عذاباً عظيماً كما أن الفاء الأولى لترتيب النهى عن الاستعجال على ذلك ومن فى قوله تعالى (من يومهم الذى يوعدون) للتعليل أى يوعدونه من يوم بدر وقيل يوم القيامة وهو الأنسب بما فى صدر السورة الكريمة الآتية والأول هو الأوفق لما قبله من حيث أنهما من العذاب الدينوى . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ الذاريات أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت فى الدنيا .

٥٢ - سورة الطور
(مكية وهي تسع وأربعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٢ الطور

وَالطُّورِ ①

٥٢ الطور

وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ②

٥٢ الطور

فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ③

٥٢ الطور

وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ④

٥٢ الطور

وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ⑤

٥٢ الطور

وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ⑥

٥٢ الطور

إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ⑦

٥٢ الطور

مَالَهُ مِنْ دَافِعٍ ⑧

﴿سورة الطور مكية وآياتها تسع وأربعون﴾

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والطور) الطور بالسريانية الجبل والمراد به طور سينين وهو جبل
- ٢ بمدن سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى (وكتاب مسطور) مكتوب على وجه الانتظام فإن
- السطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن أو ألواح موسى عليه السلام وهو الأنسب بالطور
- ٣ أو ما يكتب في اللوح أو ما يكتبه الحفظة (في رق منشور) الرق الجلد الذي يكتب فيه استعير لما
- ٤ يكتب فيه الكتاب من الصحيفة وتنكيرهما للتفخيم أو للإشعار بأنهما ليسا بما يتعارفه الناس (والبيت المعمور) أي الكعبة وعمارتهما بالحجاج والعمار والمجاورين أو الضراحي وهو في السماء الرابعة وعمرانه
- ٥ كثرة غاشيته من الملائكة (والسقف المرفوع) أي السماء ولا يخفى حسن موقع العنوان المذكور
- ٦ (والبحر المسجور) أي المملوء وهو البحر المحيط أو الموقد من قوله تعالى وإذا البحار سجرت فالمراد
- ٧ به الجنس روى أن الله تعالى يجعل البحر يوم القيامة ناراً يسجر بها نار جهنم (إن عذاب ربك لواقع)
- ٨ أي لنازل حتماً جواب للقسم وقوله تعالى (ماله من دافع) إما خبر ثان لأن أو صفة لواقع ومن دافع إما مبتدأ للظرف أو مرتفع به على الفاعلية ومن مزيدة للتأكيد وتخصيص هذه الأمور بالإقسام بها لما أنها أمور عظام تنبئ عن عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته الدالة على إحاطته تعالى بتفاصيل

٥٢ الطور

يَوْمَ تُمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ⑨

٥٢ الطور

وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سِيرًا ⑩

٥٢ الطور

فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ ⑪

٥٢ الطور

الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ⑫

٥٢ الطور

يَوْمَ يَدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا ⑬

٥٢ الطور

هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ⑭

٥٢ الطور

أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ⑮

٥٢ الطور

أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ⑯

- أعمال العباد وضبطها الشاهدة بصدق أخباره التي من جملتها الجملة المقسم عليها وقوله تعالى (يوم تمور السماء مورا) ظرف لواقع مبين لكيفية الوقوع منبئ عن كمال هول وفظاعته والمور الاضطراب والتردد في الحياء والذهاب وقيل هو تحرك في توج قيل تدور السماء كما تدور الرجا وتتكدفا بأهلها تكدف السفينة وقيل تختلف أجزاؤها (وتسير الجبال سيرا) أى نزول عن وجه الأرض فتصير هباء ١٠ وتأكيد الفعلين بمصدرهما للإيذان بغرابتها وخروجها عن الحدود المعهودة أى مورا عجيبا وسيرا بديعا لا يدرك كنههما (فويل يومئذ للمكذبين) أى إذا وقع ذلك أو إذا كان الأمر كما ذكر فويل ١١ يوم إذ يقع ذلك لهم (الذين هم في خوض) أى اندفاع عجيب في الأباطيل والأكاذيب (يلعبون) ١٢ يلعبون (يوم يدعون إلى نار جهنم دعا) أى يدفعون إليها دفعا عنيفا شديدا بأن تغل أيديهم إلى أعناقهم ١٣ وتجمع نواصيهم إلى أقدامهم فيدفعون إلى النار وقرىء يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوين ويوم إما بدل من يوم تمور أو ظرف لقول مقدر قبل قوله تعالى (هذه النار التي كنتم بها تكذبون) ١٤ أى يقال لهم ذلك ومعنى التكذيب بها تكذيبهم بالوحي الناطق بها وقوله تعالى (أفسحر هذا) توبيخ ١٥ وتقريع لهم حيث كانوا يسمونه سحرا كأنه قيل كنتم تقولون للقرآن الناطق بهذا سحر فهذا أيضا سحر وتقديم الخبر لأنه محط الإنكار ومدار التوبيخ (أم أنتم لا تبصرون) أى أم أنتم عمى عن الخبر * عنه كما كنتم عميا عن الخبر أو أم سدت أبصاركم كما سدت في الدنيا على زعمكم حيث كنتم تقولون إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون (اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا) أى ادخلوها وقاسوا شأنها ١٦ فافعلوا ما شئتم من الصبر وعدمه (سواء عليكم) أى الأمران في عدم النفع لا بدفع العذاب ولا بتخفيفه * وقوله تعالى (إنما تحزنون ما كنتم تعملون) تعليل للاستواء فإن الجزاء حيث كان واجب الوقوع *

٥٢ الطور

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ١٧

٥٢ الطور

فَكَهِنِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَّاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ١٨

٥٢ الطور

كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٩

٥٢ الطور

مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْصُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ٢٠

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ٢١

٥٢ الطور

- ١٧ حتما كان الصبر وعدمه سواء في عدم النفع (إن المتقين في جنات ونعيم) أى في أية جنات وأى نعيم
- ١٨ على أن التنوين للتفخيم أو في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين على أنه للتنويع (فأكهين) ناعمين مثلن الذين
- * (بما آتاهم ربهم) وقرىء فكهين وفاكهون على أنه الخبر والظرف لغو متعلق بالخبر أو خبر آخر
- * (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) عطف على آتاهم على أن ما مصدرية أو على خبر إن أو حال بإضمار قد
- إما من المستكن في الخبر أو في الحال وإما من فاعل آتى أو من مفعوله أو منهما وإظهار الرب في
- ١٩ موقع الإضمار مضافا إلى ضميرهم للتشريف والتعليل (كلوا واشربوا) أى يقال لهم كلوا واشربوا
- * أكلا وشراباً (هنيئاً) أو طعاماً وشراباً هنيئاً وهو الذى لا تنغيص فيه (بما كنتم تعملون) بسببه
- ٢٠ أو بمقابلته وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئاً أى هنا كم ما كنتم تعملون أى جزاؤه (متكئين على سرر
- * مصفوفة) مصطفة (وزوجناهم بحور عين) وقرىء بحور عين على إضافة الموصوف إلى صفته بالتأويل
- المشهور وقرىء بعين عين والباء مع أن التزويج مما يتعدى إلى مفعولين لما فيه من معنى الوصل والإلصاق
- ٢١ أول للسمية إذ المعنى صيرناهم أزواجا بسببهن فإن الزوجية لا تتحقق بدون انضمامهن إليهم وقوله تعالى (والذين آمنوا) الخ كلام مستأنف مسوق لبيان حال طائفة من أهل الجنة إثر بيان حال الكل وهم الذين شاركهم
- * ذريتهم في الإيمان وهو مبتدأ خبره ألحقنا بهم وقوله تعالى (واتبعهم ذريتهم) عطف على آمنوا وقيل
- * اعتراض وقوله تعالى (يايمان) متعلق بالاتباع أى اتبعهم ذريتهم بإيمان في الجملة قاصر عن رتبة
- إيمان الآباء واعتبار هذا القيد للإيدان بثبوت الحكم في الإيمان الكامل أصالة لا إلحاقاً وقرىء
- ذرياتهم للبالغ في الكثرة وذرياتهم بكسر الذال وقرىء وأتبعناهم ذرياتهم أى جعلناهم تابعين لهم
- * في الإيمان وقرىء اتبعهم (ألحقنا بهم ذريتهم) أى في الدرجة كما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال
- * إنه تعالى يرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه لتقربهم عنه ثم تلا هذه الآية (وما ألتناهم)
- * وما نقصنا الآباء بهذا الإلحاق (من عملهم) من ثواب عملهم (من شيء) بأن أعطينا بعض مثوباتهم
- آباءهم فتنقص مثوبتهم وتنحط درجاتهم وإنما رفعناهم إلى منزلتهم بمحض التفضل والإحسان وقرىء

٥٢ الطور

وَأَمْدَدْنَهُمْ بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ٢٢

٥٢ الطور

يَنْتَزِعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ ٢٣

٥٢ الطور

وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ٢٤

٥٢ الطور

وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ٢٥

التناهم بكسر اللام من ألت يالت كعلم يعلم والأول كضرب يضرب ولتناهم من لات يليت وآ لتناهم من ألت يؤلت وولتناهم من ولت يلت والكل بمعنى واحد هذا وقد قيل الموصول معطوف على حور والمعنى قرانهم بالحور وبالذين آمنوا أى بالرفقاء والجلساء منهم فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وأخرى بمؤانسة الإخوان المؤمنين وقوله تعالى واتبعتهم عطف على زوجناهم وقوله تعالى يايمان متعلق بما بعده أى بسبب إيمان عظيم رفيع المحل وهو إيمان الآباء الألقنا بدرجاتهم ذريتهم وإن كانوا لا يستأهلونها تفضلاً عليهم وعلى آبائهم لقيم سرورهم ويكمل نعيمهم أو بسبب إيمان داني المنزلة وهو إيمان الذرية كأنه قيل بشيء من الإيمان لا يؤهلهم للدرجة الآباء الألقناهم بهم (كل امرئ بما كسب رهين) قيل هو فاعيل بمعنى مفعول والمعنى كل امرئ مرهون عند الله تعالى بالعمل الصالح فإن عمله فكه وإلا أهلكه وقيل بمعنى الفاعل والمعنى كل امرئ بما كسب راهن أى دائم ثابت وهذا أنسب بالمقام فإن الدوام يقتضى عدم المفارقة بين المرء وعمله ومن ضرورته أن لا ينقص من ثواب الآباء شيء فالجمله تعليل لما قبلها (وأمددناهم بفأكهة ولحم مما يشتهون) وزدناهم على ما كان لهم من مبادئ التناهم وقتاً فوقتاً ما يشتهون ٢٢ من فنون النعماء وألوان الآلاء (ينتزعون فيها) أى يتعاطون فيها هم وجلساؤهم بكال رغبة واشتياق ٢٣ كما نبه عنه التعبير عن ذلك بالتنازع (كأساً) أى خمرأ تسمية لها باسم عملها (لا لغو فيها) أى فى شربها حيث لا يتكلمون فى أثناء الشرب بلغو الحديث وسقط الكلام (ولا تأتيم) ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله أى ينسب إلى الإثم لو فعله فى دار التكليف كما هو ديدن المنادمين فى الدنيا وإنما يتكلمون بالحكم وأحسن الكلام ويفعلون ما يفعله الكرام وقرىء لا لغو فيها ولا تأتيم بالفتح (ويطوف عليهم) ٢٤ أى بالكأس (غلمان لهم) أى ممالك مخصوصون بهم وقيل هم أولادهم الذين سبقوهم (كأنهم لؤلؤ مكنون) مكنون فى الصدف من بياضهم وصفاتهم أو مخزون لأنه لا يخزن إلا الثمين الغالى القيمة قيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده إن فضل المخدم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه الصلاة والسلام إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه ألف يبابه ليك ليك (وأقبل بعضهم على بعض يتسألون) أى يسأل كل بعض منهم بعضاً آخر عن أحواله وأعماله فيسكون كل بعض سائلاً ومسؤولاً ٢٥ لا أنه يسأل بعض معين منهم بعضاً آخر معيناً .

٥٢ الطور

قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾

٥٢ الطور

فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّنَا عَذَابَ السُّمُومِ ﴿٢٧﴾

٥٢ الطور

إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾

٥٢ الطور

فَذَكَرْنَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾

٥٢ الطور

أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ ﴿٣٠﴾

٥٢ الطور

قُلْ تَرَبُّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾

٥٢ الطور

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلِمُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾

٥٢ الطور

أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

- ٢٦ (قالوا) أى المسئولون وهم كل واحد منهم فى الحقيقة (إنا كنا قبل) أى فى الدنيا (فى أهلنا مشفقين) أرقاء القلوب خائفين من عصيان الله تعالى معتنين بطاعته أو وجلين من العقابة (فمن الله علينا) بالرحمة أو التوفيق للحق (ووقنا عذاب السموم) عذاب النار النافذة فى المسام نفوذ السموم وقرىء ووقنا بالتشديد (إنا كنا من قبل) أى نعبده أو نسأله الوفاة (إنه هو البر) المحسن (الرحيم) الكثير الرحمة الذى إذا عبد أثاب وإذا سئل أجاب وقرىء أنه بالفتح بمعنى لأنه (فذكر) فاثبت على ما أنت عليه من التذكير بما أنزل إليك من الآيات والذكر الحكيم ولا تكثر بما يقولون بما لا خير فيه من الأباطيل (فما أنت بنعمة ربك) بحمده وإنعامه بصدق النبوة ورجاحة العقل (بكاهن ولا مجنون) كما يتولون قائلهم الله أنى يؤفكون (أم يقولون شاعر تربص به ريب المنون) وهو ما يقلق النفوس ويشخص بها من حوادث الدهر وقيل المنون الموت وهو فى الأصل فعول من منه إذا قطعه لأن الموت قطوع أى بل يقولون ننتظر به نواب الدهر (قل تربصوا فإنى معكم من المتربصين) أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكى وفيه عدة كريمة ياهلاكهم (أم تأمرهم أحلامهم) أى عقولهم (بهذا) أى بهذا تناقض فى المقال فإن الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر فى الأمور والمجنون المغطى عقله مختل فكره والشاعر ذو كلام موزون متسق مخيل فكيف يجتمع أوصاف هؤلاء فى واحد وأمر الأحلام بذلك مجازعن أداها إليه (أم هم قوم طاغون) مجاوزون الحدود فى المكابرة والعناد لا يرمون الرشد والساد ولذلك يقولون ما يقولون من الأكاذيب الخارجة عن دائرة العقول والظنون وقرىء بل هم (أم يقولون تقوله) أى اختلقه من تلقاء نفسه (بل لا يؤمنون) فككفرهم وعنادهم يرمون بهذه الأباطيل اتى لا يخفى على أحد بطلانها كيف لا وما رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا واحد من العرب فكيف أتى بما عجز عنه كافة الأمم من العرب والعجم .

- ٥٢ الطور فَلْيَاثُوا بِحَدِيثِ مَثَلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾
- ٥٢ الطور أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ آخِلِقُونَ ﴿٣٥﴾
- ٥٢ الطور أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾
- ٥٢ الطور أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمْ الْمَصِيطِرُونَ ﴿٣٧﴾
- ٥٢ الطور أَمْ لَهُمْ سُلُمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَنٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾
- ٥٢ الطور أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُنَّ الْأَبْنُونَ ﴿٣٩﴾
- ٥٢ الطور أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾

- ٣٤ (فلْيَاثُوا بِحَدِيثِ مَثَلِهِ) مثل القرآن في النعوت التي استعمل بها من حيث النظم ومن حيث المعنى (إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ) فيما زعموا فَإِنْ صدقهم في ذلك يستدعي قدرتهم على الإتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه الصلاة والسلام في البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والأشعار وكثرة المزاولة لأساليب النظم والنثر والمبالغة في حفظ الوقائع والأيام ولا ريب في أن القدرة على الشيء من موجبات الإتيان به ودواعي الأمر بذلك (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ) أى أَمْ أُنشِئُوا وقد روا هذا التقدير البديع من غير محدث ومقدر وقيل أَمْ خُلِقُوا مِنْ أَجْلِ لا شَيْءٍ مِنْ عِبَادَةٍ وَجَزَاءٍ (أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ) لأنفسهم * فلذلك لا يعبدون الله سبحانه (أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ) أى إذا سئلوا مَنْ خَلَقَكُمْ وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَالُوا اللهُ وَهُمْ غَيْرُ مُوقِنِينَ بِمَا قَالُوا وَإِلَّا لِمَا عَرَضُوا عَنْ عِبَادَتِهِ (أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ) أى خَزَائِنُ رِزْقِهِ وَرَحْمَتِهِ حَتَّى يَرْزُقُوا النَّبِيَّةَ مِنْ شَاؤُهَا وَيَسْكُوها عَنْ شَاؤُهَا أَوْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ حَتَّى يَخْتَارُوا لَهَا مِنْ اقْتَضَتْ الْحِكْمَةَ اخْتِيَارَهُ (أَمْ هُمْ الْمَصِيطِرُونَ) أى الْغَالِبُونَ * عَلَى الْأُمُورِ يَدْبِرُونَهَا كَيْفَا شَاؤُوا حَتَّى يَدْبِرُوا أَمْرَ الرُّبُوبِ وَيَقْبِضُوا الْأُمُورَ عَلَى إِرَادَتِهِمْ وَمَشِئَتِهِمْ وَقَرَى الْمَصِيطِرُونَ بِالْصَّادِ لِمَكَانِ الطَّاءِ (أَمْ لَهُمْ سُلْمٌ) مَنْصُوبٌ إِلَى السَّمَاءِ (يَسْتَمِعُونَ فِيهِ) صَاعِدِينَ إِلَى كَلَامِ الْمَلَائِكَةِ وَمَا يُرْحَى إِلَيْهِمْ مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ حَتَّى يَعْلَمُوا مَا هُوَ كَائِنْ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَقُولُونَ فِيهَا رَجَاءً بِالْغَيْبِ وَيَعْلَقُونَ بِهَا أَطْعَامَهُمُ الْفَارَاغَةَ (فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) بِحُجَّةٍ وَاضِحَةٍ تَصْدُقُ اسْتِمَاعَهُ (أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُنَّ الْأَبْنُونَ) تَسْفِيهِ لَهُمْ وَتَرْكِكَ لِعَقْلِهِمْ وَلِيُذَانَ بَأْنَ مِنْ هَذَا رَأْيِهِ لَا يَكَادُ يَعِدُ مِنَ الْعَقْلَاءِ فَضْلًا عَنْ التَّرَقُّى إِلَى عَالَمِ الْمَلَائِكَةِ وَالتَّطَلُّعِ عَلَى الْأَسْرَارِ الْغَيْبِيَّةِ وَالِاتِّفَاتِ إِلَى الْخُطَابِ لِتَشْدِيدِ مَا فِي أَمِّ الْمُنْقَطَعَةِ مِنَ الْإِنْكَارِ وَالتَّوْبِيخِ (أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا) رَجُوعٌ إِلَى خُطَابِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَإِعْرَاضٌ عَنْهُمْ أَيْ بَلْ أَسْأَلُهُمْ أَجْرًا عَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ (فَهُمْ) لَئِنْكَ (مَنْ مَغْرَمٍ) مِنَ الزَّامِ غَرَامَةٌ فَادِحَةٌ (مُثْقَلُونَ) * يَحْمَلُونَ الثَّقْلَ فَلِذَلِكَ لَا يَتَّبِعُونَكَ .

- ٥٢ الطور أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾
- ٥٢ الطور أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾
- ٥٢ الطور أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾
- ٥٢ الطور وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴿٤٤﴾
- ٥٢ الطور فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلْتَقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يَصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾
- ٥٢ الطور يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾
- ٥٢ الطور وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾

- ٤١ (أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ) أى اللوح المحفوظ المثلث فيه الغيوب (فهم يكتبون) ما فيه حتى يتكلموا فى ذلك
- ٤٢ بنى أو إثبات (أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا) هو كيدهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة (فالذين كفروا) هم المذكورون ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بما فى حيز الصلة من الكفر وتعليل الحكم به أو جميع الكفرة وهم داخلون فيهم دخولا أولياً (هم المكيدون) أى هم الذين يحث بهم كيدهم أو يعود عليهم وباله لا من أرادوا أن يكيدوه وهو ما أصابهم يوم بدر أو هم المغلوبون فى الكيد من كايده فكذبه (أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ) يعينهم ويحرسهم من عذابه (سبحان الله عما يشركون)
- ٤٣ أى عن إشرائهم أو عن شركة ما يشركونه (وإن يروا كسفاً) قطعة (من السماء ساقطاً) لتعذيبهم
- ٤٤ (يقولوا) من فرط طغيانهم وعنادهم (سحب مركوم) أى هم فى الطغيان بحيث لو أسقطناه عليهم حسبما قالوا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً لقالوا هذا سحب تراكم بعضه على بعض يطرنا ولم يصدقوا
- ٤٥ أنه كسف ساقطاً للعذاب (فذرهم حتى يلاقوا) وقرئ: حتى يلقوا (يومهم الذى فيه يصعقون) على البناء للفعول من صعقته الصاعقة أو من أصعقته وقرئ: يصعقون بفتح الياء والعين وهو يوم يصيبهم الصعقة بالقتل يوم بدر لا النفخة الأولى كما قيل إذ لا يصعق بها إلا من كان حياً حينئذ ولأن قوله تعالى (يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئاً) أى شيئاً من الإغناء بدل من يومهم ولا يخفى أن التعرض لبيان عدم نفع كيدهم يستدعى استعمالهم له طمعاً فى الانتفاع به وليس ذلك إلا ما دبروه فى أمره صلى الله عليه وسلم من الكيد الذى من جملته مناصبتهم يوم بدر وأما النفخة الأولى فليست بما جرى فى مدافعتهم
- ٤٦ الكيد والحيل وقيل هو يوم موتهم وفيه ما فيه مع ما تاباه الإضافة المنبئة عن اختصاصه بهم (ولا هم ينصرون) من جهة الغير فى دفع العذاب عنهم (وإن الذين ظلموا) أى لهم ووضع الموصول موضع الضمير لما ذكر من قبل أى وإن هؤلاء الظلمة (عذاباً) آخر (دون ذلك) دون مالا قوه من القتل أى قبله وهو القحط الذى أصابهم سبع سنين أو وراه كما فى قوله [ترك القذى من دونها]

٥٢ الطور

وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ٤٨ ،

٥٢ الطور

وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ٤٩ ،

- وهو دونها [وهو عذاب القبر وما بعده من فنون عذاب الآخرة وقرىء دون ذلك قريباً (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن الأمر كما ذكر وفيه إشارة إلى أن فيهم من يعلم ذلك وإنما يصبر على الكفر عناداً أولاً لا يعلمون شيئاً أصلاً (واصبر لحكم ربك) يأمأهم إلى يومهم الموعود وإبقائك فيما بينهم ٤٨ مع مقاساة الأحزان ومعاناة الهموم (فإنك بأعيننا) أى فى حفظنا وحمايتنا بحيث نراقبك ونكفؤك * وجمع العين لجمع الضمير والإيذان بغاية الاعتناء بالحفظ (وسبح) أى نزهه تعالى عما لا يليق به ملتبساً * (بحمد ربك) على نعمائه الفاتية للحصر (حين تقوم) من أى مكان قت قال سعيد بن جبير وعطاء أى قل حين تقوم من مجلسك سبحانه اللهم وبحمدك وقال ابن عباس رضى الله عنهما معناه صل لله حين تقوم من منامك وقال الضحاك والربيع إذا قت إلى الصلاة فقل سبحانه اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك وقوله تعالى (ومن الليل فسبحه) لإفراد بعض الليل بالتسبيح لما أن ٤٩ العبادة فيه أشق على النفس وأبعد عن الرياء كما يلوح به تقديمه على الفعل (وإدبار النجوم) أى وقت إدبارها من آخر الليل أى غيبتها بضوء الصباح وقيل التسبيح من الليل صلاة العشائين وإدبار النجوم صلاة الفجر وقرىء وأدبار النجوم بالفتح أى فى أعقابها إذا غربت أو خفيت . عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الطور كان حقاً على الله تعالى أن يؤمنه من عذابه وأن ينعمه فى جنته .

٥٣ — سورة النجم
(مكية وهي إثنان وستون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٣ النجم

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ①

٥٣ النجم

مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ②

(سورة النجم مكية وآياتها إثنان وستون)

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والنجم إذا هوى) المراد بالنجم إما الثريا فإنه اسم غالب له أو جنس النجوم وبهويه غروبه وقيل طلوعه يقال هوى هويّاً بوزن قبول إذا غرب وهويّاً بوزن دخول إذا علا وصعد وأما النجم من نجوم القرآن فهو به نزوله والعامل في إذا فعل القسم فإنه بمعنى مطلق الوقت منسلخ من معنى الاستقبال كما في قولك آتيتك إذا حمر البسر وفي الإقسام بذلك على نزاهته عليه الصلاة والسلام عن شائبة الضلال والغواية من البراعة البديعة وحسن الموقع مالا غاية ورااه أما على الأولين فلأن النجم شأنه أن يهتدى به السارى إلى مسالك الدنيا كأنه قبل والنجم الذى يهتدى به السابلة إلى سواء السبيل (ماضل صاحبكم) أى ما عدل عن طريق الحق الذى هو مسلك الآخرة (وما غوى) أى وما اعتقد باطلا قط أى هو فى غاية الهدى والرشد وليس مما تتوهمونه من الضلال والغواية فى شيء أصلاً وأما على الثالث فلأنه تنويه بشأن القرآن كما أشير إليه فى مطلع سورة يس وسورة الزخرف وتنبه على مناط اهتدائه عليه الصلاة والسلام ومدار رشاده كأنه قبل والقرآن الذى هو علم فى الهداية إلى مناهج الدين ومسالك الحق ماضل عنها محمد عليه الصلاة والسلام وما غوى والخطاب لقريش وإيراده عليه الصلاة والسلام بعنوان صاحبيته لهم وللإيذان بوقوفهم على تفاصيل أحواله الشريفة وإحاطتهم خبراً ببراءته عليه الصلاة والسلام مما نفي عنه بالسكينة واتصافه عليه الصلاة والسلام بغاية الهدى والرشاد فإن طول صحبتهم له عليه الصلاة والسلام ومشاهدتهم لمحاسن شؤنه العظيمة مقتضية لذلك حتماً وتقيد القسم بوقت الهوى على الوجه الأخير ظاهر وأما على الأولين فلأن النجم لا يهتدى به السارى عند كونه فى وسط السماء ولا يعلم المشرق من المغرب ولا الشمال من الجنوب وإنما يهتدى به عند هبوطه أو صعوده مع ما فيه من كمال المناسبة لما سيحكى من تدلى جبريل من الأفق الأعلى ودنوه منه عليهما السلام هذا هو اللائق بشأن التنزيل الجليل وأما حمل هويه على انتشاره يوم القيامة أو على انقضاء النجم ض الذى يرجم به أو حمل النجم على النبات وحمل هويه على سقوطه على الأرض أو

٥٣ النجم

وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣

٥٣ النجم

إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤

٥٣ النجم

عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥

٥٣ النجم

ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦

٥٣ النجم

وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧

٥٣ النجم

ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨

٥٣ النجم

فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩

على ظهوره منها فما لا يناسب المقام (وما ينطق عن الهوى) أى وما يصدر نطقه بالقرآن عن هواه ٣ ورأيه أصلاً فإن المراد استمرار نفي النطق عن الهوى لاننى استمرار النطق عنه كما مر مراراً (إن هو) ٤ أى ما الذى ينطق به من القرآن (إلا وحى) من الله تعالى وقوله تعالى (يوحى) صفة مؤكدة لوحى * رافعة لاحتمال المجاز مفيدة للاستمرار التجددى (علمه شديد القوى) أى ملك شديد قواه وهو جبريل عليه السلام فإنه الواسطة فى إبداء الخوارق وناهيك دليلاً على شدة قوته أنه قلع قرى قوم لوط من الماء الأسود الذى هو تحت الثرى وحملها على جناحه ورفعها إلى السماء ثم قلبها وصاح بشمود صيحة فأصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الأنبياء وصعوده فى أسرع من رجعة الطرف (ذو مرة) أى حصافة ٦ فى عقله ورأيه ومثانة فى دينه (فاستوى) عطف على علمه بطريق التفسير فإنه إلى قوله تعالى ما أوحى * بيان لكيفية التعليم أى فاستقام على صورته التى خلقه الله تعالى عليها دون الصورة التى كان يتمثل بها كلها هبط بالوحى وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أن يراه فى صورته التى جبل عليها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بجرا فطلع له جبريل عليه السلام من المشرق فسد الأرض من المغرب وملاً الأفق فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام فى صورة الأدميين فضمه إلى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه قبل ما رآه أحد من الأنبياء فى صورته غير النبى عليه الصلاة والسلام فإنه رآه فيها مرتين مرة فى الأرض ومرة فى السماء وقيل استوى بقوته على ما جعل له من الأمر وقوله تعالى (وهو بالأفق الأعلى) أى أفق الشمس حال من فاعل استوى (ثم دنا) ٨، ٧ أى أراد الدنو من النبى عليهما الصلاة والسلام (فتدلى) أى استرسل من الأفق الأعلى مع تعلق به * فدنا من النبى يقال تدلت الثمرة ودلى رجله من السرير وأدلى دلوه والدوالى الثمر المعلق (فكان) ٩ أى مقدار امتداد ما بينهما (قاب قوسين) أى مقدارهما فإن القاب والقيب والقادر والقيد والقيس *

٥٣ النجم

فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾

٥٣ النجم

مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾

٥٣ النجم

أَفْتُمِرُّونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾

٥٣ النجم

وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾

٥٣ النجم

عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾

- المقدار وقيل فكان جبريل عليه السلام كما في قولك هو منى معقد الإزار (أو أدنى) أى على تقدير كم كما في قوله تعالى أو يزيدون والمراد تمثيل ملكة الاتصال وتحقق استماعه لما أوحى إليه بنى البعد الملبس (فأوحى) أى جبريل عليه السلام (إلى عبده) عبد الله تعالى وإضماره قبل الذكر لغاية ظهوره
- كما في قوله تعالى ماترك على ظهرها (ما أوحى) أى من الأمور العظيمة التي لا تنى بها العبارة أو فأوحى الله تعالى حينئذ بواسطة جبريل ما أوحى قيل أوحى إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك (ما كذب الفؤاد) أى فؤاد محمد عليه الصلاة والسلام (مارأى) أى مارآه يبصره من صورة جبريل عليهما السلام أى ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك ولو قال ذلك لكان كاذباً
- لأنه عرفه بقلبه كما رآه يبصره وقرئ ما كذب أى صدقه ولم يشك أنه جبريل بصورته (أفتأرونه على ما يرى) أى أتكذبونه فتجادلونه على ما يراه معاينة أو أبعد ما ذكر من أحواله المنافية للمماراة تمارونه من المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كأن كلا من المتجادلين يمرى ماعند صاحبه وقرئ أفتمرونه أى أفتغلبونه فى المراء من ماريته فريته ولما فيه من معنى الغلبة عدى بعلى كما يقال غلبته على كذا وقيل أفتمرونه أفتجحدونه من مراه حقه إذا جحده (ولقد رآه نزلة أخرى) أى وبالله
- لقد رأى جبريل فى صورته مرة أخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذى هو مرة لأن الفعل اسم للمرة من الفعل فكانت فى حكمها وقيل تقديره ولقد رآه نازلاً نزلة أخرى فنصبها على المصدر (عند سدرة المنتهى) هى شجرة نبى فى السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كأذان
- الفيول تنبع من أصلها الأنهار التى ذكرها الله تعالى فى كتابه يسير الراكب فى ظلها سبعين عاماً لا يقطعها والمنتهى موضع الانتهاء أو الانتهاء كأنها فى منتهى الجنة وقيل إليها ينتهى علم الخلائق وأعمالهم ولا يعلم أحد ما وراءها وقيل ينتهى إليها أرواح الشهداء وقيل ينتهى إليها ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها قيل إضافة السدرة إلى المنتهى إما إضافة الشيء إلى مكانه كقولك أشجار البستان أو إضافة المحل إلى الحال كقولك كتاب الفقه والتقدير سدرة عندها منتهى علوم الخلائق أو إضافة الملك إلى المالك على حذف الجار والمجرور أى سدرة المنتهى إليه وهو الله عز وجل قال تعالى إلى ربك المنتهى .

عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿٥٣﴾	٥٣ النجم
إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴿٥٤﴾	٥٣ النجم
مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴿٥٥﴾	٥٣ النجم
لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴿٥٦﴾	٥٣ النجم
أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿٥٧﴾	٥٣ النجم
وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةِ الْآخَرَىٰ ﴿٥٨﴾	٥٣ النجم

- (عندها جنة المأوى) أى الجنة التى يأوى إليها المتقون أو أرواح الشهداء والجملة حالية وقيل الأحسن أن يكون الحال هو الظرف وجنة المأوى مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى (إذ يغشى السدرة ما يغشى) ١٥ ظرف زمان لآه لا لما بعده من الجملة المنفية كما قيل فإن ما النافية لا يعمل بعدها فيما قبلها والغشيان بمعنى التغطية والستر ومنه الغواشى أو بمعنى الإتيان يقال فلان يغشاني كل حين أى يأتيني والأول هو الأليق بالمقام وفى إبهام ما يغشى من التفضيم مالا يخفى وتأخير عن المفعول للتشويق إليه أى ولقد رآه عند السدرة وقت ما غشها مما لا يكتننه الوصف ولا يفي به البيان كيفاً ولا كما وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضاراً لصورتها البديعة وللإيذان باستمرار الغشيان بطريق التجدد وقيل يغشها الجسم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها وقيل يزورونها متبركين بها كما يزور الناس الكعبة وقيل يغشها سبحات أنوار الله عز وجل حين يتجلى لها كما يتجلى للجبل لكنها أقوى من الجبل وأثبت حيث لم يصبها ما أصابه من الدك وقيل يغشها فراش أو جراد من ذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود والضحاك وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال رأيت السدرة يغشها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكاً قائماً يسبح الله تعالى وعنه عليه الصلاة والسلام يغشها رفر من طير خضر (ما زاغ البصر) أى ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما رآه (وما طغى) وما تجاوزه مع ما شاهد هناك من الأمور العجيبة المذهلة مالا يحصى بل أثبتته إثباتاً صحيحاً متيقناً أو ما عدل عن رؤية العجائب التى أمر برؤيتها ومكن منها وما جاوزها (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) أى والله ١٨ لقد رأى الآيات التى هى كبرائها وعظماها حين عرج به إلى السماء فأرى عجائب الملك والمملوكوت مالا يحيط به نطق العبارة ويجوز أن تكون الكبرى صفة للآيات والمفعول محذوف أى شيئاً عظيماً من آيات ربه وأن تكون من مزيدة (أفرأيتم اللات والعزى) (ومنوثة الثالثة الأخرى) هى أصنام ٢٠، ١٩ كانت لهم فالات كانت لثقيف بالطائف وقيل لقريش بنخلة وهى فعلة من لوى لأنهم كانوا يلون عليها ويطوفون بها وقرىء بتشديد التاء على أنه اسم فاعل اشتهر به رجل كان يلبث السمن بالزيت ويطعمه

٥٣ النجم

الْكُرُّ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى ﴿٢١﴾

٥٢ النجم

تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴿٢٢﴾

الحاج وقيل كان يلت السويق بالطائف ويطعمه الحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان يجلس على حجر فلما مات سمي الحجر باسمه وعبد من دون الله وقيل كان الحجر على صورته والعزى تأنيث الأعز كانت لطفان وهي سمرة كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها واضعة يدها على رأسها وهي تولول فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى ولن تعبد أبداً ومناة صخرة لهديل وخزاعة وقيل لثقيف وكأنها سميت مناة لأن دماء النساء تسمى عندها أى تراق وقرى ومناة وهي مفعلة من النوء كأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبركاً بها والآخرى صفة ذم لها وهي المتأخرة الوضعية المقدار وقد جوز أن تكون الأولية والتقدم عندهم للآلات والعزى ثم أنهم كانوا مع ما ذكر من عبادتهم لها يقولون إن الملائكة وتلك الأصنام بنات الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فقيل لهم توينخاً وتبكيثاً أفرأيتم الخ والهمزة للإنكار والفاء لتوجيهه إلى ترتيب الرؤية على ما ذكر من شؤن الله تعالى المنافية لها غاية المنافاة وهي قلبية ومفعولها الثانى محذوف لدلالة الحال عليه فالمعنى أعقيب ما سمعتم من آثار كمال عظمة الله عز وجل في ملكه وملكوته وجلاله وجبروته وأحكام قدرته ونفاذ أمره في الملأ الأعلى وما تحت الثرى وما بينهما رأيتهم هذه الأصنام مع غاية حقارتها وقامتها بنات له تعالى وقيل المعنى أفرأيتهم هذه الأصنام مع حقارتها وذلتها شركاء الله تعالى مع ما تقدم من عظمتهم وقيل أخبروني عن آلهتكم هل لها شيء من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة في الآي السابقة وقيل المعنى أظننتم أن هذه الأصنام التي تعبدونها تنفعكم وقيل أظننتم أنها تشفع لكم في الآخرة وقيل أفرأيتهم إلى هذه الأصنام إن عبدتموها لا تنفعكم وإن تركتموها لا تضركم والأول هو الحق كما يشهد ٢١ به قوله تعالى (ألكم الذكر وله الأنثى) شهادة بينة فإنه توينخ مبنى على التوينخ الأول وحيث كان مداره تفضيل جانب أنفسهم على جنبه تعالى بنسبتهم إليه تعالى الإناث مع اختيارهم لأنفسهم الذكور وجب أن يكون مناط الأول نفس تلك النسبة حتى يتسنى بناء التوينخ الثانى عليه وظاهر أن ليس في شيء من التقديرات المذكورة من تلك النسبة عين ولا أثر وأما ما قيل من أن هذه الجملة مفعول ثانٍ للرؤية وخلوها عن العائد إلى المفعول الأول لما أن الأصل أخبروني أن الآلات والعزى ومناة ألكم الذكور وله من أى تلك الأصنام فوضع موضع الآتى لمراعاة الفواصل وتحقيق مناط التوينخ فع مافيه من التمحلات التي ينبغي تنزيهه ساحة التنزيل عن أمثالها يقتضى اقتصار التوينخ على ترجيح جانبهم الحقيق ٢٢ على جنب الله العزيز الجليل من غير تعرض للتوينخ على نسبة الولد إليه سبحانه (تلك) إشارة إلى القسم المنهية من الجملة الاستفهامية (إذا قسمة ضيزى) أى جائرة حيث جعلتم له تعالى ما تستسكرون

إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ
وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى ﴿٢٣﴾

٥٣ النجم

٥٣ النجم

أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى ﴿٢٤﴾

٥٣ النجم

فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾

منه وهى فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل فى بيض فإن فعلى بالكسر لم يأت فى الوصف وقرئ ضئزى بالهمزة من ضأزه إذا ظلمه على أنه مصدر نعت به وقرئ ضيزى إما على أنه مصدر وصف به كدعوى أو على أنه صفة كسكرى وعطشى (إن هى) الضمير للأصنام ٢٣ أى ما الأصنام باعتبار الألوهية التى يدعونها (إلا أسماء) محضة ليس تحتها ما تنبى هى عنه من معنى * الألوهية شئ ما أصلاً وقوله تعالى (سميتموها) صفة لأسماء وضميرها لها لا للأصنام والمعنى جعلتموها * أسماء لا جعلتم لها أسماء فإن التسمية نسبة بين الاسم والمسمى فإذا قيس إلى الاسم فعناها جعله اسماً للمسمى وإن قيس إلى المسمى فعناها جعله مسمى للاسم وإنما اختير هنا المعنى الأول من غير تعرض للمسمى لتحقيق أن تلك الأصنام التى يسمونها آلهة أسماء مجردة ليس لها مسميات قطعاً كما فى قوله تعالى ماتعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها الآية لا أن هناك مسميات لكنها لا تستحق التسمية وقيل هى للأسماء الثلاثة المذكورة حيث كانوا يطلقونها على تلك الأصنام لاعتقادهم أنها تستحق العكوف على عبادتها والإعزاز والتقرب إليها بالقرايين وأنت خير بأنه لو سلم دلالة الأسماء المذكورة على ثبوت تلك المعانى الخاصة للأصنام فليس فى سلبها عنها مزيد فائدة بل إنما هى فى سلب الألوهية عنها كما هو زعمهم المشهور فى حق جميع الأصنام على وجه برهانى فإن انتفاء الموصوف يقتضى انتفاء الوصف بطريق الأولوية أى ما هى إلا أسماء خالية عن المسميات وضعتوها (أتم ولا آباؤكم) بمقتضى أهوائكم * الباطلة (ما أنزل الله بها من سلطان) برهان تتعلقون به (إن يتبعون) التفات إلى الغيبة للإيذان بأن تعداد قبائحهم اقتضى الإعراض عنهم وحكاية جنائياتهم لغيرهم أى ما يتبعون فيما ذكر من التسمية والعمل بموجبها (إلا الظن) إلا توهم أن ما هم عليه حق توهم باطلاً (وما تهوى الأنفس) أى تشتهيه أنفسهم * الأمازة بالسوء (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) قيل هى حال من فاعل يتبعون أو اعتراض وأياً ما كان * فقيه تأكيد لبطلان اتباع الظن وهوى النفس وزيادة تقبيح لحالهم فإن اتباعهما من أى شخص كان قبيح ومن هداه الله تعالى يارسال الرسول صلى الله عليه وسلم وإنزال الكتاب أقبح (أم للإنسان ٢٤ ما تمنى) أم منقطعة وما فيها من بل للانتقال من بيان أن ما هم عليه غير مستند إلا إلى توهمهم وهوى أنفسهم إلى بيان أن ذلك مما لا يجدى نفعا أصلاً والهمزة للإنكار والنفي أى ليس للإنسان كل ما يتمناه وتشتهيه نفسه من الأمور التى من جملتها أطعامهم الفارغة فى شفاعة الآلهة ونظائرهما التى لا تكاد تدخل تحت الوجود (فله الآخرة والأولى) تعليل لانتفاء أن يكون للإنسان ما يتمناه حتماً فإن اختصاص ٢٥

وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ
وَيَرْضَى ﴿٢٦﴾

٥٣ النجم

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَى ﴿٢٧﴾
وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾
فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾

٥٣ النجم

- ٢٦ أمور الآخرة والأولى جميعاً به تعالى مقتضى لا تنفاه أن يكون له أمر من الأمور وقوله تعالى (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً) لإقناط لهم عما علقوا به أطعاهم من شفاعاة الملائكة لهم موجب لإقناطهم من شفاعاة الأصنام بطريق الأولوية وكم خبرية مفيدة للتكثير عجلها الرفع على الابتداء والخبر هي الجملة المنفية وجمع الضمير في شفاعتهم مع أفراد الملك باعتبار المعنى أى وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم عند الله تعالى شيئاً من الإغناء في وقت من الأوقات (إلا من بعد أن يأذن الله) لهم في الشفاعاة (لمن يشاء) أن يشفعوا له (ويرضى) ويراه أهلاً للشفاعة من أهل التوحيد والإيمان وأما من عداهم من أهل الكفر والطغيان فهم من إذن الله تعالى بمعزل ومن الشفاعاة ألف منزل فإذا كان
- ٢٧ حال الملائكة في باب الشفاعاة كما ذكر فاعلمهم بحال الأصنام (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة) وبما فيها من العقاب على ما يتعاطونه من الكفر والمعاصي (ليسمون الملائكة) المنزهين عن سمات النقصان على الإطلاق يسمون كل واحد منهم (تسمية الأنثى) فإن قولهم الملائكة بنات الله قول منهم بأن كلا منهم بنته سبحانه وهي التسمية بالأنثى وفي تعليقها بعدم الإيمان بالآخرة إشعار بأنها في الشفاعاة والفضاعة واستتباع العقوبة في الآخرة بحيث لا يجترأ عليها إلا من يؤمن بها رأساً وقوله تعالى
- ٢٨ (وما لهم به من علم) حال من فاعل يسمون أى يسمونهم والحال أنه لا علم لهم بما يقولون أصلاً وقرئ بها أى بالملائكة أو بالتسمية (أن يتبعون) في ذلك (إلا الظن) الفاسد (وإن الظن) أى جنس الظن كما يلوح به الإظهار في موقع الإضمار (لا يغني من الحق شيئاً) من الإغناء فإن الحق الذي هو عبارة عن حقيقة الشيء لا يدرك إلا بالعلم والظن لا اعتداد به في شأن المعارف الحقيقية وإنما يعتد به في العمليات وما يؤدي إليها (فأعرض عن تولى عن ذكرنا) أى عنهم ووضع الموصول موضع ضميرهم للتوسل به إلى وصفهم بما في حيز صلته من الأوصاف القبيحة وتعليل الحكم بها أى فأعرض عن أعرض عن ذكرنا المفيد للعلم اليقيني وهو القرآن المنطوى على علوم الأولين والآخرين المذكور لأمور الآخرة أو عن ذكرنا كما ينبغى فإن ذلك مستتب لذكر الآخرة وما فيها من الأمور المرغوب فيها والمرهوب عنها (ولم يرد إلا الحياة الدنيا) راضياً بها قاصراً نظره عليها والمراد النهى عن دعوته والاعتناء بشأنه قال من أعرض عما ذكر وانهمك في الدنيا بحيث كانت هي منتهى همته وقصارى سعيه

ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَن

٥٣ النجم

أَهْتَدَى ﴿٣٠﴾

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَفُؤْا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا

٥٣ النجم

بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾

- لا تزیده الدعوة إلى خلافتها إلا عناداً وإصراراً على الباطل (ذلك) أى ما أدام إلى مام فيه من التولى ٣٠ وقصر الإرادة على الحياة الدنيا (مبلغهم من العلم) لا يكادون يجاوزونه إلى غيره حتى تجديدهم الدعوة * والإرشاد وجمع الضمير في مبلغهم باعتبار معنى من كما أن إفراده فيما سبق باعتبار لفظها والمراد بالعلم مطلق الإدراك المنتظم للظن الفاسد والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها من قصر الإرادة على الحياة الدنيا وقوله تعالى (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) تعليل للأمر بالإعراض * وتكرير قوله تعالى هو أعلم لزيادة التقرير والإيذان بكال تباين المعلومين والمراد بمن ضل من أصر عليه ولم يرجع إلى الهدى أصلاً وبمن اهتدى من شأنه الاهتداء في الجملة أى هو المبالغ في العلم بمن لا يرعوى عن الضلال أبداً وبمن يقبل الاهتداء في الجملة لا غيره فلا تتعب نفسك في دعوتهم فإنهم من القبيل الأول وفي تعليل الأمر بإعراضه عليه السلام عن الاعتناء بأمرهم باقتصار العلم بأحوال الفريقين عليه تعالى رمز إلى أنه تعالى يعاملهم بموجب علمه بهم فيجزى كلا منهم بما يليق به من الجزاء فقيه وعيد ووعد ضمناً كما سيأتى صريحاً (ولله ما في السموات وما في الأرض) أى خلقاً وملكاً لا ٣١ لغيره أصلاً لا استقلالاً ولا اشتراكاً وقوله تعالى (ليجزى) الخ متعلق بما دل عليه أعلم الخ وما بينهما * اعتراض مقرر لما قبله فإن كون الكل مخلوقاً له تعالى مما يقرر عليه تعالى بأحوالهم ألا يعلم من خلق كأنه قيل فيعلم ضلال من ضل واهتداء من اهتدى ويحفظهما ليجزى (الذين أسأوا بما عملوا) أى بعقاب ما عملوا من الضلال الذي عبر عنه بالإساءة بياناً لحاله أو بسبب ما عملوا (ويجزى الذين أحسنوا) أى اهتدوا (بالحسنى) أى بالمشوبة الحسنى التى هى الجنة أو بسبب أعمالهم الحسنى وقيل متعلق بما دل عليه قوله تعالى والله ما في السموات وما في الأرض كأنه قيل خلق ما فيهما ليجزى الخ وقيل متعلق بضل واهتدى على أن اللام للعاقبة أى هو أعلم بمن ضل ليؤول أمره إلى أن يحزبه الله تعالى بعمله وبمن اهتدى ليؤول أمره إلى أن يحزبه بالحسنى وفيه من البعد ما لا يخفى وتكرير الفعل لإبراز كمال الاعتناء بأمر الجزاء والتنبيه على تباين الجزاءين .

الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴿٣٢﴾

٥٣ النجم

٥٣ النجم

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٣٣﴾

٥٣ النجم

وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴿٣٤﴾

٣٢ (الذين يجتنبون كبائر الإثم) بدل من الموصول الثاني وصيغة الاستقبال في صلته للدلالة على تجديد الاجتناب واستمراره أو بيان أو نعت أو منصوب على المدح وكبائر الإثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب عليه الوعيد بخصوصه وقرئ كبير الإثم على إرادة الجنس أو الشرك (والفواحش) وما فحش من الكبائر خصوصاً (إلا اللمم) أى إلا ما قل وصغر فإنه مغفور من يجتنب الكبائر قيل هي النظرة والغمرة والقبلة وقيل هي الخطرة من الذنب وقيل كل ذنب لم يذكر الله عليه حداً ولا عذاباً وقيل عادة النفس الحين بعد الحين والاستثناء منقطع (إن ربك واسع المغفرة) حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر فالجمله تعليل لاستثناء اللمم وتنبيه على أن إخراجهم عن حكم المؤاخذه به ليس لحاوه عن الذنب في نفسه بل لسعة المغفرة الربانية وقيل المعنى له أن يغفر لمن يشاء من المؤمنين ما يشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها لعل تعقيب وعد المسيئين ووعد المحسنين بذلك حينئذ لئلا يياس صاحب الكبرية من رحمته تعالى ولا يتوهم وجوب العقاب عليه تعالى (هو أعلم بكم) أى بأحوالكم يعلمها (إذ أنشأكم) في ضمن إنشاء أيكم آدم عليه السلام (من الأرض) لإنشاء إجمالاً حسبها مر تقريره مراراً (وإذ أنتم أجنة) أى وقت كونكم أجنة (في بطون أمهاتكم) على أطوار مختلفة مترتبة لا يخفى عليه حال من أحوالكم وعمل من أعمالكم التي من جملتها اللمم الذي لولا المغفرة الواسعة لأصابكم وباله فالجمله استئناف مقرر لما قبلها والفاء في قوله تعالى (فلا تزكوا أنفسكم) لترتيب النهى عن تزكية النفس على ما سبق من أن عدم المؤاخذه باللئم ليس لعدم كونه من قبيل الذنوب بل لمحض مغفرته تعالى مع علمه بصدوره عنكم أى إذا كان الأمر كذلك فلا تثنوا عليها بالطهارة عن المعاصي بالكلية أو بما يستلزمها من زكاة العمل ونماء الخير بل اشكروا الله تعالى على فضله ومغفرته (هو أعلم بمن اتقى) المعاصي جميعاً وهو استئناف مقرر للنهى ومشعر بأن فيهم من يتقيا بأسرها وقيل كان ناس يعملون أعمالاً حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فزلت وهذا إذا كان بطريق الإعجاب أو الرياء فأما من اعتقد أن ما عمله من الأعمال الصالحة من الله تعالى وبتوقيفه وتأيدته ولم يقصد به التمدح

٣٣ لم يكن من المزكين أنفسهم فإن المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر (أفرايت الذي تولى) أى عن

٣٤ اتباع الحق والثبات عليه (وأعطى قليلاً) أى شيئاً قليلاً أو إعطاء قليلاً (وأكدى) أى قطع العطاء

٥٣ النجم

٥٣ النجم

٥٣ النجم

٥٣ النجم

٥٣ النجم

أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهَوْ يَرَى ٣٥

أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ٣٦

وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ٣٧

أَلَا تَرَى وَاِزْرَةً وَاِزْرَةً أُخْرَى ٣٨

وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ٣٩

من قولهم أكدى الحافر إذا بلغ الكدية أى الصلابة كالصخرة فلا يمكنه أن يحفر قالوا نزلت في الوليد ابن المغيرة كان يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فغيره بعض المشركين وقال له تركت دين الأشياخ وضللهم فقال أخشى عذاب الله فضمن أن يتحمل عنه العذاب إن أعطاه بعض ماله فارتد وأعطاه بعض المشروط وبخل بالباقي وقيل نزلت في العاص بن وائل السهمي لما كان يوافق النبي عليه الصلاة والسلام في بعض الأمور وقيل في أبي جهل كان ربما يوافق الرسول عليه الصلاة والسلام في بعض الأمور وكان يقول والله ما يأمرنا محمد إلا بمكارم الأخلاق وذلك قوله تعالى وأعطى قليلاً وأكدى والأول هو الأشهر المناسب لما بعده من قوله تعالى (أعنده علم الغيب فهو يرى) الخ أى أعنده علم ٣٥ بالأمور الغيبية التي من جملتها تحمل صاحبه عنه يوم القيامة (أم لم ينبأ بما في صحف موسى) (وإبراهيم ٣٦، ٣٧ الذي وفى) أى وفر وأنتم ما ابتلى به من الكلمات أو أمر به أو بالغ في الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى إذا أنه أتاه جبريل عليه السلام حين يلقى في النار فقال ألك حاجة فقال أما إليك فلا وعلى ذبح الولد ويروى أنه كان يمشى كل يوم فرسخاً يرتاد ضيفاً فإن وافقه أكرمه وإلا نوى الصوم وتقديم موسى لما أن صحفه التي هي التوراة أشهر عندهم وأكثر (ألا تروى وزراً أخرى) أى أنه لا تحمل نفس من شأنها الحمل حمل نفس أخرى على أن أن ٣٨ هي المخففة من الثقلة وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف والجملة المنفية خبرها ومحل الجملة الجر على أنها بدل بما في صحف موسى أو الرفع على أنها خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل ما في صحفها فقل هو أن لا تزر الخ والمعنى أنه لا يؤخذ أحد بذنوب غيره ليتخلص الثاني عن عقابه ولا يقدر في ذلك قوله عليه الصلاة والسلام من سن سنة سيئة فعلية وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة فإن ذلك وزر الإضلال الذي هو وزره وقوله تعالى (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) يبان لعدم انتفاع الإنسان ٣٩ بعمل غيره من حيث جلب النفع إليه لئلا يبان عدم انتفاعه به من حيث دفع الضرر عنه وأما شفاعة الأنبياء عليهم السلام واستغفار الملائكة عليهم السلام ودعاء الأحياء للأموات وصدقهم عنهم وغير ذلك مما لا يكاد يحصى من الأمور النافعة للإنسان مع أنها ليست من عمله قطعاً فحيث كان مناط منفعة كل منها عمله الذي هو الإيمان والصلاح ولم يكن لشيء منها نفع ما بدونه جعل النافع نفس عمله وإن

٥٣ النجم	وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يُرَى ④٠
٥٣ النجم	ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ④١
٥٣ النجم	وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ④٢
٥٣ النجم	وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ④٣
٥٣ النجم	وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ④٤
٥٣ النجم	وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ④٥
٥٣ النجم	مِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ④٦
٥٣ النجم	وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى ④٧
٥٣ النجم	وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ④٨
٥٣ النجم	وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى ④٩
٥٣ النجم	وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ⑤٠

- ٤٠ كان بانضمام عمل غيره إليه وأن مخففة كأختها معطوفة عليها وكذا قوله تعالى (وأن سعيه سوف يرى)
- ٤١ أى يعرض عليه ويكشف له يوم القيامة في صحيفته وميزانه من أريته الشيء (ثم يجزاه) أى يجزى الإنسان سعيه يقال جزاه الله بعمله وجزاه على عمله وجزاه عمله بحذف الجار وإيصال الفعل ويجوز أن يجعل الضمير للجزاء ثم يفسر بقوله تعالى (الجزاء الأوفى) أو يبدل هو عنه كفى قوله تعالى وأسروا النجوى الذين ظلموا (وأن إلى ربك المنتهى) أى انتهاء الخلق ورجوعهم إليه تعالى لا إلى غيره استقلالاً
- ٤٢ ولا اشتراكاً وقرئ بكسر إن على الابتداء (وأنه هو أضحك وأبكى) أى هو خلق قوت الضحك والبكاء
- ٤٣ (وأنه هو أَمَاتَ وَأَحْيَا) لا يقدر على الإماتة والإحياء غيره فإن أثر القاتل نقض البنية وتفريق الاتصال
- ٤٤، ٤٥ وإنما يحصل الموت عنده بفعل الله تعالى على العادة (وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى) (من نطفة إذا تمنى) تدفق في الرحم أو تخلق أو يقدر منها الولد من مئى معنى قدر (وأن عليه النشأة الأخرى)
- ٤٨ أى الإحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرئ النشأة باند وهى أيضاً مصدر نشأ (وأنه هو أغنى وأقنى) وأعطى القنية وهى ما يتأهل من الأموال وإفردا بالذكر لأنها أشرف الأموال أو أرضى وتحقيقه
- ٤٩ جعل الرضا له قنية (وأنه هو رب الشعرى) أى رب معبودهم وهى العبور وهى أشد ضياء من الغميصاء وكانت خزاعة تعبدها سن لهم ذلك أبو كبشة رجل من أشرافهم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبو كبشة تشبهاً له عليه الصلاة والسلام به لمخالفته إياهم في دينهم (وأنه أهلك

٥٣ النجم

وَتُؤَدُّ فَأَ أَتَقَى ٥١

٥٣ النجم

وَقَوْمٌ نُّوحٌ مِّن قَبْلُ لَإِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى ٥٢

٥٣ النجم

وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى ٥٣

٥٣ النجم

فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى ٥٤

٥٣ النجم

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى ٥٥

٥٣ النجم

هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِيرِ الْأُولَى ٥٦

عاد الأولى) هي قوم هود عليه السلام وءاد الأخرى إرم وقيل الأولى القدماء لأنهم أولى الأمم هلاكا بعد قوم نوح وقرىء عاد الأولى بحذف الهمة ونقل ضمها إلى اللام وعاد لولى بادغام التنوين في اللام وطرح همزة أولى ونقل حركتها إلى لام التعريف (وتمود) عطف على عاداً لأن ما بعده لا يعمل ٥١ فيه وقرىء وتموداً بالتنوين (فما أبقى) أى أحداً من الفريقين (وقوم نوح) عطف عليه أيضاً (من) ٥٢ قبل (أى من قبل إهلاك عاد وتمود) (لأنهم كانوا هم أظلم وأطغى) من الفريقين حيث كانوا يؤذونه * وينفرون الناس عنه وكانوا يحذرون صبيانهم أن يسمعوا منه وكانوا يضربونه عليه الصلاة والسلام حتى لا يكون به حراك وما أثر فيهم دعاؤه قرياً من ألف سنة (والمؤتفكة) هي قرى قوم لوط انتفكت ٥٣ بأهلها أى انقلبت بهم (أهوى) أى أسقطها إلى الأرض بعد أن رفعها على جناح جبريل عليه السلام * إلى السماء (فغشها ما غشى) من فنون العذاب وفيه من التهويل والتفطيع مالا غاية وراه (فبأى آلاء ٥٤، ٥٥ ربك تتماهى) تشكك والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام على طريقة قوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك أو لكل أحد وإسناد فعل التماهى إلى الواحد باعتبار تعدده بحسب تعدد متعلقه فإن صيغة التفاعل وإن كانت موضوعة لإفادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يكون كل من ذلك فاعلاً ومفعولاً معاً لكنها قد تجرد عن المعنى الثانى فيراد بها المعنى الأول فقط كما فى يتداعونهم أى يدعونهم وقد تجرد عنهم أيضاً فيكتفى بتعدد الفعل بتعدد متعلقه كما فيما نحن فيه فإن المراء متعدد بتعدد الآلاء فتدبر وتسمية الآمور المعدودة آلاء مع أن بعضها نقم لما أنها أيضاً نعم من حيث إنها فصرة للأنبياء والمؤمنين وانتقام لهم وفيها عظات وعبر للمعتبرين (هذا نذير من النذر الأولى) هذا ٥٦ إما إشارة إلى القرآن والنذير مصدر أو إلى الرسول عليه الصلاة والسلام والنذير بمعنى المنذر وأياً ما كان فالتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف هو نعت لنذير مقرر له ومتضمن للوعيد أى هذا القرآن الذى تشاهدونه نذير من قبيل الإنذارات المتقدمة التى سمعتم عاقبتها أو هذا الرسول منذر من جنس المنذرين الأولين والأولى على تأويل الجماعة لمراعاة الفواصل وقد علمتم أحوال قومهم المنذرين وفى

- ٥٣ النجم أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾
 ٥٣ النجم لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾
 ٥٣ النجم أَفْنِ هَذَا الْحَدِيثِ تَعَجُّبُونَ ﴿٥٩﴾
 ٥٣ النجم وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾
 ٥٣ النجم وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴿٦١﴾
 ٥٣ النجم فَاتَّجِدُوا لِلَّهِ وَأَعْبُدُوا. ﴿٦٢﴾

٥٧ تعقيقه بقوله تعالى (أزفت الآزفة) إشعار بأن تعذيبهم مؤخر إلى يوم القيامة أي دنت الساعة الوصفة
 ٥٨ بالدنو في نحو قوله تعالى اقتربت الساعة (ليس لها من دون الله كاشفة) أي ليس لها نفس قاذية على
 كشفها عند وقوعها إلا الله تعالى لكنه لا يكشفها أو ليس لها الآن نفس كاشفة بتأخيرها إلا الله تعالى
 فإنه المؤخر لها أو ليس لها كاشفة لوقتها إلا الله تعالى كقوله تعالى لا يجلبها لوقتها إلا هو أو ليس لها
 ٥٩ من غير الله تعالى كشف على أن كاشفة مصدر كالعافية (أفني هذا الحديث) أي القرآن (تعجبون)
 ٦٠ إنكاراً (وتضحكون) استهزاء مع كونه أبعد شيء من ذلك (ولا تبكون) حزناً على ما فرطتم في
 ٦١ شأنه وخوفاً من أن يحقق بكم ما حاق بالأمم المذكورة (وأتم سامدون) أي لاهون أو مستكبرون
 من سمد البعير إذا رفع رأسه أو مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود بمعنى الغناء على لغة حمير
 أو خاشعون جامدون من السمود بمعنى الجمود والخشوع كما في قول من قال [رمى الحدثنان نسوة آل
 سعد * بمقدار سمدن له سودا] [فرد شعورهن السود بيضاً * ورد وجوههن البيض سودا] والجملة
 حال من فاعل لا تبكون خلا أن مضمونها على الوجه الأخير قيد للنفي والإنكار وورد على نفي البكاء
 والسمود معاً وعلى الوجه الأول قيد للنفي والإنكار متوجه إلى نفي البكاء ووجود السمود والأول
 ٦٢ أو في بحق المقام فتدبر والفاء في قوله تعالى (فاسجدوا لله واعبدوا) لترتيب الأمر أو موجه على ما تقرر
 من بطلان مقابلة القرآن بالإنكار والاستهزاء ووجوب تلقيه بالإيمان مع كمال الخضوع والخشوع
 أي وإذا كان الأمر كذلك فاسجدوا لله الذي أنزله واعبدوا . عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ
 سورة النجم أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد ووجد به بمكة شرفها الله تعالى .

٥٤ - سورة القمر

(مكية وهي خمس وخمسون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾

٥٤ القمر

وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾

٥٤ القمر

وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ ﴿٣﴾

٥٤ القمر

(سورة القمر مكية إلا الآيات ٤٤، ٤٥، ٤٦ فمدنية وآياتها خمس وخمسون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (أقربت الساعة وانشق القمر) روى أن الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر قال ابن عباس رضى الله عنهما انفلن فلتمتين فلقمة ذهبية وثلاثة بقيت وقال ابن مسعود رأيت حراء بين فلقتي القمر وعن عثمان بن عطاء عن أبيه أن معناه سينشق يوم القيامة ويرده قوله تعالى (وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) فإنه ناطق بأنه قد وقع ٢ وأنهم قد شاهدوه بعد مشاهدة نظائره وقرئ وقد انشق القمر أى اقربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق ومعنى الاستمرار الاطراد أو الاستحكام أى وإن يروا آية من آيات الله يعرضوا عن التأمل فيها ليقفوا على حقيقتها وعلو طبقها ويقولوا سحر مطرد دائم يأتي به محمد على مر الزمان لا يكاد يختلف بحال كسائر أنواع السحر أو قوى مستحكم لا يمكن إزالته وقيل مستمر ذاهب يزول ولا يبقى تنمية لأنفسهم وتعليلها وهو الأنسب بغلوهم في العناد والمكابرة ويده ماسياتي لرده وقرئ وإن يروا على البناء للمفعول من الإراءة (وكذبوا) أى بالنبي صلى الله عليه وسلم وما ٣ غابوه لما أظهره الله تعالى على يده من المعجزات (واتبعوا أهواءهم) التى زينها الشيطان لهم أو كذبوا ٥ الآية التى هى انشقاق القمر واتبعوا أهواءهم وقالوا سحر القمر أو سحر أعيننا والقمر بحاله وصيغة الماضى للدلالة على التحقق وقوله تعالى (وكل أمر مستقر) استئناف مسوق لإقناطهم عما علقوا به ٥ أما نبيهم الفارغة من عدم استقرار أمره عليه الصلاة والسلام حسبما قالوا سحر مستمر ببيان ثباته ورسوخه أى وكل أمر من الأمور مستقر أى منته إلى غاية يستقر عليها لا محالة ومن جملة ما أمر النبي صلى الله عليه وسلم فسيصير إلى غاية يتبين عندها حقيقته وعلو شأنه وإيهام المستقر عليه للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة إلى التصريح به وقيل المعنى كل أمر من أمركم وأمره عليه الصلاة والسلام مستقر أى سيثبت ويستقر على حالة خذلان أو نصرة فى الدنيا وشقاوة أو سعادة فى الآخرة وقرئ بالفتح على أنه مصدر أو اسم مكان أو اسم زمان أى ذو استقرار أو ذو موضع استقرار أو ذو زمان استقرار

- ٥٤ القمر وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿١﴾
- ٥٤ القمر حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴿٢﴾
- ٥٤ القمر فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَكْرٍ ﴿٣﴾
- ٥٤ القمر خُشْعًا أَبْصَرَهُمْ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ ﴿٤﴾
- ٥٤ القمر مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٥﴾
- ٥٤ القمر كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ ﴿٦﴾

٤ وبالسكر والجر على أنه صفة أمر وكل عطف على الساعة أى اقتربت الساعة وكل أمر مستقر (ولقد جاءهم) أى فى القرآن وقوله تعالى (من الأنباء) أى أنباء القرون الحالية أو أنباء الآخرة متعلق بمحذوف هو حال مما بعده أى وبأنه لقد جاءهم كأننا من الأنباء (ما فيه مزدجر) أى ازدجار من تعذيب أو وعيد أو موضع ازدجار على أن تجريدية والمعنى أنه فى نفسه موضع ازدجار وتاء الافتعال قلب دالا مع الدال والذال والزاي للتناسب وقرىء مزجر بقلبها زاء وإدغامها (حكمة بالغة) غايتها لاخلل فيها وهى بدل ما أو خبر لمحذوف وقرىء بالنصب حالا منها فإنها موصولة أو موصوفة تخصصت بصفتها فساغ نصب الحال عنها (فما تغنى النذر) نفي للإغناء أو إنكار لهو القاء لترتيب عدم الإغناء على بجىء الحكمة البالغة مع كونه مظنة للإغناء وصيغة المضارع للدلالة على تجدد عدم الإغناء واستمراره حسب تجدد بجىء الزواجر واستمراره وما على الوجه الثانى منصوبة أى فأى إغناء تغنى النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر أو مصدر بمعنى الإنذار (فتول عنهم) لعلك بأن الإنذار لا يؤثر فيهم البتة (يوم يدع الداع) منصوب يخرجون أو بلذكر والداعى إسرائيل عليه السلام ويجوز أن يكون الدعاء فيه كالأمر فى قوله تعالى كن فيكون وإسقاط الباء للاكتفاء بالسكر تخفيفاً (إلى شىء نكر) أى منكر فظيع تنكره النفوس لعدم العهد بمنله وهو هول القيامة وقرىء نكر بالتخفيف ونكر بمعنى أنكر (خشعاً أبصارهم) حال من فاعل (يخرجون) والتقديم لأن العامل متصرف أى يخرجون (من الأجداث) أذلة أبصارهم من شدة الهول وقرىء خاشعاً والإفراد والتذكير لأن فاعله ظاهر غير حقيق التأنيث وقرىء خاشعة على الأصل وقرىء خشع أبصارهم على الابتداء والخبر على أن الجملة حال (كأنهم جراد منتشر) فى الكثرة والتموج والفرق فى الأقطار (مهطعين إلى الداع) مسرعين ماضى أعناقهم إليه أو ناظرين إليه (يقول الكافرون) استئناف وقع جواباً عما نشأ من وصف اليوم والأحوال وأهله بسوء الحال كأنه قيل فاذا يكون حينئذ قليل يقول الكافرون (هذا يوم عسر) أى صعب شديد وفى إسناد القول المذكور إلى الكفار تلويح بأن المؤمنين ليسوا فى تلك المرتبة من الشدة (كذبت قبلهم قوم نوح) شروع

٥٤ القمر

فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ ﴿١٠﴾

٥٤ القمر

فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾

٥٤ القمر

وَجَرَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾

٥٤ القمر

وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ ﴿١٣﴾

٥٤ القمر

تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾

- في تعداد بعض ما ذكر من الأنباء الموجبة للإزدجار ونوع تفصيل لها وبيان لعدم تأثيرها بها تقريراً لفحوى قوله تعالى فا تغنى النذر أى فعل التكذيب قبل تكذيب قومك قوم نوح وقوله تعالى (فكذبوا عبداً) تفسير لذلك التكذيب المبهم كما في قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب الخ وفيه مزيدة تقرير وتحقيق للتكذيب وقيل معناه كذبوه تكذيباً لآثر تكذيب كلهم خلا منهم قرن مكذب جاء عقبيه قرن آخر مكذب مثله وقيل كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبداً لأنه من جملتهم وفي ذكره عليه الصلاة والسلام بعنوان العبودية مع الإضافة إلى نون العظمة تفخيم له عليه الصلاة والسلام ورفع لمحله وزيادة تشنيع لمكذبيه (وقالوا مجنون) أى لم يقتصروا على مجرد التكذيب بل نسبوه إلى الجنون (وازدجر) عطف على قالوا أى وزجر عن التبليغ بأنواع الأذية وقيل هو من جملة ما قالوه أى هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتحبطته (فدعاه ربه أنى) أى بأنى وقرىء بالكسر على إرادة القول (مغلوب) ١٠
- أى من جهة قوى مالى قدرة على الانتقام منهم (فانتصر) أى فانتقم لى منهم وذلك بعد تقرير يأسه منهم • بعد اللتيا والتى فقد روى أن الواحد منهم كان يلقاه فيخنفه حتى يخر مغشياً عليه ويقول اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) منصب وهو تمثيل لكثرة الأمطار وشدة انصبابها ١١
- وقرىء ففتحنا بالتشديد لكثرة الأبواب (وجرنا الأرض عيوناً) أى جعلنا الأرض كلها كأنها عيون ١٢
- متفجرة وأصله وجرنا عيون الأرض فغير قضاء لحق المقام (فالتقى الماء) أى ماء السماء وماء الأرض • والإفراد لتحقيق أن التقاء المائين لم يكن بطريق المجاورة والتقارب بل بطريق الاختلاط والاتحاد وقرىء الماء ان لاختلاف النوعين والماء وان بقلب الهمزة واو (على أمر قد قدر) أى كانتنا على حال قدرها الله تعالى من غير تفاوت أو على حال قدرت وسويت وهو أن قدر ما أنزل على قدر ما أخرج أو على أمر قدره الله تعالى وهو هلاك قوم نوح بالطوفان (وحملناه) أى نوحا عليه السلام (على ذات ١٣
- ألواح) أى أخشاب عريضة (ودسر) ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع وهى صفة للسفينة • أقيمت مقامها من حيث أنها كالشرح لها تؤدى مؤداها (تجرى بأعيننا) بمرأى منا أى محفظة بحفظنا ١٤
- ٢٢٠ - أبى السعود ج ٨

٥٤ القمر

وَلَقَدْ تَرَكْنَهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ ①٥

٥٤ القمر

فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ①٦

٥٤ القمر

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ ①٧

٥٤ القمر

كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ①٨

٥٤ القمر

إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ①٩

- * (جزاء لمن كان كافر) أى فعلنا ذلك جزاء لنوح عليه السلام لأنه كان نعمة كفروها فإن كل نبي نعمة من الله تعالى على أمته ورحمة وأى نعمة وأى رحمة وقد جوز أن يكون على حذف الجار وإيصال الفعل إلى الضمير واستتاره في الفعل بعد انقلابه مرفوعاً وقرئ لمن كفر أى للكافرين (ولقد تركناها) ١٥
- * أى السفينة أو الفعلة (آية) يعتبر بها من يقف على خبرها وقال قتادة أبقاها الله تعالى بأرض الجزيرة وقيل على الجودي دهرأ طويلاً حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة (فهل من مدكر) أى معتبر بتلك الآية الحقيقة بالاعتبار وقرئ مذكر على الأصل ومذكر بقلب التاء ذالاً والإدغام فيها (فكيف كان عذابي ونذر) استفهام تعظيم وتعجيب أى كانا على كيفية هائلة لا يحيط بها الوصف والنذر جمع ١٦
- نذير بمعنى الإنذار (ولقد يسرنا القرآن) الخ جملة قسمية وردت في أواخر القصص الأربع تقريراً لمضمون ما سبق من قوله تعالى ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فاغنى النذر وتنبهاً على أن كل قصة منها مستقلة بإيجاب الأدكار كافية في الازدجار ومع ذلك لم تقع واحدة في حيز الاعتبار ١٧
- أى وبالله ولقد سهلنا القرآن لقومك بأن أنزلناه على لغتهم وشحناء بأنواع المواعظ والعبر وصرفنا فيه من الوعيد والوعد (لذكر) أى للتذكر والاتعاظ (فهل من مدكر) إنكار ونفي للتعط على أبلغ وجه وآكده حيث يدل على أنه لا يقدر أحد أن يجيب المستفهم بنعم وحمل تيسيره على تسهيل حفظه ١٨
- بجزالة نظمه وعذوبة ألفاظه وعباراته بما لا يساعده المقام (كذبت عاد) أى هوداً عليه السلام ولم يتعرض لكيفية تكذيبهم له روما للاختصار ومسارة إلى بيان ما فيه الازدجار من العذاب وقوله تعالى (فكيف كان عذابي ونذر) لتوجيه قلوب السامعين نحو الإصغاء إلى ما يلقي إليهم قبل ذكره ١٩
- * لا لتحويله وتعظيمه وتعجيبهم من حاله بعد بيانه كما قبله وما بعده كأنه قيل كذبت عاد فهل سمعتم أو فاسمعوا كيف كان عذابي وإنذاراً لهم وقوله تعالى (إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً) استشفاف ببيان ما أجمل أولاً أى أرسلنا عليهم ريحاً باردة أو شديدة الصوت (في يوم نحس) شؤم (مستمر) أى شؤمه أو مستمر عليهم إلى أن أهلكهم أو شامل لجميعهم كبيرهم وصغيرهم أو مشدّد مرارته وكان يوم الأربعاء آخر الشهر .

- تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ②٠ ٥٤ القمر
- فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرِ ②١ ٥٤ القمر
- وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ②٢ ٥٤ القمر
- كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ②٣ ٥٤ القمر
- فَقَالُوا أَبَشْرًا مِثَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِدْأَلْنَا فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ②٤ ٥٤ القمر
- أَلْتَأْتِنَا الَّذِ كُرَّ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ②٥ ٥٤ القمر
- سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ ②٦ ٥٤ القمر

- ٢٠ (تنزع الناس) تقلعهم روى أنهم دخلوا الشجاب والحضر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح وصرعهم موتي (كأنهم أعجاز نخل منقعر) أى منقلع عن مغارسه قيل شبهوا بأعجاز النخل وهى أصولها بلا فروع * لأن الريح كانت تقلع رؤسهم فتبقى أجساداً وجشاً بلا رؤس وتذكير صفة نخل للنظار إلى اللفظ كما أن تأنيهاً فى قوله تعالى أعجاز نخل خاوية للنظر إلى المعنى وقوله تعالى (فكيف كان عذابى ونذرى) تهويل
- ٢١ لهما وتهجيب من أمرهما بعد بيانهما فليس فيه شائبة تكرار وما قيل من أن الأول لما حاق بهم فى الدنيا والثانى لما يحق بهم فى الآخرة يردده ترتيب الثانى على العذاب الدنيوى (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) الكلام فيه كالذى مر فيما سبق (كذبت ثمود بالنذر) أى الإنذارات والمواعظ التى سمعوها
- ٢٢ من صالح أو بالرسل عليهم السلام فإن تكذيب أحدهم تكذيب للكل لا تفاهم على أصول الشرائع (فقالوا أبشراً منا) أى كائنات من جنسنا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده (واحداً) أى منفرداً لا يتبع له أو واحداً من آحادهم لا من أشرافهم وهو صفة أخرى لبشراً وتأخيرها عن الصفة المؤولة للتنبيه على أن كلا من الجنسية والوحدة بما يمنع الاتباع ولو قدم عليها لفاتت هذه النكتة وقرئ أبشراً واحداً على الابتداء وقوله تعالى (تبعه) خبره والأول أوجه للاستفهام (إنا إذا) أى على تقدير اتباعنا * له وهو منفرد ونحن أمة جمة (لنى ضلال) عن الصواب (وسعر) أى جنون فإن ذلك بمعزل من مقتضى العقل وقيل كان يقول لهم إن لم تتبعونى كنتم فى ضلال عن الحق وسعر أى نيران جمع سكير فعكسوا عليه عليه السلام لغاية عتوم فقالوا إن اتبعناك كنا إذن كما تقول (ألقى الذكر) أى الكتاب والوحى
- ٢٤ (عليه من بيننا) وفيها من هو أحق منه بذلك (بل هو كذاب أشير) أى ليس الأمر كذلك بل هو كذا وكذا حمله بطره على الترفع علينا بما ادعاه وقوله تعالى (سيعلمون غداً من الكذاب الأشير) حكاية لما قاله تعالى لصاح عليه السلام وعدآله ووعيد القومه والسين لتقريب مضمون الجملة وتأكيده والمراد
- ٢٦

- ٥٤ القمر إنا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارْتَقِبْهُمْ وَأَصْطَبِرْ ٢٧
- ٥٤ القمر وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ ٢٨
- ٥٤ القمر فَنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر ٢٩
- ٥٤ القمر فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ٣٠
- ٥٤ القمر إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ٣١
- ٥٤ القمر وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلَّذِي كَرِهَلْ مِنْ مَذْكِرٍ ٣٢
- ٥٤ القمر كَذَبَتْ قَوْمٌ لوطٍ بالنذر ٣٣
- ٥٤ القمر إنا أرسلنا عليهم حاصباً إلاء آل لوط نجبنهم بسحر ٣٤
- ٥٤ القمر نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ٣٥

بالغد وقت نزول العذاب أى سيعلمون البتة عن قريب من الكذاب الأشر الذى حمله أشربه وبطوره على الترفع أصالح هو أم من كذبه وقرىء ستعلمون على الالتفات لتشديد التوبيخ أو على حكاية ما أجابهم به صالح وقرىء الأشر كفولهم حذرى حذرو قرىء الأشر أى الأبلغ فى الشرارة وهو أصل مرفوض كالأخير وقيل المراد بالغد يوم القيامة ويأباه قوله تعالى (إنا مرسلوا الناقة) الخ فإنه استئناف مسوق لبيان مبادئ الموعود حتما أى مخرجوها من الهضبة حسبما سألوا (فتنة لهم) أى امتحاناً (فارْتَقِبْهُمْ) أى فانتظروهم وتبصر ما يصنعون (واصْطَبِرْ) على أذيتهم (ونبئهم أن الماء قسمة بينهم) مقسوم لها يوم ٢٨ ولهم يوم وينهم لتغليب العقلاء (كل شرب محتضر) يحضره صاحبه فى نوبته (فنادوا صاحبهم) هو ٢٩ قدار بن سلف أحيمر ثمود (فتعاطى فعقر) فاجترأ على تعاطى الأمر العظيم غير مكترث له فأحدث العقر بالناقة وقيل فتعاطى الناقة فعقرها أو فتعاطى السيف فقتلها والتعاطى تناول الشيء بتكلف ٣٠ (فكيف كان عذابى ونذرى) الكلام فيه كالذى مر فى صدر قصة عاد (إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة) ٣١. ٣٢. هى صيحة جبريل عليه السلام (فكانوا) أى فصاروا (كهشيم المحتظر) أى كالشجر اليابس الذى يتخذه من يعمل الحظيرة لأجلها أو كالحشيش اليابس الذى يجمعه صاحب الحظيرة لما شيته فى الشتاء ٣٣ وقرىء بفتح الظاء أى كهشيم الحظيرة أو الشجرة المتخذها (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) ٣٤ ، ٣٣ (كذبت قوم لوط بالنذر) (إنا أرسلنا عليهم حاصباً) أى ريحاً تحصبهم أى ترميهم بالحصباء (إلا ٣٥ آل لوط نجيناهم بسحر) فى سحر وهو آخر الليل وقيل هو السدس الأخير منه أى ملتبسين بسحر (نعمة

٥٤ القمر	وَلَقَدْ أَنْذَرُهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾
٥٤ القمر	وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ ۖ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾
٥٤ القمر	وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾
٥٤ القمر	فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾
٥٤ القمر	وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٤٠﴾
٥٤ القمر	وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾
٥٤ القمر	كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾
٥٤ القمر	أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾

من عندنا) أى إنعاماً منا وهو علة لنجيننا (كذلك) أى مثل ذلك الجزاء العجيب (نجزي من شكر) * نعمتنا بالإيمان والطاعة (ولقد أنذرهم) لوط عليه السلام (بطشتنا) أى أخذتنا الشديدة بالعذاب ٣٦ (فتماروا) فكذبوا (بالنذر) متشاكين (ولقد راودوه عن ضيفه) قصدوا الفجور بهم (فطمسنا ٣٧ أعينهم) فمسخناها وسويناها كسائر الوجوه روى أنه لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل عليه السلام صفقة فتركهم يترددون لايهتدون إلى الباب حتى أخرجهم لوط عليه السلام (فذوقوا عذابي ونذر) * أى فقلنا لهم ذوقوا على السنة الملائكة أو ظاهر الحال والمراد به الطمس فإنه من جملة ما أنذروه من العذاب (ولقد صبحهم بكرة) وقرىء بكرة غير مصروفة على أن المراد بها أول نهار مخصوصة ٣٨ (عذاب مستقر) لا يفارقهم حتى يسلموا إلى النار وفى وصفه بالاستقرار إيماء إلى أن ما قبله من عذاب * الطمس ينتهى إليه (فذوقوا عذابي ونذر) حكاية لما قيل حينئذ من جهته تعالى تشديداً للعذاب ٣٩ (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) مر ما فيه من الكلام (ولقد جاء آل فرعون النذر) ٤٠، ٤١ صدرت قصتهم بالتوكيد القسم لإبراز كمال الاعتناء بشأنها غاية عظم ما فيها من الآيات وكثرتها وهول ما لاقوه من العذاب وقوة إيجابها للاتعاظ والاكتفاء بذكر آل فرعون للعلم بأن نفسه أولى بذلك أى وبأنه لقد جاءهم الإنذارات وقوله تعالى (كذبوا بآياتنا) استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية ٤٢ بجىء النذر كأنه قيل فإذا فعلوا حينئذ فليلك كذبوا بجميع آياتنا وهى الآيات التسع (فأخذناهم أخذ عزيز) لا يغالب (مقتدر) لا يعجزه شيء (أكفاركم) يامعشر العرب (خير) قوة وشدة وعدة وعدة أو ٤٣ مكانة (من أولئك) الكفار المعدودين والمعنى أنه أصابهم ما أصابهم مع ظهور خيريتهم منكم فيما ذكر *

٥٤ القمر

أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ﴿٤٤﴾

٥٤ القمر

سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدَّبْرَ ﴿٤٥﴾

٥٤ القمر

بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرٌ ﴿٤٦﴾

٥٤ القمر

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ﴿٤٧﴾

٥٤ القمر

يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ ﴿٤٨﴾

٥٤ القمر

إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾

- من الأمور فهل تطمعون أن لا يصيبكم مثل ذلك وأنتم شر منهم مكاناً وأسوأ حالا وقوله تعالى
 * (أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزَّبَرِ) لإضراب وانتقال من التبكيت بوجه آخر أى بل ألكم براءة وأمن من
 تبعات ما تعملون من الكبر والمعاصي وغوائلهما في الكتب السماوية فلذلك تصرون على ما أنتم عليه
 ٤٤ وقوله تعالى (أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ) لإضراب من التبكيت والالتفات للإيذان باقتضاء حالهم
 للإعراض عنهم وإسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية قبائحهم لغيرهم أى بل يقولون واثقين بشوكتهم
 نحن أولو حزم ورأى أمرنا مجتمع لا نزاع ولا انضمام أو منتصر من الأعداء لا تغلب أو متناصر ينصر
 ٤٥ بعضنا بعضاً والإفراد باعتبار لفظ الجميع وقوله تعالى (سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ) رد وإبطال لذلك والسين للتأكيد
 * أى يهزم جمعهم البتة (ويولون الدبر) أى الأدبار وقد قرئ كذلك والتوحيد لإرادة الجنس أو إرادة أن
 كل واحد منهم يولى دبره وقد كان كذلك يوم بدر قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رضى
 الله عنه يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا أدري أى جمع يهزم فلما كان يوم بدر
 رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ففرفت تأويلها
 ٤٦ وقرئ سيهزم الجمع أى الله عز وعلا (بل الساعة موعدهم) أى ليس هذا تمام عقوبتهم بل الساعة موعدهم
 * أصل عذابهم وهذا من طلائعه (والساعة أدهى وأمر) أى فى أقصى غاية من الفظاعة والمرارة والداهية
 ٤٧ الأمر الفظيع الذى لا يهتدى إلى الخلاص عنه وإظهار الساعة فى موقع إضمارها لتربية تهويلها (إن
 * المجرمين) من الأولين والآخرين (فى ضلال وسعر) أى فى هلاك ونيران مسعرة وقيل فى ضلال
 ٤٨ عن الحق فى الدنيا ونيران فى الآخرة وقوله تعالى (يوم يسحبون) الخ منصوب إما بما يفهم من قوله
 * تعالى فى ضلال أى كانوا فى ضلال وسعر يوم يحرون (فى النار على وجوههم) وإما بقول مقدر
 * بعده أى يوم يسحبون يقال لهم (ذوقوا مس سقر) أى قاسوا حرها وألمها وسقر علم جهنم ولذلك
 لم يصرف من سقرته النار وصقرته إذا لوحته والقول المقدر على الوجه الأول حال من ضمير يسحبون
 ٤٩ (إننا كل شيء) من الأشياء (خلقناه بقدر) أى ملتبساً بقدر معين اقتضته الحكمة التى عليها يدور

٥٤ القمر

وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾

٥٤ القمر

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَدَكِرٍ ﴿٥١﴾

٥٤ القمر

وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾

٥٤ القمر

وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾

٥٤ القمر

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾

٥٤ القمر

فِي مَقْعَدٍ صَدِيقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾

أمر التكوين أو مقدرًا مكتوبًا في اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب بفعل ينسرد ما بعده وقرى بالرفع على أنه مبتدأ وخلقناه خبره (وما أمرنا إلا واحدة) أى كلة واحدة سريعة التكوين وهو ٥٠ قوله تعالى كن أو لا فعلة واحدة هو الإيجاد بلا معالجة (كلح بالبصر) فى اليسر والسرعة وقيل معناه * قوله تعالى وما أمر الساعة إلا كلح البصر (ولقد أهلكنا أشياءكم) أى أشباهكم فى الكفر من الأمم ٥١ وقيل أتباعكم (فهل من مدكر) يتعظ بذلك (وكل شيء فعلوه) من الكفر والمعاصى مكتوب على التفصيل ٥٢ (فى الزبر) أى فى ديوان الحفظ (وكل صغير وكبير) من الأعمال (مستطر) مسطور فى اللوح ٥٣ المحفوظ بتفاصيله ولما كان بيان سوء حال الكفرة بقوله تعالى إن المجرمين الخ ما يستدعى بيان حسن حال المؤمنين ليتكافأ الترهيب والترغيب بين ما لهم من حسن الحال بطريق الإجمال فقل (إن المتقين) ٥٤ أى من الكفر والمعاصى (فى جنات) عظيمة الشأن (ونهر) أى أنهار كذلك والإفراد للاكتفاء * باسم الجنس مراعاة للفواصل وقرى نهر جمع نهر كأسد وأسد (فى مقعد صدق) فى مكان مرضى وقرى ٥٥ فى مقاعد صدق (عند ملك مقتدر) أى مقرين عند ملك لا يقادر قدر ملكه وسلطانه فلا شيء إلا * وهو تحت ملكوته سبحانه ما أعظم شأنه . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر فى كل غيب بعثه الله تعالى يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر .

٥٥ — سورة الرحمن
(مدنية وهي ثمان وسبعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٥ الرحمن	الرَّحْمَنُ ①
٥٥ الرحمن	عَلَّمَ الْقُرْآنَ ②
٥٥ الرحمن	خَلَقَ الْإِنْسَانَ ③
٥٥ الرحمن	عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ④
٥٥ الرحمن	الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ⑤

(سورة الرحمن مكية أو مدنية أو متبعضة وآياتها ثمان وسبعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم) لما عد في السورة السابقة منازل بالأمم السالفة من ضروب نعم الله عز وجل وبين عقيب كل ضرب منها أن القرآن قد يسر لجل الناس على التذكر والاتعاظ ونعى عليهم لإعراضهم عن ذلك عدد في هذه السورة الكريمة ما أفاض على كافة الأنام من فنون نعمه الدينية والدنيوية الأنفسية والآفاقية وأنكر عليهم إثر كل فن منها لإخلاصهم بمواجب شكرها وبدى بتعليم القرآن ٢٠١ فقبل (الرحمن) (علم القرآن) لأنه أعظم النعم شأناً وأرفعها مكاناً كيف لا وهو مدار للسعادة الدينية والدنيوية عيار على سائر الكتب السماوية مما من مرصد يرنو إليه أحداق الأمم إلا وهو منشؤه ومناطه ولا مقصد يمتد إليه أعناق الأمم إلا وهو منهجه وصراطه وإسناد تعليمه إلى اسم الرحمن للإيدان بأنه من آثار الرحمة الواسعة وأحكامها وقد اقتصر على ذكره تنبيهاً على أصالته وجلالة قدره ثم قيل ٤٠٣ (خلق الإنسان) (عليه البيان) تعيناً للعلم وتبييناً لكيفية التعليم والمراد بخلق الإنسان إنشاؤه على ما هو عليه من القوى الظاهرة والباطنة والبيان هو التعبير عما في الضمير وليس المراد بتعليمه مجرد تمكين الإنسان من بيان نفسه بل منه ومن فهم بيان غيره أيضاً إذ هو الذي يدور عليه تعليم القرآن والجلل ٥ الثلاث أخبار مترادفة للرحمن وإخلاص الأخيرتين عن العاطف لورودها على منهاج التعديد (الشمس والقمر بحسبان) أى يمران بحساب مقدر في بروجها ومنازلها بحيث ينتظم بذلك أمور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والأوقات وتعلم السنون والحساب .

٥٥ الرحمن	وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾
٥٥ الرحمن	وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾
٥٥ الرحمن	أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾
٥٥ الرحمن	وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾

- (والنجم) أى النبات الذى ينجم أى يطلع من الأرض ولا ساق له (والشجر) أى الذى له ساق ٦
 (يسجدان) أى ينقادان له تعالى فيما يريد بهما طبعاً انقياد الساجدين من المكلفين طوعاً والجملتان خبران *
 آخران للرحمن جردتا عن الرابط اللفظى تعويلاً على كمال قوة الارتباط المعنوى إذ لا يتوهم ذهاب
 الوهم إلى كون حال الشمس والقمر بتسخير غيره تعالى ولا إلى كون سجود النجم والشجر لما سواه
 تعالى كأنه قيل الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان له وإخلاء الجملة الأولى عن العاطف
 لما ذكر من قبل وتوسط العاطف بينها وبين الثانية لتناسبهما من حيث اتئامهما لما أن الشمس والقمر
 علويان والنجم والشجر سفليان ومن حيث إن كلا من حال العلويين وحال السفليين من باب الانقياد
 لأمر الله عز وجل (والسما رفعها) أى خلقها مرفوعة محللاً ورتبة حيث جعلها منشأ أحكامه وقضاياه ٧
 ومتمنزل أوامره ومحل ملائكته وفيه من التنبيه على كبرياء شأنه وعظم ملكه وسلطانه ما لا يخفى وقرئ
 بالرفع على الابتداء (ووضع الميزان) أى شرع العدل وأمر به بأن وفر كل مستحق ما استحقه *
 ووفى كل ذى حق حقه حتى انتظم به أمر العالم واستقام كما قال عليه الصلاة والسلام بالعدل قامت
 السموات والأرض قيل فعلى هذا الميزان القرآن وهو قول الحسين بن الفضل كما فى قوله تعالى وأنزلنا
 معهم الكتاب والميزان وقيل هو ما يعرف به مقادير الأشياء من ميزان ومكيال ونحوهما وهو قول
 الحسن وقتادة والضحاك فالمعنى خلقه موضوعاً مخفوضاً على الأرض حيث علق به أحكام عباده وقضاياهم
 وما تعبد بهم به من التسوية والتعديل فى أخذهم وإعطائهم (ألا تطفوا فى الميزان) أى لئلا تطفوا فيه ٨
 على أن أن ناصبة ولا نافية ولا معلقة بمقدرة متعلقة بقوله تعالى ووضع الميزان أو أى لا تطفوا على
 أنها مفسرة لما فى الشرع من معنى القول ولا ناهية أى لا تعتدوا ولا تتجاوزوا الإنصاف وقرئ
 لا تطفوا على إرادة القول (وأقيموا الوزن بالقسط) قوموا وزنكم بالعدل وقيل أقيموا لسان الميزان ٩
 بالقسط والعدل وقيل الإقامة باليد والقسط بالقلب (ولا تخسروا الميزان) أى لا تنقصوه أمر أولاً *
 بالتسوية ثم نهى عن الطغيان الذى هو اعتداء وزيادة ثم عن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان وكرر
 لفظ الميزان تشديداً للتوصية به وتأكيذاً للأمر باستعماله والحث عليه وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء
 وضم السين وكسرها يقال خسر الميزان يخسره ويخسره وبفتح السين أيضاً على أن الأصل ولا تخسروا

٥٥ الرحمن	وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ⑩
٥٥ الرحمن	فِيهَا فَكَيْهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكَامِ ⑪
٥٥ الرحمن	وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ⑫
٥٥ الرحمن	فَبَأَى آلاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ⑬

- ١٠ في الميزان غذف الجار وأوصل الفعل (والأرض وضعا) أى خفضها مدحوة على الماء (للأنام) أى الخلق قيل المراد به كل ذى روح وقيل كل ما على ظهر الأرض من دابة وقيل ائتملان وقوله تعالى
- ١١ (فيها فاكهة) الخ استئناف مسوق لتقرير ما أفادته الجملة السابقة من كون الأرض موضوعا لمنافع الأنام وتفصيل المنافع العائدة إلى البشر وقيل حال مقدر من الأرض فالأحسن حينئذ أن يكون الحال هو الجار والمجرور وفاكهة رفع على الفاعلية أى فيها ضروب كثيرة مما يتفكه به (والنخل ذات الأكام)
- * هى أوعية الثمر جمع كم أو كل ما يركم أى يغطى من لين وسعف وكفرى فإنه مما ينتفع به كالمكوم
- ١٢ من ثمره وجواره وجذوعه (والحب) هو ما يتغذى به كالحنطة والشعير (ذو العصف) هو ورق الزرع
- * وقيل التبن (والريحان) قيل هو الرزق أريد به اللب أى فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذى وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب الذى له عصف هو علم الأنعام وريحان هو مطعم الناس وقرىء والحب ذا العصف والريحان أى خلق الحب والريحان أو أخص ويجوز أن يرادوا بالريحان غذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه والريحان إما فعيلان من روح فقلبت الواو ياء وأدغم ثم خفف أو فعيلان قلبت واو ياء للتخفيف أو للفرق بينه وبين الروحان وهو ماله روح
- ١٣ قاله القرطبي (فبأى آلاء ربكما تكذبان) الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله تعالى للأنام وسينطق به قوله تعالى أيها الثقلان والفاء لترتيب الإنكار والتوبيخ على ما فصل من فنون النعماء وصنوف الآلاء الموجبة للإيمان والشكر حتما والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية الكلية والتربية مع الإضافة إلى ضميرهم لتأكيد النكير وتشديد التوبيخ ومعنى تكذيبهم بآلائه تعالى كفرهم بها إما بإنكار كونه نعمة في نفسه كتعليم القرآن وما يستند إليه من النعم الدينية وإما بإنكار كونه من الله تعالى مع الاعتراف بكونه نعمة في نفسه كالنعم الدنيوية الواصلة إليهم بإسناده إلى غيره تعالى استقلالاً أو اشتراكاً صريحاً أو دلالة فإن إشارتهم إلى الله تعالى فى العبادة من دواعي إشارتهم لها به تعالى فيما يوجبها والتعبير عن كفرهم المذكور بالتكذيب لما أن دلالة الآلاء المذكورة على وجوب الإيمان والشكر شهادة منها بذلك فكفرهم بها تكذيب بها لا محالة أى فإذا كان الأمر كما فصل فبأى فرد من أفراد آلاء مالكمكما ومريكمكما بتلك الآلاء تكذبان مع أن كلا منها ناطق بالحق شاهد بالصدق

٥٥ الرحمن

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ١٤

٥٥ الرحمن

وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ١٥

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٦

٥٥ الرحمن

رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ١٧

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٨

٥٥ الرحمن

مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ١٩

٥٥ الرحمن

بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ٢٠

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢١

٥٥ الرحمن

يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ٢٢

- (خلق الإنسان من صلصال كالفخار) تمهيد للتوبيخ على إخلالهم بمواجب شكر النعمة المتعلقة بذاتي ١٤ كل واحد من الثقلين والصلصال الطين اليابس الذي له صلصال والفخار الخزف وقد خلق الله تعالى آدم عليه السلام من تراب جعله طيناً ثم حمأ مسنوناً ثم صلصلاً فلا تنافي بين الآية الناطقة بأحدها وبين ما نطق بأحد الآخرين (وخلق الجان) أي الجن أو أبا الجن (من مارج) من لهب صاف (من) ١٥ نار) بيان لما رج فإنه في الأصل المضطرب من مرج إذا اضطرب (فبأي آلاء ربكما تكذبان) بما ١٦ أفاض عليكما في تضاعيف خلقكما من سوابغ النعم (رب المشرقين ورب المغربين) بالرفع على خبرية ١٧ مبتدأ محذوف أي الذي فعل ما ذكر من الأفاعيل البديعة رب مشرق الصيف والشتاء ومغربيهما ومن قضيته أن يكون رب ما بينهما من الموجودات قاطبة وقيل على الابتداء والخبر قوله تعالى مرج الخ وقرئ بالجر على أنه بدل من ربكما (فبأي آلاء ربكما تكذبان) بما في ذلك من فوائد لا تحصى من ١٨ اعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل في وقته إلى غير ذلك (مرج البحرين) ١٩ أي أرسلهما من مرجت الدابة إذا أرسلتها والمعنى أرسل البحر الملح والبحر العذب (يلتقيان) أي يتجاوران ويتماس سطوحهما لافصل بينهما في مرأى العين وقيل أرسل بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لأنهما خليجان يتشعبان منه (بينهما برزخ) أي حاجز من قدرة الله عز وجل أو من الأرض ٢٠ (لا يبغيان) أي لا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة وإبطال الخاصة أو لا يتجاوزان حديهما بإغراق ٢١ ما بينهما (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وليس منهما شيء يقبل التكذيب (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) ٢٢

٥٥ الرحمن

فَبَيِّتِ آلَآءِ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ﴿٢٣﴾

٥٥ الرحمن

وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾

٥٥ الرحمن

فَبَيِّتِ آلَآءِ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ﴿٢٥﴾

٥٥ الرحمن

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾

٥٥ الرحمن

وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾

٥٥ الرحمن

فَبَيِّتِ آلَآءِ رَبِّكَ تَكْذِبَانَ ﴿٢٨﴾

٥٥ الرحمن

يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾

اللؤلؤ الدر والمرجان الخرز الأحمر المشهور وقيل اللؤلؤ كبار الدر والرجان صفاره فنتسبه خروجهما حينئذ إلى البحرين مع أنهما إنما يخرجان من الملح على ما قالوا لما قيل أنهما لا يخرجان إلا من ماتني الملح والعذب أو لأنهما لما التقيا وصارا كالشيء الواحد ساغ أن يقال يخرجان من البحر مع أنهما لا يخرجان من جمع البحر ولكن من بعينه وهو الظاهر وقرئ يخرج مبنياً للفعول من الإخراج ٢٤، ٢٣ ومبنياً للفاعل بنصب اللؤلؤ والمرجان وبنون العظمة (فبأي آلاء ربكما تكذبان) (وله الجوار) أي السفن جمع جارية وقرئ برفع الراء وبحذف الياء كقول من قال [لها ثنيا بأربع حسان * وأربع * فكلها ثمان] (المنشآت) المرفوعات الشرع أو المصنوعات وقرئ بكسر الشين أي الرافعات الشرع * أو اللاتي ينشئن الأمواج بحرهن (في البحر كالأعلام) كالجبال الشاهقة جمع علم وهو الجبل الطويل ٢٥ (فبأي آلاء ربكما تكذبان) من خلق مواد السفن والإرشاد إلى أخذها وكيفية تركيبها وجرائها في البحر بأسباب لا يقدر على خلقها وجمعها وترتيبها غيره سبحانه (كل من عليها) أي على الأرض من ٢٦ الحيوانات أو المركبات ومن للتغليب أو من الثقلين (فان) هالك لا محالة (ويبقى وجه ربك) أي ذاته عز وجل (ذو الجلال والإكرام) أي ذو الاستغناء المطبق والفضل التام وقيل الذي عنده الجلال والإكرام للمخلصين من عباده وهذه من عظام صفاته تعالى ولقد قال صلى الله عليه وسلم أظنوا يا إذا الجلال والإكرام وعنه عليه الصلاة والسلام أنه مر برجل وهو يصلي ويقول يا إذا الجلال والإكرام فقال استجب لك وقرئ ذي الجلال والإكرام على أنه صفة ربك وأياً ما كان ففي وصفه تعالى بذلك بعد ذكر فناء الخلق وبقائه تعالى إيدان بأنه تعالى يفيض عليهم بعد فنائهم أيضاً ٢٨ آثار لطفه وكرمه حسبما ينبى عنه قوله تعالى (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فإن إحيائهم بالحياة الأبدية ٢٩ وإثابتهم بالنعم المقيم أجل النعماء وأعظم الآلاء (يسأله من في السموات والأرض) قاطبة ما يحتاجون

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾

٥٥ الرحمن

سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّةَ ثَقَلَانَ ﴿٣١﴾

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾

يَمَعَشَرِ الْجَنِّ وَالْإِنسِ إِنَّ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا
لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾

إليه في ذواتهم ووجوداتهم حدوثاً وبقاءً وسائر أحوالهم سرّاً لا مستمراً بلسان المقال أو بلسان الحال فإنهم كفة من حيث حقانهم الممكنة بمنزل من استحقاق الوجود وما يتفرع عليه من الكمالات بالمرّة بحيث لو انقطع ما بينهم وبين العناية الإلهية من العلاقة لم يشموا رائحة الوجود أصلاً فهم في كل آن مستمرّون على الاستدعاء والسؤال وقد مر في تفسير قوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها من سورة إبراهيم عليه السلام (كل يوم) أي كل وقت من الأوقات (هو في شأن) من الشؤون التي من جملتها إعطاء ما سألوا فإنه تعالى لا يزال ينشئ أشخاصاً ويفني آخرين ويأتي بأحوال ويذهب بأحوال حسبما تقتضيه مشيئته المنية على الحكم البالغة وفي الحديث من شأنه أن يغفر ذنباً ويفرج كرباً ويرفع قوماً ويضع آخرين قبل وفيه رد على اليهود حيث يقولون إن الله لا يقضى يوم السبت شيئاً (فبأي ٣٠ آلاء ربكما تكذبان) مع مشاهدتكم لما ذكر من إحسانه (سنفرغ لكم) أي سنتجرّد لحسابكم ٣١ وجزائكم وذلك يوم القيامة عند انتهاء شؤون الخلق المشار إليها بقوله تعالى كل يوم هو في شأن فلا يبقى حينئذ إلا شأن واحد هو الجزء فبعد عنه بالفراغ لهم بطريق التمثيل وقيل هو مستعار من قول المتهمّد لصاحبه سأفرغ لك أي سأتجرّد للإيقاع بك من كل ما يشغلني عنه والمراد التوفّر على النكايّة فيه والانتقام منه وقرئ سيفرغ مبنياً للفاعل وللفعول وقرئ سنفرغ إليكم أي سنقصّد إليكم (أيها الثقلان) عما الإنس والجن سميّا بذلك لثقلهما على الأرض أو لرزانة آرائهما أو لأنهما مثقلان * بالتكليف (فبأي آلاء ربكما) التي من جملتها التنبيه على ما سيلقونه يوم القيامة التحذير عما يؤدي إلى ٣٢ سوء الحساب (تكذبان) بأقوالكما وأعمالكما (يامعشر الجن والإنس) هما الثقلان خوطبا باسم ٣٣ جنسهما لزيادة التقرير ولأن الجن مشهورون بالقدرة على الأفاعيل الشاقة فخطبوا بما ينبيء عن ذلك لبيان أن قدرتهم لا تنقي بما كفّوه (إن استطعتم) إن قدرتم على (أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض) أي أن تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن أقطار سمواتي وأرضي (فانفذوا) منها وخلصوا أنفسكم من عقابي (لا تنفذون) لا تقدرّون على النفوذ (إلا بسُلطان) أي بقوة وقهر وأتم من ذلك * بمعزل بعيد روى أن الملائكة تنزل فتحيط بالخلائق فإذا رآهم الجن والإنس هربوا فلا يأتون وجهاً

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ ٥٥ الرحمن

يُرْسَلُ عَلَيْكَا شَوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ ٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ ٥٥ الرحمن

فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ ٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ ٥٥ الرحمن

فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾ ٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ ٥٥ الرحمن

- ٣٤ إلا وجدوا الملائكة أحاطت به (فبأي آلاء ربكما تكذبان) أي من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو
 ٣٥ مع كال القدرة على العقوبة (يرسل عليكما شواظ) قيل هو اللهب الخالص وقيل المختلط بالدخان وقيل اللهب الأحمر وقيل اللهب الأخضر المنقطع من النار وقيل هو الدخان الخارج من اللهب وقيل هو النار والدخان جميعاً وقرئ شواظ بكسر الشين (من نار) متعلق يرسل أو بمضمر هو صفة لشواظ
 * أي كائن من نار والتنوين للتفخيم (ونحاس) أي دخان وقيل صفر مذاب يصب على رؤسهم وقرئ بكسر النون وقرئ بالجر عطفاً على نار وقرئ بنون العظمة ونصب شواظاً ونحاساً وقرئ نحس جمع نحاس مثل لحاف ولحف وقرئ ونحس أي تقتل بالعذاب (فلا تنتصران) أي لا تمتنعان
 ٣٦ (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فإن يان عاقبة ما م عليه من الكفر والمعاصي لطف وأي لطف ونعمة
 ٣٧ وأي نعمة (فإذا انشقت السماء) أي انصدعت يوم القيامة (فكانت وردة) كوردة حمراء وقرئ وردة بالرفع على أن كان تامة أي حصلت سماء وردة فيكون من باب التجريد كقول من قال [وائن بقيت لأرحلن بغزوة * تحوى الغنائم أو يموت كريم] (كالدهان) خبر ثان لكائنات أو نعت لوردة أو حال من اسم كانت أي كدهن الزيت وهو إما جمع دهن أو اسم لما يدهن به كالخزام والإدام وقيل هو الأديم الأحمر وجواب إذا محذوف أي يكون من الأحوال والأحوال ما لا يحيط به دائرة المقال
 ٣٨-٣٩ (فبأي آلاء ربكما تكذبان) مع عظم شأنها (فيومئذ) أي يوم إذ تنشق السماء حسبما ذكر (لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان) لأنهم يعرفون بسياهم وذلك أول ما يخرجون من القبور ويحشرون إلى الموقف ذوداً ذوداً على اختلاف مراتبهم وأما قوله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين ونحوه ففي موقف المناقشة والحساب وضمير ذنبه للإنس لتقدمه رتبة وإفراده لما أن المراد فرد من الإنس كأنه قيل لا يسأل ذنبه إنسى ولا جنى (فبأي آلاء ربكما تكذبان) مع كثرة منافعها فإن الإخبار بما ذكر مما يزجركم عن

٥٥ الرحمن	يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِمَتِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ٤١
٥٥ الرحمن	فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٤٢
٥٥ الرحمن	هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمَجْرُمُونَ ٤٣
٥٥ الرحمن	يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ٤٤
٥٥ الرحمن	فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٤٥
٥٥ الرحمن	وَلِمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ٤٦

الشر المؤدى إليه وأما ما قيل بما أنعم الله على عباده المؤمنين في هذا اليوم فلا تعلق له بالمقام وقوله تعالى (يعرف المجرمون بسيمتهم) استئناف يجرى مجرى التعليل لعدم السؤال قيل يعرفون بسواد ٤١ الوجوه وزرقة العيون وقيل بما يعلوهم من الكآبة والحزن (فيؤخذ بالنواصي والأقدام) الجار والمجرور * هو القائم مقام الفاعل يقال أخذه إذا كان المأخوذ مقصوداً بالأخذ ومنه قوله تعالى خذوا حذركم ونحوه وأخذ به إذا كان المأخوذ شيئاً من ملابسات المقصود بالأخذ ومنه قوله تعالى لا تأخذ بالحقى ولا برأسى وقول المستغيث خذ بيدى أخذ الله بيدك أى يجمع بين نواصيهم وأقدامهم فى سلسلة من وراء ظهورهم وقيل تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بالنواصي وتارة تأخذ بالأقدام (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ٤٢ وقوله تعالى (هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون) على إرادة القول أى يقال لهم ذلك بطريق التوبيخ ٤٣ على أن الجملة إما استئناف وقع جواباً عن سؤال ناشئ من حكاية الأخذ بالنواصي والأقدام كأنه قيل فماذا يفعل بهم عند ذلك فقيل يقال الخ أو حال من أصحاب النواصي والأقدام لأن الألف واللام عوض عن المضاف إليه وما بينهما اعتراض (يطوفون بينها) أى بين النار يحرقون بها (وبين حميم أن) ماء بالغ من الحرارة أقصاها يصب عليهم أو يسقون منه وقيل إذا استغاثوا من النار أغثوا بالحميم (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقد أشير إلى سر كون بيان أمثال هذه الأمور من قبيل الآلاء ٤٥ مراراً (ولمن خاف مقام ربه) شروع فى تعداد الآلاء الفائضة عليهم فى الآخرة بعد تعداد ما وصل إليهم فى الدنيا من الآلاء الدينية والدنيوية واعلم أن ما عددياً بين هذه الآية وبين خاتمة السورة الكريمة من فنون الكرامات كما أن أنفسها آلاء جليلة واصله إليهم فى الآخرة كذلك حكاياتها الواصلة إليهم فى الدنيا آلاء عظيمة لكونها داعية لهم إلى السعى فى تحصيل ما يؤدى إلى نيلها من الإيمان والطاعة وأن ما فصل من فاتحة السورة الكريمة إلى قوله تعالى كل يوم هو فى شأن من النعم الدينية والدنيوية الأنفسية والآفاقية آلاء جليلة واصله إليهم فى الدنيا وكذلك حكاياتها من حيث إيجابها للشكر والمثابرة على

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾

٥٥ الرحمن

ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾

٥٥ الرحمن

فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾

٥٥ الرحمن

فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾

ما يزدى إلى استدانتها وأما ما عُد فيها بين قوله تعالى سنفرغ لكم وبين هذه الآية من الأحوال الهائلة التي ستقع في الآخرة فليست هي من قبيل الآلاء وإنما الآلاء حكاياتها أوجبة للانزجار عما يؤدى إلى الابتلاء بها من الكفر والمعاصي كما أشير إليه في تضاعيف تعدادها ومقامه تعالى موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين أو قيامه تعالى على أحواله من قام عليه إذ أراقبه أو مقام الخائب عند ربه للحساب بأحد المعنيين وإضافته إلى الرب للتفخيم والتهويل أو مقحم للتعظيم (جنتان) جنة للخائف الأنسى وجنة للخائف الجنى فإن الخطاب للفرقتين فالمعنى لكل خائفين منك أو لكل واحد جنة لعقيدته وأخرى لعمله أو جنة لفعل الطاعات وأخرى لترك المعاصي أو جنة يثاب بها وأخرى ينزل بها عليه أو روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثني بعد (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى ﴿٤٧﴾ (ذواتا أفنان) صفة لجنتان وما بينهما اعتراض وسط بينهما تنبيها على أن تكذيب كل من الموصوف والصفة موجب للإنكار والتوبيخ والأفنان إما جمع فن أي ذواتا أنواع من الأشجار والثمار أو جمع فن أي ذواتا أغصان متشعبة من فروع الشجر وتخصيصها بالذكر لأنها التي تورق وتثمر وتمد

٤٩، ٥٠، الظل (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وليس فيها شيء يقبل التكذيب (فيهما عينان تجريان) صفة أخرى لجنتان أي في كل واحدة منهما عين تجري كيف يشاء صاحبها في الأعلى والأسفل وقيل تجريان من جبل من مسك وعن ابن عباس والحسن تجريان بالماء الزلال لإحداهما التسنيم والأخرى السلسيل وقيل إحداهما من ماء غير آسن والأخرى من خمر لذة للشاربين قال أبو بكر الوراق فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله عز وجل (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى ﴿٥٢﴾ (فيهما من كل فاكهة زوجان) أي صنفان معروف وغريب أو رطب وياابس صفة أخرى لجنتان

٥٣ وتوسط الاعتراض بين الصفات لما مر آنفاً (فبأي آلاء ربكما تكذبان).

٥٥ الرحمن

مُتَكِينٍ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَآنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾

٥٥ الرحمن

فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٥٦﴾

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾

٥٥ الرحمن

كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾

٥٥ الرحمن

هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦٠﴾

- وقوله تعالى (متكئين) حال من الخائفين لأن من خاف في معنى الجمع أو نصب على المدح (على فرش بطانها من إستبرق) من دياج تخين وحيث كانت بطانها كذلك فاطنك بظماؤها وقيل ظواهرها من سندس وقيل من نور (وجنى الجننتين دان) أى ما يجتنى من أشجارها من الثمار قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع . قال ابن عباس رضى الله عنهما تدنو الشجرة حتى يجتنىها ولى الله إن شاء قائماً وإن شاء قاعداً وإن شاء مضطجعا وقرىء بكسر الجيم (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (فيهن) أى فى الجنان المدلول ٥٤،٥٥ عليها بقوله تعالى جنتان لما عرفت أنهما لكل خائفين من الثقلين أو لكل خائف حسب تعدد عمله وقد اعتبر الجمعية فى قوله تعالى متكئين وقيل فيما فيهما من الأماكن والقصور وقيل فى هذه الآلاء المعدودة من الجننتين والفاكة والفرش (قاصرات الطرف) نساء يتصرن أبصارهن على أزواجهن * لا ينظرن إلى غيرهم (لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان) أى لم يمس الإنسيات أحد من الإنس ولا الجنيات * أحد من الجن قبل أزواجهن المدلول عليهم بقاصرات الطرف وقيل بقوله تعالى متكئين وفيه دليل على أن الجن يطمثون وقرىء يطمثهن بضم الميم والجملة صفة لقاصرات الطرف لأن إضافتها لفظية أو حال منها لتخصصها بالإضافة (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (كأنهن الياقوت والمرجان) ٥٨،٥٧ إما صفة لقاصرات الطرف أو حال منها كالتى قبلها أى مشبهات بالياقوت فى حمرة الوجنة والمرجان أى صفار الدر فى بياض البشر وصفاتها فإن صفار الدر أنصع بياضاً من كباره قيل إن الحوراء تلبس سبعين حلة فىرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الأحمر فى الزجاج البياض (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) استئناف مقرر لمضمون ما فصل قبله ٥٩ أى ما جزاء الإحسان فى العمل إلا الإحسان فى الثواب .

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾

٥٥ الرحمن

وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾

٥٥ الرحمن

مُدَّهَامَتَانِ ﴿٦٤﴾

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾

٥٥ الرحمن

فِيهِمَا عَيْنَانِ نُضَاحَتَانِ ﴿٦٦﴾

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾

٥٥ الرحمن

فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾

٥٥ الرحمن

فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ ﴿٧٠﴾

٦٢، ٦١ (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (ومن دونهما جنتان) مبتدأ وخبر أى ومن دون
 ٦٣ تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقرين جنتان أخريان لمن دونهن من أصحاب اليمين (فبأي آلاء
 ٦٤ ربكما تكذبان) وقوله تعالى (مدھامتان) صفة لجنتان وسط بينهما الاعتراض لما ذكر من التنبيه
 على أن تكذيب كل من الموصوف والصفة حقيق نال إنكار والتوبيخ أى خضر او ان تضر بان إلى
 السواد من شدة الخضرة وفيه إشعار بأن الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على
 ٦٥، ٦٦ وجه الأرض وعلى الأولين الأشجار والفواكه (فبأي آلاء ربكما تكذبان) (فيهما عينان نضاحتان)
 ٦٧ أى فوارتان بالماء والنضج أكثر من النضج بالحاء المهملة وهو الرش (فبأي آلاء ربكما تكذبان)
 ٦٨ (فيهما فاكهة ونخل ورمان) عطف الأخيران على الفاكهة عطف جبريل وميكال على الملائكة بياناً
 لفضلهما فإن ثمرة النخل فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء وعن هذا قال أبو حنيفة رحمه الله من
 ٦٩ حلف لا يأكل فاكهة فأكل رماناً أو رطباً لم يحنث (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى
 ٧٠ (فيهن خيرات) صفة أخرى لجنتان كالجملة التي قبلها والكلام في جميع الضمير كالذي مر فيما مر
 * وخيرات مخففة من خيرات لأن خيراً الذي بمعنى أخير لا يجمع وقد قرئ على الأصل (حسان) أى
 حسان الخلق والخلق.

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾

٥٥ الرحمن

حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾

٥٥ الرحمن

لَمْ يَطْمِئِنَّ أَنْسُ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٧٤﴾

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾

٥٥ الرحمن

مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خَضِرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حَسَانٍ ﴿٧٦﴾

٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾

٥٥ الرحمن

تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

(فبأي آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (حور) بدل من خيرات (مقصورات في الخيام) قصرن ٧١، ٧٢ في خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة أى مخدرة أو مقصورات الطرف على أزواجهن وقيل إن الخيمة من خيامهن درة مجوفة (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (لم يطمئن أنس قبلهم ولا جان) كالذى مر في نظيره من جميع الوجوه (فبأي آلاء ربكما تكذبان) (متكئين) نصب على الاختصاص (على رفرف خضر) الرفرف إما اسم جنس أو اسم جمع واحده رفرفة قيل هو ماتدلى * من الأسرة من أعلى الثياب وقيل هو ضرب من البسط أو البسط وقيل الوسائد وقيل النمارق وقيل كل ثوب عريض رفرف وقيل لأطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف ورفرف السحاب هيدبه (وعبقري حسان) العبقري منسوب إلى عبقر تزعم العرب أنه اسم بلد الجن فينسبون إليه كل شيء * عجيب والمراد به الجنس ولذلك وصف بالجمع حملا على المعنى كما في رفرف على أحد الوجهين وقرئ على رفارف خضر بضمختين وعبقري كدائني نسبة إلى عباقري في اسم البلد (فبأي آلاء ربكما تكذبان) ٧٧ وقوله تعالى (تبارك اسم ربك) تنزيه وتقديس له تعالى فيه تقرير لما ذكر في السورة الكريمة من ٧٨ آلاؤه الفائضة على الأنام أى تعالى اسمه الجليل الذى من جملته ما صدرت به السورة من اسم الرحمن المنبئ عن إفاضته الآلاء المفصلة وارتفع عما لا يليق بشأنه من الأمور التى من جملتها جحود نعمائه وتكذيبها وإذا كان حال اسمه بملازمة دلالاته عليه فما ظنك بذاته الأقدس الأعلى وقيل الاسم بمعنى الصفة وقيل مقحم كما في قول من قال [إلى الحول ثم اسم السلام عليكما] (ذى الجلال والإكرام) * وصف به الرب تكميلا لما ذكر من التنزيه والتقدير وقرئ ذو الجلال على أنه نعت للاسم . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن أدى شكر ما أنعم الله عليه .

٥٦ - سورة الواقعة

(مكية وهي ست وتسعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٦ الواقعة

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ①

٥٦ الواقعة

لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ②

٥٦ الواقعة

خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ③

٥٦ الواقعة

إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ④

٥٦ الواقعة

وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ⑤

(سورة الواقعة مكية إلا آية ٨١ ، ٨٢ فدينيتان وآياتها ست وتسعون آية)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (إذا وقعت الواقعة) أى إذا قامت القيامة وذلك عند النفخة الثانية والتعبير عنها بالواقعة للإيدان بتحقيق وقوعها لاحالة كائنها واقعة في نفسها مع قطع النظر عن الوتوع الواقع في حيز الشرط كأنه قيل كانت الكائنة وحدثت الحادثة واتصاف إذا بمضمر ينبيء عن المول والفظاعة كأنه قيل إذا وقعت الواقعة يكون من الأهوال مالا يني به المقال وقيل بالنبي المفهوم من قوله تعالى (ليس لوقعها كاذبة) أى لا يكون عند وقوعها نفس تكذب على الله تعالى أو تكذب في نفسها كما تكذب اليوم واللام كهي في قوله تعالى ياليتنى قدمت لحياتي وهذه الجملة على الوجه الأول اعتراض مقرر لمضمون الشرط على أن الكاذبة مصدر كالعافية أى ليس لأجل وقوعها وفي حقها كذب أصلا بل كل ماورد في شأنها من الأخبار حق صادق لا ريب فيه وقوله تعالى (خافضة رافعة) خبر مبتدأ محذوف أى هى خافضة لأقوام رافعة لآخرين وهو تقرير لعظمها وتهويل لأمرها فإن الوقائع العظام شأنها كذلك أو بيان لما يكون يومئذ من حط الاشقياء إلى الدركات ورفع السعداء إلى الدرجات ومن زلزلة الاشياء وإزالة الأجرام عن مقارها بنثر الكواكب وإسقاط السماء كسفاً وتسيير الجبال في الجو كالسحاب وتقديم الخفض على الرفع للتشديد في التهويل وقرئ خافضة رافعة بالنصب على الحال من الواقعة وقوله تعالى (إذا رجت الأرض رجاً) أى زلزلت زلزلا شديداً بحيث يهدم ما فوقها من بناء وجبل متعلق بخافضة رافعة أى تخفض وترفع وقت رج الأرض إذ عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرفع ما هو منخفض أو بدل من إذا وقعت (وبست الجبال بساً) أى فتنت حتى صارت

٥٦ الواقعة

فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ﴿٦﴾

٥٦ الواقعة

وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾

٥٦ الواقعة

فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾

٥٦ الواقعة

وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾

٥٦ الواقعة

وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾

مثل السويق الملتوت من بس السويق إذالته أوسقت وسيرت من أما كنهان بس النعم إذا ساقها كقوله تعالى وسيرت الجبال وقرىء رجت وبست أى ارتجت وذهبت (فكانت) أى فصارت بسبب ذلك ٦ (هباء) غباراً (منبثاً) منتشرأ (وكنتم) إما خطاب للأمة الحاضرة والأمم السالفة تغليباً أو للحاضرة ٧ (أزواجا) أى أصنافا (ثلاثة) فكل صنف يكون مع صنف آخر فى الوجود أر فى الذكر فهو زوج * وقوله تعالى (فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة) (وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة) تقسيم وتنويع ٩، ٨ للأزواج الثلاثة مع الإشارة الإجمالية إلى أحوالهم قبل تفصيلها فقوله تعالى فأصحاب الميمنة مبتدأ وقوله ما أصحاب الميمنة خبره على أن ما الاستفهامية مبتدأ ثان ما بعده خبره والجملة خبر الأول والأصل ما هم أى شئ هم فى حالهم وصفتهم فإن ما وإن شاعت فى طلب مفهوم الاسم والحقيقة لكننا قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم أو طيب فوضع الظاهر موضع الضمير لكونه أدخل فى التخييم وكذا الكلام فى قوله تعالى وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والمراد تعجيب السامع من شأن الفريقين فى الفخامة والفضاعة كأنه قيل فأصحاب الميمنة فى غاية حسن الحال وأصحاب المشأمة فى نهاية سوء الحال وتكلموا فى الفريقين فقيل أصحاب الميمنة أصحاب المنزلة السنية وأصحاب المشأمة أصحاب المنزلة الدنية أخذاً من تيمنهم باليمين وتشاؤمهم بالشمال وقيل الذين يؤتون صحائفهم بإيمانهم والذين يؤتونها بشمالهم وقيل الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة والذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار وقيل أصحاب اليمين وأصحاب الشر ثم فإن السعداء ميامين على أنفسهم بطاعتهم والأشقياء مشائيم عليها بمعاصيهم وقوله تعالى (والسابقون السابقون) هو القسم الثالث من الأزواج الثلاثة ولعل تأخير ذكرهم مع كونهم أسبق الأقسام وأقدمهم فى الفضل ليقترن ذكرهم ببيان محاسن أحوالهم على أن يرادهم بعنوان السبق مطلقاً معرب عن إحرازهم لقصب السبق من جميع الوجوه وتكلموا فيهم أيضاً فقيل هم الذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة عند ظهور الحق من غير تلثم وتوان وقيل الذين سبقوا فى حيازة الفضائل والكالات وقيل هم الذين صلوا إلى القبلتين كما قال تعالى والسابقون الأولين من المهاجرين والأنصار وقيل هم السابقون إلى صلوات الخمس وقيل المسارعون فى الخيرات وأياً ما كان فالجملة مبتدأ وخبر

٥٦ الواقعة

أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾

٥٦ الواقعة

فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾

٥٦ الواقعة

ثُلَّةٌ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿١٣﴾

٥٦ الواقعة

وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾

- والمعنى والسابقون هم الذين اشتهرت أحوالهم وعرفت محاسنهم كقول أبي النجم [أنا أبو النجم وشعري شعري] وفيه من تفخيم شأنهم والإيذان بشيوع فضلهم واستغنائهم عن الوصف بالجميل ما لا يخفى وقيل والسابقون إلى طاعة الله تعالى السابقون إلى رحمته أو السابقون إلى الخير والسابقون إلى الجنة ١١ وقوله تعالى (أولئك) إشارة إلى السابقين وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان ببعد منزلتهم في الفضل ومحل الرفع على الابتداء خبره ما بعده أى أولئك الموصوفون بذلك النعت الجميل (المقربون) أى الذين قربت إلى العرش العظيم درجاتهم وأعليت مراتبهم ورقيت إلى حظائر القدس نفوسهم الزكية هذا أظهر ما ذكر في إعراب هذه الجمل وأشهره والذي تقتضيه جزالة التنزيل أن قوله تعالى فأصحاب الميمنة خبر مبتدأ محذوف وكذا قوله تعالى وأصحاب المشأمة وقوله تعالى والسابقون فإن المترقب عند بيان انقسام الناس إلى الأقسام الثلاثة بيان أنفس الأقسام الثلاثة وأما أوصافها وأحوالها فحقها أن تبين بعد ذلك بإسنادها إليها والتقدير فأحدها أصحاب الميمنة والآخر أصحاب المشأمة وإثالث السابقون خلا أنه لما أخر بيان أحوال القسمين الأولين عقب كل منهما بجملة معترضة بين القسمين منبئة عن ترامي أحوالهما في الخير والشر إنباء إجمالياً مشعراً بأن لأحوال كل منهما تفصيلاً مترقباً لكن لا على أن ما الاستفهامية مبتدأ وما بعدها خبر على ما رآه سيدي في أمثاله بل على أنها خبر لما بعدها فإن مناط الإفادة بيان أن أصحاب الميمنة أمر بديع كما يفيد كونه ما خبر إلا بيان أن أمراً بديعاً أصحاب الميمنة كما يفيد كونهما مبتدأ وكذا الحال في ما أصحاب المشأمة وأما القسم الأخير فحيث قرن بيان محاسن أحواله بذكره لم يحتج فيه إلى تقديم إلا نموذج فقوله تعالى السابقون مبتدأ والإظهار في مقام الإضمار للتفخيم وأولئك مبتدأ ثان أو بدل من الأول وما بعده خبر له أو الثاني والجملة خبر الأول وقوله تعالى (في جنات النعيم) متعلق بالمقربون أو بمضمهر هو حال من ضميره أى كائنين في جنات النعيم وقيل خبر ثان لاسم الإشارة وفيه أن الأخبار بكونهم مقربين ليس فيه مزيد ١٢ مزية وقرئ في جنة النعيم وقوله تعالى (ثلثة من الأولين) خبر مبتدأ محذوف أى هم أمة جمة من الأولين وهم الأمم السالفة من لدن آدم إلى نبينا عليه الصلاة والسلام وعلى من بينهما من الأنبياء العظام (وقليل من الآخرين) أى من هذه الأمة ولا يخالفه قوله عليه الصلاة والسلام إن أمتي يكثرون ١٤

٥٦ الواقعة

عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾

٥٦ الواقعة

مُتَكِّئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَبِّلِينَ ﴿١٦﴾

٥٦ الواقعة

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾

٥٦ الواقعة

بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ ﴿١٨﴾

٥٦ الواقعة

لَّا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ ﴿١٩﴾

٥٦ الواقعة

وَفَكَهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾

٥٦ الواقعة

وَلَحْمٍ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾

سائر الأمم فإن أكثرية سابقى الأمم السالفة من سابقى هذه الأمة لاتمنع أكثرية تابعى هؤلاء من تابعى أولئك ولا يردده قوله تعالى فى أصحاب اليمين ثلثة من الأولين وثلثة من الآخرين لأن كثرة كل من الفريقين فى أنفسهما لاتنافى أكثرية أحدهما من الآخر وسيأتى أن الثلثين من هذه الأمة وقد روى مرفوعاً أن الأولين والآخرين ههنا أيضاً متقدمو هذه الأمة ومتأخروهم واشتقاق الثلثة من الثل وهو الكسر (على سرر موضونة) حال أخرى من المقربين أو من ضميرهم فى الحال الأولى وقيل خبر آخر للضمير ١٥ والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدرد والياقوت أو المتواصلة من الوضن وهو النسيج (متكئين) عليها متقابلين (حالة) من الضمير المستكن فيما تعلق به على سرر أى مستقرين على سرر متكئين عليها متقابلين لا ينظر بعضهم من ألقاء بعض وهو وصف لهم بحسن العشرة وتهذيب للأخلاق والآداب (يطوف عليهم) حال أخرى أو استئناف أى يدور حولهم للخدمة (ولدان مخلدون) أى مبقون ١٧ أبدأ على شكل الولدان وطرواتهم لا يتحولون عنها وقيل مقرطون والخلد القرط قيل هم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها روى ذلك عن على رضى الله عنه وعن الحسن رحمه الله وفى الحديث أولاد الكفار خدام أهل الجنة (أكواب) بآنية لا عرى لها ولا خراطيم ١٨ (وأباريق) أى آنية ذات عرى وخراطيم (وكأس من معين) أى خمر جارية من العيون قيل إنما أفرد الكأس لأنها لاتسمى كأساً إلا إذا كانت مملوءة (لا يصدعون عنها) أى بسببها وحقيقته لا يصدع صدايحهم عنها وقرىء لا يصدعون أى لا يتصدعون ولا يتفرون كقوله تعالى يومئذ يصدعون وقرىء لا يصدعون أى لا يفرق بعضهم بعضاً (ولا ينزفون) أى لا يسكرون من أنرف الشارب إذا نقد عقله * أو شرابه (وفاكهة مما يتخيرون) أى يختارونه يأخذون خبره وأفضله (ولحم طير مما يشتهون) ٢٠، ٢١ أى يتمنون وقرىء ولحوم طير .

- وَحُورٌ عَيْنٌ ②٢
- ٥٦ الواقعة
- كَأَمْثَلِ اللَّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ②٣
- ٥٦ الواقعة
- جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ②٤
- ٥٦ الواقعة
- لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ②٥
- ٥٦ الواقعة
- إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ②٦
- ٥٦ الواقعة
- وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ②٧
- ٥٦ الواقعة
- فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ②٨
- ٥٦ الواقعة
- وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ②٩

- ٢٢ (و حور عين) بالرفع عطاف على ولدان أو مبتدأ محذوف الخبر أى وفيها أولهم حور وقرئ بالجر عطفاً على جنات النعيم كأنه قيل هم فى جنات وفاكهة ولحم ومصاحبة حور أو على أكواب لأن معنى يطوف عليهم ولدان مغلدون بأكواب ينعمون بأكواب وبالنصب أى ويؤتون حوراً (كأمثال اللؤلؤ المكنون) صفة لحور أو حال (جزاء بما كانوا يعملون) مفعول له أى يفعل بهم ذلك جزاء بأعمالهم
- ٢٣
- ٢٤
- ٢٥ أو مصدر مؤكد أى يجزون جزاء (لا يسمعون فيها لغواً) أى باطلاً (ولا تأثيماً) أى ولا نسبة إلى الإثم أى لا لغو فيها ولا تأثيم ولا سماع كقوله [ولا ترى الضب بها ينحجر] (إلا قيلاً) أى قولاً
- ٢٦
- (سلاماً سلاماً) بدل من قيلاً كقوله تعالى لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً أو صفته أو مفعوله بمعنى لا يسمعون فيها إلا أن يقولوا سلاماً سلاماً والمعنى أنهم يفشون السلام فيسلمون سلاماً بعد سلام أو لا يسمع كل من المسلم والمسلم عليه الإسلام الآخر بدءاً أو رداً وقرئ سلام سلام على الحكاية وقوله تعالى (وأصحاب اليمين) شروع فى تفصيل ما أجمل عند تقسيم من شؤونهم الفاضلة إثر تفصيل شؤون السابقين وهو مبتدأ وقوله تعالى (ما أصحاب اليمين) جملة استفهامية مسوقة لتفخيمهم والتعجيب من حالهم وقد عرفت كيفية سبكها محلها إما الرفع على أنها خبر للببتدأ أو معترضة لا محل لها والخبر قوله تعالى (فى سدر مخضود) وهو على الأول خبر ثان للببتدأ أو خبر لمبتدأ محذوف والجملة استئناف لبيان ما أبهم فى قوله تعالى ما أصحاب اليمين من علو الشأن أى هم فى سدر غير ذى شوك لا كسدر الدنيا وهو شجر النبق كأنه خضد شوكه أى قطع وقيل مخضود أى مثنى أغصانه لكثرة حمله من خضد الغصن إذا ثناه وهو رطب (وطلح منضود) قد نضد حمله من أسفله إلى أهلاه ليست له ساق بارزة وهو شجر
- ٢٧
-
- ٢٨
- ٢٩

وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَمُودُونَ ﴿٣٠﴾	٥٦ الواقعة
وَمَاءٌ مَّسْكُوبٌ ﴿٣١﴾	٥٦ الواقعة
وَفَكَهَةٌ كَثِيرَةٌ ﴿٣٢﴾	٥٦ الواقعة
لَّا مَقْطُوعَةٌ وَلَا مَمْنُوعَةٌ ﴿٣٣﴾	٥٦ الواقعة
وَفُرُشٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿٣٤﴾	٥٦ الواقعة
إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنْسَاءً ﴿٣٥﴾	٥٦ الواقعة
فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾	٥٦ الواقعة
عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾	٥٦ الواقعة

الموز أو أم غيلان وله أنوار كثيرة منتظمة طيبة الرائحة وعن السدى شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل وعن علي رضي الله عنه أنه قرأ وطلع وما شأن الطلح وقرأ قوله تعالى لها طلع نضيد فقيس أو نحو لها قال آي القرآن لاتهاج ولا تحول وعن ابن عباس نحوه (وظل بمدود) ممتد ٣٠ منبسط لا يتقلص ولا يتعاون كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس (وماء مسكوب) يسكب لهم ٣١ أينما شاؤا وكيفما أرادوا بلاتعب أو مصبوب سائل يجرى على الأرض في غير أخدود كأنه مثل حال السابقين بأقصى ما يتصور لأهل المدن وقال أصحاب اليمين بأكل ما يتصور لأهل البوادي إيدان بالتعاون بين الحاليين (وفاكهة كثيرة) بحسب الأنواع والأجناس (لامقطوعة) في وقت من الأوقات كفوا كه ٣٢، ٣٣ الدنيا (ولا ممنوعة) عن تناولها بوجه من الوجوه لا يحظر عليها كما يحظر على بساين الدنيا وقرى * فاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة الخ كقوله تعالى وحوور عين (وفرش مرفوعة) أي رفيعة القدر ٣٤ أو منضدة مرتفعة أو مرفوعة على الأسرة وقيل الفرش النساء حيث يكنى بالفرش عن المرأة وارتفاعها كونهن على الأرائك قال تعالى هم وأزواجهن في ظلال على الأرائك متكئون ويدل عليه قوله تعالى (إننا أنشأناهن إنشاء) وعلى التفسير الأول أضمر لهن لدلالة ذكر الفرش التي هي المضاجع عليهن دلالة ٣٥ بينة والمعنى ابتدأنا خلقهن ابتداء جديداً أو أبدعناهن من غير ولاد إبداء أو إعادة وفي الحديث هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شعثاً رمصاً جعلهن الله تعالى بعد الكبر أتراباً على ميلاد واحد في الاستواء كلها أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكاراً وقوله تعالى (فجعلناهن أبكاراً) وقوله تعالى (عرباً) ٣٦، ٣٧

٥٦ الواقعة

لأَصْحَابِ الْيَمِينِ ٣٨

٥٦ الواقعة

ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ٣٩

٥٦ الواقعة

وَأُثْلُثَتْ مِنَ الْآخِرِينَ ٤٠

٥٦ الواقعة

وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ٤١

٥٦ الواقعة

فِي سُمُومٍ وَحَمِيمٍ ٤٢

٥٦ الواقعة

وَوَظِلٌّ مِّنْ يَّحْمُومٍ ٤٣

٥٦ الواقعة

لَّابَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ٤٤

٥٦ الواقعة

لَّإِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ٤٥

* جمع عروب وهي المتحبة إلى زوجها الحسنة التبعل وقرىء عرباً بسكون الراء (أتراباً) مستويات
 ٣٨ في السن بنات ثلاث وثلاثين سنة وكذا أزواجهن واللام في قوله تعالى (لأصحاب اليمين) متعلقة بأشئنا أو
 جعلنا أو باتراباً كقولك هذا ترب لهذا أى مساو له في السن وقيل بمحذوف هو صفة لأبكار أى كائنات
 ٣٩ لأصحاب اليمين أو خبر مبتدأ محذوف أى هن لأصحاب اليمين وقيل خبر لقوله تعالى (ثلة من الأولين)
 ٤٠ (وثة من الآخرين) وهو بعيد بل هو خبر مبتدأ محذوف ختمت به قصة أصحاب اليمين أى هم أمة
 من الأولين وأمة من الآخرين وقد مر الكلام فيهما وعن أبي العالية ومجاهد وعطاء والضحاك ثلة
 من الأولين أى من سابق هذه الأمة وثة من الآخرين من هذه الأمة في آخر الزمان وعن سعيد بن
 جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما في هذه الآية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم جميعاً من
 ٤١ أمتي (وأصحاب الشمال) شروع في تفصيل أحوالهم التي أشير عند التنويع إلى هولها وفضاعتها بعد
 * تفصيل حسن حال أصحاب اليمين والكلام في قوله تعالى (ما أصحاب الشمال) عين ما فصل في نظيره وكذا
 ٤٢ في قوله تعالى (في سُمومٍ وحميم) والسموم حر نار ينفذ في المسام والحميم الماء المتناهي في الحرارة
 ٤٣ (وظل من يحموم) من دخان أسود بهيم (لابارد) كسائر الظلال (ولا كريم) فيه خير ما في الجملة
 سمي ذلك ظلًا ثم نفى عنه وصفاه البرد والكرم الذي عبر به عن دفع أذى الحر لتحقيق أنه ليس بظل
 ٤٥ وقرىء لابارد ولا كريم بالرفع أى لا هو بارد ولا كريم وقوله تعالى (لأنهم كانوا قبل ذلك مترفين)
 تعليل لابتلائهم بما ذكر من العذاب أى لأنهم كانوا قبل ما ذكر من سوء العذاب في الدنيا منعمين بأنواع
 النعم من المآكل والمشارب والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين في الشهوات فلا جرم عذبوا

٥٦ الواقعة	وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾
٥٦ الواقعة	وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنْتَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾
٥٦ الواقعة	أَوْ أَبَاؤُنَا أَلْوَلُونَ ﴿٤٨﴾
٥٦ الواقعة	قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾
٥٦ الواقعة	لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿٥٠﴾
٥٦ الواقعة	ثُمَّ إِنَّكُمْ أَهْلَ الضَّالِّينَ أَتُمَكِّدُونَهُ ﴿٥١﴾

- بنقائضها (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) أى الذنب العظيم الذى هو الشرك ومنه قولهم بلغ الغلام ٤٦ الحنث أى الحلم ووقت المؤاخذه بالذنب (وكانوا يقولون) لغاية عتوهم وعنادهم (أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً) أى كان بعض أجزائنا من اللحم والجلد تراباً وبعضها عظاماً نخرة وتقديم التراب لعراقته فى الاستبعاد وانقلابه من الأجزاء البادية وإذا متمحضة للظرفية والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى (أننا لمبعوثون) لانفسه لأن ما بعد إن واللام والهمزة لا يعمل فيما قبلها وهو نبعث وهو المرجع للإنكار * وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيص إنكاره به فإنهم منكرون للإحياء بعد الموت وإن كان البدن على حاله بل لتقوية الإنكار للبعث بتوجيهه إليه فى حالة منافية له بالكلية وتكرير الهمزة لتأكيد النكير وتحلية الجملة بأن لتأكيد الإنكار لا لإنكار التأكيد كما عسى يتوهم من ظاهر النظم فإن تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما فى مثل قوله أفلا تعقلون على رأى الجمهور فإن المعنى عندهم تعقيب الإنكار لا لإنكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار إنكارهم كونهم ثابتين فى المبعوثية بالفعل فى حال كونهم تراباً وعظاماً بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه إلى إنكار البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم فى الكفر وتماديهم فى الضلال مالا مزيد عليه وتكرير الهمزة فى قوله تعالى (أو آباؤنا الأولون) لتأكيد النكير والواو للعطف على المستكن فى لمبعوثون وحسن ذلك الفصل ٤٨ بالهمزة يعنون أن بعث آبائهم الأولين أبعد من الوقوع وقرىء أو آباؤنا (قل) رداً لإنكارهم وتحققاً ٤٩ للحق (إن الأولين والآخرين) من الأمم الذين من جملتهم أنتم وآباؤكم وفى تقديم الأولين مبالغة فى الرد حيث كان إنكارهم لبعث آبائهم أشد من إنكارهم لبعثهم مع مراعاة الترتيب الوجودى (لمجموعة) ٥٠ بعد البعث وقرىء لمجمعون (إلى ميقات يوم معلوم) إلى ما وقت به الدنيا من يوم معلوم والإضافة * بمعنى من كخاتم فضة (ثم إنكم أيها الضالون) عطف على أن الأولين داخل تحت القول وشم للتراخي ٥١ زماناً أو رتبة (المكذبون) أى بالبعث والخطاب لأهل مكة وأضرابهم *

٥٦ الواقعة	لَا يَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ ٥٢
٥٦ الواقعة	فَيَأْكُلُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ٥٣
٥٦ الواقعة	فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ٥٤
٥٦ الواقعة	فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ٥٥
٥٦ الواقعة	هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ٥٦
٥٦ الواقعة	نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ٥٧

٥٢ (لَا كُون) بعد البعث والجمع ودخول جهنم (من شجرة من زقوم) من الأولى لا ابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره أى مبتدئون الأكل من شجر هو زقوم وقيل من الثانية متعلقة بمضمر هو ٥٤، ٥٣ وصف لشجر أى كائن من زقوم (فالثون منها البطون) أى بطونكم من شدة الجوع (فشاربون عليه) عقيب ذلك بلا ريث (من الحميم) أى الماء الحار فى الغاية وتأنيث ضمير الشجر أولاً وتذكيره ثانياً باعتبار المعنى واللفظ وقرئ من شجرة فضمير عليه حينئذ للزقوم وقيل للأكل وقوله تعالى ٥٥ (فشاربون شرب الهيم) كالتفسير لما قبله على طريقة قوله تعالى فكذبوا عبدنا أى لا يكون شربكم شرباً معتاداً بل يكون مثل شرب الهيم وهى الإبل التى بها الهيام وهو داء يصيبها فتشرب ولا تروى جمع أهيم وهيماء وقيل الهيم الرمال على أنه جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل التى لا يتماusk جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع أبيض والمعنى أنه يسلط عليهم من الجوع والتهاب النار فى أحشائهم ما يضطرهم إلى أكل الزقوم الذى هو كالمهل فإذا ملأ أمته بطونهم وهو فى غاية الحرارة والمرارة سلط عليهم من العطش ما يضطرهم إلى شرب الحميم الذى يقطع أمعاءهم فيشربون شرب الهيم ٥٦ وقرئ شرب الهيم بالفتح وهو أيضاً مصدر وقرئ بالكسر على أنه اسم المشروب (هذا) الذى ذكر * من أنواع العذاب (نزلهم يوم الدين) أى يوم الجزاء فإذا كان ذلك نزلهم وهو ما يعدل للنازل بما حضر فاظنك بما لهم بعد ما استقر لهم القرار واطمأنت بهم الدار فى النار وفيه من التهم بهم ما لا يخفى وقرئ نزلهم بسكون الزاى تخفيفاً والجملة مسوقة من جهته تعالى بطريق الفذلكة مقررة لمضمون الكلام ٥٧ الملقن غير داخلة تحت القول وقوله تعالى (نحن خلقناكم فلولا تصدقون) تلوين الخطاب وتوجيه له إلى الكفرة بطريق الإلزام والتبكيث والفاء لترتيب التحضيض على ما قبلها أى فهلا تصدقون بالخلق فإن ما لا يحققه العمل ولا يساعده بل ينبىء عن خلافه ليس من التصديق فى شيء وقيل بالبعث استدلالاً عليه بالإنشاء فإن من قدر عليه قدر على الإعادة حتماً والأول هو الوجه كما ستحيط به خبراً .

٥٦ الواقعة

أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾

٥٦ الواقعة

أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾

٥٦ الواقعة

نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾

٥٦ الواقعة

عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنْشِئَ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾

٥٦ الواقعة

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾

٥٦ الواقعة

أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾

٥٦ الواقعة

أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾

٥٦ الواقعة

لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾

- (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ) أى تقذفون فى الأرحام من النطف وقرىء بفتح التاء من منى النطفة بمعنى أمناها ٥٨
 (أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ) أى تقدرونه وتصورونه بشراً سويّاً (أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ) له من غير دخل شىء فيه ٥٩
 وأم قيل منقطعة لأن ما بعدها جملة فالمعنى بل أنحن الخالقون على أن الاستفهام للتقرير وقيل متصلة
 ومجىء الخالقون بعد نحن بطريق التأكيد لا بطريق الخبرية أصالة (نحن قدرنا بينكم الموت) أى قسمناه ٦٠
 عليكم ووقتنا موت كل أحد بوقت معين حسبما تقتضيه مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة وقرىء قدرنا
 مخففة (وما نحن بمسبوقين) أى إنا قادرون (على أن نبدل أمثالكم) لا يغلبنا أحد على أن نذهبكم ونأتى ٦١
 مكانكم أشباهكم من الخلق (وننشئكم فيما لا تعلمون) من الخلق والأطوار ولا تعبدون بمثلها قال الحسن *
 رحمه الله أى نجعلكم قروداً وخنازير وقيل المعنى وننشئكم فى البعث على غير صوركم فى الدنيا فمن هذا
 شأنه كيف يعجز عن إعادتكم وقيل المعنى وما يسبقنا أحد فيهرب من الموت أو يغير وقته وعلى أن
 نبدل الخ إما حال من فاعل قدرنا أو علة للتقدير وعلى بمعنى اللام وما بينهما اعتراض (ولقد علمتم ٦٢
 النشأ الأولى) هى خلقهم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة وقيل هى فطرة آدم عليه السلام من التراب
 (فلولا تذكرون) فهلا تذكرون أن من قدر عليها قدر على النشأة الأخرى حتماً فإنه أقل صنعا لحصول *
 المواد وتخصص الأجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس وقرىء فلولا تذكرون من الثلاثى
 وفى الخبر عجبا كل العجب للكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى النشأة الأولى وعجبا للصدق بالنشأة
 الآخرة وهو يسعى لدار الغرور (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ) أى تبذرون حبه وتعملون فى أرضه (أَأَنْتُمْ ٦٤، ٦٣
 تزرعون) تبتونه وتردونه نباتاً يرف (أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ) أى المنبتون لأنهم والكلام فى أم كما مر *
 أنفاً (لو نشاء لجعلناه حطاماً) هشياً متكسراً متفتتاً بعد ما أنبتناه وصار بحيث طمعتم فى حيازة غلاله ٦٥

٥٦ الواقعة

إِنَّا لَمُعْرَمُونَ ﴿٦٦﴾

٥٦ الواقعة

بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ ﴿٦٧﴾

٥٦ الواقعة

أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾

٥٦ الواقعة

ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الزَّيْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾

٥٦ الواقعة

لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾

٥٦ الواقعة

أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾

٥٦ الواقعة

ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٢﴾

- * (فضلم) بسبب ذلك (تفكهمون) تعجبون من سوء حاله إثر ما شاهدتموه على أحسن ما يكون من الحال أو تندمون على ما تعبت فيه وأنفقتم عليه أو على ما اقترعتم لأجله من المعاصي فتحدثون فيه والتفكهم التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ تفكهمون أى تندمون وقرئ فضلم بالكسر وفضلم على الأصل (إنا لمغرمون) أى للزمن غرامة ما أنفقنا أو مهلكون بهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك وقرئ أننا على الاستفهام والجملة على القراءتين مقدرة بقول هو فى حين النصب على الحالية من فاعل تفكهمون أى قائلين أو تقولون إنا لمغرمون (بل نحن محرومون) حرمانا رزقنا أو محارفون محدودون لاحظ لنا ولا بخت لا محدودون (أفرأيتم الماء الذى تشربون) عذبا فرانا وتخصيص هذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعه لأن الشرب أهم المقاصد المنوطة به (أأنتم أنزلتموه من الزمن) أى من السحاب واحده مزنة وقيل هو السحاب الأبيض وماؤه أعذب (أم نحن المنزلون) له بقدرتنا (لونشاء جعلناه أجاجا) ملحا زعاقا لا يمكن شربه وحذف اللام ههنا مع إثباتها فى الشرطية الأولى للتعويل على علم السامع أو الفرق بين المطعوم والمشروب فى الأهمية وصعوبة الفقد والشرطيتان مستأنفتان مسوقتان ليبيان أن عصمته تعالى للزرع والماء عما يحل بالتمتع بهما نعمة أخرى بعد نعمة الإنبات والإزال مستوجبة للشكر فقوله تعالى (فلولا تشكرون) تحضيض على شكر الكل (أفرأيتم النار التى تورون) أى تقدحونها وتستخرجونها من الزناد (أأنتم أنشأتم شجرتها) التى منها الزناد وهى المرخ والغفار (أم نحن المنشئون) لها بقدرتنا والتعبير عن خلقها بالإنشاء المنبئ عن بديع الصنع العرب عن كمال القدرة والحكمة لما فيه من الغرابة الفارقة بينها وبين سائر الشجر التى لا تخلو عن النار حتى قيل فى كل شجر نار واستشهد المرخ والغفار كآأن التعبير عن نفخ الروح بالإنشاء فى قوله تعالى ثم أنشأناه خلقا آخر لذلك .

٥٦ الواقعة

نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾

٥٦ الواقعة

فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

٥٦ الواقعة

فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾

٥٦ الواقعة

وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَتَلْعَبُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

٥٦ الواقعة

إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾

- وقوله تعالى (نحن جعلناها تذكرة) استئناف مبين لمنافعها أى جعلناها تذكيراً لنار جهنم حيث علقنا ٧٣ بها أسباب المعاش لينظروا إليها ويذكروا ما أعدوا به من نار جهنم أو تذكرة وأنموذجا من نار جهنم لما روى عن النبي عليه الصلاة والسلام ناركم هذه التى يوقدها بنو آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم وقيل تبصرة فى أمر البعث فإنه ليس بأبدع من إخراج النار من الشيء الرطب (ومتاعاً) * ومنفعة (للمقوين) للذين ينزلون القواء وهى القفر وتخصيصهم بذلك لأنهم أحوج إليها فإن المقيمين * أو النازلين بقرب منهم ليسوا بمضطرين إلى الاقتداح بالزناد وقد جوز أن يراد بالمقوين الذين خلت بطونهم ومزادهم من الطعام وهو بعيد لعدم انحصار ما يهيمهم ويسد خلهم فيما لا يؤكل إلا بالطبخ وتأخير هذه المنفعة للتنبيه على أن الأهم هو النفع الأخرى والفاء فى قوله تعالى (فسبح باسم ربك العظيم) لترتيب ما بعدها على ما عدد من بدائع صنعه تعالى وروائع نعمه الموجبة لتسبيحه تعالى إما تنزيهاً له تعالى عما يقوله الجاحدون بوحدانيته الكافرون بنعمته مع عظمها وكثرتها أو تعجباً من أمرهم فى غمط تلك النعم الباهرة مع جلالة قدرها وظهور أمرها أو شكراً على تلك النعم السابقة أى فأحدث التسبيح بذكر اسمه تعالى أو بذكره فإن إطلاق الاسم للشيء ذكر له والعظيم صفة للاسم أو الرب (فلا أقسم) أى فأقسم ولا مزيدة للتأكيد كما فى قوله تعالى لئلا يعلم أو فلأنا أقسم لحذف ٧٥ المبتدأ وأشبع فتحة لام الابتداء ويعضده قراءة من قرأ فلأقسم أو فلأرد لكلام يخالف المقسم عليه وأما ما قيل من أن المعنى فلا أقسم إذ الأمر أوضح من أن يحتاج إلى قسم فإياه تعيين المقسم به وتقخير شأن القسم به (بمواقع النجوم) أى بمساقطها وهى مغاربها وتخصيصها بالقسم لما فى غروبها من زوال * أثرها والدلالة على وجود مؤثر دائم لا يتغير أو لأن ذلك وقت قيام المهتجين والمبتهلين إليه تعالى وأوان نزول الرحمة والرضوان عليهم أو بمنازلتها ومجاريها فإن له تعالى فى ذلك من الدليل على عظم قدرته وكمال حكمته ما لا يحيط به البيان وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها أوقات نزولها وقوله تعالى (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) اعتراض فى اعتراض قصد به المبالغة فى تحقيق مضمون الجملة القسمية ٧٦ وتأكيد حيث اعتراض بقوله وإنه لقسم بين القسم وجوابه الذى هو قوله تعالى (إنه لقرآن كريم) ٧٧

٥٦ الواقعة

فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾

٥٦ الواقعة

لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾

٥٦ الواقعة

تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾

٥٦ الواقعة

أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾

٥٦ الواقعة

وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾

٥٦ الواقعة

فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾

أى كثير النفع لاشتاله على أصول العلوم المهمة فى صلاح المعاش والمعاد أو حسن مرضى أو كريم عند الله تعالى وبقوله تعالى لو تعلمون بين الموصوف وصفته وجواب لو لما متروك أريد به نفي عنهم أو مخدوف ثقة بظهوره أى لعظمتموه أو لعلمتم بموجبه (فى كتاب مكنون) أى مصون من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهو اللوح (لا يمسه إلا المطهرون) إما صفة أخرى لكتاب فالمراد بالمطهرين الملائكة المنزهون عن الكدورات الجسدية وأضرار الأوزار أو للقرآن فالمراد بهم المطهرون من الأحداث فيكون نفيًا بمعنى النهى أى لا ينبغي أن يمسه إلا من كان على طهارة من الناس على طريقة قوله عليه الصلاة والسلام المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلبه أى لا ينبغي له أن يظلمه وقيل لا يطلبه إلا المطهرون من الكفر وقرىء المتطهرون والمطهرون بالإدغام والمطهرون من أطهره بمعنى طهره والمطهرون أى أنفسهم أو غيرهم بالاستغفار أو غيره (تنزيل من رب العالمين) ٨٠ صفة أخرى للقرآن وهو مصدر نعت به حتى جرى مجرى اسمه وقرىء تنزيلاً (أفبهذا الحديث) ٨١ الذى ذكرت نعوته الجليلة الموجبة لإعظامه وإجلاله وهو القرآن الكريم (أنتم مدهنون) أى متهاونون به كمن يدهن فى الأمر أى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاوناً به (وتجعلون رزقكم) أى شكر رزقكم (أنكم تكذبون) أى تضعون التكذيب موضع الشكر وقرىء وتجعلون شكركم أنكم تكذبون أى تجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به وقيل الرزق المطر والمعنى وتجعلون شكر ما يرزقكم الله تعالى من الغيث أنكم تكذبون بكونه من الله تعالى حيث تنسبونه إلى الأنواء ٨٣ والأول هو الأوفق لسباق النظم الكريم وسياقه فإن قوله عز وجل (فلولا إذا بلغت الحلقوم) الخ تنسكت مبنى على تكذيبهم بالقرآن فيما نطق به قوله تعالى نحن خلقناكم إلى هنا من القوارع الدالة على كونهم تحت ملكوته تعالى من حيث ذواتهم ومن حيث طعامهم وشرابهم وسائر أسباب معاشهم كما ستقف عليه ولولا التحضيض لإظهار عجزهم وإذا ظرفية أى فهلا إذا بلغت النفس أى الروح وقيل

وَأَنْتُمْ حِينِيذٌ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾	٥٦ الواقعة
وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾	٥٦ الواقعة
فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾	٥٦ الواقعة
تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾	٥٦ الواقعة
فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾	٥٦ الواقعة
فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾	٥٦ الواقعة
وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾	٥٦ الواقعة

نفس الحلقوم وتداعت إلى الخروج (وأنتم حينئذ) أيها الحاضرون حول صاحبها (تنظرون) إلى ٨٤
ماهو من الغمرات (ونحن أقرب إليه) علماً وقدرة وتصرفاً (منكم) حيث لاتعرفون من حاله إلا ٨٥
ما تشاهدونه من آثار الشدة من غير أن تقفوا على كنهها وكيفيتها وأسبابها ولا أن تقدروا على دفع
أذى شيء منها ونحن المتولون لتفاصيل أحواله بعلمنا وقدرة أو بملائكة الموت (ولكن لاتبصرون) *
لاتدركون ذلك لجهلكم بشؤنا وقوله تعالى (فلولا إن كنتم غير مدينين) أي غير مربوبين من دان ٨٦
السلطان رعيته إذا ساسهم واستعبدكم ناظر إلى قوله تعالى نحن خلقناكم فلولا تصدقون فإن التحضيض
يستدعي عدم المحضض عليه حتماً وقوله تعالى (ترجعونها) أي النفس إلى مقرها هو العامل في إذا ٨٧
والمحضض عليه بلولا الأولى والثانية مكررة للتأكيد وهي مع ما في حيزها دليل جواب الشرط والمعنى
إن كنتم غير مربوبين كما ينبغي عنه عدم تصديقكم بخلقنا إياكم فهلا ترجعون النفس إلى مقرها عند بلوغها
الحلقوم (إن كنتم صادقين) في اعتقادكم فإن عدم تصديقهم بخالقيته تعالى لهم عبارة عن تصديقهم *
بعدم خالقيته تعالى بموجب مذهبهم وقوله تعالى (فأما إن كان من المقربين) الخ شروع في بيان حال ٨٨
المتوفى بعد المات إثر بيان حاله عند الوفاة أي فأما إن كان الذي بين حاله من السابقين من الأزواج
الثلاثة عبر عنهم بأجل أوصافهم (فروح) أي فله استراحة وقرىء فروح بضم الراء وفسر بالرحمة ٨٩
لأنها سبب حياة المرحوم وبالحياة الدائمة (وريحان) ورزق (وجنت نعيم) أي ذات تنعم (وأما إن ٩٠
كان من أصحاب اليمين) عبر عنهم بالعنوان السابق إذ لم يذكر لهم فيما سبق وصف واحد ينبي عن شأنهم
سواه كما ذكر للفريقين الآخرين .

٥٦ الواقعة

فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ٩١

٥٦ الواقعة

وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ٩٢

٥٦ الواقعة

فَنَزَّلُ مِنْ جَحِيمٍ ٩٣

٥٦ الواقعة

وَتَصْلِيَةً جَحِيمٍ ٩٤

٥٦ الواقعة

إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ٩٥

٥٦ الواقعة

فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ٩٦

- ٩١ وقوله تعالى (فسلام لك من أصحاب اليمين) إخبار من جهته تعالى بتسليم بعضهم على بعض كما يفصح عنه اللام لا حكاية لإنشاء سلام بعضهم على بعض وإلا ل قيل عليك والالتفات إلى خطاب كل واحد منهم للتشريف (وأما إن كان من المكذبين الضالين) وهم أصحاب الشمال عبر عنهم بذلك حسبا وصفوا به عند بيان أحوالهم بقوله تعالى ثم إنكم أيها الضالون المكذبون ذمما لهم بذلك وإشعارا بسبب ما ابتلوا به من العذاب (فنزل) أي فله نزل كائن (من جحيم) يشرب بعد أكل الزقوم كما فصل فيما قبل
- ٩٢ (وتصلية جحيم) أي إدخال في النار وقيل إقامة فيها ومقاساة لألوان عذابها وقيل ذلك ما يجده في القبر من سموم النار ودخانها (إن هذا) أي الذي ذكر في السورة الكريمة (هو حق اليقين) أي حق الخبر
- ٩٣ (وتصلية جحيم) أي إدخال في النار وقيل إقامة فيها ومقاساة لألوان عذابها وقيل ذلك ما يجده في القبر من سموم النار ودخانها (إن هذا) أي الذي ذكر في السورة الكريمة (هو حق اليقين) أي حق الخبر
- ٩٤ (وتصلية جحيم) أي إدخال في النار وقيل إقامة فيها ومقاساة لألوان عذابها وقيل ذلك ما يجده في القبر من سموم النار ودخانها (إن هذا) أي الذي ذكر في السورة الكريمة (هو حق اليقين) أي حق الخبر
- ٩٥ (وتصلية جحيم) أي إدخال في النار وقيل إقامة فيها ومقاساة لألوان عذابها وقيل ذلك ما يجده في القبر من سموم النار ودخانها (إن هذا) أي الذي ذكر في السورة الكريمة (هو حق اليقين) أي حق الخبر
- ٩٦ (وتصلية جحيم) أي إدخال في النار وقيل إقامة فيها ومقاساة لألوان عذابها وقيل ذلك ما يجده في القبر من سموم النار ودخانها (إن هذا) أي الذي ذكر في السورة الكريمة (هو حق اليقين) أي حق الخبر
- أو الأمر به على ما قبلها فإن حقية ما فصل في تضاعيف السورة الكريمة مما يوجب تنزيهه تعالى عما لا يليق بشأنه الجليل من الأمور التي من جملتها الإشراك به والتكذيب بآياته الناطقة بالحق . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا .

٥٧ - سورة الحديد

(مدنية وهي تسع وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾

٥٧ الحديد

لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾

٥٧ الحديد

هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

٥٧ الحديد

(سورة الحديد مكية وقيل مدنية وآياتها تسع وعشرون)

- (بسم الله الرحمن الرحيم) (سبح لله ما في السموات والأرض) التسييح تنزيه الله تعالى اعتقاداً ١
وقولا وعملا عما لا يليق بجناحه سبحانه من سبح في الأرض والماء إذا ذهب وأبعد فيهما وحيث أسند
هنا إلى غير العقلاء أيضاً فإن ما في السموات والأرض يعم جميع ما فيهما سواء كان مستقراً فيهما أو
جزءاً منهما كما مرفى آية الكرسي أريد به معنى عام مجازي شامل لما نطق به لسان المقال كتسييح الملائكة
والمؤمنين من الثقلين ولسان الحال كتسييح غيرهم فإن كل فرد من أفراد الموجودات يدل بإمكانه وحدونه
على الصانع القديم الواجب الوجود المتصف بالكمال المنزه عن النقصان وهو المراد بقوله تعالى وإن
من شيء إلا يسبح بحمده وهو متعدد بنفسه كما في قوله تعالى وسبحوه واللام إما مزيدة للتأكيد كما في
نصحت له وشكرت له أو للتعليل أي فعل التسييح لأجل الله تعالى وخالصاً لوجهه وبجيبته في بعض
القوايح ماضياً وفي البعض مضارعاً للإيدان بتحقيقه في جميع الأوقات وفيه تنبيه على أن حق من شأنه
التسييح الاختياري أن يسبحه تعالى في جميع أوقاته كما عليه الملائكة الأعلى حيث يسبحون الليل والنهار
لا يفترون (وهو العزيز) القادر الغالب الذي لا يمانعه ولا ينازعه شيء (الحكيم) الذي لا يفعل إلا
ما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مشعر بعلّة الحكم وكذا قوله
تعالى (له ملك السموات والأرض) أي التصرف الكلي فيهما وفيما فيهما من الموجودات من حيث ٢
الإيجاد والإعدام وسائر التصرفات بما نفعه وما لا نفعه وقوله تعالى (يحيي ويميت) استئناف مبين
لبعض أحكام الملك والتصرف وجعله حالاً من ضمير له ليس كما ينبغي (وهو على كل شيء) من الأشياء
التي من جملتها ما ذكر من الإحياء والإماتة (قدير) مبالغ في القدرة (هو الأول) السابق على سائر ٣
الموجودات لما أنه مبدئها ومبدعها (والآخر) الباقي بعد فنائها حقيقة أو نظر إلى ذاتها مع قطع النظر
عن مبقيا فإن جميع الموجودات الممكنة إذا قطع النظر عن علتها فهي فانية (والظاهر) وجوداً لكثرة *

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ
وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿٥٧﴾

لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥٨﴾
يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥٩﴾
ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ؕ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ؕ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ
كَبِيرٌ ﴿٦٠﴾

- * دلالة الواضحة (والباطن) حقيقة فلا تحوم حوله العقول والواو الأولى والآخر للجمع بين الوصفين
المكتنفين بهما والوسطى للجمع بين المجموعين فهو متصف باستمرار الوجود في جميع الأوقات والظهور
والخفاء (وهو بكل شيء عليم) لا يعزب عن علمه شيء من الظاهر والخفي (هو الذي خلق السموات
والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش) بيان لبعض أحكام ملكهما وقد مر تفسيره مراراً
(يعلم ما يليج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها) مريانه في سورة سبأ (وهو معكم
أينما كنتم) تمثيل لإحاطة علمه تعالى بهم وتصوير لعدم خروجهم عنه أينما داروا وقوله تعالى (والله
بما تعملون بصير) عبارة عن إحاطته بأعمالهم فتأخيره عن الخلق لما أن المراد به ما يدور عليه الجزاء
من العلم التابع للعلوم لا لما قيل من أنه دليل عليه وقوله تعالى (له ملك السموات والأرض) تكرير
للتأكيد وتمهيد لقوله تعالى (وإلى الله ترجع الأمور) أي إليه وحده لا إلى غيره استقلالاً أو اشتراكاً
ترجع جميع الأمور على البناء للفعول من رجع رجعاً وقرىء على البناء للفاعل من رجع رجوعاً
٦ (يولج الليل في النهار ويؤليج النهار في الليل) مر تفسيره مراراً وقوله تعالى (وهو عليم) أي مبالغ
في العلم (بذات الصدور) أي بمكنوناتها اللازمة لها بيان لإحاطة علمه تعالى بما يضمرونه من نياتهم
٧ به بيان إحاطته بأعمالهم التي يظهرونها (آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) أي
جعلكم خلفاء في التصرف فيه من غير أن تملكوه حقيقة عبر عما بأيديهم من الأموال والأرزاق بذلك
تحقيقاً للحق وترغيباً لهم في الإنفاق فإن من علم أنها لله عز وجل وإنما هو بمنزلة الوكيل يصرفها إلى
ما عينه الله تعالى من المصارف هان عليه الإنفاق أو جعلكم خلفاء من قبلكم فيما كان بأيديهم بتوريثه
إياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم إليكم وسينتقل منكم إلى من بعدكم فلا تبخلوا به (فالذين آمنوا
منكم وأنفقوا) حسبما أمروا به (لهم) بسبب ذلك (أجر كبير) وفيه من المبالغات ما لا يخفى حيث

وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾

٥٧ الحديد

هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٩﴾

٥٧ الحديد

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُواوُكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾

٥٧ الحديد

- جمل الجملة اسمية وأعيد ذكر الإيمان والإنفاق وكرر الإسناد ونغم الأجر بالتنكير ووصف بالكبير وقوله عز وجل (وما لكم لا تؤمنون بالله) استئناف مسوق لتوبيخهم على ترك الإيمان حسباً أمروا ٨ به بإنكار أن يكون لهم في ذلك عذر ما في الجملة على أن لا تؤمنون حال من الضمير في لكم والعامل مافيه من معنى الاستقرار أى شئ حصل لكم غير مؤمنين على توجيه الإنكار والنفي إلى السبب فقط مع تحقق المسبب لا إلى السبب والمسبب جميعاً كما في قوله تعالى وما لى لا أعبد الذى فطرني فإن همزة الاستفهام كما تكون تارة لإنكار الواقع كما في أنضرب أباك وأخرى لإنكار الوقوع كما في أنضرب أبى كذلك ما الاستفهامية قد تكون لإنكار سبب الوقوع ونفيه فقط كما فيما نحن فيه وفي قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقاراً فيكون مضمون الجملة الحالية محققاً فإن كلاً من عدم الإيمان وعدم الرجاء أمر محقق قد أنكر ونفى سببه وقد تكون لإنكار سبب الوقوع ونفيه فيسريان إلى المسبب أيضاً كما في قوله تعالى وما لى لا أعبد إلى آخره فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضاً قطعاً فإن عدم العبادة أمر مفروض حتماً قد أنكر ونفى سببه فاتفق نفسه أيضاً وقوله تعالى (والرسول يدعوكم لتؤمنوا برّبكم) * حال من ضمير لا تؤمنون مفيدة لتوبيخهم على الكفر مع تحقق ما يوجب عدمه بعد توبيخهم عليه مع عدم ما يوجهه أى وأى عذر في ترك الإيمان والرسول يدعوكم إليه ويذنبكم عليه وقوله تعالى (وقد أخذ ميثاقكم) حال من مفعول يدعوكم أى وقد أخذ الله تعالى ميثاقكم بالإيمان من قبل وذلك بنصب الأدلة والتمكين من النظر وقرئ وقد أخذ ميثاقاً للفعول برفع ميثاقكم (إن كنتم مؤمنين) الموجب ما فان هذا موجب لا موجب وراءه (هو الذى ينزل على عبده) حسباً يعنى لكم من المصالح (آيات بينات) واضحات (ليخرجكم) أى الله تعالى أو العبد بها (من الظلمات إلى النور) من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان (وإن الله بكم لرؤف رحيم) حيث يهديكم إلى سعادة الدارين بإرسال الرسول وتنزيل الآيات بعد نصب الحجج العقلية وقوله تعالى (وما لكم أن لا تنفقوا في سبيل الله) توبيخ لهم على ترك ١٠

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾

- الإتياف المأمور به بعد توبيخهم على ترك الإيمان بإنكار أن يكون لهم في ذلك أيضاً عذر من الأعذار وحذف المفعول لظهور أنه الذي بين حاله فيما سبق وتعيين المنفق فيه لتشديد التوبيخ أى وأى شيء لكم في أن لاتنفقوا فيما هو قربة إلى الله تعالى ما هو في الحقيقة وإنما أتم خلفاؤه في صرفه إلى ماعينه * من المصارف وقوله تعالى (ولله ميراث السموات والأرض) حال من فاعل لاتنفقوا ومفعوله مؤكدة للتوبيخ فإن ترك الإتياف بغير سبب قبيح منكر ومع تحقق ما يوجب الإتياف أشد في القبح وأدخل في الإنكار فإن بقاء جميع ما في السموات والأرض من الأموال بالآخرة لله عز وجل من غير أن يبقى من أصحابها أحد أقوى في إيجاب الإتياف عليهم من بيان أنها لله تعالى في الحقيقة وهم خلفاؤه في التصرف فيها كأنه قيل وما لكم في ترك إتيافها في سبيل الله والحال أنه لا يبقى لكم منها شيء بل يبقى كلها لله تعالى وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لزيادة التقرير وترية المهابة وقوله تعالى (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) بيان لتفاوت درجات المنفقين حسب تفاوت أحوالهم في الإتياف بعد بيان أن لهم أجر كبيراً على الإطلاق حتاً لهم على تحرى الأفضل وعطف القتال على الإتياف للإيذان بأنه من أهم مواد الإتياف مع كونه في نفسه من أفضل العبادات وأنه لا يخلو من الإتياف أصلاً وقسيم من أنفق مخنوف لظهوره ودلالة ما بعده عليه وقرىء قبل الفتح بغير من والفتح فتح مكة (أولئك) إشارة إلى من أنفق واجمع بالنظر إلى معنى من كما أن أفراد الضميرين السابقين بالنظر إلى لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم في الفضل وعمله الرفع على الابتداء أى أولئك المنعوتون بذنوبك الثنتين الجميلين (أعظم درجة) وأرفع منزلة (من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا) لأنهم إنما فعلوا ما فعلوا من الإتياف والقتال قبل عزة الإسلام وقوة أهله عند كمال الحاجة إلى النصرة بالنفس والمال وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وهؤلاء فعلوا ما فعلوا بعد ظهور الدين ودخول الناس فيه أفواجا وقلة الحاجة إلى الإتياف والقتال (وكلا) أى وكل واحد من الفريقين (وعده الله الحسنى) أى المثوبة الحسنى وهى الجنة لا الأولين فقط وقرىء وكل بالرفع على الابتداء أى وكل وعده الله تعالى (والله بما تعملون بصير) بظواهره وبواطنه فيجازيكم بحسبه وقيل نزلت الآية في أبى بكر رضى الله تعالى عنه فإنه أول من آمن وأول من أنفق في سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضرباً أشرف به على الهلاك وقوله تعالى (من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً) نذب بليغ من الله تعالى إلى الإتياف في سبيله بعد الأمر به والتوبيخ على تركه وبيان درجات المنفقين أى من ذا الذى ينفق ماله في سبيله تعالى رجاء أن يعوضه فإنه كن يقرضه وحسن الإتياف بالإخلاص فيه وتحرى أكرم المال وأفضل الجهات (فيضاعفه له) بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى كأنه قيل أيعرض الله أحد فيضاعفه له أى فيعطيه أجره أضعافاً (وله أجر كريم) أى

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّتْ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾

٥٧ الحديد

يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ
فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾

٥٧ الحديد

- وذلك الأجر المضموم إليه الأضعاف كريم في نفسه حقيق بأن يتنافس فيه المنافسون وإن لم يضاعف فكيف وقد ضوعب أضعافا كثيرة وقرىء بالرفع عطفاً على يقرض أو حملاً على تقدير مبتدأ أى فهو يضاعفه وقرىء يضاعفه بالرفع والنصب (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) ظرف لقوله تعالى وله أجر ١٢ كريم أو لقوله تعالى فيضاعفه أو منصوب باضمار اذكر تفخيماً لذلك اليوم وقوله تعالى (يسعى نورهم) * حال من مفعول ترى قيل نورهم الضياء الذى يرى (بين أيديهم وبأيمنهم) وقيل هو هدايتهم وبأيمنهم * كتبهم أى يسمى إيمانهم وعملهم الصالح بين أيديهم وفى إيمانهم كتب أعمالهم وقيل هو القرآن وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه يؤتون نورهم على قدر أعمالهم ففهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى كالرجل القائم وأدناهم نوراً من نوره على إيمانهم رجلاً ينطفيء تارة ويلع أخرى قال الحسن يستضيئون به على الصراط وقال مقاتل يكون لهم دليلاً إلى الجنة (بشراكم اليوم جنات) مقدر بقول هو حال * أو استئناف أى يقال لهم بشراكم أى ماتبشرون به جنات أو بشراكم دخول الجنة (تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك) أى ما ذكر من النور والبشرى بالجنات المخلدة (هو الفوز العظيم) الذى لا غاية وراءه وقرىء ذلك الفوز العظيم (يوم يقول المنافقون والمنافقات) بدل من يوم ترى (الذين آمنوا ١٣ انظرونا) أى انتظرونا يقولون ذلك لما أن المؤمنين يسرع بهم إلى الجنة كالبرق الخاطف على ركب ترف بهم وهؤلاء مشاة أو انظروا إلينا فإنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بالنور الذى بين أيديهم وقرىء أنظرونا من النظرة وهى الإمهال جعل اتثادهم فى المضى إلى أن يلحقوا بهم إنظاراً لهم (نقتبس من نوركم) أى نستضيء منه وأصله اتخذ القبس (قيل) طرداً لهم وتهكاً بهم من جهة المؤمنين أو من جهة الملائكة (ارجعوا وراءكم) أى إلى الموقف (فالتمسوا نوراً) فإنه من ثم يقتبس أو إلى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل مبادئه من الإيمان والأعمال الصالحة أو ارجعوا خائبين خاسئين فالتمسوا نوراً آخرو قد علوا أن لا نور وراءهم وإنما قالوه تخيلاً لهم أو أرادوا بالنور ما وراءهم من الظلمة الكثيفة تهكاً بهم (فضرب بينهم) بين الفريقين (بسور) أى حائط والباء زائدة (له باب * باطنه) أى باطن السور أو الباب وهو الجانب الذى يلي الجنة (فيه الرحمة وظاهره) وهو الطرف الذى يلي النار (من قبله) من جهته (العذاب) وقرىء فضرب على البناء للفاعل .

يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ
حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾

٥٧ الحديد

فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوِيَّتُكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

٥٧ الحديد

أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾

٥٧ الحديد

١٤ (ينادونهم) استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل فاذا يفعلون بعد ضرب السور ومشاهدة العذاب

* فقيل ينادونهم (ألم نكن) في الدنيا (معكم) يريدون به موافقتهم لهم في الظاهر (قالوا بلى) كنتم معنا

* بحسب الظاهر (ولكنكم فتنتم أنفسكم) محتتموها بالنفاق وأهلكتموها (وتربصتم) بالمؤمنين الدوائر

* (وارتبتهم) في أمر الدين (وغرركم الأمانى) الفارغة التي من جملتها الطمع في انتكاس أمر الإسلام

* (حتى جاء أمر الله) أى الموت (وغرركم بالله) الكريم (الغرور) أى غرركم الشيطان بأن الله عفو كريم

١٥ لا يعذبكم وقرىء الغرور بالضم (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية) فداء وقرىء تؤخذ بالتاء (ولا من الذين

* كفروا) أى ظاهراً وباطناً (مأواكم النار) لا تبرحونها أبداً (هى مولاكم) أى أولى بكم وحقيقته

مكانكم الذى يقال فيه هو أولى بكم كما يقال هو مثنة الكرم أى مكان لقول القائل إنه لكريم أو مكانكم

عن قريب من الولي وهو القرب أو ناصركم على طريقة قوله [تحية بينهم ضرب وجيع] أو متوليكم

١٦ تتولاكم كما توليتم موجباتها (وبئس المصير) أى النار (ألم يأن الذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله)

استئناف ناع عليهم تافلهم في أمور الدين ورخاوة عقدهم فيها واستبطاء لاتسدابهم لما ندبوا إليه

بالترغيب والترهيب وروى أن المؤمنين كانوا مجدين بمكة فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة وفقروا

عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبتنا بهذه الآية

إلا أربع سنين وعن ابن عباس رضى الله عنهما إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث

عشرة سنة من نزول القرآن أى ألم نجى وقت أن تخشع قلوبهم لذكره تعالى وتطمئن به ويسارعوا

إلى طاعته بالامتثال بأوامره والانتها عما نهوا عنه من غير توان ولا فتور من أنى الأمر إذا جاء

* إناؤه أى وقته وقرىء ألم يئن من أن يئين بمعنى أنى وقرىء ألما يان وفيه دلالة على أن المنى (وما نزل

من الحق) أى القرآن وهو عطف على ذكر الله فإن كان هو المراد به أيضاً فالعطف لتغاير العنوانين

فإنه ذكر وموعظة كما أنه حق نازل من السماء وإلا فالعطف كما في قوله تعالى إنما المؤمنون الذين إذا

ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ومعنى الخشوع له الانقياد التام لأوامره

ونواهيه والعكوف على العمل بما فيه من الأحكام التى من جملتها ماسبق وما لحق من الإنفاق في

أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ ٥٧ الحديد

إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ ٥٧ الحديد
وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّدِيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُم وَالَّذِينَ
كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ٥٧ الحديد

- سبيل الله تعالى وقرىء نزل من التنزيل مبنياً للمفعول ومبنياً للفاعل وأزل (ولا تكونوا كالذين أوتوا *
الكتاب من قبل) عطف على تخشع وقرىء بالتاء على الالتفات للاعتناء بالتحذير وقيل هو نهي عن
مماثلة أهل الكتاب في قسوة القلوب بعد أن وبخوا وذلك أن بني إسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين
شهواتهم وإذا سمعوا التوراة والإنجيل خشعوا لله وركت قلوبهم (فطال عليهم الأمد) أى الأجل *
وقرىء الأمد بتشديد الدال أى الوقت الأطول وغلبهم الجفاء وزالت عنهم الروعة التى كانت تأتيمهم
من الكتابين (فقتل قلوبهم) ففى كالحجارة أو أشد قسوة (وكثير منهم فاسقون) أى خارجون عن
حدود دينهم رافضون لما فى كتابهم بالكلية (اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها) تمثيل لإحياء
القلوب القاسية بالذكر والتلاوة بإحياء الأرض الميتة بالغيث للترغيب فى الخشوع والتحذير عن القساوة
(قد بينا لكم الآيات) التى من جملتها هذه الآيات (لعلكم تعقلون) كي تعقلوا ما فيها وتعملوا بموجبها *
فتغزوا بسعادة الدارين (إن المصدقين والمصدقات) أى المتصدقين والمتصدقات وقد قرىء كذلك ١٨
وقرىء بتخفيف الصاد من التصديق أى الذين صدقوا الله ورسوله (وأقرضوا الله قرضاً حسناً) قيل *
هو عطف على ما فى المصدقين من معنى الفعل فإنه فى حكم الذين اصدقوا أو صدقوا على القراءتين وعقب
بأن فيه فصلاً بين أجزاء الصلة بأجنبي وهو المصدقات وأجيب بأن المعنى أن الناس الذين تصدقوا
وتصدقوا وأقرضوا فهو عطف على الصلة من حيث المعنى من غير فصل وقيل إن المصدقات ليس بعطف
على المصدقين بل هو منصوب على الاختصاص كأنه قيل إن المصدقين على العموم تعظيماً وأخص المصدقات
من بينهم كما تقول إن الذين آمنوا ولا سيما العلماء منهم وعملوا الصالحات لهم كذا لكن لا على أن مدار
التخصيص مزيد استحقاقين لمضاعفة الأجر كما فى المثال المذكور بل زيادة احتياجهن إلى التصديق
الداعية إلى الاعتناء بحثهن على التصديق لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال يامعشر النساء تصدقن
فإنى أرى تكتن أكثر أهل النار وقيل هو صلة لموصول محذوف معطوف على المصدقين كأنه قيل والذين
أقرضوا والقرض الحسن عبارة عن التصديق من الطيب عن طيبة النفس وخلوص النية على المستحق
للصدقة (يضاعف لهم) على البناء للمفعول مسنداً إلى ما بعده من الجار والمجرور وقيل إلى مصدر ما فى *
حيز الصلة على حذف مضاف أى ثواب التصديق وقرىء على البناء للفاعل أى يضاعف الله تعالى وقرىء
يضاعف بتشديد العين وفتحها (ولهم أجر كريم) مر ما فيه من الكلام (والذين آمنوا بالله ورسوله) ١٩

اعْلَمُوا أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرُ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ
 أَغْبَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ
 وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٥٧﴾

٥٧ الحديد

- * كافة وقد مر بيان كيفية الإيمان بهم في خاتمة سورة البقرة (أولئك) إشارة إلى الموصول الذي هو مبتدأ
- * وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه قد مر سره مراراً وهو مبتدأ ثان وقوله تعالى (هم)
- * مبتدأ ثالث خبره (الصديقون والشهداء) وهو مع خبره خبر للثاني وهو مع خبره خبر الأول أو هم
- * ضمير الفصل وما بعده خبر لأولئك والجملة خبر للموصول أى أولئك (عند ربهم) بمنزلة الصديقين
- والشهداء المشهورين بعلو الرتبة ورفعة المحل وهم الذين سبقوا إلى التصديق واستشهدوا في سبيل الله
- تعالى أو هم المبالغون في الصدق حيث آمنوا وصدقوا جميع أخباره تعالى ورسله والقائمون بالشهادة
- * لله تعالى بالوحدانية ولهم بالإيمان أو على الأهم يوم القيامة وقوله تعالى (لهم أجرهم ونورهم) بيان
- لثمرات ما وصفوا به من نعوت الكمال على أنه جملة من مبتدأ وخبر محلها الرفع على أنه خبر ثان للموصول
- أو الخبر هو الجار وما بعده مرتفع به على الفاعلية والضمير الأول على الوجه الأول للموصول والآخران
- للصديقين والشهداء أى مثل أجرهم ونورهم المعروفين بغاية الكمال وعزة المنال وقد حذف أداة التشبيه
- تنبيهاً على قوة المماثلة وبلوغها حد الاتحاد كما فعل ذلك حيث قيل هم الصديقون والشهداء وليست المماثلة
- بين ما للفريق الأول من الأجر والنور وبين تمام ما الأول من الأصل والاضعاف وبين ما للآخرين
- من الأصل بدون الأضعاف وأما على الوجه الثاني فرجع الكل واحد والمعنى لهم الأجر والنور
- * الموعودان لهم أجرهم الخ (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك) الموصوفون بتلك الصفة القبيحة
- ٢٠ (أصحاب الجحيم) بحيث لا يفارقونها أبداً (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم
- وتكاثر في الأموال والأولاد) بعدما بين حال الفريقين في الآخرة شرح حال الحياة الدنيا التي اطمأن
- بها الفريق الثاني وأشير إلى أنها من محقرات الأمور التي لا يركن إليها العقلاء فضلا عن الاطمئنان بها وأنها
- مع ذلك سريعة الزوال وشبكة الاضمحلال حيث قيل (كمثل غيث أعجب الكفار) أى الحرات
- = (نباته) أى النبات الحاصل به (ثم يهيج) أى يجف بعد خضرته ونضارته (فتراه مصفراً) بعد ما رأته
- ناضراً موقفاً وقرىء مصفراً وإنما لم يقل فيصفّر إذاناً بأن اصفراره مقارن لجفافه وإنما المترتب
- * عليه رؤيته كذلك (ثم يكون حطاماً) هشيماً متكسراً وحل الكاف قيل النصب على الحالية من
- الضمير في لعب لأنه في معنى الوصف وقيل الرفع على أنه خبر بعد خبر للحياة الدنيا بتقدير المضاف
- أى مثل الحياة الدنيا كمثل الخ وبعد ما بين حقارة أمر الدنيا تزهداً فيها وتنفيراً عن العكوف عليها
- أشير إلى غفلة شأن الآخرة وعظم ما فيها من اللذات والآلام ترغيباً في تحصيل نعيمها المقيم وتحذيراً

سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ
وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ٥٧ الحديد
مَا أَصَابَ مِّن مِّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى
اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ٥٧ الحديد

لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٥٧ الحديد

- * من عذابها الأليم وقد ذكر العذاب فقيل (وفي الآخرة عذاب شديد) لأنه من نتائج الانهماك فيما فصل
- * من أحوال الحياة الدنيا (ومغفرة) عظيمة (من الله ورضوان) عظيم لا يقادر قدره (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) أي لمن اطمأن بها ولم يجعلها ذريعة إلى الآخرة عن سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور إن أهلكك عن طلب الآخرة فأما إذا دعيتك إلى طلب رضوان الله تعالى فنعم المتاع ونعم الوسيلة (سابقوا) ٢١
- * أي سارعوا مسارعة السابقين لأقرانهم في المضمار (إلى مغفرة) عظيمة كائنة (من ربكم) أي إلى موجباتها
- * من الأعمال الصالحة (وجنة عرضها كعرض السماء والأرض) أي كعرضهما جميعاً وإذا كان عرضها كذلك فما ظنك بطولها وقيل المراد بالعرض البسطة وتقديم المغفرة على الجنة لتقدم التخلية على التحلية (أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله) فيه دليل على أن الجنة مخلوقة بالفعل وأن الإيمان وحده كاف في استحقاقها (ذلك) الذي وعد من المغفرة والجنة (فضل الله) عطاؤه (يؤتيه) تفضلاً وإحساناً
- * (من يشاء) إيتاءه إياه من غير إيجاب (والله ذو فضل العظيم) ولذلك يؤتى من يشاء مثل ذلك الفضل
- * الذي لا غاية وراءه (ما أصاب من مصيبة في الأرض) كجذب وعاهة في الزروع والثمار (ولا في أنفسكم) ٢٢
- * كمرض وآفة (إلا في كتاب) أي لا مكتوبة مثبتة في علم الله تعالى أو في اللوح (من قبل أن نبرأها)
- * أي نخلق الأنفس أو المصائب أو الأرض (إن ذلك) أي لإثباتها في كتاب (على الله يسير) لاستغنائه
- * فيه عن العنة والمدة (لكيلا تأسوا) أي أخبرناكم بذلك لئلا تحزنوا (على ما فاتكم) من نعم الدنيا ٢٣
- * (ولا تفرحوا بما آتاكم) أي أعطاكم الله تعالى منها فإن من علم أن السكل مقدر يفوت ما قدر فواته ويأتي ما قدر إتيانه لاحالة لا يعظم جزعه على ما فات ولا فرحه بما هو آت وقرىء بما آتاكم من الإتيان وفي القراءة الأولى إشعار بأن فوات النعم يالحقها إذا خليت وطباعتها وأما حصولها وبقاؤها فلا بد لها من سبب يوجد لها وبقاؤها وقرىء بما أوتيتم والمراد به نفي الآسى المانع عن التسليم لأمر الله تعالى والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقب بقوله تعالى (والله لا يحب كل مختال فخور) فإن من فرح بالخطىء الدنيوية وعظمت في نفسه اختال وافتخر بها لاحالة وفي تخصيص التذليل بالنهي عن الفرح المذكور إيذان بأنه أقبح من الآسى .

الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ ٥٧ الحديد
لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا
الحديدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ
عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ٥٧ الحديد

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ
فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ٥٧ الحديد

- ٢٤ (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) بدل من كل مختال فإن المختال بالمال يرضن به غالباً ويأمر
* غيره به أو مبتدأ خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى (ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد) فإن معناه
ومن يعرض عن الإتيان فإن الله غني عنه وعن إنفاقه محمود في ذاته لا يضره الإعراض عن شكره
بالتقرب إليه بشيء من نعمه وفيه تهديد وإتعار بأن الأمر بالإتيان لمصلحة المنفق وقرئ فإن الله
٢٥ الغني (ولقد أرسلنا رسلنا) أي الملائكة إلى الأنبياء أو الأنبياء إلى الأمم وهو الأظهر (بالبينات)
* أي الحجج والمعجزات (وأنزلنا معهم الكتاب) أي جنس الكتاب الشامل للكل (والميزان ليقوم
الناس بالقسط) أي بالعدل روى أن جبريل عليه السلام نزل الميزان فدفعه إلى نوح عليه السلام
* وقال مر قومك يزونا به وقيل أريد به العدل ليقام به السياسة ويدفع به العدوان (وأنزلنا الحديد)
* قيل نزل آدم عليه السلام من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد السندان والكلبتان والميعة والمطرفة
والإبرة وروى ومعه المر والمسحات وعن الحسن وأنزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وأنزل لكم من
* الأنعام وذلك أن أوامره تعالى وقضاياه وأحكامه تنزل من السماء وقوله تعالى (فيه بأس شديد) لأن
* آلات الحرب إنما تتخذ منه (ومنافع للناس) إذا ما من صنعة إلا والحديد أو ما يعمل بالحديد آلتها
* والجملة حال من الحديد وقوله تعالى (وليعلم الله من ينصره ورسله) عطف على محذوف يدل عليه ما قبله
فإنه حال متضمنة للتعليل كأنه قيل ليستعملوه وليعلم الله علماً يتعلق به الجزاء من ينصره ورسله باستعمال
السيوف والرماح وسائر الأسلحة في مجاهدة أعدائه أو متعلق بمحذوف مؤخر والواو اعتراضية أي
* وليعلم الله من ينصره ورسله أنزله وقيل عطف على قوله تعالى ليقوم الناس بالقسط وقوله تعالى (بالغيب)
* حال من فاعل ينصر أو مفعوله أي غائباً عنهم أو غائبين عنه وقوله تعالى (إن الله قوي عزيز) اعتراض
تذييلي جرى به تحقيقاً للحق وتليهاً على أن تكليفهم الجهاد وتعرضهم للقتال ليس لحاجته في إعلاء
كلمته وإظهار دينه إلى نصرته بل إنما هو لينتفعوا به ويصلوا بامثال الأمر فيه إلى الثواب ولأفوا
٢٦ غنى بقدرته وعزته عنهم في كل ما يريد (ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم) نوع تفصيل لما أجمل في قوله

ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَافَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾

٥٧ الحديد

- تعالى لقد أرسلنا رسلنا الخ وتكرير القسم لإظهار مزيد الاعتناء بالأمر أي وبالله لقد أرسلناهما (وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب) بأن استنبأناهم وأوحينا إليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط بالقلم (فمنهم) أي من الذرية أو من المرسل إليهم المدلول عليهم بذكر الإرسال والمرسلين (مهتد) إلى الحق (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للبالغ في الذم والإيذان بغلبة الضلال وكثرتهم (ثم قفينا على آثارهم برسلنا) أي ثم أرسلنا بعدهم رسلنا (وقفينا بعيسى ابن ٢٧ مريم) أي أرسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى إلى عيسى ابن مريم عليه السلام والضمير لنوح وإبراهيم ومن أرسلنا إليهم أو من عاصرهما من الرسل لا للذرية فإن الرسل المقف بهم من الذرية (وآتيناه الإنجيل) وقرىء بفتح الهمزة فإنه أعجمي لا يلزم فيه مراعاة أبنية العرب (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة) وقرىء رافة على فعالة (ورحمة) أي وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه في شأن أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام رحماء بينهم (ورهبانية) منصوب إما بفعل مضمير يفسره الظاهر أي وابتدعوا رهبانية (ابتدعوها) وإما بالعطف على ما قبلها وابتدعوها صفة لها أي وجعلنا في قلوبهم رافة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم أي وفقناهم للتراحم بينهم ولا بتداع الرهبانية واستحداثها وهي المبالغة في العبادة بالرياضة والانتطاع عن الناس ومعناها الفعلة المنسوبة إلى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشي وقرىء بضم الراء كأنها نسبة إلى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وسبب ابتداعهم إياها أن الجبارة ظهروا على المؤمنين بعد رفع عيسى عليه السلام فقاتلوه ثلاث مرات فقاتلوا حتى لم يبق منهم إلا قليل فخافوا أن يفتنوا في دينهم فاختاروا الرهبانية في قلة الجبال فارين بدينهم مخلصين أنفسهم للعبادة وقوله تعالى (ما كتبناها عليهم) جملة مستأنفة وقيل صفة أخرى لرهبانية والنفي على الوجه الأول متوجه إلى أصل الفعل وقوله تعالى (إلا ابتغاء رضوان الله) استثناء منقطع أي ما فرضناها نحن عليهم رأساً ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فذمهم حينئذ بقوله تعالى (فما رعوها حق رعايتها) من حيث إن النذر عهد مع الله لا يحل نكثه لاسيما إذا قصد به رضاه تعالى وعلى الوجه الثاني متوجه إلى قيده لا إلى نفسه والاستثناء متصل من أعم العلل أي ما كتبناها عليهم بأن وفقناهم لا بتداعها لشيء من الأشياء إلا ليبتغوا بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب ومن ضرورة ذلك أن يحافظوا عليها ويراعوها حق رعايتها فما رعاها كلهم بل بعضهم (فآتيناه الذين آمنوا منهم) إيماناً صحيحاً وهو الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رعاية رهبانيتهم لا مجرد رعايتها فإنها بعد البعثة لغو محض

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾

٥٧ الحديد

لَيْسَ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

٥٧ الحديد

- * وكفر بحت وأنى لها استتباع الأجر (أجرهم) أى ما يخص بهم من الأجر (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن حد الاتباع وحمل الفريقين على من مضى من المراعين لحقوق الرهبانية قبل النسخ والمخلين إذ ذاك بالتشليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة من غير تعرض لإيمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وكفرهم به بما لا يساعده المقام (يا أيها الذين آمنوا) أى بالرسل المتقدمة (اتقوا الله) فيما نهاكم عنه (وآمنوا برسوله) أى بمحمد عليه الصلاة والسلام وفى إطلاقه إيدان بأنه علم فردى الرسالة لا يذهب الوهم إلى غيره (يؤتكم كفلين) نصيين (من رحمته) لإيمانكم بالرسول وبمن قبله من الرسل عليهم الصلاة والسلام لكن لأعلى معنى أن شريعتهم باقية بعد البعثة بل على أنها كانت حقة قبل النسخ (ويجعل لكم نوراً تمشون به) يوم القيامة حسبما نطق به قوله تعالى يسع نورهم بين أيديهم وبأيمانهم (ويغفر لكم) ما أسلفتم من الكفر والمعاصي (والله غفور رحيم) أى مبالغ في المغفرة والرحمة وقوله تعالى (لئلا يعلم أهل الكتاب) متعلق بمضمون الجملة الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط إذ التقدير أن تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم كذا وكذا لئلا يعلم الذين لم يسلموا من أهل الكتاب أى ليعلموا ولا مزيدة كما ينبى عنه قراءة ليعلم ولكى يعلم ولأن يعلم يادغام النون فى الياء وأن فى قوله تعالى (أن لا يقدرُونَ على شىء من فضل الله) مخففة من الثقيلة واسمها الذى هو ضمير الشأن محذوف والجملة فى حين النصب على أنها مفعول يعلم أى ليعلموا أنه لا ينالون شيئاً مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة ولا يتمكّنون من نيله حيث لم يأتوا بشرطه الذى هو الإيمان برسوله وقوله تعالى (وأن الفضل بيد الله عطف على أن لا يقدرُونَ وقوله تعالى (يؤتية من يشاء) خبر ثان لأن وقيل هو الخبر والجار حال لازمة وقوله تعالى (والله ذو الفضل العظيم) اعتراض تذييل لمضمون ما قبله وقد جوز أن يكون الأمر بالتقوى والإيمان لغير أهل الكتاب فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على إيمانكم برسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتكم ما وعد من آمن من أهل الكتاب من الكفلين فى قوله تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل أجرهم لأنكم مثلهم فى الإيمانين لا تفرقون بين أحد من رسله وروى أن مؤمنى أهل الكتاب افتخروا على سائر المؤمنين بأنهم يؤتون أجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وقرئ لئلا يقلب الهمة ياء لا نفتاحها بعد كسرة وقرئ بسكون الياء وفتح اللام كاسم المرأة وبكسر اللام مع سكون الياء وقرئ أن لا يقدرُوا هذا وقد قيل لا غير مزيدة وضمير لا يقدرُونَ للنبي عليه

٥٨ - سورة المجادلة

(مدنية وهي إثنان وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَ كُفَرَاءَ إِنْ أَلَّ اللَّهُ

سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾

٥٨ المجادلة

الصلاة والسلام وأصحابه والمعنى لئلا يعتقد أهل الكتاب أنه لا يقدر النبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنون به على شيء من فضل الله الذي هو عبارة عما أوتوه من سعادة الدارين على أن عدم علمهم بعدم قدرتهم على ذلك كناية عن علمهم بقدرتهم عليه فيكون قوله تعالى وأن الفضل بيد الله الخ عطفاً على أن لا يعلم . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله .

(سورة المجادلة مدنية وقيل العشر الأول مكي والباقي مدني وآياتها إثنان وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (قد سمع الله) بإظهار الدال وقرىء بإدغامها في السين (قول التي تجادلوك في زوجها) أى تراجعك الكلام في شأنه وفيما صدر عنه في حقها من الظهار وقرىء تحاورك وتحاولك أى تسائلك (وتشتكى إلى الله) عطف على تجادلوك أى تتضرع إليه تعالى وقيل حال من فاعله أى * تجادلوك وهى متضرعة إليه تعالى وهى خولة بنت ثعلبة بن مالك بن خزيمة الخزرجية ظاهراً عنها زوجها أوس بن الصامت أخو عبادة ثم ندم على ما قال فقال لها ما أظنك إلا قد حرمت على فشق عليها ذلك فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقاً فقال حرمت عليه وفى رواية ما أراك إلا قد حرمت عليه فى المراءى كلها فقالت أشكو إلى الله فاقبى ووجدى وجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما قال عليه الصلاة والسلام حرمت عليه هتفت وشككت إلى الله تعالى فنزلت وفى كلمة قد إشعار بأن الرسول عليه الصلاة والسلام والمجادلة كانا يتوقعان أن ينزل الله تعالى حكم الحادثة ويخرج عنها كبرها كما يلوح به ما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال لها عند استفتائها ما عندى فى أمرك شيء وأنها كانت ترفع رأسها إلى السماء وتقول أشكو إليك فأنزل على لسان نبيك ومعنى سمعه تعالى لقولها إجابة دعائها لا مجرد علمه تعالى بذلك كما هو المعنى بقوله تعالى (والله يسمع تحاوركما) أى يعلم تراجعكما الكلام وصيغة المضارع للدلالة على استمرار السمع حسب * استمرار التجاور وتجده وفى نظمها فى سالك الخطاب تغليباً تشريفاً لها من جهتين والجملة استئناف مجرى التعليل لما قبله فإن إلحافها فى المسألة ومبالغتها فى التضرع إلى الله تعالى ومدافعتها عليه الصلاة والسلام لإياها بجواب منبئ عن التوقف وترقب الوحى وعلمه تعالى بحالها من دواعى الإجابة وقيل

الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ
لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُؤٌ غَفُورٌ ﴿٥٨﴾

٥٨ المجادلة

وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَٰلِكُمْ
تَوْعَظُونَ بِهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٥٩﴾

٥٨ المجادلة

هـ هي حال وهو بعيد وقوله عز وجل (إن الله سميع بصير) تعليل لما قبله بطريق التحقيق أى مبالغ
فى العلم بالمسموعات والمبصرات ومن قضيته أن يسمع تحاورهما ويرى ما يقارنه من الهيئات التى من
جملتها رفع رأسها إلى السماء وسائر آثار التضرع وإظهار الاسم الجليل فى الموقنين لثبوتية المهابة وتعليل
٢ الحكم بوصف الألوهية وتأكيد استقلال الجنتين وقوله تعالى (والذين يظاهرون منكم من نسائهم)
شروع فى بيان شأن الظهار فى نفسه وحكمه المترتب عليه شرعا بطريق الاستئناف والظهار أن يقول
الرجل لامرأته أنت على كظهر أمى مشتق من الظهر وقد مر تفصيله فى الأحزاب وألحق به الفقهاء
تشبيهها بجزء محرم وفى منكم مزيد توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم فيه فإن كان من أيمان أهل جاهليتهم
خاصة دون سائر الأمم وقرىء يظاهرون ويظهرون وقوله تعالى (ماهن أمهاتهم) خبر للموصول أى
مانسأوهم أمهاتهم على الحقيقة فهو كذب بحت وقرىء أمهاتهم بالرفع على لغة تميم وبأمهاتهم (إن أمهاتهم)
أى ماهن (إلا اللاتى ولدنهم) فلا تشبه بهن فى الحرمة إلا من ألحقها الشرع بهن من المرضعات وأزواج
النبي عليه الصلاة والسلام فدخلن بذلك فى حكم الأمهات وأما الزوجات فأبعدن عن الأمومة (ولأنهم
ليقولون) بقولهم ذلك (منكرأ من القول) على أن مناط التأكيد ليس صدور القول عنهم فإنه أمر
محقق بل كونه منكراً أى عند الشرع وعند العقل والطبع أيضاً كما يشعر به تنكيره ونظيره قوله
تعالى إنكم لتقولون قولاً عظيماً (وزوراً) أى محرفاً عن الحق (وإن الله لعفو غفور) أى مبالغ فى
٣ العفو والمغفرة فيغفر لما سلب منه على الإطلاق أو بالمتاب عنه وقوله تعالى (والذين يظاهرون من
نسائهم ثم يعودون لما قالوا) تفصيل لحكم الظهار بعد بيان كونه أمراً منكراً بطريق التشريع الكلى
المنتظم لحكم الحادثة انتظاماً أولياً أى والذين يقولون ذلك القول المنكر ثم يعودون لما قالوا أى
إلى ما قالوا بالتدارك والتسلاف لا بالتقرير والتكرير كما فى قوله تعالى أن تعودوا لمثله أبداً فإن اللام
وإلى تتعاقبان كثيراً كما فى قوله تعالى هداً لنا لهذا وقوله تعالى بأن ربك أوحى لها وقوله تعالى وأوحى
إلى نوح (فتحرير رقبة) أى فتداركه أو فعله أو فالواجب إعتاق رقبة أى رقبة كانت وعند الشافعى
رحمه الله تعالى يشترط الإيمان والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرار
الظهار وقيل ما قالوا عبارة عما حرموه على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلاً للقول منزلة القول فيه كما ذكر
فى قوله تعالى ونزئه ما يقول أى المقول فيه من المال والولد فالمعنى ثم يريدون العود للاستمتاع فتحرير

فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّ سَأَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِينَ مِسْكِينًا
 ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥٨﴾ المجادلة
 إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُتِبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ
 وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥٩﴾ المجادلة

- * رقة (من قبل أن يتأسا) أى من قبل أن يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بالآخر جماعاً ولمساً
- * ونظراً إلى الفرج بشهوة وإن وقع شيء من ذلك قبل التكفير يجب عليه أن يستغفر ولا يعود حتى يكفر وإن أعتق بعض الرقة ثم مس عليه أن يستأنف عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى (ذلكم) إشارة إلى الحكم المذكور وهو مبتدأ خبره (توعظون به) أى تزجرون به عن ارتكاب المنكر المذكور
- * فإن الغرامات مزاجر عن تعاطي الجنایات والمراد بذكره بيان أن المقصود من شرع هذا الحكم ليس تعريضكم للثواب بمباشرتكم لتحرير الرقة الذى هو علم فى استتباع الثواب العظيم بل هو ردعكم وزجركم عن مباشرة ما يوجب (والله بما تعملون) من الأعمال التى من جملتها التكفير وما يوجه من
- * جنایة الظهار (خير) أى عالم بظواهرها وبواطنها ومجازيكم بها فحافظوا على حدود ما شرع لكم ولا تخلوا بشيء منها (فمن لم يجد) أى الرقة (فصيام شهرين) أى فعله صيام شهرين (متتابعين من قبل أن يتأسا) ليلاً أو نهاراً عمداً أو خطأ (فمن لم يستطع) أى الصيام لسبب من الأسباب (فإطعام ستين مسكيناً) لكل مسكين نصف صاع من بر أو صاع من غيره ويجب تقديمه على المسيس لكن لا يستأنف
- * إن مس فى خلال الإطعام (ذلك) إشارة إلى ما مر من البيان والتعليم للأحكام والتنبه عليها وما فيه من معنى البعد قد مر سره مراراً ومحلّه إما الرفع على الابتداء أو النصب بمضمر معتل بما بعده أى ذلك واقع أو فعلنا ذلك (لتؤمنوا بالله ورسوله) وتعملوا بشرائعه التى شرعها لكم وترفضوا ما كنتم عليه
- * فى جاهليتكم (وتلك) إشارة إلى الأحكام المذكورة وما فيه من معنى البعد لتعظيمها كما مر غير مرة (حدود الله) التى لا يجوز تعديها (وللكافرين) أى الذين لا يعملون بها (عذاب أليم) عبر عنه بذلك
- * للتغليظ على طريقة قوله تعالى ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين (إن الذين يحادون الله ورسوله) أى يعادونهما ويشاقونهما فإن كلام المتعادين كما أنه يكون فى عدوة وشق غير عدوة الآخر وشقه كذلك يكون فى حد غير حد الآخر غير أن لورود المحادة فى أثناء ذكر حدود الله دون المعادة والمشاقة
- * من حسن الموقع مالا غاية وراءه (كتبوا) أى أخزوا وقيل خذلوا وقيل أذلوا وقيل أهلكوا وقيل لعنوا وقيل غيظوا وهو ما وقع يوم الخندق قالوا معنى كتبوا سيكتبون على طريقة قوله تعالى أتى أمر الله وقيل أصل الكبت الكب (كما كبت الذين من قبلهم) من كفار الأمم الماضية المعادين للرسول عليهم

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٨﴾ المجادلة
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ
 وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا
 عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ المجادلة

٥. الصلاة والسلام (وقد أنزلنا آيات بينات) حال من واو كتبوا أى كتبوا لمخادتهم والحال أنا قد أنزلنا
 آيات واضحات فمن حاد الله ورسوله ممن قبلهم من الأمم وفيما فعلنا بهم وقيل آيات تدل على صدق
 وصحة ما جاء به (وللكافرين) أى بتلك الآيات أو بكل ما يجب الإيمان به فدخل فيه تلك الآيات
 ٦. دخولاً أولياً (عذاب مهين) يذهب بعزهم وكبرهم (يوم يبعثهم الله) منصوب بما تعلق به اللام من
 الاستقرار أو بهمين أو بإضمار اذكر تعظيماً لليوم وتحويلاً له (جميعاً) أى كلهم بحيث لا يبق منهم أحد
 * غير مبعوث أو مجتمعين في حال واحدة (فينبئهم بما عملوا) من القبايح ببيان صدورها عنهم أو بتصويرها
 في تلك النشأة بما يليق بها من الصور الهائلة على رؤس الأشهاد تخجيلاً لهم وتشهيراً بجاهلهم وتشديداً
 * لعذابهم وقوله تعالى (أحصاه الله) استئناف وقع جواباً عما نشأ مما قبله من السؤال إما عن كيفية
 التنبئة أو عن سببها كأنه قيل كيف ينبئهم بأعمالهم وهى أعراض متقضية متلاشية ففعل أحصاه الله
 * عدداً لم ينته منه شيء فقوله تعالى (ونسوه) حيثئذ حال من مفعول أحصى بإضمار قد أو بدونه على
 الخلف المشهور أو قيل لم ينبئهم بذلك ففعل أحصاه الله ونسوه فينبئهم به ليعرفوا أن ما عاينوه من
 * العذاب إنما حاق بهم لأجله وفيه مزيد توبيخ وتنديم لهم غير التخجيل والتشهير (والله على كل شيء شهيد)
 ٧. لا يغيب عنه أمر من الأمور قط والجملة اعتراض تذييلي مقرر لإحصائه تعالى وقوله تعالى (ألم تر أن
 الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض) استشهاد على شمول شهادته تعالى كما فى قوله تعالى ألم تر إلى
 الذى حاج إبراهيم فى ربه وفى قوله تعالى ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون أى ألم تعلم علماً يقينياً متاخماً
 * للشهادة بأنه تعالى يعلم ما فيهما من الموجودات سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما أو بالجزئية منهما
 * وقوله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة) الخ استئناف مقرر لما قبله من سعة علمه تعالى ومبين لكيفية
 ويكون من كان التامة وقرىء تكون بالتاء اعتباراً لتأنيث النجوى وإن كان غير حقيقى أى ما يقع
 من تناجى ثلاثة نفر أى من مسارتهم على أن نجوى مضافة إلى ثلاثة أو على أنها موصوفة بها إما بتقدير
 * مضاف أى من أهل نجوى ثلاثة أو بجعلهم نجوى فى أنفسهم (إلا هو) أى الله عز وجل (رابعهم)
 أى جاءهم أربعة من حيث إنه تعالى يشاركهم فى الإطلاع عليها وهو استثناء مفرغ من أعم الأحوال
 * (ولا خمسة) ولا نجوى خمسة (إلا هو سادسهم) وتخصيص العديدين بالذكر إما لخصوص الواقعة
 فإن الآية نزلت فى تناجى المنافقين وإما لبناء الكلام على أغلب عادات المتناجين وقد عمم الحكم بعد

أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾

٥٨ المجادلة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾

٥٨ المجادلة

إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾

٥٨ المجادلة

- ذلك فقيل (ولا أدنى من ذلك) أى بما ذكر كالواحد والإثنين (ولا أكثر) كالسته وما فوقها (إلا * هو معهم) يعلم ما يجرى بينهم وقرىء ولا أكثر بالرفع عطفاً على محل من نجوى أو محل ولا أدنى بأن جعل لا لنفى الجنس (أينما كانوا) من الأماكن ولو كانوا تحت الأرض فإن عليه تعالى بالأشياء ليس * لقرب مكاني حتى متفاوت باختلاف الأمكنة قرباً وبعداً (ثم ينبئهم) وقرىء ينبئهم بالتخفيف (بما عملوا * يوم القيامة) تفضيحاً لهم وإظهاراً لما يوجب عذابهم (إن الله بكل شيء عليم) لأن نسبة ذاته المقتضية * للعلم إلى الكل سواء (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه) نزلت في اليهود والمنافقين ٨ كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعيانهم إذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام والهمزة للتعجيب من حالهم وصيغة المضارع للدلالة على تكرار عودهم وتجده واستحضار صورته العجيبة وقوله تعالى (ويتناجون بالإثم والعدوان * ومعصية الرسول) عطف عليه داخل في حكمه أى بما هو لإثم في نفسه وعدوان للمؤمنين وتواصل بمعصية الرسول عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة بين الخطابين المتوجهين إليه عليه الصلاة والسلام لزيادة تشنيعهم واستعظام معصيتهم وقرىء ويتناجون بالإثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله) فيقولون السام عليك أو أنعم صباحاً والله سبحانه يقول وسلام * على المرسلين (ويقولون في أنفسهم) أى فيما بينهم (لولا يعذبنا الله بما نقول) أى هلا يعذبنا الله بذلك * لو كان محمد نبياً (حسبهم جهنم) عذاباً (يصلونها) يدخلونها (فبئس المصير) أى جهنم (يا أيها الذين ٩ آمنوا إذا تناجيتكم) فى أنديةكم وفى خلواتكم (فلا تناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول) كما يفعله * المنافقون وقرىء فلا تتنجوا وفلا تناجوا بخذف إحدى التامين (وتناجوا بالبر والتقوى) أى بما يتضمن خير المؤمنين والالتقاء عن معصية الرسول عليه الصلاة والسلام (واتقوا الله الذى إليه * تحشرون) وحده لا إلى غيره استقلالاً أو اشتراكاً فيجازيكم بكل ما تأتون وما تذررون (إنما النجوى) ١٠

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ
 أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

خَيْرٌ ﴿١١﴾

٥٨ المجادلة

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ
 وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾

٥٨ المجادلة

- * المعهودة التي هي التناجي بالاثم والعدوان (من الشيطان) لامن غيره فإنه المزين لها والحامل عليها
- * وقوله تعالى (ليحزن الذين آمنوا) خبر آخر أى إنما هي ليحزن المؤمنين بتوهمهم أنها في نكبة أصابهم
- * (وليس بضارهم) أى الشيطان أو التناجي بضار المؤمنين (شيئاً) من الأشياء أو شيئاً من الضرر (إلا
- * بإذن الله) أى بمشيئته (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) ولا يبالوا بنجواهم فإنه تعالى يعصمهم من شره
- ١١ (يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا) أى توسعوا وليفسح بعضكم عن بعض ولا تتضاوموا من
- * قولهم افسح عني أى تنح وقرىء تفسحوا وقوله تعالى (في المجالس) متعلق بقيل وقرىء في المجلس
- على أن المراد به الجنس وقيل مجلس الرسول عليه الصلاة والسلام وكانوا يتضامون تنافساً في القرب
- منه عليه الصلاة والسلام وحرصاً على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهي مراكز
- الغزاة كقوله تعالى مقاعد للقتال قيل كان الرجل يأتي الصف ويقول تفسحوا فيأبون لحرصهم على
- الشهادة وقرىء في المجلس بفتح اللام فهو متعلق بتفسحوا قطعاً أى توسعوا في جلوسكم ولا تتضايقوا
- * فيه (فافسحوا يفسح الله لكم) أى في كل ما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر والقبر
- * وغيرها (وإذا قيل أنشروا) أى انهضوا للتوسعة على المقبلين أو لما أمرتم به من صلاة أو جهاد أو
- * غيرهما من أعمال الخير (فأنشروا) فانهضوا ولا تثبطوا ولا تفرطوا وقرىء بكسر الشين (يرفع الله
- * الذين آمنوا منكم) بالنصر وحسن الذكر في الدنيا والإبواء إلى غرف الجنان في الآخرة (والذين
- * أوتوا العلم) منهم خصوصاً (درجات) عالية بما جمعوا من أثرى العلم والعمل فإن العلم مع علورتبته
- يقتضى العمل المقرون به مزيد رفعة لا يدرك شأوه العمل العارى عنه وإن كان في غاية الصلاح ولذلك
- يقتدى بالعالم في أفعاله ولا يقتدى بغيره وفي الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على
- * سائر الكواكب (والله بما تعملون بصير) تهديد لمن لم يمثل بالأمر وقرىء يعملون بالياء التحتانية
- ١٢ (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول) في بعض شؤونكم المهمة الداعية إلى مناجاته عليه الصلاة والسلام
- * (فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) أى فتصدقوا قبلها مستعار بمن له يدان وفي هذا الأمر تعظيم الرسول
- صلى الله عليه وسلم وانقاع الفقراء والزجر عن الإفراط في السؤال والتمييز بين المخلص والمنافق

ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقْتُمْ ۖ فِإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾

٥٨ المجادلة

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ
يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

٥٨ المجادلة

ومحب الآخرة ومحبة الدنيا واختلاف في أنه للندب أو للوجوب لكنه نسخ بقوله تعالى أشفقتم وهو وإن كان متصلاً به تلاوة لكنه متراخ عنه نزولاً وعن علي رضي الله عنه إن في كتاب الله آية ماعمل بها أحد غيري كان لي دينار فصرفته فكنت إذا ناجيته عليه الصلاة والسلام تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب محمول على أنه لم يتفق للأغنياء مناجاة في مدة بقائه إذ روى أنه لم يبق إلا عشراً وقيل إلا ساعة (ذلك) أي التصدق (خير لكم وأطهر) أي لأنفسكم من الرية وحب المال وهذا يشعر * بالنندب لكن قوله تعالى (فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم) منبئ عن الوجوب لأنه ترخيص إن لم يجد في المناجاة بلا تصدق (أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) أي أخفتم الفقر من تقديم الصدقات أو أخفتم التقديم لما يبعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع الصدقات لجمع المخاطبين (فإذا لم تفعلوا) * ما أمرتم به وشق عليكم ذلك (وتاب الله عليكم) بأن رخص لكم أن لا تفعلوه وفيه إشعار بأن إشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم من الأفعال ما قام مقام توبتهم وإذ على بابها من المضي وقيل بمعنى إذا كما في قوله تعالى إذ الأغلال في أعناقهم وقيل بمعنى إن (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أي فإذ فرطتم فيما أمرتم به من تقديم الصدقات فتداركوه بالمثابرة على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة (وأطيعوا الله ورسوله) * في سائر الأوامر فإن القيام بها كالجابر لما وقع في ذلك من التمريط (والله خبير بما تعملون) ظاهراً * وباطناً (ألم تر) تعجيب من حال المنافقين الذين كانوا يتخذون اليهود أولياء ويناصحونهم وينقلون ١٤ إليهم أسرار المؤمنين أي ألم تنظر (إلى الذين تولوا) أي والوا (قوماً غضب الله عليهم) وهم اليهود * كما أنبا عنه قوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه (ما هم منكم ولا منهم) لأنهم منافقون مذنبون بين ذلك والجملة مستأنفة أو حال من فاعل تولوا (ويحلفون على الكذب) أي يقولون والله إنا لمسلمون وهو عطف على تولوا داخل في حكم التعجيب وصيغة المضارع للدلالة على تكرار الحلف وتجده حسب تكرار ما يقتضيه وقوله تعالى (وهم يعلمون) حال من فاعل يحلفون مفيدة لكمال شناعة ما فعلوا فإن الحلف على ما لم يعلم أنه كذب في غاية القبح وفيه دلالة على أن الكذب يعلم المخبر عدم مطابقته للواقع وما لا يعلمه روى أنه عليه الصلاة والسلام كان في حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان أزرق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم علام تشتمني أنت وأصحابك فحلف بالله ما فعل فقال عليه الصلاة والسلام فعلت

أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٥٨ المجادلة

أَتَّخِذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾ ٥٨ المجادلة

لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ ٥٨ المجادلة

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ

الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٥٨ المجادلة

- ١٥ فانطلق لجاه بأصحابه لحلفوا بالله ماسبوه فنزلت (أعد الله لهم) بسبب ذلك (عذاباً شديداً) نوعاً من العذاب متفاقاً (إنهم ساء ما كانوا يعملون) فيما مضى من الزمان المتطاوّل فتمرّوا على سوء العمل
- ١٦ وضروا به وأصروا عليه (اتخذوا أيمانهم) الفاجرة التي يحلفون بها عند الحاجة وقرىء بكسر الهمزة أى إيمانهم الذى أظهروه لأهل الإسلام (جنة) وقاية وسترة دون دنائهم وأموالهم فالاتخاذ على هذه القراءة عبارة عن التستر بما أظهروه بالفعل وأما على القراءة الأولى فهو عبارة عن إعدادهم لإيمانهم الكاذبة وتثبيتهم لها إلى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا من المؤاخذه لاعتدالها بالفعل فإن ذلك متأخر عن المؤاخذه المسبوقه بوقوع الجناية والخيانة واتخاذ الجنة لا بد أن يكون قبل المؤاخذه وعن سببها أيضاً كما يعرب عنه الفاء فى قوله تعالى (فصدوا) أى الناس (عن سبيل الله) فى خلال
- ١٧ أمنهم بتدبير من لقوا عن الدخول فى الإسلام وتضعيف أمر المسلمين عندهم (فلهم عذاب مهين) وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الأول عذاب القبر أو عذاب الآخرة (لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله) أى من عذابه تعالى (شيئاً) من الإغناء روى أن رجلاً منهم قال لنصهرن يوم القيامة بأنفسنا وأموالنا وأولادنا (أولئك) الموصوفون بما ذكر من الصنمات القبيحة (أصحاب النار) أى ملازموها ومقارنوها (هم فيها خالدون) لا يخرجون منها أبداً (يوم يبعثهم الله جميعاً) قيل هو ظارف لقوله تعالى لهم عذاب مهين (فيحلفون له) أى لله تعالى يومئذ على أنهم مسلمون (كما يحلفون لكم) فى الدنيا (ويحسبون) فى الآخرة (أنهم) بتلك الأيمان الفاجرة (على شيء) من جلب منفعة أو دفع مضرة كما كانوا عليه فى الدنيا حيث كانوا يدفعون بها عن أرواحهم وأموالهم ويستجرون بها فوائده
- ١٨ دنيوية (ألا إنهم هم الكاذبون) المبالغون فى الكذب إلى غاية لامطمح وراها حيث تباثروا على الكذب بين يدى عـلام الغيوب وزعموا أن أيمانهم الفاجرة تروج الكذب لديه كما تروجه عن الغافلين .

أَسْتَحْذُوا عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ فَانْصَرَفُوا ذَكَرَ اللَّهُ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾

٥٨ المجادلة

٥٨ المجادلة

إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْلِينَ ﴿٢٠﴾

٥٨ المجادلة

كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

٥٨ المجادلة

- (استحذو عليهم الشيطان) أى استعزى عليهم من حذت الإبل إذا استوليت عليها وجمعتها وهو بما جاء ١٩ على الأصل كاستصوب واستنوق أى ملكهم (فأنصاهم ذكر الله) بحيث لم يذكره بقلوبهم ولا بالسنتهم *
- (أولئك) الموصوفون بما ذكر من القبايح حزب الشيطان وجنوده وأتباعه (ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) أى الموصوفون بالخسران الذى لا غاية وراءه حيث فوتوا على أنفسهم النعيم المقيم وأخذوا بدله العذاب الأليم وفى تصدير الجملة بحرفى التنبيه والتحقيق وإظهار المضامين معاً فى موقع الإضمار بأحد الوجهين وتوسيط ضمير الفصل من فنون التأكيد ما لا يخفى (إن الذين يحادون الله ورسوله) ٢٠ استئناف مسوق لتعليل ما قبله من خسران حزب الشيطان عبر عنهم بالموصول للتنبيه بما فى حيز الصلة على أن موادة من حاد الله ورسوله محادة لها والإشعار بعلّة الحكم (أولئك) بما فعلوا من التولى والموادة (فى الأذلين) أى فى جملة من هو أذل خلق الله من الأولين والآخرين لأن ذلة أحد المتخاصمين على مقدار عزة الآخر وحيث كانت عزة الله عز وجل غير متناهية كانت ذلة من يحاده كذلك (كتب الله) ٢١ استئناف وارد لتعليل كونهم فى الأذلين أى قضى وأثبت فى اللوح وحيث جرى ذلك مجرى القسم أجيب بما يجاب به فقيل (لأغلبن أنا ورسلى) أى بالحجة والسيوف وما يجرى مجراه أو بأحدهما ونظيره قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين لئن لم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون وقرئ ورسلى بفتح الياء (إن الله قوى) على نصر أنبيائه (عزيز) لا يغلب عليه فى مراده (لا تجد قوماً يؤمنون بالله ٢٢ واليوم الآخر) الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام أو لكل أحد وتجد إما متعد إلى اثنين فقوله تعالى (يوادون من حاد الله ورسوله) مفعوله الثانى أو إلى واحد فهو حال من مفعوله لتخصصه بالصفة وقيل صفة أخرى له أى قوماً جامعين بين الإيمان بالله واليوم الآخر وبين موادة أعداء الله ورسوله والمراد

٥٩ — سورة الحشر
(مدنية وهي أربع وعشرون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٩ الحشر

سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾

بنى الوجدان نفي المادة على معنى أنه لا ينبغي أن يتحقق ذلك وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال وإن
 * جد في طلبه كل أحد (ولو كانوا) أى من حاد الله ورسوله والجمع باعتبار معنى من كما أن الأفراد فيما
 * قبله باعتبار لفظها (آباءهم) آباء المومنين (أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) فإن قضية الإيمان
 * بالله تعالى أن يهجر الجميع بالمرة والكلام في لوقد مر على التفصيل مراراً (أولئك) إشارة إلى الذين
 * لا يؤادونهم وإن كانوا أقرب الناس إليهم وأمس رحماً وما فيه من معنى البعد لرفعة درجتهم في الفضل
 * وهو مبتدأ خبره (كتب في قلوبهم الإيمان) أى أثبت فيه وفيه قطعاً ولا شيء من أعمال الجوارح
 * ثبت فيه (وأيدهم) أى قوامهم (روح منه) أى من عند الله تعالى وهو نور القلب أو القرآن أو النصر
 * على العدو وقيل الضمير للإيمان لحياة القلوب به فن تجريدية وقوله تعالى (ويدخلهم) الخ بيان لآثار
 * رحمته الأخروية لآثار بيان ألطافه الدنيوية أى ويدخلهم في الآخرة (جنات تجري من تحتها الأنهار
 * خالدون فيها) أبد الآبدين وقوله تعالى (رضى الله عنهم) استئناف جار مجرى التعليل لما أفاض عليهم
 * من آثار رحمته العاجلة والآجلة وقوله تعالى (ورضوا عنه) بيان لابتهاجهم بما أوتوه عاجلاً وآجلاً
 * وقوله تعالى (أولئك حزب الله) تشریف لهم ببيان اختصاصهم به عز وجل وقوله تعالى (ألا إن
 * حزب الله هم المفلحون) بيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة الدارين والفوز بسعادة النشأتين والكلام
 * في تحلية الجملة بفنون التأكيد كما مر في مثلها . عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة المجادلة كتب
 * من حزب الله يوم القيامة .

(سورة الحشر مدنية وآياتها أربع وعشرون)

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم) مر
 * ما فيه من الكلام في صدر سورة الحديد وقد كرر الموصول ههنا لزيادة التقرير والتنبيه على استقلال
 * كل من الفريقين بالتسبيح رهى أنه عليه الصلاة والسلام لما قدم المدينة صالح بن النصير وهم رهط
 * من اليهود من ذرية هرون عليه السلام نزلوا المدينة في قن بنى إسرائيل انتظاراً لبعثة النبي عليه الصلاة
 * والسلام وعاهدوا أن لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر عليه الصلاة والسلام يوم بدر قالوا هو النبي الذي

هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا
وَوَدَّوْنَ أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ
يُخْرِبُونَ بَيْوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا بِآيِ الْآبَصِرِ ﴿٢﴾

٥٩ الحشر

نعتة في التوراة لاترد له راية فلما كان يوم أحد ما كان ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الأشرف في
أربعين راكباً إلى مكة فخالقوا قريشاً إلى الكعبة على قتاله عليه الصلاة والسلام فأمر عليه الصلاة والسلام
محمد بن مسلمة الأنصاري فقتل كعباً غيلة وكان أخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتاب فقال لهم اخرجوا
من المدينة فاستمهلوه عليه الصلاة والسلام عشرة أيام ليتجهزوا للخروج فدمس عبد الله بن أبي المنافق
وأصحابه إليهم لانتخرجوا من الحصن فإن قاتلوكم فتحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم
فدربوا على الأزقة وحصنوها فحاصرهم النبي عليه الصلاة والسلام إحدى وعشرين ليلة فلما قذف الله
في قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فأبى عليهم إلا الجلاء على أن يحمل كل ثلاثة
آيات على بعير ماشوا من متاعهم فخلوا إلى الشام إلى أريحا وأذرعاء إلا أهل يثين منهم آل أبي
الحقيق وآل حيي بن أخطب فإنهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة منهم بالحيرة فأنزل الله تعالى سبح لله ما في
السموات - إلى قوله - والله على كل شيء قدير وقوله تعالى (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل
الكتاب من ديارهم) بيان لبعض آثار عزته تعالى وأحكام حكمته إثر وصفه تعالى بالعزة القاهرة والحكمة
الباهرة على الإطلاق والضمير راجع إليه تعالى بذلك العنوان إما بناء على كمال ظهور اتصافه تعالى
بهما مع مساعدة تامة من المقام أو على جعله مستعاراً لاسم الإشارة كما في قوله تعالى قل أرايتم إن أخذ
الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به أي بذلك وعليه قول ربيعة بن العجاج
[كانه في الجلد توليع البهق] كما هو المشهور كأنه قيل ذلك المنعوت بالعزة والحكمة الذي أخرج الخ
ففيه إشعار بأن في الإخراج حكمة باهرة وقوله تعالى (لأول الحشر) أي في أول حشرهم إلى الشام
وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم أول من أخرج من جزيرة العرب إلى الشام أو هذا أول
حشرهم وآخر حشرهم إجماع عمر رضي الله عنه لإيام من خيبر إلى الشام وقيل آخر حشرهم حشر يوم
القيامة لأن الحشر يكون بالشام (ما ظننتم) أي المسلمون (أن يخرجوا) من ديارهم بهذا الذل والهوان
لشدّة بأسهم وقوة منعتهم (وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله) أي ظنوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعتهم
من بأس الله تعالى وتغيير النظم بتقديم الخبر وإسناد الجملة إلى ضميرهم للدلالة على كمال وثوقهم بحصانة
حصونهم واعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة لا يبالي معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع في معازتهم
ويجوز أن يكون مانعتهم خبراً لأن وحصونهم مرفعاً على الفاعلية (فاتاهم الله) أي أمر الله تعالى
وقدره المقدور لهم (من حيث لم يحتسبوا) ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الأشرف فإنه

وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾ ٥٩ الحشر

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ ٥٩ الحشر

مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ ٥٩ الحشر

- عما أضعف قوتهم وفل شوكتهم وسلب قلوبهم الأمن والطمانينة وقيل الضمير في أتاها ولم يحتسبوا *
 * للمؤمنين أى فأتاهم نصر الله وقرىء فأتاهم أى فأتاهم الله العذاب أو النصر (وقذف في قلوبهم الرعب)
 * أى أثبت فيها الخوف الذى يربها أى يملؤها (يخربون بيوتهم بأيديهم) ليسدوا بما نقضوا منها من
 الخشب والحجارة أفواه الأزقة ولئلا يبقى بعد جلائهم مساكن للسليين ولينقلوا معهم بعض آلاتها
 * المرغوب فيها بما يقبل النقل (وأيدى المؤمنين) حيث كانوا يخربونها لإزالة لمتحصنهم ومنعهم وتوسعا
 لمجال القتال ونكاية لهم وإسناد هذا إليهم لما أنهم السبب فيه فكأنهم كلفهم إياه وأمرهم به قيل
 الجملة حال أو تفسير للرعب وقرىء يخربون بالتشديد للتكثير وقيل الإخراب التعطيل أو ترك الشيء
 * خرابا والتخريب النقض والهدم (فاعتبروا يا أولى الأبصار) فاتعظوا بما جرى عليهم من الأمور الهائلة
 على وجه لا يكاد يهتدى إليه الأفكار واتقوا مباشرة ما أدام إليهم من الكفر والمعاصى أو انتقلوا
 من حال الفريقين إلى حال أنفسكم فلا تعملوا على تعاضد الأسباب بل توكلوا على الله عز وجل وقد
 ٣ استدل به على حجية القياس كما فصل في موقعه (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء) أى الخروج عن
 * أوطانهم على ذلك الوجه الفظيع (لعذبهم في الدنيا) بالقتل والسبي كإفعل بنى قريظة (وله في الآخرة
 عذاب النار) استئناف غير متعلق بجواب لولا جىء به لبيان أنهم إن نجوا من عذاب الدنيا بكتابة
 ٤ الجلاء لانبجاة لهم من عذاب الآخرة (ذلك) أى ما حاق بهم وما سيحقيق (بأنهم) بسبب أنهم (شاقوا
 * الله ورسوله) وفعلوا ما فعلوا بما حكى عنهم من القبائح (ومن يشاق الله) وقرىء يشاق الله كما في
 الأنفال والاختصار على ذكر مشاقته تعالى لتضمنها لمشاقته عليه الصلاة والسلام وليوافق قوله تعالى
 * (فإن الله شديد العقاب) وهو إما نفس الجزاء قد حذف منه العائد إلى من عند من يلتزمه أى شديد
 العقاب له أو تعليل للجزاء المحذوف أى يعاقبه الله فإن الله شديد العقاب وأيا ما كان فالشرطية تكملة
 لما قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهاني كأنه قيل ذلك الذى حاق بهم من العقاب
 العاجل والآجل بسبب مشاقته لله تعالى ورسوله وكل من يشاق الله كأننا من كان فله بسبب ذلك عقاب
 ٥ شديد فإذا ن لم عقاب شديد (ما قطعتم من لينة) أى أى شيء قطعتم من نخلة وهى فعلة من اللون وياؤها
 مقلوقة من واو لكسرة ما قبلها كديمة وتجمع على ألوان وقيل من اللين وتجمع على لين وهى النخلة
 * الكريمة (أو تركتموها) الضمير لما وتأنيته لتفسيره باللين كما في قوله تعالى ما يفتح الله للناس من
 * رحمة فلا ممسك لها (قائمة على أصولها) كما كانت من غير أن تتعرضوا لها بشيء ما وقرىء على أصلها

وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ
عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٩﴾

٥٩ الحشر

وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ
وَأَبْنِ السَّبِيلِ كَى لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا إِلَهُكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَنْهُنَّكُمْ عَنْهُ
فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧٠﴾

٥٩ الحشر

- إما على الاكتفاء من الواو بالضم أو على أنه جمع كرهن وقرى قائماً على أصوله ذهاباً إلى لفظ ما (فياذن الله) فذاك أى قطعها وتركها بأمر الله تعالى (وايخزى الفاسقين) أى وليذل اليهود ويغنيهم * إذن في قطعها وتركها لأنهم إذا رأوا المؤمنين يتحكمون في أموالهم كيف أحبوا ويتصرفون فيها حسبها شاؤا من القطع والترك يزدادون غيظاً ويتضاعفون حسرة واستدل به على جواز هدم ديار الكفرة وقطع أشجارهم وإحراق زروعهم زيادة لغنيهم وتخصيص اللينة بالقطع إن كانت من الألوان لاستبقاء العجوة والبرنية اللتين هما كرام النخيل وإن كانت هى الكرام ليكون غنيهم أشد وقوله تعالى (وما أفاء الله على رسوله) شروع في بيان حال ما أخذ من أموالهم بعد بيان ما حل بأنفسهم من العذاب العاجل والآجل وما فعل بديارهم ونخيلهم من التخريب والقطع أى ما أعاده إليه من مالهم وفيه إشعار بأنه كان حقيقاً بأن يكون له عليه الصلاة والسلام وإنما وقع في أيديهم بغير حق فرجعه الله تعالى إلى مستحقه لأنه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق ليتوسلوا به إلى طاعته فهو جدير بأن يكون للطيعين (منهم) أى من بنى النصير (فما أوجفتم عليه) أى فما أجريتم على تحصيله وتغنمه من الوجيف * وهو سرعة السير (من خيل ولا ركاب) هى ما يركب من الإبل خاصة كما أن الراكب عندهم راكبها لا غير وأما راكب الفرس فإنما يسمونه فارساً ولا واحد لها من لفظها وإنما الواحدة منهاراحلة والمعنى ما قطعتم لها شقة بعيدة ولا لقيتم مشقة شديدة ولا قتالا شديداً وذلك لأنه كانت قراهم على ميلين من المدينة فمشوا إليها مشياً وما كان فيهم راكب إلا النبي عليه الصلاة والسلام فافتحها صلحاً من غير أن يجرى بينهم مسابقة كأنه قيل وما أفاء الله على رسوله منهم فما حصلتموه بكداً يمين وعرق الجبين (ولكن الله يسלט رسله على من يشاء) أى سنته تعالى جارية على أن يسلمهم على من يشاء من أعدائهم تسليطاً خاصاً وقد سلط النبي عليه الصلاة والسلام على هؤلاء تسليطاً غير معتاد من غير أن تقتحموا مضايق الخطوب وتقاسوا شدائد الحروب فلاحق لكم في أموالهم (والله على كل شيء قدير) فيفعل ما يشاء * كما يشاء تارة على الوجوه المعهودة وأخرى على غيرها وقوله تعالى (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى) بيان لمصارف النفي بعد بيان إفاءه عليه عليه الصلاة والسلام من غير أن يكون للمقاتلة فيه حق وإعادة عين العبارة الأولى لزيادة التقرير ووضع أهل القرى موضع ضميرهم للإشعار بشمول

لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا
وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٥٩﴾

٥٩ الحشر

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً
مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ﴿٦٠﴾

٥٩ الحشر

- * مال عقاراتهم أيضاً (فله وللرسوله ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) اختلف في قسمة
النفي فقيل يسدس لظاهر الآية ويصرف سهمهم الله إلى الكعبة وسائر المساجد وقيل الخمس لأن ذكر
الله للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الإمام على قول وإلى العساكر
والنعمور على قول وإلى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسة كالغنيمة فإنه عليه الصلاة والسلام
كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الانحاس الأربعة كما يشاء والآن على الخلاف المذكور (كيلا يكون)
- * أى النفي الذى حقه أن يكون للفقراء يعيشون به (دولة) بضم الدال وقرئ بفتحها وهى ما يدول
للإنسان أى يدور من الغنى والجدة والغلبة وقيل الدولة بالفتح من الملك بكسرها أو بالضم فى المال
وبالفتح فى النصرة أى كيلا يكون جداً (بين الأغنياء منهم) يتكاثرون به أو كيلا يكون دولة جاهلية
بينكم فإن الرؤساء منهم كانوا يستاثرون بالغنيمة ويقولون من عز بز وقيل الدولة بالضم ما يتداول
كالغرفة اسم ما يغترف فالمعنى كيلا يكون النفي شيئاً يتداوله الأغنياء بينهم ويتداولونه فلا يصيب الفقراء
والدولة بالفتح بمعنى التداول فالمعنى كيلا يكون ذاتداول بينهم أو كيلا يكون إمساك تداول بينهم
لا يخرجونه إلى الفقراء وقرئ دولة بالرفع على أن كان تامة أى كيلا يقع دولة على مافصل من المعاني
- * (وما آتاكم الرسول) أى ما أعطاكموه من النفي أو من الأمر (تخذوه) فإنه حكم أو فتمسكوا به
فإنه واجب عليكم (وما نهاكم عنه) عن أخذه أو عن تعاطيه (فاتنوها) عنه (واتقوا الله) فى مخالفته
- ٨ عليه الصلاة والسلام (إن الله شديد العقاب) فيعاقب من يخالف أمره ونهيه (للفقراء المهاجرين) بدل
من لذى القربى وما عطف عليه فإن الرسول عليه الصلاة والسلام لا يسمى فقيراً ومن أعطى أغنياء
- * ذوى القربى خص الإبدال بما بعده وأما تخصيص اعتبار الفقر بنفى بنى النصير فتعسف ظاهر (الذين
أخرجوا من ديارهم وأموالهم) حيث اضطروهم كفار مكة وأحوجوهم إلى الخروج وكانوا مائة رجل
خُرجوا منها (يبتغون فضلاً من الله ورضواناً) أى طالبين منه تعالى رزقاً فى الدنيا ورضاة فى الآخرة
وصفوا أولاً بما يدل على استحقاقهم للنفي من الإخراج من الديار والأموال وقيد ذلك ثانياً بما
- * يوجب تفخيم شأنهم ويؤكدده (وينصرون الله ورسوله) عطف على يبتغون فهى حال مقدرة أى ناوين
لنصرة الله تعالى ورسوله أو مقارنة فإن خروجهم من بين الكفار مراغمين لهم مهاجرين إلى المدينة
- * نصرة وأى نصرة (أولئك) الموصوفون بما فصل من الصفات الحميدة (هم الصادقون) الراسخون
٩ فى الصدق حيث ظهر ذلك بما فعلوا ظهوراً بيناً (والذين تبوأوا الدار والإيمان) كلام مستأنف مسوق

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾

٥٩ الحشر

- لمدح الأنصار بخصال حميدة من جملة ما محبتهم للمهاجرين ورضائهم باختصاص النبي بهم أحسن رضا وأكمله ومعنى تبوؤهم الدار أنهم اتخذوا المدينة والإيمان مباءة وتمكنوا فيها أشد تمكن على تنزيل الحال منزلة المسكان وقيل ضمن التبوؤ معنى اللزوم وقيل تبوؤا الدار وأخلصوا الإيمان كقول من قال [علفتها تبناً وماء بارداً] وقيل المعنى تبوؤا دار الهجرة ودار الإيمان فحذف المضاف إليه من الأول وعوض منه اللام وقيل سمي المدينة بالإيمان لكونها مظهره ومنشأه (من قبلهم) أى من قبل هجرة المهاجرين * على المعاني الأول ومن قبل تبوؤ المهاجرين على الآخرين ويجوز أن يجعل اتخاذ الإيمان مباءة ولزومه وإخلاصه على المعاني الأول عبارة عن إقامة كافة حقوقه التي من جملة ما إظهار عامة شعائره وأحكامه ولا ريب في تقدم الأنصار في ذلك على المهاجرين لظهور عجزهم عن إظهار بعضها لاعتقاده قلباً واعتقاداً إذ لا يتصور تقدمهم عليهم في ذلك (يحبون من هاجر إليهم) خبر للوصول أى يحبونهم من حيث مهاجرتهم إليهم لمحبتهم الإيمان (ولا يجدون في صدورهم) أى في نفوسهم (حاجة) أى شيئاً محتاجاً إليه يقال خذ منه حاجتك أى ما تحتاج إليه وقيل لإثر حاجة كالطلب والحرازة والحسد والغيظ (بما أوتوا) أى بما أوتي المهاجرون من النعم وغيره (ويؤثرون) أى يقدمون المهاجرين (على أنفسهم) في كل شيء من أسباب المعاش حتى أن من كان عنده امرأتان كان ينزل عن إحداهما ويوجهها واحداً منهم (ولو كان بهم خصاصة) أى حاجة وخلة وأصلها خصاص البيت وهى فرجه والجملة في حيز الحال وقد عرفت وجه مراراً وكان النبي عليه الصلاة والسلام قسم أموال بني النضير على المهاجرين ولم يعط الأنصار إلا ثلاثة نفر محتاجين أبا دجانة سمالك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وقال لهم إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتهم في هذه الغنيمة وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت الأنصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت وهذا صريح في أن قوله تعالى والذين تبوؤا الخ مستأنف غير معطوف على الفقراء أو المهاجرين نعم يجوز عطفه على أولئك فإن ذلك إنما يستدعى شركة الأنصار للمهاجرين في الصدق دون النعم فيكون قوله تعالى يحبون وما عطف عليه استئنافاً مقررراً لصدقهم أو حالاً من ضمير تبوؤا (ومن يوق شح نفسه) الشح بالضم والكسر وقد قرئ به أيضاً اللؤم وإضافته إلى النفس * لأنه غريزة فيها مقتضية للحرص على المنع الذي هو البخل أى ومن يوق بتوفيق الله تعالى شحها حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الإنفاق (فأولئك) إشارة إلى من باعتبار معناها العام المنتظم للذكورين انتظاماً أولياً (هم المفلحون) الفاعلون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه والجملة اعتراض واردة لمدح الأنصار والثناء عليهم وقرئ يوق بالتشديد (والذين جاؤا من بعدهم) هم الذين ١٠

أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ
مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِكْرَ أَحَدٍ أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ ٥٩ الحشر
لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلِّنَنَّ الْأُخْتَبَرُ ثُمَّ
لَيَنْصُرُونَّ ﴿١٢﴾ ٥٩ الحشر

- هاجروا بعد ما قوى الإسلام أو التابعون بإحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين إلى يوم القيامة ولذلك
 * قيل إن الآية قد استوعبت جميع المؤمنين وأياً ما كان فالوصول مبتدأ خبره (يقولون) الخ والجملة
 مسوقة لمدحهم بمحببتهم لمن تقدمهم من المؤمنين و مراعاتهم لحقوق الأخوة في الدين والسبق بالإيمان
 * كما أن ما عطف عليه من الجملة السابقة لمدح الأنصار أى يدعون لهم (ربنا اغفر لنا ولإخواننا) أى
 * في الدين الذى هو أعز وأشرف عندهم من النسب (الذين سبقونا بالإيمان) وصفوهم بذلك اعترافاً
 * بفضلهم (ولا تجعل في قلوبنا غلا) وقرىء غمراً وهما الحقد (للذين آمنوا) على الإطلاق (ربنا إنك
 ١١ رؤوف رحيم) أى مبالغ في الرأفة والرحمة فحقيق بأن تجيب دعاءنا (ألم تر إلى الذين نافقوا) حكاية
 لما جرى بين الكفرة والمنافقين من الأقوال الكاذبة والأحوال الفاسدة وتعجيب منها بعد حكاية
 محاسن أحوال المؤمنين وأقوالهم على اختلاف طبقاتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو
 * لكل أحد ممن له حظ من الخطاب وقوله تعالى (يقولون) الخ استئناف لبيان المتعجب منه وصيغة
 * المضارع للدلالة على استمرار قولهم أو لاستحضار صورته واللام في قوله تعالى (لإخوانهم الذين
 كفروا من أهل الكتاب) للتبليغ والمراد بأخوتهم إما توافقهم في الكفر أو صداقتهم وموالاتهم
 * واللام في قوله تعالى (لئن أخرجتم) أى من دياركم قسراً موطناً للقسم وقوله تعالى (لنخرجن معكم)
 * جواب القسم أى والله لئن أخرجتم لنخرجن معكم البتة ونذهبن في صحبتكم أينما ذهبتم (ولا نطيع فيكم)
 * أى في شأنكم (أحدأ) يمنعنا من الخروج معكم (أبدأ) وإن طال الزمان وقيل لا نطيع في قتالكم
 أو خذلانكم وليس بذلك لأن تقدير القتال مترقب بعد ولأن وعدمهم لهم على ذلك التقدير ليس مجرد
 * عدم طاعتهم لمن يدعوهم إلى قتالهم بل نصرتهم عليه كما ينطق به قوله تعالى (وإن قوتلتم لننصرنكم)
 أى لنعاوننكم على عدوكم على أن دعوتهم إلى خذلان اليهود بما لا يمكن صدوره عن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم والمسلمين حتى يدعوا عدم طاعتهم فيها ضرورة أنها لو كانت لكانت استعدادهم
 لنصرتهم وإظهار كفرهم ولا ريب في أن ما يفعله عليه الصلاة والسلام عند ذلك قتلهم لا دعوتهم إلى
 ترك نصرتهم وأما الخروج معهم فليس بهذه المرتبة من إظهار الكفر لجواز أن يدعوا أن خروجهم
 * معهم لما بينهم من الصداقة الدنيوية لا للوفاق في الدين (والله يشهد إنهم لكاذبون) في مواعيدهم
 ١٢ المؤكدة بالآيمان الفاجرة وقوله تعالى (لئن أخرجوا لا يخرجون معهم) الخ تكذيب لهم في كل واحد

لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾
 لَا يُقِنُّونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا
 وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾
 كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾

٥٩ الحشر

٥٩ الحشر

٥٩ الحشر

- * من أقوالهم على التفصيل بعد تكذيبهم في الكل على الإجمال (ولئن قوتلوا لا ينصرونهم) وكان الأمر كذلك فإن ابن أبي وأصحابه أرسلوا إلى بني النضير ذلك سرّاً ثم أخلفوهم وفيه حجة بينة لصحة النبوة وإعجاز القرآن (ولئن نصروهم) على الفرض والتقدير (ليولن الأدبار) فراراً (ثم لا ينصرون) أى المنافقون بعد ذلك أى يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم أو ليهز من اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين (لأنتم أشد رهبة) أى أشد رهوبة على أنها مصدر من المبنى للفعول (في صدورهم من الله) ١٣ أى رهبتهم منكم في السر أشد مما يظهرونه لكم من رهبة الله فإنهم كانوا يدعون عندهم رهبة عظيمة من الله تعالى (ذلك) أى ما ذكر من كون رهبتهم منكم أشد من رهبة الله (بأنهم) بسبب أنهم (قوم لا يفقهون) أى شيئاً حتى يعلموا عظمة الله تعالى فيخشوه حق خشيته (لا يقاتلونكم) أى اليهود والمنافقون بمعنى ١٤ لا يقدرّون على قتالكم (جميعاً) أى مجتمعين متفقين في موطن من المواطن (إلا في قرى محصنة) بالدروب والخنادق (أو من وراء جدر) دون أن يصحروا لكم ويأرزوكم لفرط رهبتهم وقرى جدر بالتخفيف وقرى جدار ويأماله فتحة الدال وجدر وجدر وهما الجدار (بأسهم بينهم شديد) استئناف سيق لبيان أن ما ذكر من رهبتهم ليس لضعفهم وجبنهم في أنفسهم فإن بأسهم بالنسبة إلى أقرانهم شديد وإنما ضعفهم وجبنهم بالنسبة إليكم بما قذف الله تعالى في قلوبهم من الرعب (تحسبهم جميعاً) مجتمعين متفقين (وقلوبهم شتى) متفرقة لا ألفة بينها (ذلك بأنهم) أى ما ذكر من تشتت قلوبهم بسبب أنهم (قوم لا يعقلون) أى لا يعقلون شيئاً حتى يعرفوا الحق ويتبعوه وتطمئن به قلوبهم وتتحد كلمتهم ويرموا عن قوس واحدة فيقعون في تيه الضلال وتشتت قلوبهم حسب تشتت طفره وتفرق فنونه وأما ما قيل من أن المعنى لا يعقلون أن تشتت القلوب بما يوهن قواهم فبمعزل من السداد وقوله تعالى (كمثل الذين من قبلهم) خبر ١٥ مبتدأ محذوف تقديره مثلهم أى مثل المذكورين من اليهود والمنافقين كمثّل أهل بدر أو بني قينقاع على ما قيل إنهم أخرجوا قبل بني النضير (قريباً) في زمان قريب وانتصابه بمثل ذا التقدير كوقوع مثل الخ (ذاقوا وبال أمرهم) أى سوء عاقبة كفرهم في الدنيا (ولهم) في الآخرة (عذاب أليم) لا يقادر قدره والمعنى أن حال هؤلاء كحال أولئك في الدنيا والآخرة لكن لا على أن حال كلهم كحالهم بل حال بعضهم الذين هم اليهود كذلك وأما حال المنافقين فهي ما نطق به .

كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ
الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾

٥٩ الحشر

فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾

٥٩ الحشر

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا

٥٩ الحشر

تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾

٥٩ الحشر

- ١٦ قوله تعالى (كمثل الشيطان) فإنه خبر ثان للبتداء المقدر مبين لحالهم متضمن لحال أخرى لليهود وهي
اعتراهم بمقابلة المنافقين أولا وخيبتهم آخرأ وقد أجمل في النظم الكريم حيث أسند كل من الخبرين
إلى المقدر المضاف إلى ضمير الفريقين من غير تعيين ما أسند إليه بخصوصه ثقة بأن السامع يرد كلام
المثلين إلى ما يماثله كأنه قيل مثل اليهود في حلول العذاب بهم كمثل الذين من قبلهم الخ ومثل المنافقين
* في إغرائهم لإيادهم على القتال حسبما نقل عنهم كمثل الشيطان (إذ قال للإنسان اكفر) أى أغراه على الكفر
* إغراء الأمر المأمور على المأمور به (فلما كفر قال إني بريء منك) وقرىء أنا بريء منك إن أريد
* بالإنسان الجنس فهذا التبرؤ من الشيطان يكون يوم القيامة كما ينبىء عنه قوله تعالى (إني أخاف الله رب
العالمين) وإن أريد به أبو جهل فقوله تعالى اكفر عبارة عن قول إبليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم
من الناس وإني جار لكم وتبرؤه قوله يومئذ إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله الآية
١٧ (فكان عاقبتهم) بالنصب على أنه خبر كان واسمها (أنهما في النار) وقرىء بالعكس وقد مر أنه أوضح
* (خالدين فيها) وقرىء خالدان فيها على أنه خبر أن وفي النار لغو (وذلك جزاء الظالمين) أى الخلود
١٨ في النار جزاء الظالمين على الإطلاق دون هؤلاء خاصة (يأياها الذين آمنوا اتقوا الله) أى فى كل ما تاتون
* وما تدرؤن (ولتنظر نفس ما قدمت لغد) أى أى شىء قدمت من الأعمال ليوم القيامة عبر عنه بذلك
لدنوه أو لأن الدنيا كيوم والآخرة غده وتنكيره لتفخيمه وتهويله كأنه قيل لغد لا يعرف كنهه لغاية
عظمه وأما تنكير نفس فلا استقلال الأنفس النواظر فيما قدمن لذلك اليوم الهائل كأنه قيل ولتنظر
* نفس واحدة ذلك (واتقوا الله) تكرير للتأكيد أو الأول فى أداء الواجبات كما يشعر به ما بعده من
* الأمر بالعمل وهذا ترك المحارم كما يؤذن به الوعيد بقوله تعالى (إن الله خبير بما تعملون) أى من
١٩ المعاصى (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) أى نسوا حقوقه تعالى وما قدره حق قدره ولم يراعوا
* مواجب أوامره ونواهيه حق رعايتها (فأنساهم) بسبب ذلك (أنفسهم) أى جعلهم ناسين لها حتى
* لم يسمعوها ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها أو أراهم يوم القيامة من الأهوال ما أنساهم أنفسهم (أولئك

لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾
لَوْ أُنْزِلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَشَعًا مُتَصِدًّا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نُضْرِبُهَا
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾

٥٩ الحشر

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾
هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَمْلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ
سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾

٥٩ الحشر

- ٢٠ هم الفاسقون (الكاملون في الفسوق) (لا يستوى أصحاب النار) الذين نسوا الله تعالى فاستحقوا الخلود في النار (وأصحاب الجنة) الذين اتقوا الله فاستحقوا الخلود في الجنة ولعل تقديم أصحاب النار في الذكر للإيذان من أول الأمر بأن المقصور الذي ينبيء عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابلتهم فإن مفهوم عدم الاستواء بين الشيبين المتفاوتين زيادة ونقصانا وإن جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب نقصان الناقص وعليه قوله تعالى هل يستوى الأعمى والبصير أم هل يستوى الظلمات والنور إلى غير ذلك من المواقع وأما قوله تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لأن صلته ملكة أصلية المفضول والأعدام مسبوبة بملكاتها ولا دلالة في الآية الكريمة على أن المسلم لا ينتص بالكفار لأن الكفار لا يملكون أموال المسلمين بالقهر لأن المراد عدم الاستواء في الأحوال الآخروية كما ينبيء عنه التعبير عن الفريقين بصاحبة النار وصاحبة الجنة وكذا قوله تعالى (أصحاب الجنة هم الفائزون) فإنه استئناف مبين لكيفية عدم الاستواء بين الفريقين أي
- ٢١ هم الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه (لو أنزلنا هذا القرآن) العظيم الشأن المنطوي على فنون القوارع (على جبل) من الجبال (لرأيناه) مع كونه علما في القسوة وعدم التأثير بما يصادمه (خاشعا متصدعا من خشية الله) أي متشفقا منها وقرىء مصدعا بالإدغام وهذا تمثيل وتخيل لعلو شأن القرآن وقوة تأثير ما فيه من المواقف كما ينطق به قوله تعالى (وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون)
- ٢٢ أريد به توبيخ الإنسان على قسوة قلبه وعدم تخشعه عند تلاوته وقلة تدبره فيه (هو الله الذي لا إله إلا هو) وحده (عالم الغيب والشهادة) أي ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية وأحوالها وما حضر له من الأجرام وأعراضها وتقديم الغيب على الشهادة لتقدمه في الوجود وتعلق العلم القديم به أو المعدوم والموجود أو السر والعلانية (هو الرحمن الرحيم) (هو الله الذي لا إله إلا هو) كرر لإبراز الاعتناء بأمر التوحيد (الملك القدوس) البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانا وقرىء بالفتح وهي

هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ

٥٩ الحشر

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

- * لغة فيه (السلام) ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للبالغة (المؤمن) واهب الأمن
- * وقرىء بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار (المهيمن) الرقيب الحافظ لكل شيء مفعيل من الأمن
- * بقلب همزة هاء (العزیز) الغالب (الجبار) الذي جبر خلقه على ما أراد أو جبر أحوالهم أى أصلحها
- * (المتكبر) الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة أو نقصاناً أو البليغ الكبرياء والعظمة (سبحان الله عما يشركون) تنزيهه تعالى عما يشركونه به تعالى أو عن إشراكهم به تعالى إثر تعداد صفاته التي لا يمكن
- ٢٤ أن يشاركه تعالى في شيء منها شيء ما أصلاً (هو الله الخالق) المقدر للأشياء على مقتضى حكمته (البارئ) الموجد لها بريئاً من التفاوت وقيل المميز بعضها من بعض بالأشكال المختلفة (المصور) الموجد
- * لصورها وكيفيتها كما أراد (له الأسماء الحسنى) لدلائنها على المعاني الحسنة (يسبح له ما في السموات
- * والأرض) ينطق بتنزهه تعالى عن جميع النقائص تنزهاً ظاهراً (وهو العزيز الحكيم) الجامع للكمالات
- كافة فإنها مع تكثرها وتشعبها راجعة إلى الكمال في القدرة والعلم . عن النبي عليه الصلاة والسلام من
- قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

٦٠ - سورة الممتحنة

(مدنية وهي ثلاث عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا
جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِ
وَأَبْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ
ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾

٦٠ الممتحنة

(سورة الممتحنة مدنية وآياتها ثلاث عشرة)

- (بسم الله الرحمن الرحيم) (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) نزلت في حاطب ١
ابن أبي بلتعة وذلك أنه لما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزوة الفتح كتب إلى أهل مكة أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم نخذوا حذرکم وأرسله مع سارة مولاة بنى المطلب فنزل جبريل
عليه السلام بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً وعماراً وطلحة والزبير والمقداد وأبا
مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتب حاطب إلى أهل مكة نخذوه منها
وخلوها فإن أبت فاضربوا عنقها فأدركوها ثم فجحدت فسل على سيفه فأخرجته من عقاصها فاستحضر
رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطباً وقال ماحمك على هذا فقال يا رسول الله ما كبرت منذ أسلمت
ولا غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرأ ملصقاً في قريش وليس لي فيهم من يحمي أهلي فأردت
أن أخذعندهم يدأ وقد علمت أن كتابي لن يغني عنهم شيئاً فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل
عذره (تلقون إليهم بالمودة) أي توصلون إليهم المودة على أن الباء زائدة كما في قوله تعالى ولا تلقوا
بأيديكم إلى التهلكة أو تلقون إليهم أخبار النبي عليه الصلاة والسلام بسبب المودة التي بينكم وبينهم والجملة
إما حال من فاعل لا تتخذوا أو صفة لأولياء وإبراز الضمير في الصفات الجارية على غير من هي له إنما
يشترط في الاسم دون الفعل أو استئناف (وقد كفروا بما جاءكم من الحق) حال من فاعل تلقون وقيل
من فاعل لا تتخذوا وقرئ لما جاءكم أي كفروا لأجل ما جاءكم بمعنى جعل ما هو سبب الإيمان سبباً
للكفر (يخرجون الرسول وإياكم) أي من مكة وهو إما حال من فاعل كفروا أو استئناف مبين
لكفرهم وصيغة المضارع لاستحضار الصورة وقوله تعالى (أن تؤمنوا بالله ربكم) تعليل للإخراج فيه
تغليب المخاطب على الغائب والتفات من التكلم إلى الغيبة للإشعار بما يوجب الإيمان من الألوهية والربوبية

إِنْ يَنْقُفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ
تَكْفُرُونَ ﴿٦٠﴾

٦٠ المتحنة

لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿٦١﴾

٦٠ المتحنة

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُكُمْ وَأَنْتُمْ مِمَّا تَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ
إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبْنَيْهِ لَا تُغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلَكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ
أَتَيْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٦٢﴾

٦٠ المتحنة

- * (إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي) متعلق بلا تتخذوا كأنه قيل لا تتولوا أعدائي إن
- * كنتم أوليائي وقوله تعالى (تسرون إليهم بالمودة) استئناف وارد على نهج العتاب والتوبيخ أى تسرون
- * إليهم المودة أو الأخبار بسبب المودة (وأنا أعلم) أى والحال أنى أعلم منكم (بما أخفيتم وما أعلمتم)
- * ومطلع رسولى على ما تسرون فأى طائل لكم فى الأسرار وقيل أعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة
- * أو مصدرية وتقديم الإخفاء على الإعلان قد مر وجهه فى قوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون (ومن
- ٢ يفعله منكم) أى الاتحاد (فقد ضل سواء السبيل) فقد أخطأ طريق الحق والصواب (إن يثقفوكم)
- * أى إن يظفروا بكم (يكونوا لكم أعداء) أى يظهروا ما فى قلوبهم من العداوة ويرتبوا عليها أحكامها
- * (ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) بما يسوؤكم من القتل والأسر والشتيم (وودوا لو تكفرون)
- ٣ أى تمنوا ارتدادكم وصيغة الماضى للإيذان بتحقيق ودادتهم قبل أن يثقفوهم أيضاً (لن تنفعكم أرحامكم)
- * قرابانكم (ولا أولادكم) الذين توالون المشركين لأجلهم وتتقربون إليهم بحاماة عليهم (يوم القيامة)
- * بجلب نفع أو دفع ضرر (يفصل بينكم) استئناف لبيان عدم نفع الأرحام والأولاد يومئذ أى يفرق
- الله بينكم بما اعتراكم من الهول الموجب لفرار كل منكم من الآخر حسبما نطق به قوله تعالى يوم يفر
- المرء من أخيه الآية فالكم ترفضون حق الله تعالى لمراعاة حق من هذا شأنه وقرئ يفصل ويفصل
- * مبنياً للفعول ويفصل ويفصل مبنياً للفاعل وهو الله تعالى وفصل وفصل بالنون (والله بما تعملون
- ٤ بصير) فيجازيكم به (قد كانت لكم أسوة حسنة) أى خصلة حميدة حقيقة بأن يؤتسى ويقتنى بها وقوله
- * تعالى (فى إبراهيم والذين معه) أى من أصحابه المؤمنين صفة ثانية لأسوة أو خبر لكان ولكم للبيان
- * أو حال من المستكن فى حسنة أو صلة لها لا لأسوة عند من لا يجوز العمل بعد الوصف (إذا قالوا)

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ ٦٠ الممتحنة

- ظرف الخبر كان (لقومهم إنا برآء منكم) جمع برىء كظريف وظرفاء وقرىء برآء كظراف وبراء *
 كرخال وبراء على الوصف بالمصدر مبالغة (وما تعبدون من دون الله) من الأصنام (كفرنا بكم) أى *
 بدينكم أو بمعبودكم أو بكم وبه فلا نعتد بشأنكم وبآلهتكم (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً) أى هذا *
 دأبنا معكم لا نتركه (حتى تؤمنوا بالله وحده) وتتركوا ما أتم عليه من الشرك فتقلب العداوة حينئذ *
 ولاية والبغضاء محبة (إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك) استثناء من قوله تعالى أسوة حسنة فإن *
 استغفاره عليه الصلاة والسلام لأبيه الكافر وإن كان جائزاً عقلاً وشرعاً لوقوعه قبل تبين أنه من *
 أصحاب الجحيم كما نطق به النص لكنّه ليس بما ينبغي أن يؤتسى به أصلاً إذ المراد به ما يجب الاتساء به *
 حتماً لورود الوعيد على الإعراض عنه بما سيأتى من قوله تعالى ومن يتول فإن الله هو الغنى الحميد فاستثناءؤه *
 من الأسوة إنما يفيد عدم وجوب استدعاء الإيمان والمغفرة للكافر المرجو لإيمانه وذلك بما لا يرتاب *
 فيه عاقل وأما عدم جوازه فلا دلالة للاستثناء عليه قطعاً هذا وأما تعليل عدم كون استغفاره عليه *
 الصلاة والسلام لأبيه الكافر بما ينبغي أن يؤتسى به بأنه كان قبل النهى أو لموعة وعدّها إياه فبمعزل *
 من السداد بالكلية لا بتناؤه على تناول النهى لاستغفاره عليه الصلاة والسلام له وإنابته عن كونه مؤتسى *
 به لو لم ينه عنه وكلاهما بين الـ لان لما أن مورد النهى هو الاستغفار للكافر بعد تبين أمره وقد عرفت *
 أن استغفاره عليه الصلاة والسلام لأبيه كان قبل ذلك قطعاً وأن ما يؤتسى به ما يجب الاتساء به لا *
 ما يجوز فعله فى الجملة وتجويز أن يكون استغفاره عليه الصلاة والسلام له بعد النهى كما هو المفهوم من *
 ظاهر قوله أو لموعة وعدّها إياه بما لا مساغ له وتوجيه الاستثناء إلى العدة بالاستغفار لا إلى نفس *
 الاستغفار بقوله واغفر لأبى الآية لأنها كانت هى الحاملة له عليه الصلاة والسلام على الاستغفار *
 وتخصيص هذه العدة بالذكر دون ما وقع فى سورة مريم من قوله تعالى سأستغفر لك ربى لورودها على *
 طريق التوكيد القسمى وأما جعل الاستغفار دأباً عليها وترتيب التبرؤ على تبين الأمر فقد مرت تحقيقه *
 فى سورة التوبة وقوله تعالى (وما أم لك من الله من شيء) من تمام القول المستثنى محله النصب على أنه *
 حال من فاعل لأستغفرن لك أى أستغفر لك وليس فى طاقى إلا الاستغفار فمورد الاستثناء نفس *
 الاستغفار لا قيده الذى هو فى نفسه من خصال الخير لكونه إظهاراً للعجز وتقويضاً للأمر إلى الله *
 تعالى وقوله تعالى (ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير) الخ من تمام ما نقل عن إبراهيم عليه *
 السلام ومن معه من الأسوة الحسنة وتقديم الجار والمجرور لقصر التوكل والإنابة والمصير على الله *
 تعالى قالوه بعد المجاهرة وقشر العصا التجاء إلى الله تعالى فى جميع أمورهم لاسيما فى مدافعة الكفرة *
 وكفاية شرورهم كما ينطق به قوله تعالى (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) بأن تسلطهم علينا فيفتنونا *
 بعذاب لانطقه (واغفر لنا) ما فرط منا من العذاب (ربنا إنك أنت العزيز) الغالب الذى لا يذل *

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ
الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٠﴾

عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةَ اللَّهِ وَقَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٠﴾ المتحنة

لَّا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا
إِلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٦٠﴾ المتحنة

إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَلَمُوا عَلَيْكُمْ إِن جَاءَكُمْ أَن
تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٠﴾ المتحنة

- * من التجأ إليه ولا يخيب رجاء من توكل عليه (الحكيم) الذي لا يفعل إلا ما فيه حكمة بالغة وتكرير النداء للبالغة في التضرع والجوار هذا وأما جعل الآيتين تلقينا للمؤمنين من جهة تعالى وأمر أ لهم بأن يتوكلوا عليه وينبوا إليه ويستعذوا به من فتنة الكفرة ويستغفروا عما فرط منهم تكلمة لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفرة فلا يساعده النظم الكريم (لقد كان لكم فيهم) أى فى إبراهيم ومن معه (أسوة حسنة) تكرير للبالغة فى الحث على الاتساع به عليه الصلاة والسلام ولذلك صدر بالقسم وقوله تعالى (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) بدل من لكم فائدته الإيذان بأن من يؤمن بالله واليوم الآخر لا يترك الاقتداء بهم وأن تركه من مخايل عدم الإيمان بهما كما ينبى عنه قوله تعالى (ومن يتول فإن الله هو الغنى الحميد) فإنه مما يوعد بأمثاله الكفرة (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم منهم) أى من أقاربكم المشركين (مودة) بأن يوافقوكم فى الدين وعدم الله تعالى بذلك لما رأى منهم من التصلب فى الدين والتشدد لله فى معاداة آبائهم وأبنائهم وسائر أقربائهم ومقاطعتهم أيام بالسكية تطيباً لقلوبهم ولقد أنجز وعده الكريم حين أتاح لهم الفتح فأسلم قومهم فتم بينهم من التحاب والتصافى ماتم (والله قدير) أى مبالغ فى القدرة فيقدر على قلب القلوب وتغيير الأحوال وتسهيل أسباب المودة (والله غفور رحيم) فيغفر لمن أسلم من المشركين ويرحمهم وقيل غفور لما فرط منكم فى موالاتهم من قبل ولما بقى فى قلوبكم من ميل الرحم (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم) أى لا ينهاكم عن البر بهؤلاء فإن قوله تعالى (أن تبرؤهم) بدل من الموصول (وتقسطوا إليهم) أى تفضوا إليهم بالقسط أى العدل (إن الله يحب المقسطين) أى العادلين . روى أن قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنه بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن إليها وقيل المراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه (إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم) وهم عتاة أهل مكة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٌ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهْنٌ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مِمَّا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسْئَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْئَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ بِحُكْمِكُمْ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ الممتحنة

- * (وظاهروا على إخراجكم) وهم سائر أهلها (أن تولوهم) بدل اشتغال من الموصول أى إنما ينما عنها
- * أن تولوهم (ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) لوضعهم الولاية في موضع العداوة أو هم الظالمون لأنفسهم
- * بتعريضها للعذاب (يا أيها الذين آمنوا) بيان لحكم من يظهر الإيمان بعد بيان حكم فريق الكافرين (إذا ١٠
- * جاءكم المؤمنات مهاجرات) من بين الكفار (فامتحنوهن) فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة
- * قلوبهن للسانهن في الإيمان . يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول للتي يمتحنها بالله الذي لا إله إلا هو ماخرجت من بغض زوج بالله ماخرجت رغبة عن أرض إلى أرض بالله ماخرجت
- * التماس دنيا بالله ماخرجت إلا حباً لله ورسوله (الله أعلم بإيمانهن) لأنه المطلع على ما في قلوبهن والجملة
- * اعتراض (فإن علمتموهن) بعد الامتحان (مؤمنات) علماً يمكنكم تحصيله وتبلغه طاعتكم بعد التتبع
- * والتي من الاستدلال بالعلام والدلائل والاستشهاد بالآمارات والخيال وهو الظن الغالب وتسميته
- * علماً للإيدان بأنه جار مجرى العلم في وجوب العمل به (فلا ترجعوهن إلى الكفار) أى إلى أزواجهن
- * الكفرة لقوله تعالى (لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن) فإنه تعليل للهنى عن رجوعهن إليهم والتكرير
- * لما لتأكيد الحرمة أو لأن الأول لبيان زوال النكاح الأول والثاني لبيان امتناع النكاح الجديد
- * (وآتوهن ما أنفقوا) أى وأعطوا أزواجهن مثل ما دفعوا إليهن من المهور وذلك أن صلح الحديبية
- * كان على أن من جاء نامنكم رددناه فجاءت سبيعة بنت الحرث الأسلمية مسلمة والنبي عليه الصلاة والسلام
- * بالحديبية فأقبل زوجها مسافر المخزومي وقيل صيفي بن الراهب فقال يا محمد اردد على امرأتى فإنك قد
- * شرطت أن ترد علينا من أتاك منا فزلت لبيان أن الشرط إنما كان في الرجال دون النساء فاستحلفها
- * رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فأعطى زوجها ما أنفق وتزوجها عمر رضى الله عنه (ولا جناح
- * عليكم أن تنكحوهن) فإن إسلامهن حال بينهن وبين أزواجهن الكفار (إذا آتيتوهن أجورهن)
- * شرط إتياء المهر في نكاحهن إيداناً بأن ما أعطى أزواجهن لا يقوم مقام المهر (ولا تمسكوا بعصم
- * الكوافر) جمع عصمة وهى ما يعصم به من عقد وسبب أى لا يمكن بينكم وبين المشركات ولا علاقة
- * زوجية قال ابن عباس رضى الله عنهما من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتد بها من نسائه لأن اختلاف
- * الدارين قطع عصمتها منه وعن النخعي رحمه الله هى المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد
- * أمرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقةهن وقرىء ولا تمسكوا بالتشديد ولا تمسكوا بجذف إحدى

وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتهم فآتوا الذين ذهب أزواجهم مثل ما أنفقوا
وأتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون ﴿١١﴾

٦٠ المتحنة

يأتيا النبي إذا جاءك المؤمنت يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا
يقتلن أولادهن ولا يأتين بهتنن يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف
فبايعهن واستغفرهن الله إن الله غفور رحيم ﴿١٢﴾

٦٠ المتحنة

- التامين من تمسكوا (واسألوا ما أفقتم) من مهور نساءكم للاحقات بالكفار (وليسألوا ما أنفقوا)
- من مهور أزواجهم المهاجرات (ذلكم) الذي ذكر (حكم الله) وقوله تعالى (يحكم بينكم) كلام مستأنف
- أو حال من حكم الله على حذف الضمير أى يحكمه الله أو جعل لكم حاكما على البالغة (والله حكيم)
- يترع ما تقتضيه الحكمة البالغة . روى أنه لما نزلت الآية أدى المؤمنون ما أمروا به من مهور المهاجرات
- إلى أزواجهن المشركين وأبى المشركون أن يردوا شيئا من مهور الكوافر إلى أزواجهن المسلمين
- ١١ فنزل قوله تعالى (وإن فاتكم) أى سبقكم وانفلت منكم (شيء من أزواجكم إلى الكفار) أى أحد
- من أزواجكم وقد قرىء كذلك وإيقاع شيء موقعه للتحقير والإشباع في التعميم أو شيء من مهور
- أزواجكم (فعاقبتهم) أى لجأتم عقبتكم أى نوبتكم من أداء المهر شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين
- من أداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارة وأداء أولئك مهور نساء هؤلاء أخرى بأمر يتعاقبون فيه كما
- يتعاقبون في الركوب وغيره (فآتوا الذين ذهب أزواجهم مثل ما أنفقوا) من مهر المهاجرة التي تزوجتموها
- ولا تزوه زوجها الكافر وقيل معناه إن فاتكم فأصبتكم من الكفار عقبي هي الغنيمة فآتوا بدل الفات
- من الغنيمة وقرىء فأعقبتم وفعبتم بالتشديد وفعبتم بالتخفيف وفتح القاف وبكسرها قيل جميع من
- لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة أم الحكم بنت أبي سفيان وفاطمة بنت أمية
- • وبروع بنت عقبة وعبد بن عبد العزى وهند بنت أبي جهل وكثوم بنت جرول (واتقوا الله الذي
- ١٢ أتم به مؤمنون) فإن الإيمان به تعالى يقتضى التقوى منه تعالى (يأتيا النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك)
- أى مبايعات لك أى قاصدات للبايعه نزلت يوم الفتح فإنه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بيعه
- الرجال شرع في بيعه النساء (على أن لا يشركن بالله شيئا) أى شيئا من الأشياء أو شيئا من الإشراف
- (ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن) أريد به وأد البنات وقرىء ولا يقتلن بالتشديد (ولا
- يأتين بهتنن يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدى منك
- كنى عنه بالهتان المفترى بين يديها ورجليها لأن بطنها الذى تحمله فيه بين يديها ومخرجه بين رجليها
- (ولا يعصينك في معروف) أى فيما تأمرهن به من معروف وتنهاهن عنه من منكر والتقييد بالمعروف
- مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يأمر إلا به للتنبيه على أنه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق

يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُؤُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبْغِ الْكَافِرُ
مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾

٦٠ الممتحنة

- وتخصيص الأمور المعدودة بالذكر في حقن لكثرة وقوعها فيما يدينهم مع اختصاص بعضها بهم (فبايعهم) *
- أى على ما ذكر وما لم يذكر لوضوح أمره وظهور أصالته في المبايعة من الصلاة والزكاة وسائر أركان الدين وشعائر الإسلام وتقيد مبايعتهم بما ذكر من مجيئهم لحثهم على المسارعة إليها مع كمال الرغبة فيها من غير دعوة لهم إليها (واستغفر لهم الله) زيادة على ما في ضمن المبايعة فإنها عبارة عن ضمان الثواب من قبله عليه الصلاة والسلام بمقابلة الوفاء بالأمور المذكورة من قبلهم (إن الله غفور رحيم) أى مبالغ في المغفرة والرحمة فيغفر لهم ويرحمهم إذا وفين بما بايعن عليه واختلف في كيفية مبايعته عليه الصلاة والسلام لهم يومئذ فروى أنه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا ومعه عمر رضى الله عنه أسفل منه فجعل عليه الصلاة والسلام يشترط عليهم البيعة وعمر يصاخن وروى أنه كلف امرأة وقفت على الصفا فبايعتهن وقيل دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمس أيديهن وروى أنه عليه الصلاة والسلام بايعهن وبين يديه وأيديهن ثوب قطرى والأظهر الأشهر ما قالت عائشة رضى الله عنها والله ما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على النساء قط إلا بما أمر الله تعالى وما مست كف رسول الله صلى الله عليه وسلم كف امرأة قط وكان يقول إذا أخذ عليهن قد بايعتكن كلاماً وكان المؤمنات إذا هاجرن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحنهن بقول الله عز وجل يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات إلى آخر الآية فإذا أقررن بذلك من قوهن قال لهن انطلقن فقد بايعتكن (يا أيها الذين ١٣ آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم) هم عامة الكفرة وقيل اليهود لما روى أنها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيروا من ثمارهم (قد يسؤوا من الآخرة) لكفرهم بها أولعلمهم بأنه لا خلاق لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التوراة المجيد بالآيات (كايئس الكفار من أصحاب القبور) أى كايئس منها الذين ماتوا منهم لأنهم وفقوا على حقيقة الحال وشاهدوا حرمانهم من نعيمها المقيم وابتلاءهم بعذابها الأليم والمراد وصفهم بكمال اليأس منها وقيل المعنى كايئسوا من موتاهم أن يعثروا ويرجعوا إلى الدنيا أحياء والإظهار في موقع الإضمار للإشعار بعلّة بأسهم . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة .

٦١ - سورة الصف

(مدنية وهي أربع عشرة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٦١ الصف

سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾

٦١ الصف

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾

٦١ الصف

كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾

(سورة الصف مدنية وقيل مكية وآياتها أربع عشرة)

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم) الكلام
 ٢ فيه كالذي مر في نظيره (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) روى أن المسلمين قالوا لو علمنا أحب
 الأعمال إلى الله تعالى لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فلما نزل الجهاد كرهوه فنزلت وما قيل من أن النازل
 قوله تعالى إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً بين الاختلال وروى أنهم قالوا يا رسول الله
 لو علم أحب الأعمال إلى الله تعالى لسارعنا إليه فنزلت هل أدلكم على تجارة - إلى قوله تعالى - وتجاهدون
 في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم فولوا يوم أحد وفيه التزام أن ترتيب الآيات الكريمة ليس على ترتيب
 النزول وقيل لما أخبر الله تعالى بشواب شهداء بدر قالت الصحابة اللهم أشهد لئن لقينا قتالا لنفرغن
 فيه وسعنا ففروا يوم أحد فنزلت وقيل لأنها نزلت فيمن يتمدح كاذباً حيث كان الرجل يقول قتل
 ولم يقتل ولم يطن وهكذا وقيل كان رجل قد آذى المسلمين يوم بدر ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل
 قتله آخر فنزلت في المنتحل وقيل نزلت في المنافقين ونداؤهم بالإيمان تهكم بهم وبإيمانهم وليس بذلك
 كما ستعرفه ولم مركبة من اللام الجارة وما الاستفهامية قد حذفت ألها تخفيفاً لكثرة استعمالها معاً
 كما في عم وفيم ونظائرهما معناها لا شيء تقولون ففعل ما لا تفعلون من الخير والمعروف على أن مدار
 التعمير والتوبيخ في الحقيقة عدم فعلهم وإنما وجهها إلى قولهم تنبيهاً على تضاعف معصيتهم ببيان أن المنكر
 ليس ترك الخير الموعود فقط بل الوعد به أيضاً وقد كانوا يحسبونهم مرفوعاً ولو قيل لم لا تفعلوا ما تقولون
 ٣ لفهم منه أن المنكر هو ترك الموعود (كبر مقتاً عند الله أن تقولون ما لا تفعلون) بيان لغاية قبح
 ما فعلوه وفرط سماجته وكبر من باب نعم وبئس فيه ضمير مبهم مفسر بالنكرة بعده وأن تقولوا هو
 الخصوص بالذم وقيل قصد فيه التعجب من غير لفظه وأسند إلى أن تقولوا ونصب مقتاً على تفسيره
 دلالة على أن قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه كبر عند من يحقر دونه كل عظيم .

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَنِينَ مَرْصُوصًا ﴿٦١﴾
وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ
اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦٢﴾

٦١ الصف

- وقوله تعالى (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً) بيان لما هو مرضى عنده تعالى بعد بيان ما هو بمقوت عنده وهذا صريح في أن ما قالوه عبارة عن الوعد بالقتال لاعما تقوله المتمدح أو انتحله المنتحل أو أعاده المنافق وأن مناط التعبير والتوبيخ هو لإخلافهم لا وعدهم كما أشير إليه وقرئ يقاتلون بفتح التاء ويقاتلون وصفاً مصدر وقع موقع الفاعل أو المفعول ونصبه على الحالية من فاعل يقاتلون أى صافين أنفسهم أو مصفوفين وقوله تعالى (كانهم بنيان مرصوص) حال من المستكن في الحال الأولى أى مشبهين في تراصهم من غير فرجة وخلل بينان رص بعضهم إلى بعض ورصف حتى صار شيئاً واحداً وقوله تعالى (وإذ قال موسى لقومه) كلام مستأنف مقرر لما قبله من شناعة ترك القتال وإذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي عليه الصلاة والسلام بطريق التلويح أى واذكر هؤلاء المعرضين عن القتال وقت قول موسى لبني إسرائيل حين نذبتهم إلى قتال الجبابرة بقوله يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين فلم يمتثلوا بأمره وعصوه أشد عصيان حيث قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإن داخلون - إلى قوله تعالى - فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون وأصروا على ذلك وآذوه عليه الصلاة والسلام كل الأذية (يا قوم لم تؤذوني) أى بالمخالفة والعصيان فيما أمرتكم به وقوله تعالى (وقد تعلمون أني رسول الله إليكم) جملة حالية مؤكدة لإنكار الإيذاء ونفي سببه وقد لتحقيق العلم وصيغة المضارع للدلالة على استمراره أى والحال أنكم تعلمون علماً قطعياً مستمراً بمشاهدة ما ظهر بيدي من المعجزات القاهرة التي معظمها إهلاك عدوكم وإنجاؤكم من ملكسته أني رسول الله إليكم لأرشدكم إلى خير الدنيا والآخرة ومن قضية علمكم بذلك أن تبالغوا في تعظيمي وتسارعوا إلى طاعتي (فلما زاغوا) أى أصروا على الزيغ عن الحق الذي جاء به موسى عليه السلام واستمروا عليه (أزاغ الله قلوبهم) أى صرفها عن قبول الحق والميل إلى الصواب لصرف اختيارهم نحو الغي والضلال وقوله تعالى (والله لا يهدي القوم الفاسقين) اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله من الإزاغة ومؤذن بعلمته أى لا يهدي القوم الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق المصيرين على الغواية هداية موصلة إلى ما يوصل إليها فإنها شاملة لكل والمراد بهم إما المذكورون خاصة والإظهار في موقع الإضمار لضمهم بالفسق وتعليل عدم الهداية به أو جنس الفاسقين وهم داخلون في حكمه دخولا أولاً وأياً ما كان فوصفهم بالفسق ناظر إلى ما في قوله تعالى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين هذا هو الذي تقتضيه جزالة النظم

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ
وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦١﴾ الصف
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿٦٢﴾ الصف

يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ ؕ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٦٣﴾ الصف

الكريم ويرتضيه الذوق السليم . وأما ما قيل بصدد بيان أسباب الأذية من أنهم كانوا يؤذونه عليه
الصلاة والسلام بأنواع الأذى من انتقاصه وعييه في نفسه وجحود آياته وعصيانه فيما تعود إليهم
منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله جهرة والتكذيب الذي هو تضييع حق الله وحقه فما لاتعلق
٦ له بالمقام وقوله تعالى (وإذ قال عيسى ابن مريم) إمام معطوف على إذ الأولى معمول لعاملها وإما معمول
لمضمير معطوف على عاملها (يا بني إسرائيل) ناداهم بذلك استمالة لقلوبهم إلى تصديقه في قوله (إني رسول
الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة) فإن تصديقه عليه الصلاة والسلام إياها من أقوى الدواعي
* إلى تصديقهم إياه وقوله تعالى (ومبشراً برسول يأتي من بعدى) معطوف على مصدقاً داع إلى تصديقه
عليه الصلاة والسلام مثله من حيث إن البشارة به واقعة في التوراة والعامل فيهما مافى الرسول من
معنى الإرسال لا الجار فإنه صلة للرسول والصلات بمنزل من تضمن معنى الفعل وعليه يدور العمل
* أى أرسلت إليكم حال كونى مصدقاً لما تقدمنى من التوراة ومبشراً بمن يأتي من بعدى من رسول (اسمه
أحمد) أى محمد صلى الله عليه وسلم يريد أن ديني التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعاً من تقدم وتأخر
* وقرىء من بعدى بفتح الياء (فلما جاءهم بالبينات) أى بالمعجزات الظاهرة (قالوا هذا سحر مبين)
مشيرين إلى ما جاء به أو إليه عليه الصلاة والسلام وتسميته سحراً للبالغة ويؤيده قراءة من قرأ هذا
٧ ساحر (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام) أى أى الناس أشد ظلاماً ممن
يدعى إلى الإسلام الذى يوصله إلى سعادة الدارين فيضع موضع الإجابة الاقتراء على الله عز وجل
بقوله لكلامه الذى هو دعاء عباده إلى الحق هذا سحر أى هو أظلم من كل ظالم وإن لم يتعرض ظاهر
* الكلام لنفى المساوى وقد مر بيانه غير مرة وقرىء يدعى يقال دعاه وادعاه مثل لمسه والتمسه (والله
٨ لا يهدي القوم الظالمين) أى لا يرشدكم إلى ما فيه فلاحهم لعدم توجههم إليه (يريدون ليطفئوا نور الله)
أى يريدون أن يطفئوا دينه أو كتابه أو حجته النيرة واللام مزيدة لما فيها من معنى الإرادة تأكيداً
لها كما زيدت لما فيها من معنى الإضافة تأكيداً لها فى لا أبالك أو يريدون الاقتراء ليطفئوا نور الله
* (بأفواههم) بطعنهم فيه مثلث حالهم بحال من ينفخ فى نور الشمس فيه ليطفئه (والله متم نوره) أى
* مبلغه إلى غايته بنشره فى الآفاق وإعلانه وقرىء متم نوره بلا إضافة (ولو كره الكافرون) أى إرغاماً

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ٦١ الصف

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدْلَكُم عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ ٦١ الصف

تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ٦١ الصف

يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ٦١ الصف

وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ٦١ الصف

- لهم والجملة في حيز الحال على ما بين مراراً (هو الذي أرسل رسوله بالهدى) بالقرآن أو بالمعجزة (ودين الحق) والملة الحنيفة (ليظهره على الدين كله) ليعليه على جميع الأديان المخالفة له ولقد أنجز الله عز وعلا وعده حيث جعله بحيث لم يبق دين من الأديان إلا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام (ولو كرهه المشركون) ذلك وقرىء هو الذي أرسل نبيه (بأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) وقرىء تنجيكم بالتشديد وقوله تعالى (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل بأموالكم وأنفسكم) استئناف وقع جواباً عما نشأ ما قبله كأنهم قالوا كيف نعمل أو ماذا نصنع فقبل تؤمنون بالله الخ وهو خبر في معنى الأمر جيء به للإيذان بوجوب الامتثال فكانه قد وقع فأخبر بوقوعه ويؤيده قراءة من قرأ آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا وقرىء تؤمنوا وتجاهدوا على إضمار لام الأمر (ذلكم) إشارة إلى ما ذكر من الإيمان والجهاد بقسميه وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة (خير لكم) على الإطلاق أو من أموالكم وأنفسكم (إن كنتم تعلمون) أي إن كنتم من أهل العلم فإن الجملة لا يعتد بأفعالهم أو إن كنتم تعلمون أنه خير لكم كان خير لكم حينئذ لأنكم إذا علمتم ذلك واعتقدتموه أحببتم الإيمان والجهاد فوق ما تحبون أنفسكم وأموالكم فتخلصون وتفلحون (يعفركم ذنوبكم) جواب للأمر ١٢ المدلول عليه بلفظ الخبر أو لشرط أو استفهام دل عليه الكلام تقديره إن تؤمنوا وتجاهدوا أو هل تقبلون أن أدلكم يغفركم وجعله جواباً هل أدلكم بعيداً لأن مجرد الدلالة لا يوجب المغفرة (ويدخلكم جنتان تجري من تحتها الأنهار ومسكن طيب في جنات عدن ذلك) أي ما ذكر من المغفرة وإدخال الجنات الموصوفة بما ذكر من الأوصاف الجليلة (الفوز العظيم) الذي لا فوز وراءه (وأخرى) ولكم ١٣ إلى هذه النعم العظيمة نعمة أخرى عاجلة (تحبونها) وترغبون فيها وفيه تعريض بأنهم يثرثرون العاجل على الآجل وقيل أخرى منصوبة بإضمار يعطكم أو تحبون أو مبتدأ خبره (نصر من الله) وهو على الأول بدل أو بيان وعلى تقدير النصب خبر مبتدأ محذوف (وفتح قريب) أي عاجل عطف على

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ
 الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
 عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾

٦١ الصف

نصر على الوجوه المذكورة وقرىء نصراً وفتحاً قريباً على الاختصاص أو على المصدر أى تنصرون
 نصراً ويفتح لكم فتحاً أو على البدلية من أخرى على تقدير نصبتها أى يعطكم نعمة أخرى نصراً
 • وفتحاً (وبشر المؤمنين) عطف على محذوف مثل قل يا أيها الذين وبشر أو على تؤمنون فإنه فى معنى
 آمنوا كأنه قيل آمنوا واجاهدوا أيها المؤمنون وبشرهم يا أيها الرسول بما وعدتهم على ذلك عاجلاً وآجلاً
 ١٤ (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله) وقرىء أنصار الله بلا إضافة لأن المعنى كونوا بعض أنصار
 • الله وقرىء كونوا أتم أنصار الله (كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله) أى من
 • جندى متوجهاً إلى الله كما يقتضيه قوله تعالى (قال الحواريون نحن أنصار الله) والإضافة الأولى إضافة
 أحد المتشاركين إلى الآخر لما بينهما من الاختصاص والثانية إضافة الفاعل إلى المفعول والتشبيه
 باعتبار المعنى أى كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصاره حين قال لهم عيسى من أنصارى إلى الله
 أو قل لهم كونوا كما قال عيسى للحواريين والحواريون أصفياؤه وهم أول من آمن به وكانوا إثني عشر
 • رجلاً (فآمنت طائفة من بنى إسرائيل) أى بعيسى وأطاعوه فيما أمرهم من نصرته الدين (وكفرت
 • طائفة) أخرى به وقتلوه (فأيّدنا الذين آمنوا على عدوهم) أى قويناهم بالحجة أو بالسيف وذلك
 • بمدد رفع عيسى عليه السلام (فأصبحوا ظاهرين) غالبين . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
 الصف كان عيسى مصلياً عليه مستغفراً له مادام فى الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه .

٦٢ - سورة الجمعة

(مدنية وهي إحدى عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ الجمعة ٦٢

هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ الجمعة ٦٢

وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ الجمعة ٦٢

(سورة الجمعة مدنية وآياتها إحدى عشرة)

- (بسم الله الرحمن الرحيم) (يسبح لله ما في السموات وما في الأرض) تسييحاً مستمراً (الملك ١)
- القدوس العزيز الحكيم) وقد قرئ الصفات الأربع بالرفع على المدح (هو الذي بعث في الأميين ٢)
- أى في العرب لأن أكثرهم لا يكتبون ولا يقرءون قيل بدئت الكتابة بالطائف أخذوها من أهل الحيرة
- وهم من أهل الأنبار (رسولاً منهم) أى كانوا من جملتهم أمياً مثلهم (يتلو عليهم آياته) مع كونه أمياً
- مثلهم لم يعبد منه قراءة ولا تعلم (ويزكّيهم) صفة أخرى لرسولاً معطوفة على يتلو أى يحملهم على ما يصيرون
- به أزكيا من خبائث العقائد والأعمال (ويعلمهم الكتاب والحكمة) صفة أخرى لرسولاً مترتبة في
- الوجود على التلاوة وإنما وسط بينهما التزكية التى هى عبارة عن تكميل النفس بحسب قوتها العملية
- وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للإيدان بأن كلا
- من الأمور المترتبة نعمة جليلة على حياتها مستوجبة للشكر فلوروى ترتيب الوجود لتبادر إلى الفهم
- كون الكل نعمة واحدة كما مر في سورة البقرة وهو السر في التعبير عن القرآن نارة بالآيات وأخرى
- بالكتاب والحكمة رمزاً إلى أنه باعترار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما
- في تضاعيف الأحاديث النبوية من الأحكام والشرائع (وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) من الشرك
- وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة افتقارهم إلى من يرشدهم وإزاحة لما عسى يتوهم من تعلمه عليه الصلاة
- والسلام من الغير وإن هى المخففة واللام هى الفارقة (وأخرجهم منهم) عطف على الأميين أو على المنصوب ٣
- في يعلمهم ويعلم آخرين منهم أى من الأميين وهم الذين جاءوا بعد الصحابة إلى يوم الدين فإن دعوته
- عليه الصلاة والسلام وتعليمه يعم الجميع (لما يلحقوا بهم) صفة لآخرين أى لم يلحقوا بهم بعد
- وسيلحقون (وهو العزيز الحكيم) المبالغ في العزة والحكمة ولذلك مكن رجلاً أمياً من ذلك الأمر

٦٢ الجمعة

ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾

مِثْلُ الَّذِينَ حَمَلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمِثْلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَارًا بِئْسَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا

٦٢ الجمعة

بِعَايَتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾

قُلْ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ

٦٢ الجمعة

صَادِقِينَ ﴿٦﴾

٦٢ الجمعة

وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾

- ٤ العظيم واصطفاه من بين كافة البشر (ذاك) الذي امتاز به من بين سائر الأفراد (فضل الله) وإحسانه
 * (يؤتيه من يشاء) تفضيلاً وعطية (والله ذو الفضل العظيم) الذي يستحق دونه نعيم الدنيا ونعيم الآخرة
 * (مثل الذين حملوا التوراة) أى علموها وكفوا العمل بها (ثم لم يحملوها) أى لم يعملوا بما فى تضاعيفها
 * من الآيات التى من جملتها الآيات الناطقة بنبوّة رسول الله صلى الله عليه وسلم (كمثل الحمار يحمل أسفاراً)
 أى كتباً من العلم يتعب بحملها ولا ينتفع بها ويحمل إما حال والعامل فيها معنى المثل أو صفة للحمار
 * إذ ليس المراد به معيّن فهو فى حكم النكرة كما فى قول من قال [ولقد أمر على التميم يسنى] (بئس مثل
 القوم الذين كذبوا بآيات الله) أى بئس مثلاً مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله على أن التمييز محذوف
 والفاعل المفسر به مستتر ومثل القوم هو المخصوص بالذم والموصول صفة للقوم أو بئس مثل القوم
 مثل الذين كذبوا الخ على أن مثل القوم فاعل بئس والمخصوص بالذم محذوف وهم اليهود الذين كذبوا
 بما فى التوراة من الآيات الشاهدة بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (والله لا يهدي القوم الظالمين)
 ٦ الواضحين للتكذيب فى موضع التصديق أو الظالمين لأنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد (قل يا أيها الذين
 * هادوا) أى تهودوا (إن زعتم أنكم أولياء لله من دون الناس) كانوا يقولون نحن أبناء الله وأجباؤه
 ويدعون أن الدار الآخرة لهم عند الله خالصة ويقولون لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً فأمر رسول
 * الله صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهم إظهاراً لكذبهم إن زعتم ذلك (فتمنوا الموت) أى فتمنوا من
 * الله أن يميتكم وينقلكم من دار البلية إلى دار الكرامة (إن كنتم صادقين) جوابه محذوف لدلالة
 ما قبله عليه إن كنتم صادقين فى زعمكم واثقين بأنه حق فتمنوا الموت فإن من أيقن بأنه من أهل الجنة
 ٧ أحب أن يتخلص إليها من هذه الدار التى هى قرارة الأكدار (ولا يتمنونه أبداً) لإخبار بما سيكون
 * منهم والباء فى قوله تعالى (بما قدمت أيديهم) متعلقة بما يدل عليه النفى أى يابون التنى بسبب ما عملوا
 من الكفر والمعاصى الموجبة لدخول النار ولما كانت اليد من بين جوارح الإنسان مناط عامة أفعيله
 * عبر بها تارة عن النفس وأخرى عن القدرة (والله عليم بالظالمين) أى بهم ولما كان الإظهار على الإضمار

قُلْ إِنْ أَمُوتَ الَّذِي تَقْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

الجمعة ٦٢

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾

الجمعة ٦٢

فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾

الجمعة ٦٢

- لذمهم والتسجيل عليهم بأنهم ظالمون في كل ما يأتون وما يذرون من الأمور التي من جعلتها ادعاء مأم عنه بمعزل والجملة تذييل لما قبلها مقرر لمضمونه أي عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي المفضية إلى أفانين العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدي إلى ذلك فوقع الأمر كما ذكر فلم يتمن منهم موته أحد كما يعرب عنه قوله تعالى (قل إن الموت الذي تفرون منه) فإن ذلك إنما يقال ٨ لهم بعد ظهور فرارهم من التني وقد قال عليه الصلاة والسلام لو تمنا الموتوا من ساعتهم وهذه إحدى المعجزات أي إن الموت الذي تفرون منه ولا تجسرون على أن تتمنوه مخافة أن تؤخذوا بوبال كفركم (فإنه ملائكم) البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار * الوصف وقرىء بدونها وقرىء تفرون منه ملائكم (ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة) الذي لا تخفى * عليه خافية (فينبئكم بما كنتم تعملون) من الكفر والمعاصي بأن يجازيكم بها (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي ٩ للصلاة) أي فعل النداء لها أي أذن لها (من يوم الجمعة) بيان لإذا وتفسير لها وقيل من بمعنى في كما في قوله تعالى أروني ماذا خلقوا من الأرض أي في الأرض وإنما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة وقيل أول من سماها جمعة كعب بن لؤي وكانت العرب تسميه العروبة وقيل إن الأنصار قالوا قبل الهجرة لليهود يوم يجتمعون فيه بكل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك فلهوا نجعل لنا يوماً نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الأحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا إلى سعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فأنزل الله آية الجمعة فهي أول جمعة كانت في الإسلام . وأما أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أنه لما قدم مهاجراً نزل قباء على بني عمرو بن عوف وأقام بها يوم الإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وأسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامداً المدينة فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة (فاسعوا إلى ذكر الله) أي امشوا واقصدوا إلى الخطبة والصلاة (وذرؤا البيع) * واتركوا المعاملة (ذلكم) أي السعي إلى ذكر الله وترك البيع (خير لكم) من مباشرته فإن نفع الآخرة * أجل وأبقى (إن كنتم تعلمون) أي الخير والشر الحقيقيين أو إن كنتم أهل العلم (فإذا قضيت الصلاة) ١٠

وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهِو وَمِنَ التِّجَارَةِ
وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾

٦٢ الجمعة

- * أى أدبت وفرغ منها (فاتشروا فى الأرض) لإقامة مصالحكم (وابتغوا من فضل الله) أى الربح فالأمر للإطلاق بعد الحظر وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا إنما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة أخ فى الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلاة التطوع (واذكروا الله كثيراً) ذكرأ كثيراً أو زماناً كثيراً ولا تخصوا ذكره تعالى بالصلاة
- * صلاة التطوع (واذكروا الله كثيراً) ذكرأ كثيراً أو زماناً كثيراً ولا تخصوا ذكره تعالى بالصلاة ١١ (لعلكم تفلاحون) كى تفوزوا بخير الدارين (وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها) روى أن أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبي عليه الصلاة والسلام يخطب يوم الجمعة فقاموا إليه خشية أن يسبقوا إليه فابقى معه عليه الصلاة والسلام لإثمانية وقيل أحد عشر وقيل اثنا عشر وقيل أربعون فقال عليه الصلاة والسلام والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعاً لأضرم الله عليهم الوادى ناراً وكانوا إذا أقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق وهو المراد باللّهو وتخصيص التجارة برجع الضمير لأنها المقصودة أو لأن الإنفضاخ للتجارة مع الحاجة إليها والانتفاع بها إذا كان مذموماً فما ظنك بالإنفضاخ إلى الله وهو المذموم فى نفسه وقيل تقديره إذا رأوا تجارة انفضوا إليها أو لهواً انفضوا إليه فحذف الثانى لدلالة الأول عليه وقرئ
- * إليهما (وتركوك قائماً) أى على المنبر (قل ما عند الله) من الثواب (خير من اللهو ومن التجارة) فإن ذلك نفع محقق بخلاف ما فيهما من النفع المتوهم (والله خير الرازقين) فإليه اسعوا ومنه اطلبوا الرزق . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة ومن لم يأتها فى أمصار المسلمين .

٦٣ - سورة المنافقون
(مدنية وهي إحدى عشرة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ
الْمُنَافِقِينَ كَاذِبُونَ ﴿١﴾

٦٣ المنافقون

اتَّخِذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾

٦٣ المنافقون

٦٣ المنافقون

(سورة المنافقون مدنية وآياتها إحدى عشرة)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (إذا جاءك المنافقون) أى حضروا مجلسك (قالوا نشهد أنك لرسول الله) مؤكدين كلامهم بأن واللام للإيذان بأن شهادتهم هذه صادرة عن صميم قلوبهم وخلص اعتقادهم ووفور رغبتهم ونشاطهم وقوله تعالى (والله يعلم أنك لرسوله) اعتراض مقرر لمنطوق كلامهم وسط بينه وبين قوله تعالى (وانه يشهد إن المنافقين لكاذبون) تحقيقاً وتعييناً لما نيط به التكذيب من أنهم قالوه عن اعتقاد كما أشير إليه وإمالة من أول الأمر لما عسى يتوهم من توجه التكذيب إلى منطوق كلامهم أى والله يشهد إنهم لكاذبون فيما ضمنوا مقاتلتهم من أنها صادرة عن اعتقاد وطمانينة قلب والإظهار في موقع الإضمار لنهمم والإشعار بعلّة الحكم (اتخذوا أيمانهم) الفاجرة التي من جملتها ما حكى عنهم (جنة) أى وقاية عما يتوجه إليهم من مؤاخذه بالقتل والسبي أو غير ذلك واتخاذها جنة عبارة عن إعدادهم وتهيتهم لها إلى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا عن المؤاخذه لاعتنا استعمالها بالفعل فإن ذلك متأخر عن المؤاخذه المسبوقه بوقوع الجناية واتخاذ الجنة لابد أن يكون قبل المؤاخذه وعن سببها أيضاً كما يفصح عنه الفاء في قوله تعالى (فصدوا عن سبيل الله) أى فصدوا من أراد الدخول في الإسلام بأنه عليه الصلاة والسلام ليس برسول ومن أراد الإنفاق في سبيل الله بالنهى عنه كما سيحكي عنهم ولأريب في أن هذا الصد منهم متقدم على حلفهم بالفعل وقرىء إيمانهم أى مظهره على ألسنتهم فاتخاذها جنة عبارة عن استعماله بالفعل فإنه وقاية دون دمانهم وأموالهم فعنى قوله تعالى فصدوا حينئذ فاستمروا على ما كانوا عليه من الصد والإعراض عن سبيله تعالى (لأنهم ساء ما كانوا يعملون) من النفاق والصد وفي ساء معنى التعجب وتعظيم أمرهم عند السامعين (ذلك) إشارة إلى ما تقدم من القول
- ٢
- ٣

وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون
كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قتلهم الله أنى يؤفكون ﴿٦٣﴾
وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوآرؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم
مستكبرون ﴿٦٤﴾

٦٣ المناقون

الناعى عليهم أنهم أسوأ الناس أعمالاً أو إلى ما وصف من حالهم فى النفاق والكذب والاستتار بالإيمان
الصورى وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالشار إليه لما مر مراراً من الإشعار ببعده منزله فى
* الثمر (بأنهم) أى بسبب أنهم (آموا) أى فلقوا بكلمة الشهادة كسائر من يدخل فى الإسلام (ثم
كفروا) أى ظهر كفرهم بما شوهده منهم من شواهد الكفر ودلائله أو فلقوا بالإيمان عند المؤمنين
* ثم فلقوا بالكفر عند شياطينهم (فطبع على قلوبهم) حتى تمنوا على الكفر واطمأنوا به وقرىء
على البناء للفاعل وقرىء فطبع الله (فهم لا ينفقون) حقيقة الإيمان ولا يعرفون حقيقته أصلاً (وإذا
* رأيتهم تعجبك أجسامهم) لضخامتها وىروقك منظرهم لصباحة وجوههم (وإن يقولوا تسمع لقولهم)
لفصاحتهم وذلاقة ألسنتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن أبى جسيماً فصيحاً يحضر مجلس رسول الله صلى
الله عليه وسلم فى نفر من أمثاله وهم رؤساء المدينة وكان عليه الصلاة والسلام ومن معه يعجبون بهبا كلهم
ويستمعون إلى كلامهم وقيل الخطاب لكل أحد ممن يصلح للخطاب ويؤيده قراءة يسمع على البناء
* للفعول وقوله تعالى (كأنهم خشب مسندة) فى حيز الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أو كلام مستأنف
لا محل له شهبوا فى جلوسهم فى مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم مستندين فيها بخشب منصوبة مسندة
إلى الحائط فى كونهم أشباحاً خالية عن العلم والخير وقرىء خشب على أنه جمع خشبة كبدن جمع بدنة
وقيل هو جمع خشباء وهى الخشبة التى دعر جوفها أى فسد شهبوا بها فى نفاقهم وفساد باطنهم وقرىء
* خشب كدرة ومدى (يحسبون كل صيحة عليهم) أى واقعة عليهم ضارة لهم جلبتهم واستقرار الرعب
* فى قلوبهم وقيل كانوا على وجل من أن ينزل الله فيهم ما يبتك أستاذهم ويبيع دماءهم وأموالهم (هم العدو)
أى هم الكاملون فى العداوة والراسخون فيها فإن أعدى الأعداء العدو المكاشر الذى يكاشرك وتحت
ضلوعه الداء الدوى والجملة مستأنفة وجعلها مفعولاً ثانياً للحسبان بما لا يساعده النظم الكريم أصلاً
* فإن الفاء فى قوله تعالى (فاحذرهم) لترتيب الأمر بالخطر على كونهم أعدى الأعداء (قاتلهم الله) دعاء
عليهم وطلب من ذاته تعالى أن يلعنهم ويخزيهم أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك وقوله تعالى
* (أنى يؤفكون) تعجب من حالهم أى كيف يصدون عن الحق إلى ما هم عليه من الكفر والضلال
* (وإذا قيل لهم) عند ظهور جنائهم بطريق النصيحة (تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوآرؤوسهم)
* أى عطفوها استكباراً (ورأيتهم يصدون) يعرضون عن القائل أو عن الاستغفار (وهم مستكبرون)

سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْفَاسِقِينَ ﴿٦٣﴾

٦٣ المنافقون

هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٤﴾

٦٣ المنافقون

يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ
وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٥﴾

٦٣ المنافقون

- ٦ عن ذلك (سواء عليهم أستغفرت لهم) كما إذا جاءوك معتذرين من جنایاتهم وقرىء استغفرت بحذف
حرف الاستفهام ثقة بدلالة أم عليه وقرىء استغفرت بإشباع همزة الاستفهام لا بقلب همزة الوصل
ألفاً (أم لم تستغفر لهم) كما إذا أصرروا على قبائحهم واستكبروا عن الاعتذار والاستغفار (لن يغفر
الله لهم) أبداً لإصرارهم على الفسق ورسوخهم في الكفر (إن الله لا يهدي القوم الفاسقين) الكاملين
في الفسق الخارجين عن دائرة الاستصلاح المنهمكين في الكفر والنفاق والمراد إمامهم بأعيانهم والإظهار
في موقع الإضمار لبيان غلوهم في الفسق أو الجنس وهم داخلون في زميرهم دخولا أولاً وقوله تعالى
(هم الذين يقولون) أي الأنصار (لا تنفقوا على من عند رسول الله) صلى الله عليه وسلم (حتى ينفضوا)
يعنون فقراء المهاجرين استئناف جار مجرى التعليل لفسقهم أو لعدم مغفرته تعالى لهم وقرىء حتى
ينفضوا من انفض القوم إذا فئت أزوادهم وحقيقته حان لهم أن ينفضوا أمرأودهم وقوله تعالى (ولله
خزائن السموات والأرض) رد وإبطال لما زعموا من أن عدم إفاقهم يؤدي إلى انفضاض الفقراء
من حوله صلى الله عليه وسلم ببيان أن خزائن الأرزاق بيد الله تعالى خاصة يعطي من يشاء ويمنع من
يشاء (ولكن المنافقين لا يفقهون) ذلك لجهلهم بالله تعالى وبشئونه ولذلك يقولون من مقالات الكفر
ما يقولون (يقولون لن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) روى أن جهجاه بن سعيد أجير
عمر رضى الله عنه نازع سنانا الجهني حليف ابن أبي واقتلا فصرخ جهجاه ياللمهاجرين وسنان يالأنصار
فأعان جهجاها جعالم من فقراء المهاجرين ولطم سناناً فاشتكى إلى ابن أبي فقال للأنصار لا تنفقوا الخ
والله لنرجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل عني بالأعز نفسه وبالأذل جانب المؤمنين وإسناد
القول المذكور إلى المنافقين لرضاهم به فرد عليهم ذلك بقوله تعالى (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)
أي والله الغالبة والقوة ولن أعزه من رسوله والمؤمنين لا لغيرهم (ولكن المنافقين لا يعلمون) من
فرط جهلهم وغرورهم فهنون ما يهنون . روى أن عبد الله بن أبي لما أراد أن يدخل المدينة اعترضه
ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبي وكان مخلصاً وقال لن لم تقر لله ولرسوله بالعز لأضربن عنقك فلما

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾

٦٣ المناقون

وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ
قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾

٦٣ المناقون

وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

٦٣ المناقون

- رأى منه الجدل قال أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابنه جزاك
٩ الله عن رسوله وعن المؤمنين خيراً (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله)
أى لا يشغلكم الاهتمام بتدبير أمورها والاعتناء بمصالحها والتمتع بها عن الاشتغال بذكره عز وجل
من الصلاة وسائر العبادات المذكورة للعبود والمراد منهم عن التلهى بها وتوجيه النهى إليها للبالغة
* كما فى قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الخ (ومن يفعل ذلك) أى التلهى بالدنيا من الدين (فأولئك
١٠ هم الخاسرون) أى الكاملون فى الخسران حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفانى (وأنفقوا بما رزقناكم)
* أى بعض ما أعطيناكم تفضلاً من غير أن يكون حصوله من جهتكم ادخاراً للآخرة (من قبل أن
يأتى أحدكم الموت) بأن يشاهد دلائله ويعاين أماراته ومخايله وتقديم المفعول على الفاعل لما مر مراراً
* من الاهتمام بما قدم والتشويق إلى ما آخر (فيقول) عند يقينه بحلوله (رب لولا أخرتني) أى أمهلتنى
* (إلى أجل قريب) أى أمد قصير (فأصدق) بالنصب على جواب التمنى وقرئ فأصدق (وأكن من
الصالحين) بالجزم عطفاً على محل فأصدق كأنه قيل إن أخرتني أصدق وأكن وقرئ وأكون بالنصب
١١ عطفاً على لفظه وقرئ وأكون بالرفع أى وأنا أكون عدة منه بالصلاح (ولن يؤخر الله نفساً)
* أى ولن يمهلها (إذا جاء أجلها) أى آخر عمرها أو انتهى إن أريد بالأجل الزمان الممتد من أول
* العمر إلى آخره (والله خبير بما تعملون) فجاز لكم عليه إن خيراً نخير وإن شراً فشر فسارعوا فى
الخيرات واستعدوا لما هوأت وقرئ يعملون بالياء التحتانية . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة المنافقين برىء من النفاق .

٦٤ - سورة التغابن

(مدنية وهي ثمانى عشرة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْبَحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ التغابن ٦٤

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنفَخَكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ التغابن ٦٤

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ التغابن ٦٤

يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ التغابن ٦٤

(سورة التغابن مدنية مختلاف فيها وآياتها ثمانى عشرة)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (يسبح لله ما في السموات وما في الأرض) أى ينزهه سبحانه جميع ما فيها من المخلوقات عما لا يليق بجناب كبريائه تنزيهاً مستمراً (له الملك وله الحمد) لا لغيره إذ هو المبدى لكل شىء وهو القائم به والمهيمن عليه وهو المولى لأصول النعم وفروعها وأمامك غيره فاسترعاء من جنابه وحمد غيره اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده (وهو على كل شىء قدير) لأن نسبة ذاته المقتضية للقدرة إلى الكل سواء (هو الذى خلقكم) خلقاً بديعاً حاوياً لجميع مبادئ الكالات العلمية والعملية ومع ذلك (فمنكم كافر) أى فبعضكم أو فبعض منكم مختار للكفر كاسب له على خلاف ما تستدعيه خلقته (ومنكم مؤمن) مختار للإيمان كاسب له حسبما تقتضيه خلقته وكان الواجب عليكم جميعاً أن تكونوا مختارين للإيمان شاكرين لنعمة الخلق والإيجاد وما يتفرع عليها من سائر النعم فافعلتم ذلك مع تمام تمككنكم منه بل تشعبتم شعباً وتفرقتم فرقا وتقديم الكفر لأنه الأغلب فيما بينهم والأنسب بمقام التوبيخ وحمله على معنى فذنبكم كافر مقدرة كفره موجه إليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدراً لإيمانه موفق لما يدعوه إليه بما لا يلائم المقام (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم بذلك فاخترأوا منه ما يريديكم من الإيمان والطاعة ولما لكم وما يريديكم من الكفر والعصيان (خلق السموات والأرض بالحق) بالحكمة البالغة المتضمنة للمصالح الدينية والدنيوية (وصوركم فأحسن صوركم) حيث براكم فى أحسن تقويم وأودع فيكم من القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة ما نيط بهاعن الكالات البارزة والكامنة وزينكم بصفوة صفات مصنوعاته وخصكم بمخلاصة خصائص مبدعاته وجعلكم أنموذج جميع مخلوقاته فى هذه النشأة (ولإليه المصير) فى النشأة الأخرى لا إلى غيره استللاً أو اشتراكاً فأحسنوا سرائركم باستعمار تلك القوى والمشاعر فيما خلقن له (يعلم ما فى السموات والأرض) من الأمور الكلية والجزئية والأحوال الجلية والخفية

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٤﴾ التَّغَابُنِ
 ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشِّرْهُدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى
 اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦٥﴾

٦٤ التَّغَابُنِ

زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ
 يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾

٦٤ التَّغَابُنِ

- (ويعلم ماتسرون وما تعلنون) أى ماتسرونه فيما بينكم وما تظهرونه من الأمور والتصریح به مع اندراجہ
- فيما قبله لأنه الذى يدور عليه الجزاء ففيه تأكيد للوعد والوعيد وتشديد لها وقوله تعالى (والله عليم بذات الصدور) اعتراض تذييل مقرر لما قبله من شمول علمه تعالى لسرهم وعلمهم أى هو محيط بجميع المضمرات المستكنة فى صدور الناس بحيث لا تفارقها أصلاً فكيف يخفى عليه ما يسرونه وما يعلنونه وإظهار الجلالة للإشعار بعلية الحكم وتأكيد استقلال الجملة قيل وتقديم تقرير القدرة على تقرير العلم لأن دلالة المخلوقات على قدرته بالذات وعلى علمه بما فيها من الإتيان والاختصاص ببعض الأنحاء
- (ألم يأتكم) أيها الكفرة (نبأ الذين كفروا من قبل) كقوم نوح ومن بعدهم من الأمم المصرة على الكفر
- (فذاقوا وبال أمرهم) عطف على كفروا والوبال الثقل والشدة المترتبة على أمر من الأمور وأمرهم كفرهم عبر عنه بذلك للإيذان بأنه أمر هائل وجناية عظيمة أى ألم يأتكم خبر الذين كفروا من قبل
- فذاقوا من غير مهلة ما يستتبعه كفرهم فى الدنيا (ولهم) فى الآخرة (عذاب أليم) لا يقادر قدره (ذلك)
- أى ما ذكر من العذاب الذى ذاقوه فى الدنيا وما سيدوقونه فى الآخرة (بأنه) بسبب أن الشأن (كانت
- تأتيمهم رسلهم بالبينات) أى بالمعجزات الظاهرة (فقالوا) عطف على كانت (أبشر يهدونا) أى قال كل قوم من المذكورين فى حق رسولهم الذى أتاهم بالمعجزات منكرين لكون الرسول من جنس البشر متعجبين من ذلك أبشر يهدينا كما قالت ثمود أبشراً منا واحداً تتبعه وقد أجل فى الحكاية فأسند القول إلى جميع الأقوام وأريد بالبشر الجنس فوصف بالجمع كما أجل الخطاب والأمر فى قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً (فكفروا) أى بالرسول (وتولوا) عن التدبر فيما أتوا به من البينات وعن الإيمان بهم (واستغنى الله) أى أظهر استغناءه عن إيمانهم وطاعتهم حيث أهلكهم وقطع دابرهم ولولا غناه تعالى عنهما لما فعل ذلك (والله غنى) عن العالمين فضلاً عن إيمانهم وطاعتهم (حميد)
- يحمد كل مخلوق بلسان الحال أو مستحق للحمد بذاته وإن لم يحمد به حامد (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا) الزعم ادعاء العلم يتعدى إلى مفعولين وقد قام مقامهما أن المخففة مع ما فى حيزها والمراد بالوصول كفار مكة أى زعموا أن الشأن لن يبعثوا بعد موتهم أبداً (قل) ردأ عليهم وإبطالاً لزعمهم بإثبات ما نفوه
- (بلى) أى تبعثون وقوله (وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم) أى لتحاسبن ولتجزون بأعمالكم جملة

فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ التغابن
يَوْمَ يُجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ
وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ التغابن
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ التغابن
مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ التغابن

- مستقلة داخلية تحت الأمر وإرادة لتأكيد ما أفاده كلمة بلى من إثبات البعث وبيان تحقق أمر آخر متفرع عليه منوط به ففيه تأكيد لتحقيق البعث بوجهين (وذلك) أى ما ذكر من البعث والجزاء (على الله * يسير) لتحقيق القدرة التامة وقبول المادة والفاء فى قوله تعالى (فآمنوا) فصيحة مفصحة عن شرط ٨ قد حذف ثقة بغاية ظهوره أى إذا كان الأمر كذلك فآمنوا (بالله ورسوله) محمد صلى الله عليه وسلم * (والنور الذى أنزلنا) وهو القرآن فإنه بإعجازه بين بنفسه مبین لغيره كما أن النور كذلك والالتفات إلى نون العظمة لإبراز كمال العناية بأمر الإنزال (والله بما تعملون) من الامتثال بالأمر وعدمه (خير) فجاز لكم عليه والجملة اعتراض تذيلى مقرر لما قبله من الأمر موجب للامتثال به بالوعد والوعيد والالتفات إلى الاسم الجليل لتربية المهابة وتأكيد استقلال الجملة (يوم يجمعكم) ظرف لتنبؤ وقيل ٩ لخبر لما فيه من معنى الوعيد كأنه قيل والله مجازيكم ومعاقبتكم يوم يجمعكم أو مفعول لا ذكر وقرئ * نجمعكم بنون العظمة (ليوم الجمع) ليوم يجمع فيه الأولون والآخرون أى لأجل ما فيه من الحساب * والجزاء (ذلك يوم التغابن) أى يوم غبن بعض الناس بعضاً بنزول السعداء منازل الأشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس وفى الحديث ما من عبد يدخل الجنة إلا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكراً وما من عبد يدخل النار إلا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة وتخصيص التغابن بذلك اليوم للإيذان بأن التغابن فى الحقيقة هو الذى يقع فيه لا ما يقع فى أمور الدنيا (ومن يؤمن بالله * ويعمل صالحاً) أى عملاً صالحاً (يكفر) أى الله عز وجل وقرئ بنون العظمة (عنه سيئاته) يوم القيامة (ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً) وقرئ ندخله بنون (ذلك) أى * أى ما ذكر من تكفير السيئات وإدخال الجنات (الفوز العظيم) الذى لا فوز وراءه لا نطوائه على النجاة * من أعظم الهلكات والظفر بأجل الطلبات (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين ١٠ فيها وبئس المصير) أى النار كأن هاتين الآيتين الكريمتين بيان لكيفية التغابن (ما أصاب من مصيبة) من المصائب الدنيوية (إلا بإذن الله) أى بتقديره وإرادته كأنها بذاتها متوجهة إلى الإنسان متوقفة على إذنه تعالى (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) عند إصابتها للثبات والاسترجاع وقيل يهد قلبه حتى يعلم

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٦٤ الثَّانِي

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ٦٤ الثَّانِي

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمِنَ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا

وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ٦٤ الثَّانِي

- أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطاه لم يكن ليصيبه وقيل يهد قلبه أى يلطف به ويشرحه لازدياد الطاعة والخير وقرىء يهد قلبه على البناء للفعول ورفع قلبه وقرىء بنصبه على نهج سفه نفسه وقرىء يهدأ قلبه بالهمزة أى يسكن (والله بكل شيء) من الأشياء التى من جعلتها القلوب وأحوالها (عليم) يعلم إيمان المؤمن ويهدى قلبه إلى ما ذكر (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) كرر الأمر اتاكيد والإيذان بالفرق بين الطاعتين فى الكيفية وتوضيح مورد التولى فى قوله تعالى (فإن توليتم) أى عن إطاعة الرسول وقوله تعالى (فإنما على رسولنا البلاغ المبين) تعليل للجواب المحذوف أى فلا بأس عليه إذ ما عليه إلا التبليغ المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه وإظهار الرسول مضافا إلى نون العظمة فى مقام إضماره لتشريفه عليه الصلاة والسلام والإشعار بمدار الحكم الذى هو كون وظيفته عليه الصلاة والسلام محض البلاغ ولزيادة تشنيع التولى عنه (الله لا إله إلا هو) جملة من مبتدأ وخبر أى هو المستحق للمعبودية لا غيره وفى إضمار خبر لا مثل فى الوجود أو يصح أن يوجد خلاف للنحاة معروف (وعلى الله) أى عليه تعالى خاصة دون غيره لا استقلال ولا اشتراكا (فليتوكل المؤمنون) وإظهار الجلالة فى موقع الإضمار للإشعار بعملة التوكل والأمر به فإن الألوهية مقتضية للتبطل إليه تعالى بالكلية وقطع التعلق عما سواه بالمرّة (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم) يشغلونكم عن طاعة الله تعالى أو يخاصمونكم فى أمور الدين أو الدنيا (فاحذروهم) الضمير للعدو فإنه يطلق على الجمع نحو قوله تعالى فإنهم عدو لى أو للأزواج والأولاد جميعاً فالأمر به على الأول الحذر عن الكل وعلى الثانى إما الحذر عن البعض لأن منهم من ليس بعدو وإما الحذر عن مجموع الفريقين لاشتياهم على العدو (وإن تعفوا) عن ذنوبهم القابلة للعفو بأن تكون متعلقة بأمور الدنيا أو بأمور الدين لكن مقارنة للتوبة (وتصفحوا) بترك التثريب والتعيير (وتغفروا) بإخفائها وتمهيد عذرهما (فإن الله غفور رحيم) يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم وقيل إن ناساً من المؤمنين أرادوا الهجرة عن مكة فبسطهم أزواجهم وأولادهم وقالوا تنطلقوا وتضيعوا تنافروا لهم ووقفوا فلها جروا بعد ذلك ورأوا المهاجرين الأولين قد فقهوا فى الدين أرادوا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم فزين لهم العفو وقيل قالوا لهم أين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم وأموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله فى دار الهجرة لم نصبكم بخير فلها جروا ومنعواهم الخير فحنوا على أن يعفوا عنهم ويردوا إليهم البر والصلة .

٦٤ التغابن

إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾

فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ

٦٤ التغابن

فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾

إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ٦٤ التغابن

٦٤ التغابن

عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

- (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) بلاء ومحنة يقعونكم في الانتم من حيث لا تحتسبون (والله عنده أجر عظيم) لمن أثر محبة الله تعالى وطاعته على محبة الأموال والأولاد والسعى في تدبير مصالحهم (فاتقوا الله ما استطعتم) أى أبذلوا في تقواه جهدكم وطاقاتكم (واسمعوا) مواعظه (وأطيعوا) أوامره (وأنفقوا) مما رزقكم في الوجوه التي أمركم بالإتفاق فيها خالصاً لوجهه (خيراً لأنفسكم) أى اتقوا خيراً لأنفسكم وافعلوا ما هو خير لها وأنفق وهو تأكيد للحث على امثال هذه الأوامر وبيان لكون الأمور المذكورة خيراً لأنفسهم ويجوز أن يكون صفة لمصدر محذوف أى إفاقاً خيراً أو خيراً لكان مقدراً جواباً للأوامر أى يكن خيراً لأنفسكم (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) الفائزون بكل مرام
- (إن تقرضوا الله) بصرف أموالكم إلى المصارف التي عينها (قرضاً حسناً) مقروناً بالإخلاص ١٧ وطيب النفس (يضاعفه لكم) بالواحد عشرة إلى سبعة وأكثروا قرىء يضاعفه لكم (ويغفر لكم) بركة الإتيان ما فرط منكم من بعض الذنوب (والله شكور) يعطي الجزيل بمقابلة النذر القليل (حلیم) لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم (عالم الغيب والشهادة) لا يخفى عليه خافية (العزیز الحكيم) البالغ ١٨ في القدرة والحكمة . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة .

٦٥ -- سورة الطلاق
(مدنية وهي اثنتا عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾

٦٥ الطلاق

(سورة الطلاق مدنية وآياتها اثنتا عشرة آية)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء) تخصيص النداء به عليه الصلاة والسلام مع عموم الخطاب لأتمته أيضاً لتشريفه عليه الصلاة والسلام وإظهار جلالة منصبه وتحقيق أنه المخاطب حقيقة ودخولهم في الخطاب بطريق استتباعه عليه الصلاة والسلام لإيائهم وتغليبه عليهم لا لأن نداءه كندائهم فإن ذلك الاعتبار لو كان في حيز الرعاية لكان الخطاب هو الأحق به لشمول حكمه لكل * قطعاً والمعنى إذا أردتم تطليقهن وعزمتن عليه كما في قوله تعالى إذا قمتن إلى الصلاة (فطلقوهن لعدتهن) أى مستقبلات لها كقولك أتيته ليلية خلت من شهر كذا فإن المرأة إذا طلقت في طهر يعقبه القرء الأول من إقرارها فقد طلقت مستقبلية لعدتها والمراد أن يطلقن في طهر لم يقع فيه جماع ثم يحلن حتى * تنقضى عدتها وهذا أحسن الطلاق وأدخله في السنة (وأحصوا العدة) واضبطوها وأكملوها ثلاثة * إقراراً كوامل (واتقوا الله ربكم) في تطويل العدة عليهن والإضرار بهن وفي وصفه تعالى بربوبيته * لهم تأكيد للأمر ومبالغة في إيجاب الاتقاء (لا تخرجوهن من بيوتهن) من مساكنهن عند الفراق إلى أن تنقضى عدتهن وإضافتها إليهن وهى لأزواجهن لتأكيد النهى ببيان كمال استحقاتهن لسكنائها كأنها * أملاكهن (ولا يخرجن) ولو بإذن منكم فإن الإذن بالخروج في حكم الإخراج وقيل المعنى لا يخرجن باستبداد منهن أما إذا اتفقا على الخروج جازاً الحق لا يعدوهما (إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) استثناء من الأول قيل هى الزنا فيخرجن لإقامة الحد عليهن وقيل إلا أن يذنون على الأزواج فيحل حينئذ لإخراجهن ويؤيده قراءة إلا أن يفحشن عليكم أو من الثانى للبالغة فى النهى عن الخروج ببيان أن * خروجها فاحشة (تلك) إشارة إلى ما ذكر من الأحكام وما فى اسم الإشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان بعلو درجتها وبعد منزلتها (حدود الله) التى عينها لعباده (ومن يتعد حدود الله) أى حدوده المذكورة بأن أخل بشيء منها على أن الإظهار فى حيز الإضمار لتحويل أمر التعدى والإشعار بعلو الحكم فى قوله تعالى (فقد ظلم نفسه) أى أضر بها وتفسير الظلم بتمريضها للعقاب ياباه

فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾

٦٥ الطلاق

وَيَرْزُقْهُ مِّنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۖ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾

٦٥ الطلاق

- قوله تعالى (لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً) فإنه استئناف مسوق لتعليل مضمون الشرطية * وقد قالوا إن الأمر الذي يحدثه الله تعالى أن يقلب قلبه عما فعله بالتعدي إلى خلافه فلا بد أن يكون الظلم عبارة عن ضرر دنيوى يلحقه بسبب تعديه ولا يمكن تداركه أو عن مطلق الضرر الشامل للدنيوى والأخروى ويخص التعليل بالدنيوى لكون احتراز الناس منه أشد واهتمامهم بدفعه أقوى وقوله تعالى لا تدرى خطاب للمتعدى بطريق الالتفات لمزيد الاهتمام بالزجر عن التعدي لالنبى عليه الصلاة والسلام كما توهم فالمعنى ومن يتعد حدود الله فقد أضر بنفسه فإنك لا تدرى أيها المتعدى عاقبة الأمر لعل الله يحدث فى قلبك بعد ذلك الذى فعلت من التعدى أمراً يقتضى خلاف ما فعلته فيبدل بيغضها محبة وبالإعراض عنها إقبالاً إليها ويتسنى تلافيه رجعة أو استئناف نكاح (فإذا بلغن أجلهن) شارف ٢ آخر عدتهن (فأمسكنهن) فراجعوهن (بمعروف) بحسن معاشرة وإتفاق لائق (أو فارقوهن بمعروف) * بإيفاء الحق وإتقاء الضرر بأن يراجعهن ثم يطلقها تطويلاً للعدة (وأشهدوا ذوى عدل منكم) عند الرجعة * والفرقة قسماً للتنازع وهذا أمر ندب كما فى قوله تعالى وأشهدوا إذا تبايعتم ويروى عن الشافعى أنه للوجوب فى الرجعة (وأقيموا الشهادة لله) أيها الشهود عند الحاجة خالصاً لوجهه تعالى (ذلكم) إشارة * إلى الحث على الإشهاد والإقامة أو على جميع ما فى الآية (يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) * إذ هو المنتفع به والمقصود تذكيره وقوله تعالى (ومن يتق الله) الخ جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق * من وجوب مراعاة حدود الله تعالى بالوعد على الاتقاء عن تعديها كما أن ما تقدم من قوله تعالى ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه مؤكد له بالوعيد على تعديها فالمعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فى الإشهاد وغيره من الأمور (يجعل له مخرجاً) مما عسى يقع * فى شأن الأزواج من الغوم والوقوع فى المضايق ويفرج عنه ما يعتريه من الكروب (ويرزقه من حيث لا يحتسب) أى من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه ويجوز أن يكون كلاماً جرى به على نهج الاستطراد عند ذكر قوله تعالى ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله إلى آخره فالمعنى ومن يتق الله فى كل ما يأتى وما يذر يجعل له مخرجاً ومخلصاً من غوم الدنيا والآخرة فيندرج فيه ما نحن فيه اندراجاً أولياً عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قرأها فقال مخرجاً من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد

وَاللَّيْ يَسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ آرَبَيْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّيْ لَمْ يَحْضَنْ
وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٦٥﴾ الطلاق

ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ۖ وَيُعْظِمَ لَهُ أَجْرًا ﴿٦٥﴾ الطلاق

- يوم القيامة وقال عليه الصلاة والسلام إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتمهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها . وروى أن عوف بن الأشجعي أسر المشركون ابنه سالماً فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أسر ابني وشكاً إليه الفاقة فقال عليه الصلاة والسلام اتق الله وأكثر قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ففعل فينا في بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الإبل غفل عنها العدو فاستاقها فنزلت (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أي كافيه في جميع أموره (إن الله بالغ أمره) بالإضافة
- * أي منفذ أمره وقرىء بتنوين بالغ ونصب أمره أي يبلغ ما يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب وقرىء برفع أمره على أنه مبتدأ وبالغ خبر مقدم والجملة خبر إن أو بالغ خبر إن وأمره مرتفع به على
 - * الفاعلية أي نافذ أمره وقرىء بالغاً أمره على أنه حال وخبر إن قوله تعالى (قد جعل الله لكل شيء قدراً) أي تقديراً وتوقيتاً أو مقداراً وهو بيان لوجوب التوكل عليه تعالى وتفويض الأمر إليه لأنه إذا علم أن كل شيء من الرزق وغيره لا يكون إلا بتقديره تعالى لا يبقى إلا التسليم للقدر والتوكل على الله تعالى (واللأني يسن من المحيض من نساءكم) لكبرهن وقد قدره بستين سنة وبخمس وخمسين (إن ارتبتم) أي شككتم وجهلتم كيف عدتهن (فعدتهن ثلاثة أشهر واللأني لم يحضن) بعد لصغرهن أي
 - * فعدتهن أيضاً كذلك لحذف ثقة بدلالة ما قبله عليه (وأولات الأحمال أجلهن) أي منتهى عدتهن (أن يضعن حملهن) سواء كن مطلقات أو متوفى عنهن أزواجهن وقد نسخ به عموم قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً لتراخي نزوله عن ذلك لما هو المشهور من قول ابن مسعود رضى الله عنه من شاء باهله أن سورة النساء القصري نزلت بعد التي في سورة البقرة وقد صح أن سبيعة بنت الحرث الأسلية ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها قد حلت فتزوجي (ومن يتق الله) في شأن أحكامه ومراعاة حقوقها
 - * (يجعل له من أمره يسراً) أي يسهل عليه أمره ويوقفه للخير (ذلك) إشارة إلى ما ذكر من الأحكام وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيدان ببعده منزلته في الفضل وإفراد الكاف مع
 - * أن الخطاب للجمع كما يفصح عنه قوله تعالى (أمر الله أنزله إليكم) لما أنها مجرد الفرق بين الحاضر والمنقضى لالتعيين خصوصية المخاطبين وقد مر في قوله تعالى ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله
 - * من سورة البقرة (ومن يتق الله) بالمحافظة على أحكامه (يكفر عنه سيئاته) فإن الحسنات يذهبن السيئات
 - * (ويعظم له أجراً) بالمضاعفة .

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارَّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَئِكَ
 حَمَلَ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَمِّرُوا بَيْنَكُمْ
 بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فِستَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى ﴿٦﴾

٦٥ الطلاق

لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا
 مَاءً أَتَنَهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾

٦٥ الطلاق

وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا
 نُكَرًا ﴿٨﴾

٦٥ الطلاق

فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾

٦٥ الطلاق

- وقوله تعالى (أسكنوهن من حيث سكنتم) استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ مما قبله من الحث ٦
 على التقوى كأنه قيل كيف تعمل بالتقوى في شأن المعتدات فقيل أسكنوهن مسكناً من حيث سكنتم
 أى بعض مكان سكناكم وقوله تعالى (من وجدكم) أى من وسعكم أى بما تطيقونه عطف بيان لقوله *
 من حيث سكنتم وتفسير له (ولا تضاروهن) أى فى السكنى (لتضيّقوا عليهن) وتلتجّوهن إلى *
 الخروج (وإن كن) أى المطلقات (أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) فيخرجن من *
 العدة أما المتوفى عنهن أزواجهن فلا نفقة لهن (فإن أرضعن لكم) بعد ذلك (فآتوهن أجورهن) *
 على الإرضاع (واتمروا بينكم بمعروف) أى تشاوروا وحقيقته ليأمر بعضكم بعضاً بمجمل في *
 الأرضاع والأجر ولا يكن من الأب بما كسبه ولا من الأم معاصرة (وإن تعاسرتم) أى تضايقتم (فسترضع *
 له أخرى) أى فستوجد ولا تعوز مرضعة أخرى وفيه معاتبة للأم على المعاصرة (لينفق ذو سعة من ٧
 سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق بما آتاه الله) وإن قل أى لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما يبلغه
 وسعه (لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها) جل أو قل فإنه تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها وفيه تطيب *
 لقلب المعسر وترغيب له في بذل مجهوده وقد أكد ذلك بالوعد حيث قيل (سيجعل الله بعد عسر يسراً) *
 أى عاجلاً أو آجلاً (وكأين من قرية) أى كثير من أهل قرية (عتت) أى أعرضت (عن أمر ربها ٨
 ورسله) بالعتو والتمرد والعتاد (فحسبناها حساباً شديداً) بالاستقصاء والتنقيير والمناقشة في كل نقيير *
 وقطعير (وعذبناها عذاباً نكراً) أى منكرأ عظيماً وقرىء نكراً والمراد حساب الآخرة وعذابها *
 والتعبير عنهما بلفظ الماضى للدلالة على تحققهما كما فى قوله تعالى ونادى أصحاب الجنة (فذاقوا وبال ٩
 أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً) هاتلاً لاخسر وراءه .

أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ

ذِكْرًا ﴿١٠﴾

٦٥ الطلاق

رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ

فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾

٦٥ الطلاق

- ١٠ (أعد الله لهم عذاباً شديداً) تكرر للوعيد وبيان لكونه مترقباً كأنه قيل أعد الله لهم هذا العذاب * (فاتقوا الله يا أولي الألباب) ويجوز أن يراد بالحساب استقصاء ذنوبهم وإثباتها في صحائف الحفظه وبالعذاب ما أصابهم عاجلاً وقد جوز أن يكون عنت وما عطف عليه صفة للقرية وأعد الله لهم جواباً * لقوله تعالى كآى (الذين آمنوا) منصوب بإضمار أعنى بياناً للننادى أو عطف بيان له أو نعت وفى إبداله منه ضعف لتعذر حلوله محله (قد أنزل الله إليكم ذكراً) هو جبريل عليه السلام سمي به لكثرة ذكره أو لنزوله بالذكر الذى هو القرآن كما ينبى عنه إبدال قوله تعالى (رسولا) منه أو لأنه مذكور
- ١١ فى السموات وفى الأمم أو أريد بالذكر الشرف كما فى قوله تعالى وإنه لذكر لك ولقومك كأنه فى نفسه شرف إما لأنه شرف للنزل عليه وإما لأنه ذو مجد وشرف عند الله تعالى كقوله تعالى عند ذى العرش مكين أو هو النبى عليه الصلاة والسلام وعليه الأكثر عبر عنه بالذكر لمواظبته على تلاوة القرآن أو تبليغه والتذكير به وعبر عن إرساله بالإنزال بطريق الترشيح أو لأنه مسبب عن إنزال الوحي إليه وأبدل منه رسولا للبيان أو هو القرآن ورسولا بمنصوب بمقدر مثل أرسل أو بذكرا على أعمال المصدر المنون أو بدل منه على أنه بمعنى الرسالة وقوله تعالى (يتلو عليكم آيات الله مبينات) نعت لرسولا وآيات الله القرآن ومبينات حال منها أى حال كونها مبينات لكم ماتحتاجون إليه من الأحكام وقرىء مبينات أى بينها الله تعالى لقوله تعالى قد بينا لكم الآيات واللام فى قوله تعالى (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات) متعلقة بـ يتلو أو بأنزل وفاعل يخرج على الأول ضمير الرسول عليه الصلاة والسلام أو ضمير الجلالة والموصول عبارة عن المؤمنين بعد إنزاله أى ليحصل لهم الرسول أو الله عز وعلا ما هم عليه الآن من الإيمان والعمل الصالح أو ليخرج من علم أو قدر أنه سيؤمن (من الظلمات إلى النور) من الضلالة إلى الهدى (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً) حسبما بين فى تضاعيف ما أنزل من الآيات المبينات (يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار) وقرىء ندخله بالنون وقوله تعالى (خالدين فيها أبداً) حال من مفعول يدخله والجمع باعتبار معنى من كما أن الأفراد فى الضمائر الثلاثة باعتبار لفظها وقوله تعالى (قد أحسن الله له رزقا) حال أخرى منه أو من الضمير فى خالدين بطريق التداخل وإفراد ضمير له قد مر وجهه وفيه معنى التعجب والتعظيم لما رزقه الله المؤمنين من الثواب .

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾

٦٥ الطلاق

- (الله الذى خلق سبع سموات) مبتدأ وخبر (ومن الأرض مثلهن) أى خلق من الأرض مثلهن فى العدد وقرىء مثلهن بالرفع على أنه مبتدأ ومن الأرض خبره واختلف فى كيفية طبقات الأرض قالوا الجمهور على أنها سبع أرضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والأرض وفى كل أرض سكان من خلق الله تعالى وقال الضحاك مطبقة بعضها فوق بعض من غير فتوق بخلاف السموات قال القرطبي والأول أصح لأن الأخبار دالة عليه كما روى البخارى وغيره من أن كعباً حلف بالذى فلق البحر لموسى أن صهيلاً حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرقية يريد دخولها إلا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أظللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر من فيها وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن نافع بن الأزرق سأله عن تحت الأرضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال إما ملائكة أو جن قال الماوردى وعلى هذا تختص دعوة الإسلام بأهل الأرض العليا دون من عداهم وإن كان فيهن من يعقل من خلق وفى مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها قولان أحدهما أنهم يشاهدون السماء من كل جانب من أرضهم ويستمدون النضياء منها والثانى أنهم لا يشاهدون السماء وأن الله تعالى خلق لهم نضياء يشاهدونه وحكى الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما أنها سبع أرضين متفرقة بالبحار وتظل الجميع السماء (يتنزل الأمر بينهن) أى يجرى أمره وقضاؤه بينهن وينفذ ملكه فيهن وعن قتادة فى كل سماء وفى كل أرض خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه وقيل هر ما يدبر فيهن من عجائب تديره وقرىء ينزل الأمر (لتعلموا أن الله على كل شيء قدير) متعلق بخلق أو يتنزل أو بمضمرة يعمهما أى فعل ذلك لتعلموا أن من قدر على ما ذكر قادر على كل شيء (وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً) لاستحالة صدور الأفاعيل المذكورة ممن ليس كذلك ويجوز أن يكون العامل فى اللام بيان ما ذكر من الخلق وتنزل الأمر أى أوحى ذلك وبينه لتعلموا بما ذكر من الأمور التى تشاهدونها والتى تتلقونها من الوحي من عجائب المصنوعات أنه لا يخرج عن قدرته وعلمه شيء ما أصلا وقرىء ليعلموا . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطلاق مات هلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٦٦ - سورة التحريم

(مدينة وهي اثنتا عشرة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ ٦٦ التحريم

قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ٦٦ التحريم

وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ

عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ ٦٦ التحريم

(سورة التحريم مدينة وآياتها اثنتا عشرة)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) روى أن النبي عليه الصلاة والسلام خلا بمارية في يوم عائشة وعلت بذلك حفصة فقال لها اكتسى على فقد حرمت مارية على نفسي وأبشرك أن أبا بكر وعمر يملكان بعدى أمر أمي فأخبرت به عائشة وكانت متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة فأرضاهما بذلك واستكتمتها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه فنزل جبريل عليه السلام فقال راجعها فإنها صوامة قوامه وإنها لمن نسائك في الجنة وروى أنه عليه الصلاة والسلام شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا نشتم منك ريح المغافير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره التفل فحرم العسل فنزلت فعنه لم تحرم ما أحل الله لك من ملك اليمين أو من العسل (تبتغي مرضاة أزواجك) إما تفسير لتحريم أو حال من فاعله أو استئناف ببيان مادعاه إليه مؤذن بعد صلاحيتك لذلك (والله غفور) مبالغ في الغفران قد غفر لك هذه الزلة (رحيم) قد رحمك ولم يؤخذك به وإنما
- ٢ عاتبك محاماة على عصمتك (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) أي شرع لكم تحليلها وهو حل ماعقده بالكفارة أو بالاستثناء متصلا حتى لا يحنث والاول هو المراد هنا (والله مولاكم) سيدكم ومتولى
- ٣ أموركم (وهو العليم) بما يصلحكم فيشرعه لكم (الحكيم) المتقن في أفعاله وأحكامه فلا يأمركم ولا ينهاكم إلا حسبما تقتضيه الحكمة (وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه) وهي حفصة (حديثاً) أي حديث تحريم مارية أو العسل أو أمر الخلافة (فلما نبأت به) أي أخبرت حفصة عائشة بالحديث وأفشته إليها وقرئ أنبأت به (وأظهره الله عليه) أي أطلع الله تعالى النبي عليه الصلاة والسلام على إفشاء حفصة (عرف) أي النبي عليه الصلاة والسلام حفصة (بعضه) بعض الحديث الذي أفشته قيل هو حديث (عرف) أي النبي عليه الصلاة والسلام حفصة (بعضه) بعض الحديث الذي أفشته قيل هو حديث الإمامتروى أنه عليه الصلاة والسلام قال لها ألم أقل لك اكتسى على قالت والذي بعثك بالحق ماملكت

إِنْ تُتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٦٦﴾ التحريم

عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مِثْلِي مُؤْمِنَتٍ قَانِتَةٍ تَنْبِتُ
عَبْدَتِ سَيِّحَتِ ثَبَّتِ وَأَبْكَارًا ﴿٦٦﴾ التحريم

- * نفسى فرحا بالكرامة التى خص الله تعالى بها أباهما (وأعرض عن بعض) أى عن تعريف بعض تكريما
- * قيل هو حديث مارية (فلما نبأها به) أى أخبر النبي عليه الصلاة والسلام حفصة بما عرفه من الحديث
- (قالت من أنباك هذا) أى إفضاءها للحديث (قال نبأني العليم الخبير) الذى لا تخفى عليه خافية (إن
- تتوبا إلى الله) خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للبالغة فى العتاب (فقد صغت قلوبكما) الفاء للتعليل
- * كما فى قولك اعبد ربك فالعبادة حق أى فقد وجد منك ما يوجب التوبة من ميل قلوبكما عما يجب عليكما
- من مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب ما يحبه وكره ما يكرهه وقرئ فقد زاعت (وإن
- تظاهرا عليه) بإسقاط إحدى التاءين وقرئ على الأصل وبتشديد الظاء وتظاهرا أى تتعاون على ما
- يسوءه من الإفراط فى الغير وإفضاء سره (فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين) أى فلن يعدم
- من يظاھره فإن الله هو ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين أتباعه وأعوانه
- قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أراد بصالح المؤمنين أبا بكر وعمر رضى الله عنهما وقد روى ذلك
- مرفوعا إلى النبي عليه الصلاة والسلام وبه قال عكرمة ومقاتل وهو اللائق بتوسطه بين جبريل والملائكة
- عالم السلام فإنه جمع بين الظهير المعنوى والظهير الصورى كيف لا وإن جبريل ظهير له عليهما السلام
- بؤيد، بالتأييدات الإلهية وهما وزيراه وظهيراه فى تدبير أمور الرسالة وتمشية أحكامها الظاهرة ولأن
- بيان مظاهرتما له عليه الصلاة والسلام أشد تأثيراً فى قلوب بنتيهما وتوهيناً لأمرهما فكان حقيقاً
- بالتقديم بخلاف ما إذا أريد به جنس الصالحين كما هو المشهور (والملائكة) مع تكاثر عددهم وامتلاء
- السموات من جموعهم (بعد ذلك) قيل أى بعد نصرته الله عز وجل وناموسه الأعظم وصالح المؤمنين
- (ظهير) أى فوج مظاهر له كأنهم يد واحدة على من يعاديه فإذا يفيد تظاهر امرأتين على من هؤلاء
- ظهر أؤه وما ينبى عنه قوله تعالى بعد ذلك من فضل نصرتهم على نصره غيرهم من حيث إن نصرته الكل
- نصرة الله تعالى وإن نصرته تعالى بهم وبمظاهرتهم أفضل من سائر وجوه نصرته هذا ما قالوه ولعل
- الأنسب أن يجعل ذلك إشارة إلى مظاهره صالح المؤمنين خاصة ويكون بيان بعدية مظاهره الملائكة
- تداركاً لما يوهمه الترتيب الذكرى من أفضلية المقدم فكانه قيل بعد ذكر مظاهره صالح المؤمنين
- وسائر الملائكة بعد ذلك ظهير له عليه الصلاة والسلام إذ نادى بعلمورتبة مظاهرتهم وبعد منزلتها وجبرا
- لفصلها عن مظاهره جبريل عليه السلام (عسى ربه إن طلقك أن يبدله) أى يعطيه عليه السلام بدلكن

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَظٌ شِدَادٌ
لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦٦﴾

٦٦ التحريم

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٧﴾

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٨﴾

٦٦ التحريم

- * (أزواجاً خيراً منكن) على التغليب أو تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على أنه عليه الصلاة والسلام لم يطلق حفصة وأن في النساء خيراً منهن فإن تعليق طلاق الكل لا ينافي تطبيق واحدة وما علق بما لم يقع
- * لا يجب وقوعه وقرىء أن يدلله بالتشديد (مسلمات مومنات) مقرات مخلصات أو منقادات مصدقات
- * (قانتات) مصليات أو مواظبات على الطاعة (تائبات) من الذنوب (عابدات) متعبدات أو متذللات
- * لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم (سائحات) صائمات سمي الصائم سائحاً لأنه يسبح في النهار بلا زاد
- ٦ أو مهاجرات وقرىء سيحاح (ثيبات وأبكاراً) وسط بينهما العاطف لتنافيهما (يأياها الذين آمنوا
- * قوا أنفسكم) بترك المعاصي وفعل الطاعات (وأهليكم) بأن تأخذوهم بما تأخذون به أنفسكم وقرىء
- أهلوكم عطفاً على وادقوا فيكون أنفسكم عبارة عن أنفس الكل على تغليب المخاطبين أي قوا أتم وأهلوكم
- * أنفسكم (ناراً وقودها الناس والحجارة) أي ناراً تنقد بهما اتقاد غيرها بالخطب وأمر المؤمنين باتقاء
- * هذه النار المعدة للكافرين كما نص عليه في سورة البقرة للبالغة في التحذير (عليها ملائكة) أي تلي
- * أمرها وتعذيب أهلها وهم الزبانية (غلاظ شداد) غلاظ الأقوال شداد الأفعال أو غلاظ الخلق شداد
- * الخلق أقوياء على الأفعال الشديدة (لا يعصون الله ما أمرهم) أي أمره على أنه بدل اشتغال من الله أو
- * فيما أمرهم به على نزع الحافض أي لا يمتنعون من قبول الأمر ويلتزمون به (ويفعلون ما يؤمرون) أي
- ٧ ويزدرون ما يؤمرون به غير تناقل ولا توان وقوله تعالى (يأياها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم) مقول
- لقول قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليه أي يقال لهم ذلك عند إدخال الملائكة لإياهم النار حسبما أمروا
- * به (إنما تجزون ما كنتم تعملون) في الدنيا من الكفر والمعاصي بعد ما نهيتهم عنها أشد النهي وأمرتهم
- ٨ بالإيمان والطاعة فلا عذر لكم قطعاً (يأياها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً) أي بالغة في النصيح
- وصفت التوبة بذلك على الإسناد المجازي وهو وصف التائبين وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم فيأتوا
- بها على طريقتها وذلك أن يتوبوا عن القبائح لقبها نادمين عليها مغتمين أشد الاغتمام لارتكابها عازمين
- على أنهم لا يعودون في قبيح من القبائح موطنين أنفسهم على ذلك بحيث لا يلويهم عنه صارف أصلاً

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَهْدَ الْكَفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ التحريم
ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطَ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ
فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ التحريم

عن علي رضي الله عنه أن التوبة يجمعها ستة أشياء على الماضي من الذنوب الندامة والقرائن الإعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وأن تعزم على أن لا تعود وأن تذيب نفسك في طاعة الله تعالى كما ربيتها في المعصية وأن تذيبها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية وعن شهر بن حوشب أن لا يعود ولو حز بالسيف وأحرق بالنار وقيل نصوحا من نصاحة التوب أي توبة ترفو خروقك في دينك وترم خلاك وقيل خالصة من قولهم غسل ناصح إذا خلص من الشمع ويجوز أن يراد توبة تنصح الناس أي تدعوهم إلى مثلها لظهور أثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل بمقتضياتها وقرىء نصوحا وقرىء نصوحا وهو مصدر نصح فإن النصح والنصوح كالشكر والشكور أي ذات النصح أو تنصح نصوحا أو توبوا لنصح أنفسكم على أنه مفعول له (عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من الأنهار) ورود صيغة الأطايع للجرى على سنن الكبرياء والإشعار بأنه تفضل والتوبة غير موجهة له وأن العبد ينبغي أن يكون بين خوف ورجاء وإن بالغ في إقامة وظائف العبادة (يوم لا يخزي الله النبي) ظرف ليدخلكم (والذين آمنوا معه) عطف على النبي وفيه تعريض بمن أخزاهم الله تعالى من أهل الكفر والفسوق واستحجاد إلى المؤمنين على أنه عصمهم من مثل حالهم وقيل هو مبتدأ خبره قوله تعالى (نورهم يسمى بين أيديهم وبأيمنهم) أي على الصراط وهو على الأول استئناف أو حال وكذا قوله تعالى (يقولون) الخ وعلى الثاني خبر آخر للموصول أي يقولون إذا طوى نور المنافقين (ربنا أتم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير) وقيل يدعون تقرباً إلى الله مع تمام نورهم وقيل تفاوت أنوارهم بحسب أعمالهم فيسألون إتمامه تفضلاً وقيل السابقون إلى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفاً وأولئك الذين يقولون ربنا أتم لنا نورنا (يأيها النبي جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالحجة (واغلظ عليهم) واستعمل الخشونة على الفرقة بين فيما تجاهدان من القتال والمحااجة (ومأواهم جهنم) سيرون فيها عذاباً غليظاً (وبئس المصير) أي جهنم أو مصيرهم (ضرب الله مثلا للذين كفروا) ضرب المثل في أمثال هذه المواقع عبارة عن إيراد حالة غريبة ليعرف بها حالة أخرى مشاكلة لها في الغرابة أي جعل الله مثلا لحال هؤلاء الكفرة حالا ومآلا على أن مثلا مفعول ثان لضرب واللام متعلقة به وقوله تعالى (امرأة نوح وامرأة لوط) أي حالهما مفعوله الأول آخر عنه ليتصل به ما هو شرح وتفصيل لحالهما ويتضح بذلك حال هؤلاء فقوله تعالى (كانتا تحت عبيدين من عبادنا صالحين) بيان لحالهما الداعية لهما إلى الخير والصلاح أي كانتا في عصمة نبين عظيمي الشأن متمكنين من تحصيل خيري الدنيا والآخرة وحياسة سعادتهما وقوله تعالى (فخانتاهما)

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ
فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾

٦٦ التحريم

وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُنِيَ
وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ ﴿١٢﴾

٦٦ التحريم

بيان لما صدر عنهما من الجنابة العظيمة مع تحقق ما ينبغيها من صحبة النبي أى خاتما بالكفر والنفاق
وهذا تصوير لحالهما المحاكية لحال هؤلاء الكفرة في خياتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالكفر
والعصيان مع تمسكهم التام من الإيمان والطاعة وقوله تعالى (فلم يغنيا) الخ بيان لما أدى إليه خياتهما
* أى فلم يغن الثبيان (عنهما) بحق الزواج (من الله) أى من عذابه تعالى (شيئا) أى شيئا من الإغناء
* (وقيل) لهما عند موتها أو يوم القيامة (ادخلا النار مع الداخلين) أى مع سائر الداخلين من الكفرة
١١ الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون) أى
جعل حالها مثلا لحال المؤمنين فى أن وصلة الكفرة لا تضرهم حيث كانت فى الدنيا تحت أعدى أعداء
* الله وهى فى أعلى غرف الجنة وقوله تعالى (إذ قالت) ظرف لمحذوف أشير إليه أى ضرب الله مثلا
* للمؤمنين حالها إذ قالت (رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة) قريبا من رحمتك أو فى أعلى درجات المقربين .
* روى أنها لما قالت ذلك أريت بيتها فى الجنة درة واتزع روحها (ونجنى من فرعون وعمله) أى من
١٢ نفسه الخبيثة وعمله السيئ (ونجنى من القوم الظالمين) من القبط التابعين له فى الظلم (ومريم ابنة عمران)
عطفت على امرأة فرعون تسلية للأرامل أى وضرب الله مثلا للذين آمنوا حالها وما أوتيت من كرامة
* الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع كون قوما كفارا (اللى أحصنت فرجها فننفخنا فيه)
* وقرىء فيها أى مريم (من روحنا) من روح خلقناه بلا توسط أصلا (وصدقت بكلمات ربها) بصحفة
* المنزلة أو بما أوحى إلى أنبيائه (وكتبه) بجميع كتبه المنزلة وقرىء بكلمة الله وكتابه أى بعيسى
* وبالكتاب المنزل عليه وهو الإنجيل (وكانت من القانتين) أى من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير
للتغليب والإشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعات الرجال حتى عدت من جملتهم أو من نسلهم لأنها من
أعقاب هارون أخى موسى عليهما السلام . عن النبي صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل
من النساء إلا أربع أسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلوات
الله عليه وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا .

﴿ تم الجزء الثامن ويليه الجزء التاسع وأوله سورة المالك ﴾

فهرست

الجزء الثامن من تفسير قاضى القضاة أبى السعود

صفحة	سورة	صفحة	سورة
٢	فصلت	١٦٧	القمر
٢١	الشورى	١٧٦	الرحمن
٢٩	الزخرف	١٨٨	الواقعة
٥٨	الدخان	٢٠٣	الحديد
٦٧	الجاثية	٢١٥	المجادلة
٧٧	الاحقاف	٢٢٤	الحشر
٩١	محمد صل الله عليه وسلم	٢٣٥	المتحنة
١٠٣	الفتح	٢٤٢	الصف
١١٥	الحجرات	٢٤٧	الجمعة
١٢٥	ق	٢٥١	المنافقون
١٣٦	الذريات	٢٥٥	التغابن
١٤٦	الطور	٢٦٠	الطلاق
١٥٤	النجم	٢٦٦	التحریم

(تم الفهرست)

نظير السعدي

المسمى بإرشاد العقل السليم إلى مزايا الفقه وإن كان

لقاضي القضاة الإمام
أبي السعود محمد بن محمد العامري
المتوفى سنة ٩٥١ هـ

الجزء الثاني

الناشر
دار إحياء التراث العربي
بيروت - لبنان

٦٧ — سورة الملك

(مكية وهي ثلاثون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٦٧ الملك

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾

٦٧ الملك

الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾

(سورة الملك مكية وتسمى الواقعة والمنجية لأنها تنجي قارئها من عذاب القبر وآياتها ثلاثون) (بسم الله الرحمن الرحيم) (تبارك الذي بيده الملك) البركة والثناء والزيادة حسية كانت أو عقلية وكثرة الخير ودوامه أيضاً ونسبتها إلى الله عز وجل على المعنى الأول وهو الأليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته وصفاته وأفعاله وصيغة التفاعل للبالغة في ذلك فإن ما لا يتصور نسبته إليه تعالى من الصيغ كالتكبر ونحوه إنما تنسب إليه سبحانه باعتبار غاياتها وعلى الثاني باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته من فنون الخيرات والصيغ حينئذ يجوز أن تكون لإفادة ثناء تلك الخيرات وازديادها شيئاً فشيئاً وأنا فأننا بحسب حدوثها أو حدوث متعلقاتها ولا استقلالها بالدلالة على غاية الكمال وإنابتها عن نهاية التعظيم لم يحز استعمالها في حق غيره سبحانه ولا استعمال غيرها من الصيغ في حقه تبارك وتعالى وإسنادها إلى الموصول للاستشهاد بما في حيز الصلة على تحقق مضمونها واليد مجاز عن القدرة التامة والاستيلاء الكامل أى تعالى وتعاظم بالذات عن كل ما سواه ذاتاً وصفة وفعلًا الذي بقبضة قدرته التصرف الكلى في كل الأمور (وهو على كل شيء) من الأشياء (قدير) مبالغ في القدرة عليه يتصرف فيه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة والجملة معطوفة على الصلة مقررلة لمضمونها مفيدة لجريان أحكام ملكه تعالى في جلال الأمور ودقانها وقوله تعالى (الذي خلق الموت والحياة) شروع في تفصيل بعض أحكام الملك وآثار القدرة وبيان ابتنائها على قوانين الحكم والمصالح واستتباعهما لغايات جليلة والموصول بدل من الموصول الأول داخل معه في حكم الشهادة بتعالیه تعالى والموت عند أصحابنا صفة وجودية مضادة للحياة وأما ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما من أنه تعالى خلق الموت في صورة كبش أملح لا يمر بشيء ولا يجد رائحته شيء إلا مات وخلق الحياة في صورة فرس بلقاء لا تمر بشيء ولا يجد رائحتها شيء إلا حي فكلام وارد على منهاج التمثيل والتصوير وقيل هو عدم الحياة فمضى خلقه حينئذ تقديره أو إزالة الحياة وأياً ما كان فالأقرب أن المراد به الموت الطارئ وبالحياة ما قبله وما بعده لظهور مداريتهما لما ينطق به قوله تعالى (ليبلوكم أيكم أحسن عملاً) فإن استدعاء ملاحظتهما لإحسان العمل بما لا ريب فيه مع أن نفس العمل لا يتحقق بدون الحياة الدنيوية وتقديم الموت لكونه

الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن

فُطُورٍ ﴿٣﴾

٦٧ الملك

أدعى إلى إحسان العمل واللام متعلقة بخلق أى خلق موتكم وحياتكم على أن الألف واللام عوض عن المضاف إليه ليعلمكم معاملة من يحتبركم أيكم أحسن عملاً فيجازيكم على مراتب متفاوتة حسب تفاوت طبقات علومكم وأعمالكم فإن العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسر عليه الصلاة والسلام بقوله أيكم أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله فإن لكل من القلب والقالب عملاً خاصاً به فكما أن الأول أشرف من الثاني كذلك الحال في عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد لإثر ذى أثر وإنما طريقها النظرى التفكير في بدائع صنع الله تعالى والتدبر في آياته المنصوبة في الأنفس والآفاق وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فإنه كان يرفع له كل يوم مثل عمل أهل الأرض قالوا وإنما كان ذلك التفكير في أمر الله عز وجل الذى هو عمل القلب ضرورة أن أحداً لا يقدر على أن يعمل بجوارحه كل يوم مثل عمل أهل الأرض وتعليق فعل البلوى أى تعقبيه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور الذى يقتضى عدم إيراد المفعول أصلاً مع اختصاصه بأفعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظائره ولذلك أجرى مجراه بطريق التمثيل وقيل بطريق الاستعارة التبعية وإيراد صيغة التفضيل مع أن الابتلاء شامل لهم باعتبار أعمالهم المنقسمة إلى الحسن والأحسن فقط للإيذان بأن المراد بالذات والمقصد الأصلي من الابتلاء هو ظهور كمال إحسان المحسنين مع تحقق أصل الإيمان والطاعة في الباقيين أيضاً لكمال تماضد الموجبات له وأما الإعراض عن ذلك فبمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلاً عن الانتظام في سلك الغاية للأفعال الإلهية وإنما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب وفيه من الترغيب في الترقى إلى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقائصها ما لا يخفى (وهو العزيز) الغالب الذى لا يفوته من أساء العمل (الغفور) لمن تاب منهم (الذى ٣ خلق سبع سموات) قيل هو نعمت للعزيز الغفور أو بيان أو بدل والأوجه أنه نصب أو رفع على المدح متعلق بالموصولين السابقين معنى وإن كان منقطعاً عنهما إعراباً كما مر تفصيله في قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة منتظم معهما في سلك الشهادة بتعاليه إليه سبحانه ومع الموصول الثانى في كونه مداراً للبلوى كما نطق به قوله تعالى وهو الذى خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وقوله تعالى (طباقاً) صفة لسبع سموات أى مطابقة على أنه مصدر طابقت النعل إذا خصفتها وصف به المفعول أو مصدر مؤكّد لمخزوف هو صفتها أى طوبقت طباقاً وقوله تعالى (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) صفة أخرى لسبع سموات وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير * للتعظيم والإشعار بعلّة الحكم وبأنه تعالى خلقها بقدرته القاهرة رحمة وتفضلاً وبأن في إبداعها نعماً

ثُمَّ أَرْجَعَ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٦٧﴾
وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ

السَّعِيرِ ﴿٦٨﴾

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيُسَّ الْمَصِيرُ ﴿٦٩﴾

إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧٠﴾

جلية أو استئناف والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن يصلح للخطاب ومن لنا كيد
النفي أى ماترى فيه شيئاً من تفاوت أى اختلاف وعدم تناسب من القوت فإن كلا من المتفاوتين يفوت
منه بعض ما فى الآخر وقرىء من تفوت ومعناها واحد وقوله تعالى (فارجع البصر هل ترى من فطور)
متعلق به على معنى التسبيب حيث أخبر أولاً بأنه لا تفاوت فى خلقهم ثم قيل فارجع البصر حتى يتضح
لك ذلك بالمعينة ولا يبقى عندك شبهة ما والفطور الشقوق والصدوع جمع فطر وهو الشق يقال فطره
فانفطر (ثم ارجع البصر كرتين) أى رجعتين أخريين فى ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير
كما فى ليك وسعديك أى رجعة بعد رجعة وإن كثرت (ينقلب إليك البصر خاسئاً) أى بعيداً محروماً
من إصابة ما التمس من العيب والخلل كأنه يطرد عن ذلك طرداً بالصغار والقمامة (وهو حسير) أى
كليل لطول المعادة وكثرة المراجعة وقوله تعالى (ولقد زيننا السماء الدنيا) بيان لكون خلق السموات
فى غاية الحسن والبهاء إثرياً ببيان خلوها عن شائبة القصور وتصدير الجملة بالقسم لإبراز كمال الاعتناء بمضمونها
أى وبالله لقد زيننا أقرب السموات إلى الأرض (بمصاييح) أى بكواكب مضيئة بالليل لإضاءة السرج
من السيارات والثوابت تترامى كأن كلها مركوزة فيها مع أن بعضها فى سائر السموات وما ذاك إلا
لأن كل واحدة منها مخلوقة على نمط رائق تحار فى فهمه الأفكار وطراز فائق تهيم فى دركه الأنظار
(وجعلناها رجوماً للشياطين) وجعلناها فائدة أخرى هى رجم أعدائكم بانقضاء الشهب المقتبسة
من نار الكواكب وقيل معناه وجعلناها ظنوناً ورجوماً بالغيب للشياطين الإنس وهم المنجمون ولا
يساعده المقام والرجوم جمع رجم بالفتح وهو ما يرمى به (وأعتدنا لهم) فى الآخرة (عذاب السعير)
٦ بعد الاحتراق فى الدنيا بالشهب (وللذين كفروا برههم) من الشياطين وغيرهم (عذاب جهنم) وقرىء
٧ بالنصب على أنه عطف على عذاب السعير وللذين على لهم (وبئس المصير) أى جهنم (إذا ألقوا فيها
سمعوا لها) أى لجهنم وهو متعلق بمحذوف وقع حالاً من قوله تعالى (شهيقاً) لأنه فى الأصل صفته
فلما قدمت صارت حالاً أى سمعوا كأنها لها شهيقاً أى صوتاً كصوت الخير وهو حسيبها المنكر الفظيع
قالوا الشهيق فى الصدر والزفير فى الحلق (وهى تفور) أى والحال أنها تغلى بهم غليان المرجل بما فيه
وجعل الشهيق لأهلها منهم ومن طرح فيها قبلهم كما فى قوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق يردده قوله تعالى

نَكَادُ نَمِيزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ ٦٧ الملك

قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَإِنَّا أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ ٦٧ الملك

وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ٦٧ الملك

- (تكاد تميز) أى تتميز وتنفرد (من الغيظ) أى من شدة الغضب عليهم فإنه صريح فى أنه من آثار الغضب عليهم كما فى قوله تعالى سمعوا لها تغيظاً وزفيراً فإن هو من شهيقتهم الناشئة من شدة ما يقاسونه من العذاب الأليم والجملة إما حال من فاعل تقور أو خبر آخر وقوله تعالى (كلما ألقى فيها فوج) استئناف مسوق لبيان حال أهلها بعد بيان حال نفسها وقيل حال من ضميرها أى كلما ألقى فيها جماعة من الكفرة (سألهم خزنتها) بطريق التوبيخ والتفريع ليزدادوا عذاباً فوق عذاب وحسرة على حسرة (ألم يأتكم نذير) يتلو عليكم آيات ربكم وينذركم لقاء يومكم هذا كما وقع فى سورة الزمر ويعرب عنه جوابهم أيضاً (قالوا) اعترافاً بأنه تعالى قد أراح علمهم بالكلية (بلى قد جاءنا نذير) جامع بين حرف الجواب ٩ ونفس الجملة المجاب بها مبالغة فى الاعتراف بمجىء النذير وتحسراً على ما فاتهم من السعادة فى تصديقهم وتمهيداً لبيان ما وقع منهم من التفريط تندما واعتباطاً على ذلك أى قال كل فوج من تلك الأفواج قد جاءنا نذير أى واحد حقيقة أو حكماً كأنبياء بنى إسرائيل فإنهم حكم نذير واحد فأنذرنا وتلا علينا ما نزل الله تعالى عليه من آياته (فكذبنا) ذلك النذير فى كونه نذيراً من جهته تعالى (وقلنا) فى حق ما تلاه من الآيات إفراطاً فى التكذيب وتمادياً فى النكير (ما نزل الله) على أحد (من شيء) من الأشياء فضلاً عن تنزيل الآيات عليهم (إن أنتم) أى ما أنتم فى ادعاء أنه تعالى نزل عليكم آيات تنذروننا بما فيها (إلا فى ضلال كبير) بعيد عن الحق والصواب وجمع ضمير الخطاب مع أن مخاطب كل فوج نذيره لتعليقه على أمثاله مبالغة فى التكذيب وتمادياً فى التضليل كما ينبى عنه تعميم المنزل مع ترك ذكر المنزل عليه فإنه ملوح بعمومه حتماً وأما إقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل فأمر تحقيقى يصار إليه لتحويل ما ارتكبه من الجنايات لاسماخ لاعتباره من جهتهم ولا لإدراجه تحت عبارتهم كيف لا وهو منوط بملاحظة إجماع النذر على ما لا يختلف من الشرائع والأحكام باختلاف العصور والأعوام وأين هم من ذلك وقد حال الجريض دون القريض هذا إذا جعل ما ذكر حكاية عن كل واحد من الأفواج وأما إذا جعل حكاية عن الكل فالنذير إما بمعنى الجمع لأنه فعيل أو مصدر مقدر بمضاف عام أى أهل نذير أو منعوت به فيتفق كلا طرفى الخطاب فى الجمعية ومن اعتبر الجمعية بأحد الوجوه الثلاثة على التقدير الأول ولم يخص اعتبارها بالتقدير الأخير فقد اشتبه عليه الشئون واختلط به الظنون وقد جوز أن يكون الخطاب من كلام الخزانة للكفار على إرادة القول على أن مرادهم بالضلال ما كانوا عليه فى الدنيا أو هلاكهم أو عقاب ضلالهم تسمية له باسم سبيه وأن يكون من كلام الرسل للكفرة وقد حكموه للخزانة فتأمل وكن على الحق المبين (وقالوا) أيضاً معترفين بأنهم لم يكونوا ١٠

٦٧ الملك

فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾

٦٧ الملك

إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾

٦٧ الملك

وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾

٦٧ الملك

أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾

- * من يسمع أو يعقل (لو كنا نسمع) كلاماً (أو نعقل) شيئاً (ما كنا في أصحاب السعير) أى في عدادهم ومن انبأهم وهم الشياطين لقوله تعالى وأعتدنا لهم عذاب السعير كأن الحزنة قالوا لهم في تضاعيف التوبيخ ألم تسمعوا آيات ربكم ولم تعقلوا معانيها حتى لا تكذبوا بها فأجابوا بذلك (فاعترفوا بذنبهم) الذى هو كفرهم وتكذيبهم بآيات الله ورسله (فسحقاً) بسكون الحاء وقرئ بضمها مصدر مؤكد إما لفعل متعد من المزيد بجذف الزوائد كما في قعدك الله أى فأسحقهم الله أى أبعدهم من رحمته سحقاً أى إسحاقاً أو لفعل مترتب على ذلك الفعل أى فأسحقهم الله فسحقوا أى بعدوا سحقاً أى بعداً كما في قول من قال [وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع * من المال إلا مسحت أو مجلف] أى لم تدع فلم يبق إلا مسحت الخ وعلى هذين الوجهين قوله تعالى وأنبأنا نبأ أحسنًا واللام في قوله تعالى (لأصحاب السعير) للبيان كما في هيت لك ونحوه والمراد بهم الشياطين والداخلون في عدادهم بطريق التغليب (إن الذين يخشون ربهم بالغيب) أى يخافون عذابه غائباً عنهم أو غائبين عنه أو عن أعين الناس أو بما خفى منهم وهو قلوبهم (لهم مغفرة) عظيمة لذنوبهم (وأجر كبير) لا يقادر قدره (وأسروا قولكم أو أجهروا به) بيان لتساوى السر والجهر بالنسبة إلى علمه تعالى كما في قوله سواء منكم من أسر القول ومن جهر به قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت في المشركين كانوا يناولون من النبي عليه الصلاة والسلام فيوحي إليه عليه الصلاة والسلام فقال بعضهم لبعض أسروا قولكم كيلا يسمع رب محمد فقبل لهم أسروا ذلك أو أجهروا به فإن الله يعلمه وتقديم السر على الجهر للإيذان باقتضاهم ووقوع ما يحذرونه من أول الأمر والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط لجميع المعلومات كأن علمه تعالى بما يسرونه أقدر منه بما يجهرون به مع كونهما في الحقيقة على السرية فإن علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة إليه تعالى أو لأن مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر إذ مامن شيء يجر به إلا وهو أو مباديه مضمرة في القلب يتعلق به الأسرار غالباً فتعلق علمه تعالى بحالاته الأولى متقدم على تعلقه بحالاته الثانية وقوله تعالى (إنه عليم بذات الصدور) تعليل لما قبله وتقرير له وفي صيغة الفعيل وتولية الصدور بلام الاستغراق ووصف الضمائر بصاحبتها من الجزالة ما لا غاية وراءه كأنه قيل إنه مبالغ في الإحاطة بمضمرات جميع الناس وأسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تكاد تفارقها أصلاً فكيف يخفى عليه ما تسرونه وتجهرون به ويجوز أن يراد بذات الصدور القلوب التى في الصدر والمعنى إنه عليم بالقلوب وأحوالها فلا يخفى عليه سر من أسرارها وقوله تعالى (ألا يعلم من خلق)

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۚ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ الملك
 أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ الملك
 أَمْ لَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ الملك
 وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ الملك

- إنكار ونفي لعدم إحاطة علمه تعالى بالمضمر والمظهر أى ألا يعلم السر والجهر من أوجد بموجب حكمته جميع الأشياء التى هما من جملتها وقوله تعالى (وهو اللطيف الخبير) حال من فاعل يعلم مؤكدة للإنكار والنفي أى ألا يعلم ذلك والحال أنه المتوصل علمه إلى مظهر من خلقه وما بطن ويجوز أن يكون من خلق منصوباً والمعنى ألا يعلم الله من خلقه والحال أنه بهذه المثابة من شمول العلم ولا مساغ لإخلاء العلم عن المفعول بإجرائه مجرى يعطى ويمنع على معنى ألا يكون عالماً من خلق لأن الخلق لا يتأتى بدون العلم لخلو الحال حينئذ من الإفادة لأن نظم الكلام حينئذ ألا يكون عالماً وهو مبالغ في العلم (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولاً) لينة يسهل عليكم السلوك فيها وتقديم لكم على مفعولى الجعل مع أن حقه التأخر عنهما للاهتمام بما قدم والتشويق إلى ما أخر فإن ماحقه التقديم إذا أخر لاسيما عند كون المقدم بما يدل على كون المؤخر من منافع المخاطبين تبقى النفس مترقة لوروده فيتمكن لديها عند ذكره فضل يتمكن والفاء في قوله تعالى (فامشوا في مناكبها) لترتيب الأمر على الجعل المذكور أى فاسلكوا في جوانبها أو جبالها وهو مثل لفرط التذليل فإن منكب البعير أرق أعضائه وأنباهها عن أن يطأه الراكب بقدمه فإذا جعل الأرض في الذل بحيث يتأتى المشى في مناكبها لم يبق منها شيء لم يتذلل (وكلوا من رزقه) والتمسوا من نعم الله تعالى (وإليه النشور) أى المرجع بعد البعث لا إلى غيره فبالغوا في شكر نعمه وآلائه (أأمنتم من في السماء) أى الملائكة الموكلين بتدبير هذا العالم أو الله سبحانه على تأويل من في السماء أمره وقضاؤه أو على زعم العرب حيث كانوا يزعمون أنه تعالى في السماء أى أأمنتم من توعمون أنه في السماء وهو متعال عن المكان (أن يخسف بكم الأرض) بعدما جعلها لكم ذلولاً تمشون في مناكبها وتأكلون من رزقه لكفرانكم تلك النعمة أى يقلبها ملتبسة بكم فيخيبكم فيها كما فعل بقارون وهو يدل اشتغال من من وقيل هو على حذف الجار أى من أن يخسف (فإذا هي تمور) أى تضطرب ذهاباً وحيثاً على خلاف ما كانت عليه من الذل والاطمئنان (أأمنتم من في السماء) لإضراب عن التهديد بما ذكر وانتقال إلى التهديد بوجه آخر أى بل أأمنتم من في السماء (أن يرسل عليكم حاصباً) أى حجارة من السماء كما أرسلها على قوم لوط وأصحاب الفيل وقيل ريحاً فيها حجارة وحصاب كأنها تطلع الحصاب لشدها وقوتها وقيل هي سحاب فيها حجارة (فستعلمون) عن قريب البتة (كيف نذير) أى إنذارى عند مشاهدتكم للنذير به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ وقرىء فسيعلمون بالياء (ولقد كذب الذين من قبلهم) أى من قبل كفار مكة من كفار الأمم السالفة كقوم نوح وعاد وأضرابهم والالتفات إلى الغيبة لإبراز

أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفًى وَيَقْبِضْنَ مَا يَمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿٦٧﴾ الملك
 أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٦٨﴾ الملك
 أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٦٩﴾ الملك

- * الإعراض عنهم (فكيف كان نكير) أى إنكارى عليهم بإزال العذاب أى كان على غاية الهول والفظاعة وهذا هو مورد التأكيد القسمى لا تكذيبهم فقط وفيه من المبالغة في تسليية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشديد التهديد لقومه ما لا يخفى (أولم يروا) أغفلوا ولم ينظروا (إلى الطير فوقهم صافات) باسطات أجنحتهن في الجو عند طيرانها فإنهن إذا بسطنها صفن قوادمها صفاً (ويقبضن) ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهن حيناً فحيناً للاستظهار به على التحرك وهو السر في إثارة يقبض الدال على تجدد القبض تارة بعد تارة على قابضات (ما يمسكن) في الجو عند الصف والقبض على خلاف مقتضى الطبع (إلا الرحمن) الواسع رحمته كل شيء بأن برأه من على أشكال وخصائص وهياكل للجري في الهواء والجملة مستأنفة أحوال من الضمير في يقبضن (إنه بكل شيء بصير) يعلم كيفية إبداع المبدعات وتدير المصنوعات
- ٢٠ وقوله تعالى (أم من هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) تبكيت لهم بنى أن يكون لهم ناصر غير الله تعالى كما يلوح به التعرض لعنوان الرحمانية ويعضده قوله تعالى ما يمسكن إلا الرحمن أو ناصر من عذابه تعالى كما هو الأنسب بما سيأتى من قوله تعالى إن أمسك رزقه كقوله تعالى أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا في المعنيين معاً خلا أن الاستفهام هناك متوجه إلى نفس المانع وتحقيقه وهنأ إلى تعيين الناصر لتبكيته يظهر عجزهم عن تعيينه وأم منقطعة مقدرة بيل المفيدة للاتقال من توبيخهم على ترك التأمل فيما يشاهدونه من أحوال الطير المنبئة عن تعاجيب آثار قدرة الله عز وجل إلى التبكيته بما ذكر والالتفات للتشديد في ذلك ولا سبيل إلى تقدير الهزيمة معها لأن ما بعدها من الاستفهامية وهى مبتدأ وهذا خبره والموصول مع صلته صفته كافي قوله تعالى من ذا الذى يشفع عنده وإثارة هذا لتحقير المشار إليه وينصركم صفة لجند باعتبار لفظه ومن دون الرحمن على الوجه الأول إما حال من فاعل ينصركم أو نعت لمصدره وعلى الثانى متعلق بينصركم كما فى قوله تعالى من ينصرنى من الله فالمعنى بل من هذا الحقير الذى هو فى زعمكم جند لكم ينصركم نصرأ كائنأ من دون نصره تعالى أو ينصركم من عذاب كائن من عند الله عز وجل وتوهم أن أم معادلة لقوله تعالى أولم يروا الخ مع القول بأن من استفهامية بما لا تقرب له أصلاً وقوله تعالى (إن الكافرون إلا فى غرور) اعتراض مقرر لما قبله ناع عليهم ما هم فيه من غاية الضلال أى ما هم فى زعمهم أنهم محفوظون من التوائب بحفظ آلهتهم لاحتفظه تعالى فقط أو أن آلهتهم تحفظهم من بأس الله إلا فى غرور عظيم وضلال فاحش من جهة الشيطان ليس لهم فى ذلك شيء يعتد به فى الجملة والالتفات إلى الغيبة للإيذان باقتضاء حالهم للإعراض عنهم وبيان قبائحهم لغيرهم والإظهار فى موقع الإضمار لندمهم بالكفر وتعليل غرورهم به والكلام فى قوله تعالى (أم من)
- ٢١

أَفَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٣﴾ ٦٧ الملك
 قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٤﴾ ٦٧ الملك
 قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٥﴾ ٦٧ الملك
 وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ ٦٧ الملك

هذا الذي يرزقكم إن أمسك) أى الله عز وجل (رزقه) يأمساك المطر وسائر مباديه كالذى مر تفصيله خلا أن قوله تعالى (بل لجوا في عتو ونفور) منبئ عن مقدر يستدعيه المقام كأنه قيل إثر تمام التبكيت والتعجيز لم يتأثروا بذلك ولم يذعنوا للحق بل لجوا وتمادوا في عتو أى عناد واستكبار وطغيان ونفور أى شراد عن الحق وقوله تعالى (أفن يمشى مكباً على وجهه أهدى) الخ مثل ضرب ٢٢ للشرك والموحد توضيحاً لحالهما وتحقيقاً لشأن مذهبهما والفاء لترتيب ذلك على ماظهر من سوء حالهم وخروهم في مهاوى الغرور وركوبهم متن عشواء العتو والنفور وعدم اهتدائهم في مسالك المحاجة إلى جهة يتوهم فيها رشد في الجملة فإن تقدم الهزمة عليها صورة إنما هو لاقتضائها الصدارة وأما بحسب المعنى فالأمر بالعكس كما هو المشهور حتى لو كان مكان الهزمة هل لقليل فهل من يمشى مكباً الخ والمكب الساقط على وجهه يقال أكب خر على وجهه وحقيقته صار ذاكب ودخل في السكب كأقشع الغمام أى صار ذاقتع والمعنى أفن يمشى وهو يعثر في كل ساعة ويخر على وجهه في كل خطوة لتوعر طريقه واختلال قواه أهدى إلى المقصد الذى يؤمه (أم من يمشى سويًا) أى قائماً سالماً من الخبط والعتار (على صراط مستقيم) مستوى الأجزاء لا عوج فيه ولا انحراف قيل خبر من الثانية محذوف لدلالة خبر الأولى عليه ولا حاجة إلى ذلك فإن الثانية معطوفة على الأولى عطفت المفرد على المفرد كقولك أزيد أفضل أم عمرو وقيل أريد بالمكب الأعمى وبالسوى البصير وقيل من يمشى مكباً هو الذى يحشر على وجهه إلى النار ومن يمشى سويًا الذى يحشر على قدميه إلى الجنة (قل هو الذى أنشأكم) لإنشاء بديعاً (وجعل لكم السمع) لتسمعوا آيات الله وتمثلوا بما فيها من الأوامر والنواهي وتعضوا بمواعظها (والأبصار) * لتنظروا بها إلى الآيات التكوينية الشاهدة بشئون الله عز وجل (والأفئدة) لتتفكروا بها فيما تسمعون * وتجاهدونه من الآيات التنزيلية والتكوينية وترتقوا في معارج الإيمان والطاعة (قليلاً ما تشكرون) * أى باستعمالها فيما خلقت لأجله من الأمور المذكورة وقليلاً نعت لمحذوف وما مزيدة لتأكيد القلة أى شكراً قليلاً أو زماناً قليلاً تشكرون وقيل القلة عبارة عن العدم (قل هو الذى ذرأكم في الأرض) ٢٤ أى خلقكم وكثركم فيها لا غيره (وإليه تحشرون) للجزاء لا إلى غيره اشتراكاً أو استقلالاً فابنوا أموركم على ذلك (ويقولون) من فرط عتوهم وعنادهم (متى هذا الوعد) أى الحشر الموعود كما ينبئ عنه قوله ٢٥ تعالى وإليه تحشرون (إن كنتم صادقين) يخاطبون به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حيث كانوا * ٢ - أبى السعود ج ٩ ،

٦٧ الملك

قُلْ إِنَّمَا أَعْلِمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٦٧﴾

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٦٧﴾ ٦٧ الملك

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٦٨﴾ ٦٧ الملك

٦٧ الملك

قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسْتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٦٩﴾

٦٧ الملك

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٧٠﴾

- مشاركين له عليه الصلاة والسلام في الوعد وتلاوة الآيات المتضمنة له وجواب الشرط محذوف أى
- ٢٦ إن كنتم صادقين فيما تخبرونه من مجيء الساعة والحشر فينبوا وقته (قل إنما أعلم) أى العلم بوقته (عند
- * الله) عز وجل لا يطلع عليه غيره كقوله تعالى قل إنما علمها عند ربى (وإنما أنا نذير مبين) أنذركم
- ٢٧ وقوع الموعود لاحالة وأما العلم بوقت وقوعه فليس من وظائف الإنذار والقاء فى قوله تعالى (فلما
- رأوه) فصيحة معربة عن تقدير جملتين وترتيب الشرطية عليهما كأنه قيل وقد أتاكم الموعود فرأوه فلما
- رأوه إلى آخر كما مر تحقيقه فى قوله تعالى فلما رآه مستقراً عنده إلا أن المقدر هناك أمر واقع مرتب
- * على ما قبله بالقاء وهما أمر منزل منزلة الواقع وارد على طريقة الاستئناف وقوله تعالى (زلفه) حال
- من مفعول رأوا إما بتقدير المضاف أى ذا زلفه وقرب أو على أنه مصدر بمعنى الفاعل أى مردلفاً أو
- * على أنه مصدر نعت به مبالغة أو ظرف أى رأوه فى مكان ذى زلفه (سيئت وجوه الذين كفروا)
- بأن غشيتها الكآبة ورهقها القتر والذلة ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بالكفر وتعليل المساءة
- * به (وقيل) توبيخاً لهم وتشديد العذابهم (هذا الذى كنتم به توعدون) أى تطلبونه فى الدنيا وتستعجلونه
- إنكاراً واستهزاء على أنه تفعلون من الدعاء وقيل هو من الدعوى أى تدعون أن لا بعث ولا حشر
- ٢٨ وقرئ تدعون هذا وقد روى عن مجاهد أن الموعود عذاب يوم بدر وهو بعيد (قل أرأيتم) أى أخبرونى
- * (إن أهلكنى الله) أى أمانتى والتعبير عنه بالإهلاك لما كانوا يدعون عليه صلى الله عليه وسلم وعلى
- * المؤمنين بالهلاك (ومن معى) من المؤمنين (أو رحمناً) بتأخير آجالنا فنحن فى جوار رحمة متربصون
- * لإحدى الحسينين (فمن يجير الكافرين من عذاب أليم) أى لا ينجيكم منه أحد متناً أو بقينا ووضع
- ٢٩ الكافرين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالكفر وتعليل نفي الإنجاء به (قل هو الرحمن) أى الذى
- * أدعوكم إلى عبادته مولى النعم كلها (آمنا به) وحده لما علمنا أن كل ماسواه إما نعمة أو منعم عليه
- * (وعليه توكلنا) لا على غيره أصلاً لعلمنا بأن ماعداه كأننا ما كان بمعزل من النفع والضرر (فستعلمون)
- ٣٠ عن قريب البتة (من هو فى ضلال مبين) منا ومنكم وقرئ فسيعلمون بالياء التحنانية (قل أرأيتم) أى
- * أخبرونى (إن أصبح ماؤكم غوراً) أى غائراً فى الأرض بالكلية وقيل بحيث لاتناله الدلاء وهو مصدر

٦٨ - سورة القلم
(مكية وهي إثنان وخمسون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٦٨ القلم

تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾

٦٨ القلم

مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾

وصف به (فمن ياتيكم بماء معين) جار أو ظاهر سهل المأخذ . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملك فكأنه أحيا ليلة القدر .

- (سورة القلم مكية إلا من آية ١٧ إلى آية ٣٣ ومن آية ٤٨ إلى آية ٥٠ فدنية وآياتها اثنان وخمسون)
- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (ن) بالسكون على الوقف وقرىء بالكسر وبالفتح لالتقاء الساكنين ويجوز أن يكون الفتح بإضمار حرف القسم في موضع الجر كقولهم الله لأفعلن بالجر وأن يكون ذلك نصباً اذ كراً لفتحاً كما سبق في فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث على أنه علم للسورة ثم إن جعل اسماً للحرف مسروداً على نمط التعديد للتحدى بأحد الطريقين المذكورين في موقعه أو اسماً للسورة منصوباً على الوجه المذكور أو مرفوعاً على أنه خبر لمبتدأ محذوف فالواو في قوله تعالى (والقلم) * للقسم وإن جعل مقسباً به في العطف عليه وأياً ما كان فإن أريد به قلم اللوح والكرام الكاتبين فاستحقاقه للإعظام بالإقسام به ظاهر وإن أريد به الجنس فاستحقاق ما في أيدي الناس لذلك لكثرة منافعه ولو لم يكن له مزية سوى كونه آلة لتحرير كتب الله عز قائلنا لكنني به فضلاً موجباً لتعظيمه وقرىء بإدغام النون في الواو (وما يسطرون) الضمير لأصحاب القلم المدلول عليهم بذكره وقيل للقلم على أن المراد به أصحابه كأنه قيل وأصحاب القلم ومسطوراتهم على أن ما موصولة أو وسطرهم على أنها مصدرية وقيل للقلم نفسه بإسناد الفعل إلى الآلة وإجرائه مجرى العقلاء لإقامته مقامهم وقيل المراد بالقلم ما خط اللوح خاصة والجمع للتعظيم وقوله تعالى (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) جواب القسم والباء متعلقة بمضمر ٢ هو حال من الضمير في خبرها والعامل فيها معنى النفي كأنه قيل أنت بريء من الجنون ملتبساً بنعمة الله التي هي النبوة والرياسة العامة والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى معارج الكمال مع الإضافة إلى ضميره صلى الله عليه وسلم لتشريفه صلى الله عليه وسلم والإيذان بأنه تعالى يتم نعمته عليه ويبلغه من العلو إلى غاية لا غاية وراءها والمراد تنزيهه صلى الله عليه وسلم عما كانوا ينسبونه صلى الله عليه وسلم إليه من الجنون حسداً وعداوة ومكابرة مع جزمهم بأنه صلى الله عليه وسلم في غاية الغايات القاصية ونهاية

٦٨ القلم

وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾

٦٨ القلم

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾

٦٨ القلم

فَسَتَبْصُرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾

٦٨ القلم

بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾

٦٨ القلم

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾

٦٨ القلم

فَلَا تَطْعَمُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٨﴾

- ٣ النهايات النائية من حصانة العقل ورزانة الرأى (وإن لك) بمقابلة مقاساتك ألوان الشدائد من جهتهم
 ٤ وتحمالك لأعباء الرسالة (لأجراً) لثواباً عظيماً لا يقادر قدره (غير ممنون) مع عظمه كقوله تعالى عطاء
 ٥ غير مجزوذ أو غير ممنون عليك من جهة الناس فإنه عطاؤه تعالى بلا توسط (وإنك لعل خلق عظيم)
 لا يدرك شأوه أحد من الخلق ولذلك تحتل من جهتهم ما لا يكاد يحتمله البشر وسئلت عائشة رضى الله
 عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن ألسنت تقرأ القرآن قد أفلح المؤمنون والجليلتان
 ٥ معطوفتان على جواب القسم (فستبصر ويبصرون) قال ابن عباس رضى الله عنهما فستعلم ويعلمون
 يوم القيامة حين يتبين الحق من الباطل وقيل فستبصر ويبصرون فى الدنيا بظهور عاقبة أمركم بغلبة الإسلام
 واستيلائك عليهم بالقتل والنهب وصيرورتكم مهيباً معظماً فى قلوب العالمين وكونهم أدلة صاغرين قال
 ٦ مقاتل هذا وعيد بعداب يوم بدر (بأيكم المفتون) أى أيكم الذى فتن بالجنون والباء مزيدة أو بأيكم
 الجنون على أن المفتون مصدر كالمعقول والمجلود أو بأى الفريقين منكم المجنون أبفريق المؤمنين أم
 بفريق الكافرين أى فى أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تريض بأبى جهل بن هشام والوليد
 ٧ ابن المغيرة وأضرهما كقوله تعالى سيعلمون غداً من الكذاب الأشر وقوله تعالى (إن ربك هو أعلم
 بمن ضل عن سبيله) تعليل لما ينبىء عنه ما قبله من ظهور جنونهم بحيث لا يخفى على أحد وتأكيذاً لما
 فيه من الوعد والوعيد أى هو أعلم بمن ضل عن سبيله تعالى المؤدى إلى سعادة الدارين وهام فى تيه
 الضلال متوجهاً إلى ما يفيضه إلى الشقاوة الأبدية وهذا هو المجنون الذى لا يفرق بين النفع والضرر
 * بل يحسب الضرر نفعاً فيؤثره والنفع ضرراً فيهجره (وهو أعلم بالمهتدين) إلى سبيله الفائزين بكل
 مطلوب الناجين عن كل محذورهم العقلاء المراجيح فيجزى كلا من الفريقين حسبما يستحقه من العقاب
 ٨ والثواب وإعادة هو أعلم لزيادة التقرير والفاء فى قوله تعالى (فلا تطعم المكذبين) لترتيب النهى على
 ما ينبىء عنه ما قبله من اهتدائه صلى الله عليه وسلم وضلالهم أو على جميع ما فصل من أول السورة وهذا

٦٨ القلم

وَدُّوا لَوْ تَدَّهْنُ فَيَدَّهْنُونَ ﴿٩﴾

٦٨ القلم

وَلَا تُطْعَ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾

٦٨ القلم

هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بَنِيمٍ ﴿١١﴾

٦٨ القلم

مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾

٦٨ القلم

عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾

تيسر وإلهاب للتصميم على معاصاتهم أى دم على ما أنت عليه من عدم طاعتهم وتصلب في ذلك أو نهى عن مدهنتهم ومداراتهم بإظهار خلاف ما في ضميره صلى الله عليه وسلم استجلاباً لقلوبهم لاعتن طاعتهم كما ينهى عنه قوله تعالى (ودوا لو تدهن) فإنه تعليل للنهى أو الانتهاء وإنما عبر عنها بالطاعة للبالغة في الزجر والتنفير أى أجوا لو تلاينهم وتسامحهم في بعض الأمور (فيدهنون) أى فهم يدهنون حينئذ * أو فهم الآن يدهنون طمعاً في إدهانك وقيل هو معطوف على تدهن داخل في حيز لو والمعنى ودوا لو يدهنون عقيب إدهانك ويأباه ماسياتى من بدتهم بالإدهان على إدهانهم أمر محقق لا يناسب إدهاله تحت التمنى وأياً ما كان فالمعتبر في جانبهم حقيقة الإدهان الذي هو إظهار الملاينة وإضمار خلافها وأما في جانبه صلى الله عليه وسلم فالمعتبر بالنسبة إلى ودادتهم هو إظهار الملاينة فقط وأما إضمار خلافها فليس في حيز الاعتبار بل هم في غاية الكراهة له وإنما اعتبره بالنسبة إليه صلى الله عليه وسلم وفي بعض المصاحف فيدهنوا على أنه جواب التمنى المفهوم من ودوا أو أن ما بعده حكاية لودادتهم وقيل على أنه عطف على تدهن بناء على أن لو بمنزلة أن الناسبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها وما بعدها مصدر يقع مفعولاً لودوا كأنه قيل ودوا أن تدهن فيدهنوا وقيل لو على حقيقتها وجوابها محذوف وكذا مفعول ودوا أى ودوا إدهانك لو تدهن فيدهنون لسروا بذلك (ولا تطع كل حلاف) كثير الحلف في الحق والباطل تقديم هذا الوصف على سائر الأوصاف الزاجرة عن الطاعة لكونه أدخل في الزجر (مهين) حقير الرأى والتدبير (هماز) عياب طعان (مشاء بنميم) مضرب نقال للحديث من قوم إلى قوم على وجه السعاية والإفساد بينهم فإن النميم والنيمة السعاية (مناع للخير) أى بخيل أو مناع للناس من الخير الذي هو الإيمان والطاعة والإتفاق (معتد) متجاوز في الظلم (أثيم) كثير الآثام * (عتل) جاف غليظ من عتله إذا قاده بعنف وغلظة (بعد ذلك) بعد ما عد من مثالبه (زنيماً) دعى مأخوذ من الزنمة وهى الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى متدليلة في حلقها وفي قوله تعالى بعد ذلك دلالة على أن دعوته أشد معاييه وأقبح قبائحها قيل هو الوليد بن المغيرة فإنه كان دعياً في قریش وليس من سننهم ادعاه المغيرة بعد ثمانى عشرة من مولده وقيل هو الأخنس بن شريق أصله من ثقيف وعداده في زهرة

- ٦٨ القلم أن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾
- ٦٨ القلم إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾
- ٦٨ القلم سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ ﴿١٦﴾
- ٦٨ القلم إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾
- ٦٨ القلم وَلَا يَسْتَنْبُتُونَ ﴿١٨﴾
- ٦٨ القلم فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾

- ١٤ (أن كان ذا مال وبنين) متعلق بقوله تعالى لا تقطع أى لا تقطع من هذه مثالبه لأن كان متمولا مستظهاً
- ١٥ بالبنين وقوله تعالى (إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين) استثناء جار مجرى التعليل للنهي وقيل متعلق بما دل عليه الجملة الشرطية من معنى الجحود والتكذيب لا بجواب الشرط لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله كأنه قيل لكونه مستظهاً بالمال والبنين كذب بآياتنا وفيه أنه بدل أن مدار تكذيبه كونه ذا مال وبنين من غير أن يكون لسائر قبائحه دخل في ذلك وقرئ أن كان على معنى ألا كان ذا مال كذب بها أو أطيعه لأن كان ذا مال وقرئ إن كان بالكسر والشرط للمخاطب أى لا تقطع كل خلاف شارطاً يساره لأن إطاعة الكافر لغناه بمنزلة اشتراط غناه في الطاعة (سنسمه على الخرطوم) بالسكى على أكرم مواضعه لغاية إهانتهم وإذلاله قيل أصاب أنف الوليد جراحة يوم بدر فبقيت علامتها وقيل معناه سنعلبه يوم القيامة بعلامة مشوهة يعلم بها عن سائر الكفرة (إنا بلوناهم) أى أهل مكة بالقحط
- * بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (كما بلونا أصحاب الجنة) وهم قوم من أهل الصلاة كانت لأبيهم هذه الجنة دون صنعاء بنمرسخين فكان يأخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقي وكان ينادى الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما أخطأه المنجل وما في أسفل الأكداس وما أخطأه القمطاف من العنب وما بقي على البساط الذى يبسط تحت النخلة إذا صرمت فكان يجتمع لهم شيء كثير فلما مات أبوهم قال بنوه
- * إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر فخلقوا فيما بينهم وذلك قوله تعالى (إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين) ليقطعنها داخلين في الصباح (ولا يستنبون) أى لا يقولون إن شاء الله وتسميته استثناء مع أنه شرط من حيث إن مؤداه مؤدى الاستثناء فإن قولك لاخرجن إن شاء الله ولا أخرج إلا
- ١٩ أن يشاء الله بمعنى واحد أو ولا يستنبون حصّة المساكين كما كان يفعله أبوهم والجملة مستأنفة (فطاف عليها) أى على الجنة (طائف) بلاء طائف وقرئ طيف (من ربك) مبتدأ من جهة تعالى (وهم نائمون) غافلون عما جرت به المقادير .

٦٨ القلم	فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ٢٠
٦٨ القلم	فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ٢١
٦٨ القلم	أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَارِمِينَ ٢٢
٦٨ القلم	فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ٢٣
٦٨ القلم	أَن لَا يَدْخُلَنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ٢٤
٦٨ القلم	وَعَدُوا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ٢٥
٦٨ القلم	فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ٢٦

- ٢٠ (فأصبحت كالصريم) كالبلستان الذي صرمت ثماره بحيث لم يبق منها شيء فعيل بمعنى مفعول وقيل كالليل
 أى احترقت فأسودت وقيل كالنهار أى يبست وابيضت سمياً بذلك لأن كلا منهما ينصرم عن صاحبه
 وقيل الصريم الرمال (فتنادوا) أى نادى بعضهم بعضاً (مصبحين) داخلين في الصباح (أن اغدوا) ٢١
 أى اغدوا على أن أن مفسرة أو بأن اغدوا على أنها مصدرية أى اخرجوا غدة (على حركم) بستانكم *
 وضيعتكم وتعدية الغدو بعلى لتضمينه معنى الإقبال أو الاستيلاء (إن كنتم صارمين) قاصدين للصرم *
 (فانطلقوا وهم يتخافتون) أى يتشاورون فيما بينهم بطريق المخافة وخنى وخفت وخفد ثلاثها فى ٢٣
 معنى الكتم ومنه الخفود للخفاش (أن لا يدخلها) أى الجنة (اليوم عليكم مسكين) أن مفسرة لما ٢٤
 فى التخافت من معنى القول وقرىء بطرحها على إضمار القول والمراد بنهى المسكين عن الدخول المبالغة
 فى النهى عن تمكينه من الدخول كقولهم لا أرينك هنا (وعدوا على حرد قادرين) أى على نكد ٢٥
 لاغير من جارت السنة إذا لم يكن فيها مطر وحاردت الإبل إذا منعت درها والمعنى أنهم أرادوا أن
 يتنكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفهم فعدوا بحال لا يقدرון فيها إلا على النكد
 والحرمان وذلك أنهم طلبوا حرمان المساكين فتمعجلوا الحرمان والمسكنة أو وعدوا على محاردة جنتهم
 وذهب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على إصابة خيرها ومنافعها أى غدوا حاصلين على النكد والحرمان
 مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد الحرد وقد قرىء بذلك أى لم يقدروا إلا على حق بعضهم
 لبعض لقوله تعالى يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة أى غدوا قاصدين إلى جنتهم بسرعة قادرين
 عند أنفسهم على صرامها وقيل هو علم للجنة (فلما رأوها قالوا) فى بديهة رؤيتهم (إننا لضالون) أى ٢٦
 طريق جنتنا وما هى بها .

٦٨ القلم

بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ ﴿٢٧﴾

٦٨ القلم

قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾

٦٨ القلم

قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾

٦٨ القلم

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوُمُونَ ﴿٣٠﴾

٦٨ القلم

قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾

٦٨ القلم

عَسَى رَبَّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾

٢٧ (بل نحن محرمون) قالوه بعد ما تأملوا ووقفوا على حقيقة الأمر مضرين عن قولهم الأول أى لسنا
 ٢٨ ضالين بل نحن محرمون حرمانا خيرا بجنائنا على أنفسنا (قال أوسطهم) أى رأيا أو سنا (ألم أقول
 لكم لولا تسبحون) لولا تذكرون الله تعالى وتنبون إليه من خبث نيتكم وقد كان قال لهم حين عزموا
 على ذلك اذكروا الله وتوبوا إليه عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا إلى حسم شرها قبل حلول
 ٢٩ النقمة فعصوه فغيرهم كما ينبى عنه قوله تعالى (قالوا سبحان ربنا إن كنا ظالمين) وقيل المراد بالتسبيح
 ٣٠ الاستثناء لا شراهما في التعظيم أو لأنه تنزيهه تعالى عن أن يجرى في ملكه ما لا يشاؤه (فأقبل بعضهم
 على بعض يتلاومون) أى يلوم بعضهم بعضاً فإن منهم من أشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من
 ٣٢، ٣١ سكت راضياً به ومنهم من أنكره (قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين) متجاوزين حدود الله (عسى ربنا
 * أن يبدلنا) وقرىء بالتشديد أى يعطينا بدلا منها بركة التوبة والاعتراف بالخطيئة (خيرا منها إنا إلى
 ربنا راغبون) راجون العفو طالبون الخير وإلى لاتهاء الرغبة أو لتضمنها معنى الرجوع عن مجاهد
 تابوا فأبدلوا خيرا منها وروى أنهم تعاقدوا وقالوا إن أبدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنع أبونا فدعوا
 الله تعالى وتضرعوا إليه فأبدلهم الله تعالى من ليلتهم ما هو خير منها قالوا إن الله تعالى أمر جبريل عليه
 السلام أن يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها برغر من أرض الشام ويأخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها
 وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه إن القوم لما أخلصوا وعرف الله منهم الصدق أبدلهم جنة يقال
 لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقوداً وقال أبو خالد اليماني دخلت تلك الجنة فرأيت كل عنقود
 منها كالرجل الأسود القائم وسئل قتادة عن أصحاب الجنة أهم من أهل الجنة أم من أهل النار فقال لقد
 كلفني تعباً وعن الحسن رحمه الله تعالى قول أصحاب الجنة إنا إلى ربنا راغبون لا أدري إيماناً كان ذلك
 منهم أو على حدا يكون من المشركين إذا أصابتهم الشدة فتوقف في أمرهم والأكثر على أنهم تابوا
 وأخلصوا حكاها القشيري .

٦٨ القلم	كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾
٦٨ القلم	إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾
٦٨ القلم	أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾
٦٨ القلم	مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾
٦٨ القلم	أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾
٦٨ القلم	إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾
٦٨ القلم	أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾

- (كذلك العذاب) جملة من مبتدأ وخبر مقدم لإفادة القصر والالف واللام العهد أى مثل الذى بلونا ٣٣ به أهل مكة وأصحاب الجنة عذاب الدنيا (ولعذاب الآخرة أكبر) أعظم وأشد (لو كانوا يعلمون) *
- أنه أكبر لا تحزوا عما يؤديهم إليه (إن للمتقين) أى من الكفر والمعاصي (عند ربهم) أى فى الآخرة ٣٤ أوفى جوار القدس (جنات النعيم) جنات ليس فيها إلا التمتع الخالص عن شائبة ما ينغصه من الكدورات *
- وخوف الزوال كما عليه نعيم الدنيا وقوله تعالى (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) تقرير لما قبله من فوز ٣٥ المتقين بجنات النعيم ورد لما يقوله الكفرة عند سماعهم بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين فيها فإنهم كانوا يقولون إن صح أنا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالنا وحالهم إلا مثل ما همى فى الدنيا وإلا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا وأقصى أمرهم أن يساونا والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أنحيف فى الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم بطريق الالتفات لتأكيد الرد وتشديده (ما لكم كيف تحكمون) تعجباً من حكمهم واستبعاداً له وإيداناً بأنه لا يصدر عن عاقل ٣٦ (أم لكم كتاب) نازل من السماء (فيه تدرسون) أى تقرأون (إن لكم فيه لما تخيرون) أى ما تختارونه ٣٧ ٣٨ وتشتهونه وأصله أن لكم بالفتح لأنه مدروس فلما جرى باللام كسرت ويجوز أن يكون حكاية للمدرس كما هو كقوله تعالى وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح فى العالمين وتخير الشيء واختياره أخذ خيره (أم لكم إيمان علينا) أى عهود مؤكدة بالإيمان (بالغة) متناهية فى التوكيد وقرنت بالنصب ٣٩ على الحال والعامل فيها أحد الظرفين (إلى يوم القيامة) متعلق بالمقدر فى لكم أى ثابتة لكم إلى يوم القيامة لانخرج عن عهدها حتى نحكمكم يومئذ ونعطيك ما تحكمون أو ببالغة أى إيمان تبلغ ذلك اليوم وتنتهى إليه وافرة لم تبطل منها يمين (إن لكم لما تحكمون) جواب القسم لأن معنى أم لكم علينا إيمان *
- د ٣ - أبى السعود ج ٩ ،

٦٨ القلم

سَلَّمَهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ٤٠

٦٨ القلم

أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ٤١

٦٨ القلم

يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ٤٢

٦٨ القلم

خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالُونَ ٤٣

٦٨ القلم

فَقَدَرْنِي وَمَنْ يُكْذِبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ٤٤

- ٤٠ أم أقسمنا لكم (سلم) تلوين للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسقاطهم عن رتبة الخطاب أى سلمهم بمبكتاً لهم (أيهم بذلك) الحكم الخارج عن العقول (زعيم) أى قائم يتصدى لتصحيحه (أم لهم شركاء) يشاركونهم فى هذا القول ويذهبون مذهبهم (فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين) فى دعواهم إذ لا أقل من التقليد وقد نبه فى هذه الآيات الكريمة على أن ليس لهم شئ يتوهم أن يتشبها به حتى التقليد الذى لا يفلح من تشبث بذيله وقيل المعنى أم لهم شركاء يجعلونهم مثل المسلمين فى الآخرة (يوم يكشف عن ساق) أى يوم يشتد الأمر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل فى ذلك وأصله تشمير المخدرات عن سوقين فى الحرب قال حاتم [أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها * وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا] وقيل ساق الشئ أصله الذى به قوامه كساق الشجر وساق الإنسان أى يوم يكشف عن أصل الأمر فتظهر حقائق الأمور وأصولها بحيث تصير عياناً وتذكيره للتحويل أو التعظيم وقرئ تكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول والفعل للساعة أو الحال وقرئ تكشف بالنون وتكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين من أكشف الأمر أى دخل فى الكشف وناصب الظرف فليأتوا أو مضمرة مقدم أى اذكر يوم الخ أو مؤخر أى يوم يكشف عن ساق الخ يكون من الأحوال وعظائم الأحوال ما لا يبلغه الوصف (ويدعون إلى السجود) توبيخاً وتعنيفاً على تركهم إياه فى الدنيا وتحسيراً لهم على تفریطهم فى ذلك (فلا يستطيعون) لزوال القدرة عليه وفيه دلالة على أنهم يقصدون السجود فلا يتأتى منهم عن ذلك عن ابن مسعود رضى الله عنه تعقم أصلاهم أى ترد عظاماً بلا مفصل لا تنثنى عند الرفع والخفض وفى الحديث وتبقى أصلاهم طبقاً واحداً أى فقارة واحدة
- ٤٣ (خاشعة أبصارهم) حال من مرفوع يدعون على أن أبصارهم مرتفع به على الفاعلية ونسبة الخشوع إلى الأبصار لظهور أثره فيها (ترهقهم) تلحقهم وتغشاهم (ذلة) شديدة (وقد كانوا يدعون إلى السجود) فى الدنيا والإظهار فى موضع الإضمار لزيادة التقرير أولان المراد به الصلاة أو ما فيها من السجود والدعوة دعوة التكليف (وهم سالون) متمكنون منه أقوى تمكن أى فلا يحبون إليه ويأبونه وإنما ترك ذكره ثقة بظهوره (قدرنى ومن يكذب بهذا الحديث) أى كله إلى فانى أكفيك أمره أى حسبك فى الإيقاع

- وَأْمَلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ ٦٨ القلم
- أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ ٦٨ القلم
- أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ ٦٨ القلم
- فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ ٦٨ القلم
- لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ ٦٨ القلم
- فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ ٦٨ القلم

به والانتقام منه أن تكل أمره إلى وتخلي بيني وبينه فإن علم بما يستحقه من العذاب ومطبق له والفاء لترتيب الأمر على ما قبلها من أحوالهم المحكية أي وإذا كان حالهم في الآخرة كذلك فذرني ومن يكذب بهذا القرآن وتوكل على في الانتقام منه وقوله تعالى (سنستدرجهم) استئناف مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد من الأمر السابق إجمالاً والضمير لمن والجمع باعتبار معناها كما أن الأفراد في يكذب باعتبار لفظها أي سنستنزلهم إلى العذاب درجة فدرجة بالإحسان وإدامة الصحة وازدياد النعمة (من حيث لا يعلمون) أنه استدراج وهو الإلزام عليهم بل يزعمون أنه إثارة لهم وتفضيل على المؤمنين مع أنه سبب هلاكهم (وأمل لهم) وأملهم ليزدادوا إثمًا وهم يزعمون أن ذلك لإرادة الخير بهم (إن كيدي متين) لا يوقف عليه ولا يدفع بشيء وتسمية ذلك كيداً لكونه في صورة الكيد (أم تسألهم) على الإبلاغ والإرشاد (أجراً) دنوياً (فهم) لأجل ذلك (من مغرم) أي غرامة مالية (مثقلون) مكلفون حملاً * ثقیلاً فيعرضون عنك (أم عندهم الغيب) أي اللوح أو المغيبات (فهم يكتبون) منه ما يحكون ويستغنون ٤٧ به عن عليك (فاصبر لحكم ربك) وهو إمامهم وتأخير نصرته عليهم (ولا تكن كصاحب الحوت) ٤٨ أي يونس عليه السلام (إذ نادى) في بطن الحوت (وهو مكظوم) مملوء غيظاً والجملة حال من ضمير نادى وعليها يدور النهي لأعلى النداء فإنه أمر مستحسن ولذلك لم يذكر المنادى وإذا منصوب بمضاف محذوف أي لا يكن حاله وقت ندائه أي لا يوجد منك ما وجد منه من المضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه (لولا أن تداركه نعمة من ربه) وقرئ رحمة وهو توفيقه للتوبة وقبولها منه وحسن تذكير الفعل ٤٩ للفصل بالضمير وقرئ تداركته وتداركه أي تداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا أن كان يقال فيه تداركه (لنبد بالعراء) بالأرض الخالية من الأشجار (وهو مذموم) ملئم مطرود من الرحمة والكرامة * وهو حال من مرفوع نبد عليها يعتمد جواب لولا لأنها هي المنتفية لا النبد بالعراء كما مر في الحال الأولى والجملة الشرطية استئناف وارد لبيان كون المنهى عنه أمراً محذوراً مستتبعا للغائلة وقوله تعالى (فاجتباها ربه) عطف على مقدر أي فتداركته نعمة من ربه فاجتباها بأن رد إليه الوحي وأرسله إلى ٥٠

وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا اللَّهَ كَرُوا يَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ ٦٨ القلم

٦٨ القلم

وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾

- * مائة ألف أو يزيدون وقيل استنباه إن صح أنه لم يكن نبياً قبل هذه الواقعة (فعله من الصالحين) من الكاملين في الصلاح بأن عصمه من أن يفعل فعلاً يكون تركه أولى . روى أنها نزلت بأحد حين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو على المهزمين من المؤمنين وقيل حين أراد أن يدعو على ثقيف (وإن يكار الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) وقرىء ليزلقونك بفتح الياء من زلقه بمعنى أزلقه ويزهقونك وإن هي الخففة واللام دليلها والمعنى أنهم من شدة عداوتهم لك ينظرون إليك شراً بحيث يكادون يزلقون قدمك فيرمونك من قولهم نظار إلى نظراً يكاد يصرعني أي لو أمكنه بنظره الصرع لفعله أو أنهم يكادون يصيدونك بالعين إذ قد روى أنه كان في بني أسد عيانون فأراد بعضهم أن يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفي الحديث أن العين لتدخل الرجل القبر والحمل القدر ولعله من خصائص بعض النفوس وعن الحسن دواء الإصابة بالعين أن تقرأ هذه الآية (لما سمعوا الذكر) أي وقت سماعهم بالقرآن على أن لما ظرفية منصوبة بيزلقونك وذلك لاشتداد بغضهم وحسدهم عند سماعه (ويقولون) لغاية حيرتهم في أمره عليه الصلاة والسلام ونهاية جهلهم بما في تضاعيف القرآن من تعاجيب الحكم وبدائع العلوم المحجوبة عن العقول المنخسة بأحكام الطبائع وتنفير الناس عنه (لأنه لمجنون) وحيث كان مدار حكمهم الباطل ما سمعوه منه عليه الصلاة والسلام رد ذلك ببيان علو شأنه وسطوع برهانه فقيس (وما هو إلا ذكر للعالمين) على أنه حال من فاعل يقولون مفيدة لغاية بطلان قولهم وتعجب السامعين من جرأتهم على تفوه تلك العظيمة أي يقولون ذلك والحال أنه ذكر للعالمين أي تذكير وبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمور دينهم فإين من أنزل عليه ذلك وهو مطلع على أسرار طرأ ومحيط بجميع حقائقه خبراً بما قالوا وقيل معناه شرف وفضل لقوله تعالى وإنه لذكر لك ولقومك وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكونه مذكراً وشرفاً للعالمين لا ريب فيه . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم أعزاء الله ثواب الذين حسن الله أخلاقهم .

٦٩ - سورة الحاقة
(مكية وهي إثنان وخمسون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٦٩ الحاقة

١ الحاقة

٦٩ الحاقة

٢ مَا الْحَاقَّةُ

٦٩ الحاقة

٣ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ

٦٩ الحاقة

٤ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ

(سورة الحاقة مكية وآياتها إثنان وخمسون آية)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (الحاقة) أى الساعة أو الحالة الثابتة الوقوع الواجبة المجيء لا محالة أو التى يحق فيها الأمور الحقّة من الحساب والثواب والعقاب أو التى تحقق فيها الأمور أى تعرف على الحقيقة من حقه بحقه إذا عرف حقيقة جعل الفعل لها ومجازاً وهو لما فيها من الأمور أو لمن فيها من أولى العلم وأياً ما كان فحذف الموصوف للإيذان بكمال ظهور اتصافه بهذه الصفة وجريانها مجرى الاسم وارتفاعها على الابتداء خبرها (ما الحاقة) إلى أن مابتدأ ثان والحاقة خبره والجملة خبر للابتداء الأول ٢ والأصل ما هى أى شئ هى فى حالها وصفتها فإن ما قد يطلب بها الصفة والحال فوضع الظاهر موضع المضمر تأكيداً لها هذا ما ذكره فى إعراب هذه الجملة ونظائرهما وقد سبق فى سورة الواقعة أن مقتضى التحقيق أن تكون ما الاستفهامية خبراً لما بعدها فإن مناط الإفادة بيان أن الحاقة أمر بديع وخطب فطبع كما يفيد كونه ما خبراً لا بيان أن أمراً بديعاً الحاقة كما يفيد كونه مبتدأ وكون الحاقة خبراً وقوله تعالى (وما أدراك) أى وأى شئ أعلمك (ما الحاقة) تأكيداً لها وفضاعتها ببيان خروجها عن دائرة ٣ علوم المخلوقات على معنى أن عظم شأنها ومدى هولها وشدها بحيث لا تكاد تبلغه دراية أحد ولا وهمه وكيفما قدرت حالها فهى أعظم من ذلك وأعظم فلا يتسنى الأعلام وما فى حيز الرفع على الابتداء وأدراك خبره ولا مساغ هنا للعكس وما الحاقة جملة من مبتدأ وخبر على الوجه الذى عرفته محلها النصب على إسقاط الخافض لأن أدرى يتعدى إلى المفعول الثانى بالباء كما فى قوله تعالى ولا أدراكم به فلما وقعت جملة الاستفهام معلقة له كانت فى موضع المفعول الثانى والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبراً لقوله تعالى الحاقة مؤكدة لها كما مر (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) أى بالحالة ٤ التى تفرع الناس بفنون الأفراع والأهوال والسماء بالانشقاق والانفطار والأرض والجبال بالذك

٦٩ الحاقة

فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥٠﴾

٦٩ الحاقة

وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٥١﴾

سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٥٢﴾ ٦٩ الحاقة

٦٩ الحاقة

فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴿٥٣﴾

٦٩ الحاقة

وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٥٤﴾

- والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعها موضع ضمير الحاقة للدلالة على معنى القرع فيها تشديداً
 لهُولها والجملة استئناف مسوق لأعلام بعض أحوال الحاقة له عليه الصلاة والسلام لإثبات تقرير أنه ما أدراه
 عليه الصلاة والسلام بها أحد كما في قوله تعالى وما أدراك ما هية نار حامية ونظائره خلا أن المبين هناك
 نفس المسؤول عنها وههنا حال من أحوالها كما في قوله تعالى وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من
 ألف شهر فكما أن المبين هناك ليس نفس ليلة القدر بل فضلها وشرفها كذلك المبين ههنا هول الحاقة
 وعظم شأنها وكونها بحيث يحق لإهلاك من يكذب بها كأنه قيل وما أدراك ما الحاقة كذبت بها ثمود
 • وعاد فأهلكوا (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية) أى بالواقعة المجاوزة للحد وهى الصيحة أو الراجفة
 ٦ (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر) أى شديدة الصوت لها صرصرة أو شديدة البرد تحرق ببردها (عاتية)
 شديدة العصف كأنها عتت على خزانها فلم يتمكنوا من ضبطها أو على عاد فلم يقدروا على ردها وقوله
 ٧ تعالى (سخرها عليهم) الخ استئناف جىء به بياناً لكيفية إهلاكهم بالريح أى سلطها الله عليهم بقدرته
 • القاهرة (سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوماً) أى متتابعات جمع حاسم كشهود جمع شاهد من حسمت الدابة
 إذا تابعت بين كيهما أو نخسات حسمت كل خير واستأصلته أو قاطعات قطعت دابرهم ويجوز أن يكون
 مصدرأ منتصباً على العلة بمعنى قطعاً أو على المصدر لفعله المقدر حالا أى تحسمهم حسوماً ويؤيده القراءة
 بالفتح وهى كانت أيام العجوز من صيحة أربعاء إلى غروب الأربعاء الآخر وإنما سميت عجوزاً لأن
 عجوزاً من عاد توارت فى سرب فانتزعها الريح فى اليوم الثامن فأهلكتها وقيل هى أيام العجز وهى آخر
 الشتاء وأسمائها الصن والصنبر والوبر والامر والمؤتمر والمعلل ومطفىء البحر وقيل ومكنىء الظعن
 • (فترى القوم) إن كنت حاضراً حينئذ (فيها) فى مهابها أو فى تلك الليالى والأيام (صرعى) موتى
 ٨ جمع صريع (كأنهم أعجاز نخل) أى أصول نخل (خاوية) متأكلة الأجواف (فهل ترى لهم من باقية)
 ٩ أى بقية أو نفس باقية أو بقاء على أنها مصدر كالكاذبة والطاغية (وجاء فرعون ومن قبله) أى ومن
 • تقدمه وقرىء ومن قبله أى ومن عنده من أتباعه ويؤيده أنه قرىء ومن معه (والمؤتفكات) أى
 • قرى قوم لوط أى أهلها (بالخاطئة) بالخطأ أو بالفعل أو الأفعال ذات الخطأ التى من جملتها تكذيب

٦٩ الحاقة	فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ﴿١٠﴾
٦٩ الحاقة	إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾
٦٩ الحاقة	لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَعِيَةٌ ﴿١٢﴾
٦٩ الحاقة	فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾
٦٩ الحاقة	وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾
٦٩ الحاقة	فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾

- البعث والقيامة (فعصوا رسول ربهم) أى فعصى كل أمة رسولها حين نهوهم عما كانوا يتعاطونه من القبائح ١٠
 (فأخذهم) أى الله عز وجل (أخذة رابية) أى زائدة فى الشدة كما زادت قبائحهم فى القبح من ربا الشيء *
 إذا زاد (إنما لما طغى الماء) بسبب إصرار قوم نوح على فنون الكفر والمعاصى ومباغتهم فى تكذيبه ١١
 عليه الصلاة والسلام فيما أوحى إليه من الأحكام التى من جملتها أحوال القيامة (حملناكم) أى فى أصلاب *
 آبائكم (فى الجارية) فى سفينة نوح عليه السلام والمراد بحملهم فيها رفعهم فوق الماء إلى انقضاء أيام *
 الطوفان لا مجرد رفعهم إلى السفينة كما يعرب عنه كلمة فى فإنها ليست بصلة للحمل بل متعلقة بمحذوف هو
 حال من مفعوله أى رفعناكم فوق الماء وحفظناكم جال كونكم فى السفينة الجارية بأمرنا وحفظنا وفيه
 تنبيه على أن مدار نجاتهم محض عصمته تعالى إنما السفينة سبب صورى (لنجعلها) أى لنجعل الفعلة ١٢
 التى هى عبارة عن إنجاء المؤمنين وإغراق الكافرين (لكم تذكرة) عبرة ودلالة على كمال قدرة الصانع *
 وحكمته وقوة قهره وسعة رحمته (وتعيها) أى تحفظها والوعى أن تحفظ الشيء فى نفسك والايعاء أن
 تحفظه فى غير نفسك من وعاء وقرىء تعيها بسكون العين تشبيهاً له بكتف (أذن وعية) أى أذن من *
 شأنها أن تحفظ ما يجب حفظه بتذكره وإشاعته والتفكر فيه ولا تضيعه بترك العمل به والتسكير للدلالة
 على قلتها وأن من هذا شأنه مع قلته يتسبب لنجاة الجمل الغفير وإدامة نسلهم وقرىء أذن بالتخفيف
 (فإذا نفخ فى الصور نفخة واحدة) شروع فى بيان نفس الحاقة وكيفية وقوعها إثر بيان عظم شأنها ١٣
 بإهلاك مكذبيها وإنما أسند الفعل إلى المصدر لتقوينده وحسن تذكيره للفصل وقرىء نفخة واحدة
 بالنصب على إسناد الفعل إلى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الأولى التى عندها خراب العالم (وحملت
 الأرض والجبال) أى قلعت ورفعت من أماكنها بمجرد القدرة الإلهية أو بتوسط الزلزلة أو الريح
 العاصفة (فدكتا دكة واحدة) أى فضربت الجملتان إثر رفعهما بعضهما ببعض ضربة واحدة حتى تندق *
 وترجع كشيئاً مهيلاً وهباء منبثاً وقيل فبسطتا بسطة واحدة فصارتا قاعاً صافئاً لا ترى فيها عوجاً ولا
 أمناً من قولهم اندك السنام إذا تفرش وبعير أدك وناقة دكاه ومنه الدكان (فيومئذ) حينئذ (وقعت) ١٥

الحاقة ٦٩

وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾

الحاقة ٦٩

وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ ﴿١٧﴾

الحاقة ٦٩

يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾

الحاقة ٦٩

فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَيَمِينَهُ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَأَكْتَنِيَّةٌ ﴿١٩﴾

- ١٦ الواقعة (أى قامت القيامة) وانشقت السماء (لنزول الملائكة) (فهي) أى السماء (يومئذ واهية) ضعيفة
- ١٧ مسترخية بعد ما كانت محكمة (والملك) أى الخلق المعروف بالملك (على أرجائها) أى جوانبها جمع
- * رجا بالقصر أى تنشق السماء التى هى مساكنهم فيلجأون إلى أكتافها وحافاتها (ويحمل عرش ربك
- * فوقهم) فوق الملائكة الذين هم الأرجاء أو فوق الثمانية (يومئذ ثمانية) من الملائكة عن النبي صلى الله
- عليه وسلم هم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أيدى الله تعالى بأربعة آخرين فيكونون ثمانية وروى
- ثمانية أملاك أرجلهم فى تخوم الأرض السابعة والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل
- بعضهم على صورة الإنسان وبعضهم على صورة الأسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة
- النسر وروى ثمانية أملاك فى خلق الأوعال ما بين أظلالها إلى ركبتها مسيرة سبعين عاماً وعن شهر بن
- حوشب أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وأربعة يقولون
- سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حليك بعد عليك وعن الحسن الله أعلم أثمانية أم ثمانية آلاف
- وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم إلا الله تعالى ويجوز أن يكون الثمانية من الروح أو من خلق
- آخر وقيل هو تمثيل لعظمته تعالى بما يشاهد من أحوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء
- العام لكونها أقصى ما يتصور من العظمة والجلال وإلا فشؤنه سبحانه أجل من كل ما يحيط به فلك
- ١٨ العبارة والإشارة (يومئذ تعرضون) أى تسألون وتحاسبون عبر عنه بذلك تشبيهاً له بعرض السلطان
- العسكر لتعرف أحوالهم . روى أن فى يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فاعتذار واحتجاج
- وتوبيخ وأما الثالثة ففيها تنشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه يمينه وإلهالك بشماله وهذا وإن كان بعد
- النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسماً لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب
- * وإدخال أهل الجنة الجنة وأهل النار النار صرح جعله ظرفاً للسكل (لا تخفى منكم خافية) حال من مرفوع
- تعرضون أى تعرضون غير خاف عليه تعالى سر من أسراركم قبل ذلك أيضاً وإنما العرض لإفشاء الحال
- والمبالغة فى العدل أو غير خاف يومئذ على الناس كقوله تعالى يوم تبلى السرائر وقرئ يخفى بالياء
- ١٩ التحنائية (فأما من أوتى كتابه يمينية) تفصيل لأحكام العرض (فيقول) تبجحاً وابتهاجا (هاؤم اقرؤا
- كتاييه) ها اسم لخذ وفيه ثلاث لغات أجودهن هاء يارجل وهاء يا امرأة وهاؤما يارجلان أو امرأتان
- وهاؤون يارجال وهاؤن يانسوة ومفعوله محذوف وكتاييه مفعول اقرؤا لأنه أقرب العالمين ولأنه

٦٩ الحاقة

إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ ﴿٢٠﴾

٦٩ الحاقة

فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾

٦٩ الحاقة

فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾

٦٩ الحاقة

قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾

٦٩ الحاقة

كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾

٦٩ الحاقة

وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يُبَلِّغُنِي لَرَأُوتَ كِتَابِيَةٍ ﴿٢٥﴾

٦٩ الحاقة

وَلَمْ أَذِرْ مَا حِسَابِيَّةٍ ﴿٢٦﴾

٦٩ الحاقة

يُبَلِّغُهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾

لو كان مفعول هاؤم لقل اقرؤه إذ الأولى إضماره حيث أمكن والهاء فيه وفي حسايه وماليه وسلطانيه
 للسكت تثبت في الوقف وتسقط في الوصل واستحب إثباتها لثباتها في الإمام (إني ظننت أني ملاق
 حسايه) أي علمت ولعل التعبير عنه بالظن للإشعار بأنه لا يقدر في الاعتقاد ما يهيجس في النفس من
 الخطرات التي لا ينفك عنها العلوم النظرية غالباً (فهو في عيشة راضية) ذات رضا على النسبة بالصيغة
 كما يقال دارع في النسبة بالحرف أو جعل الفعل لها مجازاً وهو لصاحبها وذلك لكونها صافية عن
 الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم (في جنة عالية) مرتفعة المسكان لأنها في السماء أو الدرجات أو الأبنية
 والأشجار (قطوفها) جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح مصدر (دانية) يتناولها القاعد
 (كلوا واشربوا) بإضمار القول والجمع باعتبار المعنى (هنيئاً) أكلاً وشراباً هنيئاً أو هنيئاً (بما
 أسلفتم) بمقابلة ما قدمتم من الأعمال الصالحة (في الأيام الخالية) أي الماضية في الدنيا وعن مجاهد أيام
 الصيام وروى يقول الله تعالى يا وليائي طالما نظرت إليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الأشرية
 وغارت أعينكم وخمست بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا الآية (وأما من أوتي كتابه
 بشماله) وأرى مافيه من قبائح الأعمال (فيقول ياليتني لم أوت كتابي) (ولم أدر ما حسايه) لما شاهد
 من سوء العاقبة (ياليتها) ياليت الموتة التي متها (كانت القاضية) أي القاطعة لأمرى ولم أبعث بعدها
 ولم ألق ما ألقى فضمير ليتها للموتة ويجوز أن يكون لما شاهده من الحالة أي ياليت هذه الحالة كانت
 الموتة التي قضت على لما أنه وجدها أمر من الموت فتمناه عندها وقد جوز أن يكون للحياة الدنيا أي

الحاقة ٦٩

مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي ۖ ﴿٢٨﴾

الحاقة ٦٩

هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ۖ ﴿٢٩﴾

الحاقة ٦٩

خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۖ ﴿٣٠﴾

الحاقة ٦٩

ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلُّوهُ ۖ ﴿٣١﴾

الحاقة ٦٩

ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۖ ﴿٣٢﴾

الحاقة ٦٩

إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۖ ﴿٣٣﴾

الحاقة ٦٩

وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۖ ﴿٣٤﴾

الحاقة ٦٩

فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ۖ ﴿٣٥﴾

الحاقة ٦٩

وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِن غُسْلَيْنِ ۖ ﴿٣٦﴾

- ٢٨ ياليت الحياة الدنيا كانت الموتة ولم أخلق حياً (ما أغنى عني ماله) مالى من المال والاتباع على أن
 ٢٩ ما نافية والمفعول محذوف أو استفهامية للإنكار أى شئ أغنى عني ما كان لى من اليسار (هلك عني
 سلطانيه) أى ملكى وتسلم على الناس أو حجتى التى كنت أحتج بها فى الدنيا أو تسلم على القوى
 ٣٠ والآلات فعجزت عن استعمالها فى العبادات (خذوه) حكاية لما يقوله الله تعالى يومئذ لحزنة النار
 ٣١ (فغلوه) أى شدوه بالأغلال (ثم الجحيم صلوه) أى لا تصلوه إلا الجحيم وهى النار العظيمة ليكون
 ٣٢ الجزاء على وفق المعصية حيث كان يتعاضم على الناس (ثم فى سلسلة ذرعها) أى طولها (سبعون ذراعا
 فاسلكوه) فأدخلوه فيها بأن تلفوها على جسده فهو فيما بينها مرهق لا يستطع حراكاً ما وتقديم السلسلة
 كتقديم الجحيم للدلالة على الاختصاص والاهتمام بذكر ألوان ما يعذب به و ثم لتفاوت ما بين الفعل
 ٣٣ والتصلية وما بينهما وبين السالك فى السلسلة فى الشدة (إنه كان لا يؤمن بالله العظيم) تعليل بطريق الاستئناف
 التحقيق ووصفه تعالى بالعظم للإيدان بأنه المستحق للعظمة فحسب فن نسبها إلى نفسه استحق أعظم
 ٣٤ العقوبات (ولا يحض على طعام المسكين) ولا يحث على بذل طعامه أو على إطعامه فضلاً أن يذل
 من ماله وقيل ذكر الحض للتنبيه على أن تارك الحض بهذه المنزلة فاطنك بتارك الفعل وفيه دلالة على
 أن الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤاخذه قالوا تخصيص الأمرين بالذكر لما أن أقبح العقائد
 ٣٥ الكفر وأشنع الرذائل البخل وقسوة القلب (فليس له اليوم ههنا حميم) أى قريب يحميه ويدفع عنه
 ٣٦ ويحزن عليه لأن أولياءه يتحامونه ويفرون منه (ولا طعام إلا من غسلين) أى من غسالة أهل النار

٦٩ الحاقة

لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾

٦٩ الحاقة

فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾

٦٩ الحاقة

وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾

٦٩ الحاقة

إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾

٦٩ الحاقة

وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾

٦٩ الحاقة

وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴿٤٢﴾

٦٩ الحاقة

تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾

٦٩ الحاقة

وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾

وصديدهم فعلمين من الغسل (لا يأكله إلا الخاطئون) أصحاب الخطايا من خطيء الرجل إذا تعدد الذنب ٣٧
 لأمن الخطأ المقابل للصواب دون المقابل للعمد عن ابن عباس رضى الله عنهما أنهم المشركون وقرىء
 الخاطيون بإبدال الهمزة ياء وقرىء بطرحها وقد جوز أن يراد بهم الذين يتخطون الحق إلى الباطل
 ويتعدون حدود الله (فلا أقسم) أى فأقسم على أن لا مزيدة للتأكيد وأما حمله على معنى نفى الإقسام ٣٨
 لظهور الأمر واستغنائه عن التحقيق فيرده تعيين المقسم به بقوله تعالى (بما تبصرون) (وما لا تبصرون) ٣٩
 كما مر في سورة الواقعة أى أقسم بالمشاهدات والمغيبات وقيل بالدينا والآخرة وقيل بالأجسام والأرواح
 والإنس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة والاول منتظم للكل (إنه) أى القرآن (لقول) ٤٠
 (رسول) يبلغه عن الله تعالى فإن الرسول لا يقول عن نفسه (كريم) على الله تعالى وهو النبي أو جبريل *
 عليهما السلام (وما هو بقول شاعر) كما تزعمون تارة (قليلًا مَّا تؤمنون) إيمانًا قليلًا تؤمنون (ولا ٤١، ٤٢
 بقول كاهن) كما تدعون ذلك تارة أخرى (قليلًا مَّا تذكرون) أى تذكر أقل قليلًا أو زمانًا قليلًا تتذكرون *
 على أن القلة بمعنى النفي أى لا تؤمنون ولا تتذكرون أصلاً قيل ذكر الإيمان مع نفى الشاعرية والتذكر
 مع نفى الكاهنية لما أن عدم مشابهة القرآن الشعر أمر بين لا ينكره إلا معاند بخلاف مباينته للكهانة
 فإنها تتوقف على تذكر أحواله عليه الصلاة والسلام ومعانى القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعانى
 أقوالهم وأنت خير بأن ذلك أيضاً بما لا يتوقف على تأمل قطعاً وقرىء بالياء فيهما (تنزيل من رب ٤٣
 العالمين) نزل على لسان جبريل عليه السلام (ولو تقول علينا بعض الأقاويل) سعى الاقتراء تقولاً ٤٤
 لأنه قول متكلف والأقوال المفتراة أقاويل تحقيراً لها كأنها جمع أفعولة من القول كالأصاحيك .

٦٩ الحاقة	لَا خَذَانًا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾
٦٩ الحاقة	ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾
٦٩ الحاقة	فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾
٦٩ الحاقة	وَإِنَّهُ لَتَذِكْرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾
٦٩ الحاقة	وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾
٦٩ الحاقة	وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾
٦٩ الحاقة	وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾
٦٩ الحاقة	فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

٤٦، ٤٥ (لأخذنا منه باليمين) أى يمينه (ثم لقطعنا منه الوتين) أى نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لإهلاكه بأفطع ما يفعله الملوك بمن يفضون عليه وهو أن يأخذ القتال يمينه ويكفحه بالسيف ويضرب عنقه وقيل اليمين بمعنى القوة قال قائلهم [إذا ماراية رفعت لمجد * تلقاها عراة باليمين] (فما منكم) أيها الناس (من أحد عنه) عن القتل أو المقتول (حاجزين) دافعين وصف لأحد فإنه عام (وإنه) أى ٤٨ وإن القرآن (لتذكرة للمتقين) لأنهم المنتفعون به (وإننا لنعلم أن منكم مكذبين) فنجازيهم على تكذيبهم ٤٩ (وإنه لحسرة على الكافرين) عند مشاهدتهم لثواب المؤمنين (وإنه لحق اليقين) الذى لا يحوم حوله ٥٠، ٥١ ريب ما (فسبح باسم ربك العظيم) أى فسبح بذكر اسمه العظيم تنزيهاً له عن الرضا بالتقول عليه وشكراً على ما أوحى إليك . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حساباً يسيراً .

٧٠- سورة المعارج
(مكية وهي أربع وأربعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧٠ المعارج

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ①

٧٠ المعارج

لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ②

٧٠ المعارج

مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ③

٧٠ المعارج

تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ④

(سورة المعارج مكية وآياتها أربع وأربعون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (سأل سائل) أى دعا داع (بعذاب واقع) أى استدعاه وطلبه وهو النضر بن الحرث حيث قال إنكاراً واستهزاء إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم وقيل أبو جهل حيث قال أسقط علينا كسفاً من السماء وقيل هو الحرث بن النعمان الفهرى وذلك أنه لما بلغه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى على رضى الله عنه من كنت مولاه فعلى مولاه قال اللهم إن كان مايقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء فما لبث حتى رماه الله تعالى بحجر فوقع على دماغه فخرج من أسفله فهلك من ساعته وقيل هو الرسول صلى الله عليه وسلم استعجل عذابهم وقرىء سأل وهو إما من السؤل على لغة قريش فالعنى مامر أو من السيلان ويؤيده أنه قرىء سأل سيل أى اندفع واد بعذاب واقع وصيغة الماضى للدلالة على تحقق وقوعه وإما فى الدنيا وهو عذاب يوم بدر فإن النضر قتل يومئذ صبراً وقد مر حال الفهرى وإما فى الآخرة فهو عذاب النار والله أعلم (للكافرين) صفة أخرى لعذاب أى كائن للكافرين أو صلة لواقع أو متعلق بسأل أى دعا ٢ للكافرين بعذاب واقع وقوله تعالى (ليس له دافع) صفة أخرى لعذاب أو حال منه لتخصسه بالصفة * أو بالعمل أو من الضمير فى الكافرين على تقدير كونه صفة لعذاب أو استئناف (من الله) متعلق بواقع ٣ أو بدافع أى ليس له دافع من جهته تعالى (ذى المعارج) ذى المصاعد التى يصعد فيها الملائكة بالأوامر والنواهي أو هى عبارة عن السموات المترتبة بعضها فوق بعض (تعرج الملائكة والروح) أى جبريل عليه السلام أفرد بالذكر لتميزه وفضله وقيل الروح خلق هم حفظة على الملائكة كما أن الملائكة حفظة على الناس (إليه) إلى عرشه تعالى وإلى حيث تهبط منه أو امره تعالى وقيل هو من قبيل قول إبراهيم *

٧٠ المارج

فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾

٧٠ المارج

إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾

٧٠ المارج

وَنَزَرَهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾

٧٠ المارج

يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَمَلِ ﴿٨﴾

عليه السلام إني ذاهب إلى ربي أي إلى حيث أمرني به (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) بما
يعده الناس وهو بيان لغاية ارتفاع تلك المارج وبعد مداها على منهاج التمثيل والتخييل والمعنى أنها
من الارتفاع بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان ذلك الزمان مقدار خمسين ألف سنة من سني الدنيا
وقيل معناه تخرج الملائكة والروح إلى عرشه تعالى في يوم كان مقداره كمقدار خمسين ألف سنة أي
يقطعون في يوم ما يقطعه الإنسان في خمسين ألف سنة لو فرض ذلك وقيل في يوم متعلق بواقع وقيل
بسأل على تقدير كونه من السيلان فالمراد به يوم القيامة واستطالته إما لأنه كذلك في الحقيقة أو لشدة
على الكفار أو لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات وأياً ما كان فذلك في حق الكافر وأما في حق
المؤمن فلا لما روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أطول
هذا اليوم فقال عليه الصلاة والسلام والذي نفسي بيده إنه ليخف على المؤمن حتى أنه يكون أخف
من صلاة مكتوبة يصلها في الدنيا وقوله تعالى (فاصبر صبراً جميلاً) متعلق بسأل لأن السؤال كان
عن استهزاء وتعنت وتكذيب بالوحي وذلك بما يضجره عليه الصلاة والسلام أو كان عن تضجر
واستبطاء للنصر أو بسأل سائل أو سأل سيل فعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فقد شارفت الانتقام
٦ (إنهم يرونه) أي العذاب الواقع أو يوم القيامة على تقدير تعلق في يوم بواقع (بعيداً) أي يستبعدونه
٧ بطريق الإحالة فلذلك يسألون به (ونزاه قريباً) هيناً في قدر تناغير بعيد علينا ولا متعذر على أن البعد
٨ والقرب معتبران بالنسبة إلى الإمكان والجملة تعليل للأمر بالصبر وقوله تعالى (يوم تكون السماء كالهمل)
متعلق بقريباً أي يمكن ولا يعتذر في ذلك اليوم أو بمضمر دل عليه واقع أو بمضمر مؤخر أي يوم
تكون السماء كالهمل الخ يكون من الأحوال والأحوال ما لا يوصف أو بدل من في يوم على تقدير
تعلقه بواقع هذا ما قالوا ولعل الأقرب أن قوله تعالى سأل سائل حكاية لسؤالهم المعبود على طريقة
قوله تعالى يسألونك عن الساعة وقوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ونحوهما إذ هو المعبود بالوقوع
على الكافرين لا ما دعا به النضر أو أبو جهل الفهري فالسؤال بمعناه والباء بمعنى عن كما في قوله تعالى
فاسأل به خير أو قوله تعالى ليس له دافع الخ استئناف مسوق لبيان وقوع المسؤل عنه لا محالة وقوله
تعالى فاصبر صبراً جميلاً مترتب عليه وقوله تعالى إنهم يرونه بعيداً ونزاه قريباً تعليل للأمر بالصبر كما
ذكر وقوله تعالى يوم تكون الخ متعلق بليس له دافع أو بما يدل هو عليه أي يقع يوم تكون السماء

٧٠ المعارج

وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ⑨

٧٠ المعارج

وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً ⑩

٧٠ المعارج

يَبْصُرُونَهُ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بَيْنِيهِ ⑪

٧٠ المعارج

وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ⑫

٧٠ المعارج

وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُتَوَكَّلُ عَلَيْهَا ⑬

٧ المعارج

وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ ⑭

٧٠ المعارج

كَلَّا إِنَّهَا لَأَنْظَى ⑮

- ٩ كالمهل وهو ما أذيب على مهل من الفلزات وقيل دردى الزيت (وتكون الجبال كالعهن) كالصوف ٩
المصبوغ ألوانا لاختلاف ألوان الجبال منها جدد بيض وحر مختلف ألوانها وغرايب سود فإذا بست
وطيرت في الجو أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح (ولا يسأل حميم حميماً) أى لا يسأل قريب قريباً ١٠
عن أحواله ولا يكلمه لا ابتلاء كل منهم بما يشغله عن ذلك وقرىء على البناء للفعول أى لا يطلب من
حميم حميم أولاً يسأل منه حاله (يبصرونه) أى يبصرونهم (لا يحضرونهم) أى لا يحضرونهم من
التساؤل إلا تشاغلهم بحال أنفسهم وقيل ما يغنى عنه من مشاهدة الحال كيباض الوجه وسواده والأول
أدخل في التهويل وجمع الضميرين لعموم الحميم وقرىء يبصرونهم والجملة استئناف (يود المجرم) أى
يتمنى الكافر وقيل كل مذنب وقوله تعالى (لو يفتدى من عذاب يومئذ) أى العذاب الذى ابتلوا به يومئذ
(بينه) (وصاحبه وأخيه) حكاية لودادتهم ولو فى معنى التنى وقيل هى بمنزلة أن الناصبة فلا يكون ١٢
لها جواب وينسبك منها وبما بعدها مصدر يقع مفعولاً ليدود والتقدير يود افتداه بينه الخ والجملة استئناف
ليبان أن اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ إلى حيث يتمنى أن يفتدى بأقرب الناس إليه وأعلقهم بقلبه فضلاً
أن يهتم بحاله ويسأل عنها وقرىء يومئذ بالفتح على البناء للإضافة إلى غير متمكن وبتنوين عذاب
ونصب يومئذ واتصافه بعذاب لأنه فى معنى تعذيب (وفصيلته) أى عشيرته التى فصل عنهم (التى تؤويه) ١٣
أى تضمه فى النسب أو عند الشدائد (ومن فى الأرض جميعاً) من الثقلين والخلائق ومن للتغليب (ثم ١٤
ينجيه) عطف على يود لو يفتدى ثم لو ينجيه الافتداء وثم لاستبعاد الإنجاء يعنى يتمنى لو كان
هؤلاء جميعاً تحت يده وبذلهم فى فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيات (كلا) ردع المجرم عن الودادة ١٥
وتصريح بامتناع الإنجاء الافتداء وضمير (لئنها) لما للنار المدلول عليها بذكر العذاب أو مبهم ترجم عند *

- ١٦ نَزَاعَةً لِلشَّوَى ①٦ ٧٠ المارج
- ١٧ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ①٧ ٧٠ المارج
- ١٨ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ①٨ ٧٠ المارج
- ١٩ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ①٩ ٧٠ المارج
- ٢٠ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ②٠ ٧٠ المارج
- ٢١ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ②١ ٧٠ المارج
- ٢٢ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ②٢ ٧٠ المارج
- ٢٣ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ②٣ ٧٠ المارج
- ٢٤ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ②٤ ٧٠ المارج
- ١٦ الخبر الذي هو قوله تعالى (لظى) وهى علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب (نزاعة للشوى) نصب على الاختصاص أو حال مؤكدة والشوى الأطراف أو جمع شواة وهى جلدة الرأس وقرىء نزاعة بالرفع على أنه خبر ثان لأن أو هو الخبر ولظى بدل من الضمير أو الضمير للقصة ولظى مبتدأ ونزاعة خبره (تدعو) أى تجذب وتحضر وقيل تدعو وتقول لهم إلى إلى يا كافر بامنافق وقيل تدعو المنافقين * والكافرين بالسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب وقيل تدعو تهلك وقيل تدعو زبائنها (من أدبر) أى عن الحق (وتولى) أعرض عن الطاعة (وجمع فأوعى) أى جمع المال فجعله فى وعاء وكنزه ولم يؤد زكاته وحقوقه وتشاغل به عن الدين وزهى باقتنائه حرصاً وتأميلاً (إن الإنسان خلق هلوعاً) الهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وقد فسرهُ أحسن تفسير قوله تعالى ٢١، ٢٠ (إذا مسه الشر) أى الفقر والمرض ونحوهما (جزوعاً) أى مبالغاً فى الجزع مكثراً منه (وإذا مسه الخير) أى السعة والصحة (منوعاً) مبالغاً فى المنع والإمساك والأوصاف الثلاثة أحوال مقدرة أو محققة لأنها طبائع جبل الإنسان عليها وإذا الأولى ظرف لجزوعاً والثانية لمنوعاً (إلا المصلين) استثناء للتصفيين بالنعوت الجليلة الآتية من المطبوعين على القبائح الماضية لأنباء نعتهم عن الاستغراق فى طاعة الحق والإشفاق على الخلق والإيمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وإيثار الآجل ٢٣ على العاجل على خلاف القبائح المذكورة الناشئة من الانهماك فى حب العاجل وقصر النظر عليه (الذين هم على صلاتهم دائمون) لا يشغلهم عنها شاغل (والذين فى أموالهم حق معلوم) أى نصيب معين يستوجبونه

- ٧٠ المارج لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ٢٥
- ٧٠ المارج وَالَّذِينَ يَصَّدُقُونَ يَوْمَ الدِّينِ ٢٦
- ٧٠ المارج وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ٢٧
- ٧٠ المارج إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ٢٨
- ٧٠ المارج وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرُوحِهِمْ حَافِظُونَ ٢٩
- ٧٠ المارج إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٣٠
- ٧٠ المارج فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَاوْلَتْكَ هُمُ الْعَادُونَ ٣١
- ٧٠ المارج وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ٣٢
- ٧٠ المارج وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ٣٣
- ٧٠ المارج وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ٣٤

على أنفسهم تقربا إلى الله تعالى وإشفاقا على الناس من الزكاة المفروضة والصدقات الموظفة (السائل) ٢٥
الذي يسأله (والمحروم) الذي لا يسأله فيظن أنه غني فيحرم (والذين يصدقون يوم الدين) أي بأعمالهم ٢٦
حيث يتعبون أنفسهم في الطاعات البدنية والمالية طمعاً في المثوبة الآخروية بحيث يستدل بذلك على
تصدقهم بيوم الجزاء (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) خائفون على أنفسهم مع ما لهم من الأعمال ٢٧
الفاصلة استقصاراً لها واستعظاماً لجناحه عز وجل كقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم ورجلة
أنهم إلى ربهم راجعون وقوله تعالى (إن عذاب ربهم غير مأمون) اعتراض مؤذن بأنه لا ينبغي لأحد ٢٨
أن يأمن عذابه تعالى وإن بالغ في الطاعة (والذين هم لغرورهم حافظون) (إلا على أزواجهم أو ٣٠، ٢٩
ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين) سلف تفسيره في سورة المؤمنين (فمن ابتغى) أي طلب لنفسه (وراء ٣١
ذلك) وراء ما ذكر من الأزواج والمملوكات (فاولئك) المبتغون (هم العادون) المتعدون لحدود الله *
تعالى (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) لا يخلون بشيء من حقوقها (والذين هم بشهاداتهم قانمون) ٣٣، ٣٢
أي مقيمون لها بالعدل لإحياء حقوق الناس وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في الأمانات لإبانة فضلها
وقرىء لأماناتهم وبشهادتهم على إرادة الجنس (والذين هم على صلاتهم يحافظون) أي يراعون شرائعها ٣٤
٥٥ - أبي السعود ج ٩،

٧٠ المارج

أُولَئِكَ فِي جَنَّتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾

٧٠ المارج

قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكْ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾

٧٠ المارج

عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾

٧٠ المارج

أَيُّطَمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾

٧٠ المارج

كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

ويكملون فرائضها وسننها ومستحباتها وآدابها وتكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها أولا وآخرأ باعتبارين للدلالة على فضلها وإنافتها على سائر الطاعات وتكرير الموصولات لتنزيل اختلاف الصفات منزلة اختلاف الذوات كما في قول من قال [إلى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتائب في المزدحم] إيذاناً بأن كل واحد من الأوصاف المذكورة نعت جليل على حياله له شأن خطير مستتبع لأحكام جمة حقيق بأن يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شيء منها تمة للآخر (أولئك) إشارة إلى الموصوفين بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليهم للإيذان بعلو شأنهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ خبره (في جنات) أي مستقرون في جنات لا يقادر قدرها ولا يدرك كنهها وقوله تعالى (مكرمون) خبر آخر أو هو الخبر وفي جنات متعلق به قدم عليه لمراعاة الفواصل أو بمضمر هو حال من الضمير في الخبر أي مكرمون كائنين في جنات (فما للذين كفروا قبلك) حولك (مهطعين) مسرعين نحوك مادي أعناقهم إليك مقبلين بأبصارهم عليك (عن اليمين وعن الشمال عزين) أي فرقا شتى جمع عزوة أصلها عزوة من العزوكأن كل فرقة تعزى إلى غير من تعزى إليه الأخرى كان المشركون يخلقون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقاتاً حلقاتاً وفرقا فرقا ويستهبزون بكلامه عليه الصلاة والسلام ويقولون إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلها قبلهم فنزلت (أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم) بلا إيمان (كلا) ردع لهم عن ذلك الطمع الفارغ (إنا خلقناهم مما يعلمون) قيل هو تعليل للردع والمعنى إنا خلقناهم من أجل ما يعلمون كافي قول الأعشى [أأزمت من آل ليلي ابتكارا * وشطت على ذي هوى أن تزارا] وهو تكميل النفس بالإيمان والطاعة فمن لم يستكملها بذلك فهو بمعزل من أن يبوأ مبوأ الكاملين فمن أين لهم أن يعلموا في دخول الجنة وهم مكبون على الكفر والفسوق وإنكار البعث وقيل معناه إنا خلقناهم مما يعلمون من نطفة مذرة فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم ويهولون لندخل الجنة قبلهم وقيل لأنهم مخلوقون من نطفة قدرة لا تناسب عالم القدس فتي لم تستكمل الإيمان والطاعة ولم تتخلق بأخلاق الملكية لم تستعد لدخولها ولا يخفى مافي الكل من التحل والأقرب أنه كلام مستأنف قد سبق تمهيداً لما بعده من بيان قدرته تعالى على أن يهلكهم لكفرهم بالبعث والجزاء

٧٠ المارج

فَلَا أَقْسِمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِرُونَ ﴿٤٠﴾

٧٠ المارج

عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرَ مَنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾

٧٠ المارج

فَقَدَرَهُمْ بِخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٤٢﴾

٧٠ المارج

يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصَبٍ يُوْفَضُونَ ﴿٤٣﴾

٧٠ المارج

خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

واستهزأهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما نزل عليه من الوحي وادعائهم دخول الجنة بطريق السخرية وينشئ بدلمهم قوما آخرين فإن قدرته تعالى على ما يعلمون من النشأة الأولى حجة بينة على قدرته تعالى على ذلك كما يفصح عنه ألفاء الفصيحة في قوله تعالى (فلا أقسم برب المشارق والمغارب) والمعنى ٤٠ إذا كان الأمر كما ذكر من أنا خلقناهم مما يعلمون فأقسم برب المشارق والمغارب (إنا لقادرون) (على ٤١ أن نبدل خيرا منهم) أى نهلكهم بالمرّة حسبما تقتضيه جنائياتهم ونأتى بدلمهم بخلق آخرين ليسوا على صفتهم (وما نحن بمسبوقين) بمفلولين إن أردنا ذلك لكن مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة اقتضت * تأخير عقوباتهم (فقدرهم) فخلهم وشأنهم (يخوضوا) فى باطلهم الذى من جملته ما حكى عنهم (ويلعبوا) ٤٢ فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) وهو يوم البعث عند النفخة الثانية لا يوم النفخة الأولى * كما توهم فإن قوله تعالى (يوم يخرجون من الأجداث) بدل من يومهم وقرئ يخرجون على البناء للفعول ٤٣ من الإخراج (سراعا) حال من مرفوع يخرجون أى مسرعين (كأنهم إلى نصب) وهو كل ما نصب * فعبد من دون الله تعالى وقرئ بسكون الصاد وفتح النون وسكون الصاد أيضاً (يوفضون) يسرعون * (خاشعة أبصارهم) وصفت أبصارهم بالخشوع مع أنه وصف الكل لغاية ظهور آثاره فيها (ترهقهم ٤٤ ذلة) تغشاهم ذلة شديدة (ذلك) الذى ذكر ماسبق فيه من الأحوال الهائلة (اليوم الذى كانوا يوعدون) * فى الدنيا . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سأل سائل أعطاه الله تعالى ثواب الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون .

٧١ - سورة نوح عليه السلام
(مكية وهي ثمان عشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ ٧١ نوح

قَالَ يَنْقُومُ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ ٧١ نوح

إِنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ٧١ نوح

يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ٧١ نوح

(سورة نوح عليه السلام مكية وآياتها ثمان وعشرون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك) أى بأن أنذرهم على أن أن مصدرية حذف منها الجار وأوصل إليها الفعل فإن حذفه مع أن وإن مطرد وجعلت صلتها أمراً كما فى قوله تعالى وأن أقم وجهك لأن مدار وصلها بصيغ الأفعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والإنشائية ووجوب كون الصلة خبرية فى الموصول الاسمى إنما هو للتوصل إلى وصف المعارف بالجمال الخبرية وليس الموصول الحرفى كذلك وحيث استوى الخبر والإنشاء فى الدلالة على المصدر استويا فى صحة الوصل بهما فيتجرد عند ذلك كل منهما عن المعنى الخاص بصيغته فيبقى الحدث المجرد عن معنى الأمر والنهى والمضى والمستقبل كأنه قيل أرسلناه بالإنذار وقيل المعنى أرسلناه بأن قلنا له أنذر أى أرسلناه بالأمر بالإنذار ويجوز أن تكون أن مفسرة لما فى الإرسال من معنى القول فلا يكون للجملة محل من الإعراب وعلى الأول محلها النصب عند سيوبه والفراء والجر عند الخليل والكسائى * كما هو المعروف وقرئ أنذر بغير أن على إرادة القول (من قبل أن يأتهم عذاب أليم) عاجل أو
- ٢ أجل لثلاثين لهما عذر ما أصلا (قال) استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية إرساله عليه الصلاة والسلام بالوجه المذكور كأنه قيل ما فعل عليه الصلاة والسلام فقيل قال لهم (يا قوم إني لكم نذير مبين)
- ٣ منذر موضح لحقيقة الأمر وقوله تعالى (أن أعبدوا الله واتقوه وأطيعوا) متعلق بنذير على الوجهين
- ٤ المذكورين (يغفر لكم من ذنوبكم) أى بعض ذنوبكم وهو ما سلف فى الجاهلية فإن الإسلام يمحاه (ويؤخركم إلى أجل مسمى) هو الأمد الأقصى الذى قدره الله تعالى لهم بشرط الإيمان والطاعة وراء ما قدره لهم على تقدير بقائهم على الكفر والعصيان فإن وصف الأجل بالمسمى وتعليق تأخيرهم إليه

٧١ نوح

قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾

٧١ نوح

فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾

وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِي أَذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا

٧١ نوح

اَسْتَكْبَرُوا ﴿٧﴾

٧١ نوح

ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾

٧١ نوح

ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾

- بالإيمان والطاعة صريح في أن لهم أجلاً آخر لا يجاوزونه إن لم يؤمنوا وهو المراد بقوله تعالى (إن أجل الله) أي ما قدر لكم على تقدير بقائكم على الكفر (إذا جاء) وأتم على ما أتم عليه من الكفر (لا يؤخر) فبادروا إلى بالإيمان والطاعة قبل مجيئه حتى لا يتحقق شرطه الذي هو بقاؤكم على الكفر فلا يجيء ويتحقق شرط التأخير إلى الأجل المسمى فتؤخروا إليه ويجوز أن يراد به وقت إتيان العذاب المذكور في قوله تعالى من قبل أن يأتهم عذاب أليم فإنه أجل موقت له حتماً وحمله على الأجل الأطول بما لا يساعده المقام كيف لا والجملة تعليل للأمر بالعبادة المستتبعة للغفرة والتأخير إلى الأجل المسمى فلا بد أن يكون المنفي عند مجيء الأجل هو التأخير الموعود فكيف يتصور أن يكون ما فرض مجيئه هو الأجل المسمى (لو كنتم تعلمون) أي لو كنتم تعلمون شيئاً لسارعتم إلى ما أمرتكم به (قال) أي نوح عليه الصلاة والسلام مناجياً ربه وحاكياً له تعالى وهو أعلم بحاله ما جرى بينه وبين قومه من القيل والقال في تلك المدد الطوال بعدما بذل في الدعوة غاية المجهود وجاز في الإنذار كل حد معهود وضائق عليه الحيل وعيت به العلل (رب إني دعوت قومي) إلى الإيمان والطاعة (ليلاً ونهاراً) أي دائماً من غير فتور ولا توان (فلم يزدني دعائي إلا فراراً) بما دعوتهم إليه وإسناد الزيادة إلى الدعاء لسببته ٦ كما في قوله تعالى زادتكم إيماناً (وإني كلما دعوتهم) إلى الإيمان (لتغفر لهم) بسببه (جعلوا أصابعهم في آذانهم) أي سدوا مسامعهم من استماع الدعوة (واستعشوا ثيابهم) أي بالغوا في التغطية بها كأنهم طلبوا أن تغشاهم ثيابهم أو تغشيهم لئلا يبصروا كراهة النظر إليه أو لئلا يعرفهم فيدعوه (وأصروا) أي أكبوا على الكفر والمعاصي مستعازين من أصر الحمار على العانة إذا أصر أذنيه وأقبل عليها (واستكبروا) عن اتباعي وطاعتي (استكباراً) شديداً (ثم إني دعوتهم جهاراً) (ثم إني أعلنت ٩،٨ لهم وأسريت لهم إسراراً) أي دعوتهم تارة بعد تارة ومرة غيب مرة على وجوه متخالفة وأساليب متفاوتة وثم لتفاوت الوجوه فإن الجهار أشد من الإسرار والجمع بينهما أغلظ من الأفراد أو لتراخي بعضها عن بعض وجهار منصوب بدعوتهم على المصدر لأنه أحد نوعي الدعاء أو أريد بدعوتهم جاهرتهم

٧١ نوح

قُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾

٧١ نوح

يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾

٧١ نوح

وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِنَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾

٧١ نوح

مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾

٧١ نوح

وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾

١٠ أو هو صفة لمصدر أى دعوتهم دعاء جهاراً أى مجاهرأ به أو مصدر فى موقع الحال أى مجاهرأ (فقلت
 • استغفروا ربكم) بالتوبة عن الكفر والمعاصى (إنه كان غفّاراً) للتائبين كأنهم تعلقوا وقالوا إن كنا
 على الحق فكيف تركه وإن كنا على الباطل فكيف يقبلنا بعد ما عكفنا عليه دهرأ طويلا فأمرهم بما
 يمحى ماسلف منهم من المعاصى ويحلب إليهم المنافع ولذلك وعدم بما هو أوقع فى قلوبهم وأحب إليهم
 من الفوائد العاجلة وقيل لما كذبوه بعد تكرير الدعوة حبس الله تعالى عنهم القطر وأعقم أرحام
 فئسهم أربعين سنة وقيل سبعين سنة فوعدم أنهم إن آمنوا أن يرزقهم الله تعالى الخصب ويدفع عنهم
 ما كانوا فيه (يرسل السماء عليكم مدراراً) أى كثير الدورور والمراد بالسما المظلة أو السحاب
 ١١ (ويمدّدكم بأموال وينبن ويجعل لكم جنات) بساتين (ويجعل لكم) فيها (أنهاراً) جارية (مالكم
 لا ترجون لله وقاراً) إنكار لأن يكون لهم سبب مافى عدم رجائهم لله تعالى وقاراً على أن الرجاء بمعنى
 الاعتقاد ولا ترجون حال من ضمير المخاطبين والعامل فيها معنى الاستقرار فى لكم على أن الإنكار متوجه
 إلى السبب فقط مع تحقق مضمون الجملة الحالية لا إليهما معاً كما فى قوله تعالى ومالى لا أعبد الذى فطرني
 والله متعلق بمضمون وقع حالا من وقاراً ولو تأخر لكان صفة له أى أى سبب حصل لكم حال كونكم
 ١٤ غير معتدين لله تعالى عظمة موجبة لتعظيمه بالإيمان به والطاعة له (وقد خلقكم أطواراً) أى والحال
 أنكم على حال منافية لما أتم عليه بالكلية وهى أنكم تعلمون أنه تعالى خلقكم تارات عناصر ثم أغذية
 ثم أخلاطاً ثم نطفاً ثم علقاً ثم مضغاً ثم عظاماً ولحوماً ثم أنشأكم خاقاً آخر فإن التقصير فى توفير من
 من هذه شؤنه فى القدرة القاهرة والإحسان التام مع العلم بها بما لا يكاد يصدر عن العاقل هذا وقد قيل
 الرجاء بمعنى الأمل أى مالكم لا تؤملون له تعالى توفيراً أى تعظيماً لمن عبده وأطاعه ولا تكونون على
 حال تؤملون فيها تعظيم الله تعالى إياكم فى دار الثواب والله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار
 والأول هو الذى تستدعيه الجزالة التنزيلية فإن اللائق بحال الكفرة استبعاد أن لا يعتقدوا وقار الله
 تعالى وعظمته مع مشاهدتهم لآثارها وأحكامها الموجبة للاعتقاد جتاً وأما عدم رجائهم لتعظيم الله
 إياهم فى دار الثواب فليس فى حيز الاستبعاد والإنكار مع أن فى جعل الوقار بمعنى التوفير من التمسف

- ٧١ نوح أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ⑩
- ٧١ نوح وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ⑪
- ٧١ نوح وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ⑫
- ٧١ نوح ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ⑬
- ٧١ نوح وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ⑭

وفي قوله والله ييان للوقر ولو تأخر لكان صلة للوقار من التناقض مالا يخفى فإن كونه يياناً للوقر يقتضى أن يكون التوقير صادراً عنه تعالى والوقار وصفاً للخاطبين وكونه صلة للوقار يوجب كون الوقار وصفاً له تعالى وقيل مالكم لاتخافون لله عظمة وقدره على أخذكم بالعقوبة أى أى عذركم فى ترك الخوف منه تعالى وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مالكم لاتخشون الله عقاباً ولا ترجون منه ثواباً وعن مجاهد والضحاك مالكم لاتبالون الله عظمة قال قطرب هى لغة حجازية يقولون لم أرج أى لم أبال وقوله تعالى (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً) أى متطابقة بعضها فوق بعض (وجعل القمر فيهن نورا) أى منورا لوجه الأرض فى ظلمة الليل ونسبته إلى الكل مع ١٥ أنه فى السماء الدنيا لما أنها محاطة بسائر السموات فما فيها يكون فى الكل أو لأن كل واحدة منها شفافة لاتحجب ما وراءها فيرى الكل كأنها سماء واحدة ومن ضرورة ذلك أن يكون ما فى واحدة منها كأنه فى الكل (وجعل الشمس سراجاً) يزيل ظلمة الليل ويبصر أهل الدنيا فى ضوئها وجه الأرض • ويشاهدون الآفاق كما يبصر أهل البيت فى ضوء السراج ما يحتاجون إلى إبصاره وليس القمر بهذه المثابة إنما هو نور فى الجملة (والله أنبتكم من الأرض نباتاً) أى أنشأكم منها فاستعير الإنبات للإنشاء لكونه ١٧ أدل على الحدوث والتكون من الأرض ونباتاً إما مصدر مؤكد لأنبتكم بحذف الزوائد ويسمى اسم مصدر أو لما يترتب عليه من فعله أى أنبتكم من الأرض فنبت نباتاً ويجوز أن يكون الأصل أنبتكم من الأرض إنباتاً فنبت نباتاً فيحذف من الجملة الأولى المصدر ومن الثانية الفعل اكتفاء فى كل منهما بما ذكر فى الأخرى كما مر فى قوله تعالى أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى وقوله تعالى وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله (ثم يعيدكم فيها) ١٨ بالدفن عند موتكم (ويخرجكم) منها عند البعث والخشر (إخراجاً) محققاً لا ريب فيه (والله جعل ١٩ لكم الأرض بساطاً) تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم فى بيوتكم وتوسيط لكم بين الجعل ومفعوليه مع أن حقه التأخير لما مر مراراً من الاهتمام ببيان كون المجمعول من منافعهم والتشويق إلى المؤخر فإن النفس عند تأخير ما حقه التقديم لاسيما عند كون المقدم ملوحاً بكونه من المنافع تبقى مترقبة له فيتمكن

٧١ نوح

لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾

٧١ نوح

قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾

٧١ نوح

وَمَكْرُوا مَكْرًا كُبَارًا ﴿٢٢﴾

٧١ نوح

وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾

٧١ نوح

وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾

- ٢٠ عند وروده لها فضل تمكن (لتسلكوا منها سبلا فجاجا) أى طرقا واسعة جمع فجع وهو الطريق الواسع وقيل هو المسلك بين الجبلين ومن متعلقة بما قبلها لما فيه من معنى الاتخاذ أو بمضمر هو حال من سبلا
- ٢١ أى كائنة من الأرض ولو تأخر لكان صفة لها (قال نوح) أعيد لفظ الحكاية لطول العهد بحكاية
- مناجاته لربه أى قال مناجيا له تعالى (رب إنهم عصوني) أى تموا على عصياني فيما أمرتهم به مع ما بالغت
 - فى إرشادهم بالعظة والتذكير (واتبعوا من لم يزد ماله وولده إلا خسارا) أى واستمروا على اتباع رؤسائهم الذين أبطرتهم أموالهم وغرتهم أولادهم وصار ذلك سببا لزيادة خسارهم فى الآخرة فصاروا أسوة لهم فى الخسار وفى وصفهم بذلك إشعار بأنهم إنما اتبعوهم لوجهتهم الحاصلة لهم بسبب الأموال والأولاد لما شاهدوا فيهم من شبهة مصححة للاتباع فى الجملة وقرئ وولده بالضم والسكون على
- ٢٢ أنه لغة كالخزن أو جمع كالأسد (ومكروا) عطف على صلة من والجمع باعتبار معناها كما أن الأفراد فى الضمائر الأول باعتبار لفظها (مكرا كبارا) أى كبيراً فى الغاية وقرئ بالتخفيف والأول أبلغ منه وهو أبلغ من الكبير وذلك احتياهم فى الدين وصددهم للناس عنه وتحريشهم لهم فى أذية نوح عليه السلام (وقالوا لا تذرنا آلهتكم) أى لا تتركوا عبادتها على الإطلاق إلى عبادة رب نوح (ولا تذرنا ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) أى ولا تذرنا عبادة هؤلاء خصوصها بالذكر مع اندراجها فيما سبق لأنها كانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم وقد انتقلت هذه الأصنام عنهم إلى العرب ود لكب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمردونسر لخير وقيل هم أسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح وقيل من أولاد آدم عليه السلام ماتوا فقال إبليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون إليهم وتبركون بهم ففعلوا فلما مات أولئك قال لمن بعدهم إنهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر
- ٢٤ على صورة نسر وقرئ ودا بضم الواو ويغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للمعجمة والعلبية (وقد أضلوا) أى الرؤساء (كثيرا) خلقا كثيرا أو الأصنام كقوله تعالى رب إنهن أضللن كثيرا من الناس (ولا تزد الظالمين إلا ضلالا) عطف على قوله تعالى رب إنهم عصوني على حكاية كلام نوح بعد قال

مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٥﴾ ٧١ نوح

وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنْ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ٧١ نوح

إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ٧١ نوح

رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا

تَبَارًا ﴿٢٨﴾ ٧١ نوح

وبعد الواو النابتة عنه أى قال رب إنهم عصوني وقال لاتزد الظالمين إلا ضلالا ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم المفرط وتعليل الدعاء عليهم به والمطلوب هو الضلال فى تمشية مكرهم ومصالح دنياهم أو الضياع والهلاك كما فى قوله تعالى إن المجرمين فى ضلال وسعر ويؤيده ما سياتى من دعائه عليه الصلاة والسلام (بما خطيئاتهم) أى من أجل خطيئاتهم ومازيدة بين الجار والمجرور للتوكيد والتفخيم ومن لم ير زيادتها جعلها نكرة وجعل خطيئاتهم بدلا منها وقرىء بما خطاياهم وبما خطيئاتهم أى بسبب خطيئاتهم المعدودة وغيرها من خطاياهم (أغرقوا) بالطوفان لا بسبب آخر (فأدخلوا نارا) * المراد إما عذاب القبر فهو عقيب الإغراق وإن كانوا فى الماء عن الضحك أنهم كانوا يفرقون من جانب ويحرقون من جانب أو عذاب جهنم والتعقيب لتنزيله منزلة المتعقب لإغراقهم لا قربابه وتحققه لاحالة وتكثير النار إما لتعظيمها وتهويلها أو لأنه تعالى أعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار (فلم يجدوا * لهم من دون الله أنصارا) أى لم يجد أحد منهم واحدا من الأنصار وفيه تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله تعالى وبأنها غير قادرة على نصرهم وتمكيمهم (وقال نوح رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديارا) ٢٦ عطف على نظيره السابق وقوله تعالى بما خطيئاتهم الخ اعتراض وسط بين دعائه عليه الصلاة والسلام للإيدان من أول الأمر بأن ما أصابهم من الإغراق والإحراق لم يصبهم إلا لأجل خطيئاتهم التى عددها نوح عليه السلام وأشار إلى استحقاقهم للإهلاك لأجلها لا أنها حكاية لنفس الإغراق والإحراق على طريفة حكاية ماجرى بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم من الأحوال والأقوال وإلا لآخر عن حكاية دعائه هذا ودياراً من الأسماء المستعملة فى النفي العام يقال ما بالدار ديار أودبور كقيام وقيام أى أحد وهو فيعال من الدور أو من الدار أصله ديوار قد فعل به ما فعل بأصل سيد لأفعال وإلا لكان دواراً (إنك إن تذرهم) عليها كلا أو بعضاً (يضلوا عبادك) عن طريق الحق (ولا يلدوا إلا ٢٧ فاجراً كفاراً) أى إلا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون إليه وكأنه اعتذار بما عسى يرد عليه من أن الدعاء بالاستئصال مع احتمال أن يكون من أخلافهم من يؤمن منكراً وإنما قاله لاستحكام عليه بما يكون منهم ومن أعقابهم بعد ما جربهم واستقرأ أحوالهم قريباً من ألف سنة (رب اغفر لي ٢٨

٧٢ - سورة الجن
(مكية وهي ثمان وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوْحِيَ إِلَىَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾

٧٢ الجن

يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾

٧٢ الجن

ولو الـدى) أبوه ملك بن متوشلخ وأمه شمش بنت أنوش كانوا مؤمنين وقيل هما آدم وحواء وقرىء ولولدى
* يريد ساما وحاماً (ولن دخل بيتي) أى منزلى وقيل مسجدى وقيل سفينتى (مؤمناً) بهذا القيد خرجت
امرأته وابنه كنعان ولكن لم يجزم عليه الصلاة والسلام بخروجه إلا بعد ما قيل له إنه ليس من أهالك
* وقد مر تفصيله فى سورة هود (وللمؤمنين والمؤمنات) عمن بالدعاء لآثر ما خص به من يتصل به نسباً
* ودينياً (ولا تزد الظالمين إلا تباراً) أى هلاكاً قليل غرق معهم صبيانهم أيضاً لكن لآعلى وجه العقاب
لهم بل لتشديد عذاب آبائهم وأمهاتهم بآراءه هلاك أطفالهم الذين كانوا أعز عليهم من أنفسهم قال عليه
الصلاة والسلام يهلكون مهلكاً واحداً ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن أنه سئل عن ذلك فقال
علم الله برأيتهم فأهلكهم بغير عذاب وقيل أعقم الله أرحام نسايتهم وأبى أصلاب آبائهم قبل الطوفان
بأربعين أو سبعين سنة فلم يكن معهم صبى حين غرقوا . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح
كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام .

(سورة الجن مكية وآياتها ثمان وعشرون)

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (قل أوحى إلى) وقرىء أوحى إلى أصله ووحى وقد قرىء كذلك من
* وحى إليه فقلت الواو المضمومة همزة كاعد وأزن فى وعد ووزن (أنه) بالفتح لأنه فاعل أوحى
* والضمير للشأن (استمع) أى القرآن كما ذكر فى الأحقاف وقد حذف لدلالة ما بعده عليه (نفر من
الجن) النفرا بين الثلاثة والعشرة والجن أجسام عاقلة خفية يغلب عليهم النارية أو الهوائية وقيل نوع
من الأرواح المجردة وقيل هى النفوس البشرية المفارقة عن أبدانها وفيه دلالة على أنه عليه الصلاة والسلام
لم يشعر بهم وباستماعهم ولم يقرأ عليهم وإنما اتفق حضورهم فى بعض أوقات قراءته فسمعوه فأخبر الله
* تعالى بذلك وقد مر ما فيه من التفصيل فى الأحقاف (فقالوا) لقومهم عند رجوعهم إليهم (إنا سمعنا
* قرآناً) كتاباً مقروءاً (عجياً) بديعاً مبيناً لكلام الناس فى حسن النظم ودقة المعنى وهو مصدر وصف
٢ به للبالغة (يهدى إلى الرشد) إلى الحق والصواب (فآمننا به) أى بذلك القرآن (ولن نشرك بربنا
أحداً) حسبنا نطق به ما فيه من دلائل التوحيد .

٧٢ الجن

وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾

٧٢ الجن

وَأَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُ سَفِينُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾

٧٢ الجن

وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾

٧٢ الجن

وَأَنَّهُمْ كَانُوا رِجَالًا مِّنَ الْإِنْسِ يَعُودُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾

٧٢ الجن

وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾

- (وأنه تعالى جد ربنا) بالفتح قالوا هو وما بعده من الجمل المصدرة بأن في أحد عشر موضعاً عطف على محل الجار والمجرور في فأمنا به كأنه قيل فصدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا أي ارتفع عظمته من جد فلان في عيني أي عظم تمكنه أو سلطانه أو غناه على أنه مستعار من الجدل الذي هو البخت والمعنى وصفه بالاستغناء عن صاحبة والولد لعظمته أو سلطانه أو لغناه وقرئ بالكسر وكذا الجمل المذكور عطفاً على المحكى بعد القول وهو الأظهر لوضوح اندراج كلها تحت القول وأما اندراج الجمل الآتية تحت الإيمان والتصديق كما يقتضيه العطف على محل الجار والمجرور ففيه إشكال كما ستحيط به خبراً وقوله تعالى (ما اتخذ صاحبة ولا ولداً) بيان لحكم تعالى جده وقرئ جدارينا على التمييز وجد ربنا بالكسر أي صدق ربوبيته وحق إلهيته عن اتخاذ صاحبة والولد وذلك أنهم لما سمعوا القرآن ووقفوا للتوحيد والإيمان تنبهوا للخطأ فيما اعتقدوه كفر الجن من تشبيه الله تعالى بخلقه في اتخاذ صاحبة والولد فاستعظموه وزهوه تعالى عنه (وأنه كان يقول سفيننا) أي إبليس أو مرده الجن (على الله شططاً) أي قولاً شطط أي بعد عن القصد ومجاوزة للحد أو هو شطط في نفسه لفرط بعده عن الحق وهو نسبة صاحبة والولد إليه تعالى وتعلق الإيمان والتصديق بهذا القول ليس باعتبار نفسه فإنهم كانوا عالمين بقول سفينهم من قبل أيضاً بل باعتبار كونه شططاً كأنه قيل وصدقنا أن ما كان يقوله سفيننا في حقه تعالى كان شططاً وأما تعلقهما بقوله تعالى (وأنا ظنننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذباً) فغير ظاهر وهو اعتذار منهم عن تقليد سفينهم أي كننا نظن أنه لن يكذب على الله تعالى أحد أبداً ولذلك اتبعنا قوله وكذباً مصدر مؤكد لتقول لأنه نوع من القول أو وصف لمصدره المحذوف أي قولاً كذباً أي مكذوباً فيه وقرئ لن تقول بحذف إحدى التامين فكذباً مصدر مؤكد له لأن الكذب هو التقول (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن) كان الرجل من العرب إذا أمسى في واد قعر وخاف على نفسه يقول أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فإذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سداً الإنس والجن وذلك قوله تعالى (فزادهم) أي زاد الرجال العائدون الجن (رهقاً) أي تكبروا وعتوا أو فزاد الجن العائدين غياً بأن أضلّوهم حتى استعاضوا بهم (وأنهم

وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَابًا ۝٨ الجن ٧٢

وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدًا لِّلسَّمْعِ فَنَن سَمِعَ الْآنَ يَجِدُ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا ۝٩ الجن ٧٢

وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدُ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠ الجن ٧٢

وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا ۝١١ الجن ٧٢

- * ظنوا) أى الإنس (كما ظننتم) أيها الجن على أنه كلام بعضهم لبعض (أن لن يبعث الله أحدا) وقيل المعنى أن الجن ظنوا كما ظننتم أيها الكفرة الخ فتكون هذه الآية وما قبلها من جملة الكلام الموحى به والأقرب أنها كذلك على كل تقدير عطفاً على أنه استمع إذ لا معنى لإدراجهما تحت ما ذكر من الإيمان والتصديق وكذا قوله تعالى (وأنا لمسنا السماء) وما بعده من الجمل المصدرة بأنا ينبغى أن تكون معطوفة على ذلك على أن الموحى عين عبارة الجن بطريق الحكاية كأنه قيل قل أوحى إلى كيت وكيت وهذه العبارات أى طلبنا بلوغ السماء أو خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجلس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه وأطلبه وطلبه (فوجدناها ملئت حرساً) أى حراساً اسم جمع كخدم مفرد اللفظ ولذلك
- * قيل (شديداً) قوياً وهم الملائكة يمنعونهم عنها (وشهباً) جمع شهاب وهى الشعلة المقتبسة من نار
- ٩ الكواكب (وأنا كنا نقعد) قبل هذا (منها) من السماء (مقاعد للسمع) خالية عن الحرس والشهب أو صالحة للترصد والاستماع والسمع متعلق بنقعد أى لأجل السمع أو بمضمهر هو صفة لمقاعد كائنة
- * للسمع (فن يستمع الآن) فى مقعد من المقاعد (يجد له شهاباً رصداً) أى شهاباً راصداً له ولأجله يصده عن الاستماع بالرجم أو ذوى شهاب راصدين له على أنه اسم مفرد فى معنى الجمع كالحرص قيل حدث هذا عند مبعث النبي عليه الصلاة والسلام والصحيح أنه كان قبل البعث أيضاً لكنه كثر الرجيم بعد البثثة وزاد زيادة حتى تنبه لها الإنس والجن ومنع الاستراق أصلاً فقالوا ما هذا إلا لأمر أراده
- ١٠ الله تعالى بأهل الأرض وذلك قولهم (وأنا لاندري أشراً أريد بمن فى الأرض) بحراسة السماء (أم أرادهم ربهم رشداً) أى خيراً ونسبة الخير إلى الله تعالى دون الشر من الآداب الشريفة القرآنية
- ١١ كما فى قوله تعالى وإذا مرضت فهو يشفين ونظائره (وأنا منا الصالحون) أى الموصوفون بصلاح الحال فى شأن أنفسهم وفى معاملتهم مع غيرهم المائلون إلى الخير والصلاح حسبما تقتضيه الفطرة السليمة لا
- * إلى الشر والفساد كما هو مقتضى النفوس الشريرة (ومنا دون ذلك) أى قوم دون ذلك لحذف الموصوف وهم المقصدون فى صلاح الحال على الوجه المذكور لافى الإيمان والتقوى كما توهم فإن هذا بيان لحالهم
- * قبل استماع القرآن كما يعرب عنه قوله تعالى (كنّا طرائق قدداً) وأما حالهم بعد استماعه فسيحكى بقوله تعالى وأنا لما سمعنا الهدى - إلى قوله تعالى - وأنا منا المسلمون أى كنّا قبل هذا ذوى طرائق أى مذاهب أو مثل طرائق فى اختلاف الأحوال أو كانت طرائقنا طرائق قدداً أى متفرقة مختلفة

- وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نَعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ الجن ٧٢
- وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ الجن ٧٢
- وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ الجن ٧٢
- وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ الجن ٧٢
- وَالْوِاسِقَتُمْ مَوْءَاظًا عَلَى الطَّرِيقَةِ لِأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ الجن ٧٢
- لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ الجن ٧٢

جمع قدة من قد كالقطعة من قطع (وأنا ظننا) أى علمنا الآن (أن لن نعجز الله) أى الشأن لن نعجز ١٢
الله كائنين (فى الأرض) أينما كنا من أقطارها (ولن نعجزه هرباً) هاربين منها إلى السماء أولن نعجزه *
فى الأرض إن أراد بنا أمراً ولن نعجزه هرباً إن طلبنا (وأنا لما سمعنا الهدى) أى القرآن الذى ١٣
هو الهدى بعينه (آمنا به) من غير تلعم وتردد (فمن يؤمن بربه) وبما أنزله (فلا يخاف) فهو لا يخاف *
(بخساً) أى نقصاً فى الجزاء (ولا رهقاً) ولأن ترهقه ذلة أو جزاء بخس ولا رهق إذ لم يبخس أحداً *
حقاً ولا رهق ظلم أحد فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على أن من حق من آمن بالله تعالى أن يجنب
المظالم وقرىء فلا يخف والأول أدل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به (وأنا منا المسلمون ومنا ١٤
القاسطون) الجائرون عن طريق الحق الذى هو الإيمان والطاعة (فمن أسلم فأولئك) إشارة إلى من *
أسلم والجمع باعتبار المعنى (تحروا) توخوا (رشداً) عظيماً يغلبهم إلى دار الثواب (وأما القاسطون) ١٥
الجائرون عن سنن الإسلام (فكانوا لجهنم حطباً) توقدهم كما توقد بكفرة الإنس (وأن لو استقاموا) ١٦
أن مخففة من النقيلة والجملة معطوفة قطعاً على أنه استمع والمعنى وأوحى إلى أن الشأن لو استقام الجن
والإنس أو كلاهما (على الطريقة) التى هى ملة الإسلام (لأسقيناهم ماء غدقاً) أى لو سعنا عليهم الرزق *
وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لأنه أصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب وقيل
لو استقام الجن على الطريقة المثلى أى لو ثبت أبوم الجان على ما كان عليه من عبادة الله تعالى وطاعته
ولم يتكبر عن السجود لآدم عليه السلام ولم يكفروا بعبادته ولده فى الإسلام لأنعمنا عليهم ووسعنا رزقهم
(لنفتنهم فيه) لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه أنه لو استقام الجن على طريقته القديمة ولم يسلبوا ١٧
باستماع القرآن لو سعنا عليهم الرزق استدراجاً لنوقعهم فى الفتنة ونعذبهم فى كفران النعمة (ومن *
يعرض عن ذكر ربه) عن عبادته أو عن موعظته أو وحيه (يسلكه) يدخله (عذاباً صعداً) أى *
شاقاً صعباً يعاوب المعذب ويغلبه على أنه مصدر وصف به مبالغة .

٧٢ الجن

وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ١٨

٧٢ الجن

وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ١٩

٧٢ الجن

قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ٢٠

٧٢ الجن

قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ٢١

٧٢ الجن

قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ٢٢

إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَةً ۚ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ٢٣ ٧٢ الجن

- ١٨ (وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ) عطف على قوله تعالى أنه استمع أى وأوحى إلى أن المساجد مختصة بالله تعالى وقيل
 * معناه ولأن المساجد لله (فلا تدعوا) أى لاتعبدوا فيها (مع الله أحداً) غيره وقيل المراد بالمساجد
 المسجد الحرام والجمع لأن كل ناحية منه مسجد له قبلة مخصوصة أو لأنه قبلة المساجد وقيل الأرض
 كلها لأنها جعلت مسجداً للنبي عليه الصلاة والسلام وقيل مواضع السجود على أن المراد نهى السجود
 ١٩ لغير الله تعالى وقيل أعضاء السجود السبعة وقيل السجودات على أنه جمع المصدر الميمي (وأنه) من
 * جملة الموحى أى وأوحى إلى أن الشأن (لما قام عبد الله) أى النبي عليه الصلاة والسلام وإيراده بلفظ
 * العبد للإشعار بما هو المقتضى لقيامه وعبادته وللتواضع لأنه واقع موقع كلامه عن نفسه (يدعوه) حال
 * من فاعل قام أى يعبده وذلك قيامه لصلاة الفجر بنخلة كإمر تفصيله في سورة الأحقاف (كادوا) أى
 * الجن (يكونون عليه لبداً) متراكمين من ازدحامهم عليه تعجباً عما شاهدوا من عبادته وسمعوا من
 قراءته واقتداء أصحابه به قياماً وركوعاً وسجوداً لأنهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره
 وقيل معناه لما قام عليه الصلاة والسلام يعبد الله وحده مخالفاً للشركين كالأشركون يزدحمون عليه
 متراكمين واللبد جمع لبدة وهى ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الأسد وقرىء لبداً جمع لبدة وهى
 بمعنى اللبدة ولبداً جمع لبد كساجد وسجد ولبداً بضمين جمع لبود كصبور وصبور وعن قتادة تلبدت
 ٢٠ الإنس والجن على هذا الأمر ليطلقوه فأبى الله إلا أن يظهره على من ناوأه (قل إنما أدعوا) أى أعبد
 * (ربى ولا أشرك به) ربى فى العبادة (أحداً) فليس ذلك يبدع ولا مستنكر يوجب التعجب أو الإطباق
 على عداوتى وقرىء قال على أنه حكاية لقوله عليه الصلاة والسلام للمتراكمين عليه والاول هو الأظهر
 ٢١ والأوفق لقوله تعالى (قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً) كأنه أريد لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً
 ٢٢ ولا غياً ولا رشداً فترك من كلا المتقابلين ما ذكر فى الآخر (قل إني لن يجيرني من الله أحد) إن أرادنى
 * بسوء (ولن أجِدَ من دونه ملتحداً) ملتبجاً ومعدلاً وهذا بيان لعجزه عليه الصلاة والسلام عن شئون
 ٢٣ نفسه بعد بيان عجزه عليه الصلاة والسلام عن شئون غيره وقوله تعالى (إلا بلاغا من الله) استثناء

حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَآيُوعِدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعَفُ نَاصِرًا وَأَقْلُ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ الجن ٧٢

قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبٌ مَّا تُوْعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾ الجن ٧٢

عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ الجن ٧٢

إِلَّا مَن أَرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ الجن ٧٢

من قوله لا أملك فإن التبليغ إرشاد ونفع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة أو من ملتحداً
أى لن أجد من دونه منجاً إلا أن أبلغ عنه ما أرسلنى به وقيل إلا مركبة من أن الشرطية ولا التافية
ومعناه أن لا أبلغ بلاغا من الله والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه (ورسالاته) عطف على بلاغا *
ومن الله صفته لاصلته أى لا أملك لكم إلا تبليغاً كائناتاً منه تعالى ورسالاته التى أرسلنى بها (ومن يعص *
الله ورسوله) فى الأمر بالتوحيد إذ الكلام فيه (فإن له نار جهنم) وقرىء بفتح الهمزة على فحقه أو *
فجزاؤه أن له نار جهنم (خالدين فيها) فى النار أو فى جهنم والجمع باعتبار المعنى (أبداً) بلا نهاية وقوله *
تعالى (حتى إذا رآوا ما يوعدون) غاية لمحذوف يدل عليه الحال من استضعاف الكفار لأنصاره عليه ٢٤
الصلاة والسلام واستقلالهم لعدده كأنه قيل لا يزالون على ما هم عليه حتى إذا رآوا ما يوعدون من فنون
العذاب فى الآخرة (فسيعلمون) حيثئذ (من أضعف ناصراً وأقل عدداً) وحمل ما يوعدون على ما رآوا *
يوم بدر ياباه قوله تعالى (قل إن أدرى) أى ما أدرى (أقرب ما توعدون أم يجعل له ربي أمداً) ٢٥
فإنه رد لما قاله المشركون عند سماعهم ذلك متى يكون ذلك الموعود إنكاراً له واستهزاء به فقيل قل
إنه كائن لا محالة وأما وقته فما أدرى متى يكون (عالم الغيب) بالرفع قيل هو بدل من ربي أو بيان له ٢٦
ويأباه الفاء فى قوله تعالى (فلا يظهر على غيبه أحداً) إذ يكون النظم حيثئذ أم يجعل له عالم الغيب أمداً *
فلا يظهر عليه أحداً وفيه من الاختلال ما لا يخفى فهو خبر مبتدأ محذوف أى هو عالم الغيب والجملة
استئناف مقرر لما قبله من عدم الدراية والفاء لترتيب عدم الإظهار على تفرده تعالى بعلم الغيب على
الإطلاق أى فلا يطلع على غيبه إطلاقاً كاملاً ينكشف به جليلة الحال انكشافاً تاماً موجباً لعين اليقين
أحداً من خلقه (إلا من ارتضى من رسول) أى إلا رسولا ارتضاه لإظهاره على بعض غيوبه المتعلقة ٢٧
برسالته كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول تعلقاً تاماً إما لكونه من مبادئ رسالته بأن يكون
معجزة دالة على صحتها وإما لكونه من أركانها وأحكامها كعمامة التكليف الشرعية التى أمر بها المكلفون
وكيفيات أعمالهم وأجزئتها المترتبة عليها فى الآخرة وما تتوقف هى عليه من أحوال الآخرة التى من
جملتها قيام الساعة والبعث وغير ذلك من الأمور الغيبية التى بينها من وظائف الرسالة وأما ما لا يتعلق
بها على أحد الوجهين من الغيوب التى من جملتها وقت قيام الساعة فلا يظهر عليه أحداً أبداً على أن بيان
وقته مغل بالحكمة التشريعية التى عليها يدور فلك الرسالة وليس فيه ما يدل على نفي كرامات الأولياء

لَيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾ ٧٢ الجن

المتعلقة بالكشف فإن اختصاص الغاية القاصية من مراتب الكشف بالرسول لا يستلزم عدم حصول مرتبة ما من تلك المراتب لغيرهم أصلاً ولا يدعى أحد لأحد من الأولياء ما في رتبة الرسل عليهم السلام من الكشف الكامل الحاصل بالوحي الصريح وقوله تعالى (فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً) تقرير وتحقيق للإظهار المستفاد من الاستثناء وبيان لكيفيته أى فإنه يسلك من جميع جوانب الرسول صلى الله عليه وسلم عند إظهاره على غيبه حرصاً من الملائكة بحرسونه من تعرض الشياطين لما أظهره عليه من الغيوب المتعلقة برسالاته وقوله تعالى (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) متعلق بيسلك غاية ٢٨ له من حيث أنه مترتب على الإبلاغ المترتب عليه إذ المراد به العلم المتعلق بالإبلاغ الموجود بالفعل وأن مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف والجملة خبرها ورسالات ربهم عبارة عن الغيب الذي أريد إظهار المرتضى عليه والجمع باعتبار تعدد أفرادهم وضمير أبلغوا إما للرصد فالمعنى أنه تعالى يسلكهم من جميع جوانب المرتضى ليعلم أن الشأن قد أبلغوه رسالات ربهم سالمة عن الاختطاف والتخليط علماً مستتبعا للجزاء وهو أن يعلمه موجوداً حاصلًا بالفعل كما في قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين والغاية في الحقيقة هو الإبلاغ والجهاد وإيراد عليه تعالى لإبراز اعتنائه تعالى بأمرهما والإشعار بترتيب الجزاء عليهما والمبالغة في الحث عليهما والتحذير عن التفريط فيهما وأما لمن ارتضى والجمع باعتبار معنى من كما أن الأفراد في الضمير السابقين باعتبار لفظها فالمعنى ليعلم أنه قد أبلغ الرسل الموحي إليهم رسالات ربهم إلى أهمهم كما هي من غير اختطاف ولا تخليط بعد ما أبلغوا الرصد إليهم كذلك وقوله تعالى (وأحاط بما لديهم) أى بما عند الرصد أو الرسل عليهم السلام حال من فاعل يسلك يا ضمير قد أو بدونه على الخلاف المشهور جنى بها لتحقيق استغنائه تعالى في العلم بالإبلاغ عما ذكر من سلك الرصد على الوجه المذكور أى يسلكهم بين يديه ومن خلفه ليترتب عليه تعالى بما ذكره والحال أنه تعالى قد أحاط بما لديهم من الأحوال جميعاً (وأحصى كل شيء) بما كان وما سيكون (عدداً) أى فرداً فرداً وهو تمييز منقول من المفعول به كقوله تعالى وفجراً الأرض عيوناً والأصل أحصى عدد كل شيء وقيل هو حال أى معدوداً محصوراً أو مصدر بمعنى احصاء وأياً ما كان ففائدته بيان أن عليه تعالى بالأشياء ليس على وجه كلى إجمالى بل على وجه جزئى تفصيلي فإن الإحصاء قد يراد به الإحاطة الإجمالية كما في قوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها أى لا تقدرها إجمالاً فضلاً عن التفصيل وذلك لأن أصل الإحصاء أن الحاسب إذا بلغ عقداً معيناً من عقود الأعداد كالعشرة والمائة والآلاف وضع حصاة ليحفظ بها كمية ذلك العقد فينبى على ذلك حسابه هذا وأما ما قيل من أن قوله تعالى وأحاط بما لديهم الخ معطوف على مقدر يدل عليه قوله تعالى ليعلم كأنه قيل قد علم ذلك وأحاط بما لديهم الخ فمعزل من السداد . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جنى صدق بمحمداً وكذب به عتق رقبة .

٧٣ - سورة المزمل

(مكية وهي عشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ ①

٧٣ المزمل

قُمْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ②

٧٣ المزمل

نُصَفَهُ ۖ أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ③

٧٣ المزمل

(سورة المزمل مكية إلا آية ١٠، ١١، ٢٠ فدنية وآياتها عشرون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (يا أيها المزمل) أي المتزمل من زمّل بثيابه إذا تلفف بها فأدغم التاء في الزاء وقد قرئ على الأصل وقرئ المزمل من زمله مبنياً للمفعول ومبنياً للفاعل قبل خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم تهجيناً لما كان عليه من الحالة حيث كان عليه الصلاة والسلام متلففاً بقطيفة مستعداً للنوم كما يفعله من لا يهيمه أمر ولا يعنيه شأن فأمر بأن يترك التزمل إلى التشمير للعبادة والهجود إلى التهجد وقيل دخل عليه الصلاة والسلام على خديجة وقد جثت فرقا أول ما أتاه جبريل عليهما السلام وبوادره ترعد فقال زملونى زملونى فحسب أنه عرض له فينا هو على ذلك إذ ناداه جبريل فقال يا أيها المزمل فيكون تخصيص وصف التزمل بالخطاب للملاطفة والتأنيس كما في قوله عليه الصلاة والسلام لعللى رضى الله عنه حين غاضب فاطمة رضى الله عنها فأتاه وهو نائم وقد لصق بحنجره التراب قم يا أبا تراب ملاطفة وإشعاراً بأنه غير عاتب عليه وقيل المعنى يا أيها الذى زمّل أمراً عظيماً هو أمر النبوة أى حمّله والزمّل الحمل وازدمله أى احتمله فالتعرض للوصف حينئذ للإشعار بعملية للقيام أو للأمر به فإن تحميله عليه الصلاة والسلام لأعباء النبوة مما يوجب الاجتهاد فى العبادة (قم الليل) أى قم إلى الصلاة وانصاب الليل على الظرفية وقيل القيام مستعار للصلاة ومعنى قم صل وقرئ بضم الميم وفتحها (إلا قليلاً) استثناء من الليل وقوله تعالى (نصفه) بدل من الليل الباقي بعد اثني عشر بدّل الكل أى قم نصفه والتعبير عن النصف المخرج بالقليل لإظهار كمال الاعتداد بشأن الجزء المقارن للقيام والإيدان بفضلته وكون القيام فيه بمنزلة القيام فى أكثره فى كثرة الثواب واعتبار قلته بالنسبة إلى الكل مع عرائه عن الفائدة خلاف الظاهر (أو انقص منه) أى انقص القيام من النصف المقارن له فى الصورة الأولى *

٧٣ المزمّل

أَوْزِدَ عَلَيْهِ وَرَتِلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ④

٧٣ المزمّل

إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ⑤

٧٣ المزمّل

إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ⑥

- ٤ (قليلًا) أى نقصاً قليلاً أو مقداراً قليلاً بحيث لا ينحط إلى نصف النصف (أوزد عليه) أى زد القيام على النصف المقارن له فالمعنى تخييره عليه الصلاة والسلام بين أن يقوم نصفه أو أقل منه أو أكثر وقيل قوله تعالى نصفه بدل من قليلاً والتخيير بحاله وليس بسديد أما أولاً فلان الحقيق بالاهتناء الذى ينبى عنه الإبدال هو الجزاء الباقى بعد الثنيا المقارن للقيام لا الجزء المخرج العارى عنه وأما ثانياً فلان نقص القيام وزيادته إنما يعتبران بالقياس إلى معياره الذى هو النصف المقارن له فلو جعل نصفه بدلاً من قليلاً لزم اعتبار نقص القيام وزيادته بالقياس إلى ما هو عار عنه بالسكينة والاعتذار بتساوى النصفين مع كونه تمحلاً ظاهراً اعتراف بأن الحق هو الأول وقيل نصفه بدل من الليل وإلا قليلاً استثناء من النصف والضمير فى منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين أمرين بين أن يقوم أقل من نصف الليل على البتات وبين أن يختار أحد الأمرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وقيل الضميران للأقل من النصف كأنه قيل قم أقل من نصفه أو قم أنقص من ذلك الأقل أو أزيد منه قليلاً وقيل وقيل والذى يليق بجزالة التنزيل هو الأول والله أعلم بما فى كتابه الجليل (ورتل القرآن) * فى أثناء ما ذكر من القيام أى اقرأه على تودة وتبيين حروف (ترتيلًا) بليغاً بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل ورتل إذا كان مفجعاً (إنا سنلقى عليك) أى سنوحى إليك وإثارة الإلقاء * عليه لقوله تعالى (قولا ثقيلاً) وهو القرآن العظيم المنطوى على تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين لاسيما على الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه صلى الله عليه وسلم مأمور بتحملها وتحميلها للأمة والجملة اعتراض بين الأمر وتعليله لتسهيل ما كلفه عليه الصلاة والسلام من القيام وقيل معنى كونه ثقيلاً أنه رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه أو ثقل على المتأمل فيه لافتقاره إلى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر أو ثقل فى الميزان أو على الكفار والفجار أو ثقل تلقيه عن ابن عباس رضى الله عنهما كان إذا نزل عليه الوحي ثقل عليه وتربد له جلده وعن عائشة رضى الله تعالى عنها رأته ينزل عليه الوحي فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليرفض عرفاً (إن ناشئة الليل) أى إن النفس التى تنشأ من مضجعها إلى العبادة أى تنهض من نشأ من مكانه إذا نهض أو إن قيام الليل على أن الناشئة مصدر من نشأ كالعافية أو إن العبادة التى تنشأ بالليل أى تحدث أو إن ساعات الليل فإنها تحدث واحدة بعد واحدة أو ساعاتها الأولى * نشأ إذا ابتداء (هى أشد وطأً) أى هى خاصة أشد ثبات قدم أو كلفة فلا بد من الاعتناء بالقيام وقرئ وطأ أى أشد هو أطأه يواطىء قلبها لسانها إن أريد بها النفس أو يواطىء فيها قلب القائم لسانه أن أريد

٧٣ الزمل

إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾

٧٣ الزمل

وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾

٧٣ الزمل

رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾

٧٣ الزمل

وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾

٧٣ الزمل

وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾

٧٣ الزمل

إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾

٧٣ الزمل

وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾

- بها القيام أو العبادة أو الساعات أو أشد موافقة لما يراد من الخشوع والإخلاص (وأقوم قبلاً) *
 وأسد مقالا وأثبت قراءة لحضور القلب وهدو الأصوات (إن لك في النهار سبجاً طويلاً) أى تقبلاً ٧
 وتصرفاً في مهماتك واشتغالا بشواغلك فلا يستطيع أن تتفرغ للعبادة فعليك بها في الليل وهذا بيان
 للداعي الخارجى إلى قيام الليل بعد بيان ما فى نفسه من الداعى وقرئ سبخاً أى تفرق قلب بالشواغل
 مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه وفشر أجزائه (واذكر اسم ربك) ودم على ذكره تعالى ليلاً ٨
 ونهاراً على أى وجه كان من تسييح وتهليل وتحميد وصلاة وقراءة قرآن ودراسة علم (وتبتل إليه) *
 أى وانقطع إليه بمجامع الهمة واستغراق العزيمة فى مراقبته وحيث لم يكن ذلك إلا بتجريد نفسه
 عليه الصلاة والسلام عن العوائق الصادة عن مراقبة الله تعالى وقطع العلائق عما سواه قيل (تبتيلاً) *
 مكان تبتلاً مع ما فيه من رعاية الفواصل (رب المشرق والمغرب) مرفوع على المدح وقيل على الابتداء ٩
 خبره (لا إله إلا هو) وقرئ بالجر على أنه بدل من ربك وقيل على إضمار حرف القسم جوابه لا إله *
 إلا هو والفاء فى قوله تعالى (فاتخذ وكيلاً) لترتيب الأمر وموجه على اختصاص الألوهية والربوبية *
 به تعالى (واصبر على ما يقولون) بما لاخير فيه من الخرافات (واهجرهم هجراً جميلاً) بأن تجانبهم وتداريهم ١٠
 ولا تكافهم وتكل أمورهم إلى ربهم كما يعرب عنه قوله تعالى (وذرنى والمكذبين) أى دعنى وإياهم ١١
 وكل أمرهم إلى فإنى أكفيكمهم (أولى النعمة) أرباب التنعم وهم صناديد قريش (ومهلهم قليلاً) زماناً *
 قليلاً (إن لدينا أنكالاً) جمع نكل وهو القيد الثقيل والجملة تعليل للأمر أى أن لدينا أموراً مضادة ١٢
 لتنعمهم (جحيماً) (وطعاماً ذا غصة) ينشب فى الخلق ولا يكاد يساغ كالضريع والزقوم (وعذاباً ١٣
 أليماً) ونوعاً آخر من العذاب مؤلماً لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه كل ذلك معد لهم ومرصد .

- يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلاً ١٤ المزمّل ٧٣
- إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ١٥ المزمّل ٧٣
- فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ١٦ المزمّل ٧٣
- فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ١٧ المزمّل ٧٣
- السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ١٨ المزمّل ٧٣
- إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ١٩ المزمّل ٧٣

- ١٤ وقوله تعالى (يوم ترجف الأرض والجبال) أى تضطرب وتتزلزل ظرف للاستقرار الذى تعلق به
 * لدينا وقيل متعلق بمضمّر هو صفة لعذابنا أى عذاباً واقعاً يوم ترجف (وكانت الجبال) مع صلابتها
 * وارتفاعها (كثيباً) رملا مجتمعاً من كشب الشيء إذا جمعه كأنه فعيل بمعنى مفعول (مهيلاً) منشوراً من
 ١٥ هيل هيلاً إذا نثر وأسيل (إنا أرسلنا إليك) يأهل مكة (رسولاً شاهداً عليكم) يشهد يوم القيامة
 * بما صدر عنكم من الكفر والعصيان (كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً) هو موسى عليه السلام وعدم
 ١٦ تعيينه لعدم دخله فى التشبيه (فعصى فرعون الرسول) الذى أرسلناه إليه وحمل الكاف النصب على
 أنها صفة لمصدر محذوف أى (إنا أرسلنا إليك رسولاً فعصيتموه كما يعرب عنه قوله تعالى شاهداً عليكم
 * إرسالاً كأننا كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً فعصاه وقوله تعالى (فأخذناه أخذاً وبيلاً) خارج من
 التشبيه جىء به للتنبيه على أنه سبحانه بهؤلاء ماحق بأولئك لا محالة والويل الثقيل الغليظ من قولهم
 ١٧ كلاً وويل أى وخيم لا يستمرأ لثقله والويل العصا الضخمة (فكيف تتقون) أى كيف تقون أنفسكم
 * (إن كفرتم) أى بقيتم على الكفر (يوماً) أى عذاب يوم (يجعل الولدان) من شدة هوله وفظاعة
 * مافيه من الدواهي (شيباً) شيبوا جمع أشيب إما حقيقة أو تمثيلاً وأصله أن الهموم والأحزان إذا
 تفافت على المرء ضعفت قواه وأسرع فيه الشيب وقد جوز أن يكون ذلك وصفاً لليوم بالطول وليس
 ١٨ بذلك (السما منفطر) أى متشقق وقرئ متفطر أى متشقق والتذكير لإجرائه على موصوف مذكر
 أى شيء منفطر عبر عنها بذلك للتنبيه على أنه تبدلت حقيقتها وزال عنها اسمها ورسومها ولم يبق منها إلا
 ما يعبر عنه بالشيء وقيل لتأويل السماء بالسقف وقيل هو من باب النسب أى ذات انقطاع والباء فى
 * قوله تعالى (به) مثلها فى فطرت العود بالقدوم (كان وعده مفعولاً) الضمير لله عز وجل والمصدر
 ١٩ مضاف إلى فاعله أو لليوم وهو مضاف إلى مفعوله (إن هذه) إشارة إلى الآيات المنطوية على القوراع
 * المذكورة (تذكرة) موعظة (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً) بالتقريب إليه بالإيمان والطاعة فإنها المنهاج

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَآئِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَلَّنْ نَحْصُوهُ فَنَابَ عَلَيْكَ فَاقْرَأْ وَامَّا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَلْتَمِعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقْنَتُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأْ وَامَّا تيسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَحْدُودُهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾

٧٣ المزمل

- الموصل إلى مرضاته (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل) أى أقل منهما استعير له الأدنى ٢٠
- لما أن المسافة بين الشيتين إذا دنت قل ما بينهما من الأحياز (ونصفه وثلثه) بالنصب عطفاً على أدنى
- وقرنا بالجر عطفاً على ثلثي الليل (وطائفة من الذين معك) أى يقوم معك طائفة من أصحابك (والله
- يقدر الليل والنهار) وحده لا يقدر على تقديرهما أحد أصلاً فإن تقديم الاسم الجليل مبتدأ وبناء يقدر
- عليه موجب للاختصاص قطعاً كما يعرب عنه قوله تعالى (علم أن لن تحصوه) أى علم أن الشأن لن
- تقدروا على تقدير الأوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات أبداً (فتاب عليكم) بالترخيص فى ترك القيام
- المقدر ورفع التبعة عنكم فى تركه (فاقرؤا ما تيسر من القرآن) فصلوا ما تيسر لكم من صلاة الليل عبر
- عن الصلاة بالقراءة كما عبر عنها بسائر أركانها قيل كان التهجد واجباً على التخيير المذكور ففسر عليهم
- القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس وقيل هى قراءة القرآن بعينها قالوا من قرأ مائة آية من
- القرآن فى ليلة لم يحاجه وقيل من قرأ مائة آية كتب من القاتنين وقيل خمسين آية (علم أن سيكون منكم
- مرضى) استئناف مبين لحكمة أخرى داعية إلى الترخيص والتخفيف (وآخرون يضربون فى الأرض)
- يسافرون فيها للتجارة (يبتغون من فضل الله) وهو الرجوع وقد عمم ابتغاء الفضل لتحصيل العلم (وآخرون
- يقاتلون فى سبيل الله) وإذا كان الأمر كما ذكر وتماضت الدواعى إلى الترخيص (فاقروا ما تيسر
- منه) من غير تحمل المشاق (وأقيموا الصلاة) أى المفروضة (وآتوا الزكاة) الواجبة وقيل هى زكاة
- الفطر إذ لم يكن بمكة زكاة ومن فسرهما بالزكاة المفروضة جعل آخر السورة مديناً (وأقرضوا الله قرضاً
- حسناً) أريد به الإنفاقات فى سبيل الخيرات أو أداء الزكاة على أحسن الوجوه وأنفعها للفقراء (وما
- تقدموا لأنفسكم من خير) أى خير كان مما ذكر وما لم يذكر (تجدوه عند الله هو خير وأعظم أجراً)
- من الذى تزخرونه إلى الوصية عند الموت وخيراً ثانياً مفعول تيجدون وهو تأكيد أو فصل وإن لم يقع
- بين معرفتين فإن أفعل من فى حكم المعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على
- الابتداء والخبر (واستغفروا الله) فى كافة أحوالكم فإن الإنسان قلباً يخلو من التفريط (إن الله غفور
- رحيم) . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل دفع الله عنه العسر فى الدنيا والآخرة .

٧٤ — سورة المدثر
(مكية وهي ست وخمسون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧٤ المدثر

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ①

٧٤ المدثر

قُمْ فَأَنْذِرْ ②

٧٤ المدثر

وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ③

٧٤ المدثر

وَوَيْسَ ابْنِكَ فَطَهِّرْ ④

(سورة المدثر مكية وآياتها ست وخمسون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (يا أيها المدثر) أي المتدثر وهو لابس الدثار وهو ما يلبس فوق الشعار الذي على الجسد قبل هي أول سورة نزلت . روى عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد إنك رسول الله فنظرت عن يميني ويساري فلم أر شيئاً فنظرت فوق فإذا به قاعد على عرش بين السماء والأرض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت إلى خديجة فقلت دثروني دثروني فنزل جبريل وقال يا أيها المدثر وعن الزهري أن أول ما نزل سورة اقرأ إلى قوله تعالى مالم يعلم فخرن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلو شواقي الجبال فأتاه جبريل عليه السلام وقال إنك نبي الله فرجع إلى خديجة فقال دثروني وصبوا على ماء بارداً فنزل جبريل فقال يا أيها المدثر وقيل سمع من قریش ما كرهه فاعتم فتغطى بثوبه متفكراً كما يفعل المغموم فأمر أن لا يدع إنذارهم وإن أسمعوه وأذوه وقيل كان نائماً متدثراً وقيل المراد المتدثر بلباس النبوة والمعارف الإلهية . وقرئ المدثر على صيغة اسم المفعول من دثره أي الذي دثر هذا الأمر العظيم وعصب به وفيه إلهام
- ٢ أبي المنذر يا أيها المتدثر على الأصل (قم) أي من مضجعتك أو قم قيام عزم وتصميم (فأنذر) أي افعل الإنذار وأحدثه وقيل أنذر قومك كقوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين أو جميع الناس حسبما ينبيء
- ٣ عنه قوله تعالى وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً (وربك فكبر) واختص ربك بالتكبير وهو وصفه تعالى بالكبرياء اعتقاداً وقولاً ويروى أنه لما نزل قال رسول الله الله أكبر فكبرت خديجة وفرحت وأيقنت أنه الوحي وقد يحمل على تكبير الصلاة والفاء لمعنى الشرط كأنه قيل ما كان أي شيء حدث فلا تدع تكبيره أو للدلالة على أن المقصود الأول من الأمر بالقيام أن يكبر ربه
- ٤ ويترجمه من الشرك فإن أول ما يجب معرفة الصانع جل جلاله ثم تزيه عما لا يليق بجنابه (وويسابك

٧٤ المدثر

وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ ⑤

٧٤ المدثر

وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ⑥

٧٤ المدثر

وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ⑦

٧٤ المدثر

فَإِذَا نَقَرَ فِي الْأَنْقُورِ ⑧

٧٤ المدثر

فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ⑨

٧٤ المدثر

عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ⑩

- فطهر) بما ليس بظاهر فإنه واجب في الصلاة وأولى وأحب في غيرها وذلك بصيانتها وحفظها عن النجاسات وغسلها بعد تلطئها وتقصيرها أيضاً فإن طولها يؤدي إلى جر الذبول على القاذورات وهو أول ما أمر به عليه الصلاة والسلام من رفض العادات المذمومة وقيل هو أمر بتطهير النفس بما يستقدر من الأفعال ويستجن من الأحوال يقال فلان طاهر الذيل والأردان إذا وصفوه بالنقاء من المعاييب ومدانس الأخلاق (والرجز فاهجر) أى واجهر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدي إليه من المآثم وقرىء بكسر الراء وهما لغتان كالذكر والذكر (ولا تمنن تستكثر) ولا تعط مستكثراً أى رانياً لما تعطيه كثيراً أو طالباً للكثير على أنه نهى عن الاستغزار وهو أن يهب شيئاً وهو يطمع أن يتعوض من الموهوب له أكثر مما أعطاه وهو جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته فالنهى إما للتحريم وهو خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الله تعالى اختار له الأخلاق وأحسن الآداب أولاً لنزبه للكل وقرىء تستكثر بالسكون اعتباراً بحال الوقف أو أبداً لا من تمنن كأنه قيل ولا تمنن ولا تستكثر على أنه من المن الذى فى قوله تعالى منا ولا أذى لأن من يمن بما يعطى يستكثره ويعتد به وقرىء بالنصب بإضمار أن مع إبقاء عملها كقول من قال [ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى] وقد قرىء بإثباتها ويجوز فى قراءة الرفع أن يحذف أن ويبطل عملها كما يروى أحضر الوغى بالرفع (ولربك) أى لوجه تعالى أو لأمره (فاصبر) فاستعمل الصبر وقيل على أذية المشركين وقيل على أداء الفرائض (فإذا نقر فى الناقور) أى نفخ فى الصور وهو فاعل من النقر بمعنى التصويت وأصله الفرع الذى هو سبب الصوت والفاء للسببية كأنه قيل اصبر على أذاغم فبين أيديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة أذاغم وتلقى عاقبة صبرك عليه والعامل فى إذا ما دل عليه قوله تعالى (فذلك يومئذ يوم عسير) (على الكافرين) فإن معناه عسر الأمر على الكافرين وذلك إشارة إلى وقت النقر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيدان ببعده منزلة فى الهول والفظاعة ومحل الرفع على الابتداء ويومئذ

٧٤ المذثر

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ١١

٧٤ المذثر

وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ١٢

٧٤ المذثر

وَبَنِينَ شُهُودًا ١٣

٧٤ المذثر

وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ١٤

٧٤ المذثر

ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ١٥

بدل منه مبنى على الفتح لإضافته إلى غير متمكن والخبر يوم عسير وقيل يومئذ ظرف للخبر إذ التقدير وذلك الوقت وقوع يوم عسير وعلى متعلقة بعسير وقيل بمحذوف هو صفة لعسير أحوال من المستمكن فيه وقوله تعالى (غير يسير) تأكيد لعسره عليهم مشعر يسره على المؤمنين واختلاف في أن المراد به يوم النفخة الأولى أو الثانية والحق أنها الثانية إذ هي التي يختص عسرها بالكافرين وأما النفخة الأولى فحكمها الذي هو الإصعاق يعم البر والفاجر على أنها مختصة بمن كان حياً عند وقوعها وقد جاء في الأخبار أن في الصور نقباً بعدد الأرواح كلها وأنها تجمع في تلك النقوب في النفخة الثانية فتخرج عند النفخ من كل نقبه روح إلى الجسد الذي نزعته منه فيعود الجسد حياً بإذن الله تعالى (ذرنى ومن خلقت وحيداً) حال إما من الياء أى ذرنى وحدى معه فإنى أكفيك في الانتقام منه أو من التاء أى خلقت وحدى لم يشركنى في خلقه أحد أو من العائد المحذوف أى ومن خلقت وحيداً فريداً لا مال له ولا ولد وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومى وكان يلقب في قومه بالوحيد فهو تهكم به وبلقبه وصرف له عن الغرض الذى يؤمونه من مدحه إلى جهة ذمه بكونه وحيداً من المال والولد أو وحيداً من أبيه لأنه كان زنياً كما مر أو وحيداً في الشرارة (وجعلت له مالا ممدوداً) مبسوطة كثيراً أو ممدداً بالنماء من مد النهر ومده نهر آخر قيل كان له الضرع والزرع والتجارة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الأموال وقيل كان له بالطائف بستان لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير كان له ألف دينار وقال قتادة ستة آلاف دينار وقال سفيان الثوري أربعة آلاف دينار وقال الثوري أيضاً ألف ألف دينار (وبنين شهوداً) حضوراً معه بمكة يتمتع بمشاهدتهم لا يفارقونه للتصرف في عمل أو تجارة لكونهم مكفيين لو فور نعمهم وكثرة خدمهم أو حضوراً في الاندية والمحافل لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد وخاله وعمارة وهشام والعاص والقيس وعبد شمس أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة (ومهدت له تمهيداً) وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ربحانة قريش (ثم يطمع أن أزيد) على ما أوتيته وهو استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه إما لأنه لا مزيد

٧٤ المدثر

كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾

٧٤ المدثر

سَأَرْهُقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾

٧٤ المدثر

إِنَّهُ فَعَكَرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾

٧٤ المدثر

فَقَتَّلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾

على ما أوتي سعة وكثرة أو لأنه مناف لما هو عليه من كفران النعم ومعاودة المنعم وقيل لأنه كان يقول إن كان محمد صادقاً فما خلقت الجنة إلا لي (كلا) ردع وزجر له عن طمعه الفارغ وقطع لرجائه الخائب ١٦ وقوله تعالى (لأنه كان لآياتنا عنيداً) تعليل لذلك على وجه الاستئناف التحقيقي فإن معاودة آيات المنعم مع وضوحها وكفران نعمته مع سبوغها بما يوجب حرمانه بالسكينة وإنما أوتي ما أوتي استدراجاً قيل مازال بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله حتى هلك (سأرهقه صعوداً) سأغشيه بدل ما يطعمه من ١٧ الزيادة أو الجنة عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقي من العذاب الصعب الذي لا يطاق وعن النبي صلى الله عليه وسلم يكن أن يصعد عقبة في النار كلها وضع يده عليها ذابت فإذا رفعها عادت وإذا وضع رجله ذابت فإذا رفعها عادت وعنه عليه الصلاة والسلام الصعود جبل من نار يصعد فيها سبعين خريفاً ثم يهوى فيه كذلك أبداً (إنه فكر وقدر) تعليل للوعيد واستحقاقه له أو بيان لعناده لآياته تعالى أي ١٨ فكر ماذا يقول في شأن القرآن وقدر في نفسه ما يقول (فقتل كيف قدر) تعجيب من تقديره وإصابته ١٩ فيه الغرض الذي كان ينتجيه قريش قاتلهم الله أو ثناء عليه بطريق الاستهزاء به أو حكاية لما كرروه من قولهم قتل كيف قدر تهكم بهم وإعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قولهم قتله الله ما أشجعه أو أخزاه الله ما أشعره الإشعار بأنه قد بلغ من الشجاعة والشعر مبلغاً حقيقياً بأن يدعو عليه حاسده بذلك . روى أن الوليد قال لبني مخزوم والله لقد سمعت من محمد آثفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن إن له للحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو وما يعلو فقالت قريش صبأ والله الوليد والله لتصبأ قريش كلهم فقال ابن أخيه أبو جهل أنا أكفيكموه فقعد هذه حزنياً وكمبه بما أحياه فقام فاتاهم فقال تزعمون أن محمداً مجنون فهل رأيتموه يخفق وتقولون إنه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قط وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو إلا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه وما الذي يقوله إلا سحراً يثره عن أهل بابل فاربح النادي فرحاً وتفرقوا معجبين بقوله متمعجين منه .

٧٤ المدثر	ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَرٌ ۝٢٠
٧٤ المدثر	ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١
٧٤ المدثر	ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢
٧٤ المدثر	ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۝٢٣
٧٤ المدثر	فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝٢٤
٧٤ المدثر	إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۝٢٥
٧٤ المدثر	سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ ۝٢٦
٧٤ المدثر	وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ۝٢٧
٧٤ المدثر	لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۝٢٨
٧٤ المدثر	لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ ۝٢٩

٢٠ (ثم قتل كيف قدر) تكرر للبالغة وثم للدلالة على أن الثانية أبلغ من الأولى وفيما بعد على أصلها ٢٢، ٢١ من التراخي الزماني (ثم نظر) أى في القرآن مرة بعد مرة (ثم عبس) قطب وجهه لما لم يجد فيه مطعناً ولم يدرك ما يقول وقيل نظر في وجوه الناس ثم قطب وجهه وقيل نظر إلى رسول الله صلى ٢٣ الله عليه وسلم ثم قطب في وجهه (وبسر) اتباع لعبس (ثم أدبر) عن الحق أو عن رسول الله صلى ٢٤ الله عليه وسلم (واستكبر) عن اتباعه (فقال إن هذا إلا سحر يؤثر) أى يروى ويتعلم والفاء للدلالة ٢٥ على أن هذه الكلمة لما خطرت بباله تفوه بها من غير تلعم وتلبث وقوله تعالى (إن هذا إلا قول البشر) ٢٧، ٢٦ تأكيد لما قبله ولذلك أخلى عن العاطف (سأصليه سقر) بدل من سأرهقه صعوداً (وما أدراك ما سقر) أى أى شيء أهلكك ما سقر على أن ما الأولى مبتدأ وأدراك خبره وما الثانية خبر لأنها المفيدة لما قصد إفادته من التهويل والتفطيع وسقر مبتدأ أى أى شيء هى فى وصفها لما مر مراراً من ٢٨ أن ما قد يطلب بها الوصف وإن كان الغالب أن يطلب بها الاسم والحقيقة وقوله تعالى (لا تبقي ولا تذر) بيان لوصفها وحالها وإنجاز للوعد الضمني الذى يلوح به وما أدراك ما سقر وقيل حال من سقر وليس بذاك أى لا تبقى شيئاً يلقى فيها إلا أهلكته وإذا هلك لم تذر هالكاً حتى يعاد أو لا تبقى على شيء ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة (لواحة للبشر) مغيرة لأعلى الجلمة مسودة

عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾

٧٤ المدثر

وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ
 أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ
 وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ
 وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾

٧٤ المدثر

- لها قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه أشد سواداً من الليل وقيل تلوح للناس كقوله تعالى ثم لترونها عين
 اليقين وقرىء لواحة بالنصب على الاختصاص للتحويل (عليها تسعة عشر) أى ملكاً أو صنفاً أو صفاً ٣٠
 أو نقيساً من الملائكة يلون أمرها ويتسلطون على أهلها وقرىء بسكون عين عشر حذاراً من توالى
 الحركات فيما هو فى حكم اسم واحد وقرىء تسعة عشر جمع عشير مثل يمين وأيمن (وما جعلنا أصحاب
 النار) أى المدبرين لأمرها القائمين بتعذيب أهلها (إلاملائكة) لينخالفوا جنس المعذبين فلا يرقوا لهم *
 ولا يستروحوا إليهم ولأنهم أقوى الخلق وأقومهم بحق الله عز وجل وبالغضب له تعالى وأشدّهم بأساً
 عن النبي صلى الله عليه وسلم لأحدم مثل قوة الثقلين يسوق أحدم الأمة وعلى رقبته جبل فيرمى بهم فى
 النار ويرى بالجليل عليهم وروى أنه لما نزل عليها تسعة عشر قال أبو جهل لقريش أيعجز كل عشرة
 منكم أن يعطشوا برجل منهم فقال أبو الأشد بن أسيد بن كعدة الجمحي وكان شديد البطش أنا أكفيكم
 سبعة عشر فاكفوني أتم اثنين فزلت أى ما جعلناهم رجالاً من جنسكم (وما جعلنا عِدَّتَهُمُ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ
 كَفَرُوا) أى ما جعلنا عددهم إلا العدد الذى تسبب لافتتانهم وهو التسعة عشر فعبّر بالآثر عن المؤثر
 تنبيهاً على التلازم بينهما وليس المراد مجرد جعل عددهم ذلك العدد المعين فى نفس الأمر بل جعله فى
 القرآن أيضاً كذلك وهو الحكم بأن عليها تسعة عشر إذ بذلك يتحقق افتتانهم باستقلالهم له واستبعادهم
 لتولى هذا العدد القليل لتعذيب أكثر الثقلين واستهزائهم به حسبما ذكر وعليه يدور ماسياتى من استيقان
 أهل الكتاب وازدياد المؤمنين إيماناً قالوا المخصص لهذا العدد أن اختلاف النفوس البشرية فى النظر
 والعمل بسبب القوى الحيوانية الإثنتى عشرة والطبيعية السبع أو أن جهنم سبع دركات منها لأصناف
 الكفرة كل صنف يعذب بترك الاعتقاد والإقرار والعمل أنواعاً من العذاب يناسبها وعلى كل نوع
 ملك أو صنف أو صف يتولاه وواحدة لعصاة الأمة يعذبون فيها بترك العمل نوعاً يناسبه ويتولاه
 واحد أو أن الساعات أربع وعشرون خمسة منها مصروفة للصلوات الخمس فيبقى تسعة عشر قد تصرف
 إلى ما يؤخذ به بأنواع العذاب يتولاهما الزبانية (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) متعلق بالجعل على
 المعنى المذكور أى ليكتسبوا اليقين بنبوته عليه الصلاة والسلام وصدق القرآن لما شاهدوا ما فيه موافقاً
 لما فى كتابهم (يزداد الذين آمنوا إيماناً) أى يزداد إيمانهم كيفية بما رأوا من تسليم أهل الكتاب *

٧٤ المدر

كَلَّا وَالْقَمَرَ ﴿٣٢﴾

٧٤ المدر

وَاللَّيْلَ إِذَا دَبَّرَ ﴿٣٣﴾

٧٤ المدر

وَالصُّبْحَ إِذَا أَصْفَرَ ﴿٣٤﴾

٧٤ المدر

إِنَّمَا لِأَحَدَى الْكَبِيرِ ﴿٣٥﴾

- وتصدقهم أنه كذلك أو كية بانضمام إيمانهم بذلك إلى إيمانهم بسائر ما أنزل (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) تأكيد لما قبله من الاستيقان وازدياد الإيمان ونفي لما قد يعترى المستيقن من شبهة ما وإنما لم ينظم المؤمنون في ساك أهل الكتاب في نفي الارتياب حيث لم يقل ولا يرتابوا للتنبيه على تباين النفيين حالا فإن انتفاء الارتياب من أهل الكتاب مقارن لما ينفيه من الجحود ومن المؤمنين مقارن لما يقتضيه من الإيمان وكيدتهما والتعبير عنهما باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المنبئة عن الحدوث للإيذان ببنائهم على الإيمان بعد ازديادهم ورسوخهم في ذلك (وليقول الذين في قلوبهم مرض) شك أو نفاق فيكون إخباراً بما سيكون في المدينة بعد الهجرة (والكافرون) المصرون على التكذيب (ماذا أراد الله بهذا مثلا) أى أى شيء أراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا أنه مثل مضروب وإفراد قولهم هذا بالتعليل مع كونه من باب قننتهم للإشعار باستقلاله في الشناعة (كذلك يضل الله من يشاء) ذلك إشارة إلى ما قبله من معنى الإضلال والهداية ومحل الكاف في الأصل النصب على أنها صفة لمصدر محذوف وأصل التقدير يضل الله من يشاء (ويهدى من يشاء) إضلالاً وهداية كائنين مثل ما ذكر من الإضلال والهداية لمصدر وأقيم وصفه مقامه ثم قدم على الفعل لإفادة القصر فصار النظم مثل ذلك الإضلال وتلك الهداية يضل الله من يشاء إضلاله لصرف اختياره إلى جانب الضلال عند مشاهدته لآيات إلى جانب الهدى لا إضلالاً وهداية أدنى منهما (وما يعلم جنود ربك) أى جموع خلقه التى من جملتها الملائكة المذكورون (إلا هو) إذ لا سبيل لأحد إلى حصر الممكنات والوقوف على حقائقها وصفاتها ولو إجمالاً فضلاً عن الإطلاع على تفاصيل أحوالها من كم وكيف ونسبة (وما هى) أى سقر أو عدة خزنتها أو الآيات الناطقة بأحوالها (إلا ذكرى للبشر) إلا تذكرة لهم (كلا) ردع لمن أنكرها أو إنكار ونفى لأن يكون لهم تذكر (والقمر) (والليل إذ أدبر) وقرىء إذا دبر بمعنى أدبر كقبل بمعنى أقبل ومنه قولهم صاروا كأمس الدار وقيل هو من دبر الليل النهار إذا خلفه (والصبح إذا أسفر) أى أضاء وانكشف (إنما لإحدى الكبير) جواب للقسم أو تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت ألف التانيث كتنافهما كما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظيرها القواصع في جمع القاصعاء

٧٤ المدثر

نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾

٧٤ المدثر

لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾

٧٤ المدثر

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾

٧٤ المدثر

إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾

٧٤ المدثر

فِي جَنَّاتٍ يَنْسَاءُ لُونٌ ﴿٤٠﴾

٧٤ المدثر

عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾

كانها جمع قاصعة أى لإحدى البليات أو لإحدى الدواهي الكبر على معنى أن البليات الكبر أو الدواهي الكبر كثيرة وهذه واحدة في العظم لانظيرة لها (نذيراً للبشر) تميز أى لإحدى الكبر إنذاراً أو ٣٦ حال مما دلت عليه الجملة أى كبرت منذرة وقرىء نذير بالرفع على أنه خبر بعد خبر لأن أو لمبتدأ محذوف (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) بدل من للبشر أى نذيراً لمن شاء منكم أن يسبق إلى الخير فيهديه ٣٧ الله تعالى أو لم يشأ ذلك فيضله وقيل لمن شاء خبر وأن يتقدم أو يتأخر مبتدأ فيكون في معنى قوله تعالى فمن شاء فليؤم ومن شاء فليكفر (كل نفس بما كسبت رهينة) مرهونة عند الله تعالى بكسبها والرهينة ٣٨ اسم بمعنى الرهن كالشئمة بمعنى الشتم لصفة وإلا لقييل رهين لأن فعيلاً بمعنى مفعول لا يدخله التأني (إلا أصحاب اليمين) فإنهم فاعلون رقابهم بما أحسنوا من أعمالهم كما يفك الرهن به بآداء الدين وقيل ٣٩ هم الملائكة وقيل الأطفال وقيل هم الذين سبق لهم من الله تعالى الحسن وقيل الذين كانوا عن يمين آدم عليه السلام يوم الميثاق وقيل الذين يعطون كتبهم بأيمانهم (في جنات) لا يكتنه كنهها ولا يدرك ٤٠ وصفها وهو خبر لمبتدأ محذوف والجملة استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ مما قبله من استثناء أصحاب اليمين كأنه قيل ما بالهم فقيلاً هم في جنات وقيل حال من أصحاب اليمين وقيل من ضميرهم في قوله تعالى (يتساءلون) وقيل ظرف للتساؤل وليس المراد بتساؤلهم أن يسأل بعضهم بعضاً على أن يكون كل واحد منهم سائلاً ومسؤولاً معاً بل صدور السؤال عنهم مجرداً عن وقوعه عليهم فإن صيغة التفاعل وإن وضعت في الأصل للدلالة على صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه معاً بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلاً ومفعولاً معاً كما في قولك تراءى القوم أى رأى كل واحد منهم الآخر لكنها قد تجرد عن المعنى الثانى ويقصد بها الدلالة على الأول فقط فيذكر للفعل حيثئذ مفعول كما في قولك تراءوا الهلال فعنى يتساءلون (عن المجرمين) يسألونهم عن أحوالهم وقد حذف المسؤول لكونه عين المسؤول عنه ٤١

٧٤ المدثر	مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾
٧٤ المدثر	قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۖ ﴿٤٣﴾
٧٤ المدثر	وَلَمْ نَكُ نَطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾
٧٤ المدثر	وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾
٧٤ المدثر	وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤٦﴾
٧٤ المدثر	حَتَّىٰ آتَيْنَا الْيَقِينَ ﴿٤٧﴾
٧٤ المدثر	فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفِيعَةُ الشَّفَاعِينَ ﴿٤٨﴾
٧٤ المدثر	فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾
٧٤ المدثر	كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾

٤٢ وقوله تعالى (ما سلككم في سقر) مقدر بقول هو حال من فاعل يتساءلون أى يسألونهم قائلين أى
 ٤٣ شيء أدخلكم فيها فتأمل ودع عنك ما تكلف فيه المتكفون (قالوا) أى المجرمون مجيبين للسائلين (لم
 ٤٤ نك من المصلين) للصلوات الواجبة (ولم نك نطعم المسكين) على معنى استمرار نفي الإطعام لاعلى
 نفي استمرار الإطعام كما مر مراراً وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذه
 ٤٥، ٤٦ (وكنا نخوض مع الخائضين) أى نشرع في الباطل مع الشارعين فيه (وكنا نكذب يوم الدين)
 أى يوم الجزاء أضافوه إلى الجزاء مع أن فيهم الدواهي والأحوال مالا غاية له لأنه أدهاها وأهولها
 وأنهم ملابسوه وقد مضت بقية الدواهي وتأخير جنائياتهم هذه مع كونها أعظم من الكل لتفخيمها كأنهم
 قالوا وكنا بعد ذلك كله مكذبين يوم الدين ولييان كون تكذبيهم به مقارناً لسائر جنائياتهم المعدودة
 ٤٧، ٤٨ مستمرراً إلى آخر عمرهم حسبما نطق به قولهم (حتى آتانا اليقين) أى الموت ومقدماته (فما تنفعهم
 ٤٩ شفاعة الشافعين) لو شفعوا لهم جميعاً والفاء في قوله تعالى (فما لهم عن التذكرة معرضين) لترتيب إنكار
 إعراضهم عن القرآن بغير سبب على ما قبلها من موجبات الإقبال عليه والاتعاظ به من سوء حال
 المكذبين ومعرضين حال من الضمير في الجار الواقع خبراً لما الاستفهامية وعن متعلقة به أى فإذا
 كان حال المكذبين به على ما ذكر فأى شيء حصل لهم معرضين عن القرآن مع تعاضد موجبات الإقبال
 ٥٠ عليه وتأخذ الدواعي إلى الإيمان به وقوله تعالى (كأنهم حمير مستنفرة) حال من المستكن في معرضين

٧٤ المدثر

فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾

٧٤ المدثر

بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مَنَشُورَةً ﴿٥٢﴾

٧٤ المدثر

كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾

٧٤ المدثر

كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرَةٌ ﴿٥٤﴾

٧٤ المدثر

فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ ﴿٥٥﴾

٧٤ المدثر

وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

- بطريق التداخل أى مشبهين بحمر نافرة (فرت من قسورة) أى من أسد فعولة من القسر وهو القهر والغلبة وقيل هى جماعة الرماة الذين يتصيدونها شبهوا فى إعراضهم عن القرآن واستماع ما فيه من المواعظ وشرادهم عنه بحمر جدت فى تقارها بما أفزعها وفيه من ذمهم وتهجين حالهم مالا يخفى وقوله تعالى (بل) ٥٢ يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشورة عطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قبل لا يكتفون بتلك التذكرة ولا يرضون بها بل يريد كل واحد منهم أن يؤتى قراطيس تنشر وتقرأ وذلك أنهم قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم لن تبعلك حتى تأتى كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين إلى فلان بن فلان تؤمر فيها باتباعك كما قالوا لن تؤمن لريقك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه وقرئ صحفاً منشورة بسكون الحاء والنون (كلا) ردع لهم عن تلك الجراءة (بل لا يخافون الآخرة) فلذلك يعرضون ٥٣ عن التذكرة لا لامتناع إيتاء الصحف (كلا) ردع عن إعراضهم (إنه) أى القرآن (تذكرة) وأى ٥٤ تذكرة (فمن شاء) أن يذكره (ذكره) وحاز بسببه سعادة الدارين (وما يذكرون) بمجرد مشيئتهم ٥٥، ٥٦ للذكر كما هو المفهوم من ظاهر قوله تعالى فمن شاء ذكره إذ لا تأثير لمشيئة العبد وإرادته فى أفعاله وقوله تعالى (إلا أن يشاء الله) استثناء مفرغ من أعم الأحوال أى وما يذكرون بعلّة من العلل أو فى حال * من الأحوال إلا بأن يشاء الله أو حال أن يشاء الله ذلك وهو تصريح بأن أفعال العباد بمشيئة الله عز وجل وقرئ تذكرون على إخطاب التفاتاً وقرئ بهما مشدداً (هو أهل التقوى) أى حقيق بأن يتقى عقابه ويؤثر من به ويعطاع (وأهل المغفرة) حقيق بأن يغفر لمن آمن به وأصاعه . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المدثر أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وكذب به بمكة .

٧٥ — سورة القيامة

(مكية وهي أربعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧٥ القيامة

لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ❶

٧٥ القيامة

وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ❷

٧٥ القيامة

أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ❸

(سورة القيامة مكية وآياتها أربعون)

- ❶ (بسم الله الرحمن الرحيم) (لا أقسم بيوم القيامة) إدخال لا النافية على فعل القسم شائع وفائدتها تأكيد القسم قالوا إنها صلة مثلها في قوله تعالى لئلا يعلم أهل الكتاب وقيل هي للنفي لكن لا لنفي نفس الإقسام بل لنفي ما ينبيء هو عنه من إعظام المقسم به وتفخيمه كأن معنى لا أقسم بكذا لا أعظمه بإقسامي به حق إعظامه فإنه حقيق بأكثر من ذلك وأكثر وأما ما قيل من أن المعنى نفي الإقسام لوضوح الأمر فقد عرفت ما فيه في قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وقيل إن لا نفي ورد لكلام معهود قبل القسم كأنهم أنكروا البعث فقبل لا أى ليس الأمر كذلك ثم قيل أقسم بيوم القيامة كقولك لا والله إن البعث حق وأياً ما كان ففي الإقسام على تحقق البعث يوم القيامة من الجزالة ما لا مزيد عليه وقد
- ❷ مر تفصيله في سورة يس وسورة الزخرف (ولا أقسم بالنفس اللوامة) أى بالنفس المتقية التي تلوم النفوس يومئذ على تقصيرهن في التقوى ففيه طرف من البراءة التي في القسم السابق أو بالنفس التي تلوم نفسها وإن اجتهدت في الطاعات أو بالنفس المطمئنة للآئمة للنفس الأماراة وقيل بالجنس لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وتلوم نفسها يوم القيامة إن عملت خيراً قالت كيف لم أزد وإن عملت شراً قالت ليتني كنت قصرت ولا يخفى ضعفه فإن هذا القدر من اللوم لا يكون مداراً للإعظام بالإقسام وإن صدر عن النفس المؤمنة المسببة فكيف من الكافرة المندرجة تحت الجنس وقيل بنفس آدم عليه السلام فإنها لا تزال تتلوم على فعلها الذي خرجت به من الجنة وجواب
- ❸ القسم ما دل عليه قوله تعالى (أيحسب الإنسان أن لن نجتمع عظامه) وهو ليعثن والمراد بالإنسان الجنس والهمزة لإنكار الواقع واستباحه وأن مخففة من الثقيلة وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف أى يحسب أن الشأن لن نجتمع عظامه فإن ذلك حسان باطل فإننا نجتمعها بعد تشتتها ورجوعها رمياً

٧٥ القيامة

بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ۖ

٧٥ القيامة

بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجَرُ أَمَامَهُ ۖ

٧٥ القيامة

يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ

٧٥ القيامة

فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۖ

٧٥ القيامة

وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۖ

٧٥ القيامة

وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۖ

٧٥ القيامة

يَقُولُ الْإِنْسَانُ يُؤَمِّدُ ۚ

ورفاتاً مختلطاً بالتراب وبعد ماسفتها الرياح وطيرتها في أقطار الأرض وألقها في البحار وقيل إن
 عدى بن أبي ربيعة خن الأخنس بن شريق وهما اللذان كان النبي عليه الصلاة والسلام يقول فيهما اللهم
 اكفني جاري السوء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد حدثني عن يوم القيامة متى يكون وكيف
 أمره فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك أو يجمع الله هذه العظام
 (بلى) أى نجمعها حال كوننا (قادرين على أن نسوى بنانه) أى نجمع سلامياته ونضم بعضها إلى بعض ٤
 كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام أو على أن نسوى أصابعه التى هى أطرافه وآخر
 ما يتم به خلقه وقرىء قادرون (بل يريد الإنسان ليفجر أمامه) عطف على أيحسب إما على أنه استفهام
 مثله أضرب عن التوبيخ بذلك إلى التوبيخ بهذا أو على أنه إيجاب انتقل إليه عن الاستفهام أى بل يريد
 ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الأوقات وما يستقبله من الزمان لا يرعوى عنه (يسأل أيان يوم القيامة) ٦
 أى متى يكون استبعاداً أو استهزاء (فإذا برق البصر) أى تحير فزعاً من برق الرجل إذا نظر إلى البرق ٧
 فدهش بصره وقرىء بفتح الراء وهى لغة أو من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصة وقرىء بلق أى
 انفتح وانفراج (وخسف القمر) أى ذهب ضوؤه وقرىء على البناء للفعول (وجمع الشمس والقمر) ٨
 بأن يطلعهما الله تعالى من المغرب وقيل جمعا في ذهاب الضوء وقيل يجمعان أسودين مكورين كأنهما
 ثوران عقيران في النار وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف (يقول الإنسان يؤمّد) أى يوم ١٠
 إذ تقع هذه الأمور (أين المفر) أى الفرار يأساً منه وقرىء بالكسر أى موضع الفرار وقد جوز
 أن يكون هو أيضاً مصدراً كالمرجع .

٧٥ القيامة

كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾

٧٥ القيامة

إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾

٧٥ القيامة

يُنَبِّئُكَ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾

٧٥ القيامة

بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾

٧٥ القيامة

وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾

٧٥ القيامة

لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾

- ١١ (كلا) ردع من طلب المفرو وتمنيه (لاوزر) لاملجأ مستعار من الجبل وقيل كل ما التجأت إليه وتخلصت به فهو وزرك (إلى ربك يومئذ المستقر) أى إليه وحده استقرار العباد أو إلى حكمه استقرار أمرهم
- ١٢ أو إلى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار (ينبأ الإنسان يومئذ) أى يخبر كل امرئ برأ كان أو فاجراً عند وزن الأعمال (بما قدم) أى عمل من عمل خيراً كان أو شراً فيثاب بالآول ويعاقب بالثاني (وأخر) أى لم يعمل خيراً كان أو شراً فيعاقب بالآول ويثاب بالثاني أو بما قدم من حسنة أو سيئة وبما أخر من سنة حسنة أو سيئة فعمل بها بعده أو بما قدم من مال تصدق به فى حياته وبما أخر خلفه أو وقفه أو أوصى به أو بأول عمله وآخره (بل الإنسان على نفسه بصيرة) أى حجة بينة على نفسه شاهدة بما صدر عنه من الأعمال السيئة كما يعرب عنه كلفة على وما سياتى من الجملة الحالية وصفت بالبصارة مجازاً كما وصفت الآيات بالابصار فى قوله تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة أو عين بصيرة أو التاء للبالغة ومعنى بل الترقى أى ينبأ الإنسان بأعماله بل هو يومئذ عالم بتفاصيل أحواله شاهد على نفسه لأن جوارحه تنطق بذلك وقوله تعالى (ولو ألقى معاذيره) أى ولو جاء بكل معذرة يمكن أن يعتذر بها عن نفسه حال من المستكن فى بصيرة أو من مرفوع يذنب أى هو بصيرة على نفسه تشهد عليه جوارحه وتقبل شهادتها ولو اعتذر بكل معذرة أو يذنب بأعماله ولو اعتذر الخ والمعاذير اسم جمع للمعذرة كالمناكير اسم جمع للنكر وقيل هو جمع معذار وهو الستر أى ولو ألقى ستوره . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لقن الوحي نازع جبريل عليه السلام القراءة ولم يصبر إلى أن يتمها مسارعة إلى الحفظ وخوفاً من أن ينفلت منه فأمر عليه الصلاة والسلام بأن يستنصت له
- ١٦ ملقياً إليه قلبه وسمعه حتى يقضى إليه الوحي ثم يقفيه بالدراسة إلى أن يرسخ فيه ففيل (لا تحرك به) أى بالقرآن (لسانك) عند إلقاء الوحي (لتعجل به) أى لتأخذه على عجلة مخافة أن ينفلت منك

٧٥ القيامة

إِن عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾

٧٥ القيامة

فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾

٧٥ القيامة

ثُمَّ إِنَّا عَلَيْنَا بِآئِهِ ﴿١٩﴾

٧٥ القيامة

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾

٧٥ القيامة

وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾

٧٥ القيامة

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾

٧٥ القيامة

إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾

- (إن علينا جمعه) في صدرك بحيث لا يذهب عليك شيء من معانيه (وقرآنه) أى إثبات قراءته في لسانك ١٧
 (فإذا قرأناه) أى أتممنا قراءته عليك بلسان جبريل عليه السلام وإسناد القراءة إلى نون العظمة للبالغة ١٨
 في إيجاب التاني (فاتبع قرآنه) فكن مقفياً له ولا تراسله (ثم إن علينا بيانه) أى بيان ما أشكل عليك ١٩
 من معانيه وأحكامه (كلا) ردع له عليه الصلاة والسلام عن عادة العجلة وترغيب له في الأناة وأكد ٢٠
 ذلك بقوله تعالى (بل تحبون العاجلة) (وتذرون الآخرة) على تعميم الخطاب للكل أى بل أتمم يابني ٢١
 آدم لما خلقت من عجل وجبتم عليه تعجلون في كل شيء ولذلك تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقيل
 كلا ردع للإنسان عن الاغترار بالعاجل فيكون جمع الضمير في الفعلين باعتبار معنى الجنس ويؤيده
 قراءة الفعلين على صيغة الغيبة (وجوه يومئذ ناضرة) أى وجوه كثيرة وهى وجوه المؤمنين المخلصين ٢٢
 يوم إذ تقوم القيامة بهمة متلهة يشاهد عليها نضرة النعيم على أن وجوه مبتدأ وناضرة خبره ويومئذ
 منصوب بناضرة وناظرة في قوله تعالى (إلى ربها ناظرة) خبر ثان للمبتدأ أو نعت لناضرة وإلى ربها ٢٣
 متعلق بناظرة وصحة وقوع النكرة مبتدأ لأن المقام مقام تفصيل لاعلى أن ناضرة صفة لوجوه والخبر
 ناظرة كإقيل لما هو المشهور من أن حق الصفة أن تكون معلومة الاتساق إلى الموصوف عند السامع
 وحيث لم يكن ثبوت النضرة للوجوه كذلك فحقه أن يخبر به ومعنى كونها ناظرة إلى ربها أنها تراه تعالى
 مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه وتشاهده تعالى بلا كيف ولا على جهة وليس هذا في
 جميع الأحوال حتى ينافيه نظرها إلى غيره وقيل منتظرة لإنعامه ورد بأن الانتظار لا يسند إلى الوجه
 وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وأن المستعمل بمعناه لا يمدى يالى .

٧٥ القيامة

وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ٢٦

٧٥ القيامة

تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ٢٥

٧٥ القيامة

كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ٢٧

٧٥ القيامة

وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ٢٧

٧٤ القيامة

وَضَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ٢٨

٧٥ القيامة

وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ٢٩

٧٥ القيامة

إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ٣٠

٧٤ القيامة

فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ٣١

٧٥ القيامة

وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى ٣٢

٧٥ القيامة

ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى ٣٣

٢٥، ٢٤ (ووجوه يومئذ باسرة) شديدة العبوس وهي وجوه الكفرة (تظن) يتوقع أربابها (أن يفعل
 ٢٦ بها فاقرة) داهية عظيمة تقسم فقار الظهر (كلا) ردع عن إثارة العاجلة على الآخرة أى ارتدعوا عن
 * ذلك وتنبهوا لم بين أيديكم من الموت الذى ينقطع عنده ما بينكم وبين العاجلة من العلاقة (إذا بلغت
 ٢٧ التراقي) أى بلغت النفس أعلى الصدر وهي العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال (وقيل من
 راق) أى قال من حضر صاحبها من يرقه وينجيه بما هو فيه من الرقية وقيل هو من كلام ملائكة الموت
 ٢٨ أيكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب من الرقى (وظن أنه الفراق) وأيقن المحتضر أن
 ٢٩ مازل به الفراق من الدنيا ونعيمها (والتفت الساق بالساق) والتفت ساقه بساقه والتوت عليها عند
 حلول الموت وقيل هما شدة فراق الدنيا وشدة إقبال الآخرة وقيل هما ساقاه حين تلفان في أكفانه
 ٣٠ (إلى ربك يومئذ المساق) أى إلى الله وإلى حكمه يساق لا إلى غيره (فلا صدق) ما يجب تصديقه
 * من الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن الذى نزل عليه أو فلا صدق ماله ولا زكاه (ولا صلى) ما فرض
 عليه والضمير فيهما للإنسان المذكور في قوله تعالى أبحسب الإنسان وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون
 ٣٢ بالفروع فى حق المؤاخذة كما مر (ولكن كذب) ما ذكر من الرسول والقرآن (وتولى) عن الطاعة
 ٣٣ (ثم ذهب إلى أهله يتمطى) يتبختر افتخاراً بذلك من المط فإن المتبختر يمد خطاه فيكون أصله يتمطط

٧٥ القيامة

أَوَّلَىٰ لَكَ فَأَوَّلَىٰ ﴿٣٤﴾

٧٥ القيامة

ثُمَّ أَوَّلَىٰ لَكَ فَأَوَّلَىٰ ﴿٣٥﴾

٧٥ القيامة

أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾

٧٥ القيامة

أَلَمْ يَكُنْ نَطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾

٧٥ القيامة

ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾

٧٥ القيامة

فَجَعَلَ مِنْهُ الْزَوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ ﴿٣٩﴾

٧٥ القيامة

أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

أو من المطا وهو الظهر فإنه يلويه (أولى لك فأولى) أى ويل لك وأصله أولاك الله ماتكرهه واللام مزيدة كما فى ردف لكم أو أولى لك الهلاك وقيل هو أفضل من الويل بعد القلب كأذى من دون أو فعل من آل يؤول بمعنى عقباك النار (ثم أولى لك فأولى) أى يتكرر عليه ذلك مرة بعد أخرى (أيحسب الإنسان أن يترك سدى) أى يخلى مهملاً فلا يكلف ولا يجزى وقيل أن يترك فى قبره ولا يبعث وقوله تعالى (ألم يك نطفة من منى يمنى) الخ استئناف وارد لإبطال الحسبان المذكور فإن مداره لما كان استبعادهم للإعادة استدلل على تحققها بيده الخلق (ثم كان علقه) أى بقدره الله تعالى لقوله ٣٨ تعالى ثم خلقنا النطفة علقه (خلق) أى فقدر بأن جعلها مضغية مخلقة (فسوى) فعدل وكل نشأته * (فجعل منه) من الإنسان (الزوجين) أى الصنفين (الذكر والأنثى) بدل من الزوجين (أليس ٤٠، ٣٩ ذلك) العظيم الشأن الذى أنشأ هذا الإنشاء اليديع (بقادر على أن يحيى الموتى) وهو أهون من البدء فى قياس العقل . روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأها قال سبحانك بلى وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القيامة شهدت له أنا وجبريل يوم القيامة إنه كان مؤمناً بيوم القيامة .

٧٦ - سورة الانسان

(مدنية وهي إحدى وثلاثون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧٦ الانسان

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾

٧٦ الانسان

إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾

(سورة الانسان مدنية وآياتها إحدى وثلاثون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (هل أتى) استفهام تقرير وتقريب فإن هل بمعنى قد والأصل أهل * (أتى الإنسان) قبل زمان قريب (حين من الدهر) أى طائفة محدودة كائنة من الزمن الممتد * (لم يكن شيئاً مذكوراً) بل كان شيئاً منسياً غير مذكور بالإنسانية أصلاً كالعنصر والنطفة وغير ذلك والجملة المنفية حال من الإنسان أى غير مذكور أو صفة أخرى لحين على حذف العائد إلى الموصوف
- ٢ أى لم يكن فيه شيئاً مذكوراً والمراد بالإنسان الجنس فالإظهار فى قوله تعالى (إنا خلقنا الإنسان من نطفة) لزيادة التقرير أو آدم عليه السلام وهو المروى عن ابن عباس وقتادة والثورى وعكرمة والشعبي قال ابن عباس فى رواية أبى صالح عنه مرت به أربعون سنة قبل أن ينفخ فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطائف وفى رواية الضحاك عنه أنه خلق من طين فأقام أربعين سنة ثم من حمأ مسنون فأقام أربعين سنة ثم من صلصال فأقام أربعين سنة ثم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح وحكى الماوردى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الحين المذكور ههنا هو الزمن الطويل الممتد الذى لا يعرف مقداره فيكون الأول إشارة إلى خلقه عليه الصلاة والسلام وهذا بياناً لخلق نبيه (أمشاج) أخلاط جمع مشيج أو مشيج من مشجت الشيء إذا خلقت وصف النطفة به لما أن المراد بها مجموع المائين وللكل منهما أوصاف مختلفة من اللون والرق والغلظ وخواص متباينة فإن ماء الرجل أبيض غليظ فيه قوة العقد وماء المرأة أصفر رقيق فيه قوة الانعقاد يخلق منهما الولد فما كان من عصب وعظم وقوة فن ماء الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فن ماء المرأة قال القرطبي وقد روى هذا مرفوعاً وقيل مفرد كاعشار وأكياش وقيل أمشاج ألوان وأطوار فإن النطفة تصير علقة ثم مضغة إلى تمام الخلقة وقوله تعالى (نبتيه) حال من فاعل خلقنا أى مريدين ابتلاءه بالتكليف فيما سياتى أو ناقلين له من حال إلى حال على طريقة الاستعارة كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما نصرته فى بطن أمه نطفة ثم علقه إلى آخره (فجعلناه سمياً بصيراً) ليتمكن من استماع الآيات التنزيلية ومشاهدة الآيات التكوينية

٧٦ الإنسان

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾

٧٦ الإنسان

إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾

٧٦ الإنسان

إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾

٧٦ الإنسان

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾

- فهو كالسبب عن الابتداء فلذلك عطف على الخلق المقيد به بالفاء ورتب عليه قوله تعالى (إنا هديناه ٣ السبيل) يزيل الآيات ونصب الدلائل (إما شاكرًا وإما كفورًا) حالان من مفعول هديناه أي مكناه وأقدرناه على سلوك الطريق الموصل إلى البغية في حالتيه جميعاً وإما للتفصيل أو التقسيم أي هديناه إلى ما يوصل إليها في حاله جميعاً أو مقسوماً إليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والآخر فيه وبعضهم كفور بالإعراض عنه وقيل من السبيل أي عرفناه السبيل إما سبيلاً شاكرًا أو كفورًا على وصف السبيل بوصف سالكه مجازاً وقرئ إما بالفتح على حذف الجواب أي إما شاكرًا فبتوفيقنا وإما كفورًا فبسوء اختياره لا بمجرد إجبارنا من غير اختيار من قبله وإيراد الكفور لمراعاة الفواصل والإشعار بأن الإنسان قلباً يخلو من كفران ما وإنما المؤاخذة عليه الكفر المفرط (إنا أعتدنا للكافرين ٤ من أفراد الإنسان الذي هديناه السبيل (سلاسل) بها يقادون (وأغلالاً) بها يقيدون (وسعيراً) بها يحرقون وتقديم وعيدهم مع تأخيرهم للجمع بينهما في الذكر كما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين أسودت وجوههم الآية ولأن الإنذار أهم وأنفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين أحسن على أن في وصفهم تفصيلاً ربما يخل بتقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم وقرئ سلاسلًا للتناسب (إن الأبرار) شروع في بيان حسن حال الشاكرين لإثبات سوء حال الكافرين وإيرادهم بعنوان البر للإشعار بما استحقوا به ما نالوه من الكرامة السنية والأبرار جمع بر أو بار كبر وأرباب وشاهد وأشهاد قيل هو من يبر خالقه أي يطيعه وقيل من يمتثل بأمره تعالى وقيل من يؤدي حق الله تعالى ويوفي بالنذر وعن الحسن البر من لا يؤذي الذر (يشربون من كأس) هي الزجاجة إذا كانت فيها خمر وتطلق على نفس الخمر أيضاً فن على الأول ابتدائية وعلى الثاني تبعيضية أو يائية (كان مزاجها) أي ما تمزج به (كافورا) أي ماء كافور وهو اسم عين في الجنة ماؤها في يياض الكافور ورائحته وبرده والجملة صفة كأس وقوله تعالى (عيناً) بدل من كافورا وعن قتادة تمزج لهم بالكافور وتحم لهم بالمسك وقيل تخلق لهم رائحة الكافور ويياضه وبرده فكانها مزجت بالكافور فمينا على هذين القولين بدل من محل من كأس على تقدير مضاف أي يشربون خمرًا خمر عين أو نصب على الاختصاص وقوله تعالى (يشرب بها عباد الله) صفة عيناً أي يشربون بها الخمر لكونها مزوجة بها وقيل ضمن يشرب معنى يلتذ وقيل الياء بمعنى من وقيل زائدة ويعضده قراءة ابن أبي عتبة يشربها

١٧٦ الانسان

يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾

١٧٦ الانسان

وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾

١٧٦ الانسان

إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لِرُوحِهِ اللَّهُ لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾

١٧٦ الانسان

إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا ﴿١٠﴾

١٧٦ الانسان

فَرَقَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾

- عباد الله وقيل الضمير للكأس والمعنى يشربون العين بتلك الكأس (يفجرونها تفجيراً) أى يمحرونها حينما شاؤا من منازلهم لإجراء سهلاً لا يمتنع عليهم بل يجرى جرياً بقوة واندفاع والجملة صفة أخرى
- ٧ أعياناً وقوله تعالى (يوفون بالنذر) استئناف مسوق لبيان ما لأجله رزقوا ما ذكر من النعم مشتمل على نوع تفصيل لما ينبى عنه اسم الأبرار إجمالاً كأنه قيل ماذا يفعلون حتى يتلوا تلك الرتبة العالية
- * فقيل يوفون بما أوجبوه على أنفسهم فكيف بما أوجهه الله تعالى عليهم (ويخافون يوماً كان شره) عذابه
- * (مستطيراً) فاشياً منتشراً فى الأقطار غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو أبلغ من طار
- ٨ بمنزلة استنفر من نقر (ويطعمون الطعام على حبه) أى كاتنين على حب الطعام والحاجة إليه كما فى قوله تعالى لن تتلوا البر حتى تنفقوا بما تحبون أو على حب الإطعام بأن يكون ذلك بطيب النفس أو كاتنين على حب الله تعالى أو إطعاماً كاتناً على حبه تعالى وهو الأنسب لما سياتى من قوله تعالى لوجه
- * الله (مسكيناً ويتيماً وأسيراً) أى أسير فإنه كان عليه الصلاة والسلام يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول أحسن إليه أو أسيراً مؤمناً فيدخل فيه المملوك والمسجون وقد سمي رسول الله صلى
- ٩ الله عليه وسلم الغريم أسيراً فقال غريمك أسيرك فأحسن إلى أسيرك (إنما نطعمكم لوجه الله) على إرادة قول هو فى موقع الحال من فاعل يطعمون أى قائلين ذلك بلسان الحال أو بلسان المقال لإزاحة
- لتوهم المن المبطل للصدقة وتوقع المكافأة المنقصة للأجر وعن الصديقة رضى الله تعالى عنها أنها كانت تبعث بالصدقة إلى أهل بيت ثم تسأل الرسول ما قالوا فإذا ذكر دعاءهم دعت لهم بمثله ليقى ثواب
- * الصدقة لها خالصاً عند الله تعالى (لا نزيد منكم جزاء ولا شكوراً) أى شكراً وهو تقرير وتأكيده
- ١٠ لما قبله (إننا نخاف من ربنا يوماً) أى عذاب يوم (عبوساً) يعبس فيه الوجوه أو يشبه الأسد العبوس
- * فى الشدة والضاوة (قططيراً) شديد العبوس فلذلك فعل بكم ما فعل رجاء أن يقينا ربنا بذلك شره
- ١١ وقيل هو تعليل لعدم إرادة الجزاء والشكور أى إننا نخاف عقاب الله تعالى إن أردناهما (فوقاهم الله
- * شر ذلك اليوم) بسبب خوفهم وتحفظهم عنه (ولقاهم نضرة وسروراً) أى أعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة فى الوجوه وسروراً فى القلوب .

٧٦ الإنسان

وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾

٧٦ الإنسان

مُتَكِّينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾

٧٦ الإنسان

وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾

- (وجزاهم بما صبروا) بصبرهم على مشاق الطاعات ومهاجرة هوى النفس في اجتناب المحرمات وإيثار الأموال (جنة) بستاناً يأكلون منه ماشاءوا (وحريراً) يلبسونه ويتزينون به وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الحسن والحسين رضى الله عنهما مرضا فعادهما النبي صلى الله عليه وسلم في ناس معه فقالوا لعل رضى الله عنه لو نذرت على ولدك فنذر على وفاطمة رضى الله تعالى عنهما وفضة جارية لهما إن برنا بما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام فشفيا وما معهم شيء فاستقرض على رضى الله عنه من شمعون الخيري ثلاث أصوع من شعير فطحن فاطمة رضى الله تعالى عنها صاعاً واختبرت خمسة أقراص على عدم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله تعالى من موائد الجنة فأثروه وباتوا لم يذوقوا إلا الماء وأصبحوا صياماً فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فأثروه ثم وقف عليهم في الثالثة أسير ففعلوا مثل ذلك فلما أصبحوا أخذ على بيد الحسن والحسين رضى الله عنهم فأقبلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفرأخ من شدة الجوع قال عليه الصلاة والسلام ما أشد مايسوؤنى ما أرى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساء ذلك فنزل جبريل عليه السلام وقال خذها يا محمد هناك الله تعالى في أهل بيتك فأقرأه السورة (متكئين فيها على الأرائك) حال من هم في جزاهم والعامل فيها جزى وقيل صفة لجنة من غير إبراز الضمير والأرائك هي السرر في الجبال وقوله تعالى (لا يرون فيها شمساً ولا زَمْهَرِيرًا) إما حال ثانية من الضمير أو المستكن في متكئين والمعنى أنه يمر عليهم هواء معتدل لا حار محم ولا بارد مؤذ وقيل الزَمْهَرِيرُ القمر في لغة طيء والمعنى أن هوائها مضى بذاته لا يحتاج إلى شمس ولا قمر (ودانية عليهم ظلالها) عطف على ما قبلها حال ١٤ مثلها أو صفة لمخدوف معطوف على جنة وأى جنة أخرى دانية عليهم ظلالها على أنهم وعدوا جنتين كما في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرىء دانية بالرفع على أنه خبر لظلالها والجملة في حين الحال والمعنى لا يرون فيها شمساً ولا زَمْهَرِيرًا والحال أن ظلالها دانية قالوا معناه أن ظلال أشجار الجنة قريبة من الأبرار مظلة عليهم زيادة في نعيمهم على معنى أنهم لو كان هناك شمس مؤذية لكانت أشجارها مظلة عليهم أنه لا شمس ثمة ولا قمر (وذلت قطوفها تذليلاً) أى سخرت ثمارها لمتناولها وسهل أخذها من الذل وهو ضد الصعوبة والجملة حال من دانية أى تدنو ظلالها عليهم مذلة لهم قطوفها أو معطوفة على دانية عليهم ظلالها ومذلة قطوفها وعلى تقدير رفع دانية فهي جملة فعليه معطوفة على جملة اسمية .

- وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِغَانِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ۝١٥
 قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝١٦
 وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ۝١٧
 عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ۝١٨
 وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ۝١٩
 وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا ۝٢٠
 عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُوسٌ خُضَرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوْاْ أَسَاوِرَ مِّنْ فِضَّةٍ وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۝٢١

- ١٥ (ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب) الكوب الكوز العظيم الذي لا أذن له ولا عروة (كانت
 ١٦ قوارير) (قوارير من فضة) أى تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها ولين الفضة وبياضها
 والجملة صفة الأكواب وقرىء بتنوين قوارير الثانى أيضاً وقرناً بغير تنوين وقرىء الثانى بالرفع على
 * هى قوارير (قدروها تقديراً) صفة لقوارير ومعنى تقديرهم لها أنهم قدروها فى أنفسهم وأرادوا أن
 تكون على مقادير وأشكال معينة موافقة لشهواتهم فجاءت حسبما قدروها أو قدروها بأعمالهم الصالحة
 فجاءت على حسبها وقيل الضمير للطائفتين بها المدلول عليهم بقوله تعالى ويطاف عليهم فالمعنى قدروا شرابها
 على قدر اشتهاهم وقرىء قدروها على البناء للمفعول أى جعلوا قادرين لها كما شاؤا من قدر منفولا من
 ١٧ قدرت الشيء (ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً) أى ما يشبه الزنجبيل فى الطعم وكان الشراب
 ١٨ المزوج به أطيب مما تستطيع العرب وألذ مما تستلذبه (عيناً) بدل من زنجبيل وقيل تمزج كأسهم بالزنجبيل
 بعينه أو يخلق الله تعالى طعمه فيها فعيناً حيثئذ بدل من كأساً كأنه قيل ويسقون فيها كأساً كأس عين
 * أو نصب على الاختصاص (فيها تسمى سلسبيلاً) لسلاسة إنحدارها فى الحلق وسهولة مساعها يقال
 شراب سلسل وسلسال وسلسيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد بيان أنها فى طعم الزنجبيل وليس
 ١٩ فيها لذعه بل نقيض اللذع هو السلاسة (ويطوف عليهم ولدان مخلدون) أى دأمنون على ما هم عليه
 * من الطراوة والبهاء (إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً) لحسنهم وصفاء ألوانهم وإشراق وجوههم
 ٢٠ وانبثاثرهم فى مجالسهم ومنازلهم وانعكاس أشعة بعضهم إلى بعض (وإذا رأيتهم) ليس له مفعول
 * ملفوظ ولا مقدر ولا منوى بل معناه أن بصرك أينما وقع فى الجنة (رأيت نعيماً وملكاً كبيراً) أى
 هنيئاً واسعاً وفى الحديث أدنى أهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه
 ٢١ وقيل لازوال وقيل إذا أرادوا شيئاً كان وقيل يعلم عليهم الملائكة ويستأذنون عليهم (عليهم ثياب

٧٦ الإنسان

إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٢﴾

٧٦ الإنسان

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿٢٣﴾

٧٦ الإنسان

فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾

٧٦ الإنسان

وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾

- سندس خضر (قيل عاليهم ظرف على أنه خبر مقدم وثياب مبتدأ مؤخر والجملة صفة أخرى لولدان كأنه قيل يطوف عليهم ولدان فوقهم ثياب الخ وقيل حال من ضمير عليهم أو حسبتهم أى يطوف عليهم ولدان عاليًا للطفوف عليهم ثياب الخ أو حسبتهم لؤلؤًا منشورًا عاليًا لهم ثياب الخ وقرىء عاليهم بالرفع على أنه مبتدأ خبره ثياب أى مايعلوم من لباسهم ثياب سندس وقرىء خضر بالجذر حملا على سندس بالمعنى لكونه اسم جنس (ولاستبرق) بالرفع عطفا على ثياب وقرىء برفع الأول وجر الثانى وقرىء بالعكس وقرىء بجرهما وقرىء واستبرق بوصل الهزمة والفتح على أنه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب (وحلوا أساور من فضة) عطف على يطوف عليهم ولا ينافيه قوله تعالى أساور من ذهب لإمكان الجمع والمعاينة والتبويض فإن حل أهل الجنة يختلف حسب اختلاف أعمالهم فلعله تعالى يفرض عليهم جزاء لما عملوه بأيديهم حليا وأنوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة أو حال من ضمير عاليهم بإضمار قد وعلى هذا يجوز أن يكون هذا للخدم وذلك للمخدومين (وسقام ربهم شرا با طهورا) هو نوع آخر يفوق النوعين السالفين كما يرشد إليه إسناد سقيه إلى رب العالمين ووصفه بالطهورية فإنه يطهر شاربه عن دنس الميل إلى الملاذ الحسية والركون إلى ماسوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلبقائه باقيا ببقائه وهى الغاية القاصية من منازل الصديقين ولذلك ختم بها مقالة ثواب الأبرار (إن هذا) على إضمار القول أى يقال لهم إن هذا الذى ذكر من فنون الكرامات (كان لكم جزاء) ٢٢ بمقابلة أعمالكم الحسنة (وكان سعيكم مشكورا) مرضيا مقبولا مقابلا بالثواب (إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) أى مفرقا منجما لحكم بالغة مقتضية له لاغيرنا كما يعرب عنه تكرير الضمير مع أن (فاصبر لحكم ربك) بتأخير نصرته على الكفار فإن له عاقبة حميدة (ولا تطع منهم آثما أو كفورا) ٢٤ أى كل واحد من مرتكب الإثم الداعى لك إليه ومن الغالى فى الكفر الداعى إليه وأو للدلالة على أنهما سيان فى استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار مايدعونه إليه فإن ترتب النهى على الوصفين مشعر بعليتهما له فلا بد أن يكون النهى عن الإطاعة فى الإثم والكفر فيما ليس بإثم ولا كفر وقيل الآثم عتبه فإنه كان ركا با للآثم متعاطيا لأنواع الفسوق والكفور الوليد فإنه كان غالبا فى الكفر شديد الشكيمة فى العتو (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلًا) ودوام على ذكره فى جميع الأوقات أودم ٢٥ على صلاة الفجر والظهر والعصر فإن الأصيل ينتظمهما .

٧٦ الانسان

وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾

٧٦ الانسان

إِنَّ هَؤُلَاءِ يُجِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذْرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾

٧٦ الانسان

نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾

٧٦ الانسان

إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾

٧٦ الانسان

وَمَا يَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾

٧٦ الانسان

يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

- ٢٦ (ومن الليل فاسجد له) وبعض الليل فصل له ولعله صلاة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في أصالة الليل من مزيد كلفة وخلوص (وسبحه ليلاً طويلاً) وتهجد له قطعاً من الليل طويلاً (إن هؤلاء) * الكفرة (يجبون العاجلة) وينهمكون في لذاتها القانية (يذرون وراءهم) أي أمامهم لا يستعدون أو ينبذون وراء ظهورهم (يوماً ثقيلاً) لا يعبأون به ووصفه بالثقل لتشبيه شدته وهوله بثقل شيء فادح
- ٢٨ باهظ لحامله بطريق الاستعارة وهو كالتعليل لما أمر به ونهى عنه (نحن خلقناهم) لا غيرنا (وشددنا أسرهم) أي أحكمنا ربط مفاصلهم بالأعصاب (وإذا شئنا بدلنا أمثالهم) بعد إهلاكهم (تبديلاً) بديعاً لا ريب فيه هو البعث كما ينبي عنه كلمة إذا أو بدلنا غيرهم عن يطيع كقوله تعالى يستبدل قوماً غيركم
- ٢٩ وإذ للدلالة على تحقق القدرة وقوة الداعية (إن هذه تذكرة) إشارة إلى السورة أو الآيات القرية * (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً) أي فمن شاء أن يتخذ إليه تعالى سبيلاً أي وسيلة توصله إلى ثوابه اتخذ
- ٣٠ أي تقرب إليه بالعمل بما في تضاعيفها وقوله تعالى (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله) تحقيق للحق ببيان أن مجرد مشيئتهم غير كافية في اتخاذ السبيل كما هو المفهوم من ظاهر الشرطية أي وماتشاؤون اتخاذ السبيل ولا تقدر على تحصيله في وقت من الأوقات إلا وقت مشيئته تعالى تحصيله لكم إذ لا دخل لمشيئة العبد إلا في الكسب وإنما التأثير والخلق لمشيئة الله عز وجل وقرىء يشاؤون بالياء وقرىء إلا ما يشاء الله وقوله تعالى (إن الله كان عليماً حكيماً) بيان لكون مشيئته تعالى مبنية على أساس العلم والحكمة والمعنى أنه تعالى مبالغ في العلم والحكمة فيعلم ما يستأمله كل أحد فلا يشاء لهم إلا ما يستدعيه عليه وتقتضيه
- ٣١ حكمته وقوله تعالى (يدخل من يشاء في رحمته) بيان لأحكام مشيئته المترتبة على علمه وحكمته أي يدخل في رحمته من يشاء أن يدخله فيها وهو الذي يصرف مشيئته نحو اتخاذ السبيل إليه تعالى حيث يوفقه لما يؤدي إلى دخول الجنة من الإيمان والطاعة (والظالمين) وهم الذين صرفوا مشيئتهم إلى خلاف ما ذكر (أعد لهم عذاباً أليماً) أي متناهيماً في الإيلام قال الزجاج نصب الظالمين لأن ما قبله منصوب أي يدخل من يشاء في رحمته ويعذب الظالمين ويكون أعد لهم تفسيراً لهذا المضمير وقرىء بالرفع على

٧٧ - سورة المرسلات

(مكية وهي خمسون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧٧ المرسلات

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾

٧٧ المرسلات

فَالْعَصْفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾

٧٧ المرسلات

وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾

٧٧ المرسلات

فَالْفَرَقَاتِ فَرَقًا ﴿٤﴾

٧٧ المرسلات

فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾

٧٧ المرسلات

عُذْرًا أَوْ نَذْرًا ﴿٦﴾

الابتداء . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه على الله تعالى جنة وحريراً .

(سورة المرسلات مكية إلا آية ٤٨ فدنية وآياتها خمسون)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (والمرسلات عرفاً) (فالعصفات عصفاً) (والناشرات نشراً) (٣٠، ٣١)

(فالفرقات فرقاً) (فالملقيات ذكراً) إقسام من الله عز وجل بطوائف من الملائكة أرسلهن بأوامره ٥٤، فعصففن في مضيهن عصف الرياح مسارعة في الامتثال بالأمر وبطوائف أخرى نشرن أجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي أو نشرن الشرائع في الأفطار أو نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحين ففرقن بين الحق والباطل فالقن ذكراً إلى الأنبياء (عذراً) للمحقين (أو نذراً) للبطلين ٦ ولعل تقديم نشر الشرائع ونشر النفوس والفرق على الإلقاء للإيدان بكونها غاية للإلقاء حقيقة بالاعتناء بها أو للإشعار بأن كلا من الأوصاف المذكورة مستقل بالدلالة على استحقاق الطوائف الموصوفة بها التفخيم والإجلال بالإقسام بهن ولوجيء بها على ترتيب الوقوع لربما فهم أن مجموع الإلقاء والنشر والفرق هو الموجب لما ذكر من الاستحقاق أو إقسام بريح عذاب أرسلهن فعصففن وبريح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله تعالى ويجعله كسفاً أو بسحاب نشرن الموت ففرقن كل صنف منها عن سائر الأصناف بالشكل واللون وسائر الخواص أو فرقن بين من يشكر الله تعالى وبين من يكفر به فالقن ذكراً إما عذراً للمعتدين إلى الله تعالى بتوبتهم واستغفارهم عند مشاهدتهم

٧٧ المرسلات

إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ⑦

٧٧ المرسلات

فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ⑧

٧٧ المرسلات

وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ⑨

٧٧ المرسلات

وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ⑩

٧٧ المرسلات

وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِيتَتْ ⑪

٧٧ المرسلات

لَأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ⑫

٧٧ المرسلات

لِيَوْمِ الْفَصْلِ ⑬

٧٧ المرسلات

وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ⑭

لآثار رحمته تعالى في الفيث ويشكرونها وإما إنذاراً للذين يكفرونها وينسبونها إلى الأنواء وإسناد
إلقاء الذكر إليهم لكونهم سبياً في حصوله إذا شكرت النعمة فيهن أو كفرت أو إقسام بآيات القرآن
المرسلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعصفن سائر الكتب بالنسخ ونشرن آثار الهدى من مشارق
الأرض ومغاربها وفرن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق في أكناف العالمين والعرف إما تقيض
النكر وانتصابه على العلة أى أرسلنا للإحسان والمعروف فإن إرسال ملائكة العذاب معروف للأنبياء
عليهم السلام والمؤمنين أو بمعنى المتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحالية والعذر والنذر مصدران
من عذر إذا عا الإساءة ومن أنذر إذا خوف وانتصابهما على البدلية من ذكر أ أو على العلية وقرنا
بالتثنية (إن ماتوعدون لواقع) جواب للقسم أى إن الذى توعده من مجيء القيامة كائن لا محالة
٧ (فإذا النجوم طمست) محيت ومحقت أو ذهب بنورها (وإذا السماء فرجت) صدعت وفتحت
٩٠٨ فكانت أبواباً (وإذا الجبال نسفت) جعلت كالحب الذى ينسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بساً
١٠ وقيل أخذت من مقارها بسرعة من انتسفت الشيء إذا اختلطفته وقرىء طمست وفرجت ونسفت
١١ مشددة (وإذا الرسل أقتت) أى عين لهم الوقت الذى يحضرون فيه للشهادة على أهمهم وذلك عند مجيئه
وحضوره إذ لا يتعين لهم قبله أو بلغوا الميقات الذى كانوا ينتظرونه وقرىء وقت على الأصل
١٢ وبالتخفيف فيهما (لأى يوم أجلت) مقدر بقول هو جواب لإذا فى قوله تعالى وإذا الرسل أقتت
أو حال من مرفوع أقتت أى يقال لأى يوم أخرت الأمور المتعلقة بالرسول والمراد تعظيم ذلك اليوم
١٣ والتعجب من هوله وقوله تعالى (ليوم الفصل) بيان ليوم التأجيل وهو الذى يفصل فيه بين الخلائق
١٤ (وما أدراك ما يوم الفصل) ما مبتدأ أدراك خبره أى أى شيء جعلك دارياً ما هو فوضع موضع الضمير

٧٧ المرسلات

وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ⑩

٧٧ المرسلات

أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ⑪

٧٧ المرسلات

ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخَرِينَ ⑫

٧٧ المرسلات

كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ⑬

٧٧ المرسلات

وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ⑭

٧٧ المرسلات

أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ⑮

٧٧ المرسلات

فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ⑯

٧٧ المرسلات

إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ⑰

٧٧ المرسلات

فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ⑱

يوم الفصل لزيادة تفضيع وتهويل على أن ما خبر ويوم الفصل مبتدأ لا بالعكس كما اختاره سيبويه لأن محط الفائدة بيان كون يوم الفصل أمراً بديعاً هائلاً لا يقادر قدره ولا يكتنه كنهه كما يفيد خبرية مالا بيان كون أمر بديع من الأمور يوم الفصل كما يفيد عكسه (ويل يومئذ للمكذبين) أى فى ذلك ١٥ اليوم الهائل وويل فى الأصل مصدر منصوب ساد مسد فعله لكن عدل به إلى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك ودوامه للدعو عليه ويومئذ ظرفه أو صفته (ألم نهلك الأولين) كقوم نوح وعاد وثمود ١٦ لتكذيبهم به وقرىء نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى أهلكه (ثم نتبعهم الآخرين) بالرفع على ثم ١٧ نحن نتبعهم الآخرين من نظر انهم السالكين لمسلكتهم فى الكفر والتكذيب وهو وعيد لكفار مكة وقرىء ثم سنتبعهم وقرىء نتبعهم بالجزم عطفاً على نهلك فيكون المراد بالآخرين المتأخرين هلاكا من المذكورين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام (كذلك) مثل ذلك الفعل التفضيع (نفعل بالمجرمين) أى سنتنا جارية على ذلك (ويل يومئذ) أى يوم إذ أهلكناهم (للمكذبين) بآيات الله تعالى وأنبياؤه وليس فيه تكرير لما أن الويل الأول لعذاب الآخرة وهذا لعذاب الدنيا (ألم نخلقكم) ٢٠ أى ألم نقدركم (من ماء مهين) أى من نطفة قدرة مهينة (فجعلناه فى قرار مكين) هو الرحم (إلى قدر ٢١، ٢٢ معلوم) إلى مقدار معلوم من الوقت قدره الله تعالى للولادة تسعة أشهر أو أقل منها أو أكثر (فقدرنا) ٢٣ أى فقدرناه وقد قرىء مشدداً أو فقدرنا على ذلك على أن المراد بالقدرة ما يقارن وجود المقدور بالفعل (فنعم القادرون) أى نحن .

٧٧ المرسلات

وَيَلِّ يَوْمِيذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾

٧٧ المرسلات

أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾

٧٧ المرسلات

أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾

٧٧ المرسلات

وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شِمِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾

٧٧ المرسلات

وَيَلِّ يَوْمِيذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾

٧٧ المرسلات

أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾

٧٧ المرسلات

أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾

٢٥، ٢٤ (ويل يومئذ للمكذبين) بقدرتنا على ذلك أو على الإعادة (ألم نجعل الأرض كفاتاً) الكفات اسم ما يكفت أى يضم ويجمع من كفت الشيء إذا ضمه وجمعه كالضمم والجماع لما يضم ويجمع أى ٢٦ ألم نجعلها كفاتاً تكفت (أحياء) كثيرة على ظهرها (وأمواتاً) غير محصورة في بطنها وقيل هو مصدر نعت به للبالغة وقيل جمع كافت كصائم وصيام أو كفت وهو الوعاء أجرى على الأرض باعتبار بقاعها وقيل تنكير أحياء وأمواتاً لأن أحياء الإنس وأمواتهم بعض الأحياء والأموات وقيل انتصابهما ٢٧ على الحالية من محذوف أى كفاتاً تكفتكم أحياء وأمواتاً (وجعلنا فيها رواسي) أى جبالاً ثوابت * (شامخات) طوال الشواهد ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث في غير العقلاء مطرد كداجن ودواجن * وأشهر معلومات وتنكيرها للتفخيم أو للإشعار بأن فيها ما لم يعرف (وأسقينكم ماءً فُرَاتاً) بأن خلقنا ٢٨، ٢٩ فيها أنهاراً ومنابع (ويل يومئذ للمكذبين) بأمثال هذه النعم العظيمة (انطلقوا) أى يقال لهم ٣٠ يومئذ للتوبيخ والتفريع انطلقوا (إلى ما كنتم به تكذبون) في الدنيا من العذاب (انطلقوا) خصوصاً * (إلى ظل) أى ظل دخان جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم وقرىء انطلقوا على لفظ الماضي لإخباراً * بعد الأمر عن عملهم بموجبه لا اضطرارهم إليه طوعاً أو كرهاً (ذى ثلاث شعب) يتشعب لعظمه ثلاث شعب كما هو شأن الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظل العرش قيل خصوصية الثلاث إما لأن حجاب النفس عن أنوار القدس الحس والخيال والوهم أو لأن المؤدى إلى هذا العذاب هو القوة الوهمية الشيطانية الحالة في الدماغ والقوة الغضبية السبعية التي عن يمين القلب والقوة الشهوية البهيمية التي عن يساره ولذلك قيل تقف شعبة فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره .

٧٧ المرسلات

لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾

٧٧ المرسلات

إِنهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾

٧٧ المرسلات

كَأَنَّهُ جُمِلَتْ صُفْرًا ﴿٣٣﴾

٧٧ المرسلات

وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾

٧٧ المرسلات

هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٣٥﴾

٧٧ المرسلات

وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾

٧٧ المرسلات

وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾

٧٧ المرسلات

هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأُولَىٰ ﴿٣٨﴾

- (لا ظليل) تهكم بهم أورد لما أوهمه لفظ الظل (ولا يغني من اللهب) أى غير مغن لهم من حر اللهب ٣١ شيئاً (إنها ترمي بشرر كالقصر) أى كل شررة كالقصر من القصور فى عظمها وقيل هو الخليط من الشجر ٣٢ الواحدة قصرة نحو جمر وجرة وقرىء كالقصر بفتحتين وهى أعناق الإبل أو أعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرىء كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وقرىء كالقصر جمع قصرة (كأنه جملة) قيل هو ٣٣ جمع جبل والتاء لتأنيث الجمع يقال جبل وجمال وجمالة وقيل اسم جمع كالجمارة (صفر) فإن الشرارة لما فيه من النارية يكون أصفر وقيل أسود لأن سواد الإبل يضرب إلى الصفرة والأول تشبيهه فى العظم وهذا فى اللون والكثرة والتتابع والاختلاط والحركة وقرىء جمالات جمع جمالة وقد قرىء بها وهى الحبل العظيم من حبل السفن وقلوس الجسور والتشبيه فى امتداده والتفافه (ويل يومئذ) ٣٤ للمكذبين (هذا يوم لا ينطقون) إشارة إلى دخولهم النار أى هذا يوم لا ينطقون فيه بشيء لما أن ٣٥ السؤال والجواب والحساب قد انقضت قبل ذلك ويوم القيامة طويل له مواطن ومواقيت ينطقون فى وقت دون وقت فعبّر عن كل وقت بيوم أو لا ينطقون بشيء ينفعهم فإن ذلك كلاً نطق وقرىء بنصب اليوم أى هذا الذى فصل واقع يوم لا ينطقون (ولا يؤذن لهم فيعتذرون) عطف على يؤذن منتظم ٣٦ فى سلك النفي أى لا يكون لهم إذن واعتذار متعقب له من غير أن يجعل الاعتذار مسبباً عن الإذن كما لو نصب (ويل يومئذ للمكذبين) (هذا يوم الفصل) بين الحق والباطل والمحق والمبطل (جمعناكم) ٣٧ ٣٨ خطاب لامة محمد عليه الصلاة والسلام (والأولى) من الأمم وهذا تقرير وبيان للفصل .

٧٧ المرسلات

فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا ٣٩

٧٧ المرسلات

وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ٤٠

٧٧ المرسلات

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ ٤١

٧٧ المرسلات

وَقَوْكَ بِمَا يَسْتَهْوُونَ ٤٢

٧٧ المرسلات

كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٤٣

٧٧ المرسلات

إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ٤٤

٧٧ المرسلات

وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ٤٥

٧٧ المرسلات

كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تَجْرِمُونَ ٤٦

٧٧ المرسلات

وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ٤٧

٧٧ المرسلات

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ٤٨

- ٣٩ (فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا) فَإِنْ جَمِيعٌ مِنْ كُنْتُمْ تَقْدُونَهُمْ وَتَقْتَدُونَ بِهِمْ حَاضِرُونَ وَهَذَا تَقْرِيعٌ
 ٤٠ لَّهُمْ عَلَى كَيْدِهِمُ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا وَإِظْهَارٌ لِعِزِّهِمْ (وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) حَيْثُ ظَهَرَ أَنَّ لَاحِظَةَ لَهُمْ
 ٤١ ٤٢ فِي الْخُلَاصِ مِنَ الْعَذَابِ (إِنَّ الْمُتَّقِينَ) مِنَ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ (فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ) (وَفَوَاكِهِمَا)
 ٤٣ يَشْتَهَوْنَ (أَيْ مُسْتَقَرُّونَ فِي فَنُونِ التَّرَفِّهِ وَأَنْوَاعِ التَّشْعَمِ) كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (مُقَدَّرٌ
 بِقَوْلِهِ هُوَ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ الْمُتَّقِينَ فِي الْخَبَرِ أَيْ مَقُولًا لَهُمْ كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَهُ فِي الدُّنْيَا
 ٤٤ مِنْ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ (إِنَّا كَذَلِكَ) الْجِزَاءُ الْعَظِيمُ (نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) أَيْ فِي عِقَائِدِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ لِأَجْزَاءِ
 ٤٥ أَدْنَى مِنْهُ (وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) حَيْثُ نَالَ إِعْدَاؤُهُمْ هَذَا الثَّوَابَ الْجَزِيلَ وَهُمْ يَقْوَا فِي الْعَذَابِ الْخَالِدِ
 ٤٦ الْوَيْلِ (كَلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تَجْرِمُونَ) مُقَدَّرٌ بِقَوْلِهِ هُوَ حَالٌ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ أَيْ الْوَيْلُ ثَابِتٌ لَهُمْ
 مَقُولًا لَهُمْ ذَلِكَ تَذْكِيرٌ لَهُمْ بِحَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَبِمَا جَنُّوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ إِثَارِ الْمَتَاعِ الْفَاسِقِ عَنْ قَرِيبٍ
 عَلَى النَّعِيمِ الْخَالِدِ وَعَلَى ذَلِكَ يَأْجُرُهُمْ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ كُلَّ مُجْرِمٍ مَالَهُ هَذَا وَقِيلَ هُوَ كَلَامٌ مُسْتَأَنَفٌ خَوْطُ بَ
 ٤٧ بِهِ الْمُكَذِّبُونَ فِي الدُّنْيَا بَعْدَ بَيَانِ مَا لِحَالِهِمْ وَقَرَّرَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) لِزِيَادَةِ
 ٤٨ التَّوْبِيخِ وَالتَّقْرِيعِ (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا) أَيْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَارْخَسُوا وَتَوَاضَعُوا لَهُ بِقَبُولِ وَحْيِهِ وَاتِّبَاعِ
 * دِينِهِ وَارْفُضُوا هَذَا الْاِسْتِكْبَارَ وَالتَّخَوُّعَ (لَا يَرْكَعُونَ) لَا يَخْشَعُونَ وَلَا يَقْبَلُونَ ذَلِكَ وَيَصْرُونَ عَلَى مَامٍ

٧٧ المرسلات

وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾

٧٧ المرسلات

فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

عليه من الاستكبار وقيل إذا أمروا بالصلاة أو بالركوع لا يفعلون إذ روى أنه نزل حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيفاً بالصلاة فقالوا لا نجبي فإنها مسبة علينا فقال عليه الصلاة والسلام لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود وقيل هو يوم القيامة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون (ويل يومئذ للمكذبين) وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة (فبأي ٤٩، ٥٠ حديث بعده) أي بعد القرآن الناطق بأحاديث الدارين وأخبار النشأتين على نمط بديع معجز مؤسس على حجج قاطعة وبراهين ساطعة (يؤمنون) إذا لم يؤمنوا به وقرىء تؤمنون على الخطاب . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المرسلات كتب له أنه ليس من المشركين .

٧٨ — سورة النبأ
(مكية وهي أربعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧٨ النبأ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ①

٧٨ النبأ

عَنِ النَّبِإِ الْعَظِيمِ ②

(سورة النبأ مكية وآياتها أربعون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (عم) أصله عما خذف منه الألف إما فرقاً بين ما الاستفهامية وغيرها أو قصداً للخفة لكثرة استعمالها وقد قرئ على الأصل وما فيها من الإبهام للإيدان بفخامة شأن المسؤل عنه وهوله وخروجه عن حدود الأجناس المعهودة أى عن أى شىء عظيم الشأن (يتساءلون) أى أهل مكة وكانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم ويخوضون فيه إنكاراً واستهزاء لكن لا على طريقة التساؤل عن حقيقته ومسماه بل عن وقوعه الذى هو حال من أحواله ووصف من أوصافه فإن ما وإن وضعت لطلب حقائق الأشياء ومسميات أسمائها كما فى قولك ما الملك وما الروح لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم أو طيب وقيل كانوا يسألون عنه الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين استهزاء كقولهم يتداعونهم أى يدعونهم وتحقيقه أن صيغة التفاعل فى الأفعال المتعدية موضوعة لإفادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلاً ومفعولاً معاً لكنه يرفع بإسناد الفعل إليه ترجيحاً لجانب فاعليته وبحال بمفعوليته على دلالة العقل كما فى قولك تراءى القوم أى رأى كل واحد منهم الآخر وقد تجرد عن المعنى الثانى فإراد بها مجرد صدور الفعل عن المتعدد عارياً عن اعتبار وقوعه عليه فيذكر للفعل حينئذ مفعول متعدد كما فى المثال المذكور أو واحد كما فى قولك تراءوا الهلال وقد يحذف لظهوره كما فيما نحن فيه فالمعنى عن أى شىء يسأل هؤلاء القوم الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وربما تجرد عن صدور الفعل عن المتعدد أيضاً فإراد بها تعدده باعتبار تعدد متعلقه مع وحدة الفاعل كما فى قوله تعالى فبأى آلاء ربك تتبارى وقوله تعالى (عن البنا العظيم) بيان لشأن المسؤل عنه إثر تفخيمه بإبهام أمره وتوجيه أذهان السامعين نحوه وتنزيلهم منزلة المستفهمين فإن إرادته على طريقة الاستفهام من علام الغيوب للتنبية على أنه لا تقطاع قرينه وانعدام نظيره خارج عن دائرة علوم الخلق خليف بأن يعنى بمعرفته ويسأل عنه كأنه قيل عن أى شىء يتساءلون هل أخبركم به ثم قيل بطريق الجواب عن النبأ العظيم على منهاج قوله تعالى لمن الملك اليوم
- ٢

٧٨ النبا

الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾

٧٨ النبا

كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾

لله الواحد القهار فمن متعلقة بما يدل عليه المذكور من مضمهر حقه أن يقدر بعدها مسارعة إلى البيان ومراعاة لترتيب السؤال هذا هو التحقيق بالجزالة التنزيلية وقد قيل هي متعلقة بالمذكور وعم متعلق بمضمهر مفسره وأيد ذلك بأنه قرىء عمموا لاظهر أنه مبنى على إجراء الوصل مجرى الوقت وقيل عن الأولى للتعليل كأنه قيل لم يتساملون عن النبا العظيم وقيل قبل عن الثانية استفهام مضمهر كأنه قيل عم يتساملون أعن النبا العظيم والنبأ الخبر الذي له شأن وخطر وقد وصف بقوله تعالى (الذي هم فيه مختلفون) ٣ بعد وصفه بالعظيم تأكيداً لخطره إثراً كيد وإشعاراً بمدار التساؤل عنه وفيه متعلق بمختلفون قدم عليه اهتماماً به ورعاية للفواصل وجعل الصلة جملة اسمية للدلالة على الثبات أى هم راسخون في الاختلاف فيه فن جازم باستحالته يقول إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما نحن بمبعوثين وشاك يقول ما ندرى ما الساعة إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين وقيل منهم من ينكر المعادين معاً كهؤلاء ومنهم من ينكر المعاد الجسماني فقط كجمهور النصارى وقد حمل الاختلاف على الاختلاف في كيفية الإنكار فمنهم من ينكره لإنكاره الصانع المختار ومنهم من ينكره بناء على استحالة إعادة المعدم بعينه وحمله على الاختلاف بالنفي والإثبات بناء على تعميم التساؤل لفريقي المسلمين والكافرين على أن سؤال الأولين ليزدادوا خشية واستعداداً وسؤال الآخرين ليزدادوا كفرأ وعناداً يرده قوله تعالى (كلا سيعلمون) الخ فإنه صريح في أن المراد اختلاف الجاهلين به المنكرين له إذ عليه يدور ٤ الردع والوعيد لأعلى خلاف المؤمنين لهم وتخصيصهما بالكفرة بناء على تخصيص ضمير سيعلمون بهم مع عموم الضميرين السابقين للكل مما ينبغي تنزيه التنزيل عن أمثاله هذا ما أدى إليه جليل النظر والذي يقتضيه التحقيق ويستدعيه النظر الدقيق أن يحمل اختلافهم على مخالفتهم للنبي عليه الصلاة والسلام بأن يعتبر في الاختلاف محض صدور الفعل عن المتعدد حسباً ذكر في التساؤل فإن الاقتعال والتفاعل صيغتان متأخيتان كالاستباق والتسابق والاتصال والتناضل إلى غير ذلك يجري في كل منهما ما يجري في الأخرى لأعلى مخالفة بعضهم لبعض من الجانبين لأن الكل وإن استحق الردع والوعيد لكن استحقاق كل جانب لها ليس لمخالفته للجانب الآخر إذ لاحقية في شيء منهما حتى يستحق من يخالفه المؤاخذه بل لمخالفته له عليه الصلاة والسلام فكلما ردع لهم عن التساؤل والاختلاف بالمعنيين المذكورين وسيعلمون وعيد لهم بطريق الاستئناف وتعليل للردع والسين للتقريب والتأكيد وليس مفعوله ما ينبي عنه المقام من وقوع ما يتساملون عنه ووقوع ما يختلفون فيه كما في قوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت - إلى قوله تعالى - ليبين لهم الذي يختلفون فيه الآية فإن ذلك عار عن صريح الوعيد بل هو عبارة عما يلاقونه من فنون الدواهي والعقوبات والتعبير عن لقائهم بالعلم

٧٨ النبيل

ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلُونَ ﴿٥﴾

٧٨ النبيل

أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾

٧٨ النبيل

وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾

٧٨ النبيل

وَخَلَقْنَاهُ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾

٧٨ النبيل

وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾

٧٨ النبيل

وَجَعَلْنَا أَلِيلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾

لوقوعه في معرض التساؤل والاختلاف والمعنى ليرتدعوا عما هم عليه فإنهم سيعلمون عما قليل حقيقة الحال إذا حل بهم العذاب والنكال وقوله تعالى (ثم كلا سيعلمون) تكرير للردع والوعيد للبالغة في التأكيد والتشديد وثم للدلالة على أن الوعيد الثاني أبلغ وأشد وقيل الأول عند النزول والثاني في القيامة وقيل الأول للبعث والثاني للجزاء وقرئ سيعلمون بالتاء على نهج الالتفات إلى الخطاب الموافق لما بعده من الخطابات تشديداً للردع والوعيد لاهل تقدير قل لهم كما توم فإن فيه من الإخلال بجزالة النظم الكريم مالا يخفى وقوله تعالى (ألم نجعل الأرض مهاداً) (والجبال أوتاداً) الخ استئناف مسوق لتحقيق النبأ المتساءل عنه بتعداد بعض الشواهد الناطقة بحقيقته إثر ما نبه عليها بما ذكر من الردع والوعيد ومن هنا اتضح أن المتساءل عنه هو البعث لا القرآن أو نبوة النبي عليه الصلاة والسلام كما قيل والهمزة للتقرير والالتفات إلى الخطاب على القراءة المشهورة للبالغة في الإلزام والتبكيك والمهاد البساط والفراش وقرئ مهاداً على تشبيهها بمهد الصبي وهو ما يهد له فينوم عليه تسمية للمهدود بالمصدر وجعل الجبال أوتاداً لها إرساؤها بها كما يرسى البيت بالأوتاد (وخلقناكم) عطف على المضارع المنفي بلم داخل في حكمه فإنه في قوة أما جعلنا الخ أو على ما يقتضيه الإنكار التقريرى فإنه في قوة أن يقال قد جعلنا الخ (أزواجاً) أصنافاً ذكراً وأنثى ليسكن كل من الصنفين إلى الآخر وينتظم أمر المعاشرة والمعاشر ويتسنى التناسل (وجعلنا نومكم سباتاً) أى موتاً لأنه أحد التوفيقين لما بينهما من المشاركة التامة في انقطاع أحكام الحياة وعليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل وقوله تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وقيل قطعاً عن الإحساس والحركة لراحة القوى الحيوانية وإزاحة كلاهما والأول هو اللائق بالمقام كما ستعرفه (وجعلنا الليل) الذي فيه يقع النوم غالباً (لباساً) يستركم بظلامه كما يستركم اللباس ولعل المراد به ما يستتر به عند النوم من اللحاف ونحوه فإن شبه الليل به أكمل واعتباره في تحقيق المقصد أدخل فهو جعل الليل محلاً للنوم الذي جعل موتاً كما جعل النهار محلاً لليقظة

٧٨ النبأ

وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾

٧٨ النبأ

وَبَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شَدَادًا ﴿١٢﴾

٧٨ النبأ

وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾

٧٨ النبأ

وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾

- المعبر عنها بالحياة في قوله تعالى (وجعلنا النهار معاشاً) أى وقت حياة تبعثون فيه من نومكم الذى هو ١١
أخو الموت كما في قوله تعالى وهو الذى جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتاً وجعل النهار نشوراً وجعل
كون الليل لباساً عبارة عن ستره عن العيون لمن أراد هرباً من عدو أو يباتأله أو نحو ذلك بما لا مناسبة
له بالمقام وكذا جعل النهار وقت التقلب في تحصيل المعاش والحوايج (وبيننا فوقكم سبعا شداداً) ١٢
أى سبع سموات قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها مر الدهور وكر العصور والتعبير عن خلقها بالبناء
مبنى على تنزيلها منزلة القباب المضروبة على الخلق وتقديم الظرف على المفعول ليس لمراعاة الفواصل
فقط بل للتشويق إليه فإن ما حقه التقديم إذا أخر تبقى النفس مترقبة له فإذا ورد عليها تمكن عندها
فضل تمكن (وجعلنا سراجاً وهَّاجاً) هذا الجعل بمعنى الإنشاء والإبداع كالخلق خلا أنه مختص ١٣
بالإنشاء التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما في الآية الكريمة وللشريع أيضاً كما في
قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الخ وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً وأياً ما كان ففيه إنباء
عن ملاسة مفعوله بشئ آخر بأن يكون فيه أوله أو منه أو نحو ذلك ملاسة مصححة لأن يتوسط
بينهما شئ من الظروف لغواً كان أو مستقراً لكن لإعلى أن يكون عمدة في الكلام بل قيداً فيه كما في
قوله تعالى وجعل بينهما برزخاً وقوله تعالى وجعل فيها رواسي وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك ولياً
الآية فإن كل واحد من هذه الظروف إما متعلق بنفس الجعل أو بمحذوف وقع حالاً من مفعوله
تقدمت عليه لكونه نكرة وأياً ما كان فهو قيد في الكلام حتى إذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون
الجعل متعدياً إلى اثنين هو ثانيهما كما في قوله تعالى يجعلون أصابعهم في آذانهم وربما يشتمه الأمر فيظن
أنه عمدة فيه وهو في الحقيقة قيد بأحد الوجهين كما سلف في قوله تعالى إني جاعل في الأرض خليفة
والوهاب الوفاة المتألى من وهجت النار إذا أضاءت أو البالغ في الحرارة من الوهب والمراد به الشمس
والتعبير عنها بالسراج من روادف التعبير عن خلق السموات بالبناء (وأنزلنا من المعصرات) ١٤ هى
السحاب إذا أعصرت أى شارفت أن تعصرها الرياح فتقطر كما في أحصد الزرع إذا حان له أن يحصد
ومنه أعصرت الجارية إذا دنت أن تحيض أو الرياح التى حان لها أن تعصر السحاب وقرئ بالمعصرات
ووجه ذلك أن الإنزال حيث كان من المعصرات سواء أريد بها السحاب أو الرياح فقد كان بها كما
يقال أعطاه من يده ويده وقد فسر المعصرات بالرياح ذوات الأعاصير ووجه أن الرياح هى التى

٧٨ النبإ

لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾

٧٨ النبإ

وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾

٧٨ النبإ

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾

* تنشئ السحاب وتدر أخلافه فصلحت أن تجعل مبتدأ للإنزال (ماء ثجاجاً) أى منصباً بكثرة يقال
 ثجج الماء أى سال بكثرة وثجه أى أساله ومنه قوله عليه الصلاة والسلام أفضل الحج العجج والتجج أى
 رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى وقرىء ثجاجاً بالحاء بعد الجيم قالوا مثاجح الماء مصابه (لنخرج
 به) بذلك الماء (حباً) يقات كالحنطة والشعير ونحوهما (ونباتاً) يعترف كالتبن والحشيش وتقديم
 الحب مع تأخره عن النبات في الإخراج لأصالته وشرفه لأن غالبه غذاء الإنسان (وجنات) الجنة
 في الأصل هي المرة من مصدر جنة إذا ستره تطلق على النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه
 قال زهير بن أبي سلمى [كأن عيني في غربي مقتلة * من النواضح تسقى جنة سحفاً] وعلى الأرض ذات
 * الشجر قال الفراء الجنة مافية النخيل والفردوس مافية الكرم والأول هو المراد وقوله تعالى (ألفافاً)
 أى ملتفة تداخل بعضها في بعض قالوا لا واحد له كالأوزاع والأخفاف وقيل الواحد لف ككن
 وأكنان أو لفيف كشرى وأشراف وقيل هو جمع لف جمع لفاء كخضر وخضراء وقيل جمع ملتفة
 بخذف الزوائد واعلم أن فيما ذكر من أفعاله عز وجل دلالة على صحة البعث وحقيقته من وجوه ثلاثة
 الأول باعتبار قدرته تعالى فإن من قدر على إنشاء هذه الأفعال البديعة من غير مثال يحتذيه ولا قانون
 ينتحيه كان على الإعادة أقدر وأقوى الثاني باعتبار علمه وحكمته فإن من أبدع هذه المصنوعات على
 نمط رائع مستتبغ لغايات جليلة ومنافع جميلة عائدة إلى الخلق يستحيل أن ينفىها بالكلية ولا يجعل
 لها عاقبة باقية والثالث باعتبار نفس الفعل فإن اليقظة بعد النوم أنموذج للبعث بعد الموت يشاهدونها
 كل يوم وكذا إخراج الحب والنبات من الأرض الميتة يعاينونه كل حين كأنه قيل ألم نفعل هذه
 الأفعال الآفاقية والآنفسية الدالة بفنون الدلالات على حقيقة البعث الموجهة للإيمان به فما لكم تخوضون
 فيه إنكاراً وتساملون عنه استهزاء وقوله تعالى (إن يوم الفصل كان ميقاتاً) شروع في بيان سر تأخير
 ما يتساملون عنه ويستعجلون به قائلين متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ونوع تفصيل لكيفية وقوعه
 وما سيلقونه عند ذلك من فنون العذاب حسبما جرى به الوعد إجمالاً أى إن يوم فصل الله عز وجل
 بين الخلاق كان في علمه وتقديره ميقاتاً وميعاداً لبعث الأولين والآخرين وما يترتب عليه من الجزاء
 ثواباً وعقاباً لا يكاد يتخطاه بالتقدم والتأخر وقيل حدأتوقت به الدنيا وتنتهى عنده أو حداً للخلاق
 يذتهون فيه ولا ريب في أنهما بمعزل من التقريب الذي أشير إليه على أن الدنيا تنتهى عند النفخة الأولى

يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾

٧٨ النبأ

وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾

٧٨ النبأ

- وقوله تعالى (يوم ينفخ في الصور) أى نفخة ثانية بدل من يوم الفصل أو عطف بيان له مفيد لزيادة ١٨ تقخيّمه وتحويله ولاخير في تأخر الفصل عن النفخ فإنه زمان ممتد يقع في مبدئه النفخة وفي بقيته الفصل ومباده وآثاره والصور هو القرن الذي ينفخ فيه لإسرافيل عليه السلام . عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه لإسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص بصره إلى العرش متى يؤمر به فينفخ فيه نفخة لا يبقى عندها في الحياة غير من شاء الله تعالى وذلك قوله تعالى وفتح في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم يؤمر بأخرى فينفخ نفخة لا يبقى معها ميت إلابعث وقام وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون والفاء في قوله تعالى (فتأتون) فصيحة تفصح عن جملة قد * حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وإيداناً بغاية سرعة الإتيان كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانقلب أى فتبعثون من قبوركم فتأتون إلى الموقف عقيب ذلك من غير لبث أصلاً (أفواجا) أى أما * كل أمة مع إمامها كما في قوله تعالى يوم ندعو كل أناس بإمامهم أو زمرأ وجماعات مختلفة الأحوال متباينة الأوضاع حسب اختلاف أعمالهم وتباينها . عن معاذ رضى الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم يا معاذ سألت عن أمر عظيم من الأمور ثم أرسل عينيه وقال تحشر عشرة أصناف من أمّتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عمى وبعضهم صم بكم وبعضهم يعضغون ألسنتهم فهى مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذروهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم أشد تناناً من الجيف وبعضهم يلبسون جباً سابعة من قطران لازقة بجلودهم فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت وأما المنكسون على وجوههم فأكلة الربا وأما العمى فالذين يجورون في الحكم وأما الصم البكم فالمعجبون بأعمالهم وأما الذين يعضغون ألسنتهم فالعلماء الذين خالفت أقوالهم أعمالهم وأما الذين قطعت أيديهم وأرجلهم فهم الذين يؤذون جيرانهم وأما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس إلى السلطان وأما الذين هم أشد تناناً من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله تعالى في أموالهم وأما الذين يلبسون الجباب فأهل الكبر والفخر والخيلاء (وفتحت السماء) عطف على ينفخ وصيغة ١٩ الماضى للدلالة على التحقق وقرىء فتحت بالتشديد وهو الأنسب بقوله تعالى (فكانت أبواباً) أى * كثرت أبوابها المفتحة لنزول الملائكة نزولاً غير معتاد حتى صارت كأنها ليست إلا أبواباً مفتحة

٧٨ النبأ

وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠

٧٨ النبأ

إِنْ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١

٧٨ النبأ

لِلطَّاغِينَ مَعَابًا ۝٢٢

كقوله تعالى ولجونا الأرض عيوناً كأن كلها عيون متفجرة وهو المراد بقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالى هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله أى أمره وبأسه في ظلل من الغمام والملائكة وقيل الأبواب الطرق والمسالك أى تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقاً لا يسدها شيء.

٢٠ (وسيرت الجبال) أى فى الجو على هياتها بعد قلعها من مقارها كما يعرب عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب أى تراها رأى العين ساكنة فى أماكنها والحال أنها تمر مر السحاب الذى يسيره الرياح سيراً حثيثاً وذلك أن الأجرام العظام إذا تحركت نحووا من الانحاء لا تكاد يتبين حركتها وإن كانت فى غاية السرعة لاسيما من بعيد وعليه قول من قال [بارعن مثل الطود تحسب أنهم * وقوف لحاج والركاب تهملج] وقد أدمج فى هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب فى تخلخل الأجزاء وانتفاشها كما ينطق به قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش يسدل الله تعالى الأرض ويغير هياتها ويسير الجبال على تلك الهيئة الهائلة عند حشر الخلائق بعد النفخة الثانية ليشاهدوها ثم يفرقها فى الهواء وذلك قوله تعالى (فكانت سراباً) أى فصارت بعد تسييرها مثل السراب كقوله تعالى وبست الجبال بساً فكانت هباء منبثاً أى غباراً منتشراً وهى وإن اندكت وانصدعت عند النفخة الأولى لكن تسييرها وتسوية الأرض إنما يكونان بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينفسها ربى نسفا فينذرها قاعاً صاففا لا ترى فيها عوجاً ولا أمثاً يومئذ يتبعون الداعى وقوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فإن اتباع الداعى الذى هو إسرائيل عليه السلام وبرزوا الخلق لله تعالى لا يكون إلا بعد النفخة الثانية (إن جهنم كانت مرصداً) شروع فى تفصيل أحكام الفصل الذى أضيف إليه اليوم لإثر بيان هوله ووجه تقديم بيان حال الكفار غنى عن البيان والمرصاد اسم للمكان الذى يرصد فيه كالمضمار الذى هو اسم للمكان الذى يضم فيه الخيل والمنهاج اسم للمكان الذى ينهج فيه أى لأنها كانت فى حكم الله تعالى وقضائه موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبهم فيها (للطاغين) متعلق بمضمر هو إما نعت لمرصداً أى كأننا للطاغين وقوله تعالى (مآباً) بدل منه أى مرجعاً يرجعون إليه لاحالة وإما حال من مآباً قدمت عليه لكونه نكرة ولو تأخرت لكانت صفة له وقد جوز أن يتعلق بنفس مآباً على أنها مرصاد للفريقين مآب للكافرين خاصة ولا يخفى بعده فإن المتبادر من كونها مرصداً لطائفة كونهم معذبين بها وقد قيل إنها مرصاد لأهل الجنة يرصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لأن مجازم عليها وهى مآب للطاغين

٧٨ النبا	لَبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾
٧٨ النبا	لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾
٧٨ النبا	إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾
٧٨ النبا	جَزَاءً وَفَاقًا ﴿٢٦﴾
٧٨ النبا	إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾
٧٨ النبا	وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذَّابًا ﴿٢٨﴾
٧٨ النبا	وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾

وقيل المرصاد صيغة مبالغة من الرصد والمعنى أنها مجدة في ترصد الكفار لئلا يشذ منهم أحد وقرئ
أن بالفتح على تعليل قيام الساعة بأنها مرصاد للطاغين (لابثين فيها) حال مقدرة من المستكن في اللطافين ٢٣
وقرئ لبثين وقوله تعالى (أحقاباً) ظرف للبث أي دهوراً متتابعة كلما مضى حقب تبعه حقب آخر *
إلى غير نهاية فإن الحقب لا يكاد يستعمل إلا حيث يراد تتابع الأزمنة وتواليها فليس فيه ما يدل على
تناهى تلك الأحقاب ولو أريد بالحقب ثمانون سنة أو سبعون ألف سنة وقوله تعالى (لا يذوقون فيها ٢٤
بردًا ولا شراباً) (إلا حمياً وغساقاً) جملة مبتدأة أخبر عنهم بأنهم لا يذوقون فيها شيئاً مامن برد وروح ٢٥
ينفس عنهم حر النار ولا من شراب يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حمياً وغساقاً وقيل البرد
النوم وقرئ غساقاً بالتخفيف وكلاهما ما يسيل من صديدهم (جزاء) أي جوزوا بذلك جزاء (وفاقاً) ٢٦
ذا وفاق لأعمالهم أو نفس الوفاق مبالغة أو وافقها وفاقاً وقرئ وفاقاً على أنه فعال من وفقه كذا أي
لاقه (إنهم كانوا لا يرجون حساباً) تعليل لاستحقاقهم الجزاء المذكور أي كانوا لا يخافون أن يحاسبوا ٢٧
بأعمالهم (وكذبوا بآياتنا) الناطقة بذلك (كذاباً) أي تكذيباً مفرطاً ولذلك كانوا مصرين على ٢٨
الكفر وفنون المعاصي وفعال من باب فعل شائع فيما بين الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو مصدر كذب
قال [فصدقها وكذبتها] والمرء ينفعه كذابه [واتصابه إما بفعله المدلول عليه بكذبوا أي وكذبوا
بآياتنا فكذبوا كذاباً وإما بنفس كذبوا لتضمنه معنى كذبوا فإن كل من يكذب بالحق فهو كاذب
وقرئ كذاباً وهو جمع كاذب فاتصابه على الحالية أي كذبوا بآياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى
الواحد البليغ في الكذب فيجعل صفة لمصدر كذبوا أي تكذيباً كذاباً مفرطاً كذبه (وكل شيء) ٢٩
من الأشياء التي من جملتها أعمالهم واتصابه بمضمر يفسره (أحصيناه) أي حفظناه و ضبطناه وقرئ *

٧٨ النبأ

فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

٧٨ النبأ

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾

٧٨ النبأ

حَدَاتٍ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾

٧٨ النبأ

وَكَوَاعِبَ أُنْرَابًا ﴿٣٣﴾

٧٨ النبأ

وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾

٧٨ النبأ

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾

٧٨ النبأ

جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا ﴿٣٦﴾

* بالرفع على الابتداء (كتابا) مصدر مؤكد لأحصيناه لما أن الإحصاء والكتابة من واد واحد أو
 ٣٠ لفعله المقدر أو حال بمعنى مكتوبا في اللوح أو في صفح الحفظ والجملة اعتراض وقوله تعالى (فذوقوا
 فلن نزيدكم إلا عذابا) مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وفي الالتفات المنبه عن التشديد
 في التهديد ولم يراد لن المفيدة لكون ترك الزيادة من قبيل مالا يدخل تحت الصحة من الدلالة على تبالغ
 الغضب مالا يخفى وقد روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أن هذه الآية أشد ما في القرآن على أهل
 النار (إن للمتقين مفازا) شروع في بيان محاسن أحوال المؤمنين إثر بيان سوء أحوال الكفرة أى
 ٣١ إن للذين يتقون الكفر وسائر قبائح أعمال الكفرة فوزا وظفرا بمباغهم أو موضع فوز وقيل نجاة
 ٣٢ بما فيه أولئك أو موضع نجاة وقوله تعالى (حدائق وأعنايا) أى بساتين فيها أنواع الأشجار المثمرة
 ٣٣ وكووما بدل من مفازا (وكواعب) أى نساء فليكت ثديهن وهن النواهد (أُنْرَابا) أى لدات
 ٣٤ (وكأسا دهاقا) أى مترعة يقال أدهق الحوض أى ملأه (لا يسمعون فيها) أى فى الجنة وقيل فى
 * الكأس (لغوا ولا كذبا) أى لا ينطقون بلغوا ولا يكذب بعضهم بعضا وقرئ كذابا بالتخفيف
 ٣٦ أى لا يكذبه أو لا يكاذبه (جزاء من ربك) مصدر مؤكد منصوب بمعنى إن للمتقين مفازا فإنه فى قوة
 أن يقال جازى المتقين بمفاز جزاء كائنا من ربك والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى
 الكمال شيئا فشيئا مع الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام مزيد تشريف له صلى الله عليه وسلم
 * (عطاء) أى تفضلا وإحسانا منه تعالى إذ لا يجب عليه شيء وهو بدل من جزاء (حسابا) صفة لعطاء
 بمعنى كافيا على أنه مصدر أقيم مقام الوصف أو بولغ فيه من أحسبه الشيء إذا كفاه حتى قال حسبي
 وقيل على حسب أعمالهم وقرئ حسابا بالتشديد على أنه بمعنى المحتسب كالدرّك بمعنى المدرك .

٧٨ النبيا

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾

يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ٧٨ النبيا

- ٣٧ (رب السموات والأرض وما بينهما) بدل من ربك وقوله تعالى (الرحمن) صفة له وقيل صفة للأول وأياً ما كان ففي ذكر ربوبيته تعالى للكل ورحمته الواسعة لإشعار بمدار الجزاء المذكور وقوله تعالى (لا يملكون منه خطاباً) استئناف مقرر لما أفاده الربوبية العامة من غاية العظمة والكبرياء واستقلاله تعالى بما ذكر من الجزاء والعطاء من غير أن يكون لأحد قدرة عليه وقرىء برفعهما فويل على أنهما خبران لمبتدأ مضمرة وقيل الثاني نعت للأول وقيل الأول مبتدأ والثاني خبره ولا يملكون خبر آخر أو هو الخبر والرحمن صفة للأول وقيل لا يملكون حال لازمة وقيل الأول مبتدأ والرحمن مبتدأ ثان ولا يملكون خبره والجملة خبر للأول وحصل الربط بتكرير المبتدأ بمغناه على رأى من يقول به والأوجه أن يكون كلاماً مرفوعاً على المدح أو يكون الثاني نعتاً للأول ولا يملكون استئنافاً على حاله ففيه ما ذكر من الإشعار بمدار الجزاء والعطاء كما في البدلية لما أن المرفوع أو المنصوب مدحاً تابع لما قبله معنى وإن كان منقطعاً عنه إعراباً كما فصل في قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة وقرىء بجر الأول على البدلية ورفع الثاني على الابتداء والخبر ما بعده أو على أنه خبر لمبتدأ مضمرة وما بعده استئناف أو خبر ثان أو حال وضمير لا يملكون لأهل السموات والأرض أى لا يملكون أن يخاطبوه تعالى من تلقاء أنفسهم كما ينبغي عنه لفظ الملك خطاباً ما في شيء ما والمراد في قدرتهم على أن يخاطبوه تعالى بشيء من نقص العذاب أو زيادة الثواب من غير إذنه على أبلغ وجه وآكده وقيل ليس في أيديهم بما يخاطب الله به ويأمر به في أمر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملائكة فيزيدون فيه أو ينقصون منه (يوم يقوم الروح والملائكة صفاً) قيل الروح خلق أعظم من ٣٨ الملائكة وأشرف منهم وأقرب من رب العالمين وقيل هو ملك ما خلق الله عز وجل بعد العرش خلقاً أعظم منه عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه إذا كان يوم القيامة قام هو وحده صفاً والملائكة كلهم صفاً وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الروح جند من جنود الله تعالى ليسوا ملائكة لهم رؤس وأيد وأرجل يأكلون الطعام ثم قرأ يوم يقوم الروح الآية وهذا قول أبي صالح ومجاهد قالوا ما ينزل من السماء ملك إلا ومعه واحد منهم نقله البغوى وقيل هم أشرف الملائكة وقيل هم حفظة على الملائكة وقيل جبريل عليه السلام وصفاً حال أى مصطفين قيل هما صفان الروح صف واحد أو متعدد والملائكة صف وقيل صفوف وهو الأوفق لقوله تعالى والملك صفاً صفاً وقيل يقوم الكل صفاً واحداً ويوم ظرف لقوله تعالى (لا يتكلمون) وقوله تعالى (إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً) بدل من ضمير لا يتكلمون العائد إلى أهل السموات والأرض الذين من جملتهم الروح والملائكة وذكر قيامهم واصطفافهم لتحقيق عظمة سلطانه وكبرياء ربوبيته وتهويل يوم البعث الذى عليه مدار الكلام من

٧٨ النبأ

ذَلِكَ الْيَوْمِ الْحَقِّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَعَابًا ﴿٣٩﴾

إِنَّا أَنْذَرْنَاكَ عَذَابًا قَرِيبًا يُنْظَرُ الْمَرْءَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلْبِثَنِي كُنْتُ

قُرْبًا ﴿٤٠﴾

٧٨ النبأ

مطلع السورة الكريمة إلى مقطعها والجملة استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى لا يملكون الخ ومؤكد له على معنى أن أهل السموات والأرض إذا لم يقدروا يومئذ على أن يتكلموا بشيء من جنس الكلام إلا من أذن الله تعالى له منهم في التكلم وقال ذلك المأذون له قولاً صواباً أى حقاً فكيف يملكون خطاب رب العزة مع كونه من مطلق الكلام وأعز منه مرأماً لأعلى معنى أن الروح والملائكة مع كونهم أفضل الخلائق وأقربهم من الله تعالى إذا لم يقدروا أن يتكلموا بما هو صواب من الشفاعة لمن ارتضى إلا ياذنه فكيف يملكه غيرهم كما قيل فإنه مؤسس على قاعدة الاعتزال فمن سلكه مع تجويزه أن يكون يوم ظرفاً لا يملكون فقد اشتبه عليه الشئون واختلط به الظنون وقيل إلا من أذن الخ منصوب على أصل الاستثناء والمعنى لا يتكلمون إلا في حق شخص أذن له الرحمن وقال ذلك الشخص صواباً أى حقاً هو التوحيد وإظهار الرحمن في موضع الإضمار للإيذان بأن مناط الإذن هو الرحمة البالغة لا أن أحداً يستحقه عليه سبحانه وتعالى (ذلك) إشارة إلى يوم قيامهم على الوجه المذكور وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان بعلو درجته وبعد منزلته في الهول والفخامة ومحلّه الرفع على الابتداء خبره ما بعده أى ذلك اليوم العظيم الذى يقوم فيه الروح والملائكة مصطفىين غير قادرين هم وغيرهم على التكلم من الهيبة والجلال (اليوم الحق) أى الثابت المتحقق لاحتمال من غير صارف يلوّه ولا عاطف يثنيه والفاء في قوله تعالى (فمن شاء اتخذ إلى ربّه مآباً) فصيحة تفصح عن شرط محذوف ومفعول المشبّهة محذوف لوقوعها شرطاً وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة في تعلقه بها حسب القاعدة المستمرة وإلى ربّه متعلق بمآباً قدم عليه اهتماماً به ورعاية للفواصل كأنه قيل وإذا كان الأمر كما ذكر من تحقق اليوم المذكور لاحتمال من شاء أن يتخذ مرجعاً إلى ثواب ربّه الذى ذكر شأنه العظيم فعل ذلك بالإيمان والطاعة وقال قتادة مآباً أى سيلاً وتعلق الجاربه لمافيه من معنى الإفضاء والإيصال كما مر في قوله تعالى من استطاع إليه سيلاً (إنا أنذرناكم) أى بما ذكر في السورة من الآيات الناطقة بالبعث وبما بعده من الدواهي أو بها بسائر القوارع الواردة في القرآن (عذاباً قريباً) هو عذاب الآخرة وقربه لتحقيق إتيانه حتماً ولأنه قريب بالنسبة إليه تعالى وإن رأوه بعيداً وسيرونه قريباً لقوله تعالى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها وعن قتادة هو عقوبة الدنيا لأنه أقرب العذابين وعن مقاتل هو قتل قريش يوم بدر وقوله تعالى (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) فإنه إما بدل من عذاباً أو ظرف لمضمّر هو صفة له أى عذاباً كأننا يوم ينظر المرء أى يشاهد

٧٩ - سورة النازعات

(مكية وهي ست وأربعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧٩ النازعات

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ①

٧٩ النازعات

وَالنَّاسِطَاتِ نَسْطًا ②

٧٩ النازعات

وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ③

٧٩ النازعات

فَالسَّيِّئَاتِ سَبْقًا ④

٧٩ النازعات

فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ⑤

ما قدمه من خير أو شر على أن ما موصولة منصوبة ينتظر والعائد محذوف أو ينظر أى شيء قدمت يدها على أنها استفهامية منصوبة بقدمت وقيل المرء عبارة عن الكافر وما في قوله تعالى (ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً) ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم قيل معنى تمنيه ليتني كنت تراباً في الدنيا فلم أخلق ولم أكلف أو ليتني كنت تراباً في هذا اليوم فلم أبعث وقيل يحشر الله تعالى الحيوان فيقتصر للجهنم من القرناء ثم يرده تراباً فيود الكافر حاله وقيل الكافر إبليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى أن يكون الشيء الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم يتساءلون سقاء الله تعالى برد الشراب يوم القيامة والحمد لله وحده .

(سورة النازعات مكية وآياتها ست وأربعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (والنازعات غرقاً) (والناسطات نشطاً) (والسابحات سبحاً) (٣، ٢، ١) (فالسابحات سبقاً) (فالمدبرات أمراً) لإقسام من الله عز وجل بطوائف الملائكة الذين يزعون ٥، ٤ الأرواح من الأجساد على الإطلاق كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد أو أرواح الكفرة كما قاله على رضى الله عنه وابن مسعود وسعيد بن جبير ومسروق وينشطونها أى يخرجونها من الأجساد من نشط الدلو من البئر إذا أخرجها ويسبحون فى إخراجها سبح الغواص الذى يخرج من البحر ما يخرج فيسبقون بأرواح الكفرة إلى النار وبأرواح المؤمنين إلى الجنة فيدبرون أمر عقابها وثوابها بأن يهبطوها لإدراك ما أعد لها من الآلام واللذات والمغطف مع اتحاد الكل بتزيلي التغاير الذاتى كما فى قوله

٧٩ النزاعات

يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾

٧٩ النزاعات

تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾

[إلى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتاب في المزدحم] للإشعار بأن كل واحد من الأوصاف المعدودة من معظمت الأمور حقيق بأن يكون على حياله مناضاً لاستحقاق موصوفه للإجلال والإعظام بالإقسام به من غير انضمام الأوصاف الآخر إليه والقاء في الأخيرين للدلالة على ترتبهما على ما قبلهما بغير مهلة كما في قوله [يا لهف زبابة * صانح فالغانم فالآنب] وغرقاً مصدر مؤكد بحذف الزوائد أى إغراقاً في النزاع حيث تنزعها من أقاصى الأجساد قال ابن مسعود رضى الله عنه تنزع روح الكافر من جسده من تحت كل شعرة ومن تحت الأظافر وأصول القدمين ثم تغرقها في جسده ثم تنزعها حتى إذا كادت تخرج تردها في جسده فهذا عملها بالكفار وقيل يرى الكافر نفسه في وقت النزاع كأنها تفرق وانتصاب نشطاً وسبحاً وسبقاً أيضاً على المصدرية وأما أمر أففعول للدبرات وتنكيره للتحويل والتفخيم ويجوز أن يراد بالساجحات وما بعدها طوائف من الملائكة يسبحون في مضيهم أى يسرعون فيه فيسبقون إلى ما أمروا به من الأمور الدنيوية والأخروية والمقسم عليه محذوف تعويلاً على إشارة ما قبله من المقسم به إليه ودلالة ما بعده من أحوال القيامة عليه وهو لتبعث فإن الإقسام بمن يتولى نزاع الأرواح ويقوم بتدبير أمورها يلوح بكون المقسم عليه من قبيل تلك الأمور لا محالة وفيه من الجزالة ما لا يخفى وقد جوز أن يكون إقساماً بالنجوم التى تنزع من المشرق إلى المغرب غرقاً في النزاع بأن تقطع الفلك حتى تنحط في أقصى الغرب وتنشط من برج إلى برج أى تخرج من نشط الثور إذا خرج من بلد إلى بلد وتسبح في الفلك فيسبق بعضها بعضاً فتدبر أمرأ نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الأزمنة وتبين مواقيت العبادات وحيث كانت حركاتها من المشرق إلى المغرب قسرية وحركاتها من برج إلى برج ملائمة عبر عن الأولى بالنزع وعن الثانى بالنشط أو بأنفس الغزاة أو أيديهم التى تنزع القسي يا غرق السهام وينشطون بالسهم للرمى ويسبحون في البر والبحر فيسبقون إلى حرب العدو فيدبرون أمرها أو يخيلهم التى تنزع في أعنتها نزاعاً تفرق فيه الأعنة لطول أعناقها لأنها عراب وتخرج من دار الإسلام إلى دار الحرب وتسبح في جريها لتسبق إلى الغاية فتدبر أمر الظفر والغلبة وإسناد التدبير إليها لأنها من أسبابه هذا والذي يليق بشأن التنزيل هو الأول وقوله تعالى (يوم ترجف الراجفة) منصوب بالجواب المضمر والمراد بالراجفة الواقعة التى ترجف عندها الأجرام الساكنة أى تتحرك حركة شديدة وتزلزل زلزلة عظيمة كالأرض والجبال وهى النفخة الأولى وقيل الراجفة الأرض والجبال لقوله تعالى يوم ترجف الأرض والجبال وقوله تعالى (تتبعها الرادفة) أى الواقعة التى تردف الأولى وهى النفخة الثانية تابعة لها لا قبل ذلك فإنه عبارة عن الزمان الممتد الذى يقع فيه النفختان ويدينهما أربعون سنة واعتبار امتداده مع أن البعث لا يكون إلا عند النفخة الثانية لتحويل اليوم ببيان كونه موقفاً

قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾

٧٩ النازعات

أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ﴿٩﴾

٧٩ النازعات

يَقُولُونَ أَءَنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾

٧٩ النازعات

لداهيتين عظيمتين لا يبق عند وقوع الأولى حتى إلامات ولا عند وقوع الثانية ميت إلا بعث وقام ووجه إضافته إلى الأولى ظاهر وقيل يوم ترجف منصوب باذكر فتكون الجملة استئنافاً مقررًا لمضمون الجواب المضمّر كأنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذكر لهم يوم النفختين فإنه وقت بعثهم وقيل هو منصوب بما دل عليه قوله تعالى (قلوب يومئذ واجفة) أى يوم ترجف وجفت القلوب قيل ٨ قلوب مبتدأ ويومئذ متعلق بواجفة وهى صفة قلوب مسوغة لوقوعه مبتدأ وقوله تعالى (أبصارها) ٩ أى أبصار أصحابها (خاشعة) جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبراً للقلوب وقد مر أن حق الصفة أن تكون معلومة الانتساب إلى الموصوف عند السامع حتى قالوا إن الصفات قبل العلم بها أخبار والأخبار بعد العلم بها صفات فحيث كان ثبوت الوجيف للقلوب وثبوت الخشوع لأبصار أصحابها سواء فى المعرفة والجهالة كان جعل الأول عنواناً للموضوع مسلم الثبوت مفروغا عنه وجعل الثانى مخبراً به مقصود الإفادة تحكما بحتا على أن الوجيف الذى هو عبارة عن شدة اضطراب القلب وقلقه من الخوف والوجل أشد من خشوع البصر وأهول لجعل أهون الشرين عمدة وأشدّهما فضلة بما لا عهد له فى الكلام وأيضاً فتخصيص الخشوع بقلوب موصوفة بصفة معينة غير مشعرة بالعموم والشمول تهوين للخطب فى موقع التهويل فالوجه أن يقال تنكير قلوب يقوم مقام الوصف المختص سواء حمل على التنويع كما قيل وإن لم يذكر النوع المقابل فإن المعنى منسحب عليه أو على التكثير كما فى شر أهر ذا ناب فإن التفخيم كما يكون بالكيفية يكون بالكمية أيضاً كأنه قيل قلوب كثيرة يوم إذ يقع النفختان واجفة أى شديدة الاضطراب قال ابن عباس رضى الله عنهما خائفة وجلّة وقال السدى رائلة عن أماكنها كما فى قوله تعالى إذ القلوب لدى الحناجر وقوله تعالى (يقولون أننا لمردودون فى الحافرة) حكاية لما يقوله المنكرون ١٠ للبعث المكذبون بالآيات الناطقة به إثر بيان وقوعه بطريق التوكيد القسمى وذكر مقدماته الهائلة وما يعرض عند وقوعها للقلوب والأبصار أى يقولون إذا قيل لهم إنكم تبعثون منكرين له متعجبين منه أننا لمردودون بعد موتنا فى الحافرة أى فى الحالة الأولى يعنون الحياة من قولهم رجّع فلان فى حافرة أى فى طريقته التى جاء فيها فخمرها أى أثر فيها بمشيه وتسميتها حافرة مع أنها محفورة كقوله تعالى فى عيشة راضية أى منسوبة إلى الخسر والرضا أو كقولهم نهاره صائم على تشبيهه القابل بالفاعل وقرئ فى الحفرة وهى بمعنى المحفورة.

٧٩ النازعات

أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخْرَةً ١١

٧٩ النازعات

قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ١٢

٧٩ النازعات

فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ١٣

٧٩ النازعات

فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ١٤

٧٩ النازعات

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ١٥

- ١١ وقوله تعالى (أئذا كنا عظاماً نخرة) تأكيد لإنكار الرد ونفيه بنسبته إلى حالة منافية له والعامل في إذا مضمحل يدل عليه مردودون أى أئذا كنا عظاماً بالية نرد ونبعث مع كونها أبعد شيء من الحياة وقرئ إذا كنا على الخبر أو إسقاط حرف الإنكار وناخرة من نخر العظم فهو نخر وناخر وهو
- ١٢ البالى الأجوف الذى يمر به الريح فيسمع له نخير (قالوا) حكاية لكفر آخرهم متفرع على كفرهم السابق ولعل توسط قالوا بينهما للإيذان بأن صدور هذا الكفر عنهم ليس بطريق الاطراد والاستمرار مثل كفرهم السابق المستمر صدوره عنهم فى كافة أوقاتهم حسبما ينبى عنه حكايته بصيغة المضارع أى قالوا بطريق الاستهزاء مشيرين إلى ما أنكروه من الردة فى الحافرة مشعرين بغاية بعدها من الوقوع * (تلك إذا كره خاسرة) أى ذات خسران أو خاسرة أصحابها أى إن صحت فنحن إذن خاسرون لتكذيبنا
- ١٣ بها وقوله تعالى (فإنما هى زجرة واحدة) تعليل لمقدر يقتضيه إنكارهم لإحياء العظام النخرة التى عبروا عنها بالسكره فإن مداره لما كان استصعابهم إياها رد عليهم ذلك فقليل لا تستصعبوها فإنما هى صيحة واحدة أى حاصلة بصيحة واحد وهى النفخة الثانية عبر عنها بها تنبيهاً على كمال اتصالها بها كأنها عينها
- ١٤ وقيل هى راجع إلى الرادفة فقولته تعالى (فإذا هم بالساهرة) حيثئذ بيان لترتب الكرة على الزجرة مفاجأة أى فإذا هم أحياء على وجه الأرض بعد ما كانوا أمواتاً فى جوفها وعلى الأول بيان لحضورهم الموقف عقب الكرة التى عبر عنها بالزجرة والساهرة الأرض البيضاء المستوية سميت بذلك لأن السراب يجرى فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفى ضدها نائمة وقيل لأن سالكها لا ينام خوف الهلكة وقيل اسم لجنهم وقال الراغب هى وجه الأرض وقيل هى أرض القيامة وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الساهرة أرض من فضة لم يعص الله تعالى عليها قط خلقها حينئذ وقيل هى أرض يجدها الله عز وجل يوم القيامة وقيل هى اسم الأرض السابعة يأتى بها الله تعالى فيحاسب الخلائق عليها وذلك حين تبدل الأرض غير الأرض وقال الثورى الساهرة أرض الشام وقال وهب بن منبه
- ١٥ جبل بيت المقدس وقيل الساهرة بمعنى الصحراء على شفير جهنم وقوله تعالى (هل أتاك حديث موسى) كلام مستأنف وارد لتسليية رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه بأنه يصيبهم مثل ما أصاب

٧٩ النازعات

إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ⑪

٧٩ النازعات

أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ⑫

٧٩ النازعات

فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَرْكَبْنِي ⑬

٧٩ النازعات

وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ⑭

٧٩ النازعات

فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ⑮

- من كان أقوى منهم وأعظم ومعنى هل أنك إن اعتبر هذا أول ما أتاه عليه الصلاة والسلام من حديثه عليه السلام ترغيب له عليه الصلاة والسلام في استماع حديثه كأنه قيل هل أنك حديثه أنا أخبرك به وإن اعتبر إتيانه قبل هذا وهو المتبادر من الإيجاز في الاقتصار حمله عليه الصلاة والسلام على أن يقر بأمر يعرفه قبل ذلك كأنه قيل أليس قد أنك حديثه وقوله تعالى (إذ ناداه ربه بالواد المقدس) ١٦ ظرف للحديث لا للإتيان لاختلاف وقتيهما (طوى) بضم الطاء غير منون وقرىء منونا وقرىء * بالكسر منونا وغير منون فن نونه أوله بالمكان دون البقعة وقيل هو كثنى مصدر لنادى أو المقدس أى ناداه ندائين أو المقدس مرة بعد أخرى (أذهب إلى فرعون) على إرادة القول وقيل هو تفسير ١٧ للنداء أى ناداه أذهب وقيل هو على حذف أن المفسرة ويدل عليه قراءة عبد الله أن أذهب لأن في النداء معنى القول (إنه طغى) تعليل للأمر أو لوجوب الامتثال به (فقل) بعد ما أتته (هل لك) ١٨ رغبة وتوجه (إلى أن تركبني) بحذف إحدى التاءين من تركبني أى تنطهر من دنس الكفر والطغيان * وقرىء تركبني بالتشديد (وأهديك إلى ربك) وأرشدك إلى معرفته عز وجل فتعرفه (فتخشى) ١٩ إذ الخشية لا تكون إلا بعد معرفته تعالى قال عز وجل إنما يخشى الله من عباده العلماء وجعل الخشية غاية للهداية لأنها ملاك الأمر من خشى الله تعالى أتى منه كل خير ومن أمن اجترأ على كل شر أمر عليه الصلاة والسلام بأن يخاطبه بالاستفهام الذى معناه العرض ليستدعيه بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة من عتوه وهذا ضرب تفصيل لقوله تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى والفاء في قوله تعالى (فأراه الآية الكبرى) فصيحة تفصح عن جمل قد طويت تعويلا على تفصيلها في السور الأخرى فإنه ٢٠ عليه الصلاة والسلام ما أراه إياها عيب هذا الأمر بل بعد ما جرى بينه وبين الله تعالى ما جرى من الاستدعاء والإجابة وغيرهما من المراجعات وبعد ما جرى بينه وبين فرعون ما جرى من المحاورات إلى أن قال إن كنت جئت بأية فأت بها إن كنت من الصادقين والإراءة إما بمعنى التبصير أو التعريف فإن اللعين حين أبصرها عرفها وادعاء سحريتها إنما كان إراءة منه وإظهاراً للتجلد ونسبتها إليه عليه الصلاة والسلام بالنظر إلى الظاهر كما أن نسبتها إلى نون العظمة في قوله تعالى ولقد أريناه آياتنا بالنظر

٧٩ النازعات

فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٢١﴾

٧٩ النازعات

ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى ﴿٢٢﴾

٧٩ النازعات

فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾

٧٩ النازعات

فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾

٧٩ النازعات

فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾

إلى الحقيقة والمراد بالآية الكبرى قلب العصا حية وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما فإنها كانت المقدمة والأصل والآخرى كالتبع لها أوهما جميعاً وهو قول مجاهد فإنهما كالآية الواحدة وقد عبر عنهما بصيغة الجمع حيث قال اذهب أنت وأخوك بآياتى باعتبار ما فى تضاعيفهما من بدائع الأمور التى كل منها آية بينة لقوم يعقلون كما فى سورة طه ولا مسأغ لملها على مجموع معجزاته فإن ماعداهاتين الآيتين من الآيات التسع إنما ظهرت على يده عليه الصلاة والسلام بعد ما غلب السحرة على مهمل فى نحو من عشرين سنة كما مر فى سورة الأعراف ولارىب فى أن هذا مطلع القصة وأمر السحرة مترقب

٢١ بعد (فكذب) بموسى عليه السلام وسمى معجزاته سحراً (وعصى) الله عز وجل بالتمرد بعد ما علم صحة الأمر وجوب الطاعة أشد عصيان وأقبحه حيث اجتراً على إنكار وجود رب العالمين رأساً وكان اللعين وقومه مأمورين بعبادته عز وجل وترك العظيمة التى كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية

٢٢ لا يارسال بنى إسرائيل من الأسر والقسر فقط (ثم أدبر) أى تولى عن الطاعة أو انصرف عن المجلس * (يسعى) أى يجتهد فى معارضة الآية أو أريد ثم أقبل أى أنشأ يسعى فوضع موضعه أدبر تحاشياً عن وصفه بالإقبال وقيل أدبر هارباً من الثعبان فإنه روى أنه عليه الصلاة والسلام لما ألقى العصا انقلبت ثعباناً أشعر فاغراً فاه بين لحييه ثمانون ذراعاً وضع لحيه الأسفل على الأرض والأعلى على سور القصر فتوجه نحو فرعون فهرب وأحدث وانهزم الناس مزدحمون فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً من قومه وقيل لأنها حين انقلبت حية ارتفعت فى السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول ياموسى مرنى بما شئت ويقول فرعون أنشدك بالذى أرسلاك إلا أخذته فأخذه فعاد عصا ويأباه أن

٢٣ ذلك كان قبل الإصرار على التكذيب والعصيان والتصدى للمعارضة كما يعرب عنه قوله تعالى (فحشر) أى جتمع السحرة لقوله فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين وقوله تعالى فتولى فرعون فججمع كيده أى ما يكاد به من السحرة وآلاتهم وقيل جنوده ويجوز أن يراد جميع الناس (فنادى) فى الجمع بنفسه ٢٤، ٢٥ أو بواسطة المنادى (فقال أنا ربكم الأعلى) قيل قام فيهم خطيباً فقال تلك العظيمة (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) النكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم وهو التعذيب الذى ينسلك من

٧٩ النازعات

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴿٢٦﴾

٧٩ النازعات

ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾

٧٩ النازعات

رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا ﴿٢٨﴾

٧٩ النازعات

وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾

رآه أو سمعه ويمنعه من تعاطى ما يفضى إليه ومحله النصب على أنه مصدر مؤكد كوعد الله وصيغة الله كأنه قيل نكل الله به نكال الآخرة والأولى وهو الإحراق في الآخرة والإغراق في الدنيا وقيل مصدر لأخذ أى أخذه الله أخذ نكال الآخرة الخ وقيل مفعول له أى أخذه لأجل نكال الخ وقيل نصب على نزع الخافض أى أخذه بنكال الآخرة والأولى وإضافته إلى الدارين باعتبار وقوع نفس الأخذ فيهما لا باعتبار أن ما فيه من معنى المنع يكون فيهما فإن ذلك لا يتصور في الآخرة بل في الدنيا فإن العقوبة الأخروية تنكل من سمعها وتمنعه من تعاطى ما يؤدى إليها لاحالة وقيل المراد بالآخرة والأولى قوله أنا ربكم الأعلى وقوله ما علمت لكم من إله غيرى قيل كان بين الكلمتين أربعون سنة

- فالإضافة لإضافة المسبب إلى السبب (إن في ذلك) أى فيما ذكر من قصة فرعون وما فعل وما فعل به ٢٦ (لعبرة) عظيمة (لمن يخشى) أى لمن شأنه أن يخشى وهو من من شأنه المعرفة وقوله تعالى (أأنتم أشد خلقاً) خطاب لأهل مكة المنكرين للبعث بناء على صعوبة في زعمهم بطريق التوبيخ والتبسكيت بعد ما بين كمال سهولته بالنسبة إلى قدرة الله تعالى بقوله تعالى فإنما هي زجرة واحدة أى أخلقكم بعد موتكم أشد أى أشق وأصعب في تقديركم (أم السماء) أى أم خلق السماء على عظمها وانظروا على * تعاجيب البدائع التي تحار العقول عن ملاحظة أدناها كقوله تعالى لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس وقوله تعالى أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم وقوله تعالى (بناها) الخ بيان وتفصيل لكيفية خلقها المستفاد من قوله أم السماء وفي عدم ذكر الفاعل فيه وفيها * عطف عليه من الأفعال من التنبيه على تعيينه وتفخيم شأنه عز وجل ما لا يخفى وقوله تعالى (رفع سمكها) ٢٨ بيان للبناء أى جعل مقدار ارتفاعها من الأرض وذهابها إلى سمت العلو مديداً رفيعاً مسيرة خمسمائة عام (فسواها) فعد لها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور أو فتممها بما علم أنها تتم به من الكواكب * والتداوير وغيرها مما لا يعلمه إلا الخلاق العليم من قولهم سوى أسر فلان إذا صلحه (وأغطش ليلها) ٢٩ أى جعله مظلماً يقال غطش الليل وأغطشه الله تعالى كما يقال ظلم وأظلمه وقد مر هذا في قوله تعالى وإذا أظلم عليهم قاموا ويقال أيضاً أغطش الليل كما يقال أظلم (وأخرج ضحاها) أى أبرز نهارها عبر * عنه بالضحى لأنه أشرف أوقاته وأطيبها فكان أحق بالذكر في مقام الامتنان وهو السر في تأخير ذكره عن ذكر الليل وفي التعبير عن إحداثه بالإخراج فإن إضافة النور بعد الظلمة أتم في الإنعام

٧٩ النزاعات

وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾

٧٩ النزاعات

أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾

٧٩ النزاعات

وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾

وأكمل في الإحسان وإضافة الليل والضحى إلى السماء لدوران حدوثهما على حركتهما ويجوز أن تكون إضافة الضحى إليها بواسطة الشمس أى أبرز ضوء شمسها والتعبير عنه بالضحى لأنه وقت قيام سلطانها وكال إشراقها (والأرض بعد ذلك دحاهها) أى بسطها ومهدا لسكنى أهلها وتقليبهم فى أقطارها ٣٠ وانتصاب الأرض بمضمر يفسره دحاهها (أخرج منها ماءها) بأن فجر منها عيوناً وأجرى أنهاراً * (ومراها) أى رعيها وهو فى الأصل موضع الرعى وقيل هو مصدر ميمى بمعنى مفعول وتجريد الجملة عن العاطف إما لأنها بيان وتفسير لدحاهها وتكلمة له فإن السكى لا تتأتى بمجرد البسط والتمهيد بل لا بد من تسوية أمر المعاش من المأكّل والمشرب حتّى وإما لأنها حال من فاعله يا ضمير قد عند الجمهور أو بدونه عند الكوفيين والأخفش كما فى قوله تعالى أو جاءكم حصرت صدورهم (والجبال) منصوب بمضمر يفسره (أرساها) أى أثبتا وأثبت بها الأرض أن تميد بأهلها وهذا تحقيق للحق وتنبية على أن الرسو المنسوب إليها فى مواضع كثيرة من التنزيل بالتعبير عنها بالرواسى ليس من مقتضيات ذواتها بل هو يارسائه عز وجل ولولاه لما ثبتت فى أنفسها فضلاً عن إثباتها للأرض وقرىء والأرض والجبال بالرفع على الابتداء ولعل تقديم إخراج الماء والمرعى ذكرهما مع تقدم الإرساء عليه وجوداً وشدة تعلقه بالدحو لإبراز كمال الاعتناء بأمر المأكّل والمشرب مع ما فيه من دفع توهم رجوع ضميرى الماء والمرعى إلى الجبال وهذا كما ترى يدل بظاهره على تأخر دحو الأرض عن خلق السماء وما فيها كما يروى عن الحسن من أنه تعالى خلق الأرض فى موضع بيت المقدس كهية الفهر عليه دخان ملتزم بها ثم أصدد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر فى موضعها وبسط منها الأرض وذلك قوله تعالى كانتا رقاً ففتقناهما الآية وقد مر فى سورة حم السجدة أن قوله تعالى قل أننكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين - إلى قوله تعالى - ثم استوى إلى السماء وهى دخان الآية إن حمل ما فيه من الخلق وما عطف عليه من الأفعال الثلاثة على معانيها الظاهرة لاعلى تقديرها فهو وما فى سورة البقرة من قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات يدلان على تقدم خلق الأرض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه إطباق أكثر أهل التفسير وقد روى أن العرش كان قبل خلق السموات والأرض على الماء ثم إنه تعالى أحدث فى الماء اضطراباً فأزبد فارتفع منه دخان فأما الزبد فبقى على وجه الماء فخلق منه اليابسة فجعله أرضاً واحدة ثم فتقها فجعلها أرضين وأما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروى أنه تعالى خلق جرم الأرض يوم الأحد ويوم

٧٩ النازعات.

مَتَّعَا لَكُمْ وَلَآتَعَمَّكُمْ ﴿٣٣﴾

٧٩ النازعات

فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى ﴿٣٤﴾

٧٩ النازعات

يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٣٥﴾

الإثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء وخلق السموات وما فيها يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام في آخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة فالأقرب كما قيل تأويل هذه الآية بأن يجعل ذلك إشارة إلى ذكر ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا إلى أنفسها ويحمل بعدي في الذكر كما هو المعهود في السنة العرب والعجم لافي الوجود لما عرفت من أن انتصاب الأرض بمضمر مقدم قد حذف على شريطة التفسير لا بما ذكر بعده ليفيد القصر وتعيين البعدي في الوجود وفائدة تأخير في الذكر إما التنبيه على أنه قاصر في الدلالة على القدرة القاهرة بالنسبة إلى أحوال السماء وإما الإشعار بأنه أدخل في الإلزام لما أن المنافع المنوطة بما في الأرض أكثر وتعلق مصالح الناس بذلك أظهر وإحاطتهم بتفاصيل أحواله أكمل وليس ماروى عن الحسن نصاً في تأخر دحو الأرض عن خلق السماء فإن بسط الأرض معطوف على إصعاد الدخان وخلق السماء بالواو هي بمنزل من الدلالة على الترتيب هذا على تقدير حمل ما ذكر في آيات سورة السجدة من الخلق وما عطف عليه من الأفعال الثلاثة على معانيها الظاهرة وأما إذا حملت على تقديرها فلا دلالة فيها إلا على تقدم تقدير الأرض وما فيها على إيجاد السماء كما لا دلالة على الترتيب أصلاً إذا حملت كلمة ثم فيها وفيما في سورة البقرة على التراخي في الرتبة وقد سلف تفصيل الكلام في السورة المذكورة وقوله تعالى (متاع لكم ولأنعامكم) إما مفعول له أى فعل ذلك تمتعاً لكم ولأنعامكم لأن فائدة ما ذكر من البسط والتمديد وإخراج الماء والمرعى وأصله إليهم وإلى أنعامهم فإن المراد المرعى ما يعى ما يأكله الإنسان وغيره بناء على استعارة الرعى لتناول المأكول على الإطلاق كاستعارة المرسن للأنف وقيل مصدر مؤكداً لفعله المضمر أى متعكم بذلك متاعاً أو مصدر من غير لفظه فإن قوله تعالى أخرج منها ماءها ومرعاها في معنى متع بذلك وقوله تعالى (فإذا جاءت الطامة الكبرى) أى الداهية العظمى التي تطم على سائر الطامات أى تعلوها وتغلبها وهي القيامة أو النفخة الثانية وقيل هي الساعة التي يساق الخلائق إلى محشرهم وقيل التي يساق أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار شروع في بيان أحوال معادهم إثر بيان أحوال معاشهم بقوله تعالى متاع لكم الخ والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها عما قليل كما ينبى منه لفظ المتاع (يوم يتذكر الإنسان ما سعى) قيل هو بدل من إذا جاءت والأظهر أنه منصوب ٣٥ بأعنى كما قيل تفسيراً للطامة الكبرى فإن الإبدال منها بالظرف المحض بما يوهن تعلقها بالجواب ويجوز أن يكون بدلاً من الطامة الكبرى مفتوحاً لإضافته إلى الفعل على رأى الكوفيين أى يتذكر فيه كما

٧٩ النازعات

وَبَرَزَتْ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ٣٦

٧٩ النازعات

فَأَمَّا مَنْ طَغَى ٣٧

٧٩ النازعات

وَأَثَرُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ٣٨

٧٩ النازعات

فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ٣٩

٧٩ النازعات

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ٤٠

٧٩ النازعات

فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ٤١

أحد ما عمله من خير أو شر بأن يشاهده مدوناً في صحيفة أعماله وقد كان نسيه من فرط الغفلة وطول
 ٣٦ الأمد كقوله تعالى أحصاه الله ونسوه ويجوز أن تكون ما مصدرية (وبرزت الجحيم) عطف على
 جاءت أى أظهرت إظهاراً بيناً لا يخفى على أحد (لمن يرى) كائناً من كان يروى أنه يكشف عنها فتسلط
 فيراها كل ذى بصير وقرىء وبرزت بالتخفيف ولمن رأى ولمن ترى على فيه ضمير الجحيم كما في قوله
 تعالى إذا ذارأتهم من مكان بعيد وعلى أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى لم تراه من الكفار
 ٣٧ وقوله تعالى (فأما من طغى) الخ جواب فإذا جاءت على طريقة قوله تعالى فإذا يأتينكم من هدى الآية
 وقيل هو تفصيل للجواب المحذوف تقديره انقسم الراؤون قسمين فأما من الخ والذي تستدعيه غفلة
 النزول ويقتضيه مقام التهويل أن الجواب المحذوف كان من عظام الشؤون ما لم تشاهده العيون كما مر
 ٣٨ في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل أى فأما من عتا وتمرد عن الطاعة وجاوز الحد في العصيان (آثر
 الحياة الدنيا) الفانية التى هى على جناح القوات فانهمك فيما متع به فيها ولم يستعد للحياة الآخورية
 ٣٩ الأبدية بالإيمان والطاعة (فإن الجحيم) التى ذكر شأنها (هى المأوى) أى هى مأواه واللام سادة مسد
 الإضافة للعلم بأن صاحب المأوى هو الطاغى كما في قولك غض الطرف ودخول اللام فى المأوى والطرف
 للتعريف لأنهم معروفان وهى إما ضمير فصل أو مبتدأ قيل نزلت الآية فى الضر وأبيه الحرث المشهورين
 ٤٠ بالغلو فى الكفر والطغيان (وأما من خاف مقام ربه) أى مقامه بين يدي مالك أمره يوم الطامة الكبرى
 * يوم يتذكر الإنسان ماسعى (ونهى النفس عن الهوى) عن الميل إليه بحكم الجبلة البشرية ولم يعتد
 ٤١ بمتاع الحياة الدنيا وزهرتها ولم يغتر بزخارفها وزينتها علماً منه بوخامة عاقبتها (فإن الجنة هى المأوى)
 له لا غيرها وقيل نزلت الآيتان فى أبي عزيز بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب أخاه أبا عزيز
 يوم أحد ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استشهد رضى الله عنه هذا وقد قيل جواب إذا
 ما يدل عليه قوله تعالى يوم يتذكر الخ أى إذا جاءت الطامة الكبرى يتذكر الإنسان ماسعى على طريقة

٧٩ النازعات

يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾

٧٩ النازعات

فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا ﴿٤٣﴾

٧٩ النازعات

إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا ﴿٤٤﴾

٧٩ النازعات

إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَّنْ يَحْشَاهَا ﴿٤٥﴾

قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت وقوله تعالى علمت نفس ما قدمت وأخرت فيكون قوله تعالى وبرزت الجحيم عطفاً عليه وصيغة الماضي للدلالة على التحقق أو حالا من الإنسان يا ضمار قد أو بدونه على اختلاف الرأيين ولمن يرى مغن عن العائد وقوله تعالى فأما من طغى الخ تفصيلاً لحالى الإنسان الذى يتذكر ماسعى وتقسيما له بحسب أعماله إلى القسمين المذكورين (يسألونك عن الساعة أيان مرساها) ٤٢
 متى إرساؤها أى إقامتها يريدون متى يقيمها الله تعالى ويثبتها ويكونها وقيل أيان منتهاها ومستقرها كما أن مرسى السفينة حيث تنتهى إليه وتستقر فيه وقوله تعالى (فيم أنت من ذكرها) إنكار ورد لسؤال ٤٣
 المشركين عنها أى فى أى شىء أنت من تذكر لهم وقتها وتعلمهم به حتى يسألونك بيانها كقوله تعالى يسألونك كأنك حفي عنها أى ما أنت من ذكرها لهم وتبين وقتها فى شىء لأن ذلك فرع عليك به وأنى لك ذلك وهو بما استأثر بعلمه علام الغيوب ومن قال بصدد التعليل فإن ذكرها لا يزيدهم إلا غيماً فقد نأى عن الحق وقيل فيم إنكار لسؤالهم وما بعده من الاستئناف لتعليل للإنكار وبيان لبطلان السؤال أى فيم هذا السؤال ثم ابتدئ فقيل أنت من ذكرها أى إرسالك وأنت خاتم الأنبياء المبعوث فى نسيم الساعة علامة من علاماتها ودليل يدلهم على العلم بوقوعها عن قريب فحسبهم هذه المرتبة من العلم فعنى قوله تعالى (إلى ربك منتهاها) على هذا الوجه إليه تعالى يرجع منتهى علمها أى علمها بكنها وتفصيل ٤٤
 أمرها ووقت وقوعها لا إلى أحد غيره وإنما وظيفتهم أن يعلموا باقترابها ومشارفتها وقد حصل لهم ذلك بمبعثك فما معنى سؤالهم عنها بعد ذلك وأما على الوجه الأول فعناه إليه تعالى انتهاء علمها ليس لأحد منه شىء ما كائناً من كان فلا شىء يسألونك عنها وقوله تعالى (إنما أنت منذر من يحشاها) على الوجه ٤٥
 الأول تقرير لما قبله من قوله تعالى فيم أنت من ذكرها وتحقيق لما هو المراد منه وبيان لوظيفته عليه الصلاة والسلام فى ذلك الشأن فإن إنكار كونه عليه الصلاة والسلام فى شىء من ذكرها إنما يوهم بظاھرہ أن ليس له عليه الصلاة والسلام أن يذكرها بوجه من الوجوه فأزيج ذلك ببيان أن المنقضى عنه عليه الصلاة والسلام ذكرها لهم بتعيين وقتها حسبما كانوا يسألونه عليه الصلاة والسلام عنها فالمعنى إنما أنت منذر من يحشاها وظيفتك الامتثال بما أمرت به من بيان اقترابها وتفصيل ما فيها من فنون الأحوال كما تحيط به خبراً لاتعيين وقتها الذى لم يفوض إليك فما لهم يسألونك عما ليس من وظائفك بيانه وعلى

الوجه الثاني هو تقرير لقوله تعالى أنت من ذكرها بيان أن إرساله عليه الصلاة والسلام وهو خاتم الأنبياء عليهم السلام منذر بمجيء الساعة كما ينطق به قوله عليه الصلاة والسلام بعثت أنا والساعة كهاتين إن كادت لتسبقني وقرىء منذر بالتنوين وهو الأصل والإضافة تخفيف صالح للحال والاستقبال فإذا أريد الماضي تعينت الإضافة وتخصيص الإنذار بمن يخشى مع عموم الدعوة لأنه المنتفع به وقوله تعالى (كانهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) إما تقرير وتأكيد لما ينبيء عنه الإنذار من سرعة مجيء المنذر به لاسيما على الوجه الثاني أي كانهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الإنذار بها إلا عشية يوم واحد أو ضحاها فلما ترك اليوم أضيف ضحاها إلى عشية وإما رد لما أدجوه في سؤالهم فإنهم كانوا يسألون عنها بطريق الاستبطاء مستعجلين بها وإن كان على نهج الاستهزاء بها ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين فالمعنى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الوعيد بها إلا عشية أو ضحاها واعتبار كون اللبث في الدنيا أو في القبور لا يقتضيه المقام وإنما الذي يقتضيه اعتبار كونه بعد الإنذار أو بعد الوعيد تحقيقاً للإنذار ورداً لاستبطائهم والجملة على الأول حال من الموصول فإنه على تقدير الإضافة وعدمها مفعول لمنذر كما أن قوله تعالى كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار حال من ضمير المفعول في يحشرهم أي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث في الدنيا إلا ساعة خلا أن الشبه هناك في الأحوال الظاهرة من الزى والهيئة وفيما نحن فيه في الاعتقاد كأنه قيل تنذرهم مشبهين يوم يرونها في الاعتقاد بمن لم يلبث بعد الإنذار بها إلا تلك المدة اليسيرة وعلى الثاني مستأنفة لا محل لها من الإعراب . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النازعات كان ممن حبسه الله عز وجل في القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة والله أعلم .

٨٠ - سورة عبس
(مكية وهي إثنان وأربعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨٠ عبس

عَبَسَ وَتَوَلَّى ①

٨٠ عبس

أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى ②

٨٠ عبس

وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي ③

(سورة عبس مكية وآياتها إثنان وأربعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (عبس وتولى) (أن جاءه الأعمى) روى أن ابن أم مكتوم واسمه عبد ٢٠١
الله بن شريح بن مالك بن أبي ربيعة الفهري وأم مكتوم اسم أم أبيه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأممية بن
خلف والوليد بن المغيرة يدعهم إلى الإسلام رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم فقال له يا رسول الله أقرئني
وعلمني بما علمك الله تعالى وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله عليه الصلاة والسلام بالقوم فكره رسول
الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يكرمه ويقول إذا رآه مرحباً بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة
مرتين وقرىء عبس بالتشديد للبالغة وأن جاءه علة لتولى أو عبس على اختلاف الرايين أى لأن
جاءه الأعمى والتعرض لعنوان عماء إما لتهديد عذره في الإقدام على قطع كلامه عليه الصلاة والسلام
بالقوم والإيذان باستحقاقه بالرفق والرافة وإما لزيادة الإنكار كأنه قيل تولى لكونه أعمى كما أن
الالتفات في قوله تعالى (وما يدريك) لذلك فإن المشافهة أدخل في تشديد العتاب أى وأى شيء يجعلك ٣
دارياً بحاله حتى تعرض عنه وقوله تعالى (لعله يزكى) استئناف وارد لبيان ما يلوح به ما قبله فإنه مع *
إشعاره بأن له شأنًا منافيًا للإعراض عنه خارجاً عن دراية الغير وإدراكه مؤذن بأنه تعالى يدرية ذلك
أى لعله يتطهر بما يقتبس منك من أوضار الأوزار بالكلية وكلمة لعل مع تحقق التزكى واردة على سنن
الكبرياء أو على اعتبار معنى الترجى بالنسبة إليه عليه الصلاة والسلام للتنبيه على أن الإعراض عنه
عند كونه مرجو التزكى بما لا يجوز فكيف إذا كان مقطوعاً بالتزكى كما في قولك لعلك ستندم على ما فعلت
وفيه إشارة إلى أن من تصدى لتزكيتهم من الكفرة لا يرجى منهم التزكى والتذكر أصلاً .

٨٠ عبس

أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ اللَّهُ كَرِي ٤

٨٠ عبس

أَمَّا مَنْ أَسْتَغْنَى ٥

٨٠ عبس

فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ٦

٨٠ عبس

وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّي ٧

٨٠ عبس

وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ٨

٨٠ عبس

وَهُوَ يَخْشَى ٩

٨٠ عبس

فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَى ١٠

٨٠ عبس

كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ١١

- ٤ وقوله تعالى (أو يذكّر) عطف على يزكى داخل معه في حكم الترجى وقوله تعالى (فتتنفعه الذكرى) بالنصب على جواب لعل وقرىء بالرفع عطفاً على يذكر أى أو يتذكر فتتنفعه موعظتك إن لم يبلغ درجة التزكى التام وقيل الضمير فى لعله للكافر فالمعنى إنك طمعت فى أن يتزكى أو يذكرك فتقربه الذكرى إلى قبول الحق ولذلك توليت عن الأعمى وما يدريك أن ذلك مرجو الوقوع (أما من استغنى) أى عن الإيمان وعمّا عندك من العلوم والمعارف التى ينطوى عليها القرآن (فأنت له تصدى) أى تتصدى وتعرض بالإقبال عليه والاهتمام بإرشاده واستصلاحه وفيه مزيد تنفير له عليه الصلاة والسلام عن مصاحبتهم فإن الإقبال على المدبر ليس من شيم الكبار وقرىء تصدى بإدغام التاء فى الصاد وقرىء تصدى بضم التاء أى تعرض ومعناه يدعوك إلى التصدى له داع من الحرص والتهالك على إسلامه (وما عليك أن لا يزكى) وليس عليك بأس فى أن لا يتزكى بالإسلام حتى تهتم بأمره وتعرض عن أسلم والجملة حال من ضمير تصدى وقيل ما استفهامية للإنكار أى أى شىء عليك فى أن لا يتزكى وما له النفي أيضاً (وأما من جاءك يسعى) أى حال كونه مسرعاً طالباً لما عندك من أحكام الرشد وخصال الخير (وهو يخشى) أى الله تعالى وقيل يخشى أذية الكفار فى إتيانك وقيل يخشى الكبوة إذ لم يكن معه قائد والجملة حال من فاعل يسعى كما أنه حال من فاعل جاءك (فأنت عنه تلهى) تتشاغل يقال لهى عنه وانتهى وتلهى وقرىء تلهى وتلهى أى يلهيك شأن الصناديد وفى تقديم ضميره عليه الصلاة والسلام على الفعلين تنبيه على أن مناط الإنكار خصوصيته عليه الصلاة والسلام أى مثلك خصوصاً لا يذنبى أن يتصدى للمستغنى ويتلهى الفقير الطالب للخير وتقديم له وعنه للتعريض باهتمامه عليه الصلاة والسلام بمضمونهما . روى أنه عليه الصلاة والسلام ما عبس بعد ذلك فى وجه فقير قط ولا تصدى لغنى (كلا)

٨٠ عبس

فَن شَاءَ ذَكَرُهُ ﴿١٢﴾

٨٠ عبس

فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾

٨٠ عبس

مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾

٨٠ عبس

بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾

ردع له عليه الصلاة والسلام عما عوتب عليه من التصدي لمن استغنى عما دعه إليه من الإيمان والطاعة وما يوجههما من القرآن الكريم مبالغاً في الاهتمام بأمره متهاكاً على إسلامه معرضاً بسبب ذلك عن إرشاد من يسترشه وقوله تعالى (إنها تذكرة) أى موعظة يجب أن يتعظ بها ويعمل بموجبها تعليل * للردع عما ذكر ببيان علو رتبة القرآن العظيم الذى استغنى عنه من تصدى عليه الصلاة والسلام له وتحقيق أن شأنه أن يكون موعظة حقيقة بالاعتاظ بها فمن رغب فيها اتعظ بها كما نطق به قوله تعالى (فن شاء ذكره) أى حفظه واتعظ به ومن رغب عنها كما فعل المستغنى فلا حاجة إلى الاهتمام بأمره ١٢ فالضمير ان للقرآن وتأنيث الأول لتأنيث خبره وقيل الأول للسورة أو للآيات السابقة والثاني للتذكرة والتذكير لأنها فى معنى الذكر والوعظ وليس بذلك فإن السورة والآيات وإن كانت متصفة بما سياتى من الصفات الشريفة لكنها ليست مما ألقى على من استغنى عنه واستحق بسبب ذلك ما سياتى من الدعاء عليه والتعجب من كفره المفرط لنزولها بعد الحادثة وأما من جوز رجوعهما إلى العتاب المذكور فقد أخطأ وأساء الأدب وخبط خبطاً يقضى منه العجب فتأمل وكن على الحق المبين وقوله تعالى (فى صحف) ١٣ متعلق بمضمر هو صفة لتذكرة وما بينهما اعتراض جىء به للترغيب فيها والحث على حفظها أى كائنة فى صحف منتسخة من اللوح أو خبر ثان لأن (مكرمة) عند الله عز وجل (مرفوعة) أى فى السماء ١٤ السابعة أو مرفوعة المقدار والذكر (مطهرة) منزهة عن مساس أيدي الشياطين (بأيدي سفرة) أى ١٥ كتيبة من الملائكة ينتسخون الكتب من اللوح على أنه جمع سافر من السفر وهو الكتب وقيل بأيدي رسل من الملائكة يسفرون بالوحي بينه تعالى وبين الأنبياء على أنه جمع سفير من السفارة وحملهم على الأنبياء عليهم السلام بعيد فإن وظيفتهم التلقى من الوحي لا الكتب منه وإرشاد الأمة بالأمر والنهى وتعليم الشرائع والأحكام لا مجرد السفارة إليهم وكذا حملهم على القراءة لقراءتهم الأسفار أو على أصحابه عليه الصلاة والسلام وقد قالوا هذه اللفظة مختصة بالملائكة لا تكاد تطلق على غيرهم وإن جاز الإطلاق بحسب اللغة والباء متعلقة بمطهرة قال القفال لما لم يسمها إلا الملائكة المطهرون أضيف التطهير إليها لطهارة من يسمها وقال القرطبي إن المراد بما فى قوله تعالى لا يمسها إلا المطهرون هؤلاء السفرة الكرام البررة .

٨٠ عبس

كِرَامٍ بَرَرَةٍ ①٦

٨٠ عبس

قَتَلَ الْإِنْسَنُ مَا أَكْفَرَهُ ①٧

٨٠ عبس

مِنْ أَى شَىءٍ خَلَقَهُ ①٨

٨٠ عبس

مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ①٩

٨٠ عبس

ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ ②٠

٨٠ عبس

ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ②١

٨٠ عبس

ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ②٢

٨٠ عبس

كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ②٣

- ١٦ (كرام) عند الله عز وجل أو متعطفين على المؤمنين يكملونهم ويستغفرون لهم (بررة) اتقياء وقيل مطيعين لله تعالى من قولهم فلان يبر خالقه أى يطيعه وقيل صادقين من بر فى يمينه (قتل الإنسان) دعاء عليه بأشنع الدعوات وقوله تعالى (ما أكفره) تعجب من إفراطه فى الكفران وبيان لاستحقاقه للدعاء عليه والمراد به إما من استغنى عن القرآن الكريم الذى ذكرت نعوته الجليلة الموجبة للإقبال عليه والإيمان به وأما الجنس باعتبار انتظامه له ولأمثاله من أفراد لا باعتبار جميع أفراد فيه مع قصر مثله وتقارب قطريه من الأنباء عن سنخ عظيم ومذمة بالغة مالا غاية وراه وقوله تعالى (من أى شىء خلقه) شروع فى بيان إفراطه فى الكفران بتفصيل ما أفاض عليه من مبدأ فطرته إلى منتهى عمره من فنون النعم الموجبة بالشكر والطاعة مع إخلاله بذلك وفى الاستفهام عن مبدأ خلقه ثم بيانه بقوله تعالى (من نطفة خلقه) تحقير له أى من أى شىء حقير مهين خلقه من نطفة مذرة خلقه (فقدره) فيها لما يصلح له ويليق به من الأعضاء والأشكال أو فقدره أطواراً إلى أن تم خلقه وقوله تعالى (ثم السبيل يسره) منصوب بمضمر يفسره الظاهر أى ثم سهل مخرجه من البطن بأن فتح فم الرحم وألهمه أن ينتكس أو يسر له سبيل الخير والشر ومكنه من السلوك فيهما وتعريف السبيل باللام دون الإضافة للإشعار بعمومه (ثم أماته فأقبره) أى جعله ذا قبر يوارى فيه تكريمة له ولم يدعه مطروحاً على وجه الأرض جرزاً للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر الميت إذا دفنه وأقبره إذا أمر بدفنه أو مكن منه وعد الإمامة من النعم لأنها وصلة إلى الحياة الأبدية والنعم المقيم (ثم إذا شاء أنشره) أى إذا شاء إنشاره أنشره على القاعدة المستمرة فى حذف مفعول المشيئة وفى تعليق الإنشار بمشيئته تعالى لإيدان بأن وقته غير متعين بل هو تابع لها وقرىء أنشره (كلا) ردع للإنسان

٨٠ عبس

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ٢٤

٨٠ عبس

أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ٢٥

٨٠ عبس

ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ٢٦

٨٠ عبس

فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ٢٧

- عما هو عليه وقوله تعالى (لما يقض ما أمره) بيان لسبب الردع أى لم يقض بعد من لدن آدم عليه السلام إلى هذه الغاية مع طول المدى وامتداده ما أمره الله تعالى بأسره إذ لا يخلو أحد عن تقصير ما كذا قالوا وهكذا نقل عن مجاهد وقتادة ولا ريب في أن مساق الآيات الكريمة لبيان غاية عظم جناية الإنسان وتحقيق كفرانه المفرط المستوجب للسخط العظيم وظاهر أن ذلك لا يتحقق بهذا القدر من نوع تقصير لا يخلو عنه أحد من أفراده كيف لا وقد قال عليه الصلاة والسلام شيتنى سورة هود لما فيها من قوله تعالى فاستقم كما أمرت فالوجه أن يحمل عدم القضاء على عموم النفي لا على نفي العموم إما على أن المحكوم عليه هو المستغنى أو هو الجنس لكن لا على الإطلاق بل على أن مصداق الحكم بعدم القضاء بعض أفراده وقد أسند إلى الكل كما في قوله تعالى إن الإنسان لظلوم كفار للإشباع في اللوم بحكم المجانسة على طريقة قولهم بنو فلان قتلوا فلانا. والقاتل واحد منهم وإما على أن مصداقه الكل من حيث هو كل بطريق رفع الإيجاب الكلى دون السلب الكلى فالمعنى لما يقض جميع أفراده ما أمره بل أخل به بعضها بالكفر والعصيان مع أن مقتضى ما فصل من فنون النعم الشاملة للكل أن لا يتخلف عنه أحد أصلاً هذا وقد قيل كلا بمعنى حقاً فيتعلق بما بعده أى حقاً لم يعمل بما أمره به (فلينظر الإنسان ٢٤ إلى طعامه) شروع في تعداد النعم المتعلقة ببقائه بعد تفصيل النعم المتعلقة بحدوثه أى فلينظر إلى طعامه الذى عليه يدور أمر معاشه كيف دبرناه وقوله تعالى (أنا صببنا الماء صباً) أى الغيث بدل اشتال من ٢٥ طعامه لأن الماء سبب لحدوث الطعام فهو مشتمل عليه وقرئ أنا على الاستئناف وقرئ أنى بالإمالة أى كيف صببنا إلى آخره أى صببناه صباً عجيباً (ثم شققنا الأرض) أى بالنبات (شقاً) بديعاً لا تقاً ٢٦ بما يشقها من النبات صغيراً وكبيراً وشكلاً وهيئة وحمل شقها على ما بالكرا ب يجعل إسناده إلى نون العظمة من قبيل إسناد الفعل إلى سببه ياباه كلة ثم والفاء في قوله تعالى (فأنبتنا فيها حباً) فإن الشق ٢٧ بالمعنى المذكور لا ترتب بينه وبين الأمطار أصلاً ولا بينه وبين إنبات الحب بلا مهلة وإنما الترتيب بين الأمطار وبين الشق المذكور وبين إنبات الحب بلا مهلة فإن المراد بالنبات ما نبت من الأرض إلى أن يتكامل النمو وينقعد الحب فإن إنشقاق الأرض بالنبات لا يزال يتزايد ويتسع إلى تلك المرتبة على أن مساق النظم الكريم لبيان النعم الفائضة من جنابه تعالى على وجه بديع خارج عن العادات المعهودة كما ينبغي عنه تأكيد الفعلين بالمصدرين فتوسط فعل المنعم عليه في حصول تلك النعم مغل بالمرام

٨٠ عبس

وَعَنْبًا وَقَضْبًا ٢٨

٨٠ عبس

وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ٢٩

٨٠ عبس

وَحَدَاقٍ غُلْبًا ٣٠

٨٠ عبس

وَفَنَكِهَةً وَأَبًا ٣١

٨٠ عبس

مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ٣٢

٨٠ عبس

فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَةُ ٣٣

٨٠ عبس

يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ٣٤

- ٢٨ وقوله تعالى (وعنباً) عطف على حباً وليس من لوازم العطف أن يقيد المعطوف بجميع ما قيد به المعطوف عليه فلا ضير في خلو إنبات العنب عن شق الأرض (وقضباً) أى رطبة سميت بمصدر قضبه أى قطعه
- ٢٩ مبالغة كأنها لتكرر قطعها وتكثرة نفس القطع (وزيتوناً ونخلاً) الكلام فيهما وفي أمثالهما كما في العنب
- ٣٠ (وحداق غلباً) أى عظاماً وصف به الحداق لتكاثرها وكثرة أشجارها أو لأنها ذات أشجار غلاظ
- ٣١ مستعار من وصف الرقاب (وفاكية وأباً) أى مرعى من أبه إذا أمه أى قصده لأنه يؤم وينتجع أو من أب لكذا إذا تهاى له لأنه متهى للرعى أو فاكية يابسة تذب للشواء وعن الصديق رضى الله عنه أنه سئل عن الأب فقال أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى إذا قلت فى كتاب الله ما لا علم لى به وعن عمر رضى الله عنه أنه قرأ هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا فما الأب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدري ما الأب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه (متاعاً لكم ولأنعامكم) إما مفعول له أى فعل ذلك تمتيعاً لكم ولما أوشىكم فإن بعض النعم المعدودة طعام لهم وبعضها علف لدوابهم والالتفات لتكميل الامتنان وإما مصدر مؤكد لفعله المضممر بخذف الزوائد أى متعكم بذلك متاعاً أو لفعل مترتب عليه أى متعكم بذلك فتمتعتم متاعاً أى تمتعاً كما مر غير مرة أو مصدر من غير لفظه فإن ما ذكر من الأفعال الثلاثة فى معنى التمتع (فإذا جاءت الصاخة) شروع فى بيان أحوال معاد ثم إثر بيان مبدأ خلقهم ومعاشهم والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها من فنون النعم عن قريب كما يشعر لفظ المتاع بسرعة زوالها وقرب اضمحلالها والصاخة هى الداهية العظيمة التى يصح لها الخلاق أى يصيخون لها من صرخة حديثه إذا أصاخ له واستمتع وصفت بها النفخة الثانية لأن الناس يصيخون لها وقيل هى الصيحة التى تصح الأذان أى تصمها لشدة وقعها وقيل هى مأخوذة من صرخه بالحجر أى صكه وقوله تعالى (يوم يفر المرء من

٨٠ عبس

وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ③٥

٨٠ عبس

وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ③٦

٨٠ عبس

لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ③٧

٨٠ عبس

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ③٨

٨٠ عبس

ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ③٩

٨٠ عبس

وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ④٠

٨٠ عبس

تَرَهَّقَهَا قَتَرَةٌ ④١

أخيه) (وأمه وأبيه) (وصاحبه وبنيه) إما منصوب بأعنى تفسيراً للصاحبة أو بدل منها مبنى على ٣٦٠٣٥ الفتح بالإضافة إلى الفعل على رأى الكوفيين وقيل بدل من إذا جاءت كما مر في قوله تعالى يوم يتذكر الخ أى يعرض عنهم ولا يصاحبهم ولا يسأل عن حالهم كما فى الدنيا لاشتغاله بحال نفسه وأما تعليل ذلك بعلمه بأنهم لا يغنون عنه شيئاً أو بالخذ من مطالبهم بالتبعات فإياه قوله تعالى (لكل امرئ ٣٧ منهم يومئذ شأن يغنيه) فإنه استئناف وارد لبيان سبب الفرار أى لكل واحد من المذكورين شغل شاغل وخطب هائل يكفيه فى الاهتمام به وأما الفرار حذار من مطالبهم أو بغضاً لهم كما يروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه يفر قاييل من أخيه هائل ويفر النبی صلى الله عليه وسلم من أمه ويفر إبراهيم عليه السلام من أبيه ونوح عليه السلام من ابنه ولوط عليه السلام من امرأته فليس من قبيل هذا الفرار وكذا ما يروى أن الرجل يفر من أصحابه وأقربائه لثلا يروه على ما هو عليه من سوء الحال وقرئ يعنيه بالياء المفتوحة والعين المهملة أى يهمله من عناء الأمر إذا أهمه أى أوقعه فى الهم ومنه من حسن إسلام المرء تركه مالا يعينه لامن عناء إذا قصده كما قيل وقوله تعالى (وجوه يومئذ ٣٨ مسفرة) بيان لما ل أمر المذكورين وانقسامهم إلى السعداء والأشقياء بعد ذكر وقوعهم فى داهية دهياء فوجوه مبتدأ وإن كانت نكرة لكونها فى حيز التنويع ومسفرة خبره ويومئذ متعلق به أى مضية متعلقة من أسفر الصبح إذا أضاء وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن ذلك من قيام الليل وفى الحديث من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما أغبرت فى سبيل الله (ضاحكة مستبشرة) بما تشاهد من النعيم المقيم والبهجة الدائمة (ووجوه ٤٠، ٣٩ يومئذ عليها غبرة) أى غبار وكدورة (ترهقها) أى تعلوها وتغشاها (قتر) أى سواد وظلمة . ٤١

١٥٥ - أبى السعود ج ٩ ،

أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٦﴾

٨١ - سورة التكوير (مكية وهي تسع وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨١ التكوير

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾

٨١- التكوير

وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿٢﴾

٨١ التكوير

وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾

٤٦ (أولئك) إشارة إلى أصحاب تلك الوجوه وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد درجاتهم في سوء الحال . أى أولئك الموصوفون بسواد الوجوه وغيره (هم الكفرة الفجرة) الجامعون بين الكفر والفجور فلذلك جمع الله تعالى إلى سواد وجوههم الفجرة . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة وجهه ضاحك مستبشر .

(سورة التكوير مكية وآياتها تسع وعشرون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (إذا الشمس كورت) أى لفت من كورت العمامة إذا لففتها على أن المراد بذلك إما رفعها وإزالتها من مقرها فإن الثوب إذا أريد رفعه يلف لفاً ويطوى ونحوه قوله تعالى يوم نطوى السماء وأمانف صونها المنبسط في الآفاق المنتشر في الأقطار على أنه عبارة عن إزالتها والذهاب بها بحكم استلزام زوال اللازم لزوال الملزوم أو ألقيت عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار من طعنه فكوره إذا ألقاه على الأرض وعن أبي صالح كورت نكست وعن ابن عباس رضى الله عنهما تكويرها إدخالها في العرش ومدار التركيب على الإدارة والجمع وارتفاع الشمس على أنه فاعل لفعل تكويرها
- ٢ مضمرة يفسره المذكور وعند البعض على الابتداء (وإذا النجوم انكدرت) أى انقضت وقيل تناثرت وتساقطت . روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه لا يبقى يومئذ نجم إلا سقط في الأرض وعنه رضى الله عنه أن النجوم قناديل معلقة بين السماء والأرض بسلاسل من نور بأينى ملائكة من نور فإذا مات من في السموات ومن في الأرض تساقطت من أيديهم وقيل انكدارها انطلاس نورها ويروى أن الشمس والنجوم تطرح في جهنم ليرأها من عبدها كما قال إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم (وإذا الجبال سيرت) أى عن أماكنها بالرجفة الحاصلة لافى الجو فإن ذلك بعد النفخة الثانية

٨١ التكويد

وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾

٨١ التكويد

وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾

٨١ التكويد

وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾

٨١ التكويد

وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾

٨١ التكويد

وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾

٨١ التكويد

بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾

- (وإذا العشار) جمع عشاء وهي الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر وهو اسمها إلى أن تضع تمام السنة وهي أنفس ما يكون عند أهلها وأعزها عليهم (عطلت) تركت مهمة لاشتغال أهلها بأنفسهم * وقيل العشار السحاب فإن العرب تشبهها بالحامل ومنه قوله تعالى فالحاملات وقرأو تعطيلها عدم أمطارها وقرى عطلت بالتخفيف (وإذا الوحوش حشرت) أي جمعت من كل جانب وقيل بعثت للقصاص ٥ قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص فإذا قضى دينها ردت تراباً فلا يبقى منها إلا ما فيه سرور لبي آدم وإعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وقرى حشرت بالتشديد (وإذا البحار سجرت) أي أحميت ٦ أو ملئت بتفجير بعضها إلى بعض حتى تعود بجرأ واحداً من سجر التنور إذا ملأه بالخطب ليحمله وقيل ملئت نيراناً تضطرم لتعذيب أهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها حتى لا يبقى فيها قطرة وقرى سجرت بالتخفيف (وإذا النفوس زوجت) أي قرنت بأجسادها أو قرنت كل نفس بشكها أو بكتباها ٧ أو بعملها أو نفوس المؤمنين بالخور ونفوس الكافرين بالشياطين (وإذا الموءدة) أي المدفونة حية ٨ وكانت العرب تد البنات مخافة الإملاق أو لحوق العار بهن من أجلهن قيل كان الرجل منهم إذا ولدت له بنت ألبسها جبة من صوف أو شعر حتى إذا بلغت ست سنين ذهب بها إلى الصحراء وقد حفر لها حفرة فيلقها فيها ويهيل عليها التراب وقيل كانت الحامل إذا قربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فإذا ولدت بنتاً رمت بها وإن ولدت ابناً حبسته (سئلت) (بأي ذنب قتلت) توجيه ٩ السؤال إليها لتسليتها وإظهار كمال الغيظ والسخط لو أئدها وإسقاطه عن درجة الخطاب والمبالغة في تبكيته كما في قوله تعالى أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين وقرى سألت أي خاصمت أو سألت الله تعالى أو قاتلها وإنما قيل قتلت لما أن الكلام أخبار عنها لاحتكاكية لما خوطبت به حين سئلت ليقال قتلت على الخطاب ولاحتكاكية لكلامها حين سألت ليقال قتلت على الاحتكاكية عن نفسها وقد قرى كذلك وبالتشديد أيضاً وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سئل عن أطفال المشركين فقال لا يعذبون

٨١ التكوير

وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾

٨١ التكوير

وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾

٨١ التكوير

وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ﴿١٢﴾

٨١ التكوير

وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾

٨١ التكوير

عَلَيْتَ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرْتَ ﴿١٤﴾

- ١٠ واحتج بهذه الآية (وإذا الصحف نشرت) أى صحف الأعمال فإنها تطوى عند الموت وتشر عند الحساب . عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يحشر الناس عراة حفاة فقالت أم سلمة فكيف بالنساء فقال شغل الناس يا أم سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مئاقيل الذرو ومئاقيل الخردل وقيل نشرت أى فرقت بين أصحابها وعن مرثد بن وداعة إذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم أى مكتوب فيها ذلك وهى صحف غير صحف الأعمال (وإذا السماء كُشِطَتْ) قطعت وأزيلت كما يكشط الإهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشيء المستور به وقرىء كُشِطَتْ واعتقاب الكاف والقاف غير عزيز كالكافور
- ١٢ والقافور (وإذا الجحيم سُعِرَتْ) أى أوقدت لإيقاداً شديداً قيل سعرها غضب الله عز وجل وخطايا
- ١٣ بنى آدم وقرىء سُعِرَتْ بالتخفيف (وإذا الجنة أُزْلِفَتْ) أى قربت من المتقين كقوله تعالى وأُزْلِفَتْ الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها في الدنيا أى فيما بين النفختين وهن من أول السورة إلى قوله تعالى وإذا البحار سجرت على أن المراد بحشر الوحوش جمعها من كل ناحية
- ١٤ لا يبعثها للقصاص وست في الآخرة أى بعد النفخة الثانية وقوله تعالى (علئت نفس ما أحضرت) جواب إذا على أن المراد بها زمان واحد ممتد يسع ما في سباقها وسباق ما عطف عليها من الحاصل مبدؤه النفخة الأولى ومنتهاه فصل القضاء بين الخلائق لكن لا بمعنى أنها تعلم ما تعلم في كل جزء من أجزاء ذلك الوقت المديد أو عند وقوع داهية من تلك الدواهي بل عند نشر الصحف إلا أنه لما كان بعض تلك الدواهي من مبادئه وبعضها من روافده نسب عليها بذلك إلى زمان وقوع كلها تهويلاً للخطب وتفظيماً للحال والمراد بما أحضرت أعمالها من الخير والشر وبحضورها إما حضور صحائفها كما يعرب عنه نشرها وإما حضور أنفسها على ما قالوا من أن الأعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح على كيفية مخصوصة وهيات معينة حتى إن الذنوب والمعاصي تتجسم هناك وتتصور بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله تعالى وإن جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وكذا قوله

فَلَا أَقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ﴿١٥﴾

٨١ التكوير

عليه الصلاة والسلام في حق من يشرب من آنية الذهب والفضة إنما يجر جر في بطنه نار جهنم ولا بعد في ذلك ألا يرى أن العلم يظهر في عالم المثال على صورة اللب كما لا يخفى على من له خبرة بأحوال الحضرات الخمس وقدروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه يؤتى بالأعمال الصالحة على صورة حسنة وبالأعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان وأياً ما كان فإسناد إحضارها إلى النفس مع أنها تحضر بأمر الله تعالى كما ينطق به قوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً الآية لأنها لما عملتها في الدنيا فكانت أحضرتها في الموقف ومعنى عليها بها حيثشفت أنها تشاهدها على ما هي عليه في الحقيقة فإن كانت صالحة تشاهدها على صور أحسن مما كانت تشاهدها عليه في الدنيا لأن الطاعات لا تخلو فيها عن نوع مشقة وإن كانت سيئة تشاهدها على خلاف ما كانت تشاهدها عليه ههنا لأنها كانت مريئة لها موافقة لهواها وتنكير النفس المفيد لثبوت العلم المذكور لفرد من النفوس أو لبعض منها للإيذان بأن ثبوته لجميع أفرادها قاطبة من الظهور والوضوح بحيث لا يكاد يحوم حوله شائبة اشتباه قطعاً يعرفه كل أحد ولو جيء بعبارة تدل على خلافه وللرمز إلى أن تلك النفوس العاملة بما ذكر مع توفر أفرادها وتكثر أعدادها بما يستقل بالنسبة إلى جناب الكبرياء الذى أشير إلى بعض بدائع شؤنه المنبئة عن عظم سلطانه وأما ما قيل من أن هذا من قبيل عكس كلامهم الذى يقصدون به الإفراط فيما يعكس عنه وتمثله بقوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وبقول من قال [قد أترك القرن مصفراً أنامله] وبقول من قال حين سئل عن عدد فرسانه رب فارس عندي وعنده المقاب قاصداً بذلك التماضى في تكثير فرسانه وإظهار براءته من التزيد وأنه بمن يقلل كثير ما عنده فضلاً أن يتزيد فن لو انح النظر الجليل إلا أن الكلام المعكوس عنه فيما ذكر من الأمثلة بما يقبل الإفراط والتماضى فيه فإنه في الأول كثيراً ما يود وفي الثانى كثيراً ما أترك وفي الثالث كثير من الفرسان وكل واحد من ذلك قابل للإفراط والمبالغة فيه لعدم انحصار مراتب الكثرة وقد قصد بعكسه ما ذكر من التماضى في التكثير حسبما فصل أما فيما نحن فيه فالكلام الذى عكس عنه علمت كل نفس ما أحضرت كما صرح به القائل وليس فيه إمكان التكثير حتى يقصد بعكسه المبالغة والتماضى فيه وإنما الذى يمكن فيه من المبالغة ما ذكرناه فتأمل ويجوز أن يكون ذلك للإشعار بأنه إذا علمت حيثشفت نفس من النفوس ما أحضرت وجب على كل نفس إصلاح عملها مخافة أن تكون هي تلك التي علمت ما أحضرت فكيف وكل نفس تعلم على طريقة قولك لمن تنصحه لعلك ستندم على ما فعلت وربما ندم الإنسان على ما فعل فإنك لا تقصد بذلك أن ندمه مرجو الوجود لا متيقن به أو نادر الوقوع بل تريد أن العاقل يجب عليه أن يجتنب أمراً يرجى فيه الندم أو قلما يقع فيه فكيف به إذا كان قطعى الوجود كثير الوجود (فلا أقسم بالخنس) ١٥ أى الكواكب الرواجع من خنس إذا تأخر وهي ماعداء النيرين من الدراوى الخمسة وهي بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري وصفت بقوله تعالى :

٨١ التكوير	الْجَوَارِ الْكُنُسِ ①٦
٨١ التكوير	وَالْبَلِّ إِذَا عَسَّسَ ①٧
٨١ التكوير	وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ①٨
٨١ التكوير	إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ①٩
٨١ التكوير	ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ②٠
٨١ التكوير	مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ②١
٨١ التكوير	وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ②٢

- ١٦ (الجوار الكنس) لأنها تجرى مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس نخوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوءها من كنس الوحش إذا دخل كناسه وهو البيت الذي يتخذ من أغصان الشجر وقيل هي جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل
- ١٧ أي تطلع في أماكنها كالوحش في كنسها (والليل إذا عسس) أي أدبر ظلامه أو أقبل فإنه من الأضداد وكذلك سجع قال القراء أجمع المفسرون على أن معنى عسس أدبر وعليه قول العجاج [حتى إذا الصبح لها تنفسا * وانجاب عنها ليلها وعسسا] وقيل هي لغة قريش خاصة وقيل معنى إقبال ظلامه
- ١٨ أوفق لقوله تعالى (والصبح إذا تنفس) لأنه أول النهار وقيل إداره أقرب من تنفس الصبح ومعناه
- ١٩ أن الصبح إذا أقبل يقبل بإقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفساً له مجازاً فقليل تنفس الصبح (لأنه) أي القرآن الكريم الناطق بما ذكر من الدواهي الهائلة (لقول رسول كريم) هو جبريل عليه السلام قاله
- ٢٠ من جهة الله عز وجل (ذى قوة) شديدة كقوله تعالى شديد القوى وقيل المراد القوة في أداء طاعة
- * الله تعالى وترك الإخلال بها من أول الخلق إلى آخر زمان التكليف (عند ذى العرش مكين) ذى مكانة
- ٢١ رفيعة عند الله تعالى عندي إكرام وتشريف لا عندي مكان (مطاع) فيما بين ملائكته المقربين يصدر عن أمره ويرجعون إلى رأيه (ثم أمين) على الوحي وثم ظرف لما قبله وقيل لما بعده وقرئ ثم
- ٢٢ تعظيماً لوصف الأمانة وتفضيلاً لها على سائر الأوصاف (وما صاحبكم) هو رسول الله صلى الله عليه وسلم (بمجنون) كما تهته الكفرة والتعرض لعنوان المصاحبة للتلويح بإحاطتهم بتفاصيل أحواله عليه الصلاة والسلام خبراً وعليهم بنزاهته عليه السلام عما نسبوه إليه بالسكينة وقد استدل به على فضل جبريل عليه عليهما السلام للتباين البين وبين وصفيهما وهو ضعيف إذ المقصود رد قول الكفرة في حقه عليه الصلاة والسلام إنما يعلمه بشر أقرى على الله كذباً أم به جنة لا تعداد فضائلهما والموازنة

٨١ التكويد	وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ ٢٣
٨١ التكويد	وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ٢٤
٨١ التكويد	وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ٢٥
٨١ التكويد	فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ٢٦
٨١ التكويد	إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ٢٧
٨١ التكويد	لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ٢٨
٨١ التكويد	وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٢٩

(ولقد رآه) أى وبالله لقد رأى رسول الله جبريل عليهما الصلاة والسلام (بالافق المبين) بمطلع
الشمس الأعلى (وما هو) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم (على الغيب) على ما يخبره من الوحي إليه
٢٤ وغيره من الغيوب (بضنين) أى بيبخل لا يبخل بالوحي ولا يقصر فى التبليغ والتعليم وقرىء بظنين *
أى بمتهم من الفلن وهى التهمة (وما هو بقول شيطان رعيم) أى قول بعض المستترقة للسمع وهونفى ٢٥
لقولهم إنه كهانة وسحر (فأين تذهبون) استضلال لهم فيما يسلكونه فى أمر القرآن والقاء لترتيب ٢٦
ما بعدها على ما قبلها من ظهور أنه وحي مبين وليس بما يقولون فى شيء كما تقول لمن ترك الجادة بعد ظهورها
هذا الطريق الواضح فأين تذهب (إن هو) ما هو (إلا ذكر للعالمين) موعظة وتذكير لهم وقوله تعالى ٢٧
(لمن شاء منكم) بدل من العالمين بإعادة الجار وقوله تعالى (أن يستقيم) مفعول شاء أى لمن شاء منكم ٢٨
الاستقامة بتحرى الحق وملازمة الصواب وإبداله من العالمين لأنهم المتفعون بالتذكير (وما تشاؤون) ٢٩
أى الاستقامة مشيئة مستتعة لها فى وقت من الأوقات (إلا أن يشاء الله) أى إلا وقت أن يشاء الله *
تعالى تلك المشيئة أى المستتعة للاستقامة فإن مشيئكم لا تستبها بدون مشيئة الله تعالى لها (رب العالمين) *
مالك الخلق ومريهم أجمعين . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التكويد أعاده الله
أن يفضحه حين تنشر صحيفته .

٨٢—سورة الانفطار

(مكية وهى تسعة عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨٢ الانفطار

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ①

٨٢ الانفطار

وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ②

٨٢ الانفطار

وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ③

٨٢ الانفطار

وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ④

٨٢ الانفطار

عَلَيْتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ⑤

(سورة الانفطار مكية وآياتها تسعة عشر)

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (إذا السماء انفطرت) أى انشقت لنزول الملائكة كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً وقوله تعالى وفتحت السماء فكانت أبواباً والكلام فى ارتفاع السماء كما مر فى ارتفاع الشمس (وإذا الكواكب انتثرت) أى تساقطت متفرقة (وإذا البحار فجرت) فتح بعضها إلى بعض فاختلط العذب بالأجاج وزال ما بينهما من البرزخ الحاجز وصارت البحار ببحراً واحداً وروى أن الأرض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن رضى الله عنه وقيل إن مياه البحار الآن راكدة مجتمعة فإذا فجرت تفرقت وذهبت وقرىء فجرت بالتخفيف مبنياً للفعول ومبنياً للفاعل أيضاً بمعنى بغت من الفجور نظراً إلى قوله تعالى لا يغيان (وإذا القبور بعثرت) أى قلب ترابها وأخرج موتاهها ونظيره ببحر لفظاً ومعنى وهما مركبان من البعث والبعث مع راء ضمت إليهما وقوله تعالى (عليت نفس ما قدمت وأخرت) جواب إذا لكن لاعلى أنها تعلبه عند البعث بل عند نشر الصحف لما عرفت من أن المراد بها زمان واحد مبدؤه النفخة الأولى ومنتهاه الفصل بين الخلائق لا أزمته متعددة حسب تعدد كلمة إذا وإنما كررت لتحويل ما فى حيزها من الدواهي والكلام فيه كالذى مر تفصيله فى نظيره ومعنى ما قدم وأخر ما أسلف من عمل خير أو شر وآخر من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها بعده قاله ابن عباس وابن مسعود وعن ابن عباس أيضاً ما قدم من مصيبة وآخر من طاعة وهو قول قتادة وقيل ما قدم من أمواله لنفسه وما أخر لورثته وقيل ما قدم من فرض وآخر من فرض وقيل أول عمله وآخره ومعنى عليها التفصيل حسبما ذكر فيما مر مراراً .

٨٢ الانفطار

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾

٨٢ الانفطار

الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾

٨٢ الانفطار

فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾

٨٢ الانفطار

كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾

٨٢ الانفطار

وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾

- (يا أيها الإنسان ما غرك ربك الكريم) أى أى شيء خدعك وجراك على عصيانك وقد علمت ما بين يديك من الدواهي التامة والعراقل الطامة وما سيكون حينئذ من مشاهدة أعمالك كلها والتعرض لعنوان كرمه تعالى للإيدان بأنه ليس مما يصلح أن يكون مداراً لاغتراره حسباً يغويه الشيطان ويقول له افعل ماشئت فإن ربك كريم قد تفضل عليك في الدنيا وسيفعل مثله في الآخرة فإنه قياس عقيم وتمنية باطلة بل هو مما يوجب المبالغة في الإقبال على الإيمان والطاعة والاجتناب عن الكفر والعصيان كأنه قيل ما حملك على عصيان ربك الموصوف بالصفات الزاجرة عنه الداعية إلى خلافه وقوله تعالى (الذي خلقك فسواك فعدلك) صفة ثانية مقررة للرؤية مبينة للكرم منبهة على أن من قدر على ذلك بدءاً قدر عليه إعادة والتسوية جعل الأعضاء سليمة سوية معدة لمنافعها وعدلها عدل بعضها ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت أو صرفها عن خلقة غير ملائمة لها وقرئ فعدلك بالتشديد أى صيرك متعدلاً متناسب الخلق من غير تفاوت فيه (فى أى صورة ماشاء ركبك) أى ركبك فى أى صورة شاءها من الصور المختلفة وما مزيدة وشاء صفة لصورة أى ركبك فى أى صورة شاءها واختارها لك من الصور العجيبة الحسنة كقوله تعالى لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم وإنما لم يعطف الجملة على ما قبلها لأنها بيان لعدلك (كلا) ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى وجعله ذريعة إلى الكفر والمعاصى مع كونه موجبا للشكر والطاعة وقوله تعالى (بل تكذبون بالدين) إضراب عن جملة مقدرة ينساق إليها الكلام * كأنه قيل بعد الردع بطريق الاعتراض وأتم لا تردعون عن ذلك بل تجترون على أعظم من ذلك حيث تكذبون بالجزاء والبعث رأساً أو بدين الإسلام الذى همامن جملة أحكامه فلا تصدقون سؤالاً ولا جواباً ولا ثواباً ولا عقاباً وقيل كأنه قيل إنكم لا تستقيمون على ما توجه نعمى عليكم وإرشادى لكم بل تكذبون الخ وقال القفال ليس الأمر كما تقولون من أنه لا بعث ولا نشور ثم قيل أتم لا يتبينون بهذا البيان بل تكذبون بיום الدين وقوله تعالى (وإن عليكم لحافظين) حال من فاعل تكذبون مفيدة ١٠ لبطان تكذبهم وتحقق ما يكذبون به أى تكذبون بالجزاء والحال أن عليكم من قبلنا لحافظين لأعمالكم .

٨٢ الانقطاع

كِرَامًا كَنِينِينَ ﴿١١﴾

٨٢ الانقطاع

يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾

٨٢ الانقطاع

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾

٨٢ الانقطاع

وَأِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾

٨٢ الانقطاع

يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾

٨٢ الانقطاع

وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾

٨٢ الانقطاع

وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾

٨٢ الانقطاع

ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾

١٢، ١١ (كراماً) لدينا (كاتبين) لها (يعلمون ما تفعلون) من الأفعال قليلاً وكثيراً ويضبطونه تقريراً وقطعيراً لتجاوزوا بذلك وفي تعظيم الكاتبين بالشأن عليهم تفخيم لأمر الجزاء وأنه عند الله عز وجل ١٤، ١٣ من جلائل الأمور حيث يستعمل فيه هؤلاء الكرام وقوله تعالى (إن الأبرار لفي نعيم) (وإن الفجار لفي جحيم) استئناف مسوق لبيان نتيجة الحفظ والكتاب من الثواب والعقاب وفي تنكير النعيم والجحيم من التفخيم والتهويل مالا يخفى وقوله تعالى (يصلونها) إما صفة للجحيم أو استئناف مبني على سؤال نشأ من تهويلها كأنه قيل ما حالهم فيها فقيل يقاسون حرها (يوم الدين) يوم الجزاء ١٦ الذي كانوا يكذبون به (وما هم عنها بغائبين) طرفة عين فإن المراد دوام نفي الغيبة لانتفي دوام الغيبة لما مراراً من أن الجملة الاسمية المنفية قد يراد بها استمرار النفي لانتفي الاستمرار باعتبار ما تفيد من الدوام والثبات بعد النفي لاقبله وقيل معناه وما كانوا غائبين عنها قبل ذلك بالكلية بل كانوا يحدون سمومها في قبورهم حسبما قال النبي صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران وقوله تعالى (وما أدراك ما يوم الدين) (ثم ما أدراك ما يوم الدين) تفخيم لشأن يوم الدين الذي يكذبون به إثر تفخيم وتهويل لأمره بعد تهويل ببيان أنه خارج عن دائرة دراية الخلق على أي صورة تصوره فهو فوقها وكيفما تخيلوه فهو أظلم من ذلك وأعظم أي وأي شيء جعلك دارياً ما يوم الدين على أن ما الاستفهامية خبر ليوم الدين إلا بالعكس كما هو رأي سيويه لما مر من أن مدار الإفادة هو الخبر لا المبتدأ ولا ريب في أن منطاد إفادة الهول والفخامة هنا هو ما لا يوم الدين أي أي شيء عجيب هو في الهول والفضاعة لما مر غير مرة أن كلمة ما قد يطلب بها الوصف وإن كانت موضوعة

لطلب الحقيقة وشرح الاسم يقال ما زيد فيقال في الجواب كاتب أو طيب وفي إظهار يوم الدين في موقع الإضمار تأكيد لهوله ونخامته وقوله تعالى (يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله) ١٩ بيان لإجمالى لشأن يوم الدين إثر إبهامه وبيان خروجه عن علوم الخلق بطريق لإنجاز الوعد فإن نفى إدراهم مشعر بالوعد الكريم بالإدراء قال ابن عباس رضى الله عنهما كل ما فى القرآن من قوله تعالى ما أدراك فقد أدراه وكل ما فيه من قوله وما يدريك فقد طوى عنه ويوم مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لإضافته إلى غير متمكن كأنه قيل هو يوم لا يملك فيه نفس من النفوس لنفس من النفوس شيئاً من الأشياء الخ أو منصوب بإضمار اذكر كأنه قيل بعد تفخيم أمر يوم الدين وتشويقه عليه الصلاة والسلام إلى معرفته اذكر يوم لا تملك نفس الخ فإنه يدريك ما هو وقيل بإضمار يدانون وليس بذاك فإنه عار عن إفادة ما يفيد ما قبله كما أن إبداله من يوم الدين على قراءة الرفع كذلك بل الحق حيثئذ الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفطار كتب الله تعالى له بعدد كل قطرة من السماء وبعدد كل قبر حسنة والله تعالى أعلم .

٨٣ - سورة المطففين
(مكية وهي ست وثلاثون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨٣ المطففين

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾

٨٣ المطففين

الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾

(سورة المطففين مكية مختلف فيها وآياتها ست وثلاثون)

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (ويل للمطففين) قيل الويل شدة الشر وقيل العذاب الأليم وقيل هو واد في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره وقيل وقيل وأياً ما كان فهو مبتدأ وإن كان نكرة لوقوعه في موقع الدعاء والتطفيف البخس في الكيل والوزن لأن ما يخس شيء طفيف حقيق وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكان أهلها من أخرجت الناس كيلاً فنزلت فأحسنوا الكيل وقيل قدمها عليه الصلاة والسلام وبها رجل يعرف بأبي جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر وقيل كان أهل المدينة تجاراً يطففون وكانت يباعاتهم المنازدة والملازمة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس بخمس ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الموت ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر وقوله تعالى (الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون) الخ صفة كاشفة للمطففين شارحة لكيفية تطفيفهم الذي استحقوا به الذم والدعاء بالويل أي إذا اكتالوا من الناس مكيلهم بحكم الشراء ونحوه يأخذونه وافيأً وافرأً وتبديل كلمة على بمن لتضمنين الاكتيال معنى الاستيلاء أو للإشارة إلى أنه اكتيال مضربهم لكن لا على اعتبار الضرر في حيز الشرط الذي يتضمنه كلمة إذا لإخلاله بالمعنى بل في نفس الأمر بموجب الجواب فإن المراد بالاستيفاء ليس أخذ الحق وافيأً من غير نقص بل مجرد الأخذ الوافي أنوافر حسبما أرادوا بأى وجه تيسر من وجوه الحيل وكانوا يفعلونه بكبس المكيل وتحريك المكيل والاحتيال في ملئه وأما ما قيل من أن ذلك للدلالة على أن اكتيالهم لما لهم على الناس فع اقتضائه لعدم شمول الحكم لاكتيالهم قبل أن يكون لهم على الناس شيء بطريق الشراء ونحوه مع أنه الشائع فيما بينهم يقتضى أن يكون معنى الاستيفاء أخذ ما لهم عليهم وافيأً من غير نقص إذ هو المتبادر منه عند الإطلاق في معرض الحق فلا يكون مداراً لذمهم والدعاء عليهم وحمل ما لهم عليهم على معنى ماسيكون

٨٣ المطففين

وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾

٨٣ المطففين

أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾

٨٣ المطففين

لَيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾

٨٣ المطففين

يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

- لهم عليهم مع كونه بعيداً جداً مما لا يجدى نفعاً فإن اعتبار كون المكيّل لهم حالاً كان أو ما لا يستدعى كون الاستيفاء بالمعنى المذكور حتماً وهكذا حال ما نقل عن الفراء من أن من وعلى تعتقبان في هذا الموضع لأنه حق عليه فإذا قال اكتلت عليك فكأنه قال أخذت ما عليك وإذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك فتأمل وقد جوز أن تكون على متعلقة بيستوفون ويكون تقديمها على الفعل لإفادة الخصوصية أي يستوفون على الناس خاصة فأما أنفسهم فيستوفون لها وأنت خير بأن القصر بتقديم الجار والمجرور إنما يكون فيما يمكن تعلق الفعل بغير المجرور أيضاً حسب تعلقه به فيقصد بالتقديم قصره عليه بطريق القلب أو الأفراد أو التعيين حسبما يقتضيه المقام ولا ريب في أن الاستيفاء الذي هو عبارة عن الأخذ الوافي بما لا يتصور أن يكون على أنفسهم حتى يقصد بتقديم الجار والمجرور قصره على الناس على أن الحديث واقع في الفعل لا فيما وقع عليه فتدبر والضمير البارز في قوله تعالى (وإذا كالوهم أو وزنوهم) للناس أي إذا كالوا لهم أو وزنوا لهم للبيع ونحوه (يخسرون) أي ينقصون ٣ يقال خسر الميزان وأخسره خذف الجار وأوصل الفعل كما في قوله [ولقد جنيتك أكثوا وعساقل] أي جنيت لك وجعل البارز تأكيداً للمستكن بما لا يليق بجزالة التنزيل ولعل ذكر الكيل والوزن في صورة الإخسار والاقصار على الاكتيال في صورة الاستيفاء لما أنهم لم يكونوا متمكنين من الاحتيال عند الاتزان تمكّنهم منه عند الكيل والوزن وعدم التعرض للكيل والموزون في الصورتين لأن مساق الكلام لبيان سوء معاملتهم في الأخذ والإعطاء لا في خصوصية المأخوذ والمعطى وقوله تعالى (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون) استئناف وارد لتحويل ما ارتكبه من التطفيف والتعجيب ٤ من اجترأهم عليه وأولئك إشارة إلى المطففين ووضع موضع ضميرهم للإشعار بمناط الحكم الذي هو وصفهم فإن الإشارة إلى الشيء متعرضة له من حيث انصافه بوصفه وأما الضمير فلا يتعرض لوصفه وللإيدان بأنهم ممتازون بذلك الوصف القبيح عن سائر الناس أكمل امتياز نازلون منزلة الأمور المشار إليها إشارة حسية وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعدهم في الشرارة والفساد أي ألا يظن أولئك الموصوفون بذلك الوصف الشنيع الهائل أنهم مبعوثون (ليوم عظيم) لا يقادر قدر عظمه وعظم ما فيه ٥ ومحاسبون فيه على مقدار الذرة والخردلة فإن من يظن ذلك وإن كان ظناً ضعيفاً متاخماً للشك والوهم لا يكاد يتجاسر على أمثال هاتيك القبائح فكيف بمن يتيقنه وقوله تعالى (يوم يقوم الناس لرب العالمين) ٦

٨٣ المطففين

كَلَّا إِنْ كُنْتَ الْفَجَّارِ لَنِي سَجِينٌ ﴿٧﴾

٨٣ المطففين

وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ ﴿٨﴾

٨٣ المطففين

كُنْتُ مَرْقُومٌ ﴿٩﴾

٨٣ المطففين

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾

٨٣ المطففين

الَّذِينَ يَكْذِبُونَ بَيَّومِ الدِّينِ ﴿١١﴾

٨٣ المطففين

وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾

٨٣ المطففين

إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾

- أى لحكمه وقضائه منصوب بإضمار أعنى وقيل بمبعوثون أو مرفوع المحل خبراً لمبتدأ مضمراً أو مجرور بدلاً من يوم عظيم مبنى على الفتح لإضافته إلى الفعل وإن كان مضارعاً كما هو رأى الكوفيين ويؤيد الأخيرين القراءة بالرفع وبالجر وفي هذا الإنكار والتعجب وإيراد الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه كافة لله تعالى خاضعين ووصفه تعالى برؤية العالمين من البيان البليغ لعظم الذنب وتفاقم الإثم في التلطيف وأمثاله مالا يخفى (كلا) ردع عما كانوا عليه من التلطيف والغفلة عن البعث والحساب
- ٧ وقوله تعالى (إن كتاب الفجار لنى سجين) الخ تعليل للردع أو وجوب الارتداع بطريق التحقيق وسجين علم لكتاب جامع هو ديوان الشر دون فيه أعمال الشياطين وأعمال الكفرة والفسقة من الثقلين منقول من وصف كخاتم وأصله فعيل من السجن وهو الحبس والتضييق لأنه سبب الحبس والتضييق في جهنم أولاً لأنه مطروح كما قيل تحت الأرض السابعة في مكان مظلم وحش وهو مسكن إبليس وذريته فالمعنى إن كتاب الفجار الذين من جملتهم المطففون أى ما يكتب من أعمالهم أو كتابة أعمالهم لنى ذلك
- ٨ الكتاب المدون فيه قبائح أعمال المذكورين وقوله تعالى (وما أدراك ما سجين) تهويل لأمره أى هو بحيث لا يبلغه دراية أحد وقوله تعالى (كتاب مرقوم) أى مسطور بين الكتابة أو معلم يعلم من رآه
- ٩ أنه لاخير فيه وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتاب السجين أو محل كتاب مرقوم وقوله تعالى (ويل يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) متصل بقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين وما بينهما اعتراض بقوله تعالى
- ١١ (الذين يكذبون بيوم الدين) إما مجرور على أنه صفة ذامة للمكذبين أو بدل منه أو مرفوع أو منصوب على الذم (وما يكذب به إلا كل معتد) أى متجاوز عن حدود النظر والاعتبار غال في التقليد
- ١٢ حتى استقصى قدرة الله تعالى وعلمه عن الإعادة مع مشاهدته للبدن (أثيم) أى منهمك في الشهوات
- ١٣ المخدجة الغانية بحيث شغلته عما وراهها من اللذات التامة الباقية وحملته على إنكارها (إذا تلى عليه

٨٣ المطففين

كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾

٨٣ المطففين

كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾

٨٣ المطففين

ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾

٨٣ المطففين

ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾

٨٣ المطففين

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيِّنَ ﴿١٨﴾

- آياتنا) الناطقة بذلك (قال) من فرط جهله وإعراضه عن الحق الذي لا محيد عنه (أساطير الأولين) *
 أى هي حكايات الأولين قال الكلبي المراد بالمعتدى الإثم هو الوليد بن المغيرة وقيل النضر بن الحرث
 وقيل عام لكل من اتصف بالأوصاف المذكورة وقرئ إذا يتلى بتذكير الفعل وقرئ إذا تتلى على
 الاستفهام الإنكارى (كلا) ردع للمعتدى الأثم عن ذلك القول الباطل وتكذيب له فيه وقوله تعالى ١٤
 (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) بيان لما أدى بهم إلى التفتوه بتلك العظيمة أى ليس في آياتنا *
 ما يصح أن يقال في شأنها مثل هذه المقالات الباطلة بل ركب على قلوبهم وغلب عليها ما كانوا يكسبونها
 من الكفر والمعاصي حتى صارت كالصدأ في المرأة فحال ذاك بينهم وبين معرفة الحق كما قال صلى الله
 عليه وسلم إن العبد كلما أذنب ذنباً حصل في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه ولذلك قالوا ما قالوا
 والرين الصدأ يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا ويقال ران فيه النوم أى رسخ فيه وقرئ
 يادغام اللام في الراء (كلا) ردع وزجر عن الكسب الرائن (لأنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فلا ١٥
 يكادون يرونه بخلاف المؤمنين وقيل هو تمثيل لإهاتهم بإهانة من يحجب عن الدخول على الملوك
 وعن ابن عباس وقتادة وابن أبي مليكة محجوبون عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته (ثم لأنهم ١٦
 لصالوا الجحيم) أى داخلوا النار ثم لتراخي الرتبة فإن صلى الجحيم أشد من الإهانة والحرمان من الرحمة
 والكرامة (ثم يقال) لهم توبيخاً وتقريعاً من جهة الزبانية (هذا الذي كنتم به تكذبون) فذوقوا ١٧
 عذابه (كلا) ردع عما كانوا عليه بعد ردع زجر لاثر زجر وقوله تعالى (إن كتاب الأبرار لفي عليين) ١٨
 استئناف مسوق لبيان محل كتاب الأبرار بعده بيان سوء حال الفجار متصلاً ببيان سوء حال كتابهم
 وفيه تأكيد للردع ووجوب الارتداع وكتابهم ما كتب من أعمالهم وعليون علم لديوان الخير الذي
 دون فيه كل ما أعملته الملائكة وصلاحه الثقلين منقول من جمع على فعيل من العلو سمي بذلك إما لأنه
 سبب الارتفاع إلى أعلى الدرجات في الجنة وإما لأنه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون
 تكريماً له وتعظيماً والكلام في قوله تعالى :

٨٣ المطففين	وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُونَ ﴿١٩﴾
٨٣ المطففين	كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٢٠﴾
٨٣ المطففين	يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾
٨٣ المطففين	إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾
٨٣ المطففين	عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾
٨٣ المطففين	تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾
٨٣ المطففين	يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾
٨٣ المطففين	خَتَمُهُمْ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾

١٩، ٢٠، ٢١ (وما أدارك ما عليون) (كتاب مرقوم) كما مر في نظيره وقوله تعالى (يشهده المقربون) صفة
 ٢٢ أخرى لكتاب أى يحضرونه ويحفظونه أو يشهدون بما فيه يوم القيامة (إن الأبرار لفي نعيم) شروع
 ٢٣ في بيان محاسن أحوالهم إثر بيان حال كتابهم على طريقة مأمرة في شأن الفجار (على الأرائك) أى
 * على الأسرة في الحجال ولا يكاد تطلق الأريكة على السرير عندهم إلا عند كونه في الحجلة (ينظرون)
 أى إلا ماشاءوا مد أعينهم إليه من رغائب مناظر الجنة وإلى ما أولاهم الله تعالى من النعمة والكرامة
 ٢٤ وإلى أعدائهم يعذبون في النار وما تحجب الحجال أبصارهم عن الإدراك (تعرف في وجوههم نضرة
 النعيم) أى بهجة التنعم وماء ورويقه والخطاب لكل أحد ممن له حظ من الخطاب للإيذان بأن ما لهم
 ٢٥ من آثار النعمة وأحكام البهجة بحيث لا يختص برؤيته راء دون راء (يسقون من رحيق) شراب
 ٢٦ خالص لا غش فيه (مختوم) (ختامه مسك) أى مختوم أوانيه وأكوابه بالمسك مكان الطين ولعله
 تمثيل لكمال نفاسته وقيل ختامه مسك أى مقطعه رائحة مسك وقرئ خاتمه بفتح التاء وكسرهما أى
 * ما يحم به ويقطع (وفي ذلك) إشارة إلى الرحيق وهو الأنسب لما بعده أو إلى ما ذكر من أحوالهم
 وما فيه من معنى البعد إما للإشعار بعلو مرتبته وبعد منزلته أو لكونه في الجنة أى في ذلك خاصة
 * دون غيره (فليتنافس المتنافسون) أى فليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله تعالى وقيل فليعمل
 العاملون كقوله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون وقيل فليستبق المستبقون وأصل التنافس التغالب في
 الشيء النفيس وأصله من النفس لعزتها قال الواحدى نفست الشيء أنفسه نفاسة والتنافس تفاعل منه
 كأن كل واحد من الشخصين يريد أن يستأثر به وقال البغوى وأصله من الشيء النفيس الذى يحرص

٨٣ المطففين

وَمِمَّا أَجْرُوا مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾

٨٣ المطففين

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾

٨٣ المطففين

إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾

٨٣ المطففين

وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾

٨٣ المطففين

وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾

٨٣ المطففين

وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُونَ ﴿٣٢﴾

٨٣ المطففين

وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ ﴿٣٣﴾

- ٢٧ عليه نفوس الناس ويزيده كل أحد لنفسه وينفس به على غيره أى يضن به (ومزاجه من تسنيم) عطف على ختامه صفة أخرى لرحيق مثله وما بينهما اعتراض مقرر لنفسه أى يمزج به على الرحيق من ماء تسنيم على أن من بيانية أو تبعيضية أو من نفسه على أنها ابتدائية والتسنيم علم لعين بعينها سميت به إما لأنها أرفع شراب في الجنة وإما لأنها تأتيهم من فوق . روى أنها تجرى في الهواء متسمة فتصب في أوانهم (عيناً) نصب على الاختصاص وجواز أن يكون حالاً من تسنيم مع كونه جامداً لاتصافه ٢٨ بقوله تعالى (يشرب بها المقربون) فإنهم يشربونها صرفاً وتمزج لسائر أهل الجنة فالباء مزيدة أو بمعنى * من وقوله تعالى (إن الذين أجمعوا) الخ حكاية لبعض قبائح مشركي قريش جيء بها تمهيداً لذكر بعض ٢٩ أحوال الأبرار في الجنة (كانوا) في الدنيا (من الذين آمنوا يضحكون) أى يستهزئون بفقرائهم * كعمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين وتقديس الجار والمجرور إما للقصير إشعاراً بغاية شناعة ما فعلوا أى كانوا من الذين آمنوا يضحكون مع ظهور عدم استحقاقهم لذلك على مناج قوله تعالى أفى الله شك أولمראה القواصل (وإذا مروا) أى فقراء المؤمنين (بهم) أى بالمشركين ٣٠ وهم في أنديتهم وهو الأظهر وإن جاز العكس أيضاً (يتغامزون) أى يغمز بعضهم بعضاً ويشيرون بأعينهم (وإذا انقلبوا) من مجالسهم (إلى أهلهم انقلبوا فكهين) ملتذين بذكرهم بالسوء والسخرية ٣١ منهم وفيه إشارة إلى أنهم كانوا لا يفعلون ذلك بمرأى من المارين بهم ويكتفون حينئذ بالتغامز وقرئ فاكهين قيل هما بمعنى وقيل فكهين أشرين وقيل فرحين وفاكهين متفكهين وقيل ناعمين وقيل مازحين (وإذا رأوهم) أينما كانوا (قالوا إن هؤلاء لضالون) أى نسبوا المسلمين من رأوهم ٣٢ ومن غيرهم إلى الضلال بطريق التأكيد (وما أرسلوا عليهم) على المسلمين (حافظين) حال من واو ٣٣

٨٣ المطففين

قَالِیَوْمَ الَّذِینَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ یَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾

٨٣ المطففين

عَلَى الْأَرَآئِکِ یَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾

٨٣ المطففين

هَلْ تُؤِیَّبَ الْكُفَّارُ مَا کَانُوا یَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

قالوا أى قالوا ذلك والحال أنهم ما أرسلوا من جهة الله تعالى موکین بهم یحفظون علیهم أحوالهم ویهيمنون علی أعمالهم ویشهدون برشدہم وصلاتهم وهذا تهكم بهم وإشعار بأن ما اجترؤا علیه من القول من وظائف من أرسل من جهة تعالى وقد جوز أن یکون ذلك من جملة قول المجرمين کأنهم قالوا إن هؤلاء لضالون وما أرسلوا علينا حافظین إنکاراً لصدہم عن الشرك ودعائهم إلى الإسلام وإنما قيل علیهم ٣٤ نقلاً له بالمعنى كما فی قولك حلف لیفعلن لا بالعبرة كما فی قولك حلف لأفعلن (قاليوم الذين آمنوا) * أى المهودون من الفقراء (من الکفار) أى من المهودین وهو الأظهر وإن أمکن التنعيم من الجانبین * (یضحکون) حين یرونهم أذلاء مغلولین قد غشیهم فنون الهوان والصغار بعد العزة والكبر ورهقهم ألوان العذاب بعد التنعيم والترفة وتقديم الجار والمجرور للقصر تحقیقاً للمقابلة أى قاليوم هم من الکفار یضحکون لا الکفار منهم كما كانوا یفعلون فی الدنيا وقوله تعالى (على الأرائک ينظرون) ٣٥ حال من فاعل یضحکون أى یضحکون منهم ناظرین إلیهم وإلى ما غم فیہ من سوء الحال وقيل یفتح للکفار باب إلى الجنة فیقال لهم اخرجوا إلیها فإذا وصلوا إلیها أغلق دونهم یفعل بهم ذلك مراراً ویضحک المؤمنون منهم ویأبأ قوله تعالى (هل ثوب الکفار ما كانوا یفعلون) فإنه صریح فی أن ضحک المؤمنین منهم جزاء لضحکهم منهم فی الدنيا فلا بد من المجانسة والمشاكلة حتماً والتوبيخ والإثابة المجازاة وقرئ یأدغام اللام فی الثاء . وعنه صلى الله علیه وسلم من قرأ سورة المطففين سقاء الله تعالى یوم القيامة من الرحیق المختوم .

٨٤ - سورة الإنشقاق
(مكية وهي خمس وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨٤ الانشقاق

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ❶

٨٤ الانشقاق

وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ❷

٨٤ الانشقاق

وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ❸

٨٤ الانشقاق

وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ❹

٨٤ الانشقاق

وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ❺

(سورة الإنشقاق مكية وآياتها خمس وعشرون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (إذا السماء انشقت) أى بالغمام كما فى قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام
٢ وعن على رضى الله عنه تنشق من الحجرة (وأذنت لربها) أى واستمعت أى انقادات وأذعنت لتأثير
قدرته تعالى حين تعلقت لإرادته بانشقاقها انقياداً للمأمور المطواع إذا ورد عليه أمر الأمر المطاع والتعرض
لعنوان الربوبية مع الإضافة إليها للإشعار بعلّة الحكم وهذه الجملة ونظيرتها الآية بمنزلة قوله تعالى
أتينا طائعين فى الإناء عن كون مانسب إلى السماء والأرض من الإنشقاق والمد وغيرهما جارياً على
مقتضى الحكمة كما أشير إليه فيما سلف (وحقت) أى جعلت حقيقة بالاستماع والانقياد لكن لا بعد
أن لم تكن كذلك بل فى نفسها وحد ذاتها من قولهم هو محقوق بكذا وحقيق به والمعنى انقادت لربها
وهى حقيقة بذلك لكن لاعلى أن المراد خصوصية ذاتها من بين سائر المقدورات بل خصوصية القدرة
القاهرة الربانية التى يتأتى لها كل مقدور ولا يتخلف عنها أمر من الأمور فحق الجملة أن تكون اعتراضاً
مقررأ لما قبلها لامعطوفة عليه (وإذا الأرض مدت) أى بسطت بإزالة جبالها وآكامها من مقارها
٣ وتسويتها بحيث صارت قاعاً صافئاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمناً أو زبدت سعة وبسطة من مده بمعنى
أمدّه أى زاده (وألقت ما فيها) أى رمت ما فى جوفها من الموتى والكنوز كقوله تعالى وأخرجت الأرض
٤ أنقالها (وتخلت) وخلت عما فيها غاية الخلو حتى لم يبق فيها شئ منه كأنها تسكفت فى ذلك أقصى جهدها
٥ (وأذنت لربها) فى الإلقاء والتخلي (وحقت) أى وهى حقيقة بذلك أى شأنها ذلك بالنسبة إلى القدرة

٨٤ الانشقاق

يَأْيَاهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فُلْنَقِيبِهِ ﴿٦﴾

٨٤ الانشقاق

فَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾

٨٤ الانشقاق

فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾

٨٤ الانشقاق

وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾

٨٤ الانشقاق

وَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾

٨٤ الانشقاق

فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾

٨٤ الانشقاق

وَيَصَلِّي سَعِيرًا ﴿١٢﴾

٨٤ الانشقاق

إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾

- الربانية وتكرير كلمة إذا مع اتحاد الأفعال المنسوبة إلى السماء والأرض وقوعاً في الوقت الممتد الذي هو مدلولها قد مر سره فيما مر (يأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً) أى جاهد ومجد إلى الموت وما بعده من الأحوال التي مثلت باللقاء مبالغ في ذلك فإن الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه بحيث * يؤثر فيها من كدح جلده إذا خدشه (فلاقية) أى فلاق له عقيب ذلك لا محالة من غير صارف يلويك عنه قوله تعالى (فأما من أوتي كتابه بيمينه) (فسوف يحاسب حساباً يسيراً) الخ قيل جواب إذا كما في قوله تعالى فأما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله تعالى يأيها الإنسان الخ اعتراض وقيل هو محذوف للتهويل والإيحاء إلى قصور العبارة عن بيانه أو للتحويل على مامر في سورة التكوير والإنفطار عليه وقيل هو مادل عليه قوله تعالى يأيها الإنسان الخ تقديره لاقى الإنسان كدحه وقيل هو قوله تعالى فلاقية وما قبله اعتراض وقيل هو يأيها الإنسان الخ باضممار القول يسيراً سهلاً لا مناقشة فيه ولا اعتراض وعن الصديقة رضى الله عنها هو أن يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه (وينقلب إلى أهله مسروراً) أى عشيرته المؤمنين أو فريق المؤمنين مبتهجا بحاله قائلاً هاؤم اقرؤا ٩ كتايه وقيل إلى أهله في الجنة من الخور والغلمان (وأما من أوتي كتابه وراء ظهره) أى يؤتاه بشماله من وراء ظهره قيل تغل يمناه إلى عنقه ويجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله وقيل تخلع يده ١١ اليسرى من وراء ظهره (فسوف يدعو ثبوراً) أى يتمنى الثبور وهو الهلاك ويدعوه ياثبوراه تعال ١٢ فإنه أو أنك وأنى له ذلك (ويصلى سعيراً) أى يدخلها وقرىء يصلى كقوله تعالى وتصلية جحيم وقرىء ويصلى كما في قوله تعالى ونصلية جهنم (لأنه كان في أهله) فيها بين أهله وعشيرته في الدنيا (مسروراً) ١٣

٨٤ الانشقاق

إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ⑭

٨٤ الانشقاق

بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ⑮

٨٤ الانشقاق

فَلَا أَقْسَمُ بِالْشفقِ ⑯

٨٤ الانشقاق

وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ⑰

٨٤ الانشقاق

وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ⑱

٨٤ الانشقاق

لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ⑲

٨٤ الانشقاق

فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ⑳

مترفاً بطراً مستبشراً كديدن الفجار الذين لا يهمهم ولا يخطر ببالهم أمور الآخرة ولا يتفكرون في العواقب ولم يكن حزناً متفكراً في حاله ومآله كسنة الصالحاء والمتقين والجملة استئناف لبيان علة ما قبلها وقوله تعالى (إنه ظن أن لن يحور) تعليل لسروره في الدنيا أى ظن أن لن يرجع إلى الله تعالى ١٤ تكذيباً للبعد وأن مخففة من أن سادة مع ما في حيزها مسد مفعولى الظن أو أحدهما على الخلاف المعروف (بلى) لإيجاب لما بعد لن وقوله تعالى (إن ربه كان به بصيراً) تحقيق وتعليل له أى بلى ليحورن ١٥ البتة إن ربه الذى خلقه كان به وبأعماله الموجبة للجزاء بصيراً بحيث لا يخفى منها خافية فلا بد من رجعه وحسابه وجزائه عليها حتماً وقيل نزلت الآيتان في أبى سلة بن عبد الأشد وأخيه الأسود (فلا أقسم بالشفق) هى الحمرة التى تشاهد في أفق المغرب بعد الغروب أو البياض الذى يليها سمي به لرقته ومنه الشفقة التى هى عبارة عن رقة القلب (والليل وما وسق) وما جمع وضم يقال وسقه فانسق واستوسق ١٧ أى جمعه فاجتمع وما عبارة عما يجتمع بالليل ويأوى إلى مكانه من الدواب وغيرها (والقمر إذا اتسق) ١٨ أى اجتمع وتم بداراً ليلة أربع عشرة (لتركنن طبقاً عن طبق) أى لتلاقن حالاً بعد حال كل واحدة ١٩ منها مطابقة لأختها في الشدة والفضاعة وقيل الطبق جمع طبقة وهى المرتبة وهو الأوفى للركوب المنبئ عن الاعتلاء والمعنى لتركنن أحوالاً بعد أحوال هى طبقات في الشدة بعضها أرفع من بعض وهى الموت وما بعده من مواطن القيامة ودواهيها وقرىء لتركنن بالإفراد على خطاب الإنسان باعتبار اللفظ لا باعتبار شموله لأفراده كالقراءة الأولى وقرىء بكسر الباء على خطاب النفس وليركنن بالياء أى ليركنن الإنسان ومحل عن طبق النصب على أنه صفة لطبقاً أى طبقاً مجاوزاً لطبق أو حال من الضمير في لتركنن طبقاً مجاوزين أو مجاوزاً أو مجاوزة على حسب القراءة والفاء في قوله تعالى (فما لهم لا يؤمنون) لترتيب ما بعدها من الإنكار والتعجب على ما قبلها من أحوال القيامة وأحوالها الموجبة

٨٤ الانشقاق

وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾

٨٤ الانشقاق

بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ ﴿٢٢﴾

٨٤ الانشقاق

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾

٨٤ الانشقاق

فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾

٨٤ الانشقاق

إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

- للإيمان والسجود أى إذا كان حالهم يوم القيامة كما ذكر فأى شيء لهم حال كونهم غير مؤمنين أى أى شيء يمنعهم من الإيمان مع تعاضد موجباته وقوله تعالى (وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) جملة شرطية محلها النصب على الحالبة نسقا على ما قبلها أى فأى مانع لهم حال عدم سجودهم وخضوعهم واستكانتهم عند قراءة القرآن وقيل قرأ النبي عليه الصلاة والسلام ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقریش تصفق فوق رؤسهم وتصفر فنزلت وبه احتج أبو حنيفة رحمه الله تعالى على وجوب السجدة وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليس فى المفصل سجدة وعن أبي هريرة رضى الله عنه أنه سجد فيها وقال والله ما سجدت إلا بعد أن رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسجد فيها وعن أنس رضى الله عنه صليت خلف أبي بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم فسجدوا وعن الحسن ٢١ هى غير واجبة (بل الذين كفروا يكذبون) بالقرآن الناطق بما ذكر من أحوال القيامة وأحوالها مع تحقق موجبات تصديقه ولذلك لا يخضعون عند تلاوته (والله أعلم بما يوعون) بما يضمرون فى قلوبهم ويجمعون فى صدورهم من الكفر والحسد والبغى والبغضاء أو بما يجمعون فى صنفهم من أعمال السوء ويدخرون لأنفسهم من أنواع العذاب علما فعليا (فبشرهم بعذاب أليم) لأن الله تعالى بذلك ٢٢ على الوجه المذكور موجب لتعذيبهم حتما (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) استثناء منقطع إن جعل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة ومتصل إن أريد به من آمن منهم بعد ذلك وقوله تعالى (لهم أجر غير ممنون) أى غير مقطوع أو ممنون به عليهم استئناف مقرر لما أفاده الاستثناء من انتفاء العذاب عنهم ومبين لكيفيته ومقارنته للثواب العظيم . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانشقاق أعاده الله تعالى أن يعطيه كتابه وراء ظهره .

٨٥ - سورة البروج
(مكية وهي اثنتان وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨٥ البروج

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ①

٨٥ البروج

وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ②

٨٥ البروج

وَشَهِيدٍ وَمَشْهُودٍ ③

٨٥ البروج

قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ④

(سورة البروج مكية وآياتها اثنتان وعشرون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والسما ذات البروج) هي البروج الإثنا عشر شبت بالقصور لأنها
نزلها السيارات ويكون فيها الثوابت أو منازل القمر أو عظام الكواكب سميت بروجاً لظهورها أو
٢ أبواب السماء فإن النوازل تخرج منها وأصل التركيب للظهور (واليوم الموعود) أى يوم القيامة
٣ (وشاهد ومشهود) أى ومن يشهد فى ذلك اليوم من الخلاق وما يحضر فيه من العجائب وتشكيرا
للإبها فى الوصف أى وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفها أو للبالغة فى الكثرة وقيل الشاهد محمد
صلى الله عليه وسلم والمشهود يوم القيامة وقيل عيسى عليه السلام وأمنه لقوله تعالى وكنت عليهم
شهيدا الخ وقيل أمة محمد وسائر الأمم وقيل يوم التروية ويوم عرفة وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة
وقيل الحجر الأسود والحجيج وقيل الأيام والليالى وبنو آدم وعن الحسن ما من يوم إلا وينادى
إنى يوم جديد وإنى على ما يعمل فى شهيد فاغتنمى فلو غابت شمسى لم تدر كفى إلى يوم القيامة وقيل
الحفظة وبنو آدم وقيل الأنبياء ومحمد عليهم الصلاة والسلام (قتل أصحاب الأخدود) قيل هو جواب
٤ القسم على حذف اللام منه للطول والأصل لقتل كما فى قول من قال [حلفت لها بالله حلقة فاجر •
لناموا فما أن من حديث ولا صال] وقيل تقديره لقد قتل وأياً ما كان فالجمله خبرية والأظهر أنها
دعائية دالة على الجواب كأنه قيل أقسم بهذه الأشياء أنهم أى كفار مكة ملعونون كما لعن أصحاب
الأخدود لما أن السورة وردت لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الإيمان وصبرهم عليه من الإيمان
وتصبيرهم على أذية الكفرة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الإيمان وصبرهم على
ذلك حتى يأتسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا أن هؤلاء عند الله عز وجل

٨٥ البروج

النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ﴿٥﴾

٨٥ البروج

إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾

بمنزلة أولئك المعذنين ملعونون مثلهم أحقاء بأن يقال فيهم ما قد قيل فيهم وقرئ قتل بالتشديد والاختود
 الخد في الأرض وهو الشق ونحوهما بناء ومعنى الحق والاختقوق . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
 أنه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم إليه غلاماً ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع
 منه فرأى في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس قيل كانت الدابة أسداً فأخذ حجراً فقال اللهم
 إن كان الراهب أحب إليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يرى الأكمة والأبرص
 ويشقى من الأدواء وعى جليس لذلك فأبرأه فأبصره الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال ربي
 فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار وأبى
 الغلام فذهب به إلى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطأ حوا ونجا فذهب به إلى قرقور
 فلججوا به ليغرقوه فدعا فأنكفأت بهم السفينة ففرقوا ونجا وقال لذلك لست بقاتلي حتى تجمع الناس
 في صعيد وتصلبني على جذع وتأخذ سهماً من كنانتي وتقول باسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه
 فوق في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل لذلك نزل بك ما كنت تحذر
 فأمر بأخاديد في أفواه السكك وأوقدت فيها النيران فن لم يرجع منهم طرحة فيها حتى جاءت امرأة
 معها صبي فتقاسعت فقال الصبي يا أماء اصبري فإنك على الحق فاقتحمت وقيل قال لها قفي ولا تنافقي
 ما هي إلا غبضة فصبرت قيل أخرج الغلام من قبره في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأصبغه
 على صدغه كما وضعها حين قتل وعن علي رضى الله عنه أن بعض ملوك المجوس وقع على أخته وهو
 سكران فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج أن تخطب بالناس فتقول إن الله قد أحل نكاح
 الأخوات ثم تخطبهم بعد ذلك إن الله قد حرمة تخطب فلم يقبلوا منه فقالت له أبسط فيهم السوط ففعل
 فلم يقبلوا فقالت أبسط فيهم السيف ففعل فلم يقبلوا فأمر بالأخاديد وإيقاد النار وطرح من أبي فيها
 فهم الذين أرادهم الله تعالى بقوله قتل أصحاب الأخدود وقيل وقع إلى نجران رجل من كان على دين
 عيسى عليه السلام فدعاهم فأجابوه فسار إليهم ذو نواس اليهودي بمجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية
 فأبوا فأحرق منهم اثني عشر ألفاً في الأخاديد وقيل سبعين ألفاً وذكر أن طول الأخدود أربعون
 ذراعاً وعرضه اثنا عشر ذراعاً (النار) بدل اشتغال من الأخدود (ذات الوقود) وصف لها بغاية
 العظم وارتجاع اللهب وكثرة ما يوجبه من الحطب وأبدان الناس وقرئ الوقود بالضم وقوله تعالى
 ٦ (إذ هم عليها قعود) ظرف لقتل أى لعنوا حين احدثوا بالنار قاعدين حولها في مكان مشرف عليها
 من حافات الأخدود كما في قوله [وبات على النار الندى والملقى] .

٨٥ البروج

وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾

٨٥ البروج

وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾

٨٥ البروج

الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾

إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ

٨٥ البروج

الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ

٨٥ البروج

الْكَبِيرُ ﴿١١﴾

- (وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) أى يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأن أحداً لم يقصر فيما أمر به ٧ أو أنهم شهود يشهدون بما فعلوا بالمؤمنين يوم القيامة يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وقيل على بمعنى مع والمعنى وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين من العذاب حضور لا يرقون لهم لغاية قسوة قلوبهم هذا هو الذى يستدعيه النظم الكريم وتنطق به الروايات المشهورة وقد روى أن الجبارة لما ألقوا المؤمنين فى النار وهم قعود حولها علقت بهم النار فأحرقتهم ونجى الله عز وجل المؤمنين منها سالمين وإلى هذا القول ذهب الربيع بن أنس والواحدى وعلى ذلك حملا قوله تعالى ولهم عذاب الحريق (وما نقموا ٨ منهم) أى ما أنكروا منهم وما عابوا (إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) استئناف مفسح عن برائتهم * عما يعاب وينكر بالكلية على منهاج قوله [ولا عيب فيهم غير أن ضيوفهم * تلام بنسيان الأحبة والوطن] ووصفه تعالى بكونه عزيزاً غالباً يخشى عقابه وحيداً منعماً يرجى ثوابه وتأكيده ذلك بقوله تعالى (الذى له ملك السموات والأرض) للإشعار بمناط إيمانهم وقوله تعالى (والله على كل شيء ٩ شهيد) وعد لهم ووعيد شديد لمعذبيهم فإن عليه تعالى بجميع الأشياء التى من جملتها أعمال الفريقين يستدعى توفير جزاء كل منهما حتماً (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) أى منحوم فى دينهم ليرجعوا ١٠ عنه والمراد بهم إما أصحاب الأخدود خاصة وبالمفتونين المطر حون فى الأخدود وأما الذين بلوهم فى ذلك بالأذية والتعذيب على الإطلاق وهم داخلون فى جملتهم دخولا أولياً (ثم لم يتوبوا) أى عن كفرهم * وفتنتهم فإن ما ذكر من الفتنة فى الدين لا يتصور من غير الكافر قطعاً وقوله تعالى (فلهم عذاب جهنم) * جملة وقعت خبراً لأن أو الخبر لهم وعذاب مرتفع به على الفاعلية وهو الأحسن والقاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط ولا ضير فى نسخه بأن وإن خالف الأخفش والمعنى لهم فى الآخرة عذاب جهنم بسبب كفرهم (ولهم عذاب الحريق) وهى نار أخرى عظيمة بسبب فتنتهم للمؤمنين (إن الذين آمنوا وعملوا ١١

٨٥ البروج

إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾

٨٥ البروج

إِنَّهُ هُوَ يَبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾

٨٥ البروج

وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ﴿١٤﴾

٨٥ البروج

ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾

٨٥ البروج

فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾

- * (الصالحات) على الإطلاق من المفتونين وغيرهم (لهم) بسبب ما ذكر من الإيمان والعمل الصالح (جنات تجري من تحتها الأنهار) إن أريد بالجنات الأشجار فجريان الأنهار من تحتها ظاهر وإن أريد بها الأرض المشتعلة عليها فالتحية باعتبار جزئها الظاهر فإن أشجارها ساترة لساحتها كما يعرب عنه اسم الجنة وقد مر بيانه مراراً (ذلك) إشارة إما إلى الجنات الموصوفة والتذكير لتأويلها بما ذكر للإشعار بأن مدار الحكم عنوانها الذي يتنافس فيها المتنافسون فإن اسم الإشارة متعرض لذات المشار إليه من حيث اتصافه بأوصافه المذكورة لا لذاته فقط كما هو شأن الضمير فإذا أشير إلى الجنات من حيث ذكرها فقد اعتبر معها عنوانها المذكور حتماً وأما إلى ما يفيد قوله تعالى لهم جنات الخ من حيازتهم لها فإن حصولها لهم مستلزم لحيازتهم لها قطعاً وأياً ما كان فافيه من معنى البعد للإيدان بعلو درجته وبعد منزلته في الفضل والشرف ومحلّ الرفع على الابتداء خبره ما بعده أى ذلك المذكور العظيم الشأن (الفوز الكبير) الذى تصغر عنده الدنيا وما فيها من فنون الرغائب بخذافيرها والفوز النجاة من الشر والظفر بالخير فعلى الأول هو مصدر أطلق على المفعول مبالغة وعلى الثانى مصدر على حاله (إن بطش ربك لشديد) استئناف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم إيذاناً بأن لكفار قومه نصيباً موفوراً من مضمونه كما ينبغي عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام والبطش الأخذ بعنف وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتقادم وهو بطشه بالجسارة والظلمة وأخذه إياهم بالعذاب والانتقام كقوله تعالى وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد (إنه هو يبدى ويعيد) أى هو يبدى الخلق وهو يعيده من غير دخل لأحد فى شيء منهما ففيه مزيد
- ١٣ تقرير لشدته ببطشه أو هو يبدى البطش بالكفرة فى الدنيا ويعيده فى الآخرة (وهو الغفور) لمن تاب وآمن (الودود) المحب لمن أطاع (ذو العرش) خالقه وقيل المراد بالعرش الملك أى ذو السلطنة
- * القاهرة وقرىء ذى العرش على أنه صفة ربك (المجيد) العظيم فى ذاته وصفاته فإنه واجب الوجود تام القدرة كامل الحكمة وقرىء بالجر على أنه صفة لربك أو للعرش ومجده علوه وعظمته (فعال لما يريد) بحيث لا يتخلف عن إرادته مراد من أفعاله تعالى وأفعال غيره وهو خبر مبتدأ محذوف
- ١٤
- ١٥
- ١٦

٨٥ البروج

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ١٧

٨٥ البروج

فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ١٨

٨٥ البروج

بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ١٩

٨٥ البروج

وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ٢٠

٨٥ البروج

بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ ٢١

٨٥ البروج

فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ٢٢

- وقوله تعالى (هل أتاك حديث الجنود) استئناف مقرر لشدة بطشه تعالى بالظلمة العصاة والكفرة ١٧ والعتاة وكونه فعالا لما يريد متضمن لتسليته عليه الصلاة والسلام بالإشعار بأنه سيصيب قومه ما أصاب الجنود (فرعون وثمود) بدل من الجنود لأن المراد بفرعون هو وقومه والمراد بحديثهم ١٨ ما صدر عنهم من التمادى في الكفر والضلال وما حل بهم من العذاب والنكال والمعنى قد أتاك حديثهم وعرفت ما فعلوا وما فعل بهم فذكر قومك بشئون الله تعالى وأنذركم أن يصيبهم مثل ما أصاب أمثالهم وقوله تعالى (بل الذين كفروا في تكذيب) لإضراب عن مماثلتهم لهم وبيان لكونهم أشد منهم في ١٩ الكفر والطغيان كأنه قيل ليسوا مثلهم في ذلك بل هم أشد منهم في استحقاق العذاب واستيجاب العقاب فإنهم مستقرون في تكذيب شديد للقرآن الكريم أو قيل ليست جنائيتهم مجرد عدم التذكر والاتعاظ بما سمعوا من حديثهم بل هم مع ذلك في تكذيب شديد للقرآن الناطق بذلك لكن لا أنهم يكذبون بوقوع الحادثة بل بكون ما نطق به قرآناً من عند الله تعالى مع وضوح أمره وظهور حاله بالبينات الباهرة (والله من ورائهم محيط) تمثيل لادم نجاتهم من بأس الله تعالى بعدم فوت المحاط ٢٠ المحيط وقوله تعالى (بل هو قرآن مجيد) رد لكفرهم وإبطال لتكذيبهم وتحقيق للحق أى ليس الأمر ٢١ كما قالوا بل هو كتاب شريف على الطبقة فيما بين الكتب الإلهية في النظم والمعنى وقرىء قرآن مجيد بالإضافة أى قرآن رب مجيد (في لوح محفوظ) أى من التحريف ووصول الشياطين إليه وقرىء محفوظ ٢٢ بالرفع على أنه صفة قرآن وقرىء في لوح وهو الهواء أى ما فوق السماء السابعة الذى فيه اللوح . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج أعطاه الله تعالى بعدد كل جمعة وعرفة تكون في الدنيا عشر حسنات .

٨٦ -- سورة الطارق
(مكية وهي سبع عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨٦ الطارق

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾

٨٦ الطارق

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾

٨٦ الطارق

النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾

٨٦ الطارق

إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾

(سورة الطارق مكية وآياتها سبع عشرة)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والسما والطارق) الطارق في الأصل اسم فاعل من طرق طرقتاً وطرقاً إذا جاء ليلاً قال الماوردي وأصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة وإنما سمي قاصداً لليل طارقتاً لاحتياجه إلى طرق الباب غالباً ثم اتسع في كل ما ظهر بالليل كأنما ما كان ثم أشبع في التوسع حتى أطلق على الصور الخالية البادية بالليل قال [طرق الخيال ولا كيلة مدج * سدكأبارجلنا ولم يتبرج] والمراد هنا الكوكب البادي بالليل إما على أنه اسم جنس أو كوكب معهود وقيل الطارق النجم الذي يقال له كوكب الصبح وقوله تعالى (وما أدراك ما الطارق) تنويه بشأنه إثر تفخيمه بالإقسام به وتنبيه على أن رفعة قدره بحيث لا يناها إدراك الخلق فلا بد من تلقيها من الخلاق العليم فإلا أولى مبتدأ وأدراك خبر والثانية خبر والطارق مبتدأ حسبما بين في نظائره أى وأى شيء أعلمك ما الطارق وقوله تعالى
- ٢ (النجم الثاقب) خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف وقع جواباً عن استفهام نشأ مما قبله كأنه قيل ما هو فقيل النجم المضيء في الغاية كأنه يثقب الظلام أو الأفلاك بضوئه وينفذ فيها والمراد به إما الجنس فإن لكل كوكب ضوءاً ثاقباً لا محالة وإما كوكب معهود قيل هو زحل وقيل هو الثريا وقيل هو الجدى وقيل النجم الثاقب نجم في السماء السابعة لا يسكنها غيره فإذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع إلى مكانه من السماء السابعة وهو زحل فهو طارق حين ينزل وحين يصعد وفي إيراد عند الإقسام به بوصف مشترك بينه وبين غيره ثم الإشارة إلى أن ذلك الوصف غير كنه أمره وأن ذلك مما لا تبلغه أفكار الخلائق ثم تفسيره بالنجم الثاقب من تفخيم شأنه وإجلال عمله
- ٣ (إن كل نفس لما عليها حافظ) جواب للقسم وما بينهما اعتراض جيء به لما

٨٦ الطارق

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾

٨٦ الطارق

خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾

٨٦ الطارق

يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾

٨٦ الطارق

إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾

٨٦ الطارق

يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾

- ذكر من تأكيد ضخامة المقسم به المستبعد لتأكيد مضمون الجملة المقسم عليها وإن نافية ولما بمعنى إلا أى ما كل نفس إلا عليها حافظ مهيم رقيب وهو الله عز وجل كما في قوله تعالى وكان الله على كل شيء رقيباً وقيل هو من يحفظ عملها ويحصى عليها ما تكسب من خير وشر كما في قوله تعالى وإن عليكم لحافظين كراماً الآية وقوله تعالى ويرسل عليكم حفظة وقوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه وقرىء لما مخففة على أن إن مخففة من الثقلية واسمها الذى هو ضمير الشأن محذوف واللام هى الفارقة وما مزيدة أى إن الشأن كل نفس لعلها حافظ والفاء فى قوله تعالى (فلينظر الإنسان مم خلق) للتنبيه على أن ما بين من أن كل نفس عليها حافظ يحصى عليها كل ما يصدر عنها من قول وفعل مستوجب على الإنسان أن يتفكر فى مبدأ فطرته حق التفكير حتى يتضح له أن من قدر على إنشائه من مواد لم تشم رائحة الحياة قط فهو قادر على إعادته بل أقدر على قياس العقل فيعمل ليوم الإعادة والجزاء ما ينفعه يومئذ ويجديه ولا يمل على حافظه ما يرد به وقوله تعالى (خلق من ماء دافق) استشفاف ٥ وقع جواباً عن استفهام مقدر كأنه قيل مم خلق فخلق من ماء ذى دفق وهو صب فيه دفع وسيلان بسرعة والمراد به الممزج من المائين فى الرحم كما ينبى عنه قوله تعالى (يخرج من بين الصلب والترائب) ٦ أى صلب الرجل وترائب المرأة وهى عظام صدرها قالوا إن النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الأعضاء حتى تستعد لأن يتولد منها مثل تلك الأعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالعض عند البيضتين فالدماغ أعظم الأعضاء معونة فى توليدها ولذلك تشبه ويورث الإفراط فى الجماع الضعف فيه وله خليفة هى النخاع وهو فى الصلب وشعب كثيرة نازلة إلى الترائب وهما أقرب إلى أوعية المنى فلذلك خصا بالذكر وقرىء الصلب بفتحيتين والصلب بضميتين وفيه لغة رابعة هى صالب (إنه) الضمير للخالق تعالى فإن قوله خلق يدل عليه أى إن ذلك الذى خلقه ابتداء بما ذكر (على ٨ رجعه) أى على إعادته بعد موته (لقادر) لبين القدرة (يوم تبلى السرائر) أى يتعرف ويتصفح ما أسر ٩ فى القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما أخفى من الأعمال ويميز بين ما طاب منها وما خبيث وهو

٨٦ الطارق

فَالَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٌ ﴿١٠﴾

٨٦ الطارق

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾

٨٦ الطارق

وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾

٨٦ الطارق

إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾

٨٦ الطارق

وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾

٨٦ الطارق

إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾

٨٦ الطارق

وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾

٨٦ الطارق

فَهَلِ الْكَافِرِينَ أَهْلُكُمْ رُويْدًا ﴿١٧﴾

- ١١، ١٠ ظرف لرجعه (فأله) أى للإنسان (من قوة) فى نفسه يمتنع بها (ولا ناصر) ينتصر به (والسما
ذات الرجوع) أى المطر سمي رجماً لما أن العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من يحار الأرض
ثم يرجعه إلى الأرض أو أرادوا بذلك التفاؤل ليرجع ولذلك سموه أوباً أو لأن الله تعالى يرجعه
١٢ (والأرض ذات الصدع) هو ما تصدع عنه الأرض من النبات أو مصدر من المبنى للفعول وهو
تشققها بالنبات لا بالعيون كما قيل فإن وصف السماء والأرض عند الإقسام بهما على حقبة القرآن
الناطق بالبعث بما ذكر من الوصفين للإيماء إلى أنهما فى أنفسهما من شواهدده وهو السر فى التعبير
بالصدع عنه وعن المطر بالرجع وذلك فى تشقق الأرض بالنبات المحاكى للشور حسبما ذكر فى مواقع
١٣ من التنزيل لافى تشققها بالعيون (إنه) أى القرآن الذى من جملته ما تلى من الآيات الناطقة بمبدأ
* حال الإنسان ومعاده (لقول فصل) أى فاصل بين الحق والباطل مبالغ فى ذلك كأنه نفس الفصل
١٤ (وما هو بالهزل) ليس فى شيء منه شائبة هزل بل كله جد محض لا هوادة فيه فمن حقه أن يهتدى به
١٥ الغواة وتخضع له رقاب العتاة (إنهم) أى أهل مكة (يكيدون) فى إبطال أمره وإطفاء نوره (كيداً)
١٦ حسبما نقى به قدرتهم (وأكيد كيداً) أى أقابلهم بكيد متين لا يمكن رده حيث أستدرجهم من حيث
١٧ لا يعلمون (فهل الكافرين) أى لا تشغل بالانتقام منهم ولا تدع عليهم بالهلاك أو لا تستعجل به والقاء
لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن الإخبار بتولية تعالى لكيدهم بالذات بما يوجب أمهالهم وترك التصدى
* لمكيدتهم قطعاً وقوله تعالى (أمهلم) بدل من مهل وقوله تعالى (رويداً) إما مصدر مؤكد لمعنى العامل
أو نعت لمصدره المحذوف أى أمهلم إما لا رويداً أى قريباً كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما أو قليلاً

٨٧ - سورة الأعلى
(مكية وهي تسع عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ①

٨٧ الأعلى

الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ②

٨٧ الأعلى

وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ③

٨٧ الأعلى

كما قاله قتادة قال أبو عبيدة هو في الأصل تصغير رود بالضم وأنشد كأنها مثل تمشى على رود أى على مهل وقيل تصغيراً رواد مصدراً رود بالترخيم وله في الاستعمال وجهان آخران كونه اسم فعل نحو رويداً زيد وكونه حالاً نحو سار القوم رويداً أى متمهلين وفى إيراد البدل بصيغة لا تحتل التكثير وتقيد به رويداً على أحد الوجهين المذكورين من تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسكين قلبه مالا يخفى . وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطارق أعطاه الله تعالى بعدد كل نجم فى السماء عشر حسنات والله أعلم .

((سورة الأعلى مكية وآياتها تسع عشرة))

- (بسم الله الرحمن الرحيم) (سبح اسم ربك الأعلى) أى زه اسمه عز وجل عن الإلحاد فيه ١
بالتأويلات الزائفة وعن إطلاقه على غيره بوجه يشعر بتشاركهما فيه وعن ذكره لأعلى وجه الإعظام والإجلال والأعلى إما صفة للرب وهو الأظهر أو للاسم وقرئ سبحان ربى الأعلى وفى الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عليه الصلاة والسلام اجعلوها فى ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الأعلى قال اجعلوها فى سجودكم وكانوا يقولون فى الركوع اللهم لك ركعت وفى السجود اللهم لك سجدت (الذى خلق فسوى) صفة أخرى للرب على الوجه الأول ومنصوب على المدح على الثانى ٢
لئلا يلزم الفصل بين الموصوف والصفة بصفة غيره أى خلق كل شىء فسوى خلقه بأن جعل له ما به يتأتى كماله ويتسنى معاشه وقوله تعالى (والذى قدر) إما صفة أخرى للرب كالموصول الأول أو معطوف ٣
عليه وكذا حال ما بعده قدر أجناس الأشياء وأنواعها وأفرادها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها وآجالها (فهدى) أى فوجه كل واحد منها إلى ما يصدر عنه وينبغى له طبعاً أو اختياراً ويسره لما خلق له *
بخلق الميول والإلهامات ونصب الدلائل وإزالة الآيات ولو تبعت أحوال النباتات والحيوانات

٨٧ الأعلى

وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿٤﴾

٨٧ الأعلى

بَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ﴿٥﴾

٨٧ الأعلى

سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى ﴿٦﴾

٨٧ الأعلى

إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴿٧﴾

لرأيت كل منها ماتحار فيه العقول يروى أن الأنبياء إذا بلغت ألف سنة عميت وقد ألهمها الله تعالى أن
 تسمع عنها بورق الرزايانج الغض يرد إليها بصرها فربما كانت عند عروض العمى لها في برية بينها وبين
 الريف مسافة طويلة فتطويها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرزايانج لا تحطها فتحك عنها
 بورقها وترجع باصرة ياذن الله عز وجل ويروى أن التمساح لا يكون له دبر وإنما يخرج فضلات
 ما يأكله من فمه حيث قبض الله له طائر أو قدر غذاؤه من ذلك فإذا رآه التمساح يفتح فمه فيدخله الطائر فياكل
 ما فيه وقد خلق الله تعالى له من فوق منقاره ومن تحته قرنين لئلا يطبق عليه التمساح فمه هذا وأما
 فنون هداياته سبحانه وتعالى للإنسان من حيث الجسمية ومن حيث الحيوانية لاسيما من حيث الإنسانية
 ٤ فما لا يحيط به فلك العبارة والتحرير ولا يعلمه إلا العليم الخبير (والذي أخرج المرعى) أى أنبت
 ٥ ما يرعاه الدواب غصناً طرياً يرف (بجعله) بعد ذلك (غناء أحوى) أى درينا أسود وقيل أحوى
 ٦ حال من المرعى أى أخرجه أحوى من شدة الخضرة والرى فجعله غناء بعد ذلك وقوله تعالى (سنقرئك
 فلا تنسى) بيان لهداية الله تعالى الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم لإثبات بيان هدايته تعالى العامة
 لكافة مخلوقاته وهى هدايته عليه الصلاة والسلام لتلقى الوحي وحفظ القرآن الذى هو هدى للعالمين
 وتوفيقه عليه الصلاة والسلام لهداية الناس أجمعين والسين إما للتأكيد وإما لأن المراد اقراء ما أوحى
 الله إليه حينئذ وما سيوحى إليه بعد ذلك فهو وعد كريم باستمرار الوحي فى ضمن الوعد بالإقراء
 أى سنقرئك ما نوحى إليك الآن وفيما بعد على لسان جبريل عليه السلام أو سنجعلك قارئاً بإلهام
 القراءة فلا تنسى أصلاً من قوة الحفظ والإتقان مع أنك أى لاتدرى ما الكتاب وما القراءة ليسكون
 ذلك آية أخرى لك مع ما فى تضاعيف ما تقرؤه من الآيات البينات من حيث الإعجاز ومن حيث
 الإخبار بالمغيبات وقيل فلا تنسى نهى والألف لمراعاة الفاصلة كما فى قوله تعالى فأضلونا السبيلا وقوله
 ٧ تعالى (إلا ما شاء الله) استثناء مفرغ من أعم المفاعيل أى لاتنسى مما تقرؤه شيئاً من الأشياء إلا ما شاء
 الله أن تنساه أبداً بأن نسخ تلاوته والالتفات إلى الاسم الجليل لتربية المهابة والإيذان بدوران المشيئة
 على عنوان الألوهية المستتعبة لسائر الصفات وقيل المراد به النسيان فى الجملة على القلة والندرة كما روى
 أنه عليه الصلاة والسلام أسقط آية فى قرأته فى الصلاة فحسب أبى أنها نسخت فسأله فقال عليه الصلاة

وَنُيْسِرُكَ لِلْيُسْرَى ⑧

٨٧ الأعلى

فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ⑨

٨٧ الأعلى

سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى ⑩

٨٧ الأعلى

- والسلام نسيتها وقيل نفى النسيان رأساً فإن القلة قد تستعمل في النفي فالمراد بالنسيان حينئذ النسيان بالكلية إذ هو المنفى رأساً لا ما قد ينسى ثم يذكر (لأنه يعلم الجهر وما يخفى) تعليل لما قبله أى يعلم * مظهر وما بطن من الأمور التي من جملتها ما أوحى إليك فينسى ما يشاء وإن شاء ويبقى محفوظاً ما يشاء لإبقائه لما نيط بكل منهما من مصالح دينكم (ونيسرك لليسرى) عطف على نقرتك كما ينبىء عنه الالتفات ٨ إلى الحكاية وما بينهما اعتراض وارد لما ذكر من التعليل وتعليق التيسير به عليه الصلاة والسلام مع أن الشائع تعليقه بالأمور المسخرة للفاعل كما في قوله تعالى ويسر لي أمري للإيذان بقوة تمكنه عليه الصلاة والسلام من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك ملكة راسخة له كأنه عليه الصلاة والسلام جبل عليها كما في قوله عليه الصلاة والسلام اعملوا فكل ميسر لما خلق له أى نوفقك توفيقاً مستمر الطريقة اليسرى في كل باب من أبواب الدين علماً وتعلماً واهتداءً وهداية فيندرج فيه تيسير طريق تلقى الوحي والإحاطة بما فيه من أحكام الشريعة السمحة والنواميس الإلهية مما يتعلق بتكميل نفسه عليه الصلاة والسلام وتكميل غيره كما تفصح عنه الفاء في قوله تعالى (فذكر إن نفعت الذكرى) ٩ أى فذكر الناس حسبما يسرناك له بما يوحى إليك واهدم إلى ما في تضاعيفه من الأحكام الشرعية كما كنت تفعله لا بعد ما استتب لك الأمر كما قيل وتقييد التذكير بنفع الذكرى لما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طالما كان يذكرهم ويستفرغ فيه غاية المجهود ويتجاوز في الجد كل حد معهود حرصاً على إيمانهم وما كان يزيد ذلك بعضهم إلا كفرأ وعناداً فأمر عليه الصلاة والسلام بأن يخص التذكير بمواد النفع في الجملة بأن يكون من يذكره كلاً أو بعضاً ممن يرجى منه التذكر ولا يتعب نفسه في تذكير من لا يورثه التذكير إلا اعتواً وفجوراً من المطبوع على قلوبهم كما في قوله تعالى فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وقوله تعالى فأعرض عمن تولى عن ذكرنا وقيل هو ذم للذكرين وإخبار عن حالهم واستبعاد لتأثير التذكير فيهم وتسجيل عليهم بالطبع على قلوبهم كقولك للواعظ عظم المكاسين إن سمعوا منك قصداً إلى أنه بما لا يكون والأول أنسب لقوله تعالى (سيدكر من يخشى) أى سيدتذكر ١٠ بتذكيرك من من شأنه أن يخشى الله تعالى حق خشيته أو من يخشى الله تعالى في الجملة فيزداد ذلك بالتذكير فيتفكر في أمر ما تذكر به فيقف على حقيقته فيؤمن به وقيل إن بمعنى إذ كما في قوله تعالى وأتم الأعلان إن كنتم مؤمنين أى إذ كنتم وقيل هي بمعنى ما أى فذكر ما نفعت الذكرى فإنها لا تخلو

٨٧ الأعلى

وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ⑪

٨٧ الأعلى

الَّذِي يَصِلَى النَّارَ الْكُبْرَى ⑫

٨٧ الأعلى

ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ⑬

٨٧ الأعلى

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ⑭

٨٧ الأعلى

وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ⑮

٨٧ الأعلى

بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ⑯

٨٧ الأعلى

وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ⑰

- ١١ عن نفع بكل حال وقيل هناك محذوف والتقدير إن نفعت الذكرى وإن لم تنفع كقوله تعالى سراويل
تقيمكم الحر قاله الفراء والنحاس والجرجاني والزهاوي (ويتجنبها) أى الذكرى (الأشقى) من
الكفرة لتوغله في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن أبي
١٢ ربيعة (الذى يصلى النار الكبرى) أى الطبقة السفلى من طبقات النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى
١٣ نار الدنيا لقوله عليه الصلاة والسلام ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم (ثم لا يموت فيها)
* حتى يستريح (ولا يحيى) حياة تنفعه وثم للتراخي في مراتب الشدة لأن التردد بين الموت والحياة أقطع
١٤ من الصلى (قد أفلح) أى نجا من المكروه وظفر بما يرجوه (من تزكى) أى تطهر من الكفر والمعاصي
بتذكره واتعاظه بالذكرى أو تكثرت من التقوى والخشية من الزكاة وهو الفناء وقيل تطهر للصلاة
وقيل تزكى تفعل من الزكاة وكلمة قد لما أن عند الإخبار بسوء حال المتجنب عن الذكرى فى الآخرة
١٥ يتوقع السامع الإخبار بحسن حال المتذكر فيها وينتظره (وذكر اسم ربه) بقلبه ولسانه (فصلى) أقام
الصلوات الخمس كقوله تعالى أقم الصلاة لذكرى أو كبر تكبيرة الافتتاح فصلى وقيل تزكى أى تصدق
١٦ صدقة الفطر وذكر اسم ربه أى كبره يوم العيد فصلى أى صلاته (بل تؤثرون الحياة الدنيا) إضراب
عن مقدرينساق إليه الكلام كأنه قيل لئلا يبين ما يؤدى إلى الفلاح لا تفعلون ذلك بل تؤثرون اللذات
العاجلة الفانية فتسعون لتحصيلها والخطاب إما للكفرة فالمراد بإثارة الحياة الدنيا هو الرضا والاطمئنان
بها والإعراض عن الآخرة بالكلية كما فى قوله تعالى إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا
واطمأننوا بها الآية أو للكل فالمراد بإثارة ما هو أعم مما ذكر وما لا يخلو عنه الإنسان غالباً من ترجيح
جانب الدنيا على الآخرة فى السعى وترتيب المبادئ والالتفات على الأول لتشديد التوبيخ وعلى الثانى
١٧ كذلك فى حق الكفرة وتشديد العتاب فى حق المسلمين وقرىء يؤثرون بالياء وقوله تعالى (والآخرة

إِنَّ هَذَا لَنِيَ الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾

٨٧ الأعلى

صُّحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾

٨٧ الأعلى

خير وأبقى (حال من فاعل توثرون مؤكدة للتوبيخ والعتاب أى توثرونها على الآخرة والحال أن الآخرة خير في نفسها لما أن نعيمها مع كونه في غاية ما يكون من اللذة خالص عن شائبة الغائلة أبدى لا انصرام له وعدم التعرض لبيان تكدر نعيم الدنيا بالمنغصات وانقطاعه عما قليل لغاية ظهوره (إن هذا) إشارة إلى ما ذكر من قوله تعالى قد أفلح من تزكى وقيل إلى ما في السورة جميعاً (لني الصحف الأولى) أى ثابت فيها معناه (صحف إبراهيم وموسى) بدل من الصحف الأولى وفي إيهامها ووصفها بالقدم ثم بيانها وتفسيرها من تفخيم شأنها ما لا يخفى . روى أن جميع ما أنزل الله عز وجل من كتاب مائة وأربعة كتب أنزل على آدم عليه السلام عشر صحف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى إدريس ثلاثين صحيفة وعلى إبراهيم عشر صحائف عليهم السلام والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأعلى أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل حرف أنزله الله تعالى على إبراهيم وموسى ومحمد عليهم السلام .

٨٨ -- سورة الغاشية
(مكية وهي ست وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨٨ الغاشية

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ①

٨٨ الغاشية

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ②

٨٨ الغاشية

عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ③

٨٨ الغاشية

تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ④

(سورة الغاشية مكية وآياتها ست وعشرون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (هل أتاك حديث الغاشية) قيل هل بمعنى قد كما في قوله تعالى هل أتاني على الإنسان الآية قال قطرب أى قد جاءك يا محمد حديث الغاشية وليس بذلك بل هو استفهام أريد به التعجب مما في حيزه والتشويق إلى استماعه والإشعار بأنه من الأحاديث البديعة التي حقها أن يتناقلا الرواة ويتنافس في تلقيها الوعاة من كل حاضر وباد والغاشية الداهية الشديدة التي تغشى الناس بشدايدها وتكتشفهم بأهوالها وهي القيامة من قوله تعالى يوم يغشاهم العذاب الخ وقيل هي النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار وقوله تعالى ومن فوقهم غواش والأول هو الحق فإن ما سيروى من حديثها ليس مختصا بالنار وأهلها بل ناطق بأحوال أهل الجنة أيضاً وقوله تعالى (وجوه يومئذ خاشعة) إلى قوله تعالى مبثوثة استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من الاستفهام التشويقي كأنه قيل من جهته عليه الصلاة والسلام ما أتاني حديثها فما هو فقيل وجوه يومئذ أى يوم إذ غشيت ذليلة قال ابن عباس رضى الله عنهما لم يكن أتاه عليه الصلاة والسلام حديثها فأخبره عليه الصلاة والسلام عنها فقال وجوه الخ فوجوه مبتدأ ولا بأس بتنكيرها لأنها في موقع التنويع وخاشعة خبره وقوله تعالى (عاملة ناصبة) خبران آخران لوجوه إذ المراد بها أصحابها أى تعمل أعمالاً شاقة تتعب فيها وهي جر السلاسل والأغلال والخوض في النار خوض الإبل في الوحل والصعود والهبوط في تلال النار وهادها وقيل عملت في الدنيا أعمال السوء والتذت بها فهي يومئذ في نصب منها وقيل عملت ونصبت في أعمال لا تجدى عليها في الآخرة وقوله تعالى (تصلى) أى تدخل (ناراً حامية) أى متناهية في الحر خبر آخر لوجوه وقيل هو الخبر وما قبله صفات لوجوه وقد مر غير مرة أن الصفة حقها أن تكون معلومة

٨٨ الغاشية

تَسْقَى مِنْ عَيْنٍ عَٰنِيَةٍ ﴿٥﴾

٨٨ الغاشية

لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٦﴾

٨٨ الغاشية

لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾

٨٨ الغاشية

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾

الاتسباب إلى الموصوف عند السامع قبل جعلها صفة له ولا ريب في أن صلى النار وما قبله من الخشوع والعمل والنصب أمور متساوية في الاتسباب إلى الوجوه معرفة وجهالة فجعل بعضها عنواناً للوضع قيداً مفروغاً عنه غير مقصود الإفادة وبعضها منوطاً للإفادة تحكماً بحسب ويجوز أن يكون هذا وما بعده من الجملتين استئنافاً مبيناً لتفاصيل أحوالها (تسقى من عين آنية) أى متناهية في الحر كما في قوله تعالى ٥ وبين حميم أن (ليس لهم طعام إلا من ضريع) بيان لطعامهم إثر بيان شراهم والضريع يابس الشبرق وهو شوك ترعاه الإبل مادام رطباً وإذا يبس تحامته وهو سم قاتل وقيل هى شجرة نارية تشبه الضريع وقال ابن كيسان هو طعام يضرعون عنده ويدلون ويتضرعون إلى الله تعالى طلباً للخلاص منه فسمى بذلك وهذا طعام لبعض أهل النار والزقوم والغسلين الآخرين (لا يسمن ولا يغنى من جوع) أى ٧ ليس من شأنه الإسمان والإشباع كما هو شأن طعام الدنيا وإنما هو شيء يضطرون إلى أكله من غير أن يكون له دفع لضرورتهم لكن لا على أن لهم استعداداً للشبع والسمن إلا أنه لا يفيدهم شيئاً منهما بل على أنه لا استعداد من جهتهم ولا إفادة من جهة طعامهم وتحقيق ذلك أن جوعهم وعطشهم ليسا من قبيل ما هو المعهود منهما في هذه النشأة من حالة عارضة للإنسان عند استدعاء الطبيعة لبدل ما يتحلل من البدن مشوقة له إلى المطعوم والمشروب بحيث يلتذ بهما عند الأكل والشرب ويستغنى بهما عن غيرهما عند استقرارهما في المعدة ويستفيد منهما قوة وسمناً عند انهماكهما بل جوعهم عبارة عن اضطرام النار في أحشائهم إلى إدخال شيء كثيف يملؤها ويخرج ما فيها من اللهب وإما أن يكون لهم شوق إلى مطعوم ما أو التذاذب به عند الأكل واستغناء به عن الغير أو استفادة قوة فبهات وكذا عطشهم عبارة عن اضطرامهم عند أكل الضريع والتهابه في بطونهم إلى شيء مانع بارد يطفئه من غير أن يكون لهم التذاذب بشربه أو استفادة قوة به في الجملة وهو المعنى بما روى أنه تعالى يسلط عليهم الجوع بحيث يضطرون إلى أكل الضريع فإذا أكلوه يسلط عليهم العطش فيضطرون إلى شرب الحميم فيشوى وجوههم ويقطع أمعاءهم وتنكير الجوع للتحقير أى لا يغنى من جوع ما وتأخير نفي الإغناء منه لمرعاة الفواصل والتوسل به إلى التصريح بنفى كلا الأمرين إذ لو قدم لما احتيج إلى ذكر نفي الإسمان ضرورة استلزام نفي الإغناء عن الجوع إياه بخلاف العكس ولذلك كرر لا لتأكيد النفي وقوله تعالى (وجوه يومئذ ناعمة) شروع في رواية حديث أهل الجنة وتقديم حكاية حال أهل النار لأنه أدخل ٨

٨٨ الغاشية

لِسَعْيِهَا رَاضِيَةً ﴿٩﴾

٨٨ الغاشية

فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾

٨٨ الغاشية

لَّا نَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ﴿١١﴾

٨٨ الغاشية

فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾

٨٨ الغاشية

فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾

٨٨ الغاشية

وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾

٨٨ الغاشية

وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾

٨٨ الغاشية

وَزَرَارٍ مُبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾

٨٨ الغاشية

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾

في تهويل الغاشية وتفخيم حديثها ولأن حكاية حسن حال أهل الجنة بعد حكاية سوء حال أهل النار بما يزيد المحكي حسناً وبهجة والكلام في إعراب الجملة كالذي مر في نظيرتها وإنما لم تعطف عليها إيذاناً بكمال تباين مضمونيها ومعنى ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم ١٠،٩ أو متنعة (لسعيها راضية) أي لعملها الذي عملته في الدنيا حيث شاهدت ثمرته (في جنة عالية) ١١ مرتفعة المحل أو عالية المقدار (لا تسمع) أي أنت أو الوجوه (فيها لاغية) لغواً أو كلفة ذات لغو أو نفساً تلغو فإن كلام أهل الجنة كله أذكاء وحكم وقرىء لا تسمع على البناء للمفعول بالياء والتاء ١٣،١٢ ورفع لاغية (فيها عين جارية) أي عيون كثيرة تجري مياهها كقوله تعالى علت نفس (فيها سرر مرفوعة) رفيعة السمك أو المقدار (وأكواب) جمع كوب وهو إناء لاعروة له (موضوعة) أي بين أيديهم (ونمارق) وسائد جمع نمرة بالفتح والضم (مصفوفة) بعضها إلى بعض (وزراري) أي بسط فاخرة جمع زريبة (مبثوثة) أي مبسوطة (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت) استئناف مسوق لتقرير مافصل من حديث الغاشية وما هو مبنى عليه من البعث الذي هم فيه مختلفون بالاستشهاد عليه بما لا يستطيعون إنكاره والهمزة للإنكار والتوبيخ والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وكلفة كيف منصوبة بما بعدها كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله معلقة لفعل النظر والجملة في حيز الجر على أنها بدل اشتغال من الإبل أي أينكرون ما ذكر من البعث وأحكامه ويستبعدون وقوعه من قدرة الله عز وجل فلا ينظرون إلى الإبل التي هي نصب أعينهم يستعملونها كل حين إلى أنها كيف

٨٨ الغاشية

وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾

٨٨ الغاشية

وَالِى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾

٨٨ الغاشية

وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾

٨٨ الغاشية

فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾

٨٨ الغاشية

لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾

٨٨ الغاشية

إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾

خلقت خلقاً بديعاً معدولاً به عن سنن خلقة سائر أنواع الحيوانات فى عظم جشها وشدة قوتها وعجيب
 هيأتها اللانقة بتأتى ما يصدر عنها من الأفاعيل الشاقة كالنوء بالأوقار الثقيلة وجبر الأثقال الفادحة إلى
 الأقطار النازحة وفى صبرها على الجوع والعطش حتى إن أطعمها لتبلغ العشر فصاعداً واكتفائها
 باليسير ورعيها لكل ما يتيسر من شوك وشجر وغير ذلك مما لا يكاد يزعاها سائر البهائم وفى انقيادها
 مع ذلك للإنسان فى الحركة والسكون والبروك والنهوض حيث يستعملها فى ذلك كيفما يشاء ويقتادها
 بقطارها كل صغير وكبير (وإلى السماء) التى يشاهدونها كل لحظة بالليل والنهار (كيف رفعت) رفعا ١٨
 سحب المدى بلا عمد ولا مساك بحيث لا يناله الفهم والإدراك (وإلى الجبال) التى ينزلون فى أقطارها ١٩
 وينتفعون ببيائها وأشجارها (كيف نصبت) نصبا رصينا فهى راسخة لا تميل ولا تميد (وإلى الأرض) ٢٠
 التى يضربون فيها ويتقلبون عليها (كيف سطحت) سطحا بتواطئة وتمهيد وتموية وتوطيد حسبما
 يقتضيه صلاح أمور ما عليها من الخلائق وقرىء سطحت مشدداً وقرئت الأفعال الأربعة على بناء
 الفاعل للتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى أفلا ينظرون نظر التدبر والاعتبار إلى كيفية خلق
 هذه المخلوقات الشاهدة بحقيقة البعث والنشور ليرجعوا عما هم عليه من الإنكار والنفور ويسمعوا
 إنذارك ويستعدوا للقاءه بالإيمان والطاعة والفاء فى قوله تعالى (فذكر) لترتيب الأمر بالتذكير على ٢١
 ما ينبى عنه الإنكار السابق من عدم النظر أى فاقصر على التذكير ولا تلح عليهم ولا يهمنك أنهم
 لا ينظرون ولا يتذكرون وقوله تعالى (إنما أنت مذكر) تعليل للأمر وقوله تعالى (لست عليهم بمصيطر) ٢٢
 تقرير له وتحقيق لمعنى الإنذار أى لست بمتسلط عليهم تجبرهم على ما تريد كقوله تعالى وما أنت عليهم
 بجبار وقرىء بالسين على الأصل وبالإشمام وقرىء بفتح الطاء قيل هى لغة بنى تميم فإن سيطر عندهم
 متعد ومنه قولهم تسيطر وقوله تعالى (إلا من تولى وكفر) استثناء منقطع أى لكن من تولى منهم ٢٣
 فإن لله تعالى الولاية والقهر .

٨٨ الغاشية

فِيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾

٨٨ الغاشية

إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾

٨٨ الغاشية

ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾

- ٢٤ (فيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ) الذي هو عذاب جهنم وقيل استثناء متصل من قوله تعالى فذكر أي فذكر
إلا من انقطع طمعك من إيمانه وتولى فاستحق العذاب الأكبر وما بينهما اعتراض ويعضد الأول
- ٢٥ أنه قرىء ألا على التنبيه وقوله تعالى (إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ) تعليل لتعذيبه تعالى بالعذاب الأكبر أي إن
إلينا رجوعهم بالموت والبعث لا إلى أحد سوانا لا استقلالاً ولا اشتراكاً وجمع الضمير فيه وفيما
بعده باعتبار معنى من كما أن أفراداً فيما سبق باعتبار لفظها وقرىء إِيَابَهُمْ على أنه فيعال مصدر فيعمل
من الإياب أو فعال من أوب كفسار من فسر ثم قيل إِيَوَاباً كديوان في دوان ثم قلبت الواو ياء
فأدغمت الياء الأولى في الثانية (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ) في المحشر لا على غيرنا وثم للتراخي في الرتبة
- ٢٦ لا في الزمان فإن الترتب الزماني بين إِيَابَهُمْ وحسابهم لا بين كون إِيَابَهُمْ إليه تعالى وحسابهم عليه تعالى
فإنهما أمران مستمران وفي تصدير المجلتين بأن وتقديم خبرها وعطف الثانية على الأولى كلمة ثم
المفيدة لبعث منزلة الحساب في الشدة من الإناء عن غاية السخط الموجب لتشديد العذاب ما لا يخفى .
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الغاشية يحاسبه الله تعالى حساباً يسيراً .

٨٩ - سورة الفجر

(مكية وهي ثلاثون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨٩ الفجر

وَالْفَجْرِ ❶

٨٩ الفجر

وَلَيَالٍ عَشْرٍ ❷

٨٩ الفجر

وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ❸

٨٩ الفجر

وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ ❹

٨٩ الفجر

هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ❺

(سورة الفجر مكية وآياتها ثلاثون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والفجر) أقسم سبحانه بالفجر كما أقسم بالصبح حيث قال والصبح إذا تنفس وقيل المراد به صلاته (وليال عشر) هن عشر ذى الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة أو النحر أو العشر الآخر من رمضان وتنكيرها للتفخيم وقرئ وليال عشر بالإضافة على أن المراد بالعشر الأيام (والشفع والوتر) أى الأشياء كلها شفعها ووترها أو شفع هذه الليالى ووترها ٣ وقد روى أن النبي عليه الصلاة والسلام فسرهما بيوم النحر ويوم عرفة ولقد كثرت فيهما الأقوال والله تعالى أعلم بحقيقة الحال وقرئ بكسر الواو وهما لغتان كالجبر والحبر وقيل الوتر بالفتح فى العدد وبالكسر فى الذحل وقرئ والوتر بفتح الواو وكسر التاء (والليل إذا يسر) لمضى كقوله تعالى والليل إذا أدبر والليل إذا عسعس والتقييد لما فيه من وضوح الدلالة على كمال القدرة وفور النعمة أو يسرى فيه من قولهم صلى المقام أى صلى فيه وحذف الياء اكتفاء بالكسر وقرئ بإثباتها على الإطلاق وبجذفها فى الوقف خاصة وقرئ يسر بالتنوين كما قرئ والفجر والوتر وهو التنوين الذى يقع بدلا من حرف الإطلاق (هل فى ذلك قسم) الخ تحقيق وتقرير لفخامة شأن المقسم بها وكونها أمورا جليلة ٥ حقيقة بالإعظام والإجلال عند أرباب العقول وتنبيهه على أن الإقسام بها أمر معتد به خليق بأن يؤكد به الإخبار على طريقة قوله تعالى وإنه لقسم لو تعلمون عظيم وذلك إشارة إما إلى الأمور المقسم

٨٩ الفجر

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾

٨٩ الفجر

إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾

بها والتذكير بتأويل ما ذكر كما مر تحقيقه أو إلى الإقسام بها وأياً ما كان فافيه من معنى البعد للإيذان
 بعلو رتبة المشار إليه وبعد منزلته في الشرف والفضل أى هل فيما ذكر من الأشياء قسم أى مقسم
 * به (لذى حجر) يراه حقيقة بأن يقسم به إجلالا وتعظيما والمراد تحقيق أن الكل كذلك وإنما أوثرت
 هذه الطريقة هضم الخلق وإيذانا بظهور الأمر أو هل في إقسامى بتلك الأشياء إقسام لذى حجر مقبول
 عنده يعتد به ويفعل مثله ويؤكد به المقسم عليه والحجر العقل لأنه يحجر صاحبه أى يمنعه من التهاوت
 فيما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لأنه يعقل وينهى وحصة أيضاً من الإحصاء وهو الضبط قال الفراء
 يقال إنه لذو حجر إذا كان قاهراً لنفسه ضابطاً لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذب كما ينبغي عنه
 ٦ قوله تعالى (ألم تر كيف فعل ربك بعاد) الخ فإنه استشهاد بعلمه عليه الصلاة والسلام بما يدل عليه
 من تعذيب عاد وأضرابهم المشاركين لقومه عليه الصلاة والسلام في الطغيان والفساد على طريقة قوله
 تعالى ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه الآية وقوله تعالى ألم تر أنهم في كل واد يهيمون كأنه قيل
 ألم تعلم علماً يقينياً كيف عذب ربك عاداً ونظائرهم فيعذب هؤلاء أيضاً لاشتراكهم فيما يوجب من
 الكفر والمعاصي والمراد بعاد أولاد عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام قوم هود
 عليه السلام سموا باسم أبيهم كما سمي بنو هاشم هاشماً وقد قيل لأوائهم عاد الأولى ولأواخرهم عاد
 الآخرة قال عماد الدين بن كثير كل ما ورد في القرآن خبر عاد الأولى إلا ما في سورة الأحقاف وقوله
 ٧ تعالى (إرم) عطف بيان لعاد للإيذان بأنهم عاد الأولى بتقدير مضاف أى سبط إرم أو أهل إرم على
 ما قبل من أن إرم اسم بلدتهم أو أرضهم التي كانوا فيها ويؤيده القراءة بالإضافة وأياً ما كان فامتناع
 * صرفها للتعريف والتأنيث وقرىء إرم بإسكان الراء تخفيفاً كما قرىء بورقكم (ذات العمد) صفة لإرم
 أى ذات القدود الطوال على تشبيه قاماتهم بالأعمدة ومنه قولهم رجل عمد وعمدان إذا كان طويلاً أو
 ذات الخيام والأعمدة حيث كانوا بدويين أهل عمد أو ذات البناء الرفيع أو ذات الأساطين على أن
 إرم اسم بلدتهم وقرىء إرم ذات العمد بإضافة إرم إلى ذات العمد والإرم العلم أى بعاد أهل أعلام
 ذات العمد على أنها اسم بلدتهم وقرىء أرم ذات العمد أى جعلها الله تعالى رمياً بدل من فعل ربك وقيل
 هي جملة دعائيه اعترضت بين الموصوف والصفة وروى أنه كان لعاد ابنان شديد وشداد فلكا وقهرا
 ثم مات شديد وخلص الأمر لشداد فلك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال أبني مثلها
 فبنى إرم في بعض صحارى عدن في ثلثمائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة وأساطينها
 من الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الأشجار والأنهار المطردة ولما تم بناؤها سار إليها أهل مملكته
 فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبدالله بن قلابه

٨٩ الفجر

الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبَلَدِ ⑧

٨٩ الفجر

وَتُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ⑨

٨٩ الفجر

وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ⑩

٨٩ الفجر

الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ ⑪

٨٩ الفجر

فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ⑫

٨٩ الفجر

فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ⑬

أنه خرج في طلب لإبل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثمة وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث إلى كعب فسأله فقال هي إرم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب لإبل له ثم التفت إلى ابن قلابه فقال هذا والله ذلك الرجل (التي لم يخلق مثلها في البلاد) صفة أخرى لإرم أي لم يخلق مثلهم في عظم الأجرام والقوة ٨ حيث كان طول الرجل منهم أربعاً ثذراع وكان يأتي الصخرة العظيمة فيحملها ويلقيها على الحى فيهلكهم أو لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا وقرى لم يخلق على إسناده إلى الله تعالى (وتمود) عطف ٩ على عاد وهي قبيلة مشهورة سميت باسم جدهم ثمود أخى جديس وهما ابنا عامر بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام وكانوا عرباً من العاربة يسكنون الحجر بين الحجاز وتبوك وكانوا يعبدون الأصنام كعاد (الذين جابوا الصخر بالواد) أي قطعوا صخر الجبال فاتخذوا فيها بيوتاً نحتوها من الصخر * كقوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتاً قيل هم أول من نحت الجبال والصخور والرخام وقد بنوا ألقاً وسبعائة مدينة كلها من الحجارة (وفرعون ذى الأوتاد) وصف بذلك لكثرة جنوده وخيامهم التي ١٠ يضرّبونها في منازلهم أو لتعذيبه بالأوتاد (الذين طغوا في البلاد) إما مجرور على أنه صفة للذكورين ١١ أو منصوب أو مرفوع على الذم أي طغى كل طائفة منهم في بلادهم وكذا الكلام في قوله تعالى (فأكثروا فيها الفساد) أي بالكفر وسائر المعاصي (فصب عليهم ربك) أي أنزل إنزالاً شديداً ١٢، ١٣ على كل طائفة من أولئك الطوائف عقيب ما فعلته من الطغيان والفساد (سوط عذاب) أي عذاب شديد لا يدرك غايته وهو عبارة عما حل بكل منهم من فنون العذاب التي شرحت في سائر السور الكريمة وتسميته سوطاً للإشارة إلى أن ذلك بالنسبة إلى ما أعد لهم في الآخرة بمنزلة السوط عند السيف والتعبير عن إنزاله بالصب للإيذان بكثرة واستمراره وتتابعه فإنه عبارة عن إراقة شيء مائع أو جار مجراه في السيلان كالرمل والجوب وإفراغه بشدة وكثرة واستمرار ونسبته إلى السوط مع أنه ليس من ذلك القليل باعتبار تشبيهه في نزوله المتتابع المتدارك على المضروب بقطرات الشيء المصبوب وقيل السوط

٨٩ الفجر

إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾

٨٩ الفجر

فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾

٨٩ الفجر

وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾

٨٩ الفجر

كَذَلِكَلَّا بَلَّ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾

خلط الشيء ببعضه ببعض فالمعنى ما خلط لهم من أنواع العذاب وقد فسر بالنصيب وبالشدّة أيضاً لأن السوط يطلق على كل منهما لغة فلا حاجة حينئذ في تشبيهه بالمصوب إلى اعتبار تكرّر تعلّقه بالمعذب كما في المعنى الأول فإن كل واحد من هذه المعاني بما يقبل الاستمرار في نفسه وقوله تعالى (إن ربك لبالمرصاد) تعليل لما قبله وإيدان بأن كفار قومه عليه الصلاة والسلام سيصيدهم مثل ما أصاب المذكورين من العذاب كما ينبى عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام وقيل هو جواب القسم وما بينهما اعتراض والمرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالملاقات من وقته وهذا تمثيل لإرصاده تعالى بالعصاة وأنهم لا يفوتونه وقوله تعالى (فأما الإنسان) الخ متصل بما قبله كأنه قيل أنه تعالى بصدد مراقبة أحوال عباده ومجازاتهم بأعمالهم خيراً وشرّاً فأما الإنسان فلا يهيمه ذلك وإنما مطمح أنظاره ومرصد أفكاره الدنيا ولذائذها (إذا ما ابتلاه * ربه) أى عامله معاملة من يبتليه بالغنى واليسار والفناء في قوله تعالى (فأكرمه ونعمه) تفسيرية فإن الإكرام والتنعيم من الابتلاء (فيقول ربى أكرمن) أى فضلى بما أعطانى من المال والجاه حسبما كنت استحققه ولا يخطر بباله أنه فضل تفضل به عليه ليلوّه أشكر أم يكفر وهو خبر للبتداء الذى هو الإنسان والفناء لمافى أمان معنى الشرط والظرف المتوسط على نية التأخير كأنه قيل فأما الإنسان فيقول ربى أكرمن وقت ابتلائه بالإناعام وإنما تقديمه للإيدان من أول الأمر بأن الإكرام والتنعيم بطريق الابتلاء ليتضح اختلال قوله المحكى (وأما إذا ما ابتلاه) أى وأما هو إذا ما ابتلاه ربه * (فقدّر عليه رزقه) حسبما تقتضيه مشيئته المبذبة على الحكم البالغة (فيقول ربى أهانن) ولا يخطر بباله أن ذلك ليلوّه أيسر أم يحزر مع أنه ليس من الإهانة فى شيء بل التفتير قد يؤدى إلى كرامة الدارين والتوسعة قد تفضى إلى خسارهما وقرىء فقدر بالتشديد وقرىء أكرمنى وأهاننى بإثبات الياء وأكرمن وأهانن بسكون النون فى الوقف (كلا) ردع للإنسان عن مقالته المحكية وتكذيب له فيها فى كلمتا الحاليتين قال ابن عباس رضى الله عنهما المعنى لم أبتله بالغنى أكرامته على ولم أبتله بالفقر لهوانه على بل ذلك لمحض القضاء والقدر وحمل الردع والتكذيب إلى قوله الأخير بعيد وقوله تعالى (بل لا تكرمون اليتيم) انتقال من بيان سوء أقواله إلى بيان سوء أفعاله والالتفات إلى الخطاب للإيدان باقتضاء ملاحظة جنايته السابقة لمشافهته بالتوبيخ تشديداً للتقريع وتأكيذاً للتشنيع والجمع باعتبار

٨٩ الفجر

وَلَا تَحْضُونَّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾

٨٩ الفجر

وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾

٨٩ الفجر

وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾

٨٩ الفجر

كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾

٨٩ الفجر

وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾

٨٩ الفجر

وَجِئَآءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾

معنى الإنسان إذا المراد هو الجنس أى بل لسكم أحوال أشد شراً بما ذكر وأدل على تهالككم على المال حيث يكرمكم الله تعالى بكثرة المال فلا تدون ما يلزمكم فيه من إكرام اليتيم بالمبرة به وقرىء لا يكرمون (ولا تحاضون) بحذف إحدى التامين من تتحاضون أى لا يحض بعضكم بعضاً (على طعام المسكين) ١٨ أى على إطعامه وقرىء تحاضون من المحاضنة وقرىء يحضون بالياء والتاء (وتأكلون التراث) أى الميراث وأصله وارث (أكلأ لما) أى ذالم أى جمع بين الحلال والحرام فإنهم كانوا لا يورثون النساء والعصيان ويأكلون أنصباهم أو يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك (وتحبون) ٢٠ المال حباً جمًّا (كثيراً مع حرص وشرة وقرىء يحبون بالياء (كلا) ردع لهم عن ذلك وقوله تعالى (إذا دكت الأرض دكا دكا) الخ استئناف جىء به بطريق الوعيد تعليلاً للردع أى إذا دكت الأرض دكا متتابعاً حتى انكسر وذهب كل ما على وجهها من جبال وأبنية وقصور حين زلزلت وصارت هباء منبثاً وقيل الدك حط المرتفع بالبسط والتسوية فالمعنى إذا سويت تسوية بعد تسوية ولم يبق على وجهها شيء حتى صارت كالصخرة الملساء وأياً ما كان فهو عبارة عما عرض لها عند النفخة الثانية (وجاء ربك) ٢٢ أى ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من أحكام هيئته وسياسته وقيل جاء أمره تعالى وقضاؤه على حذف المضاف للتهويل (والملك صفًّا صفًّا) أى مصطفين أو ذوى صفوف فإنه ينزل يومئذ ملائكة كل سماء فيصطفون صفًّا بعد صف بحسب منازلهم ومراتبهم محدقين بالجن والإنس (وجىء يومئذ بجهم) كقوله تعالى وبرزت الجحيم قال ابن مسعود ومقاتل تقاد جهنم بسبعين ألف زمام كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش لها تغيظ وزفير وقد رواه مسلم فى صحيحه عن ابن مسعود مرفوعاً (يومئذ) بدل من إذا دكت والعامل فيهما قوله تعالى (يتذكر الإنسان) أى يتذكر ما فرط فيه بتفاصيله بمشاهدة آثاره وأحكامه أو بمعاينة عينه على أن الأعمال تتجسم فى النشأة الآخرة فيبرز كل من الحسنات والسيئات بما يناسبها من الصور الحسنة

٨٩ الفجر

يَقُولُ يَلْبِيتَنِي قَدَمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾

٨٩ الفجر

فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ﴿٢٥﴾

٨٩ الفجر

وَلَا يُوثِقُ وَثَاقُهُ أَحَدًا ﴿٢٦﴾

٨٩ الفجر

يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾

والقيصة أو يتعظ وقوله تعالى (وأنى له الذكرى) اعتراض جيء به لتحقيق أنه ليس يتذكر حقيقة لعرائه عن الجدوى بعدم وقوعه في أواته وأنى خبر مقدم والذكرى مبتدأ وله متعلق بما تعلق به الخبر أى ومن أين يكون له الذكرى وقد فات أوانها وقيل هناك مضاف محذوف أى وأنى له منفعة الذكرى والاستدلال به على عدم وجوب قبول التوبة في دار التكليف بما لا وجه له على أن تذكره ليس من التوبة في شيء فإنه عالم بأنها إنما تكون في الدنيا كما يعرب عنه قوله تعالى (يقول ياليتنى قدمت لحياتى) وهو بدل اشتغال من يتذكر أو استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ منه كأنه قيل ماذا يقول عند تذكره فقيل يقول ياليتنى عملت لأجل حياتى هذه أو وقت حياتى في الدنيا أعمالاً صالحة أتتفع بها اليوم وليس في هذا التفتى شائبة دلالة على استقلال العبد بفعله وإنما الذى يدل عليه ذلك اعتقاد كونه متمكناً من تقديم الأعمال الصالحة وأما أن ذلك بمحض قدرته أو بخلق الله تعالى عند صرف قدرته الكاسبة إليه فكلاً وأما ما قيل من أن المحجور قد يتمنى إن كان ممكناً منه فربما يوهى أن من صرف قدرته إلى أحد طرفى الفعل يعتقد أنه محجور من الطرف الآخر وليس كذلك بل كل أحد جازم بأنه لو صرف قدرته إلى أى طرف كان من أفعاله الاختيارية لحصل وعلى هذا يدور فلك التكليف وإلزام الحجة (فيومئذ) أى يوم إذ يكون ما ذكر من الأحوال والأقوال (لا يعذب عذابه أحد) ٢٤ (ولا يوثق وثاقه أحد) الهاء لله تعالى أى لا يتولى عذاب الله تعالى ووثاقه أحد سواء إذ الأمر كله له أو للإنسان أى لا يعذب أحداً من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرىء الفعلان على البناء للفعول والضمير للإنسان أيضاً وقيل المراد به أبى بن خلف أى لا يعذب أحد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والأغلال مثل وثاقه لتناهيه في الكفر والعناد وقيل لا يحمل عذاب الإنسان أحد كقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى وقوله تعالى (يا أيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ) حكاية لأحوال من اطمأن بذكر الله عز وجل وطاعته إثر حكاية أحوال من اطمأن بالدنيا وصفت بالاطمئنان لأنها تترقى في معارج الأسباب والمسببات إلى المبدأ المؤثر بالذات فتستقر دون معرفته وتستغنى به في وجودها وسائر شؤونها عن غيره بالكلية وقيل هى النفس المطمئنة إلى الحق الواصلة إلى ثلج اليقين بحيث لا يخالجه شك ما وقيل هى الآمنة التى لا يستفزها خوف ولا حزن ويؤيده أنه قرىء يا أيَّتُهَا النَّفْسُ الْآمِنَةُ الْمُطْمَئِنَّةُ أى يقول

٨٩ الفجر

أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾

٨٩ الفجر

فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾

٨٩ الفجر

وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾

الله تعالى ذلك بالذات كما كلم موسى عليه السلام أو على لسان الملك عند تمام حساب الناس وهو الأظهر وقيل عند البعث وقيل عند الموت (ارجعي إلى ربك) أى إلى مواعده أو إلى أمره (راضية) بما أوتيت من النعيم المقيم (مرضية) عند الله عز وجل (فادخلي في عبادي) في زمرة عبادي الصالحين ٢٨ المختصين بي (وادخلي جنتي) معهم أو انتظمي في سلك المقربين واستصيني بأنوارهم فإن الجواهر القدسية ٢٩ كالمرآيا المتقابلة وقيل المراد بالنفس الروح والمعنى فادخلي أجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي وهذا يؤيد كون الخطاب عند البعث وقرئ فادخلي في عبادي وقرئ في جسد عبادي وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب وقيل في حبيب بن عدى رضى الله عنهما والظاهر العموم . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في سائر الأيام كانت له نوراً يوم القيامة .

٩٠ - سورة البلد

(مكية وهي عشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩٠ البلد

لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ①

٩٠ البلد

وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ②

٩٠ البلد

وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ③

(سورة البلد مكية وآياتها عشرون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (لا أقسم بهذا البلد) أقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما عطف عليه على أن الإنسان خلق بمنوا بمقاساة الشدائد ومعاناة المشاق واعترض بين القسم وجوابه بقوله تعالى
- ٢ (وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ) إما لتشريفه عليه الصلاة والسلام بجعل حوله به مناصاً لإعظامه بالإقسام به أو للتنبيه من أول الأمر على تحقق مضمون الجواب بذكر بعض مواد المكابدة على نهج براعة الاستهلال وبيان أنه عليه الصلاة والسلام مع جلالة قدره وعظم حرمة قد استحلوه في هذا البلد الحرام وتعرضوا له بما لاخير فيه وهموا بما لم ينالوا عن شرحبيل يجرمون أن يقتلوا بها صيداً ويعضدوا بها شجرة ويستحلون لإخراجك وقتلك أو لتسليته عليه الصلاة والسلام بالوعد بفتحته على معنى وَأَنْتَ حِلٌّ بِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ كما في قوله تعالى إِنَّكَ مِيتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر وقد كان كذلك حيث أحل له عليه الصلاة والسلام مكة وفتحها عليه وما فتحت على أحد قبله ولا أحلت له فأحل عليه الصلاة والسلام فيها ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة ومقيس بن ضبابة وغيرهما وحرم دار أبي سفيان ثم قال إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام إلى أن تقوم الساعة لم تحل لأحد قبلي ولن تحل لأحد بعدى ولم تحل لي إلا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلي خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها إلا لمنشد فقال العباس يا رسول الله إلا الأذخر فإنه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال عليه الصلاة والسلام إلا الأذخر (ووالد) عطف على هذا البلد والمراد به إبراهيم وبقوله تعالى (وما ولد) لإسماعيل والنبي صلوات الله عليهم أجمعين حسبما ينبي عنه المعطوف عليه فإنه حرم إبراهيم ومنشأ إسماعيل ومسقط رأس رسول الله عليهم الصلاة والسلام والتعبير عنهما بما دون من التفعيم والتعظيم كتنكير والد وإيرادهم بعنوان الولاد ترشيح لمضمون الجواب وإيماء إلى أنه متحقق في حالي الوالدية والولدية

٩٠ البلد

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾

٩٠ البلد

أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾

٩٠ البلد

يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبَدًا ﴿٦﴾

٩٠ البلد

أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾

٩٠ البلد

أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾

٩٠ البلد

وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾

٩٠ البلد

وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾

٩٠ البلد

فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾

وقيل آدم عليه السلام ونسله وهو أنسب لمضمون الجواب من حيث شموله للكل إلا أن التفخيم المستفاد من كلمة ما لا بد فيه من اعتبار التغليب وقيل وكل والد وولده (لقد خلفا الإنسان في كبد) ٤
 أى تعب ومشقة فإنه لا يزال يقاسى فنون الشدائد من وقت نفخ الروح إلى نزاعها وماوراءه يقال كبد الرجل كبدًا إذا وجعت كبده وأصله كبده إذا أصاب كبده ثم اتسع فيه حتى استمع في كل نصب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته بمعنى أهلكه وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان يكابده من كنفار قريش والضمير في قوله تعالى (أيحسب) لبعضهم الذى كان عليه الصلاة والسلام ٥
 يكابد منهم ما يكابد كالوليد بن المغيرة وأضرابه وقيل هو أبو الأشد بن كعدة الجمحي وكان شديد القوة مغترًا بقوته وكان يبسط له الأديم العكاظي فيقوم عليه ويقول من أزالني عنه فله كذا فيجذبه عشرة فيتقطع قطعًا ولا تزل قدماء أى أيظن هذا القوى المارد المتضعف للمؤمنين (أن لن يقدر عليه أحد) *
 أن مخففة من أن واسمها الذى هو ضمير الشأن محذوف أى يحسب أنه لن يقدر على الانتقام منه أحد (يقول أهلك ما لا لبدًا) يريد كثرة ما أنفق فيما كان أهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالي ٦
 ومفاخر (أيحسب أن لم يره أحد) حين كان ينفق وأنه تعالى لا يسأله عنه ولا يجازيه عليه (لم نجعل ٨٧
 له عينين) يبصر بهما (ولسانًا) يترجم به عن ضمائره (وشفتين) يستر بهما فاه ويستعين بهما على
 النطق والأكل والشرب وغيرها (وهديناه النجدين) أى طريق الخير والشر أو التدين وأصل النجد ١٠
 المكان المرتفع (فلا اقتحم العقبة) أى فلم يشكر تلك النعم الجليلة بالأعمال الصالحة وعبر عنها ١١
 ٢١ - أبى السعود ج ٩

- ٩٠ البلد وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ⑫
- ٩٠ البلد فَكَ رَقَبَةٍ ⑬
- ٩٠ البلد أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ⑭
- ٩٠ البلد يَتَبَا ذَا مَقْرَبَةٍ ⑮
- ٩٠ البلد أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ⑯
- ٩٠ البلد ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَةِ ⑰
- ٩٠ البلد أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ⑱
- ٩٠ البلد وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَعَيَّنُنَا لَهُمُ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ⑲
- ٩٠ البلد عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ ⑳

- ١٢ بالعقبة التي هي الطريق في الجبل لصعوبة سلوكها وقوله تعالى (وما أدراك ما العقبة) أى أى شيء
- ١٣ أعلمك ما اقتحام العقبة لزيادة تقريرها وكونها عند الله تعالى بمكانة رفيعة (فك رقبة) أى هو إعتاق
- ١٤، ١٥، ١٦ رقبة (أو إطعام في يوم ذي مسغبة) أى بجاعة (يتبا ذا مقربة) أى قرابة (أو مسكيناً ذا
- متربة) أى افتقار وحيث كان المراد باقتحام العقبة هذه الأمور حسن دخول لآعلى الماضى فإنها لا تسكاد
- تقع إلا مكررة إذ المعنى فلا فك رقبة ولا أطعم يتبا أو مسكيناً والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات
- من سغب إذا جاع وقرب من النسب وترب إذا افتقر وقرىء فك رقبة أو أطعم على الإبدال من
- ١٧ اقتحم (ثم كان من الذين آمنوا) عطف على المنفى بلا وثم للدلالة على تراخى رتبة الإيمان ورفعة عمله
- * لا اشتراط جميع الأعمال الصالحة به (وتواصوا بالصبر) عطف على آمنوا أى أوصى بعضهم بعضاً
- ١٨ بالصبر على طاعة الله (وتواصوا بالمرحمة) بالرحمة على عباده أو بموجبات رحمته من الخيرات (أولئك)
- إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز صلته وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه
- * للإيذان ببعد درجاتهم في الشرف والفضل أى أولئك الموصوفون بالنعوت الجليلة المذكورة (أصحاب
- ١٩ الميمنة) أى اليمين أو اليمين (والذين كفروا بآياتنا) بما نصبناه دليلاً على الحق من كتاب وحجة أو
- ٢٠ بالقرآن (هم أصحاب المشأمة) أى الشمال أو الشؤم (عليهم نار مؤصدة) مطبقة من آصدت الباب إذا

٩١ - سورة الشمس

(مكية وهي خمس عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩١ الشمس

وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ﴿١﴾

٩١ الشمس

وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ﴿٢﴾

٩١ الشمس

وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ﴿٣﴾

٩١ الشمس

وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾

٩١ الشمس

وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾

٩١ الشمس

وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾

أطبقته وأغلقته وقرىء موصدة بغير همزة من أوصدته . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
البلد أعطاه الله تعالى الأمان من غضبه يوم القيامة .

﴿ سورة الشمس مكية وآياتها خمس عشرة ﴾

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والشمس وضحاها) أى ضوئها إذا أشرقت وقام سلطانها وقيل الضحوة
- ٢ ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد إذا امتد النهار وكاد ينتصف (والقمر إذا تلاها) بأن طلع بعد غروبها وقيل إذا تلا طلوعه طلوعها وقيل إذا تلاها فى الاستدارة وكال النور
- ٣ (والنهار إذا جلاها) أى جلى الشمس فإنها تتجلى عند انبساط النهار فكأنه جلاها مع أنها التى تبسطه
- ٤ أو جلى الظلمة أو الدنيا أو الأرض وإن لم يجر لها ذكر للعلم بها (والليل إذا يغشاها) أى الشمس فيغطى
- ٥ ضوؤها أو الآفاق أو الأرض وحيث كانت الواوات العاطفة نواب للواو الأولى القسمية القائمة مقام الفعل والباء سادة مسدداً معاً فى قولك أقسم بالله حقق أن يعلمان عمل الفعل والجار جميعاً كما
- ٥ تقول ضرب زيد عمرأ وبكر وخالدأ (والسما وما بناها) أى ومن بناها وإثار ما على من لإرادة الوصفية
- ٦ تفخيها كأنه قيل والقادر العظيم الشأن الذى بناها وجعلها مصدرية مغل بالنظم الكريم وكذا الكلام فى قوله تعالى (والأرض وما طحاها) أى بسطها من كل جانب كدحاها .

٩١ الشمس

وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾

٩١ الشمس

فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾

٩١ الشمس

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾

٩١ الشمس

وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾

٩١ الشمس

كَذَبَتْ ثُمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾

٩١ الشمس

إِذْ أَنْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾

٩١ الشمس

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾

- ٧ (ونفس وما سواها) أى أنشأها وأبدعها مستعدة لكالاتها والتشكير للنفخيم على أن المراد نفس آدم عليه السلام أو للتكثير وهو الأنسب للجواب (فألهمها فجورها وتقواها) أى أفهمها إياهما وعرفها حالهما من الحسن والقبح وما يؤدى إليه كل منهما ومكنها من اختيار أيهما شاءت وتقديم الفجور لمرعاة القواصل (قد أفلح من زكاها) أى فاز بكل مطلوب ونجا من كل مكروه من أنماها وأعلاها بالتقوى وهو جواب القسم وحذف اللام لطول الكلام وتكرير قد فى قوله تعالى (وقد خاب من دساها) لإبراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمونه والإيدان بتعلق القسم به أيضاً أسالة أى خسر من نقصها وأخفاها بالفجور وأصل دسى دس كقتضى وتقضض وقيل هو كلام تابع لقوله تعالى فألهمها فجورها وتقواها بطريق الاستطراد وإنما الجواب ما حذف تعويلاً على دلالة قوله تعالى (كذبت ثمود بطغواها) عليه كأنه قيل ليدمد من الله تعالى على كفار مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمد على ثمود لتكذيبهم صالحاً عليه السلام وهو على الأول استئناف واردة لتقرير مضمون قوله تعالى وقد خاب من دساها والطغوى بالفتح الطغيان والباء للسببية أى فعلت التكذيب بسبب طغيانها كما تقول ظلمنى بجرأته على الله تعالى أو صلة للتكذيب أى كذبت بما أوعدت به من العذاب ذى الطغوى كقوله تعالى فأهلكوا بالطاغية وقرئ بطغواها بضم الطاء وهو أيضاً مصدر كالرجعى
- ١٢ (إذ أنبعث أشقاها) منصوب بكذبت أو بالطغوى أى حين قام أشقى ثمود وهو قدار بن سلف أو هو ومن تصدى معه لعقر الناقة من الأشقياء فإن أفعال التفصيل إذا أضيف يصلح الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وفضل شقاوتهم على من عداهم لمباشرتهم العقرب مع اشتراك الكل فى الرضا به (فقال لهم) أى لثمود (رسول الله) أى صالح عليه السلام عبر عنه بعنوان الرسالة لإيداناً بوجوب طاعته وبياناً لغاية عتوهم وتماديهم فى الطغيان وهو السر فى إضافة الناقة إلى الله تعالى فى قوله تعالى (ناقة الله)

٩١ الشمس

فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾

٩١ الشمس

وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾

- أى ذروا ناقة الله (وسقياها) ولا تذودوها عنها فى نوبتها (فكذبوه) أى فى وعيده بقوله تعالى ١٤
 ولا تمسوها بسوء فإخذكم عذاب أليم وقد جوز أن يكون ضمير لهم للأشقين ولا يلائمه ذكر سقياها
 (فعقروها) أى الأشتى والجمع على تقدير وحدته لرضا الكل بفعله وقال قتادة بلغنا أنه لم يعقروها حتى *
 تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأثامهم وقال الفراء عقروها اثنان والعرب تقول هذان أفضل الناس
 (فدمدم عليهم ربهم) فأطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمدمة إذا ألبسها الشحم (بذنوبهم) *
 بسبب ذنوبهم المحكى والتصريح بذلك مع دلالة الفاء عليه للإنداز بعاقبة الذنب ليعتبر به كل مذنّب
 (فسواها) أى الدمدمة بينهم لم يفلت منهم أحد من صغير وكبير أو فسوى ثمود بالأرض أو سواها *
 فى الهلاك (ولا يخاف عقباها) أى عاقبتها وتبعها كما يخاف سائر المعاقبين من الملوكة فيبقى بعض الإبقاء ١٥
 وذلك أنه تعالى لا يفعل فعلا إلا بحق وكل من فعل بحق فإنه لا يخاف عاقبة فعله وإن كان من شأنه الخوف
 والواو للحال أو للإستئناف وقرىء فلا يخاف وقرىء لم يخف . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 من قرأ سورة الشمس فكأنما تصدق بكل شىء طلعت عليه الشمس والقمر .

٩٢ — سورة الليل
(مكية وهي إحدى وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩٢ الليل	وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى ①
٩٢ الليل	وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى ②
٩٢ الليل	وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ③
٩٢ الليل	إِنْ سَعَيْكُمْ لَشَتَّى ④
٩٢ الليل	فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى ⑤
٩٢ الليل	وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ⑥
٩٢ الليل	فَسَنِّيَرُهُ لِلْيُسْرَى ⑦
٩٢ الليل	وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ⑧

(سورة الليل مكية وآيها إحدى وعشرون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والليل إذا يغشى) أى حين يغشى الشمس كقوله تعالى والليل إذا
- ٢ يغشاها أو النهار أو كل ما يواريه بظلامه (والنهار إذا تجلّى) ظهر بزوال ظلمة الليل أو تبين وتكشف
- ٣ بطلوع الشمس (وما خلق الذكر والأنثى) أى والقادر العظيم القدرة الذى خلق صنفى الذكر والأنثى من كل ماله توالد وقيل هما آدم وحواء وقرىء والذكر والأنثى والذى خلق الذكر والأنثى
- ٤ وقيل مامصدرية (إن سعيكم لشتى) جواب القسم وشتى جمع شتيت أى إن مساعيكم لأشتات مختلفة
- ٥ ٦٠٥ وقوله تعالى (فأما من أعطى واتقى) (وصدق بالحسنى) الخ تفصيل لتلك المساعى المشتتة وتبيين
- ٦ لأحكامها أى فأما من أعطى حقها ماله واتقى محارم الله تعالى التى نهى عنها وصدق بالخصلة الحسنى
- ٧ وهى الإيمان أو بالكلمة الحسنى وهى كلمة التوحيد أو بالملة الحسنى وهى ملة الإسلام أو بالثوبة
- ٧ الحسنى وهى الجنة (فسنيسره لليسرى) فسنيته للخصلة التى تؤدى إلى يسر وراحة كدخول الجنة
- ٨ ومباديه من يسر الفرس للركوب إذا أسرجها وألجمها (وأما من بخل) أى بماله فلم يبدله فى سبيل الخير

٩٢ الليل	وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ①
٩٢ الليل	فَسَنِّيَسِرُهُ لِلْعُسْرَى ②
٩٢ الليل	وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ③
٩٢ الليل	إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ④
٩٢ الليل	وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ⑤
٩٢ الليل	فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ⑥
٩٢ الليل	لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ⑦
٩٢ الليل	الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ⑧

- (واستغنى) أى زهد فيما عنده تعالى كأنه مستغن عنه فلم يتقه أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة *
 (وكذب بالحسنى) أى ما ذكر من المعاني المتلازمة (فسنيسره للعسرى) أى للنخلة المؤدية إلى العسر ٩، ١٠،
 والشدة كدخول النار ومقدماته لاختياره لها ولعل تصدير القسمين بالإعطاء والبخل مع أن كلا منهما
 أدنى رتبة مما بعدهما فى استتباع التيسير للعسرى والتيسير للعسرى للإيذان بأن كلا منهما أصل فيما ذكر
 لاتمة لما بعدهما من التصديق والتقوى والتكذيب والاستغناء وتفسير الأول بإعطاء الطاعة والثانى
 بالبخل بما أمر به مع كونه خلاف الظاهر يأباه قوله تعالى (وما يغنى عنه) أى ولا يغنى أو أى شئ ١١
 يغنى عنه (ماله) الذى يبخل به (إذا تردى) أى هلك تفعل من الردى الذى هو الهلاك أو تردى *
 فى الحفرة إذا قبر أو تردى فى قعر جهنم (إن علينا للهدى) استئناف مقرر لما قبله أى إن علينا ١٢
 بموجب قضائنا المبني على الحكم البالغة حيث خلقنا الخلق للعبادة أن نبين لهم طريق الهدى وما يؤدى
 إليه من طريق الضلال وما يؤدى إليه وقد فعلنا ذلك بما لا مزيد عليه حيث بينا حال من سلك كلا
 الطريقين ترغيباً وترهيباً ومن ههنا تبين أن الهداية هى الدلالة على ما يوصل إلى البغية لا الدلالة الموصلة
 إليها قطعاً (وإن لنا للآخرة والأولى) أى التصرف الكلى فيها كيفما نشاء فنفعل فيها ما نشاء من ١٣
 الأفعال التى من جملتها ما وعدنا من التيسير للعسرى والتيسير للعسرى وقيل إن لنا كل ما فى الدنيا والآخرة
 فلا يضرننا ترككم الاهتداء بهدانا (فأنذرتكم نارا تلظى) بجذف إحدى التاءين من تلظى أى تلهب ١٤
 وقرئ على الأصل (لا يصلها) صلياً لازماً (إلا الأشقى) إلا الكافر فإن الفاسق لا يصلها صلياً ١٥
 لازماً وقد صرح به قوله تعالى (الذى كذب وتولى) أى كذب بالحق وأعرض عن الطاعة . ١٦

٩٢ الليل

وَسَيَجْنِبُهَا الْآتِقُ ١٧

٩٢ الليل

الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ١٨

٩٢ الليل

وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ١٩

٩٢ الليل

إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ٢٠

٩٢ الليل

وَلَسَوْفَ يَرْضَى ٢١

- ١٧ (وسيجنبها) أى سيبعد عنها (الآتق) المبالغ فى اتقاء الكفر والمعاصى فلا يحوم حولها فضلاً عن دخولها أو صليها الأبدى وأما من دونه من يتقى الكفر دون المعاصى فلا يبعد عنها هذا التباعد وذلك لا يستلزم صليها بالمعنى المذكور فلا يقدر فى الحصر السابق (الذى يؤتى ماله) يعطيه ويصرفه فى وجوه البر والحسنات وقوله تعالى (يتزكى) إما بدل من يؤتى داخل فى حكم الصلة لاحتل له أو فى حيز النصب على أنه حال من ضمير يؤتى أى يطلب أن يكون عند الله تعالى زاكياً تامياً لا يريدون به رياء ولا سمعة
- ١٩ (وما لأحد عنده من نعمة تجزى) استئناف مقرر لكون إتيائه للتركى خالصاً لوجه الله تعالى أى ليس لأحد عنده نعمة من شأنها أن تجزى وتكافأ فيقصد بإتياء ما يؤتى مجازاتها وقوله تعالى (إلا ابتغاء وجهه الأعالى) استثناء منقطع من نعمة وقرىء بالرفع على البدل من محل نعمة فإنه الرفع إما على التفاعلية أو على الابتداء ومن مزيدة ويجوز أن يكون مفعولاً له لأن المعنى لا يؤتى ماله إلا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة والآيات نزلت فى حق أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين اشترى بلالاً فى جماعة كان يؤذيهم المشركون فأعتقهم ولذلك قالوا المراد بالاشقى أبو جهل أو أمية بن خلف وقد روى عطاء والضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه عذب المشركون بلالاً وبلال يقول أحد أحد فر به النبي عليه الصلاة والسلام فقال أحد يعنى الله تعالى ينجيك ثم قال لأبى بكر رضى الله عنه إن بلالاً يعذب فى الله فعرف مزاده عليه الصلاة والسلام فأنصرف إلى منزله فأخذ رطلا من ذهب ومضى به إلى أمية بن خلف فقال له أنييعنى بلالاً قال نعم فاشتراه فأعتقه فقال المشركون ما أعتقه أبو بكر إلا ليد كانت له عنده فنزلت وقوله تعالى (ولسوف يرضى) جواب قسم مضمرة أى وبالله لسوف يرضى وهو وعد كريم بنيل جميع ما يستغنيه على أكمل الوجوه وأجلها إذ به يتحقق الرضا وقرىء يرضى مبنياً للمفعول من الإرضاء . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الليل أعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر .

٩٣ - سورة الضحى

(مكية وهي إحدى عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩٣ الضحى

وَالضُّحَى ①

٩٣ الضحى

وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ②

٩٣ الضحى

مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ③

٩٣ الضحى

وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ④

(سورة الضحى مكية وآياتها إحدى عشرة)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والضحى) هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار قالوا تخصيصه بالإقسام به لأنها الساعة التي كلم فيها موسى عليه السلام وألقى فيها السحرة سجداً لقوله تعالى وأن يحشر الناس ضحى وقيل أريد به النهار كما في قوله تعالى أن يأتهم بأسنا ضحى في مقابلة يياتاً (والليل) أى جنس الليل (إذا سجد) أى سكن أهله أو ركذ ظلامه من سجد البحر سجواً إذا سكنت أمواجه ونقل عن قتادة ومقاتل وجعفر الصادق أن المراد بالضحى هو الضحى الذى كلم الله تعالى فيه موسى عليه السلام وبالليل ليلة المعراج وقوله تعالى (ما ودعك ربك) جواب القسم أى ما قطعك قطع المودع وقرئ ٣ بالتخفيف أى ما تركك (وما قلى) أى وما أبغضك وحذف المفعول إما للاستغناء عنه بذكره من قبل أو للقصد إلى نفي صدور الفعل عنه تعالى بالكلية مع أن فيه مراعاة للفواصل . روى أن الوحي تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أياماً لما تركه الاستثناء كما مر في سورة الكهف أو لجزءه سائلاً ملحاً فقال المشركون إن محمداً ودعه ربه وقلاه فنزلت رداً عليهم وتبشيراً له عليه الصلاة والسلام بالكرامة الحاصلة والمترتبة كما يشعر به إيراد اسم الرب المنبئ عن الترتيب والتبليغ إلى الكمال مع الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام وحيث تضمن ما سبق من نفي التوديع والقلى أنه تعالى يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا بشره عليه الصلاة والسلام بأن ما سيؤتيه في الآخرة أجل وأعظم من ذلك فقيل (وللآخرة خير لك من الأولى) لما أنها باقية صافية عن الشوائب على الإطلاق وهذه فانية مشوبة ٤ بالمضار وما أوتى عليه الصلاة والسلام من شرف النبوة وإن كان بما لا يعادله شرف ولا يدانيه فضل

٩٣ الضحى

وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴿٥﴾

٩٣ الضحى

أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴿٦﴾

٩٣ الضحى

وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴿٧﴾

لكنه لا يخلو في الدنيا من بعض العوارض الفادحة في تمشية الأحكام مع أنه عند ما أعد له عليه الصلاة والسلام في الآخرة من السبق والتقدم على كافة الأنبياء والرسل يوم الجمع يوم يقوم الناس لرب العالمين وكون أمته شهداء على سائر الأمم ورفع درجات المؤمنين وإعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية التي لا تحيط بها العبارة بمنزلة بعض المبادئ بالنسبة إلى المطالب وقيل المراد بالآخرة عاقبة أمره عليه الصلاة والسلام أى لنهاية أمرك خير من بدايته لاتزال تزايد قوة وتتصاعد رفعة وقوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) عدة كريمة شاملة لما أعطاه الله تعالى في الدنيا من كمال النفس وعلوم الأولين والآخرين وظهور الأمر وإعلاء الدين بالفتوح الواقعة في عصره عليه الصلاة والسلام وفي أيام خلفائه الراشدين وغيرهم من الملوك الإسلامية وفشو الدعوة والإسلام في مشارق الأرض ومغاربها ولما ادخر له من الكرامات التي لا يعلمها إلا الله تعالى وقد أنبأ ابن عباس رضى الله عنهما عن شمة منها حيث قال له عليه الصلاة والسلام في الجنة ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابه المسك واللام للابتداء دخلت الخبر لتأكيد مضمون الجملة والمبتدأ مخذوف تقديره ولأن سوف يعطيك الخ لا للقسم لأنها لا تدخل على المضارع إلا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على أن الإعطاء كائن لا محالة وإن تراخى لحكمة وقيل هي للقسم وقاعدة التلازم بينها وبين نون التأكيد قد استثنى النحاة منها صورتين إحداهما أن يفصل بينها وبين الفعل بحرف التنفيس كهذه الآية وكقوله والله لسأعطيك والثانية أن يفصل بينهما بمعمول الفعل كقوله تعالى إلى الله تحشرون وقال أبو على الفارسي ليست هذه اللام هي التي في قوله إن زيدا لقائم بل هي التي في قولك لأقومن ونابت سوف عن إحدى نوني التأكيد فكأنه قيل ويعطيك وكذلك اللام في قوله تعالى وللآخرة الخ وقوله تعالى (ألم يجدك يتيما فآوى) تعديد لما أفاض عليه عليه الصلاة والسلام من أول أمره إلى ذلك الوقت من فنون النعماء العظام ليستشهد بالحاضر الموجود على المترقب الموعود فيطمئن قلبه وينشرح صدره والهمزة لإنكار النفي وتقرير المنفى على أبلغ وجه كأنه قيل قد وجدك الخ والوجود بمعنى العلم ویتیا مفعوله الثانى وقيل بمعنى المصادقة ویتیا حال من مفعوله . روى أن أباه مات وهو جنين قد أتت عليه ستة أشهر وماتت أمه وهو ابن سنين فكفله عمه أبو طالب وعطفه الله عليه فأحسن تربيته وذلك أيواؤه وقرىء فأوى وهو إما من آواه بمعنى آواه أو من أوى له إذا رحمه وقوله تعالى (ووجدك ضالا) عطف على ما يقتضيه الإنكار السابق كما أشير إليه أو على المضارع المنفى بلم داخل في حكمه كأنه قيل أما وجدك يتيما فأوى ووجدك غافلا عن الشرائع التي لا تهتدى

الضحى ٩٣

وَوَجَدَكَ عَابِلًا فَأَغْنِي ۝٨

الضحى ٩٣

فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩

الضحى ٩٣

وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠

الضحى ٩٣

وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١

إليها العقول كما في قوله تعالى ما كانت تدرى ما الكتاب وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة فردّه أبو جهل إلى عبد المطلب وقيل ضل مرة أخرى وطلبوه فلم يجدوه فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعاً وتضرع إلى الله تعالى فسمعوا منادياً ينادى من السماء يامعشر الناس لاتضحجوا فإن لمحمد رباً لا يخذله ولا يضيعه وإن محمداً بوادى تهامة عند شجر السمر فسار عبد المطلب وورقة بن نوفل فإذا النبي صلى الله عليه وسلم قائم تحت شجرة يلعب بالأغصان والأوراق وقيل أضلته مرضعته حليلة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبد المطلب وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به أبو طالب . يروى أن إبليس أخذ بزمام ناقته في ليلة ظلماء فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ لإبليس نفخة وقع منها إلى أرض الهند وردّه إلى القافلة (فهدى) فهداك إلى مناهج الشرائع المنطوية في تضاعيف ما أوحى إليك من الكتاب المبين وعلبك مالم تكن تعلم أو أزال ضلالك عن جدك أو عمك (ووجدك عائلاً) أى فقيراً وقرىء عيلاً وقرىء عديماً (فأغنى) فأغناك بمال خديجة أو بمال ٨ حصل لك من ربح التجارة أو بمال أفاء عليك من الغنائم قال عليه الصلاة والسلام جعل رزقى تحت ظل رمحى وقيل قنكك وأغنى قلبك (فأما اليتيم فلا تقهر) فلا تغلبه على ماله وقال مجاهد لا تحتقر وقرىء ٩ فلا تكبر أى فلا تعبس في وجهه (وأما السائل فلا تنهر) فلا تزجر ولا تغلظ له القول بل رده رداً ١٠ جيلاً قال إبراهيم بن أدهم نعم القول السؤال يحملون زادنا إلى الآخرة وقال إبراهيم النخعي السائل يريد الآخرة يحىء إلى باب أحدكم فيقول أتبعثون إلى أهليكم بشيء وقيل المراد بالسائل ههنا الذى يسأل عن الدين (وأما بنعمة ربك فحدث) بشكرها وإشاعتها وإظهار آثارها وأحكامها أريد بهاماً أفاضه ١١ الله تعالى عليه عليه الصلاة والسلام من فنون النعم التي من جملتها النعم المعدودة الموجودة منها والموعودة والمعنى إنك كنت يتيماً وضالاً وعائلاً فأوالك الله تعالى وهداك وأغناك فمما يكن من شيء فلا تنس حقوق نعمة الله تعالى عليك في هذه الثلاث واقتد بالله تعالى وأحسن كما أحسن الله إليك فتعطف على اليتيم فأوه وترحم على السائل وتفقهه بمعرفتك ولا تزجره عن بابك وحدث بنعمة الله كلها وحيث كان معظمها نعمة النبوة فقد اندرج تحت الأمر هدايته عليه الصلاة والسلام للضلال وتعليمه للشرائع والأحكام حسبما هداه الله عز وجل وعلبه من الكتاب والحكمة . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الضحى جعله الله تعالى فيمن يرضى لمحمد أن يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يقيم وسائل .

٩٤ - سورة الشرح

(مكية وهي ثمان آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩٤ الشرح

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ①

٩٤ الشرح

وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ②

٩٤ الشرح

أَلَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ③

(سورة الشرح مكية وآياتها ثمان)

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (ألم نشرح لك صدرك) لما كان الصدر محلاً لأحوال النفس ومخزناً لسرايرها من العلوم والإدراكات والملكات والإرادات وغيرها عبر بشرحه عن توسيع دائرة تصرفاتها بتأييدها بالقوة القدسية وتحليلتها بالكلمات الأنسية أى ألم نفسحه حتى حوى على الغيب والشهادة وجمع بين ملكتى الاستفادة والإفادة فما صدك الملابس بالعلائق الجسمانية عن اقتباس أنوار الملكات الروحانية وما عاقلك التعلق بمصالح الخلق عن الاستغراق فى شؤون الحق وقيل أريد به ما روى أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صباه أو يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه إيماناً وعلماً ولعله تمثيل لما ذكر أو أنموذج جسمانى مما سيظهر له عليه الصلاة والسلام من الكمال الروحانى والتعبير عن ثبوت الشرح بالاستفهام الإنكارى عن انتفائه للإيدان بأن ثبوته من الظهور بحيث لا يقدر أحد على أن يجيب عنه بغير بلى وزيادة الجار والمجرور مع توسيطه بين الفعل ومفعوله للإيدان من أول الأمر بأن الشرح من منافع عليه الصلاة والسلام ومصلحه مسارعة إلى إدخال المسرة فى قلبه عليه الصلاة والسلام وتشويقاً له إلى ما يعقبه ليتمكن عنده وقت وروده فضل

٢ تمكن وقوله تعالى (ووضعنا عنك وزرك) عطف على ما أشير إليه من مدلول الجملة السابقة كأنه قد شرحنا صدرك ووضعنا الخ وعنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح مع أن حقه التأخر عنه لما مر آنفاً من القصد إلى تعجيل المسرة والتشويق إلى المؤخر ولما أن فى وصفه نوع طول

٣ فتأخير الجار والمجرور عنه لما مر آنفاً من القصد إلى تعجيل أى حططنا عنك عبأك الثقيل (الذى أنقض ظهرك) أى حملة على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك كما يسمع من الرجل المتداعى إلى الانتقاض من ثقل الحمل مثل به حاله عليه الصلاة والسلام بما كان يثقل عليه ويغمه من فرطاته قبل النبوة أو من عدم إحاطته بتفاصيل الأحكام والشرائع أو من تهالكه على إسلام المعاندين

٩٤ الشرح

وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤٠﴾

٩٤ الشرح

فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٤١﴾

٩٤ الشرح

إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٤٢﴾

٩٤ الشرح

فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٤٣﴾

٩٤ الشرح

وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٤٤﴾

من قومه وتلطفه ووضع عند مغفرته وتعليم الشرائع وتمهيد عذره بعد أن بلغ وبالغ وقرىء وحططنا وحللنا مكان وضعنا وقرىء وحللنا عنك وقرىء (ورفعنا لك ذكرك) بعنوان النبوة وأحكامها أي رفع حيث قرن اسمه باسم الله تعالى في كلمة الشهادة والأذان والإقامة وجعل طاعته طاعته تعالى وصلى عليه هو وملأ نكته وأمر المؤمنين بالصلاة عليه وسمى رسول الله ونبى الله والكلام في العطف وزيادة لك كالذى سلف وقوله تعالى (فإن مع العسر يسراً) تقرير لما قبله ووعد كريمة بتيسير كل عسير له عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين كأنه قيل خولناك ما خولناك من جلائل النعم فكن على ثقة بفضل الله تعالى ولطفه فإن مع العسر يسراً كثيراً وفي كلمته مع إشعار بغاية سرعة مجيء اليسر كأنه مقارنة للعسر (إن مع العسر يسراً) تكرير للتأكيد أو عدة مستأنفة بأن العسر مشفوع بيسر آخر كشواب الآخرة كقولك إن للصائم فرحتان للصائم فرحة أي فرحة عند الإفطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين فإن المعرف إذا أعيد يكون الثانى دين الأول سواء كان معهوداً أو جنساً وأما المنكر فيجتملى أن يراد بالثانى فرد مغاير لما أريد بالأول (فإذا فرغت) أي من التبليغ وقيل من الغزو (فانصب) فاجتهد فى العبادة واتعب شكرأ لما أوليناك من النعم السالفة ووعدناك من الآلاء الآتية وقيل فإذا فرغت من صلاتك فاجتهد فى الدعاء وقيل إذا فرغت من دنياك فانصب فى صلاتك (وإلى ربك) وحده (فارغب) بالسؤال ولا تسأل غيره فإنه القادر على إساءة فلك لا غيره وقرىء فرغب أى فرغب الناس إلى طالب ما عنده . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ ألم نشرح فكأنما جاءنى وأنا مغتم ففرج عني .

٩٥ - سورة التين
(مكية وآياتها ثمان آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩٥ التين

وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ ﴿١﴾

٩٥ التين

وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾

(سورة التين مكية وقيل مدنية وآياتها ثمان)

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والتين والزيتون) هما هذا التين وهذا الزيتون خصهما الله سبحانه من بين الثمار بالإقسام بهما لاختصاصهما بخواص جليلة فإن التين فاكهة طيبة لأفضل له غذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح سدد الكبد والطحال وروى أبو ذر رضى الله عنه أنه أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم سل من تين فأكل منه وقال لأصحابه كلوا فلو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذا لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وعن علي بن موسى الرضا التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو أمان من الفالج وأما الزيتون فهو فاكهة وإدام ودواء ولولم يكن له سوى اختصاصه بدهن كثير المنافع مع حصوله في بقاع لادھنية فيها لكفى به فضلاً وشجرته هي الشجرة المباركة المشهود لها في التنزيل ومر معاذ بن جبل رضى الله عنه بشجرة الزيتون فأخذ منها قضيباً واستاك به وقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالخرقة وسمعته يقول هو سواكى وسواك الأنبياء قبلى وقيل هما جبلان من الأرض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لأنهما منبتا التين والزيتون وقيل التين جبل ما بين حلوان وهمدان والزيتون جبال الشام لأنهما منابتهما كأنه قيل ومنابت التين والزيتون وقال قتادة التين الجبل الذى عليه دمشق والزيتون الجبل الذى عليه بيت المقدس وقال عكرمة وابن زيد التين دمشق والزيتون بيت المقدس وهو اختيار الطبرى وقال محمد بن كعب التين مسجد أصحاب الكهف والزيتون مسجد إيليا وعن ابن عباس رضى الله عنهما التين مسجد نوح عليه السلام الذى بناه على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس وقال الضحاك التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الأقصى والصحيح هو الأول قال ابن عباس رضى الله عنهما هو تينكم الذى تأكلون وزيتونكم الذى تعصرون منه الزيت وبه قال مجاهد وعكرمة وإبراهيم النخعي وعطاء وجابر وزيد ومقاتل والكلبي (وطور

وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾

٩٥ التين

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾

٩٥ التين

ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾

٩٥ التين

سينين) هو الجبل الذي ناجى عليه موسى ربه وسينين وسيناء علان للموضع الذي هو فيه ولذلك
أضيف إليهما وسينون كبرون في جواز الإعراب بالواو والياء والإقرار على الياء وتحريك النون
بالحرركات الإعرابية (وهذا البلد الأمين) أى الآمن من أمن الرجل أمانة فهو أمين وهو مكة شرفها ٣
الله تعالى وأما أنها تحفظ من دخلها كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه ويجوز أن يكون فعلاً بمعنى مفعول
من أمنه لأنه مأمون الغوائل كما وصف بالآمن في قوله تعالى حرماً آمناً بمعنى ذى أمن ووجه الإقسام
بها تيك البقاع المباركة المشحونة ببركات الدنيا والدين غنى عن الشرح والتبيين (لقد خلقنا الإنسان) ٤
أى جنس الإنسان (فى أحسن تقويم) أى كائناً فى أحسن ما يكون من التقويم والتعديل صورة ومعنى *
حيث برأه الله تعالى مستوى القامة متناسب الأعضاء متصفاً بالحياة والعلم والقدرة والإرادة والتكلم
والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات التى هى من أنموذجات من الصفات السبحانية وآثارها وقد
عبر بعض العلماء عن ذلك بقوله خلق آدم على صورته وفى رواية على صورة الرحمن وبنى عليه تحقيق
معنى قوله من عرف نفسه فقد عرف ربه وقال إن النفس الإنسانية مجردة ليست حالة فى البدن ولا
خارجة عنه متعلقة به تعلق التدبير والتصرف تستعمله كيفما شامت فإذا أرادت فعلاً من الأفاعيل
الجسدية تلقىه إلى ما فى القلب من الروح الحيوانى الذى هو أعدل الأرواح وأصفها وأقربها منها
وأقواها مناسبة إلى عالم المجرىات القاء روحانياً وهو يلقى به بواسطة ما فى الشرايين من الأرواح إلى
الدماغ الذى هو منبت الأعصاب التى فيها القوى المحركة للإنسان فعند ذلك يحرك من الأعضاء ما يليق
بذلك الفعل من مبادئ البعيدة والقريبة فيصدر عنه ذلك بهذه الطريقة فن عرف نفسه على هذه الكيفية
من صفاتها وأفعالها تسنى له أن يترقى إلى معرفة رب العزة عز سلطانه ويطلع على أنه سبحانه منزّه عن
كونه داخلًا فى العالم أو خارجاً عنه يفعل فيه ما يشاء ويحكم ما يريد بواسطة مراتبه فيه من الملائكة
الذين يستدل على شؤونهم بما ذكر من الأرواح والقوى المرتبة فى العالم الإنسانى الذى هو نسخة للعالم
الأكبر وأنموذج منه وقوله تعالى (ثم رددناه أسفل سافلين) أى جعلناه من أهل النار الذين هم أقبح
من كل قبيح وأسفل من كل سافل لعدم جريانه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات التى لو عمل
بمقتضاها لكان فى أعلى عليين وقيل رددناه إلى أرذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة
كقوله تعالى ومن نعمه ننكسه فى الخلق وأياً ما كان فأسفل سافلين إما حال من المفعول أى رددناه
حال كونه أسفل سافلين أو صفة لمكان محذوف أى رددناه مكاناً أسفل سافلين والأول أظهر وقرئ

٩٥ التين

إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾

٩٥ التين

فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ بِالْذِّينِ. ﴿٧﴾

٩٥ التين

أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

- ٦ أسفل السافلين وقوله تعالى (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) على الأول استثناء متصل من ضمير رددناه فإنه في معنى الجمع وعلى الثاني منقطع أى لكن الذين كانوا صالحين من الهرمى (فلهم أجر غير ممنون) غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على إجلاء الله تعالى بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تحاذل نهوضهم أو غير ممنون به عليهم وهذه الجملة على الأول مقررة لما يفيد الاستثناء من خروج المؤمنين عن حكم الرد ومبينة لكيفية حالهم والخطاب في قوله تعالى (فما يكدبك بعد بالدين) للرسول صلى الله عليه وسلم أى فإى شيء يكدبك دلالة أو نطقاً بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة به وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للإنسان على طريق الالتفات لتشديد التوبيخ والتبكيك أى فما يجعلك كاذباً بسبب الدين وإنكاره بعد هذه الدلائل والمعنى أن خلق الإنسان من نطفة وتقويمه بشراً سوياً وتحويله من حال إلى حال كلاً ونقصاناً من أوضح الدلائل على قدرة الله عز وجل على البعث والجزاء فإى شيء يضطرك بعد هذا الدليل القاطع إلى أن تكون كاذباً بسبب تكذيبه أيها الإنسان (أليس الله بأحكم الحاكمين) أى أليس الذى فعل ما ذكر بأحكم الحاكمين صنفاً وتديراً حتى يتوهم عدم الإعادة والجزاء وحيث استحال عدم كونه أحكم الحاكمين تعين الإعادة والجزاء فالجملة تقرير لما قبلها وقيل الحكم بمعنى القضاء فهى وعيد للكفار وأنه يحكم عليهم بما يستحقونه من العذاب . عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قرأها يقول بلى وأنا على ذلك من الشاهدين . وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التين أعطاه الله تعالى الخصلتين العافية واليقين مادام في دار الدنيا وإذا مات أعطاه الله تعالى من الأجر بعدد من قرأ هذه السورة .

٩٦ - سورة العلق

(مكية وهي تسعة عشر آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩٦ العلق

أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ①

٩٦ العلق

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ②

(سورة العلق مكية وآياتها تسعة عشرة)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (اقرأ) أى ما يوحى إليك فإن الأمر بالقراءة يقتضى المقروء قطعاً وحيث لم يعين وجب أن يكون ذلك ما يتصل بالأمر حتماً سواء كانت السورة أول ما نزل أو لا والأقرب أن هذا إلى قوله تعالى ما لم يعلم أول ما نزل عليه عليه الصلاة والسلام كما ينطق به حديث الزهري المشهور وقوله تعالى (باسم ربك) متعلق بمضمر هو حال من ضمير الفاعل أى اقرأ ملتبساً باسمه تعالى * أى مبتدئاً به لتحقيق مقارنته لجميع أجزاء المقروء والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ إلى الكمال اللائق شيئاً فشيئاً مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام للإشعار بتبليغه عليه السلام إلى الغاية القصية من الكمالات البشرية بإزالة الوحي المتواتر ووصف الرب بقوله تعالى (الذى خلق) لتذكير أول النعماء الفائضة عليه عليه الصلاة والسلام منه تعالى والتنبية على أن من قدر على خلق الإنسان على ما هو عليه من الحياة وما يتبعها من الكمالات العلية والعملية من مادة لم تشم رائحة الحياة فضلاً عن سائر الكمالات قادر على تعليم القراءة للحى العالم المتكلم أى الذى أنشأ الخلق واستأثر به أو خلق كل شئ وقوله تعالى (خلق الإنسان) على الأول تخصيص لخلق الإنسان بالذكر من بين سائر المخلوقات ٢ لاستقلاله ببدائع الصنع والتدبير وعلى الثانى إفراد للإنسان من بين سائر المخلوقات بالبيان وتفخيم لشأنه إذ هو أشرفهم وإليه التنزيل وهو المأمور بالقراءة ويجوز أن يراد بالفعل الأول أيضاً خلق الإنسان ويقصد بتجريدته عن المفهول الإبهام ثم التفسير روما لتفخيم فطرته وقوله تعالى (من علق) * أى دم جامد لبيان كمال قدرته تعالى بإظهار ما بين حالته الأولى والآخرة من التباين البين وإيراده بلفظ الجمع بناء على أن الإنسان فى معنى الجمع لمراعاة الفواصل ولعله هو السر فى تخصيصه بالذكر من بين سائر أطوار الفطرة الإنسانية مع كون النطفة والتراب أدل منه على كمال القدرة لكونها أبعد منه بالنسبة إلى الإنسانية ولما كان خلق الإنسان أول النعم الفائضة عليه عليه الصلاة والسلام منه تعالى

٩٦ العلق

اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٢﴾

٩٦ العلق

الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٣﴾

٩٦ العلق

عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٤﴾

٩٦ العلق

كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِبَطْغَى ﴿٥﴾

٩٦ العلق

أَنْ رَّاهُ اسْتَغْنَى ﴿٦﴾

وأقدم الدلائل الدالة على وجوده عز وجل وكمال قدرته وعلمه وحكمته وصف ذاته تعالى بذلك أولاً
 ٣ ليستشهد عليه السلام به على تمكينه تعالى له من القراءة ثم كرر الأمر بقوله تعالى (اقرأ) أى افعل
 * ما أمرت به تأكيداً للإيجاب وتمهيداً لما يعقبه من قوله تعالى (وربك الأكرم) الخ فإنه كلام مستأنف
 وارد لإزاحة ما يئنه عليه السلام من العذر بقوله عليه السلام ما أنا بقارىء يريد أن القراءة شأن من
 ٤ يكتب ويقرأ وأنا أى فقيل له وربك الذى أمرك بالقراءة مبتدئاً باسمه هو الأكرم (الذى علم
 بالقلم) أى علم ما علم بواسطة القلم لا غيره فكما علم القارىء بواسطة الكتابة والقلم يعلمك بدونها وقوله
 ٥ تعالى (علم الإنسان ما لم يعلم) بدل احتمال من علم بالقلم أى علمه به وبدونه من الأمور الكلية والجزئية
 والجلية والخفية ما لم يخطر بباله وفى حذف المفعول أولاً وإيراده بعنوان عدم المعلوماتية ثانياً من
 الدلالة على كمال قدرته تعالى وكمال كرمه والإشعار بأنه تعالى يعلمه من العلوم ما لا تحيط به العقول ما لا
 ٦ يخفى (كلاً) ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى بطغيانه وإن لم يسبق ذكره للبالغة فى الزجر وقوله تعالى
 * (إن الإنسان ليطغى) أى ليجاوز الحد ويستكبر على ربه بيان للمردوع والمردوع عنه قيل هذا
 ٧ إلى آخر السورة نزل فى أبى جهل بعد الزمان وهو الظاهر وقوله تعالى (لئن رآه استغنى) مفعول له
 أى يطغى لأن رأى نفسه مستغنياً على أن استغنى مفعول ثانٍ لرأى لأنه بمعنى علم ولذلك ساغ كون
 فاعله ومفعوله ضميرى واحد كما فى علمتى وإن جوزوه بعضهم فى الرؤية البصرية أيضاً وجعل من ذلك
 قول عائشة رضى الله عنها لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام إلا الأسودان
 وتعليل طغيانه برؤيته لا بنفس الاستغناء كما يذنب عنه قوله تعالى ولوبسط الله الرزق لعباده لبغوا فى
 الأرض للإيذان بأن مدار طغيانه زعمه الفاسد . روى أن أباً جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 أتزعم أن من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهباً لعلنا نأخذ منها فنطغى فنندع ديننا وتتبع
 دينك فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال إن شئت فعلنا ذلك ثم إن لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا بأصحاب
 المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء لبقاء عليهم وقوله تعالى :

٩٦ العلق

إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ۝٨

٩٦ العلق

أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۝٩

٩٦ العلق

عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ۝١٠

٩٦ العلق

أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ۝١١

٩٦ العلق

أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ۝١٢

٩٦ العلق

أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٣

٩٦ العلق

أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤

- (إن إلى ربك الرجعى) تهديد للطاغى وتحذيره من عاقبة الطغيان والالتفات للتشديد في التهديد والرجعى ٨ مصدر بمعنى الرجوع كالبرشى وتقديم الجار والمجرور عليه لقصره عليه أى إن إلى مالك أمرك رجوع الكل بالموت والبعث لا إلى غيره استقلالاً ولا اشتراكاً فسترى حينئذ عاقبة طغيانك وقوله تعالى (أرأيت الذى ينهى) (عبداً إذا صلى) تقييد وتشنيع لحاله وتعجيب منها وإيدان بأنها من الشناعة ٩، ١٠ والغرابة بحيث يجب أن يراها كل من يتأتى منه الرؤية ويقضى منها العجب . روى أن أبا جهل قال فى ملا من طغاة قريش لئن رأيت محمداً يصلى لأطان عنقه فراه عليه السلام فى الصلاة فجاءه ثم نكص على عقبيه فقالوا مالك قال إن بينى وبينه لحدقاً من نار وهولاً وأجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره لتفخيمه عليه السلام واستعظام النهى وتأکید التعجب منه والرؤية ههنا بصرية وأما ما فى قوله تعالى (أرأيت إن كان على الهدى) (أو أمر بالتقوى) وما فى قوله تعالى (أرأيت إن كذب وتولى) ١١، ١٢، ١٣ فقلبية معناه أخبرنى فإن الرؤية لما كانت سبباً للإخبار عن المرتضى أجرى الاستفهام عنها مجرى الاستخبار عن متعلقها والخطاب لكل من صلح للخطاب ونظم الأمر والتكذيب والتولى فى سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه ليس باعتبار نفس الأفعال المذكورة من حيث صدورها عن الفاعل فإن ذلك ليس فى حيز التردد أصلاً بل باعتبار أو صافها التى هى كونها أمراً بالتقوى وتكذيباً وتولياً كفى قوله تعالى قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به كما مر والمفعول الأول لأرأيت محذوف وهو ضمير يعود إلى الموصول أو اسم إشارة يشار به إليه ومفعوله الثانى سد مسده الجملة الشرطية بجوابها المحذوف فإن المفعول الثانى لأرأيت لا يكون إلا جملة استفهامية أو قسمية والمعنى أخبرنى ذلك الناهى إن كان على الهدى فيما ينهى عنه من عبادة الله تعالى أو أمراً بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقده أو مكذباً للحق معرضاً عن الصوب كما نقول نحن (ألم يعلم بأن الله يرى) أى يطلع على أحواله فيجازيه ١٤

٩٦ العلق

كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾

٩٦ العلق

نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾

٩٦ العلق

فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾

٩٦ العلق

سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾

بها حتى أجتأ على مافعل وإنما أفرد التكذيب والتولى بشرطية مستقلة مقرونة بالجواب مصدرة باستخبار مستأنف ولم ينظما في سلك الشرط الأول بعطفهما على كان للإيذان باستقلالهما بالوقوع في نفس الأمر واستتباع الوعيد الذي ينطق به الجواب وأما القسم الأول فأمر مستحيل قد ذكر في حيز الشرط لتوسيع الدائرة وهو السر في تجريد الشرطية الأولى عن الجواب والإحالة به على جواب الثانية وهذا وقد قيل أرأيت الأول بمعنى أخبرني مفعوله الأول الموصول ومفعوله الثاني الشرطية الأولى بجوابها المحذوف لدلالة جواب الشرطية الثانية عليه وأرأيت في الموضعين تكرير للتأكيد ومعناه أخبرني عن ينهى بعض عباد الله عن صلاته إن كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عن عبادة الله تعالى أو كان أمراً بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقده وكذلك إن كان على التكذيب للحق والتولى عن الدين الصحيح كما نقول نحن ألم يعلم بأن الله يرى ويطلع على أحواله من هداه وضلاله فيجازهيه على حسب ذلك فتأمل وقيل المعنى أرأيت الذي ينهى عبداً يصلى والمنهى عن الهدى أمر بالتقوى والناهى مكذب متول فما أعجب من ذا وقيل الخطاب الثاني للكافر فإنه تعالى كالحاكم الذي حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر أخرى وكأنه قال يا كافر أخبرني إن كان صلاته هدى ودعاؤه إلى الله تعالى أمراً بالتقوى أتناه وقيل هو أمية بن خلف

١٥ كان ينهى سلمان عن الصلاة (كلا) ردع للناهى اللعين وخسوه له واللام في قوله تعالى (لئن لم ينته) موطئة للقسم أى والله لئن لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر (لنسفعا بالناصية) لناخذن بناصيته ولنسحبته بها إلى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بعنف وشدة وقرىء لنسفن بالنون المشددة وقرىء لأسفن وكتبته في المصحف بالآلاف على حكم الوقف والاكتفاء بلام العهد عن الإضافة لظهور أن المراد ناصية المذكور (ناصية كاذبة خاطئة) بدل من الناصية وإنما جاز لإبدالها من المعرفة وهى نكرة لوصفها وقرئت بالرفع على هى ناصية وبالنصب وكلاهما على الذم والشم ووصفها بالكذب والخطأ على الإسناد المجازى وهما لصاحبها وفيه من الجزالة ما ليس فى قولك ناصية كاذب المخطئ (فليدع ناديه) أى أهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذى ينتدى فيه القوم أى يجتمعون . روى أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فقال ألم أنك فأغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتهددنى وأنا أكثر أهل الوادى نادياً فنزلت (سندع الزبانية) ليجروه إلى النار والزبانية

١٨

الشرط الواحد زبانية كعفوية من الزين وهو الدفع وقيل زبني وكأنه نسب إلى الزين ثم غير كما مضى وأصلها زباني فقل زبانية بتعويض التاء عن الياء والمراد ملائكة العذاب وعن النبي صلى الله عليه وسلم لودعا نادية لأخذته الزبانية عياناً (كلا) ردع بعد ردع وزجر إثر زجر (لا تطعه) أى دم ١٩ على ما أنت عليه من معاصاته (واسجد) وواظب على سجودك وصلاتك غير مكترث به (واقترِب) * وتقرب بذلك إلى ربك وفي الحديث أقرب ما يكون العبد إلى ربه إذا سجد . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق أعطى من الأجر كما قرأ المفصل كله .

٩٧ -- سورة القدر

(مكية وهي خمس آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩٧ القدر

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾

٩٧ القدر

وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾

٩٧ القدر

لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾

(سورة القدر مكية مختلف فيها وآياتها خمس)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (إنا أنزلناه في ليلة القدر) تنويه بشأن القرآن الكريم وإجلال لمحله بإضماره المؤذن بغاية نباهته المغنية عن التصريح به كأنه حاضر في جميع الأذهان ويأسند إنزاله إلى
- ٢ نون العظيمة النبي عن كمال العناية به وتفخيم وقت إنزاله بقوله تعالى (وما أدراك ما ليلة القدر) لما فيه من الدلالة على أن علو قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق لا يدريها ولا يدريها لإعلام الغيوب
- ٣ كما يشعر به قوله تعالى (ليلة القدر خير من ألف شهر) فإنه بيان لإجمالي لشأنها لإثراء تشويقه عليه السلام إلى درايتها فإن ذلك معرب عن الوعد بإدراكها وقد مر بيان كيفية إعراب الجملتين وفي إظهار ليلة القدر في الموضوعين من تأكيد التفخيم ما لا يخفى والمراد بإنزاله فيها إما إنزال كله إلى السماء الدنيا كما روى أنه أنزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا وأمله جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم نجوماً في ثلاث وعشرين سنة وإما ابتداء إنزاله فيها كما نقل عن الشعبي وقيل المعنى أنزلناه في شأن ليلة القدر وفضلها كما في قول عمر رضي الله عنه خشيت أن ينزل في قرآن وقول عائشة رضي الله عنها لانا أحقر في نفسي من أن ينزل في قرآن فالأنسب أن يجعل الضمير حينئذ للسورة التي هي جزء من القرآن لا للكل واختلفوا في وقتها فأكثرهم على أنها في شهر رمضان في العشر الأواخر في أوتارها وأكثر الأقوال أنها السابعة منها ولعل السر في إخفائها تعريض من يريد بها للثواب الكثير يا حياء الليالي الكثيرة رجاء لموافقتها وتسميتها بذلك إما لتقدير الأمور وقضائها فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم أو لخطرها وشرفها على سائر الليالي وتخصيص الألف بالذكر إما للتكثير أو لما روى أنه صلى الله عليه وسلم ذكر رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون منه وتقاصرت إليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغزى وقيل إن رجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى ألف شهر فأعطوا

٩٧ القدر

تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٥﴾

٩٧ القدر

سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٤﴾

- ليلة أن أحيوها كانوا أحق بأن يسموا عابدين من أولئك العباد وقيل أرى النبي صلى الله عليه وسلم أعمار الأمم كافة فاستقصر أعمار أمته نخاف أن لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر وجعلها خيراً من ألف شهر لسائر الأمم وقيل كان ملك سليمان خمسمائة شهر وملك ذى القرنين خمسمائة شهر فجعل الله تعالى العمل في هذه الليلة لمن أدركها خيراً من ملكهما وقوله تعالى (تنزل الملائكة والروح فيها) استئناف مبين لمناط فضلها على تلك المدة المتطاولة وقد سبق في سورة النبا ما قيل في شأن الروح على التفصيل وقيل هم خلق من الملائكة لا يراهم الملائكة إلا تلك الليلة أى تنزل الملائكة والروح في تلك الليلة من كل سماء إلى الأرض أو إلى السماء الدنيا (بإذن ربهم) * متعلق بتنزل أو بمحذوف هو حال من فاعله أى ملتبسين بإذن ربهم أى بأمره (من كل أمر) أى من أجل كل أمر قضاء الله عز وجل لتلك السنة إلى قابل كقوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم وقرىء من كل امرئ أى من أجل كل إنسان قيل لا يلقون فيها مؤمناً ولا مؤمنة إلا سلوا عليه (سلام) * هـ (هى) أى ماهى إلا سلامة أى لا يقدر الله تعالى فيها إلا السلامة والخير وأما في غيرها فيقضى سلامة وبلاء أو ماهى إلا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين (حتى مطلع الفجر) أى وقت طلوعه وقرىء بالكسر على أنه مصدر كالمراجع أو اسم زمان على غير قياس كالمشرق وحتى متعلقة بتنزل على أنها غاية لحكم التنزل أى لمكثهم فى محل تنزلهم أو لنفس تنزلهم بأن لا ينقطع تنزلهم فوجاً بعد فوج إلى طلوع الفجر وقيل متعلقة بسلام بناء على أن الفصل بين المصدر ومعموله بالابتداء مغتفر في الجار عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر أعطى من الأجر كمن صام رمضان وأحيالية القدر .

٩٨ — سورة البينة

(مدنية وهي ثمان آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ ٩٨ البينة

رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿٢﴾ ٩٨ البينة

(سورة البينة مدنية مختلف فيها وآياها ثمان)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) أى اليهود والنصارى وإيرادهم بذلك العنوان للإشعار بعلة مانسب إليهم من الوعد باتباع الحق فإن مناط ذلك وجدانهم له فى كتابهم وإيراد الصلة فعلا لما أن كفرهم حادث بعد أنبيائهم (والمشركين) أى عبدة الأصنام وقرىء والمشركون عطفاً على الموصول (منفكين) أى عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق والإيمان بالرسول المبعوث فى آخر الزمان والعزم على إنجازه وهذا الوعد من أهل الكتاب بما لا ريب فيه حتى أنهم كانوا يستفتحون ويقولون اللهم افتح علينا وانصرنا بالنبي المبعوث فى آخر الزمان ويقولون لأعدائهم من المشركين قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم وأما من المشركين فله قد وقع من متأخريهم بعد ما شاع ذلك من أهل الكتاب واعتقدوا صحته بما شاهدوا من نصرتهم على أسلافهم كما يشهد به أنهم كانوا يسألونهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل هو المذكور فى كتابهم وكانوا يغرونهم بتغيير نعوته عليه السلام وانفكاك الشيء عن الشيء أن يرايه بعد التحامه كالعظم إذا انفك من مفصله وفيه إشارة إلى كمال وكادة وعدم أى لم يكونوا مفارقين للوعد المذكور
- * بل كانوا مجمعين عليه عازمين على إنجازه (حتى تأتيتهم البينة) التى كانوا قد جعلوا لإتيانها ميقاتاً لاجتماع الكلمة والاتفاق على الحق فجعلوه ميقاتاً للانفكاك والافتراق وإخلاف الوعد والتعبير عن إتيانها بصيغة المضارع باعتبار حال المحكى لا باعتبار حال الحكاية كما فى قوله تعالى واتبعوا ما تتلو الشياطين
- ٢ أى تلت وقوله تعالى (رسول) يدل من البينة عبر عنه عليه السلام بالبينة للإيذان بغاية ظهور أمره وكونه ذلك الموعود فى الكتابين وقوله تعالى (من الله) متعلق بمضمرة هو صفة لرسول مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أى رسول وأى رسول كائن منه تعالى وقوله
- * تعالى (يتلو) صفة أخرى له أو حال من الضمير فى متعلق الجار (صحفاً مطهرة) أى منزهة عن الباطل لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه أو من أن يمسّه غير المطهرين ونسبة تلاوتها إليه عليه

٩٨ البينة

فِيهَا كُتِبَ قِيَمَةٌ ﴿٣﴾

٩٨ البينة

وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾

وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ

٩٨ البينة

وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾

- السلام من حيث إن تلاوة ما فيها بمنزلة تلاوتها وقوله تعالى (فيها كتب قيمة) صفة لصحفاً أو حال
من ضميرها في مطهرة ويجوز أن يكون الصفة أو الحال الجار والمجرور فقط وكتب مرتفعاً به على
الفاعلية ومعنى قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والصواب وقوله تعالى (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب)
الخ كلام مسوق لغاية تشنيع أهل الكتاب خاصة وتغليظ جناباتهم ببيان أن ما نسب إليهم من الانفكاك
لم يكن لاشتباه ما في الأمر بل كان بعد وضوح الحق وتبين الحال وانقطاع الأعذار بالكلية وهو
السرفي وصفهم بإتياء الكتاب المنبئ عن كمال تمسكهم من مطاعته والإحاطة بما في تضاعيفه من الأحكام
والأخبار التي من جملتها نعت النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذكرهم فيما سبق بما هو جار مجرى اسم
الجنس للطائفتين ولما كان هؤلاء والمشركون باعتبار اتفاقهم على الرأي المذكور في حكم فريق واحد
عبر عما صدر عنهم عقيب الاتفاق عند الإخبار بوقوعه بالانفكاك وعند بيان كيفية وقوعه بالتفرق
اعتباراً لاستقلال كل من فريق أهل الكتاب وإيداناً بأن انفكاكهم عن الرأي المذكور ليس بطريق
الاتفاق على رأي آخر بل بطريق الاختلاف القديم وقوله تعالى (إلا من بعد ما جاءتهم البينة) استثناء
مفرغ من أعم الأوقات أي وما تفرقوا في وقت من الأوقات إلا من بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة
الدالة على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الموعود في كتابهم دلالة جلية لا ريب فيها كقوله تعالى
وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم وقوله تعالى (وما أُمروا إلا ليعبدوا الله)
جملة حالية مفيدة لغاية قبح ما فعلوا أي والحال أنهم ما أُمروا في كتابهم إلا لأجل أن يعبدوا الله وقيل
اللام بمعنى أن أي إلا بأن يعبدوا الله ويعضده قراءة إلا أن يعبدوا الله (مخلصين له الدين) أي جاعلين
دينهم خالصاً له تعالى أو جاعلين أنفسهم خالصة له تعالى في الدين (حنفاء) مائلين عن جميع العقائد
الزائغة إلى الإسلام (ويقوموا الصلاة ويؤتوا الزكاة) إن أريد بهما ما في شريعتهم من الصلاة والزكاة
فالأمر ظاهر وإن أريد ما في شريعتنا فعني أمرهم بهما في الكتابين أن أمرهم باتباع شريعتنا أمر لهم
بجميع أحكامها التي هما من جملتها (وذلك) إشارة إلى ما ذكر من عبادة الله تعالى وبالإخلاص وإقامة
الصلاة وإتياء الزكاة وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو رتبته وبعد منزلته (دين القيمة) أي دين الملة
القيمة وقرىء الدين القيمة على تأويل الدين بالملة هذا وقد قيل قوله تعالى لم يكن الذين كفروا - إلى

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ
شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾

٩٨ البينة

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾

٩٨ البينة

قوله - كتب قيمة حكاية لما كانوا يقولونه قبل مبعثه عليه السلام من أنهم لا ينفكون عن دينهم إلى مبعثه ويعدون أن ينفكوا عنه حينئذ ويتفقوا على الحق وقوله تعالى وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلخ بيان لإخلاصهم الوعد وتعكيسهم الأمر بمعلمهم ما هو سبب لانفكاكهم عن دينهم الباطل حسبا وعدوه سببا لثباتهم عليه وعدم انفكاكهم عنه ومثل ذلك بأن يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لا أنفك عما أنا فيه حتى أستغنى فيستغنى فيزداد فسقا فيقول له واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما عكفت على الفسق إلا بعد اليسار وأنت خير بأن هذا إنما يتسنى بعد التليوا التي على تقدير أن يراد بالتفرق تفرقهم عن الحق بأن يقال التفرق عن الحق مستلزم للثبات على الباطل فكانه قيل وما أجمعوا على دينهم إلا من بعد ما جاءتهم البينة وأما على تقدير أن يراد به تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من أنكر ومنهم من عرف وعاند كما جوزه القائل فلاقتأمل (إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم) بيان لحال الفريقين في الآخرة بعد بيان حالهم في الدنيا وذكر المشركين لثلاثتهم اختصاص الحكم بأهل الكتاب حسب اختصاص مشاهدة شواهد النبوة في الكتاب بهم ومعنى كونهم فيها أنهم يصيرون إليها يوم القيامة وإيراد الجملة الاسمية للإيذان بتحقيق مضمونها للاحالة أو أنهم فيها الآن إما على تنزيل ملاستهم لما يوجبها منزلة ملاستهم لها وإما على أن ما هم فيه من الكفر والمعاصي عين النار إلا أنها ظهرت في هذه النشأة بصورة عرضية وستخلعها في النشأة الآخرة وتظهر بصورتها الحقيقية كما مر في قوله تعالى وإن جهنم لمحيطة بالكافرين في سورة الأعراف (خالدين فيها) حال من المستكن في الخبر واشتراك الفريقين في دخول دار العذاب بطريق الخلود لا ينافي تفاوت عذابهم في الكيفية فإن جهنم دركات وعذابها ألوان (أولئك) إشارة إليهم باعتبار اتصافهم بما هم فيه من القبائح المذكورة وما فيه من معنى البعد للإشعار بغاية بعد منزلتهم في الشر أي أولئك البعداء المذكورون (هم شر البرية) شر الخليقة أي أعمالا وهو الموافق لما سيأتي في حق المؤمنين فيكون في حيز التعليل لخلودهم في النار أو شرهم مقاما ومصيرا فيكون تأكيدا لفظاعة حالهم وقرىء بالهمزة على الأصل (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بيان لمخاض أحوال المؤمنين لإثبات سوء حال الكفرة جريا على السنة القرآنية من شفع الترهيب بالترغيب (أولئك) المنعوتون بما هو في القاصية من الشرف والفضيلة من الإيمان والطاعة (هم خير البرية) وقرىء خيار البرية وهو جمع خير نحو جيد وجياد.

جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾

٩٨ البينة

- (جزاؤهم) بمقابلة ما لهم من الإيمان والطاعة (عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار) إن أريد بالجنات الأشجار الملتفة الأغصان كما هو الظاهر فجريان الأنهار من تحتها ظاهر وإن أريد بها مجموع الأرض وما عليها فهو باعتبار الجزء الظاهر وأياً ما كان فالمراد جريانها بغير أخدود (خالدين فيها * أبداً) متنعمين بفنون النعم الجسدية والروحانية وفي تقديم مدحهم بخيرية وذكر الجزاء المؤذن بكون ما منحوه في مقابلة ما وصفوا به وبيان كونه من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية المنبثقة عن الترية والتبليغ إلى الكمال مع الإضافة إلى ضميرهم وجمع الجنات وتقييدها بالإضافة وبما يزيد نعيمها وتأكيدهم بالخلود بالأبود من الدلالة على غاية حسن حالهم ما لا يخفى (رضى الله عنهم) استئناف مبين لما يتفضل عليهم زيادة على ما ذكر من أجزية أعمالهم (ورضوا عنه) حيث بلغوا من المطالب قاصيتها وملكوا من المآرب ناصيتها وأتبع لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (ذلك) أى * ما ذكر من الجزاء والرضوان (لمن خشى ربه) فإن الخشية التى هى من خصائص العلماء بشؤون الله عز وجل مناط لجميع الكمالات العلمية والعملية المستتجة للسعادة الدينية والدنيوية والتعرض لعنوان الربوبية المعربة عن المالكية والترية للإشعار بعلّة الخشية والتحذير من الاغترار بالترية . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البينة لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مساء ومقيلاً .

٩٩ - سورة الزلزلة

(مدنية وهى ثمان آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩٩ الزلزلة:

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ❶

٩٩ الزلزلة:

وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ❷

٩٩ الزلزلة:

وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا هَآ ❸

٩٩ الزلزلة:

يَوْمَئِذٍ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا ❹

(سورة الزلزلة مدنية مختلف فيها وآيها ثمان)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (إذا زلزلت الأرض) أى حركت تحريكاً عنيفاً متكرراً متداركاً أى الزلزال المخصوص بها على مقتضى المشيئة المبنية على الحكم البالغة وهو الزلزال الشديد الذى لا غاية وراءه أو زلزالها العجيب الذى لا يقادر قدره أو زلزالها الداخلى فى حيز الإمكان وقرىء بفتح الزاء وهو اسم وليس فى الأبنية فعلا بالفتح إلا فى المضاعف وقولهم ناقة خزعال نادر وقد قيل الزلزال بالفتح أيضاً مصدر كالوسواس والجرجار والقلقال وذلك عند النفخة الثانية لقوله عز وجل (وأخرجت الأرض أثقالها) أى مافى جوفها من الأموات والدفائن جمع ثقل وهو متاع البيت وإظهار الأرض فى موقع الإضممار لزيادة التقرير أو للإيماء إلى تبدل الأرض غير الأرض أو لأن
- ٢ إخراج الأثقال حال بعض أجزائها (وقال الإنسان) أى كل فرد من أفرادها لما يدهمهم من الطامة التامة ويهرمهم من الداهية العامة (ماها) زلزلت هذه المرتبة الشديدة من الزلزال وأخرجت مافىها من الأثقال استعظاماً لما شاهدوه من الأمر الهائل وقد سمرت الجبال فى الجو وصيرت هباء وقيل هو قول الكافر إذا لم يكن مؤمناً بالبعث والأظهر هو الأول على أن المؤمن يقوله بطريق الاستعظام
- ٣ والكافر بطريق التعجب (يومئذ) بدل من إذا وقوله تعالى (تحدث أخبارها) عامل فيهما ويجوز أن يكون إذا منتصباً بمضمر أى يوم إذ زلزلت الأرض تحدث الخلق أخبارها إما بلسان الحال حيث تدل دلالة ظاهرة على ما لأجله زلزالها وإخراج أثقالها وإما بلسان المقال حيث ينطقها الله تعالى فتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنها تشهد على كل أحد بما عمل على

٩٩ الزلزلة

بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾

٩٩ الزلزلة

يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾

٩٩ الزلزلة

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾

٩٩ الزلزلة

وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

- ظهرها وقرىء تنبيه أخبارها وقرىء من الأنباء (بأن ربك أوحى لها) أى تحدث أخبارها بسبب
إيحاء ربك لها وأمره إياها بالتحديث على أحد الوجهين ويجوز أن يكون بدلا من أخبارها كأنه قيل
تحدث بأخبارها بأن ربك أوحى لأن التحديث يستعمل بالباء وبدونها وأوحى لها بمعنى أوحى إليها
(يومئذ) أى يوم إذ يقع مذكر (يصدر الناس) من قبورهم إلى موقف الحساب (أشتاتاً) متفرقين
بحسب طبقاتهم بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين كما مر في قوله تعالى فتأتون أفواجا وقيل
يصدرون عن الموقف أشتاتاً ذات اليمين إلى الجنة وذات الشمال إلى النار (ليروا أعمالهم) أى أجزية
أعمالهم خيراً كان أو شراً وقرىء ليروا بالفتح وقوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) (ومن ٨٧
يعمل مثقال ذرة شراً يره) تفصيل ليروا وقرىء يره والذرة النملة الصغيرة وقيل ما يرى في شعاع
الشمس من الهباء وأياً ما كان فعنى رؤية ما يعادها من خير وشر إمامشاهدة جزائه فمن الأولى مختصة
بالسعداء والثانية بالأشقياء كيف لا وحسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن المجتنب عن
الكبائر معفوة وما قيل من أن حسنة الكافر تؤثر في نقص العقاب يردده قوله تعالى وقدمنا إلى ما عملوا
من عمل فجعلناه هباء منثوراً وأما مشاهدة نفسه من غير أن يعتبر معه الجزاء ولا عدمه بل يفوض
كل منهما إلى سائر الدلائل الناطقة بعفو صغائر المؤمن المجتنب عن الكبائر وإثابته بجميع حسناته
وبحسبوت حسنات الكافر ومعاقبته بجميع معاصيه فالمعنى ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ليس
من مؤمن ولا كافر عمل خيراً أو شراً إلا أراه الله تعالى إياه أما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته
وأما الكافر فيرد حسناته تحسراً ويعاقبه بسيئاته . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزلزلة
أربع مرات كان كن قرأ القرآن كله والله أعلم .

١٠٠ — سورة العاديات

(مكية وهي إحدى عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠٠ العاديات

وَأَلْعَدَيْتِ ضَبْحًا ①

١٠٠ العاديات

فَالْمُورِيَّتِ قَدْحًا ②

١٠٠ العاديات

فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ③

١٠٠ العاديات

فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ④

١٠٠ العاديات

فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ⑤

(سورة العاديات مكية مختلف فيها وآياتها إحدى عشرة)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والعاديات) أقسم سبحانه بخيل الغزاة التي تعدو نحو العدو وقوله تعالى * (ضبحاً) مصدر منصوب إما بفعله المحذوف الواقع حالاً منها أى تضبح ضبحاً وهو صوت أنفسها عند عدوها أو بالعاديات فإن العدو مستلزم للتضبح كأنه قيل والضاحيات أو حال على أنه مصدر بمعنى الفاعل أى ضاحيات (فالموريات قدحاً) الإيراء إخراج النار والقدح الصك يقال قدح فأورى أى تورى النار من حوافرها وانتصاب قدحاً كانتصاب ضبحاً على الوجه الثلاثة (فالمغيرات) أسند الإغارة التى هى مباغطة العدو للنهب أو للقتل أو للأسر إليها وهى حال أهلها إيذاناً بأنها العمدة فى إغارتهم (صباحاً) أى فى وقت الصبح وهو المعتاد فى الغارات يعدون ليلاً لئلا يشعر بهم العدو ويهجمون
- ٢ عليهم صباحاً ليروا ما يأتون وما يذرون وقوله تعالى (فأثرن به) عطف على الفعل الذى دل عليه اسم الفاعل إذ المعنى واللاقى عدون فأورين فأغرن فأثرن به أى فبيجن بذلك الوقت (نقعاً) أى غباراً وتخصيص إثارته بالصبح لأنه لا يثور أو لا يظهر ثورانه بالليل وبهذا ظهر أن الإيراء الذى لا يظهر فى النهار واقع فى الليل والله در شأن التنزيل وقيل النقع الصياح والجلبة وقرئ فأثرن بالتشديد بمعنى فأظهن به غباراً لأن التأثير فيه معنى الإظهار (فوسطن به) أى توسطن بذلك الوقت أو توسطن ملتبسات بالنقع (جمعاً) من جموع الأعداء والفاءات للدلالة على ترتب ما بعد كل منها على ما قبلها كما فى قوله [يا لهف زياة للحارث] * صاحب فالغائم فالآيب [فإن توسط الجمع مترتب على الإثارة المترتبة

١٠٠ العاديات

إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾

١٠٠ العاديات

وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾

١٠٠ العاديات

وَإِنَّهُ لَحَبِيبٌ خَيْرٌ لِّشَدِيدٍ ﴿٨﴾

١٠٠ العاديات

أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾

١٠٠ العاديات

وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾

١٠٠ العاديات

إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

- ٦ على الإبراء المترتب على العدو وقوله تعالى (إن الإنسان لربه لكنود) أى لكفور من كند النعمة كنوداً جواب القسم والمراد بالإنسان بعض أفرادہ . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى أناس من بنى كنانة سرية واستعمل عليها المنذر بن عمرو الأنصارى وكان أحد النقباء فأبطأ عليه عليه الصلاة والسلام خبرها شهراً فقال المنافقون إنهم قتلوا فنزلت السورة لإخباراً للنبي صلى الله عليه وسلم بسلامتها وبشارة له بإغارتها على القوم ونعيها على المرجفين في حقهم ما هم فيه من الكنود وفى تخصيص خيل الغزاة بالإقسام بها من البراعة مالا مزيد عليه كأنه قيل وخيل الغزاة التى فعلت كيت وكيت وقد أرجف هؤلاء فى حق أربابها ما أرجفوا أنهم مبالغون فى الكفران (ولأنه على ذلك) ٧
- أى وإن الإنسان على كنوده (لشهادة) يشهد على نفسه بالكنود لظهور أثره عليه (ولأنه لحب الخير) ٨
- أى المال كما فى قوله تعالى إن ترك خيراً (لشديد) أى قوى مطيق مجد فى طلبه وتحصيله متهاك عليه * يقال هو شديد لهذا الأمر وقوى له إذا كان مطيقاً له ضابطاً وقيل الشديد البخيل أى أنه لأجل حب المال وثقل إنفاقه عليه لبخيل بمسك ولعل وصفه بهذا الوصف القبيح بعد وصفه بالكنود للإيماء إلى أن من جملة الأمور الداعية للمنافقين إلى النفاق حب المال لأنهم بما يظهرون من الإيمان يعصمون أموالهم ويحوزون من الغنائم نصيباً وقوله تعالى (أفلا يعلم إذ بعث ما فى القبور) الخ تهديد ووعيد والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أيفعل مايفعل من القبائح أو ألا يلاحظ فلا يعلم حاله إذا بعث من فى القبور من الموتى وإيراد ما لكونهم إذ ذاك بمعزل من رتبة العقلاء بمحتر وبحث وبحتر وبحث على بنائهم للفاعل (وحصل) أى جمع محصلاً أو ميز خيره من شره وقرىء وحصل مبنياً للفاعل وحصل مخففاً (ما فى الصدور) من الأسرار الخفية التى من جملتها ما يخفيه المنافقون من * الكفر والمعاصى فضلاً عن الأعمال الجليلة (إن ربهم) أى المبعوثين كنى عنهم بعد الإحياء الثانى بضمير العقلاء بعد ما عبر عنهم قبل ذلك بما بناء على تفاوتهم فى الحالين كما فعل نظيره بعد الإحياء الأول

١٠١ - سورة القارعة

(مكية وهي إحدى عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠١ القارعة

الْقَارِعَةُ ①

١٠١ القارعة

مَا الْقَارِعَةُ ②

١٠١ القارعة

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ③

حيث التفت إلى الخطاب في قوله تعالى وجعل لكم السمع والأبصار الآية بعد قوله ثم سواء ونفخ فيه
 * من روحه إيذاناً بصلاحياتهم للخطاب بعد نفخ الروح وبعدها قبله كما أشير إليه هناك (بهم) بذواتهم
 * وصفاتهم وأحوالهم بتفاصيلها (يومئذ) يوم إذ يكون ما ذكر من بعث ما في القبور وتحصيل ما في
 * الصدور (خبر) أي عالم بطواهر ما عملوا وبواطنه علماً موجباً للجزاء متصلاً به كما ينبغي عنه تقييده بذلك
 اليوم وإلا فطلق عليه سبحانه محيط بما كان وما سيكون وقوله تعالى بهم ويومئذ متعلقان بخبر قدماً
 عليه لمراعاة الفواصل واللام غير مانعة من ذلك وقرأ ابن السكك أن ربهم بهم يومئذ خبر . عن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العاديات أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من بات بمزدلفة
 وشهد جمعاً .

(سورة القارعة مكية وآياتها إحدى عشرة)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (القارعة) القرع هو الضرب بشدة واعتماد بحيث يحصل منه صوت
 شديد وهي القيامة التي مبدؤها النفخة الأولى ومنتهى فصل القضاء بين الخلائق كما مر في سورة التكوين
 سميت بها لأنها تقرر القلوب والأسماع بفنون الأفراع والأحوال وتخرج جميع الأجرام العلوية
 والسفلية من حال إلى حال السماء بالانشقاق والانفطار والشمس والنجوم بالتكوين والانكدار
- ٢ والانتشار والارض بالزلزال والتبديل والجبال بالدك والنسف وهي مبتدأ خبره قوله تعالى (ما القارعة)
 على أن ما الاستفهامية خبر والقارعة مبتدأ لا بالعكس لما مر غير مرة أن محط الفائدة هو الخبر لا
 المبتدأ ولا ريب في أن مدار إفادة الهول والفتخامة هنا هو كلمة ما لا القارعة أي شيء عجيب هي
 في الفتخامة والفضاعة وقد وضع الظاهر موضع الضمير تأكيداً للتحويل وقوله تعالى (وما أدراك ما القارعة)
- ٣ تأكيد لهُولها وفضاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم الخلق على معنى أن عظم شأنها بحيث لا تكاد

١٠١ القارعة

يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٥﴾

١٠١ القارعة

وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿٦﴾

١٠١ القارعة

فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾

تناله دراية أحد حتى يدريك بها وما في حيز الرفع على الابتداء وأدراك هو الخبر ولا سبيل إلى العكس وهنا وما القارعة جملة كما مر محلها النصب على نزع الخافض لأن أدري يتعدى إلى المفعول الثاني بالباء كما في قوله تعالى ولا أدراككم به فلما وقعت الجملة الاستفهامية معلقة له كانت في موقع المفعول الثاني له والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبراً للبتداء الأول أى وأى شيء أعلمك ما شأن القارعة ولما كان هذا منبئاً عن الوعد الكريم بإعلامها أنجز ذلك بقوله تعالى (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) على أن يوم مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لإضافته إلى الفعل وإن كان مضارعاً كما هو رأى الكوفيين أى هي يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والاضطراب والتطايير إلى الداعي كتطايير الفراش إلى النار أو منصوب بإضمار اذكر كأنه قيل بعد تفخيم أمر القارعة وتشويقه عليه الصلاة والسلام إلى معرفتها اذكر يوم يكون الناس الخ فإنه يدريك ما هي هذا وقد قيل إنه ظرف ناصبه مضمير يدل عليه القارعة أى تفرع يوم يكون الناس الخ وقيل تقديره ستأتيكم القارعة يوم يكون الخ (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) أى كالصوف الملون بالألوان المختلفة المندوف في تفرق أجزائها وتطاييرها في الجو حسبما نطق به قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وكلا الأمرين من آثار القارعة بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق بيد الله عز وجل الأرض غير الأرض ويغير هيئاتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئات الهائلة ليشاهدها أهل المحشر وهي وإن اندكت وتصدعت عند النفخة الأولى لسكن تسييرها وتسوية الأرض إنما يكونان بعد النفخة الثانية كما ينطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً يومئذ يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فإن اتباع الداعي الذي هو إسرأفيل عليه السلام وبروز الخلق لله سبحانه لا يكون إلا بعد البعث قطعاً وقد مر تمام الكلام في سورة النمل وقوله تعالى (فأما من ثقلت موازينه) الخ بيان إجمالى لتحزب الناس إلى حزين وتنبه على كيفية الأحوال الخاصة بكل منهما إثر بيان الأحوال الشاملة للكل والموازن إما جمع الموزون وهو العمل الذى له وزن وخطر عند الله كما قاله الفراء أو جمع ميزان قال ابن عباس رضى الله عنهما إنه ميزان له لسان وكفتان لا يورن فيه إلا الأعمال قالوا توضع فيه صحائف الأعمال فينظر إليه الخلائق إظهاراً

١٠١ القارة

فَهُوَ فِي عَيْشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾

١٠١ القارة

وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾

١٠١ القارة

فَأَمَّهُ هَٰوِيَةٌ ﴿٩﴾

١٠١ القارة

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ﴿١٠﴾

١٠١ القارة

نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

للمعدلة وقطعاً للمعذرة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوى والحكم العادل وبه قال مجاهد والأعمش والضحاك واختاره كثير من المتأخرين قالوا إن الميزان لا يتوصل به إلا إلى معرفة مقادير الأجسام فكيف يمكن أن يعرف به مقادير الأعمال التي هي أعراض منقضية وقيل إن الأعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه يؤتى بالأعمال الصالحة على صور حسنة وبالأعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع في الميزان أي فن ترجحت مقادير حسناته (فهو في عيشة راضية) أي ذات رضا أو مرضية (وأما من خفت موازينه) بأن لم يكن له حسنة يعتد بها أو ترجحت سيئاته على حسناته (فأمه) أي فأواه (هاوية) هي من أسماء النار سميت بها لغاية عمقها وبعد مهواها . روى أن أهل النار تهوى فيها سبعين خريفاً وقيل إنها اسم للباب الأسفل منها وعبر عن المأوى باللام لأن أهلها يأوون إليها كما يأوى الولد إلى أمه وعن قتادة وعكرمة والكلبي أن المعنى فأم رأسه هاوية في قعر جهنم لأنه يطرح فيها منكوساً والاول هو الأوفق لقوله تعالى (وما أدراك ما هي) (نار حامية) فإنه تقرير لها بعد إهامها والإشعار بخروجها عن الحدود المعهودة للتفخيم والتهويل وهي ضمير الهاوية والهاء للسكت وإذا وصل القاريء حذفها وقيل حقه أن لا يدرج لثلاثي سقطها الإدراج لأنها ثابتة في المصحف وقد أجزئ لإثباتها مع الوصل . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القارة ثقل الله تعالى بها ميزانه يوم القيامة .

١٠٢ - سورة التكاثر
(مكية وهي ثمان آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠٢ التكاثر

أَلْهَنُكُمْ التَّكَاثُرُ ①

١٠٢ التكاثر

حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ②

١٠٢ التكاثر

كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③

١٠٢ التكاثر

ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④

١٠٢ التكاثر

كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ⑤

١٠٢ التكاثر

لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ⑥

(سورة التكاثر مكية مختلف فيها وآياتها ثمان)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (ألهاكم التكاثر) أى شغلكم التغالب فى الكثرة والتفاخر بها . روى أن بنى عبد مناف وبنى سهم تفاخروا وتعادوا وتكاثروا بالسادة والأشراف فى الإسلام فقال كل من الفريقين نحن أكثر منكم سيداً وأعز عزيزاً وأعظم نفراً فكثرتهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم إن البغى إفنانا فى الجاهلية فعادونا بالآحياء والأموات فكثرتهم بنو سهم والمعنى أنكم تكاثرتهم بالآحياء
- ٢ (حتى زرتهم المقابر) أى حتى إذا استوعبتهم عددهم صرتم إلى التفاخر والتكاثر بالأموات فعبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة القبور تهكأ بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان يفتخرون بذلك وقيل المعنى ألهاكم التكاثر بالأموال والأولاد إلى أن تمتم وقبرتم مضيعين أعماركم فى طلب الدنيا معرضين عما يهيمكم من السعى لأخراكم فتكون زيارة القبور عبارة عن الموت وقرىء
- ٣ ألهاكم على الاستفهام التقريرى (كلا) ردع وتنبه على أن العاقل ينبغى أن لا يكون معظم همه مقصوراً على الدنيا فإن عاقبة ذلك وخيمة (سوف تعلمون) سوء مغبة ما أنتم عليه إذا عاينتم عاقبته (ثم كلا سوف تعلمون) تكرير للتأكيد وثم للدلالة على أن الثانى أبلغ من الأول أو الأول عند الموت أو فى القبر
- ٥ والثانى عند النشور (كلا لو تعلمون علم اليقين) أى لو تعلمون ما بين أيديكم علم اليقين أى كعلمكم ما تستيقنونه لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتهويل وقوله تعالى (لترؤن الجحيم) جواب
- ٦

ثُمَّ لَتَرُونَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾

١٠٢ التكاثر

ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾

١٠٢ التكاثر

٧ قسم مضمراً أكد به له الوعيد وشدد به التهديد وأوضح به ما أنذروه بعد إيهامه تفخيماً (ثم لترونها) * المشاهدة والمعاينة (عين اليقين) أى الرؤية التى هى النفس اليقين فإن علم المشاهدة أقصى مراتب اليقين ٨ (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) أى عن النعيم الذى ألهاكم الالتذاذ عن الدين وتكاليفه فإن الخطاب مخصوص بمن عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش إلا لياكل الطيب ويلبس اللين ويقطع أوقاته باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فأما من تمتع بنعمة الله تعالى وتقوى بها على طاعته وكان ناهضاً بالشكر فهو من ذلك بمعزل بعيد وقيل الآية مخصوصة بالكفار . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التكاثر لم يحاسبه الله تعالى بالنعيم الذى أنعم به عليه فى دار الدنيا وأعطى من الأجر كأنما قرأ ألف آية .

١٠٣ - سورة العصر

(مكية وهي ثلاث آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠٣ العصر

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾

١٠٣ العصر

إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكُفْرٌ ﴿٢﴾

إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ ١٠٣ العصر

(سورة العصر مكية وآياتها ثلاث)

- (بسم الله الرحمن الرحيم) (والعصر) أقسم سبحانه بصلاة العصر لفضلها الباهر أو بالعشي الذي هو ما بين الزوال والغروب كما أقسم بالضحى أو بعصر النبوة لظهور فضله على سائر الأعصار أو بالدهر لانطوائه على تعاجيب الأمور القارة والمارة (إن الإنسان لفي خسر) أى خسران في متاجرهم ومسايعهم ٢ وصرف أعمارهم في مباحيهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ٣ فإنهم في تجارة لن تبور حيث باعوا الفاني الخسيس واشتروا الباقي النفيس واستبدلوا الباقيات الصالحات بالغاديات الرائحات فيالها من صفقة ما أربحها وهذا بيان لتكميلهم لأنفسهم وقوله تعالى (وتواصوا بالحق) الخ بيان لتكميلهم لغيرهم أى وصى بعضهم بعضاً بالأمر الثابت الذى لا سبيل إلى إنكاره ولا زوال فى الدارين لمحاسن آثاره وهو الخير كله من الإيمان بالله عز وجل واتباع كتبه ورسوله فى كل عقد وعمل (وتواصوا بالصبر) أى عن المعاصى التى تشاق إليها النفس بحكم الجبلة البشرية وعلى الطاعات التى يشق عليها أداؤها أو على ما يلو الله عز وجل به عباده وتخصيص هذا التواصى بالذكر مع اندراجها تحت التواصى بالحق لإبراز كمال الاعتناء به أو لأن الأول عبارة عن رتبة العبادة التى هى فعل ما يرضى به الله تعالى والثانى عن رتبة العبودية التى هى الرضا بما فعل الله تعالى فإن المراد بالصبر ليس بمجرد حبس النفس عما تشوق إليه من فعل وترك بل هو تلقى ما ورد منه تعالى بالجمل والرضا به ظاهراً وباطناً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العصر غفر الله تعالى له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر .

١٠٤ - سورة الهمة

(مكية وهى تسع آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الهمة ١٠٤

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ①

الهمة ١٠٤

الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ②

الهمة ١٠٤

يَحْسِبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ③

الهمة ١٠٤

كَلَّا لَيَنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ④

(سورة الهمة مكية وآياتها تسع)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (ويل) مبتدأ خبره (لكل همزة لمزة) وساغ الابتداء به مع كونه نكرة لأنه دعاء عليهم بالهلكة أو بشدة الشر والهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز شاعا في الكسر من أعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة للدلالة على أن ذلك منه عادة مستمرة قد ضرى بها وكذلك اللعنة والضحكة وقرىء لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة الذى يأتى بالأضاحيك فيضحك منه ويستهزأ به وقيل نزلت في الأخنس بن شريق فإنه كان ضارياً بالغيبة والوقعة وقيل في أمية بن خلف وقيل في الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغضه من جنبه الرفيع واختصاص السبب لا يستدعى خصوص الوعيد بهم بل كل من اتصف بوصفهم القبيح فله ذنوب
- ٢ منه مثل ذنوبهم (الذى جمع مالا) بدل من كل أو منصوب أو مرفوع على الذم وقرىء جمع بالتشديد * للتكثير وتنكير مالا للتفخيم والتكثير الموافق لقوله تعالى (وعدده) وقيل معنى عدده جعله عدة لنواب الدهر وقرىء وعدده أى جمع المال وضبط عدده أو جمع ماله وعدده الذين ينصرونه من قولاك فلان ذو عدد وعدد إذا كان له عدد وافر من الأنصار والأعوان وقيل هو فعل ماض بفك الإدغام (يحسب أن ماله أخلده) أى يعمل عمل من يظن أن ماله يقيه حياً والإظهار في موقع الإضمار
- ٣ لزيادة التقرير وقيل طول المال أمله ومنه الأمانى البعيدة حتى أصبح لفرط غفلته وطول أمله يحسب أن المال تركه خالداً في الدنيا لا يموت وقيل هو تعريض بالعمل الصالح والزهد في الدنيا وأنه هو الذى أخلد صاحبه في الحياة الأبدية والنعيم المقيم فأما المال فليس بخالد ولا بمخلد وروى أن الأخنس كان له أربعة آلاف دينار وقيل عشرة آلاف والجملة مستأنفة أو حال من فاعل جمع (كلا) ردع له عن
- ٤

١٠٤ الهمة

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ ﴿٥﴾

١٠٤ الهمة

نَارُ اللَّهِ الْمَوْقِدَةُ ﴿٦﴾

١٠٤ الهمة

الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْتَدَةِ ﴿٧﴾

١٠٤ الهمة

إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴿٨﴾

١٠٤ الهمة

فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

ذلك الحسبان الباطل وقوله تعالى (لينبذن) جواب قسم مقدر والجملة استئناف مبين لعللة الردع أى والله ليطرحن بسبب تعاطيه للأفعال المذكورة (فى الحطمة) أى فى النار التى شأنها أن تحطم وتكسر * كل ما يلقى فيها كما أن شأنه كسر أعراض الناس وجمع المال وقوله تعالى (وما أدراك ما الحطمة) لتحويل أمرها ببيان أنها ليست من الأمور التى تنالها عقول الخلق وقوله تعالى (نار الله) خبر مبتدأ محذوف * والجملة بيان لشأن المسئول عنها أى هى نار الله (الموقدة) بأمر الله عز سلطانه وفى إضافتها إليه سبحانه * ووصفها بالايقاد من تحويل أمرها ما لا مزيد عليه (التى تطلع على الأفئدة) أى تعلو أو ساط القلوب * وتغشاها وتخصيها بالذكر لما أن الفؤاد ألفت مافى الجسد وأشدّه تألماً بأذى يمسّه أو لأنه محل العقائد الزائفة والنيات الخبيثة ومنشأ الأعمال السيئة (إنها عليهم مؤصدة) أى مطبقة من أوصدت الباب وأصدته أى أطبقته (فى عمد ممددة) إما حال من الضمير المجرور فى عليهم أى كائنين فى عمد ممددة أى موثقين فيها مثل المقاطر التى تقطر فيها اللصوص أو خبر مبتدأ مضمرة أى هم فى عمد أوصفة لمؤصدة قاله أبو البقاء أى كائنة فى عمد ممددة بأن تؤصد عليهم الأبواب وتمدد على الأبواب العمدة استئنافاً فى استيثاق اللهم أجرنا منها ياخير مستجار وقرىء عمد بضمين . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمة أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد وأصحابه .

١٠٥ - سورة الفيل

(مكية هي خمس آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠٥ الفيل

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾

(سورة الفيل مكية وآياتها خمس)

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة لتقرير رؤيته عليه الصلاة والسلام بإنكار عدما وكيف معلقة لفعل الرؤية منصوبة بما بعدها والرؤية علمية أي ألم تعلم علماً رصيناً متاخماً للشهادة والعيان باستماع الأخبار المتواترة ومعاينة الآثار الظاهرة وتعليق الرؤية بكيفية فعله عز وجل لا بنفسه بأن يقال ألم تر ما فعل ربك الخ لتحويل الحادثة والإيذان بوقوعها على كيفية هائلة وهيئة عجيبة دالة على عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته وعزة بيته وشرف رسوله صلى الله عليه وسلم فإن ذلك من الإرهاصات لما روى أن القصة وقعت في السنة التي ولد فيها النبي صلى الله عليه وسلم وتفصيلها أن أبرهة بن الصباح الأشرم ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي بنى بصنعاء كنيسة وسماها القليس وأراد أن يصرف إليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعدها ليلاً فأغضبه ذلك وقيل أوجت رفقة من العرب ناراً فحملتها الريح فأحرقها خلف ليهذ الكعبة فخرج مع جيشه ومعه فيل له اسمه محمود وكان قوياً عظيماً وإثنا عشر فيلاً غيره وقيل ثمانية وقيل ألف وقيل كان معه وحده فلما بلغ المغمس خرج إليه عبد المطلب وعرض عليه تلك أموال تهامة ليرجع فأبى وعبا جيشه وقدم الفيل فكان كلما وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح وإذا وجهوه إلى اليمن أو إلى غيره من الجهات هرول فأرسل الله تعالى طيراً سوداً وقيل خضرأً وقيل بيضاً مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجله أكبر من العدسة وأصغر من الحصاة فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا فهلكوا في كل طريق ومنهل وروى أن أبرهة تساقطت أنامله وآرابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره أبو يكسوم وطائر يحلق وقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما آتتها وقع عليه الحجر فخر ميتاً بين يديه وقيل إن أبرهة أخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج إليه في شأنها فلما رآه أبرهة عظم في عينه وكان رجلاً وسيماً جسيماً وقيل هذا سيد قريش وصاحب غير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤس الجبال فنزل أبرهة عن سريره وجلس على بساطه وقيل أجلسه معه على سريريه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني حيث جئت لأهدم البيت الذي هو دينك ودين

١٠٥ الفيل

أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾

١٠٥ الفيل

وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾

١٠٥ الفيل

تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِيلٍ ﴿٤﴾

١٠٥ الفيل

فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

أَبَانُكَ وَعَصْمَتُكَ وَشَرَفُكَ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ لَا تَتَكَلَّمَنِي فِيهِ أَهْلَاكَ عَنْهُ ذُوْدٌ أَخَذَتْ لَكَ فَقَالَ عَبْدُ الْمُطَلِّبِ
أَنَا رَبُّ الْإِبِلِ وَإِنْ لَّابَيْتَ رَبًّا يَحْمِيهِ ثُمَّ رَجَعَ وَأَتَى بَابَ الْكَعْبَةِ فَأَخَذَ بِحُلْقَتِهِ وَمَعَهُ نَقَرَ مِنْ قَرِيشٍ يَدْعُونَ
اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَالْتَفَتَ وَهُوَ يَدْعُو فَإِذَا هُوَ بِطَيْرٍ مِنْ نَحْوِ الْبَيْنِ فَقَالَ وَاللَّهِ إِنَّهَا لَطَيْرٌ غَرِيبَةٌ مَا هِيَ نَجْدِيَّةٌ وَلَا
تَهَامِيَّةٌ فَأَرْسَلَ حُلُقَةَ الْبَابِ ثُمَّ انْطَلَقَ مَعَ أَصْحَابِهِ يَنْتَظِرُونَ مَاذَا يَفْعَلُ أَبْرَهَةَ فَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمُ الطَّيْرَ
فَكَانَ مَا كَانَ وَقِيلَ كَانَ أَبْرَهَةَ جَدُّ النَّجَاشِيِّ الَّذِي كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ رَأَيْتُ قَائِدَ الْفِيلِ وَسَائِسَهُ أَعْمِيَيْنَ مَقْعِدَيْنِ يَسْتَطْعِمَانِ وَقُرَىءَ أَلَمْ تَرَوْا بَسْكَوْنَ الرَّاءَ لِلْجَدِّ فِي
إِظْهَارِ أَثَرِ الْجَازِمِ وَقَوْلِهِ تَعَالَى (أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ) الْخَبْرَانِ لِجَمَالِ مَا فَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِمْ وَالْهَمْزَةُ ٢
لِلتَّقْرِيرِ كَمَا سَبَقَ وَلِذَلِكَ عَطَفَ عَلَى الْجُمْلَةِ الْاسْتِفْهَامِيَّةَ مَا بَعْدَهَا كَأَنَّهُ قِيلَ قَدْ جَعَلَ كَيْدَهُمْ فِي تَعْطِيلِ الْكَعْبَةِ
وَتَخْرِيبِهَا فِي تَضْيِيعٍ وَإِبْطَالِ بَأْنِ دَمَرِهِمْ أَشْنَعَ تَدْمِيرٍ (وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ) أَيْ طَوَائِفَ وَجَمَاعَاتٍ ٣
جَمْعُ لِبَالَةٍ وَهِيَ الْحَزْمَةُ الْكَبِيرَةُ شَبَّهَتْ بِهَا الْجَمَاعَةُ مِنَ الطَّيْرِ فِي تَضَامُّهَا وَقِيلَ أَبَابِيلَ مِثْلَ عِبَابِيدٍ وَشِمَاطِيطٍ
لَا وَاحِدَ لَهَا (تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ) صِفَةُ لَطَائِرٍ أَوْ قُرَىءَ يَرْمِيهِمْ بِالتَّذْكِيرِ لِأَنَّ الطَّيْرَ اسْمُ جَمْعٍ تَأْنِيثُهُ بِاعْتِبَارِ ٤
الْمَعْنَى (مِنْ سِجِيلٍ) مِنْ طَائِفٍ مَتَحَجَّرٍ مَعْرَبٍ سَنَكٌ كُلٌّ وَقِيلَ كَأَنَّهُ عَلِمَ لِلدِّيَّوَانِ الَّذِي كُتِبَ فِيهِ عَذَابُ *
الْكَفَّارِ كَأَنَّهُ سَجِنًا عَلِمَ لِلدِّيَّوَانِ الَّذِي يَكْتُبُ فِيهِ أَعْمَالُهُمْ كَأَنَّهُ قِيلَ بِحِجَارَةٍ مِنْ جُمْلَةِ الْعَذَابِ الْمَكْتُوبِ
الْمَدُونِ وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الْإِسْجَالِ وَهُوَ الْإِرْسَالُ (فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ) كَوَرَقِ زَرْعٍ فِيهِ الْآكَالُ وَهُوَ ٥
أَنْ يَأْكُلَهُ الدُّودُ أَوْ أَكَلَ حَبَّهُ فَبَقِيَ صَفْرًا مِنْهُ أَوْ كَتَبْنَ أَكَلَتَهُ الدُّوَابُ وَرَأَتْهُ أَشِيرَ إِلَيْهِ بِأَوَّلِ أَحْوَالِهِ
عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَرَأَ سُورَةَ الْفِيلِ أَعْفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَيَّامَ حَيَاتِهِ مِنَ الْخُسْفِ وَالْمَسْخِ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

١٠٦ - سورة قريش

(مكية وهي أربع آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠٦ قريش

لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ ①

١٠٦ قريش

إِلَّا لَفِهُمُ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ②

١٠٦ قريش

فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ③

١٠٦ قريش

الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ④

(سورة قريش مكية وآياتها أربع)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (لا يلف قريش) متعلق بقوله تعالى فليعبدوا والفاء لما في الكلام من معنى الشرط إذ المعنى أن نعم الله تعالى عليهم غير محصورة فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة وقيل بمضمر تقديره فعلنا ما فعلنا من إهلاك أصحاب الفيل لا يلف الخ وقيل تقديره أعجبوا لا يلف الخ وقيل بما قبله من قوله تعالى فجعلهم كعصف ما كول ويؤيده أنهما في مصحف أبي سورة واحدة بلا فصل والمعنى أهلك من قصدتم من الحبشة ليتسامع الناس فيتهيبوا لهم زيادة تهاب ويحترموا فضل احترام حتى ينتظم لهم الأمن في رحلتهم فلا يجترئ عليهم أحد وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام فيتأرون ويتجرون وكانوا في رحلتهم آمنين لأنهم أهل حرم الله تعالى وولاية بيته العزيز فلا يتعرض لهم والناس بين متخطف ومنهوب والإيلاف من قولك آلفت المكان إيلافا إذا آلفته وقرئ لا يلف قريش أى لمؤالفتهم وقيل يقال آلفته ألفاً وإلافا وقرئ لا يلف قريش وقرئ ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبت بالسفن ولا تطاق إلا بالنار والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لأنهم كانوا أكسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد وقوله تعالى (إيلافهم رحلة الشتاء والصيف) بدل من الأول ورحلة مفعول لإيلافهم وإفرادها مع أن المراد رحلتى الشتاء والصيف لأمن الإلباس وفي إطلاق الإيلاف عن المفعول أولاً وإبدال هذا منه تفخيم لأمره وتذكير لعظيم النعمة فيه وقرئ ليألف قريش لفهم رحلة الشتاء والصيف وقرئ رحلة بالضم وهي الجهة التي يرحل إليها (فليعبدوا رب هذا البيت) (الذي أطعمهم) بسبب تينك الرحلتين اللتين تمكنوا فيها بواسطة كونهم من جيرانه

١٠٧ - سورة الماعون

(مكية وهي سبع آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠٧ الماعون

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدينِ ﴿١﴾

١٠٧ الماعون

فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾

١٠٧ الماعون

وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾

١٠٧ الماعون

فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾

(من جوع) شديد كانوا فيه قبلها وقيل أريد به القحط الذي أكلوا الجيف والعظام (وآمنهم من خوف) عظيم لا يقادر قدره وهو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخلف في بلدهم ومسايرهم وقيل خوف الجذام فلا يصيبهم في بلدهم. عن النبي صلى الله عليه وسلم من ترأس سورة قريش أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها.

(سورة الماعون مكية تختلف فيها وآياتها سبع)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (أرأيت الذي يكذب بالدين) استفهام أريد به تشويق السامع إلى معرفة من سيق له الكلام والتعجب منه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لسكل عاقل والرؤية بمعنى المعرفة وقرئ رأيتك بزيادة حرف الخطاب والفاء في قوله تعالى (فذلك الذي يدع ٢
- اليتيم) جواب شرط محذوف على أن ذلك مبتدأ والموصول خبره والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء أو بالإسلام إن لم تعرفه أو إن أردت أن تعرفه فهو الذي يدفع اليتيم دفعاً عنيفاً ويزجره زجراً قبيحاً ووضع اسم الإشارة المتعرض لوصف المشار إليه موضع الضمير للإشعار بعلّة الحكم والتنبيه بما فيه من معنى البعد على بعد منزلته في الشر والفساد قيل هو أبو جهل كان وصياً ليتيم فأتاه عرياناً يسأله من مال نفسه فدفعه دفعاً شنيعاً وقيل أبو سفيان نحر جزوراً فسأله يتيم لحماً فقرعه بعصاه وقيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو العاص بن وائل السهمي وقيل هو رجل بخيل من المنافقين وقيل الموصول على عمومته وقرئ يدع اليتيم أي يتركه ويحفوه (ولا يحض) أي أهله وغيرهم من الموسرين ٣
- (على طعام المسكين) وإذا كان حال من ترك حث غيره على ما ذكر فما ظنك بحال من ترك مع القدرة عليه والفاء في قوله تعالى (فويل) الخ إما لربط ما بعدها بشرط محذوف كأنه قيل إذا كان ما ذكر من ٤

١٠٧ الماعون

الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾

١٠٧ الماعون

الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ ﴿٦﴾

١٠٧ الماعون

وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾

- * عدم المبالاة باليتيم والمسكين من دلائل التكذيب بالدين وموجبات الذم والتوبيخ فويل (للمصلين)
- ٦ (الذين هم عن صلاتهم ساهون) غافلون غير مباليين بها (الذين هم يراءون) أى يرون الناس أعمالهم
- ٧ ليروهم الثناء عليها (ويمنعون الماعون) أى الزكاة أو ما يتعاور عادة فإن عدم المبالاة باليتيم والمسكين حيث كان كما ذكر فعدم المبالاة بالصلاة التى هى عماد الدين والرياء الذى هو شعبة من الكفر ومنع الزكاة التى هى قنطرة الإسلام وسوء المعاملة مع الخلق أحق بذلك وإما لترتيب الدعاء عليهم بالويل على ما ذكر من قبائحهم ووضع المصلين موضع ضميرهم ليتوسل بذلك إلى بيان أن لهم قبائح أخرى غير ما ذكر . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الدين غفر له إن كان الزكاة مؤدياً .

١٠٨ - سورة الكوثر

(مكية وهي ثلاث آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠٨ الكوثر

إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ①

١٠٨ الكوثر

فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ②

١٠٨ الكوثر

إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ③

(سورة الكوثر مكية وآياتها ثلاث)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (إنا أعطيناك) وقرأ انطيناك (الكوثر) أى الخير المفرط الكثير من شرف النبوة الجامعة لخيرى الدارين والرياسة العامة المستتبعة لسعادة الدنيا والدين فوعل من الكثرة وقيل هونهر فى الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأها فقال أتدرون ما الكوثر إنه نهر فى الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير وروى فى صفته أنه أحلى من العسل وأشد بياضاً من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد حافظاه الزبرجد وأوانيه من فضة عدد نجوم السماء وروى لا يظلم من شرب منه أبداً أول وارديه فقراء المهاجرين الدنسو الثياب الشعث الرؤس الذين لا يزوجون المنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد يموت أحدهم وحاجته تتلجلج فى صدره لو أقسم على الله لأبره وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير فإن ناساً يقولون هو نهر فى الجنة فقال هو من الخير الكثير وقيل هو حوض فيها وقيل هو وأولاده وأتباعه أو علماء أمته أو القرآن
- ٢ الحاوى لخير الدنيا والدين والفاء فى قوله تعالى (فصل لربك) لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن إعطاءه تعالى إياه عليه السلام ما ذكر من العطية التى لم يعطها ولن يعطيها أحداً من العالمين مستوجب للامور به أى استيجاب أى قدم على الصلاة لربك الذى أفاض عليك هذه النعمة الجليلة التى لا يضاهيها نعمة خالصاً لوجهه خلاف الساهين عنها المرانين فيها أداء لحقوق شكرها فإن الصلاة جامعة لجميع أقسام الشكر (وانحر) البدن التى هى خيار أموال العرب باسمه تعالى وتصدق على المحاييج خلافاً لمن يدعهم * ويمنع عنهم الماعون وعن عطية هى صلاة الفجر بجمع والنحر بمنى وقيل صلاة العيد والتضحية وقيل هى جنس الصلاة والنحر وضع اليدين على الشمال وقيل هو أن يرفع يديه فى التكبير إلى نحره هو المروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضى الله عنهما استقبال القبلة بنحرك وهو قول الفراء والكلبي وأبى الأحوص (إن شئت) أى مبغضك كائناً من كان (هو الأبر) الذى لا عقب له
- ٣

١٠٩ - سورة الكافرون (مكية وهي ست آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠٩ الكافرون

قُلْ يَتَّيِبَا الْكُفْرُونَ ﴿١﴾

١٠٩ الكافرون

لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾

١٠٩ الكافرون

وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾

١٠٩ الكافرون

وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾

١٠٩ الكافرون

وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾

حيث لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر وأما أنت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك إلى يوم القيامة لك في الآخرة ما لا يندرج تحت البيان وقيل نزلت في العاص بن وائل وأياً ما كان فلا ريب وفي عموم الحكم . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله تعالى من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربته العباد في يوم النحر .

(سورة الكافرون مكية وآياتها ست)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (قل بأيتها الكافرون) هم كفرة مخصوصون قد علم الله تعالى أنه لا يتأتى منهم الإيمان أبداً . روى أن رهصاً من عتاة قريش قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم هلم فاتبع ديننا وتبع دينك تعبد آلهتنا ونعبد إلهك سنة فقال معاذ الله أن أشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد إلهك فنزلت فغدا إلى المسجد الحرام وفيه الملاء من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم فأيسوا (لا أعبد ما تعبدون) أي فيما يستقبل لأن لا تدخل غالباً إلا على مضارع في الاستقبال كما أن ما لا تدخل إلا على مضارع في معنى الحال والمعنى لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أي ولا أنتم فاعلون فيه ما أطلب منكم من عبادة إلهي (ولا أنا عابد ما عبدتم) أي وما كنت قط عابداً فيما سلف ما عبدتم فيه أي لم يعبد مني عبادة صنم في الجاهلية ه فكيف ترجى مني في الإسلام (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أي وما عبدتم في وقت من الأوقات ما أنا على عبادته وقيل هاتان الجملتان لنفي العبادة حالاً كما أن الأولين لنفيها استقبالا وإنما لم يقل ما عبدت

لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

١٠٩ الكافرون

ليوافق ما عبدتم لأنهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الأصنام وهو عليه السلام لم يكن حينئذ موسوماً بعبادة الله تعالى وإيثار ما في أعبد على من لأن المراد هو الوصف كأنه قيل ما أعبد من المعبود العظيم الشأن الذي لا يقادر قدر عظمته وقيل إن ما مصدرية أى لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتى وقيل الأوليان بمعنى الذى والاخرين مصدريتان وقيل قوله تعالى ولا أنا عابد ما عبدتم تأكيد لقوله تعالى لا أعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا أتم عابدون ما أعبد ثانياً تأكيداً لمثله المذكور أولاً وقوله تعالى (لکم دینکم) تقرير لقوله تعالى لا أعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا أنا عابد ما عبدتم كما أن قوله تعالى ٦ (ولى دين) تقرير لقوله تعالى ولا أتم عابدون ما أعبد والمعنى أن دينكم الذى هو الإشراك مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه إلى الحصول لى أيضاً كما تطمعون فيه فلا تعلقوا به أما نيكم الفارغة فإن ذلك المحالات وأن دينى الذى هو التوحيد مقصور على الحصول لى لا يتجاوزه إلى الحصول لكم أيضاً لأنكم علقتهمو به بالمحال الذى هو عبادتى لأهتكم أو استلامى إياها ولأن ما وعدتموه عين الإشراك وحيث كان مبنى قولهم تعبد آهتنا سنة ونعبد إلهك سنة على شركة الفريقين فى كلتا العبادتين كان القصر المستفاد من تقديم المسند قصر أفراد حتماً ويجوز أن يكون هذا تقريراً لقوله تعالى ولا أنا عابد ما عبدتم أى ولى دينى لا دينكم كما هو فى قوله تعالى ولکم ما كسبتم وقيل المعنى إني نبي مبعوث إليكم لأدعوكم إلى الحق والنجاة فإذا لم تقبلوا منى ولم تتبعوني فدعوني كفافاً ولا تدعوني إلى الشرك فتأمل . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرون فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرىء من الشرك وتعافى من الفزع الأكبر .

١٠٧ — سورة النصر

(مدنية وهي ثلاث آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١١٠ النصر

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾

١١٠ النصر

وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾

(سورة النصر مدنية وآياتها ثلاث)

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (إذا جاء نصر الله) أى إغاثة تعالى وإظهاره إياك على عدوك (والفتح) أى فتح مكة وقيل جنس نصر الله تعالى ومطلق الفتح فإن فتح مكة لما كان مفتاح الفتوح ومناطها كما أن نفسها أم القرى وإمامها جعل بحيته بمنزلة بحى سائر الفتوح وعلق به أمره عليه السلام بالتسييح والحمد والتعبير عن حصول النصر والفتح بالحى. للإيدان بأنهما متوجهان نحوه عليه السلام وأنها على جناح الوصول إليه عليه السلام عن قريب. روى أنها نزلت قبل الفتح وعليه الأكثر وقيل فى أيام التشريق بمنى فى حجة الوداع فكلمة إذا حينئذ باعتبار أن بعض ما فى حيزها أعنى رؤية دخول الناس الخ غير منقض بعد وكان فتح مكة لعشر مضي من شهر رمضان سنة ثمان ومع النبي صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وطوائف العرب وأقام بها خمس عشرة ليلة وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم قال يا أهل مكة ماترون أنى فاعل بكم قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله تعالى أمكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فياء ولذلك سمي أهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الإسلام ثم خرج إلى هوازن (ورأيت الناس) أى أبصرتهم أو علمتهم (يدخلون فى دين الله) أى ملة الإسلام التى لادين يضاد إليه تعالى غيرها والجملة على الأول حال من الناس وعلى الثانى مفعول ثان لرأيت وقوله تعالى (أفواجا) حال من فاعل يدخلون أى يدخلون فيه جماعات كثيفة كأهل مكة والطائفت واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب وكانوا قبل ذلك يدخلون فيه واحداً واحداً واثنين اثنين. روى أنه عليه السلام لما فتح مكة أقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا إذا ظفر بأهل الحرم فلن يقاومه أحد وقد كان الله تعالى أجارهم من أصحاب الفيل ومن كل من أرادهم فكانوا يدخلون فى دين الإسلام أفواجا من غير قتال وقرىء فتح الله والنصر

- وقرىء يدخلون على البناء للفعول: (فسبح بحمد ربك) فقل سبحان الله حامداً له أو فتعجب لتيسير ٣
الله تعالى ما لم يخطر ببال أحد من أن يغلب أحد على أهل حرمة المحترم واحمده على جميل صنعه هذا
على الرواية الأولى ظاهر وأما على الثانية فلعله عليه السلام أمر بأن يداوم على ذلك استعظماً لنعمه
لا بإحداث التعجب لما ذكر فإنه لما يناسب حالة الفتح أو فاذا ذكره مسبجاً حامداً زيادة في عبادته والثناء
عليه لزيادة إنعامه عليك أو فصل له حامداً على نعمه روى أنه لما فتح باب الكعبة صلى صلاة الضحى
ثمان ركعات أو فزعه عما يقوله الطلبة حامداً له على أن صدق وعده أو فأن على الله تعالى بصفات
الجلال حامداً له على صفات الإكرام (واستغفره) هضماً لنفسك واستقصاراً لعملك واستعظماً ٥
لحقوق الله تعالى واستدراكاً لما فرط منك من ترك الأولى . عن عائشة رضى الله عنها إنه كان عليه
الصلاة والسلام يكثر قبل موته أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك وعنه عليه
السلام إني لأستغفر في اليوم والليلة مائة مرة وروى أنه لما قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه
استبشروا وبكى العباس فقال عليه السلام ما يبكيك يا عم فقال نعتيت إليك نفسك قال عليه السلام إنها
لكما تقول فلم ير عليه السلام بعد ذلك ضاحكاً مستبشراً وقيل إن ابن عباس هو الذى قال ذلك فقال
عليه السلام لقد أوتى هذا الغلام علماً كثيراً ولعل ذلك للدلالة على تمام أمر الدعوة وتكامل أمر
الدين كقوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وروى أنها لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال إن عبداً خيرته الله تعالى بين الدنيا وبين لقائه فاختر لقاء الله تعالى فعلم أبو بكر رضى الله عنه
فقال فدينك بأنفسنا وآبائنا وأولادنا وعنه عليه السلام أنه دعا فاطمة رضى الله عنها فقال يا بنتاه إنه
نعتيت إلى نفسى فبككت فقال لا تبكى فإنك أول أهلى لحوقاً بى وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن هذه
السورة تسمى سورة التوديع وقيل هو أمر بالاستغفار لأمته (لأنه كان تواباً) منذ خلق المكلفين أى ٥
مبالغاً فى قبول توبتهم فليكن كل تائب مستغفر متوقفاً للقبول . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة النصر أعطى من الأجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة .

١١١ - سورة المسد

(مكية وهي خمس آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١١١ المسد

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾

١١١ المسد

مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾

(سورة المسد مكية وآياتها خمس)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (تبت أي هلكت) (يدا أبي لهب) هو عبد العزى بن عبد المطلب وإيثار التباب على الهلاك وإسناده إلى يديه لما روى لما نزل وأنذر عشيرتك الأقربين رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا وجمع أقاربه فأنذرهم فقال أبو لهب تباً لك ألهذا دعوتنا وأخذ حجراً ليرميه عليه السلام به (وتب) أي وهاك كله وقيل المراد بالاول هلاك جملة كقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ومعنى تب وكان ذلك وحصل كقول من قال [جزاني جزاء الله شر جزائه * جزاء الكلاب العاويات وقد فعل] ويؤيده قراءة من قرأ وقد تب وقيل الاول إخبار عن هلاك عمله لأن الأعمال تزاوَل غالباً بالأيدي والثاني إخبار عن هلاك نفسه وقيل كلاهما دعاء عليه بالهلاك وقيل الاول دعاء والثاني إخبار وذكر كنيته للتعريض بكونه جهنمياً ولاشتهاره بها ولكرامة ذكر اسمه
- ٢ القبيح وقرئ أبو لهب كما قيل على بن أبو طالب وقرئ أبو لهب بسكوني الهاء (ما أغنى عنه ماله وما كسب) أي لم يغن عنه حين حل به التباب على أن مانافية أو أي شيء أغنى عنه على أنها استفهامية في معنى الإنكار منصوبة بما بعدها أصل ماله وما كسبه من الأرباح والنتائج والمنافع والوجاهة والاتباع أو ماله الموروث من أبيه والذي كسبه بنفسه أو عمله الخبيث الذي هو كيد في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم أو عمله الذي ظن أنه منه على شيء كقوله تعالى وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما كسب ولده وروى أنه كان يقول إن كان ما يقول ابن أخي حقاً فأنا أفتدى منه نفسي بمالي وولدي فأستخلص منه وقد خاب مرجاه وما حصل ماتمناه فافترس ولده عتبة أسد في طريق الشام بين العير المكتنفة به وقد كان عليه السلام دعا عليه وقال اللهم سلط عليه كلباً من كلابك وهاك نفسه بالعدسة بعد وقعة بدر لسبع ليال فاجتنبه أهله مخافة العدوى وكانت قريش تتقيها كالطاعون فبقى ثلاثاً حتى أذن ثم استأجروا بعض السودان فاحتملوه ودفنوه فكان

١١١ المسد

سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾

١١١ المسد

وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾

١١١ المسد

فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

- الامر كما أخبر به القرآن (سيعلى) بفتح الياء وقرىء بضمها وفتح اللام بالتخفيف والتشديد. والسين ٣ لتأكيد الوعيد وتشديده أى سيدخل لا محالة بعد هذا العذاب العاجل فى الآخرة (ناراً ذات لهب) * أى ناراً عظيمة ذات اشتعال وتوقد وهى نار جهنم وليس هذا نصاً فى أنه لا يؤمن أبداً حتى يلزم من تكليفه الإيمان بالقرآن أن يكون مكلفاً بأن يؤمن بأنه لا يؤمن أبداً فيكون مأموراً بالجمع بين التقيضين كما هو المشهور فإن صلى النار غير مختص بالكفار فيجوز أن يفهم أبو لهب من هذا أن دخوله النار لفسقه ومعاصيه لا لكفره فلا اضطرار إلى الجواب المشهور من أن ما كلفه هو الإيمان بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم لإجمالا لا الإيمان بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى يلزم أن يكلف الإيمان بعدم إيمانه المستمر (وامرأته) عطف على المستكن فى سيعلى لمكان الفصل بالمفعول وهى أم جميل ٤ بنت حرب أخت أبى سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتشترها بالليل فى طريق النبي صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يطؤه كما يطأ الحرير وقيل كانت تمشى بالنيمة ويقال لمن يمشى بالنمائم ويفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم أى يوقد بينهم النار (حمالة الحطب) بالنصب * على الشتم والذم وقيل على الحالية بناء على أن الإضافة غير حقيقية إذ المراد أنها تحمل يوم القيامة حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وعن قتادة أنها مع كثرة ما لها كاتب تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها فغيرت بالبخل فالنصب حينئذ على الشتم حتا وقرىء بالرفع على أنه خبر وامرأته مبتدأ وقرىء حمالة للحطب بالتثنية نصباً ورفعا وقرىء مريته بالتصغير للتحقير (فى جيدها حبل من مسد) • جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر والجملة الحالية وقيل الظرف خبر لامرأته وحبل مرتفع به على الفاعلية وقيل هو حال من امرأته على تقدير عطفها على ضمير سيعلى وحبل فاعل كما ذكر والمسد ما يقتل من الحبال فتسلا شديداً من ليف المقل وقيل من أى ليف كان وقيل من لحاء شجر باليمن وقد يكون من جلود الإبل وأوبارها والمعنى فى عنقها حبل مما مسد من الحبل وأنها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها فى جيدها كما يفعل الخطابون تخسيساً بحالها وتصويراً لها بصورة بعض الخطابات من المواهن لتمتعن من ذلك ويتمتعن بعلمها وهما فى بيت العز والشرف قال مرة الحمدانى كات أم جميل تأتى كل يوم يابالة من حسك فتطرحها على طريق المسلمين فيناهى ذات ليلة حاملة حزمة أعيت فقعدت على حجر لتسترج فجذبها الملك من خلفها فاختنقت بجبلها . عن النبي صلى الله عليه من قرأ سورة المسد تبت رجوت أن لا يجمع الله بينه وبين أبى لهب فى دار واحدة .

١١٢ - سورة الاخلاص

(مكية وهى أربع آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١١٢ الاخلاص

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①

١١٢ الاخلاص

اللَّهُ الصَّمَدُ ②

(سورة الإخلاص مكية مختلف فيها وآياتها أربع)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (قل هو الله أحد) الضمير للشأن ومدار وضعه موضعه مع عدم سبق ذكره الإيذان بأنه من الشهرة والنباهة بحيث يستحضره كل أحد وإليه يشير كل مشير وإليه يعود كل ضمير كما ينبى عنه اسمه الذى أصله القصد أطلق على المعفول مبالغة وحله الرفع على الابتداء خبره الجملة بعده ولا حاجة إلى الربط لأنها عين الشأن الذى عبر عنه بالضمير والسر فى تصدير الجملة به التنبيه من أول الأمر على نخامة مضمونها وجلالة حيزها مع ما فيه من زيادة تحقيق وتقرير فإن الضمير لا يفهم منه من أول الأمر إلا شأن مبهم له خطر جليل فيبقى الذهن مترقباً لما أمامه عما يفسره ويزيل إبهامه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن وهمة أحد مبدلة من الواو وأصله وحد لا كهمة ما يلازم النفي ويراد به العموم كما فى قوله تعالى فما منكم من أحد عنه حاجزين وما فى قوله عليه السلام ما أحلت الغنائم لأحد سود الرأس غيركم فإن أصلية وقال مكى أصل أحد واحد فأبدلت الواو همزة فاجتمع ألفان لأن الهمزة تشبه الألف فحذفت إحداها تخفيفاً وقال ثعلب إن أحد لا يبنى عليه العدد ابتداء فلا يقال أحد وإثنان كما يقال واحد وإثنان ولا يقال رجل أحد كما يقال رجل واحد ولذلك اختص به تعالى أو هو لما سئل عنه أى الذى سألت عنه هو الله إذ روى أن قريشاً قالوا صف لنا ربك الذى تدعوننا إليه وانسبه فنزلت فالضمير مبتدأ والله خبره وأحد بدل منه أو خبر ثان أو خبر مبتدأ محذوف وقرئ هو الله أحد بغير قل وقرئ الله أحد بغير قل هو ٢ وقرئ قل هو الواحد وقوله تعالى (الله الصمد) مبتدأ وخبر والصمد فعل بمعنى مفعول من صمد إليه إذا قصده أى هو السيد المصمود إليه فى الحوائج المستغنى بذاته وكل ما عداه محتاج إليه فى جميع جهاته وقيل الصمد الدائم الباقي الذى لم يزل ولا يزال وقيل الذى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وتعريفه لعلهم بصمديته بخلاف أحديته وتكرير الاسم الجليل للإشعار بأن من لم يتصف بذلك فهو بمعزل من استحقاق الألوهية وتعزية الجملة عن العاطف لأنها كالنتيجة للأولى بين أولاً ألوهيته عز

١١٢ الإخلاص

لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٤﴾

١١٢ الإخلاص

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٣﴾

وجل المستنبعة لكافة نعوت الكمال ثم أحديته الموجهة تنزهه عن شائبة التعدد والتركيب بوجه من الوجوه وتوهم المشاركة في الحقيقة وخواصها ثم صمديته المقتضية لاستغنائه الذاتي عما سواه وافتقار جميع المخلوقات إليه في وجودها وبقائها وسائر أحوالها تحقيقاً للحق وإرشاداً لهم إلى سننه الواضح ثم صرح ببعض أحكام جزئية مندرجة تحت الأحكام السابقة ففيل (لم يلد) تنصيماً على إبطال زعم ٣ المفسرين في حق الملائكة والمسيح ولذلك ورد النفي على صيغة الماضي أى لم يصدر عنه ولد لأنه لا يجانس شئ ليمكن أن يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا كما نطق به قوله تعالى أنى يكون له صاحبة ولا يفترق إلى ما يعينه أو يخلفه لاستحالة الحاجة والفناء عليه سبحانه (ولم يولد) أى لم يصدر عن شئ لاستحالة * نسبة العدم إليه سابقاً ولاحقاً والتصريح به مع كونهم معترفين بمضمونه لتقرير ما قبله وتحقيقه بالإشارة إلى أنهما متلازمان إذ المعبود أن ما يلد يولد وما لا فلا ومن قضية الاعتراف بأنه لم يولد الاعتراف بأنه لا يلد فهو قريب من عطف لا يستقدمون على لا يستأخرون كما مر تحقيقه (ولم يكن له كفواً أحد) ٤ أى لم يكافئه أحد ولم يماثله ولم يشاكله من صاحبة وغيرها وله صلة لكفوا قدمت عليه مع أن حقها التأخر عنه للاهتمام بها لأن المقصود نفي المكافأة عن ذاته تعالى وقد جوز أن يكون خبراً لا صلة ويكون كفواً حالاً من أحد وليس بذاك وأما تأخير اسم كان فلهراعاة الفواصل ووجه الوصل بين هذه الجمل غنى عن البيان وقرىء بضم الكاف والفاء مع تسهيل الهمزة وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء هذا ولا نظواء السورة الكريمة مع تقارب قطريها على أشنات المعارف الإلهية والرد على من الحد فيها ورد في الحديث النبوى أنها تعدل ثلث القرآن فإن مقاصده منحصرة في بيان العقائد والأحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات منه . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أسست السموات السبع والأرضون السبع على قل هو الله أحد أى ما خلقت إلا لتكون دلائل على توحيد الله تعالى ومعرفة صفاته التى نطقت بها هذه السورة . وعنه عليه السلام أنه سمع رجلاً يقرأ قل هو الله أحد فقال وجبت ففيل وما وجبت يارسول الله قال وجبت له الجنة .

١١٣ - سورة الفلق

(مكية وهي خمس آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١١٣ الفلق

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾

١١٣ الفلق

مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾

١١٣ الفلق

وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾

(سورة الفلق مكية مختلف فيها وآياتها خمس)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (قل أعوذ برب الفلق) الفلق الصبح كالفرق لأنه يفلق عنه الليل ويفرق فعل بمعنى مفعول فإن كل واحد من المفلوق والمفلوق عنه مفعول وقيل هو ما انفلق من عموده وقيل هو كل ما يفلقه الله تعالى كالأرض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن الأمطار والحب والنوى عما يخرج منهما وغير ذلك وفي تعليق العياذ باسم الرب المضاف إلى الفلق المنبئ عن النور عقيب الظلمة والسعة بعد الضيق والفتق بعد الرق عدة كريمة بإعادة العائد بما يعوذ منه وإنجائه منه وتقوية لرجائه بتذكير بعض نظائره ومزيد ترغيب له في الجد والاجتهاد بقرع باب الالتجاء إليه تعالى وأما الإشعار بأن من قدر أن يزيل ظلمة الليل من هذا العالم قدر أن يزيل عن العائد ما يخافه كما قيل فلا إذ لاريب العائد في قدرته تعالى على ذلك حتى يحتاج إلى التنبيه عليها (من شر ما خلق) أى من شر ما خلقه من الثقيلين وغيرهم كائناتاً ما كان من ذوات الطباع والاختيار وهذا كما ترى شامل لجميع الشرور فمن توهم أن الاستعاذة ههنا من المضار البدنية وأنها تعم الإنسان وغيره بما يصدد الاستعاذة ثم جعل عمومها مداراً لإضافة الرب إلى الفلق فقد نأى عن الحق بمراحل وإضافة الشر إليه لاختصاصه بعالم الخلق المؤسس على امتزاج المواد المتباينة وتفاعل كيفياتها المتضادة المستتعبة للكون والفساد وأما عالم الأمر فهو خير محض منزّه عن شوائب الشر بالمرّة وقوله تعالى (ومن شر غاسق) تخصيص لبعض الشرور بالذكر مع اندارجه فيما قبله لزيادة مساس الحاجة إلى الاستعاذة منه لكثرة وقوعه ولأن تعيين المستعاذ منه أدل على الاعتناء بالاستعاذة وأدعى إلى الإعادة أى ومن شر ليل معتكر ظلامه من قوله تعالى إلى غسق الليل وأصل الغسق سيلان دمعها وإضافة الشر إلى الليل للملازمة له بحديثه فيه وتذكيره لعدم شمول الشر لجميع أفراد ولا لكل أجزائه وتقييده بقوله تعالى (إذا وقب)

وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾

١١٣ الفلق

وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

١١٣ الفلق

أى دخل ظلامه فى كل شىء لأن حدوثه فيه أكثر والتحرز منه أصعب وأعسر ولذلك قيل الليل أخفى للويل وقيل الغاسق هو القمر إذا امتلأ ووقبه دخوله فى الخسوف وأسوداده لما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ييدى فأشار إلى القمر فقال تعوذى بالله تعالى من شر هذا الغاسق إذا وقب وقيل التعبير عن القمر بالغاسق لأن جرمه مظلم وإنما يستنير بضوء الشمس ووقبه المحاق فى آخر الشهر والمنجمون يعدونه نحساً ولذلك لا يشتغل السحرة بالسحر المورث للتمريض إلا فى ذلك الوقت قيل وهو المناسب لسبب النزول وقيل الغاسق الثريا ووقبها سقوطها لأنها إذا سقطت كثرت الأمراض والطواعين وقيل هو كل شريعترى الإنسان ووقبه هجومه (ومن شر النفاثات فى العقد) أى ومن شر النفوس أو النساء السواحر اللاتي يعقد عقداً فى خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وقيل بدون ريق وقرىء النفاثات كما قرىء النفثات بغير ألف وتعريفها إما للعهد أو للإيدان بشمول الشر لجميع أفرادهن وتمحضهن فيه وتخصيصه بالذكر لما روى ابن عباس وعائشة رضى الله عنهن أنه كان غلام من اليهود يخدم النبي صلى الله عليه وسلم وكان عنده أسنان من مشطه صلى الله عليه وسلم فأعطاهما لليهود فسحروه عليه السلام فيها وتولاه لبيد بن الأعصم اليهودى وبناته وهن النفاثات فى العقد فدفنها فى بئر أريس فرض النبي صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام بالمعوذتين وأخبره بموضع السحر وبمن سحره وبم سحره فأرسل صلى الله عليه وسلم علياً أكرم الله وجهه والزبير وعماراً رضى الله عنهما فنزحوا ماء البئر فكأنه نقاعة الحناء ثم رفعوا راعوثة البئر وهى الصخرة التى توضع فى أسفل البئر فأخرجوا من تحتها الأسنان ومعهما وتر قد عقد فيه إحدى عشرة عقدة مغرزة بالإبرة فجأوا بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يقرأ المعوذتين عليها فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد صلى الله عليه وسلم خفة حتى انحلت العقدة الأخيرة عنه تمام السورتين فقام صلى الله عليه وسلم كأنما أنشط من عقال فقالوا يارسول الله أفلا تقتل الخبيث فقال صلى الله عليه وسلم أما أنا فقد عافانى الله عز وجل وأكره أن أثير على الناس شياً قالت عائشة رضى الله عنها ما غضب النبي صلى الله عليه وسلم غضباً ينتقم لنفسه قط إلا أن يكون شيئاً هو الله تعالى فيغضب الله وينتقم وقيل المراد بالنفث فى العقد أبطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها (ومن شر حاسد إذا حسد) أى إذا أظهر ما فى نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه بترتيب مقدمات الشر ومبادئ الإضرار بالمحسود قولاً أو فعلاً والتقييد بذلك لما أن ضرر الحسد قبله إنما يحيق بالحسد لا غيره . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التى أنزلها الله تعالى .

١١٤ - سورة الناس

(مكية وهي ست آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١١٤ الناس

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ①

١١٤ الناس

مَلِكِ النَّاسِ ②

١١٤ الناس

إِلَهِ النَّاسِ ③

١١٤ الناس

مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④

(سورة الناس مكية مختلف فيها وآياتها ست)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (قل أعوذ) وقرئ في السورتين بحذف الهزمة ونقل حركتها إلى اللام (رب الناس) أى مالك أمورهم ومربيهم يافاضة ما يصلحهم ودفع ما يضرهم وقوله تعالى (ملك الناس) عطف بيان جرى به لبيان أن تريته تعالى إياهم ليست بطريق تريية سائر الملاك لما تحت أيديهم من ممالكهم بل بطريق الملك الكامل والتصرف الكلى والسلطان القاهر وكذا قوله تعالى (إله الناس) فإنه لبيان أن ملكه تعالى ليس بمجرد الاستيلاء عليهم والقيام بتدبير أمورهم وسياستهم والتولى لترتيب مبادئ حفظهم وحمايتهم كما هو قصارى أمر الملوك بل هو بطريق المعبودية المؤسسة على الألوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلى فيهم وإحياء وإماتة وإيجاد وإعداماً وتخصيص الإضافة بالناس مع انتظام جميع العالمين في سلك ربوبيته تعالى وملكوته وألوهيته للإرشاد إلى منهج الاستعاذة المرضية عنده تعالى الحقيقة بالإعازة فإن توسل العائد بربه وانتسابه إليه تعالى بالربوبية والمملوكية والعبودية في ضمن جنس هو فرد من أفراد من دواعى مزيد الرحمة والرأفة وأمره تعالى بذلك من دلائل الوعد الكريم بالإعازة لا محالة ولأن المستعاذ منه شر الشيطان المعروف بعداوتهم ففي التخصيص على انتظامهم في سلك عبوديته تعالى وملكوته رمز إلى إنجائهم من ملكة الشيطان وتسلمته عليهم حسبما ينطق به قوله تعالى إن عبادى ليس لك عليهم سلطان فن جعل مدار تخصيص الإضافة مجرد كون الاستعاذة من المضار المختصة بالنفوس البشرية فقد قصر في توفية المقام حقها وأما جعل المستعاذ منه فيما سبق المضار البدنية فقد عرفت حاله وتكرير المضاف إليه ما يزيد الكشف والتقرير والتشريف، بالإضافة (من شر الوسواس) هو اسم بمعنى الوسوسة وهى الصوت الخفى كالزلزال بمعنى

١١٤ الناس

الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾

١١٤ الناس

مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

الزلزلة وأما المصدر فبالكسر والمراد به الشيطان سمي بفعله مبالغة كأنه نفس الوسوسة (الخناس) *
الذي عادته أن يخنس أى يتأخر إذا ذكر الإنسان ربه (الذي يوسوس في صدور الناس) إذا غفلوا
عن ذكره تعالى وحل الموصول إما الجر على الوصف وإما الرفع أو النصب على الذم (من الجنة والناس) ٦
بيان للذي يوسوس على أنه ضربان جنى وإنسى كما قال عز وجل شياطين الإنس والجن أو متعلق
بـيوسوس أى يوسوس في صدورهم من جهة الجن ومن جهة الإنس وقد جوز أن يكون ياناً للناس على
أنه يطلق على الجن أيضاً حسب إطلاق النفر والرجال عليهم ولا تعويل عليه وأقرب منه أن يراد
بالناس الناسى ويجعل سقوط الياء كسقوطها في قوله تعالى يوم يدع الداع ثم يبين بالجنة والناس فإن
كل فرد من أفراد الفريقين مبتلى بنسيان حق الله تعالى إلا من تداركه شوافع عصمته وتناوله واسع
رحمته عصمنا الله تعالى من الغفلة عن ذكره ووفقنا لأداء حقوق شكره .

﴿ تم بحمد الله وعونه هذا التفسير الجليل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ﴾

خاتمة المؤلف

قال العبد الذليل متضرعاً إلى ربه الجليل : اللهم يا ولي العصمة والإرشاد ، وهادي الغواة إلى سنن الرشاد ، باري البرية مالك الرقاب ، عليك توكلى وإليك متاب ، أنت المغيث لكل حائر ملهوف ، والمجير من كل هائل مخوف ، ألوذ بحرمك المأمون ، من غوائل ريب المنون ، وألتجئ إلى حرزك الحريز ، وآوى إلى ركنك العزيز ، وأسألك من خزائن برك المخزون ، في مكان سر كالمكنون ، خير ما جرى به قلم التكوين ، من أمور الدنيا والدين ، وأعوذ بك من فنون الفتن والشرو ، لاسيما الاطمئنان بدار الغرور ، والاعتزاز بنعيمها وزهرتها ، والافتتان بزخارفها وزينتها ، فأعذني بحمايتك ، وأعني بعنايتك ، وأفض على من شوارق الأنوار الربانية ، وبوارق الآثار السبحانية ، ما يخلصني من العوائق الظلمانية ، ويجردني من العلائق الجسمانية ، وهذب نفسي الآتية من دنس الطبائع والأخلاق ، ونور قلبي القاسي بلوامع الإشراق ، ليستعد للعبور على سرائر الأنس ، ويتهيأ للحضور في حظائر القدس ، وثبتني على مناهج الحق والهدى ، وأرشدني إلى مسالك البر والتقى ، واجعل أعز مرامى ابتغاء رضاك ، وأشرف أيامي يوم لقاءك ، يوم يقوم الناس لرب العالمين فريقاً فريقاً ، واحشرنى مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

﴿ قام بمراجعة وتصحيح هذا التفسير : فضيلة الأستاذ الدكتور (حسن أحمد مرعى) الأستاذ بكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر . وفضيلة الأستاذ الشيخ (محمد الصادق قحاوى) المفتش العام بالمعاهد الأزهرية ، وعضو لجنة مراجعة المصاحف بمشيخة الأزهر الشريف ﴾ .

فهرست

الجزء التاسع من تفسير قاضى القضاة أبي السعود

صفحة	سورة	صفحة	سورة
٢	المالك	١٤٣	الأعلى
١١	القلم	١٤٨	الغاشية
٢١	الحاقة	١٥٣	الفجر
٢٩	المعارج	١٦٠	البلد
٣٦	نوح	١٦٣	الشمس
٤٢	الجن	١٦٦	الليل
٤٩	الزمل	١٦٩	الضحى
٥٤	المدثر	١٧٢	الشرح
٦٤	القيامة	١٧٤	التين
٧٠	الإنسان	١٧٧	العلق
٧٧	المرسلات	١٨٢	القدر
٨٤	النبا	١٨٤	البينة
٩٥	النازعات	١٨٨	الزلزلة
١٠٧	عبس	١٩٠	العاديات
١١٤	التكوير	١٩٢	القارعة
١٢٠	الانفطار	١٩٥	التكاثر
١٢٤	المطففين	١٩٧	العصر
١٣١	الانشقاق	١٩٨	الهمزة
١٣٥	البروج	٢٠٠	الفيل
١٤٠	الطارق	٢٠٢	قريش

صفحة	سورة	صفحة	سورة
٢١٢	الإخلاص	٢٠٣	الماعون
٢١٤	الفلق	٢٠٥	الكوثر
٢١٦	الناس	٢٠٦	الكافرون
٢١٨	الحاتمة	٢٠٨	النصر
		٢١٠	المسد
(تم الفهرست)			